الأغاني

ابو الفرج الأصفهاني

To PDF: www.al-mostafa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الأول

ذكر المائة الصوت المختارة

إجماع المغنين على اختيار الأصوات الثلاثة

الشاملة لجميع نغم الغناء أخبرنا أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال حدثني أبي قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن أباه أخبره أن الرشيد - رحمة الله عليه - أمر المغنين، وهم يومئذ متوافرون، أن يختاروا له ثلاثة أصوات من جميع الغناء، فأجمعوا على ثلاثة أصوات أنا أذكرها بعد هذا إن شاء الله.

قال إسحاق: فجرى هذا الحديث يوماً وأنا عند أمير المؤمنين الواثق بالله، فأمرني باختيار أصوات من الغناء القديم، فاخترت له من غناء أهل كل عصر ما اجتمع علماؤهم على براعته وإحكام صنعته، ونسبته إلى من شدا به، ثم نظرت إلى ما أحدث الناس بعد ممن شاهدناه في عصرنا وقبيل ذلك، فاجتبيت منه ما كان مشبهاً لما تقدم أو سالكاً طريقه، فذكرته و لم أبخسه ما يجب له وإن كان قريب العهد؛ لأن الناس قد يتنازعون الصوت في كل حين وزمان، وإن كان السبق للقدماء إلى كل إحسان.

وأخبرني أحمد بن جعفرٍ جحظة قال حدثني هارون بن الحسن بن سهل وأبو العبيس بن حمدون وابن دقاق وهو محمد بن أحمد بن يحيى المعروف بابن دقاق بهذا الخبر، فزعم: أن الرشيد أمر هؤلاء المغنين أن يختاروا له مائة صوت فاختاروها، ثم أمرهم باختيار عشرة منها فاختاروها، ثم أمرهم أن يختاروا منها ثلاثة ففعلوا. وذكر نحو ما ذكره يحيى بن علي، ووافقه في صوت من الثلاثة الأصوات، وخالفه في صوتين. وذكر يحيى بن علي بإسناده المذكور أن منها لحن معبد في شعر أبي قطيفة وهو من خفيف الثقيل الأول:

القصر فالنخل فالجماء بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جيرون

ولحن ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة، ولحنه من الثقيل الثاني:

تشكى الكميت الجري لما جهدته وبين لو يسطيع أن يتكلما

ولحن ابن محرزٍ في شعر نصيب، وهو من الثقيل الثاني أيضاً:

أهاج هواك المنزل المتقادم؟ نعم، وبه ممن شجاك معالم

وذكر جحظة عمن روى عنه أن من الثلاثة الأصوات لحن ابن محرز في شعر المجنون، وهو من الثقيل الثاني:

إذا ما طواك الدهر يا أم مالك فشأن المنايا القاضيات وشانيا

ولحن إبراهيم الموصلي في شعر العرجي، وهو من خفيف الثقيل الثاني:

إلى جيداء قد بعثوا رسولا ليحزنها، فلا صحب الرسول

ولحن ابن محرز في شعر نصيب، وهو على ما ذكر هزج:

أهاج هواك المنزل المتقادم؟ نعم، وبه ممن شجاك معالم

وحكى عن أصحابه أن هذه الثلاثة الأصوات على هذه الطرائق لا تبقى نغمةٌ في الغناء إلا وهي فيها.

رواية أن المغنين أجمعوا على صوت واحد من هذه الثلاثة وتفنيد أبي الفرج لهذه الرواية أخبرني الحسن بن علي الأدمي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثني أبو توبة صالح بن محمد قال حدثني محمد بن جبر المغني قال حدثني إبراهيم بن المهدي: أن الرشيد أمر المغنين أن يختاروا له أحسن صوت غني فيه، فاختاروا له لحن ابن محرز في شعر نصيب:

أهاج هواك المنزل المتقادم؟

قال: وفيه دور كثير، أي صنعة كثيرة. والذي ذكره أبو أحمد يحيى بن علي أصح عندي. ويدل على ذلك تباين ما بين الأصوات التي ذكرها والأصوات الأخر في جودة الصنعة وإتقانها وإحكام مباديها ومقاطعها وما فيها من العمل، وأن الأخرى ليست مثلها ولا قريبةً منها. وأخرى هي أن جحظة حكى عمن روى عنه أن فيها صوتاً لإبراهيم الموصلي، وهو أحد من كان اختار هذه الأصوات للرشيد، وكان معه في اختيارها إسماعيل بن جامع وفليح بن العوراء، وليس أحد منهما دونه إن لم يفقه، فكيف يمكن أن يقال: إنهما ساعدا إبراهيم على اختيار لحنٍ من صنعته في ثلاثة أصوات اختيرت من سائر الأغاني وفضلت عليها! ألم يكونا لو فعلا ذلك قد حكما لإبراهيم على أنفسهما بالتقدم والحذق والرياسة وليس هو كذلك عندهما؟ ولقد أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى المنجم عن حماد بن إسحاق عن أبيه:

أنه أتى أباه إبراهيم بن ميمون يوماً مسلماً، فقال له أبوه: يا بني، ما أعلم أحداً بلغ من بر ولده ما بلغته من برك، وإني لأستقل ذلك لك، فهل من حاجةٍ أصير فيها إلى محبتك؟ قلت: قد كان - جعلت فداك - كل ما ذكرت فأطال الله لي بقاءك، ولكني أسالك واحدةً: يموت هذا الشيخ غداً أو بعد غد و لم أسمعه، فيقول الناس لي ماذا وأنا أحل منك هذا المحل. قال لي: ومن هو؟ قلت: ابن جامع. قال: صدقت يا بني، أسرجوا لنا. فجئنا ابن جامع، فدخل علينا أبي وأنا معه، فقال: يا أبا القاسم، قد جئتك في حاجة، فإن شئت فاشتمني، وإن شئت فاقذفني، غير أنه لا بد لك من قضائها. هذا عبدك وابن أخيك إسحاق قال لي كذا وكذا، فركبت معه أسالك أن تسعفه فيما سأل. فقال: نعم، على شريطةٍ: تقيمان عندي أطعمكما مشوشةً وقلية وأسقيكما من نبيذي التمري وأغنيكما، فإن جاءنا رسول الخليفة مضينا إليه وإلا أقمنا يومنا. فقال أبي: السمع والطاعة، وأمر بالدواب فردت. فجاءنا ابن جامع بالمشوشة والقلية ونبيذه التمري فأكلنا وشربنا، ثم اندفع فغنانا، فنظرت إلى أبي يقل في عيني ويعظم ابن جامع حتى صار أبي في عيني كلا شيء. فلما طربنا غاية الطرب جاء رسول الخليفة

فركبا وركبت معهما. فلما كنا في بعض الطريق قال لي أبي: كيف رأيت ابن جامع يا بني؟ قلت له: أو تعفيني جعلت فداك! قال: لست أعفيك فقل. فقلت له: رأيتك ولا شيء أكبر عندي منك قد صغرت عندي في الغناء معه حتى صرت كلا شيء. ثم مضيا إلى الرشيد، وانصرفت إلى مترلي؛ وذلك لأني لم أكن بعد وصلت إلى الرشيد. فلما أصبحت أرسل إلي أبي فقال: يا بني، هذا الشتاء قد هجم عليك وأنت تحتاج فيه إلى مؤنة وإذا مالٌ عظيمٌ بين يديه، فاصرف هذا المال في حوائجك. فقمت فقبلت يده ورأسه وأمرت بحمل المال واتبعته، فصوت بي: يا إسحاق ارجع، فرجعت. فقال لي: أتدري لم وهبت لك هذا المال؟ قلت: نعم، جعلت فداك! قال: لم؟ قلت: لصدقي فيك وفي ابن جامع. قال: صدقت يا بني، امض راشداً. ولهما في هذا الجنس أخبار كثيرة تأتي في غير هذا الموضع متفرقةً في أماكن تحسن فيها ولا يستغني بما ذكرها هنا عنها. فإبراهيم يحل ابن جامع هذا المحل مع ما كان بينهما من المنافسة والمفاخرة ثم يقدم على أن يختار فيما هو معه فيه صوتاً لنفسه يكون مقدماً على سائر الغناء، ويطابقه هو وفليح عليه! هذا خطأ لا يتخيل. وعلى ما به فإنا نذكر الصوتين اللذين رويناهما عن جحظة المخالفين لرواية يحيى بن علي، بعد ذكرنا ما رواه يحيى، ثم نتبعهما باقي الاختيار. فأول ذلك من رواية أبي الحسن علي بن يحيى.

الكلام على أحد هذه الأصوات الثلاثة

صوت فيه لحنان

القصر فالنخل فالجماء بينهما ... أشهى إلى القلب من أبواب جيرون

إلى البلاط فما حازت قرائنه ... دورٌ نزحن عن الفحشاء والهون

قد يكتم الناس أسراراً فأعلمها ... ولا ينالون حتى الموت مكنوني

عروضه من أول البسيط. القصر الذي عناه هاهنا: قصر سعيد بن العاص بالعرصة. والنخل الذي عناه: نخل كان لسعيد هناك بين قصره وبين الجماء وهي أرض كانت له، فصار جميع ذلك لمعاوية بن أبي سفيان بعد وفاة سعيد، ابتاعه من ابنه عمرو باحتمال دينه عنه؛ ولذلك خبرٌ يذكر بعد. وأبواب جيرون بدمشق. ويروى: "حاذت قرائنه" من المحاذاة. والقرائن: دور كانت لبني سعيد بن العاص متلاصقة؛ سميت بذلك لاقترانها. ونزحن: بعدن، والنازح: البعيد؛ يقال: نزح نزوحاً. والهون: الهوان. قال الراجز:

لم يبتذل مثل كريمٍ مكنون ... أبيض ماضٍ كالسنان المسنون

كان يوقى نفسه من الهون

والمكنون: المستور الخفي، وهو مأخوذ من الكن. الشعر لأبي قطيفة المعيطي، والغناء لمعبد، وله فيه لحنان: أحدهما خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى في مجراها من رواية إسحاق وهو اللحن المختار، والآخر ثقيلٌ أول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة.

خبر أبي قطيفة

نسبه

هو عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط. واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. هذا الذي عليه النسابون.

وذكر الهيثم بن عدي في "كتاب المثالب" أن أبا عمرو بن أمية كان عبداً لأمية اسمه ذكوان فاستلحقه. وذكر أن دغفلاً النسابة دخل على معاوية فقال له: من رأيت من علية قريش؟ فقال: رأيت عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس. فقال: صفهما لي. فقال: كان عبد المطلب أبيض مديد القامة حسن الوجه، في جبينه نور النبوة وعز الملك، يطيف به عشرة من بنيه كأنهم أسد غاب. قال: فصف أمية. قال: رأيته شيخاً قصيراً نحيف الجسم ضريراً يقوده عبده ذكوان. فقال: مه، ذاك ابنه أبو عمرو. فقال: هذا شيء قلتموه بعد وأحدثتموه، وأما الذي عرفت فهو الذي أخبرتك به. ثم نعود إلى سياقة النسب من لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.
والنضر عند أكثر النسابين أصل قريش، فمن ولده النضر عد منهم، ومن لم يلده فليس منهم. وقال بعض نسابي قريش: بل فهر بن مالك "أصل" قريش، فمن لم يلده فليس من قريش. ثم نعود للنسب إلى النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. وولد إلياس يقال لهم خندف، سموا بأمهم خندف وهو لقبها، واسمها ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وهي أم مدركة وطابخة وقمعة بني إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن يشجب - وقيل: أشجب - بن نبت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم، هذا النسب الذي رواه نسابو العرب وروي عن ابن شهاب الزهري وهو من علماء قريش وفقهائها.
وقام قوم آخرون من النسابين ممن أخذ - فيما يزعم - عن دغفل وغيره: معد بن عدنان بن أدد بن آمين بن شاجيب بن نبت بن ثعلبة بن عتر بن سرائج بن ملحم بن العوام بن المحتمل بن رائمة بن العقيان بن علة ابن شحدود بن الضرب بن عيفر بن إبراهيم بن إسماعيل بن رزين بن أعوج بن المطعم بن الطمح بن القسور بن عتود بن دعدع بن محمود بن الرائد بن بدوان بن أمامة بن دوس بن حصين بن النزال بن الغمير بن محشر بن معذر بن صيفي بن نبت بن قيدار بن إسماعيل ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله صلى الله عليهما وعلى أنبيائه أجمعين وسلم تسليماً. ثم أجمعوا أن إبراهيم بن آزر وهو اسمه بالعربية كما ذكره الله تعالى في كتابه، وهو في التوراة بالعبرانية تارح بن ناحور، وقيل: الناحر بن الشارع وهو شاروع بن أرغو وهو الرامح بن فالغ - وهو

قاسم الأرض الذي قسمها بين أهلها - بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ وهو الرافد بن سام بن نوح صلى الله عليه وسلم ابن لامك وهو في لغة العرب ملكان ابن المتوشلخ وهو المنوف بن أخنخ وهو إدريس نبي الله عليه السلام بن يارد وهو الرائد بن مهلايل بن قينان وهو قنان بن أنوش وهو الطاهر بن شيثٍ وهو هبة الله. يقال له أيضاً شاث بن آدم أبي البشر صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وعلى نبينا محمد خاصة وسلم تسليماً. هذا الذي في أيدي الناس من النسب على اختلافهم فيه.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم تكذيبٌ للنسابين ودفعٌ لهم. وروي أيضاً خلافٌ لأسماء بعض الأباء. وقد شرحت ذلك في "كتاب النسب" شرحاً يستغنى به عن غيره.

ذكر العنابس والأعياص

من بني أمية وأن أبا قطيفة من الأولين

وأبو قطيفة وأهله من العنابس من بني أمية. وكان لأمية من الولد أحد عشر ذكراً، كل واحد منهم يكنى باسم صاحبه، وهم العاص وأبو العاص، والعيص وأبو العيص، وعمرو وأبو عمرو، وحرب وأبو حرب، وسفيان وأبو سفيان، والعويص لا كنى له. فمنهم الأعياص فيما أخبرنا حرمي بن أبي العلاء - واسمه أحمد بن محمد بن إسحاق، والطوسي - واسمه أحمد بن سليمان - قالا: حدثنا الزبير بن بكار عن محمد بن الضحاك الحزامي عن أبيه قال: الأعياص: العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص والعُويص. ومنهم العنابس وهم حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو. وإنما سموا العنابس لأنهم ثبتوا مع أخيهم حرب بن أمية بعكاظ وعقلوا أنفسهم وقاتلوا قتالاً شديداً فشبهوا بالأسد، والأسد يقال لها العنابس، واحدها عنبسة. وفي الأعياص يقول عبد الله بن فضالة الأسدي:

من الأعياص أو من آل حرب أغر كغرة الفرس الجواد

والسبب في قوله هذا الشعر ما أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة، وحدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، قال: حدثنا المدائني وابن غزالة، قالوا:

أتى عبد الله بن فضالة بن شريك الوالبي ثم الأسدي من بني أسد بن خزيمة عبد الله بن الزبير، فقال له: نفدت نفقتي ونقبت راحلتي. قال: فأحضرها، فقال... أقبل بها، أدبر بها، ففعل. فقال: ارقعها بسبتٍ واخصفها بهلبٍ وأنجد بها يبرد خفها وسر البردين تصح. فقال ابن فضالة: إني أتيتك مستحملاً و لم آتك مستوصفاً، فلعن الله ناقةً حملتني إليك! قال ابن الزبير: إن وراكبها. فانصرف عنه ابن فضالة وقال:

أقول لغلمتي شدوا ركابي أجاوز بطن مكة في سواد

فما لي حين أقطع ذات عرقٍ إلى ابن الكاهلية من معاد

سيبعد بيننا نص المطايا وتعليق الأداوى و المزاد

وكل معبدٍ قد أعلمته مناسمهن طلاع النجاد

أرى الحاجات عند أبي خبيبٍ نكدن و لا أمية بالبلاد

من الأعياص أو من آل حرب أغر كغرة الفرس الجواد

أبو خبيب: عبد الله بن الزبير، كان يكنى أبا بكر. وخبيب: ابن له هو أكبر ولده، و لم يكن يكنيه به إلا من ذمه، يجعله كاللقب له. قال: فقال ابن الزبير لما بلغه هذا الشعر: علم أنها شر أمهاتي فعيرني بها وهي خير عماته. قال اليزيدي: "إن" ها هنا بمعنى نعم، كأنه إقرارٌ بما قال. ومثله قول ابن قيس الرقيات:

ويقلن شيبٌ قد علا ك وقد كبرت فقلت إنه

عود إلى نسب أبي قطيفة

وأم أبي معيطٍ آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، ولها يقول نابغة بني جعدة:

وشاركنا قريشاً في تقاها وفي أنسابها شرك العنان

بما ولدت نساء بني هلالٍ وما ولدت نساء بني أبان

وكانت آمنة هذه تحت أمية بن عب شمس، فولدت له العاص وأبا العاص وأبا العيص والعويص وصفية وتوبة وأروى بني أمية. فلما مات أمية تزوجها بعده ابنه أبو عمرو - وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك، يتزوج الرجل امرأة ابيه بعده - فولدت له أبا معيطٍ، فكان بنو أمية من آمنة إخوة أبي معيط وعمومته، أخبرني بذلك كله الطوسي عن الزبير بن بكار.

قال الزبير: وحدثني عمي مصعب قال: زعموا أن ابنها أبا العاص زوجها أخاه أبا عمرو، وكان هذا نكاحاً تنكحه الجاهلية. فأنزل الله تعالى تحريمه، قال الله تعالى: "ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً"، فسمي نكاح المقت.

مقتل عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث

وما قالته قتيلة بنت الحارث من الشعر ترثي أخاها وأسر عقبة بن أبي معيط في يوم بدر، فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبراً. حدثنا بذلك محمد بن جرير الطبري قال حدثنا محمد بن حميد الرازي قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق في خبر ذكره طويلٍ، وحدثني به أحمد بن محمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري، قالوا جميعاً.

قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبراً. فقال له - وقد أمر بذلك فيه -: يا محمد، أأنا خاصةً من قريش؟ قال نعم. قال: فمن للصبية بعدي؟ قال: النار. فلذلك يسمى بنو أبي معيط صبية النار. واختلف في قاتله، فقيل: إن علي بن أبي طالب تولى قتله. وهذا من رواية بعض الكوفيين، حدثني به أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة قال: أخبرني المنذر بن محمد اللخمي قال حدثنا سليمان بن عباد قال حدثني عبد العزيز بن أبي ثابت المدني عن أبيه عن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر علياً يوم بدر فضرب عنق عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث. وروى ابن إسحاق أن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري قتله، وأن الذي قتله علي بن أبي طالب النضر بن الحارث بن كلدة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني الحسن بن عثمان قال حدثني ابن أبي زائدة عن محمد بن إسحاق عن أصحابه، وحدثنا محمد بن جرير قال حدثنا "أحمد" بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن أصحابه، قالوا:

قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر عقبة بن أبي معيط صبراً: أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه، ثم أقبل من بدر حتى إذا كان ب "الصفراء" قتل النضر بن الحارث بن كلدة أحد بني عبد الدار، أمر علياً أن يضرب عنقه، قال عمر بن شبة في حديثه ب "الأثيل"، فقالت أخته قتيلة بنت الحارث ترثيه:

يا راكباً إن الأثيل مظنةٌ ... من صبح خامسةٍ وأنت موفق

أبلغ به ميتاً بأن تحيةً ... ما إن تزال بها النجائب تخفق

مني إليك وعبرةً مسفوحةً ... جادت بدرتها وأخرى تخنق

هل يسمعن النمضر إن ناديته ... إن كان يسمع هالك لا ينطق

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... لله أرحامٌ هناك تشقق

صبراً يقاد إلى المنية متعباً ... رسف المقيد وهو عانٍ موثق

أمحمدٌ ولأنت نسل نجيبةٍ ... في قومها والفحل فحلٌ معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق

أو كنت قابل فديةٍ فليأتين ... بأعز ما يغلو لديك وينفق

والنضر أقرب من أخذت بزلةٍ ... وأحقهم إن كان عتقٌ يعتق

فبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لو سمعت هذا قبل أن أقتله ما قتلته". فيقال: إن شعرها أكرم شعر موتورةٍ وأعفه وأكفه وأحلمه. قال ابن إسحاق: وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان بعرق الظبية قتل عقبة بن أبي معيطٍ. قال حين أمر به أن يقتل: فمن للصبية يا محمد؟ قال: النار. فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أحد بني عمرو بن عوف.

حدثني أحمد بن الجعد قال حدثنا عبد الله بن محمد بن إسحاق الأدمي قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثني الأوزاعي قال حدثني يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم التيمي قال حدثني عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو فقلت: أخبرني بأشد شيءٍ صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيطٍ فوضع ثوبه في عنق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخنقه به خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر - رحمة الله عليه - حتى أخذ بمنكبه فدفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله!

ولاية الوليد بن عقبة الكوفة

في خلافة عثمان ثم عزله عنها وكان الوليد بن عقبة أخا عثمان بن عفان لأمه، أمهما أروى بنت عامر بن كريز، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. والبيضاء وعبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم توءمان. وكان عقبة بن أبي معيط تزوج أروى بعد وفاة عفان، فولدت له الوليد وخالداً وعمارة وأم كلثوم، كل هؤلاء إخوة عثمان لأمه. وولي عثمان الوليد بن عقبة في خلافته الكوفة، فشرب الخمر وصلى بالناس وهو سكران فزاد في الصلاة، وشهد عليه بذلك عند عثمان فجلده الحد. وسيأتي خبره بعد هذا في موضعه.

وأبو قطيفة عمرو بن الوليد يكنى أبا الوليد. وأبو قطيفة لقبٌ لقب به. وأمه بنت الربيع بن ذي الخمار من بني أسد بن خزيمة.

نفي ابن الزبير أبا قطيفة

فيمن نقله عن المدينة في وقعة الحرة

قال أبو قطيفة هذا الشعر حين نفاه ابن الزبير مع بني أمية عن المدينة، مع نظائر له تشوقاً إليها. حدثني بالسبب في ذلك أحمد بن محمد بن شبيب بن أبي شيبة البزار، قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني، وأخبرني ببعضه أحمد بن محمد بن الجعد قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثني أبي قال حدثني وهب بن جرير عن أبيه في كتابه المسمى "كتاب الأزارقة"، ونسخت بعضه من كتابٍ منسوبٍ إلى الهيثم بن عدي. واللفظ للمدائني في الخبر ما اتسق، فإذا انقطع أو اختلف نسبت الخلاف إلى راويه. قال الهيثم بن عدي أخبرنا ابن عياش عن مجالد عن الشعبي وعن ابن أبي الجهم ومحمد بن المنتشر: خروج ابن الزبير على بني أمية ووفد يزيد بن معاوية له

أن الحسين بن علي بن أبي طالب لما سار إلى العراق، شمر ابن الزبير للأمر الذي أراده ولبس المعافري وشبر بطنه وقال: إنما بطني شبر، وما عسى أن يسع الشبر! وجعل يظهر عيب بني أمية ويدعو إلى خلافهم. فأمهله يزيد

سنةً، ثم بعث إليه عشرةً من أهل الشأم عليهم النعمان بن بشير. وكان أهل الشأم يسمون أولئك العشرة النفر الركب، منهم عبد الله بن عضاه الأشعري، وروح بن زنباع الجذامي، وسعد بن حمزة الهمداني، ومالك بن هبيرة السكوني، وأبو كبشة السكسكي، وزمل بن عمرو العذري، وعبد الله بن مسعود، وقيل: ابن مسعدة الفزاي، وأخوه عبد الرحمن، وشريك بن عبد الله الكناني، وعبد الله بن عامر الهمداني، وجعل عليهم، النعمان بن بشير، فأقبلوا حتى قدموا مكة على عبد الله بن الزبير، وكان النعمان يخلو به في الحجر كثيراً. فقال له عبد الله بن عضاةٍ يوماً: يا ابن الزبير، إن هذا الأنصاري والله ما أمر بشيء إلا وقد أمرنا بمثله إلا أنه قد أمر علينا، إني والله ما أدري ما بين المهاجرين والأنصار. فقال ابن الزبير: يا ابن عضاه، مالي ولك! إنما أنا بمنزلة حمامة من حمام مكة، أفكنت قاتلاً حماماً من حمام مكة؟ قال: نعم، وما حرمة حمام مكة! يا غلام، ائتني بقوسي وأسهمي، فأتاه بقوسه وأسهمه، فأخذ سهماً فوضعه في كبد القوس ثم سدده نحو حمامة من حمام المسجد وقال: يا حمامة، أيشرب يزيد بن معاوية الخمر؟ قولي نعم، فوالله: لئن فعلت لأرمينك. يا حمامة، أتخلعين يزيد بن معاوية وتفارقين أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وتقيمين في الحرم حتى يستحل بك؟ والله لئن فعلت لأرمينك. فقال ابن الزبير: ويحك! أويتكلم الطائر؟ قال: لا! ولكنك يا ابن الزبير تتكلم. أقسم بالله لتبايعن طائعاً أو مكرهاً أو لتتعرفن راية الأشعريين في هذه البطحاء، ثم لا أعظم من حقها ما تعظم. فقال ابن الزبير: أوتستحل الحرم! قال: إنما يستحله من ألحد فيه. فحبسهم شهراً ثم ردهم إلى يزيد بن معاوية و لم يجبه إلى شيء. وفي رواية أحمد بن الجعد: وقال بعض الشعراء - وهو أبو العباس الأعمى، واسمه السائب بن فروخ يذكر ذلك وشبر ابن الزبير بطنه -:

مازال في سورة الأعراف يدرسها حتى بدا لي مثل الخز في اللين

لو كان بطنك شبراً قد شبعت وقد أفضلت فضلاً كثيراً للمساكين

قال الهيثم: ثم إن ابن الزبير مضى إلى صفية بنت أبي عبيد زوجة عبد الله بن عمر، فذكر لها أن خروجه كان غضباً لله تعالى ورسوله - عليه السلام - والمهاجرين والأنصار من أثرة معاوية وابنه "وأهله" بالفيء، وسألها مسألته أن يبايعه. فلما قدمت له عشاءه ذكرت له أمر ابن الزبير واجتهاده، وأثنت عليه وقالت: ما يدعو إلا إلى طاعة الله جل وعز، وأكثرت القول في ذلك. فقال لها: أما رأيت بغلات معاوية اللواتي كان يحج عليهن الشهب، فإن ابن الزبير ما يريد غيرهن! قال المدائني في خبره: وأقام ابن الزبير على خلع يزيد ومالأه على ذلك أكثر الناس. فدخل عليه عبد الله بن مطيع وعبد الله بن حنظلة وأهل المدينة المسجد وأتوا المنبر فخلعوا يزيد. فقال عبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي: خلعت يزيد كما خلعت عمامتي، ونزعها عن رأسه وقال: إني لأقول هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي، ولكن عدو الله سكير خمير. وقال آخر: خلعته كما خلعت نعلي. وقال آخر: خلعته كما خلعت ثوبي. وقال آخر: قد خلعته كما خلعت خفي، حتى كثرت العمائم والنعال والخفاف، وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك، وامتنع منه عبد الله بن عمر ومحمد بن علي بن أبي طالب وجرى بين محمد خاصةً وبين أصحاب ابن الزبير فيه قولٌ كثير، حتى أرادوا إكراهه على ذلك، فخرج إلى

مكة، وكان هذا أول ما هاج الشر بينه وبين ابن الزبير.

وقعة الحرة

قال المدائني: واجتمع أهل المدينة لإخراج بني أمية عنها، فأخذوا عليهم العهود ألا يعينوا عليهم الجيش، وأن يردوهم عنهم، فإن لم يقدروا على ردهم لا يرجعوا إلى المدينة معهم. فقال لهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان: أنشدكم الله في دمائكم وطاعتكم! فإن الجنود تأتيكم وتطؤكم، وأعذر لكم ألا تخرجوا أميركم، إنكم إن ظفرتم وأنا مقيمٌ بين أظهركم فما أيسر شأني وأقدركم على إخراجي! وما أقول هذا إلا نظراً لكم أريد به حقن دمائكم. فشتموه وشتموا يزيد، وقالوا: لا نبدأ إلا بك، ثم نخرجهم بعدك. فأتى مروان عبد الله بن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن، إن هؤلاء القوم قد ركبونا بما ترى، فضم عيالنا. فقال: لست من أمركم وأمر هؤلاء في شيء. فقام مروان وهو يقول: قبح الله هذا أمراً وهذا ديناً. ثم أتى علي بن الحسين فسأله أن يضم أهله وثقله ففعل، ووجههم وامرأته أم أبان بنت عثمان إلى الطائف ومعها ابناه: عبد الله ومحمد. فعرض حريثٌ رقاصة - وهو مولى لبني بهز من سليم كان بعض عمال المدينة قطع رجله فكان إذا مشى كأنه يرقص، فسمي رقاصة - لثقل مروان وفيه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، فضربته بعضاً فكادت تدق عنقه، فولى ومضى. ومضوا إلى الطائف وأخرجوا بني أمية. فحس بهم سليمان بن أبي الجهم العدوي وحريث رقاصة، فأراد مروان أن يصلي بمن معه فمنعوه، وقالوا: لا يصلي والله بالناس أبداً، ولكن إن أراد أن يصلي بأهله فليصل، فصلى بهم ومضى. فمر مروان بعبد الرحمن بن أزهر الزهري، فقال له: هلم إلي يا أبا عبد الملك، فلا يصل إليك مكروه ما بقي رجلٌ من بني زهرة. فقال له: وصلتك رحمٌ، قومنا على أمرٍ فأكره أن أعرضك لهم. وقال ابن عمر بعد ذلك - لما أخرجوا وندم على ما كان قاله لمروان -: لو وجدت سبيلاً إلى نصر هؤلاء لفعلت، فقد ظلموا وبغي عليهم. فقال ابنه سالم: لو كلمت هؤلاء القوم! فقال: يا بني، لا يترع هؤلاء القوم عما هم عليه، وهم بعين الله، إن أراد أن يغير غير. قال: فمضوا "إلى ذي خشبٍ"، وفيهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان والوليد بن عتبة بن أبي سفيان، واتبعهم العبيد والصبيان والسفلة يرمونهم. ثم رجع حريث رقاصة وأصحابه إلى المدينة، وأقامت بنو أمية ب "ذي خشب" عشرة أيام، وسرحوا حبيب بن كرة إلى يزيد بن معاوية يعلمونه، وكتبوا إليه يسالونه الغوث. وبلغ أهل المدينة أنهم وجهوا رجلاً إلى يزيد، فخرج محمد بن عمرو بن حزم ورجل من بني سليم من بهز وحريث رقاصة وخمسون راكباً فأزعجوا بني أمية منها، فنخس حريثٌ بمروان فكاد يسقط عن ناقته، فتأخر عنها وزجرها وقال: اعلي واسلمي. فلما كانوا "بالسويداء" عرض لهم مولى لمروان، فقال: جعلت فداك! لو نزلت فأرحت وتغديت! فالغداء حاضر كثير قد أدرك. فقال: لا يدعني رقاصة وأشباهه، وعسى أن يمكن الله منه فتقطع يده. ونظر مروان إلى ماله ب "ذي خشب" فقال: لا مال إلا ما أحرزته العياب فمضوا فنزلوا حقيلاً أو وادي القرى، وفي ذلك يقول الأحوص:

لا ترثين لحزميٍّ رأيت به ضراً ولو سقط الحزمي في النار

الناخسين بمروانٍ بذي خشبٍ والمقحمين على عثمان في الدار

قال المدائني: فدخل حبيب بن كرة على يزيد - وهو واضعٌ رجله في طستٍ لوجع كان يجده - بكتاب بني أمية وأخبره الخبر. فقال: أما كان بنو أمية ومواليهم ألف رجل؟ قال: بلى! وثلاثة آلاف. قال: أفعجزوا أن يقاتلوا ساعة من نهار؟ قال: كثرهم الناس و لم تكن لهم بهم طاقةٌ. فندب الناس وأمر عليهم صخر بن أبي الجهم القيني، أحداً إلا قصر وما صاحبهم غيري، إني رأيت في منامي شجرة غرقدٍ تصيح: على يدي مسلم، فأقبلت نحو الصوت فسمعت قائلاً يقول: أدرك ثأرك أهل المدينة قتلة عثمان فخرج مسلمٌ وكان من قصة الحرة ما كان على يده، وليس هذا موضعه. فقال أبو قطيفة في ذلك - لما أخرجوا عن المدينة -:

صوت من غير المائة فيه لحنان

شعر أبي قطيفة في تشوقه إلى المدينة

بكى أحدُ لما تحمل أهله فكيف بذي وجد من القوم آلف

من أجل أبي بكرٍ جلت عن بلادها أمية، والأيام ذات تصارف

عروضه من الطويل، وفيه ثقيلٌ أول. والغناء لسائب خاثرٍ، خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى، ذكر ذلك حمادٌ عن أبيه، وذكر أن فيه لحناً آخر لأهل المدينة لا يعرف صاحبه. قال الهيثم في خبره: وقال أبو العباس الأعمى في ذلك:

قد حل في دار البلاط مجوعٌ ودار أبي العاص التميمي حنتف

فلم أر مثل الحي حين تحملوا ولا مثلنا عن مثلهم يتنكف

وقال أبو قطيفة أيضاً: من غير المائة فيه ثلاث ألحان

بكى أحدٌ لما تحمل أهله فسلعٌ فدار المال أمست تصدع

وبالشأم إخواني وجل عشيرتي فقد جعلت نفسي إليهم تطلع

عروضه من الطويل. غنى فيه دحمان، ولحنه ثقيلٌ أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر من رواية إسحاق. وفيه لمعبد ثقيلٌ أول بالوسطى من رواية حبش. وذكر إسحاق أن فيه لحناً في خفيف الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر مجهول الصانع. وقال أبو قطيفة أيضاً: صوت من غير المائة المختارة

ليت شعري: هل البلاط كعهدي والمصلى إلى قصور العقيق؟

لامني في هواك يا أم يحيى من مبينٍ بغشه أو صديق

عروضه من الخفيف. غناه معبد ويقال دحمان، ولحنه ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى، وذكر إسحاق أنه لا يعرف صاحبه.

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن يونس بن الوليد قال: كان ابن الزبير قد نفى أبا قطيفة مع من نفاه من بني أمية عن المدينة إلى الشأم، فلما طال مقامه بها قال:

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا ... قباءٌ وهل زال العقيق وحاضره؟

وهل برحت بطحاء قبر محمدٍ ... أراهط غرٌ من قريشٍ تباكره

لهم منتهى حبي وصفو مودتي ... ومحض الهوى مني وللناس سائره

قال وقال أيضاً: صوت من غير المائة المختارة

ليت شعري وأين مني ليت ... أعلى العهد يلبنٌ فبرام؟

أم كعهدي العقيق أم غيرته ... بعدي الحادثات والأيام؟

وبأهلي بدلت عكا ولخماً ... وجذاماً، وأين مني جذام!

وتبدلت من مساكن قومي ... والقصور التي بها الآطام

كل قصرٍ مشيدٍ ذي أواسٍ ... يتغنى على ذراه الحمام

إقر مني السلام إن جئت قومي ... وقليلٌ لهم لدي السلام

عروضه من الخفيف، غناه معبد، ولحنه ثقيلٌ بالخنصر في مجرى البنصر. و "يلبن" و "برام": موضعان. والآطام: جمع أطم، وهي القصور والحصون. وقال الأصمعي: الآطام: الدور المسطحة السقوف. وفي رواية ابن عمار: "ذي أواشٍ" بالشين معجمةً، كأنه أراد به أن هذه القصور موشيةٌ أي منقوشة. ورواه إسحاق: "أواس" بالسين غير معجمة، وقال: واحدها آسيٌّ، وهو الأصل. قال ويقال: فلانٌ في آسية، أي في أصله. والآسي والأساس واحد. وذرا كل شيء: أعاليه، وهو جمعٌ، واحدته ذروة. ويروى:

أبلغن السلام إن جئت قومي

وروى الزبير بن بكار هذه الأبيات لأبي قطيفة، وزاد فيها:

أقطع الليل كله باكتئابٍ ... وزفيرٍ فما أكاد أنام

نحو قومي إذ فرقت بيننا الدا ... ر وحادت عن قصدها الأحلام

خشيةً أن تصيبهم عنت الده ... ر وحربٌ يشيب منها الغلام

فلقد حان أن يكون لهذا الده ... ر عنا تباعدٌ وانصرام

عفو ابن الزبير عن أبي قطيفة وعودته إلى المدينة وموته حين وصوله إليها رجع الخبر إلى سياقته من رواية ابن عمار. وأخبرنا بمثله من هذا الموضع الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الحزامي، وهو إبراهيم بن المنذر، عن مطرف بن عبد الله المدني قالا: إن ابن الزبير لما بلغه شعر أبي قطيفة هذا قال: حن والله أبو قطيفة

وعليه السلام ورحمة الله، من لقيه فليخبره أنه آمنٌ فليرجع. فأخبر بذلك فانكفأ إلى المدينة راجعاً، فلم يصل إليها حتى مات. قال ابن عمار: فحدثت عن المدائني أن امرأةً من أهل المدينة تزوجها رجل من أهل الشأم، فخرج بها إلى بلده على كرهٍ منها، فسمعت منشداً ينشد شعر أبي قطيفة هذا، فشهقت شهقةً وخرت على وجهها ميتةً، هكذا ذكر ابن عمار في خبره.

وأخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد: قرأت على أبي عن أيوب بن عباية قال قال حدثني سعيد بن عائشة مولى آل المطلب بن عبد مناف قال: خرجت امرأة من بني زهرة في خفٍ، فرآها رجل من بني عبد شمس من أهل الشأم فأعجبته، فسأل عنها فنسبت له، فخطبها إلى أهلها فزوجوه إياها بكرهٍ منها، فخرج بها إلى الشأم. "وخرجت مخرجاً"، فسمعت متمثلاً يقول: صوت من غير المائة المختارة

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا ... جبوب المصلى أم كعهدي القرائن؟
وهل أدؤرٌ حول البلاط عوامرٌ ... من الحي أم هل بالمدينة ساكن؟
إذا برقت نحو الحجاز سحابةٌ ... دعا الشوق مني برقها المتيامن
فلم أتركنها رغبةً عن بلادها ... ولكنه ما قدر الله كائن

عروضه من الطويل، يقال: إن لمعبد فيه لحناً، قال: فتنفست بين النساء فوقعت ميتة. قال أيوب: فحدثت بهذا الحديث عبد العزيز بن أبي ثابت الأعرج فقال: أتعرفها؟ قلت لا. قال: هي والله عمتي حميدة بنت عمر بن عبد الرحمن بن عوف.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا الرياشي قال: أخبرني ابن عائشة، قال: لما أجلى ابن الزبير بني أمية عن الحجاز قال أيمن بن خريم الأسدي:

كأن بني أمية يوم راحوا ... وعري عن منازلهم صرار
شماريخ الجبال إذا تردت ... بزينتها وجادتها القطار

وأخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا بن محمد سعدٍ الكراني، قال: حدثنا العمري عن العتبى قال: كتب أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة إلى أبيه وهو متولي الكوفة لعثمان بن عفان:

من مبلغٌ عني الأمير بأنني ... أرقٌ بلا داء سوى الإنعاظ
إن لم تغثني خفت إثمك أو أرى ... في الدار محدوداً بزرق لحاظ

يعني دار عثمان التي تقام فيها الحدود. فابتاع له جارية بالكوفة وبعث بها إليه. أخبرني عبد الله بن محمد الرازي، قال: حدثنا الخزاز عن المدائني، قال: كان أبو قطيفة من شعراء قريش، وكان ممن نفاه ابن الزبير مع بني أمية إلى الشأم، فقال في ذلك:

وما أخرجتنا رغبةٌ عن بلادنا ولكنه ما قدر الله كائن

أحن إلى تلك الوجوه صبابةً كأني أسير في السلاسل راهن

وكان يتحرق على المدينة، فأتى عباد بن زياد ذات يوم عبد الملك فقال له: إن خاله أخبره أن العراقين قد فتحا. فقال عبد الملك لأبي قطيفة لما يعلمه من حبه المدينة: أما تسمع ما يقوله عباد عن خاله؟ قد طابت لك المدينة الآن. فقال أبو قطيفة:

إني لأحمق من يمشي على قدمٍ إن غرني من حياتي خال عباد

أنشا يقول لنا المصران قد فتحا ودون ذلك يومٌ شره بادي

قال: وأذن له ابن الزبير في الرجوع، فرجع فمات في طريقه.

قصر سعيد بن العاص بالعرصة

وشيء من أخباره وأما خبر القصر الذي تقدم ذكره وبيعه من معاوية، فأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال ذكر مصعب بن عمار بن مصعب بن عروة بن الزبير: أن سعيد بن العاص لما حضرته الوفاة وهو في قصره هذا، قال له ابنه عمرو: لو نزلت إلى المدينة! فقال:

يا بني، إن قومي لن يضنوا علي بأن يحملوني على رقابهم ساعةً من نهار، وإذا أنا مت فآذنهم، فإذا واريتني فانطلق إلى معاوية فانعني له، وانظر في ديني، واعلم أنه سيعرض عليك قضاءه فلا تفعل، واعرض عليه قصري هذا، فإني إنما اتخذته نزهةً وليس بمال. فلما مات آذن به الناس، فحملوه من قصره حتى دفن بالبقيع، ورواحل عمرو بن سعيد مناخة، فعزاه الناس على قبره وودعوه، فكان هو أول من نعاه لمعاوية، فتوجع له وترحم عليه، ثم قال: هل ترك ديناً؟ قال: نعم. "قال: كم هو؟ قال:" ثلثمائة ألف "درهم". قال: هي علي. قال: قد ظن ذلك وأمرني ألا أقبله منك، وأن أعرض عليك بعض ماله فتبتاعه فيكون قضاء دينه منه. قال: فاعرض "علي". قال: قصره بالعرصة. قال: قد أخذته بدينه. قال: هو لك على أن تحملها إلى المدينة وتجعلها بالوافية. قال: نعم. فحملها له إلى المدينة وفرقها في غرمائه، وكان أكثرها عدات. فأتاه شابٌ من قريش بصك فيه عشرون ألف درهم بشهادة سعيدٍ على نفسه وشهادة مولىً له عليه. فأرسل إلى المولى فأقرأه الصك، فلما قرأه بكى وقال: نعم هذا خطه وهذه شهادتي عليه. فقال له عمرو: من أين يكون لهذا الفتى عليه عشرون ألف درهم وإنما هو صعلوك من صعاليك قريش؟ قال: أخبرك عنه، مر سعيدٌ بعد عزله، فاعترض له هذا الفتى ومشى معه حتى صار إلى منزله، فوقف له سعيد فقال: ألك حاجةٌ؟ قال: لا، إلا أني رأيتك تمشي وحدك فأحببت أن أصل جناحك. فقال لي: ائتني بصحيفة، فأتيته بهذه، فكتب له على نفسه هذا الدين وقال: إنك لم تصادف عندنا شيئاً فخذ هذا، فإذا جاءنا شيء فأتنا. فقال عمرو: لا جرم والله لا يأخذها إلا بالوافية، أعطيه إياها، فدفع إليه عشرين ألف درهم وافيةً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا الصلت بن مسعود، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، قال: حدثنا هارون المدائني قال: كان الرجل يأتي سعيد بن العاص يسأله فلا يكون عنده، فيقول: ما عندي، ولكن أكتب علي به، فيكتب عليه كتاباً، فيقول: تروني أخذت منه ثمن هذا؟ لا، ولكنه يجيء فيسألني فيتزو دم وجهه في وجهي فأكره رده. فأتاه مولىً لقريش بابن مولاه وهو غلام فقال: إن أبا هذا قد هلك وقد أردنا تزويجه. فقال: ما عندي، ولكن خذ ما شئت في أمانتي. فلما مات سعيد بن العاص جاء الرجل إلى عمرو بن سعيد فقال: إني أتيت أباك بابن فلان، وأخبره بالقصة. فقال له عمرو: فكم أخذت؟ قال: عشرة آلاف. فأقبل عمرو على القوم فقال: من رأى أعجز من هذا! يقول له سعيدٌ: خذ ما شئت في أمانتي فيأخذ عشرة آلاف! لو أخذت مائة ألفٍ لأديتها عنك.

اعتداد أبي قطيفة بنسبه

وهجوه عبد الملك بن مروان أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري عن ابن الكلبي، قال: قال أبو قطيفة - وكانت أمه وأم خالد بن الوليد بن عقبة عمة أروى بنت أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب -:

أنا ابن أبي معيطٍ حين أنمى ... لأكرم ضئضىءٍ وأعز جيل

وأنمي للعقائل من قصيٍّ ... ومخزومٍ فما أنا بالضئيل

وأروى من كريزٍ قد نمتني ... وأروى الخير بنت أبي عقيل

كلا الحيين من هذا وهذا ... لعمر أبيك في الشرف الطويل

فعدد مثلهن أبا ذبابٍ ... ليعلم ما تقول ذوو العقول

فما الزرقاء لي أما فأخزى ... ولا لي في الأزارق من سبيل

قال: يعني بأبي الذباب عبد الملك. والزرقاء: إحدى أمهاته من كندة، وكان يعير بها.

أخبرني الحسن بن علي، قال: أخبرني محمد بن زكريا، قال: حدثنا قعنب بن المحرز، قال: حدثنا المدائني، قال: بلغ أبا قطيفة أن عبد الملك بن مروان يتنقصه، فقال:

نبئت أن ابن العملس عابني ... ومن ذا من الناس البريء المسلم؟

من أنتم من أنتم خبرونا من أنتم ... فقد جعلت أشياء تبدو وتكتم!

فبلغ ذلك عبد الملك فقال: ما ظننت أنا نجهل، والله لولا رعايتي لحرمته لألحقته بما يعلم، ولقطعت جلده بالسياط.

شعر أبي قطيفة في امرأته بعد طلاقها

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن العتبي قال:
طلق أبو قطيفة امرأته، فتزوجها رجلٌ من أهل العراق، ثم ندم بعد أن رحل بها الرجل وصارت له، فقال:

فيا أسفا لفرقة أم عمرٍو ورحلة أهلها نحو العراق
فليس إلى زيارتها سبيلٌ ولا حتى القيامة من تلاقي
وعل الله يرجعها إلينا بموتٍ من حليلٍ أو طلاق
فأرجع شامتاً وتقر عيني ويجمع شملنا بعد افتراق

مقتل سعيد بن عثمان بالمدينة

أخبرني عمي ومحمد بن جعفر قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا محمد بن علي بن أبي حسان عن هشام بن محمد عن خالد بن سعيد عن أبيه، قال: استعمل معاوية سعيد بن عثمان على خراسان، فلما عزله قدم المدينة بمالٍ وسلاحٍ وثلاثين عبداً من السغد، فأمرهم أن يبنوا له داراً. فبينا هو جالسٌ فيها ومعه ابن سيحان وابن زينة وخالد بن عقبة وأبو قطيفة إذ تآمروا بينهم فقتلوه، فقال أبو قطيفة يرثيه - وقيل إنها لخالد بن عقبة -:

يا عين جودي بدمعٍ منك تهتانا وابكي سعيد بن عثمان بن عفانا
إن ابن زينة لم تصدق مودته وفر عنه ابن أرطاة بن سيحانا

ذكر معبد وبعض أخباره

نسب معبد ونشأته ووفاته

هو معبد بن وهب، وقيل ابن قطني مولى ابن قطر، وقيل ابن قطن مولى العاص بن وابصة المخزومي، وقيل بل مولى معاوية بن أبي سفيان.
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري، قال: معبدٌ المغني ابن وهب مولى عبد الرحمن بن قطر.
وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، قال: قال ابن الكلبي: معبدٌ مولى ابن قطر، والقطريون موالي معاوية بن أبي سفيان.
وأخبرني إسماعيل بن يونس، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو غسان، قال: معبد بن وهب مولى ابن قطن وهم موالي آل وابصة من بني مخزوم، وكان أبوه أسود وكان هو خلاسياً مديد القامة أحول.
وذكر ابن خرداذبه أنه غنى في أول دولة بني أمية، وأدرك دولة بني العباس، وقد أصابه الفالج وارتعش وبطل، فكان إذا غنى يضحك منه ويهزأ به. وابن خرداذبه قليل التصحيح لما يرويه ويضمنه كتبه. والصحيح أن معبداً

مات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده. وقد قيل: إنه أصابه الفالج قبل موته وارتعش وبطل صوته.
فأما إدراكه دولة بني العباس فلم يروه أحد سوى ابن خرداذبه ولا قاله ولا رواه عن أحد، وإنما جاء به مجازفةً.
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني أيوب بن عمر أبو سلمة المديني قال حدثنا عبد الله بن عمران بن أبي فروة، قال: حدثني كردم بن معبد المغني مولى ابن قطنٍ، قال: مات أبي وهو في عسكر الوليد بن يزيد وأنا معه، فنظرت حين أخرج نعشه إلى سلامة القس "جارية يزيد بن عبد الملك" وقد أضرب الناس عنه ينظرون إليها وهي آخذة بعمود السرير، وهي تبكي أبي وتقول:

قد لعمري بت ليلي كأخي الداء الوجيع
ونجي الهم مني بات أدنى من ضجيعي
كلما أبصرت ربع خالياً فاضت دموعي
قد خلا من سيدٍ كا ن لنا غير مضيع
لا تلمنا إن خشعنا أو هممنا بخشوع

قال كردم: وكان يزيد أمر أبي أن يعلمها هذا الصوت، فعلمها إياه فندبته به يومئذٍ. قال: فلقد رأيت الوليد بن يزيد والغمر أخاه متجردين في قميصين ورداءين يمشيان بين يدي سريره حتى أخرج من دار الوليد، لأنه تولى أمره وأخرجه من داره إلى موضع قبره.
فأما نسبة هذا الصوت، فإن الشعر للأحوص، والغناء لمعبد، ذكره يونس و لم يجنسه. وذكر الهشامي أنه ثاني ثقيل بالوسطى، قال: وفيه لحابة خفيف ثقيل، ولابن المكي ثقيلٌ أول نشيد. وفيه لسلامة القس عن إسحاق لحنٌ من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالوسطى في مجراها.
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، قال قال أبو عبيدة: ذكر مولىً لآل الزبير - وكان منقطعاً إلى جعفرٍ ومحمد ابني سليمان بن علي -: أن معبداً عاش حتى كبر وانقطع صوته، فدعاه رجل من ولد عثمان، فلما غنى الشيخ لم يطرب القوم، وكان فيهم فتيان نزولٌ من ولد أسيد بن أبي العيص بن أمية، فضحكوا منه وهزئوا به، فأنشأ يغني:

فضحتم قريشاً بالفرار وأنتم قمدون سودانٌ عظام المناكب
فأما القتال لا قتال لديكم ولكن سيراً في عراض المواكب

- وهذا شعرٌ هجوا به قديماً - فقاموا إليه ليتناولوه؛ فمنعهم العثماني من ذلك وقال: ضحكتم منه حتى إذا أحفظتموه أردتم أن تتناولوه، لا والله لا يكون ذلك! قال إسحاق: فحدثني ابن سلام قال: أخبرني من رآه على هذه الحال فقال له: أصرت إلى ما أرى؟ فأشار إلى حلقه وقال: إنما كان هذا؛ فلما ذهب ذهب كل شيء.

اعتراف المغنين لمعبد بالتفوق

والسبق في صناعة الغناء قال إسحاق: كان معبد من أحسن الناس غناء، وأجودهم صنعةً، وأحسنهم حلقاً؛ وهو فحل المغنين وإمام أهل المدينة في الغناء، وأخذ عن سائب خاثرٍ، ونشيطٍ مولى عبد الله بن جعفر، وعن جميلة مولاة بهزٍ "بطنٍ من سليم"، وكان زوجها مولىً لبني الحارث بن الخزرج؛ فقيل لها مولاة الأنصار لذلك. وفي معبد يقول الشعر:

أجاد طويسٌ والسريجي بعده وما قصبات السبق إلا لمعب

قال إسحاق قال ابن الكلبي عن أبيه: كان ابن أبي عتيقٍ خرج إلى مكة فجاء معه ابن سريج إلى المدينة، فأسمعوه غناء معبد وهو غلام، وذلك في أيام مسلم بن عقبة المري، وقالوا: ما تقول فيه؟ فقال: إن عاش كان مغني بلاده. ولمعبدٍ صنعةٌ لم يسبقه إليها من تقدم، ولا زاد عليه فيها من تأخر. وكانت صناعته التجارة في أكثر أيام رقه، وربما رعى الغنم لمواليه، وهو مع ذلك يختلف إلى نشيطٍ الفارسي وسائب خاثرٍ مولى عبد الله بن جعفر، حتى اشتهر بالحذق وحسن الغناء وطيب الصوت. وصنع الألحان فأجاد واعترف له بالتقدم على أهل عصره.

أخبرني الحسين بن يحيى، قال قال حماد قرأت على أبي: قال الجمحي: بلغني أن معبداً قال: والله لقد صنعت ألحاناً لا يقدر شبعان ممتلىء ولا سقاءٌ يحمل قربةً على الترنم بها ولقد صنعت ألحاناً لا يقدر المتكىء أن يترنم بها حتى يقعد مستوفزاً، ولا القاعد حتى يقوم.

قال إسحاق: وبلغني أن معبداً أتى ابن سريج وابن سريج لا يعرفه، فسمع منه ما شاء، ثم عرض نفسه عليه وغناه وقال له: كيف كنت تسمع جعلت فداءك؟ فقال له: لو شئت كنت قد كفيت بنفسك الطلب من غيرك. قال: وسمعت من لا أحصي من أهل العلم بالغناء يقولون: لم يكن فيمن غنى أحدٌ أعلم بالغناء من معبد. قال: وحدثني أيوب بن عباية قال: دخلت على الحسن بن مسلمٍ أبي العراقيب وعنده جاريته عاتكة، فتحدث فذكر معبداً فقال: أدركته يلبس ثوبين ممشقين، وكان إذا غنى علا منخراه. فقالت عاتكة: يا سيدي أو أدركت معبداً؟ قال: إي والله وأقدم من معبد. فقالت: استحييت لك من هذا الكبر.

علو كعبه في صناعة الغناء

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد: قرأت على أبي أخبرني محمد بن سلام، قال: حدثني جرير، قال: قال معبد: قدمت مكة فقيل لي: إن ابن صفوان قد سبق بين المغنين جائزةً، فأتيت بابه فطلبت الدخول، فقال لي آذنه: قد تقدم إلي ألا آذن لأحدٍ عليه ولا أؤذنه به. قال فقلت: دعوني أدنو من الباب فأغني صوتاً. قال: أما هذا فنعم. فدنوت من الباب، فغنيت "صوتاً"، فقالوا: معبد! وفتحوا لي، فأخذت الجائزة يومئذٍ.

أخبرني الحسين قال نسخت من كتاب حماد: قال أبي: وذكر عوركٌ - وهو الحسن بن عتبة اللهبي - أن الوليد بن يزيد كان يقول: ما أقدر على الحج. فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: يستقبلني أهل المدينة بصوتي معبد:

القصر فالنخل فالجماء بينهما

و "قتيلة" يعني لحنه:

يوم تبدي لنا قتيلة عن جي دٍ تليعٍ تزينه الأطواق

قال إسحاق: قيل لمعبد: كيف تصنع إذا أردت أن تصوغ الغناء؟ قال: أرتحل قعودي وأوقع بالقضيب على رحلي وأترنم عليه بالشعر حتى يستوي لي الصوت. فقيل له: ما أبين ذلك في غنائك! قال إسحاق: وقال مصعبٌ الزبيري قال يحيى بن عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير حدثني أبي قال: قال معبد: كنت غلاماً مملوكاً لآل قطن مولى بني مخزوم، وكنت أتلقى الغنم بظهر الحرة، وكانوا تجاراً أعالج لهم التجارة في ذلك، فآرتي صخرةً بالحرة ملقاةً بالليل فأستند إليها، فأسمع وأنا نائم صوتاً يجري في مسامعي، فأقوم من النوم فأحكيه، فهذا كان مبدأ غنائي.

اعتراف مالك بن أبي السمح لمعبد بالتفوق

عليه في صنعة الغناء

أخبرني الحسين بن يحيى قال: نسخت من كتاب حماد: قال أبي قال محمد بن سعيد الدوسي عن أبيه ومحمد بن يزيد عن سعيد الدوسي عن الربيع بن أبي الهيثم قال: كنا جلوساً مع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فقال إنسانٌ لمالك: أنشدك الله، أنت أحسن غناءً أم معبدٌ؟ فقال مالك: والله ما بلغت شراكه قط، والله لو لم يغن معبدٌ إلا قوله:

لعمر أبيها لا تقول حليلتي ألا فر عني مالك بن أبي كعب

وهم يضربون الكبش تبرق بيضه ترى حوله الأبطال في حلقٍ شهب

لكان حسبه!. قال: وكان مالك إذا غنى غناء معبدٍ يخفف منه، ثم يقول: أطال الشعر معبدٌ ومططه، وحذفته أنا. وتمام هذا الصوت:

صوت من غير المائة المختارة

لعمر أبيها لا تقول حليلتي ألا فر عني مالك بن أبي كعب

وهم يضربون الكبش تبرق بيضه ترى حوله الأبطال في حلق شهب

إذا أنفدوا الزق الروي وصرعوا نشاوى فلم أقطع بقولي لهم حسبي

بعثت إلى حانوتها فسبأتها بغير مكاسٍ في السوام ولا غصب

عروضه من الطويل. والشعر لمالك بن أبي كعب بن القين الخزرجي أحد بني سلمة. هكذا ذكر إسحاق، وغيره يذكر أنه من مرادٍ. ولهذا الشعر خبرٌ طويل يذكر بعد هذا. والغناء في البيتين الأولين لمعبد ثقيلٌ أول بالوسطى،

ومن الناس من ينسبه إلى ابن سريج. ولمالكٍ في الثالث والرابع من الأبيات لحنٌ من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، ومن الناس من ينسب هذا اللحن إلى معبد ويقول: إن مالكاً أخذ لحنه فيه فحذف بعض نغمه وانتحله، وإن اللحن لمعبد في الأبيات الأربعة. وقد ذكر أن هذا الشعر لرجل من مرادٍ، وروي له فيه حديثٌ طويل. وقد أخرج خبره في ذلك وخبر مالك بن أبي كعب الخزرجي أبي كعب بن مالك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله في موضع آخر أفرد له، إذ كانت له أخبارٌ كثيرة، ولأجله لا تصلح أن تذكر ها هنا.

رجع الخبر إلى معبد - أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان عن يونس الكاتب قال:

معبد وابن محرز

أقبلت من عند معبد، فلقيني ابن محرز ببطحان، فقال: من أين أقبلت؟ قلت: من عند أبي عباد. فقال: ما أخذت عنه؟ قلت: غنى صوتاً فأخذته. قال: وما هو؟ قلت:

ماذا تأمل واقفٌ جملاً في ربع دارٍ عابه قدمه

- الشعر لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد - فقال لي: ادخل معي دار ابن هرمة وألقه علي، فدخلت معه، فما زلت أردده عليه حتى غناه، ثم قال: ارجع معي إلى أبي عباد، فرجعنا فسمعه منه، ثم لم نفترق حتى صنع فيه ابن محرز لحناً آخر.

نسبة هذا الصوت

صوت

ماذا تأمل واقف جملاً في ربع دارٍ عابه قدمه

أقوى وأقفر غير منتصبٍ لبد الرمادة ناصعٍ حممه

غناه معبدٌ، ولحنه ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى. وفيه خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى ينسب إلى الغريض وإلى ابن محرز. وذكر عمرو بن بانة أن الثقيل الأول للغريض. وذكر حبش أن فيه لمالكٍ ثاني ثقيلٍ بالوسطى. وفيه رملٌ بالوسطى ينسب إلى سائب خاثرٍ، وذكر حبشٌ أنه لإسحاق.

قدوم ابن سريج والغريض المدينة

ثم ارتدادهما عنها بعد سماعهما صوت معبد أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد: قال أبي قال ابن الكلبي: قدم ابن سريج والغريض المدينة يتعرضان لمعروف أهلها، ويزوران من بها من صديقهما من قريشٍ

وغيرهم. فلما شارفاها تقدما ثقلهما ليرتادا منزلاً، حتى إذا كانا بالمغسلة - وهي جبانةٌ على طرف المدينة يغسل فيها الثياب - إذا هما بغلامٍ ملتحفٍ بإزارٍ وطرفه على رأسه، بيده حبالةٌ يتصيد بها الطير وهو يتغنى ويقول:

القصر فالنخل فالجماء بينهما أشهى إلى النفس من أبواب جيرون

وإذا الغلام معبد. قال: فلما سمع ابن سريج والغريض معبداً مالا إليه واستعاداه الصوت فأعاده، فسمعا شيئاً لم يسمعا بمثله قط. فأقبل أحدهما على صاحبه فقال: هل سمعت كاليوم قط؟ قال: لا والله! فما رأيك؟ قال ابن سريج: هذا غناء غلامٍ يصيد الطير، فكيف بمن في الجوبة! - يعني المدينة - قال: أما أنا فثكلته والدته إن لم أرجع. قال: فكرا راجعين.

قدوم معبد مكة وما وقع له مع الغريض

قال: وقال معبد: قدمت مكة، فذهب بي بعض القرشيين إلى الغريض، فدخلنا عليه وهو متصبح، فانتبه من صبحته وقعد، فسلم عليه القرشي، وسأله فقال له: هذا معبدٌ قد أتيتك به، وأنا أحب أن تسمع منه. قال: هات، فغنيته أصواتاً. فقال بمدرى معه في رأسه، ثم قال: إنك يا معبد لمليح الغناء. قال: فأحفظني ذلك، فجثوت على ركبتي، ثم غنيته من صنعتي عشرين صوتاً لم يسمع بمثلها قط، وهو مطرقٌ واجمٌ قد تغير لونه حسداً وخجلاً.

ما وقع لمعبد مع حكم الوادي

قال إسحاق: وأخبرت عن حكمٍ الوادي قال: كنت أنا وجماعةٌ من المغنين نختلف إلى معبد نأخذ عنه ونتعلم منه، فغنانا يوماً صوتاً من صنعته وأعجب به، وهو:

القصر فالنخل فالجماء بينهما

فاستحسناه وعجبنا منه. وكنت في ذلك اليوم أول من أخذه عنه واستحسنه مني فأعجبتني نفسي. فلما انصرفت من عند معبد عملت فيه لحناً آخر وبكرت على معبد مع أصحابي وأنا معجبٌ بلحني. فلما تغنينا أصواتاً قلت له: إني قد عملت بعدك في الشعر الذي غنيتناه لحناً، واندفعت فغنيته صوتي، فوجم معبدٌ ساعةً يتعجب مني ثم قال: قد كنت أمس أرجى مني لك اليوم، وأنت اليوم عندي أبعد من الفلاح. قال حكمٌ: فأنسيت - يعلم الله - صوتي ذلك منذ تلك الساعة فما ذكرته إلى وقتي هذا.

ما وقع لمعبد مع العبد الأسود

وهو في طريقه إلى بعض أمراء الحجاز قال إسحاق: وقال معبد: بعث إلي بعض أمراء الحجاز - وقد كان جمع له الحرمان - أن اشخص إلى مكة، فشخصت. قال: فتقدمت غلامي في بعض تلك الأيام، واشتد علي الحر

والعطش، فانتهيت إلى خباء فيه أسود وإذا حباب ماء قد بردت، فملت إليه فقلت: يا هذا، اسقني من هذا الماء. فقال لا. فقلت: فأذن لي في الكن ساعةً. قال لا. فأنخت ناقتي ولجأت إلى ظلها فاستترت به، وقلت: لو أحدثت لهذا الأمير شيئاً من الغناء أقدم به عليه، ولعلي إن حركت لساني أن يبل حلقي ريقي فيخفف عني بعض ما أجده من العطش! فترنمت بصوتي:

القصر فالنخل فالجماء بينهما

فلما سمعني الأسود، ما شعرت به إلا وقد احتملني حتى أدخلني خباءه، ثم قال: إي، بأبي أنت وأمي! هل لك في سويق السلت بهذا الماء البارد؟ فقلت: قد منعتني أقل من ذلك، وشربة ماءٍ تجزئني. قال: فسقاني حتى رويت، وجاء الغلام فأقمت عنده إلى وقت الرواح. فلما أردت الرحلة قال: إي، بأبي أنت وأمي! الحر شديدٌ ولا آمن عليك مثل الذي أصابك، فأذن لي "في" أن أحمل معك قربةً من ماء على عنقي وأسعى بها معك، فكلما عطشت سقيتك صحناً وغنيتني صوتاً! قال: قلت ذاك لك. فوالله ما فارقني يسقيني وأغنيه حتى بلغت المنزل.

نسخت من كتاب جعفر بن قدامة بخطه: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبير عن جرير قال:

معبد وابن سريج والتقاؤهما

عفواً ببطن مر ثم تعارفهما بصوتيهما كان معبدٌ خارجاً إلى مكة في بعض أسفاره، فسمع في طريقه غناءً في "بطن مر" فقصد الموضع، فإذا رجلٌ جالسٌ على حرف بركةٍ فارقٌ شعره حسن الوجه، عليه دراعة قد صبغها بزعفرانٍ، وإذا هو يتغنى:

صوت

حن قلبي من بعد ما قد أنابا ... ودعا الهم شجوه فأجابا

ذاك من منزلٍ لسلمى خلاءٍ ... لابسٍ من خلائه جلبابا

عجت فيه وقلت للركب عوجوا ... طمعاً أن يرد ربعٌ جواباً

فاستشار المنسي من لوعة الحـ ... ـب وأبدى الهموم والأوصابا

فقرع معبدٌ بعصاه وغنى:

منع الحياة من الرجال ونفعها ... حدقٌ تقلبها النساء مراض

وكأن أفئدة الرجال إذا رأوا ... حدق النساء لنبلها أغراض

فقال له ابن سريج: بالله أنت معبد؟ قال: نعم، وبالله أنت ابن سريج؟ قال: نعم، ووالله لو عرفتك ما غنيت بين يديك.

نسبة هذين الصوتين وأخبارهما

صوت

حن قلبي من بعد ما قد أنابا ودعا الهم شجوه فأجابا
فاستثار المنسي من لوعة الحـ ـب وأبدى الهموم والأوصابا
ذاك من منزلٍ لسلمى خلاءٍ مكتسٍ من عفائه جلبابا
عجت فيه وقلت للركب عوجوا طمعاً أن يرد ربعٌ جوابا

ثانياً من زمام وجناء عنسٍ قانياً لونها يخال خضابا
جدها الفالج الأشم من البخـ ـت وخالاتها انتخبن عرابا

الشعر لعمر بن أبي ربعية. والغناء لابن سريج، وله فيه لحنان: رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وخفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو.

صوت

منع الحياة من الرجال ونفعها حدقٌ تقلبها النساء مراض
وكأن أفئدة الرجال إذا رأوا حدق النساء لنبلها أغراض

الشعر للفرزدق، والغناء لمعبدٍ ثقيلٌ أول عن الهشامي: أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن سياطٍ قال حدثني يونس الكاتب قال:

رحلة معبد إلى الأهواز

وما وقع بينه وبين الجواري المغنيات بالسفينة كان معبد قد علم جاريةً من جواري الحجاز الغناء - تدعى "ظبية: - وعني بتخريجها، فاشتراها رجلٌ من أهل العراق فأخرجها إلى البصرة وباعها هناك، فاشتراها رجلٌ من أهل الأهواز، فأعجب بها وذهبت به كل مذهب وغلبت عليه، ثم ماتت بعد أن أقامت عنده برهة من الزمان وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها، فكان لمحبته إياها وأسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبدٍ وأين مستقره، ويظهر التعصب له والميل إليه والتقديم لغنائه على سائر أغاني أهل عصره إلى أن عرف ذلك منه. وبلغ معبداً خبره، فخرج من مكة حتى أتى البصرة، فلما وردها صادف الرجل قد خرج عنها في ذلك اليوم إلى الأهواز فاكترى سفينةً. وجاء معبدٌ يلتمس سفينةً ينحدر فيها إلى الأهواز، فلم يجد غير سفينة الرجل، وليس يعرف أحد منهما

صاحبه، فأمر الرجل الملاح أن يجلسه معه في مؤخر السفينة ففعل وانحدروا. فلما صاروا في فم نهر الأبلة تغدوا وشربوا، وأمر جواريه فغنين، ومعبدٌ ساكتٌ وهو في ثياب السفر، وعليه فروٌ وخفان غليظان وزيٌ جافٍ من زي أهل الحجاز، إلى أن غنت إحدى الجواري:

صوت

بانت سعاد وأمسى حبلها انصرما ... واحتلت الغور فالأجزاع من إضما

إحدى بليٍّ وما هام الفؤاد بها ... إلا السفاه وإلا ذكرةً حلما

- قال حماد: والشعر للنابغة الذبياني. والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أول بالبنصر، وفيه لغيره ألحانٌ قديمة ومحدثة - فلم تجد أداءه، فصاح بها معبد: يا جارية، إن غناءك هذا ليس بمستقيم. قال: فقال له مولاها وقد غضب: وأنت ما يدريك الغناء ما هو؟ ألا تمسك وتلزم شأنك! فأمسك. ثم غنت أصواتاً من غناء غيره وهو ساكتٌ لا يتكلم، حتى غنت:

صوت

بابنة الأزدي قلبي كئيب ... مستهامٌ عندها ما ينيب

ولقد لاموا فقلت دعوني ... إن من تنهون عنه حبيب

إنما أبلى عظامي وجسمي ... حبها والحب شيء عجيب

أيها العائب عندي هواها ... أنت تفدي من أراك تعيب

- والشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر، والغناء لمعبد ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر - قال: فأخلت ببعضه. فقال لها معبدٌ: يا جارية، لقد أخللت بهذا الصوت إخلالاً شديداً. فغضب الرجل وقال له: ويلك! ما أنت والغناء! ألا تكف عن هذا الفضول! فأمسك. وغنى الجواري ملياً، ثم غنت إحداهن:

صوت

خليلي عوجا فابكيا ساعةً معي ... على الربع نقضي حاجةً ونودع

ولا تعجلاني أن ألم بدمنةٍ ... لعزة لاحت لي ببيداء بلقع

وقولا لقلبٍ قد سلا: راجع الهوى ... وللعين: أذري من دموعك أودعي

فلا عيش إلا مثل عيشٍ مضى لنا ... مصيفاً أقمنا فيه من بعد مربع

- الشعر لكثير، والغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى، وفيه رملٌ للغريض - قال: فلم تصنع فيه شيئاً. فقال لها معبد: يا هذه، أما تقوين على أداء صوت واحد؟ فغضب الرجل وقال له: ما أراك تدع هذا الفضول بوجه ولا حيلةٍ! وأقسم بالله لئن عاودت لأخرجنك من السفينة، فأمسك معبدٌ، حتى إذا سكتت الجواري سكتةً اندفع يغني الصوت الأول حتى فرغ منه، فصاح الجواري: أحسنت والله يا رجل! فأعده. فقال: لا والله ولا كرامة. ثم اندفع يغني الثاني، فقلن لسيدهن: ويحك! هذا والله أحسن الناس غناءً، فسله أن يعيده علينا ولو مرةً واحدة لعلنا نأخذه عنه، فإنه إن فاتنا لم نجد مثله أبداً. فقال: قد سمعتن سوء رده عليكن وأنا خائف مثله منه، وقد أسلفنا الإساءة، فاصبرن حتى نداريه. ثم غنى الثالث، فزلزل عليهم الأرض. فوثب الرجل فخرج إليه وقبل رأسه وقال: يا سيدي أخطأنا عليك و لم نعرف موضعك. فقال له: فهبك لم تعرف موضعي، قد كان ينبغي لك أن تتثبت ولا تسرع إلي بسوء العشرة وجفاء القول. فقال له: قد أخطأت وأنا أعتذر إليك مما جرى، وأسألك أن تنزل إلي وتختلط بي. فقال: أما الآن فلا. فلم يزل يرفق به حتى نزل إليه. فقال له الرجل: ممن أخذت هذا الغناء؟ قال: من بعض أهل الحجاز، فمن أين أخذه جواريك؟ فقال: أخذنه من جارية كانت لي ابتاعها رجل من أهل البصرة من مكة، وكانت قد أخذت عن أبي عباد معبدٍ وعني بتخريجها، فكانت تحل مني محل الروح من الجسد، ثم استأثر الله عز وجل بها، وبقي هؤلاء الجواري وهن من تعليمها، فأنا إلى الآن أتعصب لمعبد وأفضله على المغنين جميعاً وأفضل صنعته على كل صنعة. فقال له معبد: أو إنك لأنت هو! أفتعرفني؟ قال: لا. قال: فصك معبدٌ بيده صلعته ثم قال: فأنا والله معبدٌ، وإليك قدمت من الحجاز، ووافيت البصرة ساعة نزلت السفينة لأقصدك بالأهواز، ووالله لا قصرت في جواريك هؤلاء، ولأجعلن لك في كل واحدة منهن خلفاً من الماضية. فأكب الرجل والجواري على يديه ورجليه يقبلونها ويقولون: كتمتنا نفسك طول هذا "اليوم" حتى جفوناك في المخاطبة، وأسأنا عشرتك، وأنت سيدنا ومن نتمنى على الله أن نلقاه. ثم غير الرجل زيه وحاله وخلع عليه عدة خلع، وأعطاه في وقته ثلثمائة دينار وطيباً وهدايا بمثلها، وانحدر معه إلى الأهواز، فأقام عنده حتى رضي حذق جواريه وما أخذته عنه، ثم ودعه وانصرف إلى الحجاز.

غناء معبد للوليد بن يزيد

أخبرني الحسن بن علي الخفاف وعبد الباقي بن قانع قالا: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثني مهدي بن سابق قال حدثني سليمان بن غزوان مولى هشام قال حدثني عمر القاري بن عيد قال: قال الوليد بن يزيد يوماً: لقد اشتقت إلى معبد، فوجه البريد إلى المدينة فأتى بمعبد، وأمر الوليد ببركةٍ قد هيئت له فملئت بالخمر والماء، وأتي بمعبد فأمر به فأجلس والبركة بينهما، وبينهما ستر قد أرخي، فقال له غنني يا معبد:

صوت

لهفي على فتية ذل الزمان لهم فما أصابهم إلا بما شاءوا

مازال يعدو عليهم ريب دهرهم حتى تفانوا وريب الدهر عداء

أبكى فراقهم عيني وأرقها إن التفرق للأحباب بكاء

- الغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ، وفيه ليحيى المكي رملٌ، ولسليمان هزجٌ، كلها رواية الهشامي - قال: فغناه إياه، فرفع الوليد الستر ونزع ملاءةً مطيبة كانت عليه وقذف نفسه في تلك البركة، فنهل فيها نهلةً، ثم أتي بأثوابٍ غيرها وتلقوه بالمجامر والطيب، ثم قال غنني:

صوت

يا ربع مالك لا تجيب متيما قد عاج نحوك زائراً ومسلما

جادتك كل سحابةٍ هطالةٍ حتى ترى عن زهرةٍ متبسما

- الغناء لمعبدٍ ثاني ثقيلٍ بالوسطى والخنصر عن ابن المكي. وفيه لعلوية ثاني ثقيلٍ آخر بالبنصر في مجراها عنه - قال: فغناه فدعا له بخمسة عشر ألف دينارٍ فصبها بين يديه، ثم قال: انصرف إلى أهلك واكتم ما رأيت.

وأخبرني بهذا الخبر عمي فجاء ببعض معانيه وزاد فيه ونقص، قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني سليمان بن سعد الحلبي قال:

سمعت القاري بن عدي يقول: إشتاق الوليد بن يزيد إلى معبد، فوجه إليه إلى المدينة فأحضر. وبلغ الوليد قدومه، فأمر ببركةٍ بين يدي مجلسه فملئت ماء وردٍ قد خلط بمسك وزعفران، ثم فرش للوليد في داخل البيت على حافة البركة، وبسط لمعبد مقابله على حافة البركة، ليس معهما ثالثٌ، وجيء بمعبد فرأى ستراً مرخى ومجلس رجل واحد. فقال له الحجاب: يا معبد، سلم على أمير المؤمنين واجلس في هذا الموضع؛ فسلم فرد عليه الوليد السلام من خلف الستر، ثم قال له: حياك الله يا معبد! أتدري لم وجهت إليك؟ قال: الله أعلم وأمير المؤمنين. قال: ذكرتك فأحببت أن أسمع منك. قال معبد: أأغني ما حضر أم ما يقترحه أمير المؤمنين؟ قال: بل غنني:

مازال يعدو عليهم ريب دهرهم حتى تافنوا وريب الدهر عداء

فغناه، فما فرغ منه حتى رفع الجواري السجف، ثم خرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج منها، فاستقبله الجواري بثيابٍ غير الثياب الأولى، ثم شرب وسقى معبداً، ثم قال له: غنني يا معبد:

يا ربع مالك لا تجيب متيما قد عاج نحوك زائراً ومسلما

جادتك كل سحابة هطالة حتى ترى عن زهرةٍ متبسما

لو كنت تدري من دعاك أجبته وبكيت من حرقٍ عليه إذاً دما

قال: فغناه، وأقبل الجواري فرفعن الستر، وخرج الوليد فالقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج، فلبس ثياباً غير تلك، ثم شرب وسقى معبداً، ثم قال له: غنني. فقال: بماذا يا أمير المؤمنين؟ قال غنني:

عجبت لما رأتني أندب الربع المحيلا

واقفاً في الدار أبكي لا أرى إلا الطلولا

كيف تبكي لأناسٍ لا يملون الذميلا؟

كلما قلت اطمأنت دارهم قالوا الرحيلا

قال: فلما غناه رمى نفسه في البركة ثم خرج، فردوا عليه ثيابه، ثم شرب وسقى معبداً، ثم أقبل عليه الوليد فقال له: يا معبد، من أراد أن يزداد عند الملوك حظوةً فليكتم أسرارهم. فقلت: ذلك ما لا يحتاج أمير المؤمنين إلى إيصائي به. فقال: يا غلام، احمل إلى معبدٍ عشرة آلاف دينار تحصل له في بلده وألفي دينار لنفقة طريقه، فحملت إليه كلها، وحمل على البريد من وقته إلى المدينة.

خبر معبد مع رجل لم يستحسن غناءه

قال إسحاق: وقال معبد: أرسل إلي الوليد بن يزيد فأشخصت إليه. فبينا أنا يوماً في بعض حمامات الشأم إذ دخل علي رجل له هيبة ومعه غلمانٌ له، فأطلى واشتغل به صاحب الحمام عن سائر الناس. فقلت: والله لئن لم أطلع هذا على بعض ما عندي لأكونن بمزجر الكلب؛ فاستدبرته حيث يراني ويسمع مني، ثم ترنمت، فالتفت إلي وقال للغلمان: قدموا إليه "جميع" ما ها هنا، فصار جميع ما كان بين يديه عندي. قال: ثم سألني أن أسير معه إلى مترله فأجبته، فلم يدع من البر والإكرام شيئاً إلا فعله، ثم وضع النبيذ، فجعلت لا آتي بحسنٍ إلا خرجت إلى ما هو أحسن منه وهو لا يرتاح ولا يحفل لما يرى مني. فلما طال عليه أمري قال: يا غلام، شيخنا شيخنا، فأتي بشيخ، فلما رآه هش إليه، فأخذ الشيخ العود ثم اندفع يغني:

سلور في القدر ويلي علوه جاء القط أكله ويلي علوه

السلور: السمك الجري بلغة أهل الشأم - قال: فجعل صاحب المترل يصفق ويضرب برجله طرباً وسروراً. قال: ثم غناه:

وترميني حبيبة بالدراقن وتحسبني حبيبة لا أراها

- الدراقن: اسم الخوخ بلغة أهل الشأم - فكاد أن يخرج من جلده طرباً. قال: وانسللت منهم فانصرفت و لم يعلم بي. فما رأيت مثل ذلك اليوم غناءً أضيع، ولا شيخاً أجهل!

معبد وابن عائشة

قال إسحاق: وذكر لي شيخٌ من أهل المدينة عن هارون بن سعد: أن ابن عائشة كان يلقي عليه وعلى ربيحة الشماسية، فدخل معبدٌ فألقى عليهما صوتاً، فاندفع ابن عائشة يغنيه وقد أخذه منه؛ فغضب معبد وقال: أحسنت يابن عاهرة الدار، تفاخرني! فقال: لا والله - جعلني الله فداءك يا أبا عباد - ولكني أقتبس منك، وما أخذته إلا عنك، ثم قال: أنشدك الله يابن شماس، هل قلت لك: قد جاء أبو عباد فاجمع بيني وبينه أقتبس منه. قال: اللهم نعم.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال:

قيل لابن عائشة، وقد غنى صوتاً أحسن فيه فقال: أصبحت أحسن الناس غناءً، فقيل له: وكيف أصبحت أحسن الناس غناءً؟ قال: وما يمنعني من ذلك وقد أخذت من أبي عباد أحد عشر صوتاً، وأبو عباد مغني أهل المدينة والمقدم فيهم! أخبرنا وكيعٌ قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال حدثني أيوب بن عباية عن رجل من هذيل قال:

قدومه مكة والتقاؤه بالمغنين بها

قال معبد: غنيت فأعجبني غنائي وأعجب الناس وذهب لي به صيت وذكر، فقلت لآتين مكة فلأسمعن من المغنين بها ولأغنينهم ولأتعرفن إليهم، فابتعت حماراً فخرجت عليه إلى مكة. فلما قدمتها بعت حماري وسألت عن المغنين أين يجتمعون؟ فقيل: بقعيقعان في بيت فلان، فجئت إلى منزله بالغلس فقرعت الباب، فقال: من هذا. فقلت: انظر عافاك الله! فدنا وهو يسبح ويستعيد كأنه يخاف، ففتح فقال: من أنت عافاك الله؟ قلت: رجلٌ من أهل المدينة. قال: فما حاجتك؟ قلت: أنا رجلٌ أشتهي الغناء، وأزعم أني أعرف منه شيئاً، وقد بلغني أن القوم يجتمعون عندك، وقد أحببت أن تنزلني في جانب منزلك وتخلطني بهم، فإنه لا مئونة عليك ولا عليهم مني. فلوى شيئاً ثم قال: انزل على بركة الله. قال: فنقلت متاعي فنزلت في جانب حجرته. ثم جاء القوم حين أصبحوا واحداً بعد واحدٍ حتى اجتمعوا، فأنكروني وقالوا: من هذا الرجل؟ قال: رجلٌ من أهل المدينة خفيفٌ يشتهي الغناء ويطرب عليه، ليس عليكم منه عناءٌ ولا مكروه. فرحبوا بي وكلمتهم، ثم انبسطوا وشربوا وغنوا، فجعلت أعجب بغنائهم وأظهر ذلك لهم ويعجبهم مني، حتى أقمنا أياماً، وأخذت من غنائهم وهم لا يدرون أصواتاً وأصوتاً وأصواتاً. ثم قلت لابن سريجٍ: أي فديتك! أمسك علي صوتك:

قل لهندٍ وتربها قبل شحط النوى غدا

قال: أو تحسن شيئاً؟ قلت: تنظر، وعسى أن أصنع شيئاً، واندفعت فيه فغنيته، فصاح وصاحوا وقالوا: أحسنت قاتلك الله! قلت: فأمسك علي صوت كذا فأمسكوه علي، فغنيته، فازدادوا عجباً وصياحاً.

فما تركت واحداً منهم إلا غنيته من غنائه أصواتاً قد تخيرتها. قال: فصاحوا حتى علت أصواتهم وهرفوا بي وقالوا: لأنت أحسن بأداءٍ غنائنا عنا منا. قال: قلت: فأمسكوا علي "ولا تضحكوا بي حتى تسمعوا من غنائي "،

فأمسكوا علي؛ فغنيت صوتاً من غنائي فصاحوا بي، ثم غنيتهم آخر وآخر فوثبوا إلي وقالوا: نحلف بالله إن لك لصيتاً واسماً وذكراً، وإن لك فيما هاهنا لسهماً عظيماً، فمن أنت؟ قلت: أنا معبد. فقبلوا رأسي وقالوا: لفقت علينا وكنا نتهاون بك ولا نعدك شيئاً وأنت أنت. فأقمت عندهم شهراً آخذ منهم ويأخذون مني، ثم انصرفت إلى المدينة.

نسبة هذا الصوت صوت

قل لهندٍ وتربها	قبل شحط النوى غدا
إن تجوي فطالما	بت ليلي مسهدا
أنت في ود بيننا	خير ما عندنا يدا
حين تدلي مضفراً	حالك اللون أسوادا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سريج عن حماد و لم يجنسه. وفيه لمالك خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق. وقال الهشامي: فيه لابن محرز خفيف ثقيلٍ بالوسطى.

ومن الثلاثة الأصوات المختارة

صوت فيه أربعة ألحانٍ من رواية علي بن يحيى

ثاني الثلاثة الأصوات المختارة

تشكى الكميت الجري لما جهدته	وبين لو يسطيع أن يتكلما
لذلك أدني دون خيلي مكانه	وأوصي به ألا يهان ويكرما
فقلت له: إن ألق للعين قرةً	فهان علي أن تكل وتسأما
عدمت إذاً وفري وفارقت مهجتي	لئن لم أقل قرناً إن الله سلما

عروضه من الطويل. قوله: "لئن لم أقل قرنا"، يعني أنه يجد في سيره حتى يقيل بهذا الموضع، وهوقرن المنازل، وكثيراً ما يذكره في شعره.

الشعر لعمر بن أبي ربيعة المخزومي، والغناء في هذا اللحن المختار لابن سريج، ثاني ثقيل مطلقٍ في مجرى الوسطى. وفيه لإسحاق أيضاً ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو بن بانة. وفيه ثقيلٌ أول يقال إنه ليحيى المكي. وفيه خفيف رملٍ يقال إنه لأحمد بن موسى المنجم. وفيه للمعتضد ثاني ثقيلٍ آخر في نهاية الجودة. وقد كان عمرو بن بانة صنع فيه لحناً فسقط لسقوط صنعته.

أخبرني جحظة قال حدثني أبو عبد الله الهشامي قال: صنع عمرو بن بانة لحناً في "تشكي الكميت الجري" فأخبرني بعض عجائزنا بذلك، قالت فأردنا أن نعرضه على متيم لنعلم ما عندها فيه، فقلنا لبعض من أخذه عن عمرو: إن "تشكى الكميت الجري" في اللحن الجديد، فقالت متيم: أيش هذا اللحن الجديد والكميت المحدث؟ قلنا: لحنٌ صنعه عمرو بن بانة. فغنته الجارية، فقالت متيم لها: اقطعي اقطعي، حسبك حسبك هذا! والله لحمار حنينٍ المكسور أشبه مه بالكميت.

ذكر خبر عمر بن أبي ربعية ونسبه

نسب عمر بن أبي ربيعة

هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة، واسم أبي ربيعة: حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر. وقد تقدم باقي النسب في نسب أبي قطيفة. ويكنى عمر بن أبي ربيعة "أبا الخطاب". وكان أبو ربيعة جده يسمى "ذا الرمحين" سمي بذلك لطوله، كان يقال: كأنه يمشي على رمحين. أخبرني بذلك الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي ومحمد بن الضحاك عن أبيه الضحاك عن عثمان بن عبد الرحمن اليربوعي. وقيل: إنه قاتل يوم عكاظ برمحين فسمي "ذا الرمحين" لذلك. وأخبرني بذلك أيضاً علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن مصعب الزبيري والمدائني والمسيبي ومحمد بن سلام، قالوا: وفيه يقول عبد الله بن الزبعرى:

ألا لله قومٌ و ... لدت أخت بني سهم
هشامٌ وأبو عبد ... مناف مدرة الخصم
وذو الرمحين أشباك ... على القوة والحزم
فهذان يذودان ... وذا من كثبٍ يرمي
أسودٌ تزدهي الأقرا ... ن مناعون للهضم
وهم يوم عكاظٍ م ... نعوا الناس من الهزم
وهم من ولدوا أشبوا ... بسر الحسب الضخم
فإن أحلف وبيت الل ... ه لا أحلف على إثم
لما من إخوةٍ بين ... قصور الشأم والردم
بأزكى من بني ريط ... ة أو أوزن في الحلم

أبو عبد مناف: الفاكه بن المغيرة. وريطة هذه التي عناها هي أم بني المغيرة، وهي بنت سعيد بن سعد بن سهم، ولدت من المغيرة هشاماً وهاشماً ربيعة والفاكه.

وأخبرني أحمد بن سليمان بن داود الطوسي والحرمي بن أبي العلاء قالا: حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال أخبرني محمد بن عبد العزيز عن ابن أبي نهشلٍ عن أبيه قال: قال لي أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام - وجئته أطلب منه مغرماً - يا خال، هذه أربعة آلاف درهم وأنشد هذه الأبيات الأربعة وقل: سمعت حسان ينشدها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: أعوذ بالله أن أفتري على الله ورسوله، ولكن إن شئت أن أقول: سمعت عائشة تنشدها فعلت. فقال: لا، إلا أن تقول: سمعت حسان ينشدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ، فأبى علي وأبيت عليه، فأقمنا لذلك لا نتكلم عدة ليالٍ. فأرسل إلي فقال: قل أبياتاً تمدح بها هشاماً - يعني ابن المغيرة - وبني أمية. فقلت: سمهم لي، فسماهم وقال: اجعلها في عكاظ واجعلها لأبيك. فقلت:

ألا لله قومٌ و لدت أخت بني سهم

قال: ثم جئت فقلت: هذه قالها أبي. فقال: لا، ولكن قل: قالها ابن الزبعري. قال: فهي إلى الآن منسوبةٌ في كتب الناس إلى ابن الزبعري.

قال الزبير: وأخبرني محمد بن الحسن المخزومي قال: أخبرني محمد بن طلحة أن عمر بن أبي ربيعة قائل هذه الأبيات:

ألا لله قوم و لدت أخت بني سهم

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبد العزيز بن عمران قال حدثني محمد بن عبد العزيز عن ابن أبي نهشلٍ عن أبيه بمثل ما رواه الزبير عنه. وزاد فيه عمر بن شبة: قال محمد بن يحيى: و "أخت بني سهم التي عناها ريطة بنت سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، وهي أم بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهم: هشام وهاشمٌ وأبو ربيعة والفاكه، وعدةٌ غيرهم لم يعقبوا، وإياهم يعني أبو ذؤيب بقوله:

صخب الشوارب لا يزال كأنه عبدٌ لآل أبي ربيعة مسبع

ضرب بعزهم المثل. "قال": وكان اسم عبد الله بن أبي ربيعة في الجاهلية بحيراً، فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله، وكانت قريش تلقبه "العدل"، لأن قريشاً كانت تكسو الكعبة في الجاهلية بأجمعها من أموالها سنةً، ويكسوها من ماله سنةً، فأرادوا بذلك أنه وحده عدلٌ لهم جميعاً في ذلك.

وفيه يقول ابن الزبعري:

بحير بن ذي الرمحين قرب مجلسي وراح علي خيره غير عاتم

وقد قيل: إن العدل هو الوليد بن المغيرة.
وكان عبد الله بن أبي ربيعة تاجراً موسراً، وكان متجره إلى اليمن، وكان من أكثرهم مالاً. وأمه أسماء بنت مخربة، وقيل: مخرمة، وكانت عطارة يأتيها العطر من اليمن. وقد تزوجها هشام بن المغيرة أيضاً، فولدت له أبا جهل والحارث ابني هشام، فهي أمهما وأم عبد الله وعياش ابني أبي ربيعة.
أخبرني الحرمي والطوسي قال: حدثنا الزبير قال حدثني عمي عن الواقدي قال: كانت أسماء بنت مخربة تبيع العطر بالمدينة. فقالت الربيع بنت معوذ بن عفراء الأنصارية - وكان أبوها قتل أبا جهل بن هشام يوم بدر واحتز رأسه عبد الله بن مسعود - وقيل: بل عبد الله بن مسعود هو الذي قتله - فذكرت أن أسماء بنت مخربة دخلت عليها وهي تبيع عطراً لها في نسوةٍ، قالت: فسألت عنا، فانتسبنا لها. فقالت: أأنت ابنة قاتل سيده؟ تعني أبا جهل. قلت: بل أنا بنت قاتل عبده. قالت: حرامٌ علي أن أبيعك من عطري شيئاً. قلت: وحرامٌ علي أن أشتري منه شيئاً، فما وجدت لعطرٍ نتناً غير عطرك، ثم قمت، ولا والله ما رأيت عطراً أطيب من عطرها، ولكني أردت أن أعيبه لأغيظها.
وكان لعبد الله بن أبي ربيعة عبيدٌ من الحبشة يتصرفون في جميع المهن، وكان عددهم كثيراً، فروي عن سفيان بن عيينة أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى حنين: هل لك في حبش بني المغيرة تستعين بهم؟ فقال: "لا خير في الحبش إن جاعوا سرقوا وإن شبعوا زنوا، وإن فيهم لخلتين حسنتين إطعام الطعام والبأس يوم البأس". واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي ربيعة على الجند ومخلفيها، فلم يزل عاملاً عليها حتى قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه. هذا من رواية الزبير عن عمه. قال: وحدثني ابن الماجشون عن عمه أن عثمان بن عفان - رحمه الله - استعمله أيضاً عليها.

أم عمر بن أبي ربيعة وأخوه الحارث

الملقب بالقباع

وأم عمر بن أبي ربيعة أم ولدٍ يقال لها "مجد"، سبيت من حضرموت، ويقال من حمير. قال أبو محلم ومحمد بن سلام: هي من حمير، ومن هناك أتاه الغزل، يقال: غزلٌ يمانٍ، ودل حجازي.
وقال عمر بن شبة: أم عمر بن أبي ربيعة أم ولدٍ سوداء من حبشٍ يقال لهم: فرسان. وهذا غلط من أبي زيد، تلك أم أخيه الحارث بن عبد الله الذي يقال له: "القباع"، وكانت نصرانيةً. وكان الحارث بن عبد الله شريفاً كريماً ديناً وسيداً من سادات قريش.
قال الزبير بن بكار: ذكره عبد الملك بن مروان يوماً وقد ولاه عبد الله بن الزبير، فقال: أرسل عوفاً وقعد! "لا حر بوادي عوف". فقال له يحيى بن الحكم: ومن الحارث ابن السوداء! فقال له عبد الملك: ما ولدت والله أمة خيراً مما ولدت أمه!.

وأخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق بن إبراهيم عن الزبير والمدائني والمسيبي: أن أمه ماتت نصرانية وكانت تسر ذلك منه. فحضر الأشراف جنازتها، وذلك في عهد عمر بن الخطاب - رحمة الله عليه - فسمع الحارث من النساء لغطاً، فسأل عن الخبر، فعرف أنها ماتت نصرانية وأنه وجد الصليب في عنقها، وكانت تكتمه ذلك. فخرج إلى الناس فقال: انصرفوا رحمكم الله، فإن لها أهل دينٍ هم أولى بها منا ومنكم فاستحسن ذلك منه وعجب الناس من فعله.

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء الغناء في "ألا لله قوم"... الأبيات صوت

ألا لله قومٌ و ... لدت أخت بني سهم

هشامٌ وأبو عبد ... مناف مدرة الخصم

وذو الرمحين أشباك ... على القوة والحزم

فهذان يذودان ... وذا من كثب يرمي

عروضه من مكفوف الهزج. الغناء لمعبد خفيف رملٍ من رواية حماد.

رأي يزيد في غناء معبد وابن سريج

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال إسماعيل بن مجمع أخبرنا المدائني عن رستم ابن صالح قال: قال يزيد بن عبد الملك يوماً لمعبد: يا أبا عباد، أني أريد أن أخبرك عن نفسي وعنك، فإن قلت فيه خلاف ما تعلم فلا تتحاش أن ترده علي، فقد أذنت لك. قال: يا أمير المؤمنين، لقد وضعك ربك بموضع لا يعصيك إلا ضال، ولا يرد عليك إلا مخطىء. قال: إن الذي أجده في غنائك لا أجده في غناء ابن سريج: أجد في غنائك متانةً، وفي غنائه انخناثاً ولياناً. قال معبد: والذي أكرم أمير المؤمنين بخلافته، وارتضاه لعباده، وجعله أميناً على أمة نبيه صلى الله عليه وسلم، ما عدا صفتي وصفة ابن سريج، وكذا يقول ابن سريج وأقول، ولكن أن رأى أمير المؤمنين أن يعلمني هل وضعني ذاك عنده فعل. قال: لا والله، ولكني أؤثر الطرب على كل شيء.

قال: يا سيدي فإذا كان ابن سريج يذهب إلى الخفيف من الغناء وأذهب أنا إلى الكامل التام، فأغرب أنا ويشرق هو، فمتى نلتقي؟ قال: أفتقدر أن تحكي رقيق بن سريج؟ قال نعم، فصنع من وقته لحناً من الخفيف في:

ألا لله قوم و ... لدت أخت بني سهم

الأربعة الأبيات. فغناه، فصاح يزيد: أحسنت والله يا مولاي! أعد فداك أبي وأمي، فأعاد، فرد عليه مثل قوله الأول، فأعاد. ثم قال: أعد فداك أبي وأمي، فأعاد، فاستخفه الطرب حتى وثب وقال لجواريه: افعلن كما أفعل، وجعل يدور في الدار ويدرن معه وهو يقول:

يا دار دوريني يا قرقر امسكيني

آليت منذ حين حقاً لتصرميني

ولا تواصليني بالله فارحميني

لم تذكري يميني !

قال: فلم يزل يدور كما يدور الصبيان ويدرن معه، حتى خر مغشياً عليه ووقعن فوقه ما يعقل ولا يعقلن، فابتدره الخدم "فأقاموه " وأقاموا من كان على ظهره من جواريه، وحملوه وقد جاءت نفسه أو كادت.

سيرة جوان بن عمر بن أبي ربيعة

رجع الخبر إلى ذكر عمر بن أبي ربيعة وكان لعمر بن أبي ربيعة بنٌ "صالحٌ " يقال له "جوان"، وفيه يقول العرجي:

شهيدي جوانٌ على حبها أليس بعدلٍ عليها جوان

فأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يحيى بن محمد بن عبد الله بن ثوبان قال: جاء جوان بن عمر بن أبي ربيعة إلى زياد بن عبد الله الحارثي وهو إذ ذاك أميرٌ على الحجاز، فشهد عنده بشهادةٍ، فتمثل:

شهيدي جوانٌ على حبها أليس بعدلٍ عليها جوان

- وهذا الشعر للعرجي - ثم قال: قد أجزنا شهادتك، وقبله. وقال غير الزبير: إنه جاء إلى العرجي، فقال له: يا هذا! ما لي وما لك تشهرني في شعرك! متى أشهدتني على صاحبتك هذه! ومتى كنت أنا أشهد في مثل هذا! قال: وكان امرأً صالحاً.

وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني بكار بن عبد الله قال: استعمل بعض ولاة مكة جوان بن عمر على تبالة، فحمل على خثعم في صدقات أموالهم حملاً شديداً، فجعلت خثعم سنة جوانٍ تاريخاً، فقال ضبارة بن الطفيل:

أتلبسنا ليلى على شعثٍ بنا من العام أو يرمى بنا الرجوان

صوت

رأتني كأشلاء اللجام وراقها أخو غزلٍ ذو لمةٍ ودهان

ولو شهدتني في ليالٍ مضين لي لعامين مرا قبل عام جوان

رأتنا كريمي معشرٍ حم بيننا هوى فحفظناه بحسن صيان

نذود النفوس الحائمات عن الصبا وهن بأعناقٍ إليه ثواني

ذكر حبش أن الغناء في هذه الأبيات للغريض ثاني ثقيلٍ بالبنصر، وذكر الهشامي أنه لقراريط.

أمة الواحد بنت عمر بن أبي ربيعة قالوا: وكان لعمر أيضاً بنت يقال لها: "أمه الواحد" وكانت مسترضعةٌ في هذيل، وفيها يقول عمر بن أبي ربيعة - وقد خرج يطلبها فضل الطريق -:

لم تدر وليغفر لها ربها ما جشمتنا أمة الواحد

جشمت الهول براذيننا نسأل عن بيت أبي خالد

نسأل عن شيخ بني كاهلٍ أعيا خفاء نشدة الناشد

مولد عمر يوم قتل عمر بن الخطاب

ووفاته وقد قارب السبعين

أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي بكر العامري أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال حدثني يعقوب بن القاسم قال حدثنا أسامة بن زيد بن الحكم بن عوانة عن عوانة بن الحكم - قال: أراه عن الحسن - قال: ولد عمر بن أبي ربيعة ليلة قتل عمر بن الخطاب - رحمة الله عليه - فأي حقٍّ رفع، وأي باطلٍ وضع!. قال عوانة: ومات وقد قارب السبعين أو جاوزها.

أخبرني الجوهري والمهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال حدثني يعقوب بن القاسم قال حدثني عبد الله بن الحارث عن ابن جريج عن عطاء قال: كان عمر بن أبي ربيعة أكبر مني كأنه ولد في أول الإسلام.

عمر في مجلس ابن عباس بالمسجد الحرام

أخبرني الجوهري والمهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني هارون بن عبد الله الزهري قال: حدثنا ابن أبي ثابت، وحدثني به علي بن صالح بن الهيثم عن أبي هفان عن إسحاق عن المسيبي والزبيري والمدائني ومحمد بن سلام، قالوا: قال أيوب بن سيار، وأخبرني به الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن الحسن المخزومي عن عبد العزيز بن عمران عن أيوب بن سيار عن عمر الركاء قال: بينا ابن عباس في المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناسٌ من الخوارج يسألونه، إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين أو ممصرين حتى دخل وجلس، فأقبل عليه ابن عباس فقال أنشدنا فأنشده:

أمن آل نعمٍ أنت غادٍ فمبكر غداة غدٍ أم رائحٌ فمهجر

حتى أتى على آخرها. فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال: الله يابن عباس! إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنا، ويأتيك غلام مترفٌ من مترفي قريش فينشدك:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيخزى وأما بالعشى فيخسر

فقال: ليس هكذا قال. قال: فكيف قال؟ فقال: قال:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشى فيخصر

فقال: ماأراك إلا وقد حفظت البيت! قال: أجل! وإن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إياها. قال فإني أشاء، فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها. وفي غير رواية عمر بن شبة: أن ابن عباس أنشدها من أولها إلى آخرها، ثم أنشدها من آخرها إلى أولها مقلوبة، وما سمعها قط إلا تلك المرة صفحاً. قال: وهذا غاية الذكاء. فقال له بعضهم: ما رأيت أذكى منك قط. فقال: لكني ما رأيت قط أذكى من علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان ابن عباس يقول: ما سمعت شيئاً قط إلا رويته، وإني لأسمع صوت النائحة فأسد أذني كراهة أن أحفظ ما تقول.

قال: ولامه بعض أصحابه في حفظ هذه القصيدة: "أمن آل نعم..." فقال: إنا نستجيدها.

وقال الزبير في خبره عن عمه: فكان ابن عباس بعد ذلك كثيراً ما يقول: هل أحدث هذا المغيري شيئاً بعدنا؟

قال: وحدثني عبد الله بن نافع بن ثابت قال: كان عبد الله بن الزبير إذا سمع قول عمر بن أبي ربيعة:

فيضحى وأما بالعشي فيحضر

قال: لا، بل:

فيخزى وأما بالعشي فيخسر

قال عمر بن شبة وأبو هفان والزبير في حديثهم: ثم أقبل على ابن أبي ربيعة فقال: أنشد، فأنشده:

تشط غداً دار جيراننا

وسكت، فقال ابن عباس:

وللدار بعد غدٍ أبعد

فقال له عمر: كذلك قلت - أصلحك الله - أفسمعته؟ قال: لا، ولكن كذلك ينبغي.

شعره وخلقه وشهادة الشعراء فيه

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يعقوب بن إسحاق قال: كانت العرب تقر لقريشٍ بالتقدم في كل شيء عليها إلا في الشعر، فإنها كانت لا تقر لها به، حتى كان عمر بن أبي ربيعة، فأقرت لها الشعراء بالشعر أيضاً و لم تنازعها شيئاً.

قال الزبير: وسمعت عمي مصعباً يحدث عن جدي أنه قال مثل هذا القول. قال: وحدثني عدةٌ من أهل العلم أن النصيب قال: لعمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحجال.

قال المدائني قال سليمان بن عبد الملك لعمر بن أبي ربيعة: ما يمنعك من مدحنا؟ قال: إني لا أمدح الرجال، إنما

أمدح النساء. قال: وكان ابن جريجٍ يقول: ما دخل على العواتق في حجالهن شيءٌ اضر عليهن من شعر عمر بن أبي ربيعة.

قال الزبير وحدثني عمي عن جدي - وذكره أيضاً إسحاق فيما رويناه عن أبي هفان عنه عن المدائني - قال قال هشام بن عروة: لا تروا فتياتكم شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورطن في الزنا تورطاً، وأنشد:

لقد أرسلت جاريتي وقلت لها خذي حذرك

وقولي في ملاطفةٍ لزينب :نولي عمرك

أخبرنا علي بن صالح قال حدثني أبو هفان عن إسحاق عن الزبيري قال حدثني أبي عن سمرة الدوماني من حمير قال: إني لأطوف بالبيت فإذا أنا بشيخٍ في الطواف، فقيل لي: هذا عمر بن أبي ربيعة. فقبضت على يده وقلت له: يابن أبي ربيعة. فقال: ما تشاء؟ قلت: أكل ما قتله في شعرك فعلته؟ قال: إليك عني. قلت: أسألك بالله! قال: نعم وأستغفر الله.

قال إسحاق وحدثني الهيثم بن عدي عن حمادٍ الراوية: أنه سئل عن شعر عمر بن أبي ربيعة فقال: ذاك الفستق المقشر.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن عمه قال: سمع الفرزدق شيئاً من نسيب عمر فقال: هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار، ووقع هذا عليه. قال: وكان بالكوفة رجلٌ من الفقهاء تجتمع إليه الناس فيتذاكرون العلم، فذكر يوماً شعر عمر بن أبي ربيعة فهجنه. فقالوا له: بمن ترضى؟ ومر بهم حمادٌ الراوية فقال: قد رضيت بهذا. فقالوا له: ما تقول فيمن يزعم أن عمر بن أبي ربيعة لم يحسن شيئاً؟ فقال: أين هذا؟ اذهبوا بنا إليه. قالوا: نصنع به ماذا؟ قال: نترو على أمه لعلها تأتي بمن هو أمثل من عمر.

قال إسحاق: وقال أبو المقوم الأنصاري: ما عصي الله بشيء كما عصي بشعر عمر بن أبي ربيعة.

قال إسحاق: وحدثني قيس بن داود قال حدثني أبي قال: سمعت عمر بن أبي ربيعة يقول: لقد كنت وأنا شابٌ أعشق ولا أعشق، فاليوم صرت إلى مداراة الحسان إلى الممات. ولقد لقيتني فتاتان مرةً فقالت لي إحداهما: أدن مني يابن أبي ربيعة أسر إليك شيئاً. فدنوت منها ودنت الأخرى فجعلت تعضني، فما شعرت بعض هذه من لذة سرار هذه.

قال إسحاق: وذكر عبد الصمد بن المفضل الرقاشي عن محمد بن فلان الزهري - سقط اسمه - عن إسحاق عن عبد الله بن مسلمة بن أسلم قال: لقيت جريراً فقلت له: يا أبا حزرة، إن شعرك رفع إلى المدينة وأنا أحب أن تسمعني منه شيئاً. فقال: إنكم يا أهل المدينة يعجبكم النسيب، وإن أنسب الناس المخزومي. يعني ابن أبي ربيعة.

قال إسحاق: وذكر محمد بن إسماعيل الجعفري عن أبيه عن خاله عبد العزيز بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، قال: أشرف عمر بن أبي ربيعة على أبي قبيسٍ، وبنو أخيه معه وهم محرمون، فقال لبعضهم: خذ بيدي فأخذ

بيده، وقال: ورب هذه البنية ما قلت لامرأةٍ قط شيئاً لم تقله لي، وما كشفت ثوباً عن حرام قط. قال: ولما مرض عمر مرضه الذي مات فيه جزع أخوه الحارث جزعاً شديداً. فقال له عمر: أحسبك إنما تجزع لما تظنه بي، والله ما أعلم أني ركبت فاحشةً قط! فقال: ما كنت أشفق عليك إلا من ذلك، وقد سليت عني.

قال إسحاق: حدثني مصعبٌ الزبيري قال قال مصعب بن عروة بن الزبير: خرجت أنا وأخي عثمان إلى مكة معتمرين أو حاجين، فلما طفنا بالبيت مضينا إلى الحجر نصلي فيه، فإذا شيخٌ قد فرج بيني وبين أخي فأوسعنا له. فلما قضى صلاته أقبل علينا فقال: من أنتما؟ فأخبرناه. فرحب بنا وقال: يا ابني أخي، إني موكل بالجمال أتبعه، وإني رأيتكما فراقني حسنكما وجمالكما، فاستمتعا بشبابكما قبل أن تندما عليه، ثم قام، فسألنا عنه فإذا هو عمر بن أبي ربيعة.

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن الضحاك قال: عاش عمر بن أبي ربيعة ثمانين سنة، فتك منها أربعين سنةً، ونسك أربعين سنة.

قال الزبير وحدثني إبراهيم عن حمزة ومحمد بن ثابت عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه قال: حججت مع أبي وأنا غلامٌ وعلي جمة. فلما قدمت مكة جئت عمر بن أبي ربيعة، فسلمت عليه وجلست معه، فجعل يمد الخصلة من شعري ثم يرسلها فترجع على ما كانت عليه، ويقول: واشباباه!. حتى فعل ذلك مراراً. ثم قال لي: يابن أخي، قد سمعتني أقول في شعري: قالت لي وقلت لها، وكل مملوكٍ لي حرٌ إن كنت كشفت عن فرجٍ حرامٍ قط! فقمت وأنا متشككٌ في يمينه، فسألت عن رقيقه فقيل لي: أما في الحوك فله سبعون عبداً سوى غيرهم.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثتني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت: مررت بجدك عبد الله بن مصعب وأنا داخلةٌ منزله وهو بفنائه ومعي دفتر، فقال: ما هذا معك؟ ودعاني. فجئته وقلت: شعر عمر بن أبي ربيعة. فقال: ويحك! تدخلين على النساء بشعر عمر بن أبي ربيعة! إن لشعره لموقعاً من القلوب ومدخلاً لطيفاً، لو كان شعرٌ يسحر لكان هو، فارجعي به. قالت: ففعلت.

"قال إسحاق": وأخبرني الهيثم بن عدي قال: قدمت امرأةٌ مكة وكانت من أجمل النساء. فبينا عمر بن أبي ربيعة يطوف إذ نظر إليها فوقعت في قلبه، فدنا منها فكلمها، فلم تلتفت إليه. فلما كان في الليلة الثانية جعل يطلبها حتى أصابها. فقالت له: إليك عني يا هذا، فإنك في حرم الله وفي أيامٍ عظيمة الحرمة. فألح عليها يكلمها، حتى خافت أن يشهرها. فلما كان في الليلة الأخرى قالت لأخيها: أخرج معي يا أخي فأربي المناسك، فإني لست أعرفها، فأقبلت وهو معها. فلما رآها عمر أراد أن يعرض لها، فنظر إلى أخيها معها فعدل عنها، فتمثلت المرأة بقول النابغة:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي صولةً المستأسد الحامي

قال إسحاق: فحدثني السندي مولى أمير المؤمنين أن المنصور قال -وقد حدث بهذا الخبر-: وددت أنه لم تبق فتاة من قريش في خدرها إلا سمعت بهذا الحديث.

قال إسحاق: قال لي الأصمعي: عمر حجةٌ في العربية، و لم يؤخذ عليه إلا قوله:

ثم قالوا تحبها قلت بهراً عدد الرمل والحصى والتراب

وله في ذلك مخرجٌ، إذ قد أتى به على سبيل الإخبار. قال: ومن الناس من يزعم أنه إنما قال:

قيل لي هل تحبها قلت بهرا

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الأشعار التي قالها عمر بن أبي ربيعة وغنى فيها المغنون إذ كانت لم تنسب هناك لطول شرحها

شعر عمر الذي غنى فيه المغنون

منها ما يغنى فيه من قوله:

صوت

أمن آل نعمٍ أنت غادٍ فمبكر غداة غدٍ أم رائح فمهجر

لحاجة نفسٍ لم تقل في جوابها فتبلغ عذراً والمقالة تعذر

أشارت بمدراها وقالت لأختها أهذا المغيري الذي كان يذكر؟

فقالت: نعم لا شك غير لونه سر الليل يطوي نصه والتهجر

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشي فيخصر

أخا سفرٍ جواب أرضٍ تقاذفت به فلواتٌ فهو أشعث أغبر

وليلة ذي دوران جشمتني السرى وقد يجشم الهول المحب المغرر

فقلت :أباديهم فإما أفوتهم وإما ينال السيف ثأراً فيثأر

هذه الأبيات جمعت على غير توالٍ؛ لأنه إنما ذكر منها ما فيه صنعةٌ. غنى في الأول والثاني من الأبيات ابن سريج خفيف رملٍ بالبنصر عن أحمد بن المكي وذكر حبشٌ أن فيهما لمعبدٍ لحناً من الثقيل الأول بالبنصر.

وغنى ابن سريج في الثالث والرابع أيضاً خفيف ثقيلٍ بالوسطى، وذكر حبشٌ أن فيهما لحناً من الهزج بالوسطى لحكم. وغنى ابن سريج في الخامس والسادس لحناً من الرمل بالوسطى عن عمرو بن بانه. وذكر يونس أن في السابع والثامن لابن سريج لحناً و لم يذكر طريقته، وذكر حبشٌ أن فيهما لمالك لحناً من الثقيل الثاني بالبنصر.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرني محمد بن إسحاق قال أخبرني محمد بن حبيب عن هشام بن

الكلبي: أن عمر بن أبي ربيعة أتى عبد الله بن عباس وهو في المسجد الحرام فقال: متعني الله بك! إن نفسي قد تاقت إلى قول الشعر ونازعتني إليه، وقد قلت منه شيئاً أحببت أن تسمعه وتستره علي. فقال: أنشدني، فأنشده:

أمن آل نعمٍ أنت غادٍ فمبكر

فقال له: أنت شاعرٌ يا ابن أخي، فقل ما شئت. قال: وأنشد عمر هذه القصيدة طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري وهو راكبٌ، فوقف ومازال شانقاً ناقته حتى كتبت له.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني الحسين بن إسماعيل قال حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال: كان جرير إذا أنشد شعر عمر بن أبي ربيعة قال: هذا شعرٌ تهامي إذا أنجد وجد البرد، حتى أنشد قوله:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشي فينحصر

قليلاً على ظهر المطية ظله سوى ما نفى عنه الرداء المحبر

وأعجبها من عيشها ظل غرفةٍ وريان ملتف الحدائق أخضر

ووالٍ كفاها كل شيء يهمها فليست لشيءٍ آخر الليل تسهر

فقال جرير: ما زال هذا القرشي يهذي حتى قال الشعر.

أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني أبو عبد الله اليمامي قال حدثني الأصمعي قال: قال لي الرشيد: أنشدني أحسن ما قيل في رجل قد لوحه السفر، فأنشدته قول عمر بن أبي ربيعة:

رأت رجلاً إذا ما الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشي فينحصر

أخا سفرٍ جواب أرضٍ تقاذفت به فلوات فهو أشعث أغبر

... الأبيات كلها. قال: فقال لي الرشيد: أنا والله ذلك الرجل. قال: وهذا بعقب قدومه من بلاد الروم.

أخبرني الفضل بن الحباب الجمحي أبو خليفة في كتابه إلي: قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني شعيب بن صخر قال: كان بين عائشة بنت طلحة وبين زوجها عمر بن عبيد الله بن معمرٍ كلامٌ، فسهرت ليلةً فقالت: إن ابن أبي ربيعة لجاهلٌ بليلتي هذه حيث يقول:

ووالٍ كفاها كل شيءٍ يهمها فليست لشيءٍ آخر الليل تسهر

أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان قال حدثني إسحاق عن المدائني قال: عرض يزيد بن معاوية جيش أهل الحرة، فمر به رجلٌ من أهل الشأم معه ترسٌ خلقٌ سمجٌ، فنظر إليه يزيد وضحك وقال له: ويحك! ترس عمر بن أبي ربيعة كان أحسن من ترسك. يريد قول عمر:

فكان مجني دون من كنت أتقي ثلاث شخوصٍ كاعبان ومعصر

أخبرنا جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال: سمع أبو الحارث جميز مغنيةً تغني:

أشارت بمدراها وقالت لأختها أهذا المغيري الذي كان يذكر؟

فقال جميز: امرأته طالق إن كانت أشارت إليه بمدراها إلا لتفقأ بها عينه، هلا أشارت إليه بنقانق مطرفٍ بالخردل، أو سنبوسجةٍ مغموسةٍ في الخل، أو لوزينجةٍ شرقةٍ بالدهن! فإن ذلك أنفع له، وأطيب لنفسه، وأدل على مودة صاحبته.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال حدثني عبد العزيز بن أبي أويس عن عطاف بن خالد الوابصي عن عبد الرحمن بن حرملة قال: أنشد سعيد بن المسيب قول عمر بن أبي ربيعة:

وغاب قميرٌ كنت أرجو غيوبه وروح رعيانٌ ونوم سمر

فقال: ما له قاتله الله! لقد صغر ما عظم الله! يقول الله عز وجل: "والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم".

شعر عمر في فاطمة الكندية

بنت محمد بن الأشعث

ومنها ما فيه غناء لم ينسب في موضعه من الأخبار فنسب ها هنا:

صوت

تشط غداً دار جيراننا وللدار بعد غدٍ أبعد

إذا سلكت غمر ذي كندةٍ مع الصبح قصدٌ لها الفرقد

عراقيةٌ، وتهامي الهوى يغور بمكة أو ينجد

وحث الحداة بها عيرها سراعاً إذا ما ونت تطرد

هنالك إما تعزي الفؤاد وإما على إثرها تكمد

وليست ببدعٍ إذا دارها نأت والعزاء إذاً أجلد

صرمت وواصلت حتى علم ت أين المصادر والمورد

وجربت من ذاك حتى عرف ت ما أتوقى وما أحمد

فلما دنونا لجرس النبا ح والضوء، والحي لم يرقدوا

"نأينا عن الحي حتى إذا تودع من نارها الموقد"

بعثنا لها باغياً ناشداً وفي الحي بغية من ينشد
أتتنا تهادى على رقبةٍ من الخوف أحشاؤها ترعد
تقول وتظهر وجداً بنا ووجدي وإن أظهرت أوجد
لمما شقائي تعلقتكم وقد كان لي عندكم مقعد
وكفت سوابق من عبرةٍ على الخد يجري بها الإثمد
فإن التي شيعتنا الغداة مع الفجر قلبي بها مقصد
"كأن أقاحي مولية تحدر من ماء مزنٍ ندي"

غنى معبد في الأول والثاني والثالث من الأبيات خفيف ثقيلٍ من أصواتٍ قليلات الأشباه عن إسحاق. وغنى فيها أشعب "المعروف بالطامع" ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي. وللغريض في الأبيات الأربعة الأول ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. ولابن سريج في الرابع عشر وهو:

وكفت سوابق من عبرة

ثم الأول والتاسع رملٌ بالوسطى عن ابن المكي. ولمالك "ويقال إنه لمعبد " خفيف ثقيلٍ في الرابع عشر والثالث عشر والأول عن الهشامي. وفي السابع والثامن والأول لابن جامع ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي. وفي الأول والحادي عشر لابن سريج رملٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق، وفيهما ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق و لم ينسبه إلى أحد، وذكر أحمد بن المكي أنه لأبيه. وفي الرابع والخامس رملٌ لمعبد عن ابن المكي، وقيل: إنه من منحول أبيه إلى معبد. وفي الثالث عشر والسادس ليونس خفيف رملٍ عن الهشامي. وفي الأول والثاني عشر ثاني ثقيلٍ تشترك فيه الأصابع عن ابن المكي، وقال أيضاً: فيه للأبجر لحنٌ آخر من الثقيل الثاني. ولمعبد في الرابع والسادس ثاني ثقيل آخر عنه، وفيهما أيضاً رملٌ لابن سريج عنه وعن حبشٍ. ولإسحاق في الأول والثاني رملٌ من كتابه. ولعلية بنت المهدي في الثالث عشر والأول ثقيل أول. ولابن مسجحٍ في الثاني عشر والأول رملٌ، ويقال إنه للرطاب، وذكر حبش أنه لابن سريج. وفي الخمسة الأبيات الأولى متواليةً خفيف رملٍ بالوسطى ينسب إلى معبد وإلى يحيى المكي، وزعم حبشٌ أن فيها رملاً بالوسطى لابن محرز. والذي ذكره يونس في كتابه أن في

تشط غداً دار جيراننا

خمسة ألحانٍ: اثنان لمعبد، واثنان لمالك، وواحد ليونس. وذكر أحمد بن عبيد أن الذي عرف صحته من الغناء فيه سبعة ألحانٍ: ثقيلٌ أول، وثاني ثقيلٍ، وخفيف ثقيل، ورملٌ، وخفيفه.
أخبرني بعض أصحابنا عن أبي عبد الله بن المرزبان أن الذي أحصي فيه إلى وقته ستة عشر لحناً. والذي وجدته

فيه مما جمعته ها هنا - سوى ما لم يذكر يونس طريقته - تسعة عشر لحناً: منها في الثقيل الأول لحنان، وفي خفيف الثقيل لحنان، وفي الثقيل الثاني ستة، وفي الرمل سبعة، وفي خفيف الرمل لحنان.

وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأةٍ من ولد الأشعث بن قيس حجت فهويها وراسلها، فواصلته ودخل إليها وتحدث معها وخطبها، فقالت: أما ها هنا فلا سبيل إلى ذلك، ولكن إن قدمت إلى بلدي خاطباً تزوجتك، فلم يفعل.

أخبرني بهذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن الحسن المخزومي عن محرز بن جعفر مولى أبي هريرة عن أبيه قال: سمعت بديحاً يقول: حجت بنت محمد بن الأشعث الكندية، فراسلها عمر بن أبي ربيعة وواعدها أن يتلقاها مساء الغد، وجعل الآية بينه وبينها أن تسمع ناشداً ينشد - إن لم يمكنه أن يرسل رسولاً - يعلمها بمصيره إلى المكان الذي وعدها. قال بديح: فلم أشعر به إلا متلثماً، فقال لي: يا بديح، ائت بنت محمد بن الأشعث فأخبرها أني قد جئت لموعدها، فأبيت أن أذهب وقلت: مثلي لا يعين على مثل هذا. فغيب بغلته عني ثم جاءني فقال لي: قد أضللت بغلتي فانشدها لي في زقاق الحاج. فذهبت فنشدتها، فخرجت علي بنت محمد بن الأشعث وقد فهمت الآية، فأتته لموعده، وذلك قوله:

وآية ذلك أن تسمعي إذا جئتكم ناشداً ينشد

قال بديح: فلما رأيتها مقبلةً عرفت أنه قد خدعني بنشدي البغلة، فقلت له: يا عمر، لقد صدقت التي قالت لك:

فهذا سحرك النسوا ن، قد خبرنني خبرك

قد سحرتني وأنا رجل! فكيف برقة قلوب النساء وضعف رأيهن! وما آمنك بعدها، ولو دخلت الطواف ظننت أنك دخلته لبليةٍ. قال: وحدثها بحديثي، فما زالا ليلتهما يفصلان حديثهما بالضحك مني.

قال الزبير: فحدثني أبو الهندام مولى الربعيين عن أبي الحارث بن عبد الله الربعي قال: لقي ابن أبي عتيق بديحاً فقال له: يا بديح، أخدعك ابن أبي ربيعة أنه قرشي؟ فقال بديح: نعم! وقد أخطأه ذلك عند القسري وصواحبه. فقال ابن أبي عتيق: ويحك يا بديح! أن من تغابى لك ليغبى عنك، فقد ضمت عليه قبضتك إن كان لك ذهنٌ، أما رأيت لمن كانت العاقبة؟ والله ما بالى ابن أبي ربيعة أوقع عليهن أم وقعن عليه!.

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال حدثنا العمري عن كعب بن بكر المحاربي: أن فاطمة بنت محمد بن الأشعث حجت، فراسلها عمر بن أبي ربيعة فواعدته أن تزوره، فأعطى الرسول الذي بشره بزيارتها مائة دينار.

أخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن رجاله المذكورين، قالوا: حجت بنتٌ لمحمد بن الأشعث "- هكذا قال إسحاق وهو عندي الصحيح -" وكانت معها أمها وقد سمعت بعمر بن أبي ربيعة فأرسلت إليه، فجاءها فاستنشدته، فأنشدها:

تشط غداً دار جيراننا ... وللدار بعد غدٍ أبعد

وذكر القصة بطولها. قال: وقد كانت لما جاءها أرسلت بينها وبينه ستراً رقيقاً تراه من ورائه ولا يراها، فجعل يحدثها حتى استنشدته، فأنشدها هذه القصيدة، فاستخفها الشعر فرفعت السجف، فرأى وجهاً حسناً في جسمٍ ناحل، فخطبها وأرسل إلى أمها بخمسمائة دينار، فأبت وحجبته وقالت للرسول: تعود إلينا. فكأن الفتاة غمها ذلك، فقالت لها أمها: قد قتلك الوجد به فتزوجيه. قالت: لا والله لا يتحدث أهل العراق عني أني جئت ابن أي ربيعة أخطبه، ولكن إن أتاني إلى العراق تزوجته. قال: ويقال إنها راسلته وواعدته أن تزوره، فأجمر بيته وأعطى المبشر مائة دينار، فأتته وواعدته إذا صدر الناس أن يشيعها، وجعلت علامة ما بينهما أن يأتيها رسوله ينشدها ناقةً له. فلما صدر الناس فعل ذلك عمر. وفيه يقول وقد شيعها:

صوت

قال الخليط غداً تصدعنا ... أو بعده، أفلا تشيعنا

أما الرحيل فدون بعد غدٍ ... فمتى تقول الدار تجمعنا

لتشوقنا هندٌ وقد علمت ... علماً بأن البين يفزعنا

عجباً لموقفنا وموقفها ... وبسمع تربيها تراجعنا!

ومقالها سر ليلةً معنا ... نعهد فإن البين فاجعنا!

قلت العيون كثيرةٌ معكم ... وأظن أن السير مانعنا

لا بل نزوركم بأرضكم ... فيطاع قائلكم وشافعنا

قالت أشيءٌ أنت فاعله ... هذا لعمرك أم تخادعنا؟

بالله حدث ما تؤمله ... واصدق فإن الصدق واسعنا

اضرب لنا أجلاً نعد له ... إخلاف موعده تقاطعنا

الغناء لابن سريج ثقيلٌ أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وذكر عمرو أنه للغريض بالوسطى. وفيه لابن سريج خفيف رملٍ عن الهشامي، وذكر حبشٌ أنه لموسى شهوات.

شعره في زينب بنت موسى الجمحية

ومنها مما لم ينسب أيضاً

صوت

لقد أرسلت جاريتي وقلت لها: خذي حذرك

وقولي في ملاطفةٍ لزينب :نولي عمرك

فهزت رأسها عجباً وقالت: من بذا أمرك

أهذا سحرك النسوا ن، قد خبرنني خبرك

غنى فيها ابن سريج خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو، وقال قومٌ: إنه للغريض. وفيها لمالكٍ خفيف ثقيلٍ عن ابن المكي. وفي هذا الشعر ألحانٌ كثيرةٌ، والشعر فيها على غير هذه القافية، لأن هذه الأبيات لعمر من قصيدةٍ رائيةٍ موصولة الراءات بألفٍ، إلا أن المغنين غيروا هذه الأبيات في هذين اللحنين، فجعلوا مكان الألف كافاً، وإنما هي:

لقد أرسلت جاريتي وقلت لها: خذي حذرا

وأول القصيدة:

صوت

تصابى القلب وادكرا صباه ولم يكن ظهرا

لزينب إذ تجدلنا صفاءً لم يكن كدرا

أليست بالتي قالت لمولاةٍ لها ظهرا

أشيري بالسلام له إذا هو نحونا خطرا

"لقد أرسلت جاريتي وقلت لها: خذي حذرا "

وقولي في ملاطفةٍ لزينب :نولي عمرا

فهزت رأسها عجبا وقالت :من بذا أمرا!

أهذا سحرك النسوا ن، قد خبرنني الخبرا

غنى ابن سريج في الثالث والرابع والخامس والأول خفيف ثقيلٍ أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر من رواية إسحاق. وذكر عمرو بن بانة في نسخته الأولى أنه لابن سريج، وأبو إسحاق ينسبه في نسخته الثانية إلى دحمان. وللغريض في الأول من الأبيات لحن من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالوسطى في مجراها، وأضاف إليه بيتين ليسا من هذه القصيدة وهما:

طربت ورد من تهوى جمال الحي فابتكروا

فقل للمالكية لا تلومي القلب إن جهرا

وذكر يونس أن لمعبدٍ في هذا الشعر الذي أوله:

تصابى القلب وادكرا

لحنين لم يذكر جنسيهما، وذكر الهشامي: أن أحدهما خفيف ثقيلٍ والآخر رملٌ. وفي الأبيات التي غنى فيها الغريض رملٌ لدحمان عن الهشامي، قال: ويقال إنه لابنة الزبير. وزينب التي ذكرها عمر بن أبي ربيعة ها هنا، يقال لها: زينب بنت موسى أخت قدامة بن موسى الجمحي.

أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي بكر العامري. وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري قال حدثني عمي عمران بن عبد العزيز قال: شبب عمر بن أبي ربيعة بزينب بنت موسى الجمحية في قصيدته التي يقول فيها:

صوت

يا خليلي من ملامٍ دعاني ... وألما الغداة بالأظعان

لا تلوما في آل زينب إن ال ... قلب رهنٌ بآل زينب عاني

ما أرى ما بقيت أن أذكر المو ... قف منها بالخيف إلا شجاني

- غنى في هذه الأبيات الغريض خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو -

لم تدع للنساء عندي حظاً ... غير ما قلت مازحاً بلساني

هي أهل الصفاء والود مني ... وإليها الهوى فلا تعدلاني

حين قالت لأختها ولأخرى ... من قطينٍ مولدٍ: حدثاني

كيف لي اليوم أن أرى عمر المر ... سل سراً في القول أن يلقاني؟

قالتا :نبتغي رسولاً إليه ... ونميت الحديث بالكتمان

إن قلبي بعد الذي نلت منها ... كالمعمى عن سائر النسوان

قال: وكان سبب ذكره لها أن ابن أبي عتيق ذكرها عنده يوماً فأطراها، ووصف من عقلها وأدبها وجمالها ما شغل قلب عمر وأماله إليها، فقال فيها الشعر وشبب بها، فبلغ ذلك ابن أبي عتيقٍ، فلامه فيه وقال له: أتنطق الشعر في ابنة عمي؟ فقال عمر:

صوت

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي ... إن بي يا عتيق ما قد كفاني

لا تلمني وأنت زينتها لي أنت مثل الشيطان للإنسان

إن بي داخلاً من الحب قد أب لى عظامي مكنونه وبراني

لو بعينيك يا عتيق نظرنا ليلة السفح قرت العينان

إذ بدا الكشح والوشاح من الد ر فضلٌ فيه من المرجان

قد قلى قلبي النساء سواها غير ما قلت مازحاً بلساني

وأول هذه القصيدة:

إنني اليوم عاد لي أحزاني وتذكرت ما مضى من زماني

وتذكرت ظبيةً أم رئمٍ هاج لي الشوق ذكرها فشجاني

غنى أبو العبيس بن حمدون في "لا تلمني عتيق..." لحناً من الثقيل الأول المطلق. وفيه رملٌ طنبوريٌ مجهولٌ.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشون قال: أنشد عمر بن أبي ربيعة قوله:

يا خليلي من ملامٍ دعاني وألما الغداة بالأظعان

لا تلوما في آل زينب إن ال قلب رهنٌ بآل زينب عاني

القصيدة. قال: فبلغ ذلك أبا وداعة السهمي فأنكره وغضب. وبلغ ذلك ابن أبي عتيقٍ وقيل له: إن أبا وداعة قد اعترض لابن أبي ربيعة من دون زينب بنت موسى، وقال: لا أقر لابن أبي ربيعة أن يذكر امرأةً من بني هصيصٍ في شعره. فقال ابن أبي عتيق: لا تلوموا أبا وداعة أن ينعظ من سمرقند على أهل عدن! قال الزبير: وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري قال حدثني عمي عمران بن عبد العزيز قال: شبب عمر بن أبي ربيعة بزينب بنت موسى في أبياته التي يقول فيها:

لا تلوما في آل زينب إن ال قلب رهنٌ بآل زينب عاني

فقال له ابن أبي عتيق: أما قلبك فقد غيب عنا، وأما لسانك فشاهدٌ عليك.

قال عبد الرحمن بن عبد الله قال عمران بن عبد العزيز: عذل ابن أبي عتيقٍ عمر في ذكره زينب في شعره، فقال عمر:

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي إن بي يا عتيق ما قد كفاني

لا تلمني وأنت زينتها لي

قال: فبدره ابن أبي عتيق، فقال:

أنت مثل الشيطان للإنسان

فقال ابن أبي ربيعة: هكذا ورب البيت قلته. فقال ابن أبي عتيق: إن شيطانك ورب القبر ربما ألم بي، فيجد عندي من عصيانه خلاف ما يجد عندك من طاعته، فيصيب مني وأصيب منه.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال حدثني قدامة بن موسى قال: خرجت بأختي زينب إلى العمرة، فلما كنت بسرفٍ لقيني عمر بن أبي ربيعة على فرس فسلم علي. فقلت له: إلى أين أراك متوجهاً يا أبا الخطاب؟ فقال: ذكرت لي امرأةٌ من قومي برزة الجمال، فأردت الحديث معها. فقلت: هل علمت أنها أختي؟ فقال: لا! واستحيا وثنى عنق فرسه راجعاً إلى مكة.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثنا العمري عن لقيط بن بكر المحاربي قال: أنشدني ابن أبي عتيق قول عمر:

صوت

من لسقيمٍ يكتم الناس ما به ... لزينب نجوى صدره والوساوس

أقول لمن يبغي الشفاء متى تجيء ... بزينب تدرك بعض ما أنت لامس

فإنك إن لم تشف من سقمي بها ... فإني من طب الأطباء آيس

ولست بناسٍ ليلة الدار مجلساً ... لزينب حتى يعلو الرأس رامس

خلاءً بدت قمراؤه وتكشفت ... دجنته وغاب من هو حارس

وما نلت منها محرماً غير أننا ... كلانا من الثوب المورد لابس

نجيين نقضي اللهو في غير مأثمٍ ... وإن رغمت م الكاشحين المعاطس

قال: فقال ابن أبي عتيق: أمنا يسخر ابن أبي ربيعة! فأي محرم بقي! ثم أتى عمر فقال له: يا عمر، ألم تخبرني أنك ما أتيت حراماً قط؟ قال بلى! قال: فأخبرني عن قولك:

كلانا من الثوب المورد لابس

ما معناه؟ قال: والله لأخبرنك! خرجت أريد المسجد وخرجت زينب تريده، فالتقينا فاتعدنا لبعض الشعاب، فلما توسطنا الشعب أخذتنا السماء، فكرهت أن يرى بثيابها بلل المطر، فيقال لها: ألا استترت بسقائف المسجد أن كنت فيه، فأمرت غلماني فسترونا بكساء خزٍّ كان علي؛ فذلك حين أقول:

كلانا من الثوب المطارف لابس

فقال له ابن أبي عتيق: يا عاهر! هذا البيت يحتاج إلى حاضنة! الغناء في هذه الأبيات التي أولها:

من لسقيم يكتم الناس ما به

لرذاذٍ ثقيلٌ أول، وكان بعض المحدثين ممن شاهدناه يدعي أنه له، ولم يصدق.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشون قال: قال عمر بن أبي ربيعة في زينب بنت موسى:

صوت

طال من آل زينب الإعراض — للتعدي وما بها الإبغاض

ووليدين كان علقها القل — ب إلى أن علا الرءوس بياض

حبلها عندنا متين وحبلي — عندها واهن القوى أنقاض

الغناء في هذا الأبيات لابن محرز خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو. وقال الهشامي: فيه لابن جامع خفيف رملٍ آخر.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال قال عبد الرحمن بن عبد الله وحدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه قال: لما قال عمر بن أبي ربيعة في زينب:

لم تدع للنساء عندي نصيباً — غير ما قلت مازحاً بلساني

قال له ابن أبي عتيق: رضيت لها بالمودة، وللنساء بالدهفشة. قال: والدهفشة: التجميش والخديعة بالشيء اليسير.

"وقال غير الزبير في هذا الخبر: الدهقشة، مكان الدهفشة".

ومما قاله عمر في زينب وغني فيه قوله:

صوت

أيها الكاشح المعير بالصر — م تزحزح فما لها الهجران

لا مطاعٌ في آل زينب فارجع — أو تكلم حتى يمل اللسان

نجعل الليل موعداً حين نمسي — ثم يخفي حديثنا الكتمان

كيف صبري عن بعض نفسي وهل يص — بر عن بعض نفسه الإنسان!

ولقد أشهد المحدث عند ال — قصر فيه تعففٌ وبيان

في زمانٍ من المعيشة لدنٍ — قد مضى عصره وهذا زمان

الغناء في هذه الأبيات لابن سريج رملٌ بالوسطى عن عمرو ودنانير. وذكر يونس أن فيه لحناً لابن محرز ولحناً لابن عباد الكاتب، أول لحن ابن عباد الكاتب:

لا مطاعٌ في آل زينب ....

وأول لحن ابن محرز:

ولقد أشهد المحدث ....

ومما غني فيه لابن محرز من أشعار عمر بن أبي ربيعة في زينب بنت موسى قوله:

صوت

يا من لقلبٍ متيمٍ كلفٍ يهذي بخودٍ مريضة النظر

تمشي الهوينى إذا مشت فضلاً وهي كمثل العسلوج في الشجر

- للغريض في هذين البيتين خفيف رمل بالوسطى، ولابن سريج رملٌ بالبنصر عن الهشامي وحبش -

ما زال طرفي يحار إذ برزت حتى رأيت النقصان في بصري

أبصرتها ليلةً ونسوتها يمشين بين المقام والحجر

ما إن طمعنا بها ولا طمعت حتى التقينا ليلاً على قدر

بيضاً حساناً خرائداً قطفاً يمشين هوناً كمشية البقر

قد فزن بالحسن والجمال معاً وفزن رسلاً بالدل والخفر

ينصتن يوماً لها إذا نطقت كيما يشرفنها على البشر

قالت لثربٍ لها تحدثها لنفسدن الطواف في عمر

قومي تصدي له ليعرفنا ثم اغمزيه يا أخت في خفر

قالت لها قد غمزته فأبى ثم اسبطرت تسعى على أثري

من يسق بعد المنام ريقتها يسق بمسكٍ وباردٍ خصر

غنى في هذا الشعر الغريض خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وغنَّ فيه ابن سريج رملاً بالبنصر عن الهشامي وحبش. ومنها:

صوت

ألا يا بكر قد طرقا خيالٌ هاج لي الأرقا

لزينب إنها همي فكيف بحبلها خلقا
خدلجةٌ إذا انصرفت رأيت وشاحها قلقا
وساقاً تملأ الخلخا ل فيه تراه مختنقا
إذا ما زينبٌ ذكرت سكبت الدمع متسقا
كأن سحابةً تهمي بماءٍ حملت غدقا

الغناء لحنين رملٌ عن الهشامي. وفيه لابن عباد خفيف ثقيل، ويقال: إنه ليونس. ومما قاله "فيها " أيضاً وغني فيه:

صوت

ألمم بزينب إن البين قد أفدا قل الثواء لئن كان الرحيل غدا
قد حلفت ليلة الصورين جاهدة وما على المرء إلا الحلف مجتهدا
لأختها ولأخرى من مناصفها لقد وجدت به فوق الذي وجدا
لو جمع الناس ثم اختير صفوهم شخصاً من الناس لم أعدل به أحدا

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة والبنصر في الأول والثاني عن يحيى المكي، وله فيه أيضاً خفيف رملٍ بالوسطى في الثاني والثالث والرابع عن عمرو. ولمعبد ثقيلٌ أول في الأول والثاني عن الهشامي. وفيه خفيف ثقيلٍ ينسب إلى الغريض ومالك.

أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق عن مصعبٍ الزبيري قال: اجتمع نسوةٌ فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه ومجلسه وحديثه، فتشوقن إليه وتمنينه. فقالت سكينة: أنا لكن به، فبعثت إليه رسولاً أن يوافي الصورين ليلةً سمتها، فوافاهن على رواحله، فحدثهن حى طلع الفجر وحان انصرافهن. فقال لهن: والله إني لمحتاجٌ إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده، ولكني لا أخلط بزيارتكن شيئاً. ثم انصرف إلى مكة وقال في ذلك:

ألمم بزينب إن البين قد أفدا

وذكر الأبيات المتقدمة.

عود إلى شهادة جرير

والغريب وغيرهما في شعرعمر

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن لقيط قال: أنشد جريرٌ قول عمر بن أبي ربيعة:

الصوت

سائلا الربع بالبلي وقولا ... هجت شوقاً لي الغداة طويلا
أين حيٌ حلوك إذ أنت محفو ... فٌ بهم آهلٌ أراك جميلا؟
قال ساروا فأمعنوا واستقلوا ... وبزعمي لو استطعت سبيلا
سئمونا وما سئمنا مقاماً ... وأحبوا دماثة وسهولا

فقال جرير: إن هذا الذي كنا ندور عليه فأخطأناه وأصابه هذا القرشي. وفي هذه الأبيات رملان: أحدهما لابن سريج بالسبابة في مجرى الوسطى، والآخر لإسحاق مطلقٌ في مجرى البنصر جميعاً من روايته. وذكر عمرو: أن فيها رملاً ثالثاً بالوسطى، لابن جامع. وقال الهشامي: فيها ثلاثة أرمال لابن سريج، وابن جامع، وإبراهيم. ولأبي العبيس بن حمدون فيها ثاني ثقيلٍ. وفيها هزجٌ لإبراهيم الموصلي من جامع أغانيه.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال: وجدت كتاباً بخط محمد بن الحسن ذكر فيه أن فليح بن إسماعيل حدثه عن معاذٍ صاحب الهروي أن النصيب قال: عمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحجال.

أخبرني الطوسي: قال حدثنا الزبير قال حدثتني ظمياء مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت: سمعت جدك يقول - وقد أنشد قول عمر بن أبي ربيعة:

صوت

يا ليتني قد أجزت الحبل نحوكم ... حبل المعرف أو جاوزت ذا عشر
إن الثواء بأرضٍ لا أراك بها ... فاستيقنيه ثواءٌ حق ذي كدر
وما مللت ولكن زاد حبكم ... وما ذكرتك إلا ظلت كالسدر
ولا جذلت بشيءٍ كان بعدكم ... ولا منحت سواك الحب من بشر

الغناء في هذه الأربعة الأبيات لسلام بن الغساني رملٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن جامع وقفا النجار لحنان من كتاب إبراهيم و لم يجنسهما. وتمام الأبيات:

أذري الدموع كذى سقم يخامره ... وما يخامرني سقمٌ سوى الذكر
كم قد ذكرتك لو أجدى تذكركم ... يا أشبه الناس كل الناس بالقمر

- قالت: فقال جدك: إن لشعر عمر بن أبي ربيعة لموقعاً في القلب، ومخالطةً للنفس ليسا لغيره، ولو كان شعرٌ يسحر لكان شعره سحراً.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمامة بن عمر قال: رأيت عامر بن صالح بن عبد الله بن عروة بن الزبير يسأل المسور بن عبد الملك عن شعر عمر بن أبي ربيعة، فجعل يذكر له شيئاً لا يعرفه، فيسأله أن يكتبه إياه ففعل، فرأيته يكتب ويده ترعد من الفرح.

المفاضلة بين شعره و شعر الحارث بن خالد

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون عن عمه يوسف قال: ذكر شعر الحارث بن خالد وشعر عمر بن أبي ربيعة عند ابن أبي عتيق في مجلس رجل من ولد خالد بن العاصي بن هشام، فقال: صاحبنا - يعني الحارث بن خالد - أشعرهما. فقال له ابن أبي عتيق: بعض قولك يا ابن أخي، لشعر عمر بن أبي ربيعة نوطةٌ في القلب، وعلوقٌ بالنفس، ودركٌ للحاجة ليست لشعرٍ، وما عصي الله جل وعز بشعر أكثر مما عصي بشعر ابن أبي ربيعة، فخذ عني ما أصف لك: أشعر قريش من دق معناه، ولطف مدخله، وسهل مخرجه، ومتن حشوه، وتعطفت حواشيه، وأنارت معانيه، وأعرب عن حاجته. فقال المفضل للحارث: أليس صاحبنا الذي يقول:

إني وما نحروا غداة منى ... عند الجمار يؤدها العقل

لو بدلت أعلى مساكنها ... سفلاً واصبح سفلها يعلو

فيكاد يعرفها الخبير بها ... فيرده الإقواء والمحل

لعرفت مغناها بما احتملت ... مني الضلوع لأهلها قبل

فقال له ابن أبي عتيق: يابن أخي، استر على نفسك، واكتم على صاحبك، ولا تشاهد المحافل بمثل هذا، أما تطير الحارث عليها حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله! ما بقي إلا أن يسأل الله تبارك وتعالى لها حجارةً من سجيلٍ. ابن أبي ربيعة كان أحسن صحبةً للربع من صاحبك، وأجمل مخاطبةً حيث يقول:

سائلاً الربع بالبلي وقولاً ... هجت شوقاً لي الغداة طويلا

وذكر الأبيات الماضية. قال: فانصرف الرجل خجلاً مذعنا.

شيء من أخبار الحارث الملقب بالقباع

أخبرني علي بن صالح قال حدثني أبو هفان عن إسحاق عن رجاله المسمين، وأخبرني به الحرمي عن الزبير عن عمه عن جده، قالوا: كان الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة أخو عمر بن أبي ربيعة رجلاً صالحاً ديناً من سروات قريش، وإنما لقب القباع لأن عبد الله بن الزبير كان ولاه البصرة، فرأى مكيالاً لهم فقال: إن مكيالكم هذا لقباعٌ

- قال: وهو الشيء الذي له قعر - فلقب بالقباع.

وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبد الله بن محمد الطائي قال حدثنا خالد بن سعيد قال: استعمل ابن الزبير الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرة، فأتوه بمكيال لهم، فقال لهم: إن مكيالكم هذا لقباعٌ، فغلب عليه. وقال أبو الأسود الدؤلي - وقد عتب عليه - يهجوه ويخاطب ابن الزبير:

أمير المؤمنين جزيت خيراً ... أرحنا من قباع بني المغيرة

بلوناه ولمناه فأعيا ... علينا ما يمر لنا مريرة

على أن الفتى نكحٌ أكولٌ ... وولاجٌ مذاهبه كثيرة

شعر عمر في تشوقه إلى مكة

بعد أن خرج منها إلى اليمن

قالوا: وكان الحارث ينهى أخاه عن قول الشعر فيأبى أن يقبل منه، فأعطاه ألف دينار على ألا يقول شعراً، فأخذ المال وخرج إلى أخواله بلحجٍ وأبين مخافة أن يهجيه مقامه بمكة على قول الشعر، فطرب يوماً فقال:

صوت

هيهات من أمة الوهاب منزلنا ... إذا حللنا بسيف البحر من عدن

واحتل أهلك أجياداً وليس لنا ... إلا التذكر أو حظ من الحزن

لو أنها أبصرت بالجزع عبرته ... من أن يغرد قمريٌ على فنن

إذاً رأت غير ما ظنت بصاحبها ... وأيقنت أن لحجاً ليس من وطني

ما أنس لا أنس يوم الخيف موقفها ... وموقفي وكلانا ثم ذو شجن

وقولها للثريا وهي باكيةٌ ... والدمع منها على الخدين ذو سنن

بالله قولي له في غير معتبةٍ ... ماذا أردت بطول المكث في اليمن

إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها ... فما أخذت بترك الحج من ثمن

قال: فسارت القصيدة حتى سمعها أخوه الحارث، فقال: هذا والله شعر عمر، قد فتك وغدر. قال: وقال ابن جريج: ما ظننت أن الله عز وجل ينفع أحداً بشعر عمر بن أبي ربيعة حتى سمعت وأنا باليمن منشداً ينشد قوله:

بالله قولي له في غير معتبة ماذا أردت بطول المكث في اليمن

إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها فما أخذت بترك الحج من ثمن

فحركني ذلك على الرجوع إلى مكة، فخرجت مع الحاج وحججت.

غنى في أبيات عمر هذه ابن سريج، ولحنه رملٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق. وفيها للغريض ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو.

طلب الوليد من يخبره عن الطائف فدل على عمر

أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان قال حدثني إسحاق عن السعدي قال: قدم الوليد بن عبد الملك مكة، فأراد أن يأتي الطائف فقال: هل "لي" في رجلٍ علمٌ بأموال الطائف فيخبرني عنها؟ فقالوا: عمر بن أبي ربيعة. قال: لا حاجة لي به. ثم عاد فسأل فذكروه له فرده. ثم عاد فسأل فذكروه "له ثم رده. ثم عاد فسأل فذكروه له "، فقال: هاتوه. فركب معه يحدثه، ثم حرك عمر رداءه ليصلحه على كتفه، فرأى على منكبه أثراً. فقال: ما هذا الأثر؟ فقال: كنت عند جارية إذ جاءتني جاريةٌ برسالة من عند جارية أخرى، فجعلت تساررني، فغارت التي كنت أحدثها فعضت منكبي، فما وجدت ألم عضها من لذة ما كانت تلك تنفث في أذني، حتى بلغت ما ترى، والوليد يضحك. فلما رجع عمر قيل له: ما الذي كنت تضحك أمير المؤمنين به؟ فقال: مازلنا في حديث الزنا حتى رجعنا.

المفاضلة بينه وبين ابن قيس الرقيات

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن عبد الله البكري وغيره عن عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن أبيه قال: دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نوفل بن مساحق، فإنه لمعتمد على يدي، إذ مررنا بسعيد بن المسيب في مجلسه وحوله جلساؤه، فسلمنا عليه فرد علينا، ثم قال لنوفل: يا أبا سعيد، من أشعر: صاحبنا أم صاحبكم؟ يريد: عبد الله بن قيس، أو عمر بن أبي ربيعة. فقال نوفلٌ: حين يقولان ماذا يا أبا محمد؟ قال: حين يقول صاحبنا:

خليلي ما بال المطايا كأنما نراها على الأدبار بالقوم تنكص

وقد قطعت أعناقهن صبابةً فأنفسنا مما يلاقين شخص

وقد أتعب الحادي سراهن وانتحى بهن فما يألو عجولٌ مقلص

يزدن بنا قرباً فيزداد شوقنا إذا زاد طول العهد والبعد ينقض

ويقول صاحبك ما شئت. فقال له نوفلٌ: صاحبكم أشعر في الغزل، وصاحبنا أكثر أفانين شعرٍ. فقال سعيد: صدقت. فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر، جعل سعيدٌ يستغفر الله ويعقد بيده حتى وفى مائةً. فقال البكري في حديثه عن عبد الجبار: قال مسلم: فلما انصرفنا قلت لنوفل: أتراه استغفر الله من إنشاد الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: كلا! هو كثير الإنشاد والاستنشاد فيه، ولكن أحسب ذلك للفخر بصاحبه.

المفاضلة بينه وبين جميل

ابن معمر العذري

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة حدثنا عوانة بن الحكم وأبو يعقوب الثقفي: أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك قال لأصحابه ذات ليلة: أي بيتٍ قالته العرب أغزل؟ فقال بعضهم: قول جميل:

يموت الهوى مني إذا ما لقيتها ويحيا إذا فارقتها فيعود

وقال آخر: قول عمر بن أبي ربيعة:

كأنني حين أمسي لا تكلمني ذو بغيةٍ يبتغي ما ليس موجودا

فقال الوليد: حسبك والله بهذا! أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الحميد عن شيخ من أهله عن أبي الحارث مولى هشام بن الوليد بن المغيرة - قال: وهو الذي يقول فيه عمر بن أبي ربيعة:

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ فأتمر أمر رشيدٍ مؤتمن

قال: شهدت عمر بن أبي ربيعة، وجميل بن عبد الله بن معمر العذري، وقد اجتمعا بالأبطح، فأنشد جميلٌ قصيدته التي يقول فيها:

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلي بثينة أو أبدت لنا جانب البخل

يقولون مهلاً يا جميل وإنني لأقسم مالي عن بثينة من مهل

حتى أتى على آخرها، ثم قال لعمر: يا أبا الخطاب، هل قلت في هذا الروي شيئاً؟ قال نعم.

قال: فأنشدنيه، فأنشده قوله:

جرى ناصحٌ بالود بيني وبينها فقربني يوم الحصاب إلى قتلي

فطارت بحد من فؤادي وقارنت قرينتها حبل الصفاء إلى حبلي
فلما تواقفنا عرفت الذي بها كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل
فقلن لها هذا عشاءٌ وأهلها قريب ألما تسأمي مركب البغل
فقالت فما شئتن قلن لها انزلي فللأرض خير من وقوفٍ على رحل
نجوم دراري تكنفن صورةً من البدر وافت غير هوجٍ ولا عجل
فسلمت واستأنست خيفة أن يرى عدوٌ مقامي أو يرى كاشحٌ فعلي
فقالت وأرخت جانب الستر إنما معي فتكلم غير ذي رقبةٍ أهلي
فقلت لها ما بي لهم من ترقبٍ ولكن سري ليس يحمله مثلي
فلما اقتصرنا دونهن حديثنا وهن طبيبات بحاجة ذي الشكل
عرفن الذي تهوى فقلن ائذني لنا نطف ساعةً في برد ليلٍ وفي سهل
فقالت :فلا تلبثن قلن تحدثي أتيناك، وانسبن انسياب مها الرمل
وقمن وقد أفهمن ذا اللب أنما أتين الذي يأتين من ذاك من أجلي

فقال جميلٌ: هيهات يا أبا الخطاب! لا أقول والله مثل هذا سجيس الليالي، والله ما يخاطب النساء مخاطبتك أحدٌ. وقام مشمراً.

قال أبو عبد الله الزبير قال عمي مصعب: كان عمر يعارض جميلاً، فإذا قال هذا قصيدة قال هذا مثلها. فيقال: إنه في الرائية والعينية أشعر من جميل، وإن جميلاً اشعر منه في اللامية، وكلاهما قد قال بيتاً نادراً ظريفاً، قال جميل:

خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

وقال عمر:

فقالت وأرخت جانب الستر إنما معي فتكلم غير ذي رقبةٍ أهلي

كلمة الفرزدق وقد سمع شعر عمر

أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق عن المدائني قال: سمع الفرزدق عمر بن أبي ربيعة ينشد قوله:

جرى ناصحٌ بالود بيني وبينها فقربني يوم الحصاب إلى قتلي

ولما بلغ قوله:

فقمن وقد أفهمن ذا اللب أنما أتين الذي يأتين من ذاك من أجلي

صاح الفرزدق: هذا والله الذي أرادته الشعراء فأخطأته، وبكت على الديار.

نسبة ما في هذه الأشعار من الغناء الغناء في قصيدتي جميل وعمر اللاميتين منها في قصيدة جميلٍ التي أنشدها عمر، واستنشده ما له في وزنها:

صوت

خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

أبيت مع الهلاك ضيفاً لأهلها وأهلي قريبٌ موسعون ذوو فضل

أفق أيها القلب اللجوج عن الجهل ودع عنك "جملاً" لا سبيل إلى جمل

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها ولكن طلابيها لما فات من عقلي

الغناء للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو في الأول والثاني من الأبيات.

وذكر الهشامي الأبيات كلها ووصف أن الثقيل الثاني الذي يغنى به فيها لمعبد. وذكر يحيى المكي: أن لابن محرز في الثالث وما بعده من الأبيات ثاني ثقيل بالخنصر والبنصر. وفي هذه الأبيات التي أولها الثالث هزج بالبنصر يمانٍ عن عمرو. وفي الرابع والخامس لابن طنبورة خفيف رملٍ عن الهشامي. وفيها لإسحاق ثقيلٌ أول عن الهشامي أيضاً. وذكر حماد عن أبيه: أن لنافعٍ الخير مولى عبد الله بن جعفر في هذه الأبيات لحناً، ولم يجنسه. وذكر حبشٌ أن الثقيل الأول لابن طنبورة. ومنها في شعر جميل أيضاً:

صوت

لقد فرح الواشون إن صرمت حبلي بثينة أو أبدت لنا جانب البخل

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها ولكن طلابيها لما فات من عقلي

الغناء لابن مسحج ثقيلٌ أول بالوسطى عن الهشامي.

ومنها في شعر عمر بن أبي ربيعة المذكور في أول الخبر:

صوت

فقالت وأرخت جانب الستر إنما معي فتحدث غير ذي رقبةٍ أهلي

فقلت لها ما بي لهم من ترقبٍ ولكن سري ليس يحمله مثلي

جرى ناصحٌ بالود بيني وبينها فقربني يوم الحصاب إلى قتلي

غنى في هذه الأبيات ابن سريج، ولحنه رملٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو. وذكر يونس: أن فيه لحناً لمالكٍ لم يجنسه، وذكر الهشامي: أن لحن مالك خفيف ثقيلٍ. وذكر حبشٌ: أن لمعبد فيه لحناً من الثقيل الأول بالبنصر، ولابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى. "وليس حبشٌ ممن يعتمد في هذا على روا يته ".

إستحسان الناس شعر عمر وتفضيله

على شعراء عصره

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال: أدركت مشيخةً من قريش لا يترون بعمر بن أبي ربيعة شاعراً من أهل دهره في النسيب، ويستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من غيره من مدح نفسه، والتحلي بمودته، والابتيار في شعره والابتيار: أن يفعل الإنسان الشيء فيذكره ويفخر به. والابتهار: أن يقول ما لم يفعل.

نقد ابن أبي عتيق أبيات عمر الرائية

أخبرني محمد بن خلف قال: أخبرني عبد الله بن عمر وغيره عن إبراهيم بن المنذر الحزامي عن عبد العزيز بن عمران قال: قال ابن أبي عتيق لعمر وقد أنشده قوله:

صوت

بينما ينعتنني أبصرنني دون قيد الميل يعدو بي الأغر

قالت الكبرى أتعرفن الفتى قالت الوسطى نعم هذا عمر

قالت الصغرى وقد تيمتها قد عرفناه وهل يخفى القمر

- الغناء في هذه الأبيات لابن سريج خفيف رملٍ بالبنصر - فقال له ابن أبي عتيق: - وقد أنشدها - أنت لم تنسب بها، وإنما نسبت بنفسك، كان ينبغي أن تقول: قلت لها فقالت لي، فوضعت خدي فوطئت عليه.

عود إلى سيرته وخلقه

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال: لم يذهب على أحدٍ من الرواة أن عمر كان عفيفاً يصف ولا يقف، ويحوم ولا يرد.

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن منصور عن ابن الأعرابي، وحدثني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق الموصلي عن رجاله، قالوا: كان ابن أبي ربيعة قد حج في سنة من السنين. فلما انصرف من الحج ألفى الوليد بن عبد الملك وقد فرش له في ظهر الكعبة وجلس، فجاءه عمر فسلم عليه وجلس إليه. فقال له:

أنشدني شيئاً من شعرك. فقال: يا أمير المؤمنين، أنا شيخ كبير وقد تركت الشعر، ولي غلامان هما عندي بمنزلة الولد، وهما يرويان كل ما قلت وهما لك. قال: ائتني بهما ففعل، فأنشداه قوله:

أمن آل نعمٍ أنت غادٍ فمبكر

فطرب الوليد واهتز لذلك، فلم يزالا ينشدانه حتى قام، فأجزل صلته ورد الغلامين إليه.

مميزات شعره

حدثني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب الملقب "كيلجة" قال حدثني أبو هفان قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن مصعب بن عبد الله الزبيري، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار عن عمه مصعب أنه قال: راق عمر بن أبي ربيعة الناس وفاق نظراءه وبرعهم بسهولة الشعر وشدة الأسر، وحسن الوصف، ودقة المعنى وصواب المصدر، والقصد للحاجة، واستنطاق الربع، وإنطاق القلب، وحسن العزاء، ومخاطبة النساء، وعفة المقال، وقلة الانتقال، وإثبات الحجة، وترجيح الشك في موضع اليقين، وطلاوة الاعتذار، وفتح الغزل، ونهج العلل، وعطف المساءة على العذال، وأحسن التفجع، وبخل المنازل، واختصر الخبر، وصدق الصفاء، إن قدح أورى، وإن اعتذر أبرا، وإن تشكى أشجى، وأقدم عن خبرة و لم يعتذر بغرة، وأسر النوم، وغم الطير، وأغد السير، وحير ماء الشباب، وسهل وقول، وقاس الهوى فأربى، وعصى وأخلى، وحالف بسمعه وطرفه، وأبرم نعت الرسل وحذر، وأعلن الحب وأسر، وبطن به وأظهر، وألح وأسف، وأنكح النوم، وجنى الحديث، وضرب ظهره لبطنه، وأذل صعبه، وقنع بالرجاء من الوفاء، وأعلى قاتله، واستبكى عاذله، ونفض النوم، وأغلق رهن مني وأهدر قتلاه، وكان بعد هذا كله فصيحاً.

فمن سهولة شعره وشدة أسره قوله

صوت

فلما تواقفنا وسلمت أشرقت ... وجوهٌ زهاها الحسن أن تتقنعا

تبالهن بالعرفان لما رأينني ... وقلن امرؤٌ باغٍ أكل وأوضعا

الغناء لابن عباد رملٌ عن الهشامي، وفيه لابن جامع لحنٌ غير مجنس عن إبراهيم.

ومن حسن وصفه قوله

لها من الريم عيناه وسنته ... ونخوة السابق المختال إذ صهلا

ومن دقة معناه وصواب مصدره قوله

صوت

عوجا نحي الطلل المحولا والربع من أسماء والمنزلا

بسابغ البوباة لم يعده تقادم العهد بأن يؤهلا

الغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. قال إسحاق بن إبراهيم: يعني أنه لم يؤهل فيعدوه تقادم العهد. وقال الزبير: قال بعض المدنيين: يحييه بأن يؤهل، أي يدعو له بذلك.

ومن قصده للحاجة قوله

صوت

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان

هي شاميةٌ إذا ما استقلت وسهيلٌ إذا استقل يماني

ويروى: "هي غورية". الغناء للغريض خفيف ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو وابن المكي.

ومن استنطاقه الربع قوله

صوت

سائلا الربع بالبلي وقولا هجت شوقاً لي الغداة طويلا

أين حي حلوك إذ أنت محفو فٌ بهم آهلٌ أراك جميلا

قال ساروا فأمعنوا واستقلوا وبرغمي لو قد وجدت سبيلا

وبكرهي لو استطعت سبيلا

سئمونا وما سئمنا جواراً وأحبوا دماثةً وسهولا

فيه رملان: أحدهما لابن سريج بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر لإسحاق مطلقٌ في مجرى البنصر، وفيه لأبي العبيس بن حمدون ثقيلٍ. وقد شرحت نسبته مع خبره في موضع آخر. قال إسحاق: أنشد جرير هذه الأبيات فقال: إن هذا الذي كنا ندور عليه فأخطأناه.

ومن أنطاقه القلب قوله

قال لي فيها عتيقٌ مقالاً فجرت مما يقول الدموع

قال لي ودع سليمى ودعها فأجاب القلب: لا أستطيع

الغناء للهذلي ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي. قال: وفيه ليحيى المكي ثقيلٌ أول نسب إلى معبد وهو من منحوله.

ومن حسن عزائه قوله

صوت

أألحق إن دار الرباب تباعدت ... أو أنبت حبلٌ أن قلبك طائر

أفق قد أفاق العاشقون وفارقوا ال ... هوى واستمرت بالرجال المرائر

زع النفس واستبق الحياء فإنما ... تباعد أو تدني الرباب المقادر

أمت حبها واجعل قديم وصالها ... وعشرتها كمثل من لا تعاشر

وهبها كشيءٍ لم يكن أو كنازحٍ ... به الدار أو من غيبته المقابر

وكالناس علقت الرباب فلا تكن ... أحاديث من يبدو ومن هو حاضر

الغناء في بعض هذه الأبيات وأوله "زع النفس" لابن سريج ثقيلٌ أول بالبنصر عن عمرو. وفيه لعمر الوادي رملٌ بالبنصر عن ابن المكي. وفيه ل "قدارٍ" لحنٌ من كتاب إبراهيم غير مجنس. وهذه الأبيات يرويها بعض أهل الحجاز لكثير، ويرويها الكوفيون للكميت بن معروف الأسدي، وذكر بعضها الزبير بن بكار عن أبي عبيدة لكثيرٍ في أخباره.

ومن حسن غزله في مخاطبة النساء - قال مصعبٌ الزبيري: وقد أجمع أهل بلدنا ممن له علمٌ بالشعر أن هذه الأبيات أغزل ما سمعوا - قوله:

صوت

تقول غداة التقينا الرباب ... ايا ذا أفلت أفول السماك

وكفت سوابق من عبرةٍ ... كما ارفض نظمٌ ضعيف السلاك

فقلت لها من يطع في الصدي ... ق أعداءه يجتنبه كذاك

أغرك أني عصيت الملا ... م فيك وأن هوانا هواك

وألا أرى لذةً في الحياة ... تقر بها العين حتى أراك

فكان من الذنب لي عندكم ... مكارمتي واتباعي رضاك

فليت الذي لام في حبكم وفي أن تزاري بقرنٍ وقاك
هموم الحياة وأسقامها وإن كان حتفٌ جهيزٌ فداك

الغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى. وذكر إبراهيم أن فيه لحناً لحكم. وقيل: إن فيه لحناً آخر لابن جامع.

ومن عفة مقاله قوله

صوت

طال ليلي واعتادني اليوم سقم وأصابت مقاتل القلب نعم
حرة الوجه والشمائل والجو هر تكليمها لمن نال غنم
وحديث بمثله تنزل العص م رخيم يشوب ذلك حلم
هكذا وصف ما بدا لي منها ليس لي بالذي تغيب علم
إن تجودي أو تبخلي فبحمدٍ لست يا نعم فيهما من يذم

الغناء لابن سريج رملٌ عن الهشامي.

ومن قلة انتقاله قوله

صوت

أيها القائل غير الصواب أمسك النصح وأقلل عتابي
واجتنبني واعلمن أن ستعصى ولخيرٌ لك طول اجتنابي
إن تقل نصحاً فعن ظهر غشٍ دائم الغمر بعيد الذهاب
ليس بي عيٌّ بما قلت إني عالمٌ أفقه رجع الجواب
إنما قرة عيني هواها فدع اللوم وكلني لما بي
لا تلمني في الرباب وأمست عدلت للنفس برد الشراب
هي والله الذي هو ربي صادقاً أحلف غير الكذاب
أكرم الأحياء طراً علينا عند قربٍ منهم واجتناب
خاطبتني ساعةً وهي تبكي ثم عزت خلتي في الخطاب
وكفى بي مدرها لخصومٍ لسواها عند حد تبابي

الغناء لكردمٍ ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق في الأول والخامس ثم الثاني والثالث. وفيه لمعبد خفيف ثقيلٌ بالبنصر عن يحيى المكي.

ومن إثباته الحجة قوله

خليلي بعض اللوم لا ترحلا به ... رفيقكما حتى تقولا على علم

خليلي من يكلف بآخر كالذي ... كلفت به يدمل فؤاداً على سقم

خليلي ما كانت تصاب مقاتلي ... ولا غرتي حتى وقعت على نعم

خليلي حتى لف حبلي بخادعٍ ... موقىً إذا يرمى صيودٍ إذا يرمي

خليلي لو يرقى خليلٌ من الهوى ... رقيت بما يدني النوار منه العصم

خليلي إن باعدت لانت وإن ألن ... تباعد فلم أنبل بحربٍ ولا سلم

ومن ترجيحه الشك في موضع اليقين قوله

صوت

نظرت إليها بالمحصب من منى ... ولي نظرٌ لولا التحرج عارم

فقلت :أشمس أم مصابيح بيعةٍ ... بدت لك خلف السجف أم أنت حالم

بعيدة مهوى القرط إما لنوفلٌ ... أبوها وإما عبد شمسٍ وهاشم

ومد عليها السجف يوم لقيتها ... على عجلٍ تباعها والخوادم

فلم أستطعها غير أن قد بدا لنا ... عشية راحت وجهها والمعاصم

معاصم لم تضرب على البهم بالضحى ... عصاها ووجهٌ لم تلحه السمائم

نضارٌ ترى فيه أساريع مائه ... صبيحٌ تغاديه الأكف النواعم

إذا ما دعت أترابها فاكتنفنها ... تمايلن أو مالت بهن المآكم

طلبن الصبا حتى إذا ما أصبنه ... نزعن وهن المسلمات الظوالم

الغناء لمعبد ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وابن المكي. وفيها لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق أيضاً. وفيها للغريض "خفيف " ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي.

ومن طلاوة اعتذاره قوله

صوت

عاود القلب بعض ما قد شجاه ... من حبيبٍ أمسى هوانا هواه
يا لقومي فكيف أصبر عمن ... لا ترى النفس طيب عيشٍ سواه
أرسلت إذ رأت بعادي ألا ... يقبلن بي محرشاً إن أتاه
دون أن يسمع المقالة منا ... وليطعني فإن عندي رضاه
لا تطع بي فدتك نفسي عدواً ... لحديثٍ على هواه افتراه
لا تطع بي من لو رآني وإيا ... ك أسيري ضرورةٍ ما عناه
ما ضراري نفسي بهجري من لي ... س مسيئاً ولا بعيداً ثراه
واجتنابي بيت الحبيب وما الخل ... د بأشهى إلي من أن أراه

الغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وقال عمرو، فيه خفيف ثقيلٍ بالوسطى للهذلي. وفيه لابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو، وابتداؤه نشيدٌ أوله: "ما ضراري نفسي". وقال الهشامي: وفيه لعلية بنت المهدي وسعيد بن جابر لحنان من الثقيل الثاني.

ومن نهجه العلل قوله

وآية ذلك أن تسمعي ... إذا جئتكم ناشداً ينشد
فرحنا سراعاً وراح الهوى ... دليلاً إليها بنا يقصد
فلما دنونا لجرس النبا ... ح والصوت، والحي لم يرقدوا
بعثنا لها باغياً ناشداً ... وفي الحي بغية من ينشد

وقد نسبت هذه الأبيات إلى من غنى فيها مع:

تشط غداً دار جيراننا

ومن فتحه الغزل قوله

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا

ومن عطفه المساءة على العذال قوله

صوت

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي ... إن بي يا عتيق ما قد كفاني

لا تلمني وأنت زينتها لي أنت مثل الشيطان للإنسان

الغناء لأبي العبيس بن حمدون ثقيلٌ أول مطلقٌ من مجموع أغانيه. وفيه رملٌ طنبري محدث، وفيه هزجٌ لأبي عيسى بن المتوكل.

ومن حسن تفجعه قوله

صوت

هجرت الحبيب اليوم من غير ما اجترم وقطعت من ذي ودك الحبل فانصرم

أطعت الوشاة الكاشحين ومن يطع مقالة واشٍ يقرع السن من ندم

أتاني رسولٌ كنت أحسب أنه شفيقٌ علينا ناصحٌ كالذي زعم

فلما تباثثنا الحديث وصرحت سرائره عن بعض ما كان قد كتم

تبين لي أن المحرش كاذبٌ فعندي لك العتبى على رغم من رغم

فملآن لمت النفس بعد الذي مضى وبعد الذي آلت وآليت من قسم

ظلمت ولم تعتب وكان رسولها إليك سريعاً بالرضا لك إذ ظلم

الغناء لابن سريج رملٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وقال يونس: فيه لابن سريج لحنان، وذكر الهشامي أن لحنه الآخر ثقيل أول، وأن لعلوية فيه رملاً آخر.

ومن تبخيله المنازل قوله

صوت

عرفت مصيف الحي والمتربعا ببطن حلياتٍ دوارس بلقعا

إلى السرح من وادي المغمس بدلت معالمها وبلاً ونكباء زعزعا

فيبخلن أو يخبرن بالعلم بعد ما نكأن فؤاداً كان قدماً مفجعا

الغناء للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى.

ومن اختصاره الخبر قوله

صوت

أمن آل نعمٍ أنت غادٍ فمبكر غداة غدٍ أم رائحٌ فمهجر
بحاجة نفسٍ لم تقل في جوابها فتبلغ عذراً والمقالة تعذر
أشارت بمدراها وقالت لتربها أهذا المغيري الذي كان يذكر
لئن كان إياه لقد حال بعدنا عن العهد والإنسان قد يتغير

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر، وله في بيتين آخرين من هذه القصيدة، وهما:

وليلة ذي دوران جشمتني السرى وقد يجشم الهول المحب المعزرا
فقلت أباديهم فإما أفوتهم وإما ينال السيف ثأراً فيثأرا

رملٌ آخر بالوسطى عن عمرو. قال الزبير حدثني إسحاق الموصلي قال: قلت لأعرابي ما معنى قول ابن أبي ربيعة:

بحاجة نفسٍ لم تقل في جوابها فتبلغ عذراً والمقالة تعذر

فقال: قام كما جلس.

ومن صدقه الصفاء قوله

كل وصلٍ أمسى لديك لأنثى غيرها وصلها إليها أداء
كل أنثى وإن دنت لوصالٍ أو نأت فهي للرباب الفداء

وقوله:

صوت

أحب لحبك من لم يكن صفياً لنفسي ولا صاحباً
وأبذل ما لي لمرضاتكم وأعتب من جاءكم عاتبا
وأرغب في ود من لم أكن إلى وده قبلكم راغبا
ولو سلك الناس في جانبٍ من الأرض واعتزلت جانبا
ليممت طيتها إنني أرى قربها العجب العاجبا

الغناء لابن القفاص رملٌ عن الهشامي ويحيى المكي، وفيه للربعي لحنٌ من كتاب إبراهيم غير مجنس.

ومما قدح فيه فأورى قوله

صوت

طال ليلي وتعناني الطرب واعتراني طول همٍّ ووصب

أرسلت أسماء في معتبةٍ عتبتها وهي أحلى من عتب
أن أتى منها رسولٌ موهناً وجد الحي نياماً فانقلب
ضرب الباب فلم يشعر به أحدٌ يفتح باباً إذ ضرب
قال :أيقاظٌ ولكن حاجةٌ عرضت تكتم منا فاحتجب
ولعمداً ردني، فاجتهدت بيمينٍ حلفةً عند الغضب
يشهد الرحمن لا يجمعنا سقف بيتٍ رجباً بعد رجب
قلت حلاً فاقبلي معذرتي ما كذا يجري محبٌّ من أحب
إن كفي لك رهن بالرضا فاقبلي يا هند، قالت قد وجب

الغناء لمالك خفيف ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لدحمان ثقيل أول بالبنصر عن عمرو. وفيه لمعبدٍ لحنٌ من كتاب يونس لم يجنسه، وذكر الهشامي أنه خفيف ثقيلٍ. وفيه لابن سريج رملٌ عن الهشامي.
قال من حكينا عنه في صدر أخبار عمر روايته التي رواها علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن رجاله والحرمي عن الزبير عن عمه: كان عمر بن أبي ربيعة يهوى امرأةً يقال لها "أسماء"، فكان الرسول يختلف بينهما زماناً وهو لا يقدر عليها. ثم وعدته أن تزوره، فتأهب لذلك وانتظرها، فأبطأت عنه حتى غلبته عينه فنام، وكانت عنده جاريةٌ له تخدمه، فلم تلبث أن جاءت ومعها جاريةٌ لها، فوقفت حجرةً وأمرت الجارية أن تضرب الباب، فضربته فلم يستيقظ. فقالت لها: تطلعي فانظري ما الخبر؟ فقالت لها: هو مضطجعٌ وإلى جنبه امرأةٌ، فحلفت لا تزوره حولاً، فقال في ذلك:

طال ليلي وتعناني الطرب

قال أبو هفان في حديثه: وبعث إليها امرأةً كانت تختلف بينه وبين معارفه، وكانت جزلةً من النساء، فصدقتها عن قصته وحلفت لها أنه لم يكن عنده إلا جاريته، فرضيت. وإياها يعني عمر بقوله:

فأتتها طبةٌ عالمةٌ تخلط الجد مراراً باللعب
تغلظ القول إذا لانت لها وتراخي عند سورات الغضب
لم تزل تصرفها عن رأيها وتأناها برفقٍ وأدب

قال إسحاق في خبره: وحدثني ابن كناسة قال أخبرني حماد الراوية قال: استنشدني الوليد بن يزيد، فأنشدته نحواً من ألف قصيدةٍ، فما استعادني إلا قصيدة عمر بن أبي ربيعة:

طال ليلي وتعناني الطرب

فلما أنشدته قوله:

فأتتها طبةٌ عالمةٌ تخلط الجد مراراً باللعب

إلى قوله:

إن كفي لك رهنٌ بالرضا فاقبلي يا هند قالت قد وجب

فقال الوليد: ويحك يا حماد! اطلب لي مثل هذه أرسلها إلى سلمى. يعني امرأته سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان، وكان طلقها ليتزوج أختها ثم تتبعتها نفسه.

قال إسحاق وحدثني جماعةٌ منهم الحرمي والزبيري وغيرهما: أن عمر أنشد ابن أبي عتيق هذه القصيدة، فقال له ابن أبي عتيقٍ: الناس يطلبون خليفةً "مذ قتل عثمان " في صفة قوادتك هذه يدبر أمورهم فما يجدونه!.

رجعٌ إلى خبر عمر الطويل قالوا: ومن شعره الذي اعتذر فيه فأبرأ قوله

فالتقينا فرحبت حين سلم ت وكفت دمعاً من العين مارا

ثم قالت عند العتاب رأينا منك عنا تجلداً وازورارا

قلت كلاه ابن عمك بل خف نا أموراً كنا بها أغمارا

فجعلنا الصدود لما خشينا قالة الناس للهوى أستارا

ليس كالعهد إذ عهدت ولكن أوقد الناس بالنميمة نارا

فلذاك الإعراض عنك وما آ ثر قلبي عليك أخرى اختيارا

ما أبالي إذا النوى قربتكم فدنوتم من حل أو من سارا

فالليالي إذا نأيت طوالٌ وأراها إذا قربت قصارا

ومن تشكيه الذي أشجى فيه قوله:

صوت

لعمرك ما جاورت غمدان طائعاً وقصر شعوبٍ أن أكون به صبا

ولكن حمى أضرعتني ثلاثةً مجرمةً ثم استمرت بنا غبا

وحتى لو أن الخلد تعرض إن مشت إلى الباب رجلي ما نقلت لها إربا

فإنك لو أبصرت يوم سويقةٍ مناخي وحبسي العيس داميةً جدبا

ومصرع إخوانٍ كأن أنينهم أنين المكاكي صادفت بلداً خصبا

إذاً لاقشعر الرأس منك صبابةً ولاستفرغت عيناك من سكبةٍ غربا

غنى في الأول والثاني من هذه الأبيات معبدٌ ولحنه خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى عن عمرو. وفيهما لمالك ثقيل أول عن الهشامي، ونسبه يونس إلى مالك و لم يجنسه.

ومن إقدامه عن خبرة و لم يعتذر بغرة قوله

صرمت وواصلت حتى عرف ... ت أين المصادر والمورد

وجربت من ذاك حتى عرف ... ت ما أتوقى وما أعمد

ومن أسره النوم قوله

نام صحبي وبات نومي أسيراً ... أرقب النجم موهناً أن يغورا

ومن غمه الطير قوله

فرحنا وقلنا للغلام اقض حاجةً ... لنا ثم أدركنا ولا تتغبر

سراعاً نغم الطير إن سنحت لنا ... وإن تلقنا الركبان لا نتخبر

تتغبر، من قولهم: غبر فلان أي لبث.

ومن إغذاذه السير قوله

قلت سيرا ولا تقيما ببصرى ... وحفيرٍ فما أحب حفيرا

وإذا ما مررتما بمعانٍ ... فأقلا به الثواء وسيرا

إنما قصرنا إذا حسر السي ... ر بعيراً أن نستجد بعيرا

ومن تحييره ماء الشباب قوله

صوت

أبرزوها مثل المهاة تهادى ... بين خمسٍ كواعبٍ أتراب

ثم قالوا تحبها قلت بهراً ... عدد القطر والحصى والتراب

وهي مكنونةٌ تحير منها ... في أديم الخدين ماء الشباب

الغناء لمحمد بن عائشة خفيف ثقيلٍ بالبنصر. وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر عن الهشامي، وقيل: بل هو هذا.

ومن تقويله وتسهيله قوله

قالت على رقبةٍ يوماً لجارتها ... ما تأمرين فإن القلب قد تبلا

وهل لي اليوم من أختٍ مواخيةٍ ... منكن أشكو إليها بعض ما فعلا

فراجعتها حصانٌ غير فاحشةٍ ... برجع قولٍ ولبٍّ لم يكن خطلا

لا تذكري حبه حتى أراجعه إني سأكفيكه إن لم أمت عجلا

فاقني حياءك في سترٍ وفي كرمٍ فلست أول أنثى علقت رجلا

وأما ما قاس فيه الهوى فقوله

وقربن أسباب الهوى لمتيم يقيس ذراعاً كلما قسن إصبعا

ومن عصيانه وإخلائه قوله

وأنص المطي يتبعن بالرك ب سراعاً نواعم الأظعان

فنصيد الغرير من بقر الوح ش ونلهو بلذة الفتيان

في زمانٍ لو كنت فيه ضجيعي غير شكٍّ عرفت لي عصياني

وتقلبت في الفراش و لا تد رين إلا الظنون أين مكاني

ومن محالفته بسمعه وطرفه قوله

سمعي وطرفي حليفاها على جسدي فكيف أصبر عن سمعي وعن بصري

لو طاوعاني على ألا أكلمها إذاً لقضيت من أوطارها وطري

ومن إبرامه نعت الرسل قوله

فبعثت كاتمة الحدي ث رفيقةً بجوابها

وحشيةً إنسيةً خراجةً من بابها

فرقت فسلهت المعا رض من سبيل نقابها

ومن تحذيره قوله

صوت

لقد أرسلت جاريتي وقلت لها خذي حذرك

وقولي في ملاطفةٍ لزينب نولي عمرك

فإن داويت ذا سقمٍ فأخزى الله من كفرك

فهزت رأسها عجباً وقالت من بذا أمرك

أهذا سحرك النسوا ن، قد خبرنني خبرك

وقلن إذا قضى وطراً وأدرك حاجةً هجرك

غنى ابن سريج في هذه الأبيات، ولحنه خفيف ثقيلٍ. ولابن المكي فيها هزجٌ بالوسطى. وفيها رملٌ ذكر ذكاء وجه الرزة عن أحمد بن أبي العلاء عن مخارق أنه لابن جامع، وذكر قمري أنه له وأن ذكاء أبطل في هذه الحكاية. قال الزبير: حدثني عمي قال حدثني أبي قال: قال شيخ من قريش: لا تروا نساءكم شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورطن في الزنا تورطاً، وأنشد:

لقد أرسلت جاريتي ... وقلت لها خذي حذرك

ومن إعلانه الحب وإسراره قوله

شكوت إليها الحب أعلن بعضه ... وأخفيت منه في الفؤاد غليلا

ومما بطن به وأظهر قوله

حبكم يا آل ليلى قاتلي ... ظهر الحب بجسمي وبطن

ليس حب فوق ما أحببتكم ... غير أن أقتل نفسي أو أجن

ومما ألح فيه وأسف قوله

ليت حظي كطرفة العين منها ... وكثيرٌ منها القليل المهنا

أو حديثٌ على خلاءٍ يسلي ... ما يجن الفؤاد منها ومنا

كبرت رب نعمةً منك يوماً ... أن أراها قبل الممات ومنا

ومن إنكاحه النوم قوله

صوت

حتى إذا ما الليل جن ظلامه ... ونظرت غفلة كاشحٍ أن يعقلا

واستنكح النوم الذين نخافهم ... وسقى الكرى بوابهم فاستثقلا

خرجت تاطر في الثياب كأنها ... أيمٌ يسيب على كثيبٍ أهيلا

الغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه ألحانٌ لغيره وقد نسبت في غير هذا الموضع مع قوله:

ودع لبابة قبل أن تترحلا

ومن جنيه الحديث قوله

وجوارٍ مساعفاتٍ على الله ... و ومسرات باطن الأضغان

صيدٍ للرجال يرشقن بالمطر ... ف حسانٍ كخذل الغزلان

قد دعاني وقد دعاهن لله و شجونٌ مهمة الأشجان
فاجتنينا من الحديث ثماراً ما جنى مثلها لعمرك جاني

ومن ضربه الحديث ظهره لبطنه قوله

في خلاء من الأنيس وأمنٍ فبثثنا غليلنا واشتفينا
وضربنا الحديث ظهراً لبطنٍ وأتينا من أمرنا ما اشتهينا
فمكثنا بذاك عشر ليالٍ في قضاءٍ لديننا واقتضينا

ومن إذلاله صعب الحديث قوله

فلما أفضنا في الهوى نستبينه وعاد لنا صعب الحديث ذلولا
شكوت إليها الحب أظهر بعضه وأخفيت منه في الفؤاد غليلا

ومن قناعته بالرجاء من الوفاء قوله

فعدي نائلاً وإن لم تنيلي إنه ينفع المحب الرجاء

قال الزبير: هذا أحسن من قول كثير:

ولست براضٍ من خليلٍ بنائلٍ قليلٍ ولا أرضى له بقليل

ومن إعلائه قاتله قوله

فبعثت جاريتي وقلت لها اذهبي فاشكي إليها ما علمت وسلمي

قولي يقول تحرجي في عاشقٍ كلفٍ بكم حتى الممات متيم
ويقول إنك قد علمت بأنكم أصبحتم يا بشر أوجه ذي دم
فكي رهينته فإن لم تفعلي فاعلي على قتل ابن عمك واسلمي
فتضاحكت عجباً وقالت حقه ألا يعلمنا بما لم نعلم
علمي به والله يغفر ذنبه فيما بدا لي، ذو هوى متقسم
طرفٌ ينازعه إلى الأدنى الهوى ويبث خلةً ذي الوصال الأقدم

ومن تنفيضه النوم قوله

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت مصابيح شبت بالعشاء وأنور
وغاب قميرٌ كنت أرجو غيوبه وروح رعيان ونوم سمر

ونفضت عني أقبلت مشية ال حباب وركني خشية القوم أزور

ومن إغلاقه رهن منيً وإهداره قتلاه قوله

فكم من قتيلٍ ما يباء به دمٌ ومن غلق رهناً إذا لفه منى

ومن مالىءٍ عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

وكان بعد هذا كله فصيحاً شاعراً مقولاً.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي، وأخبرنا به علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن رجاله: أن عمر بن أبي ربيعة نظر إلى رجل يكلم امرأة في الطواف، فعاب ذلك عليه وأنكره. فقال له: إنها ابنة عمي. قال: ذاك أشنع لأمرك. فقال: إني خطبتها إلى عمي، فأبى علي إلا بصداقٍ أربعمائة دينار، وأنا غير مطيق ذلك، وشكا إليه من حبها وكلفه بها أمراً عظيماً، وتحمل به على عمه. فسار معه إليه فكلمه. فقال له: هو مملق، وليس عندي ما أصلح به أمره. فقال له عمر: وكم الذي تريده منه؟ قال: أربعمائة دينار. فقال له: هي علي فزوجه، ففعل ذلك.

وقد كان عمر حين أسن حلف ألا يقول بيت شعر ألا أعتق رقبةً. فانصرف عمر إلى منزله يحدث نفسه، فجعلت جاريةٌ له تكلمه فلا يرد عليها جواباً. فقالت له: إن لك لأمراً، وأراك تريد أن تقول شعراً، فقال:

صوت

تقول وليدتي لما رأتني طربت وكنت قد أقصرت حينا

أراك اليوم قد أحدثت شوقاً وهاج لك الهوى داءً دفينا

وكنت زعمت أنك ذو عزاءٍ إذا ما شئت فارقت القرينا

بربك هل أتاك لها رسول فشاقك أم لقيت لها خدينا

فقلت شكا إلي أخٌ محبٌّ كبعض زماننا إذ تعلمينا

فقص علي ما يلقى بهندٍ فذكر بعض ما كنا نسينا

وذو الشوق القديم وإن تعزى مشوقٌ حين يلقى العاشقينا

وكم من خلةٍ أعرضت عنها لغير قلىً وكنت بها ضنينا

أردت بعادها فصددت عنها ولو جن الفؤاد بها جنونا

ثم دعا تسعةً من رقيقه فأعتقهم لكل بيتٍ واحدٌ. الغناء لابن سريج رملٌ بالبنصر عن عمرو والهشامي. وفيه ثقيلٌ أول يقال: إنه للغريض. وذكر عبد الله بن موسى أن فيه لدحمان خفيف رملٍ.

عمر بن أبي ربيعة وعروة بن الزبير

أخبرني الحرمي قال حدثنا أحمد بن عبيد أبو عصيدة قال: ذكر ابن الكلبي أن عمر بن أبي ربيعة كان يساير عروة بن الزبير ويحادثه، فقال له: وأين زين المواكب؟ يعني ابنه محمد بن عروة، وكان يسمى بذلك لجماله. فقال له عروة: هو أمامك، فركض يطلبه. فقال له عروة: يا أبا الخطاب، أولسنا أكفاءً كراماً لمحادثتك ومسايرتك؟ فقال: بلى بأبي أنت وأمي! ولكني مغرى بهذا الجمال أتبعه حيث كان. ثم التفت إليه وقال:

إني امرؤ مولعٌ بالحسن أتبعه لا حظ لي فيه إلا لذة النظر

ثم مضى حتى لحقه فسار معه، وجعل عروة يضحك من كلامه تعجباً منه.

عمر بن أبي ربيعة ومالك بن أسماء

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب ابن عبد الله قال: رأى عمر بن أبي ربيعة رجلاً يطوف بالبيت وقد بهر الناس بجماله وتمامه، فسأل عنه فقيل له: هذا مالك بن أسماء بن خارجة. فجاءه فسلم عليه وقال له: يابن أخي مازلت أتشوقك منذ بلغني قولك:

إن لي عند كل نفحة بستا نٍ من الورد أو من الياسمينا

نظرةً والتفاتةً أتمنى أن تكوني حللت فيما يلينا

ويروى:

...أترجى أن تكوني حللت ...

عمر وأبو الأسود الدؤلي وقد عرض لامرأته في الطواف

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا العباس بن هشام عن أبيه قال أخبرني مولىً لزيادٍ قال: حج أبو الأسود الدؤلي ومعه امرأته وكانت جميلةً. فبينا هي تطوف بالبيت إذ عرض لها عمر بن أبي ربيعة، فأتت أبا الأسود فأخبرته، فأتاه أبو الأسود فعاتبه. فقال له عمر: ما فعلت شيئاً. فلما عادت إلى المسجد عاد فكلمها، فأخبرت أبا الأسود، فأتاه في المسجد وهو مع قومٍ جالسٌ فقال له:

وإني ليثنيني عن الجهل والخنا وعن شتم أقوامٍ خلائق أربع

حياءٌ وإسلامٌ وبقيا وأنني كريمٌ ومثلي قد يضر وينفع

فشتان ما بيني وبينك إنني على كل حالٍ أستقيم وتظلع

فقال له عمر: لست أعود يا عم لكلامها بعد هذا اليوم. ثم عاود فكلمها، فأتت أبا الأسود فأخبرته، فجاء إليه فقال له:

أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفتى وسيدنا لولا خلائق أربع

نكولٌ عن الجلى وقربٌ من الخنا وبخلٌ عن الجدوى وأنك تبع

ثم خرجت وخرج معها أبو الأسود مشتملاً على سيف. فلما رآهما عمر أعرض عنها، فتمثل أبو الأسود:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي صولة المستأسد الحامي

رأي الفرزدق في شعر ابن أبي ربيعة

أخبرني ابن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم الفراسي قال حدثنا العمري قال أخبرنا الهيثم بن عدي قال: قدم الفرزدق المدينة وبها رجلان يقال لأحدهما صريمٌ، وللآخر ابن أسماء، وصفا له فقصدهما، وكان عندهما قيانٌ، فسلم عليهما وقال لهما: من أنتما؟ فقال أحدهما: أنا فرعون، وقال الآخر: أنا هامان. قال: فأين منزلكما في النار حتى أقصدكما؟ فقالا: نحن جيران الفرزدق الشاعر! فضحك ونزل، فسلم عليهما وسلما عليه وتعاشروا مدة. ثم سألهما أن يجمعا بينه وبين عمر بن أبي ربيعة ففعلا، واجتمعا وتحادثا وتناشدا إلى أن أنشد عمر قصيدته التي يقول فيها:

فلما التقينا واطمأنت بنا النوى وغيب عنا من نخاف ونشفق

حتى انتهى إلى قوله:

فقمن لكي يخلينا فترقرقت مدامع عينيها وظلت تدفق

وقالت أما ترحمنني! لا تدعنني لدى غزلٍ جم الصبابة يخرق

فقلن اسكتي عنا فسلت مطاعةً بك أرفق فاعلمي وخلك منا

فصاح الفرزدق: أنت والله يا أبا الخطاب أغزل الناس! لا يحسن والله الشعراء أن يقولوا مثل هذا النسيب ولا أن يرقوا مثل هذه الرقية! وودعه وانصرف.

عمرو وعبد الرحمن بن الحارث

ابن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه: أنه حج مع أبيه الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، فأتى عمر بن أبي ربيعة وقد أسن وشاخ، فسلم عليه وساءله ثم قال له: أي شيء أحدثت بعدي يا أبا الخطاب؟ فأنشده:

يقولون :إني لست أصدقك الهوى ... وإني لا أرعاك حين أغيب

فما بال طرفي عف عما تساقطت ... له أعينٌ من معشرٍ وقلوب

عشية لا يستنكف القوم أن يروا ... سفاه امرىءٍ ممن يقال لبيب

ولا قتنةً من ناسكٍ أومضت له ... بعين الصبا كسلى القيام لعوب

تروح يرجو أن تحط ذنوبه ... فآب وقد زيدت عليه ذنوب

وما النسك أسلاني ولكن للهوى ... على العين مني والفؤاد رقيب

عمرو والنسوة اللاتي واعدهن بالعقيق

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن القحذمي قال: واعد عمر بن أبي ربيعة نسوةٌ من قريش إلى العقيق ليتحدثن معه، فخرج إليهن ومعه الغريض، فتحدثوا ملياً ومطروا، فقال عمر والغريض وجاريتان للنسوة فأظلوا عليهن بمطرفة وبردين له حتى استترن من المطر إلى أن سكن، ثم انصرفن. فقال له الغريض: قل في هذا شعراً حتى أغني فيه، فقال عمر:

صوت

ألم تسأل المنزل المقفرا ... بياناً فيكتم أو يخبرا

ذكرت به بعض ما قد شجاك ... وحق لذي الشجو أن يذكرا

مقام المحبين قد ظاهرا ... كساءً وبردين أن يمطرا

وممشى الثلاث به موهناً ... خرجن إلى زائرٍ زورا

إلى مجلسٍ من وراء القبا ... ب سهل الربا طيبٍ أعفرا

غفلن عن الليل حتى بدت ... تباشير من واضحٍ أسفرا

فقمن يعفين آثارنا ... بأكسية الخز أن تقفرا

مهاتان شيعتا جؤذراً ... أسيلاً مقلده أحورا

وقمن وقلن لو أن النها ر مد له الليل فاستأخرا

قضينا به بعض أشجاننا وكان الحديث به أجدرا

ذكر ابن المكي أن الغناء في الخمسة الأبيات الأولى لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر، وذكر الهشامي أن هذا اللحن للغريض، وأن لحن ابن سريج رملٌ بالوسطى. وقال حبشٌ: فيها لمعبد خفيف ثقيلٍ بالوسطى.

عمر وابن أبي عتيق

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو العباس المديني قال أخبرنا ابن عائشة قال: حضر ابن أبي عتيق عمر بن أبي ربيعة وهو ينشد قوله:

ومن كان محزوناً بإهراق عبرةٍ وهي غربها فليأتنا نبكه غدا

نعنه على الإثكال إن كان ثاكلاً وإن كان محروباً وإن كان مقصدا

قال: فلما أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالداً الخريت وقال له: قم بنا إلى عمر. فمضيا إليه، فقال له ابن أبي عتيق: قد جئناك لموعدك. قال: وأي موعدٍ بيننا؟ قال: قولك: "فليأتنا نبكه غداً. قد جئناك، والله لا نبرح أو تبكي إن كنت صادقاً في قولك، أو ننصرف على أنك غير صادق. ثم مضى وتركه. قال ابن عائشة: خالدٌ الخريت هو خالد بن عبد الله القسري.

عود إلى خلق عمر

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش الهمداني قال: لقيت عمر بن أبي ربيعة فقلت له: يا أبا الخطاب، أكل ما قلته في شعرك فعلته؟ قال: نعم، وأستغفر الله.

قدوم عمر الكوفة ونزوله على ابن هلال

أخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن عبد الله بن مصعب قال: قدم عمر بن أبي ربيعة الكوفة، فنزل على عبد الله بن هلالٍ الذي كان يقال له صاحب إبليس، وكان له قينتان حاذقتان، وكان عمر يأتيهما فيسمع منهما، فقال في ذلك:

يأهل بابل ما نفست عليكم من عيشكم إلا ثلاث خلال

ماء الفرات وطيب ليلٍ باردٍ وغناء مسمعتين لابن هلال

وصف الشعراء للبرق وما قاله عمر

في ذلك

أخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن رجاله: أن عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد وأبا ربيعة المصطلقي ورجلاً من بني مخزوم وابن أخت الحارث بن خالد، خرجوا يشيعون بعض خلفاء بني أمية. فلما انصرفوا نزلوا "بسرفٍ" فلاح لهم برقٌ؛ فقال الحارث: كلنا شاعر، فهلموا نصف البرق. فقال أبو ربيعة:

أرقت لبرقٍ آخر الليل لامعِ جرى سناه ذو الربا فينابع

فقال الحارث:

أرقت له ليل التمام ودونه مهامه موماةٍ وأرضٌ بلاقع

فقال المخزومي:

يضيء عضاه الشوك حتى كأنه مصابيح أو فجرٌ من الصبح ساطع

فقال عمر:

أيا رب لا آلو المودة جاهداً لأسماء فاصنع بي الذي أنت صانع

ثم قال: مالي وللبرق والشوك!

بقية خبر عمر ونسوة العقيق

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال: كان عمر بن أبي ربيعة وخالدٌ القسري معه - وهو خالد الخريت - ذات يوم يمشيان، فإذا هما بهند وأسماء اللتين كان يشبب بهما عمر بن أبي ربيعة تتماشيان، فقصداهما وجلسا معهما ملياً، فأخذتهم السماء ومطروا. ثم ذكر مثل خبرٍ تقدم، ورويته آنفاً عن هاشم بن محمد الخزاعي، وذكر الأبيات الماضية، و لم يذكر فيها خبر الغريض. وحكى أنه قال في ذلك:

صوت

أفي رسم دارٍ دمعك المترقرق سفاهاً! وما استنطاق ما ليس ينطق !

بحيث التقى "جمعٌ" ومفضى "محسرٍ" مغاني قد كادت على العهد تخلق

ذكرت به ما قد مضى من زماننا وذكرك رسم الدار مما يشوق

مقاماً لنا عند العشاء ومجلساً به لم يكدره علينا معوق

وممشى فتاةٍ بالكساء تكننا به تحت عينٍ برقها يتألق

يبل أعالي الثوب قطرٌ وتحته شعاعٌ بدا يعشي العيون ويشرق

فأحسن شيءٍ بدء أول ليلنا وآخره حزنٌ إذا نتفرق

ذكر يحيى بن المكي أن الغناء في ستة أبيات متواليةٍ من هذا الشعر لمعبدٍ خفيف ثقيلٍ بالسبابة والوسطى، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى.

عمر وليلى بنت الحارث البكرية

وما قاله فيها من الشعر

"أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني مصعب قال: لقي عمر بن أبي ربيعة ليلى بنت الحارث بن عمرو البكرية وهي تسير على بغلة لها، وقد كان نسب بها، فقال: جعلني الله فداك! عرجي ها هنا أسمعك بعض ما قلته فيك. قالت: أو قد فعلت؟ قال نعم! فوقفت وقالت: هات. فأنشدها.

صوت

ألا يا ليل إن شفاء نفسي نوالك إن بخلت فنولينا

وقد حضر الرحيل وحان منا فراقك فانظري ما تأمرينا

فقالت: آمرك بتقوى الله وإيثار طاعته وترك ما أنت عليه. ثم صاحت ببغلتها ومضت.

وفي هذين البيتين لابن سريج خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن يحيى المكي، وذكر الهشامي أنه من منحوله إلى ابن سريج. وفيهما رملٌ طنبوريٌ لأحمد بن صدقة.

أخبرني بذلك جحظة عنه. وأخبرني بهذا الخبر عبد الله بن محمد الرازي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن ابن الأعرابي: أن ليلى هذه كانت جالسةً في المسجد الحرام، فرأت عمر بن أبي ربيعة، فوجهت إليه مولىً لها فجاءها به. فقالت له: يابن أبي ربيعة، حتى متى لا تزال سادراً في حرم الله تشبب بالنساء وتشيد بذكرهن! أما تخاف الله! قال: دعيني من ذاك واسمعي ما قلت. قالت: وما قلت؟ فأنشدها الأبيات المذكورة.

فقالت له القول الذي تقدم أنها أجابته به. قال: وقال لها: اسمعي أيضاً ما قلت فيك، ثم أنشدها قوله:

أمن الرسم وأطلال الدمن عاد لي وجدي وعاودت الحزن

إن حبي آل ليلى قاتلي ظهر الحب بجسمي وبطن

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ فأتمر أمر رشيدٍ مؤتمن

التمس للقلب وصلاً عندها إن خير الوصل ما ليس يمن

علق القلب، وقد كان صحا، من بني بكرٍ غزالاً قد شدن

أحور المقلة كالبدر، إذا قلد الدر فقلبي ممتحن

ليس حبٌ فوق ما أحببتكم غير أن أقتل نفسي أو أجن

خلقت للقلب مني فتنةً هكذا يخلق معروض الفتن

قال: وفيها يقول:

إن ليلى وقد بلغت المشيبا لم تدع للنساء عندي نصيبا

هاجرٌ بيتها لأنفي عنها قول ذي العيب إن أراد عيوبا

نسبة ما في هذين الشعرين من الغناء الغناء في الأبيات الأولى النونية لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيها لابن عائشة ثقيلٌ أول، يقال: إنه أول ثقيلٍ غناه، كان يغني الخفيف، فعيب بذلك فصنع هذا اللحن. وفيه لعبد الله بن يونس الأبلي رملٌ عن الهشامي.

والغناء في:

إن ليلى وقد بلغت المشيبا

لابن سريج رملٌ بالوسطى عن عمرو. وفيه لكردمٍ ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو أيضاً. وذكر إبراهيم أن فيه لحناً لعطردٍ، و لم يجنسه.

حديثه مع النوار وشعره فيها

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني محمد بن منصور الأزدي قال حدثني أبي عن الهيثم بن عدي قال: بينما عمر بن أبي ربيعة منصرفٌ من المزدلفة يريد منىً إذ بصر بامرأة في رحالةٍ ففتن، وسمع عجوزاً معها تناديها: يا نوار استتري لا يفضحك ابن أبي ربيعة. فاتبعها عمر وقد شغلت قلبه حتى نزلت بمنىً في مضرب قد ضرب لها، فنزل إلى جنب المضرب، و لم يزل يتلطف حتى جلس معها وحادثها، وإذا أحسن الناس وجهاً وأحلاه منطقاً، فزاد ذلك في إعجاب عمر بها. ثم أراد معاودتها فتعذر ذلك عليه، وكان آخر عهده، فقال فيها:

صوت

علق النوار فؤاده جهلا وصبا فلم تترك له عقلا

وتعرضت لي في المسير فما أمسى الفؤاد يرى لها مثلا

ما نعجة من وحش ذي بقرٍ تغذو بسقط صريمةٍ طفلا

بألذ منها إذ تقول لنا وأردت كشف قناعها: مهلا

دعنا فإنك لا مكارمةً تجزي ولست بواصلٍ حبلا

وعليك من تبل الفؤاد وإن أمسى لقلبك ذكره شغلا

فأجبتها إن المحب مكلفٌ فدعي العتاب وأحدثي بذلا

الغناء لابن محرز خفيف ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه ثاني ثقيلٍ بالبنصر ينسب إلى ابن عائشة.

حديثه مع أم الحكم وشعره فيها

أخبرني محمد بن خلف قال حدثني أبو عبد الله السدوسي عن عيسى بن إسماعيل العتكي عن هشام بن الكلبي عن أبيه قال: حجت امرأةٌ من بني أمية يقال لها أم الحكم، فقدمت قبل أوان الحج معتمرةً. فبينا هي تطوف على بغلةٍ لها إذ مرت على عمر بن أبي ربيعة في نفرٍ من بني مخزوم وهم جلوسٌ يتحدثون وقد فرعهم طولاً وجهرهم جمالاً وبهرهم شارةً وعارضةً وبياناً، فمالت إليهم ونزلت عندهم، فتحدثت معهم طويلاً ثم انصرفت. ولم يزل عمر يتردد إليها إلى أن انقضت أيام الحج، فرحلت إلى الشأم، وفيها يقول عمر:

تأوب ليلى بنصبٍ وهم وعاودت ذكرى لأم الحكم

فبت أراقب ليل التما م، من نام من عاشقٍ لم أنم

فإما تريننني على ما عزا ضعيف القيام شديد السقم

كثير القلب فوق الفرا ش ما إن تقل قيامي قدم

بالمديحة طيب نشرها هضيم الحشا عذبة المبتسم

في أول الأبيات الثلاثة غناء. وقبلها وهو أول الصوت:

صوت

وفيتان صدقٍ صباح الوجو ه لا يجدون لشيءٍ ألم

من آل المغيرة لا يشهدو ن عند المجازر لحسم الوضم

الغناء في هذه الأبيات لمالك خفيف ثقيل الثاني بالبنصر وهو الذي يقال له الماخوري، عن عمرو. وفيه ثاني ثقيلٍ ينسب إلى ابن سريج والعريض ودحمان. وفيه لابن المكي خفيف رملٍ.

حديثه مع سكينة وشعره فيها

أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق عن أبي عبد الله الزبيري قال: اجتمع نسوةٌ من أهل المدينة من أهل الشرف، فتذاكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن حديثه، فتشوقن إليه وتمنينه، فقالت سكينة بنت الحسين: أنا لكن به. فأرسلت إليه رسولاً وواعدته الصورين، وسمت له الليلة والوقت، وواعدت صواحباتها، فوافاهن عمر على راحلته، فحدثهن حتى أضاء الفجر وحان انصرافهن. فقال لهن: والله إني لمحتاج إلى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده، ولكن لا أخلط بزيارتكن شيئاً. ثم انصرف إلى مكة وقال:

صوت

قالت سكينة والدموع ذوارفٌ ... منها على الخدين والجلباب

ليت المغيري الذي لم أجزه ... فيما أطال تصيدي وطلابي

كانت ترد لنا المنى أيامنا ... إذ لا نلام على هوى وتصابي

خبرت ما قالت فبت كأنما ... ترمي الحشا بنوافذ النشاب

أسكين ما ماء الفرات وطيبه ... مني على ظمأ وفقد شراب

بألذ منك وإن نأيت وقلما ... ترعى النساء أمانة الغياب

الغناء للهذلي رملٌ بالوسطى عن الهشامي. وفيه للغريض خفيف ثقيل بالوسطى عن حبشٍ. قال وقال فيها:

صوت

أحب لحبك من لم يكن ... صفياً لنفسي ولا صاحبا

وأبذل نفسي لمرضاتكم ... وأعتب من جاءكم عاتبا

وأرغب في ود من لم أكن ... إلى وده قبلكم راغبا

ولو سلك الناس في جانبٍ ... من الأرض واعتزلت جانبا

ليممت طيتها، إنني ... أرى قربها العجب العاجبا

فما نعجة من ظباء الأرا ... ك تقرو دميث الربا عاشبا

بأحسن منها غداة الغميم ... وقد أبدت الخد والحاجبا

غداة تقول على رقبةٍ ... لخادمها :يا احبسي الراكبا

فقالت لها: فيم هذا الكلام وأبدت لها عابساً قاطبا
فقالت كريمٌ أتى زائراً يمر بكم هكذا جانبا
شريفٌ أتى ربعنا زائراً فأكره رجعته خائبا"

غنى في الأول والثاني والرابع والخامس من هذه الأبيات ابن القفاص المكي، ولحنه رملٌ من رواية الهشامي.

بغوم ابن أبي ربيعة

وحدثني وكيع وابن المرزبان وعمي قالوا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثنا محمد بن معنٍ الغفاري قال حدثني سفيان بن عيينة قال: بينا أنا ومسعر بن كدامٍ مع إسماعيل بن أمية بفناء الكعبة إذا بعجوزٍ قد صلعت علينا عوراء متكئةً على عصاً يصفق أحد لحييها على الآخر، فوقفت على إسماعيل فسلمت عليه، فرد عليها السلام، وساءلها فأحفى المسألة، ثم انصرفت. فقال إسماعيل: لا إله إلا الله! ماذا تفعل الدنيا بأهلها! ثم أقبل علينا فقال: أتعرفان هذه؟ قلنا: لا والله، ومن هي؟ قال: هذه "بغوم" ابن أبي ربيعة التي يقول فيها:

حبذا أنت يا بغوم وأسما ء وعيصٌ يكننا وخلاء

انظرا كيف صارت، وما كان بمكة امرأةٌ أجمل منها. قال: فقال له مسعر: لا ورب هذه البنية، ما أرى أنه كان عند هذه خيرٌ قط. وفي هذه الأبيات يقول عمر:

صوت

صرمت حبلك البغوم وصدت عنك في غير ريبةٍ أسماء
والغواني إذا رأينك كهلاً كان فيهن عن هواك التواء
حبذا أنت يا بغوم وأسما ء وعيصٌ يكننا وخلاء
ولقد قلت ليلة الجزل لما أخضلت ريطتي علي السماء
ليت شعري وهل يردن ليتٌ هل لهذا عند الرباب جزاء
كل وصلٍ أمسى لدي لأنثى غيرها وصلها إليها أداء
كل خلقٍ وإن دنا لوصالٍ أو نأى فهو للرباب الفداء
فعدي نائلاً وإن لم تنيلي إنما ينفع المحب الرجاء

لمعبدٍ في: "ولقد قلت ليلة الجزل..." والذي بعده خفيف ثقيلٍ مطلقٍ في مجرى الوسطى عن يونس وإسحاق ودنانير، "وهو من مشهور غنائه ".

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثتني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب عن ذهيبة مولاة محمد بن مصعب بن الزبير قالت: كنت عند أمة الواحد أو أمة المجيد بنت عمر بن أبي ربيعة في الجنبذ الذي في بيت سكينة بنت خالد بن مصعب أنا وأبوها عمر وجاريتان له تغنيان، يقال لأحداهما البغوم، والأخرى أسماء.

وكانت أمة المجيد بنت عمر تحت محمد بن مصعب بن الزبير.

قالت: فقال عمر بن أبي ربيعة وهو معهم في الجنبذ هذه الأبيات. فلما انتهى إلى قوله:

ولقد قلت ليلة الجزل لما أخضلت ريطتي علي السماء

خرجت البغوم ثم رجعت إليه فقالت: ما رأيت أكذب منك يا عمر! تزعم أنك بالجزل وأنت في جنبذ محمد بن مصعب، وتزعم أن السماء أخضلت ريطتك وليس في السماء قزعة! قال: هكذا يستقيم هذا الشأن.

وأخبرني علي بن صالح عم أبي هفان عن إسحاق عن المسيبي ومحمد بن سلام أن عمر أنشد ابن أبي عتيق قوله:

حبذا أنت يا بغوم وأسما ء وعيصٌ يكننا وخلاء

فقال له: ما أبقيت شيئاً يتمنى يا أبا الخطاب إلا مرجلاً يسخن لكم فيه الماء للغسل.

عمر و بنت مروان بن الحكم

أخبرني ابن المرزبان قال حدثني إسماعيل بن جعفر عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: حجت أم محمد بنت مروان بن الحكم، فلما قضت نسكها أتت عمر بن أبي ربيعة وقد أخفت نفسها في نسوة، فحدثها ملياً. فلما انصرفت أتبعها عمر رسولاً عرف موضعها وسأل عنها حتى أثبتها، فعادت إليه بعد ذلك فأخبرها بمعرفته إياها.

فقالت: نشدتك الله أن تشهرني بشعرك! وبعثت إليه بألف دينار، فقبلها وابتاع بها حللاً وطيباً فأهداه إليها، فردته. فقال لها: والله لئن لم تقبليه لأمهبنه، فيكون مشهوراً، فقبلته ورحلت. فقال فيها:

صوت

أيها الراكب المجد ابتكارا قد قضى من تهامة الأوطارا
من يكن قلبه صحيحاً سليماً ففؤادي بالخيف أمسى معارا
ليت ذا الدهر كان حتماً علينا كل يومين حجةً واعتمارا

الغناء لابن محرز ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه أيضاً له

خفيف ثقيل بالوسطى عن ابن المكي. وفيه لذكاء وجه الرزة المعتمدي ثقيلٌ أول من جيد الغناء وفاخر الصنعة ليس لأحد من طبقته وأهل صنعته مثله. وأنشد ابن أبي عتيق قول عمر هذا، فقال: الله أرحم بعباده أن يجعل عليهم ما سألته ليتم لك فسقك.

عمر وحميدة جارية ابن تفاحة

أخبرني ابن المرزبان قال أخبرني أحمد بن يحيى القرشي عن أبي الحسن الأزدي عن جماعةٍ من الرواة: أن عمر كان يهوى حميدة جارية ابن تفاحة، وفيها يقول:

صوت

حمل القلب من حميدة ثقلا ... إن في ذاك للفؤاد لشغلا
إن فعلت الذي سألت فقولي ... حمد خيراً وأتبعي القول فعلا
وصليني فأشهد الله أني ... لست أصفي سواك ما عشت وصلا

الغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن يحيى المكي والهشامي. وفيها يقول:

صوت

يا قلب هل لك عن حميدة زاجر ... أم أنت مدكر الحياء فصابر
فالقلب من ذكرى حميدة موجعٌ ... والدمع منحدرٌ وعظمي فاتر
قد كنت أحسب أنني قبل الذي ... فعلت على ما عند حمدة قادر
حتى بدا لي من حميدة خلتي ... بينٌ وكنت من الفراق أحاذر

"الغناء لمعبدٍ خفيف ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ".

عمر و بعض جواري بني أمية

في موسم الحج

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو مسلمٍ المستملي عن ابن أخي زرقان عن أبيه قال: أدركت مولىً لعمر بن أبي ربيعة شيخاً كبيراً، فقلت له: حدثني عن عمر بحديثٍ غريب، فقال: نعم! كنت معه ذات يوم، فاجتاز به نسوةٌ من جواري بني أمية قد حججن، فتعرض لهن وحادثهن وناشدهن مدة أيام حجهن، ثم قالت له إحداهن: يا أبا الخطاب، إنا خارجاتٌ في غدٍ فابعث مولاك

هذا إلى منزلنا ندفع إليه تذكرةً تكون عندك تذكرنا بها. فسر بذلك ووجه بي إليهن في السحر، فوجدتهن يركبن، فقلن لعجوزٍ معهن: يا فلانة، ادفعي إلى مولى أبي الخطاب التذكرة التي أتحفناه بها. فأخرجت إلي صندوقاً لطيفاً مقفلاً مختوماً، فقلن: ادفعه إليه وارتحلن.

فجئته به وأنا أظن أنه قد أودع طيباً أو جوهراً. ففتحه عمر فإذا هو مملوءٌ من المضارب "وهي الكيرنجات "، وإذا على كل واحد منها اسم رجل من مجان مكة، وفيها اثنان كبيران عظيمان، على أحدهما الحارث بن خالد وهو يومئذٍ أمير مكة. وعلى الآخر عمر بن أبي ربيعة. فضحك وقال: تماجن علي ونفذ لهن. ثم أصلح مأدبةً. ودعا كل واحد ممن له اسمٌ في تلك المضارب. فلما أكلوا واطمأنوا للجلوس قال: هات يا غلام تلك الوديعة، فجئته بالصندوق، ففتحه ودفع إلى الحارث الكيرنج الذي عليه اسمه. فلما أخذه وكشف عنه غطاءه فزع وقال: ما هذا أخزاك الله! فقال له: رويداً، اصبر حتى ترى. ثم أخرج واحداً واحداً فدفعه إلى من عليه اسمه حتى فرقها فيهم ثم أخرج الذي باسمه وقال: هذا لي. فقالوا له: ويحك! ما هذا؟ فحدثهم بالخبر فعجبوا منه، وما زالوا يتمازحون بذلك دهراً طويلاً ويضحكون منه.

قصته مع بنات أبصرنه من وراء المضرب

قال وحدثني هذا المولى قال: كنت مع عمر وقد أسن وضعف، فخرج يوماً يمشي متوكئاً على يدي حتى مر بعجوزٍ جالسةٍ، فقال لي: هذه فلانة وكانت إلفاً لي، وعدل إليها فسلم عليها وجلس عندها وجعل يحادثها، ثم قال: هذه التي أقول فيها:

صوت

أبصرتها ليلةً ونسوتها ... يمشين بين المقام والحجر

بيضاً حساناً نواعماً قطفاً ... يمشين هوناً كمشية البقر

قالت لتربٍ لها تلاطفها ... لنفسدن الطواف في عمر

قومي تصدي له ليعرفنا ... ثم اغمزيه يا أخت في خفر

قالت لها قد غمزته فأبى ... ثم اسبطرت تشتد في أثري

بل يا خليلي عادني ذكري ... بل اعترتني الهموم بالسهر

- الغناء لابن سريج في السادس والأول والثاني خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيها لسنانٍ الكاتب رملٌ بالوسطى عنه وعن يونس. وفيها للأبجر خفيف رملٍ بالوسطى عنه. وفي:

قالت لتربٍ لها تلاطفها

لعبد الله بن العباس خفيف رملٍ بالبنصر عن الهشامي، وفيه للدلال خفيف ثقيلٍ عنه أيضاً. ولأبي سعيد مولى فائدٍ في الأول والثاني ثقيلٌ أول عن الهشامي أيضاً، ومن الناس من ينسب لحنه إلى سنان الكاتب وينسب لحن سنان إليه - قال: وجلس معها يحادثها، فأطلعت رأسها إلى البيت وقالت: يا بناتي، هذا أبو الخطاب عمر بن أبي ربيعة عندي، فإن كنتن تشتهين أن ترينه فتعالين. فجئن إلى مضربٍ قد حجزن به دون بابها فجعلن يثقبنه ويضعن أعينهن عليه يبصرن. فاستسقاها عمر، فقالت له: أي الشراب أحب إليك؟ قال: الماء. فأتي بإناء فيه ماء، فشرب منه، ثم ملأ فمه فمجه عليهن في وجوههن من وراء الحاجز، فصاح الجواري وهاربن وجعلن يضحكن. فقالت له العجوز: ويلك! لا تدع مجونك وسفهك مع هذه السن! فقال: لا تلوميني، فما ملكت نفسي لما سمعت من حركاتهن أن فعلت ما رأيت.

حديثه مع المرأة التي رآها في الطواف

وارتحل معها إلى العراق

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن منصور بن أبي العلاء الهمداني قال حدثني علي بن طريف الأسدي قال: سمعت أبي يقول: بينما عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت إذ رأى امرأةً من أهل العراق فأعجبه جمالها، فمشى معها حتى عرف موضعها، ثم أتاها فحادثها وناشدها وناشدته وخطبها. فقالت: إن هذا لا يصلح ها هنا، ولكن إن جئتني إلى بلدي وخطبتني إلى أهلي تزوجتك. فلما ارتحلوا جاء إلى صديق له من بني سهمٍ وقال له: إن لي إليك حاجةً أريد أن تساعدني عليها، فقال له نعم. فأخذ بيده و لم يذكر له ما هي، ثم أتى منزله فركب نجيباً له وأركبه نجيباً "آخر "، وأخذ معه ما يصلحه، وسارا لا يشك السهمي في أنه يريد سفر يوم أو يومين، فما زال يحفد حتى لحق بالرفقة، ثم سار بسيرهم يحادثه المرأة طول طريقه ويسايرها وينزل عندها إذا نزلت حتى ورد العراق. فأقام أياماً، ثم راسلها يتنجزها وعدها، فأعلمته أنها كانت متزوجةً ابن عم لها وولدت منه أولادها ثم مات وأوصى بهم وبماله إليها ما لم تتزوج، وأنها تخاف فرقة أولادها وزوال النعمة، وبعثت إليه بخمسة آلاف درهم واعتذرت، فردها عليها ورحل إلى مكة، وقال في ذلك قصيدته التي أولها:

صوت

نام صحبي ولم أنم ... من خيال بنا ألم

طاف بالركب موهناً ... بين خاخٍ إلى إضم

ثم نبهت صاحباً ... طيب الخيم والشيم

أريحيا مساعداً ... غير نكسٍ ولا برم

قلت يا عمرو شفني لاعج الحب والألم

ايت هنداً فقل لها ليلة الخيف ذي السلم

الغناء لمالك خفيف رملٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس. وفيه لعبد الله بن العباس الربيعي خفيف رملٍ من رواية عمرو بن بانة، وذكر حبشٌ أن لحن عبد الله بن العباس رملٌ آخر عن الهشامي.

عود إلى شهادة جرير في شعر عمر

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا الحسين بن إسماعيل عن ابن عائشة عن أبيه قال: كان جريرٌ إذا أنشد شعر عمر بن أبي ربيعة قال: شعرٌ تهاميٌّ إذا أنجد وجد البرد، حتى أنشد قوله:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشي فيخصر

... الأبيات. فقال: مازال هذا يهذي حتى قال الشعر.

حنين عمر إلى ذكر الغزل

بعد أن كبرت سنه

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن عثمان بن إبراهيم الخاطبي، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن محمد بن أبان قال أخبرني العتبي عن أبي زيد الزبيري عن عثمان بن إبراهيم الخاطبي قال: أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسك بسنين وهو في مجلس قومه من بني مخزوم، فانتظرت حتى تفرق القوم، ثم دنوت منه ومعي صاحبٌ لي ظريفٌ وكان قد قال لي: تعال حتى نهيجه على ذكر الغزل، فننظر هل بقي في نفسه منه شيءٌ. فقال له صاحبي: يا أبا الخطاب، أكرمك الله! لقد أحسن العذري وأجاد فيما قال. فنظر عمر إليه ثم قال له: وماذا قال؟ قال: حيث يقول:

لو جد بالسيف رأسي في مودتها لمر يهوي سريعاً نحوها راسي

قال: فارتاح عمر إلى قوله وقال: هاه! لقد أجاد وأحسن! فقلت: ولله در جنادة العذري! فقال عمر حيث يقول ماذا ويحك؟ فقلت: حيث يقول:

سرت لعينك سلمى بعد مغفاها فبت مستنبهاً من بعد مسراها

وقلت أهلاً وسهلاً من هداك لنا إن كنت تمثالها أو كنت إياها

من حبها أتمنى أن يلاقيني من نحو بلدتها ناعٍ فينعاها

كيما أقول فراق لا لقاء له وتضمر النفس يأساً ثم تسلاها

ولو تموت لراعتني وقلت ألا يا بؤس للموت ليت الموت أبقاها

قال: فصحك عمر ثم قال: وأبيك لقد أحسن وأجاد وما أبقى! ولقد هيجتما علي ساكناً، وذكرتماني ما كان عني غائباً، ولأحدثنكما حديثاً حلواً:

قصته مع هند بنت الحارث المرية

بينا أنا منذ أعوام جالسٌ، إذ أتاني خالدٌ الخريت، فقال لي: يا أبا الخطاب، مرت بي أربع نسوةٍ قبيل العشاء يردن موضع كذا وكذا لم أر مثلهن في بدوٍ ولا حضر، فيهن هند بنت الحارث المرية، فهل لك أن تأتيهن متنكراً فتسمع من حديثهن وتتمتع بالنظر إليهن ولا يعلمن من أنت؟ فقلت له: ويحك! وكيف لي أن أخفي نفسي؟ قال: تلبس لبسة أعرابي ثم تجلس على قعودٍ "ثم ائتهن فسلم عليهن "، فلا يشعرن إلا بك قد هجمت عليهن. ففعلت ما قال، وجلست على قعودٍ، ثم أتيتهن فسلمت عليهن ثم وقفت بقربهن. فسألني أن أنشدهن وأحدثهن، فأنشدتهن لكثير وجميل والأحوص ونصيبٍ وغيرهم. فقلن لي: ويحك يا أعرابي! ما أملحك وأظرفك! لو نزلت فتحدثت معنا يومنا هذا! فإذا أمسيت انصرفت في حفظ الله. قال: فأنخت بعيري ثم تحدثت معهن وأنشدتهن، فسررن بي وجذلن بقربي وأعجبهن حديثي. قال: ثم أهن تغامزن وجعل بعضهن يقول لبعضٍ: كأنا نعرف هذا الأعرابي! ما أشبهه بعمر بن أبي ربيعة! فقالت إحداهن: فهو والله عمر! فمدت هندٌ يدها فانتزعت عمامتي فألقتها عن رأسي ثم قالت لي: هيه يا عمر! أتراك خدعتنا منذ اليوم! بل نحن والله خدعناك واحتلنا عليك بخالدٍ، فأرسلناه إليك لتأتينا في أسوأ هيئةٍ ونحن كما ترى. قال عمر: ثم أخذنا في الحديث، فقالت هند: ويحك يا عمر! اسمع مني، لو رأيتني منذ أيام وأصبحت عند أهلي، فأدخلت رأسي في جيبي، فنظرت إلى حري فإذا هو ملء الكف ومنية المتمني، فناديت يا عمراه يا عمراه! قال عمر: فصحت يا لبيكاه يا لبيكاه! ثلاثاً ومددت في الثالثة صوتي، فضحكت. وحادثتهن ساعةً، ثم ودعتهن وانصرفت.

فذلك قولي:

صوت

عرفت مصيف الحي والمتربعا ببطن حلياتٍ دوارس بلقعا

إلى السفح من وادي المغمس بدلت معالمه وبلاً ونكباء زعزعا

لهندٍ وأترابٍ لهندٍ إذ الهوى جميعٌ وإذ لم نخش أن يتصدعا

وإذ نحن مثل الماء كان مزاجه كما صفق الساقي الرحيق المشعشعا

وإذا لا نطيع الكاشحين ولا نرى لواشٍ لدينا يطلب الصرم موضعا

الغناء للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي ومن نسخة عمرو الثانية. وفيه لابن جامع وابن عبادٍ لحنان من كتاب إبراهيم. وفيها يقول - وفيه غناء -:

صوت

فلما تواقفنا وسلمت أشرقت ... وجوهٌ زهاها الحسن أن تتقنعا

تبالهن بالعرفان لما رأيتني ... وقلن امرؤ باغٍ أكل وأوضعا

وقربن أسباب الهوى لمتيمٍ ... يقيس ذراعاً كلما قسن إصبعا

الغناء لابن عبادٍ رملٌ عن الهشامي. وفيه لابن جامع لحنٌ من كتاب إبراهيم غير مجنس. "هذه الأبيات مقرونةٌ بالأولى، والصنعة في جميعها مختلفةٌ، يغني المغنون بعض هذه وبعض تلك ويخلطونها، والصنعة لمن قدمت ذكره". وهي قصيدة طويلة، ذكرت منها ما فيه صنعةٌ.

ومما قاله في هند هذه وغني فيه قوله:

صوت

ألم تسأل الأطلال والمنزل الخلق ... ببرقة ذي ضالٍ فيخبر إن نطق؟

ذكرت به هنداً فظلت كأنني ... أخو نشوةٍ لاقى الحوانيت فاغتبق

الغناء لعطردٍ ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لمعبدٍ ثقيلٌ أول بالوسطى عن الهشامي. وذكر حبشٌ أن فيه للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى. ومنها:

صوت

أسبح القلب مهيضا ... راجع الحب الغريضا

وأجد الشوق وهناً ... أن رأى برقاً وميضا

ثم بات الركب نوا ... ماً ولم أطعم غموضا

ذاك من هندٍ قديماً ... تركها القلب مهيضا

وتبدت ثم أبدت ... واضح اللون نحيضا

وعذاب الطعم غراً ... كأقاحي الرمل بيضا

الغناء لابن محرزٍ خفيف ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر. وفيه لحكمٍ هزجٌ بالوسطى عن عمرو، وقيل: إنه يمانٍ. ومن الناس من ينسب لحن ابن محرزٍ إلى ابن مسجحٍ. ومنها:

صوت

أربت إلى هندٍ وتربين مرةً ... لها إذ تواقفنا بفرع المقطع

"لتعريج يومٍ أو لتعريس ليلةٍ ... علينا بجمع الشمل قبل التصدع

فقلن لها لولا ارتقاب صحابةٍ ... لنا خلفنا عجنا ولم نتورع"

وقالت فتاةٌ كنت أحسب أنها ... مغفلةٌ في مئزرٍ لم تدرع

لهن وما شاورنها ليس ما أرى ... بحسن جزاءٍ للحبيب المودع

فقلن لها لا شب قرنك فافتحي ... لنا باب ما يخفى من الأمر نسمع

وهي أبياتٌ. الغناء للغريض ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق، وذكر ابن المكي أنه لابن سريج. ومنها:

صوت

لما ألمت بأصحابي وقد هجعوا ... حسبت وسط رحال القوم عطارا

فقلت من ذا المحيي وانتبهت له ... ومن محدثنا هذا الذي زارا؟

ألا انزلوا نعمت دارٌ بقربكم ... أهلاً وسهلاً بكم من زائرٍ زارا

فبدل الربع ممن كان يسكنه ... عفر الظباء به يمشين أسطارا

الغناء لابن سريج رملٌ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه ليونس خفيف ثقيلٍ. وفيه لأبي فارة هزجٌ بالبنصر. وأول هذه القصيدة التي فيها ذكر هند قوله:

يا صاحبي قفا نستخبر الدارا ... أقوت وهاجت لنا بالنعف تذكارا

وقد أرى مرةً سرباً بها حسناً ... مثل الجآذر لم يمسسن أبكارا

فيهن هند وهندٌ لا شبيه لها ... فيمن أقام من الأحياء أو سارا

تقول ليت أبا الخطاب وافقنا ... كي نلهو اليوم أو ننشد أشعارا

فلم يرعهن إلا العيس طالعةً ... بالقوم يحملن ركباناً وأكوارا

وفارسٌ يحمل البازي فقلن لها ... ها هم أولاء وما أكثرن إكثارا

لما وقفنا وعننا ركائبنا بدلن بالعرف بعد الرجع إنكارا

ومنها:

صوت

ألم تربع على الطلل ومغنى الحي كالخلل

لهندٍ إن هنداً حب ها قد كان من شغلي

"فلما أن عرفت الدا ر عجت لرسمها جملي

وقلت لصحبتي عوجوا فعاجوا هزة الإبل"

وقالوا قف ولا تعجل وإن كنا على عجل

قليلٌ في هواك اليو م ما نلقى من العمل

الغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه "له" أيضاً رملٌ عن الهشامي وحبشٍ.

ومنها:

صوت

هاج ذا القلب منزل بالبليين محول

غيرت آيه الصبا وجنوبٌ وشمال

إن هنداً قد أرسلت وأخو الشوق مرسل

أرسلت تستحثني وتفدي وتعذل

أينا بات ليله بين غصنين يوبل

تحت عينٍ، يكننا برد عصبٍ مهلهل

في هذه الأبيات خفيف ثقيلٍ مطلقٍ في مجرى البنصر، ذكر إسحاق أنه لمالك، وذكر عمرو أنه لابن محرز. وذكر يونس أن فيها لحناً لابن محرز ولحناً لمالك. وقال عمرو في نسخته الثانية: إنه لابن زرزر الطائفي خفيف ثقيلٍ بالوسطى، وروت مثل ذالك دنانير عن فليح. وفيها لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيها لعبد الله بن موسى الهادي ثاني ثقيلٍ من مجموعة ورواية الهشامي وفيه لحكمٍ هزجٌ بالخنصر والبنصر عن ابن المكي. وفيه للحجي رملٌ عن الهشامي وفيه ثقيلٌ أول نسبه ابن المكي إلى ابن محرز، وذكر الهشامي أنه منحول. وفيه خفيف رمل ذكر الهشامي أنه لحن ابن محرز. ومنها:

صوت

يا صاح هل تدري وقد جمدت عيني بما ألقى من الوجد

لما رأيت ديارها درست وتبدلت أعلامها بعدي

وذكرت مجلسها ومجلسنا ذات العشاء بمهبط النجد

ورسالةً منها تعاتبني فرددت معتبةً على هند

الغناء ليحيى المكي رمل بالوسطى. وفيه لغيره ألحان أخر. ومنها:

صوت

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما تجد

واستبدت مرةً واحدةً إنما العاجز من لا يستبد

ولقد قالت لجاراتٍ لها ذات يومٍ وتعرت تبترد

- ويروى:

زعموها سألت جاراتها

أكما ينعتني تبصرنني عمركن الله أم لا يقتصد

فتضاحكن وقد قلن لها حسنٌ في كل عينٍ من تود

حسداً حملنه من أجلها وقديماً كان في الناس الحسد

الغناء لابن سريج رملٌ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لحنٌ لمالكٍ من كتاب يونس غير مجنس. وفيه لابن سريج خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو، وذكره إسحاق في خفيف الثقيل بالخنصر في مجرى البنصر و لم ينسبه إلى أحد. وفيه ثاني ثقيلٍ يقال إنه لحنٌ لمالكٍ، ويقال إنه لمتيم. ومنها:

صوت

هاج القريض الذكر لما غدوا فانشمروا

على بغالٍ شحجٍ قد ضمهن السفر

فيهن هندٌ ليتني ما عمرت أعمر

حتى إذا ما جاءها حتفٌ أتاني القدر

لابن سريج فيه لحنان: رملٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق، وخفيف رملٍ عن الهشامي. ومنها:

صوت

يا من لقلبٍ دنفٍ مغرم ... هام إلى هندٍ ولم يظلم

هام إلى ريمٍ هضيم الحشى ... عذب الثنايا طيب المبسم

لم أحسب الشمس بليلٍ بدت ... قبلي لذي لحمٍ ولا ذي دم

قالت ألا إنك ذو ملةٍ ... يصرفك الأدنى عن الأقدم

قلت لها بل أنت معتلةٌ ... في الوصل يا هند لكي تصرمي

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لبديح لحنٌ قديمٌ. وقيل: إن فيه رملاً آخر لعمارة مولاة عبد الله بن جعفر. ومنها:

صوت

تصابى وما بعض التصابي بطائل ... وعاود من هندٍ جوىً غير زائل

عشية قالت صدعت غربة النوى ... فما من تلاقٍ قد أرى دون قابل

وما أنس مِ الأشياء لا أنس مجلساً ... لنا مرةً منها بقرن المنازل

بنخلة بين النخلتين يكننا ... من العين عند العين برد المراجل

الغناء للغريض ثقيلٌ أول بالبنصر عن عمرو. وفيه للعماني خفيف ثقيلٍ عن دنانير والهشامي. ومنها:

صوت

لج قلبي في التصابي ... وازدهى عني شبابي

ودعاني لهوى هن ... دٍ فؤادٌ غير نابي

قلت لما فاضت العي ... نان دمعاً ذا انسكاب

إن جفتني اليوم هندٌ ... بعد ودٍّ واقتراب

فسبيل الناس طراً ... لفناءٍ وذهاب

الغناء لأهل مكة رملٌ بالوسطى.

قصته مع فاطمة بنت عبد الملك

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو علي الأسدي - وهو بشر ابن موسى بن صالح - قال حدثني أبي موسى بن صالح عن أبي بكر القرشي قال:

كان عمر بن أبي ربيعة جالساً بمنىً في فناء مضربه وغلمانه حوله، إذ أقبلت امرأةٌ برزةٌ عليها أثر النعمة فسلمت، فرد عليها عمر السلام، فقالت له: أنت عمر بن أبي ربيعة؟ فقال لها: أنا هو، فما حاجتك؟ قالت له: حياك الله وقربك! هل لك في محادثة أحسن الناس وجهاً، وأتمهم خلقاً، وأكملهم أدباً، وأشرفهم حسباً؟ قال: ما أحب إلي ذلك! قالت: على شرطٍ. قال: قولي. قالت: تمكنني من عينيك حتى أشدهما وأقودك، حتى إذا توسطت الموضع الذي أريد حللت الشد، ثم أفعل ذلك بك عند إخراجك حتى أنتهي بك إلى مضربك. قال: شأنك، ففعلت ذلك به. قال عمر: فلما انتهت بي إلى المضرب الذي أرادت كشفت عن وجهي، فإذا أنا بامرأة على كرسي لم أر مثلها قط جمالاً وكمالاً، فسلمت وجلست. فقالت: أأنت عمر بن أبي ربيعة؟ قلت: أنا عمر. قالت: أنت الفاضح للحرائر؟ قلت: وما ذاك جعلني الله فداءك؟ قالت: ألست القائل:

صوت

قالت وعيش أخي ونعمة والدي ... لأنبهن الحي إن لم تخرج

فخرجت خوف يمينها فتبسمت ... فعلمت أن يمينها لم تحرج

فتناولت رأسي لتعرف مسه ... بمخضب الأطراف غير مشنج

فلثمت فاها آخذاً بقرونها ... شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

- الغناء لمعبد ثقيلٌ أول بالبنصر عن يونس وعمرو -.

ثم قالت: قم فاخرج عني، ثم قامت من مجلسها. وجاءت المرأة فشدت عيني، ثم أخرجتني حتى انتهت بي إلى مضربي، وانصرفت وتركتني. فحللت عيني وقد دخلني من الكآبة والحزن ما الله به أعلم. وبت ليلتي، فلما أصبحت إذا أنا بها، فقالت: هل لك في العود؟ فقلت: شأنك، ففعلت بي مثل فعلها بالأمس، حتى انتهت بي إلى الموضع. فلما دخلت إذا بتلك الفتاة على كرسي. فقالت: إيه يا فضاح الحرائر! قلت: بماذا جعلني الله فداءك؟ قالت: بقولك:

صوت

وناهدة الثديين قلت لها اتكي ... على الرمل من جبانةٍ لم توسد

فقالت على اسم الله أمرك طاعةٌ ... وإن كنت قد كلفت ما لم أعود

فلما دنا الإصباح قالت فضحتني ... فقم غير مطرودٍ وإن شئت فازدد

- الغناء لأهل مكة ثقيلٌ أول عن الهشامي - ثم قالت قم فاخرج عني، فقمت فخرجت ثم رددت. فقالت لي: لولا وشك الرحيل، وخوف الفوت، ومحبتي لمناجاتك والاستكثار من محادثتك، لأقصيتك، هات الآن كلمني وحدثني وأنشدني.

فكلمت آدب الناس وأعلمهم بكل شيء. ثم نهضت وأبطأت العجوز وخلا لي البيت، فأخذت أنظر، فإذا أنا بتور فيه خلوقٌ، فأدخلت يدي فيه ثم خبأتها في ردني. وجاءت تلك العجوز فشدت عيني ونهضت بي تقودني، حتى إذا صرت على باب المضرب أخرجت يدي فضربت بها على المضرب، ثم صرت إلى مضربي، فدعوت غلماني فقلت: أيكم يقفني على باب مضربٍ عليه خلوقٌ كأنه أثر كفٍّ فهو حرٌ وله خمسمائة درهم.

فلم ألبث أن جاء بعضهم فقال: قم. فنهضت معه، فإذا أنا بالكف طرية، وإذا المضرب مضرب فاطمة بنت عبد الملك بن مروان. فأخذت في أهبة الرحيل، فلما نفرت نفرت معها، فبصرت في طريقها بقبابٍ ومضربٍ وهيئة جميلة، فسألت عن ذلك، فقيل لها: هذا عمر بن أبي ربيعة، فساءها أمره وقالت للعجوز التي كانت ترسلها إليه: قولي له نشدتك الله والرحم أن تصحبني، ويحك! ما شأنك وما الذي تريد؟ انصرف ولا تفضحني وتشيط بدمك. فسارت العجوز فأدت إليه ما قالت لها فاطمة. فقال: لست بمنصرفٍ أو توجه إلي بقميصها الذي يلي جلدها، فأخبرتها ففعلت وجهت إليه بقميصٍ من ثيابها، فزاده ذلك شغفاً. و لم يزل يتبعهم لا يخالطهم، حتى إذا صاروا على أميالٍ من دمشق انصرف وقال في ذلك:

ضاق الغداة بحاجتي صدري ... ويئست بعد تقارب الأمر

وذكرت فاطمة التي علقتها ... عرضاً فيا لحوادث الدهر

وفي هذه القصيدة مما يغنى فيه قوله:

صوت

ممكورةٌ ردع العبير بها ... جم العظام لطيفةٌ الخصر

وكأن فاها عند رقدتها ... تجري عليه سلافة الخمر

الغناء لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقيلٍ من جامعه. وفيه لمتيم رملٌ من جامعها أيضاً. وتمام الأبيات وليست فيه صنعةٌ:

"فسبت فؤادي إذ عرضت لها ... يوم الرحيل بساحة القصر

بمزينٍ ودع العبير به ... حسن الترائب وضح النحر"

وبجيد آدم شادنٍ خرقٍ ... يرعى الرياض ببلدةٍ قفر

لما رأيت مطيها حزقاً خفق الفؤاد وكنت ذا صبر
وتبادرت عيناي بعدهم وانهل دمعهما على الصدر
ولقد عصيت ذوي القرابة فيكم طراً وأهل الود والصهر
حتى لقد قالوا وما كذبوا أجننت أم بك داخل السحر

خوفه من التصريح باسمها أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني إسحاق عن محمد بن أبان قال حدثني الوليد بن هشام القحذمي عن أبي معاذٍ القرشي قال: لما قدمت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان مكة جعل عمر بن أبي ربيعة يدورحولها ويقول فيها الشعر ولا يذكر باسمها فرقاً من عبد الملك بن مروان ومن الحجاج، لأنه كان كتب إليه يتوعده إن ذكرها أو عرض باسمها. فلما قضت حجها وارتحلت أنشأ يقول:

صوت

كدت يوم الرحيل أقضي حياتي ليتني مت قبل يوم الرحيل
لا أطيق الكلام من شدة الخو ف ودمعي يسيل كل مسيل
ذرفت عينها وفاضت دموعي وكلانا يلقى بلبٍّ أصيل
لو خلت خلتي أصبت نوالاً أو حديثاً يشفي من التنويل
ولظل الخلخال فوق الحشايا مثل أثناء حيةٍ مقتول
فلقد قالت الحبيبة لو لا كثرة الناس جدت بالتقبيل

غنى فيه ابن محرز ولحنه ثقيلٌ أول من أصواتٍ قليلة الأشباه عن إسحاق وفيه لعبادل خفيف ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو، ويقال إنه للهذلي. وفيه لعبيد الله بن أبي غسان ثاني ثقيلٍ عن الهشامي.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرني أبو علي الحسن بن الصباح عن محمد بن حبيب أنه أخبره: أن عمر بن أبي ربيعة قال في فاطمة بنت عبد الملك بن مروان:

صوت

يا خليلي شفني الذكر وحمول الحي إذ صدروا
ضربوا حمر القباب لها وأديرت حولها الحجر
سلكا شعب النقاب بها زمراً تحتثها زمر
وطرقت الحي مكتتماً ومعي عضبٌ به أثر

وأخٌ لم أخش نبوته بنواحي أمرهم خبر

فإذا ريمٌ على فرشٍ في حجال الخز مختدر

حوله الأحراس ترقبه نومٌ من طول ما سهروا

شبه القتلى وما قتلوا ذاك إلا أنهم سمروا

فدعت بالويل، ثم دعت حرةً من شأنها الخفر

ثم قالت للتي معها ويح نفسي قد أتى عمر

ماله قد جاء يطرقنا ويرى الأعداء قد حضروا

لشقائي كان علقنا ولحيني ساقه القدر

قلت عرضي دون عرضكم ولمن ناواكم الحجر

هذا البيت الأخير مما فيه غناء مع:

وطرقت الحي مكتتما

للغريض وفي:

يا خليلي شفني الذكر

وفي:

قلت عرضي دون عرضكم

وفي:

ثم قالت للتي معها

وفي:

ماله قد جاء يطرقنا

"ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو " وفي:

ضربوا حمر القباب لها

وما بعده أربعةٍ متواليةٍ رملٍ بالوسطى للهذلي وفي: "وطرقت" وبعده: "فإذا ريم" وبعده: "حوله الأحراس" والبيتين اللذين بعده لابن سريج خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيها بعينها ثقيلٌ أول يقال إنه للأبجر، وينسب إلى غيره عن الهشامي.

عمر وعائشة بنت طلحة

وما قاله فيها من الشعر

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن رجل من قريش قال: بينا عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت، إذ رأى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، وكانت من أجمل أهل دهرها، وهي تريد الركن تستلمه، فبهت لما رآها ورأته، وعلمت أنها قد وقعت في نفسه، فبعثت إليه بجارية لها وقالت: قولي له اتق الله ولا تقل هجراً، فإن هذا مقامٌ لابد فيه مما رأيت. فقال للجارية: أقرئيها السلام وقولي لها: ابن عمك لا يقول إلا خيراً. وقال فيها:

صوت

لعائشة ابنة التيمي عندي ... حمىً في القلب ما يرعى حماها
يذكرني ابنة التيمي ظبيٌ ... يرود بروضةٍ سهلٍ رباها
فقلت له وكاد يراع قلبي ... فلم أر قط كاليوم اشتباها
سوى حمشٍ بساقك مستبينٍ ... وأن شواك لم يشبه شواها
وأنك عاطلٌ عارٍ وليست ... بعاريةٍ ولا عطلٍ يداها
وأنك غير أفرغ وهي تدلي ... على المتنين أسحم قد كساها
ولو قعدت ولم تكلف بودٍّ ... سوى ما قد كلفت به كفاها
أظل إذا أكلمها كأني ... أكلم حيةً غلبت رقاها
تبيت إلي بعد النوم تسري ... وقد أمسيت لا أخشى سراها

الغناء في البيتين الأولين من هذه الأبيات لأبي فارة ثقيلٌ أول. وفيهما لعبد الله بن العباس الربيعي خفيف ثقيلٍ جميعاً عن الهشامي. وذكر إسحاق أن هذا الصوت مما ينسب إلى معبد، وهو يشبه غناءه إلا أنه لم يروه عن ثبتٍ ولم يذكر طريقته. قال: وقال فيها أشعاراً كثيرة، فبلغ ذلك فتيان بني تيمٍ، أبلغهم إياه فتىً منهم وقال لهم: يا بني تيمٍ بن مرة، هالله ليقذفن بنو مخزومٍ بناتنا بالعظائم وتغفلون! فمشى ولد أبي بكر وولد طلحة بن عبيد الله إلى عمر بن أبي ربيعة فأعلموه بذلك وأخبروه بما بلغهم. فقال لهم: والله لا أذكرها في شعرٍ أبداً. ثم قال بعد ذلك فيها - وكنى عن اسمها - قصيدته التي أولها:

صوت

يا أم طلحة إن البين قد أفدا ... قل الثواء لئن كان الرحيل غدا

أمسى العراقي لا يدري إذا برزت من ذا تطوف بالأركان أو سجدا

- الغناء لمعبد ثقيلٌ أول بالبنصر عن عمرو ويونس - قال و لم يزل عمر ينسب بعائشة أيام الحج ويطوف حولها ويتعرض لها وهي تكره أن يرى وجهها، حتى وافقها وهي ترمي الجمار سافرةً، فنظر إليها فقالت: أما والله لقد كنت لهذا منك كارهةً يا فاسق! فقال:

صوت

إني وأول ما كلفت بذكرها عجبٌ وهل في الحب من متعجب
نعت النساء فقلت لست بمبصرٍ شبهاً لها أبداً ولا بمقرب
فمكثن حيناً ثم قلن توجهت للحج، موعدها لقاء الأخشب
أقبلت أنظر ما زعمن وقلن لي والقلب بين مصدقٍ ومكذب
فلقيتها تمشي تهادى موهناً ترمي الجمار عشيةً في موكب
غراء يعشي الناظرين بياضها حوراء في غلواء عيشٍ معجب
إن التي من أرضها وسمائها جلبت لحينك ليتها لم تجلب

الغناء لمعبد في الأول والثاني والرابع والسابع ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. وفيها للغريض خفيف ثقيلٍ عن الهشامي، يبدأ فيه بالثالث.

أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق قال أخبرني مصعب الزبيري: أن عمر بن أبي ربيعة لقي عائشة بنت طلحة بمكة وهي تسير على بغلة لها، فقال لها: قفي حتى أسمعك ما قلت فيك. قالت: أو قد قلت يا فاسق؟ قال: نعم! فوقفت فأنشدها:

صوت

يا ربة البغلة الشهباء هل لك في أن تنشري ميتاً لا ترهقي حرجا

ويروى: هل لكم في عاشقٍ دنفٍ

قالت بدائك مت أو عش تعالجه فما نرى لك فيما عندنا فرجا
قد كنت حملتنا غيظاً نعالجه فإن تقدنا فقد عنيتنا حججا
حتى لو استطيع مما قد فعلت بنا أكلت لحمك من غيظٍ وما نضجا

الغناء لابن سريج ثقيل أول مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن سريج ثلاثة ألحانٍ ذكرها إسحاق و لم يجنس منها إلا واحداً، وذكر الهشامي أن أحدها خفيف رملٍ بالوسطى، "وذكر عمرو أن الثالث هزجٌ بالوسطى". ولإسحاق فيها هزج من مجموع صنعته فقالت: لا ورب هذه البنية! ما عنيتنا طرفة عينٍ قط. ثم قالت لبغلتها: عدس، وسارت. وتمام هذه الأبيات:

فقلت لا والذي حج الحجيج له ... ما مح حبك من قلبي ولا نهجا

ولا أرى القلب من شيءٍ يسر به ... مذ بان منزلكم منا ولا ثلجا

ضنت بنائلها عنه فقد تركت ... في غير ذنبٍ أبا الخطاب مختلجا

قال: فلم تزل عائشة تداريه وترفق به خوفاً من أن يتعرض لها حتى قضت حجها وانصرفت إلى المدينة. فقال في ذلك:

إن من تهوى مع الفجر ظعن ... للهوى والقلب متباع الوطن

بانت الشمس وكانت كلما ... ذكرت للقلب عاودت الددن

صوت

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ ... فأتمر أمر رشيدٍ مؤتمن

نظرت عيني إليها نظرةً ... تركت قلبي لديها مرتهن

ليس حبٌّ فوق ما أحببتها ... غير أن أقتل نفسي أو أجن

فيها ثاني ثقيلٍ بالوسطى نسبه عمرو بن بانة إلى ابن سريج، ونسبه ابن المكي إلى الغريض. وفيها رمل لأهل مكة.

ومما يغني فيه من أشعاره في عائشة بنت طلحة قوله في قصيدته التي أولها:

صوت

من لقلبٍ أمسى رهيناً معنى ... مستكيناً قد شفه ما أجنا

إثر شخصٍ نفسي فدت ذاك شخصاً ... نازح الدار بالمدينة عنا

ليت حظي كطرفة العين منها ... وكثيرٌ منها القليل المهنا

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

عمر وكلثم بنت سعد المخزومية

أخبرني الحسن بن علي الخفاف ومحمد بن خلف قالا حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثني محمد بن عبد الرحمن التيمي عن هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالد المخزومي قال: كان عمر بن أبي ربيعة يهوى كلثم بنت سعدٍ المخزومية، فأرسل إليها رسولاً فضربتها وحلقتها وأحلفتها ألا تعاود، ثم أعادها ثانيةً ففعلت بها مثل ذلك، فتحاماها رسله. فابتاع أمةً سوداء لطيفةً رقيقةً وأتى بها منزله، فأحسن إليها وكساها وآنسها وعرفها خبره وقال لها: إن أوصلت لي رقعةً إلى كلثم فقرأتها فأنت حرةٌ ولك معيشتك ما بقيت. فقالت اكتب لي مكاتبةً واكتب حاجتك في آخرها، ففعل ذلك. فأخذتها ومضت بها إلى باب كلثم فاستأذنت، فخرجت إليها أمةٌ لها فسألتها عن أمرها؛ فقالت: مكاتبةٌ لبعض أهل مولاتك جئت أستعينها في مكاتبتي، وحادثتها وناشدتها حتى ملأت قلبها؛ فدخلت إلى كلثم وقالت: إن بالباب مكاتبةً لم أر قط أجمل منها ولا أكمل ولا آدب. فقالت: ائذني لها، فدخلت. فقالت: من كاتبك. قالت: عمر بن أبي ربيعة الفاسق! فاقرئي مكاتبتي. فمدت يدها لتأخذها. فقالت لها: لي عليك عهد الله أن تقرئيها؛ فإن كان منك إلي شيءٌ مما أحبه وإلا لم يلحقني منك مكروهٌ؛ فعاهدتها وفطنت. وأعطتها الكتاب، فإذا أوله:

من عاشقٍ صبٍّ يسر الهوى ... قد شفه الوجد إلى كلثم

رأتك عيني فدعاني الهوى ... إليك للحين ولم أعلم

قتلتنا، يا حبذا أنتم، ... في غير ما جرمٍ ولا مأثم

والله قد أنزل في وحيه ... مبيناً في آيه المحكم

من يقتل النفس كذا ظالماً ... ولم يقدها نفسه يظلم

وأنت ثأري فتلافى دمي ... ثم اجعليه نعمةً تنعمي

وحكمي عدلاً يكن بيننا ... أو أنت فيما بيننا فاحكمي

وجالسيني مجلساً واحداً ... من غير ما عارٍ ولا محرم

وخبريني ما الذي عندكم ... بالله في قتل امرىءٍ مسلم

قال: فلما قرأت الشعر قالت لها: إنه خداعٌ ملقٌ، وليس لما شكاه أصلٌ. قالت: يا مولاتي! فما عليك من امتحانه؟ قالت: قد أذنت له، وما زال حتى ظفر ببغيته؛ فقولي له: إذا كان المساء فليجلس في موضع كذا وكذا حتى يأتيه رسولي. فانصرفت الجارية فأخبرته؛ فتأهب لها. فلما جاءه رسولها مضى معه حتى دخل إليها وقد تهيأت أجمل هيئة، وزينت نفسها ومجلسها وجلست له من وراء ستر، فسلم وجلس. فتركته حتى سكن، ثم قالت له: أخبرني عنك يا فاسق! ألست القائل:

هلا استحيت فترحمي صبا ... صديان لم تدعي له قلبا

جشم الزيارة في مودتكم وأراد ألا ترهقي ذنبا
ورجا مصالحةً فكان لكم سلماً وكنت ترينه حربا
يا أيها المعطي مودته من لا يراك مسامياً خطبا
لا تجعلن أحداً عليك إذا أحببته وهويته ربا
وصل الحبيب إذا شغفت به واطو الزيارة دونه غبا
فلذاك أحسن من مواظبةٍ ليست تزيدك عنده قربا
لا بل يملك عند دعوته فيقول هاه وطالما لبى

فقال لها: جعلت فداك! إن القلب إذا هوي نطق اللسان بما يهوى. فمكث عندها شهراً لا يدري أهله أين هو. ثم استأذنها في الخروج. فقالت له: بعد أن فضحتني! لا والله لا تخرج إلا بعد أن تتزوجني. ففعل وتزوجها؛ فولدت منه ابنين أحدهما جوانٌ؛ وماتت عنده.

عمر ولبابة بنت عبد الله بن العباس

امرأة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان

أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلبي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الجبار بن سعيد قال حدثني إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبد الله عن أبيه عن جده.

أن عمر رأى لبابة بنت عبد الله بن العباس امرأة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان تطوف بالبيت، فرأى أحسن خلق الله، فكاد عقله يذهب، فسأل عنها فأخبر بنسبها؛ فنسب بها وقال فيها:

صوت

ودع لبابة قبل أن تترحلا واسأل فإن قلاله أن تسألا
البث بعمرك ساعةً وتأنها فلعل ما بخلت به أن يبذلا
قال ائتمر ما شئت غير مخالفٍ فيما هويت فإننا لن نعجلا
لسنا نبالي حين تقضي حاجةً ما بات أو ظل المطي معقلا
حتى إذا ما الليل جن ظلامه ورقبت غفلة كاشحٍ أن يمحلا
خرجت تأطر في الثياب كأنها أيم يسيب على كثيبٍ أهيلا

رحبت حين رأيتها فتبسمت لتحيتي لما رأتني مقبلا

وجلا القناع سحابةً مشهورةً غراء تعشي الطرف أن يتأملا

فلبثت أرقيها بما لو عاقلٌ يرقى به ما اسطاع ألا ينزلا

غنى في هذه الأبيات معبدٌ خفيف ثقيلٍ مطلقٍ في مجرى الوسطى عن إسحاق، ابتداؤه نشيدٌ. وفيها لابن سريج ثقيلٌ أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق أيضاً. وفيها لابن سريج في الأول والرابع من الأبيات رملٌ عن ابن المكي، ولأبي دلف القاسم بن عيسى في هذين البيتين خفيف ثقيلٍ بالسبابة والبنصر، وابتداؤه نشيدٌ من رواية ابن المكي. وفيه لمحمد بن الحسن بن مصعب هزجٌ.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: لما حج الغمر بن يزيد بن عبد الملك دخل إليه معبدٌ فغناه:

ودع لبابة قبل أن تترحلا

فلم يزل يردده عليه، ثم أخرجه معه لما رحل عن المدينة، فغناه في المنزل به حتى أراد الرحيل، فحمله على بغلةٍ له وذهب غلامٌ له يتبعه؛ فقال: إلى أين؟ فقال: أمضي معه حتى أجيء بالبغلة. فقال: هيهات! ارجع يا بني، ذهبت والله لبابة ببغلة مولاك. وقد روي هذا الخبر لغير الغمر بن يزيد.

عمر والثريا

بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر

وهذه الأبيات التي فيها الغناء المختار هو:

تشكى الكميت الجري لما جهدته

يقولها عمر بن أبي ربيعة في الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف، وهم الذين يقال لهم العبلات؛ سموا بذلك لجدةٍ لهم يقال لها عبلة بنت عبيد بن خالد بن خازل بن قيس بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وهي من بطنٍ من تميم يقال لهم البراجم، غير براجم بني أسد.

نسب الثريا بنت علي

ابن عبد الله بن الحارث

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال: كانت عبلة بنت عبيد بن خالد بن خازل بن قيس بن حنظلة، عند رجل من بني جشم بن معاوية، فبعثها بأنحاء سمنٍ تبيعها له بعكاظ، فباعت السمن

وراحلتين كان عليهما، وشربت بثمنها الخمر. فلما نفذ ثمنها رهنت ابن أخيه وهربت، فطلقها. وقالت في شربها الخمر:

شربت براحلتي محجنٍ ... فيا ويلتي، محجنٌ قاتلي

وبابن أخيه على لذةٍ ... ولم أحتفل عذل العاذل

قال: فتزوجها عبد شمس بن عبد مناف؛ فولدت له أمية الأصغر وعبد أمية ونوفلاً، وهم العبلات.

وقد ذكر الزبير بن بكار عن عمه: أن الثريا بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وأنها أخت محمد بن عبد الله المعروف بأبي جرابٍ العبلي الذي قتله داود بن عليٍّ؛ وهو الذي يقول فيه ابن زيادٍ المكي:

ثلاث حوائجٍ ولهن جئنا ... فقم فيهن يابن أبي جراب

فإنك ماجدٌ في بيت مجدٍ ... بقية معشرٍ تحت التراب

قال: وله يقول ابن زيادٍ المكي أيضاً:

إذا مت لم توصل بعرفٍ قرابةٌ ... ولم يبق في الدنيا رجاءٌ لسائل

قال الزبير: وهذا أشبه من أن تكون بنت عبد الله بن الحارث، وعبد الله إنما أدرك سلطان معاوية وهو شيخ كبير، وورث بقعدده في النسب دار عبد شمس بن عبد مناف، وحج معاوية في خلافته، فجعل ينظر إلى الدار، فخرج إليه عبد الله بن الحارث بمحجنٍ ليضربه به وقال: لا أشبع الله بطنك! أما تكفيك الخلافة حتى تطلب هذه الدار! فخرج معاوية يضحك.

قال مؤلف هذا الكتاب: وهذا غلطٌ من الزبير عندي، والثريا أن تكون بنت عبد الله بن الحارث أشبه من أن تكون أخت الذي قتله داود بن علي؛ لأنها ربت الغريض المغني وعلمته النوح بالمراثي على من قتله يزيد بن معاوية من أهلها يوم الحرة. وإذا كانت قد ربت الغريض حتى كبر وتعلم النوح على قتلى الحرة "وهو رجل" - وهي وقعةٌ كانت بعقب موت معاوية - فقد كانت في حياة معاوية امرأةً كبيرةً، وبين ذلك وبين من قتله داود بن علي من بني أمية نحو ثمانين سنةً، وقد شبب بها عمر بن أبي ربيعة في حياة معاوية، وأنشد عبد الله بن عباس شعره فيها، فكيف تكون أخت الذي قتله داود بن علي وقد أدركت عبد الله بن عباس وهي امرأةٌ كبيرةٌ! وقد اعترف الزبير أيضاً في خبره بأن عبد الله بن الحارث أدرك خلافة معاوية وهو شيخ كبير؛ فقول من قال: إنها بنته، أصوب من قول من قرنها بمن قتله داود بن علي. وهذا القول الذي قلته قول ابن الكلبي وأبي اليقظان، أخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني عن أبي اليقظان، قال وحدثني به جماعةٌ من أهل العلم بنسب قريش.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني مسلمة بن إبراهيم بن هشام المخزومي عن

أيوب بن مسلمة، أنه أخبره أن عمر بن أبي ربيعة كان مسهباً بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وكانت عرضة ذلك جمالاً وتماماً، وكانت تصيف بالطائف، وكان عمر يغدو عليها كل غداة إذا كانت بالطائف على فرسه، فيسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار قبلهم. فلقي يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم؛ فقال: ما استطرفنا خبراً؛ إلا أنني سمعت عند رحيلنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قريش اسمها اسم نجمٍ في السماء وقد سقط عني اسمه. فقال عمر: الثريا؟ قال نعم. وقد كان بلغ عمر قبل ذلك أنها عليلةٌ، فوجه فرسه على وجهه إلى الطائف يركضه ملء فروجه وسلك طريق كداء - وهي أخشن الطرق وأقربها - حتى انتهى إلى الثريا وقد توقعته وهي تتشوف له وتشرف، فوجدها سليمةً عميمةً ومعها أختاها رضيا وأم عثمان، فأخبرها الخبر؛ فضحكت وقالت: أنا والله أمرتهم لأختبر ما لي عندك. فقال عمر في ذلك هذا الشعر:

تشكى الكميت الجري لما جهدته ... وبين لو يسطيع أن يتكلما

فقلت له إن ألق للعين قرةً ... فهان علي أن تكل وتسأما

لذلك أدني دون خيلي رباطه ... وأوصي به ألا يهان ويكرما

عدمت إذاً وفري وفارقت مهجتي ... لئن لم أقل قرناً إن الله سلما

قال مسلمة بن إبراهيم: قلت لأيوب بن مسلمة: أكانت الثريا كما يصف عمر بن أبي ربيعة؟ فقال: وفوق الصفة، كانت والله كما قال عبد الله بن قيس:

حبذا الحج والثريا ومن بال ... خيف من أجلها وملقى الرحال

يا سليمان إن تلاق الثريا ... تلق عيش الخلود قبل الهلال

درةٌ عقائل البحر بكرٌ ... لم تشنها مثاقب اللأل

تعقد المئزر السخام من الخ ... ز على حقو بادنٍ مكسال

عمر ورملة بنت عبد الله الخزاعية

قال إسحاق في خبره عمن أسند إليه أخبار عمر بن أبي ربيعة، وذكر مثله الزبير بن بكار فيما حدثنا عنه الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني مؤمن بن عمر بن أفلح مولى فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قال حدثني بلالٌ مولى ابن أبي عتيق:

أن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة قدم للحج، فأتاه ابن أبي عتيق فسلم عليه وأنا معه. فلما قضى سلامه ومساءلته عن حجه وسفره، قال له: كيف تركت أبا الخطاب عمر بن أبي ربيعة؟ قال: تركته في بلهنيةٍ من العيش. قال: وأنى ذلك؟ قال: حجت رملة بنت عبد الله بن خلفٍ الخزاعية فقال فيها:

صوت

أصبح القلب في الحبال رهينا مقصداً يوم فارق الظاعنينا

قلت من أنتم فصدت وقالت أمبدٌ سؤالك العالمينا

نحن من ساكني العراق وكنا قبله قاطنين مكة حينا

قد صدقناك إذ سألت فمن أن ت عسى أن يجر شأنٌ شؤونا

ونرى أننا عرفناك بالنع ت بظنٍّ وما قتلنا يقينا

بسواد الثنيتين ونعتٍ قد نراه لناظرٍ مستبينا

- غنى معبدٌ في البيتين الأولين خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق. وغنى في الثاني وما بعده ابن سريج خفيف ثقيلٍ أول بالسبابة في مجرى البنصر عنه أيضاً. وذكر حبشٌ أن فيه للغريض أيضاً لحناً من الثقيل الأول بالبنصر - قال: فبلغ ذلك الثريا، بلغتها إياه أم نوفلٍ، وكانت غضبى عليه، وقد كان انتشر خبره عن الثريا حتى بلغها من جهة أم نوفلٍ وأنشدها قوله:

أصبح القلب في الحبال رهينا مقصداً يوم فارق الظاعنينا

فقالت: إنه لوقاحٌ صنعٌ بلسانه، ولئن سلمت له لأردن من شأوه، ولأثنين من عنانه، ولأعرفنه نفسه. فلما بلغت إلى قوله:

قلت من أنتم فصدت وقالت أمبدٌ سؤالك العالمينا

فقالت: إنه لسألٌ ملحٌ، "قبحاً له!" ولقد أجابته إن وفت. فلما بلغت إلى قوله:

نحن من ساكني العراق وكنا قبله قاطنين مكة حينا

قالت: غمزته الجهمة. فلما بلغت إلى قوله:

قد صدقناك إذ سألت فمن أن ت عسى أن يجر شأنٌ شؤونا

قالت: رمته الورهاء بآخر ما عندها في مقامٍ واحد. وهجرت عمر.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب: أن رملة بنت عبد الله بن خلف حجت، فتعرض لها عمر بن أبي ربيعة فقال فيها:

أصبح القلب في الحبال رهينا مقصداً يوم فارق الظاعنينا

وقال في هذه القصيدة:

فرأت حرصي الفتاة فقالت خبريه، من أجل من تكتمينا؟

نحن من ساكني العراق وكنا قبله قاطنين مكة حينا

قد صدقناك إذ سالت فمن أن ت عسى أن يجر شأن شؤونا

قال الزبير: ورملة هذه أم طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمرٍ التيمي، وهي أخت طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلفٍ الخزاعي.

قال: فبلغت هذه الأبيات كثيراً، فغضب لذلك وقال: وأنا والله لا أتمارى أن سيجر شأنٌ شؤونا. ثم ذكر نسوةً من قريش فساقهن في شعره من الحج حتى بلغ بهن إلى مللٍ، ثم أشفق فجاز، و لم يزد على ذلك، وهو قوله في قصيدته التي أولها:

ما عناك الغداة من أطلال دارسات المقام مذ أحوال

صوت

قم تأمل فأنت أبصر مني هل ترى بالغميم من أجمال

قاضياتٍ لبانةً من مناخٍ وطوافٍ وموقفٍ بالجبال

قلن عسفان ثم رحن سراعاً هابطاتٍ عشيةً من غزال

واردات الكديد مجترعاتٍ جزن وادي الحجون بالأثقال

قصدلفتٍ وهن متسقاتٌ كالعدولي لاحقات التوالي

طالعات الغميس من عبودٍ سالكات الخوي من أملال

فسقى الله منتوى أم عمرٍو حيث أمت بها صدور الرحال

حبذا هن من لبانة قلبي وجديد الشباب من سربالي

رب يومٍ أتيتهن جميعاً عند بيضاء رخصةٍ مكسال

غير أني امرؤٌ تعممت حلماً يكره الجهل والصبا أمثالي

غنى ابن سريج في الثلاثة الأبيات الأول خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ويونس. وذكر الهشامي أن فيها للحجي رملاً بالبنصر.

شعر عمر حين هجرته الثريا

قالوا: فلما هجرت الثريا عمر قال في ذلك:

من رسولي إلى الثريا فإني ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

فبلغ ابن أبي عتيق قوله، فمضى حتى أصلح بينهما. وهذه الأبيات تذكر مع ما فيها من الغناء ومع خبر إصلاح ابن أبي عتيقٍ بينهما بعد انقضاء خبر رملة التي ذكرها عمر في شعره.

قال مصعب بن عبد الله في خبره: وكانت رملة جهمة الوجه، عظيمة الأنف، حسنة الجسم، وتزوجها عمر بن عبيد الله بن معمر، وتزوج عائشة بنت طلحة بن عبيد الله وجمع بينهما، فقال يوماً لعائشة: فعلت في محاربة الخوارج مع أبي فديكٍ كذا، وصنعت كذا، يذكر لها شجاعته وإقدامه. فقالت له عائشة: أنا أعلم أنك أشجع الناس، وأعرف لك يوماً هو أعظم من هذا اليوم الذي ذكرته. قال: وما هو؟ قالت: يوم اجتليت رملة وأقدمت على وجهها وأنفها.

قال مصعب وحدثني يعقوب بن إسحاق قال: لما بلغ الثريا قول عمر بن أبي ربيعة "في رملة ":

وجلا بردها وقد حسرته نور بدرٍ يضيء للناظرينا

قالت: أفٍّ له ما أكذبه! أو ترتفع حسناء بصفته لها بعد رملة! وذكر ابن أبي حسان عن الرياشي عن العباس بن بكارٍ عن ابن دأبٍ: أن هذا الشعر قاله عمر في امرأة من بني جمح كان أبوها من أهل مكة، فولدت له جاريةٌ لم يولد مثلها بالحجاز حسناً. فقال أبوها: كأني بها وقد كبرت، فشبب بها عمر بن أبي ربيعة وفضحها ونوه باسمها كما فعل بنساء قريش، والله لا أقمت بمكة. فباع ضيعةً له بالطائف ومكة ورحل بابنته إلى البصرة، فأقام بها وابتاع هناك ضيعةً، ونشأت ابنته من أجمل نساء زمانها. ومات أبوها فلم تر أحداً من بني جمح حضر جنازته، ولا وجدت لها مسعداً ولا عليها داخلاً. فقالت لداية لها سوداء: من نحن؟ ومن أي البلاد نحن؟ فخبرتها. فقالت: لا جرم والله لا أقمت في هذا البلد الذي أنا فيه غريبةٌ! فباعت الضيعة والدار، وخرجت في أيام الحج. وكان عمر يقدم فيعتمر في ذي القعدة ويحل، ويلبس تلك الحلل والوشي، ويركب النجائب المخضوبة بالحناء عليها القطوع والديباج، ويسبل لمته، ويلقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرقٍ محرمات، ويتلقى المدنيات إلى مرٍّ، ويتلقى الشأميات إلى الكديد. فخرج يوماً للعراقيات فإذا قبةٌ مكشوفةٌ فيها جاريةٌ كأنها القمر، تعادلها جارية سوداء كالسبجة.

فقال للسوداء: من أنت؟ ومن أين أنت يا خالة؟ فقالت: لقد أطال الله تعبك، إن كنت تسأل هذا العالم من هم ومن أين هم. قال: فأخبريني عسى أن يكون لذلك شأن. قالت: نحن من أهل العراق، فأما الأصل والمنشأ فمكة، وقد رجعنا إلى الأصل ورحلنا إلى بلدنا، فضحك. فلما نظرت إلى سواد ثنيته قالت: قد عرفناك. قال: ومن أنا؟ قالت: عمر بن أبي ربيعة. قال: وبم عرفتني؟ قالت: بسواد ثنيتيك وهيئتك التي ليست إلا لقريش، فأنشأ يقول:

قلت من أنتم فصدت وقالت أمبد سؤالك العالمينا

وذكر الأبيات: فلما يزل عمر بها حتى تزوجها وولدت له.

خبر صلحهما ووساطة ابن أبي عتيق قال: فلما صرمت الثريا عمر قال فيها:

صوت

من رسولي إلى الثريا فإني ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب
سلبتني مجاجة المسك عقلي فسلوها ماذا أحل اغتصابي
وهي مكنونةٌ تحير منها في أديم الخدين ماء الشباب
أبرزوها مثل المهاة تهادى بين خمسٍ كواعبٍ أتراب
ثم قالوا تحبها قلت بهراً عدد القطر والحصى والتراب

الغناء لابن عائشة خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر عن عمرو، وذكر حبشٌ أنه لمالك.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني مؤمن بن عمر بن أفلح مولى فاطمة بنت الوليد قال أخبرني بلالٌ مولى ابن أبي عتيق قال: أنشد ابن أبي عتيق قول عمر:

من رسولي إلى الثريا فإني ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

فقال ابن أبي عتيق: إياي أراد وبي نوه! لا جرم والله لا أذوق أكلاً حتى أشخص فأصلح بينهما، ونهض ونهضت معه، فجاء إلى قوم من بني الديل بن بكر لم تكن تفارقهم نجائب لهم فرةٌ يكرونها، فاكترى منهم راحلتين وأغلى لهم. فقلت له: استوضعهم أو دعني أماكسهم، فقد اشتطوا عليك. فقال: ويحك! أما علمت أن المكاس ليس من أخلاق الكرام! ثم ركب إحداهما وركبت الأخرى، فسار سيراً شديداً، فقلت: أبق على نفسك، فإن ما تريد ليس يفوتك. فقال: ويحك!

أبادر حبل الود أن يتقضبا

وما حلاوة الدنيا إن تم الصدع بين عمر والثريا! فقدمنا ليلاً غير محرمين، فدق على عمر بابه، فخرج إليه وسلم عليه ولم يترل عن راحلته، فقال له: اركب أصلح بينك وبين الثريا، فأنا رسولك الذي سألت عنه. فركب معنا وقدمنا الطائف، وقد كان عمر أرضى أم نوفلٍ فكانت تطلب له الحيل لإصلاحها فلا يمكنها. فقال ابن أبي عتيق للثريا: هذا عمر قد جشمني السفر من المدينة إليك، فجئتك به معترفاً لك بذنبٍ لم يجنه، معتذراً إليك من إساءته إليك، فدعيني من التعداد والترداد، فإنه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون، فصالحته أحسن صلح وأتمه وأجمله، وكررنا إلى مكة، فلم يترلها ابن أبي عتيق حتى رحل. وزاد عمر في أبياته:

أزهقت أم نوفلٍ إذ دعتها مهجتي، ما لقاتلي من متاب
حين قالت لها أجيبي فقالت من دعاني؟ قالت أبو الخطاب
فاستجابت عند الدعاء كما لب ى رجالٌ يرجون حسن الثواب

قال الزبير: وما دعتها أم نوفلٍ إلا لابن أبي عتيق، ولو دعتها لعمر ما أجابت. قال: وسألت عمي عن أم نوفلٍ، فقال: هي أم ولد عبد الله بن الحارث أبي الثريا. وسألته عن قوله:

...كما لبى رجال يرجون حسن الثواب

فقال: كررت في التلبية كما يفعل المحرم، فقالت: لبيك لبيك.

وأخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا الزبير بن بكار عن عمه أن بعض المكيين قال: كانت الثريا تصب عليها جرة ماءٍ وهي قائمة فلا يصيب ظاهر فخذيها منه شيءٌ من عظم عجيزتها.

وأخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى بخبر الثريا هذا مع عمر، فذكر نحواً مما ذكره الزبير، وقال فيه: لما أناخ ابن أبي عتيق بباب الثريا أرسلت إليه: ما حاجتك؟ قال: أنا رسول عمر بن أبي ربيعة وأنشدها الشعر. فقالت: ابن أبي ربيعة فارغٌ ونحن في شغل، وقد تعبت فانزل بنا. فقال: ما أنا إذاً برسول. ثم كر راجعاً إلى ابن أبي ربيعة بمكة فأخبره الخبر فأصلح بينهما.

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني إبراهيم بن إسحاق العنزي قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي، وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية، وأخبرني به الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير عن مؤمن بن عمر بن أفلح عن عبد العزيز بن عمران، قالوا: قدم عمر بن أبي ربيعة المدينة، فنزل على ابن أبي عتيق - وهو عبد الله "بن محمد " بن عبد الرحمن بن أبي بكر - فلما استلقى قال: أوه!.

من رسولي إلى الثريا فإني ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

فقال ابن أبي عتيق: كل مملوكٍ لي حرٌ إن بلغها ذاك غيري. فخرج، حتى إذا كان بالمصلى مر بنصيبٍ وهو واقفٌ فقال: يا أبا محجنٍ. قال لبيك! قال: أتودع إلى سلمى شيئاً؟ قال: نعم. قال: وما ذاك؟ قال: تقول لها يابن الصديق: إنك مررت بي فقلت لي: أتودع إليها شيئاً، فقلت:

أتصبر عن سلمى وأنت صبور وأنت بحسن العزم منك جدير

وكدت ولم أخلق من الطير إن بدا سنى بارقٍ نحو الحجاز أطير

قال: فمر بسلمى وهي في قريةٍ يقال لها "القسرية" فأبلغها الرسالة، فزفرت زفرةً كادت أن تفرق أضلاعها. فقال ابن أبي عتيق: كل مملوكٍ حر إن لم يكن جوابك أحسن من رسالته، ولو سمعك الآن لنعق وصار غراباً. ثم مضى إلى الثريا فأبلغ الكتاب. فقالت له: أما وجد رسولاً أصغر منك! انزل فأرح. فقال: لست إذاً برسولٍ! وسألها أن ترضى عنه، ففعلت. وقال الزبير في خبره: فقال لها: أنا رسول ابن أبي ربيعة إليك، وأنشدها الأبيات، وقال لها: خشيت أن تضيع هذه الرسالة. قالت: أدى الله عنك أمانتك. قال: فما جواب ما تجشمته إليك؟ قالت: تنشده قوله في رملة:

وجلا بردها وقد حسرته ضوء بدرٍ أضاء للناظرينا

فقال: أعيذك بالله يابنة أخي أن تغلبيني بالمثل السائر. قالت: وما هو؟ قال: "حريصٌ لا يرى عمله ". قالت: فما تشاء؟ قال: تكتبين إليه بالرضا عنه كتاباً يصل على يدي، ففعلت. فأخذ الكتاب ورجع من فوره حتى قدم مكة، فأتى عمر. فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من حيث أرسلتني. قال: وأنى ذلك؟ قال: من عند الثريا، أفرخ روعك! هذا كتابها بالرضا عنك إليك.

تغني ابن عائشة بشعره

في مجلس حسن بن حسن بن علي

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية قال: اجتمع ابن عائشة ويونس ومالكٌ عند حسن بن حسن بن علي فقال الحسن لابن عائشة: غنني "من رسولي إلى الثريا..."؛ فسكت عنه فلم يجبه. فقال له جليسٌ له: أيقول لك غنني فلا تجيبه! فسكت. فقال له الحسن: مالك؟ ويحك! أبك خبالٌ! كان والله ابن أبي عتيق أجود منك بما عنده؛ فإنه لما سمع هذا الشعر قال لابن أبي ربيعة: أنا رسولك إليها، فمضى نحو الثريا حتى أدى رسالته، وأنت معنا في المجلس تبخل أن تغنيه لنا! فقال له: لم أذهب حيث ظننت، إنما كنت أتخير لك أي الصوتين أغني: أقوله:

من رسولي إلى الثريا فإني ضافني الهم واعترتني الهموم

يعلم الله أنني مستهامٌ بهواكم وأنني مرحوم

أم قوله:

من رسولي إلى الثريا فإني ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

فقال له الحسن: أسأنا بك الظن أبا جعفر غَن بهما جميعاً، فغناهما. فقال له الحسن: لولا أنك تغضب إذا قلنا لك: أحسنت، لقلت لك: أحسنت والله! قال: ولم يزل يرددهما بقية يومه.

عمر وابن أبي عتيق

وإنشاده شعره في الثريا

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني يعقوب بن إسحاق الربعي عن أبيه قال: أنشد عمر بن أبي ربيعة ابن أبي عتيق قوله:

لم تر العين للثريا شبيهاً بمسيل التلاع يوم التقينا

فلما بلغ إلى قوله:

ثم قالت لأختها قد ظلمنا إن رددناه خائباً واعتدينا

قال: أحسنت والهدايا وأجادت. ثم أنشده ابن أبي عتيق متمثلاً قول الشاعر:

أريني جواداً مات هزلاً لعلني أرى ما ترين أو بخيلاً مخلدا

فلما بلغ عمر إلى قوله في الشعر:

في خلاءٍ من الأنيس وأمنٍ

قال ابن أبي عتيق: أمكنت للشارب الغدر "من عال بعدها فلا انجبر".

فلما بلغ إلى قوله:

فمكثنا كذاك عشراً تباعاً في قضاءٍ لديننا واقتضينا

قال: أما والله ما قضيتها ذهباً ولا فضةً ولا اقتضيتها إياه، فلا عرفكما الله قبيحاً! فلما بلغ إلى قوله:

كان ذا في مسيرنا إذ حججنا علم الله فيه ما قد نوينا

قال: إن ظاهر أمرك ليدل على باطنه، فأرود التفسير، ولئن مت لأموتن معك، أف للدنيا بعدك يا أبا الخطاب! فقال له عمر: بل عليها بعدك العفاء يا أبا محمد! قال: فلقي الحارث بن خالد ابن أبي عتيق فقال: قد بلغني ما دار بينك وبين ابن أبي ربيعة، فكيف لم تتحللا مني؟ فقال له ابن أبي عتيق: يغفر الله لك يا أبا عمرو، إن ابن أبي ربيعة يبرىء القرح، ويضع الهناء مواضع النقب، وأنت جميل الخفض. فضحك الحارث بن خالد وقال: "حبك الشيء يعمي ويصم". فقال: هيهات أنا بالحسن عالم نظار! خبر السواد في ثنيتي عمر وأما خبر السواد في ثنيتي عمر فإن الزبير بن بكار ذكره عن عمه مصعب في خبره: أن امرأةً غارت عليه فاعترضته بمسواكٍ كان في يدها فضربت به ثنيتيه فاسودتا.

وذكر إسحاق الموصلي عن أبي عبد الله المسيبي وأبي الحسن المدائني: أنه أتى الثريا يوماً ومعه صديقٌ له كان يصاحبه ويتوصل بذكره في الشعر، فلما كشفت الثريا الستر وأرادت الخروج إليه، رأت صاحبه فرجعت. فقال لها: إنه ليس ممن أحتشمه ولا أخفي عنه شيئاً؛ واستلقى فضحك - وكان النساء إذ ذاك يتختمن في أصابعهن العشر - فخرجت إليه فضربته بظاهر كفها، فأصابت الخواتيم ثنيتيه العلييين فنغضتا وكادتا تسقطان، فقدم البصرة فعولجتا له، فثبتتا واسودتا. فقال الحزين الكناني يعيره بذلك - وكان عدوه وقد بلغه خبره -:

ما بال سنيك أم ما بال كسرهما أهكذا كسرا في غير ما باس

أم نفحةٌ من فتاةٍ كنت تألفها أم نالها وسط شربٍ صدمة الكاس

قال: ولقيه الحزين الكناني يوماً فأنشده هذين البيتين؛ فقال له عمر: اذهب اذهب، ويلك! فإنك لا تحسن أن تقول:

صوت

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما تجد

واستبدت مرةً واحدةً إنما العاجز من لا يستبد

لابن سريج في هذا الشعر رملٌ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق، وخفيف رملٍ "أيضاً" في هذه الإصبع وهذا المجرى عن ابن المكي. ولمالكٍ "فيه" ثقيلٌ أول عن الهشامي. ولمتيم ثاني ثقيلٍ عن ابن المعتز. وذكر أحمد بن أبي العلاء عن مخارقٍ أن خفيف الرمل ليحيى المكي صنعه وحكى فيه لحن "هذا الصوت":

اسلمي يا دار من هند

خبر الثريا مع الحارث الملقب بالقباع حدثني علي بن صالح قال حدثني أبو هفان عن إسحاق الموصلي عن رجاله المذكورين: أن الثريا واعدت عمر بن أبي ربيعة أن تزوره، فجاءت في الوقت الذي ذكرته، فصادفت أخاه الحارث قد طرقه وأقام عنده، ووجه به في حاجة له ونام مكانه وغطى وجهه بثوبه، فلم يشعر إلا بالثريا قد ألقت نفسها عليه تقبله، فانتبه وجعل يقول: اغربي عني فلست بالفاسق، أخزاكما الله! فلما علمت بالقصة انصرفت. ورجع عمر فأخبره الحارث بخبرها؛ فاغتم لما فاته منها، وقال: أما والله لا تمسك النار أبداً وقد ألقت نفسها عليك. فقال له الحارث: عليك وعليها لعنة الله.

وأخبرني بهذه القصة الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن يعقوب بن إسحاق الربعي عن الثقة عنه عن ابن جريج عن عثمان بن حفصٍ الثقفي: أن الحارث بن عبد الله زار أخاه، ثم ذكر نحواً من الذي ذكره إسحاق، وقال فيه: فبلغ عمر خبرها، فجاء إلى أخيه الحارث وقال له: جعلت فداءك! ما لك ولأمة الوهاب "ابنتك"؟ أتتك مسلمةً عليك فلعنتها وزجرتها وتهددتها، وها هي تيك باكية. فقال: وإنها لهي! قال: ومن تراها تكون؟ قال: فانكسر الحارث عنه وعن لومه.

تزوج الثريا بسهيل في غيبة عمر

وما قاله من الشعر في ذلك

أخبرني علي بن صالح قال حدثني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم عن جعفر بن سعيد عن أبي سعيد مولى فائد هكذا قال إسحاق، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني جعفر بن سعيد عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار. ورواه أيضاً حماد بن إسحاق عن أبيه عن جعفر بن سعيد فقال فيه: عن أبي عبيدة العماري، ولم يذكر أبا سعيد مولى فائد، قالوا: تزوج سهيل بن عبد العزيز بن مروان الثريا - وقال الزبير: بل تزوجها أبو الأبيض سهيل بن عبد الرحمن بن عوف - فحملت إليه وهو بمصر. والصواب قول من قال: سهيل بن عبد العزيز؛ لأنه كان هناك مترله، ولم يكن لسهيل بن عبد الرحمن هناك موضعٌ. فقال عمر:

صوت

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان

هي شاميةٌ إذا ما استقلت وسهيلٌ إذا استقل يماني

الغناء للغريض خفيف ثقيلٍ بالبنصر. وفيه لعبد الله بن العباس ثاني ثقيلٍ بالبنصر. وأول هذه القصيدة:

أيها الطارق الذي قد عناني بعد ما نام سامر الركبان

زار من نازحٍ بغير دليلٍ يتخطى إلي حتى أتاني

وذكر الرياشي عن ابن زكريا الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن التيمي عن أبيه عن هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالد المخزومي قال: كان عمر بن أبي ربيعة قد ألح على الثريا بالهوى، فشق ذلك على أهلها، ثم إن مسعدة بن عمرو أخرج عمر إلى اليمن في أمر عرض له، وتزوجت الثريا وهو غائب، فبلغه تزويجها وخروجها إلى مصر، فقال:

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان

وذكر الأبيات. وقال في خبره: ثم حمله الشوق على أن سار إلى المدينة فكتب إليها:

كتبت إليك من بلدي كتاب موله كمد

كئيبٍ واكف العيني ن بالحسرات منفرد

يؤرقه لهيب الشو ق بين السحر والكبد

فيمسك قلبه بيدٍ ويمسح عينه بيد

وكتبه في قوهيةٍ وشنفه وحسنه وبعث به إليها. فلما قرأته بكت بكاءً شديداً، ثم تمثلت:

بنفسي من لا يستقل بنفسه ومن هو إن لم يحفظ الله ضائع

وكتبت إليه تقول:

أتاني كتابٌ لم ير الناس مثله أمد بكافورٍ ومسكٍ وعنبر

وقرطاسه قوهيةٌ ورباطه بعقدٍ من الياقوت صافٍ وجوهر

وفي صدره: مني إليك تحيةٌ لقد طال تهيامي بكم وتذكري

وعنوانه من مستهامٍ فؤاده ألى هائمٍ صبٍّ من الحزن مسعر

قال مؤلف هذا الكتاب: وهذا الخبر عندي مصنوعٌ، وشعره مضعفٌ يدل على ذلك، ولكني ذكرته كما وقع

إلي.

قال أبو سعيد مولى فائدٍ ومن ذكر خبره مع الثريا: فمات عنها سهيلٌ أو طلقها، فخرجت إلى الوليد بن عبد الملك وهو خليفةٌ بدمشق في دينٍ عليها، فبينا هي عند أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، إذ دخل عليها الوليد فقال: من هذه؟ فقالت: الثريا جاءتني، تطلب إليك في قضاء دينٍ عليها وحوائج لها. فأقبل عليها الوليد فقال: أتروين من شعر عمر بن أبي ربيعة شيئاً؟ قالت: نعم، أما إنه يرحمه الله كان عفيفاً عفيف الشعر، أروي قوله:

صوت

ما على الرسم بالبليين لو ب ... ين رجع السلام أو أجابا

فإلى قصر ذي العشيرة فالصا ... ئف أمسى من الأنيس يبابا

وبما قد أرى به حي صدقٍ ... ظاهري العيش نعمةً وشبابا

إذ فؤادي يهوى الرباب وأني ال ... دهر حتى الممات أنسى الربابا

وحساناً جواريا خفراتٍ ... حافظاتٍ عند الهوى الأحسابا

لا يكثرن في الحديث ولا يت ... بعن ينعقن بالبهام الظرابا

فقضى حوائجها وانصرفت بما أرادت منه. فلما خلا الوليد بأم البنين قال لها: لله در الثريا! أتدرين ما أرادت بإنشادها ما أنشدتني من شعر عمر؟ قالت: لا.

قال: إني لما عرضت لها به عرضت لي بأن أمي أعرابيةٌ. وأم الوليد وسليمان ولادة بنت العباس بن جزي بن الحارث بن زهير بن جذيمة العبسي.

نسبةالأبيات التي أنشدتها الثريا

الغناء في الأبيات التي أنشدتها الثريا الوليد بن عبد الملك لمالك بن أبي السمح خفيف ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وفيها لابن سريج رملٌ بالخنصر في مجرى البنصر. وفيها لإبراهيم خفيف ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر حبشٌ أيضاً أن فيها لابن مسجحٍ خفيف رملٍ بالوسطى. وذكر عمرو بن بانة أن لابن محرزٍ فيها خفيف ثقيلٍ بالوسطى.

ومما يغنى فيه من أشعار عمر بن أبي ربيعة التي قالها في الثريا من القصيدة التي أولها "من رسولي":

صوت

وتبدت حتى إذا جن قلبي ... حال دوني ولائذٌ بالثياب

يا خليلي فأعلما أن قلبي مستهامٌ بربة المحراب

الغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. ومنها:

صوت

أقتليني قتلاً سريعاً مريحاً لا تكوني علي سوط عذاب

شف عنها محققٌ جندي فهي كالشمس من خلال السحاب

الغناء للغريض ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو. ومنها:

صوت

قال لي صاحبي ليعلم ما بي أتحب البتول أخت الرباب

قلت وجدي بها كوجدك بالما ء إذا منعت برد الشراب

الغناء لمالكٍ رملٌ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق. ومنها:

صوت

أذكرتني من بهجة الشمس لما برزت من دجنةٍ وسحاب

أزهقت أم نوفلٍ إذ دعتها مهجتي، ما لقاتلي من متاب

حين قالت لها أجيبي فقالت من دعاني؟ قالت أبو الخطاب

الغناء للغريض خفيف رملٍ عن الهشامي وحماد بن إسحاق.

ومنها:

صوت

مرحباً ثم مرحباً بالتي قا لت غداة الوداع عند الرحيل

للثريا قولي له أنت همي ومنى النفس خالياً وخليلي

الغناء لابن محرز ثقيلٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن سريج خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو.

ومنها:

صوت

زعموا بأن البين بعد غدٍ فالقلب مما أزمعوا يجف

تشكو ونشكو ما أشت بنا كل لوشك البين يعترف

حلفوا لقد قطعوا ببينهم وحلفت ألفاً مثل ما حلفوا

الغناء للغريض خفيف ثقيلٍ بالوسطى.

ومنها:

صوت

فلوت رأسها ضراراً وقالت لا وعيشي ولو رأيتك متا

حين آثرت بالمودة غيري وتناسيت وصلنا ومللتا

قد وجدناك إذ خبرت ملولاً طرفاً لم تكن كما كنت قلتا

الغناء لمالكٍ رملٌ ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو. وفيه لابن سريج خفيف ثقيلٍ عن الهشامي، وكذا روته دنانير عن فليحٍ، وقد نسب قومٌ لحن مالكٍ إلى الغريض. ومنها:

صوت

يا خليلي سائلاً الأطلالا ومحلاً بالروضتين أحالا

- ويروى:

بالبلبين إن أحزن سؤالا

وسفاهٌ لولا الصبابة حبسي في رسوم الديار ركباً عجالا

بعد ما أقفرت من آل الثريا وأجدت فيها النعاج ظلالا

الغناء لابن سريج هزجٌ خفيفٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لحكم الوادي ثقيلٌ أول من جامع أغانيه. وذكر ابن دينار أن فيه لابن عائشة لحناً لم يذكر طريقته. وذكر إبراهيم أن فيه لدحمان لحناً و لم يجنسه. وقال حبشٌ: فيه لإسحاق ثقيلٌ أول بالوسطى.

عمر والثريا وقد نقلها زوجها إلى الشأم أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أبو عبد الله التميمي "يعني أبا العيناء " عن القحذمي عن أبي صالح السعدي قال: لما تزوج سهيل بن عبد العزيز الثريا ونقلها إلى الشأم، بلغ عمر بن أبي ربيعة الخبر، فأتى المنزل الذي كانت الثريا تنزله، فوجدها قد رحلت منه يومئذٍ، فخرج في أثرها فلحقها على مرحلتين، وكانت قبل ذلك مهاجرته لأمرٍ أنكرته عليه. فلما أدركهم نزل عن فرسه ودفعه إلى

غلامه ومشى متنكراً حتى مر بالخيمة، فعرفته الثريا وأثبتت حركته ومشيته، فقالت لحاضنتها: كلميه، فسلمت عليه وسألته عن حاله وعاتبته على ما بلغ الثريا عنه، فاعتذر وبكى، فبكت الثريا، فقالت: ليس هذا وقت العتاب مع وشك الرحيل. فحادثها إلى وقت طلوع الفجر ثم ودعها وبكيا طويلاً، وقام فركب فرسه ووقف ينظر إليهم وهم يرحلون، ثم أتبعهم بصره حتى غابوا، وأنشأ يقول:

يا صاحبي قفا نستخبر الطللا ... عن حال من حله بالأمس ما فعلا
فقال لي الربع لما أن وقفت به ... إن الخليط أجد البين فاحتملا
وخادعتك النوى حتى رأيتهم ... في الفجر يحتث حادي عيسهم زجلا
لما وقفنا نحييهم وقد صرخت ... هواتف البين واستولت بهم أصلا
صدت بعاداً وقالت للتي معها ... بالله لوميه في بعض الذي فعلا
وحدثيه بما حدثت واستمعي ... ماذا يقول ولا تعيي به جدلا
حتى يرى أن ما قال الوشاة له ... فينا لديه إلينا كله نقلا
وعرفيه به كالهزل واحتفظي ... في بعض معتبةٍ أن تغضبي الرجلا
فإن عهدي به والله يحفظه ... وإن أتى الذنب ممن يكره العذلا
لو عندنا اغتيب أو نيلت نقيصته ... ما آب مغتابه من عندنا جذلا
قلت اسمعي فلقد أبلغت في لطفٍ ... وليس يخفى على ذي اللب من هزلا
هذا أرادت به بخلاً لأعذرها ... وقد أرى أنها لن تعدم العللا
ما سمي القلب إلا من تقلبه ... ولا الفؤاد فؤاداً غير أن عقلا
أما الحديث الذي قالت أتيت به ... فما عبأت به إذ جاءني حولا
ما إن أطعت بها بالغيب قد علمت ... مقالة الكاشح الواشي إذا محلا
إني لأرجعه فيها بسخطته ... وقد يرى أنه قد غرني زللا

وهي قصيدة طويلة مذكورة في شعره.

وفاة الثريا أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر ومحمد بن خلف بن المرزبان قالوا حدثنا عمر بن شبة قال أخبرنا محمد بن يحيى قال زعم عبيد بن يعلى قال حدثني كثير بن كثير السهمي قال: لما ماتت الثريا أتاني الغريض فقال لي: قل أبيات شعرٍ أنح بها على الثريا فقلت:

صوت

ألا يا عين مالك تدمعينا أمن رمدٍ بكيت فتكحلينا

أم أنت حزينةٌ تبكين شجواً فشجوك مثله أبكى العيونا

غنى الغريض في هذين البيتين لحناً من خفيف الثقيل الأول بالوسطى عن عمرو ويحيى المكي والهشامي وغيرهم.

وفاة عمر بن أبي ربيعة

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الجبار بن سعيد المساحقي قال حدثني إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبد الله عن أبيه عن جده عن ثعلبة بن عبد الله بن صعير: أن عمر بن أبي ربيعة نظر في الطواف إلى امرأةٍ شريفةٍ، فرأى أحسن خلق الله صورةً، فذهب عقله عليها، وكلمها فلم تجبه، فقال فيها:

الريح تسحب أذيالاً وتنشرها يا ليتني كنت ممن تسحب الريح

كيما تجر بنا ذيلاً فتطرحنا على التي دونها مغبرةٌ سوحٌ

أنى بقربكم أم كيف لي بكم هيهات ذلك ما أمست لنا روح

فليت ضعف الذي ألقى يكون بها بل ليت ضعف الذي ألقى تباريح

إحدى بنيات عمي دون منزلها أرضٌ بقيعانها القيصوم والشيح

فبلغها شعره فجزعت منه. فقيل لها: اذكريه لزوجك، فإنه سينكر عليه قوله. فقالت: كلا والله لا أشكوه إلا إلى الله. ثم قالت: اللهم إن كان نوه باسمي ظالماً فاجعله طعاماً للريح. فضرب الدهر من ضربه، ثم إنه غدا يوماً على فرس فهبت ريحٌ فنزل فاستتر بسلمةٍ، فعصفت الريح فخدشه غضنٌ منها فدمي وورم به ومات من ذلك.

أخبار ابن سريج ونسبه

نسب ابن سريج وشيء من أوصافه

هو عبيد بن سريج، ويكنى أبا يحيى، مولى بني نوفل بن عبد مناف. وذكر ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين أنه مولى لبني الحارث بن عبد المطلب.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان قال: ابن سريج مولى لبني ليثٍ، ومترله مكة.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: سألت الحسن بن عتبة اللهبي عن ابن سريج فقال: هو مولى لبني عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. وفي بني عائذٍ يقول الشاعر:

فإن تصلح فإنك عائذيٌ وصلح العائذي إلى فساد

قال إسحاق: وقال سلمة بن نوفل بن عمارة: ابن سريج مولى عبد الرحمن بن أبي حسين بن الحارث بن نوفلٍ، أو ابن عامر بن الحارث بن نوفل بن عبد مناف.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن أبي أيوب المديني قال: ذكر إبراهيم بن زياد بن عنبسة بن سعيد بن العاص: أن ابن سريج كان آدم أحمر ظاهر الدم سناطاً في عينيه قبلٌ، بلغ خمساً وثمانين سنةً، وصلع فكان يلبس جمةً مركبة، وكان أكثر ما يرى مقنعاً، وكان منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر.

وقال ابن الكلبي عن أبيه قال: كان ابن سريج مخنثاً أحول أعمش يلقب "وجه الباب"، وصلع فكان يلبس جمةً، وكان لا يغني إلا مقنعاً يسبل القناع على وجهه.

وقال ابن الكلبي عن أبي وأبي مسكينٍ: كان ابن سريج أحسن الناس غناءً، وكان يغني مرتجلاً ويوقع بقضيبٍ، وغنى في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومات في خلافة هشام بن عبد الملك.

قال إسحاق: وكان الحسن بن عتبة اللهبي يروي مثل ذلك فيه. وذكر أن قبره بنخلة قريباً من بستان ابن عامر.

قال إسحاق وحدثني الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان قال: كان عبيد بن سريج من أهل مكة وكان أحسن الناس غناءً. قال إسحاق قال عمارة بن أبي طرفة الهذلي: سمعت ابن جريج يقول: عبيد بن سريج من أهل مكة مولى آل خالد بن أسيدٍ.

قال إسحاق وحدثني إبراهيم بن زياد عن أيوب بن سلمة المخزومي قال: كان في عين ابن سريج قبلٌ حلوٌ لا يبلغ أن يكون حولاً، وغنى في خلافة عثمان رضي الله عنه، ومات بعد قتل الوليد بن يزيد، وكان له صلعٌ في جبهته، وكان يلبس مركبة فيكون فيها أحسن شيءٍ، وكان يلقب "وجه الباب" ولا يغضب من ذلك، وكان أبوه تركياً.

وقال أبو أيوب المديني: كان ابن سريج، فيما روينا عن جماعةٍ من المكيين، مولى بني جندع بن ليث بن بكر، وكان إذا غنى سدل قناعه على وجهه حتى لا يرى حوله، وكان يوقع بقضيبٍ وقيل: إنه كان يضرب بالعود، وكانت علته التي مات منها الجذام.

أنه أول من ضرب بالعود الفارسي

على الغناء العربي

قال إسحاق وحدثني أبي قال: أخبرني من رأى عود ابن سريج وكان على صنعة عيدان الفرس، وكان ابن سريج أول من ضرب به على الغناء العربي بمكة. وذلك أنه رآه مع العجم الذين قدم بهم ابن الزبير لبناء الكعبة، فأعجب أهل مكة غناؤهم. فقال ابن سريج: أنا أضرب به على غنائي، فضرب به فكان أحذق الناس.

أم ابن سريج

قال إسحاق وذكر الزبيري: أن أم ابن سريج مولاةٌ لآل المطلب يقال لها "رائقة"، وقيل: بل أمه هند أخت رائقة، فمن ثم قيل: إنه مولى بني المطلب بن حنطبٍ. وكان ابن سريج بعد وفاة عبد الله بن جعفرٍ قد انقطع إلى الحكم بن المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب أحد بني مخزوم، وكان من سادة قريش ووجوهها. وأخذ ابن سريج الغناء عن ابن مسجحٍ.

الأشخاص المعدودون أصولاً للغناء العربي

قال إسحاق: وأصل الغناء أربعة نفرٍ: مكيان ومدنيان، فالمكيان: ابن سريج وابن محرز، والمدنيان: معبد ومالكٌ.

أول شهرة ابن سريج بالغناء

قال إسحاق: وقال سلمة بن نوفل بن عمارة: أخبرني بذلك من شئت من مشيختنا: أن يوماً شهر فيه ابن سريج بالغناء في ختان ابن مولاه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين. قال لأم الغلام: خفضي عليك بعض الغرم والكلفة، فوالله لأهين نساءك حتى لا يدرين ما جئت به ولا ما عزمت عليه.

شهادة هشام بن المربة في ابن سريج قال إسحاق: وسألت هشام بن المرية، وكان قد عمر، وكان عالماً بالغناء فلا يبارى فيه، فقلت له: من أحذق الناس بالغناء؟ فقال لي: أتحب الإطالة أم الاختصار؟ فقلت: أحب الاختصار الذي يأتي على سؤالي. قال: ما خلق الله تعالى بعد داود النبي عليه الصلاة والسلام أحسن صوتاً من ابن سريج، ولا صاغ الله عز وجل أحداً أحذق منه بالغناء، ويدلك على ذلك أن معبداً كان إذا أعجبه غناؤه قال: أنا اليوم سريجي.

شهادة يونس بن محمد الكاتب فيه قال وأخبرني إبراهيم - يعني أباه - قال: أدركت يونس بن محمدٍ الكاتب فحدثني عن الأربعة: ابن سريج وابن محرز والغريض ومعبد. فقلت له: من أحسن الناس غناءً؟ فقال: أبو يحيى. قلت: عبيد بن سريج؟ قال نعم. قلت: وكيف ذاك؟. قال: إن شئت فسرت لك، وإن شئت أجملت. قلت: أجمل. قال: كأنه خلق من كل قلبٍ، فهو يغني لكل إنسانٍ ما يشتهي.

شهادة إبراهيم الموصلي فيه أخبرني أحمد بن جعفرٍ جحظة قال قال حماد بن إسحاق: أخبرني أبي عن الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك قال: سألت إبراهيم الموصلي ليلةً وقد أخذ منه النبيذ: من أحسن الناس غناءً؟ فقال لي: من الرجال أم من النساء؟ فقلت: من الرجال. فقال: ابن محرز. قلت: ومن النساء؟ قال: ابن سريج. ثم قال لي: إن كان ابن سريج إلا كأنه خلق من كل قلبٍ فهو يغني له ما يشتهي! شهادة إسحاق الموصلي فيه أخبرني جحظة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال: أرسلني محمد بن الحسين بن مصعبٍ إلى إسحاق أسأله عن لحنه ولحن ابن سريج في:

تشكى الكميت الجري لما جهدته

أيهما أحسن؟ فصرت إليه فسألته عن ذلك، فقال لي: يا أبا الحسن، والله لقد أخذت بخطام راحلته فزعزعتها وأنختها وقمت بها فما بلغته. فرجعت إلى محمد بن الحسين فأخبرته؛ فقال: والله إنه ليعلم أن لحنه أحسن من لحن ابن سريج، ولقد تحامل لابن سريج على نفسه، ولكن لا يدع تعصبه للقدماء. وقد أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى هذا الخبر عن أبيه، فذكر نحو ما ذكره جحظة في خبره و لم يقل: أرسلني محمد بن الحسين إلى إسحاق. وقال جحظة في خبره: قال علي بن يحيى: وقد صدق محمد بن الحسين؛ لأنه قلما غني في صوتٍ واحدٍ لحنان فسقط خيرهما، والذي في أيدي الناس الآن من اللحنين لحن إسحاق، وقد ترك لحن ابن سريج، فقل من يسمعه إلا من العجائز المتقدمات ومشايخ المغنين. هذا أو نحوه.

لحن إسحاق في تشكى الكميت

مأخوذ من لحن الأبجر في يقولون. أبكاك البيت

وأخبرني يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني عن إبراهيم بن علي بن هشام قال: يقولون: إن ابتداء غناء إسحاق الذي في:

تشكى الكميت الجري لما جهدته

أنما أخذه من صوت الأبجر:

يقولون ما أبكاك والمال غامرٌ

نسبة هذا الصوت

صوت

يقولون ما أبكاك والمال غامرٌ عليك وضاحي الجلد منك كنين

فقلت لهم لا تسألوني وانظروا إلى الطرب النزاع كيف يكون

غناه الأبجر ثقيلاً أول بالبنصر، عن عمرٍو ودنانير. وذكر الهشامي أن فيه لعزة المرزوقية ثاني ثقيلٍ بالوسطى.

مولده ووفاته واشتغاله بالغناء بعد النياحة

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني إبراهيم بن المهدي قال حدثني إسماعيل بن جامعٍ عن سياطٍ قال: كان ابن سريج أول من غنى الغناء المتقن بالحجاز بعد طويسٍ، وكان مولده في

خلافة عمر بن الخطاب، وأدرك يزيد بن عبد الملك وناح عليه، ومات في خلافة هشام. قال: وكان قبل أن يغني نائحاً و لم يكن مذكوراً، حتى ورد الخبر مكة بما فعله مسرف بن عقبة بالمدينة، فعلا على أبي قبيسٍ وناح بشعرٍ هو اليوم داخلٌ في أغانيه، وهو:

يا عين جودي بالدموع السفاح وابكي على قتلى قريش البطاح

فاستحسن الناس ذلك منه، وكان أول من ندب به.

قال ابن جامع: وحدثني جماعةٌ من شيوخ أهل مكة أنهم حدثوا: أن سكينة بنت الحسين بعثت إلى ابن سريج بشعرٍ أمرته أن يصوغ فيه لحناً يناح به، فصاغ فيه، وهو الآن داخلٌ في غنائه. والشعر:

يا أرض ويحك أكرمي أمواتي فلقد ظفرت بسادتي وحماتي

فقدمه ذلك عند أهل الحرمين على جميع ناحة مكة والمدينة والطائف.

قال وحدثني ابن جامع وابن أبي الكنات جميعاً: أن سكينة بعثت إليه بمملوكٍ لها يقال له عبد الملك، وأمرته أن يعلمه النياحة، فلم يزل يعلمه مدة طويلة، ثم توفي عمها أبو القاسم محمد بن الحنفية، وكان ابن سريج عليلاً علةً صعبةً فلم يقدر على النياحة. فقال لها عبدها عبد الملك: أنا أنوح لك نوحاً أنسيك به نوح ابن سريج. قالت: أو تحسن ذاك؟ قال نعم. فأمرته فناح؛ فكان نوحه في الغاية من الجودة، وقال النساء: هذا نوحٌ غريضٌ؛ فلقب عبد الملك الغريض. وأفاق ابن سريج من علته بعد أيام وعرف خبر وفاة ابن الحنفية، فقال لهم: فمن ناح عليه؟ قالوا: عبد الملك غلام سكينة. قال: فهل جوز الناس نوحه؟ قالوا: نعم وقدمه بعضهم عليك. فحلف ابن سريج ألا ينوح بعد ذلك اليوم، وترك النوح وعدل إلى الغناء، فلم ينح حتى ماتت حبابة، وكانت قد أخذت عنه وأحسنت إليه فناح عليها، ثم ناح بعدها على يزيد بن عبد الملك، ثم لم ينح بعده حتى هلك.

قال: ولما عدل ابن سريج عن النوح إلى الغناء عدل معه الغريض إليه، فكان لا يغني صوتاً إلا عارضه فيه.

ابن سريج وعطاء بن أبي رباح

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال: حدث إسحاق بن إبراهيم الموصلي أبا إسحاق إبراهيم بن المهدي وأنا حاضرٌ أن يحيى المكي حدثه أن عطاء بن أبي رباح لقي ابن سريج بذي طوى، وعليه ثيابٌ مصبغة وفي يده جرادةٌ مشدودة الرجل بخيطٍ يطيرها ويجذبها به كلما تخلفت؛ فقال له عطاء: يا فتان، ألا تكف عما أنت عليه! كفى الله الناس مئونتك. فقال ابن سريج: وما على الناس من تلويني ثيابي ولعبي بجرادتي؟ فقال له: تفتنهم أغانيك الخبيثة. فقال له ابن سريج: سألتك بحق من تبعته من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبحق رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك، إلا ما سمعت مني بيتاً من الشعر، فإن سمعت منكراً أمرتني بالإمساك عما أنا عليه. وأنا أقسم بالله وبحق هذه البنية لئن أمرتني بعد استماعك مني بالإمساك عما أنا عليه لأفعلن ذلك. فأطمع ذلك عطاءً في ابن سريج، وقال: قل. فاندفع يغني بشعر جرير:

صوت

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلاً بعينك لا يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

- لحن ابن سريج هذا ثقيلٌ أول بالوسطى عن ابن المكي والهشامي، وله أيضاً فيه رملٌ. ولإسحاق فيه رملٌ آخر بالوسطى. وفيه هزجٌ بالوسطى ينسب إلى ابن سريج والغريض - قال: فلما سمعه عطاءٌ اضطرب اضطراباً شديداً ودخلته أريحيةٌ، فحلف ألا يكلم أحداً بقية يومه إلا بهذا الشعر، وصار إلى مكانه من المسجد الحرام؛ فكان كل من يأتيه سائلاً عن حلالٍ أو حرامٍ أو خبرٍ من الأخبار، لا يجيبه إلا بأن يضرب إحدى يديه على الأخرى وينشد هذا الشعر حتى صلى المغرب، ولم يعاود ابن سريج بعد هذا ولا تعرض له.

ابن سريج ويزيد ابن عبد الملك

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني الحسن بن علي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي قال حدثني إسحاق عن ابن جامعٍ عن سياطٍ عن يونس الكاتب قال: لما قال عمر بن أبي ربيعة:

نظرت إليها بالمحصب من منىً ولي نظر لولا التحرج عارم

غنى فيه ابن سريج.

قال: وحج يزيد بن عبد الملك في تلك السنة بالناس، وخرج عمر بن أبي ربيعة ومعه ابن سريج على نجيبين رحالتاهما ملبستان بالديباج، وقد خضبا النجيبين ولبسا حلتين، فجعلا يتلقيان الحاج ويتعرضان للنساء إلى أن أظلم الليل، فعدلا إلى كثيبٍ مشرفٍ والقمر طالعٌ يضيء، فجلسا على الكثيب، وقال عمر لابن سريج: غنني صوتك الجديد؛ فاندفع يغنيه، فلم يستتمه إلا وقد طلع عليه رجلٌ راكبٌ على فرسٍ عتيقٍ، فسلم ثم قال: أيمكنك - أعزك الله - أن ترد هذا الصوت؟ قال: نعم ونعمة عينٍ، على أن تنزل وتجلس معنا. قال: أنا أعجل من ذلك، فإن أجملت وأنعمت أعدته! وليس عليك من وقوفي شيءٌ ولا مئونةٌ، فأعاده. فقال له: بالله أنت ابن سريج؟ قال نعم. قال: حياك الله! وهذا عمر بن أبي ربيعة؟ قال نعم. قال: حياك الله يا أبا الخطاب! فقال له: وأنت فحياك الله! قد عرفتنا فعرفنا نفسك. قال: لا يمكنني ذلك. فغضب ابن سريج وقال: والله لو كنت يزيد بن عبد الملك لما زاد. فقال له: أنا يزيد بن عبد الملك. فوثب إليه عمر فأعظمه، ونزل ابن سريج إليه فقبل ركابه؛ فنزع حلته وخاتمه فدفعهما إليه، ومضى يركض حتى لحق ثقله. فجاء بهما ابن سريج إلى عمر فأعطاه إياهما، وقال له: إن هذين بك أشبه منهما بي. فأعطاه عمر ثلثمائة دينارٍ وغدا فيهما إلى المسجد، فعرفهما الناس وجعلوا يتعجبون ويقولون: كأنهما والله حلة يزيد بن عبد الملك وخاتمه، ثم يسألون عمر عنهما فيخبرهم أن يزيد بن عبد الملك كساه ذلك.

وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة أيضاً قال وحدثني ابن عبد الله بن أبي سعيد قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال:

غناء ابن سريج في طريق الحاج

ووقفه الناس بحسن غنائه

حج عمر بن أبي ربيعة في عامٍ من الأعوام على نجيبٍ له مخضوبٍ بالحناء مشهر الرحل بقرابٍ مذهبٍ، ومعه عبيد بن سريج على بغلةٍ له شقراء، ومعه غلامه جنادٌ يقود فرساً له أدهم أغر محجلاً، وكان عمر بن أبي ربيعة يسميه "الكوكب" في عنقه طوق ذهبٍ - وجنادٌ هذا هو الذي يقول فيه:

صوت

فقلت لجنادٍ خذ السيف واشتمل ... عليه برفقٍ وارقب الشمس تغرب

وأسرج لي الدهماء واعجل بممطري ... ولا تعلمن خلقاً من الناس مذهبي

الغناء لزرزرٍ غلام المارقي خفيف ثقيلٍ وهو أجود صوتٍ صنعه - قال: ومع عمر جماعةٌ من حشمه وغلمانه ومواليه وعليه حلة موشيةٌ يمانية، وعلى ابن سريج ثوبان هرويان مرتفعان، فلم يمروا بأحدٍ إلا عجب من حسن هيئتهم، وكان عمر من أعطر الناس وأحسنهم هيئةً، فخرجوا من مكة يوم التروية بعد العصر يريدون منىً، فمروا بمنزل رجلٍ من بني عبد منافٍ بمنىً قد ضربت عليه فساطيطه وخيمه، ووافى الموضع عمر فأبصر بنتاً للرجل قد خرجت من قبتها، وستر جواريها دون القبة لئلا يراها من مر. فأشرق عمر على النجيب فنظر إليها، وكانت من أحسن النساء وأجملهن. فقال لها جواريها: هذا عمر بن أبي ربيعة. فرفعت رأسها فنظرت إليه، ثم سترتها الجواري وولائدها عنه وبطن دونها بسجف القبة حتى دخلت. ومضى عمر إلى منزله وفساطيطه بمنىً، وقد نظر من الجارية إلى ما تيمه ومن جمالها إلى ما حيره، فقال فيها:

نظرت إليها بالمحصب من منى ... ولي نظرٌ لولا التحرج عارم

فقلت أشمسٌ أم مصابيح بيعةٍ ... بدت لك خلف السجف أم أنت حالم

بعيدة مهوى القرط إما لنوفلٍ ... أبوها وإما عبد شمسٍ وهاشم

ومد عليها السجف يوم لقيتها ... على عجلٍ تباعها والخوادم

فلم أستطعها غير أن قد بدا لنا ... على الرغم منها كفها والمعاصم

معاصم لم تضرب على البهم بالضحى ... عصاها ووجهٌ لم تلحه السمائم

نضيرٌ ترى فيه أساريع مائه ... صبيحٌ تغاديه الأكف النواعم

إذا ما دعت أترابها فاكتنفنها تمايلن أو مالت بهن المآكم

طلبن الصبا حتى إذا ما أصبنه نزعن وهن المسلمات الظوالم

ثم قال عمر لابن سريج: يا أبا يحيى، إني تفكرت في رجوعنا مع العشية إلى مكة مع كثرة الزحام والغبار وجلبة الحاج فثقل علي، فهل لك أن نروح رواحاً طيباً معتزلاً، فنرى فيه من راح صادراً إلى المدينة من أهلها، ونرى أهل العراق وأهل الشأم ونتعلل في عشيتنا وليلتنا ونستريح؟ قال: وأنى ذلك يا أبا الخطاب؟ قال: على كثيب أبي شحوة المشرف على بطن يأجج بين منىً وسرف، فنبصر مرور الحاج بنا ونراهم ولا يرونا. قال ابن سريج: طيبٌ والله يا سيدي. فدعا بعض خدمه فقال: اذهبوا إلى الدار بمكة، فاعلموا لنا سفرةً واحملوها مع شرابٍ إلى الكثيب، حتى إذا أبردنا ورمينا الجمرة صرنا إليكم - قال: والكثيب على خمسة أميالٍ من مكة مشرفٌ على طريق المدينة وطريق الشأم وطريق العراق، وهو كثيبٌ شامخٌ مستدقٌ أعلاه منفرد عن الكثبان - فصارا إليه فأكلا وشربا. فلما انتشيا أخذ ابن سريج الدف فنقره وجعل يغني وهم ينظرون إلى الحاج. فلما أمسيا رفع ابن سريج صوته يغني في الشعر الذي قاله عمر، فسمعه الركبان فجعلوا يصيحون به: يا صاحب الصوت أما تتقي الله! قد حبست الناس عن مناسكهم! فيسكت قليلاً، حتى إذا مضوا رفع صوته وقد أخذ فيه الشراب فيقف آخرون، إلى أن مرت قطعةٌ من الليل، فوقف عليه في الليل رجلٌ على فرسٍ عتيقٍ عربي مرح مستن فهو كأنه ثملٌ، حتى وقف بأصل الكثيب وثنى رجله على قربوس سرجه، ثم نادى: يا صاحب الصوت، أيسهل عليك أن ترد شيئاً مما سمعته. قال: نعم ونعمة عينٍ، فأيها تريد؟ قال: تعيد علي:

ألا يا غراب البين مالك كلما نعبت بفقدانٍ علي تحوم

أبالبين من عفراء أنت مخبري عدمتك من طيرٍ فأنت مشوم

- قال: والغناء لابن سريج - فأعاده، ثم قال له ابن سريج: ازدد إن شئت. فقال: غنني:

أمسلم إني يابن كل خليفةٍ ويا فارس الهيجا ويا قمر الأرض

شكرتك إن الشكر حبلٌ من التقى وما كل من أقرضته نعمةً يقضي

ونوهت لي باسمي وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

فغناه، فقال له: الثالث ولا أستزيدك. فقال: قل ما شئت. فقال: تغنيني

يا دار أقوت بالجزع فالكثب بين مسيل العذيب فالرحب

لم تتقنع بفضل مئزرها دعدٌ ولم تسق دعد في العلب

فغناه. فقال له ابن سريج: ابقيت لك حاجةٌ؟ قال: نعم، تنزل إلي لأخاطبك شفاهاً بما أريد. فقال له عمر: انزل إليه، فنزل. فقال له: لولا أني أريد وداع الكعبة وقد تقدمني ثقلي وغلماني لأظلت المقام معك ولنزلت عندكم،

ولكني أخاف أن يفضحني الصبح، ولو كان ثقلي معي لما رضيت لك بالهوينى، ولكن خذ حليتي هذه وخاتمي ولا تخدع عنهما، فإن شراءهما ألفٌ وخمسمائة دينار. وذكر باقي الخبر مثل ما ذكره حماد بن إسحاق.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

نظرت إليها بالمحصب من منى ولي نظرٌ لولا التحرج عارم

فقلت أشمسٌ أم مصابيح بيعةٍ بدت لك خلف السجف أم أنت حالم

بعيدة مهوى القرط إما لنوفلٌ أبوها وإما عبد شمس وهاشم

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لمعبد ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عنه. وقد نسب في مواضع من هذا الكتاب.

صوت

ألا يا غراب البين مالك كلما نعبت بفقدانٍ علي تحوم

أبا لبين من عفراء أنت مخبري عدمتك من طيرٍ فأنت مشوم

الشعر لقيس بن ذريح، وقيل: إنه لغيره. والغناء لابن سريج رملٌ بالوسطى عن الهشامي.

صوت

أمسلم إني يابن كل خليفةٍ ويا فارس الهيجا ويا قمر الأرض

شكرتك إن الشكر حبلٌ من التقى وما كل من أوليته نعمةً يقضي

ونوهت لي باسمي وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

الشعر لأبي نخيلة الحماني. والغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى، وقد أخرج هذا الصوت مع سائر أخبار أبي نخيلة في موضعٍ آخر.

إجلال المغنين له وعلو كعبه

في صنعة الغناء

حدثني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار حدثني محمد بن سلام الجمحي قال حدثني عمر بن أبي

خليفة قال: كان أبي نازلاً في علوٍ، فكان المغنون يأتونه. قال فقلت: فأيهم كان أحسن غناءً؟ قال: لا أدري، إلا أني كنت أراهم إذا جاء ابن سريج سكتوا.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني الزبيري - يعني عبد الله بن مصعب - عن عمرو بن الحارث، قال إسحاق: وحدثنيه المدائني ومحمد بن سلام عن المحرز بن جعفر عن عمر بن سعد مولى الحارث بن هشام قال: خرج ابن الزبير ليلةً إلى أبي قبيسٍ فسمع غناءً، فلما انصرف رآه أصحابه وقد حال لونه، فقالوا: إن بك لشراً. قال: إنه ذاك. قالوا: ما هو؟ قال: لقد سمعت صوتاً إن كان من الجن إنه لعجبٌ، وإن كان من الإنس فما انتهى منتهاه شيءٌ! قال: فنظروا فإذا هو ابن سريج يتغنى:

صوت

أمن رسم دارٍ بوادي غدر — لجاريةٍ من جواري مضر

خدلجة الساق ممكروةٍ — سلوس الوشاح كمثل القمر

تزين النساء إذا ما بدت — ويبهت في وجهها من نظر

الشعر ليزيد بن معاوية. الغناء لابن سريج رملٌ بالبنصر عن يونس وحبشٍ.

قال إسحاق: وذكر المدائني في خبره أن عمر بن عبد العزيز مر أيضاً فسمع صوت ابن سريج وهو يتغنى:

بت الخليط قوى الحبل الذي قطعوا

فقال عمر: لله در هذا الصوت لو كان بالقرآن! قال المدائني: وبلغني من وجه آخر أنه سمعه يغني:

قرب جيراننا جمالهم — ليلاً فأضحوا معاً قد ارتفعوا

ما كنت أدري بوشك بينهم — حتى رأيت الحداة قد طلعوا

فقال هذه المقالة.

نسبة هذين الصوتين

صوت

بت الخلطي قوى الحبل الذي قطعوا — إذ ودعوك فولوا ثم ما رجعوا

وآذنوك ببينٍ من وصالهم — فما سلوت ولا يسليك ما صنعوا

يابن الطويل وكم آثرت من حسنٍ — فينا وأنت بما حملت مضطلع

نحظى ونبقى بخيرٍ ما بقيت لنا — فإن هلكت فما في ملجأٍ طمع

الشعر للأحوص. والغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر حبشٌ أن فيه رملاً بالوسطى عن الهشامي.

نسبة الصوت الآخر

صوت

قرب جيراننا جمالهم ليلاً فأضحوا معاً قد ارتفعوا

ما كنت أدري بوشك بينهم حتى رأيت الحداة قد طلعوا

على مصكين من جمالهم وعنتريسين فيهما خضع

يا قلب صبراً فإنه سفهٌ بالحر أن يستفزه الجزع

الغناء لابن سريج ثقيلٌ اول من أصواتٍ قليلة الأشباه عن إسحاق. وفيه رملٌ في مجرى الوسطى ذكره إسحاق ولم ينسبه إلى أحد، وذكر أيضاً فيه خفيف رملٍ بالسبابة في مجرى الوسطى ولم ينسبه. وذكر الهشامي أن الرمل للغريض وخفيف الرمل لابن المكي وذكرت دنانير والهشامي فيه لمعبدٍ ثاني ثقيلٍ. وذكر عمرو بن بانة أن الثقيل الأول للغريض. وذكر عبد الله بن موسى أن لحن ابن - سريجٍ خفيف ثقيلٍ.

عدد الأصوات التي غنى فيها

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثني يوسف بن إبراهيم قال: حضرت أبا إسحاق إبراهيم بن المهدي وعنده إسحاق الموصلي، فقال إسحاق: غنى ابن سريج ثمانيةً وستين صوتا. فقال له أبو إسحاق: ما تجاوز قط ثلاثةً وستين صوتاً. فقال بلى. ثم جعلا ينشدان أشعار الصحيح منها حتى بلغا ثلاثةً وستين صوتاً وهما يتفقان على ذلك، ثم أنشد إسحاق بعد ذلك أشعار خمسة أصواتٍ أيضاً.

فقال أبو إسحاق: صدقت، هذا من غنائه، ولكن لحن هذا الصوت نقله من لحنه في الشعر الفلاني، ولحن الثاني من لحنه الفلاني، حتى عد له الخمسة الأصوات. فقال له إسحاق: صدقت. ثم قال له إبراهيم: إن ابن سريج كان رجلاً عاقلاً أديباً، وكان يغني الناس بما يشتهون، فلا يغنيهم صوتاً مدح به أعداؤهم ولا صوتاً عليهم فيه عارٌ أو غضاضةٌ، ولكنه يعدل بتلك الألحان إلى أشعارٍ في أوزانها، فالصوتان واحدٌ لا ينبغي أن نعدهما اثنين عند التحصيل منا لغنائه، فصدقه إسحاق. فقال له إبراهيم: فأيها أولى عندك بالتقدمة؟ فقال:

وإذا ما عثرت في مرطها نهضت باسمي وقالت يا عمر

فقال له إبراهيم: أحسبك يا أبا محمد - متعت بك - ما أردت إلا مساعدتي. فقال: لا، والله ما إلى هذا قصدت، وإن كنت أهوى كل ما قربني من محبتك.

فقال له: هذا أحب أغانيه إلي، وما أحسبه في مكانٍ أحسن منه عندي، ولا كان ابن سريج يتغناه أحسن مما

يتغناه جواري، ولئن كان كذلك فما هو عندي في حسن التجزئة والقسمة وصحتهما مثل لحنه في: صوت من المائة لمختارة من رواية جحظة

حييا أم يعمرا قبل شحطٍ من النوى

أجمع الحي رحلةً ففؤادي كذى الأسى

قلت لا تعجلوا الروا ح فقالوا ألا بلى

- الغناء لابن سريج من القدر الأوسط من الثقيل الأول مطلقٌ في مجرى الوسطى. وفيه للهذلي خفيف ثقيلٍ بالبنصر عن ابن المكي. وفيه لمالكٍ ثقيلٌ أول البنصر عن عمروٍ. وفيه لحنان من الثقيل الثاني: أحدهما لإسحاق والآخر لأبيه، ونسبه قومٌ إلى ابن محرز، ولم يصح ذلك - قال: فاجتمعا معاً على أنه أول أغانيه وأحقها بالتقديم. وأمرني أبو إسحاق بتدوين ما يجري بينهما ويتفقان عليه، فكتبت هذا الشعر. ثم اتفقا على أن الذي يليه:

وإذا ما عثرت في مرطها نهضت باسمي وقالت يا عمر

فأثبته أيضاً. ثم تناظرا في الثالث فاجتمعا على أنه:

فتركته جزر السباع ينشنه ما بين قلة رأسه والمعصم

فقال إسحاق: لو قدمناه على الأغاني التي تقدمته كلها لكان يستحق ذلك. فقال أبو إسحاق: ما سمعته منذ عرفته إلا أبكاني، لأني إذا سمعته أو ترنمت به وجدت غمراً على فؤادي لا يسكن حتى أبكي. فقال إسحاق: إن مذهبه فيه ليوجب ذلك، فدونته ثالثاً. ثم اتفقا على الرابع وأنه:

فلم أر كالتجمير منظر ناظرٍ ولا كليالي الحج أفتن ذا هوى

تحدثا بأحاديث لهذا الصوت مشهورةٍ. ثم تناظرا في الخامس، فاتفقا على أنه:

عوجي علينا ربة الهودج إنك إلا تفعلي تحرجي

فأثبته. ثم تناظرا في السادس واتفقا على أنه:

ألا هل هاجك الأظعا ن إذ جاوزن مطلحا

فأثبته. ثم تناظرا في السابع فاتفقا على أنه:

غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فأثبته. وتناظرا في الثامن فاتفقا على أنه:

تنكر الإثمد لا تعرفه غير أن تسمع منه بخبر

فأثبته. وتناظرا في التاسع فاتفقا على أنه:

ومن أجل ذات الخال أعملت ناقتي أكلفها سير الكلال مع الظلع

منها:

صوت

وإذا ما عثرت في مرطها نهضت باسمي وقالت يا عمر

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشامي.

ومنها:

صوت

فتركته جزر السباع ينشنه ما بين قلة رأسه والمعصم

الشعر لعنترة بن شدادٍ العبسي. والغناء لابن سريج ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو.

ومنها:

صوت

فلم أر كالتجمير منظر ناظرٍ ولا كليالي الحج أفتن ذا هوى

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج رملٌ بالوسطى عن عمرو.

ومنها:

صوت

عوجي علينا ربة الهودج إنك إلا تفعلي تحرجي

الشعر للعرجي. والغناء لابن سريج ثقيلٌ بالوسطى عن عمرو.

ومنها:

صوت

ألا هل هاجك الأظعا ن إذ جاوزن مطلحا

الشعر لعمر. والغناء لابن سريج ثقيلٌ أول مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه للغريض لحنان: ثقيلٌ أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق، وخفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لمعبدٍ ثقيلٌ أول ثالثٌ بالخنصر في

مجرى الوسطى عن إسحاق.

ومنها:

صوت

غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

الشعر لجريرٍ. والغناء لابن سريج رملٌ بالبنصر. وفيه لإسحاق رملٌ بالوسطى. وفيه للهذلي ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي.

ومنها:

صوت

تنكر الإثمد لا تعرفه غير أن تسمع منه بخبر

الشعر لعبد الرحمن بن حسان. والغناء لابن سريج رملٌ بالوسطى.

ومنها:

صوت

ومن أجل ذات الخال أعملت ناقتي أكلفها سير الكلال مع الظلع

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج رملٌ بالبنصر. وفيه لإسحاق رملٌ بالوسطى.

تنافر معبد ومالك بن أبي السمح إليه في صوتين غنياهما

أخبرني رضوان بن أحمد قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق بن المهدي قال حدثني الزبير بن دحمان أن أباه حدثه: أن معبداً تغنى:

آب ليلي بهمومٍ وفكر من حبيبٍ هاج حزني والسهر

يوم أبصرت غراباً واقعاً شر ما طار على شر الشجر

فعارضه مالكٌ فغنى في أبياتٍ من هذا الشعر، وهي:

وجرت لي ظبيةٌ يتبعها لين الأظلاف من حور البقر

كلما كفكفت مني عبرةً فاضت العين بمنهل درر

قال: فتلاحيا جميعاً فيما صنعان من هذين الصوتين، فقال كل واحدٍ منهما لصاحبه: أنا أجود صنعةً منك. فتنافرا إلى ابن سريج فمضيا إليه بمكة. فلما قدماها سألا عنه، فأخبرا أنه خرج يتطرف بالحناء في بعض بساتينها. فاقتفيا أثره، حتى وقفا عليه وفي يده الحناء، فقالا له: إنا خرجنا إليك من المدينة لتحكم بيننا في صوتين صنعناهما. فقال لهما: ليغن كل واحدٍ منكما صوته. فابتدأ معبدٌ يغني لحنه. فقال له: أحسنت والله على سوء اختيارك للشعر! يا ويحك! ما حملك على أن ضيعت هذه الصنعة الجيدة في حزنٍ وسهرٍ وهمومٍ وفكر! أربعة ألوانٍ من الحزن في بيتٍ واحد، وفي البيت الثاني شران في مصراعٍ واحدٍ، وهو قولك:

شر ما طار على شر الشجر

ثم قال لمالك: هات ما عندك، فغناه مالكٌ. فقال له: أحسنت والله ما شئت! فقال له مالكٌ: هذا وإنما هو ابن شهره، فكيف تراه يا أبا يحيى يكون إذا حال عليه الحول! قال دحمان: فحدثني معبدٌ أن ابن سريج غضب عند ذلك غضباً شديداً، ثم رمى بالحناء من يديه وأصابعه وقال له: يا مالك، ألي تقول ابن شهره! اسمع مني ابن ساعته، ثم قال: يا أبا عباد أنشدني القصيدة التي تغنيتما فيها. فأنشدته القصيدة حتى انتهيت إلى قوله:

تتكر الإثمد لا تعرفه غير أن تسمع منه بخبر

فصاح بأعلى صوته: هذا خليلي وهذا صاحبي، ثم تغنى فيه، فانصرفنا مفلولين مفضوحين من غير أن نقيم بمكة ساعةً واحدةً.

نسبة هذه الأغاني كلها

صوت

آب ليلي بهمومٍ وفكر من حبيبٍ هاج حزني والسهر

يوم أبصرت غراباً واقعاً شر ما طار على شر الشجر

ينتف الريش على عبريةٍ مرة المقضم من روح العشر

الشعر لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت يقوله في رملة بنت معاوية بن أبي سفيان، وله معها ومع أبيها وأخيها في تشبيبه بها أخبارٌ كثيرةٌ ستذكر في موضعها إن شاء الله. ومن الناس من ينسب هذا الشعر إلى عمر بن أبي ربيعة، وهو غلطٌ. وقد بين ذلك مع أخبار عبد الرحمن في موضعه.

والغناء لمعبدٍ خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى عن يحيى المكي، وذكر عمرو بن بانة أنه للغريض، وله لحنٌ آخر في هذه الطريقة.

صوت

وجرت لي ظبيةٌ يتبعها لين الأظلاف من حور البقر

خلفها أطلس عسال الضحى صادفته يوم طلٍّ وحصر

الغناء لمالكٍ خفيف ثقيل بالبنصر في مجراها عن إسحاق.

صوت

إن عينيها لعينا جؤذر أهدب الأشفار من حور البقر

تتكر الإثمد لا تعرفه غير أن تسمع منه بخبر

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة، عن عمرو ويحيى المكي.

مضادة ابن سريج للغريض ومعارضة الغريض له

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قال أبي قال محمد بن سعيد:

لما ضاد ابن سريج الغريض وناوأه، جعل ابن سريج لا يغني صوتاً ألا عارضه فيه الغريض فغنى فيه لحناً غيره، وكانت ببعض أطراف مكة دارٌ يأتيانها في كل جمعةٍ ويجتمع لهما ناسٌ كثيرٌ، فيوضع لكل واحد منهما كرسيٌ يجلس عليه ثم يتناقضان الغناء ويترادانه. قال: فلما رأى ابن سريج موقع الغريض وغنائه من الناس لقربه من النوح وشبهه به، مال إلى الأرمال والأهزاج فاستخفها الناس. فقال له الغريض: يا أبا يحيى، قصرت الغناء وحذفته وأفسدته. فقال له: نعم يا مخنث، جعلت تنوح على أبيك وأمك، ألى تقول هذا! والله لأغنين غناءً ما غنى أحدٌ أثقل منه ولا أجود. ثم تغنى:

تشكى الكميت الجري لما جهدته

تقدير ابن أبي عتيق لابن سريج

قال حماد: وقرأت على أبي عن هشام بن المرية قال: كان ابن عتيق يسوق في كل عام عن ابن سريج بدنةً وينحرها عنه، ويقول: هذا أقل حقه علينا.

اعتراف معبد لابن سريج بالسبق

عليه في صنعة الغناء

قال حماد: قال أبي وقال مخلد بن خداشٍ المهلبي: كنا بالمدينة في مجلسٍ لنا ومعنا معبدٌ، فقدم من مكة إلى المدينة فدخل علينا ليلاً، فجلس معبدٌ يسائله عن الأخبار وهو يخبره ولا نسمع ما يقول. فالتفت إلينا معبدٌ فقال:

أصبحت أحسن الناس غناءً. فقيل له: أو لم تكن كذلك؟ قال: لا حيث كان ابن سريج حياً، إن هذا أخبرني أن ابن سريج قد مات. ثم كان بعد ذلك إذا غنى صوتاً فأعجبه غناؤه قال: أصبحت اليوم سريجياً.

أبو السائب المخزومي وأغاني ابن سريج

قال حماد: حدثني أبي قال حدثني أبو الحسن المدائني قال: قال معبدٌ: أتيت أبا السائب - المخزومي وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعةٍ - فلما رآني تجوز وقال: ما معك من مبكيات ابن سريج؟ قلت قوله:

ولهن بالبيت العتيق لبانةٌ ... والبيت يعرفهن لو يتكلم

لو كان حياً قبلهن ظعائناً ... حيا الحطيم وجوههن وزمزم

لبثوا ثلاث منىً بمنزل غبطةٍ ... وهم على سفرٍ لعمرك ما هم

متجاورين بغير دار إقامةٍ ... لو قد أجد تفرقٌ لم يندموا

فقال لي: غنه، فغنيته. ثم قام يصلي فأطال، ثم تجوز إلي فقال: ما معك من مطرباته ومشجياته؟ فقلت: قوله:

لسنا نبالي حين ندرك حاجةً ... ما بات أو ظل المطي معقلا

فقال لي: غنه، فغنيته. ثم صلى وتجوز إلي وقال: ما معك من مرقصاته؟ فقلت:

فلم أر كالتجمير منظر ناظرٍ ... ولا كليالي الحج أفتن ذا هوى

فقال: كما أنت حتى أتحرم لهذا بركعتين.

تغنيه بمسمع من عطاء بن أبي رباح

وتفضيله ابن سريج على الغريض

قال حماد: وأخبرني أبي عن إبراهيم بن المنذر الحزامي، وذكر أبو أيوب المديني عن الحزامي قال حدثني عبد الرحمن بن إبراهيم المخزومي قال: أرسلتني أمي وأنا غلامٌ أسأل عطاء بن أبي رباح عن مسألةٍ، فوجدته في دارٍ يقال لها دار المعلى - وقال أبو أيوب في خبره: دار المقل - وعليه ملحفة معصفرةٌ، وهو جالسٌ على منبر وقد ختن ابنه والطعام يوضع بين يديه وهو يأمر به أن يفرق في الخلق، فلهوت مع الصبيان ألعب بالجوز حتى أكل القوم وتفرقوا وبقي مع عطاءٍ خاصته، فقالوا: يا أبا محمد لو أذنت لنا فأرسلنا إلى الغريض وابن سريج! فقال: ما شئتم، فأرسلوا إليهما. فلما أتيا قاموا معهما وثبت عطاءٌ في مجلسه فلم يدخل، فدخلوا بهما بيتاً في الدار، فتغنيا وأنا أسمع. فبدأ ابن سريج فنقر بالدف وتغنى بشعر كثير:

بليلى وجاراتٍ لليلى كأنها ... نعاج الملا تحدى بهن الأباعر

أمنقطعٌ يا عز ما كان بيننا ... وشاجرني يا عز فيك الشواجر

إذا قيل هذا بيت عزة قادني إليه الهوى واستعجلتني البوادر

أصد وبي مثل الجنون لكي يرى رواة الخنا أني لبيتك هاجر

فكأن القوم قد نزل عليهم السبات، وأدركهم الغشي فكانوا كالأموات، ثم أصغوا إليه بآذانهم وشخصت إليه أعينهم وطالت أعناقهم. ثم غنى الغريض بصوتٍ أنسيته بلحنٍ آخر. ثم غنى ابن سريج وأوقع بالقضيب، وأخذ الغريض الدف فغنى بشعر الأخطل:

فقلت اصبحونا لا أبا لأبيكم وما وضعوا الأثقال إلا ليفعلوا

وقلت اقتلوها عنكم بمزاجها فأكرم بها مقتولةً حين تقتل

أناخوا فجروا شاصياتٍ كأنها رجالٌ من السودان لم يتسربلوا

فوالله ما رأيتهم تحركوا ولا نطقوا إلا مستمعين لما يقول. ثم غنى الغريض بشعرٍ آخر وهو:

هل تعرف الرسم والأطلال والدمنا زدن الفؤاد على ما عنده حزنا

دارٌ لصفراء إذ كانت تحل بها وإذ ترى الوصل فيما بيننا حسنا

إذ تستبيك بمصقولٍ عوارضه ومقلتي جؤذرٍ لم يعد أن شدنا

ثم غنيا جميعاً بلحنٍ واحد، فلقد خيل لي أن الأرض تميد، وتبينت ذلك في عطاء أيضاً. وغنى الغريض في شعر عمر بن أبي ربيعة، وهو قوله:

كفى حزناً تجمع الدار شملنا وأمسي قريباً لا أزورك كلثما

دعي القلب لا يزدد خبالاً مع الذي به منك أو داوى جواه المكتما

ومن كان لا يعدو هواه لسانه فقد حل في قلبي هواك وخيما

وليس بتزويق اللسان وصوغه ولكنه قد خالط اللحم والدما

وغنى ابن سريج أيضاً:

خليلي عوجا نسأل اليوم منزلا أبى بالبراق العفر أن يتحولا

ففرع النبيت فالشرى خف أهله وبدل أرواحاً جنوباً وشمالا

أرادت فلم تسطع كلاماً فأومأت إلينا ولم تأمن رسولاً فترسلا

بأن بت عسى أن يستر الليل مجلساً لنا أو تنام العين عنا فتقبلا

وغنى الغريض أيضاً:

يا صاحبي قفا نقض لبانةً ... وعلى الظعائن قبل بينكما اعرضا

لا تعجلاني أن أقول بحاجةٍ ... رفقاً فقد زودت زاداً مجرضا

ومقالها بالنعف نعف محسرٍ ... لفتاتها هل تعرفين المعرضا

هذا الذي أعطى مواثق عهده ... حتى رضيت وقلت لي لن ينقضا

وأغاني أنسيتها، وعطاءٌ يسمع على منبره ومكانه، وربما رأيت رأسه قد مال وشفتيه تتحركان حتى بلغته الشمس، فقام يريد منزله. فما سمع السامعون شيئاً أحسن منهما وقد رفعا أصواتهما وتغنيا بهذا. ولما بلغت الشمس عطاءً قام وهم على طريقةٍ واحدةٍ في الغناء، فاطلع في كوة البيت. فلما رأوه قالوا: يا أبا محمد، أيهما أحسن غناءً؟ قال: الرقيق الصوت. يعني ابن سريج.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

صوت

ولهن بالبيت العتيق لبانةٌ ... والبيت يعرفهن لو يتكلم

لو كان حياً قبلهن ظعائناً ... حياً الحطيم وجوههن وزمزم

وكأنهن وقد حسرن لواغباً ... بيضٌ بأكناف الحطيم مركم

لبثوا ثلاث منى بمنزل غبطةٍ ... وهم على سفرٍ لعمرك ما هم

متجاورين بغير دار إقامةٍ ... لو قد أجد رحيلهم لم يندموا

عروضه من الكامل. الشعر لابن أذينة. والغناء لابن سريج ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وأخبار ابن أذينة تأتي بعد هذا في موضعها إن شاء الله.

ومنها الصوت الذي أوله في الخبر:

لسنا نبالي حين ندرك حاجةً

صوت

ودع لبابة قبل أن تترحلا ... واسأل فإن قليله أن تسألا

وانظر بعينك ليلةً وتأنها ... فلعل ما بخلت به أن يبذلا

لسنا نبالي حين ندرك حاجةً ... ما راح أو ظل المطي معقلا

حتى إذا ما الليل جن ظلامه ... ورجوت غفلة حارسٍ أن يعقلا

خرجت تأطر في الثياب كأنها أيمٌ يسيب على كثيبٍ أهيلا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج ثقيلٌ أول بالوسطى في مجراها. وفيه لمعبدٍ لحنٌ من خفيف الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى، وهو من مختار أغانيه ونادرها وصدور صنعته وما يقدم على كثيرٍ منها.

الغمر بن يزيد وشعر ابن أبي ربيعة

أخبرني أحمد بن محمد بن إسحاق الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال: كنت أسير مع الغمر بن يزيد، فاستنشدني فأنشدته لعمر بن أبي ربيعة:

ودع لبابة أن تترحلا واسأل فإن قليله أن تسألا

قال ائتمر ما شئت غير مخالفٍ فيما هويت فإننا لن نعجلا

نجري أيادي كنت تبذلها لنا حقٌ علينا واجبٌ أن نفعلا

حتى إذا ما الليل جن ظلامه ورجوت غفلة حارسٍ أن يعقلا

خرجت تأطر في الثياب كأنها أيمٌ يسيب على كثيبٍ أهيلا

رحبت لما أقبلت فتعللت لتحيتي لما رأتني مقبلا

فجلا القناع سحابةً مشهورةً غراء تعشي الطرف أن يتأملا

فظللت أرقيها بما لو عاقلٌ يرقى به ما اسطاع ألا ينزلا

تدنو فأطمع ثم تمنع بذلها نفسٌ أبت للجود أن تتبخلا

قال: فأمر غلامه فحملني على بغلته التي كانت تحته. فلما أراد الانصراف طلب الغلام مني البغلة، فقلت: لا أعطيكها، هو أكرم وأشرف من أن يحملني عليها ثم ينتزعها مني. فقال للغلام: دعه يا بني، ذهبت والله لبابة بغلة مولاك.

إذا أعجزك أن تطرب القرشي

فغنه غناء ابن سريج في شعر ابن أبي ربيعة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، وأخبرنيه الحسن بن علي عن هارون بن الزيات عن حمادٍ عن أبيه قال حدثني عثمان بن حفصٍ الثقفي عن إبراهيم بن عبد السلام بن أبي الحارث عن ابن تيزن المغني قال قال أبو نافع الأسود - وكان آخر من بقي من غلمان ابن سريج -: إذا أعجزك أن تطرب القرشي فغنه غناء ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة فإنك ترقصه. قال: وأبو نافع هذا أحذق غلمان ابن سريج ومن أخذ عنه، وكان أحسن

رواته موتاً.

ومنها:

صوت

بليلى وجاراتٍ لليلى كأنها ... نعاج الملا تحدى بهن الأباعر

أمنقطعٌ يا عز ما كان بيننا ... وشاجرني يا عز فيك الشواجر

إذا قيل هذا بيت عزة قادني ... إليه الهوى واستعجلتني البوادر

أصد وبي الجنون لكي يرى ... رواة الخنا أني لبيتك هاجر

ألا ليت حظي منك يا عز أنني ... إذا بنت باع الصبر لي عنك تاجر

عروضه من الطويل. الشعر لكثير. والغناء لمعبدٍ ثقيلٌ أول بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو. وفيه لابن سريج لحنٌ أوله: "أصد وبي مثل الجنون" خفيف رملٍ بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

ومنها:

صوت

أناخوا فجروا شاصياتٍ كأنها ... رجالٌ من السودان لم يتسربلوا

فقلت اصبحوني لا أبا لأبيكم ... وما وضعوا الأثقال إلا ليفعلوا

تمر بها الأيدي سنيجاً وبارحاً ... وترفع باللهم حي وتنزل

قال: عروضه من الطويل. الشاصيات: الشائلات قوائمها من امتلائها، يعني الزقاق، يقال: شصا يشصو وشصا ببصره إذا رفعه كالشاخص، وأنشد:

وربربٍ خماص ... يطعن بالصياصي

ينظر من خصاص ... بأعينٍ شواصي

كفلق الرصاص ... تسمو إلى القناص

الشعر للأخطل، وذكره يأتي في غير هذا الموضع، من قصيدة يمدح بها خالد بن عبد الله بن أسيد بن أبي العيص بن أمية. والغناء لمالكٍ وله فيه لحنان: أحدهما في الأول والثاني رملٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق، والآخر في الثالث والأول والثاني خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لابن سريج رملٌ بالوسطى عن عمرو. وفيه لابن

محرزٍ خفيف ثقيلٍ بالبنصر في مجراها. وفيه رملٌ آخر لإبراهيم عن عمرو أيضاً.
ومنها:

صوت

هل تعرف الرسم والأطلال والدمنا

وذكر الأبيات الثلاثة وقد تقدمت. عروضه من البسيط. الشعر لذي الإصبع العدواني. والغناء لابن عائشة ثاني ثقيلٍ بالبنصر.
ومنه:

صوت

كفى حزناً أن تجمع الدار شملنا

صوت من المائة المختارة

في رواية جحظة

دعي القلب لا يزدد خبالاً مع الذي ... به منك أو داوي جواه المكتما
ومن كان لا يعدو هواه لسانه ... فقد حل في قلبي هواك وخيما
وليس بتزويق اللسان وصوغه ... ولكنه قد خالط اللحم والدما

عروضه من الطويل. الشعر للأحوص، وقيل: إنه لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان. والغناء لمعبدٍ ثقيلٌ أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وذكر يونس أن لمالك لحناً فيه -

أكلثم فكي عانياً بك مغرما ... وشدي قوى حبلٍ لنا قد تصرما
فإن تسعفيه مرةً بنوالكم ... فقد طالما لم ينج منك مسلما
كفى حزناً أن تجمع الدار شملنا ... وأمسي قريباً لا أزورك كلثما

وبعده هذه الأبيات التي مضت.

اتفاق المغنين على تفضيل لحن ابن سريج

"وليس بتزويق اللسان... الخ"

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد وذكر الثقفي عن دحمان قال: تذاكرنا ونحن في المسجد أنا والربيع بن أبي الهيثم الغناء أيه أحسن، فجعل يقول وأقول فلا نجتمع على شيء. فقلت: اذهب بنا إلى مالك بن أبي السمح. فذهبنا إليه فوجدناه في المسجد، فقال: ما جاء بكما؟ فأخبرناه. فقال: قد جرى هذا بيني وبين معبدٍ وقال وقلت، فجاءني معبد يوماً وأنا في المسجد وقال: قد جئتك بشيء لا ترده. فقلت: وما هو؟ قال: لحن ابن سريج:

وليس بتزويق اللسان وصوغه ولكنه قد خالط اللحم والدما

ثم قال لي معبدٌ: أسمعكه؟ قلت: نعم، وأريته أني لم أسمعه قبل، فقال: اسمعه مني؛ فغنى فيه ونحن في المسجد، فما سمعت شيئاً قط أحسن منه، فافترقنا وقد اجتمعنا عليه.

وقرأت في فصلٍ لإبراهيم بن المهدي إلى إسحاق الموصلي. "وكتبت رقعتي هذه وأنا في غمرةٍ من الحمى تصدف عن المفترضات. ولولا خوفي من تشنيعك وتجنيك لم يكن في للإجابة فضلٌ، غير أني قد تكلفت الجواب على ما الله به عالمٌ من صعوبة علتي وما أقاسيه من الحرارة الحادثة بي.

وليس بتزويق اللسان وصوغه ولكنه قد خالط اللحم والدما

تفضيل غناء ابن سريج

على غناء معبد ومالك بن أبي السمح

وقال إسحاق حدثني شيخٌ من موالي المنصور قال: قدم علينا فتيانٌ من بني أمية يريدون مكة، فسمعوا معبداً ومالكاً فأعجبوا بهما، ثم قدموا مكة فسألوا عن ابن سريج فوجدوه مريضاً، فأتوا صديقاً له فسألوه أن يسمعهم غناءه، فخرج معهم حتى دخلوا عليه. فقالوا: نحن فتيان من قريشٍ، أتيناك مسلمين عليك، وأحببنا أن نسمع منك. فقال: أنا مريضٌ كما ترون. فقالوا: إن الذي نكتفي منك به يسيرٌ - وكان ابن سريج أديباً طاهر الخلق عارفاً بأقدار الناس - فقال: يا جارية، هاتي جلبابي وعودي، فأتته خادمة بخامةٍ فسدلها على وجهه - وكان يفعل ذلك إذا تغنى لقبح وجهه - ثم أخذ العود فغناهم، فأرخى ثوبه على عينيه وهو يغني، حتى إذا اكتوا ألقى عوده وقال: معذرةً. فقالوا: نعم، قد قبل الله عذرك فأحسن الله إليك، ومسح ما بك، وانصرفوا يتعجبون مما سمعوا. فمروا بالمدينة منصرفين، فسمعوا من معبدٍ ومالكٍ، فجعلوا لا يطربون لهما ولا يعجبون بهما كما كانوا يطربون. فقال أهل المدينة: نحلف بالله لقد سمعتم بعدنا ابن سريج! قالوا: أجل! لقد سمعناه فسمعنا ما لم نسمع مثله قط، ولقد نغص علينا ما بعده.

تغني رقطاء الحبطية برمله

في شعر ابن عمارة السلمي

وذكر العتابي أن زكريا بن يحيى حدثه قال حدثني عبد الله بن محمد بن عثمان العثماني عن بعض أهل الحجاز قال: التقى قنديلٌ الجصاص وأبو الجديد بشعب الصفراء، فقال قنديلٌ لأبي الجديد: من أين وإلى أين؟ قال: مررت برقطاء الحبطية رائحةً تترنم برمل ابن سريج في شعر ابن عمارة السلمي:

صوت

سقى مأزمي نجدٍ إلى بئر خالدٍ ... فوادي نصاع فالقرون إلى عمد

وجادت بروق الرائحات بمزنةٍ ... تسح شآبيباً بمرتجز الرعد

منازل هندٍ إذ تواصلني بها ... ليالي تسبيني بمستطرف الود

ينير ظلام الليل من حسن وجهها ... وتهدي بطيب الريح من جاء من نجد

- الغناء لابن سريج رملٌ بالبنصر عن الهشامي - فزففت خلفها زفيف النعامة، فما انجلت غشاوتي إلا وأنا بالمشاش حسيرٌ، فأودعتها قلبي وخلفته لديها، وأقبلت أهوي كالرخمة بغير قلبٍ. فقال لي قنديلٌ: ما دفع أحدٌ من المزدلفة أسعد منك، سمعت شعر ابن عمارة في غناء ابن سريج من رقطاء الحبطية؛ لقد أوتيت جزءاً من النبوة. قال: وكانت رقطاء هذه من أضرب الناس؛ فدخل رجلٌ من أهل المدينة مترلها فغنته صوتاً. فقال له بعض من حضر: هل رأيت قط أو ترى أفصح من وتر هذه؟ فطرب المدني وقال: علي العهد إن لم يكن وترها من معي بشكست النحوي، فكيف لا يكون فصيحاً! وبشكست هذا كان نحوياً بالمدينة، وقتل مع الشراة الخارجين مع أبي حمزة صاحب عبد الله بن يحيى الكندي الشاري المعروف بطالب الحق.

غناؤه مخلوق من قلوب الناس جميعاً

قال محمد بن الحسن وحدث عن إسحاق عن أبيه أنه كان يقول: غناء كل مغنٍّ مخلوقٌ من قلب رجلٍ واحد، وغناء ابن سريج مخلوقٌ من قلوب الناس جميعاً. وكان يقول: الغناء على ثلاثة أضرب، فضربٌ مله مطربٌ يحرك ويستخف، وضربٌ ثانٍ له شجاً ورقةً، وضربٌ ثالثٌ حكمةٌ وإتقان صنعةٍ.

قال: وكل هذا مجموعٌ في غناء ابن سريج.

تغني ابن سلمة الزهري بغنائه

والتقاء ابن سلمة الزهري والأخضر الجدي ببئر الفصح

قال العتابي وحدثني زكريا بن يحيى عن عبد الله بن محمد العثماني قال: ذكر بعض أصحابنا الحجازيين قال: التقى ابن سلمة الزهري والأخضر الجدي ببئر الفصح، فقال ابن سلمة: هل لك في الاجتماع نستمتع بك؟ فقال له

الأخضر: لقد كنت إلى ذلك مشتاقاً، قال: فقعدا يتحدثان، فمر بهما أبو السائب، فقال: يا مطربي الحجاز، ألشيءٍ كان اجتماعكما؟ فقالا: لغير موعدٍ كان ذلك، أفتؤنسنا؟ قال: فقعدوا يتحدثون. فلما مضى بعض الليل قال الأخضر لابن سلمة: يا أبا الأزهر، قد ابهار الليل وساعدك القمر، فأوقع بقهقهة ابن سريج وأصب معناك. فاندفع يغني:

صوت

تجنت بلا جرمٍ وصدت تغضباً ... وقالت لتربيها مقالة عاتب

سيعلم هذا أنني بنت حرةٍ ... سأمنع نفسي من ظنونٍ كواذب

فقولي له عنا تنح فإننا ... أبيات فحشٍ طاهرات المناسب

- الغناء لابن سريج و لم يذكر طريقته - قال: فجعل أبو السائب يزفن ويقول: أبشر حبيبي؛ فلأنت أفضل من شهداء قزوين. قال: ثم قال ابن سلمة للأخضر: نعم المساعد على هم الليل أنت! فأوقع بنوح ابن سريج ولا تعد معناك. فاندفع يغني:

صوت

فلما التقينا بالحجون تنفست ... تنفس محزون الفؤاد سقيم

وقالت وما يرقا من الخوف دمعها ... أقاطنها أم أنت غير مقيم

فإنا غداً تحدى بنا العيس بالضحى ... وأنت بما نلقاه غير عليم

فقطع قلبي قولها ثم أسبلت ... محاجز عيني دمعها بسجوم

قال: فجعل أبو السائب يتأفف ويقول: أعتق ما أملك إن لم تكن فردوسية الطينة، وإنما بعلمها لأفضل من آسية امرأة فرعون.

تغني الذلفاء بلحن ابن سريج

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال: بلغني أن أبا دهبلٍ الجمحي قال: كنت أنا وأبو السائب المخزومي عند مغنيةٍ بالمدينة يقال لها "الذلفاء"، فغنتنا بشعر جميل بن معمر العذري، واللحن لابن سريج:

صوت

لهن الوجى لم أكن عوناً على النوى ولا زال منها ظالعٌ وكسير

كأني سقيت السم يوم تحملوا وجد بهم حادٍ وحان مسير

فقال أبو السائب: يا أبا دهبل، نحن والله على خطرٍ من هذا الغناء، فنسأل الله السلامة وأن يكفينا كل محذور، فما آمن أن يهجم بي على أمرٍ يهتكني. قال: وجعل يبكي.

تأثير غناء ابن سريج في الحاج

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثنا الزبير بن بكار عن بكار بن رباح عن إسحاق بن مقمة عن أمه قالت: سمعت ابن سريج على أخشب منىً غداة النفر وهو يغني:

جدوي الوصل يا قريب وجودي لمحبٍّ فراقه قد ألما

ليس بين الحياة والموت إلا أن يردوا جمالهم فترما

- ونسبة هذا الصوت تأتي بعد هذه الأخبار - قالت: فما تشاء أن تسمع من خباءٍ ولا مضربٍ حنيناً ولا أنيناً إلا سمعته.

مذاكرة ابن المهدي وإسحاق في تفضيله

وذكر يوسف بن إبراهيم أنه حضر إسحاق بن إبراهيم الموصلي ليلةً وهو يذاكر إبراهيم بن المهدي، إلى أن قال إسحاق في بعض مخاطبته إياه: هذا صوتٌ قد تمعبد فيه ابن سريج. فقال له إبراهيم: ما ظننت أنك يا أبا محمد مع علمك وتقدمك تقول مثل هذا في ابن سريج، فكيف يجوز أن تقول: تمعبد ابن سريج، وإنما معبدٌ إذا أحسن قال: أصبحت سريجياً! قد أغنى الله ابن سريج عن هذا ورفع قدره عن مثله، وأعيذك بالله أن تستشعر مثله في ابن سريج. قال: فما رأيت إسحاق دفع ذلك ولا أباه، ولا زاد على أن قال: هي كلمةٌ يقولها الناس، لم أقلها اعتقاداً لها فيه، وإنما تكلمت بها على العادة.

اعتراف معبد له بالتفوق أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا محمد بن سلام قال: قال لي شعيب بن صخر: كان معبدٌ إذا غنى فأجاد قال: أنا اليوم سريجي.

كان المغنون يغنون فإذا جاء سكتوا حدثني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن سلام قال حدثنا شعيب بن صخر قال: كان نعمان المغني عندي نازلاً، وكان يغني، وكنت أراه يأتيه قوم. قال أبو عبد الله: فقلت له: فأيهم كان أحذق؟ قال: لا أدري، إلا أنهم كانوا إذا جاء ابن سريج سكتوا.

الأحوص وابن سريج

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمادٍ عن أبيه قال حدثني الهيثم بن عياشٍ قال حدثني عبد الرحمن بن عيينة قال: بينما نحن بمنىً ونحن نريد الغدو إلى عرفات، إذ أتانا الأحوص فقال: أبيت بكم الليلة؟ قلنا: بالرحب والسعة. فلما جنه الليل لم يلبث أن غاب عنا ثم عاد ورأسه يقطر ماءً. قلت: ما لك؟ قال:

صوت

تعرض سلماك لما حرم ... ت ضل ضلالك من محرم !

تريد به البر يا ليته ... كفافاً من البر والمأثم

- الغناء لابن سريج و لم يحنسه - قال قلت: زنيت ورب الكعبة! قال: قل ما بدا لك. ثم لقي ابن سريج فقال: إني قد قلت بيتين حسنين أحب أن تغنيني بهما. قال: ما هما؟ فأنشده إياهما؛ فغنى بهما من ساعته، ففتن من حضر ممن سمع صوته.

ارتحال جرير إلى مكة ليسمع غناءه

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني إسحاق بن يحيى بن طلحة قال: قدم جرير بن الخطفي المدينة ونحن يومئذٍ شبابٌ نطلب الشعر، فاحتشدنا له ومعنا أشعب. فبينا نحن عنده إذ قام لحاجة وأقمنا لم نبرح. وجاء الأحوص بن محمد الشاعر من قباء على حمارٍ فقال: أين هذا؟ فقلنا: قام لحاجةٍ، فما حاجتك إليه؟ قال: أريد والله أن أعلمه أن الفرزدق أشعر منه وأشرف. قلنا: ويحك! لا تعرض له وانصرف، فانصرف وخرج. فجاء جريرٌ فلم يكن بأسرع من أن أقبل الأحوص الشاعر فأقبل عليه، فقال: السلام عليك يا جرير. قال جريرٌ: وعليك السلام. فقال الأحوص: يابن الخطفى، الفرزدق أشرف منك وأشعر. قال جريرٌ: من هذا أخزاه الله! قلنا: الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح. فقال: نعم! هذا الخبيث ابن الطيب، أأنت القائل:

يقر بعيني ما يقر بعينها ... وأحسن شيءٍ ما به العين قرت

قال نعم. قال: فإنه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر، أفيقر ذلك بعينك؟! قال: وكان الأحوص يرمى بالحلاق فانصرف، فبعث إليهم بتمرٍ وفاكهة. وأقبلنا على جرير نسائله، وأشعب عند الباب وجريرٌ في مؤخر البيت، فألح عليه أشعب يسأل. فقال: والله إني لأراك أقبحهم وجهاً وأراك ألأمهم حسباً؛ فقد أبرمتني منذ اليوم. قال: إني والله أنفعهم وخيرهم لك. فانتبه جريرٌ وقال: ويحك! كيف ذاك؟ قال: إني أملح شعرك وأجيد مقاطعه ومبادئه. فقال: قل، ويحك! فاندفع أشعب فنادى بلحن ابن سريجٍ:

يا أخت ناجية السلام عليكم ... قبل الرحيل وقبل عدل العذل

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم ... يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

فطرب جريرٌ وجعل يزحف نحوه حتى ألصق بركبته ركبته، وقال: لعمري لقد صدقت، إنك لأنفعهم لي وقد حسنته وأجدته وزينته، أحسنت والله، ثم وصله وكساه. فلما رأينا إعجاب جرير بذلك الصوت، قال له بعض أهل المجلس: فكيف لو سمعت واضع هذا الغناء؟ قال: أو إن له لواضعاً غير هذا؟ فقلنا نعم. قال: فأين هو؟ قلنا: بمكة قال: فلست بمفارق حجازكم حتى أبلغه. فمضى ومضى معه جماعةٌ ممن يرغب في طلب الشعر في صحابته وكنت فيهم، فأتيناه جميعاً، فإذا هو في فتيةٍ من قريشٍ كأنهم المها مع ظرفٍ كثيرٍ، فأدنوا ورحبوا وسألوا عن الحاجة، فأخبرناهم الخبر، فرحبوا بجرير وأدنوه وسروا بمكانه، وأعظم عبيد بن سريج موضع جرير وقال: سل ما تريد جعلت فداءك! قال: أريد أن تغنيني لحناً سمعته بالمدينة أزعجني إليك. قال: وما هو؟ قال:

يا أخت ناجية السلام عليكم قبل الرحيل وقبل عذل العذل

فغناه ابن سريج وبيده قضيبٌ يوقع به وينكت، فوالله ما سمعت شيئاً قط أحسن من ذلك. فقال جرير: "لله دركم" يا أهل مكة، ما أعطيتم! والله لو أن نازعاً نزع إليكم ليقيم بين أظهركم فيسمع هذا صباح مساء لكان أعظم الناس حظاً ونصيباً، فكيف ومع هذا بيت الله الحرام، ووجوهكم الحسان، ورقة ألسنتكم، وحسن شارتكم، وكثرة فوائدكم! أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن جده إبراهيم قال:

الوليد بن عبد الملك وابن سريج

كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكة أن أشخص إلي ابن سريج، فأشخصه. فلما قدم مكث أياماً لا يدعو به ولا يلتفت إليه. قال: ثم إنه ذكره، فقال: ويلكم! أين ابن سريج؟ قالوا: هو حاضرٌ. قال: علي به. فقالوا: أجب أمير المؤمنين. فتهيأ ولبس وأقبل حتى دخل عليه فسلم. فأشار إليه أن اجلس، فجلس "بعيداً ". فاستدناه "فدنا " حتى كان منه قريباً، وقال: ويحك يا عبيد! لقد بلغني عنك ما حملني على الوفادة بك من كثرة أدبك وجودة اختيارك مع ظرف لسانك وحلاوة مجلسك. فقال: جعلت فداءك يا أمير المؤمنين! "تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه". قال الوليد: إني لأرجو ألا تكون أنت ذاك، ثم قال: هات ما عندك. فاندفع ابن سريج فغنى بشعر الأحوص:

أمنزلتي سلمى على القدم اسلما فقد هجتما للشوق قلباً متيما
وذكرتما عصر الشباب الذي مضى وجدة وصلٍ حبله قد تجذما
وإني إذا حلت ببيشٍ مقيمةً وحل بوج جالساً أو تتهما
يمانيةٌ شطت فأصبح نفعها رجاءً وظنا بالمغيب مرجما
أحب دنو الدار منها وقد أبى بها صدع شعب الدار إلا تثلما

بكاها وما يدري سوى الظن من بكى ... أحياً يبكى أم تراباً وأعظما

فدعها وأخلف للخليفة مدحةً ... تزل عنك بؤس أو تفيدك أنعما

فإن بكفيه مفاتيح رحمةٍ ... وغيث حياً يحيا به الناس مرهما

إمامٌ أتاه الملك عفواً ولم يثب ... على ملكه مالاً حراماً ولا دما

تخيره رب العباد لخلقه ... ولياً وكان الله بالناس أعلما

فلما قضاه الله لم يدع مسلماً ... لبيعته إلا أجاب وسلما

ينال الغنى والعز من نال وده ... ويرهب موتاً عاجلاً من تشأما

فقال الوليد: أحسنت والله وأحسن الأحوص! علي بالأحوص. ثم قال: يا عبيد هيه! فغناه بشعر عدي بن الرقاع العاملي يمدح الوليد:

صوت

طار الكرى وألم الهم فاكتنعا ... وحيل بيني وبين النوم فامتنعا

كان الشباب قناعاً أستكن به ... وأستظل زماناً ثمت انقشعا

فاستبدل الرأس شيباً بعد داجيةٍ ... فينانةٍ ما ترى في صدغها نزعا

فإن تكن ميعةٌ من باطلٍ ذهبت ... وأعقب الله بعد الصبوة الورعا

فقد أبيت أراعي الخود راقدةً ... على الوسائد مسروراً بها ولعا

براقة الثغر تشفي القلب لذتها ... إذا مقبلها في ريقها كرعا

كالأقحوان بضاحي الروض صبحه ... غيث أرش بتنضاحٍ وما نقعا

صلى الذي الصلوات الطيبات له ... والمؤمنون إذا ما جمعوا الجمعا

على الذي سبق الأقوام ضاحيةً ... بالأجر والحمد حتى صاحباه معا

هو الذي جمع الرحمن أمته ... على يديه وكانوا قبله شيعا

عذنا بذي العرش أن نحيا ونفقده ... وان نكون لراعٍ بعده تبعا

إن الوليد أمير المؤمنين له ... ملكٌ عليه أعان الله فارتفعا

لا يمنع الناس ما أعطى الذين هم ... له عبادٌ ولا يعطون ما منعا

فقال له الوليد: صدقت يا عبيد! أنى لك هذا؟ قال: هو من عند الله. قال الوليد: لو غير هذا قلت لأحسنت أدبك. قال ابن سريج: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. قال الوليد: يزيد في الخلق ما يشاء. قال ابن سريج: هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر. قال الوليد: لعلمك والله أكبر وأعجب إلي من غنائك! غنني. فغناه بشعر عدي بن الرقاع العاملي يمدح الوليد:

عرف الديار توهماً فاعتادها ... من بعد ما شمل البلى أبلادها

ولرب واضحة العوارض طفلةٍ ... كالريم قد ضربت بها أوتادها

إني إذا ما لم تصلني خلتي ... وتباعدت مني اغتفرت بعادها

صلى الإله على امرىءٍ ودعته ... وأتم نعمته عليه وزادها

وإذا الربيع تتابعت أنواؤه ... فسقى خناصرة الأحص فجادها

نزل الوليد بها فكان لأهلها ... غيثاً أغاث أنيسها وبلادها

أولا ترى أن البرية كلها ... ألقت خزائمها إليه فقادها

ولقد أراد الله إذ ولاكها ... من أمةٍ إصلاحها ورشادها

أعمرت أرض المسلمين فأقبلت ... وكففت عنها من يروم فسادها

وأصبت في أرض العدو مصيبةً ... عمت أقاصي غورها ونجادها

ظفراً ونصراً ما تناول مثله ... أحدٌ من الخلفاء كان أرادها

فإذا نشرت له الثناء وجدته ... جمع المكارم طرفها وتلادها

فأشار الوليد إلى بعض الخدم، فغطوه بالخلع ووضعوا بين يديه كيساً من الدنانير وبدراً من الدراهم، ثم قال الوليد بن عبد الملك: يا مولى بني نوفل بن الحارث، لقد أوتيت أمراً جليلاً. فقال ابن سريج: يا أمير المؤمنين! لقد آتاك الله ملكاً عظيماً وشرفاً عالياً، وعزاً بسط يدك فيه فلم يقبضه عنك ولا يفعل إن شاء الله. فأدام الله لك ما ولاك، وحفظك فيما استرعاك، فإنك أهلٌ لما أعطاك، ولا نزعه منك إذ رآك له موضعاً. قال: يا نوفلي، وخطيبٌ أيضاً! قال ابن سريج: عنك نطقت، وبلسانك تكلمت، وبعزك بينت. وقد كان أمر بإحضار الأحوص بن محمد الأنصاري وعدي بن الرقاع العاملي. فلما قدما عليه أمر بإنزالهما حيث ابن سريج، فأنزلا متزلاً إلى جنب ابن سريج. فقالا: والله لقرب أمير المؤمنين كان أحب إلينا من قربك يا مولى بني نوفلٍ، وإن في قربك لما يلذنا ويشغلنا عن كثيرٍ مما نريد. فقال لهما ابن سريج: أو قلة شكرٍ! فقال له عدي: كأنك يابن اللخناء تمن علينا! علي وعلي إن جمعنا وإياك سقف بيتٍ أو صحن دارٍ "إلا " عند أمير المؤمنين. وأما الأحوص فقال: أو لا تحتمل

لأبي يحيى الزلة والهفوة! وكفارة يمين خيرٌ من عدم المحبة، وإعطاء النفس سؤلها خيرٌ من لجاجٍ في غير منفعة! فتحول عدي، وبقي عنده الأحوص. وبلغ الوليد ما جرى بينهم، فدعا ابن سريج وأدخله بيتاً وأرخى دونه ستراً، ثم أمره إذا فرغ الأحوص وعدي من كلمتيهما أن يغني. فلما دخلا وأنشداه مدائح فيه، رفع ابن سريج صوته من حيث لا يرونه وضرب بعوده. فقال عدي: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي أن أتكلم؟ فقال: قل يا عاملي. قال: أمثل هذا عند أمير المؤمنين، ويبعث إلى ابن سريج يتخطى به رقاب قريشٍ والعرب من تهامة إلى الشأم، ترفعه أرضٌ وتخفضه أخرى فيقال: من هذا. فيقال: عبيد بن سريج مولى بني نوفلٍ بعث أمير المؤمنين إليه، ليسمع غناءه! فقال: ويحك يا عدي! أو لا تعرف هذا الصوت؟ قال: لا، والله ما سمعته قط ولا سمعت مثله حسناً، ولولا أنه في مجلس أمير المؤمنين لقلت: طائفةٌ من الجن يتغنون. فقال: اخرج عليهم، فخرج فإذا ابن سريج. فقال عدي: حق لهذا أن يحمل! حق لهذا أن يحمل! - ثلاثاً - ثم أمر لهما بمثل ما أمر به لابن سريج، وارتحل القوم. وكان الذي غناه ابن سريج من شعر عمر بن أبي ربيعة:

بالله يا ظبي بني الحارث	هل من وفى بالعهد كالناكث
لا تخدعني بالمنى باطلاً	وأنت بي تلعب كالعابث
حتى متى أنت لنا هكذا	نفسي فداءٌ لك يا حارثي
يا منتهى همي ويا منيتي	ويا هوى نفسي ويا وارثي

عتاب الناس له في صنعة الغناء

ثم رجوعهم بعد أن يسمعوا صوته

قال: وبلغني أن رجلاً من الأشراف من قريش من موالي ابن سريج عاتبه يوماً على الغناء وأنكره عليه، وقال له: لو أقبلت على غيره من الآداب لكان أزين بمواليك وبك! فقال: جعلت فداك! امرأته طالقٌ إن أنت لم تدخل الدار. فقال الشيخ: ويحك! ما حملك على هذا؟ قال: جعلت فداك قد فعلت. فالتفت النوفلي إلى بعض من كان معه متعجباً مما فعل. فقال له القوم: قد طلقت امرأته إن أنت لم تدخل الدار. فدخل ودخل القوم معه. فلما توسطوا الدار قال: امرأته طالقٌ إن أنت لم تسمع غنائي. قال: اغرب عني يا لكع! ثم بدر الشيخ ليخرج. فقال له أصحابه: أتطلق امرأته وتحمل وزر ذلك؟! قال: فوزر الغناء أشد. قالوا: كلا! ما سوى الله عز وجل بينهما. فأقام الشيخ مكانه. ثم اندفع ابن سريج يغني في شعر عمر بن أبي ربيعة في زينب:

أليست بالتي قالت	لمولاةٍ لها ظهرا
أشيري بالسلام له	إذا هو نحونا خطرا
وقولي في ملاطفةٍ	لزينب نولي عمرا

أهذا سحرك النسوا ن قد خبرنني الخبرا

فقال للجماعة: هذا والله حسن! ما بالحجاز مثله ولا في غيره. وانصرفوا.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال: قال عبد الله بن عمير الليثي لابن سريج: لو تركت الغناء! وعاتبه على ذلك. فقال: جعلت فداك! لو سمعته ما تركته. ثم قال: امرأته طالقٌ ثلاثاً إن لم تدخل الدار حتى تسمع غنائي. فالتفت عبد الله إلى رفيقٍ له كان معه فقال: ما تنتظر؟ ادخل بنا وإلا طلقت امرأة الرجل. فدخلا مع ابن سريج، فغنى بشعر الأحوص:

صوت

لقد شاقك الحي إذ ودعوا فعينك في إثرهم تدمع

وناداك للبين غربانه فظلت كأنك لا تسمع

ثم قال: امرأته طالقٌ إن أنت لم تستحسنه لأتركنه. فتبسم عبد الله وخرج.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات منها: الصوت الذي أوله في الخبر:

جددي الوصل يا قريب وجودي

أوله:

صوت

إن طيف الخيال حين ألما هاج لي ذكرةً وأحدث هما

جددي الوصل يا قريب وجودي لمحبٍّ فراقه قد ألما

ليس بين الحياة والموت ألا أن يردوا جمالهم فتزما

ولقد قلت مخفياً لغريضٍ هل ترى ذلك الغزال الأحما

هل ترى مثله من الناس شخصاً أكمل الناس صورةً وأتما

عروضه من الخفيف. الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سريج ثقيلٌ أول بالوسطى عن الهشامي. وفيه للغريض أيضاً ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير قال: أنشد جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين قول عمر:

ليس بين الحياة والموت إلا أن يردوا جمالهم فتزما

فطرب وارتاح وجعل يقول: لقد عجلوا البين، أفلا يوكون قربةً! أفلا يودعون صديقاً! أفلا يشدون رحلاً! حتى جرت دموعه.

وحدثنا الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير فذكر مثله.

ومنها:

صوت

يا أخت ناجية السلام عليكم قبل الرحيل وقبل عذل العذل

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

عروضه من الكامل. الشعر لجرير. والغناء لابن سريج ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن ابن المكي، وذكره إسحاق في هذه الطريقة و لم ينسبه إلى أحد. وفيه للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكي أيضاً. ومما يشك فيه أنه لمعبدٍ أو لكردمٍ ابنه في البيت الثاني والأول ثاني ثقيلٍ. ولعريب في هذين البيتين لحن من رواية ابن المعتز غير مجنس.

ومنها:

صوت

أمنزلتي سلمى على القدم أسلما فقد هجتما للشوق قلباً متيما

وذكرتما عصر الشباب الذي مضى وجدة وصلٍ حبله قد تجذما

عروضه من الطويل. والشعر للأحوص. والغناء لكردمٍ ثاني ثقيلٍ بالوسطى، وقيل: إن هذا الثقيل الثاني لمحمد الرف، وإن فيه لحناً من الثقيل الأول لكردمٍ.

ومنها:

صوت

عرف الديار توهماً فاعتادها من بعد ما شمل البلى أبلادها

إلا رواكد كلهن قد اصطلى حمراء أكثر أهلها إيقادها

عروضه من الكامل. الشعر لعدي بن الرقاع العاملي. والغناء لابن محرز ثقيلٌ أول مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لمالكٍ ثقيلٌ أول بالبنصر عن عمرٍو. وفيه لحنٌ لإبراهيم، وفي هذه الأخبار أنه لابن سريج، وذكر

حماد في كتاب ابن محرزٍ أنه مما ينسب إلى ابن مسجح، أو إلى ابن محرزٍ.

ومنها:

صوت

بالله يا ظبي بني الحارث هل من وفى بالعهد كالناكث

لا تخدعني بالمنى باطلاً وأنت بي تلعب كالعابث

عروضه من السريع. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج ولحنه خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى، وذكر عمرو بن بانة أنه لسياطٍ. وذكر الهشامي وبذل أن فيه لإبراهيم الموصلي لحناً آخر. وفيه خفيف رملٍ بالبنصر ذكر حبشٌ أنه لإبراهيم بن المهدي، وغيره ينسبه إلى إسحاق.

ومنها:

صوت

- وهو الذي أوله في الخبر:

أليست بالتي قالت لمولاةٍ لها ظهرا

تصابى القلب فادكرا هواه ولم يكن ظهرا

لزينب إذ تجد لنا صفاء لم يكن كدرا

أليست بالتي قالت لمولاةٍ لها ظهرا

أشيري بالسلام له إذا هو نحونا نظرا

وقولي في ملاطفةٍ لزينب نولي عمرا

فهزت رأسها عجباً وقالت من بذا أمرا

أهذا سحرك النسوا ن قد خبرنني الخبرا

طربت ورد من تهوى جمال الحي فابتكرا

فقل للبربرية لا تلومي القلب إن جهرا

بطرت وهكذا الإنسا ن ذو بطرٍ إذا ظفرا

فأين العهد والميثا ق لا تخبر بنا بشرا

عروضه من الوافر. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج في الثالث والرابع والخامس والأول خفيف ثقيلٍ أول مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وللغريض في السابع والثامن والأول لحنٌ من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالوسطى في مجراها عن إسحاق. ولمعبدٍ في هذا الأبيات كلها لحنٌ عن يونس ودنانير و لم يجنساه، وذكر الهشامي أنه خفيف ثقيلٍ. وفي السابع والثامن والتاسع رملٌ لدحمان، ويقال إنه للزبير ابنه ولمالكٍ لحنٌ أوله:

صوت

لقد أرسلت جاريتي ... وقلت لها خذي حذرك

وقولي في ملاطفةٍ ... لزينب نولي عمرك

فهزت رأسها عجباً ... وقالت من بذا أمرك

أهذا سحرك النسوا ... ن قد خبرنني خبرك

ولحن مالك هذا خفيف ثقيلٍ بالوسطى من رواية ابن المكي. وهذا يروي الشعر ويجعل قوافيه كلها على الكاف. وفي هذا الأبيات بعينها على هذا القافية خفيف رملٍ ينسب إلى ابن سريج وإلى الغريض. وذكر حبشٌ أن فيه لمعبد لحناً من الرمل أوله الثالث من الأبيات الأول المذكورة.

رجع الخبر إلى أحاديث ابن سريج

ابن سريج أحسن الناس غناء

أخبرنا يحيى بن علي ووكيعٌ وجحظة قالوا: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: قال لي الفضل بن يحيى: سألت أباك ليلةً وقد أخذ منه الشراب عن أحسن الناس غناءً، فقال لي؛ من النساء أم من الرجال؟ قلت: من الرجال. قال: ابن محرز. فقلت: فمن النساء؟ قال: ابن سريج، قال إسحاق لي: ويقال أحسن الرجال غناءً من تشبه بالنساء، وأحسن النساء غناءً من تشبه بالرجال. قال يحيى بن علي خاصة: ثم كان ابن سريج كأنه خلق من قلب كل واحد، فهو يغني له بما يشتهي.

ابن سريج ببعض أندية مكة

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد: قرأت على أبي عن الهيثم بن عدي قال: قال ابن سريج: مررت ببعض أندية مكة وفيه جماعةٌ، فحضرت فقلت: كيف أجوزهم مع تعبي وما أنا فيه! فسمعتهم يقولون: قد جاء ابن سريج، فقال بعضهم ممن لم يعرفني: ومن ابن سريج؟ فقال: الذي يغني:

ألا هل هاجك الأظعا ... ن إذ جاوزن مطلحا

قال ابن سريج: فلما سمعت ذلك قويت نفسي واشتدت منتي، ومررت بهم أخطر في مصبغاتي. فلما حاذيتهم قاموا بأجمعهم فسلموا علي، ثم قالوا لأحداثهم: امشوا مع أبي يحيى.

ابن سريج مع فتية من بني مروان

وقد حدثني عمي بهذا الخبر فقال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني محمد بن سلام عن جرير قال: قال لي ابن سريج: دعاني فتيةٌ من بني مروان، فدخلت إليهم وأنا في ثياب الحجاز الغلاظ الجافية، وهم في القوهي والوشي يرفلون كأنهم الدنانير الهرقلية، فغنيتهم وأنا محتقرٌ لنفسي عندهم لحناً لي، وهو:

صوت

أبا لفرع لم تظعن مع الحي زينب ... بنفسي عن النأي الحبيب المغيب

بوجهك عن مس التراب مضنةٌ ... فلا تبعدي إذ كل حي سيعطب

- ولحن ابن سريج هذا رملٌ بالخنصر في مجرى البنصر - قال: فتضاءلوا في عيني حتى ساويتهم في نفسي لما رأيتهم عليه من الإعظام لي. ثم غنيتهم:

ودع لبابة قبل أن تترحلا ... واسأل فإن قلاله أن تسألا

فطربوا وعظموني وتواضعوا لي، حتى صرت في نفسي بمنزلتهم لما رأيتهم عليه، وصاروا في عيني بمنزلتي. ثم غنيتهم:

ألا هل هاجك الأظعا ... ن إذ جاوزن مطلحا

فطربوا ومثلوا بين يدي ورموا بحللهم كلها حتى غطوني بها، فمثلت لي نفسي أنها نفس الخليفة وأنهم لي خولٌ، فما رفعت طرفي إليهم بعد ذلك تيهاً. وقد مضت نسبة "ودع لبابة" في أخبار عمر بن أبي ربيعة وغيره. وأما:

ألا هل هاجك الأظعا ... ن.....

فنذكر نسبته: نسبة هذا الصوت

صوت

ألا هل هاجك الأظعا ... ن إذ جاوزن مطلحا

نعم ولو شك بينهم ... جرى لك طائرٌ سنحا

أجزن الماء من رككٍ ... وضوء الفجر قد وضحا

فقلن مقيلنا قرنٌ ... نباكر ماءه صبحا

تبعتهم بطرف العي ... ن حتى قيل لي افتضحا
يودع بعضنا بعضاً ... وكلٌ بالهوى جرحا
فمن يفرح بينهم ... فغيري إذ غدوا فرحا

عروضه من الوافر. الشعر لأبي دهبلٍ الجمحي. والغناء لمالكٍ وله فيه لحنان: ثقيلٌ أول بالبنصر عن إسحاق، وخفيف ثقيلٍ بالوسطى "عن عمرٍو. ولمعبد فيه ثقيلٌ أول بالخنصر في مجرى الوسطى". ولابن سريج في الخامس وما بعده ثقيلٌ أول مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حبشٍ.

مدح جرير الشاعر لغناء ابن سريج

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قدم جريرٌ المدينة أو مكة فجلس مع قومٍ، فجعلوا يعرضون عليه غناء رجلٍ رجلٍ من المغنين، حتى غنوه لابن سريج، فطرب وقال: هذا أحسن ما أسمعتموني من الغناء كله. قالوا: وكيف قلت ذاك يا أبا حزرة؟ قال: مخرج كل ما أسمعتموني من الغناء من الرأس، ومخرج هذا من الصدر.

غناء رقطاء الحبطية وصفراء العلقمية

وتحكيم الأفلح المخزومي في ذلك

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أبي قال حدثني إبراهيم بن محمد الشافعي قال: جاء سندة الخياط المغني إلى الأفلح المخزومي - وكان يوصف بعقلٍ وفضلٍ - فقال له: من أين أقبلت؟ وإلى أين تمضي؟ فقال: إليك قصدت من مجلسٍ لبعض القرشيين أقبلت محاكماً إليك. قال: فيماذا؟ قال: كنت عند هذا الرجل وحضرت مجلسه رقطاء الحبطيين، وصفراء العلقميين، فتناولتا بينهما رمل ابن سريج:

ليت شعري كيف أبقى ساعةً ... مع ما ألقى إذا الليل حضر
من يذق نوماً ويهدأ ليله ... فلقد بدلت بالنوم السهر
قلت مهلاً إنها جنيةٌ ... إن نخالطها تفز منها بشر

فغنتاه جميعاً، واختلفتا في تفضيلهما، ففضل كل فريقٍ منا إحداهما، فرضينا جميعاً بحكمك، فاحكم بيننا وبينهما. قال: فوجم ساعةً - وأهل الحجاز إذا أرادوا أن يحكموا تأملوا ساعةً ثم حكموا، فإذا حكم المحكم مضى حكمه كائناً ما كان، ففضل من فضله وأسقط من أسقطه، إذا تراضى الخصمان به - فكره الأفلح أن يرضي قوماً ويسخط آخرين، فقال لسندة: صفهما أنت لي كيف كانتا إذ غنتاه واشرح لي مذهبهما فيه كما سمعت، وأنا أحكم بعد ذلك. فقال: سندة أما جارية الحبطيين، فإنها كانت تلوك لحنه كما يلوك الفرس العتيق لجامه، ثم تلقيه في هامةٍ لدنةٍ ثم تخرجه من منخر أغن، والله ما ابتدأته فتوسطته وأنا أعقل، ولا فرغت منه فأفقت إلا وأنا أظن

أني رأيته في نومي. وأما صفراء العلقميين، فإنها أحسنهما حلقاً، وأصحهما صوتاً، وألينهما تثنياً، والله ما سمعها أحدٌ قط فانتفع بنفسه ولا دينه. هذا ما عندي، فاحكم أنت يا أخا بني مخزومٍ. فقال: قد حكمت بأنهما بمنزلة العينين في الرأس، فبأيهما نظرت أبصرت، ولو كان في الدنيا من عبيد بن سريج خلفٌ لكانتا. قال: فانصرفوا جميعاً راضين بحكمه.

ثناء جرير المديني على ابن سريج

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام قال: سألت جرير المديني عن ابن سريج، فقال: أتذكره ويحك باسمه، ولا تقول: سيد من غنى وواحد من ترنم!

ثناء الشعبي عليه

قال حماد وحدثني أبي عن هارون بن مسلم عن محمد بن زهير السعدي الكوفي عن أبي بكر بن عياش عن الحسن بن عمرو الفقيمي قال: دخلت على الشعبي، فبينا أنا عنده في غرفته، إذ سمعت صوت غناء، فقلت: أهذا في جوارك؟ فأشرف بي على منزله، فإذا بغلامٍ كأنه فلقة قمرٍ وهو يتغنى - قال إسحاق: وهذا الغناء لابن سريج -:

وقميرٌ بدا ابن خمسٍ وعشري ... ن له قالت الفتاتان قوما

قال: فقال لي الشعبي: أتعرف هذا؟ قلت لا. فقال: هذا الذي أوتي الحكم صبياً، هذا ابن سريج.

ثناؤه على نفسه في تغنيه بشعر لعمر

وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبو أيوب المديني قال: حدثني الهشامي الربعي عن إسحاق الموصلي قال: تغنى ابن سريج في شعرٍ لعمر بن أبي ربيعة وهو:

صوت

خانك من تهوى فلا تخنه ... وكن وفياً إن سلوت عنه

واسلك سبيل وصله وصنه ... إن كان غداراً فلا تكنه

عسى تباريح تجيء منه ... فيرجع الوصل ولم تشنه

قال المكيون: قال ابن سريج: ما تغنين بهذا الشعر قط إلا ظننت أني أحل محل الخليفة.

قال مؤلف هذا الكتاب أبو الفرج الأصفهاني: وجدت في هذا الشعر لحنين - أحدهما ثقيلٌ أول والآخر رملٌ - مجهولين جميعاً، فلا أدري أيهما لحنه.

وصفه للمصيب المحسن من المغنين

ونسخت من كتاب العتابي: أخبرني عون بن محمد قال حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع عن جده الفضل عن ابن جامع عن سياط عن يونس الكاتب عن مالك بن أبي السمح قال: سألت ابن سريج عن قول الناس: فلان يصيب وفلان يخطىء، وفلان يحسن وفلان يسيء؛ فقال: المصيب المحسن من المغنين هو الذي يشبع الألحان، ويملأ الأنفاس، ويعدل الأوزان، ويفخم الألفاظ، ويعرف الصواب، ويقيم الإعرب، ويستوفي النغم الطوال، ويحسن مقاطيع النغم القصار، ويصيب أجناس الإيقاع، ويختلس مواقع النبرات، ويستوفي ما يشاكلها في الضرب من النقرات. فعرضت ما قال على معبدٍ، فقال: لو جاء في الغناء قرآنٌ ما جاء إلا هكذا.

يزيد بن عبد الملك ومولى حبابة المغنية

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثني الزبير بن بكار عن ظبية: أن يزيد بن عبد الملك قال لحبابة يوماً: أتعرفين أحداً هو أرب مني؟ قالت: نعم، مولاي الذي باعني. فأمر بإشخاصه فأشخص إليه مقيداً، وأعلم بحاله فأذن في إدخاله، فمثل بين يديه وحبابة ولاسمة تغنيان؛ فغنته سلامة لحن الغريض في:

تشط غداً دار جيراننا

فطرب وتحرك في أقياده. ثم غنته حبابة لحن ابن سريج المجرد في هذا الشعر، فوثب وجعل يحجل في قيده ويقول: هذا وأبيكما ما لا تعذلاني فيه، حتى دنا من الشمعة فوضع لحيته عليها فاحترقت، وجعل يصيح: الحريق الحريق يا أولاد الزنا. فضحك يزيد وقال: هذا والله أطرب الناس حقاً، ووصله وسرحه إلى بلده.

سماع عطاء وابن جريج لغناء ابن سريج

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا فضلٌ اليزيدي عن إسحاق: أن ابن سريج كان جالساً فمر به عطاءٌ وابن جريج، فحلف عليهما بالطلاق أن يغنيهما، على أنهما إن نهياه عن الغناء بعد أن يسمعا منه تركه. فوقفا له وغناهما:

إخوتي لا تبعدوا أبداً وابلى والله قد بعدوا

فغني على ابن جريج، وقام عطاء فرقص. ونسبة هذا الصوت وخبره يذكر في موضعٍ آخر.

غناؤه ووقفة الحاج لاستماعه

عند بستان ابن عامر

أخبرني الحسن قال حدثنا الفضل عن إسحاق: أن ابن سريج كان عند بستان ابن عامرٍ يغني:

لمن نارٌ بأعلى الخي ف دون البئر ما تخبو

أرقت لذكر موقعها فحن لذكرها القلب

إذا ما أخمدت ألقي عليها المندل الرطب

فجعل الحاج يركب بعضهم بعضاً، حتى جاء إنسانٌ من آخر القطرات فقال: يا هذا! قد قطعت على الحاج وحبستهم، والوقت قد ضاق، فاتق الله وقم عنهم! فقام وسار الناس.

استحقاق ابن سريج لجائزة سليمان

أخبرني الحسن قال حدثني محمد بن زكريا قال حدثني يزيد بن محمد عن إسحاق الموصلي: أن سليمان بن عبد الملك لما حج سبق بين المغنين بدرة. فجاء ابن سريج وقد أغلق الباب، فلم يأذن له الحاجب، فأمسك حتى سكتوا وغنى:

سرى همي وهم المرء يسري

فأمر سليمان بدفع البدرة إليه.

نسبة هذا الصوت

صوت

سرى همي وهم المرء يسري وغاب النجم إلا قيس فتر

أراقب في المجرة كل نجمٍ تعرض للمجرة كيف يجري

لهم لا أزال له مديماً كأن القلب أسعر حر جمر

على بكرٍ أخي ولى حميداً وأي العيش يصفو بعد بكر

الشعر لعروة بن أذينة، والغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى، وفيه لأبي عباد رملٌ بالوسطى، وذكر الهشامي أن هذا اللحن لصاحب الحرون.

وفاة ابن سريج في خلافة سليمان

ابن عبد الملك أو في آخر خلافة الوليد

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قال ابن مقمة: دخلت على ابن سريج في مرضه الذي مات فيه، فقلت: كيف أصبحت يا أبا يحيى؟ فقال: أصبحت والله كما قال الشاعر:

كأني من تذكر ما ألاقي ... إذا ما أظلم الليل البهيم

سقيمٌ مل منه أقربوه ... وأسلمه المداوي والحميم

ثم مات.

قال إسحاق: قال ابن مقمة: لما احتضر ابن سريج نظر إلى ابنته تبكي فبكى، وقال: إن من أكبر همي أنت، وأخشى أن تضيعي بعدي. فقالت: لا تخف؛ فما غنيت شيئاً إلا وأنا أغنيه. فقال: هاتي. فاندفعت تغني أصواتاً وهو مصغٍ إليها، فقال: قد أصبت ما في نفسي، وهونت علي أمرك. ثم دعا سعيد بن مسعود الهذلي فزوجه إياها؛ فأخذ عنها أكثر غناء أبيها وانتحله؛ فهو الآن ينسب إليه. قال إسحاق: فقال كثير بن كثير السهمي يرثيه:

ما اللهو بعد عبيدٍ حين يخبره ... من كان يلهو به منه بمطلب

لله قبر عبيدٍ ما تضمن من ... لذاذة العيش والإحسان والطرب

لولا الغريض ففيه من شمائله ... مشابهٌ لم أكن فيها بذي أرب

قال إسحاق: وحدثني هشام بن المرية أن قادماً قدم المدينة فسار معبداً بشيء، فقال معبدٌ: أصبحت أحسن الناس غناءً. فقلنا: أو لم تكن كذلك؟ فقال: ألا تدرون ما أخبرني به هذا؟ قالوا لا. قال: أعلمني أن عبيد بن سريج مات، ولم أكن أحسن الناس غناءً وهو حيٌّ. وفي ابن سريج يقول عمر بن أبي ربيعة:

صوت

قالت وعيناها تجودانها ... صوحبت والله لك الراعي

يابن سريج لا تذع سرنا ... قد كنت عندي غير مذياع

غنى فيه ابن سريج من رواية يونس.

قال أبو أيوب المديني: توفي ابن سريج بالعلة التي أصابته من الجذام بمكة، في خلافة سليمان بن عبد الملك أو في آخر خلافة الوليد، بمكة ودفن في موضع بها يقال له دسمٌ.

وقفة على قبر ابن سريج بدسم أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني هارون بن أبي بكرٍ قال حدثني إسحاق بن يعقوب العثماني مولى آل عثمان عن أبيه قال: إنا لبفناء دار عمرو بن عثمان بالأبطح في صبح خامسةٍ من الثمان - يعني أيام الحج - قال: كنت جالساً أيام الحج، فما إن دريت إلا برجلٍ على راحلةٍ على رحلٍ جميلٍ وأداةٍ حسنةٍ، معه صاحبٌ له على راحلةٍ قد جنب إليها فرساً وبغلاً، فوقفا علي

وسألاني، فانتسبت لهما عثمانياً. فنزلا وقالا: رجلان من أهلك لهما حاجةٌ ونحب أن تقضيها قبل أن نشده بأمر الحج. فقلت ما حاجتكما؟ قالا: نريد إنساناً يقفنا على قبر عبيد بن سريج. قال: فنهضت معهما حتى بلغت بهما محلة بني أبي قارة من خزاعة بمكة، وهم موالي عبيد بن سريج، فالتمست لهما إنساناً يصحبهما حتى يقفهما على قبره بدسم، فوجدت ابن أبي دباكلٍ فأنهضته معهما. فأخبرني بعد: أنه لما وقفهما على قبره نزل أحدهما عن راحلته فحسر عمامته عن وجهه، فإذا هو عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان، فعقر ناقته واندفع يندب بصوتٍ شجي كليلٍ حسنٍ ويقول:

وقفنا على قبرٍ بدسمٍ فهاجنا ... وذكرنا بالعيش إذ هو مصحب

فجالت بأرجاء الجفون سوافحٌ ... من الدمع تستتلي الذي يتعقب

إذا أبطأت عن ساحة الخد ساقها ... دمٌ بعد دمعٍ إثره يتصبب

فإن تسعدا نندب عبيداً بعولةٍ ... وقل له منا البكا والتحوّب

ثم نزل صاحبه فعقر ناقته، وقال له القرشي: خذ في صوت أبي يحيى؛ فاندفع يتغنى:

أسعداني بعبرةٍ أسراب ... من دموعٍ كثيرة التسكاب

إن أهل الحصاب قد تركوني ... مولهاً مولعاً بأهل الحصاب

أهل بيتٍ تتابعوا للمنايا ... ما على الموت بعدهم من عتاب

فارقوني وقد علمت يقيناً ... ما لمن ذاق ميتةً من إياب

كم بذاك الحجون من أهل صدقٍ ... كهولٍ أعفةٍ وشباب

سكنوا الجزع جزع بيت أبي مو ... سى إلى النخل من صفي السباب

فلي الويل بعدهم وعليهم ... صرت فرداً وملني أصحابي

قال ابن أبي دباكل: فوالله ما تمم صاحبه منها ثلاثاً حتى غشي على صاحبه، وأقبل يصلح السرج على بغلته وهو غير معرجٍ عليه. فسألته من هو؟ فقال: رجلٌ من جذام. قلت: بمن تعرف؟ قال: بعبد الله بن المنتشر. قال: ولم يزل القرشي على حاله ساعةً ثم أفاق، ثم جعل الجذامي ينضح الماء على وجهه ويقول كالمعاتب له: أنت أبداً مصبوبٌ على نفسك! ومن كلفك ما ترى! ثم قرب إليه الفرس، فلما علاه استخرج الجذامي من خرج على بغلٍ قدحاً وإداوة ماءٍ، فجعل في القدح تراباً من تراب قبر ابن سريج وصب عليه ماءً من الإداوة، ثم قال: هاك فاشرب هذه السلوة فشرب، ثم فعل هو مثل ذلك، وركب على البغل وأردفني. فخرجا والله ما يعرضان بذكر شيء مما كنا فيه، ولا أرى في وجوههما شيئاً مما كنت أرى قبل ذلك. فلما اشتمل علينا أبطح مكة قالا: انزل يا

خزاعي فنزلت. وأومأ الفتى إلى الجذامي بكلامٍ، فمد يده إلي وفيها شيءٌ فأخذته، فإذا هو عشرون ديناراً، ومضيا. فانصرفت إلى قبره ببعيرين، فاحتملت عليهما أداة الراحلتين اللتين عقراهما فبعتهما بثلاثين ديناراً.

صوت من المائة المختارة

ثالث الثلاثة الأصوات المختارة

وهو الثالث من الثلاثة المختارة.

أهاج هواك المنزل المتقادم — نعم وبه ممن شجاك معالم

مضارب أوتادٍ وأشعث دائرٌ — مقيمٌ وسفعٌ في المحل جوائم

عروضه من الطويل. الشعر لنصيبٍ. والغناء في اللحن المختار لابن محرز ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وله فيه أيضاً هزجٌ بالسبابة في مجرى البنصر، وذكر جحظة عن أصحابه أنه هو المختار. وحكى إن أصحابه أنه ليس في الغناء كله نغمةٌ إلا وهي في الثلاثة الأصوات المختارة التي ذكرها.

ومن قصيدة نصيبٍ هذا مما يغنى فيه قوله:

لقد راعني للبين نوح حمامةٍ — على غصن بانٍ جاوبتها حمائم

هواتف أما من بكين فعهده — قديمٌ وأما شجوهن فدائم

الغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن يونس ويحيى المكي وإسحاق، وأظنه مع البيتين الأولين وأن الجميع لحنٌ واحدٌ، ولكنه تفرق لصعوبة اللحن وكثرة ما فيه من العمل. فجعلا صوتين.

ذكر نصيب وأخباره

نسب نصيب ونشأته

هو نصيب بن رباح، مولى عبد العزيز بن مروان، وكان لبعض العرب من بني كنانة السكان بودان، فاشتراه بعد العزيز منهم، وقيل: بل كانوا أعتقوه، فاشترى عبد العزيز ولاءه منهم، وقيل: بل كاتب مواليه، فأدى عنه مكاتبته.

وقال ابن دأبٍ: كان نصيبٌ من قضاعة ثم من بليٍّ. وكانت أمه سوداء فوقع عليها سيدها فحبلت بنصيبٍ، فوثب عليه عمه بعد وفاة أبيه فباعه من عبد العزيز.

وقال أبو اليقظان: كان أبوه من كنانة من بني ضمرة. وكان شاعراً فحلاً فصيحاً مقدماً في النسيب والمديح، و لم يكن له حظٌ في الهجاء، وكان عفيفاً، وكا يقال: أنه لم ينسب قط إلا بامرأته.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال: كتب إلي عبد الله بن عبد العزيز بن محجن بن

نصيبٍ بن رباح يذكر عن عمته غرضة بنت النصيب: أن النصيب كان ابن نوبيين سبيين كانا لخزاعة، ثم اشترت سلامة أم نصيب امرأةٌ من خزاعة ضمريةٌ حاملاً بالنصيب، فأعتقت ما في بطنها.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن كناسة قال: كان نصيبٌ من أهل ودان عبداً لرجلٍ من كنانة هو وأهل بيته. وكان أهل البادية يدعونه النصيب تفخيماً له، ويروون شعره. وكان عفيفاً كبير النفس مقدماً عند الملوك، يجيد مديحهم ومراثيهم.

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي قال: كان نصيب من بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة. وكانت أمه أمةً سوداء، وقع عليها أبوه فحملت ثم مات، فباعه عمه أخو أبيه من عبد العزيز بن مروان.

مبدأ قوله الشعر واتصاله بعبد العزيز

ابن مروان بمصر

قال حماد وأخبرني أبي عن أيوب بن عبابة، وأخبرنا الحرمي عن الزبير عن عمه وعن إسحاق بن إبراهيم جيمعاً عن أيوب بن عبابة قال حدثني رجلٌ من خزاعة من أهل كلية - وهي قريةٌ كان فيها النصيب وكثير - قال: بلغني أن النصيب قال: قلت الشعر وأنا شابٌ فأعجبني قولي، فجعلت آتي مشيخةً من بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة - وهم موالي النصيب - ومشيخةً من خزاعة، فأنشدهم القصيدة من شعري، ثم أنسبها إلى بعض شعرائهم الماضين، فيقولون: أحسن والله! هكذا يكون الكلام! وهكذا يكون الشعر! فلما سمعت ذلك منهم علمت أني محسنٌ، فأزمعوا وأزمعت الخروج إلى عبد العزيز بن مروان، وهو يومئذٍ بمصر، فقلت لأختي أمامة وكانت عاقلةً جلدةً: أي أخية، إني قد قلت شعراً، وأنا أريد عبد العزيز بن مروان، وأرجو أن يعتقك الله عز وجل به وأمك، ومن كان مرقوقاً من أهل قرابتي. قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون! يابن أم، أتجتمع عليك الخصلتان: السواد، وأن تكون ضحكةً للناس! قال: قلت فاسمعي، فأنشدتها فسمعت، فقالت: بأبي أنت! أحسنت والله! في هذا والله رجاءٌ عظيمٌ، فاخرج على بركة الله. فخرجت على قعودٍ لي حتى قدمت المدينة، فوجدت بها الفرزدق في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرجت إليه فقلت: أنشده واستنشده وأعرض عليه شعري. فأنشدته، فقال لي: ويلك! أهذا شعرك الذي تطلب به الملوك؟ قلت: نعم. قال: فلست في شيء. إن استطعت أن تكتم هذا على نفسك فافعل. فانفضخت عرقاً، فحصبني رجلٌ من قريشٍ كان قريباً من الفرزدق، وقد سمع إنشادي وسمع ما قال لي الفرزدق، فأومأ إلي فقمت إليه. فقال: ويحك! أهذا شعرك الذي أنشدته الفرزدق؟ قلت: نعم. فقال: قد والله أصبت، والله لئن كان هذا الفرزدق شاعراً لقد حسدك، فإنا لنعرف محاسن الشعر، فامض لوجهك ولا يكسرنك. قال: فسرني قوله، وعلمت أنه قد صدقني فيما قال، فاعتزمت على المضي. قال: فمضيت فقدمت مصر، وبها عبد العزيز بن مروان، فحضرت بابه مع الناس، فنحيت عن مجلس الوجوه، فكنت وراءهم، ورأيت رجلاً جاء على بغلةٍ حسن الشارة سهل المدخل، يؤذن له إذا جاء. فلما انصرف إلى منزله انصرفت معه أماشي

بغلته. فلما رآني قال: ألك حاجةٌ؟ قلت: نعم، أنا رجلٌ من أهل الحجاز شاعرٌ، وقد مدحت الأمير وخرجت إليه راجياً معروفه. وقد ازدريت فطردت من الباب ونحيت عن الوجوه. قال: فأنشدني، فأنشدته. فأعجبه شعري، فقال: ويحك! أهذا شعرك؟ فإياك أن تنتحل، فإن الأمير روايةٌ عالمٌ بالشعر وعنده رواةٌ، فلا تفضحني ونفسك. فقلت: والله ما هو إلا شعري. فقال: ويحك! فقل ابياتاً تذكر فيها حوف مصر وفضلها على غيرها، والقني بها غداً. فغدوت عليه من غدٍ فأنشدته قولي:

سرى الهم تثنيني إليك طلائعه ... بمصر وبالحوف اعترتني روائعه

وبات وسادي ساعدٌ قل لحمه ... عن العظم حتى كاد تبدو أشاجعه

قال: وذكرت فيها الغيث فقلت:

وكم دون ذاك العارض البارق الذي ... له اشتقت من وجهٍ أسيل مدامعه

تمشى به أفناء بكرٍ ومذحجٍ ... وأفناء عمرٍو وهو خصبٌ مرابعه

فكل مسيلٍ من تهامة طيبٌ ... دميث الربا تسقي البحار دوافعه

أعني على برقٍ أريك وميضه ... تضيء دجنات الظلام لوامعه

إذا اكتحلت عينا محب بضوئه ... تجافت به حتى الصباح مضاجعه

هنيئاً لأم البختري الروي به ... وإن أنهج الحبل الذي أنا قاطعه

وما زلت حتى قلت إني لخالعٌ ... ولائي من مولى نمتني قوارعه

ومانح قومٍ أنت منهم مودتي ... ومتخذٌ مولاك مولىً فتابعه

نصيب وأيمن بن خريم الأسدي

فقال: أنت والله شاعرٌ! احضر بالباب حتى أذكرك للأمير. قال: فجلست على الباب ودخل، فما ظننت أنه أمكنه أن يذكرني حتى دعي بي. فدخلت فسلمت على عبد العزيز، فصعد في بصره وصوب، ثم قال: أنت شاعرٌ؟ ويلك!.

قلت: نعم، أيها الأمير. قال: فأنشدني. فأنشدته، فأعجبه شعري. وجاء الحاجب فقال: أيها الأمير، هذا أيمن بن خريم الأسدي بالباب. قال: ائذن له، فدخل فاطمأن. فقال له الأمير: يا أيمن بن خريم، كم ترى ثمن هذا العبد؟ فنظر إلي فقال: والله لنعم الغادي في أثر المخاض، هذا أيها الأمير أرى ثمنه مائة دينار. قال: فإن له شعراً وفصاحةً. فقال لي أيمن: أتقول الشعر؟ قلت: نعم. قال: قيمته ثلاثون ديناراً. قال: يا أيمن، أرفعه وتخفضه أنت! قال: لكونه أحمق أيها الأمير! ما لهذا وللشعر! أمثل هذا يقول الشعر! أو يحسن شعراً! فقال: أنشده يا نصيب،

فأنشدته. فقال له عبد العزيز: كيف تسمع يا أيمن؟ قال: شعر أسود، هو أشعر أهل جلدته. قال: هو والله أشعر منك. قال: أمني أيها الأمير؟ قال: إي والله منك. قال: والله أيها الأمير، إنك لملولٌ طرفٌ. قال: كذبت والله ما أنا كذلك! ولو كنت كذلك ما صبرت عليك! تنازعني التحية وتؤاكلني الطعام وتتكىء على وسائدي وفرشي وبك ما بك! - يعني وضحاً كان بأيمن - قال: ائذن لي "أن" أخرج إلى بشرٍ بالعراق. واحملني على البريد. قال: قد أذنت لك، وأمر به فحمل على البريد إلى بشرٍ. فقال: أيمن بن خريم:

ركبت من المقطم في جمادى ... إلى بشر بن مروان البريدا
ولو أعطاك بشرٌ ألف ألفٍ ... رأى حقاً عليه أن يزيدا
أمير المؤمنين أقم ببشرٍ ... عمود الحق إن له عمودا
ودع بشراً يقومهم ويحدث ... لأهل الزيغ إسلاماً جديدا
كأن التاج تاج بني هرقلٍ ... جلوه لأعظم الأيام عيدا
عل ديباج خدي وجه بشرٍ ... إذا الألوان خالفت الخدودا

قال أيوب يعني بقوله:

إذا الألوان خالفت الخدودا

أنه عرض بكلفٍ كان في وجه عبد العزيز -.

وأعقب مدحتي سرجاً مليحاً ... وأبيض جوزجانياً عقودا
وإنا قد وجدنا أم بشرٍ ... كأم الأسد مذكاراً ولودا

قال: فأعطاه بشرٌ مائة ألف درهمٍ.

أول من نوه باسم نصيب لعبد العزيز

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال: أول من نوه باسم نصيب وقدم به على عبد العزيز بن مروان عبد الله بن أبي فروة، قدم به عليه وهو وصيفٌ حين بلغ وأول ما قال الشعر. قال: أصلح الله الأمير! جئتك بوصيفٍ نوبي يقول الشعر - وكان نصيب ابن نوبيين - فأدخله عليه، فأعجبه شعره، وكان معه أيمن بن خريم الأسدي. فقال عبد العزيز: إذا دعوت بالغداء فأدخلوه علي في جبة صوفٍ محتزماً بعقال، فإذا قلت قوموه فقوموه وأخرجوه وردوه علي في جبةٍ وشيٍ ورداء وشيٍ. فلما جلس للغداء ومعه أيمن بن خريم أدخل نصيبٌ في جبة صوفٍ محتزماً بعقالٍ، فقال: قوموا هذا الغلام. فقالوا: عشرةٌ، عشرون، ثلاثون ديناراً. فقال: ردوه، فأخرجوه ثم ردوه في جبة وشيٍ ورداء وشيٍ. فقال: أنشدنا، فأنشدهم. فقال: قوموه، قالوا: ألف دينارٍ. فقال أيمن: والله ما كان قط أقل في عيني منه الآن،

وإ، لنعم راعي المخاض. فقال له: فكيف شعره؟ قال: هو أشعر أهل جلدته. فقال له عبد العزيز: وهو والله أشعر منك. قال: أمني أيها الأمير؟ قال أيمن: إنك لمولٌ طرفٌ. فقال له: والله ما أنا بمولٍ وأنا أنازعك الطعام منذ كذا وكذا، تضع يدك حيث أضعها وتلتقي يدك مع يدي على مائدة، كل ذلك أحتملك! - وكان بأيمن بياضٌ - فقال له أيمن: ائذن لي أخرج إلى بشرٍ. فأذن له فخرج، وقال أبياته التي أولها:

ركبت من المقطم في جمادى

وقد مضت الأبيات. قال: فلما جاز بعبد الملك بن مروان، قال: أين تريد؟ قال أريد أحاك بشراً. قال: أتجوزني؟! قال: إي والله أجوزك إلى من قدم إلي وطلبني. قال: فلم فارقت صاحبك؟ قال: رأيتكم يا بني مروان، تتخذون للفتى من فتيانكم مؤدبا، وشيخكم والله محتاجٌ إلى خمسة مؤدبين. فسر ذلك عبد الملك، وكان عازماً على أن يخلعه ويعقد لابنه الوليد.

ابتاعه عبد العزيز وأعتقه وقيل: أعتقته امرأة من ضمرة أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال:

يقال: إن نصيباً أضل إبلاً فخرج في بغائها فلم يصبها، وخاف مواليه أن يرجع إليهم، فأتى عبد العزيز بن مروان فمدحه وذكر له قصته، فأخلف عليه ما ضل لمواليه وابتاعه وأعتقه.

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عبد الله بن إبراهيم الهلالي ثم الدوسي قال: أراد النصيب الخروج إلى عبد العزيز بن مروان، وهو عبدٌ لبني محرزٍ الضمري، فقالت أمه له: إنك سترقد ويأخذك ابن محرزٍ يذهب بك، فذهب و لم يبال بقولها. حتى إذا كان بمكان ماءٍ يعرف بالدو، فبينا هو راقدٌ إذ هجم عليه ابن محرزٍ، فقال حين رآه:

إني لأخشى من قلاص ابن محرزٍ ... إذا وخدت بالدو وخد النعائم

يرعن بطين القوم أية روعةٍ ... ضحيا إذا استقبلنه غير نائم

فأطلقوه، فرجع فأتى أمه فقالت: أخبرتك يا بني أنه ليس عندك أن تعجز القوم. فإن كنت يا بني قد غلبتني أنك ذاهبٌ فخذ بنت الفلانة، فإني رأيتها وطئت أفحوص بيضات قطاةٍ فلم تفلقهن فركبها، فهي التي بلغته ابن مروان.

قال أبو عبد الله بن الزبير: عندنا أن التي أعتقته امرأةٌ من بني ضمرة ثم من بني حنبل.

أول اتصال نصيب بعبد العزيز حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم قال حدثنا كليب بن إسماعيل مولى بني أمية وكان حدثاً "أي حسن الحديث" قال: بلغني أن نصيباً كان حبشياً يرعى إبلاً لمواليه، فأضل منها بعيراً، فخرج في طلبه حتى أتى الفسطاط، وبه إذ ذاك عبد العزيز بن مروان، وهو ولي "عهد " عبد الملك بن مروان، فقال نصيبٌ: ما بعد عبد العزيز واحدٌ أعتمده لحاجتي. فأتى الحاجب فقال: استأذن لي على الأمير، فإني قد هيأت له مديحاً. فدخل الخاجب فقال: أصلح الله الأمير! بالباب

رجلٌ أسود يستأذن عليك بمديح قد هيأه لك. فظن عبد العزيز أنه ممن يهزأ به ويضحكهم، فقال: مره بالحضور ليوم حاجتنا إليه. فغدا نصيب وراح إلى باب عبد العزيز أربعة أشهر، وأتاه آتٍ من عبد الملك فسره، فأمر بالسرير فأبرز للناس، وقال: علي بالأسود، وهو يريد أن يضحك منه الناس. فدخل، فلما كان حيث يسمع كلامه، قال:

لعبد العزيز على قومه وغيرهم نعم غامره
فبابك ألين أبوابهم ودارك مأهولةٌ عامره
وكلبك آنس بالمعتفين من الأم بالإبنة الزائره
وكفك حين ترى السائلي ن أندى من الليلة الماطره
فمنك العطاء ومني الثناء بكل محبرةٍ سائره

فقال: أعطوه أعطوه. فقال: إني مملوكٌ. فدعا الحاجب فقال: اخرج فابلغ في قيمته، فدعا المقومين فقال: قوموا غلاماً أسود ليس به عيبٌ. قالوا: مائة دينارٍ. قال: إنه راعٍ للإبل يبصرها ويحسن القيام عليها. قالوا: حينئذ مائتا دينار. قال: إني يبري القسي ويثقفها ويرمي النبل ويريشها. قالوا: أربعمائة دينار. قال: إنه روايةٌ للشعر بصيرٌ به. قالوا: ستمائة دينار. قال: إنه شاعرٌ لا يلحق حذقاً. قالوا: ألف دينار. قال عبد العزيز: ادفعوها إليه. قال: أصلح الله الأمير! ثمن بعيري الذي أضللت. قال: وكم ثمنه؟ قال: خمسةٌ وعشرون ديناراً. قال: ادفعوها إليه. قال: أصلح الله الأمير! جائزتي لنفسي عن مديحي إياك. قال: اشتر نفسك ثم عد إلينا. فأتى الكوفة وبها بشر بن مروان، فاستأذن عليه فاستصعب الدخول إليه. وخرج بشر بن مروان متنزهاً فعارضه، فلما ناكبه "أي صار حذاء منكبه" ناداه:

يا بشر يابن الجعفرية ما خلق الإله يديك للبخل
جاءت به عجزٌ مقابلةٌ ما هن من جرمٍ ولا عكل

قال: فأمر له بشرٌ بعشرة آلاف درهم. الجعفرية التي عناها نصيبٌ: أم بشر بن مروان، وهي قطية بنت بشر بن عامر ملاعب الأسنة بن مالك بن جعفر بن كلاب.

أم بشر بن مروان ابن الحكم

أخبرنا اليزيدي عن الخراز عن المدائني عن عبد الله بن مسلم وعامر بن حفص وغيرهما: أن مروان بن الحكم مر ببادية بني جعفر، فرأى قطية بنت بشر تترع بدلو على إبلٍ لها، وتقول:

ليس بنا فقرٌ إلى التشكي جربةٌ كحمر الأبك
لا ضرعٌ فيها ولا مذكي

ثم تقول:

عامان ترقيقٌ وعامٌ تمما ... لم يترك لحماً ولم يترك دما

ولم يدع في رأس عظمٍ ملدما ... إلا رذايا ورجالاً رزما

فخطبها مروان فتزوجها، فولدت له بشر بن مروان.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أحمد بن معاوية عن إسحاق بن أيوب عن خليل بن عجلان في خبر النصيب مثل ما ذكره الزبير وإسحاق سواءً.

كان إذا أصاب مالا قسمه في مواليه

وكان فيه كأحدهم وظل كذلك حتى مات

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي قال: دعا النصيب مواليه أن يستلحقوه فأبى، وقال: والله لأن أكون مولى لائقاً أحب إلي من أن أكون دعياً لاحقاً. وقد علمت أنكم تريدون بذلك مالي، ووالله لا أكسب شيئاً أبداً إلا كنت أنا وأنتم فيه سواءً كأحدكم، لا أستأثرو عليكم منه بشيء أبداً. قال: وكان كذلك معهم حتى مات، إذا أصاب شيئاً قسمه فيهم، فكان فيه كأحدهم.

نصيب والفرزدق بحضرة سليمان

أخبرني الحرمي قال حدثنا "الزبيري، وحدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا الزبير" قال حدثنا محمد بن إسماعيل الجعفري قال: دخل النصيب على سليمان بن عبد الملك وعنده الفرزدق، فاستنشد الفرزدق وهو يرى أنه سينشده مديحاً له، فأنشده قوله يفتخر:

وركبٍ كأن الريح تطلب عندهم ... لها ترةً من جذبها بالعصائب

سروا يركبون الريح وهي تلفهم ... على شعب الأكوار من كل جانب

إذا استوضحوا ناراً يقولون ليتها ... وقد خصرت أيديهم نار غالب

قال: وعمامته على رأسه مثل المنسف؛ فغاظ سليمان وكلح في وجهه، وقال لنصيب: قم فأنشد مولاك ويلك! فقام نصيب فأنشده قوله:

اقول لركبٍ صادرين لقيتهم ... قفا ذات أوشالٍ ومولاك قارب

قفوا خبروني عن سليمان إنني ... لمعروفه من أهل ودان طالب

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وقالوا عهدناه وكل عشيةٍ ... بأبوابه من طالب العرف راكب

هو البدر والناس الكواكب حوله ولا تشبه البدر المضيء الكواكب

فقال له سليمان: أحسنت والله يا نصيب! وأمر له بجائزة و لم يصنع ذلك بالفرزدق. فقال الفرزدق وقد خرج من عنده:

وخير الشعر أكرمه رجالاً وشر الشعر ما قال العبيد

نصيب وعبد العزيز بجبل المقطم

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عمه موسى بن عبد العزيز قال: حمل عبد العزيز بن مروان النصيب بالمقطم "مقطم مصر" على بختيٍّ قد رحله بغبيطٍ فوقه، وألبسه مقطعات وشيٍ، ثم أمره أن ينشد؛ فاجتمع حوله السودان وفرحوا به، فقال لهم: أسررتكم؟ قالوا: إي والله. قال: والله لما يسوءكم من أهل جلدتكم أكثر.

نصيب وجرير

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبو العراف قال: مر جرير بنصيب وهو ينشد، فقال له: اذهب فأنت أشعر أهل جلدتك. قال: وجلدتك يا أبا حزرة.

هشام بن عبد الملك ونصيب

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني أيوب بن عباية قال: بلغني أن النصيب كان إذا قدم على هشام بن عبد الملك أخلى له مجلسه واستنشده مراثي بني أمية، فإذا أنشده بكى وبكى معه. فأنشده يوماً قصيدةً له مدحه بها، يقول فيها:

إذا استبق الناس العلا سبقتهم يمينك عفواً ثم صلت شمالها

فقال له هشامٌ: يا أسود، بلغت غاية المدح فسلني. فقال: يدك بالعطية أجود وأبسط من لساني بمسئلتك. فقال: هذا والله أحسن من الشعر، وحباه وكساه وأحسن جائزته.

نصيب وإعتاقه ذوي قرابته

أخبرني الحسين بن يحيى قال أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه أيوب بن عباية قال:

أصاب نصيبٌ من عبد العزيز بن مروان معروفاً، فكتمه ورجع إلى المدينة في هيئة بذةٍ، فقالوا: لم يصب بمدحه شيئاً. فمكث مدة، ثم ساوم بأمه فابتاعها وأعتقها، ثم ابتاع أم أمه بضعف ما ابتاع به أمه فأعتقها. وجاءه ابن خالةٍ له اسمه سحيمٌ فسأله أن يعتقه، فقال له: ما معي والله شيءٌ، ولكني إذا خرجت أخرجتك معي، لعل الله أن

يعتقك. فلما أراد الخروج دفع غلاماً له إلى مولى سحيم يرعى إبله وأخرجه معه، فسأل في ثمنه فأعطاهه وأعتقه. فمر به يوماً وهو يزفن ويزمر مع السودان، فأنكر ذلك عليه وزجره. فقال له: إن كنت أعتقتني لأكون كما تريد فهذا والله ما لا يكون أبداً، وإن كنت أعتقتني لتصل رحمي وتقضي حقي فهذا والله الذي أفعله هو الذي أريده، أزفن وأزمر وأصنع ما شئت. فانصرف النصيب وهو يقول:

إني اراني لسحيم قائلا ... إن سحيماً لم يثبني طائلا

نسيت إعمالي لك الرواحلا ... وضربي الأبواب فيك سائلا !

عند الملوك أستثيب النائلا ... حتى إذا آنست عتقاً عاجلا!

وليتني منك القفا والكاهلا ... أخلقاً شكساً ولوناً حائلا

استعجاله جائزة عند عبد العزيز

ابن مروان، وليلى أم عبد العزيز

قال إسحاق: وأبطأت جائزة النصيب عند عبد العزيز، فقال:

وإن وراء ظهري يابن ليلى ... أناساً ينظرون متى أؤوب

أمامة منهم ولمأقييها ... غداة البين في أثري غروب

تركت بلادها ونأيت عنها ... فأشبه ما رأيت بها السلوب

فأتبع بعضنا بعضاً فلسنا ... نثيبك لكن الله المثيب

فعجل جائزته وسرحه. قال إسحاق: فحدثني ابن كناسة قال: ليلى أم عبد العزيز كلبيةٌ. وبلغني عنه أنه قال: لا أعطي شاعراً شيئاً حتى يذكرها في مدحي لشرفها؛ فكان الشعراء يذكرونها باسمها في أشعارهم.

شرف نصيب لشعره

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن ابن عباية قال: وقفت سوداء بالمدينة على نصيبٍ وهو ينشد الناس، فقالت: بأبي أنت يابن عم وأمي! ما أنت والله علي بخزيٍ. فضحك وقال: والله لمن يخزيك من بني عمك أكثر ممن يزينك.

خطبة ابن نصيب بنت سيده

وما فعله نصيب في ذلك

قال إسحاق وحدثني ابن عبابة وغيره أن ابناً لنصيب خطب بعد وفاة سيده الذي أعتقه بنتاً له من أخيه، فأجابه إلى ذلك، وعرف أباه. فقال له: اجمع وجوه الحي لهذا الحال فجمعهم. فلما حضروا أقبل نصيبٌ على أخي سيده فقال: أزوجت ابني هذا من ابنة أخيك؟ قال: نعم. فقال لعبيدٍ له سودٍ: خذوا برجل ابني هذا فجروه فاضربوه ضرباً مبرحاً، ففعلوا وضربوه ضرباً مبرحاً. وقال لأخي سيده: لولا أني أكره أذاك لألحقتك به. ثم نظر إلى شاب من أشراف الحي، فقال: زوج هذا ابنة أخيك وعلي ما يصلحهما في مالي، ففعل.

نصيب وعبد الملك حين أراد منادمته

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: دخل نصيبٌ على عبد الملك فتغدى معه، ثم قال: هل لك فيما نتنادم عليه؟ فقال: تؤمنني ففعل. فقال: لوني حائلٌ، وشعري مفلفلٌ، وخلقتي مشوهةٌ، و لم أبلغ ما بلغت من إكرامك إياي بشرف أبٍ أو أمٍ أو عشيرة، وإنما بلغته بعقلي ولساني. فأنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تحول بيني وبين ما بلغت به هذه المنزلة منك فأعفاه.

سبب تسميته بهذا الاسم

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني محمد بن صالح بن النطاح قال بلغني عن خلاذ بن مرة عن أبي بكر بن مزيدٍ قال: لقيت النصيب يوماً بباب هشام، فقلت له: يا أبا محجنٍ، لم سميت نصيباً، ألقولك في شعرك عاينها النصيب؟ فقال: لا، ولكني ولدت عند أهل بيتٍ من ودان، فقال سيدي: إيتونا بمولودنا هذا لننظر إليه. فلما رآني قال: إنه لمنصب الخلق؛ فسميت النصيب، ثم اشتراني عبد العزيز بن مروان فأعتقني.

فصاحته وتخلصه إلى جيد الكلام

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن كناسة أبي يحيى الأسدي قال: قال أبو عبد الله بن أبي إسحاق البصري: لئن وليت العراق لأستكتبن نصيباً لفصاحته وتخلصه إلى جيد الكلام.

صدق الحديث مع عبد العزيز فأجازه

أخبرني الأسدي قال حدثني محمد بن صالح عن أبيه عن محمد بن عبد العزيز الزهري. قال: حدثني نصيبٌ قال: دخلت على عبد العزيز بن مروان، فقال: أنشدني قولك:

إذا لم يكن بين الخليلين ردةٌ سوى ذكر شيء قد مضى درس الذكر

فقلت: ليس هذا لي، هذا لأبي صخر الهذلي، ولكني الذي أقول:

وقفت بذي دوران أنشد ناقتي وما إن بها لي من قلوصٍ ولا بكر

فقال لي عبد العزيز: لك جائزةٌ على صدق حديثك، وجائزةٌ على شعرك؛ فأعطاني على صدق حديثي ألف دينارٍ، وعلى شعري ألف دينار.

أوصاف نصيب الجسمية

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص عن أبيه قال: رأيت النصيب وكان أسود خفيف العارضين ناتىء الحنجرة.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني إبراهيم بن يزيد السعدي عن جدته جمال بنت عون بن مسلم عن أبيها عن جدها قال: رأيت رجلاً أسود مع امرأةٍ بيضاء، فجعلت أعجب من سواده وبياضها، فدنوت منه وقلت: من أنت؟ قال: أنا الذي أقول:

ألا ليت شعري ما الذي تحدثين بي ... غداً غربة النأي المفرق والبعد

لدى أم بكرٍ حين تقترب النوى ... بنا ثم يخلو الكاشحون بها بعدي

أتصرمني عند الألى هم لنا العدا ... فتشمتهم بي أم تدوم على العهد

قال: فصاحت: بل والله تدوم على العهد. فسألت عنهما فقيل: هذا نصيبٌ، وهذه أم بكر.

نصيب وعبد الله بن جعفر

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال حدثني أبو اليقظان عن جويرية بن أسماء قال: أتى النصيب عبد الله بن جعفرٍ فحمله وأعطاه وكساه. فقال له قائل: يا أبا جعفر، أعطيت هذا العبد الأسود هذه العطايا! فقال: والله لئن كان أسود إن ثناءه لأبيض، وإن شعره لعربي، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال. وما ذاك! إنما هي رواحل تنضى، وثيابٌ تبلى، ودراهم تفنى، وثناءٌ يبقى، ومدائح تروى! أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني قال قال أبو الأسود: امتدح نصيبٌ عبد الله بن جعفر وذكر مثله.

نصيب ونسوة أردن سماع شعره

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الخراز عن المدائني قال: قيل لنصيب: إن ها هنا نسوةً يردن أن ينظرن إليك ويسمعن منك شعرك. قال: وما يصنعن بي! يرين جلدةً سوداء وشعراً أبيض، ولكن ليسمعن شعري من وراء سترٍ.

تغنى منقذ الهلالي بشعر نصيب

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفصٍ عن رجل ذكره قال: أتاني منقذٌ الهلالي ليلاً، فضرب علي الباب. فقلت: من هذا؟ فقال: منقذٌ الهلالي. فخرجت إليه فزعاً. فقال: البشرى. فقلت: وأي بشرى أتتني بك في هذا الليل؟ فقال: خيرٌ، أتاني أهل بدجاجةٍ مشويةٍ بين رغيفين فتعشيت بها، ثم أتوني بقنينةٍ من نبيذٍ قد التقى طرفاها صفاءً ورقةً، فجعلت أشرب وأترنم بقول نصيب:

بزينب ألمم قبل أن يظعن الركب

ففكرت في إنسان يفهم حسنه ويعرف فضله، فلم أجد غيرك، فأتيتك مخبراً بذلك. فقلت: ما جاء بك إلا هذا؟! فقال: أولا يكفي! ثم انصرف.

عفة نصيب في شعره

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قال مسلمة لنصيب: أنت لا تحسن الهجاء. فقال: بلى والله، أتراني لا أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخزاك الله؟! قال: فإن فلاناً قد مدحته فحرمك فاهجه، قال: لا والله ما ينبغي أن أهجوه، وإنما ينبغي أن أهجو نفسي حين مدحته. فقال مسلمة: هذا والله أشد من الهجاء.

نصيب وعمر بن عبد العزيز

في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

أخبرني الحسين قال قال حماد: قرأت على أبي عن ابن عباية عن الضحاك الخزامي قال: دخل نصيبٌ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يومئذٍ أمير المدينة، وهو جالس بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره، فقال: أيها الأمير، ائذن لي أن أنشدك من مراثي عبد العزيز. فقال: لا تفعل فتحزنني، ولكن أنشدني قولك: "قفا أخوي" فإن شيطانك كان لك فيها ناصحاً حين لقنك إياها. فأنشده:

صوت

قفا أخوي إن الدار ليست ... كما كانت بعهدكما كما تكون

ليالي تعلمان وآل ليلى ... قطين الدار فاحتمل القطين

فعوجا فانظرا أتبين عما ... سألناها به أم لا تبين

فظلا واقفين وظل دمعي ... على خدي تجود به الجفون

فلولا إذ رأيت اليأس منها ... بدا أن كدت ترشقك العيون،

برحت فلم يلمك الناس فيها ولم تغلق كما غلق الرهين

في البيتين الأولين من هذه الأبيات والأخيرين لابن سريج خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه للغريض خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى عن عمرٍو ويونس.

قصة نصيب مع امرأة عجوز بالجحفة

كان يختلف إليها

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية قال: كان نصيبٌ يترل على عجوزٍ بالجحفة إذا قدم من الشأم، وكان لها بنيةٌ صفراء وكان يستحليها، فإذا قدم وهب لها دراهم وثياباً غير ذلك. فقدم عليهما قدمةً وبات بهما، فلم يشعر إلا بفتىً قد جاءها ليلاً فركضها برجله، فقامت معه فأبطأت ثم عادت، وعاد إليها بعد ساعةٍ فركضها برجله فقالت معه فأبطأت ثم عادت. فلما أصبح نصيبٌ رأى أثر معتركهما ومغتسلهما. فلما أراد أن يرتحل قالت له العجوز وبنتها: بأبي أنت! عادتك. فقال لها:

أراك طموح العين ميالة الهوى لهذا وهذا منك ودٌ ملاطف

فإن تحملي ردفين لا أك منهما فحبي فردٌ لست ممن يرادف

و لم يعطها شيئاً ورحل.

حديث النصيب مع امرأة من ملل

كان الناس ينزلون عندها

قال أيوب: وكانت بملل امرأةٌ يترل بها الناس، فترل بها أبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة وعمران بن عبد الله بن مطيع ونصيب فلما رحلوا وهب لها القرشيان و لم يكن مع نصيب شيء، فقال لها: اختاري إن شئت أن أضمن لك مثل ما أعطياك إذا قدمت، وإن شئت قلت فيك أبياتاً تنفعك. قالت: بل الشعر أحب إلي. فقال:

ألا حي قبل البين أم حبيب وإن لم تكن منا غداً بقريب

لئن لم يكن حبيك حباً صدقته فما أحدٌ عندي إذاً بحبيب

تهامٍ أصابت قلبه مليةٌ غريب الهوى يا ويح كل غريب

فشهرها بذلك، فأصابت بقوله ذلك فيها خيراً.

عمر ينهاه عن التشبيب بالنساء

قال أيوب: ودخل النصيب على عمر بن عبد العزيز - رحمة الله عليه - بعد ما ولي الخلافة. فقال له: إيه يا أسود! أنت الذي تشهر النساء بنسيبك! فقال: إني قد تركت ذلك يا أمير المؤمنين، وعاهدت الله عز وجل ألا أقول نسيباً، وشهد له بذلك من حضر وأثنوا عليه خيراً. فقال: أما إذ كان الأمر هكذا فسل حاجتك. فقال: بنيات لي نفضت عليه سوادي فكسدن، أرغب بهن عن السودان ويرغب عنهن البيضان. قال: فتريد ماذا؟ قال: تفرض لهن، ففعل. قال: ونفقةً لطريقي. قال: فأعطاه حلية سيفه وكساه ثوبيه، وكانا يساويان ثلاثين درهماً.

اجتماع النصيب والكميت ذي الرمة

وتناشدهم الشعر

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق الموصلي عن ابن كناسة قال: اجتمع النصيب والكميت وذو الرمة، فأنشدهما الكميت قوله:

هل أنت عن طلب الأيفاع منقلب

حتى بلغ إلى قوله فيها:

أم هل ظغائن بالعلياء نافعةٌ وإن تكامل فيها الأنس والشنب

فعقد نصيبٌ واحدةً. فقال له الكميت: ماذا تحصي؟ قال: خطأك، باعدت في القول، ما الأنس من الشنب، ألا قلت كما قال ذو الرمة:

لمياء في شفتيها حوةٌ لعسٌ وفي اللثات وفي أنيابها شنب

ثم أنشدهما قوله:

أبت هذه النفس إلا ادكارا

حتى بلغ إلى قوله:

إذا ما الهجارس غنينها تجاوبن بالفلوات الوبارا

فقال له النصيب: والوبار لا تسكن الفلوات. ثم أنشد حتى بلغ منها:

كأن الغطامط من غليها أراجيز أسلم تهجو غفارا

فقال النصيب: ما هجت أسلم غفاراً قط، فانكسر الكميت وأمسك.

نصيب وعبد الرحمن بن الضحاك

ابن قيس الفهري

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبي:

أن نصيباً مدح عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري، فأمر له بعشر قلائص، وكتب بها إلى رجلين من الأنصار، واعتذر إليه وقال له: والله ما أملك إلا رزقي، وإني لأكره أن أبسط يدي في أموال هؤلاء القوم. فخرج حتى أتى الأنصاريين فأعطاهما الكتاب مختوماً. فقرآه وقالا: قد أمر لك بثمان قلائص، ودفعا ذلك إليه. ثم عزل وولي مكانه رجلٌ من بني نصر بن هوازن، فأمر بأن يتتبع ما أعطى ابن الضحاك ويرتجع، فوجد باسم نصيبٍ عشر قلائص، فأمر بمطالبته بها. فقال: والله ما دفع إلي إلا ثماني قلائص فقال: والله ما تخرج من الدار حتى تؤدي عشر قلائص أو أثمانها، فلم يخرج حتى قبض ذلك منه. فلما قدم على هشام سمر عنده ليلةً وتذاكروا النصري، فأنشده قوله فيه:

أفي قلائص جربٍ كن من عملٍ ... أردى وتنزع من أحشائي الكبد

ثمانياً كن في أهلي وعندهم ... عشرٌ فأي كتابٍ بعدنا وجدوا

أخانني أخوا الأنصار فانتقصا ... منها فعندهما الفقد الذي فقدوا

وإن عاملك النصري كلفني ... في غير نائرةٍ ديناً له صعد

أذنب غيري ولم أذنب يكلفني ... أم كيف أقتل لا عقلٌ ولا قود

قال: فقال هشام: لا جرم والله، لا يعمل لي النصري عملاً أبداً، فكتب بعزله عن المدينة.

شعر لنصيب في الجفر من نواحي ضرية

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرنا الزبير بن بكار إجازةً عن هارون بن عبد الله الزبيري عن شيخ من الجفر قال: قدم علينا النصيب فجلس في هذا المجلس وأومأ إلى مجلس حذاءه، فاستنشدناه، فأنشدنا قوله:

ألا يا عقاب الوكر وكر ضريةٍ ... سقتك الغوادي من عقاب ومن وكر

تمر الليالي ما مررن ولا أرى ... مرور الليالي منسياتي ابنة النضر

وقفت بذي دوران أنشد ناقتي ... ومالي لديها من قلوصٍ ولا بكر

وما أنشد الرعيان إلا تعلةً ... بواضحة الأنياب طيبة النشر

أما والذي نادى من الطور عبده ... وعلم أيام المناسك والنحر

لقد زادني للجفر حباً وأهله ... ليالٍ أقامتهن ليلى على الجفر

نصيب وعبد الملك بن مروان

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال أخبرني عمر بن إبراهيم السعدي عن يوسف بن يعقوب بن العلاء بن سليمان عن سلمة بن عبد الله بن أبي مسروح قال: قال عبد الملك بن مروان لنصيبٍ أنشدني، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

ومضمر الكشح يطويه الضجيع به طي الحمائل لا جافٍ ولا فقر

وذي روادف لا يلغي الإزار بها يلوى ولو كان سبعاً حين يأتزر

فقال له عبد الملك: يا نصيب، من هذه؟ قال: بنت عم لي نوبيةٌ، لو رأيتها ما شربت من يدها الماء. فقال له: لو غير هذا قلت لضربت الذي فيه عيناك.

رحلة نصيب إلى عبد العزيز

ابن مروان كل عام يستميحه العطاء

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا الحارث بن محمد بن أبي أسامة قال حدثنا المدائني قال: كان عبد العزيز بن مروان اشترى نصيباً وأهله وولده فأعتقهم، وكان نصيب يرحل إليه في كل عام مستميحاً فيجيزه ويحسن صلته. فقال فيه نصيب:

يقول فيحسن القول ابن ليلى ويفعل فوق أحسن ما يقول

فتىً لا يرزأ الخلان إلا مودتهم ويرزؤه الخليل

فبشر أهل مصر فقد أتاهم مع النيل الذي في مصر نيل

نصيب وشاعر هجاه من أهل الحجاز

أخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك الخزاعي أبو دلف قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: كان نصيبٌ يكنى أبا الحجناء، فهجاه شاعرٌ من أهل الحجاز فقال:

رأيت أبا الحجناء في الناس حائراً ولون أبي الحجناء لون البهائم

تراه على ما لاحه من سواده وإن كان مظلوماً له وجه ظالم

فقيل لنصيب: ألا تجيبه! فقال: لا، ولو كانت هاجياً لأحدٍ لأجبته ولكن الله أوصلني بهذا الشعر إلى خيرٍ، فجعلت على نفسي ألا أقوله في شر، وما وصفني إلا بالسواد وقد صدق. أفلا أنشدكم ما وصفت به نفسي؟ قالوا بلى. فأنشدهم قوله:

ليس السواد بناقصي مادام لي هذا اللسان إلى فؤادٍ ثابت

من كان ترفعه منابت أصله فبيوت أشعاري جعلن منابتي

كم بين أسود ناطقٍ ببيانه ماضي الجنان وبين أبيض صامت

إني ليحسدني الرفيع بناؤه من فضل ذاك وليس بي من شامت

ويروى مكان "من فضل ذاك"، "فضل البيان" وهو أجود.

أخبرني عمي ومحمد بن خلفٍ قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني سعيد بن يحيى الأموي قال حدثني عمي عن محمد بن سعد قال: قال قائل للنصيب: أيها العبد، مالك وللشعر؟! فقال: أما قولك عبدٌ فما ولدت إلا وأنا حرٌ، ولكن أهلي ظلموني فباعوني. وأما السواد فأنا الذي أقول:

وإن أك حالكاً لوني فإني لعقلٍ غير ذي سقطٍ وعاء

وما نزلت بي الحاجات إلا وفي عرضي من الطمع الحياء

شعره في جارية طلبت منه أن يشبب بها

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال حدثت عن السدوسي قال: وقف نصيبٌ على أبيات فاستسقى ماءً، فخرجت إليه جاريةٌ بلبنٍ أو ماءٍ فسقته، وقالت: شبب بي: فقال: وما اسمك؟ فقالت: هندٌ. ونظر إلى جبلٍ وقال: ما اسم هذا العلم؟ قالت: قناً. فأنشأ يقول:

أحب قناً من حب هندٍ ولم أكن أبالي أقرباً زاده الله أم بعدا

ألا إن بالقيعان من بطن ذي قناً لنا حاجةً مالت إليه بنا عمدا

أروني قناً انظر إليه فإنني أحب قناً إني رأيت به هندا

قال: فشاعت هذه الأبيات، وخطبت هذه الجارية من أجلها، وأصابت بقول نصيب فيها خيراً كثيراً.

قصته مع جارية خطبها فأبت ثم تزوجته

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل بن نبيه قال حدثنا محمد بن سلام قال: دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك، فقال له: حدثني يا نصيب ببعض ما مر عليك. فقال: نعم، يا أمير المؤمنين! علقت جاريةً حمراء، فمكثت زماناً تمنيني بالأباطيل، فلما ألححت عليها قالت: إليك عني، فوالله لكأنك من طوارق الليل. فقلت لها: وأنت والله لكأنك من طوارق النهار. فقالت: ما أظرفك يا أسود! فغاظني قولها، فقلت لها: هل تدرين ما الظرف؟ إنما الظرف العقل. ثم قالت لي: انصرف حتى أنظر في أمرك. فأرسلت إليها هذه الأبيات:

فإن أك حالكاً فالمسك أحوى وما لسواد جلدي من دواء

ولي كرمٌ عن الفحشاء ناءٍ كبعد الأرض من جو السماء
ومثلي في رجالكم قليلٌ ومثلك ليس يعدم في النساء
فإن ترضي فردي قول راضٍ وإن تأبي فنحن على السواء

قال: فلما قرأت الشعر قالت: المال والشعر يأتيان على غيرهما، فتزوجتني.

استجادة الأصمعي شعراً لنصيب

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي قال: أنشدنا الأصمعي لنصيب وكان يستجيد هذه الأبيات ويقول إذا أنشدها: قاتل الله نصيباً ما أشعره!.

فإن يك من لوني السواد فإنني لكالمسك لا يروى من المسك ذائقه
وما ضر أثوابي سوادي وتحتها لباسٌ من العلياء بيضٌ بنائقه
إذا المرء لم يبذل من الود مثل ما بذلت له فاعلم بأني مفارقه

نصيب وجرير

أخبرني الفضل بن الحباب أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام عن خلفٍ: أن نصيباً أنشد جريراً شيئاً من شعره، فقال له: كيف ترى يا أبا حرزة؟ فقال له: أنت أشعر أهل جلدتك.

نصيب والوليد بن عبد الملك

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران بن محمد عن المسور بن عبد الملك قال:
قال نصيب لعبد الرحمن بن أزهر: أنشدت الوليد بن عبد الملك، فقال لي: أنت أشعر أهل جلدتك، والله ما زاد عليها! فقال لي عبد الرحمن: يا أبا محجن، أفرضيت منه أن جعلك أشعر السودان فقط؟ فقال له: وردت والله يابن أخي أنه أعطاني أكثر من هذا، ولكنه لم يفعل ولست بكاذبك.

نصيب ووصفه لشعره وشعر معاصريه

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة قال: قال لي محمد بن عبد ربه: دخلت مسجد الكوفة، فرأيت رجلاً لم أر قط مثله ولا أشد سواداً منه، ولا أنقى ثياباً منه، ولا أحسن زياً. فسألت عنه، فقيل: هذا نصيب. فدنوت منه فحدثته، ثم قلت له: أخبرني عنك وعن أصحابك. فقال: جميلٌ إمامنا، وعمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحجال، وكثير أبكانا على الدمن وأمدحنا للملوك، وأما أنا فقد قلت

ما سمعت. فقلت له: إن الناس يزعمون أنك لا تحسن أن تهجو. فضحك ثم قال: أفتراهم يقولون: إني لا أحسن أن أمدح؟ فقلت لا. فقال: أفما تراني أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخزاك الله؟ قال قلت بلى. قال: فإني رأيت الناس رجلين: إما رجلٌ لم أسأله شيئاً فلا ينبغي أن أهجوه فأظلمه، وإما رجلٌ سألته فمنعني فنفسي كانت أحق بالهجاء، إذ سولت لي أن أساله وأن أطلب ما لديه.

نصيب وكثير والأحوص

في مجلس امرأة من بني أمية

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني عبد الله بن إسماعيل بن أبي عبيد الله كاتب المهدي قال: وجدت في كتاب أبي بخطه: حدثني أبو يوسف التجيبي قال حدثني إسماعيل بن المختار مولى آل طلحة وكان شيخاً كبيراً قال: حدثني النصيب أبو محجن أنه خرج هو وكثير والأحوص غب يومٍ أمطرت فيه السماء، فقال: هل لكم في أن نركب جميعاً فنسير حتى نأتي العقيق فنمتع فيه أبصارنا؟ فقالوا نعم. فركبوا أفضل ما يقدرون عليه من الدواب، ولبسوا أحسن ما يقدرون عليه من الثياب، وتنكروا ثم ساروا حتى أتوا العقيق، فجعلوا يتصفحون ويرون بعض ما يشتهون، حتى رفع لهم سوادٌ عظيمٌ فأموه حتى أتوه، فإذا وصائف ورجالٌ من الموالي ونساء بارزاتٌ، فسألنهم أن ينزلوا، فاستحيوا أن يجيبوهن من أول وهلةٍ، فقالوا: لا نستطيع أو نمضي في حاجةٍ لنا. فحلفنهم أن يرجعوا إليهن، ففعلوا وأتوهن، فسألنهم النزول فنزلوا. ودخلت امرأةٌ من النساء فاستأذنت لهم، فلم تلبث أن جاءت المرأة فقالت: ادخلوا. فدخلنا على امرأة جميلة برزةٍ على فرش لها، فرحبت وحيت، وإذا كراسي موضوعةٌ، فجلسنا جميعاً في صف واحدٍ كل إنسانٍ على كرسي. فقالت: إن أحببتم أن ندعو بصبي لنا فنصيحه ونعرك أذنه فعلنا، وإن شئتم بدأنا بالغداء. فقلنا: بل تدعين بالصبي ولن يفوتنا الغداء. فأومأت بيدها إلى بعض الخدم، فلم يكن إلا كلا ولا حتى جاءت جاريةٌ جميلةٌ قد سترت بمطرفٍ، فأمسكوه عليها حتى ذهب بهرها، ثم كشف عنها وإذا جاريةٌ ذات جمالٍ قريبةٌ من جمال مولاتها، فرحبت بهم وحيتهم، فقالت لها مولاتها: خذي - ويحك - من قول النصيب عافى الله أبا محجن:

ألا هل من البين المفرق من بد ... وهل مثل أيامٍ بمنقطع السعد

تمنيت أيامي أولئك، والمنى ... على عهد عادٍ ما تعيد ولا تبدي

فغنته، فجاءت به كأحسن ما سمعته قط بأحلى لفظٍ وأشجى صوت. ثم قالت لها: خذي أيضاً من قول أبي محجن عافى الله أبا محجن:

أرق المحب وعاده سهده ... لطوارق الهم التي ترده

وذكرت من رقت له كبدي ... وأبى فليس ترق لي كبده

لا قومه قومي ولا بلدي بلده فنكون حيناً جيزةً
ووجدت وجداً لم يكن أحد قبلي من أجل صبابةٍ يجده
إلا ابن عجلان الذي تبلت هندٌ ففات بنفسه كمده

قال: فجاءت به أحسن من الأول، فكدت أطير سروراً. ثم قالت لها: ويحك! خذي من قول أبي محجن عافى الله أبا محجن:

فيا لك من ليلٍ تمتعت طوله وهل طائفٌ من نائمٍ متمتع
نعم إن ذا شجوٍ متى يلق شجوه ولو نائماً مستعتبٌ أو مودع
له حاجةٌ قد طالما قد أسرها من الناس في صدرٍ بها يتصدع
تحملها طول الزمان لعلها يكون لها يوماً من الدهر منزع

وقد قرعت في أم عمرٍو لي العصا قديماً كما كانت لذي الحلم تقرع

قال: فجاءت والله بشيء حيرني وأذهلني طرباً لحسن الغناء وسروراً باختيارها الغناء في شعري، وما سمعت فيه من حسن الصنعة وجودها وإحكامها. ثم قالت لها: خذي أيضاً من قول أبي محجنٍ، عافى الله أبا محجن:

يا أيها الركب إني غير تابعكم حتى تلموا وأنتم بي ملمونا
فما أرى مثلكم ركباً كشكلكم يدعوهم ذو هوى إلا يعوجونا
أم خبروني عن دائي بعلمكم وأعلم الناس بالداء الأطبونا

قال نصيب: فوالله لقد زهيت بما سمعت زهواً خيل إلي أني من قريش، وأن الخلافة لي. ثم قالت: حسبك يا بنية! هات الطعام يا غلام! فوثب الأحوص وكثيرٌ وقالا: والله لا نطعم لك طعاماً ولا نجلس لك في مجلس؛ فقد أسأت عشرتنا واستخففت بنا، وقدمت شعر هذا على أشعارنا، واستمعت الغناء فيه، وإن في أشعارنا لما يفضل شعره، وفيها من الغناء ما هو أحسن من هذا. فقالت: على معرفةٍ كل ما كان مني، فأي شعركما أفضل من شعره؟ أقولك يا أحوص:

"يقر بعيني ما يقر بعينها وأحسن شيء ما به العين قرت

أو قولك يا كثير في عزة:

وما حسبت ضمريةٌ جدويةٌ سوى التيس ذي القرنين أن لها بعلا

أم قولك فيها:

إذا ضمريةٌ عطست فنكها فإن عطاسها طرف السفاد

قال: فخرجا مغضبين واحتبستني، فتغديت عندها، وأمرت لي بثلثمائة دينار وحلتين وطيبٍ، ثم دفعت إلي مائتي دينار وقالت: ادفعها إلى صاحبيك؛ فإن قبلاها وإلا فهي لك. فأتيتهما منازلهما فأخبرتهما القصة. فأما الأحوص فقبلها، وأما كثير فلم يقبلها، وقال: لعن الله صاحبتك وجائزتها ولعنك معها! فأخذتها وانصرفت.

فسألت النصيب: ممن المرأة؟. فقال: من بني أمية ولا أذكر اسمها ما حييت لأحد.

رثاء نصيب عبد العزيز وقد مات بسكر

من قرى الصعيد

أخبرني عيسى بن يحيى الوراق عن أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني قال: وقع الطاعون بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان إياها، فخرج هارباً منه فنزل بقريةٍ من الصعيد يقال لها "سكر". فقدم عليه حين نزلها رسولٌ لعبد الملك، فقال له عبد العزيز: ما اسمك؟ فقال: طالب بن مدرك. فقال: أوه، ما أراني راجعاً إلى الفسطاط أبداً! ومات في تلك القرية. فقال نصيبٌ يرثيه:

أصبت يوم الصعيد من سكرٍ ... مصيبةً ليس لي بها قبل

تالله أنسى مصيبتي أبداً ... ما أسمعتني حنينها الإبل

ولا التبكي عليه أعوله ... كل المصيبات بعده جلل

لم يعلم النعش ما عليه من ال ... عرف ولا الحاملون ما حملوا

حتى أجنوه في ضريحهم ... حين انتهى من خليلك الأمل

غنى في هذه الأبيات ابن سريج، ولحنه رملٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وذكر الهشامي أن له فيه لحناً من الهزج، وذكر ابن بانة أن الرمل لابن الهربذ.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن مصعب الزبيري عن مشيخةٍ من أهل الحجاز: أن نصيباً دخل على عبد الملك بن مروان، فقال له: أنشدني بعض ما رثيت به أخي؛ فأنشده قوله:

عرفت وجربت الأمور فما أرى ... كماضٍ تلاه الغابر المتأخر

ولكن أهل الفضل من أهل نعمتي ... يمرون أسلافاً أمامي وأغبر

فإن أبكه أعذر وإن أغلب الأسى ... بصبرٍ فمثلي عندما اشتد يصبر

وكانت ركابي كلما شئت تنتحي ... إليك فتقضي نحبها وهي ضمر

ترى الورد يسراً والثواء غنيمةً ... لديك وتثنى بالرضا حين تصدر

فقد عريت بعد ابن ليلى فإنما ... ذراها لمن لاقت من الناس منظر

ولو كان حيا لم يزل بدفوفها مرادٌ لغربان الطريق ومنقر

فإن كن قد نلن ابن ليلى فإنه هو المصطفى من أهله المتخير

فلما سمع عبد الملك قوله:

فإن أبكه أعذر وإن أغلب الأسى بصبرٍ فمثلي عندما اشتد يصبر

قال له: ويلك! أنا كنت أحق بهذ الصفة في أخي منك! فهلا وصفتني بها! وجعل يبكي.

نصيب وعبد الله بن إسحاق البصري

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي يحيى محمد بن كناسة قال: قال لي عبد الله بن إسحاق البصري: لو وليت العراق لاستكتبت نصيباً. قلت: لماذا؟ قال لفصاحته وحسن تخلصه إلى جيد الكلام، ألم تسمع قوله:

فلا النفس ملتها ولا العين تنتهي إليها سوام الطرف عنها فترجع

رأتها فما ترتد عنها سآمةً ترى بدلاً منها به النفس تقنع

نصيب وإبراهيم بن هشام

أخبرني الحرمي عن الزبير عن محمد بن الحسن قال: دخل نصيب على إبراهيم بن هشام فأنشده مديحاً له. فقال إبراهيم: ما هذا بشيء! أين هذا من قول أبي دهبلٍ لصاحبنا ابن الأزرق حيث يقول:

إن تغد من منقلي نخلان مرتحلاً يرحل من اليمن المعروف والجود

قال: فغضب نصيبٌ ونزع عمامته وبرك عليها، وقال: لئن تأتونا برجالٍ مثل ابن الأزرق نأتكم بمثل مديح أبي دهبل أو أحسن؛ إن المديح والله إنما يكون على قدر الرجال. قال: فأطرق ابن هشام، وعجبوا من إقدام نصيبٍ عليه، ومن حلم ابن هشامٍ وهو غير حليم.

نصيب وأم بكر الخزاعية

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري: أن نصيباً كان ربما قدم من الشأم فيطرح في حجر أم بكرٍ الخزاعية أربعمائة دينار، وأن عبد الملك بن مروان ظهر على تعلقه بها ونسيبه فيها، فنهاه عن ذلك حتى كف.

نصيب وشيء من أوصافه الخلقية

أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عثمان بن حفص الثقفي عن أبيه قال: رأيت النصيب بالطائف، فجاءنا وجلس في مجلسنا وعليه قميص قوهي ورداءٌ وحبرةٌ، فجعل ينشدنا مديحاً لابن هشام، ثم قال: إن الوادي مسبعةٌ، فمن أهل المجلس؟ قالوا: ثقيف؛ فعرف أنا نبغض ابن هشام ويبغضنا، فقال: إنا لله! أبعد ابن ليلى أمتدح ابن جيداء! فقال له أهل المجلس: يا أبا محجن، أتطلب القريض أحياناً فيعسر عليك؟ فقال: إي والله لربما فعلت، فآمر براحلتي فيشد بها رحلي، ثم أسير في الشعاب الخالية، وأقف في الرباع المقوية، فيطربني ذلك ويفتح لي الشعر. والله إني على ذلك ما قلت بيتاً قط تستحي الفتاة الحيية من إنشاده في ستر أبيها. قال إسحاق قال عثمان بن حفص فوصفه أبي وقال: كأني أراه صدعاً خفيف العارضين ناتىء الحنجرة.

نصيب وابن أبي عتيق

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه عن محمد بن كناسة قال: أنشد نصيب قوله:

وكدت ولم أخلق من الطير إن بدا لها بارقٌ نحو الحجاز أطير

فسمعه ابن أبي عتيق، فقال: يابن أم، قل غاق فإنك تطير. يعني أنه غرابٌ أسود.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال أخبرني أحمد بن محمد الأسدي أسد قريشٍ قال: قال ابن أبي عتيق لنصيب: إني خارج، أفترسل إلى سعدى بشيء؟ قال: نعم، بيتي شعرٍ. قال: قل، فقال:

أتصبر عن سعدى وأنت صبور وأنت بحسن الصبر منك جدير

وكدت ولم أخلق من الطير إن بدا سنى بارقٍ نحو الحجاز أطير

قال: فأنشد ابن أبي عتيق سعدى البيتين، فتنفست تنفسةً شديدة. فقال ابن أبي عتيق: أوه! أجبته والله بأجود من شعره، ولو سمعك خليلك لنعق وطار إليك.

نصيب والحكم بن المطلب

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الكاتب قال حدثني أبو هفان عن إسحاق الموصلي عن المسيبي قال: قال أبو النجم: أتيت الحكم بن المطلب فمدحته، وخرج إلى السعاية فخرجنا معه ومعه عدةٌ من الشعراء. فبينا هو مع أصحابه يوماً واقفٌ، إذا براكب يوضع في السراب وإذا هو نصيب، فتقدم إليه فمدحه فأمر بإنزاله، فمكث أياماً حتى أتاه فقال: إني قد خلفت صبيةً صغاراً وعيالاً ضعافاً. فقال له: ادخل الحظيرة فخذ منها سبعين فريضةً. فقال له: جعلني الله فداك قد أحسنت! ومعي ابنٌ لي أخاف أن يثلمها علي. قال: فادخل فخذ له سبعين فريضة أخرى؛ فانصرف بمائة وأربعين فريضة.

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير عن محمد بن الضحاك عن عثمان عن أبيه قال:

قيل لنصيب: هرم شعرك. قال: لا! والله ما هرم، ولكن العطاء هرم، ومن يعطيني مثل ما أعطاني الحكم بن المطلب! خرجت إليه وهو ساعٍ على بعض صدقات المدينة، فلما رأيته قلت:

أبا مروان لست بخارجيٍّ ... وليس قديم مجدك بانتحال

أغر إذا الرواق انجاب عنه ... بدا مثل الهلال على المثال

تراءاه العيون كما تراءى ... عشية فطرها وضح الهلال

قال: فأعطاني أربعمائة ضائنةٍ ومائة لقحةٍ، وقال: ارفع فراشي؛ فرفعته فأخذت من تحته مائتي دينارٍ.

نصيب وكثير عند أبي عبيدة

ابن عبد الله بن زمعة

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا الزبير قال حدثني أسعد بن عبد الله المري عن إبراهيم بن سعيد بن بشر بن عبد الله بن عقيل الخارجي عن أبيه قال: والله إني لمع أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة في حواءٍ له، إذ جاءه كثير فحياه، فاحتفى به، ودعا بالغداء فشرعنا فيه وشرع معنا كثير؛ وجاء رجل فسلم فرددنا عليه السلام واستدنيناه، فإذا نصيب في بزةٍ جميلةٍ قد وافى الحج قادماً من الشأم، فأكب على أبي عبيدة فعانقه وسأله ثم دعاه إلى الغداء، فأكل مع القوم، فرفع كثير يده وأقلع عن الطعام، وأقبل عليه أبو عبيدة والقوم جميعاً يسألونه أن يأكل، فأبى فتركوه. وأقبل كثير على نصيب فقال: والله يا أبا محجن، إن أثر أهل الشأم عليك لجميل، لقد رجعت هذه الكرة ظاهر الكبر قليل الحياء. فقال له نصيب: لكن أثر الحجاز عليك يا أبا صخر غير جميل. "لقد رجعت" وإنك لزايد النقص، كثير الحماقة. فقال كثير: أنا والله أشعر العرب حيث أقول لمولاتك:

إذا أمسيت بطن مجاح دوني ... وعمقٌ دون عزة فالبقيع

فليس بلائمي أحد يصلي ... إذا أخذت مجاريها الدموع

فقال له نصيب: أنا والله أشعر منك حيث أقول لابنة عمك:

خليلي إن حلت كلية فالربا ... فذا أمجٍ فالشعب ذا الماء والحمض

فأصبح من حوران رحلي بمنزلٍ ... يبعده من دونها نازح الأرض

وأيأستما أن يجمع الدهر بيننا ... فخوضا لي السم المصرح بالمحض

ففي ذاك من بعض الأمور سلامةٌ ... وللموت خيرٌ من حياةٍ على غمض

قال: فاقتحم إليه كثيرٌ، وثبت له النصيب. فلما نالته رجلاه رمحه نصيبٌ بساقه رمحةٍ طاح منها بعيداً عنه، فما زال راقداً حتى أيقظناه عشياً لرمي الجمار.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير عن محمد بن موسى بن طلحة عن عبد الله بن عمر بن عثمان النحوي عن أنيس بن ربيعة الأسلمي أنه قال: غدوت يوماً إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة وهو محتلٌ بالرحبة، فألفيت عنده جماعةً منا ومن غيرنا، فأتاه آتٍ فقال له: ذاك النصيب منذ ثلاثٍ بالفرش من ملل متلددٌ كأنه واله في أثر قومٍ ظاعنين. فنهض أبو عبيدة ونهضنا معه، فإذا نصيب على المنحر من صفر. فلما عايننا وعرف أبا عبيدة هبط؛ فسأله عن أمره، فأخبره أنه تبع قوماً سائرين وأنه وجد آثارهم ومحلهم بالفرش فاستولهه ذلك. فضحك به أبو عبيدة والقوم، وقالوا له: إنما يهتر إذا عشق من انتسب عذريا، فأما أنت فما لك ولهذا؟! فاستحيا وسكن. وسأله أبو عبيدة: هل قلت في مقامك شعراً؟ قال: نعم! وأنشد:

لعمري لئن أمسيت بالفرش مقصداً ... ثوياك عبودٌ وعدنة أو صفر

ففرع صبا أو تيمم مصعداً ... لربعٍ قديم العهد ينتكف الأثر

دعا أهله بالشأم برقٌ فأوجفوا ... ولم أر متبوعاً أضر من المطر

لتستبدلن قلباً عيناً سواهما ... وإلا أتى قصداً حشاشتك القدر

خليلي فيما عشتما أو رأيتما ... هل اشتاق مضرورٌ إلى من به أضر

نعم ربما كان الشقاء متيحاً ... يغطي على سمع ابن آدم والبصر

قال: فانصرف به "أبو عبيدة" إلى منزله، وأطعمه وكساه وحمله، وانصرف وهو يقول:

أصاب دواء علتك الطبيب ... وخاض لك السلو ابن الربيب

وأبصر من رقاك منفثاتٍ ... وداؤك كان أعرف بالطبيب

نصيب ويزيد بن عبد الملك

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال:
دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك ذات يوم، فأنشده قصيدةً امتدحه بها، فطرب لها يزيد واستحسنها، فقال له: أحسنت يا نصيب! سلني ما شئت. فقال: يدك يا أمير المؤمنين بالعطاء أبسط من لساني بالمسألة! فأمر به فملىء فمه جوهراً، فلم يزل به غنياً حتى مات.

نصيب وإبراهيم بن هشام

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا أبو غزية عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال: دخل نصيبٌ على إبراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة، فأنشده قوله:

يابن الهشامين لا بيت كبيتهما ... إذا تسامت إلى أحسابها مضر

فقال له إبراهيم: قم يا أبا محجن إلى تلك الراحلة المرحولة فخذها برحلها. فقام إليها نصيب متباطئاً والناس يقولون: ما رأينا عطيةً أهنأ من هذه ولا أكرم ولا أعجل ولا أجزل. فسمعهم نصيب فأقبل عليهم وقال: والله إنكم قلما صاحبتم الكرام! وما راحلةٌ ورحل حتى ترفعوهما فوق قدرهما!

نصيب وهشام بن عبد الملك

أخبرني الحرمي وعيسى بن الحسين قالا حدثنا الزبير عن عبد الله بن محمد بن "عبد الله بن" عمرو بن عثمان بن عفان عن أبيه قال: استبطأ هشام بن عبد الملك حين ولي الخلافة نصيباً ألا يكون جاءه وافداً عليه مدحاً له ووجد عليه. وكان نصيب مريضاً، فبلغه ذلك حين برأ، فقدم عليه وعليه أثر المرض وعلى راحلته أثر النصب، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

حلفت بمن حجت قريشٌ لبيته ... وأهدت له بدناً عليها القلائد
لئن كنت طالت غيبتي عنك إنني ... بمبلغ حولي في رضاك لجاهد
ولكنني قد طال سقمي وأكثرت ... علي العهاد المشفقات العوائد
صريع فراشٍ لا يزلن يقلن لي ... بنصحٍ وإشفاقٍ متى أنت قاعد
فلما زجرت العيس أسرت بحاجتي ... إليك وذلت للسان القصائد
وإني فلا تستبطني بمودتي ... ونصحي وإشفاقي إليك لعامد
فلا تقصني حتى أكون بصرعةٍ ... فييأس ذو قربي ويشمت حاسد
أنلني وقربني فإني بالغٌ ... رضاك بعفوٍ من نداك وزائد
أبت نائماً أما فؤادي فهمه ... قليلٌ وأما مس جلدي فبارد
وقد كان لي منكم إذا ما لقيتكم ... ليانٌ ومعروف وللخير قائد
إليك رحلت العيس حتى كأنها ... قسي السرى ذبلاً برتها الطرائد
وحتى هواديها دقاقٌ وشكوها ... صريف وباقي النقي منها شرائد
وحتى ونت ذات المراح فأذعنت ... إليك وكل الراسمات الحوافد

قال: فرق له هشامٌ وبكى، قال له: ويحك يا نصيب! لقد أضررنا بك وبرواحلك. ووصله وأحسن صلته واحتفل به.

نصيب وعبد الواحد النصري أمير المدينة

أخبرنا الحرمي عن الزبير عن عمه عن أيوب بن عبابة قال: قدم نصيبٌ على عبد الواحد النصري وهو أمير المدينة بفرضٍ من أمير المؤمنين يضعه في قومه من بني ضمرة، فأدخلهم عليه ليفرض لهم وفيهم أربعة غلمةٍ لم يحتلموا، فردهم النصري. فكلمه نصيبٌ كلاماً غليظاً إدلالاً بمنزلته عند الخليفة، فأشار إليه إبراهيم بن عبد الله بن مطيع أن اسكت وكف واخرج، فإني كافيك. فلما خرج إبراهيم لقيه نصيب، فقال له: أشرت إلي فكرهت أن أغضبك، فما كرهت لي من مراجعته والصلابة له ومن ورائي المستعتب من أمير المؤمنين؟ فقال إبراهيم: هو رجلٌ عربي حديدٌ غلقٌ، وخشيت إن جاذبته شيئاً ألا يرجع عنه وأن يمضي عليه ويلج فيه، وهو مالكٌ للأمر وله فيه سلطان، فأردت أن تخرج قبل أن يلج ويظهر منه ما لا يرجع عنه فيمضي عليه ويلج فيه، فتنتظر لتصادف منه طيب نفس فتكلمه ونرفدك عنده. فقال نصيب:

يومان يومٌ لزريقٍ فسل ... يومه الآخر سمحٌ فضل

أنا - جعلت فداءك - فاعلٌ ذلك، فإذا رأيت القول فأشر إلي حتى أكلمه.

قال: ودخل إليه نصيب عشياتٍ، كل ذلك يشير إليه ابن مطيع ألا يكلمه، حتى صادف عشيةً من العشيات منه طيب نفس، فأشار إليه أن كلمه. فكلمه نصيبٌ فأصاب مختله بكلامه، ثم قال: إني قد قلت شعراً فاسمعه أيها الأمير وأجزه، ثم قال:

أهاج البكا ربعٌ بأسفل ذي السدر ... عفاه اختلاف العصر بعدك والقطر

نعم فثناني الوجد فاشتقت للذي ... ذكرت وليس الشوق إلا مع الذكر

حلفت برب الموضعين لربهم ... وحرمة ما بين المقام إلى الحجر

لئن حاجتي يوماً قضيت ورشتني ... بنفحة عرف من يديك أبا بشر

لتعترفن الدهر مني مودةً ... ونصحاً على نصح وشكراً على شكر

سقى الله صوب المزن أرضاً عمرتها ... بري وأسقاها بلاد بني نصر

بوجهك فاستعملت ما دمت خائفاً ... لربك تقضي راشداً آخر الدهر

لتنقذ أصحابي وتستر عورةً ... بدت لك من صحبي فإنك ذو ستر

فما بأمير المؤمنين إلى التي ... سألت فأعطاني لقومي من فقر

وقد خرجت منه إليك فلا تكن ... بموضع بيضات الأنوق من الوكر

قال: فقال عثمان بن حيان المري وهو عنده - وكان قد جاءه بالقود من ابن حزم -: قد احتلم الآن القوم أيها الأمير، واستوجبوا الفرض. ورفده ابن مطيع فأحسن، واشتد عليه أن شركه ابن حيان في رفده وتشييعه وقال

النصري لابن مطيع وابن حيان: صدقتما قد احتلموا واستوجبوا الفرض، افرض لهم يا فلان - لكاتبٍ من كتابه - ففرض لهم.

عشقه أمة لبني مدلج وشعره فيها

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني جعفر بن علي اليشكري قال حدثني الرياشي عن العتبي قال: دخل نصيب على عبد العزيز بن مروان، فقال له عبد العزيز وقد طال الحديث بينهما: هل عشقت قط؟ قال: نعم، أمةً لبني مدلج. قال: فكنت تصنع ماذا؟ قال: كانوا يحرسونها مني، فكنت أقنع أن أراها في الطريق وأشير إليها بعيني أو حاجبي، وفيها أقول:

وقفت لها كيما تمر لعلني ... أخالسها التسليم إن لم تسلم

ولما رأتني والوشاة تحدرت ... مدامعها خوفاً ولم تتكلم

مساكين أهل العشق ما كنت أشتري ... جميع حياة العاشقين بدرهم

فقال عبد العزيز: ويحك! فما فعلت؟ قال: بيعت فأولدها سيدها. قال: فهل في نفسك منها شيء؟ قال: نعم، عقابيل أحزان.

عبد العزيز يحمل دينا عن نصيب

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني هلول بن سليمان بن قرضاب البلوي: أن إبلاً لنصيب أجدبت وحالت، وكان لرجل من أسلم عليه ثمانية آلاف درهم قال: فأخبرني أبي وعمي أنه وفد على عبد العزيز بن مروان، فقال له: جعلني الله فداءك! إني حملت ديناً في إبل ابتعتها مجدباتٍ حيال، وقد قلت فيها شعراً. قال: انشده، فأنشده:

فلما حملت الدين فيها وأصبحت ... حيالاً مسنات الهوى كدت أندم

على حين أن راث الربيع ولم يكن ... لها بصعيدٍ من تهامة مقضم

ثمانيةٌ للأسلمي وما دنا ... لفحشٍ ولا تدنو إلى الفحش أسلم

فقال له عبد العزيز: فما دينك؟ ويحك! قال: ثمانية آلاف، فأمر له بثمانية آلاف درهم. فلما رجع أنشد الأسلمي الشعر فترك ماله عليه، قال: الثمانية الآلاف لك.

نصيب والنسوة الثلاث في المسجد الحرام

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني الموصلي عن ابن أبي عبيدة قال: أتى نصيبٌ مكة فأتى المسجد الحرام ليلاً. فبينما هو كذلك إذ طلع نسوةٍ فجلسن قريباً منه وجعلن يتحدثن ويتذاكرن الشعر والشعراء، وإذا هن من أفصح النساء وآدابهن. فقالت إحداهن: قاتل الله جميلاً حيث يقول:

وبين الصفا والمروتين ذكرتكم ... بمختلفٍ ما بين ساعٍ وموجف

وعند طوافي قد ذكرتك ذكرةً ... هي الموت بل كادت على الموت تضعف

فقالت الأخرى: بل قاتل الله كثير عزة حيث يقول:

طلعن علينا بين مروة والصفا ... يمرن على البطحاء مور السحائب

فكدن لعمر الله يحدثن فتنةً ... لمختشعٍ من خشية الله تائب

فقالت الأخرى: قاتل الله ابن الزانية نصيباً حيث يقول:

ألام على ليلى ولو أستطيعها ... وحرمة ما بين البنية والستر

لملت على ليلى بنفسي ميلةً ... ولو كان في يوم التحالق والنحر

فقام نصيبٌ إليهن فسلم عليهن، فردن عليه السلام. فقال لهن: إني رأيتكن تتحادثن شيئاً عندي منه علمٌ. فقلن: ومن أنت؟ فقال: اسمعن أولاً. فقلن: هات. فأنشدهن قصيدته التي أولها:

ويوم ذي سلمٍ شاقتك نائحةٌ ... ورقاء في فننٍ والريح تضطرب

فقلن له: نسألك بالله وبحق هذه البنية، من أنت؟ فقال: أنا ابن المظلومة المقذوفة بغير جرم "نصيب". فقمن إليه فسلمن عليه ورحبن به، واعتذرت إليه القائلة، وقالت: والله ما أردت سوءاً، وإنما حملني الاستحسان لقولك على ما سمعت. فضحك وجلس إليهن. فحادثهن إلى أن انصرفن.

أخبار ابن محرز ونسبه

نسب ابن محرز

هو مسلم بن محرز. فيما روى ابن المكي، ويكنى أبا الخطاب، مولى بني عبد الدار ابن قصي. وقال ابن الكلبي: اسمه سلمٌ. قال ويقال: اسمه عبد الله. وكان أبوه من سدنة الكعبة، أصله من الفرس، وكان أصفر أحنى طويلاً. وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني أخي هارون عن عبد الملك بن الماجشون قال: اسم ابن محرز سلم، وهو مولى بني مخزوم. وذكر إسحاق أنه كان يسكن المدينة مرةً ومكة مرةً، فإذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة أشهر يتعلم الضرب من عزة الميلاء، ثم يرجع إلى مكة فيقيم بها ثلاثة أشهر. ثم شخص إلى فارس فتعلم ألحان الفرس وأخذ غناءهم، ثم صار إلى الشأم فتعلم ألحان الروم وأخذ غناءهم، فأسقط من ذلك ما لا يستحسن من نغم

الفريقين، وأخذ محاسنها فمزج بعضها ببعض وألف منها الأغاني التي صنعها في أشعار العرب، فأتى بما لم يسمع مثله. وكان يقال له صناج العرب.

ابن محرز أول من غنى الرمل

أخبرني عمي قال حدثني أبو أيوب المديني عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: قال أبي: أول من غنى الرمل ابن محرز وما غني قبله. فقلت له: ولا بالفارسية؟ قال: ولا بالفارسية، وأول من غنى رملاً بالفارسية سلمك في أيام الرشيد، استحسن لحناً من ألحان ابن محرز، فنقل لحنه إلى الفارسية وغنى فيه.

سبب خمول ذكره

قال أبو أيوب وقال إسحاق: كان ابن محرز قليل الملابسة للناس، فأخمل ذلك ذكره فما يذكر منه إلا غناؤه، وأخذت أكثر غنائه جاريةٌ كانت لصديق له من أهل مكة كانت تألفه، فأخذه الناس عنها. ومات بداءٍ كان به. وسقط إلى فارس فأخذ غناء الفرس، وإلى الشأم فأخذ غناء الروم، فتخير من نغمهم ما تغنى به غناءه. وكان يقدم بما يصيبه فيدفعه إلى صديقه ذاك فينفقه كيف شاء، لا يسأله عن شيءٍ منه، حتى إذا كاد أن ينفد جهزه وأصلح من أمره، وقال له: إذا شئت فارحل، فيرحل ثم يعود. فلم يزل كذلك حتى مات.

ابن محرز أول من غنى بزوج من الشعر

واقتدى به المغنون في ذلك

"قال ": وهو أول من غنى بزوجٍ من الشعر، وعمل ذلك بعده المغنون اقتداءً به. وكان يقول: الأفراد لا تتم بها الألحان. وذكر أنه أول ما أخذ الغناء أخذه عن ابن مسجح. قال إسحاق: وكانت العلة التي مات بها الجذام، فلم يعاشر الخلفاء ولا خالط الناس لأجل ذلك.

قال أبو أيوب قال إسحاق: قدم ابن محرز يريد العراق، فلما نزل القادسية لقيه حنينٌ، فقال له: كم منتك نفسك من العراق؟ قال: ألف دينار. قال: فهذه خمسمائة دينارٍ فخذها وانصرف واحلف ألا تعود.

علو كعبه في صنعة الغناء

وقال إسحاق: وقلت ليونس: من أحسن الناس غناء؟ قال: ابن محرز. قلت: وكيف قلت ذاك. قال: إن شئت فسرت، وإن شئت أجملت. قلت: أجمل. قال: كأنه خلق من كل قلبٍ، فهو يغني لكل إنسان بما يشتهي. وهذه الحكاية بعينها قد حكيت في ابن سريج، ولا أدري أيهما الحق.

قال إسحاق: وأخبرني الفضل بن يحيى بن خالد أنه سأل بعض من يبصر الغناء: من أحسن الناس غناءً؟ فقال: أمن الرجال أم من النساء؟ فقلت: من الرجال. فقال: ابن محرز. فقلت: فمن النساء؟ فقال: ابن سريج. قال:

وكان إسحاق يقول: الفحول ابن سريج، ثم ابن محرز، ثم معبد ثم الغريض، ثم مالك.

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد: قرأت على أبي حدثنا بعض أهل المدينة، وأخبرني بهذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أخي هارون عن عبد الملك بن الماجشون قال:

كان ابن محرز أحسن الناس غناءً، فمر بهند بنت كنانة بن عبد الرحمن بن نضلة بن صفوان بن أمية بن محرث الكناني حليف قريش، فسألته أن يجلس لها ولصواحب لها، ففعل وقال: أغنيكن صوتاً أمرني الحارث بن خالد بن العاص بن هشام أن أغنيه عائشة بنت طلحة بن عبيد الله في شعر له قاله فيها وهو يومئذ أمير مكة؟ قلن نعم. فغناهن:

صوت

فوددت إذ شحطوا وشطت دارهم ... وعدتهم عنا عوادٍ تشغل

أنا نطاع وأن تنقل أرضنا ... أو أن أرضهم إلينا تنقل

لترد من كثبٍ إليك رسائلي ... بجوابها ويعود ذاك المرسل

عروضه من الكامل. الغناء في هذه الأبيات خفيف رملٍ مطلقٌ في مجرى البنصر، ذكر عمرو بن بانة أنه لابن محرز، وذكر إسحاق أنه لابن سريج.

ابن محرز وحنين الحيري

وقال أبو أيوب المديني في خبره: بلغني أن ابن محرز لما شخص يريد العراق لقيه حنين فقال له: غنني صوتاً من غنائك. فغناه:

صوت

وحسن الزبرجد في نظمه ... على واضح الليث زان العقودا

يفصل ياقوته دره ... وكالجمر أبصرت فيه الفريدا

عروضه من المتقارب. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن محرز ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر - قال: فقال له حنين حينئذ: كم أملت من العراق؟ قال: ألف دينار. فقال له: هذه خمسمائة دينارٍ فخذها وانصرف. ولما شاع ما فعل لامه أصحابه عليه؛ فقال: والله لو دخل العراق لما كان لي معه فيه خبزٌ آكله، ولا طرحت وسقطت إلى آخر الدهر. وهذا الصوت أعني:

وحسن الزبرجد في نظمه

من صدور أغاني ابن محرز وأوائلها وما لا يتعلق بمذهبه فيه ولا يتشبه به أحدٌ. ومما يغنى فيه من قصيدة نصيب التي أولها:

أهاج هواك المنزل المتقادم

صوت

لقد راعني للبين نوح حمامةٍ على غصن بانٍ جاوبتها حمائم

هواتف أما من بكين فعهده قديمٌ وأما شجوهن فدائم

الغناء لابن سريج من رواية يونس وعمرو وابن المكي، وهو ثاني ثقيلٍ بالبنصر، وهو من جيد الألحان وحسن الأغاني، وهو مما عارض ابن سريج فيه ابن محرز وانتصف منه.

ذكر الأصوات التي رواها جحظة

عن أصحابه وحكى أنها من الثلاثة المختارة

صوت

إلى جيداء قد بعثوا رسولاً ليحزنها فلا صحب الرسول

كأن العام ليس بعام حج تغيرت المواسم والشكول

الشعر للعرجي، والغناء لإبراهيم الموصلي، ولحنه المختار ماخوري بالوسطى. وهو من خفيف الثقيل الثاني على مذهب إسحاق. وفيه لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالسبابة. في مجرى البنصر، وذكر عمرو بن بانة أن الماخوري لابن سريج.

أخبار العرجي ونسبه

نسب العرجي من قبل أبويه

هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس. وقد شرح هذا النسب في نسب أبي قطيفة. وأم عفان وجميع بني أبي العاص آمنة بنت عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب. وأم عثمان أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس. وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وهي أخت عبد الله بن عبد المطلب أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأمه "وأبيه" ولدا في بطنٍ واحدٍ. وأم عمرو بن عثمان أم أبان بنت جندب الدوسية.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني علي بن صالح عن يعقوب بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال حدثني محرز بن جعفر عن أبيه عن جده قال:
قدم جندب بن عمرو بن حممة الدوسي المدينة مهاجراً في خلافة عمر بن الخطاب، ثم مضى إلى الشأم وخلف ابنته أم أبان عند عمر، وقال له: يا أمير المؤمنين، إن وجدت لها كفئاً فزوجه بها ولو بشراك نعله، وإلا فأمسكها حتى تلحقها بدار قومها بالسراة. فكانت عند عمر، واستشهد أبوها، فكانت تدعوا عمر أباها ويدعوها ابنته. قال: فإن عمر على المنبر يوماً يكلم الناس في بعض الأمر إذ خطر على قلبه ذكرها، فقال: من له في الجميلة الحسيبة بنت جندب بن عمرو بن حممة، وليعلم امرؤٌ من هو! فقام عثمان فقال: إنا يا أمير المؤمنين. فقال أنت لعمر الله! كم سقت إليها؟ قال: كذا وكذا. قال: قد زوجتكها، فعجله؛ فإنها معدة. قال: ونزل عن المنبر. فجاء عثمان رضي الله عنه بمهرها، فأخذه عمر في ردنه فدخل به عليها، فقال: يا بنية، مدي حجرك، ففتحت حجرها، فألقى فيه المال، ثم قال: يا بنية، قولي اللهم بارك لي فيه. فقالت: اللهم بارك لي فيه، وما هذا يا أبتاه؟ قال: مهرك. فنفحت به وقالت: واسوأتاه! فقال: احتسبي منه لنفسك ووسعي منه لأهلك، وقال لحفصة: يا بنتاه، أصلحي من شأنها وغيري بدنها واصبغي ثوبها، ففعلت. ثم أرسل بها مع نسوةٍ إلى عثمان. فقال عمر لما فارقته: إنها أمانةٌ في عنقي أخشى أن تضيع بيني وبين عثمان، فلحقهن فضرب على عثمان بابه، ثم قال: خذ أهلك بارك الله لك فيهم. فدخلت على عثمان، فأقام عندها مقاماً طويلاً لا يخرج إلى حاجة. فدخل عليه سعيد بن العاص فقال له: يا أبا عبد الله، لقد أقمت عند أهل الدوسية مقاماً ما كنت تقيمه عند النساء. فقال: أما إنه ما بقيت خصلةٌ كنت أحب أن تكون في امرأة إلا صادفتها فيها ما خلا خصلةً واحدةً. قال: وما هي؟ قال: إني رجل قد دخلت في السن، وحاجتي في النساء الولد، وأحسبها حديثةً لا ولد فيها اليوم. قال: فتبسمت. فلما خرج سعيدٌ من عنده قال لها عثمان: ما أضحكك. قالت: قد سمعت قولك في الولد، وإني لمن نسوةٍ ما دخلت امرأةٌ منهن على سيد قط فرأت حمراء حتى تلد سيد من هو منه. قال: فما رأت حمراء حتى ولدت عمرو بن عثمان. وأم عمر بن عمرو بن عثمان وأم ولدٍ. وأم العرجي آمنة بنت عمر بن عثمان؛ وقال إسحاق: بنت سعيد بن عثمان، وهي لأم ولد.

سبب تلقبه بالعرجي

ونحوه نحو عمر بن أبي ربيعة في شعره

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي: أنه إنما لقب العرجي لأنه كان يسكن عرج الطائف. وقيل: بل سمي بذلك لماءٍ كان له ومالٍ عليه بالعرج. وكان من شعراء قريش، ومن شهر بالغزل منها، ونحا نحو عمر بن أبي ربيعة في ذلك وتشبه به فأجاد. وكان مشغوفاً باللهو والصيد حريصاً عليهما قليل المحاشاة لأحدٍ فيهما. و لم يكن له نباهةٌ في أهله، وكان أشقر أزرق جميل الوجه. وجيداء التي شبب بها هي أم

محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي، وكان ينسب بها ليفضح ابنها لا لمحبةٍ كانت بينهما؛ فكان ذلك سبب حبس محمد إياه وضربه له، حتى مات في السجن.

وأخبرني محمد بن مزيد إجازةً عن حماد بن إسحاق فذكر أن حماداً حدثه عن إسحاق عن أبيه عن بعض شيوخه: أن العرجي كان أزرق كوسجاً ناتىء الحنجرة، وكان صاحب غزلٍ وفتوةٍ، وكان يسكن بمالٍ له في الطائف يسمى العرج؛ فقيل له العرجي ونسب إلى ماله. وكان من الفرسان المعدودين مع مسلمة بن عبد الملك بأرض الروم، وكان له معه بلاءٌ ونفقة كثيرة.

قال إسحاق: قد ذكر عتبة بن إبراهيم اللهبي: أن العرجي فيما بلغه باع أموالاً عظاماً كانت له وأطعم ثمنها في سبيل الله حتى نفد ذلك كله. وكان قد اتخذ غلامين، فإذا كان الليل نصب قدره وقام الغلامان يوقدان، فإذا نام واحد قام الآخر، فلا يزالان كذلك حتى يصحبا، يقول: لعل طارقاً يطرق.

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال حدثني مصعب، وأخبرنا الحرمي عن الزبير عن عمه مصعب، وعن محمد بن الضحاك بن عثمان عن أبيه قال، دخل حديث بعضهم في بعضٍ، وأخبرني محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه عن مصعب قال:

العرجي خليفة عمر بن أبي ربيعة

كانت حبشيةٌ من مولدات مكة ظريفةٌ صارت إلى المدينة، فلما أتاهم موت عمر بن أبي ربيعة اشتد جزعها وجعلت تبكي وتقول: من لمكة وشعابها وأباطحها ونزهها ووصف نسائها وحسنهن وجمالهن ووصف ما فيها! فقيل لها: خفضي عليك؛ فقد نشأ فتى من ولد عثمان رضي الله عنه يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه. فقالت: أنشدوني من شعره، فأنشدوها؛ فمسحت عينها وضحكت وقالت: الحمد لله الذي لم يضيع حرمه.

العرجي وكلابة مولاة العبلى

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب، وأخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عوركٍ اللهبي: أن مولاةً لثقيف يقال لها كلابة كانت عند عبد الله بن القاسم الأموي العبلي، وكان يبلغها تشبيب العرجي بالنساء وذكره لهن في شعره، وكانت كلابة تكثر أن تقول: لشد ما اجترأ العرجي على نساء قريش حين يذكرهن في شعره! ولعمري ما لقي أحداً فيه خير، ولئن لقيته لأسودن وجهه! فبلغه ذلك عنها. قال إسحاق في خبره: وكان العبلى نازلاً على ماء لبني نصر بن معاوية يقال له الفتق على ثلاثة أميال من مكة على طريق من جاء من نجران أنو تبالة إلى مكة، والعرج أعلاها قليلاً مما يلي الطائف. فبلغ العرجي أنه خرج إلى مكة، فأتى قصره فأطاف به، فخرجت إليه كلابة وكان خلفها في أهله، فصاحت به:

إليك، ويلك! وجعلت ترميه بالحجارة وتمنعه أن يدنو من القصر. فاستسقاها ماءً فأبت أن تسقيه، وقالت: لا يوجد والله أثرك عندي أبداً فيلصق بي منك شر. فانصرف وقال: ستعلمين! وقال:

صوت

حورٌ بعثن رسولاً في ملاطفةٍ ... ثقفاً إذا غفل النساءة الوهم

إلي أن إيتنا هداً إذا غفلت ... أحراسنا وافتضحنا إن هم علموا

فجئت أمشي على هولٍ أجشمه ... تجشم المرء هولاً في الهوى كرم

إذا تخوفت من شيءٍ أقول له ... قد جف فامض بشيءٍ قدر القلم

أمشي كما حركت ريحٌ يمانيةٌ ... غصناً من البان رطباً طله الديم

في حلةٍ من طراز السوس مشربةٍ ... تعفو بهدابها ما أثرت قدم

خلت سبيلي كما خليت ذا عذرٍ ... إذا رأته عتاق الخيل ينتجم

وهن في مجلسٍ خالٍ وليس له ... عين عليهن أخشاها ولا ندم

حتى جلست إزاء الباب مكتتماً ... وطالب الحاج تحت الليل مكتتم

أبدين لي أعيناً نجلاً كما نظرت ... أدمٌ هجانٌ أتاها مصعبٌ قطم

قالت كلابة من هذا؟ فقلت لها ... أنا الذي أنت من أعدائه زعموا

أنا امرؤٌ جد بي حبٌّ فأحرضني ... حتى بليت وحتى شفني السقم

لا تكليني إلى قومٍ لو أنهم ... من بغضنا أطعموا الحمى إذاً طعموا

وأنعمي نعمةً تجزي بأحسنها ... فطالما مسني من أهلك النعم

ستر المحبين في الدنيا لعلهم ... أن يحدثوا توبةً فيها إذا أثموا

هذي يميني رهنٌ بالوفاء لكم ... فارضي بها ولأنف الكاشح الرغم

قالت رضيت ولكن جئت في قمرٍ ... هلا تلبثت حتى تدخل الظلم

فبت أسقي بأكواسٍ أعل بها ... من باردٍ طاب منها الطعم والنسم

حتى بدا ساطعٌ للفجر نحسبه ... سنى حريقٍ بليلٍ حين يضطرم

كغرة الفرس المنسوب قد حسرت ... عنه الجلال تلالا وهو يلتجم

ودعتهن ولا شيءٌ يراجعني ... إلا البنان وإلا الأعين السجم

إذا أردن كلامي عنده اعترضت ... من دونه عبراتٌ فانثنى الكلم
تكاد إذ رمن نهضاً للقيام معي ... أعجازهن من الأنصاف تنقصم

قال: فسمع ابن القاسم العبلي بالشعر يغنى به، وكان العرجي قد أعطاه جماعةً من المغنين وسألهم أن يغنوا فيه، فصنعوا في أبياتٍ منه عدة ألحان، وقال: والله لا أجد لهذه الأمة شيئاً أبلغ من إيقاعها تحت التهمة عند ابن القاسم ليقطع مأكلتها من ماله. قال: فلما سمع العبلي بالشعر يغنى به أخرج كلابة واتهمها، ثم أرسل بها بعد زمانٍ على بعير بين غرارتي بعرٍ، فأحلفها بمكة بين الركن والمقام إن العرجي كذب فيما قاله. فحلفت سبعين يميناً، فرضي عنها وردها. فكان بعد ذلك إذا سمع قول العرجي:

فطالما مسني من أهلم النعم

قال: كذب والله ما مسه ذلك قط. وقال إسحاق: وقد قيل: إن صاحب هذه القصيدة "والقصة" أبو حراب العبلي، وإن كلابة كانت أمةً لسعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان، وكان العرجي قد خطبها وسميت به، ثم خطبها يزيد بن عبد الملك أو الوليد بن يزيد فزوجته، فقال العرجي هذا الشعر فيها. غنى في قوله:

أمشي كما حركت ريحٌ يمانيةٌ

علي بن هشام هزجاً مطلقاً بالبنصر، وفيه للمسدود هزجٌ آخر طنبوريٌ، ذكر ذلك جحظة. وفي:

لا تكليني إلى قومٍ لو أنهم

رملٌ لابن سريج عن ابن المكي وإسحاق بالسبابة في مجرى الوسطى. وفي "قالت كلابة" والذي بعده لعبيد الله بن أبي غسان لحنٌ من خفيف الرمل. ولنبيه في "أنا امرؤ جد بي" وما بعده، هزجٌ بالوسطى. ولدحمان في "حورٌ بعثن" وما بعده، هزجٌ بالوسطى، وروى عنه الهشامي فيه ثقيلاً أول. ولأبي عيسى بن المتوكل في "وأنعمي نعمةً" وبيتين بعده، ثقيل أول.

وأخبرني بخبر العرجي وكلابة هذه الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب، وأخبرني به وكيعٌ عن أبي أيوب المديني عن مصعب وذكر نحواً مما ذكره إسحاق؛ وزعما أن كلابة كانت قيمةً لأبي حراب العبلي وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس.

أيوب بن مسلمة وأشعب يتذكران شعره

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني مسلمة بن إبراهيم بن هشام قال: كنت عند أيوب بن مسلمة ومعنا أشعب، فذكر قول العرجي:

أين ما قلت مت قبلك أينا ... أين تصديق ما وعدت إلينا

فلقد خفت منك أن تصرمي الحب ... ل وأن تجمعي مع الصرم بينا
ما تقولين في فتىً هام إذ ها ... م بمن لا ينال جهلاً وحينا
فاجعلي بيننا وبينك عدلاً ... لا تحيفي ولا يحيف علينا
واعلمي أن في القضاء شهوداً ... أو يميناً فأحضري شاهدينا
خلتي لو قدرت منك على ما ... قلت لي في الخلاء حين التقينا
ما تحرجت من دمي علم اللـ ... ـه ولو كنت قد شهدت حنينا

قال فقال أيوب لأشعب: ما تظن أنها وعدته؟ قال: أخبرك يقيناً لا ظناً أنها وعدته أن تأتيه في شعب من شعاب العرج يوم الجمعة إذا نزل الرجال إلى الطائف للصلاة، فعرض لها عارض شغلٍ فقطعها عن موعده. قال: فمن كان الشاهدان؟ قال: كسيرٌ وعوير، وكل غيرٍ خيرٌ: فندٌ أبو زيد مولى عائشة بنت سعد، وزور الفرق مولى الأنصار. قال: فمن العدل الحكم؟ قال: حصين بن غرير الحميري. قال: فما حكم به؟ قال: أدت إليه حقه وسقطت المؤنة عنه. قال: يا أشعب، لقد أحكمت صناعتك! قال: سل علامةً عن علمه.

شعره في عاتكة زوجة طريح الثقفي

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عورك اللهبي قال: قال العرجي في امرأة من بني حبيب "بطنٍ من بني نصر بن معاوية" يقال لها عاتكة، وكانت زوجة طريح بن إسماعيل الثقفي:

يا دار عاتكة التي بالأزهر ... أو فوقه بقفا الكثيب الأحمر
لم ألق أهلك بعد عام لقيتهم ... يا ليت أن لقاءهم لم يقدر

صوت

بفناء بيتك وابن مشعب حاضرٌ ... في سامرٍ عطرٍ وليلٍ مقمر
مستشعرين ملاحفاً هرويةً ... بالزعفران صباغها والعصفر
فتلازما عند الفراق صبابةً ... أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

الأزهر: على ثلاثة أميال من الطائف. وابن مشعبٍ الذي عناه مغنٍّ من أهل مكة كان في زمن ابن سريج. والغناء في هذه الأبيات له رملٌ بالوسطى. قال إسحاق: كان ابن مشعب من أحسن الناس وجهاً وغناء، ومات في تلك الأيام، فأدخل الناس غناءه في غناء ابن سريج والغريض. قال: وهذا الصوت ينسبه من لا يعلم إلى ابن محرزٍ، يعني:

بفناء بيتك وابن مشعب حاضر

قال: وهو الذي غنى:

أقفر ممن يحله السند فالمنحنى فالعقيق فالجمد

ويحي غداً إن غدا علي بما أحذر من فرقة الحبيب غد

والناس ينسبونه إلى ابن سريج.

حكاية يرويها ابن مخارق عن العرجي

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن ثابت بن إبراهيم الأنصاري قال حدثني ابن مخارق قال: واعد العرجي هوىً له شعباً من شعاب عرج الطائف إذا نزل رجالها يوم الجمعة إلى مسجد الطائف. فجاءت على أتانٍ لها معها جاريةٌ لها، وجاء العرجي على حمار معه غلام له، فواقع المرأة، وواقع الغلام الجارية، ونزا الحمار على الأتان. فقال العرجي: هذا يومٌ قد غاب عذاله:

غنى العرجي

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا النضر بن عمرو عن ابن داحة قال: كان العرجي يستقي على إبله في شملتين، ثم يغتسل ويلبس حلتين بخمسمائة دينارٍ، ثم يقول:

يوماً لأصحابي ويوماً للمال مدرعةٌ يوماً ويوماً سربال

أخبرني محمد بن مزبد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن بعض رجاله: أن العرجي كان غازياً فأصابت الناس مجاعةٌ، فقال للتجار: أعطوا الناس وعلي ما تعطون، فلم يزل يعطيهم ويطعم الناس حتى أخصبوا، فبلغ ذلك عشرين ألف دينار، فألزمها العرجي نفسه. وبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز فقال: بيت المال أحق بهذا، فقضى التجار ذلك المال من بيت المال.

العرجي وأم الأوقص

وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومي القاضي

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن عمه، وأخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيري وغيره: أن العرجي خرج إلى جنبات الطائف متنزهاً، فمر ببطن النقيع فنظر إلى أم الأوقص، وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومي القاضي، وكان يتعرض لها، فإذا رآها رمت بنفسها وتسترت منه، وهي امرأة من بني تميم، فبصر بها في نسوةٍ جالسةً وهن يتحدثن، فعرفها وأحب أن يتأملها من قرب، فعدل عنها ولقي أعرابياً من بني نصر على بكرٍ له ومعه وطبا لبنٍ، فدفع إليه دابته وثيابه وأخذ قعوده ولبنه ولبس ثيابه، ثم أقبل على النسوة

فصحن به: يا أعرابي، أمعك لبنٌ؟ قال: نعم، ومال إليهن وجلس يتأمل أم الأوقص، وتواثب من معها إلى الوطبين، وجعل العرجي يلحظها وينظر أحياناً إلى الأرض كأنه يطلب شيئاً وهن يشربن من اللبن. فقالت له امرأةٌ منهن: أي شيء تطلب يا أعرابي في الأرض؟ أضاع منك شيء؟ قال: نعم قلبي. فلما سمعت التميمية كلامه نظرت إليه وكان أزرق فعرفته، فقالت: العرجي بن عمر ورب الكعبة! ووثبت وسترها نساؤها وقلن: انصرف عنا لا حاجة بنا إلى لبنك. فمضى منصرفاً، وقال في ذلك:

أقول لصاحبي ومثل ما بي ... شكاه المرء ذو الوجد الأليم

إلى الأخوين مثلهما إذا ما ... تأوبه مؤرقه الهموم

لحيني والبلاء لقيت ظهراً ... بأعلى النقع أخت بني تميم

فلما أن رأت عيناني منها ... أسيل الخد في خلقٍ عميم

وعيني جؤذرٍ خرقٍ وثغراً ... كلون الأقحوان وجيد ريم

حنا أترابها دوني عليها ... حنو العائدات على السقيم

قال إسحاق في خبره: فقال رجل من بني جمع يقال له ابن عامر للأوقص وقضى عليه بقضية فتظلم منه: والله لو كنت أنا عبد الله بن عمر العرجي لكنت قد أسرفت علي. فضربه الأوقص سبعين سوطاً.

ابو السائب المخزومي وشعر العرجي

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه قال: أتاني أبو السائب المخزومي ليلةً بعد ما رقد السامر فأشرفت عليه. فقال: سهرت وذكرت أخاً لي أستمتع به، فلم أجد سواك. فلو مضينا إلى العقيق فتناشدنا وتحدثنا! فمضينا، فأنشدته في بعض ذلك بيتين للعرجي:

باتا بأنعم ليلةٍ حتى بدا ... صبحٌ تلوح كالأغر الأشقر

فتلازما عند الفراق صبابةً ... أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فقال: أعده علي، فأعدته. فقال: أحسن والله! امرأته طالقٌ إن نطق بحرف غيره حتى يرجع إلى بيته. قال: فلقينا عبد الله بن حسن بن حسن، فلما صرنا إليه وقف بنا وهو منصرفٌ من ماله يريد المدينة، فسلم ثم قال: كيف أنت يا أبا السائب؟ فقال:

فتلازما عند الفراق صبابةً ... أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إلي فقال: متى أنكرت صاحبك؟ فقلت: منذ الليلة. فقال: إنا لله! وأي كهلٍ أصيبت منه قريشٌ! ثم مضينا، فلقينا محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة يريد مالاً له على بغلةٍ له ومعه غلامٌ على عنقه مخلاةٌ فيها قيد البغلة، فسلم ثم قال: كيف أنت يا أبا السائب؟ فقال:

فتلازما عند الفراق صبابةً أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

قلت: آنفاً. فلما أراد المضي قلت: أفتدعه هكذا؟ ولله ما آمن أن يتهور في بعض آبار العقيق! قال: صدقت، يا غلام قيد البغلة، فأخذ القيد فوضعه في رجله وهو ينشد البيت ويشير بيده إليه يري أنه يفهم عنه قصته. ثم نزل الشيخ وقال لغلامه: يا غلام، احمله على بغلتي وألحقه بأهله. فلما كان بحيث علمت أنه فاته أخبرته بخبره، فقال: قبحك الله ماجناً! فضحت شيخاً من قريش وغررتني.

ابن أبي عتيق وشعر العرجي

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عروة بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عروة بن أذينة قال: أنشد ابن جندبٍ الهذلي ابن أبي عتيق قول العرجي:

وما أنس م الأشياء لا أنس قولها لخادمها قومي اسألي لي عن الوتر

فقالت يقول الناس في ست عشرةً فلا تعجلي منه فإنك في أجر

فما ليلةٌ عندي وإن قيل جمعة ولا ليلة الأضحى ولا ليلة الفطر

بعادلة الإثنين عندي وبالحرى يكون سواءً منهما ليلة القدر

فقال ابن أبي عتيق: أشهدكم أنها حرةٌ من مالي إن أجاز ذلك أهلها، هذه والله أفقه من ابن شهاب.

شعر العرجي في زوجته أم نعمان

بنت بكير بن عمرو بن عثمان بن عفان

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: تزوج العرجي أم عثمان بنت بكير بن عمرو بن عثمان بن عفان، وأمها سكينة بنت مصعب بن الزبير، فقال فيها:

إن عثمان والزبير أحلا دارها باليفاع إذ ولداها

إنها بنت كل أبيض قرمٍ نال في المجد من قصي ذراها

سكن الناس بالظواهر منها وتبوا لنفسه بطحاها

قال إسحاق: ولما تزوج الرشيد زوجته العثمانية أعجب بها، فكان كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات.

العرجي وأبو عدي العبلي

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: حدثت أن أبا عدي العبلي خرج يريد وادياً نحو الطائف يقال له جلدان، فمر بعبد الله بن عمر العرجي وهو نازلٌ هناك بوادٍ يقال له العرج، فأرسل إليه غلاماً له

فأعلمه بمكانه، فأتاه الغلام فقال له: هذا أبو عدي، فأمر أن يترله في مسجد الخيف، فأنزل وأبطأ عليه في الخروج. فقال للغلام: ويحك! ما يحبس مولاك؟ قال: عنده ابن وردان مولى معاوية، وهما يأكلان القسب والجلجلان. ثم بعث إليه بخبز ولبن، وبعث لرواحله بحمضٍ وقدم إلى رواحل ابن وردان القت والشعير. فكتب إليه أبو عدي:

أبا عمرٍ لم تنزل الركب إذ أتوا ... منازلهم والركب يحفون بالركب

رفعت لئام الناس فوق كرامهم ... وآثرتهم بالجلجلان والقسب

فأما بعيرانا فبالحمض غذيا ... وأوثر عباد بن وردان بالقضب

فكتب إليه العرجي:

أتانا فلم نشعر به غير أنه ... له لحيةٌ طالت على حمق القلب

كراية بيطارٍ بأعلى حديدةٍ ... إذا نصبت لم تكسب الحمد بالنصب

أتانا على سغبٍ يعرض بالقرى ... وهل فوق قرضٍ من قرى صاحب السغب

قال: فارتحل أبو عدي مغضبا وقال: مزحت معه فهجاني، وأنشأ يقول في العرجي:

سرت ناقتي حتى إذا ملت السرى ... وعارضها عرج الجبانة والخصب

طواها الكرى بعد السرى بمعرسٍ ... جديبٍ وشيخٍ بئس مستعرض الركب

وهمت بتعريسٍ فحلت قيودها ... إلى رجلٍ بالعرج ألأم من كلب

تمطى قليلاً ثم جاء بصربةٍ ... وقرص شعيرٍ مثل كركرة السقب

فقلت له أردد قراك مذمماً ... فلست إليه بالفقير ولا صحبي

جزى الله خيراً خيرنا عند بيته ... وأنحرنا للكوم في اليوم ذي السغب

لقد علمت فهرٌ بأنك شرها ... وآكل فهرٍ للخبيث من الكسب

وتلبس للجارات إتباً ومئزراً ... ومرطاً فبئس الشيخ يرفل في الإتب

يدخن بالعد اليلنجوج مرةً ... وبالضرو والسوداء والمائع الرطب

فإن قلت عثمان بن عفان والدي ... فقد كان عثمانٌ بريئاً من الوشب

وقدماً يجيء الحي بالنسل ميتاً ... ويأتي كريم الناس بالوكل الثلب

له لحيةٌ قد مزقت فكأنها ... مقمةٌ حشاشٍ محالفة العشب

فلما بلغ ذلك العرجي أتى عمه علي بن عبد الله بن علي العبلي فشق قميصه بين يديه وشكاه إليه. فبعث إلى ابن عدي فنهاه عنه وقال: لئن عدت لا كلمتك أبداً فكف عنه.

كان العرجي من أفرس الناس وأرماهم

وأبراهم لسهم

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن سليمان بن عثمان بن يسار: رجلٍ من أهل مكة وكان هيباً أديباً قال: كان للعرجي حائطٌ يقال له العرج في وسط بلاد بني نصر بن معاوية، فكانت إبلهم وغنمهم تدخل فيه فيعقر كل ما دخل منها، فكانت تضر به ويضر بأهلها ويشكونه ويشكوهم. وكان من أفرس الناس وأرماهم وأبراهم لسهم، فكان ربما برى مائة سهمٍ من الرمان، ثم يقول: والله لا أنقلب حتى أقتل بها مائة خلفةٍ من إبل بني نصر، فيفعل ذلك.

حبس العرجي

قال إسحاق: فحدثني ابن غرير قال: لما حبس العرجي وضرب وأقيم على البلس قال:

معي ابن غريرٍ واقفاً في عباءةٍ لعمري لقد قرت عيون بني نصر

فقال فتى من بني نصر يجيبه - وكان حاضراً لضربه وإقامته -:

أجل قد أقر الله فيك عيوننا فبئس الفتى والجار في سالف الدهر

وقال إسحاق في خبره: قال رجلٌ للعرجي: جئتك أخطب إليك مودتك. قال: بل خذها زناً، فإنها أحلى وألذ!

تمثل امرأة بشعره في الحج

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثنا إسماعيل بن مجمع عن المدائني عن عبد الله بن سلم قال: قال عبد الله بن عمر العمري: خرجت حاجاً، فرأيت امرأةً جميلةً تتكلم بكلام أرفثت فيه، فأدنيت ناقتي منها، ثم قلت لها: يا أمة الله، ألست حاجةً! أما تخافين الله! فسفرت عن وجهٍ يبهر الشمس حسناً، ثم قالت: تأمل يا عم! فإنني ممن غنا العرجي بقوله:

صوت

أماطت كساء الخز عن حر وجهها وأدنت على الخدين برداً مهلهلا

من اللاء لم يحججن يبغين حسبةً ولكن ليقتلن البريء المغفلا

قال فقلت لها: فإني أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار. قال: وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال: أما والله لو كان من بعض بغضاء العراق لقال لها: اغربي قبحك الله! ولكنه ظرف عباد أهل الحجاز. وقد رويت هذه الحكاية عن أبي حازم الأعرج وهو سلمة بن دينار، وقد روى أبو حازم عن أبي هريرة وسهل بن سعد وغيرهما، وروى عنه مالك وابن أبي أيوب. والحكاية عنه في هذا أصح منها عن عبد الله العمري، حدثنا بهذا وكيعٌ. والغناء في هذه الأبيات لعرارٍ المكي ثاني ثقيلٍ. وفيه خفيف ثقيلٍ لمعبدٍ، وفيها لعبد الله بن العباس الربيعي ثقيلٌ أول، ويقال إن خفيف الثقيل لابن سريج، ويقال للغريض.

غناء عبد الله بن العباس الربيعي بشعره

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني ابو ثوبة قال: قال عبد الله بن العباس: دعاني المتوكل، فلما جلست مجلس المنادمة قال لي: يا عبد الله، تغن، فغنيته في شعرٍ مدحته به، فقال: أين هذا من غنائك في:

أماطت كساء الخز عن حر وجهها

ومن صنعتك في:

أقفر ممن يحله سرف

فقلت: يا أمير المؤمنين، إن صنعتي حينئذٍ كانت وأنا شاب عاشقٌ، فإن استطعت رد شبابي وعشقي صنعت مثل تلك الصنعة. فقال هيهات! وقد لعمري صدقت، ووصلني. والأبيات التي فيها الغناء المذكور من شعر العرجي يقوله في جيداء أم محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي، وكان يهجوه ويشبب بأمه وبامرأته، وكان محمد تياهاً شديد الكبر جباراً، فلم يزل يتطلب عليه العلل حتى حبسه وقيده بعد أن ضربه بالسوط وأقامه على البلس للناس. واختلف الرواة في السبب الذي اعتل به عليه، وقد ذكرت ذلك في رواياتهم:

هجاؤه محمد بن هشام المخزومي

وتشبيبه بأمه

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة، وأخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب ومحمد بن الضحاك الحزامي عن الضحاك بن عثمان، وذكره حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية، ونسخته أيضاً من رواية محمد بن حبيب قالوا: كان محمد بن هشام خال هشام بن عبد الملك، فلما ولي الخلافة ولاه مكة،

وكتب إليه يحج بالناس، فهجاه العرجي بأشعارٍ كثيرةٍ.

منها قوله فيه:

كأن العام ليس بعام حجٍّ تغيرت المواسم والشكول

إلى جيداء قد بعثوا رسولاً ليخبرها فلا صحب الرسول

ويروى: ليحزنها وهكذا يغني.

ومنها قوله:

ألا قل لمن أمسى بمكة قاطناً ومن جاء من عمقٍ ونقب المشلل

دعوا الحج لا تستهلكوا نفقاتكم فما حج هذا العام بالمتقبل

وكيف يزكي حج من لم يكن له إمامٌ لدى تجميره غير دلدل

يظل يرائي بالصيام نهاره ويلبس في الظلماء سمطى قرنفل

فلم يزل محمدٌ يطلب عليه العلل حتى وجدها فحبسه.

قال الزبير في خبره عن عمه ومحمد الضحاك، وقال إسحاق في خبره عن أيوب بن عباية: كان العرجي يشبب بأم محمد بن هشام، وهي من بني الحارث بن كعب، ويقال لها جيداء:

صوت

عوجي علينا ربة الهودج إنك إن لا تفعلي تحرجي

إني أتيحت لي يمانيةٌ إحدى بني الحارث من مذحج

نلبث حولاً كاملاً كله ما نلتقي إلا على منهج

في الحج إن حجت وماذا منىً وأهله إن هي لم تحجج

أيسر ما نال محبٌ لدى بين حبيبٍ قوله عرج

نقض إليكم حاجةً أو نقل هل لي مما بي من مخرج

قال إسحاق في خبره: فحدثني حمزة بن عتبة اللهبي قال: أنشد عطاء بن أبي رباحٍ قول العرجي:

في الحج إن حجت وماذا مني وأهله إن هي لم تحجج

فقال: الخير والله كله بمنىً وأهله حجت أو لم تحج. قال: ولقي ابن سريج عطاءً وهو راكب "بمنى" على بغلته، فقال له: سألتك بالله إلا وقفت لي حتى أسمعك شيئاً. قال: ويحك! دعني فإني عجلٌ. قال: امرأته طالقٌ لئن لم

تقف مختاراً للوقوف لأمسكن بلجام بغلتك ثم لا أفارقها ولو قطعت يدي حتى أغنيك وأرفع صوتي لا أسره.

قال: هات وعجل؛ فغناه:

في الحج إن حجت وماذا منىً وأهله إن هي لم تحجج

قال: الخير كله والله بمنى، لاسيما وقد غيبها الله عن مشاعره! خل سبيل البغلة.

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثني حمزة بن عتبة اللهبي عن عبد الوهاب بن مجاهد أو غيره قال: كنت مع عطاء بن أبي رباح فجاءه رجلٌ فأنشده قول العرجي:

إني أتيحت لي يمانيةٌ إحدى بني الحارث من مذحج

نلبث حولاً كاملاً كله لا نلتقي إلا على منهج

في الحج إن حجت وماذا منىً وأهله إن هي لم تحجج

فقال عطاءٌ: خيرٌ كثيرٌ بمنى إذ غيبها الله عن مشاعره.

تشبيبه بزوجة محمد بن هشام

قال: وقال في زوجته جبرة المخزومية "يعني زوجة محمد بن هشام":

صوت

عوجي علي فسلمي جبر فيم الصدود وأنتم سفر

ما نلتقي إلا ثلاث منىً حتى يفرق بيننا النفر

الحول بعد الحول يتبعه ما الدهر إلا الحول والشهر

قال حماد بن إسحاق في خبره: حدثني ابن أبي الحويرث الثقفي عن ابن عمٍّ لعمارة ابن حمزة قال حدثنا سليمان الخشاب عن داود المكي قال: كنا في حلقة ابن جريج وهو يحدثنا وعنده جماعةٌ فيهم عبد الله بن المبارك وعدةٌ من العراقيين، إذ مر به ابن تيزن المغني وقد ائتزر بمئزر على صدره، وهي إزرة الشطار عندنا، فدعاه ابن جريج فقال له: أحب أن تسمعني. قال: إني مستعجلٌ، فألح عليه؛ فقال: امرأته طالقٌ إن غناك أكثر من ثلاثة أصوات. فقال له: ويحك! ما أعجلك إلى اليمين! غنني الصوت الذي غناه ابن سريج في اليوم الثاني من أيام منى على جمرة العقبة فقطع طريق الذاهب والجائي حتى تكسرت المحامل. فغناه:

عوجي علي فسلمي جبر

فقال له ابن جريج: أحسنت والله! "ثلاث مرات"، ويحك! أعده. قال: من الثلاثة فإني قد حلفت. قال: أعده، فأعاده. فقال: أحسنت! فأعده من الثلاثة، فأعاده وقام ومضى، وقال: لولا مكان هؤلاء الثقلاء عندك لأطلت معك حتى تقضي وطرك. فالتفت ابن جريج إلى أصحابه فقال: لعلكم أنكرتم ما فعلت! فقالوا: إن لننكره عندنا بالعراق ونكرهه. قال: فما تقولون في الرجر؟ "يعني الحداء". قالوا: لا بأس به عندنا: قال: فما الفرق بينه وبين الغناء؟!

اضطغان ابن هشام عليه وحبسه

قال إسحاق في خبره: بلغني أن محمد بن هشام كان يقول لأمه جيداء "بنت عفيف": أنت غضضت مني بأنك أمي، وأهلكتني وقتلتني. فتقول له: ويحك! وكيف ذاك؟ قال: لو كانت أمي من قريش ما ولي الخلافة غيري. قالوا: فلم يزل محمد بن هشام مضطغناً على العرجي من هذه الأشعار التي يقولها فيه ومتطلباً سبيلاً عليه حتى وجده فيه، فأخذه وقيده وضربه وأقامه للناس، ثم حبسه وأقسم: لا يخرج من الحبس مادام لي سلطانٌ. فمكث في حبسه نحواً من تسع سنين حتى مات فيه.

روايات أخرى في سبب الخصومة بينهما وذكر إسحاق في خبره عن أيوب بن عباية ووافقه عمر بن شبة ومحمد بن حبيب: أن السبب في ذلك أن العرجي لاحى مولى كان لأبيه فأمضه العرجي، فأجابه المولى بمثل ما قاله له. فأمهله حتى إذا كان الليل أتاه مع جماعة من مواليه وعبيده فهجم عليه في منزله وأخذه وأوثقه كتافاً، ثم أمر عبيده أن ينكحوا امرأته بين يديه ففعلوا، ثم قتله وأحرقه بالنار. فاستعدت امرأته على العرجي محمد بن هشام فحبسه.

وذكر الزبير في خبره عن الضحاك بن عثمان: أن العرجي كان وكل بحرمه مولى له يقوم بأمورهن، فبلغه أنه يخالف إليهن، فلم يزل يرصده حتى وجده يحدث بعضهن، فقتله وأحرقه بالنار. فاستعدت عليه امرأة المولى محمد بن هشام المخزومي وكان والياً على مكة في خلافة هشام، وكان العرجي قد هجاه قبل ذلك هجاءً كثيراً لما ولاه هشامٌ الحج فأحفظه. فلما وجد عليه سبيلاً ضربه وأقامه على البلس للناس، وسجنه حتى مات في سجنه.

وذكر الزبير أيضاً في خبره عن عمه وغيره أن أشعب كان حاضراً للعرجي وهو يشتم مولاه هذا، وأنه طال شتمه إياه. فلما أكثر رد المولى عليه، فاختلط من ذلك، فقال لأشعب: اشهد على ما سمعت. قال أشعب: وعلام أشهد، قد شتمته ألفاً وشتمك واحدةً. والله لو أن أمك أم الكتاب، وأمه حمالة الحطب ما زاد على هذا! تعذيب محمد بن هشام للعرجي

وما كان يقوله العرجي من الشعر في ذلك

قال الزبير وحدثني حمزة بن عتبة اللهبي قال: لما أخذ محمد بن هشام المخزومي العرجي أخذه وأخذ معه الحصين بن غرير الحميري، فجلدهما، وصب على رءوسهما الزيت، وأقامهما في الشمس على البلس في الحناطين بمكة؛ فجعل العرجي ينشد:

سينصرني الخليفة بعد ربي ... ويغضب حين يخبر عن مساقي
علي عباءةٌ بلقاء ليست ... مع البلوى تغيب نصف ساقي
وتغضب لي بأجمعها قصي ... قطين البيت والدمث الرقاق

ثم يصيح: يا غرير أجياد، يا غرير أجياد! فيقول له الحميري المجلود معه: ألا تدعنا! ألا ترى ما نحن فيه من البلاء! يعني بقوله: يا غرير، الحصين بن غرير الحميري المجلود معه، وكان صديقاً للعرجي وخليطاً. وذكر إسحاق تمام هذه الأبيات وأولها:

وكم من كاعبٍ حوراء بكرٍ ... ألوف الستر واضحة التراقي
بكت جزعاً وقد سمرت كبولٌ ... وجامعةٌ يشد بها خناقي

على دهماء مشرفةٍ سموقٍ ... ثناها القمح مزلقة التراقي
علي عباءةٌ بلقاء ليست ... مع البلوى تغيب نصف ساقي
كأن على الخدود وهن شعث ... سجال الماء يبعث في السواقي
فقلت تجلداً وحلفت صبراً ... أبالي اليوم ما دفعت مآقي
سينصرني الخليفة بعد ربي ... ويغضب حين يخبر عن مساقي
وتغضب لي بأجمعها قصي ... قطين البيت والدمث الرقاق
بمجتمع السيول إذ تنحى ... لئام الناس في الشعب العماق

قال: فكان إذا أنشد هذا البيت التفت إلى ابن غرير فصاح به: يا غرير أجياد، يا غرير أجياد! يعني بني مخزوم، وكانت منازلهم في أجياد، فعيرهم بأنهم ليسوا من أهل الأبطح.

وقال الزبير في خبره ووافقه إسحاق فذكر أن رجلاً مر بالعرجي وهو واقفٌ على البلس ومعه ابن غرر وقد جلدا وحلقا وصب الزيت على رءوسهما وألبسا عباءتين واجتمع الناس ينظرون إليهما. قال: وكان الرجل صديقاً للعرجي، وكان فأفاءً، فوقف عليه فأراد أن يتوجع لما ناله ويدعو له، فلجلج لما كان في لسانه كما يفعل الفأفاء. فقال له ابن غرير: عني، لا خرجت من فيك أبداً! فقال له الرجل: فمكانك إذاً لا برحت منه أبداً.

قال: ومر به صبيانٌ يلقطون النوى، فوقفوا ينظرون إليه، فالتفت إلى ابن غرير وقال له: ما أعرف في الدنيا

سخلين أشأم مني ومنك! إن هؤلاء الصبيان لأهلهم عليهم في كل يومٍ على كل واحدٍ منهم مد نوى، فقد تركوا لقطهم للنوى، وقد وقفوا ينظرون إلي وإليك وينصرفون بغير شيءٍ فيضربون، فيكون شؤمنا قد لحقهم.
قال: وقال العرجي في حبسه:

صوت

أضاعوني وأي فتىً أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر
وصبرٍ عند معترك المنايا وقد شرعت أسنتها بنحري
أجرر في الجوامع كل يومٍ فيا لله مظلمتي وصبري
كأني لم أكن فيهم وسيطاً ولم تك نسبتي في آل عمرو

أبو حنيفة وجار له كان يغني بشعره

أخبرني محمد بن زكريا الصحاف قال حدثنا قعنب بن المحرز الباهلي عن الأصمعي قال: كان لأبي حنيفة جارٌ بالكوفة يغني، فكان إذا انصرف وقد سكر يغني في غرفته، ويسمع أبو حنيفة غناءه فيعجبه. وكان كثيراً ما يغني:

أضاعوني وأي فتىً أضاعوا ليوم كريهةٍ وسداد ثغر

فلقيه العسس ليلةً فأخذوه وحبس، ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة، فسأل عنه من غدٍ فأخبر، فدعا بسواده وطويلته فلبسهما، وركب إلى عيسى بن موسى فقال له: إن لي جاراً أخذه عسسك البارحة فحبس، وما علمت منه إلا خيراً. فقال عيسى: سلموا إلى أبي حنيفة كل من أخذه العسس البارحة، فأطلقوا جميعاً. فلما خرج الفتى دعا به أبو حنيفة وقال له سراً: ألست كنت تغني يا فتىً كل ليلةٍ:

أضاعوني واي فتىً أضاعوا

فهل أضعناك؟ قال: لا والله أيها القاضي، ولكن أحسنت وتكرمت، أحسن الله جزاءك. قال: فعد إلى ما كنت تغنيه، فإني كنت آنس به، و لم أر به باساً. قال: أفعل.

تمثل عبد الله بن علي بقوله أضاعوني

وقال إسحاق في خبره: لما حبس المنصور عبد الله بن علي، كان يكثر التمثل بقول العرجي:

أضاعوني وأي فتىً أضاعوا ليوم كريهةٍ وسداد ثغر

فبلغ ذلك المنصور، فقال: هو أضاع نفسه بسوء فعله، فكانت أنفسنا عندنا آثر من نفسه.

حكاية كناس بالبصرة كان يتمثل بهذا البيت

قال إسحاق: وقال الأصمعي: مررت بكناسٍ بالبصرة يكنس كنيفاً ويغني:

أضاعوني وأي فتىً أضاعوا ليوم كريهةٍ وسداد ثغر

فقلت له: أما سداد الكنيف فأنت مليءٌ به. وأما الثغر فلا علم لي بك كيف أنت فيه - وكنت حديث السن فأردت العبث به - فأعرض عني ملياً، ثم أقبل علي فأنشد متمثلاً:

وأكرم نفسي إنني إن أهنتها وحقك لم تكرم على أحدٍ بعدي

قال فقلت له: والله ما يكون من الهوان شيءٌ أكثر مما بذلتها له، فبأي شيءٍ أكرمتها؟ فقال: بلى! والله إن من الهوان لشراً مما أنا فيه. فقلت: وما هو؟ فقال: الحاجة إليك وإلى أمثالك من الناس. فانصرفت عنه أخزى الناس.

قال محمد بن مزيد: فحدثني حمادٌ قال قال لي أبي: اختصر الأصمعي - فيما أرى - الجواب، وستر أقبحه على نفسه، وإلا فكناس كنيفٍ قائمٌ يكنسه ويعبث به هذا العبث، فيرضى بهذا الجواب الذي لا يجيب بمثله الأحنف بن قيس لو كانت المخاطبة له!.

اقتصاص الوليد من محمد بن هشام

وأخيه وإبراهيم بن هشام

وقال إسحاق في خبره: كان الوليد بن يزيد مضطغناً على محمد بن هشام لأشياء كانت تبلغه عنه في حياة هشام، فلما ولي الخلافة قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام وأشخصا إليه إلى الشأم، ثم دعا بالسياط. فقال له محمدٌ: أسألك بالقرابة. قال: وأي قرابةٍ بيني وبينك! وهل أنت إلا من أشجع! قال: فأسألك بصهر عبد الملك. قال: لم تحفظه. فقال له: يا أمير المؤمنين، قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب قرشي بالسياط إلا في حد. قال: ففي حد أضربك وقودٍ، أنت أول من سن ذلك على العرجي، وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان، فما رعيت حق جده ولا نسبه بهشام، ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر، وأنا ولي ثأره، اضرب يا غلام، فضربهما ضرباً مبرحاً، وأثقلا بالحديد، ووجه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة، وأمره باستصفائهما وتعذيبهما حتى يتلفا، وكتب إليه: احبسهما مع ابن النصرانية - يعني خالداً القسري - ونفسك نفسك إن عاش أحدٌ منهم. فعذبهم عذاباً شديداً، وأخذ منهم مالاً عظيماً حتى لم يبق فيهم موضعٌ للضرب. فكان محمد بن هشام مطروحاً، فإن أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحيته فجذبوه بها. ولما اشتدت عليهما الحال، تحامل إبراهيم لينظر في وجه محمد، فوقع عليه فماتا جميعا، ومات خالدٌ القسري معهما في يومٍ واحدٍ. فقال الوليد بن يزيد لما حملهما إلى يوسف بن عمر:

قد راح نحو العراق مشخلبه قصاره السجن بعده الخشبه

يركبها صاغراً بلا قتبٍ ولا خطامٍ وحوله جلبه

فقل لدعجاء إن مررت بها لن يعجز الله هاربٌ طلبه

قد جعل الله بعد غلبتكم لنا عليكم يا دلدل الغلبه

لست إلى هاشمٍ ولا أسدٍ ولا إلى نوفلٍ ولا الحجبه

لكنما أشجعٌ أبوك سل ال كلبي لا ما يزوق الكذبه

الرشيد وإسحاق حين غناه بيت العرجي

أضاعوني

قال إسحاق في خبره: غنيت الرشيد يوماً في عرض الغناء:

أضاعوني وأي فتىً أضاعوا ليوم كريهةٍ وسداد ثغر

فقال لي: ما كان سبب هذا الشعر حتى قاله العرجي؟ فأخبرته بخبره من أوله إلى أن مات، فرأيته يتغيظ كلما مر منه شيءٌ. فأتبعته بحديث مقتل ابني هشام، فجعل وجهه يسفر وغيظه يسكن. فلما انقضى الحديث، قال لي: يا إسحاق! والله لولا ما حدثتني به من فعل الوليد لما تركت أحداً من أماثل بني مخزومٍ إلا قتلته بالعرجي.

والصوت الآخر من رواية جحظة عن أصحابه:

صوت

إذا ما طواك الدهر يا أم مالكٍ فشأن المنايا القاضيات وشانيا

تمر الليالي والشهور وتنقضي وحبك ما يزداد إلا تماديا

خليلي إن دارت على أم مالكٍ صروف الليالي فابغيا لي ناعيا

ولا تتركاني لا لخيرٍ معجلٍ ولا لبقاء تنظران بقائيا

الشعر للمجنون، ومن الناس من يروي البيت الأول منها لقيس بن الحدادية وهو جاهلي. والغناء لابن محرز ثاني ثقيلٍ بالوسطى. وذكر حبشٌ وابن المكي أن فيه لإسحاق لحناً آخر من الثقيل الثاني بالخنصر والبنصر.

الجزء الثاني

أخبار مجنون بني عامر ونسبه

نسبه وتصحيح اسمه

هو - على ما يقوله من صحح نسبه وحديثه - قيسٌ، وقيل: مهدي، والصحيح أنه قيس بن الملوح بن مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. ومن الدليل على أن اسمه قيسٌ قول ليلى صاحبته فيه:

ألا ليت شعري والخطوب كثيرةٌ متى رحل قيس مستقلٌ فراجع

وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال: سمعت من لا أحصي يقول: اسم المجنون قيس بن الملوح.

قيل كانت به لوثة ولم يكن مجنوناً

وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي، وأخبرني الجوهري عن عمر بن شبة أنهما سمعا الأصمعي يقول - وقد سئل عنه -: لم يكن مجنوناً ولكن كانت به لوثة كلوثة أبي حية النميري.

اختلاف الرواة في وجوده

وأخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري عن ابن شبة عن الحزامي قال حدثني أيوب بن عباية قال: سألت بني عامرٍ بطناً بطناً عن مجنون بني عامر فما وجدت أحداً يعرفه.

وأخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن دأبٍ قال: قلت لرجل من بني عامر: أتعرف المجنون وتروي من شعره شيئاً؟ قال: أو قد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروي أشعار المجانين! إنهم لكثيرٌ! فقلت: ليس هؤلاء أعني، إنما أعني مجنون بني عامر الشاعر الذي قتله العشق، فقال: هيهات! بنو عامر أغلظ أكباداً من ذاك، إنما يكون هذا في هذه اليمانية الضعاف قلوبها، السخيفة عقولها، الصعلة رؤوسها، فأما نزار فلا.

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي قال سمعت الأصمعي يقول: رجلان ما عرفا في الدنيا قط إلا بالاسم: مجنون بني عامر، وابن القرية، وإنما وضعهما الرواة.

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبد الله بن أبي سعد عن الحزامي قال: و لم أسمعه من الحزامي فكتبته عن ابن أبي سعد قال أحمد: وحدثنا به ابن أبي سعد عن الحزامي قال حدثنا عبد الجبار بن سعيد بن سليمان بن نوفل بن مساحقٍ عن أبيه عن جده قال: سعيت على بني عامر فرأيت المجنون وأتيت به

وأنشدني.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري قال حدثنا إسماعيل بن مجمع عن المدائني قال: المجنون المشهور بالشعر عند الناس صاحب ليلى قيس بن معاذ من بني عامر، ثم من بني عقيل، أحد بني نمير بن عامر بن عقيل، قال: ومنهم رجل آخر يقال له: مهدي بن الملوح من بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

قيل إن فتى من أمية نحله شعره وأخبرني عمي عن الكراني قال حدثنا ابن أبي سعد عن علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال: حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه فتىً من بني أمية كان يهوى ابنة عم له، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها، فوضع حديث المجنون وقال الأشعار التي يرويها الناس للمجنون ونسبها إليه.

أخبرني الحسين بن يحيى وأبو الحسن الأسدي قالا: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: اسم المجنون قيس بن معاذ أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

وأخبرني أبو سعد الحسن بن علي بن زكريا العدوي قال حدثنا حماد بن طالوت بن عباد: أنه سأل الأصمعي عنه، فقال: لم يكن مجنوناً، بل كانت به لوثةٌ أحدثها العشق فيه، كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها ليلى، واسمه قيس بن معاذ.

وذكر عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه أن اسمه قيس بن معاذ.

وذكر شعيب بن السكن عن يونس النحوي أن اسمه قيس بن الملوح، قال أبو عمرو الشيباني: وحدثني رجل من أهل اليمن أنه رآه ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه، فذكر أنه قيس بن الملوح.

وذكر هشام بن محمد الكلبي أنه قيس بن الملوح، وحدث أن أباه مات قبل اختلاطه، فعقر على قبره ناقته وقال في ذلك:

عقرت على قبر الملوح ناقتي ... بذي السرح لما أن جفاه الأقارب

وقلت لها كوني عقيراً فإنني ... غداً راجلٌ أمشي وبالأمس راكب

فلا يبعدنك الله يابن مزاحمٍ ... فكلٌّ بكأس الموت لاشك شارب

وذكر إبراهيم بن المنذر الحزامي وأبو عبيدة معمر بن المثنى أن اسمه البحتري بن الجعد.

وذكر مصعب الزبيري والرياشي وأبو العالية أن اسمه الأقرع بن معاذ. وقال خالد بن كلثوم: اسمه مهدي ابن الملوح.

وأخبرني الأخفش عن السكري عن أبي زياد الكلابي، قال: ليلى صاحبة المجنون هي ليلى بنت سعد بن مهدي بن ربيعة بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ، قال حدثنا أبو قلابة الرقاشي، قال حدثني عبد الصمد بن المعذل، قال: سمعت الأصمعي وقد تذاكرنا مجنون بني عامر يقول: لم يكن مجنوناً وإنما كانت به لوثةٌ، وهو القائل:

أخذت محاسن كل ما ضنت محاسنه بحسنه

كاد الغزال يكونها لولا الشوى ونشوز قرنه

لقب بالمجنون كثيرٌ غيره

وكلهم كان يشبب بليلى

وأخبرني عمر بن عبد الله بن جميلٍ العتكي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الأصمعي قال: سألت أعرابياً من بني عامر بن صعصعة عن المجنون العامري فقال: عن أيهم تسألني؟ فقد كان فينا جماعةٌ رموا بالجنون، فعن أيهم تسأل؟ فقلت: عن الذي كان يشبب بليلى، فقال: كلهم كان يشبب بليلى، قلت: فأنشدني لبعضهم، فأنشدني لمزاحم بن الحارث المجنون:

ألا أيها القلب الذي لج هائماً بليلى وليداً لم تقطع تمائمه

أفق قد أفاق العاشقون وقد أنى لك اليوم أن تلقى طبيباً تلائمه

أجدك لا تنسيك ليلى ملمةٌ تلم ولا عهدٌ يطول تقادمه

قلت: فأنشدني لغيره منهم، فأنشدني لمعاذ بن كليبٍ المجنون:

ألا طالما لاعبت ليلى وقادني إلى اللهو قلبٌ للحسان تبوع

وطال امتراء الشوق عيني كلما نزفت دموعاً تستجد دموع

فقد طال إمساكي على الكبد التي بها من هوى ليلى الغداة صدوع

قلت: فأنشدني لغير هذين ممن ذكرت، فأنشدني لمهدي بن الملوح:

لو أن لك الدنيا وما عدلت به سواها وليلى بائنٌ عنك بينها

لكنت إلى ليلى فقيراً وإنما يقود إليها ود نفسك حينها

قلت له: فأنشدني لمن بقي من هؤلاء، فقال: حسبك! فوالله إن في واحد من هؤلاء لمن يوزن بعقلائكم اليوم.

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال قال ابن الأعرابي: كان معاذ بن كليب مجنوناً، وكان يحب ليلى، وشركه في حبها مزاحم بن الحارث العقيلي، فقال مزاحمٌ يوماً للمجنون:

كلانا يا معاذ يحب ليلى بفي وفيك من ليلى التراب

شركتك في هوى من كان حظي وحظك من مودتها العذاب

لقد خبلت فؤادك ثم ثنت بقلبي فهو مخبولٌ مصاب

قال فيقال: إنه لما سمع هذه الأبيات التبس وخولط في عقله.
وذكر أبو عمرو الشيباني: أنه سمع في الليل هاتفاً يهتف بهذه الأبيات، فكانت سبب جنونه.
وذكر إبراهيم بن المنذر الحزامي عن أيوب بن عباية: أن فتى من بني مروان كان يهوى امرأةً منهم فيقول فيها الشعر وينسبه إلى المجنون، وأنه عمل له أخباراً وأضاف إليها ذلك الشعر، فحمله الناس وزادوا فيه.

إنكار وجوده

والقول بأن شعره مولد عليه

وأخبرني عمي عن الكراني عن العمري عن العتبي عن عوانة أنه قال: المجنون اسم مستعارٌ لا حقيقة له، وليس له في بني عامر أصلٌ ولا نسبٌ، فسئل من قال هذه الأشعار؟ فقال: فتى من بني أمية.
وقال الجاحظ: ما ترك الناس شعراً مجهول القائل قيل في ليلى إلا نسبوه إلى المجنون، ولا شعراً هذه سبيله قيل في لبنى إلا نسبوه إلى قيس بن ذريح.
وأخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني الحكم بن صالح قال: قيل لرجل من بني عامر: هل تعرفون فيكم المجنون الذي قتله العشق. فقال: هذا باطلٌ، إنما يقتل العشق هذه اليمانية الضعاف القلوب.
أخبرنا أحمد بن عمر بن موسى قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثني أيوب بن عبابة قال حدثني من سأل بني عامرٍ بطناً بطناً عن المجنون فما وجد فيهم أحداً يعرفه.
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا أحمد بن الحارث عن ابن الأعرابي أنه ذكر عن جماعة من بني عامر أنهم سئلوا عن المجنون فلم يعرفوه، وذكروا أن هذا الشعر كله مولد عليه.
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه عن محمد ابن الحكم عن عوانة قال: ثلاثةٌ لم يكونوا قط ولا عرفوا: ابن أبي العقب صاحب قصيدة الملاحم، وابن القرية، ومجنون بني عامر.
أخبرني أبوالحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي قال سمعت الأصمعي يقول: الذي ألقي على المجنون من الشعر وأضيف إليه أكثر مما قاله هو.
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال: أنشدت أيوب بن عباية هذين البيتين:

وخبرتماني أن تيماء منزلٌ ... لليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت ... فما للنوى ترمي بليلى المراميا

وسألته عن قائلهما، فقال: جميلٌ، فقلت له: إن الناس يروونهما للمجنون، فقال: ومن هو المجنون؟ فأخبرته، فقال: ما لهذا حقيقةٌ ولا سمعت به.

وأخبرني عمي عن عبد الله بن شبيب بن هارون بن موسى الفروي قال: سألت أبا بكر العدوي عن هذين البيتين فقال: هما لجميل، و لم يعرف المجنون، فقلت: فهل معهما غيرهما؟ قال: نعم، وأنشدني:

وإني لأخشى أن أموت فجاءةً ... وفي النفس حاجاتٌ إليك كما هي

وإني لينسيني لقاؤك كلما ... لقيتك يوماً أن أبثك ما بيا

وقالوا به داءٌ عياءٌ أصابه ... وقد علمت نفسي مكان دوائيا

وأنا أذكر مما وقع إلي من أخباره جملاً مستحسنةً، متبرئاً من العهدة فيها، فإن أكثر أشعاره المذكورة في أخباره ينسبها بعض الرواة إلى غيره وينسبها من حكيت عنه إليه، وإذا قدمت هذه الشريطة برئت من عيب طاعنٍ ومتتبع للعيوب.

بدء تعشقه ليلى

أخبرني بخبره في شغفه بليلى جماعةٌ من الرواة، ونسخت ما لم أسمع من الروايات وجمعت ذلك في سياقه خبره ما اتسق و لم يختلف، فإذا اختلف نسبت كل رواية إلى راويها.

فممن أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي، قالا: حدثنا عمر بن شبة عن رجاله وإبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، ونسخت أخباره من رواية خالد بن كلثوم وأبي عمرو الشيباني وابن دأبٍ وهشام بن محمد الكلبي وإسحاق بن الجصاص وغيرهم من الرواة.

قال أبو عمرو الشيباني وأبو عبيدة: كان المجنون يهوى ليلى بنت مهدي بن سعد بن مهدي بن ربيعة ابن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وتكنى أم مالكٍ، وهما حينئذ صبيان، فعلق كل واحد منهما صاحبه وهما يرعيان مواشي أهلهما، فلم يزالا كذلك حتى كبرا فحجبت عنه، قال: ويدل على ذلك قوله:

صوت

تعلقت ليلى و هي ذات ذؤابةٍ ... ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا ... إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

في هذين البيتين للأخضر الجدي لحنٌ من الثقيل الثاني بالوسطى، ذكره هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات والهشامي.

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية ونسخت هذا الخبر بعينه من خط هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثنا الحسن بن علي قال

حدثني أبو عتاب البصري عن إبراهيم بن محمد الشافعي قال: بينا ابن مليكة يؤذن إذ سمع الأخضر الجدي يغني من دار العاص بن وائل:

وعلقتها غراء ذات ذوائبٍ ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

قال فأراد أن يقول: حي على الصلاة فقال: حي على البهم، حتى سمعه أهل مكة فغدا يعتذر إليهم.

وقال ابن الكلبي: حدثني معروف المكي والمعلى بن هلال وإسحاق بن الجصاص قالوا: كان سبب عشق المجنون ليلى، أنه أقبل ذات يوم على ناقة له كريمةٍ وعليه حلتان من حلل الملوك، فمر بامرأة من قومه يقال لها: كريمة، وعندها جماعة نسوةٍ يتحدثن فيهن ليلى، فأعجبهن جماله وكماله، فدعونه إلى النزول والحديث، فنزل وجعل يحدثهن وأمر عبداً له كان معه فعقر لهن ناقته، وظل يحدثهن بقية يومه، فبينا هو كذلك، إذ طلع عليهم فتىً عليه بردةٌ من برد الأعراب يقال له: منازل يوسق معزى له، فلما رأينه أقبلن عليه وتركن المجنون، فغضب وخرج من عندهن وأنشأ يقول:

أأعقر من جرا كريمة ناقتي ووصلي مفروشٌ لوصل منازل

إذا جاء قعقعن الحلي ولم أكن إذا جئت أرضى صوت تلك الخلاخل

متى ما انتضلنا بالسهام نضلته وإن نرم رشقاً عندها فهو ناضلي

قال: فلما أصبح لبس حلته وركب ناقة له أخرى ومضى متعرضاً لهن، فألفى ليلى قاعدةً بفناء بيتها وقد علق حبه بقلبها وهويته، وعندها جويرياتٌ يتحدثن معها، فوقف بهن وسلم، فدعونه إلى النزول وقلن له: هل لك في محادثة من لا يشغله عنك منازلٌ ولا غيره؟ فقال: إي لعمري، فنزل وفعل مثل ما فعله بالأمس، فأرادت أن تعلم، هل لها عنده مثل ما له عندها، فجعلت تعرض عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتحدث غيره، وقد كان علق بقلبه مثل حبها إياه وشغفته واستملحها، فبينا هي تحدثه، إذ أقبل فتىً من الحي فدعته وسارته سراراً طويلاً، ثم قالت له: انصرف، ونظرت إلى وجه المجنون قد تغير وانتقع لونه وشق عليه فعلها، فأنشأت تقول:

كلانا مظهرٌ للناس بغضاً وكل عند صاحبه مكين

تبلغنا العيون بما أردنا وفي القلبين ثم هوىً دفين

فلما سمع البيتين شهق شهقةً شديدة وأغمي عليه، فمكث على ذلك ساعةً، ونضحوا الماء على وجهه "حتى أفاق" وتمكن حب كل واحد منهما في قلب صاحبه حتى بلغ منه كل مبلغ.

خطبته لليلى واختيارها عليه وشعره في ذلك أخبرني الحسن بن علي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني عبد الرحمن بن إبراهيم عن هشام بن محمد بن موسى المكي عن محمد بن سعيد المخزومي عن أبي

الهيثم العقيلي قال: لما شهر أمر المجنون وليلى وتناشد الناس شعره فيها، خطبها وبذل لها خمسين ناقةً حمراء، وخطبها ورد بن محمد العقيلي وبذل لها عشراً من الإبل وراعيها، فقال أهلها: نحن مخيروها بينكما، فمن اختارت تزوجته، ودخلوا إليها فقالوا: والله لئن لم تختاري ورداً لنمثلن بك، فقال المجنون:

ألا يا ليل إن ملكت فينا ... خيارك فانظري لمن الخيار

ولا تستبدلي مني دنياً ... ولا برماً إذا حب القتار

يهرول في الصغير إذا رآه ... وتعجزه ملماتٌ كبار

فمثل تأيم منه نكاحٌ ... ومثل تمؤلٍ منه افتقار

فاختارت ورداً فتزوجته على كرهٍ منها.

حكاية أبيه عن جنونه بليلى وأخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا: حدثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عدي عن عثمان بن عمارة بن حريم المري قال: خرجت إلى أرض بني عامر لألقى المجنون، فدللت عليه وعلى محلته، فلقيت أباه شيخاً كبيراً وحوله إخوةٌ للمجنون مع أبيهم رجالاً؛ فسألتهم عنه فبكوه، وقال الشيخ: أما والله لهو كان آثر عندي من هؤلاء جميعاً، وإنه عشق امرأةً من قومه والله ما كانت تطمع في مثله، فلما فشا أمره وأمرها كره أبوها أن يزوجه إياها بعد ما ظهر من أمرهما، فزوجها غيره، وكان أول ما كلف بها يجلس إليها في نفرٍ من قومها فيتحدثون كما يتحدث الفتيان، وكان أجملهم وأظرفهم وأرواهم لأشعار العرب، فيفيضون في الحديث فيكون أحسنهم فيه إفاضةً، فتعرض عنه وتقبل على غيره، وقد وقع له في قلبها مثل ما وقع لها في قلبه، فظنت به ما هو عليه من حبها، فأقبلت عليه يوماً وقد خلت فقالت:

صوت

كلانا مظهرٌ للناس بغضاً ... وكل عند صاحبه مكين

وأسرار الملاحظ ليس تخفي ... إذا نطقت بما تخفي العيون

غنت في الأول عريب خفيف رملٍ، وقيل: إن هذا الغناء لشارية، والبيت الأخير ليس من شعره - قال: فخر مغشياً عليه ثم أفاق فاقداً عقله، فكان لا يلبس ثوباً إلا خرقه ولا يمشي إلا عارياً ويلعب بالتراب ويجمع العظام حوله، فإذا ذكرت له ليلى أنشأ يحدث عنها عاقلاً ولا يخطىء حرفاً، وترك الصلاة، فإذا قيل له: ما لك لا تصلي! لم يرد حرفاً، وكنا نحبسه ونقيده، فيعض لسانه وشفته، حتى خشينا عليه فخلينا سبيله فهو يهيم.

قصته مع عمر بن عبد الرحمن بن عوف

قال الهيثم؛ فولى مروان بن الحكم عمر بن عبد الرحمن بن عوف صدقات بني كعب وقشير وجعدة، والحريش وحبيب وعبد الله، فنظر إلى المجنون قبل أن يستحكم جنونه فكلمه وأنشده فأعجب به، فسأله أن يخرج معه، فأجابه إلى ذلك، فلما أراد الرواح جاءه قومه فأخبروه خبره وخبر ليلى، وأن أهلها استعدوا السلطان عليه، فأهدر دمه إن أتاهم، فأضرب عما وعده وأمر له بقلائص، فلما علم بذلك وأتي بالقلائص ردها عليه وانصرف.

وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم عن جماعة من الرواة: أن المجنون هو الذي سأل عمر بن عبد الرحمن أن يخرج به، قال له: أكون معك في هذا الجمع الذي تجمعه غداً، فأرى في أصحابك، وأتجمل في عشيرتي بك، وأفخر بقربك، فجاءه رهطٌ من رهط ليلى وأخبروه بقصته، وأنه لا يريد التجمل به، وإنما يريد أن يدخل عليهم بيوتهم ويفضحهم في امرأة منهم يهواها، وأنهم قد شكوه إلى السلطان فأهدر دمه إن دخل عليهم، فأعرض عما أجابه إليه من أخذه معه وأمر له بقلائص، فردها وقال "في ذلك":

رددت قلائص القرشي لما ... بدا لي النقض منه للعهود

وراحوا مقصرين وخلفوني ... إلى حزنٍ أعالجه شديد

قال: ورجع آيساً فعاد إلى حاله الأولى، قال: فلم تزل تلك حاله، إلا أنه غير مستوحشٍ، إنما يكون في جنبات الحي منفرداً عارياً لا يلبس ثوباً إلا خرقه، ويهذي ويخطط في الأرض ويلعب بالتراب والحجارة، ولا يجيب أحداً سأله عن شيء، فإذا أحبوا أن يتكلم أو يثوب عقله ذكروا له ليلى، فيقول: بأبي هي وأمي، ثم يرجع إليه عقله فيخاطبونه ويجيبهم، ويأتيه أحداث الحي فيحدثونه عنها وينشدونه الشعر الغزل، فيجيبهم جواباً صحيحاً وينشدهم أشعاراً قالها، حتى سعى عليهم في السنة الثانية بعد عمر بن عبد الرحمن نوفل بن مساحق، فنزل مجمعاً من تلك المجامع فرآه يلعب بالتراب وهو عريان، فقال لغلام له: يا غلام، هات ثوباً، فأتاه به، فقال لبعضهم: خذ هذا الثوب فألقه على ذلك الرجل، فقال له: أتعرفه جعلت فداك؟ قال: لا، قال: هذا ابن سيد الحي، لا والله ما يلبس الثياب ولا يزيد على ما تراه يفعله الآن، وإذا طرح عليه شيء خرقه، ولو كان يلبس ثوباً لكان في مال أبيه ما يكفيه، وحدثه عن أمره، فدعا به وكلمه، فجعل لا يعقل شيئاً يكلمه به، فقال له قومه: إن أردت أن يجيبك جواباً صحيحاً فاذكر له ليلى، فذكرها له وسأله عن حبه إياها، فأقبل عليه يحدثه بحديثها ويشكو إليه حبه إياها وينشده شعره فيها، فقال له نوفل: الحب صيرك إلى ما أرى؟ قال نعم، وسينتهي بي إلى ما هو أشد مما ترى، فعجب منه وقال له: أتحب أن أزوجكها؟ قال: نعم، وهل إلى ذلك من سبيلٍ؟ قال: انطلق معي حتى أقدم على أهلها بك وأخطبها عليك وأرغبهم في المهر لها، قال: أتراك فاعلاً؟ قال: نعم، قال: انظر ما تقول! قال: لك علي أن أفعل بك ذلك، ودعا له بثياب فألبسه إياها، وراح معه المجنون كأصح أصحابه يحدثه وينشده، فبلغ ذلك رهطها فتلقوه في السلاح، وقالوا له: يابن مساحقٍ لا والله لا يدخل المجنون منازلنا أبداً أو يموت، فقد أهدر لنا

السلطان دمه، فأقبل بهم وأدبر، فأبوا، فلما رأى ذلك قال للمجنون: انصرف، فقال له المجنون: والله ما وفيت لي بالعهد، قال له: انصرافك بعد أن آيسني القوم من إجابتك أصلح من سفك الدماء، فقال المجنون:

صوت

أيا ويح من أمسى تخلس عقله ... فاصبح مذهوباً به كل مذهب

خلياً من الخلان إلا معذراً ... يضاحكني من كان يهوى تجنبي

الغناء للحسين بن محرز ثقيلٌ أول بالوسطى من جامع أغانيه:

إذا ذكرت ليلى عقلت وراجعت ... روائع عقلي من هوىً متشعب

وقالوا صحيحٌ ما به طيف جنةٍ ... ولا الهم إلا بافتراء التكذب

وشاهد وجدي دمع عيني وحبها ... برى اللحم عن أحناء عظمي ومنكبي

صوت

تجنبت ليلى أن يلج بك الهوى ... وهيهات كان الحب قبل التجنب

ألا إنما غادرت يا أم مالكٍ ... صدىً أينما تذهب به الريح يذهب

الغناء لإسحاق خفيف ثقيلٍ أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وفيه لابن جامعٍ هزجٌ من رواية الهشامي وهي قصيدة طويلة.

ومما يغنى فيه منها قوله:

صوت

فلم أرى ليلى بعد موقف ساعةٍ ... بخيف منىً ترمي جمار المحصب

ويبدي الحصى منها إذا قذفت به ... من البرد أطراف البنان المخضب

فأصبحت من ليلى الغداة كناظرٍ ... مع الصبح في أعقاب نجمٍ مغرب

ألا إنما غادرت يا أم مالكٍ ... صدىً إينما تذهب به الريح يذهب

فيه ثقيلٌ أول مطلقٌ باستهلال، ذكر ابن المكي أنه لأبيه يحيى، وذكر الهشامي أنه للواثق، وذكر حبش أنه لابن محرز، وهو في جامع أغاني سليمان منسوبٌ إليه.

أنشدني الأخفش عن أبي سعيد السكري عن محمد بن حبيب للمجنون

فوالله ثم الله إني لدائبٌ أفكر ما ذنبي إليها وأعجب
ووالله ما أدري علام قتلتني وأي أموري فيك يا ليل أركب
أأقطع حبل الوصل فالموت دونه أم أشرب رنقاً منكم ليس يشرب
أم أهرب حتى لا أرى لي مجاوراً أم أصنع ماذا أم أبوح فأغلب
فأيهما يا ليل ما ترتضينه فإني لمظلوم وإني لمعتب

حجه مع أبيه إلى مكة لسلوان ليلى

ودعوته هو استزادة حبها ودوامه

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: ذكر هشام بن الكلبي ووافقه في روايته أبو نصر أحمد بن حاتم وأخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني علي ابن الصباح عن هشام ابن الكلبي عن أبيه: أن أبا المجنون وأمه ورجال عشيرته اجتمعوا إلى ليلى فوعظوه وناشدوه الله والرحم، وقالوا له: إن هذا الرجل لهالكٌ، وقبل ذلك ففي أقبح من الهلاك بذهاب عقله، وإنك فاجعٌ به أباه وأهله، فنشدناك الله والرحم أن تفعل ذلك، فوالله ما هي أشرف منه، ولا لك مثل مال أبيه، وقد حكمك في المهر، وإن شئت أن يخلع نفسه إليك من ماله فعل، فأبى وحلف بالله وبطلاق أمها إنه لا يزوجه إياها أبداً، وقال: أفضح نفسي وعشيرتي وآتي ما لم يأته أحدٌ من العرب، واسم ابنتي بميسم فضيحة فانصرفوا عنه، وخالفهم لوقته فزوجها رجلاً من قومها وأدخلها إليه، فما أمسى إلا وقد بنى بها، وبلغه الخبر فأيس منها حينئذٍ وزال عقله جملةً، فقال الحي لأبيه: أحجج به إلى مكة وادع الله عز وجل له، ومره أن يتعلق بأستار الكعبة، فيسأل الله يعافيه مما به ويبغضها إليه، فلعل الله أن يخلصه من هذا البلاء، فحج به أبوه، فلما صاروا بمنى سمع صائحاً في الليل يصيح: يا ليلى، فصرخ صرخةً ظنوا أن نفسه قد تلفت وسقط مغشياً عليه، فلم يزل كذلك حتى أصبح ثم أفاق حائل اللوان ذاهلاً، فأنشأ يقول:

صوت

عرضت على قلبي العزاء فقال لي من الآن فاياس لا أعزك من صبر
إذا بان من تهوى وأصبح نائياً فلا شيء أجدى من حلولك في القبر
وداع دعا إذ نحن بالخيف من منىً فهيج أطراب الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما أطار بليلى طائراً كان في صدري

دعا باسم ليلى ظلل الله سعيه ولليلى بأرضٍ عنه نازحةٍ قفر

الغناء لعريب خفيف ثقيلٍ - ثم قال له أبوه: تعلق بأستار الكعبة واسأل الله أن يعافيك من حب ليلى، فتعلق بأستار الكعبة. وقال: اللهم زدني لليلى حباً وبها كلفاً ولا تنسني ذكرها أبداً، فهام حينئذٍ واختلط فلم يضبط. قالوا: فكان يهيم في البرية مع الوحش ولا يأكل إلا ما ينبت في البرية من بقل ولا يشرب إلا مع الظباء إذا وردت مناهلها، وطال شعر جسده ورأسه وألفته الظباء والوحوش فكانت لا تنفر منه، وجعل يهيم حتى يبلغ حدود الشأم، فإذا ثاب إليه عقله سأل من يمر به من أحياء العرب عن نجدٍ، فيقال له: وأين أنت من نجد! قد شارفت الشأم! أنت في موضع كذا، فيقول: فأروني وجهة الطريق، فيرحمونه ويعرضون عليه أن يحملوه وأن يكسوه فيأبى، فيدلونه على طريق نجد فيتوجه نحوه.

أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي وأخبرنا حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عدي عن أبي مسكين قال:

خرج منا فتىً حتى إذا كان ببئر ميمونٍ إذا جماعة فوق بعض تلك الجبال، وإذا معهم فتىً أبيض طوال جعد كأحسن من رأيت من الرجال على هزالٍ منه وصفرةٍ، وإذا هم متعلقون به، فسألته عنه، فقيل لي: هذا قيسٌ المجنون خرج به أبوه يستجير له بالبيت، وهو على أن يأتي به قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعو له هناك لعله يكشف ما به، فإنه يصنع بنفسه صنيعاً يرحمه منه عدوه، يقول: أخرجوني لعلني أتنسم صبا نجدٍ، فيخرجونه فيتوجهون به نحو نجدٍ، ونحن مع ذلك نخاف أن يلقي نفسه من الجبل، فإن شئت الأجر دنوت منه فأخبرته أنك أقبلت من نجدٍ، فدنوت منه وأقبلوا عليه فقالوا له: يا أبا المهدي، هذا الفتى أقبل من نجد، فتنفس تنفسة ظننت أن كبده قد انصدعت، ثم جعل يسألني عن وادٍ وادٍ وموضعٍ موضعٍ، وأنا أخبره وهو يبكي أحر بكاءٍ وأوجعه للقلب، ثم أنشأ يقول:

ألا ليت شعري عن عوارضتي قناً لطول الليالي هل تغيرتا بعدي

وهل جارتانا بالبتيل إلى الحمى على عهدنا أم لم تدوما على العهد

وعن علويات الرياح إذا جرت بريح الخزامى هل تهب على نجد

وعن أقحوان الرمل ما هو فاعلٌ إذا هو أسرى ليلةً بثرىً جعد

وهل أنفضن الدهر أفنان لمتى على لاحق المتنين مندلق الوخد

وهل أسمعن الدهر أصوات هجمةٍ تحدر من نشزٍ خصيبٍ إلى وهد

سؤاله زوج ليلى عن عشرته معها

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي والعتبي قالا: مر المجنون بزوج ليلى وهو جالسٌ يضطلي في يومٍ شاتٍ، وقد أتى ابن عم له في حي المجنون لحاجةٍ، فوقف عليه ثم أنشأ يقول:

صوت

بربك هل ضممت إليك ليلى قبيل الصبح أو قبلت فاها

وهل رفت عليك قرون ليلى رفيف الأقحوانة في نداها

فقال: اللهم إذ حلفتني فنعم، قال: فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من الجمر، فما فارقهما حتى سقط مغشياً عليه، وسقط الجمر مع لحم راحتيه، وعض على شفته فقطعها، فقام زوج ليلى مغموماً بفعله متعجباً منه فمضى. غنى في البيتين المذكورين في هذا الخبر الحسين بن محرزٍ، ولحنه رمل بالوسطى عن الهشامي.

مروره بجبلي نعمان وشعره في ذلك

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال قال محمد بن الحكم عن عوانة: إنه حدثه ووافقه ابن نصر وابن حبيب قالوا: إن أهل المجنون خرجوا به معهم إلى وادي القرى قبل توحشه ليمتاروا خوفاً عليه "من" أن يضيع أو يهلك، فمروا في طريقهم بجبلي نعمان، فقال له بعض فتيان الحي: هذان جبلا نعمان، وقد كانت ليلى تنزل بهما، قال: فأي الرياح يأتي من ناحيتهما؟ قالوا: الصبا، قال: فوالله لا أريم هذا الموضع حتى تهب الصبا، فأقام ومضوا فامتاروا لأنفسهم، ثم أتوا عليه فأقاموا معه ثلاثة أيام حتى هبت الصبا، ثم انطلق معهم فأنشأ يقول:

صوت

أيا جبلي نعمان بالله خليا سبيل الصبا يخلص إلي نسيمها

أجد بردها أو تشف مني حرارةً على كبدٍ لم يبق إلا صميمها

فإن الصبا ريحٌ إذا ما تنسمت على نفس محزونٍ تجلت همومها

ارتحال أهل ليلى وما قاله في ذلك

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسين بن الحرون قال حدثني الكسروي عن جماعةٍ من الرواة قال: لما منع أبو ليلى المجنون وعشيرته من تزويجه بها، كان لا يزال يغشى بيوتهم ويهجم عليهم، فشكوه إلى السلطان فأهدر دمه لهم، فأخبروه بذلك فلم يرعه وقال: الموت أروح لي فليتهم قتلوني، فلما علموا بذلك وعرفوا أنه لا يزال يطلب غرةً منهم حتى إذا تفرقوا دخل دورهم، فارتحلوا عنها وأبعدوا، وجاء المجنون عشيةً

فأشرف على دورهم فإذا هي منهم بلاقع، فقصد منزل ليلى الذي كان بيتها فيه، فألصق صدره به وجعل يمرغ خديه على ترابه "ويبكي"، ثم أنشأ يقول، - وذكر هذه الأبيات ابن حبيب وأبو نصر له "بغير خبر" -:

أيا حرجات الحي حيث تحملوا ... بذي سلمٍ لا جادكن ربيع

وخيماتك اللاتي بمنعرج اللوى ... بلين بلىً لم تبلن ربوع

ندمت على ما كان مني ندامةً ... كما يندم المغبون حين يبيع

فقدتك من نفسٍ شعاعٍ فإنني ... نهيتك عن هذا وأنت جميع

فقربت لي غير القريب وأشرفت ... إليك ثنايا ما لهن طلوع

حديثه مع نسوة فيهن ليلى

وذكر خالد بن جميل وخالد بن كلثوم في أخبارهما التي صنعاها أن ليلى وعدته قبل أن يختلط أن تستزيره ليلةً إذا وجدت فرصةً لذلك، فمكث مدةً يراسلها في الوفاء وهي تعده وتسوفه، فأتى أهلها ذات يوم والحي خلوفٌ، فجلس إلى نسوة من أهلها حجرةً منها بحيث تسمع كلامه، فحادثهنّ طويلاً ثم قال: ألا أنشدكن أبياتاً أحدثها في هذه الأيام؟ قلن: بلى، فأنشدهن:

صوت

يا للرجال لهم بات يعروني ... مستطرفٍ وقديمٍ كاد يبليني

من عاذري من غريم غير ذي عسرٍ ... يأبى فيمطلني ديني ويلويني

لا يبعد النقد من حقي فينكره ... ولا يحدثني أن سوف يقضيني

وما كشكرى شكرٌ لو يوافقني ... ولا مناي سواه لو يوافيني

أطعته وعصيت الناس كلهم ... في أمره وهواه وهو يعصيني

قال: فقلن له: ما أنصفك هذا الغريم الذي ذكرته! وجعلن يتضاحكن وهو يبكي، فاستحيت ليلى منهن ورقت له حتى بكت، وقامت فدخلت بيتها وانصرف هو.

- في الثلاثة الأبيات الأولى من هذه الأبيات هزجٌ طنبوري للمسدود - قالا في خبرهما هذا: وكان للمجنون ابنا عم يأتيانه فيحدثانه ويسليانه ويؤانسانه، فوقف عليهما يوماً وهما جالسان، فقالا له: يا أبا المهدي ألا تجلس؟ قال: لا، بل أمضي إلى منزل ليلى فاترسمه وأرى آثارها فيه، فأشفي بعض ما في صدري بها، فقالا له: فنحن

معك، فقال: إذا فعلتما أكرمتما وأحسنتما، فقاما معه حتى أتى دار ليلى، فوقف بها طويلاً يتتبع آثارها ويبكي ويقف في موضعٍ موضعٍ منها ويبكي ثم قال:

صوت

يا صاحبي ألما بي بمنزلة ... قد مر حينٌ عليها إيما حين

إني أرى رجعات الحب تقتلني ... وكان في بدئها ما كان يكفيني

لا خير في الحب ليست فيه قارعةٌ ... كأن صاحبها في نزع موتون

إن قال عذاله مهلاً فلان لهم ... قال الهوى غير هذا القول يعنيني

ألقى من اليأس تاراتٍ فتقتلني ... وللرجاء بشاشاتٌ فتحييني

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيلٍ من جامع غنائه وقال هشام بن الكلبي عن أبي مسكين: إن جماعة من بني عامر حدثوه قالوا: كان رجل من بني عامر ابن عقيلٍ يقال له: قيس بن معاذ، وكان يدعى المجنون، وكان صاحب غزلٍ ومجالسةٍ للنساء، فخرج على ناقة له يسير، فمر بامرأة من بني عقيلٍ يقال لها: كريمة، وكانت جميلةً عاقلةً، معها نسوة فعرفنه ودعونه إلى النزول والحديث، وعليه حلتان له فاخرتان وطيلسانٌ وقلنسوةٌ، فنزل فظل يحدثهن وينشدهن وهن أعجب شيءٍ به فيما يرى، فلما أعجبه ذلك منهن عقر لهن ناقته، وقمن إليها فجعلن يشوين ويأكلن إلى أن أمسى، فأقبل غلامٌ شابٌ حسن الوجه من حيهن فجلس إليهن، فأقبلن عليه بوجوههن يقلن له: كيف ظللت يا منازل اليوم؟ فلما رأى ذلك من فعلهن غضب، فقام وتركهن وهو يقول:

أأعقر من جرا كريمة ناقتي ... ووصلي مفروشٌ لوصل منازل

إذا جاء قعقن الحلي ولم أكن ... إذا جئت أرضى صوت تلك الخلاخل

قال: فقال له الفتى: هلم نتصارع أو نتناضل، فقال له: إن شئت ذلك فقم إلى حيث لا تراهن ولا يرينك، ثم ما شئت فافعل، وقال:

إذا ما انتضلنا في الخلاء نضلته ... وإن يرم رشقاً عندها فهو ناضلي

وقال ابن الكلبي في هذا الخبر: فلما أصبح لبس حلته وركب ناقته ومضى متعرضاً لهن، فالفى ليلى جالسةً بفناء بيتها، وكانت معهن يومئذٍ جالسةً، وقد علق بقلبها وهويته، وعندها جويرياتٌ يحدثنها، فوقف بهن وسلم، فدعونه إلى النزول وقلن له: هل لك في محادثة من لا يشغله عنك منازل ولا غيره؟ قال: إي لعمري، فنزل وفعل فعلته بالأمس، فأرادت أن تعلم هل لها عنده مثل ما له عندها، فجعلت تعرض عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتحدث غيره، وقد كان علق حبها بقلبه وشغفه واستملحها، فبينا هي تحدثه إذ أقبل فتى من الحي فدعته فسارته

سراراً طويلاً ثم قالت له انصرف، فانصرف، ونظرت إلى وجه المجنون قد تغير وامتقع وشق عليه ما فعلت، فأنشأت تقول:

كلانا مظهرٌ للناس بغضاً ... وكلٌ عند صاحبه مكين

تبلغنا العيون مقالتينا ... وفي القلبين ثم هوىً دفين

"قد نسبت هذا الشعر متقدماً " فلما سمع هذين البيتين شهق شهقةً عظيمةً وأغمي عليه فمكث "كذلك" ساعةً، ونضحوا الماء على وجهه حتى أفاق، وتمكن حب كل واحدٍ منهما في قلب صاحبه وبلغ منه كل مبلغ.

حدثني عمي عن عبد الله بن أبي سعد عن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل القرشي قال حدثنا أبو العالية عن أبي ثمامة الجعدي قال: لا يعرف فينا مجنونٌ إلا قيس بن الملوح.

حديث اتصاله بليلى في صباه

قال: وحدثني بعض العشيرة قال: قلت لقيس بن الملوح قبل أن يخالط: ما أعجب شيء أصابك في وجدك بليلى؟ قال: طرقنا ذات ليلةٍ أضيافٌ و لم يكن عندنا لهم أدمٌ، فبعثني أبي مترل أبي ليلى وقال لي: اطلب لنا وقال لي: اطلب لنا منه أدماً، فأتيته فوقفت على خبائه فصحت به، فقال: ما تشاء؟ فقلت: طرقنا ضيفان ولا أدم عندنا لهم فأرسلني أبي نطلب منك أدماً، فقال: يا ليلى، أخرجي إليك ذلك النحي، فاملئن له إناءه من السمن، فأخرجته ومعي قعبٌ، فجعلت تصب السمن فيه ونتحدث، فألهانا الحديث وهي تصب السمن وقد امتلأ القعب ولا نعلم جميعاً، وهو يسيل استنقعت أرجلنا في السمن، قال: فأتيتهم ليلةً ثانيةً أطلب ناراً، وأنا متلفعٌ ببردٍ لي، فأخرجت لي ناراً في عطبةٍ فأعطتنيها ووقفنا نتحدث، فلما احترقت العطبة خرقت من بردي خرقةً وجعلت النار فيها، فكلما احترقت خرقت أخرى وأذكيت بها النار حتى لم يبق علي من البرد إلا ما وارى عورتي، وما أعقل ما أصنع، وأنشدني:

أمستقبلي نفح الصبا ثم شائقي ... ببردٍ ثنايا أم حسان شائق

كأن على أنيابها الخمر شجها ... بماء الندى من آخر الليل عاتق

وما شمته إلا بعيني تفرساً ... كما شيم في أعلى السحابة بارق

ومن الناس من يروي هذه الأبيات لنصيبٍ، ولكن هكذا روي في هذا الخبر.

حدث الأصمعي أنه لم يكن مجنوناً

أخبرنا محمد بن خلف وكيعٌ عن عبد الملك بن محمد الرقاشي عن عبد الصمد بن المعذل قال: سمعت الأصمعي يقول - و"قد" تذاكرنا مجنون بني عامر - قال: هو قيس ابن معاذ العقيلي، ثم قال: لم يكن مجنوناً إنما كانت به لوثةٌ، وهو القائل:

أخذت محاسن كل ما ضنت محاسنه بحسنه

كاد الغزال يكونها لولا الشوى ونشوز قرنه

قال: وهو القائل:

صوت

ولم أر ليلى بعد موقف ساعةٍ بخيف منىً ترمي جمار المحصب

ويبدي الحصى منها إذا قذفت به من البرد أطراف البنان المخصب

فأصبحت من ليلى الغداة كناظرٍ مع الصبح في أعقاب نجمٍ مغرب

ألا إنما غادرت يا أم مالكٍ صدىً إينما تذهب به الريح يذهب

في هذه الأبيات لحنٌ من الثقيل الأول، ابتداؤه نشيدٌ من صنعة الواثق وهو المشهور. وذكره ابن المكي لأبيه يحيى. وهو في جامع غناء سليم بن سلام له. وذكره حبشٌ في موضعين من كتابه فنسبه في طريقه الثقيل الأول في أحدهما إلى ابن محرز، والآخر إلى يحيى المكي. وزعم الهشامي أن فيه لسليم بن سلام لحناً آخر من الثقيل الأول.

أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن عبد الجبار الصوفي قال حدثني إبراهيم بن سعد الزهري قال: أتاني رجل من عذرة لحاجة، فجرى ذكر العشق والعشاق، فقلت له: أنتم أرق قلوباً أم بنو عامرٍ؟ إنا لأرق الناس قلوباً، ولكن غلبتنا بنو عامرٍ بمجنونها.

شيء من أوصافه

أخبرني أحمد بن عمر بن موسى بن زكويه القطان إجازةً قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال أخبرني عبد الجبار بن سليمان بن نوفل بن مساحقٍ عن أبيه عن جده قال: أنا رأيت مجنون بني عامر، وكان جميل الوجه أبيض اللون قد علاه شحوبٌ، واستنشدته فأنشدني قصيدته التي يقول فيها:

تذكرت ليلى والسنين الخواليا وأيام لا أعدي على اللهو عادياً

أخبرني محمد بن الحسن الكندي خطيب مسجد القادسية قال حدثنا الرياشي قال: سمعت أبا عثمان المازني يقول: سمعت معاذاً وبشر بن المفضل جميعاً ينشدان هذين البيتين وينسبانهما لمجنون بني عامر:

طمعت بليلى أن تريع وإنما تقطع أعناق الرجال المطامع

ودانيت ليلى في خلاءٍ ولم يكن شهودٌ على ليلى عدولٌ مقانع

وحدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا أبو خليفة "الفضل بن الحباب" عن ابن سلام قال: قضى عبيد الله الحسن بن الحصين بن أبي الحر العنبري على رجل من قومه قضيةً أوجبها الحكم عليه، وظن العنبري أنه تحامل عليه وانصرف مغضباً، ثم لقيه في طريق، فأخذ بلجام بغلته وكان شديداً أيداً، ثم قال له: إيه يا عبيد الله!

طمعت بليلى أن تريع وإنما تقطع أعناق الرجل المطامع

فقال عبيد الله:

وبايعت ليلى في خلاءٍ ولم يكن شهودٌ عدولٌ عند ليلى مقانع

خل عن البغلة. قال الصولي في خبره هذا: والبيتان للبعيث هكذا، قال: فلا أدري أمن قوله هو أم حكاية عن أبي خليفة!.

زيارة ليلى له وحديثه معها

أخبرنا محمد بن القاسم الأنباري عن عبد الله بن خلف الدلال قال حدثنا زكريا بن موسى عن شعيب بن السكن عن يونس النحوي قال: لما اختلط عقل قيس بن الملوح وترك الطعام والشراب، مضت أمه إلى ليلى فقالت لها: إن قيساً قد ذهب حبك بعقله، وترك الطعام والشراب، فلو جئته وقتاً لرجوت أن يثوب إليه "بعض" عقله، فقالت ليلى: أما نهاراً فلا لأنني لا آمن قومي على نفسي ولكن ليلاً، فأتته ليلاً فقالت له: يا قيس، إن أمك تزعم أنك جننت من أجلي وتركت المطعم والمشرب، فاتق الله وأبق على نفسك، فبكى وأنشأ يقول:

قالت جننت على أيشٍ فقلت لها الحب أعظم مما بالمجانين

الحب ليس يفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون في الحين

قال: فبكت معه، وتحدثا حتى كاد الصبح أن يسفر، ثم ودته وانصرفت، فكان آخر عهده بها.

سبب جنونه بيت شعر قاله

أخبرنا ابن المرزبان قال قال القحذمي: لما قال المجنون:

قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلا بشيءٍ غير ليلى ابتلانيا

سلب عقله. الغناء لحكم ثقيلٌ أول، وقيل إنه لابن الهربذ. وفيه لمتيم خفيف ثقيلٍ أول من جامع أغانيها. وحدثني جحظة بهذا الخبر عن ميمون بن هارون أنه بلغه أنه لما قال هذا البيت برص.

سبب تسميته المجنون

واختلاف الرواة في ذلك

أخبرني الحسن بن علي "قال حدثنا محمد بن طاهر" القرشي عن ابن عائشة قال: إنما سمي المجنون بقوله:

ما بال قلبك يا مجنون قد خلعا ... في حب من لا ترى في نيله طمعا

الحب والود نيطا بالفؤاد لها ... فأصبحا في فؤادي ثابتين معا

حدثنا وكيعٌ عن ابن يونس قال قال الأصمعي: لم يكن المجنون، إنما جننه العشق، وأنشد له:

يسموننني المجنون حين يرونني ... نعم بي من ليلى الغداة جنون

ليالي يزهى بي شبابٌ وشرةٌ ... وإذ بي من خفض المعيشة لين

أخبرني محمد بن المرزبان عن إسحاق بن محمد بن أبان قال حدثني علي بن سهل عن المدائني: أنه ذكر عنده مجنون بني عامر فقال: لم يكن مجنوناً، وإنما قيل له المجنون بقوله:

وإني لمجنونٌ بليلى موكلٌ ... ولست عزوفاً عن هواها ولا جلدا

إذا ذكرت ليلى بكيت صبابةً ... لتذكارها حتى يبل البكا الخدا

أخبرني عمر بن جميلٍ العتكي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عون بن عبد الله العامري أنه قال: ما كان والله المجنون الذي تعزونه إلينا مجنوناً، إنما كانت به لوثةٌ وسهوٌ أحدثهما به حب ليلى، وأنشد له:

وبي من هوى ليلى الذي لو أبثه ... جماعة أعدائي بكت لي عيونها

أرى النفس عن ليلى أبت أن تطيعني ... فقد جن من وجدي بليلى جنونها

أخبرني ابن المرزبان قال قال العتبي: إنما سمي المجنون بقوله:

يقول أناسٌ عل مجنون عامرٍ ... يروم سلواً قلت أنى لما بيا

وقد لامني في حب ليلى أقاربي ... أخي وابن عمي وابن خالي وخاليا

يقولون ليلى أهل بيت عداوةٍ ... بنفسي ليلى من عدو وماليا

ولو كان في ليلى شذاً من خصومةٍ ... للويت أعناق المطي الملاويا

أخبرني هاشم "بن محمد" الخزاعي عن عيسى بن إسماعيل قال قال ابن سلام: لو حلفت أن مجنون بني عامرٍ لم يكن مجنوناً لصدقت، ولكن توله لما زوجت ليلى وأيقن اليأس منها، ألم تسمع إلى قوله:

أيا ويح من أمسى تخلس عقله ... فأصبح مذهوباً به كل مذهب

خليعاً من الخلان إلا مجاملا ... يساعدني من كان يهوى تجنبي

إذا ذكرت ليلى عقلت وراجعت ... عوزاب قلبي من هوىً متشعب

"أخبرني به الحسن بن علي عن دينار بن عامر التغلبي عن مسعود بن سعد عن ابن سلام ونحوه.
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أنشدني صالح بن سعيد قال أنشدني يعقوب بن السكيت للمجنون.

يسموننني المجنون حين يرونني نعم بي من ليلى الغداة جنون"

قال: وأنشدنا له أيضاً:

صوت

وشغلت عن فهم الحديث سوى ما كان فيك فإنه شغلي
وأديم لحظ محدثي ليرى أن قد فهمت وعندكم عقلي

الحديث عن تكنيته ليلى بأم مالك

أخبرني ابن المرزبان عن محمد بن الحسن دينار الأحول عن علي بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة: أن صاحبة مجنون بني عامر التي كلف بها ليلى بنت مهدي بن سعد بن مهدي "بن ربيعة" بن الحريش، وكنيتها أم مالكٍ، وقد ذكر هذه الكنية المجنون في شعره فقال:

تكاد بلاد الله يا أم مالكٍ بما رحبت يوماً علي تضيق

وقال أيضاً:

فإن الذي أملت من أم مالكٍ أشاب قذالي واستهام فؤاديا
خليلي إن دارت على أم مالكٍ صروف الليالي فابغيا لي ناعيا

وقال أبو عمرو الشيباني: علق المجنون ليلى بنت مهدي بن سعد من بني الحريش، وكنيتها أم مالكٍ، فشهر بها وعرف خبره فحجبت عنه، فشق عليه فخطبها إلى أبيها فرده وأبى أن يزوجه إياها، فاشتد به الأمر حتى جن وقيل له: "مجنون بني عامر" فكان على حاله يجلس في نادي قومه فلا يفهم ما يحدث به ولا يعقله إلا إذا ذكرت ليلى. وأنشد له أبو عمرو:

صوت

الرائية

ألا ما لليلى لا ترى عند مضجعي بليلٍ ولا يجري بذلك طائر
بلى إن عجم الطير تجري إذا جرت بليلى ولكن ليس للطير زاجر
أزالت عن العهد الذي كان بيننا بذي الأثل أم قد غيرتها المقادر

فوالله ما في القرب لي منك راحةٌ ولا البعد يسليني ولا أنا صابر
ووالله ما أدري بأية حيلةٍ وأي مرامٍ أو خطارٍ أخاطر
وتالله إن الدهر في ذات بيننا علي لها في كل حالٍ لجائر
فلو كنت إذ أزمعت هجري تركتني جميع القوى والعقل مني وافر
ولكن أيامي بحقل عنيزةٍ وبالرضم أيامٌ جناها التجاور
وقد أصبح الود الذي كان بيننا أماني نفسٍ والمؤمل حائر
لعمري لقد رنقت يا أم مالكٍ حياتي وساقتني إليك المقادر

قال أبو عمرو: وأخبرني بعض الشأميين قال: دخلت أرض بني عامر، فسألت عن المجنون الذي قتله الحب، فخبروني عنه أنه كان عاشقاً لجارية منهم يقال لها ليلى، ربا معها ثم حجبت عنه، فاشتد عليه وذهب عقله، فأتاه إخوانٌ من إخوانه يلومونه على ما يصنع بنفسه، فقال:

صوت

يا صاحبي ألما بي بمنزلةٍ قد مر حينٌ عليها أيما حين
في كل منزلةٍ ديوان معرفةٍ لم يبق باقيةٍ ذكر الدواوين
إني أرى رجعات الحب تقتلني وكان في بدئها ما كان يكفيني

الغناء لابن جامع خفيف ثقيلٍ.

جنونه بليلى وهيامه على وجهه

من أجلها

أخبرني هاشمٌ الخزاعي عن "العباس بن الفرج" الرياشي قال: ذكر العتبي عن أبيه قال: كان المجنون في بدء أمره يرى ليلى ويألفها ويأنس بها ثم غيبت عن ناظره، فكان أهله يعزونه عنها ويقولون: نزوجك أنفس جاريةٍ في عشيرتك، فيأبى إلا ليلى ويهذي بها ويذكرها "فكان ربما استراح إلى أمانيهم وركن إلى قولهم"، وكان ربما هاج عليه الحزن والهم فلا يملك مما هو فيه أن يهيم على وجهه، وذلك قبل أن يتوحش مع البهائم في القفار، فكان قومه يلومونه ويعذلونه، فأكثروا عليه في الملامة والعذل يوماً فقال:

صوت

يا للرجال لهمٍّ بت يعروني مستطرفٍ وقديمٍ كان يعنيني
على غريم مليء غير ذي عدم يأبى فيمطلني ديني ويلويني
لا يذكر البعض من ديني فينكره ولا يحدثني أن سوف يقضيني
وما كشكري شكرٌ لو يوافقني ولا منىً كمناه إذ يمنيني
أطعته وعصيت الناس كلهم في أمره ثم يأبى فهو يعصيني
خيري لمن يبتغي خيري ويأمله من دون شري وشري غير مأمون
وما أشارك في رأيي أخاً ضعفٍ ولا أقول أخي من لا يواتيني

في هذه الأبيات هزجٌ طنبوري للمسدود من جامعه.

وقال أبو عمرو الشيباني: حدثني رباح العامري قال: كان المجنون أول ما علق ليلى كثير الذكر لها والإتيان بالليل إليها، والعرب ترى ذلك غير منكرٍ أن يتحدث الفتيان إلى الفتيات، فلما علم أهلها بعشقه لها منعوه من إتيانها وتقدموا إليه، فذهب لذلك عقله ويئس منه قومه واعتنوا بأمره، واجتمعوا إليه ولاموه وعذلوه على ما يصنع بنفسه، وقالوا: والله ما هي لك بهذه الحال، فلو تناسيتها رجونا أن تسلو قليلاً، فقال لما سمع مقالتهم وقد غلب عليه البكاء:

صوت

فواكبدا من حب من لا يحبني ومن زفراتٍ ما لهن فناء
أريتك إن لم أعطك الحب عن يدٍ ولم يك عندي إذ أبيت إباء
أتاركتي للموت أنت فميتٌ وما للنفوس الخائفات بقاء

ثم أقبل على القوم فقال: إن الذي بي ليس بهينٍ، فاقلوا من ملامكم فلست بسامعٍ فيها ولا مطيعٍ لقول قائلٍ.

قصة حبه ليلى برواية رباح العامري أخبرني عمي ومحمد بن حبيب وابن المرزبان عن عبد الله بن أبي سعد عن عبد العزيز صالح عن أبيه عن ابن دأبٍ عن رباح بن حبيب العامري: أنه سأله عن حال المجنون وليلى، فقال: كانت ليلى من بني الحريش وهي بنت مهدي بن سعيد بن مهدي بن ربيعة بن الحريش، وكانت من أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن جسماً وعقلاً وأفضلهن أدباً وأملحهن شكلاً، وكان المجنون كلفاً بمحادثة النساء صباً بهن، فبلغه خبرها ونعتت له، فصبا إليها وعزم على زيارتها، فتأهب لذلك ولبس أفضل ثيابه ورجل جمته ومس طيباً كان عنده، وارتحل ناقةً له كريمةً برحلٍ حسنٍ وتقلد سيفه وأتاها، فسلم فردت عليه السلام وتحفت في المسئلة، وجلس إليها فحادثته وحادثها فأكثرا، وكل واحد منهما مقبلٌ على صاحبه معجبٌ به، فلم يزالا كذلك حتى

أمسيا، فانصرف إلى أهله فبات بأطول ليلةٍ شوقاً إليها، حتى إذا أصبح عاد إليها فلم يزل عندها حتى أمسى، ثم انصرف إلى أهله فبات بأطول من ليلته الأولى واجتهد أن يغمض فلم يقدر على ذلك، فأنشأ يقول:

نهاري نهار الناس حتى إذا بدا ... لي الليل هزتني إليك المضاجع

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى ... ويجمعني والهم بالليل جامع

لقد ثبتت في القلب منك محبةٌ ... كما ثبتت في الراحتين الأصابع

- عروضه من الطويل، والغناء لإبراهيم الموصلي رملٌ بالوسطى عن عمرو - قال: وأدام زيارتها وترك من يأتيه فيتحدث إليه غيرها، وكان يأتيها في كل يوم فلا يزال عندها نهاره أجمع حتى إذا أمسى انصرف، فخرج ذات يومٍ يريد زيارتها فلما قرب من منزلها لقيته جاريةٌ عسراء فتطير منها، وأنشأ يقول:

وكيف يرجى وصل ليلى وقد جرى ... بجد القوى والوصل أعسر حاسر

صديع العصا صعب المرام إذا انتحى ... لوصل امرىءٍ جدت عليه الأواصر

ثم سار إليها في غدٍ فحدثها بقصته وطيرته ممن لقيه، وأنه يخاف تغير عهدها وانتكاثه وبكى، فقالت: لا ترع، حاش لله من تغير عهدي، لا يكون والله ذلك أبداً إن شاء الله، فلم يزل عندها يحادثها بقية يومه، ووقع له في قلبها مثل ما وقع لها في قلبه، فجاءها يوماً كما كان يجيء، وأقبل يحدثها فأعرضت عنه، وأقبلت على غيره بحديثها، تريد بذلك محنته وأن تعلم ما في قلبه، فلما رأى ذلك جزع جزعاً شديداً حتى بان في وجهه وعرف فيه، فلما خافت عليه أقبلت عليه كالمسرة إليه فقالت:

كلانا مظهرٌ للناس بغضنا ... وكل عند صاحبه مكين

فسري عنه وعلم ما في قلبها، فقالت له: إنما أردت أن أمتحنك والذي لك عندي أكثر من الذي لي عندك، وأعطي الله عهداً إن جالست بعد يومي هذا رجلاً سواك حتى أذوق الموت إلا أن أكره على ذلك، قال: فانصرفت عنه وهو من أشد الناس سروراً وأقرهم عيناً، وقال:

أظن هواها تاركي بمضلةٍ ... من الأرض لا مالٌ لدي ولا أهل

ولا أحدٌ أفضي إليه وصيتي ... ولا صاحبٌ إلا المطية والرحل

محا حبها حب الألى كن قبلها ... وحلت مكاناً لم يكن حل من قبل

شعره بعد أن تزوجت وأيس منها أخبرني جعفر بن قدامة عن أبي العيناء عن العتبي قال: لما حجبت ليلى عن المجنون خطبها جماعةٌ فلم يرضهم أهلها، وخطبها رجل من ثقيف موسرٌ فزوجوه وأخفوا ذلك عن المجنون ثم نمي إليه طرفٌ منه لم يتحققه، فقال:

دعوت إلهي دعوةً ما جهلتها ... وربي بما تخفي الصدور بصير

لئن كنت تهدي برد أنيابها العلا ... لأفقر مني إنني لفقيرٌ

فقد شاعت الأخبار أن قد تزوجت ... فهل يأتيني بالطلاق بشير

وقال أيضاً:

ألا تلك ليلى العامرية أصبحت ... تقطع إلا من ثقيفٍ حبالها

هم حبسوها محبس البدن وابتغى ... بها المال أقوامٌ ألا قل مالها

إذا التفتت والعيس صعرٌ من البرى ... بنخلة جلت عبرة العين حالها

قال: وجعل يمر ببيتها فلا يسأل عنها ولا يلتفت إليه، ويقول إذا جاوزه:

صوت

ألا أيها البيت الذي لا أزوره ... وإن حله شخصٌ إلي حبيب

هجرتك إشفاقاً وزرتك خائفاً ... وفيك علي الدهر منك رقيب

سأستعتب الأيام فيك لعلها ... بيوم سرورٍ في الزمان تؤوب

الغناء لعريب ثاني ثقيلٍ بالوسطى. قال: وبلغه أن أهلها يريدون نقلها إلى الثقفي فقال:

صوت

كأن القلب ليلة قيل يغدى ... بليلى العامرية أو يراح

قطاةٌ عزها شركٌ فباتت ... تجاذبه وقد علق الجناح

- عروضه من الوافر. الغناء لابن المكي خفيفٌ ثقيلٍ "أول" بالوسطى في مجراها عن إسحاق، وفيه خفيف ثقيلٍ آخر لسليمان مطلقٌ في مجرى البنصر، وفيه لإبراهيم رملٌ بالوسطى في مجراها عن الهشامي - قال: فلما نقلت "ليلى" إلى الثقفي قال:

قصيدته العينية

طربت وشاقتك الحمول الدوافع ... غداة دعا بالبين أسفع نازع

شحا فاه نعباً بالفراق كأنه ... حريبٌ سليبٌ نازح الدار جازع

فقلت ألا قد بين الأمر فانصرف ... فقد راعنا بالبين قبلك رائع

سقيت سموماً من غراب فأنني تبينت ما خبرت مذ أنت واقع
ألم تر أني لا محب ألومه ولا ببديلٍ بعدهم أنا قانع
"ألم تر دار الحي في رونق الضحى بحيث انحنت للهضبتين الأجارع"

وقد يتناءى الإلف من بعد ألفةٍ ويصدع ما بين الخليطين صادع
وكم من هوى أو جيرةٍ قد ألفتهم زماناً فلم يمنعهم البين مانع
كأني غداة البين ميت جوبةٍ أخو ظمأ سدت عليه المشارع
تخلس من أوشال ماءٍ صبابةً فلا الشرب مبذولٌ ولا هو ناقع
وبيضٍ تطلى بالعبير كأنها نعاج الملا جيبت عليها البراقع
تحملن من وادي الأراك فأومضت لهن بأطراف العيون المدامع
فما رمن ربع الدار حتى تشابهت هجائنها والجون منها الخواضع
وحتى حلمن الحور من كل جانب وخاضت سدول الرقم منها الأكارع
فلما استوت تحت الخدور وقد جرى عبيرٌ ومسكٌ بالعرانين رادع
أشرن بأن حثوا الجمال فقد بدا من الصيف يومٌ لافحٌ الحر ماتع
فلما لحقنا بالحمول تباشرت بنا مقصراتٌ غاب عنها المطامع
يعرضن بالدل المليح وإن يرد جناهن مشغوفٌ فهن موانع
فقلت لأصحابي ودمعي مسبلٌ وقد صدع الشمل المشتت صادع
أليلى بأبواب الخدور تعرضت لعيني أم قرنٌ من الشمس طالع

مروره على حمامة تهدل

وما قال في ذلك من الشعر

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا الهيثم بن فراسٍ قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي: أن أبا المجنون حج به ليدعو الله عز وجل في الموقف أن يعافيه، فسار ومعه ابن عمه زياد بن كعب بن مزاحم، فمر بحمامة تدعو على أيكة فوقف يبكي، فقال له زياد: أي شيء هذا؟ ما يبكيك أيضاً؟ سر بنا نلحق الرفقة، فقال:

أأن هتفت يوماً بوادٍ حمامةٌ بكيت ولم يعذرك بالجهل عاذر

دعت ساق حرٍّ بعد ما علت الضحى فهاج لك الأحزان أن ناح طائر
تغني الضحى والصبح في مرجحنةٍ كثاف الأعالي تحتها الماء حائر
كأن لم يكن بالغيل أو بطن أيكةٍ أو الجزع من تول الأشاءة حاضر
يقول زيادٌ إذ رأى الحي هجروا أرى الحي قد ساروا فهل أنت سائر
وإني وإن غال التقادم حاجتي ملمٌ على أوطان ليلى فناظر

هيامه إلى نواحي الشأم

وما يقوله من الشعر عند عوده ورؤية التوباد

أخبرني "محمد بن مزيد" بن أبي الأزهر عن الزبير عن محمد بن عبد الله البكري عن موسى بن جعفر بن أبي كثير وأخبرني عمي عن "عبد الله" بن شبيب عن "هارون بن موسى" الفروي عن موسى بن جعفر بن أبي كثير وأخبرني ابن المرزبان عن ابن الهيثم عن العمري عن العتبي قالوا جميعاً: كان المجنون وليلى وهما صبيان يرعيان غنماً لأهلها عند جبلٍ في بلادهما يقال له التوباد، فلما ذهب عقله وتوحش، كان يجيء إلى ذلك الجبل فيقيم به، فإذا تذكر أيام كان يطيف هو وليلى به جزع جزعاً شديداً واستوحش فهام على وجهه حتى يأتي نواحي الشأم، فإذا ثاب إليه عقله رأى بلداً لا يعرفه فيقول للناس الذين يلقاهم: بأبي أنتم، أين التوباد من أرض بني عامر؟ فيقال له: وأين أنت من أرض بني عامر! أنت بالشأم عليك بنجم كذا فأمه، فيمضي على وجهه نحو ذلك النجم حتى يقع بأرض اليمن، فيرى بلاداً ينكرها وقوماً لا يعرفهم فيسألهم عن التوباد وأرض بني عامر، فيقولون: وأين أنت من أرض بني عامر! عليك بنجم كذا وكذا، فلا يزال كذلك حتى يقع على التوباد، فإذا رآه قال في ذلك: أبياته التي يصف فيها انصباب الدمع

وأجهشت للتوباد حين رأيته وكبر للرحمن حين رآني
وأذريت دمع العين لما عرفته ونادى بأعلى صوته فدعاني
فقلت له قد كان حولك جيرةٌ وعهدي بذاك الصرم منذ زمان
فقال مضوا واستودعوني بلادهم ومن ذا الذي يبقى على الحدثان
وإني لأبكي اليوم من حذري غداً فراقك والحيان مجتمعان
سجالاً وتهتانا ووبلاً وديمةً وسحاً وتسجاماً إلى هملان

سبب ذهاب عقله

أخبرني عمي عن "عبد الله" بن شبيب عن هارون بن موسى الفروي عن موسى بن جعفر بن أبي كثير قال: لما قال المجنون:

خليلي لا والله لا أملك الذي ... قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا

قضاها لغيري وابتلاني بحبها ... فهلا بشيءٍ غير ليلى ابتلانيا

سلب عقله.

وحدثني جحظة عن ميمون بن هارون عن إسحاق الموصلي أنه لما قالهما برص.

شعره حين توهم هاتفا باسم ليلى

قال موسى بن جعفر في خبره المذكور: وكان المجنون يسير مع أصحابه فسمع صائحاً يصيح: يا ليلى في ليلةٍ ظلماء أو توهم ذلك، فقال لبعض من معه: أما تسمع هذا الصوت؟ فقال: ما سمعت شيئاً، قال: بلى، والله هاتفٌ يهتف بليلى، ثم أنشأ يقول:

أقول لأدنى صاحبي كليمةٌ ... أسرت من الأقصى أجب ذا المناديا

إذا سرت في الأرض الفضاء رأيتني ... أصانع رحلي أن يميل حياليا

يميناً إذا كانت يميناً وإن تكن ... شمالاً ينازعني الهوى عن شماليا

شعر له في منى وغيرها

يرويه غرير بن طلحة

وقال ابن شبيبٍ وحدثني هارون بن موسى قال: قلت لغريز بن طلحة المخزومي: من أشعر الناس ممن قال شعراً في منى ومكة وعرفاتٍ؟ فقال: أصحابنا القرشيون، ولقد أحسن المجنون حيث يقول:

وداعٍ دعا إذ نحن بالخيف من منىً ... فهيج أحزان الفؤاد وما يدري

دعا باسم ليلى غرها فكأنما ... أطار بليلى طائراً كان في صدري

فقلت له: هل تروي للمجنون غير هذا؟ قال: نعم، وأنشدني له:

أما والذي أرسى ثبيراً مكانه ... عليه السحاب فوقه يتنصب

وما سلك المومأة من كل جسرةٍ ... طليحٍ كجفن السيف تهوي فتركب

لقد عشت من ليلى زماناً أحبها ... أخا الموت إذ بعض المحبين يكذب

أخبرني محمد بن مزيد عن حماد "بن إسحاق" عن أبيه قال: كانت كنية ليلى أم عمرو، وأنشد للمجنون:

صوت

أبى القلب إلا حبه عامريةً ... لها كنيةٌ عمروٌ وليس لها عمرو

تكاد يدي تندى إذا ما لمستها ... وينبت في أطرافها الورق الخضر

الغناء لعريب ثقيلٌ أول، وقال حبش: فيه لإسحاق خفيف ثقيلٍ.

خطبة ليلى برجل من ثقيف

وما قاله المجنون في ذلك من الشعر

أخبرني هاشم "بن محمد" الخزاعي عن دماذ عن أبي عبيدة قال: خطب ليلى صاحبة المجنون جماعةٌ من قومها فكرهتهم، فخطبها رجلٌ من ثقيف موسرٌ فرضيته، وكان جميلاً فتزوجها وخرج بها، فقال المجنون في ذلك:

ألا إن ليلى كالمنيحة أصبحت ... تقطع إلا من ثقيف حبالها

فقد حبسوها محبس البدن وابتغى ... بها الريح أقوامٌ تساحت مالها

خليلي هل من حيلةٍ تعلمانها ... يدني لنا تكليم ليلى احتيالها

فإن أنتما لم تعلماها فلستما ... بأول باغٍ حاجةً لا ينالها

كأن مع الركب الذين اغتدوا بها ... غمامة صيفٍ زعزعتها شمالها

نظرت بمفضى سيل جوشن إذ غدوا ... تخب بأطراف المخارم آلها

بشافية الأحزان هيج شوقها ... مجامعة الآلاف ثم زيالها

إذا التفتت من خلفها وهي تعتلي ... بها العيس جلى عبرة العين حالها

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أنشدني أحمد بن يحيى ثعلبٌ عن أبي نصر أحمد بن حاتم قال: وأنشدناه المبرد للمجنون فقال:

صوت

وأحبس عنك النفس والنفس صبةٌ ... بذكراك والممشى أليك قريب

مخافة أن تسعى الوشاة بظنةٍ ... وأحرسكم أن يستريب مريب

فقد جعلت نفسي وأنت اجترمته ... عنك تطيب وكنت أعز الناس

فلو شئت لم أغضب عليك ولم يزل لك الدهر مني ما حييت نصيب
أما والذي يبلو السرائر كلها ويعلم ما تبدي به وتغيب
لقد كنت ممن تصطفي النفس خلةً لها دون خلان الصفاء حجوب

ذكر يحيى المكي أنه لابن سريج ثقيلٌ أول، وقال الهشامي: إنه منحول يحيى إليه.

خبر أبي الحسن الببغاء

والمرأة التي أحبت صديقاً له من قريش

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الحسن بن محمد بن طالب الديناري قال حدثني إسحاق الموصلي، وأخبرني به محمد بن مزيد والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني سعيد بن سليمان عن أبي الحسن الببغاء قال: بينا أنا وصديق لي من قريش نمشي بالبلاط ليلاً، إذا بظل نسوة في القمر، فسمعت إحداهن تقول: أهو هو؟ فقالت لها أخرى معها: أي والله إنه لهو هو؟ فدنت مني ثم قالت: يا كهل، قل لهذا الذي معك:

ليست لياليك في خاخٍ بعائدةٍ كما عهدت ولا أيام ذي سلم

فقلت: أجب فقد سمعت، فقال: قد والله قطع بي وأرتج علي فأجب عني، فقلت:

فقلت لها يا عز كل مصيبةٍ إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

ثم مضينا حتى إذا كنا بمفرق طريقين مضى الفتى إلى منزله ومضيت إلى منزلي، فإذا أنا بجويريةٍ تجذب ردائي فالتفت، فقالت لي: المرأة التي كلمتها تدعوك، فمضيت معها حتى دخلت داراً واسعة ثم صرت إلى بيتٍ فيه حصيرٌ، وقد ثنت لي وسادةً فجلست عليها، ثم جاءت جاريةٌ بوسادة مثنيةٍ فطرحتها، ثم جاءت المرأة فجلست عليها، فقالت لي: أنت المجيب؟ قلت: نعم، قالت: ما كان أفظ لجوابك وأغلظه! فقلت لها: ما حضرني غيره، فسكتت، ثم قالت: لا والله ما خلق الله خلقاً أحب إلي من إنسان كان معك! فقلت لها: أنا الضامن لك عنه ما تحبين، فقالت: هيهات أن يقع بذلك وفاءٌ، فقلت: أنا الضامن وعلي أن آتيك به في الليلة القابلة فانصرفت، فإذا الفتى ببابي، فقلت: ما جاء بك؟ قال: ظننت أنها سترسل إليك وسألت عنك فلم أعرف لك خبراً، فظننت أنك عندها، فجلست أنتظرك، فقلت له: وقد كان الذي ظننت، وقد وعدتها أن آتيك فأمضي بك إليها في الليلة المقبلة، فلما أصبحنا تهيأنا وانتظرنا المساء، فلما جاء الليل رحلنا إليها، فإذا الجارية منتظرةٌ لنا، فمضت أمامنا حين رأتنا حتى دخلت تلك الدار ودخلنا معها، فإذا رائحةٌ طيبة ومجلسٌ قد أعد ونضد، فجلسنا على وسائد قد ثنيت لنا، وجلست ملياً ثم أقبلت عليه فعاتبته ملياً ثم قالت:

صوت

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلوم

وأبرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضاً أرمى وأنت سليم

فلو كان قولٌ يكلم الجلد قد بدا بجلدي من قول الوشاة كلوم

هذه الأبيات لأميمة امرأة ابن الدمينة، وفيها غناء لإبراهيم الموصلي ذكره إسحاق و لم يجنسه. وقال الهشامي: هو خفيف رملٍ. وفيه لعريب خفيف ثقيلٍ أول ينسب إلى حكم الوادي وإلى يعقوب. قال: ثم سكتت وسكت الفتى هنيهةً ثم قال:

غدرت ولم أغدر وخنت ولم أخن وفي بعض هذا للمحب عزاء

جزيتك ضعف الود ثم صرمتني فحبك من قلبي إليك أداء

فالتفتت إلي فقالت: ألا تسمع ما يقول! قد خبرتك، فغمزته أن كف فكف، ثم أقبلت عليه وقالت:

صوت

تجاهلت وصلي حين جدت عمايتي فهلا صرمت الحبل إذ أنا أبصر

ولي من قوى الحبل الذي قد قطعته نصيبٌ وإذ رأيي جميعٌ موفر

ولكنما آذنت بالصرم بغتةً ولست على مثل الذي جئت أقدر

- الغناء لإبراهيم ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو - فقال:

لقد جعلت نفسي وأنت اجترمته وكنت أعز الناس عنك تطيب

قال: فبكت، ثم قالت: أو قد طابت نفسك! لا، والله ما فيك بعدها خير، ثم التفتت إلي وقالت: قد علمت أنك لا تفي بضمانك ولا يفي به عنك. وهذا البيت الأخير للمجنون، وإنما ذكر هذا الخبر هنا وليس من أخبار المجنون لذكره فيه.

رجع الخبر إلى سياق أخبار المجنون

رأى المجنون أبيات أهل ليلى فقال شعراً

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي أن رهط المجنون اجتازوا في نجعةٍ لهم بحي ليلى، وقد جمعتهم نجعةٌ فرأى أبيات أهل ليلى و لم يقدم على الإلمام بهم وعدل أهله إلى جهة أخرى، فقال المجنون:

لعمرك إن البيت بالقبل الذي مررت ولم ألمم عليه لشائق

وبالجزع من أعلى الجنيبة منزلٌ شجا حزنٍ صدري به متضايق

كأني إذا لم ألق ليلى معلقٌ بسبين أهفوا بين سهلٍ وحالق

على أنني لو شئت هاجت صبابتي علي رسومٌ عي فيها التناطق
لعمرك إن الحب يا أم مالكٍ بقلبي براني الله منه للاصق
يضم علي الليل أطراف حبكم كما ضم أطراف القميص البنائق

صوت

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا سوى أن يقولوا إنني لك عاشق
نعم صدق الواشون إنت حبيبةٌ إلي وإن لم تصف منك الخلائق

الغناء لمتيم ثقيلٌ أول من جامعها. وفيه لدعامة رملٌ عن حبشٍ.

حديث ليلى جارة لها من عقيل

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني أحمد بن الطيب قال قال ابن الكلبي: دخلت ليلى على جارة لها من عقيل وفي يدها مسواكٌ تستاك به، فتنفست ثم قالت: سقى الله من أهدى لي هذا المسواك؛ فقالت لها جارتها: من هو؟ قالت: قيس بن الملوح، وبكت ثم نزعت ثيابها تغتسل؛ فقالت: ويحه! لقد علق مني ما أهلكه من غير أن أستحق ذلك، فنشدتك الله، أصدق في صفتي أم كذب؟ فقالت: لا والله، بل صدق؛ قال: وبلغ المجنون قولها فبكى ثم أنشأ يقول:

نبئت ليلى وقد كنا نبخلها قالت سقى المزن غيثاً منزلاً خربا
وحبذا راكبٌ كنا نهش به يهدي لنا من أراك الموسم القضبا
قالت لجارتها يوماً تسائلها لما استحمت وألقت عندها السلبا
يا عمرك الله ألا قلت صادقةً أصدقت صفة المجنون أم كذبا

ويروى: نشدتك الله ويروى: "أصادقاً وصف المجنون أم كذباً".

خروج ليلى مع زوجها وشعره فيه

وقال أبو نصر في أخباره: لما زوجت ليلى بالرجل الثقفي سمع المجنون رجلاً من قومها يقول لآخر: أنت ممن يشيع ليلى؟ قال: ومتى تخرج؟ قال: غداً، ضحوةً أو الليلة، فبكى "المجنون" ثم قال:

صوت

كأن القلب ليلة قيل يغدى بليليى العامرية أو يراح

قطاةٌ عزها شركٌ فباتت تجاذبه وقد علق الجناح

الغناء ليحيى المكي خفيفٌ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو، وفيه رملٌ ينسب إلى إبراهيم وإلى أحمد بن يحيى المكي؛ وقال حبش: فيه خفيف ثقيلٍ "بالوسطى" لسليم.

وعظه رجل من بني عامر فأنشده شعراً

وقال الهيثم بن عدي في خبره. حدثني عبد الله بن عياش الهمداني قال حدثني رجلٌ من بني عامر قال: مطرنا مطراً شديداً في ربيع ارتبعناه، ودام المطر ثلاثاً ثم أصبحنا في اليوم الرابع على صحوٍ وخرج الناس يمشون على الوادي، فرأيت رجلاً جالساً حجرةً وحده فقصدته، فإذا هو المجنون جالسٌ وحده يبكي فوعظته وكلمته طويلاً وهو ساكتٌ لم يرفع رأسه إلي، ثم أنشدني بصوت حزين لا أنساه أبداً وحرقته.

صوت

جرى السيل فاستبكاني السيل إذ جرى وفاضت له من مقلتي غروب

وما ذاك إلا حين أيقنت أنه يكون بوادٍ فيه قريب

يكون أجاجاً دونكم فإذا انتهى إليكم تلقى طيبكم فيطيب

أظل غريب الدار في أرض عامرٍ ألا كل مهجورٍ هناك غريب

وإن الكثيب الفرد من أيمن الحمى إلي وإن لم آته لحبيب

فلا خير في الدنيا إذا أنت لم تزر حبيبا ولم يطرب إليك حبيب

وأول هذه القصيدة - وفيه أيضاً غناء -:

صوت

ألا أيها البيت الذي لا أزوره وهجرانه منى إليه ذنوب

هجرتك مشتاقاً وزرتك خائفاً وفيك علي الدهر منك رقيبُ

سأستعطف الأيام فيك لعلها بيوم سرورٍ في هواك تثيب

هذه الأبيات في شعر محمد بن أمية مرويةٌ، ورويت ها هنا للمجنون "في هذه القصيدة". وفيها لعريب ثقيلٌ أول. ولعبد الله بن العباس ثاني ثقيلٍ. ولأحمد بن المكي خفيف ثقيلٍ.

وأفردت إفراد الطريد وباعدت ... إلى النفس حاجاتٌ وهن قريب

لئن حال يأسٌ دون ليلى لربما ... أتى اليأس دون الأمر فهو عصيب

ومنيتني حتى إذا ما رأيتني ... على شرفٍ للناظرين يريب

صددت وأشمت العدو بصرمنا ... أثابك يا ليلى الجزاء مثيب

لقاؤه في توحشه ليلى وشعره في ذلك

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق قال حدثنا بعض مشايخ بني عامر أن المجنون مر في توحشه فصادف حي ليلى راحلاً ولقيها فجأةً فعرفها وعرفته فصعق وخر مغشياً على وجهه، وأقبل فتيانٌ من حي ليلى فأخذوه ومسحوا التراب عن وجهه، وأسندوه إلى صدورهم وسألوا ليلى أن تقف له وقفةً، فرقت لما رأته به، وقالت: أما هذا فلا يجوز أن أفتضح به، ولكن يا فلانة - لأمة لها - اذهبي إلى قيس فقولي له: ليلى تقرأ عليك السلام، وتقول لك: أعزز علي بما أنت فيه، ولو وجدت سبيلاً إلى شفاء دائك لوقيتك بنفسي منه، فمضت الوليدة إليه وأخبرته بقولها، فأفاق وجلس وقال: أبلغيها السلام وقولي لها هيهات! إن دائي ودوائي أنت، وإن حياتي ووفاتي لفي يديك، ولقد وكلت بي شقاء لازماً وبلاءً طويلاً. ثم بكى وأنشأ يقول:

أقول لأصحابي هي الشمس ضوءها ... قريبٌ ولكن في تناولها بعد

لقد عارضتنا الريح منها بنفحةٍ ... على كبدي من طيب أرواحها برد

فما زلت مغشياً علي وقد مضت ... أناةٌ وما عندي جوابٌ ولا رد

أقلب بالأيدي وأهلي بعولةٍ ... يفدونني لو يستطيعون أن يفدوا

ولم يبق إلا الجلد والعظم عارياً ... ولا عظم لي إن دام بي ولا جلد

أدنياي مالي في انقطاعي وغربتي ... إليك ثوابٌ منك دينٌ ولا نقد

عديني بنفسي أنت وعداً فربما ... جلا كربة المكروب عن قلبه الوعد

وقد يبتلى قومٌ ولا كبليتي ... ولا مثل جدي في الشقاء بكم جد

غزتني جنود الحب من كل جانبٍ ... إذا حان من جندٍ قفولٌ أتى جند

وقال أبو نصر أحمد بن حاتم: كان أبو عمرو المدني يقول قال نوفل بن مساحق: أخبرت عن المجنون أن سبب توحشه أنه كان يوماً بضرية جالساً وحده إذ ناداه منادٍ من الجبل:

كلانا يا أخي يحب ليلى بفي وفيك ومن ليلى التراب
لقد خبلت فؤادك ثم ثنت بقلبي فهو مهموم مصاب
شركتك في هوى من ليس تبدي لنا الأيام منه سوى اجتناب

خبر نوفل بن مساحق مع المجنون

قال: فتنفس الصعداء وغشي عليه، وكان هذا سبب توحشه فلم ير له أثرٌ حتى وجده نوفل بن مساحقٍ. قال نوفل: قدمت البادية فسألت عنه، فقيل لي: توحش وما لنا به عهدٌ ولا ندري إلى أين صار، فخرجت يوماً أتصيد الأروى، ومعي جماعةٌ من أصحابي، حتى إذا كنت بناحية الحمى إذا نحن بأراكةٍ عظيمة قد بدا منها قطيعٌ من الظباء، فيها شخص إنسانٍ يرى من خلل تلك الأراكة، فعجب أصحابي من ذلك، فعرفته وأتيته وعرفت أنه المجنون الذي أخبرت عنه، فنزلت عن دابتي وتخففت من ثيابي وخرجت أمشي رويداً حتى أتيت الأراكة فارتقيت حتى صرت على أعلاها وأشرفت عليه وعلى الظباء؛ فإذا به وقد تدلى الشعر على وجهه، فلم أكد أعرفه إلا بتأمل شديد، وهو يرتعي في ثمر تلك الأراكة، فرفع رأسه فتمثلت ببيت من شعره:

أتبكي على ليلى ونفسك باعدت مزارك من ليلى وشعباكما معاً

قال: فنفرت الظباء، واندفع في باقي القصيدة ينشدها، فما أنسى حسن نغمته وحسن صوته وهو يقول:

فما حسنٌ أن تأتي الأمر طائعاً وتجزع أن داعي الصبابة أسمعا
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معاً
وأذكر أيام الحمى ثم أنثني على كبدي من خشيةٍ أن تصدعا
فليست عشيات الحمى برواجعٍ عليك ولكن خل عينيك تدمعا
معي كل غر قد عصى عاذلاته بوصل الغواني من لدن أن ترعرعا
إذا راح يمشي في الرداعين أسرعت إليه العيون الناظرات التطلعا

قال: ثم سقط مغشياً عليه، فتمثلت بقوله:

يا دار ليلى بسقط الحي قد درست إلا الثمام وإلا موقد النار
ما تفتأ الدهر من ليلى تموت كذا في موقف وقفته أو على دار
أبلى عظامك بعد اللحم ذكركها كما ينحت قدح الشوحط الباري

فرفع رأسه إلي وقال: من أنت حياك الله؟ فقلت: أنا نوفل بن مساحقٍ، فحياني فقلت له: ما أحدثت بعدي في يأسك منها؟ فأنشدني يقول:

ألا حجبت ليلى وآلى أميرها ... علي يميناً جاهداً لا أزورها

وأوعدني فيها رجالٌ أبوهم ... أبي وابوها خشنت لي صدورها

غلى غير جرمٍ غير أني أحبها ... وأن فؤادي رهنها وأسيرها

قال: ثم سنحت له ظباء فقام يعدو في أثرها حتى لحقها فمضى معها.

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال: لما قال مجنون بني عامر:

قضاها لغيري وابتلاني بحبها ... فهلا بشيءٍ غير ليلى ابتلانيا

نودي في الليل: أنت المتسخط لقضاء الله والمعترض في أحكامه! واختلس عقله فتوحش منذ تلك الليلة وذهب مع الوحش على وجهه. وهذه القصيدة التي قال فيها هذا البيت من أشهر أشعاره، والصوت المذكور بذكره أخبار المجنون ها هنا منها. وفيها أيضاً عدة أبيات يغنى فيها، فمن ذلك:

صوت

قصديته اليائية

أعد الليالي ليلةً بعد ليلةٍ ... وقد عشت دهراً لا أعد الليالیا

أراني إذا صليت يممت نحوها ... بوجهي وإن كان المصلى ورائيا

وما بي إشراكٌ ولكن حبها ... كعود الشجا أعيا الطبيب المداويا

أحب من الأسماء ما وافق اسمها ... وأشبهه أو كان منه مدانيا

في هذه الأبيات هزجٌ خفيفٌ لمعان معزفي:

صوت

وخبر تماني أن تيماء منزلٌ ... لليلى إذا ما الصيف القى المراسيا

فهذي شهور الصيف عني قد انقضت ... فما للنوى ترمي بليلى المراميا

في هذين البيتين لحنٌ من الرمل صنعته عجوز عمير الباذغيسي على لحن إسحاق:

أماوي إن المال غادٍ ورائح

وله حديث قد ذكر في أخبار إسحاق. وهذا اللحن إلى الآن يغنى، لأنه أشهر في أيدي الناس، وإنما هو لحن إسحاق أخذ فجعل على هذه الأبيات وكيد بذلك:

صوت

فلو كان واشٍ باليمامة بيته ... وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا

وماذا لهم لا أحسن الله حالهم ... من الحظ تصريم ليلى حباليا

فأنت التي إن شئت أشقيت عيشتي ... وإن شئت بعد الله أنعمت باليا

وأنت التي ما من صديقٍ ولا عدا ... يرى نضو ما ابقيت إلا رثى ليا

أمضروبةٌ ليلى على أن أزورها ... ومتخذٌ ذنباً لها أن ترانيا

إذا سرت في الأرض الفضاء رأيتني ... أصانع رحلي أن يميل حياليا

يميناً إذا كانت يميناً وإن تكن ... شمالاً ينازعني الهوى عن شماليا

أحب من السماء ما وافق اسمها ... وأشبهه أو كان منه مدانيا

هي السحر إلا أن للسحر رقيةً ... وإني لا ألفي لها الدهر راقيا

وأنشد أبو نصر للمجنون وفيه غناء:

صوت

تكاد يدي تندى إذا ما لمستها ... وينبت في أطرافها الورق الخضر

أبى القلب إلا حبها عامريةً ... لها كنيةٌ عمروٌ وليس لها عمرو

الغناء لعريب ثقيلٌ أول، وذكر الهشامي أن فيه لإسحاق خفيف ثقيل.

رثاؤه لأبيه

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال: أنشدني جماعةٌ من بني عقيلٍ للمجنون يرثي أباه، ومات قبل اختلاطه وتوحشه، فعقر على قبره ورثاه بهذه الأبيات:

عقرت على قبر الملوح ناقتي ... بذي السرح لما أن جفته أقاربه

وقلت لها كوني عقيراً فإنني ... غداة غدٍ ماشٍ بالأمس راكبه

فلا يبعدنك الله يابن مزاحمٍ وكل امرىءٍ للموت لابد شاربه

فقد كنت طلاع النجاد ومعطى ال جياد وسيفاً لا تفل مضاربه

وعظه رجل من بني جعدة فقال شعراً

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن شبيب عن الحزامي عن محمد بن معنٍ قال: بلغني أن رجلاً من بني جعدة بن كعب كان أخاً وخلاً للمجنون، مر به يوماً وهو جالسٌ يخط في الأرض ويعبث بالحصى، فسلم عليه وجلس عنده فأقبل يخاطبه ويعظه ويسليه، وهو ينظر إليه ويلعب بيده كما كان وهو مفكر قد غمره ما هو فيه، فلما طال خطابه إياه قال: يا أخي، أما لكلامي جوابٌ؟ فقال له: والله يا أخي ما علمت أنك تكلمني فاعذرني، فإني كما ترى مذهوب العقل مشترك اللب وبكى، ثم أنشأ يقول:

صوت

وشغلت عن فهم الحديث سوى ما كان منك فإنه شغلي

وأديم لحظ محدثي ليرى أن قد فهمت وعندكم عقلي

شعره في حمام يتجاوب

الغناء لعلويه. وقال الهيثم: مر المجنون بوادٍ في أيام الربيع وحمامه يتجاوب فأنشأ يقول:

صوت

ألا يا حمام الإيك ما لك باكياً أفارقت إلفاً أم جفاك حبيب

دعاك الهوى والشوق لما ترنمت هتوف الضحى بين الغصون طروب

تجاوب ورقاً قد أذن لصوتها فكل لكل مسعدٌ ومجيب

الغناء لرذاذ ثقيلٌ أول مطلق في مجرى الوسطى.

خروج زوج ليلى وأبيها إلى مكة

واختلاف المجنون إليها

قال خالد بن حمل: حدثني رجالٌ من بني عامر أن زوج ليلى وأباها خرجا في أمرٍ طرق الحي إلى مكة، فأرسلت ليلى بأمةٍ لها إلى المجنون فدعته فأقام عندها ليلةً فأخرجته في السحر، وقالت له: سر إلي في كل ليلة ما دام القوم سفراً، فكان يختلف إليها حتى قدموا. وقال فيها في آخر ليلة لقيها وودعته:

تمتع بليلى إنما أنت هامةٌ ... من الهام يدنو كل يوم حمامها

تمتع إلى أن يرجع الركب إنهم ... متى يرجعوا يحرم عليك كلامها

مرض ولم تعده ليلى فقال شعراً

وقال الهيثم: مرض المجنون قبل أن يختلط فعاده قومه ونساؤهم و لم تعده ليلى فيمن عاده، فقال:

صوت

ألا ما لليلى لا ترى عند مضجعي ... بليلٍ ولا يجري بها لي طائر

بلى إن عجم الطير تجري إذا جرت ... بليلى ولكن ليس للطير زاجر

أحالت عن العهد الذي كان بيننا ... بذي الرمث أم قد غيبتها المقابر

الغناء لسليم ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي.

فوالله ما في القرب لي منك راحةٌ ... ولا البعد يسليني ولا أنا صابر

ووالله ما أدري بأية حيلةٍ ... وأي مرامٍ أو خطارٍ أخاطر

ووالله إن الدهر في ذات بيننا ... علي لها في كل أمرٍ لجائر

فلو كنت إذ أزمعت هجري تركتني ... جميع القوى والعقل مني وافر

ولكن أيامي بحفل عنيزةٍ ... وذي الرمث أيامٌ جناها التجاور

فقد أصبح الود الذي كان بيننا ... أماني نفس إن تخبر خابر

لعمري لقد أرهقت يا أم مالكٍ ... حياتي وساقتني إليك المقادر

خبر الظبي الذي ذكره

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال: حدثني بعض بني عقيل قال: قيل للمجنون أي شيء رأيته أحب إليك؟ قال: ليلى، قيل: د ع ليلى فقد عرفنا ما لها عندك ولكن سواها، قال: والله ما أعجبني شيء قط فذكرت ليلى إلا سقط من عيني وأذهب ذكرها

بشاشته عندي، غير أني رأيت ظبياً مرة فتأملته وذكرت ليلى فجعل يزداد في عيني حسناً، ثم إنه عارضه ذئبٌ وهرب منه فتبعته حتى خفيا عني فوجدت الذئب قد صرعه وأكل بعضه، فرميته بسهم فما أخطأت مقتله، وبقرت بطنه فأخرجت ما أكل منه، ثم جمعته إلى بقية شلوه، ودفنته وأحرقت الذئب، وقلت في ذلك:

أبى الله أن تبقى لحي بشاشةٌ ... فصبراً على ما شاء الله لي صبرا

رأيت غزالاً يرعتي وسط روضةٍ ... فقلت أرى ليلى تراءت لنا ظهرا

فيا ظبي كل رغدا هنيئاً ولا تخف ... فإنك لي جارٌ ولا ترهب الدهرا

وعندي لكم حصنٌ حصينٌ وصارمٌ ... حسامٌ إذا أعملته أحسن الهبرا

فما راعني إلا وذئبٌ قد انتحى ... فأعلق في أحشائه الناب والظفرا

ففوقت سهمي في كتوم غمزتها ... فخالط سهمي مهجة الذئب والنحرا

فأذهب غيظي قتله وشفى جوىً ... بقلبي إن الحر قد يدرك الوترا

شعره وقد بلغه أن زوج ليلى سبه

قال أبو نصر: بلغ المجنون قبل توحشه أن زوج ليلى ذكره وعضهه وسبه وقال: أو بلغ من قدر قيس ابن الملوح أن يدعي محبة ليلى وينوه باسمها! فقال ليغيظه بذلك:

فإن كان فيكم بعل ليلى فإنني ... وذي العرش قد قبلت فاها ثمانيا

وأشهد عند الله أني رأيتها ... وعشرون منها أصبعا من ورائيا

أليس من البلوى التي لا شوى لها ... بأن زوجت كلباً وما بذلت ليا

خبر رفقة أبوا صحبته إلى رهط ليلى

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال: خرج المجنون في عدةٍ من قومه يريدون سفراً لهم، فمروا في طريق يتشعب وجهتين: إحداهما يترلها رهط ليلى وفيها زيادةٌ مرحلةٍ فسألهم أن يعدلوا معه إلى تلك الوجهة فأبوا، فمضى وحده وقال:

صوت

أأترك ليلى ليس بيني وبينها ... سوى ليلةً إني إذاً لصبور

هبوني امرأً منكم أضل بعيره له ذمةٌ إن الذمام كبير
وللصاحب المتروك أعظم حرمةً على صاحبٍ من أن يضل بعير
عفا الله عن ليلى الغداة فإنها إذا وليت حكماً علي تجور

الغناء لابن سريج خفيف رملٍ بالوسطى عن "عمرو وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش، وفيه لابن المارقي خفيف ثقيل عن الهشامي، وفيه لعلويه رملٌ بالبنصر.

هتفت حمامة فقال شعراً

وذكر عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه: أن المجنون كان ذات ليلة جالساً مع أصحاب له من بني عمه وهو ولهٌ يتلظى ويتململ يعظونه ويحادثونه، حتى هتفت حمامةٌ من سرحةٍ كانت بإزائهم، فوثب قائماً وقال:

صوت

لقد غردت في جنح ليل حمامةٌ على إلفها تبكي وإني لنائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً لما سبقتني بالبكاء الحمائم

ثم بكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه، فما أفاق حتى حميت الشمس عليه من غدٍ. الغناء في هذين البيتين لعبد الله بن دحمان ثقيلٌ أول مطلق في مجرى الوسطى.

مرور رجل به وهو برمل يبرين

وذكر أبو نصر عن أصحابه أن رجلاً مرّ بالمجنون وهو برمل يبرين يخطط فيه، فوقف عليه متعجباً منه وكان لا يعرفه، فقال له: ما بك يا أخي؟ فرفع رأسه إليه وأنشأ يقول:

بي اليأس والداء الهيام أصابني فإياك عني لا يكن بك ما بيا
كأن جفون العين تهمي دموعها غداة رأت أظعان ليلى غواديا
غروبٌ أمرتها نواضح بزلٌ على عجلٍ عجم يروين صاديا

مر به نفر من اليمن فقال شعراً

قال خالد بن جمل: ذكر حمادٌ الرواية أن نفراً من أهل اليمن مروا بالمجنون، فوقفوا ينظرون إليه فأنشأ يقول:

ألا أيها الركب اليمانون عرجوا علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
نسائلكم هل سال نعمان بعدنا وحب إلينا بطن نعمان واديا

يقول في هذا القصيدة:

صوت

ألا يا حمامي قصر ودان هجتما علي الهوى لما تغنيتما ليا

فأبكيتماني وسط صحبي ولم أكن أبالي دموع العين لو كنت خاليا

غنى في هذين البيتين علويه غناء لم ينسب.

فوالله إني لا أحب، لغير أن تحل بها ليلى البراق الأعاليا

ألا يا خليلي حب ليلى مجشمي حياض المنايا أو مقيدي الأعاديا

ويا أيها القمريتان تجاوبا بلحنيكما ثم اسجعا عللانيا

فإن أنتما استطربتما وأردتما لحاقاً بأطراف الغضى فاتبعانيا

رحيل زوج ليلى بها وشعره بذلك

قال أبو نصر: وذكر خالد بن كلثوم أن زوج ليلى لما أراد الرحيل بها إلى بلده بلغ المجنون أنه غادٍ بها فقال:

صوت

أمزمعةٌ للبين ليلى ولم تمت كأنك عما قد أظلك غافل

ستعلم إن شطت بهم غربة النوى وزالوا بليلى أن لبك زائل

الغناء للزبير بن دحمان ثقيلٌ أول بالوسطى.

قال أبو نصر قال خالد: وحدثني جماعة من بني قشير أن المجنون سقم سقاما شديداً قبل اختلاطه حتى أشفى على الهلاك، فدخل إليه أبوه يعلله فوجده ينشد هذه الأبيات ويبكي أحر بكاء وينشج أحر نشيج:

ألا أيها القلب الذي لج هائماً بليلى وليداً لم تقطع تمائمه

أفق قد أفاق العاشقون وقد أنى لحالك أن تلقى طبيباً تلائمه

فما لك مسلوب العزاء كأنما ترى نأى ليلى مغرماً أنت غارمه

أجدك لا تنسيك ليلى ملمةٌ تلم ولا ينسيك عهداً تقادمه

خبر نظره إلى أظعان ليلى

وقد رحل بها زوجها

قال: وقف مستتراً ينظر إلى أظعان ليلى وقد رحل بها زوجها وقومها، فلما رآهم يرتحلون بكى وجزع، فقال له أبوه: ويحك! إنما جئنا بك متخفياً ليتروح بعض ما بك بالنظر إليهم، فإذا فعلت ما أرى عرفت، وقد أهدر السلطان دمك إن مررت بهم، فأمسك أو فانصرف، فقال: ما لي سبيلٌ إلى النظر إليهم يرتحلون وأنا ساكنٌ غير جازعٍ ولا باكٍ فانصرف بنا، فانصرف وهو يقول:

صوت

ذد الدمع حتى يظعن الحي إنما ... دموعك إن فاضت عليك دليل

كأن دموع العين يوم تحملوا ... جمانٌ على جيب القميص يسيل

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أنشدني إسحاق بن محمد عن بعض أصحابه عن ابن الأعرابي للمجنون:

صوت من المائة المختارة

ألا ليت ليلى أطفأت حر زفرةٍ ... أعالجها لا أستطيع لها ردا

إذا الريح من نحو الحمى نسمت لنا ... وجدت لمسراها ومنسمها بردا

على كبد قد كاد يبدي بها الهوى ... ندوبا وبعض القوم يحسبني جلدا

هذا البيت الثالث خاصةً يروى لابن هرمة في بعض قصائده، وهو من المائة المختارة التي رواها إسحاق أوله:

أفاطم إن النأي يسلي من الهوى

وقد أخرج في موضع آخر. غنى في هذين البيتين عبد آل الهذلي، ولحنه المختار على ما ذكره جحظة ثاني ثقيل، وهما في هذه القصيدة:

وإني يماني الهوى منجد النوى ... سبيلان ألقى من خلافهما جهدا

سقى الله نجداً من ربيعٍ وصيفٍ ... وماذا يرجى من ربيع سقى نجدا

بلى إنه قد كان للعيش قرةً ... وللصحب والركبان منزلةً حمدا

أبى القلب أن ينفك من ذكر نسوةٍ ... رقاقٍ ولم يخلقن شؤماً ولا نكدا

إذا رحن يسحبن الذيول عشيةً ... ويقتلن بالألحاظ أنفسنا عمدا

مشى عيطلاتٌ رجحٌ بحضورها ... روادف وعثاتٌ ترد الخطا ردا

وتهتز ليلى العامرية فوقها ... ولاثت بسب القز ذا غدرٍ جعدا

إذا حرك المدرى ضفائرها العلا مججن ندى الريحان والعنبر الوردا

وأخبار الهذليين تذكر في غير هذا الموضع إن شاء الله لئلا تنقطع أخبار المجنون، ولهما في المائة الصوت المختارة أغانٍ تذكر أخبارها معاً إن شاء الله.

خبر ظبية سأل صياديها أن يطلقاها

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال ذكر الهيثم بن عدي، وأخبرني محمد بن خلف "بن المرزبان" عن أحمد بن الهيثم عن العمري عن الهيثم بن عدي قال: مر المجنون برجلين قد صادا ظبيةً فربطاها بحبل وذهبا بها، فلما نظر إليها وهي تركض في حبالهما دمعت عيناه، وقال لهما: حلاها وخذا مكانها شاةً من غنمي - وقال ميمون في خبره: وخذا مكانها قلوصا من إبلي - فأعطاهما وحلاها فولت تعدو هاربةً. وقال المجنون للرجلين حين رآها في حبالهما:

يا صاحبي اللذين اليوم قد أخذا في الحبل شبهاً لليلى ثم غلاها

إني أرى اليوم في أعطاف شاتكما مشابهاً أشبهت ليلى فحلاها

قال: وقال فيها وقد نظر إليها "وهي" تعدو أشد عدوٍ هاربةً مذعورةً:

صوت

أيا شبه ليلى لا تراعي فإنني لك اليوم من وحشيةٍ لصديق

ويا شبه ليلى لو تلبثت ساعةً لعل فؤادي من جواه يفيق

تفر وقد أطلقتها من وثاقها فأنت لليلى لو علمت طليق

خبره مع نسوة عذلنه في ليلى

وذكر أبو نصر عن جماعة من الرواة وذكر أبو مسلم ومحمد بن الحسن الأحول أن ابن الأعرابي أخبرهما أن نسوةً جلسن إلى المجنون فقلن له: ما الذي دعاك إلى أن أحللت بنفسك ما ترى في هوى ليلى، وإنما هي امرأة من النساء، هل لك في أن تصرف هواك عنها إلى إحدانا فنساعفك ونجزيك بهواك ويرجع إليك ما عزب من عقلك وجسمك؟ فقال لهن: لو قدرت على صرف الهوى عنها إليكن لصرفته عنها وعن كل أحد بعدها وعشت في الناس سوياً مستريحاً؛ فقلن له: ما أعجبك منها؟ فقال: كل شيء رأيته وشاهدته وسمعته منها أعجبني، والله ما

رأيت شيئاً منها قط إلا كان في عيني حسناً وبقلبي علقاً، ولقد جهدت أن يقبح منها عندي شيءٌ أو يسمج أو يعاب لأسلو عنها فلم أجده؛ فقلن له: فصفها لنا، فأنشأ يقول:

بيضاء خالصة البياض كأنها ... قمرٌ توسط جنح ليلٍ مبرد

موسومةٌ بالحسن ذات حواسدٍ ... إن الجمال مظنةٌ للحسد

وترى مدامعها ترقرق مقلةٍ ... سوداء ترغب عن سواد الإثمد

خودٌ إذا كثر الكلام تعوذت ... بحمى الحياء وإن تكلم تقصد

قال: ثم قال ابن الأعرابي: هذا والله من حسن الكلام ومنقح الشعر.

وأنشد أبو نصر للمجنون أيضاً، وفيه غناء، قال:

كأن فؤادي في مخالب طائرٍ ... إذا ذكرت ليلى يشد بها قبضا

كأن فجاج الأرض حلقة خاتمٍ ... علي، فما تزداد طولاً ولا عرضا

أودع رجلاً شعراً ينشده ليلى

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا أبو مسلم عن القحذمي قال: قال رجل من عشيرة المجنون له: إني أريد الإلمام بحي ليلى فهل تودعني إليها شيئاً؟ فقال: نعم! قف بحيث تسمعك ثم قل:

صوت

الله يعلم أن النفس هالكةٌ ... باليأس منك ولكني أعنيها

منيتك النفس حتى قد أضر بها ... واستيقنت خلفاً مما أمنيها

وساعةٌ منك ألهوها وإن قصرت ... أشهى إلي من الدنيا وما فيها

قال: فمضى الرجل، ولم يزل يرقب خلوةً حتى وجدها، فوقف عليها ثم قال لها: يا ليلى لقد أحسن الذي يقول:

الله يعلم أن النفس هالكةٌ ... باليأس منك ولكني أعنيها

وأنشد الأبيات؛ فبكت بكاء طويلاً ثم قالت: أبلغه السلام وقل له:

نفسي فداؤك، لو نفسي ملكت إذاً ... ما كان غيرك يجزيها ويرضيها

صبراً على ما قضاه الله فيك على ... مرارةٍ في اصطباري عنك أخفيها

قال: فأبلغه الفتى البيتين وأخبره بحالها؛ فبكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه، ثم أفاق وهو يقول:

عجبت لعروة العذري أضحى ... أحاديثاً لقومٍ بعد قوم

وعروة مات موتاً مستريحاً وها أنا ميت في كل يوم

أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلبٌ عن أبي نصر للمجنون:

صوت

أيا زينة الدنيا لا ينالها مناي ولا يبدو لقلبي صريمها

بعيني قذاةٌ من هواك لو أنها تداوى بمن تهوى لصح سقيمها

وما صبرت عن ذكرك النفس ساعةً وإن كنت أحياناً كثيراً ألومها

أبوه يحتال أن يبلغه أن ليلى تشتمه

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال: سأل الملوح أبو المجنون رجلاً قدم من الطائف أن يمر بالمجنون فيجلس إليه فيخبره أنه لقي ليلى وجلس إليها، ووصف له صفاتٍ منها ومن كلامها يعرفها المجنون، وقال له: حدثه بها، فإذا رأيته قد اشرأب لحديثك واشتهاه فعرفه أنك ذكرته لها ووصفت ما به فشتمته وسبته، وقالت: إنه يكذب عليها ويشهرها بفعله، وإنها ما اجتمعت معه قط كما يصف؛ ففعل الرجل ذلك، وجاء إليه فأخبره بلقائه إياها؛ فأقبل عليه وجعل يسائله عنها، فيخبره بما أمره به الملوح، فيزداد نشاطاً ويثوب إليه عقله، إلى أن أخبره بسبها إياه وشتمها له؛ وقال وهو غير مكترثٍ لما حكاه عنها:

صوت

تمر الصبا صفحاً بساكن ذي الغضى ويصدع قلبي أن يهب هبوبها

إذا هبت الريح الشمال فإنما جواي بما تهدى إلي جنوبها

قريبة عهدٍ بالحبيب وإنما هوى كل نفسٍ حيث كان حبيبها

وحسب الليالي أن طرحنك مطرحاً بدار قلى تمسي وأنت غريبها

حلالٌ لليلى شتمنا وانتقاصنا هنيئاً ومغفورٌ لليلى ذنوبها

ذكر أبو أيوب المديني أن الغناء في هذا الشعر لابن سريج و لم يذكر طريقته. وفيه لمتيم غناءٌ ينسب. وذكر الهيثم بن عدي أن المجنون قال - وفيه غناء -:

صوت

كأن لم تكن ليلى تزار بذي الأثل وبالجزع من أجزاع ودان فالنخل
صديقٌ لنا فيما نرى غير أنها ترى أن حبي قد أحل لها قتلي

وصف لليلى فبكت وقالت شعراً

أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن عثمان بن عمارة بن حريم عن أشياخ من بني مرة قالوا: خرج منا رجلٌ إلى ناحية الشأم والحجاز وما يلي تيماء والسراة وأرض نجد، في طلب بغيةٍ له، فإذا هو بخيمة قد رفعت له وقد أصابه المطر فعدل إليها وتنحنح، فإذا امرأةٌ قد كلمته فقالت: انزل، فنزل. "قال" وراحت أبلهم وغنمهم فإذا أمرٌ عظيم، فقالت: سلوا هذا الرجل من أين أقبل؛ فقلت: من ناحية تهامة ونجد؛ فقالت: ادخل أيها الرجل، فدخلت إلى ناحية من الخيمة، فأرخت بيني وبينها ستراً ثم قالت لي: يا عبد الله، أي بلادٍ نجدٍ وطئت؟ فقلت: كلها؛ قالت: فبمن نزلت هناك؟ قلت: ببني عامر؛ فتنفست الصعداء ثم قالت: فبأي بني عامر نزلت؟ فقلت: ببني الحريش؛ فاستعبرت ثم قالت: فهل سمعت بذكر فتىً منهم يقال له: قيس بن الملوح ويلقب بالمجنون؟ قلت: بلى والله! وعلى أبيه نزلت، وأتيته فنظرت إليه يهيم في تلك الفيافي، ويكون مع الوحش لا يعقل "ولا يفهم" إلا أن تذكر له امرأةٌ يقال لها ليلى، فيبكي وينشد أشعاراً قالها فيها. قال: فرفعت الستر بيني وبينها، فإذا فلقة قمرٍ لم تر عيني مثلها، فبكت حتى ظننت - والله - أن قلبها قد انصدع، فقلت: أيتها المرأة، اتقي الله فما قلت بأساً، فمكثت طويلاً على تلك الحال من البكاء والنحيب ثم قالت:

ألا ليت شعري والخطوب كثيرةٌ متى رحل قيسٍ مستقلٌ فراجع
بنفسي من لا يستقل برحله ومن هو إن لم يحفظ الله ضائع

ثم بكت حتى سقطت مغشياً عليها، فقلت لها: من أنت يا أمة الله؟ وما قصتك؟ قالت: أنا ليلى "صاحبته" المشئومة "والله" عليه غير المؤنسة له؛ فما رأيت مثل حزنها ووجدها عليه "قط".

خبر شيخ من بني مرة لقيه ميتاً في واد

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم ابن عدي عن عثمان بن عمارة، وأخبرني عثمان عن الكراني عن العمري عن لقيط، وحدثنا إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قال ذكر الهيثم بن عدي عن عثمان بن عمارة، وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم صاحب الأصمعي وأبو مسلم المستملي عن ابن الأعرابي - يزيد بعضهم على بعض -
أن عثمان بن عمارة المري أخبرهم أن شيخاً منهم من بني مرة حدثه أنه خرج إلى أرض بني عامر ليلقى المجنون، قال: فدللت على محلته فأتيتها، فإذا أبوه شيخ كبيرٌ وإخوةٌ له رجال، وإذا نعمٌ كثيرٌ وخيرٌ ظاهرٌ، فسألتهم عنه

فاستعبروا جميعاً، وقال الشيخ: والله لهو كان آثر في نفسي من هؤلاء وأحبهم إلي! وإنه هوي امرأةً من قومه، والله ما كانت تطمع في مثله، فلما أن فشا أمره وأمرها كره أبوها أن يزوجها منه بعد ظهور الخبر فزوجها من غيره، فذهب عقل ابني ولحقه خبلٌ وهام في الفيافي وجداً عليها، فحبسناه وقيدناه، فجعل يعض لسانه وشفتيه حتى خفنا "عليه" أن يقطعها فخلينا سبيله، فهو يهيم في "هذه" الفيافي مع الوحوش يذهب إليه كل يوم بطعامه فيوضع له حيث يراه، فإذا تنموا عنه جاء فأكل منه. قال: فسألتهم أن يدلوني عليه، فدلوني على فتىً من الحي صديقاً له وقالوا: إنه لا يأنس إلا به ولا يأخذ أشعاره عنه غيره، فأتيته فسألته أن يدلني عليه؛ فقال: إن كنت تريد شعره فكل شعرٍ قاله إلى أمس عندي، وأنا ذاهبٌ إليه غداً فإن قال شيئاً أتيتك به؛ فقلت: بل "أريد أن" تدلني عليه لآتيه؛ فقال لي: إنه إن نفر منك نفر مني فيذهب شعره، فأبيت إلا أن يدلني عليه؛ فقال اطلبه في هذه الصحاري "إذا رأيته" فادن "منه" مستأنساً ولا تره أنك تهابه، فإنه يتهددك ويتوعدك أن يرميك بشيء، فلا يروعنك واجلس صارفاً بصرك عنه والحظه أحياناً، فإذا رأيته قد سكن من نفاره فأنشده شعراً غزلاً، وإن كنت تروي من شعر قيس بن ذريح شيئاً فأنشده إياه فإنه معجبٌ به؛ فخرجت فطلبته يومي إلى العصر فوجدته جالساً على رمل قد خط فيه بأصبعه خطوطاً، فدنوت منه غير منقبضٍ، فنفر مني نفور الوحش من الإنس، وإلى جانبه أحجارٌ فتناول حجراً فأعرضت عنه، فمكث ساعةً كأنه نافرٌ يريد القيام، فلما طال جلوسي سكن وأقبل يخط بأصبعه، فأقبلت عليه وقلت: أحسن والله قيس بن ذريحٍ حيث يقول:

ألا يا غراب البين ويحك نبني ... بعلمك في لبنى وأنت خبير

فإن أنت لم تخبر بشيءٍ لمته ... فلا طرت إلا والجناح كسير

ودرت بأعداءٍ حبيبك فيهم ... كما قد تراني بالحبيب أدور

فأقبل علي وهو يبكي فقال: أحسن والله، وأنا أحسن منه قولاً حيث أقول:

كأن القلب ليلة قيل يغدى ... بليلى العامرية أو يراح

قطاةٌ عزها شركٌ فباتت ... تجاذبه وقد علق الجناح

فأمسكت عنه هنيهةً، ثم أقبلت عليه فقلت: وأحسن الله قيس بن ذريح حيث يقول:

وإني لمفنٍ دمع عيني بالبكا ... حذاراً لما قد كان أو هو كائن

وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلةٍ ... فراق حبيبٍ لم يبن وهو بائن

وما كنت أخشى أن تكون منيتي ... بكفيك إلا أن من حان حائن

قال: فبكى - والله - حتى ظننت أن نفسه قد فاضت، وقد رأيت دموعه قد بلت الرمل الذي بين يديه، ثم قال: أحسن لعمر الله، وأنا والله أشعر منه حيث أقول:

صوت

وأدنيتني حتى إذا ما سبيتني بقولٍ يحل العصم سهل الأباطح

تناءيت عني حين لا لي حيلةٌ وخلفت ما خلفت بين الجوانح

- ويروى: "وغادرت ما غادرت..." - ثم سنحت له ظبيةٌ فوثب يعدو خلفها حتى غاب عني وانصرفت، وعدت من غدٍ فطلبته فلم أجده، وجاءت امرأةٌ كانت تصنع له طعامه إلى الطعام فوجدته بحاله، فلما كان في اليوم الثالث غدوت وجاء أهله معي فطلبناه يومنا فلم نجده، وغدونا في اليوم الرابع نستقري أثره حتى وجدناه في وادٍ كثير الحجارة خشنٍ، وهو ميتٌ بين تلك الحجارة، فاحتمله أهله فغسلوه وكفنوه ودفنوه.

ندم أبي ليلى على عدم تزويجه بها

قال الهيثم: فحدثني جماعةٌ من بني عامر: أنه لم تبق فتاةٌ من بني جعدة ولا بني الحريش إلا خرجت حاسرةً صارخةً عليه تندبه؛ واجتمع فتيان الحي يبكون عليه أحر بكاء، وينشجون عليه أشد نشيج، وحضرهم حي ليلى معزين وأبوها معهم فكان أشد القوم جزعاً وبكاءً عليه، وجعل يقول: ما علمنا أن الأمر يبلغ كل هذا، ولكني كنت امرأ عربياً أخاف من العار وقبح الأحدوثة ما يخافه مثلي، فزوجتها وخرجت عن يدي، ولو علمت أن أمره يجري على هذا ما أخرجتها عن يده ولا احتملت ما كان علي في ذلك. قال: فما رئي يومٌ كان أكثر باكيةً وباكياً على ميتٍ من يومئذٍ.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني منها الصوت الذي أوله:

ألا يا غراب البين ويحك نبني بعلمك في لبنى وأنت خبير

الغناء لابن محرز ثقيلٌ أول بالوسطى عن الهشامي، وذكر إبراهيم أن فيه لحناً لحكمٍ. وفي رواية ابن الأعرابي أنه أنشده مكان:

ألا يا عراب البين ويحك نبني بعلمك في لبنى وأنت خبير

صوت

ألا يا غراب البين هل أنت مخبري بخيرٍ كما خبرت بالنأي والشر

وخبرت أن قد جد بينٌ وقربوا جمالاً لبينٍ مثقلاتٍ من الغدر

وهجت قذى عينٍ بلبنى مريضةٍ إذا ذكرت فاضت مدامعها تجري

وقلت كذاك الدهر مازال فاجعاً صدقت وهل شيءٌ بباقٍ على الدهر

الشعر لقيس بن ذريح، والغناء لابن جامع، ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لبحرٍ ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو. وفيه لدحمان ثاني ثقيل عن الهشامي وعبد الله بن موسى.

ومنها الصوت الذي أوله.

كأن القلب ليلة قيل يغدى بليلي العامرية أو يراح

ومنها الصوت الذي أوله:

وأدنيتني حتى إذا ما سبيتني بقولٍ يحل العصم سهل الأباطح

الغناء لإبراهيم، خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي.

بكاء أبي ليلى على المجنون

وشعر وجد بعد موت المجنون في خرقة

أخبرنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثنا الفضل الربعي عن محمد بن حبيب قال: لما مات مجنون بني عامر وجد أرض خشنةٍ بين حجارةٍ سودٍ، فحضر أهله وحضر "معهم" أبو ليلى - المرأة التي كان يهواها - وهو متذمم من اهله، فلما رآه ميتاً بكى واسترجع وعلم أنه قد شرك في هلاكه، فبينما هم يقلبونه إذ وجدوا خرقةً فيها مكتوبٌ:

ألا أيها الشيخ الذي ما بنا يرضى شقيت ولا هنيت من عيشك الغضا

شقيت كما أشقيتني وتركتني أهيم مع الهلاك لا أطعم الغمضا

صوت

كأن فؤادي في مخالب طائرٍ إذا ذكرت ليلى يشد بها قبضا

كأن فجاج الأرض حلقة خاتمٍ علي فما تزداد طولاً ولا عرضا

في هذين البيتين رملٌ ينسب إلى سليم وإلى ابن محرز، وذكر حبشٌ والهشامي أنه لإسحاق.

عوتب على التغني بالشعر فقال

أخبرني محمد بن خلف قال حدثني أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب قال حدثني بعض القشيريين عن أبيه قال: مررت بالمجنون وهو مشرفٌ على وادٍ في أيام الربيع، وذاك قبل أن يختلط، وهو يتغنى بشعر لم أفهمه، فصحت به: يا قيس، أما تشغلك ليلى عن الغناء والطرب! فتنفس تنفساً ظننت أن حيازيمه قد انقدت، ثم قال:

صوت

وما أشرف الأيفاع إلا صبابةً ... ولا أنشد الأشعار إلا تداويا

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما ... يظنان جهد الظن أن لا تلاقيا

لحي الله أقواماً يقولون إنني ... وجدت طوال الدهر للحب شافيا

التقاؤه بقيس بن ذريح

وطلبه منه إبلاغ سلامه لليلى

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا إسماعيل بن أبي أويس قال: اجتاز قيس بن ذريح بالمجنون وهو جالسٌ وحده في نادي قومه، وكان كل واحد منهما مشتاقاً إلى لقاء الآخر، وكان المجنون قبل توحشه لا يجلس إلا منفرداً ولا يحدث أحداً ولا يرد على متكلم جواباً ولا على مسلم سلاماً، فسلم عليه قيس بن ذريح فلم يرد عليه السلام؛ فقال له: يا أخي أنا قيس بن ذريح فوثب إليه فعانقه وقال: مرحباً بك يا أخي، أنا والله مذهوبٌ "بي" مشترك اللب فلا تلمني، فتحدثا ساعة وتشاكيا وبكيا، ثم قال له المجنون: يا أخي، إن حي ليلى منا قريبٌ، فهل لك أن تمضي إليها فتبلغها عني السلام؟ فقال له: أفعل. فمضى قيس بن ذريح حتى أتى ليلى فسلم وانتسب؛ فقالت له: حياك الله، ألك حاجة؟ قال: نعم، ابن عمك أرسلني إليك بالسلام؛ فأطرقت ثم قالت ما كنت أهلاً للتحية لو علمت أنك رسوله، قل له عني: أرأيت قولك:

أبت ليلةٌ بالغيل يا أم مالكٍ ... لكم غير حب صادقٍ ليس يكذب

ألا إنما أبقيت يا أم مالكٍ ... صدىً أينما تذهب به الريح يذهب

أخبرني عن ليلة الغيل، أي ليلة هي؟ وهل خلوت معك في الغيل أو غيره ليلاً أو نهاراً؟ فقال لها قيس: يابنة عم، إن الناس تأولوا كلامه على غير ما أراد، فلا تكوني مثلهم، إنما أخبر أنه رآك ليلة الغيل فذهبت بقلبه، لا أنه عناك بسوء؛ قال: فأطرقت طويلاً ودموعها تجري وهي تكفكفها، ثم انتحبت حتى قلت تقطعت حيازيمها، ثم قال: اقرأ على ابن عمي السلام، وقل له: بنفسي أنت! والله إن وجدي بك لفوق ما تجد، ولكن لا حيلة لي فيك؛ فانصرف قيسٌ إليه ليخبره فلم يجده.

رأى ليلى فبكى ثم قال شعراً

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عمي عن ابن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه قال: مر المجنون بعد اختلاطه بليلى "وهي" تمشي في ظاهر البيوت بعد فقدٍ لها طويل، فلما رآها بكى

حتى سقط على وجهه مغشياً عليه، فانصرفت خوفاً من أهلها أن يلقوها عنده، فمكث كذلك مليا ثم أفاق وأنشأ يقول:

بكى فرحاً بليلى إذ رآها محب لا يرى حسناً سواها

لقد ظفرت يداه ونال ونال ملكاً لئن كانت تراه كما يراها

الغناء لابن المكي رملٌ بالبنصر. وفيه لعريب ثقيلٌ أول عن الهشامي. وفيه خفيف رملٍ ليزيد حوراء. وقد نسب لحنه إلى ابن المكي ولحن ابن المكي إليه.

صوت من المائة المختارة

من رواية علي بن يحيى

رب ركبٍ قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال

عصف الدهر بهم فانقرضوا وكذاك الدهر حالاً بعد حال

الشعر لعدي بن زيد العبادي، والغناء لابن محرزٍ ولحنه المختار خفيف "رملٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه خفيف رملٍ" آخر بالبنصر ابتداؤه نشيدٌ ذكر عمرو بن بانة أنه لابن طنبورة، وذكر أحمد بن المكي أنه لأبيه. وهذه الأبيات قالها عدي بن زيد العبادي على سبيل الموعظة للنعمان بن المنذر، فيقال: إنها كانت سبب دخوله في النصرانية.

عظة عدي بن زيد للنعمان بن المنذر

وتنصر النعمان

حدثني بذلك أحمد بن عمران المؤدب قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال: خرج النعمان بن المنذر إلى الصيد ومعه عدي بن زيد فمروا بشجرةٍ، فقال له عدي بن زيد: أيها الملك، أتدري ما تقول هذه الشجرة؟ قال: لا، قال تقول:

رب ركبٍ قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال

عصف الدهر بهم فانقرضوا وكذاك الدهر حالاً بعد حال

قال: ثم جاوز الشجرة فمر بمقبرةٍ، فقال له عدي: أيها الملك، أتدري ما تقول هذه المقبرة؟ قال: لا، قال تقول:

أيها الركب المخبو ن على الأرض المجدون

فكما أنتم كنا وكما نحن تكونون

فقال له النعمان: إن الشجرة والمقبرة لا يتكلمان، وقد علمت أنك إنما أردت عظتي، فما السبيل التي تدرك بها النجاة؟ قال: تدع عبادة الأوثان وتعبد الله وتدين بدين المسيح عيسى ابن مريم؛ قال: أو في هذا النجاة؟ قال: نعم فتنصر يومئذ. وقد قيل: إن هذه الفصة كانت لعدي مع النعمان الأكبر بن المنذر، وإن النعمان الذي قتله هو ابن المنذر بن النعمان الأكبر الذي تنصر. وخبر هذا "يأتي" مع أحاديث عدي.

ذكر عدي بن زيد ونسبه وقصته ومقتله

نسبه

هو عدي بن زيد بن حماد بن أيوب بن محروف بن عامر بن عصية بن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار.

عدي بن زيد لا يعد في فحول الشعراء وكان أيوب هذا فيما زعم ابن الأعرابي أول من سمي من العرب أيوب، شاعرٌ فصيحٌ من شعراء الجاهلية، وكان نصرانياً وكذلك كان أبوه وأمه وأهله، وليس ممن يعد في الفحول، وهو قروي. وكانوا قد أخذوا عليه أشياء عيب فيها. وكان الأصمعي وأبو عبيدة يقولان: عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيلٍ في النجوم يعارضها ولا يجري معها مجراها. وكذلك عندهم أمية بن أبي الصلت، ومثلهما كان عندهم من الإسلاميين الكميت والطرماح. قال العجاج: كانا يسألاني عن الغريب فأخبرهما به، ثم أراه في شعرهما وقد وضعاه في غير مواضعه؛ فقيل له: و لم ذاك؟ قال: لأنهما قرويان يصفان ما لم يريا فيضعانه في غير موضعه، وأنا بدوي أصف ما رأيت فأضعه في مواضعه. وكذلك عندهم عدي وأمية.

سبب نزول آل عدي الحيرة قال ابن الأعرابي فيما أخبرني به علي بن سليمان الأخفش عن السكري عن محمد بن حبيب عنه وعن هشام بن الكلبي عن أبيه قال: سبب نزول آل عدي بن زيد الحيرة أن جده أيوب بن محروف كان منزله اليمامة في بني امرىء القيس بن زيد مناة، فأصاب دماً في قومه فهرب فلحق بأوس بن قلامٍ أحد بني الحارث بن كعب بالحيرة. وكان بين أيوب بن محروف وبين أوس بن قلامٍ هذا نسبٌ من قبل النساء، فلما قدم عليه أيوب بن محروفٍ أكرمه وأنزله في داره، فمكث معه ما شاء الله أن يمكث، ثم إن أوساً قال له: يابن خال، أتريد المقام عندي وفي داري؟ فقال له أيوب: نعم، فقد علمت أني إن أتيت قومي وقد أصبت فيهم دماً لم أسلم، وما لي دارٌ إلا دارك آخر الدهر؛ قال أوس: إني قد كبرت وأنا خائف أن أموت فلا يعرف ولدي لك من الحق مثل ما أعرف، وأخشى أن يقع بينك وبينهم أمرٌ يقطعون فيه الرحم، فانظر أحب مكانٍ في الحيرة إليك فأعلمني به لأقطعكه أو أبتاعه لك؛ قال: وكان لأيوب صديقٌ في الجانب الشرقي من الحيرة، وكان منزل أوسٍ في الجانب الغربي، فقال له: قد أحببت أن يكون المنزل الذي تسكنيه عند منزل عصام بن عبدة أحد بني الحارث بن كعب؛ فابتاع له موضع داره بثلمثائة أوقيةٍ من ذهبٍ وأنفق عليها مائتي أوقية ذهباً. وأعطاه مائتين

من الإبل برعائها وفرساً وقينةً؛ فمكث في منزل أوس حتى هلك، ثم تحول إلى داره التي في شرقي الحيرة فهلك بها. وقد كان أيوب اتصل قبل مهلكه بالملوك الذين كانوا بالحيرة وعرفوا حقه وحق ابنه زيد بن أيوب، وثبت أيوب فلم يكن منهم ملكٌ يملك إلا ولولد أيوب منه جوائز وحملانٌ.

مقتل زيد بن أيوب

ثم إن زيد بن أيوب نكح امرأة من آل قلام فولدت له حماداً، فخرج زيد بن أيوب يوماً من الأيام يريد الصيد في ناس من أهل الحيرة وهم منتدون بحفيرٍ - المكان الذي يذكره عدي بن زيد في شعره - فانفرد في الصيد وتباعد من أصحابه، فلقيه رجلٌ من بني امرىء القيس الذين كان لهم الثأر قبل أبيه، فقال له - وقد عرف فيه شبه أيوب -: ممن الرجل؟ قال: من بني تميم، قال: من أيهم؟ قال: مرئي؛ قال له الأعرابي: وأين منزلك؟ قال: الحيرة؛ قال أمن بني أيوب أنت؟ قال: نعم، ومن أين تعرف بني ايوب؟ واستوحش من الأعرابي وذكر الثأر الذي هرب أبوه منه؛ فقال له: سمعت بهم، و لم يعلمه أنه قد عرفه؛ فقال له زيد بن أيوب: فمن أي العرب أنت؟ قال: أنا امرؤ من طيء؛ فأمنه زيدٌ وسكت عنه، ثم إن الأعرابي اغتفل زيد بن أيوب: فرماه بسهم فوضعه بين كتفيه ففلق قلبه، فلم يرم حافر دابته حتى مات؛ فلبث أصحاب زيد حتى إذا كان الليل طلبوه وقد افتقدوه وظنوا أنه قد أمعن في طلب الصيد، فباتوا يطلبونه حتى يئسوا منه، ثم غدوا في طلبه فاقتفوا أثره حتى وقفوا عليه ورأوا معه أثر راكب يسايره فاتبعوا الأثر حتى وجدوه قتيلاً، فعرفوا أن صاحب الراحلة قتله، فاتبعوه وأغدوا السير فأدركوه مساء الليلة الثانية، فصاحوا به وكان من أرمى الناس فامتنع منهم بالنبل حتى حال الليل بينهم وبينه وقد أصاب رجلاً منهم في مرجع كتفيه بسهم فلما أجنه الليل مات وأفلت الرامي، فرجعوا وقد قتل زيد بن أيوب ورجلاً آخر معه من بني الحارث بن كعب.

تولى حماد بن زيد الكتابة للنعمان الأكبر فمكث حماد في أخواله حتى أيفع ولحق بالوصفاء؛ فخرج يوماً من الأيام يلعب مع غلمان بني لحيان، فلطم اللحياني عين حماد فشجه حمادٌ، فخرج أبو اللحياني فضرب حماداً، فأتى حمادٌ أمه يبكي، فقالت له: ما شأنك؟ فقال: ضربني فلان لأن ابنه لطمني فشججته، فجزعت من ذلك وحولته إلى دار زيد بن أيوب وعلمته الكتابة في دار أبيه، فكان حمادٌ أول من كتب من بني أيوب، فخرج من أكتب الناس وطلب حتى صار كاتب الملك النعمان الأكبر، فلبث كاتباً له حتى ولد له ابنٌ من امرأة تزوجها من طيء فسماه زيداً باسم أبيه.

سبب اتصال زيد بن حماد بكسرى

وكان لحماد صديقٌ من الدهاقين العظماء يقال له فروخ ماهان، وكان محسناً إلى حمادٍ، فلما حضرت حماداً الوفاة أوصى بابنه زيدٍ إلى الدهقان، وكان من المرازبة، فأخذه الدهقان إليه فكان عنده مع ولده، وكان زيدٌ قد

حذق الكتابة والعربية قبل أن يأخذه الدهقان، فعلمه لما أخذه الفارسية فلقنها، وكان لبيباً فأشار الدهقان على كسرى أن يجعله على البريد في حوائجه، و لم يكن كسرى يفعل ذلك إلا بأولاد المرازبة، فمكث يتولى ذلك لكسرى زماناً.

تمليك زيد بن حماد على الحيرة

ثم إن النعمان النصري اللخمي هلك، فاختلف أهل الحيرة فيمن يملكونه إلى أن يعقد كسرى الأمل لرجل ينصبه، فأشار عليهم المرزبان يزيد بن حماد، فكان على الحيرة إلى أن ملك كسرى المنذر بن ماء السماء ونكح زيد بن حماد نعمة بنت ثعلبة العدوية فولدت له عدياً، وملك المنذر وكان لا يعصيه في شيء، وولد للمرزبان ابنٌ فسماه "شاهان مرد".

تعلم عدي بن زيد الفارسية

فلما تحرك عدي بن زيد وأيفع طرحه أبوه في الكتاب، حتى إذا حذق أرسله المرزبان مع ابنه "شاهان مرد" إلى كتاب الفارسية، فكان يختلف مع ابنه ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس بها وأفصحهم بالعربية وقال الشعر، وتعلم الرمي بالنشاب فخرج من الأساورة الرماة، وتعلم لعب العجم على الخيل بالصوالجة وغيرها.

اتصاله بكسرى وتوليه الكتابة له

ثم إن المرزبان وفد على كسرى ومعه ابنه "شاهان مرد" فبينما هما واقفان بين يديه إذ سقط طائران على السور فتطاعما كما يتطاعم الذكر والأنثى فجعل كل واحدٍ منقاره في منقار الآخر، فغضب كسرى من ذلك ولحقته غيرةٌ، فقال للمرزبان وابنه: ليرم كل واحدٍ منكما واحداً من هذين الطائرين، فإن قتلتماهما أدخلتكما بيت المال وملأت أفواهكما بالجوهر، ومن أخطأ منكما عاقبته؛ فاعتمد كل واحد منهما طائراً منهما ورميا فقتلاهما جميعاً، فبعثهما إلى بيت المال فملئت أفواههما جوهراً، وأثبت "شاهان مرد" وسائر أولاد المرزبان في صحابته؛ فقال فروخ ماهان عند ذلك للملك: إن عندي غلاماً من العرب مات أبوه وخلفه في حجري فربيته، فهو أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية، والملك محتاجٌ إلى مثله، فإن رأى أن يثبته في ولدي فعل؛ فقال: ادعه، فأرسل إلى عدي بن زيد، وكان جميل الوجه فائق الحسن وكانت الفرس تتبرك بالجميل الوجه، فلما كلمه وجده أظرف الناس وأحضرهم جواباً، فرغب فيه وأثبته مع ولد المرزبان.

عدي أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى فكان عدي أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، فرغب أهل الحيرة إلى عدي ورهبوه، فلم يزل بالمدائن في ديوان كسرى يؤذن له عليه في الخاصة وهو معجبٌ به قريبٌ منه، وأبوه زيد بن حماد يومئذ حي إلا أن ذكر عدي قد ارتفع وخمل ذكر أبيه، فكان عدي إذا دخل على المنذر قام جميع من عنده حتى يقعد عدي، فعلا له بذلك صيتٌ عظيمٌ، فكان إذا أراد المقام بالحيرة في منزله ومع أبيه واهله

استأذن كسرى فأقام فيهم الشهر والشهرين وأكثر وأقل.

إرسال كسرى له إلى ملك الروم ثم إن كسرى أرسل عدي بن زيد إلى ملك الروم بهدية من طرف ما عنده، فلما أتاه عدي بها أكرمه وحمله إلى عماله على البريد ليريه سعة أرضه وعظيم ملكه - وكذلك كانوا يصنعون - فمن ثم وقع عدي بدمشق، وقال فيها الشعر. فكان مما قاله بالشأم وهي أول شعر قاله فيما ذكر:

رب دارٍ بأسفل الجزع من دو ... مة أشهى إلي من جيرون

وندامى لا يفرحون بما نا ... لوا ولا يرهبون صرف المنون

قد سقيت الشمول في دار بشرٍ ... قهوةً مرةً بماء سخين

ثم كان أول ما قاله بعدها قوله:

لمن الدار تعفت بخيم ... أصبحت غيرها طول القدم

ما تبين العين من آياتها ... غير نؤيٍ مثل خط بالقلم

صالحاً قد لفها فاستوسقت ... لف بازي حماماً في سلم

تولية أهل الحيرة زيداً أبا عدي على الحيرة وإبقاء اسم الملك للمنذر قال: وفسد أمر الحيرة وعدي بدمشق حتى أصلح أبوه بينهم، لأن أهل الحيرة حين كان عليهم المنذر أرادوا قتله لأنه كان لا يعدل فيهم، وكان يأخذ من أموالهم ما يعجبه، فلما تيقن أن أهل الحيرة قد أجمعوا على قتله بعث إلى زيد بن حماد بن زيد بن أيوب، وكان قبله على الحيرة، فقال له: يا زيد أنت خليفة أبي، وقد بلغني ما أجمع عليه أهل الحيرة فلا حاجة لي في ملككم، دونكموه ملكوه من شئتم؛ فقال له زيد: إن الأمر ليس إلي، ولكني أسبر لك هذا الأمر ولا آلوك نصحاً، فلما أصبح غدا إليه الناس فحيوه تحية الملك، وقالوا له: ألا تبعث إلى عبدك الظالم - يعنون المنذر - فتريح منه رعيتك؟ فقال لهم: أولا خيرٌ من ذلك! قالوا: أشر علينا؛ قال: تدعونه على حاله فإنه من أهل بيت ملكٍ، وأنا آتيه فأخبره أن أهل الحيرة قد اختاروا رجلاً يكون أمر الحيرة إليه إلا أن يكون غزوٌ أو قتال، فلك اسم الملك وليس إليك سوى ذلك من الأمور؛ قالوا: رأيك أفضل. فأتى المنذر فأخبره بما قالوا؛ فقبل ذلك وفرح، وقال: إن لك يا زيد علي نعمةً لا أكفرها ما عرفت حق سبد - وسبد صنم كان لأهل الحيرة - فولى أهل الحيرة زيداً على كل شيء سوى اسم الملك فإنهم أقروه للمنذر. وفي ذلك يقول عدي:

نحن كنا قد علمتم قبلكم ... عمد البيت وأوتاد الإصار

قدوم عدي للحيرة وخروج المنذر للقائه قال: ثم هلك زيدٌ وابنه عدي يومئذ بالشأم. وكانت لزيدٍ ألف ناقةٍ للحمالات كان أهل الحيرة أعطوه إياها حين ولوه ما ولوه، فلما هلك أرادوا أخذها؛ فبلغ ذلك المنذر، فقال: لا، واللات والعزى لا يؤخذ مما كان في يد زيدٍ ثفروقٌ وأنا أسمع الصوت.

ففي ذلك يقول عدي بن زيد لابنه النعمان بن المنذر:

وأبوك المرء لم يشنأ به يوم سيم الخسف منا ذو الخسار

قال: ثم إن عدياً قدم المدائن على كسرى بهدية قيصر، فصادف أباه والمرزبان الذي رباه قد هلكا جميعاً، فاستأذن على كسرى في الإلمام بالحيرة فإذن له فتوجه إليها، وبلغ المنذر خبره فخرج فتلقاه في الناس ورجع معه. وعدي أنبل أهل الحيرة في أنفسهم، ولو أراد أن يملكوه لملكوه، ولكنه كان يؤثر الصيد واللهو واللعب على الملك، فمكث سنين يبدو في فصلي السنة فيقيم في جفير ويشتو بالحيرة، ويأتي المدائن في خلال ذلك فيخدم كسرى، فمكث كذلك سنين، وكان لا يؤثر على بلاد بني يربوع مبدى من مبادي العرب ولا يترل في حي من أحياء بني تميم غيرهم، وكان أخلاؤه من العرب كلهم بني جعفر، وكانت إبله في بلاد بني ضبة وبلاد بني سعد، وكذلك كان أبوه يفعل: لا يجاوز هذين الحيين بإبله.

تزوجه هند بنت النعمان

و لم يزل على حاله تلك حتى تزوج هند بنت النعمان بن المنذر، وهي يومئذ جاريةٌ حين بلغت أو كادت. وخبره يذكر في تزويجها بعد هذا.

قال ابن حبيب وذكر هشام بن الكلبي عن إسحاق بن الجصاص وحماد الراوية وأبي محمد بن السائب قال: كان لعدي بن زيد أخوان: أحدهما اسمه عمار ولقبه أبي، والآخر اسمه عمرو ولقبه سمي، وكان لهم أخ من أمهم يقال له عدي بن حنظلة من طيء، وكان أبي يكون عند كسرى، وكانوا أهل بيتٍ نصارى يكونون مع الأكاسرة، ولهم معهم أكلٌ وناحيةٌ، يقطعونهم القطائع ويجزلون صلاتهم.

جعل المنذر ابنه النعمان في حجر عدي

وكان المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان بن المنذر في حجر عدي بن زيد، فهم الذين أرضعوه وربوه، وكان للمنذر ابنٌ آخر يقال له "الأسود" أمه مارية بنت الحارث بن جلهم من تيم الرباب، فأرضعه ورباه قومٌ من أهل الحيرة يقال لهم بنو مرينا ينتسبون إلى لخم وكانوا أشرافاً. وكان للمنذر سوى هذين من الولد عشرةٌ، وكان ولده يقال لهم "الأشاهب" من جمالهم، فذلك قول أعشى بن قيس بن ثعلبة:

وبنو المنذر الأشاهب في الحي رة يمشون غدوةً كالسيوف

سعي عدي بن زيد في ولاية النعمان

ابن المنذر وسبب الخلاف بينه وبين عدي بن مرينا

وكان النعمان من بينهم أحمر أبرش قصيراً، وأمه سلمى بنت وائل بن عطية الصائغ من أهل فدك، فلما احتضر المنذر وخلف أولاده العشرة، وقيل: بل كانوا ثلاثة عشر، أوصى بهم إلى إياس بن قبيصة الطائي، وملكه على الحيرة إلى أن يرى كسرى رأيه، فمكث عليها أشهراً وكسرى في طلب رجل يملكه عليهم، وهو كسرى بن هرمز، فلم يجد أحداً يرضاه فضجر فقال: لأبعثن إلى الحيرة اثني عشر ألفاً من الأساورة، ولأملكن عليهم رجلاً من الفرس، ولآمرنهم أن ينزلوا على العرب في دورهم ويملكوا عليهم أموالهم ونساءهم، وكان عدي بن زيد واقفاً بين يديه، فأقبل عليه وقال: ويحك يا عدي: من بقي من آل المنذر؟ وهل فيهم أحدٌ فيه خيرٌ؟ فقال: نعم أيها الملك السعيد، إن في ولد المنذر لبقية وفيهم كلهم خيرٌ، فقال: ابعث إليهم فأحضرهم، فبعث عدي إليهم فأحضرهم وأنزلهم جميعاً عنده، ويقال: بل شخص عدي بن زيد إلى الحيرة حتى خاطبهم بما أراد وأوصاهم، ثم قدم بهم على كسرى. قال: فلما نزلوا على عدي بن زيد أرسل إلى النعمان: لست أملك غيرك فلا يوحشنك ما أفضل به إخوتك عليك من الكرامة فإني إنما أغترهم بذلك، ثم كان يفضل إخوته جميعاً عليه في النزل والإكرام والملازمة ويريهم تنقصاً للنعمان وأنه غير طامعٍ في تمام أمر على يده، وجعل يخلو بهم رجلاً رجلاً فيقول: إذا أدخلتكم على الملك فالبسوا أفخر ثيابكم وأجملها، وإذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا فتباطئوا في الأكل وصغروا اللقم ونزروا ما تأكلون، فإذا قال لكم: أتكفونني العرب؟ فقولوا: نعم، فإذا قال لكم: فإن شذ أحدكم عن الطاعة وأفسد، أتكفوننيه؟ فقولوا: لا، إن بعضنا لا يقدر على بعض، ليهابكم ولا يطمع في تفرقكم ويعلم أن للعرب منعةً وبأساً فقبلوا منه، وخلا بالنعمان فقال له: البس ثياب السفر وادخل متقلداً بسيفك، وإذا جلست للأكل فعظم اللقم وأسرع المضغ والبلع وزد في الأكل وتجوع قبل ذلك، فإن كسرى يعجبه كثرة الأكل من العرب خاصةً، ويرى أنه لا خير في العربي إذا لم يكن أكولاً شرهاً، ولاسيما إذا رأى غير طعامه وما لا عهد له بمثله، وإذا سألك هل تكفيني العرب؟ فقل: نعم، فإذا قال لك: فمن لي بإخوتك؟ فقل له: إن عجزت عنهم فإني عن غيرهم لأعجز. قال: وخلا ابن مرينا بالأسود فسأله عما أوصاه به عدي فأخبره، فقال: غشك والصليب والمعمودية وما نصحك، لئن أطعتني لتخالفن كل ما أمرك به ولتملكن، ولئن عصيتني ليملكن النعمان ولا يغرنك ما أراكه من الإكرام والتفضيل على النعمان، فإن ذلك دهاء فيه ومكر، وإن هذه المعدية لا تخلو من مكرٍ وحيلةٍ، فقال له: إن عدياً لم يألني نصحاً وهو أعلم بكسرى منك، وإن خالفته أوحشته وأفسد علي وهو جاء بنا ووصفنا وإلى قوله يرجع كسرى، فلما أيس ابن مرينا من قبوله منه قال: ستعلم. ودعا بهم كسرى، فلما دخلوا عليه أعجبه جمالهم وكمالهم ورأى رجالاً قلما رأى مثلهم، فدعا لهم بالطعام ففعلوا ما أمرهم به عدي، فجعل ينظر إلى النعمان من بينهم ويتأمل أكله، فقال لعدي بالفارسية: إن لم يكن في أحد منهم خيرٌ ففي هذا، فلما غسلوا أيديهم جعل يدعو بهم رجلاً رجلاً فيقول له: أتكفيني العرب؟ فيقول: نعم أكفيكها كلها إلا إخوتي، حتى انتهى النعمان آخرهم فقال له: أتكفيني العرب؟ قال: نعم قال: كلها؟ قال: نعم، قال: فكيف لي

بإخوتك؟ قال: إن عجزت عنهم فأنا عن غيرهم أعجز، فملكه وخلع عليه وألبسه تاجاً قيمته ستون ألف درهم فيه اللؤلؤ والذهب.

توعد عدي بن مرينا لعدي بن زيد

بأن يهجوه ويبغيه الغوائل ما بقي

فلما خرج وقد ملك قال ابن مرينا للأسود: دونك عقبى خلافك لي!. ثم إن عدياً صنع طعاماً في بيعةٍ وأرسل إلى ابن مرينا أن ائتني بمن أحببت فإن لي حاجةً فأتى في ناس فتغدوا في البيعة، فقال عدي بن زيد لابن مرينا: يا عدي، إن أحق من عرف الحق ثم لم يلم عليه من كان مثلك، وإني قد عرفت أن صاحبك الأسود بن المنذر كان أحب إليك أن يملك من صاحبي النعمان، فلا تلمني على شيء كنت على مثله، وأنا أحب ألا تحقد علي شيئاً لو قدرت عليه ركبته، وأنا أحب أن تعطيني من نفسك ما أعطيت من نفسي، فإن نصيبي في هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك، وقام إلى البيعة فحلف ألا يهجوه أبداً ولا يبغيه غائلة؛ ولا يزوي عنه خيراً، أبداً فلما فرغ عدي بن زيد، قام عدي بن مرينا فحلف مثل عينه ألا يزال يهجوه أبداً ويبغيه الغوائل ما بقي. وخرج النعمان حتى نزل منزل أبيه بالحيرة، فقال عدي بن مرينا لعدي بن زيد:

ألا أبلغ عديا عن عدي	فلا تجزع وإن رثت قواكا
هياكلنا تبر لغير فقرٍ	لتحمد أو يتم به غناكا
فإن تظفر فلم تظفر حميداً	وإن تعطب فلا يبعد سواكا
ندمت ندامة الكسعي لما	رأت عيناك ما صنعت يداكا

تدبير عدي بن مرينا المكيدة لعدي

قال: ثم قال عدي بن مرينا للأسود: أما إذا لم تظفر فلا تعجزن أن تطلب بثأرك من هذا المعدي الذي فعل بك ما فعل، فقد كنت أخبرك أن معداً لا ينام كيدها ومكرها وأمرتك أن تعصيه فخالفتني، قال: فما تريد؟ قال: أريد ألا تأتيك فائدةٌ من مالك وأرضك إلا عرضتها علي ففعل. وكان ابن مرينا كثير المال والضيعة، فلم يكن في الدهر يومٌ يأتي إلا على باب النعمان هديةٌ من ابن مرينا، فصار من أكرم الناس عليه حتى كان لا يقضي في ملكه شيئاً إلا بأمر ابن مرينا، وكان إذا ذكر عدي بن زيد عند النعمان أحسن الثناء عليه وشيع ذلك بأن يقول: إن عدي بن زيد فيه مكر وخديعة، والمعدي لا يصلح إلا هكذا. فلما رأى من يطيف بالنعمان منزلة ابن مرينا عنده لزموه وتابعوه، فجعل يقول لمن يثق به من أصحابه: إذا رأيتموني أذكر عدياً عند الملك بخير فقولوا: إنه لكذلك، ولكنه لا يسلم عليه أحدٌ وإنه ليقول: إن الملك - يعني النعمان - عامله، وإنه هو ولاه ما ولاه، فلم يزالوا بذلك

حتى أضغنوه عليه، فكتبوا كتاباً على لسانه إلى قهرمانٍ له ثم دسوا إليه حتى أخذوا الكتاب منه وأتوا به النعمان فقرأه فاشتد غضبه، فأرسل إلى عدي بن زيد:

حبس النعمان لعدي بن زيد

وما خاطب به عدي النعمان من الشعر

عزمت عليك إلا زرتني فإني قد اشتقت إلى رؤيتك، وعدي يومئذ عند كسرى، فاستأذن كسرى فأذن له. فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه في محبسٍ لا يدخل عليه فيه أحدٌ، فجعل عدي يقول الشعر وهو في الحبس، فكان أول ما قاله وهو محبوس من الشعر:

ليت شعري عن الهمام ويأتي ... ك بخبر الأنباء عطف السؤال

أين عنا إخطارنا المال والأنف ... س إذ ناهدوا ليوم المحال

ونضالي في جنبك الناس يرمو ... ن وأرمي وكلنا غير آلي

فأصيب الذي تريد بلا غشٍ ... وأربي عليهم وأوالي

ليت أني أخذت حتفي بكفي ... ولم ألق ميتة الأقتال

محلوا محلهم لصرعتنا العا ... م فقد أوقعوا الرحا بالثفال

وهي قصيدة طويلة. قالوا وقال أيضاً وهو محبوس:

أرقت لمكفهرٍ بات فيه ... بوارق يرتقين رؤوس بشيب

تلوح المشرفية ذراه ... ويجلو صفح دخدارٍ قشيب

ويروي: تخال المشرفية. والدخدار: فارسية معربة وهو الثوب المصون. يقول فيها:

سعى الأعداء لا يألون شراً ... علي ورب مكة والصليب

أرادوا كي تمهل عن عدي ... ليسجن أو يدهده في القليب

وكنت لزاز خصمك لم أعرد ... وقد سلكوك في يومٍ عصيب

أعالنهم وأبطن كل سر ... كما بين اللحاء إلى العسيب

ففزت عليهم لما التقينا ... بتاجك فوزة القدح الأريب

وما دهري بأن كدرت فضلاً ... ولكن ما لقيت من العجيب

ألا من مبلغ النعمان عني ... وقد تهدى النصيحة بالمغيب

أحظي كان سلسلةً وقيداً ... وغلا والبيان لدى الطيب

أتاك بأنني قد طال حبسي ... ولم تسأم بمسجونٍ حريب

وبيتي مقفرٌ إلا نساءً ... أرامل قد هلكن من النحيب

يبادرن الدموع على عدي ... كشن خانه خرز الربيب

يحاذرن الوشاة على عدي ... وما اقترفوا عليه من الذنوب

فإن أخطأت أو أوهمت أمراً ... فقد يهم المصافي بالحبيب

وإن أظلم فقد عاقبتموني ... وإن أظلم فذلك من نصيبي

وإن أهلك تجد فقدي وتخذل ... إذا التقت العوالي في الحروب

فهل لك أن تدارك ما لدينا ... ولا تغلب على الرأي المصيب

فإني قد وكلت اليوم أمري ... إلى رب قريبٍ مستجيب

قالوا: وقال فيه أيضاً:

طال ذا الليل علينا واعتكر ... وكأني ناذر الصبح سمر

من نجي الهم عندي ثاوياً ... فوق ما أعلن منه وأسر

وكأن الليل فيه مثله ... ولقد ما ظن بالليل القصر

لم أغمض طوله حتى انقضى ... أتمنى لو أرى الصبح جشر

غير ما عشقٍ ولكن طارقٌ ... خلس النوم وأجداني السهر

وفيها يقول:

أبلغ النعمان عني مالكاً ... قول من قد خاف ظناً فاعتذر

أنني والله، فاقبل حلفي ... لأبيلٌ كلما صلى جأر

مرعدٌ أحشاؤه في هيكلٍ ... حسن لمته وافي الشعر

ما حملت الغل من أعدائكم ... ولدى الله من العلم المسر

لا تكونن كآسي عظمه ... بأساً حتى إذا العظم جبر

عاد بعد الجبر يبغي وهنه ... ينحنون المشي منه فانكسر

واذكر النعمى التي لم أنسها ... لك في السعي إذا العبد كفر

وقال له أيضاً - وهي قصيدة طويلة -:

أبلغ النعمان عني مألكاً ... أنه قد طال حبسي وانتظاري

لو بغير الماء حلقي شرقٌ ... كنت كالغصان بالماء اعتصاري

ليت شعري عن دخيلٍ يفتري ... حيثما أدرك ليلي ونهاري

قاعداً يكرب نفسي بثها ... وحراماً كان سجني واحتصاري

أجل نعمى ربها أولكم ... ودنوي كان منكم واصطهاري

في قصائد كثيرةٍ كان يقولها فيه، ويكتب بها إليه فلا تغني عنده شيئاً. "هذه رواية الكلبي".

رواية المفضل الضبي في سبب ذلك

وأما المفضل الضبي فإنه ذكر أن عدي بن زيد لما قدم على النعمان صادفه لا مال ولا أثاث ولا ما يصلح لملكٍ، وكان آدم إخوته منظراً وكلهم أكثر مالاً منه، فقال له عدي: كيف أصنع بك ولا مال عندك! فقال له النعمان: ما أعرف لك حيلةً إلا ما تعرفه أنت، فقال له: قم بنا نمض إلى ابن قردس - رجلٍ من أهل الحيرة من دومة - فأتياه ليقترضا منه مالاً، فأبى أن يقرضهما وقال: ما عندي شيء فأتيا جابر بن شمعون وهو الأسقف أحد بني الأوس بن قلام بن بطين بن جمهير بن لحيان من بني الحارث بن كعب فاستقرضا منه مالاً، فأنزلهما عنده ثلاثة أيام يذبح لهم ويسقيهم الخمر، فلما كان في اليوم الرابع قال لهما: ما تريدان؟ فقال له عدي: تقرضنا أربعين ألف درهم يستعين بها النعمان على أمره عند كسرى، فقال: لكما عندي ثمانون ألفاً، ثم أعطاهما إياها، فقال النعمان لجابر: لا جرم لا جرى لي درهمٌ إلا على يديك إن أنا ملكت. قال: وجابر هو صاحب القصر الأبيض بالحيرة، ثم ذكر من قصة النعمان وإخوته وعدي وابن مرينا مثل ما ذكره ابن الكلبي. وقال المفضل خاصةً: إن سبب حبس النعمان عدي بن زيد، أن عدياً صنع ذات يوم طعاماً للنعمان، وسأله أن يركب إليه ويتغدى عنده هو وأصحابه، فركب النعمان إليه فاعترضه عدي بن مرينا فاحتبسه حتى تغدى عنده هو وأصحابه وشربوا حتى ثملوا، ثم ركب إلى عدي ولا فضل فيه، فأحفظه ذلك، ورأى في وجه عدي الكراهة فقام فركب ورجع إلى منزله، فقال عدي بن زيد في ذلك من فعل النعمان:

أحسبت مجلسنا وحس ... ن حديثنا يودي بمالك

فالمال والأهلون مص ... رعةٌ لأمرك أو نكالك

ما تأمرن فينا فأم ... رك في يمينك أو شمالك

قال: وأرسل النعمان ذات يوم إلى عدي بن زيد فأبى أن يأتيه ثم أعاد رسوله فأبى أن يأتيه، وقد كان النعمان شرب فغضب وأمر به فسحب من منزله حتى انتهي به إليه، فحبسه في الصنين ولج في حبسه وعدي يرسل إليه بالشعر، فمما قاله له:

ليس شيءٌ على المنون بباق ... غير وجه المسبح الخلاق
إن نكن آمنين فاجأنا شر ... مصيبٌ ذا الود والإشفاق
فبريءٌ صدري من الظلم ... للرب وحنثٍ بمعقد الميثاق
ولقد ساءني زيارة ذي قر ... بى حبيبٍ لودنا مشتاق
ساءه ما بنا تبين في الأي ... دي وإشناقها إلى الأعناق
فاذهبي يا أميم غير بعيدٍ ... لا يؤاتي العناق من في الوثاق
واذهبي يا أميم إن يشأ الله ... ينفس من أزم هذا الخناق
أو تكن وجهةٌ فتلك سبيل النا ... س لا تمنع الحتوف الرواقي

ويقول فيها:

وتقول العداة أودى عدي ... وبنوه قد أيقنوا بغلاق
يا أبا مسهرٍ فأبلغ رسولا ... إخوتي إن أتيت صحن العراق
أبلغا عامراً وأبلغ أخاه ... أنني موثقٌ شديدٌ وثاقي
في حديد القسطاس يرقبني الحا ... رس والمرء كل شيءٍ يلاقي
في حديدٍ مضاعف وغلولٍ ... وثيابٍ منضحاتٍ خلاق
فاركبوا في الحرام فكوا أخاكم ... إن عيراً قد جهزت لانطلاق

يعني الشهر الحرام. قالوا جميعاً: وخرج النعمان إلى البحرين، فأقبل رجلٌ من غسان فأصاب في الحيرة ما أحب، ويقال: إنه جفنة بن النعمان الجفني، فقال عدي بن زيد في ذلك:

سما صقرٌ فأشعل جانبيها ... وألهاك المروح والعزيب

المروح: الإبل المروحة إلى أعطانها. والعزيب: ما ترك في مراعيه.

وثبن لدى الثوية ملجماتٍ ... وصبحن العباد وهن شيب
ألا تلك الغنيمة لا إفالٌ ... ترجيها مسومة ونيب
ترجيها وقد صابت بقرٍّ ... كما ترجو أصاغرها عتيب

لما طال سجنه كتب إلى أخيه

في ذلك شعرا فأجابه

وقالوا جميعاً: فلما طال سجن عدي بن زيد كتب إلى أخيه أُبي وهو مع كسرى بهذا الشعر:

ابلغ أبياً على نأيه ... وهل ينفع المرء ما قد علم

بأن أخاك شقيق الفؤا ... د كنت به واثقاً ما سلم

لدى ملكٍ موثقٌ في الحد ... يدإما بحق وإما ظلم

فلا أعرفنك كذات الغلام ... ما لم تجد عارماً تعترم

فأرضك أرضك إن تأتينا ... تتم نومةً ليس فيها حلم

قال: فكتب إليه أخوه أبي:

إن يكن خانك الزمان فلا عا ... جز باعٍ ولا ألف ضعيف

ويمين الإله لو أن جأوا ... ء طحونا تضيء فيها السيوف

ذات رز مجتابةً غمرة المو ... ت صحيح سربالها مكفوف

كنت في حميها لجئتك أسعى ... فاعلمن لو سمعت إذ تستضيف

أو بمالٍ سألت دونك لم يم ... نع تلادٌ لحاجةٍ أو طريف

أو بأرضٍ أسطيع آتيك فيها ... لم يهلني بعدٌ بها أو مخوف

إن تفتني والله إلفاً فجوعاً ... لا يعقبك ما يصوب الخريف

في الأعادي وأنت مني بعيدٌ ... عز هذا الزمان والتعنيف

ولعمري لئن جزعت عليه ... لجزوعٌ على الصديق أسوف

ولعمري لئن ملكت عزائي ... لقليلٌ شرواك فيما أطوف

أمر كسرى النعمان بإطلاق عدي فقتله

قبل وصول الرسول إليه

قالوا جميعاً: فلما قرأ أبي كتاب عدي قام إلى كسرى فكلمه في أمره وعرفه خبره، فكتب إلى النعمان يأمره بإطلاقه، وبعث معه رجلاً، وكتب خليفة النعمان إليه: إنه كتب إليك في أمره، فأتى النعمان أعداء عدي من بني بقيلة وهم من غسان، فقالوا له: اقتله الساعة فأبى عليهم، وجاء الرسول، وقد كان أخو عدي تقدم إليه ورشاه

وأمره أن يبدأ بعدي فيدخل إليه محبوس بالصنين، فقال له: ادخل عليه فانظر ما يأمرك به فامتثله، فدخل الرسول على عدي، فقال له: إني قد جئت بإرسالك، فما عندك؟ قال: عندي الذي تحب ووعده بعدةٍ سنية، وقال له: لا تخرجن من عندي وأعطني الكتاب حتى أرسله إليه، فإنك والله إن خرجت من عندي لأقتلن، فقال: لا أستطيع إلا أن آتي الملك بالكتاب فأوصله إليه، فانطلق بعض من كان هناك من أعدائه فأخبر النعمان أن رسول كسرى دخل على عدي وهو ذاهبٌ به، وإن فعل والله لم يستبق منا أحداً أنت ولا غيرك، فبعث إليه النعمان أعداءه فغموه حتى مات ثم دفنوه. ودخل الرسول إلى النعمان فأوصل الكتاب إليه، فقال: نعم وكرامةً، وأمر له بأربعة آلاف مثقال ذهباً وجاريةٍ حسناء، وقال له: إذا أصبحت فادخل أنت بنفسك فأخرجه، فلما أصبح ركب فدخل السجن، فأعلمه الحرس أنه قد مات منذ أيامٍ و لم نجترىء على إخبار الملك خوفاً منه، وقد عرفنا كراهته لموته. فرجع إلى النعمان، وقال له: إني كنت أمس دخلت على عدي. وهو حي، وجئت اليوم فجحدني السجان وبهتني، وذكر أنه قد مات منذ أيام. فقال له النعمان: أيبعث بك الملك إلي فتدخل إليه قبلي! كذبت، ولكنك أردت الرشوة والخبث، فتهدده ثم زاده جائزة وأكرمه، وتوثق منه ألا يخبر كسرى إلا أنه قد مات قبل أن يقدم عليه. فرجع الرسول إلى كسرى، وقال: إني وجدت عدياً قد مات قبل أن أدخل عليه. وندم النعمان على قتل عدي وعرف أنه احتيل عليه في أمره، واجترأ عليه وهابهم هيبةً شديدةً.

مدح النعمان لدى كسرى زيدا

بن عدي فاتخذه كاتبا

ثم إنه خرج إلى صيده ذات يوم فلقي ابناً لعدي يقال له زيد، فلما رآه عرف شبهه، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا زيد بن عدي بن زيد، فكلمه فإذا غلامٌ ظريفٌ، ففرح به فرحاً شديداً وقربه وأعطاه ووصله واعتذر إليه من أمر أبيه وجهزه، ثم كتب إلى كسرى: إن عدياً كان ممن أعين به الملك في نصحه ولبه، فأصابه ما لابد منه وانقطعت مدته وانقضى أجله، و لم يصب به أحدٌ أشد من مصيبتي، وأما الملك فلم يكن ليفقد رجلاً إلا جعل الله له منه خلفاً لما عظم الله من ملكه وشأنه، وقد بلغ ابن له ليس بدونه، رأيته يصلح لخدمة الملك فسرحته إليه، فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه فليفعل وليصرف عمه عن ذلك إلى عملٍ آخر. وكان هو الذي يلي المكاتبة عن الملك إلى ملوك العرب في أمورها وفي خواص أمور الملك. وكانت له من العرب وظيفةٌ موظفةٌ في كل سنة: مهران أشقران يجعلان له هلاماً، والكمأة الرطبة في حينها واليابسة والأقط والأدم وسائر تجارات العرب، فكان زيد بن عدي يلي ذلك له وكان هذا عمل عدي. فلما وقع زيد بن عدي عند الملك هذا الموقع سأله كسرى عن النعمان، فأحسن الثناء عليه. ومكث على ذلك سنواتٍ على الأمر الذي كان أبوه عليه. وأعجب به كسرى، فكان يكثر الدخول عليه والخدمة له.

كيد زيد للنعمان عند كسرى

حتى غضب عليه فقتله

وكانت لملوك العجم صفةٌ من النساء مكتوبةٌ عندهم، فكانوا يبعثون في تلك الأرضين بتلك الصفة، فإذا وجدت حملت إلى الملك، غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض العرب ولا يظنونها عندهم. ثم إنه بدا للملك في طلب تلك الصفة، وأمر فكتب بها إلى النواحي، ودخل إليه زيد بن عدي وهو في ذلك القول، فخاطبه فيما دخل إليه فيه، ثم قال: إني رأيت الملك قد كتب في نسوة يطلبن له وقرأت الصفة وقد كنت بآل المنذر عارفاً، وعند عبدك النعمان من بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة، قال: فاكتب فيهن، قال: أيها الملك، إن شر شيء في العرب وفي النعمان خاصةً أنهم يتكرمون - زعموا في أنفسهم - عن العجم، فأنا أكره أن يغيبهن عمن تبعث إليه أو يعرض عليه غيرهن، وإن قدمت أنا عليه لم يقدر على ذلك، فابعثني وابعث معي رجلاً من ثقاتك يفهم العربية حتى أبلغ ما تحبه، فبعث معه رجلاً جلداً فهماً، فخرج به زيد، فجعل يكرم الرجل ويلطفه حتى بلغ الحيرة، فلما دخل عليه أعظم الملك وقال: إنه قد احتاج إلى نساء لنفسه وولده وأهل بيته، وأراد كرامتك بصهره فبعث إليك، فقال: ما هؤلاء النسوة؟ فقال: هذه صفتهن قد جئنا بها. وكانت الصفة أن المنذر الأكبر أهدى إلى أنوشروان جاريةً كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني، فكتب إلى أنوشروان بصفتها، وقال: إني قد وجهت إلى الملك جاريةً معتدلة الخلق، نقية اللون والثغر، بيضاء قمراء وطفاء كحلاء دعجاء حوراء عيناء قنواء شماء برجاء زجاء أسيلة الخد، شهية المقبل، جثلة الشعر، عظيمة الهامة، بعيدة مهوى القرط، عيطاء، عريضة الصدر، كاعب الثدي، ضخمة مشاش المنكب والعضد، حسنة المعصم، لطيفة الكف، سبطة البنان، ضامرة البطن، خميصة الخصر، غرثى الوشاح، رداح الأقبال، رابية الكفل، لفاء الفخذين، ريا الروادف، ضخمة المأكمتين، مفعمة الساق، مشبعة الخلخال، لطيفة الكعب والقدم، قطوف المشي، مكسال الضحى، بضة المتجرد، سموعاً للسيد، ليست بخنساء ولا سفعاء، رقيقة الأنف، عزيزة النفس، لم تغذ في بؤسٍ، حييةً رزينةً، حليمةً ركينةً، كريمة الخال، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها، وتستغني بفصيلتها دون جماع قبيلتها، قد أحكمتها الأمور في الأدب، فرأيها رأي أهل الشرف، وعملها عمل أهل الحاجة، صناع الكفين، قطيعة اللسان ورهو الصوت ساكنته، تزين الولي، وتشين العدو، إن أردتها اشتهت، وإن تركتها انتهت، تحملق عيناها، وتحر وجنتاها، وتذبذب شفتاها، وتبادرك الوثبة إذا قمت، ولا تجلس إلا بأمرك إذا جلست. قال: فقبلها أنوشروان وأمر بإثبات هذه الصفة في دواوينه، فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز. فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان، فشقت عليه؛ وقال لزيد والرسول يسمع: أما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته! فقال الرسول لزيد بالفارسية: ما المها والعين؟ فقال له بالفارسية: كاوان أي البقر؛ فأمسك الرسول. وقال زيد للنعمان: إنما أراد الملك كرامتك، ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به. فأنزلهما يومين عنده، ثم كتب إلى كسرى: إن الذي طلب الملك ليس عندي، وقال لزيد: اعذرني عند الملك. فلما رجعا إلى كسرى؛ قال زيدٌ للرسول الذي قدم معه: اصدق الملك عما سمعت، فإني سأحدثه بمثل حديثك

ولا أحالفك فيه. فلما دخلا على كسرى، قال زيدٌ: هذا كتابه إليك، فقرأه عليه. فقال له كسرى: وأين الذي كنت خبرتني به؟ قال: قد كنت خبرتك بضنتهم بنسائهم على غيرهم، وإن ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعري على الشبع والرياش، وإيثارهم السموم والرياح على طيب أرضك هذه، حتى إنهم ليسمونها السجن، فسل هذا الرسول الذي كان معي عما قال، فإني أكرم الملك عن مشافهته بما قال وأجاب به. قال للرسول: وما يقال! أيها الملك، إنه قال: أما كان في بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا، فعرف الغضب في وجهه، ووقع في قلبه منه ما وقع، لكنه لم يزد على أن قال: رب عبدٍ قد أراد ما هو أشد من هذا ثم صار أمره إلى التباب. وشاع هذا الكلام حتى بلغ النعمان، وسكت كسرى أشهراً على ذلك.

النعمان يسلم نفسه لكسرى

وجعل النعمان يستعد ويتوقع حتى أتاه كتابه: أن أقبل فإن للملك حاجةً إليك، فانطلق حين أتاه كتابه فحمل سلاحه وما قوي عليه، ثم لحق بجبلي طي وكانت فرعة بنت سعد بن حارثة بن لأم عنده، وقد ولدت له رجلاً وامرأة، وكانت أيضاً عنده زينب بنت أوس بن حارثة، فأراد النعمان طيئاً على أن يدخلوه الجبلين ويمنعوه فأبوا ذلك عليه، وقالوا له: لولا صهرك لقتلناك، فإنه لا حاجة بنا إلى معاداة كسرى، ولا طاقة لنا به. وأقبل يطوف على قبائل العرب ليس أحدٌ منهم يقبله، غير أن بني رواحة بن قطيعة بن عبسٍ قالوا: إن شئت قاتلنا معك، لمنةٍ كانت له عندهم في أمر مروان القرظ، قال: ما أحب أن أهلككم، فإنه لا طاقة لكم بكسرى. فأقبل حتى نزل بذي قارٍ في بني شيبان سراً، فلقي هانىء بن قبيصة، وقيل بل هانىء بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، وكان سيداً منيعاً، والبيت يومئذ من ربيعة في آل ذي الجدين لقيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجدين، وكان كسرى قد أطعم قيس بن مسعود الأبلة، فكره النعمان أن يدفع إليه أهله لذلك، وعلم أن هانئاً يمنعه مما يمنع منه نفسه.

وقال حماد الراوية في خبره: إنه إنما استجار بهانىء كما استجار بغيره فأجاره، وقال له: قد لزمني ذمامك وأنا مانعك مما أمنع نفسي وأهلي وولدي منه ما بقي من عشيرتي الأدنين رجلٌ، وإن ذلك غير نافعك لأنه مهلكي ومهلكك، وعندي رأيٌ لك، لست أشير به عليك لأدفعك عما تريده من مجاورتي ولكنه الصواب؛ فقال: هاته؛ فقال: إن كل أمر يجمل بالرجل أن يكون عليه إلا أن يكون بعد الملك سوقة، والموت نازلٌ بكل أحدٍ، ولأن تموت كريماً خيرٌ من أن تتجرع الذل أو تبقى سوقة بعد الملك، هذا إن بقيت، فأمض إلى صاحبك وارسل إليه هدايا ومالاً وألق نفسك بين يديه، فإما أن صفح عنك فعدت ملكاً عزيزاً، وإما أن أصابك فالموت خيرٌ من أن يتلعب بك صعاليك العرب ويتخطفك ذئابها وتأكل مالك وتعيش فقيراً مجاوراً أو تقتل مقهوراً؛ فقال: كيف بحرمي؟ قال: هن في ذمتي، لا يخلص إليهن حتى يخلص إلى بناتي؛ فقال: هذا وأبيك الرأي الصحيح، ولن أجاوزه. ثم اختار خيلاً وحللاً من عصب اليمن وجوهراً وطرقاً كانت عنده، ووجه بها إلى كسرى وكتب إليه

يعتذر ويعلمه أنه صائرٌ إليه، ووجه بها مع رسوله، فقبلها كسرى وأمره بالقدوم؛ فعاد إليه الرسول فأخبره بذلك وأنه لم ير له عند كسرى سوءاً. فمضى إليه حتى إذا وصل إلى المدائن لقيه زيد بن عدي على قنطرة ساباط، فقال له: انج نعيم، إن استطعت النجاء؛ فقال له: أفعلتها يا زيد! أما والله، لئن عشت لك لأقتلنك قتلةً لم يقتلها عربي قط ولألحقنك بأبيك! فقال له زيد: امض لشأنك نعيم، فقد والله أخيت لك أخيه لا يقطعها المهر الأرن.

وصول النعمان لكسرى وموته

فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه، فقيده وبعث به إلى سجن كان له بخانقين، فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه.

وقال حمادٌ الراوية والكوفيون: بل مات بساباط في حبسه. وقال ابن الكلبي: ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات، واحتجوا بقول الأعشى:

فذاك وما أنجى من الموت ربه　　بساباط حتى مات وهو محزرق

قال: المحزق: المضيق عليه. وأنكر هذا من زعم أنه مات بخانقين، وقالوا: لم يزل محبوساً مدة طويلة، وإنه إنما مات بعد ذلك بحينٍ قبيل الإسلام، وغضبت له العرب حينئذ، وكان قتله سبب وقعه ذي قارٍ.

عدي بن زيد وهند بنت النعمان أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح وأخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال قال علي بن الصباح حدثني هشام بن الكلبي عن أبيه قال: كان عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب الشاعر العبادي يهوى هند بنت النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرىء القيس بن النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم وهو مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ولها يقول:

علق الأحشاء من هندٍ علق　　مستسرٌ فيه نصبٌ وأرق

وهي قصيدةٌ طويلةٌ. وفيها أيضاً يقول:

من لقلب دنفٍ أو معتمد　　قد عصى كل نصوحٍ ومغد

وهي طويلة. وفيها أيضاً يقول:

يا خليلي يسرا التعسيرا　　ثم روحا فهجرا تهجيرا

عرجا بي على ديارٍ لهندٍ　　ليس أن عجتما المطي كبيرا

قصة تزوجه بهند

قال ابن الكلبي: وقد تزوجها عدي. وقال ابن أبي سعد، وذكر ذلك خالد ابن كلثوم أيضاً قالا: كان سبب عشقه إياها أن هنداً كانت من أجمل نساء أهلها وزمانها، وأمها مارية الكندية؛ فخرجت في خميس الفصح، وهو بعد السعانين بثلاثة أيام، تتقرب في البيعة، ولها حينئذ إحدى عشرة سنةً، وذلك في ملك المنذر؛ وقد قدم عدي حينئذ بهديةٍ من كسرى إلى المنذر، والنعمان يومئذ فتى شاب، فاتفق دخولها البيعة وقد دخلها عدي ليتقرب، وكانت مديدة القامة عبلة الجسم، فرآها عدي وهي غافلةٌ فلم تنتبه له حتى تأملها، وقد كان جواريها رأين عديا وهو مقبلٌ فلم يقلن لها ذلك، كي يراها عدي، وإنما فعلن هذا من أجل أمةٍ لهند يقال لها مارية، وقد كانت أحبت عدياً فلم تدر كيف تأتي له. فلما رأت هند عدياً ينظر إليها شق ذلك عليها، وسبت جواريها ونالت بعضهن بضرب؛ فوقعت هند في نفس عدي، فلبث حولاً لا يخبر بذلك أحداً. فلما كان بعد حولٍ وظنت مارية أن هنداً قد أضربت عما جرى وصفت لها بيعة دومة - وقال خالد بن كلثومٍ: بيعة توما وهو الصحيح - ووصفت لها من فيها من الرواهب، ومن يأتيها من جواري الحيرة، وحسن بنائها وسرجها؛ وقالت لها: سلي أمك الإذن لك في إتيانها، فسألتها ذلك فأذنت لها، وبادرت مارية إلى عدي فأخبرته الخبر فبادر فلبس يلمقاً كان "فرخانشاه مرد" قد كساه إياه وكان مذهباً لم ير مثله حسناً، وكان عدي حسن الوجه، مديد القامة، حلو العينين، حسن المبسم، نقي الثغر. وأخذ معه جماعةً من فتيان الحيرة، فدخل البيعة؛ فلما رأته مارية قالت لهند: انظري إلى هذا الفتى! فهو والله أحسن من كل ما ترين من السرج وغيرها! قالت: ومن هو؟ قالت: عدي بن زيد؛ قالت: أتخافين أن يعرفني إن دنوت منه لأراه من قريب؟ قالت: ومن أين يعرفك وما رآك قط من حيث يعرفك! فدنت منه وهو يمازح الفتيان الذين معه وقد برع عليهم بجماله، وحسن كلامه وفصاحته، وما عليه من الثياب، فذهلت لما رأته وبهتت تنظر إليه. وعرفت مارية ما بها وتبينته في وجهها، فقالت لها: كلميه، فكلمته، وانصرفت وقد تبعته نفسها وهويته، وانصرف بمثل حالها. فلما كان الغد تعرضت له مارية، فلما رآها هش لها، وكان قبل ذلك لا يكلمها، وقال لها: ما غدا بك؟ قالت: حاجةٌ إليك، قال: اذكريها، فوالله لا تسأليني شيئاً إلا أعطيتك إياه، فعرفته أنها تهواه، وأن حاجتها الخلوة به على أن تحتال له في هند، وعاهدته على ذلك؛ فأدخلها حانوت خمارٍ في الحيرة ووقع عليها، ثم خرجت فأتت هنداً، فقالت: أما تشتهي أن تري عدياً؟ قالت: وكيف لي به؟ قالت: أعده مكان كذا وكذا في ظهر القصر وتشرفين عليه؛ قالت: افعلي، فواعدته إلى ذلك المكان، فأتاه وأشرفت هند عليه، فكادت تموت، وقالت: إن لم تدخليه إلي هلكت. فبادرت الأمة إلى النعمان فأخبرته خبرها وصدقته، وذكرت أنها قد شغفت به، وأن سبب ذلك رؤيتها إياه في يوم الفصح، وأنه إن لم يزوجها به افتضحت في أمره أو ماتت؛ فقال لها: ويلك! وكيف أبدؤه بذلك! فقالت: هو أرغب في ذلك من أن تبدأه أنت، وأنا أحتال في ذلك من حيث لا يعلم أنك عرفت أمره. وأتت عدياً فأخبرته الخبر، وقالت: ادعه، فإذا أخذ الشراب منه فاخطب إليه فإنه غير رادك؛ قال: أخشى أن يغضبه ذلك فيكون سبب العدواة بيننا؛ قالت: ما قلت لك هذا حتى فرغت منه معه؛ فصنع عدي طعاماً واحتفل فيه، ثم أتى النعمان بعد الفصح بثلاثة أيام، وذلك في

يوم الإثنين، فسأله أن يتغدى عنده هو وأصحابه، ففعل. فلما أخذ منه الشراب خطبها إلى النعمان، فأجابه وزوجه وضمها إليه بعد ثلاثة أيام.

ترهب هند بعد قتل عدي

قال خالد بن كلثوم: فكانت معه حتى قتله النعمان، فترهبت وحبست نفسها في الدير المعروف بدير هند في ظاهر الحيرة. وقال ابن الكلبي: بل ترهبت بعد ثلاث سنين ومنعته نفسها واحتبست في الدير حتى ماتت، وكانت وفاتها بعد الإسلام بزمان طويل في ولاية المغيرة بن شعبة الكوفة، وخطبها المغيرة فردته.

خطبها المغيرة بن شعبة فردته

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن هشام بن محمد بن الكلبي عن أبيه والشرقي بن القطامي قالا: مر المغيرة بن شعبة لما ولاه معاوية الكوفة بدير هند، فنزله ودخل على هند بنت النعمان بعد أن استأذن عليها، فأذنت له وبسطت له مسحاً فجلس عليه، ثم قالت له: ما جاء بك؟ قال: جئتك خاطباً؛ قالت: والصليب لو علمت أن في خصلةً من جمالٍ أو شبابٍ رغبتك في لأجبتك، ولكنك أردت أن تقول في المواسم: ملكت مملكة النعمان بن المنذر ونكحت ابنته، فبحق معبودك هذا أردت؟ قال: إي والله؛ قال: فلا سبيل إليه؛ فقام المغيرة وانصرف وقال فيها:

أدركت ما منيت نفسي خالياً ... لله درك يابنة النعمان

فلقد رددت على المغيرة ذهنه ... إن الملوك نقية الأذهان

وفي رواية أخرى:

إن الملوك بطية الإذعان

يا هند حسبك قد صدقت فأمسكي ... فالصدق خير مقالة الإنسان

حديث عشقها لزرقاء اليمامة

وقد روى عن ابن الكلبي غير علي بن الصباح في هند أنها كانت تهوى زرقاء اليمامة، وأنها أول امرأة أحبت امرأةً في العرب، فإن الزرقاء كانت ترى الجيش من مسيرة ثلاثين ميلاً؛ فغزا قوم من العرب اليمامة، فلما قربوا من مسافة نظرها قالوا: كيف لكم بالوصول، مع الزرقاء! فاجتمع رأيهم على أن يقتلعوا شجراً تستر كل شجرة منها الفارس إذا حملها؛ فقطع كل واحد منهم بمقدار طاقته وساروا بها؛ فأشرفت، كما كانت تفعل، فقال لها قومها: ما ترين يا زرقاء؟ وذلك في آخر النهار؛ قالت: ارى شجراً يسير؛ فقالوا: كذبت أو كذبتك عينك، واستهانوا بقولها؛ فلما أصبحوا صبحهم القوم، فاكتسحوا أموالهم وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً وأخذوا الزرقاء

فقعلوا عينها فوجدوا فيها عروقاً سوداء، فسئلت عنها فقالت: إني كنت أديم الاكتحال بالإثمد فلعل هذا منه، وماتت بعد ذلك بأيام؛ وبلغ هنداً خبرها فترهبت ولبست المسوح وبنت ديراً يعرف بدير هند إلى الآن، فأقامت فيه حتى ماتت.

قيل إن النعمان أكرهه على طلاقها

وروى ابن حبيب عن ابن الأعرابي: أن النعمان لما حبس عدياً أكرهه في أمرها على طلاقها و لم يزل به حتى طلقها. قال ابن حبيب: وذكر عدي بن زيد صهره هذا للنعمان في قصائده وكان زوج أخته - هكذا ذكر العلماء من أهل الحيرة. وقالت رواة العرب: إنه كان زوج ابنته هندٍ - فمن ذلك قوله في قصيدته التي أولها:

أبصرت عيني عشاءً ضوء نار

فقال فيها:

أجل نعمى ربها أولكم ودنوي كان منكم واصطهاري

نحن كنا قد علمتم قبلها عمد البيت وأوتاد الإصار

سبب تنصر النعمان وما وقع بينه وبين عدي في ذلك أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا إبراهيم بن فهدٍ قال حدثنا خليفة بن خياط شبابٌ العصفري قال حدثنا هشام بن محمد قال حدثنا يحيى بن أيوب البجلي قال حدثنا أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي قال: سمعت جدي جرير بن عبد الله يقول، وأخبرني به عمي قال حدثنا أحمد بن عبيد الله قال أخبرنا محمد بن يزيد بن زياد الكلبي أبو عبد الله قال حدثني معروف بن خربوذ عن يحيى بن أيوب عن أبي زرعة بن عمرو قال: سمعت جدي جرير بن عبد الله - ولفظ هذا الخبر لأحمد ابن عبيد الله وروايته أتم - قال: كان سبب تنصر النعمان - وكان يعبد الأوثان قبل ذلك، وقال أحمد بن عبيد الله في خبره: النعمان بن المنذر الأكبر - أنه كان قد خرج يتنزه بظهر الحيرة ومعه عدي بن زيد، فمر على المقابر من ظهر الحيرة ونهرها؛ فقال له عدي بن زيد: أبيت اللعن، أتدري ما تقول هذه المقابر؟ قال: لا، وقال أحمد بن عبيد الله في خبره: فقال له تقول:

أيها الركب المخبو ن على الأرض المجدون

كما أنتم كنا وكما نحن تكونون

وقال الصولي في خبره: فقال له تقول:

كنا كما كنتم حيناً فغيرنا دهرٌ فسوف كما صرنا تصيرونا

قال: فانصرف وقد دخلته رقة، فمكث بعد ذلك يسيراً؛ ثم خرج خرجةً أخرى فمر على تلك المقابر ومعه عدي، فقال له: أبيت اللعن، أتدري ما تقول هذه المقابر؟ قال: لا؛ قال: فإنها تقول:

من رآنا فليحدث نفسه أنه موفٍ على قرن زوال

وصروف الدهر لا يبقى لها ولما تأتي به صم الجبال

رب ركبٍ قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال

والأباريق عليها فدمٌ وجياد الخيل تردي في الجلال

عمروا دهراً بعيشٍ حسنٍ آمني دهرهم غير عجال

ثم أضحوا عصف الدهر بهم وكذاك الدهر يودي بالرجال

وكذاك الدهر يرمي بالفتى في طلاب العيش حالاً بعد حال

قال الصولي في خبره وهو الصحيح: فرجع النعمان فتنصر؛ وقال أحمد بن عبيد الله في خبره عن الزيادي الكلبي: فرجع النعمان من وجهه وقال لعدي: ائتني الليلة إذا هدأت الرجل لتعلم حالي، فأتاه فوجده قد لبس المسوح وتنصر وترهب وخرج سائحاً على وجهه فلا يدرى ما كانت حاله، فتنصر ولده بعده، وبنوا البيع والصوامع، وبنت هند بنت النعمان بن المنذر "بن النعمان بن المنذر" الدير الذي بظهر الكوفة ويقال له: "دير هند" فلما حبس كسرى النعمان الأصغر أباها ومات في حبسه ترهبت هند ولبست المسوح وأقامت في ديرها مترهبةً حتى ماتت فدفنت فيه.

رأي المؤلف أن النعمان هو الذي تنصر

قال مؤلف هذا الكتاب: إنما ذكرت الخبر الذي رواه الزيادي على ما فيه من التخليط لأني إذا أتيت بالقصة ذكرت "كل" ما يروى في معناها. وهو خبر مختلط، لأن عدي بن زيد إنما كان صاحب النعمان بن المنذر وهو المحبوس والنعمان الأكبر لا يعرفه عدي ولا رآه ولا هو جد النعمان الذي صحبه عدي كما ذكر ابن زياد، وقد ذكرت نسب النعمان آنفاً، ولعل هذا النعمان الذي ذكره عم النعمان بن المنذر الأصغر بن المنذر الأكبر، والمتنصر السائح على وجهه ليس عدي بن زيد أدخله في النصرانية، وكيف يكون هو المدخل له في النصرانية وقد ضربه مثلاً للنعمان في شعره لما حبسه مع من ضربه مثلاً له من الملوك السالفة!.

حكاية خالد بن صفوان مع هشام

بن عبد الملك وتذكره قصة النعمان وتنصره

حدثنا بخبر ذلك الملك جعفر بن محمد الفريابي وأحمد بن عبد العزيز بن الجعد الوشاء قالا: حدثنا إسحاق بن البهلول الأنباري قال حدثني أبي البهلول بن حسان التنوخي قال حدثني إسحاق بن زياد من بني سامة بن لؤي عن شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان بن الأهتم قال:

أوفدني يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك في وفد أهل العراق قال: فقدمت عليه وقد خرج بقرابته وحشمه وغاشيته وجلسائه، فنزل في أرضٍ قاعٍ صحصح منيفٍ أفيح، في عامٍ قد بكر وسميه وتتابع وليه، وأخذت الأرض "فيه" زينتها على اختلاف ألوان نبتها من نور ربيع مونقٍ فهو في أحسن منظر، وأحسن مختبرٍ، وأحسن مستمطرٍ، بصعيدٍ كأن ترابه قطع الكافور؛ قال: وقد ضرب له سرادقٌ من حبرةٍ كان يوسف بن عمر صنعه له باليمن، فيه فسطاط فيه أربعة أفرشةٍ من خز أحمر مثلها مرافقها، وعليه دراعةٌ من خز أحمر مثلها عمامتها، وقد أخذ الناس مجالسهم؛ قال: فأخرجت رأسي من ناحية السماط فنظر إلي شبه المستنطق لي فقلت: أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمه، وجعل ما قلدك من هذا الأمر رشداً، وعاقبة ما يؤول إليه حمداً، وأخلصه لك بالتقى، وكثره لك بالنماء، ولا كدر عليك منه ما صفا، ولا خالط سروره بالردى، فلقد أصبحت للمؤمنين ثقةً ومستراحاً، إليك يقصدون في مظالمهم، ويفزعون في أمورهم، وما أجد شيئاً يا أمير المؤمنين هو أبلغ في قضاء حقك، وتوقير مجلسك، وما من الله جل وعز علي به من مجالستك من أن أذكرك نعم الله عليك، وأنبهك لشكرها، وما أجد في ذلك شيئاً هو أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك، فإن أذن أمير المؤمنين أخبرته به؛ قال: فاستوى جالساً وكان متكئاً ثم قال: هات يابن الأهتم، قال: قلت يا أمير المؤمنين إن ملكاً من الملوك قبلك خرج في عامٍ مثل عامك هذا إلى الخورنق والسدير في عامٍ قد بكر وسميه، وتتابع وليه، وأخذت الأرض "فيه" زينتها على اختلاف ألوان نبتها في ربيع مونقٍ، فهو في أحسن منظر، وأحسن مختبر، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور، وقد كان أعطي فتاء السن مع الكثرة والغلبة والقهر، فنظر فأبعد النظر ثم قال لجلسائه: لمن مثل هذا، هل رأيتم مثل ما أنا فيه! وهل أعطي أحدٌ مثل ما أعطيت! قال: وعنده رجل من بقايا حملة الحجة، والمضي على أدب الحق ومنهاجه، قال: و لم تخل الأرض من قائم لله بحجةٍ في عباده؛ فقال: أيها الملك إنك سألت عن أمرٍ، أفتأذن في الجواب عنه؟ قال: نعم؛ قال: أرأيت هذا الذي أنت فيه، أشيءٌ لم تزل فيه، أم شيءٌ صار إليك ميراثاً وهو زائلٌ عنك وصائر إلى غيرك كما صار إليك؟ قال: كذلك هو؛ قال: فلا أراك إلا عجبت بشيء يسير تكون فيه قليلاً وتغيب عنه طويلاً، وتكون غداً بحسابه مرتهنا؛ قال: ويحك! فأين المهرب وأين المطلب؟ قال: إما أن تقيم في ملكك فتعمل فيه بطاعة الله ربك على ما ساءك وسرك، وأمضك وأرمضك، وإما أن تضع تاجك، وتخلع أطمارك، وتلبس أمساحك، وتعبد ربج حتى يأتيك أجلك؛ قال: فإذا كان السحر فاقرع علي بابي فإني مختارٌ أحد الرأيين، وربما قال إحدى المترلتين، فإن اخترت ما أنا فيه كنت وزيراً لا يعصى، وإن اخترت فلوات الأرض وقفر البلاد كنت رفيقاً لا يخالف؛ قال: فقرع عليه عند السحر بابه فإذا هو قد وضع تاجه، وخلع أطماره، ولبس أمساحه، وتهيأ للسياحة، فلزما والله الجبل حتى أتاهما أجلهما، وهو حيث يقول عدي بن زيد أخو بني تميم:

أيها الشأمت المعير بالد ... هر أأنت المبرأ الموفور

أم لديك العهد الوثيق من الأي ... ام بل أنت جاهلٌ مغرور

من رأيت المنون خلدن أم من ... ذا عليه من أن يضام خفير

أين كسرى كسرى الملوك أنوشر | وان أم أين قبله سابور
وبنو الأصفر الكرام ملوك الر | وم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضر إذ بناه وإذ دج | لة تجبى إليه والخابور
شاده مرمراً وجلله كلس | اً فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الملك | عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق إذ أشرف | يوماً وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يملك | والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه فقال وما غبطة | حيٍّ إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والإمة | وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق جف فألوت | به الصبا والدبور

قال: فبكى والله هشام حتى أخضل لحيته، وبل عمامته، وأمر بترع أبنيته، وبنقلان قرابته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه، ولزم قصره، فأقبلت الموالي والحشم على خالد بن صفوان فقالوا: ما أردت إلى أمير المؤمنين! أفسدت عليه لذته، ونغصت عليه مأدبته، فقال: إليكم عني فإني عاهدت الله عز وجل ألا أخلو بملكٍ إلا ذكرته الله عز وجل.

قصرا الحضر والخورنق فأما خبر الحضر وصاحبه، والخورنق وصاحبه، فإني أذكرخبرهما ها هنا لأنه مما يحسن ذكره بعقب هذه الأخبار ولا يستغنى عنه، والشيء يتبع الشيء.

أخبرني بخبره إبراهيم بن السري عن أبيه عن شعيب عن سيف، وأخبرني به الحسن بن علي قال حدثنا الحارث بن محمد قال حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي، وأخبرني به علي بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين عن السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل بن سلمة الضبي، وهشام بن الكلبي عن أبيه، وإسحاق بن الجصاص عن الكوفيين: أن الحضر كان قصراً بحيال تكريت بين دجلة والفرات، وأن أخا الحضر الذي ذكره عدي بن زيد هو الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الأجرام بن عمرو بن النخع بن سليح من بني تزيد بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وأمه جبهلة امرأةٌ من بني تزيد بن حلوان أخي سليح بن حلوان، وكان لا يعرف إلا بأمه هذه، وكان ملك تلك الناحية وسائر أرض الجزيرة، وكان معه من بني الأجرام "ثم من بني العبيد ابن الأجرام" وسائر قبائل قضاعة ما لا يحصى، وكان ملكه قد بلغ الشأم. فأغار الضيزن فأصاب أختاً لسابور ذي الأكتاف وفتح مدينة نمر شير وفتك فيهم، فقال في ذلك عمرو بن السيح بن حدي بن الدها بن غنم بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة:

لقيناهم بجمع من علافٍ وبالخيل الصلادمة الذكور
فلاقت فارسٌ منا نكالاً وقتلنا هرابذ شهرزور
دلفنا للأعاجم من بعيدٍ بجمع م الجزيرة كالسعير

قالوا: ثم إن سابور ذا الأكتاف جمع لهم وسار إليهم، فأقام على الحضر أربع سنين لا يستغل منهم شيئاً. ثم إن النضيرة بنت الضيزن عركت - أي حاضت - فأخرجت إلى الربض، وكانت من أجمل أهل دهرها، وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم إذا حضن، وكان سابور من أجمل أهل زمانه، فرآها ورأته، وعشقها وعشقته، فأرسلت إليه: ما تجعل لي أن دللتك على ما تهدم به هذه المدينة وتقتل أبي؟ قال: أحكمك وأرفعك على نسائي، وأخصك بنفسي دونهن؛ قالت: عليك بحمامةٍ مطوقة ورقاء، فاكتب في رجلها بحيض جاريةٍ بكرٍ تكون زرقاء، ثم أرسلها فإنها تقع على حائط المدينة فتتداعى المدينة، وكان ذلك طلسمها لا يهدمها إلا هو، ففعل وتأهب لهم، وقالت له: أنا أسقي الحرس الخمر، فإذا صرعوا فاقتلهم وادخل المدينة، ففعل فتداعت المدينة، وفتحها سابور عنوةً، فقتل الضيزن يومئذٍ، وأباد بني العبيد، وأفنى قضاعة الذين كانوا مع الضيزن فلم يبق منهم باقٍ يعرف إلى اليوم، وأصيب قبائل حلوان وانقرضوا ودرجوا، فقال في ذلك عمرو بن آلة وكان مع الضيزن:

ألم يحزنك والأنباء تنمي بما لاقت سراة بني العبيد
ومصرع ضيزنٍ وبني أبيه وأحلاس الكتائب من تزيد
أتاهم بالفيول مجللاتٍ وبالأبطال سابور الجنود
فهدم من أواسي الحضر صخراً كأن ثقاله زبر الحديد

قال: فأخرب سابور المدينة واحتمل النضيرة بنت الضيزن فأعرس بها بعين التمر، فلم تزل ليلتها تتضور من خشانةٍ في فرشها وهي من حرير محشو بالقز، فالتمس ما كان يؤذيها فإذا هي ورقة آسٍ ملتصقةٌ بعكنةٍ من عكنها قد أثرت فيها. قال: وكان ينظر إلى مخها من لين بشرتها. فقال لها سابور: ويحك! باي شيءٍ كان أبوك يغذيك؟ قالت: بالزبد والمخ وشهد الأبكار من النحل وصفوة الخمر فقال: وأبيك لأنا أحدث عهداً بمعرفتك، وآثر لك من أبيك الذي غذاك بما تذكرين! ثم أمر رجلاً فركب فرساً جموحاً وضفر غدائرها بذنبه، ثم استركضه فقطعها قطعاً، فذلك قول الشاعر:

أقفرا الحضر من نضير فالمر باع منها فجانب الثرثار

قالوا: وكان الضيزن صاحب الحضر يلقب الساطرون، وقال غيرهم: بل الساطرون صاحب الحضر كان رجلاً من أهل باجرمى والله أعلم أي ذلك كان. هذا خبر صاحب الحضر الذي ذكره عدي.

وأما صاحب الخورنق فهو النعمان بن الشقيقة، وهو الذي ساح على وجهه فلم يعرف له خبرٌ، والشقيقة أمه

بنت أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان. وهو النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عيد بن نصر بن ربيعة بن الضخم اللخمي، وهو صاحب الخورنق، فذكر ابن الكلبي في خبره الذي قدمنا ذكره ورواية علي بن الصباح أياه عنه: أنه كان سبب بنائه الخورنق أن يزدجرد بن سابور كان لا يبقى له ولد، فسأل عن منزل مريءٍ صحيح من الأدواء والأسقام، فدل على ظهر الحيرة، فدفع ابنه بهرام جور بن يزدجرد إلى النعمان بن الشقيقة، وكان عامله على أرض العرب، وأمره بأن يبني الخورنق مسكناً له ولابنه ويترله إياه معه، وأمره بإخراجه إلى بوادي العرب، وكان الذي بنى الخورنق رجلاً يقال له سنمار فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله، فقال: و علمت أنكن توفوني أجرتي وتصنعون بي ما أستحقه، لبنيته بناء يدور مع الشمس حيثما دارت، فقالوا: وإنك لتبني ما هو أفضل منه و لم تبنه! أمر به فطرح من أعلى الجوسق. وقال: في بعض الروايات أنه قال له: إني لأعرف في هذا القصر موضع عيب إذا هدم تداعى القصر أجمع، فقال له: أما والله لا تدل عليه أحداً أبداً، ثم رمي به من أعلى القصر، فقالت الشعراء في ذلك أشعاراً كثيرة منها قول أبي الطمحان القيني:

جزاء سنمارٍ جزوها وربها ... وباللات والعزى جزاء المكفر

ومنها قول سليط بن سعد:

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبرٍ ... وحسن فعلٍ كما يجزى سنمار

وقال عبد العزى بن امرىء القيس الكلبي - وكان أهدى إلى الحارث بن مارية الغساني أفراساً، ووفد إليه فأعجب به واختصه، وكان للملك ابنٌ مسترضعٌ في بني عبد ود من كلبٍ فنهشته حيةٌ، فظن الملك أنهم اغتالوه، فقال لعبد العزى: جئني بهؤلاء القوم، فقال: هم قوم أحرار ليس لي عليهم فضلٌ في نسبٍ ولافعلٍ، فقال: لتأتيني بهم أو لأفعلن وأفعلن، فقال له: رجونا من حبائك امراً حال دون عقابك ودعا ابنيه شراحيل وعبد الحارث - فكتب معهما إلى قومه:

جزاني جزاه الله شر جزائه ... جزاء سنمارٍ وما كان ذا ذنب

سوى رصه البنيان عشرين حجةً ... يعلى عليه بالقراميد والسكب

وهي أبيات، قال: فقتله النعمان، وكان أمره قد عظم وجعل معه كسرى كتيبتين: أحداهما يقال لها: "دوسر" وهي لتنوخ، والأخرى: "الشهباء" وهي للفرس، وكانتا أيضاً تسميان القبيلتين، وكان يغزو بهما بلاد الشأم، وكل من لم يدن له من العرب. فجلس يوماً يشرف من الخورنق فأعجبه ما رأى من ملكه. ثم ذكر باقي خبره مثل ما ذكره خالد بن صفوان لهشامٍ من مخاطبة الواعظ وجوابه وما كان من اختياره السياحة وتركه ملكه.

رثاء النابغة الذبياني للنعمان

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محم دبن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن عمرو قال ذكر ابن حمزة عن مشايخه: أن النعمان بن المنذر لما نعي إلى النابغة الذبياني وحدث بما صنع به كسرى قال: طلبه من الدهر طالب الملوك ثم تمثل:

من يطلب الدهر تدركه مخالبه ... والدهر بالوتر ناجٍ غير مطلوب

ما من أناسٍ ذوي مجدٍ ومكرمةٍ ... إلا يشد شدة الذيب

حتى يبيد على عمدٍ سراتهم ... بالنافذات من النبل المصاييب

إني وجدت سهام الموت معرضةً ... بكل حتفٍ من الآجال مكتوب

الغناء في شعر عدي بن زيد

وفي سائر قصائد عدي بن زيد التي كتب بها إلى النعمان يستعطفه ويعتذر إليه أغانٍ.

منها:

صوت

لم أر مثل الفتيان في غبن ال ... أيام ينسون ما عواقبها

ينسون إخوانهم ومصرعهم ... وكيف تعتاقهم مخالبها

ماذا ترجى النفوس من طلب ... الخير وحب الحياة كاربها

تظن أن لن يصيبها عنت ... الدهر وريب المنون صائبها

ويروى عقب الدهر - يقول: الأيام تغبن الناس فتخدعهم وتختلهم مثل الغبن في البيع. وتعتاقهم: تحبسهم، يقال: اعتاقه واعتقاه. وكاربها ها هنا: غامها، وهو في موضع آخر القريب منها، يقال كربه الأمر وكرثه وهضه وغنظه إذا غم - الغناء في هذه الأبيات لابن محرز خفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة.

وفيها رمل بالبنصر، نسبه حبشٌ ودنانير إلى حنينٍ، ونسبه الهشامي وابن المكي إلى الهذلي.

ومنها:

صوت

يا لبيني أوقدي النارا ... إن من تهوين قد حارا

رب نارٍ بت أرمقها ... تقضم الهندي والغارا

عندها ظبيٌ يؤرثها عاقدٌ في الجيد تقصارا

عروضه من المديد - حار يحير هنا: ضل، وحار في موضع آخر: رجع. والغار: شجر طيب الريح، والغار أيضاً: شجر السوس، والغار: الغيرة. ويؤرثها: يوقدها ويكثر حطبها. والتقصار: المخنقة - الغناء لحنين خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه خفيف رملٍ يقال إنه لعريب.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق، وأخبرنا به يحيى بن علي عن داود بن محمد عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن عائشة عن يونس النحوي قال: مات رجل من جند أهل الشأم عظيم القدر، له فيهم عز "وعدد"؛ فحضر الحجاج جنازته وصلى عليه وجلس على قبره، وقال: ليترل إليه بعض إخوانه، فترل نفرٌ منهم، فقال أحدهم وهو يسوي عليه: رحمك الله أبا قنان، إن كنت ما علمت لتجيد الغناء، وتسرع رد الكأس، ولقد وقعت في موضع سوء لا تخرج منه والله إلى يوم القيامة. قال: فما تمالك الحجاج أن ضحك، وكان لا يكثر الضحك في جد ولا هزلٍ. فقال له: أهذا موضع هذا لا أم لك! فقال: أصلح الله الأمير، فرسه حبيسٌ في سبيل الله لو سمعه الأمير وهو يغني:

يا لبيني أوقدي النارا إن من تهوين قد حارا

لا نتشر الأمير على سعنة، وكان الميت يلقب بسعنة، فقال: إنا لله أخرجوه من القبر! ما أبين حجة أهل العراق في جهلكم يا أهل الشأم! قال: وكان سعنة هذا الميت من أوحش خلق الله كلهم صورةً، وأذمهم قامةً. فلم يبق أحد حضر القبر إلا استفرغ ضحكاً.

ومنها من قصيدته التي أولها:

لمن الدار تعفت بخيم

صوت

وثلاثٍ كالحمامات بها بين مجثاهن توشيم الحمم

أسأل الدار وقد أنكرتها عن حبيبي فإذا فيها صمم

- ويروى: توشيم العجم. والتوشيم أراد به آثار الوقود قد صار فيها كالوشم. والثلاث يعني الأثافي التي تنصب عليها القِدر - الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن عمرو وابن المكي. وفيه لحكم لحنٌ من كتاب إبراهيم غير مجنس. وهذه القصيدة التي أولها:

لمن الدار تعفت بخيم أصبحت غيرها طول القدم

ما تبين العين من آياتها غير نؤيٍ مثل خط بالقلم

وبعده.

وثلاثٍ كالحمامات بها بين مجثاهن توشيم الحمم

وعلى هذا خفض قوله: وثلاث كالحمامات.

ومنها قوله:

كفى غير الأيام للمرء وازعاً

صوت

بناتٍ كرامٍ لم يربن بضرةٍ دمىً شرقاتٍ بالعبير روادعا

يسارقن م الأستار طرفاً مفتراً ويبرزن من فتق الخدور الأصابعا

بنات كرامٍ موضعه نصب وهو يتبع ما قبله وينصب به وهو قوله:

وأصبى ظباءً في الدمقس خواضعا

بناتٍ كرام هكذا في القصيدة على تواليها، وقد يجوز رفعه على الابتداء. ويروى: بضرةٍ وبضرةٍ جمعا بالضم والفتح. والدمى: الصور، واحدتها دميةٌ. الغناء في هذين البيتين لابن قندحٍ ثقيلٌ أول بالبنصر عن عمرو، وذكر الهشامي أنه لمحمد بن إسحاق بن عمرو بن بزيعٍ، وذكر حبشٌ أنه لإبراهيم.

صوت

أرقت لمكفهر بات فيه بوارق يرتقين رؤوس شيب

تروح المشرفية في ذراه ويجلو صفحة الذيل القشيب

والمكرهف والمرهف: السحاب المتوالي المتراكب. والشيب: السحائب التي فيها سواد وبياض شبهها بالرؤوس الشيب، وقال قوم: بل شيبٌ: جبل معروفٌ. شبه البرق في السحاب بلمعان السيوف. ورواه ابن الأعرابي:

ويجلو صفح دخدارٍ قشيب

وقال: الدخدار: الثوب المصون، وهو أعجمي معرب أصله تخت دار. والقشيب: الجديد. الغناء لعريب ثقيلٌ أول بالبنصر.

ومنها من قصيدته التي أولها:

ألا يا طال ليلي والنهار

صوت

ألا من مبلغ النعمان عني علانيةً فقد ذهب السرار
بأن المرء لم يخلق حديداً ولا هضباً توقاه الوبار

ولكن كالشهاب فثم يخبو وحادي الموت عنه ما يحار
فهل من خالدٍ إما هلكنا وهل بالموت يا للناس عار

الهضب: الجبل. والوبار: جمع وبرٍ. والشهاب: السراج. ويخبو: يطفأ. الغناء لبابويه ثقيل أول بالبنصر عن حبش والهشامي.

ومنها:

صوت

ألا من مبلغ النعمان عني فبينا المرء أغرب إذ أراحا
أطعت بني بقيلة في وثاقي وكنا في حلوقهم ذباحاً
منحتهم الفرات وجانبيه وتسقينا الأواجن والملاحا

الغناء لحنين خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق.

ومنها:

صوت

من لقلبٍ دنفٍ أو معتمد قد عصى كل نصيحٍ ومفد
لست إن سلمى نأتني دارها سامعاً فيها إلى قول أحد

المعتمد: الذي عمده الوجع بعمده عمداً. غناه ابن محرز ولحنه خفيف ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر بالوسطى عن عمرو. وذكر يونس أن فيه لمالك لحناً، ولسنانٍ الكاتب لحناً، وهو ثقيل أول بالوسطى عن حبش.

ومنها:

صوت

أرواحٌ مودعٌ أم بكور لك فاعمد لأي حالٍ تصير
ويقول العداة أودى عدي وعدي بسخط رب أسير

أيها الشأمت المعير الدهر أأنت المبرأ الموفور

أم لديك العهد الوثيق من الأيام بل أنت جاهلٌ مغرور

يريد: ارواحٌ نودعك فيه أم بكورٌ؟ أيهما تريد؟ فاعمد للذي تصير إليه من أمر آخرتك. والموفور: الذي لم تصبه نوائب الدهر. الغناء لحنين من كتاب يونس و لم يذكر طريقته، وذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أن حنينا غناه خالداً القسري أيام حرم الغناء، فرق له وقال: غن ولا تعاشر سفيهاً ولا معربداً. والخبر "في ذلك" يذكر في أخبار حنين.

ومما يغنى فيه أيضاً من شعر عدي

صوت

ألا يا ربما عز خليلي فتهاونت

ولو شئت على مقد رةٍ مني لعاقبت

ولكن سرني أن يعلموا قدري فأقلعت

ألا لا فاسألوا الفتية ما قالوا وقد قمت

الغناء لسياطٍ رمل عن الهشامي. وفيه ليحيى المكي خفيف ثقيلٍ نسبه إلى مالك وليس له. ولعريب في البيتين الأولين ثقيل أول. وبعدهما بيتٌ ليس من العشر وهو:

ولكن حبيبي جل عندي فتغافلت

ومما يغنى فيه من شعره:

صوت

تعرف أمس من لميس الطلل مثل الكتاب الدارس الأحول

الذي قد درس فلا يقرأ.

أنعم صباحاً علقم بن عدي أثويت اليوم أم ترحل

قد رحل الفتيان عيرهم واللحم بالغيطان لم ينشل

إذ هي تسبى الناظرين وتجلو واضحاً كالأقحوان رتل

الرتل: المستوي البنية.

عذباً كما ذقت الجني من التفاح مسقياً ببرد، الطل

هكذا يغنى. والذي قاله عدي: يسقيه برد الطل. الغناء لحنين رملٌ بالوسطى عن عمرو.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي أن عمرو بن امرىء القيس المكنى بأبي سريح وعلقمة بن عدي - وقيل علقم بن عدي بن كعب - وعمرو بن هند خرجوا إلى الصيد فأتوا قصر ابن مقاتل فمكثوا فيه يتصيدون، فزعموا أن علقمة بن عدي تبع حماداً فصرعه والشمس لم تطلع، ثم لحق آخر فطعنه فانقصف الرمح فيه ومر به فرسه يركض، فجال به العير فضربه فأصاب صدره فقتله، وقيل: إن الرمح المنقصف دخل في صدره فقتله، وذلك في أيام الربيع، وكان عدي بن زيد معهم وإليه قصدوا، وكان نازلاً في قصر ابن مقاتل، فقال عدي هذه القصيدة يرثيه بها.

صوت من المائة المختارة

عفا من سليمى مسحلان فحامره ... تمشى به ظلمانه وجآذره

بمستأسد القريان عافٍ نباته ... فنواره ميلٌ إلى الشمس زاهره

رأت عارضاً جوناً فقامت غريرةً ... بمسحاتها قبل الظلام تبادره

فما برحت حتى أتى الماء دونها ... وسدت نواحيه ورفع دابره

عروضه من الطويل. عفا: درس. مسحلان: موضع. وحامره: موضعٌ أضافه إلى مسحلان. والظلمان: ذكور النعام واحدها ظليم. والجآذر: أولاد البقر واحدها جؤذر وجؤذر بضم الذال وفتحها. وتمشى: تكثر المشي. والقريان: مجاري الماء إلى الرياض وحدها قري. والمستأسد: ما التف منها وطال. والنوار يقال: إنه يكون أبداً حيال الشمس يستقبلها بوجهه، فيقول: إن نوار هذه الروضة يميل زاهره حيال الشمس. والعارض: السحاب. والجون: الأسود. والغريرة: الناعمة التي لم تجرب الأمور، يقول: لما رأت هذه المرأة السحابة السوداء قامت بمسحاتها تصلح النؤي حوالي بيتها وهو الحاجز بينه وبين الأرض المستوية. وقوله: رفع دابره أي مؤخره الذي يلي الماء من النؤي. الشعر للحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر. والغناء لابن عائشة ولحنه المختار خفيف رملٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق وذكر حبشٌ أن فيه لحناً آخر من الثقيل الثاني.

خبر الحطيئة ونسبه

والسبب الذي من أجله هجا الزبرقان بن بدر

نسبه

الحطيئة لقبٌ لقب به، واسمه جرول بن أوس بن مالك بن جؤية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار. وهو من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم، متصرفٌ في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب، مجيدٌ في ذلك أجمع، وكان ذا شر وسفه، ونسبه متدافعٌ بين قبائل العرب، وكان ينتمي إلى كل واحدة منها إذا غضب على الآخرين وهو مخضرمٌ أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم ثم ارتد وقال في ذلك.

إسلامه وارتداده وشعره في ذلك

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا ... فيا أحباد الله ما لأبي بكر

أيورثها بكراً إذا مات بعده ... وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

سبب لقبه الحطيئة

ويكنى الحطيئة أبا مليكة، وقيل: إن الحطيئة غلب عليه ولقب به لقصره وقربه من الأرض وقال حمادٌ الراوية قال أبو نصر الأعرابي: سمي الحطيئة لأنه ضرط ضرطةً بين قوم، فقيل له: ما هذا؟ فقال: إنما هو حطيئةٌ، فسمي الحطيئة. وقال المدائني قال أبو اليقظان: كان الحطيئة يدعي أنه ابن عمرو بن علقمة أحد بني الحارث ابن سدوس، قال: وسمي الحطيئة لقربه من الأرض.

انتماؤه إلى بني ذهل ابن ثعلبة

أخبرني الفضل بن الحباب الجمحي أبو خليفة في كتابه إلي بإجازته لي يذكر عن محمد بن سلام: أن الحطيئة كان ينتمي إلى بني ذهل بن ثعلبة فقال:

إن اليمامة خير ساكنها ... أهل القرية من بني ذهل

قال: والقرية: منازلهم، و لم ينبت الحطيئة في هؤلاء.

تلونه وانتسابه إلى عدة قبائل وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن ابن الكلبي قال: سمعت خراش بن إسماعيل وخالد بن سعيد يقولان: كان الحطيئة إذا غضب على بني عبس يقول: أنا من بني ذهلٍ، وإذا غضب على بني ذهل قال: أنا من بني عبس.

أخبرني الحسين بن يحيى المرداسي قال قال حماد بن إسحاق قال أبي قال ابن الكلبي: كان الحطيئة مغموز النسب، وكان من أولاد الزنا الذين شرفوا. قال إسحاق وقال الأصمعي: كان الحطيئة يضرب بنسبه إلى بكر بن وائل فقال في ذلك.

قومي بنو عوف بن عمرٍو ... إن أراد العلم عالم

قومٌ إذا ذهبت خضا رم منهم خلفت خضارم

لا يفشلون و لا تبيت على أنوفهم المخاطم

قال الأصمعي وقدم الحطيئة الكوفة فنزل في بني عوف بن عامر بن ذهلٍ يسألهم وكان يزعم أنه منهم وقال في ذلك:

سيري أمام فإن المال يجمعه سيب الإله وإقبالي وإدباري

إلى معاشر منهم ياأمام أبي من آل عوف بدوءٍ غير أشرار

نمشي على ضوء أحسابٍ أضأن لنا ما ضوأت ليلة القمراء للساري

خبره مع أخويه من أوس بن مالك

وقال ابن دريد في خبره عن عمه عن ابن الكلبي عن أبيه، وحماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال: كان أوس بن مالك بن جؤية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس تزوج بنت رياح بن عمرو بن عوف بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة، وكان له أمةٌ يقال لها الضراء فأعلقها بالحطيئة ورحل عنها. وكان لبنت رياح أخٌ يقال له: الأفقم، وكان طويلاً أفقم، صغير العينين، مضغوط اللحيين، فولدت الضراء الحطيئة فجاءت به شبيها بالأفقم، فقالت لها مولاتها: من أين هذا الصبي؟ فقالت لها: من أخيك، وهابت أن تقول لها من زوجك، فشبهته بأخيها؛ فقالت لها: صدقت. ثم مات أوسٌ وترك ابنين من الحرة، وتزوج الضراء رجلٌ من بني عبس فولدت له رجلين فكانا أخوي الحطيئة من أمه. فأعتقت بنت رياحٍ الحطيئة وربته فكان كأنه أحدهما. وترك الأفقم نخلا باليمامة. فأتى الحطيئة أخويه من أوس بن مالكٍ وقد كانت أمه لما أعتقتها بنت رياح اعترفت أنها اعتلقت من أوس بن مالك، فقال لهم: أفردوا إلي من مالكم قطعةً فقالا: لا، ولكن أقم معنا فنحن نواسيك فقال:

أأمرتماني أن أقيم عليكما كلا لعمر أبيكما الحباق

عبدان خيرهما يشل بضبعه شل الأجير قلائص الوراق

خبره وقد سأل أمه من أبوه

قال: وسأل الحطيئة أمه: من أبوه فخلطت عليه فقال:

تقول لي الضراء لست لواحدٍ ولا اثنين فانظر كيف شرك أولئكا

وأنت امرؤ تبغي أباً قد ضللته هبلت ألما تستفق من ضلالكا

خبره مع إخوته من بني الأفقم

قال: وغضب عليها فلحق بإخوته بني الأفقم فقال:

سيري أمام فإن المال يجمعه　　سيب الإله وإقبالي وإدباري

قال: فلم يدفعوه و لم يقبلوه فقال:

إن اليمامة خير ساكنها　　أهل القرية من بني ذهل

وسألهم ميراثه من الأفقم فأعطوه نخلاتٍ من نخل أبيهم تدعى نخلات أم مليكة، وأم مليكة: امرأة الحطيئة، فقال:

ليهني تراثي لامرىءٍ غير ذلةٍ　　صنابير أحدانٌ لهن حفيف

قال: ثم لم تقنعه النخيلات، وقد أقام فيهم زماناً فسألهم ميراثه كاملاً من الأفقم فلم يعطوه شيئاً وضربوه، فغضب عليهم وقال:

تمنيت بكرا أن يكونوا عمارتي　　وقومي وبكرٌ شر تلك القبائل

إذا قلت بكري نبوتم بحاجتي　　فيا ليتني من غير بكر بن وائل

فعاد إلى بني عبس وانتسب إلى أوس بن مالك. وقال الأصمعي في خبره: لما أتى أهل القرية، وهم بنو ذهلٍ، يطلب ميراثه من الأفقم مدحهم فقال:

إن اليمامة خرٌ ساكنها　　أهل القرية من بني ذهل

الضامنون لمال جارهم　　حتى يتم نواهض البقل

قوم إذا انتسبوا ففرعهم　　فرعي وأثبت أصلهم أصلي

قال: فلم يعطوه شيئاً، فقال يهجوهم:

إن اليمامة شر ساكنها　　أهل القرية من بني ذهل

تزوجت أمه فهجاها

وقال أبو اليقظان في خبره: كان الرجل الذي تزوج أم الحطيئة أيضاً ولد زنا اسمه الكلب بن كنيس بن جابر بن قطن بن نهشل، وكان كنيس زنى بأمةٍ لزرارة يقال لها رشية، فولدت له الكلب ويربوعا، فطلبهم من زرارة فمنعه منهم، فلما مات طلبهم من أبيه لقيطٍ فمنعه؛ وقال لقيط في ذلك:

أفي نصف شهر ما صبرتم لحقنا　　ونحن صبرنا قبل ذاك سنينا

وهي أبيات. فتزوج الكلب الضراء أم الحطيئة؛ فهجاه الحطيئة وهجا أمه فقال:

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني　　وأبا بنيك فساءني في المجلس

إن الذليل لمن تزور ركابه رهط ابن جحشٍ في الخطوب الحوس
قبح الإله قبيلةً لم يمنعوا يوم المجيمر جارهم من فقعس
أبلغ بني جحش بأن نجارهم لؤم وأن أباهم كالهجرس

وقال الحطيئة يهجو أمه:

جزاك الله شراً من عجوزٍ ولقاك العقوق من البنين
فقد ملكت أمر بنيك حتى تركتهم أدق من الطحين
فإن تخلى وأمرك لا تصولي بمشتد قواه ولا متين
لسانك مبردٌ لا خير فيه ودرك در جاذبةٍ دهين

وقال يهجو أمه أيضاً:

تنحي فاجلسي مني بعيداً أراح الله منك العالمينا
أغر بالاً إذا استودعت سراً وكانوناً على المتحدثينا
حياتك ما علمت حياة سوءٍ وموتك قد يسر الصالحينا

كان هجاء دنىء النفس فاسد الدين

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: كان الحطيئة جشعاً سؤولاً ملحفاً، دنىء النفس، كثير الشر، قليل الخير، بخيلاً، قبيح المنظر، رث الهيئة، مغموز النسب، فاسد الدين، وما تشاء أن تقول في شعر شاعرٍ من عيبٍ إلا وجدته، وقلما تجد ذلك في شعره.

أخبرني ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: بخلاء العرب أربعةٌ: الحطيئة، وحميدٌ الأرقط، وأبو الأسود الدولي، وخالد بن صفوان.

أخبرنا ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال قال أبو عبيدة: كان الحطيئة بذياً هجاءً، فالتمس ذات يوم إنساناً يهجوه فلم يجده، وضاق عليه ذلك فأنشأ يقول:

أبت شفتاي اليوم إلا تكلماً بشر فما أدري لمن أنا قائله

وجعل يدهور هذا البيت في أشداقه ولا يرى إنساناً، إذ اطلع في ركي أو حوض فرأى وجهه فقال:

أرى لي وجها شوه الله خلقه فقبح من وجهٍ وقبح حامله

قدم المدينة فجمعت له العطايا خوفاً منه نسخت من كتاب الحرمي بن أبي العلاء: حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال: قدم الحطيئة المدينة فأرصدت قريشٌ له العطايا خوفاً من شره، فقام في المسجد فصاح: من

يحملني على بغلين.

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عبيدة والمدائني ومصعبٌ: كان الحطيئة سؤولاً جشعاً، فقدم المدينة وقد أرصدت له قريشٌ العطايا، والناس في سنةٍ مجدبةٍ وسخطةٍ من خليفة، فمشى أشراف أهل المدينة بعضهم إلى بعض، فقالوا: قد قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر، والشاعر يظن فيحقق، وهو يأتي الرجل من أشرافكم يسأله، فإن أعطاه جهد نفسه بهرها، وإن حرمه هجاه، فأجمع رأيهم على أن يجعلوا له شيئاً معدا يجمعونه بينهم له، فكان أهل البيت من قريش والأنصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين ديناراً حتى جمعوا له أربعمائة دينار، وظنوا أنهم قد أغنوه، فأتوه فقالوا له: هذه صلة آل فلانٍ وهذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلانٍ، فأخذها؛ فظنوا أنهم قد كفوه عن المسئلة، فإذا هو يوم الجمعة قد استقبل الإمام ماثلاً ينادي: من يحملني على بغلين وقاه الله كبة جهنم.

متانة شعره

ووصف أبو عبيدة ومحمد بن سلام شعر الحطيئة فجمعت متفرق ما وصفاه به في هذا الخبر، أخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلام وابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قالا: طلب من كعب بن زهير أن يقول شعراً يضعه فيه بعده فقال، وهجاه لذلك مزرد بن ضرار كان الحطيئة متين الشعر، شرود القافية، وكان دنيء النفس، وما تشاء أن تطعن في عشر شاعر إلا وجدت فيه مطعناً، وما أقل ما تجد ذلك في شعره. قالا: فبلغ من دناءة نفسه أنه أتى كعب بن زهير - وكان الحطيئة راوية زهير وآل زهير - فقال له: قد علمت روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي إليكم، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك! - وقال أبو عبيدة: تبدأ بنفسك فيه ثم تثني بي - فإن الناس لأشعاركم أروى وإليها أسرع! فقال كعب:

فمن للقوافي شانها من يحوكها ... إذا ما ثوى كعبٌ وفور جرول

كفيتك لا تلقى من الناس واحداً ... تنخل منها مثل ما نتنخل

نقول فلا نعيا بشيءٍ نقوله ... ومن قائليها من يسيء ويجمل

نثقفها حتى تلين متونها ... فيقصر عنها كل ما يتمثل

قال: فاعترضه مزرد بن ضرار، واسمه يزيد وهو أخو الشماخ، وكان عريضاً أي شديد العارضة كثيرها، فقال:

باستك إذ خلفتني خلف شاعرٍ ... من الناس لم أكفىء ولم أتنخل

فإن تخشبا أخشب وإن تتنخلا ... وإن كنت أفتى منكما أتنخل

فلست كحسان الحسام ابن ثابتٍ ... ولست كشماخٍ ولا كالمخبل

أنشد عمر شعراً هجا به قومه

ومدح إبله

نسخت من كتاب الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن الضحاك قال: أنشد الحطيئة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدةً نال فيها من قومه ومدح إبله فقال:

مهاريس يروي رسلها ضيف أهلها إذا الريح أبدت أوجه الخفرات

يزيل القتاد جذبها بأصوله إذا أصبحت مقورةً خرصات

دخوله حفل سعيد بن العاص

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن التوزي عن أبي عبيدة قال: بينا سعيد بن العاص يعشي الناس بالمدينة والناس يخرجون أولاً أولاً، إذ نظر على بساطه إلى رجل قبيح المنظر، رث الهيئة، جالسٍ مع أصحاب سمره، فذهب الشرط يقيمونه فأبى أن يقوم، وحانت من سعيدٍ التفاتةٌ فقال: دعوا الرجل، فتركوه؛ وخاضوا في أحاديث العرب وأشعاره ملياً؛ فقال لهم الحطيئة: والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب؛ فقال له سعيد: أتعرف من ذلك شيئاً؟ قال: نعم؛ قال: فمن أشعر العرب؟ قال: الذي يقول:

لا أعد الإقتار عدماً ولكن فقد من قد رزئته الإعدام

وأنشدها حتى أتى عليها؛ فقال له: من يقولها؟ قال: أبو داودٍ الإيادي؛ قال: ثم من؟ قال: الذي يقول:

أفلح بما شئت فقد يدرك بال جهل وقد يخدع الأريب

ثم أنشدها حتى فرغ منها؛ قال: ومن يقولها؟ قال عبيد بن الأبرص؛ قال: ثم من؟ قال: والله لحسبك بي عند رغبةٍ أو رهبةٍ إذا رفعت إحدى رجلي على الأخرى ثم عويت في أثر القوافي عواء الفصيل الصادي؛ قال: ومن أنت؟ قال: الحطيئة؛ قال: فرحب به سعيد، ثم قال: أسأت بكتماننا نفسك منذ الليلة؛ ووصله وكساه.

خبره مع عتيبة بن النهاس

ومضى لوجهه إلى عتيبة بن النهاس العجلي فسأله؛ فقال له: ما أنا على عملٍ فأعطيك من عدده، ولا في مالي فضل عن قومي؛ قال له: فلا عليك، وانصرف. فقال له بعض قومه: لقد عرضتنا ونفسك للشر! قال: وكيف! قالوا: هذا الحطيئة وهو هاجينا أخبث هجاء؛ فقال ردوه: فردوه إليه، فقال له: لم كتمتنا نفسك كأنك كنت تطلب العلل علينا! اجلس فلك عندنا ما يسرك؛ فجلس فقال له: من أشعر الناس؟ قال: الذي يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

فقال له عتيبة: إن هذا من مقدمات أفاعيك؛ ثم قال لوكيله: اذهب معه إلى السوق فلا يطلب شيئاً إلا اشتريته له؛ فجعل يعرض عليه الخز ورقيق الثياب فلا يريدها ويومىء إلى الكرابيس والأكسية الغلاظ فيشتريها له حتى قضى أربه ثم مضى؛ فلما جلس عتيبة في نادي قومه أقبل الحطيئة، فلما رآه عتيبة قال: هذا مقام العائذ بك يا أبا مليكة من خيرك وشرك؛ قال: كنت قلت بيتين فاستمعهما ثم أنشأ يقول:

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلاً ... فسيان لا ذم عليك ولا حمد

وأنت امرؤ لا الجود منك سجيةٌ ... فتعطى ولا يعدي على النائل الوجد

ثم ركض فرسه فذهب.

ليس في شعره مطعن

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد البوشنجي قالا حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني محمد بن عمرو الجرجرائي عن أبي صفوان الأحوزي قال: ما من أحدٍ إلا لو أشاء أن أجد في شعره مطعناً لوجدته إلا الحطيئة.

قول إسحاق أنه أشعر الشعراء بعد زهير

وفتيان صدقٍ من عدي عليهم ... صفائح بصرى علقت بالعواتق

إذا ما دعوا لم يسألوا من دعاهم ... ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافق

وطاروا إلى الجرد العتاق فألجموا ... وشدوا على أوساطهم بالمناطق

أولئك آباء الغريب وغاثة الص ... ريخ ومأوى المرملين الدرادق

أحلوا حياض الموت فوق جباههم ... مكان النواصي من وجوه السوابق

ويروى:

إذا استلحموا... وإذا ركبوا لم ينظروا عن شمالهم

ويروى: أولئك أبناء العزيف - ثم قال: أما إني ما أزعم أن أحداً بعد زهير أشعر من الحطيئة.

وافقه ابن ميادة في شطر فعرف أنه شاعر أخبرني الحسين بن يحيى حماد بن إسحاق عن أبيه قال: بلغني أنه لما قال ابن ميادة:

تمشي به ظلمانه وجآذره

قيل له: قد سبقك الحطيئة إلى هذا، فقال: والله ما علمت أن الحطيئة قال هذا قط، والآن علمت والله أني شاعر حين واطأت الحطيئة.

شعره وقول الأصمعي أفسده بالهجاء قال حماد: قال أبي: وقال لي الأصمعي وقد أنشدني شيئاً من شعر الحطيئة:

أفسد مثل هذا الشعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع.

سئل من أشعر الناس فأخرج لسانه يعني نفسه قال حماد: قال أبي: وبلغني عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه قال: لقيت الحطيئة بذات عرقٍ فقلت له: يا أبا مليكة، من أشعر الناس؟ فأخرج لسانه كأنه لسان الحية ثم قال: هذا إذا طمع.

قابل حسان متنكراً وسمع من شعره ونسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير قال حدثني يحيى بن محمد بن طلحة وكان قد قارب ثمانين سنة قال: أخبرني بعض أشياخنا أن أعرابياً وقف على حسان بن ثابت وهو ينشد، فقال له حسان: كيف تسمع يا أعرابي؟ قال: ما أسمع بأساً؛ قال حسان: أما تسمعون إلى الأعرابي! ما كنيتك أيها الرجل؟ قال: أبو مليكة، قال: ما كنت قط أهون علي منك حين أكتنيت بامرأة، فما اسمك؟ قال: الحطيئة، فأطرق حسان ثم قال له: امض بسلام.

كان بخيلاً يطرد أضيافه

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني قال: مر ابن الحمامة بالحطيئة وهو جالس بفناء بيته، فقال: السلام عليكم؛ فقال: قلت ما لا ينكر؛ قال: إني خرجت من عند أهلي بغير زاد؛ فقال: ما ضمنت لأهلك قراك؛ قال: أفتأذن لي أن آتي ظل بيتك فأتفيأ به؟ قال: دونك الجبل يفيء عليك؛ قال: أنا ابن الحمامة؛ قال: انصرف وكن ابن أي طائر شئت.

وأخبرنا بهذا الخبر اليزيدي عن الخزاز عن المدائني فحكى ما ذكرناه من قول الحطيئة عن أبي الأسود الدؤلي.

وأخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة والمدائني قالا: أتى رجلٌ الحطيئة وهو في غنم له فقال له: يا صاحب الغنم، فرفع الحطيئة العصا وقال: إنها عجراء من سلم؛ فقال الرجل: إني ضيف؛ فقال: للضيفان أعددتها، فانصرف عنه. قال إسحاق: وقال غيرهما: إن الرجل قال له: السلام عليكم؛ فقال له: عجراء من سلم؛ فقال: السلام عليكم؛ فقال: أعددتها للطراق؛ فأعاد السلام فقال له: إن شئت قمت بها إليك؛ فانصرف الرجل عنه.

كان يقول إنما أنا حسب موضوع

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال: زعم الجاحظ أن الحطيئة كان يقول: إنما أنا حسبٌ موضوعٌ؛ فسمع عمرو بن عبيد رجلاً يحكي ذلك عنه يقال له عبد الرحمن بن صديقة، فقال عمرو: كذب ترحه الله إنما ذلك التقوى.

هجاؤه أضيافه وقد ضافه صخر بن أعيى فتهاجيا

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال الأصمعي: لم يترل ضيفٌ قط بالحطيئة إلا هجاه، فترل به رجلٌ من بني أسد لم يسمه الأصمعي، وذكر أبو عبيدة أنه صخر بن أعيى الأسدي أحد بني أعيى ابن طريف بن عمرو بن قعينٍ، فسقاه شربةً من لبنٍ، فلما شربها قال:

لما رأيت أن من يبتغي القرى ... وأن ابن أعيى لا محالةَ فاضحي

شددت حيازيم ابن أعيى بشربةٍ ... على ظمأ سدت أصول الجوانح

وروى الأصمعي شدت بالشين المعجمة.

ولم أك مثل الكاهلي وعرسه ... بغى الود من مطروفة العين طامح

غدا باغياً يبغي رضاها وودها ... وغابت له غيب امرىء غير ناصح

دعت ربها ألا يزال بفاقةٍ ... ولا يغتدي إلا على حد بارح

قال فأجابه صخر بن أعيى فقال:

ألا قبح الحطيئة إنه ... على كل ضيف ضافه هو سالح

دفعت إليه وهو يخنق كلبه ... ألا كل كلبٍ لا أبا لك نابح

بكيت على مذقٍ خبيثٍ قريته ... ألا كل عبسي على الزاد شائح

قال أبو عبيدة وهجا الحطيئة أيضاً رجلاً من أضيافه فقال:

وسلم مرتين فقلت مهلاً ... كفتك المرة الأولى السلاما

ونقنق بطنه ودعا رؤاساً ... لما قد نال من شبع وناما

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام عن يونس أن الحطيئة خرج في سفر له ومعه امرأته أمامة وابنته مليكة، فترل مترلاً وسرح ذوداً له ثلاثاً، فلما قام للرواح فقد إحداها فقال:

أذئب القفر أم ذئبٌ أنيسٌ ... أصاب البكر أم حدث الليالي

ونحن ثلاثةٌ وثلاث ذودٍ ... لقد جار الزمان على عيالي

أخبرني محمد بن خلف وكيع والحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد عن أبيه قال قال أبو عمرو بن العلاء: لم تقل العرب بيتاً قط أصدق من بيت الحطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

فقيل له: فقول طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فقال: من يأتيك بها ممن زودت أكثر، وليس بيتٌ مما قالته الشعراء إلا وفيه مطعنٌ إلا قول الحطيئة:

لا يذهب العرف بين الله والناس

قال إسحاق قال المدائني قال سلم بن قتيبة: ما أعلم قافيةً تستغني عن صدرها وتدل عليه وإن لم ينشد مثل قول الحطيئة:

لا يذهب العرف بين الله والناس

كتب له الأصمعي أربعين قصيدة في ليلة

أخبرني محمد بن الحسن بن دريدٍ قال حدثنا الرياشي قال سمعت الأصمعي يقول: كتبت للحطيئة في ليلةٍ أربعين قصيدةً.

قوله لا يذهب العرف مكتوب في التوراة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة قال: بلغني أن هذا البيت في التوراة، ذكره غير واحد عن أبي بن كعب. يعني قول الحطيئة:

لا يذهب العرف بين الله والناس

قال إسحاق وذكر عبد الله بن مروان عن أيوب بن عثمان الدمشقي عن عثمان بن أبي عائشة قال: سمع كعبٌ الحبر رجلاً ينشد بيت الحطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

فقال: والذي نفسي بيده إن هذا البيت لمكتوبٌ في التوراة. قال إسحاق قال العمري: والذي صح عندنا في التوراة "لا يذهب العرف بين الله والعباد".

أوصى ابن شداد ابنه محمداً بشعره

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال قال أبو عدنان: لما حضرت عبيد الله ابن شداد الوفاة دعا ابنه محمداً فأوصاه وقال له: يا بني أرى داعي الموت لا يقلع، وبحق أن من مضى لا يرجع، ومن بقي فإليه يترع. يا بني، ليكن أولى الأمور بك تقوى الله في السر والعلانية، والشكر لله، وصدق الحديث والنية، فإن للشكر مزيداً، والتقوى خير زادٍ، كما قال الحطيئة:

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد ذخراً وعند الله للأتقى مزيد

وما لابد أن يأتي قريبٌ ولكن الذي يمضي بعيد

مدحه أبا موسى الأشعري

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال: قدم حمادٌ الراوية البصرة على بلال بن أبي بردة وهو عليها؛ فقال له: ما أطرفتني شيئاً يا حماد؛ قال: بلى، ثم عاد إليه فأنشده للحطيئة في أبي موسى الأشعري يمدحه:

جمعت من عامرٍ فيه ومن جشمٍ ومن تميم ومن حاءٍ ومن حام

مستحقباتٍ رواياها جحافلها يسمو بها أشعري طرفه سامي

فقال له بلال: ويحك! أيمدح الحطيئة أبا موسى الأشعري وأنا أروي شعر الحطيئة كله فلا أعرفها! ولكن أشعها تذهب في الناس.

وذكر المدائني أن الحطيئة قال هذه القصيدة في أبي موسى، وأنها صحيحة. قالها فيه وقد جمع جيشاً للغزو فأنشده:

جمعت من عامرٍ فيه ومن أسدٍ

وذكر البتين وبينهما هذا البيت وهو:

فما رضيتهم حتى رفدتهم بوائلٍ رهط ذي الجدين بسطام

فوصله أبو موسى؛ فكتب إليه عمر رضي الله عنه يلومه على ذلك؛ فكتب إليه: إني اشتريت عرضي منه بها؛ فكتب إليه عمر: إن كان هذا هكذا وإنما فديت عرضك من لسانه و لم تعطه للمدح والفخر فقد أحسنت. ولما ولى بلال ابن أبي بردة أنشده إياها حمادٌ الراوية فوصله أيضاً.

كذبه عمر في بيت قاله

ونسخت من كتاب لحماد بن إسحاق حدثني به أبي وأخبرني به عمي عن الكراني عن الرياشي قال حدثني محمد بن الطفيل عن أبي بكر بن عياش عن الحارث بن عبد الرحمن بن مكحول قال: سبق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فرس له فجثا على ركبتيه وقال: "إنه لبحر"؛ قال عمر: كذب الحطيئة حيث يقول:

وإن جياد الخيل لا تستفزنا ولا جاعلات الريط فوق المعاصم

لو ترك هذا أحدٌ لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أراد سفراً فاستعطفته امرأته فرجع

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابي عبيدة أن الحطيئة أراد سفراً فأتته امرأته وقد قدمت راحلته ليركب، فقال:

أذكر تحننا إليك وشوقنا واذكر بناتك إنهن صغار

فقال: حطوا، لا رحلت لسفرٍ أبداً.

رؤية صاحب الحطيئة الجني

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي ومحمد بن الحسن بن دريد قالا حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن أبيه قال: قال رجل: ضفت قوماً في سفر وقد ضللت الطريق، فجاءوني بطعام أجد طعمه في فمي وثقله في بطني، ثم قال شيخ منهم لشاب: أنشد عمك؛ فأنشدني:

عفا من سليمى مسحلان فحامره تمشى به ظلمانه وجآذره

فقلت له: أليس هذا للحطيئة؟ فقال: بلى، وأنا صاحبه من الجن.

ابن شبرمة يستجيد شعره

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قال ابن عيينة: سمعت ابن شبرمة يقول: أنا والله أعلم بجيد الشعر، لقد أحسن الحطيئة حيث يقول:

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا

وإن قال مولاهم على جل حادثٍ من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا

قال: وقال الأصمعي وقد سأله أبو عدنان عن هذا البيت: ما واحد البنى، قال: بنيه؛ فقال له: أتجمع فعلة على فعل؟ قال: نعم مثل رشوة ورشىً وحبوة وحبىً.

نزوله على بني مقلد بن يربوع

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن أحمد بن صدقة الأنباري قال حدثنا ابن الأعرابي عن المفضل: أن الحطيئة أقحمته السنة، فنزل ببني مقلد بن يربوع، فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا: إن هذا الرجل لا يسلم أحدٌ من لسانه، فتعالوا حتى نسأله عما يحب فنفعله وعما يكره فنجتنبه؛ فأتوه فقالوا له: يا أبا مليكة، إنك اخترتنا على سائر العرب ووجب حقك علينا، فمرنا بما تحب أن نفعله وبما تحب أن ننتهي عنه؛ فقال: لا تكثروا زيارتي فتملوني، ولا تقطعوها فتوحشوني، ولا تجعلوا فناء بيتي مجلساً لكم، ولا تسمعوا بناتي غناء شبانكم، فإن

الغناء رقية الزنا. قال: فأقام عندهم. وجمع كل رجل منهم ولده وقال: أمكم الطلاق، لئن تغنى أحد منكم والحطيئة مقيمٌ بين أظهرنا لأضربنه ضربةً بسيفي أخذت منه ما أخذت. فلم يزل مقيماً فيما يرضى حتى انجلت عنه السنة، فارتحل وهو يقول:

جاورت آل مقلدٍ فحمدتهم ... إذ ليس كل أخي جوارٍ يحمد

أيام من يرد الصنيعة يصطنع ... فينا ومن يرد الزهادة يزهد

خبره مع الزبرقان وسبب هجائه إياه

فأما خبره مع الزبرقان بن بدر والسبب في هجائه إياه، فأخبرني به أبو خليفة عن محمد بن سلام و لم يتجاوزه به، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام عن يونس، وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة، وأخبرني اليزيدي عن عمه عبيد الله عن أبي حبيب عن ابن الأعرابي وقد جمعت رواياتهم وضممت بعضها إلى بعض:

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ولى الزبرقان بن بدر بن امرىء القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم عملاً، وذكر مثل ذلك الأصمعي، وقال: الزبرقان: القمر، والزبرقان: الرجل الخفيف اللحية. قال: وأقره أبو بكر رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم على عمله، ثم قدم على عمر في سنة مجدبة ليؤدي صدقات قومه، فلقيه الحطيئة بقرقرى ومعه ابناه أوسٌ وسوادة وبناته وامرأته؛ فقال له الزبرقان وقد عرفه و لم يعرفه الحطيئة: أين تريد؟ قال: العراق، فقد حطمتنا هذه السنة؛ قال: وتصنع ماذا؟ قال وددت أن أصادف بها رجلاً يكفيني مؤونة عيالي وأصفيه مدحي أبداً؛ فقال له الزبرقان: قد أصبته، فهل لك فيه يوسعك لبناً وتمراً ويجاورك أحسن جوار وأكرمه؟ فقال له الحطيئة: هذا وأبيك العيش، وما كنت أرجو هذا كله؛ قال: فقد أصبته؛ قال: عند من؟ قال: عندي؛ قال: ومن أنت؟ قال: الزبرقان بن بدر؛ قال وأين محلك؟ قال: اركب هذه الإبل، واستقبل مطلع الشمس، وسل عن القمر حتى تأتي منزلي. قال يونس: وكان اسم الزبرقان الحصين بن بدر، وإنما سمي الزبرقان لحسنه، شبه القمر. وقيل: بل لبس عمامةً مزبرقةً بالزعفران فسمي الزبرقان لذلك. وقال أبو عبيدة في خبره: فقال له: سر إلى أم شذرة وهي أم الزبرقان وهي أيضاً عمة الفرزدق، وكتب إليها أن أحسني إليه، وأكثري له من التمر واللبن. وقال آخرون: بل وكله إلى زوجته. فلحق الحطيئة بزوجته على رواية ابن سلام، وهي بنت صعصعة بن ناجية المجاشعية، واسمها هنيدة، وعلى رواية أبي عبيدة: أنها أمه، وذلك في عامٍ صعبٍ مجدب، فأكرمته المرأة وأحسنت إليه؛ فبلغ ذلك بغيض بن عامر بن شماس بن لأي بن جعفر وهو أنف الناقة بن قريع بن عوف "بن كعب" بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وبلغ إخوته وبني عمه فاغتنموها. وفي خبر اليزيدي عن عمه قال ابن حبيب عن ابن الأعرابي: وكانوا يغضبون من أنف الناقة، وإنما سمي جعفرٌ أنف الناقة لأن أباه قريعاً نحر ناقةً فقسمها بين نسائه، فبعثت جعفراً هذا أمه، وهي الشموس من وائل ثم من سعد هذيم،

فأتى أباه و لم يبق من الناقة إلا رأسها وعنقها، فقال: شأنك بهذا؛ فأدخل يده في أنفها وجر ما أعطاه؛ فسمي أنف الناقة. وكان ذلك كاللقب لهم حتى مدحهم الحطيئة، فقال:

قوم هم الأنف و الأذناب غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا

فصار بعد ذلك فخراً لهم ومدحاً، وكانوا ينازعون الزبرقان الشرف - يعني بغيضاً وإخوته وأهله - وكانوا أشرف من الزبرقان، إلا أنه قد كان استعلاهم بنفسه. وقال أبو عبيدة في خبره: كان الحطيئة دميماً سيء الخلق، لا تأخذه العين، ومعه عيال كذلك. فلما رأت أم شذرة حاله هان عليها وقصرت به، ونظر بغيضٌ وبنو أنف الناقة إلى ما تصنع به أم شذرة، فأرسلوا إليه: أن ائتنا، فأبى عليهم وقال: إن من شأن النساء التقصير والغفلة، ولست بالذي أحمل على صاحبها ذنبها. فلما ألح عليه بنو أنف الناقة، وكان رسولهم إليه شماس بن لأي وعلقمة بن هوذة وبغيض بن شماس والمخبل الشاعر، قال لهم: لست بحامل على الرجل ذنب غيره، فإن تركت وجفيت تحولت إليكم؛ فأطعموه ووعدوه وعداً عظيماً. وقال ابن سلام في خبره: فلما لم يجبهم دسوا إلى هنيدة زوجة الزبرقان أن الزبرقان إنما يريد أن يتزوج ابنته مليكة؛ وكانت جميلةً كاملةً، فظهرت من المرأة للحطيئة جفوة وهي في ذاك تداريه. ثم أرادوا النجعة، قال أبو عبيدة: فقالت له أم شذرة - وقال ابن سلام: فقالت له هنيدة -: قد حضرت النجعة فاركب أنت وأهلك هذا الظهر إلى مكان كذا وكذا، ثم اردده إلينا حتى نلحقك فإنه لا يسعنا جميعاً؛ فأرسل إليها: بل تقدمي أنت فأنت أحق بذلك؛ ففعلت وتثاقلت عن ردها إليه وتركته يومين أو ثلاثةً، وألح بنو أنف الناقة عليه وقالوا له: قد تركت بمضيعة. وكان أشدهم في ذلك قولاً بغيض بن شماس وعلقمة بن هوذة، وكان الزبرقان قد قال في علقمة:

لي ابن عمٍ لا يزا ل بعيني ويعين عائب
وأعينه في النائبا ت ولا يعين على النوائب
تسري عقاربه إل ى ولا تدب له عقارب
لاه ابن عمك لا يخا ف المحزنات من العواقب

قال: فكان علقمة ممتلئاً غيظاً عليه. فلما ألحوا على الحطيئة أجابهم وقال: أما الآن فنعم، أنا صائرٌ معكم. فتحمل معهم، فضربوا له قبةً، وربطوا بكل طنب من أطنابها جلة هجرية، وأراحوا عليه إبلهم، وأكثروا له من التمر واللبن، وأعطوه لقاحاً وكسوةً. قال: فلما قدم الزبرقان سأل عنه فأخبر بقصته، فنادى في بني بهدلة بن عرف، وهم لأم دون قريع، أمهم السفعاء بنت غنم بن قتيبة من باهلة. فركب الزبرقان فرسه، وأخذ رمحه، وسار حتى وقف على نادي بني شماس القريعيين، فقال: ردوا علي جاري؛ فقالوا: ما هو لك بجارٍ وقد اطرحته وضيعته؛ فألم أن يكون بين الحيين حربٌ، فحضرهم أهل الحجا من قومهم، فلاموا بغيضاً وقالوا: اردد على الرجل جاره؛

فقال: لست مخرجه وقد آويته، وهو رجل حر مالكٌ لأمره، فخيروه فإن اختارني لم أخرجه، وإن اختاره لم أكرهه. فخيروا الحطيئة فاختار بغيضاً ورهطه؛ فجاء الزبرقان ووقف عليه وقال له: أبا مليكة، أفارقت جواري عن سخط وذمٍ؟ قال: لا؛ فانصرف وتركه. هذه رواية ابن سلام، وأما أبو عبيدة فإنه ذكر أنه كان بين الزبرقان ومن معه من القريعيين تلاحٍ وتشاحٌ. وزعم غيرهما أن الزبرقان استعدى عمر بن الخطاب على بغيضٍ، فحكم عمر بأن يخرج الحطيئة حتى يقام في موضعٍ خالٍ بين الحيين وحده ويخلى سبيله، ويكون جار أيهما اختار؛ ففعل ذلك به، فاختار القريعيين. قال: وجعل الحطيئة يمدحهم من غير أن يهجو الزبرقان، وهم يحضونه على ذلك ويحرضونه فيأبى ويقول: لا ذنب للرجل عندي؛ حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النمر بن قاسط يقال له دثار بن شيبان، فهجا بغيضاً فقال:

أرى إبلي بجوف الماء حلت ... وأعوزها به الماء الرواء

وقد وردت مياه بني قريع ... فما وصلوا القرابة مذ أساءوا

تحلأ يوم ورد الناس إبلي ... وتصدر وهي محنقةٌ ظماء

ألم أك جار شماس بن لأيٍ ... فأسلمني وقد نزل البلاء

فقلت تحولي يا أم بكرٍ ... إلى حيث المكارم والعلاء

وجدنا بيت بهدلة بن عوفٍ ... تعالى سمكه ودجا الفناء

وما أضحى لشماس بن لأي ... قديمٌ في الفعال ولا رباء

سوى أن الحطيئة قال قولاً ... فهذا من مقالته جزاء

فحينئذ قال الحطيئة يهجو الزبرقان ويناضل عن بغيضٍ قصيدته التي يقول فيها:

والله ما معشرٌ لاموا امرأً جنباً ... في آل لأي بن شماس بأكياس

ما كان ذنب بغيضٍ لا أبا لكم ... في بائسٍ جاء يحدو آخر الناس

لقد مريتكم لو أن درتكم ... يوماً يجيىء بها مسحي وإبساسي

وقد مدحتكم عمداً لأرشدكم ... كيما يكون لكم متحي وإمراسي

لما بدا لي منكم غيب أنفسكم ... ولم يكن لجراحي فيكم آسي

أزمعت يأساً مبيناً من نوالكم ... ولن يرى طارداً للحر كالياس

جارٌ لقومٍ أطالوا هون منزله ... وغادروه مقيماً بين أرماس

ملوا قراه وهرته كلابهم ... وجرحوه بأنيابٍ وأضراس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

ما كان ذنبي أن فلت معاولكم من آل لأيٍ صفاةٌ أصلها راسي

قد ناضلوك فسلوا من كنائنهم مجداً تليداً ونبلاً غير أنكاس

- الجنب: الغريب. والإبساس: أن يسكنها عند الحلب. والماتح: المستقي الذي يجذب الدلو من فوق. والإمراس: أن يقع الحبل في جانب البكرة فيخرجه -.

استعدى الزبرقان عليه فحبسه فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب، فرفعه عمر إليه واستنشده فأنشده؛ فقال عمر لحسان: أتراه هجاه؟ قال: نعم وسلح عليه، فحبسه عمر:

فصل زياد بنحو ما فصل عمر

في أمر الزبرقان والحطيئة

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية عن أبي عبد الرحمن الطائي عن عبد الله بن عياش عن الشعبي قال: شهدت زياداً وأتاه عامر بن مسعود بأبي علاثة التيمي، فقال: إنه هجاني؛ قال: وما قال لك؟ قال قال:

وكيف أرجي ثروها ونماءها وقد سار فيها خصية الكلب عامر

فقال أبو علاثة: ليس هكذا قلت؛ قال: فكيف قلت؟ قال قلت:

وإني لأرجو ثروها ونماءها وقد سار فيها ناجذ الحق عامر

قال زيادٌ: قاتل الله الشاعر، ينقل لسانه كيف شاء، والله لولا أن تكون سنةً لقطعت لسانك! فقام قيس بن فهد الأنصاري فقال: أصلح الله الأمير، ما أدري من الرجل، فإن شئت حدثتك عن عمر بما سمعت منه - قال: وكان زيادٌ يعجبه الحديث عن عمر رضي الله عنه - قال: هاته، قال شهدته وأتاه الزبرقان بن بدر بالحطيئة فقال: إنه هجاني؛ قال ما قال لك؟ قال قال لي:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها وقاعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر: ما أسمع هجاءً ولكنها معاتبةٌ؛ فقال الزبرقان: أو ما تبلغ مروؤتي إلا أن آكل وألبس! فقال عمر: علي بحسان، فجيء به فسأله؛ فقال: لم يهجه ولكن سلح عليه - قال ويقال: إنه سأل لبيداً عن ذلك فقال: ما يسرني أنه لحقني من هذا الشعر ما لحقه وأن لي حمر النعم - فأمر به عمر فجعل في نقيرٍ في بئر ثم ألقي عليه شيء، فقال:

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مرخٍ ... زغب الحواصل لا ماءٌ ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمةٍ ... فاغفر عليك سلام الله يا عمر

أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ... ألقى إليك مقاليد النهى البشر

لم يؤثروك بها إذ قدموك لها ... لكن لأنفسهم كانت بك الأثر

فأخرجه وقال له: إياك وهجاء الناس؛ قال: إذاً يموت عيالي جوعاً، هذا مكسبي ومنه معاشي؛ قال: فإياك والمقذع من القول؛ قال: وما المقذع؟ قال: أن تخاير بين الناس فتقول: فلان خيرٌ من فلان، وآل فلان خيرٌ من آل فلان؛ قال: فأنت والله أهجى مني. ثم قال: والله لولا أن تكون سنةً لقطعت لسانك، ولكن اذهب فأنت له، خذه يا زبرقان؛ فألقى الزبرقان في عنقه عمامةً فاقتاده بها؛ وعارضته غطفان فقالوا له: يا أبا شذرة، إخوتك وبنو عمك، هبه لنا؛ فوهبه لهم. فقال زيادٌ لعامر بن مسعود: قد سمعت ما روي عن عمر، وإنما هي السنن، فاذهب به فهو لك؛ فألقى في عنقه حبلاً أو عمامة، وعارضته بكر بن وائل فقالوا له: أخوالك وجيرانك؛ فوهبه لهم.

استعطف عمر بشعر فأطلقه

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة: أن الحطيئة لما حبسه عمر قال وهو أول ما قاله:

أعوذ بجدك إني امرؤٌ ... سقتني الأعادي إليك السجالا

فإنك خيرٌ من الزبرقان ... أشد نكالاً وأرجى نوالا

تحنن علي هداك المليك ... فإن لكل مقامٍ مقالا

ولا تأخذني بقول الوشاة ... فإن لكل زمانٍ رجالا

فإن كان ما زعموا صادقاً ... فسيقت إليك نسائي رجالا

حواسر لا يشتكين الوجا ... يخفضن آلاً ويرفعن آلا

فلم يلتفت عمر إليه حتى قال أبياته التي أولها:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخٍ

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء ومحمد بن العباس اليزيدي وعمر بن عبد العزيز بن أحمد وطاهر بن عبد الله الهشامي قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن الضحاك بن عثمان الحزامي قال حدثني عبد الله بن مصعب عن ربيعة بن عثمان عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: أرسل عمر إلى الحطيئة وأنا جالس عنده وقد كلمه فيه عمرو بن العاص وغيره فأخرجه من السجن فأنشده قوله:

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مرخٍ زغب الحواصل لا ماءٌ ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمةٍ فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقى إليك مقاليد النهي البشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر

فامنن على صبيةٍ بالرمل مسكنهم بين الأباطح تغشاهم بها القرر
أهلي فداؤك كم بيني وبينهم من عرض داوية تعمى بها الخبر

- قال فبكى حين قال:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ

فقال عمرو بن العاص: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أعدل من رجلٍ يبكي على تركه الحطيئة - فقال عمر: علي بالكرسي، فأتي به، فجلس عليه ثم قال: أشيروا علي في الشاعر، فإنه يقول الهجر وينسب بالحرم ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم، ما أراني إلا قاطعاً لسانه، ثم قال: علي بالطست، فأتي بها، ثم قال: علي بالمخصف، علي بالسكين، لا بل علي بالموسى، فهو أوحى؛ فقالوا لا يعود يا أمير المؤمنين، فأشاروا إليه أن قل لا أعود؛ فقال: لا أعود يا أمير المؤمنين؛ فقال له: النجاء. قال: فلما ولى قال له عمر: يا حطيئة، كأني بك عند فتىً من قريش، قد بسط لك نمرقةً وكسر له أخرى وقال: غننا يا حطيئة فطفقت تغنيه بأعراض الناس. قال ابن أسلم: فما انقضت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبيد الله بن عمر قد بسط له نمرقةً وكسر له أخرى وقال: غننا يا حطيئة، فجعل يغنيه، فقلت له: يا حطيئة، أتذكر قول عمر؟ ففزع وقال: يرحم الله ذلك المرء، أما إنه لو كان حياً ما فعلت. قال: وقلت لعبيد الله: سمعت أباك يقول كذا وكذا فكنت أنت ذلك الرجل.

اشترى منه عمر أعراض المسلمين وروي عن عبد الله بن المبارك أن عمر رضي الله عنه لما أطلق الحطيئة أراد أن يؤكد عليه الحجة فاشترى منه أعراض المسلمين جميعاً بثلاثة آلاف درهم؛ فقال الحطيئة في ذلك:

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع شتماً يضر ولا مديحاً ينفع
وحميتني عرض اللئيم فلم يخف دمي وأصبح آمناً لا يفزع

شفاعة ابن عوف له عند عمر أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن نافع بن أبي نعيم: أن عبد الرحمن بن عوف هو الذي استرضى عمر بن الخطاب وكلمه في أمر الحطيئة حتى أخرجه من السجن. قال حماد وأخبرني أبي عن أبي عبيدة أن عمر رضي الله عنه لما أطلقه قال الشاعر النمري الذي كان الزبرقان حمله على هجاء بغيضٍ:

دعاني الأثبجان ابناً بغيضٍ وأهلي بالعلاة فمنياني

وقالوا سر بأهلك فأتينا إلى حب وأنعامٍ سمان

فسرت إليهم عشرين شهراً وأربعةً فذلك حجتان

فلما أن أتيت ابني بغيضٍ وأسلمني بدائي الداعيان

يبيت الذئب والعثواء ضيفاً لنا بالليل بئس الضائفان

أمارس منهما ليلاً طويلاً أهجهج عن بني ويعروان

تقول حليلتي لما اشتكينا سيدركنا بنو القرم الهجان

سيدركنا بنو القمر بن بدرٍ سراج الليل للشمس الحصان

فقلت ادعي وأدعو إن أندى لصوتٍ أن ينادي داعيان

فمن يك سائلاً عني فإني أنا النمري جار الزبرقان

طريد عشيرةٍ وطريد حربٍ بما اجترمت يدي وجنى لساني

كأني إذ نزلت به طريداً نزلت على الممنع من أبان

أتيت الزبرقان فلم يضعني وضيعني بتريم من دعاني

مكثه في بني قريع

إلى أن أخصبوا وأجازوه فرحل عنهم ومدحهم

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال: لم يزل الحطيئة في بني قريع يمدحهم حتى إذا أحيوا قال لبغيضٍ: ف لي بما كنت تضمنت؛ فأتى بغيضٌ علقمة بن هوذة فقال له: قد جاء الله بالحيا، ففِ لي بما قلت - وكان قد ضمن له مائة بعير - وأبرئني مما تضمنته عهدتي؛ فقال: نعم، سل في بني قريع فمهما فضل بعد عطائهم أن يتم مائةً أتممته، ففعل فجمعوا له أربعين أو خمسين بعيراً، كان الرجل يعطيه على قدر ماله البعير والبعيرين؛ قال: فأتمها علقمة له مائةً وراعيين فدفعت إليه فلم يزل يمدحهم وهو مقيم بينهم حتى قال كلمته السينية واستعدى الزبرقان عليه عمر رضي الله عنه. فلما رحل عنهم قال:

لا يبعد الله إذ ودعت أرضهم أخي بغيضاً ولكن غيره بعدا

لا يبعد الله من يعطي الجزيل ومن يحبو الجليل وما أكدي ولا نكدا

ومن تلاقيه بالمعروف مبتهجاً إذا اجرهد صفا المذموم أو صلدا
لاقيته ثلجاً تندى أنامله أن يعطك اليوم لا يمنعك ذاك غدا
إني لرافده ودي ومنصرتي وحافظٌ غيبه إن غاب أو شهدا

سؤاله ابن عباس في هجاء الناس

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن دأب عن عبد الله بن عياش المنتوف قال: بينا ابن عباس جالسٌ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كف بصره وحوله ناسٌ من قريش، إذ أقبل أعرابي يخطر وعليه مطرف وجبة وعمامة خز، حتى سلم على القوم فردوا عليه السلام، فقال: يابن عم رسول الله، أفتني؛ قال: فيماذا؟ قال أتخاف علي جناحاً إن ظلمني رجل فظلمته وشتمني فشتمته وقصر بي فقصرت به؟ فقال: العفو خير، ومن انتصر فلا جناح عليه؛ فقال: يابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت امرأ أتاني فوعدني وغرني ومناني ثم أخلفني واستخف بحرمتي، أيسعني أن أهجوه؟ قال: لا يصلح الهجاء، لأنه لابد لك من أن تهجو غيره من عشيرته فتظلم من لم يظلمك، وتشتم من لم يشتمك، وتبغي على من لم يبغ عليك، والبغي مرتعٌ وخيم، وفي العفو ما قد علمت من الفضل؛ قال: صدقت وبررت؛ فلم ينشب أن أقبل عبد الرحمن بن سيحان المحاربي حليف قريش، فلما رأى الأعرابي أجله وأعظمه وألطف في مسئلته، وقال: قرب الله دارك يا أبا مليكة، فقال ابن عباس: أجرول؟ قال: جرول؛ فإذا هو الحطيئة، فقال ابن عباس: لله أنت! أي مردي قذافٍ، وذائدٍ عن عشيرةٍ، ومثنٍ بعارفة تؤتاها أنت يا أبا مليكة! والله لو كنت عركت بجنبك بعض ما كرهت من أمر الزبرقان كان خيراً لك، ولقد ظلمت من قومه من لم يظلمك، وشتمت من لم يشتمك؛ قال: إني والله بهم يا أبا العباس لعالم؛ قال ما أنت بأعلم بهم من غيرك؛ قال: بلى والله! يرحمك الله! ثم أنشأ يقول:

أنا ابن بجدتهم علماً وتجربةً فسل بسعدٍ تجدني أعلم الناس
سعد بن زيد كثيرٌ إن عددتهم ورأس سعد بن زيد آل شماس
والزبرقان ذناباهم وشرهم ليس الذنابى أبا العباس كالراس

فقال ابن عباس: اقسمت عليك ألا تقول إلا خيراً، قال: أفعل. ثم قال ابن عباس: يا أبا مليكة، من أشعر الناس؟ قال: أمن الماضين أم من الباقين؟ قال: من الماضين؛ قال: الذي يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

وما بدونه الذي يقول:

ولست بمستبقٍ أخاً لا تلمه على شعثٍ أي الرجال المهذب

ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جروﻻً - يعني نفسه - والله يابن عم رسول الله لولا الطمع والجشع لكنت أشعر الماضين، فأما الباقون فلا تشك أني أشعرهم وأصردهم سهماً إذا رميت.

الزبرقان وبنو أنف الناقة

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: روي لنا عن أبي عبيدة والهيثم بن عدي وغيرهما: أن عبد الله بن أبي ربيعة لما قدم من البحرين نزل على الزبرقان بن بدر بمائه فحلأه وهو الماء الذي يقال له بنيان، فنزل على بني أنف الناقة بمائهم وهو الذي يقال له وشيع، فأكرموه وذبحوا له شاةً وقالوا: لو كانت إبلنا منا قريبةً لنحرنا لك؛ فراح من عندهم يتغنى فيهم بقوله:

وما الزبرقان يوم يمنع ماءه ... بمحتسب التقوى ولا متوكل

مقيمٌ على بنيان يمنع ماءه ... وماء وشيعٍ ماء ظمآن مرمل

قال: فركب الزبرقان إلى عمر رضي الله عنه فاستعداه على عبد الله وقال: إنه هجاني يا أمير المؤمنين؛ فسأل عمر عن ذلك عبد الله؛ فقال له: يا أمير المؤمنين، إني نزلت على مائه فحلأني عنه؛ فقال عمر رضوان الله عليه: يا زبرقان، أتمنع ماءك من ابن السبيل! قال: يا أمير المؤمنين ألا أمنع ماءً حفر آبائي مجاريه ومستقره وحفرته أنا بيدي! فقال عمر: والذي نفسي بيده، لئن بلغني أنك منعت ماءك من أبناء السبيل لا ساكنتني بنجد أبداً! فقال بعض بني أنف الناقة يعير الزبرقان ما فعله:

أتدري من منعت ورود حوضٍ ... سليل خضارمٍ منعوا البطاحا

أزاد الركب تمنع أم هشاماً ... وذا الرمحين أمنعهم سلاحا

هم منعوا الأباطح دون فهرٍ ... ومن بالخيف والبدن اللقاحا

بضربٍ دون بيضتهم طلخفٍ ... إذ الملهوف لاذ بهم وصاحا

وما تدري بأيهم تلاقي ... صدور المشرفية والرماحا

وصيته عند موته بالشعراء والفقراء

وللحطيئة وصيةٌ ظريفة يأتي كل فريق من الرواة ببعضها، وقد جمعت ما وقع إلي منها في موضع واحد وصدرت بأسانيدها.

أخبرني بها محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلبٌ قال حدثنا عيينة بن المنهال عن الأصمعي، وأخبرني بها أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة،

ونسختها من كتاب محمد بن الليث عن محمد بن عبد الله العبدي عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عبد الرحمن "ابن أبي عمرة" عن أبيه، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة، وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قالوا: لما حضرت الحطيئة الوفاة اجتمع إليه قومه فقالوا: يا أبا مليكة: أوص فقال: ويلٌ للشعر من راوية السوء؛ قالوا: أوص رحمك الله يا حطيء؛ قال: من الذي يقول:

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ... ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز؟

قالوا: الشماخ؛ قال: أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب؛ قالوا: ويحك! أهذه وصيةٌ! أوص بما ينفعك! قال: أبلغوا أهل ضابيءٍ أنه شاعرٌ حيث يقول:

لكل جديدٌ لذةٌ غير أنني ... رأيت جديد الموت غير لذيذ

قالوا: أوص ويحك بما ينفعك! قال: أبلغوا أهل امرىء القيس أنه أشعر العرب حيث يقول:

فيا لك من ليلٍ كأن نجومه ... بكل مغار الفتل شدت بيذبل

قالوا: اتق الله ودع عنك هذا؛ قال: أبلغوا الأنصار أن صاحبهم أشعر العرب حيث يقول:

يغشون حتى ما تهر كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل

قالوا: هذا لا يغني عنك شيئاً، فقل غير ما أنت فيه؛ فقال:

الشعر صعبٌ وطويلٌ سلمه ... إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه ... يريد أن يعربه فيعجمه

قالوا: هذا مثل الذي كنت فيه؛ فقال:

قد كنت أحياناً شديد المعتمد ... وكنت ذا غربٍ على الخصم ألد

فوردت نفسي وما كادت ترد

قالوا: يا أبا مليكة، ألك حاجة؟ قال: لا والله، ولكن أجزع على المديح الجيد يمدح به من ليس له أهلاً. قالوا: فمن أشعر الناس؟ فأومأ بيده إلى فيه وقال: هذا الحجير إذا طمع في خير "يعني فمه" واستعبر باكياً؛ فقالوا له: قل لا إله إلا الله؛ فقال:

قالت وفيها حيدةٌ وذعر ... عوذٌ بربي منكم وحجر

فقالوا له: ما تقول في عبيدك وإمائك؟ فقال: هم عبيدٌ قن ما عاقب الليل النهار؛ قالوا: فأوص للفقراء بشيء؛ قال: أوصيهم بالإلحاح في المسئلة فإنها تجارةٌ لا تبور، واست المسئول أضيق.

قالوا: فما تقول في مالك؟ قال: للأنثى من ولدي مثل حظ الذكر؛ قالوا: ليس هكذا قضى الله جل وعز لهن؛

قال: لكني هكذا قضيت.

قالوا: فما توصي لليتامى؟ قال: كلوا أموالهم ونيكوا أمهاتهم؛ قالوا: فهل شيء تعهد فيه غير هذا؟ قال: نعم، تحملونني على أتانٍ وتتركونني راكبها حتى أموت فإن الكريم لا يموت على فراشه، والأتان مركبٌ لم يمت عليه كريمٌ قط؛ فحملوه على أتان وجعلوا يذهبون به ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول:

لا أحدٌ ألأم من حطيه هجا بنيه وهجا المريه

من لؤمه مات على فريه

والفرية: الأتان.

الغناء في شعر الحطيئة

ذكر ما غني فيه من القصائد التي مدح بها الحطيئة بغيضاً وقومه وهجا الزبرقان وقومه منها:

صوت

ألا طرقتنا بعد ما هجعوا هند وقد جزن غوراً واستبان لنا نجد

وإن التي نكبتها عن معاشرٍ علي غضابٍ أن صددت كما صدوا

الغناء لعلويه ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو، وهذه القصيدة التي يقول فيها:

أتت آل شماس بن لأيٍ وإنما أتاهم بها الأحلام والحسب العد

فإن الشقي من تعادي صدورهم وذو الجد من لانوا إليه ومن ودوا

يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها فإن غضبوا جاء الحفيظة والجد

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنى وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

وإن كانت النعمى عليهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا

وإن قال مولاهم على جل حادثٍ من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا

مطاعين في الهيجا مكاشيف للدجى بنى لهم آباؤهم وبنى الجد

ومنها:

صوت

وأدماء حرجوجٍ تعاللت موهناً بسوطي فارمدت نجاء الخفيدد

إذا آنست وقعاً من السئوط عارضت به الجور حتى يستقيم ضحى الغد

وتشرب بالقعب الصغير وإن تقد بمشفرها يوماً إلى الحوض تنقد

الموهن: وقتٌ من الليل بعد مضي صدرٍ منه. وارمدت: نجت، والارمداد: النجاء. والخفيدد: الظليم.

الغناء لابن محرز خفيف رملٍ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر الهشامي: أن فيه لإبراهيم خفيف رملٍ آخر، وهو في جامع إبراهيم غير مجنس. وفيه خفيف ثقيل مجهول، وذكر حبشٌ: أنه لمعبد؛ ويشبه أن يكون ليحيى المكي.

عده بعضهم أشعر الناس

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إبراهيم بن المنذر عن ابن عباية عن محمد بن مسلم الجوسق عن رجل من كعب قال: جئت سوق الظهر فإذا بكثير، وإذا الناس متقصفون عليه، فتخلصت حتى دنوت منه فقلت: أبا صخر؛ قال: ما تشاء؟ قلت: من أشعر الناس؟ قال: الذي يقول:

وآثرت إدلاجي على ليل حرةٍ هضيم الحشا حسانة المتجرد

تفرق بالمدرى أثيثاً نباته على واضح الذفرى أسيل المقلد

قال: قلت: هذا الحطيئة؟ قال: هو ذاك.

كذبه سيدنا عمر في شعر له

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني عن علي ابن مجاهد عن هشام بن عروة: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنشد قول الحطيئة:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد نارٍ عندها خير موقد

فقال عمر: كذب، بل تلك نار موسى نبي الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية: أن رجلاً دخل على الحطيئة، وهو مضطجع على فراشه وإلى جانبه سوداء قد أخرجت رجلها من تحت الكساء، فقال له: ويحك! أفي رجلك خف؟ قال: لا والله ولكنها رجل سوداء، أتدري من هي؟ قال: لا؛ قال: هي والله التي أقول فيها:

وآثرت إدلاجي على ليل حرةٍ

- وذكر البيتين - والله لو رأيتها يابن أخي لما شربت الماء من يدها؛ قال: فجعلت تسبه أقبح سب وهو يضحك.

ومنها:

صوت

ما كان ذنب بغيضٍ لا أبا لكم ... في بائسٍ جاء يحدو أنيقاً شزبا

طافت أمامة بالركبان آونةً ... يا حسنها من خيالٍ زار منتقبا

إذ تستبيك بمصقولٍ عوارضه ... حمش اللثات ترى في مائه شنبا

قد أخلقت عهدها من بعد جدته ... وكذبت حب ملهوفٍ وما كذبا

الغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة.

ومنها:

صوت

جزى الله خيراً والجزاء بكفه ... بأحسن ما يجزي الرجال بغيضا

فلو شاء إذ جئناه صد فلم يلم ... وصادف منأى في البلاد عريضا

الغناء للهدلي ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي.

أخبار ابن عائشة ونسبه

اسمه وكنيته ونسبه إلى أمه

محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر، و لم يكن يعرف له أبٌ فكان ينسب إلى أمه، ويلقبه من عاداه أو أراد سبه "ابن عاهة الدار". وكان يزعم أن اسم أبيه جعفر؛ وليس يعرف ذلك. وعائشة أمه مولاة لكثير بن الصلت الكندي حليف قريش. وقيل: إنها مولاة لآل المطلب بن أبي وداعة السهمي، ذكر ذلك إسحاق عن محمد بن سلام. وحكى ابن الكلبي القول الأول، وقال إسحاق: هو الصحيح، يعني قول ابن الكلبي. وقال إسحاق فيما رواه لنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه: إن محمد بن معن الغفاري ذكر له عن أبي السائب المخزومي أن ابن عائشة مولى المطلب بن أبي وداعة السهمي وإنه كان لغير رشدة، فأدركت المشيخة وهم إذا سمعوا له صوتاً حسناً قالوا: أحسن ابن المرأة. قال إسحاق وقال عمران بن هند الأرقمي: بل كان مولى لكثير بن الصلت.

سأله الوليد عن نسبه لأمه فأجابه قال إسحاق: قال عبيد الله بن محمد بن عائشة: قال الوليد بن يزيد لابن عائشة: يا محمد، ألغيةٍ أنت؟ قال: كانت أمي يا أمير المؤمنين ماشطة، وكنت غلاماً، فكانت إذا دخلت إلى موضع قالوا: ارفعوا هذا لابن عائشة؛ فغلبت على نسبي.

كان يفتن كل من سمعه

وأخذ عن معبد ومالك

قال إسحاق: وكان ابن عائشة يفتن كل من سمعه، وكان فتيان من المدينة قد فسدوا في زمانه بمحادثته ومجالسته. وقد أخذ عن معبد ومالك و لم يموتا حتى ساواهما على تقديمه لهما واعترافه بفضلهما.

كان جيد الغناء دون الضرب وقد قيل: إنه كان ضارباً و لم يكن بالجيد الضرب؛ وقيل: بل كان مرتجلاً لم يضرب قط.

كان يضرب بابتدائه المثل وكان أحسن المغنين بعد معبد وابتداؤه بالغناء كان يضرب به المثل، فيقال للابتداء الحسن كائناً ما كان من قراءة قرآن، أو إنشاد شعر، أو غناء يبدأ به فيستحسن: كأنه ابتداء ابن عائشة. قال إسحاق: وسمعت علماءنا قديماً وحديثاً يقولون: ابن عائشة أحسن الناس ابتداءً، وأنا أقول: إنه أحسن الناس ابتداءً وتوسطاً وقطعاً بعد أبي عباد معبد، وقد سمعت من يقول: إن ابن عائشة مثله؛ وأما أنا فلا أجسر على أن أقول ذلك.

وكان ابن عائشة غير جيد اليدين فكان أكثر ما يغني مرتجلاً. وكان أطيب الناس صوتاً.

قال إسحاق وحدثني محمد بن سلام قال قال لي جرير: لا تخدعن عن أبي جعفر محمد بن عائشة، فلولا صلفٌ كان فيه لما كان بعد أبي عباد مثله.

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي عن أبيه عن جده قال: ثلاثةٌ من المغنين كانوا أحسن الناس حلوقاً: ابن عائشة وابن تيزن وابن أبي الكنات.

ابن أبي عتيق وانتصاره له حدثني عمي قال حدثنا محمد بن داود بن الجراح قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب الزبيري عن أبيه قال: رأى ابن أبي عتيق حلق ابن عائشة مخدشاً فقال: من فعل هذا بك؟ قال: فلان، فمضى فترع ثيابه وجلس للرجل على بابه، فلما خرج أخذ بتلبيبه وجعل يضربه ضرباً شديداً والرجل يقول له: مالك تضربني! أي شيء صنعت! وهو لا يجيبه حتى بلغ منه؛ ثم خلاه وأقبل على من حضر فقال: هذا أراد أن يكسر مزامير داود: شد على ابن عائشة فخنقه وخدش حلقه.

لولا آخر غنائه لفاق ابن سريج قال إسحاق في خبره: وحدثني أبي عن سياطٍ عن يونس الكاتب قال: ما عرفنا بالمدينة أحسن ابتداءً من ابن عائشة إذا غنى، ولو كان آخر غنائه مثل أوله لقدمته على ابن سريج. قال إبراهيم: هو كذاك عندي، وقال إسحاق مثل قولهما. قال: وقال يونس: كان ابن عائشة يضرب بالعود و لم يكن مجيداً،

وكان غناؤه أحسن من ضربه، فكان لا يكاد يمس العود إلا أن تجتمع جماعةٌ من الضراب فيضربون عليه ويضرب هو ويغني، فناهيك به حسناً!.

كان يصلح لمنادمة الخلفاء والملوك أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان أنه ذكر يوماً المغنين بالمدينة، فقال: لم يكن بها أحدٌ بعد طويس أعلم من ابن عائشة ولا أظرف مجلساً ولا أكثر طيباً؛ وكان يصلح أن يكون نديم خليفة أو سمير ملك. قال إسحاق: فأذكرني هذا القول قول جميلة له: وأنت يا أبا جعفر فمع الخلفاء تصلح أن تكون.

الحسن يكرهه على غناء مائة صوت

قال إسحاق وحدثني المدائني قال حدثني جرير قال: كان ابن عائشة تائهاً سيىء الخلق، فإن قال له إنسانٌ: تغن، قال: ألمثلي يقال هذا! وإن قال له إنسان وقد ابتدأ هو بغناء: أحسنت، قال: ألمثلي يقال أحسنت! ثم يسكت، فكان قليلاً ما ينتفع به. فسال العقيق مرة فدخل عرصة سعيد بن العاصي الماء حتى ملأها، فخرج الناس إليها وخرج ابن عائشة فيمن خرج، فجلس على قرن البئر، فبينا هم كذلك إذ طلع الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، على بغلة وخلفه غلامان أسودان كأنهما من الشياطين، فقال لهما: امضيا رويداً حتى تقفا بأصل القرن الذي عليه ابن عائشة، فخرجا حتى فعلا ذلك. ثم ناداه الحسن: كيف أصبحت يابن عائشة؟ قال: بخير، فداك أبي وأمي، قال: انظر من إلى جنبك، فنظر فإذا العبدان، فقال له: أتعرفهما؟ قال: نعم، قال: فهما حران لئن لم تغنني مائة صوت لآمرنهما بطرحك في البئر، وهما حران لئن لم يفعلا لأقطعن أيديهما، فاندفع ابن عائشة فكان أول ما ابتدأ به صوتاً له وهو:

ألا لله درك من ... فتى قومٍ إذا رهبوا

ثم لم يسكت حتى غنى مائة صوت، فيقال إن الناس لم يسمعوا من ابن عائشة أكثر مما سمعوا في ذلك اليوم، وكان آخر ما غنى:

صوت

قل للمنازل بالظهران قد حانا ... أن تنطقي فتبيني القول تبيانا

قال جرير: فما رئي يومٌ أحسن منه، ولقد سمع الناس شيئاً لم يسمعوا مثله، وما بلغني أن أحداً تشاغل عن استماع غنائه بشيء، ولا انصرف أحدٌ لقضاء حاجة ولا لغير ذلك حتى فرغ. ولقد تبادر الناس من المدينة وما حولها حيث بلغهم الخبر لاستماع غنائه، فيقال: إنه ما رئي جمعٌ في ذلك الموضع مثل ذلك الجمع، ولقد رفع الناس أصواتهم يقولون له: أحسنت والله، أحسنت والله، ثم انصرفوا حوله يزفونه إلى المدينة زفاً.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

ألا لله درك من ... فتى قومٍ إذا رهبوا
وقالوا من فتىً للحر ... ب يرقبنا ويرتقب
فكنت فتاهم فيها ... إذا تدعي لها تثب
ذكرت أخي فعاودني ... رداع السقم والوصب
كما يعتاد ذات البو بعد ... سلوها الطرب
على عبد بن زهرة بت ... طول الليل أنتحب

الشعر لأبي العيال الهذلي. والغناء لمعبد، وله فيه لحنان، أحدهما ثقيلٌ أول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق يبدأ فيه بقوله:

ذكرت أخي فعاودني ... رداع السقم والوصب

والآخر خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو بن بانة. وفيه لابن عائشة خفيف رملٍ آخر، وقيل: بل هو لحن معبد. وذكر حماد بن إسحاق أن خفيف الرمل لمالك. البو: جلد يحشى تبناً ويجفف لكيلا تحبث رائحته، ويدنى إلى الناقة التي قد نحر فصيلها أو مات لتشمه فتدر عليه.

ومنها:

صوت

قل للمنازل بالظهران قد حانا ... أن تنطقي فتبيني القول تبيانا
قالت ومن أنت قل لي قلت ذو شغفٍ ... هجت له من دواعي الحب أحزانا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن عائشة خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى عن الهشامي وحبش.

غنى بالموسم فحبس الناس عن المسير

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات حدثني عبد الرحمن بن سليمان عن علي بن الجهم الشاعر قال حدثني رجل: أن ابن عائشة وافقاً بالموسم متحيراً، فمر به بعض أصحابه فقال له: ما يقيمك ها هنا؟ فقال: إني أعرف رجلاً لو تكلم لحبس الناس ها هنا فلم يذهب أحد و لم يجيء؛ فقال له الرجل: وما ذاك؟ قال أنا، ثم اندفع يغني:

جرت سنحاً فقلت لها أجيزي ... نوى مشمولةً فمتى اللقاء

قال: فحبس الناس، واضطربت المحامل، ومدت الإبل أعناقها، وكادت الفتنة أن تقع. فأتي به هشام بن عبد الملك، فقال له: يا عدو الله، أردت أن تفتن الناس! قال: فأمسك عنه وكان تياهاً، فقال له هشام: ارفق بتيهك، فقال: حق لمن كانت هذه مقدرته على القلوب أن يكون تياهاً، فضحك منه وخلى سبيله.

نسبة هذا الصوت الذي غناه ابن عائشة

صوت

جرت سنحاً فقلت لها أجيزي ... نوى مشمولةً فمتى اللقاء

بنفسي من تذكره سقامٌ ... أعانيه ومطلبه عناءٌ

السانح: ما أقبل من شمالك يريد يمينك، والبارح ضده. وقال أبو عبيدة: سمعت يونس بن حبيب يسأل رؤبة عن السانح والبارح، فقال: السانح: ما ولاك ميامنه، والبارح: ما ولاك مشائمه. وقوله: أجيزي أي انفذي. قال الأصمعي: يقال: أجزت الوادي إذا قطعته وخلفته، وجزته أي سرت فيه فتجاوزته، وجاوزته مثله. قال أوس بن مغراء:

ولا يريمون في التعريف موقفهم ... حتى يقال أجيزوا آل صوفانا

ومشمولةٌ: سريعة الانكشاف. أخذه من السحابة المشمولة، وهي التي تصيبها الشمال فتكشفها، ومن شأن الشمال أن تقطع السحاب، واستعارها ها هنا في النوى لسرعة انكشافهم فيها عن بلدهم، وأجرى ذلك مجرى الذم للسانح لأنه يتشاءم به. البيت الأول من الشعر لزهير بن أبي سلمى، والثاني محدث ألحقه المغنون به لا أعرف قائله. والغناء لابن عائشة، ولحنه خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر.

غنى الوليد بحضرة معبد ومالك

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق وأخبرني به محمد بن مزيد والحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال: كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر: أما بعد، فإذا قرأت كتابي هذا فسرح إلي حماداً الراوية على ما أحب من دواب البريد، وأعطه عشرة آلاف درهم يتهيأ بها. قال: فأتاه الكتاب وأنا عنده فنبذه إلي، فقلت: السمع والطاعة، فقال: يا دكين، مر شجرة يعطيه عشرة آلاف درهم، فأخذتها. فلما كان اليوم الذي أردت الخروج فيه أتيت يوسف بن عمر، فقال: يا حماد، أنا بالموضع الذي قد عرفته من أمير المؤمنين، ولست مستغنياً عن ثنائك؛ فقلت: أصلح الله الأمير إن العوان لا تعلم الخمرة وسيبلغك قولي وثنائي. فخرجت حتى انتهيت إلى الوليد وهو بالبخراء، فاستأذنت عليه

فأذن لي، فإذا هو على سرير ممهد، وعليه ثوبان أصفران: إزارٌ ورداء يقيئان الزعفران قيئاً، وإذا عنده معبدٌ ومالك بن أبي السمح وأبو كامل مولاه، فتركني حتى سكن جأشي، ثم قال أنشدني:

أمن المنون وريبها تتوجع

فأنشدته حتىأتيت على آخرها؛ فقال لساقيه: يا سبرة اسقه، فسقاني ثلاثة أكؤس خثرن ما بين الذؤابة والنعل. ثم قال يا مالك، غنني:

ألا هل هاجك الأظعا ن إذ جاوزن مطلحا

ففعل. ثم قال له: غني:

جلا أمية عني كل مظلمةٍ سهل الحجاب وأوفى بالذي وعدا

ففعل. ثم قال له: غنني:

أتنسى إذ تودعنا سليمى بفرع بشامةٍ سقي البشام

ففعل. ثم قال: يا سبرة، أو يا أبا سبرة، اسقني بزب فرعون؛ فأتاه بقدح معوج فسقاه به عشرين، ثم أتاه الحاجب فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، الرجل الذي طلبت بالباب؛ قال: أدخله، فدخل شاب لم أر شاباً أحسن وجهاً منه، في رجله بعض الفدع، فقال: يا سبرة اسقه، فسقاه كأساً؛ ثم قال له: غنني:

وهي إذ ذاك عليها مئزرٌ ولها بيت جوارٍ من لعب

فغناه؛ فنبذ إليه الثوبين. ثم قال له: غنني:

طاف الخيال فمرحبا ألفاً برؤية زينبا

فغضب معبد وقال: يا أمير المؤمنين، إنا مقبلون عليك بأقدارنا وأسناننا، وإنك تركتنا بمزجر الكلب، وأقبلت على هذا الصبي! فقال: والله يا أبا عباد، ما جهلت قدرك ولا سنك، ولكن هذا الغلام طرحني في مثل الطناجير من حرارة غنائه. قال حماد الراوية: فسألت عن الغلام فقيل لي هو ابن عائشة.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

جلا أمية عني كل مظلمةٍ سهل الحجاب أوفى بالذي وعدا

إذا حللت بأرضٍ لا أراك بها ضاقت علي ولم أعرف بها أحدا

الغناء لابن عباد الكاتب خفيف ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أنه لعمر الوادي. وذكر حبشٌ أن فيه لمالك لحناً من خفيف الثقيل الأول بالوسطى.

ومنها:

صوت

أتنسى إذ تودعنا سليمى ... بفرع بشامةٍ سقي البشام

متى كان الخيام بذي طلوحٍ ... سقيت الغيث أيتها الخيام

أتمضون الخيام ولم نسلم ... كلامكم علي إذاً حرام

بنفسي من تجنبه عزيزٌ ... علي ومن زيارته لمام

ومن أمسي وأصبح لا أراه ... ويطرقني إذا رقد النيام

الشعر لجرير. والغناء لابن سريج، وله في هذه الأبيات ثلاثة ألحان: أحدها في الأول والرابع ثقيلٌ أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. والآخر في الثاني ثم الأول ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو، والآخر في الثالث وما بعده رمل بالبنصر عن الهشامي وحبشٍ. وللدلال في الثاني والثالث ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق والمكي. وللغريض في الأول والثاني والثالث خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو. وفيها لمالك ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي. ولابن جامعٍ في الأول والثاني والرابع والخامس هزجٌ عن الهشامي. وفيها لابن جندبٍ خفيف ثقيل بالبنصر.

ومنها الصوت الذي أوله في الخبر:

وهي إذ ذاك عليها مئزرٌ

وأوله

صوت

عهدتني ناشئاً ذا غرة ... رجل الجمة ذا بطنٍ أقب

أتبع الولدان أرخي مئزري ... ابن عشر ذا قريطٍ من ذهب

وهي إذ ذاك عليها مئزرٌ ... ولها بيت جوارٍ من لعب

الشعر لامرىء القيس، ويقال: إنه أول شعرٍ شبب فيه بالنساء. والغناء لابن عائشة ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن الهشامي ودنانير وحماد بن إسحاق. وفيه خفيف ثقيلٍ بالبنصر ذكر حماد في أخبار جميلة أنه لها، وذكر حبش والهشامي أنه

لابن سريج، وقيل: إنه لغيرهما.

ومنها:

صوت

ألا هل هاجك الأظعان إذ جاوزن مطلحا

نعم ولو شك بينهم جرى لك طائرٌ سنحا

أخذن الماء من ركك وضوء الفجر قد وضحا

يقلن مقيلنا قرنٌ نباكر ماءه صبحا

تبعتهم بطرف العين حتى قيل لي افتضحا

يودع بعضنا بعضاً وكل بالهوى جرحا

فمن يفرح بينهم فغيري إذ غدوا فرحا

الشعر ترويه الرواة جميعاً لعمر بن أبي ربيعة سوى الزبير بن بكار فإنه رواه عن عمه وأهله لجعفر بن الزبير بن العوام، وقد ذكر خبره في هذا مع أخباره المذكورة في آخر الكتاب. ورواه الزبير

إذ جاوزن من طلحا

وقال: ليس على وجه الأرض موضعٌ يقال له: مطلح. والغناء لمالك وله فيه لحنان: ثقيلٌ أول بالبنصر عن إسحاق، وخفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لمعبد ثقيلٌ أول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن سريج في الخامس - وهو تبعتهم بطرف العين إلى آخر الأبيات - ثقيلٌ أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيها للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي، قال: وهو الذي فيه استهلالٌ. وذكر ابن المكي أن الثقيل الثاني لمالكٍ، وخفيف العقيل للغريض.

صوت

طرق الخيال فمرحبا ألفاً برؤية زينبا

أنى اهتديت لفتيةٍ سلكوا السليل فعليبا

طرب أبي جعفر الناسك لغناء ابن عائشة

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن محمد بن سلام قال حدثني جريرٌ قال: أخذ بعض ولاة المدينة المغنين والمخنثين والسفهاء بلزوم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان في المسجد رجلٌ ناسكٌ

يكنى أبا جعفر مولى لابن عياش بن أبي ربيعة المخزومي يقرىء الناس القرآن، وكان ابن عائشة يلازمه، فخلا لابن عائشة يوماً الموضع مع أبي جعفر فقرأ له فطرب ورجع، فسمع الشيخ صوتاً لم يسمع مثله قط، فقال له: يابن أخي، أفسدت نفسك وضيعتها، فلو أنك لزمت المسجد وتعلمت القرآن لأقمت للناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان، ولأصبت بذلك من الولاة خيراً، فوالله ما دخل أذني قط صوتٌ أحسن من صوتك؛ فقال ابن عائشة: فكيف لو سمعت يا أبا جعفر صوتي في الأمر الذي صنع له! قال وما هو؟ قال: انطلق معي حتى أسمعكه، فخرج معه إلى ميضأةٍ ببقيع الغرقد عند دار المغيرة بن شعبة، وكان أبو جعفر يتوضأ عندها كل يوم، فاندفع ابن عائشة يغني:

ألآن أبصرت الهدى وعلا المشيب مفارقي

فبلغ ذلك من الشيخ كل مبلغ، وقال: يابن أخي، هذا حسنٌ وأنا أشتهي أن أسمعه، ولكن لا أطلبه ولا أمشي إليه؛ قال ابن عائشة: فعليّ أن أسمعكه؛ فكان يرصده، فإذا خرج أبو جعفر يتوضأ خرج ابن عائشة في أثره حتى يقف خلف جدار الميضأة بحيث غناءه، فيغنيه أصواتاً حتى يفرغ أبو جعفر من وضوئه. فلم يزل يفعل ذلك حتى أطلقوا من لزوم المسجد.

نسبة هذا الصوت

صوت

طرق الخيال المعتري وهناً فؤاد العاشق
طيفٌ ألم فهاجني للبين أم مساحق
ألآن أبصرت الهدى وعلا المشيب مفارقي
وتركت أمر غوايتي وسلكت قصد طرائقي
ولقد رضيت بعيشنا إذ نحن بين حدائق
وركائب تهوي بنا بين الدروب فدابق

الشعر للوليد بن يزيد، ويقال: إنه لابن رهيمة. والغناء لابن عائشة رملٌ بالبنصر عن عمرو، وذكره يونس أيضاً له في كتابه. وفيه لأبي زكارٍ الأعمى خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو والهشامي. وذكر ابن خرداذبه أنه لأبي زكار الأعمى وهو قديم، وأنه وجد ذلك في كتاب يونس. وفيه لحكم الوادي لحن في كتاب يونس غير مجنس، ولاأدري أيها هو. وفي هذه الأبيات خفيف ثقيلٍ متنازعٌ فيه نسب إلى معبد وإلى مالك، و لم أجده لهما عن ثقة، وأظنه لحن حكم.

أكرهه الحسن ليخرج معه إلى البغيبغة ليغنيه

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر البوشنجي والحسين بن يحيى الأعور المرداسي قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام عن أبيه قال: كان الحسن بن الحسن مكرماً لابن عائشة محباً له، وكان ابن عائشة منقطعاً إليه، وكان من أتيه خلق الله وأشده ذهاباً بنفسه، فسأله الحسن أن يخرج معه إلى البغيبغة فامتنع ابن عائشة من ذلك؛ فأقسم عليه فأبى؛ فدعا بغلمانٍ له حبشان وقال: نفيت من أبي لئن لم تسر معي طائعاً لتسيرن كارهاً، ونفيت من أبي لئن لم ينفذوا أمري فيك لأقطعن أيديهم. فلما رأى ابن عائشة ما ظهر من الحسن علم أنه لابد من الذهاب، فقال له: بأبي أنت وأمي، أنا أمضي معك طائعاً لا كارهاً. فأمر الحسن بإصلاح ما يحتاج إليه وركب، وأمر لابن عائشة ببغلة فركبها ومضيا، حتى صارا إلى البغيبغة فنزلا الشعب، وجاءهم ما أعدوا فأكلوا؛ ثم أمرالحسن بأمره وقال يا محمد؛ فقال له: لبيك يا سيدي؛ قال: غنني؛ فاندفع فغناه:

صوت

يدعو النبي بعمه فيجيبه ... يا خير من يدعو النبي جلالا

ذهب الرجال فلا أحس رجالا ... وأرى الإقامة بالعراق ضلالا

وأرى المرجي للعراق وأهله ... ظمآن هاجرةٍ يؤمل آلا

وطربت إذ ذكر المدينة ذاكرٌ ... يوم الخميس فهاج لي بلبالا

فظللت أنظر في السماء كأنني ... أبغي بناحية السماء هلالا

- الشعر لابن المولى من قصيدة طويلة قالها وقد قدم إلى العراق لبعض أمره فطال مقامه بها واشتاق إلى بلده. وقد ذكر خبره في موضعه من هذا الكتاب. والغناء لابن عائشة ثقيلٌ أول بالبنصر عن حماد والهشامي وحبش. وقال الهشامي خاصةً: فيه لحن لقراريط - فقال له الحسن: أحسنت والله يابن عائشة! فقال ابن عائشة: والله لا غنيتك في يومي هذا شيئاً؛ فقال الحسن: فوالله لا برحت البغيبغة ثلاثة أيام! فاغتم ابن عائشة ليمينه وندم وعلم أنه لا حيلة له إلا المقام، فأقاموا. فلما كان اليوم الثاني قال له الحسن: هات ما عندك فقد برت يمينك، وكانوا جلوساً على شيء مرتفع، فنظروا إلى ناقة تقدم جماعة إبل، فاندفع ابن عائشة فغنى:

تمر كجندلة المنجني ... ق يرمى بها السور يوم القتال

فماذا تخطرف من قلة ... ومن حدبٍ وإكامٍ توالي

ومن سيرها العنق المسبطر ... والعجرفية بعد الكلال

فقال له الحسن: ويلك يا محمد! لقد أحسنت الصنعة؛ فسكت ابن عائشة؛ ثم قال له: غنني، فغناه:

إذا ما انتشيت طرحت اللجا م في شدق منجردٍ سلهب
يبذ الجياد بتقريبه ويأوي إلى حضرٍ ملهب
كميتٌ كأن على متنه سبائك من قطع المذهب
كأن القرنفل و الزنجبيل يعل على ريقها الأطيب

فقال له الحسن: أحسنت يا محمد، فقال له ابن عائشة: لكنك، بأبي أنت وأمي، قد ألجمتني بحجر فما أطيق الكلام. فأقاموا باقي يومهم يتحدثون؛ فلما كان اليوم الثالث قال الحسن: هذا آخر أيامك يا محمد؛ فقال ابن عائشة: عليه وعليه إن غناك إلا صوتاً واحداً حتى تنصرف، وعليه وعليه إن حلفت ألا أبر قسمك ولو في ذهاب روحه! فقال له الحسن: فلك الأمان على محبتك؛ فاندفع فغناه:

صوت

أنعم الله لي بذا الوجه عيناً وبه مرحبا وأهلاً وسهلا
حين قالت لا تذكرن حديثي يابن عمي أقسمت قلت أجل لا
لا أخون الصديق في السر حتى ينقل البحر بالغرابيل نقلا

قال: ثم انصرف القوم، فما رأى الحسن بن الحسن ابن عائشة بعدها.

نسبة ما لم تمض نسبته في الخبر من هذه الأصوات

منها: نسبة الغناء في الشعر الذي غنى به ابن عائشة ذلك اليوم

صوت

تمر كجندلة المنجنيق يرمى بها السور يوم القتال
فماذا تخطرف من قلة ومن حدبٍ وإكامٍ توالي
ومن سيرها العنق المسبطر والعجرفية بعد الكلال
ألا يا لقوم لطيف الخيا ل أرق من نازح ذي دلال
يثني التحية بعد السلا م ثم يفدي بعم وخال
خيالٌ لسلمى فقد عاد لي بنكسٍ من الحب بعد اندمال

أما الذي قاله الشاعر في هذا الشعر فإنه قال: يمر بالياء لأنه وصف به حماراً وحشياً، ولكن المغنين جميعاً يغنونه بالتاء على لفظ المؤنث، وقد وصف في هذه القصيدة الناقة و لم يذكر من صفتها إلا قوله:

ومن سيرها العنق المسبطر

ولكن المغنين أخذوا من صفة العير شيئاً ومن صفة الناقة شيئاً فخلطوها وغنوا فيهما. وقوله:

فماذا تخطرف من قلة

يعني أنه يمر بالموضع المرتفع فيطفره. وروى الأصمعي:

فماذا تخطرف من حالقٍ ومن قلة وحجابٍ وجال

فالحالق: ما أشرف. والحجاب: ما حجب عنك ما بين يديك من الأرض.

والجال: حرف الشيء، يقال له: جالٌ وجولٌ. والعنق المسبطر: المسترسل السهل.

والعجرفية: التعسف والإسراع. يقول: أذا كلت وتعبت تعجرفت في السير من بقية نفسها وشدتها. وروى الأصمعي فيها:

خيالٌ لجعدة قد هاج لي نكاساً من الحب بعد اندمال

يقالَ: نكس ونكاس بمعنى واحد وهو عود المرض بعد الصحة. والاندمال: الإفاقة من العلة، واندمال الجرح: برؤه. فأما الأبيات التي يصف فيها الناقة فقوله:

فسل الهموم بعيرانةٍ مواشكة الرجع بعد انتقال

ذمولٍ تزف زفيف الظلي م شمر بالنعف وسط الرئال

وترمد هملجةً زعزعاً كما انخرط الحبل فوق المحال

ومن سيرها العنق المسبطر والعجرفية بعد الكلال

كأني ورحلي إذا رعتها على جمزى جازىءٍ بالرمال

وأما صفة الحمار في هذه القصيدة فقوله فيه وفي الأتن:

فظل يسوف أبوالها ويوفي زيازي حدب التلال

فطاف بتعشيره وانتحى جوائلها وهو كالمستجال

تهادى حوافرها جندلاً زواهق ضرب قلاتٍ بقال

رمى بالجزاميز عرض الوجي ن وآرمد في الجري بعد انفتال

بشأوٍ له كضريم الحري ق أو شقة البرق في عرض خال

يمر كجندلة المنجني ... ق يرمى بها السور يوم القتال
فماذا تخطرف من حالقٍ ... ومن حدبٍ وحجابٍ وجال

الشعر لأمية بن أبي عائذ الهذلي. والغناء لابن عائشة. ولحن ابن عائشة مشكوك فيه: أي الألحان المصنوعة في هذا الشعر هو، فيقال: إنه خفيف الرمل، ويقال: إنه هو الثقيل الأول، ويقال: إنه الرمل. فأما خفيف الرمل فهو بالخنصر في مجرى الوسطى، وذكره إسحاق في موضع فتوقف عنه و لم ينسبه، ونسبه في موضع آخر إلى ابن أبي يزن المكي. ونسبه عمرو بن بانة إلى معبد وقال: فيه خفيف رمل آخر لمالك. وذكره يونس في أغاني ابن أبي يزن المكي ونسبه و لم يجنسه. وذكر ابن خرداذبه والهشامي أن فيه لهشام بن المرية لحناً من الثقيل الأول، ورأيت ذلك ايضاً في بعض الكتب بخط علي بن يحيى المنجم كما ذكرا. وذكر إسحاق أن الرمل مطلق في مجرى الوسطى وأنه لابن عائشة. وذكر أحمد بن المكي أنه لأبيه، وذكر غيره أنه غلطٌ وأن لحن أبيه هو الثقيل الأول والرمل لابن عائشة. وقال حبش: فيه لابن سريج هزج خفيفٌ بالوسطى.

ومنها، - وقد مضى تفسيره في الخبر واقتصر على البيت الأول منه -:

صوت

إذا انتشيت طرحت اللجا ... م في شدق منجردٍ سلهب

الشعر للنابغة الجعدي. والغناء لابن عائشة: خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي وحماد.

ومنها الصوت الذي أوله:

أنعم الله لي بذا الوجه عيناً

وقد جمع مع سائر ما يغنى فيه من القصيدة، وهو:

أثل جودي على المتيم أثل ... لا تزيدي فؤادي أثل خبلا
أثل إني والراقصات بجمع ... يتبارين في الأزمة فتلا
سابحاتٍ يقطعن من عرفاتٍ ... بين أيدي المطي حزنا وسهلا
والأكف المطهرات على الرك ... ن لشعثٍ سعوا إلى البيت رجلا
لا أخون الصديق في السر حتى ... ينقل البحر بالغرابيل نقلا
أو تمور الجبال مور سحابٍ ... مرتقٍ قد وعى من الماء ثقلا
أنعم الله لي بذا الوجه عيناً ... وبه مرحبا وأهلاً وسهلا

حين قالت لا تفشين حديثي يابن عمي أقسمت قلت أجل لا
فاتقي الله واقبلي العذر مني وتجافي عن بعض ما كان زلا
إن أكن سؤتكم به فلك العت بى لدينا وحق ذاك وقلا
لم أرحب بأن سخطت ولكن مرحبا أن رضيت عنا وأهلا
إن شخصاً رأيته ليلة البد ر عليه ابتنى الجمال وحلا
جعل الله كل أنثى فداءً لك بل خدها لرجليك نعلا
وجهك الوجه لو سألت به المز ن من الحسن والجمال استهلا

الشعر للحارث بن خالد المخزومي. والغناء لمعبد في الأربعة الأبيات الأول: خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى عن عمرو بن بانة. ولابن هوبر في الأول والثاني ثقيلٌ أول عن إسحاق. ولابن سريج في الأول والثاني والخامس ثقيل أول وآخر بالبنصر أوله استهلال. وللغريض في الخامس وما بعده إلى التاسع خفيف ثقيلٍ بالوسطى. ولدحمان في التاسع والثالث عشر والرابع عشر خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر. ولمالك في التاسع إلى آخر الثاني عشر لحن من كتاب يونس و لم يقع إلي من يجنسه. ولابن سريج فيها بعينها رمل بالوسطى عن الهشامي. وفيها أيضاً للغريض خفيف رملٍ بالبنصر. ولابن عائشة في السابع والثامن لحن ذكره حماد عن أبيه و لم يجنسه.

غنى الوليد فطرب وقبل كل أعضائه

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس الشيعي وحبيب بن نصر المهلبي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن سلام، وأخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام عن أبيه عن شيخ من تنوخ، و لم يقل عمر بن شبة في خبره: محمد بن سلام عن أبيه، ورواه عن محمد عن شيخ من تنوخ، قال: كنت صاحب ستر الوليد بن يزيد، فرأيت ابن عائشة عنده وقد غناه:

صوت

إني رأيت صبيحة النفر حوراً نفين عزيمة الصبر
مثل الكوكب في مطالعها بعد العشاء أطفن بالبدر
وخرجت أبغي الأجر محتسبا فرجعت موفوراً من الوزر

- قال إسحاق في خبره: والشعر لرجل من قريش، والغناء لمالك. هكذا في خبر إسحاق. وما وجدته ذكره

لمالك في جامع أغانيه. ووجدته في غناء ابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي - قال: فطرب الوليد حتى كفر وألحد، وقال: يا غلام، اسقنا بالسماء الرابعة، وكان الغناء يعمل فيه عملاً ضل عنه من بعده؛ ثم قال: أحسنت والله يا أميري! أعد بحق عبد شمس، فأعاد؛ ثم قال: أحسنت والله يا أميري! أعد بحق أمية، فأعاد؛ ثم قال: أعد بحق فلان، أعد بحق فلان، حتى بلغ من الملوك نفسه، فقال: أعد بحياتي؛ فأعاده. قال: فقام إليه فأكب عليه فلم يبق عضو من أعضائه إلا قبله وأهوى إلى هنه؛ فجعل ابن عائشة يضم فخذيه عليه؛ فقال: والله العظيم لا تريم حتى أقبله، فأبداه له فقبل رأسه، ثم نزع ثيابه فألقاها عليه، وبقي مجرداً إلى أن أتوه بمثلها، ووهب له ألف دينار، وحمله على بغلة وقال: اركبها - بأبي أنت - وانصرف، فقد تركتني على مثل المقلى من حرارة غنائك؛ فركبها على بساطه وانصرف.

أمر لمحتاج بمال فابى إلا سماعه

فحكى ذلك للوليد فجعله في ندمائه

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن الحسن النخعي قال حدثني محمد بن الحارث بن كليب بن زيد الربعي قال: خرج ابن عائشة المدني من عند الوليد بن يزيد وقد غناه:

أبعدك معقلاً أرجو وحصناً قد اعيتني المعاقل والحصون

- وهي أربعة أبيات، هكذا في الخبر، ولم يذكر غير هذا البيت منها -قال فأطربه فأمر له بثلاثين ألف درهم وبمثل كارة القصار كسوةً. فبينا ابن عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من أهل وادي القرى كان يشتهي الغناء ويشرب النبيذ، فدنا من غلامه وقال: من هذا الراكب؟ قال: ابن عائشة المغني؛ فدنا منه وقال: جعلت فداءك، أنت ابن عائشة أم المؤمنين؟ قال: لا، أنا مولى لقريش وعائشة أمي وحسبك هذا فلا عليك أن تكثر؛ قال: وما هذا الذي أراه بين يديك من المال والكسوة؟ قال: غنيت أمير المؤمنين صوتاً فأطربته فكفر وترك الصلاة وأمر لي بهذا المال وهذه الكسوة؛ قال: جعلت فداءك، فهل تمن علي بأن تسمعني ما أسمعته إياه؟ فقال له: ويلك! أمثلي يكلم بمثل هذا في الطريق! قال فما أصنع؟ قال: الحقني بالباب. وحرك ابن عائشة بغلةً شقراء كانت تحته لينقطع عنه؛ فعدا معه حتى وافيا الباب كفرسي رهان، ودخل ابن عائشة فمكث طويلاً طمعاً في أن يضجر فينصرف، فلم يفعل؛ فلما أعياه قال لغلامه: أخله؛ فلما دخل قال له: ويلك! من أين صبك الله علي! قال: أنا رجل من أهل وادي القرى أشتهي هذا الغناء؛ فقال له: هل لك فيما هو أنفع لك منه؟ قال: وما ذاك؟ قال: مائتا دينار وعشرة أثواب تتصرف بها إلى أهلك؛ فقال له: جعلت فداءك، والله إن لي لبنيةً ما في أذنها - علم الله - حلقة من الورق فضلاً عن الذهب، وإن لي لزوجةٍ ما عليها - يشهد الله - قميصٌ. ولو أعطيتني جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هذه الخلة والفقر اللذين عرفتكهما وأضعفت لي ذلك، لكان الصوت أعجب إلي - وكان ابن عائشة نائهاً لا يغني إلا لخليفةٍ أو لذي قدر جليل من إخوانه - فتعجب ابن عائشة منه ورحمه، ودعا بالدواة

وكان يغني مرتجلاً، فغناه الصوت؛ فطرب له طرباً شديداً، وجعل يحرك رأسه حتى ظن أن عنقه سينقصف، ثم خرج من عنده و لم يرزأه شيئاً، وبلغ الخبر الوليد بن يزيد فسأل ابن عائشة عنه، فجعل يغيب عن الحديث. ثم جد الوليد به فصدقه عنه، وأمر بطلب الرجل فطلب حتى أحضر، ووصله صلة سنية، وجعله في ندمائه ووكله بالسقي، فلم يزل معه حتى مات.

سمع الشعبي غناءه فمدحه

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني عمر بن أبي خليفة قال: كان الشعبي مع أبي في أعلى الدار، فسمعنا تحتنا غناء حسناً، فقال له أبي: هل ترى شيئاً؟ قال: لا، فنظرنا فإذا غلام حسن الوجه حديث السن يتغنى:

قالت عبيد تجرماً في القول فعل المازح

فما سمعت غناء كان أحسن منه، فإذا هو ابن عائشة، فجعل الشعبي يتعجب من غنائه، ويقول: يؤتي الحكمة من يشاء.

نسبة هذا الصوت

صوت

قالت عبيد تجرماً في القول فعل المازح
أنجز بعمرك وعدنا فأظن حبك فاضحي

فاجبتها لو تعلم ين بما تجن جوانحي
فيما أرى لرحمتني من خمل حب فادح
ما في البرية لي هوىً فاسمع مقالة ناصح
أشكو إليه جفاءكم إلا سلام مصافحي

زعم حبش أن الغناء لابن عائشة خفيف ثقيل بالبنصر.

حج ولقيه جماعة من قريش

فاحتالوا عليه حتى غنى لهم

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني بعض أهل المدينة قال: حدثني من رأى ابن عائشة حاجاً وقد دعاه فتيةٌ من بني هاشم فأجابهم، قال: وكنت فيهم، فلما دخلنا جعلوا صدر المجلس لابن عائشة فجلس فتحدثوا حتى حضر الطعام؛ فلما طعموا دعا بشراب فشربوا، وكان ابن عائشة إذا سئل أن يغني أبى ذلك وغضب، فإذا تحدث القوم بحديث ومضى فيه شعر قد غنى فيه ابتدأ هو فغناه، فكان من فطن له يفعل ذلك به، فقال رجل منهم: حدثني اليوم رجل من الأعراب ممن ان يصاحب جميلاً بحديث عجيب؛ فقال القوم: وما هو؟ فقال: حدثني أن جميلاً بينما هو يحدثه كما كان يحدثه إذ أنكره ورأى منه غير ما كان يرى، فثار نافراً، مقشعر الشعر، متغير اللون إلى ناقة له مجتمعة قريبة من الأرض، موثقة الخلق، فشد عليها رحله ثم أتاها بمحلب فيه لبنٌ فشربته، ثم ثنى فشربت حتى رويت، ثم قال: اشدد أداة رحلك واشرب واسق جملك، فإني ذاهب بك إلى بعض مذاهبي، ففعلت، فجال في ظهر ناقتي، فسرنا بياض يومنا وسواد ليلتنا، ثم أصبحنا فسرنا يومنا لا والله ما نزلنا إلا للصلاة؛ فلما كان اليوم الثالث دفعنا إلى نسوة فمال إليهم فوجدنا الرجال خلوفاً، وإذا قدر لبأٍ وقد جهدت جوعاً وعطشاً، فلما رأيت القدر اقتحمت عن بعيري وتركتهم جانباً، ثم أدخلت رأسي في القدر ما يثنيني حرها حتى رويت، فذهبت أخرج رأسي من القدر فضاقت علي وإذا هي على رأسي قلنسوةٌ، فضحكن مني وغسلن ما أصابني. وأتي جميلٌ بقرىً فوالله ما التفت إليه؛ فبينا هو يحدثهن إذا رواعي الإبل، وقد كان السلطان أحل لهم دمه إن وجدوه في بلادهم، وجاء الناس فقلن: ويحك! انج وتقدم، فوالله ما أكبرهم ذلك الإكبار، فإذا بهم يرمونه، ويطردونه، فإذا غشوه قاتلهم ورمى فيهم، وقام بي جملي، فقال لي: يسر لنفسك مركباً خلفي، فأردفني خلفه، لا والله ما انكسر ولا انحل عن فرصته حتى رجع إلى أهله، وقد سار ست ليالٍ وستة أيام وما التفت إلى طعام وقال في ذلك:

إن المنازل هيجت أطرابي ... واستعجمت آياتها بجوابي

وهي قصيدة طويلة. وقال أيضاً:

وأحسن أيام وأبهج عيشتي ... إذا هيج بي يوماً وهن قعود

قال فقال ابن عائشة: أفلا أغني لكم ذلك؟ فقلنا: بلى والله، فاندفع فغناه، فما سمع السامعون شيئاً أحسن من ذلك، وبقي أصحابنا يتعجبون من الحديث وحسنه والغناء وطيبه؛ فقال له أصحابنا: يا أبا جعفر، إنا مستأذنوك، فإن أذنت لنا سألناك، وإن كرهت تركناك؛ فقال: سلوا، فقالوا: نحب أن تغنينا في مجلسنا هذا ما نشطت هذا الصوت فقط؛ فقال لهم: نعم ونعمة عينٍ وكرامةً، فما زلنا في غاية السرور حتى انقضى المجلس.

نسبة هذا الغناء

صوت

إن المنازل هيجت أطرابي ... واستعجمت آياتها بجوابي

قفرٌ تلوح بذي اللجين كأنها ... أنضاء وشمٍ أو سطور كثاب

لما وقفت بها القلوص تبادرت ... مني الدموع لفرقة الأحباب

وذكرت عصراً يا بثينة شاقني ... إذ فاتني وذكرت شرخ شبابي

الشعر لجميل. والغناء للهذلي ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال حدثني عمرو بن أبي الكنات الحكمي قال حدثني يونس الكاتب قال:

كنا يوماً متنزهين بالعقيق أنا وجماعةٌ من قريش، فبينا نحن على حالنا إذ أقبل ابن عائشة يمشي ومعه غلام من بني ليث وهو متوكىء على يده، فلما رأى جماعتنا وسمعني أغني جاءنا فسلم وجلس إلينا وتحدث معنا، وكانت الجماعة تعرف سوء خلقه وغضبه إذا سئل أن يغني، فاقبل بعضهم على بعض يتحدثون بأحاديث كثير وجميل وغيرهما من الشعراء، يستجرون بذلك أن يطرب فيغني، فلم يجدوا عنده ما أرادوا، فقلت لهم أنا: لقد حدثني اليوم بعض الأعراب حديثاً يأكل الأحاديث، فإن شئتم حدثتكم إياه؛ قالوا: هات؛ قلت: حدثني هذا الرجل أنه مر بناحية الربذة فإذا صبيانٌ يتغاطسون في غديرٍ، وإذا شاب جميلٌ منهوك الجسم عليه أثر العلة، والنحول في جسمه بينٌ، وهو جالسٌ ينظر إليهم، فسلمت عليه فرد علي السلام وقال: من أين وضح الراكب؟ قلت: من الحمى؛ قال: ومتى عهدك به؟ قلت: رائحاً؛ قال: وأين كان مبيتك؟ قلت: ببني فلان؛ فقال: أوه! وألقى بنفسه على ظهره وتنفس الصعداء تنفساً قلت إنه قد خرق حجاب قلبه؛ ثم أنشأ يقول:

صوت

سقى بلداً أمست سليمى تحله ... من المزن ما يروى به ويسيم

وإن لم أكن من قاطنيه فإنه ... يحل به شخصٌ علي كريم

ألا حبذا من ليس يعدل قربه ... لدي وإن شط المزار نعيم

ومن لامني فيه حميمٌ وصاحبٌ ... فرد بغيظٍ صاحبٌ وحميم

ثم سكن كالمغشي عليه، فصحت بالصبية، فأتوا بماءٍ فصببته على وجهه، فأفاق وأنشأ يقول:

إذا الصب الغريب رأى خشوعي ... وأنفاسي تزين بالخشوع

ولي عينٌ أضر بها التفاتي ... إلى الأجزاع مطلقةً الدموع

إلى الخلوات يأنس فيك قلبي ... كما أنس الغريب إلى الجميع

فقلت له: ألا أنزل فأساعدك، أو أكر عودي على بدئي إلى الحمى في حاجةٍ إن كانت لك حاجةٌ أو رسالة؟ فقال: جزيت وصحبتك السلامة! امض لطيتك، فلو أني علمت أنك تغني عني شيئاً لكنت موضعاً للرغبة وحقيقاً بإسعاف المسئلة، ولكنك أدركتني في صبابةٍ من حياتي يسيرة؛ فانصرفت وأنا لا أراه يمسي ليلته إلا ميتاً، فقال القوم: ما أعجب هذا الحديث! واندفع ابن عائشة فتغنى في الشعرين جميعاً وطرب وشرب بقية يومه، ولم يزل يغنينا إلى أن انصرفنا.

فأما نسبة هذين الصوتين فإن في الأول منهما لحناً من خفيف الرمل الثقيل المطلق في مجرى الوسطى، نسبه يحيى المكي إلى معبد، وذكر الهشامي أنه منحول. وفي هذا الخبر: أن ابن عائشة غناه، وهو يغني في البيت الأول والثاني من الأبيات. وفيه للضيزني الملقب بنبيكة لحنٌ جيد من الثقيل الأول. وكان نبيكة هذا من حذاق المغنين وكبارهم، وقد خدم المعتمد ثم شخص إلى مصر فخدم خمارويه بن أحمد، ثم قدم بغداد في أيام المقتدر، ورأيناه وشاهدناه، وكانت في يده صبابة قويةٌ من إفضال ابن طولون واستغنى بها حتى مات، وله صنعةٌ جيدةٌ قد ذكرت ما وقع إلي منها في "المجرد". وذكرت مما وقع إلي له في هذا الكتاب لحناً جيداً في شعر سعد ذلفاء، وهو:

ولما وقفنا دون سرحة مالكٍ

في موضعه من أخباره.

وأما الشعر الثاني الذي ذكرت في هذا الخبر الماضي: أن ابن عائشة غناه فما رأيت له نسبةً في كتاب ولا سمعت فيه صنعةً من أحد، ولعله مما انطوى عني أو لم يشتهر فسقط عن الناس.

سبب موته

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني به الحسن بن علي عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن حماد عن أبيه عن يعقوب بن طلحة الليثي عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال: أقبل ابن عائشة من الشأم حتى نزل قصر ذي حشبٍ ومعه مالٌ وطيبٌ وكساً فشرب فيه، ثم تطرقوا إلى ظهر القصر فصعدوا، ثم نظر فإذا بنسوةٍ يتمشين في ناحية الوادي، فقال لأصحابه: هل لكم فيهن؟ قالوا: وكيف لنا بهن؟ فنهض فلبس ملاءة مدلوكة، ثم قام على شرفةٍ من شرفات القصر فتغنى:

وقد قالت لأترابٍ ... لها زهرٍ تلاقينا

تعالين فقد طاب ... لنا العيش تعالينا

فأقبلن إليه فطرب واستدار حتى سقط من السطح؛ وهذا الخبر يذكر على شرحه في خبر وفاته.

كان يعشق شعر الحطيئة

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد: قرأت على أبي عن محمد بن سلام عن جرير أبي الحصين قال: كان ابن عائشة إذا غنى في صوت له من شعر الحطيئة وهو:

عفا من سليمى مسحلان فحامره

نظر إلى أعطافه في كل رنة، فسئل يوماً - وقد دب فيه الشراب - عن ذلك، فقال: أنا عاشقٌ لهذا الصوت، وعاشقٌ لحديثه، وعاشقٌ لغريبه، وعاشقٌ لقول الحطيئة، إن الغناء رقيةٌ من رقى النيك، ويعجبني فهم الحطيئة بالغناء وليس هو من أهله ولا بصاحب غناء، وكيف لا أعجب به ومحله مني هذا المحل! وكان لا يسأله أحدٌ إياه إلا غناه، فمن فطن له أكثر سؤاله إياه. وكان جرير يقول: إنه أحسن صوتٍ له وأرقه وأجوده.

وفاة ابن عائشة

توفي في خلافة الوليد بن يزيد وتوفي ابن عائشة فيما قيل في أيام هشام بن عبد الملك، وقيل في أيام الوليد. وما أظن الصحيح إلا أنه توفي في أيام الوليد، لأنه أقدمه إليه. وذكر من زعم أنه توفي في خلافة هشام: أنه إنما وفد على الوليد وهو ولي عهد.

روايات أخرى في سبب موته أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: ذكر عمران بن هند: أن الغمر بن يزيد خرج إلى الشأم، فلما نزل قصر ذي خشب شرب على سطحه، فغنى ابن عائشة صوتاً طرب له الغمر، فقال: اردده، فأبى، وكان لا يرد صوتاً لسوء خلقه، فأمر به، فطرح من أعلى السطح فمات. ويقال: بل قام من الليل وهو سكران ليبول فسقط من السطح فمات.

قال إسحاق فحدثني المدائني قال حدثني بعض أهل المدينة قال: أقبل ابن عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد أجازه وأحسن إليه فجاء بما لم يأت به أحدٌ من عنده، فلما قرب من المدينة نزل بذي خشب على أربعة فراسخ من المدينة، وكان واليها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي، ولاه هشامٌ وهو خاله، وكان في قصر هناك، فقيل له: أصلح الله الأمير، هذا ابن عائشة قد أقبل من عند الوليد بن يزيد، فلو سألته أن يقيم عندنا اليوم فيطربنا وينصرف من غدٍ! فدعا به فسأله المقام عنده فأجابه إلى ذلك، فلما أخذوا في شربهم أخرج المخزومي جواريه، فنظر إلى ابن عائشة وهو يغمز جاريةً منهن، فقال لخادمه: إذا خرج ابن عائشة يريد حاجته فارم به، وكانوا يشربون فوق سطحٍ ليس له إفريزٌ ولا شرفات، وهو يشرف على بستان، فلما قام ليبول رمى به الخادم من فوق السطح فمات، فقبره معروف هناك.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه وأخبرني به الحسن بن علي عن هارون بن محمد بن عبد الملك بن حماد بن إسحاق عن أبيه عن يعقوب بن طلحة الليثي عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال: أقبل ابن عائشة من الشأم حتى نزل بقصر ذي خشب ومعه مال وطيبٌ وكسا، فشرب فيه، ثم تطرقوا إلى ظهر القصر فصعدوا، ثم نظر

فإذا بنسوة يتمشين في ناحية الوادي، فقال لأصحابه: هل لكم فيهن؟ قالوا: وكيف لنا بهن؟ فنهض فلبس ملاءة مدلوكةً، ثم قام على شرفة من شرف القصر فتغنى في شعر ابن أذينة:

وقد قالت لأترابٍ ... لها زهرٍ تلاقينا

تعالين فقد طاب ... لنا العيش تعالينا

فأقبلن إليه؛ وطرب فاستدار فسقط فمات. قال: وقال قوم: بل قدم المدينة فمات بها.

بكى عليه أشعب فأضحك الناس

قال: ولما مات قال أشعب: قد قلت لكم، ولكنه لا يغني حذرٌ من قدر: زوجوا ابن عائشة ربيحة الشماسية تخرج لكم بينهما مزامير داود فلم تفعلوا، وجعل يبكي والناس يضحكون منه.

نسبة هذا الصوت الذي غناه

صوت

سليمى أزمعت بينا ... فأين تقولها أينا

وقد قالت لأترابٍ ... لها زهرٍ تلاقينا

تعالين فقد طاب ... لنا العيش تعالينا

وغاب البرم الليل ... ة والعين فلا عينا

فأقبلن إليها مس ... رعاتٍ يتهادينا

إلى مثل مهاة الرم ... ل تكسو المجلس الزينا

إلى خودٍ منعمةٍ ... حففن بها وفدينا

تمنين مناهن ... فكنا ما تمنينا

الشعر لعروة بن أذينة. والغناء لابن عائشة لحنان أحدهما رملٌ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حبشٍ.

كان مالك بن أنس يكره الغناء

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

سمعت إبراهيم بن سعد يحلف للرشيد وقد سأله عمن بالمدينة يكره الغناء، فقال: من قنعه الله بخزيه مالك بن أنس، ثم حلف له إنه سمع مالكاً يغني:

سليمى أزمعت بينا فأين تقولها أينا

في عرس رجلٍ من أهل المدينة يكنى أبا حنظلة.

خبر ابن عائشة وابن أذينة

وطلبه إليه أن يقول له شعراً يغنيه

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان محمد بن يحيى عن بعض أصحابه قال: مر ابن عائشة بابن أذينة فقال له: قل أبياتاً هزجاً أغن فيها؛ فقال له: اجلس فجلس؛ فقال:

سليمى أزمعت فينا

الأبيات. قال أبو غسان: فحدثت أن ابن عائشة رواها، ثم ضحك لما سمع قوله:

تمنين مناهن فكنا ما تمنينا

ثم قال له: يا أبا عامر، تمنيتك لما أقبل بخرك، وأدبرذفرك، وذبل ذكرك! فجعل يشتمه. هذا لفظ إسماعيل بن يونس.

أخبرني الجوهري وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال فحدثني حماد الخشبي قال: ذكر ابن أذينة عند عمر بن عبد العزيز، فقال: نعم الرجل أبو عامر، على "أنه" الذي يقول:

وقد قالت لأتراب لها زهرٍ تلاقينا

غنى للوليد بن يزيد بمكة فأجازه

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد عن أبيه عن المدائني عن إسحاق بن أيوب القرشي قال: كان هشام بن عبد الملك مكرماً للوليد بن يزيد، وكان عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدباً للوليد، وكان، فيما يقال، زنديقاً، فحمل الوليد على الشراب والاستخفاف بدينه، فاتخذ ندماء وشرب وتمتك، فأراد هشامٌ قطعهم عنه، فولاه الموسم في سنة عشرٍ ومائة، فرأى الناس منه تهاوناً واستخفافاً بدينه، وأمر مولاه عيسى فصلى بالناس، وبعث إلى المغنين فغنوه وفيهم ابن عائشة فغناه:

سليمى أجمعت بينا

فنعر الوليد نعرةً أذن لها أهل مكة. وأمر لابن عائشة بألف دينار، وخلع عليه عدة خلع، وحمله.

فخرج ابن عائشة من عنده بأمرٍ أنكره الناس، وأمر للمغنين بدون ذلك، فتكلم أهل الحجاز وقالوا: أهذا ولي عهد المسلمين! وبلغ ذلك هشاماً فطمع في خلعه، وأراده على ذلك فأبى؛ وتنكر هشام للوليد، وتمادى الوليد في

الشرب واللذات فأفرط، وتعبث هشام بالوليد وخاصته ومواليه، فنزل بالأزرق بين أرض بلقين وفزارة على ماء يقال له الأغدق، حتى مات هشام. "انقضت أخباره".

ومن المائة صوت المختارة من أغانيه

غناؤه في صوت من المائة الصوت المختارة

صوت

من رواية علي بن يحيى:

حنت إلى برقٍ فقلت لها قري ... بعض الحنين فإن شجوك شائقي

بأبي الوليد وأم نفسي كلما ... بدت النجوم وذر قرن الشارق

أثوى فأكرم في الثواء وقضيت ... حاجاتنا من عند أروع باسق

لا تبعدن إداوةٌ مطروحةٌ ... كانت حديثاً للشراب العاتق

ويروي: بالشراب العاتق. عروضه من الكامل. حنت، يعني ناقته. وهذا البيت يتبع بيتاً قبله وهو:

فإلى الوليد اليوم حنت ناقتي ... تهوي بمغبر المتون سمالق

وبعده "حنت إلى برق..." وقوله: "قري" من الوقار، كأنها لما حنت أسرعت ونازعت إلى الوطن أو المقصد، فقال يخاطبها: قري. وذر قرن الشارق: طلع قرن الشمس؛ يريد: بأبي الوليد وأمي في كل ليل ونهار أبداً.

وأثوى: أنزل.

والثواء: الإقامة؛ قال الأعشى:

لقد كان في حول ثواء ثويته ... تقضى لبانات ويسأم سائم

والباسق: الطويل؛ قال الله عز وجل: "والنخل باسقاتٍ" أي طوالاً. ويروي:

لا تبعدن إداوةٌ مطروحةٌ

الشعر لعبد الرحمن بن أرطاة المحاربي. والغناء لابن عائشة. ولحنه المختار ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه للهذلي لحنٌ آخر من الثقيل الأول عن الهشامي وابن المكي. فأول لحن الهذلي استهلالٌ في:

حنت إلى برق فقلت لها قري

وأول لحن ابن عائشة:

بأبي الوليد وأم نفسي كلما ... بدت النجوم وذر قرن الشارق

أخبار ابن أرطاة ونسبه

نسبه

هو عبد الرحمن بن أرطاة، وقيل: عبد الرحمن بن سيحان بن أرطاة بن سيحان بن عمرو بن نجيد بن سعد بن لاحب بن ربيعة بن شكم بن عبد الله بن عوف بن زيد بن بكر بن عمير بن علي بن جسر بن محارب بن خصفة بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار. وأم جسر بن محارب كأس بنت لكيز بن أقصى بن عبد القيس، وأم علي بن جسر ماوية بنت علي بن بكر بن وائل، هذه رواية أبي عمرو الشيباني أخبرني بها عمي والصولي عن الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه، قال وشكم بن عبد الله أول محاربي ساد قومه وأبذهم رأساً بنفسه، وكانوا جيراناً في هوازن؛ وآل سيحان حلفاء حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وبمنزلة بعضهم عندهم خاصة وعند سائر بني أمية عامة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران قال: بنو سيحان من بني جسر بن محارب، وبنو مناف تقوي حلفهم، وهم عندي أعزاؤهم وليسوا بأحلافهم.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان قال: لما قتل هشام بن الوليد أبا أزيهر، بعثت قريش أرطاة بن سيحان حليف حرب بن أمية إلى الشراة يحذر من بها من تجار قريش، وخرج حاجزٌ الأزدي ليخبر قومه، فسبقه أرطاة، وقال في ذلك وقد حذرهم فنجوا:

مثل الحليف يشد عروته ... يثني العناج لها مع الكرب

زلمٌ إذا يسروا به يسرٌ ... ومناضلٌ يحمي عن الحسب

هل تشكرن فهرٌ وتاجرها ... دأب الشرى بالليل والخبب

حتى جلوت لهم يقينهم ... ببيان لا ألسٍ ولا كذب

وكان حليفاً لبني أمية ومدحهم

وكان عبد الرحمن شاعراً مقلاً إسلامياً ليس من الفحول المشهورين ولكنه كان يقول في الشراب والغزل والفخر ومدح أحلافه من بني أمية، وهو أحد المعاقرين للشراب والمحدودين فيه، وكان بني أمية كواحدٍ منهم إلا أن اختصاصه بآل أبي سفيان وآل عثمان خاصة كان أكثر، وخصوصه بالوليد بن عثمان ومؤانسته إياه أزيد من خصوصه بسائرهم، لأنهما كانا يتنادمان على الشراب.

وهذه الأبيات التي فيها الغناء يقولها في الوليد بن عثمان، وقيل: بل في الوليد بن عتبة. وخبره في ذلك يذكر بعد هذا.

أصابه خمار فداواه منه الوليد بن عثمان

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال عتبة بن المنهال المهلبي حدثني غير واحد من أهل الحجاز قالوا: كان ابن سيحان حليفاً لقريش يترل بالمدينة، وكان نديماً للوليد بن عثمان، فأصابه ذات يوم خمارٌ، فذهب لسانه وسكنت أطرافه وصرخ أهله عليه، فأقبل الوليد إليه فزعاً، فلما رآه قال: أخي مخمور ورب الكعبة، ثم أمر غلاماً له فأتاه بشراب من مترله في إداوة فأمر به فأسخن ثم سقاه إياه وقيأه، وصنع له حساءً وجعل على رأسه دهناً وجعل رجليه في ماء سخن، فما لبث أن انطلق وذهب ما كان به. ومات الوليد بعد ذلك. فبينا ابن سيحان يوماً جالسٌ وبعض متاعه ينقل من بيت إلى بيت، إذ مرت الخادم بإدواة الوليد التي كان داواه بما فيها من الشراب وقد يبست وتقبضت، فانتحب وقال:

لا تبعدن إداوةٌ مطروحةٌ ... كانت حديثاً للشراب العاتق

وذكر باقي الأبيات.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أحمد بن معاوية عن الواقدي قال حدثنا عبد الله بن أبي عبيدة عن أبيه قال: كان الوليد بن عثمان بن عفان يشرب مع الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وابن سيحان وكان يخمر فأصابه من ذلك شيءٌ شديدٌ حتى خيف عليه وشق النساء عليه الجيوب، فدعي له ابن سيحان، فلما رآه قال: اخرجن عني وعن أخي، فقال له: الصبوح أبا عبد الله، فجلس مفيقاً؛ فذلك حين يقول ابن سيحان:

بأبي الوليد وأم نفسي كلما ... بدت النجوم وذر قرن الشارق

أثوى فأكرم في الثواء وقضيت ... حاجاتنا من عند أروع باسق

كم عنده من نائلٍ وسماحةٍ ... وفضائلٍ معدودةٍ وخلائق

وسماحةٍ للمعتفين إذا اعتفوا ... في ماله حقا وقولٍ صادق

لا تبعدن إداوةٌ مطروحةٌ ... كانت حديثاً للشراب العاتق

كان من ندماء الوليد بن عثمان

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان الوليد بن عثمان يكنى أبا الجهم، وكان لابن سيحان صديقاً ونديماً، وكان صاحب شراب، فمرض فعاده الوليد وقال: ما تشتهي؟ قال: شراباً، فبعث فجاءه بشراب في إدواة. ثم ذكر باقي الخبر نحو الذي قبله.

قيل إنه خرج معه إلى الحجاز لجني تمره

ولما عاد أعطاه إداوة وذكره بها فمدحه

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية قال: كان الوليد بن عثمان ذا غلة في الحجاز يخرج إليها في زمان التمر بنفرٍ من قومه، يجنون له ويعاونونه، فكان إذا حضر خروجهم دفع إليهم نفقاتٍ لأهليهم إلى رجعتهم، فخرج بهم مرة كما كان يخرج وفيهم ابن سيحان، فأتى ابن سيحان كتاب من أهله يسألونه القدوم لحاجةٍ لابد منها، فاستأذنه فأذن له، فقال له ابن سيحان: زودوني من شرابكم هذا، فزودوه إداوةً ملأها له من شرابهم، فكان يشربها في طريقه حتى قدم على أهله، فألقاها في جانب بيته فارغةً، فمكث زماناً لا يذكرها، ثم كنسوا البيت فرآها ملقاةً في الكناسة فقال:

لا تبعدن إداوةٌ مطروحةٌ ... كانت حديثاً للشراب العاتق

إن تصبحي لا شيء فيك فربما ... أترعت من كأس تلذ لذائق

بأبي الوليد وأم نفسي كلما ... بدت النجوم وذر قرن الشارق

كم عنده من نائلٍ وسماحةٍ ... وشمائلٍ ميمونةٍ وخلائق

وكرامةٍ للمعتفين إذا اعتفوا ... في ماله حقاً وقولٍ صادق

أثوى فأكرم في الثواء وقضيت ... حاجاتنا من عند أروع باسق

لما أتيناه أتينا ماجد ال ... أخلاق سباقاً لقرمٍ سابق

قال الوليد يدي لكم رهنٌ ربما ... حاولتم من صامتٍ أو ناطق

فإلى الوليد اليوم حنت ناقتي ... تهوي بمغبر المتون سمالق

حنت إلى برقٍ فقلت لها قري ... بعض الحنين فإن شجوك شائقي

حده مروان بالخمر ومنع منه معاوية

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن عبد الله التميمي الأصبهاني المعروف بالحزنبل قال حدثني عمرو ابن أبي عمرو الشيباني عن أبيه وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسي قال قال حماد بن إسحاق: قرأت على أبي، قالا جميعاً: كان عبد الرحمن بن سيحان قد غاظ مروان بن الحكم أيام كان معاوية يعاقب بينه وبين سعيد بن العاص في ولاية الحرمين، وأنكر عليه أشياء بلغته فغاظته: من مدحه سعيداً وانقطاعه إليه وسروره بولايته، فرصده حتى وجده خارجاً من دار الوليد بن عثمان وهو سكران فضربه الحد ثمانين سوطاً. وقدم البريد من المدينة على معاوية فسأله عن أخبار الناس فجعل يخبره بها، حتى انتهى به الحديث إلى ابن سيحان فأخبره أن مروان ضربه الحد ثمانين؛ فغضب معاوية وقال: والله لو كان حليف أبي العاص لما ضربه ولكنه ضربه لأنه حليف حرب، أليس هو الذي يقول:

وإني آمرؤٌ حلفٌ إلى أفضل الورى عديداً إذا ارفضت عصا المتخلف

كذب والله مروان، لا يضربه في نبيذ أهل المدينة وشكهم وحمقهم؛ ثم قال لكاتبه: أكتب إلى مروان: فليبطل الحد عن ابن سيحان، وليخطب بذلك على المنبر، وليقل إنه كان ضربه على شبهة ثم بان له أنه لم يشرب مسكراً، وليعطه ألفي درهم. فلما ورد الكتاب على مروان عظم ذلك عليه، ودعا بابنه عبد الملك فقرأه عليه وشاوره فيه؛ فقال له عبد الملك: راجعه ولا تكذب نفسك، ولا تبطل حكمك؛ فقال مروان: أنا أعلم بمعاوية إذا عزم على شيء أو أراده، لا والله لا أراجعه. فلما كان يوم الجمعة وفرغ من الخطبة قال: وابن سيحان فإنا كشفنا أمره فإذا هو لم يشرب مسكراً، وإذا نحن قد عجلنا عليه؛ وقد أبطلت عنه الحد. ثم نزل فأرسل إليه بألفي درهم.

خبر الوليد ومروان أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية عن الواقدي قال حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال:

كان عبد الرحمن بن سيحان المحاربي شاعراً، وكان حلو الحديث، عنده أحاديث حسنةٌ غريبةٌ من أخبار العرب وأيامها وأشعارها، وكان على ذلك يصيب من الشراب، فكان كل من قدم من ولاة بني أمية وأحداثهم ممن يصيب الشراب يدعوه وينادمه، فلما ولي الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وعزل مروان وجد مروان في نفسه وكان قد سبعه، فحقد عليه مروان واضطغنه، وكان الوليد يصيب من الشراب ويبعث إلى ابن سيحان فيشرب معه، وابن سليمان لا يظن أن مروان يفعل به الذي فعله، وقد كان مدحه ابن سليمان ووصله مروان، ولكن مروان أراد فضيحة الوليد، فرصده ليلةً في المسجد، وكان ابن سيحان يخرج في السحر من عند الوليد ثملاً فيمر في المقصورة من المسجد حتى يخرج في زقاق عاصم، وكان محمد بن عمرو يبيت في المسجد يصلي، وكذلك عبد الله بن حنظلة وغيرهما من القراء يبيتون في المسجد يتهجدون، فلما خرج ابن سيحان ثملاً من دار الوليد أخذه مروان وأعوانه، ثم دعا له محمد بن عمرو وعبد الله بن حنظلة فأشهدهما على سكره وقد سأله أن يقرأ أم القرآن فلم يقرأها، فدفعه إلى صاحب شرطته فحبسه؛ فلما أصبح الوليد بلغه الخبر وشاع في المدينة وعلم أن مروان إنما أراد أن يفضحه، وأنه لو لقي ابن سيحان ثملاً خارجاً من عند غيره لم يعرض له، فقال الوليد: لا يبرئني من هذا عند أهل المدينة إلا ضرب ابن سيحان، فأمر صاحب شرطته فضربه الحد ثم أرسله.

مكث في بيته استحياء فحمله عبد الرحمن بن الحارث على الخروج إلى المسجد فجلس ابن سيحان في بيته لا يخرج حياءً من الناس، فجاءه عبد الرحمن بن الحارث بن هشام في ولده وكان له جليساً فقال له: ما يجلسك في بيتك؟ قال: الاستحياء من الناس؛ قال: اخرج أيها الرجل، وكان عبد الرحمن قد حمل له معه كسوة، فقال له: البسها ورح معنا إلى المسجد فهذا أحرى أن يكذب به مكذب، ثم ترحل إلى أمير المؤمنين فتخبره بما صنع بك الوليد فإنه يصلك ويبطل هذا الحد عنك؛ فراح مع عبد الرحمن في جماعة ولده متوسطاً لهم حتى دخل المسجد فصلى ركعتين، ثم تساند مع عبد الرحمن إلى الأسطوانة؛ فقائل يقول: لم يضرب، وقائل يقول: رحل إلى معاوية

وشفع فيه يزيد فعفا عنه وكتب بذلك إلى الوليد أنا رأيته يضرب، وقائل يقول: عزر أسواطاً. فمكث أياماً ثم رحل إلى معاوية فدخل إلى يزيد فشرب معه، وكلم يزيد أباه معاوية في أمره فدعا به فأخبره بقصته وما صنعه به مروان، فقال: قبح الله الوليد ما أضعف عقله! أما استحيا من ضربك فيما شرب! وأما مروان فإني كنت لا أحسبه يبلغ هذا منك مع رأيك فيه ومودتك له، ولكنه أراد أن يضع الوليد عندي و لم يصب، وقد صير نفسه في حد كنا نتزهه عنه، صار شرطياً! ثم قال لكاتبه: اكتب: "بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة. أما بعد، فالعجيب لضربك ابن سيحان فيما تشرب منه، ما زدت على أن عرفت أهل المدينة ما كنت تشربه مما حرم عليك، فإذا جاءك كتابي هذا فأبطل الد عن ابن سيحان، وطف به في حلق المسجد وأخبرهم أن صاحب شرطك تعدى عليه وظلمه، وأن أمير المؤمنين قد أبطل ذلك عنه، أليس ابن سيحان الذي يقول:

وإني امرؤٌ أنمى إلى أفضل الورى ... عديداً إذا ارفضت عصا المتحلف

إلى نضدٍ من عبد شمس كأنهم ... هضاب أجا أركانها لم تقصف

ميامين يرضون الكفاية إن كفوا ... ويكفون ما ولوا بغير تكلف

غطارفةٌ ساسوا البلاد فأحسنوا ... سياستها حتى أقرت لمردف

فمن يك منهم موسراً يفش فضله ... ومن يك منهم معسراً يتعفف

وإن تبسط النعمى لهم يبسطوا بها ... أكفا سباطا نفعها غير مقرف

وإن تزو عنهم لا يضجوا وتلفهم ... قليلي التشكي عندها والتكلف

إذا انصرفوا للحق يوماً تصرفوا ... إذا الجاهل الحيران لم يتصرف

سموا فعلوا فوق البرية كلها ... ببنيان عالٍ من منيفٍ ومشرف

قال: وكتب له بأن يعطى أربعمائة شاةٍ وثلاثين لقحة مما يوطن السيالة وأعطاه هو خمسمائة دينار، وأعطاه يزيد مائتي دينار. ثم قدم بكتاب معاوية إلى الوليد، فطاف به في المسجد، وأبطل ذلك الحد عنه، وأعطاه ما كتب به له معاوية. وكتب معاوية إلى مروان يلومه فيما يفعله بابن سيحان، وما أراده بذلك. ودعا الوليد عبد الرحمن بن سيحان إلى أن يعود للشرب معه؛ فقال: والله لا ذقت معك شراباً ابداً.

ضربه مروان الحد فأبطله معاوية

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو مسلم الغفاري قال حدثني موسى بن عبد العزيز قال: أخذ ابن سيحان الجسري - هكذا قال وهو غلط - في شراب في إمارة مروان، وكان حليفاً لأبي

سفيان ابن حرب، فضربه مروان ثمانين سوطاً على رؤوس الناس، فكتب إلى معاوية يشكوه، فكتب إليه معاوية: أما بعد فإنك أخذت حليف حرب فضربته ثمانين على رؤوس الناس، والله لتبطلنها عنه، أو لأقيدنه منك؛ فقال مروان لابنه عبد الملك: ماترى؟ قال: أرى والله ألا تفعل؛ قال: ويحك! أنا أعلم بعزمات معاوية منك، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنا كنا ضربنا ابن سيحان بشهادة رجل من الحرس ووجدناه غير عدلٍ ولا رضاً، فاشهدوا أني قد أبطلت ذلك الحد عنه.

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبد العزيز بن عمران قال: ضرب مروان عبد الرحمن بن سيحان في الخمر ثمانين سوطاً، فكتب إليه معاوية: أما بعد، فإنك ضربت عبد الرحمن في نبيذ أهل الشأم الذي يستعملونه وليس بحرام، وإنما ضربته حيث كان حلفه إلى أبي سفيان بن حرب، وايم الله لو كان حليفاً للحكم ما ضربته، فأبطل عنه الحد قبل أن أضرب من أخذ معه: أخاك عبد الرحمن بن الحكم؛ فأبطل مروان عنه الحد؛ فقال ابن سيحان في ذلك يذكر حلفه:

إني امرؤ عقدي إلى أفضل الورى عديداً إذا ارفضت عصا المتحلف

وقال الطوسي: كان عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان يشرب مع ابن سيحان، فلما ضربه مروان الحد كتب إليه معاوية: والله لتبطلنه عنه أو لأبعثن إلى أخيك من يضرب ظهره بالسوط في السوق، أليس ابن سيحان الذي يقول:

سموت بحلفي للطوال من الربى ولم تلقني قناً لدى مبرك الجرب

إذا ما حليف الذل اقمأ شخصه ودب كما دب الحسير على نقب

وهصت الحصى لا أخنس الأنف قابعاً إذا أنا راخى لي خناقي بنو حرب

كان مع سعيد بن عثمان حين قتله

وهرب عنه ثم رثاه

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء وأحمد بن سليمان الطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب وغيره قالوا: قدم سعيد بن عثمان المدينة فقتله غلمانٌ جاء بهم من الصغد، وكان معه عبد الرحمن بن أرطاة بن سيحان حليف بني حرب بن أمية، فهرب عنه لما قتلوه، فقال خالد بن عقبة بن أبي معيط يرثي سعيد بن عثمان - وعثمان أخوه لأمه -:

يا عين جودي بدمع منك تهتانا وابكي سعيد بن عثمان بن عفانا

إن ابن زينة لم تصدق مودته وفر عنه ابن أرطاة بن سيحانا

فقال ابن سيحان يعتذر من ذلك:

يقول رجالٌ قد دعاك فلم تجب وذلك من تلقاء مثلك رائع
فإن كان نادى دعوةً فسمعتها فشلت يدي واستك مني المسامع
وإلا فكانت بالذي قال باطلاً ودارت عليه الدائرات القوارع
يلومونني أن كنت في الدار حاسراً وقد فر عنه خالدٌ هو دارع

فقال بعض الشعراء يجيبه:

فإنك لم تسمع ولكن رأيته بعينيك إذ مجراك في الدار واسع
وأسلمته للصعد تدمي كلومه وفارقته والصوت في الدار شائع
وما كان فيها خالدٌ بمعذرٍ سواء عليه صم أو هو سامع
فلا زلتما في غل سوءٍ بعبرةٍ ودارت عليكم بالشمات القوارع

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي قال: لما قتل سعيد بن عثمان بن عفان قالت أمه: أشتهي أن يرثيه شاعرٌ كما في نفسي حتى أعطيه ما يحتكم؛ فقال ابن سيحان:

إن كنت باكيةً فتى فابكي هبلت على سعيد :

فارقت أهلك بغتةً وجلبت حتفك من بعيد
أذري دموعك والدما ء على الشهيد ابن الشهيد

فقالت: هكذا كنت أشتهي أن يقال فيه، ووصلت ابن سيحان. وكانت تندبه بهذا الشعر.

وقال أبو عمرو في روايته التي ذكرتها عن عمي عن الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال: جلس ابن سيحان وخالد بن عقبة بعد مقتل سعيد بن عثمان يتحدثان، فجرى ذكره فبكيا جميعاً عليه، فقال ابن سيحان يرثيه:

ألا إن خير الناس إن كنت سائلاً سعيد بن عثمان القتيل بلا ذحل
تداعت عليه عصبةٌ فارسيةٌ فأضحى سعيدٌ لا يمر ولا يحلي

وقال خالد بن عقبة:

ألا إن خير الناس نفساً ووالداً سعيد بن عثمانٍ قتيل الأعاجم
بكت عين من لم يبكه وسط يثربٍ مدى الدهر منه بالدموع السواجم
فإن تكن الأيام أردت صروفها سعيداً، فمن هذا عليها بسالم

قال الحزنبل: أنشدني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه لابن سيحان قال عمي وأنشدني السكري عن ابن حبيب والطوسي له:

صوت

رحم الله صاحبي ابني الحا رث إذ ينهانني أن أبوحا
بالتي تيمت فؤادي وأن أذ ري دموعي على ردائي سفوحا
في مغاني منازلٍ من حبيبٍ باشرت بعده قطاراً وريحا
ولقد قلت للفؤاد ولكن كان قدماً إلى هواه جموحا
قلت أقصر عن بعض حبك أروى إن بعض الحباب كان فضوحا
فعصاني، فليس يسمع قولاً من حمامٍ على الأراك، جنوحا
أم يحيى تقبل الله يحيى بقبول كما تقبل نوحا
أم يحيى لولا طلابك قد سحت مع الوحش أو لبست المسوحا
ولقد قلت لا أحدث سراً سر أخرى ما دامت أمشي صحيحا

الغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس. وفيه للغريض ثقيلٌ أول عن الهشامي. وفيه لزريق رمل.

قال أبو عمرو: وابن سيحان الذي يقول:

ألا هل هاجك الأظعا ن إذ جاوزن مطلحا

بنو مطيع وذمه لهم

والناس يروونه لعمر بن أبي ربيعة لغلبته على أهل الحجاز جميعاً. وقال أبو عمرو في خبره: كان ابن سيحان يحدث قال: كنت آلف من قريش أهل بيتين سوى من كنت منقطعاً إليه من بني أمية: بني عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وبني مطيع، فلما ضربني مروان الحد جئت فجلست إلى بني مطيع كما كنت أجلس، فلما رأوني عرفت الكراهة في وجوههم، والله ما أقبلوا بوجوههم علي بحديثم ولا وسعوا لي، فانصرفت ورحت إلى بني عبد الرحمن، فلما رأوني أقبلوا بوجوههم علي وحيوا ورحبوا وسهلوا ووسعوا ورفعوني إلى حيث لم أكن أجلس وأقبلوا علي بوجوههم يحدثونني، وقالوا: لعلك خشعت للذي لحقك، أما والله لقد علم الناس أنك مظلوم، وظلموا مروان في فعله، ورأوا أنه قد أساء وأخطأ في شأنك، وقالوا: ما ضرك ذلك ولا نقصك ولا زادك إلا خيراً، ولم يزالوا حتى بسطوني، فقلت أمدحهم وأذم بني مطيع:

لقد حرمت ود بني مطيع حرام الدهن للرجل الحرام
وإن جنف الزمان مددت حبلاً متيناً من حبال بني هشام
رطيبٌ عودهم أبداً وريقٌ إذا ما اغبر عيدان اللئام

ما وقع له مع إمرأته بسبب سكره

وقال أبو عمرو في خبره: كان عبد الرحم بن سيحان ينادم الوليد بن عثمان على الشراب فيبيت عنده خوفاً من أن يظهر وهو سكران فيحد، فقالت له امرأته: قد صرت لا تبيت في منزلك وأظنك قد تزوجت، وإلا فما مبيتك عن أهلك! فقال لها:

لا تعدميني نديماً ماجداً أنفاً لا قائلاً قاذفاً خلقاً ببهتان
أغر راووقه ملآن صافيةً تنفي القذى عن جبينٍ غير خزيان
سبيئة من قرى بيروت صافية عذراء أو سبئت من أرض بيسان
إنا لنشربها حتى تميل بنا كما تمايل وسنانٌ بوسنان

حثه ابن عمه على شرب الخمر

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال: كان ابن سيحان صاحب شراب، فدخل على ابن عم له يقال له الحارث بن سريع فوجده يشرب نبيذ زبيبٍ، فجعل يعظه ويأمره بشرب الخمر، وقال له: يابن سريع، إن كنت تشربه على أن نبيذ الزبيب حلالٌ فإنك أحمق، وإن كنت تشربه على أنه حرام تستغفر الله منه وتنوي التوبة فاشرب أجوده فإن الوزر واحد، ثم قال:

دع ابن سريع شرب ما مات مرةً وخذها سلافاً حيةً مزة الطعم
تدعك على ملك ابن ساسان قادراً إذا حرمت قراؤنا حلب الكرم
فشتان بين الحي والميت فاعتزم على مزةٍ صفراء راووقها يهمي
فإن سريعاً كان أوصى بحبها بنيه وعمي جاوز الله عن عمي
ويا رب يومٍ قد شهدت بني أبي عليها إلى أن غاب تالية النجم
حسوها صلاة العصر والشمس حيةٌ تدار عليهم بالصغير وبالضخم
فماتوا وعاشوا والمدامة بينهم مشعشعة كالنجم توصف بالوهم

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال: كان ابن سيحان حليف حرب بن أمية ينادم الوليد بن عقبة بن أبي معيط، ويشرب معه الخمر، وهو القائل:

إصبح نديمك من صهباء صافيةٍ ... حتى يروح كريماً ناعم البال

واشرب هديت أبا وهبٍ مجاهرةً ... واختل فإنك من قوم أولى خال

أنت الجواد أبا وهبٍ إذا جمدت ... أيدي الرجال بما تحويه من مال

لولا رجاؤك قد شمرت مرتحلاً ... عنساً تعاقب تخويداً بإرقال

لما تواصوا بقتلي قمت معتزماً ... حتى حميت من الأعداء أوصالي

عم الوليد بمعروفٍ عشيرته ... والأبعدون حظوا منه بإفضال

شعره في الوليد وقد حماه من أخواله

قال: وكان ابن سيحان قد ضرب رجلاً من أخواله بالسيف فقطع يده و لم تقم عليه بينة، فتآمر به القوم ومنع منه ابن خال له منهم؛ وخاف الوليد بن عقبة أن يرجع إلى المدينة هارباً منهم وخوفاً من جنايته عليهم فيفارقه وينقطع عنه، فدعاهم وأرضاهم وأعطاهم دية صاحبهم. فلم يزل عند الوليد حتى عزل وهو نديمه وصفيه. وهو القائل في الوليد - وفيه غناء -:

صوت

بات الوليد يعاطيني مشعشعةً ... حتى هويت صريعاً بين أصحابي

في الغناء: بات الكريم يعاطيني.

لا أستطيع نهوضاً إن هممت به ... وما أنهنه من حسوٍ وتشراب

حتى إذا الصبح لاحت لي جوانبه ... وليت أسحب نحو الفوم أثوابي

كأنني من حميا كأسه جملٌ ... صحت قوائمه من بعد أوصاب

ويروى:

كأنني من حميا كأسه ظلعٌ

الغناء ليحيى المكي - وروي: ضلعٌ - خفيف ثقيلٍ بالبنصر عن الهشامي وبذل: قالت بذل: وفيه لحنٌ آخر ليحيى، و لم تذكر طريقته.

خبره مع سعيد بن العاص

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أبو فهيرة قال: دخل عبد الرحمن بن أرطاة على سعيد بن العاص وهو أمير المدينة؛ فقال له: ألست القائل:

إنا لنشربها حتى تميل بنا كما تمايل وسنانٌ بوسنان

فقال له عبد الرحمن: معاذ الله أن أشربها وأنعتها، ولكني الذي أقول:

سموت بحلفي للطوال من الذرى ولم تلقني كالنسر في ملتقى جدب

إذا ما حليف القوم أقعى مكانه ودب كما يمشي الحسير من النقب

وهصت الحصى لا أرهب الضيم قائماً إذا أنا راخى لي خناقي بنو حرب

وقام يجر مطرفه بين الصفين حتى خرج. فأقبل عمرو بن سعيد على أبيه فقال: لو أمرت بهذا الكب فضرب مائتي سوطٍ كان خيراً له؛ فقال: يا بني، أضربه وهو حليف حرب بن أمية ومعاوية خليفةٌ بالشأم! إذاً لا يرضى! فلما حج معاوية لقيه بمنى، فقال: إيه يا سعيد! أمرك أحمقك بأن تضرب حليفي مائتي سوط! أما والله لو جلدته سوطاً لجلدتك سوطين! فقال له سعيد: و لم ذاك؟ أو لم تجلد أنت حليفك عمر بن جبلة! فقال له معاوية: هو لحمي آكله ولا أوكله. قال: وكان ابن سيحان قد قال:

لا يعدمني نديمي ماجداً أنفاً لا قائلاً خالطاً زوراً ببهتان

أمسي أعاطيه كأساً لذ مشربها كالمسك حفت بنسرينٍ وريحان

سبيئةً من قرى بيروت صافيةً أو التي سبئت من أرض بيسان

إنا لنشربها حتى تميل بنا كما تمايل وسنان بوسنان

انقضت أخباره.

أحد الأصوات من المائة المختارة

من رواية علي بن يحيى

يا خليلي هجرا كي تروحا هجتما للرواح قلباً قريحا

إن تريغا لتعلما سر سعدى تجداني بسر سعدى شحيحا

إن سعدى لمنية المتمني جمعت عفةً ووجهاً صبيحا

كلمتني وذاك ما نلت منها إن سعدى ترى الكلام ربيحا

الشعر لابن ميادة. والغناء لحنين، ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.
وذكر عمرو بن بانة أن فيه لدحمان لحناً من الثقيل الأول بالبنصر، وأظنه هذا، وأن عمراً غلط في نسبته إلى دحمان.

أخبار ابن ميادة ونسبه

نسبه

اسمه الرماح بن أبرد بن ثوبان بن سراقة بن حرملة، هكذا قال الزبير بن بكار في نسبه. وقال ابن الكلبي: ثوبان بن سراقة بن سلمى بن ظالم ويقال سراقة بن قيس بن سلمى بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر.
كان يزعم أن أمه فارسية وأمه ميادة أم ولدٍ بربرية، وروي أنها كانت صقلبية. ويكنى أبا شرحبيل، وقيل بل يكنى أبا شراحيل.
وكان ابن ميادة يزعم أن أمه فارسية، وذكر ذلك في شعره فقال:

أنا ابن سلمى وجدي ظالم ... وأمي حصانٌ أخلصتها الأعاجم
أليس غلامٌ بين كسرى وظالمٍ ... بأكرم من نيطت عليه التمائم

كذبه موسى بن سيار أن أمه فارسية

أخبرني بذلك الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أبو مسلمة مرهوب بن سيد وأخبرني الحرمي "قال حدثنا الزبير" قال حدثني موسى بن زهير الفزاري قال أخبرني موسى بن سيار بن نجيح المزني قال: أنشدني ابن ميادة أبياته التي يقول فيها:

أليس غلام بين كسرى وظالم ... بأكرم من نيطت عليه التمائم

فقلت له: لقد أشحطت بدار العجوز وأبعدت بها النجعة، فهلا غربت "يريد أنها صقلبيةٌ ومحلها بناحية المغرب" فقال: إي بأبي أنت، إنه من جاع انتجع، فدعها تسر في الناس فإنه "من يسمع يخل". قال الزبير قال ابن مسلمة: ولما قال ابن ميادة هذه الأبيات قال الحكم الخضري يرد عليه:

رد عليه الحكم الخضري فخره بأمه وهجاه

وما لك فيهم من أبٍ ذي دسيعةٍ ... ولا ولدتك المحصنات الكرائم
وما أنت إلا عبدهم إن تربهم ... من الدهر يوماً تستربك المقاسم
رمى نهبلٌ في فرج أمك رميةً ... بحوقاء تسقيها العروق الثواجم

قال أبو مسلمة: ونهبل عبدٌ لبني مرة كانت ميادة تزوجته بعد سيدها، وكانت صقلبية. وابن ميادة شاعرٌ فصيحٌ مقدم مخضرم من شعراء الدولتين. وجعله ابن سلام في الطبقة السابعة، وقرن به عمر بن لجأ والعجيف العقيلي والعجير السلولي.

كان يتعرض للمهاجاة ويقول لأمه اصبري

على الهجو

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا الحسن بن الحسين السكري قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: كان ابن ميادة عريضاً للشر، طالباً مهاجاة الشعراء ومسابة الناس. وكان يضرب بيده على جنب أمه ويقول:

اعرنزمي مياد للقوافي

أي إني سأهجو الناس فيهجونك.

وأخبرنا يحيى بن علي عن أبي هفان بهذه الحكاية مثله، وزاد فيها:

اعرنزمي مياد للقوافي واستسمعيهن ولاتخافي

ستجدين ابنك ذا قذاف

استنشد امرأة أمام أمه ما هجيت به

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا داود بن علفة الأسدي قال: جاورة امرأةٌ من الخضر: "رهط الحكم الخضري" أبيات ابن ميادة، فجاءت ذات يوم تطلب رحىً وثفالاً لتطحن، فأعاروها إياهما فقال لها ابن ميادة: يا أخت الخضر، أتروين شيئاً مما قاله الحكم الخضري لنا، يريد بذلك أن تسمع أمه، فجعلت تأبى، فلم يزل حتى أنشدته:

أمياد قد أفسدت سيف ابن ظالم ببظرك حتى عاد أثلم باليا

قال: وميادة جالسةٌ تسمع. فضحك الرماح، وثارت ميادة إليها بالعمود تضربها به وتقول: أي زانية! هيا زانية! أإياي تعنين! وقام ابن ميادة يخلصها، فبعد لأيٍ ما أنقذها، وقد انتزعت منها الرحى والثفال.

إنشاده شماطيط هجاء أمه

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أبو حرملة منظور بن أبي عدي الفزاري قال حدثني شماطيط - وهو الذي يقول:

أنا شماطيط الذي حدثت به متى أنبه للغداء أنتبه

حتى يقال شرهٌ ولست به

- قال: كنت جالساً مع ابن ميادة فوردت عليه أبياتٌ للحكم الخضري يقول فيها:

أأنت ابن أشبانية أدلجت به إلى اللؤم مقلاتٍ لئيمٍ جنينها

- أشبانية: صقلبية - قال: وأمه ميادة تسمع فضرب جنبها وقال:

اعرنزمي مياد للقوافي

فقالت: هذه جنايتك يابن من خبث وشر، وأهوت إلى عصاً تريد ضربه بها؛ ففر منها وهو يقول:

يا صدقها ولم تكن صدوقا

فصحت به: أيهما المعني؟ فقال: أضرعهما خدين وألأمهما جدين؛ فضربت جنبها الآخر وقلت: فهي إذاً ميادة، وخرجت أعدو في أثر الرماح، وتبعتنا ترمينا بالحجارة وتفتري علينا حتى فتناها.

أمه ميادة وقصة تزوجها أبرد أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبو داود الفزاري: أن ميادة كانت أمةً لرجلٍ من كلب زوجةً لعبدٍ له يقال له نهبل، فاشتراها بنو ثوبان بن سراقة فأقبلوا بها من الشأم، فلما قدموا وصبحوا بها المليحة "وهي ماءة لبني سلمى ورحل بن ظالم بن جذيمة" نظر رجلٌ من بني سلمى إليها وهي ناعسة تمايل على بعيرها، فقال: ما هذه؟ قالوا: اشتراها بنو ثوبان؛ فقال: وأبيكم إنها لميادةٌ تميد وتميل على بعيرها، فغلب عليها "ميادة". وكان أبرد ضلةً من الضلل ورثةً من الرثث جلفاً لا تخلص إحدى يديه من الأخرى، يرعى على إخوته وأهله، وكانت إخوته كلهم ظرفاء غيره. فأرسلوا ميادة ترعى الإبل معه فوقع عليها، فلم يشعروا بها إلا قد أقعسها بطنها، فقالوا لها: لمن ما في بطنك. قالت: لأبرد، وسألوه فجعل يسكت ولا يجيبهم، حتى رمت بالرماح فرأوا غلاماً فدغما نجيباً، فأقر به أبرد. وقالت بنو سلمى: ويلكم يا بني ثوبان! ابتطنوه فلعله ينجب؛ فقالوا: والله ما له غير ميادة، فبنوا لها بيتاً وأقعدوها فيه، فجاءت بعد الرماح بثوبان وخليل وبشير بني أبرد، وكانت أول نسائه وآخرهن، وكانت امرأة صدق، ما رميت بشيء ولا سبت إلا بنهبل. قال عبد الرحمن بن جهيم الأسدي في هجائه ابن ميادة:

لعمري لئن شابت حليلة نهبلٍ لبئس شباب المرء كان شبابها

ولم تدر حمراء العجان أنهبلٌ أبوه أم المري تب تبابها

هجا بني مازن فرد عليه رجل منهم قال أبو داود: وكان ابن ميادة هجا بني مازن وفزارة بن ذبيان، وذلك أنهم ظلموا بني الصارد - والصارد من مرة - فأخذوا مالهم وغلبوهم عليه حتى الساعة؛ فقال ابن ميادة:

فلأوردن على جماعة مازنٍ خيلاً مقلصة الحصى ورجالا

ظلوا بذي أرك كأن رءوسهم شجرٌ تخطاه الربيع فحالا

فقال رجل من بني مازن يرد عليه:

يابن الخبيثة يابن طلة نهبلٍ هلا جمعت كما زعمت رجالا

أبيظر ميدة أم بخصيي نهبلٍ أم بالفساة تنازل الأبطالا

ولئن وردت على جماعة مازنٍ تبغي القتال لتلقين قتالا

قال: وبنو مرة يسمون الفساة لكثرة امتيارهم التمر، وكانت منازلهم بين فدك وخيبر فلقبوا بذلك لأكلهم التمر.

وقال يحيى بن علي في خبره - ولم يذكره عن أحد -: وقال ابن ميادة يفتخر بأمه: شعره في الفخر بنسبه

أنا ابن ميادة تهوي نجبي صلت الجبين حسنٌ مركبي

ترفعني أمي وينميني أبي فوق السحاب ودوين الكوكب

قال يحيى بن علي في خبره عن حماد عن أبيه عن أبي داود الفزاري: إن ابن ميادة قال يفخر بنسب أبيه في العرب ونسب أمه في العجم:

أليس غلامٌ بين كسرى وظالم بأكرم من نيطت عليه التمائم

لو أن جميع الناس كانوا بتلعةٍ وجئت بجدي ظالمٍ وابن ظالم

لظلت رقاب الناس خاضعةً لنا سجوداً على أقدامنا بالجماجم

سمع الفرزدق شيئاً من شعره فانتحله

فأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: كان ابن ميادة واقفاً في الموسم ينشد:

لو أن جميع الناس كانوا بتلعةٍ

وذكر تمام البيت والذي بعده. قال: والفرزدق واقف عليه في جماعة وهو متلثم، فلما سمع هذين البيتين أقبل عليه ثم قال: أنت يابن أبرد صاحب هذه الصفة! كذبت والله وكذب من سمع ذلك منك فلم يكذبك؛ فأقبل عليه فقال: فمه يا أبا فراس؛ فقال: أنا والله أولى بهما منك، ثم أقبل على روايته فقال: اضممهما إليك:

لو أن جميع الناس كانوا بتلعةٍ وجئت بجدي دارمٍ وابن دارم

لظلت رقاب الناس خاضعةً لنا سجوداً على أقدامنا بالجماجم

قال: فأطرق ابن ميادة فما أجابه بحرف، ومضى الفرزدق فانتحلهما.

كان له أخوان شاعران

وقد أتاهم الشعر من قبل جدهم زهير

أم بني ثوبان - وهو أبرد أبو ابن ميادة والعوثبان وقريض وناعضة، وكان العوثبان وقريض شاعرين - أمهم جميعاً سلمى بنت كعب بن زهير بن أبي سلمى.

مهاجاته لعقبة بن كعب بن زهير ويقال: إن الشعر أتى ابن ميادة عن أعمامه من قبل جدهم زهير. قال إسحاق في خبره هذا: وحدثني حميد بن الحارث أن عقبة بن كعب بن زهير نزل المليحة على بني سلمى بن ظالم فأكلوا له بعيراً، وبلغ ابن ميادة أن عقبة قال في ذلك شعراً، فقال ابن ميادة يرد عليه:

ولقد حلفت برب مكة صادقاً ... لولا قرابة نسوةٍ بالحاجر

لكسوت عقبة كسوةً مشهورةً ... ترد المناهل من كلامٍ عائر

وهي قصيدة؛ فقال له عقبة:

ألوماً أنني أصبحت خالاً ... وذكر الخال ينقص أو يزيد

لقد قلدت من سلمى رجالاً ... عليهم مسحةٌ وهم العبيد

فقال ابن ميادة:

أن تك خالنا فقبحت خالاً ... فأنت الخال تنقص لا تزيد

فيوماً في مزينة أنت حر ... ويوماً أنت محتدك العبيد

أحق الناس أن يلقى هواناً ... ويؤكل ماله العبد الطريد

أوصاف ابن ميادة

قال إسحاق فحدثني عجرمة قال: كان ابن ميادة أحمر سبطاً عظيم الخلق طويل اللحية، وكان لباساً عطراً، ما دنوت من رجلٍ كان أطيب عرفاً منه.

مقارنة بينه وبين النابغة

قال إسحاق: وحدثني أبو داود قال: سمعت شيخاً عالماً من غطفان يقول: كان الرماح أشعر غطفان في الجاهلية والإسلام، وكان خيراً لقومه من النابغة، لم يمدح غير قريش وقيس، وكان النابغة إنما يهذي باليمن مضللاً حتى مات.

هو كثير السقط في شعره

قال إسحاق: وحدثني أبو داود أن بني ذبيان تزعم أن الرماح بن ميادة كان آخر الشعراء. قال إسحاق: وحدثني أبو صالح الفزاري أن القاسم بن جندبٍ الفزاري، وكان عالماً، قال لابن ميادة: والله لو أصلحت شعرك لذكرت به، فإني لأراه كثير السقط؛ فقال له ابن ميادة: يابن جندب، إنما الشعر كنبلٍ في جفيرك ترمى به الغرض، فطالعٌ وواقعٌ وعاصدٌ وقاصد.

كان زمن هشام وبقي إلى خلافة المنصور

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال: كان ابن ميادة حديث العهد لم يدرك زمان قتيبة بن مسلم، ولا دخل فيمن عناه حين قال: "أشعر قيسٍ الملقبون من بني عامر والمنسوبون إلى أمهاتهم من غطفان"، ولكنه شاعر مجيدٌ كان في أيام هشام بن عبد الملك وبقي إلى زمن المنصور.

مدح بني أمية وبني هاشم

أخبرنا يحيى بن علي قال: كان ابن ميادة فصيحاً يحتج بشعره، وقد مدح بني أمية وبني هاشم: مدح من بني أمية الوليد بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان، ومدح من بني هاشم المنصور وجعفر بن سليمان.

علم أنه شاعر حين وافق الحطيئة

في بيت قاله

وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال أخبرني طماح ابن أخي الرماح ابن ميادة قال: قال لي عمي الرماح: ما علمت أني شاعرٌ حتى واطأت الحطيئة، فإنه قال:

عفا مسحلان من سليمى فحامره تمشى به ظلمانه وجآذره

فوالله ما سمعته ولا رويته فواطأته بطبعي فقلت:

فذو العش والممدور أصبح قاوياً تمشى به ظلمانه وجآذره

فلما أنشدتها قيل لي: قد قال الحطيئة:

تمشى به ظلمانه وجآذره

فعلمت أني شاعرٌ حينئذ.

كان ينسب بأم جحدر وشعره فيها

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن زهير بن مضرس قال: كان الرماح بن أبرد المعروف بابن ميادة ينسب بأم جحدر بنت حسان المرية إحدى نساء بني جذيمة، فحلف أبوها ليخرجنها إلى رجل من غير عشيرته ولا يزوجها بنجد؛ فقدم عليه رجلٌ من الشأم فزوجه إياها؛ فلقي عليها ابن ميادة شدة، فرأيته وما لقي عليها، فأتاها نساؤها ينظرن إليها عند خروج الشأمي بها. قال: فوالله ما ذكرن منها جمالاً بارعاً ولا حسناً مشهوراً، ولكنها كانت أكسب الناس لعجب. فلما خرج بها زوجها إلى بلاده اندفع ابن ميادة يقول:

ألا ليت شعري هل إلى أم جحدرٍ ... سبيلٌ فأما الصبر عنها فلا صبرا

إذا نزلت بصرى تراخى مزارها ... وأغلق بوابان من دونها قصرا

فهل تأتيني الريح تدرج موهناً ... برياك تعروري بها جرعاً عفرا

قال الزبير: وزادني عمي مصعب فيها:

فلو كان نذرٌ مدنياً أم جحدرٍ ... إلي لقد أوجبت في عنقي نذرا

ألا لا تلطي الستر يا أم جحدرٍ ... كفى بذرا الأعلام من دوننا سترا

لعمري لئن أمسيت يا أم جحدرٍ ... نأيت لقد أبليت في طلبٍ عذرا

فبهراً لقومي إذ يبيعون مهجتي ... بغانيةٍ بهراً لهم بعدها بهرا

قال الزبير: بهراً ها هنا: يدعو عليهم أن يتزل بهم من الأمور ما يبهرهم، كما تقول: جدعاً وعقراً. وفي أول هذه القصيدة - على ما رواه يحيى بن علي عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن حميد بن الحارث - يقول:

ألا لا تعدلي لوعةٌ مثل لوعتي ... عليك بأدمى والهوى يرجع الذكرا

عشية ألوي بالرداء على الحشا ... كأن ردائي مشعلٌ دونه جمرا

زاوج أم جحدر وما قاله في ذلك قال حميد بن الحارث: وأم جحدر امرأة من بني رحل بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة.

أخبرني يحيى بن علي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير عن موهوب بن رشيد عن جبر بن رباط النعامي: أن أم جحدر كانت امرأة من بني مرة ثم من بني رحل، وأن أباها بلغه مصير ابن ميادة إليها، فحلف ليزوجنها رجلاً من غير ذلك البلد، فزوجها رجلاً من أهل الشأم فاهتداها وخرج بها إلى الشأم، فتبعها ابن ميادة، حتى أدركه أهل بيته فردوه مصمتاً لا يتكلم من الوجد بها؛ فقال قصيدة أولها:

خليلي من أبناء عذرة بلغا ... رسائل منا لا تزيدكما وقرا

ألما على تيماء نسأل يهودها ... فإن لدى تيماء من ركبها خبرا

وبالغمر قد جازت وجاز مطيها عليه فسل عن ذاك نيان فالغمرا

ويا ليت شعري هل يحلن أهلها وأهلك روضاتٍ ببطن اللوى خضرا

قصة عشقه لها

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني أبو سعيد "يعني عبد الله بن شبيب" قال حدثني أبو العالية الحسن بن مالك وأخبرني به الأخفش عن ثعلب عن عبد الله بن شبيب عن أبي العالية الحسن بن مالك الرياحي العذري قال حدثني عمر بن وهب العبسي قال حدثني زياد بن عثمان الغطفاني من بني عبد الله بن غطفان قال: كنا بباب بعض ولاة المدينة فغرضنا من طول الثواء، فإذا أعرابي يقول: يا معشر العرب، أما منكم رجلٌ يأتيني أعلله إذ غرضنا من هذا المكان فأخبره عن أم جحدر وعني؟ فجئت إليه فقلت: من أنت؟ فقال: أنا الرماح بن أبرد، قلت: فأخبرني ببدء أمركما؛ قال: كانت أم جحدر من عشيرتي فأعجبتني، وكانت بيني وبينها خلة، ثم إني عتبت عليها في شيء بلغني عنها، فأتيتها فقلت: يا أم جحدر إن الوصل عليك مردود؛ فقالت: ما قضى الله فهو خير. فلبثت على تلك الحال سنة، وذهبت بهم نجعةٌ فتباعدوا، واشتقت إليها شوقاً شديداً، فقلت لامرأة أخٍ لي: والله لئن دنت دارنا من أم جحدر لآتينها ولأطلبن إليها أن ترد الوصل بيني وبينها، ولئن ردته لا نقضته أبداً، و لم يكن يومان حتى رجعوا، فلما أصبحت غدوت عليهم فإذا أنا ببيتين نازلين إلى سندٍ أبرق طويل، وإذا امرأتان جالستان في كساءٍ واحدٍ بين البيتين، فجئت فسلمت، فردت إحداهما و لم ترد الأخرى، فقالت: ما جاء بك يا رماح إلينا؟ ما كنا حسبنا إلا أنه قد انقطع ما بيننا وبينك؛ فقلت: إني جعلت علي نذراً لئن دنت بأم جحدر دارٌ لآتينها ولأطلبن منها أن ترد الوصل بيني وبينها، ولئن هي فعلت لا نقضته أبداً وإذا التي تكلمني امرأة أخيها وإذا الساكتة أم جحدر؛ فقالت امرأة أخيها: فادخل مقدم البيت فدخلت، وجاءت فدخلت من مؤخره فدنت قليلاً، ثم إذا هي قد برزت، فساعة برزت جاء غرابٌ فنعب على رأس الأبرق فنظرت إليه وشهقت وتغير وجهها؛ فقلت: ما شأنك؟ قالت: لا شيء، قلت: بالله إلا أخبرتني؛ قالت: أرى هذا الغراب يخبرني أنا لا نجتمع بعد هذا اليوم إلا ببلد غير هذا البلد، فتقبضت نفسي، ثم قلت: جاريةٌ والله ما هي في بيت عيافة ولا قيافة، فأقمت عندها، ثم تروحت إلى أهلي فمكنت عندهم يومين، ثم أصبحت غادياً إليها، فقالت لي امرأة أخيها: ويحك يا رماح! أين تذهب؟ فقلت: إليكم؛ فقالت: وما تريد؟ قد والله زوجت أم جحدر البارحة، فقلت: بمن ويحك؟ قالت: برجل من أهل الشأم من أهل بيتها، جاءهم من الشأم فخطبها فزوجها وقد حملت إليه، فمضيت إليهم فإذا هو قد ضرب سرادقاتٍ، فجلست إليه فأنشدته وحدثته وعدت إليه أياماً، ثم إنه احتملها فذهب بها فقلت:

أجارتنا إن الخطوب تنوب علينا وبعض الآمنين تصيب

أجارتنا لست الغداة ببارحٍ ولكن مقيمٌ ما أقام عسيب

فإن تسأليني هل صبرت فإنني صبورٌ على ريب الزمان صليب

قال علي بن الحسين: هذه الأبيات الثلاثة أغار عليها ابن ميادة فأخذها بأعيانها، أما البيتان الأولان فهما لامرىء القيس قالهما لما احتضر بأنقرة في بيتٍ واحدٍ وهو:

أجارتنا إن الخطوب تنوب وإني مقيمٌ ما أقام عسيب

والبيت الثالث لشاعر من شعراء الجاهلية، وتمثل به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في رسالة كتب بها إلى أخيه عقيل بن أبي طالب، فنقله ابن ميادة نقلاً. ونرجع إلى باقي شعر ابن ميادة:

جرى بانبتات الحبل من أم جحدرٍ ظباءٌ وطيرٌ بالفراق نعوب
نظرت فلم أعتف وعافت فبينت لها الطير قبلي واللبيب لبيب
فقالت حرامٌ أن نرى بعد هذه جميعين إلا أن يلم غريب
أجارتنا صبراً فيا رب هالكٍ تقطع من وجدٍ عليه قلوب

رحل إلى الشأم لرؤيتها فردته

قال: ثم انحدرت في طلبها، وطمعت في كلمتها: "إلا أن نجتمع في بلد غير هذا البلد". قال: فجئت فدرت الشأم زماناً فتلقاني زوجها فقال: مالك لا تغسل ثيابك هذه! أرسل بها إلى الدار تغسل، فأرسلت بها؛ ثم إني وقفت أنتظر خروج الجارية بالثياب، فقالت أم جحدر لجاريتها: إذا جاء فاعلميني؛ فلما جئت إذا أم جحدرٍ وراء الباب فقالت: ويحك يا رماح! قد كنت أحسب أن لك عقلاً! أما ترى أمراً قد حيل دونه وطابت أنفسنا عنه؟ انصرف إلى عشيرتك فإني أستحي لك من هذا المقام؛ فانصرفت وأنا أقول:

صوت

عسى إن حججنا أن نرى أم جحدرٍ ويجمعنا من نخلتين طريق
وتصطك أعضاد المطي وبيننا حديثٌ مسر دون كل رفيق

في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الثاني ذكر الهشامي أنه للحجي شعره فيها وقال حين خرج إلى الشأم - هذه رواية ابن شبيب -:

ألا حييا رسماً بذي العش مقفراً وربعاً بذي الممدور مستعجماً قفرا
فأعجب دارٍ دارها غير أنني إذا ما أتيت الدار ترجعني صفرا
عشية أثني بالرداء على الحشى كأن الحشى من دون أشعرت جمرا
يميل بنا شحط النوى ثم نلتقي عداد الثريا صادفت ليلةً بدرا
وبالغمر قد جازت وجاز مطيها فأسقى الغوادي بطن نيان فالغمرا

خليلي من غيظ بن مرة بلغا رسائل مني لا تزيدكما وقرا
ألا ليت شعري هل إلى أم جحدر سبيل، فأما الصبر عنها فلا صبرا
فإن يك نذرٌ راجعاً أم جحدرٍ علي لقد أوذمت في عنقي نذرا
وإني لاستنشي الحديث من أجلها لأسمع منها وهي نازحةٌ ذكرا
وإني لأستحيي من الله أن أرى إذا غدر الخلان أنوي لها غدرا

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال أنشدني أبو داود لابن ميادة وهو يضحك منذ أنشدني إلى أن سكت:

ألم تر أن الصاردية جاورت ليالي بالممدور غير كثير
ثلاثاً فلما أن أصابت فؤاده بسهمين من كحلٍ دعت بهجير
بأصهب يرمي للزمام برأسه كأن على ذفراه نضخ عبير
جلت إذ جلت عن أهل نجدٍ حميدةً جلاء غنىً لا جلاء فقير
وقالت وما زادت على أن تبسمت عذيرك من ذي شيبةٍ وعذيري
عدمت الهوى ما يبرح الدهر مقصداً لقلبي بسهمٍ في اليدين طرير
وقد كان قلبي مات للوجد موتةً فقد هم قلبي بعدها بنشور

قال: فقلت: وما أضحكك؟ فقال: كذب ابن ميادة، والله ما جلت إلا على حمار وهو يذكر بعيراً ويصفه وأنها جلت جلاء غنى لا جلاء فقيرٍ، فأنطقه الشيطان بهذا كله كما سمعت.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن زهير قال: مكثت أم جحدر عند زوجها زماناً ثم مات زوجها عنها ومات ولدها منه، "فقدمت نجداً على إخوتها وقد مات أبوها ".

آخر عهده بها

أخبرني سيار بن نجيح المزني قال: لقيت ابن ميادة وهو يبكي فقلت له: ويحك! مالك؟ قال: أخرجتني أم جحدر وآلت يميناً ألا تكلمني، فانطلق فاشفع لي عندها؛ فخرجت حتى غشيت رواق بيتها فوجدتها وهي تدمك جريراً لها بين الصلاية والمدق تريد أن تخطم به بعيراً تحج عليه؛ فقالت: إن كنت جئت شفيعاً لابن ميادة فبيتي حرامٌ عليك أن تلقي فيه قدمك. قال: فحجت، ولا والله ما كلمته ولا رآها ولا رأته. قال موسى قال سيار: فقلت له: اذكر لي يوماً ما رأيته منها؛ فقال لي: أما والله لأخبرنك يا سيار بذلك: بعثت إليها عجوزاً منهم فقلت: هل ترين من رجالٍ؟ فقالت: لا والله، ما رأيت من رجل؛ فألقيت رحلي على ناقتي ثم أرسلتها حتى أنختها بين أطناب بيتهم؛ ثم جعلت أقيد الناقة، فما كان إلا ذاك حتى دخلت وقد ألقت لي فراشاً مرقوماً مطموماً،

وطرحت لي وسادتين على عجز الفراش وأخريين على مقدمه؛ قال: ثم تحدثنا ساعةً وكأنما تلعقني بحديثها الرب من حلاوته، ثم إذا هي تصب في عس مخضوبٍ بالحناء والزعفران من ألبان اللقاح، فأخذت منها ذلك العس وكأنه قناةٌ فراوحته بين يدي، ما ألقمته فمي ولا دريت أنه معي حتى قالت لي عجوز: ألا تصلي يابن ميادة لا صلى الله عليك فقد أظلك صدر النهار! ولا أحسب إلا أنني في أول البكرة؛ قال: فكان ذلك اليوم آخر يومٍ كلمتها فيه حتى زوجها أبوها، وهو أظرف ما كان بيني وبينها.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني حكم بن طلحة الفزاري ثم المنظوري قال: قال ابن ميادة: إني لأعلم أقصر يومٍ مر بي من الدهر، قيل له: وأي يوم هو يا أبا الشرحبيل؟ قال: يومٌ جئت فيه أم جحدر باكراً فجلست بفناء بيتها فدعت لي بعس من لبن فأتيت به وهي تحدثني، فوضعته على يدي وكرهت أن أقطع حديثها إن شربت، فما زال القدح على راحتي وأنا أنظر إليها حتى فاتتني صلاة الظهر وما شربت.

قال الزبير: وحدثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد بمثل هذا، وزاد في خبره: وقال ابن ميادة فيها أيضاً:

ألم تر أن الصاردية جاورت ... ليالي بالممدور غير كثير

ثلاثاً فلما أن أصابت فؤاده ... بسهمين من كحل دعت بهجير

بأحمر ذيال العسيب مفرج ... كأن على ذفراه نضخ عبير

حلفت برب الراقصات إلى منىً ... زفيف القطا يقطعن بطن هبير

لقد كان حب الصاردية بعدما ... علا في سواد الرأس نبذ قتير

يكون سفاهاً أو يكون ضمانة ... على ما مضى من نعمةٍ وعصور

عدمت الهوى لا يبرح الدهر مقصداً ... لقلبي بسهمٍ في الفؤاد طرير

وقد كان قلبي مات للحب موتةً ... فقد هم قلبي بعدها بنشور

جلت إذ جلت عن أهل نجد حميدةً ... جلاء غنىً لا جلاء فقير

ومما يغنى فيه من أشعار ابن ميادة في النسيب بأم جحدر "قوله ":

صوت

ألا يا لقومي للهوى والتذكر ... وعينٍ قذى إنسانها أم جحدر

فلم تر عيني مثل قلبي لم يطر ... ولا كضلوعٍ فوقه لم تكسر

الغناء لإسحاق ثقيلٌ أول بالوسطى.

سيار يروي خبر جاريته

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا حكيم بن طلحة الفزاري عن رجل من كلبٍ قال: جنيت جنايةً فغرمت فيها، فنهضت إلى أخوالي بني مرة فاستعنتهم فأعانوني، فأتيت سيار بن نجيح أحد بني سلمى بن ظالم فأعانني، ثم قال: انهض بنا إلى الرماح بن أبرد - يعني ابن ميادة - حتى يعينك، فدفعنا إلى بيتين له، فسألنا عنه فقيل: ذهب أمس؛ فقال سيار: ذهب إلى أمةٍ لبني سهيل، فخرجنا في طلبه فوقعنا عليه في قرارةٍ بيضاء بين حرتين، وفي القرارة غنمٌ من الضأن سودٌ وبيضٌ، وإذا حمارٌ مقيد مع الغنم وإذا به معها، فجلسنا فإذا شابة حلوة صفراء في دراعةٍ مورسةٍ، فسلمنا وجلسنا؛ فقال: أنشديهم مما قلت فيك شيئاً؛ فأنشدتنا:

يمنونني منك اللقاء وإنني ... لأعلم لا ألقاك من دون قابل

إلى ذاك ما حارت أمورك وانجلت ... غياية حبيك انجلاء المخايل

إذا حل أهلي بالجناب وأهلها ... بحيث التقى الغلان من ذي أرائل

أقل خلةٌ بانت وأدبر وصلها ... تقطع منها باقيات الحبائل

وحالت شهور الصيف بين وبينها ... ورفع الأعادي كل حق وباطل

أقول لعذالي لما تقابلا ... علي بلومٍ مثل طعن المعابل

لا تكثرا عنها السؤال فإنها ... مصلصلةٌ من بعض تلك الصلاصل

من الصفر لا ورهاء سمجٌ دلالها ... وليست من السود القصار الحوائل

ولكنها ريحانةٌ طاب نشرها ... وردت عليها بالضحى والأصائل

ثم قال لها: قومي فاطرحي "عنك" دراعتك، فقالت: لا حتى يقول ليس سيار بن نجيح ذلك، فأبى سيار؛ فقال له ابن ميادة: لئن لم تفعل لافضيت حاجتكما، فقال لها فقامت فطرحتها، فما رأيت أحلى منها. فقال له "سيار": فما لك يا أبا الشرحبيل لا تشتريها؟ فقال: إذاً يفسد حبها.

ابن ميادة وصخر بن الجعد الخضري

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثتني مغيرة بنت أبي عدي بن عبد الجبار بن منظور بن زبان ابن سيار الفزارية قالت أخبرني أبي قال: جمعني وابن ميادة وصخر بن الجعد الخضري، مجلسٌ، فأنشدنا ابن ميادة قوله:

يمنونني منك اللقاء وإنني ... لأعلم لا ألقاك من دون قابل

فأقبل عليه صخر فقال له: المحب المكب يرجو الفائت ويغم الطير، وأراك حسن العزاء يا أبا الشرحبيل؛ فأعرض عنه ابن ميادة. قال أبو عدي فقلت:

صادف درء السيل سيلاً يردعه بهضبةٍ ترده وتدفعه

- ويروي: درء السيل سيلٌ - فقال لي: يا أبا عدي، والله لا أتلطخ بالخضر مرتين وقد قال أخو عذرة:

هو العبد أقصى همه أن تسبه وكان سباب الحر أقصى مدى العبد

قال الزبير: قوله يغم الطير يقول: إذا رأى طيراً لم يزجرها مخافة أن يقع ما يكره.

قال: فلم يحر إليه صخر بن الجعد جواباً. يعني بقوله: "لا أتلطخ بالخضر مرتين" مهاجاته الحكم الخضري، وكانا تهاجيا زماناً ثم كف ابن ميادة وسأله الصلح فصالحه الحكم.

ابن ميادة والحكم الخضري أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد عن عبد الرحمن بن الأحول التغلبي ثم الخولاني قال: كان أول ما بدأ الهجاء بين ابن ميادة وحكم بن معمر الخضري أن ابن ميادة مر بالحكم بن معمر وهو ينشد في مصلى النبي صلى الله عليه وسلم في جماعة من الناس قوله:

لمن الديار كأنها لم تعمر بين الكناس وبين برق محجر

حتى انتهى إلى قوله:

يا صاحبي ألم تشيما بارقاً نضح الصراد به فهضب المنحر

قد بت أرقبه وبات مصعداً نهض المقيد في الدهاس الموقر

فقال "له" ابن ميادة: ارفع إلي راسك أيها المنشد، فرفع حكم إليه رأسه؛ فقال له: من أنت؟ قال: أنا حكم بن معمر الخضري؛ قال: فوالله ما أنت في بيت حسبٍ، ولا في أرومة شعر؛ فقال له حكم: وماذا عبت من شعري؟ قال: عبت أنك أدهست وأوقرت؛ قال له حكم: ومن أنت؟ قال أنا ابن ميادة، قال: ويحك! فلم رغبت عن أبيك وانتسبت إلى أمك؟ قبح الله والدين خيرهما ميادة، أما والله لو وجدت في أبيك خيراً ما انتسبت إلى أمك راعية الضأن. وأما إدهاسي وإبقاري فإني لم آت خيبر إلا ممتاراً لا متحاملاً، وما عدوت أن حكيت حالك وحال قومك، فلو "كنت" سكت عن هذا لكان خيراً لك وأبقى عليك. فلم يفترقا إلا عن هجاء.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال حدثني عمير بن ضمرة الخضري قال: أول ما هاج الهجاء بين ابن ميادة وبين حكم بن معمر بن قنبر بن جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف بن محارب - قال: والخضر ولد مالك بن طريف، سموا بذلك لأن مالكاً كان شديد الأدمة، وكذلك خرج ولده فسموا الخضر - أن حكماً نزل بسمير بن سلمة بن عوسجة بن أنس بن يزيد بن معاوية بن ساعدة بن عمرو وهو خصيلة بن مرة. فأقبل ابن ميادة إلى حكم ليعرض عليه شعره وليسمع من شعره، وكان حكم أسنهما، فأنشدا جميعاً جماعة القوم، ثم قال ابن ميادة: والله لقد أعجبني بيتان قلتهما يا حكم؛ قال: أو ما أعجبك من شعري إلا بيتان! فقال:

والله لقد أعجباني، يردد ذلك مراراً لا يزيده عليه؛ فقال له حكم: فأي بيتين هما؟ قال: حين تساهم بين ثوبيها وتقول:

فوالله ما أدري أزيدت ملاحةً وحسناً على النسوان أم ليس لي عقل

تساهم ثوباها ففي الدرع غادةٌ وفي المرط لفاوان ردفهما عبل

فقال له حكم: أو ما أعجبك غير هذين البيتين؟ فقال له ابن ميادة: قد أعجباني، فقال: أو ما في شعري ما أعجبك غيرهما؟ فقال: لقد أعجباني؛ فقال له حكم: فإني سوف أعيب عليك قولك:

ولا برح الممدور ريان مخصباً وجيد أعالي شعبه وأسافله

فاستسقيت لأعلاه وأسفله وتركت وسطه وهو خير موضع فيه؛ فقال: وأي شيء تريد! تركته لا يزال ريان مخصباً. وتهاترا فغضب حكم فارتحل ناقته وهدر ثم قال:

فإنه يوم قريضٍ ورجز

فقال رجل من بني مرة لابن ميادة: اهدركما هدر يا رماح، فقال: إنما يغط البكر. ثم قال الرماح:

فإنه يوم قريضٍ ورجز من كان منكم ناكزاً فقد نكز

وبين الطرف النجيب فبرز

قال الزبير: يريد بقوله ناكزاً: غائضاً قد نزف. قال الزبير: وسمعت رجلاً من أهل البادية يترع على إبلٍ له كثيرة من قليب ويرتجز:

قد نكزت أن لم تكن خسيفاً أو يكن البحر لها حليفا

أم جحدر وهجاء الحكم وعملس لها

قال الزبير قال الجمحي قال عمير بن ضمرة: فهذا أول ما هاج التهاجي بينهما. قال الزبي قال الجمحي: وحدثني عبد الرحمن بن ضبعان المحاربي قال: كان ابن ميادة وحكم الخضري وعملس بن عقيل بن علفة متجاورين متحالين، وكانوا جميعاً يتحدثون إلى أم جحدر بنت حسان المرية، وكانت أمها مولاة، ففضلت ابن ميادة على الحكم وعملس فغضبا. وكان ابن ميادة قال في أم جحدر:

ألا ليت شعري هل إلى أم جحدر سبيلٌ فأما الصبر عنها فلا صبرا

ويا ليت شعري هل يحلن أهلها وأهلك روضاتٍ ببطن اللوى خضرا

وقال فيها "أيضاً ":

إذا ركدت شمس النهار ووضعت طنافسها ولينها الأعين الخزرا

الأبيات؛ فقال عملس بن عقيل وحكم الخضري يهجوانها - وهي تنسب إلى حكم -:

لا عوفيت في قبرها أم جحدرٍ ... ولا لقيت إلا الكلاليب والجمرا

كما حادثت عبداً لئيماً وخلته ... من الزاد إلا حشو ريطاته صفرا

فيا ليت شعري هل رأت أم جحدرٍ ... أكشك أو ذاقت مغابنك القشرا

وهل أبصرت أرساغ أبرد أو رأت ... قفا أم رماح إذا ما استقت دفرا

وبالغمر قد صرت لقاحاً وحادثت ... عبيداً فسل عن ذاك نيان فالغمرا

وقال عملس بن عقيل بن علفة ويقال: بل قالها علفة بن عقيل:

فلا تضعا عنها الطنافس إنما ... يقصر بالمرماة من لم يكن صقرا

وزاد يحيى بن علي مع هذا البيت عن حماد عن أبيه عن جرير بن رباط وأبي داود قال: يعرض بقوله: "من لم يكن صقرا" بابن ميادة أي إنه هجين ليس من أبوين متشابهين كما الصقر. وبعده بيت آخر من رواية يحيى و لم يروه الزبير معه:

منعمةٌ لم تلق بؤساً وشفوةً ... بنجدٍ ولم يكشف هجينٌ لها سترا

قالوا جميعاً: فقال ابن ميادة يهجو علفة:

أعلف إن الصقر ليس بمدلجٍ ... ولكنه بالليل متخذٌ وكرا

ومفترشٌ بين الجناحين سلحه ... إذا الليل ألقى فوق خرطومه كسرا

فإن يك صقراً بعد ليلة أمه ... وليلة جحافٍ فأف له صقرا

تشد بكفيها على جذل أيره ... إذا هي خافت من مطيها نفرا

يريد أن أم علفة من بني أنمار، وكان أبوه عقيل بن علفة ضربها، فأرسلت إلى رجل من بني أنمار يقال له جحاف، فأتاها ليلاً فاحتملها على جمل فذهب بها. وقال يحيى بن علي خاصة في خبره عن حماد عن أبيه عن أبي داود: إن جحاف بن إياد كان رجلاً من بني قتال بن يربوع بن غيظ بن مرة، وكان يتحدث إلى امرأة عقيل بن علفة - وهي أم ابنه علفة بن عقيل - ويتهم بها، وهي امرأة من بني أنمار بن بغيض بن ريث بن غطفان يقال لها سلافة، وكانت من أحسن الناس وجهاً، وكان عقيل من أغير الناس، فربطها بين أربعة أوتاد ودهنها بإهالة، وجعلها في قرية نمل، فمر بها جحاف بن إياد "ليلاً" فسمع أنينها، فأتاها فاحتملها حتى طرحها بفدك، فاستعدت واليها على عقيل. وقال عقيل من جوف الليل فأوقد عشوة ونظرها فلم يجدها ووجد أثر جحاف فعرفه وتبعه حتى صبح القرية، وخنس جحاف عنها؛ فأتى الوالي فقال: إن هذه رأتني وقد كبرت "سني" وذهب بصري

فاجترأت علي، وكان عقيل رجلاً مهيباً فلم يعاقبه الوالي بما صنعه لموضعه من صهر بني مروان. قال: فعير ابن ميادة علفة بن عقيل بأمر جحاف هذا في قوله:

فإن يك صقراً بعد ليلة أمه ... وليلة جحاف فأف له صقرا

قال: ولج الهجاء بينهما. وقال فيه ابن ميادة وفي حكم الخضري وقد عاون علفة:

لقد ركب الخضري مني وتربه ... على مركب من نابيات المراكب

وقال لعلفة:

يابن عقيل لا تكن كذوبا ... أأن شربت الحزر والحليبا

من شول زيد وشممت الطيبا ... جهلاً تجنيت لي الذنوبا

قال: ثم لم يلبثه ابن ميادة أن غلبه، وهاج التهاجي بينه وبين حكم الخضري، وانقطع عنه علفة مفضوحاً. قال: وماتت أم جحدر التي كان ينسب بها ابن ميادة على تفيئة ما كان بينه وبين علفة من المهاجاة، ونعيت له فلم يصدق حتى أتاه رجل من بني رحل يقال له عمار فنعاها له؛ فقال:

ما كنت أحسب أن القوم قد صدقوا ... حتى نعاها لي الرحلي عمار

وقال يرثيها:

خلت شعب الممدور لست بواجدٍ ... به غير بالٍ من عضاهٍ وحرمل

تمنيت أن تلقي به أم جحدرٍ ... وماذا تمني من صدىً تحت جندل

فللموت خيرٌ من حياةٍ ذميمةٍ ... وللبخل خيرٌ من عناء مطول

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الله بن إبراهيم عن ساعدة ابن مرمىء، وذكره إسحاق أيضاً عن أصحابه: أن ابن ميادة وحكماً الخضري تواعدا المدينة ليتواقفا بها، وجاء نفرٌ من قريش - أمهاتهم من مرة - إلى ابن ميادة فمنعوه من مواقفة حكم، وقالوا: أتتعرض له ولست بكفئه فيشتم أمهاتنا وأخوالنا وخالاتنا وهو رجلٌ خبيث اللسان! - قال: وكان حكم يسجع سجعاً كثيراً - فقال: والله لئن واقفته لأسجعن به قبل المقارضة سجعاً أفضحه به فلم يلقه. وذكر الزبير له سجعاً طويلاً غثاً لا فائدة فيه، لأنه ليس برجز منظوم ولا كلام فصيح ولا مسجع سجعاً مؤتلفاً كائتلاف القوافي، إلا أن من أسلمه قوله: والله لئن ساجعتني سجاعاً، لتجدني شجاعاً، للجار مناعاً، ولأجدنك هياعاً، للحسب مضياعاً، ولئن باطشتك بطاشاً، لأدهشنك إدهاشاً، ولأدقن منك مشاشاً، حتى يجيء بولك رشاشاً. وهذا من غث السجع ورذله، وإنما ذكرته ليستدل به على ما هو دونه مما ألغيت ذكره. قال: ورجز به فقال:

يا معدن اللؤم وأنت جبله ... وآخر اللؤم وأنت أوله

جاريت سباقاً بعيداً مهله كان إذا جارى أباك يفشله

فكيف ترجوه وكيف تأمله وأنت شر رجلٍ وأنذله

ألأمه في مأزقٍ وأجهله أدخله بيت المخازي مدخله

فاللؤم سربالٌ له يسربله ثوباً إذا أنهجه يبدله

فأجابه حكم:

يابن التي جيرانها كانت تضر وتتبع الشول وكانت تمتصر

كيف إذا مارست حرا تنتصر

ولهما أراجيز كثيرةٌ طويلةٌ جداً أسقطتها لكثرتها وقلة فائدتها.

الحكم ولقاء ابن ميادة وتهاجيهما

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن عبد الله بن إبراهيم قال: أخبرني بعض من لقيت من الخضر: أن حكماً الخضري خرج يريد لقاء ابن ميادة بالرقم من غير موعد فلم يلفه، إما لأنه تغيب عنه وإما لأنه لم يصادفه، فقال حكم:

فر ابن ميادة الرقطاء من حكم بالصغر مثل الأعقد الدهم

أصبحت في أقرٍ تعلو أطاوله تفر مني وقد أصبحت بالرقم

وقال إسحاق في روايته عن أصحابه: قال ابن ميادة يهجو حكماً وينسب بأم جحدرٍ:

يمنونني منك اللقاء وإنني لأعلم لا ألقاك من دون قابل

وقد مضى أكثر هذه الأبيات متقدماً، فذكرت ها هنا منها ما لم يمض وهو قوله:

فيا ليت رث الوصل من أم جحدر لنا بجديدٍ من أولاك البدائل

ولم يبق مما كان بيني وبينها من الود إلا مخفيات الرسائل

وإني إذا استنبهت من حلو رقدةٍ رميت بحبيها كرمي المناضل

صوت

فما أنس م الأشياء لا أنس قولها وأدمعها يذرين حشو المكاحل

تمتع بذا اليوم القصير فإنه رهينٌ بأيام الدهور الأطاول

الغناء في هذين البيتين لعلي بن يحيى المنجم، ولحنه من الثقيل الثاني.

وكنت امرأً أرمي الزوائل مرةً فأصبحت قد ودعت رمي الزوائل

وعطلت قوس اللهو من سرعانها وعادت سهامي بين رث وناصل

السرعان: وترٌ يعمل من عقب المتن، وهو أطول العقب.

إذا حل بيتي بين بدرٍ ومازنٍ ومرة نلت الشمس كاهلي

يعني بدر بن عمرو بمن جؤية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان، ومرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، ومرة بن فزارة، ومازن بن فزارة. وهي طويلة.

قال أبو الفرج الأصبهاني: أخذ إسحاق الموصلي معنى بيت ابن ميادة في قوله: "نلت الشمس واشتد كاهلي" فقال:

عطست بأنفٍ شامخ وتناولت يداي الثريا قاعداً غير قائم

ولعمري لئن كان استعار معناه لقد اضطلع به وزاد فأحسن وأجاد.

وفي هذه القصيدة يقول:

فضلنا قريشاً غير رهط محمدٍ وغير بني مروان أهل الفضائل

ضربه إبراهيم بن هشام لدعواه أنه فضل قريشا

قال يحيى بن علي وأخبرني علي بن سليمان بن أيوب عن مصعب، وأخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن مصعب قال: قال إبراهيم بن هشام بن إسماعيل لابن ميادة: أنت فضلت قريشاً! وجرده فضربه أسواطاً.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال: لما قال ابن ميادة:

فضلنا قريشاً غير رهط محمد وغير بني مروان أهل الفضائل

قال له الوليد بن يزيد: قدمت آل محمدٍ قبلنا، فقال: ما كنت يا أمير المؤمنين أظنه يمكن غير ذلك. فلما أفضت الخلافة إلى بني هاشم وفد ابن ميادة إلى المنصور ومدحه؛ فقال له أبو جعفر لما دخل إليه: كيف قال لك الوليد؟ فأخبره بما قال، فجعل المنصور يتعجب.

ابن ميادة والحكم بعريجاء

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال: حدثني العباس بن سمرة بن عباد بن شماخ بن سمرة عن ريحان بن سويد الخضري، وكان رواية حكم بن معمر الخضري، قال: تواعد حكمٌ وابن ميادة عريجاء - وهي ماءة - يتواقفان عليها، فخرج كل واحد منهما في نفرٍ من قومه، وأقبل صخر بن الجعد الخضري يؤم حكماً، وهو يومئذٍ عدو لحكم لما فرط بينهما من الهجاء في أركوبٍ من بني مازن بن مالك بن

طريف بن خلف بن محارب؛ فلما لقيه قال له: يا حكم، أهؤلاء الذين عرضت للموت! وهم وجوه قومك! فوالله ما دماؤهم على بني مرة إلا كدماء جداية، فعرف حكم أن قول صخر هو الحق فرد قومه، وقال لصخر: قد وعدني ابن ميادة أن يواقفني غداً بعريجاء لأن أناشده، فقال له صخر: أنا كثير الإبل - وكان حكم مقلاً - فإذا وردت إبلي فارتجز، فإن القوم لا يشجعون عليك وأنت وحدك، فإن لقيت الرجل نحر وأطعم فانحر وأطعم وإن أتيت على مالي كله. قال ريحان راويته: فورد يومئذ عريجاء وأنا معه فظل على عريجاء و لم يلق رماحاً و لم يواف لموعده، وظل ينشد يومئذٍ حتى أمسى، ثم صرف وجوه إبل صخرٍ وردها. وبلغ الخبر ابن ميادة وموافاة حكم لموعده، فأصبح على الماء وهو يرتجز ويقول:

أنا ابن ميادة عقار الجزر كل صفي ذات نابٍ منفظر

توافيهما بحمى ضرية وصلحهما

وظل على الماء فنحر وأطعم. فلما بلغ حكماً ما صنع ابن ميادة من نحره وإطعامه شق عليه مشقةً شديدةً. ثم إنهما بعد توافيا بحمى ضرية. قال ريحان بن سويد: وكان ذلك العام عام جدبٍ وسنةٍ إلا بقية كلأبضرية. قال: فسبقنا ابن ميادة يومئذ فنزلنا على مولاةٍ لعكاشة بن مصعب بن الزبير ذات مالٍ ومنزلة من السلطان. قال: وكان حكم كريماً على الولاة هناك يتقى لسانه. قال ريحان: فبينا نحن عند المولاة وقد حططنا براذع دوابنا إذا راكبان قد أقبلا، وإذا نحن برماح وأخيه ثوبان - و لم يكن لثوبان ضريبٌ في الشجاعة والجمال - فأقبلا يتسايران، فلما رآهما حكمٌ عرفهما، فقال: يا ريحان، هذان ابنا أبرد، فما رأيك؟ أتكفيني ثوبان أم لا؟ قال: فأقبلا نحونا ورماح يتضاحك حتى قبض على يد حكم وقال: مرحبا برجل سكت عنه و لم يسكت عني، وأصبحت الغداة أطلب سلمه يسوقني الذئب والسنة، وأرجو أن أرعى الحمى بجاهه وبركته، ثم جلس إلى جنب حكم وجاء ثوبان فقعد إلى جنبي، فقال له حكم: أما ورب المرسلين يا رماح لولا أبياتٌ جعلت تعتصم بهن وترجع إليهن - يعني أبيات ابن ظالم - لاستوسقت كما استوسق من كان قبلك. قال ريحان: وأخذا في حديث أسمع بعضه ويخفى علي بعضه، فظللنا عند المرأة وذبح لنا وهما في ذلك يتحادثان، مقبلٌ كل واحد منهما على صاحبه لا ينظران شدنا، حتى كان العشاء فشددنا للرواح نؤم أهلنا، فقال رماح لحكم: يا أبا منيع - وكانت كنية حكم -: قد قضيت حاجتك وحاجة من طلبت له من هذا العامل، وإن لنا إليه حاجةً في أن يرعينا؛ فقال له حكم: قد والله قضيت حاجتي منه وإني لأكره الرجوع إليه، وما من حاجتك بد، ثم رجع معه إلى العامل، فقال له بعد الحديث معه: إن هذا الرجل من قد عرفت ما بيني وبينه، وقد سأل الصلح وأناب إليه، فأحببت أن يكون ذلك على يدك وبمحضرك. قال: فدعا به عامل ضرية وقال: هل لك حاجةٌ غير ذلك؟ قال: لا والله، ونسي حاجة رماح، فأذكرته إياها، فرجع فطلبها واعتذر بالنسيان. فقال العامل لابن ميادة: ما حاجتك؟ فقال: ترعيني عريجاء لا يعرض لي فيها أحدٌ، فأرعاه إياها. فأقبل رماح على حكم فقال: جزاك الله خيراً يا أبا منيع، فوالله لقد كان ورائي من قومي من يتمنى أن يرعى عريجاء بنصف ماله. قال فلما عزما على الانصراف ودع كل واحد منهما

صاحبه وانصرفا راضيين وانصرف ابن ميادة إلى قومه فوجد بعضهم قد ركب إلى ابن هشام فاستغضبه على حكم في قوله:

وما ولدت مريةٌ ذات ليلةٍ من الدهر إلا زاد لؤماً جنينها

فأطرده وأقسم: لئن ظفر به ليسرجنه وليحملن عليه أحدهم. فقال رماح - وساءه ما صنعوا -: عمدتم إلى رجل قد صلح ما بيني وبينه وأرعيت بوجهه فاستعديتم عليه وجئتم بإطراده! وبلغ الحكم الخبر فطار إلى الشأم فلم يبرحها حتى مات.

قال العباس بن سمرة: مات بالشأم غرقاً، وكان لا يحسن العوم فمات في بعض أنهارها. قال: وهو وجهه الذي مدح فيه أسود بن بلال المحاربي ثم السوائي في قصيدته التي يقول فيها:

واستيقنت أن لا براح من السرى حتى تناخ بأسود بن بلال

قرمٌ إذا نزل الوفود ببابه سمت العيون إلى أشم طوال

مناقضات حكم وابن ميادة ولحكم الخضري وابن ميادة مناقضاتٌ كثيرة وأراجيز طوال طويت ذكر أكثرها وألغيته، وذكرت منها لمعاً من جيد ما قالاه لئلا يخلو هذا الكتاب من ذكر بعض ما دار بينهما ولا يستوعب سائره فيطول. فما قاله حكمٌ في ابن ميادة قوله:

خليلي عوجا حييا الدار بالجفر وقولا لها سقياً لعصرك من عصر

وماذا تحي من رسومٍ تلاعبت بها حرجفٌ تذري بأذيالها الكدر

ومن جيد قوله فيها يفتخر:

إذا يبست عيدان قومٍ وجدتنا وعيداننا تغشى على الورق الخضر

إذا الناس جاءوا بالقروم أتيتهم بقرم يساوي راسه غرة البدر

لنا الغور والأنجاد والخيل والقنا عليكم وأيام المكارم والفخر

ومن جيد هجائه قوله:

فيا مر قد أخزاك في كل موطنٍ من اللؤم خلاتٌ يزدن على العشر

فمنهن أن العبد حامي ذماركم وبئس المحامي العبد عن حوزة الثغر

ومنهن أن لم تمسحوا وجه سابقٍ جوادٍ ولم تأتوا حصاناً على طهر

ومنهن أن الميت يدفن منكم فيفسو على دفانه وهو في القبر

ومنهن أن الجار يسكن وسطكم بريئاً فيلقى بالخيانة والغدر

ومنهن أن عدتم بأرقط كودنٍ وبئس المحامي أنت يا ضرطة الجفر

ومنهن أن الشيخ يوجد منكم يدب إلى الجارات محدودب الظهر

تبيت ضباب الضغن تخشى احتراشها وإن هي أمست دونها ساحل البحر

فأجابه ابن ميادة بقصيدةٍ طويلة، منها قوله مجيباً له عن هذه الخصال التي سبهم بها:

لقد سبقت بالمخزيات محاربٌ وفازت بخلاتٍ على قومها عشر

فمنهن أن لم تعقروا ذات ذروةٍ لحق إذا ما احتيج يوماً إلى العقر

ومنهن أن لم تمسحوا عربيةً من الخيل يوماً تحت جل على مهر

ومنهن أن لم تضربوا بسيوفكم جماجم إلا فيشل القرح الحمر

ومنهن أن كانت شيوخ محارب كما قد علمتم لا تريش ولا تبري

ومنهن أخزى سوءةٍ لو ذكرتها لكنتم عبيداً تخدمون بني وبر

ومنهن أن الضأن كانت نساءكم إذا اخضر أطراف الثمام من القطر

ومنهن أن كانت عجوز محاربٍ تريغ الصبا تحت الصفيح من القبر

ومنهن أن لو كان في البحر بعضكم لخبث ضاحي جلده حومة البحر

ومما قاله ابن ميادة في حكم قوله من قصيدة أولها:

ألا حييا الأطلال طالت سنينها بحيث التقت زبد الجناب وعينها

ويقول فيها:

فلما أتاني ما تقول محاربٌ تغنت شياطيني وجن جنونها

ألم تر أن الله غشى محارباً إذا اجتمع الأقوام لوناً يشينها

ترى بوجوه الخضر خضر محاربٍ طوابع لؤم ليس ينفت طينها

لقد ساهمتناكم سليمٌ وعامرٌ فضمناهم إنا كذلك ندينها

فصارت لنا أهل الضئين محاربٌ وصارت لهم جسرٌ وذاك ثمينها

إذا أخذت خضريةٌ قائم الرحى تحرك قنباها فطار طحينها

وما حملت خضريةٌ ذات ليلةٍ من الدهر إلا ازداد لؤماً جنينها

فقال حكمٌ يجيبه عن هذه بقصيدته:

لأنت ابن أشبانيةٍ أدلجت به إلى اللؤم مقلاتٍ لئيمٍ جنينها
فجاءت برواثٍ كأن جبينه إذا صغا في خرقتيها جبينها
فما حملت مرية قط ليلةً من الدهر إلا ازداد لؤماً جنينها
وما حملت إلا لألأم من مشى ولا ذكرت إلا بأمرٍ يشينها
تزوج عثوان الضئين وتبتغي بها الدر لا درت بخيرٍ لبونها
أظنت بنو عثوان أن لست شاتماً بشتمي وبعض القوم حمقى ظنونها
مدانيس أبرامٌ كأن لحاهم لحى مستهباتٍ طوالٍ قرونها

قال الزبير: فحدثني موهوب بن رشيد قال: فسمع هذه القصيدة أحد بني قتال بن مرة فقال: ما له أخزاه الله يهجو صبيتنا! وهم أجفى قوم غضباً لصبيتهم وقد هجاهم بما هجاهم به.

قال: وبلغ إبراهيم بن هشام قوله في نساء بني مرة إذ يقول:

وما حملت إلا لألأم من مشى

فغضب ثم نذر دمه فهرب من الحجاز إلى الشأم فمات بها.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن ضبعان الخضري قال: لقي ابن ميادة صخر بن الجعد الخضري فقال له: يا صخر، أعنت علي ابن عمك الحكم بن معمرٍ! فقال له صخر: لا والله يا أبا الشرحبيل ما أعنته عليك، ولكن خيل إليك ما كان يخيل إلي، ولقد هاجيته فكنت أظن أن شجر الوادي يعينه علي.

ومن جيد قول ابن ميادة في حكم قصيدته التي أولها:

صوت

لقد سبقتك اليوم عيناك سبقةً وأبكاك من عهد الشباب ملاعبه
فوالله ما أدري أيغلبني الهوى إذا جد جد البين أم أنا غالبه

فإن أستطع أغلب وإن يغلب الهوى فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه

- في هذه الأبيات غناءٌ ينسب - يقول فيها في هجاء حكم:

لقد طال حبس الوفد وفد محاربٍ عن المجد لم يأذن لهم بعد حاجبه
وقال لهم كروا فلست بآذنٍ لكم أبداً أو يحصي الترب حاسبه

وهي قصيدة طويلة:

الوليد بن يزيد يفضله على الشعراء

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني جلال بن عبد العزيز المري ثم الصادري عن أبيه: - قال جلال: وقد رأيت ابن ميادة في بيت أبي، قال: قال لي ابن ميادة: وصلت أنا والشعراء إلى الوليد بن يزيد وهو خليفة. وكان مولى من موالي خرشة يقال له شقران يعيب ابن ميادة ويحسده على مكانه من الوليد، فلما اجتمعت الشعراء قال الوليد بن يزيد لشقران: يا شقران، ما علمك في ابن ميادة؟ قال علمي فيه يا أمير المؤمنين أنه:

لئيمٌ يباري فيه أبرد نهبلاً لئيمٌ أتاه اللؤم من كل جانب

فقال الوليد: يابن ميادة، ما علمك في شقران؟ قال: علمي يا أمير المؤمنين أنه عبدٌ لعجوز من خرشة كاتبته على أربعين درهماً ووعدها - أو قال: وعدته - أن تجيزه بعشرين درهماً فقبضته إياها، فأغنه عني يا أمير المؤمنين، فليس له أصلٌ فاحتفره ولا فرعٌ فأهتصره، فقال له الوليد: اجتنبه يا شقران فقد أبلغ إليك في الشتيمة، فقصر شقران صاغراً، ثم أنشدته، فأقيمت الشعراء جميعاً غيري، وأمر لي بمائة لقحة وفحلها وراعيها وجاريةٍ بكرٍ وفرسٍ عتيق فاختلت ذلك اليوم وقلت:

أعطيتني مائةً صفرا مدامعها كالنخل زين أعلى نبته الشرب

ويروى:

كأنها النخل روى نبتها الشرب

يسوقها يافع جعدٌ مفارقه مثل الغراب غذاه الصر والحلب

وذا سبيبٍ صهيبياً له عرفٌ وهامةٌ ذات فرقٍ نابها صخب

ولم يذكر الزبير في خبره غير هذه الأبيات الثلاثة، وهي من قصيدة للرماح طويلة يمدح فيها الوليد بن يزيد، وقد أجاد فيها وأحسن؛ وذكرت من مختارها ها هنا طرفاً، وأولها:

هل تعرف الدار بالعلياء غيرها سافي الرياح ومستنٌ له طنب

دارٌ لبيضاء مسود مسائحها كأنها ظبيةٌ ترعى وتنتصب

المسائح: ما بين الأذن إلى الحاجب من الشعر: تقف إذا ارتاعت منتصبة تتوجس.

تحنو لأكحل ألقته بمضيعةٍ فقلبها شفقاً من حوله يجب

يقول فيها:

يا أطيب الناس ريقاً بعد هجعتها وأملح الناس عيناً حين تنتقب

ليست تجود بنيلٍ حين أسألها ولست عند خلاء اللهو أغتصب
في مرفقيها إذا ما عونقت جمم على الضجيع وفي أنيابها شنب
وليلةٍ ذات أهوالٍ كواكبها مثل القناديل فيها الزيت والعطب
قد جبتها جوب ذي المقراض ممطرةً إذا استوى مغفلات البيد والحدب
بعنتريس كأن الدبر يلسعها إذا ترنم حادٍ خلفها طرب
إلى الوليد أبي العباس ما عجلت ودونه المعط من لبنان والكثب

وبعد هذا البيت قوله:

أعطيتني مائةً صفراً مدامعها... الخ
لما أتيتك من نجدٍ وساكنه نفحت لي نفحةً طارت بها العرب
إني امرؤٌ أعتفي الحاجات أطلبها كما اعتفى سنق يلقى له العشب

السنق: الذي قد شبع حتى بشم، يقول: أطلب الحاجة بغير حرص ولا كلبٍ، كما يعتفي هذا البعير البشم من غير شرهٍ ولا شدة طلب.

ولا ألح على الخلان أسألهم كما يلح بعظم الغارب القتب
ولا أخادع ندماني لأخدعه عن ماله حين يسترخي به اللبب
وأنت وابناك لم يوجد لكم مثلٌ ثلاثة كلهم بالتاج معتصب
الطيبون إذا طابت نفوسهم شوس الحواجب والأبصار إن غضبوا
قسني إلى شعراء الناس كلهم وادع الرواة إذا ما غب ما اجتلبوا
إني وإن قال أقوام مديحهم فأحسنوه وما حابوا وما كذبوا

أجري أمامهم جري امرىء فلج عنانه حين يجري ليس يضطرب

سبب الهجاء بينه وبين شقران

أخبرني يحيى بن علي قال أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال أخبرني أبو الحسن - أظنه المدائني - قال أخبرني أبو صالح الفزاري قال: أقبل شقران مولى بني سلامان بن سعد هذيم أخي عذرة بن سعدا بن هذيم، قال: وهذيم عبدٌ حبشي كان حضن سعداً فغلب عليه، وهو ابن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة من

اليمامة ومعه تمر قد امتاره - فلقيه ابن ميادة فقال له: ما هذا معك؟ قال: تمرٌ امترته لأهلي يقال له: زب رباح، فقال له ابن ميادة يمازحه:

كأنك لم تقفل لأهلك تمرةً إذا أنت لم تقفل بزب رباح

فقال له شقران:

فإن كان هذا زبه فانطلق به إلى نسوةٍ سود الوجوه قباح

فغضب ابن ميادة وأمضه وأنحى عليه بالسوط فضربه ضربات وانصرف مغضباً؛ فكان ذلك سبب الهجاء بينهما.

قال حماد عن أبيه وحدثني أبو علي الكلبي قال: اجتمع ابن ميادة وشقران مولى بني سلامان عند الوليد بن يزيد، فقال ابن ميادة: يا أمير المؤمنين، أتجمع بيني وبين هذا العبد وليس بمثلي في حسبي ولا نسبي ولا لساني ولا منصبي! فقال شقران:

لعمري لئن كنت ابن شيخي عشيرتي هرقلٍ وكسرى وما أراني مقصرا

وما أتمنى أن أكون ابن نزوةٍ نزاها ابن أرض لم تجد متمهرا

على حائلٍ تلوي الصرار بكفها فجاءت بخوارٍ إذا عض جرجرا

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار وأخبرنا يحيى بن علي عن أيوب المديني، عن زبير قال حدثني جلال بن عبد العزيز وقال يحيى بن خلاد عن أبي أيوب ابن عبد العزيز قال: استأذن ابن ميادة على الوليد بن يزيد وعنده شقران مولى قضاعة فأدخله في صندوق وأذن لابن ميادة؛ فلما دخل أجلسه على الصندوق واستنشده هجاء شقران فجعل ينشده، ثم أمر بفتح الصندوق فخرج عليه شقران وجعل يهدر كما يهدر الفحل ويقول:

سأكعم عن قضاعة كلب قيسٍ على حجرٍ فينصت للكعام

أسير أمام قيسٍ كل يومٍ وما قيسٌ بسائرةٍ أمامي

وقال أيضاً وهو يسمع:

إني إذا الشعراء لاقى بعضهم بعضاً ببلقعةٍ يريد نضالها

وقفوا المرتجز الهدير إذا دنت منه البكارة قطعت أبوالها

فتركتهم زمراً ترمز باللحى منها عنافق قد حلقت سبالها

فقال له ابن ميادة: يا أمير المؤمنين اكفف عني هذا الذي ليس له أصلٌ فأحفره، ولا فرعٌ فأهصره؛ فقال الوليد: أشهد أنك قد جرجرت كما قا شقران:

فجاءت بخوار إذا عض جرجرا

تفاخره مع عقال بالشعر

قال يحيى في خبره: واجتمع ابن ميادة وعقال بن هاشم بباب الوليد بن يزيد، وكان عقالٌ شديد الرأي في اليمن، فغمز عقالٌ ابن ميادة واعتلاه؛ فقال ابن ميادة:

فجرنا ينابيع الكلام وبحره ... فأصبح فيه ذو الرواية يسبح

وما الشعر إلا شعر قيس وخندفٍ ... وقول سواهم كلفةٌ وتملح

فقال عقالٌ يجيبه:

ألا أبلغ الرماح نقض مقالةٍ ... بها خطل الرماح أو كان يمزح

لئن كان في قيسٍ وخندف ألسنٌ ... طوالٌ وشعرٌ سائرٌ ليس يقدح

لقد خرق الحي اليمانون قبلهم ... بحور الكلام تستقى وهي تطفح

وهم علموا من بعدهم فتعلموا ... وهم أعربوا هذا الكلام وأوضحوا

فللسابقين الفضل لا يجحدونه ... وليس لمخلوقٍ عليهم تبجح

شعره في حنينه إلى وطنه

وحوار الوليد إياه

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا جلال بن عبد العزيز عن أبيه قال حدثني ابن ميادة قال: قلت وأنا عند الوليد بن يزيد بأباين - وهو موضع كان الوليد يتزله في الربيع -:

لعمرك إني نازلٌ بأباينٍ ... لصوءر مشتاقٌ وإن كنت مكرما

أبيت كأني أرمد العين ساهرٌ ... إذا بات أصحابي من الليل نوما

قال: فقال لي الوليد: يابن ميادة كأنك غرضت من قربنا، فقلت: ما مثلك يا أمير المؤمنين يغرض من قربه، ولكن:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً ... بحرة ليلى حيث ربتني أهلي

وهل أسمعن الدهر أصوات هجمةٍ ... تطالع من هجلٍ خصيبٍ إلى هجل

بلادٌ بها نيطت علي تمائمي ... وقطعن عني حين أدركني عقلي

فإن كنت عن تلك المواطن حابسي ... فأيسر علي الرزق واجمع إذاً شملي

فقال: كم الهجمة؟ قلت: مائة ناقة؛ فقال: قد صدرت بها كلها عشراء. قال ابن ميادة: فذكرت ولدانا لي بنجد إذا استطعموا الله عز وجل أطعمهم وأنا، وإذا استسقوه سقاهم الله وأنا، وإذا استكسوه كساهم الله وأنا، فقال: يابن ميادة، وكم ولدانك؟ فقلت: سبعة عشر، منهم عشرة نفرٍ وسبع نسوة، فذكرت ذلك منهم فأخذ بقلبي؛

فقال: يابن ميادة، قد أطعمهم الله وأمير المؤمنين، وسقاهم الله وأمير المؤمنين، وكساهم الله وأميرا لمؤمنين؛ أما النساء فأربع حللٍ مختلفات الألوان، وأما الرجال فثلاث حللٍ مختلفات الألوان، وأما السقي فلا أرى مائه لقحة إلا سترويهم، فإن لم تروهم زدتهم عينين من الحجاز؛ قلت: يا أمير المؤمنين، لسنا بأصحاب عيون يأكلنا بها البعوض، وتأخذنا بها الحميات؛ قال: فقد أخلفها الله عليك؛ كل عام لك فيه مثل ما أعطيتك العام: مائة لقحة وفحلها وجارية بكر وفرس عتيق.

عارض ابن القتال وانتحل بيتاً من شعره

وأخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني شداد بن عقبة عن عبد السلام ابن القتال قال: عارضني ابن ميادة فقال: أنشدني يابن التقال، فأنشدته:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً ... بصحراء ما بين التنوفة والرمل

وهل أزجرن العيس شاكية الوجى ... كما عسل السرحان بالبلد المحل

وهل أسمعن الدهر صوت حمامةٍ ... تغني حماماتٍ على فننٍ جثل

وهل أشربن الدهر مزن سحابةٍ ... على ثمد الأفعاة حاضره أهلي

بلادٌ بها نيطت علي تمائمي ... وقطعن عني حين أدركني عقلي

قال: فأتاني الرواة بهذا البيت وقد اصطرفه ابن ميادة وحده.

جازه الوليد إبلاً فأرادوا إبدالها فقال شعراً

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم قال حدثني رجل من كلب وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي علي الكلبي قال: أمر الوليد بن يزيد لابن ميادة بمائة من الإبل من صدقات بني كلب، فلما أتى الحول أرادوا أن يبتاعوها له من الطرائد، وهي الغرائب، وأن يمسكوا التلاد؛ فقال ابن ميادة:

ألم يبلغك أن الحي كلباً ... أرادوا في عطيتك ارتدادا

وقالوا إنها صهبٌ وورقٌ ... وقد أعطيتها دهماً جعادا

فعلموا أن الشعر سيبلغ الوليد فيغضبه؛ فقالوا له: انطلق فخذها صفرا جعادا.

شعره في رثاء الوليد

وقال يحيى بن علي في روايته: لما قتل الوليد بن يزيد قال ابن ميادة يرثيه:

ألا يا لهفتي على وليدٍ غداة أصابه القدر المتاح
ألا ابكي الوليد فتى قريش وأسمحها إذا عد السماح
وأجبرها لذي عظمٍ مهيض إذا ضنت بدرتها اللقاح
لقد فعلت بنو مروان فعلاً وأمراً ما يسوغ به القراح

قال يحيى: وغنى فيه عمر الوادي و لم يذكر طريقة غنائه.

ابن ميادة وعثمان بن عمرو

ابن عثمان بن عفان

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن زهير بن مضرس الفزاري عن أبيه قال: أخصب جناب الحجاز الشأمي فمالت لذلك الخصب بنو فزارة وبنو مرة، فتحالوا جميعاً به. قال: فبينا ذات يوم أنا وابن ميادة جالسان على قارعة الطريق عشاء إذا راكبان يوجفان راحلتين حتى وقفا علينا، فإذا أحدهما بحر الريح وهو عثمان بن عمرو بن عثمان بن عفان معه مولى له، فنسبنا وانتسب لنا، وقد كان ابن ميادة يعللني بشعره، فلما انقضى كلامنا مع القرشي ومولاه استعدت ابن ميادة ما كنا فيه، فأنشدني فخراً له يقول فيه:

وعلى المليحة من جذيمة فتيةٌ يتمارضون تمارض الأسد
وترى الملوك الغتر تحت قبابهم يمشون في الحلقات والقد

قال: فقال له القرشي: كذبت؛ قال ابن ميادة: أفي هذا وحده! أنا والله في غيره أكذب؛ فقال له القرشي: إن كنت تريد في مديحك قريشاً فقد كفرت بربك ودفعت قوله، ثم قرأ عليه: "لإيلاف قريشٍ" حتى أتى على آخرها، ونهض هو ومولاه وركبا راحلتيهما؛ فلما فاتا أبصارنا قال ابن ميادة:

سمين قريشٍ مانعٌ منك نفسه وغث قريشٍ حيث كان سمين

ابن ميادة وسنان بن جابر

أخبرنا يحيى بن علي عن حماد عن أبيه عن أبي الحارث المري قال: كان ابن ميادة قد هاجى سنان بن جابر أحد بني حميس بن عامر بن جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم؛ فقال ابن ميادة له فيما قال من هجائه:

لقد طالما عللت حجراً وأهله بأعراض قيسٍ يا سنان بن جابر
أأهجوا قريشاً ثم تكره ريبتي ويسرقني عرضي حميس بن عامر

قال: وقال فيهم أيضاً

قصار الخطى فرق الخصى زمر اللحى كأنهم ظرابى اهترشن على لحم

ذكرت حمام القيظ لما رأيتهم يمشون حولي في ثيابهم الدسم

وتبدي الحميسيات في كل زينةٍ فروجاً كآثار الصغار من البهم

قال: ثم إن ابن ميادة خرج يبغي إبلاً له حتى ورد جباراً - وهو ماء لحميس بن عامر - فأتى بيتاً فوجد فيه عجوزاً قد أسنت، فنشدها إبله فذكرتها له وقالت: ممن أنت؟ قال: رجلٌ من سليم بن منصور؛ فأذنت له وقالت: ادخل حتى نقريك وقد عرفته وهو لا يدري؛ فلما قرته قال ابن ميادة: وجدت ريح الطيب قد نفح علي من البيت، فإذا بنتٌ لها قد هتكت الستر، ثم استقبلتني وعليها إزارٌ أحمر وهي مؤتزرةٌ به، فأطلقته وقالت: انظر يابن ميادة الزانية! أهذا كما نعت! فلم أر امرأةً أضخم قبلاً منها؛ فقالت: أهذا كما قلت!:

وتبدي الحميسيات في كل زينةٍ فروجاً كآثار الصغار من البهم

قال: قلت: لا والله يا سيدتي، ما هكذا قلت ولكن قلت:

وتبدي الحميسيات في كل زينةٍ فروجاً كآثار المقيسرة الدهم

وانصرف يتشبب بها، فذلك حين يقول:

نظرنا فهاجتنا على الشوق والهوى لزينب نارٌ أوقدت بجبار

كأن سناها لاح لي من خصاصةٍ على غير قصدٍ والمطي سواري

حميسيةٌ بالرملتين محلها تمد بحلفٍ بيننا وجوار

قال أبو داود: وكانت بنو حميس حلفاء لبني سهم بن مرة، ثم للحصين بن الحمام. وتمد وتمت واحد.

رجع إلى الشعر

تجاور من سهم بن مرة نسوةٍ بمجتمع النقبين غير عواري

نواعم أبكاراً كأن عيونها عيون ظباء أو عيون صوار

كأنا نراها وهي منا قريبةٌ على متن عصماء اليدين نوار

تتبع من حجر ذرا متمنع لها معقلٌ في رأس كل طمار

يدور بها ذو أسهم لا ينالها وذو كلبات كالقسي ضواري

كأن على المتنين منها وديةً سقتها السواقي من ودي دوار

يظل سحيق المسك يقطر حولها إذا الماشطات احتفنه بمداري

وما روضةٌ خضراء يضربها الندى بها قنةٌ من حنوةٍ وعرار
بأطيب من ريح القرنفل ساطعاً بما التف من درع لها وخمار
وما ظبيةٌ ساقت لها الريح نغمةً على غفلةٍ فاستسمعت لخوار
بأحسن منها يوم قامت فأتلعت على شركٍ من روعةٍ ونفار
فليتك يا حسناء يابنة مالكٍ يبيع لنا منك المودة شاري

ابن ميادة وزينب بنت مالك

وأخبرني بهذا الخبر الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني أبو حرملة منظور بن أبي عدي الفزاري ثم المنظوري عن أبيه قال حدثني رماح بن أبرد قال:
خرجت قافلاً من السلع إلى نجد حتى إذا كنت ببعض أهضام الحرة "هكذا في نسختي، وأظنه هضاب الحرة" رفع لي بيتٌ كالطراف العظيم، وإذا بفنائه غنم لم تسرح، فقلت: بيت من بيوت بني مرة وبي من العيمة إلى اللبن ما ليس بأحد، فقلت: آتيهم فأسلم عليهم وأشرب من لبنهم، فلما كنت غير بعيد سلمت فردت علي امرأةٌ برزة بفناء البيت، وحيت ورحبت واسترلتني فنزلت، فدعت بلبن ولبأ ورسل من رسل تلك الغنم، ثم قالت: هيا فلانة البسي شفاً واخرجي، فخرجت علي جاريةٌ كأنها شمعة ما رأيت في الخلق لها نظيراً قبل ولا بعد، فإذا شفها ذاك ليس يواري منها شيئاً وقد نبا عن ركبها ما وقع عليه من الثوب فكأنه قعبٌ مكفأ، ثم قالت: يابن ميادة الخبيثة، أأنت القائل:

وتبدي الحميسيات في كل زينةٍ فروجاً كآثار الصغار من البهم؟

فقلت: لا والله - جعلني الله فداك يا سيدتي - ما قلت هذا قط، وإنما قلت:

وتبدي الحميسيات في كل زينةٍ فروجاً كآثار المقيسرة الدهم

قال: وكان يقال للجارية الحميسية: زينب بنت مالك، وفيها قال ابن ميادة قصيدته:

ألما فزورا اليوم خير مزار

أعطاه الوليد جارية فقال فيها شعراً

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني موهوب ابن رشيد الكلابي قال: أعطى الوليد بن يزيد ابن ميادة جاريةً طبرية أعجمية لا تفصح، حسناء جميلةً كاملةً لولا العجمة، فعشقها وقال فيها:

جزاك الله خيراً من أمير فقد أعطيت مبرادا سخونا
بأهلي ما الذك عند نفسي لو أنك بالكلام تعربينا

كأنك ظبيةٌ مضغت أراكاً بوادي الجزع حين تبغمينا

ملاحاته مع رجل من بني جعفر

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني إسحاق بن شعيب بن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال: وردت على بني فزارة ساعياً، فأتاني ابن ميادة مسلماً علي، وجاءتني بنو فزارة ومعها رجلٌ من بني جعفر بن كلاب كان لهم جاراً وكان مخططاً موسوماً بجمال، فلما رأيته أعجبني، فأقبلت على بني فزارة وقلت لهم: أي أخوالي هذا؟ فوالله إنه ليسرني أن أرى فيكم مثله؛ فقالوا: هذا - أمتع الله بك - رجلٌ من بني جعفر بن كلاب وهو لنا جارٌ. قال: فأصغى إلي ابن ميادة، وكان قريباً مني، وقال: لا يغرنك - بأبي أنت - ما ترى من جسمه فإنه أجوف لا عقل له؛ فسمعه الجعفري فقال: أفي تقع يابن ميادة وأنت لا تقري ضيفك؟ فقال له ابن ميادة: إن لم أقره قراه ابن عمي وأنت لا تقري ولا ابن عمك. قال ابن عمران: فضحكت مما شهد به ابن ميادة على نفسه.

كان بخيلاً لا يكرم أضيافه

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري عن المعلى بن نوح الفزاري قال حدثني خال لي كان شريفاً من سادات بني فزارة قال: ضفت ابن ميادة فأكرمني وتحفى بي وفرغ لي بيتاً فكنت فيه ليس معي أحد، ثم جاءني بقدح ضخم من لبن إبله فشربته ثم ولى، فلم ينشب أن جاءني بآخر فتناولت منه شيئاً يسيراً، فما لبثت حتى عاد بآخر فقلت: حسبك يا رماح فلا حاجة لي بشيء؛ فقال: اشرب بأبي أنت، فوالله لربما بات الضيف عندنا مدحوراً.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب عن جدي عبد الله بن مصعب قال: أتينا ابن ميادة نتلقى منه الشعر؛ فقال لنا: هل لكم في فضل شنة؟ فظننا ها تمراً، فقلنا له: هات، لنبسطه بذلك، فإذا شنةٌ فيها فضلةٌ من خمر قد شرب بعضها وبقي بعضٌ، فلما رأيناها قمنا وتركناه.

يرفض وليمة ضرب الناس فيها بالسياط أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني إبراهيم بن عبد الرحمن الكثيري قال حدثني نعمة الغفاري قال: قدم ابن ميادة المدينة فدعي في وليمة فجاء فوجد على باب الدار التي فيها الوليمة حرساً يضربون الزلالين بالسياط يمنعونهم من الدخول، فرجع وهو يقول:

لما رأيت الأصبحية قنعت مفارق شمطٍ حيث تلوى العمائم

تركت دفاع الباب عما وراءه وقلت صحيحٌ من نجا وهو سالم

وسأله الوليد من تركت عند نسائك

أخبرني يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق قال:
قال الوليد بن يزيد لابن ميادة في بعض وفاداته عليه: من تركت عند نسائك؟ قال: رقيبين لا يخالفاني طرفة عين: الجوع والعري. وهذا القول والجواب يروى أن عمر بن عبد العزيز وعقيل بن علفة تراجعاهما، وقد ذكرا في أخبار عقيل.

مدحه لأبي جعفر المنصور

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب وأخبرني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبير وأخبرنا يحيى بن علي قال: حدثنا أبو أيوب المديني عن مصعب: أن ابن ميادة مدح أبا جعفر المنصور بقصيدته التي يقول فيها:

طلعت علينا العيس بالرماح

ثم خرج من عند أهله يريده، فمر على إبله فحلبت له ناقةٌ من إبله، وراح عليه راعيه بلبنها فشربه ثم مسح على بطنه ثم قال: سبحان الله! إن هذا لهو الشره! يكفيني لبن بكرة وأنا شيخ كبير، ثم أخرج وأغترب في طلب المال! ثم رجع فلم يخرج. هذه القصيدة من جيد شعر ابن ميادة، أولها:

وكواعبٍ قد قلن يوم تواعدٍ ... قول المجد وهن كالمزاح
يا ليتنا في غير أمرٍ فادح ... طلعت علينا العيس بالرماح
بينا كذاك رأيتني متعصباً ... بالخز فوق جلالةٍ سرداح
فيهن صفراء المعاصم طفلةٌ ... بيضاء مثل غريضة التفاح
فنظرن من خلل الحجال بأعينٍ ... مرضى مخالطها السقام صحاح
وارتشن حين أردن أن يرمينني ... تبلاً بلا ريشٍ ولا بقداح

يقول فيها في مدح المنصور وبني هاشم:

فلئن بقيت لألحقن بأبحرٍ ... ينمين لا قطعٍ ولا أنزاح
ولآتين بني علي إنهم ... من يأتهم يتلق بالإفلاح
قومٌ إذا جلب الثناء إليهم ... بيع الثناء هناك بالأرباح
ولأجلسن إلى الخليفة إنه ... رحب الفناء بواسع نجباح

وهي قصيدة طويلة.

قوله فيما أصاب الحاج من المطر

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا إسحاق بن أيوب قال: اعتمرت في رجب سنة خمس ومائة، فصادفني ابن ميادة بمكة وقدمها معتمراً، فأصابنا مطرٌ شديد تهدمت منه البيوت وتوالت فيه الصواعق، فجلس إلي ابن ميادة الغد من ذلك اليوم، فجعل يأتيني قومٌ من قومي وغيرهم فأستخبرهم عن ذلك الغيث فيقولون: صعق فلان وانهدم منزل فلان؛ فقال ابن ميادة: هذا العيث لا الغيث؛ فقلت: فما الغيث عندك؟ فقال:

سحائب لا من صيبٍ ذي صواعقٍ ... ولا محرقات ماؤهن حميم

إذا ما هبطن الأرض قد مات عودها ... يكين بها حتى يعيش هشيم

كان ينشد من شعره فيستحسنه الناس

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني موسى بن زهير عن أبيه قال: جلست أنا وعيسى بن عميلة وابن ميادة ذات يوم، فأنشدنا ابن ميادة شعره ملياً، ثم أنشدنا قوله:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً ... بحرة ليلى حيث ربتني أهلي

بلادٌ بها نيطت علي تمائمي ... وقطعن عني حين أدركني عقلي

وهل أسمعن الدهر أصوات هجمةٍ ... تطالع من هجلٍ خصيبٍ إلى هجل

صهيبيةٍ صفراء تلقي رباعها ... بمنعرج الصمان والجرع السهل

تلقي رباعها: تطرح أولادها. وواحد الرباع ربع.

وهل أجمعن الدهر كفي جمعةً ... بمهضومة الكشحين ذات شوىً عبل

محللةٍ لي لا حراماً أتيتها ... من الطيبات حين تركض في الحجل

تميل إذا مال الضجيع بعطفها ... كما مال دعصٌ من ذرا عقد الرمل

فقال له عيسى بن عميلة: فأين قولك يا أبا الشرحبيل:

لقد حرمت أمي علي عدمتها ... كرائم قومي ثم قلة ماليا

فقلت له: فاعطف إذاً إلى أمة بني سهيل فهي أعند وأنكد، وقد كنت أظن أن ميادة قد ضربت جأشك على اليأس من الحرائر، وأنا أداعبه وأضاحكه؛ فضحك وقال:

ألم تر قوماً ينكحون بمالهم ... ولو خطبت أنسابهم لم تزوج

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب وغيره:

أن حسينة اليسارية كانت جميلة - وآل يسار من موالي عثمان رضوان الله عليه يسكنون تيماء، ولهم هناك عدد

وجلد، وقد انتسبوا في كلب إلى يسار بن أبي هند فقبلهم بنو كلب - قال: وكانت عند رجل من قومها يقال له: عيسى بن إبراهيم بن يسار، وكان ابن ميادة يزورها؛ وفيها يقول:

ستأتينا حسينة حيث شئنا وإن رغمت أنوف بني يسار

قال: فدخل عليها زوجها يوماً فوجد ابن ميادة عندها، فهم به هو وأهلها؛ فقاتلهم وعاونته عليهم حسينة حتى أفلت تتابن ميادة؛ فقال في ذلك:

لقد ظلت تعاونني عليهم صموت الحجل كاظمة السوار

وقد غادرت عيسى وهو كلبٌ يقطع سلحه خلف الجدار

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني إبراهيم بن سعد بن شاهين قال حدثني عبد الله بن خالد بن دفيف التغلبي عن عثمان بن عبد الرحمن بن نميرة العدوي عن أبي العلاء بن وثاب قال:

ابن ميادة وعبد الواحد بن سليمان

قدم ابن ميادة المدينة زائراً لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو أميرها وكان يسمر عنده في الليل، فقال عبد الواحد لأصحابه: إني أهم أن أتزوج، فابغوني أيماً؛ فقال له ابن ميادة: أنا أدلك، أصلحك الله أيها الأمير؛ قال: على من يا أبا الشرحبيل؟ قال: قدمت عليك أيها الأمير فدخلت مسجدكم فإذا أشبه شيء به وبمن فيه الجنة وأهلها، فوالله لبينا أنا أمشي فيه إذ قادتني رائحة عطر رجل حتى وقفت بي عليه، فلما وقع بصري عليه استلهاني حسنه فما أقلعت عنه حتى تكلم، فخلته لما تكلم يتلو زبوراً ويدرس إنجيلاً أو يقرأ قرآناً حتى سكت فلولا معرفتي بالأمير لشككت أنه هو، ثم خرج من مصلاه إلى داره، فسألت: من هو؟ فأخبرت أنه للحيين وبين الخليفتين، وأن قد نالته ولادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لها "نور" ساطع من غرته وذؤابته، فنعم المنكح ونعم حشو الرحل وابن العشيرة، فإن اجتمعت أنت وهو على ولد ساد العباد وجاب ذكره البلاد. فلما قضى ابن ميادة كلامه قال عبد الواحد ومن حضره: ذاك محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وأمه فاطمة بنت الحسين، فقال ابن ميادة:

لهم نبوةٌ لم يعطها الله غيرهم وكل قضاء الله فهو مقسم

قال يحيى بن علي: ومما مدح به عبد الواحد لما قدم عليه قوله:

من كان أخطأه الربيع فإنما نصر الحجاز بغيث عبد الواحد

إن المدينة أصبحت معمورةً بمتوجٍ حلو الشمائل ماجد

ولقد بلغت بغير أمر تكلفٍ أعلى الحظوظ برغم أنف الحاسد

وملكت ما بين العراق ويثربٍ ملكاً أجار لمسلم ومعاهد

ماليهما ودميهما من بعد ما غشى الضعيف شعاع سيف المارد

التقاؤه جماعة يرتجزون بشعره

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني سعيد بن زيد السلمي قال: إنا لنزولٌ أنا وأصحاب لي قبل الفطر بثلاث ليالٍ على ماءٍ لنا، فإذا راكبٌ يسير على جملٍ ملتفٌ بثوب والسماء تغسله حتى أناخ إلى أجم عرفته، فلما رأيناه لثقاً قمنا إليه فوضعنا رحله وقيدنا جمله، فلما أقلعت السماء عنا وهو معنا قاعدٌ قام غلمةٌ منا يرتجزون والرجل لم ينتسب لنا ولا عرفناه، فارتجز أحدهم فقال:

أنا ابن ميادة لباس الحلل أمر من مر وأحلى من عسل

حتى قال له الرجل: يابن أخي، أتدري، من قال هذا الشعر؟ قال: نعم، ابن ميادة قال: فأنا "هو" ابن ميادة الرماح بن أبرد، وبات يعللنا من شعره، ويقطع عنا الليل بنشيده، وسرينا راحلين فصبحنا مكة فقضينا نسكنا، ولقيه رجلان من قومه من بني مرة فعرفهما وعرفاه، وأفطرنا بمكة، فلما انصرفنا من المسجد يوم الفطر إذا نحن بفارسين مسودين وراجلين مع المريين يقولون: أين ابن ميادة؟ فقلنا: ها هو وقد برزنا من خيمة كنا فيها، فقلنا لابن ميادة: ابرز؛ فلما نظر إلى المريين قال:

إحدى عشياتك يا شميرج

- قال: وهذا رجزٌ لبعض بني سليم يقوله لفرسه:

أقول والركبة فوق المنسج إحدى عشياتك يا شميرج

ويروى: مشمرج - فقالوا لابن ميادة: أجب الأمير عبد الصمد بن علي، وخذ معك من أصحابك من أحببت؛ فخرج وخرج معه منا أربعة نفرٍ أنا أحدهم حتى وقفنا على باب دار الندوة، فدخل أحد المسودين، ثم خرج فقال: ادخل يا أبا شجرة، فدخلت على عبد الصمد بن علي فوجدته جالساً متوشحاً بملحفة موردة؛ فقال لي: من أنت؟ قلت: رجلٌ من بني سليم؛ فقال: مالك تصاحب المري وقد قتلوا معاوية بن عمرو! وقالت الخنساء:

ألا ما لعيني ألا ما لها لقد أخضل الدمع سربالها
فآليت آسى على هالكٍ وأسأل نائحةً مالها
أبعد ابن عمرو من ال الشري د حلت به الأرض أثقالها
فإن تك مرة أودت به فقد كان يكثر تقتالها

أترويها؟ قلت: نعم أصلح الله الأمير، وما زال من المعركة حتى قتل به خفاف بن عمرو المعروف بابن ندبة كبش القوم مالك بن حمارٍ الفزاري ثم الشمخي، أما سمع الأمير قول خفاف بن ندبة في ذلك:

فإن تك خيلي قد أصيب صميمها فعمداً على عينٍ تيممت مالكا

تيممت كبش القوم حين رأيته وجانبت شبان الرجال الصعالكا

أقول له والرمح يأطر متنه تأمل خفافا إنني أنا ذلكا

وقد توسط معاوية بن عمرو خيلهم فأكثر فيهم القتل، وقتل كبش القوم الذي أصيب بأيديهم؛ فقال: لله درك! إذا ولدت النساء فليلدن مثلك! وأمر لي بالف درهم، فدفعت إلي وخلع علي. وأدخل ابن ميادة فسلم عليه بالإمرة؛ فقال له: لا سلم الله عليك يا ماص كذا من أمه: فقال ابن ميادة: ما أكثر الماصين! فضحك عبد الصمد، ودعا بدفتر فيه قصيدة ابن ميادة التي يقول فيها:

لنا الملك إلا أن شيئاً تعده قريشٌ ولو شئنا لداخت رقابها

ثم قال لابن ميادة: أعتق ما أملك إن غادرت منها شيئاً إن لم أبلغ غيظك، فقال ابن ميادة: أعتق ما أملك إن أنكرت منها بيتاً قلته أو أقررت ببيت لم أقله؛ فقرأها عبد الصمد ثم قال له: أأنت قلت هذا؟ قال نعم؛ قال: أفكنت أمنت يابن ميادة أن ينقض عليك بازٍ من قريش فيضرب رأسك! فقال: ما أكثر البازين! أفكان ذلك البازي آمناً أن يلقاه بازٍ من قيس وهو يسير فيرميه فتشول رجلاه! فضحك عبد الصمد ثم دعا بكسوة فكساهم.

تمثل بعض ولد الحسن بشعره

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الصمد بن شبيب قال قال أبو حذافة السهمي: سب رجلٌ من قريش في أيام بني أمية بعض ولد الحسن بن علي، فأغلظ له وهو ساكتٌ، والناس يعجبون من صبره عليه، فلما أطال أقبل الحسني عليه متمثلاً بقول ابن ميادة:

أظنت سفاهاً من سفاهة رأيها أن أهجوها لما هجتني محارب

فلا وأبيها إنني بعشيرتي ونفسي عن ذاك المقام لراغب

فقام القرشي خجلاً وما رد عليه جواباً.

مدحه لجعفر بن سليمان أمير المدينة

أخبرني أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سلام قال: مدح ابن ميادة جعفر بن سليمان وهو على المدينة، فأخبرني مسمع بن عبد الملك أنه قام له بحاجته عند جعفر وأوصلها إليه. قال فقال "له": جزاك الله خيراً! ممن أنت رحمك الله؟ قلت: أحد بني مسمع؛ قال: ممن؟ قلت: من قيس بن ثعلبة؛ قال: ممن؟ عافاك الله! قلت: من بكر بن وائل؛ قال: والله لو كنت سمعت ببكر بن وائل قط أو عرفتهم لمدحتك، ولكني ما سمعت ببكر قط ولا عرفتهم، ثم مدح جعفراً فقال:

لعمرك ما سيوف بني علي بنابية الظباة ولا كلال
هم القوم الألى ورثوا أباهم تراث محمدٍ غير انتحال
وهم تركوا المقال لهم رفيعاً وما تركوا عليهم من مقال
حذوتم قومكم ما قد حذوتم كما يحذى المثال على المثال
فردوا في جراحكم أساكم فقد أبلغتم مر النكال

يشير عليه بالعفو عن بني أمية ويذكره بأرحامهم.

أخبرنا بهذا الخبر يحيى بن علي عن سليمان المديني عن محمد بن سلام، قال يحيى قال أبو الحارث المري فيما ذكره إسحاق من أخباره: قال جعفر بن سليمان لابن ميادة: أتحب أن أعطيك مثل ما أعطاك ابن عمك رياح بن عثمان؟ فقال: لا، أيها الأمير، ولكن أعطني كما أعطاني ابن عمك الوليد بن يزيد.

قال يحيى وأخبرنا حماد عن أبيه عن أبي الحارث قال قال جعفر بن سليمان لابن ميادة: أأنت الذي تقول:

بني أسدٍ أن تغضبوا ثم تغضبوا وتغضب قريشٌ تحم قيساً غضابها

قال: لا والله! ما هكذا قلت؛ قال: فكيف قلت؟ قال: قلت:

بني أسدٍ إن تغضبوا ثم تغضبوا وتعدل قريشٌ تحم قيساً غضابها

هجا بني أسد وبني تميم

قال: صدقت هكذا قلت. وهذه القصيدة يهجو بها ابن ميادة بني أسد وبني تميم، وفيها يقول بعد هذا البيت الذي ذكره له جعفر بن سيمان:

وأحقر محقورٍ تميمٌ أخوكم وإن غضبت يربوعها وربابها
ألا ما أبالي أن تخندف خندفٌ ولست أبالي أن يطن ذبابها
ولو أن قيساً قيس عيلان أقسمت على الشمس لم يطلع عليكم حجابها
ولو حاربتنا الجن لم نرفع القنا عن الجن حتى لا تهر كلابها
لنا الملك إلا أن شيئاً تعده قريشٌ ولو شئنا لذلت رقابها
وإن غضبت من ذا قريشٌ فقل لها معاذ الإله أن أكون أهابها
وإن لقوال الجواب وإنني لمفتجرٌ أشياء يعيي جوابها
إذا غضبت قيسٌ عليك تقاصرت يداك وفات الرجل منك ركابها

ابن ميادة وسماعة بن أشول

قال إسحاق في خبره فحدثني جبر بن رباط بن عامر بن نصر قال: فقال سماعة بن أشول النعامي يعارض ابن ميادة:

لعل ابن أشبانيةٍ عارضت به رعاء الشوي من مريح وعازب
يسامي فروعاً من خزيمة أحرزت عليه ثنايا المجد من كل جانب

فقال ابن ميادة: من هذا؟ لقد أغلق علي أغلق الله عليه! قالوا: سماعة بن أشول؛ فقال: سماعة يسمع بي، وأشول يشول بي، والله لا أهاجيه أبداً، وسكت عنه.

هجاه عبد الرحمن بن جهيم الأسدي

وقال عبد الرحمن بن جهيم الأسدي أحد بني الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد يرد على ابن ميادة، وهي قصيدة طويلة ذكرت منها أبياتاً:

لقد كذب العبد ابن ميادة الذي ربا وهي وسط الشول تدمى كعابها
شرنبثة الأطراف لم يقن كفها خضابٌ ولم تشرق بعطرٍ ثيابها
أرماح إن تغضب صناديد خندفٍ يهج لك حرباً قصبها واعتيابها

ويروى اغتيابها من الغيبة. واعتيابها من العيب.

ولو أغضبت قيسٌ قريشاً لجدعت مسامع قيسٍ وهي خضعٌ رقابها
لقد جر رماح ابن واهصة الخصى على قومه حرباً عظيماً عذابها
وقد علم المملوح بالشؤم رأسه قتيبة أن لم تحم قيساً غضابها
ولم تحمها أيام قتل ابن حازمٍ وأيام قتلى كان خزياً مصابها
ولا يوم لاقينا نميراً فقتلت نميرٌ وفرت كعبها وكلابها
وإن تدع قيساً لا تجبك وحولها خيول تميم سعدها وربابها
ولو أن قيساً قيس عيلان أصحرت لأنواء غنمٍ غرقتها شعابها
ولو أن قرن الشمس كان لمعشرٍ لكان لنا إشراقها واحتجابها
ولكنها لله يملك أمرها بقدرته إصعادها وانصبابها
لعمري لئن شابت حليلة نهبلٍ لبئس شباب المرء كان شبابها

ولم تدر حمراء العجان أنهبلٌ أبوه أم المري تب تبابها
فإن يك رماح بن ميادة التي يصن إذا باتت بأرضٍ ترابها
جرى جري موهون القوى قصرت به لئمة أعراقٍ إليه انتسابها
فلن تسبق المضمار في كل موطنٍ من الخيل عند الجد إلا عرابها
ووالله لولا أن قيساً أذلةٌ لئامٌ فلا يرضى لحر سبابها
لالحقتها بالزنج ثم رميتها بشنعاء يعيي القائلين جوابها

ابن ميادة وأبان بن سعيد

أخبرني يحيى بن علي عن حماد عن أبيه قال: وجدت في كتاب أبي عمرو الشيباني فعرضته على أبي داود فعرفه أو عامته، قال:

إنا لجلوسٌ على الهجم في ظل القصر عشيةً، إذ أقبل إلينا ثلاثة نفرٍ يقودون ناقةً حتى جلسوا إلى أبان بن سعيد بن عيينة بن حصن وهو في جماعة من بني عيينة، قال: فرأيت أجلةً ثلاثةً ما رأيتهم قط، فقلنا: من القوم؟ فقال أحدهم: أنا ابن ميادة وهذان من عشيرتي؛ فقال أبان لأحد بنيه: اذهب بهذه الناقة فأطلق عنها عند بيت أمك؛ فقال له ابن ميادة: هذه يا أبا جعفر السعلاة، أفلا أنشدك ما قلت فيها؟ قال: بلى فهات؛ فقال:

قعدت على السعلاة تنفض مسحها وتجذب مثل الأيم في برة الصفر
تيمم خير الناس ماءً وحاضراً وتحمل حاجاتٍ تضمنها صدري
فإني على رغم الأعادي لقائلٌ وجدت خيار الناس حي بني بدر
لهم حاضرٌ بالهجم لم أر مثلهم من الناس حيا أهل بدوٍ ولا حضر
وخير معد مجلساً مجلسٌ لهم يفيء عليه الظل من جانب القصر
أخص بها روقي عيينة إنه كذاك ضحاح الماء يأوي إلى الغمر
فأنتم أحق الناس أن تتخيروا ال مياه وأن ترعوا ذرى البلد القفر

قال: فكان أول قائم من القوم ركضة بن علي بن عيينة، وهو ابن عم أبان وعبدة بنت أبان، وكانت إبله في العطن وهي أكرم نعم بني عيينة وأكثره، فقال: ما سمعت كاليوم مديح قومٍ "قط"، حكمك ماضٍ في هذه الإبل؛ ثم قام آخر فقال مثل ذلك، وقام آخر وآخر؛ فقال ابن ميادة: يا بني عيينة، إني لم آتكم لتتبارى في شياطينكم في أموالكم، إنما كان علي دينٌ فأردت أن تعطوني أبكراً أبيعها في ديني. فأقام عند أبان بن سعيدٍ خمسة عشر يوماً،

ثم راح بتسع عشرة ناقة، فيها ناقةٌ لابن أبان عشراء أو رباعيةٌ. قال يحيى في خبره: وقال يعقوب بن جعفر بن أبان بن سعيد بن عيينة: إني على الهجم يوماً إذا أقبل رجلٌ فجعل يصرف راحلته في الحياض فيرده الرجل بعد الرجل، فدعوته فقلت: اشرع في هذا الحوض؛ فلما شرع فسقى قال: من هذا الفتى؟ فقيل: هذا جعفر بن أبان بن سعيد بن عيينة؛ فقال:

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن ... لآباء سوءٍ يلقهم حيث سيرا

فما العود إلا نابتٌ في أرومه ... أبي شجر العيدان أن يتغيرا

قال إسحاق: سألت أبا داود عن قوله:

كذاك ضحاح الماء يجري إلى الغمر

فقال: أراد أن الأمر كله والسؤدد يصير إليه، كما يصير الماء إلى الغمرة حيث كانت.

ابن ميادة وأيوب بن سلمة

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال أخبرني مصعب بن الزبير قال: ضاف ابن ميادة أيوب بن سلمة فلم يقره، وابن ميادة من أخوال أيوب بن سلمة، فقال فيه:

ظللنا وقوفاً عند باب ابن أختنا ... وظل عن المعروف والمجد في شغل

صفاً صلدٌ عند الندى ونعامةٌ ... إذا الحرب أبدت عن نواجذها العصل

ابن ميادة ورياح ابن عثمان

قال أبو أيوب وأخبرني مصعب قال: قدم ابن ميادة على رياح بن عثمان، وقد ولي المدينة وهو جادٌ في طلب محمد بن عبد الله بن حسن وإبراهيم أخيه، فقال له: اتخذ حرساً وجنداً من غطفان واترك هؤلاء العبيد الذين تعطيهم دراهمك، وحذار من قريش؛ فاستخف بقوله و لم يقبل رأيه؛ فلما قتل رياح قال ابن ميادة:

أمرتك يا رياح بأمر حزمٍ ... فقلت هشيمةٌ من أهل نجد

وقلت له تحفظ من قريشٍ ... ورقع كل حاشيةٍ وبرد

فوجداً ما وجدت على رياحٍ ... وما أغنيت شيئاً غير وجدي

تشبيه بالنساء

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال حدثني أكثم بن صيفي المري ثم الصاردي عن أبيه قال: كان ابن ميادة رأى امرأة من بني جشم بن معاوية ثم من بني حرام يقال لها: أم الوليد، وكانوا ساروا عليه، فأعجب بها وقال فيها:

ألا حبذا أم الوليد ومربعٌ لنا ولها نشتو به ونصيف

ويروي:

...ومربع لنا ولها بالمشتوى ومصيف

حراميةٌ أما ملاث إزارها فوعثٌ وأما خصرها فلطيف

كأن القرون السود مقذها إذا زال عنها برقعٌ ونصيف

بها زرجوناتٌ بقفرٍ تنسمت لها الريح حتى بينهن رفيف

قال: فلما سمع زوجها هذه الأبيات أتاها فحلف بطلاقها: لئن وجد ابن ميادة عندها ليدقن فخذها، ثم أعرض عنها واغترها، حتى وجده يوماً عند بيتها فدق فخذها، واحتمل فرحل ورحل بها معه؛ فقال ابن ميادة:

أتانا عام سار بنو كلابٍ حراميون ليس لهم حرام

كأن بيوتهم شجرٌ صغارٌ بقيعانٍ تقيل بها النعام

حراميون لا يقرون ضيفا ولا يدرون ما خلق الكرام

قال: ثم سارت عليهم بعد ذلك بنو جعفر بن كلاب، فأعجب بامرأة منهم يقال لها أم البختري، وكان يتحدث إليها مدة مقامهم، ثم ارتحلوا فقال فيها:

أرقت لبرقٍ لا يفتر لامعه بشهب الربى والليل قد نام هاجعه

أرقت له من بعد ما نام صحبتي وأعجبني إيماضه وتتابعه

يضيىء صبيرا من سحابٍ كأنه هجانٌ أرنت للحنين نوازعه

هنيئاً لأم البختري الروي به وإن أنهج الحبل الذي النأي قاطعه

لقد جعل المستبضع الغش بيننا ليصرح حبلينا تجوز بضائعه

فما سرحةٌ تجري الجداول تحتها بمطرد القيعان عذبٍ ينابعه

بأحسن منها يوم قالت بذي الغضا أترعى جديد الحبل أم أنت قاطعه

وخطب إلى بني سلمى بن مالك

فلم يزوجوه فقال شعراً

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن ابي طاهر قال حدثني أحمد بن إبراهيم قال: وذكر أبو الأشعث أن ابن ميادة خطب امرأة من بين سلمى بن مالك بن جعفر ثم من بني البهثة - وهم بطن يقال لهم البهثاء - فأبوا أن يزوجوه وقالوا: أنت هجينٌ ونحن أشرف منك؛ فقال:

فلو طاوعتني آل سلمى بن مالكٍ ... لأعطيت مهراً من مسرة غاليا

وسربٍ كسرب العين من آل جعفرٍ ... يغادين بالكحل العيون السواجيا

إذا ما هبطن النيل أو كن دونه ... بسرو الحمى ألقين ثم المراسيا

مات في صدر خلافة المنصور

قال أحمد بن إبراهيم: مات ابن ميادة في صدر من خلافة المنصور، وقد كان مدحه ثم لم يفد إليه ولا مدحه، لما بلغه من قلة رغبته في مدائح الشعراء وقلة ثوابه لهم.

أخبار حنين الحيري

نسبه

حنين بن بلوع الحيري مختلف في نسبه، فقيل: إنه من العباديين من تميم، وقيل: إنه من بني الحارث بن كعب، وقيل من قوم بقوا من جديس وطسم فنزلوا في بني الحارث بن كعب فعدوا فيهم، ويكنى أبا كعب، وكان شاعراً مغنياً فحلاً من فحول المغنين، وله صنعة فاضلة متقدمة، وكان يسكن الحيرة ويكري الجمال إلى الشأم وغيرها، وكان نصرانياً. وهو القائل يصف الحيرة ومنزله بها:

صوت

أنا حنينٌ ومنزلي النجف ... وما نديمي إلا الفتى القصف

أقرع بالكأس ثغر باطيةً ... مترعةٍ، تارةً وأغترف

من قهوة باكر التجار بها ... بيت يهودٍ قرارها الخزف

والعيش غض ومنزلي خصبٌ ... لم تغذني شقوةٌ ولا عنف

الغناء والشعر لحنين، ولحنه خفيف رمل بالبنصر. وفيه لابن المكي خفيف ثقيل قديم. ولعريب فيه خفيف ثقيل آخر عن الهشامي.

غنى هشام بن عبد الملك في الحج

أخبرنا وكيع قال قال حماد حدثني أبي عن أبي الخطاب قال وحدثني ابن كناسة عن سليمان بن داود: مولى ليحيى، وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن قعنب بن المحرز الباهلي عن المدائني قالوا جميعاً: حج هشام بن عبد الملك وعديله الأبرش الكلبي، فوقف له حنين بظهر الكوفة ومعه عوده وزامرٌ له، وعليه قلنسية طويلة، فلما مر هشام عرض له، فقال: من هذا؟ فقيل: حنين، فأمر به فحمل في محملٍ على جمل وعديله زامره، وسير به أمامه وهو يتغنى:

صوت

أمن سلمى بظهر الكو ... فة الآيات والطلل

يلوح كما تلوح على ... جفون الصيقل والخلل

- الصنعة في هذا الصوت لحنين ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو. وفيه خفيف ثقيل ينسب إلى حنين أيضاً وإلى غيره

- قال: فأمر له هشام بمائتي دينار، وللزامر بمائة. وذكر إسحاق في خبره عن أبي الخطاب أنه غنى هشاماً:

صوت

صاح هل أبصرت بالخب ... تين من أسماء نارا

موهناً شبت لعيني ... ك ولم توقد نهارا

كتلالي البرق في المز ... ن إذا البرق استطارا

أذكرتني الوصل من سع ... دى وأياماً قصارا

- الشعر للأحوص، والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. ونسبه ابن المكي إلى الغريض. وقال يونس: فيه لحنان لمالك ولم يجنسهما. وقال الهشامي: فيه لمالك خفيف رملٍ - قال: فلم يزل هشام يستعيده حتى نزل من النجف، فأمر له بمائتي دينار.

كان يغلي بغنائه الثمن

وقال إسحاق: قيل لحنين: أنت تغني منذ خمسين سنة ما تركت لكريم مالاً ولا داراً ولا عقاراً إلا أتيت عليه! فقال: بأبي أنتم، إنما هي أنفاسي أقسمها بين الناس، أفتلومونني أن أغلي بها الثمن!.

غنى في ظل بيت أبي موسى الأشعري أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ومصعب بن الزبير عن بعض المكيين، وأخبرني به الحرمي بن أبي العلاء وحبيب بن نصر قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال حدثني شيخ من المكيين يقال له شريس قال: إن لبالأبطح أيام الموسم نشتري

ونبيع إذ أقبل شيخٌ أبيض الرأس واللحية على بغلة شهباء ما ندري أهو أشد بياضاً أم بغلته أم ثيابه؛ فقال: أين بيت أبي موسى؟ فأشرنا له إلى الحائط؛ فمضى حتى انتهى إلى الظل من بيت أبي موسى، ثم استقبلنا ببغلته ووجهه ثم اندفع يغني:

صوت

أسعديني بدمعةٍ أسراب ... من دموعٍ كثيرة التسكاب
إن أهل الحصاب قد تركوني ... مغرماً مولعاً بأهل الحصاب
فارقوني وقد علمت يقيناً ... ما لمن ذاق ميتةً من إياب
سكنوا الجزع جزع بيت أبي مو ... سى إلى النخل من صفي السباب
كم بذاك الحجون من حي صدق ... وكهولٍ أعفةٍ وشباب
أهل بيتٍ تتايعوا للمنايا ... ما على الموت بعدهم من عتاب
فلي الويل بعدهم وعليهم ... صرت فرداً وملني أصحابي

- الشعر لكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي. والغناء لمعبد ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى. وفيه لابن أبي دباكل الخزاعي ثاني ثقيل بالوسطى عن ابن خرداذبة - قال: ثم صرف الرجل بغلته وذهب، فتبعناه حتى أدركناه، فسألناه من هو، فقال: أنا حنين بن بلوع وأنا رجلٌ جمال أكري الأبل ثم مضى.

خاف أن يفوقه ابن محرز بالعراق

فرده عنه

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد على أبي عن المدائني، قال: كان حنين غلاماً يحمل الفاكهة بالحيرة، وكان لطيفاً في عمل التحيات، فكان إذا حمل الرياحين إلى بيوت الفتيان ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القيان والمتطربين إلى الحيرة ورأوا رشاقته وحسن قده وحلاوته وخفة روحه استحلوه، وأقام عندهم وخف لهم، فكان يسمع الغناء ويشتهيه ويصغي إليه ويستمعه ويطيل الإصغاء إليه، فلا يكاد ينتفع به في شيء إذا سمعه، حتى شدا منه أصواتاً فأسمعها الناس - وكان مطبوعاً حسن الصوت - واشتهوا غناءه والاستماع منه وعشرته، وشهر بالغناء ومهر فيه، وبلغ منه مبلغاً كبيراً، ثم رحل إلى عمر بن داود الوادي وإلى حكم الوادي، وأخذ منهما، وغنى لنفسه في أشعار الناس، فأجاد الصنعة وأحكمها، ولم يكن بالعراق غيره فاستولى عليه في عصره. وقدم ابن محرز حينئذٍ إلى الكوفة فبلغ خبره حنيناً، وقد كان يعرفه، فخشي أن يعرفه الناس فيستحلوه ويستولي على البلد فيسقط هو، قال له: كم منتك نفسك من العراق؟ قال: ألف دينار، قال: فهذه خمسمائة دينار عاجلة فخذها

وانصرف واحلف لي أنك لا تعود إلى العراق؛ فأخذها وانصرف.

أخبرني عمي وعيسى بن الحسين قالا حدثنا أبو أيوب المدائني عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال: كان ابن محرز قدم الكوفة وبها بشر بن مروان، وقد بلغه أنه يشرب الشراب ويسمع الغناء، فصادفه وقد خرج إلى البصرة؛ وبلغ خبره حنين بن بلوع فتلطف له حتى دعاه؛ فغناه ابن محرز لحنه - قال أحمد بن إبراهيم وهو من الثقيل الثاني من جيد الأغاني -:

صوت

وحر الزبرجد في نظمه　　على واضح الليت زان العقودا

يفصل ياقوته دره　　وكالجمر أبصرت فيه الفريدا

قال: فسمع شيئاً هاله وحيره، فقال له حنين: كم منتك نفسك من العراق؟ قال: ألف دينار، فقال: هذه خمسمائة دينار حاصلة عاجلة ونفقتك في عودتك وبدأتك ودع العراق لي وامض مصاحباً حيث شئت - قال: وكان ابن محرز صغير الهمة لا يحب عشرة الملوك ولا يؤثر على الخلوة شيئاً - فأخذها وانصرف.

خرج إلى حمص وغنى بها

فلم يستطعم أهلها غناؤه

وقال حماد في خبره قال أبي حدثني بعض أهل العلم بالغناء عن حنين قال: خرجت إلى حمص ألتمس الكسب بها وأرتاد من أستفيد منه شيئاً، فسألت عن الفتيان بها وأين يجتمعون، فقيل لي: عليك بالحمامات فإنهم يجتمعون بها إذا أصبحوا فجئت إلى أحدها فدخلته، فإذا فيه جماعة منهم، فأنست وانبسطت، وأخبرتهم أني غريب، ثم خرجوا وخرجت معهم، فذهبوا بي إلى منزل أحدهم، فلما قعدنا أتينا بالطعام فأكلنا وأتينا بالشراب فشربنا، فقلت لهم: هل لكم في مغن يغنيكم؟ قالوا: ومن لنا بذلك؟ قلت: أنا لكم به، هاتوا عوداً فأتيت به، فابتدأت في هنيات أبي عباد معبد، فكأنما غنيت للحيطان لا فكهوا لغنائي ولا سروا به، فقلت: ثقل عليهم غناء معبد لكثرة عمله وشدته وصعوبة مذهبه، فأخذت في غناء الغريض فإذا هو عندهم كلا شيءٍ، وغنيت خفائف ابن سريج، وأهزاج حكم، والأغاني التي لي، واجتهد في أن يفهموا، فلم يتحرك من القوم أحدٌ، وجعلوا يقولون: ليت أبا منبه قد جاءنا، فقلت في نفسي: أرى أني سأفتضح اليوم بأبي منبه فضيحةً لم يتفضح أحدٌ قط مثلها. فبينا نحن كذلك إذ جاء أبو منبه، وإذا هو شيخ عليه خفان أحمران كأنه جمال، فوثبوا جميعاً إليه وسلموا عليه وقالوا: يا أبا منبه أبطأت علينا، وقدموا له الطعام وسقوه أقداحاً، وخنست أنا حتى صرت كلا شيءٍ خوفاً منه، فأخذ العود ثم اندفع يغني:

طرب البحر فاعبري يا سفينه لا تشقي على رجال المدينة

فأقبل القوم يصفقون ويطربون ويشربون، ثم أخذ في نحو هذا من الغناء؛ فقلت في نفسي: أنتم ها هنا! لئن أصبحت سالماً لا أمسيت في هذه البلدة. فلما أصبحت شددت رحلي على ناقتي واحتقبت ركوةً من شراب ورحلت متوجهاً إلى الحيرة، وقلت:

ليت شعري متى تخب بي النا قة بين السدير والصنين
محقباً ركوةً وخبز رقاقٍ وبقولاً وقطعةً من نون
لست أبغي زاداً سواها من الشا م وحسبي علالةٌ تكفيني
فإذا أبت سالماً قلت سحقاً وبعاداً لمعشرٍ فارقوني

غنى خالد القسري بعد ما حرم الغناء

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، وأخبرنا به وكيع في عقب أخبارٍ رواها عن حماد بن إسحاق عن أبيه فقال: وقال لي إسحاق، فلا أدري أأدرج الإسناد وهو سماعه أم ذكره مرسلاً، قال إسحاق وذكر ابن كناسة: أن خالد بن عبد الله القسري حرم الغناء بالعراق في أيامه، ثم أذن للناس يوماً في الدخول عليه "عامة"، فدخل إليه حنين ومعه عودٌ تحت ثيابه، فقال: أصلح الله الأمير، كانت لي صناعةٌ أعود بها على عيالي فحرمها الأمير فأضر ذلك بي وبهم، فقال: وما صناعتك؟ فكشف عن عوده وقال: هذا؛ فقال له خالد: عن، فحرك أوتاره وغنى:

صوت

أيها الشأمت المعير بالده ر أأنت المبرأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الأي ام بل أنت جاهلٌ مغرور
من رأيت المنون خلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير

قال: فبكى خالد وقال: قد أذنت لك وحدك خاصةً فلا تجالسن سفيهاً ولا معربداً. فكان إذا دعي قال: أفيكم سفيهٌ أو معربد؟ فإذا قيل له: لا، دخل.

شعر هذا الصوت المذكور لعدي بن زيد، والغناء لحنين رمل بالوسطى عن عمرو. وقوله: المبرأ، يعني المبرأ من المصائب. والموفور: الذي لم يذهب من ماله ولا من حاله شيء، يقال: وفر الرجل يوفر. ولديك بمعنى عندك ها هنا.

غنى بشر بن مروان بحضور الشعبي

أخبرني أبو صالح محمد بن عبد الواحد الصحاف الكوفي قال حدثنا قعنب بن المحرز الباهلي قال أخبرنا الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش وعن مجالد عن الشعبي جميعاً، وأخبرني محمد بن مزيد وحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش عن الشعبي قال: لما ولي بشر بن مروان الكوفة كنت على مظالمه، فأتيته عشيةً وحاجبه أعين "صاحب حمام أعين" جالس، فقلت له: استأذن لي على الأمير! فقال لي: يا أبا عمرو، هو على حال ما أظنك تصل إليه معها؛ فقلت: أعلمه - وخلاك ذم - فقد حدث أمر لابد لي من إنهائه إليه - وكان لا يجلس بالعشي - فقال: لا، ولكن اكتب حاجتك في رقعة حتى أوصلها إليه؛ فكتبت رقعة، فما لبث أن خرج التوقيع على ظهرها: ليس الشعبي ممن يحتشم منه فأذن له، فأذن لي فقال: ادخل، فدخلت فإذا بشر بن مروان عليه غلالةٌ رقيقة صفراء وملاءةٌ تقوم قياماً من شدة الصقال، وعلى رأسه إكليل من ريحان، وعلى يمينه عكرمة بن ربعي، وعلى يساره خالد بن عتاب بن ورقاء، وإذا بين يديه حنين بن بلوع معه عوده، فسلمت فرد علي السلام ورحب وقرب، ثم قال: يا أبا عمرو، لو كان غيرك لم آذن له على هذه الحال، فقلت: أصلح الله الأمير، عندي لك الستر لكل ما أرى منك والدخول معك فيما لا يجمل، والشكر على ماتوليني؛ فقال: كذلك الظن بك، ثم التفت إلى حنين وعوده في حجره وعليه قباء خشك شوي - وقال إسحاق: خشكون - ومستقة حمراء وخفان مكعبان، فسلم علي؛ فقلت له: كيف أنت ابا كعب، فقال: بخير أبا عمرو؛ فقلت: احزق الزير وأعرخ البم ففعل؛ وضرب فأجاد؛ فقال بشرٌ لأصحابه: تلومونني على أن آذن له في كل حال! ثم أقبل علي فقال: أبا عمرو، من أين وقع لك حزق الزير؟ فقلت: ظننت أن الأمر هناك، فقال: فإن الأمر كما ظننت هناك كله. ثم قال: فمن أين تعرف حنيناً؟ فقلت: هذا بطة أعراسنا فكيف لا أعرفه! فضحك، وغنى حنين فأجاد فطرب وأمر له بجائزة، ثم ودعته وقمت بعد أن ذكرت له ما جئت فيه، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب، فقمت مع الخادم حتى قبضت ذلك منه وانصرفت. وقد وجدت هذا الخبر بخط أبي سعيد السكري يأثره عن محمد بن عثمان المخزومي عن أبيه عن جده: أنه كان عند بشر بن مروان يوم دخل عليه الشعبي هذا المدخل وأن حنين بن بلوع غناه:

هم كتموني سيرهم حين أزمعوا وقالوا اتعدنا للرواح وبكروا

وهذا القول خطأ قبيح، لأن هذا الشعر للعباس بن الأحنف، والغناء لعلويه رمل بالوسطى، وغني للمأمون فيه فقال: سخروا من أبي الفضل أعزه الله.

شيء من أوصاف الحيرة

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق: قرأت على أبي، وقال أبو عبيد الله الكاتب حدثني سليمان بن بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان قال: وكان بعض ولاة الكوفة يذم الحيرة في أيام بني أمية، فقال له رجل

من أهلها - وكان عاقلاً ظريفاً -: أتعيب بلدة يضرب بها المثل في الجاهلية والإسلام! قال: وبماذا تمدح؟ قال: بصحة هوائها، وطيب مائها، ونزهة ظاهرها، تصلح للخف والظلف، سهلٌ وجبلٌ، وباديةٌ وبستان، وبر وبحر، محل الملوك ومزارهم، ومسكنهم ومثواهم، وقد قدمتها - أصلحك الله - مخفا فرجعت مثقلاً ووردتها مقلاً فأصارتك مكثراً، قال: فكيف نعرف ما وصفتها به من الفضل؟ قال: بأن تصير إلي، ثم ادع ما شئت من لذات العيش، فوالله لا أجوز بك الحيرة فيه؛ قال: فاصنع لنا صنيعاً واخرج من قولك؛ قال: أفعل، فصنع لهم طعاماً وأطعمهم من خبزها وسمكها وماصيد من وحشها: من ظباءٍ ونعام وأرانب وحبارى، وسقاهم من ماءها في قلالها، وخمرها في آنيتها، وأجلسهم على رقمها - وكان يتخذ بها من الفرش أشياء ظريفة - ولم يستخدم لهم حرا ولا عبداً إلا من مولديها ومولداتها من خدمٍ ووصائف "ووصفاء" كأنهم اللؤلؤ لغتهم لغة أهلها، ثم غناهم حنين وأصحابه في شعر عدي بن زيد شاعرهم وأعشى همدان لم يتجاوزهما، وحياهم برياحينها، ونقلهم على خمرها، وقد شربوا بفواكهها؛ ثم قال له: هل رأيتني استعنت على شيء مما رأيت وأكلت وشربت وافترشت وشممت وسمعت بغير ما في الحيرة؟ قال: لا والله، لقد أحسنت صفة بلدك ونصرته فأحسنت نصرته والخروج مما تضمنته، فبارك الله لكم في بلدكم.

المغنون المشهورون بالحيرة غير حنين ونوع غنائهم

قال إسحاق: ولم يكن بالحيرة مذكورٌ في الغناء سوى حنين إلا نفراً من السدريين يقال لهم: عباديس، وزيد بن الطليس، وزيد بن كعب، ومالك بن حممة، وكانوا يغنون غناء الحيرة بين الهزج والنصب وهو إلى النصب أقرب ولم يدون منه شيءٌ لسقوطه وأنه ليس من أغاني الفحول. وما سمعنا نحن لأحد من هؤلاء خبراً إلا لمالك بن حممة، أخبرني به عمي عن عبد الله بن أبي سعد.

عمره ونسبه

وقال وكيع في خبره عن إسحاق حدثني أبو بشر الفزاري قال حدثني بشر بن الحسين بن سليمان بن سمرة بن جندب قال: عاش حنين بن بلوع مائة سنة وسبع سنين، وكان يقال أنه من جديس؛ قال وقيل أيضاً: إنه من لخم، وكان هو يزعم أنه عبادي وأخواله من بني الحارث بن كعب

غنى حفيده لإبراهيم بن المهدي

وقص عليه خبر جده مع ابن سريج

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال: كنت مع الرشيد في السنة التي نزل فيها على عونٍ العبادي، فأتاني عون بابن ابن حنين بن بلوع، وهو شيخ،

فغناني عدة أصوات لجده، فما استحسنتها، لأن الشيخ كان مشوه الخلق، طن الغناء، قليل الحلاوة، إلا أنه كان لا يفارق عمود الصوت أبداً حتى يفرغ منه، فغناني صوت ابن سريج:

فتركته جزر السباع ينشنه ما بين قلة رأسه والمعصم

فما أذكر أني سمعته من أحد قط أحسن مما سمعته منه، فقلت له: لقد أحسنت في هذا الصوت، وما هو من أغاني جدك، وإني لأعجب من ذلك! فقال لي الشيخ: والصليب والقربان ما صنع هذا الصوت إلا في مترلنا وفي سرداب لجدي، ولقد كاد أن ياتي على نفس عمتي؛ فسألته عن الخبر في ذلك فقال: ضافه ابن سريج متنكراً فأكرمه ثم بالغ في إكرامه لما عرفه حدثني أبي أن عبيد بن سريج قدم الحيرة ومعه ثلثمائة دينار. فأتى بها مترلنا في ولاية بشر بن مروان الكوفة، وقال: أنا رجلٌ من أهل الحجاز من أهل مكة، بلغني طيب الحيرة وجودة خمرها وحسن غنائك في هذا الشعر:

حنتني حانيات الدهر حتى كأني خاتلٌ يدنو لصيد

قريب الخطو يحسب من رآني ولست مقيداً أني بقيد

فخرجت بهذه الدنانير لأنفقها معك وعندك ونتعاشر حتى تنفد وأنصرف إلى مترلي. فسأله جدي عن اسمه ونسبه فغيرهما وانتمى إلى بني مخزوم، فأخذ جدي المال منه وقال: موفرٌ مالك عليك ولك عندنا كل ما يحتاج إليه مثلك ما نشطت للمقام عندنا، فإذا دعتك نفسك إلى بلدك جهزناك إليه ورددنا عليك مالك وأخلفنا ما أنفقته عليك "إلى" أن جئتنا، وأسكنه داراً كان ينفرد فيها، فمكث عندنا شهرين لا يعلم جدي ولا أحدٌ من أهلنا أنه يغني، حتى انصرف جدي من دار بشر بن مروان في يومٍ صائفٍ مع قيام الظهيرة، فصار إلى باب الدار التي كان أنزل ابن سريج فيها فوجده مغلقاً فارتاب بذلك، ودق الباب فلم يفتح له و لم يجبه أحدٌ، فصار إلى منازل الحرم فلم يجد فيها ابنته ولا جواريه، ورأى ما بين الدار التي فيها الحرم ودار ابن سريج مفتوحاً، فانتضى سيفه ودخل الدار ليقتل ابنته؛ فلما دخلها رأى ابنته وجواريه وقوفاً على باب السرداب، وهن يومئن إليه بالسكوت وتخفيف الوطء، فلم يلتفت إلى إشارتهن لما تداخله، إلى أن سمع ترنم ابن سريج بهذا الصوت، فألقى السيف من يده وصاح به - وقد عرفه من غير أن يكون رآه، ولكن بالنعت والحذق -: أبا يحيى، جعلت فداءك، أتيتنا بثلثمائة دينار لتنفقها عندنا في حيرتنا! فوحق المسيح لا خرجت منها إلا ومعك ثلثمائة دينار وثلثمائة دينار وثلثمائة دينار سوى ما جئت به معك، ثم دخل إليه فعانقه ورحب به ولقيه بخلاف ما كان يلقاه به، وسأله عن هذا الصوت، فأخبره أنه صاغه في ذلك الوقت. فصار معه إلى بشر بن مروان فوصله بعشرة آلاف درهم أول مرةٍ، ثم وصله بعد ذلك بمثلها؛ فلما أراد الخروج رد عليه جدي ماله وجهزه ووصله بمقدار نفقته التي أنفقها من مكة إلى الحيرة، ورجع ابن سريج إلى أهله وقد أخذ جميع من كان في دارنا منه هذا الصوت.

استقدمه ابن سريج والغريض ومعبد إلى الحجاز فقدم وغنى فازدحم الناس فسقط عليه السطح فمات أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني حسان بن محمد الحارثي قال حدثنا عبد الله قال حدثنا عبيد

بن حنين الحيري قال:

كان المغنون في عصر جدي أربعة نفرٍ ثلاثة بالحجاز وهو وحده بالعراق، والذين بالحجاز: ابن سريج والغريض ومعبد، فكان يبلغهم أن جدي حنيناً قد غنى في هذا الشعر:

هلا بكيت على الشباب الذاهب ... وكففت عن ذم المشيب الآئب

هذا ورب مسوفين سقيتهم ... من خمر بابل لذةً للشارب

بكروا علي بسحرةٍ فصبحتهم ... من ذات كوبٍ مثل قعب الحالب

بزجاجة ملء اليدين كأنها ... قنديل فصح في كنيسة راهب

قال: فاجتمعوا فتذاكروا أمر جدي وقالوا: ما في الدنيا أهل صناعة شر منا، لنا أخٌ بالعراق ونحن بالحجاز، لا نزوره ولا نستزيره. فكتبوا إليه ووجهوا إليه نفقةً وكتبوا يقولون: نحن ثلاثةٌ وأنت وحدك فأنت أولى بزيارتنا، فشخص إليهم، فلما كان على مرحلة من المدينة بلغهم خبره فخرجوا يتلقونه، فلم ير يومٌ كان أكثر حشراً ولا جمعاً من يومئذ، ودخلوا، فلما صاروا في بعض الطريق قال لهم معبد: صيروا إلي؛ فقال له ابن سريج: إن كان لك من الشرف والمروءة مثل ما لمولاتي سكينة بنت الحسين عطفنا إليك؛ فقال: مالي من ذلك شيء، وعدلوا إلى منزل سكينة. فلما دخلوا إليها أذنت للناس إذناً فغصت الدار بهم وصعدوا فوق السطح، وأمرت لهم بالأطعمة فأكلوا منها، ثم إنهم سألوا جدي حنيناً أن يغنيهم صوته الذي أوله:

هلا بكيت على الشباب الذاهب

فغناهم إياه بعد أن قال لهم: ابدءوا أنتم؛ فقالوا: ما كنا لنتقدمك ولا نغني قبلك حتى نسمع هذا الصوت؛ فغناهم إياه، وكان من أحسن الناس صوتاً، فازدحم الناس على السطح وكثروا ليسمعوه، فسقط الرواق على من تحته فسلموا جميعاً وأخرجوا أصحاء، ومات حنينٌ تحت الهدم؛ فقالت سكينة: لقد كدر علينا حنينٌ سرورنا، انتظرناه مدة طويلة وكأنا والله كنا نسوقه إلى منيته.

نسبة ما في الخبر الأول من الغناء

الغناء في الأصوات المتقدمة

صوت

وتركته جزر السباع ينشنه ... ما بين قلة رأسه والمعصم

إن تغدفي دوني القناع فإنني ... طب بأخذ الفارس المستلئم

الشعر لعنترة بن شداد العبسي، والغناء فيه لحنين ثاني ثقيلٍ.

ومنها:

صوت

حنتني حانيات الدهر حتى ... كأني خاتلٌ يدنو لصيد

قريب الخطو يحسب من رآني ... ولست مقيداً أني بقيد

الغناء لحنين الحيري ثقيل أول: وفيه لإبراهيم الموصلي ماخوري جميعاً عن ابن المكي، ووافقه عمرو بن بانة في لحن إبراهيم الموصلي. ونسبة الشعر الذي غناه حنينٌ في مترل سكينة يقال: إنه لعدي بن زيد، وقيل: إن بعضه له وقد أضافه المغنون إليه. ولحنه خفيف ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.

صوت من المائة المختارة

راع الفؤاد تفرق الأحباب ... يوم الرحيل فهاج لي أطرابي

فظللت مكتئباً أكفكف عبرةً ... سحاً تفيض كواشل الأسراب

لما تنادوا للرحيل وقربوا ... بزل الجمال لطيةٍ وذهاب

كاد الأسى يقضي عليك صبابةً ... والوجه منك لبين إلفك كابي

عروضه من الكامل. والشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء للغريض، ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. "وقال حبشٌ: وفيه لأبي كامل ثاني ثقيل بالوسطى". وذكر حبش: أن للغريض أيضاً فيه خفيف ثقيل بالوسطى. ولمالك ثقيلٌ أول بالوسطى. وهذه الأبيات قالها عمر بن أبي ربيعة في بنتٍ لعبد الملك بن مروان كانت حجت في خلافته.

ابن أبي ربيعة مع بنت عبد الملك

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال أخبرني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم عن الزبيري والمدائني ومحمد بن سلام والمسيبي:

أن بنتاً لعبد الملك بن مروان حجت، فكتب الحجاج إلى عمر بن أبي ربيعة يتوعده إن ذكرها في شعره بكل مكروه؛ وكانت تحب أن يقول فيها شيئاً وتتعرض لذلك، فلم يفعل خوفاً من الحجاج. فلما قضت حجها خرجت فمر بها رجلٌ فقالت له: من "أين" أنت؟ قال: من أهل مكة؛ قالت: عليك وعلى أهل بلدك لعنة الله! قال: و لم ذاك؟ قالت: حججت فدخلت مكة ومعي من الجواري ما لم تر الأعين مثلهن، فلم يستطع الفاسق ابن

أبي ربيعة أن يزودنا من شعره أبياتاً نلهو بها في الطريق في سفرنا! قال: فإني لا أراه إلا قد فعل؛ قالت: فأتنا بشيء إن كان قاله ولك بكل بيتٍ عشرة دنانير؛ فمضى إليه فأخبره؛ فقال: لقد فعلت، ولكن أحب أن تكتم علي؛ قال: أفعل؛ فأنشده:

راع الفؤاد تفرق الأحباب يوم الرحيل فهاج لي أطرابي

وهي طويلة. وأنشده:

هاج قلبي تذكر الأحباب واعترتني نوائب الأطراب

وهي طويلة أيضاً، يقول فيها:

اقتليني قتلاً سريعاً مريحاً لا تكوني علي سوط عذاب

شف عنها محقق جندي فهي كالشمس من خلال سحاب

- ذكر حبشٌ: أن في هذه الثلاثة الأبيات للهذلي ثاني ثقيل بالبنصر - قال: فعاد إليها الرجل فأنشدها هاتين القصيدتين فدفعت إليه ما وعدته به.

ذكر الغريض وأخباره

اسمه وكنيته وسبب لقبه

الغريض لقبٌ لقب به، لأنه كان طري الوجه نضراً غض الشباب حسن المنظر، فلقب بذلك. والغريض: الطري من كل شيء. وقال ابن الكلبي: شبه بالإغريض وهو الجمار فسمي به، وثقل ذلك على الألسنة فحذفت الألف منه، فقيل له: الغريض: واسمه: عبد الملك، وكنيته: أبو يزيد.

وأخبرنا إسماعيل بن يونس الشيعي عن عمر بن شبة عن أبي غسان عن جماعة من المكيين: أنه كان يكنى أبا مروان. وهو مولى العبلات، وكان مولداً من مولدي البربر. وولاؤه وولاء يحيى قيل وسمية للثريا "صاحبة عمر بن أبي ربيعة" وأخواتها: الرضيا وقريبة وأم عثمان بنات علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وقد مضت أخبارهن في صدر الكتاب.

أخذه الغناء عن ابن سريج

فلما رأى ابن سريج مخايل التفوق فيه حده وطرده

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني محمد بن نصر الضبعي قال حدثني عبد الكريم بن أبي معاوية العلابي عن هشام بن الكلبي عن أبيه وعن أبي مسكين، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان محمد بن يحيى، وأخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن أبي الأزهر حدثنا حماد بن

إسحاق عن أبيه عن الزبيري والمدائني ومحمد بن سلام، وقد جمعت رواياتهم في قصة الغريض، قالوا: كان الغريض يضرب بالعود وينقر بالدف ويوقع بالقضيب، وكان جميلاً وضيئاً، وكان يصنع نفسه ويبرقها. وكان قبل أن يغني خياطاً. وأخذ الغناء في أول أمره عن ابن سريج، لأنه كان يخدمه. فلما رأى ابن سريج طبعه وظرفه وحلاوة منطقه خشي أن يأخذ غناءه فيغلبه عليه عند الناس ويفوقه بحسن وجهه وجسده؛ فاعتل عليه، وشكاه إلى مولياته، وهن كن دفعنه إليه ليعلمه الغناء، وجعل يتجنى عليه ثم طرده؛ فشكا ذلك إلى مولياته وعرفهن غرض ابن سريج في تنحيته إياه عن نفسه، وأنه حسده على تقدمه؛

تعلم النوح وكان ينوح في المآتم

فقلن له: هل لك في أن تسمع نوحنا على قتلانا فتأخذه وتغني عليه؟ قال: نعم فافعلن، فأسمعنه المراثي فاحتذاها وخرج غناءً عليها كالمراثي، وكان ينوح مع ذلك فيدخل المآتم وتضرب دونه الحجب ثم ينوح فيفتن كل من سمعه. ولما كثر غناؤه اشتهاه الناس وعدلوا إليه لما كان فيه من الشجا. فكان ابن سريج لا يغني صوتاً إلا عارضه الغريض فيه لحناً آخر. فلما رأى ابن سريج موقع الغريض اشتد عليه وحسده، فغنى الأرمال والأهزاج فاشتهاها الناس؛ فقال له الغريض: يا أبا يحيى، قصرت الغناء وحذفته؛ قال: نعم يا مخنث حين جعلت تنوح على أمك وأبيك.

قال إسحاق وحدثني أبو عبيدة قال: لما غضب ابن سريج على الغريض فأقصاه وهجره لحق بحوراء وبغوم - جاريتين نائحتين كانتا في شعب ابن عامر بمكة، ولم يكن قبلهما ولا بعدهما مثلهما - فرأتاه يوماً يعصر عينيه ويبكي؛ فقالتا له: ما لك تبكي؟ فذكر لهما ما صنع به ابن سريج؛ فقالتا له: لا أرقأ الله دمعك! ألزز رأسك بين ما أخذته عنه وبين ما تأخذه منا، فإن ضعت بعدها فأبعدك الله.

عداده في الأربعة المشهورين بالغناء

قال إسحاق وحدثني أبو عبد الله الزبيري قال: رأيت جريراً في مجلس من مجالس قريش فسمعته يقول: كان المغنون بمكة أربعة، فسيد مبرز وتابع مسدد؛ فسألناه عن ذاك، فقال: كان السيد أبو يحيى بن سريج والتابع أبو يزيد الغريض. وكان هناك رجل عالم بالصناعة فقال: كان الغريض أحذق أهل زمانه بمكة بالغناء بعد ابن سريج، كان الناس لا يفرقون بينه وبين ابن سريج وما زال أصحابنا لا يفرقون بينهما لمقاربتهما في الغناء. قال الزبيري وقال بعض أهلي: لو حكمت بين أبي يحيى وابي يزيد لما فرقت بينهما، وإنما تفضيلي أبا يحيى بالسبق، فأما غير ذلك فلا، لأن أبا يزيد عنه أخذ ومن بحره اغترف وفي ميدانه جرى، فكان كأنه هو؛ ولذلك قالت سكينة لما غنى الغريض وابن سريج:

عوجي علينا ربة الهودج

والله ما أفرق بينكما، وما مثلكما عندي إلا كمثل اللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحسان لا يدرى أي ذلك أحسن.

قيل كان أشجى غناء من ابن سريج

قال إسحاق: وسمعت جماعةً من البصراء عند أبي يتذاكرونهما، فأجمعوا على أن الغريض أشجى غناءً، وأن ابن سريج أحكم صنعةً.

غنى الناس بجمع فحسبوه من الجن

قال إسحاق وحدثني أبو عبد الله الزبيري قال حدثني بعض أهلي قال: حججنا فلما كنا بجمع سمعنا صوتاً لم نسمع أحسن منه ولا أشجى، فأصغى الناس كلهم إليه تعجباً من حسنه، فسألت: من هذا الرجل؟ فقيل لي: الغريض، فتتابع جماعةٌ من أهل مكة فقالوا: ما نعرف اليوم أحسن غناءً من الغريض، ويدلك على ذلك أنه يعترض بصوته الحاج وهم في حجهم فيصغون إليه. فسألوا الغريض عن ذلك، فقال: نعم، فسألوه أن يغنيهم فأجابهم، وخرج فوقف حيث لا يرى ويسمع صوته فترنم ورجع صوته وغنى في شعر عمر بن أبي ربيعة:

أيها الرائح المجد ابتكارا قد قضى من تهامة الأوطارا

فما سمع السامعون شيئاً كان أحسن من ذلك الصوت، وتكلم الناس فقالوا: طائفةٌ من الجن حجاجٌ.

نسبة هذا الصوت

صوت

أيها الرائح المجد ابتكارا قد قضى من تهامة الأوطارا

من يكن قلبه الغداة خليا ففؤادي بالخيف أمسى معارا

ليت ذا الحج كان حتماً علينا كل شهرين حجةً واعتمارا

عروضه من الخفيف. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن محرز، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الثاني بالخنصر في مجرى الوسطى. وفيه لحن للغريض من رواية حماد عن أبيه.

غنى هو ومعبد وابن سريج

على أبي قبيس فعفا الوالي عنهم بعد الأمر بنفيهم

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم قال: بلغني أن معبداً وابن سريج والغريض اجتمعوا بمكة ذات ليلة فقالوا: هلم نبك أهل مكة، ووجدت هذا الخبر بغير إسناد مروياً عن يونس الكاتب: أن أميراً من أمراء مكة أمر بإخراج المغنين من الحرم، فلما كان في الليلة التي عزم بهم على النفي في غدها اجتمعوا على أبي قبيس - وكان معبد قد زارهم - فبدأ معبد فغنى - كذا روي عن يونس و لم يذكره الباقون:

صوت

أتربي من أعلى معد هديتما أجدا البكا إن التفرق باكر

فما مكثنا دام الجميل عليكما بثهلان إلا أن تزم الأباعر

- عروضه من الطويل. هكذا ذكره و لم ينسبه ولا جنسه - قال: فتأوه أهل مكة وأنوا وتمخطوا. واندفع الغريض يغني:

أيها الرائح المجد ابتكارا قد قضى من تهامة الأوطارا

فارتفع البكاء والنحيب. واندفع ابن سريج يغني:

جددي الوصل يا قريب وجودي لمحب فراقه قد ألما

ليس بين الحياة والموت إلا أن يردوا جمالهم فتزما

فارتفع الصراخ من الدور بالويل والحرب. قال يونس في خبره: واجتمع الناس إلى الأمير فاستعفوه من نفيهم فأعفاهم. وذكر الباقون أن الغريض ابتدأ بلحنه:

أيها الراكب المجد ابتكارا

وتلاه ابن سريج في جددي الوصل. قال: وارتفع الصراخ فلم يسمع من معبد شيء و لم يقدر على أن يغني.

غنت شطباء المغنية علي بن جعفر فطرب

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني عبد الرحمن بن محمد السعدي قال: حضرت شطباء المغنية جارية علي بن جعفر ذات يوم تغني:

ليس بين الرحيل والبين إلا أن يردوا جمالهم فتزما

فطرب علي بن جعفر وصاح: سبحان الله العظيم! ألا يوكون قربة! ألا يشدون محملاً! ألا يعلقون سفرة! ألا يسلمون على جار! هذه والله العجلة.

لما ماتت الثريا ناح عليها الغريض

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى قال زعم عبيد بن يعلى قال: قال لي كثير بن كثير السهمي: لما ماتت الثريا أتاني الغريض فقال لي: قل لي شعراً أبك به عليها؛ فقلت:

صوت

ألا يا عين ما لك تدمعينا ... أمن رمدٍ بكيت فتكحلينا

أم أنت مريضة تبكين شجواً ... فشجوك مثله أبكى العيونا

فناح به عليها. قال: وأخبرني من رآه بين عمودي سريرها ينوح به. الغناء للغريض في هذين البيتين خفيف ثقيل بالوسطى عن ابن المكي. وفيه ثقيلٌ أول مجهول.

تحاكم هو وابن سريج إلى سكينة

بنت الحسين فساوت بينهما

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن سلام وأخبرنا وكيع قال: حدثنا محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلام عن جرير، ورواه حماد عن أبيه عن ابن سلام عن جرير أيضاً: أن سكينة بنت الحسين حجت فدخل إليها ابن سريج والغريض وقد استعار ابن سريج حلة لامرأة من قريش فلبسها؛ فقال لها ابن سريج: يا سيدتي، إني كنت صنعت صوتاً وحسنته وتنوقت فيه، وخبأته لك في حريرةٍ في درجٍ مملوءٍ مسكاً فنازعنيه هذا الفاسق - يعني الغريض - فأردنا أن نتحاكم إليك فيه. فأينا قدمته فيه تقدم؛ قالت: هاته، فغناها:

عوجي علينا ربة الهودج ... إنك إلا تفعلي تحرجي

فقالت: هاته أنت يا غريض؛ فغناها إياها؛ فقالت لابن سريج: أعده، فأعاده، وقالت: يا غريض، أعده، فأعاده؛ فقالت: ما أشبهكما إلا بالجديين: الحار والبارد لا يدرى أيهما أطيب. وقال إسحاق في خبره: ما أشبهكما إلا باللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحسان لا يدرى أيهما أحسن.

نسبة هذا الصوت

صوت

عوجي علينا ربة الهودج ... إنك إلا تفعلي تحرجي

إني أتيحت لي يمانيةٌ إحدى بني الحارث من مذحج
نلبث حولاً كاملاً كله لا نلتقي إلا على منهج
في الحج إن حجت وماذا مني وأهله إن هي لم تحجج
أيسر ما نال محب لدى بين حبيبٍ قوله عرج

عروضه من السريع. والشعر للعرجي. والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو. وفيه للغريض ثقيل أول بالوسطى عن حبش. ولإسحاق في الأول والثالث ثقيل أول بالبنصر عن عمرو. وللأبجر فيه ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن ابن المكي. ولعلوية خفيف ثقيلٍ عن الهشامي. ولحكم خفيف رملٍ عنه أيضاً.

غنى عطاء بشعر العرجي فرده عليه

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن عمرو بن بشر قال حدثني إبراهيم بن المنذر قال حدثني حمزة بن عتبة اللهبي عن عبد الوهاب بن مجاهد أو غيره قال: كنت مع عطاء بن ابي رباح فجاءه رجل فأنشده قول العرجي:

إني أتيحت لي يمانيةٌ

وذكر الأبيات وختمها بقوله:

في الحج إن حجت وماذا منى وأهله إن هي لم تحجج

قال فقال عطاء: بمنى والله وأهله خيرٌ كثيرٌ إذ غيبها الله وإياه عن مشاعره.

قصة الأوقص المخزومي مع سكران يغني

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال: ولي قضاء مكة الأوقص المخزومي فما رأى الناس مثله في عفافه ونبله، فإنه لنائم ليلة في جناح له إذ مر به سكران يتغنى:

عوجي علينا ربة الهودج

فأشرف عليه فقال: يا هذا شربت حراماً! وأيقظت نياماً! وغنيت خطأ! خذه عني! فأصلحه له وانصرف.

عطاء بن رباح والأبجر المغني

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق عن حمزة بن عتبة اللهبي قال: مر الأبجر بعطاء وهو سكران فعذله وقال: شهرت نفسك بالغناء واطرحتها وأنت ذو مروءة، فقال: امرأته طالقٌ ثلاثاً إن برحت أو أغنيك صوتاً، فإن قلت لي: هو قبيحٌ تركته؛ فقال له عطاء: هات ويحك! فقد أضررت بي، فغناه:

في الحج إن حجت وماذا مني وأهله إن هي لم تحجج

فقال له عطاء: الخير والله كله هناك حجت أو لم تحج، فاذهب الآن راشداً فقد برت يمينك.

ابن أبي عتيق والغريض

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني المغيرة بن محمد قال حدثني هارون بن موسى الفروي قال حدثني بعض المدنيين قال: خرج ابن أبي عتيق على نجيبٍ له من المدينة قد أوقره من طرف المدينة المشارب وغير ذلك، فلقي فتىً من بني مخزوم مقبلاً من بعض ضياعه، فقال: يابن أخي، أتصحبني؟ قال: نعم؛ قال المخزومي: فمضينا حتى إذا قربنا من مكة جنبنا عنها حتى جزناها فصرنا إلى قصرٍ، فاستأذن ابن أبي عتيق فأذن له، فدخلنا فإذا رجل جالسٌ كأنه عجوزٌ بربرية مختضبة، لا أشك في ذلك، وإذا هو الغريض وقد كبر، فقال له ابن أبي عتيق: تشوقنا إليك، وأهدى له ما كان معه، ثم قال له: نحب أن نسمع؛ قال: أدع فلانة - جاريةً له - فجاءت فغنت، فقال: ما صنعت شيئاً، ثم حل خضابه وغنى:

عوجي علينا ربة الهودج

فما سمعت أحسن منه قط، فأقمنا عنده أياماً كثيرة وخبازه وطعامه كثير.

ثم قال له ابن أبي عتيق: إني أريد الشخوص، فلم يبق بمكة تحفة عدني ولا يمانٍ ولا عودٌ إلا أوقر به راحلته. فلما ارتحلنا وبرزنا صاح به الغريض: هيا هيا، فرجعنا إليه؛ فقال: ألم تروا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يحشر من بقيعنا هذا سبعون ألفاً على صورة القمر ليلة البدر"! فقال له ابن أبي عتيق: بلى، فقال: هذه سن لي انتزعت فأحب أن تدفنها بالبقيع، فخرجنا والله أخسر اثنين لم نعتمر ولم ندخل مكة، حاملين سن الغريض حتى دفناها بالبقيع.

غنى بعض أهل المدينة فطربوا لغنائه

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن بعض أهل المدينة قال: خرج الغريض مع قوم فغناهم هذا الصوت:

جرى ناصحٌ بالود بيني وبينها فقربني يوم الحصاب إلى قتلي

فاشتد سرور القوم، وكان معهم غلام أعجبه، فطلب إليهم أن يكلموا الغلام في الخلوة معه ساعةً ففعلوا، فانطلق مع الغلام حتى توارى بصخرة، فلما قضى حاجته أقبل الغلام إلى القوم، وأقبل الغريض يتناول حجراً حجراً

يقرع به الصخرة، ففعل ذلك مراراً، فقالوا له: ما هذا يا غريض؟ قال: كأني بها قد جاءت يوم القيامة رافعةً ذيلها تشهد علينا بما كان منا إلى جانبها، فأردت أن أجرح شهادتها علي ذلك اليوم.

نسبة هذا الصوت

صوت

جرى ناصحٌ بالود بيني وبينها فقربني يوم الحصاب إلى قتلي

فقالت وأرخت جانب الستر إنما معي فتحدث غير ذي رقبةٍ أهلي

فقلت لها ما بي لهم منه ترقبٍ ولكن سري ليس يحمله مثلي

عروضه من الطويل. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج رملٌ بإطلاق الوتر مجرى البنصر عن إسحاق في الثلاثة الأبيات. وذكر يونس أن فيه لحناً لمالك، وفيه للغريض خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى عن حبشٍ والهشامي وعلي بن يحيى وحماد بن إسحاق. ولمعبد فيه ثقيل أول بالبنصر عن حبش. ولابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى عنه.

كان عمر وجميل يتعارضان في الشعر

حدثني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم عن المسيبي والمدائني وابن سلام: أن عمر بن أبي ربيعة كان يعارض جميلاً، إذا قال هذا قصيدةً قال هذا مثلها، فيقال: إن عمر في الرائية والعينية أشعر من جميل، وإن جميلاً أشعر منه في اللامية. وقال الزبير فيما أخبرني به الحرمي بن أبي العلاء عنه: من الناس من يفضل قصيدة جميل اللامية على قصيدة عمر، وأنا لا أقول هذا، لأن قصيدة جميل مختلفة غير مؤتلفة، فيها طوالع النجد وخوالد المهد، وقصيدة عمر بن أبي ربيعة ملساء المتون، مستوية الأبيات، آخذٌ بعضها بأذناب بعض، ولو أن جميلاً خاطب في قصيدته مخاطبة عمر لأرتج عليه وعثر كلامه به.

أخبرني الحريم قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدثني شيخ من أهلي عن أبي الحارث بن نابتة مولى هشام بن الوليد المخزومي وهو الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة:

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ فاستمع قول رشيدٍ مؤتمن

قال: شهدت عمر بن أبي ربيعة وجميلاً بالأبطح، فأنشد جميلٌ قصيدته التي يقول فيها:

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلي بثينة أو أبدت لنا جانب البخل

ثم قال: يا أبا الخطاب، هل قلت في هذا الوزن شيئاً؟ قال: نعم؛ فأنشده قوله:

جرى ناصحٌ بالود بيني وبينها

فقال جميلٌ: هيهات يا أبا الخطاب، والله لا أقول مثل هذا سجيس الليالي، والله ما خاطب النساء مخاطبتك أحدٌ! وقام مشمراً.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال: رأيت علماءنا جميعاً لا يشكون في أن أحسن ما يروى في تعظيم السر قول عمر:

ولكن سري ليس يحمله مثلي

قال الزبير: وحدثني محمد بن إسماعيل قال حدثني ابن أبي الزناد قال: إنما اجتمع عمر بن أبي ربيعة وجميل بالجناب.

سمع الفرزدق شعر ابن أبي ربيعة فمدحه

أخبرني محمد بن أحمد الطلاس قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني: أن الفرزدق سمع عمر بن أبي ربيعة ينشد هذه القصيدة، فلما بلغ إلى قوله:

فقمن وقد أفهمن ذا اللب أنما فعلن الذي يفعلن من ذاك من أجلي

صاح الفرزدق وقال: هذا والله الشعر الذي أرادته الشعراء فأخطأته وبكت الديار.

نسبة ما في قصيدة عمر وسائر هذه الأخبار من الأغاني سوى قصيدة جميل فإن لها أخباراً تذكر مع أخباره فمن ذلك قصيدة عمر التي أولها:

جرى ناصحٌ بالود بيني وبينها

صوت

قفي البغلة الشهباء بالله سلمي عزيزة ذات الدل والخلق الجزل

فلما تواقفنا عرفت الذي بها كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل

فقلن لها هذا عشاءٌ وأهلنا قريبٌ ألما تسأمي مركب البغل

عروضه من الطويل. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لمعبد في الأول والثاني ثقيل أول بالوسطى عن عمرو بن بانة وعلي بن يحيى، وقيل إنه لمالك. ولابن محرز في الثاني والثالث خفيف ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي. ولابن سريج في الأول ثقيل والثاني خفيف آخر بالوسطى وهو الذي فيه استهلال. ولمالك في الثاني والثالث ثاني ثقيل بالبنصر. ولإبراهيم فيهما خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن ابن المكي.

صوت

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ فاستمع قول رشيدٍ مؤتمن

ليس حب فوق ما أحببتكم غير أن أقتل نفسي أو أجن

حسن الوجه نقي لونه طيب النشر لذيذ المحتضن

عروضه من الرمل. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو، وقيل: إنه لابن عائشة: وذكر ابن المكي أنه للغريض في الثاني والثالث، وفيهما رملٌ يقال إنه لأهل مكة، ويقال: إنه لعبد الله بن يونس صاحب أيلة. وفيه ثقيلٌ أول ذكر حبشٌ أنه لابن سريج، وذكر غيره أنه لمحمد ابن السندي المكي، وأنه غناه بحضرة إسحاق فأخذه عنه.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمربن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى قال: كان ابن عائشة يغني الهزج والخفيف؛ فقيل له: إنك لا تستطيع أن تغني غناءً شجياً ثقيلاً؛ فغنى:

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ

رجع الحديث إلى أخبار الغريض

قيل إنه كان يتلقى غناءه عن الجن أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية عن مولى لآل الغريض قال:

حدثني بعض مولياتي وقد ذكرن الغريض فترحمن عليه وقلن: جاءنا يوماً يحدثنا بحديث أنكرناه عليه ثم عرفنا بعد ذلك حقيقته، وكان من أحسن الناس وجهاً صغيراً وكبيراً، وكنا نلقى من الناس عنتاً بسببه، وكان ابن سريج في جوارنا فدفعناه إليه فلقن الغناء، وكان من احسن الناس صوتاً ففتن أهل مكة بحسن وجهه مع حسن صوته، فلما رأى ذلك ابن سريج نحاه عنه، وكانت بعض مولياته تعلمه النياحة فبرز فيها، فجاءني يوماً فقال: فتني الجن أن أنوح وأسمعتني صوتاً عجيباً فقد ابتنيت عليه لحناً فاسمعيه مني، واندفع فغنى بصوت عجيب في شعر المرار الأسدي.

حلفت لها بالله ما بين ذي الغضا وهضب القنان من عيان ولا بكر

أحب إلينا منك دلاً وما نرى به عند ليلى من ثوابٍ ولا أجر

فكذبناه وقلنا: شيء فكر فيه وأخرجه على هذا اللحن، فكان في كل يوم يأتينا فيقول: سمعت البارحة صوتاً من الجن بترجيع وتقطيع قد بنيت عليه صوت كذا وكذا بشعر فلان، فلم يزل على ذلك ونحن ننكر عليه؛ فإنا لكذلك ليلةً وقد اجتمع جماعةٌ من نساء مكة في جمع لنا سهرنا فيه ليلتنا والغريض يغنينا بشعر عمر بن أبي ربيعة:

أمن آل زينب جد البكور نعم فلأي هواها تصير

إذ سمعنا في بعض الليل عزيفاً عجيباً وأصواتاً مختلفةً ذعرتنا وأفزعتنا، فقال لنا الغريض: إن في هذه الأصوات صوتاً إذا نمت سمعته، وأصبح فأبني عليه غنائي، فأصغينا إليه فإذا نغمته نغمة الغريض بعينها فصدقناه تلك الليلة.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

حلفت لها..... البيتان

عروضه من الطويل. غناه الغريض ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى عن حبشٍ. قال: ولعلويه فيه ثقيل أول آخر بالبنصر ومنها:

صوت

أمن آل زينب جد البكور ... نعم فلأي هواها تصير

أبالغور أم أنجدت دارها ... وكانت حديثاً بعهدي تغور

نظرت بخيف منىً نظرةً ... إليها فكاد فؤادي يطير

هي الشمس تسري بها بغلةٌ ... وما خلت شمساً بليلٍ تسير

ألم تر أنك مستشرفٌ ... وأن عدوك حولي حضور

عروضه من المتقارب. الشعر للنميري، وقيل: إنه ليزيد بن معاوية. والغناء لسياط خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى عن عمرو. ولابن سريج فيه خفيف ثقيلٍ بالوسطى، أوله:

هي الشمس تسري بها بغلةٌ

وفيه للغريض ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشامي وحماد، وذكر غيرهما أنه لابن جامع. وذكر حبشٌ أن فيها لابن محرز ثقيلاً أول بالبنصر.

أرسله ابن أبي ربيعة إلى سكينة

فغناها ونسوة معها بشعره

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال قال أبو عبد الله مصعب الزبيري: اجتمع نسوةٌ فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن مجلسه وحديثه وتشوقن إليه وتمنينه؛ فقالت سكينة: أنا لكن به، فبعثت إليه رسولاً ووعدته الصورين لليلةٍ سمتها، فوافاها على رواحله ومعه الغريض، فحدثهن حتى وافى الفجر وحان انصرافهن،

فقال لهن: إني والله لمشتاقٌ إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده، ولكن لا أخلط بزيارتكن شيئاً، ثم انصرف إلى مكة وقال:

ألمم بزينب إن البين قد أفدا قل الثواء لئن كان الرحيل غدا

قال: وانصرف عمر بالغريض معه، فلما كان بمكة قال عمر: يا غريض، إني أريد أن أخبرك بشيء يتعجل لك نفعه ويبقى لك ذكره، فهل لك فيه؟ قال: افعل من ذلك ما شئت وما أنت أهله، قال: إني قد قلت في هذه الليلة التي كنا فيها شعراً فامض به إلى النسوة فأنشدهن ذلك وأخبرهن أني وجهت بك فيه قاصداً؛ قال: نعم، فحمل الغريض الشعر ورجع إلى المدينة فقصد سكينة وقال لها: جعلت فداك يا سيدتي ومولاتي، إن أبا الخطاب - أبقاه الله - وجهني إليك قاصداً، فقالت: أو ليس في خيرٍ وسرور تركته؟ قال: نعم؛ قالت: وفيم وجهك أبو الخطاب حفظه الله؟ قال: جعلت فداك، إن ابن أبي ربيعة حملني شعراً وأمرني أن أنشدك إياه؛ قالت: فهاته، قال فأنشدها:

ألمم بزينب إن البين قد أفدا قل الثواء لئن كان الرحيل غدا

الشعر كله، قالت: فيا ويحه! فما كان عليه ألا يرحل في غده! فوجهت إلى النسوة فجمعتهن وأنشدهن الشعر، وقالت للغريض: هل عملت فيه شيئاً؟ قال: قد غنيته ابن أبي ربيعة؛ قالت: فهاته، فغناه الغريض؛ فقالت سكينة: أحسنت والله وأحسن ابن أبي ربيعة، لولا أنك سبقت فغنيته عمر قبلنا لأحسنا جائزتك، يا بنانة، أعطيه بكل بيت ألف درهم، فأخرجت إليه بنانة أربعة آلاف درهم فدفعتها إليه وقالت سكينة: لو زادنا عمر لزدناك.

نسبة هذا الغناء

صوت

ألمم بزينب إن البين قد أفدا قل الثواء لئن كان الرحيل غدا
قد حلفت ليلة الصورين جاهدةً وما على الحر إلا الصبر مجتهدا
لأختها ولأخرى من مناصفها لقد وجدت به فوق الذي وجدا
لعمرها ما أراني إن نوى نزحت وهكذا الحب إلا ميتاً كمدا

عروضه من البسيط. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج، وله فيه لحنان: أحدهما رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، والآخر خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لحنٌ للغريض خفيف ثقيلٍ بالبنصر عن الهشامي وحماد، وذكر عمرو: أنه لمالك، أوله الرابع ثم الأول، ومن الناس من ينسب هذا إلى معبد، وأوله:

يا أم طلحة إن البين قد أفدا

وذلك خطأ، اللحن الذي عمله معبد غير هذا هو:

صوت

يا أم طلحة إن البين قد أفدا قل الثواء لئن كان الرحيل غدا

أمسى العراقي لا يدري إذا برزت من ذا تطوف بالأركان أو سجدا

عروضه من البسيط. الشعر للأحوص، ويقال: إنه لعمر أيضاً. والغناء لمعبد، ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر عن عمرو والهشامي.

غنى عائشة بنت طلحة فأجزلت صلته

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام قال: حجت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله فجاءتها الثريا وأخواتها ونساء أهل مكة القرشيات وغيرهن، وكان الغريض فيمن جاء، فدخل النسوة عليها فأمرت لهن بكسوة وألطاف كانت قد أعدتها لمن يجيئها، فجعلت تخرج كل واحدة ومعها جاريتها ومعها ما أمرت لها به عائشة والغريض بالباب حتى خرج مولياته مع جواريهن الخلع والألطاف؛ فقال الغريض: فأين نصيبي من عائشة؟ فقلن له: أغفلناك وذهبت عن قلوبنا؛ فقال: ما أنا ببارح من بابها أو آخذ بحظي منها فإنها كريمةٌ بنت كرام، واندفع يغني بشعر جميل:

تذكرت ليلى فالفؤاد عميد وشطت نواها فالمزار بعيد

فقالت: ويلكم! هذا مولى الصلات بالباب يذكر بنفسه هاتوه، فدخل، فلما رأته ضحكت وقالت: لم أعلم بمكانك، ثم دعت له بأشياء أمرت له بها، ثم قالت له: إن أنت غنيتني صوتاً في نفسي فلك كذا وكذا "شيءٌ سمته له ذهب عن ابن سلام" قال: فغناها في شعر كثير:

ومازلت من ليلى لدن طر شارب إلى اليوم أخفي حبها وأداجن

وأحمل في ليلى لقومٍ ضغينةً وتحمل في ليلى علي الضغائن

فقالت له: ما عدوت ما في نفسي، ووصلته فأجزلت. قال إسحاق: فقلت لأبي عبد الله: وهل علمت حديث هذين البيتين؟ و لم سالت الغريض ذلك؟ قال: نعم.

الشعبي عند مصعب وزوجه عائشة حدثني أبي قال قال الشعبي: دخلت المسجد فإذا أنا بمصعب بن الزبير على سرير جالسٌ والناس عنده، فسلمت ثم ذهبت لأنصرف، فقال لي: ادن، فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه، ثم قال: إذا قمت فاتبعني، فجلس قليلاً ثم نهض فتوجه نحو دار موسى بن طلحة فتبعته، فلما طعن في الدارالتفت إلي فقال: ادخل، فدخلت معه ومضى نحو حجرته وتبعته، فالتفت إلي فقال: ادخل، فدخلت معه، فإذا حجلة، وإنها لأول حجلة رأيتها لأمير، فقمت ودخل الحجلة فسمعت حركة، فكرهت الجلوس و لم يأمرني بالانصراف،

فإذا جارية قد خرجت فقالت: يا شعبي، إن الأمير يأمرك أن تجلس، فجلست على وسادة ورفع سجف الحجلة، فإذا أنا بمصعب بن الزبير، ورفع السجف الآخر فإذا أنا بعائشة بنت طلحة، قال: فلم أر زوجا قط كان أجمل منهما: مصعب وعائشة، فقال مصعب: يا شعبي، هل تعرف هذه؟ فقلت: نعم أصلح الله الأمير، قال: ومن هي؟ قلت: سيدة نساء المسلمين عائشة بنت طلحة؛ قال: لا، ولكن هذه ليلى التي يقول فيها الشاعر:

وما زلت من ليلى لدن طر شاربي

وذكر البيتين. ثم قال: إذا شئت فقم، فقمت. فلما كان العشي رحت وإذا هو جالس على سريره في المسجد فسلمت، فلما رآني قال لي: ادن، فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه، فأصغى إلي فقال: هل رأيت مثل ذلك لإنسانٍ قط؟ قلت: لا والله؛ قال: أفتدري لم أدخلناك؟ قلت: لا، قال: لتحدث بما رأيت. ثم التفت إلى عبد الله بن أبي فروة فقال: أعطه عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوباً، فما انصرف يومئذٍ أحدٌ بمثل ما انصرفت به، بعشرة آلاف درهم وبمثل كارة القصار ثياباً وبنظرةٍ من عائشة بنت طلحة.

عائشة بنت طلحة وأزواجها

قال: وكانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وكان أبا عذرتها ثم هلك، فتزوجها مصعب فقتل عنها، ثم تزوجها عمر بن عبيد الله بن معمر فبنى بالحيرة، ومهدت له يوم عرسه فرش لم ير مثلها: سبع أذرع في عرض أربع، فانصرف تلك الليلة عن سبع مرات؛ فلقيته مولاة لها حين أصبح فقالت: يا أبا حفص، كملت في كل شيء حتى في هذا. فلما مات ناحت عليه وهي قائمةٌ، و لم تنح على أحد منهم قائمةً - وكانت العرب إذا ناحت المرأة قائمة على زوجها علم أنها لا تريد أن تتزوج بعده - فقيل لها: يا عائشة، ما صنعت هذا بأحد من أزواجك! قالت: إنه كان فيه خلال ثلاث لم تكن في أحد منهم: كان سيد بني تيم، وكان أقرب القوم بي قرابة، وأردت ألا أتزوج بعده!!.

وأخبرني بخبر مصعب والشعبي وعائشة أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال أخبرنا محمد بن الحكم عن عوانة قال: خرج مصعب بن الزبير من دار الإمارة يريد دار موسى بن طلحة، فمر بالمسجد فأخذ بيد الشعبي. ثم ذكر باقي الحديث مثله، و لم يذكر شيئاً من حديث المغنين. قال ابن عمار: وأخبرني به داود بن جميل بن محمد بن جميل الكاتب عن ابن الأعرابي: قال ابن عمار وأخبرني به أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني أن الشعبي قال: دخلت المسجد وفيه مصعب بن الزبير فاستدناني فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه، فأصغى إلي وقال: إذا قمت فاتبعني. ثم ذكر باقي الحديث أيضاً مثل الذي تقدمه.

نسبة هذا الصوت

صوت

وما زلت من ليلى لدن طر شاربي إلى اليوم أخفي حبها وأداجن

وأحمل في ليلى ضغائن معشرٍ وتحمل في ليلى علي الضغائن

عروضه من الطويل. والشعر لكثير بن عبد الرحمن. والغناء لمعبد ثقيل أول بالبنصر عن حبش. وفيه لحن للغريض.

كان اذا غنى بشعر لكثير قال أنا سريجي

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: كان الغريض إذا غنى بيتين لكثير قال: أنا السريجي حقاً، و لم يكن يقول ذلك في شيء من غنائه وكان من جيد غنائه.

قدم يزيد مكة فغناه الغريض

وقدم يزيد بن عبد الملك مكة فبعث إلى الغريض سراً فأتاه فغناه بهذا اللحن وهو فيهما:

وإني لأرعى قومها من جلالها وإن أظهروا غشا نصحت لهم جهدي

ولو حاربوا قومي لكنت لقومها صديقاً ولم أحمل على قومها حقدي

فأشير إلى الغريض أن اسكت؛ وفطن يزيد فقال: دعوا أبا يزيد حتى يغنيني بما يريد، فأعاد عليه الصوت مراراً، ثم قال: زدني مما عندك فغناه بشعر عمرو بن شأس الأسدي:

فواندمي على الشباب وواندم ندمت وبان اليوم مني بغير ذم

أردت عراراً بالهوان ومن يرد عراراً لعمري بالهوان فقد ظلم

قال: فطرب يزيد وأمر له بجائزة سنية. قال إسحاق: فحدثت أبا عبد الله هذا الحديث. وقد أخذنا في أحاديث الخلفاء ومن كان منهم يسمع الغناء أيضاً، فقال أبو عبد الله: كان قدوم يزيد مكة وبعثته إلى الغريض سراً قبل أن يستخلف، فقلت له: فلم أشير إلى الغريض أن يسكت حين غناه بشعر كثير:

وإني لأرعى قومها من جلالها

وما السبب في ذلك؟ فقال أبو عبد الله: أنا أحدثكه:

غضب عاتكة على زوجها عبد الملك

بن مروان احتيال عمر بن بلال على الصلح بينهما

حدثني أبي قال: كان عبد الملك بن مروان من أشد الناس حباً لعاتكة امرأته، وهي ابنة يزيد بن معاوية وأمها أم

كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز، وهي أم يزيد بن عبد الملك، فغضبت مرة على عبد الملك، وكان بينهما باب فحجبته وأغلقت ذلك الباب، فشق غضبها على عبد الملك وشكا إلى رجل من خاصته يقال له: عمر بن بلال الأسدي، فقال له: ما لي عندك إن رضيت؟ قال: حكمك. فأتى عمر بابها وجعل يتباكى، وأرسل إليها بالسلام، فخرجت إليه حاضنتها ومواليها وجواريها فقلن: ما لك؟ قال: فزعت إلى عاتكة ورجوتها، فقد علمت مكاني من أمير المؤمنين معاوية ومن أبيها بعده، قلن: ومالك؟ قال: ابناي لم يكن لي غيرهما فقتل أحدهما صاحبه، فقال أمير المؤمنين: أنا قاتلٌ الآخر به، فقلت: أنا الولي وقد عفوت؛ قال: لا أعود الناس هذه العادة، فرجوت أن ينجي الله ابني هذا على يدها؛ فدخلن عليها فذكرن ذلك لها؛ فقالت: وكيف أصنع مع غضبي عليه وما أظهرت له؟ قلن إذاً والله يقتل، فلم يزلن حتى دعت بثيابها فأجمرتها ثم خرجت نحو الباب، فأقبل حديج الخصي قال أمير المؤمنين: هذه عاتكة قد أقبلت؛ قال: ويلك! ما تقول؟ قال: قد والله طلعت! فأقبلت وسلمت فلم يرد عليها، فقالت: أما والله لولا عمر ما جئت، إن أحد ابنيه تعدى على الآخر فقتله فأردت قتل الآخر وهو الولي وقد عفا؛ قال: إني أكره أن أعود الناس هذه العادة؛ قالت: أنشدك الله يا أمير المؤمنين، فقد عرفت مكانه من أمير المؤمنين معاوية ومن أمير المؤمنين يزيد، وهو ببابي؛ فلم تزل به حتى أخذت برجله فقبلتها؛ فقال: هو لك، و لم يبرحا حتى اصطلحا؛ ثم راح عمر بن بلال إلى عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، كيف رأيت؟ قال: رأينا أثرك، فهات حاجتك؛ قال: مزرعة بعدها وما فيها، وألف دينار وفرائض لولدي وأهل بيتي وعيالي؛ قال: ذلك لك. ثم اندفع عبد الملك يتمثل بشعر كثير:

وإني لأرعى قومها من جلالها

البيتين؛ فعلمت عاتكة ما أراد. فلما غني يزيد بهذا الشعر كرهته مواليه إذ كان عبد الملك تمثل به في أمه، و لم يكرهه يزيد وقال: لو قيل هذا الشعر فيها ثم غني به لما كان عيباً، فكيف وإنما هو مثلٌ تمثل به أمير المؤمنين في أجمل العالمين!

رأس ابن الأشعث و عبد الملك

قال أبو عبد الله: وأما خبره فلما غنى بشعر عمرو بن شأس فإن ابن الأشعث لما قتل بعث الحجاج إلى عبد الملك برأسه مع عرار بن عمرو بن شأس، فلما ورد به وأوصل كتاب الحجاج جعل عبد الملك يقرؤه، فكلما شك في شيء سأل عراراً عنه فأخبره، فعجب عبد الملك من بيانه وفصاحته من سواده، فقال متمثلاً:

وإن عراراً إن لم يكن غير واضح فإني أحب الجون ذا المنكب العمم

فضحك عرار من قوله ضحكاً غاظ عبد الملك؛ فقال له: مم ضحكت ويلك! قال: أتعرف عراراً يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر؟ قال: لا؛ قال: فأنا والله هو؛ فضحك عبد الملك وقال: حظ وافق كلمة، ثم أحسن جائزته وسرحه.

قال أبو عبد الله: وإنما أراد الغريض أن يغني يزيد بمتمثلات عبد الملك في الأمور العظام، فلما تبين كراهة مواليه غناءه فيما تمثل به في عاتكة أراد أن يعقبه ما تمثل به في فتح عظيم كان لعبد الملك، فغناه بشعر عمرو بن شأس في عرار.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

وإني لأرعى قومها من جلالها وإن أظهروا غشاً نصحت لهم جهدي
ولو حاربوا قومي لكنت لقومها صديقاً ولم أحمل على قومها حقدي

عروضه من الطويل. الشعر لكثير. والغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر حبشٌ أن فيه لقفاً النجار ثاني ثقيلٍ بالوسطى، وفيه لعلويه ثقيل أول.

خرج إليه معبد بمكة وسمع غناءه

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني إبراهيم عن يونس الكاتب قال حدثني معبد قال: خرجت إلى مكة في طلب لقاء الغريض وقد بلغني حسن غنائه في لحنه:

وما أنس الأشياء لا أنس شادناً بمكة مكحولاً أسيلا مدامعه

وقد كان بلغني أنه أول لحن صنعه وأن الجن نهته أن يغنيه لأنه فتن طائفةً منهم، فانتقلوا عن مكة من أجل حسنه، فلما قدمت مكة سألت عنه فدللت على منزله، فأتيته فقرعت الباب فما كلمني أحد، فسألت بعض الجيران فقلت: هل في الدار أحدٌ؟ قالوا لي: نعم، فيها الغريض، فقلت: إني قد أكثرت دق الباب، فما أجابني أحدٌ! قالوا: إن الغريض هناك، فرجعت فدققت الباب فلم يجبني أحد، فقلت: إن نفعني غنائي يوماً نفعني اليوم، فاندفعت فغنيت لحني في شعر جميل:

علقت الهوى منها وليداً فلم يزل إلى اليوم ينمي ويزيد

فوالله ماسمعت حركة الباب، فقلت: بطل سحري وضاع سفري وجئت أطلب ما هو عسيرٌ علي، واحتقرت نفسي وقلت: لم يتوهمني لضعف غنائي عنده، فما شعرت إلا بصائح يصيح: يا معبد المغني، افهم وتلق عني شعر جميل الذي تغني فيه يا شقي البخت، وغنى:

للغريض ولم تذكر طريقته

صوت

وما أنس من الأشياء لا أنس قولها وقد قربت نضوي أمصر تريد

ولا قولها لولا العيون التي ترى أتيتك فاعذرني فدتك جدود

خليلي ما أخفي من الوجد باطن ودمعي بما قلت الغداة شهيد

يقولون جاهد يا جميل بغزوة وأي جهادٍ غيرهن أريد

لكل حديثٍ عندهن بشاشةٌ وكل قتيلٍ بينهن شهيد

عروضه من الطويل. قال: فلقد سمعت شيئاً لم أسمع أحسن منه، وقصر إلي نفسي وعلمت فضيلته علي بما أحس من نفسه، وقلت: إنه لحري بالاستتار من الناس تنزيهاً لنفسه وتعظيماً لقدره، وإن مثله لا يستحق الابتذال، ولا أن تتداوله الرجال، فأردت الانصراف إلى المدينة راجعاً، فلما كنت غير بعيد إذا بصائح يصيح بي: يا معبد، انتظر أكلمك، فرجعت، فقال لي: إن الغريض يدعوك؛ فأسرعت فرحاً فدنوت من الباب؛ فقال لي: أتحب الدخول؟ فقلت: وهل إلى ذلك من سبيل؟ فقرع الباب ففتح، فقال لي: ادخل ولا تطل الجلوس؛ فدخلت فإذا شمس طالعةٌ في بيت، فسلمت فرد السلام، ثم قال: اجلس فجلست، فإذا أنبل الناس وأحسنهم وجهاً وخلقاً وخلقاً، فقال: يا معبد، كيف طرأت إلى مكة؟ فقلت: جعلت فداءك! وكيف عرفتني؟ فقال: بصوتك؛ فقلت: وكيف وأنت لم تسمعه قط! قال: لما غنيت عرفتك به وقلت: إن كان معبدٌ في الدنيا فهذا؛ فقلت: جعلت فداءك، فكيف أجبتني بقولك:

وما أنس م الأشياء لا أنس قولها وقد قربت نضوي أمصر تريد

فقال: قد علمت أنك تريد أن أسمعك صوتي:

وما أنس م الأشياء لا أنس شادناً بمكة مكحولاً أسيلاً مدامعه

ولم يكن إلى ذلك سبيلٌ لأنه صوتٌ قد نهيت أن أغنيه فغنيتك هذا الصوت جواباً لما سألت وغنيت، فقلت: والله ما عدوت وما أردت، فهل لك حاجةٌ؟ فقال لي: يا أبا عباد، لولا ملالة الحديث وثقل إطالة الجلوس لاستكثرت منك، فاعذر؛ فخرجت من عنده، وإنه لأجل الناس عندي، ورجعت إلى المدينة فتحدثت بحديثه وعجبت من فطنته وقيافته، فما رأيت إنساناً إلا وهو أجل منه في عيني.

خبر جميل وبثينة

وتوسيطه رجلاً من بني حنظلة في لقائها

وذكرت جميلاً وبثينة فقلت: ليتني عرفت إنساناً يحدثني بقصة جميل وخبر الشعر فأكون قد أخذت بفضيلة الأمر كله في الغناء والشعر. فسألت عن ذلك فإذا الحديث مشهورٌ، وقيل لي: إن أردت أن تخبر بمشاهدته فأت بني

حنظلة، فإن فيهم شيخاً منهم يقال له فلان يخبرك الخبر؛ فأتيت الشيخ فسألته فقال: نعم، بينا أنا في إبلي في الربيع إذا أنا برجل منطوٍ على رحله كأنه جانٌّ فسلم علي ثم قال: ممن أنت يا عبد الله؟ فقلت: أحد بني حنظلة؛ قال: فانتسب، فانتسبت حتى بلغت إلى فخذي الذي أنا منه؛ ثم سألني عن بني عذرة أين نزلوا؛ فقلت له: هل ترى ذلك السفح؟ فإنهم نزلوا من ورائه؛ قال: يا أخا بني حنظلة، هل لك في خير تصطنعه إلي؟ فوالله لو أعطيتني ما أصبحت تسوق من هذه الإبل ما كنت بأشكر مني لك عليه؛ فقلت نعم، ومن أنت أولاً؟ قال: لا تسألني من أنا ولا أخبرك غير أني رجلٌ بيني وبني هؤلاء القوم ما يكون بين بني العم، فإن رأيت أن تأتيهم فإنك تجد القوم في مجلسهم فتنشدهم بكرةً أدماء تجر خفيها غفلاً من السمة، فإن ذكروا لك شيئاً فذاك، وإلا استأذنتهم في البيوت وقلت: إن المرأة والصبي قد يريان ما لا يرى الرجال، فتنشدهم ولا تدع أحداً تصيبه عينك ولا بيتاً من بيوتهم إلا نشدتها فيه؛ فأتيت القوم فإذا هم على جزور يقتسمونها، فسلمت وانتسبت لهم ونشدتهم ضالتي، فلم يذكروا لي شيئاً؛ فاستأذنتهم في البيوت وقلت: إن الصبي والمرأة يريان ما لا ترى الرجال، فأذنوا؛ فأتيت أقصاها بيتاً ثم استقريتها بيتاً بيتاً أنشدهم فلا يذكرون شيئاً، حتى إذا انتصف النهار وآذاني حر الشمس وعطشت وفرغت من البيوت وذهبت لأنصرف حانت مني التفاتةٌ فإذا بثلاثة أبيات، فقلت: ما عند هؤلاء إلا ما عند غيرهم، ثم قلت لنفسي: سوءةً! وثق بي رجلٌ وزعم أن حاجته تعدل مالي ثم آتيه فأقول: عجزت عن ثلاثة أبيات! فانصرفت عامداً إلى أعظمها بيتاً، فإذا هو قد أرخي مؤخرة ومقدمه، فسلمت فرد علي السلام، وذكرت ضالتي، فقالت جارية منهم: يا عبد الله، قد أصبت ضالتك وما أظنك إلا قد اشتد عليك الحر واشتهيت الشراب، قلت: أجل، قالت: ادخل، فدخلت فأتتني بصحفة فيها تمرٌ من تمر هجر، وقدحٍ فيه لبنٌ، والصحفة مصرية مفضضةٌ والقدح مفضض لم أر إناءً قط أحسن منه، فقالت: دونك فتجمعت وشربت من اللبن حتى رويت، ثم قلت: يا أمة الله، والله ما أتيت اليوم أكرم منك ولا أحق بالفضل، فهل ذكرت من ضالتي شيئاً؟ فقالت: هل ترى هذه الشجرة فوق الشرف؟ قلت: نعم؛ قالت: فإن الشمس غربت أمس وهي تطيف حولها ثم حال الليل بيني وبينها؛ فقمت وجزيتها الخير وقلت: والله لقد تغذيت ورويت! فخرجت حتى أتيت الشجرة فأطفت بها فوالله ما رأيت من أثرٍ، فأتيت صاحبي فإذا هو متشحٌ في الإبل بكسائه ورافعٌ عقيرته يغني، قلت: السلام عليك؛ قال: وعليك السلام ما وراءك؟ قلت؛ ما ورائي من شيء؛ قال: لا عليك! فأخبرني بما فعلت، فاقتصصت عليه القصة حتى انتهيت إلى ذكر المرأة وأخبرته بالذي صنعت؛ فقال: قد أصبت طلبتك؛ فعجبت من قوله وأنا لم أجد شيئاً، ثم سألني عن صفة الإناءين: الصحفة والقدح فوصفتهما له، فتنفس الصعداء وقال: قد أصبت طلبتك ويحك! ثم ذكرت له الشجرة وأنها رأتها تطيف بها؛ فقال: حسبك! فمكث حتى إذا أوت إبلي إلى مباركها دعوته إلى العشاء فلم يدن منه، وجلس مني بمزجر الكلب، فلما ظن أني قد نمت رمقته فقام إلى عيبة له فاستخرج منها بردين فأتزر بأحدهما وتردى بالآخر، ثم انطلق عامداً نحو الشرجة. واستبطنت الوادي فجعلت أخفي نفسي حتى إذا خفت أن يراني انبطحت، فلم أزل كذلك حتى سبقته إلى شجرات قريبٍ من تلك الشجرة

بحيث أسمع كلامهما فاستترت بهن، وإذا صاحبته عند الشجرة، فأقبل حتى كان منها غير بعيدٍ، فقالت: اجلس، فوالله لكأنه لصق بالأرض، فسلم عليها عن حالها أكرم سؤال سمعت به قط وأبعده من كل ريبة، وسألته مثل مسئلته، ثم أمرت جاريةً معها فقربت إليه طعاماً، فلما أكل وفرغ، قالت أنشدني ما قلت، فأنشدها:

علقت الهوى منها وليداً فلم يزل إلى اليوم ينمي حبها ويزيد

فلم يزالا يتحدثان، ما يقولان فحشاً ولا هجراً، حتى التفتت التفاتة فنظرت إلى الصبح، فودع كل واحد منهما صاحبه أحسن وداع ما سمعت به قط ثم انصرفا، فقمت فمضيت إلى إبلي فاضطجعت وكل واحد منهما يمشي خطوة ثم يلتفت إلى صاحبه، فجاء بعد ما أصبحنا فرفع برديه ثم قال: يا أخا بني تميم، حتى متى تنام! فقمت وتوضأت وصليت وحلبت إبلي وأعانني عليها وهو أظهر الناس سروراً، ثم دعوته إلى الغداء فتغدى، ثم قام إلى عيبته فافتتحها فإذا فيها سلاحٌ وبردان مما كسته الملوك، فأعطاني أحدهما وقال: أما والله لو كان معي شيء ما ذخرته عنك، وحدثني حديثه وانتسب لي، فإذا هو جميل بن معمر والمرأة بثينة، وقال لي: إني قد قلت أبياتاً في منصرفي من عندها، فهل لك إن رأيتها أن تنشدها؟ قلت: نعم! فأنشدني:

وما أنس م الأشياء لا أنس قولها وقد قربت نضوي أمصر تريد

الأبيات، ثم ودعني وانصرف، فمكثت حتى أخذت الإبل مراتعها، ثم عمدت إلى دهنٍ كان معي فدهنت به رأسي، ثم ارتديت بالبرد وأتيت المرأة فقلت: السلام عليكم، إني جئت أمس طالباً واليوم زائراً، أفتأذنون؟ قالت: نعم، فسمعت جويرية تقول لها: يا بثينة، عليه والله برد جميلٍ؛ فجعلت أثني على ضيفي وأذكر فضله، وقلت: إنه ذكرك فأحسن الذكر، فهل أنت بارزةٌ لي حتى أنظر إليك؟ قالت: نعم، فلبست ثيابها ثم برزت ودعت لي بطرفٍ ثم قالت: يا أخا بني تميم، والله ما ثوباك هذان بمشتبهين، ودعت بعيبتها فأخرجت لي ملحفة مروية مشبعة من العصفر، ثم قالت: أقسمت عليك لتقومن إلى كسر البيت ولتخلعن مدرعتك ثم لتأتزرن بهذه الملحفة فهي أشبه ببردك؛ ففعلت ذلك وأخذت مدرعتي بيدي فجعلتها إلى جانبي، وأنشدتها الأبيات فدمعت عيناها، وتحدثنا طويلاً من النهار، ثم انصرفت إلى إبلي بملحفة بثينة وبرد جميل ونظرةٍ من بثينة. قال معبد: فجزيت الشيخ خيراً وانصرفت من عنده وأنا والله أحسن الناس حالاً بنظرة من الغريض واستماعٍ لغنائه، وعلمٍ بحديث جميل وبثينة فميا غنيت أنا به وفيما غنى به الغريض على حق ذلك وصدقه، فما رأيت ولا سمعت بزوجين قط أحسن من جميل وبثينة، ومن الغريض ومني.

نسبة هذه الأصوات التي ذكرت في هذا الخبر وهي كلها من قصيدة واحدة.

ومنها:

صوت

علقت الهوى منها وليداً فلم يزل إلى اليوم ينمي حبها ويزيد
وأفنيت عمري في انتظاري نوالها وأفنت بذاك الدهر وهو جديد
فلا أنا مردودٌ جئت طالباً ولا حبها فيما يبيد يبيد
وما أنس م الأشياء لا أنس قولها وقد قربت نضوي أمصر تريد
ولا قولها لولا العيون التي ترى لزرتك فاعذرني فدتك جدود
إذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي من الحب قالت ثابتٌ ويزيد
وإن قلت ردي بعض عقلي أعش به تولت وقالت ذاك منك بعيد

عروضه من الطويل. الشعر لجميل بن معمر. والغناء لمعبد في الأول والثاني والثالث والسادس والسابع. ولحنه ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو بن بانة. وذكر عمرو والهشامي أن فيه ثقيلاً أول آخر للهذلي، وأن فيه خفيف ثقيل ينسب إلى معبد وإلى الغريض وإلى إبراهيم، أوله: "وما أنس م الأشياء". وفي الأربعة الأبيات الأول ثاني ثقيل بالبنصر لابن أبي قباحة. ولإسحاق في الثالث والسادس ثاني ثقيل آخر بالوسطى عن الهشامي. وأول هذه القصيدة فيه غناءٌ أيضاً، وهو موصول بأبيات أخر:

صوت

ألا ليت ريعان الشباب جديد ودهراً تولى يا بثين يعود
فنغنى كما كنا نكون وأنتم قريبٌ وما قد تبذلين زهيد
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً بوادي القرى إني إذاً لسعيد
وهل ألقين سعدى من الدهر ليلةً وما رث من حبل الصفاء جديد
فقد تلتقي الأهواء بعد تفاوتٍ وقد تطلب الحاجات وهي بعيد

في البيتين الأولين خفيف ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر، ذكر حبش أنه لإسحاق؛ وليس يشبه أن يكون له. وفي الثالث وما بعده لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر عن حبش أيضاً.

قال ابن أبي ربيعة في شعر له القريض

فغيره الغريض باسمه لما غناه

أخبرني إسماعيل بن يونس إجازةً قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال حدثني الوليد بن هشام عن محمد بن معن عن خالد بن سلمة المخزومي قال: خرجت مع أعمامي وأنا على نجيب ومعنا شيخٌ، فلما أسحرنا قال لي أعمامي: انزل عن نجيبك واحمل عليه هذا الشيخ واركب جمله، ففعلت؛ فإذا الشيخ قد أخرج عوداً له من غلاف، ثم ضرب به وغنى:

هاج الغريض الذكر لما غدوا فانشمروا

فقلت لبعض أصحابنا: من هذا؟ قال: الغريض.

نسبة هذا الصوت

صوت

هاج الغريض الذكر لما غدوا فانشمروا

على بغالٍ شحج قد ضمهن السفر

فيهن هندٌ ليتني ما عمرت أعمر

حتى إذا ما جاءها حتف أتاني القدر

عروضه من الرجز. الذي قال عمر:

هاج القريض الذكر

بالقاف، فجعله الغريض لما غنى فيه: "الغريض" يعني نفسه. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج. ذكر يونس أن له فيه لحنين. وذكر إسحاق أن أحدهما رملٌ مطلق في مجرى البنصر و لم يذكر الآخر، وذكر الهشامي أن الآخر خفيف رملٍ. وفيه للغريض ثقيلٌ أول بالبنصر، وقيل: إنه لحن ابن سريج، وإن خفيف الرمل للغريض. وأول هذا الصوت في كتاب يونس:

هاج فؤادي محضر بذي عكاظٍ مقفر

حتى إذا ما واونوا ال مروة حين ائتمروا

قيل انزلوا فعرسوا من ليلكم وانشمروا

وقولها لأختها أمطمئنٌ عمر

الوليد وابن أبي ربيعة والغريض

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال وذكر السعدي: أن الوليد بن عبد الملك قدم مكة، فأراد أن يأتي الطائف، فقال: هل من رجلٍ عالمٍ يخبرني عنها؟ فقالوا: عمر بن أبي ربيعة؛ قال: لا حاجة لي به، ثم عاد فسأل، فذكروه فأباه، ثم عاد فذكروه فقال: هاتوه، وركب معه فجعل يحدثه، ثم حول عمر رداءه ليصلحه على نفسه، فرأى الوليد على ظهره أثراً، فقال: ما هذا الأثر؟ قال: كنت عند جاريةٍ لي إذ جاءتني جاريةٌ برسالة من عند جاريةٍ أخرى وجعلت تساريني بها، فغارت التي كنت عندها فعضت منكبي، فما وجدت ألم عضتها من لذة ما كانت تلك تنفث في أذني حتى بلغت ما ترى، والوليد يضحك. فلما رجع عمر قيل له: ما الذي كنت تضحك به أمير المؤمنين؟ قال: مازلنا في حديث الزنا حتى رجع. وكان قد حمل الغريض معه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن عندي أجمل الناس وجهاً وأحسنهم حديثاً، فهل لك أن تسمعه؟ قال: هاته فدعا به فقال: أسمع أمير المؤمنين أحسن شيء قلته، فاندفع يغني بشعر عمر - ومن الناس من يرويه لجميل -:

صوت

إني لأحفظ سركم ويسرني ... لو تعلمين بصالح أن تذكري

ويكون يومٌ لا أرى لك مرسلاً ... أو نلتقي فيه علي كأشهر

يا ليتني ألقى المنية بغتةً ... إن كان يوم لقائكم لم يقدر

ما كنت والوعد الذي تعدينني ... إلا كبرق سحابةٍ لم تمطر

تقضى الديون وليس ينجز عاجلاً ... هذا الغريم لنا وليس بمعسر

- عروضه من الكامل. وذكر حبش أن الغناء للغريض، ولحنه ثقيل أول بالبنصر - قال: فاشتد سرور الوليد بذلك وقال له: يا عمر، هذه رقيتك، ووصله وكساه وقضى حوائجه.

وصف نصيب لنفسه وللشعراء الثلاثة

جميل وكثير وابن أبي ربيعة

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا الحارث بن محمد عن المدائني عن عوانة قال حدثني رجل من أهل الكوفة قال: قدم نصيبٌ الكوفة، فأرسلني أبي إليه، وكان له صديقاً، فقال: أقرئه مني السلام وقل له: إن رأيت أن تهدي لنا شيئاً مما قلت! فأتيته في يوم جمعة وهو يصلي، فلما فرغ أقرأته السلام وقلت له: فقال قد علم أبوك أني لا أنشد في يوم الجمعة ولكن تلقاني في غيره فأبلغ ما تحب، فلما خرجت وانتهيت إلى الباب رددت إليه؛ فقال: أتروي شيئاً من الشعر؟ قلت نعم؛ قال: فأنشدني، فأنشدته قول جميل:

إني لأحفظ غيبكم ويسرني ... لو تعلمين بصالحٍ أن تذكري

الأبيات المتقدمة، فقال نصيبٌ: أمسك! أمسك! لله دره! ما قاله أحدٌ إلا دون ما قال، ولقد نحت للناس مثالاً يحتذون عليه. ثم قال: أما أصدقنا في شعره فجميل، وأما أوصفنا لربات الحجال فكثير، وأما أكذبنا فعمر بن أبي ربيعة، وأما أنا فأقول ما أعرف.

سمع أصوات رهبان فصنع لحناً عليها

وقال هارون بن محمد الزيات حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه: أن الغريض سمع أصوات رهبان بالليل في دير لهم فاستحسنها، فقال له بعض من معه: يا أبا يزيد، صغ على مثل هذا الصوت لحناً؛ فصاغ مثله في لحنه:

يا أم بكرٍ حبك البادي لا تصرميني إنني غادي

فما سمع بأحسن منه.

نسبة هذا الصوت

صوت

يا أم بكرٍ حبك البادي لا تصرميني إنني غادي

جد الرحيل وحثني صحبي وأريد إمتاعاً من الزاد

عروضه من مزاحف الكامل. الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري. والغناء للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى. وفيه لابن المكي ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش. وفيه لإبراهيم بن أبي الهيثم هزج.

إبراهيم بن أبي الهيثم والرجل الناسك

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن أيوب بن عباية عن عمرو بن عقبة - وكان يعرف بابن الماشطة - قال: خرجت أنا وأصحابٌ لي فيهم إبراهيم بن أبي الهيثم إلى العقيق، ومعنا رجلٌ ناسك كنا نحتشم منه، وكان محموماً نائماً، وأحببنا أن نسمع من معنا من المغنين ونحن نهابه ونحتشمه، فقلت له: إن فينا رجلاً ينشد الشعر فيحسن، ونحن نحب أن نسمعه، ولكنا نهابك؛ قال: فما علي منكم! أنا محموم نائم، فاصنعوا ما بدا لكم، فاندفع إبراهيم بن "أبي" الهيثم فغنى:

يا أم بكرٍ حبك البادي لا تصرميني إنني غادي

جد الرحيل وحثني صحبي وأريد إمتاعاً من الزاد

فأجاده وأحسنه. قال: فوثب الناسك فجعل يرقص ويصيح: أريد إمتاعاً من الزاد، والله أريد إمتاعاً من الزاد، ثم كشف عن أيره وقال: أنا أنيك أم الحمى! قال: يقول لي ابن الماشطة: اعتقت ما أملك إن كان ناك أم الحمى أحدٌ قبله.

أخبرني به الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب فذكر الخبر و لم يذكر فيه كشف الناسك عن سوءته وما قاله بعد ذلك.

هروبه إلى اليمن خوفاً من ابن علقمة

وكانت وفاة الغريض في أيام سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز لم يتجاوزها. والأشبه أنه مات في خلافة سليمان، لأن الوليد كان ولى نافع بن علقمة مكة فهرب منه الغريض وأقام باليمن واستوطنها مدة ثم مات بها. وأخبرني بخبره الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المسيبي قال أخبرني بعض المخزوميين أيضاً بخبره.

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان: أن نافع بن علقمة لما ولي مكة خافه الغريض - وكان كثيراً ما يطلبه فلم يجئه - فهرب منه واستخفى في بعض منازل إخوانه. قال: فحدثني رجلٌ من اهل مكة كان يخدمه: أنه دفع إليه يوماً ربعةً له وقال له: صر بها إلى فلان العطار يملؤها لي طيباً، قال: فصرت بها إليه، فلقيني نافعٌ بن علقمة فقال: هذه ربعة الغريض والله! فلم أقدر أن أكتمه، فقلت: نعم؛ قال: ما قصته؟ فأخبرته الخبر؛ فضحك وقال: سر معي إلى المنزل ففعلت، فملأها طيباً وأعطاني دنانير، وقال: أعطه وقل له يظهر فلا بأس عليه؛ فسرت إليه مسروراً فأخبرته بذلك فجزع وقال: الآن ينبغي أن أهرب، إنما هذه حيلةٌ احتالها علي لأقع في يده، ثم خرج من وقته إلى اليمن فكان آخر العهد به.

قال إسحاق فحدثني هذا المخزومي: أن الغريض له صار إلى اليمن وأقام به اجتزنا به بعض أسفارنا؛ قال: فلما رآني بكى؛ فقلت له: ما يبكيك؟ قال: بأبي أنت وأمي! وكيف يطيب لي أن أعيش بين قوم يرونني أحمل عودي فيقولون لي: يا هناه، أتبيع آخرة الرحل! فقلت له: فارجع إلى مكة ففيها أهلك، فقال: يابن أخي، إنما كنت أستلذ مكة وأعيش بها مع أبيك ونحوه، وقد أوطنت هذا المكان ولست تاركه ما عشت؛ قلنا له: فغننا بشيء من غنائك فتأبى، ثم أقسمنا عليه فأجاب، وعمدنا إلى شاةٍ فذبحناها وخرطنا من مصرانها أوتاراً، فشدها على عوده واندفع فغنى في شعر زهير:

جرى دمعي فهيج لي شجونا فقبلي يستجن به جنونا

فما سمعنا شيئاً أحسن منه؛ فقلنا له: ارجع إلى مكة، فكل من بها يشتاقك. و لم نزل نرغبه في ذلك حتى أجاب إليه. ومضينا لحاجتنا ثم عدنا فوجدناه عليلاً، فقلنا: ما قصتك؟ قال: جاءني منذ ليالٍ قومٍ، وقد كنت أغني في الليل، فقالوا: غننا؛ فأنكرتهم وخفتهم، فجعلت أغنيهم، فقال لي بعضهم غنني:

لقد حثوا الجمال ليه ربوا منا فلم يئلوا

ففعلت، فقام إلي "هن" منهم أزب فقال لي: أحسنت والله! ودق رأسي، حتى سقطت لا أدري أين أنا، فأفقت بعد ثالثةٍ وأنا عليل كما ترى، ولا أراني إلا سأموت. قال: فأقمنا عنده بقية يومنا ومات من غدٍ فدفناه وانصرفنا.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن أبي غسان قال: زعم المكيون أن الغريض خرج إلى بلاد عك فغنى ليلاً:

هم ركبٌ لقوا ركباً كما قد تجمع السبل

فصاح به صائحٌ: أكفف يا أبا مروان، فقد سفهت حلماءنا، وأصبيت سفهاءنا، قال: فأصبح ميتاً.

رواية أخرى في وفاته أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن الخطاب قال حدثنا رجل من آل أبي قبيلٍ - يقال له محرز - عن أبي قبيل قال: رأيت الغريض، وقال إسحاق في خبره المذكور: حدثني محمد بن سلام عن أبي قبيل - وهو مولى لآل الغريض - قال: شهدت مجمعاً لآل الغريض إما عرساً أو ختاناً، فقيل له: تغن؛ فقال: هو ابن زانية إن فعل؛ فقال له بعض مواليه: فأنت والله كذلك! قال: أو كذلك أنا؟ قال: نعم، قال: أنت أعلم بي والله! ثم أخذ الدف فرمى به وتمشى مشيةً لم أر أحسن منها، ثم تغنى:

تشرب لون الرازقي بياضه أو الزعفران خالط المسك رادعه

فجعل يغنيه مقبلاً ومدبراً حتى التوت عنقه وخر صريعاً، وما رفعناه إلا ميتاً، وظننا أن فالجاً عاجله. قال إسحاق وحدثني ابن الكلبي عن أبي مسكين قال: إنما نهته الجن أن يتغنى بهذا الصوت، فلما أغضبه مواليه تغناه فقتلته الجن في ذلك.

نسبة هذه الأصوات

صوت

منها

جرى دمعي فهيج لي شجونا فقلبي يستجن به جنونا

أأبكي للفراق وكل حي سيبكي حين يفتقد القرينا

فإن تصبح طليحة فارقتني ببينٍ فالرزية أن تبينا

فقد بانت بكرهي يوم بانت مفارقةً وكنت بها ضنينا

الشعر لزهير، والغناء للغريض عن حبش. وقيل: إنه لدحمان. وفيه لأبي الورد خفيف رملٍ بالوسطى "عن حبش والهشامي".

انقضت أخبار الغريض.

ومنها:

صوت من المائة المختارة

في رواية جحظة

لقد حثوا الجمال ليه ... ربوا منا فلم يئلوا

على آثارهن مق ... لص السربال معتمل

وفيهم قلبك المتبو ... ل بالحسناء مختبل

مخففة بحمل حما ... ئل الديباج والحلل

أسائل عاصماً في السر ... أين تراهم نزلوا

فقال هم قريبٌ من ... ك لو نفعوك إذ رحلوا

الشعر للحكم بن عبدل الأسدي. والغناء في اللحن المختار للغريض، ولحنه خفيف ثقيل "أول" بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى في الأول والثاني من الأبيات. وذكر الهشامي أن فيهما لحناً لمعبد من الثقيل الأول. وفي الثالث وما بعده من الأبيات لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيها لإبراهيم ثقيلٌ أول بالوسطى عن حبش. وذكر أحمد بن عبيد أن الذي صح فيه أربعة ألحان: منها لحنان في خفيف الثقيل للغريض ومالك، ولحنان في الرمل لابن سريج ومخارق. وذكر ابن الكلبي أن فيها لعريب رملاً ثالثاً، وذكر حبشٌ أن فيها لابن سريج خفيف رمل بالبنصر، ولابن مسجح رملاً بالبنصر، ولابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر. هذه الألحان كلها في لقد حثوا والذي بعده.

أخبار الحكم بن عبدل ونسبه

نسبه ونشأته

هو الحكم بن عبدل بن جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن عقال بن بلال بن سعد بن حبال بن نصر بن غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، شاعرٌ مجيدٌ مقدم في طبقته، هجاءٌ خبيث اللسان، من شعراء الدولة الأموية؛ وكان أعرج أحدب. ومترله ومنشؤه الكوفة.

كان يكتب بحاجته على عصاه فلا ترد

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثنا محمد بن إدريس القيسي بواسط قال حدثنا العتبي قال: كان الحكم بن عبدل الأسدي أعرج لا تفارقه العصا، فترك الوقوف بأبواب الملوك، وكن يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسله، فلا يحبس له رسولٌ ولا تؤخر له حاجةٌ؛ فقال في ذلك يحيى بن نوفل:

عصا حكمٍ في الدار أول داخلٍ ... ونحن على الأبواب نقصى ونحجب

وكانت عصا موسى لفرعون آيةً ... وهذي لعمر الله أدهى وأعجب

تطاع فلا تعصى ويحذر سخطها ... ويرغب في المرضاة منها وترهب

قال: فشاعت هذه الأبيات في الكوفة وضحك الناس منها؛ فكان ابن عبدل بعد ذلك يقول ليحيى: يابن الزانية! ما أردت من عصاي حتى صيرتها ضحكةً؟ واجتنب أن يكتب عليها كما كان يفعل، وكاتب الناس بحوائجه في الرقاع.

حبس هو وأبو علية صاحبه

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني، وأخبرني ابن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثنا أبو جعفر القرشي قال: كان للحكم بن عبدل صديق أعمى يقال له أبو علية، وكان ابن عبدل قد أقعد، فخرجا ليلة من منزلهما إلى منزل بعض إخوانهما، والحكم يحمل وأبو علية يقاد، فلقيهما صاحب العسس بالكوفة فأخذهما فحبسهما، فلما استقرا في الحبس نظر الحكم إلى عصا أبي علية موضوعةً إلى جانب عصاه، فضحك وأنشأ يقول:

حبسي وحبس أبي علي ... ة من أعاجيب الزمان

أعمى يقاد ومقعدٌ ... لا الرجل منه ولا اليدان

هذا بلا بصرٍ هنا ... ك وبي يخب الحاملان

يا من رأى ضب الفلا ... ة قرين حوتٍ في مكان

طرفي وطلارف أبي علي ... ة دهرنا متوافقان

من يفتخر بجواده ... فجيادنا عكازتان

طرفان لا علفاهما ... يشرى ولا يتصاولان

هبني وإياه الحري ... ق أكان يسطع بالدخان

قال: وكان اسم أبي علية يحيى، فقال فيه الحكم أيضاً:

أقول ليحيى ليلة الحبس سادراً ونومي به نوم الأسير المقيد
أعني على رعي النجوم ولحظها أعنك على تحبير شعرٍ مقصد
ففي حالتينا عبرةٌ وتفكرٌ وأعجب شيءٍ حبس أعمى ومقعد
كلانا إذا العكاز فارق كفه ينيخ صريعاً أو على الوجه يسجد
فعكازة تهدي إلى السبل أكمهاً وأخرى مقام الرجل قامت مع اليد

قوله وقد ولي الشرطة والإمارة أعرجان

ولقي سائلاً أعرج

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل قال حدثني أحمد بن بكير الأسدي قال حدثني محمد بن أنس السلامي الأسدي عن محمد بن سهل راوية الكميت قال: ولي الشرطة بالكوفة رجلٌ أعرج، ثم ولي الإمارة آخر أعرج، وخرج ابن عبدلٍ وكان أعرج، فلقي سائلاً أعرج وقد تعرض للأمير يسأله، فقال ابن عبدلٍ للسائل:

ألق العصا ودع التخامع والتمس عملاً فهذي دولة العرجان
لأميرنا وأمير شرطتنا معاً يا قومنا لكليهما رجلان
فإذا يكون أميرنا ووزيرنا وأنا فإن الرابع الشيطان

فبلغت أبياته ذلك الأمير فبعث إليه بمائتي درهم وسأله أن يكف عنه. وحدثنيه الأخفش عن عبيد الله اليزيدي عن سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عوانة عن عمر بن عبد العزيز قال: ولي عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب الكوفة وضم إليه رجلٌ من الأشعريين يقال له سهل، وكانا جميعاً أعرجين. ثم ذكر باقي الحديث مثل حديث يعقوب بن نعيم.

ابن عبدل وعبد الملك بن بشر

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل عن قعنب بن المحرز الباهلي عن الهيثم الأحمري قال: كانت لابن عبدلٍ الأسدي حاجةٌ إلى عبد الملك بن بشر بن مروان، فجعل يدخل عليه ولا يتهيأت له الكلام، حتى جاءه رجلٌ فقال: إني رأيت لك رؤيا، فقال: هاتها، فقصها عليه؛ فقال ابن عبدل: وأنا قد رأيت أيضاً؛ قال: هات ما رأيت؛ فقال:

أغفيت قبل الصبح نوم مسهدٍ في ساعةٍ ما كنت قبل أنامها

مخبوتتي فيما أرى بوليدةٍ مغنوجةٍ حسنٍ علي قيامها
وببدرةٍ حملت إلي وبغلةٍ شهباء ناجيةٍ يصل لجامها
ليت المنابر يابن بشر أصبحت ترقى وأنت خطيبها وإمامها

فقال له ابن بشر: إذا رأيت هذا في اليقظة أتعرفه؟ قال: نعم وإنما رأيته قبيل الصبح؛ قال: يا غلام، ادع فلاناً، فجاء بوكيله، فقال: هات فلانة فجاءت، فقال: أين هذه مما رأيت؟ قال: هي هي؛ وإلا فعليه وعليه؛ ثم دعا له ببدرة، فقال: مثل ذلك، وببغلة فركبها وخرج؛ فلقيه قهرمان عبد الملك، قال: أتبيعها؟ قال: نعم، قال: بكم؟ قال: بستمائة، قال: هي لك؛ فأعطاه ستمائة، فقال له: أما والله لو أبيت إلا ألفاً لأعطيتك؛ قال: إياي تندم! لو أبيت إلا ستةً لبعتك.

هجاؤه ابن حسان وقد تزوج قيسية

أخبرني "عمي" الحسن بن محمد قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم عن ابن عياش عن لقيط قال: تزوج محمد بن حسان التيمي امرأةً من ولد قيس بن عاصم وهي ابنة مقاتل بن طلبة بن قيس، زوجها إياه رجلٌ منهم يقال له زياد، فقال ابن عبدل:

أباع زيادٌ سود الله وجهه عقيلة قومٍ سادةٍ بالدراهم
وما كان حسان بن سعدٍ ولا ابنه أبو المسك من أكفاء قيس بن عاصم
ولكنه رد الزمان على استه وضيع أمر المحصنات الكرائم
خذي ديةً منه تكن لك عدةً وجيئي إلى باب الأمير فخاصمي
فلو كنت في روحٍ لما قلت خاصمي ولكنما ألقيت في سجن عارم

قال: فلما بلغ أهلها شعره أنفوا من ذلك، فاجتمعوا على محمد بن حسان حتى فارقها. قال: وكان محمد بن حسان عاملاً على بعض كور السواد، فسأله ابن عبدل حاجةً فرده عنها، فقال فيه هذا الشعر وغيره وهجاه هجاءً كثيراً.

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا أحمد بن بكير الأسدي عن محمد بن بشر السلامي عن محمد بن سهل راوية الكميت، فذكر نحواً مما ذكره عمي وزاد فيه قال: وكانت المرأة التي تزوجها معاذة بنت مقاتل بن طلبة، فلما سمعت ما قال ابن عبدل فيها نشزت على زوجها وهربت إلى أهلها، فتوسطوا ما بينهما وافتديت منه بمال وفارقها.

مسامرته امرأة تنشد شعره

أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن العمري عن عطاء عن يحيى بن نصر أبي زكريا قال: سمع ابن عبدل الأسدي امرأةً وهي تتمشى بالبلاط تتمثل بقوله:

وأعسر أحياناً فتشتد عسرتي وأدرك ميسور الغنى ومعي عرضي

فقال لها ابن عبدل - وكان قريباً منها -: يا أخيا، أتعرفين قائل هذا الشعر؟ قالت: نعم، ابن عبدل الأسدي، قال: أفتثبتينه معرفةً؟ قالت: لا؛ قال: فأنا هو، وأنا الذي أقول:

وأنعظ أحياناً فينقد جلده وأعذله جهدي فلا ينفع العذل

وأزداد نعظاً حين أبصر جارتي فأوثقه كيما يثوب له عقل

وربتما لم أدر ما حيلتي له إذا هو آذاني وغر به الجهل

فآويته في بطن جاري وجارتي مكابرةً قدماً وإن رغم البعل

فقالت له المرأة: بئس والله الجار للمغيبة أنت، فقال: إي والله، وللتي معها زوجها وأبوها وابنها وأخوها.

خبر وفوده على ابن هبيرة

أخبرني محمد بن زكريا الصحاف قال حدثنا قعنب بن المحرز الباهلي قال حدثنا الهيثم بن عدي وأخبرني به حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الحسن قال حدثني أبو خالد الخزاعي الأسلمي عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال: قدم الحكم بن عبدل الشاعر الكوفي واسطاً على ابن هبيرة وكان بخيلاً، فأقبل حتى وقف بين يديه ثم قال:

أتيتك في أمرٍ من أمر عشيرتي وأعيا الأمور المفظعات جسيمها

فإن قلت لي في حاجتي أنا فاعلٌ فقد ثلجت نفسي وولت همومها

قال: أنا فاعل إن اقتصدت، فما حاجتك؟ قال: غرم لزمني في حمالة؛ قال: وكم هي؟ قال: أربعة آلاف، قال: نحن مناصفوكها، قال: أصلح الله الأمير، أتخاف علي التخمة إن أتممتها؟ قال: أكره أن أعود الناس هذه العادة؛ قال: فأعطني جميعها سراً وامنعني جميعها ظاهراً حتى تعود الناس المنع وإلا فالضرر عليك واقع إن عودتهم نصف ما يطلبون؛ فضحك ابن هبيرة وقال: ما عندنا غير ما بذلناه لك؛ فجثا بين يديه وقال: امرأته طالقٌ لا أخذت أقل من أربعة آلاف أو أنصرف وأنا غضبان؛ قال: أعطوه إياها قبحه الله فإنه - ما علمت - حلاف مهين؛ فأخذها وانصرف.

رثاؤه قوماً من بني غاضرة

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا العتزي قال حدثني محمد بن معاوية الأسدي قال حدثني مشايخنا من بني أسد محمد بن أنس وغيره قالوا: لما وقع الطاعون بالكوفة أفنى بني غاضرة ومات فيه بنو زر بن حبيش الناضري صاحب علي بن أبي طالب، وكانوا ظرفاء، وبنو عم لهم، فقال الحكم بن عبدل الغاضري يرثيهم:

أبعد بني زر وبعد ابن جندلٍ ... وعمرو أرجي لذة العيش في خفض

مضوا وبقينا نأمل العيش بعدهم ... ألا إن من يبقى علىإثر من يمضي

فقد كان حولي من جيادٍ وسالمٍ ... كهولٌ مساعيرٌ وكل فتىً بض

يرى الشح عاراً والسماحة رفعةً ... أغر كعود البانة الناعم الغض

هجاؤه ابن حسان لحاجة لم يقضها له

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب أبي محلم قال: سأل الحكم بن عبدل أخو بني نصر بن قعين محمد بن حسان بن سعد حاجةً لرجلٍ سأله مسألته إياها؛ فرده و لم يقضها؛ فقال فيه ابن عبدل:

رأيت محمداً شرهاً ظلوماً ... وكنت أراه ذا ورعٍ وقصد

يقول أمانتي ربي خداعاً ... أمات الله حسان بن سعد

فلولا كسبه لوجدت فسلاً ... لئيم الكسب شأنك شأن عبد

ركبت إليه في رجلٍ أتاني ... كريمٍ يبتغي المعروف عندي

فقلت له وبعض القول نصحٌ ... ومنه ما أسر له وأبدي

توق دراهم البكري إني ... أخاف عليك عاقبة التعدي

أقرب كل آصرةٍ ليدنوا ... فما يزداد مني غير بعد

فأقسم غير مستثنٍ يميناً ... أبا بخرٍ لتتخمن ردي

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العتزي قال حدثني أحمد بن بكير الأسدي قال حدثني محمد بن أنس السلامي قال حدثني محمد بن سهل الأسدي راوية الكميت: أن الحكم بن عبدل الأسدي أتى محمد بن حسان بن سعد التميمي وكان على خراج الكوفة، فكلمه في رجل من العرب أن يضع عنه ثلاثين درهماً من خراجه؛ فقال: أماتني الله إن كنت أقدر أن أضع من خراج أمير المؤمنين شيئاً؛ فانصرف ابن عبدل وهو يقول:

دع الثلاثين لا تعرض لصاحبها ... لا بارك الله في تلك الثلاثينا

لما علا صوته في الدار مبتكراً ... كأشتفان يرى قوماً يدوسونا

أحسن فإنك قد أعطيت مملكةً إمارةً صرت فيها اليوم مفتونا
لا يعطك الله خيراً مثلها أبداً أقسمت بالله إلا قلت آمينا

قال: فلم يضع له شيئاً مما على الرجل؛ فقال فيه:

رأيت محمداً شرهاً ظلوماً وكنت أراه ذا ورعٍ وقصد
يقول أماتني ربي خداعاً أمات الله حسان بن سعد
فما صادفت في قحطان مثلي ولا صادفت مثلك في معد
أقل براعةً وأشد بخلاً وألأم عند مسئلة وحمد
نحوت محمداً ودخان فيه كريح الجعر فوق عطين جلد
فأقسم غير مستثنٍ يميناً أبا بخرٍ لتتخمن ردي
فلو كنت المهذب من تميمٍ لخفت ملامتي ورجوت حمدي
نكهت علي نكهة أخدري شتيم أعصل الأنياب ورد
فما يدنو إلى فمه ذبابٌ ولو طليت مشافره بقند
فإن أهديت لي من فيك حتفا فإني كالذي أهديت مهدي

قال محمد بن سهل: وما زال ابن عبدل يزيد في قصيدته هذه الدالية حتى مات وهي طويلة جداً. قال: واشتهرت حتى إن كان المكاري ليسوق بغله أو حماره فيقول: عد

أمات الله حسان بن سعد

فإذا سمع ذلك أبوه قال: بل أمات الله ابني محمداً، فهو عرضني لهذا البلاء في ثلاثين درهماً.

ابن عبدل وأبو المهاجر

أخبرني أحمد بن محمد زكريا الصحاف قال حدثنا قعنب بن محرز قال أخبرنا الهيثم بن عدي قال: دعا أبو المهاجرالحكم بن عبدل ليشرب عنده وله جارية تغني فغنت؛ فقال ابن عبدل:

يا أبا المهاجر قد أردت كرامتي فأهنتني وضررتني لو تعلم
عند التي لو مس جلدي جلدها يوماً بقيت مخلداً لا أهرم
أو كنت في أحمى جهنم بقعةً فرأيتها بردت علي جهنم

قال: فجعل أبو المهاجر يضحك ويقول له: ويحك! والله لو كان إليها سبيلٌ لوهبتها لك، ولكن لها مني ولدٌ.

ابن عبدل وعمر بن يزيد الأسدي

أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني قال: كان عمر بن يزيد الأسدي مبخلاً، ووجده أبوه مع أمةٍ له فكان يعير بذلك، وجاءه الحكم بن عبدل الأسدي ومعه جماعة من قومه يسألونه حاجةً، فدخلوا إليه وهو يأكل تمراً فلم يدعهم إليه، وذكروا له حاجتهم فلم يقضها؛ فقال فيه ابن عبدل:

جئنا وبين يديه التمر في طبقٍ ... فما دعانا أبو حفص ولا كادا

علا على جسمه ثوبان من دنسٍ ... لؤم وجبنٌ ولولا أيره سادا

ابن عبدل يقتضي ديون امرأة من الكوفة

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا محمد بن الحسن الأحول عن أبي نصر عن الأصمعي قال: كانت امرأة موسرة بالكوفة وكانت لها على الناس ديون بالسواد، فاستعانت بابن عبدل في دينها، وقالت: إني امرأة ليس لي زوج، وجعلت تعرض بأنها تزوجه نفسها؛ فقام ابن عبدل في دينها حتى اقتضاه؛ فلما طالبها بالوفاء كتبت إليه:

سيخطئك الذي حاولت مني ... فقطع حبل وصلك من حبالي

كما أخطأك معروف ابن بشر ... وكنت تعد ذلك رأس مال

قال: وكان ابن عبدل أتى ابن بشر بالكوفة فسأله؛ فقال له: أخمسمائة أحب إليك الآن عاجلة أم ألف في قابل؟ قال: ألف في قابل. فلما أتاه قال له: ألف أحب إليك أم ألفان في قابل؟ قال: ألفان؛ فلم يزل ذلك دأبه حتى مات ابن بشر وما أعطاه شيئاً.

ابن عبدل وعبد الملك بن بشر

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن لقيط قال: دخل ابن عبدل على عبد الملك بن بشر، فقال له: ما أحدثت بعدي؟ قال: خطبت امرأة من قومي مزقت علي جواب رسالتي ببيتي شعرٍ؛ قال: وما هما؟ قال: قالت:

سيخطئك الذي حاولت مني ... فقطع حبل وصلك من حبالي

كما أخطأك معروف ابن بشر ... وكنت تعد ذلك رأس مال

فضحك عبد الملك، ثم قال: لجاد ما أذكرت بنفسك! وأمر له بألفي درهم.

ابن عبدل وبشر بن مروان

أخبرني أبو الحسن الأسدي وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا الحسن بن عليل قال حدثنا محمد بن معاوية الأسدي قال حدثني منجاب بن الحارث قال حدثني عبد الملك بن عفان قال: كان الحكم بن عبدل الأسدي ثم الغاضري صديقاً لبشر بن مروان، فرأى منه جفاءً لشغلٍ عرض له، فغبر عنه شهراً، ثم التقيا فقال: يابن عبدل، مالك تركتنا وقد كنت لنا زواراً؟ فقال ابن عبدل:

كنت أثني عليك خيراً فلما ... أضمر القلب من نوالك ياسا
كنت ذا منصب قنيت حيائي ... لم أقل غير أن هجرتك باسا
لم أطق ما أردت بي يابن مروا ... ن ستلقى إذا أردت أناسا
يقبلون الخسيس منك ويثنو ... ن ثناءً مدخمساً دخماسا

فقال له: لا نسومك الخسيس ولا نريد منك ثناءً مدخمساً، ووصله وحمله وكساه.

ابن عبدل وقد طلبه بن هبيرة للغزو

أخبرني الأسدي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال وحدثني محمد بن معاوية قال حدثني منجاب بن الحارث عن عبد الملك بن عفان قال:

أراد عمر بن هبيرة أن يغزي الحكم بن عبدل الغاضري، فاعتل بالزمانة فحمل وألقي بين يديه فجرده فإذا هو أعرج مفلوج، فوضع عنه الغزو وضمه إليه وشخص به معه إلى أواسط؛ فقال الحكم بن عبدل:

لعمري لقد جردتني فوجدتني ... كثير العيوب سيىء المتجرد
فأعفيتني لما رأيت زمانتي ... ووفقت مني للقضاء المسدد

فلما صار عمر إلى واسط شكا إليه الحكم بن عبدل الضبعة، فوهب له جاريةً من جواريه، فواثبها ليلة صارت إليه فنكحها تسعاً أو عشراً طلقاً، فلما أصبحت قالت له: جعلت فداك من أي الناس أنت؟ قال: امرؤٌ من أهل الشام؛ فقالت: بهذا العمل نصرتم.

أعفاء الحجاج من الغزو

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصيرفي، قال حدثنا الحسن بن عليل قال حدثنا أحمد بن بكير الأسدي عن محمد بن أنس السلامي عن محمد بن سهل راوية الكميت فقال فيه: ضرب الحجاج البعث على المحتلمين ومن أنبت من الصبيان، فكانت المرأة تجيء إلى ابنها وقد جرد فتضمه إليها وتقول له: "بأبي" جزعا عليه، فسمي ذلك الجيش جيش بأبي، وأحضر ابن عبدل فجرد فوجد أعرج فأعفي؛ فقال في ذلك:

لعمري لقد جردتني فوجدتني

البيتين، وزاد معهما ثالثاً وهو:

ولست بذي شيخين يلتزمانه ولكن يتيمٌ ساقط الرجل واليد

تزوج همدانية ولما كرهها قال فيها شعراً

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا العتزي قال حدثنا محمد بن معاوية عن منجاب عن عبد الملك بن عفان قال: تزوج ابن عبدل امرأةً من همدان فقالوا له: على كم تزوجت؟ فقال:

تزوجت همدانيةً ذات بهجةٍ على نمط عادية ووسائد

لعمري لقد غاليت بالمهر إنه كذاك يغالى بالنساء المواجد

قال: فلما دخل بها كرهها فقال:

أعاذلتي من لومٍ دعاني أقلا اللوم إن لم تعذراني

فإني قد دللت على عجوز مبرقعة مخصبة البنان

تغضن جلدها واخضر إلا إذا ما ضرجت بالزعفران

فلما أن دخلت وحادثتني أظلتني بيومٍ أرونان

تحدثني عن الأزمان حتى سمعت نداء حر بالأذان

فقالت قد نكحت اثنين شتى فلما صاحباني طلقاني

وأربعةً نكحتهم فماتوا فليت عريف حي قد نعاني

وقالت ما تلاك قلت مالي حمار ظالع ومزادتان

وبوريٌ وأربعةٌ زيوف وثوبا مفلسٍ متخرقان

وقطعة جلة لا تمر فيها ودناً عومةٍ متقابلان

فقالت قد رضيت فسم ألفاً ليسمع ما تقول الشاهدان

وما لك عندنا ألفٌ عتيد ولا تسعٌ تعد ولا ثمان

ولا سبعٌ ولا ست ولكن لكم عندي الطويل من الهوان

كان منقطعاً إلى بشر بن مروان

فلما مات رثاه

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن أبيه ابن الكلبي قال: كان الحكم بن عبدل الأسدي منقطعاً إلى بشر بن مروان، وكان يأنس به ويحبه ويستطيبه، وأخرجه معه إلى البصرة لما وليها، فلما مات بشر جزع عليه الحكم وقال يرثيه:

أصبحت جم بلابل الصدر ... متعجباً لتصرف الدهر

مازلت أطلب في البلاد فتىً ... ليكون لي ذخراً من الذخر

ويكون يسعدني وأسعده ... في كل نائبةٍ من الأمر

حتى إذا ظفرت يداي به ... جاء القضاء بحينه يجري

إني لفي هم يباكرني ... منه وهم طارقٍ يسري

فلأصبرن وما رأيت دوىً ... للهم غير عزيمة الصبر

والله ما استعظمت فرقته ... حتى أحاط بفضله خبري

خروجه مع عمال بني أمية إلى الشأم

وكان يسمر عند عبد الملك فأنشده ليلة شعراً

أخبرني ابن دريد قال حدثني عمي عن أبيه عن ابن الكلبي قال: لما ظفرابن الزبير بالعراق وأخرج عنها عمال بني أمية خرج ابن عبدل معهم إلى الشأم، وكان ممن يدخل إلى عبد الملك ويسمر عنده، فقال لعبد الملك ليلةً:

يا ليت شعري وليتٌ ربما نفعت ... هل ابصرن بني العوام قد شملوا

بالذل والأسر والتشريد إنهم ... على البرية حتف حيثما نزلوا

أم هل أراك بأكناف العراق وقد ... ذلت لعزك أقوامٌ وقد نكلوا

فقال عبد الملك - ويروى أنه قائل هذا الشعر -:

إن يمكن الله من قيس ومن جدسٍ ... ومن جذام ويقتل صاحب الحرم

نضرب جماجم أقوامٍ على حنقٍ ... ضرباً ينكل عنا سائر الأمم

يزيد بن عمر بن هبيرة وبنت ابن عبدل

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني هارون بن علي بن يحيى المنجم عن أبيه قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني عن رجل من بني أسد قال: خرج يزيد بن عمر بن هبيرة يسير بالكوفة فانتهى إلى مسجد بني غاضرة،

وأقيمت الصلاة، فنزل يصلي، واجتمع الناس لمكانه في الطريق وأشرف النساء من السطوح، فلما قضى صلاته قال: لمن هذا المسجد؟ قالوا لبني غاضرة، فتمثل قول الشاعر:

ما إن تركن من الغواضر معصراً إلا فصمن بساقها خلخالا

فقالت له امرأةٌ من المشرفات:

ولقد عطفن على فزارة عطفةً كر المنيح وجلن ثم مجالا

فقال يزيد: من هذه؟ فقالوا: بنت الحكم بن عبدل؛ فقال: هل تلد الحية إلا حية! وقام خجلاً.

ابن عبدل وصاحب العسس

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن الهيثم قال حدثنا العمري عن عطاء بن مصعب عن عاصم بن الحدثان قال: كان ابن عبدل الأسدي أعرج أحدب، وكان من أطيب الناس وأملحهم، فلقيه صاحب العسس ليلةً وهو سكران محمولٌ في محفة؛ فقال له: من أنت؟ فقال له: يا بغيض، أنت أعرف بي من أن تسألني من أنا، فاذهب إلى شغلك، فإنك تعلم أن اللصوص لا يخرجون بالليل للسرقة محمولين في محفة؛ فضحك الرجل وانصرف عنه.

ابن عبدل يعرض بابن هبيرة في شعره

أخبرني: هاشم بن محمد قال حدثنا العباس بن ميمون طائع قال حدثني أبو عدنان عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال: رأيت ابن عبدل الأسدي وقد دخل على ابن هبيرة، فقال له: أنشدني شيئاً فقال: أنشدك مقولةً أيها الأمير؟ قال: هات؛ فأنشده هذه الأبيات - وهي قديمةٌ وقد تمثل بها ابن الأشعث حين خرج، ويروى أنها لأعشى همدان -

نجم ولا نعطى وتعطى جيوشهم وقد ملئوا من مالنا ذا الأكارع

وقد كلفونا عدةً وروائعاً فقد وأبي رعناكم بالروائع

ونحن جلبنا الخيل من ألف فرسخ إليكم بمجمر من الموت ناقع

قال: فغضب ابن هبيرة من تعريضه به، وقال به: والله لولا أني قد أمنتك واستنشدتك لضربت عنقك.

وولدت له جاريةٌ سوداء ولداً

فقال فيه شعراً

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان أبو عبد الله قال حدثنا القاسم بن عبد الرحمن قال: كانت للحكم بن عبدل جاريةٌ سوداء، وقد كان يميل إليها فولدت له ابناً أسود، فكان من أعرم الصبيان، فقال فيه:

يا رب خالٍ لك مسود القفا ... لا يشتكي من رجله مس الحفا

كأن عينيه إذا تشوفا ... عينا غرابٍ فوق نيقٍ أشرفا

هجا عمر بن يزيد الأسدي لبخله

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان أبو عبد الله قال حدثنا عبيد الله بن محمد قال حدثنا المدائني قال: كان عمر بن يزيد الأسدي بخيلاً على الطعام، فدخل عليه الحكم بن عبدل الشاعر وهو يأكل بطيخاً، فسلم فلم يرد عليه السلام و لم يدعه إلى الطعام؛ فقال ابن عبدل يهجوه.

في عمر يزيد خلتا دنسٍ ... بخلٌ وجبنٌ ولولا أيره سادا

جئناه يأكل بطيخاً على طبقٍ ... فما دعانا أبو حفصٍ و لا كادا

قال وكان عمر على شرطة الحجاج وكان بخيلاً جداً، فأصابه قولنج فحقنه الطبيب بدهن كثير، فانحل ما في بطنه في الطست، فقال للغلام: ما تصنع به؟ قال: أصبه؛ قال: لا! ولكن ميز منه الدهن واستصبح به.

ابن عبدل ومحمد ابن عمير

كاتب عبد الملك بن بشر

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا أبو هفان قال:

كان لعبد الملك بن بشر بن مروان كاتبٌ يقال له محمد بن عمير وكان كلما مدحه ابن عبدل بشيء وأمر له بجائزة دافعه بها وعارضه فيها، فدخل يوماً إلى عبد الملك وكاتبه هذا يساره، فوقف وأنشأ يقول:

ألقيت نفسك في عروض مشقةٍ ... وحصاد أنفك بالمناجل أهون

فبحق أمك وهي غير حقيقة ... باللين واللطف الذي لا يخزن

لا تدن فاك إلى الأمير ونحه ... حتى يداوي نتنه لك أهون

إن كان للظربان حجرٌ منتنٌ ... فلحجر أنفك يا محمد أنتن

خطب امرأة فابت

فقال فيها شعراً يعيرها

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العتري قال حدثني أحمد بن بكير الأسدي عن محمد بن أنس السلامي عن محمد بن سهل راوية الكميت قال: خطب ابن عبدل امرأةً من همدان يقال لها: أم رياح فلم تتزوجه، فقال: أما والله لأفضحنك ولأعيرنك فقال:

فلا خير في الفتيان بعد ابن عبدلٍ ... ولا في الزواني بعد أم رياح

فأيري بحمد الله ماضٍ مجربٌ ... وأم رياحٍ عرضةٌ لنكاحي

ولد له ولد سماه بشراً تيمناً ببشر

ابن مروان

قال: فتحاماها الناس فما تزوجت حتى أسنت. وبهذا الإسناد عن محمد بن سهل قال: ولد للحكم بن عبدل ابنٌ فسماه بشراً، ودخل على بشر بن مروان فأنشده:

سميت بشراً ببشر الندى ... فلا تفضحني بتصداقها

إذا ما قريشٌ البطا ... ح عند تجمع آفاقها

تسامت قرومهم للندى ... تباري الرياح بأوراقها

فمالك أنفع أموالها ... وخلقك أكرم أخلاقها

فأمر له بألفي درهم، وقال: استعن بهذه على أمرك.

عبد الملك بن بشر يقضي دينه وبإسناده عن محمد بن سهل قال: اقترض ابن عبدل مالاً من التجار وحلف لهم بالطلاق ثلاثاً أن يقضيهم المال عند طلوع الهلال، فلما بقي من الشهر يومان قال:

قد بات همي قرناً أكابده ... كأنما مضجعي على حجر

من رهبةٍ أن يرى هلال غدٍ ... فإن رأوه فحق لي حذري

من فقد بيضاء غادةٍ كملت ... كأنها صورةٌ من الصور

أصبحت من أهلي الغداة ومن ... مالي على مثل ليلة الصدر

فبلغ خبره عبد الملك بن بشر فأعطاهم مالهم عليه وأضعفه له؛ فقال فيه:

لما أتاه الذي أصبت به ... وأنشدوه إياه في شعري

جاد بضعفي ما حل من غرمي ... عفواً فزالت حرارة الصدر

لأشكرن الذي مننت به ... ما دمت حياً وطال لي عمري

فضله الحجاج في الجائزة على الشعراء

وقال محمد بن سهل بهذا الإسناد: اجتمع الشعراء إلى الحجاج وفيهم ابن عبدل، فقالوا للحجاج: إنما شعر ابن عبدل كله هجاءٌ وشعرٌ سخيف؛ فقال له: قد سمعت قولهم فاستمع مني؛ قال هات فأنشده قوله:

وإني لأستغني فما أبطر الغنى وأعرض ميسوري لمن يبتغي قرضي
وأعسر أحياناً فتشتد عسرتي فأدرك ميسور الغنى ومعي عرضي

حتى انتهى إلى قوله:

ولست بذي وجهين فيمن عرفته ولا البخل فاعلم من سمائي ولا أرضي

فقال له الحجاج: أحسنت! وفضله في الجائزة عليهم بألفي درهم.

أحد الأصوات المائة المختارة

صوت من المائة المختارة

أجد بعمرة غنيانها فتهجر أم شأننا شأنها
فإن تمس شطت بها دارها وباح لك اليوم هجرانها
فما روضةٌ من رياض القطا كأن المصابيح حوذانها
بأحسن منها ولا مزنةٌ دلوحٌ تكشف إدجانها
وعمرة من سروات النسا ء تنفح بالمسك أردانها

أجد: أستمر. وغنيانها: استغناؤها. أم شأننا شانها: يقول أم هي على ما نحب. وشطت: بعدت، قال ابن الأعرابي: يقال: شطت وشطنت وشسعت وتشسعت وبعدت ونأت وتزحزحت وشطرت؛ قال الشاعر:

لا تتركني فيهم شطيراً

ومنه سمي الشاطر. وباح: ظهر؛ ومنه باحة الدار وأنشد:

أتكتم حب سلمى أم تبوح

والروضة: موضع فيه نبتٌ وماء مستدير، وكذلك الحديقة. وقوله:

كأن المصابيح حوذانها

أراد كأن حوذانها المصابيح فقلب، والعرب تفعل ذلك؛ قال الأعشى:

..كأن الجمر مثل ترابها

أراد كأن ترابها مثل الجمر. والمزنة: السحابة. والدلوح: الثقيلة، يقال: مر يدلح بحمله إذا مر به مثقلاً. والدجن: إلباس الغيم السحاب برشٍّ وندى، يقال: أدجنت السماء؛ وقوله: تكشف إدجانها، إذا انكشف السواد عنها، وذلك أحسن لها، وأراد مزنة بيضاء. والأردان: ما يلي الذراعين جميعاً والإبطين من الكمين.

الشعر لقيس بن الخطيم، والغناء لطويس خفيف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

الجزء الثالث

ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه

نسبه

هو قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سود بن ظفر، ويكنى قيس أبا يزيد.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا محمد بن موسى بن حماد، قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

أنشد ابن أبي عتيق قول قيس بن الخطيم:

بين شكول النساء خلقتها ... حذواً فلا جبلة و لا قضف

فقال: لولا أن أبا يزيد قال: حذوا ما درى الناس كيف يخشون هذا الموضع

أخذه بثأر أبيه وجده

واستعانته في ذلك بخداش بن زهير

وكان أبوه الخطيم قتل وهو صغير، قتله رجل من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج، فلما بلغ قتل قاتل أبيه ونشبت لذلك حروب بين قومه وبين الخزرج وكان سببها.

فأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرني أحمد بن يحيى ثعلب عن أبي الأعرابي عن المفضل قال: كان سبب قتل الخطيم أن رجلاً من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج يقال له مالك اغتاله فقتله، وقيس يومئذ صغير، وكان عدي أبو الخطيم أيضاً قتل قبله، قتله رجل من عبد القيس، فلما بلغ قيس بن الخطيم وعرف أخبار قومه وموضع ثأره لم يزل يلتمس غرة من قاتل أبيه وجده في المواسم حتى ظفر بقاتل أبيه بيثرب فقتله، وظفر بقاتل جده بذي المجاز، فلما أصابه وجده في ركبٍ عظيم من قومه، و لم يكن معه إلا رهط من الأوس، فخرج حتى أتى حذيفة بن بدار الفزاري، فاستنجده فلم ينجده، فأتى خداش بن زهير فنهض معه ببني عامر حتى أتوا قاتل عدي، فإذا هو واقف على راحلته في السوق، فطعنه قيس بحربة فقتله، ثم استمر. فأراده رهط الرجل، فحالت بنو عامر دونه؛ فقال في ذلك قيس بن الخطيم:

ثأرت عديا و الخطيم فلم أضع ... ولاية أشياخ جعلت إزاءها

ضربت بذي الزجين ربقة مالك ... فأبت بنفس قد أصبت شفاءها

وسامحني فيها ابن عمرو بن عامرٍ ... خداش فأدى نعمة وأفاءها

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائرٍ ... لها نفذ لو لا الشعاع أضاءها

ملكت بها كفي فأنهرت فتقها يرى قائم من دونها ماوراءها

هذه رواية ابن الأعرابي عن المفضل. وأما ابن الكلبي فإنه ذكر أن رجلاً من قريش أخبره عن أبي عبيدة أن محمد بن عمار بن ياسر، وكان عالماً بحديث الأنصار، قال:

كان من حديث قيس بن الخطيم أن جده عدي بن عمرو قتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة يقال له مالك، وقتل أباه الخطيم بن عدي رجل من عبد القيس ممن يسكن هجر؛ وكان قيس يوم قتل أبوه صبياً صغيراً، وقتل الخطيم قبل أن يثأر بأبيه عدي؛ فخشيت أم قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بثأر أبيه وجدك، فكان قيس لايشك أن ذلك على ذلك. ونشأ أيداً شديد الساعدين، فنازع يوماً فتى من فتيان بني ظفر، فقال له: ومن قاتل أبي وجدي؟ قال: سل أمك تخبرك؟ فأخذ السيف ووضع قائمة على الأرض وذبابة بين ثدييه وقال لأمه: أخبريني من قتل أبي وجدي؟ قالت: ماتا كما يموت الناس وهذان قبراهما بالفناء؛ فقال: والله لتخبرينني من قتلهما أو لأتحاملن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري؛ فقالت: أما جدك فقتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة يقال له مالك، وأما أبوك فقتله رجل من عبد القيس ممن يسكن هجر؛ فقال: والله لأنتهي حتى أقتل قاتل أبي وجدي؛ فقالت: يا بني إن مالكاً قاتل جدك من قوم خداش بن زهير، ولأبيك عن خداش نعمة هو لها شاكر، فأته فاستشره في أمرك واستعنه يعنك؛ فخرج قيس من ساعته حتى أتى ناصحه وهو يسقي نخله، فضرب الجرير بالسيف فقطعه، فسقطت الدلو في البئر، وأخذ برأس الجمل فحمل على غرارتين من تمر، وقال: من يكفيني أمر هذه العجوز؟ "يعني أمه" فإن مت أنفق عليها من هذا الحائط حتى تموت ثم هو له، وإن عشت فمالي عائد إلي وله منه ما شاء أن يأكل من تمره؛ فقال رجل من قومه: أنا له، فأعطاه الحائط ثم خرج يسأل عن خداش بن زهير حتى دل عليه بمر الظهران، فصار إلى خبائه فيم يده، فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافه، ثم نادى امرأة خداش: هل من طعام؟ فأطلعت إليه فأعجبها جماله، وكان من أحسن الناس وجهاً؛ فقالت: والله ما عندنا من نزلٍ نرضاه لك إلا تمراً؛ فقال: لا أبالي، فأخرجي ما كان عندك؛ فأرسلت إليه بقباع فيه تمر، فأخذ منه تمرة فأكل شقها ورد شقها الباقي في القباع، ثم أمر بالقباع فأدخل على امرأة خداش بن زهير، ثم ذهب لبعض حاجاته. ورجع خداش فأخبرته امرأته خبر قيس، فقال: هذا رجل متحرم. وأقبل قيس راجعاً وهو مع امرأته يأكل رطباً؛ فلما رأى خداش رجله وهو على بعيره قال لامرأته: هذا ضيفك؟ قالت: نعم؛ قال: كأن قدمه قدم الخطيم صديقي اليثربي؛ فلما منه قرع طنب البيت بسنان رمحه واستأذن، فأذن له خداش فدخل إليه، فنسبه فانتسب وأخبره بالذي جاء له، وسأله أن يعينه وأن يشير عليه في أمره؛ فرحب به خداش وذكر نعمة أبيه عنده، وقال: إن هذا الأمر مازلت أتوقعه منك منذ حينٍ. فأما قاتل جدك فهو ابن عم لي وأنا أعينك عليه، فإذا اجتمعا في نادينا جلست إلى جنبه وتحدثت معه، فإذا ضربت فخذه فثب إليه فاقتله. فقال قيس: فأقبلت معه نحوه حتى قمت على رأسه لما جالسه خداش، فحين ضرب فخذه فثب إليه فاقتله. فقال قيس: فأقبلت معه نحوه حتى قمت على رأسه لما جالسه خداش، فحين ضرب فخذه ضربت رأسه بسيف يقال له: ذو

الخرصين، فثار إلي القوم ليقتلوني، فحال خداش بينهم وبيني وقال: دعوه فإنه والله ما قتل إلا قاتل جده. ثم دعا خداش بجمل من إبله فركبه، وانطلق مع قيس إلى العبدي الذي قتل أباه، حتى إذا كانا قريباً من هجر أشار عليه خداش أن ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه، فإذا دل عليه قال له: إن لصاً من لصوص قومك عارضني فأخذ متاعاً لي، فسألت من سيد قومه فدللت عليك، فانطلق معي حتى تأخذ متاعي منه؛ فإن اتبعك وحده فستنال ما تريد منه، وإن أخرج معه غيره فاضحك، فإن سألك مم ضحكت فقل: إن الشريف عندنا لايصنع كما صنعت إذا دعي إلى اللص من قومه، إنما يخرج وحده بسوطه دون سيفه، فإذا رآه اللص أعطى كل شيء أخذ هيبة" له، فإن أمر أصحابه بالرجوع فسبيل ذلك، وإن أبى إلا أن يمضوا معه فأتني به، فإني أرجو أن تقتله وتقتل أصحابه. ونزل خداش تحت ظل شجرة، وخرج قيس حتى أتى العبدي فقال له ما أمره خداش فاحفظه، فأمر أصحابه فرجعوا ومضى مع قيس، فلما طلع على خداش، قال له: اختر يا قيس إما أن أعينك وإما أن أكفيك؛ قال: لا أريد واحدة منهما، ولكن إن قتلني فلا يفلتنك؛ ثم ثار إليه فطعنه قيس بالحربة في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر فمات مكانه، فلما فرغ منه قال له خداش: إنا إن قررنا الآن طلبنا قومه، ولكن ادخل بنا مكاناً قريباً من مقتله، فإن

قومه لا يظنون أنك قتلته وأقمت قريباً منه، ولكنهم إذا افتقدوه اقتفوا أثره، فإذا وجدوه قتيلاً، فخرجوا يطلبونهما في كل وجه ثم رجعوا، فكان من أمرهم ما قال خداش. وأقاما مكانهما أياماً ثم خرجا، فلم يتكلما حتى لآتيا منزل خداش، ففارقه عنده قيس بن الخطيم ورجع الى أهله. ففي ذلك يقول قيس:

تذكر ليلى حسنها وصفاءها ... وبانت فما إن يستطيع لقاءها

ومثلك قد أصبيت ليست بكنةٍ ... ولاجارة أفضت إلي خباءها

إذا ما اصطبحت أربعاً خط مئزري ... وأتبعت دلوي في السماح رشاءها

ثأرت عدياً والخطيم فلم أضع ... وصية أشياخ جعلت إزاءها

وهي قصيدة طويلة.

استنشد رسول الله شعره وأعجب بشجاعته

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن اسرائيل قال حدثنا زكريا بن يحيى المنقري قال حدثنا زياد بن بيان العقيلي قال حدثنا أبو خولة الأنصاري عن أنس بن مالك قال: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس ليس فيه إلا خزرجي ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم، يعني قوله:

أتعرف رسماً كاطراد المذاهب ... لعمرة وحشاً غير موقف راكب

فأنشده بعضهم إياها، فلما بلغ إلى قوله:

أجالدهم يوم الحديقة حاسراً كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

فالتفت إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " هل كان كما ذكر"؛ فشهد له ثابت بن قيس بن شماس وقال له: والذي بعثك بالحق يا رسول الله، لقد خرج إلينا يوم سابع عرسه عليه غلالة وملحفة مورسة فجالدنا كما ذكر. هكذا في هذه الرواية.

وقد أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال: لم تكن بينهم في هذه الأيام حروب إلا في يوم بعاث فإنه كان عظيماً، وإنما كانوا يخرجون فيترامون بالحجارة ويتضاربون بالخشب.

قال الزبير وأنشدت محمد بن فضالة قول قيس بن الخطيم:

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

فضحك وقال: ما اُقتتلوا يومئذ إلا بالرطائب والسعف قال أبو الفرج: وهذه القصيدة التي استنشدهم إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم من جيد شعر قيس بن الخطيم، ومما أنشده نابغة بني ذبيان فاستحسنه وفضله وقدمه من أجله.

أنشد النابغة من شعره فاستجاده أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال قال أبو غزية قال حسان بن ثابت: قدم النابغة المدينة فدخل السوق فنزل عن راحلته، ثم جثا على ركبتيه، ثم اعتمد على عصاه، ثم أنشأ يقول:

عرفت منازلاً بعريتنات فأعلى الجزع للحي المبن

فقلت: هلك الشيخ ورأيته قد تبع قافية منكرة. قال ويقال: إنه قالها في موضعه، فما زال ينشد حتى أتى على آخرها، ثم قال: ألا رجل ينشد؟ فتقدم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشده: "أتعرف رسماً كاطراد المذاهب" حتى فرغ منه؛ فقال: أنت أشعر الناس يابن أخي. قال حسان: فدخلني منه، وإني في ذلك لأجد القوة في نفسي عليهما، ثم تقدمت فجلست بين يديه؛ فقال: أنشد فو الله إنك لشاعر قبل أن تتكلم، قال: وكان يعرفني قبل ذلك، فأنشدته؛ فقال أنت أشعر الناس. قال الحسن بن موسى: وقالت الأوس: لم يزد قيس بن الخطيم النابغة على: "أتعرف رسماً كاطراد المذاهب" -نصف البيت-حتى قال أنت أشعر الناس

صفاته الجثمانية

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير قال قال سليمان بن داود المجمعي: كان قيس بن الخطيم مقرون الحاجبين أدعج العينين أحمر الشفتين براق الثنايا كأن بينهما برقا، ما رأته حليلة رجل قط إلا ذهب عقلها.

أمر حسان الخنساء بهجوه فأبت

أخبرني الحسن قال حدثنا محمد قال حدثنا الزبير قال حدثني حسن بن موسى عن سليمان بن داود المجمعي قال: قال حسان بن ثابت للخنساء: أهجي قيس بن الخطيم؛ فقالت: لا أهجو أحداً أبداً حتى أراه. قال: فجاءته يوماً فوجدته في مشرقة ملتفاً في كساء له، فنخسته برجلها وقالت: قم، فقام؛ فقالت: أدبر، فأدبر؛ ثم قالت: أقبل، فأقبل. قال: والله لكأنها تعترض عبداً تشتريه، ثم عاد إلى حاله نائماً؛ فقالت: والله لا أهجو هذا أبداً.

عرض عليه رسول الله

صلى الله عليه وسلم الإسلام فاستنظره حتى يقدم المدينة:

قال الزبير وحدثني عمي مصعب قال: كانت عند قيس بن الخطيم حواء بنت يزيد بن سنان بن كريز بن زعوراء فأسلمت، وكانت تكتم قيس بن الخطيم إسلامها، فلما قدم قيس مكة عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام، فاستنظره قيس حتى يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة؛ فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام، فاستنظره قيس حتى يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة؛ فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجتنب زوجته حواء بنت يزيد، وأوصاه بها خيراً، وقال له: إنها قد أسلمت؛ ففعل قيس وحفظ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغ رسول صلى الله عليه وسلم؛ فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " وفي الأديعج" قال أبو الفرج وأحسب هذا غلطاً من مصعب، وأن صاحب هذه القصة قيس بن شماس، وأما قيس بن الخطيم فقتل قبل الهجرة.

قتله الخزرج بعد هدأة الحرب بينهم وبين الأوس: أخبرني علي بن سليمان الأخفش النحوي عن أبي سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل: أن حرب الأوس والخزرج لما هدأت، تذكرت الخزرج قيس بن الخطيم ونكايته فيهم، فتوامروا وتواعدو قتله؛ فخرج عشية من منزله في ملاءتين يريد مالاً له بالشوط حتى مر بأطم بني حارثة، فرمي من الأطم بثلاثة أسهم، فوقع أحدها في صدره، فصاح صيحة سمعها رهطه، فجاؤوا فحملوه الى منزله، فلم يروا له كفئاً إلا أبا صعصعة يزيد بن عوف بن مدرك النجاري، فاندس إليه رجل حتى اغتاله في منزله، فضرب عنقه واشتمل على رأسه، فأتى به قساً وهو بآخر رمق، فألقاه بين يديه وقال: يا قيس قد أدركت بثأرك؛ فقال: عضعضت بأير أبيك إن كان غير أبي صعصعة! فقال: هو أبو صعصعة، وأراه الرأس! فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات.

مهاجاته حسان بن ثابت

وهذا الشعر أعني: "أجد بعمرة غنيانها" فيما قيل يقوله قيس بن عمرة بنت رواحة، وقيل: بل قاله في عمرة: امرأة كانت لحسان بن ثابت، وهي عمرة بنت صامد بن خالد. وكان حسان ذكر ليلى بنت الخطيم في شعره، فكافأه

قيس بذلك، وكان هذا في حربهم التي يقال لها يوم الربيع.

فأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال أخبرنا الزبير قال حدثني مصعب قال: مر حسان بن ثابت بليلى بنت الخطيم-وقيس بن الخطيم أخوها بمكة حين خرجوا يطلبون الحلف في قريش- فقال لها حسان: اظعني فالحقي بالحي فقد ظعنوا، وليت شعري ما خلفك وما شأنك: أقل ناصرك أم راث رافدك؟ فلم تكلمه وشتمه نساؤها؛ فذكرها في شعره في يوم الربيع الذي يقول فيه:

لقد هاج نفسك أشجانها ... وعاودها اليوم أديانها

تذكرت ليلى وأني بها ... إذا قطعت منك أقرانها

وحجل في الدار غربانها ... وخف من الدار سكانها

وغيرها معصرات الرياح ... وسح الجنوب وتهتانها

مهاة من العين تمشي بها ... وتتبعها ثم غزلانها

وقفت عليها فساءلتها ... وقد ظعن الحي: ما شأنها

فعيت وجاوبني دونها ... بما راع قلبي أعوانها

وهي طويلة. فأجابه قيس بن الخطيم بهذه القصيدة التي أولها: "أجد بعمرة غنيانها"، وفخر فيها بيوم الربيع وكان لهم فقال:

ونحن الفوارس يوم الربي ... ع قد علموا كيف فرسانها

حسان الوجوه حداد السيو ... ف يبتدر المجد شبانها

وهي أيضاً طويلة.

غنت عزة الميلاء النعمان بن بشير بشعره

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرنا الأصمعي قال حدثني عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان عن أبي السائب المخزومي، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال ذكر لي عن جعفر بن محرز السدوسي، قالوا: دخل النعمان بن بشير الأنصاري المدينة أيام يزيد بن معاوية وابن الزبير، فقال: والله لقد أخفقت أذناي من الغناء فأسمعوني؛ فقيل له: لو وجهت إلى عزة فإنها من قد عرفت! قال: إي ولارب البيت، إنها لمن يزيد النفس طيباً والعقل شحذاً ابعثوا إليها عن رسالتي، فإن أبت صرنا إليها؛ فقال له بعض القوم: إن النقلة تشتد عليها لثقل بدنها وما بالمدينة دابة تحملها؛ فقال النعمان: وأين النجائب عليها الهوادج! فوجه إليها بنجيب

فذكرت علة، فلما عاد الرسول الى النعمان قال لجليسه أنت كنت أخبر بها، قوموا بنا؛ فقام هو مع خواص أصحابه حتى طرقوها، فأذنت وأكرمت واعتذرت، فقبل النعمان عذرها وقال: غنيني فغنته:

أجد بعمرة غنيانها فتهجر أم شأننا شأنها

فأشير إليها أنها أمة فسكتت؛ فقال: غنيني فو الله ما ذكرت إلا كرماً وطيباً! لا تغنيني سائر اليوم غير؛ فلم تزل تغنيه هذا اللحن فقط حتى انصرف.

وتذاكروا هذا الحديث عند الهيثم بن عدي، فقال: ألا أزيدكم فيه طريفة"! قلنا بلى يا أبا الرحمن؛ قال قال لقيط: كنت عند سعيد الزبيري قال سمعت عامراً الشعبي يقول: اشتاق النعمان بن بشير إلى الغناء فصار إلى مترل عزة، فلما انصرف إذا امرأة بالباب منتظرة له، فلما خرج شكت إليه كثرة غشيان زوجها إياها، فقال لها النعمان بن بشير: لأقضين بينكما بقضية لاترد علي، قد أحل الله له من النساء مثنى وثلاث ورباع، فله امرأتان بالنهار وامرأتان بالليل. فهذا يدل على أن المعنية بهذا الشعر عمرة بنت رواحة وأما ما ذكر أنه عني عمرة امرأة حسان بن ثابت، فأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار عن عمه: أن قيس بن الخطيم لما ذكر حسان أخته ليلى في شعره ذكر امرأته عمرة، وهي التي يقول فيها حسان: " أزمعت عمرة صرماً فابتكر" حسان بن ثابت وزوجة عمرة بنت الصامت وما قاله فيها من الشعر بعد طلاقها: أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب قال: تزوج حسان عمرة بنت الصامت

بن خالد بن عطية الأوسية ثم إحدى بني عمرو بن عوف

فكان كل واحد منهما معجباً بصاحبه، وإن الأوس أجاروا مخلد بن الصامت الساعدي فقال في ذلك أبو قيس بن الأسلت:

أجرت مخلداً ودفعت عنه وعند الله صالح ما أتيت

فتكلم حسان في أمره بكلام أغضب عمرة، فعيرته بأخواله وفخرت عليه بالأوس؛ فغضب لهم فطلقها، فأصابها من ذلك ندم وشدة؛ وندم هو بعد فقال: صوت

أزمعت عمرة صرماً فابتكر إنما يدهن للقلب الحصر

لا يكن حبك حباً ظاهراً ليس هذا منك يا عمر بسر

سألت حسان من أخواله إنما يسأل بالشيء الغمر

قلت أخوالي بنوكعبٍ إذا أسلم الأبطال عورات الدبر

يريد يدهن القلب، فأدخل اللم زائدة" للضرورة. عمر: ترخيم عمرة. والسر: الخالص الحسن. غنت في هذه الأبيات عزة الميلاء ثاني ثقيل بالبنصر من رواية حبش.

وتمام القصيدة:

رب خال لي لو أبصرته ... سبط المشية في اليوم الخصر

عند هذا الباب إذ ساكنه ... كل وجه حسن النقبة حر

يوقد النار إذا ما أطفئت ... يعمل القدر بأثباج الجزر

من يغر الدهر أو يأمنه ... من قبيلٍ بعد عمرو وحجر

ملكا من جبل الثلج إلى ... جانبي أيلة من عبدٍ وحر

ثم كانا خير من نال الندى ... سبقا الناس بإقساطٍ وبر

فارسي خيلٍ إذا ما أمسكت ... ربة الخدر بأطراف الستر

أتيا فارس في دارهم ... فتناهوا بعد إعصارٍ بقر

ثم نادوا يالغسان اصبروا ... إنه يوم مصاليت صبر

اجعلوا معقلها أيمانكم ... بالصفيح المصطفى غير الفطر

بضرابٍ تأذن الجن له ... وطعان مثل أفواه الفقر

ولقد يعلم من حاربنا ... أننا ننفع قدماً ونضر

صبر للموت إن حل بنا ... صادقوا البأس غطاريف فخر

وأقام العز فينا والغنى ... فلنا فيه على الناس الكبر

منهم أصلي فمن يفخر به ... يعرف الناس بفخر المفتخر

نحن أهل العز والمجد معا ... غير أنكاس ولا ميلٍ عسر

فاسألوا عنا وعن أفعالنا ... كل قوم عندهم علم الخبر

قال الزبير فحدثني عمي قال: ثم إن حسان بن ثابت مر يوماً بنسوة فيهن عمرة بعد ما طلقها، فأعرضت عنه وقالت لامرأة منهن: إذا حاذاك هذا الرجل فاسأليه من هو وانسبيه وانسبي أخواله وهي متعرضة له، فلما حاذاهن سألته من هو ونسبته فانتسب لها، فقالت: فمن أخوالك؟ فأخبرها، فبصقت عن شمالها وأعرضت عنه؛

فحدد النظر إليها وعجب من فعلها وجعل ينظر إليها، فبصر بامرأته وهي تضحك فعرفها الأمر وعلم أن الأمر من قبلها أتى، فقال في ذلك:

قالت له يوماً تخاطبه ... ريا الروادف غادة الصلب
أما المروءة والوسامة أو ... حشم الرجال فقد بدا، حسبي
فوددت أنك لو تخبرنا ... من والداك ومنصب الشعب
فضحكت ثم رفعت متصلاً ... صوتي كرفع المنطق الشغب
جدي أبو ليلى ووالده ... عمرو وأخوالي بنو كعب
وأنا من القوم الذين إذا ... أزم الشتاء بحلقة الجدب
أعطى ذوو الأموال معسرهم ... والضاربين بموطن الرعب

قال مصعب: وأبو ليلى الذي عناه حسان: حرام بن عمرو بن زيد مناة

ومما فيه صنعة من المائة المختارة

من شعر قيس بن الخطيم:

صوت

حوراء ممكورة منعمة ... كأنما شف وجهها نزف
تنام عن كبر شأنها فإذا ... قامت رويداً تكاد تنقصف
أوحش من بعد خلةٍ سرف ... فالمنحنى فالعقيق فالجرف

الشعر لقيس بن الخطيم سوى البيت الثالث.

والغناء لقفا النجار

ولحنه المختار ثاني ثقيل، هكذا ذكر يحيى بن علي في الأُختيار الواثقي. وهو في كتاب إسحاق لقفا النجار ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ولعله غير هذا اللحن المختار.

الحرب بين مالك بن العجلان وبني عمر بن عوف وسبب ذلك:

سبب قول قيس لهذا الشعر

وهذا الشعر يقوله قيس بن الخطيم في حرب كانت بينهم وبين بني جحجبى وبني خطمة، و لم يشهدها قيس ولا كانت في عصره، وإنما أجاب عن ذكرها شاعراً منهم يقال له: درهم بن يزيد. قال أبو المنهال عتيبة بن المنهال: بعث رجل من غطفان من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان إلى يثرب بفرسٍ وحلةٍ مع رجل من غطفان وقال: ادفعهما إلى أعز أهل يثرب-قال وقيل: إن الباعث بهما عبد يا ليل بن عمرو الثقفي. قال وقيل: بل الباعث بهما علقمة بن علاثة - فجاء الرسول بهما حتى ورد سوق بني قنيقاع فقال ما أمر به، فوثب إليه رجل من غطفان كان جاراً لمالك بن العجلان الخزرجي يقال له كعب الثعلبي، فقال: مالك بن العجلان أعز أهل يثرب؛ وقام رجل آخر فقال: بل أحيحة بن الجلاح أعز أهل يثرب، وكثر الكلام؛ فقيل لرسول الغطفاني قول الثعلبي الذي كان جاراً لمالك بن العجلان ودفعهما إلى مالك؛ فقال كعب الثعلبي: ألم أقل لكم: إن حليفي أعزكم وأفضلكم فغضب رجل من بني عمرو بن عوف يقال له سمير فرصد الثعلبي حتى قتله، فأخبر مالك بذلك، فأرسل إلى بني عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس: إنكم قتلته بنو جحجبى: إنما قتلته بنو زيد؛ ثم أرسلوا إلى مالك: إنه قد كان في السوق التي قتل فيها صاحبكم ناس كثير، ولا يدري أيهم قتله؛ وأمر مالك أهل تلك السوق أن يتفرقوا، فلم يبق فيها غير سمير وكعب، فأرسل مالك إلى بني عمرو بن عوف بالذي بلغه من ذلك وقال: إنما قتله سمير، فأرسلوا به إلي أقتله؛ فأرسلوا إليه: إنه ليس لك أن تقتل سميراً بغير بينة؛ وكثرت الرسل بينهم في ذلك: يسألهم مالك أن يعطوه سميراً ويأبون أن يعطوه إياه. ثم إن بني عمرو بن عوف كرهوا أن ينسبوا بينهم وبين مالك حرباً، فأرسلوا إليه يعرضون عليه الدية فقبلها؛ فأرسلوا إليه: إن صاحبكم حليف وليس لكم فيه إلا نصف الدية، فغضب مالك وأبى أن يأخذ فيه إلا الدية كاملة أو يقتل سميراً؛ فأبت بنو عمرو بن عوف أن يعطوه إلا دية الحليف وهي نصف الدية، ثم يأخذ فيه إلا الدية كاملة أو يقتل سميراً؛ فأبت بنو عمرو بن عوف أن يعطوه إلا دية الحليف وهي نصف الدية، ثم دهوه أن يحكم بينهم وبينه عمرو بن امرئ القيس أحد بني الحارث بن الخزرج وهو جد عبد الله بن رواحة ففعل؛ فانطلقوا حتى جاءوه في بني الحارث بن الخزرج، فقضى على مالك بن العجلان أنه ليس له في حليفة إلا دية الحليف، وأبى مالك أن يرضى بذلك وآذن بني عمرو بن عوف بالحرب، واستنصر قبائل الخزرج، فأبت بنو الحارث بن الخزرج أن تنصره غضباً حين رد قضاء عمرو بن امرئ القيس؛ فقال مالك بن العجلان يذكر خذلان بني الحارث بن الخزرج له وحدب بني عمرو بن عوف على سمير، ويحرض بني النجار على نصرته:

إن سميراً أرى عشيرته ... قد حدبوا دونه وقد أنفوا

إن يكن الظن صادقاً ببني الن ... جار لا يطعموا الذي علفوا

لا يسلمونا لمعشرٍ أبداً ... مادام منا ببطنها شرف

لكن موالي قد بدا لهم ... رأي سوى ما لدي أو ضعفوا

" يقال: علفوا الضيم إذ أقروا به، أي ظني أنهم لا يقبلون الضيم "

صوت

بين بني جحجبى وبين بني زيد فأنى لجاري التلف
يمشون في البيض والدروع كما تمشي جمال مصاعب قطف
كما تمشي الأسود في رهج ال موت إليه وكلهم لهف

غنى في هذه الأبيات معبد خفيف ثقيلٍ عن إسحاق، وذكر الهشامي أن فيه لحناً من الثقيل الأول للغريض وقال درهم بن يزيد بن ضبيعة أخو سمير في ذلك:

يقوم لا تقتلوا سميراً فإ ن القتل فيه البوار والأسف
إن تقتلوه ترن نسوتكم على كريم ويفزع السلف
إني لعمر الذي يحج له الن اس ومن دون بيته سرف
يمين بر بالله مجتهد يحلف إن كان ينفع الحلف
لا نرفع العبد فوق سنته مادام منا ببطنها شرف
إنك لاق غداً غواة بني عمي فانظر ما أنت مزدهف
فأبدأ سيماك يعرفوك كما يبدون سيماهم فتعترف

معنى قوله "فأبد سيماك": أن مالك بن العجلان كان إذا شهد الحرب يغير لباسه ويتنكر لئلا يعرف فيقصد وقال درهم بن يزيد في ذلك:

يا مال لا تبغين ظلامتنا يامال إنا معاشر أنف
يا مال والحق إن قنعت به فيه وفينا لأمرنا نصف
إن بجيراً عبد فخذ ثمناً فالحق يوفى به ويعترف
ثم اعلمن إن أردت ضيم بني زيد فإني ومن له الحلف
لأصبحن داركم بذي لجبٍ جونٍ له من أمامه عزف
البيض حصن لهم إذا فزعوا وسابغات كأنها النطف
والبيض قد ثلمت مضاربها بها نفوس الكماة تختطف

كأنها في الأكف إذ لمعت ... وميض برق يبدر وينكسف

وقال قيس بن الخطيم الظفري أحد بني النبيت في ذلك، و لم يدركه وإنما قاله بعد هذه الحرب بزمان، ونم هذه القصيدة الصوت المذكور:

رد الخليط الجمال فانصرفوا ... ماذا عليهم لو أنهم وقفوا

لو وقفوا ساعة نسائلهم ... ريث يضحي جماله السلف

فيهم لعوب العشاء آنسة ال ... دل عروب يسوءها الخلف

بين شكول النساء خلقتها ... قصد فلا جبلة ولاقضف

تنام عن كبر شأنها فإذا ... قامت رويداً تكاد تنغرف

تغترف الطرف وهي لاهية ... كأنما شف وجهها نزف

حوراء جيداء يستضاء بها ... كأنها خوط بانةٍ قصف

قضى لها الله حين صورهاال ... خالق أن لا يكنها سدف

خوذ يغث الحديث ماصمتت ... وهو بفيها ذو لذة طرف

تخزنه وهو مشتهى حسن ... وهو إذا ما تكلمت أنف

وهي طويلة يقول فيها:

أبلغ بني جحجبى وإخوتهم ... زيداً بأنا وراءهم أنف

إنا وإن قل نصرنا لهم ... أكبادنا من ورائهم تجف

لما بدت نحونا جباههم ... حنت إلينا الأرحام والصحف

نفلي بحد الصفيح هامهم ... وفلينا هامهم بها جنف

يتبع آثارها إذا اختلجت ... سخن عبيط عروقه تكف

إن بني عمنا طغوا وبغوا ... ولج منهم في قومهم سرف

فرد عليه حسان بن ثابت و لم يدرك ذلك"

ما بال عينيك دمعها يكف ... من ذكر خود شطت بها قذف

بانت بها غربة تؤم بها ... أرضاً سوانا والشكل مختلف

ما كنت أدري بوشك بينهم ... حتى رأيت الحدوج تنقذف

دع ذا وعد القريض في نفر ... يرجون مدحي ومدحي الشرف

إن تدع قومي للمجد تلفهم أهل فعالٍ يبدو إذا وصفوا

إن سميراً عبد طغى سفهاً ساعده أعبد لهم نطف

اليهود والأوس والخزرج قال: ثم أرسل مالك بن العجلان إلى بني عمرو بن عوف يؤذنهم بالحرب، ويعدهم يوماً يلتقون فيه، وأمر قومه فتهيؤا للحرب، وتحاشد الحيان وجمع بعضهم لبعض. وكانت يهود قد حالفت قبائل الأوس والخزرج، إلا بني قريظة وبني النضير فإنهم لم يحالفوا أحداً منهم، حتى كان هذا الجمع، فأرسلت إليهم الأوس والخزرج، كل يدعوهم إلى نفسه، فأجابوا الأوس وحالفوهم، والتي حالفت قريظة والنضير من الأوس أوس الله وهي خطمة وواقف وأمية ووائل، فهذه قبائل أوس الله. ثم زحف مالك بمن معه من الخزرج، وزحفت الأوس بمن معها من حلفائها من قريظة و النضير، فالتقوا بفضاء كان بين بئر سالم وقباء، وكان أول يوم التقوا فيه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انصرفوا وهم منتصفون جميعاً، ثم التقوا مرة أخرى عند أطم بني قنيقاع، فاقتتلوا حتى حجز الليل بينهم، وكان الظفر يومئذ للأوس على الخزرج، فقال أبو قيس بن الأسلت في ذلك:

لقد رأيت بني عمرو فما وهنوا عند اللقاء وما هموا بتكذيب

ألا فدى لهم أمي وما ولدت غداة يمشون إرقال المصاعيب

بكل سلهبةٍ كالأيم ماضيةٍ وكل أبيض ماضي الحد مخشوب

أصل المخشوب: الحديث الطبع، ثم صار كل مصقول مخشوباً؛ فشبهها الحية في انسلالها قال: فلبث الأوس والخزرج متحاربين عشرين سنة في أمر سمير يتعاودون القتال في تلك السنين، وكانت لهم فيها أيام ومواطن لم تحفظ، فلما رأت الأوس طول الشر وأن مالكاً لاينوع، قال لهم سويد بن صامت الأوسي- وكان يقال له الكامل في الجاهلية، وكان الرجل عند العرب إذا كان شاعرا شجاعاً كاتباً سابحاً رامياً سموه الكامل، وكان سويد أحد الكملة: يا قوم، أرضوا هذا الرجل من حليفه، ولا تقيموا على حرب إخوتكم فيقتل بعضكم بعضاً ويطمع فيكم غيركم، وإن حملتم على أنفسكم بعض الحمل. فأرسلت الأوس إلى مالك بن العجلان يدعونه إلى أن يحكم بينه وبينهم ثابت بن المنذر بن حرام أبو حسان بن ثابت، فأجابهم إلى ذلك، فخرجوا حتى أتوا ثابت بن المنذر، وهو في البئر التي يقال لها سميحة، فقالوا: إنا قد حكمناك بيننا؛ فقال: لا حاجة لي في ذلك؛ قالوا: و لم؟ قال: أخاف أن تردوا حكمي كما رددت حكم عمرو بن امرئ القيس؛ قالوا: فإنا لانرد حكمك فاحكم بيننا؛ قال: لا أحكم بينكم حتى تعطوني موثقاً وعهداً لترضون بحكمي وما قضيت به ولتسلمن له؛ فأعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم، فحكم بأن يودى حليف مالك دية الصريح ثم تكون السنة فيهم بعده على ما كانت عليه؛ الصريح على ديته والحليف على ديته، وأن تعد القتلى الذين أصاب بعضهم من بعض في حربهم " ثم يكون بعض ببعض" ثم يعطوا الدية جار مالك معونة لإخوتهم، و على بني عمرو بن عوف نصفها؛ فرأت بنو عمرو بن

عوف أنهم لم يخرجوا إلا الذي كان عليهم، ورأى مالك أنه قد أدرك ما كان يطلب، وودي جاره دية الصريح. ويقال: بل الحاكم المنذر أبو ثابت.

ذكر طويس وأخباره

اسمه وكنيته

طويس لقب غلب عليه، واسمه عيسى بن عبد الله، وكنيته أبو عبد المنعم وغيرها المخنثون فجعلوها أبا عبد النعيم، وهو مولى بني مخزوم. وقد حدثني جحظة عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الواقدي عن ابن أبي الزناد: قال سعد بن أبي وقاص: كني طويس أبا عبد المنعم.

أول من غنى بالعربية في المدينة

وألقى الخنث بها:

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المسيبي ومحمد بن سلام الجمحي، وعن الواقدي ابن أبي الزناد؛ وعن المدائني عن زيد بن أسلم عن أبيه، وعن ابن الكلبي عن أبيه وعن أبي مسكين.
قالوا: أول من غنى بالعربي بالمدينة طويس، وهو أول من ألقى الخنث بها، وكان طويلاً أحول يكنى أبا المنعم، مولى بني مخزوم، وكان لا يضرب بالعود. إنما كان ينقر بالدف، وكان ظريفاً عالماً بأمر المدينة وأنساب أهلها، وكان يتقى للسانه.

شؤمه

قالوا: وسئل عن مولده فذكر أنه ولد يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفطم يوم مات أبو بكر، وختن يوم قتل عمر، وزوج يوم قتل عثمان، وولد له ولد يوم قتل علي رضوان الله عليهم أجمعين. قال وقيل: إنه ولد له ولد يوم مات الحسن بن علي عليه السلام. قال: وكانت أمي تمشي بين نساء الأنصار بالنميمة. قالوا: وأول غناء غناه وهزج به:

صوت

كيف يأتي من بعيدٍ ... وهو يخفيه القريب
نازح بالشأم عنا ... وهو مكسال هيوب
قد يراني الحب حتى ... كدت من وجدي أذوب

الغناء لطويس هزج بالبنصر.

بعض ما روي عن شؤمه قال إسحاق: أخبرني الهيثم بن عدي قال قال صالح بن حسان الأنصاري أنبأني أبي قال: اجتمع يوماًجماعة بالمدينة يتذاكرون أمر المدينة إلى أن ذكروا طويساً، فقالوا: كان وكان؛ فقال رجل منا: أما لو شاهدتموه لرأيتم ما تسرون به علماً وظرفاً وحسن غناء وجودة نقرٍ الدف، ويضحك كل ثكلى حرى؛ فقال بعض القوم: والله إنه على ذلك كان مشؤوماً؛ وذكر خبر ميلاده كما قال الواقدي، إلا أنه قال: ولد يوم مات نبينا صلى الله عليه وسلم، وفطم يوم مات صديقنا، وختن يوم قتل فاروقنا، وزوج يوم قتل نورنا، وولد له يوم قتل أخو نبينا؛ وكان مع ذلك مخنثاً يكيدنا ويطلب عثراتنا؛ وكان مفرطاً في طوله مضطرباً في خلقه أحول. فقال رجل من جلة أهل المجلس: لئن كان كما قلت لقد كان ممتعاً فهما يحسن رعاية من حفظ له حق المجالسة، ورعاية حرمة الخدمة، وكان لا يحمل قول من لا يرعى له بعض ما يرعاه له.

كان يحب قريشاً ويحبونه:

ولقد كان معظماً لمواليه بني مخزوم

ومن والاهم من سائر قريش، ومسالماً لمن عاداهم دون التحكيك به؛ وما يلام من قال بعلم وتكلم على فهم، والظالم الملوم، والبادئ أظلم. فقال رجل آخر: لئن كان ما قلت لقد رأيت قريشاً يكتنفونه ويحدقون به ويحبون مجلسته وينصتون إلى حديثه ويتمنون غناءه، وما وضعه شيء إلا خنثه ولولا ذلك ما بقي رجل من قريش والأنصار وغيرهم إلا أدناه.

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدثني إسماعيل بن جامع عن سياط قال: كان أول من تغنى بالمدينة غناء" يدخل في الإيقاع طويس، وكان مولده يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفطامه في اليوم الذي نوفي فيه أبو بكر، وختانه في اليوم الذي قتل فيه عمر، وبناؤه بأهله في اليوم الذي قتل فيه عثمان، وولد له يوم قتل علي رضوان الله عليهم أجمعين، وولد وهو ذاهب العين اليمنى.

كان يلقب بالذائب وسبب ذلك

وكان يلقب بالذائب، وإنما لقب بذلك لأنه غنى:

قد يراني الحب حتى كدت من وجدي أذوب

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال أخبرني ابن الكلبي عن أبي مسكين قال:

مروان بن الحكم والنغاشي المخنث: كان بالمدينة مخنث يقال له النغاشي، فقيل لمروان بن الحكم: إنه لا يقرأ من كتاب الله شيئاً، فبعث إليه يومئذ، وهو على المدينة، فأستقرأه أم الكتاب؛ فقال: والله ما معي بناها، أو ما أقرأ البنات فكيف أقرأ أمهن! فقال: أهزأ لا أم لك! فأمر به فقتل في موضع يقال له بطحان، وقال: من جاءني بمخنث فله عشرة دنانير.

طلبه مروان في المخنثين

ففر منه حتى مات:

فأتي طويس وهو في بني الحارث بن الخزرج من المدينة، وهو يغني بشعر حسان بن ثابت:

لقد هاج نفسك أشجانها ... وعاودها اليوم أديانها

تذكرت هنداً وماذكرها ... وقد قطعت منك أقرانها

وقفت عليها فساءلتها ... وقد ظعن الحي ما شأنها

فصدت وجاوب من دونها ... بما أوجع القلب أعوانها

فأخبر بمقالة مروان فيهم؛ فقال: أما فضلني الأمير عليهم بفضل حتى جعل في وفيهم أمراً واحداً! ثم خرج حتى نزل السويداء- على ليلتين من المدينة في طريق الشأم-فلم يزل بها عمره، وعمر حتى مات في ولاية بن الوليد بن عبد الملك.

هيت المخنث وبادية بنت غيلان

قال إسحاق وأخبرني ابن الكلبي قال أخبرني خالد بن سعيد عن أبيه وعوانة قالا: قال هيت المخنث لعبد الله بن أبي أمية: إن فتح الله عليكم الطائف فسل النبي صلى الله عليه وسلم بادية بنت غيلان بن سلمة بن معتب، فإنها هيفاء شموع نجلاء، إن تكلمت تغنت، وإن قامت تثنت، تقبل بأربع وتدبر بثمان، مع ثغر كأنه الأقحوان، وبين رجليها كالإناء المكفوء، كما قال قيس بن الخطيم:

تغترق الطرف وهي لاهية ... كأنما شف وجهها نزف

بين شكول النساء خلقتها ... قصد فلا جبلة ولاقضف

فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" لقد غلغلت النظر ياعدو الله "، ثم جلاه عن المدينة إلى الحمى. قال هشام: وأول ما اتخذت النعوش من أجلها. قال: فلما فتحت الطائف تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له بريهة. فلم يزل هيت بذلك المكان حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم؛ فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه كلم فيه فأبى أن يرده؛ فلما ولي عمر رضي الله عنه كلم فيه فأبى أن يرده وقال: إن رأيته لأضربن عنقه؛ فلما ولي عثمان

رضي الله عنه كلم فيه فأبى أن يرده؛ فقيل له: قد كبر وضعف واحتاج؛ فأذن له أن يدخل كل جمعة فيسأل ويرجع إلى مكانه. وكان هيت مولى لعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي، وكان طويس له؛ فمن ثم قيل الخنث.

وجلس يوماً فغنى في مجلس

فيه ولد لعبد الله بن أبي أمية:

" تغترق الطرف وهي لاهية" إلى أخر البيتين؛ فأشير إلى طويس أن اسكت؛ فقال: والله ما قيل هذان البيتان في ابنة غيلان بن سلمة وإنما هذا مثل ضربة هيت في أم بريهة؛ ثم التفت إلى ابن عبد الله فقال: يابن الطاهر، أوجدت علي في نفسك؟ أقسم بالله قسماً حقاً لأغني بهذا الشعر أبداً.

ضافه عبد الله بن جعفر فأكرمه وغناه

قال إسحاق وحدثنا أبو الحسن الباهلي الراوية عن بعض أهل المدينة، وحدثنا الهيثم بن عدي والمدائني، قالوا: كان عبد الله بن جعفر معه إخوان له في عشية من عشايا الربيع، فراحت عليهم المساء بمطر جود فأسأل كل شيء؛ فقال عبد الله: هل لكم في العقيق؟-وهو منتزه أهل المدينة في أيام الربيع والمطر-فركبوا دوابهم ثم انتهوا إليه فوقفوا على شاطئه وهو يرمي بالزبد مثل مد الفرات، فإنهم لينظرون إذ هاجت السماء، فقال عبد الله لأصحابه ليس معنا جنة نستجن بها وهذه سماء خليقة أن تبل ثيابنا، فهل لكم في منزل طويس فإنه قريب منا فنستكن فيه ويحدثنا ويضحكنا؟ وطويس في النظارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر؛ فقال له عبد الرحمن بن حسان بن ثابت: جعلت فداءك! وما تريد من طويس عليه غضب الله: مخنث شائن لمن عرفه؛ فقال له عبد الله: لا تقل ذلك، فإنه مليح خفيف لنا فيه أنس؛ فلما استوفى طويس كلامهم تعجل إلى منزله فقال لامرأته: ويحك! قد جاءنا عبد الله بن جعفر سيد الناس، فما عندك؟ قالت: نذبح هذه العناق، وكانت عندها عنيقة قد ربتها باللبن، واختبز خبزاً رقاقاً؛ فبادر فذبحها وعجنت هي. ثم خرج فتلقاه مقبلاً إليه؛ فقال له طويس: بأبي أنت وأمي؛ هذا المطر، فهل لك في المنزل فتستكن فيه إلى أن تكف السماء؟ قال: إياك أريد؛ قال: فامض ياسيدي على بركة الله، وجاء يمشي بين يديه حتى نزلوا، فتحدثوا حتى أدرك الطعام، فقال: بأبي أنت وأمي، تكرمني إذ دخلت منزلي بأن تتعشى عندي؛ قال: هات ما عندك؛ فجاءه بعناقٍ سمينةٍ ورقاق، فأكل وأكل القوم حتى تملئوا، فأعجبه طيب طعامه، فلما غسلوا أيديهم قال: بأبي أنت وأمي، أتمشى معك وأغنيك؟ قال: افعل ياطويس؛ فأخذ ملحفة فأتزر بها وأرخى بها ذنبين، ثم أخذ المربع فتمشى وأنشأ يغني:

يا خليلي نابني سهدي لم تنم عيني ولم تكد

كيف تلحوني على رجلٍ آنس تلتذه كبدي

مثل ضوء البدر طلعته ليس بالزميلة النكد

فطرب القوم وقالوا أحسنت والله ياطويس. ثم قال: يا سيدي، أتدري لمن هذا الشعر؟ قال: لا والله، ما أدري لمن هو، إلا أن سمعت شعراً حسناً؛ قال: هو لفارعة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت وهي تتعشق عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي وتقول فيه هذا الشعر؛ فنكس القوم رؤوسهم، وضرب عبد الرحمن برأسه على صدره، فلو شقت الأرض له لدخل فيها.

خبره مع سعيد بن عبد الرحمن قال وحدثني ابن الكلبي والمدائني عن جعفر بن محرز قال: خرج عمر بن عبد العزيز، وهو على المدينة، إلى السويداء وخرج الناس معه، وقد أخذت المنازل، فلحق بهم يزيد بن بكر بن دأب الليثي وسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري، فلقيهما طويس فقال لهما: بأبي أنتما وأمي! عرجا إلى مترلي؛ فقال يزيد لسعيد: مل بنا مع أبي عبد النعيم؛ فقال سعيد: أين تذهب مع هذا المخنث! فقال يزيد: إنما هو مترل ساعة فمالا، واحتمل طويس الكلام على سعيد، فأتيا مترله فإذا هو قد نصحه ونصعه، فأتاهما بفاكهة من فاكهة الماء؛ ثم قال سعيد: لو أسمعتنا يا أبا عبد النعيم! فتناول خريطة فاستخرج منها دفاً ثم نقره وقال:

يا خليلي نابني سهدي لم تنم عيني ولم تكد

فشاربي ماأسيغ وما أشتكي ما بي إلى أحد

كيف تلحوني على رجل آنس تلتذه كبدي

مثل ضوء البدر صورته ليس بالزميلة النكد

من نبي آل المغيرة لا خامل نكس و لاجحد

نظرت يوماً فلا نظرت بعده عيني إلى أحد

ثم ضرب بالدف الأرض، فقال سعيد: ما رأيت "كاليوم" قط شعراً أجود ولاغناء أحسن كمه؛ فقال له طويس: يا بن الحسام، أتدري من يقوله؟ قال: لا؛ قال: قالته عمتك خولة بنت تشبب بعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي؛ فخرج سعيد وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط مثل ما استقبلني به هذا المخنث! والله لايفلتني! فقال يزيد: دع هذا وأمته ولا ترفع به رأساً. قال أبو الفرج الأصبهاني: هذه الأبيات، فيما ذكر الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار، لابن زهير المخنث

مدح ابن سريج غناءه

قال إسحاق وحدثني الهيثم بن عدي عن ابن عياش، وابن الكلبي عن أبي مسكين، قالا:

قدم ابن سريج المدينة فغناهم، فاستظرف الناس غناءه وآثروه على كل غنى؛ وطلع عليهم طويس فسمعهم وهم

يقولون ذلك، فاستخرج دفاً من حضنه ثم نقر به وغناهم بشعر عمارة بن الوليد المخزومي في خولة بنت ثابت، عارضها بقصيدتها فيه:

يا خليلي فيكم وجدي ... وصدع حبكم كبدي

فقلبي مسعر حزناً ... بذات الخال في الخد

فما لاقى أخو عشقٍ ... عشير العشر من جهدي

فأقبل عليهم ابن سريج فقال: والله هذا أحسن الناس غناء أخبرني وكيع محمد بن خلف قال حدثنا إسماعيل بن مجمع قال حدثني المدائني قال: قدم ابن سريج المدينة فجلس يوماً في جماعةٍ وهم يقولون: أنت والله أحسن الناس غناء، إذ مر بهم طويس فسمعهم وما يقولون: فاستل دفه من حضنه ونقره وتغنى:

إن المجنبة التي ... مرت بنا قبل الصباح

في حلةٍ موشية ... مكية غرثى الوشاح

زين لمشهد قطرهم ... وتزينهم يوم الأضاحي

-الشعر لابن زهير المخنث. والغناء لطويس هزج، أخبرنا بذلك الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار-فقال ابن سريج: هذا والله أحسن الناس غناء لا أنا.

تبع جارية فزجرته ثم تغنى بشعر

قال إسحاق حدثني المدائني قال: حدثت أن طويساً تبع جارية فراوغته فلم ينقطع عنها، فخبت في المشي فلم ينقطع عنها؛ فلما جازت بمجلس وقفت ثم قالت: يا هؤلاء، لي صديق ولي زوج ومولى ينكحني، فسلوا هذا ما يريد مني! فقال أضيق ما قد وسعوه. ثم جعل يتغنى:

أفق يا قلب عن جمل ... وجمل قطعت حبلي

أفق عنها فقد عني ... ت حولاً في هوى جمل

وكيف يفيق محزون ... بجمل هائم العقل

براه الحب في جملٍ ... فحسبي الحب من ثقل

وحسبي فيك ما ألقى ... من التفنيد والعذل

وقدماً لامني فيها ... فلم أحفل بهم أهلي

حديث طويس والرجل المسحور

قال إسحاق وقال المدائني قال مسلمة بن محارب حدثني رجل من أصحابنا قال: خرجنا في سفرة ومعنا رجل، فانتهينا إلى وادٍ فدعونا بالغداء، فمد الرجل يده إلى الطعام فلم يقدر عليه، وهو قبل ذلك يأكل معنا في كل منزل، فخرجنا نسأل عن حاله فلقينا رجلاً طويلاً أحول الخلق في زي الأعراب، فقال لنا: مالكم؟ فأنكرنا سؤاله لنا، فأخبرنا خبر الرجل؛ فقال: ما اسم صاحبكم؟ فقلنا: أسيد؛ فقال: هذا واد قد أخذت سباعه فارحلوا، فلو قد جاوزتم الوادي استمر صاحبكم وأكل. قلنا في أنفسنا: هذا من الجن، ودخلتنا فزعة؛ ففهم ذلك وقال: ليفرخ روعكم فأنا طويس. قال له بعض من معنا من بني غفار أو من بني عبس: مرحباً بك يا أبا عبد النعيم، ما هذا الزي! فقال: دعاني بعض أودائي من الأعراب فخرجت إليهم وأحببت أن أتخطى الأحياء فلا ينكروني. فسألت الرجل أن يغنينا؛ فاندفع ونقر بدف كان معه مربعٍ، فلقد تخيل لي أن الوادي ينطق معه حسناً، وتعجبنا من علمه وما أخبرنا "به" من أمر صاحبنا.

وكان الذي غنى به شعر عروة بن الورد في سلمى امرأته الغفارية حيث رهنها على الشراب:

سقوني الخمر ثم تكنفوني ... عداة الله من كذب وزور

وقالوا لست بعد فداء سلمى ... بمفنٍ ما لديك ولا فقير

فلا والله لو ملكت أمري ... ومن لي بالتدبر في الأمور

إذاً لعصيتهم في حب سلمى ... على ما كان من حسك الصدور

فيا للناس كيف غلبت أمري ... على شيءٍ ويكرهه ضميري

قصة عروة وامرأته سلمى الغفارية

قال إسحاق وحدثني الواقدي قال حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال:

لما غزا النبي صلى الله عليه وسلم بني النضير وأجلاهم عن المدينة خرجوا يريدون خيبر يضربون بدفوفٍ ويزمرون بالمزامير وعلى النساء المعصفرات وحلي الذهب مظهرين لذلك تجلداً، ومرت في الظعن يومئذ سلمى امرأة عروة بن الورد "العبسي"، وكان عروة حليفاً في بني عمرو بن عوف، وكانت سلمى من بني غفار، فسباها عروة من قومها وكانت ذات جمالٍ فولدت له أولاداً وكان شديد الحب لها وكان ولده يعيرون بأمهم ويسمون بني الأحيذة- أي السبية - فقالت: ألا ترى ولدك يعيرون؟ قال: فماذا ترين؟ قالت: أرى أن تردني إلى قومي حتى يكونوا هم الذين يزوجونك فأنعم لها، فأرسلت إلى قومها أن ألقوه بالخمر ثم اتركوه حتى يسكر ويثمل فإنه لا يسأل حينئذ شيئاً إلا أعطاه؛ فلقوه وقد نزل في بني النضير فسقوه الخمر، فلما سكر سألوه سلمى فردها عليهم ثم أنكحوه بعد. إلا أعطاه؛ فلقوه وقد نزل في بني النضير فسقوه الخمر، فلما انتشى منعوه ولاشيء معه إلا هي فرهنها، ولم يزل يشرب حتى غلقت؛ فلمنا قال لها: انطلقي قالت: لا سبيل إلى ذلك، قد أغلقتني. فبهذا صارت عند بني النضير. فقال في ذلك:

سقوني الخمر ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور

هذه الأبيات مشهورة بأن لطويس فيها غناء"، وما وجدته في شيء من الكتب مجنساً فتذكر طريقته.

كان يغري بين الأوس والخزرج

ويتغنى بالشعر الذي قيل في حروبهم:

قال إسحاق وحدثني المدائني قال: كان طويس ولعاً بالشعر الذي قالته الأوس والخزرج في حروبهم، وكان يريد بذلك الإغراء فقل مجلس اجتمع فيه هذان الحيان فغنى فيه طويس إلا وقع فيه شيء؛ فنهي عن ذلك، فقال: والله لا تركت الغناء بشعر الأنصار حتى يوسدوني التراب؛ وذلك لكثرة تولع القوم به، فكان يبدي السرائر ويخرج وكان يستحسن غناؤه ولا يصبر عن حديثه ويستشهد على معرفته، فغنى يوماً بشعر قيس بن الخطيم في حرب الأوس والخزرج وهو:

رد الخليط الجمال فانصرفوا ماذا عليهم لو أنهم وقفوا

لو وقفوا ساعة" نسائلهم ريث يضحي جماله السلف

فليت أهلي وأهل أثلة في ال دار قريب من حيث نختلف

فلما بلغ إلى آخر بيت غنى فيه طويس من هذه القصيدة وهو:

أبلغ بني جحجبى وقومهم خطمة أنا وراءهم أنف

تكلموا وانصرفوا وجرت بينهم دماء، وانصرف طويس من عندهم سليماً لم يكلم و لم يقل شيء سبب الحرب بين الأوس والخزرج قال إسحاق فحدثني الواقدي وأبو البختري، قالا: قال قيس بن الخطيم هذه القصيدة لشغب أثاره القوم بعد دهر طويل. ونذكر سبب أول ما جرى بين الأوس والخزرج من الحرب: قال إسحاق قال أبو عبد الله اليزيدي وأبو البختري، قالا: قال قيس بن الخطيم هذه القصيدة لشغب أثاره القوم بعد دهر طويلٍ ونذكر سبب أول ما جرى بين الأوس والخزرج من الحرب:

قال إسحاق قال أبو عبد الله اليزيدي" وأبو البختري"، وحدثني مشايخ لنا قالوا: كانت الأوس والخزرج أهل عز ومنعةٍ وهما أخوان لأب وأم وهما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وأمهما قيلة بنت جفنة بن عتبة بن عمرو؛ وقضاعة تذكر أنها قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. وكانت أول حرب جرت بينهم في مولى كان لمالك بن العجلان قتله سمير بن يزيد بن مالك، وسمير رجل من الأوس ثم أحد بني عمرو بن عوف، وكان مالك سيد الحيين في زمانه، وهو الذي ساق تبعاً إلى المدينة وقتل الفطيون صاحب زهرة وأذل اليهود للحيين جميعاً، فكان له بذلك الذكر والشرف عليهم، وكانت دية المولى فيهم-وهو الحليف- خمساً من الإبل، ودية الصريح عشراً، فبعث مالك إلى عمرو بن عوف: ابعثوا إلي سميراً حتى

أقتله بمولاي فإنا نكره أن تنشب بيننا وبينكم حرب، فأرسلوا إليه: إنا نعطيك الرضا من مولاك فخذ منا عقلة، فإنك قد عرفت أن الصريح لا يقتل بالمولى؛ قال: لا آخذ في مولاي دون دية الصريح، فأبوا إلا دية المولى. فلما رأى ذلك مالك بن العجلان جمع قومه من الخزرج، وكان فيهم مطاعاً، وأمرهم بالتهيؤ للحرب. فلما بلغ الأوس استعدوا لهم وتهيئوا للحرب واختاروا الموت على الذل؛ ثم خرج بعض القوم إلى بعض فالتقوا بالصفينة بين بئر سالم وبين قباء "قرية لبني عمرو بن عوف" فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى نال بعض القوم من بعض. ثم إن رجلاً من الأوس استعدوا لهم وتهيئوا للحرب واختاروا الموت على الذل؛ ثم خرج بعض القوم إلى بعض فالتقوا بالصفينة بين بئر سالم وبين قباء "قرية لبني عمرو بن عوف" فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى نال بعض القوم من بعض. ثم إن رجلاً من الأوس نادى: يا مالك، ننشدك الله والرحم - وكانت أم مالك إحدى نساء بني عمرو بن عوف -فاجعل بيننا وبينك عدلاً من قومك فما حكم علينا سلمنا لك؛ فارعوى مالك عند ذلك، وقال نعم؛ فاختاروا عمرو بن امرئ القيس أحد بني الحارث بن الخزرج فرضي القوم به، واستوثق منهم، ثم قال: فإني أقضي بينكم: إن كان سمير قتل صريحاً من القوم فهو به قود، وإن قبلوا العقل فلهم دية الصريح، وإن كان مولى فلهم دية المولى بلا نقصٍ، ولايعطى فوق نصف الدية، وما أصبتم منا في هذه الحرب ففيه الدية مسلمة إلينا، وما أصبنا منكم فيها علينا فيه دية مسلمة إليكم. فلما قضى بذلك عمرو بن امرئ القيس غضب مالك بن العجلان ورأى أن يرد عليه رأيه، وقال: لا أقبل هذا القضاء؛ وأمر قومه بالقتال، فجمع القوم بعضهم لبعضٍ ثم التقوا بالفضاء عند آطام بني قنيقاع، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم تداعوا إلى الصلح فحكموا ثابت بن حرام بن المنذر أبا حسان بن ثابت النجاري، فقضى بينهم أن يدوا مولى مالك بن العجلان بدية الصريح ثم تكون السنة فيهم بعده على مالكٍ وعليهم كما كانت أول مرة: المولى على ديته؛ والصريح على ديته؛ فرضي مالك وسلم الآخرون. وكان ثابت إذ حكموه أراد إطفاء النائرة فيما بين القوم و لم شعثهم، فأخرج خمساً من الإبل من قبيلته حين أبت عليه الأوس أن تؤدي إلى مالك أكثر من خمسٍ وأبي مالك أن يأخذ دون عشرٍ. فلما أخرج ثابت الخمس أرضى مالكاً بذلك ورضيت الأوس، واصطلحوا بعهد وميثاق ألا يقتل رجل في داره ولا معقله - والمعاقل: النخل -فإذا خرج رجل من داره أو معقله فلا دية له ولا عقل. ثم انظروا في القتلى فأي الفريقين فضل على صاحبه ودى له صاحبه. فأفضلت الأوس على الخزرج بثلاثة نفر فودتهم الأوس واصطلحوا. ففي ذلك يقول حسان بن ثابت لما كان أبوه أصلح بينهم ورضاهم بقضائه في ذلك:

وأبي في سميحة القائل الفا ... صل حين التفت عليه الخصوم

وفي ذلك يقول قيس بن الخطيم قصيدته وهي طويلة:

رد الخليط الجمال فانصرفوا ... ماذا عليهم لو أنهم وقفوا

رأي عمر بن عبد العزيز في شعره

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: كان عمر بن عبد العزيز ينشد قول قيس بن الخطيم:

بين شكول النساء خلقتها ... قصد فلا جبلة ولاقضف

تنام على كبر شأنها فإذا ... قامت رويداً تكاد تنقصف

تغترق الطرف وهي لاهية ... كأنما شف وجهها نزف

ثم يقول: قائل هذا الشعر أنسب الناس.

ومما في المائة المختارة من أغاني طويس

صوت

يا لقومي قد أرقتني الهموم ... ففؤادي مما يجن سقيم

أندب الحب في فؤادي ففيه ... لو تراءى للناظرين كلوم

يجن: يخفى، والجنة من ذلك، والجن أيضاً مأخوذ منه. وأندب: أبقى فيه ندباً وهو أثر الجرح؛ قال ذو الرمة:

تريك سنة وجهٍ غير مقرفةٍ ... ملساء ليس بها خال ولاندب

الشعر لابن قيس الرقيات فيما قيل. والغناء لطويس، ولحنه المختار خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى، قال إسحاق: وهو أجود لحن غناه طويس، ووجدته في كتاب الهشامي خفيف رمل بالوسطى منسوباً إلى ابن طنبورة. قال وقال ابن المكي: إنه لحكم، وقال عمرو بن بانة: إنه لابن عائشة أوله هذان البيتان، وبعدهما:

ما لذا الهم لايريم فؤادي ... مثل ما يلزم الغريم الغريم

إن من فرق الجماعة منا ... بعد خفضٍ ونعمة لذميم

انقضت أخبار طويس

صوت من المائة المختارة

من صنعة قفا النجار

حجب الألى كنا نسر بقربهم ... ياليت أن حجابهم لم يقدر

حجبوا ولم نقض اللبانة منهم ... ولنا إليهم صبوة لم تقصر

ويحيط مئزرها بردفٍ كاملٍ ... رابى المجسة كالكثيب الأعفر

وإذا مشت خلت الطريق لمشيها وحلاً كمشي المرجحن الموقر

لم يقع إلينا قائل الشعر. والغناء لقفا النجار، ولحنه المختار من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

ويقال: إن فيه لحناً لابن سريج. وذكر يحيى بن علي" ابن يحيى" في الاختبار الواثقي أن لحن قفا النجار المختار من الثقيل الأول

صوت من المائة المختارة

أفق يادرامي فقد بليتا وإنك سوف توشك أن تموتا

أراك تزيد عشقاً كل يومٍ إذا ما قلت إنك قد بريتا

الشعر والغناء جميعاً لسعيدٍ الدرامي، ولحنه المختار من خفيف الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

ذكر الدرامي وخبره ونسبه

نسبه وكان من الشعراء وأرباب النوادر

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: الدارمي من ولد سويد بن زيد الذي كان جده قتل أسعد بن عمرو بن هند، ثم هربوا إلى مكة فحالفوا بني نوفل بن عبد مناف.

وكان الدرامي في أيام عمر بن عبد العزيز

وكانت له أشعار ونوادر، وكان من ظرفاء أهل مكة، وله أصوات يسيرة. وهو الذي يقول:

لما رأيتك أوليتني ال قبيح وأبعدت عني الجميلا

تركت وصالك في جانبٍ وصادفت في الناس خلاً بديلا

شبب بذات خمار اسود

فنفقت الخمر السود ولم تبق فتاة إلا لبسته:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعي، وأخبرني عمي قال حدثنا فضل اليزيدي عن إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعي، وأخبرني عمي قال حدثنا أبو الفضل الرياشي عن الأصمعي، قال وحدثني به النوشجاني عن شيخ له من البصريين عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد، و لم يقل عن ابن أبي الزناد"غيره": أن تاجراً من أهل الكوفة قدم المدينة بخمر فباعها كلها وبقيت السود منها فلم

تنفق، وكان صديقاً للدرامي، فشكا ذاك إليه، وقد كان نسك وترك الغناء وقول الشعر؛ فقال له: لاتهتم بذلك فإني سأنفقها لك حتى تبيعها أجمع؛ ثم قال:

صوت

قل للمليحة في الخمار الأسود ... ماذا صنعت براهبٍ متعبد

قد كان شمر للصلاة ثيابه ... حتى وقفت له بباب المسجد

وغنى فيه، وغنى فيه أيضاً سنان الكاتب، وشاع في الناس وقالوا: قد فتك الدارمي ورجع عن نسكه؛ فلم تبق في المدينة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود حتى نفذ ما كان مع العراقي منها؛ فلما علم بذلك الدارمي رجع إلى نسكه ولزم المسجد.

فأما نسبة هذا الصوت فإن الشعر فيه للدارمي والغناء أيضاً، وهو خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لسنانٍ الكاتب رمل بالوسطى عن حبش. وذكر حبش أن فيه لابن سريج هزجاً بالبنصر.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني أبو هفان قال: حضرت يوماً مجلس بعض قواد الأتراك وكانت له ستارة فنصبت، فقال لها: غني صوت الخمار الأسود المليح، فلم ندر ما أراد حتى غنت: " قل للمليحة في الخمار الأسود" ثم أمسك ساعة" ثم قال لها غني: "إني خريت وجئت أنتقله" فضحكت ثم قالت: هذا يشبهك! فلم ندر أيضاً ما أراد حتى غنت: " إن الخليط أجد منتقله"

بخله وظرفه

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد قال حدثني محمد بن أخي سلم الخزاعي قال حدثني الحرمازي قال زعم"لي" ابن مودود قال: كان الدارمي المكي شاعراً ظريفاً وكانت متفتيات أهل مكة لا يطيب لهن متنزه إلا بالدارمي، فاجتمع جماعة منهن في منتزه لهن، وفيهن صديقة له، وكل واحدة منهن قد واعدت هواها، فخرجن حتى أتين الجحفة وهو معهن؛ فقال بعضهن لبعض: كيف لنا أن نخلو مع هؤلاء الرجال من الدارمي؟ فإنا إن فعلنا قطعنا في الأرض! قالت لهن صاحبته: أنا أكفيكنه؛ قلن: أنا نريد إلا يلومنا؛ قالت: علي أن ينصرف حامداً، وكان أبخل الناس، فأتته فقالت: يادارمي، إنا قد تفلنا فاجلب لنا طيباً؛ قال نعم هو ذا، آتي سوق الجحفة آتيكن منها بطيب؛ فأتى المكارين فاكترى حماراً فصار عليه إلى مكة وهو يقول:

أنا بالله ذي العز ... وبالركن وبالصخرة

من اللائي يردن الطي ... ب في اليسر وفي العسرة

وما أقوى على هذا ... ولو كنت على البصره

فمكث النسوة ماشئن. ثم قدم من مكة فلقيته صاحبته ليلة في الطواف، فأخرجته إلى ناحية المسجد وجعلت تعاتبه على ذهابه ويعاتبها، إلى أن قالت له: يادارمي، بحق هذه البنية أتحبني؟ فقال نعم، فبريها أتحبني؟ قالت نعم؛ قال: فيا لك الخير فأنت تحبيني وأنا أحبك، فما مدخل الدراهم بيننا!.

الدارمي وعبد الصمد بن علي

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال: كان الدارمي عند عبد الصمد بن علي يحدثه، فأغفى عبد الصمد فعطس الدارمي عطسة هائلة، ففزع عبد الصمد فزعاً شديداً وغضب غضباً شديداً، ثم استوى جالساً وقال: يا عاض كذا من أمه أتفزعني! قال: لا والله ولكن هكذا عطاسي! قال: والله لأنقعنك في دمك أو تأتيني ببينة على ذلك؛ قال: فخرج ومعه حرسي لا يدري أين يذهب به، فلقيه ابن الريان المكي فسأله؛ فقال: أنا أشهد لك؛ فمضى حتى دخل على عبد الصمد؛ فقال له: بم تشهد لهذا؟ قال: أشهد أني رأيته مرة عطس عطسة فسقط ضرسه؛ فضحك عبد الصمد وخلى سبيله.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد قال حدثنا الزبير قال: قال محمد بن إبراهيم الإمام للدارمي: لو صلحت عليك ثيابي لكسوتك؛ قال: فديتك! إن لم تصلح علي ثيابك صلحت علي دنانيرك.

الدارمي مع نسوة من الأعراب

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير، ونسخت من كتاب هارون بن محمد: حدثنا الزبير قال حدثني يونس بن عبد الله الخياط قال: خرج الدارمي مع السعاة، فصادف جماعة منهم قد نزلوا على الماء فسألهم فأعطوه دراهم، فأتى بها في ثوبه، وأحاط به أعرابيات فجعلن يسألنه وألححن عليه وهو يردهن؛ فعرفته صبية منهن فقالت: يا أخواتي، أتدرين من تسألن منذ اليوم؟ هذا الدارمي السأل. ثم أنشدت:

إذا كنت لابد مستطعماً فدع عنك من كان يستطعم

فولى الدارمي هارباً منهن وهن يتضاحكن به

الدارمي والأوقص القاضي

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال أخبرني أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا مصعب الزبيري قال: أتى الدارمي الأوقص القاضي بمكة في شيء فأبطأ عليه فيه، وحاكمه إليه خصم له في حق، فحبسه به حتى أداه إليه. فبينا الأوقص يوماً في المسجد الحرام يصلي ويدعو ويقول: يارب أعتق رقبتي من النار، إذ قال له الدارمي والناس يسمعون: أولك رقبة تعتق لا والله ما جعل الله، وله الحمد، لك من عتق ولارقبة فقال له الأوقص: ويلك من أنت؟ قال: أنا الدارمي، حسبتني وقتلتني؛ قال: لا تقل ذلك وأتني فإني أعوضك فأتاه ففعل ذلك به.

نادرة له مع عبد الصمد بن علي

أخبرني الحرمي أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال:
مدح الدارمي عبد الصمد بن علي بقصيدة واستأذنه في الإنشاد فأذن له؛ فلما فرغ أدخل إليه رجل من الشراة؛ فقال لغلامه: أعط هذا مائة دينار واضرب عنق هذا؛ فوثب الدارمي فقال: بأبي أنت وأمي برك وعقوبتك جميعاً نقد فإن رأيت أن تبدأ بقتل هذا، فإذا فرغ منه أمرته فأعطاني فإني لن أريم من حضرتك حتى يفعل ذلك؛ قال: لوم ويلك؟ قال: أخشى أن يغلط فيما بيننا، والغلط في هذا لايستقال؛ فضحك وأجابه إلى ما سأل.

نادرة له في مرضه

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي قال: أصابت الدارمي قرحة في صدره، فدخل إليه بعض أصدقائه يعوده. فرآه قد نفث من فيه نفثاً أخضر، فقال له: أبشر، قد اخضرت القرحة وعوفيت؛ فقال: هيهات والله لو نفثت كل زمردة في الدنيا ما أفلت منها.

صوت من المائة المختارة

يا ربع سلمى لقد هيجت لي طربا زدت الفؤاد على علاته وصبا
ربع تبدل ممن كان يسكنه عفر الظباء وظلماناً به عصبا

الشعر لهلال بن الأشعر المازني، أخبرني بذلك وكيع عن حماد بن إسحاق عن أبيه. وهكذا هو في رواية عمرو بن أبي عمرو الشيباني. ومن لايعلم ينسبه إلى عمر ابن أبي ربيعة وإلى الحارث بن خالد ونصيب، وليس كذلك.
والغناء في اللحن المختار لعزور الكوفي، ومن الناس من يقول عزون بالنون وتشديد الزاي، وهو رجل من أهل الكوفة غير مشهور ولاكثير الصنعة، ولا أعلم أني سمعت له بخبرٍ ولاصنعةٍ غير هذا الصوت. ولحن هذا المختار ثقيل أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق، وهكذا في الاختيار الواثقي. وذكر عمرو بن بانة أن فيه لابن عائشة لحناً من الثقيل الأول بالبنصر. وفي أخبار الغريض عن حماد أن له فيه ثقيلاً أول. وقال الهشامي: فيه لعبد الله بن العباس لحن من الثقيل الثاني. وذكر حبش أن فيه لحسين بن محرز خفيف رملٍ بالبنصر.

أخبار هلال ونسبه

نسبه وهو شاعر أموي شجاع أكول

هو، فيما ذكر خالد بن كلثوم، هلال بن الأسعر بن خالد بن الأرقم بن قسيم بن ناشرة بن رزام بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم. شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وأظنه قد أدرك الدولة العابشية، وكان رجلاً شديداً عظيم الخلق أكولاً معدوداً من الأكلة. قال أبو عمرو: وكان هلال فارساً شجاعاً شديد البأس والبطش

أكثر الناس أكلاً وأعظمهم في حرب غناء". هذا لفظ أبو عمرو. وقال أبو عمرو: وعمر بن هلال بن أسعر عمراً طويلاً ومات بعد بلايا عظام مرت على رأسه. قال: زكان رجل من قومه من بني رزام بن مالك يقال له المغيرة بن قنبر يعوله ويفضل عليه ويحتمل ثقله وثقل عياله فهلك، فقال هلال يرثيه: كان المغيرة بن قنبر يعوله فلما مات رثاه:

ألا ليت المغيرة كان حياً	وأفنى قبله الناس الفناء
لبيك على المغيرة كل خيلٍ	إذا أفنى عرائكها اللقاء
ويبك على المغيرة كل كلٍ	فقير كان ينعشه العطاء
ويبك على المغيرة كل جيش	تمور لدى معاركه الدماء
فتى الفتيان فارس كل حربٍ	إذا شالت وقد رفع اللواء
لقد وارى جديد الأرض منه	خصالاً عقد عصمتها الوفاء
فصبراً للنوائب إن ألمت	إذا ماضاق بالحدث الفضاء
هزبر تنجلي الغمرات عنه	نقي العرض همته العلاء
إذا شهد الكريهة خاض منها	بحوراً لاتكدرها الدلاء
جسور لايروع عند روعٍ	ولايثني عزيمته أتقاء
حليم في مشاهده إذا ما	حبا الحلماء أطلقها المراء
حميد في عشيرته فقيد	يطيب عليه في الملأ الثناء
فإن تكن المنية أقصدته	وحم عليه بالتلف القضاء
فقد أودى به كرم وخير	وعود بالفضائل وابتداء
وجود لايضم إليه جوداً	مراهنه إذا جد الجراء

كان عادي الخلق صبوراً على الجوع:

وقال خالد بن كلثوم: كان هلال بن الأسعر، فيما ذكروا، مع الإبل فيأكل ماوجد عند أهله ثم يرجع إليها ولايتزود طعاماً ولاشراباً حتى يرجع يوم ورودها، لايذوق فيما بين ذلك طعاماً ولاشراباً، وكان عادي الخلق لاتوصف صفته.

حكايات عن قوته

قال خالد بن كلثوم فحدثنا عنه من أدركه: أنه كان يوماً في إبل له، وذلم عند الظهيرة قي يوم شديد وقع الشمس محتدم الهاجرة وقد عمد إلى عصاه فطرح عليها كساءه ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس، فبينا هو كذلك إذ مر به رجلان أحدهما من بني نهشل والآخر من بني فقيم، كانا أشد تميميين في ذلك الزمان بطشاً، يقال لأحدهما الهياج، وقد أقبلا من البحرين ومعهما أنواط من تمر هجر، وكان هلال بناحية الصعاب؛ فلما انتهيا إلى الإبل، ولايعرفان هلالاً بوجهه ولايعرفان أن الإبل له، ناديا: ياراعي، أعندك شراب تسقينا؟ وهما يظنانه عبداً لبعضهم؛ فناداهما هلال ورأسه تحت كسائه: عليكما الناقة التي صفتها كذا في موضع كذا فأنيخاها فإن عليها وطبين من لبنٍ، فاشربا منهما مابدا لكما. قال فقال له أحدهما: ويحك انهض ياغلام فأت بذلك اللبن فقال لهما: إن تك لكما حاجة فستأتيانها فتجدان الوطبين فتشربان؛ قال فقال أحدهما: إنك يابن اللخناء لغليظ الكلام، قم فاسقنا، ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال. وقال لهما، حيث قال له أحدهما: ""إنك يابن اللخناء لغليظ الكلام، قم فاسقنا، ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال. وقال لهما، حيث قال له أحدهما: "إنك يا ابن اللخناء لغليظ الكلام"، أراكما والله ستلقيان هواناً وصغاراً؛ وسمعا ذلك منه، فدنا أحدهما فأهوى له ضرباً بالسوط على عجزه وهو مضطجع، فتناول هلال يده فاجتذبه إليه ورماه تحت فخذه ثم ضغطه ضغطة"، فنادى صاحبه: ويحك أغثني قد قتلني فدنا صاحبه منه، فتناوله هلال أيضاً فاجتذبه فرمى به تحت فخذه الأخرى، ثم أخذ برقابهما فجعل يضك برؤوسهما بعضاً ببعض لايستطيعان أن يمتنعا منه؛ فقال أحدهما: كن هلالاً ولا نبالي ماصنعت؛ فقال لهما: أنا والله هلال، ولا والله لاتفلتان مني حتى تعطياني عهداً وميثاقاً لاتخيسان به: به: لتأتيان المربد إذا قدمتما البصرة، ثم لتناديان بأعلى أصواتكما بما كان مني ومنكما؛ فعاهداه وأعطياه نوطاً من التمر الذي معهما، وقدما البصرة فأتيا المربد فناديا بما كان منه ومنهما.

وحدث خالد عن كنيف بن عبد الله المازني قال: كنت يوماً مع هلال ونحن نبغي لإبلاً لنا، فدفعنا إلى قوم من بكر بن وائل وقد لغبنا وعطشنا، وإذا نحن بفتية شباب عند ركية لهم وقد وردت إبلهم، فلما رأوا هلالاً استهولوا خلقه وقامته، فقام رجلان منهم إليه فقال له أحدهما: ياعبد الله، هل لك في الصراع؟ فقال له هلال: أنا إلى غير ذلك أحوج؛ قال: وماهو؟ قال: إلى لبنٍ و ماءٍ فإنني لغب ظمآن؛ قال: ماأنت بذائق من ذلك شيئاً حتى تعطينا عهداً لتجنيبننا إلى الصراع أذا أرحت ورويت؛ فقال لهما هلال: إنني لكم ضيف، والضيف لايصارع " "آهله و" رب منزله، وأنتم مكتفون من ذلك بما أقول لكم: اعمدوا إلى أشد فحل في إبلكم وأهيبه صولة" وإلى أشد رجل منكم ذراعاً، فإن لم أقبض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم فلا يمتنع الرجل ولا البعير حتى أدخل يد الرجل في فم البعير، فإن لم أفعل ذلك فقد صرعتموني، وإن فعلته علمتم أن صراع أحدكم أيسر من ذلك. قال: فعجبوا من مقالته تلك، وأومئوا إلى فحل في إبلهم هائج صائلٍ قطمٍ؛ فأتاه هلال ومعه نفر من أولئك القوم وشيخ لهم، فأخذ بهامة الفحل مما فوق مشفره فضغطها ضغطة جرجر الفحل منها واستخذى ورغا، وقال: ليعطني من أحببتم يده أولجها في فم هذا الفحل. قال فقال الشيخ: ياقوم تنكبوا هذا الشيطان، فوالله ماسمعت

فلاناً - يعني الفحل - جرجر منذ بزل قبل اليوم، فلا تعرضوا لهذا الشيطان. وجعلوا يتبعونه وينظرون إلى خطوه ويعجبون من طول أعضائه حتى جازهم.

صارع في المدينة عبداً بأمر أميرها: قال وحدثنا من سمع هلالاً يقول

قدمت المدينة وعليها رجل من آل مروان، فلم أزل أضع عن إبلي وعليها أحمال للتجار حتى أخذ بيدي وقيل لي: أجب الأمير. قال: قلت لهم: ويلكم إبلي وأحمالي فقيل: لابأس على إبلك وأحمالك. قال: فانطلق بي حتى أدخلت على الأمير، فسلمت عليه ثم قلت: جعلت فداك إبلي وأماني. قال فقال: نحن ضامنون لإبلك وأمانتك حتى نؤديها إليك. قال فقلت عند ذلك: فمل حاجة الأمير إلي جعلني الله فداه؟ قال فقال لي- وإلى جنبه رجل أصفر، لا والله مارأيت رجلاً قط أشد خلقاً منه ولاأغلظ عنقاً، ماأدري أطوله أكثر أم عرضه -: إن هذا العبد الذي ترى لاوالله ماترك بالمدينة عربياً يصارع إلا صرعه، وبلغني عنك قوة، فأردت أن يجري الله صرع هذا العبد على يديك فتدرك ماعنده من أوتار العرب. قال فقلت: جعلني الله فداء الأمير، إني لغب نصب جائع، فإن رأى الأمير أن يدعني اليوم حتى أضع عن إبلي وأؤدي أماني وأريح يومي هذا وأجيئه غداً فليفعل. قال فقال لأعوانه: انطلقوا معه فأعينوه على الوضع عن إبله وأداء أمانته وانطلقوا به إلى المطبخ فأشبعوه؛ ففعلوا جميع ماأمرهم به. قال: فظللت بقية يومي وبت ليلتي تل: بأحسن حالٍ شبعاً وراحة" وصلاح أمر، فلما كان من الغد غدوت عليه وعلي جبة لي صوف وبت وليس علي إزار إلا أني قد شددت بعمامتي وسطي، فلما كان من الغد غدوت عليه وعلي جبة لي صوف وبت وليس علي إزار إلا أني قد شددت بعمامتي وسطي، فسلمت عليه فرد علي السلام، وقال للأصفر: قم إليه، فقد أرى أنه أتاك الله بما يخزيك؛ فقال العبد: اتزر بأعرابي؛ فأخذت بتي فاتزرت به على جبتي؛ فقال: هيهات -هذا لايثبت، إذا قبضت عليه جاء في يدي؛ قال فقلت: والله مالي من إزار؛ قال: فدعا الأمير بملحفة مارأيت قبلها ولاعلا جلدي مثلها، فشددت بها على حقوي وخلعت الجبة؛ قال: وجعل العبد يدور حولي ويريد ختلي وأنا منه وجل ولاأدري كيف أصنع به، ثم دنا مني دنوة فنقد جبهتي نقدة"حتى" ظننت أنه قد شجني وأوجعني، فغاظني ذلك، فجعلت أنظر في خلقه بم أقبض منه، فما وجدت في خلقه شيئاً أصغر من رأسه، فوضعت إبهامي في صدغيه وأصابعي الأخر في أصل أذنيه، ثم غمزته غمزة صاح منها: قتلتني: قتلتني: فقال الأمير: اغمس رأس العبد في التراب؛ قال فقلته: ذلك لك علي؛ قال: فغمست والله رأسه في التراب ووقع شبيهاً بالمغشي عليه، فضحك الأمير حتى استلقى وأمر لي بجائزةٍ وكسوةٍ وانصرفت.

قتل رجلاً من بني جلان استجار بمعاذ فقبض عليه للثأر منه، ثم فر إلى اليمين وشعره في ذلك: قال أبو الفرج: ولهلالٍ أحاديث كثيرة من أعاجيب شدته. وقد ذكره حاجب بن ذبيان فقال لقوم من بني ربابٍ من بني حنيفة في سيء كان بينهم فيه أربع ضربات بالسيف، فقال حاجب:

وقائلةٍ وباكية بشجوٍ ... لبئس سيف بني رباب

ولو لاقى هلال بني رزام ... لعجله إلى يوم الحساب

وكان هلال بن الأسعر هضربه رجل من بني عترة ثم من بني جلان يقال له عبيد بن جري في شيء كان بينهما، فشجه وخمشه خماشة"، فأتى هلال بن جلان فقال: إن صاحبكم قد فعل بي ماترون فخذوا لي بحقي، فأوعدوه وزجروه؛ فخرج من عندهم وهو يقول: عسى أن يكون لهذا جزاء حتى أتى بلاد قومه؛ فمضى لذلك هلالاً وما كان بينه وبينه فتخوفه؛ فسأل عن أعز أهل الماء، فقيل له: معاذ بن جعدة بن ثابت بن زرارة بن ربيعة بن سيار بن رزام بن مازن؛ فأتاه فوجده غائباً عن الماء، فعقد عبيد بن جري طرف ثيابه إلى جانب طنب بيت معاذ- وكانت العرب إذا فعلت ذلك وجب على المعقود بطنب بيته للمستجير به أن يجبره وأن يطلب له بظلامته - وكان يوم فعل ذلك غائباً عن الماء، فقيل: رجل استجار بآل معاذ بن جعدة. ثم خرج عبيد بن جري ليستقي، فوافق قدوم هلال بإبله يوم وروده، وكان إنما يقدمها في الأيام، فلما نظر هلال إلى ابن جري ذكر ما كان بينه وبينه، و لم يعلم باستجارته بمعاذ بن جعدة، فطلب شيئاً يضربه به فلم يجده، فانتزع المحور من السانية فعلاه به ضربة" على رأسه فصرع وقيذاً، وقيل: قتل هلال بن الأسعر جار معذ بن جعدة فلما سمع ذلك هلال تخوف بني جعدة فصرع وقيذاً، وقيل: قتل هلال بن الأسعر جار معاذ بن حعدة فلما سمع ذلك هلال تخوف بني جعدة الرزاميين، وهم بنو عمهظن فأتى راحلته ليركبها. قال هلال: فأتتني خولة بنت يزيد بن ثابت أخي بني جعدة بن ثابت، وهي جدة أبي السفاح زهيد بن عبد الله بن مالك أم أبيه، فتعلقت بثوب هلال، ثم قالت: أي عدو الله قتلت جارنا والله لاتفارقني حتى يأتيك رجالنا قال هلال: والمحور في يدي لم أضعه؛ قال: فهممت أن أعلو به رأس خولة، ثم قلت في نفسي: عجوز لها سن وقرابة قال: فضربتها برجلي ضربة" رميت بها من بعيد، ثم أتيت ناقتي فأركبها ثم أضربها هارباً. وجاء معاذ بن جعدة وإخوته - وهم يومئذ تسعة إخوة -وعبد الله بن مالك زوج لبنت معاذ"و" يقال لها جبيلة، وهو مع ذلك ابن عمتهم خولة بنت يزيد بن ثابت، فهو معهم كأنه معضهم؛ فجاؤوا من آخر النهار فسمعوا الواعية على الجلاني وهو دنف لم يمت، فسألوا عن تلك الواعية فأخبروا بما كان من استجارة الجلاني بمعاذ بن جعدة وضرب هلال له من بعد ذلك؛ فركب الأخوة التسعة وعبد الله بن مالك عاشرهم، وكانوا أمثال الجبال في شدة خلقهم مع نجدتهم، وركبوا معهم بعشرة غلمةٍ لهم أشد منهم خلقاً لايقع لأحد منهم سهم في غير موضع يريده من رميته، حتى تبعوا هلالاً؛ وقد نسل هلال من الهرب يومه ذلك كله وليلته، فلما أصبح أمنهم وظن أن قد أبعد في الأرض ونجا منهم؛ وتبعوه، فلما أصبحوا من تلك الليلة قصوا أثرهظن وكان لايخفى أثره على أحد لعظم قدمه، فلحقوه من بعد الغد، فلما أدركوه وهو عشرون ومعهم النبل والقسي والسيوف والترسة، ناداهم: يابني جعدة، إني أنشدكم الله أن أكون قتلت رجلاً غريباً طلبته بترة تقتلوني وأنا ابن عمكم وظن أن الجلاني قد مات، ولك يكن مات إلى أن تبعوه وأخذوه؛ فقال معاذ: والله لو أيقنا أنه قد مات ماناظرنا بك القتل من ساعتنا ولكنا تركناه و لم يمت، ولسنا نحب قتلك إلا أن تمتنع منا، ولانقدم عليك حتى نعلم مايصنع جارنا؛ فقاتلهم وامتنع منهم، فجعل معاذ يقول لأصحابه وغلمانه: لاترموه

بالنبل ولاتضربوه بالسيوف، ولكن ارموه بالحجارة واضربوه بالعصي حتى تأخذوه؛ ففعلوا ذلك، فما قدروا على أخذه حتى كسروا من إحدى يديه ثلاث أصابع ومن الأخرى إصبعين، ودقوا ضلعين من أضلاعه وأكثروا الشجاج في رأسه، ثم أخذوه وما كادوا يقدرون على أخذه، فوضعوا في رجله أدهم، ثم جاءوا به وهومعروض على بعير حتى انتهوا به إلى الوقبى فدفعوه إلى الجلاني و لم يمت بعد، فقالوا: انطلقوا به معكم إلى بلادكم ولاتحدثوا في أمره شيئاً حتى تنظروا مايصنع بصاحبكم، فإن مات فاقتلوه وإن حيي فأعلمونا حتى نحمل لكم أرش الجناية. فقال الجلانيون: وفت ذمتكم يابني جعدة، وجزاكم الله أفضل مايجزي به خيار الجيران، إنا نتخوف أن ينزعه منا قومكم إن خليتم عنا وعنهم وهو في أيدينا؛ فقال اهم معاذ: فإني أحمله معكم وأشيعكم حتى تردوا بلادكم، ففعلوا ذلك، فحمل معروضاً على بعير وركبت أخته جماء بنت الأسعر معه، وجعل يقول: قتلتني بنو جعدة وتأتيه أخته بمغرة فيشربها فيقال: يمشي بالدم، لأن بين جعدة فرثوا كبده
في جوفه. فلما بلغوا أدنى لبلاد بكر بن وائل قال الجلانيون لمعاذ وأصحابه: أدام الله عزكم، وقد وفيتم فانصرفوا. وجعل هلال يريهم أنه يمشي في الليلة عشرين مرة. فلما ثقل الجلاني وتخوف هلال أن يموت من ليلته أو يصبح ميتاً، تبرز هلال كما كان يصنع وفي رجله الأدهم كأنه يقضي حاجة، ووضع كساءه على عصاه في ليلة ظلماء، ثم اعتمد على الأدهم فحطمه، ثم طار تحت ليلته على رجليه، وكان أدل الناس فتنكب الطريق التي تعرف ويطلب فيها وجعل يسلك المسالك التي لا يطمع فيها. حتى انتهى إلى رجل من بني أثاثه بن مازن يقال له السعر بن يزيد ين طلق بن جبيلة بن أثاثة بن مازن، فحمله السعر على ناقه له يقال لها ملوة، فركبها ثم تجنب بها الطريق فأخذ نحوبلاد قيس بن عيلان، تخوفاً من بني مازن أن يتبعوه أيضاً فيأخذوه، فسار ثلاث ليال وأيامها حتى نزل اليوم الرابع، فنحر الناقة فأكل لحمها كله إلا فضلة فضلت منها فاحتملها، ثم أتى بلاد اليمن فوقع بها، فلبث زماناً وذلك عند مقام الحجاج بالعراق، فبلغ إفلاته من بالبصرة من بكر بن وائل، فانطلقوا إلى الحجاج فاستعدوه وأخبروه بقتله صاحبهم؛ فبعث الحجاج إلى عبد الله بن شعبة بن العلقم، وهو يومئذ عريف بني مازن حاضرهم وباديتهم، فقال له: لتأتيني بهلال أو لأفعلن بك ولأفعلن؛ فقال له عبد الله بن شعبة: إن أصحاب هلال وبني عمه قد صنعوا كذا وكذا: فاقتص عليه ماصنعوا في طلبه وأخذه ودفعه إلى الجلانيين وتشييعهم إياه حتى وردزا بلاد بكر بن وائل؛ فقال له الحجاج: ويلك ماتقول؟ قال فقال بعض البكريين: صدق، أصلح الله الأمير؛ قال فقال الحجاج: فلا يرغم الله أنوفكم، اشهدوا أني قد آمنت كل قريب لهلال وحميم وعريف ومنعت من أخذ أحدٍ به ومن طلبه حتى يظفر به البكريون أو يموت قبل ذلك. فلما وقع هلال إلى بلاد اليمن بعث إلى بني رزام بن مازن بشعر يعاتبهم فيه ويعظم عليهم حقه ويذكر قرابته، وذلك أن سائر بني مازن قاموا ليحملوا ذلك الدم، فقال معاذ: لا أرضى والله أن يحمل لجاري دم واحد حتى يحمل له دم ولجواري دم آخر، وإن أراج هلال الأمان وسطنا حمل له دم ثالث؛ فقال هلال في ذلك:

بني مازن لاتطردوني فإنني أخوكم وإن جزت جرائرها يدي

ولاتتلجوا أكباد بكر بن وائل يترك أخيكم كالخليع المطرد
ولاتجعلوا حفظي بظهر وتحفظا بعيداً ببغضاء يروح ويغتدي
فإن القريب حيث كان قريبكم وكيف بقطع الكف من سائر اليد
وإن البعيد إن دنا فهو جاركم وإن شط عنكم فهو أبعد أبعد
وإني وإن أوجدتموني لحافظ لكم حفظ راض عنكم غير موجد
سيحمي حماكم بي وإن كنت غائباً أغر إذا ماريع لم يتبلد
وتعلم بكر أنكم حيث كنتم وكنت من الأرض الغريبة محتدي
وأني ثقيل حيث كنت على العدا وأني وإن اوحدت لست بأوحد
وأنهم لما أرادوا هضيمتي منوا بجمبع القلب عضب مهند
حسام متى يعزم على الأمر بأته ولم يتوقف للعواقب في غد
وهم بدءوا بالبغي حتى إذا جزوا بأفعالهم قالوا لجازيهم قد
فلم يك منهم في البديهة منصف ولم يك فيهم في العواقب مهتدي
ولم يفعلوا فعل الحليم فيجملوا ولم يفعلوا فعل العزيز المؤيد
فإن يسر لي إيعاد بكرٍ فربما منعت الكرى بالغيظ من متوعد
ورب حمى قوم أبحت ومورد وردت بفتيان الصباح ومورد
وسجف دجوجي من الليل حالكٍ رفعت بعجلي الرجل موارة اليد
سفينة خواضٍ بحور همومه فيلي التياث العزم عند التردد
جسور على الأمر المهيب إذا ونى أخو الفتك ركابٍ قرى المتهدد

وقال وهو بأرض اليمن:

أقول وقد جاوزت نعمي وناقتي تحن إلى جنبي فليج مع الفجر
سقى الله ياناق البلاد التي بها هواك، وإن عنا نأت، سبل القطر
فما عن قلى منا لها خفت النوى بنا على مراعيها وكثبانها
ولكن صرف الدهر فرق بيننا وبين الأداني، والفتى غرض الدهر
فسقياً لصحراء الأهالة مربعاً وللوقبى من منزل دمث مثري

وسقياً ورعياً حيث حلت لمازنٍ وأيامها الغر المحجلة الزهر

قال خالد بن كلثوم: ولما دفع هلال إلى أولياء الجلاني ليقتلوه بصاحبهم جاء رجل يقال له: حفيد كان هلال قد وتره فقال: والله لأونبنه ولأصغرن إليه نفسي وهو في القيود مصبور للقتل، فأتاه فلم يدع له شيئاً مما يكره إلا عدة عليه. قال: وإلى جنب هلالٍ حجر يملأ الكف، فأخذه هلال به للرجل فأصاب جبينه فاجتلف جلفة من وجهه ورأسه، ثم رمى بها وقال: خذ القصاص مني الآن، وأنشأ يقول:

أنا ضربت كرباً وزيداً وثابتاً مشيتهم رويدا

كما أفدت حينه عبيدا وقد ضربت بعده حفيدا

قال: وهؤلاء كلهم من بني رزام بن مازن، وكلهم كان هلال قد نكأ فيهم

أدى عنه ديسم الدية لبني جلان فمدحه

قال خالد بن كلثوم: ولما طال مقام هلال باليمن نهضت بنو مازنٍ بأجمعهم إلى بني رزام بن مازن رهط هلال ورهط معاذ بن كعدة جار الجلاني المقتول، فقالوا: إنكم قد أسأتم بابن عمكم وجزتم الحد في الطلب بدم جاركم، فنحن نحمل لكم مأردتم، فحمل ديسم بن المنهال بن خزيمة بن شهاب بن أثاثة بن ضباب بن حجية بن كابية بن حرقوص بن مازن الذي طلب معاذ بن جعدة أن يحمل لجاره، لفضل عزه وموضعه في عشيرته، وكان الذي طلب ثلثمائة بعيرٍ؛ فقال هلال في ذلك:

ان ابن كابية المرزأ ديسماً وارى الزناد بعيد ضوء النار

من كان يحمل ماتحمل ديسم من حائل فنق وأم حوار

عيت بنو عمرو بحمل هنائد فيها العشار ملابىء الأبكار

حتى تلافاها كريم سابق بالخير حل منازل الأخيار

حتى إذا وردت جميعاً أرزمت جلان بعد تشمس ونفار

ترعى بصحراء الإهالة روبة والعنظوان منابت الجرجار

أعان قمير بن سعد علي بكر بن وائل وقال في ذلك شعراً: وقال خالد بن كلثوم: كان قمير بن سعد مصدقاً على بكر بن وائل، فوجد منهم رجلاً قد سرق صدقته، فأخذه قمير ليحبسه، فوثب قومه وأرادوا أن يحولوا بين قميرٍ وبينه وهلال حاضر، فلما رأى ذلك هلال وثب على البكريين فجعل يأخذ الرجلين منهم فيكنفهما ويناطح بين رؤوسهما، فانتهى إلى قمير أعوانه فقهروا البكريين؛ فقال هلال في ذلك:

دعاني قمير دعوة فأجبته فأي امرىءٍ في الحرب حين دعاني

معي مخذم قد أخلص القين حده يخفض عند الروع روع جناني
ومازلت مذ شدت يميني حجزتي أحارب أو في ظل حربٍ تراني

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا حكيم بن سعد عن زفر بن هبيرة قال:

حبسه بلال بن أبي بردة وأفنكه فيسم

تقاوم هلال بن أسعر المازني، وهو أحد بني رزام بن مازن، ونهيس الجلاني من عترة وهما يسقيان إبلهما، فخذف هلال نهيساً بمحور في يده فأصابه فمات، فاستعدى ولده بلال بن أبي بردة على هلالٍ فحبسه فأسلمه قومه بنو رزام وعمل في أمره ديسم بن المنهال أحد بين كابية بن حرقوص فافتكه بثلاث ديات، فقال هلال يمدحه:

تدارك ديسم حسباً ومجداً رزاماً بعدما انشقت عصاها
همو حملوا المئين فألحقوها بأهليها فكان لهم سناها
وماكانت لتحملها رزام بأستاه معقصة لحاسها
بكابية بن حرقوص وجد كريم لافتى إلا فتاها

الحديث عن هلال في نهمه وكثرة أكله

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدثني نصر بن علي الجهضمي قال حدثنا الأصمعي، وأخبرني أبو عبيد محمد بن أحمد بن المؤمل الصيرفي قال حدثنا فضل بن الحسن قال حدثنا نصر بن علي عن الأصمعي قال حدثنا المعتمر بن سليمان قال: قلت لهلال بن أسعر: مأكلة أكلتها بلغتني عنك؟ قال: جعت مرة ومعي بعيري فنحرته وأكلته إلا ماحملت منه على ظهري، قال أبو عبيد في حديثه عن فضل: ثم أردت امرأتي فم أقدر على جماعها؛ فقالت لي: ويحك كيف تصل إلي وبيني وبينك بعير قال المعتمر: فقلت له: كم تكفيك هذه الأكلة؟ قال: أربعة أيام. وحدثني به أبن عمار قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن معاوية عن الأصمعي عن معتمر بن سليمان عن أبيه قال: قلت لهلال بن الأسعر - هكذا قال ابن أبي سعد: معتمر عن أبيه وقال في خبره: فقلت له؛ كم تكفيك هذه الأكلة؟ فقال: خمساً أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدثنا نصر بن علي قال حدثني الأصمعي قال حدثني شيخ من بني مازن قال: أتانا هلال بن أسعر المازني فأكل جميع مابيتنا، فبعثنا إلى الجيران نقترض الخبز فلما رأى الخبز قد اختلف عليه قال: كأنكم أرسلتم إلى الجيران، أعندكم سويق؟ قلنا: نعم، فجئته بجراب طويل فيه سويق وبرنية نبيذٍ، فصب السويق كله وصب عليه النبيذ حتى أتى على السويق والنبيذ كله.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني: أن هلال بن أسعر مر على رجل نمن بني مازن بالبصرة وقد حمل من بستانه رطباً في زواريق، فجلس على زورق صغير منها وقد كثب الرطب فيه وغطي بالبواري؛ قال له: يابن عم آكل من رطبك هذا؟ قال: نعم؛ قال: مايكفيني؟ قال: مايكفيك؛ فجلس على صدر الزورق وجعل يأكل إلى أن اكتفى، ثم قام فانصرف، فكشف الزورق فإذا هو مملوء نوى قد أكل رطبه وألقى النوى فيه.

قال المدائني وحدثني من سأله عن أعجب شيء أكله، فقال: مائتي رغيف مع مكوك ملح.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني الحسن ين علي بن منصور الأهوازي، وكان كهلاً سرياً معدلاً، قال حدثني شبان النيلي عن صدقة بن عبيد المازني قال: أو لم علي أبي لما تزوجت فعملنا عشر جفان ثريداً من جزور. فكان أول من جاءنا هلال بن أسعر المازني، فقدمنا إليه جفنة فأكلها ثم أخرى ثم أخرى حتى أتى على العشر، ثم استسقى فأتي بقربةٍ من نبيذ فوضع طرفها في شدقه ففرغها في جوفه، ثم قام فخرج؛ فاستأنفنا عمل الطعام.

حدث أبو عمرو بن العلاء أنه لم ير أطول منه

أخبرني الجوهري قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق قال حدثنا نصر بن علي عن الأصمعي قال: حدثني أبو عمرو بن العلاء قال: رأيت هلال بن أسعر ميتاً و لم أره حياً، فما رأيت أحداً على سرير أطول منه.

غنى مخارق الرشيد فأعتقه

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد قال حدثني بعض حاشية السلطان قال: غنى إبراهيم الموصلي الرشيد يوماً:

ياريع سلمى لقد هيجت لي طربا زدت الفؤاد على علاته وصبا

-قال: والصنعة فيه لرجل من أهل الكوفة يقال له عزون -فأعجب به الرشيد وطرب له واستعاده مراراً؛ فقال له الموصلي: يا أمير المؤمنين فكيف لو سمعته من عبدك مخارق، فإن أخذه عني وهو يفضل فيه الخلق جميعاً ويفضلني، فأمر بإحضار مخارقٍ، فأحضر فقال له غنني:

ياريع سلمى لقد هيجت لي طربا زدت الفؤاد على علاته وصبا

فغناه إياه؛ فبكى وقال: سل حاجتك قال مخارق: فقلت: تعتقني ياأمير المؤمنينمن الرق وتشرفني بولائك، أعتقك الله من النار، قال: أنت حر لوجه الله، أعد الصوت؛ قال: فأعدته، فبكى وقال: سل حاجتك، فقلت: يأمر لي أمير المؤمنين بمنزل وفرشه ومايصلحه وخادم فيه؛ قال: ذلك لك، أعده؛ فأعدته فبكى وقال: سل حاجتك؛

قلت: حاجتي ياأمير المؤمنين أن يطيل الله بقاءك ويديم عزك زيجعلني من كل سوء فداءك؛ قال: فكان إبراهيم الموصلي سبب عتقه بهذا الصوت أخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن مخارق، وحدثني به الصولي أيضاً عن وكيع عن هارون بن مخارق قال: كان أبي إذا غنى هذا الصوت:

ياريع سلمى لقد هيجت لي طربا زدت الفؤاد على علاته وصبا

يقول: أنا مولى هذا الصوت؛ فقلت له يوماً: ياأبت، وكيف ذلك؟ فقال: غنيته مولاي الرشيد فبكى وقال: أحسنت، أعد فأعدت؛ فبكى وقال: أحسنت! أنت حر لوجه الله وأمر لي بخمسة آلاف دينار، فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي، وذكر قريباً مما ذكره المبرد من باقي الخبر.

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي الدنيا قال حدثني إسحاق النجعي عن حسين بن الضحاك عن مخارق: أن الرشيد أقبل يوماً على المغنين وهو مضطجع، فقال: من منكم يغني:

ياريع سلمى لقد هيجت لي طرباً زدت الفؤاد على علاته وصبا

قال: فقمت فقلت: أنا، فقال: هاته؛ فغنيته فطرب وشرب، ثم قال: علي بهرثمة، فقلت في نفسي: ماتراه يريد منه! فجاءوا بهرثمة فأدخل إليه وهو يجر سيفه، فقال: ياهرثمة، مخارق الشاري الذي قتلناه بناحية الموصل ما كانت كنيته؟ فقال: أبو المهنا؛ فقال: انصرف فانصرف؛ ثم أقبل علي فقال: قد كنيتك أبا المهنا لإحسانك، وأمر لي بمائة ألف درهم، فانصرفت بها وبالكنية.

صوت من المائة المختارة

من رواية جحظة عن أصحابه

وخل كنت عين الرشد منه إذا نظرت ومستمعاً سميعا

أطاف بغيه فعدلت عنه وقلت له أرى أمراً فظيعاً

الشعر لعروة بن الورد، والغناء في اللحن المختار لسياط ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانة. وفيه لإبراهيم ماخوري بالوسطى عن عمرو أيضاً.

أخبار عروة بن الورد ونسبه

نسبه، شاعر جاهلي فارس جواد مشهور

عروة بن الورد بن زيد، وقيل: ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هريم بن لديم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد ين قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدمين الأجواد.

كان يلقب بعروة الصعاليك وسبب ذلك

وكان يلقب عروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم و لم يكن لهم معاش ولا مغزى، وقيل: بل لقب عروة الصعاليك لقوله:

لحي الله صعلوكاً إذا جن ليله مصافي المشاش آلفاً كل مجزر

يعد الغنى من دهره كل ليلة أصاب قراها من صديق ميسر

ولله صعلوك صفيحة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور

شرف نسبه وتمنى الخلفاء أن يصاهروه

أو ينتسبوا إليه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال بلغني أن معاوية قال:

لو كان لعروة بن الورد ولد لأحببت أن أتزوج إليهم.

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي، وحدثنا إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قلا جميعاً: قال عبد الملك بن مروان: ما يسرني أن أحداً من العرب ولدني ممن لم يلدني إلا عروة بن الورد لقوله:

إني امرؤ عافي إنائي شركة وأنت امرؤ عافي إنائك واحد

أتهزأ مني أن سمنت وأن ترى بجسمي مس الحق والحق جاهد

أفرق جسمي في جسوم كثيرة وأحسوا قراح الماء والماء بارد

قال الحطيئة لعمر بن الخطاب

كنا نأتم في الحرب بشعره:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة قال: بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للحطيئة: كيف كنتم في حربكم؟ قال: كيف كنتم في حربكم؟ قال: كنا ألف حازم، قال: وكيف؟ قال: كان فينا قيس بن زهير وكان حازماً وكنا لا نعصيه، وكنا نقدم إقدام عنترة، ونأتم بشعر عروة بن الورد، وننقاد لأمر الربيع بن زياد.

قال عبد الملك إنه أجود من حاتم

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال ويقال: إن عبد الملك قال: من زعم أن حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد.

منع عبد الله بن جعفر معلم ولده من أن يرويهم قصيدة له يحث فيها على الاغتراب: أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرنا إبراهيم بن المنذر قال حدثنا معن بن عيسى قال: سمعت أن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال لمعلم ولده: لا تروهم قصيدة عروة بن الورد التي يقول فيها:

دعيني للغنى أسعى فإني رأيت الناس شرهم الفقير

ويقول: إن هذا يدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم

خبر عروة مع سلمى

سببته وفداء أهلها بها:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبد العزيز بن عمران الزهري عن عامر بن جابر قال: أغار عروة بن الورد على مزينة فأصاب منهم امرأة" من كنانة ناكحاً، فاستاقها ورجع وهو يقول:

تبغ عدياً حيث حلت ديارها وأبناء عوف في القرون الأوائل

فإلا أنل أوساً فإني حسبها بمنبطح الأدغال من ذي السلائل

ثم أقبل سائراً حتى نزل ببني النضير، فلما رأوها أعجبتهم فسقوه الخمر، ثم استوهبوها منه قوهبها لهم، وكان لا يمس النساء، فلما أصبح وصحا ندم فقال:

سقوني الخمر ثم تكنفوني

الأبيات: قال: وجلاها النبي صلى الله عليه وسلم مع من جلا من بني النصير

وذكر أبو عمرو الشيباني من خبر عروة بن الورد وسلمى هذه أنه أصاب امرأة" من بني كنانة بكراً يقال لها أنها أرغب الناس فيه، وهب تقول له: لو حججت بي فأمر على أهلي وأراهم! فحج بها، فأتى مكة ثم أتى المدينة، وكان يخالط من أهل يثرب بني النضير فيقرضونه إن احتاج ويبايعهم إذا غنم، وكان قومها يخالطون بني النضير، فأتوهم وهو عندهم؛ فقالت لهم سلمى: إنه خارج بي قبل أن يخرج الشهر الحرام، فتعالوا إليه وأخبروه أنكم تستحيون أن نكون امرأة منكم معروفة النسب صحيحته سبية"، وافتدوني منه فإنه لا يرى أني أفارقه ولا أختار عليه أحداً، فأتوه فسقوه الشراب، فلما ثمل قالوا له: فادنا بصاحبتنا فإنها وسيطة النسب فينا معروفة، وإن علينا سبة" أن تكون سبية، فإذا صارت إلينا وأردت معاودتها فاخطبها إلينا فإننا ننكحك؛ فقال لهم: ذاك لكم، ولكن لي الشرط فيها أن تخيروها، فإن اختارتني انطلقت معي إلى ولدها وإن اختارتكم انطلقتم بها؛ قالوا: ذاك لك؛

قال: دعوني أله بها الليلة وأفادها غداً، فلما كان الغد جاءوه فامتنع من فدائها؛ فقالوا له: قد فاديتنا بها منذ البارحة، وشهد عليه بذلك جماعة ممن حضر، فلم يقدر على الامتناع وفاداها، فلما فادوه بها خيروها فاختارت أهلها، ثم أقبلت عليه فقالت: ياعروة أما إني أقول فيك وإن فارقتك الحق: والله ماأعلم امرأة من العرب ألقت سترها على بعل خيرٍ منك وأغض طرفاً وأقل فحشاً وأجود يداً وأحمى لحقيقة؛ وما مر علي يوم منذ كنت عندك إلا والموت فيه أحب إلي من الحياة بين قومك، لأني لم أكن أشاء أن أسمع امرأة من قومك تقول: قالت أمة عروة كذا وكذا إلا سمعته؛ ووالله لا أنظر في وجه غطفانية أبداً، فارجع راشداً إلى ولدك وأحسن إليهم. فقال عروة في ذلك:

سقوني الخمر ثم كنفوني

وأولها:

أرقت وصحبتي بمضيق عميق — لبرق من تهامة مستطير
سقى سلمى وأين ديار سلمى — إذا كانت مجاورة السرير
إذا حلت بأرض بني علي — وأهلي بين إمرة وكير
ذكرت منازلاً من أم وهب — محل الحي أسفل من نقير
وأحدث معهد من أم وهب — معرسنا بدار نبي بني النضير
وقالوا ما تشاء فقلت ألهو — إلى الأصباح آثر ذي أثير
بآنسة الحديث رضاب فيها — بعيد النوم كالعنب العصير

وأخبرني علي بن سليمان الأخفش عن ثعلب عن ابن الأعرابي بهذه الحكاية كما ذكر أبو عمرو، وقال فيها: إن قومها أغلوا بها الفداء، وكان معه طلق وجبار أخوه وابن عمه، فقالا له: والله لئن قبلت ما أعطوك لا تفتقر أبداً، وأنت على النساء قادر متى شئت، وكان قد سكر فأجاب إلى فدائها، فلما صحا ندم فشهدوا عليه بالفداء فلم يقدر على الامتناع. وجاءت سلمى تثني عليه فقالت: والله إنك ما علمت لضحوك مقبلاً كسوب مدبراً خفيف على متن الفرس ثقيل على العدو طويل العماد كثير الرماد راضي الأهل والجانب، فاستوص ببنيك خيراً، ثم فارقته. فتزوجها رجل من بني عمها، فقال لها يوماً من الأيام: يا سلمى، أثني علي كما أثنيت على عروة -وقد كان قولها فيه شهر-فقالت له: لا تكلفني ذلك فإني إن قلت الحق غضبت ولا واللات والعزى لا أكذب؛ فقال: عزمت عليك لتأتيني في مجلس قومي فلتثنين علي بما تعلمين، وخرج فجلس في ندي القوم، وأقبلت فرماها القوم والله إن شملتك لإلتحاف، وإن شربك لاستفاف، وإنك لتنام ليلة تخاف، وتشبع ليلة تضاف، وما ترضي الأهل ولا الجانب، ثم انصرفت. فلامه قومه وقالوا: ما كان أغناك عن هذا القول منها.

كان يجمع الصعاليك ويكرمهم ويغير بهم

أخبرني الأخفش عن ثعلب عن ابن الأعرابي قال حدثني أبو فقعس قال:
كان عروة بن الورد إذا أصابت الناس سني شديدة تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف، وكان عروة بن الورد يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته في الشدة ثم يحفر لهم الأسراب ويكنف عليهم الكنف ويكسبهم، ومن قوي منهم-إما مريض يبرأ من مرضه، أو ضعيف تثوب قوته-خرج به معه فأغار، وجعل لأصحابه الباقين في ذلك نصيباً، حتى إذا أخصب الناس وألبنوا وذهبت السنة ألحق كل إنسان بأهله وقسم له نصيبه من غنيمةٍ إن كانوا غنموها، فربما أتى الإنسان منهم أهله وقد استغنى، فلذلك سمي عروة الصعاليك، فقال في ذلك بعض السنين وقد ضاقت حاله:

لعل ارتيادي في البلاد وبغيتي ... وشدي حيازيم المطية بالرحل
سيدفعني يوماً إلى رب هجمةٍ ... يدافع عنها بالعقوق وبالبخل

أغار مع جماعة من قومه على رجل

فأخذ إبله وامرأته ثم اختلف معهم فهجاهم:

فزعموا أن الله عز وجل قيض له وهو مع قوم من هلاك عشيرته في شتاءٍ شديد ناقتين دهماوين، فنحر لهم إحداهما وحمل متاعهم وضعفاءهم على الأخرى، وجعل ينتقل بهم من مكان إلى مكان، وكان بين النقرة والربذة فنزل بهم مابينهما بموضع يقال له: ماوان. ثم إن الله عز وج قيض له رجلاً صاحب مائةٍ من الإبل قد فر بها من حقوق قومه- وذلك أول ما ألبن الناس-فقتله وأخذ إبله وامرأته، وكانت من أحسن النساء، فأتى بالإبل أصحاب الكنيف فحلبها لهم وحملهم عليها، حتى إذا دنوا من عشيرتهم أقبل يقسمها بينهم وأخذ مثل نصيب أحدهم، فقالوا: لا واللات والعزى لا نرضى حتى نجعل المرأة نصيباً فمن شاء أخذها، فجعل يهم بأن يحمل عليهم فيقتلهم وينتزع الإبل منهم، ثم يذكر أنهم صنيعته وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان يصنع، فأفكر طويلاً ثم أجابهم إلى أن يرد عليهم الإبل إلا راحلة يحمل عليها المرأة حتى يلحق بأهله، فأبوا ذلك عليه، حتى انتدب رجل منهم فجعل له راحلة من نصيبه؛ فقال عروة في ذلك قصيدته التي أولها:

ألا إن أصحاب الكنيف وجدتهم ... كما الناس لما أمرعوا وتمولوا
وإني لمدفوع إلي ولاؤهم ... بماوان إذ نمشي وإذ نتململ
وإني وإياهم كذي الأم أرهنت ... له ماء عينيها تفدي وتحمل
فباتت بحد المرفقين كليهما ... توحوح مما نالها وتولول
تخير من أمرين ليسا بغبطة ... هو الثكل إلا أنها قد تجمل

سبي ليلى بنت شعواء ثم اختارت أهلها فقال شعراً: وقال ابن الأعرابي في هذه الرواية أيضاً: كان عروة قد سبى امرأة من بني هلال بن عامر بن صعصعة يقال لها: ليلى بنت شعواء، فمكثت عنده زماناً وهي معجبة له تريه أنها تحبه، ثم استزارته أهلها فحملها حتى أتاهم بها، فلما أراد الرجوع أبت أن ترجع معه، وتوعده قومها بالقتل فانصرف عنهم، وأقبل عليها فقال لها: يا ليلى، خبري صواحبك عني كيف أنا؛ فقالت: ما أرى لك عقلاً! أتراني قد اخترت عليك وتقول: خبري عني! فقال في ذلك:

تحن إلى ليلى بجو بلادها ... وأنت عليها بالملا كنت أقدر

وكيف ترجيها وقد حيل دونها ... وقد جاوزت حياً بتيماء منكرا

لعلك يوماً أن تسري ندامة" ... علي بما جشمتني يوم غضورا

وهي طويلة. قال: ثم إن بني عامر أخذوا امرأة من بني عبس ثم من بني سكين يقال لها أسماء، فما لبثت عندهم إلا يوماً حتى استنقذها قومها؛ فبلغ عروة أن عامر بن الطفيل فخر بذلك وذكر أخذه إياها، فقال عروة يعيرهم بأخذه ليلى بنت شعواء الهلالية:

إن تأخذوا أسماء موقف ساعة ... فمأخذ ليلى وهي عذراء أعجب

لبسنا زماناً حسنها وشبابها ... وردت إلى شعواء والرأس أشيب

كمأخذنا حسناء كرهاً ودمعها ... غداة اللوي معصوبة يتصبب

خرج ليغير فمنعته امرأته فعصاها وقال في ذلك شعراً: إغاثته لعبس في مجاعتهم وقال ابن الأعرابي: أجدب ناس من بين عبس في سنة أصابتهم فأهلكت أموالهم وأصابهم جوع شديد وبؤس، فأتوا عروة بن الورد فجلسوا أمام بيته، فلما بصروا به صرخوا وقالوا: يا أبا الصعاليك، أغثنا؛ فرق لهم وخرج ليغزو بهم ويصيب معاشاً، فنهته امرأته عن ذلك لما تخوفت عليه من الهلاك، فعصاها وخرج غازياً، فمر بمالك بن حمار الفزاري ثم الشمخي؛ فسأله: أين يريد؟ فأخبره، فأمر له بجزور فنحرها فأكلوا منها؛ وأشار عليه مالك أن يرجع، فعصاه ومضى حتى انتهى إلى بلاد بين القين، فأغار عليهم فأصاب هجمة عاد بها على نفسه وأصحابه؛ وقال في ذلك:

أرى أم حسان الغداة تلومني ... تخوفني الأعداء والنفس أخوف

تقول سليمى لو أقمت لسرنا ... ولم تدر أنى للمقام أطوف

لعل الذي خوفتنا من أمامنا ... يصادفه في أهله المتخلف

وهي طويلة: وقال في ذلك أيضاً:

أليس ورائي أن أدب على العصا ... فيشمت أعدائي ويسأمني أهلي

رهينة قعر البيت كل عشية ... يطيف بي الولدان أهدح كالرأل

أقيموا بين لبني صدور ركابكم فكل منايا النفس خير من الهزل

فإنكم لن تبلغوا كل همتي ولاأربى حتى تروا منبت الأثل

لعل ارتيادي في البلاد وحيلتي وشدي حيازيم المطية بالرحل

سيدفعني يوماً إلى رب هجمةٍ يدافع عنها بالعقوق وبالبخل

قصته مع هزلي أغار على فرسه

نسخت من "كتاب أحمد بن القاسم بن يوسف" قال حدثني حر بن قطن أن ثمامة بن الوليد دخل على المنصور؛ فقال: يا ثمامة، أتحفظ حديث ابن عمك عروة الصعاليك بن الورد العبسي؟ فقال: أي حديثه يا أمير المؤمنين؟ فقد كان كثير الحديث حسنه؛ قال: حديثه مع الهذلي الذي أخذ فرسه؛ قال: ما يحضرني ذلك فأرويه يا أمير المؤمنين؛ فقال المنصور: خرج عروة حتى دنا من منازل هذيل فكان منها على نحو ميلين وقد جاع فإذا هو بأرنب فرماها ثم أورى ناراً فشواها وأكلها ودفن النار على مقدار ثلاث أذرع وقد ذهب الليل وغارت النجوم، ثم أتى سرحة فصعدها وتخوف الطلب، فلما تغيب فيها إذ الخيل قد جاءت وتخوفوا البيات. قال: فجاءت جماعة منهم ومعهم رجل على فرس فجاء حتى ركز رمحه في موضع النار وقال: لقد رأيت النار هاهنا؛ فنزل رجل فحفر قدر ذراع فلم يجد شيئاً، فأكب القوم على الرجل يعذلونه ويعيبون أمره ويقولون: عنيتنا في مثل هذه الليلة القرة وزعمت لنا شيئاً كذبت فيه؛ فقال: ما كذبت، ولقد رأيت النار في موضع رمحي؛ فقالوا: ما رأيت شيئاً ولكن تحذلقك وتدهيك هو الذي حملك على هذا، وما نعجب إلا لأنفسنا حين أطعنا أمرك واتبعناك؛ و لم يزالوا بالرجل حتى رجع عن قوله لهم. واتبعهم عروة، حتى إذا وردوا منازلهم جاء عروة فتمكن في كسر بيت؛ وجاء الرجل إلى امرأته وقد خالفه إليها عبد أسود، وعرة ينظر، فأتاها العبد بعلبة فيها لبن فقال: اشربي؛ فقالت لا، أو تبدأ، فبدأ الأسود فشرب؛ فقالت للرجل حين جاء: لعن الله صلفك! عنيت قومك منذ الليلة؛ قال: لقد رأيت ناراً، ثم دعا بالعلبة ليشرب، فقال حين ذهب ليكرع: ريح رجل ورب الكعبة! فقالت امرأته: وهذه أخرى، أي ريح رجل تجده في إنائك غير ريحك! ثم صاحت، فجاء قومها فأخبرهم خبره، فقالت: يتهمني ويظن بي الظنون! فأقبلوا عليه باللوم حتى رجع عن قوله؛ فقال عروة: هذه ثانية. قال ثم أوى الرجل إلى فراشه، فوثب عروة إلى الفرس وهو يريد أن يذهب به، فضرب الفرس بيده وتحرك، فرجع عروة إلى موضعه، ووثب الرجل فقال: ما كنت لتكذبيني فمالك؟ فأقبلت عليه امرأته لوماً وعدلاً. قال: فصنع عروة ذلك ثلاثاً وصنعه الرجل، ثم أوى الرجل إلى فراشه وضجر من كثرة ما يقوم، فقال: لا أقوم إليك الليلة؛ وأتاه عروة فحال في متنه وخرج ركضاً، وركب الرجل فرساً عنده أنثى. قال عروة: فجعلت أسمعه خلفي يقول: الحقي فإنك من نسله. فلما انقطع عن البيوت، قال له عروة قال له عروة بن الورد: أيها الرجل قف، فإنك لو عرفتني لم تقدم علي، أنا عروة بن الورد،

وقد رأيت الليلة منك عجباً، فأخبرني به وأرد إليك فرسك؛ قال: وما هو؟ قال: جئت مع قومك حتى ركزت رمحك في موضع نارٍ قد كنت أوقدتها فثنوك عن ذلك فانثنيت وقد صدقت، ثم اتبعتك حتى أتيت منزلك وبينك وبين النار ميلان فأبصرتها منهما، ثم شممت رائحة رجل في إنائك، وقد رأيت الرجل حين آثرته زوجتك بالإناء، وهو عبدك الأسود وأظن أن بينهما مالا تحب، فقلت: ريح رجل؛ فلم تزل تثنيك عن ذلك حتى انثنيت، ثم خرجت إلى فرسك فأردته فاضطرب وتحرك فخرجت إليه، ثم خرجت وخرجت، ثم أضربت عنه، فرأيتك في هذه الخصال أكمل الناس ولكنك تثني وترجع؛ فضحك وقال: ذلك لأخوال السوء، والذي رأيت من صرامتي فمن قبل أعمامي وهم هذيل، وما رأيت من كعاعتي فمن قبل أخوالي وهم بطن من خزاعة والمرأة التي رأيت عندي امرأة منهم وأنا نازل فيهم، فذلك التي رأيت عندي امرأة منهم وأنا نازل فيهم، فذلك الذي يثنيني عن أشياء كثيرة، وأنا لاحق بقومي وخارج عن أخوالي هؤلاء ومخل سبيل المرأة، ولولا ما رأيت من كعاعتي لم يقو على مناوأة قومي أحد من العرب. فقال عروة: خذ فرسك راشداً؛ قال: ما كنت لآخذه منك وعندي من نسله جماعة مثله، فخذه مباركاً لك فيه. قال ثمامة: إن له عندنا أحاديث كثيرة ما سمعنا له بحديث هو أظرف من هذا. قصة غزوان لماوان وحديثه مع غلام تبين بعد أنه ابنه: قال المنصور: أفلا أحدثك له بحديث هو أظرف من هذا؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين، فإن الحديث إذا جاء منك كان له فضل على غيره؛ قال: خرج عروة وأصحابه حتى أتى ماوان فنزل أصحابه وكنف عليهم كنيفاً من الشجر، وهم أصحاب الكنيف الذي سمعته قال فيهم:

ألا إن أصحاب الكنيف وجدتهم كما الناس لما أمرعوا وتمولوا

وفي هذه الغزاة يقول عروة:

أقول لقوم في الكنيف تروحوا عشية قلنا حول ماوان رزح

وفي هذه القصيدة يقول:

ليبلغ عذراً أو يصيب غنيمة" وملغ نفسٍ عذرها مثل منجح

ثم مضى يبتغي لهم شيئاً وقد جهدوا، فإذا هو بأبيات شعرٍ وبامرأة قد خلا من سنها وشيخ كبير كالحقاء الملقى، فكمن في كسر بيت منها، وقد أجدب الناس وهلكت الماشية، فإذا هو في البيت بسحور ثلاثة مشوية - فقال ثمامة: ومالسحور؟ قال: الحلقوم بما فيه- والبيت خال فأكلها، وقد مكث قبل ذلك يومين لا يأكل شيئاً فأشبعته وقوي، فقال: لا أبالي من لقيت بعد هذا. ونظرت المرأة فظنت أن الكلب أكلها فقالت للكلب: أفعلتها ياخبيث! وطردته. فإنه لكذلك إذا هو عند المساء بإبل قد ملأت الأفق وإذا هي تلتفت فرقاً، فعلم أن راعيها جلد شديد الضرب لها، فلما أتت المناخ بركت، ومكث الراعي قليلاً ثم أتى ناقة" منها فمرى أخلاقها، ثم وضع العلبة على ركبتيه وحلب حتى ملأها، ثم أتى الشيخ فسقاه، ثم أتى ناقة أخرى ففعل بها ذلك وسقى العجوز، ثم أتى أخرى ففعل بها كذلك فشرب هو، ثم التفع بثوب واضطجع ناحيةٍ، فقال الشيخ للمرأة وأعجبه ذلك: كيف

ترين ابني؟ فقالت: ليس بابنك! قال: فابن من ويلك؟ قالت: ابن عروة بن الورد، قال: ومن أين؟ قالت: أتذكر يوم مر بنا يريد سوق ذي المجاز فقلت: هذا عروة بن الورد، ووصفته لي بجلد فإني استطرفته. قال: فسكت، حتى إذا نوم وثب عروة وصاح بالإبل فاقتطع منها نحواً من النصف ومضى ورجا ألا يتبعه الغلام- وهو غلام حين بدا شاربه-فاتبعه. قال: فاتخذا وعالجه، قال: فضرب به الأرض فيقع قائماً، فتخوفه على نفسه، ثم واثبه فضرب به وبادره، فقال: إني عروة بن الورد، وهو يريد أن يعجزه عن نفسه. قال: فارتدع، ثم قال مالك ويلك! لست ينهاك عن شيء، قال: الذي بقي من عمر الشيخ قليل، وأنا مقيم معه مابقي، فإن له حقاً وذماماً، فإذا هلك فما أسرعني إليك، وخذ من هذا الإبل بعيراً؛ قلت: لا يكفيني، إن معي أصحابي قد خلفتهم؛ قال: فثانياً، قلت لا؛ قال: فثالثاً، والله لازدتك على ذلك. فأخذها ومضى إلى أصحابه، ثم إن الغلام لحق به بعد هلاك الشيخ. قال: والله يا أمير المؤمنين لقد زينته عندنا وعظمته في قلوبنا؛ قال: فهل أعقب عنكم؟ قال لا، ولقد كنا نتشاءم بأبيه، لأنه هو الذي وقع الحرب بين عبس وفزاره بمراهنته حذيفة، ولقد بلغني أنه كان له ابن أسن من عروة فكان يؤثره على عروة فيما يعطيه ويقربه، فقيل له: أتؤثر الأكبر مع غناه عنك على الأصغر مع ضعفه! قال: أترون هذا الأصغر! لئن بقي مع ما رأى من شدة نفسه ليصبرن الأكبر عيالاً عليه.

صوت من المائة المختارة

أزرى بنا أننا شالت نعامتنا فخالني دونه بل خلته دوني

فإن تصبك من الأيام جائحة لم أبك منك على دنيا ولادين

الشعر لذي الإصبع العدواني، والغناء لفيل مولى العبلات هزج خفيف بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. معنى قوله أزرى بنا: قصر بنا، يقال: زريت عليه إذا عبت عليه فعله، وأزريت به إذا قصرت به في شيء. وشالت نعامتهم إذا انتقلوا بكليتهم، يقال: شالت نعامتهم، وزف رألهم، إذا انتقلوا عن لاموضع فلم يبق فيه منهم أحد و لم يبق لهم فيه شيء. وخالني: ظنني، يقال: خلت كذا وكذا فأنا أخاله إذ ظننته. والجائحة: النازلة التي تحتاج ولاتبقى على ما نزلت به.

ذكر ذي الإصبع العدواني ونسبه وخبره

نسبه وهو شاعر فارس جاهلي

هو حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة بن سيار بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، أحد بني عدوان وهم بطن من جديلة. شارع فارس من قدماء الشعراء في الجاهلية وله غارات كثيرة على العرب ووقائع مشهورة

فنيت عدوان فرثاها

أخبرنا محمد بن خلف وكيع وابن عمار والأسدي، قالوا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا أبو عثمان المازني عن الأصمعي قال: نزلت عدوان على ماء فأحصوا فيهم سبعين ألف غلام أغرل سوى من كان مختوناً لكثرة عددهم، ثم وقع بأسهم بينهم فتفانوا فقال ذو الإصبع:

صوت

عذير الحي من عدوا ... ن كانوا حية الأرض

بغى بعضهم بعضاً ... فلم يبقوا على بعض

فقد صاروا أحاديث ... برفع القول والخفض

ومنهم كانت السادا ... ت والموفون بالقرض

ومنهم من يجيز النا ... س بالسنة والفرض

ومنهم حكم يقضي ... فلا ينقض ما يقضي

وأما قول ذي الأصبع

ومنهم حكم يقضي

فإنه يعني عامر بن الظرب العدواني، كان حكماً للعرب تحتكم إليه.

من قرعت له العصا: حدثنا محمد بن العباس اليزيدي عن محمد بن حبيب قال: قيس تدعى هذه الحكومة وتقول: إن عامر بن الظرب العدواني هو الحكم وهو الذي كانت العصا تقرع له، وكان قد كبر فقال له الثاني من ولده: إنك ربما أخطأت في الحكم فيحمل عنك؛ قال: فاجعلوا لي أمارة أعرفها فإذا زغت فسمعتها رجعت إلى الحكم والصواب، فكان يجلس قدام بيته ويقعد ابنه في البيت ومعه العصا، فإذا زاغ أو هفا قرع له الجفنة فرجع إلى الصواب. وفي ذلك يقول المتلمس:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا ... وماعلم الإنسان إلا ليعلما

قال ابن حبيب: وربيعه تدعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام. واليمن تدعيه لربيعة بن مخاشن، وهو ذو الأعواد، وهو أول من جلس على منبر أو سرير وتكلم،؛ وفيه يقول الأسود بن يعفر:

ولقد علمت لوأن علمي نافعي ... أن السبيل سبيل ذي الأعواد

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أبو دلف قال أهبرنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال: زعم أبو عمر بن العلاء أنه ارتحلت عدوان من منزلٍ، فعد فيهم أربعون ألف غلام أقلف. قال الرياشي وأخبرني رجل عن هشام بن الكلبي قال: وقع على إياد البق فأصاب كل رجلٍ منهم بقتان.

استعراض عبد الملك أحياء العرب

وسؤاله عن ذي الإصبع:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثنا أحمد بن عبيد أبو عصيدة قال أخبرني محمد بن زياد الزيادي، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة و لم يسنده إلى أحد وروايته أتم: أن عبد الملك بن مروان لما قدم الكوفة بعد قتله مصعب بن الزبير جلس لعرض أحياء العرب-وقال عمر بن شبة: إن مصعب بن الزبير كان صاحب هذه القصة- فقام إليه معبد بن خالد الجدلي، وكان قصيراً دميماً، فتقدمه إليه رجل منا حسن الهيئة؛ قال معبد: فنظر عبد الملك إلى الرجل وقال: ممن أنت؟ فسكت و لم يقل شيئاً وكان منا، فقلت من خلف: نحن يا أمير المؤمنين من جديلة؛ فأقبل على الرجل وتركني؟ فسكت و لم يقل شيئاً وكان منا، فقلت من خلفه: نحن يا أمير المؤمنين منجديلة؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال: من أيكم ذو الإصبع؟ قال الرجل: لا أدري؛ فقلت: نهشته حية في إصبعه فيبست؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال: وبم كان يسمى قبل ذلك؟ قال الرجل: لا أدري؛ قلت: كان يسمى حرثان؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال: من أي عدوان كان؟ فقلت من خلفه: من بني ناجٍ الذين يقول فيهم الشاعر:

وأما بنو ناجٍ فلا تذكرنهم ... ولاتتبعن عينيك ما كان هالكا

إذا قلت معروفاً لأصلح بينهم ... يقول وهيب لا أسالم ذلكا

وروى عمر بن شبة: لأسلم

فأضحى كظهر الفحل جب سنامه ... يدب إلى الأعداء أحدب باركا

فأقبل على الرجل وتركني وقال أنشدني قوله:

عذير الحي من عدوان

قال الرجل: لست أرويها؛ قلت يا أمير المؤمنين إن شئت أنشدتك؛ قال: ادن مني، فإني أراك بقومك عالماً؛ فأنشدته:

وليس المرء في شيءٍ ... من الإبرام والنقص

إذا أبرم أمراً خا ... له يقضي وما يقضي

يقول اليوم أمضيه ... ولا يملك ما يمضي

عذير الحي من عدوا ن كانوا حية الأرض

بغى بعضهم بعضاً فلم يبقوا على بعض

فقد صاروا أحاديث برفع القول والخفض

ومنهم كانت السادا ت والموفون بالقرض

ومنهم حكم يقضي فلا ينقض ما يقضي

ومنهم من يجيز النا س بالسنة والفرض

وهم من ولدوا أشبوا بسر الحسب المحض

وممن ولدوا عام ر ذو الطول وذو العرض

وهم بووا ثقيفاً دا ر لاذل ولاخفض

فأقبل على الرجل وتركني وقال: كم عطاؤك؟ فقال: ألفان، فأقبل علي فقال: كم عطاؤك؟ فقلت: خمسمائة؛ فأقبل على كاتبه وقال: اجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا؛ فانصرفت بها.

وقوله: "ومنهم من يجيز الناس" فإن إجازة الحج كانت لخزاعة فأخذها منهم عدوان فصارت إلى رجل منهم يقال له أبو سيارة أحد بني وابش بن يزيد بن عدوان وله يقول الراجز:

خلوا السبيل عن أبي سيارة وعن مواليه بن فزاره

حتى يجيز سالماً حماره مستقبل الكعبة يدعو جاره

قال: وكان أبو سيارة يجيز الناس في الحج بأن يتقدمهم على حمارٍ، ثم يخطبهم فيقول: اللهم أصلح بين نسائنا، وعاد بين رعائنا، واجعل المال في سمحائنا، أوفوا بعهدكم، وأكرموا جاركم، واقروا ضيفكم، ثم يقول: أشرق ثبير كما نغير، وكانت هذه إجازته، ثم ينفر ويتبعه الناس. ذكر ذلك أبو عمرو الشيباني والكلبي وغيرهما.

قصته مع بناته الأربع وقد أردن الزواج

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو بكر العليمي قال حدثنا محمد بن داود الهشامي قال: كان لذي الإصبع أربع بنات وكن يخطبن إليه فيعرض ذلك عليهن فيستحين ولا يزوجهن، وكانت أمهن تقول: لو زوجتهن فلا يفعل. قال: فخرج ليلة إلى متحدثٍ لهن فاستمع عليهن وهن لا يعلمن فقلن: تعالين نتمنى ولنصدق، فقالت الكبرى:

ألا ليت زوجي من أناس ذوي غنى حديث الشباب طيب الريح والعطر

طبيب بأدواء النساء كأنه خليفة جانٍ لاينام على وتر

فقلن لها: أنت تحبين رجلاً ليس من قومك. فقالت الثانية:

ألا هل أراها ليلة وضجيعها أشم كنصل السيف غير مبلد

لصوق بأكباد النساء وأصله إذا ما انتمى من سر أهلي ومحتدي

فقلن لها: أنت تحبين رجلاً من قومك. فقالت الثالثة:

ألا ليته يملا الجفان لضيفه له جفنة يشقى بها النيب والجزر

له حكمات الدهر من غير كبرة تشين ولا الفاني ولا الضرع الغمر

فقلن لها: أنت تحبين رجلاً شريفاً. وقلن للصغرى: تمني؛ فقالت: ماأريد شيئاً؛ قلن: والله لاتبرحين حتى نعلم ما في نفسك؛ قالت: زوج من عود خير من قعود. فلما سمع ذلك أبوهن زوجهن أربعتهن. فمكثن برهة" ثم اجتمعن إليه، فقال للكبرى: يا بنية، ما مالكم؟ قالت: الإبل؛ قال: فكيف تحدونها؟ قالت: خير مال، نأكل لحومها مزعاً، ونشرب ألبانها جرعاً، وتحملنا وضيفنا معاً؛ قال: فكيف تحدين زوجك؟ قالت: خير زوج يكرم الحليلة، ويعطي الوسيلة؛ قال: فكيف تحدين زوجك؟ قالت: خير زوج يكرم الحليلة، ويعطي الوسيلة؛ قال: مال عميم وزوج كريم. ثم قال للثانية: يا بنية ما مالكم؟ قالت: البقر؛ قال: فكيف تحدونها؛ قالت: خير مال، تألف الفناء، وتودك السقاء، وتملأ الإناء، ونساء في نساء؛ قال: فكيف تحدين زوجك؟ قالت: خير زوج يكرم أهله وينسى فضله؛ قال: حظيت ورضيت. ثم قال للثالثة: ما مالكم؟ قالت: المغزى؛ قال: فكيف تحدونها؟ قالت: لابأس بها نولدها فطماً، ونسلخها أدماً؛ قال: فكيف تحدين زوجك؟ قالت: لابأس به ليس بالبخيل الحكر ولا بالسمح البذر، قال: جدوى مغنية. ثم قال للرابعة: يا بنية، مالكم؟ قالت: الضأن؛ قال: وكيف تحدونها؟ قالت: شر مال، جوف لا يشبعن، وهيم لاينقعن، وصم لايسمعن، وأمر مغويتهن يتبعن؛ قال: فكيف تحدين زوجك؟ قالت: شر زوج، يكرم نفسه ويهين عرسه؛ قال: " أشبه أمرأ بعض بزه".

وذكر الحسن بن عليل العنزي في خبر عدوان الذي رواه عن أبي عمرو بن العلاء أنه لا يصح من أبيات ذي الإصبع الضادية إلا الأبيات التي أنشدها وأن سائرها منحول.

خرف واهترأ وقال في ذلك شعراً

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن عبد الله الحزنبل قال حدثني عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال: عمر ذو الإصبع العدواني عمراً طويلاً حتى خرف وأهتر وكان يفرق ماله، فعذله أصهاره ولاموه وأخذوا على يده؛ فقال في ذلك:

أهلكنا الليل والنهار معاً والدهر يعدو مصمماً جذعا

فليس فيما أصابني عجب إن كنت شيباً أنكرت أو صلعا
وكنت إذ رونق الشباب به ماء شبابي تخاله شرعا
والحي فيه الفتاة ترمقني حتى مضى شأو ذاك فانقشعا

صوت

إنكما صاحبي لم تدعا لومي ومهما أضق فلن تسعا
لم تعقلا جفوة" علي ولم أشتم صديقاً ولم أنل طبعا
إلا بأن تكذبا علي وما أملك أن تكذبا وأن تلعا

لابن سريج في هذه الأبيات لحنان: أحدهما ثاني ثقيل بالسبابة والبنصر عن يحيى المكي، والآخر ثقيل أول عن الهشامي.

وإنني سوف أبتدي بندى ياصاحبي الغداة فآستمعا
ثم سلا جارتي وكنتها هل كنت فيمن أراب أو خدعا
أو دعتاني فلم أجب، ولقد تأمن من حليلتي الفجعا
آبى فلا أقرب الخباء إذا ماربه بعد هدأة هجعا
ولا أروم الفتاة زورتها إن نام عنها الحليل أو شسعا
وذاك في حقبة خلت ومضت والدهر ياي على الفتى لمعا
إن تزعما أنني كبرت فلم أفل ثقيلاً نكساً ولاورعا
إما ترى شكتي رميح أبي سعدٍ فقد أحمل السلاح معا

أبو سعد: ابنه، ورميح: عصاً كانت لابنه يلعب بها مع الصبيان يطاعنهم بها كالرمح، فصار يتوكأ هو عليها ويقوده ابنه هذا بها:

السيف والرمح والكنانة قد أكملت فيها معابلاً صنعا
والمهر صافي الأديم أصنعه يطير عنه عفاؤه قزعا
أقصر من قيده وأردعه حتى إذا السرب ريع أو فزعا
كان أمام الجياد يقدمها يهز لدناً وجؤجؤاً تلعاً

فغامس الموت أو حمى ظعنا أو رد نهباً لأي ذاك سعى

وصيته لابنه عند موته

قال أبو عمرو: ولما احتضر ذو الإصبع دعا ابنه سيداً فقال له: يا بني، إن أباك قد فني وهو حي وعاش حتى سشم العيش، وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته، فاحفظ عني: ألن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابسط لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك؛ وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم، واسمح بمالك، واحم حريمك، وأعزز جارك، وأعن من استعان بك، وأكرم ضيفك، وأسرع النهضة في الصريخ، فإن لك أجلاً لا يعدوك، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئاً، فبذلك يتم سوددك؛ ثم أنشأ يقول:

أأسيد إن مالاً ملك ت فسر به سيراً جميلاً
آخ الكرام إن استطع ت إلى إخائهم جملاً ذلولا
وأشرب بكأسهم وإن شربوا به السم الثميلا
أهن اللئام ولاتكن لإخائهم جملاً ذلولاً
إن الكرام إذا توا خيهم وجدت لهم فضولا
ودع الذي يعد العشي رة أن يسيل ولن يسيلا
ابني إن المال لا يبكي إذا فقد البخيلا

صوت

أأسيد إن أزمعت من بلدٍ إلى بلدٍ رحيلا
فاحفظ وإن شحط المزا ر أخيك أو الزميلا
واركب بنفسك إن همم ت بها الحزونة والسهولا
وصل الكرام وكن لمن ترجو مودته وصولا

الغناء للهذلي خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو.

ودع التواني في الأمو ر وكن لها سلساً ذلولا
وابسط يمينك بالندى وامدد بها باعاً طويلا
وابسط يديك بما ملك ت وشيد الحسب الأثيلا

واعزم إذا حاولت أم راً يفرج الهم الدخيلا
وابذل لضيفك ذات رح لك مكرماً حتى يزولا
واحلل على الأيفاع لل عافين واجتنب المسيلا
وإذا القوم تخاطرت يوماً وارعدت الخصيلا
فاهصر كهصر الليث خض ب من فريسته التليلا
وانزل إلى الهيجا إذا أبطالها كرهوا النزولا

وإذا دعيت إلى المه م فكن لفادحه حمولا

استنشد معاوية قيسياً وزراد في عطائه: أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي قال: جرى بين عبد الله بن الزبير وعتبة بن أبي سفيان لحاء بين يدي معاوية، فجعل ابن الزبير يعدل بكلامه عن عتبة ويعرض بمعاوية، حتى أطال وأكثر"من ذلك"، فالتفت إليه معاوية متمثلاً وقال:

ورام بعوران الكلام كأنها نوافر صبح نفرتها المراتع
وقد يدحض المرء المواراب بالخنا وقد تدرك المرء الكريم المصانع

ثم قال لابن الزبير: من يقول هذا؟ فقال: ذو الإصبع؛ فقال: أترويه؟ قال لا؛ فقال: من هاهنا يروي هذه الأبيات؟ فقام رجل من قيس فقال: أنا أرويها يا أمير المؤمنين؛ فقال: أنشدني؛ فأنشده حتى أتى على قوله:

وساع برجليه لآخر قاعد ومعطٍ كريم ذو يسار ومانع
وبانٍ لأحساب الكرام وهادم وخافض مولاه سفاهاً ورافع
ومغضٍ على بعض الخطوب وقد بدت له عورة من ذي القرابة ضاجع
وطالب حوب باللسان وقلبه سوى الحق لاتخفى عليه الشرائع

فقال له معاوية: كم عطاءك؟ قال: سبعمائة؛ قال: اجعلوها ألفاً، وقطع الكلام بين عبد الله وعتبة.

شعره في ابن عمه وقد عاداه

قال أبو عمرو: وكان لذي الإصبع ابن عم يعاديه فكان يتدسس إلى مكارهه ويمشي به إلى أعدائه ويولب عليه ويسعى بينه وبين عمه ويبغيه عندهم شراً؛ فقال فيه- وقد أنشدنا الأحفش هذا الأبيات " ايضاً " عن ثعلب والأحول السكري:

ياصاحبي قفا قليلا وتخبرا عني لميسا

عمن أصابت قلبه في مرها غدا نكيسا
ولي ابن عم لايزا ل إلي منكره دسيسا
دبت له فأحس بع د البرء من سقم وسيسا
إما علانية وإم ا مخمراً أكلاً وهيسا
إني رأيت بني أبي ك يحمجون إلي شوسا
حنقاً علي ولن ترى لي فيهم أثراً بئيسا
أنحوا على حر الوجو ه بحد مئشار ضروسا
لو كنت ماء" لم تكن عذب المذاق ولامسوسا
ملحاً بعيد القعر قد فلت حجارته الفؤوسا
مناع ما ملكت يدا ك وسائل لهم نحوسا

وأنشدنا الأخفش عن هؤلاء الرواة بعقب هذه الأبيات- وليس من شعر ذي الإصبع ولكنه معناه-:

لو كنت ماء كنت غير عذب أو كنت سيفاً كنت غير عضب
أو كنت طرفاً كنت غير ندب أو كنت لحماً كنت لحم كلب
لو كنت مخا كنت مخاريرا أو كنت برداً كنت زمهريرا
أو كنت ريحاً كانت الدبورا

سبب تفرق عدوان وتقاتلهم

قال أبو عمرو، وكان السبب في تفرق عدوان وقتال بعضهم بعضاً حتى تفانوا: أن بني ناج بن يشكر بن عدوان أغاروا على بني عوف بن سعد بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان، ونذرت بهم بنو عوف فاقتتلوا، فقتل بنو ناج ثمانية نفرٍ، فيهم عمير بن مالك سيد بني عوف، وقتلت بنو عوف رجلاً منعم يقال له سنان بن جابر، وتفرقوا على حرب. وكان الذي أصابوه من بني واثلة بن عمرو بن عباد وكان سيداً، فاصطلح سائر الناس على الديات أن يتعاطوها ورضوا بذلك، وأبى مرير بن جابر أن يقبل بسنان بن جابر دية"، واعتزل هو وبنو أبيه ومن أطاعهم ومن والاهم، وتبعه علىذلك كرب بن خالد أحد بني عبس بن ناج، فمشى إليهما ذو الإصبع وسألهما قبول الدية وقال: قد قتل منا ثمانية نفر فقبلنا الدية وقتل منكم رجل فاقبلوا ديته؛ فأبيا ذلك وأقاما الحرب، فكان ذلك مبدأ حرب بعضهم بعضاً حتى تفانوا وتقطعوا. فقال ذو الإصبع في ذلك:

ويابؤس للأيام والدهر هالكا وصرف الليالي يختلفن كذلكا

أبعد بني ناجٍ وسعيك فيهم فلاتتبعن عينيك ما كان هالكا
إذا قلت معروفاً لأصلح بينهم يقول مرير لاأحاول ذلكا
فأضحوا كظهر العود جب سنامه تحوم عليه الطير أحدب باركا

فإن تك عدوان بن عمرو تفرقت فقد غنيت دهراً ملوكاً هنالكا

قصيدته النونية وقال أبو عمرو: وفي مرير بن جابر يقول ذو الأصبع - وهذه القصيدة هي التي منها " الغناء" المذكور -وأولها:

يامن لقلب شديد الهم محزون أمسى تذكر ريا أم هارون
أمسى تذكرها من بعد ما شحطت والدهر ذو غلظ حيناً وذو لين
فإن يكن حبها أمسى لنا شجناً وأصبح الولي منها لايوايتيني
فقد غنينا وشمل الدار يجمعنا أطيع ريا وريا لاتعاصيني
نرمي الوشاة فلا نخطي مقاتلهم بخالصٍ من صفاء الود مكنون
ولي ابن عم علي ما كان من خلق مختلفان فأقليه ويقليني
أزرى بنا أننا شالت تعامتنا فخالني دونه بل خلته دوني
لاه ابن عمك لاأفضلت من حسب شيئاً ولاأنت دياني فتحزوني
ولاتقوت عيالي يوم مسغبةٍ ولابنفسك في العزاء تكفيني
فإن ترد عرض الدنيا بمنقصتي فإن ذلك مما ليس يشجيني
ولاترى في غير الصبر منقصة وماسواه فإن الله يكفيني
لولا أواصرقربى لست تحفظها ورهبة الله في مولى يعاديني
إذا بريتك برياً لا أنجبار له إني رأيتك لاتنفك تبريني
إن الذي تقبض الدنيا ويبسطها إن كان أغناك عني سوف يغنيني
الله يعلمكم والله يعلمني والله يجزيكم عني ويجزيني
ماذا علي وإن كنتم ذوي رحمي ألا أحبكم إن لم تحبوني
لو تشربون دمي لم يرو شاربكم ولادماؤكم جمعاً ترويني

ولي ابن عم لو أن الناس في كبدي ... لظل محتجزاً بالنبل يرميني

ياعمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتي ... ظاضربك حتى تقول الهامة اسقوني

كل امرىء صائر يوماً لشيمته ... ظغن تخلق أخلاقاً إلى حين

إني لعمرك مابابي بذي غلقٍ ... عن الصديق ولاخيري بممنون

ولا لساني على الأدنى بمنطلق ... بالمنكرات ولافتكي بمأمون

لايخرج القسر مني غير مغضبة ... ولاألين لمن لايبتغي ليني

وأنتم معشر زيد على مائة ... فأجمعوا أمركم شتى فكيدوني

فإن علمتم سبيل الرشد فانطلقوا ... ظغن غبيتم طريق الرشد فأتوني

يارب ثوبٍ حواشيه كأوسطه ... لاعيب في الثوب من حسنٍ ومن لين

يوماً شددت على فرغاء فاهقةٍ ... يوماً من الدهر تارات تماريني

ماذا علي إذا تدعونني فزعاً ... ألا أجيبكم إذ لاتجيبوني

وكنت أعطيكم مالي وأمنحكم ... ودي على مثبت في الصدر مكنون

يارب حي شديد الشغب ذي لجب ... ذعرت من راهنمنهم ومرهون

رددت باطلهم في رأس قائلهم ... حتى يظلوا خصوماً ذا أفانين

ياعمرو لو كنت لي ألفيتيني يسراً ... سمحاً كريماً أجازي من يجازيني

قصيدته في رثاء قومه

قال ابو عمرو: وقالذو الإصبع يرثي قومه:

وليس المرء قي شيء ... من الإبرام والنقض

لإذا يفعل شيئاً خا ... له يقضي وما يقضي

جديد العيش ملبوس ... وقد يوشك أن ينضي

وقد مضى بعض هذه القصيدة متقدماً في صدر هذه الأخبار، وتمامها :

وأمر اليوم أصلحه ... ولاتعرض لما يمضي

فبينا المكرء في عيشٍ ... له من عيشة خفض

أتاه طبق يوماً على مزلقة دحض
وهم كانوا فلا تكذب ذوي القوة والنهض
وهم إن ولدوا أشبوا بسر الحسب المحض
لهم كانت أعالي الأر ض فالسران فالعرض

إلى ما حازه الحزن فما أسهل للحمض
إلى الكفرين من نخل ة فالداءة فالمرض
لهم كان الما ء ولا المزجى ولاالبرص
فكان الناس إذا هموا بيسر خاشع مغضي
تنادوا ثم ساروا ب رئيس لهم مرضي
فمن ساجلهم حرباً ففي الخيبة والخفش
وهم نالوا على الشنآ ن والشحناء والبغض
معالي لم ينلها النا س في بسطٍ ولاقبض

شعر أمامة في رثاء قومها قال أبو عمرو: قالت أمامة بنت ذي الإصبع وكانت شاعرة ترثي قومها:

كم من فتى كانت له ميعة أبلج مثل القمر الزاهر
قد مرت الخيل بحافاته كمر غيثٍ لجبٍ ماطر
قد لقيت فهم وعدوانها قتلاً وهلكاً آخر الغابر
كانوا ملوكاً سادة" في الذرى دهراً لها الفخر على الفاخر
حتى تساقوا كأسهم بينهم بغياً فيا للشارب الخاسر
بادوا فمن يحلل بأوطانهم يحلل برسم مقفر دائر

شعره في الكبر

قال أبو عمرو: ولأمامة ابنته هذه يقول ذو الإصبع ورأته قد نهض فسقط وتوكأ على العصا فبكت فقال:

جزعت أمامة أن مشيت على العصا وتذكرت إذ نحن م الفتيان
فلقبل مارام الإله بكيده إرماً وهذا الحي من عدوان

بعد الحكومة والفضيلة والنهي طاف الزمان عليهم بأوان

وتفرقوا وتقطعت أشلاؤهم وتبددوا فرقاً بكل مكان

جدب البلاد فأعقمت أرحامهم والدهر غيرهم مع الحدثان

حتى أبادهم على أخراهم صرعى بكل نقيرة ومكان

لاتعجبن أمام من حدث عرا فالدهر غيرنا مع الأزمان

ذكر قيل مولى العبلات

ولاؤه وغناؤه

قال هارون بن محمد بن عبد الملك: أخبرني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان يحيى قيل عبداً للثريا ورضيا وأخواتهما بنات"علي بن" عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس مخهنو قال وحدثني حماد قال " حدثني أبي قال حدثني ابن جناح قال حدثنا مقاحف بن ناصح مولى عبد الله بن عباس قال قال حدثني هشام بن المرية- وهي أمة، وهومولى بني مخزوك - قال: كان يحيى قيل عبداً لامرأة من العبلات، وله من الغناء:

صوت

وأخرجها من بطن مكة بعد ما أصات المنادي للصلاة وأعتما

فمرت ببطن الليث تهوي كأنما تبادر بالإصباح نهباً مقسما

والشعر لأبي دهبل الجمحي. وأول هذه القصيدة: " ألا علق القلب المتيم كلثماً

أبو دهبل الجمحي

وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني يحيى بن المقداد الزمعي قال حدثني عمي موسى بن يعقوب الزمعي قال أنشدني أبو دهبل الجمحي لنفسه:

ألا علق القلب المتيم كلثما لجوجاً ولم يلزم من الحب ملزما

خرجت بها من بطن مكة بعدما أصات المنادي للصلاة وأعتما

فما نام من راعٍ ولاارتد سامر من الحي حتى جاوزت بي يلملما

ومرت ببطن الليث تهوي كأنها تبادر بالإدلاج نهباً مقسما

أجازت على البزواء والليل كاسر جناحين بالبزواء ورداً وأدهما

فما ذر قرن الشمس حتى تبينت بعليب نخلاً مشرفاً ومخيما

ومرت على أشطان دومة بالضحى فما خرزت للماء عيناً ولافما

وما شربت حتى ثنيت زمامها وخفت عليها أن تحز وتكلما

فقلت لها قد تعت غير ذميمة وأصبح وادي البزك غيثاً مديما

قال فقلت "له": ياعم ما كنت إلا على الريح! فقال: يابن أخي إن عمك كان إذا هم فعل، وهي العجاجة، أما سمعت قول أخي ببني مرة:

إذا أقبلت قلت مشحونة أقلت لها الريح قلعاً جفولا

وإن أدبرت قلت مذعورة من الرمد تتبع هيقاً ذمولا

وإن أغرضت خال فيها البصي رمالايكلفه أن يفيلا

يدا سرحا ماثرا ضبعها تسوم وتقدم رجلاً زجولاً

فمرت على كشب غدوة ومرت فويق أريك أصيلا

تخبط بالليل حزانه كخبط القوي العزيز الذليلا

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني ابن أصبغ السملي قال: جاء إنسان يغني إلى عياش المنقري بالعقيق فجعل يغنيه قول أبي دهبل: "ألا علق القلب المتيم كلثما" وجعل يعيده فلما أكثر قال له عياش: كم تنذر بالعجوز عافاك الله! اسم أمي كلثم، قال: وتسمع العجوز، فقالت: لا والله ما كان بيني وبينه شيء. قال: ومن غنائه:

أزرى بنا أننا شالت نعامتنا فخالني دونه بل خلته دوني

فإن تصبك من الأيام جائحة لانبك منك على دنيا ولادين

" وأول هذه الأبيات فيما أنشدناه علي بن سليمان الأخفش عن ثعلب"

صوت من المائة المختارة

لي ابن عم على ما كان من خلق مختلفان فاقليه ويقليني

لاه ابن عمك لاأفضلت في حسب عني ولاأنت ديباني فتخزوني

غنى هذين البيتين الهذلي ثاني ثقيل بالوسطى

وقد عجبت ومافي الدهر من عجب يد تشج وأخرى منك تأسوني

صوت من المائة المختارة

ارفع ضعيفك لايحر بك ضعفه يوماً فتدركه العواقب قد نما

يجزيك أو يثنى عليك وإن من أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

" عروضه من الكامل". الشعر لغريض اليهودي وهو السموءل بن عادياء، وقيل إنه لابنه صعية بن غريض، وقيل إنه لزيد بن عمرو بن نفيل، وقيل إنه لورقة بن نوفل، وقيل إنه لزهير بن جناب، وقيل إنه لعامر بن المجنون الجرمي الذي يقال له: مدرج الريح، والصحيح أنه لغريض أو لابنه.

خبر غريض اليهودي

نسبه وأصل قومه

وغريض هذا من اليهود من ولد الكاهن بن هارون بن عمران صلى الله عليه وسلم، وكان موسى عليه الصلاة والسلام وجه جيشاً إلى العماليق وكانوا قد طغوا ولغت غاراتهم إلى الشام وأمرهم إن ظفروا بهم أن يقتلوهم أجمعين، فظفروا بهم فقتلوهم أجمعين سوى ابن لملكهم كان غلاماً جميلاً فرحموه واستبقوه، وقدموا الشأم بعد وفاة موسى عليه السلام فأخبروا بني اسرائيل بما فعلوه؛ فقالوا: أنتم عصاة لاتدخلون الشأم علينا أبداً، فأخرجوهم عنها. فقال بعضهم لبعض: مالنا بلد غير البلد الذي ظفرنا به وقتلنا أهله؛ فرجعوا إلى يثرب فأقاموا بها وذلك قبل ورود الأوس والخزرج لإياها عند وقوع سيل العرم باليمن، فمن هؤلاء اليهود قريظة والنضير وبنو قنيقاع وغيرهم و لم أجد لهم نسبا فأذكره لأنهم ليسوا من العرب فتدون العرب أنسابهم إنما حلفاؤهم، وقد شرحت أخبارهم ومايغنى به من أشعارهم في موضع آخر من هذا الكتاب.

والغناء في اللحن المختار لابن صاحب الوضوء واسمه محمد وكنيته أبو عبد الله، وكان أبوه على الميضأة بالمدينة فعرف بذلك، وهو يسير الصناعة ليس ممن خدم الخلفاء ولاشهر عندهم شهرة غيره. وهذا الغناء ماخوري بالبنصر وفيه ليونس ثاني ثقيل بالبنصر

نسب له شعر هو لورقة بن نوفل

أخبرني محمد بن العباس اليزيد قال حدثنا الرياشي وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن الأصمعيعن ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة قال:

ارفع ضعيفك لايحر بك ضعفه لغريض اليهودي

تمثلت عائشة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعر نزل بمعناه الوحي: وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أحمد بن عيسى قال حدثنا مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي قال حدثنا سهل بن المغيرة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أتمثل بهذين البيتين:

ارفع ضعيفك لايحر بك ضعفه يوماً فتدركه العواقب قد نما

يجزيك أو يثني عليك وإن من أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

فقال صلى الله عليه وسلم " ردي على قول اليهودي قاتله الله لقد أتاني جبريل برسالة من ربي: أيما رجل صنع إلى أخيه صنيعة فلم يجد له جزاء إلا الثناء عليه والدعاء له فقد كافأه" قال أبو زيد: وقد حدثني أبو عثمان محمد بن يحيى أن هذا الشعر لورقة بن نوفل، وقد ذكر الزبير بن بكارأيضاً أن هذا الشرعر لورقة بن نوفل وذكر هذين البيتين في قصيدة أولها:

رحلت قتيلة عيرها قبل الصحى وأخال أن شحطت بجارتك النوى

أو كلما رحلت قتيلة غدوة" وغدت مفارقة لأرضهم بكى

ولقد ركبن على السفين ملججاً أذر الصديق وأنتحي دار العدا

ولقد دخلت البيت يخشى أهله بعد الهدوء وبعدما سقط الندى

فوجدت فيه حرة قد زينت بالحلي تحسبه بها جمر الغضا

فنعمت بالاً إذ أتيت فراشها وسقطت منها حين جئت على هوى

فلتلك لذات الشباب قضيتها عني فسائل بعضهم ماذا قضى

فرج الرباب فليس يؤدي فرجه لاحاجة قضى ولاماء بغى

فارفع ضعيفك لايحر بك ضعفه يوماً فتدركه العواقب قد نما

يجزيك أو يثني عليك وإن من أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

ذكر ورقة بن نوفل ونسبه

نسبه وهو جاهلي اعتزل عبادة الأوثان

هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي بن قصي، وأمه هند بنت أبي كثير بن عبد بن قصي. وهو أحد من اعتزل عبادة الأوثان في الجاهلية وطلب الدين وقرأ الكتب وامتنع من أكل ذبائح الأوثان.

نسبة مافي هذا الشعر من الغناء

" غير " ارفع ضعيفك"

صوت

ولقد طرقت البيت يخشى أهله بعد الهدوء وبعدما سقط الندى

فوجدت فيه حرة قد زينت بالحلي تحسبه بها جمر الغضا

الشعر لورقة بن نوفل. والغناء لابن محرز من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

أخبرنا الطوسي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الله بن معاذ عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وزرقة بن نوفل كما بلغنا فقال: " قد رأيته في المنام كان عليه ثياباً بيضاً فقد أظن أن بو كان من أهل النار لم أر عليه البياض" قال الزبير وحدثنا عبد الله بن معاذ عن معمر عن الزهري عن عائشة: أن خديجة بنت خةيل انطلقت بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العباري فيكتب بالعبرانية من الانجيل ما شاء أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة: أي ابن عم، اسمع من ابن أخيك؛ قال ورقة: يابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر مارأى فقال ورقة: ههذ الناموس الذي أنزله الله تبارك وتعالى على موسى؛ ياليتني فيها جذع، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أو مخرجي هم" قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بمثل كاجئت به إلا عودي، وإن يدركنب يومك لأنصرنك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي.

رأى بلالاً يعذب لإسلامه فقال شعراً قال الزبير حدثني عثمان بن الضحاك بن عثمان بن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال عروة: كان بلاب لجارية من بين جمح بن عمرو، وكان يعذبونه برمضاء مكة، يلصقون ظهره بالرمضاء ليشرك بالله؛ فيقول: احد أحد، فيمر عليه ورقة بن نوفل وهو على ذلك يقول: أحد أحد، فيقول ورقة بن نوفل: أحد أحد والله يابلاب والله لئن قتلتموه لاتخذته حناناً كأنه يقول: لأتمسحن به. وقال ورقة بن نوفل في ذلك:

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم أنا النذير فلا يغرركم أحد

لاتعبدن إلهاً غير خالقكم فإن دعوكم فقولوا بيننا حدد

سبحان ذي العرش سبحاناً نعوذ به وقبل قد سبح الجودي والجمد

مسخر كل ماتحت السماء له لاينبغي أن يناوي ملكه أحد

لاشيءمما ترى تبقى بشاشته يبقى الأله ويودي المال والولد

لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولاسليمان إذ دان الشعوب له والجن والإنس تجري بينها البرد

مدح النبي صلى الله عليه وسلم له

والنهي عن سبه:

قال الزبير حدثني عمي قال حدثنا الضحاك بن عثمان بن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأخي ورقة بن نوفل أو لابن أخيه: " شعرت أني رأيت لورقة جنة"، أو جنتين ". بشك هشام.

قال عروة: ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سب ورقة.

وقال الزبير وحدثني عمي قال حدثني الضحاك عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه: أن خديجة كانت تأتي ورقة بما يخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيه، فيقول ورقة: لئن كان مايقول حقاً إنه ليأتيه الناموس الأكبر ناموس عيسى ابن مريم الذي لايجيزه أهل الكتاب إلا بثمن، ولئن نطق وأنا حي لأبلين فيه الله بلاء حسناً.

خبر زيد بن عمرو ونسبه

نسبه من قبل أبويه

هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب. وأمه جيداء بن جابر بن أبي حبيب بن فهم. وكانت جيداء عند نفيل بن عبد العزي فولدت له الخطاب أبا عمر بن الخطاب و عبدهم، ثم مات عنها نفيل فتزوجها ابنه عمرو فولدت له زيداً، وكان هذا نكاحاً ينكحه أهل الجاهلية.

اعتزل عبادة الأوثان وكان يعيب قريشاً:

وكان أحد من اعتزل عبادة الأوثان

وامتنع من أكل ذبائحهم، وكان يقول: يامعشر قريش، أيرسل الله قطر السماء وينبت بقل الأرض ويخلق السائمة فترعى فيه وتذبحوها لغيره والله ماأعلم على ظهر الأرض أحداً على دين إبراهيم غيري.

أخرجه عن مكة خطاب بن نفيل وقريش لمخالفته دينهم: أخبرنا الطوسي قالحدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب بن عبد الله ومحمد بن الضحاك عن أبيه، قالا: كان الخطاب بن نفيل قد أخرج زيد بن عمرو من مكة وجماعة من قريش ومنعوه أن يدخلها حين فارق أهل الأوثان، وكان أشدهم عليه الخطاب بن نفيل. وكان زيد بن عمرو إذا خلص إلى البيت استقبله ثم قال: لبيك حقاً حقاً؛ تعبداً ورقاً؛ البر أرجو لا الخال، وهل مهجر كمن قال! " ثم يقول":

عدت بما عاذ به إبراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم

يقول أنفي لك عانٍ راغم مهما تجشمني فإني جاشم

ثم يسجد. قال محمد بن الضحاك عن أبيه: "و" هو الذي يقول:

لاهم إني حرم لاحله وإن داري أوسط المحلة

" عند الصفا ليست بها مضلة"

شعره في ترك عبادة الأوثان

قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: قال زيد بن عمرو بن نفيل:

عزلت الجن والجنان عني كذلك يفعل الجلد الصبور

فلا العزى أدين ولاأبنيتها ولاصنمي بني غنم أزور

ولاهبلاً أدين وكان رباً لنا في الدهر إذ حلمي صغير

أرباً واحداً أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور

ألم تعلم بأن الله أفنى رجالاً كان شأنهم الفجور

وأبقى آخرين ببر قوم فيربو منهم الطفل الصغير

وبينا المرء يعثر ثاب يوما كما يتروح الغصن النضير

فقال ورقة بن نوفل بزيدج بن عمرو بن نفيل:

رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما تجنبت تنوراً من النار حاميا

بدينك رباً ليس رب كمثله وتركك جنان الجبال كما هيا

أقول إذا مازرت أرضاً مخوفة" حنانيك لاتظهر على الأعاديا

حنانيك إن الجن كانت رجاءهم وأنت إلهي ربنا ورجائيا

أدين لرب يستجيب ولاأرى أدين لمن لايسمع الدهر داعيا

أقول إذا صليت في كل بيعة تباركت قد أكثرت باسمك داعيا

يقول: خلقت خلقاً كثيراً يدعون ياسمك

قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله قال حدثني الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عقبة قال سمعت من أرضي يحدث:

امتناعه عن ذبائح قريش

وقصته مع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك:

أن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله وأنزل من السماء ماء" وأنبت لها من الأرض نباتاً ثم تذبحونها على غير اسم الله! إنكاراً لذلك وإعظاماً له.

قال الزبي: وحدثني مصعب بن عبد الله عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله أنه سمع عبد الله بن عمر يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح، وكان قبل أن ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي، فقدم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرة فيها لحم، فأبى أن يأكل، وقال: إني لاآكل إلا ماذكر اسم الله عليه.

اجتمع بالشأم مع يهودي ونصراني فسألهما عن الدين واعتنق دين ابراهيم: قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد على موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله قال - قال موسى: لاأراه إلا حدثه عن عبد الله بن عمر-: إن زيد بن عمرو خرج إلى الشأم يسألأ عن الدين ويتبعه، فلقي عالماً فسأله اليهود عن دينهم فقال: لعلي أدين بدينكم فأخبرني بدينكم؛ فقال اليهودي: إنك لاتكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله؛ فقال زيد بن عمرو: لاأفر إلا من غضب الله ومأأحمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيع، فهل تدلني على دين ليس فيه هذا؟ قال: ماأعلمه إلا أن يكون حنيفاً؛ قال: ومالحنيف؟ قال: دين إبراهيم؛ فخرج من عنده وتركه. فأتى عالماً من علماء النصارى فقال له نحواً مما قال لليهودي، فقال له النصراني: إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله؛ فقال: إني لاأمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنا أستطيع، فهل تدلين على دين ليس فيه هذا؟ فقال له نحواً مما قال اليهودي: لاأعلمه إلا أن يكون حنيفاً؛ فخرج من عندهما وقد رضي بما أخبراه واتفقا عليه من دين إبراهيم، فلما برز رفع يديه وقال؛ اللهم "إني على دين إبراهيم بلغته البعثة فخرج من الشام فقتله أهل ميفعة: قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال هشام بن عروة عن أبيه عن سعيد بن زيد بن عمرو قال: سألأت أنا وعمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيد فقال: " يأتي يوم القيامة أمة واحدة" وأنشد محمد بن الضحاك عن الحزامي عن أبيه لزيد بن عمرو:

أسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذباً زلالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخراً ثقالا
دحاها فلما استوت شدها سواء وأرسى عليها الجبالا

زهير بن جناب وشعره في الكبر

وأما زهير بن جناب الكلبي فإنه أحد المعمرين، يقال: إنه عمر مائة وخمسين سنة وهو -فيما ذكر- أحد الذين شربوا الخمر في الجاهلية حتى قتلتهم؛ وكان قد بلغ من السن الغاية التي ذكرناها، فقال ذات يوم: إن الحي ظاعن، فقال: من هذا الذي يخالفني منذ اليوم! قيل: ابن أخيك عبد اللع بن عليم؛ فقال: أو هاهنا أحد ينهاه عن ذلك! قالوا: لا، فغضب وقال: لاأراني قد خولفت، ثم دعا بالخمر فشربها صرفاً بغير مزاج وعلى غير طعام حتى قتلته. وهو الذي يقول في ذم لكبر وطول الحياة:

الموت خير للفتى فليهلكن وبه بقية
من أن يرى الشيخ البجا ل إذ تهادى بالعشية
ابني إن أهلك فقد أورثتكم مجداً بنية
وتركتكم أبناء سا دات زنادكم ورية
بل كل مانال الفتى قد نلته إلا التحية

مدرج الريح وسبب التسمية

وأما مدرج الريح فاسمه عامر بن المجنون الجرمي، وإنما سمي مدرج الريح بشعر قاله في امرأة كان يزعم أنه يهواها من الجن وأنها تسكن الهواء وتتراءى له، وكان محمقاً؛ وشعره هذا:

صوت

لابنة الجني في الجو طل دارس الأيات عافٍ كالخلل
درسته الريح من بين صبا وجنوبٍ درجت حيناً وطل

الغناء فيه لحنين ثقل أول بالوسطى عن الهشامي وابن المكي، وذكر حبش أنه لمعبد، وذكر عمرو بانة أن لحن حنين من خفيف الثقل الأول بالبنصر. وأخبار عامر بن المجنون تذكر في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

سعية بن غريض وشعره وهو يحتضر

وأما سعية بن غريض فقد كان ذكر خبر جده السموءل بن غريض بن عاديا في موضع غير هذا. وكان سعية بن غريض شاعراً، وهو الذي يقول لما حضرته الوفاء يرثي نفسه: صوت

ياليت شعري حين يذكر صالحي ... ماذا تؤنبني به أنواحي

أيقلن لاتبعد، فري كريهة ... فرجتها ببشارة وسماح

وإذا دعيت لصعبة سهلتها ... أدعى بأفلح تارية ونجاح

-غناه ابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمر -وأسلم سعية وعمر عمراً طويلاً، ويقال: إنه مات في آخر خلافة معاوية

سعية بن غريض ومعاوية بن أبي سفيان

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية عن الهيثم بن عدي قال: حج معاوية حجتين في خلافته، وكانت له ثلاثون بغلة يحج عليه نساؤه وجواريه. قال: فحج في إحداهما فرأى شيخاً يصلي في المسجد الحرام عليه ثوبان أبيضان، فقال: من هذا؟ قالوا: سعية بن غريض حج معاوية حجتين في خلافته، وكانت له ثلاثون بغلة يحج عليها نساؤه وجواريه. قال: فحج في إحداهما فرأى شيخاً يصلي في المسجد الحرام عليه ثوبان أبيضان، فقال: من هذا؟ قالوا: سعية بن غري، وكان من اليهود، فأرسل إليه يدعوه، فأتاه رسوله فقال: أجب أمير المؤمنين؛ قال: أوليس قد مات أمير المؤمنين! قيل: فأجب معاوية؛ فأتاه رسوله فقال: أجب أمير المؤمنين؛ قال: أو ليس قد مات أمي رالمؤمنين! قيل: فأجب معاوية؛ فأتاه فيم يسلم عليه الخلافة؛ فقال له معاوية: مافعلت أرضك التي بتيماء؟ قال: يكسى منها العري ويرد فضلها على الجار؛ قال: أفتبيعها؟ قال: نعم؛ قال: بكم؟ قال: بستين ألف دينار، ولولا خلة أصابت الحي لم أبعها؛ قال: لقد أغليت! قال: أما لو كانت لبعض أصحابك لأخذتها بستمائة ألف دينار ثم دينار ثم لم تبل! قال: أجل، وإذا بخلت بأرضك فأنشدني شعر أبيك يرثي "به" نفسه؛ فقال: قال أبي:

ياليت شعري حين أندب هالكاً ... ماذا تؤنبني به أنواحي

أيقلن لاتبعد، فرب كريهة ... فرجتها بشجاعةٍ وسماح

ولقد أخذت الحق غير مخاصم ... ولقد رددت الحق غير ملاحي

وإذا دعيت لصعبة سهلتها ... أدعى بأفلح مرة ونجاح

فقال: أنا كنت بهذا الشهر أولى من أبيك؛ قال: كذبت ولؤمت؛ قال: أما كذبت فنعم، وأما لؤمت فلم، قال: لأنك كنت ميت الحق في الجاهلية وميته في الأسلام، أما في الجاهلية فقاتلت النبي صلى الله عليه وسلم والوحي

حتى جعل الله " عز وجل " كيدك المردود، وأما في الإسلام فمنعت ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة، وماأنت وهي! وأنت طليق ابن طليقٍ! فقال معاوية: قد خرف الشيخ فأقيموه، فأخذ بيده فأقيم.
وسعية هذا هو الذي يقول:

صوت

يادار سعدى بأقصى تلعة النعم حييت داراً على الإقواء والقدم
ومابجزعك إلا الوحش ساكنة وهامد من رماد القدر والحمم
عجنا فما كلمتنا الدار إذ سئلت ومابها عن جواب خلت من صمم

الشعر لسعية بن غريض، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر.

أخبار ابن صاحب الوضوء ونسبه

نسبه وولاؤه وسبب تسمية أبيه

اسمه محمد بن عبد الله، ويكنى أبا عبد الله، مولى بني أمية، وهو من أهل المدينة؛ وكان أبوه على ميضأة المدينة فسمي صاحب الوضوء.
وهو قليل الصنعة لم يذكر له إسحاق إلا صوتين كلاهما خفيف الثقيل الثاني المعروف بالماخوري ولاذكر له غير إسحاق سواهما إلا ماهو مرسوم في الكتاب الباطل المنسوب إلى إسحاق فإن له فيه شيئاً لاأصل له، وفي كتاب حبش" الصيني". وهو رجل لايحصل مايقوله ويرويه.

مدح يونس الكاتب غناءه

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بت إسحاق عن أبيه"عن" جده عن سياط عن يونس الكاتب قال: غني ابن صاحب الوضوء في شعر النابغة:

خطاطيف حجن في حبال متينة تمد بها إيد إليك نوازع

وفي شعر بعض اليهود:

إرفع ضعيفك لايحر بك ضعفه يوماً فتدركه العواقب قد نما

فأجاد فيهما ماشاء وأحسن غاية الإحسان؛ فقيل له: ألا تزيد وتصنع شيئاً "آخر"؟ فقال: لا والله حتى أرى غيري قد صنع مثل ماصنعت وأزيد، وإلا فحسبي هذا.

نقل له صوت فغناه في المحراب

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس الشيعي، قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي-قال ابن عمار في خبره: وكان يسمى المبارك - قال حدثنا أبو مسلمة المصبحي قال: قدم علينا أسود من أهل الكوفة فغنى:

ارفع ضعيفك لايحر بك ضعفه يوماً فتدركه العواقب قد نما

قال: فممرت بعبد الله بن عامر الأسلمي، وكان يؤمنا وهو قائم يصلي الظهر، فقلت" له": قدم علينا أسود من الكوفة يغني كذا وكذا " فأجاده"؛ فأشار إلي بيده أن اجلس؛ فلما قضى صلاته قال: أخذته عنه؟ قلت: نعم، قال: فأمره علي، ففعلت؛ قال: فلما كان بالليل صلى بنا فأداه في المحراب

صوت من المائة المختارة

التي رواها علي بن يحيى

ياليلتي تزداد نكرا من حب من أحببت بكرا

حوراء إن نظرت إلي ك سقتك بالعينين خمرا

الشعر لبشار، والغناء في اللحن والغناء ليزيد حوراء رمل بالبنصر عن عمرو ويحيى المكي وإسحاق. وفيه لسياط خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وإبراهيم الموصلي.

أخبار بشار بن برد ونسبه

نسبه وكنيته وطبقته في الشعراء

هو، فيما ذكره الحسن بن علي عن محمد بن القاسم بن مهروية عن غيلان الشعوبي، بشار بن برد بن يرجوخ بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز بن كرديه بن ماهفيدان بن دادان بن بهمن بن أزدكرد بن حسيس بن مهران بن خسروان بن أخشين بن شهر داد بن نبوذ بن ماخرشيدا نماذ بن شهريار بن بنداد سيحان بن مكر بن أدريوس بن يستاسب" بن لهراسف". قال: وكان يرجوخ من طخارستان من سبي المهلب بن أبي صفرة. ويكنى بشار أبا معاذ. ومحله في الشعر وتقدمه طبقات المحدثين فيه بإجماع الرواة ورياسته عليهم من غير اختلاف في ذلك يغني عن وصفه وإطالة ذكر محله. وهو من مخضرمي شعراء الدولتين العباسية والأموية، قد شهر فيهما ومدح وهجا وأخذ سني الجوائز مع الشعراء.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال قال حميد بن سعيد.

كان بشار من شعب أدريوس بن يستاسب الملك بن لهراسف الملك. قال: وهو بشار بن برد بن بهمن بن

أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز. قال: وكان يكنى أبا معاذ.
ولاؤه لبني عقيل: وأخبرني يحيى بن علي ومحمد بن عمران الصيرفي وغيرهما عن الحسن بن عليل العنزي عن خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه قال: كان بشار بن برد بن يرجوخ وأبوه برد من قن خيرة القشيرية امرأة المهلب بن أبي صفرة، وكان مقيماً لها في ضيعتها بالبصرة المعروفة " بخيرتان" مع عبيد لها وإماء، فوهبت براداً بعد أن زوجته لامرأة من بني عقيل كانت متصلة بها، فولدت له امرأته وهو في ملكها بشاراً فأعتقته العقيلية وأخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان برد أبو بشار مولى أم الظباء العقيلية السدوسية، فادعى بشار أنه مولى بني عقيل لنزوله فيهم.
وأخبرني امد بن العباس العسكري قال حدثنا العنزي قال حدثني رجل من ولد بشار يقال له حمدان كان قصارا بالبصرة، قال: ولاؤنا لبني عقيل؛ فقلت لأيهم؟ فقال: لبني ربيعة بن عقيل وأخبرني وكيع قال حدثني سليمان المدني قال قال أحمد بن معاوية الباهلي: كان بشار وأمه لرجل من الأزد، فتزوج امراة من بني عقيل، فساق إليها بشاراً وأمه في صداقها، وكان بشار ولد مكفوفاً فأعتقته العقيلية.
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا قعنب بن المحرز الباهلي قال حدثني محمد بن الحجاج قال:
باعت أم بشار بشاراً على أم الظباء السدوسية بدينارين فأعتقته. وأم الظباء امراة أوس بن ثعلبة أحد بن تيم اللات بن ثعلبة، وهو صاحب قصر أوس بالبصرة؛ وكان أوس أحد فرسان بكر بن وائل بن بخراسان

كان أبوه طساناً

وقد هجاه بذلك حماد عجرد: أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا العنزي قال حدثنا محمد بن زيد العجلي قال أخبرني بدر بن مزاحم: أن برداً أبا بشار كان طياناً يضرب اللبن، وأراني أبي بيتين" لناً فقال لي: لبن هذين البيتين من ضرب برد أبي بشارٍ. فسمع هذه الحكاية حماد عجردٍ فهجاه فقال:

يابن برد إخسأ إليك فمثل ال ... كلب في الناس أنت لا الإنسان
بل لعمري لأنت شر من الكل ... ب وأولى منه بكل هوان
ولريح الخنزير أهون من ري ... ح يابن الطيان ذي التبان

أنشد للمهدي شعراً في أنه عجمي

بحضور أبي دلامة:

أخبرني يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني عن أبي الصلت البصري عن أبي عدنان قال حدثني يحيى بن الجون العبدي رواية بشار قال: قال: لما دخلت على المهدي قال لي: فيمن تعتذ يابشار؟ فقلت: اما اللسان والزي فعربيان، وأما الأصل فعجمي، كما قلت في شعري ياأمير المؤمنين:

ونبئت قوماً بهم جنة ... يقولون من ذا وكنت العلم

ألا أيها السائلي جاهداً ... ليعرفني أنا أنف الكرم

نمت في الكرام بني عامر ... فروعي وأصلي قريش العجم

فإني لأغني مقام الفتى ... وأصبي الفتاة فما تعتصم

قال: وكان أبو دلامة حاضراً فقال: كلا! لوجهك أقبح من ذلك ووجهي مع وجهك؛ فقلت: كلا! والله مارأيت رجلاً أصدق على نفسه وأكذب على جليسه منك، والله إني لطويل القامة عظيم الهامة تام الألواح أسحج الخدين، ولرب مسترخي المذورين للعين فيه مراد قد جلس من الفتاة حجرة وجلست منها حيث أريد، فأنت مثلي يامرضعان! "قال": فسكت عني، ثم قال لي المهدي: فمن أي العجم أصلك؟ فقلت: من أكثرها في الفرسان، وأشدها على الأقران، أهل طخارستان؛ فقال بعض القوم: أولئك الصغد؛ فقلت: لا، الصغد تجار؛ فقال بعض القوم: اولئك الصغد؛ فقلت: لا الصغد تجار؛ فلم يردد ذلك المهدي

كان كثير التلون في ولائه

للعرب مرة وللعجم أخرى:

وكان بشار كثير التلون في ولائه، شديد الشغب والتعصب للعجم، مرة يقول يفتخر بولائه في قيس:

أمنت مضرة الفحشاء أني ... أرى قيساً تضر ولاتضار

كأن الناس حين تغيب عنهم ... نبات الأرض أخطأه القطار

وقد كانت بتذمر خيل قيس ... فكان لتذمر فيها دمار

بحي من بني عيلان شوس ... يسير الموت حيث يقال ساروا

ومانلقاهم إلا صدرنا ... بري منهم وهم حرار

ورمة يتبرأ من ولاء العرب فيقول

أصبحت مولى ذي الجلال وبعضهم ... مولى العريب فخذ بفضلك فافخر

مولاك أكرم من تميم كلها ... أهل الفعال ومن قريش المشعر

فارجع إلى مولاك غير مدافع ... سبحان مولاك الأجل الأكبر

وقال يفتخر بولاء بني عقيل:

إنني من بني عقيل بن كعب موضع السيف من طلى الأعناق

كان يلقب بالمرعث وسبب ذلك

ويكنى أبا بشار أبا معاذ، ويلقب بالمرعث.

أخبرني عمي ويحيى بن علي قالا حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني محم بن سلام قال: بشار المرعث هو بشار بن برد، وإما سمي المرعث بقوله:

قال ريم مرعث ساحر الطرف والنظر

لست والله نائلي قلت أو يغلب القدر

أنت إن رمت وصلنا فانج، هل تدرك القمر

قال أبو أيوب: وقال لنا ابن سلام مرة أخرى: إنما سمي بشار المرعث، لأنه كان لقميصه جيبان: جيب عن يمينه وجيب عن شماله، فإذا أراد لبسه ضمه عليه من غير أن يدخل رأسه فيه، وإذا أراد نزعه حل أزاره وخرج منه، فشبهت تلك الجيوب بالرعاث لاسترسالها وتدليلها، وسمي من أجلها المرعث.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا علي بن مهدي قال حدثني أبو حاتم قال قال لي أبو عبيدة:

لقب بشار بالمرعث لأنه كان في أذنه وهو صغير رعاث. والرعاث: القرطة، واحدتها رعثة وجمعها رعاث، "ورعثات". ورعثات الديك: اللحم المتدلي تحت حنكه؛ قال الشاعر:

سقيت أب المصرع إذ أتأني وذو الرعثات منتصب يصيح

شراباً يهرب الثبان منه ويلثغ حين يشربه الفصيح

قال: والرعث: الاسترسال والتساقط. فكان اسم القرطة اشتق منه.

كان أشد الناس تبرماً بالناس

أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العنزي قال حدثنا محمد بن بدر العجلي قال: سمعت الأصمعي يذكر أن بشاراً كان من أشد الناس تبرماً بالناس، وكان يقول: الحمد لله الذي دهب ببصري؛ فقيل له: ولم يا أبا معاذ؟ قال: لئلا ارى من أبغض. وكان يلبس قميصاً له لبنتان، فإذا أراد أن ينزعه نزعه من أسفله، فبذلك سمي المرعث

صفاته

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قال حدثنا قعنب بن محز عن الأصمعي قال: كان بشار ضخماً، عظيم الخلق والوجه، مجدوراً، طويلاً، جاحظ المقلتين قد تغشاهما لحم أحمر، فكان أقبح الناس عمى وأفظعه منظراً وكان إذا أراد أن ينشد صفق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتي بالعجب ولد أعمى وهجى بذلك وشعره في العمى أخبرنا يحيى بن علي عن أبي أيوب المديني عن محمد بن سلام قال: ولد بشار أعمى، وهو الأكمه. وقال في تصداق ذلك أبو هشام الباهلي يهجوه:

وعبدي فقا عينيك في الرحم أيره فجشت ولم تعلم لعينيك فاقيا

أأمك يابشار كانت عفيفة؟ علي إذا مشي إلى البيت حافيا

قال: و لم يزل بشار منذ قال فيه هذين البيتين منكرساً: أخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي قل: ولد بشار أعمى فما نظر إلى الدنيا قط، وكان يشبه الأشياء بعضها ببعض في شعره فيأتي بما لايقدر البصراء أن يأتوا بمثله؛ فقيل له يوماً وقد أنشد قوله:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسافنا ليل تهاوى كواكبه

ماقال أحد أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا و لم تر الدنيا قط ولاشيئاً فيها؟ فقال: إن عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء فيتوفر حسه وتذكو قريحته؛ ثم أنشدهم قوله:

عميت جنيناً والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موئلا

وغاض ضياء العين للعلم رافداً لقلب إذا ماضيع الناس حصلا

وشعر كنور الروض لاءمت بينه بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلا

أخبرنا هاشم قال حدثنا العتري عن قعنب بن وحرز عن أبي عبد الله الشرادني قال: كان أبو بشار أعمى طويلاً " ضخماً" آدم مجدورا.

وأخبرني يحيى بن علي عن أبي أيوب المديني قال قال الحمراني قالت لي عمتي: زرت قرابة" لي في بني عقيل فإذا أنا بشيخ أعمى ضخم ينشد:

من المفتون بشار بن برد إلى شيبان كهلهم ومرد

بأن فتاتكم سلبت فؤادي فنصف عندها والنصف عندي

فسألت عنه فقيل لي: هذا بشار

كان يقول أزري بشعر الأذان

أخبرني محمد بن يحيى الصيرفي قال حدثنا العتري قال حدثنا أبو زيد قال سمعت أبا محمد التوزي يقول: قال بشار: أزري بشعري الأذان. يقول: إنه إسلامي

قال الشعر وهو ابن عشر سنين

وأخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شية قال قال أبو عبيدة: قال بشار الشعر و لم يبلغ عشر سنين، ثم بلغ الحلم وهو مخشي معرة لسانه هجا جريراً فأعرض عنه استصغاراً له: قال: وكان بشار يقول: هجوت جريراً فأعرض عني واستصغرني، ولو أجابني لكنت أشعر الناس.

كان الأصمعي يقول هو خاتمة الشعراء

وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال: كان الأصمعي يقول: بشار خاتمة الشعراء، والله لولا أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم.
قال أبو زيد: كتن راجزاً مفصداً

جودة نقده للشعر

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال حدثني أبو عبيدة: قال سمعت بشاراً يقول وقد أنشد في شعر الأعشى:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

فأنكره، وقال: هذا بيت مصنوع مايشبه كلام الأعشى؛ فعجبت لذلك. فلما كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالساً عند يونس، فقال: حدثني أبو عمرو بن العلاء أنه صنع هذا البيت وأدخله في شعر الأعشى:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

فجعلت حينئذ أزداد عجباً من فطنة بشار وصحة قريحته وجودة نقده للشعر أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني أبو حاتم عن أبي عبيدة. قال: له اثنا عشر ألف قصيدة: قال بشار: لي اثنا عشر ألف بيت عين؛ فقيل له: هذا ما لم يكن يدعيه أحد قط سواك؛ فقال: لي اثنتا عشرة ألف قصيدة، لعنها الله ولعن قائلها إن لم يكن في كل واحدة منها بيت عين وأخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا علي بن مهدي عن أبي حاتم قال:

رأي أبي عبيدة فيه وفي ابن أبي حفصة

قلت لأبي عبيدة: أمروان عندك أشعر أم بشار؟ فقال: حكم بشار لنفسه بالاستظهار أنه قال ثلاثة عشر ألأف بيت جيد، ولايكون عدد الجيد من شعر شعراء الجاهلية والإسلام هذا العدد، وماأحسبهم برزوا في مثلها، ومروان أمدح للملوك.
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الأصمعي قال: قال بشار الشعر وله عشر سنين،

فما بلغ الحلم إلا وهو مخشي معرة اللسان بالبصرة. قال: وكان يقول: هجوت جريراً فاستصغرني وأعرض عني، ولو أجابني لكنت أشعر أهل زماني أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثنا أبو العوناذل زكريا بن هارون قال: قال بشار: لي اثنا عشر ألف بيت جيد؛ فقيل به: كيف؟ قال: لي اثنتا عشرة ألف قصيدةٍ، أما في كل قصيدة منها بيت جيد!

كلام الجاحظ عنه

وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين وقد ذكره: كان بشار " شاعراً " خطيباً صاحب منثورٍ ومزدوج وسجع ورسائل، وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع المتفننين في الشعر القائلين في أكثر أجناسه وضروبه؛ قال الشعر في حياة جرير وتعرض له، وحكي عنه أنه قال: هجوت جريراً فأعرض عني، ولو هاجاني لكنت أشعر الناس.

كان يدين بالرجعة ويكفر جميع الأمة: قال الجاحظ: زكان بشار يدين بالرجعة، ويكفر جميع الأمة، ويصوزب رأي إبليس في تقديم الناء على الطين، وذكر ذلك في شعره فقال:

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

هجاء واصل بن عطاء فخطب الناس بالحادة وكان يتجنب في خطبه الراء قال: وبلغه عن أبي حذيفة واصل بن عطاء إنكار لقوله وهتف به، فقال يهجوه:

مالي أشايع غزالاً له عنق كنقنق الدو إن ولى وإن مثلا

عنق الزرافة مابالي وبالكم تكفرون رجالاً كفروا رجلا !

قال: فلما تتابع على واصل منه مايشهد على إلحاده خطب به واصل، وكان ألثغ على الراء فكان يجتنبها في كلامه، فقال: أما لهذا الأعمى الملحد، أما لهذا المشنف المكني بأبي معاذ من يقتله؟ أما والله لولا "أن" الغيلة سجية من سجايا الغالية لدسست إليه من يعجع بطنه في جوف مترله أو في حفله، ثم كان لايتولى ذلك إلا عقيلي أو سدوسي! فقلا أبا معاذ و لم يقل بشاراً، وقال المشنف و لم يقل المرعث، وقال: من سجايا الغالية وبم يقل الرافضة، وقال: في مترله و لم يقل في داره، وقال: يعجع بطنه و لم يقل يبقر، للثغة التي كانت به في الراء.

قال: وكان واصل قد بلغ من اقتداره على الكلام وتمكنه من العبارة أن حذف الراء من جميع كلامه وخطبه وجعل مكانها مايقوم مقامها.

هو أحد أصحاب الكلام الستة: أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي عن عافية بن شبيب قال حدثني أبو سهيل قال حدثني سعيد ين سلام قال:

كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام: عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، وبشار الأعمى، وصالح بت عبد القدوس، وعبد الكريم بن أبي العوجاء، ورجل من الأزد -قال أبو أحمد: يعني جرير بن حازم -فكانوا يجتمعون

في منزل الأزدي ويختصمون عنده. فأما عمرو وواصل فصارا إلى الاعتزال. وأما عبد الكريم وصالح فصححا التوبة. وأمابشار فبقي متحيراً مخلطاً. وأما الأزدي فمال إلى قول السمنية، وهو مذهب من مذاهب الهند، وبقي ظاهره على ما كان عليه. قال: فكان عبد الكريم يفسد الأحداث؛ فقال له عمرو بن عبيد: قد بلغني إنك تخلو بالحدث من أحداثنا فتفسده " وتستزله " وتدخله في دينك، فإن خرجت من مصرنا وإلا قمت فيك مقاماً آتي فيه على نفسك؛ فلحق بالكوفة، فدل عليه محمد بن سليمان فقتله وصلبه بها. وله يقول بشار:

قل لعبد الكريم يابن أبي الو ... جاء بعت الإسلام بالكفر موقا

لاتصلي ولاتصوم فإن صم ... ت فبعض النهار صوماً رقيقا

لاتبالي إذا أصبت من الخم ... ر عتيقا ألا تتكون عتيقا

ليت شعري غذاة حليت في الجي ... د حنيفا حليت أم زنديقا

أنت ممن يدور في لعنة اللـ ... ـه صديق لمن ينيك الصديقا

رأي الأصمعي فيه وفي ابن أبي حفصة

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني الرياشي قال: سئل الأصمعي عن بشار ومروان أيهما أشعر؟ فقال: بشار؛ فسئل عن السبب في ذلك، فقال: لأن مروان سلك طريقاً كثر من يسلكه فلم يلحق من تقدمه، وشركه فيه من كان في عصره، ويشار سلك طريقاً لم يسلك وأحسن فيه وتفرد به، وهو أكثر تصرفاً وفنون شعر وأغزر وأوسع بديعا، ومروان لم يتجاوز مذاهب الأوائل أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني العتزي عن أبي حاتم قال سمعت الأصمعي وقد عاد إلى البصرة من بغداد فسأله رجل عن مروان بن أبي حفصة، فقال: وجد أهل بغداد قد ختموا به الشعراء وبشار أحق بأن يختموهم به من مروان؛ فقيل له: ولم؟ فقال: وكيف لايكون كذلك وملكان مروان في حياة بشار يقول شعراًحتى يصلحه له بشار ويقومه! وهذا سلم الخاسر من طبقة مروان يزاحمه بين أيدي الخلفاء بالشعر ةيساويه في الجوائز، وسلم معتوف بأنه تبع لبشار.

مقارنته بامرىء القيس والقطامي

أخبرني جحظة قال سمعت علي بن يحيى المنجم يقول: سمعت من لاأحصي من الواة يقولون: أحسن الناس ابتداء في الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول:

ألا أنعم صباحاً أيها الطلل البالي

وحيث يقول:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وفي الإسلام القطامي حيث يقول:

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل

ومن المحدثين بشار حيث يقول:

صوت

أبى طلل بالجزع أن يتكلما وماذا عليه لو أجاب متيما

وبالفرع آثار بقين وباللوى ملاعب لايعرفن إلا توهما

وفي هذين البيتين لابن المكي ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى من كتابه. وفيهما لابن جؤذر رمل.

مقارنة بينه وبين مروان بن أبي حفصة

أخبرني عمي عن الكرني عن أبي حاتم قال: كان الأصمعي يعجب بشعر بشار لكثرة فنونه وسعة تصرفه، ويقول: كان مطبوعاً لايكلف طبعه شيئاً متعذراً لاكمن يقول البيت ويحككه أياماً. زكان يشبه بشاراً بالأعشى والنابغة الذبياني، ويشبه مروان بزهير والحطيئة، ويقول: هو متكلف قال الكراني: قال أبو حاتم: وقلت لأبي زيد: أيما أشعر بشار أم مروان؟ فقال: بشار أشعر، ومروان أكفر. قال أبو حاتم: وسألت أبا زيد مرة أخرى عنهما فقال: مروان أجد وبشار أهزل؛ فحدثت الأصمعي بذلك؛ فقال: بشار يصلح للجد والهزل، ومروان لايصلح إلا لأحدهما.

كان شعره سياراً يتناشده الناس

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى قال حدثنا نجم بن النطاح قال: عهدي بالبصرة وليس فيها غزل ولاغزلة إلا يروي من شعر بشار، ولانائحة ولامغنية إلا لتكسب به، ولا ذو شرفٍ إلا وهو يهابه ويخاف معرة لسانه.

لم يأت في شعره بلفظ مستنكر: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أحمد بن المبارك قال حدثني أبي قال:

قلت لبشار: ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلا وقد قال فيه شيئاً استنكرته العرب من ألفاظهم وشك فيه، وإنه ليس في شعرك مايشك؛ قال: ومن أين يأتيني الخطأ! ولدت هاهنا ونشأت في حجورثمانين شيخاً من فصحاء بني عقيل مافيهم احد يعرف كلمة من الخطأ، وإن دخلت إلى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم، وأيفعت فأبديت إلى أن أدركت، فمن أين يأتيني الخطأ أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز ويحيى بن علي

قالوا حدثنا عمر بن شبة قال: كان الأصمعي يقول: إن بشاراً خاتمة الشعراء، والله لولا ظأن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم.

هو أول الشعراء في جملة من اغراض الشعر

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبو الفضل المروزي قال حدثني بن المحرز الباهلي قال قال الأصمعي: لقي أبو عمرو بن العلاء بعض الرواة فقال له: يا أبا عمرو، من أبدع الناسبيتاً؟ قال: الذي يقول:

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيف ألم
روحي عني قليلا واعلمي أنني ياعبد من لحم ودم

قال: فمن أمح الناس؟ قال: الذي يقول:

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يعدي
فلا أنا منه ماأفاد ذوو الغنى أفدت وأعداني فأتلفت ماعندي

قال: فمن أهجى الناس؟ قال: الذي يقول:

رأيت السهيلين استوى الجود فيهما على بعد ذا من ذاك في حكم حاكم
سهيلبن عثمان يجود بمابه كما جاد بالوجعا سهيل بن سالم

قال: وهذه الأبيات كلها لبشار نسبة مافي هذا الخبر من الأشعار التي يغني فيها

صوت

لم يطل ليلي ولكن بم أنم ونفى عني الكرى طيف ألم
وإذا قلت لها جودي لنا خرجت بالصمت عن لاونعم
نفسي ياعبد عني واعلمي أنني ياعبد من لحم ودم
إن في بردى جسماً ناحلاً لو تركأت عليه لأنهدم
حتم الحب لها في عنقي موضع الخاتم من أهل الذمم

غناه إبراهيم هزجاً بالسبابة في مجرى الوسطى عن ابن المكي والهشامي. وفيه لقعنب الأسود خفيف ثقيل. فأما الأبيات التي ذكر أبو عمرو أنه فيها أمدح الناس وأولها:

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى

فإنه ذكر لبشار. وذكر الزبير بن بكار أنها لابن الخياط في المهدي، وذكر له فيها معه خبراً طويلاً قد ذكرته في أخبار ابن الخياط في هذا الكتاب.

هجا صديقه ديسماً لأنه يروي هجاءه

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا علي بن مهدي الكسروي قال حدثنا أبو حاتم قال: كان شار كثير الولوع بديسم العنزي وكان صديقاً له وهو مع ذلك يكثر هجاءه، وكان ديسم لايزال يحفظ شيئاً من شعر حماد وأبي هشام الباهلي في بشار؛ فبلغه ذلك فقال فيه:

أديسم يابن الذئب من نحل زارع أتروي هجائي سادراً غير مقصر

قال أبو حاتم: فأنشدت أبا زيد هذا البيت وسألأته مايقول فيه، فقال: لمن هذا الشعر؟ فقلت: لبشار "يقوله" في ديسم العنزي؛ فقال: قاتله الله ماأعلمه بكلام العرب! ثم قال: الديسم: ولد الذئب من الكلبة، ويقال للكلاب: أولاد زارع. والعسبار: ولد الضبع من الذئب. والسمع: ولد الذئب من الضبع. وتزعم العرب أ، السمع لايموت حتف أنفه، وأنه أسرع من الريح وإنما هلاكه بعرض من أعراض الدنيا.

مزاحه مع حمدان الخراط

أخبرنا حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال: كان بالبصرة رجل يقال له: حمدان الخراط، فاتخذ جاماً لإنسان كان بشار عنده، فسألأه بشار أن يتخذ له لجاماً فيه صور طير تطير، فاتخذه له وجاءه به، فقال له: مافي هذا اللجام؟ فقال: صور طير تطير؛ فقاتل" له: قد" كان ينبغي أن تتخذ فوق هذه الطير طائراً من الجوارح كأن يريد صيدها، فإنه كان أحسن؛ قال: لم أعلم؛ قال: بلى قد علمت، ولكن علمت أني أعمى لاأبصر شيئاً! وتهدده بالهجاء، فقال له حمدان: لاتفعل فإنك تندم؛ قال: أو تهددني أيضاً! قال: نعم؛ قال: فأي شيء تستطيع أن تصنع بي إن هجوتك! قال: أصورك على باب داري بصورتك هذه وأجعل من خلفك قرداً ينكحك حتى يراك الصادر والوارد؛ قال بشار: اللهم أخزه، أنا أمازحه وهو يأبى إلا الجد!

مفاخرة جرير بن علي

ابن يحيى والحسن بن علي ومحمد بن عمران الصيرفي قالوا: حدثنا العنزي قال حدثني جعفر بن محمد " العدوي عن محمد" بن سلام قال حدثني مخلد أبو سفيان قال: كان جرير بن المنذر السدوسي يفاخر بشاراً؛ فقال فيه بشار:

أمثل بني مصر وائل فقدتك من فاخر ماأجن

افي النوم هذا أبا منذر فخيراً رأيت وخيراً يكن

رأيتك والفخر في مثلها كعاجنة غير ماتطحن

وقال يحيى في خبره: فحدثني محمد بن القاسم قال حدثني عاصم بن وهب أبو شبلٍ الشاعر البرجمي قال حدثني محمد بن الحجاج الساداني قال: كنا عند بشار وعنده رجل ينازعه في اليمانية والمضرية إذ أذن المؤذن، فقال له بشار: رويداً، تفهم هذا الكلام؛ فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله، قال له بشار: أهذا الذي نودي باسمه مع اسم الله عز وجل من مضر هو أم من صدأ وعك وحمير؟ فسكت الرجل نقده للشرع: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال أنشد بشار قول الشاعر:

وقد جعل الأعداء ينتقصوننا ونطمع فينا ألسن وعيون

ألا إنما ليلى عصا خيرزانةٍ إذا غمزوها بالأكف تلين

فقال: والله لو زعم أنها عصا مخ أو عصا زبد، لقد كان جهعلها جافية خشنة بعد أن جعلها عصا! ألا قال كما قلت:

ودعجاء المحاجر من معد كأن حديثها ثمر الجنان

إذا قامت لمشيتها تثنت كأن عظامها من خيرزان

اعتداده بنفسه

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرني محمد بن " صالح بن" الحجاج قال: قلت لبشار: إني أنشدت فلاناً قولك:

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

فقال لي: ما كنت أظنه إلا لرجل كبير؛ فقال لي بشار: ويلك أفلا قلت له: هو الله لأكبر الجن والإنس!

وعدته امرأة واعتذرت فعاتبها بشعر

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أبو الشبل عن محمد بن الحجاج قال: كان بشار يهوى امرأة من أهل البصرة فراسلها يسألها زيارته، فوعدته بذلك ثم أخلفته، وجعل ينتظرها ليلته حتى أصبح، فلما لم تأته أرسل إليها يعاتبها فاعتذرت بمرض أصابها؛ فكتب إليها بهذه الأبيات:

ياليلتي تزداد نكرا من حب من أحببت بكرا

حوراء إن نظرت إلي ك سقتك بالعينين خمرا

وكأن رجع حديثها قطع الرياض كسين زهرا

وكأن تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحرا

وتخال ماجمعت علي ه ثيابها ذهباً وعطرا

وكأنها برد الشرا ب صفا ووافق منك فطرا

جنية إنسية أو بين ذاك من أجل أمرا

وكفاك أني لم أحط بشكاة من أحببت خبرا

إلا مقالة زائر نثرت لي الأحزان نثرا

متخشعاً تحت الهوى عشراً وتحت الموت عشرا

كان إسحاق الموصلي لايعتد به ويفضل عليه مروان: حدثني جحظة قال حدثني علي بن يحيى قال:

كان إسحاق الموصلي لايعتد ببشار

ويقول: هو كثير التخليط في شعره، وأشعاره مختلفة، لايشبه بعضها بعضاً؛ أليس هو القائل:

إنما عظم سليمى حبتي قصب السكر لاعظم الجمل

وإذا أدنيت منها بصلاً غلب المسك على ريح البصل

لو قال كل شيء جيد ثم أضيف إلى هذا لزيفه. قال: وكان يقدم عليه مروان ويقول: هذا هو أشد استواء شعر منه، وكلامه ومذهبه اشبه بكلام العرب ومذاهبها، وكان لايعد أبا نواس البتة ولايرى فيه خيراً

أنشد إبراهيم بن عبد الله هجوه للمنصور

ولما قتل غيرها وجعلها في هجو أبي مسلم:

حدثنا محمد بن علي بن يحيى قال حدثنا محمد بن زكريا قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن التيمي قال: دخل بشار إلى إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير عليه برأي يستعمله في أمره، فلما قتل إبراهيم خاف بشار، فقلب الكنية، وأظهر أنه كان قالها في أبي مسلم وحذف منها أبياتاً وأولها:

أبا جعفر ما كول عيش بدائم ولاسالم عما قليل بسالم

قلب هذا البيت فقال: "أبا مسلم"

على الملك الجبار يقتحم الردى ويصرعه في المأزق المتلاحم

كأنك لم تسمع بقتل متوج عظيم ولم تسمع بفتك الأعاجم

تقسم كسرى رهطه بسيوفهم وأمسى أبو العباس أحلام نائم

يعني الوليد بن يزيد:

وقد كان لايخشى انقلاب مكيدة ... عليه ولاجري النحوس الأشائم

مقيماً على اللذات حتى بدت له ... وجوه المنايا حاسرات العمائم

وقد ترد الأيام غرا وربما ... وردن كلوحاً باديات اشكائم

ومروان قد دارت على رأسه الرحى ... وكان لما أجرمت نزر الجرائم

فأصبحت تجري سادراً في طريقهم ... ولاتتقي أشباه تلك النقائم

تجردت للإسلام تغفو سبيله ... وتعري مطاه ببيوث الضراغم

فمازلت حتى استنصر الدينأهله ... عليك فعاذزا بالسيوف الصوارم

فرم وزراً ينجيك يابن سلامة ... فلست بناج من مضيم وضائم

جعل موضع " يابن سلامة" "يابن وشيكة" وهي أم أبي مسلم:

لحا الله قوماً رأسوك عليهم ... ومازلت مرؤوساً خبيث المطاعم

أقول لبسام عليه جلالة ... غداً أريحيا عاشقاً للمكارم

من الفاطميين الدعاة إلى الهدى ... جهاراً ومن يهديك مثل ابن فاطم

هذا البيت الذي " خافه و" حذفه بشار من الأبيات:

سراج لعين المستضيء وتارة ... يكون ظلاماً للعدو المزاحم

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... برأي نصيح أو نصيحة حازم

ولاتجعل الشورى عليه غضاضة ... فإن الخوافي قوة للقوادم

وماخير كف أمسك الغل أختها ... وماخير سيف لم يؤيد بقائم

وخل الهوينا للضعيف ولاتكن ... نؤوماً فإن الحزم ليس بنائم

وحارب إذا لم تعط إلا ظلامة ... شبا الحرب خير من قبول المظالم

قال محمد بن يحيى: فحدثني الفضل بن الحباب قال سمعت أبا عثمان المازني يقول سمعت أبا عبيدة يقول: ميمية بشار هذه أحب إلي من ميميتي جرير والفرزدق.

قال محمد: وحدثني ابن الرياشي قال حدثني أبي قال:

حديث بشار في المشورة

قال الأصمعي قلت لبشار: يا أبا معاذ، إن الناس يعجبون من أبيتك في المشورة؛ فقال لي: يا أبا سعيد، إن المشاور بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك في مكروهه؛ فقلت له: أنت والله في قولك هذا أشعر منك في شعرك.

بشار والمعلي بن طريف

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا الفضل بن محمد اليزيدي عن إسحاق وحدثني به محمد بن مزيد بن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه قال: كان بشار جالساً في دار المهدي والناس ينتظرون الإذن، فقال بعض موالي المهدي لمن حضر: ماعندكم في قول الله عز وجل: " وأوحى ربك إلى النحل أن أتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر" فقال له بشار: النحل التي يعرفها الناس؛ قال هيهات يا أبا معاذ، النحل: بنو هاشم، وقوله: " يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس" يعني العلم؛ فقال له بشار: أراني الله طعامك وشرابك وشفاءك فيما يخرج من بطون بني هاشم، فقد أوسعتنا غثاثة"؛ فغضب وشتم بشاراً؛ وبلغ المهدي الخبر فدعا بهما فسألهما عن القصة، فحدثه بشار بها؛ فضحك حتى أمسك بطنه، ثم قال للرجل: أجل! فجعل طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم، فإنك بارد غث. وقال محمد بن مزيد في خبره: إن الذي خاطب بشاراً بهذه الحكاية وأجابه عنها من موالي المهدي المعلى بن طريف.

بشار ويزيد بن منصور الحميري

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد بنإسحاق عن أبيه قال:
دخل يزيد بن منصور الحميري على المهدي وبشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها؛ فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور الحميري، وكانت فيه غفلة، فقال له: ياشيخ، ماصناعتك؟ فقال: فقال: أثقب اللؤلؤ؛ فضحك المهدي ثم قال لبشار: أعزب ويلك؛ أتتنادر على خالي! فقال له: وماأصنع به! يرى شيخاً أعمى ينشد الخليفة شعراً ويسأله عن صناعته!

ترك جواب رجل عاب شعره للؤمه

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال: وقف على بشار بعض المجان وهو ينشد شعراً؛ قال له: استر شعرك كما تستر عورتك؛ فصفق بشار بيديه وغضب وقال له: قال: أنا أعزك الله رجل من باهلة، وأخوالي"من" سلول، وأصهاري عكل، واسمي كلب، ومولدي بأضاخ، ومنزلي بنهر بلال، فضحك بشار ثم قال: اذهب ويلك! فأنت عتيق لؤمك، قد علم الله أنك استترت مني بحصون من حديد

وصف قاص قصراً كبيراً في الجنة فعاب

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني الفضل بن سعيد قال حدثني أبي قال: مر بشار بقاص بالبصرة فسمعه يقول في قصصه: من صام رجباً وشعبان ورمضان بنى الله له قصراً في الجنة صحنه ألف فرسخ في مثلها وعله ألف فرسخ وكل باب من أبواب بيوته ومقاصره عشرة فراسخ في مثلها، قال: فالتفت بشار إلى قائده. فقال: بئست والله الدار هذه في كانون الثاني.

سمع صخباً في الجيران فقال

كأن القيامة قامت:

قال الفضل بن سعيد وحدثني رجل من أهل البصرة ممن كان يتزوج بالنهاريات قال: تزوجت امرأة منهن فاجتمعت معها في علو بيت وبشار تحتنا، أو كنا في أسفل البيت وبشار في علوه مع امرأة، فنهق حمار في الطريق فأجابه حمار في الجيران وحمار في الدار فارتجت الناحية بنهيقها، وضرب الحمار الذي في الدار الأرض برجله وجعل يدقها بها دقاً شديداً فسمعت بشاراً يقول للمرأة: نفخ -يعلم الله-في الصور وقامت القيامة أماتسمعين كيف يدق أهل القبور حتى يخرجوا منها! قال: و لم يلبث أن فزعت شاة كانت في السطح فقطعت حبلها وعدت فألقت طبقاً وغضارة إلى الدار فانكسرا، وتطاير حمام ودجاج كن في الدار لصوت الغضارة وبكى صبي في الدار؛ فقال بشار: صح والله الخبر ونشر أهل القبور من قبورهم أزفت-يشهد الله-الآزفة وزلزلت الأرض زلزالها؛ فعجبت من كلامه وغاظني؛ فسألت من المتكلم؟ فقيل لي: بشار، فقلت: قد علمت أنه لايتكلم بمثل هذا غيربشار.

نكتة له مع رجل رمحته بغلة فشكرالله

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن محمد جدار قال حدثني قدامة بن نوح قال: مربشار برجل قد رمحته بغلة وهو يقولك الحمد لله شكراً، فقال له بشار: استزده يزدك. قال: ومر به قوم يحملون جنازة وهم يشرعون المشي بها، فقال: مالهم مسرعين! أتراهم سرقوه فهم يخافون أن يلحقوا فيؤخذ منهم!.

مات ابن له فرثاه

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شبيب، وأخبرني به وكيع عن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الملك عن الحسن بن جمهور، قالا: توفي ابن لبشار فجزع عليه؛ فقيل له: أجر قدمته، وفرط افترطته، وذخر أحرزته، فقال: ولد دفنته، وثكل تعجلته، وغيب وعدته فانتظرته؛ والله لئن لم أجزع للنقص لأفرح للزيادة. وقال يرثيه:

أجارتنا لاتجزعي وأنيبي أتاني من الموت المطل نصيبي

بني على رغمي وسخطي رزئته وبدل أحجار وجال قليب
وكان كريحان الغصون تخاله ذوي بعد إشارق يسر وطيب
أصيب بني حين أورق غصنه وألقى علي الهم كل قريب
عجبت إسراع المنية نحوه وماكان لومليته بعجيب

نوادره

أخبرني يحيى بن علي قالذكر عافية بن شبيب عن أبي عثمان الليثي، وحدثني به الحسن بن علي عن ابن مهروية عن أبي مسلم، قلا: رفع غلام بشار إليه في حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم، فصاح به بشار وقال: والله مافي الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم، والله لو صدئت عين الشمس حتى يبقى العالم في ظلمة مابلغت أجره من يجلوها عشرة دراهم.

أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي قال حدثنا أبو معاذ النميري قال: قلت لبشار: لم مدحت يزيد ين حاتم ثم هجوته؟ قال: سألني أن أنيكه فلم أفعل؛ فضحكت ثم قلت: فهو كان ينبغي له أن يغضب، فما موضع الهجاء! فقال: أظنك تحب أن تكون شريكه؛ فقلت: أعوذ بالله من ذلك ويلك!

سئل عن شعره الغث فأجاب

حدثني الحسن بن علي قالحدثنا ابن مهروية قال حدثنا أحمد بن خلاد، وأخبرنا يحيى بن علي ومحمد بن عمران الصيرفي، قلا حدثنا العنزي قال حدثنا أحمد بن خلاد قال حدثني أبي قالت قلت لبشار: إنك لتجيء بالشي الهجين المتفاوت، قال: وماذاك؟ قال قلت: بينما تقول شعراً تثير به النقع وتخلع به القلوب، مثل قولك:

إذا ماغضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمي أو تمطر الدما
إذا ماأعرنا سيداً من قبيلة ذرى منبر صلى علينا وسلما

تقول:

ربابة ربة البيت تصب الخل في الزيت
لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت

فقال: لكل وجه وموضع، فالقول الأول جد، وهذا قلته في ربابة جارتي، وأنا لاآكل البيض من السوق، وربابة" هذه" لها عشر دجاجات وديك فهي تجمع لي البيض " وتحفظه عندها، فهذا عندها من قولي أحسن من:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

عندك.

غنني للغريض يابن قنان

فقيل له: من ابن قنان هذا، لسنا نعرفه من مغني البصرة؟ قال: وماعليكم منه! ألكم قبلة دين فتطالبوه به، أو ثأر تريدون أن تدركوه، أو كفلت لكم به فإذا غاب طالبتموني بإحضاره؟ قالوا: ليس بيننا وبينه شيء من هذا، وإنما أردنا أن نعرفه، فقال: هو رجل يغني لي ولايخرج من بيتي؛ فقالوا له: إلى متى؟ قال: مذ يوم ود إلى يوم يموت. قال: وأنشدنا أيضاً في هذه القصيدة:

.....ووافا ني هلال السماء في البردان

فقلنا: يا أبا معاذ. أين البردان هذا؟ لسنا نعرفه بالبصرة، فقال: هو بيت في بيتي سميته البردان، أفعليكم من تسميتي داري وبيوتها شيء فتسألوني عنه! حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني أبو غسان دماذ-واسمه رفيع بن سلمة - قال حدثني يحيى بن الجون العبدي راوية بشار قال: كنا عند بشار يوماً فأنشدنا قوله:

وجارية خلقت وحدها كأن النساء لديها خدم

دوار العذارى إذا زرنها أطفن بحوراء مثل الصنم

ظمئت إليها فلم تسقني بري ولم تشفني من سقم

وقالت هويت فمت راشداً كما مات عروة غما بغم

فلما رأيت الهوى قاتلي ولست بجارٍ لابابن عم

دسست إليها أبا مجلز وأي فتى إن أصاب اعتزم

فمازال حتى أنابت له فراح وحل لنا ماحرم

فقال له رجل: ومن أبو مجلز هذا يا أبا معاذ؟ قال: وماحاجتك إليه! لك عليه دين أو تطالبه بطائله! هو رجل يتردد بيني وبين نعارفي في رسائل. قال: وكان كثيراً مايحشو شعره بمثل هذا.

شعره في قينة

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كانت بالبصرة قينة لبعض ولد سليمان بن علي وكانت محسنة بارعة الظرف، وكان بشار صديقاً لسيدها وداحاً له، فحضر مجلسه يوماً والجارية تغني؛ فسر بحضوره وشرب حتى سكر ونام، ونهض بشار؛ فقالت: يا أبا معاذ، أحب أن أتذكر يومنا هذا في قصيدة ولاتذكر فيها اسمي ولا اسم سيدي وتكتب بها إليه؛ فانصرف وكتب إليه:

وذات دل كأن البدر صورتها باتت تغني عميد القلب سكرانا:

إن العيون التي في طرفها حور ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

فقلت أحسنت يا سؤلي ويا أملي ... فأسمعيني جزاك الله إحسانا:

يا حبذا جبل الريان من جبل ... وحبذا ساكن الريان من كانا

قالت فهلاً، فدتك النفس، أحسن من ... هذا لمن كان صب العين أحيانا

فقلت أحسنت أنت الشمس طالعةً ... أضرمت في القلب والأحشاء نيرانا

فأسمعيني صوتاً مطرباً هزجاً ... يزيد صباً محباً فيك أشجانا

ياليتني كنت تفاحاً مفلجة ... أو كنت من قضب الريحان ريحانا

حتى إذا وجدت ريحي فأعجبها ... ونحن في خلوه مثلث إنستا

فحركت عودها ثم انثنت طرباً ... تشدو به ثم لاتخفيه كتمانا:

أصبحت أطوع خلق الله كلهم ... لأكثر الخلق لي في الحب عصيانا

فقلت أطربتنا يازين مجلسنا ... فهات إنك بالإحسان أولانا

لو كانت أعلم أن الحب يقتلني ... أعددت لي قبل أن ألقاك أكفانا

فغنت الشرب صوتاً مؤنقاً رملاً ... يذكي السرور ويبكي العين ألوانا:

لا يقتل الله من دامت مودته ... والله يقتل أهل الغدر أحيانا

ووجه بالأبيات إليها، فبعث إليه سيدها بألفي دينار وسر بها سروراً شديداً

أغضبه أعرابي عند مجزأة فهجاه

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني الحسن بن عليل قال حدثني علي بن منصور أبو الحسن الباهلي قال حدثني أبو عبد الله المقرىء الجحدري الذي كان يقرأ في المسجد الجامع بالبصرة، قال: دخل أعرابي على مجزأة بن ثور السدوسي وبشار عنده وعليه بزة الشعراء، فقال الأعرابي: من الرجل؟ فقالوا: رجل شاعر؛ فقال: أمولى هو أم عربي؟ قالوا: بل مولى؛ فقال الأعرابي: وما للموالي وللشعر فغضب بشار وسكت هنيهة، ثم قال: أتأذن لي أبا ثورٍ؟ قال: قل ما شئت يا أبامعاذ؛ فأنشأ بشار يقول:

خليلي لاأنام على اقتسار ... ولاآبى على مولى وجار

سأخبر فاخر الأعراب عني ... وعنه حين تأذن بالفخار

أحيس كسيت بعد العري خزا ونادمت الكرام على العقار
تفاخر يابن راعيةٍ وراع بني الأحرار حسبك منخسار
وكنت إذا طمئت إلى قراح شركت الكلب في ولغ الإطار
تريغ بخطبةٍ كسر الموانى وينسيك المكارم صيد فار
وتغدو للقنافذ تدريها ولم تعقل بدراج الديار
وتتشح الشمال للابسيها وترعى الضأن بالبلد القفار
مقامك بيننا دنس علينا فليتك غائب في حر نار
وفخرك بين خنزير وكلب على مثلي من الحدث الكبار

فقال مجزأة للأعرابي: قبحك الله فأنت كسبت هذا الشر لنفسك ولأمثالك.

خشي لسانه حاجب محمد بن سليمان

فأذن له بالدخول:

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني العتري عن الرياشي قال: حضر بشار باب محمد بن سليمان، فقال له الحاجب: اصبر؛ فقال: إن الصبر لايكون إلا علي بلية؛ فقال له الحاجب: إني أظن أن وراء قولك هذا شرا ولن أتعرض له، فقم فادخل

بشار وهلال الرأي

أخبرني وكيع قال حدثنا أبو أيوب المديني عن محمد بن سلام قال: قال هلال الرأي -وهوهلال بن عطية-لبشار وكان صديقاً يمازحه: إن الله لم يذهب بصر أحد إلا عوضه بشيء، فماعوضك؟ قالل: الطويل العريض؛ قال: وماهذا؟ قال: ألا أراك ولاأمثالك من الثقلاء. ثم قال له: ياهلال أتطيعني في نصيحة أخصك بها؟ قال نعم؛ قال: إنك كنت تسرق الحمير زماناً ثم تبت وصرت رافضياً، فعد إلى سرقة الحمير، فهي والله خير لك من الرفض قال محمد بن سلام: وكان هلال يستثقل، وفيه يقول لبشار:

وكيف يخف لي بصري وسمعي وحولي عسكران من الثقال
قعوداً حول دسكرتي وعندي كأن لهم على فضول مال
إذا ماشئت صبحني هلال وأي الناس أثقل من هلال

وأخبرني أبو دلف الخزاعي بهذا الخبر عن يسى بن اسماعيل عن ابن عائشة، فذكر أن الذي خاطب بشاراً بهذه المخاطبة ابن سيابة، فلما أجابه بشار بالجواب المذكور، قال له: من أنت؟ قال: ابن سيابة؛ فقال له: ياابن سيابة، لو نكح الأسد ماالفترس؛ قال: وكان يتهم بالأبنة ذم أناساً كانوا مع ابن أخيه: قال أيوب وحدثني محمد بن سلام وغيره قالوا: مر ابن أخي بشار به ومعه قوم؛ فقال لرجل معه: من هذا؟ فقال: ابن أخيك؛ قال: أشهد أن أصحابه أنذال؛ قال: وكيف علمت؟ قال: ليست لهم نعال

كان دقيق الحسك أخبرنا محمد بن علي قال حدثني عافية بن شبيب عن أبي دهمان الغلابي، قال: مررت ببشار يوماً وهو جالس على بابه وحده وليس معه خلق وبيده مخصرة يلعب بها وقدامه طبق فيه تفاح وأترج، فلما رأيته وليس عنده أحد تاقت نفسي إلى أن أسرق ما بين يديه، فجئت قليلاً قليلاً وهو كاف يده حتى مددت يدي لأتناول منه، فرفع القضيب وضرب به يدي ضربة حتى كاد يكسرها، فقلت له قطع الله يدك يا ابن الفاعلة، أنت الآن أعمى فقال: يا أحمق، فأين الحدس.

حديثه مع نسوة أخذن شعره لينحن به

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني العنزي قال حدثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال: كان لبشار في داره مجلسان: مجلي يجلس فيه بالغداة يسميه" البردان" ومجلس يجلس فيه بالعشي اسمه " الرقيق" فأصبح ذات يوم فاحتجم وقال لغلامه: أمسك على بابي واطبخ لي من طيب طعامي وصف نبيذي. قال: فإنه لكذلك إذ قرع لباب قرعاً عنيفاً؛ فقال: ويحك ياغلام؛ انظر من يدق الباب دق الشرط؛ قال: فنظر الغلام، فقال له: نسوة خمس بالباب يسألن أن تقول لهن سعراً ينحن به؛ فقال: أدخلهن، فلما دخلن نظرن إلى النبيذ مصفى في قنانيه في جانب بيته؛ قال: فقالت واحدة منهن: هو خمر، وقالت الأخرى: هو زبيب وعسل؛ وقالت الثالثة: نقيع زبيب؛ فقال: لست بقائل لكن حرفاً أو تطعمن من طعامي وتشربن من شرابي؛ قال: فتماسكن ساعة، ثم قالت واحدة منهن: ماعليكن هو أعمى فكلن" من " طعامه واشربن من شرابه وخذن شرعه؛ فبلغ ذلك الحسن البصري فعابه وهتف بشار؛ فبلغه ذلك -وكان بشار يسمى الحسن البصري القس-فقال:

لما طلعن من الرقي ق علي بالبردان خمسا
وكأنهن أهلة تحت الثياب زففن شمسا
باكرن عطر لطيمة وغمسن في الجادي غمسا

صوت

لما طلعن حففنها وأصخن مايهمسن همسا
فسألتني من في البيو ت فقلت مايؤوين إنسا

ليت العيون الطارف ت طمسن عنا اليوم طمسا

فأصبن من طرف الحدي ث لذاذة وخرجن ملسا

لولا تعرضهن لي ياقس كنت كأنت قسا

غنى في هذه الأبيات يحيى المكي، ولحنه رمل بالبنصر عن عمرو

نهاه مالك بن دينار عن التشبب بالنساء

فقال شعراً:

أخبرنا يحيى قال حدثني العنزي قال حدثنا علي بن محمد قال حدثني جعفر بن محمد النوفلي-وكان يروي شعر بشار بن برد -قال: جئت بشاراً ذات يوم فحدثني، قال: ماشعرت منذ أيام إلا بقارع يقرع بابي مع الصبح، فقلت: ياجارية انظري من هذا، فرجعت إلي وقالت: هذا مالك بن دينار؛ فقلت: ماهو من أشكالي ولاأضرابي، ثم قلت: ائذني له، فدخل فقال: يا أبا معاذ، أتشتم أعراض الناس وتشبب بنسائهم فلم يكن عندي إلا أن دفعت عن نفسي وقلت: لاأعود، فخرج عني، وقلت في أثره:

غداً مالك بملاماته علي ومابات من بالية

تناول خوداً هضيم الحشي من الحور محظوظة عالية

فقلت دع اللوم في حبها فقبلك أعييت عذالية

وإني لأكتمهم سرها غداة تقول لها الجالية

عبيدة مالك مسلوبة وكنت معطرة حاليه

فقلت على رقبةٍ: إنني رهنت المرعث خلخاليه

بمجلس يوم سأوفي به ولو أجلب الناس أحواليه

شعره في محبوبته فاطمة

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا العنزي قال حدثني السميدع بن محمد الأزدي قال حدثني عبد الرحمن بن لاجهم عن هشام الكلبي قال: كان أول بدء بشار أنه عشق جارية يقال لها فاطمة ، وكان قد كف وذهب بصره، فسمعها تغني فهويها وأنشأ يقول:

درة بحرية مكنونة مازها الناجر من بين الدرر

عجبت فطمة من نعتي لها هل يجيد النعت مكفوف البصر

أمتا بدد هذا لعبي ووشاحي حله مكفوف البصر
فدعيني معه ياأمت علنا في خلوة نقضي الوطر
أقبلت مغضبة تضربها واعتراها كجنون مستعر

بأبي والله ماأحسنه دمع عين يغسل الكحل قطر
أيها النوام هبوا ويحكم واسألوني اليوم ما طعم السهر

عبث به رجل من آل سوار فلم يجبه

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي قال حدثني خالد بن يويد بن وهب بن جرير قال حدثني أبي عن الحكم بن مخلد بن حازم قال: مررت أنا ورجل من عكل من أبناء سوار بن عبد الله بقصر أوس، فإذا نحن ببشار في ظل القصر وحده، فقال له العكلي: لابد لي من أن أعبث ببشار؛ فقلت: ويحك، مه لاتعرض بنفسك وعرضك؛ فقال: إني لاأجده في وقت أخلي منه في هذا الوقت؛ قال فوقفت ناحية ودنا منه فقال: يابشار؛ فقال: من هذا الذي لايكنيني ويدعوني باسمي؟ قال: سأخبرك من أنا، فأخبرني أنت عن أمل: أولدتك أعمى أم عميت بعدما ولدتك؟ قال: وماتريد إلى ذلك؟ قال: وددت أنه فسح لك في بصرك ساعة لتنظر إلى وجهك في المرآة، فعسى أن تمسك عنن هجاء الناس وتعرف قدرك؛ فقال: ويحكم من هذا؟ أما أحد يخبرني من هذا؟ فقال له: على رسلك، أنا رجل من عكل وخالي يبيع الفحم بالعبلاء فما تقدر أن تقول لي؟ قال: لاشيء اذهب، بأبي أنت، في حفظ الله.

مدح خالد البرمكي

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني هارون علي بن يحيى المنجم قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني العباس بن خالد البرمكي قال: كان الزوار يسمون في قديم الدهر إلى أيام خالد بن برمك السؤال؛ فقال خالد: هذا والله اسم استثقله لطلاب الخير، وأرفع قدر الكريم عن أن يسمي به أمثال هؤلاء المؤملين، لأن فيهم الأشراف والأحرار وأبناء النعيم ومن لعله خير ممن يقصد وأفضل أدباً، ولكنا نسميهم الزوار؛ فقال بشار يمدحه بذلك:

حذا خالد في فعله حذو برمك فمجد له مستطرف وأصيل
وكان ذوو الآمال يدعون قبله بلفظ على الإعدام فيه دليل
يسمون بالسؤال في كل موطن وإن كان فيهم نابة وجليل

فسماهم الزوار سترا عليهم فأستاره في المجتدين سدول

قال: وقال بشار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلم خالد بهذا الكلام في أمر الزوار، فأعطاه لكل بيت ألف درهم.

بشار وصديقه تسنيم بن الحواري

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أبو شبل عاصم بن وهب قال: نهق حمار ذات يوم بقرب بشار، فخطر بباله فقال:

ماقام أير حمار فامتلا شبقاً إلا تحرك عرق في است تسنيم

قال: و لم يرد تسنيماً بالهجاء؛ ولكنه لما بلغ إلى قولهك " إلا تحرق عرق" قال: في است من؟ ومر به تسنيم بن الحواري وكان صديقه، فسلم عليه وضحك، فقال: في است تسنيم علم الله؛ فقال له: أيش ويحك؟ فأنشده البيت؛ فقال له: عليك لعنة الله فما عندك فرق بين صديقك وعدزك، أي شيء حملك على هذا ألا قلت: " في است حماد" الذي هجاك وفضحك وأعياك، ووليست قافيتك على الميم فأعذرك قال: صدقت والله في هذا كله، ولكن مازلت أقول: في است من؟ في است من؟ ولايخطر ببالي أحد حتى مررت وسلمت فرزقته؛ فقال له تسنيم: إذا كان هذا جواب السلام عليك فلا سلم الله عليك ولاعلي حين سلمت عليك؛ وجعل بشار يضحك ويصفق بيديه وتسنيم يشتمه.

أخبرنا عيسى بن الحسين قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن عمه قال: قالت امرأة لشار: مالأدري لم يهابك الناس مع قبح الله وجهك فقال لها بشار: ليس من حسنه يهاب الأسد الملاحاة بينه وبين عقبة بن رؤية في حضرة عقبة بن سلم: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنتا عمر بن شبة قالحدثنا محمد بن الحجاج قال: دخل بشار على عقبة بن سلم، فأنشده بعض مدائحه فيه زعنده عقبة بن رؤبة ينشده رجزاً يمدحه به، فسمعه بشار وجعل يستحسن ماقال إلى أن فرغ؛ ثم أقبل على بشار فقال: هذا طراز لاتحسنه أنت يا أبا معاذ؛ فقال له بشار: ألي يقال هذا أنا والله أرجز منك ومن أبيك وجدك؛ ارحمهم رحمك الله فقال عقبة: أتستخف بي يا أبا معاذ وأنا شاعر ابن شاعر فقال له بشار: فأنت إذاً من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؛ ثم خرج من عنده عقبة مغضباً. فلما كان من غد غدا على عقبة بن سلم وعنده عقبة بن رؤية، فأنشده أرجوزته التي مدحه فيها:

ياطل الحي بذات الصمد بالله خبر كيف كنت بعدي

أوحشت من دعد وترب دعد سقياً لأسماء ابنة الأشد

قامت تراءى إذ رأتني وحدي كالشمس تحت الزبرج المنقذ

صدت بخد وجلت عن خد ثم انثنت كالنفس المرتد
فنحن من جهد الهوى في جهد وزاهر من سبط وجعد
أهدى له الدهر ولم ستهد أفواف نور الحبر المجد
يلقى الضحى ريحانه بسجد بدلت من ذاك بمى لايجدي
وافق حظا من سعى بجد ماضر أهل النو ضعف الجد
الحر يلحى والعصا للعبد وليس للملحف مثل الرد
والنصف يكفيك من التعدي وصاحب كالدمل الممد
حملته في رقعة من جلدي أرقب منه مثل يوم الورد
حتى مضر غير فقيد الفقد ومادرى مارغبتي من زهدي
اسلم وحييت أبا الملد مفتاح باب الحدث المنسد
مشترك النيل وري الزند أغر لباس ثياب الحمد
ماكان مني لك غير الود ثم ثناه مثل ريح الورد
نسجته في محكمات الند فالبس طرازي غير مسترد
لله أيامك في معد وفي بني قحطان غير عد
يوماً بذي طخفة عند الحد ومثله أودعت أرض الهند
بالمرهفات والحديد السرد والمقربات المبعدات الجرد
إذا الحيا أكدى بها لاتكدي تلحم أمراً وأموراً تسدي
وابن حكيم إن أتاك يردي أصم لايسمع صوت الرعد
حييته بتحفة المعد فانهد مثل الجبل المنهد
كل امرىء رهن بما يؤدي ورب ذي تاج كريم الجد
كآل كسرى وكآل برد أنكب جافٍ عن سبيل القصد
فصلته عن ماله والولد

فطرب عقبة بن سلم وأجزل صلته، وقام عقبة بن رؤبة فخرج عن المجلس بخزي، وهرب من تحت ليلته فلم يعد إليه.

وذكر لي أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي هذا الخبر عن الجاحظ، وزاد فيه الجاحظ قال: فانظر إلى سوء أدب

عقبة بن رؤية وقد أجمل بشار محضره وعشرته، فقابله بهذه المقابلة القبيحة، وكان أبوه أعلم خلق الله به، لأنه قال له وقد فاخره بشعره: أنت يابني ذهبان الشعر إذا مت مات شعرك معك، فلم يوجد من يرويه بعدك؛ فكان كما قال له، مايعرف به بين واحد ولاخبر غير هذا الخبر القبيح الإخبار عنه الدال على سخفه وسقوطه وسوء أدبه.

كان يهوى امرأة من البصرة

وقال فيها الشعر لما رحلت:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ قال حدثنا أبو عبيدة قال: كان بشار يهوى امرأة من أهل البصرة ثقال لهاعبيدة، فخرجت عن البصرة إلى عمان مع زوجها، فقال بشار فيها:

صوت

هوى صاحبي ريح الشمال وأشفى لقلبي أن تهب جنوب
وماذاك إلا أنها حين تنتهي تناهى وفيها من عبيدة طيب
عذيري من العذال إذ يعذلونني سفاهاً وما في العاذلين لبيب

صوت

يقولون لو عزيت قلبك لارعوى فقلت وهل للعاشقين قلوب
إذا نطق القوم الجلوس فإنني مكب كأني في الجميع غريب

بشار زأبو الشمقمق: أخبرني هاشم قال حدثني دماذ حدثني رجل من الأنصار قال: جاء أبو الشمقمق إلى بشار يشكو إليه الضيقة ويحلف له أنه ماعنده شيء؛ فقال له بشار: والله ماعندي شيء يغنيك ولكن قم معي إلى عقبة بن سلم، فقام معه فذكر له أبا الشمقمق وقال: هو شاعر وله شكر وثناء، فأمر له بخمسمائة درهم؛ فقال له بشار:

ياواحد العرب الذي أمسى وليس له نظير
لوكان مثلك آخر ماكان في الدنيا فقير

فأمر للبشار بألفي درهم، فقال له أبو الشمقمق: نفعتنا ونفعناك يا أبا معاذ، فجعل بشار يضحك.

بشار وأبو جعفر المنصور

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال دحثنا زكريا بن يحيى أبو السكين الطائي قال حدثني زحر بن حصن قال:

حج المنصور فاستقبلناه بالرضم الذي بين زبالة والشقوق، فلما رحل من الشقوق رحل أبو السكين فلم يركب القبة وركب نجيباً فسار بيننا، فجعلت الشمس تضحك بين عينيه، فقال: إني قائل بيتاً فمن أجازه وهبت له جبتي هذه؛ فقلنا: يقول أمير المؤمنين، فقال:

وهاجرة نصبت لها جبيني يقطع ظهرها ظهر العظاية

فبدر بشار الأعمىفقال:

وقفت بها القلوص ففاض دمعي على خدي وأقصر واعظاية

فنزع الجبة وهو راكب فدفعها إليه. فقلت لبشار بعد ذلك: مافعلت بالجبة؟ فقال بشار: بعتها والله بأربعمائة دينار

كان له شعر غث يعير به

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني علي بن محمد النوفلي قالحدثني عبد الرحمن بن العباس بن الفضل بن عبد الرحمن بن عياش بن أبي ربيعة عن أبيه قال: كان بشار منقطعاً إلي وإلى إخوتي فكان يغشانا كثيراً، ثم خرج إبارهيم بن عبد الله فخرج معه عدة منا، فلما قتل إبرايهم توارينا، وحبس المنصور منا عدة من إخوتي، فلما ولي المهدي أمن الناس جميعاً وأطلق المحبوسين، فقدمت بغداد أناوإخوتي نلتمس أماناً من المهدي، وكان الشعراء يجلسون بالليل في مسجد الرصافة ينشدون ويتحدثون، فلم أطلع بشاراً على نفسي إلا بعد أن أظهر لنا المهدي الأمان، وكتب أخي إلى خليفته بالليل، فصحت به: يا أبا معاذ من الذي يقول:

أحب الخاتم الأحم ر من حب مواليه

فأعرض عني وأخذ في بعض إنشاده شعره، ثم صحتك يا أبا معاذ من الذي يقول:

إن سلمى خلقت من قصب قصب السكر لاعظيم الجمل

وإذا أدنيت منها بصلاً غلب المسك على ريح البصل

فغضب وصاح: من الذي يقرعنا بأشياء كنا نعبث بها في الحداثة فهو يعيرنا بها فتركته ساعة ثم صحت به: يا أبا معاذ من الذي يقول:

أخشاب حقاً أن دارك تزعج وأن الذي بيني وبينك ينهج

فقال: ويحك عن مثل هذا فسل، ثم أنشدها حتى أتى على آخرها، وهي من جيد شعره، وفيه غناء:

صوت

فواكيدا قد أنضج الشوق نصفها ونصف على نار الصبابة ينضج

وواحزنا منهن يخففن هودجاً وفي الهودج المحفوف بدر متوج

فإن جئتها بين النساء فقل لها عليك سلام مات من يتزوج

بكيت ومافي الدمع منك خليفة ولكن أحزاني عليك توهج

الغناءلسليم بن سلام رمل بالوسطى. ووجدت هذا الخبر بخط ابن مهروية فذكر أنه قالهذه القصيدة في امرأة كانت تغشى مجلسه وكان إليها مائلاً يقال لهاخشابة، فارسية، فزوجت وأخرجت عن البصرة

أنشده أبو النضير شعره فاستحسنه

أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني أبو حاتم: قال أبو النضير الشاعر: أنشدت بشاراً قصيدة لي، فقاللي: أيجيئك شعرك هذا كلما شئت أم هذا شيء يجيئك في الفينة بعد الفينة إذا تعملت له؟ فقلت: بل هذا شعر يجيئني كلما أردته؛ فقال لي: قل فإنك شارع؛ فقلت له: لعلك حابيتني أبا معاذٍ وتحملت لي؛ فقال: أنت أبقاك الله أهون علي من ذلك.

حاول تقبيل جارية لصديق له

وقال شعراً يعتذر فيه عن ذلك: أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن العمري عن عباس بن عباس الزنادي عن رجل من باهلة قال: كنت عند بشار الأعمى فأتاه رجل فسلم عليه، فسأله عن خبر جارية عنده وقال: كيف ابنتي؟ قال: في عافية تدعوك اليوم؛ فقال بشار: ياباهلي انهض بنا، فجئنا إلى منزل نظيف وفرش سري، فأكلنا، ثم جيء بالنبيذ فشربنا مع الجارية، فلما أراد الانصراف قامت فأخذت بيد بشار، فلما صارا في الصحن أومأ إليها ليقبلها، فأرسلت يدها من يده، فجعل يجول في العرصة؛ وخرج المولى فقال: مالك يا أبا معاذ؟ فقال: أذنبت ذنباً ولاأبرح أو أقول شعراً، فقال:

أتوب إليك من السيئات واستغفر الله من فعلتي

تناولت مالم أرد نيله على جهل أمري وفي سكرتي

ووالله ماجئته لعمد ولاكان من همتي

وإلا فمت إذاً ضائعاً وعذبني الله في ميتتي

فما نال خيراً على قبلةٍ فلا بارك الله في قبلتي

كتب شعرا على باب عقبة يستنجزه وعده

اخبرنا هاشم بن محمد الزاعي قال حدثنا الرياشي عن الصمعي قال: لما أنشد بشار أرجوزته:

ياطلل الحي بذات الصمد

أبا الملد عقبة بن سلم أمر له بخمسين ألف درهم، فأخرها عنه وكيله ثلاثة أيام، فأمر غلامه بشار أن يكتب علي باب عقبة بن نافع عن يمين الباب:

مازال مامنيتني من همي والوعد غم فأزح من غمي

إن لم ترد حمدي فراقب ذمي

فلما خرج عقبة رأى ذلك، فقال: هذه من فعلات بشار، ثم دعا بالقهرمان، فقال: هل حملت إلى بشار ماأمرت له به.؟ فقال: أيها الأمير نحن مضيقون وغداً أحملها إليه؛ فقال: زد فيها عشرة آلاف درهم واحملها إليه الساعة؛ فحملها من وقته.

نهي المهدي له عن التشبيب بالنساء

وسبب ذلك:

أخبرني هاشم قال حدثنا أبو غسان دماذ قال: سألت أبا عبيدة عن السبب الذي من أجله نهى المهدي بشاراً عن ذكر النساء قال: كان أول ذلك استهتاراً نساء البصرة وسباها بشعره، حتى قال سقار بن عبد الله الأكبر ومالك بن دينار؛ ماشيء أدعى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى؛ ومازالا يعظانه؛ وكان واصل بن عطاء يقول: إن من أخدع حبائل الشيطان وأغواها لكلمات هذا الأعمى الملحد. فلما كثر ذلك وانتهى خبره من وجوه كثيرة إلى المهدي، وأنشد المهدي مالمدحه به، نهاه عن ذكر النساء وقول التشبيب، وكان المهدي من أشد الناس غيرة؛ قال: فقلت له: ماأحسب شعر هذاأبلغ في هذه المعاني من شعر كثير وجميل وعروة بن جزام وقيس ين ذريح وتلك الطبقة؛ فقال: ليس كل من يسمع تلك الأشعار يعرف المراد منها، وبشار يقارب النساء حتى لايخفى عليهن مايقول ومايري، وأي حرة حصان تسمع قول بشار فلا يؤثر في قلبها، فكيف بالمرأة الغزلة والفتاة التي لاهم لها إلا الرجال! ثم أنشد قوله:

قد لامني في خليلتي عمر والنوم في غير كنهن صجر

قال أفق قلت لا فقال بلى قد شاع في الناس منكما الخبر

قلت وإذ شاع مااعتذارك مما ليس لي فيه عندهم عذر

ماذا عليهم ومالهم خرسوا لوأنهم في عيوبهم نظروا

أعشق وحدي ويؤخذون به كالترك تغزو فتؤخذ الحزر
ياعجباً للخلاف ياعجباً بفي الذي لام في الهوى الحجر
حسبي وحسب الي كلفت به مني ومنه الحديث والنظر
أو قبلة في خلال ذاك وما بأس إذا لم تحل لس الأزر
أو عضة في ذراعها ولها فوق ذراعي من عضها أثر
أو لمسة دون مرطها بيدي والباب قد حال دونه الستر
والساق براقة مخلخلها أو مص ريق وقد علا البهر
واسترخت الكف للعراك وق لت إيه عني والدمع منحدر
انهض فما أنت كالذي زعموا أنت وربي مغازل أشر
قد غابت اليوم عنك حاضنتي والله لي منك فيك ينتصر
يارب خذ لي فقد ترى ضرعي من فاسق جاء مابه سكر
أهوى إلى معضدي فرضضه ذو قوة مايطاق مقتدر
ألثق بي لحية له خشنت ذات سواد كأنها الإبر
حتى علاني وأسرتي غيب ويلي عليهم لوأنهم حضروا
أقسم بالله لانجوت بها فاذهب فأنت المساور الظفر
كيف بأمي إذا رأت شفتي أم كيف إن شاع منك ذا الخبر
قد كنت أخشى الذي ابتليت به منك فماذا أقول ياعبر
قلت لها عند ذاك ياسكني لابأس إني مجرب خبر
قولي لها بقة لها ظفر إن كان في البق ماله ظفر

ثم قال له: بمثل هذا الشرع تميل القلوب ويلين الصعب قال دماذ قال لي أبو عبيدة: قال رجل يوماً لبشار في المسجد الجامع يعابثه: يا أبا معاذ، أيعجبك الغلام الجادل؟ فقال غير محتشم ولامكترث: لا، ولكن تعجبني أمه.

ورد على خالد البرمكي بفارس وامتدحه

أخبرني عمي قال حدثنا العتري قال حدثنا محمد بن سهل عن محمد بن الحجاج قال:
ورد بشار على خالد بن برمك وهو بفارس فامتدحه؛ فوعده ومطله؛ فوقف على طريقه وهو يريد المسجد، فأخذ بلجام بغلته وأنشده:

أظلت علينا منك يوماً سحابة — أضاءت لنا برقاً وأبطأ وشاشها
فلا غيمها يجلي فييأس طامع — ولاغيثها يأتي فيروي عطاشها

فحبس بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: لن تنصرف السحابة حتى بتلك إن شاء الله.

تظاهر بالحج وخرج لذلك

مع سعد بن القعقاع:

أخبرني يحيى بن علي قال حدثنا الحسن بن عليل قال حدثني علي بن حرب الطائي قال حدثني إسماعيل بن زياد الطائي قال: كان رجل منا يقال له سعد بن القعقاع يتندم بشاراً في المجانة، فقال لبشار وهو ينادمه: ويحك يا أبا معاذ! قد نسبنا الناس إلى الزندقة، فهل لك أن تحج بنا حجة تنفي ذلك عنا؟ قال: نعم مارأيت! فاشتريا بعيراً ومحملا وركبا، فلما مرا بزرارة قال له: ويحك يا أبا معاذ! ثلاثمائة فرسخ متى نقطعها! مل بنا إلى زرارة نتنعم فيه، فإذا قفل الحاج عارضناهم بالقادسية وجززنا رؤوسنا فلم يشك الناس أنا جئنا من الحج؛ فقال له بشار: نغم مارأيت لولا خبث لسانك، وإني أخاف أن تفضحنا. قال: لاتخف. فمالا إلى زرارة فما زالا يشربان الخمر ويفسقان، فلما نز ل الحاج بالقادسية راجعين، أخذا بعيراً ومحملاً وجزا رؤوسهما وأقبلا وتلقاهما الناس يهنئونهما؛ فقال سعد بن القعقاع:

ألم ترني وبشاراً حججنا — وكان الحج من خير التجارة
خرجنا طالبي سفر بعيد — فمال بنا الطريق إلى زراره
فآب الناس قد حجوا وبروا — وأبنا موقريت من الخسارة

أنكر عليه داود بن زرين أشياء فأجابه

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني محمد بن القاسم الدينوري قال حدثني محمد بن عمران بن مطر الشامي قال حدثني محمد بن الحسان الضبي قال حدثني محمود الوراق قال حدثني داود بن زرين قال: أتينا بشاراً فأذن لنا والمائدة موضوعة بين يديه فلم يدعنا إلى طعامه، فلما أكل دعا بطست فكشف عن سوءته فبال؛ ثم حضرت الظهر والعصر فلم يصل، فدنونا منه فقلنا: أنت أستاذنا وقد رأينا منك أشياء أنكرناها؛ قال: وما هي؟ قلنا: دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا إليه؛ فقال: إنما أذنت لكم أن تأكلوا ولو لم أرد أن تأكلوا لما أذنت لكم؛

قال: ثم ماذا؟ قلنا: ودعوت بطست ونحن حضور فبلت ونحن نراك؛ فقال: أنا مكفوف وأنتم بصراء وأنتم المأمورون بغض الأبصار، ثم قال: ومه؛ قلنا: حضرت الظهر والعصر والمغرب فلم تصل؛ فقال: إن الذي يقبلها تفاريق يقبلها جملة.

أخبرنا يحيى قال حدثني أبو أيوب المديني عن بعض أصحاب بشار قال: كنا إذا حضرت الصلاة نقوم ويقعد بشار فنجعل حول ثيابه تراباً لننظر هل يصلي، فنعود والتراب بحاله.

بشار والثقلاء

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أبو أيوب عن الحرمازي قال: قعد إلى بشار رجل فاستثقله فضرط عليه ضرطة"، فظن الرجل أنها أفلتت منه، ثم ضرط أخرى، فقال: أفلتت، ثم ضرط ثالثة، فقال: يا أبا معاذ، ماهذا؟ قال: مه! أرأيت أم سمعت؟ قال: بل سمعت صوتاً قبيحاً، فقال: فلا تصدق حتى ترى.

قال: وأنشد أبو أيوب لبشار في رجل استثقله:

ربما يثقل الجليس وإن كا ... ن خفيفاً في كفة الميزان

كيف لاتحمل الأمانة أرض ... حملت فوقها أبا سفيان

وقال فيه أيضاً:

هل لك في مالي وعرضي معاً ... وكل مايملك جيرانيه

واذهب إلى أبعد ماينتوي ... لاردك الله ولامالية

أنشد الوليد شعره في المزاج بالريق فطرب

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني محمد بن إبراهيم الجيلي قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال أنشدنا الوليد بن يزيد قول بشار الأعمى:

أيها الساقيان صبا شرابي ... واسقياني من ريق بيضاء رود

إن دائي الظماوإن دوائي ... شربة من رضاب ثغر برود

ولها مضحك كغر الأقاحي ... وحديث كالوشي وشي البرود

نزلت في السواد من حبة القل ... ب ونالت زيادة زيادة المستزيد

ثم قالت نلقاك بعد ليال ... والليالي يبلين كل جديد

عندها الصبر عن لقائي وعندي ... زفرات يأكلن قلب الحديد

قال: فطرب الوليد وقال: من لي بمزاج كاسي هذه من ريق سلمى فيروي ظمئي وتطفأ غلتي! ثم بكى حتى عبد الله بن أبي بكر وكان جليساً لبشار -قال: كان لنا جار يكنى أبا زيد وكان صديقاً لبشار، فبعث إليه يوماً يطلب منه ثياباً بنسيئة فلم يصادفها عنده، فقال يهجوه:

ألا إن أبا زيد زنى في ليلة القدر

ولم يزع، تعالى الل ه ربي، حرمة الشهر

وكتبها في رقعة وبعث بها إليه، و لم يكن أبو زيد ممن يقول الشعر، فقلبها وكتب في ظهرها:

ألا إن أبا زيد له في ذلكم عذر

أتته أم بشار وقد ضاق بها الأمر

فواثبها فجامعها وما ساعده الصبر

قال: فلما قرئت على بشار غضب وندم على تعرضه لرجل لانباهة له، فجعل ينطح الحائط برأسه غيظاً، ثم قال: لاتعرضت لهجاء سفلة مثل هذا أبداً.

شعره في قينة

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهروية قال حدثني بعض ولد أبي عبيد وزير المهدي، قال: دخل بشار علي المهدي وقد عرضت عليه جارية مغنية فسمع غناءها فأطربه وقال لبشار: قل في صفتها شعراً؛ فقال:

ورائحة للعين فيها محيلة إذا برقت لم تسق بطن صعيد

من المستهلات السرور على الفتى خفا برقها في عبقر وعقود

كأن لساناً ساحراً في كلامها أعين بصوت للقلوب صيود

تميت به أبابنا وقولبنا مراراً وتحييهن بعد همود

شعره في عقبة بن سلم

أخبرني عمي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال قال أبو عدنان حدثني يحيى بن الجون قال: دخل بشار يوماً على عقبة بن سلم فأنشده قوله فيه:

صوت

إنما لذة الجواد ابن سلم في عطاء ومركب للقاء

ليس يعطيك للرجاء ولاالخو ف ولكن يلذ طعم العطاء

يسقط الطير حيث ينتشر الحب وتغشى منازل الكرماء

لاأبالي صفح اللئيم ولاتج ري دموعي على الحرون الصفاء

فعلى عقبة السلام مقيماً وإذا سار تحت ظل اللواء

فوصله بعشرة آلاف درهم. وفي هذه الأبيات خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر لرذاذ، وهو من مختار صنعته وصدروها ومما تشبه فيه بالقدماء ومذاهبهم

رواة شعره

كان خلف الأحمر وخلف بن أبي عمرو يرويان عنه شعره: أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا أحمد بن خلاد عن الأضمعي، وأخبرني به الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أحمد بن خلاد عن الأصمعي قال: كنت أشهد بن أبي عمرو بن العلاء وخلفاً الأحمر ياتيان بشاراً ويسلمان عليه بغاية التعظيم ثم يقثولان: يا أبا معاذ، ماأحدثت؟ فيخبرهما وينشدهما ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الظهر ثم ينصرفان عنه، فأتياه يوماً فقالا له: ماهذه القصيدة التي أحدثتها في سلم بن قتيبة؟ قال: هي التي بلغتكم؛ قالا: بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب؛ فقال: نعم، بلغني أن سلماً يتباصر بالغريب فأحببت أن أورد عليه مالا يعرفه؛ قالا: فأنشدناها، فأنشدهما:

بكرا صاحبي قبل الهجير إن ذاك النجاح في التكبير

حتى فرغ منها؛ فقالله خلف: لوقلت بأبا معاذ مكان "إن ذاك النجاح" كما يقول الأعراب البدويون، ولو قلت: " بكراً فالنجاح " كان هذا كلام المولدين ولايشبه ذلك الكلام ولايدخل في معنى القصيدة؛ فقام خلف فقبل بين عينيه؛ وقال له خلف بن أبي عمرو يمازحه: لوكان علاثة ولدك يا أبا معاذ لفعلت كما فعل أخي، ولكنك مولى، فمد بشار يده فضرب بها فخذ خلف وقال:

أرفق بعمرو إذا حركت نسبته فإنه عربي من قوارير

فقالله: أفعلتها يا أبا معاذ! قال: وكان أبو عمرو يغمز في نسبه.

وأخبرني ببعض هذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شبة عن أبي عبيدة، فذكر نحوه وقال فيه: إن سلماً يعجبه الغريب.

قيل له إن فلانا سبك عند الأمير فهجاه

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن اسماعيل تينة قال قال خلف:

كنت أسمع ببشار قبل أن أراه، فذركوه لي يوماً وذكروا بيانه وسرعة جوابه وجودة شعره، فاستنشدتهم شيئاً من شعره، فأنشدوني شيئاً لم يكن بالمحمود عندي، فقلت: والله لآتينه ولأطأطئن منه، فأتيته وهو جالس على بابه،

فرأيته أعمى قبيح المنظر عظيم الجثة، فقلت: لعن الله من يبالي بهذا، فوقفت أتأمله طويلاً، فبينما أنا كذلك إذ جاءه رجل فقال: إن فلاناً سبك عند الأمير محمد بن سليمان ووضع منك؛ فقال: أو قد فعل؟ قال: نعم؛ فأطرق، وجلس الرجل عنده وجلست، وجاء قوم فسلموا عليه فلم يردد عليهم، فجعلوا ينظرون إليه وقد درت أوداجه فلم يلبث إلا ساعة حتى أنسدنا بأعلى صوته وأفخمه:

نبئت نائك أمه يغتابني عند الأمير وهل علي أمير
ناري محرقة وبيتي واسع للمعتفين ومجلسي معمور
ولي المهابة في الأحبة والعدا وكأنني أسد له تامور
غرثت حليلته وأخطأ صيده فه على لقم الطريق زئير

قال: فارتعدت والله فرائصي واقشعر جلدي وعظم في عيني جداً، حتى قلت في نفسي: الحمد لله الذي أبعدني من شرك.

شعر له في مدح خالد بن برمك

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى قال حدثني علي بن مهدي قال حدثنا العباس بن خال قال: مدح بشار خالد بن برمك فقال فيه:

لعمري لقد أجدى علي ابن برمك وماكل من كان الغنى عنده يجدي
حلبت بشعري راحتيه فدرتا سماحاً كما در السحاب مع الرعد
إذا جئته للحمد أشرق وجهه إليك وأعطاك الكرامة بالحمد
له نعم في القوم لايستثيبها جزاء وكيل التاجر المد بالمد
مفيد ومتلاف، سبيل تراثه إذا ماغدا أو راح كالجزر والمد
أخالد إن الحمد يبقى لأهله جمالاً ولاتبقى الكنوز على الكد
فأطعم وكل من عارة مستردةٍ ولاتبقها، أن العواري

فأعطاه خالد ثلاثين ألف درهم، وكان قبل ذلك يعطيه في كل وفادة خمسة آلاف درهم، وأمر خالد أن يكتب هذان البيتان في صدر مجلسه الذي كان يجلس فيه. وقال ابنه يحيى بن خالد: آخر ماأوصاني به أبي العمل بهذين البيتين.

عمر بن العلاء ومدائح الشعراء فيه

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن عمر بن أبي سعد قال حدثني محمد عبد الله بن عثمان قال: كان أبو الوزير مولى عبد القيس من عمال الخراج، وكان عفيفاً بخيلاً، فسألأ عمر بن العلاء، وكان جواداً شجاعاً، في رجل فوهب له مائة ألف درهم؛ فدخل أبو الوزير على المهدي فقال له: ياأمير المؤمنين، إن عمر بن العلاء خائن؛ قال: ومن أين علمت ذلك؟ قال: كلم في رجل كان أقصى أمله ألف درهم فوهب له مائة ألف درهم؛ فضحك المهدي ثم قال: "قل كل يعمل على شاكلته"، أما سمعت قول بشار في عمر:

إذا دهمتك عظام الأمور ... فنبه لها عمراً ثم نم

فتى لاينام على دمنةٍ ... ولايشرب الماء إلا بدم

أوماسمعت قول أبي العتاهية فيه:

صوت

إن المطايا تشتكيك لأنها ... قطعت إليك سباسباً ورمالا

فإذا وردن بنا وردن مخفة" ... وإذا رجعن بنا رجعن ثقالا

الغناء لأبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة أوليس الذي يقول فيه أبو العتاهية:

يابن العلاء ويابن القرم مرداس ... إني لأطريك في صحبي وجلاسي

حتى إذا قيل ماأعطاك من نشب ... ألفيت من عظم ماأسديت كالناسي

ثم قال: من اجتمعت ألسن الناس على مدحه كان حقيقياً أن يصدقها بفعله.

شعره في جارية له سوداء كان يفترشها

أخبرني محمد بن خلف بن المزربان قال حدثني أبو بكر الربعي قال: كانت لبشار جارية سوداء وكان يقع عليها، وفيها يقول:

وغادة سوداء براقة ... كالماء في طيب وفي لين

كأنها صيغت لمن نالها ... من عنبر بالمسك معجون

ليم في مبالغته في مدح عقبة بن سلم فأجاب

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهروية قالاحدثني أبو الشبل البرجمي قال: قال رجل لبشار: إن مدائحك

عقبة بن سلم فوق مدائحك كل أحدٍ؛ فقال بشار: إن عطاياه إياي كانت فوق عطاء كل أحد، دخلت إليه يوماً فأنشدته:

حرم الله أن ترى كابن سلم عقبة الخير مطعم الفقراء

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو ف ولكن يلد طعم العطاء

يسقط الطير حيث ينتشر ال ت وتغشى منازل الكرماء

فأمر لي بثلاثة آلاف دينار، وهأنا قد مدحت المهدي وأبا عبيد الله وزيره- أو قال يعقوب بن داود -وأقمت بأبوابهما حولاً فلم يعطياني شيئاً، أفألام على مدحي هذا!

طلب منه أبو الشمقمق الجزية

فرده فهجاه فأعطاه:

ونسخت من كتاب هارون بن علي أيضاً حدثني" علي قال حدثني" عبيد الله بن أبي الشيص عن دعبل بن علي قال: كان بشار يعطي أبا الشمقمق في كل سنة مائتي درهم، فأتاه أبو الشمقمق في بعض تلك السنين فقال له: هلم الجزية يا أبا معاذ؛ فقال: ويحك! أجزية هي! قال: هو ماتسمع؛ فقال له بشار يمازحه: أنت أفصح مني؟ قال: لا؛ قال: فأعلم من ي بمثالب الناس؟ قال: لا؛ قال: فأشعر مني؟ قال: لا؛ قال: فلم أعطيك؟ قال: لئلا أهجوك؛ فقال له: إن هجوتني هجوتك؛ فقال له أبو الشمقمق: هكذا هو؟ قال: نعم، فقل مابدالك؛ فقال أبو الشمقمق:

إني إذا ماشاعر هجانية ولج في القول له لسنية

أدخلته في است أمه علانية بشار يابشار....

وأراد أن يقول: " يابن الزاني"؛ فوثب بشار فأمسك فاه، وقال: أراد زالله أن يشتمني، ثم دفع إليه مائتي درهم ثم قال له: لايسمعن هذا منك الصبيان يا أبا الشمقمق.

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن بكر قال حدثني الأصمعي قال: أمر عقبة بن سلم" الهنائي" لبشار بعشرة آلاف درهم، فأخبر أبو الشمقمق بذلك فوافى بشاراً فقاللأه: يا أبا معاذ، إني مررت بصبيان فسمعتهم ينشدون:

هلينه هلينة طعن قثاة لتينة

إن بشار بن برد تيس أعمى في سفنية

فأخرج إليه بشار مائتي درهم فقال: خذ هذه راوية الصبيان يا أبا الشمقمق

شعره في هجاء العباس بن محمد

أخبرني أحمد قال حدثنا أبو محمد الصعتري قال حدثنا محمد بن عثمان البصري قال:

استمنح بشار بن برد العباس ممدود وقلبه أبداً في البخل معقود

إن الكريم ليخفي عنك عسرته حتى تراه غنيا وهو مجهود

وللبخيل على أمواله علل زرق العيون عليها أوجه سود

إذا تكرهت أن تعطي القليل ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود

أورق بخير ترجى للنوال فما ترجى الثمار إذا لم يورق العود

بث النوال ولاتمنعك قلته فكل ماسد فقراً فهو محمود

اجتمع بعباد بن عباد وسلم عليه

أخبرني أحمد قال حدثنا العنزي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي قال حدثني أبي عن عباد بن عباد قال: مررت ببشار فقلت: السلام عليك يا أبا معاذ؛ فقال: وعليك السلام، أعباد؟ فقلت: نعم؛ قال: إني لحسن الرأي فيك؛ فقلت: ماأحوجني إلى ذلك منك يا أبا معاذ! جارى امرأ القيس في تشبيهه شيئين بشيئين: أخبرني يحيى بن علي قال أخبرني محمد بن عمر الجرجاني عن أبي يعقوب الخريمي الشاعر أن بشاراً قال: لم أزل منذ سمعت قول امرىء القيس في تشبيهه شيئين بشيئين في بيت واحد حيث يقول:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي

أعمل نفسي في تشبيه شيئين بشيئين في بيت حتى قلت:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسافنا ليل تهاوى كواكبه

قال يحيى: وقد أخذ هذا المعنى منصور النمري فقال وأحسن:

ليل من النقع لاشمس ولاقمر إلا جبينك والمذروبة الشرع

كان إسحاق الموصلي يطعن في شعره

ولما أنشد منه سكت:

أخبرني يحيى ين علي قال حدثني أبي قال: كان إسحاق الموصلي يطعن على شعر بشار ويضع منه ويذكر أن كظلامه مختلف لايشبه بعضه بعضاً؛ فقلنا: أتقول هذا القول لمن يقول:

صوت

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لاتعاتبه
فعش واحداً أو صل أخاك فإنه مقارف ذنبٍ مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

لأبي العبيس بن حمدون في هذه الأبيات خفيف ثقيل بالبنصر قال علي بن يحيى: وهذا الكلام الذي ليس فوقه كلام من الشعر ولاحشو فيه؛ فقال لي إسحاق: أخبرني أبو عبيدة معمر بن المثنى أن شبيل بن عزرة الضبعي أنشده هذه الأبيات للمتلمس؛ وكان عالماً بشعره لأنهما جميعاً من بني ضبيعة؛ فقلت له: أفليس قد ذكر أبو عبيدة أنه قال لبشار: إن شبيلاً أخبره أنها للمتلمس؛ فقال: كذب والله شبيل، هذا شعري، ولقد مدحت به ابن هبيرة فأعطاني عليه أربعين ألفاً. وقد صدق بشار، قد مدح في هذه القصيدة ابن هبيرة، وقال فيها:

رويدا تصاهل بالعراق جيادنا كأنك بالضحاك قد قام نادبه
وسام لمروان ومن دونه الشجا وهول كلج البحر جاشت غواربه
أحلت به أم المنايا بناتها بأسيافنا، إنا ردى من نحاربه
وكنا إذا دب العدو لسخطنا وراقبنا في ظاهر لانراقبه
ركبنا له جهلراً بكل مثقف وأبيض تستسقي الدماء مضاربه

ثم قلت لإسحاق: أخبرني عن قول بشار في هذه القصيدة:

فلملتولى الحرة اعتصر الثرى لظى الصيف من نجم توقد لاهبة
وطارت عصافير الشقائق واكتسى من الآل أمثال المجرة ناضبه
غدت عانة تشكو بأبصارها الصدى لإلى الجأب إلا أنها لا تخاطبه

- العانة: القطيع من الحمير، والجأب: ذكرها. ومعنى شكواها الصدى بأبصارها أن العطش قد تبين في أحداقها فغارت- قال: وهذا من أحسن ما وصف به الحمار والأتن، أفهذا للمتلمس أيضاً! قال: لا؛ فقلت: أفما هو في غاية الجودة وشبيه بسائر الشعر، فكيف قصد بشار لسرقة تلك الأبيات خاصة! وكيف خصه بالسرقة منه وحده من بين الشعراء وهو قبله بعصر طويل! وقد روى الرواة شعره وعلم بشار أن ذلك لا يخفى، و لم يعثر على بشار أنه سرق شعراً قط جاهلياً ولا إسلامياً. وأخرى فإن شعر المتلمس يعرف في بعض شعر بشار؛ فلم يردد ذلك بشيء.

وقد أخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة أن بشار" أنشده:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لاتعاتيه

وذكر الأبيات. قال: وأنشدهما شبيل بن عزرة الضبعي، فقال: هذا للمتلمس؛ فأخبرت بذلك بشاراً، قال: كذب والله شبيل، لقد مدحت ابن هبيرة بهذه القصيدة وأعطاني عليها أربعين ألفاً لما صار طاهر إلى العارق في حرب الأمين سأل عن ولد بشار ليبرهم: أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا علي بن مهدي قال حدثنا علي بن إبارهيم المروزي، وكان أبوه من قواد طاهر، قال حدثني أبي قال: لما خلع محمد المأمون وندب علي بن عيسى، ندب المأمون للقاء علي بن عيسى طاهر بن الحسين ذا اليمينين4 وجلس له لعرضه وعرض أصحابه، فمر به ذو اليمينين معترضاً وهو ينشد:

رويد تصاهل بالعراق جيادنا كأنك بالضحاك قد قام نادبه

فتفاءل المأمون بذلك فاستدناه فاستعاده البيت فأعاد عليه؛ فقال ذو الرياستين: ياأمير المؤمنين هو حجر العراق؛ قال: أجل. فلما صار ذو اليمينين إلى العراق سأل: هل بقي من ولد بشار أحد؟ فقالوا: لا؛ فتوهمت أنه قد كان هم لهم بخير

غضبه على سلم الخاسر

لأنه سرق من معانيه:

أخبرنا يحيى قال حدثنا أبي قال أخبرني أحمد بن صالح -وكان أحد الأدباء - قال: غضب بشار على سلم الخاسر وكان من تلامذته ورواته، فاستشفع عليه بجماعة من إخوانه فجاؤوه في أمره؛ فقال لهم: كل حاجة لكم مقضية إلا سلماً؛ قالوا ما جئناك إلا في سلم ولابد من أن ترضى عنه لنا؛ فقال: أين هو الخبيث؟ قالوا: هاهو هذا؛ فقام إليه سلم فقبل رأسه ومثل بين يديه وقال: يا أبا معاذ، خريجك وأديبك؛ فقال: يا سلم، من الذي يقول:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

قال: أنت يا أبا معاذ، جعلني الله فداءك! قال: فمن الذي يقول:

من راقب الناس مات غماً وفار باللذة الجسور

قال خريجك يقول ذلك"يعني نفيه"؛ قال: أفتأخذ معاني التي قد عنيت بها وتعبت في استنباطها، فتكسوها ألفاظاً أخف من ألقاظي حتى يروي ماتقول ويذهب شعري! لاأرضى عنك أبداً، قال: فمازال يتضرع إليه، ويشفع له القوم حتى رضي عنه. وفي هذه القصيدة يقول بشار:

لو كنت تلقين مانلقى قسمت لنا يوماً نعيش به منكم ونبتهج

صوت

لاخير في العيش إن كنا كذا أبداً لانلتقي وسبيل الملتقى نهج

قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم مافي التلاقي ولافي قبلة حرج
من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج
أشكو إلى الله هماً مايفارقني وشرعاً في فؤادي الدهر تعتلج

أنشد الأصمعي شعره فغاظه فخره بنسبه

أخبرنا محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا أحمد بن خلاد قال: أنشدت الأصمعي قول بشار يهجو باهلة:

ودعاني معشر كلهم حمق دام لهم ذاك الحمق
ليس من جزم ولكن غاظهم شرفي العارض قد سد الأفق

فاغتاظ الأصمعي فقال: ويلي على هذا العبد القن ابن القن!

حديثه مع امرأة في الشيب

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى قال حدثني علي بن مهدي. قال حدثني عباس ين خالد قال سمعت غير واحد من أهل البصرة يحدث: أن امرأة قالت لبشار: أي رجل أنت لو كنت أسود اللحية والرأس! قال بشار: أما علمت أن بيض البزاة أثمن من سود الغربان؛ فقالت له: أما قولك فحسن في السمع، ومن لك بأن يحسن شيبك في العين كما حسن قولك في السمع! فكان بشار يقول: ماأفحمني قط غير هذه المرأة أحب الأشياء إليه: ونسخت من كتابه حدثني علي بن مهدي قال حدثني إسحاق بن كلبة قال قال لي أبو عثمان المازني: سئل بشار: أي متاع الدنيا آثر عندك؟ فقال: طعام مز، وشراب مر، وبنت عشرين بكر

دخل إليه نسوة وطلب من إحداهن أن تواصله فأبت فقال شعراً:

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن ابي سعد، وأخبرنا الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة عن صالح بن عطية قال: كان النساء المتظرفات يدخلن إلى بشار في كل جمعة يومين، فيجتمعن عنده ويسمعن من شعره، فسمع كلام امراة منهن فعلقها قلبه وراسلها يسألها أن تواصله؛ فقالت لرسوله: وأي معنى فيك لي أو لك في! وأنت أعمى لا تراني فتعرف حسني ومقداره، وأنت قبيح الوجه فلا حظ لي فيك! فليت شعري لأي شيء تطلب وصال مثلي! وجعلت تهزأ به في المخاطبة؛ فأدى الرسول الرسالة، فقال له: عد إليها فقل لها:

أيرى له فضل على آبارهم وإذا أشظ سجدن غير أوابي

تلقاه بعد ثلاث عشرة قائما فعل المؤذن شك يوم سحاب

وكأن هامة رأسه بطيخة حملت إلى ملك بدجله جابي

اعترض مروان بن أبي حفصة على

بيت من شعره فأجابه:

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثنا أبو هفان قال أخبرني أحمد بن عبد الأعلى الشيباني عن أبيه قال: قال مروان لبشار لمل أنشده هذا البيت:

وإذا قلت لها جودي لنا خرجت بالصنمت من لاونعم

جعلني الله فداءك يا أبا معاذ! هلا قلت: " خرست بالصمت"؛ قال: إذاً أنا في عقلك فض الله فاك! أأتطير على من أحب بالخرس!

مدح خالداً البرمكي فأجازه

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى: حدثني بعض أصحابنا قال: وفد بشار إلى خالد بن برمك وهو على فارس فأنشده:

أخالد لم أخبط إليك بذمةٍ سوى أنني عافٍ وأنت جواد

أخالد بين الأجر والحمد حاجتي فأيهما تأتي فأنت عماد

فإن تعطني أفرغ عليك مدائحي وإن تأب لم يضرب علي سداد

ركابي على حرفٍ وقلبي مشيع ومالي بأرض الباخلين بلاد

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها خرجت مع البازي علي سواد

قال: فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أكياس فوضع واحداً عن يمينه وواحداً عن شماله وآخر بين يديه وآخر خلفه، وقال: يا أبا معاذ، هل استقل العماد؟ فلمس الأكياس ثم قال: استقل والله أيها الأمير

مدح الهيثم بن معاوية وأخذ جائزته

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال قال محمد بن الحجاج حدثني بشار قال: دخلت على الهيثم بن معاوية وهو أمير البصرة، فأنشدته:

إن السلام أيها الأمير عليك والرحمة والسرور

فسمعته يقول: إن هذا الأعمى لايدعنا أو ياخذ من دراهمنا شيئاً؛ فطمعت فيه فما برحت حتى انصرفت بجائزته.

طلب رجلاً من بني زيد للمفاخرة

وهجاه فانقطع عنه:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن اسماعيل عن محمد بن سلام قال: وقف رجل من بني زيد شريف، لاأحب أن أسميه، على بشار، فقال له: يابشار قد أفسدت علينا موالينا، تدعوهم إلى الانتفاء منا وترغبهم في الرجوع إلىأصولهم وترك الولاء، وأنت غير زاكي الفرع ولامعروف الأصل؛ فقال له بشار: والله لأصلي أكرم من الذهب، ولفرعي أزكى من عمل الأبرار، ومافي الأرض كلب يود أن نسبك له بنسبه، ولو شئت أن أجعل جواب كلامك كاملاً لفعلت، ولكن موعدك غداً بالمربد؛ فرجع الرجل إلى منزله وهو يتوهم أن بشاراً يحضر معه المربد ليفاخره، فخرج من الغد يريد المربد فإذا رجل ينشد:

شهدت على الزيدي أن نساءه ضباع إلى أير العقيلي تزفر

فسأل عمن قال هذا البيت؛ فقيل له: هذا لبشار فيك؛ فرجع إلى منزله من فوره و لم يدخل المربد حتى مات قال ابن سلام: وأنشد رجل يوماً يونس في هذه القصيدة وهي:

بلوت بني زيد فما في كبارهم حلوم ولافي الأصغرين مطهر

فأبلغ بني زيد وقل لسراتهم وإن لم يكن فيهم سراة توقر

لأمكم الويلان إن قصائدي صواعق منها منجد ومغور

أجدهم لايتقون دنية" ولايؤثرون الخير والخير يؤثر

يلفون أولاد الزنا في عدادهم فعدتهم من عدة الناس أكثر

إذا مارأوا من دأبه مثل دأبهم أطافوا به، والغي للغي أصور

ولوفارقوا من فيهم من دعارة لما عرفتهم أمهم حين تنظر

لقد فخروا بالملحقين عشية فقلت افخروا إن كان في اللؤم مفخر

يريدون مسعاتي ودون لقائها قناديل أبواب السموات تزهر

فقل في بني زيد كما قال معرب قوارير حجام غداً تتكسر

فقال يونس للذي أنشده: حسبك حسبك! من هيج هذا الشيطان عليهم؟ قيل: فلان؛ فقال: رب سفيه قوم قد كسب لقومه شراً عظيماً

ضمن مثلاً في شعره عند عقبة

ابن سلم واستحق جائزته:

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهروية قال حدثني عبد الله بن بشر بن هلال قال حدثني محمد بن محمد البصري قال حدثني النضر بن طاهر أبو الحجاج قال: قال بشار: دعاني عقبة بن سلم ودعا بحماد عجرد وأعشى باهلة، فلما اجتمعا عنده قال لنا: إنه خطر ببالي البارحة مثل مايتمثله الناس:" ذهب الحمار يطلب قرنين فجاء بلا أذنين" فأخرجوه من الشعر، ومن أخرجه من الشعر، ومن أخرجه فله خمسة آلاف درهم، وإن لم تفعلوا جلدتكم كلكم خمسمائة؛ فقال حماد: أجلنا أعز الله الأمير شهراً؛ وقال الأعشى: أجلنا أسبوعين؛ قال: وبشار ساكت لايتكلم؛ فقال له عقبة: ملك " يا أعمى" لاتتكلم! أعمى الله قلبك! فقال: أصلح الله الأمير، قد حضرني شيء فإن أمرت قلته؛ فقال قل؛ فقال:

شط بسلمى عاجل البين ... وجاورت أسد بني القين

ورنت النفس لها رنة ... كادت لها تنشق نصفين

يابنة من لاأشتهي ذكره ... أخشى عليه علق الشين

والله لو ألقاك لاأتقي ... عيناً لقبلتك ألفين

طالبتها ديني فراغت به ... وعلقت قلبي مع الدين

فصرت كالعير غداً طالباً ... قرناً فلم يرجع بأدنين

قال: فانصرف بشار بالجائزة

قصته مع قوم من قيس عيلان

نزلوا بالبصرة ثم ارتحلوا:

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى: حدثنا علي بن مهدي قال حدثني عبد الله بن عطية الكوفي قال حدثني عثمان بن عمرو الثقفي قال قال أبان بن عبد الحميد اللاحقي: نزل في ظاهر البصرة قوم من أعراب قيس عيلان وكان فيهم بيان وفصاحة، فكان بشار يأتيهم وينشدهم أشعاره التي يمدح بها قيساً فيجلونه لذلك ويعظمونه، وكان نساؤهم يجلسن معه ويتحدثن إليه وينشدن أشعاره في الغزل وكن يعجبن به، وكنت كثيراً ماآتي ذلك الموضع فأسمع منه ومنهم، فأتيتهم يوماً فإذا هم قد ارتحلوا، فجئت إلى بشار فقلت له: يا أبا معاذ، أعلمت أن القوم قد ارتحلوا؟ قال: لا؛ فقلت: فاعلم؛ قال:: قد علمت لاعلمت! ومضيت، فلما كان بعد ذلك بأيام سمعت الناس ينشدون:

دعا بفراق من تهوى أبان ففاض الدمع واحترق الجنان

كأن شرارة وقعت بقلبي لها في نقلتي ودجمي أتتان

وإذا انشدت أو نسمت عليها رياح الصيف هاج لها دخان

فعلمت أنها لبشار، فأتيته فقلت: يا أبا معاذ، ماذنبي إليك؟ قال: ذنب غراب البين؛ فقلت: هل ذكرتني بغير هذا؟ قال: لا؛ فقلت: أنشدك الله ألا تزيد؛ فقال: امض لشأنك فقد تركتك

بشار وجعفر بن سليمان

وسنخت من كتابه: حدثني علي بن مهدي قال حدثني يحيى بن سعيد الأيوزرذي المعتزلي قال حدثني أحمد بن المعذل عن أبيه قال: أنشد بشار بن جعفر بن سليمان:

أقلي فإنا لاحقون وإنما يؤخرنا أنا يعد لنا عدا

وماكنت إلا كالأغر ابن جعفر رأى المال لايبقى فأبقى به حمدا

فقال له جعفر بن سليمان: من ابن جعفر؟ قال: الطيا في الجنة؛ فقال: لقد ساميت غير مسامي! فقال: والله مايقعدني عن شأوه بعد النسب، لكن قلة النشب، وإني لأجود بالقليل وإن لم يكن عندي الكثير، وماعلى من جاد بما يملك ألا يهب البدور؛ فقال له جعفر: لقد هززت أبا معاذ، ثم دعا له بكيس فدفعه إليه.

سئل عن ميله للهجاء فأجاب

ونسخت من كتابه: حدثني علي بن مهدي قال حدثني أحمد بن سعيد الرازي عن سليمان بن سليمان العلوي قال: قيل لبشار: إنك لكثير الهجاء! فقال: إني وجدت الهجاء المؤلم آخذ بضبع الشاعر من المديح الرائع، ومن أراد من الشعراء أن يكرم في دهر اللئام على المديح فليستعد للفقر وإلا فليبالغ في الهجاء ليخاف فيعطى.

بشار في صباه

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: كان ابو بشار طياناً حاذقاً بالتطبين، وولد له بشاروهو أعمى، فكان يقول: مارأيت مولوداً أعظم بركة منه، ولقد ولد لي ماعندي درهم فما حال الحول حتى جمعت مائتي درهم. ولم يمت بيرد حتى قال بشار الشعر. وكان لبشار أخوان يقال لأحدهما: بشر، وللآخر: بشير، وكانا قصابين وكان بشار باراً بهما، على أنه كان ضيق الصد ومتبرماً بالناس، فكان يقول: اللهم إني قد تبرمت بنفسي وبالناس جميعاً، اللهم فأرحني منهم. وكان إخوته يستعيرون ثيابه فيوسخونها وينتنون ريحها، فاتخذ قميصاً له جيبان وحلف ألا يعيرهم ثوباً من ثيابه، فكانوا يأخذونها بغير إذنه؛ فإذا دعا بثوبه فلبسه فأنكر ريحته فيقول إذا وجد رائحة كريهة نم ثوبه: " أينما أتوجه ألق سعداً. فإذا أعياه الأمر

خرج إلى الناس في تلك الثياب على نتنها ووسخه، فيقال له: ماهذا يا أبا معاذ؟ فيقول: هذه ثمرة صلة الرحم.
قال: وكان يقول الشعر وهو صغير، فإذا هجا قوماً جاؤوا إلى أبيه فشكوه فيضربه ضرباً شديداً، فكانت أمه تقول: كم تضرب هذا الصبي الضرير، أما ترحمه! فيقول: بلى والله إني لأرحمه ولكنه يتعرض للناس فيشكونه إلي؛ فسمعه بشار فطمع فيه فقال له: ياأبت إن هذا الذي يشكونه مني إليك هو قول الشعر، وإني إن ألممت عليه أغنيتك وسائر أهلي، فإن شكوني إليك فقل لهم: أليس الله يقول: " ليس على الأعمى حرج". فلما عاودوه شكواه قال لهم برد ماقاله بشار؛ فانصرفوا وهم يقولون: فقه برد أغيظ لنا من شعر بشار.

مائتا دينار لشعره في مطاولة النساء

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني محمد بن عثمان الكريزي قال حدثني بعض الشعراء قال:
أتيت بشاراً الأعمى وبين يديه مائتا دينار، فقال لي: خذ منها ماشئت، أو تدري ماسببها؟ قلت: لا؛ قال: جاءني فتى فقال لي: أنت بشار؟ فقلت: نعم؛ فقال: إني آليت أن أدفع إليك مائتي دينارٍ وذلك أني عشقت امرأة فجئت إليها فكلمتها فلم تلتفت إلي، فهممت أن أتركها فذكرت قولك:

لايؤيسنك من مخبأة ... قول تغلظه وإن جرحا
عسر النساء إلى مياسرة ... والصعب يمكن بعدما جمحا

فعدت إليها فلازمتها حتى بلغت منها حاجتي

عاب الأخفش شعره

ثم صار بعد ذلك يستشهد به لما بلغه أنه هم بهجوه:

أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن أبي حاتم قال: كان الأخفش طعن على بشار في قوله:

فالآن أقصر عن سمية باطلي ... وأشار بالوجلى على مشير

وفي قوله:

على الغزلى مني السلام فربما ... لهوت بها في ظل مرءومة زهر

وفي قوله في صفة السفينة:

تلاعب نينان البحور وربما ... رأيت نفوس القوم من جريها تجري

وقال: لم يسمع من الوجل والغزل فعلى، ولم أسمع بنون ونينان؛ فبلغ ذلك بشاراً فقال: ويلي على القصارين! متىكانت الفصاحة في بيوت القصارين! دعوني وإياه؛ فبلغ ذلك الأخفش فبكى وجزع؛ فقيل له: مايبكيك؟

فقال: ومالي لاأبكي وقد وقعت في لسان بشار الأعمى! فذهب أصحابه بعد ذلك يحتج بشعره في كتبه ليبلغه؛ فكف عن ذكره بعد هذا.

قال: وقال غير ابي حاتم: إنما بلغه سيبويه عاب هذه الأحرف عليه لا الأخفش، فقال يهجوه:

أسبويه يابن الفارسية ماالذي تحدثت عن شتمي وما كنت تنبذ

أظلت تغني سادراً في مساءتي وأمك بالمصرين تعطي وتأخذ

قال: فتوقاه سيبويه بع د ذلك، وكان إذا سئل عن شيء فأجاب عنه ووجد له شاهداً من شعر بشار احتج به استكفافاً لشره.

ذم بني سدوس باستعانة بني عقيل

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أحمد بن علي بن سويد بن منجوف قال: كان بشار مجاوراً لبني عقيل وبني سدوس في منزل الحيين، فكانوا لايزالون يتفاخرون، فاستعانت عقيل ببشار وقالوا: يا أبا معاذ، نحن أهلك وأنت ابننا وربيت في جحورنا فأعنا؛ فخرج عليهم وهم يتفاخرون، فجلس ثم أنشد:

كأن بني سدوس رهط ثور خنافس تحت منكسر الجدار

تحرك للفخار زبانييها وفخر الخنفساء من الصغار

فوثب بنو سدوس إليه فقالوا: مالنا ولك ياهذا! نعوذ بالله من شرك! فقال: هذا دأبكم إن عاوتم مفاخرة بني عقيل؛ فلم يعاودوها.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهروية قال حدثني محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلام قال: قال يونس النحوي: العجب من الأزد يدعون هذا العبد ينسب بنسائهم ويهجو رجالهم -يعني بشاراً - ويقول:

ألا ياصنم الأزد ال ذي يدعونه ربا

ألا يبعثون إليه من يفتق بطنه! ذم أناساً كانوا مع ابن أخيه أخبرني الحسن قال حدثني ابن مهروية عن أحمد بن إسماعيل عن محمد بن سلام قال: مر ابن أخ لبشار ببشار ومعه قوم: فقال لرجل معه وسمع كلامه: من هذا؟ فقال: ابن أخيك؛ قال: اشهد أن أصحابه سفلة؛ قال: وكيف علمت؟ قال: بيس عليهم نعال.

سمع شعره من مغنية فطرب

وقال: هذا أحسن من سورة الحشر

اخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثني الفضل بن يعقوب قال: كنا عند جارية لبعض التجار بالكرخ تغنينا، وبشار عندنا، فغنت في قوله:

إن الخليفة قد أبى ... وإذا أبى شيئاً أبيته

ومخضب رخص البنا ... ن وبكى علي وما بكيته

يامنظراً حسناً رأي ... ت بوجه جارية فديته

بعثت إلي تسومني ... ثوب الشباب وقد طويته

فطرب بشار وقال: هذا والله يا أبا عبد الله أحسن من سورة الحشر!. وقد روى هذه الكلمة عن بشار غير من ذكرته فقال عنه: إنه قال: هي والله أحسن من سورة الحشر. والغناء في هذه الأبيات. وتمام الشعر:

وأنا المطل على العدا ... وإذا غلا الحمد اشتريته

وأميل في أنس الندي ... م من الحياء وماشتهيته

ويشوقني بيت الحبي ... ب إذا غدوت وأين بيته

حال الخليفة دونه ... فصبرت عنه وماقليته

وأنشدني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي هذه الأبيات وأخبرني أن الجاحظ أخبره أن المهدي نهى بشاراً عن الغزل وأن يقول شيئاً من النسيب، فقال هذه الأبيات. قال: وكان الخليل بن أحمد ينشدها ويستحسنها ويعجب بها.

سألته ابنته لماذا يعرفه الناس ولايعرفهم

فأجابها:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ أبو غسان عن محمد بن الحجاج قال: قالت بنت بشار لبشار: ياأبت، مالك يعرفك الناس ولاتعرفهم؟ قال: كذلك الأمير يابنية.

سبب عبد الله بن مسور أبا النضير فدافع عنه بشار: أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: قال عبد الله بن مسور الباهلي يوماً لأبي النضير، وقد تحاوروا في شيء: يابن اللخناء، اتكلمني ولواستريت عبداً بمائتي درهم واعتقته لكان خيراً منك! قال له أبو النضير: والله لو كنت ولد زناً لكنت خيراً من باهلة كلها؛ فغضب الباهلي؛ فقال له بشار: أنت منذ ساعة تزني أما ولايغضب، فلما كلمك كلمة واحدة لحقك هذا كله! فقال له: وأمه مثل أمي يا أبا معاذ! فضحك، ثم قال: والله لو كانت أمك أم الكتاب ما كان بينكما من المصارمة هذا كله!.

طلب من ابن مزيد أن يدخله على المهدي

فسوفه فهجاه:

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى: حدثني علي بن مهدي قال حدثني سعيد بن عبيد الخزاعي قال: ورد بشار بغداد فقصد يزيد بن مزيد، وسأله أن يذكره للمهدي، فسوفه أشهراً؛ ثم ورد روح بن حاتم فبلغه خبر بشار، فذكره للمهدي من غير أن يلقاه، وأمر بإحضاره فدخل إلى المهدي وأنشده شعراً مدحه به، فوصله بعشرة آلاف درهم ووهب له عبداً وقينة" وكساه كساً كثيرة"؛ وكان يحضر قيساً مرة، فقال بشار يهجو يزيد بن مزيد:

ولما التقينا بالجنينة غرني بمعروفه حتى خرجت أفوق

غرني: أوجرني كما يغر الصبي أو يوجر اللبن.

حباني بعبد قعسري وقينة ووشي وآلا فٍ لهن بريق

فقل ليزيد يلعص الشهد خالياً لنا دونه عند الخليفة سوق

رقدت فنم يابن الخبيثة إنها مكارم لايستطيعهن لصيق

أبى لك عرق من فلانة أن ترى جواداً ورأس حين شبت حليق

قصيدته التي مدح بها إبراهيم بن عبد الله

فلما قتل جعلها للمنصور:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال: كان بشار كتب إلى إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بقصيدة يمدحه بها ويحرضه ويشير عليه، فلم تصل إليه حتى قتل، وخاف بشار أن تشتهر فقلبها وجعل التحريض فيها على أبي مسلم والمدح والمشورة لأبي جعفر المنصور، فقال:

أبا مسلم ماطيب عيش بدائم ولاسالم عما قليل بسالم

وإنما كان قال: " أبا جعفر ماطيب عيش" فغيره وقال فيها:

إذا بلغ الرأي النصيحة فاستعن بعزم نصيح أو بتأييد حازم

ولاتجعل الشورى عليك غضاضة مكان الخوافي نافع للقوادم

وخل الهوينى للضعيف ولاتكن نؤوماً فإن الحزم ليس بنائم

وماخير كف أمسك الغل أختها وماخير سيف لم يؤيد بقائم

وحارب إذا لم تعط إلا ظلامة" شبا الحرب خير من قبول المظالم

وأدن على القرى المقرب نفسه ولاتشهد الشورى أمراً غير كاتم
فإنك لاتستطرد الهم بالمنى ولاتبلغ العليا بغير المكارم
إذا كنت فرداً هرك القوم مقبلاً وإن كنت أدنى لم تفز بالعزائم
وماقرع الأقوام مثل مسيع أريب ولاجلى العمى مثل عالم

قال الأصمعي: فقلت لبشار: إني رأيت رجال الرأي يتعجبون من أبياتك في المشورة؛ فقال: أما علمت أن المشاورين إحدى الحسنيين: بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك في مكروهه؛ فقلت: أنت والله أشعر في هذا الكلام منك في الشعر

اعترض عليه رجل لوصفه جسمه بالنحول

وهو سمين:

أخبرن يالحسن بن علي قال حدثنا ابن مهروية قال حدثني علي بن الصباح عن بعض الكوفيين قال: مررت ببشار وهو متبطح في دهليزه كأنه جاموس، فقلت له: يا أبا معاذ، من القائل:

في حلتي جسم فتى ناحل لو هبت الريح به طاحا

قال: أنا؛ قلت: فما حملك على هذا الكذب؟ والله إني لأرى أن لو بعث الله الرياح التي أهلك بها الأمم الخالية ماحركتك من موضعكّ فقال بشار: من أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة؛ فقال: ياأهل الكوفة لاتدعون ثقلكم ومقتكم على كل حال!.

عاتب صديقاً له لأنه لم يهد له شيئاً

نسخت من كتاب هارون بن علي: قال حدثني عافية بن شبيب قال: قدم كر كردي بن عامر المسمعي من مكة، فلم يهد لبشار شيئاً وكان صديقه؛ فكتب إليه

مأأنت ياكردي بالهش ولاأبريك من الغش
لم تهدنا نعلاً ولاخاتماً من أين أقبلت؟ من الحش !

فأهدى إليه هدية حسنة وجاءه فقال: عجلت يا أبا معاذ علينا، فأنشدك الله ألا تزيد شيئاً على مامضى.

أخبر أنه غنى بشعر له فطرب

ونسخت من كتابه عن عافية بن شبيب أيضاً قال حدثني صديق لي قال: قلت لبشار: كنا أمس في عرس فكان أول صوت غنى به المغني:

هوى صاحبي ريح الشمال إذا جرت وأشفى لنفسي أن تهب جنوب

وماذاك إلا أنها حين تنتهي تناهى وفيها من عبيدة طيب

فطرب وقال: هذا والله أحسن من فلج يوم القيامة

مدح المهدي فلم يجزه

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبي عن عافية بن شبيب عن أيب جعفر الأسدي قال: مدح بشار المهدي فلم يعطه شيئاً؛ فقيل له: لم يستجد شعرك؛ فقال: والله لقد قلت شعراً لوقيل في الدهر لم يخش صرفه عن أحد، ولكنا نكذب في القول فنكذب في الأمل

هجا روح بن حاتم فحلف ليضربنه

ثم بر في يمينه فضربه بعرض السيف:

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني يحيى بن خليفة الدارمي عن نصر بن عبد الرحمن العجلي قال: هجا بشار روح بن حاتم؛ فبلغه ذلك فقذفه وتهدده؛ فلما بلغ ذلك بشاراً قال فيه:

تهددني أبو خلف وعن أوتاره ناما

بشيف لأبي صفر ة لايقطع إبهاماً

كأن الورس يعلوه إذا ماصدره قاما

-قال ابن أبي سعد: ومن الناس من يروي هذين البيتين لعمر الظالمي- قال: فبلغ ذلك روحاً فاقل: كل مالي صدقة إن وقعت علين عليه لأضربنه ضربة بالسيف ولوأنه بين يدي الخليفة! فبلغ بشار" فقام من فوره حتى دخل على المهدي؛ فقال له: ماجاء بك في هذا الوقت؟ فأخبره بقصة روح وعاذ به منه، فقال: يانصير، وجه إلى روح من يحضره الساعة؛ فأرسل إليه في الهاجرة، وكان يترل المخرم، فطن هو وأهله أنه دعي لولاية. قال: ياروح، إني بعثت إليك في حاجة؛ فقال له: أنا عبدك ياأمير المؤمنين فقل ماشئت سوى بشار فإني حلفت في أمره بيمين غموس؛ قال: قد علمت وإياه أردت؛ قال له: فاحتل ليميني ياأمير المؤمنين؛ فأحضر القضاة والفقهاء فاتفقوا على أن يضربه ضربة على جسمه بعرض السيف، وكان بشار وراء الخيش، فأخرج وأقعد واستل روح سيفه فضربه ضربة" بعرضه؛ فقال: أوه باسم الله! فضحك المهدي وقال له: ويلك! هذا وإنما ضربك بعرضه وكيف لو

ضربك بحده! مدح سليمان بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو عبيدة قال: مدح بشار سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيماً بحران وخرج إليه فأنشده قوله فيه:

نأتك على طول التجاور زينب ... وماشعرت أن النوى سوف تشعب
يرى الناس ماتلقى بزينب إذا نأت ... عجيباً وماتخفي بزينب أعجب
وقائلةٍ لي حين جد رحيلنا ... وأجفان عينيها تجود وتسكب
أغاد إلى حران في غير شيعة ... وذلك شأو ابن الخليفة مذهب
سيكلفني فتى من سعيه حد سيفه ... وكور علافي ووجناء ذغلب
إذا استوغرت دار عليه رمى بها ... بنات الصوى منها ركوب ومصعب
فعدي إلى يوم ارتحلت وسائلي ... بزورك والرحال من جاء يضرب
لعلك أن تستقيني أن زورتي ... سليمان من سير الهواجر تعقب

أغر هشامي القناة إذا انتمى ... نمته بدور وليس فيهن كوكب
وماقصدت يوماً مخيلين خيله ... فتصرف إلا عن دماءٍ تصبب

استقل عطاء سليمان فقال شعراً

فوصله سليمان بخمسة لآلاف درهم وكان يبخل، فلم يرضها وانصرف عنه مغضباً فقال:

إن أمس منقبض اليدين عن الندى ... وعن العدو مخيس الشيطان
فلقد أروح عن اللئام مسلطاً ... ثلج المقيل منعم الندمان
في ظل عيش عشيرة محمودة ... تندى يدي ويخاف فرط لساني
أزمان جني الشباب مطاوع ... وإذ الأمير علي من حران
ريم بأحوية العراق إذا بدا ... برقت عليه أكلة المرجان
فاكحل بعبده مقلتيك من القذى ... وبوشك رؤيتها من الهملان
فلقرب من تهوى وأنت متيم ... أشفى لدائك من بين مروان

فلما رجع إلى العراق بره ابن هبيرة ووصله، وكان يعظم بشاراً ويقدمه، لمدحه قيساً وافتخاره بهم، فلما جاءت دولة أهل خراسان عظم شأنه.

مدح المهدي بشعر فيه تشبيب حسن

فنهاه عن التشبيب:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن الحجاج قال: قدم بشار الأعمى على لامهدي بالرصافة فدخل عليه في البستان فأنشده مديحاً فيه تشبيب حسن، فنهاه عن التشبيب لغيرة شديدة كانت فيه، فأنشده مديحاً فيه، يقول فيه:

كأنما جئته أبشره ... ولم أحيء راغباً ومحتلبا

يزين المنبر الأشم بعط ... فيه وأقواله إذا خطبا

تشم نعلاه في الندى كما ... يشم ماء الريحان منتهبا

فأعكاه خمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بغل وجعل له وفادة في كل سنة ونهاه عن التشبيب البتة، فقدم عليه في السنة الثالثة فدخل عليه فأنشده:

تجاللت عن فهر وعن جارتي فهر ... وودعت نعمى بالسلام وبالبشر

وقالت سليمى ففيك عنا جلادة ... محلك دان والزيارة عن عفر

أخي في الهوى مالي أراك جفوتنا ... وقد كنت تقفونا على العسر واليسر

تثاقلت إلا عن يد أستفيدها ... وزورة أملاك أشد بها أزري

وأخرجبن من وزر خمسين حجة ... فتى "هاشمي يقشعر من الزر

دفنت الهوى حيا فلست بزاشر ... سليمى ولاصفراء ماقرقر القمري

ومصفرة بالزعفران جلودها ... إذا اجتليت مثل المفرطحة الصفر

فرب ثقال الردف هبت تلومني ... ولو شهدت قبري لصلت على قبري

تركت لمهدي الأنام وصالها ... وراعيت عهداً بيننا ليس بالختر

ولولا أمير المؤمنين محمد ... لقبلت فاها أو لكان بها فطري

لعمري لقد أوقرت نفسي خطيئة ... فما أنا بالمزداد وقراً على وقر

في قصيدة طويلة امتدحه بها، فأعطاه ما كان يعطيه قبل ذلك ولم يزده شيئاً.

توفي ابن له فتمثل بقول جرير

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي عن محمد بن سلام عن بعض أصحابه قال: حضرنا جنازة ابن لبشارة توفي، فجزع عليه جزعاً شديداً، وجعلنا نعزيه ونسليه فما يغني ذلك شيئاً، ثم التفت إلينا وقال: لله در جرير حيث يقول وقد عزي بسوادة ابنه:

قالوا نصيبك منأجر فقلت لهم ... كيف العزاء وقد فارقت أشبالي

ودعتني حين كف الدهر من بصري ... وحين صرت كعظم الرمة البالي

أودى سوادة يجلو مقلتي لحم ... بازٍ يصرصر فوق المربأ العالي

إلا تكن لك بالديرين نائحة ... فرب نائحة بالرمل معوال

استنشده صديق له شيئاً من غزله

فاعتذر المهدي له عنه:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني خلاد الأرقط قال: اما أنشد المهدي قول بشار:

لايؤيئسنك من مخبأة ... قول تغلظه وإن جرحا

عسر النساء إلي مياسرة ... والصعب يمكن بعد ما جمحا

فنهاه المهدي عن قوله مثل هذا، ثم حضر مجلساً لصديق له يقال له عمرو بن سمان، فقال له: أنشدنا يا أبا معاذ شيئاً من غزلك، فأنشا يقول:

وقائل هات شوقنا فقلت له ... أنائم أنت ياعمرو بن سمان

أما سمعت بما قد شاع في مضرٍ ... وفي الحليفين من نجر وقحطان

قال الخليفة لاتنسب بجارية ... إياك إياك أن تشقى بعصيان

صدق ظنه في تقدير جوائز الشعر

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا سليان بن أيوب المدائني قال: قال مروان بن أبي حفصة: قدمت البصرة فأنشدت بشاراً قصيدة لي واستنصحته فيها، فقال لي: ماأجودها! تقدم بغداد فتعطى عشرة آلاف درهم؛ فجزعت من ذلك وقلت: قتلتني! فقال: هو ماأقول لك؛ وقدمت بغداد فأعطيت عليها عشرة آلاف درهم؛ ثم قدمت عليه قدمة أخرى فأنشدته قصيدتي: فقال: تعطى عليها مائة ألف درهم؛ فقدمت فأعطيت مائة ألف درهم، فعدت إلى البصرة فأخبرته بحالي في المرتين، وقلت له: مارأيت أعجب من حدسك! فقال: يابني، أما

علمت أنه لم يبق أحد أعلم بالغيب من عمك!. أخبرنا بهذا الخبر محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا يزيد ين محمد المهلبي عن محمد بن عبد الله بن أبي عيينة عن مروان أنه قدم على بشار فأنشده قوله:

طرقتك زائة فحي خيالها

فقال له: يعطونك عليها عشرة آلاف درهم، ثم قدم عليه فأنشده قوله:

أنى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الأعمام

فقال: يعطونك عليها مائة ألف درهم، وذكر باقي الخبر مثل الذي قبله.

امتحن في صلاته فوجد لايصلي

أخبرني عيسى قال حدثنا سليمان قال: قال بعض أصحاب بشار: كنا نكون عنده فإذا حضرت الصلاة قمنا إليها ونجعل حول ثيابه تراباً حتى ننظر هل يقوم يصلي، فنعود والتراب بحاله و ماصلى.

جعل الحب قاضيا بين المحبين بأمر المهدي

اخبرني عيسى قال حدثنا سليمان قال: قال أبو عمرو: بعث المهدي إلى بشار فقال له: قل في الحب شعراً ولاتطل واجعل الحب قاضياً بين المحبين ولاتسم أحداً؛ فقال:

اجعل الحب بين حبي وبيني قاضياً إنني به اليوم راضي

فاجتمعنا فقلت ياحب نفسي إن عيني قليلة الإغماض

أنت عذبتني وأنحلت جسمي فارحم اليوم دائم الأمراض

قال لي لايحل حكمي عليها أنت أولى بالسقم والإحراض

قلت لما أجابني بهواها شمل الجور في الهوى كل قاضي

فبعث إليه المهدي: حكمت علينا ووافقنا ذلك، فامر له بألف دينار

نسب إليه بعضهم أنه

أخذ معنى في شعره من أشعب فرد عليه:

أخبرني عيسى قال حدثني سليمان المدني قال حدثني الفضل بن إسحاق الهاشمي قال: أنشد بشار قوله:

يروعه السرار بكل أرض مخافة أن يكون به السرار

فقال له رجل: أظنك أخذت هذا من قول أشعب: مارأيت اثنين يتساران إلا ظننت أنهما يأمران لي بشيء؛ فقال: إن كنت أخذت هذا من قول أشعب فإنك ثقل الروح والمقت من الناس جميعا فانفردت به دونهم، ثم قام فدخل وتركنا. وأخذ أبو نواس هذ المعنى بعينه من بشار فقال فيه:

تركتني الوشاة نصب المسري ن وأحدوثة بكل مكان

مأرى حاليين في السر ألا قلت مايخلوان إلا لشاني

اشتنشد هجوه في حماد عجرد

وعمرو الظالمي فأنشد:

أخبرني عمي قال حدثني سليمان قال قال لي أبو عدنان حدثني سعيد جليس كان لأبي زيد قال: أتاني أعشى سليم وأبو حنش فقالا لي: انطلق معنا إلى بشار فتسأله أن ينشدك شيئاً من هجائه في حماد عجرد أو في عمرو الظالمي فإنه إن عرفنا لم ينشدنا، فمضيت معهما حتى دخلت على بشار فاستنشدته فأنشد قصيدة" له على الجال فجعل يخرج من واد في الهجاء إلى واد آخر وهما يستمعان وبشار لايعرفهما، فلما خرجا قال أحدهما للآخر: أما تعجب مما جاء به هذا الأعمى؟ فقال أبو حنش: أماأنا فلا أعرض-والله- والدي أبداً؛ وكانا قد جاءا يزورانه، وأحسبهما أرادا أن يتعرضا لمهاجاته.

مدح واصلاً قبل أن يدين بالرجعة

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي عن الجاحظ قال:

كان بشار صديقاً لأبي حذيفة واصل بن عطاء قبل أن يدين بالرجعة ويكفر الأمة، وكان قد مدح واصلاً وذكر خطبته التي خطبها فترع منها كلها الراء وكانت على البديهة، وهي أطول من خطبتي خالد بن صفوان وشبيب بن سيبة، فقال:

تكلفوا القول والأوقام قد حفلوا وحبروا خطباً ناهيك من خطب

فقام مرتجلاً تغلي بداهنخ كمرجل القين لما حف باللهب

وجانب الراء لم يشعر به أحد قبل التصفح والإغراق في الطلب

قال: فما دان بالرجعة زعم أن الناس كلهم كفروا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقيل له: وعلي بن أبي طالب؟ فقال:

وماشر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لاتصبحينا

قال: ما كان الكميت شاعراً: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن اسماعيل تينة قال قال لي محمد بن الحجاج: قال بشار: ما كان الكميت شاعراً؛ فقيل له: زكيف زهز الذي يقول!:

أنصف امرىء من نصف حي يسبني لعمري لقد لاقيت خطباً من الخطب

هنيئاً لكلب أن كلباً يسبني وأني لم أردد جواباً على كلب

فقال بشار: لابل شانئك، أترى رجلاً لو ضرط ثلاثين سنة لم يستحل من ضرطه ضرطة واحدة!

تمثل سفيان بن عيينة بشعر له

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى: حدثني علي بن مهدي قال حدثني حجاج المعلم قال سمعت أشبهناهم، فصرنا كما قال الشاعر:

ومأأنا إلا كالزمان إذا صحا صحوت وإن ماق الزمان أموق

وبخ من سأله عن منزل ففهمه ولم يفهم

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن الحجاج قال: كنا مع بشار فأتاه رجل فسأله عن منزل رجل ذركه له، فجعل يفهمه ولايفهم، فأخذ بيده وقام يقوده إلى منزل الرجل وهو يقول:

أعمى يقود بصيراً لاأباً لكم قد ضل من كانت العميان تهديه

حتى صار به إلى منزل الرجل، ثم قال له: هذا هو منزله ياأعمى

أنشده عطاء الملط شعراً فاستحسنه

وأنشد شعراً على رويه:

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: زعم أبو دعامة أن عطاء الملط أخبره أنه أتى بشاراً فقال له: يا أبا معاذ، أنشدك شعراً حسناً؟ فقال: ما أسرني بذلك، فأنشده:

أعاذلتي اليوم ويلكما مهلاً فما جزعاً م الآن أبكي ولاجهلا

فلما فرغ منها قال له بشار: أحسنت، ثم أنشده على رويها ووزنها:

لقد كاد مأأخفي من الوجد والهوى يكون جوى بين الجوانح أوخبلا

صوت

إذا قال مهلاً ذو القرابة زادني ولوعاً بذكراها ووجداً بها مهلا

فلا يحسب البيض الأوانس أن في فؤادي سوى سعدى لغانية فضلا
فأقسم إن كان الهوى غير بالغ بي القتل من سعدي لقد جاوز القتلا
فيا صاح خبرني الذي أنت صانع بقاتلتي ظلماً وماطلبت ذحلا
سوى أنني في الحب بيني وبينها شددت على أكظام سر لها قفلا

وذكر أحمد بن المكي أن لإسحاق في هذه الأبيات ثقيلا أول بالوسطى فاستحسنت القصيدة وقلت: يا أبا معاذ، قد والله أجدت وبالغت، فلو تفضلت بأن تعيدها، فأعادها على خلاف ماأنشدنيها في المرة الأولى، فتوهمت أنه قالها في تلك الساعة

حاوره أحمد بن خلاد في ميله إلى الإلحاد

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أحمد بن خلاد قال حدثني أبي قال: كنت أكلم بشاراً وأورد عليه سوء مذهبه بميله إلى الإلحاد، فكان يقول: لاأعرف إلا ماعانيته أو عانيت مثله؛ وكان الكلام يطول بيننا، فقال لي: ماأظن الأمر يا أبا خالد إلا كما تقول، وأن الذي نحن فيه خذلان، ولذلك أقول:

طبعت على مافي غير مخير هواي ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا أعطي وأعطى ولم أرد وقصر علمي أن أنال المغيبا
فأصرف عن قصدي وعليم مقصر وأمسي ومأأعقبت إلا التعجبا

عاتب بشعر فتى من آل منقر

بعث إليه في الضحية بنعجة عجفاء:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهروية قال حدثني أحمد بن خلاد بن المبارك قالحدثني أبي قال: كان بالبصرة فتى من بني منقر أمه عجلية، وكان يبعث إلى بشار في كل أضحية بأضحية من الأضاحي التي كان أهل البصرة يسمنونها سنة" وأكثر للأضاحي ثم تباع الأضحية بعشرة دنانير، ويبعث معها بألف درهم؛ قال: فأمروكيله في بعض السنين أن يجريه على رسمه، فاشترى له نعجة كبيرة غير سمينة وسرق باقي الثمن، وكانت نعجة عبدلية" من نعاج عبد الله بن دارم وهو نتاج مرذول، فلما أدخلت عليه قالت له جاريته ربابة: ليست هذه الشاة من الغنم التي كان يبعث بها إليك؛ فقال: أدينها مني فأدنتها ولمسها بيده ثم قال: اكتب ياغلام:

وهبت لنا يافتى منقر وعجل وأكرمهم أولاً

وأبسطهم راحة في الندى ... وأرفعهم ذروة في العلا

عجوزاً قد آوردها عمرها ... وأسكنها الدهر دار البلى

سلوحاً توهمت أن الرعاء ... سقوها ليسهلها الحنظلا

وأضرط من أم مبتاعها ... إن اقتحمت بكرة"حرملا

فلو تأكل الزبد بالنرسيان ... وتدمج المسك والمندلا

لما طيب الله أرواحها ... لابل من عظمه الأقحلا

وضعت يميني على ظهرها ... فخلت حراقفها جندلا

وأهوت شمالي لعرقوبها ... فخلت عراقبها مغزلا

وقلبت أليتها بعد ذا ... فشبهت عصعصها منجلا

فقلت أبيع فلا مشرباً ... أرجي لديها ولامأكلا

أم آشوي وأطبخ من لحمها ... وأطيب من ذاك مضغ السلى

إذا ماأمرت على مجلس ... من العجب سبح أو هللا

رأوا آية خلفها سائق ... يحث وشحم قد استكملا

وكنت أمرت بها ضخمة" ... بلحم وشحم قد استكملا

ولكن روحاً عدا طوره ... وما كنت أحسب أن يفعلا

فعض الذي خان في أمرها ... من است أمه بظرها الأغرلا

ولولا مكانك قلدته ... علاطاً وأنشقته الخردلا

ولولا استحائيك خضبتها ... وعلقت في جيدها جلجلا

فجاءتك حتى ترى حالها ... فتعلم أني بها مبتلى

سألتك لحما لصبياننا ... فقد زدتني فيهم عيلا

فخها وأنت بنا محسن ... ومازلت بي محسناً مجملا

قال: وبعث بالرقعة إلى الرجل؛ فدعا بوكيله وقال له: ويلك تعلم أني أفتدي من بشار بما أعطيه وتوقعني في لسانه اذهب فاشتر أضحية، وإن قدرت أن تكون مثل الفيل فافعل، وابلغ بها مابلغت وابعث بهاإليه.

شعره في رثاء بنية له

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال حدثني عمي قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال: رأيت بشاراً المرعث يرثي بنية" له وهو يقول:

يابنت من لم يك يهوى بنتا ماكنت إلا خمسة أو ستا

حتى حللت في الحشى وحتى فتت قلبي من جوى فانفتا

لأنت خير من غلام بتا يصبح سكران ويمسي بهتا

مدح نافع بن عقبة بن سلم بعد موت أبيه

أخبرني وكيع قال حدثني أبو أيوب المديني قال: كان نافع بن عقبة بن سلم جواداً ممدحاً، وكان بشار منقطعاً إلى أبيه، فلما مات أبوه وفد إليه وقد ولي مكان أبيه، فمدحه بقوله:

ولنافع فضل على أكفائه إن الكريم أحق بالتفضيل

يانافع الشبرات حين تناوحت هوج الرياح وأعقبت بوبول

أشبهت عقبة غير مامتشبه ونشأت في حلم وحسن قبول

ووليت فينا أشهراً فكفيتنا عنت المريب وسلة التضليل

تدعى هلالاً في الزمان ونافعاً والسلم نعم أبوة المأمول

فأعطاه مثل ما كان أبوه يعطيه في كل سنة إذا وفد عليه.

أجاز شعراً للمهدي في جارية

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني إبراهيم بن عقبة الرفاعي قال حدثني إسحلق بن إبراهيم التمار البصري قال: دخل المهدي إلى بعض حجر الحرم فنظر إلى جارية منهن تغتسل، فلما رأته حصرت ووضعت يدها على فرجها، فأنشأ يقول:

نظرت عيني لحيني

ثم أرتج عليه، فقال: من بالباب من الشعراء؟ قالوا: بشار، فأذن له فدخل؛ فقال له: أجز:

نظرت عيني لحيني نظراً وافق شيني

سترت لما رأتني دونه بالراحتين

فضلت منه فضول تحت طي العكنتين

فقال له المهدي: قبحك الله ويحكك أكنت ثالثنا ثم ماذا؟ فقال:

فتمنيت وقلبي للهوى في زفرتين
أنني كنت عليه ساعة أو ساعتين

فضحك المهدي وأمر له بجائزة؛ فقال: ياأمير المؤمنين أقنعت من هذا الصفة بساعة أوساعتين؟ فقال: اخرج عني قبحك الله. فخرج بالجائزة

أنشد شعراً على لسان حمار له مات

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا أبو شبل عاصم بن وهب البرجمي قال حدثني محمد بن الحجاج قال: جاءنا بشار يوماً فقلنا له: مالك مغتماً؟ فقال: مات حماري فرأيته في النوم فقلت له: لم مت؟ ألم أكن أحسن إليك. فقال:

سيدي خذ بي أنتاناً عند باب الأصبهاني
تيمتني ببنان وبدل قد شجاني
تيمتني يوم رحنا بثناياها الحسان
وبغنج ودلال سل جسمي وبراني
ولها خد أسيل مثل خد الشيفران
فلذا مت ولو عش ت إذا طال هواني

فقلت له: مالشيفران؟ قال: ومايدريني. هذا من غريب الحمار، فإذا لقيته فاسألأه

رأيه فيما يكون عليه المجلس

أخبرن يالحسن قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثني علي بن إياس قال حدثني السري بن الصباح قال: شهد بشار مجلساً فقال:: لاتصيروا مجلسنا هذا شعراً كله ولاحديثاً كله ولاغناء كله، فإن العيش فرص، ولكن غنوا وتحدثوا وتناشدوا وتعالوا نتناهب العيش تناهباً وصفه غلام بذرب اللسان وسعة الشدق: أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن ابن عائشة قال: جاء بشار يوماً إلى أبي وأنا على الباب، فقال لي: من أنت ياغلام؟ فقلت: من ساكني الدار؛ قال: فكلمني والله بلسان ذرب وشدق هريتٍ أبطأ سهيل القرشي فيما كان يهديه له من تمر فكتب إليه يتنجزه: أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن أبي حاتم قال: كان سهيل بن عمر القرسي يبعث إلى بشار في كل سنة بقواصر تمر، ثم أبطأ عليه سنة"؛ فكتب إليه بشار:

تمركم ياسهيل در وهل يطم ع في الدر من يدي متعتي

فاحبني ياسهيل من ذلك التم ر نواة تكون قرطاً لبنتي

فبعث إليه بالتمر وأضعفه له، وكتب إليه يستعفيه من الزيادة في هذا الشعر.

سأله بعض أخل الكوفة ممن كانوا على كذهبه أن ينشدهم شعراً ثم عابثوه: ونسخت من كتاب هارون بن علي: عن عافية بن شبيب عن الحسن بن صفوان قال: جلس إلى بشار أصدقاء من أهل الكوفة كانوا على مثل مذهبه، فسألوه أن ينشدهم شيئاً مما أحدثه، فأنشدهم قوله:

أنى دعاه الشوق فارتاحا من بعد ماأصبح جحجاحا

حتى أتى على قوله:

في حلتي جسم فتى ناحلٍ لو هبت الريح به طاحا

فقالوا: يابن الزانية، أتقول هذا وأنت كأنك فيل عرضك أكثر من طولك . فقال: قوموا عني يابني الزناء؛ فإني مشغول القلب، لست أنشط اليوم لمشاتمتكم.

عشق امرأة وألح عليها فشكته إلى زوجها: أخبرني يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شبيب قال: كان لبشار مجلس يجلس فيه بالعشي يقال له البردان، فدخل إليه نسوة في مجلسه هذا فسمعن شعره، فعشق امرأة منهن، وقال لغلامه: عرفها محبتي لها، واتبعها إذا انصرفت إلى مترلها؛ ففعل الغلام وأخبرها بما أمره فبم تجبه إلى ماأحب، فتبعها إلى مترلها حتى عرفه، فكان يتردد إليها حتى برمت به، فشكته إلى زوجها، فقال لها أجيبيه وعديه إلى أن يجيئك إلى هاهنا ففعلت، وجاء بشار مع امرأة وجهت بها إليه، فدخل وزوجها جالس وهو لايعلم، فجعل يحدثها ساعة، وقال لها: ماسمك بأبي أنت؟ فقالت: أمامة؛ فقال:

أمامة قد وصفت لنا بحسن وإنا لانراك فألمسينا

قال: فأخذت يده فوضعتها على أير زوجها وقد أنعظ، ففزع ووثب قائماً وقال:

علي ألية مادمت حيا أمسك طائعاً إلا بعود

ولاأهدي لقوم أنت قيهم سلام الله إلا من بعيد

طلبت غنيمة فوضعت كفب على أير أشد من الحديد

فخير منك من لاخير فيه وخير من زيارتكم قعودي

وقبض زوجها عليه وقال: هممت بأن أفضحك؛ فقال له: كفاني، فديتك، مافعلت بي، ولست والله عائداً إليها أبداً، فحسبك مامضى، وتركه وانصرف.

وقد روي مثل هذه الحكاية عن الأصمعي في قصة بشار هذه. وهذا الخبر بعينه يحكي بإسناد أقوى من هذا اللإسناد وأوضح عن أبي العباس الأعمى السائب بن فروخ، وقد ذكرته في أخبار أبي العباس بإسناده.

رثاؤه أصدقاءه

نسخت من كتاب هارون بن علي: قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني حمدان الآبنوسي قال حدثنا أبو نواس قال: كان لبشار خمسة ندماء فمات منهم أربعة وبقي واحد يقال له البراء، فركب في زورق يريد عبور دجلة العورا فغرق، وكان المهدي قد نهى بشاراً عن ذكر النساء والعشق، فكان بشار يقول: ماخير في الدنيا بعد الأصدقاء؛ ثم رثى أصدقاءه بقوله:

يابن موسى ماذا يقول الإمام ... في فتاة بالقلب منها أوام

بت من حبها أوقر بالكأ ... س ويهفو على فؤادي الهيام

ويحها كاعباً تدل بجهم ... كعثبي كأنه حمام

لم يكن بينها وبيني إلا ... كتب العاشقيان والأحلام

يابن موسى اسقني ودع عنك سلمى ... إن سلمى حمى وفي احتشام

رب كأس كالسلسبيل تعلل ... ت بها والعيون عني نيام

حبست للشراة في بيت رأس ... عتقت عانساً عليها الختام

نفحت نفحة فهزت نديمي ... بنسيم وانشق عنها الزكام

وكأن المعلول منها إذا را ... ح شج في لسانه برسام

صدمته الشمول حتى بعيني ... ه انكسار وفي المفاصل خام

وهو باقي الأطراف حيث به الكأ ... س وماتت أوصاله والكلام

وفتى يشرب المدامة بالما ... ل ويمشي يروم مالايرام

أنفدت كأسه الدنانير حتى ... ذهب العين واستمر السوام

تركته الصهباء بعين ... نام إنسانها ولست تنام

جن من شربة تعل بأخرى ... وبكى حين سار فيه المدام

كان لي صاحباً فأودى به الده ... ر وفارقته عليه السلام

بقي الناس بعد هلك ندامى ... ي وقوعاً لم يشعروا ماالكلام

كجزور الأيسار لاكبد في ... ها لباغٍ ولاعليها سنام

يابن موسى فقد الحبيب العي ... ن قذاة وفي الفؤاد سقام

كيف يصفو لي النعيم وحيداً ... والأخلاء في المقابر هام

نفستهم علي أم المنايا فانامتهم بعنفٍ فناموا

لايغيض انسجام عيني عنهم إنما غاية الحزين السجام

وفد على عمر بن هبيرة فمدحه

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي: أن بشاراً وفد إلى عمر بن هبيرة وقد مدحه بقوله:

يخاف المنايا أن ترحلت صاحبي كأن المنايا في القمام تناسبه

فقلت له إن العراق مقامه وخيم إذا هبت عليك جنائبه

لألقى بني عيلان إن فعالهم تريد على كل الفعال مراتبه

أولاك الألى شقوا العمى بسوفهم عن العين حتى أبصر الحق طالبه

وجيش كجنح الليل يزحف بالحصا وبالشوك والخطي حمراً ثعالبه

غدونا له والشمس في خدر أمها تطالعنا والطل لم يجر ذائبه

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه وتدرك من نجى الفرار مثالبه

كأن مثار النقع قوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

بعثنا لهم موت الفجاءة إننا بنو الموت خفاق علينا سبائبه

فراحوا فريق في الإسار ومثله قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه

إذا الملك الجبار صعر خده مشينا أليه بالسيوف نعاتبه

فوصله بعشرة لآلاف درهم، فكانت أول عطية سنية أعطيها بشار ورفعت من ذكره، وهذه القصيدة هلي التي يقول فيها:

صوت

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لاتعاتبه

فعش واحداً أوصل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

الغناء في هذه الأبيات لأبي العبيس بن حمدون خفيف ثقيل بالبنصر في مجراها.

شعره في العشق

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال ذكر أبو أيوب المديني عن الأصمعي قال: كان لبشار مجلس يجلس فيه يقال له البردان، وكان النساء يحضرنه فيه، فينما هو ذات يوم في مجلسه إذ سمع كلام امرأة في المجلس فعشقها، فدعا غلامه فقال: إذا تكلمت المرأة عرفتك فاعرفها، فإذا انصرفت من المجلس فاتبعها وكلمها وأعلمها أني لها محب؛ وقال فيها:

ياقوم أذني لبعض الحي عاشقة ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا

قالوا: بمن لاترى تهذي. فقلت لهم ... الأذن كالعين توفي القلب ما كانا

هل من دواء لمشغوف بجارية ... يلقى بلقيانها روحا وريحانا

وقال في مثل ذلك

قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها ... قلبي فأضحى به من حبها أثر

أنى ولم ترها تهذي. فقلت لهم ... إن الفؤاد يرى مالايرى البصر

أصبحت كالحاتم الحيران مجتنبا ... لم يقض ورداً ولايرجى له صدر

قال يحيى بن علي وأنشدني أصحاب أحمد بن إبراهيم عنه لبشار في هذا المعنى وكان يستحسنهك

يزهدني في حب عبدة معشر ... قلوبهم فيها مخالفة قلبي

فقلت دعوا قلبي ومااختار وارتضى ... فبالقلب لابالعين يبصر ذو الحب

فما تبصر العينان في موضع الهوى ... ولاتسمع الأذنان إلا من القلب

ومالحسن إلا كل حسن دعا الصبا ... وألف بين العشق والعاشق الصب

ياقلب مالي أراك لاتقر ... إياك أعني وعندك الخبر

أذعت بعد الألى مضوا حرقاً ... أم ضاع مااستودعوك إذ بكروا

قال أبو أحمد وقال في مثل ذلك

إن سليمى والله يكلؤها ... كالسكر تزداده على السكر

بلغت عنها شكلاً فأعجبني ... والسمع بكفيك غيبة البصر

أنشد المهدي شعراً فلم يعطه شيئاً

فقال شعراً مداره الحكمة:

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال: زعم أبو العالية أن بشاراً قدم على المهدي، فلما استأذن عليه قال له الربيع: قد أذن لك وأمرك ألا تنشد شيئاً من الغزل والتشبيب فأدخل على ذلك، فأنشده قوله:

يامنظراً حسناً رأيته ... من وجه جارية فديته

بعثت إلي تسومني ... برد الشباب وقد طويته

والله رب محمد ... ماإن غدرت ولانويته

أمسكت عنك وربما ... عرض البلاء ومابتغيته

إن الخليفة قد أبى ... وإذا أبى شيئاً أبيته

ومخضب رخص البنا ... ن بكى علي وما بكيته

وشوقني بيت البي ... ب إذا ادكرت وأين بيته

قام الخليفة دونه ... فصبرت عنه وماقليته

ونهاني الملك الهما ... م عن النسيب وماعصيته

لابل وفيت فلم أضع ... عهداً ولارأياً رأيته

وانا المطل على العدا ... وإذا غلا علق شريته

أصفي الخليل إذا دنا ... وإذا نأى عني نأيته

ثم أنشده مامدحه به بلا تشبيب، فحرمه ولم يعطه شيئاً؛ فقيل له: إنه لم يستحسن شعرك؛ فقال: والله لقد مدحته بشعر لو مدح له الدهر لم يخش صرفه على أحد، ولكنه كذب أملي لأني كذبت في قولي. ثم قال في ذلك:

خليلي إن العسر سوف يفيق ... وإن يساراً في غد لخليق

وماكنت إلا كالزمان إذا صحا ... صحوت وإن ماق الزمان أموق

أادماء لاأستطيع في قلة الثرى ... خزوزاً ووشيا والقليل محيق

خذي من يدي ماقل إن زماننا ... شموس ومعروف الرجال رقيق

لقد كنت لاأرضى بأدنى معيشة ... ولايشتكي بخلاً علي رفيق

وكنت إذا ضاقت علي محلة ... تيممت أخرى ماعلي تضيق

وماخاب بين الله والناس عامل ... له في التقى أو في المحامد سوق

ولاضاق فضل الله عن متعفف ... ولكن أخلاق الرجال تضيق

أنشد المهدي شعراً في النسيب فتهدده

إن عاد إلى مثله:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثني عمر بن شبة قال: بلغ المهدي قول بشار:

قاس الهموم تنل بها نجحا ... والليل إن وراءه صبحا

لايؤيسنك من مخبأة ... قول تغلظه وإن جرحا

عسر النساء إلى مياسرة ... والصعب يمكن بعدما جمحا

فلما قدم عليه استنشده هذا الشعر فأنشده إياه، وكان المهدي غيوراً، فغضب وقال: تلك أمل ياعاض كذا من أمة. أتحض الناس على الفجور وتقذف المحصنات المخبات. والله لئن قلت بعد هذا بيتاً واحداً في نسيب لآتين على روحك؛ فقال بشار في ذلك:

والله لولا رضا الخليفة ما ... أعطيت ضيماً علي في شجن

وربما خير لابن آدم في ال ... ره وشق الهوى على البدن

فاشرب على ابنة الزمان فما ... تلقى زماناً صفا من الابن

اله يعطيك من فواضله ... والمرء يغضي عيناً على الكم

قد عشت بين الريحان والراح وال ... مزهر في ظل مجلس حسن

وقد ملأت البلاد مابين فغ ... فور إلى القيروان فاليمن

قال عمر بن شبة: فغفور: ملك الصين.

شعراً تصلي له العواتق وال ... ثيب صلاة الغواة لوثن

ثم نهاني المهدي فانصرفت=نفسي صنيع الموفق اللقن

فالحمد لله لاشريك له ... ليس بباق شيءعلى الزمن

ثم أنشده قصيدته التي أولها:

تجاللت عن فهر وعن جارتي فهر

ووصف عن الأحباب صرام خلة ... ووصال أخرى مايقيم على أمر

وركاص أفراس الصبابة والهوى ... جرت حججاً ثم استقرت فما تجري

فأصبحن ما يركبن إلا إلى الوغى ... وأصبحت لا يورى علي ولا أوري

فهذا وإني قد شرعت مع التقى ... وماتت همومي الطارقات فما تسري

ثم قال يصف السفينة:

وعذراء لا تجري بلحم ودم قليلة شكوى الأين ملجمة الدبر

إذا ظعنت فيها الفلول تشخصت بفرسانها لا في وعوث ولا وعر

في هذين البيتين ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى لخزرج، وقيال: إنه لهاشم بن سليمان.

مدح يزيد بن حاتم فوهبه كل مايملك

أخبرني عمي قال حدثنا أبو هفان قال أخبرني أبو محلم عن المفضب الضبي قال: وفد ابن المولى علي بن يزيد بن حاتم وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها:

ياواحد العرب الذي أضحى وليس له نظير

لو كان مثلك آخر ماكان في الدنيا فقير

قال: فدعا بخازنه وقال: كم من بيت مالي؟ فقال له: من الورق والعين بقية عشرون ألف دينار، فقال: ادفعها إليه، ثم قال: يا أخي، المعذرة إلى الله و إليك، والله لو أن في ملكي أكثر لما احتجبتها عنك.

كان مداحاً لجعفر بن سليمان

وقثم بن عباس ويزيد بن حاتم:

أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن خلف بن المزربان قالا حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثنا مصعب الزبيري عن عبد الملك بن الماجشون قال: كان ابن المولى مداحاً لجفر بن سليمان وقثم بن العباس الهاشميين ويزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، واستفرغ مدحه في يزيد وقال قصيدته التي يقول فيها:

ياواحد العرب الذي دانت له قحطان قاطبة" وساد نزارا

إني لأرجو إن لقيتك سالما ألا أعالج بعدك الأسفارا

رشت الندى ولقد تكسر ريشه فعلا الندى فوق البلاد وطارا

مرض عند يزيد بن حاتم

وأضعف يريد صلته:

ثم صده بها إلى مصر وأنشده إياها؛ فأعطاه حتى رضي. ومرض ابن المولى عنده مرضاً طويلاً وثقل حتى أشفى، فملا أفاق من علته ونهض، ودخل عليه يزيد بن حاتم متعرفاً خبره، فقال: لوددت والله يا أبا عبد الله إلا تعالج

بعدي الأسفار حقاً، ثم أضعف صلته.

كان يمدح يزيد دون أن يراه ثم رآه بالمدينة وأنشده فأعطاه ماأغناه: أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني الزبير بن بكار عن عبد الملك بن عبد العزيز قال أخبرني ابن المولى قال: كنت أمدح يزيد بن حاتم من غير أن أعرفه ولاألقاه، فما ولاه المنصور مصر أخذ على طريق المدينة فلقيته فأنشدته، وقد خرج من مسجد رسول الله صللى الله عليه وسلم إلى أن صار إلى مسجد الشجرة، فأعطاني رزمتي ثياب وعشرة آلاف دينار فاشتريت بها ضياعاً تغل ألف دينار، أقوم في أدناها وأصيح بقيمي ولا يسمعني وهو في أقصاها.

عنفه الحسن بن يزيد على ذكر ليلى

فقال: إنها قوسه فضحك:

أخبرني عمي قال حدثنا الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو قال: بلغني أن الحسن ابن زيد دعا بابن المولى فأغلظ له وقال: أتشبب بحرم المسلمين وتنشد ذلم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الأسواق والمحافل ظاهراً. فحلف له بالطلاق أنه ماتعرض لمحرم قط ولاشبب بامراة مسلم ولامعاهد قط، قال: فمن ليلى هذه التي تذكر في شعرك؟ فقال له: امرأتي طالق إن كانت إلا قوسي هذه، سميتها ليلى لأذكرها في شعري، فإن الشعر لايحسن إلا بالتشبيب، فضحك الحسن ثم قال: إذا كانت القصة هذه فقل ماشئت.

كان بالعراق وتشوق إلى المدينة

فقال شعراً في ذلك:

فقال الحزنبل: وحدثت عن ابن عائشة محمد بن يحيى قال: قدم ابن مولى إلى العراق في بعض سنيه فأخفق وطال مقامه وغرض به وتشوق إلى المدينة فقال في ذلك:

صوت

ذهب الرجال فلا أحسن رجالاً	وأرى اللإقامة بالعارق ضلالا
وطربت إذ ذكر المدينة ذاكر	يوم الخميس فهاج لي بلبالا
فظللت انظر في السماء كأنني	أبغي بناحية السماء هلالا
طرباً إلى أهل الحجاز وتارة	أبكي بدمع مسبل إسبالا

غنى في هذه الأربعة الأبيات ابن عائشة. ولحنه ثاني ثقيل الهشامي. وذكره حماد عن أبيه في اخباره و لم يذكر طريقته.

فيقال قد أضحى يحدث نفسه والعين تذرف في الرداء سجالا
إن الغريب إذا تذكر أزشكت منه المادع أن تفيض علالا
ولقد أقول لصاحبي وكأنه مما يعالج ضمن الأغلالا
خفض عليك فما يرد بك تلقه لاتكثرن وإن جزعت مقالا
قد كنت إذ تدع المدينة كالذي ترك البحار ويمم الأوشالا
فأجابني خاطر بنفسك لا تكن أبداً تعد مع العيال عيالا
واعلم بأنك لن تنال جسمية حتى تجشم نفسك الأهوالا
إني وجدك يوم أترك زاخرا بحراً ينفل سيبه الأنفالا
لأضل من جلب القوافي صعبة حتى أذل متونها إذلالا

مدح المهدي وعرض بالطالبيين فأجازه

قال الحزنبل: وحدثني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال حدثني مولى للحسن بن زيد قال:

وماقارع الأعداء مثل محمد إذا الحرب أبدت عن حجول الكواعب
فتى ماجد الأعارق من آل هاشم تبحبح منها الذرى والذوائب
أشم من الرهط الذين كأنهم لدى حندس الظلماء زهر الكواكب
إذا ذكرت يوماً مناقب هاشم فإنكم منها بخير المناصب
ومن عيب في أخلاقه ونصابه فما في بني العباس عيب لعائب
وإن أمير المؤمنين ورهطه لأهل المعالي من لؤي بن غالب
أولئك أوتاد البلاد ووارثو الن بي بأمر الحق غي التكاذب

ثم ذكر فيها آل أبي طالب فقال:

وما نقموا إلا المودة منهم وأن غادروا فيهم جزيل المواهب
وأنهم نالوا لهم بدمائهم شفاء نفوس من قتيل وهارب
وقاموا لهم دون العدا وكفوهم بسمر القنا والمهفات القواضب
وحاموا على أحسابهم وكرائم حسان الوجوه واضحات الترائب
وإن أمير المؤمنين لعائد بإنعامه فيهم على كل تائب

إذا مادنوا أدناهم وإذا هفوا تجاوز عنهم ناظراً في العواقب

شفيق على الأقصين أن يركبو الردى فكيف به في واشجات الأقارب

مدح الحسين بن زيد فعاتبه

بالتعرض بأهله في مدائحه للمهدي ثم أكرمه:

قال: فوصله المهدي بصلة سنية، وقدم المدينة فأنفق وبنى داره ولبس فاخرة"، و لم يزل كذلك مدى حياته بعدما حباه. ثم قدم على الحسن بن زيد وكانت له عليه وظيفة في كل سنة فدخل عليه فانشده قوله يمدحه:

هاج شوقي تفرق الجيران واعترتني طوارق الأحزان

وتذكرت مامضى من زماني حين صار الزمان شر زمان

يقول فيها يمدح الحسن بن يزيد:

ولوأن أمراً ينال خلوداً بمحل ومنصب ومكان

أو ببيت ذراه تلصق بالنج م قراناً في غير برج قران

أو بمجد الحياة أو بسماح أو بحلم أوفى على ثهلان

أو بفضل لناله حسن الخي ر بفضل رسول ذي البرهان

فضله واضح يرهط أبي القا سم رهط اليقين والإيمان

هم ذوو النور و الهدى ومدى الأم ر وأهل البرهان والعرفان

معدن الحق والنبوة والعد ل إذا ماتنازع الخصمان

وابن زيد إذا الرجال تجاروا يوم حفل وغاية ورهان

سابق مغلق جيز رهانٍ ورث السبق من أبيه الهجان

قال: فلما أنشده إياها دعا به خالياً ثم قال له: ياعاض كذا من أمه، أما إذا جئت إلى الحجاز فتقول لي هذا، وأما إذا مضيت إلى العراق فتقول:

وإن أمير اللمؤمنين ورهطه لرهط المعالي من لؤي بن غالب

أولئك أوتاد البلاد ووارثوا ال نبي بأمر الحق غير التكاذب

فقال له: أتنصفني يابن الرسول أم لا؟ فقال: نعم، فقال: ألم أقل: " وإن أمير المؤمنين ورهطه" ألستم رهطه؟ فقال: دع هذا، ألم تقدر أن ينفق شعرك ومديحك إلا بتهجين أهلي والطعن عليهم والإغراء بهم حيث تقول:

ومانقموا إلا المودة منهم وأن غادروا فيهم جزيل المواهب

وأنهم نالوا لهم بدمائهم شفاء نفوس من قتيل وهارب

فوجم ابن المولى وأطرق ثم قال: يابن الرسول إن الشاعر يقول ويتقرب بجهده، ثم قام بخرج من عنده منكسراً، فأمر الحسن وكيله إليه وظيفته ويزيده فيها ففعل، فقال ابن المولى: والله لاأقبلها وهو علي ساخط، فأما إن قرنها بالرضا فقبلتها، وأما إن أقام وهو علي ساخط، فأما إن قرنها بالرضا فقبلتها، وأما إن أقام وهو علي ساخط البتة فلا؛ فعاد الرسول إلى الحسن فأخبره؛ فقال له: قل له: قد رضيت فاقلها. ودخل على الحسن فأنشده قول فيه:

سألت فأعطاني وأعطى ولم أسل وجاد كما جادت غوادٍ رواعد

فأقسم لاأنفك أنشد مدحه إذا جمعتني في الحجيج المشاهد

إذا قلت يوماً في ثنائي قصيدة" بأخرى حيث تجزي القصائد

مدح يزيد بن حاتم بولايته الأهواز

وغلبته على الأزارقة فأجازه:

قال الحزنبل: وحدثني مالك بن وهب مولىيزيد بن حاتم المهلبي قال: لما انصرف يزيد بن حاتم من حرب الأزارقة وقد ظفر، خلع عليه وعقد له لواء عى كور الأهواز وسائر ما افتتحه، فدخل عليه ابن مولى وقد مدحه فاستأذن في الإنشاد فأذن له فأنشده:

صوت

ألا يالقومي هل لما فات مطلب وهل يعذرن ذو صبوة وهو أشيب

يحن إلى ليلى وقد شطت النوى بليلى كما حن اليراع المثقب

غنى في هذين البيتين عطرد، ولحنه رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة؛ وفيه ليونس لحن ذكره لنفسه في كتابه و لم يذكر طريقته.

تقربت ليلى كي تثيب فزادني بعاداً على بعد إليها التقرب

فداويت وجدي باجتناب فلم يكن دواء لما ألقاه منها التجنب

فلا أنا عند النأي سال لحبها ولاأنا منها مشتف حين تصقب

وماكنت بالراضي فما غيره الرضا ولكنني أنوي العزاء فأغلب

وليل خداري الرواق جشمته إذا هابه السارون لاأتهيب
لأظفر يوماً من يزيد بن حاتم بحبل جوارٍ ذاك ما كنت أطلب
بلوت وقلبت الرجال كما بلا بكفيه أوساط القداح كقلب
وصعدني همي وصوب مرة وذو الهم يوماً مصعد ومصوب
لأعرف ماآتى فلم أر مثله من الناس فيما حاز شرق ومغرب
أكر على جيش وأعظم هيبة" وأوهب في جود لما ليس يوهب
تصدى رجال في المعالي ليلحقوا مداك وماأدركته فتذبذبوا
ورمت الذي رموا فأذللت صعبه وراموا الذي أذللت منه فأصعبوا
ومهما تناول من منال سنية يساعدك فيها المنتمى والمركب
ومنصب آباء كرام نكاهم إلى المجد آباء كرام ومنصب

صوت

كوكب دجن كلما انقض كوكب بدا منهم بدر منير وكوكب
أنار به آل المهلب بعدما هوى منكب منهم بليل ومنكب
ومازال إلحاح الزمان عليهم بنائبة كادت لها الأرض تخرب
فلو أبقت الأيام حيا نفاسة لأبقاهم للجود ناب ومخلب
وكنت ليومي نعمة ونكايةٍ كما فيهما للناس كان المهلب
ألا حبذا الأحياء منكم وحبذا قبور بها موتاكم حين غيبوا

فأمر له يزي بن حاتم بعشرة آلاف درهم وفرس بسرجه ولجامه وخلعة وأقسم على من كان بحضرته أن يجيزوه كل واحد منهم لما يمكنه، فانصرف بملء يده.

كان عمرو بن أبي عمرو ينشد من شعره

ويستحسنه:

قال الحزنبل: أنشدني عمرو بن أبي عمرو لابن المولى وكان يستحسنها:

صوت

حي المنازل قد بلينا أقوين عن مر السنينيا

وسل الديار لعلها تخبرك عن أم البنينا

بانت وكل قرينة يوماً مفارقة قرينا

وأخو الحياة من الحيا ة معالج غلظاً ولينا

غنى في هذه الأبيات نبية خفيف ثقيل بالبنصر.

وترى الموكل بالغوا ني راكباً أبداً فنونا

ومن البلية أن تدا ن بما كرهت ولن تدينا

والمرء تحرم نفسه مالايزال به حزينا

وتراه يجمع ماله جمع الحريص لوارثينا

يسعى بأفضل سعيه فيصير ذاك لقاعدينا

لم يعط ذا النسب القري ب ولم يجد للأبعدينا

قد حل منزله الذمي م وفارق المتنصحينا

مدح المهدي بولايته الخلافة فأكرمه

وفرض له لعياله مايكفيه:

قال الحزنبل: وذكر أحمد بن صالح بن النطاح عن المدائني: ان المهدي لما ولي الخلافة وحج فرق في قريش والأنصار وسائر الناس أموالاً عظيمة ووصلهم صلات سنية، فحسنت أحوالهم بعد جهد أصاب الناس في أيام أبيه، لتسرعهم مع محمد بن عبد الله بن حسن، وكانت سنة ولايته سنة خصب ورخص، فأحبه الناس وتبركوا به، وقالوا: هذ هو المهدي، وهذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه مسلم وسميه، فلقوه فدعوا له وأثنوا عليه، ومدحته الشعراء، فمد عينه في الناس فرأى ابن المولى فأمر بتقريبه فقرب منه؛ فقالله: هات يامولى الأنصار ماعندك، فأنشده " قوله فيه":

ياليل لاتنجلي ياليل بالزاد واشفي بذلك داء الحاتم الصادي

وأنجزي عدة" كانت لنا أملاً قد جاء ميعادها من بعد ميعاد

ماضره غير أن أبدي مودته إن المحب هواه ظاهر بادي

ثم قال فيها يصف ناقته:

تطوي البلاد إلى جم منافعه فعل خير لفعل الخير عواد
للمهتدين إليه من منافعه خير يروح وخير باكر غادي
أغنى قريشاً وأنصار النبي ومن بالمسجدين بإسعاد وإحفاد
كانت منافعه في الأرض شائعة تترى وسيرته كالماء للصادي
خليفة الله عبد الله والده وأمه حرة تنمى لأمجاد
من خير ذي يمن في خير رابية من القبول إليها معقل النادي

حتى أتى على آخرها؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وكسوة، وأمر صاحب الجاري بأن يجري له ولعياله في كل سنة مايكفيهم، وألحقهم في شرف العطاء قال: وذكر ابن النطاح عن عبد الله بن مصعب الزبيري قال: وفدنا إلى المهدي ونحن جماعة من قريش والأنصار، فلما دخلنا عليه سلمنا ودعونا وأثنينا، فلما فرغنا من كلامنا أقبل على ابن المولى فاقل: هات يامحمد ماقلت، فأنشده: صوت

نادي الأحبة باحتمال إن المقيم إلى زوال
رد القيان عليهم ذلل المطي من الجمال
فتحملوا بعقيلة زهراء آنسة الدلال
كالشمس راق جمالها بين النساء على الجمال
لما رأيت جمالهم في الآل تغرق باللآلي
ياليت ذلك بعد أن أظهرت أنك لاتبالي
ولمثل ماجربت من إخلافهن لذي الوصل
أسلاك عن طلب الصبا وأخو الصبا لابد سالي
يابن الأطايب للأطا يب ذا المكارم والمعالي
وابن الهداة بنى الهدا ة وكاشفي ظلم الضلال
أصبت أكرم غالب عند التفاخر والنضل
وإذا تحصل هاشم يعلو بمجدك كل عالي
ويكون بيتك منهم في الشاهقات من القرل
هذا وأنت ثمالها وابن الثمال أخو الثمال
ومآلها بأمورها إن الأمور إلى مآل

قال: فأمر له خاصة بعشرة آلاف درهم معجلة، ثم ساواه بسائر القفد بعد ذلك في الجائزة وأعطاه مثل ما أعطاهم، قال: ذلك بحق المديح، وهذا بحق الوفادة

سأل عنه عبد الملك لما قدم المدينة

ثم تبعه ابن المولى وأنشده فأجازه:

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي أبو أحمد وعمي قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني إبراهيم بن إسحاق بن عبد الرحمن بن طلحة بن عمربن عبيد الله قال حدثني عبد الله إبراهيم الجمحي قال: قدم عبد الملك بن مروان المدينة، وابن المولى يكثر مدحه، وكان يسأل عنه من غير أن يكونا التقيا- قال: وابن المولى مولى الأنصار- فلما قدم عبد الملك المدينة قدم ابن المولى، لما بلغه من مسألة عبد الملك عنه، فوردها وفد رحل عبد الملك عنها، فظاتبعه فأدركه بإضم بذي خشب بين عين مروان وعين الحديد، وهما جميعاً لمروان، فالتفت عبد الملك إليه وابن المولى على نجيب متنكباً قوساً عربية"، فقال له عبد الملك: ابن المولى؟ قال: لبيك ياأمير المؤمنين؛ قال: مرحباً بمن نالنا شكره و لم ينله منا فعل، ثم قال له: أخبرني عن ليلى التي تقول فيها:

وأبكى فلا ليلى بكت من صبابةٍ إلي و لا ليلى لذي الود تبذل

والله لئن كانت ليلى حرة لأزوجنكها، ولئن كانت أمة" لأبتاعها لك بما بلغت، فقال: كلا ياأمير المؤمنين، والله ما كنت لأذكر حر أبداً ولاأمته، والله ماليلى إلا قوسي هذه، سميتها ليلى لأشبب بها، وإن الشاعر لا يستطاب إذا لم يتشبب؛ فقال له عبد الملك: ذلك والله أظرف لك، فأقام عنده يومه وليلته ينشده ويسامره، ثم أمر له بمال وكسوة، وانصرف إلى المدينة.

وقف لجعفر بن سليمان على طريقه

وأنشده شعراً:

أخبرني حبيب المهلبي عن الزبير وغيره عن محمد بن فضالة النحوي قال: قدم ابن المولى البصرة، فأتى جعفر سليمان فوقف على طريقه وقد ركب فناداه:

كم صارخ يدعو وذي فاقةٍ ياجعفر الخيرات ياجعفر

أنت الذي أحييت بذل الندى وكان قد مات فلا يذكر

سليل عباس ولي لبهدى ومن به في المحل يستمكطر

هذا امتداحيك عقيد الندى أشهد بالمجد لك الأشقر

أخبار عطرد ونسبه

ولاؤه وصفته

وهو مغن مقبول الشهادة فقيه:

عطرد مولى الأنصار، ثم مولى بن عمرو بن عوف، وقيل: إنه مولى مزينة، مدنب، يكنى أبا هارون، وكان يترل قباء. وزعم إسحاق أنه كان جميل الوجه، حين الغناء، طيب الصوت، جيد، حسن الرأي والمروءة، ففيها قارئاً للقرآن، وكان يغني مرتجلاً، وأدرك دولة بني امية، وبقي إلى أيام الرشيد، وذكر ابن خرداذبة فيما حدثني به علي بن عبد العزيز عنه: أنه كان معدل الشهادة بالمدينة؛ أخبره بذلك يحيى بن علي المنجم عن أي أيوب المديني عن إسحاق.

جاءه عباد بن سلمة وطلب منه أن يغنيه

وأخبرنا محمد بن خلف وكيع عن حماد بن إسحاق عن أبيه: أن سلمة بن عباد ولي القضاء بالبصرة، فقصد ابنه عباد بن سلمة عطرداً وهو بها مقي قد قصد آل سليمان بن علي وأقام معهم؛ فأتى بابه ليلاً فدق عليه ومعه جماعة من أصحابه أصحاب القلانس، فخرج عطرد إليه، فلما رآه ومن معه فزع، فقال: لاترع.

إني قصدت إليك من أهلي في حاجة يأتي لها مثلي

فقال: وماهي أصلحك الله؟ قال:

لاطالباً شيئاً إليك سوى "حي الحمولا بجانب العزل"

فقال: انزلوا على بركة الله فلم يزل يغنيهم هذا وغيره حتى أصبحوا.

نسبة هذا الصوت صوت

حي الحمولا بجانب العزل إذ لايوافق شكلها شكلي

الله أنجح ماطلبت به والبر خير حقيبة الرحل

إني بحبلك واصل حبلي وبريشي نبلك رائش نبلي

وشمائلي ماقد علمت وما نبحت كلابك طالقاً مثلي

الشعر لأمرو القيس بن عابس الكندي، هكذا روى أبو عمر الشيباني، وقال: إنا من يرويه لأمرىء القيس بن حجر يغلط. والغناء لعطرد ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة وفيه لعمرو بن بانة ثقيل بالوسطى من روايته أيضاً، وفيه لابن عائشةخفيف رمل بالبنصر، وفيه عنه وعن دنانير لمالك خفيف ثقيل أول بالوسطى، وفيه عنه لإبراهيم ثاني ثقيل بالبنصر.

غناء إبراهيم بن خالد المعيطي عند المهدي: وأخبرني يحيى بن علي قال: حدثنا أبو أيوب المديني وأخبرني به الحسن بن علي قال: كتب إلي أبو أيوب المديني، وخبره أتم، قال: حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه عن

إبراهيم بن خالد المعيطي قال: دخلت علىالمهدي، وقد كان وصف له غنائي، فسألني عن الغناء وعن علمي به، فجاذبته من ذلك طرفاً؛ فقال لي: أتغني النواقيس؟ قلت: نعم، وأغني الصلبان ياأميرالمؤمنين، فتيسم. والنواقيس لحن معبد، كان معبد وأهل الحجاز يسمونه النواقيس، وهو:

سلا دار ليلى هل تبين فتنطق وإني ترد القول بيداء سملق

قال: ثم قال للمهدي وهو يضحك: غنه، فغنيته فأمر لي بمال جزيل وخلع علي وصرفني، ثم بلغني أنه قال: هذا معيطي وأنا لاأنس به، ولا حاجة لي إلا أن أدنيه من خلوتي وأنا لاآنس به. هكذا ذكر في هذا الخبر أن اللحن بمعبد، وماذكره أحد من رواة الغناء له، ولا وجد في ديوان من دواوينهم منسوباً إليه على انفراد به ولا شركه فيه، ولعله غلط.

تنادر إبراهيم ابن خالد المعيطي علي بن جامع: وقد أخبرني هذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال: كان إبراهيم المعيطي يغني، فدخل يوماً الحمام وابن جامع فيه: وكان له شيء يجاوز ركبتيه، فقال له ابن جامع: ياإبراهيم أتبيع هذا البغل؟ قال لا بل أحملك عليه يا أبا القاسم؛ فلما خرج أبي جامع من الحمام رأى ثياب المعيطي رثة فأمر لها بخلعه من ثيابه، فقال له المعيطي: لو قبلت حملاني قبلت خلعتك، فضحك ابن جامع وقال له: مالك أخزاك الله! ويلك! أما تدع ولعك وبطالتك وشرك! ودخل إلى الرشيدي فحدثه حديثه؛ فضحك وأمر بإحضاره؛ فأحضره، فقال له: أتغني النواقيس قال: نعم، وأغني الصلبان أيضاً. ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدمه، كان عطرد منقطعا إلى آل سليمان بن علي

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبو أيوب المديني عن إسحاق قال: كان عطرد منقطعاً في دولة بني هاشم إلى آل سليمان بن علي لم يخدم غيرهم وتوفي في خلافة المهدي.

قال: وكان يوماً يغني بين يدي سليمان بن علي فغناه: صوت

ألله فكم من ماجد قد لهى ومن كريم عرضه وافر

الغناء لعطرد ثاني ثقيل عن الهشامي - فقيل له: صرحت هذا من لحن الغريض:

ياربع سلامة بالمنحني فخيف سلع جادك الوابل

فقال: لم أسرقه ولكن العقول تتوافق، وحلف أنه لم يسمعه قط.

نسبة هذا الصوت صوت

ياربع سلامة بالمنحني فخيف سلع جادك الوابل

غن تمسي وحشاً طالما قد ترى وأنت معمور بهم أهل

أيام سلامة رعبوبة خوض لعوب حبها قاتل

محطوطة المتن هضيم الحشا لايطبيها الورع الواغل

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن يحيى المكي. قال: ومن الناس من ينسبه إلى ابن سريج.

حبسه ذبراء والي المدينة مع المغنين

ثم أطلقه وأطلقهم:

أخبرني أحمد بن علي بن يحيى قال سمعت جدي علي بن يحيى قال حدثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال حدثني خالد بن كلثوم قال: كنت مع زبراء بالمدينة وهو وال عليها؛ وهو من بني هاشم أحمد بني ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فأمر بأصحاب الملاهي فحبسوا وحبس عطرد فيهم، فجلس ليعرضهم، وحضر رجال من أهل المدينة شفعوا لعطرد وأخبروه أنهم من أهل الهيئة والمروءة والنعمة والدين، فدعا به فخلا سبيله، وأمره برفع حوائجه إليه، فدعا له، وخرج فإذا هو بالمغنين أحضروا ليعرضوا، فعاد إليه عطرد، فقال: أصلح الله الأمير، أعلى الغناء حبست هؤلاء؟ قال: نعم؛ قال: فلا تظلمهم، فوالله ماأحسنوا منه شيئاً قط! فضحك وخلا سبيلهم.

استقدمه الوليد بن يزيد من المدينة

فغناه فطرب وألقى نفسه في بركة الخمر:

أخبرني محمد بن مزيد وجحظة قلا حدثنا حماد بن إسحاق قال قرأت على أبي عن محمد بن عبد الحميد بن إسماعيل بن عبد الحميد بن يحيى عن عمه أيوب بن إسماعيل قال: لما استخلف الوليد بن يزيد كتب إلى عامله بالمدينة يأمره بالشخوص إليه بعطرد المغني؛ قال عطرد: فأقرأني العامل الكتاب وزودني نفقة وأشخصني إليه، فأدخلت عليه وهو جالس في قصره على شفير بركة مرصصة مملوءة خمراً ليست بالكبيرة ولكنها يدور الرجل فيها سباحة"، فو الله ماتركني أسلم عليه حتى قال: أعطرد؟ قلت: نعم ياأمي رالمؤمنين؛ قال: لقد كنت إليك مشتاقاً يا أبا هارون. غنني:

حي الحمول بجانب العزل ... إذ لايلائم شكلها شكلي

إني بحبلك واصل حبلي ... وبريش نبلك رائش نبلي

وشمائلي ماقد علمت وما ... نبحت كلابك طارقاً مثلي

قال: فغنيته إياه، فوالله ماأتممته حتى شق حلة وشى كانت عليه لاأدري كم قيمته، فتجرد منها كما ولدته أمه وألقاها نصفين، ورمى بنفسه في البركة فنهل منها حتى تبينت علم الله- فيها أنها قد نقصت نقصاناً بيناً، وأخرج منها وهو كالميت سكراً، فاضجع وغطي، فأخذت الحلة وقمت، فوالله ماقال لي أحد: دعها ولاخذها، فانصرفت إلى مترلي متعجباً مما رأيت من ظرفه وفعله وطربه؛ فلما كان من غد جاءني رسوله في مثل الوقت فأحضرني، فلما دخلت عليه قال لي: ياعطرد، قلت: لبيك ياأمير المؤمنين؛ قال غنني:

أيذهب عمري هكذا لم أنل بها مجالس تشفي قرح قلبي من الوجد
وقالوا تداو إن في الطب راحة فعللت نفسي بالدواء فلم يجد

فغنيته إياه، فشق حلة وشى كانت تلتمع عليه بالذهب التماعاً احتقرت والله الأولى عندها، ثم ألقى نفسه في البركة فنهل فيها حتى تبينت -علم الله- نقصانها، وأخرج" منهاً كالميت سكراً، وألقي وغطى فنام، وأخذت الحلة فوالله ماقال لي أحد: دعها ولاخذها، وانصرفت؛ فلما كان اليوم الثالث جاءني رسوله فدخلت إليه وهو في بهو قد ألقيت ستوره، فكلمني من وراء الستور وقال: يا عطرد، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين؛ قال: كأني بك الآن قد أتيت المدينة فقمت بي في مجلسها ومحفلها وقعدت وقلت: دعاني أمير المؤمنين فدخلت إليه فاقترح علي فغنيته وأطربته فشق ثيابه وأخذت سلبه وفعل وفعل، واللخ يابن الزانية، لئن تحركت شفتاك بشيء مما جرى فبلغني لأضربن عنقك، ياغلام أعطه ألف دينار، خذها وانصرف إلى المدينة؛ فقلت: إن رأى أمير المؤمنين إن يأذن لي في تقبيل يده، ويزودني نظرة كمه وأغنيه صوتاً فقال: لا حاجة بي ولا بك إلى ذلك، فانصرف. قال عطرد: فخرجت من عنده وما علم الله أني ذكرت شيئاً مما جرى حتى مضت من دولة بني هاشم مدة.

نسبة هذين الصوتين الصوت الأول مما غناه عطرد الوليد قد نسب في أول أخباره، والثاني الذي أوله:

أيذهب عمري هكذا لم أنل بها

الغناء فيه لعطرد ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه ليونس من كتابه لحن لم يذكر طريقته؛ وذكر عمرو بن بانة أن فيه لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى.

صوت عن المائة المختارة

إن أمرأ تعتاده ذكر منها ثلاث مني لذو صبر
ومواقف بالمشعرين لها ومناظر الجمرات والنحر
وإفاضة الركبان خلفهم مثل الغمام أرذ بالقطر
حتى استلمن الركن في أنف من ليلهن يطأن في الأرز
يقعدن في التطواف آونة ويطفن أحياناً على فتر
ففرغن من سبع وقد جهددت أحشاؤهن موائل الخمر

الشعر للحارث بن خالد المخزومي، والغناء في اللحن المختار للأبجر، وإيقاعه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر في الأول والثاين والسادس من الأبيات عن إسحاق. وفيه للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. ولابن سريج في الثالث والرابع رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق

أخبار الحارث بن خالد المخزومي ونسبه

نسبه من قبل أبويه

الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. وأمه فاطمة بنت أبي سعيد بن الحارث بن هشام، وأمها بنت أبي جهل بن هشام. وكان العاص بن هشام جد الحارث بن خالد خرج مع المشركين يوم بدر فقتله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قامر أبو لهب العاص على نفسه فاسترقه

وأرسله بدله يوم بدر:

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثني مصعب بن عبد الله قال: قامر أبو لهب العاص بن هشام في عشر من الإبل فقمره أبو لهب، ثم في عشر فقمره، ثم في عشر فقمره، ثم في عشر فقمره، إلى أن خلعه من ماله فلم يبق له شيء، فقال له: إني أرى القداح قد حالفتك يابن المطلب فهلم أقامرك، فإينا قمر كان عبداً لصاحبه، قال: افعل، ففعل، فقمره أبو لهب فكره أن يسترقه فتغضب بنو مخزوم، فمشى إليهم وقال: افتدوه مني بعشر من الإبل؛ فقالوا: لا والله ولابوبرة، فاسترقه فكان يرعى له إبلاً إلى أن خرج المشركون إلى بدر. وقال غير مصعب: فاسترقه وأجلسه قيناً يعمل الحديد. فلما خرج المشركون إلى بدر كان من لم يخرج أخرج بديلاً، وكان أبو لهب عليلاً فأخرجه وقعد، على أنه إن عاد إليه أعتقه، فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ

ذهابه مذهب ابن أبي ربيعة في الغزل

وحبه عائشة بنت طلحة وولايته مكة:

والحارث بن خالد أحد شعراء قريش المعدودين الغزليين، وكان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة لايتجاوز الغزل إلى الميح ولا الهجاء، وكان يهوى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله وشبب بها؛ وولاه عبد الملك بن مروان مكة، وكان ذا قدر وخطر ومنظر في قريش؛

وأخوه عكرمة بن خالد المخزومي محدث جليل

من وجوه التابعين، قد روى عن جماعة من الصحابة؛ وله أيضاً أخ يقال له عبد الرحمن بن خالد المخزومي محدث جليل من وجوه التابعين، قد روى عن جماعة من الصحابة؛ وله أيضاً أخ يقال له عبد الرحمن بن خالد، شاعر، وهو الذي يقول:

رحل الشباب وليته لم يرحل وغدا لطية ذاهب متحمل
ولى بلا ذم وغادر بعده شيباً أقام مكانه في المنزل
ليت الشباب ثوى لدينا حقبة قبل المشيب وليته لم يعجل
فنصيب من لذاته ونعيمه كالعهد إذ هو في الزمان الأول

وفيه غناء.

كان أبو عمرو يسأله عن بعض الحروف

حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال: قال معاذ بن العلاء أخو أبي عمرو بن العلاء: كان أبو عمرو إذا لم يحج استبضعني الحروف أسأل عنها الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة الشاعر وآتيه بجوابها؛ قال: فقدمت عليه سنة من السنين وقد ولاه عبد الملك بن مروان مكة، فلما رآني قال: يامعاذ، هات مامعك من بضائع أبي عمرو، فجعلت أعجب من اهتمامه بذلك وهو أمير

هو أحد شعراء قريش الخمسة المشهورين

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار، وأخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن سعيد عن الزبير، ولفظه أتم، قال حدثني محمد بن الضحاك الحزامي قال: كانت العرب تفضل قريشاً في كل شيء إلا الشعر، فلما نجم في قريش عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزومي والعرجي وأبو دهبل وعبيد الله بن قيس الرقيات، أقرت لها العرب بالشعر أيضاً.

تفاخر مولى له ومولى لابن أبي ربيعة

بشعريهما:

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس وحبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى أبو غسان قال: تفاخر مولى لعمر بن أبي ربيعة ومولى للحارث بن خالد بشعريهما، فقال مولى الحارث لمولى عمر: دعني منك فإن مولاك والله لايعرف المنازل إذا قلبت، يعني قول الحارث:

إني ومانحروا غداة منى عند الجمار تؤودها العقل
لو بدلت أعلى مساكنها سفلاً وأصبح سفلها يعلو
فيكاد يعرفها الخبير بها فيرده الإقواء والمحل

لعرفت مغناها بما احتملت مني الضلوع لأهلها قبل.

-قال عمر بن شبة: وحدثني محمد بن سلام بهذا الخبر على نحو مماذكره أبو غسان، وزاد فيه: -فقال مولى ابن أبي ربيعة لمولى الحارث: والله مايحسن مولاك في شعر إلا نسب إللى مولاي قال ابن سلام: وأنشد الحارث بن خالد عبد الله بن عمر هذه الأبيات كلها حتى انتهى إلى قوله:

لعرفت معناها بما احتملت مني الضلوع لأهلها قبل

فقال له ابن عمر: قل: إن شاء الله؛ قال: إذا يفسد بها العشر ياعم، فقال له: يابن أخي، إنه لاخير في شيء يفسده "إن شاء الله". قال عمر: وحدثني هذه الحكاية إسحاق بن إبراهيم في مخاطبته لابن عمرو و لم يسندها إلى احد، وأظنه لم يروها إلا عن محمد بن سلام. وأخبرني محمد بن خلف بن المزربان عن أبي الفضل المروروذي عن إسحاق عن أبي عبيدة، فذكر قصة الحارث مع ابن عمرو مثل الذي تقدمه.

فضله كثير الشاعر في الشعر على نفسه

وأنشد من شعره:

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا الرياشي قال حدثني أبو سلمة الغفاري عن يحيى بن عروة بن أذينة عن أبيه قال: كان كثيراً جالساً في فتيةٍ من قريش إذ مر بهم سعيد الراس، وكان مغنياً، فقالوا لكثير: يا أبا صخر، هل لك أن نسمعك غناء هذا، فإنه مجيد؟ قال: افعلوا؛ فدعوا به فسألوه أن يغنيهم:

صوت

هلا سألت معالم الأطلال بالجزع من حرضٍ وهن بوالي

سقياً لعزة خلتي سقياً لها إذ نحن بالهضبات من أملال

إذ لاتكلمنا وكان كلامها نفلاً نؤمله من الأنفال

فغناه، فطرب كثيراً وارتاح، وطرب القوم جميعاً، واستحسنوا قول كثير، وقالوا له: يا أبا صخر مايستطيع أحد أن يقول مثل هذا؛ فقال: بلى، الحارث بن خالد حيث يقول: صوت

إني ومانحروا غداة منى عند الجمار تؤودها العقل

لو بدلت أعلى مساكنها سفلاً وأصبح سفلها يعلو

لعرفت معناها بما احتملت مني الضلوع لأهلها قبل

نسبة ما في هذه الأخبارمن الأغاني في أبيات كثير الأول التي أولها: " هلا سألت معالم الأطلال لابن سريج منها في الثاني والثالث رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وللغريض في الأول والثاني ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عنه. وفيهما لعلويه رمل بالوسطى عن عمرو. وفي أبيات الحارث بن خالد لإبراهيم الموصلي رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً.

شعره في علو الزبيرين على العلويين

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا الخليل بن أسد عن العمري عن الهيثم بن عدي قال: دخل أشعب مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يطوف الحلق، فقيل له: ماتريد؟ فقال: أستفتي في مسالة؛ فينا هو كذلك إذ مر برجل من ولد الزبير وهو مسند إلى سارية وبين يديه رجل علوي، فخرج أشعب مبادراً؛ فقال له الذي سأله عن دخوله وتطوافه: أوجدت من أفتاك في مسألتك؟ قال: لا، ولكني علمت ماهو خير منها؛ قال: وماذاك؟ قال: وجدت المدينة قد صارت كما قال الحارث بن خالد:

قد بدلت أعلى مساكنها سفلاً وأصبح سفلها يعلو

رأيت رجلاً من ولد الزبير جالساً في الصدر، ورجلاً من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه جالساً بين يديه، فكفى هذا عجباً، فانصرفت.

كان مروانياً وكل بني مخزوم زبيرية

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة، وأخبرني هذا الخبر إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان، وأخبرني محمد بن خلف بن المزربان قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو عبد الله بن محمد بن حفص عن أبيه قال قال محمد بن خلف أخبرني به أبو أيوب سليمان بن أيوب المدني قال حدثنا مصعب الزبيري، وأخبرني به أيضاً الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي، وقد جمعت رواياتهم في هذا الخبر: أن بني مخزوم كلهم كانوا زبيرية سوى الحارث بن خالد فإنه كان مروانياً.

ذهب إلى الشأم مع عبد الملك فحجبه وجفاه فقال شعراً فقربه وولاه مكة: فلما ولي عبد الملك الخلافة عام الجماعة وفد عليه في دين كان عليه وذلك في سنة خمس وسبعين؛ وقال مصعب في خبره: بل حج عبد الملك في تلك السنة فلما انصرف رحل معه الحارث إلى دمشق، فظهرت له منه جفوة، وأقام ببابه شهراً لايصل إليه، فانصرف عنه وقال فيه:

صحبتك إذ عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

ومابي وإن أقصيتني من ضراعة ولاافتقرت نفسي إلى من يضيمها

هذا البيت في رواية ابن المزربان وحده:

عطفت عليك النفس حتى كأنما بكفيك بؤسي أو عليك نعيمها

عزله عبد الملك لأنه أخر الصلاة

حتى تطوف عائشة بنت طلحة:

وبلغ عبد الملك خبره وأنشد الشعر، فأرسل إليه من رده من طريقه؛ فلما دخل عليه قال له: حار، أخبرني عنك: هل رأيت عليك في المقام ببابي غضاضة أو في قصدي دناءة؟ قال: لا والله ياأمير المؤمنين؛ قال: فما حملك علي ماقلت وفعلت؟ قال: جفوة ظهرت لي، كنت حقيقاً بغير هذا، قال: فاختر، فإن شئت أعطيتك كائة ألف درهم، أو قضيت دينك، أو وليتك مكة سنة، فولاه إياها، فحج بالناس وحجت عائشة بنت طلحة عامئذ، وكان يهواها، فأرسلت إليه: أخر الصلاة حتى أفرغ من طوافي، فأمر المؤذنين فأخروا الصلاة حتى فرغت من طوافها، ثم أقيمت الصلاة فصلى بالناس، وأنكر أهل الموسم ذلك من فعله وأعظموه، فعزله وكتب إليه يئنبه فيما فعل؛ فقال: ماأهون والله غضبه إذا رضيت! والله لو لم تفرغ من طوافها إلى الليل لأخرت الصلاة إلى الليل. فلما قضت حجها أرسل إليها: يابنة عمي ألمي بنا أوعدينا مجلساً نتحدث فيه؛ فقالت: في غد أفعل ذلك، ثم رحلت من ليلتها؛ فقال الحارث فيها:

صوت

ماضركم لو قلتم سداداً إن المطايا عاجل غدها

ولها علينا نعمة سلفت لسنا على الأيام نجحدها

لو تممت أسباب نعمتها تمت بذلك عندنا يدها

لمعبد في هذه الأبيات ثقيل أول بالوسطى عن عمرو بن بانة ويونس ودنانير، وقد ذكر غسحاق فنسبه إلى ابن محرز ثقيلاً أول في أصوات قليلة الأشباه؛ وقال عمر بن بانة: من الناس من نسبه إلى الغريض نسبة مافي الأخبار من الغناء صوت

ومابي وإن أقصيتني من ضراعة ولا افتقرت نفسي إلى من يهينها

بلى بأبي إني إليك لضارع فقير ونفسي ذاك منها يزينها

البيت الأول للحارث بن خالد، والثاني ألحق به. والغناء للغرض ثقيل أول بالوسطى عن ابن المكي. وذكر الهشامي أن لحن لاغريض خفيف ثقيل غي البيت الأول فقط، وحكى أن قافيته على ما كان الحارث قاله: "

ولاافتقرت نفسي إلى من يضمهاً وأن الثقيل الأول لعلية بنت المهدي، ومن غنائها البيت لامضاف. وأخلق لأن يكون الأمر على ماذكره، لأن البيت الثاني ضعيف يشبه شعرها.

تزوج مصعب بعائشة فقال شعرا أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر وإسماعيل بن يونس قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان محمد بن يحيى قال: لما تزوج مصعب بن الزبير عائشة بنت طلحة ورحل بها إلى العراق، قال الحارث بن خالد في ذلك: صوت

ظعن الأمير بأحسن الخلق ... وغدا بلبك مطلع الشرق

في البيت ذي الحسب الرفيع ومن ... أهل التقى والبر والصدق

فظللت كالمقهور مهجته ... هذا الجنون وليس بالعشق

أترجة عبق العبير بها ... عبق الدهان بجانب الحق

ماصبحت أحداً برؤيتها ... إلا إذا بكواكب الطلق

وهي أبيات، غنى ابن محرز في البيتين الأولين خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانة أن فيهما لمالك ثقيلاً بالوسطى، وذكر حبش أن فيهما لمالك رملاً بالوسطى، وذكر حبش أيضاً أن فيهما للدلال ثاني ثقيل بالبنصر، ولابن سريج ومالك رملين، ولسعيد بن جابر هزجاً بالوسطى.

استأذن على عائشة بنت طلحة وكتب لهامع الغريض وأمره أن يغني لها من شعره فوعدته وخرجت من مكة:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام عن ابن جعدبة قال: لما أن قدمت عائشة بنت طلحة أرسل إليها الحارث بن خالد وهو أمير على مكة: إني أريد السلام عليك، فإذا خف عليك أذنت، وكان الرسول الغريض، فقالت له: إنا حرم، فإذا أحللنا أذناك، فلما أحلت سرت على بغلاتها، ولحقها الغريض بعسفان أو قريب منه، ومعه كتاب الحارث إليها: " ماضركم لو قلتم سداداً -الأبيات المذكورة -؛ فلما قرأت الكتاب قالت: مايدع الحارث باطله! ثم قالت للغريض: هل أحدثت شيئاً؟ قال: نعم، فاسمعي، ثم اندفع يغني في هذاالشعر؛ فقالت عائشة: والله ماقلنا إلا سداداً، ولاأردنا إلا أن نشتري لسانه؛ وأتى على الشعر كله، فاستحسنته عائشة، وأمرت له بخمسة آلاف درهم وأثواب، وقالت: ذدني، فغناها في قول الحارث بن خالد أيضاً:

زعموا بأن البين بعد غد ... فالقلب مما أحدثوا يجف

والعين منذ أجد بينهم ... مثل الجمان دموعها تكف

ومقالها ودموعها سجم ... أقلل حنينك حين تنصرف

تشكو ونشكو ماأشئت بنا ... كل بوشك البين معترف

-إيقاع هذا الصوت ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي، و لم يذكر له حماد طريقاً- قال: فقالت له عائشة: ياغريض، بحقي عليك أهو أمرك أن تغنيني في هذا الشعر؟ فقال: لا، وحياتك ياسيدتي! فأمرت له بخمسة آلاف درهم، ثم قالت له: غنني في شعر غيره؛ فغناها " قول عمر فيهاً: غناها الغريض بشعر ابن أبي ربيعة:

صوت

أجمعت خلتي مع الفجر بينا جلل الله ذلك الوجه زينا

أجمعت بينها ولم نك منها لذة العيش و الشباب قضينا

فتولت حملها و استقلت لم تنل ظائلاً ولم نقض دينا

ولقد قلت يوم مكة لما أرسلت تقرأ السلام علينا

أنعم الله بالرسول الذي أر سل و المرسل الرسالة عينا

-الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء للغريض خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، وغيره ينسبه إلى ابن سريج. وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو، وأظنه هذا اللحن -قال: فضحكت ثم قالت: وأنت ياغريض فأنعم الله بك عيناً، وبابن أبي ربيعة عيناً، لقد تلطفت حتى أديت إلينا رسالته، وإن وفاءك له لمما يزيدنا رغبة فيك وثقة بك. وقد كان عمر سأل أن يغنيها هذا الصوت لأنه قد كان ترك ذكرها لما غضبت بنو تميم في ذلك، فلم يجب النصريح بها وكره إغفال ذكرها؛ وقال له عمر: إن أبلغتها هذه الأبيات في غناء فلك خمسة آلاف درهم.

غنى الغريض عاتكة بنت يزيد

فوفى له بذلك، وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أخرى، ثم انصرف الغريض من عندها فلقي عاتكة بنت يزيد بن معاوية امرأة عبد الملك بن مروان، وكانت قد حجت في تلك السنة، فقال لها جواريها: هذا الغريض؛ فقال لهمن: علي به، فجيء به إليها. قال الغريض: فما دخلت سلمت فردت علي وسألتني عن الخبر، فقصصته عليها؛ فقالت: غنني بما غنيتها به، ففعلت فلم أرها تمش لذلك، فغنيتها معرضاً لها ومذكراً بنفسي في شعر مرة بن محكان السعدي يخاطب امرأته وقد نزل به أضياف:

أقول و الضيف مخشي ذمامته على الكريم وحق الضيف قد وجبا

صوت

ياربة البيت قومي غير صاغرةٍ شمي إليك رحال القوم و القربا

في ليلة من جمادى ذات أندية لابيصر الكلب من ظلمائها الطنبا

لاينبح الكلب فيها غير واحدةٍ حتى يلف على خيشومه الذنبا

-الشعر لمرة بن محكان السعدي، والغناء لاين سريج. ذكر وينس أن فيه ثلاثة ألحان، فوجدت منها واحداً في كتاب عمرو بن بانة رملاً بالوسطى، والآخر في كتاب الهشامي خفيف ثقيل بالوسطى، والآخر ثاني ثقيل في كتاب أحمد بن المكي-قال: فقالت وهي مبتسمة: وقد وجب حقك ياغريض، فغني؛ فغنيتها:

صوت

يادهر قد أكثرت فجعتنا بسراتنا ووقرت في العظم

وسلبتنا ماليت مخلفه يادهر ما أنصفت في الحكم

لو كان لي قرن أناضله ماطاش عند حفيظة سهمي

لو كان يعطي النصف قلت له أحرزت سمهك فاله عن سهمي

فقاللت: نعطيك النصف ولانضيع سهمك عندنا، ونجزل لك قسمك، وأمرت لي بخمسة آلاف درهم وثياب عدنية وغير لذك من الألطاف، وأتيت الحارث بن خالد فأخبرته الخبر وقصصت عليه القصة؛ فأمر لي بمثل ما أمرتا لي به جميعاً، فأتيت ابن أبي ربيعة وأعلمته بما جرى، فأمر لي بمثل ذلك، فما انصرف واحد من ذلك الموسم بمثلي ماانصرفت به: بنظرة من عائشة ونظرة من عاتكة وهما أجمل نساء عالمهما، وبما أمرتا لي به، وبالمنزلة عند الحارث وهو أمير مكة، وابن أبي ربيعة، وماأجازاني به جميعاً من المال.

لما حجت عائشة بنت طلحة فاستاذنها

في زيارتها فوعدته ثم هربت:

أخبرني محمد بن خلف بن المزربان قال حدثنا أبو الحسن المروزي قال حدثنا محمد بن سلام عن يونس قال: لما حجت عائشة بنت طلحة أرسل إليها الحارث بن خالد وهو أمير مكة: أنعم الله بك عينا وحياك، وقد أردت زيارتك فكرهت ذلك إلا عن أمرك، فإن أذنت فيها فعلت؛ فقالت لمولاة لها جزلة: وماأرد على هذا الشفيه؟ فقالت لها: أنا أكفيك، فخرجت إلى الرسول وقالت له: اقرأ عليه السلام، وقل له: وأنت أنعم عليك بك عيناً وحياك، تقضي نسكنا ثم يأتيك رسولنا إن شاء الله، ثم قالت لها: قومي فطوفي واسعي واقضي عمرتك واخرجي في الليل، ففعلت؛ وأصبح الحارث فسأل عنها فأخبر خبرها، فوجه إليها رسولاً بهذه الأبيات، فوجدها قد خرجت عن عمل مكة، فأوصل الكتاب إليها، فقالت لمولاتها: خذيه فإني أظنه بعض سفاهاته، فأخذته وقرأته وقالت له: ما قلنا إلا سداداً وأنت فارغ للبطالة، ونحن عن فراغك في شغل.

سالت عائشة بنت طلحة فأرسل إليها شعراً

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي وإسماعيل بن وينس الشيعي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: زعم كلثوم بن أبي بكر بن عمر بن الضحاك بن قيس الفهري قال:

قدم المدينة قادم من مكة فدخل على عائشة بنت طلحة، فقلت له: من أين أقبل الرجل؟ قال: من مكة، فقالت: فما فعل الأعرابي؟ فلم يفهم ماأرادت، فلما عاد إلى مكة، فقالت: فما فعل الأعرابي؟ فلم يفهم ماأرادت، فلما عاد إلى مكة دخل على الحارث، فقال له: من أين؟ قال: من المدينة، قال: فهل دخلت على عائشة بنت طلحة؟ قال: نعم، قال: فعماذا سألتك؟؟ قال: قالت لي: ما فعل الأعرابي؟ قال له الحارث: فعد عليها ولك هذه الراحلة والحلة ونفقتك لطريقط وادفع إليها هذه الرقعة، وكتب إليها فيها:

صوت

من كان يسأل عنا أين منزلنا فالأقحوانة منا منزل قمن

إذ نلبس العيش صفواً ما يكدره طعن الوشاة ولاينبو بنا الزمن

قال إسحاق: وزادني غير كلثوم فيها:

ليت الهوى لم يقربني إليك ولم أعرفك إذ كان حظي منكم الحزن

غنى في هذه الأبيات ابن محرز خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، وذكر يونس أن فيها لحناً وبم يجنسه، وذكر عمرو أن فيه لبابويه ثاني ثقيل بالبنصر.

غضب على الغريض ثم رق له

وغناء الغريض في شعره:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام، قال: لما ولى عبد الملك بن مروان الحارث بن خالد المخزومي مكة بعث إلى الغريض فقال له: لأأرينك في عملي، وكان قبل ذلك يطلبه ويستدعيه فلا يجيبه، فخرج الغريض إلى ناحية الطائف، وبلغ ذلك الحارث فرق له فرده وقال له: لم كنت تبغضنا وتهجر شعرنا ولاتقربنا؟ قال له الغريض: كانت هفوة من هفوات النفس، وخطرة" من خطرات الشيطان، ومثلك وهب الذنب، وصفح عن الجرم، وأقال العثرة، وغفر الذلة، ولست بعائد إلى ذلك أبداً؛ قال: وهل غنيت قي شيء من شعري؟ قال: نعم، قد غنيت في ثلاثة أصوات من شعرك، قال: هات ما غنيت، فغنيت:

صوت

بان الخليط فما عاجوا ولاعدلوا إذ دعوك وحنت بالنوى الإبل

كأن فيهم غداة البين إذ رحلوا أدماء طاع لها الحوذان والنفل

-الغناء للغريض ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وحبش؛ قال حبش: وفيه لابن سريج خفيف رمل بالبنصر، ولإسحاق ثان ثقيل بالبنصر-فقال له: أحسنت والله ياغريض، هات ماغنيت أيضاً من شعري، فغناه في قوله:

صوت

ياليت شعري وكم من منية قدرت وفقاً وأخرى أتى من دونها القدر

ومضمر الكشح يطويه الضجيع له طي الحمالة لاجافٍ ولافقر

له شبيهان لانقص يعيبهما بحيث كانا ولاطول ولاقصر

-لم أعرف لهذا الشعر لحناً في شيء من الكتب ولاسمعته-فقال له الحارث: أحسنت والله ياغريض، إيه، وماذا أيضاً؟ فغناه قوله:

عفت الديار فما بها أهل حزانها ودماثها السهل

إني ومانحروا غداة منى عند الجمار تؤدها العقل

- الأبيات المذكورة وقد مضت نسبتها معها-فقال له الحارث: ياغريض لا لوم في حبك، ولاعذر في هجرك، ولالذة لمن يروح قلبه بك، ياغريض لو لم يكن لي في ولايتي مكة حظ إلا أنت لكان حظاً كافياً وافياً، ياغريض إنما الدنيا زينة، فأزين الزينة مافرح النفس، ولقد فهم قدر الدنيا على حقيقته من فهم قدر الغناء.

أنشدت سكينة بنت الحسين بيتاً من شعره

فنقدته:

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن مصعب الزبيري قال:

ففرغن من سبع وقد جهدت أحشاؤهن من موائل الخمر

فقالت: أحسن عندكم ماقال؟ قالوا: نعم، وماحسنه! فوالله لو طافت الإبل سبعاً لجهدت أحشاؤها.

قيل له مايمنعك من عائشة

وقد مات زوجها فأجاب:

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن كلثوم بن أبي بكر قال: لما مات عمر بن عبد الله التميمي عن عائشة بنت طلحة وكانت قبله عند مصعب بن الزبير قيل للحارث بن خالد: مايمنعك الآن منها؟ قال: لايتحدث والله رجال من قريش أن نسيبي بها لكان لشيء من الباطل.

تنازع هو و أبان بن عثمان ولاية الحج

فغلبه أبان فقال شعراً:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: لما خرج ابن الأشعث على عبد الملك بن مروان شغل عن أن يولى على الحج رجلاً، وكان الحارث بن خالد عامله على مكة، فخرج إبان بن عثمان من المدينة وهو عامله عليها، فغدا على الحارث بمكة ليحج بالناس؛ فنازعه الحارث وقال له: لم يأتني كتاب أمير المؤمنين بتوليتك على الموسم، وتغالبا فغلبه أبان بن عثمان بنسبه، ومال إليه الناس فحج بهم؛ فقال الحارث بن خالد في ذلك:

فإن تنج منها يا أبان مسلماً ... فقد أفلت الحجاج خيل شبيب

وكاد غداة ادير ينفد حضنه ... غلام بطعن القرن جد طبيب

وأنسوه وصف الدير لما رآهم ... وحسن خوف الموت كل معيب

فلقيه الحجاج بعد ذلك، فقال: مالي ولك ياحارث! أينازعك أبان عملاً فتذكرني! فقال له: ماعتمدت مساءتك ولكن بلغني أنك أنت كاتبته، قال: والله مافعلت، فقال له الحارث: المعذرة إلى الله وإليك أبا محمد.

قال هشام حين سمع شيئاً من شعره هذا كلام معاين: نسخت من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات: حدثني عمرو بن سلم قال حدثني هارون بن موسى الفروي قال حدثني موسى بن جعفر أن يحيى قال حدثني مؤدب لبني هشام بن عبد الملك قال: بينا أنا ألقي على ولد هشام شعر قريش إذ أنشدهم شعر الحارث بن خالد:

إن أمراً تعتاده ذكر ... منها ثلاث مني لذو صبر

وهشام مصغ إلي حتى ألقيت عليهم قوله:

ففرغن من سبع وقد جهدت ... أحشاؤهن موائل الخمر

فانصرف وهو يقول: هذا كلام معاين.

قدمت عائشة بنت طلحة تريد العمرة فقال شعراً: أخبرني محمد بن خلف بن المزربان قال حدثني أبو عبد الله السدوسي قال وحدثنا أبو حاتم السجستاني قالأخبرنا أبو عبيدة قال: قدمت عائشة بنت طلحة مكة تريد العمرة، فلم يزل الحارث يدور حولها وينظر إليها ولايمكنه كلامها حتى خرجت، فأنشأ يقول-وذكر في هذه الأبيات بسرة حاضنتها وكنى عنها-: صوت

يادار أقفر رسمها ... بين المحصب والحجون

أفوت وغير آيها ... مر الحوادث والسنين

واستبدلوا ظلف الحجا زوسرة البلد الأمين

يابسر إني فاعلمي بالله مجتهداً يميني

ماإن صرمتحبالكم فصلي حبالي أو ذريني

في هذه الأبيات ثاني ثقيل لمالك بالبنصر عن الهشامي وحبش، قال: وفيها لابن مسجح ثقيل أول، وذكر أحمد بن المكي أن فيها لابن سريج رملاً بالبنصر؛ فيها لمعبد ثقيل أول بالوسطى عن حبش.

شبب بزوجته أم عبد الملك أخبرني الطوسي والحرمي بن أبي العلاء قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني مصعب بن عثمان بن مصعب بن عروة بن الزبير، زأخبرني بن محمد بن خلف بن المزربان بعن أحمد بن زهير عن مصعب الزبيري قال: كانت أم عبد الملك بنت عبد الله بن خالد بن أسيد عند الحارث بن خالد، فولدت منه فاطمة بينت الحارث، وكانت قبلة عند عبد الله بن مطيع، فولدت منه عمران ومحمداً، فقال فيها الحارث وكناها بابنها عمران:

يأم عمران مازالت ومابرحت بي الصبابة حتى شفني الشفق

القلب تاق إليكم كي يلاقيكم كما يتوق إلى منجاته الغرق

تنيل نزراً قليلاً وهي مشفقة كما يخاف مسيس الحية الفرق

قال مصعب بن عثمان: فأنشد رجل يوماً بحضرة ابنها عمران بن عبد الله بن مطيع هذا الشعر، ثم فطن فأمسك؛ فقال له: لاعليك، فإنها كانت زوجته. وقال ابن المزربان في خبره: فقال له: امض رحمك الله ومابأس بذلك، رجل تزوج بنت عمه وكان كفئاً كريماً فقال فيها شعراً بلغ مابلغ، فكان ماذا! شبب بأم بكر بعد أن رآها ترمي الجمرة وحادثها: أخبرني محمد بن خلف بن المزربان قال حدثني أحمد بن عب الرحمن التميمي عن أبي شعيب الأسدي عن القحذمي قال:

بينا الحارث بن خالد واقف على جمرة العقبة إذ رأى أم بكر وهي ترمي الجمرة فرأى أحسن الناس وجهاً، وكان في خدها خال ظاهر، فسأل عنها فأخبر باسمها حتى عرف رحلها، ثم أرسل إليها يسألها أن تأذن له في الحديث، فأذنت له في الحديث، فأذنت له، فكان بأتيها يتحدث إليها حتى انقضت أيام الحج، فأرادت الخروج إلى بلدها، فقال فيها:

ألا قل لذات الخال ياصاح في الخد تدوم إذا بانت على أحسن العهد

ومنها علامات بمجرى وشاحها وأخرى تزين الجيد من موضع العقد

وترعى من الود الذي كان بيننا فما يستوي راعي الأمانة والمبدي

وقل قد وعدت اليوم وعداً فأنجزي ولاتخلفي، لاخير من مخلف الوعد

وجودي على اليوم منك بنائل ولاتبخلي، قدمت قبلك في اللحد

فمن ذا الذي يبدي السرور إذا دنت بك الدار أو يعنى بنأيكم بعدي

دنوكم منا رخاء تناله ونأيكم والبعد جهد على جهد

كثير إذ تدنو اغتباطي بك النوى ووجدي إذا مابنتم ليس كالوجد

أقول ودمعي فوق خدي مخضل له وشل قد بل تهتانه خدي

لقد منح الله البخيلة ودنا ومامنحت ودي بدعوى ولاقصد

شبب بليلى بنت أبي مرة لما رآها بالكعبة أخبرني محمد بن خلف قال وحدثني عن المدائني ولست أحفظ من حدثني به قال: طافت ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود وأمها ميمونة بنت أبي سفيان ابن حرب بالكعبة، فرآها الحارث بن خالد فقال فيها:

أطافت بنا شمس النهار ومن رأى من الناس شمساً بالعشاء تطوف

أبو أمها أوفى قريش بذمة وأعمامها إما سألت ثقيف

وفيها يقول:

أمن طللٍ بالجزع من مكة السدر عفا بين أكناف المشقر فالحضر

ظللت وظل القوم من غير حاجة لدن غدوة حتى دنت حزة العصر

يبكون ليلى من ليى عهوداً قديمة وماذا يبكي القوم من منزل قفر

الغناء في هذه الأبيات لابن سريج ثاني ثقيل بالخنصر والبنصر عن يحيى المكي، وذكر غيره أنه للغريض. وفي ليلى هذه يقول - أنشدناه وكيع عن عبد الله بن شبيب عن إبراهيم بن المنذر الحزامي للحارث بن خالد، وفي بعض الأبيات غناء-:

صوت

لقد أرسلت في السر ليلى تلومني وتزعمني ذا ملة طرفاً جلدا

وقد أخلفتنا كل ماوعدت به ووالله ماأخلفتها عاداً وعدا

فقلت مجيباً للرسول الذي أتى تراه، لك الويلات، من قولها جدا؟

إذا جئتها فأقر السلام وقل لها دعي الجوز ليلى واسلكي منهجاً قصدا

أفي مكثنا عنكم ليال مرضتها تزيدينني ليلى على مرضي جهدا

تعدين ذنباً واحداً ماجنيته علي ومأأحصي ذنوبكم عدا

فإن شئت غرنا بعدكم ثم لم نزل بمكة حتى تجلسي قابلاً نجدا

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى. وذكر ابن المكي إت فيه لدحمان ثاني ثقيل بالوسطى لا أدري أهذا أم غيره. وفيه ثقيل أول للأبجر عن يونس والهشامي. وفيه لابن سريج رمل بالبنصر. ولعزار خفيف ثقيل عن الهشامي وحبش.

غلبه أبان بن عثمان على الصلاة

فقال فيه شعراً عرض فيه بالحجاج:

أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني محمد بن الحارث الخراز قال حدثنا أبو الحسن المدائني قال: كان الحارث بن خالد والياً على مكة، وكان أبان بن عثمان ربما جاءه كتاب الخليفة أن يصلي بالناس ويقيم لهم حجهم، فتأخر عنه في سنة الحرب كتابه و لم يأت الحارث كتاب، فلما حضر الموسم شخص أبان من المدينة، فصلى لالناس وعاونته بنوأمية ومواليهم فغلب الحارث على الصلاة، فقال:

فإن تنج منها يا أبان مسلماً فقد أفلت الحجاج خيل شبيب

فبلغ ذلك الحجاج فقال: مالي وللحارث! أيغلبه أبن بن عثمان على الصلاة ويهتف بي أنا! ماذكره أياي! فقال له عبيد بن موهب: أتأذن أيها الأمير في إجابته وهجائه؟ قال: نعم؛ فقال عبيد:

أبا وابصٍ ركب علاتك والتمس مكاسبها إن اللئيم كسوب

ولاتذكر الحجاج إلا بصالح فقد عشن من معروفه بذنوب

ولست بوال ما حييت إمارة" لمستخلف إلا عليك رقيب

سأله عبد الملك عن أي البلاد أحب إليه

فأجاب وقال شعراً:

قال المدائني: وبلغني أن عبد الملك قال للحارث: أي البلاد أحب إليك؟ قالكحا حسنت في حالي وعرض وجهي، ثم قال:

لاكوفة أمي ولابصرة أبي ولست كمن يثنيه عن وجهه الكس

نسبة مافي هذا الخبر من الأغاني الغناء في شعره: منها في تشبيب الحارث بامرأته أم عمران: صوت

بان الخليط الذي كنا به نثق بانوا وقلبك مجنون بهم علق

تنيل نزراً قليلاً وهس مشفقة كما يخاف مسيس الحية الفرق

ياأم عمران مازالت ومابرحت بي الصبابة حتى شفني الشفق

لأعتق الله رقي من صبابتكم ماضرني أنني صببكم قلق

ضحكت عن مرهف الأنياب ذي أشر لاقضم في ثناياه ولاروق

يتوق قلبي إليكم كي يلاقيكم كما يتوق إلى منجاته الغرق

غنى ابن محرز في الثلث ثم السادي ثم الخامس ثم الثاني، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وللغريض في الرباع والثاني والثالث والسادس خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو، ولسلسل في الأول والثاني ثقيل أول مطلق عن الهشامي، ولابن سريج في الثاني والأول والرباع والخامس رمل بالخنصر في مجرى البنصر بالوسطى، ولابن محرز ثاني ثقيل آخر بالبنصر. وذكر الهشامي أن لابن سريج في الأبيات خفيف رمل.

ومما يغني فيه من شعر الحارث

ابن خالد في عائشة بنت طلحة تصريحاً وتعريضاً ببسرة جاريتها:

صوت

ياريع بسرة بالجناب تكلم وأبن بنا خبراً ولاتستعجم

مالي رأيتك بعد أهلك موحشاً خلقاً كحوض الباقر المتهدم

تسبي الضجيع إذا النجوم تغورت طوع الضجيع أنيقة المتوسم

قب البطون أوانس مثل الدمة يخلطن ذاك بعفة وتكرم

الغناء لمعبد خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. والأبيات أكثر من هذه إلا أني اعتمدت على ما غني فيه.

ومنها صوت قد جمعت فيه عدة طرائق وأصوات في أبيات من القصيدة.

أعرفت أطلال الرسوم تنكرت بعدي ويد آيهن دثورا

وتبدلت بعد الأنيس بأهلها عفراً بواغم يرتعين وعورا

من كل مصيبة الحديث ترى لها كفلاً كرابية الكثيب وثيرا

دع ذا ولكن هل رأيت ظعائنا قربن أجمالاً لهن بكورا
قربن كل مخيس متحمل بزلاً تشبه هامهن قبورا
يفتن لايألون كل مغفل يملأنه بحديثهن سرورا
يادار حسرها البلى تحسيرا وسفت عليها الريح بعدك بورا
دق التراب نخيلة فمخيم بعراصها ومسير تسييرا
ياربع بسرة إن أضر بك البلى فلقد عهدتك آهلاً معمورا
عقب الرذاذ خلافهم فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا
إن يمس حبلك بعد طول تواصل خلقاً ويصبح بينكم مهجورا
فلقد أراني، والجديد إلى بلى زمناً بوصلك قانعاً مسرورا
جذلا بمالي عندكم لاابتغي للنفس غيرك خلة وعشيرا
كنت المنى وأعز من وطىء الحصا عندي وكنت بذاك منك وجديرا

غنى في الأول والثاني من هذه الأبيات معبد، ولحنه ثقيل أول بالبنصر عن عمرو، مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، وللغريض فيه ثقيل أول بالبنصر عن عمرو، ولإسحاق فيهما ثاني ثقيل، ولإبراهيم فيهما وفي الثالث خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى عن ابن المكي، وغنى الغريض في الثالث والسادس والرابع والخامس ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وغنى معبد في السابع والثامن والعاشر خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى عن يحيى المكي؛ وفيها ثاني ثقيل ينسب إلى طويس واين مسجح واين سريج، ولمالك في التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر خفيف ثقيل بالسبابة والوسسطى عن يحيى المكي، وفيها بأعيانها لابن سريج رمل بالسبابة والوسطى عن يحيى أيضاً، وليحيى المكي في الحادي عشر ومابعده إلى أخر الأبيات ثاني ثقيل، ولإبراهيم فيها بعينها ثقيل أول عن الهشامي، وفيها لإسحاق رمل، وفي الثالث والرابع لحن لخليدة المكية خفيف ومنها أبيات قالها بالشأم عند عبد الملك أولها:

هل تعرف الدار أضحت آيها عجما كالرق أجرى عليها حاذق قلما
بالخيف هاجت شؤونا غير جامدة فانهلت العين تذري واكفاً سجما
دار لبسرة أمست ماتكلمنا وقد أبنت لها لو تعرف الكلما
واهاً لبسرة لو يدنو الأمير بها ياليت بسرة قد أمست لنا أمما

صوت

حلت بمكة لادار مصافية هيهات جيرون ممن سيكن الحرما

يابسر إنكم شط العباد بكم فما تنيلوننا وصلاً ولانعما

غنى هذين البيتين الهذبي ثاني ثقيل بالوسطى، وفيهما ليحيى المكي ثقيل ألو بالبنصر، جميعاً ن روايته:

قد قلت بالخيف إذ قالت لجارتها أدام وصل الذي أهدى لنا الكلما

صوت

لايرم الله أنفاً أنت حامله بل أنف شانيك فيما سركم رغما

إن كان رابك شيء لست أعلمه مني فهذي يميني بالرضا سلما

أو كنت أحببت شيئاً مثل حبكم فلا أرحت إذاً أهلاً ولانعما

لاتكليني إلى من ليس يرحمني وقال من تبغضين الحتف والسقما

إن الوشاة كثير إن أطعتهم لايرقبون بنا إلا ولاذمما

غنى ابن محرز في:

لايرغم الله أنفاً أنت حامله

خفيف ثقيل بالبنصر، ولابن مسجح فيه ثاني ثقيل عن حبش؛ وفي:

لاتكليني إلى من ليس يرحمني

لابن محرز ثقيل أول بالبنصر عن حبش والهشامي.

أخر الصلاة لعائشة فعزله عبد الملك

ولامه فقال شعراً:

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى قالا أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه الزبيري قال: أذن المؤذن يوماً وخرج الحارث بن خالد إلى الصلاة، فأرسلت إليه عائشة ابنة طلحة: إنه بقي علي شيء من طوافي لم أتمه، فقعد وأمر المؤذنين فكفوا عن الإقامة وجعل الناس يصيحون حتى فرغت من طوافها، فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان، فعزله وولى مكة عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وكتب إلى الحارث: ويلك، أتركت الصلاة لعائشة بنت طلحة! فقال الحارث: والله لو لم تقض طوافها إلى الفجر لما كبرت؛ وقال في ذلك:

لم أرحب بأن سخطت ولكن مرحباً أن رضيت عنا وأهلا

إن وجهاً رأيته ليلة البد ... ر عليه انثنى الجمال وحلا
وجهها الوجه لو يسأل به المز ... ن من الحسن والجمال أستهلا
إن عند الطواف إن غبن عنها ... فإذا مابدت لهم اضمحلا

الغناء في شعره في شعر الحارث هذا غناء قد جمع كل مافي شعره منه على اختلاف طرائقه، وهو:

صوت

أثل وجودي على المتيم أثلا ... لاتزيدي فؤاده بك خبلا
أثل إني والراقصات بجمع ... يتبارين في الأزمة فتلا
سانحات يقطعن من عرفاتٍ ... بين أيدي المطي حزناً وسهلا
والأكف المضمرات على الر ... ن بشعث سعوا إلى البيت رجلي
لاأخون الصديق في السر حتى ... ينقل البحر بالغرابيل ثقلا
أو تمر الجبال مر سحاب ... مرتق قد وعى من الماء ثقلا

أنعم الله لي بذا الوجه عيناً ... وبه مرحباً وأهلاً وسهلا
حين قالت لاتفشين حديثي ... يابن عمي أقسمت قلت أجل لا
اتقي الله واقبلي العذر مني ... وتجافي عن بعض ما كان زلا
لاتصدي فتقتليني ظلماً ... ليس قتل المحب للحب حلا
ماأكن سؤتكم به فلك العت ... بى لدينا وحق ذاك وقلا
لم أرحب بأن سخطت ولكن ... مرحباً أن رضيت عنا وأهلا
إن شخصاً رأيته ليلة البد ... ر عليه انثنى الجمال وحلا
جعل الله كل أنثى فداء ... لك بل خذها لرجلك نعلا
وجهك البدر لو سألت به المز ... ن من الحسن والجمال استهلا

غنى معبد في الأبيات الأربعة الأولى

خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو، ولابن يتزن في الأولوالثاني ثقيل أول عن إسحاق، ولابن سريج في الأول والثاني والخامس ثقيل أول عن الهشامي، وللغريض في الخامس إلى الثامن خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو، ولد

حمان في التاسع والعاشر والثالث عشر والرابع عشر خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو، ولمالك في التاسع إلى آخر الثاني عشر لحن ذكره يونس و لم يجنسه، ولابن سريج في هذه الأبيات بعينها رمل بالوسطى عن عمرو، وللغريض فيها أيضاً خفيف رمل بالبنصر عن ابن المكي، ولابن عائشة في الخامس إلى أخر الثامن لحن ذكره حماد عن أبيه و لم يذك رطريقته.

ومنه

صوت

أحقا إن جيرتنا استحبوا حزون الأرض بالبلد السخاخ
إلى عقر الأباطح من ثبير إلى ثور فمدفع ذي مراخ
فتلك ديارهم لم يبق فيها سوى طلل المعرس والمناخ
وقد تغنى بها في الدار حور نواعم في المجاسد كالإراخ

غني في هذه الأبيات الغريض، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى عن الهشامي

جزعت سوداء لموت ابن أبي ربيعة

فلما سمعت شعر الحارث طابت به نفساً:

وأخبرني محمد بن خلف بن المزربان قال حدثنا عبد الله بن محمد قال أخبرني محمد بن سلام قال: كانت سوداء بالمدينة مشغوفة بشعر عمر بن أبي ربيعة، وكانت من مولدات مكة، فلما ورد على اهل المدينة نعي عمر بن أبي ربيعة أكبروا ذلك واشتد عليهم، وكانت السوداء أشدهم حزناً وتسلباً وجعلت لاتمر بسكة من سكك المدينة إلا ندبته، فلقيها بعض فتيان مكة، فقال لها: خفضي عليك، فقد نشأ ابن عم له بشبه شعره شهره، فقالت: أنشدني بعضه، فأنشدها قوله:

إني تمانحروا غداة منى عند الجمار تؤودها العقل

الأبيات كلها، قال: فجعلت تمسح عينيها من الدموع وتقول: الحمد لله الذي لم يضيع حرمه.

ناضل سليمان بينه وبين رجل من أخواله

أخبرني اليزيدي قال حدثني عمي"جد عبيد الله" عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال: ناضل سليمان بن عبد الملك بين الحارث وبين رجل من أخواله من بني عبس، فرمى "الحارث بن" خالد فأخطأ ورمى العبسي فأصاب، فقال: " أنا نضلت الحارث بن خالد ثم رمى العبسي فأخطأ ورمى الحارث فأصاب، فقال الحارث: "حسبت

نضل الحارث بن خالد ورميا فأخطأ العبسي وأصاب الحارث، فقال الحارث: " مشيك بين الزرب والمرابد ورميا فأخطأ العبسي وأصاب الحارث، فقال الحارث: "وإنك الناقص غير الزائد فقال سليمان: أقسمت عليك يا حارث إلا كففت عن القول والرمي فكف

أخبار الأبجر ونسبه

اسم الأبجر ولقبه وولاؤه

الأبجر لقب غلب عليه، واسمه عبيد الله بن القاسم بن ضبية، ويكنى أبا طالب، هكذا روى محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق، وروى هارون بن الزيات عن حماد عن أبيه: ان اسمه محمد بن القاسم بن ضبية، وهو مولى لكنانة ثم لبني بكر، ويقال: إنه مولى لبني ليث.

نشأته

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهروية وهارون بن اللزيات قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك قال: كنا يوماً جلوساً عند إسحاق، فغنتنا جارية يقال لها " سمحة":

إن العيون التي في طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

فهبت إسحاق إن أسأله لمن الغناء، فقلت لبعض من كان معنا: سله، فسأله فقال له إسحاق: ما كان عهدي بك في شيبتك لتسألنا عن هذا، فقال: أحببته لما أسننت، فقال: لا ولكن هذا النقب عمل هذا اللص، وضرب بيده إلى تلابيبي، فقال له الرجل: صدقت يا أبا محمد، فأقبل علي فقال لي: ألم أقل لك إذا اشتهيت شيئاً فسل عنه، أما لأعطينك فيه ماتعابي به من شئت منهم، أتدري ماسمه؟ قلت: لا، قال: اسمه عبيد الله بن القاسم بن ضبية، أتدري ما كنيته؟ قلت: لا، قال: أبو طالب، ثم قال: اذهب فعاي بهذا من شئت منهم فإنك تظفر به.

كان ولاؤه لبني كنانة وقيل لبني ليث

وكان يلقب الحسحاس:

وقال هارون: حدثني حماد عن أبيه قال: الأبجر اسمه محمد بن القاسم بن ضبية وقال مرة أخرى: عبيد الله بن القاسم، مولى لبني بكر بن كنانة، وقيل: إنه مولى لبني ليث، يلقب بالحسحساس.

ظرفه وحسن لباسه وفرسه ومركبه

قال هارون: وحدثني حماد عن أبيه قال حدثني عورك اللهبي قال: لم يكن بمكة أحد أظرف ولاأسرى ولأحسن هيئة من الأبجر، كانت حلته بمائة دينار وفرسه بمائة دينار ومركبه بمائة دينار، وكان يقف بين المأزمين فيرفع صوته فيقف الناس له يركب بعضهم بعضاً.

احتكم على الوليد بن يزيد في الغناء

فأمضى حكمه:

أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب عن " عبيد الله بن" عبد الله بن خرداذبة عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قالا: جلس الأبجر في ليلة اليوم السابع من أيام الحج على قريب من التنعيم فإذا عسكر جرار قد أقبل في آخر الليل، وفيه دواب تجنب وفيها فرس أدهم عليه سرج حليته ذهب فاندفع، فغنى:

عرفت ديار الحي خالية قفرا كأن بها لما توهمتها سطرا

فلما سمعه من في القباب والمحامل أمسكوا، وصاح صائح: ويحك! أعد الصوت، فقال: لا والله! إلا بالفرس الأدهم بسرجه ولجامه وأربعمائة دينا، فإذا الوليد بن يزيد صاحب الإبل، فنودي: أين منزلك ومن أنت؟ فقال: أنا الأبجر ومنزلي على باب زقاق الخرازين، فغدا عليه رسول الوليد بذلك الفرس وأربعمائة دينار وتخت من ثياب وشي وغير ذلك، ثم أتى به الوليد فأقام عنده، وراح مع أسحابه عشية التروية وهو أحسنهم هيئة، وخرج معه أو بعده إلى الشأم.

خرج معه إلى الشأم: قال إسحاق: وحدثني عورك اللهبي أن خروجه كان معه، وذلك في ولاية محمد بن هشام بن إسماعيل مكة، وفي تلك السنة حج الوليد، لأن هشاماً أمره بذلك ليهتكه عند أهل الحرم، فيجد السبيل إلى خلعه، فظهر منه أكثر مما أراد به من التشاغل بالمغنين واللهو، وأقبل الأبجر معه حتى قتل الوليد، ثم خرج إلى مصر فمات بها.

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر

صوت

عرفت ديار الحي خالية قفرا كأن بها لما توهمتها سطرا

وقفت بها كيمما ترد جوابها فما بينت لي الدار عن أهلها خبرا

الغناء لأبي عباد ثقيل أول بالبنصر عن عمرو، وفيه لسياط خفيف رمل بالبنصر.

أخذ صوتاً من الغريض فأكره عطاء بن أبي رباح على سماعه: قال إسحاق: وحدثت أن الأبجر أخذ صوتاً من الغريض ليلاً ثم دخل في الطواف حين أصبح، فرأى عطاء بن أبي رباح يطوف بالبيت، فقال: يا أبا محمد، اسمع

صوتاً أخذته في هذه الليلة من الغريض؛ قال له: ويحك! أفي هذا الموضع! فقال: كفرت برب هذا البيت لئن لم تسمعه نمي سراً لأجهرن به؛ فقال: هاته، فغناه:

"صوت"

عوجي علينا ربة الهودج ... إنك إلا تفعلي تحرجي

إني أتيحت لي يمانية ... إحدى بني الحارث من مذحج

نلبث حولاً كاملاً كله ... لانلتقي إلا على منهج

في الحج إن حجت وماذا منى ... وأهله إن هي لم تحجج

فقال له عطاء: الخير الكثير والله فيمن وأهله حجت أو لم تحج، فاذهب الآن. وقد مرت نسبة هذا الصوت وخبره في أخبار العرجي والغريض.

ختن عطاء بنيه فغنى لهم

قال إسحاق: وذكر عمرو بن الحارث عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: ختن عطاء بن أبي رباح بنيه أو بن أخيه، فكان البجر يختلف إليهم ثلاثة أيام يغنى لهم.

نازع ابن عائشة في الغناء فتشاتما

قال هارون بن محمد حدثني حماد بن إسحاق قال نسخت من كتاب ابن أبي نجيح بخطه: حدثني غوير بن طلحة الأرقمي عن يحيى بن عمران عن عمر بن حفص بن أبي كلاب قال: كان الأبجر مولانا وكان مكيا، فكان إذا قدم المدينة نزل علينا، فقال لنا يوماً: أسمعوني غناء ابن عائشتيكم هذا، فأرسلنا فيها فجمعنا بينهما في بيت ابن هابر فتغنى ابن عائشة، فقال الأبجر: كل مملوك لي حر إن تغنيت معك إلا بنصف صوتي، ثم أدخل إصبعه في شدقه فتغنى، فسمع صوته من في السوق فحشر الناس علينا، فلم يفترقا حتى تشاتما؛ قال: وكان ابن عائشة حيدا جاهلاً.

غنى الوليد وقد عرف سره من خادمه

فنشط له:

أخبرني الحسن بن علي قالحدثنا ابن مهروية قال وحدثني ابن أبي سعد قال حدثني القطراني المغني عن محمد بن جبر عن إبراهيم بن المهدي قال حدثني ابن الأشعب عن أبيه قال: دعي ذات يوم المغنون للوليد بن يزيد، وكنت

نازلاً معهم، فقلت للرسول: خذني فيهم؛ قال: لم أومر بذلك وإنما أمرت بلإحضار المغنين وأنت بطال لاتدخل في جملتهم؛ فقلت: أنا والله أحسن غناء منهم، ثم اندفعت فغنيته؛ فقال: لقد سمعت حسناً ولكني أخاف؛ فقلت لاخوف عليك، ولك مع هذا شرط، قال: وماهو؟ قلت: كل ماأصبته فلك شطره؛ فقال للجماعة: اشهدوا عليه، فشهدوا، ومضينا فدخلنا على الوليد وهو لقس النفس، فغناه المغنون في كل فن من خفيف وثقيل، فلم يتحرك ولانشط، فقام البجر إلى الخلاء، وكان خبيثاً داهياً، فسأل الخادم عن خبره، وبأي سبب هو خاثر؟ فقال: بينه وبين امرأه شر، لأنه عشق أختها فغضبت عليه فهو إلى أختها أميل، وقد عزم على طلاقها وحلف لها ألا يذكرها أبداً بمراسلة ولامخاطبة، وخرج على هذا الحال من عندها؛ فعاد الأبجر إلينا وماحلس حتى اندفع فغنى:

صوت

فبيني فإني لاأبالي وأيقني أصعد باقي حبكم أم تصوبا

ألم تعلمي أني عزوف عن الهوى إذا صاحبي من غير شيء تغضبا

فطرب الوليد وارتاح قال: أصبت ياعبيد والله مافي نفسي، وأمر له بعشرة آلاف درهم وشرب حتى سكر، ولم يحظ بشيء أحد سوى الأبجر، فلما أيقنت بانقضاء المجلس وثبت فقلت: إن رأيت ياأمير المؤمنين أن تأمر من يضربني مائة الساعة بحضرتك فضحك وقال: قبحك الله ومالسبب في ذلك؟ فأخبرته بقصتي مع الرسول وقلت: إنه بدأني من المكروه في أول يومه بما اتصل علي إلى آخره، فأريد أن أضرب مائة ويضرب بعدي مثلها، فقال له: لقد لطفت، أعطوهو مائة دينار وأعطوا الرسول خمسين ديناراً من مالنا عوضاً عن الخمسين التي أراد أن يأخذها؛ فقبضتها وماحظي أحد بشيء غيري وغير الرسول. والشعر الذي غنى فيه الأبجر الولدي بن يزيد لعبد الرحمن بن الحكم أخي مروان بن الحكم، والغناء للأبجر ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لغيره عدة ألحان نسبت.

صوت من المائة المختارة

من رواية جحظة

حمزة المبتاع بالمال الثنا ويرى في بيعه أن قد غبن

فهو إن أعطى عكاء فاضلاً ذا إخاء لم يكدره بمن

وإذا ماسنة مجدبة برت الناس كبري بالسفن

كان للناس ربيعاً مغدقاً ساقط الأكناف إن راح ارجحن

نور شرق بين في وجهه لم يصب أثوابه لون الدرن

عروضه من الرمل. الشعر لموسى شهوات. والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبار موسى شهوات ونسبه

وخبره في هذا الشعر

نسبه وسبب لقبه

هو موسى بن يسار مولى قريش، ويختلف في ولائه فيقال: إنه مولى بني سهم، ويقال: مولى بني تيم بن مره، ويقال: مولى بني عدي بن كعب؛ ويكنى أبا محمد، وشهوات لقبل غلب عليه.
وحدثني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال: إنما لقب موسى شهوات لأنه كان سؤولاً ملحفاً، فكان كلما رأى مع أحد شيئاً يعجبه من مال أو متاع أو ثوب أو فرس، تباكى، فإذا قيل له: مالك؟ قال: اشتهي هذا؛ فسمي موسى شهوات. قال: وذكر آخرون أنه كان من أهل أذربيجان وأنه نشأ بالمدينة وكان يجلب إليه القند والسكر، فقالت له امرأة من أهله: مايزال موسى يجيئنا بالشهوات؛ فغلبت عليه.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال: كان محمد بن يحيى يقول: موسى شهوات مولى بني عدي بن كعب، وليس ذاك بصحيح، هو مولى تيم بن مرة. وذكر عبد الله بن شبيب عن الحزامي: أنه مولى بني سهم.
وأخبرني وكيع عن أحمد بن أبي خيثمة عن مصعب ومحمد بن سلام قال: موسى شهوات مولى بني سهم

عشق جارية فأعطى بها عشرة آلاف

وأخبرني محمد نب الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: هوي موسى شهوات جارية فاستهيم بها وساوم مولاها فيها فاستام بها عشرة آلاف درهم، فجمع كل مايملكه واستماح إخوانه فبلغ أربعة آلاف درهم، فأتى إلى سعيد بن خالد العثماني فأخبره بحاله واستعان به، وكان صديقه وأوثق الناس عنده، فدافعه واعتل عليه فخرج من عنده؛ فلما ولي تمثل سعيد قول الشاعر:

كتبت إلي تستهدي الجواري لقد أنعظت من بلد بعيد

أتى سعيد بن خالد بن عبد الله بن أسيد يستعينه في ثمن الجارية فأعانه فمدحه: فأتى سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فأخبرره بقصته فأمر له بستة آلاف درهم، فلما قبضها ونهض قال له: اجلس، إذا ابتعتها بهذا

المال وقد أنفدت كل ماتملك فبأي حالٍ تعيشان ثم دفع إليه ألفي درهم وكسوة وطيباً، وقال: أصلح بهذا شأنكما؛ فقال فيه:

أبا خالد أعني سعيد بن خالد ... أخا العرف لاأعني ابن بنت سعيد

ولكنني أعني ابن عائشة الذي ... أبو أبويه خالد بن أسيد

عقيد الندى ماعاش يرضى به الندى ... فإن مات لم يرض الندى بعقيد

دعوه دعوه إنكم قد رقدتم ... وماهو عن أحسابكم برقود

قتلت أناساً هكذا في جلودهم ... من الغيظ لم تقتلهم بحديد

رأى سعيد بن خالد العثماني في مدحه لسميه الذي أعانه هجوا له فشكاه: قال: فشكاه العثماني إلى سليمان بن عبد الملك، فأحضر موسى وقال له: ياعاض كذا وكذا، أتهجو سعيد بن خالد فقال: والله ياأمير المؤمنين ماهجوته ولكني مدحت ابن عمه فغضب هو، ثم أخبره بالقصة؛ فقال للعثاني: قد صدق، إنما نسب من مدحه إلى أبيه ليعرف. قال: وكان سليمان إذا نظر إلى سعيد بن خالد بن عبد الله يقول: لعمري والله مأأنت عن أحسابنا برقود.

وأخبرني محمد بن عبد الله اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شسخ قال حدثنا مصعب بن عبد الله بهذا الحديث فذكر نحو ماذكر أبو عبيدة وقال فيه: وكان سعيد بن خالد هذا تأخذه الموتة في كل سنة، فأرادوا علاجه، فتكلمت صاحبته على لسانه وقالت: أنا كريمته بنت ملحان سيد الجن، وإن عالجتموه قتلتموه، فوالله لو وجدت أكرم منه لهويته.

أخبرني وكيع عن أبي حمزة أنس بن خالد الأنصاري عن قبيضة بن عمر بن حفص المهلبي عن أبي عبيدة قالك حدثني الحارث بن سليمان الهجيمي، -وهو أبو خالد بن الحارث المحدث-قال: وكان عنده رؤبة بن العجاج، قال: شهدت مجلس أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك وأتاه سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان، فقال: ياأيمر المؤمنين، أتيتك مستعدياً، قال: ومن بك؟ قال: موسى شهوات، قال: وماله؟ قال: سمع بي واستطال في عرضي، فقال: ياغلام، علي بموسى فأتني به، فقال: ويلك أسمعت به واستطلت في عرضه؟ قال: مافعلت ياأمير المؤمنين ولكني مدحت ابن عمه فغضب هو، قال: وكيف ذلك؟ قال: علقت جارية لم يبلغ ثمنها جدتي، فأتيته وهو صديقي فشكوت إليه ذلك، فلم أصب عنده شيئاً، فأتيت ابن عمه سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فشكوت إليه ماشكوته إلى هذا، فقال: تعود إلي، فتركته ثلاثاً ثم أتيته فسهل من إذني، فلما استقر بي المجلس قال: ياغلام، قل لقيمتي: هاتي وديعتي، ففتح باباً بين بيتين وإذا بجارية، فقال ليك أهذه بغيتك؟ قلت: نعم فداك أبي وأمي قال: اجلس ثم قال: ياغلام، قل لقيمتي: هاتي ظبية نفقتي، فأتى بظبية فنثرت بين يديه فإذا فيها مائة دينار ليس في غيرها فردت الظبية، ثم قال: عتيدة طيبي، فأتى بها، فقال: ملحفة فراشي، فأتى بها، فصير

مافي الظبية ومافي العتيدة في حواشي الملحفة، ثم قال: شأنك بهواك واستعن بهذا عليه؛ فقال له سليمان بن عبد الملك: فذلك حين تقول ماذا؟ قلت: ذكر طائفة من أبيات القصيدة التي مدح بها سعيد بن خالد:

أنا خالد أعني سعيد بن خالد أخا العرف لاأعني ابن بنت سعيد
ولكنني أعني ابن عائشة الذي أبو أبويه خالد بن أسيد
عقيد الندى ماعاش يرضى به الندى فإن مات لم يرض الندى بعقيد
دعوه دعوه إنكم قد رقدتم وماهو على أحسابكم برقود

فقال سليمان: علي ياغلام لسعيد بن خالد، فأتي به، فقال: أحق ماوصفك له موسى؟ قال: وماذاك ياأمير المؤمنين.؟ فأعاد عليه، فقال: قد كان ذلك ياأمير المؤمنين، قال: فما طوقتك هذه الأفعال؟ قال: دين ثلاثين ألف دينار؛ فقال: قد أمرت لك بمثلها وبمثلها وبمثلها وبثلث مثلها، فحملت إليه مائة ألف دينار"؛ قال: فلقي سعيد ين خالد بعد ذلك فقلت له: ما فعل المال الذي وصلك به سليمان؟ قال: ماأصبحت والله أملك منه إلا خمسين ديناراً؛ قلت: ماأغتاله؟ قال: خلة من صديق أو فاقة من ذي رحم.

أخبرني وكيع قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن مصعب الزبيري ومحمد بن سلام قال: عشق مويه شهوات جارية بالمدينة فأعطى بها عشرة آلاف درهم؛ ثم ذكر باقي الحديث مثل حديث سليمان بن أبي شيخ؛ وقال وفيه: أما والله لئن مدحته وهو سميك وأبوه سمي أبيك و لم أفرق بينكما ليقولن للناس: أهذا أم هذا، ولكن والله لأقولن لايشك فيه. وتمام هذه الأبيات التي مدح بها سعيداً بعد الأربعة المذكورة منها:

فدى للكريم العبشمي ابن خالد بني ومالي طارفي وتليدي
على وجهه تلقى الأيامن واسمه وكل جواري طيره بسعود
أبان وما استغنى عن الثدي خيره أبان به في المهد قبل قعود
دعوه دعوه إنكم قد رقدتم وماهو عن أحسابكم برقود
ترى الجند والجناب يغشون بابه بحاجاتهم من سيد ومسود
فيعطي ولايعطى ويغشى ويجتدى ومابابه للمجتدي بسديد
قتلت أناساً هكذا في جلودهم من الغيظ لم تقتلهم بحديد
يعيشون ماعاشوا بغيظ وإن تحن مناياهم يوماً تحن بحقود
فقل لبغاة العرف قد مات خالد ومات الندى إلا فضول سعيد

قال وكيع في خبرة: أما قوله: " لاأعني ابن بنت سعيد" فإن أم سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان آمنة بنت سعيد بن العاصي، وعائشة أم عقيد الندى بنت عبد الله بن خلف الخواعية أخت الخزاعية أخت طلحة

الطلحات، وأمها صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار بن قصي، وأم أبي عقيد الندى رملة بنت معاوية بن أبي سفيان.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال: لما أنشد موسى شهوات سليمان بن عبد الملك شعره في سعيد بن خالد قال له: اتفق اسماهما واسما أبويهما، فتخوفت أن يذهب شعري باطلاً ففرقت بينهما بأمهما، فأغضبه أن مدحت ابن عمه، فقال له سليمان: بلى والله لقد هجوته وماخفي علي ولكني لاأجد إليك سبيلاً، فأطلقه.

عمل شعراً في مدح حمزة

ابن عبد الله بن الزبير وقبل معبد أن يغنيه له ويكون عطاؤه بينهما:

أخبرني وكيع قال حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا محمد بن سلمة الثقفي قال: قال موسى شهوات لمعبد: أأمدح حمزة بن عبد الله بن الزبير بأبيات وتغني فيها ويكون مايعطينا بيني وبينك؟ قال: نعم؛ فقال موسى:

حمزة المبتاع بالمال الثنا ... ويرى في بيعه أن قد غبن

فهو إن أعطى عطاء فاضلاً ... ذا إخاء لم يكدره بمن

وإذا ماسنة مجحفة ... برت الناس كبرى بالسفن

حسرت عنه نقيا عرضه ... ذا بلاء عند مخناها حسن

نور صدق بين في وجهه ... لم يدنس ثوبه لون الدرن

كنت للناس ربيعاً مغدقاً ... ساقط الأكناف إن راح ارجحن

قال أحمد بن زهير: وأول قصيدة عن غير ابن سلام:

شاقني اليوم حبيب قد ظعن ... ففؤادي مستهام مرتهن

إن هنداً تيمتني حقبة" ... ثم بانت وهي للنفس شجن

فتنة الحقها الله بنا ... عائذ بالله من شر الفتن

عارض فاطمة بنت الحسين لما زفت

إلى عبد الله بن غعمرو بشعر فأجيز

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرني الطلحي قال أخبرني عبد الرحمن بن حماد عن عمران بن موبى بن طلحة قال: لما زفت فاطمة بنت الحسين رضوان الله عليه إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، عارضها موسى شهوات:

طلحة الخير جدكم ولخير الفواطم

أنت للطاهرات من فرع تيم وهاشم

أرتجيكم لنفعكم ولدفع المظالم

فأمر له بكسوة ودنانير وطيب.

هجا داود بن سليمان لما تزوج فاطمة

بنت عبد الملك:

قال حدثنا الكراني قال حدثنا العتزي عن العتبي قال: كانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز، فلما مات عنها تزوجها داود بن سليمان بن مروان وكان قبيح الوجه، فقال في ذلك موسى شهوات:

أبعد الأغر ابن عبد العزيز قريع قريش إذا يذكر

تزوجت داود مختاة ألا ذلك الخلف الأعور

فكانت إذا سخطت عليه تقول: صدق والله موسى، إنك لأنت الخلف الأعور، فيشتمه داود.

مدح يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية

فأجازه:

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن لقيط قال: أقام موسى شهوات ليزيد بن خالد بن معاوية على بابه بدمشق، وكان فتى" جواداً سمحاً، فلما ركب وثب إليه فأخذ بعنان دابته، ثم قال:

قم فصوت إذا أتيت دمشقاً: يايزيد بن خالد بن يزيد

يايزيد بن خالد إن تجبنبي يلقني طائري بنجم السعود

فأمر له بخمسة آلاف وكسوة، وقال له: كلما شئت فنادنا نجبك.

تزوج بنت داود ابن أبي حميدة

فلما سئل عن جلوتها قال شعراً:

أخبرنا وكيع قال حدثني أحمد ين زهير قال حدثنا مصعب الزبيري قال: زوج موسى شهوات بنت موبى لمعن بن عبد الرحمن بن عوف يقال له: داود بن أبي حميدة، فلما جليت عليه قال داود: ماللجلوة؟ فأنشأ يقول:

تقول لي النساء غداة تجلى حميدة يافتى للجلاء

فقلت لهم سمرقند وبلخ ومابالصين من نعم وشاء

أبوها حاتم إن سيل خيراً وليث كريهة عند اللقاء

هجا أبا بكر بن عبد الرحمن

حين حكم عليه ومدح سعيد بن سليمان:

أخبرني وكيع قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب قال: قضى أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حويطب على موسى شهوات بقضية، وكان خالد بن عبد الملك استقضاه في أيام هشام بن عبد الملك، فقال موسى يهجوه:

وجدتك فها في القضاء مخلطاً فقدتك من قاضٍ ومن متأمر

فدع عنط كاشيدته ذات رخة أذى الناس لاتحسرهم كل محشر

ثم ولي القضاء سعيد بن سليمان ابن زيد بن ثابت الأنصاري، فقال يمدحه:

من سره الحكم صرفاً لامزاج له من القضاة وعدل غير مغموز

فليأت دار سعيد الخير إن بها أمضى على الحق من سيف ابن جرموز

هجاؤه سعد بن إبراهيم وإلى المدينة

قال: وكان سعد بن إبرايهم بن عبد الرحمن بن عوف، قد ولي المدينة واشتد على السفهاء والشرعاء والمغنين، ولحق موسى شهوات بعض ذلك منه، وكان قبيح الوجه، فقال موسى يهجوه:

قل لسعد وجه العجوز لقدكن ت لما قد أوتيت سعداً مخيلاً

إن تكن ظالماً جهولاً فقد كا ن أبوك الأدنى ظلوماً جهولاً

وقال يهجوه:

لعن الله والعباد ثطيط ال وجه لايرتجى قبيح الجوار

يتقي الناس فحشه وإذاه مثل مايتقون بول الحمار

لاتغرنك سجدة بين عيني ه حذار منها ومنه حذار

إنها سجدة بها يخدع النا س، عليها من سجدة بالدبار

مدح عبد الله بن عمرو بن عثمان

حين نفحه بعطية:

أخبرني عمي قال أخبرني ثعلب عن عبد الله بن شبيب قال:
ذكر الحزامي أن موسى شهوات سأل بعض آل الزبير حاجة" فدفعه عنه، وبلغ ذلك عبد الله بن عمرو بن عثمان، فبعث إليه بما كان التمسه من الزبيري من غير مسألة؛ فوقف عليه موسى وهو جالس في المسجد، ثم أنشا قول:

ليس فيما بدا لما منك عيب عابه الناس غير أنك فاني
أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لابقاء للإنسان

والشعر المذكور فيه الغناء

يقوله موسى شهوات في حمزة بن عبد الله بن الزبير، وكان فتى" كريماً جواداً على هوج كان فيه، وولاه أبوه العراقين وعزل مصعباً لما تزوج سكينة بنت الحسين رضي الله عنه وعائشة بنت طلحة وأمهر كل واحدة منهما ألف ألف درهم سبب عزل ابن الزبير لأخيه مصعب عن البصرة وتوليته ابنه حمزة: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ بن مصعب الزبيري، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة، وأخبرني عبيد الله بن محمد الرازي والحسين بن علي: قال عبيد الله حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني، وقال الحسين حدثنا الحارث بن أبي أسامة عن المدائني عن أبي محنف: أن أنس بن زنيم الليثي كتب إلى عبد الله بن الزبير:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة" من ناصح لك لايريك خداعا
بضع الفتاة بألف ألف كاملٍ وتبيت قادات الجيوش جياعا
لو لأبي حفص أقول مقالتي وأبث ماأبثتكم لارتاعا

فلما وصلت الأبيات إليه جزع ثم قال: صدق والله، لو لأبي حفص يقول: إن مصعباً تزوج امرأتين بألفي ألف درهم لارتاع، إنا بعثنا مصعباً إلى العارق فأغمد سيفه وسل أيره وسنعزله، فدعا بابنه حمزة، وأمه بنت منظور بن زبان الفزاري وكان منه محل لطيف، فولاه البصرة وعزل مصعباً. فبلغ قوله عبد الملك في أخيه مصعب، فقال: لكن أبا خبيب أغمد سيفه وأيره وخيره.
عزل ابن الزبير ابنه حمزة لهوجه وحمقه وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال: هذه

الأبيات لعبد الله بن همام السلولي.

قالوا جميعاً: فلما ولي ابنه حمزة البصرة أساء السيرة وخلط تخليطاً شديداً، وكان جواداً شجاعاً أهوج، فوفدت إلى أبيه الوفود في أمره، وكتب إليه الأحنف بأمره وماينكره الناس منه وأنه يخشى أن تفسد عليه طاعتهم؛ فعزله عن البصرة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا المدائني قال: لما قدم حمزة بن عبد الله البصرة والياً عليها، وكان جواداً شجاعاً مخلطاً: يجود أحياناً حتى لايدع شيئاً يملكه إلا وهبه ويمنع أحياناً والايمنع من مثله، فظهرت منه بالبصرة خفة وضعف. وركب يوماً إلى فيض البصرة، فلما رآه قال: إن هذا الغدير إن رفقوا به ليكفينهم صيفتهم هذه، فلما كان بعد ذلك ركب إليه فوافقه جازراً فقال: قد رأيته ذات يوم فظننت أن لن يكفيهم؛ فقال له الأحنف: إن هذا ماء يأتينا ثم يغيض عنا ثم يعود. وشخص إلى الأهواز فرأى جبلها، فقال: هذا قيقعان -وقيقعان: جبل بمكة- فلقب ذلك الجبل بقيقعان.

قال أبو زيد: وحدثني غير المدائني أنه سمع بذكر الجبل بالبصرة، فدعا بعامله فقال له: ابعث فأتنا بخراج الجبل؛ فقال له: إن الجبل ليس ببلد فأتيك بخراجه. وبعث إلى مردانشاه فاستحثه بالخراج فأبطأ به، فقام إليه بسيفه فقتله؛ فقال له الأحنف: ماأحد سيفك أيها الأمير! وهم بعبد العزيز بن شبيب بن خياط أن يضربه بالسياط؛ فكتب إلى الزبير بذلك وقال له: إذا كنت لك بالبصرة حاجة فاصرف ابنك عنها وأعد إليها مصعباً؛ ففعل ذلك. وقال بعض الشعراء يهجو حمزة ويعيبه بقوله في أمر الماء الذي رآه قد جزر:

يابن الزبير بعثت حمزة عاملاً ... ياليت حمزة كان خلف عمان

أزرى بدحلة حين عب عبابها ... وتقاذفت بزواخر الطوفان

نفار النوار من الفرزدق

والتجاؤها لابن الزبير وشفاعة الفرزق بابنه حمزة:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال:

خطب النوار ابنة أعين المجاشعية رجل من قومها، فجعلت أمرها إلى الفرزدق، وكان ابن عمهما دنية، ليزوجها منه، فأشهد عليها بذلك وبأن أمرها إليه شهوداً عدولاً؛ فلما أشهدهم على نفسها قال لهم الفرزدق: فإني أشهدكم أني قد تزوجتها، فمنعته النوار نفسها وخرجت إلى الحجاز إلى عبد الله بن الزبير، فاستجارت بامرأه بنت منظور بن زبان، وخرج الفرزدق فعاذ بابنه حمزة، وقال يمدحه:

ياحمز هل لك في ذي حاجةٍ، غرضت ... أنضاؤه بمكان غير ممطور

فأنت أولى قريش أن تكون لها ... وأنت بين أبي بكر ومنظور

فجعل أمر النوار يقوى وأمر الفرذدق يضعف؛ فقال الفرزدق في ذلك:

أمابنوه فلم تنفع شفاعتهم وشفعت بنت منظور بن زبانا

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزراً مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

فبلغ ابن الزبير شعره، ولقيه على باب المسجد وهو خارج منه فضغط حلقه حتى كاد يقتله، ثم خلاه وقال:

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزاً ولو رضيت رمح استه لاستقرت

ثم دخل إلى النوار فقال لها: إن شئت فرقت بينك وبينه ثم ضربت عنقه فلا يهجونا أبداً، وأن شئت أمضيت نكاحه فهو ابن عمك وأقرب الناس إليك، وكانت امرأة" صالحة"، فقالت: أوما غير هذا؟ قال: لا؛ قالت: ماأحب أن يقتل ولكني أمضي أمره فلعل الله أن يجعل في كرهي إياه خيراً؛ فمضت إليه خيراً؛ فمضيت إليه وخرجت معه إلى البصرة.

غنى معبد حمزة بشعره فأجازه أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه الزبيري: أن حمزة بن عبد الله كان جواداً، فدخل إليه معبد يوماً قد أرسله ابن قطن مولاه يقترض له من حمزة ألف دينار فأعطاه ألف دينار، فلما خرج من عنده قيل له: هذا عبد ابن قطن وهو يروي فيك شعر موسى شهوات فيحسن روايته، فأمر برده فرد، وقال له ماحكاه القوم عنه، فغناه معبد الصوت فأعطاه أربعين ديناراً؛ ولما كان بعد ذلك رد ابن قطن عليه المال فلم يقبله، وقال له: إنه إذا خرج عني مال لم يعد إلى ملكي. وقد روي أن الداخل على حمزة والمخاطب في أمره بهذه المخاطبة لابن سريج، وليس ذلك بثبت، هذا هو الصحيح، والغناء لمعبد. أنشد حمزة بن عبد الله شعراً وغناه إياه معبد فأجازهما: أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة عن محمد بن يحيى الغساني: أن موسى شهوات أملق، فقال لمعبد: قد قلت في حمزة بن عبد الله شعراً فغن فيه حتى يكون أجزل لصلتنا؛ ففعل ذلك معلد وغنى في هذه الأبيات، ثم دخلا على حمزة فأنشده إياها موسى ثم غناه فيها معبد، فأمر لكل واحد منهما بمائتي دينار.

كان من شعراء الحجاز

وكان خلفاء بني أمية يحسنون إليه:

أخبرني محمد بن خلف بن المزربان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عبد الله عن عبد الله بن عياش قال: كان موسى شهوات مولى لسليمان بن أبي خيثمة بن حذيفة العدوي، وكان شاعراً من شعراء أهل الحجاز، وكان الخلفاء من بني أمية يحسنون إليه ويدرون عطاءه وتجيئه صلاتهم إلى الحجاز.

هجا داود بن سليمان بن مروان

الذي تزوج فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاة روجها عمر بن عبد العزي:

وكانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز، فلما مات عنها تزوجها داود بن سليمان بن مروان وكان دميماً قبيحاً، فقال موسى شهوات في ذلك:

أبعد الأغر ابن عبد العزي ... قريع قريش إذا يذكر

تزوجنت داود مختارة ... إلا ذلك الخلف الأعور

فغلب عليه في بني مروان، فكان يقال له: الخلف الأعور

صوت من المائة المختارة

عوجاً خليلي على المحضر ... والربع من سلامة المقفر

عوجاً به فاستنطقاه فقد ... ذكرني ما كنت لم أذكر

ذكرني سلمى وأيامها ... إذ جاورتنا بلوى عسجر

بالربع من ودان مبدا لنا ... ومحوراً تناهيك من محور

في محضر كنا به نلتقي ... ياحبذا ذلك من محضر

إذ نحن والحي به جيرة ... فيما مضى من سالف الأعصر

الشعر للوليد بن يزيد، وقيل: إنه لعمر بن أبي ربيعة، وقيل: إنه للعرجي، وهو الوليد صحيح، والغناء واللحن المختار لابن سريج خفيف رمل بالبنصر في مجراها، وفيه لشارية خفيف رمل آخر عن ابن المعتز، وذكر الهشامي أن فيه لحكم الوادي خفيف رملٍ أيضاً.

عتب عمرو بن عثمان على زوجه

سكينة بنت الحسين فأرسلت إليه أشعب:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني قال: كان زيد بن عمرو بن عثمان قد تزوج سكينة بنت الحسن رضي تعالى عنه، فعتب عليها يوماً، فخرج إلى مال له، فذكر أشعب أن سكينة دعته فقالت له: إن ابن عثمان خرج عاتباً فاعلم له حاله، قلت: لاأستطيع أن أذهب إليه الساعة، فقال ت: أنا أعطيك ثلاثين ديناراً، فأعطتني إياها فأتيته ليلاً دخلت الدار، فقال: انظروا من في الدار، فأتوه فقالوا: أشعب، فنزل عن فرشه وصار إلى الأرض فقال: أشعيب؟ قلت: نعم، قال: ماجاء بك؟ قلت: أرسلتني سكينة لأعلم خبرك، أتذكرت منها ماتذكرت منك؟ وأنا أعلم أنك قد فعلت حين نزلت عن فرشك وصرت إلى الأرض، قال: دعني من هذا وغنني:

عوجاً به فاستنطقاه فقد ذكرني ما كنت لم أذكر

فغنيته فلم يطرب، ثم قال: غنني ويحك غي رهذا، فإن أصبت مافي نفسي فلك حلتي هذه وقد اشتريتها آنفاً بثلثمائة دينا، فغنيته: صوت

علق القلب بعض ماقد شجاه من حبيب أمسى موانا هواه

ماضراري نفسي بهجران من لي س مسيئاً ولابعيد نواه

واجتنابي بيت الحبيب ومانالخل د بأشهى إلي منأن أراه

فقال: ما عدوت ما في نفسي، خذ الحلة، فأخذها ورجعت إلى سكينة فقصصت عليها القصة، فقالت: وأين الحلة؟ قلت: معي، فقالت: وأنت الآن تريد أن تلبس حلة ابن عثمان لا والله ولا كرامة فقلت: قد أعطانيها، فأي شيء تريدين مني فقالت: أنا اشتريها منك، فبعتها إياها بثلثمائة دينار الشعر المذكور في هذا الخبر لعمر ابن أبي ربيعة، والغناء للدرامي خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى، وذكر عمرو بن بانة أنه للهذلي، وفيه لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى غاضب رجل جارية كان يهزاها فغنت مغنية من شعره فاصطلحا: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن أبيه أن رجلاً كانت له جارية يهواها وتهواه فغاضبها يوماً وتمادى ذلك بينهما، واتفق أن مغنية دخلت فغنتهما:

ما ضراري نفسي بهجران من لي س مسيئاً ولا بعيداً نواه

فقالت الجارية: لا شيء والله إلا الحمق، ثم قامت إلى مولاها فقبلت رأسه واصطلحا.

صوت من المائة المختارة

يا ويح نفسي لو أنه أقصر ما كان عيشي كما أرى أكدر

يا من عديري ممن كلفت به يشهد قلبي بأنه يسحر

يا رب يوم رأيتني مرحاً آخذ في اللهو مسبل المئزر

بين ندامى تحث كأسهم عليهم كف شادن أحور

الشعر لأبي العتاهية والغناء لفريدة

خفيف رمل بالبنصر.

الجزء الرابع

ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره

سوى ما كان منها مع عتبة، فإنه لكثرة الصنعة في تشبيبه بها، وأنها اتسعت جداً فلم يصلح ذكرها هنا، لئلا تنقطع المائة الصوت المختارة، وهي تذكر في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

اسمه ولقبه وكنيته ونشأته

أبو العتاهية لقب غلب عليه. واسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، مولى عنزة، وكنيته أبو إسحاق، وأمه أم زيد بنت زياد المحاربي مولى بني زهرة؛ وفي ذلك يقول أبو قابوس النصراني وقد بلغه أن أبا العتاهية فضل عليه العتابي:

قل للمكني نفسه متخيراً بعتاهية
والمرسل الكلم القبي ح وعته أذن واعية
إن كنت سرا سؤتني أو كان ذاك علانية
فعليك لعنة ذي الجلا ل وأم زيد زانية

مناحيه الشعرية

ومنشؤه بالكوفة. وكان في أول أمره يتخنث ويحمل زاملة المخنثين، ثم كان يبيع الفخار بالكوفة، ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدم. ويقال: أطبع الناس بشار والسيد أبو العتاهية. وما قدر أحد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته. وكان غزير البحر، لطيف المعاني، سهل الألفاظ، كثير الافتنان، قليل التكلف، إلا إنه كثير الساقط المرذول مع ذلك. وأكثر شعره في الزهد والأمثال. وكان قوم من أهل عصره ينسبونه إلى الوقل بمذهب الفاسفة ممن لا يؤمن بالبعث، ويحتجون بأن شعره إنما هو في ذكر الموت والفناس دون ذكر النشور والمعاد. وله أوزان طريفة قالها مما لم يتقدمه الأوائل فيها. وكان أبخل الناس مع يساره وكثرة ما جمعه من الأموال.

سبب كنيته

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال أخبرني محمد بن موسى بن حماد قال: قال المهدي بن يحيى الصولي قال أخبرني محمد بن موسى بن حماد قال: قال المهدي يوما" لأبي العتاهية: أنت إنسان متحذلق مهته. فاستوت له من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه وكنيته، وسارت له في الناس. قال: ويقال للرجل المتحذلق: عتاهية، كما يقال للرجل الطويل: شناحية. ويقال: أبو عتاهية، بإسقاط الألف واللام.

قال محمد بن يحيى وأخبرني محمد بن موسى قال أخبرني ميمون بن هارون عن بعض مشايخه قال: كني بأبي العتاهية إن كان يحب الشهرة والمجون والتعته.

وبلده الكوفة وبلد آبائه

وبها مولده ومنشؤه وباديته.

يقول ابنه إنها من عنزة: قال محمد بن سلامك: وكان محمد بن أبي العتاهية يذكر أن أصلهم من عنزة، وأن جدهم كيسان كان من أهل عين التمر، فلما غزاها خالد نب الوليد كان كيسان جدهم هذا يتيما" صغيرا" يكفله قرابة له من نعنزة، فسباه خالد مع جماعة صبيان من أهلها، فوجه بهم إلى أبي بكر، فوصلوا إليه وبحضرته عباد بن رفاعة العنزي بن أسد بن ربيعة بن نزار، فجعل أبو بكر رضي الله عنه يسأل الصبيان عن أنسابهم فيخبره كل واحد بمبلغ معرفته، حتى سأل كيسان، فذكر له أنهخ من عنزة. فلما سمعه عبد يقول ذلك استوهبه من أبي بكر رضي الله عنه، وقد كان خالصا" له، فوهبه له؛ فأعتقه، فتولى عنزة.

استعداؤه مندل بن علي وأخاه علي سبه بأنه نبطي: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا أحمد بن الحجاج الجلاني الكوفي قال حدثني أبو دذيل مصعب بن دؤيل الجلاني، قال: لم أر قط مندل بن علي العنزي وأخاه حيان بن علي غضبا من شيء قط إلا يوما" واحدا"، دخل عليهما أبو العتاهية وهو مضمخ بالدماء. فقالا له: ويحك ما بالك؟ فقال لهما: من أنا؟ فقالا له: أنت أخونا وابن عمنا ومولانا. فقال: إن فلانا" الجزار قتلني وضربني وزعم أني نبطي، فإن كنت نبطيا" هربت على وجهي، وإلا فقوما فخذا لي بحقي. فقام معه مندل بن علي وما تعلق نعله غضبا"؛ وقال له: والله لو كان حقك على عيسى بن موسى لأخذته لك منه؛ ومر معه حافيا" حتى أخذ له بحقه.

أخبرني الصولي قال حدثنا محمد بن موسى عن الحسن بن علي عن عمر بن معاوية عن جبارة بن المغلي الحماني قال: أبو العتاهية مولى عطاء بن محجن العنزي.

أبو العتاهية وصنعة أهله أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال قال أبو عون أحمد بن المنجم أخبرني خيار الكاتب قال: كان أبو العتاهية وإبراهيم الموصلي من أهل المذار جميعا"، وكان أبو العتاهية وأهله يعملون الجرار الخضر، فقدما إلى بغداد ثم افترقا؛ فنزل إبراهيم الموصلي ببغداد، ونزل أبو العتاهية الحيرة. وذكر عن الرياشي أنه قال مثل ذلك، وأن أبا العتاهية نقله إلى الكوفة.

قال محمد بن موسى: فولاء أبي العتاهية من قبل أبيه لعنزة، ومن قبل أمه لبني زهرة، ثم لمحمد بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وكانت أمه مولاة لهم، ثقال لها أم زيد.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن مهروية؛ قال قال الخليل بن أسد: كان أبو العتاهية يأتينا فيستأذن ويقول: أبو إسحاق الخزاف. وكان أبوه حجاما" من أهل ورجة؛ ولذلك يقول أبو العتاهية:

ألا إنما التقوى هو العز والكرم وحبك للدنيا هو الفقر والعدم

وليس على عبد فتي تقيصة إذا صحح التقوى وإن حاك أو حجم

فاخره رجل من كنانة فقال شعرا'

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الغلابي قال حدثنا محمد بن أبي العتاهية قال: جاذب رجل من كنانة أبا العتاهية في شيء، ففخر عليه الكناني واستطال بقوم من أهله؛ فقال أبو العتاهيه:

دعني من ذكر أب وجد ونسبٍ يعليك سور المجد

ما الفخر إلا في التقى والزهد وطاعة تعطى جنان الخلد

لابد من ورد لأهل الورد إما إلى ضحلٍ وغما عد

آراؤه الدينية

حدثني الصولي قال حدثنا محمد بن موسى عن أحمد بن حرب قال: كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد، وأن الله خلق جوهرين متضادين لامن شيء، ثم إنه بني العالم هذه البنية منهما، وأن العالم حديث العين والصنعه لامحدث له إلا الله. وكان يزعم أن الله سيرد كل شيء إلى الجوهرين المتضادين قبل أن تفنى الأعيان جميعا".

وكان يذهب إلى أن المعارف واقعة بقدر الفكر والاستدلال والبحث طباعا". وكان يقول بالوعيد وبتحريم المكاسب، ويتشيع بمذهب الزيدية البترية المبتدعة، لا ينتقص أحدا" ولا يرى مع ذلك الخروج على السلطان.

وكان مجبرا" مناظرته لثمامة بن أشرس في العقائد بين يدي المأمون: قال الصولي: فحدثني يموت بن المزرع قال حدثني الجاحظ قال قال أبو العتاهية لثمامة بين يدي المأمون وكان كثيرا" ما يعارضه بقوله في الإجبار-: أسألك عن مسالة. فقال له المأمون: عليك بشعرك. فقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في مسألته ويأمره بإجابتي! فقال له: أجبه إذا سألك. فقال: أنا أقول: إن كل ما فعله العباد من خير وشر فهو من الله، وأنت تأبى ذلك، فمن حرك يدي هذه؟ وجعل أبو العتاهية يحركها. فقال له ثمامة: حركها من أمه زانية. فقال: شتمني والله يا أمير المؤمنين. فقال ثمامة: ناقض الماص بظر أمه والله يا أمير المؤمنين! فضحك المأمون وقال له: ألم أقل لك أن تشتغل بشعرك وتدع ما ليس من عملك! قال ثمامة: فلقيني بعد ذلك فقال لي: يا أبا معن، أما أغناك الجواب عن

السفه؟! فقلت: إن من أتم الكلام ما قطع الحجة، وعاقب على الإساءة وشفى من الغيظ، وانتصر من الجاهل.
قال محمد بن يحيى وحدثني عون بن محمد الكندي قال: سمعت العباس بن رستم يقول: كان أبو العتاهية مذبذبا" في مذهبه: يعتقد شيئا"، فإذا سمع طاعنا" عليه ترك اعتقاده إياه وأخذ غيره خبره مع المخنثين حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني ابن أبي الدنيا قال حدثني الحسين بن عبد ربه قال حدثني علي بن عبيدة الريحاني قال حدثني أبو الشمقمق: أنه رأس أبا العتاهية يحمل زاملة المخنثين، فقلت له: أمثلك يضع نفسه هذا الموضع مع سنك وشعرك وقدرك؟ فقال له: أريد أن أتعلم كيادهم، وأتحفظ كلامهم.

محاورته بشر بن المعتمر أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: ذكر أحمد بن إبراهيم ين إسماعيل أن بشر بن المعتمر قال يوما" لأبي العتاهية: بلغني أنك لما نسكت جلست تحجم اليتامى والفقراء للسبيل، أكذلك كان؟ قال نعم. قال له: فما أردت بذلك؟ قال: أردت أن أضع من نفسي حسبما رفعتني الدنيا، وأضع منها ليسقط عنها الكبر، واكتسب بما فعلته الثواب، وكنت أحجم اليتامى والفقراء خاصة. فقال له بشر: دعني من تذليلك نفسي بالحجامة؛ فإنه ليس بحجة لك أن تؤديها وتصلحها لما لعلك تفسد به أمر غيرك؛ أحب أن تخبرني هل كنت تعرف الوقت الذي كان يحتاج فيه من تحدجمه إلى إخراج الدم؟ قال: لا. قال: هل كنت تعرف مقدار ما يحتاج كل واحد منهم إلى أن يخرجه على قدر طبعه، مما إذا زدت فيه أو نقصت منه ضر المحجوم؟ قال لا. قال: فما أراك إلا أردت أن تتعلم الحجامة على أقفاء اليتامى والمساكين! أراد حمدوية صاحب الزنادقة أخذه فتستر بالحجامة: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا أبو ذكوان قال حدثنا العباس بن رستم قال: كان حمدوية صاحب الزنادقة قد أراد أن يأخذ أبا العتاهية، ففزع من ذلك وقعد حجاما".

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال قال أبو دعامة علي بن يزيد: أخبر يحيى بن خالد أن أبا العتاهية قد نسك، وأنه جلس بحجم الناس للأجر تواضعا" بذلك. فقال: ألم يكن يبيع الجرار قبل ذلك؟ فقيل له بلى. فقال: أما في بيع الجرار من الذل ما يكفيه يستغني به عن الحجامة! سئل عن خلق القرآن فأجاب أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني شيخ من مشايخنا قال حدثني أبو شعيب صاحب ابن أبي دواد قال: قلت لأبي العتاهية: القرآن عندك مخلوق أم غير مخلوق؟ فقال: أسألتني عن الله أم عن غير الله؟ قلت: عن غير الله، فأمسك. وأعدت عليه فأجابني هذا الجواب، حتى فعل ذلك مرارا". فقلت له: مالك لا تجيبني؟ قال: قد أجبتك ولكنك حمار

أوصافه وصناعته

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا شيخ من مشايخنا قال حدثني محمد بن موسى قال: كان أبو العتاهية قضيفا"، أبيض اللون، أسود الشعر، له وفرة جعدة، وهيئة حسنة ولباقة وحصافة، وكان له عبيد من السودان، ولأخيه

زيد أيضا"عبيد منهم يعملون الخزف في أتون لهم؛ فإذا اجتمع منه شيء ألقوه على أجير لهم يقال له أبو عباد اليزيد من أهل طاق الجرار بالكوفة، فيبيعه على يديه ويرد فضله إليهم. وقيل: بل كان يفعل ذلك أخوه زيد لا هو؛ وشئل عن ذلك فقال: أنا جرار القوافي، وأخي جرار التجارة.

قال محمد بن موسى: وحدثني عبد الله بن محمد قال حدثني عبد الحميد بن سريع مولى بن عجل قال: أنا رأيت أبا العتاهية وهو جرار يأتيه الأحداث والمتأدبون فينشدهم أشعاره، فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبونها فيها.

كان يشتم أبا قابوس ويفضل عليه العتابي

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال: لما هاجى أبو قابوس النصراني كلثوم بن عمرو العتابي، جعل أبو العتاهية يشتم أبا قابوس وضع منه؛ ويفضل العتابي عليه؛ فبلغه ذلك فقال فيه:

قل للكنى نفسه متخيرا "بعتاهية

والمرسل الكلم القبي ح وعته أذن واعية

إن كنت سرا" سؤتني أو كان ذاك علانيه

فعليك لعنة ذي الجلا ل وأم زيد زانية

-يعني أم أبي العتاهية، وهي أم زيد بنت زياد-فقيل له: أشتم مسلما"؟ فقال: لم أشتمه، وإنما قلت:

فعليك لعنة ذي الجلا ل ومن عنينا زانية

هجاء والية بن الحباب: قال: وفيه يقول والية بن الحباب وكان يهاجي:

كان فينا يكنى أبا إسحاق وبها الركب سار في الآفاق

فتكنى معتوهنا بعتاه يالها كنية أنت باتفاق

خلق الله لحية لك لاتن فك معقودة بداء الحلاق

قصته مع النوشجاني

أخبرنا محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا النوشجاني قال: أتاني البواب يوما" فقال لي: أبو إسحاق الخزاف بالباب؛ فقلت: ائذن له، فإذا أبو العتاهية قد دخل. فوضعت بين يديه قنو موز؛ فقال: قد صرت تقتل العلماء بالموز، قتلت أبا عبيدة بالموز، وتريد أن تقتلني به لا والله لا أذوقه. قال: فحدثني عروة بن وسف الثقفي قال: رأيت أبا عبيده قد خرج من دار النوشجاني في شق محمل مسجى، إلا أنه حي، وعند رأسه قنو موز وعند رجليه قنو موز آخر، يذهب به إلى أهله. فقال النوشجاني وغيره: لما دخلنا عليه نعوده

قلنا: ما سبب علتك؟ قال: هذا النوشجاني جاءني بموز كأنه أيور المساكين، فأكثرت منه، فكان سبب علتي.
قال: ومات في تلك العلة.

رأي مصعب بن عبد الله في شعره

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال: سمعت مصعب بن عبد الله يقول: أبو العتاهية أشعر الناس.
فقلت له: بأي شيء استحق ذلك عندك؟ فقال: بقوله:

تعلقت بآمال طوال أي آمال
وأقبلت على الدنيا ملحا أي إقبال
أيا هذا تجهز ل فراق الأهل والمال
فلا بد من الموت على حال من الحال

ثم قال مصعب: هذا كلام سهل حق لا حشو فيه ولا نقصان، يعرفه العاقل ويقر به الجاهل.
استحسان الأصمعي لشعره أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال: سمعت الأصمعي يستحسن قول أبي العتاهية:

أنت ما استغنيت عن صا حبك الدهر أخوه
فإذا احتجت إليه ساعة" مجك فوه.

قول سلم الخاسر هو أشعر الجن والإنس حدثنا محمد بن العباس اليزيدي إملاء قال حدثني عمي الفضل بن محمد قال حدثني موسى بن صالح الشهرزوري قال: أتيت سلما الخاسر فقلت له: أنشدني لنفسك. قال: ولكن أنشدك لأشعر الجن والإنس، لأبي العتاهية، ثم أنشدني قوله: صوت

سكن يبقى له سكن ما بهذا يؤذن الزمن
نحن في دار يخبرنا ببلاها ناطق لسن
دار سوء لم يدم فرح لامرئٍ فيها ولا حزن
في سبيل الله أنفسنا كلتا بالموت مرتهن
كل نفس عند ميتتها حظها من مالها الكفن
إن مال المرء ليس له منه إلا ذكره الحسن

فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثني رجل من أهل البصرة أنسيت اسمه، قال حدثني حمدون بن زيد قال حدثني رجاء بن مسلمة قال: قلت لسلم الخاسر: من أشعر الناس؟ فقال: إن

شئت أخبرتك بأشعر الجن والإنس. فقلت: إنما أسألك عن الإنس، فإن زدتني الجن فقد أحسنت. فقال: أشعرهم الذي يقول:

سكن يبقى له سكن ما بهذا يؤذن الزمن

قال: والشعر لأبي العتاهية.

ثناء جعفر بن يحيى على شعره حدثني اليزيدي قال حدثني محمد بن موسى قال حدثني جعفر بن النصر الواسطي الضرير قال حدثني محمد بن شيرويه الأنماطي قال: قلت لداود بن زيد بن زرين الشاعر: من أشعر هل زمانه؟ قال: أبو نواس. قلت: فما تقول في أبي العتاهية؟ فقال: أبو العتاهية أشعر الأنس والجن.

أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن موسى قال قال الزبير بن بكار: أخبرني إبراهيم بن المنذر عن الضحاك، قال: قال عبد الله بن عبد العزيز العمري: أشعر الناس أبو العتاهية حيث يقول:

ماضر من جعل التراب مهاده ألا ينام على الحرير إذا قنع

صدق والله وأحسن.

مهارته في الشعر وحديثه عن نفسه في ذلك حدثني الصولي قال حدثني محمد بن موسى قال حدثني أحمد بن حرب قال حدثني المعلى بن عثمان قال: قيل لأبي العتاهية: كيف تقول الشعر؟ قال: ما أردته قط إلا مثل لي، فأقول ما أريد وأترك ما لا أريد.

أخبرني ابن عمار قال حدثني ابن مهروية قال حدثني روح بن الفرج الرمازي قال: جلست إلى أبي العتاهية فسمعته يقول: لو شئت أن أجعل كلامي كله شعرا" لفعلت.

حدثنا الصولي قال حدثنا العتري قال حدثنا أبو عكرمة قال: قال محمد بن أبي العتاهية: سئل أبي: هل تعرف العروض؟ فقال: أنات أكبر من العروض. وله أوزان لا تدخل في العروض.

نظم شعرا" للرشيد وهو مريض فأبلغه الفضل وقر به الرشيد: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا العتري. قال حدثنا أبو عكرمة قال: حم الرشيد، فصار أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع برقعة فيها:

لو علم الناس كيف أنت لهم ماتوا إذا ما ألمت أجمعهم

خليفة الله أنت ترجح بالناس إذا ما وزنت أنت وهم

قد علم الناس أن وجهك يس تغني إذا ما رآه معدمهم

فأنشدها الفضل بن الربيع الرشيد؛ فأمر بإحضار أبي العتاهية، فمازال يسامره ويحدثه إلى أن برى، ووصل إليه بذلك السبب مال جليل.

إعجاب ابن الأعرابي به وإفحامه من تنقص شعره: قال: و لم؟ قال: لأنه شعر ضعيف. فقال ابن الأعرابي -

وكان أحد الناس-: الضعيف والله عقلك لا شعر أبي العتاهية، ألأبي العتاهية تقول: إنه ضعيف الشعر! فوا لله ما رأيت شاعرا" قط أطبع ولا أقدر على بيت منه، وما أحسب مذهبه إلا ضربا" من السحر، ثم أنشد له:

قطعت منك حبائل الآمال وحططت عن ظهر المطي رحالي
ووجدت برد اليأس بين جوانحي فأرحت من حل ومن ترحال
يأيها البطر الذي هو من غد في قبره متمزق الأوصال
حذف المنى عنه المشمر في الهى وأرى مناك طويلة الأذيال
حيل ابن آدم في الأمور كثيرة و الوقت يقطع حيلة المحتال

قست السؤال فكان أعظم قيمة" من كل عافه جرت بسؤال
فإذا ابتليت ببذل وجهك سائلا" فابذله للمتكرم المفضال
وإذا خشيت تعذرا" في بلدة فاشدد يديك بعاجل الترحال
واصبر على غير الزمان فإنما فرج الشدائد فقال حل عقال.

ثم قال للرجل: هل تعرف أحدا" يحسن أن يقول مثل هذا الشعر؟ فقال له الرجل: يا أبا عبد الله، جعلني الله فداءك! إني لم أردد عليك ما قلت، ولكن الزهد مذهب أبي العتاهية، وشعره في المديح ليس كشعره في الزهد. فقال: أفليس الذي يقول في المديح:

وهارون ماء المزن يشفي به الصدى إذا ما لصدى بالريق غصت حناجره
وأوسط بيت في قريش لبيته وأول عز في قريش وآخره
وزحف له تحكي البروق سيوفه وتحكي الرعود القاصفات حوافره
إذا حميت شمس النهار تضاحكت إلى الشمس فيه بيضة ومغافره
إذا نكب الإسلام يوما" بنكبة فهارون من بين البرية ثائره
ومن ذا يفوت الموت والموت مدرك كذا لم يفت هارون ضد ينافره

قال: فتخلص الرجل من شر ابن الأعرابي بأن قال له: القول كما قلت، وما كنت سمعت له مثل هذين الشعرين، وكتبهما عنه.

قال أبو نواس لست أشعر الناس وهو حي حدثني محمد قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني ابن الأعرابي المنجم قال حدثني هارون بن سعدان بن الحارث مولى عبد قال: حضرت أبا نواس في مجلس وأنشد شعرا". فقال له: من حضر في المجلس: أن أشعر الناس. قال: أما والشيخ حي فلا. "يعني أبا العتاهية"

أنشد لثمامة شعره في ذم البخل

فاعترض على بخله فأجابه:

أخبرني يحيى بن علي إجازة قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني الحسين بن أبي السري قال: قال ثمامة بن أشرس أنشدني أبو العتاهية:

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه تملكه المال الذي هو مالكه

ألا إنما مالي الذي أنا منفق وليس لي المال الذي أنا تاركه

إذا كنت ذا مال فبادر به الذي يحق وإلا استهلكته مهالكه

فقلت له: من أين قضيت بهذا؟ فقال: من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت". فقلت له: أتؤمن بأن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه الحق؟ قال نعم. قلت: فلم تحبس عندك سبعا" وعشرين بدرة في دارك، ولا تأكل منها ولا تشرب ولا تزكي ولا تقدمها ذخرا" ليوم فقرك وفاقتك؟ فقال: يا أبا معن، والله إن ما قلت لهو الحق، ولكني أخاف الفقر والحاجة إلى الناس. فقلت: ويم تزيد حال من افتقر على حالك وأنت دائم الحرص دائم الجمع شحيح على نفسك لا تشتري اللحم إلا من عيد إلى عيد؟! فترك جواب كلامي كله، ثم قال لي: والله لقد اشتريت في ويم عاشوراء لحما" وتوابله ومايتبعه بخمسة دراهم. فلما قال لي هذا القول أضحكني حتى أذهلني عن جوابه ومعاتبته، فأمسكت عنه وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للإسلام.

بخله، ونوادر مختلفة في ذلك أخبرني يحيى بن علي إجازة قال حدثني علي بن المهدي قال قال الجاحظ: حدثني ثمامة قال: دخلت يوما" إلى أبي العتاهية فإذا هو يأكل خبزا" بلا شيء. فقلت: كأنك رأيته يأكل خبزا" وحده؛ قال: لا! ولكنه رأيته يتأدم بلا شيء. فقلت: وكيف ذلك؟ فقال: رأيت قدامه خبزا" يابسا" من رقاق فطير وقدحا" فيه لبن حليب، فكان يأخذ القطعة من الخبز فيغمسها من اللبن ويخرجها و لم تتعلق منه بقليل ولا كثير؛ فقلت له: كأنك اشتهيت أن تتأدم بلا شيء، وما رأين أحد قبلك تأدم بلا شيء.

قال الجاحظ: وزعم لي بعض أصحابنا قال: دخلت على أبي العتاهية في بعض المنتزهات، وقد دعا عياشا" صاحب الجس وتهيأ له بطعام، وقال لغلامه: إذا وضعت قدامهم الغداء فقدم إلي ثريدة بخل وزيت. فدخلت عليه، وإذا هو يأكل منها أكل متكمش غير منكر لشيء. فدعاني فمددت يدي معه، فإذا بثريدة بخل وبزر بدلا" من الزيت، فقلت له: أتدري ما تأكل؟ قال: نعم ثريدة بخل وبزر. فقلت: وما دعاك إلى هذا؟ قال: غلط الغلام بين دبة الزيت ودبة البزر، فلما جاءني كرهت التجبر وقلت: دهن كدهن، فأكلت وما أنكرت شيئا" أخبرني يحيى بن علي قال حدثني علي بن مهدي قال حدثنا عبد والله بن عطية الكوفي قال حدثنا محمد بن عيسى

الخزيمي، وكان جار أبي العتاهية، قال: كان لأبي العتاهية جار يلتقط النوى ضعيف سيء الحال متجمل عليه ثياب فكان يمر بأبي العتاهية طرفي النهار؛ فيقول أبو العتاهية: اللهم أغنه عما هو بسبيله، شيخ ضعيف سيء الحال عليه ثياب متجمل، اللهم أعنه، اصنع له، بارك فيه. فبقي على هذا إلى أن مات الشيخ نحوا" من عشرين سنة. ووالله إن تصدق عليه بدرهم ولا دانق قط، وما زاد على الدعاء شيئا". فقلت له يوما": يا أبا إسحاق إني أراك تطثر الدعاء لهذا الشيخ وتزعم أنه فقير مقل، فلم لا تتصدق عليه بشيء؟ فقال: أخشى أن يعتاد الصدقة، والصدقة آخر كسب العيد، وإن في الدعاء لخيرا" كثيرا" قال محمد بن عيسى الخزيمي هذا: وكان لأبي العتاهية خادم أسود طويل كأنه محراك أتو، وكان يجري عليه في كل يوم رغيفين. فجاءني الخادم يوما" فقال لي: والله مااشبع. فقلت: وكيف ذاك؟ قال: لأني ماأفتر من الكد وهو يجري على رغيفين بغير إدام. فإن رأيت أن تكلمه حتى يزيدني رغيفا" فتؤجر! فوعدته بذلك. فلما جلست معه مر بنا الخادم فكرهت إعلامه أنه شكاإلي ذلك، فقلت له: يا أباإسحاق، كم تجري على هذا الخادم في كل يوم؟ قال رغيفين. فقلت به: من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير، وكل من أعطى نفسه شهوتها هلك، وهذا خادم يدخل إلى حرمي وبناتي، فإن لم أعوده القناعة والاقتصاد أهلكني وأهلك عيالي ومالي. فمات الخادم بع ذلك فكفته في إزار وفراش له خلق. فقلت له: سبحان اله! خادم قديم الحرمة طويل الخدمة وأجب الحق، تكفنه في خلق، وإنما يكفيك له كفن بدينارين! فقال: غنه يصير إلى البلى، والحي أولى بالجديد من الميت. فقلت له: يرحمك الله أبا إسحا! فلقد عودته الاقتصاد حيا" وميتا".

قال محمد بن عيسى هذا: وقف عليه ذات يوم سائل من العيارين الظرفاء وجماعة من جيرانه حوله، فسأله من بين الجيران؛ فقال: صنع الله لك! فأعاد السؤال فأعاد عليه ثانية، فأعاد عليه ثالثة فرد عليه مثل ذلك، فغضب وقال له: ألست القائل:

كل حي عند ميتته حظه من ماله الكفن

ثم قال: فبالله عليك أرتيد أن تعد مالك كله لثمن كفنك؟ قاللا. قال: فبالله كم قدرت لكفنك؟ قال خمسة دنانير. قال: فهي إذا" حظك من مالك كله. قال نعم. قال: فتصدق علي من غير حظك بدرهم واحد. قال: لو تصدقت عليك لكان حظي. قال: فاعمل على أن دينارا" من الخمسة الدنانير وضيعة قيراط، وادفع إلي قيراطا" واحدا"، وإلا فواحدة أخرى. قال: وماهي؟ قال: القبور تحفر بثلاثة دراهم، فأعطني درهما" وأقيم لك كفيلا" بأني أحفر لك قبرك به متى مت، وتربح درهمين لم يكونا في حسبانك، فإن لم أحتفر رددته على ورثتك أو رده كفيلي عليهم. فخجل أبو العتاهية وقال: اعزب لعنك الله وغضب عليك! فضحك جميع من حضر. ومر السائل يضحك؛ فالتفت إلينا أبو العتاهية فقال: من أجل هذا وأمثاله حرمت الصدقة. فقلنا له: ومن حرمها ومتى حرمت! فما رأينا أحدا" أدعى أن الصدقة حرمت قبله ولابعده.

قال نحمد بن عيسى هذا: وقلت لأبي العتاهية: أتزكي مالك؟ فقال: والله ماأنفق علي عيالي إلا من زكاة مالي.

فقلت: سبحان الله! غنما ينبغي أن تخرج زكاة مالك إلى الفقراء والمساكين. فقال: لو انقطعت عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الأرض أفقر منهم.

سئل عن أحكم شعره فأجاب

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا الزبير بن بكار قال: قال سليمان بن أبي شيخ قلت لأبي العتاهية: أي شعر قلته أحكم؟ قال قولي:

علمت يامجائع بن مسعدة أن الشباب والفراغ والجدة

مفسدة للمرء أي مفسدة

معاتبته عمرو بن مسعدة

أخبرني عيسى قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أبو غزية قال: كان مجاشع بن مسعدة أخو عمرو بن مسعدة صديقا" لأبي العتاهية، فكان يقوم بحوائجه كلها ويخلث مودته، فمات، وعرضت لأبي العتاهية حاجة إلى أخيه عمرو بن مسعدة فتباطأ فيها؛ فكتب إليه أبو العاهية:

غنيت عن العهد القديم غنيتا وضيعت ودا" بيننا ونسيتا

ومن عجب الأيام أن مات مألفي ومن كنت تغشاني به وبقيتا

فقال عمرو: استطال أبو إسحاق إعمارنا وتوعدنا، مابعد هذا خير، ثم قضى حاجته.

فارق أبا غزية في المدينة وأنشده شعرا": أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا أبو غزيةقال: كان أبو العتاهية إذا قدم من المدينة يجلس إلي؛ فأراد مرة الخروج من المدينة فودعني ثم قال:

لإن نعش نجتمع وإلا فما أش غل من مات عن جميع الأنام

طالبه غلام من التجار بمال

فقال فيه شعرا' أخجله:

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني عبد الرحمن بن إسحاق العذري قال: كان لبعض التجار من أهل باب الطاق على أبي العتاهية ثمن ثياب أخذها منه. فمربه يوما"، فقال صاحب الدكان لغلام ممن يخدمه حسن الوجه: أدرك أبا العتاهية فلا تفارقه حتى تأخذ منه مالنا؟ عنده؛ فأدركه على رأس الجسر، فأخذ بعنان حماره ووقفه. فقال له: ماحاجتك ياغلام؟ قال: أنا رسول فلان، بعثني إليك لآخذ ماله

عليك. فأمسك عنه أبو العتاهية؛ وكان كل من مر فرأى الغلام متعلقا" به وقف ينظر، حتى رضي أبوالعتاهية جمع الناس وحفلهم، ثم أنشأ يقول:

والله ربك إنني لأجل وجهك عن فعالك

لوكان فعلك مثل وج هك كنت مكتفيا" بذلك

فخجل الغلام وأرسل عنان الحمار، ورجع إلى صاحبه، وقال: بعثتني إلي شيطان جمع علي الناس في الشعر حتى أخجلني فهربت منه.

حجبه حاجب عمرو بن مسعدة فقال

فيه شعرا':

أخبرني أحمد بن العباس قال حدثنا العنزي قال قال إبارهيم بن إسحاق بن إبارهيم التيمي: حدثني إبراهيم بن حكيم قال: كان أبو العتاهية يختلف إلى عمرو بن مسعدة لود كان بينه وبين أخيه مجاشع. فاستأذن عليه يوما" فحجب عنه، فلزم منزله. فاستبطأه عمرو؛ فكتب إليه: إن الكسل يمنعني من لقائك؛ وكتب في أسفل رقعته:

كسلني اليأس منك عنك فما أرفع طرفي إليك من كسل

إني إذا لم يكن أخي ثقة قطعت منه حبائل الأمل

حدثني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال: استأذن أبو العاهية على عمرو بن مسعدة فحجب عنه؛ فكتب إليه:

مالك قد حلت عن إخائك واس تبدلت ياعمرو شيمة كدره

إني إذا الباب تاه حاجبه لم يك عندي في هجره نظره

لستم ترجون كالظل بهجتها سريعة الانقضاء منشمرة

قد كان وجهي لديك معرفة" فاليوم أضحى حرفا" من النكرة

قصيدته في هجو عبد الله بن معن

وما كان بينهما:

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثنا أبو عكرمة قال: كان الرشيد إذا رأى عبد الله بن معن بن زائدة تمثل قول أبي العتاهية:

أخت بني شيبان مرت بنا ممشوطة كورا" على بغل

وأول هذه الأبيات

ياصاحبي رحلي لاتكثرا ... في شتم عبد الله من عذل
سبحان من خص ابن معن بما ... أرى به من قلة العقل
قال ابن معن وجلا نفسه ... على من الجلوة ياأهلي
أنا فتاة الحي من وائل ... في الشرف الشامخ والنبل
مافي بني شيبان أهل الحجا جارية واحدة مثلي
ويلي ويالهفي على أمرد ... يلصق مني القرط بالحجل
صافحته يوما" على خلوة ... فقال دع كفي وخذ برجلي
أخت بني شيبان مرت بنا ... ممشوطة كورا" على بغل
تكنى أبا الفضل ويامن رأى ... جارية تكنى أبا الفضل
قد نقطت في وجهها نقطة ... مخافة العين من الكحل

إن زرتموها قال حجابها ... نحن عن الزوار في شغل
مولاتنا مشغولة عندها ... بغل ولا إذن على البعل
يابنت معن الخير لاتجهلي ... وأين إقصار عن الجهل
أتجلد الناس وأنت امرؤ ... تجلد في الدبر وفي القبل
ماينبغي للناس أن ينسبوا ... من كان ذا جود إلى البخل
يبذل مايمنع أهل المدى ... هذا لعمري منتهى البذل
ماقلت هذا فيك إلا وقد ... جفت به الأقلام من قبلي

قال: فبعث إليه عبد الله بن معن، فأتي به؛ فدعا بغلمان له ثم أمرهم أن يرتكيبوا منه الفاشحة، ففعلوا ذلك، ثم أجلسه وقال له: قد جربتك على قولك في، فهل لك في الصلح ومعه مركب وعشرة آلاف درهم أو تقيم على الحرب؟ قال: بل الصلح. قال: فأسمعني ماتقوله في الصلح؛ فقال:

يالعذالي ومالي ... أمروني بالضلال
عذلوني في اغتفاري ... لابن معن واحتمالي
إن يكن ما كان منه ... فبجرمي وفعالي

أنا منه كنت أسوأ عشرة في كل حال

قل لمن يعجب من حس ن رجوعي ومقالي

رب ود بعد صد وهوى بعد تقالي

قد رأينا ذا كثيرة جاريا "بين الرجال

إنما كانت يميني لطمت مني شمالي

خبره مع سعدى حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن موسى اليزيدي قال حدثنا أبو سويد عبد القوي محمد بن أبي العتاهية ومحمد بن سعد قالا: كان أبو العاهية يهوى في حداثته امرأة نائحة من أهل الحيرة لها حسن وجمال يقال لها سعدى، وكان عبد الله بن معن بن زائدة المكنى بأبي الفضل يهواها أيضا"، وكانت مولاة لهم، ثم اتهمها أبو العتاهية بالنساء، فقال فيها:

ألا ياذوات السحق في الغرب والشرق أفقن فإن النيك أشفى من السحق

أفقن فإن الخبز بالأدم يشتهي وليس يسوغ الخبز بالخبز في الحلق

أراكن ترقعن الخروق بمثلها وأي لبيب يرقع الخرق بالخرق

وهل يصلح المهراس إلا بعوده إذا احتيج منه ذات يوم إلى الدق

حدثني الصولي قال حدثني الغلابي قال حدثني مهدي بن سابق قال: تهدد عبد الله بن معن أبا العتاهية وخوفه ونهاه أن يعرض لمولاته سعدى؛ فقال أبو العتاهية:

ألا قل لابن معن ذا الذي في الود قد حالا

لقدبلغت ماقال فما باليت ماقالا

ولوكان من الأسد لماصال ولاهالا

فصغ ما كنت حليت به سيفك خلخالا

وماتصنع بالسيف إذا لم تك قتالا

ولو مد إلى أذني ه كفيه لما نالا

قصير الطول والطيل ة لاشب ولاطالا

أرى قومك أبطالا وقد اصبحت بطالا

ضربه عبد الله بن معن فهجاه

حدثنا الصولي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثني سليمان المدائني قال: احتال عبد الله بن معن على أبي العتاهية حتى أخذ في مكان فضربه مائة سوط ضربا" ليس بالمبرح غيظا" عليه، وإنما يعنف في ضربه خوفا" من يعنى به؛ فقال أبو العاهية يهجوه:

جلدتني بكفها بنت معن بن زائدة

جلدتني فأزجعت بأبي تلك جالدة

وتراها مع الخصي على الباب قاعدة

تتكنى كنى الرجا ل بعمد مكايدة

جلدتني وبالغت مائة غير واحدة

أجلديني واجلدي إنما أنت والدة

وقال أيضا":

ضربتني بكفها بنت معن أوجعت كفها وماأوجعتني

ولعمري لولا أذى كفها إذ ضربتني بالشوط ماتركتني

تواعده يزيد بن معن لهجائه أخاه فهجاه

قال الصولي: حدثنا عن بن محمد ومحمد بن موسى قالا: لما اتصل هجاء أبي العتاهية بعبد الله بن معن وكثر، غضب أخوهو بن معن من ذلك وتوعد أبا العتاهية؛ فقال فيه قصيدته التي أولها:

بني معن ويهدمه يزيد كذاك الله يفعل مايريد

فمعن كان للحساد غما وهذا قد يسر به الحسود

يزيد يزيد في منع وبخل وينقص في العطاء ولايزيد

مصالحته أولاد معن

حدثني الصولي قال حدثني جبلى بن محمد قال حدثني أبي قال: مضى بنو معن إلى مندل وحيان ابن على العتريين الفقيهين- وهما من بني عمرو بن عامر بطن من يقدم بن عترة، وكانا من سادات أهل الكوفة- فقالوا لهم: نحن بيت واحد وأهل، ولافرق بيننا، وقد أتانا من مولاكم هذا مالو أتانا من بعيد الولاء لوجب أن تردعاه.؟ فأحضرا أبا العتاهية، و لم يكن بمكنه الخلاف عليهما، فأصلحا بينه بين عبد الله ويزيد ابني معن، وضكنا عنه خلوص النية، وعنهما ألا يتبعاه بسوء، وكانا ممن لايمكن خلافهما، فرجعت الحال إلى المودة والصفاء. فجعل الناس يعذلون أبا

العتاهية، و لم يكن يمكنه الخلاف عليهما، فأصلحا بينه وبين عبد الله ويزيد ابني معن، وضمعنه خلوص النية، وعنهما ألا يتبعاه بسوء، وكانا ممن لايمكن خلافهما، فرجعت الحال إلى المودة والصفاء. فجعل الناس يذلون أبا العتاهية على مافرط منه، ولامه آخرون في صلحه لهما؛ فقال:

مالعذالي ومالي أمروني بالضلال

وقد كتبت متقدمة.

رثاؤه زائدة بن معن

حدثني الصولي قال حدثنا محمد بن موسى قال: كان زائدة بن معن صديقا" لأبي العتاهية و لم يعن إخوته عليه، فمات؛ فقال أبو العتاهية يرثيه:

حزنت لموت زائدة بن معن حقيق أن يطول عليه حزين

فتى الفتيان زائدة المصفى أبو العباس كان أخي وخدني

فتى قوم وأي فتى توارت به الأكفان تحت ثرى ولبن

ألا ياقبر زائدة بن معن دعوتك كي تجيب فيم تجبني

سل الأيام عن أركان قومي أصبن بهن ركنا" بعد ركن

فكان ابن معن يخجل إذا لبس السيف

أخبرني الصولي قال حدثنا الحسن بن علي الرازي القارىء قال حدثني أحمد بن أبي فنن قال: كنا عند الأعرابي، فذكروا قول ابن نوفل في عبد الملك بن عمير:

إذا ذات دل كلمته لحاجة فهم بأن يقضي تنحنح أوسعل

وأن عبد الملك قال: تركني والله وإن السعلة لتعرض لي في الخلاء، فأذكر قوله فأخاب أن أسعل. قال: فقلت لأبن الأعرابي: فهذا أبو العتاهية قال في عبد الله بن معن بن زائدة:

فصغ ما كنت حليت به سيفك خلخالا"

وماتصنع بالسيف إذا لم تك قتالا

فقال عبد الله بن معن: مالبست سيفي قط فرأيت إنسانا" يلمحني إلا ظننت أنه يحفظ قول أبي العتاهية في، فلذلك يتأملني فأخجل. فقال ابن الأعرابي: اعجبوا لعبد يهجو مولاه. قال: وكان ابن الأعرابي مولى بن شيبان

مناظرته مسلم بن الوليد قي قول الشعر

نسخت من كتاب هلارون بن علي بن يحيى: حدثني علي بن مهدي قالحدثني الحسين بن أبي السري قال: اجتمع أبو العتاهية ومسلم بن الوليد الأنصاري في بعض المجالس، فجرى بينهما الكلام؛ فقال له مسلم: والله لو كنت أرضى أن أقول مثل قولك:

الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك

لبيك إن الملك لك

لقلت في اليوم عشرة آلاف بيت، ولكني أقول:

موف على مهج في يوم ذي رهج كأنه أجل يسعى إلى أمل

ينال بالرفق مايعيا الرجال به كالموت مستعجلا" يأتي على مهل

يكسو السيوف نفوس الناكثين به ويجعل الهام تيجان القنا الذبل

لله من هاشم في أرضه جبل وأنت وابنك ركنا ذلك الحبل

فقال له أبو العتاهية: قل مثل قولي: " الحمد والنعمة لك أقل مثل قولك: " كأنه أجل يسعى إلى أمل تقارض هو وبشار الثناء على شعريهما حدثني الصولي قال حدثنا الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق قال: قال بشار لأبي العتاهية: أنا والله استحسن اعتذارك من دمعك حيث تقول:

كم من صديق لي أسا رقه البكاء من الحياء

فإذا تأمل لامني فأقول مابي من بكاء

لكني ذهبت لأرتدي فطرفت عيني بالرداء

فقال له أبو العاتاهية: لاوالله يا أبا معاذ، مالذت إلا بمعناك ولااجتنيت إلا من غرسك حيث تقول:

صوت

شكوت إلى الغواني ماألاقي وقلت لهن مايومي بعيد

فقلن بكيت قلت لهن كلا" وقد يبكي من الشوق الجليد

ولكني أصاب سزواد عيني عويد قدى له طرف حديد

فقلن فما لدمعها سواءٍ أكلتا مقلتيك أصاب عود

لأبراهيم الموصلي في هذه الأبيات لحن من الثقيل الأول بالوسطى مطلق.

مع محمد بن الفضل الهاشمي

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني محمد بن هارون الأزرقي مولى بن هاشم عن ابن عائشة عن ابن لمحمد بن الفضل الهشمي قال: جاء أبو العتاهية إلى أبي فتحدثا ساعة، وجعل أبي يشكو إليه تخلف الصنعة وجفاء السلطان. فقال لي أبو العتاهية: اكتب:

كل على الدنيا له حرص ... والحادثات أناتها غفص

وكأن من واوه في جدث ... لم يبد منه لناظر شخص

تبغي من الدنيا زيادتها ... وزيادة الدنيا هي النقص

ليد المنية في تلطفها ... عن ذخر كل شفيقة فحص

حبسه الرشيد ثم عفا عنه وأجازه

حدثني عمرو قال حدثني علي بن محمد الهشامي عن جده ابن حمدون قال أخبرني مخارق قال: لما تنسك أبو العتاهية ولبس الصوف، أمره الرشيد أن يقول شعرا" في الغزل، فامتنع؛ فضربه الرشيد ستين عصا"، وحلف ألا يخرج من حبسه حتى يقول شعرا" في الغزل. فلما رفعت المقارع عنه قال أبو العتاهية: كل مملوك له حر وامرأته طالق إن تكلم سنة أو بلا إله إلا الله محمد رسول الله. فكأن الرشيد تحزن مما فعله، فأمر أن يحبس في دار ويوسع عليه، ولايمنع من دخول من يريد إليه، قال مخارق: وكانت الحال بينه وبين إبراهيم الموصلي لطيفة، فكان يبعثني إليه في الأيام أتعرف خبره. فإذا دخلت وجدت بين يديه ظهرا" ودواة، فيكتب إلي مايريد، وأكلمه. فمكث هكذا سنة. واتفق أن إبراهيم صنع صوته:

صوت

أعرفت دار الحي بالحجر ... فشدوريان فقنة الغمر

وهجرتنا وألفت رسم بلى ... والرسم كان أحق بالهجر

-لحن إبراهيم في هذا الشعر خفيف رمل بالوسطى. وفيه لإسحاق رمل بالوسطى -قال مخارق: فقال لي إبراهيم: اذهب إلى أبي العتاهية حتى تغنيه هذا الصوت. فأتيته في اليوم الذي انقضت فيه يمينه، فغنيته إياه. فكتب إلي بعد أن غنيته: هذا اليوم تنقضي فيه يميني، فأحب أن تقيم عندي إلى الليل؛ فأقمت عنده نهاري كله، حتى إذا أذن الناس المغرب كلمني، فقال: يامخارق. قلت: لبيك. قال: قل لصاحبك: يابن الزانية! أما والله لقد أبقيت للناس فتنة إلى يوم القيامة، فانظر أين أنت من الله غدا"! قال مخارق: فكنت أول من أفطر على كلامه؛ فقلت: دعني من هذا، هل قلت شيئا" للتخلص من هذا الموضع؟ فقال: نعم، وقد قلت في امرأتي شعرا". قلت: هاته؛ فأنشدني

صوت

من لقلب ميتم مشتاق شفه شوقه وطول الفراق

طال شوقي إلى قعيدة بيتي ليت شعري فهل لنا من تلاقي

هي حظي قد اقتصرت عليها من ذوات العقود والأطواق

جمع الله عاجلا"بك شملي عن قريب وفكني من وثاقي

قال: فكتبتها وصرت إلى إبراهيم؛ فصنع فيها لحنا"، ودخل بها على الرشيد؛ فكان أول صوت غناه إياه في ذلك المجلس؛ وسأله: لمن الشعر والغناء؟ فقال إبارهيم: أما الغناء فلي، وأما الشعر فلسيرك أبي العتاهية. فقال: أو قد فعل؟ قال: نعم قد كان كذلك. فدعابه، ثم قال لمسرور الخادم: كم ضربنا أبا العتاهية؟ قال: ستين عصا"، فأمر له بستين ألف درهم وخلع عليه وأطلقه.

غضب عليه الرشيد وترضاه له الفضل نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى: حدثني علي بن مهدي قال حدثنا الحسين بن أبي السري قال: قال لي الفضل بن العباس: وجد الرشيد وهو بالرقة على أبي العتاهية وهو بمدينة السلام، فكان أبو العتاهية يرجو أن يتكلم الفضل بن الربيع في أمره، فأبطأ عليه بذلك؛ فكتب إليه أبو العتاهية:

أجفوتني فيمن جفاني وجعلت شأنك غيرشأني

ولطالما أمنتني مما أرى كل الأمان

حتى إذا انقلب الزما ن علي صرت مع الزمان

فكلم الفضل فيه الرشيد فرضي عنه. وأرسل إليه الفضل يأمره بالشخوص. ويذكر له أن أمير المؤمنين قد رضي عنه؛ فشخص إليه. فلما دخل إلى الفضل أنشده قوله فيه:

قد دعوناه نائيا" فوجدنا ه على نأيه قريبا" سميعا

فأدخله إلى الرشيد، فرجع إلى حالته الأولى

كان يزيد بن منصور يحبه ويقربه

فرثاه عند موته:

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني الحسين بن أبي السري قال: كان يزيد بن منصور خال المهدي يتعصب لأبي العتاهية؛ لأنه كان يمدح اليمانية أخوال المهدي فس شعره؛ فمن ذلك قوله:

صوت

سقيت الغيث ياقصر السلام فنعم محلةو الملك الهمام
لقد نشر الإله عليك نورا" وحفك بالملائكة الكرام
سأشكر نعمة المهدي حتى تدور علي دائرة الحمام
له بيتان بيت تبعي وبيت حل بالبلد الحرام

قال: وكان أبو العتاهية طول حياة يزيد بن منصور يدعي أنه مولى لليمن وينتفي من عترة؛ فلما مات يزيد رجع إلى ولائه الأول. فحدثني الفضل بن العباس قال: قلت له: ألم تكن تزعم أن ولاءك لليمن؟! قال: ذلك شيء احتجنا إليه في ذلك الزمن، ومافي واحد ممن انتميت إليه خير، ولكن الحق أحق أن يتبع. وكان ادعى ولاء اللخميين. قال: وكان يزيد بن منصور من أكرم الناس وأحفظهم لحرمة، وأرعاهم لعهدٍ، وكان بارا" بأبي العتاهية، كثيرا" فضله عليه؛ وكان أبو العتاهية منه في منعة وحصن حصين مع كثرة مايدفعه إليه ويمنعه من المكاره. فلما مات قال أبو العتاهية يرثيه:

أنعى يزيد بن منصور إلى البشر أنعى يزيد لأهل البدو و الحضر
ياساكن الحفرة المهجور ساكنها بعد الماقصر والأبواب والحجر
وجدت فقدك في مالي وفي نشبي وجدت فقدك في شعري وفي بشري
فلست أدري جزاك الله صالحة أمنظري اليوم أسوأ فيك أم خبري

استحسن شعره بشار

وقد اجتمعا عند المهدي:

حدثنا ابن عمار قال حدثنا محمد بن إبراهيم بن خلف قال حدثني أبي قال: حدثت أن المهدي جلس للشعراء يوما"، فأذن لهم وفيهم بشار وأشجع، وكان أشجع يأخذ عن بشار ويعظمه، وغير هذين، وكان في القوم أبو العتاهية. قال أشجع: فلما سمع بشار كلامه قال: ياأخا سليم، أهذا ذلك الكوفي الملقب؟ قلت نعم. قال: لاجزى الله خيرا" من جمعنا معه. ثم قال المهدي: أنشد؛ فقال: ويحك! أو يبدأ فيستنشد أيضا" قبلنا؟! فقلت: قد ترى. فأنشد:

ألا مالسيدتي مالها أدلا "فأحمل إدلالها
وإلا ففيم تجنت وما جنيت سقى الله أطلالها
ألا إن جارية للإما م قد أسكن الحب سربالها
مشت بين حورٍ قصار الخطا تجاذب في المشي أكفالها
وقد أتعب الله نفسي بها وأتعب باللوم عذالها

قال أشجع: فقال لي بشار: ويحك ياأخا سليم! ماأدري من أي أمريه أعجب: أمن ضعف شعره، أم من تشبيه بجارية الخليفة، يسمع ذلك بأذنه! حتى أتى على قوله:

أتته الخلافة منقادة" إليه تجرر أذيالها
ولم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها
ولو رامها أحد غيره تزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تطعه بنات القلوب لما قبل الله أعمالها
وإن الخليفة من بغض لا إليه ليبغض من قالها

قال أشجع: فقال لي بشار وقد اهتز طربا": ويحك يا أخا سليم! أترى الخليفة لم يطر عن فرشه طربا" لما يأتي به هذا الكوفي؟

منصور بن عمار يرميه بالزندقة

أخبرني يحيى بن علي إجازة قال حدثني ابن مهروية فال حدثني العباس بن ميمون قال حدثني رجاء بن سلمة قال: سمعت أبا العتاهية يقول: قرأت البارحة "عم يتساءلون "، ثم قلت قصيدة أحسن منها. قال: وقد قيل: إن منصور بن عمار شنع عليه بهذا.

قال يحيى بن علي حدثنا ابن مهروية قال دثني أبو عمر القرشي قال:

لما قص منصور بن عمار على الناس مجلس البعوضة قال أبو العتاهية: إنما سرق منصور هذا الكلام من رجل كوفي. فبلغ قوله منصورا" فقال: أبو العتاهية زنديق، أما ترونه لايذكر في شعره الجنة ولاالنار، وإنما يذكر الموت فقط! فبلغ ذلك أبا العتاهية، فقال فيه:

ياواعظ الناس قد أصبحت متهما" إذ عبت منهم أمورا" أنت اتيها
كالملبس الثوب من عري وعورته للناس بادية ما إن يواريها
فأعظم الإثم بعد الشرك نعلمه في كل نفس عماها عن مساويها

عرفانها بعيوب الناس تبصرها منهم ولاتبصر العيب الذي فيها

فلم تمض إلا أيام يسيرة حتى مات منصور بن عمار، فوقف أبو العتاهية على قبره وقال: يغفر الله لك أبا السري ما كنت رميتني به.

الوشاية به إلى حمدوية صاحب الزنادقة أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن موسى قال اخبرني النسائي عن محمد بن أبي العتاهية قال: كانت لأبي العتاهية جارة تشرف عليه، فرأته ليلة يقنت، فروت عنه أنه يكلم القمر، واتصل الخبر بحمدوية صاحب الزنادقة، فصار إلى منزلها وبات واشرف على أبي العتاهية ورآه يصلي، ولم يزل يرقبه حتى قنت وانصرف إلى مضجعه، وانصرف حمدويه خاسئا" قال شعرا" يدل على توحيده ليتناقله الناس حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن الرياشي قال حدثنا الخليل بن أسد النوشجاني قال: جاءنا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال: زعم الناس أني زنديق، والله ماديني إلى الله إلى التوحيد. فقلنا له: فقل شيئا" نتحدث به عنك؛ فقال:

ألا إننا كلنا بائد واي بني آدم خالد

وبؤهم كان نم ربهم وكل إلى ره عائد

فيا عجبا" كيف يعصي الإل ه أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

أرجوزته المشهورة وقوة شعرها

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال: تذاكروا يوما" شعر أبي العتاهية بحضرة الجاحظ؛ إلى أن جرى ذكر أرجوزته المزدوجة التي سماها " ذات الأمثال"؛ فأخذ بعض من حضر ينشدها حتى أتى على قوله:

ياللشباب المرح التصابي روائح الجنة في الشباب

فقال الجاحظ للمنشد: قف: ثم قال: انظروا إلى قوله: " روائح الجنة في الشباب فإن له معنى كمعنى الطرب الذي لايقدر على معرفته إلا القلوب، وتعجز عن ترجمته الألسنة إلا بعد التطويل وإدامة التفكير. وخير المعاني ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه.

وهذه الأرجوزة من بدائع أبي العتاهية ويقال: إن " له" فيها أربعة آلاف مثل. منها قوله:

حسبك مما تبتغيه القوت مأأكثر القوت لمن يموت

الفقر فيما جاوز الكفافا من اتقر الله رجا وخافا

هي المقادير فلمني أو فذر إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر

لكل مايؤدي وإن قل ألم مأأطول الليل على من لم ينم

ماانتفع المرء بمثل عقله وخير ذخر المرء حسن فعله

إن الفساد ضده الصلاح ورب جد جره المزاح

من جعل النمام عينا" هلكا مبلغك الشر كباغيه لكا

إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للمكرء أي مفسدة

يغنيك عن كل قبيح تركه يرتهن عيشا" كله فناؤه

ماعيش من آفته بقاؤه نغص عيشا" كله فناؤه

يا رب من أسخطنا بجهده قد سرنا الله بغير حمده

ماتطلع الشمس ولاتغيب إلا لأمر شأنه عجيب

لكل شيء معدن وجوهر وأوسط وأصغر وأكبر

من لك بالمحض وكل ممتزج وساوس في الصدر منه تعتلج

وكل شيء لاحق بجوهره أصغر متصل بأكبره

مازالت الدنيا لنا دار أذى ممزوجة الصفو بألوان القذى

الخير والشر بها أزواج لذا نتج ولذا نتاج

من لك بالمحض وليس محض يخبث بعض ويطيب بعض

لكل إنسان طبيعتان خير وشر هما ضدان

إنك لو تستنشق الشحيحا وجدته أنتن شيءٍ ريحا

والخير والشر إذا ماعدا بينهما بون بعيد جدا

عجبت حتى غمني السكوت صرت كأني حائر مبهوت

كذا قضى الله فكيف أصنع الصمت إن ضاق الكلام أوسع

وهي طويلة جدا"، وإنما ذكرت هذا القدر منها حسب ماستاق الكلام من صفتها.

برمه بالناس وذمهم في شعره

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهروية عن روح بن الفرج قال: شاور رجل أبا العتاهية فيما ينقشه على خاتمه؛ فقال: انقش عليه: لعنة الله على لناس: وأنشد:

برمت بالناس وأخلاقهم فصرت استأنس بالوحدة

ماأكثر الناس لعمري وما أقلهم في حاصل العدة

مدح عمرو بن العلاء فأجازه

وفضله على الشعراء:

حدثنا الصولي قالحدثنا لغلابي قال حدثنا عبد الله بن الضحاك: أن عمر بن العلاء مولى عمرو بن حريث صاحب المهدي كان ممدحا"، فمدحه أبو العتاهية، فأمر له بسبعين ألف درهم؛ فأنكر ذلك بعض الشعراء وقال: كيف فعل هذا بهذا الكوفي! واي شيء مقدار شعره! فبلغه ذلك، فأحضر الرجل وقال له: والله إن الواحد منكم ليدور على المعنى فلا يبيه، ويتعاطاه فلا يحسنه، حتى يشبب بخمسين بيتا"، ثم يمدحنا ببعضها، وهذا كأن المعاني تجمع له، مدحني فقصر التشبيب، وقال:

إني أمنت من الزمان وريبه لما علقت من الأمير حبالا "

لو يتطيع الناس من إجلاله لحذوا له حر الوجوه نعالا

صوت

إن المطايا تشتكيك لأنها قطعت إليك سباسبا" ورمالا

فإذا وردن بنا وردن مخفة وإذا رجعن بنا رجعن ثقالا

أخذ المعنى من قول نصيب:

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

راي العتابي فيه

حدثنا الصولي قال حدثنا محمد بن عون قال حدثني محمد بن النصر كاتب غسان بن عبد الله قال: أخرجت رسولا" إللى عبد الله بن طاهر وهو يريد مصر، فنزلت على العتابي، وكان بي صديقا"، فقال: أنشدني لشاعر العراق-يعني أبا نواس، وكان قد مات-فأنشدته ما كنت أحفظ من ملحه، وقلت له: ظننتك تقول هذا لأبي العتاهية. فقال: لو أردت أبا العتاهية لقلت لك: أنشدني لأشعر للناس، و لم اقتصر على العراق

ملاحظته على سهولة الشعر لمن يعالجه

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هارون بن سعدان عن شيخ من أهل بغداد قال: قال أبو العتاهية: أكثر الناس يتكلمون بالشعر وهم لايعلمون، ولوأحسنوا تأليفه كانوا شعراء كلهم. قال: فينما نحن كذلك إذ قال رجل لآخر عليه مسح: " ياصاحب المسح تبيع المسحا قد قال شعرا" وهو لايعلم. ثم قال الرجل: " تعال إن كنت تردي الربح " فقال أبو العتاهية: وقد أجاز المصراع بمصراع آخر وهو لايعلم، قال له: " تعال إن كنت تريد الربحا

وصف الأصمعي شعره

حدثنا الصولي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أحمد بن بشير أبو طاهر الحلبي قال حدثنا مزيد الهاشمي عن السدري قال: سمعت الأصمعي يقول: شعر أبي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى.

مدح يزيد بن منصور لشفاعته فيه

لدى المهدي:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا الزبي ربن بكار قال:

ماقلت في فضله شيئا" لأمدحه إلا وفضل يزيد فوق ماقلت

مازلت من ريب دهري خائفا" وجلا" فقد كفاني بعد الله ماخفت

قدرته على ارتجال الشعر

أخبرني يحيى بن علي إجازة قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن الحسن قال:

جاءني أبو العاهية وأنا في الديوان فجلس إلي. فقلت: يا أبا إسحاق، أمايصعب عليك شيء من الألفاظ فتحتاج فيه إلى استعمال الغريب كما يحتاج إليه سائر من يقول الشعر، أو إلى ألفاظ مستكرهة؟ قال لا. فقلت "له": إني لأحسب ذلك من كثرة ركوبك القوافي السهلة. قال: فاعرض علي ماشئت من القوافي الصعبة. فقلت: قل أبياتا" على مثل البلاغ. فقال نم ساعته:

أي عيش يكون أبلغ من عي ش كفاف قوت بقدر البلاغ

صاحب البغي ليس يسلم منه وعلى نفسه بغي كل باغي

رب ذي نعمة تعرض منها حائل بينه وبين المساغ

أبلغ الدهر في مواعظه بل زاد فيهن لي على الإبلاغ

غبنتني الأيام عقلي ومالي وشبابي وصحتي وفراغي

رأي مسلم بن الوليد بشعره

أخبرنا يحيى إجازة قال حدثنا علي بن مهدي قال حدثني أبو علي اليقطيني قال حدثني أبو خارجة بن مسلم قال: كان مسلم بن الوليد يستخف به فلما أنشده من غزله أكبره: قال مسلم ين الوليد: كنمت مستخفا" بشعر أبي العتاهية، فلقيني يوما" فسألني أن اصير أليه فصرت غليه فجاءني بلون واحد فأكلناه، وأحضرني تمرا" فأكلناه، وجلسنا نتحدث، وأنشدته أشعارا" لي في الغزل، وسألته أن ينشدني؛ فأنشدني قوله:

بالله ياقرة العينين زوريني قبل الممات وإلا فاستزيريني

إني لأعجب من حب يقربني ممن يباعدني منه ويقصيني

أنا الكثير فما أرجوه منك ولو أطمعتني في قليل كان يكفيني

ثم أنشدني أيضا":

رأيت الهوى جمر الغضى غير أنه على حره في صدر صاحبه حلو

صوت

أخلاني بي شجو وليس بكم شجو وكل امرىء عن شجو صاحبه خلو

ومامن محب نانال ممن يحبه هوى صادقا" إلا سيدخله زهو

بليت وكان المزح بدء بليتي فأحببت حقا" والبلاء له بدو

وعلقت من يزهو علي تجبرا" وإني في كل الخصال له كفو

رأيت الهوى جمر الغضى غير أنه على كل حال عند صاحبه حلو

-الغناء لأبراهيم ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، وله فيه أيضا" خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. ولعمرو بن بانة رمل بالوسطى من كتابه. ولعريب فيه خفيف ثقيل من كتاب ابن المعتز-قال مسلم: ثم أنشدني أبو العتاهية:

صوت

خيلي مالي لاتزال مضرتي تكون على الأقدار حتما" من الحتم

يصاب فؤادي حين أرمي ورميتي تعود إلى نحري ويسلم من أرمي
صبرت ولا والله مالي جلادة علىالصبر لكني صبرت على رغمي
ألا في سبيل الله جسمي وقوتي ألا مسعد حتى أنوح على جسمي
تعد عظامي واحدا" بعد واحد بمنحى من العذال عظما" على عظم
كفاك بحق الله ماقد ظلمتني فهذا مقام المستجير من الظلم

-الغناء لسياط هذه الأبيات، وإيقاعه من خفيف الثقيل الأول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق-قال مسلم: فقلت له: لاوالله يا أبا إسحاق مايبالي من أحسن أن يقول مثل هذا الشعر مافاته من الدنيا! فقال: يابن أخي، لاتقولن مثل هذا؛ فإن الشعر أيضا" من بعض مصايد الدنيا

وفد مع الشعراء على الرشيد

ومدحه فلم يجز غيره:

أخبرنا يحيى إجازة قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني عبد الرحمن بن الفضل قال حدثني ابن الأعرابي قال: اجتمعت الشعارء على باب الرشيد، فأذن لهم فدخلوا وأنشدوا؛ فأنشد أبوالعتاهية:

يامن تبغي زمنا" صالحا" صلاح هارون صلاح الزمن
كل لسان هو في ملكه بالشكر في عحسانه مرتهن

قال: فاهتز له الرشيد، وقال له: أحسنت والله! ماخرج في ذلك اليوم أحد من الشعارء بصلة غيره.

قال شعرا' في المشمر فرس الرشي

فأجازه:

أخبرني يحيى بن علي غجازة قال حدثنا علي بن مهدي قال حدثنا عامر بن عمران الضبي قال حدثني ابن الأعرابي قال:

أجرى هارون الرشيد الخيل، فجاءه فرس يقال له المشمر سابقا"، وكان الرشيد معجبا" بذلك الفرس، فأمر الشعراء، يقولوا فيه؛ فبدرهم أبو العتاهية فقال:

جاء المشمر والأفراس يقدمها هونا "على رسله وما انبهرا
وخلف الريح حسرى وهي جاهدة ومر يختطف الأبصار والنظرا

فأجزل صلته، وما جسر أحد بعد أبي العتاهية أن يقول فيه شيئا".

رثاؤه صديقه علي بن ثابت

أخبرني يحيى إجازة قال حدثني الفضل بن عباس بن عقبة بن جعفر قال: كان علي بن ثابت صديقا" لأبي العتاهية وبينهما مجاوبات كثيرة من الزهد والحكمة، فتوفي علي بن ثابت قبله، فقال يرثيه:

مؤنس كان لي هلك — والسبيل التي سلك

ياعلي بن ثابت — غفر الله لي ولك

كل حي مملك — سوف يفنى ومامملك

قال الفضل: وحضر أبوالعتاهيةعلي بن ثابت وهو يجود نفسه، فلم يزل ملتزمه حتى فاض؛ فلما شد لحياه بكى طويلا"، ثم أنشد يقول:

ياشريكي في الخير قربك الل — ه فنعم الشريك في الخير كنتا

قد لعمري حكيت لي غصص المو — ت فحركتني لها وسكنتا

قال: ولما دفن وقف على قبره يبكي طويلا" أحر بكاء، ويردد هذه الأبيات:

ألا من لي بأنسك ياأخيا — ومن لي أن أبثك مالديا

طوتك خطوب دهرك بعد نشر — كذاك خطوبه نشزا" وطيا

فلو نشرت قواك لي المنايا — شكوت إليك ماصنعت إليا

بكيتك ياعلي بدمع عيني — فما أغنى البكاء عليك شيا

وكانت في حياتك لي عظات — وأنت اليوم أوعظ منك حيا

اشتمال مرثيته على أقوال الفلاسفة في موت الإسكندر: قال علي بن الحسين مؤلف هذا الكتاب: هذه المعاني أخذها كلها أبو العتاهية من كلام الفلاسفة لما حضروا تابوت الإسكندر، وقد أخرج الإسكندر ليدفن: قال بعضهم: كان الملك أمس أهيب منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس. وقال آخر: سكنت حركة الملك في لذاته، وقد حركنا اليوم في سكونه جزعا" لفقده. وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما أبو العتاهية في هذه الأشعار.

سأله جعفر بن السحين عن أشعر الناس

فأنشده من شعره:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني جعفر بن الحسين المهلبيقال: لقينا أبو العتاهية فقلنا له: يا أبا إسحاق، من أشعر الناس؟ قال: الذي يقول:

الله أنجح ماطلبت به — والبر خير حقيبة الرحل

فقلت: أنشدني شيئا" من شعرك؛ فأنشدني:

ياصاحب الروح ذي الأنفاس في البدن بين النهار وبين الليل مرتهن

لقلما يتخطاك اختلافهما حتى يفرق بين الروح والبدن

لتجذبني يد النيا بقوتها قد ارتعوا فيرياض الغي والفتن

كسائمات رتاع تبتغي سمنا" وحتفها لو درت في ذلك السمن

قال: فكتبتها، ثم قلت له: أنشدني شيئا" من شعرك في الغزل؛ فقال: ياابن أخير، إن العزل يسرع إلى مثلك.

فقلت له: أرجوعصمة الله جل وعز. فاشندين:

كأنها من حسنها درة أخرجها اليم إلى الساحل

كأن من فيها وفي طرفها سواخرا "أقبلن من بابل

لم يبق مني حبها ماخلا حشاشة في لدن ناحل

يامن رأى قبلي قتيلا" بكى من شدة الوجد على القاتي

فقلت له: يا أبا إسحاق، هذا قول صاحبنا جميل:

خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيلا" بكى من حب قاتله قبلي

فقال: هو ذاك يابن أخير وتبسم

شعره في التحسر على الشباب

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبو عكرمة عن شيخ له من أهل الكوفة قال: دخلت مسجد المدينة ببغداد بعد أن بويع الأمين محمد بسنة، فإذا شيخ عليه جماعة وهو ينشد:

لهفي على ورق الشباب وغصونه الخضر الرطاب

ذهب الشباب وبان عني غير منتظر الإياب

فلأبكين على الشبا ب وطيب أيام التصابي

ولأبكين من البلى ولأبكين من الخضاب

إني لآمل أن أخلد والمنية في طلابي

قال: فجعلها ينشدها وإن دموعه لتسيل على خدئه. فما رأيت ذلك لم أصبر أن ملت فكتبتها. وسألت عن الشيخ فقيل لي: هو أبو العاهية.

كان ابن الأعرابي يعيب شعره

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أبو العباس محم بن لأحمد قال: كان ابن الأعرابي يعيب أبا العتاهية ويثلبه، فأنشدته:

كم من سفيه غاظني سفها" فشفيت نفسي منه بالحلم

وكفيت نفسي ظلم عاديتي ومنحت صفو مودتي سلمي

ولقد رزقت لظالمي غلظا" ورحمته إذ لج في ظلمي

أحب شعره إليه

أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العنزي قال حدثني محمد بن إسحاق قالحدثني محمد بن أحمد الأزدي قال: قال لي أبو العاتهية: لم اقل شيئا" قط أحب إلي من هذين البيتين" في " معناهما:

ليت شعري فإنني لست أدري أي يوم يكون آخر عمري

وبأي البلاد يقبض روحي وبأي البقاع يحفر قبري

راهن جماعة على قول الشعر فغلبهم

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني محمد بن الفضل قال حدثني محمد بن عبد الجبار الفزاري قال: اجتاز أبو العاتهية في أول أمره وعلى ظهر قفص فيه فخار يدور في الكوفة ويبيع منه، فمر بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه، فسلم ووضع القفص على ظهره، ثم قال: يافتيان أراكم تذاكرون الشعر، فأقول شيئا" منه فتجيرونه، لإان فعلتم فلكم عشرة دراهم، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم؛ فهزئوا منه وشخروا وقالوا نعم. قال: لابد أن يشتري بأحد القمارين رطب يؤكل فإنه قمار حاصل، وجعل رهنه تحت يد أحدهم، ففعلوا. فقال: أجيزوا: " ساكني الأجداث أنتم وجعل بينه وبينهم وقتا" في ذلك الموضع إذا بلغته الشمس و لم يجيزوا البيت، غرموا الخطر؛ وجعل يهزأ لهم وتمه:

..... مثلنا بالأمس كنتم

ليت شعري ماصنعتم أربحتم أم حسرتم

وهي قصدة طويلة ف يشعره.

هجاه أبو حبش وذم شعره

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله عن أبي خيثم العتزي قال: لما حبس الرشيد أبا العتاهية وحلف ألا يطلقه أو يقول شعرا"، قال لي أبو حبش: أسمعت بأعجب من هذا الأمر، تقول الشعراء الشعر الجيد النادر فلا يسمع منهم، ويقول هذا المخنث المفكك تلك الأشعار بالشفاعة! ثم أنشدني:

أبا إسحاق راجعت الجماعة ... وعدت إلى القوافي والصناعة

وكنت كجامح في الغي عاصٍ ... وأنت اليوم ذو سمع وطاعة

فجر الخز مما كنت تكسى ... ودع عنك التقشف والبشاعة

وشبب بالتي تهوى وخبر ... بأنك ميت في كل ساعة

كسدنا مانراه وإن أجدنا ... وأنت تقول شعرك بالشفاعة

خروجه مع المهدي في الصيد

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا العتزي قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثني أبو خيم العتزي، وكان صديقا" لأبي العتاهية، قال حدثني أبو العتاهية قال: أخرجني المهدي معه إلى الصيد، فوقعنا منه على شيء كثير، فتفرق أصحابه في طلبه وأخذ هو في طريق غير طريقهم فلم يلتقوا، وعرض لما وادٍ جرار وتغيمت السماء وبدأت تمطر فتحيرنا، وأشرفنا على الوادي فإذا فيه ملاح يعبر الناس، فلجأنا إليه فسألناه عن الطريق، فجعل يضعف رأينا ويعجزنا في بذلنا أنفسنا في ذلك الغيم للصيد حتى أبعدنا، ثم أدخلنا كوخا" له. وكاد المهدي يموت بردا"؛ فقال له: أغطيك بجبتي هذه الصوف؟ فقال نعم؛ فغطاه بها، فتماسك قليلا"ونام. فافتقده غلمانه وتبعوا أثره حتى جاءونا. فلما رأى الملاح كثرتهم علم أنه الخليفة فهرب، وتبادر الغلمان فنحوا الجبة عنه وألقوا عليه الخز والوشي. فملا انتبه قاللي: ويحك! مافعل الملاح؟ فقد والله وجب حقه علينا. فقلت: هرب والله خوفا" من قبح ماخاطبنا به. قال: إنا لله! والله لقد أردت أن أغنيه، وبأي شيء خاطبنا! نحن والله مستحقون لأقبح مما خاطبنا به! بحياتي عليك إلا ماهجوتني. فقلت: ياأمير المؤمنين، كيف تطيب نفسي بأن أهجوك! قال: والله لتفعلن؛ فإني ضعيف الرأي مغرم بالصيد. فقلت:

يالابس الوشي على ثوبه ... مأقبح الأشيب في الراح

فقال: زدني بحياتي؛ فقلت:

لو شئت أيضا" جلت في خامه ... وفي وشاحين وأوشاح

فقال: ويلك! هذا معنى سوء يرويه عنك الناس، وأنا استأهل. زدني شيئا"آخر. فقلت: أخاف أن تغضب. قال: لاوالله. فقلت:

كم من عظيم القدر في نفسه قد نام في جبة ملاح

فقال: معنى سوء عليك لعنة الله! وقمنا وركبنا وانصرفنا.

في عسكر المأمون

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثنا جماعة من كتاب الحسن بن سهل قالوا: وقعت رقعة فيها بيتا شعر في عسكر المأمون؛ فجيء بها إلى مجاشع بن مسعدة، فقال: هذا كلام أبي العتاهية، وهو صديقي، وليست المخاطبة لي ولكنها للأمير الفضل بن سهل. فذهبوا بها، فقرأها وقال: ماأعرف هذه العلامة. فبلغ المأمون خبرها فقال: هذه إلي وأنا أعرف العلامة. والبيتان:

صوت

ما على ذا كنا افترقنا بسندا ن وماهكذا عهدنا الإخاء

تضرب الناس بالمهندة البي ض على غدرهم وتنسى الوفاء

قال: فبعث إلى المأمون بمال.

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكل رمل من رواية ابن المعتز

برابن يقطين له

قال: وكان علي بن يقطين صديقا" لأبي العتاهية، وكان يبره في كل سنة ببر واسع، فأبطأ عليه بالبر في سنة من السنين، وكان يبره في كل سنة ببر واسع، فأبطأ عليه بالبر في سنة من السنين، وكان إذا لقيه أبو العتاهيةأو دخل عليه يسر به ويرفهع مجلسه ولايزيده على ذلك. فلقيه ذات يوم وهو يريد دار الخليفة، فاستوقفه فوقف له، فأنشده:

حتى متى ليت شعري يابن يقطين أثني عليك بما لامنك توليني

إن السلام وإن البشر من رجل في مثل ماأنت فيه ليس يكفيني

هذا زمان ألح الناس فيه على تيه الملوك وأخلاق المساكين

أما علمت جزاك الله صالحة وزادك الله فضلا" يابن اليقطين

أني أريدك للدنيا وعاجلها ولاأريدك يوم الدين للدين

فقال علي بن يقطين: لست والله أبرح ولاتبرح من موضعنا هذا إلا راضيا"، وأمر له بكما كان يبعث به إليه في كل سنة، فحمل من وقته وعلي واقف إلى أن تسلمه.

من شعره في الحبس

وأخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال حدثنا محمد بن يزيد قال: بلغني من غير وجه: أن الرشيد لما ضرب أبا العتاهية وحبسه، وكل به صاحب خبر يكتب إليه بكل ما يسمعه. فكتب إليه أنه سمعه ينشد:

أما والله إن الظلم لوم ... ومازال المسيء هو الظلوم

إلى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم

قال: فبكى الرشيد، وأمر بإحضار أبي العتاهية وإطلاقه، وأمر بألفي دينار.

المنصور بن عمار يرميه بالزندقة

أخبنري محمد بن جعفر قال حدثني محمد بن موسى عن أحمد بن حرب عن محمد بن أبي العتاهية قال: لما قال أبي في عتبة:

كأن عتابة من حسنها ... دمية قس فتنت قسها

يارب لو أنسيتنيها لما ... في جنة الفردوس لم أنسها

شنع عليه منصور بن عمار بالزندقة، وقال: يتهاون بالجنة ويبتذل ذكرها في شعره بمثل هذا التهاون! وشنع عليه أيضا" بقوله:

إن المليك رآك أح ... سن خلقه وراى جمالك

فحذا بقدرة نفسه ... حور الجنان على مثالك

وقال: أيصور الحور على مثال امرأة آدمية لايحتاج إلى مثال! وأوقع له هذا على ألسنة العامة؛ فلقي منهم بلاء.

سأله الباذغيسي عن أحسن شعره فأجابه

حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا خليل بن أسد قال حدثني أبو سلمة الباذغيسي قال: قلت لأبي العتاهية: في أي شعر أنت أشعر؟ قال: قولي:

الناس في غفلاتهم ... ورحا المنية تطحن

أنشد المأمون شعره في الموت فوصله

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني يحيى بن عبد الل القرشي قال حدثني المعلى بن أيوب قال:

دخلت على المأمون يوما" وهو مقبل على شيخ حسن اللحية خضيب شديد بياض الثياب على رأسه لاطئة،

فقلت للحسن بن أبي سعيد-قال: وهو ابن خالة المعلى بن أيوب. وكان الحسن كاتب المأمون على العامة-: من هذا؟ فقال: أما تعرفه؟ فقلت: لوعرفته ما سألتك عنه. فقال: هذا أبوالعتاهية. فسمعت المأمون يقول له: أنشدني أحسن ماقلت في الموت؛ فانشده:

أنساك محياك المماتا ... فطلبت في الدنيا الثباتا
أوثقت بالدنيا وأن ... ت ترى جماعتها شتاتا
وعزمت منك على الحيا ... ة وطولها عزما" بتاتا
يامن رأى أبويه في ... من قد رأى كانا فماتا
هل فيهما لك عبرة ... أم خلت أن لك انفلاتا
ومن الذي طلب التفل ... ت من منيته ففاتا
كل تصبحه المن ... ية أو تبييته بيتا

قال: فلما نهض تبعته فقبضت عليه في الصحن أو في الدهليز، فكتبتها عنه.

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني الجاحظ عن ثمامة قال: دخل أبو العتاهية على المأمون فانشده:

ماأحسن الدنيا وإقبالها ... إذا أطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضلها ... عرض للإدبار إقبالها

فقال له المأمون: ماأجود البيت الأول! فأما الثاني فما صنعت فيه شيئا"، الدنيا تدبر عمن واسى منها أو ضن بها، وإنما يوجب السماحة بها الأجر، والضن بها الوزر. فقال: صدقت ياأمير المؤمنين، أهل الفضل أولى بالفضل، وأهل النقصأولى بالنقص. فقال المأمون: ادفع إليه عشرة آلاف درهم لاعترافه بالحق. فلما كان بعد أيام عاد فامشده:

كم غافل أودى به الموت ... لم يأخذ الأهبة للفوت
من لم تزل نعمته قبله ... زال عن النعمة بالموت

فاقل له: أحسنت! الآن طيبت المعنى؛ وأمر له بعشرين ألف درهم.

تأخرت عنه عادة المأمون سنة فقال أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني ابن سنان العجلي عن الحسن بن عائذ قال: كان أبو العتاهية يحج في كل سنة، فإذا قدم أهدى إلى المأمون بردا" ومطرقا" ونعلا" سوداء ومساويك أراك، فيبعث إليه بعشرين ألف درهم. " وكان" يوصل الهدية من جهته

منجاب مولى المأمون ويجيئه بالمال. فأهدى مرة له كما كان يهدي كل سنة إذا قدم، فلم يبثه ولابعث إليه بالوظيفة. فكتب إليه أبو العتاهية:

خبروني أن من ضرب السنة ... جددا "بيضا" وصفرا" حسنة

أحدثت لكنني لم أرها ... مثل ما كنت أرى كل سنة

فأمر المأمون بحمل العشرين آلاف درهم، وقال: أغفلناه حتى ذكرنا

كان الهادي واجدا' عليه فلما تولى استعطفه

حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا المغيرة بن محمد المهلبي قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني عروة بن يوسف الثقفي قال: لما ولي الهادي الخلافة كان واجدا" على ابي العتاهية لملازمته أخاه هارون وانقكطاعه إليه وتركه موسى، وكان أيضا" قد أمر أن يخرج معه إلى الري فأبى ذلك؛ فخافه وقال يستعطفه:

ألا شافع عند الخليفة يشفع ... فيدفع عنا شر مايتوقع

وإني على عظم الرجاء لخائف ... كأن على رأسي الأسنة تشرع

يروعني موسى على غير عثرة ... ومالي أرى موسى من العفو أوسع

ومآمن يمسي ويصبح عائدا" ... يعفو أمي رالمؤمنين يروع

مدح الهادي فأمر خازنه بإعطائه فمطله فقال شعرا" في ابن عقال فعجلها له: حدثني الصولي قال حدثني علي بن الصباح قال حدثني محمد بن أبي العتاهية قال: دخل أبي علي الهادي فأنشده:

ياأمين الله مالي ... لست أدري اليوم مالي

لم أنل منك الذي قد ... نال غيري من نوال

تبذل الحق وتعطي ... عن يمين وشمال

وأنا البائس لاتن ... ظر في رقة حالي

قال: فأمر المعلى الخازن أن يعطيه عشرة آلاف درهم. قال أبو العتاهية: فأتيته فأبى أن يعطيها. ذلك أن الهادي امتحنني في شيء من الشعر، وكان مهيبا"، فكنت أخافه فلم يطعني طبعي، فأمر لي بهذا المال، فخرجت. فلما منعنيه المعلى صرت إلى ابي الوليد أحمد بن عقال، وكان يجالس الهادي، فقلت له:

أبلغ سلمت أبا الوليد سلامي ... عني أمير الؤمنين إمامي

وإذا فرغت من السلام فقل له ... قد كان ماشاهدت من إفحامي

وإذا حصرت فليس ذاك بمبطل ماقد مضى من حرمتي وذمامي
ولطالما وفدت إليك مدائحي مخطوطة فليأت كل ملام
أيام لي لسن ورقة جدة والمرء قد يبلي مع الأيام

قال: فاستخرج لي الراهم وأنفذها إلي: كان الهادي واجدا" عليه فلما تولى استعطفه ومدحه فأجازه: حدثني الصولي ومحمد بن عمران الصيرفي قالا حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان قال: ولهد للهادي ولد في أول يوم ولي الخلافة؛ فدخل أبو العتاهية فأنشده:

أكثر موسى غيظ حساده وزين الأرض بأولاده
وجاءنا من صلبه سيد أصيد في تقطيع أجداده
فاكتست الأرض به بهجة واستبشر الملك بميلاده
وابتسم المنبر عن فرحة عليت بها ذروة أعواده
كأنني بعد قليل به بين مواليه وقواده
في محفل تخفق راياته قد طبق الأرض بأجناده

قال: فأمر له موسى بألف دينار وطيبٍ كثيرٍ، وكان ساخطا" عليه فرضب عنه.

حضر غضب المهدي على أبي عبيد الله

وترضاه عنه بشعر فرضي عنه:

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني علي بن يزيد الخزرجي الشاعر عن يحيى بن الربيع قال: دخل أبو عبيد الله علي المهدي، وكان قد وجد عليه في أمر بلغه عنه، وأبو العتاهية حاضر المجلس، فجعل المهدي يشتم أبا عبيد الله ويتغيظ عليه، ثم أمر به فجر برجله وحبس، ثم أطرق المهدي طويلا". فلما سكن أنشده أبوالعتاهية:

أرى الدنيا لمن هي في يديه عذابا "كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه
إذا استغنيت عن شيء فدعه وخذه ماأنت محتاج إليه

فتبسم المهدي وقال لأبي العتاهية: أحسنت! فقام أبو العتاهية ثم قال: والله ياأمير المؤمنين، مارأيت أحدا" أشد إكراما" للدنيا ولاأصون لها ولاأشح عليها من هذا الذي جر برجله الساعة. ولقد دخلت إلى أمير المؤمنين ودخل

هو وهو أعز الناس، فما برحت حتى رأيته أذل الناس، ولو رضي من الدنيا بما يكفيه لاستوت أحواله و لم تتفاوت. فتبسم المهدي ودعا بأبي عبيد الله فرضي عنه. فكان أبو عبيد الله يشكر ذلك لأبي العتاهية.

روحانيان يطيران بين السماء والأرض

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني محمد بن الحسن قالحدثني إسحاق بن حفص قال: أنشدني هارون بن مخلد الرازي لأبي العتاهية:

ما إن يطيب لذي الرعاية لل ... أيام و لالعب و لالهو

إذ كان يطرب في مسرته ... فيموت من أجزائه جزو

فقلت: ماأحسنهما! فقال: أهكذا تقول! والله لهما روحانيان يطيران بين السماء والأرض

فضله ابن مناذر على جميع المحدثين

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي عن ابن عكرمة عن مسعود بن بشر المازني قال: لقيت ابن مناذر بمكة، فقلت له: من أشعر أهل الإسلام؟ فقال: أترى من إذا شئت هزل، وإذا شئت جد؟ قالت: من؟ قال: مثل جرير حين يقول في النسيب:

إن الذين غدوا بلبك غادروا ... وشلا "بعينك مايزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي ... ماذا لقيت من الهوى ولقينا

ثم قال حين جد:

إن الذي حرم المكارم تغلبا" ... جعل النبوة و الخلافة فينا

مضر أبي وأبو الملوك فهل لكم ... ياآل تغلب منأب كأبينا

هذا ابن عمي في دمشق خليفة ... لو شئت ساقكم إلي قطينا

ومن المحدثين هذا الخبيث الذي يتناول شعره في كمه. فقلت: من؟ قال: أبو العتاهية. قلت: في ماذا؟ قال: قوله:

الله بيني وبين مولاتي ... أبدت لي الصد و الملالات

لاتغفر الذنب إن أسأت و لا ... تقبل عذري و لامواتاتي

منحتها مهجتي وخالصتي ... فكان هجرانها مكافاتي

أقلقني حبها وصيرني ... أحدوثة في جميع جاراتي

ثم قال حين جد:

ومهمه قد قطعت طامسه — قفر على الهول والمحاماة
بحرة جسة عذافرة — خوصاء عيرانة علنداة
تبادر الشمس كلما طلعت — بالسير تبغي بذاك كرضاتي
ياناق خبي بنا ولاتعدي — نفسك مما ترين راحات
حتىتناخي بنا إلى ملك — توجه الله بالمهابات
عليه تاجان فوق مفرقه — تاج جلال وتاج إخبات
يقول للريح كلما عصفت — هل لك ياريح في مباراتي
من مثل من عمه الرسول ومن — أخواله أكرم الخؤولات

إسحاق بن وعبادة معشوقته

أخبرني وكيع قال: قال الزبير بن بكار حدثني أبو غزية، وكان قاضيا" على المدينة، قال: كان اسحاق بن عزيز يتعشق عبادة جارية المهلبية، وكانت المهلبية منقطعة إلى الخيزران. فركب إسحاق يوما" ومعه عبد الله بن مصعب يريديان المهدي، فلقيا عبادة؛ فقال إسحاق: يا أبا بكر، هذه عبادة، وحرك دابته حتى سبقها فنظر إليها، فجعل عبد الله بن مصعب يتعجب من فعله. ومضيا فدخلا على المهدي، فحدثه عبد الله بن مصعب بحديث إسحاق ومات فعل. فقال: أنا اشتريها لك ياإسحاق. ودخل علىالخيزران فدعا بالمهلبية. فحضرت، فأعطاها بعبادة خمسين ألف درهم. لإسحاق بن عزيز. فبكت وقالت: أتؤثر علي إسحاق بن عزيز وهي يدي ورجلي ولساني في جميع حوائجي! فقالت لها الخيزران عند ذلك: ما يبكيك؟ والله لاوصل إليها ابن عزيز أبدا"، صار يتعشق جواري الناس! فخرج المهدي فأخبر ابن عزيز بما جرى، وقال له: الخمسون ألف درهم لك مكانها، وأمر له بها، فأخذها عن عبادة. فقال أبو العتاهية يعيره بذلك:

من صدق الحب لأحبابه — فإن حب ابن عزيز غرور
أنساه عبادة ذات الهوى — وأذهب الحب الذي في اضلمير
خسمون ألفا" كلها راجح — حسنا "لها في كل كيس صرير

وقال أبو العتاهية في ذلك ايضا":

حبك للمال لاكحبك عب — ادة يافاضح المحبينا
لو كنت أصفيتها الوداد كما — قلت لما بعتها بخمسينا

طال وجع عينه فقال شعرا'

حدثني الصولي قال حدثني جبلة بن محمد قال حدثني أبي قال: رأيت أبا العتاهية بعدما تخلص من حبس المهدي وهويلزم طبيبا" على بابنا ليكحل عينه. فقيل له: قد طال وجع عينيك؛ فأنشأ يقول:

صوت

أيا ويح نفسي ويحها ثم ويحها أمامن خلاص من شباك الحبائل

أيا ويح عيني قد اضر بها البكا فلم يغن عنها طب مافي المكاحل

في هذين البيتين لإبراهيم الموصلي لحن من الثقيل الأول.

كان الهادي واجدا' عليه لاتصاله بهارون

فلما ولي الخلافة مدحه فأجزل صلته:

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا عمر بن شبة قال: كان الهادي واجدا" علي أبي العتاهية لملازمته أخاه هارون في خلافة المهدي، فلما ولي موسى الخلافة، قال أبو العتاهية يمدحه:

صوت

يضطرب الخوف والرجاء إذا حرك موسى القضيب أو فكر

ماأبين الفضل في مغيب ما أورد من رأيه وماأصدر

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكل لحن من الثقيل الأول في نهاية الجودة، ومابان به فضله في الصناعة-:

فكم ترى عز عند ذلك من معشر قوم وذل من معشر

يثمر من مسه القضيب ولو يمسه غيره لما أثمر

من مثل موسى ومثل والده ال مهدي أو جده أبي جعفر

قال: فرضي عنه. فلما دخل عليه أنشده:

لهفي على الزمن القصير بين الخورنق والسدير

إذ نحن في غرف الجنا ن نعوم في بحر السرور

في فتية ملكو عنا ن الدهر أمثال الصقور

مامنهم إلا الجسو ر على الهوى غير الحصور

يتعاورون مدامة صهباء من حلب العصير

عذراء رابها شعا ع الشمس في حر الهجير

لم تدن من نار ولم يعلق بها وضر القدور

ومقرطق يمشي أما م القوم كالرشأ الغرير

بزجاجة تستخرج السر الدفين من الضمير

زهراء مثل الكوكب الدري في كف المدير

تدع الكريم وليس يد ري ماقبيل من دبي

ومخصرات زرننا بعد الهدو من الخدور

ريا روادفهن يل بسن الخواتم في الخصور

غر الوجوه محجبا ت قاصرات الطرف حور

متنعمات في النعي م مضمخات بالعبير

يرفلن في حلل المحا سن والمجاسد والحرير

ماإن يرين الشمس إلا الفرط من خلل الستور

وإلى أمين الله مه ر بنا من الدهر العثور

وإليه أتعبنا المطا يا بالرواح وبالبكور

ضغر الخدود كأنما جنحن أجنحة النسور

متسربلات بالظلا م على السهولة والوعور

حتى وصلن بنا إلى رب المدائن والقصور

مازال قبل فطامه في سن مكتهل كبير

-قال: قيل لو كان جزل اللفظ لكان أشعر الناس - فأجزل صلته. وعاد إلى أفضل ما كان له عليه.

في خلافة المأمون

أخبرن يعمي الحسن بن محمد قال حدثني الكراني عن أبي حاتم قال: قدم علينا ابو العتاهية في خلافة المأمون. فصار إليه أصحابنا فاستنشدوه، فكان أول ماأنشدهم:

ألم تر ريب الدهر في كل ساعة له عارض فيه المنية تلمع
أيا باني الدنيا لغيرك تنتني وياجامع الدنيا لغيرك تجمع
أرى المرء وثابا" على كل فرصة وللمرء يوما" لامحالة مصرع
تبارك من لايملك الملك غيره متى تنقضي حاجات من ليس يشبع
وأي امرىء في غاية ليس نفسه إلى غاية أخرى سواها تطلع

قال: وكان أصحابنا يقولون: لو أن طبع أبي العتاهية بجزالة لفظ لكان أشعر الناس.

تمثل الفضل بشعر له

حين انحطت مرتبته في دار المأمون:

أخبرني السحن بن علي قال حدثنا ابن مهروية قال حدثني سليمان بن جعفر الجزري قال حدثني أحمد بن عبد الله قال: كانت مرتبة أبي العتاهية مع الفضل بن الربيع في موضع واحد في دار المأمون. فقال الفضل لأبي العتاهية: يا أبا إسحاق، ماأحسن بيتين لك وأصدقهما! قال: وماهما؟ قال: قولك:

ماالناس إلا للكثير المال أو لمسلط مادام في سلطانه
فإذا الزمان وماهما ببلية كان الثقات هناك من أعوانه

يعني: من أعوان الزمان. قال: وإنما تمثل الفضل بن الربيع بهذين البيتين لانحطاط مرتبته في دار المأمون وتقدم غيره. وكان المأمون أمر بذلك لتحريره مع اخيه.

كان ملازما' للرشيد فلماتنسك حبسه

ولما استعطفه أطلقه:

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: قال لي محمد بن أبي العتاهية: كان لأبي لايفارق الرشيد في سفر ولاحضر إلا في طريق الحج، وكان يجري عليه في كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعاون. فلما قدم الرشيد الرقة، لبس أبي الصوف وتزهد وترك حضور المنادمة والقول في الغزل، وأمر الرشيد بحبسه فحبس؛ فكتب إليه من وقته:

صوت

أنا اليوم لي والحمد لله أشهر يروح علي الهم منكم ويبكر

تذكر أمين الله حقي وحرمتي وماكنت توليني لعلك تذكر

ليالي تدني منك بالقرب مجلسي ووجهك من ماء البشاشة يقطر

فمن لي بالعين التي كنت مرة إلي بها في سالف الدهر تنظر

قال: فلما قرأ الرشيد الأبيات قال: قولوا له: لابأس عليك. فكتب غليه:

صوت

أرقت وطار عن عيني النعاس ونام السامرون ولم يواسوا

أمين الله أمنك خير أمن عليك من التقى فيه لباس

تساس من السماء بكل بر وأنت به تسوس كما تساس

كأن الخلق ركب فيه روح له جسد وأنت عليه رأس

أمين الله إن الحبس بأس وقد أرسلت: ليس عليك باس

-غنى في هذه الأبيات إبراهيم، ولحنه ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسكى. وفيهأيضا" ثقيل أول عن الهشامي- قال: وكتب عليه أيضا" في الحبس:

وكلفتني ماحلت بيني وبينه وقلت سأبغي ماتريد وماتهوى

فلو كان لي قلبان كلفت واحدا" هواك وكلفت الخلي لما يهوى

قال: فأمر بإطلاقه.

حدثني عمي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني ثابت بن الزبير بن حبيب قال حدثني ابن أخت أبي خالد الحربي قال: قال لي الرشيد: احبس أباالعتاهية وضيق عليه حتى يقول الشعر الرقيق في الغزل كما كان يقول. فحبسته في بيت خمسة أشبار في مثلها؛ فصاح: الموت، أخرجوني، فأنا أقول كل ماشئتم. فقلت: قل. فقال: حتى أتنفس. فأخرجته وأعطيته دواة" وقرطاسا"؛ فقالأبياته اللتي أولها:

من لعبد أذله مولاه ماله شافع إليه سواه

يشتكي مابه إليه ويخشا ه ويرجوه مثل مايخشاه

قال: فدفعتها إلي مسرور الخادم فأوصلها، وتقدم الرشيد إلى إبراهيم الموصلي فغنى فيها، وأمر بإحذار ابي العتاهية فأحضر. فلما أحضر قال له: أنشدني قولك:

صوت

ياعتب سيدتي أمالك دين حتىمتى قلبي لديك رهين

وأنا الذلول لكل ماحملتني وأنا الشقي البائس المسكين

وأنا الغداة لكل باك مسعد ولكل صب صاحب وخدين

لابأس إن لذاك عندي راحة للصب أن يلقى الحزين حزين

ياعتب أيين أفر منك أميرتي وعلي حصن من هواك حصين

-لإبراهيم في هذه الأبيات هزج عن الهشامي -فأمر له الرشيد بخمسن ألف درهم وله في الرشيد لما حبسه أشعار كثيرة منها قوله:

يارشيد الأمر أرشدني إليى وجه نجحي لاعدمت الرشدا

لاأراك الله سوءا" أبدا" مارأت مثلك عين أحدا

أعن الخائف وارحم صوته رافعا" نحوك يدعوك يدا

وابلائي من دعاوى أمل كلما قلت تداني بعدا

كم أمني بغد بعد غد ينفذ العمر ولم ألق غدا

هجا القاسم بن الرشيد فشربه وحبسه ولما اشتكى إلى زبيدة بره الرشيد وأجازه: نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى: حدثني علي بن مهدي قال حدثني الحسين بن أبي السري قال: مر القاسم بن الرشيد في موكب عظيم وكان من أتيه الناس، وأبو العتاهية جالس مع قوم على ظهر الطريق، فقام أبو العتاهية حين رآه إعظاما" له، فلم يزل قائما" حتى جاز، فأجازه ولم يلتفت إليه؛ فقال أبو العتاهية:

يتيه ابن آدم من جهله كأن رحا الموت لاتطحنه

فسمع بعض من في موكبه ذلك فأخبر به القاسم؛ فبعث إلى أبي العتاهية وضربه مائة مقرعةٍ، وقال له: يا ابن الفاعلة أتعرض لي في مثل ذلك الموضع وحبسه في داره. فدس أبو العتاهية إلى زبيدة بنت جفعر، وكانت تزجب له" حفه"، هذه الأبيات:

حتى متى ذو التيه في تيهه أصلحه الله وعافاه

يتيه أهل التيه من جهلهم وهم يموتون وإن تاهوا

من طلب العو ليبقى به فإن عز المرء تقواه

لم يعتصم بالله منخلقه من ليس يرجوه ويخشاه

وكتب إليها بحالة وضيق حبسه، وكانت مائلة إليه، فرثت له وأخبرت الرشيد بأمره وكلمته فيه؛ فأحضره وكساه ووصله، ولمك يرض عن القاسم حتى بر أبا العتاهية وأدناه واعتذر إليه.

ونسخت من كتاب هارون بن علي: قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني محمد بن سهل عن خالد بن أبي الأزهر قال:

بعث الرشيد بالحرشي إلى ناحيى الموصل، فجبى له منها مالا" عظيما" من بقايا الخراج، فوافى به باب الرشيد، فأمر بصرف المال أجمع إلى بعض جواريه، فاستعظم الناس ذلك وتحدثوا به؛ فرأيت أبا العتاهية وقد أخذه شبه الجنون، فقلت له: مالك ويحك؟ فقال لي: سبحان الله أيدفع هذا المال الجليل إلى امرأة، ولاتتعلق كفي بشيء منه ثم دخل إلى الرشيد بعد أيام فأنشده:

الله هون عندك الدنيا وبغضها إليكا

فأبيت إلا تصغر كل شيء في يديكا

ماهانت الدني على أحد كما هانت عليكا

فقال له الفضل بن الربيع: ياأمير المؤمنين، مامدحت الخلفاء بأصدق من هذا المدح. فقال: يافضل، أعطه عشرين ألف درهم. فغدا أبو العتاهية على الفضل فأنشده:

إذا ما كنت متخذا" خليلا فمثل الفضل فاتخذ الخليلا

يرى الشكر القليل له عظيما" ويعطي من مواهبه الجزيلا

أراني حيثما يممت طرفي وجدت على مكارمه دليلا

فقال له الفضل: والله لولا أن اساوي أمير المؤمنين لأعطيتك مثلها، ولكن سأوصلها إليك في دفعات، ثم أعطاه ما أمر به الرشيد، وزاد له خمسة آلاف درهم من عنده.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا المبرد قال حدثني عبد الصمد بن المعذل قال: سمعت الأمير علي بن عيسى بن جعفر يقول: كنت صبيا" في دار الرشيد، فراست شيخا" ينشد والناس حوله:

ليس للإنسان إلا مارزق أستعين الله بالله أثق

علق الهم بقلبي كله وإذا ماعلق الهم علق

بأبي من كان لي من قلبه مرة ود قليل فسرق

يابني الإسلام فيكم ملك جامع الإسلام عنه يفترق

لندى هارون فيكم وله فيكم صوب هطول وورق

لم يزل هارون خيرا" كله قتل الشر به يوم خلق

فقلت لبعض الهاشميين: أما ترى إعجاب الناس بشعر هذا الرجل؟ فقال: يابني، إن الأعناق لتقطع دون هذا الطبع. قال: ثم كان الشيخ أبا العتاهية، والذي سأله إبارهيم بن المهدي استعطف الرشيد وهو محبوس فأطلقه

حدثنا الصولي قال حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثني عبد القوي بن محمد بن أبي العتاهية عن أبيه قال: لبس أبو العتاهية كساء صوف ودراعة صوف، وآلى على نفسه ألا يقول شعرا" في الغزل، وأمر الرشيد بحبسه والتضييق عليه؛ فقال:

صوت

يابن عم النبي سمعا" وطاعة ... قد خلعنا الكساء والدراعة

ورجعنا إلى الصناعة لما ... كان سخط الإمام ترك الصناعة

وقال أيضا":

أما رحمتني يوم ولت فأسرعت ... وقد تركتني واقفا" أتلفت

أقلب طرفي كي أراها فلا أرى ... وأحلب عيني درها وأصوت

فلم يزل الرشيد متوانيا" في إخراجه إلى أن قال:

أما والله إن الظلم لوم ... ومازال المسيء هو الظلوم

إلى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم

لأمر ماتصرفت الليالي ... وأمر ماتوليت النجوم

تموت غدا" وأنت قرير عين ... من الغفلات في لجج تعوم

تنام ولم تنم عنك المنايا ... تنبه للمنية يانؤوم

سل الأيام عن أمم تقضت ... سنخبرك المعالم والرسوم

تروم الخلد في دار المنايا ... وكم قد رام غيرك ماتروم

ألا يا أيها الملك المرجى ... عليه نواهض الدنيا تحوم

أقلني زلة لم أجر منها ... إلى لوم ومامثلي ملوم

وخلصني تخلص يوم بعث ... لإذا للناس برزت الجحيم

فرق له وأمر بإطلاقه.

حديثه عن شعره ورأى أبي نواس فيه

نسخت من كتبا هارون بن علي: قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني ابن أبي الأبيض قال:
أيتيت أبا العتاهية فقلت له: إني رجل أقول الشعر في الزهد، ولي فيه أشعار كثيرة، وهو مذهب أستحسنه؛ لأني

أرجو ألا آثم فيه، وسمعت شعرك في هذا المعنى فأحببت أن أستزيد منه، فأحب أن تنشدني من جيد ماقلت؛ فقال: أعلم أن ماقلته رديء. قلت: وكيف؟ قال: لأن الشعر ينبغي أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدمين أو مثل شعر بشار وابن هرمة، فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه مما لا تخفى علي جمهور الناس مثل شعري، ولا سيما الأشعار التي في الزهد؛ فإن الزهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رواة الشعر ولا طلاب الغريب، وهو مذهب أشغف الناس به الزهاد وأصحاب الحديث والفقهاء وأصحاب الرياء والعامة، وأعجب الأشياء إليهم ما فهموه. فقلت: صدقت. ثم أنشدني قصيدته:

لدوا الموت وابنوا للخراب ... فكلكم يصير إلى تباب

ألا يا موت لم أر منك بدا ... أتيت وما تحيف وما تحابي

كأنك قد هجمت على مشيبي ... كما هجم المشيب على شبابي

قال: فصرت إلى أبي نواس فأعلمته ما دار بيننا؛ فقال: والله ما أحسب في شعره مثل ما أنشدك بيتا" آخر. فصرت غليه فأخبرته بقول أبي نواس؛ فأنشدني قصيدته التي يقول فيها:

طول النعاشر بين الناس مملول ... ما لابن آدم إن فتشت معقول

يا راعي الشاء لا تغفل رعايتها ... فأنت عن كل ما استرعيت مسؤول

إني لفي منزل مازلت أعمره ... على يقين بأني عنه منقول

وليس في موضع يأتيه ذو نفس ... إلا وللموت سيف فيه مسلل

لم يشغل الموت عنا مذ أعج لنا ... وكلنا عنه باللذات مشغول

ومن يمت فهو مقطوع ومجتنب ... والحي ماعاش مغشي وموصول

كل مابدا لك فالآكال فانية ... وكل ذي أكل لابد مأكول

قال: ثم أنشدني عدة قصائد ما هي بدون هذه، فصرت إلى أبي نواس فأخبرته؛ فتغير لونه وقال: لم خبرته بما قلت! قد والله أجاد! و لم يقل فيه سوءا".

كان أبو نواس يجله ويعظمه أخبرن يالحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني علي بن عبد الله بن سعد قال حدثني هارون بن سعدان وملى البجليين قال: كنت مع ابو نواس قريبا" من دور بين نيبخت بنهر طابق وعنده جماعة، فجعل يمر به القواد والكتاب وبنو هاشم فيسلمون عليه وهو متكيء ممدود الرجل لايتحرك أحد منهم، حتى نظرنا إليه قد قبض رجليه ووثب وقام إلى شيخ قد أقبل علي حمار له، فاعتنق أبا نواس ووقف أبو نواس يحادثه، فلم يزل واقفا" معه يروح بين رجليه يرفع رجلا" ويضع أخرى، ثم مضى

الشيخ ورجع إلينا أبو نواس وهو يتأوه. فقال له بعض من حضر: والله لأنت أشعر منه. فقال: والله مارأيته قط إلا ظننت أنه سماء وأنا أرض

رأي بشارفيه

قال محمد بن القاسم حدثني علي بن محمد بن عبد الله الكوفي قال حدثني السري بن الصباح مولى ثوبان بن علي قال: كنت عند بشار فقلت له: من أشعر أهل زماننا؟ فقال: مخنث أهل بغداد "يعني أبا العتاهية"

عزى المهدي في وفاة ابنته فأجازه

أخبرني يحيىبن علي المنجم إجازة: قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني الخزجي الشاعر قال حدثني عبد الله بن أيوب الأنصاري قال حدثني أبو العتاهية قال: ماتت بنت المهدي فحزن عليها حزنا" شديدا" حتى امتنع من الطعام والشراب، فقلت أبياتا" أعزيه بها؛ فوافيته وقد سلا وضحك وأكل وهويقول: لابد من الصبر على مالابد منه، ولئن سلونا عمن فقدنا ليسلون عنا من يفقدنا، ومايأتي الليل والنهار على شيء إلا أبليه. فلما سمعت هذا منه قلت: ياأمير المؤمنين، أتأذن لي أن أنشدك؟ قال هات؛ فأنشدته:

ما للجديدين لايبلى اختلافهما	وكل غض جديد فيهما بالي
يامن سلا عن حبيب بعد ميتته	كم بعد موتك أيضا" عنك من سالي
كأن كل نعيم أنت ذائقه	من لذة العيش يحكي لمعة الآل
لاتلعبن بك الدنيا وأنت ترى	ماشئت من عبر فيها وأمثال
ماحيلة الموت إلا كل صالحة	أولا "فما حيلة فيه لمحتال

فقال لي: أحسنت ويحك! وأصبت مافي نفسي وأوجزت! ثم أمر لكل بيت بألف درهم

حبسه الرشيد مع إبراهيم الموصلي ثم أطلقهما

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي قال حدثني أحمد بن خلاد قال حدثني أبي قال: لما مات موسى الهادي قال الرشيد لأبي العتاهية: قل شعرا" في الغمزل؛ فقال: لاأقول شعرا" بعد موسى أبدا"، فحبسه. وأمر إبراهيم الموصلي أن يغني؛ فقال: لاأغني بعد موسى أبدا"، وكان محسنا" إليهما، فحبسه. فلما شخص إلى الرقه حفر لهما حفرة واسعة وقطع بينهما بحائط، وقال: كونا بهذا المكان لاتخرجا منه حتى تشعر أنت ويغني هذا. فصبرا على ذلك برهة. وكان الرشيد يشرب ذات يوم وجعفر بن يحيى معه، فغنت جارية صوتا" فاستحسناه وطربا" عليه طربا" شديدا"، وكان بيتا" واحدا". فقال الرشيد: يماكان أحوجه إلى بيت ثان ليطول

الغناء فيه فنستمتع مدة طويلةبه! فقال له جعفر: قد أصبته. قال: من أين؟ قال: تبعث إلى أبي العتاهية فيلحقه به لقدرته على الشعر وسرعته. قال: هو أنكد من ذلك، لايجيبنا وهو محبوس ونحن في نعيم وطرب. قال: بلى! فاكتب إليه حتى تعلم صحة ماقلت لك. فكتب غليه بالقصة وقال: ألحق لنا بالبيت بيتا" ثانيا". فكتب إليه أبوالعتاهية:

شغل المسكين عن تلك المحن فارق الروح وأخلى من بدن

ولقد كلفت أمرا" عجبا" اسأل التفريخ نم بيت الحزن

فلما وصلت قال الرشيد: قد عرفتك أنه لايفعل. قال: فتخرجه حتى يفعل. قال: لا! حتى يشعر؛ فقد حلفت. فأقام أياما" لايفعل. قال: ثم قال أبو العتاهية لإبراهيم: إلى كم هذا نلاج الخلفاء! هلم أقل شعرا" وتغن فيه. فقال أبو العتاهية:

بأبي من كان في قلبي له مرة حب قليل فسرق

يابني العباس فيكم ملك شعب الإحسان منه تفترق

إنما هارون خير كله مات كل الشرمذ يوم خلق

وغنى فيه إبراهيم. فدعا بهماالرشيد؛ فأنشده أبوالعتاهية وغناه إبراهيم، فأعطى كل واحد منهما مائة ألف درهم ومائة ثوب.

حدثني الصولي بهذا الحديث عن الحسين بن يحيى عن عبدالله بن العباس بن الفضل بن الربيع، فقال فيه: غضب الرشيد على جارية له فحلف ألا يدخل إليها أياما"، ثم ندم فقال:

صد عني إذ رآني مفتتن وأطال الصد لما أن فطن

كان مملوكي فأضحى مالكي إن هذا من أعاجيب الزمن

وقال لجعفر بن يحيى: اطلب لي من يزيد على هذين البيتين. فقال له: ليس غير ابي العتاهية. فبعث إليه فأجاب بالجواب المذكور، فأمر بإطلاقه وصلته. فقال: الآن طاب القول؛ ثم قال:

عزة الحب أرته ذلتي في هواه وله وجه حسن

ولهذا صرت مملوكا" له ولهذا شاع مابي وعلن

فقال: احسنت والله وأصبت مافي نفسي! وأضعف صلته

شعره في ذم الناس

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى: قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني الهيثم بن عثمان قال حدثني شبيب بن منصور قال: كنت في الموقف واقفا" على باب الرشيد، فإذا رجل بشع الهيئة على بغل قد جاء فوقف،

وجعل الناس يسلمون عليه ويسائلونه ويضاحكونه، ثم وقف في الموقف، فأقبل الناس يشكون أحوالهم: فواحد يقول: كنت منقطعا" إلىفلان فلم يصنع بي خيرا"، ويقول آخر: أملت فلانا" فخاب أملي وفعل بي، ويشكو آخر من حاله؛ فقال الرجل:

فتشت ذي الدنيا فليس بها أحد أراه لآخر حامد

حتى كأن الناس كلهم قد أفرغوا في قالب واحد

فسألت عنه فقيل: هو أبو العتاهية يخاطب سلما" الخاسر:

تعالى الله ياسلم بن عمرو إذل الحرص أعناق الرجال

فقال المأمون: إن الحرص لمفسد للدين والمروءة، والله ماعرفت من رجل قط حرصا" ولا شرها" فرأيت فيه مصطنعا". فبلغ ذلك سلما" فقال: ويلي على المخنث الجرارالزنديق! جمع الأموال وكترها وعبأ البدور في بيته ثم تزهد مراءاة ونفاقا"، فأخذ يهتف بي إذا تصديت للطلب.

اقتص منه الجماز لخاله مسلم فاعتذر له

أخبرني أحمد بن العباس العسكري المؤدب ومحمد بن عمران الصيرفي قالا حدثنا أحمد بن خلاد عن أبيه عن عبد الله بن الحسن قال: انشد المأمون بيت أبي العتاهية يخاطب سلما" الخاسر:

تعالى الله ياسلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال

فقال المأمون: إن الحرص لمفسد للدين والمروءة، والله ماعرفت من رجل قط حرصا" ولا شرها" فرأيت فيه مصطنعا". فبلغ ذلك سلما" فقال: ويلي على المخنث الجرار الزنديق! جمع الأموال وكترها وعبأ البذور في بيته ثم تزهد مراءاة ونفاقا"، فأخذ يهتف بي إذا تصديت للطلب.

اقتص منه الجماز لخاله مسلم فاعتذر له: أخبرني أحمد بن العباس العسكري المؤدب ومحمد بن عمران الصيرفي قلا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن أحمد بن سليمان التكي قال حدثني العباس بن عبيد الله بن سنان بن عبد الملك بن مسمع قال: كنا عند قثم بن جعفر وعنده أبو العاهية ينشد في الزهد، فقال قثم: ياعباس، اطلب الساعة الجماز حيث كان، ولك عندي سبق. فطلبته فوجدته عند ركن جعفر بن سليمان، فقلت: أجب الأمير؛ فقام معي حتى أتى قثم؛ فجلس في ناحية مجلسه وأبوالعتاهية ينشده؛ فأنشأ الجماز يقول:

ماأقبح التزهيد من واعظ يزهد الناس ولايزهد

لو كان في تزهيده صادقا" أضحى وأمسى بيته المسجد

يخاف أن تنفذ أرزاقه والرزق عند الله لاينفد

والرزق مقسوم على من ترى يناله الأبيض والأسود

قال: فالتفت أبوالعتاهية إليه فقال: من هذا؟ قالوا: "هذا" الجماز وهو ابن أخت الحاسر، اقتص لهخاله منك. فأقبل عليه وقال: يابن أخي، إني لم أذهب حيث ظننت ولاظن خالك، ولاأردت أن أهتف به؛ وإنما خاطبته كما يخاطب الرجل صديقه، فالله يغفر لكما، ثم قام

غناه مخارق بشعره

أخبرني أحمد بن عبيد بن عمار قال حدثني محمد بن أحمد بن خلف الشمري عن أبيه قال: كنت عند مخارق، فجا أبو العتهاية في يوم الجمعة فقال: لي حاجة وأريد الصلاة؛ فقال مخارق: لاأبرح حتى تعود. قال: فرجع وطرح ثيابه، وهي صوف، وغسل وجهه، ثم قال له: غنني:

صوت

قال لي أحمد ولم يدر مابي أتحب الغداة عتبة حقا

فتنفست ثم قلت نعم حبا جرى في العروق عرقا" فعرقا

فجذب مخارق دواة كانت بين يديه فأوقع عليها ثم غناه؛ فاستعاده ثلاث مرات فأعاده عليه، ثم قام يقول: لايسمع والله هذا الغناء أحد فيفلح. وهذا الخبر رواية محمد بن القاسم بن مهروية عنه.

زحدثنا " به" أيضا" في كتاب هارون بن علي بن يحيى عن ابن مهروية عن ابن عمار قال حدثني أحمد بن يعقوب عن محمد بن حسان الضبي قال حدثنا مخارق قال: لقيني أبو العتاهية فقال: بلغني أنك خرجت قولي:

قال لي أحمد ولم يدر مابي أتحب الغداة عتبة حقا

فقلت نعم. فقال: غنه فملت معه إلى خراب، فيه قوم فقراء سكان، فغنيته إياه؛ فقال: أحسنت والله منذ ابتدأت حتى سكت؛ ثم قال لي: أبتدأت حتى سكت؛ ثم قال لي: أماترى مافعل الملك بأهل هذا الخراب!

شعره في تبخيل الناس

أخبرني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال: قال مخارق: لقيت أبا العتاهية على الجسر، فقلت له: يا أبا إسحاق، أتنشدني قولك في تبخيلك الناس كلهم؟ فضحك وقال لي: هاهنا؟ قلت نعم. فأنشدني:

إن كنت متخذا" خليلا" فتنق وانتقد الخليلا

من لم يكن لك منصفا" في الود فأبغ به بديلا

ولربما سئل البخي ل الشيء لايسوى فتيلا

فيقول لاأجد السبي ل إليه يكره أن ينيلا

فلذاك لاجعل الإل ه له إلى خير سبيلا

فاضرب بطرفك حيث شئ ت فلن ترى إلا بخيلا

فقلت له: أفرطت يا أبا إسحاق! فقال: فديتك! فأكذبني بجواد واحد. فأحببت موافقته، فالتفت يمينا" وشمالا" ثم قلت: ماأجد. فقبل بين عيني وقال: فديتك يابني! لقدر رفقت حتى كدت تسرف

كان بعد تنسكه يطرب لحديث ابن مخارق

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن مخارق قال: كان أبو العتاهية لما نسك يقول لي: يابني، حدثني؛ فإن ألفاظك تطرب كما يطرب غناؤك

جفاه أحمد بن يوسف فعاتبه بشعر

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري قال حدثني أبو هفان قال حدثني موسى بن عبد الملك قال: كان أحمد بن يوسف صدقا" لأبي العتاهية، فلما خدم المأمون وخص به، رأى منه أبو العتاهية جفوة، فكتب إليه:

أبا جعفر إن الشريف يشينه تتايهه على اللأخلاء بالوفر

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

فإن نلت تيها" بالذي نهلت من غنى فإن غناي في التجمل والصبر

قال: فبعث إليه بألفي درهم، وكتب إليه يعتذر مما أنكره.

طلب إليه أن يجيز شعرا'

فأجازه على البديهة:

أخبرني الحسن ين علي قال حدثنا ابن مهروية قال حدثني إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الكوفي قالاحدثني أبو جعفر المعبدي قال: قلت لأبي العتاهية: أجز لي قول الشاعر:

وكان المال يأتينا فكنا نبذره وليس لنا عقول

فلما أن تولى المال عنا عقلنا حين ليس لنا فضول

قال: فقال أبو العتاهية على المكان:

فقصر ماترى بالصبر حقا" فكل إن صبرت له مزيل

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابهن مهروية قال حدثني الحسن بن الضل الزعفراني قال: حدثني من سمع أبا العتاهية يقول لابنه وقد غضب عليه: اذهب فإنك ثقيل الظل جامد الهواء

أهدى إلى الفضل نعلا' فأهداها للخليفة

أخبرن الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهروية قال حدنث ي يحيى بن خليفة الرازي قال حدثنا حبيب بن الجهم النميري قال: حضرت الفضل بن الربيع متنجزا" جائزتي وفرضي، فلم يدخل عليه أحد قبلي، فإذا عون حاجبه قد جاء فقال: هذا أبو العتاهية يسلم عليك وقد قدم من مكة؛ فقال: أعفني منه الساعة يشغلني عن ركوبي. فخرج إليه عون فقال: إنه على الركوب إلى أمير المؤمنين. فأخرج منكمه نعلا" عليها شراك فقال: قل له إن أبا العتاهية أهداها إليك جعلت فداءك. قال: فدخل بها؛ فقال: ماهذه؟ فقال:: نعل وعلى شرامها مكتوب كتاب. فقال: ياحبيب، أقرأ ماعليها فقرأته فإذا هو:

نعل بعثت بها ليلبسها ... قرم بها يشي إلى المجد

لوكان يصلح أن أشركها ... خدي جعلت شراكها خدي

فقال لحاجبه عون: احملها معنا، فحملها. فلما دخل على الأمين قالله: ياعباسي، ماهذا النعل؟ فقال: أهادها إلي أبو العتاهية وكتب عليها بيتين، وكان أمبر المؤمنين أولى بلبسها لما وصف به لابسها. فقال: وما هما؟ فقرأهما. فقال: أجاد والله! وماسبقه إلى هذا المعنى أحد، هبوا له عشرة آلاف درهم. فأخرجت والله في بدرة وهو راكب علىحماره، فقبضها وانصرف.

قيل إنه كان من أقل الناس معرفة

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثنا إسماعيل بن عبد الله الكوفي قال حدثناعمروس صاحب الطعام وكان جار أبي العتاهية، قال: كان أبو العتاهية من أقل الناس معرفة، سمعت بشرا" المريسي يقول له: يا أبا إسحاق، لاتصل خلف فلان جارك وإمام مسجدكم؛ فإنه مشبه. قال: كلا! إنه قرأ بنا البارحة في الصلاة: "قل هو الله أحد"؛ وإذ غ هو يظن أن المشبه لايقرأ" قل هو الله أحد"

شكا غليه بكر عن المعتمر ضيق حبسه

فكتب إليه شعرا':

أخبرن يالحسن قال حدثنا ابن مهروية قال حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح قال: كنت أمشي مع أبي العتاهية يده في يدي وهو متكء علي ينظر إلى الناس يذهبون ويجيئون فقال: أما تراهم هذا يتيه فلا يتكلم، وهذا يتكلم بصلف! ثم قال لي: مر بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار وهو يخطر، فقال: يابني، للو خفضت بعض هذه

الخيلاء ألم يكن احسن بك من هذه الشهرة التي قد شهرت بها نفسك؟! فقال له الفتى: أو ماتعرف من أنا! فقال له: بلى! والله أعرفك معرفة جيدة، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت بين ذينك حامل عذرة. قال: فأرخى الفتى أذنيه وكف عما كان يفعل وطأطأ رأسه ومشى مسترسلا". ثم أنشدني أبو العتاهية:

أيا واها" لذكر الل ... ه ياواها" له واها

لقد طيب ذكر الل ... ه يالتسبيح أفواها

فيا أنتن من حش ... على حش إذا تاها

أرى قوما" يتيهون ... حشوشا" رزقوا جاها

مدح إسماعيل بن محمد شعره واستنشده إياه

حدثني اليزيدي عن عمه إسماعيل بن محمد بن أبي محمد قال.

قلت لأبي العتاهية وقد جاءنا: يا أبا إسحاق، شعرك كله حسن عجيب، وقلد مرت بي منذ أيام أبيات لك استحسنتها جدا"،؛ وذلك أنها مقلوبة أيضا"، فأواخرها كأنها رأسها، لو كتبها الإنسان إلى صديق له كتابا" والله لقد كان حسنا" أرفع مايكون شعرا". قال: وماهي؟ قلت:

المرء في تأخير مدته ... كالثوب يخلق بعبد جدته

وحياته نفس يعد به ... ووقاته استكمال عدته

ومصيره من بعد مدته ... لبلى وذا من بعد وحدته

من مات مال ذوومودته ... عنه وحالوع عن مودته

أزف الرحيل ونحن في لعب ... مانستعد له بعدته

ولقلما تبقي الخطوب علي ... أشر الشباب وحر وقدته

عجبا "لمنتبه يضيع ما ... يحتاج فيه ليوم رقدته

شبه أبو نواس شعرا' له بشعره

قال اليزيدي: قال عمي وحدثني الحسين بن الضحاك قال: كنت مع أبي نواس فأنشدني أبياته التي يقول فيها:

يابني النقص والغير ... وبني الضعف والخور

فلما فرغ منها قال لي: يا أبا علي، والله لكأنها من كلام صاحبك"يعني أبا العتاهية"

سأل أعرابيا' عن معاشه ثم قال شعرا'

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني حذيفة بن محمد الطائي قال حدثني أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي قال: حججت فرأيت أبا العتاهية واقفا" على أعرابي في ظل ميل وعليه شملة إذا غطى بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطى رجليه بدا رأسه. فقال له أبو العتاهية: كيف اخترت هذا البلد القفر على البلدان المخصبة؟ فقال له: ياهذا، لولا أن الله أقنع بعض العباد بشر البلاد، وماوسع خير البلاد جميع العباد. فقال له: فمن أين معاشكم؟ فقال: منكم معشر الحاج، تمرون بنا فتنال من فضولكم، وتنصرفون فيكون ذلك. فقال" له": إنما نمر وننصرف في وقت من السنة، فمن أين معاشكم؟ فأطرق الأعرابي ثم قال: لا والله لاأدري ماأقول إلا أنا نرزق من حيث لا نحتسب أكثر مما نرزق من حيث نحتسب. فولى أبو العتاهية وهو يقول:

ألا ياطالب الدنيا ... دع الدنيا لشانيكا

وماتصنع بالدنيا ... وظل الميل بكفيكا

شتمه سلم لما سمع هجوه فيه

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال: لما قال أبو العتاهية:

تعالى الله ياسلم بن عمر ... أذل الحرص أعناق الرجال

قال سلم: ويلي علي ابن الفاعلة! كنز البدور ويزعم أني حريص وأنا في ثوبي هذين!

كان ابن عبد العزيز يتمثل كثيرا' بشعره

أخبرني محمد بن مزيد والحرمي بن أبي العلاء قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمرو بن أدعج قال: قلت لعبد الله بن عبد العزيز العمري وسمعته يتمثل كثيرا" من شعر أبي العتاهية: أشهد أني سمعته ينشد لنفسه:

مرت اليوم شاطره ... بضة الجسم ساخره

إن دنيا هي التب ... مرت اليوم سافره

سرقوا نصف اسمها ... فهي دنيا وآخره

فقال علد الله بن عبد العزيز: وكله الله إلىآخرها. قال: وماسمع بعد ذلك يتمثل ببيت من شعره.

قال علي بن الحسين مؤلف هذا الكتاب: هذه الأبيات لأبي عيينة المهلبي، وكان يشبب بدينا في شعره، لإما أن يكون الخبر غلطا"، وإما أنيكون الرجل أنشدها العمري لأبي العتاهية وهو لايعلم أنها ليست له.

موازنة بينه وبين أبي نواس

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل قال: قال لي الحرمازي: شهدت أبا العتاهية وأبا نواس في مجلس، وكان أبو العتاهية أسرع الرجلين جوابا" عند البديهة، وكان أبو نواس أسرعهما في وقل الشعر؛ فإذا تعاطيا جميعا" السرعة فضله أبو العتاهية، وإذا توقفا وتمهلا فضله أبو نواس.

رأى من صالح المسكين جفوة فعاتبه

فجاهره بالعداوة:

أخبرني أحمد بن العباس عن ابن عليل العنزي قال حدثنا أبو أنس كثير بن محمد الحزاميقال حدثني الزبير بن بكار"عن" معروف العاملي قال:

قال أبو العتاهية: كنت منقطعا" إلى صالح المسكين، وهو ابن جعفر المنصور، فأصبت في ناحيته مائة ألف درهم، كان لي ودودا" وصديقا"، فجئته يوما"، وكان لي في مجليه مرتبة لايجلس فيها غيري، فنظرت إليه قد قصربي عنها، وعاودته ثانية" فكانت حاله تلك، ورأيت نظره إلي ثقيلا"، فنهضت وقلت:

أراني صالح بغضا ... فأظهرت له بغضا

ولا والله لاينق ... ض إلا زدته نقضا

وإلا زدته مقتا ... وإلا زدته رفضا

ألا يامفسد الود ... وقد كان له محضا

تغضبت من الريح ... فما أطلب أن ترضى

لئن كان لك المال الم ... صفى إن لي عرضا

قال أبو العتاهية: فنمي الكلام إلى صالح فنادى بالعداوة؛ فقلت فيه:

مددت لمعرض حبلا" طويلا" ... كأطول مايكون من الحبال

حبال بالصريمة ليس تفنى ... موصلة على عدد الرمال

فلا تنظر إلي ولاتردني ... ولاتقرب حبالك من حبالي

فليت الردم من يأجوج بيني ... وبينك كثبتا" أخرى الليالي

فكرش إن أردت لنا كلاما" ... ونقطع قحف رأسك بالقذال

استنشده مساور شعرا' في جنازة فأبى

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا علي بن سليمان النوفلي قال: قال مساور السباق، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير عن مساور السباق قال: شهدت جنازة في أيام الحج وقت خروج الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن المقتول بفخ، فرأيت رجلا: قد حضر الجنازة معنا وقد قال آخر: هذا الرجل الذي صفته كذا وكذا أبو العتاهية فالتفت إليه فقلت له: أنت أبو العتاهية؟ فقال: لا، أنا أبو إسحاق. فقلتله: أنشدني شيئا" من شعرك؛ فقال لي: ماأحمقك! نحن علي سفر وعلى شفير قبر، وفي أيا م العشر، وببلدكم هذا تستنشدني الشعر! ثم أدبر عني ثم عاد إلي فقال: وأخرى أزيدكها، لا والله في بني آدم أسمج منك وجها"! قال النوفلي في خبرهك وصدق أبو العاهية، وكان مساور هذا مقبحا" طويل الوجه كأنه ينظر في سيف.

حجبه حاجب يحيى بن خاقان

فقال شعرا' فاسترضاه فأبى:

أخبرني عمي الحسن بن محمد وجحظة قالا حدثنا ميمون بن هارون قال: قدم أبو العتاهية يوما" منزل يحيى بن خاقان، فلما قدم بادر له الحاجب فانصرف. وأتاه يوما" آخر فصادفه حين نزل، فسلم عيه ودخل إلى منزله و لم يأذن له؛ فأخذ قرطاسا" وكتب إليه:

أراك تراع حين ترى خيالي ... فما هذا يروعك من خيالي

لعلك خائف مني سؤال ... ألا فلك الأمان من السؤال

كفيتك إن حالك لم تمل بي ... لأطلب مثلها بدلا" بحالي

وإن اليسر مثل العسر عندي ... يأيهما منيت فلا أبالي

فلما قرأ الرقعة أمر الحاجب بإدخاله إليه، فطلبه فأبى أن يرجع معه، و لم يلتقيا بعد ذلك.

كان بينه وبين أبي الشمقمق شر

أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني قال: اجتمع أبو نواس وأبو الشمقمق في بيت ابن أذين، ومان بين أبي العتاهية وبين أبي الشمقمق شر، فخبؤه من أبي العتاهية في بيت. ودخل أبو العتاهية فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيث، فظن أنه جارية، فقال لابن أذين: متى استطرفت هذه الجارية؟ فقال: قريبا" يا أبا إسحاق، فقال: قل فيها ماحضر؛ فمد أبو العتاهية يده إيه قال:

مددت كفي نحوكم سائلا" ... ماذا تردون على السائل

فلم يلبث أبو الشمقمق حتى ناداه من البيت:

نرد في كفك ذا فيشة ... يشفي جوى في استك من داخل

فقال أبو العتاهية: شمقمق والله! وقام مغضبا"

استنشد ابن أبي أمية شعره ومدحه

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا علي بن محمد النوفلب قال حدثني سليمان بن عباد قال حدثنا سليمان بن مناذر قال:

كنا عند جعفر بن يحيى وأبو العتاهية حاضر في وسط المجلس؛ فقال أبو العتاهية لجعفر: جعلين الله فداك! معك شاعر يعرف بابن أبي أمية أحب أن أسمعه ينشد؛ فقال له جعف: هو أقرب الناس منك. فأقبل أبو العتاهية على محمدن وكان إلى جانبه، وسأله أن ينشده، فكأنه حصر ثم أنشده:

صوت

رب وعد ممنك لاأنساه لي ... أوجب الشكر وإن لم تفعل

اقطع الدهر بوعد حسن ... وأجلي غمرة ماتنجلي

كلما أملت وعدا" صالحا" ... عرض المكروه دون الأمل

وأرى الأيام لاتدني الذي ... أرتجي منك وتدني أجلي

-في هذه الأبيات لأبي حبشة رمل-قال: فأقبل ابو العتاهية يردد البيت الأخير ويقبل رئاي ابن أبي أمية ويبكي، وقال: وددت والله أنه لي بكثير من شعري.

لم يرض بتزويج ابنته لمنصور بن المهدي

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال: كانت لأبي العتاهية بنتان، اسم إحداهما " لله" والأخرى"بالله" فخطب منصور بن المهدي " لله" فلم يزوجه، وقال: إنما طلبها لأنها بنت أبي العتاهية، وكأني بها قد ملها، لم يكن لي إلى الانتصاف منه سبيل، وما كنت لأزوجها إلا بائع خزف وجرار، ولكني اختاره لها موسرا".

كان له ابن شاعر

وكان لأبي العتاهية ابن يقال له محمد وكان شاعرا"، وهو القائل:

قد أفلح السالم الصموت ... كلام راعي الكلام قوت

ماكل نطف له جواب ... جواب مايكره السكوت

ياعجبا "لامرىء ظلوم مستيقن أنه يموت

أخبار متفرقة

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى: حدثنا زكريا بن الحسين عن عبد الله بن الحسن سهل الكاتب قال: قلت لأبي العتاهية: أنشدني من شعرك ماتستحسن، فأنشدني:

ماأسرع الأيام في الشهر وأسرع الأشهر في العمر

صوت

ليس لمن لبست له حيلة موجودة خير من الصبر

فاخط مع الدهر إذا ماخطا واجر مع الدهر كما يجري

من سابق الهر كبا كبوة لم يستقله آخر الدهر

لإبراهيم في هذه الأبيات خفيف ثقيل وثقيل أول قال عبد الله بن الحسن: وسمعت أبا العتاهية يحدث قال: مازال الفضل بن الربيع من أميل الناس إلي، فملا رجع من خراسان بعد موت الرشيد دخلت إليه، فاستنشدني فأنشدته:

أفنيت عمرك إدبارا" وإقبالا" تبغي البنين وتبغي الأهل والمالا

الموت هول فكن ماشئت ملتمسا" من هوله حيلة إن كنت محتالا

ألم تر الملك الأمسيحين مضى هل نال حي من الدنيا كما نالا

أفناه من لم يزل يفني القرون فقد أضحى وأصبح عنه الملك قد زالا

كم من ملوك مضى ريب الزمان بهم فأصبحوا عبرا" فينا وأمثالا

فاستحسنها وقال: أنت تعرف شغلي، فعد إلي في وقت فراغي اقعد وآنس بك. فلم أزل أرقب أيامه حتى كان يوم فراغه فصرت إليه؛ فبينما هو مقبل علي يسنشدني ويسألني فأحدثه، إذ أنشدته:

ولى الشباب فماله منحيلة وكسا ذؤابتي المشيب حمارا

أين البرامكة الذين عهدتهم بالأمس أعظم أهلها أخطارا "

فلما سمع ذكرى البرامكة تغير لونه ورأيت الكراهية في وجهه، فما رأيت منه خيرا" بعد ذلك.

قال: وكان أبو العتاهية يحدث هذا الحديث ابن الحسن بن سهل؛ فقال له: لئن كان ذلك ضرك عند الفضل بن الربيع لقد نفعك عندنا؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وأجرى له كل ثلاثة آلاف درهم، فلم زيل يقبلها دارة إلى أن مات.

عاتب مجاشع بن مسعدة فرد عليه من شعره: قال عبد الله بن السحن بن سهل: وسمعت عمرو بن مسعدة يقول: قال لي أخي مجاشع: بينما أنا في بيتي إذ جائتني رقعة من أبي العتاهية فيها:

خليل لي أكاتمه أراني لاألائمه
خليل لاتهب الري ح إلا هب لائمه
كذا من نال سلطانا" ومن كثرت دراهمه

قال: فبعثت إليه فأتاني، فقلت له: أما رعيت حقا" ولا ذماما" ولا مودة! فقال لي: ما قلت سوءا". قلت: فما حملك علي هذا؟ قال: أغيب عنك عشرة أيام فلا تسأل عني ولا تبعث إلي رسولا"! فقلت: يا أبا اسحاق، أنسيت قولك:

يأبى المعلق بالمنى إلا رواحاً وادلاجا
أرفق فعمرك عود ذي أود رأيت به اعوجاجا
من عاج من شيء إلى شيء أصاب له معاجا

فقال: حسبك! حسبك! أوسعتني عذرا".

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي الزارع قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن عمران بن عبد الصمد الزارع قال حدثنا ابن عائشة قال: قال أبو العتاهية لابن مناذر: شعرك مهجن لا يلحق بالفحول، وأنت خارج عن طبقة المحدثين. فإن كنت تشبهت بالعجاج ورؤبة فما لحقتها ولاأنت في طريقهما، وإن كنت تذهب مذهب المحدثين فما صنعت شيئا". أخبرني عن قولك: " ومن عاداك لاقى المرمريسا " أخبرني عن المرمريس ماهو؟ قال: فخجل ابن مناذر وماراجعه حرفا". قال: وكان بينهما تناغر.

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى قال حدثني الحسين بن إسماعيل المهدي قال حدثني رجاء بن سلمة قال: وجد المأمون علي في شيء، فاستأذنته في الحج فأذن لي، فقدمت البصرة وعبيد الله بن إسحاق بن الفضل الهاشمي عليها وإليه أمر الحج، فزاملته إلى مكة. فينا نحن في الطواف رأيت أبا العتاهية، فقلت لعبيد الله: جعلت فداك! أتحب أن ترى أبا العتاهية؟ فقال: والله إني لأحب أن أراه وأعاشرهز قلت: فافرغ من طوافك واخرج، ففعل. فأخذت بيد أبي العتاهية فقلت له: يا أبا إسحاق، هل لك في رجل من أهل البصرة شاعر أديب ظريف؟ قال: وكيف لي بذلك؟ فأخذت بيده فجئت به إلى عبيد الله، وكان لايعرفه، فتحدثا ساعة"، ثم قال له أبو العتاهية: هل لك في بيتين تجيزهما؟ فقال له عبيد الله: إنه لارفث ولافسوق ولاجدال في الحج. فقال له: لانرفث ولا نفسق ولانجادل. فقال: هات إذا". فقال أبو العتاهية:

إن المنون غدوها ورواحها في الناس دائبة تجيل قداحها

ياساكر الدنيا لقد أوطنتها ولتنزحن وإن كرهت نواحها

فأطرق عبيد الله ينظر إلى الأرض ساعة"، ثم رفع رأسه فقال:

خذ لأبالك للمنية عدة" واحتل لنفسك إن أردت صلاحها

لاتغترر فكأنني بعقاب ري ب الموت قد نشرت عليها جناحها

قال: ثم سمعت الناس ينحلون أبا العتاهية هذه الأربعة الأبيات كلها، وليس له إلا البيتان الأولان.

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا ميمون بت هارون قال حدثني إبراهيم بن رباح قال أخبرني إبراهيم بن عبد الله، وأخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا هارون بن مخارق قال حدثني إبراهيم بن دسكرة، وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال: قال أبو العتاهية: حبسني الرشيد لما تركت قول الشعر، فأدخلت السجن وأغلق الباب علي، فدهشت كما يدهش مثلي لتلك الحال، وإذا أنا برجل جالسٍ في جانب مقيد، فجعلت أنظر إليه ساعة"، ثم تمثل:

صوت

تعودت مر الصبر حتىألفته وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر

وصيرني يأسي من الناس راجيا" لحسن صنيع الله من حيث لاأدري

فقلت له: أعد، يرحمك الله، هذين البيتين. فقال لي: ويلك أبا العتاهية! ماأسوأ أدبك وأقل عقلك! دخلت علي الحبس فما سلمت تسليم المسلم على المسلم، ولاسألت مسألة الحر للحر، ولاتوجعت توجع المبتلى للمبتلى، حتى إذا سمعت بيتين من الشعر الذي لافضل فيك غيره، لم تصبر عن استعادتهما، و لم تقدم قبل مسألتك عنهما عذرا" لنفسك في طلبهما! فقلت: ياأخي إني دهشت لهذه الحال، فلا تعذلني واعذرني متفضلا" بذلك. فقال: أنا والله أولى بالدهش والحيرة؛ لأنك حبست في في أن تقول شعرا" به ارتفعت وبلغت، فإذا قلت أمنت، وأنا مأخوذ بأن أدل على ابن الرسول الله صلى الله علسه وسلم ليقتل أو أقتل دونه، ووالله لا أدل عليه أبدا"، والساعة يدعى بي فأقتل، فأينا أحق بالدهش؟ فقلت له: أنت والله أولى، سلمك الله وكفاك، ولو علمت أن هذه حالك ماسألتك. قال: فلا تبخل عليك إذا"، ثم أعاد البيتين حتى حفظتهما. قال: فسألأته من هو؟ فقال: أنا خاص داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد. و لم نلبث أن سمعنا صوت الأقفال، فقام فسكب عليه ماء كان عنده في جره، ولبس ثوبا" نظيفا" كان عنده، ودخل الحرس والجند معهم الشمع فأخرجونا جميعا"، وقدم قبلي إلى الرشد. فسأله عن أحمد بن عيسى؛ فقال: لاتسألني عنه واصنع مأأنت صانع، فو أنه تحت ثوبي هذا مااكتشفته

عنه. وأمر بضرب عنقه فضرب. ثم قال لي: أظنك قد ارتعت ياإسماعيل! فقلت: دون ما رأيته تسيل منه النفوس. فقال: ردوه إلى محبسه فرددت، وانتحلت هذين البيتين وزدت فيهما:

إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما تكرهت منه طال عتبي على الدهر

لزرزور غلام المارقي في هذين البيتين المذكورين خفيف رمل. وفيهما لعريب خفيف ثقيل.

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى: حدثني علي بن مهدي قال حدثني ناجية بن عبد الواحد قال: قال لي أبو العباس الخزيمي: كان أبو العتاهية خلفا" في الشعر، بينما هو يقول في موسى الهادي:

لهفي على الزمن القصير بين الخورنق والسدير

إذ قال:

أيا ذوي الوخامة أكثرتم الملامة

فليس لي على ذا صبر ولاقلامة

نعم عشقت موقا" هل قامت القيامة

لأركبن فيمن هويته الصرامة

ونسخت من كتابه: حدثني علي بن مهدي قال حدثني أحمد بن عيسى قال حدثني الجماز قال: قال سلم الخاسر: صار إلي إبو العتاهية فقال: جئتك زائرا"؛ فقلت: مقبول منك ومشكور أنت عليه، فأقم. فقال: إن هذا مما يشتد علي. قلت: و لم يشتد عليك مايسهل علىأهل الأدب؟ فقال: لمعرفتي بضيق صدرك. فقلت له وأنا أضحك وأعجب من مكابرته: " رمتني بدائها وانسلت". فقال: دعني من هذا واسمع مني أبيتا". فقلت: هات؛ فأنشدني:

نغص الموت كل لذة عيشٍ يالقومي للموت ماأوحاه

عجبا" أنه إذا مات ميت صد عنه حبيبه وجفاه

حيثما وجه امرؤ ليفوت ال موت فالموت واقف بحذاه

إنما الشيبد لابن آدم ناع قام في عارضيه ثم نعاه

من تمنى المنى فأغرق فيها مات من قبل أن ينال مناه

ماأذل المقل في أيعن النا س لإقلاله وماأقماه

إنما تنظر العيون من النا س إلى من ترجوه أو تخشاه

ثم قال لي: كيف رأيتها؟ فقلت له: لقد جودتها لو لم تكن ألفاظها سوقية". فقال: والله مايرغبني فيها إلا الذي زهدك فيها.

ونسخت من كتابه: عن علي بن مهدي قال حدثني عبد الله بن عطية عن محمد بن عيسى الحربي قال: كنت جالسا" مع أبي العتاهية، إذ مر بنا حميد الطوسي في موكبه وبين يديه الفرسان والرجالة، وكان بقرب أبي العتاهية سوادي على أتان، فضربوا وجه الأتان ونحوه عن الطريق، وحميد واضع طرفه على معرفة فرسه والناس ينظرون إليه يعجبون منه وهو لايلتفت تيها"؛ فقال أبو العتاهية:

للموت أبنا بهم ماشئت من صلف وتيه

وكأنني بالموت قد دارت رحاه علي بنيه

قال: فلما جاز حميد مع صاحب الأتان قال أبو العتاهية:

ماأذل المقل في أعين النا س لإقلاله ومأقماه

إنما تنظر العيون من النا س إلى من ترجوه أو تخشاه

اعترض عليه في بخله فأجاب

قال علي بن مهدي وحدثني الحسين بن أبي السري قال: قيل لأبي العتاهية: مالك تبخل بما رزقك الله؟ فقال: والله مابخلت بما رزقني الله قط. قيل له: وكيف ذاك وفي بيتك من المال مالايحصى؟ قال: ليس في ذلك رزقي، ولو كان رزقي لأنفقته.

قال علي بن مهدي وحدثني محمد بن جعفري الشهزوري قال حدثني رجاء مولى صالح الشهزوري قال: كان أبو العتاهية صديقا" لصالح الشهزوري وآنس الناس به، فسأله أن يكلم الفضل بن يحيى في حاجة له؛ فقال له صالح: لستأكلمه في أشباه هذا، ولكن حملني ماشئت في مالي. فانصرف عنه أبو العتاهية وأقام أياما" لا يأتيه؛ فكتب إليه أبو العتاهية:

أقلل زيارتك الصديق ولاتطل إتيانه فتلج في هجرانه

إن الصديق يلج في غشيانه لصديقه فيمل من غشيانه

حتى تراه بعد طول مسرة بمكانه متبرما" بمكانه

وأقل مايلفى الفتى ثقلا" على إخوانه ما كف عن إخوانه

وإذا توانى عن صيانة نفسه رجل تنقص واستخف بشانه

فلما قرأ الأبيات قال: سبحان الله أتهجرني لمنعي إياك شيئا" تعلم أني ماابتذلت نفسي قط، وتنسى مودتي وأخوتي، ومن دون مابيني وبين وبينك ماأوجب عليك أن تعذرني فكتب إليه:

أهل التخلق لو يدوم تخلق لسكنت ظل جناح من يتخلق

ماالناس في غلإمسك إلا واحد فبأيهم إن حصلوا أتعلق

هذا زمان قد تعود أهله تيه الملوك وقعل من يتصدق

فلما أصبح صالح غدا بالأبيات على الفضل بن يحيى وحدثه بالحديث؛ فقال له: لا والله ماعلى الأرض أبغض إلي من إسداء عارفة إلى أبي العتاهية؛ لأنه ممن ليس يظهر عليه أثر صنيعه، وقد قضيت حاجته لك؛ فرجع وأرسلني إليه بقضاء حاجته. فقال أبو العتاهية:

جزى الله عني صالحا" بوفائه وأضعف أضعافا" له في جزائه

بلوت رجالا" بعده في إخائهم فما ازددت إلا رغبة" في إخائه

صديق إذا ماجئت أبغيه حاجة" رجعت بما أبغي ووجهي بمائه .

أخبرني الصولي قالحدثني محمد بن موسى قال حدثني أحمد بن حرب قال: أنشدني محمد بن أبي العتاهية لأبيه يعاتب صالحا" هذا في تأخيره قضاء حاجته: صوت

أعيني جودا" وابكيا ود سالح وهيجا عليه معولات النوائح

فمازال سلطانا" أخ لي أوده فيقطعني جرما" قطيعة صالح

الغناء في هذين البيتين للإبارهين ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

أمر الرشيد مؤدب ولده أن يرويهم شعره: أخبرن محمد بن أبي الأزهر قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده قال: كان الرشيد معجبا" بشعر أبي العتاهية، فخرج إلينا يوما" وفي يده رقعتان على نسخة واحدة، فبعث بإحداهما إلى مؤدّبٍ لولده وقال: ليروّهم ما فيها، ودفع الأخرى إليّ وقال: غنّ في هذه الأبيات. ففتحتها فإذا فيها:

صوت

قل لمن ضنّ بودّه وكوى القلب بصدّه

ما ابتلى الله فؤادي بك إلاّ شؤم جدّه

أيها السارق عقلي لا تضنّنّ بردّه

ما أرى حبّك إلاّ بالغاً بي فوق حدّه

تمثل المعتصم عند موته بشعر له

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثني عبد الله بن محمد الأمويّ العتبيّ قال قال لي محمد بن عبد الملك الزيّات: لمّا أحسّ المعتصم بالموت قال لابنه الواثق: ذهب والله أبوك يا هارون! لله درّ أبي العتاهية حيث يقول:

الموت بين الخلق مشترك ... لا سوقةٌ يبقى ولا ملك

ما ضرّ أصحاب القليل وما ... أغنى عن الأملاك ما ملكوا

عدّ أبو تمام خمسة أبيات من شعره وقال

لم يشركه فيها غيره:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ وعمّي الحسن والكوكبيّ قالوا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: قال لي أبو تمّام الطائيّ: لأبي العتاهية خمسة أبياتٍ ما شركه فيها أحدٌ، ولاقدر على مثلها متقدّم ولا متأخّر، وهو قوله:

الناس في غفلاتهم ... ورحى المنيّة تطحن

وقوله لأحمد بن يوسف:

ألم تر أنّ الفقر يرجى له الغنى ... وأنّ الغنى يخشى عليه من الفقر

وقوله في موسى الهادي:

ولمّا استقلّوا بأثقالهم ... وقد أزمعوا للّذي أزمعوا

قرنت التفاتي بآثارهم ... وأتبعتهم مقلةً تدمع

وقوله:

هب الدنيا تصير إليك عفواً ... أليس مصير ذاك إلى زوال

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني محمد بن سعيد المهديّ عن يحيى بن سعيدٍ الأنصاريّ قال: مات شيخٌ لنا ببغداد، فلمّا دفنّاه أقبل الناس على أخيه يعزّونه، فجاء أبو العتاهية إليه وبه جزعٌ شديد، فعزّاه ثم أنشده:

لاتأمن الدّهر وألبس ... لكلّ حينٍ لباسا

ليدفننّا أناسٌ ... كما دفنّا أناسا

قال: فانصرف الناس، وما حفظوا غير قول أبي العتاهية.

نسخت من كتاب هارون بن عليّ: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني حبيب بن عبد الرحمن عن بعض أصحابه: قال: كنت في مجلس خزيمة، فجرى حديث ما يسفك من الدماء، فقال: والله ما لنا عند الله عذرٌ ولا حجّةٌ إلاّ

رجاء عفوه ومغفرته. ولولا عزّ السلطان وكراهة الذلّة، وأن أصير بعد الرياسة سوقةً وتابعاً بعد ما كنت متبوعاً، ما كان في الأرض أزهد ولا أعبد منّي؛ فإذا هو بالحاجب قد دخل عليه برقعة من أبي العتاهية فيها مكتوبٌ:

أراك امرأً ترجو من الله عفوه ... وأنت على ما لا يحبّ مقيم

تدلّ على التقوى وأنت مقصّرٌ ... أيا من يداوي الناس وهو سقيم

وإنّ امرأً لم يلهه اليوم عن غدٍ ... تخوّف ما يأتي به لحكيم

وإنّ امرأً لم يجعل البرّ كنزه ... وإن كانت الدنيا له لعديم

فغضب خزيمة وقال: والله ما المعروف عند هذا المعتوه الملحف من كنوز البرّ فيرغب فيه حرٌّ. فقيل له: وكيف ذاك؟ فقال: لأنّه من الذين يكترون الذهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله.

ونسخت من كتابه: عن عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السّريّ قال قال لي الفضل بن العبّاس: قال لي أبو العتاهية: دخلت على يزيد بن مزيد، فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها:

وما ذاك إلاّ أنّني واثقٌ بما ... لديك وأنّي عالمٌ بوفائكا

كأنّك في صدري إذا جئت زائراً ... تقدّر فيه حاجتي بابتدائكا

وإنّ أمير المؤمنين وغيره ... ليعلم في الهيجاء فضل غنائكا

كأنّك عند الكرّ في الحرب إنّما ... تفرّ من السّلم الذي من ورائكا

فما آفة الأملاك غيرك في الوغى ... ولا آفة الأموال غير حبائكا

قال: فأعطاني عشرة آلاف درهم، ودابةً بسرجها ولجامها..

وعظ راهب رجلاً عابداً بشعره

وأخبرني عيسى بن الحسين الورّاق وعمّي الحسن بن محمد وحبيب بن نصر المهلّبي قالوا: حدّثنا عمر بن شبّة قال: مر عابدٌ براهبٍ في صومعة؛ فقال له عظني. فقال: أعظك وعليكم نزل القرآن، ونبيّكم محمد صلى الله عليه وسلم قريب العهد بكم؟ قلت نعم. قال: فاتّعظ ببيتٍ من شعر شاعركم أبي العتاهية حين يقول:

تجرّد من الدنيا فإنّك إنّما ... وقعت إلى الدنيا وأنت مجرّد

فضله العتابي على أبي نواس

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثني الفضل بن محمد الزّارع قال حدّثني جعفر بن جميل قال: قدم العتّابي الشاعر على المأمون، فأنزله على إسحاق بن إبراهيم، فأنزله على كاتبه ثوابة بن يونس، وكنّا نختلف إليه نكتب عنه. فجرى ذات يوم ذكر الشعراء؛ فقال: لكم يا أهل العراق شاعر منوّه الكنية، ما

فعل؟ فذكر االقوم أبا نواس؛ فانتهرهم ونفض يده وقال: ليس ذلك، حتى طال الكلام. فقلت: لعلّك تريد أبا العتاهية. فقال: نعم! ذاك أشعر الأوّلين والآخرين في وقته.

لام أبا نواس في استماع الغناء أخبرني محمد بن عمران قال حدّثني العنزيّ قال حدّثني محمد بن إسحاق عن عليّ بن عبد الله الكنديّ قال: جلس أبو العتاهية يوماً يعذل أبا نواس ويلومه في استماع الغناء ومجالسته لأصحابه؛ فقال له أبو نواس:

أتراني يا عتاهي تاركاً تلك الملاهي

أتراني مفسداً بالنسك عند القوم جاهي

قال: فوثب أبو العتاهية وقال: لا بارك الله عليك! وجعل أبو نواس يضحك.

بلغه أن إبراهيم بن المهدي رماه بالزندقة

فبعث إليه يعاتبه فردّ عليه إبراهيم:

أخبرني جحظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال: بلغ أبا العتاهية أنّ أبي رماه في مجلسه بالزندقة وذكره بها؛ فبعث إليه يعاتبه على لسان إسحاق الموصلي، فأدّى إليه إسحاق الرسالة؛ فكتب إليه أبي:

إنّ المنيّة أمهلتك عتاهي والموت لا يسهو وقلبك ساهي

يا ويح ذي السنّ الضعيف أماله عن غيّه قبل الممات تناهي

وكلت بالدنيا تبكّيها وتن دبها وأنت عن القيامة لاهي

والعيش حلوٌ والمنون مريرةٌ والدّار دار تفاخرٍ وتباهي

فاختر لنفسك دونها سبلاً ولا تتحامقنّ لها فإنّك لاهي

لا يعجبنّك أن يقال مفوّهٌ حسن البلاغة أو عريض الجاه

أصلح جهولاً من سريرك الّتي تخلوا بها وارهب مقام الله

إنّي رأيتك مظهراً لزهادةٍ تحتاج منك لها إلى أشباه

أخبار متفرقة

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني الحسين ين يحيى الصوليّ قال حدّثني عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الرّبيع قال: رآني الرشيد مشغوفاً بالغناء في شعر أبي العتاهية:

صوت

أحمدٌ قال لي ولم يدر ما بي ... أتحبّ الغداة عتبة حقًّا
فتنفّست ثم قلت نعم حبًّا ... جرى في العروق عرقاً فعرقا
لو تجسّين يا عتيبة قلبي ... لوجدت الفؤاد قرحاً تفقًّا
قد لعمري ملّ الطبيب ... وملّ الأهل منّي مما أقاسي وألقى
ليتني متّ فاسترحت فإنّي ... أبداً ما حييت منها ملقًّى

ولا سيما من مخارق، وكان يغنّي فيه رملاً لإبراهيم أخذه عنه. وفيه لحنٌ لفريدة رمل. هكذا قال الصّولي: " فريدة " بالياء، وغيره يقول: " فرندة " بالنون.

حدّثني الصّولي قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا محمد بن صالح العدويّ قال أخبرني أبو العتاهية قال: كان الرشيد مما يعجبه غناء الملاّحين في الزّلاّلات إذا ركبها، وكان يتأذّى بفساد كلامهم ولحنهم، فقال: قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعراً يغنّون فيه. قيل له: ليس أحدٌ أقدر على هذا من أبي العتاهية، وهو في الحبس. قال: فوجّه إليّ الرشيد: قل شعراً حتّى أسمعه منهم، و لم يأمر بإطلاقي؛ فغاظني ذلك فقلت: والله لأقولنّ شعراً يحزنه ولايسرّ به، فعملت شعراً ودفعته إلى من حفّظه الملاّحين. فلمّا ركب الحرّاقة سمعه، وهو:

خانك الطّرف الطّموح ... أيّها القلب الجموح
لدواعي الخير ... والشّرّ دنوٌّ ونزوح
هل لمطلوبٍ بذنبٍ ... توبةٌ منه نصوح
كيف إصلاح قلوبٍ ... إنّما هنّ قروح
أحسن الله بنا ... أنّ الخطايا لا تفوح
فإذا المستور منّا ... بين ثوبيه نضوح
كم رأينا من عزيزٍ ... طويت عنه الكشوح
صاح منه برحيلٍ ... صائح الدّهر الصّدوح
موت بعض الناس في الأر ... ض على قومٍ فتوح
سيصير المرء يوماً ... جسداً ما فيه روح
بين عيني كلّ حيٍّ ... علم الموت يلوح
كلّنا في غفلةٍ وال ... موت يغدو ويروح

لبني الدّنيا من الدّن يا غبوقٌ وصبوح
رحن في الوشى وأصبح ن عليهنّ المسوح
كلّ نطّاحٍ من الدّه ر له يومٌ نطوح
نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح
لتموتنّ وإن عمّرت ما عمّر نوح

قال: فلمّا سمع ذلك الرشيد جعل يبكي وينتحب، وكان الرشيد من أغزر الناس دموعاً في وقت الموعظة، وأشدّهم عسفاً في وقت الغضب والغلظة. فلمّا رأى الفضل بن الرّبيع كثرة بكائه، أومأ إلى الملاّحين أن يسكتوا.

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني الحسن بن جابر كاتب الحسن بن رجاء قال:

لمّا حبس الرشيد أبا العتاهية دفعه إلى منجابٍ، فكان يعنف به؛ فقال أبو العتاهية:

منجاب مات بدائه فاعجل له بدوائه
إنّ الإمام أعلّه ظلماً بحدّ شقائه
لا تعنفنّ سياقه ما كلّ ذاك برائه
ما شمت هذا في مخا يل بارقات سمائه

: أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثني أحمد بن معاوية القرشيّ قال: لمّا عقد الرشيد ولاية العهد لبنيه الثلاثة: الأمين، والمأمون، والمؤتمن، قال أبو العتاهية:

رحلت عن الرّبع المحيل قعودي إلى ذي زحوفٍ جمّةٍ وجنود
وراع يراعي اللّيل في حفظ أمّةٍ يدافع عنها الشرّ غير رقود
بألويةٍ جبريل يقدم أهلها ورايات نصرٍ حوله وبنود
تجافى عن الدّنيا وأيقن أنّها مفارقةٌ ليست بدار خلود
وشدّ عرا الإسلام منه بفتيةٍ ثلاثة أملاكٍ ولاة عهود
هم خير أولادٍ، لهم خير والدٍ له خير أباءٍ مضت وجدود
بنو المصطفى هارون حول سريره فخير قيامٍ حوله وقعود
تقلّب ألحاظ المهابة بينهم عيون ظباءٍ في قلوب أسود
جدودهم شمسٌ أتت في أهلّةٍ تبدّت لراءٍ في نجوم سعود

قال: فوصله الرشيد بصلةٍ ما وصل بمثلها شاعراً قطّ.

ذكر لملك الروم فالتمسه من الرشيد

فاستعفى هو، فكتب من شعره في مجلسه وعلى باب مدينته:

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأسديّ إجازةً قال حدّثنا الرّياشيّ قال: قدم رسول لملك الرّوم إلى الرشيد، فسأل عن أبي العتاهية وأنشده شيئاً من شعره، وكان يحسن العربيّة، فمضى إلى ملك الرّوم وذكره له؛ فكتب ملك الرّوم إليه، وردّ سوله يسأل الرشيد أن يوجّه بأبي العتاهية ويأخذ فيه رهائن من أراد، وألحّ في ذلك. فكلّم الرشيد أبا العتاهية في ذلك، فاستعفى منه وأباه. واتّصل بالرشيد أنّ ملك الرّوم أمر أن يكتب بيتان من شعر أبي العتاهية على أبواب مجالسه وباب مدينته، وهما:

صوت

ما اختلف اللّيل والنّهار ولا ... دارت نجوم السماء في الفلك

إلاّ لنقل السّلطان عن ملكٍ ... قد انقضى ملكه إلى ملك

مع الرشيد

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا الرّبيع بن محمد الختّليّ الورّاق قال اخبرني ابن أبي العتاهية: أنّ الرشيد لمّا أطلق أباه من الحبس، لزم بيته وقطع الناس؛ فذكره الرشيد فعرّف خبره، فقال: قولوا له: صرت زير نساء وحلس بيت؛ فكتب إليه أبو العتاهية:

برمت بالنّاس وأخلاقهم ... فصرت أستأنس بالوحده

ما أكثر النّاس لعمري وما ... أقلّهم في منتهى العدّه

ثم قال: لا ينبغي أن يمضي شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدحٌ له، فقرن هذين البيتين بأربعة أبيات مدحه فيها، وهي:

صوت

عاد لي من ذكرها نصب ... فدموع العين تنسكب

وكذاك الحبّ صاحبه ... يعتريه الهمّ والوصب

خير من يرجى ومن يهب ... ملكٌ دانت له العرب

وحقيقٌ أن يدان له ... من أبوه للنّبيّ أب

أمره الرشيد أن يعظه فقال شعراً فبكى حدّثنا الصّوليّ قال حدّثنا عون بن محمد قال حدّثنا محمد بن أبي العتاهية قال: قال الرشيد لأبي: عظني؛ فقال له: أخافك. فقال له: أنت آمن. فأنشده:

لا تأمن الموت في طرفٍ ولا نفس ... إذا تستّرت بالأبواب والحرس

واعلم بأنّ سهام الموت قاصدةٌ ... لكلّ مدّرعٍ منّا ومتّرس

ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها ... إنّ السفينة لا تجري على اليبس

قال: فبكى الرشيد حتى بل كمّه.

تناظر ابن أبي فنن وابن خاقان فيه

وفي أبي نواس، ثم حكما ابن الضحاك ففضله:

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال:

قال لي أحمد بن أبي فنن: تناظرت أنا والفتح بن خاقان في منزله: أيّما " الرجلين " أشعر: أبو نواس أم أبو العتاهية. فقال الفتح: أبو نواس، وقلت: أبو العتاهية. ثم قلت: لو وضعت أشعار العرب كلّها بإزاء شعر أبي العتاهية لفضلها، وليس بيننا خلافٌ في أنّ له في كلّ قصيدة جيّداً ووسطاً وضعيفاً، فإذا جمع جيّده كان أكثر من جيّد كلّ مجوّد. " ثم " قلت له: بمن ترضى؟ قال: بالحسين بن الضحّاك. فما انقطع كلامنا حتّى دخل الحسين بن الضحّاك؛ فقلت: ما تقول في رجلين تشاجرا، فضّل أحدهما أبا نواس وفضّل الآخر أبا العتاهية؟ فقال الحسين: أمّ من فضّل أبا نواسٍ على أبي العتاهية زانيةٌ؛ فخجل الفتح حتى تبيّن ذلك فيه، ثمّ لم يعاودني في شيءٍ من ذكرهما حتّى افترقنا.

مع مخارق

وقد حدّثني الحسن بن محمد بهذا الخبر على خلاف ما ذكره إبراهيم بن المهديّ فيما تقدّم، فقال: حدّثني هارون بن مخارق قال حدّثني أبي قال: جاءني أبو العتاهية فقال: قد عزمت على أن أتزوّد منك يوماً تهبه لي، فمتى تنشط؟ فقلت: متى شئت. فقال: أخاف أن تقطع بي فقلت: والله لا فعلت وإن طلبني الخليفة. فقال: يكون ذلك في غدٍ. فقلت: أفعل. فلمّا كان من غدٍ باكرني رسوله فجئته، فأدخلني بيتاً له نظيفاً فيه فرشٌ نظيفٌ، ثم دعا بمائدة عليها خبز سميذٍ وخلٌّ وبقلٌ وملحٌ وجديٌّ مشويّ فأكلنا منه، ثم دعا بسمكٍ مشويّ فأصبنا منه حتى اكتفينا، ثم دعا بحلواء فأصبنا منها وغسلنا أيدينا، وجاؤونا بفاكهةٍ وريحان وألوانٍ من الأنبذة، فقال: اختر ما يصلح لك منّها؛ فاخترت وشربت؛ وصبّ قدحاً ثم قال: غنّني في قولي:

أحمدٌ قال لي ولم يدر ما بي ... أتحبّ الغداة عتبة حقًّا

فغنّيته، فشرب قدحاً وهو يبكي أحرّ بكاء. ثم قال: غنّني في قولي:

ليس لمن ليست له حيلةٌ موجودةٌ خيرٌ من الصّبر

فغنّيته وهو يبكي وينشج، ثم شرب قدحاً آخر ثم قال: غنّني، فديتك، في قولي:

خليليّ ما لي لا تزال مضرّتي تكون من الأقدار حتماً من الحتم

فغنّيته إيّاه. وما زال يقترح عليّ كلّ صوت غنّي به في شعره فأغنّيه ويشرب ويبكي حتى صار العتمة. فقال: أحبّ أن تصبر حتّى ترى ما أصنع فجلست. فأمر ابنه وغلامه فكسرا كلّ ما بين أيدينا من النبيذ وآلته والملاهي، ثم أمر بإخراج كلّ ما في بيته من النّبيذ وآلته، فأخرج جميعه، فما زال يكسره ويصبّ النبيذ وهو يبكي حتى لم يبق من ذلك شيءٌ، ثم نزع ثيابه واغتسل، ثم لبس ثيأبا بيضاً من صوف، ثم عانقني وبكى، ثم قال: السلام عليك يا حبيبي وفرحي من الناس كلّهم سلام الفراق الذي لا لقاء بعده؛ وجعل يبكي، وقال: هذا آخر عهدي بك في حال تعاشر أهل الدنيا؛ فظننت أنّها بعض حماقاته، فانصرفت، وما لقيته زماناً. ثم تشوّقته فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت، فإذا هو قد أخذ قوصرتين وثقب إحداهما وأدخل رأسه ويديه فيها وأقامها مقام القميص، وثقب الأخرى وأخرج رجليه منها وأقامها مقام السّراويل. فلمّا رأيته نسيت كلّ ما كان عندي من الغمّ عليه والوحشة لعشرته، وضحكت والله ضحكاً ما ضحكت مثله قطّ. فقال: من أيّ شيءٍ تضحك؟ فقلت: أسخن الله عينك! هذا أيّ شيء هو؟ من بلغك عنه أنّه فعل مثل هذا من الأنبياء والزهّاد والصحابة والمجانين، انزع عنك هذا يا سخين العين! فكأنه أستحيا منّي. ثم بلغني أنّه جلس حجّاماً، فجهدت أن أراه بتلك الحال فلم أره. ثم مرض، فبلغني أنه اشتهى أن أغنّيه، فأتيته عائداً، فخرج إليّ رسوله يقول: إن دخلت إليّ جدّدت لي حزناً وتاقت نفسي من سماعك إلى ما قد غلبتها عليه، وأنا أستودعك الله وأعتذر إليك من ترك الالتقاء، ثم كان آخر عهدي به.

تمنى عند موته أن يجيء مخارق فيغنيه حدّثني جحظة قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: قيل لأبي العتاهية عند الموت: ما تشتهي؟ فقال: أشتهي أن يجيء مخارق فيضع فمه على أذني ثم يغنّيني.

سيعرض عن ذكري وتنسى مودّتي ويحدث بعدي للخليل خليل

إذا ما انقضت عنّي من الدّهر مدّتي فإنّ غناء الباكيات قليل

وأخبرني به أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح " بن " النطّاح قال:

قال بشر بن الوليد لأبي العتاهية عند الموت: ما تشتهي؟ فذكر مثل الأوّل.

وأخبرني به ابن عمّار أبو العبّاس عن ابن أبي سعد عن محمد بن صالح: أنّ بشراً قال ذلك لأبي العتاهية عند الموت، فأجابه بهذا الجواب.

آخر شعر قاله في مرضه الذي مات فيه

نسخت من كتاب هارون بن عليٍّ: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد الله بن عطيّة قال حدّثني محمد بن أبي العتاهية قال: آخر شعرٍ قاله أبي في مرضه الذي مات فيه:

إلهي لا تعذّبني فإنّي ... مقرٌّ بالّذي قد كان منّي
فما لي حيلةٌ إلاّ رجائي ... لعفوك إن عفوت وحسن ظنّي
وكم من زلةٍ لي في الخطايا ... وأنت عليّ ذو فضلٍ ومنّ
إذا فكّرت في ندمي عليها ... عضضت أناملي وقرعت سنّي
أجنّ بزهرة الدّنيا جنونا ... وأقطع طول عمري بالتمنّي
ولو أنّي صدقت الزّهد عنها ... قلبت لأهلها ظهر المجنّ
يظنّ الناس بي خيراً وإنّي ... لشرّ الخلق إن لم تعف عنّي

أمر بنته أن تندبه بشعر له

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عليل قال حدّثني أحمد بن حمزة الضّبعيّ قال أخبرني أبو محمد المؤدّب قال: قال أبو العتاهية لابنته رقيّة في علّته التي مات فيها: قومي يا بنيّة فاندبي أباك بهذه الأبيات؛ فقامت فندبته بقوله:

لعب البلى بمعالمي ورسومي ... وقبرت حيًّا تحت ردم همومي
لزم البلى جسمي فأوهن قوّتي ... إن البلى لموكّلٌ بلزومي

تاريخ وفاته ومدفنه أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا محمد بن داود بن الجرّاح قال حدّثني عليّ بن محمد قال حدّثني مخارق المغني قال: توفّي أبو العتاهية، وإبراهيم الموصليّ، وأبو عمروا الشّيباني عبد السلام في يومٍ واحد في خلافة المأمون، وذلك في سنة ثلاث عشرة ومائتين.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه عن أحمد بن يوسف عن أحمد بن الخليل عن إسماعيل بن أبي قتيبة قال: مات أبو العتاهية، وراشدٌ الخناق، وهشيمة الخمّارة في يومٍ واحدٍ سنة تسع ومائتين.

وذكر الحارث بن أبي أسامة عن محمد بن سعد كاتب الواقديّ: أنّ أبا العتاهية مات في يوم الاثنين لثمانٍ خلون من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة ومائتين، ودفن حيال قنطرة الزيّاتين في الجانب الغربيّ ببغداد.

أخبرني الصّوليّ عن محمد بن موسى عن أبي محمد الشّيباني عن محمد بن أبي العتاهية: أنّ أباه توفّي سنة عشرٍ ومائتين.

الشعر الذي أمر أن يكتب على قبره أخبرني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى عن محمد بن القاسم عن إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد عن إسحاق بن عبد الله بن شعيب قال: أمر أبو العتاهية أن يكتب على قبره:

أذن حيٍّ تسمّعي اسمعي ثمّ عي وعي

أنا رهنٌ بمضجعي فاحذري مثل مصرعي

عشت تسعين حجّةً أسلمتني لمضجعي

كم ترى الحيّ ثابتاً في ديار التزعزع

ليس زادٌ سوى التّقى فخذي منه أو دعي

رثاه ابنه بشعر أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: لّما مات أبو العتاهية رثاه ابنه محمد بن أبي العتاهية فقال:

يا أبي ضمّك الثّرى وطوى الموت أجمعك

ليتني يوم متّ صر ت إلى حفرةٍ معك

رحم الله مصرعك برّد الله مضجعك

أنكر ابنه أنه أوصى بذلك أخبرني الحسن قال حدّثني أحمد بن زهير قال: قال محمد بن أبي العتاهية: لقيني محمد بن أبي محمد اليزيديّ فقال: أنشدني الأبيات التي أوصى أبوك أن تكتب على قبره؛ فأنشأت أقول له:

كذبت على أخٍ لك في مماته وكم كذبٍ فشا لك في حياته

وأكذب ما تكون على صديقٍ كذبت عليه حيًّا في مماته

فخجل وانصرف. قال: والنّاس يقولون: إنّه أوصى أن يكتب على قبره شعرٌ له، وكان ابنه ينكر ذلك.

وذكر هارون بن عليّ بن مهديّ عن عبد الرحمن بن الفضل أنّه قرأ الأبيات العينيّة التي أوّلها:

أذن حيٍّ تسمّعي

على حجرٍ عند قبر أبي العتاهية.

و لم أذكر هاهنا مع أخبار أبي العتاهية أخباره مع عتبة، وهي من أعظم أخباره؛ لأنّها طويلة، وفيها أغانٍ كثيرة، وقد طالت أخباره هاهنا فأفردتها.

أخبار فريدة

أخبار فريدة الكبرى ونشأتها ومصيرها

قال مؤلف هذا الكتاب: هما اثنتان محسنتان لهما صنعةٌ تسمّيان بفريدة. فأمّا إحداهما، وهي الكبرى، فكانت مولّدةً نشأت بالحجاز، ثم وقعت إلى آل الربيع، فعلّمت الغناء في دورهم، ثم صارت إلى البرامكة. فلمّا قتل

جعفر بن يحيى ونكبوا هربت، وطلبها الرشيد فلم يجدها، ثم صارت إلى الأمين، فلمّا قتل خرجت، فتزوّجها الهيثم بن مسلم فولدت له ابنه عبد الله، ثم مات عنها، فتزوّجها السّنديّ بن الحرشيّ وماتت عنده. ولها صنعةٌ جيّدة، منها في شعر الوليد بن يزيد:

بعض الشعر الذي لها في صنعته

صوت

ويح سلمى لو تراني — لعناها ما عناني
واقفاً في الدّار أبكي — عاشقاً حور الغواني

ولحنا فيه خفيف رملٍ.

ومن صنعتها:

صوت

ألا أيّها الرّكب ألا هبّوا — نسائلكم هل يقتل الرّجل الحبّ
ألا ربّ ركبٍ قد وقفت مطيّهم — عليك ولولا أنت لم يقف الرّكب

لحنها فيه ثاني ثقيل. وفيه لابن جامع خفيف رملٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى.

سأل صالح بن حسان الهيثم بن عديّ عن بيت نصفه بدوي والآخر حضري ثم ذكره:

فحدثني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسدٍ قال حدّثني العمريّ قال حدّثني الهيثم بن عديّ قال: قال صالح بن حسّان يوماً: ما نصف بيتٍ كأنّه أعرابي في شملةٍ، والنصف الآخر كأنّه مخنّثٌ مفكّك؟ قلت: لا أدري. فقال: قد أجّلتك حولاً. فقلت: لو أجّلتني عشرة أحوالٍ ما عرفته. فقال: أوّه! أفٍّ لك! قد كنت أحسبك أجود ذهناً مما أرى. فقلت: فما هو الآن؟ قال: قول جميل.

ألا أيّها الرّكب النّيام ألا هبّوا

هذا كلام أعرابي، ثم قال:

أسائلكم هل يقتل الرّجل الحبّ

كأنّه والله من مخنثي العقيق.

أخبار فريدة المحسنة

وأمّا فريدة الأخرى فهي الّتي أرى بل لا أشكّ في أنّ اللّحن المختار لها؛ لأن إسحاق اختار هذه المائة الصوت للواثق، فاختار فيها لمتيّم لحناً، ولأبي دلف لحناً، ولسليم بن سلاّم لحناً، ولرياض جارية أبي حمّاد لحناً. وكانت فريدة أثيرةً عند الواثق وحظيّةً لديه جدًّا، فاختار لها هذا الصوت، لمكانها من الواثق، ولأنّها ليست دون من اختار له من نظرائها.

قدّمت هي وشارية في الطيب وإحكام الغناء

أخبرني الصّوليّ قال حدّثنا الحسين بن يحيى عن ريّق: أنّها اجتمعت هي وخشف الواضحيّة يوماً، فتذاكرتا أحسن ما سمعتاه من المغنّيات؛ فقالت ريّق: شاريةُ أحسنهنّ غناءً ومتيّم، وقالت خشف: عريب وفريدة؛ ثم اجتمعتا على تساويهنّ، وتقديم متيّم في الصّنعة، وعريب في الغزارة والكثرة، وشارية وفريدة في الطّيب وإحكام الغناء.

أهداها ابن بانة للواثق

حدّثني جحظة قال حدّثني أبو عبد اله الهشاميّ قال: كانت فريدة جارية الواثق لعمروا بن بانة، وهو أهداها إلى الواثق، وكانت من الموصوفات المحسنات، وربّيت عند عمروا بن بانة مع صاحبةٍ لها اسمها " خلّ "، وكانت حسنة الوجه، حسنة الغناء، حادّة الفطنة والفهم.

سألت ابن بانة عن صاحبة لها بالإشارة قال الهشاميّ فحدّثني عمروا بن بانة قال: غنّيت الواثق:

قلت حلاًّ فاقبلي معذرتي ما كذا يجزى محبٌّ من أحبّ

فقال لي: تقدّم على السّتارة فألقه على فريدة، فألقيته عليها؛ فقالت: هو حلٌّ أو خلٌّ كيف هو؟ فعلمت أنها سألتني عن صاحبتها في خفاءٍ من الواثق.

تزوّجها المتوكل ثم ضربها حتى غنت ولّما تزوّجها المتوكل أرادها على الغناء، فأبت أن تغنّي وفاءً للواثق، فأقام على رأسها خادماً وأمره أن يضرب رأسها أبداً أو تغنّي؛ فاندفعت وغنّت:

فلا تبعد فكلّ فتًى سيأتي عليه الموت يطرق أو يغادي

نقل ابن بسخنر قصة لها مع الواثق وغيرته من جعفر المتوكل: أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجم قال حدّثني محمد بن الحارث بن بسخنّر قال:

كانت لي نوبة في خدمة الواثق في كل جمعة، إذا حضرت ركبت إلى الدار؛ فإن نشط إلى الشّرب أقمت عنده، وإن لم ينشط انصرفت. وكان رسمنا ألا يحضر أحدٌ منّا إلاّ في يوم نوبته. فإنّي لفي مترلي في غير يوم نوبتي إذا رسل الخليفة قد هجموا عليّ وقالوا لي: احضر. فقلت: ألخيرٍ؟ قالوا: خير. فقلت: إنّ هذا يومٌ لم يحضرني فيه أمير المؤمنين قطٌّ، ولعلكم غلطتم. فقالوا: الله المستعان، لا تطل وبادر؛ فقد أمرنا ألاّ ندعك تستقرّ علي الأرض. فداخلني فزع شديد؛ وخفت أن يكون ساعٍ قد سعى بي، أو بليّةٌ قد حدثت في رأي الخليفة عليّ؛ فتقدّمت بما

أردت وركبت حتى وافيت الدار؛ فذهبت لأدخل على رسمي من حيث كنت أدخل، فمنعت، وأخذ بيدي الخدم فأدخلوني وعدلوا بي إلى ممرّات لا أعرفها، فزاد ذلك في جزعي وغمّي. ثم لم يزل الخدم يسلمونني من خدمٍ إلى خدم حتى أفضيت إلى دار مفروشة الصّحن، ملبسة الحيطان بالوشى المنسوج بالذهب، ثم أفضيت إلى رواقٍ أرضه وحيطانه ملبسةٌ بمثل ذلك، وإذا الواثق في صدره على سريرٍ مرصّع بالجوهر وعليه ثيابٌ منسوجة بالذهب، وإلى جانبه فريدة جاريته، عليها مثل ثيابه وفي حجرها عودٌ. فلمّا رآني قال: جوّدت والله يا محمد إلينا. فقبّلت الأرض ثم قلت: يا أمير المؤمنين خيراً! قال: خيراً، أما ترانا! طلبت والله ثالثاً يؤنسنا فلم أر أحقّ بذلك منك، فبحياتي بادر فكل شيئاً وبادر إلينا. فقلت: قد والله يا سيّدي أكلت وشربت أيضاً. قال: فاجلس فجلست، وقال: هاتوا لمحمد رطلاً في قدحٍ، فأحضرت ذلك، واندفعت فريدة تغنّي:

أهابك إجلالاً وما بك قدرةٌ ... عليّ ولكن ملء عينٍ حبيبها

وما هجرتك النّفس يا ليل أنّها ... قلتك ولا أن قلّ منك نصيبها

فجاءت والله بالسّحر، وجعل الواثق يجاذبها، وفي خلال ذلك تغنّي الصوت بعد الصوت، وأغنّي أنا في خلال غنائها، فمرّ لنا أحسن ما مرّ لأحد. فإنا لكذلك إذ رفع رجله فضرب بها صدر فريدة ضربة تدحرجت منها من أعلى السرير إلى الأرض وتفتّت عودها ومرّت تعدو وتصيح، وبقيت أنا كالمتروع الرّوح؛ ولم أشكّ في أنّ عينه وقعت عليّ وقد نظرت إليها ونظرت إليّ؛ فأطرق ساعة إلى الأرض متحيّراً وأطرقت أتوقّع ضرب العنق. فإنّي لكذلك إذ قال لي: يا محمد، فوثبت. فقال: ويحك! أرأيت أغرب مما تهيّأ علينا! فقلت: يا سيّدي، الساعة والله تخرج روحي، فعلى من أصابنا بالعين لعنه الله! فما كان السبب؟ ألذنبٍ؟ قال: لا والله! ولكن فكرت أنّ جعفراً يقعد هذا المقعد ويقعد معها كما هي قاعدة معي، فلم أطق الصبر وخامرني ما أخرجني إلى ما رأيت. فسري عنّي وقلت: بل يقتل الله جعفراً، ويحيا أمير المؤمنين أبداً، وقبّلت الأرض وقلت: يا سيّدي الله الله! ارحمها ومر بردّها. فقال: لبعض الخدم الوقوف: من يجيء بها؟ فلم يكن بأسرع من أن خرجت وفي يدها عودها وعليها غير الثياب التي كانت عليها. فلما رآها جذبها وعانقها، فبكت وجعل هو يبكي، واندفعت أنا في البكاء. فقالت: ما ذنبي يا مولاي ويا سيّدي؟ وبأيّ شيءٍ استوجبت هذا؟ فأعاد عليها ما قاله لي وهو يبكي وهي تبكي. فقالت: سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلاّ ضربت عنقي الساعة وأرحتني من الفكر في هذا، وأرحت قلبك من الهمّ بي، وجعلت تبكي ويبكي، ثم مسحا أعينهما ورجعت إلى مكانها؛ وأومأ إلى خدم وقوفٍ بشيءٍ لا أعرفه، فمضوا وأحضروا أكياساً فيها عينٌ وورقٌ، ورزماً فيها ثياب كثيرة، وجاء خادمٌ بدرجٍ ففتحه وأخرج منه عقداً ما رأيت قطّ مثل جوهر كان فيه، فألبسها إيّاه، وأحضرت بدرة فيها عشرة آلاف درهم فجعلت بين يدي وخمسة تخوتٍ فيها ثياب، وعدنا إلى أمرنا وإلى أحسن مما كنا؛ فلم نزل كذلك إلى الليل، ثم تفرّقنا.

قصتها مع المتوكّل بعد الواثق وضرب الدرهم ضربه وتقلّد المتوكل. فوالله إني لفي منزلي بعد يوم نوبتي إذ هجم عليّ رسل الخليفة، فما أمهلوني حتى ركبت وصرت إلى الدّار، فأدخلت والله الحجرة بعينها، وإذا المتوكّل في

الموضع الذي كان فيه الواثق على السرير بعينه وإلى جانب فريدة. فلمّا رآني قال: ويحك! أما ترى ما أنا فيه من هذه! أنا منذ غدوةٍ أطالبها بأن تغنّيني فتأبى ذلك! فقلت: يا سبحان الله! أتخالفين سيّدك وسيّدنا وسيد البشر! بحياته غنّي! فعرفت والله ثم اندفعت تغنّي:

مقيمٌ بالمجازة من قنوني ... وأهلك بالأجيفر فالثّماد

فلا تبعد فكلّ فتىً سيأتي ... عليه الموت يطرق أو يغادي

ثم ضربت بالعود الأرض، ثم رمت بنفسها على السرير ومرّت تعدو وهي تصيح واسيّداه! فقال لي: ويحك! ما هذا؟ فقلت: لا أدري والله يا سيّدي. فقال: فما ترى؟ فقلت: أرى أن أنصرف أنا وتحضر هذه ومعها غيرها؛ فإنّ الأمر يؤول إلى ما يريد أمير المؤمنين. قال: فانصرف في حفظ الله! فانصرفت و لم أدر ما كانت القصة.

مدح محمد بن عبد الملك غناءها

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني محمد بن عبد الملك قال: سمعت فريدة تغنّي:

أخلاّي بي شجو وبليس بكم شجو ... وكل امرئٍ مما بصاحبه خلو

أذاب الهوى لحمي وجسمي ومفصلي ... فلم يبق إلاّ الرّوح والجسد النّضو

فما سمعت قبله ولا بعده غناءً أحسن منه.

الشعر لأبي العتاهية، والغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل مطلق في مجرى الوسطى عن الهشاميّ، وله أيضاً فيه خفيفٌ ثقيلٌ بالسبّابة والبنصر عن ابن المكيّ. وفيه لعمرو بن بانة رملٌ بالوسطى من مجموع أغانيه. وفيه لعريب خفيف ثقيلٍ آخر صحيحٌ في غنائها من جمع ابن المعتزّ وعليّ بن يحيى. وتمام هذه الأبيات:

وما من محبٍّ نال ممن يحبّه ... هوًى صادقاً إلاّ سيدخله زهو

وفيها كل غناء مفترق الألحان في أبياته -:

بليت وكان المزح بجدء بليّتي ... فأحببت جهلاً والبلايا لها بدو

وعلّقت من يزهو عليّ تجبّراً ... وإنّي في كلّ الخصال له كفو

صوت من المائة المختارة

من رواية جحظة عن أصحابه

باتت همومي تسري طوارقها ... أكفّ عيني والدمع سابقها

لما أتاها من اليقين ولم ... تكنّ تراه يلمّ طارقها

الشعر لأميّة بن أبي الصّلت، والغناء للهذليّ خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى. وفيه لابن محرز لحنان: هزجٌ وثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وحبش. وذكر يونس: أنّ فيه لابن محرز لحناً واحداً مجنّساً.

ذكر اميّة بن أبي الصّلت ونسبه وخبره

نسبه من قبل أبويه

واسم أبي الصّلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة بن عترة بن قسيّ، وهو ثقيف بن منبّه بن بكر بن هوزان. هكذا يقول من نسبهم إلى قيس، وقد شرح ذلك في خبر طريح. وأمّ أميّة بن أبي الصلت رقيّة بنت عبد شمس بن عبد مناف. وكان أبو الصلت شاعراً، وهو الذي يقول في مدح سيف بن ذي يزن:

ليطلب الثأر أمثال ابن ذي يزنٍ إذ صار في البحر للأعداء أحوالاً

وقد كتب خبر ذلك في موضعه.

أولاد أمية

وكان له أربع بنين: عمروٌ وربيعة ووهبٌ والقاسم. وكان القاسم شاعراً، وهو الذي يقول - أنشدنيه الأخفش وغيره عن ثعلبٍ، وذكر الزّبير أنّها لأميّة -:

صوت

قومٌ إذا نزل الغريب بدارهم ردّوه ربّ صواهلٍ وقيان

لا ينكتون الأرض عند سؤالهم لتلمّس العلاّت بالعيدان

يمدح عبد الله بن جدعان بها، وأوّلها:

قومي ثقيفٌ إن سألت وأسرتي وبهم أدافع ركن من عاداني

غنّاه الغريض، ولحنه ثقيلٌ أوّل بالبنصر. ولابن محرزٍ فيه خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى، عن الهشاميّ جميعاً. وكان ربيعة ابنه شاعراً، وهو الذي يقول:

وإن يك حيًّا من إيادٍ فإنّنا وقيساً سواءٌ ما بقينا وما بقوا

ونحن خيار النّاس طرًّا بطانةً لقيسٍ وهم خيرٌ لنا إن هم بقوا

كان يستعمل في شعره كلمات غريبة

أخبرني إبراهيم بن أيّوب قال حدّثنا عبد الله بن مسلم قال: كان أميّة بن أبي الصّلت قد قرأ كتاب الله عز وجل الأوّل، فكان يأتي في شعره بأشياء لا تعرفها العرب؛ فمنها قوله:

قمرٌ وساهورٌ يسلّ ويغمد

وكان يسمّي الله عزّ وجلّ في شعره السّلطيط، فقال:

والسّلطيط فوق الأرض مقتدر

وسمّاه في موضع آخر التغرور فقال: " وأيّده التغرور ". وقال ابن قتيبة: وعلماؤنا لا يحتجّون بشيء من شعره لهذه العلّة.

من أشعر ثقيف بل أشعر الناس

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال:

قال أبو عبيدة: اتّفقت العرب على أنّ أشعر أهل المدن أهل يثرب ثم عبد القيس ثم ثقيف، وأنّ أشعر ثقيف أميّة بن أبي الصّلت.

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال: قال يحيى بن محمد: قال الكميت: أميّة أشعر الناس، قال كما قلنا و لم نقل كما قال.

تعبد والتمس الدين وطمع في النبوّة

قال الزّبير وحدّثني عمّي مصعب عن مصعب بن عثمان قال: كان أميّة بن أبي الصلت قد نظر في الكتب وقرأها، ولبس المسوح تعبّداً، وكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفيّة، وحرّم الخمر وشكّ في الأوثان، وكان محقّقاً، والتمس الدّين وطمع في النبوّة؛ لأنه قرأ في الكتب أنّ نبيًّا يبعث من العرب، فكان يرجو أن يكونه. قال: فلمّا بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم قيل له: هذا الذي كنت تستريث وتقول فيه؛ فحسده عدوّ الله وقال: إنّما كنت أرجو أن أكونه؛ فأنزل الله فيه عزّ وجلّ: " واتل عليهم نبأ الّذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ". قال: وهو الذي يقول:

كلّ دينٍ يوم القيامة عند الله إلاّ دين الحنيفة زور

كان يحرّض قريشاً بعد بدر

قال الزّبير وحدّثني يحيى بن محمد قال: كان أميّة يحرّض قريشاً بعد وقعة بدرٍ، وكان يرثي من قتل من قريش في وقعة بدر؛ فمن ذلك قوله:

ماذا ببدرٍ والعقن قل من مرازبةٍ جحاجح

وقال: وهي قصيدةٌ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رواياتها. ويقال: إن أميّة قدم على أهل مكة " باسمك اللّهمّ "؛ فجعلوها في أوّل كتبهم مكان " بسم الله الرحمن الرحيم ".

أسف الحجاج على ضياع شعره

قال الزّبير وحدّثني عليّ بن محمد المدائنيّ قال: قال الحجّاج على المنبر: ذهب قومٌ يعرفون شعر أميّة، وكذلك اندراس الكلام.

كان يتحسس أخبار نبيّ العرب

فلما أخبر ببعثته تكدّر:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير عن عمر بن أبي بكر المؤمّلي وغيره قال: كان أميّة بن أبي الصلت يلتمس الدّين ويطمع في النبوّة، فخرج إلى الشأم فمرّ بكنيسة، وكان معه جماعةٌ من العرب وقريش، فقال أميّة: إنّ لي حاجةً في هذه الكنيسة فانتظروني، فدخل الكنيسة وأبطأ، ثم خرج إليهم كاسفاً متغيّر اللّون، فرمى بنفسه، وأقاموا حتى سرّي عنه، ثم مضوا فقضوا حوائجهم ثم رجعوا. فلمّا صاروا إلى الكنيسة قال لهم: انتظروني، ودخل إلى الكنيسة فأبطأ، ثم خرج إليهم أسوأ من حاله الأولى؛ فقال أبو سفيان بن حرب: قد شقفت على رفقائك. فقال: خلّوني؛ فإنّي أرتاد على نفسي لمعادي، إنّ هاهنا راهباً عالماً أخبرني أنه تكون بعد عيسى عليه السلام ستّ رجعات، وقد مضت منها خمسٌ وبقيت واحدةٌ، وأنا أطمع في النبوّة وأخاف أن تخطئني، فأصابني ما رأيت. فلمّا رجعت ثانيةً أتيته فقال: قد كانت الرجعة، وقد بعث نبيٌّ من العرب؛ فيئست من النبوّة، فأصابني ما رأيت؛ إذ فاتني ما كنت أطمع فيه.

أخبره راهب أن ليست فيه أوصاف النبيّ قال: وقال الزّهريّ: خرج أميّة في سفر فنزلوا منزلاً، فأمّ أميّة وجهاً وصعد في كثيب، فرفعت له كنيسةٌ فانتهى إليها، فإذا شيخٌ جالسٌ، قال لأميّة حين رآه: إنّك لمتبوع، فمن أين يأتك رئيّك؟ قال: من شقّي الأيسر. قال: فأيّ الثياب أحبّ إليك أن يلقاك فيها؟ قال: السواد. قال: كدت تكون نبيّ العرب ولست به، هذا خاطرٌ من الجنّ وليس بملكٍ، وإنّ نبيّ العرب صاحب هذا الأمر يأتيه من شقّه الأيمن، وأحب الثياب إليه أن يلقاه فيها البياض.

حديثه مع أبي بكر قال الزّهريّ: وأتى أميّة أبا بكر فقال: يا أبا بكر، عمي الخبر، فهل أحسست شيئاً؟ قال: لا والله! قال: قد وجدته يخرج العام.

سأل أبا سفيان عن عتبة بن ربيعة أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال: سمعت خالد بن يزيد يقول: إنّ أميّة وأبا سفيان اصطحبا في تجارة إلى الشأم، ثم ذكر نحوه، وزاد فيه: فخرج من عند الراهب وهو ثقيل. فقال له أبو سفيان: إنّ بك لشراً، فما قصّتك؟ قال: خيرٌ، أخبرني عن عتبة بن ربيعة كم سنّه؟ فذكر سنًّا.

وقال أخبرني ماله فذكر مالاً. فقال له: وضعته. فقال أبو سفيان. بل رفعته. فقال له: إنّ صاحب هذا الأمر ليس بشيخ ولا ذي مالٍ. قال: وكان الراهب أشيب، وأخبره أنّ الأمر لرجلٍ من قريش.

زعم أنه فهم ثغاء شاة

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزّبير قال حدّثت عن عبد الرحمن بن أبي حمّاد المنقريّ قال: كان أميّة جالساً معه قوم، فمرّت بهم غنمٌ فثغت منها شاة؛ فقال للقوم: هل تدرون ما قالت الشاة؟ قالوا لا. قال: إنّها قالت لسخلتها: مرّي لا يجيء الذئب فيأكلك كما أكل أختك عام أوّل في هذا الموضع. فقام بعض القوم إلى الراعي فقال له: أخبرني عن هذه الشاة التي ثغت ألها سخلةٌ؟ فقال: نعم، هذه سخلتها. قال أكانت لها عام أوّل سخلةٌ؟ قال: نعم، وأكلها الذئب في هذا الموضع.

قال الأصمعي كل شعره في بحث الآخرة

قال الزّبير وحدّثني يحيى بن محمد عن الأصمعيّ قال: ذهب أميّة في شعره بعامّة ذكر الآخرة، وذهب عنترة بعامّة ذكر الحرب، وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامّة ذكر الشباب.

جاءه طائران وهو نائم فشق احدهما عن قلبه

قال الزّبير حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي قال حدّثني رجلٌ من أهل الكوفة قال: كان أميّة نائماً فجاء طائران فوقع أحدهما على باب البيت، ودخل الآخر فشقّ عن قلبه ثم ردّه الطائر؛ فقال له الطائر الآخر: أوعى؟ قال نعم. قال: زكا؟ قال: أبى.

خبره مع ركب الشام أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن الحارث عن ابن الأعرابي عن ابن دأبٍ قال: خرج ركبٌ من ثقيفٍ إلى الشأم، وفيهم أميّة بن أبي الصّلت، فلمّا قفلوا راجعين نزلوا منزلاً ليتعشّوا بعشاء، إذ أقبلت عظايةٌ حتّى دنت منهم، فحصبها بعضهم بشيءٍ في وجهها فرجعت؛ وكفتوا سفرتهم ثم قاموا يرحلون ممسين؛ فطلعت عليهم عجوز من وراء كثيبٍ مقابلٍ لهم تتوكّأ على عصاً، فقالت: ما منعكم أن تطعموا رجيمة الجارية اليتيمة التي جاءتكم عشيّة؟ قالوا: ومن أنت؟ قالت: أنا أمّ العوّام، إمت منذ أعوام؛ أمّا وربّ العباد، لتفترقنّ في البلاد؛ وضربت بعصاها الأرض ثم قالت: بطّئي إيابهم، ونفّري ركابهم؛ فوثب الإبل كأنّ على ذروة كل بعير منها شيطاناً ما يملك منها شيءٌ، حتى افترقت في الوادي. فجمعناها في آخر النهار من الغد و لم نكد. فلمّا أنخناها لنرحلها طلعت علينا العجوز فضربت الأرض بعصاها ثم قالت كقولها الأوّل؛ ففعلت الإبل كفعلها بالأمس، فلم نجمعها إلا الغد عشيّة. فلمّا أنخناها لنرحلها أقبلت العجوز ففعلت كفعلها في اليومين ونفرت الإبل. فقلنا لأميّة: أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك؟ فقالت: اذهبوا أنتم في طلب الإبل ودعوني. فتوجّه إلى ذلك الكثيب الذي

كانت العجوز تأتي منه حتى علاه وهبط منه إلى وادٍ، فإذا فيه كنيسةٌ وقناديل، وإذا رجل مضطجع معترض على بابها، وإذا رجلٌ أبيض الرأس واللّحية؛ فلمّا رأى أميّة قال: إنّك لمتبوع، فمن أين يأتيك صاحبك؟ قال: من أذني اليسرى. قال فبأيّ الثياب يأمرك؟ قال: بالسواد. هذا خطيب الجنّ؛ كدت والله أن تكونه و لم تفعل؛ إنّ صاحب النبوّة يأتيه صاحبه من قبل أذنه اليمنى، ويأمره بلباس البياض؛ فما حاجتك؟ فحدّثه حديث العجوز؛ فقال: صدقت، وليست بصادقة! هي امرأةٌ يهودية من الجنّ هلك زوجها منذ أعوام، وإنّها لن تزال تصنع ذلك بكم حتى تهلككم إن آستطاعت. فقال أميّة: وما الحيلة؟ فقال: جمّعوا ظهركم، فإذا جاءتكم ففعلت كما كانت تفعل فقولوا لها: سبعٌ من فوق وسبعٌ من أسفل، باسمك اللّهم؛ فلن تضرّكم. فرجع أميّة إليهم وقد جمعوا الظّهر. فلمّا أقبلت قال لها ما أمره به الشيخ، فلم تضرّهم. فلمّا رأت الإبل لم تتحرّك قالت: قد عرفت صاحبكم، وليبيضّنّ أعلاه، وليسودّنّ أسفله؛ فأصبح أميّة وقد برص في عذاريه واسودّ أسفله. فلمّا قدموا مكة ذكروا لهم هذا الحديث؛ فكان ذلك أوّل ما كتب أهل مكة " باسمك اللّهم " في كتبهم.

خبر الطائرين أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد بن يحيى قال حدّثنا عبد العزيز بن عمران عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر بن مسعود عن الزّهريّ قال: دخل يوماً أميّة بن أبي الصّلت على أخته وهي تهيئ أدماً لها، فأدركه النوم فنام على سرير في ناحية البيت. قال: فانشقّ جانبٌ من السقف في البيت، وإذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخر مكانه، فشقّ الواقع صدره فأخرج قلبه فشقّه؛ فقال الطائر الواقف للطائر الذي على صدره: أوعى؟ قال: وعى. قال: أقبل؟ قال: أبى. قال: فردّ قلبه في موضعه فنهض؛ فأتبعهما أميّة طرفه فقال:

لبّيكما لبيكما هأنذا لديكما

لا بريءٌ فأعتذر، ولا ذو عشيرةٍ فأنتصر. فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه، ثم أخرج قلبه فشقّه؛ فقال: الطائر الأعلى: أوعى؟ قال: وعى. قال: أقبل؟ قال:؟ أبى، ونهض فأتبعهما بصره وقال:

لبّيكما لبيكما هأنذا لديكما

لا مالٌ يغنيني، ولا عشيرةٌ تحميني. فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه، ثم أخرج قلبه فشقّه؛ فقال الطائر الأعلى: أوعى؟ قال: وعى. قال: أقبل؟ قال: أبى، ونهض، فأتبعهما بصره وقال:

لبّيكما لبيكما هأنذا لديكما

محفوفٌ بالنّعم، محوطٌ من الريب. قال: فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه وأخرج قلبه فشقّه؛ فقال الأعلى: أوعى؟ قال: وعى. قال: أقبل؟ قال: أبى، ونهض، فأتبعهما بصره وقال:

لبّيكما لبيكما هأنذا لديكما

إن تغفر اللّهمّ تغفر جمًّا وأيّ عبدٍ لك لا ألمًّا

قالت أخته: ثم انطبق السّقف وجلس أميّة يمسح صدره. فقلت: يا أخي، هل تجد شيئاً؟ قال: لا، ولكنّي أجد حرًّا في صدري. ثم أنشأ يقول:

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ... في قنّان الجبال أرعى الوعولا

اجعل الموت نصب عينك واحذر ... غولة الدّهر إنّ للدّهر غولا

تصديق النبيّ له في شعره

حدّثني محمد بن جرير الطبريّ قال حدّثنا ابن حميد قال حدّثني سلمة عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عبّاس: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم صدّق أميّة في قوله:

رجلٌ وثورٌ تحت رجل يمينه ... والنّسر للأخرى وليثٌ مرصد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. " صدق ".

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني حمّاد بن عبد الرحمن بن الفضل الحرّانيّ قال حدّثنا أبو يوسف - وليس بالقاضي - عن الزّهريّ عن عروة عن عائشة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بمثل هذا.

أنشد النبيّ بعض شعره فقال " إن كاد أمية ليسلم ": أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزّبير قال حدّثنا جعفر بن الحسين المهلّبيّ قال حدّثني إبراهيم بن إبراهيم بن أحمد عن عكرمة قال: أنشد النبيّ صلى الله عليه وسلم قول أميّة:

الحمد لله ممسانا ومصبحنا ... بالخير صبّحنا ربّي ومسّانا

ربّ الحنيفة لم تنفد خزائنها ... مملوءةً طبّق الآفاق سلطانا

ألا نبيّ لنا منّا فيخبرنا ... ما بعد غايتنا من رأس محيانا

بينا يربّيننا أباؤنا هلكوا ... وبينما نقتني الأولاد أفنانا

ولقد علمنا لو أنّ العلم ينفعنا ... أن سوف يلحق أخرانا بأولانا

فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: " إن كاد أميّة ليسلم ".

شعر له في عتاب ابنه وتوبيخه

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية قال حدّثنا عبد الله بن أبي بكر، وحدّثنا خالد بن عمارة: أنّ أميّة كتب على ابنٍ له فأنشأ يقول:

غذوتك مولوداً ومنتك يافعاً ... تعلّ بما أجني عليك وتنهل

إذا ليلةٌ نابتك بالشّكو لم أبت ... لشكواك إلاّ ساهراً أتململ

كأنّي أنا المطروق دونك بالّذي طرقت به دوني فعيني تهمل
تخاف الرّدى نفسي عليك وإنّني لأعلم أنّ الموت حتمٌ مؤجّل
فلمّا بلغت السّنّ والغاية التي إليها مدى ما كنت فيك أؤمّل
جعلت جزائي غلظةً وفظاظةً كأنّك أنت المنعم المتفضّل

محاورة بين الهذليّ وعكرمة في شعر له

قال الزبير قال أبو عمرو الشّيبانيّ قال أبو بكر الهذليّ قال: قلت لعكرمة: ما رأيت من يبلّغنا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال لأميّة: " آمن شعره وكفر قلبه "؛ فقال: هو حقٌّ، وما الذي أنكرتم من ذلك؟ فقلت له: أنكرنا قوله:

والشمس تطلع كلّ آخر ليلةٍ حمراء مطلع لونها متورّد
تأبى فلا تبدو لنا في رسلها إلاّ معذّبةً وإلاّ تجلد

فما شأن الشمس تجلد؟ قال: والذي نفسي بيده ما طلعت قطّ حتّى ينخسها سبعون ألف ملكٍ يقولون لها: اطلعي؛ فتقول أأطلع على قومٍ يعبدونني من دون الله! قال: فيأتيها شيطانٌ حين تستقبل الضّياء تريد أن يصدّها عن الطّلوع فتطلع على قرنيه، فيحرقه الله تحتها. وما غربت قطّ إلاّ خرّت لله ساجدةً، فيأتيها شيطانٌ يريد أن يصدّها عن السجود، فتغرب على قرنيه فيحرقه الله تحتها؛ وذلك قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: " تطلع بين قرني شيطان وتغرب بين قرني شيطان ".

تمثل ابن عباس بشعره عند معاوية

حدّثني أحمد بن محمد بن الجعد قال حدّثنا محمد بن عبّاد قال حدّثنا سفيان بن عيينة عن زياد بن سعد أنّه سمع ابن حاضر يقول: اختلف ابن عبّاس وعمرو بن العاصي عند معاوية؛ فقال ابن عباس: ألا أغنيك؟ قال بلى! فأنشده:

والشمس تغرب كلّ آخر ليلةٍ في عين ذي خلبٍ وثأطٍ حرمد

أحاديثه وأحواله في مرض موته

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا عمّي عن مصعب بن عثمان عن ثابت بن الزّبير قال: لمّا مرض أميّة مرضه الذي مات فيه، جعل يقول: قد دنا أجلي، وهذه المرضة منيّتي، وأنا أعلم أنّ الحنيفيّة حقٌّ، ولكن الشكّ يداخلني في محمد. قال: ولمّا دنت وفاته أغمي عليه قليلاً ثم أفاق وهو يقول:

لبّيكما لبيكما هأنذا لديكما

لا مالٌ يفديني، ولا عشيرةٌ تنجيني. ثم أغمي عليه أيضاً بعد ساعة حتى ظنّ ممن حضره من أهله أنّه قد قضى، ثم أفاق وهو يقول:

لبّيكما لبيكما هأنذا لديكما

لا بريءٌ فأعتذر، ولا قويٌّ فأنتصر، ثم إنّه بقي يحدّث من حضره ساعةً، ثم أغمي عليه مثل المرّتين الأوليين حتى يئسوا من حياته، وأفاق وهو يقول:

لبّيكما لبيكما هأنذا لديكما

محفوفٌ بالنّعم،

إن تغفر اللّهم تغفر جمًّا وأيّ عبدٍ لك لا ألمّا

ثم أقبل على القوم فقال: قد جاء وقتي، فكونوا في أهبتي؛ وحدّثهم قليلاً حتّى يئس القوم من مرضه، وأنشأ يقول:

كلّ عيشٍ وإن تطاول دهراً منتهى أمره إلى أن يزولا

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في رؤوس الجبال أرعى الوعولا

اجعل الموت نصب عينيك واحذر غولة الدّهر إنّ للدّهر غولا

ثم قضى نحبه، ولم يؤمن بالنبيّ صلى الله عليه وسلم. وقد قيل في وفاة أميّة غير هذا.

لما بعث النبي هرب بابنتيه إلى اليمن

ثم مات بالطائف:

أخبرني عبد العزيز بن أحمد عمّ أبي قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال: سمعت في خبر أميّة بن أبي الصّلت، حين بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم، أنه أخذ بنتيه وهرب بهما إلى أقصى اليمن، ثم عاد إلى الطائف؛ فبينما هو يشرب مع إخوانٍ له في قصر غيلان بالطائف، وقد أودع ابنتيه اليمن ورجع إلى بلاد الطائف، إذ سقط غرابٌ على شرفةٍ في القصر نعب نعبةً؛ فقال أميّة: بفيك الكثكث! - وهو التّراب - فقال أصحابه: ما يقول؟ قال يقول إنّك إذا شربت الكأس التي بيدك متّ، فقلت: بفيك الكثكث. ثم نعب نعبةً أخرى، فقال أميّة نحو ذلك؛ فقال أصحابه: ما يقول؟ قال زعم أنّه يقع على هذه المزبلة أسفل القصر، فيستثير عظماً فيبتلعه فيشجى به

فيموت، فقلت نحو ذلك. فوقع الغراب على المزبلة، فأثار العظم فشجي به فمات، فانكسر أميّة، ووضع الكأس من يده، وتغيّر لونه. فقال له أصحابه: ما أكثر ما سمعنا بمثل هذا وكان باطلاً! فألحّوا عليه حتى شرب الكأس، فمال في شقٍّ وأغمي عليه ثم أفاق، ثم قال: لا بريءٌ فأعتذر، ولا قويٌّ فأنتصر، ثم خرجت نفسه.

صوت من المائة المختارة

تبلت فؤادك في المنام خريدةٌ تشفي الضّجيع ببارد بسّام

كالمسك تخلطه بماء سحابةٍ أو عاتقٍ كدم الذّبيح مدام

عروضه من الكامل، الشعر لحسّان بن ثابت، والغناء لموسى بن خارجة الكوفيّ ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وذكر حمّاد عن أبيه أنّ فيه لحناً لعزّة الميلاء. وليس موسى بكثير الصنعة ولا مشهور، ولا ممن خدم الخلفاء.

أخبار حسّان بن ثابت ونسبه

نسبه من قبل أبويه وكنيته

هو حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عديّ بن عمرو بن مالك بن النّجّار، واسمه تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة، وهو العنقاء بن عمرو؛ وإنما سمّي العنقاء لطول عنقه. وعمرو هو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد، وهو ذري - وقيل: ذراء ممدود - بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

قال مصعبٌ الزّبيريّ فيما أخبرنا " به " الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عمّه قال: بنو عديّ بن عمرو بن مالك " بن " النجّار يسمّون بني معالة. ومعالة أمّه، وهي امرأةٌ من القين وإليها كانوا ينسبون. وأمّ حسّان بن ثابت بن المنذر، الفريعة بنت خالد بن قيس بن لوذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج. وقيل: إنّ اسم النجّار تيّم اللاّت؛ وفي ذلك يقول حسّان بن ثابت:

وأمّ ضرارٍ تنشد النّاس والهاً أما لابن تيم الله ماذا أضلّت

يعني ضرار بن عبد المطّلب، وكان ضلّ فنشدته أمّه. وإنما سمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم تيم الله؛ لأنّ الأنصار كانت تنسب إليه، فكره أن يكون في أنسابها ذكر اللاّت.

ويكنى حسّان بن ثابت أبا الوليد. وهو فحلٌ من فحول الشعراء. وقد قيل: إنّه أشعر أهل المدر. وكان أحد المعمّرين من المخضرمين، عمّر مائةً وعشرين سنةً: ستّين في الجاهليّة وستّين في الإسلام.

عاش حسان مائة وعشرين سنة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبيدة قال: عاش ثابت بن المنذر مائةً وخمسين سنةً، وعاش حسّان مائةً وعشرين سنة. ومما يحقّق ذلك ما أخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني الزّبير بن بكار قال حدّثني محمد بن حسين عن إبراهيم بن محمد عن صالح بن إبراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن سعيد بن زرارة عن حسّان بن ثابت قال: إنّي لغلامٌ يفعةٌ ابن سبع سنين أو ثمانٍ، إذا بيهوديّ بيثرب يصرخ ذات غداةٍ: يا معشر يهود؛ فلما اجتمعوا إليه قالوا: ويلك! مالك؟ قال: طلع نجم أحمد الذي يولد به في هذه الليلة. قال: ثم أدركه اليهوديّ و لم يؤمن به. فهذا يدلّ على مدّة عمره في الجاهليّة؛ لأنه ذكر أنه أدرك ليلة ولد النبيّ صلى الله عليه وسلم، وله يومئذ ثمان سنين، والنبيّ صلى الله عليه وسلم بعث وله أربعون سنةً، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنةً، فقدم المدينة ولحسّان يومئذ، على ما ذكره، ستّون سنةً أو إحدى وستون سنة، وحينئذ أسلم.
أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزّبير بن بكّار عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدّثني ابن أبي الزّناد قال: عمّر حسّان بن ثابت عشرين ومائة سنةٍ: ستّين في الجاهليّة وستّين في الإسلام.
قال أخبرني الحسن بن عليٍّ قال أخبرني أحمد بن زهير قال حدّث سليمان بن حرب عن حمّاد بن زيد عن يزيد بن حازمٍ عن سليمان بن يسار قال: رأيت حسّان بن ثابت وله ناصيةٌ قد سدلها بين عينيه.

كان يخضب شاربه وعنفقته بالحناء

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عليّ بن محمد النّوفلي عن أبيه قال: كان حسّان بن ثابت يخضب شاربه وعنفقته بالحنّاء، ولا يخضب سائر لحيته. فقال له ابنه عبد الرحمن: يا أبت، لم تفعل هذا؟ قال: لأكون كأنّي أسدٌ والغ في دمٍ.

فضل الشعراء بثلاث

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: فضل حسّان الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهليّة، وشاعر النبيّ صلى الله عليه وسلم في النبوّة، وشاعر اليمن كلّها في الإسلام.
أجمعت العرب على أنه أشعر أهل المدر قال أبو عبيدة: وأجمعت العرب على أنّ حسّان أشعر أهل المدر. أخبرنا بذلك أيضاً أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة عن أبي عبيدة قال: اتّفقت العرب على أنّ أشعر أهل المدر أهل يثرب، ثم عبد القيس ثم ثقيفٌ؛ وعلى أنّ أشعر أهل يثرب حسّان بن ثابت.

سأل أبا هريرة عن حديث في شأنه فأجابه

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عفّان قال حدّثنا عبد الواحد بن زياد قال حدّثنا معمر عن الزّهريّ عن سعيد بن المسيّب قال.
جاء حسّان إلى نفرٍ فيهم أبو هريرة، فقال: أنشدك الله: أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " أجب عنّي " ثم قال: " اللّهمّ أيّده بروح القدس "؟ قال أبو هريرة: اللّهمّ نعم.

كان أحد ثلاثة عارضوا شعراء قريش

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا وهب بن جرير قال حدّثنا أبي قال سمعت محمد بن سيرين، قال أبو زيد وحدّثنا هوذة بن خليفة قال حدّثنا عوف بن محمد بن سيرين قال: كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة رهطٍ من قريش: عبد الله بن الزّبعري، وأبو سفّيان بن الحارث بن عبد المطّلب، وعمرو بن العاصي؛ فقال قائل لعليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه: اهج عنّا القوم الذين قد هجونا. فقال عليٌّ رضي الله عنه: إن أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت. فقال رجلٌ: يا رسول الله، ائذن لعليّ كي يهجو عنّا هؤلاء القوم الذين قد هجونا. قال " ليس هناك " أو " ليس عنده ذلك "؛ ثم قال للأنصار: " ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ ". فقال حسّان بن ثابت: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرّني به مقولٌ بين بصرى وصنعاء. فقال: " كيف تهجوهم وأنا منهم "؟ فقال: إنّي أسلّك منهم كما تسلّ الشّعرة من العجين. قال: فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة. فكان حسّان وكعبٌ يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيّام والمآثر ويعيّرانهم بالمثالب، وكان عبد اله بن رواحة يعيّرهم بالكفر. قال: فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة. فلمّا أسلموا وفقهوا الإسلام، كان أشدّ القول عليهم قول ابن رواحة.

استأذن النبيّ في هجو قريش

فأمره أن يأخذ أنسابهم عن أبي بكر:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عبد الله بن بكر بن حبيب السّهميّ قال حدّثنا أبو يونس القشيريّ وهو حاتم بن أبي صغيرة قال حدّثنا سماك بن حرب قال: قام حسّان أبو الحسام فقال: يا رسول الله، ائذن لي فيه، وأخرج لساناً له أسود، فقال: يا رسول الله، لو شئت لفريت به المزاد، ائذن لي فيه. فقال: " اذهب ألى أبي بكر فليحدّثك حديث القوم وأيّامهم وأحسابهم ثم أهجهم وجبريل معك ".

قال أبو زبد قال ابن وهب وحدّثنا بهذا الحديث حاتم عن السّدّيّ عن البراء بن عازبٍ وعن سماك بن حرب - فأنا أشك: أهو عن أحدهما أم عنهما جميعاً - قال أبو زيد: وحدّثنا عليّ بن عاصم قال حدّثنا حاتم بن أبي صغيرة عن سماك بن حربٍ بنحوه، وزاد فيه: فأخرج لسانه أسود، فوضعه على طرف أرنبته، وقال: يا رسول الله، لو شئت لفريت به المزاد؛ فقال: " يا حسّان وكيف وهو منّي وأنا منه "؟ قال: والله لأسلنّه منك كما يسلّ الشّعر من العجين! قال: " يا حسّان فأت أبا بكر فإنّه أعلم بأنساب القوم منك ". فأتى أبا بكر فأعلمه ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: كفّ عن فلانة واذكر فلانة. فقال:

هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

فإنّ أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

أتهجوه ولست له بكفءٍ ... فشرّكما لخيركما الفداء

لما بلغ قريشاً شعره اهتموا أبا بكر أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا أحمد بن سليمان عن الأصمعيّ عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد قال: لّما أنشدت قريشٌ شعر حسّان قالت: إنّ هذا الشّتم ما غاب عنه ابن أبي قحافة.

قال الزّبير: وحدّثني محمد بن يحيى عن يعقوب بن إسحاق بن مجمّع عن رجلٍ من بني العجلان قال: لما بلغ أهل مكة شعر حسّان و لم يكونوا علموا أنّه قوله، جعلوا يقولون: لقد قال أبو بكر الشّعر بعدنا.

خبره مع ابن الزبعري وضرار

قال الزّبير: وحدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن فضالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن فضالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن ثابت بن قيس بن شمّاس قال: نهى عمر بن الخطّاب الناس أن ينشدوا شيئاً من مناقضة الأنصار ومشركي قريش، وقال: في ذلك شتم الحيّ بالميّت، وتجديد الضغائن، وقد هدم الله أمر الجاهليّة بما جاء من الإسلام. فقدم المدينة عبد الله بن الزّبعري السّهميّ وضرار بن الخطّاب الفهريّ ثم المحاربيّ، فنزلا على أبي أحمد بن جحش، وقالا له: نحبّ أن ترسل إلى حسّان بن ثابت حتّى يأتيك، فننشده، وينشدنا مما قلنا له وقال لنا. فأرسل إليه فجاءه؛ فقال له: يا أبا الوليد، هذان أخواك ابن الزّبعري وضرار قد جاءا أن يسمعاك وتسمعهما ما قالا لك وقلت لهما. فقال ابن الزّبعري وضرارٌ: نعم يا أبا الوليد، إن شعرك كان يحتمل في الإسلام ولا يحتمل شعرنا، وقد أحببنا أن نسمعك وتسمعنا؟ فقال حسّان: أفتبدآن أم أبدأ؟ قالا: نبدأ نحن. قال: ابتدئا؛ فأنشداه حتى فار فصار كالّرجل غضباً، ثم استويا على راحلتيهما يريدان مكة؛ فخرج حسّان حتى دخل على عمر بن الخطّاب فقصّ عليه قصّتهما وقصّته؟ فقال له عمر: لن يذهبا عنك بشيء إن شاء الله، وأرسل من يردّهما، وقال له عمر: لو لم تدركهما إلاّ بمكة فارددهما عليّ.

وخرجا فلمّا كانا بالرّوحاء رجع ضرار إلى صاحبه بكرهٍ، فقال له يابن الزّبعري: أنا أعرف عمر وذبّه عن الإسلام وأهله، وأعرف حسّان وقلّة صبره على ما فعلنا به، وكأنّي به قد جاء وشكا إليه ما فعلنا، فأرسل في

آثارنا وقال لرسوله: أن لم تلحقهما إلاّ بمكة فارددهما عليّ؛ فاربح بنا ترك العناء وأقم بنا مكاننا؛ فإن كان الذي ظننت فالرجوع من الرّوحاء أسهل منه من أبعد منها، وإن أخطأ ظنّي فذلك الذي نحبّ ونحن من وراء المضيّ. فقال ابن الزّبعري: نعم ما رأيت. قال: فأقاما بالرّوحاء، فما كان إلا كمرّ الطائر حتّى وافاهما رسول عمر فردّهما إليه؛ فدعا لهما بحسّان، وعمر في جماعةٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لحسّان: أنشدهما مما قلت لهما؛ فأنشدهما حتّى فرغ مما قال لهما فوقف. فقال له عمر: أفرغت؟ قال: نعم. فقال له: أنشداك في الخلاء وأنشدتهما في الملا. وقال لهما عمر: إن شئتما فأقيما، وإن شئتما فانصرفا. وقال لمن حضره: إنّي قد كنت نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دفعاً للتضاغن عنكم وبثّ القبيح فيما بينكم، فأمّا إذ أبو فاكتبوه، واحتفظوا به. فدوّنوا ذلك عندهم. قال خلاّد بن محمد: فأدركته والله وإنّ الأنصار لتجدّده عندها إذا خافت بلاه.

شعر له في هجو أبي سفيان بن الحارث أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عفّان بن مسلم قال حدّثنا عمران بن زيد قال: سمعت أبا إسحاق قال في قصة حسّان وأبي سفيان بن الحارث نحو ما ذكره مما قدّمنا ذكره، وزاد فيه: فقال حسّان فيه:

وإنّ سنام المجد من آل هاشمٍ ... بنو بنت مخزومٍ، ووالدك العبد

ومن ولدت أبناء زهرة منكم ... كرامٌ ولم يلحق عجائزك المجد

وإنّ امرأً كانت سميّة أمّه ... وسمراء مغلوبٌ إذا بلغ الجهد

وأنت هجين نيط في آل هاشمٍ ... كما نيط خلف الرّاكب القدح الفرد

فقال العبّاس: وما لي وما لحسّان! يعني ذكره نتيلة، فقال فيها:

ولست كعبّاسٍ ولا كابن أمّه ... ولكن هجينٌ ليس يورى له زند

أعانه جبريل في مديح النبي

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا القعنبيّ قال حدّثنا مروان بن معاوية قال حدّثنا إياس السّلميّ عن ابن بريدة قال: أعان جبريل عليه السلام حسّان بن ثابت في مديح النبيّ صلى الله عليه وسلم بسبعين بيتاً.

مدحه النبي وكعباً وابن رواحة أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا محمد بم منصور قال حدّثنا سعيد بن عامر قال حدّثني جويرية بن أسماء قال: بلغني أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن، وأمرت حسّان بن ثابت فشفى واشتفى ".

أخبره النبيّ أن روح القدس يؤيده

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أحمد بن عيسى قال حدّثنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحارث عن

سعيد بن أبي هلال عن مروان بن عثمان ويعلى بن شدّاد بن أوس عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسّان بن ثابت الشاعر: " إنّ روح القدس لا يزال يؤيّدك ما كافحت عن الله عز وجل وعن رسول الله " صلى الله عليه وسلم.

استنشده النبيّ وجعل يصغي إليه أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا هوذة بن خليفة قال حدّثنا عوف بن محمد قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم ليلةً وهو في سفرٍ: " أين حسّان بن ثابت "؟ فقال حسّان: لبّيك يا رسول الله وسعديك. قال: " أحد "، فجعل ينشد ويصغي إليه النبيّ صلى الله عليه وسلم ويستمع، فما زال يستمع إليه وهو سائقٌ راحلته حتّى كان رأس الراحلة يمسّ الورك حتّى فرغ من نشيده. فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: " لهذا أشدّ عليهم من وقع النّبل ".

انتهره عمر لإنشاده في مسجد الرسول

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أبو عاصم النبيل قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنا زياد بن أبي سهل قال حدّثني سعيد بن المسيّب: أنّ عمر مرّ بحسّان بن ثابت وهو ينشد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتهره عمر؛ فقال حسّان: قد أنشدت فيه من هو خيرٌ منك؛ فانطلق عمر.

أخبرنا أحمد قال حدّثنا أبو داود الطّيالسيّ قال حدّثنا إبراهيم بن سعد عن الزّهريّ عن سعيد بن المسيّب: أنّ عمر مرّ على حسان وهو ينشد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر مثله وزاد فيه: وعلمت أنّه يريد النبيّ صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا محمد بن حاتم قال حدّثنا شجاع بن الوليد عن الإفريقيّ عن مسلم بن يسار: أنّ عمر مرّ بحسّان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ بأذنه وقال: أرغاءً كرغاء البعير! فقال حسّان: دعنا عنك يا عمر! فوالله لتعلم أنّي كنت أنشد في هذا المسجد من هو خيرٌ منك فلا يغيّر عليّ! فصدّقه عمر.

مدحه الزبير

حدّثنا محمد بن جرير الطبريّ والحرميّ بن أبي العلاء وعبد العزيز بن أحمد عمّ أبي وجماعةٌ غيرهم قالوا حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو غزيّة محمد بن موسى قال حدّثني عبد الله بن مصعب عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن جدّتها أسماء بنت أبي بكر قالت: مرّ الزّبير بن العوّام بمجلسٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحسّان بن ثابت ينشدهم من شعره وهم غير نشاطٍ لما يسمعون منه، فجلس معهم الزّبير فقال: ما لي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة! فلقد كان يعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحسن استماعه ويجزل عليه ثوابه، ولا يشتغل عنه بشيء. فقال حسّان:

أقام على عهد النبيّ وهديه حواريّه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه يوالي وليّ الحقّ والحقّ أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذي يصول إذا ما كان يومٌ محجّل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشّها بأبيض سباقٍ إلى الموت يرقل
وإنّ امرأً كانت صفية أمّه ومن أسدٍ في بيتها لمرفّل
له من رسول الله قربى قريبةٌ ومن نضرة الإسلام نصرٌ مؤثّل
فكم كربةٍ ذبّ الزّبير بسيفه عن المصطفى والله يعطي فيجزل
فما مثله فيهم و لا كان قبله وليس يكون الدّهر ما دام يذبل
ثناؤك خيرٌ من فعال معاشرٍ وفعلك يابن الهاشميّة أفضل

تقدم هو وكعب وابن رواحة فاختاره النبيّ

أخبرني أحمد بن عيسى العجليّ قال حدّثنا واصل بن عبد الأعلى قال حدّثنا ابن فضيل عن مجالد عن الشّعبيّ قال: لما كان عام الأحزاب وردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: " من يحمي أعراض المسلمين "؟ فقال كعب: أنا يا رسول الله، وقال عبد الله بن رواحة: أنا يا رسول الله، وقال حسّان بن ثابت: أنا يا رسول الله؛ فقال: " نعم اهجهم أنت فإنّه سيعينك عليهم روح القدس ".

سبه قوم في مجلس ابن عباس فدافع عنه

أخبرني أحمد بن عبد الرحمن قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو داود قال حدّثنا حديج بن معاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير قال: كنّا عند ابن عبّاس فجاء حسّان، فقالوا: قد جاء اللّعين. فقال ابن عبّاس: ما هو بلعين؛ لقد نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ويده.
حدّثنيه أحمد بن الجعد قال حدّثنا محمد بن بكّار قال حدّثنا حديج بن معاوية قال حدّثنا أبو إسحاق عن سعيد بن جبير قال: جاء رجلٌ إلى ابن عبّاس فقال: قد جاء اللعين حسّان من الشأم. فقال ابن عباس: ما هو بلعين؛ لقد جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ونفسه.

قدم وفد تميم فأمره النبيّ أن يجيب شاعرهم

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عبد الله بن عمرو وشريح بن النّعمان قالا حدّثنا عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: لمّا قدم وفد بني تميم وضع النبيّ صلى الله عليه وسلم لحسّان منبراً وأجلسه عليه، وقال: " إنّ الله ليؤيّد حسّان بروح القدس ما كافح عن نبيّه " صلى الله عليه وسلم. هكذا روى أبو زيد هذا الخبر مختصراً. وأتينا به على تمامه ها هنا؛ لأنّ ذلك حسنٌ فيه: أخبرنا به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنا محمد بن الضّحاك عن أبيه قال: قدم على النبيّ صلى الله عليه وسلم وفد بني تميم وهم سبعون أو ثمانون رجلاً، فيهم الأقرع بن حابس، والزّبرقان بن بدر، وعطارد بن حاجب، وقيس بن عاصم، وعمرو بن الأهتم، وانطلق معهم عيينة بن حصنٍ، فقدموا المدينة، فدخلوا المسجد، فوقفوا عند الحجرات، فنادوا بصوتٍ عالٍ جافٍ: اخرج إلينا يا محمد؛ فقد جئنا لنفاخرك، وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا. فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس. فقام الأقرع بن حابس فقال: والله إنّ مدحي لزين، وإن ذمّي لشين. فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: " ذلك الله ". فقالوا: إنّا أكرم العرب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أكرم منكم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ". فقالوا: ايذن لشاعرنا وخطيبنا. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وجلس معه الناس، فقام عطارد بن حاجب فقال: الحمد لله الذي له الفضل علينا وهو أهله، الذي جعلنا ملوكاً وجعلنا أعزّ أهل المشرق، وآتانا أموالاً عظاماً نفعل فيها المعروف، ليس في الناس مثلنا؛ ألسنا برؤوس النّاس وذوي فضلهم! فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا، ولو نشاء لأكثرنا، ولكنّا نستحي من الإكثار فيما خوّلنا الله وأعطانا. أقول هذا، فأتوا بقولٍ أفضل من قولنا، أو أمرٍ أبين من أمرنا. ثم جلس.

فقام ثابت بن قيس بن شمّاس فقال: الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه، قضى فيهنّ أمره ووسع كرسيّه علمه، و لم يقض شيئاً إلاّ من فضله وقدرته؛ فكان من قدرته أن اصطفى من خلقه لنا رسولاً أكرمهم حسباً وأصدقهم حديثاً وأحسنهم رأياً، فأنزل عليه كتأبا، وأتمنه على خلقه، وكان خيرة الله من العالمين. ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان، فأجابه من قومه وذوي رحمه المهاجرون أكرم الناس أنسأبا، وأصبح الناس وجوهاً، وأفضل الناس فعالاً. ثم كان أوّل من اتّبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب واستجاب له نحن معشر الأنصار؛ فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا ويقولوا: لا إله إلاّ الله. فمن آمن بالله ورسوله منع منّا ماله ودمه، ومن كفر بالله ورسوله جاهدناه في الله، وكان جهاده يسيراً. أقول قولي هذا، وأستغفرالله للمؤمنين والمؤمنات.

فقام الزّبرقان فقال:

نحن الملوك فلا حيٌّ يقاربنا ... منّا الملوك وفينا يؤخذ الرّبع

تلك المكارم حزناها مقارعةً ... إذا الكرام على أمثالها اقترعوا

كم قد نشدنا من الأحياء كلّهم ... عند النّهاب وفضل العزّ يتّبع

وننحر الكوم عبطاً في منازلنا ... للنازلين إذا ما استطعموا شبعوا
ونحن نطعم عند المحل ما أكلوا ... من العبيط إذا لم يظهر الفزع
وننصر الناس تأتينا سراتهم ... من كلّ أوبٍ فتمضي ثم تتّبع

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حسّان بن ثابت فجاء، فأمره أن يجيبه.

فقال حسان:

إنّ الذوائب من فهرٍ وإخوتهم ... قد بيّنوا سنّةً للنّاس تتّبع
يرضى بها كلّ من كانت سريرته ... تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا
قومٌ إذا حاربوا ضرّوا عدوّهم ... أو حاولوا النّفع في أشياعهم نفعوا
سجيّةٌ تلك منهم غير محدثةٍ ... إنّ الخلائق فاعلم شرّها البدع
لا يرقع النّاس ما أوهت أكفّهم ... عند الدّفاع ولا يوهون ما رقعوا
إن كان في الناس سبّاقون بعدهم ... فكلّ سبقٍ لأدنى سبقهم تبع
أعفّةٌ ذكرت في الوحي عفّتهم ... لا يطمعون ولا يزري بهم طمع
ولا يضنّون عن جارٍ بفضلهم ... ولا يمسّهم من مطمعٍ طبع
يسمون للحرب تبدو وهي كاحلةٌ ... إذا الزّعانف من أظفارها خشعوا
لا يفرحون إذا نالوا عدوّهم ... وإن أصيبوا فلا خورٌ ولا جزع
كأنّهم في الوغى والموت مكتنعٌ ... أسود بيشة في أرساغها فدع
خذ منهم ما أتى عفواً وإن منعوا ... فلا يكن همّك الأمر الذي منعوا
فإنّ في حربهم فاترك عداوتهم ... سمًّا يخاض عليه الصّاب والسّلع
أكرم بقومٍ رسول الله قائدهم ... إذا تفرّقت الأهواء والشّيع
أهدى لهم مدحي قلبٌ يؤازره ... فيما أراد لسانٌ حائكٌ صنع
فإنّهم أفضل الأحياء كلّهم ... إن جدّ بالناس جدّ القول أو شمعوا

فقام عطارد بن حاجب فقال:

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا ... إذا اجتمعوا وقت احتضار المواسم
بأنّا فروع الناس في كلّ موطنٍ ... وأن ليس في أرض الحجاز كدارم

فقام حسّان بن ثابت فقال:

منعنا رسول اله من غضبٍ له على أنف راضٍ من معدٍّ وراغم

هل المجد إلاّ السّؤدد العود والنّدى وجاه الملوك واحتمال العظائم

إسلام وفد تميم وإكرام النبيّ لهم قال: فقال الأقرع بن حابس: والله إنّ هذا الرجل لمؤتًّى له! والله لشاعره أشعر من شاعرنا، ولخطيبه أخطب " من خطيبنا "، ولأصواتهم أرفع من أصواتنا! أعطني يا محمد فأعطاه. فقال: زدني فزاده. فقال: اللّهمّ إنّه سيد العرب. فنزلت فيهم: " إنّ الّذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ". ثم إنّ القوم أسلموا، وقاموا عند النبيّ صلى الله عليه وسلم يتعلّمون القرآن، ويتفقّهون في الدّين. ثم أرادوا الخروج إلى قومهم، فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم، وقال: " أما بقي منكم أحدٌ؟ "، وكان عمرو بن الأهتم في ركابهم، فقال قيس بن عاصم، وهو من رهطه وكان مشاحناً له، لم يبق منّا أحدٌ إلاّ غلامٌ حديث السنّ في ركابنا؛ فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم.

مناقضة عمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم

فبلغ عمراً ما قال قيس؛ فقال عمرو بن الأهتم لقيس:

ظللت مفترش الهلباء تشتمني عند الرسول فلم تصدق ولم تصب

إن تبغضونا فإنّ الرّوم أصلكم والروم لا تملك البغضاء للعرب

فإنّ سؤددنا عودٌ وسؤددكم مؤخّرٌ عند أصل العجب والذّنب

فقال له قيس:

لولا دفاعي كنتم أعبدّاً داركم الحيرة والسّيلحون

شعر حسان الذي يقرر به إيمانه بالرسل

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني عمر بن عليّ بن مقدّم عن يحيى بن سعيد عن أبي حيّان التّيميّ عن حبيب بن أبي ثابت، قال أبو زيد وحدّثنا محمد بن عبد الله بن الزّبير قال حدّثنا مسعرٌ عن سعد بن إبراهيم، قالوا: قال حسّان: ثابت للنبيّ صلى الله عليه وسلم:

صوت

شهدت بإذن الله أنّ محمداً رسول الذي فوق السماوات من عل

وأنّ أخا الأحقاف إذ يعذلونه يقوم بدين الله فيهم فيعدل

وأنّ أبا يحيى ويحيى كلاهما له عملٌ في دينه متقبّل

وأنّ الذي عادى اليهود ابن مريمٍ رسولٌ أتى من عند ذي العرش مرسل

وأنّ الذي بالجزع من بطن نخلةٍ ومن دونها فلٌّ من الخير معزل

- غنّى في هذه الأبيات معبد خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر من رواية يونس وغيره - فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: " أنا أشهد معك ".

أنكرت عليه عائشة شعراً له في مدحها

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا زهير بن حرب قال حدّثني جرير عن الأعمش عن أبي الضّحى عن مسروق، وأخبرني بها أحمد بن عيسى العجليّ قال حدّثنا سفيان بن وكيع قال حدّثنا جرير عن الأعمش عن أبي الضّحى عن مسروق قال: دخلت على عائشة وعندها حسّان وهو يرثي بنتاً له، وهو يقول:

رزانٌ حصانٌ ما تزنّ بريبةٍ وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت عائشة: لكن أنت لست كذلك. فقلت لها: أيدخل عليك هذا وقد قال الله عزّ وجلّ: " والّذي تولّى كبره منهم له عذابٌ عظيمٌ "! فقالت: أما تراه في عذاب عظيم قد ذهب بصره!

أخبر بوقعة صفين قبل وقوعها

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيع قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدّثنا ابن أبي أويس قال حدّثني أبي ومالك بن الربيع بن مالك حدّثاني جميعاً عن الرّبيع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه أنه قال: بينا نحن جلوسٌ عند حسّان بن ثابت، وحسّان مضطجعٌ مسندٌ رجليه إلى فارعٍ قد رفعهما عليه، إذ قال: مه! أما رأيتم ما مرّ بكم الساعة؟ قال مالك: قلنا: لا والله، وما هو؟ فقال حسّان: فاختةٌ مرّت الساعة بيني وبين فارع فصدمتني، أو قال: فزحمتني. قال: قلنا: وما هي؟ قال:

ستأتيكم غدواً أحاديث جمّةٌ فأصغوا لها آذانكم وتسمّعوا

قال مالك بن أبي عامر: فصبحنا من الغد حديث صفّين.

سمعه المغيرة ينشد شعراً فبعث إليه بمال

أخبرنا وكيع قال حدّثنا اللّيث بن محمد عن الحنظليّ عن أبي عبدة عن العلاء بن جزء العنبري قال: بينا حسّان بن ثابت بالخيف وهو مكفوفٌ، إذ زفر زفرةً ثم قال:

وكأنّ حافرها بكلّ خميلةٍ صاعٌ يكيل به شحيحٌ معدم

عاري الأشاجع من ثقيفٍ أصله عبدٌ ويزعم أنّه من يقدم

قال: والمغيرة بن شعبة جالسٌ قريباً منه يسمع ما يقول، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم. فقال: من بعث بهذا؟ قال: المغيرة بن شعبة سمع ما قلت. قال: واسوءتاه! وقبلها.

استجار الحارث بن عوف من شعره بالنبي

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني الأصمعيّ قال: جاء الحارث بن عوف بن أبي حارثة إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: أجرني من شعر حسّان، فلو مزج البحر بشعره لمزجه. قال: وكان السبب في ذلك - فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة عن الأصمعيّ، وأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني عمّي مصعب -أنّ الحارث بن عوف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ابعث معي من يدعو إلى دينك وأنا له جار. فأرسل معه رجلاً من الأنصار. فغدرت بالحارث عشيرته فقتلوا الأنصاريّ، فقدم الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عليه الصلاة والسلام لا يؤنّب أحداً في وجهه، فقال: " ادعوا لي حسّان "، فدعي له، فلمّا رأى الحارث أنشده:

يا حار من يغدر بذمّة جاره منكم فإنّ محمداً لم يغدر

إن تغدروا فالغدر منكم شيمةٌ والغدر ينبت في أصول السّخبر

فقال الحارث: اكففه عنّي يا محمد، وأؤدّي إليك دية الحفارة؛ فأدّى إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم سبعين عشراء، وكذلك دية الخفارة، وقال: يا محمد، أنا عائذٌ بك من شرّه، فلو مزج البحر بشعره مزجه.

أنشد شعراً بلغ النبي فآلمه

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إبراهيم بن المنذر قال حدّثنا عبد الله بن وهب قال أخبرنا العطّاف بن خالد قال: كان حسّان بن ثابت يجلس إلى أطمه فارعٍ، ويجلس معه أصحابٌ له ويضع لهم بساطاً يجلسون عليه؛ فقال يوماً، وهو يرى كثرة من يأتي إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم من العرب فيسلمون:

أرى الجلأبيب قد عزّوا وقد كثروا وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " من لي بأصحاب البساط بفارع؟ ". فقال صفوان بن المعطّل: أنا لك يا رسول الله منهم؛ فخرج إليهم فاخترط سيفه، فلمّا راوه عرفوا الشرّ بوجهه ففرّوا وتبدّدوا، وأدرك حسّان داخلاً بيته، فضرب وفلق أليته. قال: فبلغنا أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم عوّضه وأعطاه حائطاً، فباعه من معاوية بعد ذلك بمالٍ كثير، فبناه معاوية قصراً، وهو الذي يقال له: " قصر الدّارين ". وقد قيل: إنّ صفوان بن المعطّل إنما ضرب حسّان لما قاله فيه وفي عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم من الإفك؛ لأن

صفوان هو الذي رمى أهل الإفك عائشة به.

وأخبرنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن حميد قال حدّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة قال: اعترض صفوان بن المعطّل حسّان بن ثابت بالسّيف لما قذفه به من الإفك حين بلغه ما قاله. وقد كان حسّان قال شعراً يعرّض بابن المعطّل وبمن أسلم من العرب من مضر فقال:

أمسى الجلأبيب قد عزّوا وقد كثروا ... وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

قد ثكلت أمّه من كنت صاحبه ... أو كان منتشباً في برثن الأسد

ما للقتيل الذي أعدو فآخذه ... من ديةٍ فيه أعطيها ولا قود

ما البحر حين تهبّ الريح شاميةً ... فيغطئلّ ويرمي العبر بالزّبد

يوماً بأغلب منّي حين تبصرني ... بالسيف أفري كفري العارض البرد

فاعترضه صفوان بن المعطّل بالسيف فضربه وقال:

تلقّ ذباب السّيف عنّي فإنّني ... غلامٌ إذا هوجيت لست بشاعر

قبض ثابت بن قيس على ابن المعطل لضربه له، ثم انتهى الأمر إلى النبي فاسترضاه: وحدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا " ابن " حميد قال حدّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التّيميّ: أنّ ثابت بن قيس بن الشّمّاس أخا بلحارث بن الخزرج وثب على صفوان بن المعطّل في ضربه حسّان فجمع يديه على عنقه، فانطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج، فلقيه عبد الله بن رواحة فقال: ما هذا؟ فقال: ألا أعجّبك! ضرب حسّان بالسيف! والله ما أراه إلاّ قد قتله. فقال له عبد الله بن رواحة: هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيءٍ من هذا؟ قال: لا والله. قال: لقد اجترأت! أطلق الرجل، فأطلقه. ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فدعا حسّان صفوان بن المعطّل؛ فقال ابن المعطّل: يا رسول الله، آذاني وهجاني فضربته. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسّان: " يا حسّان أتعيب على قومي أن هداهم الله عزّ وجلّ للإسلام! "، ثم قال: " أحسن يا حسّان في الذي أصابك ". قال: هي لك يا رسول الله.

إيراد ما تقدم برواية أخرى مفصلة

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني المدائنيّ قال حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسارٍ عن بعض رجال بني النجّار بمثل ذلك، وزاد في الشعر الذي قاله حسان زيادةً ووافقه عليها مصعب الزّبيريّ، فيما أخبرنا به الحسن بن عليّ، قال قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني عمي مصعب في القصّة، فذكر أنّ فتيةً من المهاجرين والأنصار تنازعوا على الماء وهم يسقون خيولهم، فغضب من ذلك حسّان فقال هذا الشعر.

وذكر الزّهريّ، فيما أخبرنا أحمد بن يحيى بن الجعد، قال حدّثنا محمد بن إسحاق المسيّبي قال حدّثنا محمد بن

فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزّهريّ أنّ هذا الخبر كان بعد غزوة النبيّ صلى الله عليه وسلم بني المصطلق.

قال: وكان في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ يقال له: سنان، ورجل من بني غفار يقال له: جهجاه؛ فخرج جهجاهٌ بفرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرسٍ له يومئذ يسقيهما، فأوردهما الماء، فوجد على الماء فتيةً من الأنصار، فتنازعوا فاقتتلوا؛ فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: هذا ما جزونا به، آويناهم ثم هم يقاتلوننا! وبلغ حسّان بن ثابت الذي بين جهجاه وبين الفتية الأنصار، فقال وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام - وهذا الشعر من رواية مصعب دون الزّهريّ - :

أمسى الجلأبيب قد عزّوا وقد كثروا ... وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

يمشون بالقول سرًّا في مهادنةٍ ... تهدّداً لي كأنّي لست من أحد

قد ثكلت أمّه من كنت صاحبه ... أو كان منتشباً في برثن الأسد

ما للقتيل الذي أسموا فأقتله ... من ديةٍ فيه أعطيها ولا قود

ما البحر حين تهبّ الريح شاميةً ... فيغطئلّ ويرمي العبر بالزّبد

يوماً بأغلب منيّ حين تبصرني ... أفري من الغيظ فري العارض البرد

أمّا قريشٌ فإنّي لست تاركهم ... حتى ينيبوا من الغيّات بالرّشد

ويتركوا اللاّت والعزّى بمعزلةٍ ... ويسجدوا كلّهم للواحد الصّمد

ويشهدوا أنّ ما قال الرسول لهم ... حقٌّ ويوفوا بعهد الله في سدد

أبلغ بنيّ بأنّي قد تركت لهم ... من خير ما ترك الأباء للولد

الدّار واسطةٌ والنخل شارعةٌ ... والبيض يرفلن في القسّيّ كالبرد

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا حسان نفست عليّ إسلام قومي " وأغضبه كلامه. فغدا صفوان بن المعطّل السّلميّ على حسّان فضربه بالسيف. وقال صفوان:

تلقّ ذباب السّيف عنّي فإنني ... غلامٌ إذا هوجيت لست بشاعر

فوثب قومه على صفوان فحبسوه، ثم جاؤوا سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وهو مقبلٌ على ناضحه بين القربتين، فذكروا له ما فعل حسّان وما فعلوا؛ فقال: أشاورتم في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا لا. فقعد إلى الأرض. وقال: وانقطاع ظهراه! أتأخذون بأيديكم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيكم!

ودعا بصفوان فأتي به، فكساه وخلاّه. فجاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من كساك كساه الله ". وقال حسّان لأصحابه: احملوني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضّاه ففعلوا؛ فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فردّوه. ثم سألهم فحملوه إليه الثانية؛ فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانصرفوا به. ثم قال لهم: عودوا بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقالوا له: قد جئنا بك مرّتين كلّ ذلك يعرض فلا نبرمه بك. فقال: احملوني إليه هذه المرّة وحدها، ففعلوا. فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي! احفظ قولي:

هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

فإنّ أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمدٍ منكم وقاء

فرضي عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووهب له سيرين أخت مارية أمّ ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم. هذه رواية مصعب. وأما الزّهريّ فإنّه ذكر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لّما بلغه ضرب السّلميّ حسّان قال لهم: " خذوه فإن هلك حسّان فاقتلوه ". فأخذوه فأسروه وأوثقوه؛ فبلغ ذلك سعد بن عبادة فخرج في قومه إليهم فقال: أرسلوا الرجل، فأبوا عليه؛ فقال: أعمدتم إلى قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤذونهم وتشتمونهم وقد زعمتم أنّكم نصرتموهم! أرسلوا الرجل؛ فأبوا عليه حتى كاد يكون قتالٌ، ثم أرسلوه. فخرج به سعدٌ إلى أهله فكساه حلّةً، ثم أرسله سعدٌ إلى أهله. فبلغنا أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم دخل المسجد ليصلّي فيه، فقال: " من كساك كساه الله من ثياب الجنّة ". فقال: كساني سعد بن عبادة. وذكر باقي الخبر نحوه.

مدح عائشة والاعتذار عما رماها به

وحدّثني محمد بن جرير الطبريّ قال حدّثني ابن حميد قال حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث:

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه عوضاً منها بيرحاء، وهي قصر بني حديلة اليوم بالمدينة، كانت مالاً لأبي طلحة بن سهلٍ تصدّق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطاه حسّان في ضربته، وأعطاه سيرين " أمة قبطيّة " فولدت له عبد الرحمن بن حسّان. قال: وكانت عائشة تقول: لقد سئل عن صفوان بن المعطّل، فإذا هو حصورٌ " لا يأتي النساء "؛ قتل بعد ذلك شهيداً. قال ابن إسحاق في روايته عن يعقوب بن عتبة: فقال حسّان يعتذر من الذي قال في عائشة:

حصانٌ رزانٌ ما تزنّ بريبةٍ ... وتصبح غرثى من لحومٍ الغوافل

فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم ... فلا رفعت سوطي إليّ أناملي

وكيف وودّي من قديمٍ ونصرتي ... لآل رسول الله زين المحافل

فإنّ الّذي قد قيل ليس بلائطٍ ولكنّه قول امرئٍ بي ما حل

هجاه رجل بما فعل به ابن المعطل

قال الزبير وحدّثني محمد بن الضحّاك: أنّ رجلاً هجا حسّان بن ثابت بما فعل به ابن المعطّل فقال:

وإنّ ابن المعطّل من سليمٍ أذلّ قياد رأسك بالخطام

سبه أناس فدافعت عنه عائشة

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرنا أبو عاصمٍ قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني محمد بن السائب عن أمّه: أنّها طافت مع عائشة ومعها أمّ حكيم وعاتكة: " امرأتان من بني مخزوم ". قالت: فابتدرنا حسّان نشتمه وهو يطوف؛ فقالت: أبن الفريعة تسبن! قلن: قد قال فيك فبرّأك الله. قالت: فأين قوله:

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

فإنّ أبي ووالده وعرضي لعرض محمدٍ منكم وقاء

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني إبراهيم بن المنذر عن سفيان بن عيينة عن محمد بن السائب بن بركة عن أمّه بنحو ذلك، وزاد فيه: إني لأرجو أن يدخله الله الجنّة بقوله.

أخبرني الحسن قال حدّثنا الزّبير عن عبد العزيز بن عمران عن سفيان بن عيينة وسلم بن خالد عن يوسف بن ماهك عن أمّه قالت: كنت أطوف مع عائشة بالبيت، فذكرت حسّان فسببته؛ فقالت: بئس ما قلت! أتسبّينه وهو الذي يقول:

فإنّ أبي ووالده وعرضي لعرض محمدٍ منكم وقاء

فقلت: أليس ممن لعن الله في الدنيا وفي الآخرة بما قال فيك؟ قالت: لم يقل شيئاً، ولكنه الذي يقول:

حصانٌ رزانٌ ما تزنّ بريبةٍ وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فإن كان ما قد جاء عنّي قلته فلا رفعت سوطي إليّ أناملي

أخبرني الحسن قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني مصعب عمّي قال حدّثني بعض أصحابنا عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كنت قاعداً عند عائشة، فمرّ بجنازة حسّان بن ثابتٍ فنلت منه، فقالت: مهلاً! فقلت: أليس الذي يقول! قالت: فكيف يقوله:

فإنّ أبي ووالده وعرضي لعرض محمدٍ منكم وقاء

فخره بلسانه

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثني أحمد بن سلمان عن سليمان بن حرب قال حدّثنا حمّاد بن زيد عن أيّوب عن محمد بن سيرين: أن حسّان أخذ يوماً بطرف لسانه وقال: يا رسول الله، ما يسرّني أنّ لي به مقولاً بين صنعاء وبصرى، ثم قال:

لساني مغولٌ لا عيب فيه وبحري ما تكدّره الدّلاء

خبره يوم الخندق

أخبرنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن حميد قال حدّثنا سلمة قال حدّثني محمد بن إسحاق عن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير عن أبيه قال:

كانت صفيّة بنت عبد المطّلب في فارعٍ " حصن حسّان بن ثابت "، يعني يوم الخندق. قالت: وكان حسّان معنا فيه والنساء والصّبيان. قالت: فمرّ بنا رجلٌ من يهود فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليس بيننا وبينهم أحدٌ يدفع عنّا، ورسول الله والمسلمون في نحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم، إذ أتانا آتٍ. قالت: فقلت: يا حسّان، إنّ هذا اليهوديّ كما ترى يطيف بالحصن، وإنّي والله ما آمنه أن يدلّ على عوراتنا من وراءنا من يهود، وقد شغل عنّا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فانزل إليه فاقتله؛ فقال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطّلب! لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا. قالت: فلمّا قال ذلك و لم أر عنده شيئاً احتجزت ثم أخذت عموداً ثم نزلت إليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته، فلمّا فرغت منه رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسّان، انزل إليه فاسلبه؛ فإنّه لم يمنعني من سلبه إلاّ أنّه رجلٌ. قال: ما لي بسلبه من حاجةٍ يا بنت عبد المطّلب.

حديث ابن الزبير عن يوم الخندق وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنا عليّ بن صالح عن جدّي عبد الله بن مصعب عن أبيه قال: كان ابن الزّبير يحدّث أنه كان في فارعٍ " أطم حسّان بن ثابت " مع النساء يوم الخندق ومعهم عمر بن أبي سلمة. قال ابن الزّبير: ومعنا حسّان بن ثابت ضارباً وتداً في آخر الأطم، فإذا حمل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين حمل على الوتد فضربه بالسيف؛ وإذا أقبل المشركون انحاز عن الوتد حتّى كأنه يقاتل قرناً، يتشبّه بهم كأنّه يري أنّه مجاهدٌ حين جبن. وإنّي لأظلم ابن أبي سلمة وهو أكبر منّي بسنتين فأقول له: تحملني على عنقك حتّى أنظر، فإنّي أحملك إذا نزلت. قال: فإذا حملني ثم سألني أن يركب قلت له: هذه المرّة أيضاً. قال: وإنّي لأنظر إلى أبي معلماً بصفرةٍ، فأخبرتها أبي بعد؛ فقال: " أين كنت حينئذ؟ فقلت: على عنق ابن أبي سلمة يحملني. فقال ": أما والّذي نفسي بيده إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجمع لي أبويه.

قال ابن الزّبير: وجاء يهوديٌّ يرتقي إلى الحصن. فقالت صفيّة له: أعطني السيف، فأعطاها. فلمّا ارتقى اليهوديّ ضربته حتّى قتلته، ثم احتزّت رأسه فأعطته حسّان فقالت: طوّح به؛ فإنّ الرجل أقوى وأشدّ رميةً من المرأة. تريد

أن ترعب به أصحابه.

كان حسان مقطوع الأكحل قال الزّبير: وحدّثني عمّي عن الواقديّ قال: كان أكحل حسّان قد قطع فلم يكن يضرب بيده.

أنشد النبي شعراً في شجاعته فضحك قال الزّبير وحدّثني عليّ بن صالح عن جدّي أنّه سمع أن حسّان بن ثابت أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لقد غدوت أمام القوم منتطقاً بصارمٍ مثل لون الملح قطّاع

يحفز عنّي نجاد السيف سابغةٌ فضفاضةٌ مثل لون النّهي بالقاع

قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فظنّ حسّان أنه ضحك من صفته نفسه مع جبنه.

قال النابغة إنه شاعر والخنساء بكاءة

قال الزّبير وحدّثني محمد بن الحسن قال: قال حسّان بن ثابت: جئت نابغة بني ذبيان، فوجدت الخنساء بنت عمرو حين قامت من عنده، فأنشدته؛ فقال: إنّك لشاعرٌ، وإنّ أخت بني سليم لبكّاءة.

مع الحطيئة

قال الزّبير وحدّثني يحيى بن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصّدّيق قال أخبرني غير واحدٍ من مشايخي: أنّ الحطيئة وقف على حسّان بن ثابت وحسّان ينشد من شعره؛ فقال له حسّان وهو لا يعرفه: كيف تسمع هذا الشعر يا أعرأبي؟ قال الحطيئة: لا أرى به بأساً. فغضب حسّان وقال: اسمعوا إلى كلام هذا الأعرأبي! ما كنيتك؟ قال: أبو مليكة. قال: ما كنت قطّ أهون عليّ منك حين كنّيت بامرأةٍ، فما اسمك؟ فال: الحطيئة فقال حسّان: امض بسلام.

اتهمه أعشى بكر عند خمار بالبخل

فاشترى كل الخمر وأراقها:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني محمد بن الحسن بن مسعود الزّرقيّ قال حدّثنا عبد الله بن شبيب قال حدّثني الزّبير، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني الزّبير قال حدّثني بعض القرشيين قال:

دخل حسّان بن ثابت في الجاهليّة بيت خمّارٍ بالشّأم ومعه أعشى بكر بن وائل، فاشتريا خمراً وشربا، فنام حسّان ثم انتبه، فسمع الأعشى يقول للخمّار: كره الشيخ الغرم. فتركه حسّان حتّى نام، ثم اشترى خمر الخمّار كلّها. ثم سكبها في البيت حتّى سالت تحت الأعشى؛ فعلم أنّه سمع كلامه فاعتذر إليه؛ فقال حسّان:

ولسنا بشربٍ فوقهم ظلّ بردةٍ يعدّون للخمّار تيساً ومفصدا
ولكنّنا شربٌ كرامٌ إذا انتشوا أهانوا الصّريح والسّديف المسرهدا
كأنّهم ماتوا زمان حليمةٍ فإن تأتهم تحمد ندامتهم غدا
وإن جئتهم ألفيت حول بيوتهم من المسك والجادي فتيتاً مبدّدا
ترى حول أثناء الزّرأبي ساقطاً نعالاً وقسّوباً وريطاً منضّدا
وذا نمرقٍ يسعى وملصق خدّه بديباجةٍ تكفافها قد تقدّدا

تعييره الحارث بن هشام بفراره

وهذه القصيدة يقولها حسّان بن ثابت في وقعة بدرٍ يفخر بها ويعيّر الحارث بن هشام بفراره عن أخيه أبي جهل بن هشام. وفيها يقول:

صوت

إن كنت كاذبة الذي حدّثتني فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبّة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرّةٍ ولجام

- غنّاه يحيى المكيّ خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى. ولعزّة الميلاء فيه خفيف رمل بالبنصر. وفيه خفيف ثقيلٍ بالبنصر لموسى بن خارجة الكوفيّ - فأجاب الحارث بن هشام، وهو مشرك يومئذٍ، فقال:

صوت

الله يعلم ما تركت قتالهم حتّى رموا فرسي بأشقر مزبد
وعلمت أنّي إن أقاتل واحداً أقتل ولا يضرر عدوّي مشهدي
ففررت منهم والأحبّة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مرصد

غنّى فيه إبراهيم الموصليّ خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر، وقيل: بل هو لفليح.

تمثل رتبيل بشعر حسان

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدّثني سليمان بن أيّوب قال حدّثنا محمد بن سلاّم عن يونس قال: لمّا صار ابن الأشعث إلى رتبيل، تمثّل رتبيل بقول حسّان بن ثابت في الحارث بن هشام:

ترك الأحبّة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرّةٍ ولجام

فقال له ابن الأشعث: أو ما سمعت ما ردّ عليه الحارث بن هشام؟ قال: وما هو؟ فقال قال:

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا فرسي بأشقر مزبد

وعلمت أنّي إن أقاتل واحداً أقتل ولا يضرر عدوّي مشهدي

فصددت عنهم والأحبّة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مرصد

فقال رتبيل: يا معشر العرب، حسّنتم كلّ شيء حتى حسّنتم الفرار.

أخبار غزاة بدر

حدّثني بخبرها محمد بن جرير الطبري في " المغازي " قال حدّثنا محمد بن حميد قال حدّثنا محمد بن سلمة قال حدّثني محمد بن إسحاق قال حدّثني محمد بن مسلم الزّهريّ وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن غزوة بدرٍ وغيرهم من علمائنا عن عبد الله بن عبّاس، كلٌّ قد حدّثني بعض هذا الحديث، فاجتمع حديثهم فيما سمعت من حديث بدر، قالوا:

استنفار أبي سفيان لقريش

لمّا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلاً من الشام ندب المسلمين إليهم، وقال: " هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها؛ فلعلّ الله أن ينفّلكموها ". فانتدب الناس، فخفّ بعضهم وثقل بعضهم؛ وذلك أنّهم لم يظنّوا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حرباً. وكان أبو سفيان استقدم حين دنا من الحجاز وجعل يتجسّس الأخبار، ويسأل من لقي من الرّكبان، تخوّفاً على أموال الناس، حتى أصاب خبراً من بعض الرّكبان أنّ محمداً استنفر أصحابه لك ولأصحابك ولعيرك، فجدّ عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاريّ فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً يستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أنّ محمداً قد عرض لها في أصحابه؛ فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة.

رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم عن عكرمة مولى ابن عبّاس ويزيد بن رومان عن عروة بن الزّبير قال: وقد رأت عاتكة بنت عبد المطّلب قبل قدوم ضمضم " مكة " بثلاث " ليالٍ " رؤيا أفزعتها، فبعثت إلى أخيها العبّاس بن عبد المطلب، فقالت: يا أخي، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني وتخوّفت أن يدخل على قومك " منها " شرٌّ أو مصيبة، فاكتم عني ما أحدّثك. قال لها: وما رأيت؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعيرٍ له حتى وقف بالأبطح،

ثم صرخ بأعلى صوته: أن انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث؛ وأرى الناس قد اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه؛ فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بأعلى صوته: انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها، ثن أخذ صخرةً فأرسلها فأقبلت تهوي، حتّى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضّت، فما بقي بيتٌ من بيوت مكة ولا دارٌ من دورها إلاّ دخلتها منها فلقة.

فقال العباس: إنّ هذه لرؤيا، وأنت فاكتميها ولا تذكريها لأحدٍ. ثم خرج العبّاس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة، وكان له صديقاً، فذكرها " له " واستكتمه إيّاها؛ فذكرها الوليد لأبيه عتبة، ففشا الحديث " بمكة " حتى تحدثت به قريش. قال العبّاس: فغدوت أطوف بالبيت، وأبو جهلٍ بن هشام ورهطٌ من قريش قعودٌ يتحدّثون برؤيا عاتكة. فلمّا رآني أبو جهل قال: يا أبا الفضل، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا؛ فلمّا فرغت أقبلت إليه حتى جلست معهم. فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطّلب، متى حدثت فيكم هذه النّبيّة؟! قال: قلت: وما ذاك؟ قال: الرؤيا التي رأت عاتكة. قلت: وما رأت؟ قال: يا بني عبد المطّلب، أما رضيتم أن تتنبّأ رجالكم حتى تتنبّأ نساؤكم! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنّها قالت: انفروا في ثلاثٍ؛ فستربّص بكم هذه الثلاث؛ فإن يكن ما قالت حقًّا فسيكون، وإن تمض الثلاث و لم يكن من ذلك شيء نكتب كتأبا عليكم أنّكم أكذب أهل بيتٍ في العرب. قال العبّاس: فوالله ما كان إليه منّي كبيرٌ إلا أن جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً. قال: ثم تفرّقنا. فلمّا أمسينا لم تبق امرأةٌ من بني عبد المطّلب إلاّ أتتني فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ويتناول النساء وأنت تسمع، و لم يكن عنك غيرٌ لشيءٍ مما سمعت؟! قلت: قد والله فعلت، ما كان منّي إليه من كبيرٍ، وأيم الله لأتعرّضنّ له؛ فإن عاد لأكفينّكنّه. قال: فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديدٌ مغضبٌ أرآى " أنّي " قد فاتني منه أمرٌ أحبّ أن أدركه منه. قال: فدخلت المسجد فرأيته، فوالله إنّي لأمشي نحوه العرضنة ليعود لبعض ما كان فأوقع به. وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه حديد اللّسان حديد النّظر، إذ خرج نحو باب المسجد يشتدّ. قال: قلت في نفسي: ماله لعنه الله! أكلّ هذا فرقاً أن أشاتمه! فإذا هو قد سمع ما لم أسمع، صوت ضمضم بن عمرو الغفاريّ وهو يصرخ ببطن الوادي " واقفاً على بعيره قد جدّع بعيره وحوّل رحله وشقّ قميصه وهو يقول ": يا معشر قريش اللّطيمة " اللطيمة! " أموالكم مع أبي سفيان بن حرب قد عرض لها محمد في أصحابه، لاأرى أن تدركوها! الغوث الغوث! قال: فشغلني عنه وشغله عنّي ما جاء من الأمر. قال: فتجهّز الناس سراعاً، وقالوا: لا يظنّ محمدٌ وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرميّ! كلاّ والله ليعلمنّ غير ذلك! فكانوا بين رجلين: إمّا خارجٍ وإمّا باعث مكانه رجلاً.

خروج قريش وإرسال أبي لهب العاصي بن هشام مكانه

وأوعبت قريش فلم يتخلّف من أشرافها أحدٌ إلا أبو لهب بن عبد المطلب تخلّف فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، وكان لطّ له بأربعة آلاف درهمٍ كانت له عليه، فأفلس بها، فاستأجره بها على أن يجزئ عنه بعثه؛ فخرج عنه وتخلّف أبو لهب. هكذا في الحديث. فذكر أبو عبيدة وابن الكلبيّ: أنّ أبا لهبٍ قامر العاصي بن هشام

في مائةٍ من الإبل، فقمره أبو لهب، ثم عاد فقمره أيضاً الثالثة، فذهب بكلّ ما كان يملكه. فقال له العاصي: أرى القداح قد حالفتك يابن عبد المطّلب، هلمّ نجعلها على أيّنا يكون عبداً لصاحبه؛ قال: ذلك لك؛ فدحاها فقمره أبو لهب، فأسلمه قيناً، وكان يأخذ منه ضريبةً. فلما كان يوم بدرٍ وأخذت قريش كلّ من لم يخرج بإخراج رجلٍ مكانه أخرجه أبو لهب عنه وشرط له العتق؛ فخرج فقتله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

رجع الحديث إلى وقعة بدر.

ابن أبي معيط و أمية بن خلف

قال محمد بن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي نجيح: أنّ أميّة بن خلفٍ كان قد أجمع القعود، وكان شيخاً " جليلاً جسيماً " ثقيلاً، فجاءه عقبة بن أبي معيط وهو جالسٌ في المسجد بين ظهراني قومه بمجمرةٍ يحملها، فيها نارٌ ومجمرٌ، حتّى وضعها بين يديه، ثم قال: يا أبا عليّ، استجمر فإنّما أنت من النساء! قال: قبّحك الله وقبّح ما جئت به! ثم تجهّز وخرج مع الناس. فلمّا فرغوا من جهازهم وأجمعوا السير، ذكروا ما " كان " بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب، فقالوا: إنّا نخشى أن يأتوا من خلفنا.

تخوّف قريش من كنانة وتأمين إبليس لهم

قال محمد بن إسحاق: فحدّثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزّبير قال: لمّا أجمعت قريش المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة، فكاد ذلك أن يثبّطهم، فتبدّى لهم إبليس في صورة سراقة بن جعشم المدلجيّ، وكان من أشراف بني كنانة، فقال: إنّي جارٌ لكم من أن تأتيكم كنانة " من خلفكم " بشيءٍ تكرهونه، فخرجوا سراعاً.

خروج النبيّ وعدد جيشه

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني عن غير ابن إسحاق - لثلاث ليالٍ خلون من شهر رمضان المعظّم في ثلاثمائةٍ وبضعة عشر رجلاً من أصحابه. فاختلف في مبلغ الزيادة على العشرة؛ فقال بعضهم: كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً. وكان المهجرون يوم بدرٍ سبعةً وسبعين رجلاً، وكان الأنصار مائتين وستةً وثلاثين رجلاً، وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان صاحب راية الأنصار سعد بن عبادة.

حدّثنا محمد قال حدّثنا هارون بن إسحاق قال حدّثنا مصعب بن المقدام، قال أبو جعفر وحدّثني محمد بن إسحاق الأهوازيّ قال حدّثنا أبو أحمد الزّبيريّ قال حدّثنا إسرائيل قال حدّثنا أبو إسحاق عن البراء قال: كنّا نتحدّث أنّ عدّة أصحاب بدرٍ على عدّة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر - و لم يجز معه إلاّ مؤمن - ثلاثمائةٍ وبضعة عشر.

استشارة النبيّ لأصحابه

قال ابن إسحاق في حديثه عمّن روى عنه: وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه، وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجّار، في ليالٍ مضت من رمضان؛ فسار حتّى إذا كان قريباً من الصّفراء بعث بسبس بن عمرو الجهنيّ حليف بني ساعدة وعدي بن أبي الزّغباء حليف بني النّجار إلى بدر يتجسّسان له الخبر عن أبي سفيان بن حرب وغيره، ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدّمهما. فلمّا استقبل الصّفراء، وهي قريةٌ بين جبلين، سأل عن جبليها ما أسماهما؟ فقيل: يقال لأحدهما هذا مسلح، وللآخر هذا مخرئ؛ وسأل عن أهلها فقالوا: بنو النّار، وبنو حراق " بطنان من غفار "؛ فكرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما، وتفاءل باسميهما وأسماء أهاليهما، فتركهما والصفراء يساراً، وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له ذفران فخرج منه، حتّى إذا كان ببعضه نزل، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم؛ فاستشار النبيّ صلى الله عليه وسلم الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله فنحن معك. والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون معلمون. فوالّذي بعثك بالحقّ لو سرت بنا إلى برك الغماد - يعني مدينة الحبشة - لجالدنا معك حتّى تبلغه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له بخير.

حدّثنا محمد قال حدّثنا محمد بن عبيد المحاربيّ قال حدّثني إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى قال حدّثنا المخارق عن طارق عن عبد الله بن مسعود قال: شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون صاحبه أحبّ إليّ مما في الأرض من كلّ شيء، كان رجلاً فارساً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب احمارّت وجنتاه، فأتاه المقداد على تلك الحال، فقال: أبشر يا رسول الله، فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون، ولكن والذي بعثك بالحقّ لنكونن بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وشمالك أو يفتح الله تبارك وتعالى.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أشيروا علي أيها الناس ". وإنما يريد الأنصار؛ وذلك أنهم كانوا عدد الناس، وأنهم حين بايعوا بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصير إلى دارنا، فإذا وصلت فأنت في ذمامنا، نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوٍ في غير بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله. قال: "

أجل ". قال: فقد آمنا بك يا رسول الله وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض بنا يا رسول الله لما أردت فنحن معك. فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر وخضته لخضناه معك ما يتخلف منا رجلٌ واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدواً غداً. إنا لصبرٌ عند الحرب، صدقٌ عند اللقاء، لعل الله تعالى أن يريك منا ما تقر به عينك؛ فسر بنا على بركة الله. فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك؛ ثم قال: " سيروا على بركة الله وأبشروا؛ فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم ".

نزول النبي قريباً من بدر

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران، وسلك على ثنايا يقال لها الأصافر، ثم انحط منها على بلدٍ يقال له الدبة، ثم ترك الحنّان بيمينٍ، وهو كثيبٌ عظيم كالجبل، ثم نزل قريباً من بدرٍ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه - قال الطبري قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن يحيى بن حبان - حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم؛ فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا أخبرتنا أخبرناك " فقال: أو ذاك بذاك؟ فقال: " نعم ". قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا؛ فإن كان صدقني الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا " للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ". وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا؛ فإن كان الذي حدثني صدقني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا " للمكان الذي به قريش ". فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نحن من ماء "، ثم انصرف الشيخ عنه. قال يقول الشيخ: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟ ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه.

إرساله نفراً من أصحابه إلى بدر فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص في نفرٍ من أصحابه إلى بدرٍ يلتمسون له الخبر عليه -.

قبض هؤلاء النفر على غلامين لقريش قال محمد بن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير: - فأصابوا راويةً لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج، وعريضٌ أبو يسار غلام بني العاصي بن سعيد، فأتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي. فسألوهما فقالا: نحن سقاةٌ لقريش بعثونا نسقيهم من الماء. فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما، فلما أذلقوهما قالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما. وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتين ثم سلم، ثم قال: " إذا صدقاكم ضربتموهما، فإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله إنهما لقريش. أخبراني أين قريش "؟ قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى - والكثيب: العقنقل - فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كم القوم "؟ قالا: لا ندري.

قال: " كم ينحرون كل يوم "؟ قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " القوم ما بين التسعمائة والألف ". ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فمن فيهم من أشراف قريش "؟ قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عمر بن نوفل، وطعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلفٍ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن ودّ. فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال: " هذه مكة قد رمت إليكم أفلاذ كبدها ".

قدوم أبي سفيان إلى بدر متجسساً قال ابن إسحاق: وقد كان بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء مضيا حتى نزلا بدراً فأناخا إلى تلٍ قريبٍ من الماء، ثم أخذا شناً يستقيان فيه، ومجدي بن عمرو الجهني على الماء، فسمع عديٌّ وبسبسٌ جاريتين من جواري الحاضر وهما تتلازمان على الماء، والملزومة تقول لصاحبتها: إنما تأتي العير غداً أو بعد غدٍ فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك. قال مجديٌّ: صدقت، ثم خلص بينهما. وسمع ذلك عديٌّ وبسبس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا. وأقبل أبو سفيان قد تقدم العير حذراً حتى ورد الماء، فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسست أحداً؟ قال: ما رأيت أحد أنكره، إلا أني رأيت راكبين أناخا إلى هذا التل ثم استقيا في شنٍ لهما ثم انطلقا. فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففته فإذا فيه النوى، فقال: هذه والله علائف يثرب! فرجع إلى أصحابه سريعاً فصرف وجه عيره على الطريق فساحل بها وترك بدراً يساراً، ثم انطلق حتى أسرع.

رؤيا جهيم بن أبي الصلت

وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن أبي الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف رؤيا، فقال: إني رأيت فيما يرى النائم، وإني لبين النائم واليقظان إذ نظرت إلى رجلٍ أقبل على فرسٍ ومعه بعيرٌ له ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأمية بن خلفٍ، وفلانٌ وفلان - فعدد رجالاً ممن قتل يومئذٍ من أشراف قريش - ورأيته ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر، فما بقي خباءٌ من أخبية العسكر إلا أصابه نضحٌ من دمه. قال: فبلغت أبا جهل فقال: وهذا أيضاً نبيٌّ آخر من بني عبد المطلب! سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا.

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره، أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورحالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا. فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدراً - وكان بدرٌ موسماً من مواسم العرب تجتمع به، لهم بها سوقٌ كل عام - فنقيم عليه ثلاثاً، وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمور، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب "بمسيرنا وجمعنا "، فلا يزالون يهابوننا أبداً، فامضوا.

رجوع بني زهرة

فقال الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهبٍ الثقفي، وكان حليفاً لبني زهرة، وهم بالجحفة: يا بني زهرة قد نجى الله لكم عيركم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله، فاجعلوا بي جبنها وارجعوا؛ فإنه لا حاجة بكم في أن تخرجوا في غير ضيعةٍ لما يقول هذا " يعني أبا جهل "؛ فلم يشهدها زهري، وكان فيهم مطاعاً. ولم يكن بقي من قريش بطنٌ إلا نفر منهم ناسٌ، إلا بني عدي بن كعب لم يخرج منهم رجلٌ واحد.
فرجعت بنو زهرة مع الأخنس بن شريق، فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد.
اهام قريش لبني هاشم ومضى القوم، وقد كان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القوم - وبين بعض قريش محاورةٌ؛ فقالوا: والله لقد عرفنا يا بني هاشم - وإن خرجتم معنا - أن هواكم " لمع " محمد؛ فرجع طالبٌ إلى مكة فيمن رجع. وأما ابن الكلبي فإنه قال فيما حدثت عنه: شخص طالب بن أبي طالب إلى بدرٍ مع المشركين، أخرج كرهاً، فلم يوجد في الأسرى ولا في القتلى ولم يرجع إلى أهله، وكان شاعراً، وهو الذي يقول:

يا رب إما يغزون طالب — في مقنبٍ من هذه المقانب
فليكن المسلوب غير السالب — وليكن المغلوب غير الغالب

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

نزول قريش بالعدوة القصوى من الوادي: قال: ومضت قريشٌ حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي خلف العقنقل. وبطن الوادي، وهو يليل، بين بدرٍ وبين العقنقل: الكثيب الذي خلفه قريشٌ. والقليب ببدر من العدوة الدنيا من بطن يليل إلى المدينة. وبعث الله عز وجل السماء، وكان الوادي دهساً، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ما لبد لهم الأرض ولم يمنعهم المسير، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء حتى حاذى ماءً من مياه بدرٍ فنزل به.
قال ابن إسحاق: فحدثني عشرة رجالٍ من بني سلمة ذكروا أن الحباب بن المنذر بن الجموح قال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلٌ أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: " بل هو الرأي والحرب والمكيدة ". فقال: يا رسول الله، إن هذا ليس لك بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماءٍ من مياه القوم فتنزله، ثم تعور ما سواه من القلب ثم تبني عليه حوضاً فتملأه ماءً، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربوا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لقد أشرت الرأي ". فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس حتى أتى أدنى ماءٍ من القوم فنزل عليه، ثم أمر بالقلب فعورت وبنوا حوضاً على القليب الذي نزل عليه فملىء ماءً ثم قذفوا فيه الآنية.

قال محمد بن إسحاق: فحدثني محمد بن أبي بكر أن سعد بن معاذ قال: يا رسول الله، نبني لك عريشاً من جريدٍ

فتكون فيه ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا؛ فإن نحن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا؛ فقد تخلف عنك أقوامٌ يا نبي الله ما نحن بأشد حباً لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك. فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً، ودعا له بخير. ثم بني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشٌ فكان فيه.

وقد ارتحلت قريشٌ حين أصبحت وأقبلت. فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل - وهو الكثيب الذي منه جاؤوا - إلى الوادي قال: " اللهم هذي قريشٌ قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك. اللهم فنصرك الذي وعدتني. اللهم فأحنهم الغداة ". وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى عتبة بن ربيعة في القوم على جمل له أحمر: " إن يكن عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا ".

عرض خفاف بن إيماء معونته على قريش

ولقد كان خفاف بن إيماء بن رحضة الغفاري، أو أبوه أيما بن رحضة، بعث إلى قريش حين مروا به ابناً له بجزائر أهداها لهم وقال لهم: إن أحببتم أن نمدكم بسلاحٍ ورجالٍ فعلنا. فأرسلوا إليه مع ابنه: أن وصلتك رحمٌ! فقد قضيت الذي عليك. فلعمري لئن كنا إنما نقاتل الناس فما بنا ضعفٌ عنهم، ولئن كنا نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحدٍ بالله من طاقة. فلما نزل الناس أقبل نفرٌ من قريش حتى وردوا الحوض حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دعوهم ". فما شرب منهم رجلٌ إلا قتل يومئذ، إلا ما كان من حكيم بن حزامٍ فإنه لم يقتل، نجا على فرس له يقال الوجيه، وأسلم بعد ذلك فحسن إسلامه؛ فكان إذا اجتهد في يمينه قال: والذي نجاني من يوم بدرٍ.

بعثت قريش عمير بن وهب متجسساً

فأخبرهم بما روعهم:

قال محمد بن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسارٍ وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار قالوا: لما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهبٍ الجمحي فقالوا: احزر لنا أصحاب محمد؛ فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم، فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصونه، ولكن أمهلوني حتى أنظر: أللقوم كمينٌ أو مددٌ. قال: فضرب في الوادي حتى أمعن، فلم ير شيئاً، فرجع فقال: لم أر شيئاً، ولكن قد رأيت يا معشر قريش الولايا تحمل المنايا! نواضح يثرب تحمل الموت الناقع! قومٌ ليس لهم منعةٌ ولا ملجأٌ إلا سيوفهم. والله ما أرى أن يقتل رجلٌ منهم حتى يقتل رجلاً منكم! فإذا أصابوا منكم أعدادهم، فما خير العيش بعد ذلك! فروا رأيكم. فلما سمع

حكيم بن حزامٍ ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة وقال: يا أبا الوليد، إنك كبير قريش الليلة وسيدها والمطاع فيها، هل لك إلى أمرٍ ما تزال تذكر منه بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي. قال: قد فعلت، أنت على ذلك شهيدٌ، إنما هو حليفي فعلي عقله وما أصيب من ماله؛ فأت ابن الحنظلية فإني لا أخشى أن يسحر الناس غيره يعني أبا جهل بن هشام.

حكيم بن حزام يقص حديث بدر لمروان

حدثنا محمد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا غمامة بن عمرو السهمي قال حدثنا مسور بن عبد الملك اليربوعي عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال:

بينا نحن عند مروان بن الحكم إذ دخل عليه حاجبه فقال: هذا أبو خالدٍ حكيم بن حزامٍ. قال: إيذن له. فلما دخل حكيم بن حزام، قال: مرحباً بك يا أبا خالد، أدن؛ فحال له مروان عن صدر المجلس حتى كان بينه وبين الوسادة، ثم استقبله مروان فقال: حدثنا حديث بدرٍ. قال: خرجنا حتى إذا نزلنا الجحفة رجعت قبيلةٌ من قبائل قريش بأسرها، فلم يشهد أحدٌ من مشركيهم بدراً؛ ثم خرجنا حتى نزلنا العدوة التي قال الله عز وجل؛ فجئت عتبة بن ربيعة فقلت: يا أبا الوليد، هل لك أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت؟ قال: أفعل ماذا؟ قال: قلت: إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم واحدٍ: ابن الحضرمي وهو حليفك، فتحمل ديته فيرجع الناس. قال: أنت وذاك، وأنا أتحمل ديته، فاذهب فاذهب إلى ابن الحنظلية يعني أبا جهل فقل له: هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك؟ فجئته فإذا هو في جماعةٍ من بين يديه ومن ورائه، فإذا ابن الحضرمي واقفٌ على رأسه وهو يقول: قد فسخت عقدي من بني عبد شمس، وعقدي إلى بني مخزوم. فقلت له: يقول لك عتبة بن ربيعة: هل لك أن ترجع اليوم عن ابن عمك بمن معك؟ قال: أما وجد رسولاً غيرك؟ قلت: لا، و لم أكن لأكون رسولاً لغيره. قال حكيم: فخرج مبادراً إلى عتبة وخرجت معه لئلا يفوتني من الخبر شيء، وعتبة يتكئ على إيماء بن رحضة الغفاري، وقد أهدى إلى المشركين عشر جزائر، فطلع أبو جهل والشر في وجهه، فقال لعتبة: انتفخ سحرك! فقال عتبة: فستعلم. فسل أبو جهل سيفه فضرب به متن فرسه؛ فقال إيماء بن رحضة: بئس المقام هذا! فعند ذلك قامت الحرب.

رجع الحديث إلى ابن إسحاق

نصح عتبة بن ربيعة قريشاً بالرجوع فأبى أبو جهل: ثم قام عتبة بن ربيعة خطيباً، فقال: يا معشر قريش، والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً! والله لئن أصبتموه، لا يزال الرجل منكم ينظر في وجه رجلٍ يكره النظر إليه، رجل قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته، فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب؛ فإن أصابوه فذلك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم و لم تعدموا منه ما تريدون. قال حكيم: فانطلقت حتى جئت أبا جهل، فوجدته قد نثل درعاً له من جرابها وهو يهيئها؛ فقلت له: يا أبا الحكم، إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا

الذي قال؛ فقال: انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه. كلا والله! لا مرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه؛ وما يعتبه ما قال، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أكلة جزور، وفيهم ابنه قد تخوفكم عليه. ثم بعث إلى عامر الحضرمي فقال له: هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك، فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك. فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ: واعمراه! واعمراه! فحميت الحرب، وحقب أمر الناس، واستوسقوا على ما هم عليه من الشر، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة بن ربيعة. ولما بلغ عتبة قول أبي جهل: " انتفخ سحره " قال: سيعلم مصفر الإست من انتفخ سحره: أنا أم هو! ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه فلم يجد في الجيش بيضةً تسعه من عظم هامته؛ فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه ببردٍ له.

أقسم الأسود بن عبد الأسد ليشربن من حوض المسلمين فقتل

وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وكان رجلاً شرساً سيء الخلق، فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه، فلما خرج خرج له حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأبان قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دماً نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يبر يمينه، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض.

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا نصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إلى فتيةٌ من الأنصار ثلاثة نفرٍ، وهم: عوف ومعوذ ابنا الحارث، وأمهما عفراء ورجلٌ آخر يقال: هو عبد الله بن رواحة؛ فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهطٌ من الأنصار. قالوا: ما لنا بكم حاجة. ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قم يا حمزة بن عبد المطلب، قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا علي بن أبي طالب ". فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا: من أنتم؟ فقال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال عليٌ: علي. قالوا: نعم أكفاءٌ كرامٌ. فبارز عبيدة بن الحارث، وكان أسن القوم، عتبة بن ربيعة؛ وبارز حمزة شيبة بن ربيعة؛ وبارز عليٌ الوليد بن عتبة. فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله. وأما عليٌ فلم يمهل الوليد بن عتبة أن قتله. واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه؛ فكر حمزة وعليٌ على عتبة بأسيافهما فذففا عليه فقتلاه، واحتملا صاحبهما عبيدة، فجاءا به إلى أصحابه وقد قطعت رجله ومخه يسيل. فلما أتو بعبيدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألست شهيداً يا رسول الله؟ قال: " بلى ". فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حياً لعلم أني بما قال أحق منه حيث يقول:

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

قال محمد بن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار حين انتسبوا له: أكفاءٌ كرامٌ، إنما نريد قومنا. ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض - وقد أمر رسول الله صلى الله عليه

وسلم أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم، وقال: " إن اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل " - ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش معه أبو بكر.

وكانت وقعة بدرٍ يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان، قال ابن إسحاق: كما حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين.

قال محمد بن جرير وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال قال لي محمد بن إسحاق حدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخٍ من قومه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدرٍ، وفي يده قدحٌ يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار وهو مستنتل من الصف، فطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بطنه بالقدح، ثم قال: " استو يا سواد بن غزية ". فقال: يا رسول الله، أوجعتني! وقد بعثك الله بالحق، فأقدني. قال: فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال: " استقد "؛ فاعتنقه وقبل بطنه. فقال: " ما حملك على هذا يا سواد "؟ فقال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فلم آمن الموت، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك؛ فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيراً. ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف، ورجع إلى العريش ودخله ومعه أبو بكر ليس معه غيره، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر، ويقول فيما يقول: " اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم - يعني المسلمين - لا تعبد بعد اليوم ". وأبو بكر يقول: يا نبي الله خلي بعض مناشدتك ربك؛ فإن الله منجز لك ما وعدك.

دعاء النبي يوم بدر

حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا محمد بن عبيد المحاربي قتال حدثنا عبد الله بن المبارك عن عكرمة بن عمار قال حدثني سماك الحنفي قال سمعت ابن عباس يقول: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وعدتهم وإلى أصحابه وهم نيفٌ على ثلاثمائة، استقبل الكعبة وجعل يدعوا ويقول: " اللهم أنجز لي ما وعدتني. اللهم إن تهلك هذه العصابة من الإسلام لا تعبد في الأرض ". فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه؛ فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه، ثم التزمه من ورائه فقال: كفاك يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، مناشدتك لربك، سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله تعالى: " إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألفٍ من الملائكة مردفين ".

حدثنا محمد قال حدثنا ابن وكيع قال حدثنا الثقفي يعني عبد الوهاب عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبته يوم بدرٍ " اللهم أسألك عهدك ووعدك. اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم ". قال: " فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا نبي الله، فقد ألححت على ربك، وهو في الدرع؛ فخرج وهو يقول: " سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ".

رجع الحديث إلى حديث ابن أبي إسحاق

أخذت النبي سنة ثم انتبه مبشراً بالنصر ومحرضاً على القتال: قال: وقد خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقةً وهو بالعريش، ثم انتبه فقال: " يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريلٌ آخذ بعنان فرسه يقوده وعلى ثناياه النقع "، قال: وقد رمي مهجعٌ مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل، فكان أول قتيل من المسلمين. ثم رمي حارثة بن سراقة أحد بني عدي بن النجار وهو يشرب من الحوض بسهم فأصاب نحره فقتل. ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرضهم ونفل كل امرئٍ ما أصاب، وقال: " والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجلاً فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبرٍ إلا أدخله الله الجنة ". فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة وفي يده تمراتٌ يأكلها: بخٍ بخ! أما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء! قال: ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل، وهو يقول:

ركضاً إلى الله بغير زاد ... إلا التقى وعمل المعاد

والصبر في الله على الجهاد ... وكل زادٍ عرضة النفاد

غير التقى والبر والرشاد

حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة: أن عوف بن الحارث، وهو ابن عفراء، قال: يا رسول الله، ما يضحك الرب من عبده؟ قال: " غمسه يده في العدو حاسراً "؛ فنزع درعاً كانت عليه فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل.

التقاء الفريقين وهزيمة المشركين

حدثنا محمد قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال وحدثني محمد بن مسلم الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذري حليف بني زهرة قال: لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعضٍ، قال أبو جهل: اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة؛ فكان هو المستفتح على نفسه. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من الحصباء واستقبل بها قريشاً، ثم قال: " شاهت الوجوه " ثم نفحهم بها، وقال لأصحابه: " شدوا "؛ فكانت الهزيمة، فقتل الله من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر منهم. فلما وضع القوم أيديهم يأسرون - ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش، وسعد بن معاذ قائمٌ على باب العريش الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم متوشحاً بالسيف في نفرٍ من الأنصار، يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم، يخافون عليه كرة العدو - رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لي - في وجه سعد بن معاذ الكراهة فيما يصنع الناس؛ فقال له: " كأنك كرهت ما يصنع الناس"! قال: أجل يا رسول الله! كانت أول وقعةٍ أوقعها الله عز وجل بأهل الشرك؛ فكان الإثخان في القتل أعجب إلي من استبقاء الرجال.

نهى النبي عن قتل جماعة خرجوا مستكرهين حدثنا محمد قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن

إسحاق قال، وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس:
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ: " إني قد عرفت أن رجلاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا؛ فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث فلا يقتله ومن لقي العباس بن عبد المطلب - عم رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلا يقتله، فأنما خرج مستكرهاً ". قال: فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة: أيقتل آباؤنا وأبناؤنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس! والله لئن لقيته لألحمنه السيف! فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل يقول لعمر بن الخطاب: " يا أبا حفص أما تسمع إلى قول أبي حذيفة يقول أضرب وجه عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالسيف ". فقال: عمر: يا رسول الله، دعني فلأضربن عنقه بالسيف، فوالله لقد نافق. قال عمر: والله إنه لأول يوم كناني به رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص. قال: فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عني الشهادة؛ فقتل يوم اليمامة شهيداً.
سبب نهي النبي عن قتل أبي البختري قال: وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبي البختري، لأنه كان أكف القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، كان لايؤذيه ولا يبلغه عنه بمكة شيءٌ يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب. فلقيه المجذر بن ذياد البلوي حليف الأنصار من بني عدي، فقال المجذر بن ذياد لأبي البختري: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتلك، ومع أبي البختري زميلٌ له خرج معه من مكة، وهو جنادة بن مليحة بن زهير بن الحارث بن أسد - وجنادة رجلٌ من بني ليث. واسم أبي البحتري العاصي بن هشام بن الحارث بن أسد - قال: وزميلي؟ فقال المجذر: لا والله ما نحن بتاركي زميلك؛ ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدك. قال: والله إذن لأموتن أنا وهو جميعاً! لا تتحدث عني نساء قريش بين أهل مكة أني تركت زميلي حرصاً على الحياة. فقال أبو البختري حين نازله المجذر وأبى إلا القتال وهو يرتجز:

لن يسلم ابن حرةٍ أكيله حتى يموت أو يرى سبيله

فاقتتلا، فقتله المجذر بن ذياد. ثم أتى المجذر بن ذياد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: والذي بعثك بالحق، لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به، فأبى إلا القتال، فقاتلته فقتلته.

عبد الرحمن بن عوف وأمية بن خلف

قال محمد بن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد عن عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال: وحدثنيه أيضاً عبد الله بن أبي بكر وغيرهما عبد الرحمن بن عوف قال: كان أمية بن خلفٍ لي صديقاً بمكة. قال: وكان اسمي عبد عمرو، فسميت حين أسلمت عبد الرحمن ونحن بمكة. قال: وكان يلقاني بمكة فيقول: يا عبد عمرو، أرغبت عن اسمٍ سماك به أبواك؟ فأقول نعم؛ فيقول: فإني لآ أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به، أما أنت فلا تجيبني

باسمك الأول، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف. قال: فكان إذا دعاني: يا عبد عمرو، لم أجبه. فقلت: اجعل بيني وبينك يا أبا علي ما شئت. قال: فأنت عبد الإله. فقلت نعم. قال: فكنت إذا مررت به قال: يا عبد الإله فأجيبه فأتحدث معه. حتى إذا كان يوم بدرٍ، مررت به وهو واقفٌ مع علي ابنه آخذاً بيده، ومعي أدراعٌ قد سلبتها وأنا أحملها. فلما رآني قال: يا عبد عمرو، فلم أجبه. فقال: يا عبد الإله، قلت نعم. قال: هل لك في فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع؟ قلت: نعم، هلم إذاً. فطرحت الأدراع بين يدي وأخذت بيده وبيد ابنه علي، وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط، أما لكم حاجةٌ في اللبن؟ ثم خرجت أمشي بينهما.

مقتل أمية بن خلف وابنه قال إبن إسحاق: وحدثني عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف قال:

قال لي أمية بن خلفٍ وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما: يا عبد الإله، من الرجل المعلم منكم بريش نعامةٍ في صدره؟ قال قلت: ذلك حمزة بن عبد المطلب. قال: ذلك الذي فعل بنا الأفاعيل. قال عبد الرحمن: فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلالٌ معي - وكان هو الذي يعذب بلالاً بمكة على أن يترك الإسلام، فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد؛ فيقول بلالٌ: أحدٌ أحدٌ - فقال بلالٌ حين رآه: رأس الكفر أمية بن خلفٍ، لا نجوت إن نجوا! قال: قلت: أي بلال، أبأسيري! قال: لا نجوت إن نجوا! قلت: أي بلال، أبأسيري تسمع يا بن السوداء! قال: لا نجوت إن نجوا! ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجوا. قال فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة وأنا أذب عنه. قال: فأخلف رجلٌ السيف ضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أمية صيحةً ما سمعت بمثلها قط. قال قلت: انج بنفسك ولا نجاء! فوالله ما أغني عنك شيئاً. قال: فهبروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما. قال: فكان عبد الرحمن يقول: رحم الله بلالاً! ذهب بأدراعي وفجعني بأسيري.

قتال الملائكة في غزوة بدر

قال ابن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس قال حدثني رجلٌ من بني غفار قال: أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبلٍ يشرف بنا على بدر، ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة - فننهب من ينهب. فبينا نحن في الجبل إذ دنت منا سحابةٌ، فسمعنا فيها حمحمة الخيل، وسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم. قال: فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه. وأما أنا فكدهت أهلك، ثم تماسكت.

قال محمد بن إسحاق حدثني أبي إسحاق بن يسارٍ عن رجالٍ من بني مازن بن النجار عن أبي داود المازني، وكان شهد بدراً، قال: إن لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدرٍ لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعلمت أنه قد قتله غيري.

حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم المصري قال حدثنا يحي بن بكير قال حدثني

محمد بن إسحاق عن العلاء بن كثير عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال: قال لي أبي: يا بني، لقد رأيتنا يوم بدرٍ وإن أحدنا ليشير إلى المشرك بسيفه فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف.

لباس الملائكة يوم بدرٍ وحنين حدثنا محمد قال حدثنا ابن حميدٍ قال حدثنا سلمة عن محمد قال، وحدثني الحسن بن عمارة قال أخبرنا سلمة عن الحكم بن عتيبة عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عباس قال: كانت سيما الملائكة يوم بدرٍ عمائم بيضا قد أرسلوها على ظهورهم، ويوم حنينٍ عمائم حمراً، و لم تقاتل الملائكة في يومٍ من الأيام سوى يوم بدر، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام مدداً وعدداً ولا يضربون.

مقتل أبي جهل بن هشام

حدثنا محمد قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال، قال محمد وحدثني ثور بن زيد ولي بني الديل عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس، قال وحدثني عبد الله بن أبي بكر، قالا: كان معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة يقول: لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر أمر بأبي جهل أن يلتمس في القتلى، وقال: " اللهم لا يعجزنك ". وكان أول من لقي أبا جهل بن معاذ بن عمرو بن الجموح، قال: سمعت القوم، وأبو جهل في مثل الحرجة، وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه. فلما سمعتها جعلتها من شأني، فعمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه، فضربته ضربةً أطنت قدمه بنصف ساقه، فو الله ما شبهتها حين طاحت إلا كالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها. قال: وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي، فتعلقت بجلده من جنبي، وأجهضني القتال عنها؛ فلقد قاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي، فلما آذتني جعلت عليها رجلي ثم تمطيت بها حتى طرحتها.

قال: ثم عاش معاذ بعد ذلك حتى كان في زمن عثمان بن عفان. قال: ثم مر بأبي جهل، وهو عقيرٌ، معوذ بن عفراء، فضربه حتى أثبته، فتركه وبه رمقٌ، وقاتل معوذ حتى قتل. فمر عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتلمس في القتلى، وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني: " انظروا إن خفي عليكم في القتلى إلى أثر جرح بركبته؛ فإني ازدحمت أنا وهو يوماً على مأدبةٍ لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان، وكنت أشب - أو أشف - منه بيسير، فدفعته فوقع على ركبتيه فخدش في إحداهما خدشاً لم يزل أثره فيها بعد". فقال عبد الله بن مسعود: فوجدته بآخر رمقٍ فعرفته، فوضعت رجلي على عنقه. قال: وقد كان ضبث بي مرةً بمكة فآذاني ولكزني، ثم قلت: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ قال: وبماذا أخزاني! أعمد من رجلٍ قتلتموه! لمن الدبرة اليوم؟ قال: قلت: لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد قال: زعم رجالٌ من بني مخزومٍ أن ابن

مسعود كان يقول: قال لي أبو جهل: لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعباً؛ ثم احتززت رأسه، ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، هذا رأس عدو الله أبي جهل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الله الذي لا إله غيره "!- وكانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم - قلت: نعم والله الذي لا إله غيره، ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فحمد الله.

تكليم النبي أصحاب القليب بعد موتهم

قال محمد بن إسحاق وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن ابن الزبير عن عائشة قالت: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا في القليب طرحوا فيها إلا ما كان من أمية بن خلف، فإنه انتفخ في درعه فملأها؛ فذهبوا به ليخرجوه فتزايل، فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة. فلما ألقوهم في القليب، وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً ". فقال له أصحابه: يا رسول الله، أتكلم قوماً موتى؟ قال: " لقد علموا إن ما وعدهم ربهم حقٌ ". قالت عائشة: والناس يقولون: " لقد سمعوا ما قلت لهم "، وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لقد علموا ".

قال ابن إسحاق وحدثني حميدٌ الطويل عن أنس بن مالك قال: لما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول من جوف الليل: " يا أهل القليب يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أبا جهل بن هشام - فعدد من كان منهم في القليب - هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً " قال المسلمون: يا رسول الله، أتنادي قوماص قد جيفوا! فقال: " ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني ".

قال محمد بن إسحاق وحدثني بعض أهل العلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قال هذه المقالة قال:" يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم! كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس". ثم قال: "هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً " للمقالة التي قالها. ولما أمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقوا في القليب، أخذ عتبة فسحب إلى القليب، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما بلغني، إلى وجه أبي حذيفة بن عتبة، فإذا هو كئيب قد تغير؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا أبا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء " أو كما قال. قال فقال: لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكني كنت أعلاف من أبي رأياً وفضلاً وحلماً، فكنت أرجو أن يهديه الله إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له، أحزنني ذلك. قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم له بخير وقال له خيراً.

اختلاف المسلمين على الفيء

ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بما في العسكر مما جمع الناس فجمع، واختلف المسلمون فيه: فقال من جمعه: هو لنا، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كل امرىءٍ ما أصاب. فقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونهم: لولا نحن ما أصبتموه، لنحن شغلنا القوم عنكم حتى أصبتم ما أصبتم. وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة أن يخالف إليه العدو: والله ما أنتم بأحق منا، ولقد رأينا أن نقتل العدو إذ ولانا الله ومنحنا أكتافهم، ولقد رأينا أن تأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه، ولقد خفنا على رسول الله كرة العدو، فقمنا دونه، فما أنتم أحق به منا.

مقتل النضر بن الحارث

قال ابن إسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الأسارى من المشركين، وكانوا أربعةً وأربعين أسيراً، وكان من القتلى مثل ذلك، وفي الأسارى عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث بن كلدة، حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء، قتل النضر بن الحارث بن كلدة، قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

تعنيف سودة لسهيل بن عمرو

حين أسر وعتاب النبي لها في ذلك:

قال محمد بن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال: قدم بالأسارى حين قدم بهم، وسودة بن زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب قال: تقول سودة: والله إني لعندهم إذ أتينا، فقيل: هؤلاء الأسارى قد أوتي بهم، فرحت إلى بيتي ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يداه إلى عنقه بحبل. قالت: فو الله ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: يا أبا يزيد، أعطيتم بأيديكم، ألا متم كراماً! فو الله ما أنبهني إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت: " يا سودة أعلى الله وعلى رسوله "! قالت: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه بحبل أن قلت ما قلت.

إخبار الحيسمان أهل مكة عن قتلى بدر

قال محمد بن إسحاق: وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش، الحيسمان بن عبيد الله بن إياس بن ضبيعة بن رومان بن كعب بن عمرو الخزاعي. قالوا: ما وراءك؟ قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن

هشام، وأمية بن خلف، وزمعة بن الأسود، وأبو البختري بن هشام، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج. قال: فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أمية وهو قاعدٌ في الحجر: والله إن يعقل هذا فسلوه عني. قالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: هو ذالك جالس في الحجر، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا.

أبو لهب وتخلفه عن الحرب ثم موته

قال محمد بن إسحاق حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال: قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل، وأسلمت، وكان العباس يهاب قومه، ويكره خلافهم، وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مالٍ كثير متفرق في قومه، وكان أبو لهبٍ عدو الله قد تخلف عن بدر، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، وكذلك صنعوا، لم يتخلف رجلٌ إلا بعث مكانه رجلاً. فلما جاء الخبر عن مصاب أهل بدر من قريش، كبته الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوةً وعزاً؛ وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أعمل القداح أنحتها في حجرة زمزم؛ فو الله إني لجالسٌ فيها أنحت القداح، وعندي أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجليه يسير حتى جلس على طنب الحجرة، فكان ظهره إلى ظهري. فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم؛ فقال أبو لهب: هلم إلي يا بن أخي، فعندك لعمري الخبر. فجلس إليه والناس قيامٌ عليه. فقال يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: لا شيء والله، إن كان إلا أن لقيناهم فأبحناهم أكتافنا يقتلون ويأسرون كيف شاؤوا. وايم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجلاً بيضاً على خيلٍ بلق بين السماء والأرض ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة! فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربةً شديدة. قال: فساورته فاحتملني فضرب بي الأرض، ثم برك علي يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً؛ فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربةً، فشجت في رأسه شجة منكرة وقالت: أتستضعفه أن غاب عنه سيده! فقام مولياً ذليلاً. فو الله ما عاش فيها إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله جل جلاله بالعدسة فقتلته؛ فلقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثاً لا يدفنانه حتى أنتن في بيته - وكانت قريش تتقي العدسة كما يتقى الطاعون - حتى قال لهما رجلٌ من قريش ويحكما! لا تستحييان أن أباكما قد أنتن في بيته فلا تغيبانه! فقالا: نخشى هذه القرحة. قال: فانطلقا فأنا معكما. فما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يمسونه؛ فاحتملوه فدفنوه بأعلى مكة على جدار، وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه.

العباس وتألم النبي لأسره

قال محمد بن إسحاق وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن الحكم بن عتيبة عن ابن عباس قال: لما أمسى القوم من يوم بدرٍ، والأسارى محبوسون في الوثاق، بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ساهراً

أول ليلته. فقال له أصحابه: يا رسول الله، ما لك لا تنام؟ فقال: " سمعت تضور العباس في وثاقه "؛ فقاموا إلى العباس فأطلقوه؛ فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق وحدثني الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن ابن عباس قال: كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بني سلمة، وكان رجلاً مجموعاً، وكان العباس رجلاً جسيماً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي اليسر: " كيف أسرت العباس يا أبا اليسر "؟ فقال: يا رسول الله، أعانني عليه رجلٌ ما رأيته قبل ذلك ولا بعده، هيئته كذا وكذا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لقد أعانك عليه ملكٌ كريم ".

قال ابن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب حين انتهي به إلى المدينة: " يا عباس افد نفسك، وابن أخيك عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، وحليفك عتبة بن عمرو بن جحدم أخا بني الحارث بن فهر؛ فإنك ذو مال ". فقال: يا رسول الله، إني كنت مسلماً ولكن القوم استكرهوني. فقال: " الله أعلم بإسلامك، إن يكن ما تذكر حقاً فالله يجزيك به، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا؛ فافد نفسك ". وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ منه عشرين أوقية من ذهب. فقال العباس: يا رسول الله، احسبها لي في فدائي. قال: " لا، ذلك شيء أعطاناه الله منك ". قال: فإنه ليس لي مال. قال قال: " فأين المال الذي وضعته بمكة حين خرجت من عند أم الفضل بنت الحارث ليس معكما أحدٌ، ثم قلت لها أن أصبت في سفرتي هذه فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولقثم كذا ولعبيد الله كذا "؟ قال: والذي بعثك بالحق ما علم هذا أحدٌ غيري وغيرها، وإني لأعلم أنك رسول الله. ففدى العباس نفسه وابن أخيه وحليفه.

فدت زينب زوجها أبا العاصي فرد عليها النبي الفداء: قال إبن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاصي بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادةٍ لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاصي حين بنى عليها. فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقةً شديدة وقال: " إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا "! فقالوا: نعم يا رسول الله؛ فأطلقوه وردوا عليها الذي لها.

رثاء الأسود بن المطلب لأولاده

قال ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عباد عن أبيه قال: ناحت قريش على قتلاها، ثم قالت: لا تفعلوا فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم، ولا تبعثوا في فداء أسراكم حتى تستأنوا بهم، لا يتأرب عليكم محمد وأصحابه في الفداء. قال: وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثةٌ من ولده: زمعة وعقيل والحارث بنو الأسود، وكان يحب أن يبكي على بنيه. فبينا هو كذلك إذ سمع نائحةً في الليل، فقال لغلامه وقد ذهب بصره: انظر هل أحل

النحيب؟ وهل بكت قريش على قتلاها؟ لعلي أبكي على أبي حكيمة " يعني زمعة "؛ فإن جوفي قد احترق. فلما رجع إليه الغلام قال: إنما هي امرأةٌ تبكي على بعيرٍ لها أضلته؛ فذلك حين يقول الأسود:

أتبكي أن أضل لها بعيرٌ ... ويمنعها البكاء من الهجود

ولا تبكي على بكرٍ ولكن ... على بدرٍ تقاصرت الجدود

على بدرٍ سراة بني هصيصٍ ... ومخزومٍ ورهط أبي الوليد

وبكي إن بكيت على عقيلٍ ... وبكي حارثاً أسد الأسود

وبكيهم ولا تسمي جميعاً ... فما لأبي حكيمة من ندید

ألا قد ساد بعدهم رجالٌ ... ولولا يوم بدرٍ لم يسودوا

رثاء هند بنت عتبة أباها ومما قيل في بدرٍ من الشعر وغني به قول هند بنت عتبة ترثي أباها:

صوت

من حس لي الأخوين كال ... غصنين أو من راهما

قرمان لا يتظالما ... ن ولا يرام حماهما

ويلي على أبوي وال ... قبر الذي واراهما

لا مثل كهلي في الكهو ... ل ولا فتىً كفتاهما

ذكر الهشامي أن الغناء لابن سريج رملٌ، وفي الكتاب الكبير المنسوب إلى إسحاق أنه للغريض - وتمام هذه الأبيات:

أسدان لا يتذللا ... ن ولا يرام حماهما

رمحين خطيين في ... كبد السماء تراهما

ما خلفا إذ ودعا ... في سدودٍ شرواهما

سادا بغير تكلفٍ ... عفواً يفيض نداهما

معاظمتها الخنساء بعكاظ وشعرهما في مصابهما أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي، وأخبرني ابن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال: لما كانت وقعة بدر، قتل فيها عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة؛ فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم، وبلغها تسويم الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخرٍ ومعاوية، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم، وقد سومت هودجها براية، وأنها

تقول: أنا أعظم العرب مصيبةً، وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك. فلما أصيبت هند بما أصيبت به وبلغها ذلك، قالت: أنا أعظم من الخنساء مصيبةً، وأمرت بهودجها فسوم براية، وشهدت الموسم بعكاظ، وكانت سوقاً يجتمع فيها العرب، فقالت: اقرنوا جملي بجمل الخنساء، ففعلوا. فلما أن دنت منها، قالت لها الخنساء: من أنت يا أخيّة؟ قالت: أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبةً، وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيبتك، فبم تعاظمينهم؟ فقالت الخنساء: بعمرو بن الشريد، وصخرٍ ومعاوية ابني عمرو، وبم تعاظمينهم أنت؟ قالت: بأبي عتبة بن ربيعة، وعمي شيبة بن ربيعة، وأخي الوليد. قالت الخنساء: أو سواءٌ هم عندك؟ ثم أنشدت تقول:

أبكي أبي عمراً بعينٍ غزيرةٍ ... فليلٌ إذا نام الخلي هجودها

وصنوي لا أنسى معاوية الذي ... له من سراة الحرتين وفودها

وصخراً، ومن ذا مثل صخرٍ إذا غدا ... بساهمة الآطال قباً يقودها

فذلك يا هند الرزية فاعلمي ... ونيران حربٍ حين شب وقودها

فقالت هندٌ تجيبها:

أبكي عميد الأبطحين كليهما ... وحاميهما من كل باغٍ يريدها

أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي ... وشيبة والحامي الذمار وليدها

أولئك آل المجد من آل غالبٍ ... وفي العز منها حين ينمي عديدها

وقالت لها أيضاً يومئذ:

من حس لي الأخوين كال ... غصنين أو من راهما

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني بعض القرشيين قال: قدم عبد الله بن جعفر على معاوية وافداً، فدخل عليه إنسانٌ ثم ذهب إلى معاوية فقال: هذا ابن جعفر يشرب النبيذ، ويسمع الغناء، ويحرك رأسه عليه. فجاء معاوية متغيراً حتى دخل على ابن جعفر، وعزة الميلاء بين يديه كالشمس الطالعة في كواء البيت يضيء بها البيت، تغنيه على عودها:

تبلت فؤادك في الظلام خريدةٌ ... تشفي الضجيع ببارد بسّام

وبين يديه عسٌ؛ فقال: ما هذا يا أبا جعفر؟ قال: أقسمت عليك يا أمير المؤمنين لتشربن منه، فإذا عسلٌ ممدوحٌ بمسك وكافور. فقال: هذا طيبٌ، فما هذا الغناء؟ قال: هذا شعر حسان بن ثابت في الحارث بن هشام. قال: فهل تغني بغير هذا؟ قال: نعم، بالشعر الذي يأتيك به الأعرابي الجافي الأدفر، القبيح المنظر، فيشافهك به، فتعطيه عليه؛ وآخذه أنا، فأختار محاسنه ورقيق كلامه، فأعطيه هذه الحسنة الوجه، اللينة اللمس، الطيبة الريح، فترتله

بهذا الصوت الحسن. قال: فما تحريكك رأسك؟ قال: أريحيةٌ أجدها إذا سمعت الغناء، لو سئلت عندها لأعطيت، ولو لقيت لأبليت. فقال معاوية: قبح الله قوماً عرضوني لك. ثم خرج وبعث إليه بصلةٍ.

صوت من المائة المختارة

عمر بن أبي ربيعة ونعم:

أيها القلب لا أراك تفيق — طالما قد تعلقتك العلوق

من يكن من هوى حبيبٍ قريباً — فأنا النازح البعيد السحيق

قضي الحب بيننا فالتقينا — وكلانا إلى اللقاء مشوق

الشعر في البيت الأول والثالث لعمر بن أبي ربيعة، والبيت الثاني ليس له، ولكن هكذا غني؛ وليس هو أيضاً مشاكلاً لحكاية ما في البيت الثالث. والغناء لبابويه الكوفي، خفيف ثقيلٍ أول. وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأة من قريش، يقال لها نعم، كان كثير الذكر لها في شعره. أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي عبد الله التميمي عن القحذمي والمدائني. قال: وهي التي يقول فيها:

أمن آل نعمٍ أنت غادٍ فمبكر

قال: وكانت تكنى أم بكر، وهي من بني جمح. وتمام هذه الأبيات على ما حكاه ابن المرزبان عمن ذكرت:

فالتقينا ولم نخف ما لقينا — ليلة الخيف، والمنى قد تشوق

وجرى بيننا فجدد وصلا — قلبٌ حولٌ أريبٌ رفيق

لا تظني أن التراسل والبد — ل لكل النساء عندي يليق

هل لك اليوم إن نأت أم بكرٍ — وتولت إلى عزاءٍ طريق

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثت عن محمد بن حميد عن عبد الله بن سوار القاضي عن بشر بن المفضل قال: بلغ عمر بن أبي ربيعة أن نعماً اغتسلت في غديرٍ، فأتاه فأقام عليه، وما زال يشرب منه حتى جف. أخبرني محمد بن خلف قال: قال محمد بن حبيب الراوية: بلغني أن نعماً استقبلت عمر بن أبي ربيعة في المسجد الحرام، وفي يدها خلوقٌ من خلوق المسجد، فمسحت به ثوبه، ومضت وهي تضحك؛ فقال عمر:

أدخل الله رب موسى وعيسى — جنة الخلد من ملاني خلوقا

مسحته من كفها في قميصي — حين طافت بالبيت مسحاً رفيقا

غضبت أن نظرت نحو نساءٍ — ليس يعرفنني سلكن طريقا

وأرى بينها وبين نساء — كنت أهذي بهن بوناً سحيقا

وهذا البيت الأول مما عيب على عمر.

ومما غني فيه من تشبيب عمر بنعمٍ هذه:

صوت

دين هذا القلب من نعمٍ بسقامٍ ليس كالسقم

إن نعماً أقصدت رجلاً آمناً بالخيف إذ ترمى

بشتيتٍ نبته رتلٍ طيب الأنياب والطعم

وبوحفٍ مائلٍ رجلٍ كعناقيد من الكرم

ومنها:

صوت

خليلي أربعاً وسلا بمغنى الحي قد مثلا

بأعلى الواد عند البئ ر هيج عبرةٌ سبلا

وقد تغنى به نعمٌ وكنت بوصلها جذلا

ليالي لا نحب لنا بعيشٍ قد مضى بدلا

وتهوانا ونهواها ونعصي قول من عذلا

وترسل في ملاطفةٍ ونعمل نحوها الرسلا

غناه الهذلي، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن سريج لحنان: رملٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق، وخفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيها عن إسحاق ثاني ثقيلٍ، ولسليمٍ خفيف رملٍ، جميعاً عن الهشامي. قال: ويقال: إن اللحن المنسوب إلى سليمٍ لحكم الوادي.

ومنها من قصيدة أولها:

لقد أرسلت نعمٌ إلينا أن ائتنا فأحببت بها من مرسلٍ متغضب

يغنى منها في قوله:

صوت

فقلت لجنادٍ خذ السيف واشتمل عليه برفقٍ وارقب الشمس تغرب
وأسرج لي الدهماء واعجل بممطري ولا تعلمن حيا من الناس مذهبي
فلما التقينا سلمت وتبسمت وقالت مقال المعرض المتجنب
أمن أجل واشٍ كاشحٍ بنميمةٍ مشى بيننا صدقته لم تكذب
وقطعت حبل الوصل منا، ومن يطع بذي وده قول المؤرش يعتب

صوت

ما بال أهلك يا رباب خزراً كانهم غضاب
إن زرت أهلك أوعدوا وتهر دونهم الكلاب

عروضه من الكامل. الشعر لعلسٍ ذي جدنٍ الحميري، أخبرنا بذلك محمد بن الحسن بن دريد عن عمه عن العباس بن هشام عن أبيه. والغناء لطويس؛ ولحنه المختار خفيف رملٍ بالبنصر.

نسب علس ذي جدن وأخباره

نسبه وسبب لقبه

هو علس بن زيد بن الحارث بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أعز بن الهم بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وهو ملكٌ من ملوك حمير. ولقب ذا جدنٍ لحسن صوته - والجدن: الصوت بلغتهم - ويقال: إنه أول من تغنى باليمن.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي وأبي مسكين قالا: إنما سمي ذا جدنٍ لحسن صوته.

قبره بصنعاء وآثاره

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن إسماعيل بن إبراهيم بن ذي الشعار الهمداني عن حيان بن هانئ الأرحبي عن أبيه قال: أخبرني رجلٌ من أهل صنعاء: أنهم حفروا حفيراً في زمن مروان، فوقفوا على أزجٍ له بابٌ، فإذا هم برجل على سرير كأعظم ما يكون من الرجال، عليه خاتمٌ من ذهب وعصابةٌ من ذهب، وعند رأسه لوحٌ من ذهب مكتوبٌ فيه: " أنا علس ذو جدنٍ القيل، لخليلي مني النيل، ولعدوي مني الويل. طلبت فأدركت وأنا ابن مائة سنةٍ من عمري، وكانت الوحش تأذن لصوتي. وهذا سيفي ذو الكف عندي، ودرعي ذات الفروج ورمحي الهزبري، وقوسي الفجواء،

وقربي ذات الشر، فيها ثلاثمائة حشر، من صنعة ذي نمرٍ؛ أعددت ذلك لدفع الموت عني فخانني ". قال: فنظرنا فإذا جميع ذلك عنده. ووجدت هذا الخبر عن ابن الكلبي في بعض الكتب من غير رواية ابن عمار، فوجدت فيه: فإذا طول السيف اثنا عشر شبراً، وعليه مكتوبٌ تحت شاربه بالمسند: " باست امرئ كنت في يده فلم ينتصر ". انقضت أخباره.

أخبار طويس ونسبه

أول من صنع الهزج والرمل

طويس لقبٌ، واسمه طاوس، مولى بني مخزوم. وهو أول من غنى الغناء المتقن من المخنثين. وهو أول من صنع الهزج والرمل في الإسلام. وكان يقال: أحسن الناس غناءً في الثقيل ابن محرز، وفي الرمل ابن سريج، وفي الهزج طويس، وكان الناس يضربون به المثل، فيقال: " أهزج من طويس ".

غنى أبان بن عثمان بالمدينة

فطرب وسأله عن عقيدته وعن سنه وعن شؤمه:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالا: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين، قال إسحاق: وحدثني المدائني والهيثم بن عدي عن صالح بن كيسان: أن أبان بن عثمان وفد على عبد الملك بن مروان، فأمره على الحجاز؛ فأقبل حتى إذا دنا من المدينة تلقاه أهلها، وخرج إليه أشرافها، فخرج معهم طويس؛ فلما رآه سلم عليه، ثم قال له: أيها الأمير، إني كنت أعطيت الله عهداً لئن رأيتك أميراً لأخضبن يدي إلى المرفقين، ثم أزدو بالدف بين يديك، ثم أبدى عن دفه وتغنى بشعر ذي جدنٍ الحميري:

ما بال أهلك يا رباب خزراً كأنهم غضاب

قال: فطرب أبان حتى كاد أن يطير، ثم جعل يقول له: حسبك يا طاوس - ولا يقول له: يا طويس لنبله في عينه - ثم قال له: اجلس فجلس. فقال له أبان: قد زعموا أنك كافر. فقال: جعلت فداءك! والله إني لأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأصلي الخمس، وأصوم شهر رمضان، وأحج البيت. فقال: أفأنت أكبر أم عمرو بن عثمان؟ - وكان عمروٌ أخا أبان لأبيه وأمه - فقال له طويس: أنا والله، جعلت فداءك، مع جلائل نساء قومي، أمسك بذيولهن يوم زفت أمك المباركة إلى أبيك الطيب. قال: فاستحيا أبان ورمى بطرفه إلى الأرض. وأخبرني بهذه القصة إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا العتبي عن أبيه بمثل هذه القصة عن أبان وطويس. وزاد فيها أن طويساً قال له: نذري أيها الأمير! قال: وما نذرك؟ قال: نذرت إن رأيتك أميراً

في هذه الدار أن أغني لك وأزدو بدفي بين يديك. فقال له: أوف بنذرك؛ فإن الله عز وجل يقول: " يوفون بالنذر ". قال: فأخرج يديه مخضوبتين، وأخرج دفه وتغنى:

ما بال أهلك يا رباب

وزاد فيه: فقال له أبان: يقولون: إنك مشؤوم، قال: وفوق ذلك! قال وما بلغ من شؤمك؟ قال: ولدت ليلة قبض النبي صلى الله عليه وسلم، وفطمت ليلة مات أبو بكر رضي الله عنه، واحتملت ليلة قتل عمر رضوان الله عليه، وزفت إلي أهلي ليلة قتل عثمان رضي الله عنه. قال: فاخرج عني عليك الدبار.

أهدر دمه أمير المدينة مع المخنثين

أخبرني إسماعيل قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن الوليد قال حدثني مصعب بن عثمان عن نوفل بن عمارة قال: خرج يحيى بن الحكم وهو أمير على المدينة، فبصر بشخصٍ بالسبخة مما يلي مسجد الأحزاب، فلما نظر إلى يحيى بن الحكم جلس، فاستراب به، فوجه أعوانه في طلبه؛ فأتي به كأنه امرأةٌ في ثياب مصبغة مصقولة وهو ممتشطٌ مختضبٌ. فقال له أعوانه: هذا ابن نغاش المخنث. فقال له: ما أحسبك تقرأ من كتاب الله عز وجل شيئاً، اقرأ أم القرآن. فقال: يا أبانا لو عرفت أمهن لعرفت البنات. فقال له: أتتهزأ بالقرآن لا أمّ لك! وأمر به فضربت عنقه. وصاح في المخنثين: من جاء بواحدٍ منهم فله ثلاثمائة درهم. قال زرجون المخنث: فخرجت بعد ذلك أريد العالية، فإذا بصوت دفٍّ أعجبني، فدنوت من الباب حتى فهمت نغمات قومٍ آنس بهم، ففتحته ودخلت، فإذا بطويسٍ قائمٌ في يده الدف يتغنى، فلما رآني قال لي: إيه يا زرجون! قتل يحيى بن الحكم ابن نغاش؟ قلت نعم. قال: وجعل في المخنثين ثلاثمائة درهم؟ قلت نعم. فاندفع يغني:

ما بال أهلك يا ربابٌ خزراً كانهم غضاب

إن زرت أهلك أوعدوا وتهر دونهم كلاب

ثم قال لي: ويحك! أما جعل فيّ زيادةً ولا فضلني عليهم في الجعل بفضلي شيئاً.

مالك بن أنس وحسين بن دحمان الأشقر

أخبرني محمد بن عمرو العتابي قال حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان - و لم أسمعه أنا من محمد بن خلف - قال حدثني إسحاق بن محمد بن أبان الكوفي قال حدثني حسين بن دحمان الأشقر قال: كنت بالمدينة، فخلا لي الطريق وسط النهار، فجعلت أتغنى:

ما بال أهلك يا رباب خزراً كأنهم غضاب

قال: فإذا خوخةٌ قد فتحت، وإذا وجهٌ قد بدا تتبعه لحيةٌ حمراء، فقال: يا فاسق أسأت التأدية، ومنعت القائلة،

وأذعت الفاحشة؛ ثم اندفع يغنيه، فظننت أن طويساً قد نشر بعينه، فقلت له: أصلحك الله! من أين لك هذا الغناء؟ فقال: نشأت وأنا غلامٌ حدثٌ أتبع المغنين وآخذ عنهم، فقالت لي أمي: يا بني إن المغني إذا كان قبيح الوجه لم يلتفت إلى غنائه، فدع الغناء واطلب الفقه؛ فإنه لا يضر معه قبح الوجه. فتركت المغنين واتبعت الفقهاء، فبلغ الله بي عز وجل ما ترى. فقلت له: فأعد جعلت فداءك! قال: لا ولا كرامة! أتريد أن تقول: أخذته عن مالك بن أنسٍ! وإذا هو مالك بن أنس و لم أعلم.

صوت من المائة المختارة

لمن ربعٌ بذات الجي ش أمسى دارساً خلقا

وقفت به أسائله ومرت عيسهم حزقا

علوا بك ظاهر البيدا ء والمحزون قد قلقا

- ذات الجيش: موضع. ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن جيشاً يغزو الكعبة، فيخسف بهم إلا رجلاً واحداً يقلب وجهه إلى قفاه، فيرجع إلى قومه كذلك، فيخبرهم الخبر. حدثني بهذا الحديث أحمد بن محمد الجعدي قال حدثنا محمد بن بكار قال حدثنا إسماعيل بن زكريا عن محمد بن سوقة قال سمعت نافع بن جبير بن مطعم يقول حدثتني عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يغزو جيشٌ الكعبة حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم ". قالت عائشة: فقلت يا رسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم سواهم ومن ليس منهم؟ قال: " يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على قدر نياتهم " - الشعر للأحوص، والغناء في هذا اللحن المختار للدلال المخنث وهو أحد من خصاه ابن حزم بأمر الوليد بن عبد الملك مع المخنثين. والخبر في ذلك يذكر بعد. ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر في الأول والثالث. ولإسحاق فيه ثقيلٌ أول آخر. وفيه لمالك لحنٌ من خفيف الرمل عن يونس والهشامي وغيرهما. وفيه رملٌ ينسب إلى ابن سريج، وهو مما يشك في نسبته إليه. وقيل: إن خفيف الرمل لابن سريج، والرمل لمالك. وذكر حبشٌ أن فيه للدلال خفيف ثقيلٍ بالبنصر أيضاً.

ذكر الأحوص وأخباره ونسبه

اسم الأحوص ولقبه ونسبه

هو الأحوص. وقيل: إن اسمه عبد الله، وإنه لقب بالأحوص لحوصٍ كان في عينيه. وهو ابن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح - واسم أبي الأقلح قيس - بن عصيمة بن النعمان بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. وكان يقال لبني ضبيعة بن زيدٍ في الجاهلية: بنو كسر الذهب. وقال الأحوص حين نفي إلى اليمن:

بدل الدهر من ضبيعة عكا جيرةً وهو يعقب الأبدالا

سبب تسمية جده عاصم حمي الدبر وكان جده عاصمٌ يقال له حمي الدبر؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه بعثاً، فقتله المشركون؛ وأرادوا أن يصلبوه فحمته الدبر، وهي النحل، فلم يقدروا عليه، حتى بعث الله عز وجل الوادي في الليل فاحتمله فذهب به. وفي ذلك يقول الأحوص مفتخراً:

وأنا ابن الذي حمت لحمه الدب ر قتيل اللحيان يوم الرجيع

قصة وفد عضل والقارة وقتل البعث

الذي أرسل معهم:

حدثنا بالخبر في ذلك محمد بن جرير الطبري قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل قال حدثنا محمد بن إسحاق بن عن عاصم بن عمر بن قتادة قال:

قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحدٍ رهطٌ من عضل والقارة، فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلاماً وخيراً، فابعث معنا نفراً من أصحابك، يفقهونا في الدين، ويقرئونا القرآن، ويعلمونا شرائع الإسلام؛ فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نفراً ستةً من أصحابه: مرثد بن أبي مرثدٍ الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب، وخالد بن البكير حليف بني عدي بن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخا بني عمرو بن عوف، وخبيب بن عدي أخا بني جحجبى بن كلفة بن عمرو بن عوف، وزيد بن الدثنة أخا بني بياضة بن عامر، وعبد الله بن طارق حليفاً لبني ظفر من بلي، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم " عليهم " مرثد بن أبي مرثدٍ، فخرجوا مع القوم، حتى إذا كانوا على الرجيع " ماء لهذيل بناحيةٍ من الحجاز من صدر الهدأة " غدروا بهم، واستصرخصوا عليهم هذيلاً، فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلا بالرجال في أيديهم السيوف قد غشوهم؛ فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم؛ فقالوا " إنا " والله ما نريد قتلكم، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم. فأما مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقالوا: إنا والله ما نقبل من مشركٍ عهداً ولا عقداً أبداً! فقاتلوهم حتى قتلوهم جميعاً. وأما زيد بن الدثنة، وخبيب بن عدي، وعبد الله بن طارقٍ فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة وأعطوا بأيديهم؛ فأسروهم، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها؛ حتى إذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القرآن، ثم أخذ سيفه واستأخر عن القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه، فقبره بالظهران. وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة، فقدموا بهما مكة فباعوهما. فابتاع خبيباً حجير بن أبي إهابٍ التميمي حليف بني نوفل لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل - وكان حجيرٌ أخا الحارث بن عامر بن نوفل لأمه - ليقتله بأبيه. وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأمية بن خلف أبيه. وقد كان هذيل حين قتل عاصم بن ثابت قد أرادوا رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد، وكانت قد نذرت حين قتل عاصمٌ ابنها يوم أحدٍ لئن قدرت على رأس عاصمٍ لتشربن في قحفه الخمر، فمنعته

الدبر. فلما حالت بينهم وبينه قالوا: دعوه حتى يمسي، فتذهب عنه فنأخذه. فبعث الله عز وجل الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به. وكان عاصمٌ قد أعطى الله عز وجل عهداً لا يمسه مشركٌ أبداً ولا يمس مشركاً أبداً تنجساً منه. فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أن الدبر منعته: " عجباً لحفظ الله عز وجل العبد المؤمن! كان عاصم نذر ألا يمسه مشركٌ ولا يمس مشركاً أبداً في حياته، فمنعه الله بعد مماته كما امتنع منه في حياته! ".

رواية أخرى عن البعث ومصيره قال محمد بن جرير: وأما غير ابن إسحاق، فإنه قص من خبر هذه السرية غير الذي قصه غيره: من ذلك ما حدثنا أبو كريبٌ قال حدثنا جعفر بن عون العمري قال حدثنا إبراهيم بن إسماعيل عن عمر أو عمرو بن أسيدٍ عن أبي هريرة:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عشرة رهطٍ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، فخرجوا، حتى إذا كانوا بالهدأة ذكروا لحيٍ من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فبعثوا إليهم مائة رجلٍ رامياً، فوجدوا مأكلهم حيث أكلوا التمر، فقالوا: نوى يثرب! ثم اتبعوا آثارهم؛ حتى إذا أحس بهم عاصمٌ وأصحابه التجؤوا إلى جبل، فأحاط بهم الآخرون فاستنزلوهم، وأعطوهم العهد. فقال عاصم: والله لا أنزل على عهد كافرٍ، اللهم أخبر نبيك عنا. ونزل إليهم ابن الدثنة البياضي، وخبيبٌ، ورجلٌ آخر؛ فأطلق القوم أوتار قسيهم، ثم أوثقوهم، فجرحوا رجلاً من الثلاثة، فقال: هذا والله أول الغدر، والله لا أتبعكم، فضربوه وقتلوه؛ وانطلقوا بخبيبٍ وابن الدثنة إلى مكة، فدفعوا خبيباً إلى بني الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد منافٍ، وكان خبيبٌ هو الذي قتل الحارث بأحدٍ. فبينما خبيبٌ عند بنات الحارث، استعار من إحدى بنات الحارث موسى ليستحد بها للقتل، فما راع المرأة ولها صبيٌ يدرج إلى خبيبٌ قد أجلس الصبي على فخذه والموسى بيده، فصاحت المرأة؛ فقال خبيبٌ: أتحسبين أني أقتله! إن الغدر ليس من شأننا. قال: فقالت المرأة بعد: ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيبٍ، لقد رأيته وما بمكة من ثمرةٍ وإن في يده لقطفاً من عنب يأكله، إن كان إلا رزقاً رزقه الله خبيباً. وبعث حيٌ من قيسٍ إلى عاصمٍ ليؤتوا من لحمه بشيء، وقد كان لعاصمٍ فيهم آثارٌ بأحدٍ، فبعث الله عليه دبراً فحمت لحمه فلم يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئاً. فلما خرجوا بخبيبٍ من الحرم ليقتلوه، قال: ذروني أصلي ركعتين، فتركوه فصلى ركعتين - فجرت سنة لمن قتل صبراً أن يصلي ركعتين - ثم قال: لولا أن يقال جزع لزدت، وما أبالي:

على أي شقٍ كان لله مصرعي

ثم قال:

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلوٍ ممزع

اللهم أحصهم عدداً، وخذهم بدداً. ثم خرج به أبو سروعة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد منافٍ فضربه فقتله.

حدثنا محمد قال حدثنا كريب قال حدثنا جعفر بن عون عن إبراهيم بن إسماعيل، قال وأخبرني جعفر بن عمرو

بن أمية عن أبيه عن جده: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه وحده عيناً إلى قريش. قال: فجئت إلى خشبة خبيبٍ وأنا أتخوف العيون، فرقيت فيها، فحللت خبيباً فوقع إلى الأرض، فانتبذت غير بعيدٍ، ثم التفت فلم أر لخبيبٍ أثراً، فكأنما الأرض ابتلعته، فلم تظهر لخبيبٍ رمةٌ حتى الساعة.

قال محمد بن جرير: وأما زيد بن الدثنة، فإن صفوان بن أمية بعث " به " -فيما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق - " مع " مولىً له يقال له نسطاس إلى التنعيم، فأخرجه من الحرم ليقتله؛ واجتمع " إليه " رهطٌ من قرش فيهم أبو سفيان بن حرب؛ فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن مكانك فنضرب عنقه وأنك في أهلك؟ فقال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكةٌ تؤذيه وأنا جالس في أهلي! قال يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمداً! ثم قتله نسطاس.

أخبرني أحمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهابٍ قال: نزل عبد الله وأبو أحمد ابنا جحشٍ، حين قدما مهاجرين، على عاصم بن ثابت، وكنيته أبو سليمان.

شعر لعاصم بن ثابت وكنيته وقال عاصم:

أبو سليمان وريش المقعد ومجنأٌ من جلد ثورٍ أجرد

وذكر لنا الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير أن عاصماً، فيما قيل، كان يكنى أبا سفيان. قال: وقال في يوم الرجيع:

أنا أبو سفيان مثلي راما أضرب كبش العارض القداما

كنية الأحوص واسم أمه

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا إسماعيل بن عبد الله عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه قال: كنية الأحوص أبو محمد. وأمه أثيلة بنت عمير بن مخشيٍّ؛ وكان أحمر أحوص العينين.

رأي الفرزدق في شعره

قال الزبير فحدثني محمد بن يحيى قال:

قدم الفرزدق المدينة، ثم خرج منها، فسئل عن شعرائها، فقال: رأيت بها شاعرين وعجبت لهما: أحدهما أخضر يسكن خارجاً من بطحان يريد ابن هرمة؛ والآخر أحمر كأنه وحرةٌ على برودةٍ في شعره يريد الأحوص.

والوحرة: يغسوبٌ أحمر يترل الأنبار.

هجاؤه لابنه

وقال الأحوص يهجو نفسه ويذكر حوصه:

أقبح به من ولدٍ وأشقح ... مثل جري الكلب لم يفقح

إن ير سوءاً لم يقم فينبح ... بالباب عند حاجة المستفتح

قال الزبير: و لم يبق للأحوص من ولده غير رجلين.

طبقته في الشعر

قال الزبير: وجعل محمد بن سلام الأحوص، وابن قيس الرقيات، ونصيباً، وجميل بن معمرٍ طبقةً سادسةً من شعراء الإسلام، وجعله بعد ابن قيس، وبعد نصيب. قال أبو الفرج: والأحوص، لولا ما وضع به نفسه من دنيء الأخلاق والأفعال، أشد تقدماً منهم عند جماعة أهل الحجاز وأكثر الرواة؛ وهو أسمح طبعاً، وأسهل كلاماً، وأصح معنى منهم؛ ولشعره رونقٌ وديباجةٌ صافية وحلاوةٌ وعذوبة ألفاظٍ ليست لواحدٍ منهم. وكان قليل المروءة والدين، هجاءً للناس، مأبوناً فيما يروى عنه.

جلد سليمان بن عبد الملك إياه

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني أبو عبيدة أن جماعةً من أهل المدينة أخبروه: أن السبب في جلد سليمان بن عبد الملك، أو الوليد بن عبد الملك إياه ونفيه له، أن شهوداً شهدوا عليه عنده أنه قال: إذا أخذت جريري لم أبال أي الثلاثة لقيت ناكحاً أو منكوحاً أو زانياً. قالوا: وانضاف إلى ذلك أن سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما فخرت يوماً برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ففاخرها بقصيدته التي يقول فيها:

ليس جهلٌ أتيته ببديع

فزاده ذلك حنقاً عليه وغيظاً حتى نفاه.

فخرت سكينة بالنبي ففاخرها بجده وخاله

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة: أن الأحوص كان يوماً عند سكينة، فأذن المؤذن، فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، فخرت سكينة بما سمعت؛ فقال الأحوص:

فخرت وانتمت فقلت ذريني ... ليس جهلٌ أتيته ببديع

فأنا ابن الذي حمت لحمه الدب ... ر قتيل اللحيان يوم الرجيع

غسلت خالي الملائكة الأب ... رار ميتاً طوبى له من صريع

قال أبو زيد: وقد لعمري فخر بفخرٍ لو على غير سكينة فخر به! وبأبي سكينة صلى الله عليه وسلم حمت أباه الدبر وغسلت خاله الملائكة.

هجاؤه لابن حزم عامل المدينة

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن يحيى عن أيوب بن عمر عن أبيه قال: لما جاء ابن حزمٍ عمله من قبل سليمان بن عبد الملك على المدينة والحج، جاءه ابن أبي جهم بن حذيفة وحميد بن عبد الرحمن بن عوف وسراقة، فدخلوا عليه فقالوا له: إيه يابن حزم! ما الذي جاء بك؟ قال: استعملني والله أمير المؤمنين على المدينة على رغم أنف من رغم أنفه. فقال له ابن أبي جهم: يا ابن حزم، فإني أول من يرغم من ذلك أنفه. قال فقال ابن حزم: صادقٌ، والله يحب الصادقين. فقال الأحوص:

سليمان إذ ولاك ربك حكمنا ... وسلطاننا فاحكم إذا قلت واعدل

يؤم حجيج المسلمين ابن فرتني ... فهب ذاك حجاً ليس بالمتقبل

فقال ابن أبي عتيق للأحوص: الحمد لله يا أحوص، إذ لم أحج ذلك العام بنعمة ربي وشكره. قال: الحمد لله الذي صرف ذلك عنك يا ابن أبي بكرٍ الصديق، فلم يضلل دينك، ولم تعن نفسك، وتر ما يغيظك ويغيظ المسلمين معك.

وفد على الوليد وتعرض للخبازين

فأمر عامل المدينة بجلده:

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه موسى بن عبد العزيز قال: وفد الأحوص على الوليد بن عبد الملك وامتدحه، فأنزله منزلاً، وأمر بمطبخه أن يمال عليه؛ ونزل على الوليد بن عبد الملك شعيب بن عبد الله بن عمرو بن العاصي، فكان الأحوص يراود وصفاء للوليد خبازين عن أنفسهم ويريدهم أن يفعلوا به. وكان شعيبٌ قد غضب على مولىً له ونحاه. فلما خاف الأحوص أن يفتضح بمراودته الغلمان، اندس لمولى شعيب ذلك فقال: ادخل على أمير المؤمنين فاذكر له أن شعيباً أرادك عن نفسك، ففعل المولى. فالتفت الوليد إلى شعيب فقال: ما يقول هذا؟ فقال: لكلامه غورٌ يا أمير المؤمنين، فاشدد به يدك يصدقك. فشدد عليه، فقال: أمرني بذلك الأحوص. فقال قيم الخبازين: أصلحك الله! إن الأحوص يراود الخبازين عن أنفسهم. فأرسل به الوليد إلى ابن حزم بالمدينة، وأمره أن يجلده مائةً، ويصب على رأسه زيتاً، ويقيمه على البلس، ففعل ذلك به. فقال وهو على البلس أبياته التي يقول فيها:

ما من مصيبة نكبةٍ أمنى بها ... إلا تشرفني وترفع شأني

شعره الذي أنشده حين شهر به أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أيوب بن عمر قال أخبرني عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال: رأيت الأحوص حين وقفه ابن حزمٍ على البلس في سوق المدينة وإنه ليصيح ويقول:

ما من مصيبة نكبةٍ أمنى بها إلا تعظمني وترفع شاني
وتزول حين تزول عن متخمطٍ تخشى بوادره على الأقران
إني إذا خفي اللئام رأيتني كالشمس لا تخفى بكل مكان

شعره في هجو ابن حزم قال: وهجا الأحوص ابن حزمٍ بشعرٍ كثيرٍ، منه:

أقول وأبصرت ابن حزم بن فرتني وقوفاً له بالمأزمين القبائل
ترى فرتنى كانت بما بلغ ابنها مصدقةً لو قال ذلك قائل

- أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن أبي عبيدة قال: كل أمةٍ يقال لها فرتنى. وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: فرتني: الأمة بنت الأمة - قال الزبير: فقال ابن حزمٍ حين سمع قول الأحوص فيه " ابن فرتنى " لرجلٍ من قومه له علمٌ: أنحن من ولد فرتنى؟ أو تعرفها؟ فقال: لا والله! قال: ولا أنا أعلم والله ذلك! ولقد عضهني به، ولو كانت ولدتني لم أجهل ذلك.

قال الزبير: وحدثني عمي مصعبٌ عن عبد الله بن محمد بن عمارة قال: فرتنى: أمٌ لهم في الجاهلية من بلقين، كانوا يسبون بها، لا أدري ما أمرها، قد طرحوها من كتاب النسب وهي أم خالد " بنت خالد " بن سنان بن وهب بن لوذان الساعدية أم بني حزم.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشون: أن الأحوص قال لابن حزمٍ:

لعمري لقد أجرى ابن حزم بن فرتنى إلى غايةٍ فيها السمام المثمل
وقد قلت مهلاً آل حزم بن فرتنى ففي ظلمنا صابٌ ممرٌ وحنظل

وهي طويلة. وقال أيضاً:

أهوى أمية إن شطت وإن قربت يوماً وأهدي لها نصحي وأشعاري
ولو وردت عليها الفيض ما حفلت ولا شفت عطشي من مائه الجاري
لا تأوين لحزميٍّ رأيت به ضراً ولو طرح الحزمي في النار
الناخسين بمروانٍ بذي خشب والنفحمين على عثمان في الدار

دفع عنه بنو زريق فمدحهم أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني جماعةٌ من مشايخ الأنصار: أن ابن حزم لما جلد الأحوص و وقفه على البلس يضربه، جاءه بنو زريق فدفعوا عنه، واحتملوه من أعلى البلس. فقال في ذلك - قال ابن الزبير: أنشدنيه عبد الملك بن الماجشون عن يوسف بن أبي سلمة الماجشون -:

إما تصبني المنايا وهي لاحقةٌ ... وكل جنبٍ له قد حم مضطجع

فقد جزيت بنو حزمٍ بظلمهم ... وقد جزيت زريقاً بالذي صنعوا

قومٌ أبى طبع الأخلاق أولهم ... فهم على ذاك من أخلاقهم طبعوا

وإن أناسٌ ونوا عن كل مكرمةٍ ... وضاق باعهم عن وسعهم وسعوا

إني رأيت غداة السوق محضرهم ... إذ نحن ننظر ما يتلى ونستمع

نفاه ابن حزم إلى دهلك وشعره في ذلك

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال حدثني غير واحدٍ من أهل العلم: أن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم جلد الأحوص في الخنث، وطاف به وغربه إلى دهلك في محملٍ عرياناً. فقال الأحوص وهو يطاف به:

ما من مصيبة نكبةٍ أبلى بها

الأبيات. وزاد فيها:

إني على ما قد ترون محسد ... أنمى على البغضاء والشنآن

أصبحت للأنصار فيما نابهم ... خلفاً وللشعراء من حسان

قال الزبير: ومما ضرب فيه أيضاً قوله:

شر الحزاميين ذو السن منهم ... وخير الحزاميين يعدله الكلب

فإن جئت شيخاً من حزامٍ وجدته ... من النوك والتقصير ليس له قلب

فلو سبني عونٌ إذاً لسببته ... بشعري أو بعض الأولى جدهم كعب

- عون، يعني عون بن محمد بن علي بن أبي طالبٍ عليه رضوان الله. وكعب، يعني كعب بن لؤي -:

أولئك أكفاءٌ لبيتي بيوتهم ... ولا تستوي الأعلاث والأقدح القضب

أخبار متفرقة

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن ثابتٍ الأنصاري عن محمد بن فضالة قال: كان الأحوص بن محمد الأنصاري قد أوسع قومه هجاء فملاهم شراً، فلم يبق لهم فيه صديقٌ، إلا فتىً من بني

جحجبى. فلما أراد الأحوص الخروج إلى يزيد بن عبد الملك، نهض الفتى في جهازه وقام بحوائجه وشيعه؛ فلما كان بسقاية سليمان وركب الأحوص محمله، أقبل على الفتى فقال: لا أحلف الله عليك بخير! فقال: مه! غفر الله لك! قال الأحوص: لا والله أو أعلقها حرباً! يعني قباء وبني عمرو بن عوف.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى قال قال غسان بن عبد الحميد: أقبل الأحوص حتى وقف على معن بن حميد الأنصاري، أحد بني عمرو بن عوف بن جحجبى، فقال:

رأيتك مزهواً كأن أباكم صهيبة أمسى خير عوف مركبا

تقر بكم كوثى إذا ما نسبتم وتتكركم عمر بن عوف بن جحجبى

عليك بأدنى الخطب إن أنت نلته وأقصر فلا يذهب بك التيه مذهبا

فقام إليه بنوه ومواليه؛ فقال: دعوا الكلب، خلوا عنه، لا يمسه أحدٌ منكم؛ فانصرف. حتى إذا كان عند أحجار المراء بقباء لقيه ابن أبي جرير أحد بني العجلان، وكان شديداً ضابطاً فقال له الأحوص:

إن بقومٍ سودوك لحاجةً إلى سيد لو يظفرون بسيد

فألقى ثيابه وأخذ بحلق الأحوص، ومع الأحوص راويته، وجاء الناس ليخلصوه، فحلف لئن خلصه أحدٌ من يديه ليأخذنه وليدعن الأحوص؛ فخنقه حتى استرخى، وتركه حتى أفاق؛ ثم قال له: كل مملوكٍ لي حرٌ، لئن سمع أو سمعت هذا البيت من أحدٍ من الناس لأضربنك ضربةً بسيفي أريد بها نفسك ولو كنت تحت أستار الكعبة. فأقبل الأحوص على راويته فقال: إن هذا مجنون، و لم يسمع هذا البيت غيرك؛ فإياك أن يسمعه منك خلق.

أخبرني الحرمي والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني بعض أصحابنا: أن الأحوص مر بعباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ومحمد بن مصعب بن الزبير بخيمتي أم معبد، وهما يريدان الحج مرجعه من عند يزيد بن عبد الملك، وهو على نجيبٍ له فارهٍ ورحل فاخرٍ وبزة مرتفعة، فحدثهما أنه قدم على يزيد بن عبد الملك، فأجازه وكساه وأخدمه؛ فلم يرهما يهشان لذلك، فجعل يقول: خيمتي أم معبد، عباد ومحمد، كأنه يروض القوافي للشعر يريد قوله. فقال له محمد بن مصعب: إن أراك في تهيئة شعر وقوافٍ وأرك تريد أن تهجونا! وكل مملوك لي حرٌ لئن هجوتنا بشيء إن لم أضربك بالسيف مجتهداً على نفسك. فقال الأحوص: جعلني الله فداك! إني أخاف أن تسمع هذا في عدواً فيقول شعراً يهجو كما به فينحلنيه، وأنا أبرئكما الساعة، كل مملوكٍ لي حرٌ إن هجوتكما ببيت شعرٍ أبداً.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب قال حدثنا الزبير بن خبيب عن أبيه خبيب بن ثابت قال:

خرجنا مع محمد بن عباد بن عبد الله بن الزبير إلى العمرة، فإنا لبقرب قديد إذ لحقنا الأحوص الشاعر على جملٍ برحل؛ فقال: الحمد لله الذي وفقكم لي، ما أحب أنكم غيركم، وما زلت أحرك في آثاركم مذ رفعتم لي؛ فقد

ازددت فيكم غبطةً. فأقبل عليه محمد، وكان صاحب جدٍّ يكره الباطل وأهله، فقال: لكنا والله ما اغتبطنا بك ولا نحب مسايرتك، فتقدم عنا أو تأخر. فقال: والله ما رأيت كاليوم جواباً! قال: هو ذاك. قال: وكان محمد صاحب جد يكره الباطل وأهله، فأشفقنا مما صنع، ومعه عدةٌ من آل الزبير، فلم يقدر أحدٌ منهم أن يرد عليه. قال: وتقدم الأحوص، ولم يكن لي شأنٌ غير أن أعتذر غليه. فلما هبطنا من المشلل على خيمتي أم معبد سمعت الأحوص يهمهم بشيء، فتفهمته فإذا هو يقول: خيمتي أم معبد، محمد، كأنه يهيء القوافي؛ فأمسكت راحلتي حتى جاءني محمد، فقلت. إني سمعت هذا يهيء لك القوافي، فإما أذنت لنا أن نعتذر إليه ونرضيه، وإما خليت بيننا وبينه فنضربه؛ فإنا لا نصادفه في أخلى من هذا المكان. قال: كلا! إن سعد بن مصعب قد أخذ عليه ألآ يهجو زبيرياً أبداً، فإن فعلت رجوت أن يخزيه الله، دعه.

قال الزبير: وأما خبره مع سعد بن مصعبٍ، فحدثني به عمي مصعب قال أخبرني يحيى بن الزبير بن عباد أو مصعب بن عثمان - شك: أيهما حدثه - قال: كانت أمة الملك بنت حمزة بن عبد الله بن الزبير، تحت سعد بن مصعب بن الزبير، وكان فيهم مأتمٌ، فاتهمته بامرأةٍ، فغارت عليه وفضحته. فقال الأحوص يمازحه:

وليس بسعد النار من تزعمونه ... ولكن سعد النار سعد بن مصعب

ألم تر أن القوم ليلة نوحهم ... بغوه فألفوه على شر مركب

فما يبتغي بالغي لا در دره ... وفي بيته مثل الغزال المربب

- قال: وسعد النار رجلٌ يقال له سعد حضنة، وهو الذي جدد لزياد بن عبيد الله الحارثي الكتاب الذي في جدار المسجد، وهو آياتٌ من القرآن أحسب أن منها " إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ". فلما فرغ منه قال لزياد: أعطني أجري. فقال له زياد: انتظر، فإذا رأيتنا نعمل بما كتبت، فخذ أجرك -.

قال: فعمل سعد بن مصعبٍ سفرةً، وقال للأحوص: اذهب بنا إلى سد عبيد الله بن عمر نتغذّ عليه، ونشرب من مائة، ونستنقع فيه؛ فذهب معه. فلما صارا إلى الماء، أمر غلمانه أن يربطوه وأراد ضربه، وقال: ما جزعت من هجائك إياي، ولكن ما ذكرك زوجتي؟! فقال له: يا سعد، إنك لتعلم أنك إن ضربتني لم أكفف عن الهجاء، ولكن خيرٌ لك من ذلك أحلف لك بما يرضيك ألا أهجوك ولا أحداً من آل الزبير أبداً؛ فأحلفه وتركه.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني مصعبٌ عمي عن مصعب بن عثمان قال: قال الأحوص لمجمع بن يزيد بن جارية:

وجمعت من أشياء شتى خبيثةٍ ... فسميت لما جئت منها مجمعا

فقال له مجمع: إني لا أحسن الشعر، ثم أخذ كرنافةً فغمسها في ماءٍ فغاصت، ثم رفع يده عنها فطفت، فقال: هكذا والله كانت تصنع خالاتك السواحر.

خبره مع أم الليث والأنصارية الجميلة

أخبرني الحرمي قال وحدثنا الزبير قال: كانت امرأةٌ يقال لها أم ليث امرأة صدقٍ، فكانت قد فتحت بينها وبين جارةٍ لها من الأنصار خوخة، وكانت الأنصارية من أجمل أنصاريةٍ خلقت. فكلم الأحوص أم ليثٍ أن تدخله في بيتها يكلم الأنصارية من الخوخة التي فتحت بينها وبينها، فأبت؛ فقال: أما لأكافئنك، ثم قال:

هيهات منك بنو عمرٍ ومسكنهم ... إن تشتيت قنسرين أو حلبا

قامت تراءى وقد جد الرحيل بنا ... بين السقيفة والباب الذي نقبا

إني لمانحها ودي ومتخذٌ ... بأم ليثٍ إلى معروفها سببا

فلما بلغت الأبيات زوج المرأة، سد الخوخة؛ فاعتذرت إليه أم ليث، فأبى أن يقبل ويصدقها. فكانت أم ليث تدعو على الأحوص.

: أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني أبي قال:

ركب الأحوص إلى الوليد بن عبد الملك قبل ضرب ابن حزمٍ إياه، فلقيه رجلٌ من بني مخزوم يقال له محمد بن عتبة، فوعده أن يعينه. فلما دخل على الوليد قال: ويحك! ما هذا الذي رميت به يا أحوص؟ قال: والله يا أمير المؤمنين، لو كان الذي رماني به ابن حزمٍ من أمر الدين لاحتنبته، فكيف وهو من أكبر معاصي الله! فقال ابن عتبة: يا أمير المؤمنين، إن من فضل ابن حزمٍ وعذله كذا وكذا، وأثنى عليه. فقال الأحوص: هذا والله كما قال الشاعر:

وكنت كذئب السوء لما رأى دماً ... يصاحبه يوماً أحال على الدم

فأما خبره في بقية أيام سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز، فأخبرني به أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي قال حدثنا عون بن محمد بن سلام قال حدثني أبي عمن حدثه عن الزهري، وأخبرني به الطوسي والحرمي بن أبي العلاء قالا: حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعبٌ عن مصعب بن عثمان قال: كان الأحوص ينسب بنساءٍ ذوات أخطار من أهل المدينة، ويتغنى من شعره معبدٌ ومالك، ويشيع ذلك في الناس، فنهي فلم ينته؛ فشكي إلى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة وسألوه الكتاب فيه إليه، ففعل ذلك. فكتب سليمان إلى عامله يأمره أن يضربه مائة سوطٍ ويقيمه على البلس للناس، ثم يصيّره إلى دهلك ففعل ذلك به؛ فثوى هنالك سلطان سليمان بن عبد الملك. ثم ولي عمر ابن عبد العزيز؛ فكتب إليه يستأذنه في القدوم ويمدحه؛ فأبى أن يأذن له. وكتب فيما كتب إليه به:

أيا راكباً إما عرضت فبلغن ... هديت أمير المؤمنين رسائلي

وقل لأبي حفصٍ إذا ما لقيته ... لقد كنت نفاعاً قليل الغوائل

وكيف ترى للعيش طيباً ولذةً ... وخالك أمسى موثقاً في الحبائل !

-هذه الأبيات من رواية الزبير وحده، و لم يذكرها ابن سلام - قال: فأتى رجالٌ من الأنصار عمر بن عبد العزيز، فكلموه فيه وسألوه أن يقدمه، وقالوا: قد عرفت نسبه وموضعه وقديمه، وقد أخرج إلى أرض الشرك، فنطلب إليك أن ترده إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار قومه. فقال لهم عمر: فمن الذي يقول:

فما هو إلا أن أراها فجاءةً ... فأبهت حتى ما كاد أجيب

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

أدور ولولا أن أرى أم جعفرٍ ... بأبياتكم ما درت حيث أدور

وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى ... إذ لم يزر لا بد أن سيزور

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

كأن لبنى صبيرٌ غاديةٍ ... أو دميةٌ زينت بها البيع

الله بيني وبين قيمها ... يفر مني بها وأتبع

قالوا: الأحوص. قال: بل الله بين قيمها وبينه. قال: فمن الذي يقول:

ستبقى لها في مضمر القلب والحشا ... سريرة حبٍ يوم تبلى السرائر

قالوا: الأحوص. قال: إن الفاسق عنها يومئذ لمشغولٌ، والله لأرده ما كان لي سلطان. قال: فمكث هناك بقية ولاية عمر وصدراً من ولاية يزيد بن عبد الملك.

قال: فبينا يزيد وجاريته حبابة ذات ليلةٍ على سطح تغنيه بشعر الأحوص، قال لها: من يقول هذا الشعر؟ قالت: لا وعينيك ما أدري! - قال: وقد كان ذهب من الليل شطره - فقال: ابعثوا إلى ابن شهابٍ الزهري، فعسى أن يكون عنده علمٌ من ذلك. فأتي الزهري فقرع عليه بابه فخرج مروعاً إلى يزيد. فلما صعد إليه قال له يزيد: لا ترع، لم ندعك إلا لخير، اجلس، من يقول هذا الشعر؟ قال: الأحوص بن محمد يا أميرالمؤمنين. قال: ما فعل؟ قال: قد طال حبسه بدهلك. قال: قد عجبت لعمر كيف أغفله. ثم أمر بتخلية سبيله، ووهب له أربعمائة دينار. فأقبل الزهري من ليلته إلى قومه من الأنصار فبشرهم بذلك.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن إسماعيل ومحمد بن زيد الأنصاري قالا: لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة أدنى زيد بن أسلم، وجفا الأحوص. فقال له الأحوص:

ألست أبا حفصٍ هديت مخبري ... أفي الحق أن أقصى ويدنى ابن أسلما

فقال عمر: ذلك هو الحق.

قال الزبير: وأنشدنيها عبد الملك بن الماجشون عن يوسف بن الماجشون:

ألا صلة الأرحام أدنى إلى التقى ... وأظهر في أكفائه لو تكرما

فما ترك الصنع الذي قد صنعته ... ولا الغيظ مني ليس جلداً ولا أعظما
وكنا ذوي قربى لديك فأصبحت ... قرابتنا ثدياً أجد مصرما
وكنت وما أملت منك كبارقٍ ... لوى قطره من بعد ما كان غيما
وقد كنت أرجى الناس عندي مودةً ... ليالي كان الظن غيباً مرجما
أعدك حرزاً إن جنيت ظلامةً ... ومالا ثريا حين أحمل مغرما
تدارك بعتبي عاتباً ذا قرابةٍ ... طوى الغيظ لم يفتح بسخط له فما

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال: كتب إلي إسحاق بن إبراهيم أن أبا عبيدة حدثه: أن الأحوص لم يزل مقيماً بدهلك حتى مات عمر بن عبد العزيز، فدس إلى حبابة فغنت يزيد بأبيات له - قال أبو عبيدة: أظنها قوله:

صوت

أيهذا المخبري عن يزيدٍ ... بصلاحٍ فداك أهلي ومالي
ما أبالي إذا يزيد بقي لي ... من تولت به صروف الليالي

لم يجنسه. كذا جاء في الخبر أنها غنته به، ولم يذكر طريقته قال أبو عبيدة: أراه عرض بعمر بن عبد العزيز ولم يقدر أن يصرح مع بني مروان - فقال: من يقول هذا؟ قالت: الأحوص، وهونت أمره، وكلمته في أمانه فأمنه. فلما أصبح حضر فاستأذنت له، ثم أعطاه مائة ألف درهم.

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان: أن الأحوص دس إلى حبابة، فغنت يزيد قوله:

كريم قريشٍ حين ينسب والذي ... أقرت له بالملك كهلاً وأمردا
وليس وإن أعطاك في اليوم مانعاً ... إذا عدت من أضعاف أضعافه غدا
أهان تلاد المال في الحمد إنه ... إمام هدى يجري على ما تعودا
تشرف مجداً من أبيه وجده ... وقد ورثا بنيان مجدٍ تشيدا

فقال يزيد: ويلك يا حبابة! من هذا من قريش؟ قالت: ومن يكون! أنت هو يا أمير المؤمنين. فقال: ومن قال هذا الشعر؟ قالت: الأحوص يمدح به أمير المؤمنين؛ فأمر به أمير المؤمنين أن يقدم عليه من دهلك، وأمر له بمالٍ وكسوة.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني بعض أهل العلم قال: دخل الأحوص على يزيد بن عبد الملك وهو

خليفةٌ؛ فقال له يزيد: والله لو لم تمت إلينا بحرمة، ولا توسلت بدالة، ولا جددت لنا مدحاً، غير أنك مقتصرٌ على البيتين اللذين قلتهما فينا، لكنت مستوجباً لجزيل الصلة مني حيث تقول:

وإني لأستحييكم أن يقودني إلى غيركم من سائر الناس مطمع
وأن أجتدي للنفع غيرك منهم وأنت إمامٌ للرعية مقنع

قال: وهذه قصيدةٌ مدح بها عمر بن عبد العزيز.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال حدثني عمر بن موسى بن عبد العزيز قال: لما ولي يزيد بن عبد الملك بعث إلى الأحوص، فأقدم عليه، فأكرمه وأجازه بثلاثين ألف درهم. فلما قدم قباء صب المال على نطع ودعا جماعة من قومه، وقال: إني قد عملت لكم طعاماً. فلما دخلوا عليه كشف لهم عن ذلك المال، وقال: " أفسحرٌ هذا أم أنتم لا تبصرون ".

قال الزبير: وقال في يزيد بن عبد الملك يمدحه حينئذ بهذه القصيدة:

صرمت حبلك الغداة نوار إن صرماً لكل حبلٍ قصار

وهي طويلة، يقول فيها:

من يكن سائلاً فإن يزيداً ملكٌ من عطائه الإكثار
عم معروفه فعز به الدي ن وذلت لملكه الكفار
وأقام الصراط فابتهج الحق منيراً كما أنار النهار

ومن هذه القصيدة بيتان يغنى فيهما، وهما:

صوت

بشرٌ لو يدب ذرٌ عليه كان فيه من مشيه آثار
إن أروى إذا تذكر أروى قلبه كاد قلبه يستطار

غنت فيه عريب لحناً من الثقيل الأول بالبنصر، وذكر ابن المكي أنه لجده يحيى.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعبٌ عن مصعب بن عثمان قال:

حج يزيد بن عبد الملك فتزوج بنت عون بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأصدقها مالاً كثيراً؛ فكتب الوليد بن عبد الملك إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن خزم: أنه بلغ أمير المؤمنين أن يزيد بن عبد الملك قد تزوج بنت عون بن محمد بن علي بن أبي طالب وأصدقها مالاً كثيراً، ولا أراه فعل ذلك إلا وهو يراها خيراً منه، قبح الله رأيه! فإذا جاءك كتابي هذا فادع عوناً فاقبض المال منه؛ فإن لم يدفعه إليك فأضربه بالسياط حتى تستوفيه منه ثم افسخ نكاحه. فأرسل أبو بكر بن محمد بن عمرو إلى عون بن محمد وطالبه بالمال. فقال له: ليس

عندي شيءٌ وقد فرقته. فقال له أبو بكر: إن أمير المؤمنين أمرني إن لم تدفعه إلي كله أن أضربك بالسياط ثم لا أرفعها عنك حتى أستوفيه منك. فصاح به يزيد: تعال إلي؛ فجاءه؛ فقال له فيما بينه وبينه كأنك خشيت أن أسلمك إليه، ادفع إليه المال ولا تعرض له نفسك؛ فإنه إن دفعه إليك رددته عليك، وإن لم يرده علي أخلفته عليك، ففعل. فلما ولي يزيد بن عبد الملك، كتب في أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وفي الأحوص، فحملا إليه، لما بين أبي بكر والأحوص من العداوة؛ وكان أبو بكر قد ضرب الأحوص وغربه إلى دهلك وأبو بكر مع عمر بن عبد العزيز، وعمر إذ ذاك على المدينة. فلما صارا باب يزيد أذن للأحوص، فرفع أبو بكر يديه يدعو، فلم يخفضهما حتى خرج الغلمان بالأحوص ملبباً مكسور الأنف، وإذا هو لما دخل علي يزيد قال له: أصلحك الله هذا ابن حزمٍ الذي سفه رأيك ورد نكاحك. وقال يزيد: كذبت! عليك لعنة الله ومن يقول ذلك! أكسروا أنفه، وأمر به فأخرج ملبباً.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو الجمحي قال: كان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي قد اتخذ بيتاً فجعل فيه شطرنجاتٍ ونردات وقرقاتٍ ودفاتر فيها من كل علم، وجعل في الجدار أوتاداً، فمن جاء علق ثيابه على وتدٍ منها، ثم جر دفتراً فقرأه، أو بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم. قال: فإن عبد الحكم يوماً لفي المسجد الحرام إذا فتًى داخلٌ من باب الحناطين، باب بني جمح، عليه ثوبان معصفران مدلوكان وعلى أذنه ضغث ريحانٍ وعليه ردع الخلوق، فأقبل يشق الناس حتى جلس إلى عبد الحكم بن عبد الله؛ فجعل من رآه يقول: ماذا صب عليه من هذا! ألم يجد أحداً يجلس إليه غيره! ويقول بعضهم: فأي شيء يقوله له عبد الحكم وهو أكرم من أن يجبه من يقعد إليه! فتحدث إليه ساعةً ثم أهوى فشبك يده في يد عبد الحكم وقام يشق المسجد حتى خرج من باب الحناطين - قال عبد الحكم: فقلت في نفسي: ماذا سلط الله علي منك! رآني معك نصف الناس في المسجد ونصفهم في الحناطين -حتى دخل مع عبد الحكم بيته، فعلق رداءه على وتدٍ وحل أزراره واجتر الشطرنج وقال: من يلعب؟ فبينا هو كذلك إذ دخل الأبجر المغني، فقال له: أي زنديق ما جاء بك إلى هاهنا؟ وجعل يشتمه ويمازحه. فقال له عبد الحكم: أتشتم رجلاً في منزلي! فقال: أتعرفه؟ هذا الأحوص. فاعتنقه عبد الحكم وحياه. وقال له: أما إذا كنت الأحوص فقد هان علي ما فعلت.

أخبرني الطوسي والحرمي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني حميد بن عبد العزيز عن أبيه قال: لما قدم عبد الملك بن مروان حاجاً سنة خمس وسبعين، وذلك بعد ما اجتمع الناس عليه بعامين، جلس على المنبر فشتم أهل المدينة ووبخهم ثم قال: إني والله يا أهل المدينة قد بلوتكم فوجدتكم تنفسون القليل وتحسدون على الكثير، وما وجدت لكم مثلاً إلا ما قال مخنثكم وأخوكم الأحوص:

وكم نزلت بي من خطوبٍ مهمةٍ ... خذلتم عليها ثم لم أنخشع

فأدبر عني شرها لم أبل بها ... ولك أدعكم في كربها المتطلع

فقام إليه نوفل بن مساحق فقال: يا أمير المؤمنين، أقررنا بالذنب وطلبنا المعذرة؛ فعد بحلمك، فذلك ما يشبهنا منك ويشبهك منا؛ فقد قال من ذكرت من بعد بيتيه الأولين:

وإني لمستأنٍ ومنتظرٌ بكم وإن لم تقولوا في الملمات دع دع

أؤمل منكم أن تروا غير رأيكم وشيكاً وكيما تنزعوا خير منزع

أخبرني الحرمي والطوسي قالا حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن الضحاك عن المنذر بن عبد الله الحزامي: إن عراك بن مالك كان من أشد أصحاب عمر بن عبد العزيز على بني مروان في انتزاع ما حازوا من الفيء والمظالم من أيديهم. فلما ولي يزيد بن عبد الملك ولى عبد الواحد بن عبد الله النصري المدينة، فقرب عراك بن مالك وقال: صاحب الرجل الصالح، وكان لا يقطع أمراً دونه، وكان يجلس معه على سريره. فبينا هو معه إذ أتاه كتاب يزيد بن عبد الملك: أن أبعث مع عراك بن مالك حرسياً حتى ينزله أرض دهلك وخذ من عراكٍ حمولته. فقال لحرسي بين يديه وعراكٌ معه على السرير: خذ بيد عراك فابتع من ماله راحلةً ثم توجه به نحو دهلك حتى تقره فيها؛ ففعل ذلك الحرسي. قال: وأقدم الأحوص؛ فمدحه الأحوص؛ فأكرمه وأعطاه. قال: فأهل دهلك يأثرون الشعر عن الأحوص، والفقه عن عراك بن مالك.

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب عن محمد بن سلام عن أبي الغراف عمن يثق به قال: بعث يزيد بن عبد اللملك حين قتل يزيد بن المهلب في الشعراء، فأمر بهجاء يزيد بن المهلب، منهم الفرزدق وكثيرٌ والأحوص. فقال الفرزدق: لقد امتدحت بني المهلب بمدائح ما امتدحت بمثلها أحداً، وإنه لقبيحٌ بمثلي أن يكذب نفسه على كبر السن، فليعفني أمير المؤمنين؛ قال: فأعفاه. وقال كثيرٌ: إني أكره أن أعرض نفسي لشعراء أهل العراق إن هجوت بني المهلب. وأما الأحوص فإنه هجاهم. ثم بعث به يزيد بن عبد الملك إلى الجراح بن عبد الله الحكمي وهو بأذربيجان، وقد كان بلغ الجراح خجاء الأحوص بني المهلب، فبعث إليه بزقٍ من خمرٍ فأدخل مترل الأحوص، ثم بعث إليه خيلاً فدخلت مترله فصبوا الخمر على رأسه ثم أخرجوه على رؤوس الناس فأتوا به الجراح، فأمر بحلق رأسه ولحيته، وضربه الحد بين أوجه الرجال، وهو يقول: ليس هكذا تضرب الحدود؛ فجعل الجراح يقول: أجل! ولكن لما تعلم. ثم كتب إلى يزيد بن عبد الملك يعتذر فأغضى له عليها.

رأي أبي الفرج قال أبو الفرج الأصبهاني: وليس ما جرى من ذكر الأحوص إرادةً للغض منه في شعره، ولكن ذكرنا من كل ما يؤثر عنه ما تعرف به حاله من تقدم وتأخرٍ، وفضيلةٍ ونقصٍ؛ فأما تفضيله وتقدمه في الشعر فمتعالم مشهور، وشعره ينبئ عن نفسه ويدل على فضله فيه وتقدمه وحسن رونقه وتهدبه وصفائه.

رأي الفرزدق وجرير في نسيبه

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز قال حدثني عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي قال حدثنا شيخٌ لنا من هذيل كان خالاً للفرزدق من بعض أطرافه قال:

سمعت بالفرزدق وجرير على باب الحجاج، فقلت: لو تعرضت ابن أختنا! فامتطيت إليه بعيراً، حتى وجدتهما قبل أن يخلصا، ولكل واحدٍ منهما شيعةٌ؛ فكنت في شيعة الفرزدق؛ فقام الآذن يوماً فقال: أين جرير؟ فقال: جرير: هذا أبو فراس؛ فأظهرت شيعته لومه وأسرته. فقال الآذن: أين الفرزدق؟ فقام فدخل. فقالوا لجرير: أتناوئه وتهاجيه وتشاخصه، ثم تبدى عليه فتأبى وتبديه؟! قضيت له على نفسك! فقال لهم: إنه نزر القول، و لم ينشب أن ينفد ما عنده وما قال فيه فيفاخره ويرفع نفسه وعليه؛ فما جئت به بعد حمدت عليه واستحسن. فقال قائلهم: لقد نظرت نظراً بعيداً. قال: فما نشبوا أن خرج الآذن فصاح: أين جرير؟ فقام جرير فدخل. قال: فدخلت، فإذا ما مدحه به الفرزدق قد نفد، وإذا هو يقول:

أين الذين بهم تسامي دارماً ... أم من إلى سلفي طهية تجعل

قال: وعمامته على رأسه مثل المنسف، فصحت من ورائه:

هذا ابن يوسف فاعلموا وتفهموا ... برح الخفاء فليس حين تناجي

من سد مطلع النفاق عليكم ... أم من يصول كصوله الحجاج

أم من يغار على النساء حفيظةً ... إذ لا يثقن بغيرة الأزواج

قل للجبان إذا تأخر سرجه ... هل أنت من شرك المنية ناجي

قال: وما تشبيبها؟ وطرب: فقال جرير:

لج الهوى بفؤادك الملجاج ... فاحبس بتوضح باكر الأحداج

وأمرها، أو قال: أمضاها. فقال: عطوه كذا وكذا؛ فاستقللت ذلك. فقال الهذلي: وكان جرير عربياً قروياً، فقال الحجاج: قد أمر لي الأمير بما لا يفهم عنه، فلو دعا كاتباً وكتب بما أمر به الأمير! فدعا كاتباً واحتاط فيه بأكثر من ضعفه، وأعطى الفرزدق أيضاً. قال الهذلي: فجئت الفرزدق فأمر لي بستين ديناراً وعبدٍ، ودخلت على رواته فوجدتهم يعدلون ما انحرف من شعره، فأخذت من شعره ما أردت. ثم قلت له: يا أبا فراس، من أشعر الناس؟ قال: أشعر الناس بعدي ابن المراغة. قلت: فمن أنسب الناس؟ قال الذي يقول:

لي ليلتان فليلةٌ معسولةٌ ... ألقى الحبيب بها بنجم الأسعد

ومريحةٌ همي علي كأنني ... حتى الصباح معلقٌ بالفرقد

قلت: ذاك الأحوص. قال: ذاك هو. قال الهذلي: ثم أتيت جريراً فجعلت أستقل عنده ما أعطاني صاحبي أستخرج به منه؛ فقال: كم أعطاك ابن أختك؟ فأخبرته. فقال: ولك مثله؛ فأعطاني ستين ديناراً وعبداً. قال: وجئت رواته وهم يقوِّمون ما انحرف من شعره وما فيه من السناد، فأخذت منه ما أردت، ثم قلت: يا أبا حزرة، من أنسب الناس؟ قال الذي يقول:

يا ليت شعري عمن كلفت به ... من خثعمٍ إذ نأيت ما صنعوا
قومٌ يحلون بالسدير وبال ... حيرة منهم مرأىً ومستمع
أن شطت الدار عن ديارهم ... أأمسكوا بالوصال أم قطعوا
بل هم على خير ما عهدت وما ... ذلك إلا التأميل والطمع

قلت: ومن هو؟ قال: الأحوص. فاجتمعا على أن الأحوص أنسب الناس.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء منها الأبيات التي يقول فيها الأحوص:

لي ليلتان فليلةٌ معسولةٌ

وأول ما يغني به فيها:

صوت

يا للرجال لوجدك المتجدد ... ولما تؤمل من عقيلة في غد
ترجو مواعد بعث آدم دونها ... كانت خبالاً للفؤاد المقتصد
هل تذكرين عقيل أو أنساكه ... بعدي تقلب ذا الزمان المفسد
يومي ويومك بالعقيق إذ الهوى ... منا جميع الشمل لم يتبدد
لي ليلتان فليلةٌ معسولةٌ ... ألقى الحبيب بها بنجم الأسعد
ومريحةٌ همي علي كأنني ... حتى الصباح معلقٌ بالفرقد

- عروضه من الكامل. يقال: يا للرجال ويا للرجال بالكسر والفتح وفي الحديث أن عمر رضي الله عنه صاح لما طعن: يا لله ويا للمسلمين. وقوله: " في غد "، يريد فيما بعد وفي باقي الدهر؛ قال الله سبحانه: " سيعلمون غداً من الكذاب الأشر ". والخبل والخبال: النقصان من الشيء. والمخبل:، أصله مأخوذ من النقص بلأنه ناقص العقل. والمعسولة: الحلوة المشتهاة -.

الشعر للأحوص. والغناء في البيت الأول والثاني لمالك خفيف رملٍ بالبنصر عن الهشامي وحبش. وفي الثالث والرابع لسليمان أخي بابويه ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو. وفيهما وفي الخامس والسادس لحنٌ لابن سريج ذكره يونس ولم يجنسه. وذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أن لمعبدٍ في الأبيات كلها لحناً وأنه من صحيح غنائه، ولم يجنسه.

سألت امرأة ابنا للأحوص عن شعر له

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه. عن أيوب بن عباية قال: بلغني أن ابناً للأحوص بن محمد الشاعر دخل على امرأةٍ شريفةٍ، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إبراهيم بن زيد عن عنبسة بن سعيد بن العاصي قال أخبرني أشعب بن جبير قال: حضرت امرأةٌ شريفةٌ ودخل عليها ابن الأحوص بن محمد الشاعر؛ فقالت له: أتروي قول أبيك:

لي ليلتان فليلةٌ معسولةٌ ... ألقى الحبيب بها بنجم الأسعد

ومريحةٌ همي علي كأنني ... حتى الصباح معلقٌ بالفرقد

قال نعم. قالت: أتدري أي الليلتين التي يبيت فيها معلقاً بالفرقد؟ قال: لا والله. قالت: هي ليلة أمك التي يبيت معها فيها. قال إبراهيم في خبره: فقلت لأشعب: يا أبا العلاء، فأي ليلتيه المعسولة؟ فقال:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود

هي ليلة الإسراف، ولا تسأل عما بعدها.

ما قاله ابن جندب حين أنشد شعر الأحوص

أخبرني عبد العزيز ابن بنت الماجشون قال: أنشد ابن جندبٍ قول الأحوص:

لي ليلتان فليلةٌ معسولةٌ ... ألقى الحبيب بها بنجم الأسعد

ومريحةٌ همي علي كأنني ... حتى الصباح معلقٌ بالفرقد

فقال: أما إن الله يعلم أن الليلة المريحة همي لأبلذ الليلتين عندي. قال الحرمي بن أبي العلاء: وذلك لكفله بالغزل والشوق والحنين وتمني اللقاء.

من هي عقيلة التي شغف بها الأحوص

وللأحوص مع عقيلة هذه أخبارٌ قد ذكرت في مواضع أخر. وعقيلة امرأةٌ من ولد عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه. وقد ذكر الزبير عن ابن بنت الماجشون عن خاله أن عقيلة هذه هي سكينة بنت الحسين عليهما السلام، كنى عنها بعقيلة.

أخبار متفرقة

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي: أن إنساناً أنشد عند إبراهيم بن هشامٍ وهو والي المدينة قول الأحوص:

إذ أنت فينا لمن ينهاك عاصيةٌ ... وإذ أجر إليكم سادراً رسني

فوثب أبو عبيدة بن عمار بن ياسرٍ قائماً ثم أرخى رداءه ومضى يمشي على تلك الحال ويجره حتى بلغ العرض ثم رجع. فقال له إبراهيم بن هشام حين جلس: ما شأنك؟ فقال: أيها الأمير، إني سمعت هذا البيت مرةً فأعجبني، فحلفت لا أسمعه إلا جررت رسني.

نسبة هذا البيت وما غني فيه من الشعر

صوت

للأحوص عن شعر له :

سقياً لربعك من ربع بذي سلمٍ وللزمان به إذ ذاك من زمن أة ابنا

أة أة أة

إذ أنت فينا لمن ينهاك عاصيةٌ وإذ أجر إليكم سادراً رسني

عروضه من البسيط. غنى ابن سريج في هذين البيتين لحناً من الثقيل الأول بالوسطى عن عمرو. وذكر إسحاق فيه لحناً من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى و لم ينسبه إلى أحد، وذكر حبشٌ أنه للغريض.

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام عن سلام بن أبي السحماء وكان صاحب حمادٍ الراوية: أن حماداً كان يقدم أحوص في النسيب.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمر بن أبي سليمان عن يوسف بن أبي سليمان بن عنيزة قال: هجا الأحوص رجلاً من الأنصار من بني حرامٍ يقال له ابن بشير، وكان كثير المال؛ فغضب من ذلك، فخرج حتى قدم على الفرزدق بالبصرة وأهدى إليه وألطفه، فقبل منه، ثم جلسا يتحدثان؛ فقال الفرزدق: ممن أنت؟ قال: من الأنصار. قال: ما أقدمك؟ قال: جئت مستجيراً بالله عز وجل ثم بك من رجلٍ هجاني. قال: قد أجارك الله منه وكفاك مؤنته، فأين أنت عن الأحوص؟ قال: هو الذي هجاني. فأطرق ساعةً ثم قال: أليس هو الذي يقول:

ألا قف برسم الدار فاستنطق الرسما فقد هاج أحزاني وذكرني نعما

قال بلى. قال: فلا والله لا أهجو رجلاً هذا شعره. فخرج ابن بشير فاشترى أفضل من الشراء الأول من الهدايا، فقدم بها على جرير؛ فأخذها وقال له: ما أقدمك؟ قال: جئت مستجيراً بالله وبك من رجلٍ هجاني. فقال: قد أجارك الله عز وجل منه وكفاك، أين أنت عن ابن عمك الأحوص بن محمد؟ قال: هو الذي هجاني. قال: فأطرق ساعةً ثم قال: أليس هو الذي يقول:

تمشى بشتمي في أكاريس مالكٍ تشيد به كالكلب إذ ينبح النجما

فما أنت بالمخسوس في جذم مالكٍ ولا بالمسمى ثم يلتزم الإسما

ولكن بيتي إن سألت وجدته توسط منها العز والحسب الضخما

قال: بلى والله. قال: فلا والله لا أهجو شاعراً هذا شعره. قال: فاشتري أفضل من تلك الهدايا وقدم على الأحوص فأهداها إليه وصالحه.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

ألا قف برسم الدار فاستنطق الرسما فقد هاج أحزاني وذكرني نعمى

فبت كأني شاربٌ من مدامةٍ إذا أذهبت هماً أتاحت له هماً

غناه إبراهيم الموصلي خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشامي. وذكر عبد الله بن العباس الربيعي أنه له.

أنشد أبو السائب شعراً له فطرب ومدحه

أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: قال لي أبو السائب المخزومي: أنشدني للأحوص؛ فأنشدته قوله:

قالت وقلت تحرجي وصلي حبل امرئٍ بوصالكم صب

واصل إذاً بعلي فقلت لها الغدر شيءٌ ليس من ضربي

صوت

ثنتان لا أدنو لوصلهما عرس الخليل وجارة الجنب

أما الخليل فلست فاجعه والجار أوصاني به ربي

عوجوا كذا نذكر لغانيةٍ بعض الحديث مطيكم صحبي

ونقل لها فيم الصدود ولم نذنب بل أنت بدأت بالذنب

إن تقبلي نقبل وننزلكم منا بدار السهل والرحب

أو تدبري تكدر معيشتنا وتصدعي متلائم الشعب

- غنى في " ثنتان لا أدنو " والذي بعده ابن جامع ثقيلاً أول بالوسطى. وغنى في " عوجوا كذا نذكر لغانيةٍ "والأبيات التي بعده ابن محرزٍ لحناً من القدر الأوسط من الثقيل الأول مطلقاً في مجرى البنصر - قال: فأقبل علي أبو السائب فقال: يابن أخي، هذا والله المحب عيناً لا الذي يقول:

وكنت إذا خليلٌ رام صرمي وجدت وراي منفسحاً عريضاً

اذهب فلا صحبك الله ولا وسع عليك "يغني قائل هذا البيت ".

أخبرني الحرميّ قال حدثّني الزّبير قال حدثّنا خالد بن وضاح قال حدثني عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان الجمحي قال: حملت دينا بعسكر المهدي، فركب المهدي بين أبي عبيد الله وعمر بن بزيع، وأنا وراءه في موكبه على برذونٍ قطوف؛ فقال: ما أنسب بيتٍ قالته العرب؟ فقال له أبو عبيد الله: قول امرئ القيس:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلبٍ مقتل

فقال: هذا إعرابي قحٌ. فقال عمر بن بزيع: قول كثير يا أمير المؤمنين:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

فقال: ما هذا بشيءٍ وماله يريد أن ينسى ذكرها حتى تمثل له! فقلت: عندي حاجتك يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك! قال: الحق بي. قلت: لا لحاق بي، ليس ذلك في دابتي. قال: احملوه على دابة. قلت: هذا أول الفتح؛ فحملت على دابة، فلحقت. فقال: ما عندك؟ فقلت: قول الأحوص:

إذا قلت إني مشتفٍ بلفائها فحم التلاقي بيننا زادني سقما

فقال: أحسن والله! اقضوا عنه دينه؛ فقضي عني ديني.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني منها الشعر الذي هو:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

صوت

ألا حييا ليلى أجد رحيلي وآذن أصحابي غداً بقفول

ولم أر من ليلى نوالاً أعده ألا ربما طالبت غير منيل

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

وليس خليلي بالملول ولا الذي إذا غبت عنه باعني بخليل

ولكن خليلي من يدوم وصاله ويحفظ سري عند كل دخيل

عروضه من الطويل. الشعر لكثير. والغناء في ثلاثة الأبيات الأول لإبراهيم، ولحنه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. ولابنه إسحاق في:

وليس خليلي بالملول ولا الذي

ثقيلٌ آخر بالوسطى.

حديث ابن سلام عن كثير وجميل

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام، وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن محمد بن سلام قال: كان لكثيرٍ في النسيب حظٌ وافر، وجميلٌ مقدمٌ عليه وعلى أصحاب النسيب جميعاً، ولكثيرٍ من فنون الشعر ما ليس لجميل. وكان كثير راوية جميل، وكان جميلٌ صادق الصبابة والعشق، و لم يكن كثير بعاشق، وكان يتقول. قال: وكان الناس يستحسنون بيت كثيرٍ في النسيب:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

قال: وقد رأيت من يفضل عليه بيت جميلٍ:

خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

حديث ابن مصعب الزبيري عن كثير قرأت في كتابٍ منسوبٍ إلى أحمد بن يحيى البلاذري: وذكر إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن عبد الله بن مصعب الزبيري كان يوماً يذكر شعر كثيرٍ ويصف تفضيل أهل الحجاز إياه، إلى أن انتهى إلى هذا البيت. قال إسحاق: فقلت له: إن الناس يعيبون عليه هذا المعنى ويقولون: ما له يريد أن ينساها! فتبسم ابن مصعبٍ ثم قال: إنكم يا أهل العراق لتقولون ذلك.

ذكر كثير عن أنسب بيت قاله فأجاب

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو يحيى الزهري قال حدثني الهزبري قال:

قيل لكثيرٍ: ما أنسب بيتٍ قلته؟ قال: الناس يقولون:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

وأنسب عندي منه قولي:

وقل أم عمرٍ داؤه وشفاؤه لديها ورياها الشفاء من الخبل

وقد قيل: إن بعض هذه الأبيات للمتوكل الليثي.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عثمان - قال الحرمي: أحسبه ابن عبد الرحمن المخزومي - قال حدثنا إبراهيم بن أبي عبد الله قال: قيل لمحرز بن جعفر: أنت صاحب شعرٍ، ونراك تلزم الأنصار، وليس هناك منه شيء؛ قال: بلى والله، إن هناك للشعر عين الشعر، وكيف لا يكون الشعر هناك وصاحبهم الأحوص الذي يقول:

يقولون لو ماتت لقد غاض حبه وذلك حين الفاجعات وحيني

لعمرك إني إن تحم وفاتها بصحبة من يبقى لغير ضنين

وهو الذي يقول:

وإني لمكرامٌ لسادات مالكٍ وإني لنوكى مالكٍ لسبوب
وإني على الحلم الذي من سجيتي لحمال أضغانٍ لهن طلوب

ما قاله الأحوص في مرض موته

أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني عمي مصعبٌ قال حدثني يحيى بن الزبير بن عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير، قال الزبير وحدثني علي بن صالح عن عامر بن صالح: أن الأحوص قال في مرضه الذي مات فيه - وقال عامر بن صالح: حين هرب من عبد الواحد النصري إلى البصرة -:

يا بشر يا رب محزونٍ بمصرعنا وشامتٍ هذلٍ ما مسه الحزن
وما شمات امرئٍ إن مات صاحبه وقد يرى أنه بالموت مرتهن
يا بشر هبي فإن النوم أرقه نأيٌ مشتٌ وأرضٌ غيرها الوطن

ذكر الدلال

وقصته حين خصي ومن خصي معه والسبب في ذلك وسائر أخباره

اسمه وكنيته وولاؤه

الدلال اسم ناقد، وكنيته أبو زيد، وهو مدني مولى بني فهم.
وأخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبة قال: قال إسحاق: لم يكن من المخنثين أحسن وجهاً ولا أنظف ثوباً ولا أظرف من الدلال. قال: وهو أحد من خصاه ابن حزمٍ. فلما فعل ذلك به قال: الآن تم الخنث.
وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبد الله مصعب الزبيري قال: الدلال مولى عائشة بنت سعيد بن العاص.

كان ظريفاً صاحب نوادر

وكان يغني غناء كثير العمل:

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبد الله مصعب الزبيري قال: كان الدلال من أهل المدينة، و لم يكن أهلها يعدون في الظرفاء وأصحاب النوادر من المخنثين بها إلا ثلاثةً: طويسٌ، الدلال، وهنبٌ؛ فكان هنبٌ أقدمهم، والدلال أصغرهم. و لم يكن بعد طويسٍ أظرف من الدلال ولا أكثر ملحاً.
قال إسحاق: وحدثني هشام بن المرية عن جرير، وكانا نديمين مدنيين، قال: ما ذكرت الدلال قط إلا ضحكت

لكثرة نوادره. قال: وكان نزر الحديث، فإذا تكلم أضحك الثكلى، و، وكان ضاحك السن، وصنعته نزرةٌ جيدة، و لم يكن يغني إلا غناءٌ مضعفاً، يعني كثير العمل.

كان أهل المدينة يفخرون به

قال إسحاق: وحدثني أيوب بن عباية قال: شهدت أهل المدينة إذا ذكروا الدلال وأحاديثه، طولوا رقابهم وفخروا به؛ فعلمت أن ذلك لفضيلةٍ كانت فيه.

كان يلازم النساء

قال وحدثني ابن جامع عن يونس قال: كان الدلال مبتلىً بالنساء والكون معهن، وكان يطلب فلا يقدر عليه، وكان بديع الغناء صحيحه حسن الجرم.

سبب لقبه، وتوسطه بين الرجال والنساء

قال إسحاق وحدثني الزبيري قال: إنما لقب بالدلال لشكله وحسن دله وظرفه وحلاوة منطقه وحسن وجهه وإشارته. وكان مشغوفاً بمخالطة النساء ووصفهن للرجال. وكان من أراد خطبة امرأةٍ سأله عنها وعن غيرها، فلا يزال يصف له النساء واحدةً فواحدةً حتى ينتهي إلى وصف ما يعجبه؛ ثم يتوسط بينه وبين من يعجبه منهن حتى يتزوجها؛ فكان يشاغل كل من جالسه عن الغناء بتلك الأحاديث كراهةً منه للغناء.

قال إسحاق وحدثني مصعب الزبيري قال:

أنا أعلم خلق الله بالسبب الذي من أجله خصي الدلال؛ وذلك أنه كان القادم يقدم المدينة، فيسأل عن المرأة يتزوجها فيدل على الدلال؛ فإذا جاءه قال له: صف لي من تعرف من النساء للتزويج؛ فلا يزال يصف له واحدةً بعد واحدة حتى ينتهي إلى ما يوافق هواه؛ فيقول: كيف لي بهذه؟ فيقول: مهرها كذا وكذا؛ فإذا رضي بذلك أتاها الدلال، فقال لها: إني قد أصبت لك رجلاً من حاله وقصته وهيئته ويساره ولا عهد له بالنساء، وإنما قدم بلدنا آنفاً؛ فلا يزال بذلك يشوقها ويحركها حتى تطيعه؛ فيأتي الرجل فيعلمه أنه قد أحكم له ما أراد. فإذا سوي الأمر وتزوجته المرأة، قال لها: قد آن لهذا الرجل أن يدخل بك، والليلة موعده، وأنت مغتلمةٌ شبقة جامة؛ فساعة يدخل عليك قد دفقت عليه مثل سيل العرم، فيقذرك ولا يعاودك، وتكونين من أشأم النساء على نفسك وغيرك، فتقول: فكيف أصنع؟ فيقول: أنت أعلم بدواء حرك ودائه ما يسكن غلمتك. فتقول: أنت أعرف. فيقول: ما أجد له شيئاً أشفى من النيك. فيقول لها: إن لم تخافي الفضيحة فابعثي إلى بعض الزنوج حتى يقضي بعض وطرك ويكف عادية حرك؛ فتقول له: ويلك! ولا كل هذا! فلا تزال المحاورة بينهما حتى يقول لها: فكما جاء علي أقوم، فأخففك وأنا والله إلى التخفيف أحوج. فتفرح المرأة فتقول: هذا أمرٌ مستور، فينيكها؛ حتى إذا قضى لذته منها، قال لها: أما أنت فقد استرحت وأمنت العيب، وبقيت أنا. ثم يجيء إلى الزوج فيقول له: قد

واعدتها أن تدخل عليك الليلة، وأنت رجلٌ عزبٌ، ونساء المدينة خاصةً يردن المطاولة في الجماع، وكأني بك كما تدخله عليها تفرغ وتقوم، فتبغضك وتمقتك ولا تعاودك بعدها ولو أعطيتها الدنيا، ولا تنظر في وجهك بعدها. فلا يزال في مثل هذا القول حتى يعلم أنه قد هاجت شهوته؛ فيقول له: كيف أعمل؟ قال: تطلب زنجيةً فتنكيها مرتين أو ثلاثاً حتى تسكن غلمتك؛ فإذا دخلت الليلة إلى أهلك لم تجد أمرك إلا جميلاً. فيقول له ذاك: أعوذ بالله من هذه الحال، أزناً وزنجية! لا والله لا أفعل! فإذا أكثر محاورته قال له: فكما جاء علي قم فنكني أنا حتى تسكن غلمتك وشبقك؛ فيفرح فينيكه مرةً أو مرتين. فيقول له: قد استوى أمرك الآن وطابت نفسك، وتدخل على زوجتك فتنيكها نيكاً يملؤها سروراً ولذة. فينيك المرأة قبل زوجها، وينيكه الرجل قبل امرأته. فكان ذلك دأبه، إلى أن بلغ خبره سليمان بن عبد الملك، وكان غيوراً شديد الغيرة، فكتب أن يحصى هو وسائر المخنثين بالمدينة ومكة، وقال: إن هؤلاء يدخلون على نساء قريش ويفسدونهن. فورد الكتاب على ابن حزم فخصاهم. هذه رواية إسحاق عن الزبيري. والسبب في هذا أيضاً مختلفٌ فيه، وليس كل الرواة يروون ذلك كما رواه مصعب.

رواية أخرى في سبب خصي المخنثين فمما روي من أمرهم ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري - وهذا خبر أصح ما روي في ذلك إسناداً - قال أخبرنا أبو زيد عمر بن شبة عن معن بن عيسى، هكذا رواه الجوهري، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال: قال ابن جناح معن بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه وعن محمد بن معن الغفاري قالا:

كان سبب ما خصي له المخنثون بالمدينة أن سليمان بن عبد الملك كان في نادية له يسمر ليلةً على ظهر سطح، فتفرق عنه جلساؤه، فدعا بوضوء فجاءت به جاريةٌ له. فبينا هي تصب عليه إذ أومأ بيده وأشار بها مرتين أو ثلاثاً، فلم تصب عليه؛ فأنكر ذلك فرفع رأسه، فإذا هي مصغية بسمعها إلى ناحية المعسكر، وإذا صوت رجل يغني، فأنصت له حتى سمع جميع ما تغنى به. فلما أصبح أذن الناس، ثم أجرى ذكر الغناء فلين فيه حتى ظن القوم أنه يشتهيه ويريده، فأفاضوا فيه بالتسهيل وذكر من كان يسمعه. فقال سليمان: فهل بقي أحد يسمع منه الغناء؟ فقال رجل من القوم: عندي يا أمير المؤمنين رجلان من أهل أيلة مجيدان محكمان. قال: وأين منزلك؟ فأومأ إلى الناحية التي كان الغناء منها. قال: فابعث إليهما، ففعل. فوجد الرسول أحدهما، فأدخله على سليمان؛ فقال: ما اسمك؟ قال: سمير، فسأله عن الغناء، فاعترف به. فقال: متى عهدك به؟ قال: الليلة الماضية. قال: وأين كنت. فأشار إلى الناحية التي سمع سليمان الغناء منها. قال: فما غنيت به؟ فخبره الشعر الذي سمعه سليمان. فأقبل على القوم فقال: هدر الجمل فضبعت الناقة، ونب التيس فشكرت الشاة، وهدر الحمام فزافت الحمامة، وغنى الرجل فطربت المرأة، ثم أمر به فخصي. وسأل عن الغناء أين أصله؟ فقيل: بالمدينة في المخنثين، وهم أئمته والحذاق فيه. فكتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، وكان عامله عليها، أن أخص من قبلك من المخنثين المغنين - فزعم موسى بن جعفر بن أبي كثير قال أخبرني بعض الكتاب قال: قرأت كتاب سليمان في الديوان،

فرأيت على الخاء نقطةً كتمرة العجوة. قال: ومن لا يعلم يقول: أنه صحف القارئ، وكانت أحص - قال: فتبعتهم ابن حزم فخصى منهم تسعةً؛ فمنهم الدلال وطريف، وحبيب نومة الضحى. وقال بعضهم حين خصي: سلم الخاتن والمختون. وهذا كلام يقوله الصبي إذا ختن.

قال: فزعم ابن أبي ثابت الأعرج قال أخبرني حماد بن نشيط الحسني قال: أقبلنا من مكة ومعنا بدراقس وهو الذي ختنهم، وكان غلامه قد أعانه على خصائهم، فنزلنا على حبيب نومة الضحى، فاحتفل لنا وأكرمنا. فقال له ثابت: من أنت؟ قال: يا ابن أخي أتجهلني وأنت وليت ختاني! أو قال: وأنت ختنتني. قال: واسوأتاه! وأيهم أنت؟ قال أنا حبيب. قال ثابت: فاجتنبت طعامه وخفت أن يسمني. قال: وجعلت لحية الدلال بعد سنة أو سنتين تتناثر. وأما ابن الكلبي فإنه ذكر عن أبي مسكين ولقيطٍ أن أيمن كتب بإحصاء من في المدينة من المخنثين ليعرفهم، فيوفد عليه من يختاره للوفادة؛ فظن الوالي أنه يريد الخصاء، فخصاهم.

أخبرني وكيع قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني محمد بن سلام قال حدثني ابن جعدبة، ونسخت أنا من كتاب أحمد بن الحارث الخراز عن المديني عن ابن جعدبة واللفظ له: أن الذي هاج سليمان بن عبد الملك على ما صنعه بمن كان بالمدينة من المخنثين، أنه كان مستلقياً على فراشه في الليل، وجاريةٌ له إلى جانبه، وعليها غلالةٌ ورداءٌ معصفران، وعليها وشاحان من ذهب، وفي عنقها فصلان من لؤلؤ وزبرجد وياقوت، وكان سليمان بها مشغوفاً، وفي عسكره رجلٌ يقال له سمير الأيلي يغني، فلم يفكر سليمان في غنائه شغلاً بها وإقبالاً عليها، وهي لاهيةٌ عنه لا تجيبه مصغيةٌ إلى الرجل، حتى طال ذلك عليه، فحول سليمان وجهه عنها مغضباً، ثم عاد إلى ما كان مشغولاً عن فهمه بها، فسمع سميراً يغني بأحسن صوت وأطيب نغنة:

صوت

محجوبة سمعت صوتي فأرقها ... من آخر الليل حتى شفها السهر

تدني على جيدها ثنتي معصفرةٍ ... والحلي منها على لباتها خصر

في ليلة النصف ما يدري مضاجعها ... أوجهها عنده أبهى أم القمر

- ويروى:

أوجهها ما يرى أم وجهها القمر

لو خليت لمشت نحوي على قدمٍ ... تكاد من رقةٍ للمشي تنفطر

-الغناء لسمير الأيلي رملٌ بالبنصر عن حبشٍ. وأخبرني ذكاء وجه الرزة أنه سمع فيه لحناً للدلال من الثقيل الأول - فلم يشكك سليمان أن الذي بها مما سمعت، وأنها تهوى سميراً؛ فوجه من وقته من أحضره وحبسه، ودعا لها

بسيف ونطع، وقال: والله لتصدقني أو لأضربن عنقك! قالت: سلني عما تريد. قال: أخبريني عما بينك وبين هذا الرجل. قالت: والله ما أعرفه ولا رأيته قط، وأنا جاريةٌ منشئي الحجاز، ومن هناك حملت إليك، ووالله ما أعرف بهذه البلاد أحداً سواك. فرق لها، وأحضر الرجل فسأله، وتلطف له في المسألة، فلم يجد بينه وبينها سبيلاً، و لم تطب نفسه بتخليته سوياً فخصاه؛ وكتب في المخنثين بمثل ذلك. هذه الرواية الصحيحة.

أسف ابن أبي عتيق لخصاء الدلال

وقد أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال: قيل للوليد بن عبد الملك: إن نساء قريش يدخل عليهن المخنثون بالمدينة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يدخل عليكن هؤلاء ". فكتب إلى ابن حزم الأنصاري أن اخصهم، فخصاهم. فمر ابن أبي عتيق فقال: أخصيتم الدلال! أما والله لقد كان يحسن:

لمن ربعٌ بذات الجي ... ش أمسى دارساً خلقا

تأبد بعد ساكنه ... فأصبح أهله فرقا

وقفت به أسائله ... ومرت عيسهم حزقا

ثم ذهب ثم رجع، فقال: إنما أعني خفيفه، لست أعني ثقيله.

أسف الماجشون لذلك

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الواقدي عن ابن الماجشون: أن خليفة صاحب الشرطة لما خصي المخنثون مر بأبيه الماجشون وهو في حلقته؛ فصاح به: تعال فجاءه؛ فقال: أخصيتم الدلال! قال نعم. قال: أما والله إنه كان يجيد:

لمن ربعٌ بذات الجي ... ش أمسى دارساً خلقا

ثم مضى غير بعيد فرده، ثم قال: أستغفر الله! إنما أعني هزجه لا ثقيله.

أضحك الناس في الصلاة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني حمزة النوفلي قال: صلى الدلال المخنث إلى جانبي في المسجد، فضرط ضرطةً هائلةً سمعها من في المسجد، فرفعنا رؤوسنا وهو ساجد، وهو يقول في سجوده رافعاً بذلك صوته: سبح لك أعلاي وأسفلي؛ فلم يبق في المسجد أحدٌ إلا فتن وقطع صلاته بالضحك.

طرب شيخ في مجلس ابن جعفر

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن المدائني عن أشياخه: أن عبد الله بن جعفر قال لصديق له: لو غنتك جارية فلانة:

لمن ربعٌ بذات الجي ش أمسى دارساً خلقا

لما أدركت دكانك. فقال: جعلت فداك، قد وجبت جنوبها " فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ". فقال عبد الله: يا غلام، مر فلانة أن تخرج؛ فخرجت معها عودها. فقال عبد الله: إن هذا الشيخ يكره السماع. فقال: ويحه! لو كره الطعام والشراب كان أقرب له إلى الصواب! فقال الشيخ: فكيف ذاك وبهما الحياة؟ فقالت: إنهما ربما قتلا وهذا لا يقتل. فقال عبد الله غني:

لمن ربعٌ بذات الجي ش أمسى دارساً خلقا

فغنت؛ فجعل الشيخ يصفق ويرقص ويقول:

هذا أوان الشد فاشتدي زيم

ويحرك رأسه ويدور حتى وقع مغشياً عليه، وعبد الله بن جعفر يضحك منه.

غنى الدلال الغمر بن يزيد فطرب

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال: مر الغمر بن يزيد بن عبد الملك حاجاً، فغناه الدلال:

بانت سعاد وأمسى حبلها انصرما واحتلت الغمر فالأجراع من إضما

فقال له الغمر: أحسنت والله، وغلبت فيه ابن سريج! فقال له الدلال: نعمة الله علي فيه أعظم من ذلك. قال: وما هي؟ قال: السمعة، ولا يسمعه أحدٌ إلا علم أنه غناء مخنثٍ حقاً.

نسبة هذا الصوت:

صوت

بانت سعاد وأمسى حبلها انصرما واحتلت الغمر فالأجراع من إضما

إحدى بلي وما هام الفؤاد بها إلا السفاه وإلا ذكرةً حلما

هلا سألت بني ذبيان ما حسبي إذا الدخان تغشى الأشمط البرما

الشعر للنابغة الذبياني. والغناء للدلال خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى عن الهشامي. وفيه خفيف ثقيلٍ بالبنصر لمعبد عن عمرو بن بانة. وفيه لابن سريج ثقيلٌ أول بالبنصر عن حبش. وفيه لنشيطٍ ثاني ثقيلٍ بالبنصر عنه. وذكر

الهشامي أن لحن معبدٍ ثقيلٌ أول، وذكر حماد أنه للغريض. وفيه لجميلة ودحمان لحنان، ويقال: إنهما جميعاً من الثقيل الأول.

احتكم إليه شيعي ومرجئ

أخبرني الحسين بن يحيى قال أخبرنا حماد بن إسحاق إجازةً عن أبيه عن المدائني قال: اختصم شيعيٌ ومرجئ، فجعلا بينهما أول من يطلع، فطلع الدلال. فقالا له: أبا زيد، أيهما خيرٌ الشيعي أم المرجئ؟ فقال: لا أدري إلا أن أعلاي الشيعي وأسفلي مرجئ!

هربه من المدينة إلى مكة

قال إسحاق قال المدئني وأخبرني أبو مسكينٍ عن فليح بن سليمان قال: كان الدلال ملازماً لأم سعيد الأسلمية وبنتٍ ليحيى بن الحكم بن أبي العاصي، وكانتا من أبجن النساء، كانتا تخرجان فتركبان الفرسين فتستبقان عليهما حتى تبدو خلا خيلهما. فقال معاوية لمروان بن الحكم: اكفني بنت أخيك؛ فقال: أفعل. فاستزارها، وأمر ببئر فحفرت في طريقها، وغطيت بحصيرٍ، فلما مشت عليه سقطت في البئر فكانت قبرها. وطلب الدلال فهرب إلى مكة. فقال له نساء أهل مكة: قتلت نساء أهل المدينة وجئت لتقتلنا! فقال: والله ما قتلهن إلا الحكاك. فقلن: اعزب أخزاك الله، ولا أدنى بك درا، ولا آذانا بك! قال: فمن لكن بعدي يدل على دائكن ويعلم موضع شفائكن؟ والله ما زنيت قط ولا زني بي، وإني لأشتهي ما تشتهي نساؤكم ورجالكم.

كان الماجشون يستحسن غناءه

قال إسحاق وحدثني الواقدي عن ابن الماجشون قال: كان أبي يعجبه الدلال ويستحسن غناءه ويدنيه ويقربه، ولم أره أنا، فسمعت أبي يقول: غناني الدلال يوماً بشعر مجنون بني عامر، فلقد خفت الفتنة على نفسي. فقلت: يا أبت، وأي شعر تعني؟ قال قوله.

صوت

عسى الله أن يجري المودة بيننا ... ويوصل حبلاً منكم بحباليا

فكم من خليلي جفوةٍ قد تقاطعا ... على الدهر لما أن أطالا التلاقيا

وإني لفي كربٍ وأنت خليةٌ ... لقد فارقت في الوصف حالك حاليا

عتبت فما أعتبتني بمودةٍ ... ورمت فما أسعفتني بسؤاليا

الغناء في هذا الشعر للغريض ثقيلٌ أول بالوسطى، ولا أعرف فيه لحناً غيره. وذكر حماد في أخبار الدلال أنه للدلال، و لم يجنسه.

خبره مع مخة المخنث

قال إسحاق وحدثني الواقدي عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي قال: قدم مخنث من مكة يقال له مخة، فجاء إلى الدلال فقال: يا أبا زيد، دلني على بعض مخنثي أهل المدينة أكايده وأمازحه ثم أجاذبه. قال: قد وجدته لك - وكان خثيم بن عراك بن مالكٍ صاحب شرطة زياد بن عبيد الله الحارثي جاره، وقد خرج في ذلك الوقت ليصلي في المسجد - فأومأ إلى خثيم فقال: الحقه في المسجد؛ فإنه يقوم فيه فيصلي ليرائي الناس، فإنك ستظفر بما تريد منه. فدخل المسجد وجلس إلى جنب ابن عراك، فقال: عجلي بصلاتك لا صلى الله عليك! فقال خثيم: سبحان الله! فقال المخنث: سبحت في جامعةٍ قراصةٍ، انصرفي حتى أتحدث معك. فانصرف خثيمٌ من صلاته، ودعا بالشرط والسياط فقال: خذوه فأخذوه، فضربه مائةً وحبسه.

أضحاكه الناس في الصلاة

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال: صلى الدلال يوماً خلف الإمام بمكة، فقرأ: " وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون "؛ فقال الدلال: لا أدري والله! فضحك أكثر الناس وقطعوا الصلاة. فلما قضى الوالي صلاته دعا به وقال له: ويلك! ألا تدع هذا المجون والسفه! فقال له: قد كان عندي أنك تعبد الله، فلما سمعتك تستفهم، ظننت أنك قد تشككت في ربك فثبتك. فقال له: أنا شككت في ربي وأنت ثبتني! اذهب لعنك الله! ولا تعاود فأبالغ والله في عقوبتك!

أخبار متفرقة

قال إسحاق وحدثني الواقدي عن عثمان بن إبراهيم قال:
سأل رجلٌ الدلال أن يزوجه امرأةً فزوجه. فلما أعطاها صداقها وجاء بها إليه فدخلت عليه، قام إليها فواقعها، فضرطت قبل أن يطأها، فكسل عنها الرجل ومقتها وأمر بها فأخرجت؛ وبعث إلى الدلال، فعرفه ما جرى عليه. فقال له الدلال: فديتك! هذا كله من عزة نفسها. قال: دعني منك؛ فإني قد أبغضتها، فاردد علي دراهمي، فرد بعضها. فقال له: لم رددت بعضها وقد خرجت كما دخلت؟ قال: للروعة التي أدخلتها على استها. فضحك وقال له: اذهب فأنت أقضى الناس وأفقههم.
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني محمدو بن سلام عن أبيه قال، و أخبرني به الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام عن أبيه قال: أن الدلال خرج يوماً مع فتيةٍ من قريش في نزهةٍ لهم، وكان معهم غلام جميل الوجه، فأعجبه؛ وعلم القوم بذلك، فقالوا: قد ظفرنا به بقية يومنا، وكان لا

يصبر في مجلس حتى ينقضي، وينصرف عنه استثقالاً لمحادثة الرجال ومحبةً في محادثة النساء. فغمزوا الغلام عليه؛ وفطن لذلك فغضب، وقال لينصرف؛ فأقسم الغلام عليه والقوم جميعاً فجلس. وكان معهم شرابٌ فشربوا، وسقوه وحملوا عليه لئلا يبرح، ثم سألوه أن يغنيهم فغناهم:

صوت

زبيريةٌ بالعرج منها منازلٌ ... وبالخيف من أدنى منازلها رسم

أسائل عنها كل ركبٍ لقيته ... وما لي بها من بعد مكتنا علم

أيا صاحب الخيمات من بطن أرثد ... إلى النخل من ودان ما فعلت نعم

فإن تك حربٌ بين قومي وقومها ... فإني لها في كل نائرةٍ سلم

ذكر يحيى المكي وعمرو بن بانة أن الغناء في هذا الشعر لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى، وذكر غيرهما أنه للدلال. وفيه لمخارق رملٌ. وذكر إسحاق هذا اللحن في طريقة الثقيل الثاني و لم ينسبه إلى أحد -قال: فاستطير القوم فرحاً وسروراً وعلا نعيرهم؛ فنذر بهم السلطان، وتعادت الأشراط، فأحسوا بالطلب فهربوا؛ وبقي الغلام والدلال ما يطيقان براحاً من السكر؛ فأخذا فأتي بهم أمير المدينة. فقال للدلال: يا فاسق! فقال له: من فمك إلى السماء. قال: جئوا فكه؛ قال: وعنقه أيضاً. قال: يا عدو الله! أما وسعك بيتك حتى خرجت بهذا الغلام إلى الصحراء تفسق به! فقال: لو علمت أنك تغار علينا وتشتهي أن نفسق سراً ما خرجت من بيتي. قال: جردوه وأضربوه حداً. قال: وما ينفعك من ذلك! وأنا والله أضرب في كل يوم حدوداً. قال: ومن يتولى ذلك منك؟ قال: أيور المسلمين. قال: ابطحوه على وجهه واجلسوا على ظهره. قال: أحسب الأمير قد اشتهى أن يرى كيف أناك. قال: أقيموه لعنه الله واشهروه في المدينة مع الغلام. فأخرجا يدار بهما في السكك. فقيل له: ما هذا يا دلال؟ قال: اشتهى الأمير أن يجمع بين الرأسين، فجمع بيني وبين هذا الغلام ونادى علينا، ولو قيل له الآن: إنك قواد غضب! فبلغ قوله الوالي فقال: خلو سبيلهما، لعنة الله عليهما! قال إسحاق في خبره خاصة -و لم يذكره أبو أيوب- فحدثني أبي عن ابن جامع عن سياطٍ قال: سمعت يونس يقول قال لي معبدٌ: ما ذكرت غناء الدلال في هذا الشعر:

زبيرية بالعرج منها منازلٌ

إلا جدد لي السرور، ولوددت أني كنت سبقته إليه لحسنه عندي. قال يونس: ما بلغ من حسنه عندك؟ قال: يكفيك أني لم أسمع أحسن منه قط.

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان قال: كان بالمدينة عرس، فاتفق فيه الدلال وطويس والوليد المخنث، فدخل عبد الرحمن بن حسان، فلما رآهم قال: ما كنت لأجلس في مجلس فيه

هؤلاء. فقال له طويس: قد علمت يا عبد الرحمن نكايتي فيك وأن جرحي إياك لم يندمل - يعني خبره معه بحضرة عبد الله بن جعفر، وذكره لعمته الفارعة - فاربح نفسك وأقبل على شأنك؛ فإنه لا قيام لك بمن يفهمك فهمي. وقال له الدلال: يا أخا الأنصار! إن أبا عبد النعيم أعلم بك مني، وسأعلمك بعض ما أعلم به. ثم اندفع ونقر بالدف، وكله ينقر بدفه معه، فتغنى:

صوت

اتهجر يا إنسان من أنت عاشقة ... ومن أنت مشتاقٌ إليه وشائقه

وريمٍ أحم المقلتين موشحٍ ... زرابيه مبثوثةٌ ونمارقه

ترى الرقم والديباج في بيته معاً ... كما زين الروض الأنيق حدائقه

وسرب ظباء ترتعي جانب الحمى ... إلى الجو فالخبتين بيض عقائقه

وما من حمىً في الناس إلا لنا حمىً ... وإلا لنا غربيه ومشارقه

فاستضحك عبد الرحمن وقال: اللهم غفراً، وجلس.

لحن الدلال في هذه الأبيات هزجٌ بالبنصر عن يحيى المكي وحماد.

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبد الله الجمحي عن محمد بن عثمان عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: سمعت عمي عتبة يقول حدثني مولى للوليد بن عبد الملك قال: كان الدلال ظريفاً جميلاً حسن البيان، من أحضر الناس جواباً وأحجهم؛ وكان سليمان بن عبد الملك قد رق له حين خصي غلطاً، فوجه إليه مولىً له وقال له: جئني به سراً، وكانت تبلغه نوادره وطيبه، وحذر سوله أن يعلم بذلك أحدٌ. فنفذ المولى إليه وأعلمه ما أمره به، وأمره بالكتمان وحذره أن يقف على مقصده أحد، ففعل. وخرج به إلى الشام، فلما قدم أنزله المولى منزله وأعلم سليمان بمكانه؛ فدعا به ليلاً فقال: ويلك ما خبرك؟ فقال: جببت من القبل مرةً أخرى يا أمير المؤمنين، فخل تريد أن تجبني المرة من الدبر؟! فضحك وقال: اعزب أخزاك الله! ثم قال له: غنِّ. فقال: لا أحسن إلا بالدف. فأمر فأتي له بدف؛ فغنى في شعر العرجي:

أفي رسم دارٍ دمعك المنحدر ... سفاهاً وما استنطاق ما ليس يخبر

تغير ذاك الربع من بعد جدةٍ ... وكل جديدٍ مرةً متغير

لأسماء إذ قلبي بأسماء مغرمٌ ... وما ذكر أسماء الجميلة مهجر

وممشى ثلاثٍ بعد هدءٍ كواعب ... كمثل الدمى بل هن من ذاك أنضر

فسلمن تسليماً خفياً وسقطت ... مصاعبةٌ ظلعٌ من السير حسر

لها أرجٌ من زاهر البقل والثرى وبردٌ إذا ما باشر الجلد يخصر
فقالت لتربيها الغداة تبقيا بعينٍ ولا تستبعدا حين أبصر
ولا تظهر برديكما وعليكما كساءان من خزٍ بنقشٍ وأخضر
فعدي فما هذا العتاب بنافعٍ هواي ولا مرجي الهوى حين يقصر

فقال له سليمان: حق لك يا دلال أن يقال لك الدلال! أحسنت وأجملت! فو الله ما أدري أي أمريك أعجب: أسرعة جوابك وجودة فهمك أم حسن غنائك، بل جميعاً عجب! وأمر له بصلة سنية. فأقام عنده شهراً يشرب على غنائه، ثم سرحه إلى الحجاز مكرماً.

قصته مع شامي من قواد هشام

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال: حج هشام بن عبد الملك، فلما قدم المدينة نزل رجلٌ من أشراف أهل الشأم وقوادهم بجنب دار الدلال، فكان الشامي يسمع غناء الدلال ويصغي إليه ويصعد فوق سطح ليقرب من الصوت؛ ثم بعث إلى الدلال: إما أن تزورنا وإما أن نزورك؛ فبعث إليه الدلال: بل تزورنا. فتهيأ الشامي ومضى إليه، وكان للشامي غلمانٌ روقةٌ، فمضى معه بغلامين منهم كأنهما درتان. فغناه الدلال:

قد كنت آمل فيكم أملاً والمرء ليس بمدركٍ أمله
حتى بدا لي منكم خلفٌ فزجرت قلبي عن هوىً جهله
ليس الفتى بمخلدٍ أبداً حقاً وليس بفائتٍ أجله
حي العمود ومن بعقوته وقفا العمود وإن جلا أهله

قال: فاستحسن الشامي غناءه، وقال له: زدني؛ فقال: أو ما يكفيك ما سمعت؟ قال: لا والله ما يكفيني. قال: فإن لي إليك حاجةً. قال: ما هي؟ قال: تبيعني أحد هذين الغلامين أو كليهما. قال: اختر أيهما شئت؛ فاختار أحدهما. فقال الشامي: هو لك؛ فقبله الدلال، ثم غناه:

دعتني دواعٍ من أريا فهيجت هوى كان قدماً من فؤاد طروب
لعل زماناً قد مضى أن يعود لي فتغفر أروى عند ذاك ذنوبي
سبتني أريا يوم نعف محسرٍ بوجهٍ جميلٍ للقلوب سلوب

فقال له الشامي: أحسنت! ثم قال له: أيها الرجل الجميل، إن لي إليك حاجة. قال: وما هي؟ قال: أريد وصيفةً

ولدت في حجرٍ صالح، ونشأت في خير، جميلة الوجه مجدولة، وضيئةً، جعدةً، في بياض مشربة حمرةً، حسنة القامة، سبطةً، أسيلة الخد، عذبة اللسان، لها شكلٌ ودلٌ، تملأ العين والنفس. فقال له الدلال: قد أصبتها لك، فما لي عليك إن دللتك؟ قال: غلامي هذا. قال: إذا رأيتها وقبلتها فالغلام لي؟ قال نعم. فأتى امرأةً كنى عن اسمها، فقال لها: جعلت فداك! إنه نزل بقربي رجلٌ من أهل الشأم من قواد هشام له ظرفٌ وسخاء، وجاءني زائراً فأكرمته، ورأيت معه غلامين كأنهما الشمس الطالعة والقمر المنير والكواكب الزاهرة، ما وقعت عيني على مثلهما ولا ينطلق لساني بوصفهما، فوهب لي أحدهما والآخر عنده؛ وإن لم يصل إلي فنفسي خارجة. قالت: فتريد ماذا؟ قال: طلب مني وصيفةً يشتريها على صفةٍ لا أعلمها في أحد إلا في فلانة بنتك، فهل لك أن تريها له؟ قالت: وكيف لك بأن يدفع الغلام إليك إذا رآها؟ قال: فإني قد شرطت عليه ذلك عند النظر لا عند البيع. قالت: فشأنك ولا يعلم أحدٌ بذلك. فمضى الدلال فجاء الشامي معه. فلما صار إلى المرأة أدخلته، فإذا هو بحجلةٍ وفيها امرأةٌ على سرير مشرفٍ برزةٌ جميلةٌ، فوضع له كرسيٌ فجلس. فقالت له: أمن العرب أنت؟ قال نعم. قالت: من أيهم؟ قال: من خزاعة. قالت: مرحباً بك وأهلاً، أي شيء طلبت؟ فوصف الصفة؛ فقالت: أصبتها، وأصغت إلى جاريةٍ لها فدخلت فمكثت هنيهةً ثم خرجت؛ فنظرت إليها المرأة فقالت لها: أي حبيبتي، اخرجي؛ فخرجت وصيفةٌ ما رأى الراءون مثلها. فقالت لها: أقبلي فأقبلت، ثم قالت لها أدبري، فأدبرت تملأ العين والنفس؛ فما بقي منها شيء إلا وضع يده عليه. فقالت: أتحب أن نؤزرها لك؟ قال نعم. قالت: أي حبيبتي ائتزري، فضمها الإزار وظهرت محاسنها الخفية، وضرب بيده على عجيزتها وصدرها. ثم قالت أتحب أن نجردها لك؟ قال نعم. قالت: أي حبيبتي وضحي؛ فألقت إزارها فإذا أحسن خلق الله كأنها سبيكة. فقالت: يا أخا أهل الشأم كيف رأيت؟ قال منية المتمني. قال: بكم تقولين؟ قالت: ليس يوم النظر يوم البيع، ولكن تعود غداً حتى نبايعك ولا تنصرف إلا على الرضا، فانصرف من عندها. فقال له الدلال: أرضيت؟ قال: نعم، ما كنت أحسب أن مثل هذه في الدنيا؛ فإن الصفة لتقصر دونها. ثم دفع إليه الغلام الثاني. فلما كان من الغد قال له الشامي: امض بنا، فمضيا حتى قرعا الباب؛ فأذن لهما، فدخلا وسلماً، ورحبت المرأة بهما، ثم قالت للشامي: أعطنا ما تبذل؛ قال: ما لها عندي ثمنٌ إلا وهي أكبر منه، فقولي يا أمة الله. قالت: بل قل؛ فإنا لم نوطئك أعقابنا ونحن نريد خلافك وأنت لها رضاً. قال: ثلاثة آلاف دينار. فقالت: والله لقبلةٌ من هذه خيرٌ من ثلاثة آلف دينار. قال: بأربعة آلاف دينار. قالت: غفر الله لك! أعطنا أيها الرجل. قال: والله ما معي غيرها - ولو كان لزدتك - إلا رقيقٌ ودواب وخرثيٌ أحمله إليك. قالت: ما أراك إلا صادقاً، أتدري من هذه؟ قال: تخبريني. قالت: هذه ابنتي فلانة بنت فلان، وأنا فلانة بنت فلان، وقد كنت أردت أن أعرض عليك وصيفةً عندي، فأحببت إذا رأيت غداً غلظ أهل الشأم وجفائهم، ذكرت ابنتي فعلمت أنكم في غير شيء، قم راشداً. فقال للدلال: خدعتني! قال: أو لا ترضى أن ترا ما رأيت من مثلها وتهب مائة غلامٍ مثل غلامك؟ قال: أما هذا فنعم. وخرجا من عندها.

نسبة ما عرفت نسبته من الغناء المذكور في هذا الخبر:

صوت

قد كنت آمل فيكم أملاً والمرء ليس بمدرك أمله

حتى بدا لي منكم خلفٌ فزجرت قلبي عن هوىً جهله

الشعر للمغيرة بن عمرو بم عثمان. والغناء للدلال، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها؛ وجدته في بعض كتب إسحاق بخط يده هكذا. وذكر علي بن يحيى المنجم إن هذا اللحن في هذه الطريقة لابن سريج، وأن لحن الدلال خفيف ثقيلٍ نشيد. وذكر أحمد بن المكي أن لحن الدلال ثاني ثقيلٍ بالوسطى، ولحن ابن سريج ثقيلٌ أول. وفيه لمتيم وعريب خفيفاً ثقيلٍ، المطلق المسجح منهما لعريب.

ومنها:

صوت

دعتني دواعٍ من أريا فهيجت هوىً كان قدماً من فؤاد طروب

سبتني أريا يوم نعف مسحرٍ بوجهٍ صبيح للقلوب سلوب

لعل زماناً قد مضى أن يعود لي وتغفر أروى عند ذاك ذنوبي

الغناء للدلال خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى في مجراها من رواية حماد عن أبيه، وذكر يحيى المكي أنه لابن سريج.

غنى نائلة بنت عمار الكلبي فأجازته

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي قبيصة قال: جاء الدلال يوماً إلى مترل نائلة بنت عمار الكلبي، وكانت عند معاوية فطلقها، فقرع الباب فلم يفتح له؛ فغنى في شعر مجنون بني عامرٍ ونقر بدفه:

خليلي لا والله ما أملك البكا إذا علمٌ من أرض ليلى بدا ليا

خليلي إن بانوا بليلى فهيئا لي النعش والأكفان واستغفرا ليا

فخرج حشمها فزجروه وقالوا: تنح عن الباب. وسمعت الجلبة فقالت: ما هذه الضجة بالباب؟ فقالوا: الدلال. فقالت: ائذنوا له. فلما دخل عليها شق ثيابه وطرح التراب على رأسه وصاح بويله وحربه؛ فقالت له: الويل ويلك! ما دهاك؟ وما أمرك؟ قال: ضربني حشمك. قالت: ولم؟ قال غنيت صوتاً أريد أن أسمعك إياه لأدخل إليك؛ فقالت: أفٍ لهم وتفٍ! نحن نبلغ لك ما تحب ونحسن تأديبهم. يا جارية هاتي ثيأبا مقطوعة. فلما طرحت عليه جلس. فقالت: ما حاجتك؟ قال: لا أسألك حاجةً حتى أغنيك. قالت: فذاك إليك؛ فاندفع يغني شعر جميل:

ارحميني فقد بليت فحسبي بعض ذا الداء يا بثينة حسبي
لا مني فيك يا بثينة صحبي لا تلوموا قد أقرح الحب قلبي
زعم الناس أن دائي طبي أنت والله يا بثينة طبي

ثم جلس فقال: هل الطعام؟ قالت: علي بالمائدة؛ فأتي بها كأنها كانت مهيأة عليها أنواع الأطعمة، فأكل، ثم قال: هل من شراب؟ قالت: أما نبيذٌ فلا، ولكن غيره. فأتي بأنواع الأشربة، فشرب من جميعها. ثم قال: هل من فاكهة؟ فأتي بأنواع الفواكه فتفكه، ثم قال: حاجتي خمسة آلاف درهمٍ، وخمس حللٍ من حلل معاوية، وخمس حلل من حلل حبيب بن مسلمة، وخمس حلل من حلل النعمان بن بشير. فقالت: وما أردت بهذا؟ قال: هو ذاك، والله ما أرضى ببعضٍ دون بعضٍ، فإما الحاجة وإما الرد. فدعت له بما سأل، فقبضه وقام. فلما توسط الدار غنى ونقر بدفه:

ليت شعري أجفوةٌ أم دلالٌ أم عدوٌ أتى بثينة بعدي
فمريني أطعك في كل أمرٍ أنت والله أوجه الناس عندي

وكانت نائلة عند معاوية، فقال لفاختة بنت قرظة: اذهبي فانظري إليها، فذهبت فنظرت إليها، فقالت له: ما رأيت مثلها، ولكني رأيت تحت سرتها خالاً ليوضعن منه رأس زوجها في حجرها. فطلقها معاوية؛ فتزوجها بعده رجلان: أحدهما حبيب بن مسلمة، والآخر النعمان بن بشير؛ فقتل احدهما فوضع رأسه في حجرها.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

خليلي لا والله ما أملك البكا إذا علمٌ من أرض ليلى بداليا
خليلي إن بانوا بليلى فهيئا لي النعش والكفان واستغفرا ليا
أمضروبة ليلى على أن أوزارها ومتخذ ذنباً لها أن ترانيا
خليلي لا والله ما أملك الذي قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلا بشيءٍ غير ليلى ابتلانيا

الشعر للمجنون. والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر الهشامي أن فيه لحناً لمعبد ثقيلاً أول لايشك فيه. قال: وقد قال قوم: إنه منحول يحيى المكي. وفيه لإبراهيم خفيف ثقيلٍ عن الهشامي أيضاً. وفيه ليحيى المكي رملٌ من رواية ابنه أحمد. وفيه خفيف رملٍ عن أحمد بن عبيد لا يعرف صانعه. ومنها:

صوت

ليت شعري أجفوةٌ أم دلالٌ ... ام عدوٌ أتى بثينة بعدي

فمريني أطعك في كل أمرٍ ... أنت والله أوجه الناس عندي

الشعر لجميل. والغناء لابن محرز خفيف ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لعلويه خفيف ثقيلٍ آخر. وذكر عمرو بن بانة أن فيه خفيف ثقيل بالوسطى لمعبد. وذكر إسحاق أن فيه رملاً بالبنصر في مجراها و لم ينسبه إلى أحد، وذكر الهشامي أنه لمالك. وفيه لمتيم خفيف رمل. وفيه لعريب ثقيل أول بالبنصر. وذكر حبش أن فيه للغريض ثقيلاً أول بالبنصر. ولمعبد فيه ثقيل أول بالوسطى. وذكر ابن المكي أن فيه خفيف ثقيلٍ لمالك وعلويه.

غنى في زفاف ابنة عبد الله بن جعفر

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني عن عوانة بن الحكم قال: لما أراد عبد الله بن جعفر إهداء بنته إلى الحجاج، كان ابن أبي عتيق عنده، فجاءه الدلال متعرضاً فاستأذن. فقال له ابن جعفر: لقد جئتنا يا دلال في وقت حاجتنا إليك. قال: ذلك قصدت. فقال له ابن أبي عتيق: غننا؛ فقال ابن جعفر: ليس وقت ذلك، نحن في شغل عن هذا. فقال ابن أبي عتيق: ورب الكعبة ليغنين. فقال له ابن جعفر: هات. فغنى ونقر بالدف - والهوادج والرواحل قد هيئت، وصيرت بنت ابن جعفر فيها مع جواريها والمشيعين لها -:

يا صاح لو كنت عالماً خبراً ... بما يلاقي المحب لم تلمه

لا ذنب لي في مقرطٍ حسنٍ ... أعجبني دله ومبتسمه

شيمته البخل والبعاد لنا ... يا حبذا هو وحبذا شيمه

مضمخٌ بالعبير عارضه ... طوبى بمن شمه ومن لثمه

- قال: ولابن محرز في هذا الشعر لحنٌ أجود من لحن الدلال - فطرب ابن جعفر وابن أبي عتيق. وقال له ابن جعفر: زدني وطرب. فأعاد اللحن ثلاثاً ثم غنى:

بكر العواذل في الصبا ... ح يلمنني وألومهنه

ويقلن شيبٌ قد علا ... ك وقد كبرت فقلت إنه

ومضت بنت الجعفر، فاتبعها بهذا الشعر - ولعبد آل الهذلي فيه لحن وهو أحسنها -:

إن الخليط أجد فاحتملا ... وأراد غيظك بالذي فعلا

فوقفت انظر بعض شأنهم والنفس مما تأمل الأملا

وإذا البغال تشد صافنةً وإذا الحداة قد أزمعوا الرحلا

فهناك كاد الشوق يقتلني لو أن شوقاً قبله قتلا

فدمعت عينا عبد الله بن جعفر، وقال الدلال: حسبك! فقد أوجعت قلبي! وقال لهم: تمضوا في حفظ الله على خير طائر وأيمن نقيبة.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

بكر العواذل في الصبا ح يلمنني وألومهنه

ويقلن شيبٌ قد علا ك وقد كبرت فقلت إنه

لا بد من شيبٍ فدع ن ولا تطلن ملامكنه

يمشين كالبقر الثقا ل عمدن نحو مراحهنه

يحفين في الممشى القري ب إذا يردن صديقهنه

الشعر لابن قيس الرقيات. والغناء لابن مسجح خفيف ثقيلٍ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه ثقيلٌ أول للغريض عن الهشامي. وفيه خفيف ثقيلٍ آخر بالوسطى ليعقوب بن هبار عن الهشامي ودنانير، وذكر حبشٌ أنه ليعقوب.

ومنها:

صوت

إن الخليط أجد فاحتملا وأراد غيظك بالذي فعلا

الأبيات الأربعة.

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء للغريض ثقيلٌ أول بالسبابة عن يحيى المكي. وفيه ليحيى أيضاً ثقيلٌ أول بالوسطى من رواية أحمد ابنه، وذكر حبشٌ أن هذا اللحن لبسباسة بنت معبدٍ.

سأله ابن أبي ربيعة الغناء في شعر له

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفصٍ الثقفي قال: كان للدلال صوتٌ يغني به ويجيده، وكان عمر بن أبي ربيعة سأله الغناء فيه وأعطاه مائة دينار ففعل، وهو قول عمر:

صوت

ألم تسأل الأطلال والمتربعا ببطن حلياتٍ دوارس بلقعا
إلى السرح من وادي المغمس بدلت معالمه وبلاً ونكباء زعزعا
وقربن أسباب الهوى لمتيمٍ يقيس ذراعاً كلما قسن إصبعا
فقلت لمطربهن في الحسن إنما ضررت فهل تسطيع نفعاً فتنفعا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء للغريض فيه لحنان: أحدهما في الأول والثاني من الأبيات ثقيلٌ أول بالبنصر عن عمرو، والآخر في الثالث والرابع ثاني ثقيلٍ بالبنصر. وفي هذين البيتين الآخرين لابن سريج ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفي الأول والثاني للهذلي خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى عن عمرو. وفيهما لابن جامع رملٌ بالوسطى عنه أيضاً. وقال يونس: لمالكٍ فيه لحنان، ولمعبد لحنٌ واحد.

روى هشام بن المرية عن جرير صوتين له

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال حدثني هشام بن المرية قال: كنا نعرف للدلال صوتين عجيبين، وكان جريرٌ يغني بهما فأعجب من حسنهما. فأخذتهما عنه وأنا أغني بهما. فأما أحدهما فإنه يفرح القلب. والآخر يرقص كل من سمعه. فأما الذي يفرح القلب فلابن سريج فيه أيضاً لحنٌ حسنٌ وهو:

ولقد جرى لك يوم سرحة مالكٍ مما تعيف سانحٌ ويريح
أحوى القوادم بالبياض ملمعٌ قلق المواقع بالفراق يصيح
الحب أبغضه إلي أقله صرح بالذاك فراحتي التصريح
بانت عويمة فالفؤاد قريح ودموع عينك في الرداء سفوح

والآخر:

كلما أبصرت وجهاً حسناً قلت خليلي
فإذا ما لم يكنه صحت ويلي وعويلي
فصلي حبل محبٍ لكم جد وصول
وانظري لا تخذليه إنه غير خذول

نسبة هذين الصوتين للدلال في الشعر الأول الذي أوله:

ولقد جرى لك يوم سرحة مالكٍ

خفيف ثقيلٍ بالوسطى. وفيه لابن سريج ثقيلٌ أول عن الهشامي. وقال حبشٌ: إن للدلال فيه لحنين: خفيف ثقيل أول وخفيف رملٍ. وأول خفيف الرمل:

بانت عويمة فالفؤاد قريح

وذكر أن لحن ابن سريج ثاني ثقيلٍ، وأن لابن مسجح فيه أيضاً خفيف ثقيلٍ.

والصوت الثاني الذي أوله:

كلما أبصرت وجهاً حسناً قلت خليلي

الغناء فيه لعطرد خفيفٌ ثقيلٍ بالوسطى عن حبش، ويقال إنه للدلال. وفيه ليونس خفيف رملٍ، وفيه لإبراهيم الموصلي خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر عن عمرو.

شرب النبيذ وكان لا يشربه فسكر

حتى خلع ثيابه:

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن مصعب بن عبد الله الزبيري قال: كان الدلال لا يشرب النبيذ، فخرج مع قومٍ إلى متنزهٍ لهم ومعهم نبيذٌ، فشربوا و لم يشرب منه، وسقوه عسلاً مجدوحاً، وكان كلما تغافل صيروا في شرابه النبيذ فلا ينكره، وكثر ذلك حتى سكر وطرب، وقال: اسقوني من شرابكم، فسقوه حتى ثمل، وغناهم في شعر الأحوص:

طاف الخيال وطاف الهم فاعتكرا عند الفراش فبات الهم محتضرا

أراقب النجم كالحيران مرتقباً وقلص النوم عن عيني فانشمرا

من لوعة أورثت قرحاً على كبدي يوماً فأصبح منها القلب منفطرا

ومن يبت مضمراً هماً كما ضمنت مني الضلوع يبيت مستبطناً غيرا

فاستحسنه القوم وطربوا وشربوا. ثم غناهم:

طربت وهاجك من تذكر ومن لست من حبه تعتذر

فإن نلت منها الذي أرتجي فذاك لعمري الذي أنتظر

وإلا صبرت فلا مفحشاً عليها بسوءٍ ولا مبتهر

- لحن الدلال في هذا الشعر خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر عن حبش. قال: وذكر قوم أنه للغريض -.

قال: وسكر حتى خلع ثيابه ونام عرياناً، فغطاه القوم بثيابهم وحملوه إلى منزله ليلاً فنوموه وانصرفوا عنه. فأصبح وقد تقيأ ولوث ثيابه بقيئه، فأنكر نفسه، وحلف ألا يغني أبداً ولا يعاشر من يشرب النبيذ؛ فوفى بذلك إلى أن

مات. وكان يجالس المشيخة والأشراف فيفيض معهم في أخبار الناس وأيامهم حتى قضى نحبه.
انقضت أخبار الدلال.

ومما في شعر الأحوص من المائة المختارة

صوت من المائة المختارة

يا دين قلبك منها لست ذاكرها ... إلا ترقرق ماء العين أو دمعا
أدعوا إلى هجرها قلبي فيتبعني ... حتى إذا قلت هذا صادقٌ نزعا
لا أستطيع نزوعاً عن محبتها ... أو يصنع الحب بي فوق الذي صنعا
كم من دنيٍ لها قد صرت أتبعه ... ولو سلا القلب عنها صار لي تبعا

وزادني كلفاً في الحب أن منعت ... وحب شيء إلى الإنسان ما منعا

الشعر للأحوص. والغناء ليحيى بن واصلٍ المكي، وهو رجل قليل الصنعة غير مشهور، ولا وجدت له خبراً فأذكره. ولحنه المختار ثقيلٌ أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق. وذكر يونس أن فيه لحناً لمعبد و لم يجنسه.

محبوبة الأحوص في كبرها

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا مطرف بن عبد الله المدني قال حدثني أبي عن جدي قال: بينا أطوف بالبيت ومعي أبي، إذا بعجوزٍ كبيرة يضرب أحد لحييها الآخر. فقال لي أبي: أتعرف هذه؟ قلت: لا، ومن هي؟ قال: هذه التي يقول فيها الأحوص:

يا سلم ليت لساناً تنطقين ب ... قبل الذي نالني من حبكم قطعا
يلومني فيك أقوامٌ أجالسهم ... فما أبالي أطار اللوم أو وقعا
أدعو إلى هجرها قلبي فيتبعني ... حتى إذا قلت هذا صادقٌ نزعا

قال: فقلت له: يا أبت، ما أرى أنه كان في هذه خيرٌ قطٌ. فضحك ثم قال: يا بني هكذا يصنع الدهر بأهله.
حدثنا به وكيع قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثنا أبو خويلد مطرف بن عبد الله المدني عن أبيه، و لم يقل عن جده، وذكر الخبر مثل الذي قبله.

صوت من المائة المختارة

كالبيض بالأدحي يلمع في الضحى فالحسن حسنٌ والنعيم نعيم

حلين من در البحور كأنه فوق النحور إذا يلوح نجوم

الأدحي: المواضع التي يبيض فيها النعام، واحدها أدحية. وذكر أبو عمرو الشيباني أن الأدحي البيض نفسه. ويقال فيه أدحيٌ وأداحٍ أيضاً.

الشعر لطريح بن إسماعيل الثقفي. والغناء لأبي سعيد مولى فائد، ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه للهذلي خفيف ثقيلٍ من رواية الهشامي. وقد سمعنا من يغني فيه لحناً من خفيف الرمل، ولست أعرف لمن هو.

ذكر طريح وأخباره ونسبه

نسبه

هو - فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دريد عن عمه ابن الكلبي في كتاب النسب إجازةً، وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبي أيوب المديني عن ابن عائشة ومحمد بن سلام ومصعب الزبيري، قال: - طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن عترة بن عوف بن قسي - وهو ثقيف - بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر.

ثقيف والخلاف في نسبه قال ابن الكلبي: ومن النسابين من يذكر أن ثقيفاً هو قسي بن منبه بن النبيت بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دعمي بن إياد بن نزار. ويقال: إن ثقيفاً كان عبداً لأبي رغال، وكان أصله من قوم نجوا من ثمود، فانتمى بعد ذلك إلى قيس. وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه: أنه مر بثقيف، فتغامزوا به؛ فرجع إليهم فقال لهم: يا عبيد أبي رغال، إنما كان أبوكم عبداً له فهرب منه، فثقفه بعد ذلك، ثم انتمى إلى قيس.

وقال الحجاج في خطبة خطبها بالكوفة: بلغني أنكم تقولون إن ثقيفاً من بقية ثمود، ويلكم! وهل نجا من ثمود إلا خيارهم ومن آمن بصالح فبقي معه عليه السلام! ثم قال: قال الله تعالى: " وثمود فما أبقى ". فبلغ ذلك الحسن البصري: فتضاحك ثم قال: حكم لكع لنفسه، إنما قال عز وجل: " فما أبقى " أي لم يبقهم بل أهلكهم. فرفع ذلك إلى الحجاج فطلبه، فتوارى عنه حتى هلك الحجاج. وهذا كان سبب تواريه منه. ذكر ابن الكلبي أنه بلغه عن الحسن.

وكان حماد الراوية يذكر أن أبا رغالٍ أبو ثقيف كلها، وأنه من بقية ثمود، وأنه كان ملكاً بالطائف، فكان يظلم رعيته. فمر بامرأةٍ ترضع صبياً يتيماً بلبن عترٍ لها، فأخذها منها، وكانت سنة مجدبة؛ فبقي الصبي بلا مرضعة فمات، فرماه الله بقارعةٍ فأهلكه، فرجمت العرب قبره، وهو بين مكة والطائف. وقيل: بل كان قائد الفيل ودليل الحبشة لما غزوا الكعبة، فهلك فيمن هلك منهم، فدفن بين مكة والطائف؛ فمر النبي صلى الله عليه وسلم بقبره،

فأمر برجمه فرجم؛ فكان ذلك سنةً.

قال ابن الكلبي وأخبرني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال:

كان ثقيفٌ والنخع من إياد قسي بن منبه بن النبيت بن يقدم بن أفصى بن دعمي بن إياد. والنخع ابن عمرو بن الطمنان بن عبد مناة بن يقدم بن أقصى، فخرجا ومعهما عترٌ لهما لبونٌ يشربان لبنها، فعرض لهما مصدقٌ لملك اليمن فأراد أخذها؛ فقالا له: إنما نعيش بدرها؛ فأبى أن يدعها؛ فرماه أحدهما فقتله. ثم قال لصاحبه: إنه لا يحملني وإياك أرض فأما النخع فمضى إلى بيشة فأقام بها ونزل القسي موضعاً قريباً من الطائف؛ فرأى جاريةً ترعى غنماً لعامر بن الظرب العدواني، فطمع فيها، وقال: أقتل الجارية ثم أحوي الغنم. فأنكرت الجارية منظره، فقالت له: إني أراك تريد قتلي وأخذ الغنم، وهذا شيءٌ إن فعلته قتلت وأخذت الغنم منك، وأظنك غريباً جائعاً، فدلته على مولاها. فأتاه واستجار به فزوجه بنته، وأقام بالطائف. فقيل: لله دره ما أثقفه حين ثقف عامراً فأجاره. وكان قد مر بيهودية بوادي القرى حين قتل المصدق، فأعطته قضبان كرم فغرسها بالطائف فأطعمته و نفعته.

قال ابن الكلبي في خبرٍ طويلٍ ذكره: كان قسي مقيماً باليمن، فضاق عليه موضعه ونبا به، فأتى الطائف - وهو يومئذ منازل فهمٍ وعدوان ابني عمرو بن قيس بن عيلان - فانتهى إلى الظرب العدواني، وهو أبو عامر بن الظرب؛ فوجده نائماً تحت الشجرة، فأيقظه وقال: من أنت؟ قال: أنا الظرب. قال: علي ألیةٌ إن لم أقتلك أو تحالفني وتزوجني ابنتك، ففعل. وانصرف الظرب وقسيٌ معه، فلقيه ابنه عامر بن الظرب فقال: من هذا معك يا أبت؟ فقص قصته. قال عامرٌ: لله أبوه! لقد ثقف أمره؛ فسمي يومئذٍ ثقيفاً. قال: وعير الظرب تزويجه قسياً، وقيل: زوجت عبداً. فسار إلى الكهان يسألهم، فانتهى إلى شق ابن مصعب البجلي وكان أقربهم منه. فلما انتهى إليه قال: إنا قد جئناك في أمر فما هو؟ قال: جئتم في قسي، وقسيٌ عبد إياد، أبق ليلة الواد، في وجٍ ذات الأنداد، فوالى سعداً ليفاد، ثم لوى بغير معاد. " يعني سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ". قال: ثم توجه إلى سطيح الذئبي، "حيٌ من غسان، ويقال: إنهم حيٌ من قضاعة نزولٌ في غسان"، فقال: إنا جئناك في أمر فما هو؟ قال: جئتم في قسيٍ، وقسيٌ من ولد ثمود القديم، ولدته أمه بصحراء بريم، فالتقطه إيادٌ وهو عديم، فاستعبده وهو مليم. فرجع الظرب وهو لا يدري ما يصنع في أمره، وقد وكد عليه في الحلف والتزويج؛ وكانوا على كفرهم يوفون بالقول. فلهذا يقول من قال: إن ثقيفاً من ثمود لأن إياداً من ثمود.

قال: وقد قيل: إن حرباً كانت بين إيادٍ وقيس، وكان رئيسهم عامر بن الظرب، فظفرت بهم قيس، فنفتهم إلى ثمود وأنكروا أن يكونوا من نزار.

قال: وقال عامر بن الظرب في ذلك:

قالت إيادٌ قد رأينا نسبا ... في ابني نزارٍ ورأينا غلبا

سيري إياد قد رأينا عجبا ... لا أصلكم منا فسامي الطلبا

دار ثمود إذ رأيت السبا

قال: وقد روي عن الأعمش أن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال على المنبر بالكوفة وذكر ثقيفاً: لقد هممت أن أضع على ثقيفٍ الجزية؛ لأن ثقيفاً كان عبداً لصالح نبي الله عليه السلام، وإنه سرحه إلى عاملٍ له على الصدقة، فبعث العامل معه بها، فهرب واستوطن الحرم، وإن أولى الناس بصالح محمد صلى الله عليهما وسلم، وإني أشهدكم أني قد رددتهم إلى الرق.

قال: وبلغنا أن ابن عباس قال، وذكر عنده ثقيف، فقال: هو قسي بن منبه، وكان عبداً لامرأة صالح نبي الله صلى الله عليه وسلم، هي الهيجمانة بنت سعد، فوهبته لصالح، وإنه سرحه إلى عاملٍ له على الصدقة؛ ثم ذكر باقي خبره مثل ما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقال فيه: إنه مر برجل معه غنمٌ ومعه ابن له صغير ماتت أمه فهو يرضع من شاةٍ ليست في الغنم لبونٌ غيرها، فأخذ الشاة؛ فناشده الله، وأعطاه عشراً فأبى، فأعطاه جميع الغنم فأبى. فلما رأى ذلك تنحى، ثم نثل كنانته فرماه ففلق قلبه؛ فقيل له: قتلت رسول رسول الله صالح. فأتى صالحاً فقص عليه قصته؛ فقال: أبعده الله! فقد كنت أنتظر هذا منه؛ فرجم قبره، فإلى اليوم والليلة يرجم، وهو أبو رغال.

قال: وبلغنا عن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من الطائف مر بقبر أبي رغال فقال: " هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف كان في الحرم فمنعه الله عز وجل، فلما خرج منه رماه الله وفيه عمود من ذهب "؛ فابتدره المسلمون فأخرجوه.

قال: وروى عمرو بن عبيد عن الحسن أنه سئل عن جرهم: هل بقي منهم أحد؟ قال: ما أدري، غير أنه لم يبق من ثمود إلا ثقيف في قيس عيلان، وبنو لجا في طيىء، والطفاوة في بني أعصر.

قال عمرو بن عبيد وقال الحسن: ذكرت القبائل عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: " قبائل تنتمي إلى العرب وليسوا من العرب حمير من تبع وجرهمٌ من عاد وثقيفٌ من ثمود ".

قال: وروي عن قتادة أن رجلين جاءا إلى عمران بن حصين. فقال لهما: ممن أنتما؟ قالا: من ثقيف. فقال لهما: أتزعمان أن ثقيفاً من إياد؟ قالا نعم. قال: فإن إياداً من ثمود؛ فشق ذلك عليهما. فقال لهما: أساءكما قولي؟ قالا: نعم والله. قال: فإن أنجى من ثمود صالحاً والذين آمنوا معه؛ فأنتم إن شاء الله من ذرية من آمن، وإن كان أبو رغالٍ قد أتى ما بلغكما. قالا له: فما اسم أبي رغالٍ؛ فإن الناس قد اختلفوا علينا في اسمه؟ قال: قسي بن منبه.

قال: وروي الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يحب ثقيفاً، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يبغض الأنصار ".

قال: وبلغنا عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: " بنو هاشم والأنصار حلفان وبنو أمية وثقيفٌ حلفان ".
قال: وفي ثقيف يقول حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

إذا الثقفي فاخركم فقولوا ... هلم نعد شأن أبي رغال
أبوكم أخبث الآباء قدماً ... وأنتم مشبهوه على مثال
عبيد الفزر أورثهم بنيه ... وولى عنهم أخرى الليالي

أم طريح ونسبها وأم طريح بنت عبد الله بن سباع بن عبد العزى بن نضلة بن غبشان من خزاعة، وهم حلفاء بني زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، وسباع بن عبد العزى هو الذي قتله حمزة بن عبد المطلب يوم أحد. ولما برز إليه سباع قال له حمزة: هلم إلي يا بن مقطعة البظور - وكانت أمه تفعل ذلك وتقبل نساء قريش بمكة - فحمي وحشيٌ لقوله وغضب السباع، فرمى حمزة بحربته فقتله - رحمة الله عليه - وقد كتب ذلك في خبر غزاة أحدٍ في بعض هذا الكتاب.

كنيته

ويكنى طريحٌ أبا الصلت؛ كني بذلك لابنٍ كان له اسمه صلتٌ. وله يقول:

يا صلت إن أباك رهن منيةٍ ... مكتوبةٍ لا بد أن يلقاها
سلفت سوالفها بالأنفسٍ من مضى ... وكذاك يتبع باقياً أخراها
والدهر يوشك أن يفرق ريبه ... بالموت أو رحلٍ تشت نواها
لا بد بينكما فتسمع دعوةً ... أو تستجيب لدعوةٍ تدعاها

طرح ابنه الصلت إلى أخواله بعد موت أمه

وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازةً قال أخبرني أبو الحسن الكاتب: أن أم الصلت بن طريح ماتت وهو صغير، فطرحه طريح إلى أخواله بعد موت أمه. وفيه يقول:

بات الخيال من الصليت مؤرقي ... يفري السراة مع الرباب المثلق
ما راعني إلا بياض وجيهه ... تحت الدجنة كالسراج المشرق

طائفة من أخباره

نشأ طريح في دولة بني أمية، واستفرغ شعره في الوليد ين يزيد، وأدرك دولة بني العباس، ومات في أيام المهدي؛ وكان الوليد له مكرماً مقدماً؛ لانقطاعه إليه ولخؤولته في ثقيف.

فأخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني أحمد بن حماد بن الجميل عن العتبي عن سهم بن عبد الحميد قال أخبرني طريح بن إسماعيل الثقفي قال:

خصصت بالوليد بن يزيد حتى صرت أخلو معه. فقلت له ذات يومٍ وأنا معه في مشربةٍ: يا أمير المؤمنين، خالك يحب أن تعلم شيئاً من خلقه. قال: وما هو؟ قلت: لم أشرب شرأبا قط ممزوجاً إلا من لبن أوعسل. قال: وقد عرفت ذاك و لم يباعدك من قلبي. قال: ودخلت يوماً إليه وعنده الأمويون، فقال لي: إلي يا خالي، وأقعدني إلى جانبه، ثم أتي بشراب فشرب، ثم ناولني القدح؛ فقلت: يا أمير المؤمنين قد أعلمتك رأيي في الشراب. قال: ليس لذلك أعطيتك، إنما دفعته إليك لتناوله الغلام، وغضب. فرفع القوم أيديهم كأن صاعقةً نزلت على الخوان؛ فذهبت أقوم، فقال: اقعد. فلما خلا البيت افترى علي، ثم قال: يا عاض كذا وكذا! أردت أن تفضحني، ولولا أنك خالي لضربتك ألف سوط! ثم نهى الحاجب عن إدخالي، وقطع عني أرزاقي. فمكثت ما شاء الله. ثم دخلت عليه يوماً متنكراً، فلم يشعر إلا وأنا بين يديه وأنا أقول:

يابن الخلائف ما لي بعد مقربةٍ ... إليك أقصى وفي حاليك لي عجب

ما لي أذاد وأقصى حين أقصدكم ... كما توقي من ذي العرة الجرب

كأنني لم يكن بيني وبينكم ... إلٌ ولا خلةٌ ترعى ولا نسب

لو كان بالود يدنى منك أزلفني ... بقربك الود والإشفاق والحدب

وكنت دون رجالٍ قد جعلتهم ... دوني إذ ما رأوني مقبلاً قطبوا

إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا ... شراً أذاعوا وإن لم يسمعوا كذبوا

رأوا صدودك عني في اللقاء فقد ... تحدثوا ان حبلى منك منقضب

فذو الشماتة مسرورٌ بهيضتنا ... وذو النصيحة والإشفاق مكتئب

قال: فتبسم وأمرني بالجلوس فجلست. ورجع إلي وقال: إياك أن تعاود. وتمام هذه القصيدة:

أين الذمامة والحق الذي نزلت ... بحفظه وبتعظيمٍ له الكتب

وحوكي للشعر أصفيه وأنظمه ... نظم القصاد فيها الدر والذهب

وإن سخطك شيءٌ لم أناج به ... نفسي ولم يكن مما كنت أكتسب

لكن أتاك بقولٍ كاذبٍ أثمٍ ... قومٌ بغوني فنالوا في ما طلبوا

وما عهدتك فيما زل تقطع ذا ... قربى ولا تدفع الحق الذي يجب

ولا توجع من حقٍ تحمله ... ولا تتبع بالتكدير ما تهب

فقد تقربت جهداً من رضاك بما ... كانت تنال به من مثلك القرب

فغير دفعك حقي وارتفاضك لي وطيك الكشح عني كنت أحتسب

أمشمتٌ بي أقواماً صدورهم علي فيك إلى الأذقان تلتهب

قد كنت أحسب أني قد لجأت إلى حرزٍ وألا يضروني وإن ألبوا

إن التي صنتها عن معشرٍ طلبوا مني إلي الذي لم ينجح الطلب

أخلصتها لك إخلاص امرئٍ عللم الأقوام إن ليس إلا فيك يرتغب

أصبحت تدفعها مني وأعطفها عليك وهي لمن يحبى بها رغب

فإن وصلت فأهل العرف أنت وإن تدفع يدي فلي بقيا ومنقلب

إني كريم كرامٍ عشت في أدبٍ نفى العيوب وملك الشيمة الأدب

قد يعلمون بأن العسر منقطعٌ يوماً وأن الغنى لا بد منقلب

فمالهم حبسٌ في الحق مرتهن مثل الغنائم تحوى ثم تنتهب

وما على جارهم ألا يكون له إذا تكنفه أبياتهم نشب

لا يفرحون إذا ما الدهر طاوعهم يوماً بيسرٍ ولا يشكون إن نكبوا

فارقت قومي فلم أعتض بهم عوضاً والدهر يحدث أحداثاً لها نوب

رواية المدائني في ذلك

وأما المدائني فقال: كان الوليد بن يزيد يكرم طريحاً، وكانت له منه منزلةٌ قريبةً ومكانة، وكان يدني مجلسه، وجعله أول داخلٍ وآخر خارج، ولم يكن يصدر إلا عن رأيه. فاستفرغ مديحه كله وعامة شعره فيه؛ فحسده ناسٌ من أهل بيت الوليد. وقدم حماد الراوية على التفئة الشأم، فشكوا ذلك إليه وقالوا: والله لقد ذهب طريح بالأمير، فما نالنا منه ليلٌ ولا نهار. فقال حماد: ابغوني من ينشد الأمير بيتين من شعر، فأسقط منزلته. فطلبوا إلى الخصي الذي كان يقوم على رأس الوليد، وجعلوا له عشرة آلاف درهم على أن ينشدهما الأمير في خلوة، فإذا سأله من قول من ذا؟ قال: من قول طريح؛ فأجابهم الخصي إلى ذلك، وعلموه البيتين. فلما كان ذات يوم دخل طريح على الوليد وفتح الباب وأذن للناس فجلسوا طويلاً ثم نهضوا، وبقي طريح مع الوليد وهو ولي عهد؛ ثم دعا بغدائه فتغديا جميعاً. ثم إن طريحاً خرج وركب إلى منزله، وترك الوليد في مجلسه ليس معه أحدٌ، فاستلقى على فراشه. واغتنم الخصي خلواته فاندفع ينشد:

سيري ركابي إلى من تسعدين به فقد أقمت بدار الهون ما صلحا

سيري إلى سيدٍ سمحٍ خلائقه ضخم الدسيعة قرمٍ يحمل المدحا

فأصغى الوليد إلى الخصي بسمعه وأعاد الخصي غير مرة؛ ثم قال الوليد: ويحك يا غلام! من قول من هذا؟ قال: من قول طريح. فغضب الوليد حتى امتلأ غيظاً؛ ثم قال: والهفا على أمٍ لم تلدني! قد جعلته أول داخلٍ وآخر خارجٍ، ثم يزعم أن هشاماً يحمل المدح ولا أحملها! ثم قال: علي بالحاجب، فأتاه. فقال: لا أعلم ما أذنت لطريح ولا رأيته على وجه الأرض؛ فإن حاولك فاخطفه بالسيف. فلما كان العشي وصليت العصر، جاء طريح للساعة التي كان يؤذن له فيها، فدنا من الباب ليدخل. فقال له الحاجب: وراءك! فقال: ما لك! هل دخل علي ولي العهد أحدٌ بعدي؟ قال: لا! ولكن ساعة وليت من عنده دعاني فأمرني ألا آذن لك، وإن حاولتني في ذلك خطفتك بالسيف. فقال: لك عشرة آلاف درهم وأذن لي في الدخول عليه. فقال له الحاجب: والله لو أعطيتني خراج العراق ما أذنت لك في ذلك، وليس لك من خير في الدخول عليه فارجع. قال: ويحك! هل تعلم من دهاني عنده؟ قال الحاجب: لا والله! لقد دخلت عليه وما عنده أحدٌ، ولكن الله يحدث ما يشاء في الليل والنهار. قال: فرجع طريح وأقام بباب الوليد سنةً لا يخلص إليه ولا يقدر على الدخول عليه. وأراد الرجوع إلى بلده وقومه فقال: والله إن هذا لعجزٌ بي أن أرجع من غير أن ألقى ولي العهد فأعلم من دهاني عنده. ورأى أناساً كانوا له أعداءً قد فرحوا بما كان من أمره، فكانوا يدخلون على الوليد ويحدثونه ويصدر عن رأيهم. فلم يزل يلطف بالحاجب ويمنيه؛ حتى قال له الحاجب: أما إذ أطلت المقام فإني أكره أن تنصرف على حالك هذه، ولكن الأمير إذا كان يوم كذا وكذا دخل الحمام، ثم أمر بسريره فأبرز، وليس عليه يومئذ حجابٌ؛ فإذا كان ذلك اليوم أعلمتك فتكون قد دخلت عليه وظفرت بحاجتك وأكون أنا على حال عذرٍ. فلما كان ذلك اليوم، دخل الحمام وأمر بسريره فأبرز وجلس عليه، وأذن للناس فدخلوا عليه، والوليد ينظر إلى من أقبل. وبعث الحاجب إلى طريح، فأقبل وقد تتام الناس. فلما نظر الوليد إليه من بعيدٍ صرف عنه وجهه، واستحيا أن يرده من بين الناس؛ فدنا فسلم فلم يرد عليه السلام. فقال طريح يستعطفه ويتضرع إليه:

نام الخلي من الهموم وبات لي ... ليلٌ أكابده وهمٌ مضلع

وسهرت لا أسري ولا في لذةٍ ... أرقي وأغفل ما لقيت الهجع

أبغي وجوه مخارجي من تهمةٍ ... أزمت علي وسد منها المطلع

جزعاً لمعتبة الوليد ولم أكن ... من قبل ذاك من الحوادث أجزع

يابن الخلائف إن سخطك لامرئٍ ... أمسيت عصمته بلاءٌ مفظع

فلأنزعن عن الذي لم تهوه ... إن كان لي ورأيت ذلك منزع

فاعطف فداك أبي علي توسعاً ... وفضيلةً فعلى الفضيلة تتبع

فلقد كفاك وزاد ما قد نالني ... إن كنت لي ببلاء ضرٍ تقنع

سمةٌ لذاك علي جسمٌ شاحبٌ ... بادٍ تحسره ولونٌ أسفع

إن كنت في ذنبٍ عتبت فإنني ... عما كرهت لنازعٌ متصرع

ويئست منك فكل عسرٍ باسطٌ ... كفا إلي وكل يسرٍ أقطع
من بعد أخذي من حبالك بالذي ... قد كنت أحسب أنه لا يقطع
فاربب صنيعك بي فإن بأعينٍ ... للكاشحين وسمعهم ما تصنع
أدفعتني حتى انقطعت وسددت ... عني الوجوه ولم يكن لي مدفع
ورجيت واتقيت يداي وقيل قد ... أمسى يضر إذا أحب وينفع
ودخلت في حرم الذمام وحاطني ... خفرٌ أخذت به وعهدٌ مولع
أفهادمٌ ما قد بنيت وخافضٌ ... شرفي وأنت لغير ذلك أوسع
أفلا خشيت شمات قومٍ فتهم ... سبقاً وأنفسهم عليك تقطع
وفضلت في الحسب الأشم عليهم ... وصنعت في الأقوام ما لم يصنعوا
فكأن آنفهم بكل صنيعةٍ ... أسديتها وجميل فعلٍ تجدع
ودوا لو أنهم ينال أكفهم ... شلل وأنك عن صنيعك تنزع
أو تستليم فيجعلونك أسوةً ... وأبى الملام لك الندى والموضع

قال: فقربه وأدناه، وضحك إليه، وعاد له إلى ما كان عليه.

عاتبه المنصور في شعر مدح به الوليد

فأحسن الاعتذار:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثنا محمد بن عبد الله بن حمزة بن عتبة اللهبي عن أبيه: أن طريحاً دخل على أبي جعفر المنصور وهو في الشعراء؛ فقال له: لا حياك الله ولا بياك! أما اتقيت الله -ويلك! - حيث تقول للوليد بن يزيد:

لو قلت للسيل دع طريقك وال ... موج عليه كالهضب يعتلج
لساخ وارتد أو لكان له ... في سائر الأرض عنك منعرج

فقال له طريح: قد علم الله عز وجل أني قلت ذاك ويد ممدودة إليه عز وجل، وإياه تبارك وتعالى عنيت. فقال المنصور: يا ربيع، أما ترى هذا التخلص!

أدخل على الوليد فمدحه فطرب وأجازه

نسخت من كتاب أحمد بن الحارث مما أجاز لي أبو أحمد الجريري روايته عنه: حدثنا المدائني: أن الوليد جلس يوماً في مجلس له عامٍ، ودخل إليه أهل بيته ومواليه والشعراء وأصحاب الحوائج فقضاها، وكان أشرف يوم رئى له؛ فقال بعض الشعراء فأنشد، ثم وثب طريح، وهو عن يسار الوليد، وكان أهل بيته عن يمينه، وأخواله عن شماله وهو فيهم، فأنشد:

صوت

أنت ابن مسلنطح البطاح ولم ... تطرق عليك الحني والولج
طوبى لفرعيك من هنا وهنا ... طوبى لأعراقك التي تشج
لو قلت للسيل دع طريقك وال ... موج عليه كالهضب يعتلج
لساخ وارتد أو لكان له ... في سائر الأرض منعرج

ولاؤه وكان مغنياً وشاعراً

فطرب الوليد بن يزيد حتى رئي الارتياح فيه، وأمر له بخمسين ألف درهم، وقال: ما أرى أحداً منكم يجيئني اليوم بمثل ما قال خالي، فلا ينشدني أحدٌ بعده شيئاً؛ وأمر لسائر الشعراء بصلات وانصرفوا، واحتبس طريحاً عنده، وأمر ابن عائشة فغنى في هذا الشعر.

نسبة هذا الصوت

أنت ابن مسلنطح البطاح ولم ... تطرق عليك الحني والولج

الأبيات الأربعة. عروضه عن المنسرح. غناه ابن عائشة، ولحنه رملٌ مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق.

المسلنطح من البطاح: ما اتسع واستوى سطحه منها. وتطرق عليك: تطبق عليك وتغطيك وتضيق مكانك؛ يقال: طرقت الحادثة بكذا وكذا إذا أتت بأمر ضيق معضل. والوشيج: أصول النبت؛ يقال: أعراقك واشجةٌ في الكرم، أي نابتة فيه. قال الشاعر:

وهل ينبت الخطي إلا وشيجه ... وتنبت إلا في مغارسها النخل

يعني أنه كريم الأبوين من قريش وثقيف. وقد ردد طريح هذا المعنى في الوليد، فقال في كلمة له:

واعتام كهلك من ثقيفٍ كفأه ... فتنازعاك فأنت جوهر جوهر
فنمت فروع القريتين قصيها ... وقيسها بك في الأشم الأكبر

والحني: ما انخفض من الأرض، والواحدة حناً، والجمع حني مثل عصاً وعصي. والولج: كل متسع في الوادي، والواحدة ولجةٌ. ويقال: الولجات بين الجبال مثل الرحاب. أي لم تكن بين الحني ولا الولج فيخفى مكانك، أي لست في موضع خفي من الحسب. وقال أبو عبيدة: سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقول لآخر يفخر عليه: أنا ابن مسلنطح البطاح، وابن كذا وكذا؛ فقال له عمر: إن كان لك عقلٌ فلك أصلٌ، وإن كان لك خلقٌ فلك شرفٌ، وإن كان لك تقوى فلك كرمٌ، وإلا فذاك الحمار خيرٌ منك. أحبكم إلينا قبل أن نراكم أحسنكم سمتاً، فإذا تلكمتم فأبينكم منطقاً، فإذا اختبرناكم فأحسنكم فعلاً.

قول: " لو قلت للسيل دع الطريق:، يقول: أنت ملك هذا الأبطح والمطاع فيه، فكل من تأمره يطيعك فيه، حتى لو أمرت السيل بالانصراف عنه لفعل لنفوذ أمرك. وإنما ضرب هذا مثلاً وجعله مبالغةً، لأنه لا شيء أشد تعذراً من هذا وشبهه، فإذا صرفه كان على كل شيء سواه أقدر. وقوله: " لساح " أي لغاض في الأرض. " وارتد " أي عدل عن طريقه، وإن لم يجد إلى ذلك سبيلاً كان له منعرجٌ إلى سائر الأرض.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمادٍ عن أبيه قال إسحاق وحدثني به الواقدي عن أبي الزناد عن إبراهيم بن عطية: أن الوليد بن يزيد لما ولي الخلافة بعث إلى المغنين بالدينة ومكة فأشخصهم إليه، وأمرهم أن يتفرقوا ولا يدخلوا نهاراً لئلا يعرفوا، وكان إذ ذاك يتستر في أمره ولا يظهره. فسبقهم ابن عائشة فدخل نهاراً وشهر أمره، فحبسه الوليد وأمر به فقيد، وأذن للمغنين وفيهم معبدٌ، فدخلوا عليه دخلات، ثم أنه جمعهم ليلة فغنوا له حتى طرب وطابت نفسه. فلما رأى ذلك منه معبدٌ قال لهم: أخوكم ابن عائشة فيما قد علمتم، فاطلبوا فيه. ثم قال: يا أمير المؤمنين، كيف ترى مجلسنا هذا؟ قال: حسناً لذيذاً. قال: فكيف لو رأيت ابن عائشة وسمعت ما عنده! قال: فعلي به. فطلع ابن عائشة يرسف في قيده. فلما نظر إليه الوليد، اندفع ابن عائشة فغناه في شعر طريح، والصنعة فيه له:

أنت ابن مسلنطح البطاح ولم ... تطرق عليك الحني والولج

فصاح الوليد: اكسروا قيده وفكوا عنه؛ فلم يزل عنده أثيراً مكرماً.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد عن الحزامي عن عثمان بن حفص عن إبراهيم بن عبد السلام بن أبي الحارث الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة:

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ ... فأتمر أمر رشيدٍ مؤتمن

قال: والله إني لقاعدٌ مع مسلمة بن محمد بن هشام إذ مر به ابن جوان بن عمر بن أبي ربيعة، وكان يغني؛ فقال له: اجلس يا بن أخي غننا، فجلس فغنى:

أنت ابن مسلنطح البطاح ولم ... نطرق عليك الحني والولج

فقال له: يا بن أخي، ما أنت وهذا حيث تغناه، ولا حظ لك فيه! هذا قاله طريح فينا:

إذ الناس ناسٌ والزمان زمان

ومما في المائة الصوت المختارة

من الأغاني من أشعار طريح بن إسماعيل التي مدح بها الوليد بن يزيد:

صوت من المائة المختارة

ويحي غداً إن غدا علي بما أحذر من لوعة الفراق غد

وكيف صبري وقد تجاوب بال فرقة منها الغراب والصرد

الشعر لطريح بن إسماعيل. والغناء مشعب الطائفي، ولحنه المختار من الرمل بالوسطى.

ذكر ابن مشعب وأخبار

أصله

هو رجل من أهل الطائف مولى لثقيف، وقيل: إنه من أنفسهم، وانتقل إلى مكة فكان بها. وإياه يعني العرجي بقوله:

بفناء بيتك وابن مشعب حاضرٌ في سامرٍ عطرٍ وليلٍ مقمر

فتلازما عند الفراق صبابةً أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

عامة الغناء الذي ينسب إلى أهل مكة له

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: ابن مشعب مغنٍّ من أهل الطائف، وكان من أحسن الناس غناءً، وكان في زمن ابن سريج والأعرج؛ وعامة الغناء الذي ينسب إلى أهل مكة له، وقد تفرق غناؤه، فنسب بعضه إلى ابن سريج، وبعضه إلى الهذليين، وبعضه إلى ابن محرز. قال: ومن غنائه الذي ينسب إلى ابن محرزٍ:

يا دار عاتكة التي بالأزهر

ومنه أيضاً:

أقفر ممن يحله السند فالمنحنى فالعقيق فالجمد

أخبرني الحسين قال قال حماد وحدثني أبي قال:

مرض رجلٌ من أهل المدينة بالشام، فعاده جيرانه وقالوا له: ما تشتهي؟ قال: أشتهي إنساناً يضع فمه على أذني ويغنيني في بيتي العرجي:

بفناء بيتك وابن مشعب حاضرٌ في سامرٍ عطرٍ وليلٍ مقمر
فتلازما عند الفراق صبابةً أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

يا دار عاتكة التي بالأزهر أو فوقه بقفا الكثيب الأحمر
بفناء بيتك وابن مشعب حاضرٌ في سامرٍ عطرٍ وليلٍ مقمر
فتلازما عند الفراق صبابةً أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

الشعر للعرجي. والغناء لابن محرز خفيف ثقيلٍ أول بالنصر خفيف، وذكر إسحاق أنه لابن مشعب. وذكر حبشٌ أن فيه لابن المكي هزجاً خفيفاً بالبنصر.

وأما الصوت الآخر الذي أوله:

أقفر ممن يحله السند

فإنه الصوت الذي ذكرناه الذي فيه اللحن المختار، وهو أول قصيدة طريح التي منها:

ويحيى غداً إن غدا علي بما أكره من لوعة الفراق غد

وليس يغنى فيه زماننا هذا. وهذه القصيدة طويلة يمدح فيها طريح الوليد بن يزيد، يقول فيها:

لم يبق فيها من المعارف بع د الحي إلا الرماد والوتد
وعرصةٌ نكرت معاملتها الريح بها مسجدٌ ومنتضد

طائفة من أخباره

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني محمد بن خلف القارئ قال أخبرنا هارون بن محمد، وأخبرنا فيه وكيع - وأظنه هو الذي كنى عنه حيى بن علي، فقال: محمد بن خلفٍ القارئ - قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني علي بن عبد الله اللهبي قال حدثنا أبي عن أبيه قال: أنشد المنصور هذه القصيدة، فقال للربيع: أسمعت أحداً من الشعراء ذكر في باقي معالم الحي المسجد غير طريح!. وهذه القصيدة من جيد قصائد طريح، يقول فيها:

لم أنسى سلمى ولا لياليا بالحزن إذ عيشنا بها رغد
إذ نحن في ميعة الشباب وإذ أيامنا تلك غضةٌ جدد
في عيشة كالفريد عازبةٍ الش قوة خضراء غصنها خضد
نحسد فيها على النعيم وما يولع إلا بالنعمة الحسد

أيام سلمى غريرةٌ أنفٌ كأنها خوط بانةٍ رؤد
ويحيى غداً إن غدا علي بما أكره من لوعة الفراق غد
قد كنت أبكي من الفراق وحي أنا جميعٌ ودارنا صدد
فكيف صبري وقد تجاوب بال فرقة منها الغراب والصرد
دع عنك سلمى لغير مقليةٍ وعد مدحاً بيوته شرد
للأفضل الأفضل الخليفة عب د الله من دون شأوه صعد
في وجهه النور يستبان كما لاح سراج النهار إذ يقد
يمضي على خير ما يقول ولا يخلف ميعاده إذا يعد
من معشر لا يشم من خذلوا عزاً ولا يستذل من رفدوا
بيض عظام الحلوم حدهم ماضٍ حسامٌ وخيرهم عتد
أنت إمام الهدى الذي أصلح الله به الناس بعدما فسدوا
لما أتى الناس أن ملكهم إليك قد صار أمره سجدوا
واستبشروا بالرضا تباشيرهم بالخلد لو قيل إنكم خلد
وعج بالحمد أهل أرضك حتى كاد يهتز فرحةً أحد
واستقبل الناس عيشةً أنفاً إن تبق فيها لهم فقد سعدوا
رزقت من ودهم ومن طاعتهم ما لم يجده لوالدٍ ولد
أثلجهم منك أنهم علموا أنك فيما وليت مجتهد
وأن ما قد صنعت من حسنٍ مصداق ما كنت مرةً تعد
ألفت أهوائهم فأصبحت الأضغان سلماً وماتت الحقد
كنت أرى أن ما وجدت من ال فرحة لم يلق مثله أحد
حتى رأيت العباد كلهم قد وجدوا من هواك ما أجد

صوت

قد طلب الناس ما بلغت فما نالوا ولا قاربوا وقد جهدوا

يرفعك الله بالتكرم والتقوى فتعلو وأنت مقتصد
حسب امرئ من غنى تقربه منك وإن لم يكن له سبد
فأنت أمن لمن يخاف وللم خذول أودى نصيره عضد

- غنى في هذه الأبيات الأربعة إبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر -.

كل امرىءٍ ذي يدٍ تعد علي ه منك معلومة يدٌ يد
فهم ملوكٌ ما لم يروك فإن داناهم منك منزلٌ خمدوا
تعروهم رعدةٌ لديك كما قفقف تحت الدجنة الصرد
لا خوف ظلمٍ ولا قلى خلقٍ إلا جلالاً كساكسه الصمد
وأنت غمر الندى إذا هبط ال زور أرضاً تحلها حمدوا
فهم رفاقٌ فرفقةٌ صدرت عنك بغنمٍ ورفقةٌ ترد
إن حال دهرٌ بهم فإنك لا تنفك عن حالك التي عهدوا
قد صدق الله مادحيك فما في قولهم فريةٌ ولا فند

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال: سمعت إسحاق بن إبراهيم الموصلي يحلف بالله الذي لا إله إلا هو إنه ما رأى أذكى من جعفر بن يحيى قط، ولا أفطن، ولا أعلم بكل شيء، ولا أفصح لساناً، ولا ابلغ في مكاتبةٍ. قال: ولقد كنا يوماً عند الرشيد، فغنى أبي لحناً في شعر طريح بن إسماعيل، وهو:

قد طلب الناس ما بلغت فما نالوا ولا قاربوا وقد جهدوا

فاستحسن الرشيد اللحن والشعر واستعاده ووصل أبي عليه. وكان اللحن في طريقة خفيف الثقيل الأول. فقال جعفر بن يحيى: قد والله يا سيدي أحسن، ولكن اللحن مأخوذٌ من لحن الدلال الذي غناه في شعر أبي زبيد:

من يرى العير لابن أروى على ظه ر المروري حداتهن عجال

وأما الشعر فنقله طريح من قول زهير:

سعى بعدهم قومٌ لكي يدركوهم فلم يبلغوا ولم يلاموا ولم يألوا

قال إسحاق: فعجبت والله من علمه بالألحان والأشعار، وإذا اللحن يشبه لحن الدلال، قال: وكذلك الشعر؛ فاغتممت أني لم أكن فهمت اللحن، وكان ذلك أشد علي من ذهاب أمر الشعر علي، وأنا والله مع ذلك أغني الصوتين وأحفظ الشعرين. قال الحسين: ولحن الدلال في شعر أبي زبيد هذا من خفيف الثقيل أيضاً.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازةً قال حدثني أبو الحسن البلاذري أحمد بن يحيى وأبو أيوب المديني، قال البلاذري وحدثني الحرمازي، وقال أبو أيوب وحدثونا عن الحرمازي قال حدثني أبو القعقاع سهل بن عبد

الحميد عن أبي ورقاء الحنفي قال:

خرجت من الكوفة أريد بغداد، فلما صرت إلى أول خان نزلته، بسط غلماننا وهيئوا غداهم، و لم يجيء أحد بعد، إذ رمانا الباب برجلٍ فاره البرذون حسن الهيئة، فصحت بالغلمان، فأخذوا دابته فدفعها إليهم، ودعوت بالغداء، فبسط يده غير محتشم، وجعلت لا أكرمه بشيء إلا قبله. ثم جاء غلمانه بعد ساعة في ثقلٍ سري وهيئة حسنة. فتناسبنا فإذا الرجل طريح بن إسماعيل الثقفي. فلما ارتحلنا ارتحلنا في قافلة غناء لا يدرك طرفاها. قال: فقال لي: ما حاجتنا إلى زحام الناس وليست بنا إليهم وحشةٌ ولا علينا خوف! نتقدمهم بيوم فيخلوا لنا الطريق ونصادف الخانات فارغةً ونودع أنفسنا إلى أن يوافوا. قلت: ذلك إليك. قال: فأصبحنا الغد فنزلنا الخان فتغدينا وإلى جانبنا نهرٌ ظليل؛ فقال: هل لك أن نستنقع فيه؟ فقلت له شأنك. فلما سرا ثيابه إذا ما بين عصعصه إلى عنقه ذاهبٌ، وفي جنبيه أمثال الجرذان، فوقع في نفسي منه شيءٌ. فنظر إلي ففطن وتبسم، ثم قال: قد رأيت ذعرك مما رأيت؛ وحديث هذا إذا سرنا العشية إن شاء الله تعالى أحدثك به. قال: فلما ركبنا قلت: الحديث! قال: نعم! قدمت من عند الوليد بن يزيد بالدنيا، وكتب إلى يوسف بن عمر مع فراش فملأ يدي أصحابي، فخرجت أبادر الطائف. فلما امتد لي الطريق وليس يصحبني فيه خلقٌ، عن لي أعرابي على بعير له، فحدثني فإذا هو حسن الحديث، وروى لي الشعر فإذا هو راوية، وأنشدني لنفسه فإذا هو شاعر. فقلت له: من أين أقبلت؟ قال: لا أدري. قلت: فأين تريد؟ فذكر قصة يخبر فيها أنه عاشق لمريئةٍ قد أفسدت عليه عقله، وسترها عنه أهلها وجفاه أهله فإنما يستريح إلى الطريق ينحدر من منحدريه ويصعد مع مصعديه، قلت: فأين هي؟ قال: غداً نزل بإزائها، فلما نزلنا أراني ظرباً على يسار الطريق، فقال لي: أترى ذلك الظرب؟ قلت: أراه قال: فإنها في مسقطه. قال: فأدركتني أريحية الشباب، فقلت: أنا والله آتيك برسالتك. قال: فخرجت وأتيت الظرب، وإذا بيت حريدٌ، وإذا فيه امرأةٌ جميلةٌ ظريفةٌ، فذكرته لها، فزفرت زفرة كادت أضلاعها تساقط. ثم قالت: أوحي هو؟ قلت: نعم، تركته في رحلي وراء هذا الظرب، ونحن بأثتون ومصبحون. فقالت: يا أبي أرى لك وجهاً يدل على خير، فهل لك في الأجر؟ فقلت: فقيرٌ والله إليه. قالت: فالبس ثيابي وكن مكاني ودعني حتى آتيه، وذلك مغيربان الشمس. قلت: أفعل، قالت: إنك إذا أظلمت أتاك زوجي في هجمةٍ من إبله، فإذا بركت أتاك وقال: يا فاجرة يا هنتاه، فيوسعك شتماً فأوسعه صمتاً، ثم يقول: اقمعي سقاءك، فضع القمع في هذا السقاء حتى يحقن فيه، وإياك وهذا الآخر فإنه واهي الأسفل. قال: فجاء ففعلت ما أمرتني به، ثم قال: اقمعي سقاءك، فحينني الله، فتركت الصحيح وقمعت الواهي، فما شعر إلا باللبن بين رجليه، فعمد إلى رشاءٍ من قد مربوع، فثناه باثنين فصار على ثمان قوى، ثم جعل لا يتقي مني رأساً ولا رجلاً ولا جنباً، فخشيت أن يبدو له وجهي، فتكون الأخرى، فألزمت وجهي الأرض، فعمل بظهري ما ترى.

ذكر أخبار أبي سعيد مولى فائد ونسبه

ولاؤه، وكان مغنياً وشاعراً

أبو سعيد مولى فائد، وفائد مولى عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه. وذكر ابن خرداذبة أن اسم أبي سعيد إبراهيم. وهو يعرف بين الشعراء باسم ابن سنة مولى بني أمية، وفي المغنين بأبي سعيد مولى فائد. وكان شاعراً مجيداً ومغنياً، وناسكاً بعد ذلك، فاضلاً مقبول الشهادة في المدينة معدلاً. وعمر إلى خلافة الرشيد، ولقيه إبراهيم بن المهدي وإسحاق الموصلي وذووهما. وله قصائد جياد في مراثي بني أمية الذين قتلهم عبد الله وداود ابنا علي بن عبد الله بن العباس، يذكر هاهنا في موضعه منها ما تسوق الأحاديث ذكره.

طائفة من أخباره

أخبرني علي بن عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله بن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن ابن أبي الأزهر بن حماد عن أبيه، واخبرنا به يحيى بن علي عن أخيه أحمد بن علي عن عافيه بنم شبيب عن أبي جعفر الأسدي عن إسحاق، قال يحيى خاصةً في خبره:

قال إسحاق: حججت مع الرشيد، فلما قربت من مكة استأذنته في التقدم فأذن لي، فدخلت مكة، فسألت عن أبي سعيد مولى فائد، فقيل لي: هو في المسجد الحرام. فأتيت المسجد فسألت عنه، فدللت عليه، فإذا هو قائمٌ يصلي، فجئت فجلست قريباً منه. فلما فرغ قال لي: يا فتى، ألك حاجة؟ قلت: نعم، تغنيني: " لقد طفت سبعاً ". هذه رواية يحيى بن علي. وأما الباقون فإنهم ذكروا عن إسحاق أن المهدي قال هذا لأبي سعيد وأمره أن يغني له:

لقد طفت سبعاً قلت لما قضيتها ... ألا ليت هذا لا على ولا ليا

ورفق به وأدنى مجلسه، وقد كان نسك؛ وقد كان نسك؛ فقال: أو أغنيك يا أمير المؤمنين أحسن منه؟ قال: أنت وذاك. فغنى:

إن هذا الطويل من آل حفص ... نشر المجد بعد ما كان ماتا

وبناه على أساسٍ وثيقٍ ... وعمادٍ قد أثبتت إثباتا

مثل ما قد بنى له أو لوه ... وكذا يشبه البناة البنانا

-الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد - فأحسن، فقال له المهدي: أحسنت يا أبا سعيد! فغنني " لقد طفت سبعاً". قال: أو أغنيك أحسن منه؟ قال: أنت وذاك. فغناه:

قدم الطويل فأشرقت واستبشرت ... أرض الحجاز وبان في الأشجار

إن الطويل من آل حفصٍ فاعلموا ... ساد الحضور وساد في الأسفار

فأحسن فيه. فقال: غنني " لقد طفت سبعاً " قال: أو أغنيك أحسن منه؟ قال: فغنني. فغناه:

أيها السائل الذي يخبط الأر ... ض دع الناس أجمعين وراكا

وأتٍ هذا الطويل من آل حفصٍ إن تخوفت عيلة أو هلاكا

فأحسن فيه. فقال له: غنني "لقد طفت سبعاً "، فقد أحسنت فيما غنيت، ولكنا نحب أن تغني ما دعوناك إليه. فقال: لا سبيل إلى ذلك يا أمير المؤمنين؛ لأني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي وفد يده شيءٌ لا أدري ما هو، وقد رفعه ليضربني به وهو يقول: يا أبا سعيد، لقد طفت سبعاً، لقد طفت سبعاً سبعاً طفت! ما صنعت بأمتي في هذا الصوت! فقلت له: بأبي أنت وأمي واغفر لي، فو الذي بعثك بالحق واصطفاك بالنبوة لا غنيت ذا الصوت أبداً؛ فرد يده ثم قال: عفا الله عنك إذاً! ثم انتبهت. وما كنت لأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً في منامي فأرجع عنه في يقظتي. فبكى المهدي وقال: أحسنت يا أبا سعيد أحسن الله إليك! لا تعد في غنائه، وحباه وكساه وأمر برده إلى الحجاز. فقال له أبو سعيد: ولكن اسمعه يا أمير المؤمنين من منة جارية البرامكة. وأظن حكاية من حكى ذلك عن المهدي غلطاً؛ لأن منة جارية البرامكة لم تكن في أيام المهدي، وإنما نشأت وعرفت أيام الرشيد.

وقد حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه أنه هو الذي لقي أبا سعيد مولى فائد وجاراه هذه القصة. وذكر ذلك أيضاً حماد بن إسحاق عن إبراهيم بن المهدي. وقد يجوز أن يكون يكون إبراهيم بن المهدي وإسحاق سألاه عن هذا الصوت فأجابهما فيه بمثل ما أجاب المهدي. وإما خبر إبراهيم بن المهدي خاصةً فله معانٍ غير هذه، والصوت الذي سأله عنه غير هذا؛ وسيذكر بعد قضاء هذه الأخبار لئلا تنقطع.

وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة: أن إبراهيم بن المهدي لقي أبا سعيد مولى فائدٍ؛ وذكر الخبر بمثل الذي قبله، وزاد فيه: فقال له: أشخص معي إلى بغداد، فلم يفعل. فقال: ما كنت لآخذك بما لا تحب، ولو كان غيرك لأكرهته على ما أحب، ولكن دلني على ما ينوب عنك. فدله على ابن جامع، وقال له: عليك بغلامٍ من بني سهمٍ قد أخذ عني وعن نظرائي وتخرج، وهو كما تحب. فأخذه إبراهيم معه فأقدمه بغداد؛ فهو الذي كان سبب وروده إياها.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

صوت من المائة المختارة

لقد طفت سبعاً قلت لما قضيتها ألا ليت هذا لا على ولا ليا

يسائلني صحبي فما أعقل الذي يقولون من ذكر لليلى اعترانيا

عروضه من الطويل. ذكر يحيى بن علي أن الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد، وذكر غيره أن الشعر للمجنون. ولحنه خفيف رملٍ بالبنصر وهو المختار. وذكر حبشٌ أن فيه لإبراهيم خفيف رملٍ آخر. والذي ذكر يحيى بن علي من أن الشعر لأبي سعيد مولى فائد هو الصحيح.

أخبرني عمي عن الكراني عن عيسى بن إسماعيل عن القحذفي أنه أنشده لأبي سعيد مولى فائد. قال عمي: وأنشدني هذا الشعر أيضاً أحمد بن أبي طاهر عن أبي دعامة لأبي سعيد. وبعد هذين البيتين اللذين مضيا هذه الأبيات:

إذا جئت باب الشعب شعب ابن عامر فأقرئ غزال الشعب مني سلاميا
وقل لغزال الشعب هل أنت نازلٌ بشعبك أم هل يصبح القلب ثاويا
لقد زادني الحجاج شوقاً إليكم وقد كنت قبل اليوم للحج قاليا
وما نظرت عيني إلى وجه قادمٍ من الحج إلا بل دمعي ردائيا

في البيت الأول من هذه الأبيات، هو:

إذا جئت باب الشعب شعب ابن عامر

لحن لابن جامع خفيف رملٍ عن الهشامي.

ومنها:

صوت

إن هذا الطويل من آل حفص نشر المجد بعد ما كان ماتا
وبناه على أساسٍ وثيقٍ وعمادٍ قد اثبتت إثباتا
مثل ما قد بنى له أو لوه وكذا يشبه البناة البنانا

عروضه من الخفيف. والشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد. ولحنه رملٌ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.

ومنها:

صوت

قدم الطويل فأشرقت واستبشرت أرض الحجاز وبان في الأشجار
إن الطويل من آل حفصٍ فاعلموا ساد الحضور وساد في الأسفار

الشعر والغناء لأبي سعيد.

ومنها:

صوت

أيها الطالب الذي يخبط الأر ... ض دع الناس أجمعين وراكا

وأتٍ هذا الطويل من آل حفصٍ ... إن تخوفت عيلة أو هلاكا

عروضه من الخفيف. الشعر لأبي سعيد مولى فائد، وقيل: إنه للدارمي. والغناء لأبي سعيد خفيف ثقيلٍ.

وفيه للدارمي ثاني ثقيل.

الطويل من آل حفص الذي عناه الشعراء في هذه الأشعار، وهو عبد الله بن عبد الحميد بن حفص، وقيل: ابن أبي حفص بن المغيرة المخزومي؛ وكان ممدحاً.

فأخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة عن أبي أيوب المديني قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه: أن عبد الله بنعلي بن عبد الحميد المخزومي، كان يعطي الشعراء فيجزل، وكان موسراً، وكان سبب يساره ما صار إليه من أم سلمة المخزومية امرأة أبي العباس السفاح، فإنه تزوجها بعده، فصار إليه منها مالٌ عظيم، فكان يتسمح به ويتفق ويتسع بالعطايا. وكان أم سلمة مائلة إليه، فأعطته ما لا يدرى ما هو، ثن إنها اتهمته بجاريةٍ لها فاحتجبت عنه، فلم تعد إليه حتى مات. وكان جميل الوجه طويلاً. وفيه يقول أبو سعيدٍ مولى فائد:

إن هذا الطويل من آل حفصٍ ... نشر المجد بعد ما كان ماتا

وفيه يقول الدرامي:

أيها السائل الذي يخبط الأر ... ض دع الناس أجمعين وراكا

وأت هذا الطويل من آل خفصٍ ... إن تخوفت عليةً أو هلاكا

وفيه يقول الدرامي أيضاً:

إن الطويل إذا حللت به ... يوماً كفاك مؤونة الثقل

- ويروى:

ابن الطويل إذا حللت به

وحللت في دعةٍ وفي كنفٍ ... رحب الفناء ومنزلٍ سهل

غناء ابن عباد الكاتب، ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر عن ابن المكي.

فأما خبر إبراهيم بن المهدي مع أبي سعيد مولى فائد الذي قلنا إنه يذكر ها هنا، فأخبرني به الحسن بن علي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني القطراني المغني قال حدثني ابن جبر قال: سمعت إبراهيم بن المهدي يقول: كنت بمكة بالمسجد الحرام، فإذا بشيخ قد طلع وقد قلب إحدى نعليه على الأخرى وقام يصلي؛ فسألت عنه فقيل لي: هذا أبو سعيد مولى فائد. فقلت لبعض الغلمان: احصبه فحصبه؛ فأقبل عليه وقال: ما يظن أحدكم إذا دخل المسجد إلا أنه له. فقلت للغلام: قل له: يقول لك مولاي: ابلغني؛ فقال ذلك له. فقال له أبو سعيد: من مولاك حفظه الله؟ قال: مولاي إبراهيم بن المهدي، فمن أنت؟ قال: أنا أبو سعيد مولى فائد؛

وقام فجلس بين يدي، وقال: لا والله - بأبي أنت وأمي - ما عرفتك! فقلت: لا عليك! أخبرني عن هذا الصوت:

أفاض المدامع قتلى كدى وقتلى بكثوةً لم ترمس

قال: هو لي. قلت: ورب هذه البنية لا تبرح حتى تغنيه. قال: ورب هذه البنية لا تبرح حتى تسمعه. قال: ثم قلب إحدى نعليه وأخذ بعقب الأخرى، وجعل يقرع بحرفها على الأخرى ويغنيه حتى أتى عليه، فأخذته منه.

قال ابن جبر: وأخذته أنا من إبراهيم بن المهدي.

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدثني دنية المدني صاحب العباسة بنت المهدي، وكان آدب من قدم علينا من أهل الحجاز: أن أبا سعيد مولى فائد حضر مجلس محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة لأبي جعفر، وكان مقدماً لأبي سعيد. فقال له ابن عمران التيمي: يا أبا سعيد أنت القائل:

لقد طفت سبعاً قلت لما قضيتها ألا ليت هذا لا علي و لا ليا

فقال: أي لعمر أبيك، وأبي لأدمجه إدماجاً من لؤلؤ. فرد محمد بن عمران شهادته في لذك المجلس. وقام أبو سعيد من مجلسه مغضباً وحلف أن لا يشهد عنده أبداً. فأنكر أهل المدينة على ابن عمران رده شهادته. وقالوا: عرضت حقوقنا للتوى وأموالنا للتلف؛ لأنا كنا نشهد هذا الرجل لعلمنا بما كنت عليه والقضاة قبلك من الثقة به وتقديمه وتعديله، فندم ابن عمران بعد ذلك على رد شهادته، ووجه إليه يسأله حضور مجلسه والشهادة عنده ليقضي بشهادته؛ فامتنع، وذكر أنه لا يقدر على حضور مجلسه ليمينٍ لزمته إن حضره حنث. قال: فكان ابن عمران بعد ذلك، إذا ادعى أحدٌ عنده شهادة أبو سعيدٍ، صار إليه إلى مترله أو مكانه من المسجد حتى يسمع منه ويسأله عما يشهد به فيخبره. وكان محمد بن عمران كثير اللحم، عظيم البطن، كبير العجيزة، صغير القدمين، دقيق الساقين، يشتد عليه المشي، فكان كثيراً ما يقول: لقد أتعبني هذا الصوت " لقد طفت سبعاً " وأضر بي ضرراً طويلاً شديداً، وأنا رجل ثقالٌ، بترددي إلى أبي سعيد لأسمع شهادته.

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا النصر بن عمرو عن الهيثم بن عدي قال: كان المطلب بن عبد الله بن حنطبٍ قاضياً على مكة، فشهد عنده أبو سعيد مولى فائد بشهادة؛ فقال له المطلب: ويحك! ألست الذي يقول:

لقد طفت سبعاً قلت لما قضيتها ألا ليت هذا لا علي و لا ليا

لا قبلت لك شهادة أبداً. فقال له أبو سعيد: أنا والله الذي يقول:

كأن وجوه الحنطبيين في الدجى قناديل تسقيها السليط الهياكل

فقال الحنطبي: إنك ما علمتك إلا دبابا حول البيت في الظلم، مدمناً للطواف به في الليل والنهار؛ وقبل شهادته.

نسبة الصوت المذكور قبل هذا،

الذي في حديث إبراهيم بن المهدي وخبره

صوت

أفاض المدامع قتلي كدى وقتلي بكثوة لم ترمس
وقتلي بوج وباللابتب ن من يثربٍ خير ما أنفس
وبالزابيين نفوسٌ ثوت وأخرى بنهر أبي فطرس
أولئك قومي أناخت بهم نوائب من زمنٍ متعس
إذا ركبوا زينوا الموكبين وإن جلسوا الزين في المجلس
هم أضرعوني لريب الزمان وهم ألصقوا الرغم بالمعطس

عروضه من المتقارب. الشعر للعبلي، واسمه عبد الله بن عمر، ويكنى أبا عدي، وله أخبار تذكر مفردةً في موضعها إن شاء الله. والغناء لأبي سعيدٍ مولى فائد، ولحنه من الثقيل الثاني بالسبابة في مجرى البنصر. وقصيدة العبلي أولها:

تقول أمامة لما رأت نشوزي عن المضجع النفس

نسخت من كتاب الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار، وأخبرني الخفش عن المبرد عن المغيرة بن محمد المهلبي عن الزبير عن سليمان عن عياش السعدي قال: جاء عبد الله بن عمر العبلي إلى سويقة وهو طريد بني العباس؛ وذلك بعقب أيام بني أمية وابتداء خروج ملكهم إلى بني العباس، فقصد عبد الله وحسناً ابني الحسن بن حسنٍ بسويقة؛ فاستنشده عبد الله بن حسنٍ شيئاً من شعره فأنشده؛ فقال له: أريد أن تنشدني شيئاً مما رثيت به قومك؛ فأنشده قوله:

تقول أمامة لما رأت نشوزي عن المضجع الأنفس
وقلة نومي على مضجعي لدى هجعة الأعين النعس
أبي ما عراك؟ فقلت الهموم عرون أباك فلا تبلسي

عرون أباك فحبسنه من الذل في شر ما محبس
لفقد الأحبة إذ نالها سهامٌ من الحدث المبئس
رمتها المنون بلا نكل ولا طائشاتٍ ولا نكس

بأسهمها المتلفات النفوس متى ما تصب مهجة تخلس
فصرعنهم في نواحي البلاد ملقى بأرضٍ ولم يرسس
تقيٌ أصيب وأثوابه من العيب والعار لم تدنس
وآخر قد دس في حفرةٍ وآخر قد طار لم يحسس
إذا عن ذكرهم لن ينم أبوك وأوحش في المجلس
فذاك الذي غالني فأعلمي ولا تسألي بامرئٍ متعس
أذلوا قناتي لمن رامها وقد ألصقوا الرغم بالمعطس

قال: فرأيت عبد الله بن حسنٍ وإن دموعه لتجري على خده.

وقد أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن إبراهيم بن رباح قال: عمر أبو سعيد بن أبي سنة مولى بني أمية وهو مولى فائد مولى عمرو بن عثمان إلى أيام الرشيد؛ فلما أحضره فقال: أنشدني قصيدتك:

تقول أمامة لما رأت

فاندفع فغناه قبل أن ينشده الشعر لحنه في أبيات منها، أولها:

أفاض المدامع قتلى كدى

وكان الرشيد مغضباً فسكن غضبه وطرب، فقال: أنشدني القصيدة. فقال: يا أمير المؤمنين، كان القوم موالي وأنعموا علي، فرثيتهم و لم أهج أحداً؛ فتركه.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الحزنبل قال: كنا عند ابن الأعرابي وحضر معنا أبو هفان، فأنشدنا ابن الأعرابي عمن أنشده قال: قال ابن أبي سبة العبلي:

أفاض المدامع قتلى كذا وقتلى بكبوة لم ترمس

فغمز أبو هفان رجلاً وقال له: ما معنى " كذا "؟ قال: يريد كثرتهم. فلما قمنا قال لي أبو هفان: أسمعت إلى هذا المعجب الرقيع! صحف اسم الرجل. هو ابن أبي سبة، فقال: ابن أبي سبة؛ وصحف في بيت واحدٍ موضعين؛ فقال: " قتلى كذا " وهو كدى، و " قتلى بكبوة " وهو بكثوة. وأغلظ علي من هذا أنه يفسر تصحيفه بوجهٍ وقاحٍ.

وهذا الشعر الذي غناه أبو سعيد يقوله أبو عدي عبد الله بن عمر العبلي فيمن قتله عبد الله بن علي بنهر أبي فطرس أبو العباس السفاح أمير المؤمنين بعدهم من بني أمية. وخبرهم والوقائع التي كانت بينهم مشهورةٌ يطول ذكرها جداً. ونذكر ها هنا ما يستحسن منها.

ذكر من قتل أبو العباس السفاح من بني أمية

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني مسبح بن حاتم العكلي قال حدثني الجهم بن السباق عن صالح بن ميمون مولى عبد الصمد بن علي قال: لما استمرت بمروان، أقام عبد الله بن علي بالرقة، وأنفذ أخاه عبد الصمد في طلبه فصار إلى دمشق، وأتبعه جيشاً عليهم أبو إسماعيل عامرٌ الطويل من قواد خراسان، فلحقه وقد جاز مصر في قرية تدعى بوصير، فقتله، وذلك يوم الأحد ثلاث بقين من ذي الحجة، ووجه برأسه إلى عبد الله بن علي، فأنفذه عبد الله بن علي إلى أبي العباس. فلما وضع بين يديه خر لله ساجداً، ثم رفع رأسه وقال: الحمد لله الذي أظهر عليك وأظفرن بك و لم يبق ثأري قبلك وقبل رهطك أعداء الدين؛ ثم تمثل قول ذي الإصبع العدواني:

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ولا دماءهم للغيظ ترويني

أخبرني محمد بن خلفٍ بن وكيعٌ قال حدثني محمد بن يزيد قال: نظر عبد الله بن علي إلى فتى عليه أبهة الشرف وهو يقاتل مستنتلاً، فناداه: يا فتى، لك الأمان ولو كنت مروان بن محمد. فقال: إلا أكنه فلست بدونه. قال: فلك الأمان من كنت. فأطرق ثم قال:

أذل الحياة وكره الممات وكلا أرى لك شراً وبيلا

- ويروى:

وكلاً أراه طعاماً وبيلا

فإن لم يكن غير إحداهما فسيراً إلى الموت سيراً جميلا

ثم قاتل حتى قتل. قال: فإذا هو ابن مسلمة بن عبد الملك بن مروان.

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال حدثني النضر بن عمرو عن المعيطي، وأخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال قال أبو السائب سلم بن جنادة السوائي سمعت أبا نعيم الفضل بن دكين يقول:

دخل سديفٌ - وهو مولى لآل أبي لهبٍ - على أبي العباس بالحيرة. هكذا قال وكيع. وقال الكراني في خبره واللفظ له: كان أبو العباس جالساً في مجلسه على سريره وبنو هاشم دونه على الكراسي، وبنو أمية على الوسائد قد ثنيت لهم، وكانوا في أيام دولتهم يجلسون هو والخلفاء منهم على السرير، ويجلس بنو هاشم على الكراسي؛ فدخل الحاجب فقال: يا أمير المؤمنين، بالباب رجلٌ حجازي أسود راكبٌ على نجيبٍ متلثمٌ يستأذن ولا يحبر باسمه، ويحلف ألا يحسر اللثام عن وجهه حتى يراك. قال: هذا مولاي سديف، يدخل، فدخل. فلما نظر إلى أبي العباس وبنو أمية حوله، حدر اللثام عن وجهه وأنشأ يقول:

أصبح الملك ثابت الأساس بالبهاليل من بني العباس

بالصدور المقدمين قديماً والرؤوس القماقم الرواس

يا أمير المطهرين من الذم ويا رأس منتهى كل راس

أنت مهدي هاشم وهداها كم أناسٍ رجوك بعد إياس
لا تقيلن بعد شمسٍ عثاراً واقطعن كل رقلةٍ وغراسٍ
أنزلوها بحيث أنزلها الل ه بدار الهوان والإتعاس
خوفهم أظهر التودد منهم وبهم منكم كحز المواسي
أقصهم أيها الخليفة واحسم عنك بالسيف شأفة الأرجاس
وأذكرن مصرع الحسين وزيدٍ وقتيلٍ بجانب المهراس
والإمام الذي بحران أمسى رهن قبرٍ في غربةٍ وتناسي
فلقد ساءني وساء سوائي قربهم من نمارق وكراسي
نعم كلب الهراش مولاك لولا أودٌ من حبائل الإفلاس

فتغير لون أبي العباس وأخذه زمع ورعدة؛ فالتفت بعض ولد سليمان بن عبد الملك إلى رجل منهم، وكان إلى جنبه، فقال: قتلنا والله العبد. ثم أقبل أبو العباس عليهم فقال: يا بني الفواعل، أرى قتلاكم من أهلي قد سلفوا وأنتم أحياءٌ تتلذذون في الدنيا! خذوهم! فأخذتهم الخراسانية بالكافر كوبات، فأهمدوا، إلا ما كان من عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فإنه استجار بداود بن علي وقال له: إن أبي لم يكن كأبائهم وقد علمت صنيعته إليكم؛ فأجاره واستوهبه من السفاح، وقال له: قد علمت يا أمير المؤمنين صنع أبيه إلينا. فوهبه له وقال له: لا تريني وجهه، وليكن بحيث تأمنه؛ وكتب إلى عماله في النواحي بقتل بني أمية.

سبب قتل السفاح لبني أمية وتشفيه فيهم أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار عن عمه: أن سبب قتل بني أمية: أن السفاح أنشد قصيدةً مدح بها، فأقبل على بعضهم فقال: أين هذا مما مدحتم به! ففقال: هيهات! لا يقول والله أحدٌ فيكم مثل قول ابن قيس الرقيات فينا:

ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحملون إن غضبوا
وأنهم معدن الملوك ولا تصلح إلا عليهم العرب

فقال له: يا ماص كذا من أمه! أو أن الخلافة لفي نفسك بعد! خذوهم! فأخذوا وقتلوا.

أخبرني عمي عن الكراني عن النصر بن عمرو عن المعيطي: أن أبا العباس دعا بالغداء حين قتلوا، وأمر ببساطٍ فبسط عليهم، وجلس وجلس فوقه يأكل وهم يضطربون تحته. فلما فرغ من الأكل قال: ما أعلمني أكلت أكلةً قط أهنأ ولا أطيب لنفسي منها. فلما فرغ قال: جروا بأرجلهم؛ فألقوا في الطريق يلعنهم الناس أمواتاً كما لعنوهم أحياء. قال: فرأيت الكلاب تجر بأرجلهم تجر بأرجلهم وعليهم سراويلات الوشي حتى أنتنوا؛ ثم حفرت لهم بئرٌ فألقوا فيها: دور ابن هرمة فيما أصاب بني أمية أخبرني عمر بن عبد الله بن جميل العتكي قال حدثنا عمر

بن شبة قال حدثني محمد بن معنٍ الغفاري عن أبيه قال: لما أقبل داود بن علي من مكة أقبل معه بنو حسنٍ جميعاً وحسين بن علي بن حسين وعلي بن عمر بن علي بن حسين وجعفر بن محمد والأرقط محمد بن عبد الله وحسين بن زيد ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاصي وعروة وسعيد ابنا خالد بن سعيد بن عمرو بن عثمان، فعمل لداود مجلسٌ بالرويثة؛ فجلس عليه هو والهاشميون، وجلس الأمويون تحتهم؛ فأنشده إبراهيم بن هرمة قصيدةً يقول فيها.

فلا عفا الله عن مروان مظلمةً ... ولا أمية بئس المجلس النادي

كانوا كعادٍ فأمسى الله أهلكهم ... بمثل ما أهلك الغاوين من عاد

فلن يكذبني من هاشمٍ أحدٌ ... فيما أقول ولو أكثرت تعدادي

قال: فنبذ داودد نحو ابن عنبسة ضحكة كالكشرة. فلما قام عبد الله ابن حسن لأخيه حسن: أما رأيت ضحكته إلى ابن عنبسة! الحمد لله الذي صرفها عن أخي يعني العثماني، قال: فما هو إلا أن قدم المدينة حتى قتل ابن عنبسة.

قال محمد بن معنٍ حدثني محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال: استحلف أخي عبد الله بن حسن داود بن علي، وقد حج معه سنة اثنتين وثلاثين ومائة، بطلاق آمراته ملكية بنت داود بن حسن ألا يقتل أخويه محمداً والقاسم ابني عبد الله. قال: فكنت أختلف إليه آمناً وهو يقتل بني أمية، وكان يكره أن يراني أهل خراسان ولا يستطيع إلي سبيلاً ليمينه. فاستدناني يوماً فدنوت منه، فقال: ما أكثر الغفلة وأقل الحزمة! فأخبرت بها عبد الله بن حسن؛ فقال: يا بن أم، تغيب عن الرجل؛ فتغيبت عنه حتى مات.

خبر سديف مع السفاح أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى قالا حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثني إسماعيل بن إبراهيم عن الهيثم بن بشر مولى بن علي قال: أنشد سديفٌ أبا العباس، وعنده رجالٌ من بني أمية قوله:

يا بن عم النبي أنت ضياءٌ ... استبنا بك اليقين الجليا

فلما بلغ قوله:

جرد السيف وارفع العفو حتى ... لا ترى فوق ظهرها أمويا

لا يغرنك ما ترى من رجالٍ ... إن تحت الضلوع داء دوياً

بطن البغض في القديم فأضحى ... ثاوياً في قلوبهم مطوياً

وهي طويلة قال: يا سديف، خلق الإنسان من عجلٍ، ثم قال:

أحيا الضغائن أباء لنا سلفوا ... فلن تبيد وللأباء أبناء

ثم أمر بمن عنده منهم فقتلوا.

أخبرني أحمد بن عبيد اله بن عمار قال حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه عن عمومته: أنهم حضروا سليمان بن علي بالبصرة، وقد حضر جماعةٌ من بني أمية عليهم الثياب الموشية المرتفعة، فكأني أنظر إلى أحدهم وقد اسود شيبٌ في عارضيه من الغالية، فأمر بهم فقتلوا وجروا بأرجلهم، فألقوا على الطريق، وإن عليهم لسراويلات الوشي والكلاب تجر بأرجلهم.

عمرو بن معاوية يسأل الأمان أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن عبد الله بن عمرو قال أخبرني طارق بن المبارك عن أبيه قال: جاءني رسول عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة، فقال لي: يقول لك عمرو: قد جاءت هذه الدولة وأنا حديث السن كثير العيال منتشر المال، فما أكون في قبيلة إلا شهر أمري وعرفت، وقد اعتزمت على أن أفدي حرمي بنفسي؛ وأنا صائرٌ إلى باب الأمير سليمان بن علي، فصر إلي. فوافيته فإذا عليه طيلسانٌ مطبقٌ أبيض وسراويل وشيٍ مسدول، فقلت: يا سبحان الله! ما تصنع الحداثة بأهلها! أبهذا اللباس تلقى القوم لما تريد لقاءهم فيه! فقال: لا والله، ولكنه ليس عندي ثوبٌ إلا أشهر مما ترى. فأعطيته طيلساني وأخذت طيلسانه ولويت سراويله إلى ركبتيه؛ فدخل ثم خرج مسروراً. فقلت له: حدثني ما جرى بينك وبين الأمير. قال: دخلت عليه و لم نتراء قط، فقلت: أصلح الله الأمير! لفظتني البلاد إليك، ودلني فضلك عليك؛ فإما قتلتني غانماً، وإما رددتني سالماً. فقال: ومن أنت؟ فقلت: إن الحرم اللواتي أنت أقرب الناس إليهن معنا وأولى الناس بهن بعدنا، قد خفن لخوفنا، ومن خاف خيف عليه. فوالله ما أجابني إلا بدموع على خديه؛ ثم قال يا بن أخي، يحقن الله دمك، ويحفظك في حرمك، ويوفر عليك مالك. ووالله لو أمكنني ذلك في جميع قومك لفعلت، فكن متوارياً كظاهر، وآمناً كخائف، ولتأتني رقاعك. قال: فكنت والله أكتب إليه كما يكتب الرجل إلى أبيه وعمه. قال: فلما فرغ من الحديث رددت عليه طيلسانه؛ فقال: مهلاً، فإن ثيابنا إذا فارقتنا لن ترجع إلينا.

شعر لسديف في تحريض السفاح أخبرني أحمد بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال: قال سديفٌ لأبي العباس يحضه على بني أمية ويذكر من قتل مروان وبنو أمية من قومه:

كيف بالعفو عنهم وقديماً ... قتلوكم وهتكوا الحرمات

أين زيدٌ وأين يحيى بن زيد ... يا لها من مصيبة وترات

والإمام الذي أصيب بحرا ... ن إمام الهدى ورأس الثقات

قتلوا آل أحمدٍ لا عفا الذن ... ب لمروان غافر السيئات

شعر لرجل من شيعة بني العباس

في التحريض على بني أمية: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: أنشدني محمد بن يزيد لرجل من شيعة بن العباس يحرضهم على بني أمية:

إياكم أن تلينوا لاعتذارهم ... فليس ذلك إلا الخوف والطمع

لو أنهم أمنوا أبدوا عداوتهم ... فليس قمعوا بالذل فانقمعوا

أليس في ألف شهرٍ قد مضت لهم ... سقوكم جرعاً من بعدها جرع

حتى إذا ما انقضت أيام مدتهم ... متوا إليكم بالأرحام التي قطعوا

هيهات لا بد أن يسقوا بكأسهم ... ريا وأن يحصدوا الزرع الذي زرعوا

إنا وإخواننا الأنصار شيعتكم ... إذا تفرقت الأهواء والشيع

إياكم أن يقولوا الناس إنهم ... قد ملكوا ثم ما ضروا ولا نفعوا

رواية أخرى في تحريض سديف للسفاح

وذكر ابن المعتز: أن جعفر بن إبراهيم حدثه عن إسحاق بن منصور عن أبي الخصيب في قصة سديف بمثل ما ذكره الكراني عن النضر بن عمرو عن المعيطي، إلا أنه قال فيها: فلما أنشده ذلك التفت إليه أبو الغمر سليمان بن هشام فقال: يا ماص بظر أمه! اتجبهنا بهذا ونحن سروات الناس! فغضب أبو العباس؛ وكان سليمان بن هشام صديقه قديماً وحديثاً يقضي حوائجه في أيامهم ويبره؛ فلم يلتفت إلى ذلك، وصاح بالخراسانية: خذوهم؛ فقتلوا جميعاً إلا سليمان بن هشام، فأقبل عليه السفاح فقال: يا أبا الغمر، ما أرى لك في الحياة بعد هؤلاء خيراً. قال: لا والله. فقال: اقتلوه، وكان إلى جنبه، فقتل، وصلبوا في بستانه، حتى تأذى جلساؤه بروائحهم، فكلموه في ذلك، فقال: والله لهذا ألذ عندي من شم المسك والعنبر، غيظاً عليهم وحنقاً.

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

أصبح الدين ثابت الآساس ... بالبهاليل من بني العباس

بالصدور المقدمين قديماً ... والرؤوس القماقم الرؤاس

عروضه من الخفيف، والشعر لسديف. والغناء لعطرد رملٌ بالبنصر عن حبشٍ. قال: وفيه لحكمٍ الوادي ثاني ثقيلٌ. وفيه ثقيلٌ أول مجهول.

ومما قاله أبو سعيد مولى فائد في قتلى بني أمية وغنى فيه:

صوت

بكيت وماذا يرد البكاء وقل البكاء لقتلى كداء

أصيبوا معاً فتولوا معاً كذلك كانوا معاً في رخاء

بكت لهم الأرض من بعدهم وناحت عليهم نجوم السماء

وكانوا الضياء فلما انقضى الزم ان بقومي تولى الضياء

عروضه من المتقارب. الشعر والغناء لأبي سعيدٍ مولى فائد، ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر من رواية عمرو بن بانة وإسحاق وغيرهما.

ومما قاله فيهم وغنى فيه على أنه قد نسب إلى غيره:

صوت

أثر الدهر في رجالي فقلوا بعد جمعٍ فراح عظمي مهيضا

ما تذكرتهم فتملك عيني فيض غربٍ وحق لي أن تفيضا

الشعر والغناء لأبي سعيد خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكي والهشامي. وروى الشيعي عن عمر بن شبة عن إسحاق أن الشعر لسديف والغناء للغريض. ولعله وهمٌ.

ومنها:

صوت

أولئك قومي بعد عز ومنعةٍ تفانوا فإلا تذرف العين أكمد

كأنهم لا ناس للموت غيرهم وإن كان فيهم منصفاً غير معتدي

الشعر والغناء لأبي سعيد. وفيه لحنٌ لمتيم.

المأمون وعلوية يندب بني أمية

أخبرني عبد الله بن الربيع قال حدثنا أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدثني عمي طياب بن إبراهيم قال: ركب المأمون بدمشق يتصيد حتى بلغ جبل الثلج، فوقف في بعض الطريق على بركة عظيمة في جوانبها أربع سروات لم ير أحسن منها ولا أعظم، فنزل المأمون وجعل ينظر إلى آثار بني أمية ويعجب منها ويذكرهم، ثم دعا بطبق عليه بزماورد ورطل نبيذ؛ فقام علويه فغنى:

أولئك قومي بعد عز ومنعةٍ تفانوا فإلا تذرف العين أكمد

قال: فغضي المأمون وأمر برفع الطبق، وقال: يا بن الزانية! ألم يكن لك وقت تبكي فيه على قومك إلا هذا الوقت! قال: نعم أبكي عليهم! مولاكم زرياب يركب معهم في مائة غلامٍ، وأنا مولاهم معكم أموت جوعاً! فقام المأمون فركب وانصرف الناس، وغضب على علويه عشرين يوماً؛ فكلمه فيه عباس أخو بحرٍ؛ فرضي عنه، ووصله بعشرين ألف درهم.

صوت من المائة المختارة

مهاةٌ أن الذر تمشي ضعافه　　على متنها بضت مدارجه دما
فقلن لها قومي فديناك فاركبي　　فأومت بلالاً غير أن تتكلما

عروضه من الطويل. بضت: سالت. يقول: لو مشى الذر على جلدها لجرى الدم من رقته. وروى الأصمعي:

منعة لو يصبح الذر سارياً　　على متنها بضت مدارجه دما

الشعر لحميد بن ثور الهلالي. والغناء في اللحن لفليح بن أبي العوراء، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى. وذكر عمرو بن بانة أن لحن فليح من خفيف الثقيل الأول بالوسطى، وأن الثقيل الأول للهذلي.

ومما يغنى فيه من هذه القصيدة:

صوت

إذا شئت بأجزاع بيشةٍ　　أو النخل من تثليث أو من يلملما
مطوقةٌ طوقاً وليس بحليةٍ　　ولا ضرب صواغٍ بكفيه درهما
تبكي على فرح لها ثم تغتدي　　مولهةً تبغي لها الدهر مطمعا
تؤمل منه مؤنساً لانفرادها　　وتبكي عليه إن زقا أو ترنما

وغناه محمد الرف خفيف رملٍ بالوسطى.

ذكر حميد بن ثور ونسبه وأخباره

نسبه وطبقته في الشعراء

هو حميد بن ثور بن عبد الله بن عامر بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار. وهو من شعراء الإسلام. وقرنه ابن سلام بنهشل بن حري وأوس بن مغراء.

هو مخضرم أدرك عمر بن الخطاب

وقد أدرك حميد بن ثور عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال الشعر في أيامه. وقد أدرك الجاهلية أيضاً.
نهى عمر الشعراء عن التشبيب أخبرني وكيعٌ قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد وعبد الله بن شبيب قالا حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثني محمد بن فضالة النحوي قال: تقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشعراء ألا يشبب أحد امرأة إلا جلده. فقال حميد بن ثور:

أبى الله إلا أن سرحة مالكٍ ... على كل أفنان العضاه تروق
فقد ذهبت عرضاً وما فوق طولها ... من السرح إلا عشةٌ وسحوق

- العشة: القليلة الأغصان والورق. والمسحوق: الطويلة المفرطة -.

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ... ولا الفيء من برد العشي تذوق
فهل أنا إن عللت نفسي بسرحةٍ ... من السرح موجودٌ علي طريقٌ

وهي قصيدة طويلة أولها:

نأت أم عمر فالفؤاد مشوق ... يحن إليها والهاً ويتوق

صوت

وفيها مما يغنى فيه:

سقى السرحة المحلال والأبرق الذي ... به السرح غيثٌ دائمٌ ويروق
وهل أنا إن عللت نفسي بسرحةٍ ... من السرح موجودٌ علي طريقٌ

غناه إسحاق، ولحنه ثاني ثقيلٍ " بالوسطى ".

وفد على بعض خلفاء بني أمية

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير عن عمه قال: وفد حميد بن ثور على بعض خلفاء بني أمية؛ فقال له: ما جاء بك؟ فقال:

أتاك بي الله الذي من فوق ما ترى ... وخيرٌ ومعروفٌ عليك دليل
ومطوية الأقراب أما نهارها ... فنصٌ وأما ليلها فذميل
ويطوي عليه الليل حضنيه أنني ... لذاك إذا هاب الرجال فعول

فوصله وصرفه شاكراً.

أخبار فليح بن أبي العوراء

فليحٌ رجل من أهل مكة، مولىً لبني مخزوم، و لم يقع إلينا اسم أبيه. وهو أحد مغني الدولة العباسية، له محلٌ كبير من صناعته، وموضعٌ جليل. وكان إسحاق إذا عد من سمع من المحسنين ذكره فيهم وبدأ به. وهو أحد الثلاثة الذين اختاروا المائة الصوت للرشيد.

مدح إسحاق الموصلي غناءه

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ابن المكي عن أبيه عن إسحاق قال: ما سمعت أحسن غناءً من فليح بن أبي العوراء وابن جامع: فقلت له: فأبو إسحاق؟ " يعني أباه "؛ فقال: كان هذان لا يحسنان غير الغناء، وكان أبو إسحاق فيه مثلهما، ويزيد عليهما فنوناً من الأدب والرواية لا يداخلانه فيها.

كان يحكي الأوائل فيصيب ويحسن

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال: قال لي إسحاق: أحسن من سمعت غناءً عطرد وفليح.
وكان فليح أحد الموصوفين بحسن الغناء المسموع في أيامه، وهو أحد من اكن يحكي الأوائل فيصيب ويحسن.

أمره الرشيد بتعليم ابن صدقة صوتاً له

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني محمد بن محمد العنبسي قال حدثني محمد بن الوليد الزبيري قال: سمعت كثير بن المحول يقول: كان مغنيان بالمدينة يقال لأحدهما فليح بن أبي العوراء، والآخر سليمان بن سليم؛ فخرج إليهما رسول الرشيد يقول لفليح غناؤك من حلق أبي صدقة أحسن منه من حلقك، فعلمه إياه - قال: وكان يغني صوتاً يجيده، وهو:

خير ما نشربها بالبكر

- قال: فقال فليح للرسول: قل له: حسبك:. قال: فسمعنا ضحكه من وراء الستارة.

كانت ترفع الستارة بينه وبين المهدي

دون سائر المغنين:

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدثنا الفضل بن الربيع: أن المهدي كان يسمع المغنين جميعاً، ويحضرون مجلسه، فيغنونه من وراء الستارة لا

يرون له وجهاً إلا فليح بن أبي العوراء؛ فإن عبد الله بن مصعب الزبيري كان يرويه شعره ويغني فيه في مدائحه للمهدي؛ فدس في أضعافها بيتين يسأله فيهما أن ينادمه، وسأل فليحاً أن يغنيهما في أضعاف أغانيه، وهما:

صوت

يا أمين الإله في الشرق والغر ب على الخلق وابن عم الرسول

مجلساً بالعشي عندك في المي دان أبغي والإذن لي في الوصول

فغناه فليح إياهما. فقال المهدي: يا فضل، أجب عبد الله إلى ما سأل، وأحضره مجلسي إذا حضره أهلي وموالي وجلست لهم، وزده على ذلك أن ترفع بيني وبين راويته فليح الستارة؛ فكان فليح أول مغنٍ عاين وجهه في مجلسهم.

دعاه محمد بن سليمان أول دخوله بغداد

أخبرني رضوان قال حدثني يوسف بن إبراهيم قال حدثني بعد قدومي فسطاط مصر زياد بن أبي الخطاب كاتب مسرورٍ خادم الرشيد، قال: سمعت محبوب بن الهفيتي يحدث أبي، قال: دعاني محمد بن سليمان بن علي، فقال لي: قد قدم فليح من الحجاز ونزل عند مسجد ابن رغبان، فصر إليه، فأعلمه أنه جاءني قبل أن يدخل إلى الرشيد، خلعت عليه خلعة سرية من ثيابي ووهبت له خمسة آلاف درهم. فمضيت إليه فخبرته بذلك؛ فأجابني إليه إجابة مسرورٍ به نشيط له. وخرج معي، فعدل إلى حمام كان بقربه، فدعا القيم فأعطاه درهمين وسأله أن يجيئه بشيء يأكله ونبيذٍ يشربه؛ فجاءه برأسٍ كأنه رأس عجلٍ ونبيذٍ دوشابي غليظ مسحوري رديء، فقلت له: لا تفعل، وجهدت به ألا يأكل ولا يشرب إلا عند محمد بن سليمان؛ فلم يلتفت إلي، وأكل ذلك الرأس وشرب من ذلك النبيذ الغليظ حتى طابت نفسه وغنى وغنى القيم معه ملياً؛ ثم خاطب القيم بما أغضبه، وتلاحيا وتواثبا؛ فأخذ القيم شيئاً فضربه به على رأسه فشجه حتى جرى دمه.

فلما رأى الدم على وجهه اضطرب وجزع وقام يغسل جرحه، ودعا بصوفة محرقة وزيت، وعصبه وتعمم وقام معي. فلما دخلنا دار محمد بن سليمان. ورأى الفرش والآلة وحضر الطعام فرأى سروه وطيبه، وحضر النبيذ وآلته، ومدت الستائر وغنى الجواري، أقبل علي وقال: يا مجنون! سألتك بالله أيما أحق بالعربدة وأولى: مجلس القيم أو مجلس الأمير؟ فقلت: وكأنه لابد من عربدة! قال: لا! والله مالي منها بد، فأخرجتها من رأسي هناك. فقلت: أما على هذا الشرط فالذي فعلت أجود. فسألني محمد عما كنا فيه فأخبرته؛ فضحك ضحكاً كثيراً، وقال: هذا الحديث والله أظرف وأطيب من كل غناء؛ وخلع عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم.

اتفق مع حكم الوادي على إسقاط ابن جامع

عند يحيى بن خالد:

قال هارون بن محمد وحدثني حماد بن إسحاق قال حدثني أبو إسحاق القرمطي قال حدثنا مدركة بن يزيد قال: قال لي فليح بن أبي العوراء: بعث يحيى بن خالد إلي وإلى حكم الوادي وإلى ابن جامع، فأتيناه. فقلت لحكم: إن قعد ابن جامع معنا فعاوني عليه لنكسره. فلما صرنا إلى الغناء غنى حكمٌ؛ فصت وقلت: هكذا والله يكون الغناء! ثم غنيت، ففعل لي حكمٌ مثل ذلك. وغنى ابن جامع فما كنا معه في شيء. فلما كان العشي أرسل إلى جاريته دنانير: إن أصحابك عندنا، فهل لكي أن تخرجي إلينا؟ فخرجت وخرج معها وصائف؛ فأقبل عليها يقول لها من حيث يظن أنا لا نسمع: ليس في القوم أنزه نفساً من فليح. ثم أشار إلى غلام له: أن ائت كل إنسان بألفي درهم، فجاء بها؛ فدفع إلى ابن جامع ألفي درهم فأخذها فطرحها في كمه، وفعل بحكم الوادي مثل ذلك فطرحها في كمه، ودفع إلي ألفين. فقلت لدنانير: قد بلغ مني النبيذ، فاحبسيها لي عندك حتى تبعثي بها إلي؛ فأخذت الدراهم مني بعثت بها إلى من الغد، وقد زادت عليها؛ وأرسلت إلي: قد بعثت إليك بوديعتك وبشيء أحببت أن تفرقه على أخواتي تعني جواري.

طلبه الفضل بن الربيع فجيء به مريضاً

فغنى ورجع ثم مات في علته:

قال هارون بن محمد وحدثني حماد قال حدثني أبي قال: كنا عند الفضل بن الربيع، فقال: هل لك في فليح بن أبي العوراء؟ قلت نعم. فأرسل إليه، فجاء الرسول فقال: هو عليلٌ؛ فعاد إليه فقال الرسول: لابد من أن تجيء؛ فجاء به محمولاً في محفة؛ فحدثنا ساعة ثم غنى. فكان فيما غنى:

تقول عرسي إذ نبا المضجع ما بالك الليلة لا تهجع

فاستحسناه منه واستعدناه منه مراراً؛ ثم انصرف ومات في علته تلك؛ وكان آخر العهد به ذلك المجلس.

روى قصة فتى عاشق غناه هو وعشيقته

فبعثت إليه مهرها ليخطبها إلى أبيها:

أخبرني أحمد بن أبي جعفر جحظة قال حدثني محمد بن أحمد ين يحيى المكي قال حدثني أبي عن فليح بن أبي العوراء قال: كان في المدينة فتًى يعشق ابنة عم له، فوعدته أن تزوره. وشكا إليه أنها تأتيه ولا شيء عنده، فأعطيته ديناراً للنفقة. فلما زارته قالت له: من يلهينا؟ قال: صديق لي، ووصفني لها، ودعاني فأتيته؛ فكان أول ما غنيته:

من الخفرات لم تفضح أخاها ولم تدفع لوالدها شنارا

فقامت إلى ثوبها فلبسته لتنصرف؛ فعلق بها وجهد بها كل الجهد في أن تقيم، فلم تقم وانصرفت. فأقبل علي يلومني في أن غنيتها ذلك الصوت. فقلت: والله ما هو شيءٌ اعتمدت به مساءتك، ولكنه شيء اتفق. قال: فلم نبرح حتى عاد رسولها بعدها ومعه صرة فيها ألف دينار ودفعها إلى الفتى وقال له: تقول لك ابنة عمك: هذا مهري ادفعه إلى أبي، واخطبني؛ ففعل فتزوجها.

نسبة هذا الصوت

صوت

من الخفرات لم تفضح أخاها ولم تدفع لوالدها شنارا

كأن مجامع الأرداف منها نقاً درجت عليه الريح هارا

يعاف وصال ذات البذل قلبي وأتبع الممنعة النوارا

والشعر لسليك بن السلكة السعدي. والغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى الوسطى. وفيه لابن الهربذ لحنٌ من رواية بذل، أوله:

يعاف وصال ذات البذل قلبي

وبعده:

غذاها قارصٌ يغدو عليها ومحضٌ حين تنتظر العشارا

ورد دمشق يعلم جواري ابن المهدي

أخبرني رضوان بن أحمد قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال: كتب إلي جعفر بن يحيى وأنا عاملٌ للرشيد على جند دمشق: قد قدم علينا فليح بن أبي العوراء، فأفسد علينا بأهزاجه وخفيفه كل غناء سمعناه قبله. وأنا محتال لك في تخليصه إليك، لتستمتع به كما استمتعنا. فلم ألبث أن ورد علي فليح بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثة آلاف دينار. فورد علي رجلٌ أذكرني لقاؤه الناس، وأخبرني أنه قد ناهز المائة، فأقام عندي ثلاث سنين، فأخذ عنه جواري كل ما كان معه من الغناء، وانتشرت أغانيه بدمشق: قال يوسف: ثم قدم علينا شابٌ من المغنين نع علي بن زيد بن الفرج الحراني، عند مقدم عنبسة بن إسحاق فسطاط مصر، يقال له مونق؛ فغناني من غناء فليح:

صوت

يا قرة العين اقبلي عذري ضاق بهجرانكم صدري

لو هلك الهجر استراح الهوى ما لقي الوصل من الهجر

-ولحنه خفيف رملٍ - فلم أر بين ما غناه وبين ما سمعته في دار أبي إسحاق فرقاً؛ فسألته كمن أين أخذه؟ فقال: أخذته بدمشق؛ فعلمت أنه مما أخذه أهل دمشق عن فليح.

صوت من المائة المختارة

أفاطم إن النأي يسلي ذوي الهوى ونأيك عني زاد قلبي بكم وجدا

أرى حرجاً ما نلت من ود غيركم ونافلةً ما نلت من ودكم رشدا

وما نلتقي من بعد نأي وفرقةٍ وشحط نوى إلا وجدت له بردا

على كبد قد كاد يبدي بها الهوى ندوباً وبعض القوم يحسبني جلدا

عروضه من الطويل. النأي: البعد، ومثله الشحط. والحرج: الضيق؛ قال الله تعالى: " يجعل صدره ضيقاً حرجاً ". والندوب: آثار الجراح، وأحدها ندبٌ.

الشعر لإبراهيم بن هرمة. والغناء في اللحن المختار، على ما ذكره إسحاق، ليونس الكاتب، وهو من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. وذكر يحي بن علي بن يحيى عن أبيه مثل ذلك. وذكر حبش بن موسى أن الغناء لمرزوق الصراف أو ليحيى بن واصل. وفي هذه الأبيات للهذلي لحنٌ من خفيف الثقيل الأول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة، ومن الناس من ينسب اللحنين جميعاً إليه.

ذكر ابن هرمة وأخباره ونسبه

نسبه

هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة بن هذيل، هكذا ذكر يعقوب بن السكيت. وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب، وذكر ذلك العباس بن هشام الكلبي عن أبيه هشام بن محمد السائب، قالوا جميعاً: هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة بن الهديل بن ربيع بن عامر بن صبيح بن كنانة بن عدي بن قيس بن الحارث بن فهر - وفهرٌ أصل قريش، فمن لم يكن من ولده لم يعد من قريش، وقد قيل ذلك في النضر بن كنانة - وفهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر. قال من ذكرنا من النسابين: قيس بن الحارث هو الخلج، وكانوا في عدوان ثم انتقلوا إلى بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن. فلما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتوه ليفرض لهم، فأنكر نسبهم. فلما استخلف عثمان أتوه فأثبتهم في بني الحارث بن فهرٍ وجعل لهم معهم ديواناً. وسموا الخلج لأنهم اختلجوا ممن كان معه من عدوان ومن بني نصر بن معاوية. وأهل المدينة يقولون: إنما سموا الخلج لأنهم نزلوا بالمدينة على خلجٍ " وواحدها خليج "

فسموا بذلك. ولهم بالمدينة عدد. قال مصعب: كان لإبراهيم بن هرمة عمٌ يقال له هرمة الأعور، فأرادت الخلج نفيه منهم؛ فقال: أمسيت ألأم العرب دعيّ أدعياء. ثم قال يهجوهم:

رأيت بني فهرٍ سباطاً أكفه ... مفمال بال أنبوني أكفكم قفدا

ولم تدركوا ما أدرك القوم قبلكم ... من المجد إلا دعوةً ألحقت كدا

على ذي أيادي الدهر أفلح جدهم ... وخبتم فلم يصرع لكم جدكم جدا

نفاه بنو الحارث بن فهر عنهم

فعاتبهم فصار منهم لساعته:

وقال يحيى بن علي حدثني أبو أيوب المديني عن المدائني عن أبي سلمة الغفاري قال: نفى بنوالحارث بن فهرٍ ابن هرمة، فقال:

أحاربن فهرٍ كيف تطرحونني ... وجاء العدا من غيركم تبتغي نصري

قال: فصار من ولد فهرٍ من ساعته.

كان يقول أنا ألأم العرب

قال يحيى بن علي وحدثني أحمد بن يحيى الكاتب قال حدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه قال: كان ابن هرمة يقول: أنا ألأم العرب، دعيّ أدعياء: هرمة دعيٌّ في الخلج، والخلج أدعياء في قريش.

قصته مع أسلمي ضافه

حدثني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال حدثني عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: زرت عبد الله بن حسن ببابديته وزاره ابن هرمة، فجاء رجلٌ من أسلم؛ فقال ابن هرمة لعبد الله بن حسن: أصلحك الله! سل الأسلمي أن يأذن لي أن أخبرك خبري وخبره. فقال له عبد الله بن حسن: ائذن له، فأذن له الأسلمي. فقال له إبراهيم بن هرمة: إني خرجت - أصلحك الله - أبغي ذوداً لي، فأوحشت وضفت هذا الأسلمي، فذبح لي شاةً وخبز لي خبزاً وأكرمني، ثم غدوت من عنده، فأقمت ما شاء الله. ثم خرجت أيضاً في بغاء ذودٍ لي، فأوحشت فضفته فقراني بلبن وتمر، ثم غدوت من عنده فأقمت ما شاء الله. ثم خرجت في بغاء ذودٍ لي، فأوحشت، فقلت: لو ضفت الأسلمي! فاللبن والتمر خير من الطوى؛ فضفته فجاءني بلبن حامض. فقال: قد أجبته - أصلحك الله - إلى ما سأل، فسله أن يأذن لي أن أخبرك لما فعلت. فقال له: ائذن له؛ فأذن له. فقال الأسلمي: ضافني، فسألته من هو؟ فقال: رجلٌ من قريش، فذبحت له الشاة التي ذكر، ووالله لو كان غيرها عندي لذبحته له حين ذكر أنه من قريش. ثم غدا من عندي وغدا علي

الحي فقالوا: من كان ضيفك البارحة؟ قلت: رجلٌ من قريش؛ فقالوا: لا والله ما هو من قريش، ولكنه دعيٌّ فيها. ثم ضافني الثانية على أنه دعيٌّ في قريش، فجئته بلبن وتمر وقلت: دعي قريش خيرٌ من غيره. ثم غدا من عندي وغدا عليّ الحي فقالوا: من كان ضيفك البارحة؟ قلت الرجل الذي زعمتم أنه دعيٌّ في قريش؛ فقالوا: لا والله ما هو بدعيٍّ في قريش، ولكنه دعيّ أدعياء قريش. ثم جاءني الثالثة، فقريته لبناً حامضاً، ووالله لو كان عندي شرٌ منه لقريته إياه. قال: فانخذل ابن هرمة، وضحك عبد الله وضحكنا معه.

لقاؤه ابن ميادة

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني نوفل بن ميمون قال: لقي ابن ميادة ابن هرمة، فقال ابن ميادة: والله لقد كنت أحب أن ألقاك، لا بدَّ من أن نتهاجى، وقد فعل الناس ذلك قبلنا، فقال ابن هرمة: بئس والله ما دعوت إليه وأحببته، وهو يظنه جاداً. ثم قال له ابن هرمة: أما والله إنني للذي أقول:

إني لميمون جواراً وإنني ... إذا زجر الطير العدا لمشوم

وإني لملآن العنان مناقلٌ ... إذا ما ونى يوماً ألف سؤوم

فود رجالٌ أن أمي تقنعت ... بشيبٍ يغشي الرأس وهي عقيم

فقال ابن ميادة: وهل عندك جراء؟ ثكلتك أمك! أنت ألأم من ذلك! ما قلت إلا مازحاً.

أخبرنا به وكيع قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال قال عبد العزيز بن عمران: اجتمع ابن هرمة وابن ميادة عند جميع بن عمر بن الوليد، فقال ابن ميادة لابن هرمة: قد كنت أحب أن القاك ثم ذكر نحوه.

أنكر عليه مضغه الناطف

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني أبو سلمة الغفاري عن أبيه قال:

وفدت على المهدي في جماعة من أهل المدينة، وكان فيمن وفد يوسف بن موهبٍ وكان في رجال بني هاشم من بني نوفل، وكان معنا ابن هرمة؛ فجلسنا يوماً على دكان قد هيئ لمسجد ولم يسقف، في عسكر المهدي؛ وقد كنا نلقي الوزراء وكبراء السلطان، وكانوا قد عرفونا؛ وإذا حيال الدكان رجلٌ بين يديه ناطفٌ يبيعه يوم شات شديد البرد، فأقبل إذ ضربه بفأسه فتطاير جفوفاً؛ فأقبل ابن هرمة علينا، فقال ليوسف: يابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أما معك درهمٌ نأكل به من هذا الناطف؟ فقال له: متى عهدتني أحمل الدراهم! قال: فقلت له: لكني أنا معي، فأعطيته درهماً خفيفاً، فاشترى به ناطفاً على طبق للناطفي فجاء بشيء كثير، فأقبل يتمضغه وحده ويحدثنا ويضحك. فما راعنا إلا موكب أحد الوزيرين: أبي عبيد الله أو يعقوب بن داود. ثم أقبلت المطرقة؛ فقلنا: مالك قاتلك الله! يهجم علينا هذا وأصحابه، فيرون الناطف بين أيدينا فيظنون أنا نأكل

معك. قال: فوالله ما أحد أولى بالستر على أصحابه وتقلد البلية منك يا ابن عم رسول الله! فضعه بين يديك. قال: اعزب قبحك الله! قال: فأنت يابن أبي ذر، فزبرته. قال: فقال: قد علمت أنه لا يبتلى بهذا إلا دعي أدعياء عاض كذا من أمه. ثم أخذ الطبق في يده فحمله وتلقى به الموكب، فما مر به أحدٌ له نباهةٌ إلا مازحه، حتى مضى القوم جميعاً.

مدح عبد الله بن حسن فأكرمه

وقال هارون حدثني أبو حذافة السهمي قال حدثنا إسحاق بن نسطاس قال: كان أبو هرمة مشتهراً بالنبيذ، فأتى عبد الله بن حسن وهو بالسيالة، فأنشده مديحاً له. فقام عبد الله إلى غنم كانت له، فرمى بساجةٍ عليها فافترقت فرقتين، فقال: أيهما شئت - قال: فإما أن تكون زادت بواحدة أو نقصت بواحدة على الأخرى. قال: وكانت ثلاثمائة - وكتب له إلى المدينة بدنانير. فقال له: يا ابن هرمة، انقل عيالك إلينا يكونوا مع عيالنا. فقال: أفعل يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم قدم ابن هرمة المدينة وجهز عياله لينقلهم إلى عبد الله بن حسن، واكترى من رجلٍ من مزينة.

فبينا هو قد شد متاعه وحمله والكري ينتظره أن يتحمل، إذا أتاه صديق له، فقال: أي أبا إسحاق، عندي والله نبيذٌ يسقط لحم الوجه. فقال: ويحك! أما ترانا على مثل هذا الحال! أعليها يمكن الشراب! فقال: إنما هي ثلاثة لا تزد عليهن شيئاً. فمضى معهم وهم وقوف ينظرون؛ فلم يزل يشرب حتى مضى من الليل صدرٌ صالح؛ ثم أتي به وهو سكران، فطرح في شق المحمل وعادلته امرأته ومضوا.

فلما أسحروا رفع رأسه فقال: أين أنا؟ فأقبلت عليه امرأته تلومه وتعذله، وقالت: قد أفسد عليك هذا النبيذ دينك ودينك، فلو تعللت عنه بهذه الألبان! فرفع رأسه إليها وقال:

لا نبتغي لبن البعير وعندنا ماء الزبيب وناطف المعصار

هو أحد من ختم بهم الشعراء

في رأي الأصمعي:

أخبرنا محمد بن خلف وكيعٌ قال حدثنا زكريا بن يحيى بن خلاد قال: كان الأصمعي يقول: ختم الشعراء بابن هرمة، والحكم الخضري، وابن ميادة، وطفيل الكناني، ومكين العذري.

رهن رداءه في النبيذ

قال هارون بن محمد بن عبد الملك حدثني أبو حذافة السهمي أحمد بن إسماعيل قال: كان ابن هرمة مدمناً للشراب مغرماً به؛ فأتى أبا عمرو بن أبي راشد مولى عدوان؛ فأكرمه وسقاه أياماً ثلاثةً. فدعا ابن هرمة؛ فقال له

غلامٌ لأبي عمرو ابن أبي راشد: قد نفذ نبيذنا. فترع ابن هرمة رداءه عن ظهره فقال للغلام: إذهب به إلى ابن حونك نباذ كان بالمدينة، فأرهنه عنده وأتنا بنبيذٍ، ففعل. وجاء ابن أبي راشد، فجعل يشرب معه من ذلك النبيذ. فقال له: أين رداؤك يا أبا إسحاق؟ فقال: نصفٌ في القدح ونصفٌ في بطنك.

طائفة من أخباره

قال هارون حدثني محمد بن عمر بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عوف الزهري قال حدثني عمي عبد العزيز بن إسماعيل قال: مدح ابن هرمة محمد بن عمران الطلحي، وبعث إليه بالمديح مع ابن ربيح، فاحتجب عنه؛ فمدح محمد بن عبد العزيز؛ وكان ابن هرمة مريضاً، فقال قصيدته التي يقول فيها:

إني دعوتك إذ جفيت وشفني ... مرضٌ تضاعفني شديد المشتكى

وحسبت عن طلب المعيشة وارتقت ... دوني الحوائج في وعور المرتقى

فأجب أخاك فقد أناف بصوته ... يا ذا الإخاء ويا كريم المرتجى

ولقد حفيت صببت عكة بيتنا ... ذوباً ومزت بصفوه عنك القذى

فخذ الغنيمة واغتنمي إنني ... غنمٌ لمثلك والمكارم تشترى

لا ترمين بحاجتي وقضائها ... ضرح الحجاب كما رمى بي من رمى

فركب إلى جعفر بن سليمان نصف النهار؛ فقال: ما نزعك يا أبا عبد الله في هذا الوقت؟ قال: حاجةٌ لم أر فيها أحداً أكفى مني. قال: وما هي؟ قال: قد مدحني ابن هرمة بهذه الأبيات، فأردت من أرزاقي مائة دينار. قال: ومن عندي مثلها. قال: ومن أمير المؤمنين أيضاً! قال: فجاءت المائتا الدينار إلى ابن هرمة، فما أنفق منها إلا ديناراً واحداً حتى مات، وورث الباقي أهله.

وقال أحمد بن أبي خيثمة عن أبي الحسن المدائني قال: امتدح ابن هرمة أبا جعفر فوصله بعشرة آلاف درهم. فقال: لا تقع مني هذه. قال: ويحك! إنها كثيرة. قال: إن أردت أن تهنئني فأبح لي الشراب فإني مغرمٌ به. فقال: ويحك! هذا حد من حدود الله. قال: احتل لي يا أمير المؤمنين. قال نعم. فكتب إلى والي المدينة: من أتاك بابن هرمة سكران فاضربه مائةً واضرب ابن هرمة ثمانين. قال: فجعل الجلواز إذا مر بابن هرمة سكران، قال: من يشتري الثمانين بالمائة! أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال حدثنا أبو سلمة الغفاري قال أخبرنا ابن ربيح راوية ابن هرمة: أصابت ابن هرمة أزمةٌ؛ فقال لي في يومٍ حارٍ: اذهب فتكار حمارين إلى ستة أميال، ولم يسم موضعاً. فركب واحداً وكبت واحداً، ثم سرنا حتى صرنا إلى قصور الحسن بن زيد ببطحاء ابن أزهر، فدخلنا مسجده. فلما مالت الشمس خرج علينا مشتملاً على قميصه، فقال لمولى له: أذن

فأذن، و لم يكلمنا كلمةً. ثم قال له: أقم فأقام، فصلى بنا، ثم أقبل على ابن هرمة فقال: مرحباً بك يا أبا إسحاق، حاجتك؟ قال: نعم، بأبي أنت وأمي، أبياتٌ قلتها - وقد كان عبد الله وحسنٌ وإبراهيم بنو حسن بن حسن وعدوه شيئاً فأخلفوه - فقال: هاتها. فقال:

أما بنو هاشمٍ حولي فقد قرعوا ... نبل الضباب التي جمعت في قرن

فما بيثرب منهم من أعاتبه ... إلا عوائد أرجوهن من حسن

الله أعطاك فضلاً من عطيته ... على هنٍ وهنٍ فيما مضى وهن

قال: حاجتك! قال: لابن أبي مضرس علي خمسون ومائة دينارٍ. قال فقال لمولى له: يا هيثم، اركب هذه البغلة فأتني بابن أبي مضرس وذكر حقه. قال: فما صلينا العصر حتى جاء به. فقال له: مرحباً بك يابن أبي مضرس، أمعك ذكر حقك على ابن هرمة قال نعم. قال: فامحه، فمحاه. ثم قال: يا هيثم، بع ابن أبي مضرس من تمر الخانقين بمائة وخمسين ديناراً وزده على كل دينار ربع دينار، وكل ابن هرمة بخمسين ومائة دينار تمراً، وكل ابن ربيح بثلاثين ديناراً تمراً. قال: فانصرفنا من عنده؛ فلقيه محمد بن عبد الله بن حسن بالسيالة، وقد بلغه الشعر، فغضب لأبيه وعمومته فقال: أي ماص بنظر أمه! أنت القائل:

على هنٍ وهنٍ فيما مضى وهن

فقال: لا والله! ولكني الذي أقول لك:

لا والذي أنت منه نعمةٌ سلفت ... نرجو عواقبها في آخر الزمن

لقد أتيت بأمرٍ ما عمدت له ... ولا تعمده قولي ولا سنني

فكيف أمشي مع الأقوام معتدلاً ... وقد رميت برئ العود بالأبن

ما غيرت وجهه أمٌ مهجنةٌ ... إذا القتام تغشى أوجه الهجن

قال هارون: فحدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية قال:

لما قال ابن هرمة هذا الشعر في حسن بن زيد، قال عبد الله بن حسن: والله ما أراد الفاسق غيري وغير أخوي: حسن وإبراهيم. وكان عبد الله يجري على ابن هرمة رزقاً فقطعه عنه وغضب عليه. فأتاه يعتذر، فنحي وطرد؛ فسأل رجالاً أن يكلموه، فردهم؛ فيئس من رضاه واجتنبه وخافه. فمكث ما شاء الله، ثم مر عشيةً وعبد الله على زربية في ممر المنبر، و لم تكن تبسط لأحدٍ غيره في ذلك المكان. فلما رأى عبد الله تضاءل وتقنفذ وتصاغر وأسرع على المشي. فكأن عبد الله رق له، فأمر به فرد عليه، فقال: يا فاسق، يا شارب الخمر، على هنٍ وهنٍ! أتفضل الحسن عليّ وعلى أخوي! فقال: بأبي أنت وأمي! ورب هذا القبر ما عنيت إلا فرعون وهامان وقارون، أفتغضب لهم! فضحك وقال: والله ما أحسبك إلا كاذباً. قال: والله ما كذبتك. فأمر بأن ترد عليه جرايته.

قصيدة له خالية من الحروف المعجمة أخبرني يحيى بن علي إجازةً قال أخبرني أبو أيوب المديني عن مصعب قال:

إنما اعتذر ابن هرمة بهذا إلى محمد بن عبد الله بن حسن: قال يحيى: وأخبرني أبو أيوب عن علي بن صالح قال: أنشدني عامر بن صالح قصيدةً لابن هرمة نحواً من أربعين بيتاً، ليس فيها حرف يعجم؛ وذكر هذه الأبيات منها. و لم أجد هذه القصيدة في شعر ابن هرمة، ولا كنت أظن أن أحداً تقدم رزيناً العروضي إلى هذا الباب. وأولها:

أرسم سودة أمسى دارس الطلل معطلاً رده الأحوال كالحلل

هكذا ذكر يحيى بن علي في خبره أن القصيدة نحوٌ من أربعين بيتاً، ووجدتها في رواية الأصمعي ويعقوب بن السكيت اثني عشر بيتاً، فنسختها ها هنا للحاجة إلى ذلك. وليس فيها حرف يعجم إلا ما اصطلح عليه الكتاب من تصييرهم مكان ألفٍ ياءً مثل " أعلى " فإنها في اللفظ بالألف وهي تكتب بالياء، ومثل " رأى " ونحو هذا، وهو في التحقيق في اللفظ بالألف، وإنما اصطلح الكتاب على كتابته بالياء كما ذكرناه. والقصيدة:

أرسم سودة محلٌ دارس الطلل معطلٌ رده الأحوال كالحلل
لما رأى أهلها سدوا مطالعها رام الصدود وعاد الود كالمهل
وعاد ودك داءً لا دواء له ولو دعاك طوال الدهر للرحل
ما وصل سودة إلا وصل صارمةٍ أحلها الدهر داراً مأكل الوعل
وعاد أمواهها سدماً وطار لها سهمٌ دعا أهلها للصرم والعلل
وصدوا وصد وساء المرء صدهم وحام للورد ردهاً حومة العلل

- حومة الماء، كثرته وغمرته. والعلل: الشرب الثاني. والرده: مستنقع الماء -:

وحلئوه رداهاً ماؤها عسلٌ ما ماء رده لعمر الله كالعسل
دعا الحمام حماماً سد مسمعه لما دعاه رآه طامح الأمل
طموح سارحةٍ حومٍ ملمعةٍ وممرع السر سهلٌ ما كد السهل
وحاولوا رد أمرٍ لا مرد له والصرم داءٌ لأهل اللوعة الوصل
أحلك الله أعلى كل مكرمةٍ والله أعطاك أعلى صالح العمل
سهلٌ موارده سمحٌ مواعده مسودٌ لكرامٍ سادةٍ حمل

هجاؤه المسور بن عبد الملك قال يحيى بن علي وحدثني أبو أيوب المديني عن أبي حذيفة قال: كان المسور بن عبد الملك المخزومي يعيب شعر ابن هرمة، وكان المسور هذا عالماً بالشعر والنسب؛ فقال ابن هرمة فيه:

إياك لا ألزمن لحييك من لجمي نكلاً ينكل قراصاً من اللجم
يدق لحييك أو تنقاد متبعاً مشي المقيد ذي القردان والحلم

إني إذا ما امرؤٌ خفت نعامته إلي واستحصدت منه قوى الوذم
عقدت في ملتقى أوداج لبته طوق الحمامة لا يبلى على القدم
إني امرؤٌ لا أصوغ الحلي تعمله كفاي لكن لساني صائغ الكلم
إن الأديم الذي أمسيت تقرظه جهلاً لذو نغلٍ بادٍ وذو حلم
ولا يئط بأيدي الخالقين ولا أيدي الخوالق إلا جيد الأدم

هجاؤه عبد الله بن مصعب قال يحيى وحدثني أبو أيوب عن مصعب بن عبد الله عن أبيه قال:

لقيني ابن هرمة فقال لي: يابن مصعب، أتفضل عليّ ابن أذينة! أما شكرت قولي:

فمالك مختلاً عليك خصاصةٌ كأنك لم تنبت ببعض المنابت
كأنك لم تصحب شعيب بن جعفرٍ ولا مصعباً ذا المكرمات ابن ثابت

-يعني مصعب بن عبد الله - قال: فقلت: يا أبا إسحاق، أقلني وروني من شعرك ما شئت؛ فإني لم أرو لك شيئاً. فرواني عباسياته تلك.

أكرم من رأى قال يحيى: وأخبرني أبو أيوب المديني عن مصعب بن عبد الله عن مصعب بن عثمان قال: قال ابن هرمة: ما رأيت أحداً قط أسخى ولا أكرم من رجلين: إبراهيم بن عبد الله بن مطيع، وإبراهيم بن طلحة بن عمرو بن عبد الله بن معمر. أما إبراهيم بن طلحة فأتيته فقال: أحسنوا ضيافة أبي إسحاق، فأتيت بكل شيء من الطعام، فأردت أن أنشده؛ فقال: ليس هذا وقت الشعر. ثم أخرج الغلام إليّ قطعةً فقال: ائت بها الوكيل. فأتيته بها، فقال: إن شئت أخذت لك جميع ما كتب به، وإن شئت أعطيتك القيمة. قلت: وما أمر لي به؟ فقال: مائتا شاةٍ برعائها وأربعة أجمالٍ وغلامٌ جمال ومظلة وما تحتاج إليه، وقوتك وقوت عيالك سنةً. قلت: فاعطني القيمة؛ فأعطاني مائتي دينار. وأما إبراهيم بن عبد الله فأتيته في مترلة بمشاش على بئر ابن الوليد بن عثمان بن عفان؛ فدخل إلى مترله ثم خرج إليّ برزمة من ثياب وصرةٍ من دراهم ودنانير وحلي، ثم قال: لا والله ما بقينا في مترلنا ثوباً نواري به امرأةً، ولا حلياً ولا ديناراً ولا درهماً. وقال يمدح إبراهيم:

أرقتني تلومني أم بكرٍ بعد هدءٍ واللوم قد يؤذيني
حذرتني الزمان ثمت قالت ليس هذا الزمان بالمأمون
قلت لما هبت تحذرني الده ر دعي اللوم عنك واستبقيني
إن ذا الجود والمكارم إبرا هيم يعنيه كل ما يعنيني
قد خبرناه في القديم فألفي نا مواعيده كعين اليقين
قلت ما قلت للذي هو حقٌ مستبينٌ لا للذي يعطيني

نضحت أرضنا سماؤك بعد ال جدب منها وبعد سوء الظنون
فرعينا آثار غيثٍ هراقت ه يدا محكم القوى ميمون

وقال هارون حدثنا حماد عن عبد الله بن إبراهيم الحجبي: أن إبلاً لمحمد بن عمران تحمل علفاً مرت بمحمد بن عبد العزيز الزهري ومعه ابن هرمة، فقال: يا أبا إسحاق، ألا تستعلف محمد بن عمران! وهو يريد أن يعرضه لمنعه فيهجوه. فأرسل ابن هرمة في أثر الحمولة رسولاً حتى وقف على ابن عمران!، فأبلغه رسالته؛ فرد إليه الإبل بما عليها، وقال: أن احتجت إلى غيرها زدناك. فأقبل ابن هرمة على محمد بن عبد العزيز فقال له: اغسلها عني، فإنه إن علم أني استعلفته ولا دابة لي وقعت منه في سوءة. قال: بماذا؟ قال: تعطيني حمارك. قال: هو لك بسرجه ولجامه. فقال بن هرمة: من حفر حفرة سوءٍ وقع فيها.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أبو يحيى هارون بن عبد الله الزهري عن ابن زريق، وكان منقطعاً إلى أبي العباس بن محمد وكان من أروى الناس، قال: كنت مع السري بن عبد الله باليمامة، وكان يتشوق إلى إبراهيم بن علي بن هرمة ويحب أن يفد إليه؛ فأقول: ما يمنعك أن تكتب إليه؟ فيقول: أخاف أن يكلفني من المؤونة ما لا أطيق. فكنت أكتب بذلك إلى ابن هرمة، فكره أن يقدم عليه إلا بكتاب منه؛ ثم غلب فشخص إليه، فنزل علي ومعه راويته ابن ربيح. فقلت له: ما منعك من القدوم على الأمير وهو من الحرص على قدمك على ما كتبت به إليه؟ قال: الذي منعه من الكتاب إلي. فدخلت على السري فأخبرته بقدومه؛ فسر بذلك وجلس للناس مجلساً عاماً، ثم أذن لابن هرمة فدخل عليه ومعه راويته ابن ربيح. وكان ابن هرمة قصيراً دميماً أريمص، وكان ابن ربيح طويلاً جسيماً نقي الثياب. فسلم على السري ثم قال له: أصلحك الله! إني قد قلت شعراً أثنيت فيه عليك. فقال: أنشد؛ فقال: هذا ينشد فجلس. فأنشده ابن ربيح قصيدته التي أولها:

عوجاً على ربع ليلى أم محمود كيما نسائله من دون عبود
عن أم محمود إذ نشط المزار بها لعل ذلك يشفي داء معمود

فعرجا بعد تغويرٍ وقد وقفت شمس النهار ولاذ الظل بالعود
شيئاً فما رجعت أطلال منزلةٍ قفرٍ جواباً لمحزون الجوى مودي

ثم قال فيها يمدح السري:

ذاك السري الذي لولا تدفقه بالعرف متنا حليف المجد والجود
من يعتمدك ابن عبد الله مجتدياً لسيب عرفك يعمد خير معمود
يا ابن الأساة الشفاة المستغاث بهم والمطعمين ذرى الكوم المقاحيد

والسابقين إلى الخيرات قومهم ... سبق الجياد إلى غاياتها القود
أنت ابن مسلنطح البطحاء منبتكم ... بطحاء مكة لا روس القراديد
لكم سقايتها قدماً وندوتها ... قد حازها والدٌ منكم لمولود
لولا رجاؤك لم تعسف بنا قلصٌ ... أجواز مهمهةٍ قفرٍ الصوى بيد
لكن دعاني وميضٌ لاح معترضاً ... من نحو أرضك في دهمٍ مناضيد

وأنشده أيضاً قصيدة مدحه فيها، أولها:

أفي طللٍ قفرٍ تحمل آهله ... وقفت وماء العين ينهل هامله
تسائل عن سلمى سفاهًا وقد نأت ... بسلمى نوى شحطٌ فكيف تسائله
وترجو ولم ينطق وليس بناطقٍ ... جواباً محيلٌ قد تحمل آهله
ونؤيٌ كخط النون ما إن تبينه ... عفته ذيول من شمالٍ تذايله

ثم قال فيها يمدح السري:

فقل للسري الواصل البرذي الندى ... مديحاً إذا ما بث صدق قائله
جوادٌ على العلات يهتز للندى ... كما اهتز غضبٌ أخلصته صياقله
نفى الظلم عن أهل اليمامة عدله ... فعاشوا وزاح الظلم عنهم وباطله
وناموا بأمنٍ بعد خوفٍ وشدةٍ ... بسيرة عدل ما تخاف غوائله
وقد علم المعروف أنك خدنه ... ويعلم هذا الجوع أنك قاتله
بك الله أحيا الأرض حجرٍ وغيرها ... من الأرض حتى عاش بالبقل آكله
وأنت ترجي للذي أنت أهله ... وتنفع ذا القربى لديك وسائله

وأنشده أيضاً مما مدحه به قوله:

عوجاً نحي الطلول بالكثب

يقول فيها يمدحه :

دع عنك سلمى وقل محبرةً ... لماجد الجد طيب النسب
محض مصفى العروق يحمده ... في العسر واليسر كل مرتغب
الواهب الخيل في أعنتها ... والوصفاء الحسان كالذهب

مجداً وحمداً يفيده كرماً والحمد في الناس خير مكتسب

قال: فلما فرغ ابن ربيح، قال السري لابن هرمة: مرحباً بك يا أبا إسحاق! ما حاجتك؟ قال: جئتك عبداً مملوكاً. قال: لا بل حراً كريماً وابن عم، فما ذاك؟ قال: ما تركت لي مالاً إلا رهنته، ولا صديقاً إلا كلفته - قال أبو يحيى: يقول لي ابن زريق: حتى كأن لي ديناً وعليه مالاً - فقال له السري: وما دينك؟ قال: سبعمائة دينار. قال: قد قضاها الله عز وجل عنك. قال: فأقام أياماً، ثم قال لي: قد اشتقت. فقلت له: قل شعراً تشوق فيه. فقال قصيدته التي يقول فيها:

أألحمامة في نخل ابن هداج هاجت صبابة عاني القلب مهتاج

أم المخبر أن الغيث قد وضعت منه العشار تماماً غير إخداج

شقت سوائفها بالفرش من مللٍ إلى الأعارف من حزنٍ وأولاج

حتى كأن وجوه الأرض ملبسةٌ طرائفاً من سدى عصبٍ وديباج

وهي طويلة مختارة من شعره، يقول فيها يمدح السري:

أما السري فإني سوف أمدحه ما المادح الذاكر الإحسان كالهاجي

ذاك الذي هو بعد الله أنقذني فلست أنساه إنقاذي وإخراجي

ليثٌ بحجرٍ إذا ما هاجه فزعٌ هاج إليه بإلجام وإسراج

لأحبونك مما أصطفي مدحاً مصاحباتٍ لعمارٍ وحجاج

أسدى الصنيعة من بر ومن لطفٍ إلى قروعٍ لباب الملك ولاج

كم من يدٍ لك في الأقوام قد سلفت عند امرئٍ ذي غنى أو عند محتاج

فأمر له بسبعمائة دينار في قضاء دينه، ومائة دينارٍ يتجهز بها، ومائة دينارٍ يعرض بها أهله، ومائة دينارٍ إذا قدم على أهله.

قوله: " يعرض بها أهله " أي يهدي لهم بها هدية، والعراضة: الهدية. قال الفرزدق يهجو هشام بن عبد الملك:

كانت عراضتك التي عرضتنا يوم المدينة زكمةً وسعالاً

إنكاره شعراً له في بني خوفاً من العباسيين: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني نوفل بن ميمون قال أخبرني أبو مالك محمد بن علي بن هرمة قال: قال ابن هرمة:

ومهما ألام على حبهم فإني أحب بني فاطمة

بني بنت من جاء بالمحكما ت والدين والسنة القائمه

فلقيه بعد ذلك رجلٌ فسأله: من قائلها؟ فقال: من عض بظر أمه. فقال له ابنه: يا أبت، ألست قائلها؟ قال: بلى. قال: فلم شتمت نفسك؟ قال: أليس أن يعض المرء بظر أمه خيراً من يأخذه ابن قحطبة! خبره مع رجل يتجر بعرض ابنتيه أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا جعفر بن مدرك الجعدي قال: جاء ابن هرمة إلى رجل كان بسوق النبط، معه زوجةٌ وله بنتان كأنهما ظبيتان يقود عليهما، بمال فدفعه إليه، فكان يشتري لهم طعاماً وشرابا. فأقام ابن هرمة مع ابنتيه حتى خف ذلك المال، وجاء قومٌ آخرون معهم مالٌ؛ فأخبرهم بمكان ابن هرمة؛ فاستثقلوه وكرهوا أن يعلم بهم؛ فأمر ابنتيه، فقالتا له: يا أبا إسحاق، أما دريت ما الناس فيه؟ قال: وما هم فيه؟ قالتا: زلزل بالروضة، فتغافلهما. ثم جاء أبوهما متفازعاً فقال: أي أبا إسحاق، ألا تفزع لما الناس فيه! قال: وما هم فيه؟ قال زلزل بالروضة. قال: قد جاءكم الآن إنسانٌ معه مالٌ، وقد نفضت ما جئتكم به وثقلت عليه؛ فأردت إدخاله وإخراجي. أيزلزل بروضةٍ من رياض الجنة ويترك منزلك وأنت تجمع فيه الرجال على ابنتيك! والله لاعدت إليه! وخرج من عنده.

وروى هذا الخبر عن الزبير بن هارون بن محمد الزيات فزاد عليه، قال: ثم خرج من عندهم. فأتى عبد الله بن حسن فقال: إني قد مدحتك فاستمع مني. قال: لا حاجة لي بذلك.، أنا أعطيك ما تريد ولا أسمع. قال: إذاً أسقط ويكسد سوقي. فسمع منه وأمر له بمائتي دينار؛ فأخذها وعاد إلى الرجل، وقال: قد جئتك بما تنفقه كيف شئت. و لم يزل مقيماً عنده حتى نفذت.

قصته مع محمد بن عبد العزيز قال الزبير: وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز قال حدثني عمي عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال:

وافينا الحج في عامٍ من الأعوام الخالية، فأصبحت بالسيالة، فإذا إبراهيم بن علي ابن هرمة يأتينا؛ فاستأذن على أخي محمد بن عبد العزيز فأذن له؛ فدخل عليه فقال: يا أبا عبد الله، ألا أخبرك ببعض ما تستظرف؟ قال: بلى، وربما فعلت يا أبا إسحاق. قال: فإنه أصبح عندنا ها هنا منذ أيام محمد بن عمران وإسماعيل بن عبد الله بن جبير، وأصبح عمران بجملين له ظالعين، فإذا رسوله يأتيني أن أجب؛ فخرجت حتى أتيته، فأخبرني بظلع جمليه، وقال لي: أردت أن أبعث إلى ناضحين لي بعمقٍ لعلي أوتي بهما إلى ها هنا لأمضي عليهما، ويصير هذان الظالعان إلى مكانهما. ففرغ لنا دارك واشتر لنا علفاً واستلنه بجهدك؛ فإنا مقيمون ها هنا حتى تأتينا جمالنا. فقلت: في الرحب والقرب، والدار فارغةٌ، وزوجته طالقٌ إن اشتريت عود علفٍ، عندي حاجتك منه. فأنزلته ودخلت السوق، فما أبقيت فيه شيئاً من رسلٍ ولا جداءٍ ولا طرفةٍ ولا غير ذلك إلا ابتعت منه فاخره، وبعثت به إليه مع الدجاج كان عندنا. قال: فبينا أنا أدور في السوق إذ وقف علي عبد لإسماعيل بن عبد الله يساومني بحمل علفٍ لي. فلم أزل أنا وهو حتى أخذه مني بعشرة دراهم، وذهب به فطرحه لظهره. وخرجت عند الرواح أتقاضى العبد ثمن حملي، فإذا هو لإسماعيل بن عبد الله و لم أكن دريت. فلما رآني مولاه حياني ورحب بي، وقال: هل من حاجةٍ يا أبا إسحاق. فأعلمه العبد أن العلف لي. فأجلسني فتغديت عنده، ثم أمر لي مكان كل درهم منها

بدينار، وكانت معه زوجته فاطمة بنت عباد، فبعثت إلي بخمسة دنانير. قال: وراحوا، وخرجت بالدنانير ففرقتها على غرمائي، وقلت: عند ابن عمران عوضٌ منها. قال: فأقام عندي ثلاثاً، وأتاه جملاه، فما فعل لي شيئاً. فبينا هو يترحل وفي نفسه مني ما لا أدري به، إذ كلم غلاماً له بشيءٍ فلم يفهم. فأقبل علي فقال: ما أقدر على إفهامه مع قعودك عندي، قد والله آذيتني ومنعتني ما أردت. فقمت مغتماً بالذي قال؛ حتى إذا كنت على باب الدار لقيني إنسانٌ فسألني: هل فعل إليك شيئاً؟ فقلت: أنا والله بخير إذ تلف مالي وربحت بدني. قال: وطلع علي وأنا أقولها، فشتمني والله يا أبا عبد الله حتى ما أبقى لي، وزعم أنه لو لا إحرامه لضربني؛ وراح وما أعطاني ردهماً. فقلت:

يا من يعين على ضيفٍ ألم بنا ... ليس بذي كرمٍ يرجى ولا دين
أقام عندي ثلاثاً سنّةً سلفت ... أغضيت منها على الأقذاء والهون
مسافة البيت عشرٌ غير مشكلةٍ ... وأنت تأتيه في شهرٍ وعشرين
لست تبالي فوات الحج إن نصبت ... ذات الكلال وأسمنت ابن حرقين
تحدث الناس عما فيك من كرمٍ ... هيهات ذاك لضيفان المساكين
أصبحت تخزن ما تحوي وتجمعه ... أبا سليمان من أشلاء قارون
مثل ابن عمران أباءٌ له سلفوا ... يجزون فعل ذوي الإحسان بالدون
أن تكون كإسماعيل إن له ... رأياً أصيلاً وفعلاً غير ممنون
أو مثل زوجته فيما ألمّ بها ... هيهات من أمها ذات النطاقين

فلما أنشدها قال له محمد بن عبد العزيز: نحن نعينك يا أبا إسحاق؛ لقوله: " يا من يعين ". قال: قد رفعك الله عن العون الذي أريده، ما أردت إلا رجلاً مثل عبد الله بن ختيرة وطلحة أطباء الكلبة يمسكونه لي وآخذ خوط سلمٍ فأوجع به خواصره وجواعره. قال: ولما بلغ في إنشاده إلى قوله:

مثل ابن عمران أباءٌ له سلفوا

أقبل علي فقال: عذراً إلى الله تعالى وإليكم! إني لم أعن من آبائه طلحة بن عبيد الله. قال: ونزل إليه إسماعيل بن جعفر بن محمد، وكان عندنا، فلم يكلمه حتى ضرب أنفه، وقال له: فعنيت من آبائه أبا سليمان محمد بن طلحة يا دعي! قال: فدخلنا بينهما. وجاء رسول محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى ابن هرمة يدعوه، فذهب إليه. فقال له: ما الذي بلغني من هجائك أبا سليمان! والله لا أرضى حتى تحلف ألا تقول له أبداً إلا خيراً، وحتى تلقاه فترضاه إذا رجع، وتحتمل كل ما أنزل إليك وتمدحه. قال:

أفعل، بالحب والكرامة. قال: وإسماعيل بن جعفر لا تعرض له إلا بخير؛ قال نعم. قال: فأخذ عليه الأيمان فيهما وأعطاه ثلاثين ديناراً، وأعطاه محمد بن عبد العزيز مثلها. قال: واندفع ابن هرمة يمدح محمد بن عمران:

ألم تر أن القول يخلص صدقه ... وتأبى فما تزكو لباغٍ بواطله

ذممت امرأ لم يطبع الذم عرضه ... قليلاً لدى تحصيله من يشاكله

فما بالحجاز من فتى ذي إمارةٍ ... ولا شرفٍ إلا ابن عمران فاضله

فتى لا يطور الذم ساحة بيته ... وتشقى به ليل التمامٍ عواذله

خبره مع ابن عمران أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا أحمد بن عمر الزهري قال حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن جعفر المسوري قال: مدح إبراهيم بن هرمة محمد بن عمران الطلحي، فألقاه راويته وقد جاءته عيرٌ له تحمل غلةً قد جاءته من الفرع أو خيبر. فقال له رجل كان عنده: أعلم والله أن أبا ثابت بن عمران بن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضر عنده وأخيره بعيرك هذه. فقال: إنما أراد أبو ثابت أن يعرضني للسانه، قودوا إليه القطار، فقيد إليه.

خبره مع عمر بن القاسم أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني يحيى بن محمد عن عبد الله بن عمر بن القاسم قال: جاء أبي تمرٌ من صدقة عمر؛ فجاءه ابن هرمة فقال: أمتع الله بك! أعطني من هذا التمر. قال: يا أبا إسحاق لولا أني أخاف أن تعمل منه نبيذاً لأعطيتك. قال: فإذا علمت أني عملت منه نبيذاً لا تعطيني. قال: فخافه فأعطاه. فلقيه بعد ذلك؛ فقال له: ما في الدنيا أجود نبيذٍ يجيء من صدقة عمر؛ فأخجله.

سمع جرير شعره فمدحه أخبرنا الحرمي قال أخبرنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: قدم جرير المدينة، فأتاه ابن هرمة وابن أذينة فأنشداه؛ فقال جرير: القرشي أشعرهما، والعربي أفصحهما.

مدحه المطلب بن عبد الله وهوغلام أخبرنا يحيى بن علي إجازةً قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني عبد الله بن محمد: أن ابن هرمة قال يمدح أبا الحكم المطلب بن عبد الله:

لما رأيت الحادثات كنفنني ... وأورثنني بؤسى ذكرت أبا الحكم

سليل ملوكٍ سبعةٍ قد تتابعوا ... هم المصطفون والمصفون بالكرم

فلاموه وقالوا: أتمدح غلاماً حديث السن بمثل هذا! قال نعم! وكانت له ابنةٌ يلقبها " عيينة " - وقال الزبير: كان يلقبها " عينة " - فقال:

كانت عيينة فينا وهي عاطلةٌ ... بين الجواري فحلاها أبو الحكم

فمن لحانا على حسن المقال له ... كان المليم وكنا نحن لم نلم

شكايته لعبد العزيز بن المطلب قال يحيى وحدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيري عن نوفل بن ميمون قال: أرسل ابن هرمة إلى عبد العزيز بن المطلب بكتاب يشكو فيه بعض حاله؛ فبعث إليه بخمسة عشر ديناراً. فمكث

شهراً ثم بعث يطلب منه شيئاً آخر بعد ذلك؛ فقال: أنا والله ما نقوى على ما كان يقوى عليه الحكم بن المطلب. وكان عبد العزيز قد خطب امرأة من ولد عمر فردته، فخطب امرأة من بني عامر بن لؤي فزوجوه. فقال ابن هرمة:

خطبت إلى كعبٍ فردوك صاغراً ... فحولت من كعبٍ إلى جذم عامر

وفي عامرٍ عزٌ قديمٌ وإنما ... أجازك فيهم هزل أهل المقابر

وقال فيه أيضاً:

أبا البخل تطلب ما قدمت ... عرانين جادت بأموالها

هيهات! خالفت فعل الكرام ... خلاف الجمال بأبوالها

خبره مع امرأة تزوجها

وقال هارون بن محمد حدثني مغيرةٌ بن محمد قال حدثني أبو محمد السهمي قال حدثني أبو كاسب قال: تزوج ابن هرمة بامرأة؛ فقالت له: أعطني شيئاً؛ فقال: والله ما معي إلا نعلاي، فدفعهما إليها، ومضى معها فتوركها مراراً. فقالت له: أجفيتني؛ فقال لها: الذي أحفى صاحبه منا يعض بظر أمه.

جود الحكم بن المطلب أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني المسيبي أحمد بن إسحاق قال حدثني إبراهيم بن سكرة جار أبي ضمرة قال: جلس ابن هرمة مع قومٍ على شراب، فذكر الحكم بن المطلب فأطنب في مدحه. فقالوا له: إنك لتكثر ذكر رجلٍ لو طرقته الساعة في شاةٍ يقال لها " غراء " تسأله إياها لردك عنها. فقال: أهو يفعل هذا؟ قالوا: إي والله. وكانوا قد عرفوا أن الحكم بها معجبٌ، وكان في داره سبعون شاةً تحلب. فخرج وفي رأسه ما فيه، فدق الباب فخرج إليه غلامه. فقال له: أعلم أبا مروان بمكاني - وقد كان أمر ألا يحجب إبراهيم بن هرمة عنه - فأعلمه به، فخرج إليه متشحاً فقال: أفي مثل هذه الساعة يا أبا إسحاق! فقال: نعم جعلت فداك، ولد لأخ لي مولود فلم تدر عليه أمه، فطلبوا له شاةً حلوبةً فلم يجدوها، فذكروا لها شاةً عندك يقال لها " غراء "، فسألني أن أسألكها. فقال: أتجيء في هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة! والله لا تبقى في الدار شاةٌ إلا انصرفت بها، سقهن معه يا غلام، فساقهن. فخرج بهن إلى القوم، فقالوا: ويحك! أي شيء صنعت! فقص عليهم القصة. قال: وكان فيهن والله ما ثمنه عشرة دنانير وأكثر من عشرة.

لما سمع بقتل الوليد أنشد قال هارون وحدثني حماد بن إسحاق قال ذكر أبي عن أيوب بن عباية عن عمر بن أيوب الليثي قال: شرب ابن هرمة عندنا يوماً فسكر فنام. فلما حضرت الصلاة تحرك أو حركته. فقال لي وهو يتوضأ: ما كان حديثكم اليوم؟ قلت يزعمون أن الوليد قتل؛ فرفع رأسه إلي وقال:

وكانت أمور الناس منبتة القوى ... فشد الوليد حين قام نظامها

خليفة حقٍ لا خليفة باطلٍ رمى عن قناة الدين حتى أقامها

ثم قال لي: إياك أن تذكر من هذا شيئاً؛ فإني لا أدري ما يكون.

قول ابن الأعرابي ختم الشعراء بابن هرمة أخبرني علي بن سليمان النحوي قال حدثنا أبو العباس الأحول عن ابن الأعرابي: أنه كان يقول: ختم الشعراء بابن هرمة.

خبر سكره أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرني أحمد بن يحيى البلاذري: أن ابن هرمة كان مغرماً بالنبيذ، فمر على جيرانه وهو شديد السكر حتى دخل منزله. فلما كان من الغد دخلوا عليه فعاتبوه على الحال التي رأوه عليها؛ فقال لهم: أنا في طلب مثلها منذ دهر، أما سمعتم قولي:

أسأل الله سكرةً قبل موتي وصياح الصبيان يا سكران

قال: فنفضوا ثيابهم وخرجوا، وقالوا: ليس يفلح والله هذا أبداً.

لم يحمل جنازته إلا أربعة نفر

وكان ذلك مصداقاً لشعر له: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال: أنشدني عمي لابن هرمة:

ما أظن الزمان يا أم عمرٍ تاركاً إن هلكت من يبكيني

قال فكان والله كذلك؛ لقد مات فأخبرني من رأى جنازته ما يحملها إلا أربعة نفر، حتى دفن بالبقيع.

مولده سنة 90

قال يحيى بن علي - أراه عن البلاذري -: ولد ابن هرمة سنة تسعين، وأنشد أبا جعفر المنصور في سنة أربعين ومائة قصيدته التي يقول فيها:

إن الغواني قد أعرضن مقليةً لما رمى هدف الخمسين ميلادي

قال: ثم عمر بعدها مدة طويلة.

ذكر أخبار يونس الكاتب

نسب يونس الكاتب ومنشؤه

ومن أخذ عنهم، وهو أول من دون الغناء:

هو يونس بن سليمان بن كرد بن شهريار، ولد من هرمز. وقيل: إنه مولىً لعمرو بن الزبير. ومنشؤه ومنزله بالمدينة. وكان أبوه فقيهاً، فأسلمه في الديوان فكان من كتابه. وأخذ الغناء عن معبدٍ وابن سريج وابن محرز

والغريض، وكان أكثر روايته عن معبد؛ ولم يكن في أصحاب معبد أحذق ولا أقوم بما أخذ عنه منه. وله غناء حسن، وصنعة كثيرة، وشعرٌ جيد. وكتابه في الأغاني ونسبها إلى من غنى فيها هو الأصل الذي يعمل عليه ويرجع إليه. وهو أول من دون الغناء.

شعر مسعود بن خالد في مدحه

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال أنشدني مسعود بن خالد المورياني لنفسه في يونس:

يا يونس الكاتب يا يونس — طاب لنا اليوم بك المجلس
إن المغنين إذا ما هم — جاروك أخنى بهم المقبس
تنشر ديباجاً وأشباهه — وهم إذا ما نشروا كربسوا

خبره مع بعض الفتيان في وادي دومة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: ذكر إبراهيم بن قدامة الجمحي قال: اجتمع فتيانٌ من فتيان أهل المدينة فيهم يونس الكاتب وجماعة ممن يغني، فخرجوا إلى وادٍ يقال له دومة من بطن العقيق، في أصحاب لهم فتغنوا، واجتمع إليهم نساء أهل الوادي - قال بعض من كان معهم: فرأيت حولنا مثل مراح الضأن -وأقبل محمد بن عائشة ومعه صاحب له؛ فلما رأى جماعة النساء عندهم حسدهم، فالتفت إلى صاحبه فقال: أما والله لأفرقن هذه الجماعة! فأتى قصراً من قصور العقيق، فعلا سطحه وألقى رداءه واتكأ عليه وتغنى:

صوت

هذا مقام مطردٍ — هدمت منازله ودوره
رقى عليه عداته — ظلماً فعاقبه أميره

- الغناء لابن عائشة رملٌ بالوسطى، والشعر لعبيد بن حنين مولى آل زيد بن الخطاب، وقيل: إنه لعبد الله بن أبي كثير مولى بني مخزوم - قال: فوالله ما قضى صوته حتى ما بقيت امرأةٌ منهن إلا جلست تحت القصر الذي هو عليه وتفرق عامة أصحابهم. فقال يونس وأصحابه: هذا عمل ابن عائشة وحسده.

صاحب الشعر الذي تغنى به ابن عائشة أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى عن أبيه قال: تزوج عبد الله بن أبي كثير مولى بني مخزوم بالعراق في ولاية مصعب بن

الزبير امرأة من بني عبد بن بغيض بن عامر بن لؤي، ففرق مصعب بينهما. فخرج حتى قدم على عبد الله بن الزبير بمكة فقال:

هذا مقام مطردٍ هدمت منازله ودوره
رقت عليه عداته كذباً فعاقبه أميره
في أن شربت بجم ما وكان حلاً لي غديره
فلقد قطعت الخرق بع د الخرق معتسفاً أسيره
حتى أتيت خليفة ال رحمن ممهوداً سريره
حييته بتحيةٍ في مجلسٍ حضرت صقوره

فكتب عبد الله بن مصعب: أن ازدد عليه امرأته؛ فإني لا أرحم ما أحل الله عز وجل؛ فردها عليه. هذه رواية عمر بن شبة.

وأخبرني الحسن بن علي عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني عن سحيم بن حفص: أن المتزوج بهذه المرأة عبيد بن حنين مولى آل زيد بن الخطاب، وأن المفرق. بينهما الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الذي يقال له القباع؛ وذكر باقي الخبر مثل الأول.

مع الوليد بن يزيد في الشام

أخبرني عمي قال حدثني طلحة بن عبد الله الطلحي قال حدثني أحمد بن الهيثم قال: خرج يونس الكاتب من المدينة إلى الشام في تجارة؛ فبلغ الوليد بن يزيد مكانه؛ فلم يشعر يونس إلا برسله قد دخلوا عليه الخان، فقالوا له: أجب الأمير - والوليد إذ ذاك أمير - قال: فنهضت معهم حتى أدخلوني على الأمير، لا أدري من هو، إلا أنه من أحسن الناس وجها وأنبلهم، فسلمت عليه، فأمرني بالجلوس، ثم دعا بالشراب والجواري؛ فكنا يومنا وليلتنا في أمر عجيب. وغنيته فأعجب بغنائي إلى أن غنيته:

إن يعش مصعبٌ فنحن بخيرٍ قد أتانا من عيشنا ما نرجي

ثم تنبهت فقطعت الصوت. فقال: ما لك؟ فأخذت أعتذر من غنائي بشعرٍ في مصعب. فضحك وقال: إن مصعباً قد مضى وانقطع أثره ولا عداوة بيني وبينه، وإنما أريد الغناء، فأمض الصوت؛ فعدت فيه فغنيته. فلم يزل يستعيدنيه حتى أصبح، فشرب مصطبحا وهو يستعيدني هذا الصوت ما يتجاوزه حتى مضت ثلاثة أيام. ثم قلت له: جعلني الله فداء الأمير! أنا رجلٌ تاجرٌ خرجت مع تجار وأخاف أن يرتحلوا فيضيع مالي. فقال لي: أنت تغدو غداً؛ وشرب باقي ليلته، وأمر لي بثلاثة آلاف دينار فحملت إلي، وغدوت إلى أصحابي. فلما خرجت من عنده سألت عنه، فقيل لي: هذا الأمير الوليد بن يزيد ولي عهد أمير المؤمنين هشام. فلما استخلف بعث إلي فأتيته، فلم

أزل معه حتى قتل.

صوت من المائة المختارة

أصواته المعروفة بالزبائب

أقصدت زينب قلبي بعد ما ذهب الباطل عني والغزل

وعلا المفرق شيبٌ شاملٌ واضحٌ في الرأس مني واشتعل

الشعر لابن رهيمة المدني. والغناء في اللحن المختار لعمر الوادي ثاني ثقيلٍ بالبنصر في مجراها عن إسحاق. وفيه ليونس الكاتب لحنان: أحدهما خفيف ثقيل أول بالبنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عنه أيضاً. وفيه رملان بالوسطى والبنصر: أحدهما لابن المكي، والآخر لحكم، وقيل: إنه لإسحاق من رواية الهشامي. ولحن يونس في هذا الشعر من أصواته المعروفة بالزيانب، والشعر فيها كلها لابن رهيمة في زينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام؛ وهي سبعة: أحدها قد مضى. والآخر:

صوت

أقصدت زينب قلبي وسبت عقلي ولبي

تركتني مستهاماً أستغيث الله ربي

ليس لي ذنبٌ إليها فتجازيني بذنبي

ولها عندي ذنوبٌ في تنائيها وقربي

غناه يونس رملاً بالبنصر. وفيه لحكم هزجٌ خفيفٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

ومنها:

صوت

وجد الفؤاد بزينبا وجداً شديداً متعبا

أصبحت من وجدي بها أدعى سقيماً مسهبا

وجعلت زينب سترةً وأتيت أمراً معجبا

غناه يونس ثقيلاً أول مطلقاً في مجرى البنصر عن عمرو وإسحاق، وهو مما يشك فيه من غناء يونس. ولعلية بنت المهدي فيه ثقيلٌ أول آخر لا يشك فيه أنه لها، كنت فيها رشأً الخادم - وذكر أحمد بن عبيد أن فيه من الغناء لحنين هما جميعاً من الثقيل الأول ليونس - ومن لا يعلم يزعم أن الشعر لها.

صوت

إنما زينب المنى وهي الهم والهوى
ذات دلٍ تضني الصحي ح وتبري من الجوى
لا يغرنك أن دعو ت فؤادي فما التوى
واحذري هجرة الحبي ب إذا مل وانزوى

غناه يونس رملاً بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

ومنها:

صوت

إنما زينب همي بأبي تلك وأمي
بأبي زينب لا أك ني ولكني أسمي
بأبي زينب من قا ضٍ قضى عمداً بظلمي
بأبي من ليس في قلبه قيراط رحم

غناه يونس رملاً بالبنصر عن عمرو، وله فيه لحنٌ آخر.

ومنها:

صوت

يا زينب الحسناء يا زينب يا أكرم الناس إذا تنسب
تقيك نفسي حادثات الردى والأم تفديك معاً والأب
هل لك في ود امرئٍ صادقٍ لا يمذق الود ولا يكذب
لا يبتغي في وده محرماً هيهات منك العمل الأريب

غناه يونس ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق.

ومنها:

صوت

فليت الذي يلحى على زينب المنى تعلقه مما لقيت عشير

فحسبي له بالعشر مما لقيته وذلك فيما قد تراه يسير

غناه يونس ثاني ثقيلٍ بالوسطى في مجراها عن الهشامي.

هذه سبعة أصوات قد مضت وهي المعروفة بالزيانب

ومن الناس من يجعلها ثمانيةً، ويزيد فيها لحن يونس في:

تصابيت أم هاجت لك الشوق زينب

وليس هذا منها؛ وإن كان ليونس لحنه، فإن شعره لحجية بن المضرب الكندي، وقد كتب في موضع آخر؛ وإنما الزيانب في شعر ابن رهيمة. ومنهم من يعدها تسعةً ويضيف إليها:

قولا لزينب لو رأي ت تشوقي لك واشترافي

وهذا اللحن لحكم. والشعر لمحمد بن أبي العباس السفاح في زينب بنت سليمان بن علي، وقد كتب في موضع آخر.

انقضت أخبار يونس الكاتب.

أخبار ابن رهيمة

تشبيبه بزينب بنت عكرمة

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم قال حدثني أبو هفان عن إسحاق قال:

كان ابن رهيمة يشبب بزينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ويغني يونس بشعره، فافتضحت بذلك. فاستدعى عليه أخوها هشام بن عبد الملك، فأمر بضربه خمسمائة سوط، وأن يباح دمه إن وجد قد عاد لذكرها، وأن يفعل ذلك بكل من غنى في شيءٍ من شعره. فهرب هو ويونس فلم يقدر عليهما. فلما ولي الوليد بن يزيد ظهرا. وقال ابن رهيمة:

لئن كنت أطردتني ظالماً لقد كشف الله ما أرهب

ولو نلت مني ما تشتهي لقل إذا رضيت زينب

وما شئت فاصنعه بي بعد ذا فحبي لزينب لا يذهب

وفي الأصوات المعروفة بالزيانب يقول أبان بن عبد الحميد اللاحقي:

أحب من الغناء خفي فه إن فاتني الهزج

وأشنأ "ضوء برقٍ " مث ل ما أشنا " عفا مزج"

وأبغض "يوم تنأى و " الزيانب " كلها سمج

ويعجبني لإبراه يم والأوتار تختلج

"أدير مدامةً صرفاً كأن صبيبها ودج"

يعني أبانٌ لحن إبراهيم. والشعر لأبان أيضاً، وهو:

صوت

أدير مدامةً صرفاً كأن صبيبها ودج

فظل تخاله ملكاً يصرفها وتمتزج

الشعر لأبان، والغناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن جامع ثاني ثقيلِ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً.

ومما في غناء يونس من المائة المختارة

المذكورة في هذا الكتاب:

صوت من المائة المختارة

ألا يا لقومي للرقاد المسهد وللماء ممنوعاً من الحائم الصدي

وللحال بعد الحال يركبها الفتى وللحب بعد السلوة المتمرد

الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي من قصيدة مدح بها عبد الملك بن مروان؛ وذكر يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق: أنها للغول بن عبد الله بن صيفي الطائي. والصحيح أنها لإسماعيل. وأنا أذكر خبره مع عبد الملك بن مروان ومدحه إياه بها ليعلم صحة ذلك. والغناء ليونس، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول مطلق في مجرى البنصر. وتمام هذه الأبيات:

وللمرء لا عمن يحب بمرعوٍ ولا لسبيل الرشد يوماً بمهتدى

وقد قال أقوامٌ وهم يعذلونه لقد طال تعذيب الفؤاد المصيد

أخبار إسماعيل بن يسار ونسبه

خبره مع آل الزبير وعبد الملك

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيري قال: كان إسماعيل بن يسارٍ النسائي مولى بني تيمٍ بن مرة: تيم قريش، وكان منقطعاً إلى آل الزبير. فلما أفضت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان، وفد إليه مع عروة بن الزبير، ومدحه ومدح الخلفاء من ولده بعده. وعاش عمراً طويلاً إلى أن أدرك آخر سلطان بني أمية، و لم يدرك الدولة العباسية. وكان طيباً مليحاً مندراً بطالاً، مليح الشعر، وكان كالمنقطع إلى عروة بن الزبير، وإنما سمي إسماعيل بن يسار النسائي، لأن أباه كان يصنع طعام العرس ويبيعه، فيشتريه منه من أراد التعريس من المتجملين وممن لم تبلغ حاله اصطناع ذلك.

سبب تلقيبه بالنسائي

وأخبرني الأسدي قال حدثنا أبو الحسن محمد بن صالح بن النطاح قال: إنما سمي إسماعيل بن يسار النسائي لأن كان يبيع النجد والفرش التي تتخذ للعرائس؛ فقيل له إسماعيل بن يسارٍ النسائي.
وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسدٍ عن ابن عائشة: أن إسماعيل بن يسار النسائي إنما لقب بذلك لأن أباه كان يكون عنده طعام العرسات مصلحاً أبداً؛ فمن طرقه وجده عنده معداً.

نادرة له مع عروة أثناء سفرهما

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدثني الزبير بن بكار قال قال مصعب بن عثمان: لما خرج عروة بن الزبير إلى الشأم يريد الوليد بن عبد الملك، أخرج معه إسماعيل بن يسار النسائي، وكان منقطعاً إلى آل الزبير، فعادله. فقال عروة ليلة من الليالي لبعض غلمانه: انظر كيف ترى المحمل؟ قال: أراه معتدلاً. قال إسماعيل: الله أكبر، ما اعتدل الحق والباطل قبل الليلة قط؛ فضحك عروة، وكان يستخف إسماعيل ويستطيبه.

تساب هو وآخر يكنى أبا قيس

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي عن أيوب عن عباية المخزومي: أن إسماعيل بن يسار كان يترل في موضع يقال له حديلة وكان له جلساء يتحدثون عنده، ففقدهم أياماً، وسأل عنهم فقيل: هم عند رجل يتحدثون إليه طيب الحديث حلوٍ ظريف قدم عليهم يسمى محمداً ويكنى أبا قيس. فجاء إسماعيل فوقف عليهم، فسمع الرجل القوم يقولون: قد جاء صديقنا إسماعيل بن يسار؛ فأقبل عليه فقال له: أنت إسماعيل؟ قال نعم. قال: رحم الله أبويك فإنهما سمياك باسم صادق الوعد وأنت أكذب الناس. فقال له: إسماعيل: ما اسمك؟ قال: محمد. قال: أبو من؟ قال: أبو قيس. قال: لا! ولكن لا رحم الله أبويك؛

فإنهما سمياك باسم نبي وكنياك بكنية قرد. فأفحم الرجل وضحك القوم، و لم يعد إلى مجالستهم، فعادوا إلى مجالسة إسماعيل.

خبره مع الغمر بن يزيد

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني عن نمير العذري قال: استأذن إسماعيل بن يسار النسائي على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوماً، فحجبه ساعةً ثم أذن له، فدخل يبكي. فقال له الغمر: ما لك يا أبا فائد تبكي؟ قال: وكيف لا أبكي وأنا على مروانيتي ومروانية أبي أحجب عنك! فجعل الغمر يعتذر إليه ويبكي؛ فما سكت حتى وصله الغمر بجملة لها قدر. وخرج من عنده، فلحقه رجلٌ فقال له: أخبرني ويلك يا إسماعيل، أي مروانية كانت لك أو لأبيك؟ قال: بغضنا إياهم، امرأته طالقٌ إن لم يكن يلعن مروان وآله كل يوم مكان التسبيح، وإن لم يكن أبوه حضره الموت، فقيل له: قل لاإله إلا الله، فقال: لعن الله مروان، تقرباً بذلك إلى الله تعالى وإبدالاً له من التوحيد وإقامة له مقامه.

شعره الذي يفخر به بالعجم على العرب

أخبرني عمي قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني مصعبٌ قال: قال إسماعيل بن يسار النسائي قصيدته التي أولها:

ما على رسم منزلٍ بالجناب ... لو أبان الغداة رجع الجواب

غيرته الصبا وكل ملثٍّ ... دائم الودق مكفهر السحاب

دار هندٍ وهل زماني بهندٍ ... عائدٌ بالهوى وصفو الجناب

كالذي كان والصفاء مصونٌ ... لم تشبه بهجرةٍ واجتناب

ذاك منها إذ أنت كالغصن غضٌ ... وهي رؤدٌ كدمية المحراب

غادةٌ تستبي العقول بعذبٍ ... طيب الطعم بارد الأنياب

وأثيثٍ من فوق لونٍ نقيٍّ ... كبياض اللجين في الزرياب

فأقل الملام فيها وأقصر ... لج قلبي من لوعةٍ واكتئاب

صاح أبصرت أو سمعت براعٍ ... رد في الضرع ما قرى من العلاب

انقضت شرتي وأقصر جهلي ... واستراحت عواذلي من عتابي

وقال فيها يفخر على العرب بالعجم:

رب خالٍ متوجٍ لي وعمٍّ ... ماجدٍ مجتدىً كريم النصاب

إنما سمي الفوارس بالفر س مضاهاة رفعة الأنساب

فاتركي الفخر يا أمام علينا واتركي الجور وانطقي بالصواب

واسألي إن جهلت عنا وعنكم كيف كنا في سالف الأحقاب

إذ نربي بناتنا وتدسو ن سفاهاً بناتكم في التراب

فقال رجل من آل كثير بن الصلت: إن حاجتنا إلى بناتنا غير حاجتكم؛ فأفحمه. يريد: أن العجم يربون بناتهم لينكحوهن، والعرب لا تفعل ذلك. وفي هذه الأبيات غناءٌ، نسبته:

صاح أبصرت أو سمعت براعٍ رد في الضرع ما قرى في العلاب

انقضت شرتي وأقصر جهلي واستراحت عواذلي من عتابي

الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي. والغناء لمالك خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. وذكر عمرو بن بانة في نسخته الأولى أن فيه للغريض خفيف ثقيل بالبنصر، وذكر في نسخته الثانية أنه لابن سريج. وذكر الهشامي أن لحن ابن سريج رملٌ بالوسطى، وأن لحن الغريض ثقيلٌ أول.

كان شعوبياً شديد التعصب للعجم وحدثني بهذا الخبر عمي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن مصعب قال: إسماعيل بن يسار يكنى أبا فائدة، وكان أخواه محمد وإبراهيم شاعرين أيضاً، وهم من سبي فارس. وكان إسماعيل شعوبياً شديد التعصب للعجم، وله شعرٌ كثير يفخر فيه بالأعاجم. قال: فأنشد يوماً في مجلس فيه أشعب قوله:

إذ نربي بناتنا وتدسو ن سفاهاً بناتكم في التراب

فقال له أشعب: صدقت والله يا أبا فائد، أراد القوم بناتهم لغير ما أردتموهن له. قال: وما ذاك؟ قال: دفن القوم بناتهم خوفاً من العار، وربيتموهن لتنكحوهن. قال: فضحك القوم حتى استعربوا، وخجل إسماعيل حتى لو قدر أن يسيخ في الأرض لفعل.

خبره مع الوليد بن يزيد

أخبرني الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرني أبو سلمة الغفاري قال أخبرنا أبو عاصم الأسلمي قال: بينا ابن يسار النسائي مع الوليد بن يزيد جالسٌ على بركة، إذ أشار الوليد إلى مولى له يقال له عبد الصمد، فدفع ابن يسار النسائي في البركة بثيابه؛ فأمر به الوليد فأخرج. فقال ابن يسار:

قل لوالي العهد إن لاقيته وولى العهد أولى بالرشد

إنه والله لولا أنت لم ينج مني سالماً عبد الصمد

إنه قد رام مني خطةً لم يرمها قبله مني أحد

فهو مما رام مني كالذي يقنص الدراج من خيس الأسد

فبعث إليه الوليد بخلعةٍ سنيةٍ وصلةٍ وترضاه. وقد روي هذا الخبر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في قصة أخرى، وذكر هذا الشعر له فيه.

خبره مع بعض الطالبيين

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي: حدثني مصعب بن عبد الله قال سمعت إبراهيم بن أبي عبد الله يقول: ركب فلانٌ من ولد جعفر بن أبي طالب رحمه الله بإسماعيل بن يسار النسائي حتى أتى به قباء؛ فاستخرج الأحوص فقال له: أنشدني قولك:

ما ضر جيراننا إذ انتجعوا لو أنهم قبل بينهم ربعوا

فأنشده القصيدة. فاعجب بها، ثم انصرف. فقال له إسماعيل بن يسار: أما جئت إلا لما أرى؟ قال لا قال: فاسمع، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

ما ضر أهلك لو تطوف عاشقٌ بفناء بيتك أو ألم فسلما

فقال: والله لو كنت سمعت هذه القصيدة أو علمت أنك قلتها لما أتيته. وفي أبياتٍ من هذا الشعور غناءٌ نسبته:

صوت

يا هند ردي الوصل أن يتصرما وصلي امرأ كلفاً بحبك مغرما

لو تبذلين لنا دلالك مرةً لم نبغ منك سوى دلالك محرما

منع الزيارة أن أهلك كلهم أبدوا لزورك غلظةً وتجهما

ما ضر أهلك لو تطوف عاشقٌ بفناء بيتك أو ألم فسلما

الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي. والغناء لابن مسجحٍ خفيف ثقيلٍ أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه إبراهيم الموصلي رملٌ بالبنصر عن حبش.

سمع زبان السواق شعره فبكى

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: أنشد رجلٌ زبان السواق قول إسماعيل بن يسار:

ما ضر أهلك لو تطوف عاشقٌ بفناء بيتك أو ألم فسلما

فبكى زبان، ثم قال: لا شيء والله إلا الضجر وسوء الخلق وضيق الصدر، وجعل يبكي ويمسح عينيه.
أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي صهر المبرد قال حدثني طلحة بن عبد الله بن إسحاق الطلحي قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني جعفر بن الحسين المهلبي قال: أنشدت زبان السواق قول إسماعيل بن يسار النسائي:

صوت

إن جملاً وغن تبنيت منها ... نكباً عن مودتي وازورارا
شردت بادكارها النوم عني ... وأطير العزاء مني فطارا
ما على أهلها ولم تأت سوءا ... أن تحيا تحيةً أو تزارا
يوم أبدوا لي التجهم فيها ... وحموها لجاجةً وضرارا

فقال زبان: لا شيء وأبيهم إلا اللحز وقلة المعرفة وضيق العطن. فصاح عليه أبو المعافى وقال: فعلى من ذاك ويلك! أعليك أو على أبيك أو أمك؟ فقال له زبان: إنما أتيت يا أبا المعافى من نفسك، لو كنت تفعل هذا ما اختلفت أنت وابنك. فوثب إليه أبو المعافى يرميه بالتراب ويقول له: ويحك يا سفيه! تحسن الدياثة! وزبان يسعى هرباً منه.

الغناء في هذه الأبيات لابن مسجح خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن ابن مكي وحماد، وذكر الهشامي وحبشٌ أنه لابن محرز، وأن لحن ابن مسجح ثاني ثقيل.

طلبه الوليد بن يزيد من الحجاز

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال: غنى الوليد بن يزيد في شعرٍ لإسماعيل بن يسار، وهو:

حتى إذا الصبح بدا ضوءه ... وغارت الجوزاء والمرزم
خرجت والوطء خفيٌ كما ... ينساب من مكمنه الأرقم

فقال: من يقول هذا؟ قالوا: رجلٌ من أهل الحجاز يقال له إسماعيل بن يسار النسائي؛ فكتب في إشخاصه إليه. فلما دخل عليه استنشده القصيدة التي هذان البيتان منها؛ فأنشده:

كلثم أنت الهم يا كلثم ... وأنتم دائي الذي أكتم
أكاتم الناس هوًى شفني ... وبعض كتمان الهوى أحزم

قد لمتني ظلماً بلا ظنةٍ ... وأنت فيما بيننا ألوم

أبدي الذي تخفينه ظاهراً ... أرتد عنه فيك أو أقدم

إما بيأس منك أو مطمعٍ ... يسدى بحسن الود أو يلحم

لا تتركيني هكذا ميتاً ... لا أمنح الود ولا أصرم

أو في بما قلت ولا تندمي ... إن الوفي القول لا يندم

آية ما جئت على رقبةٍ ... بعد الكرى والحي قد نوموا

أخافت المشي حذار العدا ... والليل داجٍ حالكٌ مظلم

ودون ما حاولت إذ زرتكم ... أخوك والخال معاً والعم

وليس إلا الله لي صاحبٌ ... إليكم والصارم اللهذم

حتى دخلت البيت فاستذرفت ... من شفقٍ عيناك لي تسجم

ثم انجلى الحزن وروعاته ... وغيب الكاشح والمبرم

فبت فيما شئت من نعمةٍ ... يمنحنيها نحرها والفم

حتى إذا الصبح بدا ضوءه ... وغارت الجوزاء والمرزم

خرجت والوطء خفيٌ كما ... ينساب من مكمنه الأرقم

قال: فطرب الوليد حتى نزل عن فرشه وسريره، وأمر المغنين فغنوه الصوت وشرب عليه أقداحاً، وأمر لإسماعيل بكسوةٍ وجائزة سنية، وسرحه إلى المدينة.

نسبة هذا الصوت الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي. والغناء لابن سريج رملٌ.

سمع شيخ قينة تغني بشعره

فألقى بنفسه في الفرات إعجابا به:

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق الموصلي قال حدثنا محمد بن كناسة قال: اصطحب شيخ وشبابٌ في سفينة بالكوفة؛ فقال بعض الشباب للشيخ: إن معنا قينة لنا، ونحن نجلك ونحب أن نسمع غناءها. قال: الله المستعان؛ فأنا أرقى على الأطلال وشأنكم. فغنت:

حتى إذا الصبح بدا ضوءه ... وغارت الجوزاء والمرزم

خرجت والوطء خفيٌ كما ... ينساب من مكمنه الأرقم

قال: فألقى الشيخ بنفسه في الفرات، وجعل يخبط بيديه ويقول: أنا الأرقم! أنا الأرقم! فأدركوه وقد كاد يغرق؛ فقالوا: ما صنعت بنفسك؟ فقال: إني والله اعلم من معاني الشعر ما لا تعلمون.

مدح عبد الله بن أنس فلم يكرمه فهجاه:

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أبو مسلم المستملي عن المدائني قال: مدح إسماعيل بن يسار النسائي رجلاً من أهل المدينة يقال له عبد الله بن أنس، وكان قد اتصل ببني مروان وأصاب منهم خيراً، وكان إسماعيل صديقاً له؛ فرحل إلى دمشق إليه، فأنشده مديحاً له ومت إليه بالجوار والصداقة؛ فلم يعطه شيئاً. فقال يهجوه:

لعمرك ما إلى حسنٍ رحلنا ... ولا زرنا حسيناً يابن أنس

يعني الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما.

ولا عبداً لعبدهما فنحظى ... بحسن الحظ منهم غير بخس

ولكن ضب جندلةٍ أتينا ... مضباً في مكامنه يفسي

فلما أن أتيناه وقلنا ... بحاجتنا تلون ورس

وأعرض غير منبلج لعرفٍ ... وظل مقرطباً ضرساً بضرس

فقلت لأهله أبه كزازٌ ... وقلت لصاحبي أتراه يمسي

فكان الغنم أن قمنا جميعاً ... مخافة أن نزن بقتل نفس

رثاؤه لمحمد بن عروة:

حدثني عمي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب بن عبد الله قال: وفد عروة بن الزبير إلى الوليد بن عبد الملك وأخرج معه إسماعيل بن يسار النسائي، فمات في تلك الوفادة محمد بن عروة بن الزبير، وكان مطلعاً على دوب الوليد بن عبد الملك، فسقط من فوق السطح بينها. فجعلت ترمحه حتى قطعته، كان جميل الوجه جواداً. فقال إسماعيل بن يسار يرثيه:

صلى الإله على فتى فارقته ... بالشأم في جدث الطوي الملحد

بوأته بيدي دار إقامةٍ ... نائي المحلة عن مزار العود

وغبرت أعوله وقد أسلمته ... لصفا الأماعز والصفيح المسند

متخشعاً للدهر ألبس حلةً ... في النائبات بحسرةٍ وتجلد

أعني ابن عروة إنه قد هدني فقد ابن عروة هدةً لم تقصد
فإذا ذهبت إلى العزاء أرومه ليرى المكاشخ بالعزاء تجلدي
منع التعزي أنني لفراقه لبس العدو علي جلد الأربد
ونأى الصديق فلا صديق أعده لدفاع نائبة الزمان المفسد
فلئن تركتك يا محمد ثاوياً لبما تروح مع الكرام وتغتدي
كان الذي يزع العدو بدفعه ويرد النخوة ذي المراح الأصيد
فمضى لوجهته وكل معمرٍ يوماً سيدركه حمام الموعد

دخل على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير ومدحه فأكرمه:

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه: أن إسماعيل بن يسار دخل على عبد الملك بن مروان لما أفضى إليه الأمر بعد مقتل عبد الله بن الزبير، فسلم ووقف موقف المنشد واستأذن في الإنشاد. فقال له عبد الملك: الآن يا بن يسار! إنما أنت امرؤٌ زبيريٌ، فبأي لسان تنشد؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، أنا أصغر شأناً من ذلك، وقد صفحت عن أعظم جرماً وأكثر غناءً لأعدائك مني، وإنما أنا شاعر مضحك، فتبسم عبد الملك؛ وأومأ إليه الوليد بأن ينشد. فابتدأ فأنشد قوله:

ألا يا لقومي للرقاد المسهد وللماء ممنوعاً من الحائم الصدي
وللحال بعد الحال يركبها الفتى وللحب بعد السلوة المتمرد
وللمرء يلحى في التصابي وقبله صبا بالغواني كل قرمٍ ممجد
وكيف تناسي القلب سلمى وحبها كجمر غضى بين الشراسيف موقد

حتى انتهى إلى قوله:

إليك إمام الناس من بطن يثربٍ ونعم أخو ذي الحاجة المتعمد
رحلنا لأن الجود منك خليقةٌ وأنك لم يذمم جنابك مجتدي
ملكت فزدت الناس ما لم يزدهم إمامٌ من المعروف غير المصرد
وقمت فلم تنقض قضاء خليفةٍ ولكن بما ساروا من الفعل تقتدي
ولما وليت الملك ضاربت دونه وأسندته لا تأتلي خير مسند
جعلت هشاماً والوليد ذخيرةً وليين للعهد الوثيق المؤكد

قال: فنظر إليهما عبد الملك متبسماً، والتفت إلى سليمان فقال: أخرجك إسماعيل من هذا الأمر. فقطب سليمان ونظر إلى إسماعيل نظر مغضب. فقال إسماعيل: يا أمير المؤمنين، إنما وزن الشعر أخرجه من البيت الأول، وقد قلت بعده:

وأمضيت عزماً في سليمان رشداً ... ومن يعتصم بالله مثلك يرشد

فأمر له بألفي درهمٍ صلةً، وزاد في عطائه. وفرض له، وقال لولده: أعطوه؛ فأعطوه ثلاثة آلاف درهم.

استنشده هشام بتن عبد الملك فافتخر ورمى به في بركة ماء ونفاه إلى الحجاز:

أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال ذكر ابن النطاح عن أبي اليقظان: أن إسماعيل بن يسار دخل على هشام بن عبد الملك في خلافته وهو بالرصافة جالسٌ على بركةٍ له في قصره، فاستنشده وهو يرى أنه ينشده مديحاً له؛ فأنشده قصيدته التي يفتخر بها بالعجم:

يا ربع رامة بالعلياء من ريم ... هل ترجعن إذا حييت تسليمي

ما بال حيٍّ غدت بزل المطي بهم ... تخدي لغربتهم سيراً بتقحيم

كأنني يوم ساروا شاربٌ سلبت ... فؤاده قهوةٌ من خمر داروم

حتى انتهى إلى قوله:

إني وجدك ما عودي بذي خورٍ ... عند الحفاظ ولا حوضي بمهدوم

أصلي كريمٌ ومجدي لا يقاس به ... ولي لسانٌ كحد السيف مسموم

أحمي به مجد أقوامٍ ذوي حسبٍ ... من كل قومٍ بتاج الملك معموم

جحاجحٍ سادةٍ بلجٍ مرازبةٍ ... جردٍ عتاقٍ مساميحٍ مطاعيم

من مثل كسرى وسأبور الجنود معاً ... والهرمزان لفخرٍ أو التعظيم

أسد الكتائب يوم الروع إن زحفوا ... وهم أذلوا ملوك الترك والروم

يمشون في حلق الماذي سابغةً ... مشى الضراغمة الأسد اللهاميم

هناك إن تسألي تبني بأن لنا ... جرثومةً قهرت عز الجراثيم

قال: فغضب هشامٌ وقال له: يا عاض بظر أمه! أعلي تفخر وإياي تنشد قصيدةً تمدح بها نفسك وأعلاج قومك!! غطوه في الماء فغطوه في البركة حتى كادت نفسه تخرج، ثم أمر بإخراجه وهو بشر ونفاه من وقته، فأخرج عن الرصافة منفياً إلى الحجاز. قال: كان مبتلى بالعصبية للعجم والفخر بهم. فكان لا يزال مضروباً محروماً مطروداً.

مدح الوليد والغمر ابني يزد فأكرماه:

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال قال ابن النطاح وحدثني أبو اليقظان: أن إسماعيل بن يسار وفد على الوليد بن يزيد، وقد أسن وضعف، فتوسل إليه بأخيه الغمر ومدحه بقوله:

نأتك سليمى فالهوى متشاجر ... وفي نأيها للقلب داءٌ مخامر

نأتك وهام القلب، نأيا بذكرها ... ولج كما لج الخليع المقامر

بواضحة الأقراب خفاقة الحشى ... برهرهةٍ لا يجتويها المعاشر

يقول فيها يمدح الغمر بن يزيد:

إذا عدد الناس المكارم والعلا ... فلا يفخرن يوماً على الغمر فاخر

فما مر من يومٍ على الدهر واحدٍ ... على الغمر إلا وهو في الناس غامر

تراهم خشوعاً حين يبدو مهابةً ... كما خشعت يوماً لكسرى الأساور

أغر بطاحيٌ كأن جبينه ... إذا ما بدا بدرٌ إذا لاح باهر

وقى عرضه بالمال فالمال جنةٌ ... له وأهان المال والعرض وافر

وفي سيبه للمجتدين عمارةٌ ... وفي سيفه للدين عزٌ وناصر

نماه إلى فرعي لؤي بن غالبٍ ... أبوه أبو العاصي وحربٌ وعامر

وخمسة آباءٍ له قد تتابعوا ... خلائف عدلٍ ملكهم متواتر

بهاليل سباقون في كل غايةٍ ... إذا استبقت في المكرمات المعاشر

هم خير من بين الحجون إلى الصفا ... إلى حيث أفضت بالبطاح الحزاور

وهم جمعوا هذا الأنام على الهدى ... وقد فرقت بين الأنام البصائر

قال: فأعطاه الغمر ثلاثة آلاف درهم وأخذ له من أخيه الوليد ثلاثة آلاف درهم.

أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن مصعبٍ قال: لما مات محمد بن يسار، وكانت وفاته قبل أخيه، دخل إسماعيل على هشام بن عروة، فجلس عنده وحدثه بمصيبته ووفاة أخيه، ثم أنشده يرثيه:

عيل العزاء وخانني صبري ... لما نعى الناعي أبا بكر

ورأيت ريب الدهر أفردني ... منه وأسلم للعدا ظهري

من طيب الأثواب مقتبلٍ ... حلو الشمائل ماجدٍ غمر

فمضى لوجهته وأدركه ... قدرٌ أنيح له من القدر

وغبرت مالي من تذكره ... إلا الأسى وحرارة الصدر
وجوىً يعامدني وقل له ... مني الجوى ومحاسن الذكر
لما هوت أيدي الرجال به ... في قعر ذات جوانبٍ غبر
وعلمت أني لن ألاقيه ... في الناس حتى ملتقى الحشر
كادت لفرقته وما ظلمت ... نفسي تموت على شفا القبر
ولعمر من حبس الهدي له ... بالأخشبين صبيحة النحر
لو كان نيل الخلد يدركه ... بشرٌ بطيب الخيم والنجر
لغبرت لا تخشى المنون ولا ... أودى بنفسك حادث الدهر

ولنعم مأوى المرملين إذا ... قحطوا وأخلف صائب القطر
كم قلت آونةً وقد ذرفت ... عيني فماء شؤونها يجري
أني وأي فتىً يكون لنا ... شرواك عند تفاقم الأمر
لدفاع خصمٍ ذي مشاغبةٍ ... ولعائلٍ تربٍ أخي فقر
ولقد علمت وإن ضمنت جوىً ... مما أجن كواهج الجمر
ما لامرىءٍ دون المنية من ... نفقٍ فيحرزه ولا ستر

قال: وكان بحضرة هشامٌ رجلٌ من آل الزبير، فقال له: أحسنت وأسرفت في القول، فلو قلت هذا في رجلٍ من سادات قريش لكان كثيراً. فزجره هشام. وقال: بئس ما واجهت به جليسك؛ فشكره إسماعيل، وجزاه خيراً. فلما انصرف تناول هشامٌ الرجل الزبيري وقال: ما أردت إلى رجلٍ شاعر ملك قوله فصرف أحسنه إلى أخيه! شاعراً من طبقة أخيه؛ وله أشعار كثيرة. ولم أجد خبراً فأذكره. ولكن له أشعار كثيرة يغنى فيها. منها قوله في قصيدة طويلة:

صوت

غشيت الدار بالسند ... دوين الشعب من أحد
عفت بعدي وغيرها ... تقادم سالف الأبد

الغناء لحكم الوادي خفيف ثقيلٍ عن الهشامي.

ولإسماعيل بن يسار ابنٌ يقال له إبراهيم، شاعرٌ أيضاً، وهو القائل:

مضى الجهل عنك إلى طيته وآبك حلمك من غيبته

وأصبحت تعجب مما رأي ت من نقض دهرٍ ومن مرته

وهي طويلة يفتخر فيها بالعجم كرهت الإطالة بذكرها.

انقضت أخباره.

صوت من المائة المختارة

كليبٌ لعمري كان أكثر ناصراً وأيسر جرماً منك ضرج بالدم

رمى ضرع ناب فاستمر بطعنةٍ كحاشية البرد اليماني المنمنم

عروضه من الطويل. الشعر للنابغة الجعدي. والغناء للهذلي في اللحن المختار، وطريقته من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. ونذكر ها هنا سائر ما يغنى به في هذه الأبيات وغيرها من هذه القصيدة وننسبه إلى صانعه، ثم نأتي بعده بما يتبعه من أخباره. فمنها على الولاء سوى لحن الهذلي:

كليبٌ لعمري كان أكثر ناصراً وأيسر جرماً منك ضرج بالدم

رمى ضرع نابٍ فاستمر بطعنةٍ كحاشية البرد اليماني المسهم

أيا دار سلمى بالحرورية اسلمي إلى جانب الصمان فالمتثلم

أقامت به البردين ثم تذكرت منازلها بين الدخول فجرثم

ومسكنها بين الغروب إلى اللوى إلى شعبٍ ترعى بهن فعيهم

ليالي تصطاد الرجال بفاحمٍ وأبيض كالإغريض لم يتثلم

في البيت الأول والثاني لابن سريج ثقيلٌ أول آخر بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس. وفيهما لمالكٍ خفيف ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وللغريض في الثالث والرابع والأول والثاني ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى. ولإسحاق في الثالث والأول ثقيل أول بالوسطى، ذكر ذلك أبو العبيس والهشامي. وللغريض في الرابع ثم الأول خفيف ثقيل بالوسطى في رواية عمرو بن بانة. ولمعبد فيهما وفي الخامس والسادس خفيف ثقيلٍ من رواية أحمد بن المكي. ولابن سريج في الخامس والسادس ثقيلٌ أول بالبنصر من رواية علي بن يحيى المنجم، وذكر غيره أنه للغريض. ولإبراهيم فيه ثقيلٌ أول بالوسطى عن الهشامي، وذكر حبشٌ أنه لمعبد. ولابن محرز في الأول والثاني والثالث والرابع هزج، ذكر ذلك أبو العبيس، وذكر قمري أنه لأبي عيسى بن المتوكل لا يشك فيه. وللدلال في الخامس والسادس ثاني ثقيلٍ عن الهشامي، وذكر أبو العبيس أنه للهذلي. ولعبيد الله بن عبد الله بن طاهر في الرابع خفيف رملٍ. ولإسحاق في الثالث والرابع أيضاً ما خوري.، ولمعبد خفيف

ثقيلٍ أول بالوسطى فيهما، وقيل: إنه لحنه الذي ذكرنا متقدماً، وإنه ليس في هذا الشعر غيره. وذكر حبشٌ أن في هذه الأبيات التي أولها: " كليبٌ لعمري " خفيف رملٍ بالوسطى، وللهذلي خفيف ثقيلٍ بالبنصر، وللدلال رملٌ؛ فذلك ثمانية عشر صوتاً. وأخبرني محمد بن إبراهيم قريص أن له فيهما أعني الأول والثاني خفيفاً بالوسطى.

الجزء الخامس

ذكر النابغة الجعدي

نسبه وكنيته

هو على ما ذكر أبو عمرو الشيباني والقحذمي، وهو الصحيح، حبان بن قيس بن عبد الله بن وحوح بن عدس وقيل ابن عمرو بن عدس مكان وحوح ابن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر. هذا النسب الذي عليه الناس اليوم مجتمعون.

وقد روى ابن الكلبي وأبو اليقظان وأبو عبيدة وغيرهم في ذلك روايات تخالف هذا، فمنها أن ابن الكلبي ذكر عن أبيه أن خصفه الذي يقول الناس إنه ابن قيس بن عيلان ليس كما قالوا، وأن عكرمة ابن قيس بن عيلان وخصفة أمه، وهي امرأة من أهل هجر. وقيل: بل هي حاضنته، وكان قيس بن عيلان قد مات، وعكرمة صغير فربته حتى كبر، وكان قومه يقولون: هذا عكرمة بن خصفة، فبقيت عليه، ومن لا يعلم يقول: عكرمة بن خصفة بن قيس، كما يقال خندف، وإنما هي امرأة وزوجها إلياس بن مضر. وقالوا في صعصعة بن معاوية: إن الناقمية بنت عامر بن مالك، وهو الناقم، سمي بذلك لأنه انتقم بلطمة لطمها، وهو ابن سعد بن جدان بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، كانت عند معاوية بن بكر بن هوازن فمات عنها أو طلقها وهي نسء، فتزوجها سعد بن زيد مناة بن تميم، فولدت على فراشه صعصعة بن معاوية، ثم ولدت هبيرة ونجدة وجنادة، فلما مات سعد اقتسم بنوه الميراث وأخرجوا صعصعة منه، وقالوا: أنت ابن معاوية بن بكر، فلما رأى ذلك أتى بني معاوية بن بكر فأقروا بنسبه ودفعوه عن الميراث، فلما رأى ذلك أتى سعد بن الظرب العدواني فشكا إليه ما لقي، فزوجه بنت أخيه عمرة بنت عامر بن الظرب، وأبوها عامر الذي يقال له: ذو الحلم، وعمرة ابنته هذه هي التي كانت تقرع له العصا إذا سها في الحكم، وله يقول الشاعر:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما

قال: وكانت عمرة يوم زوجها عمها نسئاً من ملك من ملوك اليمن يقال له: الغافق بن العاصي الأزدي، والملك يومئذ في الأزد، فولدت على فراش صعصعة عامر بن صعصعة، فسماه صعصعة عامراً بجده عامر بن الظرب.

وقال في ذلك حبيب بن وائل بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن:

أزعمت أن الغافقي أبوكم نسب لعمر أبيك غير مفند

وأبوكم ملك ينتف باسته هلباء عافية كعرف الهدهد

جنحت عجوزكم إليه فردهما نسئاً بعامركم ولما يويد

ويكنى النابغة أبا ليلى. وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وقال ابن الأعرابي: هو قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة، ووافق ابن سلام في باقي نسبه. وهذا وهم ممن قال: إن اسمه قيس، وليس يشك في أنه كان له أخ يقال له وحوح بن قيس، وهو الذي قتله بنو أسد وخبره يذكر بعد هذا ليصدق نسب النابغة.

وأمه فاخرة بنت عمرو بن جابر بن شحنة الأسدي.

وإنما سمي النابغة لأنه أقام مدة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله.

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد: قرأت على القحذمي: قال الجعدي الشعر في الجاهلية ثم أجبل دهراً ثم نبغ بعد في الشعر في الإسلام. أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار عن محمد بن حبيب عن أبن الأعرابي قال: أقام النابغة الجعدي ثلاثين سنة لا يتكلم، ثم تكلم بالشعر! قال القحذمي في رواية حماد عنه: كان الجعدي أسن من نابغة بني ذبيان.

قال ابن سلام في رواية أبي خليفة عنه: كان الجعدي النابغة قديماً شاعراً طويلاً مفلقاً طويل البقاء في الجاهلية والإسلام، وكان أكبر من الذبياني، ويدل على ذلك قوله:

ومن يك سائلاً عني فإني من الفتيان أيام الخنان

أتت مائة لعام ولدت فيه وعشر بعد ذاك وحجتان

فقد أبقت خطوب الدهر مني كما أبقت من السيف اليماني

قال وعمر بعد ذلك عمراً طويلاً. سئل محمد بن حبيب عن أيام الخنان ما هي؟ فقال: وقعة لهم، فقال قائل منهم وقد لقوا عدوهم: خنوهم بالرماح، فسمي ذلك العام الخنان. ويدل على أنه أقدم من النابغة الذبياني أنه عمر مع المنذر بن المحرق قبل النعمان بن المنذر، وكان النابغة الذبياني مع النعمان بن المنذر وفي عصره، و لم يكن له قدم إلا أنه مات قبل الجعدي، و لم يدرك الإسلام. والجعدي الذي يقول:

تذكرت شيئاً قد مضى لسبيله ومن عادة المحزون أن يتذكرا

نداماي عند المنذر بن محرق أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مقفرا

كهول وفتيان كأن وجوههم دنانير مما شيف في أرض قيصرا

طائفة من أخباره

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبد الله بن محمد بن حكيم عمن كان يأخذ العلم عنه و لم يسم إلي أحداً في هذا: أن النابغة عمر مائة وثمانين سنة، وهو القائل:

لبست أناساً فأفنيتهم وأفنيت بعد أناس أناسا
ثلاثة أهلبين أفنيتهم وكان الإله هو المستآسا

وهي قصيدة طويلة، يقول فيها، وفيه غناء:

وكنت غلاماً أقاسي الحرو ب يلقى المقاسون مني مراسا
فلما دنونا لجرس النبا ح لم نعرف الحي إلا التماسا
أضاءت لنا النار وجهاً أغ ر ملتبساً بالفؤاد التباسا

غنى في هذه الثلاثة الأبيات فليح بن أبي العوراء خفيف ثقيل أول بالوسطى.

رجع الخبر إلى رواية عمر بن شبة: قال: وقال أيضاً:

ألا زعمت بنو سعد بأني ألا كذبوا كبير السن فاني
أتت مائة لعام ولدت فيه وعشر بعد ذاك وحجتان

قال: وأنشد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أبياته التي يقول فيها:

ثلاثة أهلين أفنيتهم

فقال له عمر رضي الله تعالى عنه: كم لبثت مع كل أهل. قال: ستين سنة.

وأخبرني بعض أصحابنا

عن أبي بكر بن دريد عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: أنشد رجل من العجم قول النابغة الجعدي:

لبست أناساً فأفنيتهم وأفنيت بعد أناس أناسا

وفسر له، فقال: بدين شان بود، أي هذا رجل مشؤوم. وأما ابن قتيبة فإنه ذكر ما رواه لنا عنه إبراهيم بن محمد أنه عمر مائتين وعشرين سنة، ومات بأصبهان. وما ذاك بمنكر، لأنه قال لعمر رضي الله تعالى عنه: إنه أفنى ثلاثة قرون كل قرن ستون سنة، فهذه مائة وثمانون، ثم عمر بعده فمكث بعد قتل عمر خلافة عثمان وعلي ومعاوية ويزيد، وقدم على عبد الله بن الزبير بمكة وقد دعا لنفسه، فاستماحه ومدحه، وبين عبد الله بن الزبير وبين عمر، نحو مما ذكر ابن قتيبة، بل لا أشك أنه قد بلغ هذه السن وهاجى أوس بن مغراء بحضرة الأخطل والعجاج وكعب بن جعيل فغلبه أوس، وكان مغلباً.

حدثنا أحمد بن عمر بن موسى القطان المعروف بابن زنجويه قال

حدثنا إسماعيل بن عبد الله السكري قال حدثنا يعلى بن الأشدق العقيلي قال حدثني نابغة بني جعدة قال: أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشعر فأعجب به:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنبغي فوق ذلك مظهرا

لم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "فأين المظهر يا أبا ليلى"، فقلت: الجنة، فقال: "قل إن شاء الله"، فقلت: إن شاء الله.

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أجدت لا يفضض الله فاك"، قال: فلقد رأيته وقد أتت عليه مائة سنة أو نحوها وما انفض من فيه سن.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال

أخبرني أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة قال: كان النابغة الجعدي ممن فكر في الجاهلية وأنكر الخمر والسكر وما يفعل بالعقل، وهجر الأزلام والأوثان، وقال في الجاهلية كلمته التي أولها:

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

وكان يذكر دين إبراهيم والحنيفية، ويصوم ويستغفر، ويتوقى أشياء لعواقبها. ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاباً كالمجرة نيرا

وجاهدت حتى ما أحس ومن معي سهيلاً إذا ما لاح ثمت غورا

أقيم على التقوى وأرضى بفعلها وكنت من النار المخوفة أوجرا

وحسن إسلامه، وأنشد النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: "لا يفضض الله فاك"، وشهد مع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه صفين. وفد ذكر خبره مع عمر رضي الله عنه، وأما خبره، مع عثمان فأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال قال مسلمة بن محارب: دخل النابغة الجعدي على عثمان رضي الله تعالى عنه فقال: أستودعك الله يا أمير المؤمنين، قال: وأين تريد يا أبا ليلى. قال: ألحق بإبلي فأشرب من ألبانها فإني منكر لنفسي، فقال: أتعرباً بعد الهجرة يا أبا ليلى! أما علمت أن ذلك مكروه؟! قال: ما علمته، وما كنت لأخرج حتى أعلمك. قال: فأذن له، وأجل له في ذلك أجلا، فدخل على الحسن والحسين ابني علي فودعهما، فقالا له: أنشدنا من شعرك يا أبا ليلى، فأنشدهما:

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

فقالا: يا أبا ليلى، ما كنا نروي هذا الشعر إلا لأمية بن أبي الصلت، فقال: يابني رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لصاحب هذا الشعر وأول من قاله، وإن السروق لمن سرق شعر أمية.

قال أبو زيد عمر بن شبة في خبره: كان النابغة شاعراً متقدماً، وكان مغلباً ما هاجى قط إلا غلب، هاجى أوس بن مغراء وليلى الأخيلية وكعب بن جعيل فغلبوه جميعاً.

بدء حديثه

وقال أبو عمرو الشيباني: كان بدء حديث النابغة وأوس بن مغراء أن معاوية لما وجه بسر بن أرطاة الفهري لقتل شيعة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، قام إليه معن بن يزيد بن الأخنس السلمي وزياد بن الأشهب بن ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة، فقالا: يا أمير المؤمنين، نسألك بالله وبالرحم ألا تجعل لبسر على قيس سلطاناً، فيقتل قيساً بمن قتلت بنو سليم من بني فهر وبني كنانة يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، فقال معاوية: يا بسر لا أمر لك على قيس، وسار بسر حتى أتى المدينة، فقتل ابني عبيد الله بن العباس، وفر أهل المدينة ودخلوا الحرة حرة بني سليم. ثم سار بسر حتى أتى الطائف، فقالت له ثقيف: ما لك علينا سلطان، نحن من قيس، فسار حتى أتى همدان وهم في جبل لهم يقال له شبام، فتحصنت فيه همدان، ثم نادوا: يا بسر نحن همدان وهذا شبام، فلم يلتفت إليهم، حتى إذا اغتروا ونزلوا إلى قراهم، أغار عليهم فقتل وسبى نساءهم، فكن أول مسلمات سبين في الإسلام. ومر بحي من بني سعد نزول بين ظهري بني جعدة بالفلج، فأغار بسر على الحي السعديين فقتل منهم وأسر، فقال أوس بن مغراء في ذلك:

مشرين ترعون النجيل وقد غدت بأوصال قتلاكم كلاب مزاحم

المشر: الذي قد بسط ثوبه في الشمس. والنجيل: جنس من الحمض فقال النابغة يجيبه:

متى أكلت لحومكم كلابي أكلت يديك من جرب تهام

خبره مع أوس بن مغراء

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب مما أجاز لنا روايته عنه من حديثه وأخباره مما ذكره منها عن محمد بن سلام الجمحي عن أبي الغراف، وأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر، قالا حدثنا عمر بن شبة عن محمد بن سلام، عن أبي الغراف: أن النابغة هاجى أوس بن مغراء، قال: و لم يكن أوس مثله ولا قريباً منه في الشعر، فقال النابغة: إني وإياه لنبتدر بيتاً، أينا سبق إليه غلب صاحبه، فلما بلغه قول أوس:

لعمرك ما تبلى سرابيل عامر من اللؤم ما دامت عليها جلودها

قال النابغة: هذا البيت الذي كنا نبتدر إليه. فغلب أوس عليه.

قال أبو زيد: فحدثني المدائني أنهما اجتمعا في المربد فتنافرا وتهاجيا، وحضرهما العجاج والأخطل ركعب بن جعيل، فقال أوس:

لما رأت جعدة منا ورداً ... ولوا نعاماً في البلاد ربدا

إن لنا عليكم معداً ... كاهلها وركنها الأشدا

فقال العجاج:

كل امرئ يعدو بما استعدا

وقال الأخطل يعين أوس بن مغراء ويحكم له:

وإني لقاض بين جعدة عامر ... وسعد قضاء بين الحق فيصلا

أبو جعدة الذئب الخبيث طعامه ... وعوف بن كعب أكرم الناس أولا

وقال كعب بن جعيل:

إني لقاض قضاء سوف يتبعه ... من أم قصداً ولم يعدل إلى أود

فصلاً من القول تأتم القضاة به ... ولا أجور ولا أبغي على أحمد

ناكت بنو عامر سعداً وشاعرها ... كما تنيك بنو عبس بني أسد

سبب المهاجاة بينه وبين ليلى الأخيلية

وقال أبو عمرو الشيباني: كان سبب المهاجاة بين ليلى الأخيلية وبين الجعدي أن رجلاً من قشير يقال له ابن الحيا وهي أمه واسمه سوار بن أوفى بن سبرة هجاه وسب أخواله من أزد في أمر كان بين قشير وبين بني جعدة وهم بأصبهان متجاورون، فأجابه النابغة بقصيدته التي يقال لها الفاضحة سميت بذلك لأنه ذكر فيها مساوي فشير وعقيل وكل ما كانوا يسبون به، وفخر بمآثر قومه وبما كان لسائر بطون بني عامر سوى هذين الحيين من قشير وعقيل:

جهلت علي ابن الحيا وظلمتني ... وجمعت قولاً جاء بيتاً مضللا

وقال في هذه القصة أيضاً قصيدته التي أولها:

إما ترى ظلل الأيام قد حسرت ... عني وشمرت ذيلاً كان ذيالا

وهي طويلة، يقول فيها:

ويوم مكة إذ ما جدتم نفرا حاموا على عقد الأحساب أزوالا
عند النجاشي إذ تعطون أيديكم مقرنين ولا ترجون إرسالا
إذ تستحبون عند الخذل أن لكم من آل جعدة أعماما وأخوالا
لو تستطيعون أن تلقوا جلودكم وتجعلوا جلد عبد الله سربالا

يعني عبد الله بن جعدة بن كعب:

إذاً تسربلتم فيه لينجيكم مما يقول ابن ذي الجدين إذ قالا
حتى وهبتم لعبد الله صاحبه والقول فيكم بإذن الله ما فالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

يعني بهذا البيت أن ابن الحيا فخر عليه بأنهم سقوا رجلاً من جعدة أدركوه في سفر وقد جهد عطشا لبناً وماء فعاش.

وقال في هذه القصة أيضاً قصيدته التي أولها:

أبلغ قشيراً والحريش فما ذا رد في أيديكم شتمي

وفخر عليهم بقتل علقمة الجعفي يوم وادي نساح وقتل شراحيل بن الأصهب الجعفي، وبيوم رحرحان أيضاً، فقال فيه:

هلا سألت بيومي رحرحان وقد ظنت هوازن أن العز قد زالا

فلما ذكر ذلك النابغة قال:

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ففخر بما له وغض مما لهم. ودخلت ليلى الأخيلية بينهما فقالت:

وما كنت لو قاذفت جل عشيرتي لأذكر قعبي حازر قد تثملا

وهي كلمة. فلما بلغ النابغة قولها قال:

ألا حييا ليلى وقولا لها هلا فقد ركبت أبراً أغر محجلا
وقد أكلت بقلا وخيماً نباته وقد شربت من آخر الصيف أيلا

يعني ألبان الأيل

دعي عنك تهجاء الرجال وأقبلي على أذلغي يملأ استك فيشلا
وكيف أهاجي شاعراً رمحه استه خضيب البنان لا يزال مكحلا

فردت عليه ليلى الأخيلية فقالت:

أنابغ لم تنبغ ولم تك أولا وكنت صنيا بين ضدين مجهلا

الصني: شعب صغير يسيل منه الماء. وصدان: جبلان.

أنابغ إن تنبغ بلؤمك لا تجد للؤمك إلا وسط جعدة مجعلا

تعيرني داء بأمك مثله وأي حصان لا يمال لها هلا

فغلبته. فلما أتى بني جعدة قولها هذا، اجتمع ناس منهم فقالوا: والله لنأتين صاحب المدينة، أو أمير المؤمنين، فليأخذن لنا بحقنا من هذه الخبيثة، فإنها قد شتمت أعراضنا وافترت علينا، فتهيئوا لذلك، وبلغها أنهم يريدون أن يستعدوا عليها، فقالت:

أتاني من الأنباء أن عشيرة بشوران يزجون المطي المذللا

يروح ويغدو وفدهم بصحيفة ليستجلدوا لي، ساء ذلك معملا

وقد أخبرني ببعض هذه القصة أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة فجاء بها مختلطة، وهذا أوضح وأصح.

ما فخر به النابغة من الأيام

قال أبو عمرو: فأما ما فخر به النابغة من الأيام، فمنها يوم علقمة الجعفي، فإنه غدا في مدحج ومعه زهير الجعفي، فأتى بني عقيل بن كعب فأغار عليهم، وفي بني عقيل بطون من سليم يقال لهم بنو بجلة، فأصاب سبياً وإبلا كثيرة، ثم انصرف راجعاً بما أصاب، فاتبعه بنو كعب، ولم يلحق به من بني عقيل إلا عقال بن خويلد بن عامر بن عقيل، فجعل يأخذ أبعار إبل الجعفيين فيبول عليها حتى يندبها، ثم يلحق ببني كعب فيقول: إيه فدى لكم أبواي، قد لحقتم القوم، حتى وردوا عليهم النخيل في يوم قائظ، ورأس زهير في حجر جارية من سليم من بني بجلة سباها يومئذ وهي تفليه، وهو متوسد قطيفة حمراء وهي تضفر سعفاته أي أعلى رأسه بهدب القطيفة، فلم يشعروا إلا بالخيل، فكان أول من لحق زهيراً ابن النهاضة، فضرب وجه زهير بقوسه حتى كسر أنفه، ثم لحقه عقال بن خويلد، فبعج بطنه، فسال من بطنه برير وحلب والبرير: ثمر الأراك. والحلب: لبن كان قد اصطبحه فذلك يوم يقول أبو حرب أخو عقال بن خويلد: والله لا أصطبح لبناً حتى آمن من الصباح. قال: وهذا اليوم هو يوم وادي نساح وهو باليمامة.

قال: وأما يوم شراحيل بن الأصهب الجعفي فإنه يوم مذكور تفتخر به مضر كلها. وكان شراحيل خرج مغيراً في جمع عظيم من اليمن، وكان قد طال عمره وكثر تبعه وبعد صيته واتصل ظفره، وكان قد صالح بني عامر على أن يغزو العرب ماراً بهم في بدأته وعودته لا يعرض أحد منهم لصاحبه، فخرج غازياً في بعض غزواته فأبعد، ثم رجع إليهم فمر على بني جعدة فقرته ونحرت له، فعمد ناس من أصحابه سفهاء فتناولوا إبلا لبني جعدة فنحروها، فشكت ذلك بنو جعدة إلى شراحيل، فقالوا: قريناك وأحسنا ضيافتك ثم لم تمنع أصحابك مما

يصنعون! فقال: إنهم قوم مغيرون، وقد أساءوا لعمري! وإنما يقيمون عندكم يوماً أو يومين ثم يرتحلون عنكم. فقال الرقاد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة لأخيه ورد بن عمرو وقيل: بل قال ذلك لابن أخيه الجعد بن ورد: دعني أذهب إلى بني قشير قال: وجعدة وقشير أخوان لأم وأب، أمهما ريطة بنت قنفذ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور فأدعوهم، واصنع أنت يا هذا لشراحيل طعاماً حسناً كثيراً، وادعه وأدخله إليك فاقتله، فإن احتجت إلينا فدخن، فإني إذا رأيت الدخان أتيتك بهم فوضعنا سيوفنا على القوم. فعمد ورد هذا إلى طعام فأصلحه، ودعا شراحيل وناساً من أصحابه وأهله وبني عمه، فجعلوا كلما دخل البيت رجل قتله ورد، حتى انتصف النهار، فجاء أصحاب شراحيل يتبعونه، فقال لهم ورد: تروحوا فإن صاحبكم قد شرب وثمل وسيروح فرجعوا، ودخن ورد، وجاءت قشير، فقتلوا من أدركوا من أصحابه، وسار سائرهم، وبلغهم قتل شراحيل، فمروا على بني عقيل، وهم إخوتهم، فقالوا: لنقتلن مالك بن المنتفق، فقال لهم مالك: أنا آتيكم بوردة فركب ببني عقيل إلى بني جعدة وقشير ليعطوهم ورداً، فامتنعوا من ذلك وساروا بأجمعهم فذبوا عن عقيل، حتى تفرق من كان مع شراحيل. فقال في ذلك بحير بن عبد الله بن سلمة:

أحي يتبعون العير نحراً ... أحب إليك أم حيا هلال

لعلك قاتل ورداً ولما ... تساق الخيل بالأسل النهال

ألا يا مال ويح سواك أقصر ... أما ينهاك حلمك عن ضلال

فأحدهما مشهور قد ذكر في موضع آخر من هذا الكتاب بعقب أخبار الحارث بن ظالم، وهذا اليوم الثاني، فكان الطماح الحنفي أغار في بني حنيفة وبني قيس بن ثعلبة على بني الحريش بن كعب وبني عبادة بن عقيل وطوائف من بني عبس يقال لهم بنو حذيفة، فركبت بنو جعدة وبنو أبي بكر بن كلاب، ولم يشهد ذلك من بني كلاب غير بني أبي بكر، فأعركوا الطفاح من يومهم، فاستنقذوا ما أخذه وأصابوا ما كان معه، وقتلوا عدداً من أصحابه وهزموهم.

قال: وأما ما ذكره من إدراكهم بثأر كعب الفوارس، فإن كعب الفوارس وهو ابن معاوية بن عبادة بن البكاء مر على بني نهد وعليه سلاحه، فحمل عليه رجل من نهد يقال له خليف فقتله وأخذ فرسه وسلاحه، ثم إن خليفاً بعد ذلك بدهر مر على بني جعدة، فرآه مالك بن عبد الله بن جعدة وعليه جبة كعب وفيها أثر الطعنة، وكان محرماً فلم يقدر على قتله، فقال: يا هذا! ألا رقعت هذا الخرق الذي في جبتك! وجعل يترصده بعد ذلك، حتى بلغه بعد دهر أنه مر ببني جعدة، فركب مالك بن عبد الله بن جعدة فرساً له وقد أخبر أن خليفاً مر بجنباتهم، فأدركه فقتله، ثم قال: بؤ بكعب. ثم غزا نواحيهم عبد الله بن ثور بن معاوية بن عبادة بن البكاء: جرماً ونهداً، وهم يومئذ في بني الحارث، فناداهم بنو البكاء: ليس معنا أحد من قومنا غيرنا وإن النهدي قتل صاحبنا محرماً

فقاتلهم نهد وجرم جميعاً يومئذ، وكان عبد الله بن ثور يومئذ على فرس ورد، فأصابوا من نهد يومئذ غنيمة عظيمة، وقتلوا قتلى كثيرة. فقال عبد الله في ذلك:

فسائل بني جرم إذا ما لقيتهم ونهداً إذا حجت عليك بنو نهد

فإن يخبروك الحق عنا تجدهم يقولون أبلى صاحب الفرس الورد

قال: وأما يوم الفلج، فإن بكر بن وائل بعثت عيناً على بني كعب بن ربيعة حتى جاء الفلج وهو ماء فوجد النعم بعضه قريباً من بعض، ووجد الناس قد احتملوا، فليس في النعم إلا من لا طباخ به من راع أو ضعيف، فجاءهم عينهم بذلك، فركبت بكر بن وائل يريدونهم، حتى إذا كانوا منهم بحيث يسمعون أصواتهم، سمعوا الصهيل وأصوات الرجال، فقالوا لعينهم: ما هذا ويلك.! قال: والله ما أدري، وإن هذا لما لم أعهد، فأرسلوا من يعلم علمهم، فرجع فأخبرهم أن الرجال قد رجعوا، ورأى جمعاً عظيماً وخيولاً كثيرة، فكروا راجعين من ليلتهم، وأصبحت بنو كعب فرأوا الأثر فاتبعوهم، فأصابوا من أخرياتهم رجالاً وخيلاً، فرجعوا بها.

قال: وأما قوله:

لو تستطيعون أن تلقوا جلودكم وتجعلوا جلد عبد الله سربالا

فإن السبب في ذلك أن هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير، لقي خداش بن زهير البكائي، فتنافرا على مائة من الإبل، وقال كل منهما لصاحبه: أنا أكرم وأعز منك، فحكما في ذلك رجلاً من بني في الجدين، فقضى بينهما أن أعزهما وأكرمهما أقربهما من عبد الله بن جعدة نسباً فقال خداش بن زهير: أنا أقرب إليه، أم عبد الله بن جعدة عمتي وهي أميمة بنت عمرو بن عامر وإنما أنت أدنى إليه مني منزلة بأب فلم يزالا يختصمان في القرابة لعبد الله دون المكاثرة بآبائهما إقراراً له بذلك، حتى فلج هبيرة القشيرقي وظفر.

قال أبو عمرو: وكان عبد الله بن جعدة سيداً مطاعاً، وكانت له إتاوة بعكاظ يؤتى بها، يأتيه بها هذا الحي من الأزد وغيرهم، فجاء سمير بن سلمة القشيري وعبد الله جالس على ثياب قد جمعت له من إتاوته، فأنزله عنها وجلس مكانه، فجاء رياح بن عمرو بن ربيعة بن عقيل وهو الخليع، سمي بذلك لتخلعه عن الملوك لا يعطيهم الطاعة فقال للقشيري: مالك ولشيخنا تنزله عن إتاوته ونحن هاهنا حوله! فقال القشيري: كذبت، ما هي له! ثم مد القشيري رجله فقال: هذه رجلي فاضربها إن كنت عزيزاً، قال: لا! لعمري لا أضرب رجلك، فقال له القشيري: فامدد لي رجلك حتى تعلم أضربها أم لا، فقال: ولا أمد لك رجلي، ولكن أفعل ما لا تنكره العشيرة وما هو أعز لي وأذك لك، ثم أهوى إلى رجل القشيري فسحبه على قفاه ونحاه، وأقعد عبد الله بن جعدة مكانه.

أول من صنع الدبابة قال: وعبد الله بن جعدة أول من صنع الدبابة، وكان السبب في ذلك أنهم انتجعوا ناحية البحرين، فهجموا على عبد لرجل يقال له كودن في قصر حصين، فدخن العبد ودعا النساء والصبيان، فظنوا أنه يطعمهم ثريداً، حتى إذا امتلأ القصر منهم أغلقه عليهم، فصاح النساء والصبيان، وقام العبد ومن معه على شرف القصر، فجعل لا يدنو منه أحد إلا رماه، فلما رأى ذلك عبد الله بن جعدة صنع دبابة على جذوع النخل

وألبسها جلود الإبل، ثم جاء بها والقوم يحملونها حتى أسندوها إلى القصر، ثم حفروا حتى خرقوه فقتل عبد ومن كان معه واستنقذ صبيانهم ونساءهم. فذلك قول النابغة:

ويوم دعا ولدانكم عبد كودن فخالوا لدى الداعي ثريداً مفلفلا

وفي ابن زياد وهو عقبة خيركم هبيرة ينزو في الحديد مكبلا

يعني هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير، وكان عبد الله بن مالك بن عدس بن ربيعة بن جعدة خرج ومعه مالك بن عبد الله بن جعدة، حتى مروا على بني زياد العبسيين والرجال غيب، فأخذوا ابنا لأنس بن زياد وانطلقوا به يرجون الفداء، وانطلق عمه عمارة بن زياد حتى أتى بني كعب، فلقي هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير، فقال له: يا هبيرة إن الناس يقولون: إنك بخيل، قال: معاذ الله! قال: فهب لي جبتك هذه، فأهوى ليخلعها، فلما وقعت في رأسه وثب عليه فأسره، ثم بعث إلى بني قشير: علي وعلي إن قبلت من هبيرة أقل من فدية حاجب إلا أن يأتوني بابن أخي الذي في أيدي بني جعدة، فمشت بنو قشير إلى بني جعدة، فاستوهبوه منهم فوهبوه لهم، فافتدوا به هبيرة.

خبر وحوح أخي النابغة وأما خبر وحوح أخي النابغة الذي تقدم ذكره مع نسب أخيه النابغة، فإن أبا عمرو ذكر أن بني كعب أغارت على بني أسد فأصابوا سبياً وأسرى، فركبت بنو أسد في آثارهم حتى لحقوهم بالشريف، فعطفت بنو عدس بن ربيعة بن جعدة، فذادوا بني أسد حتى قتلوا منهم ثلاثين رجلاً وردوهم، و لم يظفروا منهم بشيء. وتعلقت امرأة من بني أسد بالحكم بن عمرو بن عبد الله بن جعدة وقد أردفها خلفه، فأخذت بضفيرته ومالت به فصرعته، فعطف عليه عبد الله بن مالك بن عدس وهو أبو صفوان، فضرب يدها بالسيف فقطعها وتخلصه. وطعن يومئذ وحوح بن قيس أخو النابغة الجعدي، فارتث في معركة القوم، فأخذه خالد بن نضلة الأسدي، وعطف عليه يومئذ أخوه النابغة، فقال له خالد بن نضلة: هلم إلي وأنت آمن، فقال له النابغة: لا حاجة لي في أمانك، أنا على فرسي ومعي سلاحي وأصحابي قريب، ولكني أوصيك بما في العوسجة يعني أخاه وحوح بن قيس، فعدل إليه خالد فأخذه وضمه إليه ومنع من قتله وداواه حتى فدي بعد ذلك. قال: ففي ذلك يقول مدرك العبسي:

أقمت على الحفاظ وغاب فرج وفي فرج عن الحسب انفراج

كذلك فعلنا وحبال عمي وردن بوحوح فلج الفلاج

ومما قاله النابغة في هذه المفاخرة وغني فيه قوله وقد جمع معه كل ما يغني فيه من القصيدة:

هل بالديار الغداة من صمم أم هل بربع الأنيس من قدم

أم ما تنادي من ماثل درج الس يل عليه كالحوض فنهدم

غراء كالليلة المباركة القم راء تهدي أوائل الظلم

أكنى بغير اسمها وقد علم ال له خفيات كل مكتتم

كأن فاهاً إذا تبسم من طيب مشم وطيب مبتسم

يسن بالضرو من براقش أو هيلان أو ضامر من العتم

عروضه من المنسرح. وفي الأول والثاني والثالث من الأبيات خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر، ذكره إسحاق ولم ينسبه إلى أحد، وذكر ابن المكي والهشامي أنه لمعبد، وأظنه من منحول يحيى، وذكر حبش أنه لإبراهيم. وفي الثالث وما بعده لابن سريح رمل بالبنصر، وذكر حبش أن فيها لإسحاق رملاً آخر، ولابن مسجح فيها ثقيل أول بالبنصر.

أول من سبق إلى الكناية أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: أول من سبق إلى الكناية عن اسم من يعني بغيره في الشعر الجعدي، فإنه قال:

أكني بغير اسمها وقد علم ال له خفيات كل مكتتم

فسبق الناس جميعاً إليه واتبعوه فيه. وأحسن من أخذه وألطفه فيه أبو نواس حيث يقول:

أسأل القادمين من حكمان كيف خلفتم أبا عثمان

فيقولون لي جنان كما سرك في حالها فسل عن جنان

مالهم لا يبارك الله فيهم كيف لم يغن عندهم كتماني

رأي الفرزدق فيه

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو بكر الباهلي قال حدثني الأصمعي قال: ذكر الفرزدق نابغة بني جعدة فقال: كان صاحب خلقان عنده مطرف بألف، وخمار بواف، يعني درهماً.

مع ابن الزبير المسجد الحرام

وحدثني خبره مع ابن الزبير جماعة، منهم حبيب بن نصر المهلبي وعمر بن عبد العزيز بن أحمد والحرمي بن أبي العلاء ووكيع ومحمد بن جرير الطبري حدثنيه من حفظه، قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أخي هارون بن أبي بكر عن يحيى بن إبراهيم عن سليمان بن محمد بن يحيى بن عروة عن أبيه عن عمه عبد الله بن عروة قال: أقحمت السنة نابغة بني جعدة، فدخل على ابن الزبير المسجد الحرام، فأنشده:

حكيت لنا الصديق لما وليتنا وعثمان والفاروق فارتاح معدم

أتاك أبو ليلى يجوب به الدجى دجى الليل جواب الفلاة عثمثم

لتجبر منه جانباً زعزعت به صروف الليالي والزمان المصمم

فقال له ابن الزبير: هون عليك أبا ليلى، فإن الشعر أهون وسائلك عندنا، أما صفوة مالنا فلآل الزبير، وأما عفوته فإن بني أسد بن عبد العزى تشغلها عنك وتيماً معها، ولكن لك في مال الله حقان: حق برؤيتك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحق بشركتك أهل الإسلام في فيئهم، ثم أخذ بيده فدخل به دار النعم، فأعطاه قلائص سبعاً وجملاً رجيلاً، وأوقر له الإبل براً وتمراً وثياباً، فجعل النابغة يستعجل فيأكل الحب صرفاً، فقال ابن الزبير: ويح أبي ليلى! لقد بلغ به الجهد، فقال النابغة: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما وليت قريش فعدلت واسترحمت فرحمت وحدثت فصدقت ووعدت خيراً فأنجزت فأنا والنبيون فراط القاصفين وقال الحرمي: فراط لها ضمن. قال الزبيري: كتب يحيى بن معين هذا الحديث عن أخي.

مع أبي موسى الأشعري وداعية القومية

أخبرني أبو الحسن الأسدي أحمد بن محمد بن عبد الله بن صالح وهاشم بن محمد الخزاعي أبو دلف قالا حدثنا الرياشي قال قال أبو سليمان عن الهيثم بن عدي قال: رعت بنو عامر بالبصرة في الزرع، فبعث أبو موسى الأشعري في طلبهم، فتصارخوا: يا آل عامر، يا آل عامر! فخرج النابغة الجعدي ومعه عصبة له، فأتي به إلى أبي موسى الأشعري، فقال له: ما أخرجك. قال: سمعت ، قال: فضربه أسواطاً فقال النابغة:

رأيت البكر بكر بني ثمود وأنت أراك بكر الأشعرينا

فإن يكن ابن عفان أميناً فلم يبعث بك البر الأمينا

فيا قبر النبي وصاحبيه ألا يا غوثنا لو تسمعونا

ألا صلى إلهكم عليكم ولا صلى على الأمراء فينا

خروجه مع الامام علي في صفين

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري ويحيى بن علي بن يحيى قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا بعض أصحابنا عن ابن دأب قال: لما خرج علي رضي الله تعالى عنه إلى صفين خرج معه نابغة بني جعدة، فساق به يوماً فقال:

قد علم المصران والعراق أن علياً فحلها العتاق

أبيض جحجاح له رواق وأمه غالى بها الصداق

أكرم من شد به نطاق إن الألى جاروك لا أفاقوا

لهم سياق ولكم سياق قد علمت ذلكم الرفاق

سقتم إلى نهج الهدى وساقوا إلى التي ليس لها عراق

في ملة عادتها النفاق

فلما قدم معاوية بن أبي سفيان الكوفة، قام النابغة بين يديه فقال:

ألم تأت أهل المشرقين رسالتي وأي نصيح لا يبيت على عتب

ملكتم فكان الشر آخر عهدكم لئن لم تداركم حلوم بني حرب

وقد كان معاوية كتب إلى مروان فأخذ أهل النابغة وماله، فدخل النابغة على معاوية، وعنده عبد الله بن عامر ومروان، فأنشده:

من راكب يأتي ابن هند بحاجتي على النأي والأنباء تنمى وتجلب

ويخبر عني ما أقول ابن عامر ونعم الفتى يأوي إليه المعصب

فإن تأخذوا أهلي ومالي بظنه فإني لحراب الرجال محرب

صبور على ما يكره المرء كله سوى الظلم إني إن ظلمت سأغضب

فالتفت معاوية إلى مروان فقال: ما ترى. قال: أرى ألا ترد عليه شيئاً، فقال: ما أهون والله عليك أن ينجحر هذا في غار ثم يقطع عرضي علي ثم تأخذه العرب فترويه، أما والله إن كنت لممن يرويه! أردد عليه كل شيء أخذته منه. وهذا الشعر يقوله النابغة الجعدي لعقال بن خويلد العقيلي يحذره غب الظلم لما أجار بني وائل بن معن، وكانوا قتلوا رجلاً من جعدة، فحذرهم مثل حرب البسوس إن أقاموا على ذلك فيهم.

قال أبو عمرو الشيباني: كان السبب في قول الجعدي هذه القصيدة أن المنتشر الباهلي خرج فأغار على اليمن ثم رجع مظفراً. فوجد بني جعدة قد قتلوا ابنا له يقال له سيدان، وكانت باهلة في بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ثم في بني جعدة، فلما أن علم ذلك المنتشر وأتاه الخبر أغار على بني جعدة ثم على بني سبيع في وجهه ذلك، فقتل منهم ثلاثة نفر، فلما فعل ذلك تصدعت باهلة، فلحقت فرقة منهم يقال لهم بنو وائل بعقال بن خويلد العقيلي، ولحقت فرقة أخرى يقال لهم بنو قتيبة وعليهم حجل الباهلي بيزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي، فأجارهم يزيد، وأجار عقال وائلاً. فلما رأت ذلك بنو جعدة أرادوا قتالهم، فقال لهم عقال: لا تقاتلوهم فقد أجرتهم، فأما أحد الثلاثة القتلى منكم فهو بالمقتول، وأما الآخران فعلي عقلهما، فقالوا: لا نقبل إلا القتال ولا نريد من وائل غيراً يعني الدية، فقال: لا تفعلوا فقد أجرت القوم، فلم يزل بهم حتى قبلوا الدية. وانتقلت وائل إلى قومهم. فقال النابغة في ذلك قصيدته التي ذكر فيها عقالاً:

فابلغ عقالاً أن غاية داحس بكفيك فاستأخر لها أو تقدم

تجير علينا وائلا في دمائنا كأنك عما ناب أشياعنا عم
كليب لعمري كان أكثر ناصراً وأيسر جرماً منك ضرج بالدم
رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة كحاشية البرد اليماني المسهم
وما يشعر الرمح الأصم كعوبه بثروة رهط الأبلخ المتظلم
وقال لجساس أغثني بشربة تفضل بها طولاً علي وأنعم
فقال تجاوزت الأحص وماءه وبطن شبيث وهو ذو مترسم

سبب مقتل كليب بن ربيعة وكان السبب في قتل كليب بن ربيعة فيما ذكره أبو عبيدة عن مقاتل الأحول بن سنان بن مرثد بن عبد بن عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد أخي بني قيس بن ثعلبة، ونسخت بعضه من رواية الكلبي، وأخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن ابن حبيب عن وأبن الأعرابي عن المفضل، فجمعت من روايتهم ما احتيج إلى ذكره مختصر اللفظ كامل المعنى أن كليباً كان قد عز وساد في ربيعة فبغى بغياً شديداً، وكان هو الذي يترلهم منازلهم ويرحلهم، ولا يترلون ولا يرحلون إلا بأمره. فبلغ من عزه وبغيه أنه اتخذ جرو كلب، فكان إذا نزل مترلاً به كلأ قذف ذلك الجرو فيه فيعوي، فلا يرعى أحد ذلك الكلأ إلا بإذنه، وكان يفعل هذا بحياض الماء، فلا يردها أحد إلا بإذنه أو من آذن بحرب، فضرب به المثل في العز، فقيل: أعز من كليب وائل. وكان يحمي الصيد، ويقول: صيد ناحية كذا وكذا في جواري، فلا يصيد أحد منه شيئاً، وكان لا يمر بين يديه أحد إذا جلس، ولا يحتبي أحد في مجلسه غيره، فقتله جساس بن مرة.

وقال أبو عبيدة: قال أبو برزة القيسي وهو من ولد عمرو بن مرثد: وكان كليب بن ربيعة ليس على الأرض بكري ولا تغلبي أجار رجلاً ولا بعيراً إلا بإذنه، ولا يحمي حمى إلا بأمره، وكان إذا حمى حمى لا يقرب، وكان لمرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة عشرة بنين جساس أصغرهم، وكانت أختهم عند كليب. وقال مقاتل وفراس: وأم جساس هيلة بنت منقذ بن سليمان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة، ثم خلف عليها سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بعد مرة بن ذهل، فولدت له مالكاً وعوفاً وثعلبة. قال فراس بن خندق البسوسي: فهي أمنا. وخالة جساس البسوس وقال أبو برزة: البسوسية وهي التي يقال لها: أشأم من البسوس. فجاءت فنزلت على ابن أختها جساس فكانت جارة لبني مرة، ومعها ابن لها، ولهم ناقة خوارة، من نعم بني سعد ومعها فصيل.

أخبرني علي بن سليمان قال قال أبو برزة: وقد كان كليب قبل ذلك قال لصاحبته أخت جساس: هل تعلمين على الأرض عربياً أمنع مني ذمة؟ فسكتت ثم أعاد عليها الثانية فسكتت ثم أعاد عليها الثالثة، فقالت: نعم أخي جساس وندمانه ابن عمه عمرو المزدلف بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان. وزعم مقاتل: أن امرأته كانت أخت جساس، فبينا هي تغسل رأس كليب وتسرحه ذات يوم إذ قال: من أعز وائل؟ فصمتت، فأعاد عليها، فلما أكثر

عليها قالت: أخواي جساس وهمام! فنزع رأسه من يدها وأخذ القوس فرمى فصيل ناقة البسوس خالة جساس وجارة بني مرة فقتله، فأغمضوا على ما فيه وسكتوا على ذلك. ثم لقي كليب ابن البسوس فقال: ما فعل فصيل ناقتكم؟ قال: قتلته وأحليت لنا لبن أمه، فأغمضوا على هذه أيضاً. ثم إن كليباً أعاد على امرأته فقال: من أعز وائل؟ فقالت: أخواي، فأضمرها وأسرها في نفسه وسكت، حتى مرت به إبل جساس، فرأى الناقة فأنكرها، فقال: ما هذه الناقة. قالوا: لخالة جساس، قال: أو قد بلغ من أمر ابن السعدية أن يجير علي بغير إذني! ارم ضرعها يا غلام. قال فراس: فأخذ القوس فرمى ضرع الناقة فاختلط دمها بلبنها، وراحت الرعاة على جساس فاخبروه بالأمر، فقال: احلبوا لها مكيالي لبن بمحلبها ولا تذكروا لها من هذا شيئاً، ثم أغمضوا عليها أيضاً. قال مقاتل: حتى أصابتهم سماء، فغدا في غبها يتمطر. وركب جساس بن مرة وابن عمه عمرو بن الحارث بن ذهل وقال أبو برزة: بل عمرو ابن أبي ربيعة وطعن عمرو كليباً فحطم صلبه، وقال أبو برزة: فسكت جساس، حتى ظعن ابنا وائل، فمرت بكر بن وائل على نهي يقال له شبيث فنفاهم كليب عنه وقال: لا يذوقون منه قطرة، ثم مروا على نهي آخر يقال له الأحص فنفاهم عنه وقال: لا يذوقون منه قطرة، ثم مروا على بطن الجريب، فمنعهم إياه، فمضوا حتى نزلوا الذنائب، واتبعهم كليب وحيه حتى نزلوا عليه، ثم مر عليه جساس وهو واقف على غدير الذنائب فقال: طردت أهلنا عن المياه حتى كدت ثقتلهم عطشاً! فقال كليب: ما منعناهم من ماء إلا ونحن له شاغلون، فمضى جساس ومعه ابن عمه المزدلف. وقال بعضهم: بل جساس ناداه فقال: هذا كفعلك بناقة خالتي، فقال له: أو قد ذكرتها! أما إني لو وجدتها في غير إبل مرة لاستحللت تلك الإبل بها. فعطف عليه جساس فرسه فطعنه برمح فأنفذ حضنيه، فلما تداعمه الموت قال: يا جساس اسقني من الماء، قال: ما عقلت استسقاءك الماء منذ ولدتك أمك إلا ساعتك هذه!. قال أبو برزة: فعطف عليه المزدلف عمرو بن أبي ربيعة فاحتز رأسه. وأما مقاتل فزعم أن عمرو بن الحارث بن ذهل الذي طعنه فقصم صلبه. قال: وفيه يقول مهلهل:

قتيل ما قتيل المرء عمرو ... وجساس بن مرة ذو ضرير

وقال العباس بن مرداس السلمي يحذر كليب بن عهمة السلمي ثم الظفري لما مات حرب بن أمية وخنقت الجن مرداساً وكانوا شركاء في القرية فجحدهم كليب حظهم منها وسنذكر خبر ذلك في آخر هذه الأخبار إن شاء الله تعالى فحذره غب الظلم فقال:

أكليب مالك كل يوم ظالماً ... والظلم أنكد وجهه ملعون

فافعل بقومك ما أراد بوائل ... يوم الغدير سميك المطعون

وقال رجل من بني بكر بن وائل في الإسلام وهي تنحل للأعشى:

ونحن قهرنا تغلب ابنة وائل ... بقتل كليب إذ طغى وتخيلا

أبأناه بالناب التي شق ضرعها ... فأصبح موطوء الحمى متذللا

قال: ومقتل كليب بالذنائب عن يسار فلجة مصعداً إلى مكة، وقبره بالذنائب. وفيه يقول المهلهل:

ولو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب أي زير

قال أبو برزة: فلما قتله أمال يده بالفرس حتى انتهى إلى أهله. قال: وتقول أخته حين رأته لأبيها: إن ذا لجساس أتى خارجاً ركبتاه، قال: والله ما خرجت ركبتاه إلا لأمر عظيم!. قال: فلما جاء قال: ما وراءك يا بني؟ قال: ورائي أني قد طعنت طعنة لتشغلن بها شيوخ وائل زمناً، قال: أقتلت كليباً. قال نعم، قال: وددت أنك وإخوتك كنتم متم قبل هذا، ما بي إلا أن تتشاءم بي أبناء وائل. وزعم مقاتل أن جساساً قال لأخيه نضلة بن مرة وكان يقال له عضد الحمار:

وإني قد جنيت عليك حرباً تغص الشيخ بالماء القراح

مذكرة متى ما يصح عنها فتى نشبت بآخر غير صاح

تنكل عن ذباب الغي قوماً وتدعو آخرين إلى الصلاح

فأجابه نضلة:

فإن تك قد جنيت علي حرباً فلا وان ولا رث السلاح

فال أبو برزة: وكان همام بن مرة آخى مهلهلاً وعاقده ألا يكتمه شيئاً، فجاءت إليه أمة له فأسرت إليه قتل جساس كليباً، فقال له مهلهل: ما قالت. فلم يخبره، فذكره العهد بينهما، فقال: أخبرت أن جساساً قتل كليباً، فقال: است أخيك أضيق من ذلك. وزعم مقاتل: أن هماماً كان آخى مهلهلاً وكان عاقده ألا يكتمه شيئاً، فكانا جالسين، فمر جساس يركض به فرسه مخرجاً فخذيه، فقال همام: إن له لأمراً، والله ما رأيته كاشفاً فخذيه قط في ركض، فلم يلبث إلا قليلاً حتى جاءته الخادم فسارته أن جساساً قتل كليباً، فقال له مهلهل: ما أخبرتك. قال: أخبرتني أن أخي قتل أخاك، قال: هو أضيق استاً من ذلك. وتحمل القوم، وغدا مهلهل بالخيل.

وقال المفضل في خبره: فلما قتل كليب قالت بنو تغلب بعضهم لبعض: لا تعجلوا على إخوتكم حتى تعذروا بينكم وبينهم، فانطلق رهط من أشرافهم وذوي أسنانهم حتى أتوا مرة بن ذهل، فعظموا ما بينهم وبينه، وقالوا له: اختر منا خصالاً: إما أن تدفع إلينا جساساً فنقتله بصاحبنا فلم يظلم من قتل قاتله، وإما أن تدفع إلينا هماماً، وإما أن تقيدنا من نفسك، فسكت، وقد حضرته وجوه بني بكر بن وائل فقالوا: تكلم غير مخذول، فقال: أما جساس فغلام حديث السن ركب رأسه فهرب حين خاف فلا علم لي به، وأما همام فأبو عشرة وأخو عشرة، ولو دفعته إليكم لصيح بنوه في وجهي وقالوا: دفعت أبانا للقتل بجريرة غيره، وأما أنا فلا أتعجل الموت، وهل تزيد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل! ولكن هل لكم في غير ذلك. هؤلاء بني، فدونكم أحدهم فافتلوه به، وإن شئتم فلكم ألف ناقة تضمنها لكم بكر بن وائل، فغضبوا وقالوا: إنا لم نأتك لترذل لنا بنيك ولا

لتسومنا اللبن، فتفرقوا، ووقعت الحرب. وتكلم في ذلك عند الحارث بن عباد، فقال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل، وهو أول من قالها وأرسلها مثلاً.

قالوا جميعاً: كانت حربهم أربعين سنة، فيهن خمس وقعات مزاحفات، وكانت تكون بينهم مغاورات، وكان الرجل يلقى الرجل والرجلان الرجلين ونحو هذا. وكان أول تلك الأيام يوم عنيزة، وهي عند فلجة، فتكافؤا فيه لا لبكر ولا لتغلب، وتصديق ذلك قول مهلهل:

كأنا غدوة وبنى أبينا بجنب عنيزة رحيا مدير

ولولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور

فتفرقوا، ثم غبروا زماناً. ثم التقوا يوم واردات وكان لتغلب على بكر، وقتلوا بكرا أشد القتل، وقتلوا بجيراة وذلك قول مهلهل:

فإني قد تركت بواردات بجيراً في دم مثل العبير

هتكت به بيوت بني عباد وبعض الغشم أشفى للصدور

قال مقاتل: إنه إنما التقط توا. وسيجيء حديثه أسفل من هذا التو: الفرد، يقال: وجدته تواً، أي وحده. قال أبو برزة: ثم انصرفوا بعد يوم واردات غير بني ثعلبة بن عكابة ورأسوا على أنفسهم الحارث بن عباد، فاتبعتهم بنو ثعلبة بن عكابة، حتى التقوا بالحنو، فظهرت بنو ثعلبة على تغلب.

قال مقاتل: ثم التقوا يوم بطن السرو، وهو يوم القصيبات، وربما قيل يوم القصيبة، وكان لبني تغلب على بكر، حتى ظنت بكر أن سيقتلونها قال مقاتل: وقتلوا يومئذ همام بن مرة. ثم التقوا يوم قضة وهو يوم التحالق ويوم الثنية. ويوم قضة ويوم الفصيل لبكر على تغلب. قال أبو برزة: اتبعت تغلب بكراً فقطعوا رملات خزازي والرغام ثم مالوا لبطن الحمارة، فوردت بكر قضة فسقت وأسقت ثم صدرت وحلئوا تغلب، ونهضوا في نجعة يقال لها مويبة لا يجوز فيها إلا بعير بعير، فلحق رجل من الأوس بن تغلب بغليم من بني تيم اللات بن ثعلبة يطرد ذودا له، قطعن في بطنه بالرمح ثم رفعه فقال: تحدبي أم البو على بوك. فراه عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، فقال: أنفذوا جمل أسماء اينته فإنه أمضى جمالكم وأجودها منفذاً، فإذا نفذ تبعته النعم، فوثب الجمل في المويبة، حتى إذا نهض على يديه وارتفعت رجلاه ضرب عرقوبيه وقطع بطان الظعينة فوقع فسد الثنية ثم قال عوف: أنا البرك أبرك حيث أدرك، فسمي البرك ووقع الناس إلى الأرض لا يرون مجازاً، وتحالقوا لتعرفهم النساء، فقال جحدر بن ضبيعة بن قيس أبو المسامعة واسمه ربيعة، قال: وإنما سمي جحدراً لقصره: لا تحلقوا رأسي فإني رجل قصير، لا تشينوني، ولكني أشتريه منكم بأول فارس يطلع عليكم من القوم، فطلع ابن عناق فشد عليه فقتله. فقال رجل من بكر بن وائل يمدح مسمع. ابن مالك بذلك:

يا ابن الذي لما حلقنا اللمما ابتاع منا رأسه تكرما

بفارس أول من تقدما

وقال البكري:

ومنا الذي فادى من القوم رأسه بمستلئم من جمعهم غير أعزلا

فأدى إلينا بزة وسلاحه ومنفصلاً من عنقه قد تزيلا

قال: وكان جحدر يرتجز يومئذ ويقول:

ردوا علي الخيل إن ألمت إن لم أقاتلهم فجزوا لمتي

وزعم عامر بن عبد الملك المسمعي أنه لم يقلها، وأن صخر بن عمرو السلمي قائلها، فقال مسمع: كردين كذب عامر. وقال البكري:

ومنا الذي سد الثنية غدوة على حلفة لم يبق فيها تحللا

بجهد يمين الله لا يطلعونها ولما نقاتل جمعهم حين أسهلا

وأما مقاتل فزعم أنهم قالوا: اتخذوا علماً يعرف به بعضكم بعضاً، فتحالقوا. وفيه يقول طرفة:

سائلوا عنا الذي يعرفنا بقوانا يوم تحلاق اللمم

يوم تبدي البيض عن أسؤقها وتلف الخيل أعراج النعم

غنى في هذين البيتين ابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي، وذكر أحمد بن المكي أنه لمعبد.

وزعم مقاتل أن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، لم يزل قائد بكر حتى قتل يوم القصيبات، وهو قبل يوم قضة، أو يوم قضة، على أثره. وكان من حديث مقتل همام أنه وجد غلاماً مطروحاً، فالتقطه ورباه وسماه ناشرة فكان عنده لقيطاً، فلما شب تبين أنه من بني تغلب، فلما التقوا يوم القصيبات جعل همام يقاتل، فإذا عطش رجع إلى قربة فشرب منها ثم وضع سلاحه، فوجد ناشرة من همام غفلة، فشد عليه بالعترة فأقصده فقتله، ولحق بقومه تغلب. فقال باكي همام:

لقد عيل الأقوام طعنة ناشره أناشر لا زالت يمينك اشره

ثم قتل ناشرة رجل من بني يشكر. فلما كان يوم قضة وتجمعت إليهم بكر، جاء إليهم الفند الزماني أحد بني زمان بن مالك بن صعب بن علي بن بكر بن وائل من اليمامة، قال عامر بن عبد الملك المسمعي: فرأسوه عليهم، فقلت أنا لفراس بن خندق: إن عامراً يزعم أن الفند كان رئيس بكر يوم قضة، فقال: رحم الله أبا عبد الله! كان أقل الناس حظاً في علم قومه. وقال فراس: كان رئيس بكر بعد همام الحارث بن عباد. قال مقاتل: وكان الحارث بن عباد قد اعتزل يوم قتل كليب، وقال: لا أنا من هذا ولا ناقتي ولا جملي ولا عدلي، وربما قال:

لست من هذا ولا جملي ولا رحلي، وخذل بكراً عن تغلب، واستعظم قتل كليب لسؤدده في ناقة. فقال سعد بن مالك يحضض الحارث بن عباد:

يا بؤس للحرب التي وضعت أراهط فاستراحوا
والحرب لا يبقى لصا حبها التخيل والمراح
إلا الفتى الصبار في الن جدات والفرس الوقاح

فلما أخذ بجير بن الحارث بن عباد تواً بواردات وإنما سل ولم يؤخذ في مزاحفة قال له مهلهل، من خالك يا غلام؟!. قال امرؤ القيس بن أبان التغلبي لمهلهل: إني أرى غلاماً ليقتلن به رجل لا يسأل عن خاله، وربما قال عن حاله قال: فكان والله امرؤ القيس هو المقتول به، قتله الحارث بن عباد يوم قضة بيده فقتله مهلهل. قال: فلما قتل مهلهل بجيراً قال: بؤ بشسع نعل كليب، فقال له الغلام: إن رضيت بذلك بنو ضبيعة بن قيس رضيت. فلما بلغ الحارث قتل بجير ابن أخيه وقال أبو برزة: بل بجير ابن الحارث بن عباد نفسه قال: نعم الغلام غلام أصلح بين ابني وائل وباء بكليب. فلما سمعوا قول الحارث: قالوا له: إن مهلهلاً لما قتله قال له: بؤ بشسع نعل كليب وقال مهلهل:

كل قتيل في كليب حلام حتى ينال القتل آل همام .

وقال أيضاً:

كل قتيل في كليب غره حتى ينال القتل آل مره

فغضب الحارث عند ذلك فنادى بالرحيل. قال مقاتل: وقال الحارث بن عباد:

قرباً مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال
لا بجير أغنى قتيلاً ولا ره ط كليب تزاجروا عن ضلال
لم أكن من جناتها علم الل ه وإني بحرها اليوم صال

قال: ولم يصحح عامر ولا مسمع غير هذه الثلاثة الأبيات. وزعم أبو برزة قال: كان أول فارس لقي مهلهلاً يوم واردات بجير بن الحارث بن عباد، فقال: من خالك يا غلام، وبوأ نحوه الرمح، فقال له امرؤ القيس بن أبان التغلبي وكان على مقدمتهم في حروبهم: مهلاً يا مهلهل! فإن عم هذا وأهل بيته قد اعتزلوا حربنا ولم يدخلوا في شيء مما نكره، ووالله لئن قتلته ليقتلن به رجل لا يسأل عن نسبه، فلم يلتفت مهلهل إلى قوله وشد عليه فقتله، وقال: بؤ بشسع نعل كليب، فقال الغلام: إن رضيت بهذا بنو ثعلبة فقد رضيته. قال: ثم غبروا زماناً، ثم لقي همام بن مرة فقتله أيضاً. فأتى الحارث بن عباد فقيل له: قتل مهلهل هماماً، فغضب وقال: ردوا الجمال على عكرها الأمر مخلوجة ليس بسلكي، وجد في قتالهم. قال مقاتل: فكان حكم بكر بن وائل يوم قضة الحارث بن

عباد، وكان الرئيس الفند، وكان فارسهم جحدر، وكان شاعرهم سعد بن مالك بن ضبيعة، وكان الذي سد الثنية عوف بن مالك بن ضبيعة، وكان عوف أنبه من أخيه سعد. وقال فراس بن خندق: بل كان رئيسهم يوم قضة الحارث بن عباد. قال مقاتل: فأسر الحارث بن عباد عدياً وهو مهلهل بعد انهزام الناس وهو لا يعرفه، فقال له: دلني على المهلهل. قال: ولي دمي. قال: ولك دمك، قال: ولي ذمتك وذمة أبيك. قال: نعم، ذلك لك، قال: فأنا مهلهل. قال: دلني على كفء لبجير، قال: لا أعلمه إلا امرأ القيس بن أبان، هذاك علمه، فجز ناصيته، وقصد قصد امرئ القيس فشد عليه فقتله. فقال الحارث في ذلك:

لهف نفسي على عدي ولم أع ... رف عدياً إذ أمكنتني اليدان
طل من طل في الحروب ولم أو ... تر بجيراً أبأته ابن أبان
فارس يضرب الكتيبة بالسي ... ف وتسمو أمامه العينان

وزعم حجر أن مهلهلاً قال: لا والله أو يعهد لي غيرك، قال الحارث: اختر من شئت، قال: أختار الشيخ القاعد عوف بن محلم، قال الحارث: يا عوف أجره، قال: لا حتى يقعد خلفي، فأمره فقعد خلفه، فقال: أنا مهلهل. وأما مقاتل فقال: إنما أخذه في دور الرحى وحومة القتال و لم يقعد أحد بعد، فكيف يقول الشيخ القاعد!. قال مقاتل: وشد عليهم جحدر، فاعتوره عمرو وعامر، فطعن عمراً بعالية الرمح وطعن عامراً بسافلته فقتلهما عداء وجاء ببزهما. قال عامر بن عبد الملك المسمعي: فحدثني رجل عالم قال: سألني الوليد بن يزي: من قتل عمراً وأخاه عامراً؟ قلت: جحدر، قال: صدقت، فهل تدري كيف قتلهما. قلت: نعم، قتل عمراً بسنان الرمح، وقتل عامراً بزجه. قال: وقتل جحدر أيضاً أبا مكنف. قال مقاتل: فلما رجع مهلهل بعد الوقعة والأسر إلى أهله، جعل النساء والولدان يستخبرونه: تسأل المرأة عن زوجها وابنها وأخيها، والغلام عن أبيه وأخيه، فقال:

ليس مثلي يخبر الناس عن آ ... بائهم قتلوا وينسى القتالا
لم أرم عرصة الكتيبة حتى ان ... تعل الورد من دماء نعالا

عرفته رماح بكر فما يأ ... خذن إلا لبانه والقذالا
غلبونا، ولا محالة يوماً ... يقلب الدهر ذاك حالاً فحالا

ثم خرج حتى لحق بأرض اليمن، فكان في جنب فخطب إليه أحدهم ابنته فأبى أن يفعل، فأكرهوه فأنكحها إياه، فقال في ذلك مهلهل:

أنكحها فقدها الأراقم في ... جنب وكان الحباء من أدم
لو بأبانين جاء يخطبها ... ضرج ما أنف خاطب بدم

أصبحت لا منفساً أصبت ولا أبت كريماً حراً من الندم
هان على تغلب بما لقيت أخت بني المالكين من جشم
ليسوا بأكفائنا الكرام ولا يغنون من عيلة ولا عدم

ثم إن مهلهلا انحدر، فأخذه عمرو بن مالك بن ضبيعة، فطلب إليه أخواله بنو يشكر وأم مهلهل المرادة بنت ثعلبة بن جشم بن غبر اليشكرية، وأختها منة بنت ثعلبة أم حيي بن وائل، وكان المحلل بن ثعلبة خالهما فطلب إلى عمرو أن يدفعه إليه فيكون عنده ففعل، فسقاه خمراً، فلما طابت نفسه تغنى:

طفلة ما ابنة المحلل بيضا ء لعوب لذيذة في العناق

حتى فرغ من القصيدة، فأدى ذلك من سمعه من المهلهل إلى عمرو، فحوله إليه وأقسم ألا يذوق عنده خمراً ولا ماء ولا لبناً حتى يرد ربيب الهضاب جمل له كان أقل وروده في الصيف الخمس، فقالوا له: يا خير الفتيان، أرسل إلى ربيب فلتؤت به قبل وروده، ففعل فأوجره ذنوباً من ماء، فلما تحلل من يمينه سقاه من ماء الحاضرة، وهو أوبأ ماء رأيته، فمات. فتلك الهضاب التي كان يرعاها ربيب يقال لها هضاب ربيب، طالما رعيتهن ورأيتهن. قال مقاتل: ولم يقاتل معنا من بني يشكر ولا من بني لجيم ولا ذهل بن ثعلبة غير ناس من بني يشكر وذهل قاتلت بأخرة، ثم جاء ناس من بني لجيم يوم قضة مع الفند. وفي ذلك يقول سعد بن مالك:

إن لجيماً قد أبت كلها أن يرفدونا رجلاً واحداً
ويشكر أضحت على نأيها لم تسمع الآن لها حامدا
ولا بنو ذهل وقد أصبحوا بها حلولاً خلفاً ماجدا
القائدي الخيل لأرض العدا والضاربين الكوكب الوافدا

وقال البكري:

وصدت لجم للبراءة إذ رأت أهاضيب موت تمطر الموت معضلا
ويشكر قد مالت قديماً وأرتعت ومنت بقرباها إليهم لتوصلا

وقالوا جميعاً: مات جساس حتف أنفه ولم يمتل.

قال عامر بن عبد الملك: لم يكن بينهم من قتلى تعد ولا تذكر إلا ثمانية نفر من تغلب وأربعة من بكر عددهم مهلهل في شعريه، يعني قصيدتيه:

أليلتنا بذي حسم أنيري إذا أنت أنقضيت فلا تحوري
فإن يك بالذنائب طال ليلي فقد أبكي من الليل القصير
فلو نبش المقابر عن كليب فيعلم بالذنائب أي زير

بيوم الشعثمين أقر عيناً وكيف لقاء من تحت القبور
وإني قد تركت بواردات بجيراً في دم مثل العبير
هتكت به بيوت بني عباد وبعض الغشم أشفى للصدور
على أن ليس يوفي من كليب إذا برزت مخبأة الخدور
وهمام بن مرة قد تركنا عليه القشعمان من النسور
ينوء بصدره والرمح فيه ويخلجه خدب كالبعير
فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور
فدى لبني شقيقة يوم جاءوا كأسد الغاب لجت في الزئير
كأن رماحهم أشطان بئر بعيد بين جاليها جرور
غداة كأننا وبنى أبينا بجنب عنيزة رحيا مدير
تظل الخيل عاكفة عليهم كأن الخيل ترحض في غدير

فهؤلاء أربعة من بني بكر بن وائل. وقال أيضاً:

طفلة ما ابنة المحلل بيضا ء لعوب لذيذة في العناق
فاذهبي ما إليك غير بعيد لا يؤاتي العناق من في الوثاق
ضربت نحرها إلي وقالت يا عدياً لقد وقتك الأواقي
ما أرجي في العيش بعد نداما ي أراهم سقوا بكأس حلاق

بعد عمرو وعامر وحيي وربيع الصدوف وابني عناق
وامرئ القيس ميت يوم أودى ثم خلى علي ذات العراقي
كليب سم الفوارس إذ حم رماه الكماة بالإيفاق
إن تحت الأحجار حداً ولينا وخصيماً ألد ذا معلاق
حية في الوجار أربد لا تن فع منه السليم نفثة راق

فهؤلاء ثمانية من تغلب. قال عامر: والدليل على أن القتلى كانوا قليلاً أن آباء القبائل هم الذين شهدوا تلك الحروب، فعدوهم وعدوا بنيهم وبني بنيهم، فإن كانوا خمسمائة فقد صدقوا، فكم عسى أن يبلغ عدد القتلى والقبائل. قال مسمع: إن أخي مجنون، وكيف يحتج بشعر المهلهل، وقد قتل جحدر أبا مكنف يوم قضة فلم

يذكره في شعره، وقتل اليشكري ناشرة فلم يذكره في الشعر، وقتل حبيب يوم واردات، وقتل سعد بن مالك يوم قضة ابن القبيحة فلم يذكر، فهؤلاء أربعة. وقال البكري:

تركنا حبيباً يوم أرجف جمعه صريعاً بأعلى واردات مجدلا

وقال مهلهل أيضاً:

لست أرجو لذة العيش ما أزمت أجلاد قد بساقي

جللوني جلد حوب فقد جعلوا نفسي عند التراقي

وقال آخر يفخر بيوم واردات:

ومهراق الدماء بواردات تبيد المخزيات وما تبيد

فقلت لعامر: ما بال مسمع وما احتج به من هؤلاء الأربعة؟ فقال عامر: وما أربعة إن كنت أغفلتهم. فيما يقولون! إنهم قتلوا يوم كذا ثلاثة آلاف، ويوم كذا أربعة آلاف، والله ما أظن جميع القوم كانوا يومئذ ألفاً! فهاتوا فعدوا أسماء القبائل وأبناءهم وانزلوا معهم إلى أبناء أبنائهم، فكم عسى أن يكونوا!

ازجر العين أن تبكي الطلولا إن في الصدر من كليب غليلا

إن في الصدر حاجة لن تقضى ما دعا في الغصون داع هديلا

كيف أنساك يا كليب ولما أقض حزناً ينو بني وغليلا

أيها القلب أنجز اليوم نحباً من بني الحصن إذ غدوا وذحولا

كيف يبكي الطلول من هو رهن بطعان الأنام جيلاً فجيلا

أنبضوا معجس القسي وأبرق نا كما توعد الفحول الفحولا

وصبرنا تحت البوارق حتى ركدت فيهم السيوف طويلا

لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا وأخو الحرب من أطاق النزولا

الشعر لمهلهل- قال أبو عبيدة: اسمه عدي، وقال يعقوب بن السكيت: اسمه امرؤ القيس وهو ابن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب، وإنما لقب مهلهلاً لطيب شعره ورقته، وكان أحد من غني من العرب في شعره. وقيل: إنه أول من قصد القصائد وقال الغزل، فقيل: قد هلهل الشعر، أي أرقه. وهو أول من كذب في شعره. وهو خال امرئ القيس بن حجر الكندي. وكان فيه خنث ولين، وكان كثير المحادثة للنساء، فكان كليب يسميه زير النساء، فذلك قوله:

ولو نبش المقابر عن كليب فيعلم بالذنائب أي زير

الغناء لابن محرز في الأول والثاني من الأبيات ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى. وللغريض فيهما لحن في هذه الطريقة والإصبع والمجرى، والذي فيه سجحة منها لابن محرز. ولمعبد لحنان أحدهما في الأول والسادس ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر، والآخر خفيف ثقيل أول بالبنصر. ولإبراهيم في الأول والرابع ثقيل، أول بالخنصر في مجرى الوسطى. ولإسحاق في الأول والثالث ماخوري. ولعلويه في الأول والثاني خفيف ثقيل أول بالبنصر، ولمالك فيهما خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى. ولابن سريج في السادس والسابع خفيف رمل بالسبابة في مجرى البنصر. ولابن سريج أيضاً في الأول والثامن خفيف ثقيل أول بالبنصر. وللغريض في الأول والثاني خفيف ثقيل أول بالبنصر. وللهذلي في الأول والثاني والسابع خفيف ثقيل أول بالوسطى من رواية حماد عن أبيه. ولمالك في الأول والثاني والخامس خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو بن بانة. ومنها:

ثكلتني عند الثنية أمي وأتاها نعي عمي وخالي

إن لم أشف النفوس من حي بكر وعدي تطأه بزل الجمال

غناه ابن سريج ثقيلاً أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من رواية إسحاق، وغناه الغريض ثقيلاً أول بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة.

ومنها:

قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال

قرباها في مقربات عجال عابسات يثبن وثب السعالي

لم أكن من جناتها علم الله وإني بحرها اليوم صال

الشعر للحارث بن عباد. والغناء للغريض ثقيل أول بالبنصر. وفيه لحن آخر يقال إنه لابن سريج. ومنها:

يا لبكر أنشروا لي كليباً يا لبكر أين أين الفرار

يا لبكر فاظعنوا أو فحلوا صرح الشر وبان السرار

الشعر لمهلهل. والغناء لابن سريج، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى البنصر من رواية إسحاق. وغناه الأبجر خفيف رمل بالوسطى من رواية عمرو.

ومنها:

أليلتنا بذي حسم أنيري إذا أنت انقضيت فلا تحوري

فإن يك بالذنائب طال ليلي فقد أبكى من الليل القصير

كأن الجدي جدي بنات نعش يكب على اليدين بمستدير

وتحبو الشعريان إلى سهيل يلوح كقمة الجمل الكبير

فلولا الريح أسمع أهل حجر صليل البيض تقرع بالذكور

الشعر لمهلهل. والغناء لابن محرز في الأول والثاني ثقيل أول بالبنصر، وله في الأبيات كلها خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى، عن إسحاق جميعاً. وفي الأبيات كلها على الولاء للأبجر ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو. ويقال: إن فيها لحناً للغريض أيضاً.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا الحسن بن الحسين السكري قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل عن أبي عبيدة: أن آخر من قتل في حرب بكر وتغلب جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان، وهو قاتل كليب بن ربيعة، وكانت أخته تحت كليب، فقتله جساس وهي حامل، فرجعت إلى أهلها ووقعت الحرب، فكان من الفريقين ما كان، ثم صاروا إلى الموادعة بعدما كادت القبيلتان تتفانيان، فولدت أخت جساس غلاماً فسمته الهجرس ورباه جساس، فكان لا يعرف أباً غيره، وزوجه ابنته. فوقع بين الهجوس وبين رجل من بني بكر بن وائل كلام، فقال له البكري: ما أنت بمنته حتى نلحقك بأبيك، فأمسك عنه ودخل إلى أمه كئيباً، فسألته عما به فأخبرها الخبر، فلما أوى إلى فراشه ونام إلى جنب امرأته وضع أنفه بين ثدييها، فتنفس تنفسة تنفط ما بين ثدييها من حرارتها، فقامت الجارية فزعة قد أقلقتها رعدة حتى دخلت على أبيها، فقصت عليه قصة الهجرس، فقال جساس: ثائر ورب الكعبة! وبات جساس على مثل الرضف حتى أصبح، فأرسل إلى الهجرس فأتاه، فقال له: إنما أنت ولدي ومني بالمكان الذي قد علمت، وقد زوجتك ابنتي وأنت معي، وقد كانت الحرب في أبيك زماناً طويلاً حتى كدنا نتفانى، وقد اصطلحنا وتحاجزنا، وقد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح، وأن تنطلق حتى نأخذ عليك مثل ما أخذ علينا وعلى قومنا، فقال الهجرس: أنا فاعل، ولكن مثلي لا يأتي قومه إلا بلأمته وفرسه، فحمله جساس على فرس وأعطاه لأمة ودرعاً، فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما، فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية، ثم قال: وهذا الفتى ابن أختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ويعقد ما عقدتم، فلما قربوا الدم وقاموا إلى العقد أخذ الهجرس بوسط رمحه، ثم قال: وفرسي وأذنيه، ورمحي ونصليه، وسيفي وغراريه، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه، ثم طعن جساساً فقتله، ثم لحق بقومه، فكان آخر قتيل في بكر بن وائل.

قال أبو الفرج: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه عن الشرقي بن القطامي قال: لما قتل جساس بن مرة كليب بن ربيعة، وكانت جليلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب، اجتمع نساء الحي للمأتم، فقلن لأخت كليب: رحلي جليلة عن مأتمك، فإن قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب، فقالت لها: يا هذه اخرجي عن مأتمنا، فأنت أخت واترنا وشقيقة قاتلنا، فخرجت وهي تجر أعطافها، فلقيها أبوها مرة، فقال لها: ما وراءك يا جليلة. فقالت: ثكل العدد، وحزن الأبد، وفقد حليل، وقتل أخ عن

قليل، وبين ذين غرس الأحقاد، وتفتت الأكباد، فقال لها: أو يكف ذلك كرم الصفح وإغلاء الديات. فقالت جليلة: أمنية مخدوع ورب الكعبة! أبالبدن تدع لك تغلب دم ربها!. قال: ولما رحلت جليلة قالت أخت كليب: رحلة المعتدي وفراق الشامت، ويل غداً لآل مرة، من الكرة بعد الكرة. فبلغ قولها جليلة، فقالت: وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها! أسعد الله جد أختي، أفلا قالت: نفرة الحياء، وخوف الاعتداء!. ثم أنشأت تقول:

يا بنة الأقوام إن شئت فلا ... تعجلي باللوم حتى تسألي
فإذا أنت تبينت الذي ... يوجب اللوم فلومي واعذلي
إن تكن أخت امرئ ليمت على ... شفق منها عليه فافعلي
جل عندي فعل جساس فيا ... حسرتي عما انجلت أو تنجلي
فعل جساس على وجدي به ... قاطع ظهري ومدن أجلي
لو بعين فقئت عيني سوى ... أختها فانفقأت لم أحفل
تحمل العين قذى العين كما ... تحمل الأم أذى ما تفتلي
يا قتيلاً قوض الدهر به ... سقف بيتي جميعاً من عل
هدم البيت الذي استحدثته ... وانثنى في هدم بيتي الأول
ورماني قتله من كثب ... رمية المصمي به المستأصل
يا نسائي دونكن اليوم قد ... خصني الدهر برزء معضل
خصني قتل كليب بلظى ... من ورائي ولظى مستقبلي
ليس من يبكي ليومين كمن ... إنما يبكي ليوم ينجلي
يشتفي المدرك بالثأر وفي ... دركي ثأري ثكل المثكل
ليته كان دمي فاحتلبوا ... بدلاً منه دماً من أكحلي
إنني قاتلة مقتولة ... ولعل الله أن يرتاح لي

ذكر الهذلي وأخباره

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: الهذليان أخوان يقال لهما سعيد وعبد آل ابنا مسعود، فالأكبر منهما يقال له سعيد، ويكنى أبا مسعود، وأمه امرأة يقال لها أم فيعل، وكان كثيراً ما ينسب إليها، وكان ينقش الحجارة بأبي قبيس، وكان فتيان من

قريش يروحون إليه كل عشية فيأتون بطحاء يقال لها بطحاء قريش فيجلسون عليها، ويأتيهم فيغني لهم ويكون معهم. وقد قيل: إن الأكبر هو عبد آل، والأصغر سعيد.

قال هارون وحدثني الزبير بن بكار قال حدثني حمزة بن عتبة اللهبي: أن الهذلي كان نقاشاً يعمل البرم من حجارة الجبل، وكان يكنى أبا عبد الرحمن، وكان إذا أمسى راح فأشرف على المسجد ثم غنى، فلا يلبث أن يرى الجبل كقرص الخبيص صفرة وحمرة من أردية قريش فيقولون: يا أبا عبد الرحمن، أعد، فيقول: أما والله وهاهنا حجر أحتاج إليه لم يرد الأبطح فلا، فيضعون أيديهم في الحجارة حتى يقطعوها له ويحدروها إلى الأبطح، ويترل معهم حتى يجلس على أعظمها حجراً ويغني لهم.

قال هارون وحدثني حماد بن إسحاق عن أبي مسعود بن أبي جناح قال أخبرني أبو لطيف وعمارة قالا: تغنى الهذلي الأكبر، وكان من أنفسهم، وكان فتيان قريش يروحون كل عشية حتى يأتوا بطحاء يقال لها بطحاء قريش قريباً من داره، فيجلسون عليها ويأتيهم فيغنيهم.

قال: وأخبرني ابن أبي طرفة عن الحسن بن عباد الكاتب مولى آل الزبير قال: هجم الحارث بن خالد، وهو يومئذ أمير مكة، على الهذلي وهو مع فتيان قريش بالمفجر يغنيهم وعليه جبة صوف، فطرح عليه مقطعات خز، فكانت هذه أول ما تحرك لها.

قال هارون: وحدثني حماد عن أبيه قال: ذكر ابن جامع عن ابن عباد أن ابن سريج لما حضرته الوفاة نظر إلى ابنته فبكى، فقالت له: ما يبكيك. قال: أخشى عليك الضيعة بعدي! فقالت له: لا تخف فما من غنائك شيء إلا وقد أخذته، قال: فغنيني فغنته، فقال: قد طابت نفسي، ثم دعا بالهذلي فزوجها منه، فأخذ الهذلي غناء أبيها كله عنها فانتحل أكثره، فعامة غناء الهذلي لابن سريج مما أخذه عن ابنته وهي زوجته.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى أبو غسان قال: كان الهذلي مترله بمنى، وكان فتيان قريش يأتونه فيغنيهم هناك، ثم أقبل مرة حتى جلس على جمرة العقبة فغنى هناك، فحدره الحارث من منى، وكان عاملاً على مكة، ثم أذن له فرجع إلى منى.

قال هارون: وحدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبي قال: كان الهذلي النقاش يغدو إليه فتيان قريش وقد عمل عمله بالليل، ومعهم الطعام والشراب والدراهم، فيقولون له: غننا، فيقول لهم: الوظيفة، فيقولون: قد جئنا بها. فيقول: الوظيفة الأخرى، أنزلوا أحجاري، فيلقون ثيابهم ويأتزرون بأزرهم وينقلون الحجارة ويترلوها، ثم يجلس على شنخوب من شناخيب الجبل فيجلسون تحته في السهل فيشربون وهو يغنيهم حتى المساء، وكانوا كذلك مدة، فقال له يوماً ثلاثة فتية من قريش: قد جاءك كل واحد منا بمثل وظيفتك على الجماعة من غير أن تنقص وظيفتك عليهم، وقد اختار كل واحد منا صوتاً من غنائك ليجعله حظه اليوم، فإن وافقت الجماعة هواناً

كان ذلك مشتركاً بيننا، وإن أبوا غنيت لهم ما أرادوا وجعلت هذه الثلاثة الأصوات لنا بقية يومنا، قال: هاتوا، فاختار أحدهم:

عفت عرفات فالمصايف من هند

واختار الآخر:

ألم بنا طيف الخيال المهجد

واختار الآخر:

هجرت سعدى فزادني كلفا

فغناهم إياها، فما سمع السامعون شيئاً كان أحسن من ذلك، فلما أرادوا الانصراف قال لهم: إني قد صنعت صوتاً البارحة ما سمعه أحد، فهل لكم فيه. قالوا: هاته منعماً بذلك، فاندفع فغناهم:

أأن هتفت ورقاء ظلت سفاهة تبكي على جمل لورقاء تهتف

فقالوا: أحسنت والله، لا جرم لا يكون صبوحنا في غد إلا عليه، فعادوا وغناهم إياه وأعطوه وظيفته، و لم يزالوا يستعيدونه إياه باقي يومهم.

من ذلك:

عفت عرفات فالمصايف من هند فأوحش ما بين الجويبين فالنهد

وغيرها طول التقادم والبلى فليست كما كانت تكون على العهد

الشعر للأحوص، وقيل: إنه لعمر. والغناء للهذلي، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر.

ومنها:

ألم بنا طيف الخيال المهجد وقد كادت الجوزاء في الجو تصعد

ألم يحيينا ومن دون أهلها فياف تغور الريح فيها وتنجد

عروضه من الطويل. لم يقع لنا اسم شاعره ونسبه. والغناء للهذلي ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وهو اللحن المختار، وفيه ليحيى المكي هزج. ولحن الهذلي هذا مما اختير للرشيد والواثق بعده من المائة الصوت المذكورة.

ومنها:

هجرت سعدى فزادني كلفا هجران سعدى وأزمعت خلفا

وقد على حبها حلفت لها لو أن سعدى تصدق الحلفا

ما علق القلب غيرها بشراً ولا سواها من معلق عرفا

فلم تجبني وأعرضت صلفاً وغادرتني بحبها كلفا

الغناء للهذلي ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق قال: زوج ابن سريج لما حضرته الوفاة الهذلي الأكبر بابنته، فأخذ عنها أكثر غناء أبيها، وادعاه فغلب عليه. وقال: وولدت منه ابناً، فلما أيفع جاز يوماً بأشعب وهو جالس في فتية من قريش، فوثب فحمله على كتفه وجعل يرقصه ويقول: هذا ابن دفتي المصحف وهذا ابن مزامير داود، فقيل له: ويلك! ما تقول ومن هذا الصبي؟ فقال: أو ما تعرفونه! هذا ابن الهذلي من ابنة ابن سريج، ولد على عود، واستهل بغناء، وحنك بملوى، وقطعت سرته بوتر، وختن بمضراب.

وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن عبد الله بن عيسى الماهاني قال: دخلت يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصلي في حاجة، فرأيت عليه مطرف خز أسود ما رأيت قط أحسن

منه، فتحدثنا إلى أن أخذنا في أمر المطرف، فقال: لقد كان لكم أيام حسنة ودولة عجيبة، فكيف ترى هذا.

فقلت له: ما رأيت مثله، فقال: إن قيمته مائة ألف درهم، وله حديث عجيب، فقلت: ما أقومه إلا بنحو مائة دينار، فقال إسحاق: شربنا يوماً من الأيام فبت وأنا مثخن، فانتبهت لرسول محمد الأمين، فدخل علي فقال: يقول لك أمير المؤمنين: عجل، وكان بخيلاً على الطعام، فكنت آكل قبل أن أذهب إليه، فقمت فتسوكت وأصلحت شأني، وأعجلني الرسول عن الغداء فقمت معه فدخلت عليه، وإبراهيم بن المهدي قاعد عن يمينه وعليه هذا المطرف وجبة خز دكناء، فقال لي محمد: يا إسحاق، أتغديت؟ قلت: نعم يا سيدي، قال: إنك لنهم، أهذا وقت غداء! فقلت: أصبحت يا أمير المؤمنين وبي خمار فكان ذلك مما حداني على الأكل، فقال لهم: كم شربنا؟ فقالوا: ثلاثة أرطال، فقال: اسقوه إياها، فقلت: إن رأيت أن تفرق علي، فقال: يسقى رطلين ورطلاً، فدفع إلي رطلان فجعلت أشربهما وأنا أتوهم أن نفسي تسيل معهما، ثم دفع إلي رطل آخر فشربته، فكأن شيئاً انجلى عني، فقال غنني:

كليب لعمري كان أكثر ناصراً

فغنيته، فقال: أحسنت وطرب، ثم قام فدخل وكان كثيراً ما يدخل إلى النساء ويدعنا فقمت في إثر قيامه، فدعوت غلاماً لي، فقلت: اذهب إلى بيتي وجئني ببرماوردتين ولفهما في منديل واذهب ركضاً وعجل، فمضى الغلام وجاءني بهما، فلما وافى الباب ونزل عن دابته انقطع فنفق من شدة ما ركض عليه، وأدخل إلي البزماوردتين، فأكلتهما ورجعتا نفسي إلي وعدت إلى مجلسي، فقال لي إبراهيم: لي إليك حاجة أحب أن تقضيها لي، فقلت: إنما أنا عبدك وابن عبدك، فقل ما شئت، قال: تردد علي: كليب لعمري وهذا المطرف لك، فقلت: أنا لا آخذ منك مطرفاً على هذا، ولكنني أصير إلى منزلك فألقيه على الجواري وأردده عليك مراراً، فقال: أحب أن تردده علي الساعة وأن تأخذ هذا فإنه من لبسك وهو من حاله كذا وكذا، فرددت عليه الصوت مراراً حتى

أخذه، ثم سمعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء وجلس، ثم قعدنا فشرب وتحدثنا، فغناه إبراهيم: كليب لعمري، فكأني والله لم أسمعه قبل ذلك حسناً، وطرب محمد طرباً شديداً وقال: أحسنت والله! يا غلام، عشر بدر لعمي الساعة! فجاءوا بها، فقال: يا أمير المؤمنين، إن لي فيها شريكاً، قال: من هو؟ قال: إسحاق، قال: وكيف. فقال: إنما أخذته منه لمّا قمت، فقلت أنا: و لم! أضاقت الأموال على أمير المؤمنين حتى تريد أن تشرك فيما يعطي! قال: أما أنا فأشركك وأمير المؤمنين أعلم، فلما انصرفنا من المجلس أعطاني ثمانين ألفاً، وأعطاني هذا المطرف، فهذا أخذ به مائة ألف درهم، وهي قيمته.

من رواية جحظة عن أصحابه:

علل القوم يشربوا	كي يلذوا ويطربوا
إنما ضلل الفؤا	د غزال مربب
فرشته على النما	رق سعدى وزينب
حال دون الهوى ودو	ن سرى الليل مصعب
وسياط على أك	ف رجال تقلب

الشعر لعبيد الله بن قيس الرقيات. والغناء في اللحن المختار لمالك بن أبي السمح، ولحنه من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى. وفيه لإسحاق ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر. ولابن سريج في الرابع والخامس والأول ثاني ثقيل في مجرى الوسطى. ولمعبد في الثاني وما بعده خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى.

ذكر عبيد الله بن قيس الرقيات

نسبه وأخباره

هو عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة بن أهيب بن ضباب بن حجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب. وأمه قتيلة بنة وهب بن عبد الله بن ربيعة بن طريف بن عدي بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن محمد بن أبي قلامة العمري قال حدثني محمد بن طلحة، قال الزبير وحدثنيه أيضاً محمد بن الحسن المخزومي، قالا جميعاً: كان يقال لبني معيص بن عامر بن لؤي وبني محارب بن فهر: الأجربان من أهل تهامة، وكانا متحالفين، وإنما قيل لهما الأجربان من شمة بأسهما وعرهما من ناوأهما كما يعر الجرب.

سبب تلقيبه بهذا اللقب

وإنما لقب عبيد الله بن قيس الرقيات لأنه شبب بثلاث نسوة سمين جميعاً رقية، منهن رقية بنت عبد الواحد بن أبي سعد بن قيس بن وهب بن أهبان بن ضباب بن حجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي، وابنة عم لها يقال لها رقية، وامرأة من بني أمية يقال لها رقية. وكان هواه في رقية بنت عبد الواحد، وكان عبد الواحد فيما أخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير يتزل الرقة. وإياه عنى ابن قيس بقوله:

ما خير عيش بالجزيرة بعد ما عثر الزمان ومات عبد الواحد

وله في الرقيات عدة أشعار يغنى فيها تذكر بعقب هذا الخبر. والأبيات الثانية التي فيها اللحن المختار يقولها في مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، وكان صاحب شرطة مروان بن الحكم بالمدينة.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال: لما ولي مروان بن الحكم المدينة ولى مصعب بن عبد الرحمن بن عوف شرطته، فقال: إني لا أضبط المدينة بحرس المدينة، فابغني رجالاً من غيرها، فأعانه بمائتي رجل من أهل أيلة فضبطها ضبطاً شديداً. فدخل المسور بن مخرمة على مروان فقال: أما ترى ما يشكوه الناس من مصعب! فقال:

ليس بهذا من سياق عتب يمشي القطوف وينام الركب

وقال غير مصعب في هذا الخبر وليس من رواية الحرمي: إنه بقي إلى أن ولي عمرو بن سعيد المدينة وخرج الحسين رضي الله تعالى عنه وعبد الله بن الزبير، فقال له عمرو: اهدم دور بني هاشم وآل الزبير، فقال: لا أفعل، فقال: انتفخ سحرك يا بن أم حريث! ألق سيفنا! فألقاه ولحق بابن الزبير. وولى عمرو بن سعيد شرطته عمرو بن الزبير بن العوام وأمره بهدم دور بني هاشم وآل الزبير، ففعل وبلغ منهم كل مبلغ، وهدم دار ابن مطيع التي يقال لها العنقاء، وضرب محمد بن المنذر بن الزبير مائة سوط، ثم دعا بعروة بن الزبير ليضربه. فقال له محمد: أتضرب عروة فقال: نعم يا سبلان إلا أن تحتمل ذلك عنه، فقال: أنا أحتمله، فضربه مائة سوط أخرى، ولحق عروة بأخيه. وضرب عمرو الناس ضرباً شديداً، فهربوا منه إلى ابن الزبير، وكان المسور بن مخرمة أحد من هرب منه، ولما أفضى الأمر إلى ابن الزبير أقاد منه وضربه بالسوط ضرباً مبرحاً فمات فدفنه في غير مقابر المسلمين، وقال للناس، فيما ذكر عنه: إن عمراً مات مرتداً عن الإسلام.

شاعر قريش في الإسلام

أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال: سألت عمي مصعباً ومحمد بن الضحاك ومحمد بن حسن عن شاعر قريش في الإسلام، فكلهم قالوا: ابن قيس الرقيات، وحكي ذلك عن عدي وعن الضحاك بن عثمان، وحكاه محمد بن الحسن عن عثمان بن عبد الرحمن اليربوعي. قال الزبير: وحدثني بمثله غمامة بن عمرو السهمي عن مسور بن عبد الملك اليربوعي.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي والحرمي بن أبي العلاء وغيرهما قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عمه محمد بن عبد العزيز: أن ابن قيس الرقيات أتى إلى طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري فقال له: يا عمي، إني قد قلت شعراً فأسمعه فإنك ناصح لقومك، فإن كان جيداً قلت، وإن كان رديئاً كففت، فقال له: أنشد، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

منع اللهو والهوى ... وسرى الليل مصعب

وسياط على أك ... ف رجال تقلب

فقال: قل يا بن أخي فإنك شاعر.

خروجه مع مصعب على عبد الملك

وشفاعة عبد الله بن جعفر له وكان عبيد الله بن قيس الرقيات زبيري الهوى، وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك، فلما قتل مصعب وقتل عبد الله هرب فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فسأل عبد الملك في أمره فأمنه.

وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي والحرمي بن أبي العلاء وغيرهما قالوا حدثنا الزبيري قال حدثني عبد الله بن البصير البربري مولى قيس بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قال عبيد الله بن قيس الرقيات: خرجت مع مصعب بن الزبير حين بلغه شخوص عبد الملك بن مروان إليه، فلما نزل مصعب بن الزبير بمسكن، ورأى معالم الغدر ممن معه، دعاني ودعا بمال ومناطق، فملأ المناطق من ذلك المال وألبسني منها، وقال لي: انطلق حيث شئت فإني مقتول، فقلت له: لا والله لا أريم حتى أرى سبيلك، فأقمت معه حتى قتل، ثم مضيت إلى الكوفة، فأول بيت صرت إليه دخلته، فإذا فيه امرأة لها ابنتان كأنهما ظبيتان، فرقيت في درجة لها إلى مشربة فقعدت فيها، فأمرت لي المرأة بما أحتاج إليه من الطعام والشراب والفرش والماء للوضوء، فأقمت كذلك عندها أكثر من حول، تقيم لي ما يصلحني وتغدو علي في كل صباح فتسألني بالصباح والحاجة، ولا تسألني من أنا ولا أسألها من هي، وأنا في ذلك أسمع الصياح في والجعل، فلما طال بي المقام وفقدت الصياح في وغرضت بمكاني غدت علي تسألني بالصباح والحاجة، فعرفتها أني قد غرضت وأحببت الشخوص إلى أهلي، فقالت لي: نأتيك بما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى، فلما أمسيت وضرب الليل بأرواقه رقيت إلي وقالت: إذا شئت! فنزلت وقد أعدت راحلتين عليهما ما أحتاج إليه ومعهما عبد، وأعطت العبد نفقة الطريق، وقالت: العبد والراحلتان لك، فركبت وركب العبد معي حتى طرقت أهل مكة، فدققت منزلي، فقالوا لي: من هذا؟ فقلت: عبيد الله بن قيس الرقيات، فولولوا وبكوا، وقالوا: ما فارقنا طلبك إلا في هذا الوقت، فأقمت عندهم حتى أسحرت، ثم نهضت ومعي العبد حتى قدمت المدينة، فجئت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عند المساء وهو يعشي أصحابه، فجلست معهم وجعلت أتعاجم

وأقول: يار يار ابن طيار. فلما خرج أصحابه كشفت له عن وجهي، فقال: ابن قيس؟ فقلت: ابن قيس، جئتك عائذاً بك، قال: ويحك! ما أجدهم في طلبك وأحرصهم على الظفر بك! ولكني سأكتب إلى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فهي زوجة الوليد بن عبد الملك، وعبد الملك أرق شيء عليها. فكتب إليها يسألها أن تشفع له إلى عمها، وكتب إلى أبيها يسأله أن يكتب إليها كتاباً يسألها الشفاعة، فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعل وسألها، هل من حاجة؟ فقالت: نعم لي حاجة، فقال: قد قضيت كل حاجة لك إلا ابن قيس الرقيات، فقالت: لا تتثن علي شيئاً! فنفح بيده فأصاب خدها، فوضعت يدها على خدها، فقال لها: يا بنتي ارفعي يدك، فقد قضيت كل حاجة لك وإن كانت ابن قيس الرقيات، فقالت: إن حاجتي ابن قيس الرقيات تؤمنه، فقد كتب إلي أبي يسألني أن أسألك ذلك، قال: فهو آمن، فمريه يحضر مجلسي العشية، فحضر ابن قيس وحضر الناس حين بلغهم مجلس عبد الملك، فأخر الإذن، ثم أذن للناس، وأخر إذن ابن قيس الرقيات حتى أخذوا مجالسهم، ثم أذن له، فلما دخل عليه قال عبد الملك: يأهل الشأم، أتعرفون هذا؟ قالوا: لا، فقال: هذا عبيد الله بن قيس الرقيات الذي يقول:

كيف نومي على الفراش ولما ... تشمل الشأم غارة شعواء

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي ... عن خدام العقيلة العفراء

فقالوا: يا أمير المؤمنين اسقنا دم هذا المنافق! قال: الآن وقد أمنته وصار في منزلي وعلى بساطي! قد أخرت الإذن له لتقتلوه فلم تفعلوا. فاستأذنه ابن قيس الرقيات أن ينشده مديحه فأذن له، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

عاد له من كثيرة الطرب ... فعينه بالدموع تنسكب

كوفية نازح محلتها ... لا أمم دارها ولا صقب

والله ما إن صبت إلي ولا ... إن كان بيني وبينها سبب

إلا الذي أورثت كثيرة في ال ... قلب وللحب سورة عجب

حتى قال فيها:

إن الأغر الذي أبوه أبو ال ... عاصي عليه الوقار والحجب

يعتدل التاج فوق مفرقه ... على جبين كأنه الذهب

فقال له عبد الملك: يا بن قيس تمدحني بالتاج كأني من العجم وتقول في مصعب:

إنما مصعب شهاب من ال ... له تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك عزة ليس فيه ... جبروت منه ولا كبرياء

أما الأمان فقد سبق لك، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبداً!. قال: وقال ابن قيس الرقيات لعبد الله بن جعفر: ما نفعني أماني، تركت حياً كميت لا آخذ مع الناس عطاء أبداً، فقال له عبد الله بن جعفر: كم بلغت من السن؟ قال: ستين سنة، قال: فعمر نفسك، قال: عشرين سنة من في قبل، فذلك ثمانون سنة قال: كم عطاؤك. قال: ألفا درهم، فأمر له بأربعين ألف درهم، وقال: ذلك لك علي إلى أن تموت على تعميرك نفسك، فعند ذلك قال عبيد الله بن قيس الرقيات يمدح عبد الله بن جعفر:

نقدت بي الشهباء نحو ابن جعفر — سواء عليها ليلها ونهارها
تزور امرأً قد يعلم الله أنه — تجود له كف قليل غرارها
أتيناك نثني بالذي أنت أهله — عليك كما يثني على الروض جارها
فوالله لولا أن تزور ابن جعفر — لكان قليلاً في دمشق قرارها
إذا مت لم يوصل صديق ولم تقم — طريق من المعروف أنت منارها
ذكرتك أن فاض الفرات بأرضنا — وفاض بأعلى الرقتين بحارها
وعندي مما خول الله هجمة — عطاؤك منها شولها وعشارها
مباركة كانت عطاء مبارك — تمانح كبراها وتنمي صغارها

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا مصعب بن عبد الملك قال: قال عبد الملك بن مروان لعبيد الله بن قيس الرقيات: ويحك يا بن قيس! أما اتقيت الله حين تقول لابن جعفر:

تزور امرأ قد يعلم الله أنه — تجود له كف قليل غرارها

ألا قلت: قد يعلم الناس و لم تقل: قد يعلم الله! فقال ابن قيس: قد والله علمه الله وعلمته أنت، وعلمته أنا وعلمه الناس.

أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق: قرأت على أبي أن عبيد الله بن قيس الرقيات منعه عبد الملك بن مروان عطاءه من بيت المال وطلبه ليقتله، فاستجار بعبد الله بن جعفر، وقصده فألفاه نائماً، وكان صديقاً لسائب خاثر، فطلب الإذن على ابن جعفر فتعذر، فجاء سائب خاثر ليستأذن له عليه، قال سائب: فجئت من قبل رجل عبد الله بن جعفر فنبحت نباح الجرو الصغير، فانتبه و لم يفتح عينيه، وركلني برجله، فدرت إلى عند رأسه، فنبحت نباح الكلب الهرم، فانتبه وفتح عينيه فراني، فقال: ما لك. ويحك! فقلت: ابن قيس الرقيات بالباب، قال: ائذن له، فأذنت له، فدخل إليه فرحب ابن جعفر به وقربه، فعرفه ابن قيس خبره، فدعا بظبية فيها دنانير، وقال: عد له منها، فجعلت أعد وأترنم وأحسن صوتي بجهدي حتى عددت ثلثمائة دينار، فسكت، فقال لي عبد الله: مالك ويلك سكت! ما هذا وقت قطع الصوت الحسن، فجعلت أعد حتى نفد ما كان في الظبية،

وفيها ثمانمائة دينار، فدفعتها إليه، فلما قبضها قال لابن جعفر: اسأل أمير المؤمنين في أمري، قال: نعم، فإذا دخلت إليه معي ودعا بالطعام، فكل أكلاً فاحشاً. فركب ابن جعفر، فدخل معه إلى عبد الملك، فلما قدم الطعام جعل يسيء الأكل، فقال عبد الملك لابن جعفر: من هذا. فقال: هذا إنسان لا يجوز إلا أن يكون صادقاً إن استبقي، وإن قتل كان أكذب الناس، قال: وكيف ذلك! قال: لأنه يقول:

ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا

فإن قتلته لغضبك عليه أكذبته فيما مدحكم به، قال: فهو آمن، ولكن لا أعطيه عطاء من بيت المال، قال: و لم وفد وهبته لي؟ فأحب أن تهب لي عطاءه أيضاً كما وهبت لي دمه وعفوت لي عن ذنبه، قال: قد فعلت، قال: وتعطيه ما فاته من العطاء، قال: قد فعلت، وأمرت له بذلك.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال: كان ابن قيس الرقيات منقطعاً إلى ابن جعفر، وكان يصله ويقضي عنه دينه، ثم استأمن له عبد الملك فأمنه، وحرمه عطاءه، فأمره عبد الله أن يقدر لنفسه ما يكفيه أيام حياته ففعل ذلك، فأعطاه عبد الله ما سأل وعوضه من عطائه أكثر منه، ثم جاءت عبد الله صلة من عبد الملك وابن قيس غائب، فأمر عبد الله خازنه فخبأ له صلته، فلما قدم دفعها إليه، وأعطاه جارية حسناء، فقال ابن قيس:

إذا زرت عبد الله نفسي فداؤه رجعت بفضل من نداه ونائل
وإن غبت عنه كان للود حافظاً ولم يك عني في المغيب بغافل

تداركني عبد الإله وقد بدت لذي الحقد والشنان مني مقاتلي
فأنقذني من غمرة الموت بعدما رأيت حياض الموت جم المناهل
حباني لما جئته بعطية وجارية حسناء ذات خلاخل

ومنها:

عاد له من كثيرة الطرب فعينه بالدموع تنسكب
كوفية نازح محلتها لا أمم دارها ولا صقب
والله ما إن صبت إلي ولا يعرف بيني وبينها سبب
إلا الذي أورثت كثيرة في ال قلب وللحب سورة عجب

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني عروضه من المنسرح، غناه معبد ثقيلاً أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.
قوله: لا أمم دارها يعني أنها ليست بقريبة. ويقال: ما كلفتني أمماً من الأمر فأفعله: أي قريباً من الإمكان، ويقال: إن فلاناً لأمم من أن يكون فعل كذا وكذا. قال الشاعر:

أطرقته أسماء أم حلما بل لم تكن من رحالنا أمما

أي قريبة. وقال الراجز:

كلفها عمرو نقال الضبعان ما كلفت من أمم ولا دان

وقال آخر:

إنك إن سألت شيئاً أمما جاء به الكري أو تجشما

والصقب: الملاصقة. تقول: والله ما صاقبت فلاناً ولا صاقبني، ودار فلان مصاقبة لدار فلان، وفي الحديث: الجار أحق بصقبه، أي بما لاصقه، أي إنه أحق بشفعته. والسورة: شدة الأمر، ومنه يقال: ساور فلان فلاناً، وتساور الرجلان إذا تغالبا وتشادا، وقيل إن السورة: البقية أيضاً.
ومنها:

ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا
وأنهم سادة الملوك فما تصلح إلا عليهم العرب

غنت في هذين البيتين حبابة، وهما من القصيدة التي أولها:

عاد له من كثيرة الطرب

قال الأصمعي: كثيرة هذه امرأة نزل بها بالكوفة فآوته. قال ابن قيس: فأقمت عندها سنة تروح وتغدو علي بما أحتاج إليه، ولا تسألني عن حالي ولا نسبي، فبينا أنا بعد سنة مشرق من جناح إلى الطريق، إذا أنا بمنادي عبد الملك ينادي ببراءة الذمة ممن أصبت عنده، فأعلمت المرأة أني راحل، فقالت: لا يروعنك ما سمعت، فإن هذا نداء شائع منذ نزلت بنا، فإن أردت المقام ففي الرحب والسعة، وإن أردت الانصراف أعلمتني، فقلت لها: لا بد لي من الانصراف، فلما كان الليل، قدمت إلي راحلة عليها جميع ما أحتاج إليه في سفري، فقلت لها: من أنت جعلت فداءك لأكافئك؟ قالت: ما فعلت هذا لتكافئني، فأنصرفت ولا والله ما عرفتها إلا أني سمعتها تدعى باسمها كثيرة، فذكرتها في شعري.

الفتك ببني أمية بسبب شعره

وذكر الزبير بن بكار عن عمه مصعب أن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس صاحب بني أمية بنهر أبي فطرس، إنما بعثه على قتلهم أنه أنشده بعض الشعراء ذات يوم مديحاً مدح به بني هاشم، فقال لبعضهم: أين هذا مما كنتم تمدحون به! فقال: هيهات أن يمدح أحد بمثل قول ابن قيس فينا:

ما نقموا من بني أمية إ لا أنهم يحلمون إن غضبوا

البيتين، فقال له عبد الله بن علي: ألا أرى المطمع في الملك في نفسك بعد يا ماص كذا من أمه! ثم أوقع بهم.

غضب الرشيد وقد غني بشعره فيهم أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن جدي عبد الله بن مصعب قال: اعترض هارون الرشيد قينة فغنت:

ما نقموا من بني أمية إ لا أنهم يحلمون إن غضبوا

فلما ابتدأت به تغير وجه الرشيد، وعلمت أنها قد غلطت وأنها إن مرت فيه قتلت، فغنت:

ما نقموا من بني أمية إ لا أنهم يجهلون إن غضبوا

وأنهم معدن النفاق فما تفسد إلا عليهم العرب

فقال الرشيد ليحيى بن خالد: أسمعت يا أبا علي؟ فقال: يا أمير المؤمنين تبتاع وتسنى لها الجائزة، ويعجل لها الإذن ليسكن قلبها، قال: ذلك جزاؤها، قومي فأنت مني بحيث تحبين. قال: فأغمي على الجارية. فقال يحيى بن خالد:

جزيت أمير المؤمنين بأمنها من الله جنات تفوز بعدنها

ومنها:

تقدت بي الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليلها ونهارها

تزور امرأ قد يعلم الله أنه تجود له كف بطيء غرارها

ووالله لولا أن تزور ابن جعفر لكان قليلاً في دمشق قرارها

عروضه من الطويل. غناه معبد ثاني ثقيل بالبنصر. قوله: تقدت أي سارت سيراً ليس بعجل ولا مبطئ، فيقال: تقدى فلان إذا سار سير من لا يخاف فوت مقصده فلم يعجل. وقوله: بطيء غرارها يعني أن منعها المعروف بطيء. وأصل الغرار: أن تمنع الناقة درها، ثم يستعار في كل ما أشبه ذلك، ومنه قول الراجز:

إن لكل نهلات شره ثم غراراً كغرار الدره

وقال جميل في مثل ذلك:

لاحت لعينك من بثينة نار فدموع عينك درة وغرار

قال الزبير: وهذا البيت مما عيب على ابن قيس، لأنه نقض صدره بعجزه، فقال في أوله: إنه سار سيراً بغير عجل، ثم قال: سواء عليها ليلها ونهارها وهذا غاية الدأب في السير، فناقض معناه في بيت واحد. ومما عيب على ابن قيس الرقيات قوله وفي هذين البيتين غناء:

ترضع شبلين وسط غيلهما قد ناهزا للفطام أو فطما

ما مر يوم إلا وعندهما لحم رجال أو يولغان دما

غناه الغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة وهي قصيدة مدح بها عبد العزيز بن مروان، وفيها يقول:

أعني ابن ليلى عبد العزيز ببا بليون تغدو جفانه رذما

الواهب النجب والولائد كال غزلان والخيل تعلك اللجما

وكان قال في قصيدته هذه: أو يالغان دماً بالألف، وكذلك روي عنه، ثم غيرته الرواة.

من ذهب إلى إسقاط الاحتجاج بشعره

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال: سمعت ابن الأعرابي يقول: سئل يونس عن قول ابن قيس الرقيات:

ما مر يوم إلا وعندهما لحم رجال أو يولغان دما

فقال يونس: يجوز يولغان ولا يجوز يالغان، فقيل له: فقد قال ذلك أين قيس الرقيات وهو حجازي فصيح فقال: ليس بفصيح ولا ثقة، شغل نفسه بالشرب بتكريت.

أخبار متفرقة

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد: قرأت على أبي: أو بلغك أن ابن أبي عتيق أنشد قول ابن قيس:

سواء عليها ليلها ونهارها

فقال: كانت هذه يا بن أم فيما أرى عمياء.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب عن جدي عن هشام بن سليمان المخزومي قال: قال ابن أبي عتيق لعبيد الله بن قيس وقد مر به فسلم عليه فقال: وعليك السلام يا فارس العمياء، فقال له: ما هذا الاسم الحادث يا أبا محمد! بأبي أنت! قال: أنت سميت نفسك حيث تقول:

سواء عليها ليلها ونهارها

فما يستوي الليل والنهار إلا على عمياء، قال: إنما عنيت التعب، قال: فبيتك هذا يحتاج إلى ترجمان يترجم عنه. ومنها:

ذكرتك أن فاض الفرات بأرضنا وفاضت بأعلى الرقتين بحارها
وحولي مما خول الله هجمة عطاؤك منها شولها وعشارها
فجئناك نثني بالذي أنت أهله عليك كما أثنى على الروض جارها
إذا مت لم يوصل صديق ولم تقم طريق من المعروف أنت منارها

الشول: النوق التي شالت بأذنابها وكرهت الفحل، وذلك حين تلقح، واحدتها شائل غناه حكم الوادي ثقيلاً أول بالوسطى.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال قال لي أبي: قال حكم الوادي: دخلت يوماً على يحيى بن خالد. فقال لي: يا أبا يحيى، ما رأيك في خمسمائة دينار قد حضرت؟ قلت: ومن لي بها؟ قال: تلقي لحنك في:

ذكرتك أن فاض الفرات بأرضنا

على دنانير فها هي ذه، وهذا سلام واقف معك ومخرجها إليك، وأنا راكب إلى أمير المؤمنين، ولست أنصرف من مجلس المظالم إلى وقت الظهر، فكدها فيه، فإذا أحكمته فلك خمسمائة، فقالت دنانير: يا سيدي، أبو يحيى يأخذ خمسمائة دينار وينصرف وأنا أبقى معك أقاسيك عمري كله! فقال لها: إن حفظتيه فلك ألف دينار، وقام فمضى، فقلت لها: يا سيدتي، شغلي نفسك بذا، فإنك أنت تهبين لي الخمسمائة الدينار بحفظك إياه وتفوزين بالألف الدينار، وإلا بطل هذا، فلم أزل معها أكدها ونفسي وتغنيني حتى انصرف يحيى، فدعا بماء وطست، ثم قال: يا أبا يحيى، غن الصوت كما كنت تغنيه فقلت: هلكت! يسمعه مني، وليس هو بمن يخفى عليه، ثم يسمعه منها فلا يرضاه فلم أجد بداً من الغناء، ثم قال: غنيه أنت الآن، فغنت، فقال: والله ما أرى إلا خيراً، فقلت: جعلت فداءك! أنا أمضغ هذا منذ أكثر من خمسين سنة كما أمضغ الخبز، وهذه أخذته الساعة وهو يذل لها بعدي وتجترئ عليه ويزداد حسناً في صوتها. فقال: صدقت، هات يا سلام خمسمائة دينار ولها ألف دينار، ففعل، فقالت له: وحياتك يا سيدي لأشاطرن أستاذي الألف الدينار، قال: ذلك إليك، ففعلت. فانصرفت وقد أخذت بهذا الصوت ألف دينار.

رجع الحديث إلى عبيد الله بن قيس الرقيات.

قال الزبير بن بكار حدثني عبد الله بن النضير عن أبيه: أن ابن قيس الرقيات قال في الكوفية التي نزل عليها:

بانت لتحزننا كثيره ولقد تكون لنا أميره
حلت فلاليج السوا د وحل أهلي بالجزيره

قال: ولقد رحل من عندها وما يتعارفان.

قال: وقال فيها أيضاً وفيه لحن من خفيف الثقيل لابن المكي:

لججت بحبك أهل العراق ولولا كثيرة لم تلجج
فليت كثيرة لم تلقني كثيرة أخت بني الخزرج

سعيد بن المسيب وابن قيس الرقيات

أخبرنا الحرفي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن عاصم القحطاني قال حدثني أبي عن عبد الرحيم بن حرملة قال: كنت عند سعيد بن المسيب، فجاء ابن قيس الرقيات، فهش وقال: مرحباً بظفر من أظفار العشيرة، ما أحدثت بعدي. قال: قد قلت أبياتاً وأستفتيك في بيت منها فاسمعها، قال: هات، فأنشده:

هل للديار بأهلها علم أم هل تبين فينطق الرسم
قالت رقية قيم تصرمنا أرقي ليس لوجهك الصرم
تخطو بخلخالين حشوهما ساقان مار عليهما اللحم
ياصاح هل أبكاك موقفنا أم هل علينا في البكا إثم

فقال سعيد: لا والله ما أبكاني، قال ابن قيس الرقيات:

بل ما بكاؤك منزلاً خلقاً قفراً يلوح كأنه الوشم

فقال سعيد: اعتذر الرجل. ثم أنشد:

أتلبث في تكريت لا في عشيرة شهود ولا السلطان منك قريب
وأنت امرؤ للحزم عندك منزل وللدين والإسلام منك نصيب

فقال سعيد: لا مقام على ذلك، فاخرج منها، قال: قد فعلت، قال: قد أصبت أصاب الله بك.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء.

قامت بخلخالين حشوهما ساقان مار عليهما اللحم
يا صاح هل أبكاك موقفنا أم هل علينا في البكا إثم

غنى فيهما ابن سريج رملاً بالبنصر.

ابن قيس الرقيات وعمر بن أبي ربيعة

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن عبد الله البكري وهارون بن أبي بكر عن عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن أبيه عن سعيد بن مسلم بن وهب مولى بني عامر بن لؤي عن أبيه قال: دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نوفل بن مساحق وإنه لمعتمد على يدي إذ مررنا بسعيد بن المسيب في مجلسه فسلمنا عليه فرد سلامنا، ثم قال لنوفل: يا أبا سعيد من أشعر، أصاحبنا أم صاحبكم؟ يعني: عبيد الله بن قيس - الرقيات أو عمر بن أبي ربيعة؛ فقال نوفل: حين يقولان ماذا؟ فقال: حين يقول صاحبنا:

خليلي ما بال المطي كأنما ... نراها على الأدبار بالقوم تنكص

وقد أبعد الحادي سراهن وانتحى ... بهن فما يألوا عجولٌ مقلص

وقد قطعت أعناقهن صبابة ... فأنفسنا مما يحلف شخص

يزدن بنا قرباً فيزداد شوقنا ... إذا زاد طول العهد والبعد ينقص

ويقول صاحبكم ما شئت؛ قال: فقال له نوفلٌ: صاحبكم أشهر بالقول في الغزل أمتع الله بك، وصاحبنا أكثر أفانين شعر؛ قال: صدقت؛ فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر، جعل سعيدٌ يستغفر الله ويعقد بيده ويعده بالخمس كلها حتى وفى مائةً.

قال البكري في حديثه عن عبد الجبار: فقال مسلم بن وهب: فلما فارقناه قلت لنوفل: أتراه أستغفر الله من إنشاده الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: كلا هو كثير الإنشاد والأستنشاد للشعر، ولكني أحسبه للفخر بصاحبه.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن الضحاك عن أبيه قال: استأذن عبيد الله بن قيس الرقيات على حمزة بن عبد الله بن الزبير، فقالت له الجارية: ليس عليه إذنٌ الآن، فقال: أما إنه لو علم بمكاني ما احتجب عني قال: فدخلت الجارية على حمزة فأخبرته، فقال: ينبغي أن يكون هذا ابن قيس الرقيات، ائذني له، فأذنت له، فقال: مرحباً بك يابن قيس، هل من حاجة نزعت بك. قال: نعم، زوجت بنين لي ثلاثة ببنات أخ لي ثلاث، وزوجت ثلاثة من بني أخ لي بثلاث بنات لي، قال: فلبنيك الثلاثة أربعمائة دينارٍ أربعمائة دينارٍ، ولبني أخيك الثلاثة أربعمائة دينارٍ أربعمائة دينارٍ، ولبناتك الثلاث ثلثمائة دينارٍ ثلثمائة دينارٍ، ولبنات أخيك الثلاث ثلثمائة دينارٍ، ثلثمائة دينارٍ، هل بقيت لك من حاجة يابن قيس؟ قال: لا والله إلا مؤونة السفر؛ فأمر له بما يصلحه لسفره حتى رقاع أخفاف الإبل.

ذكر ما قاله ابن قيس الرقيات وغنى فيه

أمست رقية دونها البشر فالرقة السوداء فالغمر

غناه يونس ثقيلاً أول بالوسطى، وفيه لعزة الميلاء ثاني ثقيلٍ.

ومنها:

رقي بعيشكم لا تهجرينا ومنينا المنى ثم امطلينا

عدينا في غدٍ ماشئت إنا نحب وإن مطلت الواعدينا

أغرك أنني لاصبر عندي على هجرٍ وأنك تصبرينا

ويوم تبعتكم وتركت أهلي حنين العود يتبع القرينا

عروضه من الوافر. غناه ابن محرز ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى.

ومنها:

رقية تيمت قلبي فواكبدي من الحب

نهاني إخوتي عنها وما بالقلب من عتب

غناه مالكٌ ثاني ثقيلٍ أول بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة. وقد ذكرت بذل أن فيه لابن المكي لحناً.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني سعيد بن عمرو بن الزبير قال حدثني إبراهيم عبد الله قال: أنشد كثيرٌ ابن أبي عتيق كلمته التي يقول فيها:

ولست براض من خليلٍ بنائلٍ قليلٍ ولا أرضى له بقليل

فقال له: هذا كلام مكافئٍ ليس بعاشقٍ، القرشيان أقنع وأصدق منك: ابن أبي ربيعة حيث يقول:

ليت حظي كلحظة العين منها وكثيرٌ منها القليل المهنا

وقوله أيضاً:

فعدي نائلاً وإن لم تنيلي إنه يقنع المحب الرجاء

وابن قيس الرقيات حيث يقول:

رقي بعيشكم لا تهجرينا ومنينا المنى ثم امطلينا

عدينا في غدٍ ماشئت إنا نحب وإن مطلت الواعدينا

فإم انتجزي عدتي وإما نعيش بما نؤمل منك حينا

قال: فذكرت ذلك لأبي السائب المخزومي ومعه ابن المولى، فقال: صدق ابن أبي عتيق وفقه الله، ألا قال المديون كثير كما قال هذا حيث يقول:

وأبكي فلا ليلى بكت من صبابةٍ لباكٍ ولا ليلى لذي الود تبذل

واخنع بالعتبى إذا كنت مذنباً وإن أذنبت كنت الذي أتتصل

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال سمعت عبيدة بن أشعب بن جبير قال حدثني أبي قال

خبره مع رقية بنت عبد الواحد

حدثني فندٌ مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص قال: حجت رقية بنت عبد الواحد بن أبي سعد العامرية، فكنت آتيها وأحدثها فتستظرف حديثي وتضحك مني؛ فطافت ليلةً بالبيت ثم أهوت لتستلم الركن الأسود وقبلته، وقد طفت مع عبيد الله بن قيس الرقيات، فصادف فراغنا فراغها ولم أشعر بها، فأهوى ابن قيس يستلم الركن الأسود ويقبله، فصادفها قد سبقت إليه، فنفحته بردها فارتدع؛ وقال لي: من هذه؟ فقلت: أو لا تعرفها هذه رقية بنت عبد الواحد بن أبي سعد؛ فعند ذلك قال:

من عذيري ممن يضن بمبذو لٍ لغيري علي عند الطواف

يريد أنها تقبل الحجر الأسود وتضن عنه بقبلتها. وقال في ذلك:

حدثوني هل على رجلٍ عاشقٍ في قنلةٍ حرج

وفيه غناءٌ ينسب بعد هذا الخبر. قال: ولما نفحته بردها فاحت منه رائحة المسك حتى عجب من في المسجد، وكأنما فتحت بين أهل المسجد لطيمة عطارٍ، فسبح من حول البيت. قال: وقال فندٌ: فقلت بعد انصرافها لابن قيس: هل وجدت رائحة ردها لشيءٍ طيبا. فعند ذلك قال أبياته التي يقول فيها:

سائلاً فنداً خليلي كيف أردان رقيه

إنني علقت خوداً ذات دل بختريه

غناه فندٌ، ولحنه ثقيلٌ أول بالبنصر عن حبش.

حب ذاك الدل والغنج والتي في عينها دعج

والتي إن حدثت كذبت والتي في وعدها خلج

وترى في البيت صورتها مثلما في البيعة السرج

خبروني هل على رجلٍ عاشقٍ في قبلةٍ حرج

الشعر لابن قيس الرقيات يقوله في رقية بنت عبد الواحد. والغناء لمالكٍ خفيف ثقيلٍ أول مطلقٌ في مجرى البنصر. وفيه خفيف ثقيلٍ آخر لابن محرز من رواية عمرو بن بانة، وقيل: بل هو هذا.

أخبار متفرقة

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش السعدي قال حدثني سائبٌ راوية كثير قال: كان كثير مديوناً، فقال لي يوماً ونحن بالمدينة: اذهب بنا إلى ابن أبي عتيق نتحدث عنده؛ قال: فذهبت إليه معه ة فاستنشده ابن أبي عتيق، فأنشده قوله:

أبائنةٌ سعدى نعم ستبين

حتى بلغ إلى قوله:

وأخلفن ميعادي وخن أمانتي ... وليس لمن خان الأمانة دين

فقال له ابن أبي عتيق: أعلى الأمانة تبعتها فانكف واستغضب نفسه وصاح وقال:

كذبن صفاء الود يوم محله ... وأنكدنني من وعدهن ديون

فقال له ابن أبي عتيق: ويلك هذا أملح لهن وأدعى للقلوب إليهن، سيدك ابن قيس الرقيات كان أعلم منك وأوضع للصواب موضعه فيهن؛ أما سمعت قوله:

حب ذاك الدل والغنج ... والتي في عينها دعج

والتي إن حدثت كذبت ... والتي في وعدها خلج

وترى في البيت صورتها ... مثلما في البيعة السرج

خبروني هل على رجلٍ ... عاشقٍ في قبلةٍ حرج

قال: فسكن كثير واستحلى ذلك، وقال: لا إن شاء الله؛ فضحك ابن أبي عتيق حتى ذهب به.

أخبرنا الحرمي فال حدثنا الزبير قال حدثنا عبد الرحمن بن غرير الزهري قال: أنشدت أبا السائب المخزومي قول ابن قيس الرقيات:

قد أتانا من آل سعدى رسول ... حبذا ما يقول لي وأقول

من فتاةٍ كأنها قرن شمسٍ ... ضاق عنها دمالجٌ وحجول

حبذا ليلتي بمزة كلبٍ ... غال عني بها الكوانين غول

فقال لي: يابن الأمير ما تراه كان يقول وتقول؟ فقلت:

حديثاً كما يسري الندى لو سمعته ... شفاك من "أدواءٍ كثيرٍ وأسقما

فطرب وقال بأبي أنت وأمي؛ ما زلت أحبك، ولقد أضعف حبي إياك حين تفهم عني هذا الفهم.

غنى في هذه الأبيات ابن سريج ثقيلاً أول بالوسطى. ولمالكٍ فيها ثاني ثقيلٍ، كلاهما عن الهشامي.

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي صهر المبرد قال حدثني طلحة بن عبد الله أبو إسحاق الطلحي فال

حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان قال: أنشد أشعب بن جبير أبي أبيات عبيد الله بن قيس الرقيات التي يقول فيها:

قد أتانا من آل سعنى رسول حبذا ما يقول لي وأقول

فقال أبي: ويحك يا أشعب ما تراه قال وقالت له؟ فقال:

حديثاً لو أن اللحم يصلي بحره غريضاً أتى أصحابه وهو منضج

ذكر شوقاً ووصف توقاً، ووعد ووفى، والتقيا بمزة كلب فشفى واشتفى، فذلك قوله:

حبذا ليلتي بمزة كلبٍ غال عني بها الكوانين غول

فقال له: إنك لعلامة بهذه الأحوال؛ قال أجل بأبي أنت فاسأل عالما عن علمه.

ومما في المائة الصوت المختارة من شعر عبيد الله بن قيس الرقيات.

يا قلب ويحك لا تذهب بك الحرق إن الألى كنت تهواهم قد انطلقوا

وذكر أنه لوضاح، وقد أخرج في موضع آخر.

ذكر مالك بن أبي السمح وأخباره

نسبه

هو مالك بن أبي السمح. واسم أبي السمح جابر بن ثعلبة الطائي أحد بني ثعل ثم أحد بني عمرو بن درماء. ويكنى أبا الوليد. وأمه قرشية من بني مخزوم، وقيل: بل أم أبيه منهم، وهو الصحيح. وقال ابن الكلبي: هو مالك بن أبي السمح بن سليمان بن أوس بن سماك بن سعد بن أوس بن عمرو بن درماء أحد بني ثعل. وأم أبيه بنت مدرك بن عوف بن عبيد بن عمرو بن مخزوم.

وكان أبوه منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ويتيماً في حجره أوصى به أبوه إليه، فكان ابن جعفر يكفله ويمونه، وأدخله وسائر إخوته في دعوة بني هاشم، فهم معهم إلى اليوم. وكان أحول طويلاً أحنى. قال الوليد بن يزيد فيه يعارض الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب في قوله فيه:

أبيض كالبدر أو كما يلمع آلي سارق في حالكٍ من الظلم

فقال له الوليد: بل أنت.

أحول كالقرد أو كما يرقب آلي سارق في حالكٍ من الظلم

أساتذته في الغناء

وأخذ الغناء عن جميلة ومعبد وعمر حتى أدرك الدولة العباسة، وكان اقطعاً إلى بني سليمان بن علي، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور.

السبب في انقطاع أبي السمح إلى ابن جعفر

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد: قرأت على أبي: أن السبب في انقطاع أبي السمح إلى ابن جعفر أن السنة أقحمت بطيئاً، فكان ثعلبة جد مالك أحدهم، فولد أبو السمح بالمدينة؛ وكان صديقاً للحسين بن عبد الله الهاشمي، وكان سبب ذلك مودةً كانت بينه وبين آل شعيب السهميين؛ فلما تزوج حسين عابدة بنت شعيب السهمية خاصمهم بسببها؛ وكان جد مالك معه وعوناً له مع من عاونه، فنشبت بذلك حالٌ بينه وبين بني هاشم، حتى ولد مالك في دورهم، فصارت دعوته فيهم.

وعمر مالك حتى أدرك دولة بني العباسأخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد: قرأت على أبي:

عمّر حتى أدرك دولة بني العباس

وقدم على سليمان بن علي بالبصرة، فمت إليه بخؤولته في قريش، ودعوته لبني هاشم، وانقطاعه إلى ابن جعفر، فعجل له سليمان صلته وكساه وكتب له بأوساقٍ من تمر.

تعلمه الغناء على يد معبد

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني القاسم بن يوسف قال أخبرني الورداني قال: كان مالك بن أبي السمح المغني من طيء، فأصابتهم حطمةٌ في بلادهم بالجبلين، فقدمت به أمه وبإخوةٍ له وأخواتٍ أيتامٍ لا شيء لهم؛ فكان يسأل الناس على باب حمزة بن عبد الله بن الزبير، وكان معبدٌ منقطعاً إلى حمزة يكون عنده في كل يوم يغنيه؛ فسمع مالك غناءه فأعجبه واشتهاه، فكان لا يفارق باب حمزة يسمع غناء معبد إلى الليل، فلا يطوف بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئاً ولا يريم موضعه، فينصرف إلى أمه و لم يكتسب شيئاً، فتضربه، وهو مع ذلك يترنم بألحان معبد ويؤديها دوراً دوراً في مواضع صيحاته وإسجاحاته ونبراته نغماً بغير لفظ ولا رواية شيء من الشعر؛ وجعل حمزة كلما غدا وراح رآه ملازماً لبابه؛ فقال لغلامه يوماً: أدخل هذا الغلام الأعرابي إلي؛ فأدخله؛ فقال له: من أنت؟ فقال: أنا غلام من طيء أصابتنا حطمةٌ بالجبلين فحطتنا إليكم ومعي أم لي وإخوةٌ، وإني لزمت بابك فسمعت من دارك صوتاً أعجبني، فلزمت بابك من أجله؛ قال: فهل تعرف منه شيئاً؟

قال: أعرف لحنه كله ولا أعرف الشعر؛ فقال: إن كنت صادقاً إنك لفهمٌ. ودعا بمعبد فأمره أن يغني صوتاً فغناه، ثم قال لمالك: هل تستطيع أن تقوله؟ قال نعم، قال: هاته؛ فاندفع فغناه فأدى نغمه بغير شعر، يؤدي مداته ولياته وعطفاته ونبراته وتعليقاته لا يخرم حرفاً؛ فقال لمعبد: خذ هذا الغلام إليك وخرجه، فليكونن له شأن؛ قال

معبد: و لم أفعل ذلك؟ قال: لتكون محاسنه منسوبة إليك، وإلا عدل إلى غيرك فكانت محاسنه منسوبة إليه؛ فقال: صدق الأمير، وأنا أفعل ما أمرتني به. ثم قال حمزة لمالكٍ: كيف وجدت ملازمتك لبابنا؟ قال أرأيت لو قلت فيك غير الذي أنت له مستحقٌ من الباطل أكنت ترضى بذلك؟ قال لا. قال: وكذلك لا يسرك أن تحمد بما لم تفعل؛ قال نعم؛ قال: فوالله ما شبعت على بابك شبعةً قط ولا انقلبت منه إلى أهلي بخير؛ فأمر له ولأمه ولإخوته بمنزل، وأجرى لهم رزقاً وكسوة، وأمر لهم بخادم يخدمهم وعبدٍ يسقيهم الماء، وأجلس مالكاً معه في مجالسه، وأمر معبداً أن يطارحه، فلم ينشب أن مهر وحذق؛ وكان ذلك بعقب مقتل هدبة بن خشرم فخرج مالك يوماً فسمع امرأة تنوح على زيادة الذي قتله هدبة بن خشرم بشعر أخي زيادة:

أبعد الذي بالنعف نعف كويكبٍ ... رهينة رمسٍ في تراب وجندل

أذكر بالبقيا على من أصابني ... وبقياي أني جاهدٌ غير مؤتلي

فلا يدعني قومي لزيد بن مالك ... لئن لم أعجل ضربةً أو أعجل

وإلا أنل ثأري من اليوم أو غدٍ ... بني عمنا فالدهر ذو متطول

أتختم علينا كلكل الحرب مرةً ... فنحن منيخوها عليكم بكلكل

فغنى في هذا الشعر لحنين، أحدهما نحا فيه نحو المرأة في نوحها ورقته وأصلحه وزاد فيه، والآخر نحا فيه نحو معبد في غنائه؛ ثم دخل على حمزة فقال له: أيها الأمير، إني قد صنعت غناءً في شعر سمعت بعض أهل المدينة ينشده وقد أعجبني، فإن أذن الأمير غنيته فيه؛ قال: هاته، فغناه اللحن الني نحا فيه نحو معبد؛ فطرب حمزة وقال له: أحسنت يا غلام، هذا الغناء غناء معبد وطريقته؛ فقال: لا تعجل أيها الأمير واسمع مني شيئاً ليس من غناء معبد ولا طريقته؛ قال: هات، فغناه اللحن الذي تشبه فيه بنوح المرأة، فطرب حمزة حتى ألقى عليه حلة كانت عليه قيمتها مائتا دينار؛ ودخل معبد فرأى حلة حمزة عليه فأنكرها؛ وعلم حمزة بذلك فأخبر معبداً بالسبب، وأمر مالكاً فغناه الصوتين؛ فغضب معبد لما سمع الصوت الأول وقال: قد كرهت أن آخذ هذا الغلام فيتعلم غنائي فيدعيه لنفسه؛ فقال له حمزة: لا تعجل واسمع غناءً صنعه ليس من شأنك ولا غنائك، وأمره أن يغني الصوت الآخر فغناه؛ فأطرق معبد؛ فقال له حمزة: والله لو انفرد بهذا لضاهاك ثم يتزايد على الأيام، وكلما كبر وزاد شخت أنت ونقصت، فلأن يكون منسوباً إليك أجمل؛ فقال له معبد وهو منكسر: صدق الأمير. فأمر حمزة لمعبدٍ بخلعةٍ من ثيابه وجائزةٍ حتى سكن وطابت نفسه؛ فقام مالك على رجله فقبل رأس معبد، وقال له: يا أبا عبادٍ أساءك ما سمعت مني؟ والله لا أغني لنفسي شيئاً أبداً ما دمت حياً، وإن غلبتني نفسي فغنيت في شعر استحسنته لا نسبته إلا إليك، فطب نفساً وارض عني؛ فقال له معبد: أو تفعل هذا وتفي به؟ قال: إي والله وأزيد؛ فكان مالك بعد ذلك إذا غنى صوتاً وسئل عنه قال: هذا لمعبد، ما غنيت لنفسي شيئاً قط، وإنما آخذ غناء معبد فأنقله إلى الأشعار وأحسنه وأزيد فيه وأنقص منه.

الغناء ليلة الجمعة

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثنا الحسن بت عتبة اللهبي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله أحد بني الحارث بن عبد المطلب قال: خرجت من مكة أريد العراق، فحملت معي مالك بن أبي السمح من المدينة، وذلك في أيام أبي العباس السفاح، فكان إذا كانت عشية الخميس قال لنا: يا معشر الرفقة إن الليلة ليلة الجمعة وأنا أعلم أنكم تسألوني الغناء، وعلي وعلي إن غنيت ليلة الجمعة، فإن أردتم شيئاً فالساعة اقترحوا ما أحببتم؛ فنسأله فيغنينا، حتى إذا كادت الشمس أن تغيب طرب ثم صاح: الحريق في دار شلمغان، ثم يمر في الغناء فما يكون في ليلة أكثر غناءً منه في تلك الليلة بعد الأيمان المغلظة.

حسرة من لم يسمع غناءه

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان سليمان بن علي يسمع من مالك بن أبي السمح بالسراة، لأنه كان إذا قدم الشأم على الوليد بن يزيد، عدل إليهم في بدأته وعودته لانقطاعه إليهم، فيبرونه ويصلونه. فلما أفضى إليهم الأمر رأى سليمان مالكاً على باب ابنه جعفر؛ فقال له: يا بني، لقد رأيت ببابك أشبه الناس بمالك؛ فقال له جعفر: ومن مالكٌ؟ - يوهمه أنه لا يعرفه - فتغافل عنه سليمان لئلا ينبهه عليه فيطلبه، وتوهم أنه لم يعرفه ولا سمع غناءه. قال حماد: وحدثني أبي عن جدي إبراهيم أنه أخبره أنه رأى مالكاً بالبصرة على باب جعفر بن سليمان، أو أخيه محمد، و لم يعرفه، فسأل عنه بعد ذلك فعرفه وقد كان خرج عن البصرة، قال: فمالي حسرةٌ مثل حسرتي بأني ماسمعت غناءه.

سبب دخوله في دعوة بني هاشم

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى قال: كان مالك بن أبي السمح يتيماً في حجر عبد الله بن جعفر، وكان أبوه أبو السمح صار إلى عبد الله بن جعفر وانقطع إليه، فلما احتضر أوصى بمالك إليه، فكفله وعاله ورباه، وأدخله في دعوة بني هاشم، فهو فيهم إلى اليوم. ثم خطب حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس العابدة بنت شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، فمنعه بعض أهلها منها وخطبها لنفسه، فعاون مالكٌ حسيناً، وكانت العابدة تستنصحه، وكانت بين أبيها شعيب وبينه مودةٌ، فأجابت حسيناً وتزوجته، فانقطع مالكٌ إلى حسين؛ فلما أفضى الأمر إلى بني هاشم قدم البصرة على سليمان بن علي، فلما دخل إليه مت بصحبته عبد الله بن جعفر ودعوته في بني هاشم وانقطاعه إلى حسين، فقال له سليمان: أنا عارفٌ بكل ما قلته يا مالك، ولكنك كما تعلم، وأخاف أن تفسد علي أولادي، وأنا

واصلك ومعطيك ما تريد وجاعل لك شيئاً أبعث به إليك ما دمت حيا في كل عام، على أن تخرج عن البصرة وترجع إلى بلدك، قال: أفعل جعلني الله فداك؛ فأمر له بجائزة وكسوة وحمله وزوده إلى المدينة.

مالك في حمام المدينة

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني محمد بن هارن بن جناح قال أخبرني يعقوب بن إبراهيم الكوفي عمن أخبره قال: دخلت المدينة حاجا فدخلت الحمام، فبينا أنا فيه إذ دخل صاحب الحمام فغسله ونظفه، ثم دخل شيخ أعمى له هيئةٌ، مؤتزرٌ بمنديل أبيض؛ فلما جلس خرجت إلى صاحب الحمام فقلت له: من هذا الشيخ؟ قال: هذا مالك بن أبي السمح المغني، فدخلت عليه فقلت له: يا عماه، من أحسن الناس غناءً؟ فقال: يابن أخي، "على الخبير سقطت"، أحسن الناس غناء أحسنهم صوتاً.

أخبرني عمي قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني أبو يحيى العبادي عن إسحاق قال: كان فتيةٌ من قريش جلوساً في مجلس، فمر بهم مالك بن أبي السمح، فقال بعضهم لبعض: لو سألنا مالكاً فغنانا صوتاً فقام إليه بعضهم فسأله النزول عندهم، فعدل إليهم؛ فسألوه أن يغنيهم؛ فقال: نعم والله بالحب والكرامة، ثم اندفع يغني، وأوقع بالمقرعة على قربوس سرجه، فرفع صوته فلم يقدر، ثم خفضه فلم يقدر، فجعل يبكي ويقول: واشباباه.

أخبرني عمي قال حدثني هارون بن محمد عن الزبير بن بكار عن عمه عن جده أنه كان في هؤلاء الفتية الذين كانوا سألوه الغناء؛ وذكر باقي الخبر مثل ما ذكره إسحاق.

أخبرني عمي قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال حدثني صالح بن أبي الصقر قال: قدم مالك بن أبي السمح المغني البصرة، فلقيه عجاجة المخنث، وكان أشهر من بها من المخنثين، وقال له: فديتك يا أبا الوليد، إني كنت أحب أن ألقاك وأن أعرض عليك صوتاً من غنائك أخذته عن بعض المخنثين، فإن رأيت أن تنزل عندي فعلت؛ فنزل مالك عنده فبسط له المخنث جزد قطيفةٍ كانت عنده فجلس، ثم أخذ عجاجة الدف فغنى:

حب إن الخمار كان عليها شاهداً يوم زارت الجوشنيه
قد سبته بدلها حين جاءت تتهادى في مشيةٍ بختريه

فجعل مالك يقول له: ويلك من قال هذا لعنه الله ويحك من غنى هذا قبحه الله ويحك من روى عني هذا أخزاه الله ثم قام فركب وهو يضحك عجباً من عجاجة.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرني حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن جناح قال حدثني مصعب بن عثمان قال حدثني عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير قال حدثني مالك بن أبي السمح قال: قدمنا على يزيد بن عبد الملك أول قدومنا عليه مع معبد وابن عائشة، فغنيناه ليلةً فأطربناه، فأمر لكل واحد منا بألف دينار

وكتب لنا بها إلى كاتبه، فغدونا عليه بالكتاب؛ فلما رآه أنكره وقال: أيؤمر لمثلكم بألف دينار ألف دينار لا والله ولا حبا ولا كرامة. فرجعنا إلى يزيد فأخبرناه بمقالته وكررنا عليه؛ فقال: كأنه استنكر ذلك؟ فقلنا: نعم؛ فقال: مثله والله يستنكره ودعاه؛ فلما حضر ورآنا عنده استأمره فيها، فأطرق مستحيياً؛ وقال له: إني قد قلتها لهم ولا يجمل أن أرجع عما قلت، ولكن قطعها عليهم. قال مالك: فمات والله يزيد، وقد بقي لكل واحد منا أربعمائة دينار.

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد قال قرأت على أبي، وحدثنا الحسن بن محمد قال: لما انهزم عبد الله بن علي من أبي مسلم قدم البصرة، وكان عند سليمان بن علي، وكان مالك بن أبي السمح يومئذ بها، فاستزاره جعفر ومحمد فزارهما، وغناهما مالك في جوف الليل في دار سليمان بن علي، وبلغ الخبر سليمان، فدخل عليهم فعذل جعفراً ومحمداً، وقال: نحن نتوقع الطامة الكبرى وأنتم تسمعون الغناء فقالا: ألا تجلس وتسمع ففعل، فغناهم مالك:

ما كنت أول من خاس الزمان به ... قد منت ذا نجدةٍ أخشى وذا بأس

أنلغ أبا معبدٍ عني وإخوته ... شوقي إليهم وأحزاني ووسواسي

فخرج وتركهم ولم ينكر عليهم شيئاً.

وفي مالك بن أبي السمح يقول الحسين بن عبد الله، بن عبيد الله بن العباس:

لا عيش إلا بمالك بن أبي ال ... سسمح فلا تلحني ولا تلم

أبيض كالبدر أو كما يلمع ال ... بارق في حالك من الظلم

من ليس يعصيك إن رشدت ولا ... يهتك حق الإسلام والحرم

يصيب من لذة الكريم ولا ... يجهل آي الترخيص في اللمم

يا رب ليلٍ لنا كحاشية ال ... برد ويومٍ كذاك لم يدم

نعمت فيه ومالك بن أبي ال ... سمح الكريم الأخلاق والشيم

غناه مالكٌ في الأول والثاني والثالث رملا بالبنصر في مجراها - فيقال: إن مالكاً قال له: لا والله ولا إن غويت أيضاً أعصيك؛ ذكر ذلك الزبير عن عمه مصعب. ويقال: إنه قال هذه المقالة للوليد بن يزيد، فسر بذلك وأجزل صلته.

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد قال حدثني أبي قال قال ابن الكلبي: قال الوليد بن يزيد لمعبد قد آذتني ولولتك هذه، وقال لابن عائشة: قد آذاني استهلالك هذا، فانظرا لي رجلاً يكون مذهبه متوسطاً بين مذهبيك؛ فقالا له: مالك بن أبي السمح؛ فكتب في إشخاصه إليه وسائر مغني الحجاز المذكورين؛ فلما قدم مالك على الوليد بن يزيد فيمن معه من المغنين نزل على الغمر بن يزيد، فأدخله على الوليد فغناه فلم يعجبه؛

فلما انصرف الغمر قال له: إن أمير المؤمنين لم يعجبه شيء من غنائك؛ فقال له: جعلني الله فداك؛ اطلب لي الإذن عليه مرةً واحدة، فإن أعجبه شيء مما أغنيه وإلا انصرفت إلى بلادي. فلما جلس الوليد في مجلس اللهو ذكره الغمر وطلب له الإذن، وقال له: إنه هابك فحصر؛ قال: فأذن له، فبعث إليه؛ فأمر مالكٌ الغلام فسقاه ثلاث صراحيات صرفاً؛ فخرج حتى دخل عليه يخطر في مشيته. وقال غير ابن الكلبي: إنه قال لفراش للوليد: اسقني عسا من شراب ولك دينار، فسقاه إياه وأعطاه الدينار؛ ثم قال له: زدني آخر فأزيدك آخر، ففعل حتى شرب ثلاثة، ثم دخل على الوليد يخطر في مشيته، فلما بلغ باب المجلس وقف و لم يسلم، وأخذ بحلقة الباب فقعقعها، ثم رفع صوته فغنى:

لا عيش إلا بمالك بن أبي السمح فلا تلحني و لا تلم

فطرب الوليد، ورفع يديه، حتى بدا إبطاه إليه مادا لهما، وقام فاعتنقه قائماً، وقال له: أدن بابن أخي، فدنا حتى اعتنقه؛ ثم أخذ في صوته ذلك، فلم يزالوا فيه أياماً، وأجزل صلته حين أراد الانصراف. قال: ولما أتى مالكٌ على قوله:

أبيض كالسيف أو كما يلمع ال بارق في حالكٍ من الظلم

قال له الوليد:

أحول كالقرد أو كما يرقب السارق في حالكٍ من الظلم

وكان مالك طويلاً أجنى فيه حولٌ. وقد قال قوم: إن مالكاً لم يصنع لحناً قط غير هذا - أعني: لا عيش إلا بمالك بن أبي السمح" - وإنه كان يأخذ غناء الناس فيزيد فيه وينقص منه وينسبه الناس إليه، وكان إسحاق ينكر ذلك غاية الإنكار، ويقول: غناء مالكٍ كله مذهبٌ واحد لا تباين فيه، ولو كان كما يقول الناس لاختلاف غناؤه، وإنما كان إذا غنى ألحان معبدٍ الطوال خففها وحذف بعض نغمها، وقال: أطاله معبد ومططه، وحذفته أنا وحسنته، فأما ألا يكون صنع شيئاً فلا.

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد: قرأت على أبي وذكر بكار بن النبال: أن الوليد قال لمالك: هل تصنع الغناء؟ قال: لا، ولكني أزيد فيه وأنقص منه؛ فقال له: فأنت المحلي إذاً. قال إسحاق وذكر الحسن بن عتبة اللهبي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الهاشمي الحارثي الذي يقال له سنابل - وفيه يقول الشاعر:

فإن هي ضنت عنك أو حيل دونها فدعها وقل في ابن الكرام سنابل

- قال: خرجت من مكة أريد أبا العباس أمير المؤمنين، فمررت على المدينة فحملت معي مالك بن أبي السمح، فسألته يوماً عن بعض ما ينسب إليه من الغناء؛ فقال: يا أبا الفضل، عليه وعليه إن كان غنى صوتاً قط، ولكني آخذه وأحسنه وأهيئه وأطيبه، فأصيب ويخطئون فينسب إلي. قال إسحاق: وليس الأمر هكذا، لمالكٍ صنعةٌ كثيرة حسنة، وصنعته تجري في أسلوب واحد، ويشبه بعضها بعضاً، ولو كان كما قيل لاختلف غناؤه. وقد قيل: إن

مالكاً كان ينتفي من الصنعة لأن أكثر الأشراف هناك كانوا ينكرون عليه، فكان يتبدل به عند من يراه، وينكره عند من يذمه، لمحله في بني هاشم.

وأخبرني بخبر سنابل هذا محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني حمزة بن عتبة اللهبي عن سنابل، فذكر الخبر وخالف ما رواه إسحاق أن الحسن بن عتبة حدثه وحكاه عن حمزة بن عتبة أخيه.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن هشام بن الكلبي عن أبيه عن محمد بن يزيد الليثي قال: سئل مالك بن أبي السمح عن صنعته في:

لاح بالدير من أمامة نار

فقال: أخذته والله من خربنده بالشأم يسوق أحمرةً، فكان يترنم بهذا اللحن بلا كلام، فأخذته فكسوته هذا الشعر.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: نزل مالك بن أبي السمح عند رجل بمكة مخزومي، وكان له غلامٌ حائك، فأتاه آتٍ فقال: أما سمعت غناء غلامك الحائك؟ قال: لا أو يغني؟ قال: نعم بشعر لأبي دهبل الجمحي؛ فبعث إليه فأتاه، فقال: تغنه؛ فقال: ما أحسن ذاك إلا على حفي؛ فخرج مولاه ومعه مالكٌ إلى بيته، فلما جلس على حفه تغنى:

تطاول هذا الليل ما يتبلج

فأخذه مالكٌ عنه وغناه فنسبه الناس إليه؛ وكان يقول: والله ما غنيته قط ولا غناه إلا الحائك.

لاح بالدير من أمامة نار ... لمحب له بيثرب دار

قد تراها ولو تشاء من القر ... ب لأغناك عن نداها الشرار

الشعر للأحوص، ويقال: إنه لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت. والغناء لمالك بن أبي السمح ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وفيه لحن لمعبد ذكره إسحاق.

تطاول هذا الليل ما يتبلج ... وأعيت غواشي سكرتي ما تفرج

أبيت بهم ما أنام كأنما ... خلال ضلوعي جمرةٌ تتوهج

فطوراً أمني النفس من يكتم المنى ... وطوراً إذا ما لج بي الحمب أنشج

عروضه من الطويل، الشعر لأبي دهبل، والغناء لمالك بن أبي السمح ثقيل أول بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن جده قال: قال ابن عائشة: حضرت الوليد بن يزيد يوم قتل، وكان معنا مالك بن أبي السمح وكان من أحمق الناس، فلما قتل الوليد قال: اهرب بنا؛ فقلت: وما يريدون منا؟ قال: وما يؤمنك أن يأخذوا رأسينا فيجعلوا رأسه بينهما ليحسنوا أمرهم بذلك؛ قال ابن عائشة: فما رأيت منه عقلاً

قط قبل ذلك اليوم.

لما كبر كان يعلم ابنه الغناء: أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال الزبير بن بكار حدثتني ظبية قالت: رأيت مالك بن أبي السمح وهو على منامته يلقى على ابنه وقد كبر وانقطع:

اعتاد هذا القلب بلباله ... إذ قربت للبين أجماله

خودٌ إذا قامت إلى خدرها ... قامت قطوف المشي مكساله

تفتر عن ذي أشرٍ باردٍ ... عذبٍ إذا ما ذيق سلساله

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، ولمالك بن أبي السمح فيه ثلاثة ألحان: خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى، وثقيل أول بالوسطى مجراها جميعاً عن إسحاق، وخفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة، وقيل: إنه لابن سريج، وفيه رملٌ ينسب إلى ابن جامع وابن سريج.

أخبرني وكيع قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عبيدة: سمعت منشداً ينشد لنفسه يرثي مالكاً بهذه القصيدة:

يا مال إني قضت نفسي عليك وما ... بيني وبينك من قربى ولا رحم

إلا الذي لك في قلبي خصصت به ... من المودة في سترٍ وفي كرم

قال إسحاق قال أبو عبيدة: هو مالك بن أبي السمح. - انقضت أخباره -.

من رواية هارون بن الحسن بن سهل وابن المكي وأبي العبيس ومن روى جحظة عنه:

فإلا تجللها يعالوك فوقها ... وكيف توقى ظهر ما أنت راكبه

هم قتلوه كي يكونوا مكانه ... كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه

بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم ... ولا تنهبوه لا تحل مناهبه

عروضه من الطويل. البيت الأول من الشعر لرجلٍ من بني نهد جاهلي، وباقي الأبيات للوليد بن عقبة بن أبي معيط. والغناء لابن محرز، ولحنه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن يونس وإسحاق، وهو اللحن المختار. وفيه للغريض ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لمعبد ثقيل أول آخر مطلق في مجرى الوسطى عن عمرو وعن الهشامي. وفيه لسلسل في الثاني والثالث ثقيل أول بالبنصر عن حبش، وفيه لعطرد خفيف ثقيل.

خبر الهندي في هذا الشعر

وخبر الوليد بن عقبة وقد مضى نسبه في أول الكتاب اخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عمي عن ابن الكلبي عن أبيه عن عبد الرحمن المدائني، وكان عالماً بأخبار قومه، قال وحدثنيه أبو ممسكين أيضاً، قالا: كان الحارث بن مارية الغساني الجفني مكرماً لزهير بن جناب الكلبي ينادمه ويحادثه، فقدم على الملك رجلان من بني نهد بن زيد يقال لهما حزنٌ وسهلٌ ابنا رزاح، وكان عندهما حديث من أحاديث العرب، فاجتباهما الملك ونزلا بالمكان الأثير منه، فحسدهما زهير بن جناب، فقال: أيها الملك، هما والله عينٌ لذي القرنين عليك "يعني المنذر الأكبر جد النعمان بن المنذر"، وهما يكتبان إليه بعورتك وخلل ما يريان منك؛ قال: كلا فلم يزل به زهير حتى أوغر صدره، وكان إذا ركب يبعث إليهما ببعيرين يركبان معه، فبعث إليهما بناقة واحدة؛ فعرفا الشر فلم يركب أحدهما وتوقف؛ فقاله له الآخر:

فإلا تجللها يعالوك فوقها ... وكيف توقى ظهر ما أنت راكبة

فركبها مع أخيه، ومضى بهما فقتلا، ثم بحث عن أمرهما بعد ذلك فوجده باطلاً فشتم زهيراً وطرده، فانصرف إلى بلاد قومه؛ وقدم رزاحٌ أبو الغلامين إلى الملك، وكان شيخاً عالماً مجرباً، فأكرمه الملك وأعطاه دية ابنيه؛ وبلغ زهيراً مكانه، فدعا ابناً له يقال له عامر، وكان من فتيان العرب لساناً وبياناً، فقال له: إن رزاحاً قد قدم على الملك، فالحق به واحتل في أن تكفينيه، وقال له: اذممني عند الملك ونل مني، وأثر به آثاراً فخرج الغلام حتى قدم الشأم، فتلطف للدخول على الملك حتى وصل إليه؛ فأعجبه ما رأى منه؛ فقال له: من أنت. قال: أنا عامر بن زهير بن جناب؛ قال: فلا حياك الله ولا حيا أباك الغادر الكذوب الساعي؛ فقال الغلام: نعم، فلا حياه الله؛ انظر أيها الملك ما صنع بظهري وأراه آثار الضرب؛ فقبل ذلك منه وأدخله في ندمائه؛ فبينا هو يحدثه يوماً إذ قال له: أيها الملك، إن أبي وإن كان مسيئاً فلست أدع أن أقول الحق، قد والله نصحك أبي، ثم أنشأ يقول:

فيا لك نصحةً لما نذقها ... أراها نصحةً ذهبت ضلالا

ثم تركه أياماً، وقال له بعد ذلك: أيها الملك، ما تقول في حية قد قطع ذنبها وبقي رأسها. قال: ذاك أبوك وصنيعه بالرجلين ما صنع؛ قال: أبيت اللعن والله ما قدم رزاحٌ إلا ليثأر بهما؛ فقال له: وما آية ذلك؟ قال: اسقه الخمر ثم ابعث إليه عيناً يأتك بخبره؛ فلما انتشى صرفه إلى قبته ومعه بنت له، وبعث عليه عيوناً؛ فلما دخل قبته قامت إليه ابنته تسانده فقال:

دعيني من سنادك إن حزناً ... وسهلاً ليس بعدهما رقود

ألا تسلين عن شبلي ماذا ... أصابهما إذا اهترش الأسود

فإني لو ثأرت المرء حزناً ... وسهلاً قد بدا لك ما أريد

فرجع القوم. إلى الملك فأخبروه بما سمعوا، فأمر بقتل النهدي رزاحٍ، ورد زهيراً إلى موضعه.

وقد أنشدني محمد بن العباس اليزيدي قال: أنشدنا محمد بن حبيب أبيات الوليد هذه على الولاء، وهي:

ألا من لليل لا تغور كواكبه ... إذا لاح نجمٌ لاح نجم يراقبه

بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم ... ولا تنهبوه لا تحل مناهبه

بني هاشم لا تعجلوا بإقادةٍ ... سواءٌ علينا قاتلوه وسالبه

فقد يجبر العظم الكسير وينبري ... لذي الحق يوماً حقه فيطالبه

وإنا وإياكم وما كان منكم ... كصدع الصفا لا يرأب الصدع شاعبه

بني هاشم كيف التعاقد بيننا ... وعند علي سيفه وحرائبه

لعمرك لا أنسى ابن أروى وقتله ... وهل ينسين الماء ما عاش شاربه

هم قتلوه كي يكونوا مكانه ... كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه

وإني لمجتابٌ إليكم بجحفل ... يصم السميع جرسه وجلائبه

وقد أجاب الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب الوليد عن هذه الأبيات، وقيل: بل أبوه العباس بن عتبة المجيب له أيضاً. والجواب:

فلا تسألونا بالسلاح فإنه ... أضيع وألقاه لدى الروع صاحبه

وشبهته كسرى وقد كان مثله ... شبيهاً بكسرى هديه وعصائبه

ذكر أحمد بن المكي أن لابن مسجح فيه لحناً وأن لحنه من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى، وقال كغيره: إنه من منحول أبيه يحيى إلى ابن مسجح.

ذكر باقي خبر الوليد بن عقبة ونسبه

الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وقد مضى نسبه مع أخبار ابنه أبي قطيفة. ويكنى الوليد أبا وهب. وهو أخو عثمان بن عفان لأمه، أمهما أروى بنت كريز، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب. وكان من فتيان قريش وشعرائهم وشجعانهم وأجوادهم، وكان فاسقًا، وولي لعثمان رضي الله عنه الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص، فشرب الخمر وشهد عليه بذلك، فحده وعزله. وهو الذي يقول يرثي عثمان رضي الله عنه ويحرض معاوية:

والله ما هندٌ بأمك إن مضى النهار ... ولم يثأر بعثمان ثائر

أيقتل عبد القوم سيد أهله ... ولم تقتلوه ليت أمك عاقر

وإنا متى نقتلهم لايقد بهم ... مقيدٌ فقد دارت عليك الدوائر

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال: لم يكن يجلس مع عثمان رضي الله عنه على سريره إلا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب والحكم بن أبي العاصي والوليد بن عقبة، فأقبل الوليد يوماً فجلس، ثم أقبل الحكم، فلما رآه عثمان زحل له عن مجلسه، فلما قام الحكم قال له الوليد: والله يا أمير المؤمنين، لقد تلخلج في صمري بيتان قلتهما حين رأيتك آثرت عمك على ابن أمك؛ فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه: إنه شيخ قريش، فما البيتان اللذان قلتهما؟ قال قلت:

رأيت لعم المرء زلفى قرابةٍ ... دوين أخيه حادثاً لم يكن قدما

فأملت عمراً أن يشب وخالدا ... لكي يدعواني يوم مزحمةٍ عما

يعني عمراً وخالداً ابني عثمان. قال: فرق له عثمان، وقال له: قد وليتك العراق يعني الكوفة.

أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني بعض أصحابنا عن ابن دأب قال:

لما ولي عثمان رضي الله عنه الوليد بن عقبة الكوفة قدمها وعليها سعد بن أبي وقاص، فأخبر بقدومه؛ فقال: وما صنع؟ قال: وقف في السوق فهو يحدث الناس هناك ولسنا ننكر شيئاً من شأنه؛ فلم يلبث أن جاءه نصف النهار، فاستأذن على سعد فأذن له، فسلم عليه بالإمرة وجلس معه؛ فقال له سعد: ما أقدمك أبا وهب؟ قال: أحببت زيارتك؛ قال: وعلى ذلك أجئت بريداً؟ قال: أنا أرزن من ذلك، ولكن القوم احتاجوا إلى عملهم فسرحوني إليه، وقد استعملني أمير المؤمنين على الكوفة؛ فمكث طويلاً ثم قال: لا والله ما أدري أصلحت بعدنا أم فسدنا بعدك ثم قال:

خذيني فجريني ضباع وأبشري ... بلحم امرىءٍ لم يشهد اليوم ناصره

فقال: أما والله لأنا أقول للشعر وأروى له منك، ولو شئت لأجبتك، ولكني أدع ذلك لما تعلم؛ نعم والله قد امرت بمحاسبتك والنظر في أمر عمالك؛ ثم بعث إلى عماله فحبسهم وضيق عليهم، فكتبوا إلى سعد يستغيثون، فكلمه فيهم؛ فقال له: أو للمعروف عندك موضع؟ قال: نعم والله فخلي سبيلهم.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر قال حدثنا جناد بن بشر قال: حدثني جرير عن مغيرة بنحوه.

قال أبو زيد عمر بن شبة أخبرنا أبو بكر الباهلي قال حدثنا هشيم عن العوام بن حوشب: أنه لما قدم على سعد قال له سعد: ما أدري أكست بعدنا أم حمقنا بعدك؟ فقال: لا تخزعن أبا إسحاق، فإنما هو الملك يتغداه قومٌ ويتعشاه آخرون؛ فقال له سعد: أراكم والله ستجعلونه ملكاً.

أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثني المدائني عن بشر بن عاصم عن الأعمش عن شقيق بن سلمة قال: قدم الوليد بن عقبة عاملاً لعثمان على الكوفة وعبد الله بن مسعود على بيت المال، وكان سعد قد أخذ مالاً، فقال الوليد لعبد الله: خذه بالمال، فكلمه عبد الله بمحضر من الوليد في ذلك؛ فقال سعد: آتى أمير المؤمنين، فإن أخذني به أديته. فغمز الوليد عبد الله، ونظر إليهما سعد فنهض وقال: فعلتماها ودعا الله أن يغري بينهما وأدى

المال.

أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال حدثنا هارون بن معروف قال حدثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب قال: صلى الوليد بن عقبة بأهل الكوفة الغداة أربع ركعات، ثم التفت إليهم فقال: أأزيدكم؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم.

أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا جرير عن الأجلح عن الشعبي في حديث الوليد بن عقبة حين شهدوا عليه قال: قال الحطيئة:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر

نادى وقد تمت صلاتهمأأزيدكم شكراً ومايدري

فأبوا أبا وهب ولو أذنوا لقرنت بين الشفع والوتر

كفوا عنانك إذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجري

وقال الحطيئة أيضاً:

تكلم في الصلاة وزاد فيها علانيةً وجاهر بالنفاق

ومج الخمر في سنن المصلي ونادى والجميع إلى افتراق

أزيدكم على أن تحمدوني ومالكم ومالي من خلاق

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال حماد بن إسحاق حدثني أبي قال ذكر أبو عبيدة وهشام بن الكلبي والأصمعي قالوا: كان الوليد بن عقبة زانياً شريب حمر، فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلي بهم الصبح في المسجد الجامع، فصلى بهم أربع ركعات، ثم التفت إليهم وقال لهم: أزيدكم؟ وتقيأ في المحراب، وقرأ بهم في الصلاة وهو رافع صوته:

علق القلب الزبابا بعد ما شابت وشابا

فشخص أهل الكوفة إلى عثمان، فأخبروه خبره وشهدوا عليه بشربه الخمر، فأتي به، فأمر رجلاً بضربه الحد؛ فلما دنا منه قال له: نشدتك الله وقرابتي من أمير المؤمنين فتركه؛ فخاف علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يعطل الحد، فقام إليه فحده؛ فقال له الوليد: نشدتك بالله وبالقرابة؛ فقال له علي: اسكت أبا وهب فإنما هلكت بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدود، فضربه وقال: لتدعوني قريشٌ بعد هذا جلادها. قال إسحاق: فأخبرني مصعب الزبيري قال: قال الوليد بن عقبة بعد ما جلد: اللهم إنهم شهدوا علي بزور، فلا ترضهم عن أمير ولا ترض عنهم أميراً. فقال الحطيئة يكذب عنه:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر

خلعوا عنانك إذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجري

ورأوا شمائل ماجدٍ أنفٍ يعطي على الميسور والعسر

فنزعت مكذوباً عليك ولم تنزع إلى طمع ولافقر

فقال رجل من بني عجل يرد على الحطيئة:

نادى وقد تمت صلاتهمأأزيدكم ثملاً وما يدري

ليزيدهم خيراً ولو قبلوا لقرنت بين الشفع والوتر

فأبوا أبا وهب ولو فعلوا وصلت صلاتهم إلى العشر

وروى العباس ميمون طائع عن ابن عائشة قاد حدثني أبي قال: لما أحضر عثمان رضي الله عنه الوليد لأهل الكوفة في شرب الخمر، حضر الحطيئة فاستأذن على عثمان وعنده بنو أمية متوافرون، فطمعوا أن يأتي الوليد بعذر، فقال:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر

خلعوا عنانك إذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجري

ورأوا شمائل ماجدٍ أنف يعطي على الميسور والعسر

فنزعت مكذوباً عليك ولم تنزع إلى طمع ولا فقر

قال: فسروا بذلك وظنوا أن قد تام بعذره؛ فقال رجل من بني عجل يرد على الحطيئة:

نادى وقد تمت صلاتهمأأزيدكم ثملاً وما يدري

فأبوا أبا وهبٍ ولو فعلوا وصلت صلاتهم إلى العشر

في فوجم القوم وأطرقوا، فأمر به عثمان رضي الله تعالى عنه فحد.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي ال حدثني محمد بن الفضل من حفظه قال حدثنا عمر بن شبة من حفظه، ونسخت من كتاب لهارون ابن الزيات بخطه عن عمر بن شبة، وروايته أتم، فحكيت لفظه، قال: شهد رجل عند أبي العجاج، وكان على البصرة، على رجل من المعيطيين شهادة، وكان الرجل الشاهد سكران؛ فقال المشهود عليه وهو المعيطي: أعزك الله إنه لا يحسن أن يقرأ من السكر؛ فقال الشاهد: بلى إني لأحسن؛ فقال: اقرأ؛ فقال:

علق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا

قال: وإنما تماجن بذلك على المعيطي، ليحكى به ما صنع الوليد بن عقبة في محراب الكوفة وقد تقدم للصلاة وهو سكران، فأنشد في صلاته هذا الشعر؛ وكان أبو العجاج محمقاً فظن أن هذا قرآن، فقال: صدق الله ورسوله، ويلكم؛ فلم تعلمون ولا تعملون. ولقد روي أيضاً في الشهادة على الوليد في الشكر غير ما ذكر من زيادته في

الصلاة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال عرضت على المدائني عن مبارك بن سلام عن فطر بن خليفة عن أبي الضحى قال: كان أبو زينب الأزدي وأبو مورع يطلبان عثرة الوليد بن عقبة، فجاءا يوماً فلم يحضر الصلاة، فسألا عنه وتلطفا حتى علما أنه يشرب، فاقتحما عليه الدار فرجداه تقيء، فاحتملاه وهو سكران فوضعاه على سريره وأخذا خاتمه من يده، فأفاق فافتقد خاتمه فسأل عنه؛ فقالوا: لا ندري وقد رأينا رجلين دخلا الدار فاحتملاك فوضعاك على سريرك؛ فقال: صفوهما لي؛ فقالوا: أحدهما آدم طويلٌ حسن الوجه، والآخر عريض مربوع عليه خميصة؛ فقال: هذا أبو زينب وأبو موزع. ولقي أبو زينب وصاحبه عبد الله بن حبيش الأسدي وعلقمة بن يزيد البكري وغيرهما فأخبراهم، فقالوا: اشخصوا إلى أمير المؤمنين فأعلموه ة فقال بعضهم: لا يقبل قولنا في أخيه؛ فشخصوا إليه وقالوا: إنما جئناك في أمر ونحن مخرجوه إليك من أعناقنا، وقد قلنا: إنك لا تقبله، قال: وما هو؟ قالوا: رأينا الوليد وهو سكران من خمر قد شربها وهذا خاتمه أخذناه وهو لا يعقل؛ فأرسل إلى علي رضي الله تعالى عنه فشاوره؛ فقال: أرى أن تشخصه، فإن شهموا عليه بمخضرٍ منه حددته؛ فكتب عثمان رضي الله تعالى عنه إلى الوليد بن عقبة فقدم عليه، فشهد عليه أبو زينب وأبو مورع وجندب الأسدي وسعد بن مالك الأشعري، و لم يشهد عليه إلا بمانٍ؛ فقال عثمان لعلي: قم فاضربه؛ فقال علي للحسن: قم فاضربه؛ فقال الحسن: مالك ولهذا يكفيك غيرك؛ فقال علي لعبد الله بن جعفر: قم فاضربه، فضربه بمخصرة فيها سيرٌ له رأسان، فلما بلغ أربعين قال له عليٌ: حسبك.

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا المدائني عن الوقاصي عن الزهري قال: خرج رهطٌ من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد، فقال: أكلما غضب رجل منكم على أميره رماه بالباطل لئن أصبحت لكم لأنكلن بكم؛ فاستجاروا بعائشة؛ وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظة، فقال: أما يجد مراق أهل العراق وفساقهم ملجأ إلا بيت عائشة؛ فسمعت فرفعت نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: تركت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب هذه النعل؛ فتسامع الناس فجاؤوا حتى ملؤوا المسجد، فمن قائل: أحسنت، ومن قائل: ما للنساء وهذا حتى تحاصبوا وتضاربوا بالنعال؛ ودخل رهطٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان، فقالوا له: اتق الله ولا تعطل الحد، واعزل أخاك عنهم؛ فعزله عنهم.

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا المدائني عن أبي محمد الناجي عن مطر الوراق قال: قدم رجل المدينة فقال لعثمان رضي الله عنه: إني صليت الغداة خلف الوليد بن عقبة، فالتفت إلينا فقال: أأزيدكم؟ إني أجد اليوم نشاطاً، وأنا أشم منه رائحة الخمر؛ فضرب عثمان الرجل؛ فقال الناس: عطلت الحدود وضربت الشهود.

أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثنا أبو بكر الباهلي عن بعض من حدثه قال: لما شهد على الوليد عند

عثمان بشرب الخمر كتب إليه يأمره بالشخوص، فخرج وخرج معه قوم يعذرونه، فيهم عدي بن حاتم، فنزل الوليد يوماً يسوق بهم، فقال يرتجز:

لا تحسبنا قد نسينا الإيجاف والنشوات من عتيق أو صاف

وعزف قيناتٍ علينا عزاف

فقال عدي: إلى أين تذهب بنا أقم.

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال عرضت على المدائني عن قيس بن الربيع عن الأجلح عن الشعبي عن جندب قال: كنت فيمن شهد على الوليد، فلما استتممنا عليه الشهادة حبسه عثمان، ثم ذكر باقي خبره وضرب علي عليه السلام إياه، وقول الحسن: ما لك ولهذا، فزاد فيه: فقال له علي: لست إذا مسلماً، أو من المسلمين. حدثنا إبراهيم بن عبد الله المخزومي قال حدثنا سعيد بن محمد المخزومي قال حدثنا ابن علية قال حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن عبد الله الداناج قال سمعت الحضين بن المنذر أبا ساسان يحدث، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن حاتم قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن علية قال حدثنا سعيد بن أبي عروبة قال حدثنا عبد الله الداناج عن حضين أبي ساسان قال: لما جيء بالوليد بن عقبة إلى عثمان بن عفان وقد شهدوا عليه بشرب الخمر، قال لعلي: دونك ابن عمك فأقم عليه الحد؛ فأمر به فجلد أربعين. ثم ذكر نحو هذا الحديث وقال فيه: فقال علي للحسن: بل ضعفت ووهنت، وعجزت، قم يا عبد الله بن جعفر، فقام فجلده وعلي يعد حتى بلغ أربعين، فقال علي: أمسك، جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وأتمها عمر ثمانين، وكلٌ سنة.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر قال حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد قال: لما ضرب عثمان الوليد الحد قال: إنك لتضربني اليوم بشهادة قوم ليقتلنك عاماً قابلاً.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله قال أخبرني محمد بن حبيب عن ابن الاعرابي قال وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد، وأخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم، قالوا جميعاً: كان أبو زبيد الطائي نديماً للوليد بن عقبة ألام ولايته الكوفة، فلما شهد عليه بالسكر من الخمر وخرج من الكوفة قال أبو زبيد - واللفظ في القصيدة لليزيدي لأنها في روايته أتم -:

من يرى العير لابن أروى على ظهر المروري حداتهن عجال

مصعداتٍ والبيت بيت أبي وهبٍ خلاءٌ تحن فيه الشمال

يعرف الجاهل المضلل أن الدهر فيه النكراء والزلزال

ليت شعري كذاكم العهد أم كانوا أناساً كمن يزول فزالوا

بعد ما تعلمين يا أم زيدٍ كان فيهم عزٌ لنا وجمال
ووجوهٌ بودنا مشرقاتٌ ونوالٌ إذا أريد النوال
أصبح البيت قد تبدل بالحي وجوهاً كأنها الأقتال

كل شيء يحتال فيه الرجال غير أن ليس للمنايا احتيال
ولعمر الإله لو كان للسيف مصالٌ أو للسان مقال
ما تناسيتك الصفاء ولا الود ولاحال دونك الأشغال
ولحرمت لحمك المتعضى ضلةً ضل حلمهم ما اغتالوا
قولهم شربلث الحرام وقد كان شرابٌ سوى الحرام حلال
وأبى الظاهر العداوة إلا شنآناً وقول مالا يقال
من رجالٍ تقارضوا منكراتٍ لينالوا الذي أرادوا فنالوا
غير ما طالبين ذحلاً ولكن قال دهر على أناس فمالوا
من يخنك الصفاء أو يتبدل أو يزل مثل ما تزول الظلال
فاعلمن أنني أخوك أخو الود حياتي حتى تزول الجبال
ليس بخلاً عليك عندي بمالٍ أبداً ما أقل نعلاً قبال
ولك النصر باللسان وبالكف إذا كان لليدين مصال
من يرى العير لابن أروى على ظه ر المروري حداتهن عجال
مصعداتٍ والبيت بيت أبي وهبٍ خلاءٌ تحن فيه الشمال

عروضه من الخفيف. المروري: جمع مروراة وهي الصحراء. غنى الدلال فيه خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وغيره.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال: لما قدم الوليد بن عقبة الكوفة قدم عليه أبو زبيد، فأنزله دار عقيل بن أبي طالب على باب المسجد وهي دار القبطي، فكان مما احتج به عليه أهل الكوفة أن أبا زبيد كان يخرج إليه من داره يخترق المسجد وهو نصراني فيجعله طريقاً.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال "حدثني عمي عبيد الله عن أبي حبيب بن جبلة عن ابن الأعرابي: أن أبا زبيد وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة، فأنزله الوليد داراً لعقيل بن أبي طالب على باب المسجد،

فاستوهبها منه فوهبها له، فكان ذلك أول الطعن عليه من أهل الكوفة؛ لأن أبا زبيد كان يخرج من منزله حتى يشق الجامع إلى الوليد، فيسمر عنه ويشرب معه ويخرج فيشق المسجد وهو سكران، فذلك نبههم عليه.

قال: وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ولي الوليد بن عقبة صدقات بني تغلب، فبلغه عنه بيتٌ قاله وهو:

إذا ما شددت الرأس مني بمشوذٍ ... فغيك مني تغلب بنة وائل

وكان أبو زبيد قد استودع بني كنانة بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب إبلاً فلم يردوها عليه حين طلبها، وكانت بنو تغلب أخوال أبي زبيد، فوجد الوليد بني تغلب ظالمين لأبي زبيد، فأخذ له الوليد بحقه؛ فقال يمدح الوليد:

يا ليت شعري بأنباءٍ أنبؤها ... قد كان يعيا بها صدري وتقديري

عن امرىء مايزده الله من شرفٍ ... أفرخ به ومري غير مسرور

يعني مري بن أوس بن حارثة بن لأم. وهي طويلة يقول فيها:

إن الوليد له عندي وحق له ... ود الخليل ونصحٌ غير مذخور

لقد رعاني وأدناني وأظهرني ... على الأعادي بنصرٍ غير تعذير

فشذب القوم عني غير مكترثٍ ... حتى تناهوا على رغم وتصغير

نفسي فداء أبي وهبٍ وقل له ... يا أم عمرو فحلي اليوم أو سيري

وفي رواية ابن حبيب: "يا أم زيد"، يعني: يا أم أبي زبيد.

أخبرني محمد بن العباس عن عمه عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: كان الوليد بن عقبة قد استعمل الزبيع بن مري بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي على الحمى فيما بين الجزيرة وظفر الحيرة، فأنجدبت الجزيرة، وكان أبو زبيد في تغلب، فخرج بهم ليرعيهم؛ فأبى عليه الأوسي وقال: إن شئت أن ارعيك وحدك فعلت وإلا فلا؛ فأتى أبو زبيد الوليد بن عقبة، فأعطاه ما بين القصور الحمر من الشأم إلى القصور الحمر من الحيرة وجعله له حمى، وأخذها من الآخر. هكذا روى ابن حبيب. وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال: كانت الجنينة في يد مري بن أوس، فلما قدم الوليد بن عقبة الكوفة انتزعها منه ودفعها إلى أبي زبيد. والقول الأول أصح، وشعر أبي زبيد يدل عليه في قوله في الوليد بن عقبة يمدحه:

لعمر أبيك يابن أبي مري ... لغيرك من أباح لها الديارا

أباح لها أبارق ذات نور ... ترعى القف منها والعرارا

بحمد الله ثم فتى قريشٍ أبي وهبٍ غدت بطناً غزارا
أياح لها ول ايحمى عليها إذا ما كنتم سنةً جزارا

يريد جزراً من الجدب والشدة.

فتى طالت يداه إلى المعالي وطحطحتا المقطعة القصارا

وهي أبيات.

قال عمر بن شبة في خبره خاصة: فلما عزل الوليد ووليها سعيد انتزعها منه وأخرجها من يده؛ فقال:

ولقد مت غير أني حيٌ يوم بانت بودها خنساء
من بني عامر لها شق نفسي قسمةً مثل ما يشق الرداء
أشربت لون صفرةٍ في بياضٍ وهي في ذاك لدنةٌ غيداء
كل عينٍ ممن يراها من النا س إليها مديمةٌ حولاء
فانتهوا إن للشدائد أهلاً وذروا ما تزين الأهواء
ليت شعري وأبن مني ليتٌ إن ليتاً وإن لوًا عناء
أي ساعٍ سعى ليقطع شربي حين لاحت للصابح الجوزاء
واستظل العصفور كرهاً مع الضب وأوفى في عوده الحرباء
ونفى الجندب الحصا بكراعي ه وأذكت نيرانها المعزاء
من سموم كأنها حر نارٍ سفعتها ظهيرةٌ غراء
وإذا أهل بلدةٍ أنكروني عرفتني الدوية الملساء
عرفت ناقتي الشمائل مني فهي إلا بغامها خرساء
عرفت ليلها الطويل وليلي إن ذا الليل للعيون غطاء
أي ساع سعى ليقطع شربي حين لاحت للصابح الجوزاء
واستكن العصفور كرهاً مع الضب وأوفى في عوده الحرباء
وإذا الدار أهلها أنكروني عرفتني الدوية الملساء
عرفت ناقتي الشمائل مني فهي إل ابغامها خرساء
عرفت ليلها الطويل وليلي إن ذا الليل للعيون غطاء

عروضه من الخفيف. غناه ابن سريج خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وغنى داود بن العباس الهاشمي في الخامس ثم الثالث خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو.

قال ابن حبيب في خبره: وقال أبو زبيد يشوق إلى الوليد لما خرج عن الكوفة:

لعمري لئن أمسى الوليد ببلدةٍ ... سواي لقد أمسيت للدهر معورا

قال ابن حبي: "ويروي سوي لقد" وهي لغة طيء.

خلا أن رزق الله غادٍ ورائحٌ ... وأني له راجٍ وإن سرت أشهرا

وكان هو الحصن الذي ليس مسلمي ... إذا أن ابالنكراء هيجت معشرا

إذا صادفوا دوني الوليد كأنما ... يرون بوادي ذي حماسٍ مزعفرا

خضيب بنان ما يزال براكب ... يخب وضاحي جلده قد تقشرا

وهي طويلة.

حدثني إسحاق بن بنان الأنماطي قال حدثنا حبيش بن مبشر قال حدثنا عبيد الله بن موسى قال حدثنا ابن أبي ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال الوليد بن عقبة لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: أنا أحد منك سناناً، وأبسط منك لساناً، وأملأ للكتيبة طعاناً، فقال له علي رضي الله تعالى عنه: اسكت فإنما أنت فاسق، فنزل القرآن: "أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون" أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن حاتم قال حدثنا يونس بن محمد قال حدثنا شيبان عن قتادة في قوله تعالى: "إن جاءكم فاسقٌ بنبإٍ" قال: هذا ابن أبي معيط الوليد بن عقبة، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق مصدقاً، فلما رأوه أقبلوا نحوه فهابهم؛ فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام فبعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل؛ فانطلق حتى أتاهم ليلاً فبعث عيونه؛ فلما جاؤوه أخبروه بأنهم متمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم؛ فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما يعجبه، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبيد الله بن موسى قال حدثنا نعيم بن حكيم عن أبي مريم عن علي:

أن امرأة الوليد بن عقبة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تشتكي الوليد وقالت: إنه يضربها؛ فقال لها: "ارجعي وقولي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجارني"، فانطلقت فمكثت ساعة، ثم رجعت فقالت: ما أقلع عني؟ فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم هدبةً من ثوبه ثم قال: "امضي بهذا ثم قولي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجارني"؛ فانطلقت فمكثت ساعة ثم رجعت فقالت: يا رسول الله ما زادني إلا ضرباً؛ فرفع يديه وقال: لا اللهم عليك الوليد" مرتين أو ثلاثاً.

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شثة، وحدثني أبو عبيد الصيرفي قال حدثني الفضل بن الحسن البصري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أيوب بن عمر قال حدثنا عمر بن أيوب قال حدثنا جعفر بن برقان عن ثابت بن الحجاج عن أبي موسى عبد الله الهمداني: أن الوليد بن عقبة قال: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسح على رؤوسهم، فجيء بي إليه وأنا مخلق فلم يمسسني، وما منعه إلا أن أمي خلقتني بخلوق فلم يمسسني من أجل الخلوق.

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا خلف بن الوليد قال حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن: أن الوليد بن عقبة كان عنده ساحرٌ يريه كتيبتين تقتتلان، فتحمل إحداهما على الأخرى فتهزمها؛ فقال له الساحر: أيسرك أن أريك هذه المنهزمة تغلب الغالبة فتهزمها؟ قال: نعم؛ وأخبر جندبٌ بذلك، فاشتمل على السيف ثم جاء فقال: أفرجوا، فضربه حتى قتله، ففزع الناس وخرجوا؛ فقال: يا أيها الناس لا عليكم، إنما قتلت هذا الساحر لئلا يفتنكم في دينكم، فحبسه قليلاً ثم تركه.

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عمر بن سعيد الدمشقي، وحدثنا سعيد بن عبد العزيز عن الزهري: أن رجلاً من الأنصار نظر إلى رجل يستعلن بالسحر، فقال: أو إن السحر ليعلن به في دين محمد فقتله؛ فأتي به الوليد بن عقبة فحبسه؛ فقال له دينار بن دينار: فيم حبست؟ فأخبره فخلي سبيله؛ فأرسل الوليد إلى دينار فقتله.

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا حماد بن سلمة قال حدثنا أبو عمران الجوني: أن ساحراً كان عند الوليد بن عقبة، فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرج منه؛ فرآه جندبٌ، فذهب إلى بيته فاشتمل على سيف، فلما دخل الساحر في جوف البقرة، قال: أتأتون السحر وأنتم تبصرون، ثم ضرب وسط البقرة فقطعها وقطع الساحر في البقرة فانذعر الناس، فسجنه الوليد وكتب بذلك إلى عثمان رضي الله عنه؛ وكان السخان يفتح له الباب بالليل فيذهب إلى أهله فإذا أصبح دخل السجن.

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا حجاج بن نصير قال حدثنا قرة عن محمد بن سيرين قال: انطلق بجندب بن كعب إلى سجني خارج من الكوفة وعلى السجن رجلٌ نصراني، فلما رأى جندب بن كعب يصوم النهار ويقوم الليل، قال النصراني: والله إن قوماً هذا شرهم لقوم صدقٍ؛ فوكل بالسجن رجلاً ودخل الكوفة فسأل عن أفضل أهل الكوفة، فقالوا: الأشعث بن قيس فاستضافه، فجعل يرى أبا محمد ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه؛ فخرج من عنده فسأل: أي أهل الكوفة أفضل. فقالوا: جرير بن عبد الله، فوجده ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه، فاستقبل القبلة ثم قال: ربي رب جندب وديني على دين جندب، وأسلم.

حدثني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا الخزاز عن المدائني عن علي بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان عن الزهري وغيره، قالوا:

لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق، نزل رجلٌ فساق بالقوم ورجز، ثم نزل آخر

فساق بالقوم ورجز، ثم بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يواسي أصحابه، فنزل فجعل يقول: "جندبٌ وما جندب والأقطع الخير زيد"؛ فدنا منه أصحابه وقالوا: يا رسول الله ما ينفعنا مشيك مخافة أن تلسعك دابة الأرض أو تصيبك نكبةٌ فركب ودنوا منه فقالوا: لقد قلت قولاً ما ندري ما هو؟ قال: "وما ذاك"؟: قالوا: قولك "جندب وما جندب والأقطع الخير زيد"؛ فقال: "رجلان يكونان في هذه الأمة يضرب أحدهما ضربة يفرق بين الحق والباطل وتقطع يد الآخر في سبيل الله فيتبع الله آخر جسده بأوله"؛ فكان زيد بن صوحان، قطعت يده يوم جلولاء وقتل يوم الجمل مع علي. وأما جندب فإنه رجل دخل على الوليد بن عقبة وعنده ساحرٌ يكنى أبا شيبان يأخذ أعين الناس فيخرج مصارين بطنه ثم يعيدها فيه؛ فجاء من خلفه فقتله، وقال:

العن وليداً وأبا شيبان وابن حبيش راكب الشيطان

رسول فرعون إلى هامان

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثني ابن وهب عن يونس عن الزهري قال: نزع عثمان بن عفان الوليد بن عقبة عن الكوفة وأمر عليها سعيد بن العاص. قال أبو زيد: فحدثني عبد الله بن عبد الرحمن قال حدثنا سعيد بن جامع الهجيمي قال: لما أقبل سعيد من المدينة عامداً للكوفة بعد ما خرج والياً لعثمان جعل يرتجز في طريقه:

ويل نسيات العراق مني كأنني سمعمعٌ من جن

أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثني المدائني عن أبي علقمة عن سعيد بن أشوع قال قال عدي بن حاتم: قدم سعيد بن العاص الكوفة فقال: اغسلوا هذا المنبر، فإن الوليد كان رجساً نجساً؛ فلم يصعده حتى غسل، عيباً على الوليد. وكان الوليد أسن منه وأسخى نفساً وألين جانباً وأرضى عندهم، فقال بعض شعرائهم:

يا ويلنا قد ذهب الوليد وجاءنا من بعده سعيد

ينقص في الصاع ولا يزيد

وقال آخر:

فررت من الوليد إلى سعيدٍ كأهل الحجر إذ جزعوا فباروا

يلينا من قريش كل عام أميرٌ محدثٌ أو مستشار

لنا نارٌ تحرقنا فنخشى وليس لهم فلا يخشون نار

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر قال حدثنا المدائني قال: قدم الوليد بن عقبة الكوفة زائراً للمغيرة بن شعبة، فأتاه أشراف أهل الكوفة يسلمون عليه، فقالوا: والله ما رأينا بعدك مثلك؛ فقال: أخيراً أم شراً؟ فقالوا: بل خيراً؛ قال: ولكني والله ما رأيت بعدكم شراً منكم، فأعادوا الثناء عليه، فقال: بعض ما تثنون به، فوالله إن بغضكم لتلف، وإن حبكم لصلف.

قال أبو زيد: وذكروا أن قبيصة بن جابر كان ممن كثر على الوليدة فقال معاوية يوماً والوليد وقبيصة عنده: يا قبيصة، ما كان شأنك وشأن الوليد. فقال: خيراً يا أمير المؤمنين، في أولٍ وصل الرحم وأحسن الكلام فلا تسألن عن الشكر وحسن الثناء، ثم غضب على الناس وغضبوا عليه وكنا منهم، فإما ظالمون فنستغفر الله، وإما مظلومون فغفر الله له، وخذ في غير هذا يا أمير المؤمنين، فإن الحديث ينسي القديم؛ قال: و لم. فوالله لقد أحسن السيرة وبسط الخير وكف الش؛ قال: فأنت أقدر على ذلك يا أمير المؤمنين منه فافعل؛ قال: اسكت لا سكت، فسكت وسكت القوم؛ فقال له: مالك لا تتحدث؟ قال: نهيتني عما كنت أحب فسكت عما أكره.

أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثني المدائني قال: مات الوليد بن عقبة فويق الرقة، ومات أبو زبيد، فدفنا جميعاً في موضع واحد. فقال في ذلك أشجع السلمي وقد مر بقبريهما:

مررت على عظام أبي زبيدٍ ... وقد لاحت ببلقعةٍ صلود

وكان له الوليد نديم صدقٍ ... فنادم قبره قبر الوليد

وما أدري بمن تبدا المنايا ... بأحمد أو بأشجع أو يزيد

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال:

خرج الوليد بن عقبة غازياً للروم وعلى مقدمته عتبة بن فرقد، فلقيه الروم فقاتلوه ة فقال له رجلٌ من العرب نصرانيٌ: لست على دينكم ولكني أنصحكم للنسب، فالقوم مقاتلوكم إلى نصف النهار، فإن رأوكم ضعفاءً أفنوكم وإن صبرتم هربوا وتركوكم؛ فقال سلمان بن ربيعة: يا معشر المسلمين، ما عذركم عند الله غداً إن أصيب عتبة بن فرقد وأصحابه و لم يعنهم أحدٌ منكم؛ فركب معه ثلاثة آلاف رجل على البغال يجنبون الخيل، فلحقوا عتبة وأصحابه، فقاتلوا معهم قتالاً شديداً حتى هزم الله الروم. فقال الوليد بن عقبة:

أتاني من الفج الذي كنت آمناً ... بقية شذاذٍ من الخيل ظلع

عليها العبيد يضربون جنوبها ... ونازل منا كل خرقٍ سميذع

فإني زعيمٌ أن تصيح نساؤهم ... صياح دجاج المرية المتوزع

وقال الحطيئة يمدح الوليد بذلك، وكان قد وصله وكان الوليد جواداً:

أرى لابن أروى خلتين اصطفاهما ... قتالٌ إذا يلقى العدو ونائله

فتىً يملأ الشيزى ويروى بكفه ... سنان الرديني الأصم وعامله

يؤم العدو حيث كان بجحفلٍ ... يصم السميع جرسه وصواهله

إذا حان منه منزل الليل أو قدت ... لأخراه في أعلى اليفاع أوائله

نفيت الجعاد البيض عن حردارهم ... فلم يبق إلاحيةٌ أنت قاتله

فقال الحليس بن نعيم النهدي يكذب الحطيئة:

وأبلغ أبا وهبٍ إذا ما لقيته فقد حاربتك الروم فيمن تحارب

وفي الأرض حياتٌ وأسدٌ كثيرةٌ عدوٌ ولكن الحطيئة كاذب

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمربن شبة قال حدثنا علي بن محمد عن أبي مخنف عن خالد بن قطن عن أبيه قال: لما قتل عثمان أرسل علي فأخذ كل ما كان في داره من السلاح وإبلاً من إبل الصدقة، فلذلك قال الوليد بن عقبة:

بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم ولا تنهبوه لا تحل مناهبه

و يروى:

ولا تهبوه لا تحل مواهبه

بني هاشم كيف الهوادة بيننا وعند علي سيفه ونجائبه

قتلتم أخي كيما تكونوا مكانه كما فعلت يوماً بكسرى مرازبه

هكذا في الخبر:

ولا تهبوه لا تحل مواهبه

أخبرني الطوسي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن إسحاق الجعفري: أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط لقي بجاداً مولى عثمان، فأخبره أن عثمان قد قتل؛ فقال:

ليت أني هلكت قبل حديثٍ سل جسمي وريع منه فؤادي

يوم لاقيت بالبلاط بجاداً ليت أني هلكت قبل بجاد

وقد زيد في هذا الشعر بيتٌ ونقص منه آخر مكانه وغني فيه، وهو:

طال ليلي وملني عوادي وتجافى عن الضلوع مهادي

من حديثٍ نمي إلي فما ير قأ دمعي ولا أحس رقادي

يوم لاقيت بالبلاط بجاداً ليت أني هلكت قبل بجاد

وبنفسي التي أحب وأهلي وبمالي وطارفي وتلادي

قلت لاتغضبي فذلك قولي بلساني وما يجن فؤادي

غنى فيه ابن عباد ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر في الأول والرابع من الأبيات، وذكر عمرو بن بانة أنه لابن محرز، ومن الناس من ينسبه إلى ابن سريج في هذه الطريقة في الأول والثاني، وذكر ابن المكي أنه للغريض ثاني فيل بالخنصر في مجرى البنصر، ووافقه يونس. وذكر أن في هذا الشعر لابن سريج والغريض لحنين في الخمسة

الأبيات. وذكر حبش أن فيها لمعبد ثقيلاً أول بالوسطى، ولعبد الله بن العباس الربيعي ثاني قيلٍ بالوسطى، وللغريض خفيف رمل بالوسطى، ولسليم ثقيلٌ أول بالوسطى. وذكر أحمد بن عبيد أن فيه رملاً لابن جامع في البيت الأول وحده، وأن فيه هزجاً لا يعرف صانعه.

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني أبي قال:

أرسل إلي محمد بن زبيدة في ليلةٍ من ليالي الصيف مقمرة: يا عم إن الجرب بيني وبين طاهر بن الحسين قد سكنت، فصر إلي فإني إليك مشتاقٌ؛ فجئته وقد بسط له على سطح زبيدة، وعنده سليمان بن جعفر عليه كساءٌ روذباري وقلنسوةٌ طويلة، وجواريه بين يديه، وضعف جاريته عنده، فقال لها: غنيني فقد سررت بعمومتي؛ فاندفعت تغنيه:

هم قتلوه كي يكونوا مكانه ... كما فعلت يوماً بكسرى مرازبه

بني هاشم كيف التواصل بيننا ... وعند أخيه سيفه ونجائبه

هكذا غنت؛ وإنما هو:

وعند علي سيفه ونجائبه

فغضب وتطير وقال لها: ما قصتك ويحك انثني وانتهي وغنيني ما يسرني فأندفعت وغنت:

هذا مقام مطردٍ ... هدمت منازله ودوره

فازداد تطيراً، ثم قال لها: ويحك انتهي، غنيني غير هذا، فغنت:

كليبٌ لعمري كان أكثر ناصراً ... وأيسر جرماً منك ضرج بالدم

فقال لها: قومي إلى لعنة الله فوثبت وكان بين يديه قدح بلور وكان لحبه إياه سماه باسمه محمدا، فأصابه طرف ذيلها فسقط على بعض الصواني فأنكسر وتفتت؛ فأقبل علي وقال: أرى والله يا عم أن هذا آخر أيامنا؛ فقلت: كلا بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك؛ قال: ودجلة والله يا بني هادئة ما فيها صوت مجداف ولا أحدٌ يتحرك وهي كالطست هادئة، فسمعت هاتفاً يهتف: "قضي الأمر الذي فيه تستفتيان". قال: فقال لي: أسمعت ما سمعت يا عم؟ فقلت: وما هو؟ وقد والله سمعته - فقال: الصوت الذي جاء الساعة من دجلة؛ فقلت: ما سمعت شيئاً، وما هذا إلا توهم؛ فإذا الصوت قد عاد يقول: "قضي الأمر الني فيه تستفتيان". فقال: انصرف يا عم بيتك الله بخير، فمحالٌ ألا تكون الآن قد سمعت ما سمعت؛ فانصرفت، وكان آخر العهد به أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ومحمد بن يحيى الصولي واللفظ له، قالا حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد عن أبيه، قال محمد: وحدثنا عبد الله بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن جميعاً عن مطرف بن عبد الله عن عيسى بن يزيد، قال: وفد الوليد بن عقبة، وكان جواداً، على معاوية، فقيل له: هذا الوليد بن عقبة بالباب؛ فقال: والله ليرجعن معطياً غير معطىً، فإنه الآن قد أتانا يقول: علي دين وعلي كذا وكذا؛ يا غلام ائذن

له، فأذن له؛ فسأله وتحدث معه، ثم قال: أما والله إن كنا لنحب إيثار مالك بالوادي وقد أعجب أمير المؤمنين، فإن رأيت أن تهبه ليزيد فعلت؛ فقال الوليد: هو ليزيد، ثم خرج وجعل يختلف إلى معاوية أياماً، فقال له يوماً: انظر يا أمير المؤمنين في شأني، فإن علي مؤونة وقد أرهقني دين؛ فقال له معاوية: ألا تستحي لحسبك ونسبك تأخذ ما تأخذ فتبذره ثم لا تنفك تشكو ديناً، فقال له الوليد: أفعل، ثم انطلق مكانه فصار إلى الجزيرة، فقال:

فإذا سئلت تقول لا ... وإذا سألت تقول هات
تأبى فعال الخير لا ... تروي وأنت على الفرات
أفلا تميل إلى نعم ... أو ترك لا حتى الممات

قال: فبلغ معاوية مقدمه الجزيرة، فخافه وكتب إليه: أن أقبل إلي؛ فكتب إليه:

أعف وأستحيي كما قد أمرتني ... فأعط سواي ما بدا لك وانحل
سأحدو ركابي عنك إن عزيمتي ... إذا نابني أمر كسلة منصل
وإني امرؤ للرأي مني تطرفٌ ... وليس شبا قفلٍ علي بمقفل

ورحل إلى الحجاز، فبعث إليه معاوية بجائزة .

انقضت أخبار الوليد بن عقبة.

ربما نبهني الإخ ... وان والليل بهيم
حين غارت وتدلت ... في مهاويها النجوم
ونعاس الليل في عي ... ني كالثاوي مقيم
للتي تعصر لما ... أينعت منها الكروم
أنا بالري مقيمٌ ... في قرى الري أهيم
ما أراني عن قرى الري مدى دهري أريم

الشعر والغناء لإبراهيم الموصلي. ولحنه المختار ثقيلٌ أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. ولإبراهيم أيضاً فيه خفيف ثقيل، وقيل: إنه لابنه إسحاق. وفيه لأحمد بن يحيى المكي ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي وأحمد بن عبيد.

نسب إبراهيم الموصلي وأخباره

هو فيما أخبرنا به يحيى بن علي بن يحيى المنجم عن حماد عن أبيه، وأخبرني به عبد الله بن الربيع عن وسواسة، وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي عن أبيه عن جده وعن حماد عن أبيه - إبراهيم بن ميمون أو ابن ماهان بن بهمن بن نسك، وكان سبب نسبه إلى ميمون أنه كتب إلى صديق له فعنون كتابه: من إبراهيم بن ماهان؛ فقال له بعض فتيان الكوفة: أما تستحي من هذا الاسم فقال: هو اسم أبي؛ فقال: غيره؛ فقال: وكيف أغير فأخذ الكتاب فمحا ماهان وكتب ميمون، فتقي إبراهيم بن ميمون.

قال إسحاق عن أبيه: وأصلنا من فارس، ولنا بيت شريفٌ في العجم، وكان جدنا ميمون هرب من جور بعض عمال بني أمية، فنزل بالكوفة في بني عبد الله بن دارم، فكان بين إبراهيم وبين ولد نضلة بن نعيم رضاع. وأم إبراهيم امرأةٌ من بنات الدهاقين الذين هربوا من فارس لما هرب ميمون أبو إبراهيم، فنزلوا جميعاً بالكوفة في بني عبد الله بن دارم، فتزوجها ماهان بالكوفة فولدت إبراهيم ومات في الطاعون الجارف، وخلف إبراهيم طفلاً.

وكان مولد إبراهيم سنة خمس وعشرين ومائة بالكوفة، وتوفي ببغداد سنة ثمانٍ وثمانين ومائة، وله ثلاث وستون سنة.

قال أحمد بن أحمد بن إسماعيل وسواسة في خبره: ومات ماهان وخلف إبراهيم طفلاً، فكفله آل زيمة بن خازم. وقال يحيى بن علي في خبره: إنه كان لإبراهيم لما مات أبوه سنتان أو ثلاث، وخلف معه أخوين له من غير أمه كبر منه، فأقام إبراهيم مع أمه وأخواله حتى ترعرع، فكان مع ولد خزيمة بن خازم في الكتاب، فبهذا السبب صار ولاؤه لبني تميم. وسأله الرشيد فقال: ما السبب بينك وبين بني تميم. فآقتص عليه قصته، وقال: ربونا يا أمير المؤمنين فأحسنوا تربيتنا، ونشأت فيهم وكان بيننا رضاعٌ، فتولونا بهذا السبب؛ فقال له الرشيد: ويحك فما أراك إذا إلا مولاي؛ فقال: فهذه والله قضتي يا أمير المؤمنين.

قال يحيى بن علي في خبره: وكان سبب قولهم إبراهيم الموصلي أنه لما نشأ واشتد، وأدرك، صحب الفتيان واشتهى الغناء طلبه، واشتد أخواله عليه في ذلك وبلغوا منه، فهرب منهم إلى الموصل، فأقام بها نحواً من سنة، فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانه من الفتيان: مرحباً بالفتى الموصلي، فلقب به. وقال أحمد في خبره: إن سبب طلبه الغناء أنه خرج إلى الموصل، فصحب جماعةً من الصعاليك كانوا يصيبون الطريق ويصيبه معهم، ويجمعون ما يفيدونه فيقصفون ويشربون ويغنون، فتعلم منهم شيئاً من الغناء وشدا، فكان أطيبهم وأحذقهم، فلما أحس بذلك من نفسه اشتهى الغناء وطلبه وسافر إلى المواضع البعيدة فيه. وذكر ابن خرداذبه وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمنه كتبه - أن سبب نسبته إلى الموصل أنه كان إذا سكر، كثيراً ما يغني على سبيل الولع:

أناجت من طرق موصل ... أحمل قلل خمريا

من شارب الملوك فلا ... بد من سكريا

وما سمعت بهذه الحكاية إلا عنه، وإنما ذكرتها على غثاثتها لشهرتها عند الناس، وأنها عندهم كالصحيح من الرواية في نسبة إبراهيم إلى الموصل، فذكرته دالاً على عواره.

أخبرني الحسين بن يحيى المرداسي وابن أبي الأزهر قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: أسلم أبي إلى الكتاب فكان لا يتعلم شيئاً، ولا يزال يضرب ويحبس ولا ينجع ذلك فيه، فهرب إلى الموصل وهناك تعلم الغناء، ثم صار إلى الري وتعلم بها أيضاً، ومهر وتزوج هناك امرأته دوشار - وتفسير هذا الاسم أسدان وطال مقامه هناك، وأخذ الغناء الفارسي والعربي، وتزوج بها أيضاً شاهك أم إسحاق ابنه وسائر ولده. قال: وفي دوشار هذه يقول إبراهيم، وله فيه غناء من الهزج:

دوشار يا سيدتي ... يا غايتي ومنيتي

ويا سروري من جمي ... ع الناس ردي سنتي

قال إسحاق وحدثني أبي قال: أول شيء أعطيته بالغناء أني كنت بالري أنادم أهلها بالسوية لا أرزؤهم شيئاً، ولا أنفق إلا من بقية مالٍ كان معي وانصرفت به من الموصل؛ فمر بنا خادم أنفذه أبو جعفر المنصور إلى بعض عماله برسالة، فسمعني عند رجل من أهل الري، فشغف بي وخلع علي دواج سمور، له قيمة، ومضى بالرسالة ورجع وقد وصله العامل بسبعة الاف درهم وكساه كسوةً كثيرة، فجاءني إلى منزلي الذي كنت أسكنه فأقام عندي ثلاثة أيام، ووهب لي نصف الكسوة التي معه وألفي درهم، فكان ذلك أول ما اكتسبته بالغناء، فضلت: والله لا أنفق هذه الدراهم إلا على الصناعة التي أفادتنيها، ووصف لي رجل بالأبلة يقال له جوانويه كان حاذقاً، فخرجت إليه وصحبت فتيانها، فأخذت عنهم وغنيتهم فشغفوا بي.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن جده قال: لما أتيت جوانويه لم أصادفه في منزله، فانتظرته حتى جاء، فلما رآني احتشمني وكان مجوسياً، فأخبرته بصناعتي والحال التي قصدته فيها، فرحب بي وأفرد لي جناحاً في داره، ووكل بي أخته، فقدمت إلي ما أحتاج إليه؛ فلما كان العشي عاد إلى منزله ومعه جماعةٌ من الفرس ممن يغني، فنزلت إليه، فجلسنا في مجلس قد صفي لنا فيه نبيذٌ وأعدت لنا فاكهة ورياحين، فجلسنا وأخذوا في شأنهم وضربوا وغنوا، فلم أجد عند أحدٍ منهم فائدةً؛ وبلغت النوبة إلي، فضربت وغنيت، فقاموا كلهم إلي وقبلوا رأسي، وقالوا: سخرت منا، نحن إلى تعليمك لنا أحوج منك إلينا، فأقمت على تلك الحال أياماً، حتى بلغ محمد بن سليمان بن علي خبري، فوجه إلي فأحضرني وأمرني بملازمته، فقلت له: أيها الأمير، إن لست أتكسب بالغناء وإنما ألتذه فلذلك تعلمته، وأريد العود إلى الكوفة، فلم أنتفع بذلك عنده وأخذني بملازمته، وسألني: من أين أنا؟ فانتسبت إلى الموصل، فلزمتني وعرفت بها؛ و لم أزل عنده أثيراً مكرماً حتى قدم عليه خادم من خدم المهدي، فلما راني عنده قال له: أمير المؤمنين أحوج إلى هذا منك، فدافعه عني، فلما قدم الرسول على المهدي سأله عما رأى في طريقه ومقصده، فأخبره بذلك حتى انتهى إلى ذكري فوصفني له؛ فأمره المهدي بالرجوع إلى محمد

وإشخاصي إليه، ففعل ذلك وجاء فأشخصني إلى المهدي، فحظيت عنده وقدمني.
قال وسواسة في خبره عن إسحاق فحدثني أبي قال: كان أول هاشمي صحبته علي بن سليمان بن علي أخو جعفر ومحمد، وكان فتاهم ظرفاً ولهواً وسماحةً، ووصفني له جوانويه ومضى بي إليه، فوقعت من قلبه كل موقع. وأول خليفة سمعني المهدي، وصفت له فأخذني من علي بن سليمان، وما سمع قبلي من المغنين أحداً سوى فليح بن أبي العوراء وسياط، فإن الفضل بن الربيع وصلهما به.
فال إسحاق: فحدثني أبي قال: كان المهدي لا يشرب فأرادني على ملازمته وترك الشرب فأبيت عليه، وكنت أغيب عنه الأيام، فإذا جئته جئته منتشياً، فغاظه ذلك مني فضربني وحبسني، فحذقت الكتابة والقراءة في الحبس، ثم دعاني يوماً فعاتبني على شربي في منازل الناس والتبذل معهم، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنما تعلمت هذه الصناعة للذتي وعشرتي إخواني، ولو أمكنني تركها لتركتها وجميع ما أنا فيه لله جل وعز، فغضب غضباً شديداً وقال: لا تدخل على موسى وهارون البتة، فوالله لئن دخلت عليهما لأفعلن ولأصنعن؛ فقلت: نعم، ثم بلغه أني دخلت عليهما وشربت معهما، وكانا مستهترين بالنبيذ، فضربني ثلثمائة سوط، وقيدني وحبسني.

قال أحمد بن إسماعيل في خبره قال عمي إسحاق فحدثني أبي: أنه كان معهما في نزهة لهما ومعهم أبان الخادم، فسعى بهما وبي إلى المهدي وحدثه بما كنا فيه، فدعاني فسألني فأنكرت، فأمر بي فجردت فضربت ثلثمائة وستين سوطاً؛ فقلت له وهو يضربني: إن جرمي ليس من الأجرام التي يحل لك بها سفك دمي، والله لو كان سر ابنيك تحت قدمي ما رفعتهما عنه ولو قطعتا، ولو فعلت ذلك لكنت في حالة أبان الساعي العبد؛ فلما قلت له هذا ضربني بالسيف في جفنه فشجني به، وسقطت مغشياً علي ساعةً، ثم فتحت عيني فوقعتا على عيني المهدي، فرأيتهما عيني نادم وقال لعبد الله بن مالك: خذه إليك. قال: وقبل ذلك ما تناول عبد الله بن مالك السوط من يد سلام الأبرش فضربني، فكان ضرب عبد الله عندي بعد ضرب سلام عافيةً، ثم أخرجني عبد الله إلى داره وأنا أرى الدنيا في عيني صفراء وخضراء وحمراء من حر السوط، وأمره أن يتخذ لي شبيهاً بالقبر فيصيرني فيه؛ فدعا عبد الله بكبش فذبح وسلخ وألبسني جللى ليسكن الضرب، ودفعني إلى خادم له يمال له أبو عثمان سعيد التركي فصيرني في ذلك القبر، ووكل بي جاريةً له يقال لها جشه؛ فتأذيت يتركان في ذلك القبر وبالبق، وكان فيه حليٌ أستريح إليه، فقلت لجشة: اطلبي لي آجرة عليها فحم وكندر يذهب عني هذا البق، فأتتني بذلك، فلما دخنت أظلم القبر علي وكادت نفسي تخرج من الغم، فاسترحت من أذاه إلى التر فألصقت به أنفي حتى خف الدخان، فلما ظننت أني قد استرحت مما كنت فيه، إذا حيتان مقبلتان نحوي من شق القبر تدوران حولي بحفيفٍ شديدٍ، فهممت أن آخذ واحدة بيدي اليمنى والأخرى بيدي اليسرى فإما علي وإما لي، ثم كفيتهما، فدخلتا من الثقب الذي خرجتا منه، فمكثت في ذلك القبر ما شاء الله، ثم أخرجت منه؛ ووجهت إلى أبي عثمان الخادم أسأله أن يبيعني جشة لأكافئها عما أولتني ففعل، فزوجتها من حاجبٍ لي، و لم تزل عندنا. قال إسحاق: مكثت عندنا

حتى ماتت، وبقيت بنت لها يقال لها جمعة، فزوجتها من مولىً لي في سنة أربع وثلاثين ومائتين.

قال إبراهيم: وقلت في الحبس وأنا مقيداً:

ألا طال ليلي أراعي النجوم ... أعالج في الساق كبلاً ثقيلا

بدار الهوان وشر الديار ... أسام بها الخسف صبراً جميلا

كثير الأخلاء عند الرخاء ... فلما حبست أراهم قليلا

لطول بلائي مل الصديق ... فلا يأمنن خليلٌ خليلا

قال: ثم أخرجني المهدي وأحلفني بالطلاق والعتاق وكل يمين لا فسحة لي فيها ألا أدخل على ابنيه موسى وهارون أبداً ولا أغنيهما، وخلى سبيلي. قال: وصنعت، في الحبس لحناً في شعر أبي العتاهية لما حبسه المهدي بسبب عتبة، وهو:

أيا ويح قلبي من نجي البلابل ... ويا ويح ساقي من قروح السلاسل

وياويح نفسي ويحها ثم ويحها ... ألم تنح يوماً من شباك الحبائل

ويا ويح عيني قد أضربها البكا ... فلم يغن عنها طب ما في المكاحل

ذريني أعلل نفسي اليوم إنها ... رهينة رمسٍ في ثرىً وجنادل

ذريني أعلل بالشراب فقد أرى ... بقية عيشي هذه غير طائل

الشعر لأبي العتاهية، وذكر حماد أنه لجده إبراهيم. والغناء لإبراهيم رملٌ بالوسطى في الثلاثة الأبيات الاول، وله في البيتين الأخيرين ثقيل أول بالوسطى.

قال حماد: فلما ولي موسى الهادي الخلافة استتر جدي منه و لم يظهر له بسبب الأيمان التي حلفه بها المهدي، فكانت منازلنا تكبس في كل وقت وأهلنا يروعون بطلبه حتى أصابوه فمضوا به إليه، فلما عاينه قال: يا سيمي، فارقت أم ولدي وأعز خلق الله علي، ثم غناه لحنه في شعره:

يابن خير الملوك لا تتركني ... غرضاً للعدو يرمي حيالي

فلقد في هواك فارقت أهلي ... ثم عرضت مهجتي للزوال

ولقد عفت في هواك حياتي ... وتغربت بين أهلي ومالي

الشعر والغناء لإبراهيم خفيف رملٍ بالوسطى. قال إسحاق: فموله والله الهادي وخوله، وبحسبك أنه أخذ منه في يوم واحد مائةً وخمسين ألف دينار، ولو عاش لنا لبنينا حيطان دورنا بالذهب والفضة.

قال حماد قال لي أبي: نظرت إلى ما صار إلى جدك من الأموال والغلات وثمن ما باع من جواريه، فوجدته أربعة

وعشرين ألف ألف درهم سوى أرزاقه الجارية، وهي عشرة آلاف درهم في كل شهر، وسوى غلات ضياعه، وسوى الصلات الترة التي لم يحفظها، ولا والله ما رأيت أكمل مروءةً منه، كان له طعامٌ معد في كل وقت؛ فقلت لأبي: أكان يمكنه ذلك؟ فقال: كان له في كل يوم ثلاث شياهٍ: واحدةٌ مقطعةٌ في القدور، وأخرى مسلوخة ومعلقة، وأخرى حية، فإذا أتاه قومٌ طعموا ما في القدور، فإذا فرغت قطعت الشاة المعلقة ونصبت القدور وذبحت الحية فعلقت وأتي بأخرى فجعلت وهي حية في المطبخ، وكانت وظيفته لطعامه وطيبه وما يتخذ له في كل شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما كان يجري وسوى كسوته؛ ولقد اتفق عندنا مرة من الجواري الودائع لإخوانه ثمانون جارية، ما منهن واحدة إلا ويجري عليها من الطعام والكسوة والطيب مثل ما يجري لأخص جواريه، فإذا ردت الواحدة منهن إلى مولاها وصلها وكساها، ومات وما في ملكه إلا ثلاثة آلاف دينار، وعليه من الدين سبعمائة دينار قضيت منها.

أخبرني محمد بن خلف وكيع ويحيى بن علي بن يحيى وابن المرزبان قالوا أخبرنا حماد بن إسحاق قال: كان أبي يحدث أن الرشيد اشترى من جدي جاريةً بستة وثلاثين ألف دينار، فأقامت عنده ليلةً، ثم أرسل إلى الفضل بن الربيع: إنا أشترينا هذه الجارية من إبراهيم، ونحن نحسب أنها من بابتنا وليست كما ظننتها، وما قربتها، وقد ثقل علي الثمن وبينك وبينه ما بينكما، فاذهب إليه فسله أن يحطنا من ثمنها ستة الاف دينار؛ قال: فصار الفضل إليه فاستأذن عليه فخرج جدي فتلقاه؛ فقال: دعني من هذه الكرامة التي لا مؤنة بيننا فيها، لست ممن يخدع، وقد جئتك في أمر أصدقك عنه، ثم أخبره الخبر كله؛ فقال له إبراهيم: إنه أراد أن يبلو قدرك عندي؛ قال: ذاك أراد قال: فمالي كله صدقة في المساكين إن لم أضعفه لك، قد حططتك آثني عشر ألف دينار؛ فرجع الفضل إليه بالخبر، فقال: ويلك ادفع إلى هذا ماله، فما رأيت سوقةً قط أنبل نفساً منه. قال أبي: وكنت قد أتيت جدك فقلت: ما كان لحطيطة هذا المال معنى وما هو بقليل، فتغافل عني وقال: أنت أحمق، أنا أعرف الناس به، والله لو أخذت المال منه كملاً ما أخذته إلا وهو كاره، ويحقد ذلك علي وكنت أكون عنده صغير القدر، وقد مننت عليه وعلى الفضل، انبسطت نفسه ونشط وعظم قدري عنده، وإنما اشتريت الجارية بأربعين ألف درهم، وقد أخذت بها أربعة وعشرين ألف دينار، فلما حمل المال إليه بلا حطيطة دعاني فقال لي: كيف رأيت يا إسحاق من البصير أنا أم أنت؟ فقلت: بل أنت جعلني الله فداءك.

حدثني وكيع قال حدثنا حماد قال حدثني أبي قال: لقي الفضل بن يحيى أبي وهو خارج من عند الفضل بن الربيع، وكانا متجاورين في الشماسية، فقال: من أين يا أبا إسحاق؟ أمن عند الفضل بن الربيع؟ قلت: نعم، غير معتذرٍ من ذلك، فقال: خروج من عند الفضل بن الربيع إلى الفضل بن يحيى هذان والله أمران لا يجتمعان لك فقال: والله لئن لم يكن في ما يتسع لكما حتى يكون الوفاء لكما جميعاً وأحداً ما في خيرٌ، والله لا أترك واحداً منكما لصاحبه، فمن قبلني على هذا قبلني، ومن لم يقبلني فهو أعلم، فقال له الفضل بن يحيى: أنت عندي غير متهم، والأمر كما قلت، وقد قبلتك على ذلك.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال حدثني أبي: أن الرشيد غضب عليه فقيده وحبسه بالرقة، ثم جلس للشرب يوماً في مجلس قد زينه وحسنه، فقال لعيسى بن جعفر: هل لمجلسنا عيبٌ؟ قال: نعم، غيبة إبراهيم الموصلي عنه؛ فأمر بإحضاري فأحضرت في قيودي، ففكت عني بين يديه، وأمرهم فناولوني عوداً وقال: غنني يا إبراهيم؛ فغنيته:

تضوع مسكاً بطن نعمان أن مشت ... به زينبٌ في نسوة خفرات

فاستعاده وشرب وطرب، وقال: هنأتني يومي وسأهنئك بالصلة، وقد وهبت لك الهنيء والمريء؛ فانصرفت، فلما أصبحت عوضت منهما مائتي ألف لدرهم.

تضوع مسكاً بطن نعمان أن مشت ... به زينبٌ في نسوةٍ خفرات

مررن بفخ رائحاتٍ عشيةً ... يلبين للرحمن معتمرات

يخمرن أطراف البنان من التقي ... ويقتلن بالألحاظ مقتدرات

ولما رأت ركب النميري أعرضت ... وكن من أن يلقينه حذرات

الشعر للنميري الثقفي. والغناء لا بن سريج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ويحيى المكي وعمرو بن بانة. وذكر حبشٌ أن فيه لعزة الميلاء لحناً من الثقيل الأول.

أخبرني محمد بن مزيد وأحمد بن جعفر جحظة قالا حدثنا حماد بن إسحاق قال، وأخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد جميعاً عن إسحاق عن أبيه قال: رأيت يحيى بن خالد خارجاً من قصره الذي عند باب الشماسية يريد قصره الذي بباب البردان وهو يتمثل:

هوى بتهامةٍ وهوىً بنجدٍ ... فأبلتني التهائم والنجود

قال أبي: فزدته عليه:

أقيم بذا وأذكر عهد هذا ... فلي ما بين ذين هوىً جديد

قال: وصنعت فيه لحناً قال الصولي في خبره: وهو من خفيف الثقيل ثم صرت إليه فغنيته إياه؛ فأمر لي بألف دينار وبدابته التي كانت تحته يومئذ بسرجها ولجامها؛ فقلت له: جزاك الله من سيد خيراً، فإنك تأتي الأنفس وهي شوارد فتقزها، والأهواء وهي سقيمة فتصحها؛ فأمر لي بألف دينار أخرى.

قال إبراهيم: ثم ضرب الدهر من ضربه، فبينا أنا أسير معه إذ لقيه العباس بن الأحنف، وكان ساخطاً عليه لشيء بلغه عنه، فترجل له وأنشده:

بالله يا غضبان آل رضيت ... أذاكرٌ للعهد أم قد نسيت

فقال: بل ذاكرٌ يا أبا الفضل؛ فأضفت إلى هذا البيت:

لو كنت أبغي غير ما تشتهي دعوت أن تبلى كما قد بليت

وصنعت فيه لحناً قال الصولي في خبره: هو ثقيل أول قال: وغنيته به، فأمر لي بألفي دينار وضحك؛ فقلت: من أي شيء تضحك يا سيدي؟ لا زلت ضاحكاً مسروراً فقال: ذكرت ما جرى في الصوت الأول وأنه كان مع الجائزة دابةٌ بسرجه ولجامه، ولن تنصرف الليلة إلا على مثله، فقمت فقبلت يده؛ فأمر لي بألفي دينار آخرين، وقال: تلك الكرة شكرت على الجائزة بكلام فزدناك، والآن شكرت بفعل أوجب الزيادة، ولولا أني مضيقٌ في هذا الوقت لضاعفتها، ولكن الدرهر بيننا مستأنفٌ جديد.

حدثني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال: لما نزل الرشيد في طريقه إلى طوس بشنداز جلس يشرب عنده، فكان إبراهيم الموصلي أول من غناه، فايتدأ بهذا الصوت، والشعر له:

رأيت الدين والدنيا مقيمين بشنداز

أقاما بين حجاجٍ وغازٍ أيما غاز

وهو من الثقيل الأول فأمر له بألف دينار، ولم يستحسن الشعر، وقال له: يا إبراهيم صنعتك فيه أحسن من شعرك؛ فخجل وقال: يا سيدي شغل خاطري الغناء فقلت لوقتي ما حضرني؛ فضحك الرشيد من قوله وقال له: صدقت.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: كان جدك محباً للأشراف كثير الأصدقاء منه، حتى إن كان الرشيد لتقول كثيراً: ما أعرف أحداً أكثر أصدقاء من إبراهيم.

قال إسحاق: وما سمعت أحسن غناء من أربعة: أبي، وحكم الوادي، وفليح ابن أبي العوراء، وسياط؛ فقلت له: وما بلغ من حذقهم؟ قال: كانوا يصنعون فيحسنون، ويؤدون غناء غيرهم فيحسنون؛ فقلت: فأيهم كان أحذق؟ قال: كانوا بمنزلة خطيبٍ أو كاتب أو شاعر يحسن صناعته، فإذا انتقل عنها إلى غيرها لم يبلغ منها ما يبلغ من صناعته، وكان جدك كرجل مفوه، إن خطب أجزل، وإن كتب رسالة أحسن، وإن قال شعراً أحسن، ولم يكن فيهم مثله.

أخبرني الحسين بن يحيى فال حدثنا حماد عن أبيه، وأخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه، وأخبرني إسماعيل بن يونس عن عمر بن شبة جميعاً عن إسحاق قال: لم يكن الناس يعلمون الجارية الحسناء الغناء، وإنما كانوا يعلمونه الصفر والسود، وأول من علم الجواري المثمنات أبي، فإنه بلغ بالقيان كل مبلغ، ورفع من أقدارهن. وفيه يقول أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة المهلبي وقد كان هوي جاريةً يقال لها أمان فأغلى بها مولاها السوم، وجعل يرددها إلى إبراهيم وإسحاق ابنة فتأخذ عنهما، فكلما زادت في الغناء زاد في سومه، فقال أبو عيينة:

قلت لما رأيت مولى أمانٍ قد طغى سومه بها طغيانا

لا جزى الله الموصلي أبا إس حاق عنا خيراً ولا إحسانا

جاءنا مرسلا بوحيٍ من الشي ... طان أغلى به علينا القيانا

من غناءٍ كأنه سكرات ال ... حب يصبي القلوب والآذانا

وقال فيه ابن سيابة:

ما لإبراهيم في العل ... م بهذا الشأن ثاني

إنما عمر أبي إس ... حاق زينٌ للزمان

جنة الدنيا أبو إس ... حاق في كل مكان

فإذا غنى أبو إسحا ... ق أجابته المثاني

منه يجنى ثمر الله ... و وريحان الجنان

لإبراهيم في هذا الشعر لحنان: خفيف ثقيل بالبنصر، وخفيف رمل بالوسطى عن عمرو والهشامي.

أخبرني عمي عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي دعامة قال: كان سلم الخاسر عند أبي العتاهية، فأخبره سلم أن الرشيد حبس إبراهيم الموصلي في المطبق؛ فأقبل عليه أبو العتاهية فقال:

سلم يا سلم ليس دونك ستر ... حبس الموصلي فالعيش مر

ما استطاب اللذات مذ سكن المط ... بق رأس اللذات في الناس حر

ترك الموصلي من خلق الله ... جميعاً وعيشهم مقشعر

حبس اللهو والسرور فما في ... الأرض شيءٌ يلهى به أو يسر

وأنشدني بعض أصحابنا عن ابن المرزبان عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن أبي فنن لأبي العتاهية يخاطب إبراهيم الموصلي لما حبس:

أيا غمي لغمك يا خليلي ... ويا ويلي عليك ويا عويلي

يعز علي أنك لا تراني ... وأني لا أراك ولا رسولي

وأنك في محل أذى وضنكٍ ... وليس إلى لقائك من سبيل

وأني لست أملك عنك دفعاً ... وقد فوجئت بالخطب الجليل

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن عمر قال حدثني أبو توبة صالح بن محمد عن القطراني المغني عن محمد بن جبر، وكان المهدي رباه، قال حدثني إبراهيم بن المهدي قال: انصرفت ليلةً من الشماسية فمررت بدار إبراهيم الموصلي، وإذا هو في روشن له وقد صنع لحنه:

أل ارب ندمانٍ علي دموعه تفيض على الخدين سحاً سجومها

وهو يعيده ويلعب به بنغمه ويكرره لتستوي له أجزاؤه، وجواريه يضربن عليه، فوقفت تحت الروشن حتى أخذته ثم انصرفت إلى مترلي، فما زلت أعيده حتى بلغت فيه الغاية، وأصبحت فغدوت إلى الشماسية واجتمعنا عند الرشيد، فاندفع إبراهيم فغناه أول شيء غنى، فلما سمعه الرشيد طرب واستحسنه وشرب عليه، ثم قال له: لمن هذا يا إبراهيم؟ قال: لي يا سيدي، صنعته البارحة، فقلت: كذب يا أمير المؤمنين، هذا الصوت قديمٌ وأنا أغنيه؛ فقال لي: غنه يا حبيبي، فغنيته كما غناه؛ فبهت إبراهيم وغضب الرشيد، وقال له: يابن الفاجرة أتكذبني وتدعي ما ليس لك. قال: فظل إبراهيم بأسوأ حال، فلما صليت العصر قلت للرشيد: يا أمير المؤمنين، الصوت وحياتك له وما كذب، ولكني مررت به البارحة وهو يردده على جارية له فوقفت حتى دار لي واستوى فأخذته منه؛ فدعا به الرشيد ورضي عنه، وأمر له بخمسة آلاف دينار.

ألا رب ندمانٍ علي دموعه تفيض على الخذين سحاً سجومها

حليمٌ إذا ما الكأس دارت وهرها رجالٌ لديها قد تخف حلومها

الغناء لإبراهيم رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبي عن طياب بن إبراهيم الموصلي قال: كان إبراهيم بن المهدي يقدم ابن جامع ولا يفضل عليه أحداً، فأخبرني إبراهيم بن المهدي قال: كنا في مجلس الرشيد وقد غلب النبيذ على ابن جامع، فغنى صوتاً فأخطأ في أقسامه؛ فالتفت إلي إبراهيم فقال: قد خرى قد خرى أستاذك فيه وفهمت صدقه فيما قال؛ قال: فقلت له: انتبه أيها الشيخ وأعد الصوت، ففطن وأعاده وتحفظ فيه وأصاب؛ فغضب إبراهيم وأقبل علي فقال:

اعلمه الرماية كل يومٍ فلما استد ساعده رماني

وتنكر لي وحلف الأ يكلمني؛ فقلت للرشيد بعد أيام: إن لي حاجة؛ قال: وما هي. قلت: تأمر إبراهيم الموصلي أن يرضى عني ويعود إلى ما كان عليه؛ فقال: ومن إبراهيم حتى يطلب رضاه فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الذي اريده منه لا ينال إلا برضاه؛ فقال: قم إليه يا إبراهيم فقبل رأسه؛ فقام إلي ليقبل رأسي،، فلما أكب علي قال: تعود؟ قلت: لا؛ قال: قد رضيت عنك رضاً صحيحاً، وعاد إلى ما كان عليه.

أخبرني أبو الحسن أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى قال: سمعت جدي علياً يحدث عن إسحاق قال: قال أبي: خرجت مع الرشيد إلى الحيرة، فساعة نزل بها دعا بالغداء فتغذى ثم نام، فاغتنمت قائلته فذهبت فركبت أدور في ظهر الحيرة، فنظرت إلى بستان فقصدته فإذا على بابه شابٌ حسن الوجه، فاستأذنته في الدخول فأذن لي، فدخلت فإذا جنة من الجنان في أحسن تربة وأغزرها ماءً، فخرجت فقلت له: لمن هذا البستان. فقال: لبعض

الأشاعثة، فقلت له: أيباع؟ فقال: نعم وهو على سوم، فقلت: كم بلغ؟ فقال: أربعة عشر ألف دينار، قلت: وما يسمى هذا الموضع؟ قال: شمارى، فقلت:

جنان شمارى ليس مثلك منظرٌ ... لذي رمدٍ أعيا عليه طبيب

ترابك كافورٌ ونورك زهرةٌ ... لها أرجٌ بعد الهدو يطيب

قال: وحضرتني فيه صنعةٌ حسنة، فلما جلس الرشيد وأمر بالغناء غنيته إياه أول ما غنيت، فقال: ويلك وأين شمارى؟ فأخبرته القصة، فأمر لي بأربعة عشر ألف دينار، وغمزني جعفر بن يحيى فقال: خذ توقيعه بها إلي، وتشاغل الرشيد عني، فأعدت الصوت، فقال: ويلكم! أعطوا هذا دنانيره، فوثبت وقلت: يا سيدي، وقع لي بها إلى جعفر بن يحيى، فقال: أفعل، ووقع لي بها إليه، فلما حصل التوقيع عند جعفر أطلق لي المال وخمسة آلاف دينار من عنده؛ فلما حصل المال عندي كان أحب إلي وأحسن في عيني من شمارى.

أخبرني جعفر بن قدامة قال أخبرني أبو العيناء قال: خرج الفضل بن الربيع يوماً من حضرة الرشيد ومعه رقعةٌ فيها أربعة أبيات، فقال: إن أمير المؤمنين يأمر كل من حضر ممن يقول الشعر أن يجيزها، وهي:

أهدى الحبيب مع الجنوب سلامه ... فاردد إليه مع الشمال سلاما

واعرف بقلبك ما تضمن قلبه ... وتداولا بهواكما الأياما

وإذا بكيت له فأيقن أنه ... ستجود أدمعه عليك رهاما

فاحبس دموعك رحمة لدموعه ... إن كنت تحفظ أو تحوط ذماما

فلم يوجد من يجيزها، فأمر إبراهيم فغنى فيها لحناً من خفيف الثقيل.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أبو العباس البصري قال حدثني عبد الله بن الفضل بن الربيع قال سمعت أبي يقول: لما خرج الرشيد إلى الرقة أخرج معه إبراهيم الموصلي، وكان به مشغوفاً، ففقده في بعض المنازل أياما وطلبه فلم يخبره أحد بقصته، ثم أتاه، فقال له: ويحك! ما خبرك وأين كانت غيبتك. فقال: يا أمير المؤمنين، حديثي عجيب، نزلنا بموضع كذا وكذا، فوصف لي خمارٌ، من ظرفه ومن نظافة منزله كيت وكيت، فتقدمت أمام ثقلي وأتيته مخفًّا، فوافيت أطيب منزل وأوسع رحل وأطيب طعام وأسخى نفسٍ، من شابٍّ حسن الوجه ظريف العشرة، فأقمت عنده، فلما أردت اللحاق بأمير المؤمنين أقسم علي وأخرج لي من الشراب ما هو أطيب وأجود مما رأيت، فأقمت ثلاثاً، ووهبت له دنانير كانت معي وكسوةً، وقلت فيه:

سقياً لمنزل خمارٍ قصفت به ... وسط الرصافة يوماً بعد يومين

مازلت أرهن أثوابي وأشربها ... صفراء قد عتقت في الدن حولين

حتى إذا نفدت مني بأجمعها ... عاودته بالربا دنا بدنين

فقال إزل بشين حين ودعني وقد لعمرك زلنا عنه بالشين

- الشعر والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبنصر. قوله: إزل بشين كلمة سريانية، تفسيرها: امض بسلام، دعا له بها لما ودعه- قال إبراهيم: فقال لي الرشيد: غنني هذا الصوت، فغنيته إياه وزمر عليه برصوماً، فوهب لي الرشيد مائة ألف درهم وأقطعني ضيعة، وبعث إلى الحمار فأحضر، وأهدى إلى الرشيد من ذلك الشراب فوصله، ووهب له إبراهيم عشرة آلاف أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد ووكيع قالوا جميعاً حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال: قال ابن جامع يوماً لأبي: رأيت في منامي كأني وإياك راكبان في محمل، فسفلت حتى كدت تلصق بالأرض، وعلا الشق الذي أنا فيه، فلأعلونك في الغناء، فقال إبراهيم: الرؤيا حق والتأويل باطل، إني وإياك كنا في ميزان، فرجحت بك وشالت كفتك وعلوت فلصقت بالأرض، فلأبقين بعدك ولتموتن قبلي. قال إسحاق: فكان كما قال أبي، علا عليه وأفاد أكثر من فوائده، ومات ابن جامع قبله وعاش أبي بعده.

أخبرني عبد الله بن الربيع الربيعي قال حدثتني خديجة بنت هارون بن عبد الله بن الربيع قالت حدثتني خمار جارية أبي وكانت قندهارية، اشتراها جدي عبد الله وهي صبية ريض من آل يحيى بن معاذ بمائتي ألف درهم قالت: ألقى علي إبراهيم الموصلي لحنه في هذين البيتين:

إذا سرها أمرٌ وفيه مساءتي قضيت لها فيما تريد على نفسي

وما مر يومٌ أرتجي فيه راحةً فأذكره إلا بكيت على أمس

الشعر لأبي حفص الشطرنجي، والغناء لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى- فسمعني ابن جامع يوماً وأنا أغنيه، فسألني: ممن أخذته؟ فأخبرته، فقال: أعيديه، فأعدته مراراً، وما زال ابن جامع يتنغم به معي حتى ظننت أنه قد أخذه، ثم كان كلما جاءنا قال لي: يا صبية، غني ذلك الصوت، فكان صوته علي.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال قال مخارق: أذن لنا أمير المؤمنين الرشيد أن نقيم في منازلنا ثلاثة أيام، وأعلمنا أنه مشتغل فيها مع الحرم، فمضى الجلساء أجمعون إلى منازلهم- وأخبرني وسواسة وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي بهذا الخبر فقال حدثني أبي عن أبيه عن مخارق قال: اشتغل الرشيد يوماً واصطبح مع الحرم وقد أصبحت السماء متغيمة، فانصرفنا إلى منازلنا. ولم يذكر في الخبر ما ذكره عمر بن شبة مما قدمت ذكره، واتفقا هاهنا في أكثر الحكايات، واللفظ فأكثره لرواية ابن الموصلي - قال مخارق: وأصبحت السماء متغيمة تطش طشاً خفيفاً، فقلت: والله لأذهبن إلى أستاذي إبراهيم فأعرف خبره ثم أعود، فأمرت من عندي أن يسووا مجلساً لنا إلى وقت رجوعي، فجئت إلى إبراهيم الموصلي فإذا الباب مفتوح والدهليز قد كنس والبواب قاعد، فقلت: ما خبر أستاذي. فقال: ادخل، فدخلت فإذا هو جالس في رواق له وبين يديه قدورٌ تغرغر وأباريق تزهر، والستارة منصوبة والجواري خلفها، وإذا قدامه طستٌ فيه رطلية وكوزٌ وكأس، فدخلت أترنم ببعض الأصوات، وقلت له: ما بال الستارة لست أسمع من ورائها صوتاً. فقال: اقعد ويحك! إني

أصبحت على الذي ظننت، فأتاني خبر ضيعة تجاورني، قد والله طلبتها زماناً وتمنيتها فلم أملكها، وقد أعطي بها مائة ألف درهم، فقلت: وما يمنعك منها؟ فوالله لقد أعطاك الله أضعاف هذا المال وأكثر، قال: صدقت، ولكن لست أطيب نفساً أن أخرج هذا المال، فقلت: فمن يعطيك الساعة مائة ألف درهم؟ والله ما أطمع في ذلك من الرشيد، فكيف بمن دونه! فقال: اجلس، خذ هذا الصوت، ونقر بقضيب معه على الدواة وألقى علي:

نام الخليون من هم ومن سقم ... وبت من كثرة الأحزان لم أنم

يا طالب الجود والمعروف مجتهداً ... اعمد ليحني حليف الجود والكرم

- الشعر لأبي النضير، والغناء لإبراهيم الموصلي ثقيل أول بالبنصر - قال: فأخذته فأحكمته، ثم قال لي: امض الساعة إلى باب الوزير يحيى بن خالد، فإنك تجد الناس عليه وتجد الباب قد فتح و لم يجلس بعد، فاستأذن عليه قبل أن يصل إليه أحد، فإنه سينكر عليك مجيئك ويقول: من أين أقبلت في هذا الوقت؟ فحدثه بقصدك إياي وما ألقيت إليك من خبر الضيعة، وأعلمه أني صنعت هذا الصوت وأعجبني، و لم أر أحداً يستحقه إلا فلانة جاريته، وأني ألقيته عليك حتى أحكمته لتطرحه عليها، فسيدعو بها ويأمر بالستارة أن تنصب ويوضع له كرسي ويقول لك: اطرحه عليها بحضرتي، فافعل وأتني بالخبر بعد ذلك. قال: فجئت باب يحيى فوجدته كما وصف، وسألني فأعلمته ما أمرني به، ففعل كل شيء قاله لي إبراهيم، وأحضر الجارية فألقيته عليها، ثم قال لي: تقيم عندنا يا أبا المهنأ أو تنصرف؟ فقلت: أنصرف أطال الله بقاءك فقد علمت ما أذن لنا فيه، قال: يا غلام، احمل مع أبي المهنأ عشرة آلاف درهم، واحمل إلى أبي إسحاق مائة ألف درهم ثمن هذه الضيعة، فحملت العشرة الآلاف الدرهم إلي، وأتيت منزلي فقلت: اسر يومي هذا وأسر من عندي، ومضى الرسول إليه بالمال، فدخلت منزلي ونثرت على من عندي من الجواري دراهم من تلك البدرة، وتوسدتها وأكلت وشربت وطربت وسررت يومي كله، فلما أصبحت قلت: والله لآتين استاذي ولأعرفن خبره، فأتيته فوجدت الباب كهيئته بالأمس، ودخلت فوجدته على مثل ما كان عليه، فترنمت وطربت فلم يتلق ذلك بما يجب، فقلت له: ما الخبر؟ ألم يأتك المال؟ قال: بلى! فما كان خبرك أنت بالأمس؟ فأخبرته بما كان وهب لي وقلت: ما ينتظر من خلف الستارة، فقال: ارفع السجف فرفعته فإذا عشر بدر، فقلت: وأي شيء بقي عليك في أمر الضيعة؟ قال: ويحك! ما هو والله إلا أن دخلت منزلي حتى شحت عليها فصارت مثل ما حويت قديماً، فقلت: سبحان الله العظيم! فتصنع ماذا! قال: قم حتى ألقي عليك صوتاً صنعته يفوق ذلك الصوت ة فقمت وجلست بين يديه، فألقى علي:

ويفرح بالمولود من آل برمكٍ ... بغاة الندى والسيف والرمح ذو النصل

وتنبسط الآمال فيه لفضله ... ولا سيما إن كان من ولد الفضل

الشعر لأبي النضير. والغناء لإبراهيم ثقيلٌ أول بالبنصر عن الهشامي، وذكر عمرو بن بانة أنه لإسحاق، وهو الصحيح. وفيه خفيف ثقيلٍ، أظنه لحن إبراهيم. أخبرني إسماعيل بن يونس عن عمر بن شبة عن إسحاق أن أباه صنع هذا الصوت في طريقة خفيف الثقيل وعرضه على الفضل، فاستحسنه وأمر مخارقاً بإلقائه على جواريه فألقاه على مراقش وقضيب فأخذتاه عنه - قال مخارق: فلما ألقى علي الصوت سمعت ما لم أسمع مثله قط، وصغر عندي الأول فأحكمته، ثم قال: انهض الساعة إلى الفضل بن يحيى، فإنك تجده لم يأذن لأحد بعد، وهو يريد الخلوة مع جواريه اليوم، فاستأذن عليه وحدثه بحديثنا أمس، وما كان من أبيه إلينا وإليك، وأعلمه أني قد صنعت هذا الصوت وكان عندي أرفع منزلةً من الصوت الذي صنعته بالأمس، وأني ألقيته عليك حتى أحكمته ووجهت بك قاصداً لتلقيه على فلانة جاريته، فصرت إلى باب الفضل فوجدت الأمر على ما ذكر، فاستأذنت فوصلت، وسألني: ما الخبر؟ فأعلمته بخبري في اليوم الماضي وما وصل إلي وإليه من المال، فقال: أخزى الله إبراهيم فما أبخله على نفسه!، ثم دعا خادماً فقال: اضرب الستارة فضربها، فقال لي: ألقه، فلما غنيته لم أتمه حتى أقبل يجر مطرفه، ثم قعد على وسادة دون الستارة، وقال: أحسن والله أستاذك وأحسنت أنت يا مخارق، فلم أخرج حتى أخذته الجارية وأحكمته، فسر بذلك سروراً شديداً، وقال: أقم عندي اليوم! فقلت: يا سيدي إنما بقي لنا يومٌ واحد، ولولا أني احب سرورك لم أخرج من منزلي، فقال: يا غلام احمل مع أبي المهنأ عشرين ألف درهم واحمل إلى إبراهيم مائتي ألف درهم، فانصرفت إلى منزلي بالمال، ففتحت بدرة فنثرت منها على الجواري وشربت وسررت أنا ومن عندي يومنا، فلما أصبحت بكرت إلى إبراهيم أتعرف خبره واعرفه خبري، فوجدته على الحال التي كان عليها

أولاً وآخراً، فدخلت أترنم واصفق، فقال لي: ادن، فقلت: ما بقي؟ فقال: اجلس وارفع سجف هذا الباب فإذا عشرون بدرة مع تلك العشر، فقلت: ما تنتظر الآن؟ فقال: ويحك! ما هو والله إلا أن حصلت حتى جرت مجرى ما تقدم؛ فقلت: والله ما أظن أحداً نال في هذه الدولة ما نلته! فلم تبخل على نفسك بشيء تمنيته دهراً وقد ملكك الله أضعافه! ثم قال: اجلس فخذ هذا الصوت، وألقى علي صوتاً أنساني والله صوتي الأولين:

أفي كل يوم أنت صبٌ وليلةٍ ... إلى أم بكر لا تفيق فتقصر

أحب على الهجران أكناف بيتها ... فيالك من بيتٍ يحب ويهجر

إلى جعفرٍ سارت بنا كل جسرةٍ ... طواها سراها نحوه والتهجر

إلى واسعٍ للمجتدين فناؤه ... تروح عطاياه عليهم وتبكر

- الشعر لمروان بن أبي حفصة يمدح به جعفر بن يحيى. والغناء لإبراهيم، و لم تقع إلينا طريقته- قال مخارق: ثم قال لي إبراهيم: ها! سمعت مثل هذا؟ فقلت: ما سمعت قط مثله. فلم يزل يردده علي حتى أخذته، ثم قال لي: امض إلى جعفر فافعل به كما فعلت بأخيه وأبيه، قال: فمضيت ففعلت مثل ذلك وخبرته ما كان منهما وعرضت عليه الصوت، فسر به ودعا خادماً فأمره بضرب الستارة وأحضر الجارية وقعد على كرسي، ثم قال:

هات يا مخارق، فاندفعت فألقيت الصوت عليها حتى أخذته، فقال: أحسنت والله يا مخارق وأحسن أستاذك، فهل لك في المقام عندنا اليوم؟ فقلت: يا سيدي هذا آخر أيامنا، وإنما جئت لموقع الصوت مني حتى ألقيته على الجارية، فقال: يا غلام احمل معه ثلاثين ألف درهم وإلى الموصلي ثلثمائه ألف درهم، فصرت إلى منزلي بالمال، فأقمت ومن معي مسرورين نشرب بقية يومنا ونطرب، ثم بكرت إلى إبراهيم فتلقاني قائماً وقال لي: أحسنت يا مخارق، فقلت: ما الخبر؟ فقال: اجلس فجلست، فقال لمن خلف الستارة: خذوا فيما أنتم فيه، ثم رفع السجف فإذا المال، فقلت: ما خبر الضيعة؟ فأدخل يده تحت مسورة هو متكيء عليها فقال: هذا صك الضيعة، سئل عن صاحبها فوجد ببغداد، فاشتراها منه يحيى بن خالد، وكتب إلى: قد علمت أنك لا تسخو نفساً بشراء الضيعة من مال يحصل لك ولو حيزت لك الدنيا كلها، وقد ابتعتها لك من مالي ووجهت لك بصكها، ووجه إلي بصكها وهذا المال كما ترى، ثم بكى وقال لي: يا مخارق إذا عاشرت فعاشر مثل هؤلاء، وإذا خنكرت فخنكر لمثل هؤلاء، هذه ستمائة ألف وضيعةٌ بمائة ألف وستون ألف درهم لك، حصلنا ذلك أجمع وأنا جالس في مجلسي لم أبرح منه، فمتى يدرك مثل هؤلاء!.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرني أبي عن إسحاق قال: كان موسى الهادي شكس الأخلاق صعب المزاج، من توقاه وعرف أخلاقه أعطاه ما أمل، ومن فتح فاه فاتفق له أن يفتحه بغير ما يهواه أقصاه واطرحه، فكان لا يحتجب عن ندمائه ولا عن المغنين، وكان يكثر جوائزهم وصلاتهم ويواترها، فتغنى أبي عنده يوماً، فقال له: يا إبراهيم غنني جنساً من الغناء ألذ به وأطرب له ولك حكمك، فقال: يا أمير المؤمنين، إن لم يقابلني زحل ببرده رجوت أن أصيب ما في نفسك. قال: وكنت لا أراه يصغي إلى شيء من الأغاني إصغاءه إلى النسيب والرقيق منه، وكان مذهب ابن سريج عنده أحمد من مذهب معبد، فغنيته:

وإني لتعروني لذكراك هزةٌ كما انتفض العصفور بلله القطر

فضرب بيده إلى جيب دراعته فحطها ذراعاً، ثم قال: أحسنت والله! زدني، فغنيت:

فيا حبها زدني جوى كل ليلةٍ ويا سلوة الأيام موعدك الحشر

فضرب بيده إلى دراعته فحطها ذراعا آخر أو نحوه، وقال: زدني ويلك! أحسنت والله، ووجب حكمك يا إبراهيم؟ فغنيت:

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى وزرتك حتى قيل ليس له صبر

فرفع صوته وقال: أحسنت، لله أبوك! هات ما تريد، قلت: يا سيدي، عين مروان بالمدينة، فدارت عيناه في رأسه حتى صارتا كأنهما جمرتان، وقال: يا بن اللخناء أردت أن تشهرني بهذا المجلس فيقول الناس: أطربه فحكمه، فتجعلني سمراً وحديثاً! يا إبراهيم الحراني: خذ بيد هذا الجاهل إذا قمت، فأدخله في بيت مال الخاصة، فإن أخذ كل ما فيه فخله وإياه، فدخلت فأخذت خمسين ألف دينار.

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

فيا حبها زدني جوًى كل ليلة ويا سلوة الأيام موعدك الحشر
ويا هجر ليلى قد بلغت بي المدى وزدت على ما ليس يبلغه الهجر
وإني لتعروني لذكراك هزةٌ كما انتفض العصفور بلله القطر
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى وزرتك حتى قيل ليس له صبر
أما والذي أبكي وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره أمر
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منها لا يروعهما الذعر

الشعر لأبي صخر الهذلي. والغناء لمعبد، وأول لحنه و يا هجر ليلى وبعده الثاني ثم الأول من الأبيات ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو. ولابن سريج في السادس والسابع والرابع والخامس ثقيلٌ أول عن الهشامي ولعريب في السادس والسابع والرابع والخامس ثقيلٌ أول أيضاً، وللواثق فيها رمل، وهو مما صنعه الواثق قبلها فعارضته بلحنها. وقد نسب قومٌ لحن معبد إلى ابن سريج ولحن ابن سريج إلى معبد.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: اشترى جدك إبراهيم لجعفر بن يحيى جارية مغنية بمال عظيم، فقال جعفر: أي شيء تحسن هذه الجارية حتى بلغت بها هذا المال كله؟ قال: لو لم تحسن شيئاً إلا أنها تحكي قولي:

لمن الديار ببرقة الروحان

لكانت تساويه وزيادةً، فضحك جعفر وقال: أفرطت!

لمن الديار ببرقة الروحان إذ لا نبيع زماننا بزمان
صدع الغواني إذ رمين فؤاده صدع الزجاجة ما لذاك تدان
إن زرت أهلك لم أنول حاجةً وإذا هجرتك شفني هجراني

الغناء لمعبد، فيما ذكره الهشامي وأحمد بن المكي، ثقيل أول بالوسطى، ونسبه غيرهما إلى حنين، وقال آخرون: إنه للغريض، وذكر حبش أنه ليزيد حوراء. وفيه لإبراهيم خفيف رملٍ بالبنصر.

أخبرني الحسين عن حماد قال قال لي أبي: صنع جدك تسعمائة صوتٍ، منها دينارية، ومنها درهمية، ومنهما فلسية، وما رأيت أكثر من صنعته، فأما ثلثمائةٍ منها فإنه تقدم الناس جميعاً فيها، وأما ثلثمائة، فشاركوه وشاركهم فيها، وأما الثلثمائة الباقية، فلعبٌ وطرب، قال: ثم أسقط أبي الثلثمائة الآخرة بعد ذلك من غناء أبيه،

فكان إذا سئل عن صنعة أبيه قال: هي ستمائة صوت.

وقال أحمد بن حمدون قال لي إسحاق: من غناء أبي الذي أكرهه وأستزريه صوته في شعر العباس بن الأحنف:

أبكي ومثلي بكى من حب جاريةٍ

فما أعلم له فيه معنًى إلا استحسانه للشعر، فإن العباس أحسن فيه جداً.

أبكي ومثلي بكى من حب جاريةٍ ... لم يخلق الله لي في قلبها لينا

هل تذكرين وقوفي عند بابكم ... نصف النهار وأهل الدار لا هونا

الشعر للعباس بن الأحنف، والغناء لإبراهيم خفيف رملٍ بالوسطى.

أخبرني جحظة قال أخبرني حماد بن إسحاق قال: قال رجل لأبي: أخبرني عنك، لم طعنت على أبيك في صنعته:

قال لي فيها عشيق مقالاً ... فجرت مما يقول الدموع

قال: لأنه تعرض لابن عائشة وله في هذا الشعر صنعةٌ، وابن عائشة ممن لا يعارض فلم يقاربه، وعلى أن صنعة أبي من جيد الغناء لو كان صنعها في غير هذا الشعر، ولكنها اقترنت بصنعة ابن عائشة فلم تقاربها، فسقط عندي لذلك.

قال لي فيها عتيقٌ مقالاً ... فجرت مما يقول الدموع

قال لي ودع سليمى ودعها ... فأجاب القلب لا أستطيع

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لمعبد ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو، وقيل: إنه لابن عائشة. وفيه ثاني ثقيلٍ ينسب إلى الهذلي. وفيه خفيف ثقيلٍ ينسب إلى ابن عائشة وإلى إبراهيم.

أخبرني الحسن بن علي قال أخبرني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني إسحاق عن أبيه قال: دخلت الري فكنت آلف فتياناً من أهل النعم بها وهم لا يعرفونني، فطال ذلك علي إلى أن دعاني أحدهم ليلةً إلى منزله فبت عنده، فأخرج جاريةً له ومد لها ستارةً فتغنت خلفها، فرأيتها صالحة الأداء كثيرة الرواية، فشوقتني إلى العراق وذكرتني أيامي بها، فدعوت بعود، فلما جيء به اندفعت فغنيت صوتي في شعري:

أنا بالري مقيم ... في قرى الري أهيم

وقد كنت صنعت هذا اللحن قديماً بالري، فخرجت الجارية من وراء الستارة مبادرةً إلي، فأكبت على رأسي وقالت: أستاذي والله!، فقال لها مولاها: أي أستاذيك هذا. قالت: إبراهيم الموصلي؛ فإذا هي إحدى الجواري اللاتي أخذن عني وطال العهد بها، فأكرمني مولاها وبرني وخلع علي، فأقمت مدة بغد ذلك بالري وانتشر خبري بها، ثم كتب بحملي إلى والي البلد فأشخصت أخبرني الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني

أبو توبة صالح بن محمد قال حدثني القطراني عن محمد بن جبر عن يحيى المكي قال: كنا يوماً بين يدي المهدي وقد حبس إبراهيم الموصلي وضربه وأمر بأن يلبس جبة صوف، وكان يخرج على تلك الحال فيطرح على الجواري، فكتب إلينا ذات يوم، ونحن مصطبحون وقد جادت السماء بمطر صيف، وبحضرتنا شيء من ورد مبكر:

ألا من مبلغٌ قوماً ... من أخواني وجيراني
هنيئاً لكم الشرب ... على وردٍ وتهتان
وأني مفردٌ وحدي ... بأشجاني وأحزاني
فمن جف له جفنٌ ... فجفناي يسيلان

قال: فوقف المهدي على رقعته وقرأها فرق له وأمر بطلبه في الوقت، ثم أطلقه بعد بأيام.

أخبرني الحسن قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني ابن المكي عن أبيه قال: كانت لعليٍّ اليماني جاريةٌ فهويها إبراهيم واستهيم بها زماناً، وقال فيها:

كنت حرًا فصرت عبد اليماني ... من هوى شادنٍ هواه براني
هو نصفان من قضيبٍ ودعصٍ ... زان صدر القضيب رمانتان

اللحن لإبراهيم في هذين البيتين ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو. وقد زعم قوم أن الشعر للحسين بن الضحاك.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق قال: كان بعض أهل نهيك قد تعاطى الغناء، فلما ظن أنه قد أحكمه شاورني وأبي حاضرٌ، فقلت له: إن قبلت مني فلا تغن فلست فيه كما أرضى، فصاح أبي علي صيحةً شديدةً ثم قال لي: وما يدريك يا صبي! ثم أقبل على الرجل فقال: أنت يا حبيبي بضد ما قال، وإن لزمت الصناعة برعت فيها، فلما خلا بي قال لي: يا أحمق! ما عليك أن يخزي الله مائة ألف مثل هذا! هؤلاء أغنياء ملوك، وهم يعيروننا بالغناء، فدعهم يتهتكوا به ويعيروا ويفتضحوا ويحتاجوا إلينا فننتفع بهم، ويبين فضلنا لدى الناس بأمثالهم. قال: ولزمه النهيكي يأخذ عنه ويبره فيجزل، فكان إذا غنى فأحسن قال له: بارك الله فيك، وإذا أساء قال: بارك الله عليك، وكثر ذلك منه حتى عرف النهيكي معناه فيه، فغنى يوماً وأبي ساهٍ عنه فسكت و لم يقل له شيئاً، فقال له: جعلت فداك، يا أستاذي، أهذا الصوت من اصوات فيك أم عليك؟ فضحك أبي و لم يكن علم أنه قد فطن لقوله، ثم قال له: والله لأقبلن عليك حتى تصير كما تشتهي، فإنك ظريفٌ أديب، وعني به حتى حسن غناؤه وتقدم. وفيه يقول أبي:

أوجب الله لك الحـ ... ـق على مثلي بظرفك
لن تراني بعد هذا ... ناطقاً إلا بوصفك
وترى القوة فيما ... تشتهيه بعد ضعفك

أخبرني إسماعيل قال حدثني عمر بن شبة عن إسحاق، أخبرني به الصولي عن عون بن محمد عن إسحاق قال: غنى مخارقٌ بين يدي الرشيد صوتاً فأخطأ في قسمته، فقلت له: أعد فأعاده، وكان الخطأ خفياً، فقلت للرشيد: يا سيدي، قد أخطأ فيه، فقال لإبراهيم بن المهدي: ما تقول فيما ذكره إسحاق؟ قال: ليس الأمر كما قال، ولا ها هنا خطأ، فقلت له: أترضى بأبي؟ قال: إي والله، وكان أبي في بقايا علة، فأمر الرشيد بإحضاره ولو محمولاً، فجيء به في محفة، فقال لمخارق: أعد الصوت، فأعاده: فقال: ما عندك يا إبراهيم في هذا الصوت؟ فقال: قد أخطأ فيه، فقال له: هكذا قال ابنك إسحاق، وذكر أخي إبراهيم أنه صحيح، فنظر إلي ثم قال: هاتوا دواةً، فأتي بها وكتب شيئاً لم يقف عليه أحد ثم قطعه ووضعه بين يدي الرشيد، وقال لي: اكتب بذكر الموضع الفاسد من قسمة هذا الصوت، فكتبته وألقيته فقرأه وسر، وقام فألقاه بين يدي الرشيد، فإذا الذي قلناه جميعا متفق، فضحك وعجب، ولم يبق أحدٌ في المجلس إلا قرظ وأثنى ووصف، ولا أحدٌ خالف إلا خجل وذل وأذعن. وقال أبي في ذلك:

ليت من لا يحسن العل ... م كفانا شر علمه

فاخبر الحق ابتداءً ... وقس العلم بفهمه

طيب الريحان لا تع ... رفه إلا بشم

حدثني جحظة قال حدثني هبة الله، وحدثني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: غنى أبي يوماً بحضرة الرشيد:

سلي هل قلاني من عشيرٍ صحبته ... وهل ذم رحلي في الرفاق رفيق

فطرب واستعاده وأمر له بعشرين ألف درهم، فلما كان بعد سنين، خطر ببالي ذلك الصوت وذكرت قصته، فغنيته إياه، فطرب وشرب، ثم قال لي: يا إسحاق، كأني في نفسك ذكرت حديث أبيك وأني أعطيته ألف دينار على هذا الصوت فطمعت في الجائزة!، فضحكت ثم قلت: والله يا سيدي ما أخطأت، فقال: قد أخذ ثمنه أبوك مرةً فلا تطمع، فعجبت من قوله، ثم قلت: يا سيدي، قد أخذ أبي منك أكثر من مائتي ألف دينار ما رأيتك ذكرت منها غير هذا الألف على بختي أنا، فقال: ويحك! أكثر من مائتي ألف دينار؟! قلت: إي والله!، فوجم وقال: أستغفر الله من ذلك، ويحك! فما الذي خلف منها؟ قلت: خلف علي ديوناً مبلغها خمسة آلاف دينار قضيتها عنه، فقال: ما أدري أينا أشد تضييعاً! والله المستعان.

سلي هل قلاني من عشيرٍ صحبته ... وهل ذم رحلي في الرفاق رفيق

وهل يحتوي القوم الكرام صحابتي ... إذا اغبر مخشي الفجاج عميق

ولو تعلمين الغيب أيقنت أنني ... لكم والهدايا المشعرات صديق

الشعر ينسب إلى مضرس بن قرط الهلالي وإلى قيس بن ذريح، وفيه بيت يقال: إنه لجرير. والغناء مختلطٌ في أشعار الثلاثة المذكورين، ونسبته تأتي في أخبار قيس بن ذريح، إلا أن الغناء في هذه الثلاثة الأبيات لمعبد ثقيلٌ أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثتني نشوة الأشنانية قالت أخبرني أبو عثمان يحيى المكي قال: تشوق يوماً إبراهيم الموصلي إلى سرداب له، وكانت فيه بركة ماء تدخل من موضع إليه وتخرج إلى بستان، فقال: أشتهي أن أشرب يومي وأبيت ليلتي في هذا السرداب ففعل ذلك، فبينا هو نائم في نصف الليل فإذا سنورتان قد نزلتا من عرجة السرداب، بيضاء وسوداء، فقالت إحداهما: أتراه نائماً؟ فقالت السوداء: هو نائم، فاندفعت السوداء فغنت بأحسن صوت:

عفا مزج إلى لصقٍ ... إلى الهضبات من هكر

إلى قاع النقير إلى ... قرار حلال في حدر

قال: فمات إبراهيم فرحا وقال: يا ليتهما أعاداه! فأعاداه مراراً حتى أخذه، ثم تحرك فقامت السنورتان، وسمع إحداهما تقول للأخرى: والله لا طرحه على أحد إلا جن، فطرحه من غدٍ على جارية له فجنت. الغناء فيه لمالكٍ ثقيلٌ أول بالوسطى عن يحيى المكي وعمرو بن بانة.

أخبرني الحسن بن علي وعمي قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: حدثني أبو محمد إسحاق بن إبراهيم عن أبيه قال: أتيت الفضل بن يحيى يوماً، فقلت له: يا أبا العباس، جعلت فداك! هب لي دراهم فإن الخليفة قد حبس يده، فقال: ويحك يا أبا إسحاق! ما عندي مال أرضاه لك، ثم قال: هاه، إلا أن ها هنا خصلةً أتانا رسول صاحب اليمن فقضينا حوائجه، ووجه إلينا بخمسين ألف دينار يشتري لنا بها محبتنا، فما فعلت ضياء جاريتك. قلت: عندي، جعلت فداك!، قال: فهو ذا، أقول لهم يشتروها منك فلا تنقصها من خمسين ألف دينار، فقبلت رأسه ثم انصرفت، فبكر علي رسول صاحب اليمن ومعه صديق لي، فقال: جاريتك فلانة عندك؟ فقلت: عندي، فقال: اعرضها علي، فأخرجتها، قال: بكم؟ قلت: بخمسين ألف دينار ولا أنقص منها ديناراً واحداً، وقد أعطاني

بها الفضل بن يحيى أمس هذه العطية، فقال لي: أريدها له، فقلت له: أنت أعلم، إذا اشتريتها فصيرها لمن شئت، فقال لي: هل لك في ثلاثين ألف دينار مسلمة لك؟ قال: وكان شراء الجارية على أربعمائة دينار، فلما وقع في أذني ذكر ثلاثين ألفاً أرتج علي ولحقني زمعٌ، وأشار علي صديقي الذي معه البيع، وخفت والله أن يحدث بالجارية حدثٌ أو بي بالفضل بن يحيى، فسلمتها وأخذت المال، ثم بكرت على الفضل بن يحيى، فإذا هو جالس وحده ة فلما نظر إلي ضحك، ثم قال لي: يا ضيق الحوصلة! حرمت نفسك عشرين ألف دينارة، فقلت له: جعلت فداك، دع ذا عنك، فوالله لقد دخلني شيء أعجز عن وصفه وخفت أن تحدث بي حادثة أو بالجارية أو بالمشتري أو بك، أعاذك الله من كل سوء، فبادرت بقبول الثلاثين ألف دينار، فقال: لا ضير، يا غلام جيء

بالجارية، فجاء بجاريتي بعينها، فقال: خذها مباركاً لك فيها، فإنما أردنا منفعتك و لم نرد الجارية، فلما نهضت، قال لي: مكانك، ونفذنا كتبه، وذكر أنه قد جاءنا بثلاثين ألف دينار يشتري لنا بها ما نحب، فاعرض عليه جاريتك هذه ولا تنقصها من ثلاثين ألف دينار، إن صاحب إرمينية قد جاءنا فقضينا حوائجه فانصرفت بالجارية وبكر إلي رسول صاحب إرمينية ومعه صديقٌ، لي آخر، فقاولني بالجارية، فقلت: لست أنقصها من ثلاثين ألف دينار، فقال لي: معي على الباب عشرون ألف دينار تأخذها مسلمة، بارك الله لك فيها، فدخلني والله مثل الذي دخلني في المرة الأولى وخفت مثل خوفي الأول، فسلمتها وأخذت المال، وبكرت على الفضل بن يحيى فإذا هو وحده ة فلما رآني ضحك وضرب برجله الأرض وقال: ويحك! حرمت نفسك عشرة آلاف دينار، فقلت: أصلحك الله، خفت والله ما خفت في المرز الأولى ة قال: لا ضير، أخرج يا غلام جاريته ة فجاء بجاريتي بعينها، فقال: خذها، ما أردناها ولا أردنا إلا منفعتك، فلما ولت الجارية صحت بها: ارجعي فرجعت، فقلت: أشهدك، جعلت فداك، أنها حرة لوجه الله وأني قد تزوجتها على عشرة آلاف درهم، كسبت لي في يومين خمسين ألف دينار، فما جزاؤها إلا هذا، فقال: وفقت إن شاء الله.

أخبرني الحسن بن علي قال أخبرني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني إسحاق قال قال لي أبي: كنت في شبابي ألازم أصحاب قطربل وباري وبنى وما أشبه هذه المنازل، فأتخذ فيهم الخمار اللطيف، يحسبوني بالشراب الجيد ويخبؤه لي، فجئت إلى باري يوماً فلقيني خماري، فقال لي: يا أبا إسحاق عندي شيء من بابتك، وقد كنت عملت لحني هذا:

اشرب الراح وكن في ... شربك الراح وقورا

فاشرب الراح رواحاً ... وظلاماً وبكورا

الشعر والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى. وفيه لمنصور زلزل الضارب خفيف رملٍ عن حبش- قال: فدخلت بيته وبزلت دنه وجعلت أرجع الصوت، فبهت ينظر إلي والنبيذ يجرى حتى امتلأ الإناء وفاض، فقلت له: ويحك! شراب! قد فاض، فقال: دعني من شرابي، بالله مات لك إنسان في هذه الأيام؟ فقلت: لا، قال: فما بال حلقك هذا حزيناً أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني حماد بن إسحاق عن عمه طياب بن إبراهيم قال: دخلت على أبي يوماً وعنده مخارق وأبي يلقي عليه هذا الصوت:

طربت وأنت معنيٌّ كئيب ... وقد يشتاق ذو الحزن الغريب

وشاقك بالموقر أهل خاخ ... فلا أممٌ هناك ولا قريب

وكم لك دونها من عرض أرضٍ ... كأن سرابها الجاري سبيب

لعمرك إنني برقيم قيس ... وجارة أهلها لأنا الحريب

- الشعر للأحوص، والغناء لإبراهيم ماخوريٌ بالبنصر عن عمرو - قال: فلما أخذه مخارق جعل أبي يبكي، ثم قال له: يا مخارق، نعم وسيلة إبليس أنت في الأرض، أنت والله بعدي صاحب اللواء في هذا الشأن.

أخبرني الحسن بن علي وعمي قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال: لما صنع أبي لحنه في:

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما تجد

خاصمته وعنته في صنعته، وقلت له: أما بإزائك من ينتقد أنفاسك ويعيب محاسنك وأنت لا تفكر، تجيء إلى صوت قد عمل فيه ابن سريج لحناً فتعارضه بلحن لا يقاربه والشعر أوسع من ذلك! فدع ما قد اعتورته صناعة القدماء وخذ في غيره، فغضب، وكنت لا أزال أفاخره بصنعتي وأعيب ما يعاب من صنعته، فإن قبل مني فذلك، وإن غضب داريته وترضيته، فقال لي: ما يعلم الله أني أدعك أو تفاخرني بخير صوتٍ صنعته في الثقيل الثاني في طريقة هذا الصوت، فلما رأيت الجد منه اخترت صنعتي في هذا اللحن:

قل لمن صد عاتبا ونأى عنك جانبا

قد بلغت الذي أرد ت وإن كنت لاعبا

وكان ما تجاريناه ونحن نتساير خارجين إلى الصحراء نقطع فضلة خمار بنا، فقال: من تحب أن يحكم بيني وبينك. فقلت: من ترى أن يحكم ها هنا. قال: أول من يطلع علينا، أغنيه لحني وتغنيه لحنك، فطمعت فيه وقلت نعم، فأقبل شيخ نبطيٌ يحمل شوكاً على حمار له، فأقبل عليه أبي فقال: إني وصاحبي هذا قد تراضينا بك في شيء، قال: وأي شيء هو؟ فقلنا: زعم كل واحد منا أنه أحسن غناءً من صاحبه، فتسمع مني ومنه وتحكم، فقال: على اسم الله، فبدأ أبي فغنى لحنه، وتبعته فغنيت لحني، فلما فرغت أقبل علي فقال لي: قد حكمت عليك عافاك الله ومضى، فلطمني أبي لطمةً ما مر بي مثلها منه قط، وسكت فما أعدت عليه حرفاً لا راجعته بعد ذلك في هذا المعنى حتى افترقنا.

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما تجد

واستبدت مرة واحدةً إنما العاجز من لا يستبد

زعموها سألت جاراتها ذات يوم وتعرت تبترد

أكما ينعتني تبصرنني عمركن الله أم لا يقتصد

فتضاحكن وقد قلن لها حسن في كل عين من تود

حسداً حملنه من أجلها وقديماً كان في الناس الحسد

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. ولحن إبراهيم فيه ثاني ثقيل بالوسطى. وفيه لابن سريج رمل بالخنصر في مجرى البنصر. وفيه لمالك خفيف ثقيلٍ بالخنصر والبنصر عن يحيى المكي، وذكره إسحاق في هذه الطريقة و لم ينسبه إلى أحد، وقال الهشامي: أدل شيء على أنه لمالك شبهه للحنه:

اسلمي يا دار من هند

وفيه لمتيم ثقيلٌ أول. وأما لحن إسحاق الذي فاخر به صنعة أبيه، فقد كتب شعره والصنعة فيه- وهما جميعاً لإسحاق، ولحنه ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو- في أخبار إسحاق.

وذكر أحمد بن أبي طاهر أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه قال: كان الرشيد قد وجد على منصور زنزل لشيء بلغه عنه، فحبسه عشر سنين أو نحوها، فقام الرشيد يوماً لحاجته، فجعل إبراهيم يغني صوتاً صنعه في شعر كان قاله في حبس زلزل، وهو:

هل دهرنا بك راجعٌ يا زلزل ... أيام يبغينا العدو المبطل

أيام أنت من المكاره آمنٌ ... والخير متسعٌ علينا مقبل

يا بؤس من فقد الإمام وقربه ... ماذا به من ذلة لو يعقل

ما زلت بعدك في الهموم مردداً ... أبكي بأربعةٍ كأني مثكل

- الشعر والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو- قال: ودخل الرشيد وهو في ذلك فجلسى في مجلسه، ثم قال: يا إبراهيم، أي شيء كنت تقول؟ فقال: خيراً يا سيدي، فقال: هاته فتلكأ، فغضب الرشيد وقال: هاته فلا مكروه عليك، فرد الغناء، فقال له: أتحب أن تراه؟ فقال: وهل ينشر أهل القبور. فقال: هاتوا زلزلاً، فجاءوا به وقد ابيض رأسه ولحيته فسر به إبراهيم، وأمره فجلس، وأمر إبراهيم فغنى وضرب عليه فزلزلا الدنيا، وشرب الرشيد على ذلك رطلاً وأمر بإطلاق زلزل وأسنى جائزتهما ورضي عنه وصرفه إلى منزله. قال: وزلزلٌ أول من أحدث هذه العيدان الشبابيط، وكانت قديماً على عمل عيدان الفرس، فجاءت عجباً من العجب. قال: وكانت أخت زلزل تحت إبراهيم، وقد ولدت منه.

أخبرني محمد بن مزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: أول من تعلمت منه الغناء مجنونٌ، كان إذا صيح به: يا مضر، يهيج ويرجم، فبلغني أنه يغني أصواتاً فيجيدها، أخذها عن قدماء أهل الحجاز، فكنت أدخله إلي فأطعمه وأسقيه وأخدعه حتى آخذ عنه، وكان حاذقاً، فأول صوت أخذته عنه:

أرسلي بالسلام يا سلم إني ... منذ علقتكم غنيٌ فقير

فالغنى إن ملكت أمرك والفق ... ر بأني أزور من لا يزور

ويح نفسي! تسلو النفوس ونفسي ... في هوى الريم ذكرها ما يحور

من لنفس تتوق أنت هواها ... وفؤاد يكاد فيك يطير

ثم مكثت زماناً آخذ عنه، وكان إذا عاد إليه عقله من أحذق الناس وأقومهم على ما يؤديه، ثم غاب عني فما أعرف خبره.

وهذا الشعر للوليد بن يزيد. والغناء ليونس خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وذكر غيره أنه لعمر الوادي، وفيه لوجه القرعة ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حبش.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده قال: خرجت مع الرشيد إلى الشأم لما غزا، فدعاني يوماً فدخلت إليه إلى مجلس لم أر أحسن منه مفروشٍ بأنواع الرخام، فأكل وأمرني فأكلت معه، وجعلت أتولى خدمته إلى العصر، ثم دعا بالنبيذ فشرب وسقاني معه، ثم خلع علي خلعة وشى من ثيابه وأمر لي بألف دينار، ثم قال: انظر يا إبراهيم، كم من يدٍ أوليتك إياها اليوم! نادمتني مفرداً، وآكلتني، وخلعت عليك ثيابي من بدني، ووصلتك، وأجلستك في إيوان مسلمة بن عبد الملك تشرب معي، فقلت: يا سيدي، ما ذهب علي شيء من تفضلك، وإن نعمك عندي لأكثر من أن تحصى، وقبلت رجله والأرض بين يديه.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال قال دعبل بن علي: لما ولى الرشيد الخلافة وجلس للشرب بعد فراغه من إحكام الأمور ودخل عليه المغنون، كان أول من غناه إبراهيم الموصلي بشعره فيه، وهو:

إذا ظلم البلاد تجللتنا ... فهارون الإمام لها ضياء

بهارون استقام العدل فينا ... وغاض الجور وانفسح الرجاء

رأيت الناس قد سكنوا إليه كما ... سكنت إلى الحرم الظباء

تبعت من الرسول سبيل حقٍّ ... فشأنك في الأمور به اقتداء

فقال له الخادم من خلف الستارة: أحسنت يا إبراهيم في شعرك وغنائك، وأمر له بعشرين ألف درهم. لحن إبراهيم في هذا الصوت ثقيلٌ أول بالسبابة والوسطى عن أحمد بن المكي.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال حدثني أبي قال: كنت أنا وأبو سعيد النهدي وهاشم بن سليمان المغني يوماً مجتمعين في بستان لنا ونحن نشرب وهاشم يغنيناة فلما توسطنا أمرنا إذا نحن برجل قد دخل علينا البستان جميل الهيئة حسن الزي، فلما بصرنا به من بعيد، وثب هاشمٌ يعدو حتى لقيه، فقبل يده وعانقه، و لم يعرفه أحدٌ منا، فجاء وسلم سلام الصديق على صديقه، ثم قال: خذوا في شأنكم، فإني اجتزت بكم فسمعت غناء أبي القاسم فاستخفني وأطربني، فدخلت إليكم واثقاً بأنه لا يعاشر إلا فتى ظريفاً يستحسن هذا الفعل ويسره، ولي في هذا إمام وهو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فإنه سمع غناء عند قوم فدخل بغير إذن ثم قال: إنما أدخلني عليكم مغنيكم لما غنى:

قل لكرام ببابنا يلجوا ... ما في التصابي على الفتى حرج

وأنا أعلم أن نفوسكم متعلقة بمعرفتي، فمن عرفني فقد اكتفى، ومن جهلني فأنا إبراهيم الموصلي، فقمنا فقبلنا رأسه وسررنا به أتم سرور، وانعقدت بيننا وبينه يومئذ مودة، ثم غاب عنا غيبةً طويلة، وإذا هاشم قد أنفذ إلينا منه رقعةً فيها:

أهاشم هل لي من سبيل إلى التي ... تفرق هم النفس في كل مذهب
معتقة صرفاً كأن شعاعها ... تضرم نار أو توقد كوكب
ألا رب يوم قد لهوت وليلةٍ ... بها والفتى النهدي وابن المهلب
نديرُ مداماً بيننا بتحية ... وتفديةٍ بالنفس والأم والأب

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان لي وأنا صبي عقعق قد ربيته وكان يتكلم بكل شيء سمعه، فسرق خاتم ياقوت كان لأبي قد وضعه على تكأته ودخل الخلاء ثم خرج و لم يجده، فطلبه وضرب غلامه الذي كان واقفاً، فلم يقف له على خبر، فبينا أنا ذات يوم في دارنا إذ أبصرت العقعق قد نبش ترابا فأخرج الخاتم منه ولعب به طويلًا، ثم رده فيه ودفنه، فأخذته وجئت به إلى أبي، فسر بذلك وقال يهجو العقعق:

إذا بارك الله في طائرٍ ... فلا بارك الله في العقعق
طويل الدنابى قصير الجناح ... متى ما يجد غفلةً يسرق
يقلب عينين في رأسه ... كأنهما قطرتا زئبق

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن المكي، وذاكرت أبا أحمد بن جعفر جحظة بهذا الخبر فقال حدثني به محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل عن أبيه عن جده، ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب عن علي بن محمد بن نصر عن جده حمدون بن إسماعيل فجمعت الروايات كلها: أن الرشيد قال يوماً لجعفر بن يحيى: قد طال سماعنا هذه العصابة على اختلاط الأمر فيها فهلم أقاسمك إياها وأخايرك، فاقتسما المغنين، على أن جحلاً، بإزاء كل رجل نظيره، وكان ابن جامع في حيز الرشيد وإبراهيم في حيز جعفر بن يحيى، وحضر الندماء لمحنة المغنين، وأمر الرشيد ابن جامع فغنى صوتاً أحسن فيه كل الإحسان وطرب الرشيد غاية الطرب، فلما قطعه قال الرشيد لإبراهيم: هات يا إبراهيم هذا الصوت فغنه، فقال: لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرفه، وظهر الانكسار فيه، فقال الرشيد لجعفر: هذا واحد، ثم قال لإسماعيل بن جامع: إن يا إسماعيل، فغنى صوتاً ثانياً أحسن من الأول وأرضى في كل حال، فلما استوفاه قال الرشيد لإبراهيم: هاته يا إبراهيم، قال: ولا أعرف هذا، فقال: هذان اثنان، غن يا إسماعيل، فغنى ثالثاً يتقدم الصوتين الأولين ويفضلهما، فلما أتى على آخره، قال: هاته يا إبراهيم، قال: ولا أعرف هذا أيضاً، فقال له جعفر: أخريتنا أخزاك الله. قال: وأتم ابن جامع يومه والرشيد مسرور به، وأجازه بجوائز كثيرةٍ وخلع عليه خلعاً فاخرة، و لم يزل إبراهيم منخذلاً منكسراً حتى

انصرف. قال: فمضى إلى منزله، فلم يستقر فيه حتى بعث إلى محمد المعروف بالزف، وكان محمد من المغنين المحسنين، وكان أسرع من عرف في أيامه في أخذ صوت يريده أخذه، وكان الرشيد قد وجد عليه في بعض ما يجده الملوك على أمثاله فألزمه بيته وتناساه، فقال إبراهيم للزف: إني اخترتك على من هو أحب إلي منك، لأمر لا يصلح له غيرك، فانظر كيف تكون! قال: أبلغ في ذلك محبتك إن شاء الله تعالى، فأدى إليه الخبر وقال: أريد أن تمضي الساعة إلى ابن جامع، فتعلمه أنك صرت إليه مهنئاً بما تهيأ له علي، وتنقصني وتثلبني وتشتمني، وتحتال في أن تسمع منه الأصوات وتأخذها منه، ولك ما تحبه من جهتي من عرض من الأعراض مع رضا الخليفة إن شاء الله. قال: فمضى من عنده وآستأذن على ابن جامع فأذن له، فدخل وسلم عليه وقال: جئتك مهنئاً بما بلغني من خبرك، والحمد لله الذي أخزى ابن الجرمقانية على يدك، وكشف الفضل في محلك من صناعتك، قال: وهل بلغك خبرنا؟ قال: هو أشهر من أن يخفى على مثلي، قال: ويحك، إنه يقصر عن العيان، قال: أيها الأستاذ، سرني بأن أسمعه من فيك حتى أرويه عنك، وأسقط بيني وبينك الأسانيدة قال: أقم عندي حتى أفعل، قال: السمع والطاعة، فدعا له ابن جامع بالطعام فأكلا ودعا بالشراب، ثم ابتدأ فحدثه بالخبر حتى انتهى إلى خبر الصوت الأول، فقال له الزف: وما هو أيها الأستاذ؟ فغناه ابن جامع إياه، فجعل محمد يصفق وينعر ويشرب وابن جامع مجتهد في شأنه حتى أخذه عنه. ثم سأله عن الصوت الثاني، فغناه إياه، وفعل مثل فعله في الصوت الأول، ثم كذلك في الصوت الثالث ة فلما أخذ الأصوات الثلاثة كلها وأحكمها قال له: يا أستاذ، قله بلغت ما أحب، فتأذن لي في الانصراف. قال: إذا شئت، فانصرف محمد من وجهه إلى إبراهيم، فلما طلع من باب داره قال له: ما وراءك. قال: كل ما تحب، ادع لي بعود، فدعا له به، فضرب وغناه الأصوات، قال إبراهيم: وأبيك هي بصورها وأعيانها، رددها علي الآن، فلم يزل يرددها حتى صحت لإبراهيم، وانصرف الزف إلى منزله، وغدا إبراهيم إلى الرشيد، فلما دعا بالمغنين دخل فيهم، فلما بصر به قال له: أو قد حضرت! أما كان ينبغي لك أن تجلس في منزلك شهراً بسبب ما لقيت من ابن جامع قال: و لم ذلك يا أمير المؤمنين؟ جعلني الله فداءك! والله لئن أذنت لي أن أقول لأقولن، قال: وما عساك أن تقول؟ قل، فقال: إنه ليس ينبغي لي ولا لغيري أن يراك نشيطاً لشيء فيعارضك، ولا أن تكون متعصباً لحيزٍ وجنبةٍ فيغالبك، وإلا فما في الأرض صوتٌ لا أعرفه، قال: د ع ذا عنك، قد أقررت أمس بالجهالة بما سمعت من صاحبنا، فإن كنت أمسكت عنه بالأمس على معرفة كما تقول فهاته اليوم، فليس هاهنا عصبية ولا تمييز، فاندفع فأمر الأصوات كلها، وابن جامع مصغٍ يسمع منه، حتى أتى على آخرها، فاندفع ابن جامع فحلف بالأيمان المحرجة أنه ما عرفها قط ولا سمعها ولا هي إلا من صنعته، و لم تخرج إلى أحد غيره. فقال له: ويحك! فما أحدثت بعدي. قال: ما أحدثت حدثاً، فقال: يا إبراهيم بحياتي اصدقني! فقال: وحياتك لأصدقنك، رميته بحجره، فبعثت له بمحمد الزف وضمنت له ضمانات، أولها رضاك عنه، فمضى فاحتال لي عليه حتى أخذها عنه ونقلها إلي، وقد سقط الآن اللوم عني بإقراره، لأنه ليس علي أن أعرف ما صنعه هو و لم يخرجه إلى الناس، وهذا باب من الغيب، وإنما يلزمني أن يعرف هو شيئاً من غناء الأوائل

وأجهله أنا، وإلا فلو لزمني أن أروى صنعته للزمه أن يروى صنعتي، ولزم كل واحد منا لسائر طبقته ونظرائه مثل ذلك، فمن قصر عنه كان مذموماً ساقطاً، فقال له الرشيد: صدقت يا إبراهيم، ونضحت عن نفسك، وقمت بحجتك، ثم أقبل على ابن جامع فقال له: يا إسماعيل، أتيت أتيت! دهيت دهيت! أبطل عليك الموصلي ما فعلته به أمس وانتصف اليوم منك، ثم دعا بالزف فرضي عنه.

قال علي بن محمد: سألت خالي أبا عبد الله بن حمدون وقد تجارينا هذا الخبر: هل تعرف أصوات ابن جامع هذه؟ فأخبرني أنه سمع إسحاق يحكى هذه القصة، وذكر أن الصوت الأول منها:

بكيت نعم بكيت وكل إلفٍ ... إذا بانت قرينته بكاها

وما فارقت لبنى عن تقالٍ ... ولكن شقوةٌ بلغت مداها

الشعر لقيس بن ذريح. والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى. وفيه ليحيى المكي ثاني ثقيل آخر بالخنصر والبنصر من كتابه. وفيه لإبراهيم ثقيل أول عن الهشامي.

قال: والثاني منها.

عفت دار سلمى بمفضى الرغام ... رياح تعاقبها كل عام

خلاف الحلول بتلك الطلول ... وسحب الذيول بذاك المقام

وأنس الديار وقرب الجوار ... وطيب المزار ورد السلام

ودهر غرير وعيش السرور ... ونأى الغيور وحسن الكلام

الشعر لحماد الراوية. والغناء لابن جامع ثقيل أول بالبنصر، ذكر ذلك الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو، قال ابن حمدون: وهذا الصوت عجيب الصنعة، كثير النغم، محكم العمل، من صدور أغاني ابن جامع ومتقدم صنعته، وكان المعتصم معجباً به، وكثيراً ما كان يسكت المغنين إذا غني بحضرته فلا يسمع سائر يومه غيره.

قال: والثالث منها:

نزف البكاء دموع عينك فاستعر ... عينا لغيرك دمعها مدرار

من ذا يعيرك عينه تبكي بها ... أرأيت عيناً للبكاء تعار

الشعر للعباس بن الأحنف. والغناء لابن جامع ثقيلٌ أول بالوسطى، وقال ابن حمدون: وعارضه إبراهيم بعد ذلك في هذا، الشعر، فصنع فيه لحناً من الرمل بالبنصر في مجراها، فلم يلحقه ولا قاربه. قال: وقد صنع أيضاً في هذا الشعر لحنٌ خفيف فاسد الصنعة محدث ليس ينبغي أن يذكر هاهنا.

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو عبد الله الحزنبل قال حدثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال: أنشد بشارٌ قول العباس بن الأحنف:

نزف البكاء دموع عينك فاستعر ... عينا لغيرك دمعها مدرار

فقال بشار: لحق والله هذا الفتى بالمحسنين، وما زال يدخل نفسه معنا ونحن نخرجه حتى قال هذا الشعر.

حدثني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون عن إسحاق قال: أنشد الرشيد قول العباس:

من ذا يعيرك عينه تبكي بها أرأيت عيناً للبكاء تعاو

فقال: يعيره من لا حاطه الله ولا حفظه.

ومما يغنى فيه من قصيدة العباس بن الأحنف الرائية التي هذا الصوت الأخير منها قوله:

الحب أول ما يكون لجاجةً تأتي به وتسوقه الأقدار

حتى إذا سلك الفتى لجج الهوى جاءت أمورٌ لا تطاق كبار

غناه ابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر. وفيه لشاطره امرأة منصورٍ زلزلٍ ثقيلٌ أول بالوسطى عن الهشامي. وذكر ابن المكي المرتجل أن هذه الأصوات الثلاثة المسروقة من ابن جامع:

يا قبر بين بيوت آل محرقٍ عفا طرف القرية فالكثيب

وأسقط منها قوله:

نزف البكاء دموع عينك فاستعر وبكيت نعم بكيت وكل إلف

يا قبر بين بيوت آل محرق جادت عليك رواعد وبروق

أما البكاء فقل عنك كثيره ولئن بكيت فالبكاء حقيق

الشعر لرجل من بني أسد يرثي خالد بن نضلة ورجلاً آخر من بني أسد كانا ندمين للمنذر بن ماء السماء، فقتلهما في سخطه عليهما، وخبر ذلك مشهور في أبخار ابن جامع. والغناء لابن جامع، وله فيه لحنان: ثقيل أول بالوسطى، ورمل بالبنصر، وقيل: إن الرمل لابن سريج. وذكر حبش أن لمحمد صاحب البرام فيه لحناً من الثقيل الثاني بالوسطى.

ومنها:

عفا رسم القرية فالكثيب إلى ملحاء ليس بها عريب

تأبد رسمها وجرى عليها سفي الريح والترب الغريب

فإنك واطراحك وصل سعدى لأخرى في مودتها نكوب

كثاقبةٍ لحليٍ مستعار بأذنيها فشأنهما الثقوب

فردت حلي جارتها إليها وقد بقيت بأذنيها ندوب

الشعر لابن هرمة. والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. عن إسحاق، وفيه للغريض ثاني ثقيل آخر بالبنصر عن عمرو. وقال عمرو: فيه لحن للهذلي، ولم يجنسه.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني عيسى بن أيوب القرشي قال حدثني غيث بن عبد الكريم عن فليح بن إسماعيل عن إسماعيل بن جعفر الفقيه مولى حرب عن أبيه قال: مررت بابن هرمة وهو جالس على دكان في بني زريق، فقلت له: يا أبا إسحاق، ما يجلسك ها هنا؟ قال: بيت كنت قلته ثم انقطع علي الروي فيه وتعذر علي ما أشتهيه، فأبغضته وتركته، قلت: ما هو؟ قال:

فإنك واطراحك وصل سعدى ... لأخرى في مودتها نكوب

قال: قلته ثم انقطع لي فيه، فمرت بي جويرية صفراء مليحة كنت أستحسنها أبداً وأكلمها إذا مرت بي، فمرت اليوم فرأيتها وقد ورم وجهها وتغير خلقها، أعما أعرف، فسألتها عن خبرها فقالت: كان في بني فلان عرسٌ أردت حضوره، فاستعار لي أهلي حلياً وثقبوا أذني لألبسه فورم وجهي وأذناي كما ترى، فردوه ولم أشهد العرس، قال ابن هرمة: فاطرد لي الشعر فقلت:

كثاقبةٍ لحلي مستعارٍ ... بأذنيها فشأنهما الثقوب

فردت حلي جارتها إليها ... وقد بقيت بأذنيها ندوب

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني العباس بن الفضل قال حدثني أبي قال: قال الرشيد لإبراهيم بن المهدي وإبراهيم الموصلي وابن جامع وابن أبي الكنات: باكروني غداً، وليكن كل واحد قد قال شعراً إن كان يقدر أن يقوله، وغنى فيه لحنا، وإن لم يكن شاعراً غنى في شعر غيره. قال إبراهيم بن المهدي: فقمت في السحر وجهدت أن أقدر على شيء أصنعه فلم يتفق لي، فلما خفت طلوع الفجر دعوت بغلماني وقلت لهم: إني أريد أن أمضي إلى موضع ولا يشعر بي أحد حتى أصير إليه، وكانوا يبيتون على باب داري، فقمت فركبت وقصدت دار إبراهيم الموصلي، وكان قد حدثني أنه إذا أراد الصنعة لم ينم حتى يدبر ما يحتاج إليه، وإذا قام لحاجته في السحر اعتمد على خشبة له في المستراح، فلم يزل يقرع عليها حتى يفرغ من الصوت ويرسخ في قلبه، فجئت حتى وقفت تحت مستراحه، فإذا هو يردد هذا الصوت:

إذا سكبت في الكأس قبل مزاجها ... ترى لونها في جلدة الكأس مذهبا

وإن مزجت راعت بلون تخاله ... إذا ضمنته الكأس في الكأس كوكبا

أبوها نجاء المزن والكرم أمها ... فلم أر زوجاً منه أشهى وطيبا

فجاءتك صفراً أشبهت غير جنسها ... وما أشبهت في اللون أما ولا أبا

قال: فما زلت واقفاً أستمع منه الصوت حتى أخذته، ثم غدونا إلى الرشيد، فلما جلسنا للشرب خرج الخادم إلي

فقال: يقول لك أمير المؤمنين: يا بن أم غنني، فاندفعت فغنيت هذا الصوت والموصلي في الموت حتى فرغت منه، فشرب عليه وأمر لي بثلثمائة ألف درهم، فوثب إبراهيم الموصلي فحلف بالطلاق وحياة الرشيد أن الشعر له قاله البارحة وغنى فيه، ما سبقه إليه أحدٌ، فقال إبراهيم: يا سيدي، فمن أين هو لي أنا لولا كذبه وبهته! وإبراهيم يضطرب ويضج، فلما قضيت أرباً من العبث به قلت للرشيد: الحق أحق أن يتبع، وصدقته، فقال للموصلي: أما أخي فقد أخذ المال ولا سبيل إلى رده، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم عوضاً مما جرى عليه، فلو بدأت أنت بالصوت لكان هذا حظك، فأمر له بها فحملت إليه.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن مخارق قال: أتى إبراهيم الموصلي محمد بن يحيى بن خالد في يوم مهرجان، فسأله محمدٌ أن يقيم عنده، فقال: ليس يمكنني لأن رسول أمير المؤمنين قد أتاني، قال: فتمر بنا إذا انصرفت ولك عندي كل ما يهدى إلي اليوم؟ فقال: نعم، وترك في المجلس صديقاً له يحصي ما يبعث به، إليه، قال: فجاءت هدايا عجيبةٌ من كل ضرب، قال: وأهدي إليه تمثال فيلٍ من ذهب عيناه ياقوتتان، فقال محمد للرجل: لا تخبره بهذا حتى نبعث به إلى فلانة ففعل، وانصرف إبراهيم إليه فقال: أحضرني ما أهدي لك، فأحضره ذلك كله إلا التمثال، وقال: لا بد من صدقك، كان من الأمر كذا وكذاة فقال: لا! إلا على الشريطة وكما ضمنت، فجيء بالتمثال، فقال إبراهيم: أليس الهدية لي فأعمل فيها ما أريد. قال: بلى، قال: فرد التمثال على الجارية، وجعل يفرق الهدايا على جلساء محمد شيئاً شيئاً وعلى جميع من حضر من إخوانه وغلمانه وعلى من في دور الحرم من جواريه حتى لم يبق منها شيء، ثم أخذ من المجلس تفاحتين لما أراد الانصراف وقال: هذا لي، وانصرف، فجعل محمد يعجب من كبر نفسه ونبله.

وقال أحمد بن المرزبان حدثني بعض كتاب السلطان: أن الرشيد هب ليلة من نومه، فدعا بحمار كان يركبه في القصر أسود قريبٍ من الأرض فركبه، وخرج في دراعة وشيٍ متلثماً بعمامة وشيء ملتحفا بإزار وشي، بين يديه أربعمائة خادم أبيض سوى الفراشين، وكان مسرورٌ الفرغاني جريئاً عليه لمكانه عنده، فلما خرج من باب القصر قال: أين يريد أمير المؤمنين في هذه الساعة. قال: أردت منزل الموصلي. قال مسرورٌ: فمضى ونحن معه وبين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم، فخرج فتلقاه وقبل حافر حماره وقال له: يا أمير المؤمنين، أفي مثل هذه الساعة تظهر! قال: نعم، شوقٌ طرق لك بي، ثم نزل فجلس في طرف الإيوان وأجلس إبراهيم، فقال له إبراهيم: يا سيدي أتنشط لشيء تأكله؟ فقال: نعم، خاميز ظبي، فأتي به كأنما كان معداً له، فأصاب منه شيئاً يسيراً، ثم دعا بشراب حمل معه، فقال الموصلي: يا سيدي، أؤغنيك أم تغنيك إماؤك؟ فقال: بل الجواري، فخرج جواري إبراهيم فأخذن صدر الإيوان وجانبيه، فقال: أيضربن كلهن أم واحدة؟ فقال: بل تضرب اثنتان اثنتان وتغني واحدة فواحدة، ففعلن ذلك حتى مر صدر الإيوان وأحد جانبيه والرشيد يسمع ولا ينشط لشيء من غنائهن، إلى أن غنت صبية من حاشيته:

يا موري الزند قد أعيت قوادحه　　اقبس إذا شئت من قلبي بمقباس

ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم إذا نظرت فلم أبصرك في الناس

قال: فطرب لغنائها واستعاد الصوت مراراً وشرب أرطالاً، ثم سأل الجارية عن صانعه فأمسكت، فاستدناها فتقاعست، فأمر بها فاقيمت حتى وقفت بين يديه، فأخبرته بشيء أسرته إليه، فدعا بحماره فركبه وانصرف، ثم التفت إلى إبراهيم فقال: ما ضرك ألا تكون خليفة!، فكادت نفسه تخرج، حتى دعا به وأدناه بعد ذلك. قال: وكان الذي خبرته به أن الصنعة في الصوت لأخته علية بنت المهدي، وكانت الجارية لها وجهت بها إلى إبراهيم يطارحها، فغار الرشيد. ولحن الصوت خفيف رمل.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان أبي يألف خمارةً بالرقة يقال لها بشرة تنزل الهنيء والمريء، وكانت لها بنت من أحسن الناس وجهاً فكان أبي يتحلاها، ثم رحل الرشيد عن الرقة إلى بلاد الروم في بعض غزواته، فقال أبي فيها:

أيا بنت بشرة ما عاقني عن العهد بعدك من عائق

نفى النوم عني سنا بارق وأشهقني في ذرى شاهق

قال: وفيها يقول أيضاً من أبيات له، وله فيها صنعة من الرمل الأول:

وزعمت أني ظالم فهجرتني ورميت في قلبي بسهمٍ نافذ

ونعم ظلمتك فاغفري وتجاوزي هذا مقام المستجير العائذ

ذكر حماد في هذا الخبر أن لحن جده من الرمل. ووجدت في كتاب أحمد بن المكي أن له فيهما لحنين: أحدهما ثقيل أول والآخر ثاني ثقيل.

حدثني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال: حبس الرشيد إبراهيم الموصلي عند أبي العباس يعني أباه عبد الله بن مالك فسمعناه ليلةً وقد صنع هذا اللحن وهو يكرره حتى يستوي له:

يا أخلاء قد مللت مكاني وتذكرت ما مضى من زماني

شربي الراح إذ تقوم علينا ذات دلٍّ كأنها غصن بان

قال: وغنى في الحبس أيضاً:

ألا طال ليلي أراعي النجوم أعالج في الساق كبلاً ثقيلا

حدثني عيسى قال حدثني عبد الله قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني علويه الأعسر قال: دخلت على إبراهيم الموصلي في علته التي توفي فيها وهو في الأبزن وبه القولنج الذي مات فيه، وهو يترنم بهذا الصوت:

تغير مني كل حسنٍ وجدةٍ وعاد على ثغري فأصبح أثرما

ومحل أطرافي فزالت فصوصها وحتى عظامي عوجها والمقوما

قال محمد: فحدثت بهذا الحديث إسحاق الموصلي، فقال: كذب ابن الزانية! والله ما كان يجترىء أن يدخل إلى أبي إسحاق وهو جالس للناس إلا بعد جهد، فكيف يدخل إلى أبي إسحاق وهو جالس في الأبزن.

الشعر والغناء لإبراهيم، وله فيه لحنان ماخوري بالوسطى عن عمرو، وثاني ثقيلٍ عن ابن المكي.

حدثني جحظة قال: كان المقتدر يدعونا في الأحايين، فكان يحضر من المغنين إبراهيم بن أبي العبيس وكنيز وإبراهيم بن قاسم وأنا ووصيف الزامر، وكان أكثر ما ندعى له أن جواريه كن يطالبنه بإحضارنا ليأخذن منا أصواتاً قد عرفتها ويسمعننا. فنغني فيأخذن ما يستحسنه، فإذا انصرفنا أمر لكل واحد من إبراهيم وكنيز دبة وإبراهيم بثلاثمائة دينار، ولي بمائتي دينار، ولوصيف بمائتي دينار، ولسائر من لعله أن يحضر معنا بمائتين إلى المائة الدينار إلى الألف الدرهم، فيكون إذا حضرنا من وراء ستارة وهو جالس مع الجواري، فإذا أراد اقتراح شيء جاءنا الخدم فأمرونا أن نغنيه، وبين يدي كل واحد منا قنينةٌ فيها خمسة أرطال نبيذٍ وقدحٌ ومغسلٌ وكوز ماءٍ، فغنت يوماً صلفة جارية زرياب بصنعة إبراهيم الموصلي:

تغير مني كل حسن وجدةٍ وعاد على ثغري فأصبح أثر ما

فشربت عليه، فاستعاده المقتدر مراراً وأنا أشرب عليه، فأخذ إبراهيم بن أبي العبيس بكتفي وقال: يا مجنون! إنما دعيت لتغني لا لتغني وتطرب وتشرب، فلعلك تسكر، حسبك!، فأمسكت طمعاً أن ترده بعد ذلك، فما فعلت ولا اجتمعنا بعدها، وما سمعت قبل ذلك ولا بعده أحداً غنى هذا الصوت أحسن مما غنته. قال: وكان المقتدر ابتاعها من زرياب.

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان بن علي قال: حدثني إسحاق الموصلي عن أبيه قال: بينا أنا بمكة أجول في سككها إذا أنا بسوداء قائمةٍ ساهيةٍ باكيةٍ، فأنكرت حالها وأدمنت النظر إليها، فبكت وقالت:

أعمرو علام تجنبتني أخذت فؤادي وعذبتني

فلو كنت يا عمرو وخبرتني أخذت حذاري فما نلتني

فقلت لها: يا هذه، من عمروٌ؟ قالت: زوجي، قلت: وما شأنه؟ قالت: أخبرني أنه يهواني وما زال يطلبني حتى تزوجته، فلبث معي قليلاً ثم مضى إلى جدة وتركني، فقلت لها: صفيه لي؟ قالت: أحسن من أنت رأيته سمرةً وأحلاهم حلاوةً وقداً، فركبت رواحلي مع غلماني وصرت إلى جدة، فوقفت في موضع المرفأ أتبصر من يحمل من السفن، وأمرت من يصوت: يا عمرو يا عمرو، وإذا أنا به خارجاً من سفينة على عنقه صنٌ فيه طعامٌ، فعرفته بصفتها ونعتها إياه، فقلت:

أعمرو غلام تجنبتني أخذت فؤادي وعذبتني

فقال: هيه أرأيتها وسمعت منها؟ فقلت: نعم، فأطرق هنيهةً يبكي، ثم اندفع فغنى به أملح غناءٍ سمعته، ورددده علي حتى أخذته منه، وإذا هو أحسن الناس غناءً، فقلت له: ألا ترجع إليها؟ فقال: طلب المعاش يمنعني؟ فقلت: كم يكفيك معها في كل سنةٍ، فقال: ثلثمائة درهم - قال إسحاق: قال لي أبي: فوالله يا بني لو قال ثلثمائة دينارٍ لطابت نفسي بها - فدعوت به فأعطيته ثلاثة الآف درهم، وقلت له: هذا لعشر سنين على أن تقيم معها، فلا تطلب المعاش إلا حيث هي مقيمةٌ معك، ويكون ذلك فضلاً، ورددته معي إليها.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا علي بن محمد النوفلي قال حدثنا صالح بن علي يعني الأضخم عن إبراهيم الموصلي - قال: وكان صالح جاره - قال: بينا أنا عشيةً في منزلي إذ أتاني خادم من خدم الرشيد فاستحثني بالركوب إليه فخرجت شبيهاً بالراكض، فلما صرت إلى الدار عدل بي عن المدخل إلى طرق لا أعرفها، فانتهي بي إلى دارٍ حديثة البناء، فدخلت صحناً واسعاً، وكان الرشيد يشتهي الصحون الواسعة، فإذا هو جالس على كرسي في وسط ذلك الصحن، ليس عنده أحد إلا خادمٌ يسقيه، وإذا هو في لبسته التي كان يلبسها في الصيف: غلالةٌ رقيقة متوشح عليها بإزار رشيدي عريض العلم مضرج فلما رآني هش لي وسر، وقال: يا موصلي، إني اشتهيت أن أجلس في هذا الصحن فلم يتفق لي إلا اليوم، وأحببت ألا يكون معي ومعك أحدٌ، ثم صاح بالخدام، فوافاه مائة وصيفٍ، وإذا هم بالأزقة مستترون بالأساطين حتى لا يراهم، فلما ناداهم جاءوا جميعاً، فقال: مقطعة لإبراهيم، وكان هو أول من قطع، المصليات، فأتيت بمقعد فألقي لي تجاه وجهه بالقرب منه، ودعا بعود فقال: بحياتي أطربني بما قدرت، قال: ففعلت واجتهدت في ذلك ونشطت ورجوت الجائزة في عشيتي، فبينا أنا كذلك إذ جاءه مسرورٌ الكبير، فقام مقامه الذي كان إذا قامه علم الرشيد أنه يريد أن يساره بشيء، فأومأ إليه بالدنو، فدنا، فألقى في أذنه كلمةً خفيفةً ثم تنحى، فاستشاط غضباً واحمرت عيناه وانتفخت أوداجه، ثم قال: حتام أصبر على آل بني أبي طالب! والله لأقتلنهم ولأقتلن شيعتهم ولأفعلن ولأفعلن!، فقلت: إنا لله! ليس عند هذا أحد يخرج غضبه عليه، أحسبه والله سيوقع بي، فاندفعت أغني:

نعم عوناً على الهموم ثلاث مترعاتٌ من بعدهن ثلاث

بعدها أربعٌ تتمة عشرٍ لا بطاءٌ لكنهن حثاث

فإذا ناولتكهن جوارٍ عطراتٌ بيض الوجوه خناث

تم فيها لك السرور وما طيب عيشاً إلا الخناث الإناث

قال: ويلك! اسقني ثلاثاً لا أمت هماً، فشرب ثلاثاً متتابعة، ثم قال: غن فغنيت، فلما قلت:

ثلاث مترعات من بعدهن ثلاث قال: هات ويلك ثلاثاً، ثم قال لي: غن، فلما غنيته قال: حث علي بأربع تتمة العشر، ففعل، فوالله ما استوفى آخرهن حتى سكر، فنهض ليدخل، ثم قال: قم يا موصلي فانصرت، يا مسرور، أقسمت عليك بحياتي وبحقي إلا سبقته إلى مترله بمائة ألف درهم، لا أستأمر فيها ولا في شيء منها، فخرجت والله وقد أمنت خوفي وأدركت ما أملت، ووافيت مترلي وقد سبقتني المائة الألف الدرهم إليه.

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال: خرج رسول، الرشيد ذات ليلةً إلى المغنين فقال: غنوا:

يا خليلي قد مللت ثوائي ... بالمصلى وقد سئمت البقيعا

بلغاني ديار هندٍ وسعدى ... وارجعاني فقد هويت الرجوعا

قال: فغناه ابن جامع، فلما فرغ منه طرب الرشيد وشرب، فقال له إبراهيم الموصلي: يا سيدي، فاسمعه من نبيطيك فغناه، فجعل ابن جامع يزحف من أول البيت إلى آخره، وطرب هارون فقال: ارفعوا الستارة، فقال له ابن جامع: مني والله أخذه يا أمير المؤمنين، فأقبل على إبراهيم فقال: بحياتي صدق؟ قال: صدق وحياتك يا سيدي، قال: وكيف أخذته وهو أبخل الناس إذا سئل شيئاً؟ قال: تركته يغنيه وكان إذا سكر يسترسل فيه فيغنيه مستوياً ولا يتحرز مني، فأخذته على هذا منه حتى وفيت به.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان برصوماً الزامر وزنزلٌ الضارب من سواد أهل الكوفة من أهل الخشنة والبذاذة والدناءة، فقدم بهما أبي معه سنة حج، ووقفهما على الغناء العربي وأراهما وجوه النغم وثقفهما حتى بلغا المبلغ الذي بلغاه من خدمة الخليفة، وكان أطبع أهل دهرهما في صناعتهما، فحدثني أبي قال: كان لزلزل جارية قد رباها وعلمها الضرب وسألني مطارحتها فطارحتها، وكانت مطبوعةً حاذقة، قال: فكان يصوغها أن يسمعها أحدٌ، فلما مات بلغني أنها تعرض في ميراثه للبيع، فصرت إليها لأعترضها، فغنت:

أقفر من أوتاره العود ... فالعود للأوتار معمود

وأوحش المزمار من صوته ... فما له بعدك تغريد

من للمزامير وعيدانها ... وعامر اللذات مفقود

الخمر تبكي في أباريقها ... والقينة الخمصانة الرود

قال: وهذا شعر رثاه به صديق له كان بالرقة، قال: فأبكت والله عيني وأوجعت قلبي. فدخلت على الرشيد فحدثته بحديثها، فأمر بإحضارها فحضرت، فقال لها: غني الصوت الذي حدثني إبراهيم عنك أنك غنيته، فغنته وهي تبكي، فرق الرشيد لها وتغرغرت عيناه، وقال لها: أتحبين أن أشتريك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، لقد عرضت

علي ما يقصر عنه الأمل، ولكن ليس من الوفاء أن يملكني أحد بعد سيدي فينتفع بي، فازداد رقةً عليها، وقال: غني صوتاً آخر، فغنت:

العين تظهر كتماني وتبديه ... والقلب يكتم ما ضمنته فيه

فكيف ينكتم المكتوم بينهما ... والعين تظهره والقلب يخفيه

فأمر بأن تبتاع وتعتق، ولم يزل يجري عليها إلى أن ماتت.

أخبرنا محمد قال حدثنا حماد عن أبيه عن جده قال: قال لي الرشيد يوماً: يا إبراهيم، بكر علي غداً حتى نصطبح، فقلت له: أنا والصبح كفرسي رهانٍ، فبكرت فإذا أنا به خالياً، وبين يديه جاريةٌ كأنها خوط بان أو جدل عنان، حلوة المنظر، دمثة الشمائل، وفي يدها عودٌ، فقال لها: غني، فغنت في شعر أبي نواس وهو:

توهمه قلبي فأصبح خده ... وفيه مكان الوهم من نظري أثر

ومر بفكري خاطراً فجرحته ... ولم أر جسماً قط يجرحه الفكر

وصافحه قلبي فآلم كفه ... فمن غمز قلبي في أنامله عقر

قال إبراهيم: فذهبت والله بعقلي حتى كدت أن أفتضح، فقلت: من هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه التي يقول فيها الشاعر:

لها قلبي الغداة وقلبها لي ... فنحن كذاك في جسدين روح

ثم قال لها: غني، فغنت:

تقول غداة البين إحدى نسائهم ... لي الكبد الحري فسر ولك الصبر

وقد خنقتها عبرةٌ فدموعها ... على خدها بيضٌ وفي نحرها صفر

- الشعر لأبي الشيص، والغناء لعمرو بن بانة، خفيف رمل بالوسطى من كتابه وفيه لمتيم ثاني ثقيلٍ وخفيف رمل آخر - قال: فشرب وسقاني ثم سقاها، ثم قال: غن يا إبراهيم، فغنيت حسب ما في قلبي غير متحفظٍ من شيءٍ:

تشرب قلبي حبها ومشى به ... تمشي حميا الكأس في جسم شارب

ودب هواها في عظامي فشفها ... كما دب في الملسوع سم العقارب

قال: ففطن بتعريضي، وكانت جهالةً مني، قال: فأمرني بالانصراف، ولم يدعني شهراً ولا حضرت مجلسه، فلما كان بعد شهر دس إلي خادماً معه رقعةٌ، فيها مكتوب:

قد تخوفت أن أموت من الوج ... د ولم يدر من هويت بما بي

يا كتابي فأقر السلام على من ... لا أسمي وقل له يا كتابي

إن كفاً إليك قد بعثتني ... في شقاءٍ مواصلٍ وعذاب

فأتاني الخادم بالرقعة، فقلت له: ما هذا؟ قال: رقعة الجارية فلانة التي غنتك بين يدي أمير المؤمنين، فأحسست القصة فشتمت الخادم ووثبت عليه وضربته ضرباً شفيت به نفسي وغيظي، وركبت إلى الرشيد من فوري فأخبرته القصة وأعطيته الرقعة، فضحك حتى كاد يستلقي، ثم قال: على عمدٍ فعلت ذلك بك لأمتحن مذهبك، وطريقتك، ثم دعا بالخادم! فلما خرج رآني فقال لي: قطع الله يديك ورجليك، ويحك! قتلتني، فقلت: القتل والله كان بعض حقك لما وردت به علي، ولكن رحمتك فأبقيت عليك، وأخبرت أمير المؤمنين ليأتي في عقوبتك بما تستحقه. فأمر لي الرشيد بصلةٍ سنية، والله يعلم أني ما فعلت الذي فعلت عفافاً ولكن خوفاً.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني حماد بن إسحاق قال: أخبرني أبي أنه سمع الرشيد وقد سأل جدي إبراهيم كيف يصنع إذا أراد أن يصوغ الألحان، فقال: يا أمير المؤمنين، أخرج الهم من فكري وأمثل الطرب بين عيني، فتسوغ لي مسالك الألحان التي أريد، فأسلكها بدليل الإيقاع، فأرجع مصيباً ظافراً بما أريد، فقال: يحق لك يا إبراهيم أن تصيب وتظفر، وإن حسن وصفك لمشاكل حسن صنعتك وغنائك.

أخبرني ابن المرزبان قال حدثني حماد عن أبيه عن جده قال: أدركت يونس الكاتب وهو شيخ كبير فعرضت عليه غنائي، فقال: إن عشت كنت مغني دهرك.

قال حماد قال لي محمد بن الحسن: كان لكل واحد من المغنين مذهب في الخفيف والثقيل، وكان معبد ينفرد بالثقيل، وابن سريج بالرمل، وحكمٌ بالهزج، ولم يكن في المغنين أحد يتصرف في كل مذهب من الأغاني، إلا ابن سريج وإبراهيم جدك وأبوك إسحاق.

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب السرخسي قال حدثني أحمد بن ثابت العبدي عن أبي الهذيل العلاف رأس المعتزلة عن ثمامة بن أشرس قال: مررت بإبراهيم الموصلي ويزيد حوراء وهما مصطبحان، وقد أخذا بينهما صوتاً يغنيانه: هذا بيتاً وهذا بيتاً، وهو:

أيا جبلي نعمان بالله خليا ... سبيل الصبا يخلص إلي نسيمها

فإن الصبا ريحٌ إذا ما تنسمت ... على نفسي مهمومٍ تجلت همومها

أخبرنا محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده إبراهيم قال: سألت الرشيد أن يهب لي يوماً في الجمعة لا يبعث فيه إلي بوجه ولا بسبب، لأخلو فيه بجواري وإخواني، فأذن لي في يوم السبت، وقال لي: هو يوم أستثقله، فاله فيه بما شئت، فأقمت يوم السبت بمنزلي وتقدمت في إصلاح طعامي وشرابي بما احتجت إليه، وأمرت بوابي فأغلق الأبواب وتقدمت إليه ألا يأذن علي لأحد، فبينا أنا في مجلس والخدم قد حفوا بي وجواري يترددن بين يدي، إذا أنا بشيخ في هيئة وجمال، عليه خفان قصيران وقميصان ناعمان، وعلى رأسه قلنسوة لاطئة، وبيده عكازة مقمعة بفضة، وروائح المسك تفوح منه حتى ملأ البيت والدار، فداخلني بدخوله علي مع ما تقدمت فيه غيظٌ ما تداخلني قط مثله، وهممت بطرد بوابي ومن حجبني لأجله، فسلم علي أحسن سلام فرددت

عليه، وأمرته بالجلوس فجلس، ثم أخذ بي، في أحاديث الناس وأيام العرب وأحاديثها وأشعارها حتى سلى ما بي من الغضب، وظننت أن غلماني تحروا مسرتي بإدخالهم مثله علي لأدبه وظرفه، فقلت: هل لك في الطعام. فقال: لا حاجة لي فيه، فقلت: هل لك في الشراب. فقال: ذلك إليك، فشربت رطلا وسقيته مثله، فقال لي: يا أبا إسحاق، هل لك أن تغني لنا شيئا من صنعتك وما قد نفقت به عند الخاص والعام. فغاظني قوله، ثم سهلت على نفسي أمره فأخذت العود فجسسته ثم ضربت فغنيت، فقال: أحسنت يا إبراهيم، فازداد غيظي وقلت: ما رضي بما فعله من دخوله علي بغير إذن واقتراحه أن أغنيه حتى سماني و لم يكنني و لم يجمل مخاطبتي!. ثم قال: هل لك أن تزيدنا. فتذممت فأخذت العود فغنيت، فقال: أجدت يا أبا إسحاق! فأتم حتى نكافئك ونغنيك، فأخذت العود وتغنيت وتحفظت وقمت بما غنيته إياه قياماً، تاماً ما تحفظت مثله ولا قمت بغناء كما قمت به له بين يدي خليفة قط ولا غيره، لقوله لي: أكافئك، فطرب وقال: أحسنت يا سيدي، ثم قال: أتأذن لعبدك بالغناء. فقلت: شأنك، واستضعفت عقله في أن يغنيني بحضرتي بعد ما سمعه مني، فأخذ العود وجسه وحبسه، فوالله لخلته ينطق بلسانٍ عربي لحسن ما سمعته من صوته، ثم تغنى:

ولي كبد مقروحةٌ من يبيعني ... بها كبد ليست بذات قروح

أباها علي الناس لا يشترونها ... ومن يشتري ذاعلةٍ بصحيح

أئن من الشوق الذي في جوانبي ... أنين غصيصٍ بالشراب جريح

قال إبراهيم: فوالله لقد ظننت الحيطان والأبواب وكل ما في البيت يجيبه ويغني معه من حسن غنائه، حتى خلت والله أني أسمع أعضائي وثيابي تجاوبه، وبقيت مبهوتاً لا أستطيع الكلام ولا الجواب ولا الحركة لما خالط قلبي، ثم غنى:

ألا يا حمامات اللوى عدن عودةً ... فإني إلى أصواتكن حزين

فعدن فلما عدن كدن يمتنني ... وكدت بأسراري لهن أبين

دعون بترداد الهدير كأنما ... سقين حمياً أو بهن جنون

لم ترعيني مثلهن حمائماً ... بكين ولم تدمع لهن عيون

لم أعرف في هذه الأبيات لحناً ينسب إلى إبراهيم، والذي عرفته لمحمد بن الحارث بن بسخنر خفيف رمل فكاد، والله أعلم، عقلي أن يذهب طرباً وارتياحاً لما سمعت، ثم غنى:

ألا يا صبا نجدٍ متى هجت من نجد ... لقد زادني مسراك وجداً على وجد

أأن هتفت ورقاء في رونق الضحى ... على فننٍ غض النبات من الرند

بكيت كما يبكي الحزين صبابةً وذبت من الحزن المبرح والجهد
وقد زعموا أن المحب إذا دنا يمل وأن النأى يشفي من الوجد
بكلٍّ تداوينا فلم يشف ما بنا على أن قرب الدار خيرٌ من البعد

ثم قال: يا إبراهيم، هذا الغناء الماخوري فخذه وانح نحوه في غنائك وعلمه جواريك، فقلت: أعده علي، فقال: لست تحتاج، قد أخذته وفرغت منه، ثم غاب من بين يدي، فارتعت وقمت إلى السيف فجردته، وعدوت نحو أبواب الحرم فوجدها مغلقةً، فقلت للجواري: أي شيء سمعتن عندي؟ فقلن: سمعنا أحسن غناءٍ سمع قط، فخرجت متحيراً إلى باب الدار فوجدته مغلقاً، فسألت البواب عن الشيخ، فقال لي: أي شيخ هو؟ والله ما دخل إليك اليوم أحد، فرجعت لأتأمل أمري، فإذا هو لد هتف بي، من بعض جوانب البيت: لابأس عليك يا أبا إسحاق، أنا إبليس وأنا كنت جليسك ونديمك اليوم، فلا ترع. فركبت إلى الرشيد وقلت: لا أطرفه أبدا بطرفة مثل هذه، فدخلت إليه فحدثته بالحديث، فقال: ويحك! تأمل هذه الأصوات، هل أخذتها؟ فأخذت العود أمتحنها، فإذا هي راسخة في صدري كأنها لم تزل، فطرب الرشيد عليها وجلس يشرب و لم يكن عزم على الشراب، وأمر لي بصلةٍ وحملانٍ وقال: الشيخ كان أعلم بما قال لك من أنك أخذتها وفرغت منها، فليته أمتعنا بنفسه يوماً واحداً كما أمتعك.

أما الصوت الأول فالذي أعرفه فيه خفيف رمل لمحمد بن الحارث بن بسخنر، و لم يقع إلي فيه صنعة لإبراهيم. والصوت الثاني الذي أوله:

ألا يا صبا نجدٍ متى هجت من نجد

فشعره ليزيد بن الطثرية، والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو. وفيه لمحمد بن الحسن بن مصعب ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي وعمرو. وذكر إبراهيم أن فيه لحنا لدحمان ولحناً لابنه الزبير، و لم يذكر في أي طيقةٍ هما.

هكذا حدثنا أبن أبي الأزهر بهذا الخبر، وما أدري ما أقول فيه، ولعل إبراهيم صنع هذه الحكاية ليتنفق بها، أو صنعت وحكيت عنه. إلا أن للخبر أصلًا الأشبه بالحق منه ما حدثني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق ين إبراهيم الموصلي عن أبيه قال: صنعت لحناً فأعجبني، وجعلت أطلب شعراً فعسر ذلك علي، ورأيت في المنام كأن رجلًا لقيني فقال: يا إبراهيم، أأعياك شعر لغنائك هذا الذي تعجب به. قلت نعم، قال: فأين أنت من قول في الرمة حيث قال:

ألا يا اسلمى يا دارمي عن البلى و لا زال منهلاً بجرعائك القطر
و إن لم تكوني غير شام بقفرةٍ تجربها الأذيال صيفية كدر

قال: فانتبهت وأنا فرحٌ بالشعر، فدعوت من ضرب علي وغنيته فإذا هو أوفق ما خلق الله، فلما علمت ذلك، وعلمت، هذا الغناء في شعر في الرمة، تنبهت عليه وعلى شعره فصنعت فيه ألحاناً ماخوريةً، منها:

أمنزلتي ميٍّ سلامُ عليكما هل الأزمن اللائي مررن رواجع

وهل يرجع التسليم أو يكشف العمى ثلاث الأثافي أو رسومٌ بلاقع

صنعة إبراهيم في هذين الشعرين جميعاً من الماخوري بالوسطى، وهو خفيف الثقيل الثاني. وأخباره كلها في هذا المعنى تأتي في أخبار ذي الرمة مشروحةً.

حدثني محمد بن، مزيد قال حدثني حماد عن أبيه قال قال لي، أبي: قال لي، جعفر بن يحيى يوماً وقد علم أن الرشيد أذن لي وللمغنين في الانصراف يومئذ: صر إلي حتى أهب لك شيئا حسناً فصرت إليه فقال لي: أيما أحب إليك: أهب لك الشيء الحسن الني وعدتك به، أم أرشدك إلى شيء تكسب به ألف ألف درهم. فقلت: بل يرشدني الوزير - أعزه الله - إلى هذا الوجه فإنه يقوم مقام إعطائه إياي هذا الحسن، فقال: إن أمير المؤمنين يحفظ شعر في الرمة حفظ الصبا ويعجبه ويؤثره، فإذا سمع فيه غناءً، أطربه أكثر مما يطربه غيره مما لا يحفظ شعره، فإذا غنيته فأطربته وأمر لك بجائزة، فقم على رجليك قائماً وقبل الأرض بين يديه وقل له: لي حاجة غير هذه الجائزة أريد أن أسألها أمير المؤمنين، وهي حاجة تقوم عندي مقام كل فائدة ولا تضره ولا ترزؤه، فإنه سيقول لك: أي شيء حاجتك. فقل: قطيعةٌ تقطعنيها سهلةٌ عليك لا قيمة لها ولا منفعة فيها لأحد، فإذا أجابك إلى ذلك، فقل له: تقطعني شعر ذي الرمة أغني فيه ما أختاره وتحظر على المغنين جميعاً أن يداخلوني فيه، فإني أحب شعره وأستحسنه فلا أحب أن ينغصه علي أحدٌ منهم، وتوثق منه وني ذلك، فقبلت ذلك القول منه، وما انصرفت من عنده بعد ذلك إلا بجائزة، وتوخيت وقت الكلام في هذا المعنى حتى وجدته، فقمت فسألت كما قال! لي، وتبينت السرور في وجهه، وقال: ما سألت شططاً، قد أقطعتك سؤلتك، فجعلوا يتضاحكون من قولي ويقولون: لقد استضخمت القطيعة وهو ساكت، فقلت: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في التوثق؟ قال!: توثق كيف شئت، فقلت: بالله وبحق رسوله وبتربة أمير المؤمنين المهدي إلا جعلتني على ثقة من ذلك بأنك تحلف لي أنك، لا تعطي أحدا من المغنين جائزة على شيء يغنيه في شعر في الرمة فإن ذلك وثيقتي، فحلف مجتهداً لهم لئن غناه أحد منهم في. شعر في الزقة لا أثابه بشيء ولا بره ولا سمع غناءه، فشكرت فعله وقبلت الأرض بين يديه وانصرفنا. فغنيت مائة صوت وزيادة في شعر في الرمة، فكان إذا سمع منها صوتاً طرب وزاد طربه ووصلني فأجزل، و لم ينتفع به أحدٌ منهم غيري، فأخذت منه والله بها ألف ألف درهم وألف ألف درهم.

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني أبو خالد الأسلمي قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال: قال إبراهيم الموصلي: أرتج علي فلم أجد شعراً أصوغ فيه غناء أغني فيه الرشيد، فدخلت إلى بعض حجر في داري مغموماً، فأسبلت الستور علي وغلبتني عيني، فتمثل لي

في البيت شيخٌ أشوه الخلقة، فقال لي: يا موصلي، مالي أراك مغموماً، قلت: لم أصب شعراً أغني فيه الرشيد الليلة، قال: فأين أنت عن قول في الرمة:

ألا يا اسلمي يا دارمي على البلى ... ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

وإن لم تكوني غير شام بقفرةٍ ... تجربها الأذيال صيفيةٌ كدر

أقامت بها حتى ذوي العود في الثرى ... وساق الثريا في ملاءته الفجر

وحتى اعتلى البهمى من الصيف نافضٌ ... كما نفضت خيلٌ نواصيها شقر

قال: وغناني فيه بلحن وكرره حتى علقته فانتبهت وأنا أديره، فناديت جاريةً لي وأمرتها بإحضار عود، ومازلت أترنم بالصوت وهي تضرب حتى أستوى لي، ثم صرت إلى هارون فغنيته إياه، فأسكت المغنين، ثم قال: أعد فأعدت، فما زال ليلته يستعيدنيه، فلما أصبح أمر لي بثلاثين ألف درهم وبفرش البيت الذي كنا فيه، وقال: عليك بشعر ذي الرمة فغن فيه، فصنعت فيه غناءً كثيراً، فكنت أغنيه به فيعجبه، ويجزل صلتي.

أخبرني عمي وابن المرزبان والحسن بن علي قالوا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله السلمي قال حدثنا أبو غانم مولى جبلة بن يزيد السلمي قال: اجتمع إبراهيم الموصلي وزلزل وبرصوما بين يدي الرشيد، فضرب زلزلٌ وزمر برصوماً وغنى إبراهيم:

صحا قلبي وراع إلي عقلي ... وأقصر باطلي ونصيت جهلي

رأيت الغانيات وكن صوراً ... إلي صرمنني وطعن حبلي

فطرب هارون حتى وثب على رجليه وصاح: يا آدم، لو رأيت من يحضرني من ولدك اليوم لسرك! ثم جلس وقال: أستغفر الله.

الشعر الذي غنى فيه إبراهيم لأبي العتاهية. والغناء لإبراهيم خفيف ثقيلٍ بالبنصر.

حدثني جحظة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان الرشيد يجد بماردة وجداً شديداً، فغضبت عليه وغضب عليها، وتمادى بينهما الهجر أياماً، فأمر جعفر بن يحيى العباس بن الأحنف فقال:

راجع أحبتك الذين هجرتهم ... إن المتيم قلما يتجنب

إن التجنب إن تطاول منكما ... دب السلو له فعز المطلب

وأمر إبراهيم الموصلي فغنى فيه الرشيد، فلما سمعه بادر إلى ماردة فترضاها، فسألت عن السبب في ذلك فعرفته، فأمرت لكل واحد من العباس وإبراهيم بعشرة آلاف درهم، وسألت الرشيد أن يكافئهما عنها، فأمر لهما بأربعين ألف درهم.

أخبرني جعفر بن قدامة عن حماد عن أبيه قال: أول جائزة خرجت لشاعر من الرشيد لما ولي الخلافة جائزةٌ لإبراهيم، فإنه قال يمدحه لما ولي:

ألم تر أن الشمس كانت مريضةً ... فلما ولي هارون أشرق نورها

فألبست الدنيا جمالاً بوجهه ... فهارون واليها ويحيى وزيرها

وغنى فيه، فأمر له بمائة ألف درهم، وأمر له يحيى بخمسين ألف درهم.

أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني إسحاق الموصلي: أن أباه لعب يوماً مع الرشيد بالنرد في الخلعة التي كانت على الرشيد والخلعة التي كانت عليه هو، فتقامر للرشيد، فلما قمره قام إبراهيم فنزع ثيابه، ثم قال للرشيد: حكم النرد الوفاء به، وقد قمرت ووفيت لك، فألبس ما كان علي، فقال له الرشيد: ويلك! أنا ألبس ثيابك! فقال: إي والله إذا أنصفت، وإذا لم تنصف قدرت وأمكنك، قال: ويلك! أو أفتلي منك؟ قال: نعم ة قال: وما الفداء. قال: قل أنت يا أمير المؤمنين فإنك أولى بالقول ة فقال: أعطيك كل ما علي، قال: فمر به يا أمير المؤمنين وأنا أستخير الله في ذلك، فدعا بغير ما عليه فلبسه ونزع ما كان عليه فدفعه إلى إبراهيم.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني علي بن عبد الكريم قال: زار ابن جامع إبراهيم الموصلي، فأخرج إليه ثلاثين جاريةً فضربن جميعاً طريقةً واحدة وغنين، فقال ابن جامع: في الأوتار وترٌ غير مستوٍ، فقال إبراهيم: يا فلانة شدي مثناك، فشدته فاستوى، فعجبت أولاً من فطنة ابن جامع لوتر في مائة وعشرين وتراً غير مستو، ثم ازداد عجبي من فطنة إبراهيم له بعينه.

أخبرني إسماعيل بن يونس وحبيب بن نصر المهلبي، قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم قال حدثني أبي قال: كنا مع الرشيد بالرقة وكان هناك خمار أقصده أشتري منه شراباً حسناً طيباً، وربما شربت في حانته، فأتيته يوماً فبزل لي دناً في باطية له، فرأيت لونه حسناً صافياً، فاندفعت أغني:

اسقني صهباء صرفاً ... لم تدنس بمزاج

اسقني والليل داجٍ ... قبل أصوات الدجاج

يا أبا وهب خليلي ... كل همٍّ لا نفراج

حين توهت بقلبي ... في أعاصير الفجاج

- الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم هزجٌ بالوسطى عن عمرو. وفيها لسياط ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق - قال: فدهش الخمار يسمع صوتي، فقلت له: ويحك! قد فاض النبيذ من الباطية، فقال: دعني من النبيذ يا أبا إسحاق، مالي أرى صوتك حزيناً حريقاً، مات لك بالله إنسان؟، فلما جئت إلى الرشيد حدثته بذلك فجعل يضحك.

وذكر أحمد بن أبي طاهر أن المدائني حدث قال: قال، إبراهيم الموصلي قال لي الرشيد يوماً: يا إبراهيم، إني قد جعلت غداً للحريم، وجعلت ليلته
للشرب مع الرجال، وأنا مقتصرٌ عليك من المغنين، فلا تشتغل غداً بشيء ولا تشرب نبيذاً، وكن بحضرتي في وقت العشاء الآخرة، فقلت: السمع والطاعة لأمير المؤمنين، فقال: وحق أبي لئن تأخرت أو اعتللت بشيء لأضربن عنقك، أفهمت. فقلت: نعم، وخرجت فما جاءني أحد من إخواني إلا احتجبت عنه ولا قرأت رقعة لأحد، حتى إذا صليت المغرب ركبت قاصداً إليه، فلما قربت من فناء داره مررت بفناء قصر، وإذا زنبيلٌ كبير مستوثق منه بحبال وأربع عرى أدم وقد دلي من القصر، وجاريةٌ قائمة تنتظر إنساناً قد وعد ليجلس فيه، فنازعتني نفسي إلى الجلوس فيه، ثم قلت: هذا خطأ، ولعله أن يجري سبب يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاك، فلم أزل أنازع نفسي وتنازعني حتى غلبتني، فنزلت فجلست فيه، ومد الزنبيل حتى صار في أعلى القصر، ثم خرجت فنزلت، فإذا جوار كأنهن المها جلوسٌ، فضحكن وطربن، وقلن: قد جاء والله من أردناه ة فلما رأينني من قريب تبادرن إلى الحجاب وقفن: يا عدو الله، ما أدخلك إلينا. فقلت: يا عدوات الله، ومن الذي أردتن إدخاله؟ و لم صار أولى بهذا مني؟ فلم يزل هذا دأبنا وهن يضحكن وأضحك معهن، ثم قالت إحداهن: أما من أردناه فقد فات، وما هذا إلا ظريف، فهلم نعاشره عشرة جميلة، فأخرج إلي طعام ودعيت إلى أكله، فلم يكن في فضلٌ إلا أني كرهت أن أنسب إلى سوء العشرة، فأصبت منه إصابة معذر، ثم جيء بالنبيذ فجعلنا نشرب، وأخرجن إلي ثلاث جوارٍ لهن فغنين غناء مليحاً، فغنت إحداهن صوتاً لمعبد، فقالت إحدى الثلاث من وراء الستر: أحسن إبراهيم، هذا له، فقلت: كذبت ليس هذا له، هذا لمعبد، فقالت: يا فاسق، وما يدريك الغناء ما هو، ثم غنت الأخرى صوتاً للغريض، فقالت تلك: أحسن إبراهيم، هذا له أيضاً، فقلت: كذبت يا خبيثة، هذا للغريض، فقالت: اللهم أخزه، ويلك! وما يدريك! ثم غنت الجارية صوتاً لي، فقالت تلك: أحسن ابن سريج، هذا له، فقلت: كذبت هذا لإبراهيم، وأنت تنسبين غناء الناس إليه وغناءه إليهم، فقالت: ويحك! وما يدريك!، فقلت: أنا إبراهيم، فتباشرن بذلك جميعاً وطربن كلهن وظهرن كلهن لي وقلن: كتمتنا نفسك وقد سررتنا، فقلت: أنا الآن أستودعكن الله، فقلن: وما السبب. فأخبرتهن بقصتي مع الرشيدة فضحكن وقلن: الآن والله طاب حبسك، علينا وعلينا إن خرجت أسبوعاً، فقلت: هو والله القتل، قلن: إلى لعنة الله. فأقمت والله عندهن أسبوعاً لا أزول فلما كان بعد الأسبوع ودعني وقلن: إن سلمك الله فأنت بعد ثلاث عندنا، قلت نعم، فأجلسني في الزنبيل وسرحت، فمضيت لوجهي حتى أتيت دار الرشيد، وإذا النداء قد أشيع ببغداد في طلبي وأن من أحضرني فقد سوغ ملكي وأقطع مالي، فاستأذنت فتبادر الخدم حتى أدخلوني على الرشيد، فلما رآني شتمني وقال: السيف والنطع! إيهٍ يا إبراهيم، تهاونت بأمري وتشاغلت بالعوام عما أمرتك به وجلست مع أشباهك من السفهاء حتى أفسدت علي لذتي!، فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا بين يديك، وما أمرت به غير فائت، ولي حديث عجيب ما سمع بمثله قط وهو الذي قطعني عنك ضرورةً لا اختياراً، فاسمعه، فإن كان عذراً فاقبله وإلا فأنت أعلم، قال: هاته

فليس ينجيك، فحدثته، فوجم ساعةً ثم قال: إن هذا لعجب، أفتخضرني معك هذا الموضع؟ قلت: نعم، وأجلسك معهن إن شئت قبلي حتى تحصل عندهن، وإن شئت فعلى موعد، قال: بل على موعد، قلت: أفعل، فقال: انظر، قلت: ذلك حاصلٌ - إليك متى شئت، فعدل عن رأيه في وأجلسني وشرب وطرب، فلما أصبحت أمرني بالانصراف وأن أجيئه من عندهن، فمضيت إليهن في وقت الوعد، فلما وافيت الموضع إذا الزنبيل معلق، فجلست فيه ومده الجواري فصعدت، فلما رأينني تباشرن وحمدن الله على سلامتي، وأقمت ليلتي، فلما أردت الانصراف قلت لهن: إن لي أخاً هو عدل نفسي عندي، وقد أحب معاشرتكن ووعدته بذلك، فقلن: إن كنت ترضاه فمرحباً به، فوعدتهن ليلة غدٍ وانصرفت وأتيت الرشيد وأخبرته، فلما كان الوقت خرج معي متخفياً حتى أتينا الموضع، فصعدت وصعد بعدي ونزلنا جميعاً، وقد كان الله وفقني لأن قلت لهن: إذا جاء صديقي فاسترن عني وعنه ولا يسمع لكن نطقة، وليكن ما تختزنه من غناء أو تقلنه من قولٍ مراسلةً فلم يتعدين ذلك وأقمن على أتم ستر وخفر، وشربنا شرباً كثيراً، وقد كان أمرني ألا أخاطبه بأمير المؤمنين، فلما أخذ مني النبيذ قلت سهواً: يا أمير المؤمنين،

فتواثبن من وراء الستارة حتى غابت عنا حركاتهن، فقال لي: يا إبراهيم لقد أفلت من أمر عظيم، والله لو برزت إليك واحدة منهن لضربت عنقك، قم بنا، فانصرفنا، وإذا هن له، قد كان غضب عليهن فحبسهن في ذلك القصر، ثم وجه من غد بخدم فردوهن إلى قصره، ووهب لي مائة ألف درهم، وكانت الهدايا والألطاف تأتيني بعد ذلك منهن، أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبي قال: دخلت على الرشيد يوماً فقال لي: أنا اليوم كسلان خاثر، فإن غنيتني صوتاً يوقظ نشاطي أحسنت صلتك، فغنيته:

ولم ير في الدنيا محبان مثلنا　　على ما نلاقي من ذوي الأعين الخزر

صفيان لا نرضى الوشاة إذا وشوا　　عفيفان لا نغشى من الأمر ما يزري

فطرب، ودعا بالطعام فأكل وشرب، وأمر لي بخمسين ألف درهم.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال قال! لي أبي قال لي يحيى بن خالد: إن ابنتك دنانير قد عملت صوتاً أعجبني وأعجبت أيضاً هي به، فقلت لها: لا تعجبي به حتى أعرضه على أبيك أبي إسحاق، فقلت له: والله ما في معرفة الوزير - أعزه الله - به ولا بغيره من الصنائع مطعن، وإنه لأصح العالم تمييزاً وأثقبه فطنةً، وما أعجبه إلا وهو صحيح حسن، فقال: إن كنت كما تقول أيضاً، فإن أهل كل صناعة يمارسونها أفهم بها ممن يعلمها عن عرض من غير ممارسة، ولو كنا في هذه الصناعة متساويين لكان الاستظهار برأيك أجود، لأن ميلي إلى صانعة الصوت ربما حسن عندي ما ليس بالحسن، وإنما يتم سروري به بعد سماعك إياه واستحسانك له على الحقيقة، فمضيت فوجدت ستارةً منصوبة وأمراً قد تقدم فيه قبلي، فجلست فسلمت علي الجارية، وقلت لها: تغنيني الصوت الذي ذكره لي الوزير أعزه الله، فقالت: إن الوزير قال لي: إن استجاده فعرفيني ليتم سروري به، وإلا فاطو الخبر عني لئلا تزول رتبته عندي، فقلت: هاتيه حتى أسمعه، فغنت تقول:

نفسي أكنت عليك مدعياً أم حين أزمع بينهم خنت
إن كنت هائمة بذكرهم فعلى فراقهم ألا حمت

قال: فأحسنت والله وما قصرت، فاستعدته لأطلب فيه موضعاً لأصلحه فيكون لي فيه معنى فما وجدت، قلت: أحسنت والله يا بنية ما شئت، ثم عدت إلى يحيى فحلفت له بأيمان رضيها أن كثيراً من حذاق المغنين لا يحسنون أن يصنعوا مثله، ولقد استعدته لأرى فيه موضعاً يكون لي فيه عملٌ فما وجدت، فقال: وصفك لها من أجله يقوم مقام تعليمك إياها، فقد والله سررتني وسأسرك، فلما انصرفت أتبعني بخمسين ألف درهم.

حدثني عمي وابن المرزبان قالا حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله السلمي قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني إسحاق، و لم يقل عن أبيه، قال: والله إني لفي منزلي ذات يوم وأنا مفكرٌ في الركوب مرةً وفي القعود مرةً، إذا غلامي قد دخل ومعه خادم الرشيد يأمرني بالحضور من وقتي، فركبت وصرت إليه ة فقال لي: اجلس يا إبراهيم حتى أريك عجباً، فجلست، فقالت: علي بالأعرابية وابنتها، فأخرجت إلي أعرابية ومعها بنية لها عشر أو أرجح، فقال: يا إبراهيم، إن هذه الصبية تقول الشعر، فقلت لأمها: ما يقول أمير المؤمنين؟ فقالت: هي هذه قدامك فسلها، فقلت: يا حبيبة، أتقولين الشعر. فقالت نعم، فقلت: أنشديني بعض ما قلت ة فأنشدتني:

تقول لأتراب لها وهي تمتري دموعاً على الخدين من شدة الوجد
أكل فتاةٍ لا محالة نازلٌ بها مثل ما بي أم بليت به وحدي
براني له حبٌ تنشب في الحشى فلم يبق من جسمي سوى العظم والجلد
وجدت الهوى حلوا لذيذاً بديئه وآخره مرةٌ لصاحبه مردي

قال الشبي في خبره: قال إسحاق: وكان أبي حاضراً، فقال: والله لا تبرح يا أمير المؤمنين أو نصنع في هذه الأبيات لحناً، فصغت فيها أنا وأبي وجميع من حضر. وقال الآخرون: قال إبراهيم: فما برحت حتى صنعت فيه لحناً وتغنيت به وهي حاضرة تسمع. قال ابن المرزبان في خبره، و لم يذكره عمي، فقالت: يا أمير المؤمنين، قد أحسن رواية ما قلت، أفتأذن لي أن أكافئه بمدح أقوله فيه. قال: افعلي، فقالت:

ما لإبراهيم في العل م بهذا الشأن ثاني
إنما عمر أبي إس حاق زينٌ للزمان
منه يجنى ثمر الله و وريحان الجنان
جنة الدنيا أبو إس حاق في كل مكان

قال: فأمر لها الرشيد بجائزة، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، فوهبت لها شطرها اللحن الذي صنعه إبراهيم في شعر الأعرابية ثقيلٌ أول بالوسطى. وفيه لعلويه ثاني ثقيل. وأما الشعر الثاني فهو لابن سيابة لا يشك فيه. ولإبراهيم

فيه لحن من خفيف الثقيل.

أخبرني محمد بن مزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كنت أخذت بالمدينة من مجنون بها هذا الصوت، وغنيته الرشيد وقلت:

هما فتاتان لما تعرفا خلقي ... وبالشباب على شيبي تدلان

رأيت عرسي لما ضمني كبرى ... وشخت أزمعتا صرمي وهجراني

كل الفعال الذي يفعلنه حسنٌ ... يصبي فؤادي ويبدي سر أشجاني

بل احذرا صولةً من صول شيخكما ... مهلاً على الشيخ مهلاً يا فتاتان

فطرب وأمر لي بظبية كانت ملقاة بين يديه، فيها ألف دينار مسيفة، وكان ابن جامع حاضراً، فقال: اسمع يا أمير المؤمنين غناء العقلاء ودع غناء المجانين، وكان أشد خلق الله حسداً، فغناه:

ولقد قالت لأتراب لها ... كالمها يلعبن في حجرتها

خذن عني الظل لا يتبعني ... ومضت سعياً إلى قبتها

فطرب وشرب، وأمر له بألف وخمسمائة دينار. ثم تبعه محمد بن حمزة وجه القرعة فغنى:

يمشون فيها بكل سابغةٍ ... أحكم فيها القتير والحلق

يعرف إنصافهم إذا شهدوا ... وصبرهم حين تشخص الحدق

فاستحسنه وشرب عليه، وأمر له بخمسمائة دينار. ثم غنى علويه:

يجحدن ديني بالنهار وأقتضي ... ديني إذا وقدا النعاس الرقدا

وأرى الغواني لا يواصلن، امرأً ... فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

فدعا به الرشيد وقال له: يا عاض بظر أمه! أتغني في مدح المرد وذم الشيب وستارتي منصوبة وقد شبت وكأنك تعرض بي! ثم دعا مسروراً فأمره أن يأخذ بيده فيضربه ثلاثين درة ويخرجه من مجلسه، ففعل، وما انتفعنا به بقية يومنا ولا أنتفع بنفسه، وجفا علويه شهراً، ثم سألناه فيه فأذن له.

قال أبو الفرج: لإبراهيم أخبار مع خنث المعروفة بذات الخال، وكان يهواها، جعلتها في موضع آخر من هذا الكتاب، لأنها منفردة بذاتها مستغنية عن إدخالها في غمار أخباره. وله في هذه الجارية شعر كثير فيه غناء له ولغيره، وقد شرطت أن الشيء من أخبار الشعراء و، المغنين إذا كانت هذه سبيله أفرده، لئلا يقطع بين القرائن والنظائر مما تضاف إليه وتدخل فيه.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال: سمعت إسحاق الموصلي يقول: لما دخلت سنة

ثمان وثمانين ومائة اشتد أمر القولنج على أبي ولزمه، وكان يعتاده أحياناً، فقعد عن خدمة الخليفة وعن نؤبته في داره، فقال في ذلك:

مل والله طبيبي من مقاساة الذي بي
سوف أنعى عن قريب لعدو وحبيب

وغنى فيه لحناً من الرمل، فكان آخر شعر قاله وآخر لحن صنعه.

أخبرني الصولي عن محمد بن موسى عن حماد بن إسحاق عن أبيه: أن الرشيد ركب حماراً ودخل إلى إبراهيم يعوده وهو في الأبزن جالس، فقال له: كيف أنت يا إبراهيم؟ فقال: أنا والله يا سيدي كما قال الشاعر:

سقيمٌ مل منه أقربوه وأسلمه المداوي والحميم

فقال الرشيد: إنا لله! وخرج، فلم يبعد حتى سمع الواعية عليه.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال:

مات إبراهيم الموصلي سنة ثمان وثمانين ومائة، ومات في ذلك اليوم الكسائي النحوي والعباس بن الأحنف الشاعر وهشيمة الخمارة، فرفع ذلك إلى الرشيد، فأمر المأمون أن يصلي عليهم، فخرج فصفوا بين يديه ة فقال: من هذا الأول؟ قيل: إبراهيم، فقال: أخروه وقدموا العباس بن الأحنف، فقدم فصلى عليهم، فلما فرغ وانصرف، دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي فقال: يا سيدي، كيف آثرت العباس بالتقدمة على من حضر؟ قال: لقوله:

وسعى بها ناسٌ فقالوا إنها لهي التي تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم إني ليعجبني المحب الجاحد

ثم قال: أتحفظها؟ قلت نعم، فقال: أنشدني باقيها. فأنشدته:

لما رأيت الليل سد طريقه عني وعذبني الظلام الراكد
والنجم في كبد السماء كأنه أعمى تحير ما لديه قائد
ناديت من طرد الرقاد بصده عما أعالج وهو خلوٌ هاجد
يا ذا الذي صدع الفؤاد بهجره أنت البلاء طريفه والتالد
ألقيت بين جفون عيني حرقةً فإلى متى أنا ساهرٌ يا راقد

فقال المأمون: أليس من قال هذا الشعر حقيقاً بالتقدمة؟ فقلت: بلى والله يا سيدي.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال قال حدثني حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال: قال لي برصوماً الزامر: أما في حقي وخدمتي وميلي إليكم وشكري لكم ما أستوجب به أن تهب لي يوماً من عمرك تفعل فيه ما أريد ولا

تخالفني في شيء. فقلت: بلى ووعدته بيوم، فأتاني فقال: مر لي بخلعة، ففعلت وجعلت فيها جبة وشى، فلبسها ظاهرةً وقال: امض بنا إلى المجلس الذي كنت آتي أباك فيه، فمضينا جميعاً إليه وقد خلقته وطيبته، فلما صار على باب المجلس رمى بنفسه إلى الأرض فتمرغ في التراب وبكى وأخرج نايه وجعل ينوح في زمره ويدور في المجلس ويقبل المواضع التي كان أبو إسحاق يجلس فيها ويبكي ويزمر حتى قضى من ذلك وطراً، ثم ضرب بيده إلى ثيابه فشقها، وجعلت أسكته وأبكي معه، فما سكن إلا بعد حين، ثم دعا بثيابه فلبسها وقال: إنما سألتك أن تخلع علي لئلا يقال: إن برصوما إنما خرق ثيابه ليخلع عليه ما هو خير منها، ثم قال: امض بنا إلى مترلك فقد اشتفيت مما أردت، فعدت إلى مترلي وأقام عندي يومه، وانصرف بخلعة مجدد أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني القاسم بن يزيد قال: لما مات إبراهيم الموصلي دخلت على إبراهيم بن المهدي وهو يشرب وجواريه يغنين، فذكرنا إبراهيم الموصلي وحذقه وتقدمه، فأفضنا في ذلك وإبراهيم مطرق، فلما طال كلامنا وقال كل واحد منا مثل ما قاله صاحبه، اندفع إبراهيم بن المهدي يغني في شعر لابن سيابة يرثي به، إبراهيم- ويقال: إن الأبيات لأبي الأسد -:

تولى الموصلي فقد تولت ... بشاشات المزاهر والقيان

وأي بشاشةٍ بقيت فتبقى ... حياة الموصلي على الزمان

ستبكيه المزاهر والملاهي ... وتسعدهن عاتقة الدنان

وتبكيه الغوية إذ تولى ... ولا تبكيه تالية القرآن

قال: فأبكى من حضر، وقلت أنا في نفسي: أفتراه هو إذا مات من يبكيه: ألمحراب أم المصحف؟! قال: وكان كالشامت بموته.

أخبرني يحيى بن علي قال قال أنشدني حماد قال: أنشدني أبي لنفسه يرثي أباه، وأنشدها غير يحيى وفيها زيادة على روايته:

أقول له لما وقفت بقبره ... عليك سلام الله يا صاحب القبر

أيا قبر إبراهيم حييت حفرةً ... ولا زلت تسقى الغيث من سبل القطر

لقد عزني وجدي عليك فلم يدع ... لقلبي نصيباً من عزاء ولا صبر

وقد كنت أبكي من فراقك ليلة ... فكيف وقد صار الفراق إلى الحشر

أخبرني أحمد بن محمد بن إسماعيل أبن إبراهيم الموصلي الملقب بوسواسة قال: أنشدني حماد لأبيه إسحاق يرثي أباه إبراهيم الموصلي:

سلام على القبر الذي لايجيبنا ... ونحن نحيي تربه ونخاطبه

ستبكيه أشراف الملوك إذا رأوا محل التصابي قد خلا منه جانبة
ويبكيه أهل الطرف طراً كما بكى عليه أمير المؤمنين وحاجبه

ولما بدا لي اليأس منه وأنزفت عيون بواكيه وملت نوادبه
وصار شفاء النفس من بعض ما بها إفاضة دمع تستهل سواكبه
جعلت على عيني للصبح عبرة ولليل أخرى ما بدت لي كواكبه

قال: وأنشدني أيضاً حماد لأبيه يرثي أباه:

عليك سلام الله من قبر فاجع وجادك من نوء السماكين وابل
هل أنت محيي القبر أم أنت سائل وكيف تحيا تربة وجنادل
أظل كأني لم تصبني مصيبة وفي الصدر من وجد عليك بلابل
وهون عندي فقده أن شخصه على كل حال بين عيني ماثل

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبو أيوب المديني قال أنشدني إبراهيم بن علي بن هشام لرجل يرثي إبراهيم الموصلي:

أصبح اللهو تحت عفر التراب ثاوياً في محلة الأحباب
إذ ثوى الموصلي فأنقرض الله و بخير الإخوان والأصحاب
بكت المسمعات حزنا عليه وبكاه الهوى وصفو الشراب
وبكت آلة المجالس حتى رحم العود دمعة المضراب

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال: دخلت إلى الرشيد بعقب وفاة أبي، وذلك بعد شهر من يوم وفاته، فلما جلست ورأيت موضعه الذي كان يجلس فيه خاليا دمعت عيني، فكفكفتها وتصبرت؛ ولحني الرشيد فدعاني إليه وأدناني منه، فقبلت يده ورجله والأرض بين يديه، فاستعبر، وكان رقيقاً؛ فوثبت قائما ثم قلت:

في بقاء الخليفة الميمون خلف من مصيبة المحزون
لا يضير المصاب رزء إذا ما كان ذا مفزع إلى هارون

فقال لي: كذاك والله هو، ولن تفقد من أبيك ما دمت حياً إلا شخصه؛ وأمر بإضافة رزقه إلى رزقي؛ فقلت: بل يأمر أمير المؤمنين به إلى ولده، ففي خدمتي إياه ما يغنيني؛ فقال: اجعلوا رزق إبراهيم لولده وأضعفوا رزق إسحاق.

يا دار سعدى بالجوع من ملل حييت من دمنة ومن طلل

إني إذا ما البخيل أمنها باتت ضموزاً مني على وجل

لا أمتع العوذ بالفصال ولا أبتاع إلا قريبة الأجل

العوذ: الإبل التي قد نتجت، واحدها عائذ. يقول: أنحرها وأولادها للأضياف فلا أمتعها. والضموز: الممسكة عن أن تجتر. ضمز الجمل بجرته إذا أمسك عنها، ودسع بها إذا استعملها. يقول: فهذه الناقة من شدة خوفها على نفسها مما رأت من نحر نظائرها قد امتنعت من جرتها فهي ضامزة.

الشعر لابن هرمة. والغناء في اللحن المختار لمرزوق الصراف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

عن إسحاق، ويقال إنه ليحيى بن واصل. وذكر عمرو بن بانة أن فيه لدحمان لحناً من الثقيل الأول بالبنصر، وأن فيه لابن محرز لحناً من الثقيل الثاني بالبنصر في الثالث ثم الثاني، ووافقه ابن المكي. قال: وفيه لدحمان خفيف رمل بالوسطى في الأول والثالث؛ وذكر الهشامي أن هذا اللحن بعينه ليونس وأن الثقيل الثاني لإبراهيم، وألط لمعبد فيه لحناً من الثقيل الأول بالوسطى، وأن فيه للهذلي خفيف ثقيل، وأن فيه رملا ينسب إلى ابن محرز أيضاً.

شيء من ذكر ابن هرمة ايضا

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري ونوفل بن ميمون عن يحيى بن عروة بن أذينة قال: خرجت في حاجة لي، فلما كنت بالسيالة وقفت على منزل إبراهيم بن علي بن هرمة، فصحت: يا أبا إسحاق، فأجابتني ابنته: من هذا. فقلت: انظري، فخرجت إلي فقلت: أعلمي أبا إسحاق؛ فقالت: خرج والله آنفاً قال: فقلت: هل من قرى؟ فإني مقو من الزاد؛ قالت: لا والله، ما صادفته حاضراً؛ قلت: فأين قول أبيك:

لا أمتع العوذ بالفصال ولا أبتاع إلا قريبة الأجل

قالت: بذاك والله أفناها - أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية بمثل هذا الخبر سواء، وزاد فيه: - قال: فأخبرت إبراهيم بن هرمة بقولها، فضمها إليه وقال: بأبي أنت وأمي! أنت والله ابنتي حقا، الدار والمزرعة لك.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني نوفل بن ميمون قال حدثني مرقع قال: كنت مع ابن هرمة في سقيفة أم أذينة، فجاءه راع بقطعة من غنم يشاوره فيما يبيع منها، وكان قد أمره ببيع بعضها؛ قال مرقع: فقلت: يا أبا إسحاق، أين عزب عنك قولك:

لا غنمي مد في الحياة لها إلا لدرك القرى ولا إبلي

وقولك فيها أيضا:

لا أمتع العوذ بالفصال ولا ولا أبتاع إلا قريبة الأجل

فقال لي: مالك أخزاك الله! من أخذ منها شيئا فهو له؛ فانتهبناها حتى وقف الراعي وما معه منها شيء. وحدثنا بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه: أن ابن هرمة كان اشترى غنما للربح، فلقيه رجل فقال له: ألست القائل:

لا غنمي مد في الحياة لها إلا لدرك القرى ولا إبلي

قال: نعم؛ قال!: فو الله إني لأحسبك تدفع عن هذه الغنم المكروه بنفسك، وإنك لكاذب؛ فأحفظه ذلك فصاح: من أخذ منها شيئا فهو له؛ فانتهبها الناس جميعاً وكان ابن هرمة أحد البخلاء.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني نوفل بن ميمون قال حدثني زفر بن محمد الفهري: أن هذه القصيدة أول شعر قاله وابن هرمة.

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا حماد بن إسحاق قال قرأت على أبي: حدثنا عبد الله بن الوليد الأزدي قال حدثني جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين قال: سمع مزبد قول ابن هرمة:

لا أمتع العوذ بالفصال ولا أبتاع إلا قريبة الأجل

قال: صدق ابن الخبيثة، إنما كان يشتري الشاة للأضحى فيذبحها من ساعته.

أخبرنا وكيع قال حدثنا حماد عن أبيه عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن محمد بن زيد عن أبيه، قال: اجتمع قوم من قريش أنا فيهم، فأحببنا أن نأتي ابن هرمة فنعبث به، فتزودنا زاداً كثيراً ثم أتيناه لنقيم عنده، فلما انتهينا إليه خرج إلينا فقال: ما جاء بكم؟ فقلنا: سمعنا شعرك فدعانا إليك لما سمعناك قلت:

إن امرأ جعل الطريق لبيته طنباً وأنكر حقه للئيم

وسمعناك تقول:

وإذا تنور طارق مستنبح نبحت فدلته علي كلابي

وعوين يستعجلنه فلقينه يضربنه بشراشر الأذناب

وسمعناك تقول:

كم ناقة قد وجأت منحرها بمستهل الشؤبوب أو جمل

لا أمتع العوذ بالفصال ولا أبتاع إلا قريبة الأجل

قال: فنظر إلينا طويلاً ثم قال: ما على وجه الأرض عصابة أضعف عقولاً ولا أسخف ديناً منكم؛ فقلنا له: يا عدو الله يا دعي، أتيناك زائرين وتسمعنا هذا الكلام؛ فقال: أما سمعتم الله تعالى يقول للشعراء: "وأنهم يقولون ما لا يفعلون" أفيخبركم الله أني أقول ما لا أفعل وتريدون مني أن أفعل ما أقول؛ قال فضحكنا منه وأخرجناه معنا، فأقام عندنا في نزهتنا يشركنا في زادنا حتى انصرفنا إلى المدينة.

أخبرنا عمي قال حدثني محمد بن سعيد الكراني عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال: الحكم الخضري، وابن ميادة، ورؤبة، وابن هرمة، وطفيل الكناني، ومكين العذري، كانوا على ساقة الشعراء، وتقدمهم ابن هرمة بقوله:

لا أمتع العوذ بالفصال ولا ... أبتاع إلا قريبة الأجل

قال عبد الرحمن: وكان عمي معجبا بهذا البيت مستحسنا له، وكان كثيرا ما يقول: أما ترون كيف قال! والله لو قال هذا حاتم لما زاد ولكان كثيراً؛ ثم يقول: ما يؤخره عن الفحول إلا قرب عهده. انتهى.

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى ووكيع عن حماد عن أبيه قال: قلت لمروان بن أبي حفصة: من أشعر المحدثين من طبقتكم عندك؟ لا أعنيك، قال: الذي يقول:

لا أمتع العوذ بالفصال ولا ... أبتاع إلا قريبة الأجل

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني عن أبي حذافة قال: لما قال ابن هرمة:

لا أمتع العوذ بالفصال ولا ... أبتاع إلا قريبة الأجل

قال ابن الكوسج مولى آل حنين يجيبه:

ما يشرب البارد القراح ولا ... يذبح من جفرة ولا حمل

كأنه قردة يلاعبها ... قرد بأعلى الهضاب من ملل

قال: فقال ابن هرمة: لئن لم أوت به مربوطاً لأفعلن بآل حنين ولأفعلن؛ فوهبوا لابن الكوسج مائة درهم وربطوه وآتوا به ابن هرمة فأطلقه؛ فقال ابن الكوسج: والله لئن عاد لمثلها لأعودن.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني هارون بن مخارق عن أبيه قال: كنا عند الرشيد في بعض أيامنا ومعنا ابن جامع، فغناه ابن جامع ونحن يومئذ بالرقة:

هاج شوقا فراقك الأحبابا ... فتناسيت أو نسيت الربابا

حين صاح الغراب بالبين منهم ... فتصاممت إذ سمعت الغرابا

لو علمنا أن الفراق وشيك ... ما انتهينا حتى نزور القبابا

أو علمنا حين استقلت نواهم ... ما أقمنا حتى نزم الركابا

الغناء لابن جامع رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وله فيه أيضا ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. وذكرت دنانير عن فليح أن فيه لابن سريج وابن محرز لحنين. قال: فاستحسنه الرشيد وأعجب به واستعاده مراراً وشرب عليه أرطالاً حتى سكر، وما سمع غيره ولا أقبل على أحد، وأمر لابن جامع بخمسة آلاف دينار؛ فلما

انصرفنا قال لي إبراهيم: لا ترم منزلك حتى أصير إليك؛ فصرت إلى منزلي، فلم أغير ثيابي حتى أعلمني الغلام بموافاته، فتلقيته في دهليزي، فدخل وجلس وأجلسني بين يديه ثم قال لي: يا مخارق، أنت فسيلة مني وحسني لك وقبيحي عليك، ومتى تركنا ابن جامع على ما ترى غلبنا على الرشيد، وقد صنعت صوتا على طريقة صوته الذي غناه أحسن صنعة منه وأجود وأشجى، وإنما يغلبني عند هذا الرجل بصوته، ولا مطعن على صوتك، وإذا أطربته وغلبته عليه بما تأخذه مني قام ذلك لي مقام الظفر؛ وسيصبح أمير المؤمنين غداً فيدخل الحمام ونحضر ثم يخرج فيدعو بالطعام ويدعو بنا ويأمر ابن جامع فيرد الصوت الذي غناه ويشرب عليه رطلًا ويأمر له بجائزة، فإذا فعل فلا تنتظره أكثر من أن يرد ردته حتى تغني ما أعلمك إياه الساعة، فإنه يقبل عليك ويصلك، ولست أبالي ألا يصلني بعد أن يكون إقباله عليك؛ فقلت: السمع والطاعة؛ فألقى علي لحنه:

يا دار سعدى بالجزع من ملل

ورددده حتى أخذته و انصرف، ثم بكر علي فاستعاد الصوت فرددته حتى رضيه، ثم ركبنا وأنا أدرسه حتى صرنا إلى دار الرشيد، فلما دخلنا فعل الرشيد جميع ما وصفه إبراهيم شيئا فشيئا، وكان إبراهيم أعلم الناس به، ثم أمر ابن جامع فرد الصوت ودعا برطل فشربه، ولما استوفاه واستوفى ابن جامع صوته لم أدعه يتنفس حتى اندفعت فغنيت صوت إبراهيم، فلم يزل يصغى إليه وهو باهت حتى استوفيته؛ فشرب وقال: أحسنت والله! لمن هذا الصوت؟ فقلت: لإبراهيم. فلم يزل يستدنيني حتى صرت قدام سريره، وجعل يستعيد الصوت فأعيده ويشرب عليه، رطلا، فأمر لإبراهيم بجائزة سنية وأمر لي بمثلها؛ وجعل ابن جامع يشغب ويقول: يجيء بالغناء فيدسه في أستاه الصبيان! إن كان محسنا فليغنه هو، والرشيد يقول له: دع ذا عنك، فقد والله استقاد منك وزاد عليك.

تولى شبابك إلا قليلا وحل المشيب فصبراً جميلا

كفى حزنا بفراق الصبا وإن أصبح الشيب منه بديلا

الشعر والغناء لإسحاق. ولحنه المختار ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق بن عمرو.

أخبار إسحاق بن إبراهيم

قد مضى نسبه مشروحا في نسب أبيه، ويكنى أبا محمد، وكان الرشيد يولع به فيكنيه أبا صفوان، وهذه كنية أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مصعب مزحاً.

وموضعه من العلم، ومكانه من الأدب، ومحله من الرواية، وتقدمه في الشعر، ومنزلته في سائر المحاسن، أشهر من أن يدل عليه فيها بوصف؛ وأما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ما يوسم به وإن كان الغالب عليه وعلى ما كان يحسنه؛ فإنه كان له في سائر أدواته نظراء وأكفاء ولم يكن له في هذا نظير؛ فإنه لحق بمن مضى فيه وسبق من بقي، ولحب للناس جميعا طريقه فأوضحها، وسهل عليهم سبيله وأنارها؛ فهو إمام أهل صناعته جميعا، ورأسهم

ومعلمهم؛ يعرف ذلك منه الخاص والعام، ويشهد به الموافق والمفارق، على أنه كان أكره الناس للغناء وأشدهم بغضاً لأن يدعى إليه أو يسمى به. وكان يقول: لوددت أن أضرب، كلما أراد مريد مني أن أغنني وكلما قال قائل إسحاق الموصلي المغني، عشر مقارع، لا أطيق أكثر من ذلك، وأعفى من الغناء ولا ينسبني من يذكرني إليه. وكان المأمون يقول: لولا ما سبق على ألسنة الناس وشهر به عندهم من الغناء لوليته القضاء بحضرتي، فإنه أولى به وأعف وأصدق وأكثر ديناً وأمانة من هؤلاء القضاة.

وقد روى الحديث ولقي أهله: مثل مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وهشيم بن بشير، وإبراهيم بن سعد، وأبي معاوية الضرير، وروح بن عبادة، وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز. وكان مع كراهته الغناء أضن خلق الله وأشدهم بخلاً به على كل أحد حتى على جواريه وغلمانه ومن يأخذ عنه منتسباً إليه متعصباً له فضلاً عن غيرهم.

وهو الذي صحح أجناس الغناء وطرائقه وميزه تمييزاً لم يقدر عليه أحد قبله ولا تعلق به أحد بعده، و لم يكن قديماً مميزاً على هذا الجنس، إنما كان يقال الثقيل، وثقيل الثقيل، والخفيف، وخفيف الخفيف. وهذا عمرو بن بانة، وهو من تلاميذه، يقول في كتابه: الرمل الأول، والرمل الثاني؛ ثم لا يزيد في ذكر الأصابع على الوسطى والبنصر، ولا يعرف المجاري التي ذكرها إسحاق في كتابه، مثل ما ميز الأجناس؟ فجعل الثقيل الأول أصنافا، فبدأ فيه بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، ثم تلاه بما كان منه بالبنصر في مجراها، ثم بما كان بالسبابة في مجرى البنصر، ثم فعل هذا بما كان منه بالوسطى على هذه المرتبة؛ ثم جعل الثقيل الأول صنفين، الصنف الأول منهما هذا الذي ذكرناه، والصنف الثاني القدر الأوسط من الثقيل الأول، وأجراه المجرى الذي تقدم من تمييز الأصابع والمجاري، وألحق جميع الطرائق والأجناس بذلك وأجراها على هذا الترتيب. ثم لم يتعلق بفهم ذلك أحد بعده فضلا عن أن يصنفه في كتابه؛ فقد ألف جماعة من المغنين كتباً، منهم يحيى المكي وكان شيخ الجماعة وأستاذهم، وكلهم كان يفتقر إليه ويأخذ عنه غناء الحجاز، وله صنعة كثيرة حسنة متقدمة، وقد كان إبراهيم الموصلي وابن جامع يضطران إلى الأخذ عنه ألف كتابا جمع فيه الغناء القديم، وألحق فيه أبنه الغناء المحدث إلى آخر أيامه، فأتيا فيه في أمر الأصابع بتخليط عظيم، حتى جعلا أكثر ما جنساه من ذلك مختلطاً فاسداً، وجعلا بعضه، فيما زعما، تشترك الأصابع كلها فيه؛ وهذا محال؛ ولو اشتركت الأصابع لما احتيج إلى تمييز الأغاني وتصييرها مقسومة على صنفين: الوسطى والبنصر. والكلام في هذا طويل ليس موضعه ها هنا؛ وقد ذكرته في رسالة عملتها لبعض إخواني ممن سألني شرح هذا، فأثبته واستقصيته استقصاء يستغنى به عن غيره. وهذا كله فعله إسحاق واستخرجه بتمييزه، حتى أتى على كل ما رسمته الأوائل مثل إقليدس ومن قبله ومن بعده من أهل العلم بالموسيقى، ووافقهم بطبعه وذهنه فيما قد أفنوا فيه الدهور، من غير أن يقرأ لهم كتاباً أو يعرفه.

فأخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال:

كنت عند إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فسأل إسحاق الموصلي - أو سأله محمد بن الحسن بن مصعب -

بحضرتي، فقال له: يا أبا محمد، أرأيت لو أن الناس جعلوا للعود وترا خامساً للنغمة الحادة التي هي العاشرة على مذهبك، أين كنت تخرج منه؟ فبقي إسحاق ساعة طويلة مفكراً، واحمرت أذناه وكانتا عظيمتين، وكان إذا ورد عليه مثل هذا احمرتا وكثر ولوعه بهما؛ فقال لمحمد بن الحسن: الجواب في هذا لا يكون كلاماً إنما يكون بالضرب، فإن كنت تضرب أريتك أين تخرج، فخجل وسكت عنه مغضباً، لأنه كان أميراً وقابله من الجواب بما لا يحسن، فحلم عنه. قال علي بن يحيى: فصار إلي به وقال لي: يا أبا الحسن، إن هذا الرجل سألني عما سمعت، و لم يبلغ علمه أن يستنبط مثله بقريحته، وإنما هو شيء قرأه من كتب الأوائل، وقد بلغني أن التراجمة عندهم يترجمون لهم كتب الموسيقى، فإذا خرج إليك منها شيء فأعطنيه؛ فوعدته بذلك، ومات قبل أن يخرج إليه شيء منها. وإنما ذكرت هذا بتمام أخباره كلها ومحاسنه وفضائله، لأنه من أعجب شيء يؤثر عنه: أنه استخرج بطبعه علماً رسمته الأوائل لا يوصل إلى معرفته إلا بعد علم كتاب إقليدس الأول في الهندسة ثم ما بعده من الكتب الموضوعة في الموسيقى، ثم تعلم ذلك وتوصل إليه وأستنبطه بقريحته، فوافق ما رسمه أولئك، و لم يشذ عنه شيء يحتاج إليه منه، وهو لم يقرأه ولا له مدخل إليه ولا عرفه، ثم تبين بعد هذا، بما أذكره من أخباره ومعجزاته في صناعته، فضله على أهلها كلهم وتميزه عنهم، وكونه سماء هم أرضها، وبحراً هم جداوله.

وأم إسحاق امرأة من أهل الري يقال لها شاهك؛ وذكر قوم أنها دوشار التي كانت تغنى بالدف، فهويها إبراهيم وتزوجها. وهذا خطأ، تلك لم تلد من إبراهيم إلا بنتاً، وإسحاق وسائر ولد إبراهيم من شاهك هذه.

أخبرني يحيى بن علي المنجم قال أخبرني أبي عن إسحاق قال: بقيت دهرا من دهري أغلس في كل يوم إلى هشيم فأسمع منه، ثم أصير إلى الكسائي أو الفراء أو ابن غزالة فأقرأ عليه جزءاً من القرآن، ثم آتي منصور زلزل فيضار بني طرقين أو ثلاثة، ثم آتي عاتكة بنت شهدة فآخذ منها صوتاً أو صوتين، ثم آتي الأصمعي وأبا عبيدة فأناشدهما وأحدثهما فأستفيد منهما، ثم أصير إلى أبي فأعلمه ما صنعت ومن لقيت وما أخذت وأتغدى معه، فإذا كان العشاء رحت إلى أمير المؤمنين الرشيد.

أخبرنا محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: أخذ مني منصور زلزل إلى أن تعلمت مثل ضربه بالعود أكثر من مائة ألف درهم.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: كنت عند ابن عائشة فجاءه أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فرحب به وقال: ها هنا يا أبا محمد إلى جنبي، فلئن بعدت بيننا الأنساب، لقد قربت بيننا الآداب.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال حدثنا ابن شبيب من جلساء المأمون عنه: أنه قال يوماً وإسحاق غائب عن مجلسه: لولا ما سبق على ألسنة الناس واشتهر به عندهم من الغناء لوليته القضاء، فما أعرف مثله ثقة وصدقاً وعفة وفقهاً. هذا مع تحصيل المأمون وعقله ومعرفته.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا الفضل بن العباس الوراق قال حدثنا المخرمي عن أبيه قال: سمعت إسحاق

الموصلي يقول: صرت إلى سفيان بن عيينة لأسمع منه، فتعذر ذلك علي وصعب مرامه، فرأيته عند الفضل بن الربيع، فسألته أن يعرفه موضعي من عنايته ومكاني من الأدب والطلب وأن يتقدم إليه بحديثي؛ ففعل وأوصاه بي فقال: إن أبا محمد من أهل العلم وحملته. قال: فقلت: تفرض لي عليه ما يحدثني به؛ فسأله في ذلك، ففرض لي خمسة عشر حديثاً في كل مجلس؛ فصرت إليه فحدثني بما فرض لي؛ فقلت له: أعزك الله، صحيح كما حدثتني به؟ قال: نعم، وعقد بيده شيئاً، قلت: أفأرويه عنك؟ قال: نعم، وعقد بيده شيئا آخر، ثم قال: هذه خمسة وأربعون حديثاً، وضحك إلي وقال: قد سرني ما رأيت من تقصيك في الحديث وتشددك فيه على نفسك، فصر إلي متى شئت حتى أحدثك بما شئت.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الجمان وعون بن محمد الكندى قالا: سمعنا إسحاق الموصلي يقول:

جئت يوماً إلى أبي معاوية الضرير ومعي مائة حديث، فوجدت حاجبه يومئذ رجلاً ضريراً؛ فقال لي: إن أبا معاوية قد ولاني اليوم حجبته لينفعني؛ فقلت: معي مائة حديث وقد جعلت لك مائة درهم إذا قرأتها؛ فدخل واستأذن لي فدخلت؛ فلما عرفني أبو معاوية دعاه فقال له: أخطأت، وإنما جعلت لك مثل هذا من ضعفاء أصحاب الحديث فأما أبو محمد وأمثاله فلا؛ ثم أقبل علي يرغبني في الإحسان إليه ويذكر ضعفه وعنايته به؛ فقلت له: احتكم في أمره، فقال: مائة دينار؛ فأمرت بإحضارها الغلام، وقرأت عليه ما أردت وانصرفت.

كان يجري على ابن الأعرابي ثلثمائة دينار في كل سنة وإكبار ابن الأعرابي له: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني علي بن محمد الأسدي قال حدثني أحمد بن يحيى الشيباني ثعلب قال: وقف أبو عبد الله بن الأعرابي على المدائني، فقال له: إلى أين يا أبا عبد الله. فقال: أمضي إلى رجل هو كما قال الشاعر:

نحمل أشباحنا إلى ملك نأخذ من ماله ومن أدبه

فقال له: ومن ذلك يا أبا عبد الله؟ قال: أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي. قال أبو بكر: والبيت لأبي تمام الطائي.

وقد أخبرني بهذا الخبر عن ثعلب محمد بن القاسم الأنباري فقال فيه: كان إسحاق يجري على ابن الأعرابي في كل سنة ثلثمائة دينار، وأهدى له ابن الأعرابي شيئاً من كتاب النوادر كتبه له بخطه؛ فمر ابن الأعرابي يوماً على باب دار الموصلي ومعه صديق له؛ فقال له صديقه: هذه دار صديقك أبي محمد إسحاق؛ فقال: هذه دار الذي نأخذ من ماله ومن أدبه.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: رأيت في منامي كأن جريراً جالس ينشد شعره وأنا أسمع منه، فلما فرغ أخذ بيده كبة شعر فألقاها في فمي فابتلعتها؛ فأول ذلك بعض من ذكرته له أنه ورثني الشعر. قال يزيد بن محمد: وكذلك كان، لقد مات إسحاق وهو أشعر أهل زمانه.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق قال: قال لي أبي: أعطيت منصوراً زلزلاً

من مالي خاصة حتى تعلمت ضربه بالعود نحواً من مائة ألف درهم سوى ما أخذته له من الخلفاء ومن أبي. قال: وكانت في زلزل قبل أن يعرف الصوت ويفهمه بلادة أول ما يسمعه، حتى لو ضرب هو وغلامه على صوت لم يعرفاه قبل لكان غلامه أقوى منه؛ فإذا تفهمه جاء فيه من الضرب بما لا يتعلق به أحد البتة.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل عن إسحاق، وأخبرني به الأخفش عن الفضل عن إسحاق، وأخبرني به يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق، وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي عن إسحاق قال: قال لي أبو زياد الكلابي: أو لم جار لي يكنى أبا سفيان وليمة ودعاني لها، فانتظرت رسوله حتى تصرم يومي فلم يأت، فقلت لامرأتي:

إن أبا سفيان ليس بمولم فقومي فهاتي فلقة من حوارك

قال إسحاق: فقلت له: أليس غير هذا؟ فقال: لا، إنما أرسلته يتيماً، فقلت: أفلا أجيزه؟ قال: شأنك؛ فقلت له:

فبيتك خير من بيوت كثيرة وقدرك خير من وليمة جارك

قال: فضحك ثم قال: أحسنت بأبي أنت وأمي، جئت والله به قبلاً ما انتظرت به القرب، وما ألوم الخليفة أن يجعلك في سماره ويتملح بك، وإنك لمن طراز ما رأيت بالعراق مثله، ولو كان الشباب يشترى لا ابتعته لك بإحدى عيني ويمنى يدي، وعلى أن فيك بحمد الله ومنه بقية تسر الودود، وترغم الحسود. هذا لفظ يزيد المهلبي والأخفش. وأخبرني بهذا الخبر محمد بن عبد الله بن عمار فقال حدثني عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال قال لي إما شداد بن عقبة وإما أبو مجيب: قالت امرأة القتال الكلابي له: هل لك في فلقة من حوار نطبخها لك؟ فقال: لا والله، نحن على وليمة أبي سفيان ودعوته، وكان أبو سفيان رجلاً من الحي زفت إليه امرأته تلك الليلة؛ فجعل ينظر دخاناً فلا يراه، فقال:

إن أبا سفيان ليس بمولم فقومي فهاتي فلقة من حوارك

ثم ذكر باقي الخبر على ما تقدم من الذي قبله.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبي قال! حدثني إسحاق قال: أنشدت أعرابياً فهماً شعراً لي، فقال: أقفرت والله يا أبا محمد؛ قلت: وما أقفرت؟ قال: رعيت قفرة لم ترع قبلك. يريد: أ بدعت.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش وعمي قالا حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال حدثني بعض أصحاب السلطان بمدينة السلام قال سمعت إسحاق الموصلي يقول: دخلت على المأمون يوماً وعقيد يغنيه ارتجالاً وغيره يضرب عليه؛ فقال: يا إسحاق، كيف تسمع مغنياً هذا؟ فقلت: هل سأل أمير المؤمنين عن هذا غيري. قال: نعم، سألت عمي إبراهيم فوصفه وقرظه واستحسنه؛ فقلت له: يا أمير المؤمنين - أدام الله سرورك، وأطاب عيشك - إن الناس قد أكثروا في أمري حتى نسبتني فرقة إلى التزيد في علمي؛ فقال لي: فلا يمنعك ذلك من قول الحق إذا لزمك؛ فقلت لعقيد: اردد هذا الصوت الذي غنيته آنفاً، وتحفظ فيه وضرب ضاربه عليه؛ فقلت لإبراهيم بن

المهدي: كيف رأيته؟ فقال: ما رأيت شيئاً يكره ولا سمعته؛ فأقبلت على عقيد فقلت له حين استوفاه: في أي طريقة هذا الصوت الذي غنيته؟ قال: في الرمل؛ فقلت للضارب: في أي طريقة ضربت أنت؟ قال: في الهزج الثقيل؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، ما عسيت أن أقول في صوت يغني مغنيه رملاً ويضرب ضاربه هزجاً، وليس هو صحيحاً في إيقاعه الذي ضرب عليه!. قال: وتفهمه إبراهيم بن المهدي بعدي، فقال: صدق يا أمير المؤمنين، الأمر فيه الآن بين؛ فغاظني، فقلت له: بأي شيء بان الآن ما لم يكن بيناً قبل؟ أتوهم أنك استنبطت معرفة هذا! وإنما قلته لما علمته من جهتي كما يقوله الغلمان العجم وسائر من حضر اتباعاً لي واقتداء بقولي. فقال له المأمون: صدق، فأمسك؛ وجعل يتعجب من ذهاب ذلك على كل من حضر، وكناني في ذلك اليوم مرتين.

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني أبو عبد الله أحمد بن حمدون قال حدثني أبي: أن الأصمعي أنشد قول إسحاق يذكر ولاءه لخزيمة بن خازم:

إذا كانت الأحرار أصلي ومنصبي ... ودافع ضيمي خازم وابن خازم

عطست بأنف شامخ وتناولت ... يداي الثريا قاعداً غير قائم

قال: فجعل الأصمعي يعجب منهما ويستحسنهما، وكان بعد ذلك يذكرهما ويفضلهما.

قال ابن حمدون: وكان السبب في تولي إسحاق خازم بن خزيمة بن خازم، أن مناظرة جرت بينه وبين ابن جامع بحضرة الرشيد فتغالظا، فقال له ابن جامع: يا من إذا قلت له يابن زانية لم أخف أن يكذبني أحد؛ فمضى إلى خازم بن خزيمة، فتولاه وانتمى إليه، فقبل ذلك منه، وقال هذين البيتين.

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي قال: قال إسحاق: كانت عندي صناجة كنت بها معجباً؛ واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون؛ فبينا أنا ذات يوم في منزلي إذا ببابي يدق دقاً شديداً، فقلت: انظروا من هذا؛ قالوا: رسول أمير المؤمنين؛ فقلت: ذهبت صناجتي، تجده ذكرها له ذاكر فبعث إلي فيها؛ فلما مضى بي الرسول انتهيت إلى الباب وأنا مثخن، فدخلت فسلمت، فرد السلام، ونظر إلى تغير وجهي فقال: اسكن فسكنت؛ وسألني عق صوت وقال: أتدري لمن هو؟ فقلت: أسمعه ثم أخبر أمير المؤمنين إن شاء الله بذلك؛ فأمر جارية من وراء الستارة فغنته وضربت، فإذا هي قد شبهته بالقديم؛ فقلت: زدني معها عوداً آخر فإنه أثبت لي، فزادني عوداً آخر، فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا الصوت محدث لامرأة ضاربة؛ فقال: من أين قلت ذلك؟ فقلت: لما سمعته وسمعت لينه عرفت أنه من صنعة النساء؛ ولما رأيت جودة مقاطعه علمت أن صاحبته ضاربة؛ فقال: من أين قلت ذلك؟ فقلت: لأنها قد حفظت مقاطعه وأجزاءه، ثم طلبت عوداً آخر ليكون أثبت لي فلم أشكك؛ فقال: صدقت، الغناء لعريب.

نسخت من كتاب ابن أبي سعيد: حدثني إسحاق بن إبراهيم الطاهري قال: حدثتني مخارق مولاتنا قالت: كان لمولاي الذي علمني الغناء فراش رومي، وكان يغني بالرومية صوتاً مليح اللحن؛ فقال لي مولاي: يا مخارق، خذي هذا اللحن الرومي فانقليه إلى شعر من أصواتك العربية حتى أمتحن به إسحاق الموصلي فأعلم

أين يقع من معرفته، ففعلت ذلك؛ وصار إليه إسحاق فاحتبسه مولاي، فأقام وبعث إلي أن أدخلي اللحن الرومي في وسط غنائك؛ فغنيته إياه في درج أصوات مرت قبله، فأصغى إليه إسحاق، وجعل يتفهمه ويقسمه ويتفقد أوزانه ومقاطعه ويوقع عليه بيده، ثم أقبل على مولاي فقال: هذا صوت رومي اللحن، فمن أين وقع إليك؟ فكان مولاي بعد ذلك يقول: ما رأيت شيئا أحسن من استخراجه لحناً رومياً لا يعرفه ولا العلة فيه، وقد نقل إلى غناء عربي وامتزجت نغمه حتى عرفه و لم يخف عليه.

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن موسى قال حدثني عبد الله بن عمرو عن محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني علويه الأعسر، ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب عن علي بن محمد بن نصر الشامي عن جده حمدون بن إسماعيل قال: تناظر المغنون يوماً عند الواثق، فذكروا الضراب وحذقهم، فقدم إسحاق زلزلاً على ملاحظ، ولملاحظ في ذلك الرياسة على جميعهم؛ فقال له الواثق: هذا حيف وتعد منك؛ فقال إسحاق: يا أمير المؤمنين، اجمع بينهما وامتحنهما، فإن الأمر سينكشف لك فيهما؛ فأمر بهما فأحضرا؛ فقال له إسحاق؛ إن للضراب أصواتاً معروفة، أفأمتحنهما بشيء منها؟ قال: أجل، افعل؛ فسمى ثلاثة أصوات كان أولها:

علق قلبي ظبية السيب

فضربا عليه، فتقدم زلزل وقصر عنه ملاحظ؛ فعجب الواثق من كشفه عما ادعاه في مجلس واحد. فقال له ملاحظ: فما باله يا أمير المؤمنين يحيلك على الناس! و لم لا يضرب هو! فقال: يا أمير المؤمنين، إنه لم يكن أحد في زماني أضرب مني إلا أنكم أعفيتموني، فتفلت مني؛ وعلى أن معي بقية لا يتعلق بها أحد من هذه الطبقة؛ ثم قال: يا ملاحظ، شوش عودك وهاته، ففعل ذلك ملاحظ؛ فقال: يا أمير المؤمنين، هذا يخلط الأوتار تخليط متعنت فهو لا يألو ما أفسدها، ثم أخذ العود فجسه ساعة حتى عرف مواقعه، ثم قال: يا ملاحظ، غن أي صوت شئت، فغنى ملاحظ صوتاً، وضرب عليه إسحاق بذلك العود الفاسد التسوية فلم يخرجه عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه عن نقرة واحدة، ويده تصعد وتنحدر على الدساتين؛ فقال له الواثق: لا والله ما رأيت مثلك ولا سمعت به! اطرح هذا على الجواري؛ فقال: هيهات يا أمير المؤمنين، هذا لا تعرفه الجواري ولا يصلح لهن، إنما بلغني أن الفهليذ ضرب يوماً بين يدي كسرى فأحسن، فحسده رجل من حذاق أهل صنعته، فترقبه حتى قام لبعض شأنه، ثم خالفه إلى عوده فشوش بعض أوتاره، فرجع فضرب وهو لا يدري، والملوك لا تصلح في مجالسها العيدان، فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسد إلى أن فرغ، ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصة، فامتحن العود فعرف مما فيه، ثم قال: "زه وزه وزهان زه "، ووصله بالصلة التي كان يصل بها من خاطبه هذه المخاطبة؛ فلما تواطأت الرواية بهذا أخذت نفسي ورضتها عليه وقلت: لا ينبغي أن يكون الفهليذ أقوى على هذا مني، فما زلت أستنبطه بضع عشرة سنة حتى لم يبق في الأرض موضع على طبقة من الطبقات إلا وأنا أعرف نغمته كيف هي، والمواضع التي يخرج النغم كلها منه فيها، من أعاليها إلى أسافلها، وكل شيء منها يجانس شيئاً غيره، كما

أعرف ذلك في مواضع الدساتين؛ وهذا شيء لا تفي به الجواري. قال له الواثق: صدقت، ولئن مت لتموتن هذه الصناعة معك؛ وأمر له بثلاثين ألف درهم.

علق قلبي ظبية السيب ... جهلاً فقد أعري بتعذيبي

نمت عليها حين مرت بنا ... مجاسد ينفحن بالطيب

تصدها عنا عجوز لها ... منكرة ذات أعاجيب

فكلما همت بإتيانها ... قالت: توقي عدوة الذيب

الشعر والغناء لإبراهيم، هزج ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر.

حدثني علي بن هارون قال حدثني محمد بن موسى اليزيدي قال حدثتني دمن جارية إسحاق الموصلي، وكانت من كبار جواريه وأحظى من عنده، ولقيتها فقلت لها: أي شيء أخذت عن مولاك من الغناء؟ فقالت: لا والله ما أخذت أنا عنه ولا واحدة من جواريه صوتا قط! كان أبخل بذلك، وما أخذت منه قط إلا صوتاً واحداً، وذلك أنه انصرف من دار الخليفة وهو مثخن سكراً، فدخل إلى بيت كان ينام فيه، فرأى عوداً معلقاً فأخذه بيده، وقال لخادمه: يا غلام، صح لي بدمن؛ فجاءني الغلام فخرجت، فلما بلغت الباب إذا هو مستلق على فراشه والعود في يده وهو يصنع هذا الصوت ويردده، وقد اسحنفر في نغمه وتنوق فيها حتى استقام له، وهو:

ألا ليلك لا يذهب ... ونيط الطرف بالكوكب

وهذا الصبح لا يأتي ... ولا يدنو ولا يقرب

فلما سمعته علمت أني إن دخلت إليك أمسك، فوقفت أستمعه حتى فرغ منه وأخذته عنه؛ فلما فرغ منه وضع العود من يده، وذكر أنه قد طلبني فقال: يا غلام، أين دمن؟ فقلت: هأنذي؛ فقال: مذ كم أنت واقفة؟ فقلت: منذ ابتدأت بالصوت وقد أخذته؛ فنظر إلي نظر مغضب أسف، ثم قال: غنيه، فغنيته حتى استوفيته؛ فقال لي وقد فتر وخجل: قد بقيت عليك فيه بقية أنا أصلحها لك؛ فقلت: لست أحتاج إلى إصلاحك إياه، وقد والله أخذته على رغمك؛ فضحك. لحن هذا الصوت من الهزج بالبنصر، والشعر والغناء لإسحاق.

أخبرنا يحيى بن علي قال قال لي إسحاق: كنت عند المعتصم وعنده إبراهيم بن المهدي، فغنى إبراهيم صوتاً لابن جامع أخل ببعضه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، ترك ابن جامع الناس يحجلون خلفه ولا يلحقونه. وفي هذا الصوت خاصة؛ فقلت: والله يا أمير المؤمنين، ما صدق، وما هذا الصوت بتام الأجزاء؛ فقال: كذب والله يا أمير المؤمنين؛ فقلت: يا سيدي، أنا أوقفه على نقصانه، فمره فليعد يا أمير المؤمنين؛ فأعاد البيت الأول فأقامه وطمع في الإصابة؛ فقلت: آفته في البيت الثاني، فليردده؛ فرده فنقص من أجزائه وفسمته، فعرفته فأقر به؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه صناعتي وصناعة آبائي وإبراهيم يكلمني فيها، وأنا أسأله عن ثلاثين مسألة من باب واحد في طريق

الغناء لا يعرف منها مسألة واحدة؛ فقال: أو يعفيني أمير المؤمنين من كلامه؟ فأعفاه.
وقد أخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي عن إسحاق؛ فذكر نحواً مما ذكره يحيى، وذكر أن القصة كانت بين يدي المعتصم؛ وزاد فيها فقال: أنا أسأله عن ثلاثين مسألة وأوقفه على خطئه فيها، فإن لم يقر بذلك أقر به مخارق وعلويه؛ فقال: أو يعفيني أمير المؤمنين من كلامه! فإنه يعدل عندي البختج؛ قلت: يا أمير المؤمنين، وما يفعل البختج؟ قال: يسلح؛ قلت: قد والله فعل ذلك كلامي به، ومنه هرب؛ فضحك وغطى فاه وقام؛ فظن إسحاق بن إبراهيم المصعبي أني قد أغضبته، فضرب بيده إلى السيف؛ فقلت له: لا تحسب أني أغضبته؛ فما كنت لأكلم عمه بين يديه بهزء من غير إذنه، فأمسك؛ وكان لا يقدم أحد أن يكلم الخليفة بحضرته بما فيه الوهن إلا بادر إلى سيفه تعظيماً للأمير وإجلالاً له.
أخبرني يحيى بن علي قال حدثنا أحمد بن القاسم الهاشمي عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:
دعاني المأمون وعنده إبراهيم بن المهدي، وفي مجلسه عشرون جارية قد أجلس عشراً عن يمينه وعشراً عن يساره ومعهن العيدان يضربن بها؛ فلما دخلت سمعت من الناحية اليسرى خطأ فأنكرته؛ فقال المأمون: يا إسحاق، أتسمع خطأ؟ فقلت: نعم والله يا أمير المؤمنين؛ فقال لإبراهيم: هل تسمع خطأ؟ فقال: لا؛ فأعاد علي السؤال، فقلت: بلى والله يا أمير المؤمنين، وإنه لفي الجانب الأيسر؛ فأعاد إبراهيم سمعه إلى الناحية اليسرى ثم قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ما في هذه الناحية خطأ؛ فقلت يا أمير المؤمنين: مر الجواري اللواتي على اليمين يمسكن، فأمرهن فأمسكن؛ فقلت لإبراهيم: هل تسمع خطأ؟ فتسمع ثم قال: ما ها هنا خطأ؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، يمسكن وتضرب الثامنة. فأمسكن وضربت الثامنة، فعرف إبراهيم الخطأ، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، ها هنا خطأ؛ فقال عند ذلك لإبراهيم: يا إبراهيم، لا تمار إسحاق بعدها؛ فإن رجلاً فهم الخطأ بين ثمانين وتراً وعشرين حلقاً لجدير ألا تماريه. فقال: صدقت يا أمير المؤمنين. وقال الحسين بن يحيى في خبره: وكان في الأوتار كلها مثنى فاسد التسوية. وقال فيه: فطرب أمير المؤمنين المأمون، وقال: لله درك يا أبا محمد؛ فكناني يومئذ.
أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني أحمد بن حمدون قال: سمعت الواثق يقول: ما غناني إسحاق قط إلا ظننت أنه قد زيد لي في ملكي، ولا سمعته يغني غناء ابن سريج إلا ظننت أن ابن سريج قد نشر، وإنه ليحضرني غيره إذا لم يكن حاضراً، فيتقدمه عندي وفي نفسي بطيب الصوت، حتى إذا اجتمعا عندي رأيت إسحاق يعلو ورأيت من ظننته يتقدمه ينقص؛ وإن إسحاق لنعمة من نعم الملك التي لم يحظ بمثلها؛ ولو أن العمر والشباب والنشاط مما يشترى لأشتريتهن له بشطر ملكي.
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال: سأل إسحاق الموصلي المأمون أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم والأدب والرواة لا مع المغنين، فإذا أراده للغناء غناه؛ فأجابه إلى ذلك؛ ثم سأله بعد حين أن يأذن له في الدخول مع الفقهاء؛ فأذن له. قال: فحدثني محمد بن الحارث بن بسخنر أنه كان هو ومخارق وعلويه

جلوساً في حجرة لهم ينتظرون جلوس المأمون وخروج الناس من عنده، إذ دخل يحيى بن أكثم وعليه سواده وطويلته، ويده في يد إسحاق يماشيه، حتى جلس معه بين يدي المأمون، فكاد علويه أن يجن، وقال: يا قوم، أسمعتم بأعجب من هذا! يدخل قاضي القضاة ويده في يد مغن حتى يجلسا بين يدي الخليفة!. ثم مضت على ذلك مدة، فسأل إسحاق المأمون أن يأذن له في لبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة؛ قال: فضحك المأمون وقال: ولا كل ذا يا إسحاق! وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم؛ وأمر له بها.

حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني أبو عبد الله بن حمدون قال: كان المغنون جميعاً يحضرون مجلس الواثق وعيدانهم معهم إلا إسحاق، فإنه كان يحضر بلا عود للشرب والمجالسة؛ فإن أمره الخليفة أن يغني أحضر له عوداً، فإذا غنى وفرغ سل من بين يديه إلى أن يطلبه. وكان الواثق كثيرا ما يكنيه، رفعاً له من أن يدعوه باسمه؛ وكان إذا غنى وفرغ الواثق من شرب قدحه قطع الغناء و لم يعد منه حرفاً إلا أن يكون في بعض بيت فيتمه، ثم يقطع ويضع العود من يده.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه في خبر ذكر إسحاق فيه، فقال: وعارض معبداً وابن سريج فانتصف منهما، وكان إبراهيم بن. المهدي يناظره ويجادله في الغناء وينازعه في صناعته، و لم يبلغه؛ وما رأيت بعد إسحاق مثله.

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال قال لي محمد بن راشد الخناق:

سمعت علويه يقول لإسحاق بن إبراهيم الموصلي: إن إبراهيم بن المهدي يعيبك بتركك تحريك الغناء؛ فقال له إسحاق: ليتنا نفي بما علمناه، فإنا لا نحتاج إلى الزيادة فيه. أثم قال له: فإنه يزعم أن حلاوة الغناء تحريكه، وتحريكه عنده أن يكون كثير النغم، وليس يفعل ذلك، إنما يسقط بعض عمله لعجزه عنه، فإذا فعل ذلك فهو بالإضافة إلى حاله الأولى بمنزلة الأسكدار للكتاب، وهو حينئذ بأن يسمى المحذوف أشبه منه بأن يسمى المحرك؛ فضحك علويه ثم قال: فإن إبراهيم يسمي غناءكم هذا الممسك المنادي؛ قال إسحاق: هذا من لغات الحاكة؛ لأنهم يسمون الثوب الجافي الكثير العرض والطول المدالي؛ وعلى هذا القياس فينبغي لنا أن نسمي غناءه المحرك الضرابي، وهو الخفيف السخيف من الثياب في لغة الحاكة، حتى ندخل الغناء في جملة الحياكة ونخرجه عن جملة الملاهي؛ ثم قال لعلويه؛ بحياتي عليك إلا ما أعدت عليه ما جرى؛ فقال له: لا وحياتك لا فعلت؛ فإنه يعلما ميلي إليكم، ولكن عليك بأبي جعفر محمد بن راشد الخناق؛ فكلمه إسحاق وأقسم عليه أن يؤيده، ففعل وسار إلى إبراهيم فأخبره، فجعل كلما أخبره شيئاً تغيظ وشتم إسحاق بأقبح شتم؛ ثم جاءه ابن راشد فأخبره؛ فجعل كلما أخبره بشيء من ذلك ضحك وصفق سروراً لغيظ إبراهيم من قوله.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال أخبرني محمد بن راشد الخناق قال: إني لفي منزلي يوماً مع الظهر إذ دخل علي إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فسررت بمكانه؛ فقال: قد جاءت بي إليك حاجة؛ قال قلت: قل ما شاء الله؛ قال: دعني في بيتك، ودع غلاميك عندي: بديحاً وسليمان - وكانا خادمين

مغنيين - ومرهما أن يغنياني، وأتيني بفلان ليغنيني أيضاً، بحياتي عليك، وانطلق إلى إبراهيم ابن المهدي، فإنه سيسر بمكانك، فاشرب معه أقداحاً، ثم قل له: يا سيدي، أسألك عن شيء، فإذا قال: سل، فقل له: أخبرني عن قولك:

ذهبت من الدنيا وقد ذهبت مني

أي شيء كان معنى صنعتك فيه؟ وأنت تعلم أنه لا يجوز في غنائك الذي صنعته فيه إلا أن تقول: "ذهبتو" بالواو، فإن قلت: "ذهبت" و لم تمدها انقطع اللحن والشعر، وإن مددتها قبح الكلام وصار على كلام النبط؛ فقلت له: يا أبا محمد، كيف أخاطب إبراهيم بهذا؟ فقال: هو حاجتي إليك وقد كلفتك إياها، فإن استحسنت أن تردني فأنت أعلم؛ قال: أفعل ذلك لموضعك على ما فيه علي؛ ثم أتيت إبراهيم، وجلست عنده ملياً، وتجارينا الحديث إلى أن خرجنا إلى ذكر الغناء، فخاطبته بما قال لي إسحاق، فتغير لونه وانكسر، ثم قال: يا محمد، ليس هذا من كلامك، هذا من كلام الجرمقاني ابن الزانية؛ قل له عني: أنتم تصنعون هذا للصناعة، ونحن نصنعه للهو واللعب والعبث.

قال: فخرجت إلى إسحاق فحدثته بذلك فقال: الجرمقاني والله منا أشبهنا بالجرامقة لغة وهو. الذي يقول: "ذهبتو" وأقام عندي يومه فرحاً بما بلغته إبراهيم عنه من توقيفه على خطئه.

قال علي بن محمد قال لي أبي: كان محمد بن راشد صديقاً لإسحاق ثم فسد ما بينهما؛ فإنه طابق إبراهيم بن المهدي عليه، وبلغه عنه من توقيعه أنه يذكره. وكان في محمد بن راشد رداءة ونقل للأحاديث؛ فقال فيه إسحاق:

وندمان صدق لا تخاف أذاته ... ولا يلفظ الأخبار لفظ ابن راشد

دعاني إلى ما يشتهي فأجبته ... إجابة محمود الخلائق ماجد

فلا خير في اللذات إلا بأهلها ... ولا عيش إلا بالخليل المساعد

قال: فجمع ابن راشد عدة من الشعراء وأمرهم بهجاء إسحاق؛ فهجوه بأشعار لم تبلغ مراده، فلم يظهرها. وبلغ ذلك إسحاق فقال فيه:

وأبيات شعر رائعات كأنها ... إذا انشدت في القوم من حسنها سحر

تحفز واقلولى لرد جوابها ... أبو جعفر يغلي كما غلت القدر

فلم يستطعها غير أن قد أعانه ... عليها أناس كي يكون له ذكر

فيا ضيعة الأشعار إذ يقرضونها ... وأضيع منها من يرى أنها شعر

قال: فعاذ محمد بن راشد بإسحاق واستكفه وصالحه، فرجع إليه.

أخبرني عمي قال حدثني علي بن محمد بن نصر الشامي قال حدثني منصور بن محمد بن واضح: أن إبراهيم بن المهدي طرح في منزل أبيه:

أمن آل ليلى عزفت الطلولا ... بذي حرض ماثلات مثولا

بلين وتحسب آياتهن عن فرط حولين رقاً محيلا

- الشعر لكعب بن زهير. والغناء لإسحاق، وله فيه لحنان: ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر، وما خوري بالوسطى. وفيه للزبير بن دحمان خفيف ثقيل - قال: فجاءنا إسحاق يوماً، وأقام عند أبي، وأخرجنا إليه جوارينا، ومر الصوت الذي طرحه إبراهيم بن المهدي من غنائه؛ فقال إسحاق: من أين لك هذا؟ قال: طرحه أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي أعزه الله تعالى، فقال إسحاق: وما لأبي إسحاق أعزه الله ولهذا الصوت! هذا أنا صنعته، وليس هو كما طرحه. قال: فسأله أبي أن يغنيه، فغناه ورددده حتى صح لمن عنده؛ فقال لي أبي: اكتب إلى أبي إسحاق أن أبا محمد أعزه الله صار إلي فاحتبسته، وأنه غنى بحضرتي الصوت الذي ألقيته في منزلك الذي أسكنه، فزعم أنه صنعه، وأنه ليس على ما أخذه الجواري عنك، فأحببت أن أعلم ما عندك، جعلني الله فداك. قال: فكتبت الرقعة وأنفذتها إلى إبراهيم. فكتب: نعم، جعلت فداك، صدق أبو محمد أعزه الله، الصوت له، وهو على ما ذكره، لكني لعبت في وسطه لعباً أعجبني. قال: فقرأ إسحاق الرقعة فغضب غضباً شديداً، ثم قال لي: اكتب إليه: "إذا أردت يا هذا أن تلعب فالعب في غناء نفسك لا في غناء الناس، وما حاجتك إلى هذا الشعر أكثر من ذلك، فاصنع أنت إن كنت تحسن، والعب في صنعتك كما تشتهي مبتدئاً باللهو واللعب غير مشارك في جد الناس بلعبك ومفسد له بما لا تعلمه. يا أبا إسحاق، أيدك الله، ليس هذا الصوت مما يتهيأ لك أن تمخرق فيه وتقول: جندرته ". قال: وكان إبراهيم يقول: إنه يجندر صنعة القدماء ويحسنها.

قال علي بن محمد حدثني جدي حمدون: أن إسحاق قال لإبراهيم بن المهدي بحضرة المعتصم: ما تقول فيمن يزعم أن ابن سريج وابن محرز ومعبداً ومالكاً وابن عائشة لم يكونوا يحسنون تمام الصنعة ولا استيفاء الغناء، ويعجزون عما به يكمل ويتم ويحسن، وأنه أقدر على الصنعة منهم؟ قال: أقول: إنه جاهل أحمق، قال: فأنت تزعم أنه قد كانت بقيت عليهم أشياء لم يهتدوا لها و لم يحسنوها، فتنبهت عليها أنت وتممتها وحسنتها بجندرتك؛ قال: فضحك المعتصم وبقي إبراهيم واجماً مطرقاً، و لم ينتفع بنفسه بقية يومه؛ وما سمعته أنا ولا غيري بعد ذلك اليوم يتبجح بغناء يصلحه من غناء المتقدمين، حتى يطنب في صنعته ويشتهي استماعه منه، كما كان يدعي قديماً. قال: وكان حمدون يقول: كان إبراهيم يأكل المغنين أكلاً، حتى يحضر إسحاق، فيداريه إبراهيم ويطلب مكافأته، ولا يدع إسحاق تبكيته ومعارضته؛ وكان إسحاق آفته، كما أن لكل شيء آفة.

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: خرجت يوماً من داري وأنا مخمور أتنسم الهواء، فمررت برجل ينشد رجلا معه لذي الرمة:

ألم تعلمي يا مي أني وبيننا ... مهاو لطرف العين فيهن مطرح

ذكرتك أن مرت بنا أم شادن ... أمام المطايا تشرئب وتسنح

من المؤلفات الرمل أدماء حرة ... شعاع الضحى في متنها يتوضح

هي الشبه أعطافاً وجيداً ومقلة ... ومية منها بعد أبهى وأملح
كأن البرى والعاج عيجت متونه ... على عشر نهى به السيل أبطح
لئن كانت الدنيا علي كما أرى ... تباريح من مي فللموت أروح

فأعجبني، فصنعت فيه لحناً غنيت به المأمون، فأخذت به منه مائة ألف درهم. لحن إسحاق في هذه الأبيات أول مطلق في مجرى البنصر.

حدثني يحيى بن محمد الطاهري قال حدثني ينشو مولى أبي أحمد بن الرشيد قال:

اشتراني مولاي أبو أحمد بن الرشيد، واشترى رفيقي محموماً، فدفعنا إلى وكيل له أعجمي خراساني، وقال له: انحدر بهذين الغلامين إلى بغداد إلى إسحاق الموصلي؛ ودفع إليه مائة ألف درهم، وشهرياً بسرجه ولجامه، وثلاثة أدراج من فضة مملوءة طيباً، وسبعة تخوت من بز خراساني، وعشرة أسفاط من بز مصر، وخمسة تخوت وشي كوفي، وخمسة تخوت سوسي، وثلاثين ألف درهم للنفقة؛ وقال للرسول: عرف إسحاق أن هذين الغلامين لرجل من وجوه أهل خراسان، وجه بهما إليه ليتفضل ويعلمهما أصواتاً اختارها، وكتبها له في درج، وقال له: كلما علمهما صوتاً ادفع إليه ألف درهم، حتى يتعلما بها مائة صوت، فإذا علمهما الصوتين اللذين بعد المائة فادفع إليه الشهري، ثم إذا علمهما الثلاثة التي بعد الصوتين، فادفع إليه بكل صوت درجاً من الأدراج، ثم لكل صوت بعد ذلك تختاً أو سفطاً، حتى ينفد ما بعثت به معك؛ ففعل، وانحدرنا إلى بغداد، فأتينا إسحاق، وغنينا بحضرته، وبلغه الوكيل الرسالة؛ فلم يزل يلقى علينا الأصوات حتى أخذناها كل أمرنا سيدنا. ثم سرنا إلى سر من رأى، فدخلنا إليه وغنيناه جميع ما أخذناه فسره ذلك. وقدم إسحاق سر من رأى، ولقيه مولانا، فدعا بنا وأوصانا بما أراد، وغدا بنا إلى الواثق وقال: إنكما ستريان إسحاق بين يديه، فلا تسلما عليه ولا توهماه أنكما رأيتماه قط، وألبسنا أقبية خراسانية ومضينا معه؛ فلما دخلنا على الواثق قال له: يا سيدي، هذان غلامان اشتريا لي من خراسان يغنيان بالفارسية؛ فقال: غنياً، فضربنا ضرباً فارسياً وغنينا غناء فهليذياً؛ فطرب الواثق وقال: أحسنتما، فهل تغنيان بالعربية؟ قلنا: نعم، واندفعنا نغني ما أخذناه عن إسحاق وهو ينظر إلينا ونحن نتغافل عنه، حتى غنينا أصواتاً من غنائه؛ فقام إسحاق ثم قال للواثق: وحياتك يا سيدي وبيعتك، وإلا كل ملك لي صدقة وكل مملوك لي حر إن لم يكن هذان الغلامان من تعليمي ومن قصتهما كيت وكيت، فقال له أبو أحمد: ما أدري ما تقول! هذان اشتريتهما من رجل، نخاس خراساني؛ فقال له: بلغ ولعك إلي! ونخاس خراساني من أين يحسن أن يختار مثل تلك الأغاني!؛ فضحك أبو أحمد ثم قال: صدق، أنا احتلت عليه، ولو رمت أن يعلمهما ما أخذاه منه إذا علم أنهما لي بعشرة أضعاف ما أعطيته لما فعل؛ فقال له إسحاق: قد تمت علي حيلته. وقال أبو أحمد للواثق: إن أردتهما فخذهما؛ فقال: لا أفجعك بهما يا عم، ولكن لا تمنعني حضورهما؛ فقال له: قد بذلت لك الملك فلم تؤثره، أفتراني أمنعك الخدمة! فكنا نخدمه بنوبة.

حدثني جحظة قال حدثني أبو عبد الله بن حمدون قال حدثني ابن فيلا الطنبوري وكان قد دخل على الواثق

وغناه، قال: قال الواثق في بعض العشايا: لا يبرح أحد من المغنين الليلة، فقد عزمت على الصبوح في غد؛ فأمسكوا جميعاً عن معارضته إلا إسحاق فإنه قال له: لا وحياتك ما أبيت؛ قال: فلا والله ما كان له عند الواثق معارضة أكثر من أن قال له: فبحياتي إلا بكرت يا أبا محمد. قال: فرأيت مخارقاً وعلويه قد تقطعا غيظاً؛ وبتنا في بعض الحجر، فقالا لي: اجلس على باب الحجرة، فإذا جاء إسحاق فعرفنا حتى ندخل بدخوله؛ فلم نلبث أن جاء إسحاق مع أحمد بن أبي دواد يماشيه في زيه وسواده وطريلته مثل طويلته، فدخلت فأعلمتهما؛ فقامت على علويه القيامة وقال: يا هؤلاء، خيناكر يدخل إلى الخليفة مع قاضي القضاة! أسمعتم بأعجب من هذا البخت قط!؛ فقال له مخارق: دع هذا عنك، فقد والله بلغ ما أراد. و لم نلبث أن خرج ابن أبي دواد ودعي بنا فدخلنا، فإذا إسحاق جالس في صف الندماء لا يخرج منه، فإذا أمره الواثق أن يغني خرج عن صفهم قليلاً وأتي بعود فغنى الصوت الذي يأمره به؛ فإذا فرغ من القدح قطع الصوت الذي يأمره به حيث بلغ و لم يتمه، ورجع إلى صف الجلساء.

أخبرني محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي الملقب بوسواسة قال حدثني حماد قال: قال لي أبي: كنت عند الرشيد يوماً، وعنده ندماؤه وخاصته وفيهم إبراهيم بن المهدي، فقال لي الرشيد: يا إسحاق تغن:

شربت مدامة وسقيت أخرى وراح المنتشون وما انتشيت

فغنيته؛ فأقبل علي إبراهيم بن المهدي فقال لي: ما أصبت يا إسحاق ولا أحسنت؛ فقلت: ليس هذا مما تحسنه ولا تعرفه، إن شئت فغنه، فإن لم أجدك أنك تخطىء فيه منذ ابتدائك إلى انتهائك فدمي حلال. ثم أقبلت على الرشيد فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه صناعتي وصناعة أبي، وهي التي قربتنا منك واستخدمتنا لك وأوطأتنا بساطك، فإذا نازعناها أحد بلا علم لم نجد بداً من الإيضاح والذب؛ فقال: لا غرو ولا لوم عليك؛ فقام الرشيد ليبول؛ فأقبل إبراهيم بن المهدي علي وقال: ويلك يا إسحاق! أتجترىء علي وتقول ما قلت يابن الفاعلة! لا يكني؛ فداخلني ما لم أملك نفسي معه؛ فقلت له: أنت تشتمني، وأنا لا أقدر على إجابتك وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة، ولولا ذلك لكنت أقول لك: يابن الزانية؛ أو ترى أني كنت لا أحسن أن أقول لك: يابن الزانية؛ ولكن قولي في ذمك ينصرف جميعه إلى خالك الأعلم، ولو لاك لذكرت صناعته ومذهبه - قال إسحاق: وكان بيطاراً - قال: ثم سكت، وعلمت أن إبراهيم يشكوني وأن الرشيد سوف يسأل من حضر مما جرى فيخبرونه، فتلافيت ذلك، ثم قلت: أنت تظن أن الخلافة تصير إليك فلا تزال تهددني بذلك وتعاديني كما تعادي سائر أولياء أخيك حسداً له ولولده على الأمر! فأنت تضعف عنه وعنهم وتستخص بأوليائهم تشفياً؛ وأرجو ألا يخرجها الله عن يد الرشيد وولده، وأن يقتلك دونها؛ فإن صارت إليك- وبالله العياذ - فحرام علي العيش يومئذ، والموت أطيب من الحياة معك، فاصنع حينئذ ما بدا لك. قال: فلما خرج الرشيد وثب إبراهيم فجلس بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين، شتمني وذكر أمي واستخف بي؛ فغضب وقال: ما تقول. ويلك! قلت: لا أعلم، فسل من حضر؛

فأقبل على مسرور وحسين؛ فسألهما عن القصة؛ فجعلا يخبرانه ووجهه يتربد إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة، فسري عنه ورجع لونه، وقال لإبراهيم: ماله ذنب، شتمته فعرفك أنه لا يقدر على جوابك، ارجع إلى موضعك وأمسك عن هذا. فلما انقضى المجلس وانصرف الناس، أمر بألا أبرح، وخرج كل من حضر حتى لم يبق غيري؛ فساء ظني وأهمتني نفسي؛ فأقبل علي وقال: ويلك يا إسحاق! أتراني لم أفهم قولك ومرادك! قد والله زنيته ثلاث مرات، أتراني لا أعرف وقائعك وأقدامك وأين ذهبت! ويلك! لا تعد؛ حدثني عنك، لو ضربك إبراهيم،! كنت أقتص لك منه فأضربه وهو أخي يا جاهل؟! أتراك لو أمر غلمانه فقتلوك أكنت أقتله بك؟! فقلت: يا أمير المؤمنين، قد والله قتلتني بهذا الكلام، ولئن بلغه ليقتلني، وما أشك في أنه قد بلغه الآن؛ فصاح بمسرور الخادم وقال: علي بإبراهيم الساعة فأحضر، وقال: قم فانصرف؟ وقلت لجماعة من الخدم، وكلهم كان لي محباً وإلي مائلاً ولي مطيعاً: أخبروني بما يجري، فأخبروني من غد أنه لما دخل وبخه وجهله وقال له: أتستخف بخادمي وصنيعتي ونديمي وابن نديمي وابن خادمي وصنيعتي وصنيعة أبي في مجلسي، وتقدم علي وتستخف بمجلسي وحضرتي؟ هاه هاه.! أتقدم على هذا وأمثاله! وأنت مالك وللغناء، وما يدريك ما هو! ومن أخذك به وطارحك إياه حتى تتوهم أنك تبلغ مبلغ إسحاق الذي غذي به وعلمه وهو صناعته! ثم تظن أنك تخطئه فيما لا تدريه، ويدعوك إلى إقامة الحجة عليك فلا تثبت لذلك وتعتصم بشتمه! أليس هذا مما يدل على السقوط وضعف العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يشبهك وغلبة لذتك على مروءتك وشرفك ثم إظهارك إياه و لم تحكمه، وادعائك ما لا تعلمه حتى ينسبك الناس إلى الجهل المفرط! ألا تعلم - ويلك - أن هذا سوء أدب وقلة معرفة وقلة مبالاة بالخطأ والتكذيب والرد القبيح!. ثم قال: والله العظيم وحق رسوله، وإلا فأنا نفي من المهدي، لئن أصابه أحد بسوء، أو سقط عليه حجر من السماء، أو سقط من على دابته، أو سقط عليه سقفه، أو مات فجأة، لأقتلنك به؛ والله! والله! والله! فلا تعرض له وأنت أعلم، قم الآن فاخرج؛ فخرج وقد كاد أن يموت. فلما كان بعد ذلك

دخلت إليه وإبراهيم عنده، فأعرضت عن إبراهيم؛ وجعل ينظر إليه مرة وإلي مرة ويضحك، ثم قال له: إني لأعلم محبتك في إسحاق وميلك إليه وإلى الأخذ عنه، وإن هذا لا يجيئك من جهته كما تريد إلا بعد أن يرضى، والرضا لا يكون بمكروه، ولكن أحسن إليه وأكرمه، اعرف حقه وبره وصله، فإذا فعلت ذلك ثم خالفك فيما تهواه عاقبته بيد منبسطة ولسان منطلق؛ ثم قال لي: قم إلى مولاك وابن مولاك فقبل رأسه؛ فقمت إليه وقام إلي وأصلح الرشيد بيننا.

أعاذل قد نهيت فما انتهيت ... وقد طال العتاب فما ارعويت

أعاذل ما كبرت وفي ملهى ... ولو أدركت غايتك انتهيت

شربت مدامة وسقيت أخرى ... وراح المنتشون وما انتشيت

أبيت معذباً قلقاً كئيباً ... لما ألقاه من ألم وفوت

الغناء لابن محرز ثقيل عن ابن المكي. وفيه رمل بالوسطى.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: أرسل إلي الرشيد ذات ليلة، فدخلت إليه فإذا هو جالس وبين يديه جارية عليها قميص مورد وسراويل موردة وقناع مورد كأنها ياقوتة على وردة؛ فلما رآني قال لي: اجلس، فجلست، فقال لي: غن، فغنيت:

تشكى الكميت الجري لما جهدته وبين لو يستطيع أن يتكلما

فقال: لمن هذا اللحن؟ فقلت: لي يا أمير المؤمنين، فقال: هات لحن ابن سريج، فغنيته إياه؛ فطرب وشرب رطلاً وسقي الجارية رطلاً وسقاني رطلاً؛ ثم قال: غن، فغنيته:

هاج شوقي بعد ما شيب أصداغي بروق

موهنا والبرق مما ذا الهوى قدماً يشوق

فقال: لمن هذا الصوت؟ فقلت: لي؛ فقال: قد كنت سمعت فيه لحناً آخر؛ فقلت: نعم، لحن ابن محرز؛ قال: هاته، فغنيته فطرب وشرب رطلاً، ثم سقى الجارية رطلاً وسقاني رطلاً؛ ثم قال: غن، فغنيته:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

فقال لي: ليس هذا اللحن أريد، غن رمل ابن سريج؛ فغنيته وشرب رطلاً وسقي الجارية رطلاً، ثم قال: حدثني، فجعلت أحدثه بأحاديث القيان والمغنين طوراً، وأحاديث العرب وأيامها وأخبارها تارة، وأنشده أشعار القدماء والمحدثين في خلال ذلك، إذ دخل الفضل بن الربيع، فحدثه حديث ثلاث جوار ملكهن ووصفهن بالحسن والإحسان والظرف والأدب؛ فقال له: يا عباسي، هل تسخو نفسك بهن؟ وهل لك من سلوة عنهن؟ فقاد له: والله يا أمير المؤمنين، إني لأسخو بهن وبنفسي، فبها فداك الله؛ ثم قام فوجه بهن إليه، فغلبن على قلبه، وهن سحر وضياء وخنث ذات الخال؛ وفيهن يقول:

إن سحراً وضياء وخنث هن سحر وضياء وخنث

أخذت سحر ولا ذنب لها ثلثي قلبي وترباها الثلث

حدثني الصولي قال حدثني ميمون بن هارون عن إسحاق قال: أتيت عبيد الله بن محمد بن عائشة بالبصرة، فلما دخلت إليه حصرت؛ فقال لي: إن الحصر رائد الحياء، والحياء عقيد الإيمان، فانبسط وأزل الوحشة، فلئن باعدت بيننا الأحساب، لقد قربت بيننا الآداب؛ فقلت له: والله لقد سررتني بخطابك، وزدتني ببرك عجزاً عن جوابك؛ والله در القطامي حيث يقول:

أما قريش فلن تلقاهم أبداً إلا وهم خير من يحفى وينتعل

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أبو هفان قال: وجه أحمد بن هشام إلى إسحاق الموصلي بزعفران رطب وكتب إليه:

اشرب على الزعفران الرطب متكئاً وانعم نعمت بطول اللهو والطرب
فحرمة الكأس بين الناس واجبة كحرمة الود والأرحام والأدب

قال: فكتب إليه إسحاق:

أذكر أبا جعفر حقاً أمت به أني وإياك مشغوفان بالأدب
وأننا قد رضعنا الكأس درتها والكأس حرمتها أولى من النسب

حدثنا الصولي قال حدثني محمد بن موسى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: لما أراد الفضل بن يحيى الخروج إلى خراسان ودعته، ثم أنشدته بعد التوديع:

فراقك مثل فراق الحياة وفقدك مثل فتقاد الديم
عليك السلام فكم من وفاء أفارق فيك وكم من كرم

قال: فضمني إليه، وأمر لي بألف دينار، وقال لي: يا أبا محمد، لو حليت هذين البيتين بصنعة وأودعتهما من يصلح من الخارجين معنا، لأهديت بذلك إلي أنساً وأذكرتني بنفسك؛ ففعلت ذلك وطرحته على بعض المغنين؛ فكان كتابه لا يزال يرد علي ومعه ألف دينار يصلني بذلك كلما غنى بهذا الصوت. قال الصولي: وهو من طريقة الرمل.

أخبرني عمي قال حدثني عمر بن شبة عن إسحاق قال: قال لي الأصمعي: لما خرجنا مع الرشيد إلى الرقة قال لي: هل حملت معك شيئا من كتبك؟ فقلت: نعم، حملت منها ما خف حمله؛ فقال: كم؟ فقلت: ثمانية عشر صندوقاً؛ فقال: هذا لما خففت، فلو ثقلت كم كنت تحمل؟ فقلت: أضعافها؛ فجعل يعجب.

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال: لما ولي المعتصم دخلت إليه في جملة الجلساء والشعراء؛ فهنأه القوم نظماً ونثراً وهو ينظر إلي مستنطقاً؛ فأنشدئه:

لاح بالمفرق منك القتير وذوى غصن الشباب النضير
هزئت أسماء مني وقالت أنت يابن الموصلي كبير
ورأت شيباً برأسي فصدت وابن ستين بشيب جدير
لا يروعنك شيبي فإني مع هذا الشيب حلو مزير
قد يفل السيف وهو جراز ويصول الليث وهو عقير
يا بني العباسى أنتم شفاء وضياء للقلوب ونور
أنتم أهل الخلافة فينا ولكم منبرها والسرير

لا يزال الملك فيكم مدى الده ... ر مقيماً ما أقام ثبير

وأبو إسحاق خير إمام ... ماله في العالمين نظير

ماله فيما يريش ويبري ... غير توفيق العالمين نظير

واضح الغرة للخير فيه ... حين يبدو شاهد وبشير

زانه هدي تقى وجلال ... وعفاف ووقار وخير

لو تباري جوده الريح يوماً ... نزعت وهي طليح حسير

قال: فأمر لي بجائزة فضلني بها على الجماعة. ثم دخلت إليه يوم مقدمه من غزاته، فأنشدته قولي فيه:

لأسماء رسم عفا باللوى ... أقام رهيناً لطول البلى

تعاوره الدهر في صرفه ... بكر الجديدين حتى عفا

إذ البين لم تخش روعاته ... ولم يصرف الحي صرف الردي

وإذ ميعة اللهو تجري بنا ... وحبل الوصال متين القوى

فذلك دهر مضى فابكه ... ومن ضاق ذرعاً بأمر بكى

وهل يشفينك من غلة ... بكاؤك في إثر ما قد مضى

إلى ابن الرشيد إمام الهدى ... بعثنا المطي تجوب الفلا

إلى ملك حل من هاشم ... ذؤابة مجد منيف الذرى

إذا قيل أي فتى هاشم ... وسيدها كان ذاك الفتى

به نعش الله آمالنا ... كما نعش الأرض صوب الحيا

إذا ما نوى فعل أكرومة ... تجاوز من جوده ما نوى

كساه الإله رداء الجمال ... ونور الجلال وهدى التقى

قال: فأمر لي بجائزة، وقال: لست أحسب هذا لك إلا بعد أن تقرن صناعتك فيه بالأخرى يعني أن أغني فيه وفي: "هزئت أسماء مني"؛ فصنعت في:

هزئت أسماء منى .....

لحناً، وفي:

لأسماء رسم عفا باللوى

لحناً آخر وغنيته بهما، فأمر لي بألفي دينار.

هزئت أسماء منى وقالت أنت يا بن الموصلي كبير

لحن إسحاق في أربعة أبيات متوالية من الشعر ثقيل أول بالوسطى. والآخر:

لأسماء رسم عفا باللوى أقام رهيناً لطول البلى

الغناء لإسحاق ثاني ثقيل بالوسطى.

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي قال حدثني أحمد بن عبيد الله بن أبي العلاء قال: غنيت يوماً بين يدي الواثق لحن إسحاق في:

هزئت أسماء منى وقالت أنت يا بن الموصلي كبير

قال: فنظر إلي مخارق نظراً شزراً وعض شفته علي؛ فلما خرجنا من بين يدي الواثق قلت: يا أستاذ، لم نظرت إلي ذلك النظر؟ أ أنكرت علي شيئاً أم أخطأت في غنائي؟ فقال لي: ويحك! أتدري أي صوت غنيت! إن إسحاق جعل صيحة هذا الصوت بمنزلة طريق ضيق وعر صعب المرتقى، أحد جانبي ذلك الطريق حرف الجبل، وعن جانبه الآخر الوادي؛ فإن مال مرتقيه عن محجته إلى جانب الوادي هوى، وإن مال إلى الجانب الآخر نطحه حرف الجبل فتكسر؛ صر إلي غداً حتى أصححه لك.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثت من غير وجه: أن إسحاق بات ليلة عند المعتصم وهو أمير، فسمع لحناً لعبد الوهاب المؤذن أذن به على باب المعتصم، فأصغى إليه فأعجبه، فأعاد المبيت ليلة أخرى عنده حتى استقام له اللحن؛ فبنى عليه لحنه:

هزئت أسماء منى وقالت

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي: أن إبراهيم بن المهدي فصد يوماً، فكتب إليه إسحاق يتعرف خبره ويدعو له بالسلامة وحسن العقبى، وكتب إليه: إني سأهدي إليك هدية للفصد حسنة؛ فوجه إليه بديحاً غلامه، فغناه لحنه في:

هزئت أسماء منى وقالت

فاستحسنه إبراهيم وقال له: قد قبلنا الهدية، فإن كان أن لك في طرحه على الجواري فافعل؛ فقال له: بذلك أمرني، وقال لي: إنك ستقول لي هذا القول، فقال: إن قاله لك فقل له: لو لم آمرك بطرحه لم يكن هدية؛ فضحك إبراهيم، وألقاه بديح على جواريه. وقد ذكر علي بن محمد بن نصر هذا الخبر، فذكر أنه كتب إلى أبيه بهذه الهدية؛ وهذا خطأ، لأن الشعر في تهنئة المعتصم بالخلافة، وإبراهيم الموصلي مات في حياة الرشيد، فكيف يهدى إليه هذا الصوت!.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبي قال حدثني أحمد بن أبي العلاء قال: اندفع محمد بن الحارث بن بسخنر يوماً

يغني هذا الصوت؛ فالتفت إلينا مخارق فقال: خرج ابن الزانية!.

حدثني عمي قال حدثني أبو جعفر محمد بن الدهقانة النديم قال حدثني أحمد بن يحيى المكي قال: دعاني الفضل بن الربيع ودعا علويه ومخارقاً، وذلك في أيام المأمون بعد رجوعه ورضاه عنه إلا أن حاله كانت ناقصة متضعضعة؛ فلما اجتمعنا عنده كتب إلى إسحاق الموصلي يسأله أن يصير إليه ويعلمه الحال في اجتماعنا عنده؛ فكتب إليهم: لا تنتظروني بالأكل فقد أكلت، وأنا أصير إليكم بعد ساعة؛ فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قرب العصر، ثم وافى إسحاق فجلس، وجاء غلامه بقطرميز نبيذ فوضعه ناحية، وأمر صاحب الشراب بإسقائه منه، وكان علويه يغني الفضل بن الربيع في لحن لسياط اقترحه الفضل عليه وأعجبه، وهو:

فإن تعجبي أو تبصري الدهر طمني ... بأحداثه طم المقصص بالجلم

فقد أترك الأصياف تندى رحالهم ... وأكرمهم بالمحض والتامك السنم

ولحنه من الثقيل الثاني - فقال له إسحاق: أخطأت يا أبا الحسن في أداء هذا الصوت، وأنا أصلحه لك؛ فجن علويه واغتاظ وقامت قيامته؛ ثم أقبل على علويه فقال له: يا حبيبي، ما أردت الوضع منك بما قلته لك، وإنما أردت تهذيبك وتقويمك، لأنك منسوب الصواب والخطأ إلى أبي وإلي، فإن كرهت ذلك تركتك وقلت لك: أحسنت وأجملت؛ فقال له علويه: والله ما هذا أردت، ولا أردت إلا ما لا تتركه أبداً من سوء عشرتك! أخبرني عنك حين تجيء هذا الوقت لما دعاك الأمير وعرفك أنه قد نشط للاصطباح: ما حملك على الترفع عن مباكرته وخدمته مع صنائعه عندك، وما كان ينبغي أن يشغلك عنه شيء إلا الخليفة! ثم تجيئه ومعك قطرميز نبيل! ترفعاً عن شرابه كما ترفعت عن طعامه ومجالسته إلا كما تشتهي وحين تنشط، كما تفعل الأكفاء، بل تزيد على فعل الأكفاء؛ ثم تعمد إلى صوت قد اشتهاه واقترحه وسمعه جميع من حضر فما عابه منهم أحد فتعيبه ليتم تنغيصك إياه لذته!؛ أما والله لو الفضل بن يحيى أو أخوه جعفر دعاك إلى مثل ما دعاك إليه الأمير، بل بعض أتباعهم، لبادرن وباكرت وما تأخرت ولا اعتذرت؛ قال: فأمسك الفضل عن الجواب إعجاباً بما خاطب به علويه إسحاق؛ فقال له إسحاق: أما ما ذكرته من تأخري عنه إلى الوقت الذي حضرت فيه، فهو يعلم أني لا أتأخر عنه إلا بعائق قاطع، إن وثق بذلك مني وإلا ذكرت له الحجة سراً من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه مدخل. وأما ترفعي عنه، فكيف أترفع عنه وأنا أنتسب إلى صنائعه وأستمنحه وأعيش من فضله مذ كنت، وهذا تضريب لا أبالي به منك. وأما حملي النبيذ معي، فإن لي في النبيذ شرطاً من طعمه وريحه، وإن لم أجده لم أقدر على الشرب وتنغص علي يومئذ، وإنما حملته ليتم نشاطي وينتفع بي. وأما طعني على ما اختاره، فإني لم أطعن على اختياره، وإنما أردت تقويمك، ولست والله تراني متتبعاً لك بعد هذا اليوم ولا مقوماً شيئاً من خطئك؛ وأنا أغني له - أعزه الله - هذا الصوت فيعلم وتعلم ويعلم من حضر أنك أخطأت فيه وقصرت. وأما البرامكة وملازمتي لهم فاشهر من أن أجحده، وإني لحقيق فيه بالمعذرة، وأحرى أن أشكرهم على صنيعهم وبأن أذيعه وأنشره،

وذلك والله أقل ما يستحقونه مني.

ثم أقبل على الفضل- وقد غاظه مدحه لهم - فقال: اسمع مني شيئا أخبرك به مما فعلوه ليس هو بكبير في صنائعهم عندي ولا عند أبي قبلي، فإن وجدت لي عذراً وإلا فلم: كنت في ابتداء أمري نازلاً مع أبي في داره، فكان لا يزال يجري بين غلماني وغلمانه وجواري وجواريه الخصومة، كما تجري بين هذه الطبقات، فيشكونهم إليه، فأتبين الضجر والتنكر في وجهه؛ فاستأجرت داراً بقربه و انتقلت إليها أنا وغلماني وجواري، وكانت داراً واسعة، فلم أرض ما معي من الآلة لها ولا لمن يدخل إلي من إخواني أن يروا مثله عندي؛ ففكرت في ذلك وكيف أصنع، وزاد فكري حتى خطر بقلبي قبح الأحدوثة من نزول مثلي في دار بأجرة، وأني لا آمن في وقت أن يستأذن علي صاحب داري، وعندي من أحتشمه ولا يعلم حالي، فيقال صاحب دارك، أو يوجه في وقت فيطلب أجرة الدار وعندي من أحتشمه؛ فضاق بذلك صدري ضيقاً شديداً حتى جاوز الحد؛ فأمرت غلامي بأن يسرج لي حماراً كان عندي لأمضي إلى الصحراء أتفرج فيها مما دخل على قلبي، فأسرجه وركبت برداء ونعل؛ فأفضى بي المسير وأنا مفكر لا

أميز الطريق التي أسلك فيها حتى هجم بي على باب يحيى بن خالد؛ فتواثب غلمانه إلي؛ وقالوا: أين هذا الطريق؟ فقلت: إلى الوزير؛ فدخلوا فاستأذنوا لي؛ وخرج الحاجب فأمرني بالدخول، وبقيت خجلاً، قد وقعت في أمرين فاضحين: إن دخلت إليه برداء ونعل وأعلمته أني قصدته في تلك الحال كان سوء أدب، وإن قلت له: كنت مجتازاً و لم أقصدك فجعلتك طريقاً كان قبيحاً؛ ثم عزمت فدخلت؛ فلما رآني تبسم وقال: ما هذا الزي يا أبا محمد! احتبسنا لك بالبر والقصد والتفقد ثم علمنا أنك جعلتنا طريقاً؛ فقلت: لا والله يا سيدي، ولكني أصدقك؛ قال: هات؛ فأخبرته القصة من أولها إلى آخرها؛ فقال: هذا حق مستو، أفهذا شغل قلبك؟ قلت: إي والله! وزاد فقال: لا تشغل قلبك بهذا، يا غلام، ردوا حماره وهاتوا له خلعة؛ فجاءوني بخلعة تامة من ثيابه فلبستها، ودعا بالطعام فأكلت ووضع النبيذ فشربت وشرب فغنيته، ودعا في وسط ذلك بدواة ورقعة وكتب أربع رقاع ظننت بعضها توقيعاً لي بجائزة، فإذا هو قد دعا بعض وكلائه فدفع إليه الرقاع وساره بشيء، فزاد طمعي في الجائزة؛ ومضى الرجل وجلسنا نشرب وأنا أنتظر شيئاً فلا أراه إلى العتمة؛ ثم اتكأ يحيى فنام، فقمت وأنا منكسر خائب فخرجت وقدم لي حماري؛ فلما تجاوزت الدار قال لي غلامي: إلى أين تمضي؟ قلت: إلى البيت؛ قال: قد والله بيعت دارك، وأشهد على صاحبها، وابتيع الدرب كله ووزن ثمنه، والمشتري جالس على بابك ينتظرك ليعرفك، وأظنه اشترى ذلك للسلطان، لأني رأيت الأمر في استعجاله واستحثاثه أمراً سلطانياً، فوقعت من ذلك فيما لم يكن في حسابي، وجئت وأنا لا أدري ما أعمل؛ فلما نزلت على باب داري إذا أنا بالوكيل الذي ساره يحيى قد قام إلي فقال لي: ادخل - أيدك الله - دارك حتى أدخل إلى مخاطبتك في أمر أحتاج إليك فيه؛ فطابت نفسي بذلك، ودخلت ودخل إلي فأقرأني توقيع يحيى: "يطلق لأبي محمد إسحاق مائة ألف درهم يبتاع له بها داره وجميع ما يجاورها ويلاصقها". والتوقيع الثاني إلى ابنه الفضل: "قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يبتاع له بها

داره، فأطلق إليه مثلها لينفقها على إصلاح الدار كما يريد وبنائها على ما يشتهي". والتوقيع الثالث إلى جعفر: "قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يبتاع له بها منزل يسكنه، وأمر له أخوك بدفع مائة ألف درهم ينفقها على بنائها ومرمتها على ما يريد، فأطلق له أنت مائة ألف درهم يبتاع بها فرشاً لمنزله ". والتوقيع الرابع إلى محمد: "قد أمرت لأبي محمد إسحاق أنا وأخواك بثلثمائة ألف درهم لمنزل يبتاعه ونفقة ينفقها عليه وفرش يبتذله، فمر له أنت بمائة ألف درهم يصرفها في سائر نفقته". وقال الوكيل: قد حملت المال واشتريت كل شيء جاورك بسبعين ألف درهم، وهذه كتب الابتياعات باسمي والإقرار لك، وهذا المال بورك لك فيه فاقبضه؛ فقبضته وأصبحت أحسن حالاً من أبي في منزلي وفرشي وآلتي، ولا والله ما هذا بأكبر شيء فعلوه لي، أفألام على شكر هؤلاء! فبكى الفضل بن الربيع وكل من حضر، وقالوا: لا والله لا تلام على شكر هؤلاء. ثم قال الفضل: بحياتي غن الصوت ولا تبخل على أبي الحسن بأن تقومه له؛ فقال: أفعل؛ وغناه، فتبين علويه أنه كما قال، فقام فقبل رأسه وقال: أنت أستاذنا وابن أستاذنا وأولى بتقويمنا واحتمالنا من كل أحد؛ ورده إسحاق مرات حتى استوى لعلويه.

ولقد روي في هذا الخبر بعينه أن هذه القصة كانت عند علي بن هشام، وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ميمون بن هارون وأبو عبد الله الهاشمي قالا: دعا علي بن هشام إسحاق الموصلي وسأله أن يصطبح عنده ويبكر فأجابه؛ فلما كان الغد وافاه ظهراً وعنده مخارق وعلويه؛ فقال له علي بن هشام: أين كنت الساعة يا أبا محمد؟ قال: عاقني أمر لم أجد من القيام به بداً؛ فدعا له بطعام فأصاب منه، ثم قعدوا على نبيذهم، وتغنى علويه صوتاً، الشعر فيه لابن ياسين، وهو:

إلهي منحت الود مني بخيلة ... وأنت على تغيير ذاك قدير

شفاء الهوى بث الهوى واشتكاؤه ... وإن امرأ أخفى الهوى لصبور

الغناء لسليمان أخي أحيحة، خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو - فقال له إسحاق: أخطأت ويلك! فوضع علويه العود وشرب رطلاً وشرب علي بن هشام؛ ثم تناول العود وغنى:

ولقد أسمو إلى غرف ... في طريق موحش جدده

حوله الأحراس تحرسه ... ولديه جاثماً أسده

الغناء لمعبد ثقيل أول بالوسطى عن عمرو - فقال له إسحاق: أخطأت ويلك! فوضع العود من يده ثم أقبل على إسحاق فقال له: دعاك الأمير- أعزه الله - لتبكر إليه، فجئته ظهراً، وغنيت صوتين يشتهيهما الأمير- أعزه الله - علي فخطأتني فيهما، وزعمت أنك لا تغني بين يدي الأمير- أعزه الله - ولا تغني إلا بين يدي خليفة أو ولي عهد، ولو دعاك بعض البرامكة لكنت تسرع إليه ثم تغنى منذ غدوة إلى الليل!؛ فقال إسحاق: إني والله ما أردت انتقاصاً منك، ولا أقول مثله لغيرك ولا أريد ازدراء من أحد، ولكني أردت بك خاصة التقويم والتأديب؛ فإن

ساءك ذلك تركتك في خطئك. ثم أقبل على علي بن هشام، فقال له: أعزك الله، إني أحدثك عن البرامكة بما يقيم عذري فيما ذكره: دخلت على يحيى بن خالد يوماً، و لم أكن أردت الدخول عليه، وإنما ركبت متبذلاً لهم أهمني، وكنت نازلاً مع أبي في داره، فضقت صدراً بذلك وأحببت النقلة عنه، ونظرت فإذا يدي تقصر عما يصلحني؛ ثم ذكر الخبر نحواً مما قلته. وزاد فيه: أنه دخل إلى يحيى بن خالد وهو مصطبح، فلما رآه نعر وصفق، وأنه وقع له بمائتي ألف درهم، ووقع له كل من جعفر والفضل بمائة وخمسين ألفاً، وكل واحد من موسى ومحمد بمائة ألف مائة ألف. وقال فيه: فبكى علي بن هشام ومن حضر، وقالوا: لا يرى والله مثل هؤلاء أبداً؛ وأخذ إسحاق العود فغنى الصوتين فأتى فيهما بالعجائب؛ فقام علويه فقبل رأسه وقال له: أنت أستاذنا وابن أستاذنا، وما بنا عن تقويمك غنى؛ ثم غنى بعد ذلك لحنه: "تشكى الكميت الجري"، و لم يزل يغني بقية يومه كلما شرب علي بن هشام؛ ثم انصرف فأتبعه علي بن هشام بجائزة سنية.

حدثني الصولي قال حدثنا عون بن محمد قال حدثني عبد الله بن العباس الربيعي قال: أحضرني إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فلما جلست واطمأننت، أخرج إلي خادمه رقعة، فقال: اقرأ ما فيها واعمل بما رسمه الأمير أعزه الله؛ فقرأتها فإذا فيها قوله:

يرتاح للدجن قلبي وهو مقتسم ... بين الهموم ارتياح الأرض للمطر

إني جعلت لهذا الدجن نحلته ... ألا يزول ولي في اللهو من وطر

وتحت هذين البيتين: "تقدم- جعلت فداك - إلى من بحضرتك من المغنين بأن يغنوا في هذين البيتين، وألق جميع ما يصنعونه على فلانة؛ فإذا أخذته فأنفذها إلي مع رسولي"؛ فقلت: السمع والطاعة لأمر الأمير أعزه الله، فهل صنع فيهما أحد قبلي؟ فقال: نعم، إسحاق الموصلي؛ فقلت: والله لو كلف إبليس أن يصنع فيهما صنعة يفضل إسحاق فيها بل يساويه بل يقاربه، ما قدر على ذلك ولا بلغ مبلغه، فضحك حتى استلقى، وقال: صدقت والله! وهكذا يقول من يعمل لا كما يقول هؤلاء الحمقى، ولكن اصنع فيهما على كل حال كما أمر؛ فقلت: أفعل وقد برئت من العهدة؛ فانصرفت فصنعت فيهما صنعة كانت والله عند صنعة إسحاق بمنزلة غناء القرادين.

حدثني جحظة قال حدثني ميمون قال حدثني إسحاق الموصلي قال: قال لي المعتصم أو قال لي الواثق: لقد ضحك الشيب في عارضيك؛ فقلت: نعم يا سيدي، وبكيت؛ ثم قلت أبياتاً في الوقت وغنيت فيها:

تولى شبابك إلا قليلا ... وحل المشيب فصبراً جميلا

كفى حزناً بفراق الصبا ... وإن أصبح الشيب منه بديلا

ولما رأى الغانيات المشي ... ب أغضين دونك طرفاً كليلا

سأندب عهداً مضى للصبا ... وأبكي الشباب بكاء طويلا

فبكى الواثق وحزن وقال: والله لو قدرت على رد شبابك لفعلت بشطر ملكي؛ فلم يكن لكلامه عندي جواب إلا تقبيل البساط بين يديه.

أخبرني محمد بن مزيد فال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني حمدون بن إسماعيل قال: لما صنع أبوك لحنه في:

قف بالديار التي عفا القدم وغيرتها الأرواح والديم

رأيتهم "يعني المغنين" يأخذونه عنه ويجهدون فيه؛ فتوفي والله وما أخذوا منه إلا رسمه.

قف بالديار التي عفا القدم وغيرتها الأرواح والديم

لما وقفنا بها نسائلها فاضت من القوم أعين سجم

ذكراً لعيش مضى إذا ذكروا ما فات منه فإنه سقم

وكل عيش دامت غضارته منقطع مرة ومنصرم

الشعر والغناء لإسحاق، ثقيل أول بالوسطى من جميع أغانيه.

حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني هارون اليتيم قال حدثني عجيف بن عنبسة قال: كنت عند أمير المؤمنين المعتصم وعنده إسحاق الموصلي، فغناه:

قل لمن صد عاتبا ونأى عنك جانبا

فأمره بإعادته، فأعاده ثلاثاً، وشرب عليه ثلاثاً، فقال له إبراهيم بن المهدي: قد استحسنت هذا الصوت يا أمير المؤمنين، أفنأخذه؟ قال: نعم، خذوه فقد أعجبني؛ فاجتمع جماعة المغنين: مخارق وعلويه وعمرو بن بانة وغيرهم، فأمره المعتصم أن يلقيه عليهم حتى يأخذوه؛ فقال عجيف: فعددت خمسين مرة قد أعاده فيها عليهم وهم يظنون أنهم قد أخذوه و لم يكونوا أخذوه. قال هارون: فنحن في هذا الحديث إذ دخل علينا محمد بن الحارث بن بسخنر، فقال له عجيف: يا أبا جعفر، كنت أحدث أبا موسى بحديثنا البارحة مع إسحاق في الصوت وأني عددت خمسين مرة؛ فقال محمد: إي والله!- أصلحك الله - ولقد عددت أنا أكثر من سبعين مرة وما في القوم أحد إلا وهو يظن أنه قد أخذه، والله ما أخذه أحد منهم وأنا أولهم ما قدرت - علم الله - على أخذه على الصحة وأنا أسرعهم أخذاً، فلا أدري: ألكثرة زوائده فيه أم لشدة صعوبته؛ ومن يقدر أن يأخذ من ذلك الشيطان شيئاً!. أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني عجيف بن عنبسة بهذا الخبر فذكر مثله سواء.

قال أبو أيوب وحدثني حماد عن أبيه قال: كنت يوماً عند المعتصم، فمر شعر على هذا الوزن فقال: وددت أنه على غير ما هو؛ فقلت له: أنا لك به على هذا الوزن في أحسن من هذا الشعر:

قل لمن صد عاتبا ونأى عنك جانبا

قد بلغت الذي أرد ت وإن كنت لاعبا

فأعجبه، وقال لي: قد والله أحسنت! وأمر لي بألفي دينار، ووالله ما كانت قيمتهما عندي دانقين الشعر والغناء في هذين البيتين لإسحاق، ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى.

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني ابن المكي عن إسحاق قال: غضب علي المخلوع فأقصاني وجفاني، فاشتد ذلك علي - قال: وجفاني وهو يومئذ بالأنبار- فحملت عليه بالفضل بن الربيع، فطلب إليه فشفعه المخلوع ودعاني وهو مصطبح، فلم أزل متوقفاً وقد لبست قباء وخفاً أحمر واعتصبت بعصابة صفراء وشددت وسطي بشقة حمراء من حرير، فلما أخذوا في الأهزاج دخلت وفي يدي صفاقتان وأنا أتغنى:

اسمع لصوت طريب من صنعة الأنباري

صوت مليح خفيف يطير في الأوتار

الشعر والغناء لإسحاق، هزج بالبنصر- فسر بذلك محمد، وكان صوتهم في يومهم ذلك، وأمر لي بثلثمائة ألف درهم. وأخبرني جحظة بهذا الخبر عن محمد بن أحمد بن يحيى المكي قال حدثني أبي أن إسحاق حدثه بهذا الخبر، وذكر مثل ما ذكره يحيى؛ وزاد فيه قال: وكان سبب تسمية محمد لي ب "الأنباري" أني دخلت عليه يوماً وقد لثت عمامتي على رأسي لوثاً غير مستحسن، فقال لي: يا إسحاق، كأن عمامتك من عمائم أهل الأنبار.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل عن إسحاق، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني عمي الفضل عن إسحاق، وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبي: قال إسحاق: قلت في ليلة من الليالي:

هل إلى نظرة إليك سبيل يرو الصدى ويشفى الغليل

إن ما قل منك يكثر عندي وكثير ممن تحب القليل

قال: فلما أصبحت أنشدتهما الأصمعي، فقال: هذا الديباج الخسرواني، هذا الوشي الإسكندراني، لمن هذا؟ فقلت له: إنه ابن ليلته؛ فتبينت الحسد في وجهه، وقال: أفسدته! أفسدته! أما إن التوليد فيه لبين. في هذين البيتين لإسحاق خفيف ثقيل بالبنصر.

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى قال حدثني إسحاق بهذا الخبر، فذكر مثل ما ذكره من قدمت الرواية عنه، وزاد فيه: فقال لي علي بن يحيى بعقب هذا الخبر: كان إسحاق يعجب بهذا المعنى ويكرره في شعره، ويرى أنه ما سبق إليه ة فمن ذلك قوله:

أيها الظبي الغرير هل لنا منك مجير

إن ما نولتني من ك وإن قل كثير

لحن إسحاق خفيف ثقيل بالوسطى - فقلت: إنك فد سبقت إلى هذا المعنى، فقال: ما علمت أن أحداً سبقني إليه؛ فأنشدته لأعرابي من بني عقيل:

قفي ودعينا يا مليح بنظرة ... فقد حان منا يا مليح رحيل

أليس قليلاً نظرة إن نظرتها ... إليك وكلاً ليس منك قليل

عقيلية أما ملاث إزارها ... فوعث وأما خصرها فضئيل

أيا جنة الدنيا ويا غاية المنى ... ويا سؤل نفسي هل إليك سبيل

أراجعة نفسي إلي فأغتدي ... مع الركب لم يقتل عليك قتيل

فما كل يوم لي بأرضك حاجة ... ولا كل يوم لي إليك رسول

قال: فحلف أنه ما سمع بذلك قط. قال علي بن يحيى: وصدق، ما سمع بها. الغناء في الأبيات الأخيرة من أبيات العقيلى.

حدثني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الحسين بن محمد بن أبي طالب الديناري بمكة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي. قال: عاتبني إبراهيم بن المهدي في ترك المجيء إليه، فقال لي: من جمع لك مع المودة الصادقة رأياً حازماً، فاجمع له مع المحبة الخالصة طاعة لازمة؛ فقلت له: جعلني الله فداك، إذا ثبتت الأصول في القلوب، نطقت الألسن بالفروع، والله يعلم أن قلبي لك شاكر، ولساني بالثناء عليك ناثر؛ وما يظهر الود المستقيم، إلا من القلب السليم؛ قال: فأبرىء ساحتك عندي بكثرة مجيئك إلي؛ فقلت: أجعل مجيئي إليك في الليل والنهار نوباً أتيقظ لها كتيقظي للصلوات الخمس، وأكون بعد ذلك مقصراً؛ فضحك وقال: من يقدر على جواب المغنين!؛ فقلت: من اتخذ الغناء لنفسه و لم يتخذه لغيره؛ فضحك أيضاً، وأمر لي بخلع ودنانير وبرذون وخادم. وبلغ الخبر المعتصم، فضاعف لإبراهيم ما أعطاني، فرحت وقد ربحت وأربحت.

حدثنا الحرمي قال حدثنا الديناري قال حدثني إسحاق قال: عتب علي الفضل بن الربيع في شيء بلغه عني؛ فكتبت إليه: "إن لكل ذنب عفواً وعقوبة؛ فذنوب الخاصة عندك مستورة مغفورة، فأما مثلي من العامة فذنبه لا يغفر، وكسره لا يجبر؛ فإن كنت لا بد معاقبي فإعراض لا يؤدي إلى مقت ".

حدثني الحرمي قال حدثنا الديناري قال حدثني إسحاق قال: كان يختلف إلي رجل من الأعراب، وكان الفضل بن الربيع يقر به ويستظرف كلامه، وكان عندي يوماً وجاء رسول الفضل يطلبه فمضى إليه؛ فقال له الفضل: فيم كنتم؟ قال: كنا في قدر تفور، وكأس تدور، وغناء يصور، وحديث لا يحور.

حدثنا الحرمي قال حدثنا الحسين بن طالب قال: كان إسحاق يقول الشعر على ألسن الأعراب، وينشده للأعراب، وكان يعابي بذلك أصحابه ويغرب عليهم به؛ فمن ذلك ما أنشدنيه لأعرابي:

لفظ الخدور عليك حوراً عينا أنسين ما جمع الكناس قطينا
فإذا بسمن فعن كمثل غمامة أو أقحوان الرمل بات معينا
وأصح من رأت العيون محاجراً ولهن أمرض ما رأيت عيونا
وكأنما تلك الوجوه أهلة أقمرن بين العشر والعشرينا
وكأنهن إذا نهضن لحاجة ينهضن بالعقدات من يبرينا

قال: وأنشدني أيضا مما كان ينسبه إلى الأعراب وهو له:

ومكحولة العينين من غير ما كحل مهفهفة الكشحين ذات شوى خدل
منغمة الأطراف مفعمة البرى روادفها تحكي الدهاس من الرمل
صيود لألباب الرجال، متى رنت إلى ذي نهى جلد القوى وافر العقل
تخلى النهى عنه وحالفه الصبا وأسلمه الرأي الأصيل إلى الجهل
شبيبة كثبان يروقك تحتها عنا قيد كرم جادها غدق الوبل
رمتني فحلت نائطي ولم تصب لها نائطي قلب ولا مقتلاً نبلي

حدثني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال حدثت عن الأصمعي قال: دخلت أنا وإسحاق الموصلي يوماً على الرشيد فرأيناه لقس النفس؛ فأنشده إسحاق يقول:

وآمرة بالبخل قلت لها آقصري فذلك شيء ما إليه سبيل
أرى الناس خلان الكرام ولا أرى بخيلاً له حتى الممات خليل
وإني رأيت البخل يزري بأهله فأكرمت نفسي أن يقال بخيل

ومن خير حالات الفتى لو علمته إذا نال خيراً أن يكون ينيل
فعالى فعال المكثرين تجملاً وما لي كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ورأي أمير المؤمنين جميل

قال: فقال الرشيد: لا تخف إن شاء الله؛ ثم قال: لله در أبيات تأتينا بها؛ ما أشد أصولها، وأحسن فصولها، وأقل فضولها! وأمر له بخمسين ألف درهم؛ فقال له إسحاق: وصفك والله يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه، فعلام آخذ الجائزة! فضحك الرشيد وقال: اجعلوها لهذا القول مائة ألف درهم. قال الأصمعي: فعلمت يومئذ أن إسحاق أحذق بصيد الدراهم مني. وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة عن حماد عن أبيه، وأخبرنا به يحيى بن علي

عن أبيه عن إسحاق فذكر معنى الخبر قريبا مما ذكره الأصمعي والألفاظ تختلف.

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق، وأخبرني به جعفر بن قدامة ووكيع عن حماد عن أبيه قال: كنت عند الفضل بن الربيع يوماً، فدخل إليه ابن ابنه عبد الله بن العباس بن الفضل وهو طفل، وكان يرق عليه لأن أباه مات في حياته، فأجلسه في حجره وضمه إليه ودمعت عليناه؛ فأنشأت أقول:

مد لك الله الحياة مداً ... حتى يكون ابنك هذا جداً

مؤزراً بمجده مردى ... ثم يفدى مثل ما تفدى

أشبه منك سنة وخداً ... وشيماً مرضتة ومجدا

كأنه أنت إذا تبدى ... شمائلاً محمودة وقدا

قال: فتبسم الفضل وقال: أمتعني الله بك يا أبا محمد، فقد عوضت من الحزن سروراً وتسليت بقولك، وكذلك يكون إن شاء الله. قال جعفر بن قدامة: وحدثني بهذا الحديث علي بن يحيى، فذكر أن إسحاق قال هذه الأبيات للفضل بن يحيى وقد دخل عليه وفي حجره ابن له.

غنى في هذه الأبيات أبو عيسى بن المتوكل لحناً من الرمل، يقال: إنه صنعه وقد ولد للمعتمد ولد ثم غنى به.

وأخبرني ذكاء وجه الرزة عن بدعة الكبيرة: أن الرمل لعريب، وأن لحن أبي عيسى خفيف رمل.

حدثني عمي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي عن إسحاق قال: أتيت الفضل بن الربيع يوماً عائداً وجاءه بنو هاشم يعودونه؛ فقلت في مجلسي ذلك:

إذا ما أبو العباس عيد ولم يعد ... رأيت معوداً أكرم الناس عائدا

وجاء بنو العباس يبتدرونه ... مراضاً لما يشكوه مثنى وواحدا

يفدونه عند السلام وكلهم ... مجل له يدعوه عماً ووالدا

قال: وكان الفضل مضطجعاً، فأمر خادماً له فأجلسه، ثم قال لي: أعد يا أبا محمد فأعدت، فأمرني فكتبتها، وسر بها وجعل يرددها حتى حفظها.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرني أبي قال قال إسحاق، وأخبرني الحسن بن على الخفاف قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال: جاءني الزبير بن دحمان يوماً مسلماً فاحتبسته؛ فقال لي: أمرني الفضل بن الربيع بالمسير إليه؛ فقلت له:

أقم يا أبا العوام ويحك نشرب ... ونله مع اللاهين يوماً ونطرب

إذا ما رأيت اليوم قد جاء خيره ... فخذه بشكر واترك الفضل يغضب

فأقام عندي وسررنا يومنا؛ ثم صار إلى الفضل؛ فسأله عن سبب تأخره عنه؛ فحدثه الحديث وأنشده البيتين؛ فغضب وحول وجهه عني، وأمر عوناً حاجبه بألا يدخلني إليه ولا يستأذن لي عليه ولا يوصل لي رقعة؛ فقلت:

حرام علي الكأس ما دمت غضبانا وما لم يعد عني رضاك كما كانا

فأحسن فإني قد أسأت ولم تزل تعودني عند الإساءة إحسانا

قال: وأنشدته إياهما، فضحك ورضي عني وعاد إلى ما كان عليه. وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد والحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، فذكر مثله وزاد فيه: فقلت في عون حاجبه:

عون يا عون ليس مثلك عون أنت لي عدة إذا كان كون

لك عندي والله إن رضى الفض ل غلام يرضيك أو برذون

قال: فأتى عون الفضل بالشعرين جميعاً؛ فقرأهما وضحك وقال: ويحك! إنما عرض لك بقوله: "غلام يرضيك " بالسوءة؛ قال: قد وعدني ما سمعت، فإن شئت أن تحرمنيه فأنت أعلم!؛ فأمره أن يرسل إلي؛ فأتاني رسوله فصرت إليه فرضي عني.

أخبرني جحظة قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل قال حدثني أبي قال حدثني الزبير بن دحمان قال: دخلت يوماً على الفضل بن الربيع مسلماً؛ فقال لي: قد عزمت غداً على الصبوح، فصر إلي بكرة؛ فكنت أنا والصبح كفرسي رهان؛ فلما أصبحت في غد جعلت طريقي على إسحاق بن إبراهيم فدخلت إليه، فلما جلست قال لي: أقم اليوم عندي؛ فعرفته خبري؛ فقال:

أقم يا أبا العوام ويحك نشرب ونله مع اللاهين يوماً ونطرب

إذا ما رأيت اليوم قد جاء خيره فخذه بشكر واترك الفضل يغضب

فقلت: إني لا آمن غضبه، وأنا بين يديك؛ فقال لي: أنت تعلم أن صبوح الفضل أبداً في وفت غبوق الناس، فأقم وارفق بنفسك ثم امض إليه؛ فأجبته إلى ذلك؛ فلما شربنا طاب لي الموضع، فأقمت حتى سكرت. وذكر باقي الخبر نحواً مما ذكر إسحاق. انتهى.

حدثني جحظة قال حدثني محمد بن المكي المرتجل قال: قلت لزرزور الكبير: كيف كان إسحاق ينفق على الخلفاء معكم وأنت وإبراهيم بن المهدي ومخارق أطيب أصواتاً وأحسن نغمة؟ قال: كنا والله يا بني نحضر معه فنجتهد في الغناء ونقيم الوهج فيه ويقبل علينا الخلفاء، حتى نطمع فيه ونظن أنا قد غلبناه، فإذا غنى عمل في غنائه أشياء من مداراته وحذقه ولطفه حتى يسقطنا كلنا ويقبل عليه الخليفة دوننا ويجيزه دوننا ويصغى إليه، ونرى أنفسنا اضطراراً دونه.

حدثنا جحظة قال حدثني محمد بن أحمد المكي قال حدثني أبي قال: كان المغنون يجتمعون مع إسحاق وكلهم أحسن صوتاً منه، و لم يكن فيه عيب إلا صوته فيطمعون فيه؛ فلا يزال بلطفه وحذقه ومعرفته حتى يغلبهم ويبذهم جميعاً ويفضلهم ويتقدمهم. قال: وهو أول من أحدث التخنيث ليوافق صوته ويشاكله، فجاء معه عجباً

من العجب؛ وكان في حلقه نبو عن الوتر. أخبرني يحيى بن علي قال أخبرنا أبو العبيس بن حمدون: أن إسحاق أول من جاء بالتخنيث في الغناء و لم يكن يعرف، وإنما احتال بحذقه لمنافرة حلقه الوتر، حتى صار يجيبه ببعض التخنيث فيكون أحسن له في السمع.

أخبرنا جحظة قال حدثني الهشامي عن أبيه قال: كان المغنون إذا حضروا وليس إسحاق معهم غنوا هوينى وهم غير مفكرين؛ فإذا حضر إسحاق لم يكن إلا الجد.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني إسحاق الموصلي قال: قال لي أبي وقد انصرف من دار الرشيد: رأيت الأمير جعفر بن يحيى يستبطئك ويقول: لست أراه ولا يغشاني؛ فقلت: إني لآتيه كثيراً فأحجب عنه ويصرفني نافذ حاجبه ويقول: هو على شغل؛ قال: فبلغه أبي ذلك؛ فقال له: قل له: أنكه أمه إذا فعل؛ فأقمت أياماً ثم كتبت إليه:

جعلت فداءك من كل سوء ... إلى حسن رأيك أشكو اناسا

يحولون بيني وبين السلام ... فلست أسلم إلا اختلاسا

وأنفذت أمرك في نافذ ... فما زاده ذاك إلا شماسا

وقد أخبرني الخبر محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه، فذكر مثله وقال: كان خادم يحجبه يقال له: نافذ، فقال: إذا حجبك فنكه؛ فلما كتبت إليه بهذه الأبيات بعث فأحضرني؛ فلما دخلت إليه أحضر نافذاً وقرأ الأبيات عليه، وقال لي: أفعلتها يا عدو الله! فغضب نافذ حتى كاد يبكي، وجعل جعفر يضحك ويصفق؛ ثم ما عاد بعد ذلك يتعرض لي.

حدثني الحسين بن أبي طالب قال حدثني عبيد الله بن المأمون، وأخبرنا اليزيدي عن عمه عبيد الله عن أبيه قال: غضب المأمون على إسحاق بن إبراهيم، ثم كلم فيه فرضي عنه ودعا به؛ فلما وقف بين يديه اعتذر وقبل الأرض بين يديه واستقاله؛ فأجابه المأمون جواباً جميلاً، ثم قال له في أثناء كلامه:

فلا أنت أعتبت من زلة ... ولا أنت بالغت في المعفرة

ولا أنت وليتني أمرها ... فأغفر ذنبك عن مقدره

هكذا في الخبر؛ وأظنه إسحاق بن إبراهيم الطاهري لا الموصلي.

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الحسين بن أبي طالب قال حدثني إسحاق قال: أنشدت أبا الأشعث الأعرابي شعراً لي، فقال: والذي أصوم له مخافته ورجاءه، إنك لمن طراز ما رأيت بالعراق شيئاً منه، ولو كان شباب يشترى لاشتريته لك ولو بإحدى يدي، وإن في كبرك لما زان الجليس وسره.

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الديناري قال حدثنا إسحاق قال:

قالت لي زهراء الكلابية: ما فعل عبد الله بن خزداذبه؟ فقلت: مات؛ فقالت: غير ذميم ولا لئيم، غفر الله لصداه، لقد كان يحبك ويعجبه ما سرك. قال: فقلت لزهراء: حدثيني عن قول الشاعر:

أحبك أن أخبرت أنك فارك لزوجك إني مولع بالفوارك

ما أعجبه من بغضها لزوجها؟ فقالت: عزفته أن في نفسها فضلة من جمال وشمخاً بأنفها وأبهة، فأعجبته.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال حدثت عن غير واحد: أن إسحاق الموصلي دخل على المعتصم يوماً من الأيام فرآه لقس النفس، فقال له: أما ترى يا أمير المؤمنين طيب هذا اليوم وحسنه!؛ فقال المعتصم: ما يدعوني حسنه إلى شيء مما تريد ولا أنشط له؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إنه يوم أكل وشرب؛ فاشرب حتى انشطك؛ قال: أو تفعل؟ قال: نعم ة قال: يا غلمان، قدموا الطعام والشراب ومدوا الستارة، وأحضروا الندماء والمغنين؛ فأتي بالطعام فأكل وبالشراب فشرب وحضر الندماء والمغنون؛ فغناه إسحاق:

سقيت الغيث يا قصر السلام فنغم محلة الملك الهمام

لقد نشر الإله عليك نوراً وخصك بالسلامة والسلام

الشعر والغناء لإبراهيم الموصلي رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر حبش أن فيه للزبير بن دحمان لحناً من الرمل بالوسطى - قال: فطرب المعتصم وشرب شرباً كثيراً، ولم يبق أحد بحضرته إلا وصله وخلع عليه وحمله؛ وفضل إسحاق في ذلك أجمع.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن إسحاق قال: أول جائزة أخذتها من الرشيد ألف دينار في أول يوم دخلت إليه فغنيته:

علق القلب بزوعا

فاستحسنه واستعاده ثلاث مرات وشرب عليه ثلاثة أرطال وأمر لي بألف دينار؛ فكان أول جائزة أجازنيها.

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال: كان أبي ذات يوم عند إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فلما جلسوا للشراب جعل الغلمان يسقون من حضر، وجاء غلام قبيح الوجه إلى أبي بقدح نبيذ فلم يأخذه؛ ورآه إسحاق فقال له: لم لا تشرب؟ فكتب إليه أبي:

اصبح نديمك أقداحاً يسلسلها من الشمول وأتبعها بأقداح

من كف ريم مليح الدل ريقته بعد الهجوع كمسك أوكتفاح

لا أشرب الراح إلا من يدي رشأ تقبيل راحته أشهى من الراح

فضحك وقال: صدقت والله، ثم دعا بوصيفة كأنها صورة، تامة الحسن لطيفة الخصر في زي غلام عليها أقبية ومنطقة، فقال لها: تولى سقي أبي محمد؛ فما زالت تسقيه حتى سكر؛ ثم أمر بتوجيهها وكل مالها في داره إليه، فحملت معه.

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصباح قال: كانت امرأة من بني كلاب يقال لها زهراء تحدث إسحاق وتناشده، وكانت تميل إليه، وتكني عنه في عشيرها إذا ذكرته بجمل؛ قال: فحدثني إسحاق أنها كتبت إليه وقد غابت عنه تقول:

وجدي بجمل على أني أحمجمه ... وجد السقيم ببرء بعد إدناف

أو وجد ثكلى أصاب الموت واحدها ... أو وجد مغترب من بين آلاف

قال: فأجبتها:

أقر السلام على الزهراء إذ شحطت ... وقل لها قد أذقت القلب ما خافا

أما رثيت لمن خلفت مكتئباً ... يذري مدامعه سحاً وتوكافا

فما وجدت على إلف أفارقه ... وجدي عليك وقد فارقت ألافا

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال أنشدني إسحاق لنفسه:

سقى الله يوم الماوشان ومجلساً ... به كان أحلى عندنا من جنى النحل

غداة اجتنينا اللهو غضاً ولم نبل ... حجاب أبي نصر ولا غضبة الفضل

غدونا صحاحاً ثم رحنا كأننا ... أطاف بنا شر شديد من الخبل

فسألته أن يكتبها ففعل؛ فقلت له: ما حديث الماوشان؟ فضحك وقال: لو لم أكتبك الأبيات لما سألت عما لا يعنيك؛ و لم يخبرني.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن الحارث وأبو مسلم عن ابن الأعرابي: أنه كان يصف إسحاق الموصلي ويقرظه ويثني عليه ويذكر أدبه وحفظه وعلمه وصدقه، ويستحسن قوله:

هل إلى أن تنام عيني سبيل ... إن عهدي بالنوم عهد طويل

غاب عني من لا أسمي فعيني ... كل يوم وجداً عليه تسيل

الشعر والغناء لإسحاق رمل بالوسطى- قال: وكان إسحاق إذا غناه تفيض دموعه على لحيته ويبكي أحر بكاء.

وأخبرنا به يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق. وحديث موسى عن حماد أتم، واللفظ له.

أخبرني الصولي والحسن بن علي قالا حدثنا محمد بن موسى عن حماد بن إسحاق قال: أول صوت صنعه أبي:

إني لأكني بأجبال عن اجبلها ... وباسم أودية عن اسم واديها

وآخر صوت صنعة مختاراً:

قف نحي المغانيا ... والطلول البواليا

ثم قطع الصنعة حتى أمره الواثق بأن يعارض صنعته في:

لقد بخلت حتى لو أني سألتها

قال حماد وحدثني أبي قال: كان المغنون يحسدونني مذ كنت غلاماً، فلما مات أبي صنعت هذا الصوت، فهو أول صوت صنعته بعد وفاته، و هو:

أمن آل ليلى عرفت الطلولا بذي حرض ماثلات مئولا

فقالوا للرشيد: هذا من صنعة أبيه فقد انتحله؛ فقال لي الرشيد في ذلك، فقلت: هذا ومائة بعده خير منه لهم؛ فقال: اصنع في شعر الأخطل:

أعاذلتي اليوم ويحكما مهلا وكفا الأذى عني ولا تكثرا العذلا

فصنعت فيه كما أمرني؛ فلما سمعوا بذلك وما جاء بعده أذعنوا، وزال عن قلب الرشيد ما كان ظنه بي. وقد ذكر غير حماد أن اللحن الذي اختبره به الرشيد قوله:

كنت صباً وقلبي اليوم سال عن حبيب يسيء في كل حال

وذكر أن الفضل بن الربيع قال الشعر في ذلك الوقت ودفعه إليه وأمره الرشيد أن يصنع فيه ففعل. وأخبرني بذلك محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق، وأخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد قال: أول ما سمعه الرشيد من غناء أبي:

ألم تسأل فتخبرك المغاني وكيف وهن مذ حجج ثماني

برئت من المنازل غير شوق إلى الدار التي بلوي أبان

ديار للتي لجلجت فيها ولو أغربت لج بها لساني

فكاد يظل للعينين غرب بربعي دمنة لا ينطقان

قال: فحدثني أبي أن المغنين قالوا للرشيد: هذا من صنعة أبيه انتحله بعد وفاته؛ فقلت له: أنا أدع لهم هذا ومائة صوت بعده؛ ثم نظروا إلى ما جاء بعد ذلك فأذعنوا.

قف نحي المغانيا والطلول البواليا

وعلى أهلها فنح وابك إن كنت باكيا

الشعر لابن ياسين. والغناء لإسحاق ثقيل أول بالوسطى.

أمن آل ليلى عرفت الطلولا بذي حرض ماثلات مثولا

بلين وتحسب آياتهن عن فرط حولين رقاً محيلا

الشعر لكعب بن زهير. والغناء لإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر.

أعاذلتي اليوم ويحكما مهلا وكفا الأذى عني ولا تكثرا العذلا

دعاني تجد كفي بمالي فإنني سأصبح لا أسطيع جوداً ولا بخلا
إذا وضعوا فوق الصفيح جنادلاً علي وخلفت المطية والرحلا
فلا أنا مجتاز إذا ما نزلته ولا أنا لاق ما ثويت به أهلا

الشعر للأخطل، والغناء لإسحاق، ثقيل أول بالوسطى.

إني لأكني بأجبال عن اجبلها وباسم أودية عن اسم واديها
عمداً ليحسبها الواشون غانية أخرى وتحسب أني لا أباليها
ولا يغير ودي أن أهاجرها ولا فراق نوى في الدار أنويها
وللقلوص ولي منها إذا بعدت بوارح الشوق تنضيني وأنضيها

الشعر لأعرابي، والغناء لإسحاق هزج بالبنصر.

حدثني جحظة قال حدثني أبو عبد الله أحمد بن حمدون قال: قال إسحاق للواثق يوماً: الأهزاج من أملح الغناء؛ فقال الواثق: أما إذا كانت مثل صوتك:

إني لأكنى بأجبال عن اجبلها وباسم أودية عن اسم واديها

فهي كذلك.

قال أحمد بن أبي طاهر حدثني أحمد بن يحيى الرازي عن محمد بن المثنى عن الحجاج بن قتيبة بن مسلم قال: قال إسحاق: بعث إلي طلحة بن طاهر وقد انصرف من وقعة للشراة وقد أصابته ضربة في وجهه؛ فقال لي الغلام: أجب؛ فقلت: وما يعمل؟ قال: يشرب؛ فمضيت إليه فإذا هو جالس قد عصب ضربته وتقلنس بقلنسوة؛ فقلت له: سبحان الله أيها الأمير! ما حملك على لبس هذا؟ قال: التبرم بغيره، ثم قال: غن:

إني لأكنى بأجبال عن اجبلها

قال: فغنيته إياه، فقال: أحسنت والله! أعد! فأعدت وهو يشرب حتى صلى العتمة وأنا أغنيه؛ فأقبل على خادم له بالحضرة وقال له: كم عندك؟ قال: مقدار سبعين ألف درهم؛ قال: تحمل معه. فلما خرجت من عنده تبعني جماعة من الغلمان يسألوني، فوزعت المال بينهم؛ فرفع الخبر إليه فأغضبه و لم يوجه إلي ثلاثاً؛ فجلست ليلاً وتناولت الدواة والقرطاس فقلت:

علمني جودك السماح فما أبقيت شيئاً لدي من صلتك
لم أبق شيئاً إلا سمحت به كأن لي قدرة كمقدرتك
تتلف في اليوم بالهبات وفي الساعة ما تجتنيه في سنتك
فلست أثري من أين تنفق لو لا أن ربي يجزى على صلتك

فلما كان في اليوم الرابع بعث إلي، فصرت إليه ودخلت عليه فسلمت، فرفع بصره إلي وقال: اسقوه رطلاً فسقيته، وأمر لي بآخر وآخر فشربت لاثاً، م قال لي: غن:

إني لأكنى بأجبال عن اجبلها

فغنيته م أتبعته بالأبيات التي قلتها، وقد كنت غنيت فيها لحناً في طريقة الصوت، فقال: ادن فدنوت، وقال: اجلس فجلست، فاستعاد الصوت الذي صنعته فأعدته. فلما فهمه وعرف معنى الشعر قال لخادم له: أحضرني فلاناً فأحضره، فقال: كم قبلك من مال الضياع؟ قال: مائتا ألف درهم، فقال: احضر بها الساعة، فجيء بثمانين بدرة، فقال للخادم: جئني بثمانين غلاماً مملوكاً، فأحضروا، فقال: احملوا هذا المال، م قال: يا أبا محمد، خذ المال والمماليك حتى لا تحتاج أن تعطي لأحد منهم شيئاً.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الحسين بن محمد بن طالب قال: كان إسحاق بن إبراهيم الموصلي كثير الغشيان لإسحاق بن إبراهيم بن مصعب والحضور لسمره، وكان إسحاق بن إبراهيم يرى ذلك له ويسني جوائزه ويواتر صلاته ويشاوره في بعض أموره ويسمع منه، فأصيب، إسحاق ببصره قبل موته بسنتين، فترك زيارة إسحاق وغيره ممن كان يغشاهم ولزم بيته. وخرج إسحاق يوماً إلى بستان له بباب قطربل وخرج معه ندماؤه وفيهم موسى بن صالح بن شيخ بن عميرة ومحمد بن راشد الخناق والحراني، فجرى ذكر إسحاق الموصلي، فتوجع له إسحاق وذكر أنسه به وتمنى حضوره، وذكره، القوم فأطنبوا في نشر محاسنه وشيعوا ما ذكره به إسحاق بما حسن موقعه لهم عنده وذكره محمد بن راشد ذكراً لم يحمده أصحابه عليه، وزجره إسحاق، فأمسك عنه، فلما انصرفوا من مجلسهم نمي إلى إسحاق الموصلي ما كان فيه القوم في يومهم وما جرى من ذكره، فكتب إلى موسى بن صالح:

ألا قل لموسى الخير موسى بن صالح ... ومن هو دون الخلق إلفي وخلصاني

ومن لوسألت الناس عنه لأجمعوا ... على أنه أفتى معد وقحطان

لعمري لئن كان الأمير تمناني ... بمجلس لذات ونزهة بستان

لقد زادني ما كان منه صبابة ... وجدد لي شوقاً إليه وأبكاني

وما زال ممتنا علي يخصني ... بما لست أحصي من أياد وإحسان

هو السيد القرم الذي ما يرى له ... من الناس إن حصلته أبداً اني

نمته روابي مصعب وبنى له ... كريم المساعي في أرومته باني

يعز علي أن تفوزوا بقربه ... ولست إليه بالقريب ولا الداني

فيا ليت شعري هل أروحن مرة ... إليه فيلقاني كما كان يلقاني

وهل أرين يوماً غضارة ملكه وسلطانه لازال في عز سلطان

وهل أسمعن ذاك المزاح الذي به إذا جئته سليت همي وأحزاني

إذا قال لي "يا مرد مي خر" وكرها علي وكناني مزاحاً بصفوان

هذا كلام بالفارسية تفسيره: يا رجل اشرب النبيذ:

فيا لك من ملهى أنيق ومجلس كريم ومن مزح كثير بألوان

وهل يغمزن بي ذو الهنات ابن راشد وذاك الكريم الجد من آل حران

وهل أرين موسى الكريم ابن صالح ينازعني صوتاً إذا هو غناني

"يريد الغناء في:

فلم أر كالتجمير منظر ناظر ولا كليالي النفر أفتن ذا هوى

إذا صاح بالتجمير م أعاده بتحقيق إعراب صحيح وتبيان

أولئك إخواني الذين أحبهم وأوثرهم بالود من بين إخواني

وما منهم إلا كريم مهذب حبيب إلى إخوانه غير خوان

فأجابه محمد بن راشد:

بعثت بشعر فيه أن رسالة أتتك لموسى عن جماعة إخوان

بشوق وذكر للجميل ولم يكن لموسى لعمري في سلامته اني

ولكن نطقنا بالذي أنت أهله وما تستحق من صديق وندمان

وموسى كريم لم يحط بك خبره كخبر ندامى قد بلوك وإخوان

ولو قد بلاك قال فيك كقول من فسدت عليه من خليل وخلصان

ولم يعره شوق إليك ولم يجد لفقدك مسا عند نزهة بستان

حمدت الندامى كلهم غير إنسان ألا إنما يجني على نفسه الجاني

فلا تعتب الإخوان من بعدها فما تنقض إخوان المودة من شاني

قال: فأجابه إسحاق:

عجبت لمخذول تعرض جانياً لليث أبي شبلين من أسد خفان

أتانا بشعر قاله مثل وجهه تزخرف فيه واستعان بأعوان

فجاء بألفاظ ضعاف سخيفة ومضغها تمضيغ أهوج سكران
دعوا الشعر للشيخ الذي تعرفونه وإلا وسمتم أو رميتم بشهبان
فإنكم والشعر إذ تدعونه كمعتسف في ظلمة الليل حيران
صه لا تعودوا للجواب فإنما ترومون صعباً من شماريخ هلان
أنا الأسد الورد الذي لا يفله تظاهر أعداء عليه وأقران
ومن قد أردتم جاهدين سقاطه فأعياكم في كل سر وإعلان
لعمري لئن قلتم بما أنا أهله ليستنفدن القول تعظيمكم شاني
وجحدكم إياي ما تعلمونه وإقراركم عندي بذلك سيان
ألا يزجر الجهال عنا أميرنا وموسى وذاك الشيخ من آل حران
ولا سيما من بان للناس شره فما يتمارى في مذاهبه اثنان

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قرقارة قال: قال لي محمد بن عمر الجرجاني وقد تذاكرنا إسحاق يوماً بحضرته: ما تذكرون من إسحاق شيئاً تقاربون به وصفه. كان والله إسحاق غرة في زمانه، وواحداً في دهره علماً وفقهاً وأدباً ووقاراً ووفاء وجودة رأي وصحة مودة. كان والله يخرس الناطق إذا نطق، ويحير السامع إذا تحدث، لا يمل جليسه مجلسه، ولا تمج الاذان حديثه، ولا تنبو النفوس عن مطاولته. إن حدثك ألهاك، وإن ناظرك أفادك، وإن غناك أطربك. وما كنت ترى خصلة من الأدب ولا جنساً من العلم يتكلم فيه إسحاق فيقدم أحد على مساجلته ومباراته.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال حدثني أحمد بن يحيى المكي قال: أمر المأمون يوماً بالفرش الصيفي أن يخرج فأخرج فيما أخرج منه بساط طبري أو أصبهبذاني، مكتوب في حواشيه:

لج بالعين واكف من هوى لايساعف
كلما جف دمعه هيجته المعازف
إنما الموت أن تفا رق من أنت آلف
لك حبان في الفؤا د تليد وطارف

قال: فاستحسن المأمون هذه الأبيات، وبعث إلى إسحاق فأحضره وأمره أن يصنع فيها لحناً ويعجل به، فصنع فيها الهزج الذي يغنى به اليوم. قال أحمد: وسمعها أبي منه فقال: لو كان هذا الهزج لحكم الوادي لكان قد أحسن. يريد أن حكماً كان صاحب الأهزاج.

أخبرني الحسن قال حدثني يزيد بن محمد قال حدثني ابن المكي قال: تذاكرنا يوماً عند أبي صنعة إسحاق، وقد كنا بالأمس عند المأمون فغناه إسحاق لحناً صنعه في شعر، بن ياسين:

الطلول الدوارس فارقتها الأوانس

أوحشت بعد أهلها فهي قفربسابس

الغناء لإسحاق خفيف قيل بالبنصر قال: فقال أبي: لو لم يكن من بدائع إسحاق غير هذا لكفى، "الطلول الدوارس " كلمتان، و "فارقتها الأوانس! كلمتان، وقد غنى فيهما استهلالاً وبسيطاً وصاح وسجح ورجع النغمة واستوفى ذلك كله في أربع كلمات وأتي بالباقي مثله فمن شاء فليفعل مثل هذا أو ليقاربه. م قال: إسحاق والله في زماننا فوق ابن سريج والغريض ومعبد، ولو عاشوا حتى يروه لعرفوا فضله واعترفوا له به. وأخبرني عمي عن يزيد بن محمد المهلبي: أنه كان عند الواثق فغنته شجا هذا الصوت، فقال الواثق مثل هذا القول. والمذكور أن ابن المكي قاله فلا أدري أهذا وهم من يزيد، أواتفق أن قال فيه الواثق كما قال يحيى، أو اتفقت عليه قريحتاهما.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبي عن إسحاق قال: أرسل إلي الفضل بن الربيع يوماً وإلى الزبير بن دحمان، فوافق مجيئنا شغلاً كان له، فصرنا إلى بعمض حجره، فنعست فنمت فإذا زبير يحركني فانتبهت فإذا خباز في مطبخ الفضل يضرب بالشوبق يغني:

بدير القائم الأقصى غزال شفني أحوى

برى حبي له جسمي ومايدي بما ألقى

وأخفي حبه جهدي ولا والله ما يخفى

الشعر والغناء لإسحاق خفيف قيل بالبنصر قال: فقال لي الزبير: تضن بهذا وانظر من يبتذله فقلت: لا أضن بغناء بعد هذا.

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب السرخسي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية بن بكر قال قال لي صالح بن الرشيد: كنا أمس عند أمير المؤمنين المأمون وعنده جماعة من المغنين، فيهم إسحاق وعلويه ومخارق وعمرو بن بانة فغنى مخارق في الثقيل الأول:

أعاذل لا آلوك إلا خليقتي فلا تجعلي فوقي لسانك مبردا

ذريني أكن للمال رباً ولايكن لي المال رباً تحمدي غبه غدا

ذريني يكن مالي لعرضي وقاية يقي المال عرضي قبل أن يتبددا

ألم تعلمي أني إذا الضيف نابني وعز القرى أقري السديف المسرهدا

فقال له المأمون: لمن هذا اللحن. قال: لهذا الهزبر الجالس يعني إسحاق، فقال المأمون لمخارق: قم فاقعد بين يدي وأعد الصوت، فقام فجلس بين يديه وأعاده فأجاده، وشرب المأمون عليه رطلاً م التفت إلى إسحاق فقال له:

غن هذا الصوت فغناه فلم يستحسنه كما استحسنه من مخارق م دار الدور إلى عفويه، فقال له: غن فغنى في الثقيل الأول أيضاً:

أريت اليوم نارك لم أغمض بواقصة ومشربنا برود

فلم أر مثل موقدها ولكن لأية نظرة زهر الوقود

فبت بليلة لانوم فيها أكابدها وأصحابي رقود

كأن نجومها ربطت بصخر وأمراس تدور وتستزيد

فقال له المأمون: لمن هذا الصوت؟ فقال: لهذا الجالس- وأشار إلى إسحاق- فقال لعلويه: أعده فأعاده، فشرب عليه رطلاً، م قال لإسحاق. غنه فغناه، فلم يطرب له طربه لعلويه. فالتفت إلى إسحاق م قال لي: أيها الأمير، لولا أنه مجلس سرور وليس مجلس لجاج وجدال لأعلمته أنه طرب على خطأ، وأن الذي استحسنه إنما هو تزايد منهما يفسد قسمة اللحن وتجزئته، وأن الصوت ما غنيته لا ما زادا. م أقبل عليهما فقال: يا مخنثان، قد علمت أنكما لم تريدا بما فعلتماه مدحي ولا رفعتي، وأنا على مكافأتكما قادر فضحك المأمون وقال له: ما كان مارأيته من طربي لهماً إلا استحساناً لأصواتهما لا تقديماً لهما ولا جهلاً بفضلك.

حدثني عمي قال حدثني عبدالله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبدالله بن مالك الخزاعي قال حدثني إسحاق قال: دخلت يوماً على المعتصم وقد رجع من الصيد وبين يديه ظباء مذبحة وطير ماء وغير ذلك من الصيد وهو يشرب فأمرني بالجلوس والغناء، فجلست وغنيته:

اشتهينا في ربيع مرة زهم الوحش على لحم الإبل

فغدونا بطوال هيكل كعسيب النخل مياد خضل

الشعر يقال: إنه لأعشى همدان، والغناء لأحمد النضبي خفيف قيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق فتبسم وقال: وأين رأيت لحم الإبل! فغنيته:

ليس الفتى فيهم إذا شرب الشراب مؤنباً

لكن يروح مرنحاً حسن الثياب مطيباً

يسقونه صرفاًعلى لحم الظباء مضهباً

فقال: هذا أشبه، وشرب. م غنيته بشعر وضاح اليمن قال: والغناء لابن محرز قيل أول:

أبى القلب اليماني الذي تحمد أخلاقة

ويرفض له اللحن فما تفتق أرتاقه

غزال أدعج العين ربيب خدلج ساقه

رماني فسبى قلبي وأرميه فأشتاقه

فطرب وقال: هذا والله أحسن صيد وألده، وشرب عليه بقية يومه وخلع علي وأمر لي بجائزة. هكذا ذكر في هذا الخبر أن الثقيل الأول لابن محرز وقد قيل ذلك. وذكر عمرو بن بانة أن الثقيل الأول بالبنصر لابن طنبورة، وأن لحن ابن محرز خفيف قيل.

حدثني عمي قال حدثني فضل اليزيدي قال: قال لي إسحاق يوماً في عرض حديثه: دخلت على المعتصم ذات يوم وعليه قميص دبيقي كأنما قد من، جرم الزهرة، فضحكت، فقال: ما أضحكك؟ فقلت: من مبالغتك في الوصف، فتبسم. قال الفضل: وما سمعت محدثاً قط ولا واصفاً أبلغ منه ولا أحسن لفظاً وتشبيهاً.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك قال: قال لي إسحاق: وددت أن كل يوم قيل لي: غن أو قيل لي عند ذكري: المغني، ضرب رأسي خمسة عشر سوطاً، لا أقوى على أكثر منها، و لم يقل لي ذلك.

أخبرنا يحيى قال حدثنا حماد قال: صنع أبي لحنه في: "تشكى الكميت الجري" على لحن أذان سمعه.

أخبرنا يحيى قال حدثنا حماد قال: تذاكرنا يوماً الهزج عند المأمون، فقال عمرو بن بانة: ما أقله في الغناء القديم، فقال إسحاق: ما أكثره فيه! م غناهم لاثين هزجاً في إصبع واحدة ومجرى واحد، ما عرفوا جميعاً منها إلا نحو سبعة أصوات.

حدثني يحيى قال حدثني أخي قال حدثني عافية بن شبيب قال: قلت لززرور: ما لكم تذلون لإسحاق هذا الذل، وما فيكم أحد إلا وهو أطيب صوتاً منه، وما في صنائعكم وصمة! فقال لي: لا تقل ذلك، فوالله لو رأيتنا معه لرحمتنا ورأيتنا نذوب كما يذوب الرصاص في النار.

حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني إسحاق قال: لاعبت الفضل بن الربيع بالنرد، فوقع بيننا خلاف، فحلف وحلفت، فغضب علي وهجرني، فكتبت إليه:

يقول أناس شامتون وقد رأوا مقامي وإغبابي الرواح إلى الفضل

لقد كان هذا خص بالفضل مرة فأصبح منه اليوم منصرم الحبل

ولوكان لي في ذاك ذنب علمته لقطعت نفسي بالملامة والعذل

وعرضت الأبيات عليه فلمفا قرأها ضحك وقال: أشد من ذنبك أنك لا ترى لنفسك بذلك الفعل ذنباً والله لولا أني أدبتك أدب الرجل ولده، وأن حسنك وقبيحك مضافان إلي لأنكرتني. فأصلح الآن قلب عون وكان يحجبه فخاطبته في ذلك فكلمني بما كرهت فقلت أتدخل بيني وبين الأمير أعزه الله وكان عون يرمى بالأبنة فقلت فيه:

وذاكر أمر ضاق ذرعاً بذكره وناس لداء منه متسع الخرق

قال: ثم علمت أنه لا يتم لي رضا الفضل إلا بعد أن يرضى عون، فقلت فيه:

عون ياعون ليس مثلك عون　　أنت لي عدة إذا كان كون

لك عندي والله إن رضي الف　　ضل غلام يرضيك أو برذون

فدخل إلى الفضل فترضاه لي فرضي، ثم قال له: ويلك يا عون! إنه والله إنما هجاك وأنت ترى أنه قد مدحك، ألا ترى إلى قوله: "غلام يرضيك"! هذا تعريض بك، قال: فكيف أصنع به مع محله عند الأمير!.

أخبرني الصولي قال حدثني عون عن إسحاق، وأخبرني بعض الخبر إسماعيل بن يونس عن عمربن شبة عن إسحاق، ولفظ الخبر وسياقته للصولي، قال:

استدناني المأمون يوماً وهو مستلق على فراش حتى صارت ركبتي على الفراش، ثم قال لي: يا إسحاق، أشكو إليك أصحابي: فعلت بفلان كذا ففعل كذا، وفعلت بفلان كذا ففعل كذا، حتى عدد جماعة من خواصه، فقلت له: أنت يا سيدي بتفضلك علي وحسن رأيك في ظننت أني ممن يشاور في مثل هذا، فجاوزت بي حدي، وهذا رأي يجل عني ولا يبلغه قدري، فقال: و لم وأنت عندي عالم عاقل ناصح. فقلت: هذه المنزلة عند سيدي علمتني ألا أقول إلا ما أعرف ولا أطلب إلا ما أنال، فضحك وقال: قد بلغني أنك في هذه الأيام صنعت لحناً في شعر الراعي و لم أسمعه منك، فقلت: يا سيدي، ماسمعه أحد إلا جواري، ولا حضرت عندك للشرب منذ صنعته، فقال: غنه، فقلت: الهيبة والصحو يمنعاني أن أؤديه كما تريد، فلو آنس أمير المؤمنين عبده بشيء يطربه ويقوي به طبعه كان أجود، قال: صدقت، ثم أمر بالغداء فتغدينا، ومدت الستارة فغني من ورائها وشربنا أقداحاً فقال: يا إسحاق، أما جاء أوان ذلك الصوت؟ فقلت: بلى يا سيدي، وغنيته لحني في شعر الراعي:

ألم تسأل بعارمة الديارا　　عن الحي المفارق أين صارا

بلى ساءلتها فأبت جواب　　وكيف تسائل الدمن القفارا

لحن إسحاق في هذين البيتين خفيف ثقيل بالوسطى قال: فاستحسنه وما زال يشرب عليه سائر يومه، وقال لي: يا إسحاق، لا طلب بعد وجود البغية، ما أشرب بقية يومي هذا إلا على هذا الصوت ثم وصلني وخلع علي خلعة من ثيابه.

حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني إسحاق قال: كانت أعرابية تقدم علي من البادية فأفضل عليها، وكانت فصيحة، فقالت لي ذات يوم: والذي يعلم مغزى كل ناطق لكأنك في علمك ولدت فينا ونشأت معنا. ولقد أريتني نجداً بفصاحتك، وأحللتني الربيع بسماحتك، فلا أطرد لي قول إلا شكرتك، ولا نسمت لي ريح إلا ذكرتك.

حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي عن إسحاق قال: كان أبو المجيب الربعي فصيحاً عالماً، فقال لي: يا أبا محمد، قد عزمت على التزوج فأعني وقوني قال: فأعطيته دنانير وثيابا. فغاب عني أياما ثم عاد، فقلت: يا أبا مجيب، هاهنا أبيات فاسمعها، فقال: هاتها، فقلت:

ياليت شعري عن أبي مجيب إذ بات في مجاسد وطيب
معانقاً للرشأ الربيب أأحمد المحفار في القليب
أم كان رخواً ذابل القضيب

قال: فقال لي: الأخير والله يا أبا محمد.

عاتب الخليل بن هشام بشعر وكان بينهما تهاجر فعاد إلى ما كانا عليه: حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني إسحاق قال: كانت بيني وبين الخليل بن هشام صداقة ثم استوحشنا، فمررت ببابه يوماً، فتذممت أن أجوزه ولا أدخل إليه، فدعوت بدواة وقرطاس وكتبت إليه:

رجعنابالصفاء إلى الخليل فليس إلى التهاجر من سبيل
عتاب في مراجعة وصفح أحق بنا وأشبه بالجميل

قال: ووجهت بالرفعة وقصدت بابه، فخرج إلي حتى تلقاني، ورجعنا إلى ما كنا عليه.

حدثني الصولي قال حدثني عبدالله بن المعتز عن الهشامي قال: كان أهلنا يعتبرون على إسحاق ما يقوله في نسبة الغناء وأخباره، بأن يجلسوا كاتبتين فهمتين خلف الستارة، فتكتبان ما يقوله وتضبطانه، م يتركونه مدة حتى ينسى ما جرى، ثم يعيدون تلك المسألة عليه، فلا يزيد فيها ولا ينقص منها حرفاً كأنه يقرؤها من دفتر فعلموا حينئذ أنه لا يقول في شيء يسأل عنه إلا الحق.

حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن مزيد المهلبي قال حدثني أبي عن إسحاق قال: كنا عند المأمون، فغناه علويه:

لعبدة دار ما تكلمنا الدار تلوح مغانيها كما لاح أسطار
أسائل أحجاراً ونؤياً مهدما وكيف يرد القول نؤي وأحجار

الشعر لبشار، والغناء لإبراهيم ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق - قال: فقال المأمون: لمن هذا اللحن. فقلت: لعبد أمير المؤمنين أبي، وقد أخطأ فيه علويه، قال: فغنه أنت فغنيته، فاستعادنيه مراراً وشرب عليه أقداحاً، ثم تمثل قول جرير:

وابن اللبون إذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

ثم أمر لي بخمسين ألف درهم. ووجدت هذا الخبر بخط أبي العباس ثوابة، فقال فيه: حدثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدثني عبدالله بن العباس الربيعي قال: اجتمعنا بين يدي المعتصم، فغنى علويه:

لعبدة دار ما تكلمنا الدار

فقال له إسحاق: أخطأت فيه، ليس هو هكذا، فقال علويه أم من أخفناه عنه هكذا زانية، فقال إسحاق: شتمنا قبحه الله، وسكت وبان ذلك فيه، وكان علويه أخذه من إبراهيم.

حدثني جحظة قال حدثني أبو العبيس بن حمدون عن أبيه عن جده قال: كان إسحاق بعد وفاة المأمون لا يغني إلا الخليفة أو ولي عهده أو رجلاً من الطاهرية مثل إسحاق بن إبراهيم وطبقته، فاجتمعنا عند الواثق وهو ولي عهد المعتصم، فاشتهى الواثق أن يضرب بين مخارق وعلويه وإسحاق، ففعل حتى تهاتروا، ثم قال لإسحاق: كيف هما الآن عندك؟ فقال: أما مخارق فمناد طيب الصوت وأما علويه فهو خير حماري العبالي، وهو على كل حال شيء يريد تصغيره، فوثب علويه مغضباً، ثم قال للواثق: جواريه حرائر ونساؤه طوالق، لئن لم تستحلفه بحياتك وحق أبيك، أن يصدق عما أسأله عنه، لأتوبن عن الغناء ما عشت، فقال له الواثق: لا تعربد يا علي، نحن نفعل ما سألت، ثم حلف إسحاق أن يصدق فحلف، فقال له: من أحسن الناس اليوم صنعة بعدك. قال: أنت. قال: فمن أضرب الناس بعد ثقيف. قال: أنت. قال فمن أطيب الناس صوتاً بعد مخارق. قال: أنت. قال علويه لإسحاق: أهذا قولك في وأنت تعلم أني مصفي كل - سابق فاضل، وأني ثالث ثلاثة أنت أحدهم لم يكن في الدنيا مثلهم ولا يكون، فما أنت وغناؤك الذي لا يسمع انخفاضاً، فغضب إسحاق، وانتهر الواثق علويه. بم أخذ إسحاق عوداً فنقل مثناه إلى موضع البم، وزيره إلى موضع المثلث، وجعل البم والمثلث مكان الزير والمثنى، وضرب وقال: ليغن من شاء منكم، فغنى مخارق عليه:

تقطع من ظلامة الوصل أجمع أخيراً على أن لم يكن يتقطع

وضرب عليه إسحاق فلم يبن في الأوتار خلاف ولا فقد من الإيقاع شيء ولا بان فيه اختلال، فعظم عجب الواثق من فعله، وقام إسحاق فرقص طرباً، فكان والله أحسن رقصاً من كبيش وعبد السلام - وكانا من أرقص الناس - فقال الواثق: لا يكمل أحد أبداً في صناعته كمثل كمال إسحاق.

حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني إسحاق قال: دخلت على عبدالله بن طاهر وهو يلاعب إبراهيم بن وهب بالشطرنج، فغلبه عبدالله، وأومأ إلي بأن أكايده فقلت:

قد ذهبت منك أبا إسحاق مثل ذهاب الشهربالمحاق

فقال لي عبدالله: إن فضائلك يا أبا محمد لتتكاثر عندنا، كما قال الشاعر في إبله:

إذا أتاها طالب يستامها تكاثرت في عينه كرامها

أخبرني محمد بن خلف بن المزربان قال ذكر علي بن الحسن بن عبد الأعلى عن إسحاق قال: أنشدتني أم محمد الأعرابية لنفسها هذين البيتين وأنا حاج، فاستحسنتهما، وصنعت فيهما لحناً غنيته الواثق، فاستعاده حتى أخذه، وأمر لي بثلاثين ألف درهم، وهما:

عسى الله ياظمياء أن يعكس الهوى فتلقين ما قد كنت منك لقيت

ثراء فتحتاجي إلي فتعلمي بأن به أجزيك حين غنيت

حدثني عمي قال حدثني عبدالله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن مروان قال قال لي يحيى بن معاذ: كان إسحاق الموصلي وإبراهيم بن المهدي إذا خلوا فهما أخوان، وإذا التقيا عند خليفة تكاشحا أقبح تكاشح فاجتمعا يوماً عند المعتصم، فقال لإسحاق: يا إسحاق، أن إبراهيم يثلبك ويغض منك ويقول: إنك تقول: إن مخارقاً لا يحسن شيئاً ويتضاحك منك، فقال إسحاق: لم أقل يا أمير المؤمنين: إن مخارقاً لا يحسن شيئاً، وكيف أقول ذلك وهو تلميذ أبي وتخريجه وتخريجي، ولكن قلت: إن مخارقاً يملك من صوته ما لا يملكه أحد، فيتزايد فيه تزايداً لا يبقي عليه ويتغير في كل حال، فهو أحلى الناس مسموعاً وأقله نفعاً لمن يأخذ عنه، لقلة ثباته على شيء واحد. ولكني أفعل الساعة فعلاً إن زعم إبراهيم أنه يحسنه فلست أحسن شيئاً، وإلا فلا ينبغي له أن يدعي ما ليس يحسنه. ثم أخذ عوداً فشوش أوتاره، ثم قال لإبراهيم: غن على هذا أو يغني غيرك وتضرب عليه، فقال المعتصم: يا إبراهيم، قد سمعت، فما عندك. قال: ليفعله هو إن كان صادقاً، فقال له إسحاق: غن حتى أضرب عليك فأبى، فقال لزرزور: غن فغنى وإسحاق يضرب عليه حتى فرغ من الصوت ما علم أحد أن العود مشوش. ثم قال: هاتوا عوداً آخر فشوشه وجعل كل وتر منه في الشدة واللين على مقدار العود المشوش الأول حتى استوفى، ثم قال لزرزور: خذ أحدهما فأخذه، ثم قال: انظر إلى يدي واعمل كما أعمل واضرب ففعل، وجعل إسحاق يغني ويضرب وزرزور ينظر إليه ويفعل كما يفعل، فما ظن أحد أن في العودين، شيئاً من الفساد لصحة نغمهما جميعاً إلى أن فرغ من الصوت. ثم قال لإبراهيم: خذ الآن أحد العودين، فاضرب به مبدأ أو عمود طريقة أو كيف شئت إن كنت تحسن شيئاً، فلم يفعل وانكسر انكساراً شديداً، فقال له المعتصم: أرأيت مثل هذا قط؟ فال: لا، والله ما رأيت ولا ظننت أن مثله يكون.

حدثني أبو عبدالله محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل قال: دعاني إسحاق يوماً، فمضيت إليه وعنده الزبير بن دحمان وعلويه وحسين بن الضحاك، فمر لنا أحسن يوم، فالتفت إلى إسحاق ثم قال: يومنا هذا والله يا أبا العباس كما قال الشاعر:

أنت والله من الأي ام لدن الطرفين

كلما قلبت عي ني ففي قرة عين

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت يوماً على الواثق فقال لي: يا إسحاق، إني أصبحت اليوم قرماً إلى غنائك فغنني، فغنيته:

من الظباء ظباء همها السخب ترعى القلوب وفي قلبي لها عشب

لايغتربن ولايسكن بادية وليس يدرين ماضرع ولاحلب

إذا يد سرقت فالقطع يلزمها والقطع في سرق بالعين لايجب

قال: فشرب عليه بقية يومه وبعض ليلته، وخلع علي خلعة من يابه.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: خرجت مع الواثق إلى الصالحية وهو يريد النزهة، فذكرت بغداد وعيالي وأهلي وولدي بها فبكيت، فقال لي: بحياتي أذكرت بغداد فبكيت شوقاً إليها.

فقلت: نعم، وغنيته:

وما زلت أبكي في الديار وإنما بكائي على الأحباب ليس على الدار

قال: فأمر لي بمائة ألف درهم وصرفني.

وأخبرني محمد بن مزيد بهذا الخبر عن حماد بن إسحاق عن أبيه، وحدثني به علي بن هارون عن عمه عن حماد عن أبيه وخبره أتم، قال: ما وصلني أحد من الخلفاء قط بمثل ما وصلني به الواثق. ولقد انحدرت معه إلى النجف، فقلت له: يا أمير المؤمنين، قد قلت في النجف قصيدة، فقال: هاتها، فأنشدته:

ياراكب العيس لاتعجل بنا وقف نحي داراً لسعدى ثم ننصرف

حتى أتيت على قولي:

لم ينزل الناس في سهل ولا جبل أصفى هواءً ولا أعذى من النجف

حفت ببر وبحرمن جوانبها فالبر في طرف والبحر في طرف

وما يزال نسيم من يمانية يأتيك منها بريا روضة أنف

فقال: صدقت يا إسحاق، هي كذلك. ثم أنشدته حتى أتيت على قولي في مدحه:

لا يحسب الجود يفني ماله أبداً ولا يرى بذل ما يحوي من السرف

ومضيت فيها حتى أتممتها، فطرب وقال: أحسنت والله يا أبا محمد، وكناني يومئذ، وأمر لي بمائة ألف لدرهم وانحدر إلى الصالحية التي يقول فيها أبو نواس: بالصالحية من كناف كلواذ.

فذكرت الصبيان وبغداد فقلت:

أتبكي على بغداد وهي قريبة فكيف إذا ما ازددت منها غداً بعدا

لعمرك مافارقت بغداد عن قلى لو أنا وجدناعن فراق لها بدا

إذا ذكرت بغداد نفسي تقطعت من الشوق أوكادت تموت بها وجدا

كفى حزنا أن رحت لم أستطع لها وداعاً ولم أحدث بساكنها عهدا

قال: فقال لي: يا موصلي، أشتقت إلى بغداد. فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكن من أجل الصبيان، وقد حضرني بيتان، فقال: هاتهما، فأنشدته:

حننت إلى الأصيبية الصغار وشاقك منهم قرب المزار

وأبرح ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الديار من الديار

فقال لي: يا إسحاق، صر إلى بغداد فأقم مع عيالك شهراً ثم صر إلينا، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم.

أخبرنا يحيى بن علي قال أخبرني أبي قال: لما صنع الواثق لحنه في:

أيا منشر الموتى أقذني من التي بها نهلت نفسي سقاماً وعلت

لقد بخلت حتى لو أني سألتها قذى العين من سافي التراب لضنت

أعجب به إعجاباً شديداً، فوجه بالشعر إلى إسحاق الموصلي وأمره أن يغني فيه، فصنع فيه لحنه الثقيل الأول، وهو من أحسن صنعة إسحاق، فلما سمعه الواثق عجب منه وصغر لحنه في عينه، وقال: ما كان أغنانا أن نأمر إسحاق بالصنعة في هذا الشعر، لأنه قد أفسد علينا لحننا. قال علي بن يحيى قال إسحاق: ما كان يحضر مجلس الواثق أعلم منه بهذا الشأن.

أيا متشر الموتى أقدني من التي بها نهلت نفسي سقاماً وعلت

لقد بخلت حتى لو أني سألتها قذى العين من سافي التراب لضنت

الشعر لأعرابي، والغناء للواثق ثاني ثقيل في مجرى البنصر. وفيه لمخارق رمل، ولعريب رمل. ومن الناس من ينسب هذا الشعر إلى كثير، وهو خطأ من قائله.

أنشدني هذه الأبيات عمي قال: أنشدني هارون بن علي بن يحيى، وأنشدنيها علي بن هارون عن أبيه عن جده عن إسحاق أنه أنشده لأعرابي فقال:

ألا قاتل الله الحمامة غدوةً على الغصن ماذا هيجت حين غنت

تغنت بصوت أعجمي فهيجت من الشوق ما كانت ضلوعي أجنت

غنى في هذين البيتين عمرو بن بانة ثاني ثقيل بالوسطى.

فلو قطرت عين امرىء من صبابة دماً قطرت عيني دماً فألمت

فما سكتت حتى أويت لصوتها وقلت ترى هذي الحمامة جنت

ولي زفرات لو يدمن قتلنني بشوق إلى نأي التي قد تولت

إذا قلت هذي زفرة اليوم قد مضت فمن لي بأخرى في غد قد أظلت

فيا محيي الموتى أقدني من التي بها نهلت نفسي سقاماً وعلت

لقد بخلت حتى لو أني سألتها قذى العين من سافي التراب لضنت

فقلت ارحلا يا صاحبي فليتني أرى كل نفسى أعطيت ما تمنت

حلفت لها بالله ما أم واحد إذا ذكرته آخر الليل حنت

وما وجد أعرابية قذفت بها صروف النوى من حيث لم تك ظنت
إذا ذكرت ماء العضاه وطيبه وبرد الحمى من بطن خبت أرنت
بأكثر مني لوعةً غير أنني أجمجم أحشائي على ما أجنت

وأما لحن إسحاق فإنه غنى في:

لقد بخلت حتى لو أني سألتها

وأضاف إليه شيئاً آخر وليس من ذلك الشعر، وهو:

فإن بخلت فالبخل منها سجية وإن بذلت أعطت قليلاً وأكدت

قال: ولحنه ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى.

أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى الصولي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي، وحدثني به عمي عن أبي جعفر بن دهقانة النديم عن أبيه قال:

كان الواثق إذا صنع صوتاً قال لإسحاق: هذا وقع إلينا البارحة فاسمعه، فكان ربما أصلح فيه الشيء بعد الشيء. فكاده مخارق عنده وقال له: إنما يستجيد صنعتك إذا حضر ليقاربك ويستخرج ما عندك، فإذا فارق حضرتك قال في صنعتك غير ما تسمع، قال الواثق: فأنا أحب أن أقف على ذلك، فقال له مخارق: فأنا أغنيه، أيا منشر الموتى، فإنه لم يعلم أنه لك ولا سمعه من أحد، قال: فافعل. فلما دخل إسحاق غناه مخارق وتعمد لأن يفسده بجهده، وفعل ذلك في مواضع خفية لم يعلمها الواثق من قسمته، فلما غناه قال له الواثق: كيف ترى هذا الصوت. قال له: فاسد غير مرضي، فأمر به فسحب من المجلس حتى أخرج عنه، وأمر بنفيه إلى بغداد. ثم جرى ذكره يوماً. فقالت له فريدة: يا أمير المؤمنين، إنما كاده مخارق فأفسد عليه الصوت من حيث أوهمك أنه زاد فيه بحذقه نغماً وجودةً، وإسحاق يأخذ نفسه بقول الحق في كل شيء ساءه أو سره، ويفهم من غامض علل الصنعة ما لا يفهمه غيره، فليحضره أمير المؤمنين ويحلفه بغليظ الأيمان أن يصدقه عما يسمع، وأغنيه إياه حتى يقف على حقيقة الصوت، فإن كان فاسداً فصدق عنه لم يكن عليه عتب، ووافقناه عليه حتى يستوي، فليس يجوز أن نتركه فاسداً إذا كان فيه فساد، وإن كان صحيحاً قال فيه ما عنده، فأمر بالكتاب بحمله فحمل وأحضر، فأظهر الرضا عنه ولزمه أياماً، ثم أحلفه ليصدقن عما يمر في مجلسه فحلف له. ثم غنى الواثق أصواتاً يسأله عنها أجمع فيخبر فيها بما عنده، ثم غنته فريدة هذا الصوت وسأله الواثق عنه، فرضيه واستجاده، وقال له: ليس على هذا سمعته في المرة الأولى، وأبان عن المواضع الفاسدة وأخبر بإفساد مخارق إياها، فسكن غضبه ووصل إسحاق وتنكر لمخارق مدة.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني إسحاق الموصلي: أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطاهري، وقد كان تكلم له في حاجة فقضيت، فقال له: أعطاك الله

أيها الأمير ما لم تحط به أمنية ولا تبلغه رغبة. قال: فاشتهى هذا الكلام واستعاده مني فأعدته. ثم مكثنا ما شاء الله، وأرسل الواثق إلى محمد بن إبراهيم يأمره بإخراجي إليه في الصوت الذي أمرني به بأن أغني فيه، وهو:

لقد بخلت حتى لو أني سألتها

فغنيته إياه، فأمر لي بمائة ألف درهم. فخرجت وأقمت ما شاء الله ليس أحد من مغنيهم يقدر أن يأخذ هذا الغناء مني. فلما طال مقامي قلت له: يا أمير المؤمنين، ليس أحد من هؤلاء المغنين يقدر أن يأخذ هذا الصوت مني، فقال لي: و لم. ويحك. فقلت: لأني لا أصححه ولا تسخو نفسي به لهم، فما فعلت الجارية التي أخذتها مني. يعني شجاً، وهي التي كان أهداها إلى الواثق وعمل مجرد أغانيها وجنسه ونسبه إلى شعرائه ومغنيه، وهو الذي قي أيدي الناس إلى اليوم، فقال: وكيف. قال: لأنها تأخذه مني ويأخذونه هم منها، فأمر بها فأخرجت وأخذته على المكان، فأمر لي بمائة ألف درهم وأذن لي في الانصراف، وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهري حاضراً، فقلت للواثق عند وداعي له: أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تحط به أمنية و لم تبلغه رغبة، فالتفت إلي إسحاق بن إبراهيم فقال لي: أي إسحاق أتعيد الدعاء، فقلت: إي والله أعيده قاض أنا أو مغن. وقدمت بغداد، فلما وافى إسحاق جئته مسلماً عليه، فقال لي: ويحك يا إسحاق أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده. قلت: لا أيها الأميرة قال قال لي: ويحك. كنا أغنىالناس عن أن نبعث إسحاق على لحننا حتى أفسده علينا. قال علي بن يحيى: فحدثني إسحاق قال: استأذنت الواثق عدة دفعات في الانحدار إلى بغداد فلم يأذن لي، فصنعت لحناً في:

خليلي عوجاً من صدور الرواحل

ثم غنيته الواثق فاستحسنه وعجب من صحة قسمته ومكث صوته أياماً، ثم قال لي: يا إسحاق، قد صنعت لحناً في صوتك في إيقاعه وطريقته، وأمر من وراء الستارة فغنوه فقلت: قد والله يا أمير المؤمنين بغضت إلي لحني وسمجته عندي، وقد كنت استأذنته في الانحدار إلى بغداد فلم يأذن لي، فلما صنع هذا اللحن وقلت له ما: قلت، أتبعته بأن قلت له: قد والله يا أمير المؤمنين افتصضت مني في القد بخلت وزدت فأذن لي بعد ذلك.

خليلي عوجا من صدور الرواحل بجرعاء حزوى فابكيا في المنازل

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفي نجي البلابل

الشعر لذي الرمة، والغناء لإسحاق رمل بالوسطى في البيتين. وللواثق في البيت الثاني وحلى رمل بالبنصر.

أخبرني أحمد بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني كثير بن أبي جعفر الحزامي الكوفي عن أحمد بن جواس الحنفي عن أبي بكر بن عياش قال: كنت إذا أصابتني المصيبة تصبرت وأمسكت عن البكاء، فأجد ذلك يشتد علي، حتى مررت ذات يوم بالكناسة، فإذا أنا بأعرابي واقف على ناقة له وهو ينشد:

خليلي عوجا من صدور الرواحل بجزعاء حزوى فابكيا في المنازل

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفي نجي البلابل

فسألت عنه فقيل لي: هذا ذو الرقة فكنت بعد إذا أصابتني مصيبة بكيت فأجد لذلك راحة، فقلت: قاتل الله الأعراب، ما كان أعلمه وأفصح لهجته.

أخبرنا يحيى بن علي عن أبيه قال: قلت لإسحاق: أيما أجود، لحنك في خيلي عوجاً، أم لحن الواثق. فقال: لحني أجود قسمةً وأكثر عملاً، ولحنه أطرب، لأنه جعل ردته من نفس قسمته، وليس يقدر على أدائه إلا متمكن من نفسه. قال على بن يحيى: فتأملت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق. قال وقال لي إسحاق: ما كان بحضرة الواثق أعلم منه بالغناء.

أخبرني علي بن هارون قال: كان عبدالله بن المعتز يحلف أن الواثق ظلم نفسه في تقديمه لحن إسحاق في، لقد بخلت. قال: ومن الدليل على ذلك أنه قلما غني في صوت واحد بلحنين فسقط أجودهما وشهر الدون، ولا يشهر من اللحنين إلا أجودهما، ولحن الواثق أشهرهما، وما يروي لحن إسحاق إلا العجائز ومن كثرت روايته.

حدثني جحظة عن ابن المكي المرتجل عن أبيه أحمد بن يحيى قال: كان الواثق يعرض صنعته على إسحاق فيصلح فيها الشيء بعد الشيء.

أخبرنا حسين بن يحيى عن حماد: أن آخر صوت صنعه أبوه: لقد بخلت، ثم ما صنع شيئاً حتى مات.

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال: دخل أعرابي من بني سليم سر من رأى - وكان يكنى أبا القنافذ - فحضر باب المعتصم مع الشعراء فأذن له، فلفم مثل بين يديه أنشده:

مراض العيون خماص البطون طوال المتون قصار الخطا
عتاق النحور قاق الثغور لطاف الخصور خدال الشوى
عطابيل من كل رقراقة تلوث الإزار بدعص النقا
إذا هن منينا نائلاً أبى البخل منهن ذاك المنى
إلى النفر البيض أهل البطاح وأهل السماح طلبنا الندى
لهم سطوات إذا هيجوا وحلم إذا الجهل حل الحبا
يبين لك الخير في أوجه لهم كالمصابيح تجلو الدجى
سعى الناس كي يدركوا فضلهم فقصر عن سعيهم من سعى
سعى للخلافة فاقتادها وبرز في السبق لما جرى

قال: فاستحسنها المعتصم وأمرني فغنيت فيها، وأمر للأعرابي بعشرين ألف درهم ولي بثلاثين ألف درهم، وما خرج الناس يومئذ إلا بهذه الأبيات.

حدثني عمي قال حدثني فضل اليزيدي عن إسحاق قال: كتبت إلى علي بن هشام أطلب منه نبيذاً، فبعث إلي جمان بما التمست، وكتب إلي: قد بعثت إليك بشراب أصلب من الصخر، وأعتق من الدهر، وأصفى من القطر.

حدثني جحظة قال حدثني أبو عبدالله الهشامي عن أحمد المكي قال: لما صنع إسحاق لحنه في الرمل:

أماوي إن المال غاد ورائح ... ويبقى من المال الأحاديث والذكر

وقدعلم الأقوام لوأن حاتما ... يريد ثراء المال كان له وفر

وهو رمل نادر، ابتداؤه صياح، ثم لا يزال يترل على تدريج حتى يقطعه على سجحة، وكان كثير الملازمة لعبدالله بن طاهر، ثم تخلف عنه مدة وذلك في أيام المأمون، فقال عبدالله للميس جاريته: خذي لحن إسحاق في:

أماوي إن المال غاد ورائح

فاخلعيه علي:

وهبت شمال آخر الليل قرة ... ولا ثوب إلا بردها ورداثيا

وألقيه على كل جارية تعلمينها واشهريه وألقيه على من يجيده من جواري زبيدة، وقولي: أخذته من بعض عجائز المدينة، ففعلت، وشاع أمره حتى غني به بين يدي المأمون، فقال المأمون للجارية: ممن أخذت هذا. فقالت: من دار عبدالله بن طاهر من لميس جاريته، وأخبرتني أنها أخذته من بعض عجائز المدينة. فقال المأمون لإسحاق: ويلك، قد صرت تسرف الغناء وتدعيه، اسمع هذا الصوت، فسمعه فقال: هذا وحياتك لحني، وقد وقع علي فيه نقب من لص حاذق، وأنا أغوص عليه حتى أعرفه، ثم بكر إلى عبدالله بن طاهر فقال: أهذا حقي وحرمتي وخدمتي، تأخذ لميس لحنتي في:

أماوي إن المال غاد ورائح

فتغنيه في: وهبت شمال، وليس بي ذلك، ولكن بي أنها فضحتني عند الخليفة وادعت أنها أخذته من بعض عجائز المدينة، فضحك عبدالله وقال: لو كنت تكثر عندنا كما كنت تفعل لم تقدم عليك لميس ولا غيرها، فاعتذر فقبل عذره، وقال له: أي شيء تريد. قال: أريد أن تكذب نفسها عند من ألقته عليها حتى يعلم الخليفة بذلك، قال: أفعل، ومضى اسحاق إلى المأمون وأخبره القصة، فاستكشفها من لميس حتى وقف عليها، وجعل يعبث بإسحاق بذلك مدة.

حدثني جحظة قال حدثني عبيد الله بن عبدالله بن طاهر قال حدثتني شهوات الصناجة التي كان إسحاق، أهداها إلى الواثق: أن محمدا الأمين لما غناه إسحاق لحنه الذي صنعه في شعره وهو الثميل الأول:

يأيها القائم الأمين فدت ... نفسك نفسي بالمال والولد

بسطت للناس إذ وليتهم ... يداً من الجود فوق كل يد

فأمر له بألف ألف درهم، فرأيتها قد وصلت إلى داره يحملها مائة فراش.

حدثني جحظة ومحمد بن خلف بن المرزبان قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: غنيت الواثق:

عفا طرف القرية فالكثيب إلى ملحاء ليس بهاعريب

تأبد رسمها وجرى عليها سوافي الريح والترب الغريب

- ولحنه ثقيل ثان - قال: فقال لي: يا إسحاق، قد أحسن ابن هرمة في البيتين، فأي شيء هو أحسن صفيهما من جميعهما. قال قلت: قوله: الترب الغريب، يريد أن الريح جاءت إلى الأرض بتراب ليس منها فهو غريب جاءت به من موضع بعيدة فقال: صدقت وأحسنت، وأمر لي بخمسين ألف درهم.

حدثني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال: كنا يوماً عند أحمد بن المدبر، فغناه مغن كان عنده لحن إسحاق:

فأصبحت كالحومان ينظر حسرةً إلى الماء عطشانا وقد منع الوردا

وقال ابن المدبر: زد فيه:

وأمسيت كالمسلوب مهجة نفسه يرى الموت في صد الحبيب إذا صدا

لحن إسحاق في هذا البيت من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

حدثني الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد الأزدي قال حدثني شيخ من ولد المهلب قال: دخل مروان بن أبي حفصة يوماً على إبراهيم الموصلي، فجعلا يتحدثان إلى أن أنشد إسحاق بن إبراهيم مروان بن أبي حفصة لنفسه:

إذا مضر الحمراء كانت أرومتي وقام بنصري خازم وابن خازم

عطست بأنف شامخ وتناولت يداي الثريا قاعداً غير قائم

قال: وجعل إبراهيم يحدث مروان وهو عنه ساه مشغول، فقال له: مالك لا تجيبني؟ قال: إنك والله لا تدري ما أفرغ ابنك هذا في أذني.

حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني موسى بن هارون عن يعقوب بن بشرقال: كنت مع إسحاق الموصلي في نزهة، فمر بنا أعرابي، فوجه إسحاق خلفه بغلامه زياد الذي يقول فيه:

وقولا لساقينا زياد يرقها فقد هد بعض القوم سقي زياد

قال: فوافانا الأعرابي، فلما شرب وسمع حنين الدواليب قال:

بكرت تحن وما بها وجدي وأحن من وجد إلى نجد

فدموعها تحيا الرياض بها ودموع عيني أقرحت خدي

وبساكني نجد كلفت وما يغني لهم كلفي ولاوجدي

لو قيس وجد العاشقين إلى وجدي لزادعليه ماعندي

قال: فما انصرف إسحاق إلى بيته إلا محمولاً سكراً، وما شرب إلا على هذه الأبيات.

والغناء فيها لإسحاق هزج بالبنصر.

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني به الحسن بن علي عن عبدالله بن أبي سعد عن محمد بن عبدالله عن إسحاق قال: دخلت على الفضل بن الربيع وهو على بساط سوسنجردي ستيني مذهب يلمع عليه مكتوب: مما أمر بصنعته حماد عجرد، فقال لي: أتدري من حفاد عجرد. قلت: لا قال: حماد عجرد، كان والي تلك الناحية، أفرأيت مثله قط. قلت: لا، فسكت ثم قلت: أهكذا يفعل الناس. قال: أفي شيء يفعلونه. قلت: تهبه لي، قال: لا أفعل، قلت: إذا أغضب قال: ما شئت افعل، فخرجت متغاضباً، فلما وافيت منزلي إذا برسوله قد لحقني بالبساط، فكتبت إليه بيتين لحمزة بن مضر:

ولقد عددت فلست أحصي كل ما قد نلت منك من المتاع المونق

بخديعتي فأراك منخدعاً لها وفكاهتي وتغضبي وتملقي

- قال ابن أبي سعد في خبره:- فلما دخلت عليه ضحك وقال لي: البيتان خير من البساط، فالفضل الآن لك.

أخبرني يحيى بن علي وأحمد بن جعفر جحظة عن أبي العبيس بن حمدون عن عمرو بن بانة قال: رأيت إبراهيم بن المهدي يناظر إسحاق في الغناء، فتكلما بما فهماه و لم أفهم منه شيئاً، فقلت لهما: لئن كان ما أنتما فيه من الغناء فمانحن منه في قليل ولاكثير.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبي قال حدثني إسحاق قال: قدمت على الواثق في بعض قدماتي، فقال لي: أما اشتقت إلي. فقلت: بلى والله يا أمير المؤمنين، وأنشدته:

أشكو إلى الله بعدي عن خليفته وما أعالج من سقم ومن كبر

لا أستطيع رحيلاً إن هممت به يوماً إليه ولا أقوى على السفر

أنوي الرحيل إليه ثم يمنعني ما أحدث الدهر والأيام في بصري

قال: و قال وقد أشخصه إليه قصيدته الدالية:

ضنت سعاد غداة البين بالزاد وأخلفتك فما توفي بميعاد

ما أنس لا أنس منها إذ تودعنا والحزن منها وإن لم تبده بادي

لإسحاق في هذين البيتين رمل بالوسطى، يقول فيهما:

لما أمرت بإشخاصي إليك هفا قلبي حنيناً إلى أهلي وأولادي

ثم اعتنرمت ولم أحفل بينهم وطابت النفس عن فضل وحماد
كم نعمة لأبيك الخير أفردني بها وعم بأخرى بعد إفراد
فلوشكرت أياديكم وأنعمكم لما أحاط بها وصفي وتعدادي
لأشكرنك ماناح الحمام وما حداعلى الصبح في إثر الدجى حادي

قال علي بن يحيى: قال لي أحمد بن إبراهيم: يا أبا الحسن، لو قال الخليفة لإسحاق: أحضرني فضلاً وحماداً أليس كان قد افتضح من دمامة خلقهما وتخلف شاهدهما.

حدثني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال: كتب أبي إلى إسحاق في شيء خالله فيه من التجزئة والقسمة: لا إلى من أحاكمك والناس بيننا حمير.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا سليمان بن أيوب قال حدثني محمد بن عبدالله بن مالك الخزاعي قال حدثنا إسحاق قال: كنت مع الرشيد حين خرج إلى الرقة، فدخل يوماً إلى النساء، وخرجت فمضيت إلى تل عزاز، فنزلت عند خمارة. هناك فسقتني شراباً لم أر مثله حسناً وطيباً وطيب رائحة في بيت مرشوش وريحان غض، وبرزت بنت لها كأنها خوط بان أو جدل عنان، لم أر أحسن منها قدا، ولا أسيل خداً، ولا أعتق وجهاً، ولا أبرع ظرفاً، ولا أفتن طرفاً، ولا أحسن كلاماً، ولا أتم تماماً، فأقمت عندها ثلاثاً والرشيد يطلبني فلا يقدر علي، ثم انصرفت فذهبت بي رسله، فدخلت عليه وهو غضبان، فلما رأيته خطرت في مشيتي ورقصت، وكانت في فضلة من السكر، وغنيت:

إن قلبي بالتل تل عزاز عند ظبي من الظباء الجوازي
شادن يسكن الشآم وفيه مع دل العراق ظرف الحجاز
يالقومي لبنت قس أصابت منك صفو الهوى وليست تجازي
حلفت بالمسيح أن تنجز الوع د وليست تجود بالإنجاز

الغناء لإسحاق خفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة - قال إسحاق: فسكن غضبه، ثم قال لي: أين كنمت؟ فأخبرته، فضحك وقال: إن مثل هذا إذا اتفق لطيب، أعد غناءك، فأعدته، فأعجب به، وأمرني أن أعيده ليلة من أولها إلى آخرها، وأخذها المغنون مني جميعاً وشربنا إلى طلوع الفجر، ثم انصرفنا فصليت الصبح ونمت، فما استقررنا حتى أتى إلي رسول الرشيد فأمرني بالحضور، فركبت ومضيت، فلما دخلت وجدت ابن جامع قد طرح نفسه يتمرغ على دكان في الدار لغلبة السكر عليه، ثم قال: أتدري لم دعينا. فقلت: لا والله، قال: لكني أدري، دعينا بسبب نصرانيتك الزانية، عليك وعليها لعنة الله، فضحكت. فلما دخلت على الرشيد أخبرته بالقصة، فضحك وقال: صدق، عودوا فيه فإني اشتقت إلى ما كنا فيه لما فارقتموني، فعدنا فيه يومنا كله حتى

انصرفنا.

أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال: كان إسحاق قد أظهر التوبة وغير زيه واحتجر من حضور دار السلطان. فبلغه أن المأمون وجد عليه من ذلك وتنكر، فكتب إسحاق إليه وغنى فيه بعد ذلك:

يابن عم النبي سمعاً وطاعه قد خلعنا الرداء والدراعه

ورجعنا إلى الصناعة لما كان سخط الإمام ترك الصناعه

الغناء لإسحاق رمل بالبنصر عن عمرو - وقد ذكر الغلابي أن هذا الشعر لأبي العتاهية، قاله لما حبسه الرشيد وأمره بأن يقول الشعر - وذكر حبش أن هذا اللحن لإبراهيم.

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي قال: لي محمد بن الحسن بن مصعب، وكان بصيراً بالغناء والنغم: لحن إسحاق في لاتشكى الكميت الجري، أحسن من لحن ابن سريج، ولحنه في لم يوم تبدى لنا قتيلة، أحسن من لحن معبد، وذلك من أجود صنعة معبد. قال: فأخبرت إسحاق بقوله، فقال: قد والله أخذت بزمامي راحلتيهما وزعزعتهما وأنخت بهما فما بلغتهما. فأخبرت بذلك محمد بن الحسن، فقال: هو والله يعلم أنه برز عليهما، ولكنه لا يدع تعصبه للقدماء.

وأخبرني - جحظة قال حدثني حماد بن إسحاق: أن رجلاً سال أباه فقال له: إن الناس قد كثروا في صوتيك: تشكى الكميت الجري، و يوم تبدى لنا قتيلة، وقالوا: إنهما أجود من لحني ابن سريج ومعبدة قال أبي: ويحك، رميت في هذين الصوتين بمعبد وابن سريج وهما هما، فقربت ووقع القياس بيني وبينهما، وعلى ذلك فقد والله أخذت بزمامي راحلتيهما وانتصفت منهما.

قرأت في بعض الكتب أن محمد بن الحسن - أظنه ابن مصعب - ذكر إسحاق الموصلي فقال: كانت صنعته محكمة الأصول، ونغمته عجيبة الترتيب، وفسمته معدلة الأوزان، وكان يتصرف في جميع بسط الإيقاعات، فأي بساط منها أراد أن يتغنى فيه صوتاً قصد أقوى صوت. جاء في ذلك البساط لحذاق القدماء فعارضه: وقد كان يذهب مذهب الأوائل، ويسلك سبيلهم، ويقتحم طرقهم، فيبني على الرسم فيصنعه، ويحتذى على المثال فيحكيه، فتأتي صنعته قوية وثيقة يجمع فيها حالتين: القوة في الطبع وسهولة المسلك، وخنثاً بين كثرة النغم وترتيبها في الصياح والإسجاح، فهي بصنعة الأوائل أشبه منها بصنعة المتوسطين من الطبقات، فأما المتأخرون فأحسن أحوالهم أن يزووها فيردوها. وكان حسن الطبع في صياحه، حسن التلطف، لتتريله من الصياح إلى الإسجاح على ترتيب بنغم يشاكله، حتى تعتدل وتتزن أعجاز الشعر في القسمة بصدوره. وكذلك أصواته كلها، وأكثرها يبتدىء الصوت فيصيح فيه وذلك مذهبه في جل غنائه، حتى كان كثير من المغنين يلقبونه الملسوع، لأنه يبدأ بالصياح في أحسن نغمة فتح بها أحد فاه، ثم يرد نغمته فيرجحها ترجيحاً ويترلها تتريلاً حتى يحطها من تلك الشدة إلى ما يوازيها من اللين، ثم يعود فيفعل مثل ذلك، فيخرج من شدة إلى لين ومن لين إلى شدة، وهذا أشد ما يأتي في الغناء وأعز ما يعرف من الصنعة. قال يحيى بن علي بن يحيى وقد ذكر إسحاق في

صدر كتابه الذي ألف في أخباره أوزاد في بعض ما صنعه: وكان إسحاق أعلم أهل زمانه بالغناء، وأنفذهم في جميع فنونه، وأضربهم بالعود وبأكثر آلات الغناء، وأجودهم صنعة، وقد تشبه بالقديم وزاد في بعض ما صنعه عليه، وعارض ابن سريج ومعبداً فانتصف منهما، وكان إبراهيم بن المهدي ينازعه في هذه الصناعة و لم يبلغه فيها، و لم يكن بعد إسحاق مثله.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني إبراهيم بن علي بن هشام: قال إسحاق وذكر صوته:

كان افتتاح بلائي النظر فالحين سبب ذاك و القدر

قد كان باب الصبرمفتتحاً فاليوم أغلق بابه النظر

الشعر والغناء لإسحاق قيل أول مطلق في مجرى البنصر. وفيه لأحمد بن المكي خفيف قيل، ولعريب ثاني قيل، جميعاً عن الهشامي - قال إسحاق: ما شبهت صوتي هذا إلا بإنسان أخذ الكرة على الطبطابة وأهل الميدان جميعاً خفله، فلما بلغ أقصى ضربها أحجزها.

خبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن يزيد المهلبي قال حدثني إسحاق، وأخبرنا يحيى بن علي عن أبي أيوب المديني عن ابن المكي عن إسحاق قال: صنعت هذا الصوت في آخر أيام الرشيد وكان إذ ذاك يحيى بن معاذ يشرب النبيذة، فلما كان في أيام محمد غنيته، فاشتهاه واشتهر به، وبعث إلى يحيى بن معاذ وأنا أغنيه:

اسقني و ابن نهيك وابن يحيى بن معاذ

فلما حضر يحيى غنيت:

فاسقني و اسق نهيكاً واسق يحيى بن معاذ

فبعث إليه محمد فأحضره فقال: لتشربن أو لأعاقبنك، فلم يبرح حتى شرب قدحاً، وغلفه وأمر له بمال، وسر بذلك محمد ووهب لي عليه مالاً، وانصرفت إلىالبيت، فجاءني رسول يحيى بن معاذ فصرت إليه، فلم يزل يستحلفني ألا أعود في هذا الصوت قدام محمد أبداً، وأمر لي من المال بشيء فلم أقبله، و لم أعد فيه.

شعر علي بن هشام الذي غنى فيه:

يومنا يوم رذاذ و اصطباح و التذاذ

فاسقنى و ابن نهيك وابن يحيى بن معاذ

من كميت عتقت للش يخ كسرى بن قباذ

ليس للمرء من اله م سواها من ملاذ

الشعر لعلي بن هشام، والغناء لإسحاق قيل أول بالبنصر عن عمرو.

أخبرني بقوله علي بن هشام والحسن بن علي قالا حدثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم الهاشمي قال حدثني أبو عبدالله الهلالي قال: كنت عند علي بن هشام يوماً إذ رشت السماء رشاً وطشت، فأنشأ علي يقول:

يومنا يوم رذاذ واصطباح والتذاذ

- وذكر الأبيات الأربعة - ثم قال لغلامه: اذهب إلى أحمد بن يحيى بن معاذ وقل له: يقول لك أخوك: هذا يوم طيب، فتعال أنت وغلاماك بنان وعثعث، فجاء إلى بابه الرسول وعليه غرماء له، فمنعوه الدخول عليه، فقال لهم: كم لكم عليه؟ قالوا: مائتا ألف درهم، فرجع الغلام إلى علي بن هشام فأخبره بالخبر ومبلغ مالهم عليه من الدين؟ فتمال له: احمل إليه مائتي ألف الدرهم وجيء به وبغلاميه الساعة فحملها، فجاء أحمد بن يحيى ومعه غلاماه، فقال لعلي بن هشام: لم تحملت هذا لي، أنا والله منتظر ما لا يجيء فأعطيهم، فقال له: مالي ومالك واحد. فتغديت معهما حتى جاءت الحلواء فقال: أكثر من الحلواء فلست تدخل معنا في ديواننا يعني الشرب، فأكلت وغسلت يدي، فقال لغلامه سراج: احمل مع أبي عبدالله الهلالي لاثين ألف درهم، فانصرفت وهي معي.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا سليمان المدائني عن ابن المكي عن أبيه قال حدثني إسحاق قال: تعشقت جارية فقلت فيها:

هل إلى أن تنام عيني سبيل إن عهدي بالنوم عهد طويل

غاب عني من لا أسمي فعيني كل يوم عليه حزناً تسيل

- الشعر والغناء لإسحاق رمل بالبنصر عن عمرو. وفيه لعريب خفيف رمل آخر. وفيه لمحمد بن حمزة وجه القرعة خفيف قيل، وقيل: إنه لابن المكي. وفيه رمل بالوسطى ينسب إلى علويه وإلى حسين بن محرز - قال إسحاق: ثم ملكتها، فكنت مشغوفاً بها، حتى كبرت واعتلت علي عيناي، فذكرت هذا الصوت وأيامه المتقدمة، فما زلت أبكي وأذكر دهري الذي تولى. وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي عن يزيد المهلبي عن إسحاق، وليس هذا على التمام.

أخبرني جحظة عن محمد بن أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال: دعا المأمون بإسحاق فأحضره، فأمره أن يغني في هذا الصوت فغنى:

هل إلى أن تنام عيني سبيل

فغناه، وكنت حاضراً فقلت: أحسن والله يا أمير المؤمنين، وما عدا بلحنه معنى شعره، فقال المأمون: فإنا نرد الحكم إلى من هو أعلم بذلك منك، فبعث إلى أبي يعني يحيى المكي فجيء به، فخبره بما قلت وما قال، وأمر

إسحاق برد الصوت فرده، فقال يحيى: أحسن إسحاق في غنائه وأحسن ابني في استحسانه، إلا أن هذا اللحن يحتاج أن يسمع من غير حلق إسحاق، فضحك المأمون، وأمر لإسحاق بمال وأمر لأبي بمثله ولي بمثله. قال: و لم يكن في إسحاق شيء يعاب إلا حلقه، وكان يغلب الناس جميعاً بطبعه وحذقه.

قال: وأما السبب في علة عين إسحاق وضعف بصره، فأخبرني به محمد بن خلف وكيع قال حدثني به أبو أيوب المديني قال حدثني محمد بن عبدالله بن مالك الخزاعي: أن إبراهيم ابن أخي سلمة الوصيف نازع إسحاق في شيء بين يدي الرشيد من الغناء، فرد عليه، فشتمه، فرد عليه إسحاق وأربى في الرد، فقال له إبراهيم: أترد علي وأنا مولى أمير المؤمنين، فقال له: اسكت فإنك من موالي العيدين، فقال له الرشيد: وأي شيء موالي العيدين؟ فال: يا أمير المؤمنين، يشترى للخلفاء كل صانع وكل ضرب في العبيد للعتق، فيكون فيهم الحجام والحائك والسائس، فهو أحد هؤلاء الذين ذكرت. قال: وخرج إبراهيم فوقف له على طريقه، فلما جاز عليه منصرفاً ضرب رأسه بمقرعة فيها معول، فكان ذلك سبب ضعف بصر إسحاق. وبلغ الرشيد الخبر، فأمر بأن يحجب عنه إبراهيم، وحلف ألا يدخل عليه، فدس إلى الرشيد من غناه:

من لعبد أذله مولاه ... ماله شافع إليه سواه

يشتكي مابه إليه ويخشا ... ويرجوه مثل مايخشاه

- الشعر لأبي العتاهية، والغناء لإبراهيم ابن أخي سلمة الوصيف خفيف رمل. وفيه لعريب قيل أول. وقيل: إن لابن جامع فيه خفيف رمل آخر - فلما غني الرشيد بهذه الأبيات، سأل عن صاحب لحنها فعرفه، فحلف ألا يرضى عنه حتى يرضى إسحاق، فقام إسحاق فقال: قد رضيت عنه يا سيدي رضاء حسناً، وقبل الأرض بين يديه شكراً لما كان من قوله، فرضي عنه وأحضر وأمره بترضي إسحاق ففعل.

وأخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال: جاء إبراهيم ابن أخي سلمة إلى الرشيد فقال له: يا أمير المؤمنين، إني أحب أن تشرفني بأن تكون نوبتي ونوبة اسحاق الموصلي في مكان، وأن يكون دخولي إليك ودخوله في مكان، فان رأيت أن تجعل ذلك كما سألت فعلت، قال: قد فعلت، و لم أكن حاضراً لمسألته. فلما كان يوم دخولي عليه جاءني إبراهيم فدق بابي دقاً عنيفاً وعرفني الغلام خبره، فقلت له: يدخل فأبى وقال له: قل له اخرج أنت، فساء ظني، اغتممت، فخرجت إليه فقلت له: ما الخبر. قال: إن أمير المؤمنين يأمرك بالحضور ويأمرك ألا تدخل الدار إلا معي بعد أن أوجه إليك فتركب إلي وتمضي معي، فمضيت معه على رغمي وأنا منكسر، وكنت بقية يومي على تلك الحال. ثم ركبت إلى الفضل بن الربيع فشكوت ذلك إليه، فقال: ما أرى أمير المؤمنين يحلك هذا المحل، قم بنا إليه، فقمت معه، فدخل إلى الرشيد فقال له: يا أمير المؤمنين، إسحاق وخدمته وحقوق أبيه عليك وعلى أمير المؤمنين المهدي تضع مقداره أن تجعله مضموماً إلى إبراهيم ابن أخي سلمة، قال: لا والله ما فعلت هذا قال: إنه قد جاءني يبكي ويحلف إن جرى عليه هذا تاب من الغناء وتركه جملة، ثم لو قتل لم يعد إليه، فقال: ويحك، والله ما جرى من هذا شيء، إلا أن إبراهيم ابن أخي سلمة جاء

فقال: تشرفني أن تجعل نوبتي مع نوبة إسحاق ووصولي مع وصوله ففعلت، فقل له: يجيء متى لاشاء وينفرد عنه ولا يجيء معه ولا كرامةً، فأخبرني فرجعت. فلما كانت نوبتي جاء إبراهيم إلي ففعل مثل فعله، فقلت لغلامي: أخرج إليه فقل له: ولا كرامة لك يا زاني يابن الزانية، لا أجيء معك ولا أدعك تجيء معي أيضاً، وشتمه أقبح شتم فخرج الغلام فأدى إليه الرسالة، فعلم أن هذا لم يتجرأ عليه إلا بعد توثق فخجل، فقال له: قل له: ومن أكرهك على هذا، إنما أحببت أن نصطحب ونتأنس في طريقنا، فإن كرهت هذا فلا تفعله، وانصرف و لم يعاودني بعدها.

أخبرني يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني عن ابن المكي عن أبيه قال: كان إسحاق إذا غنى هذا الصوت يأخذ بلحيته ويبكي:

إذا المرء قاسى الدهر وابيض رأسه وثلم تثليم الإناء جوانبه

فللموت خيرمن حياة خسيسة تباعده طوراً وطوراً تقاربه

الشعر لزبان بن سيار الفزاري، حدثني بذلك الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمه. والغناء لإسحاق رمل بالوسطى.

أخبرنا محمد بن مزيد والحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، وأخبرنا يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق قال: أقام المأمون بعد قدومه عشرين شهراً لا يسمع حرفاً من الأغاني، فكان أول من تغنى بحضرته أبو عيسى بن الرشيد، ثم واظب على السماع متستراً متشبهاً في أول أمره بالرشيد، فأقام كذلك أربع حجج، ثم ظهر إلى الندماء والمغنين. وكان حين أحب السماع سأل عني، فجرحت بحضرته، وقال الطاعن علي: ما يقول أمير المؤمنين في رجل يتيه على الخلافة، قال المأمون: ما أبقى هذا من التيه شيئاً إلا استعمله. فأمسك عن ذكري، وجفاني من كان يصلني، لسوء رأيه الذي ظهر في، فأضر ذلك بي، حتى جاءني علويه يوماً فقال لي: أتأذن لي في ذكرك؟ فإنا قد دعينا اليوم، فقلت: لا، ولكن غنه بهذا الشعر، فإنه سيبعثه على أن يسألك: لمن هذا، فإذا سألك انفتح لك ما تريد، وكان الجواب أسهل عليك من الابتداء، فقال: هات، فألقيت عليه لحني في شعري:

يا سرحة الماء قد سدت موارده أما إليك طريق غير مسدود

لحائم حام حتى لاحيام له محلأ عن طريق الماء مطرود

- الغناء لإسحاق رمل بالوسطى عنه وعن عمرو - قال: فمضى علويه، فلما استقر به المجلس، غناه بالشعر الذي أمرته، فما عدا المأمون أن يسمع الغناء حتى قال: ويحك يا علويه، لمن هذا؟ قال: يا سيدي، لعبد من عبيدك جفوته واطرحته من غير جرم، فقال: أإسحاق تعني. قال: نعم، قال: يحضر الساعة، فجاءني رسوله فصرت إليه. فلما دخلت عليه قال: ادن فدنوت، فرفع يديه مادهما، فانكببت عليه، واحتضنني بيديه، وأظهر من

بري وإكرامي ما لو أظهره صديق مؤانس لصديقه لبره.

أخبرني محمد بن إبراهيم الجرجاني قريض قال: قال لي أحمد بن أبي العلاء: غنيت المعتضد يوماً وهو أمير صوت إسحاق:

يا سرحة الماء قد سدت موارده أما إليك طريق غير مسدود

فطرب واستعاده مراراً، وقال: هذا والله الغناء الذي يخالط الروح ويمازج اللحم والدم.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبو العبيس بن حفدون قال أخبرني أبي قال: لما غنى إسحاق في شعره هذا:

لأسماء رسم عفا باللوى أقام رهيناً لطول البلى

تعاوره الدهرفي صرفه بكر الجديدين حتى عفا

- الشعر لإسحاق من قصيدة مدح بها الرشيد، والغناء له ثاني ثقيل بالوسطى. وفيه لسليم قيل أول من رواية الهشامي، وذكر حبش أنه لإبراهيم بن المهدي- قال: فكان الناص يتهادونه كما يتهادون الطرفة والباكورة.

وقال أبو العبيس حدثني ابن مخارق: أن الواثق بعث إلى أبيه مخارق لما صنع إسحاق هذا الصوت ليلقيه عليه، فصادفه عليلاً - و لم يكن أحد يلقن عن إسحاق طرح الغناء كما يلقنه مخارق- فأعاد إليه الرسول ومعه محفة، وقال: لا بد أن يجيء على كل حال، فتحامل وصار إليه حتى أخذ الصوت عن إسحاق ورجع.

وذكر محمد بن الحسين الكاتب عن أبي حارثة الباهلي عن أخيه أبي معاوية: أن إسحاق كان يتحلى بالشجاعة والفروسية ويحب أن ينسب إليهما، ويركب الخيل ويتعلم بها آفة من الآفات المعترضة على العقول. وكان قد شهد بعض مشاهد الحروب فأصابه سهم فنكص على عقبيه، فقال أخوه طياب فيه:

وأنت تكلفت ما لا تطيق وقلت أنا الفارس الموصلي

فلما أصابتك نشابة رجعت إلى سنك الأول

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال: قال حمزة الزيات القارىء، يا موصلي، إن لي فيك رأياً، أفترضى مع فهمك وأدبك ورأيك أن يكون عوضك من الآخرة فضل مطعم على مطعم.

حدثني علي بن سليمان الأخفش قال أنشدني أبو سعيد السكري قال أنشدني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي لعمه يقول لإسحاق:

أئن تغنيت للشرب الكرام ألا رد الخليط جمال الحي فانفرقوا

وقيل أحسنت فاستدعاك ذاك إلى ما قلت ويحك لايذهب بك الخرق

وقيل أنت حسان الناس كلهم وابن الحسان فقد قالوا وقد صدقوا

فما بهذا تقوم النادبات ولا يثنى عليك إذا ماضمك الخرق

قال يحيى بن علي: إن هذه الأبيات تروى لابن المنذر العروضي وللأصمعي.

ا قال مؤلف هذا الكتاب: كان إسحاق يأخذ عن الأصمعي ويكثر الرواية عنه، ثم فسد ما بينهما، فهجاه إسحاق وثلبه وكشف للرشيد معايبه، وأخبره بقلة شكره وبخله وضعة نفسه وأن الصنيعة لا تزكو عنده، ووصف له أبا عبيدة معمر بن المثنى بالثقة والصدق والسماحة والعلم، وفعل مثل ذلك للفضل بن الربيع واستعان به، ولم يزل حتى وضع مرتبة الأصمعي وأسقطه عندهم، وأنفذوا إلى أبي عبيدة من أقدمه.

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: أنشدت الفضل بن الربيع أبياتاً كان الأصمعي أنشدنيها في صفة فرس:

كأنه في الجل وهو سامي مشتمل جاء من الحمام

يسور بين السرج واللجام سور القطامي إلى اليمام

قال: ودخل الأصمعي فسمعني أنشدها، فقال: هات بقيتها، فقلت له: ألم تقل إنه لم يبق منها شيء. فقال: ما بقي منها إلا عيونها، ثم أنشد بعد هذه الأبيات ثلاثين بيتاً منها، فغاظني فعله، فلما خرج عرفت الفضل بن الربيع قلة شكره لعارفة وبخله بما عنده، ووصفت له فضل أبي عبيدة معمر بن المثنى وعلمه ونزاهته وبذله لما عنده واشتماله على جميع علوم العرب، ورغبته فيه، حتى أنفذ إليه مالاً جليلاً واستقدمه فكنت سبب مجيئه به من البصرة.

أخبرني عمي قال حدثنا فضل اليزيدي عن إسحاق قال: جاء عطاء الملك بجماعة من أهل البصرة إلى قريب أبي الأصمعي، وكان ندلاً من الرجال، فوجده ملتفا في كسائه نائماً في الشمس، فركضه برجله وصاح به: يا قريب، قم ويلك، فقال له: هل لقيت أحداً من أهل العلم قط أو من أهل اللغة أو من العرب أو من الفقهاء أو من المحدثين. قال: لا والله، قال: ولا سمعت شيئاً ترويه لنا أو تنشدناه أو نكتبه عنك. قال: لا والله، فقال لمن حضر: هذا أبو الأصمعي، فاشهدوا لي عليه وعلى ما سمعتم منه، لا يقل لكم غداً أو بعده: حدثني أبي أو أنشدني أبي، ففضحه. قال الفضل: ثم مرض الأصمعي، وكان الحال بينه وبين إسحاق الموصلي انفرجت، فعاده أبو ربيعة، وكان يرغب في الأدب ويبر أهله، فقال له الأصمعي: أقرضني خمسة آلاف درهم، فقال: أفعل. فقال له أبو ربيعة: فأي شيء تشتهي سوى هذا. فقال: أشتهي أن تهدي إلي فصاً حسناً وسيفاً قاطعاً وبرداً حسناً وسرجاً محلى، فقال: أفعل، وبعث بذلك إليه لما عاد إلى منزله. وبلغ ذلك اسحاق فقال:

أليس من العجائب أن قرداً أصيمع باهليا يستطيل

ويزعم أنه قد كان يفتي أباعمرو ويسأله الخليل

إذا ما قال قال أبي عجبنا لما يأتي به ولما يقول

وما إن كان يدري ما دبير أبوه إن سألت وما قبيل
وجلله عطاء الملك عاراً تزول الراسيات ولا يزول
نصحت أبا ربيعة فيه جهدي وبعض النصح أحياناً ثقيل
فقل لأبي ربيعة إذ عصاني وجار به عن القصد السبيل
لقد ضاعت برودك فاحتسبها وضاع الفص والسيف الصقيل
وسرج كان للبرذون زيناً له في إثره جزعاً صهيل
وأما الخمسة الآلاف فاعلم بأنك غبنها لا تستقيل
وأن قضاءها فتعز عنها سيأتي دونه زمن طويل

حدثني محمد بق مزيد قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كنت جالساً بين يدي الواثق وهو ولي عهد، إذ خرجت وصيفة من القصر كأنها خوط بان، أحسن من رأته عيني قط، تقدم عدة وصائف بأيديهن المذاب والمناديل ونحو ذلك، فنظرت إليها نظر دهشٍ وهو يرمقني. فلما تبين إلحاح نظري قال: مالك يا أبا محمد قد انقطع كلامك وبانت الحيرة فيك، فتلجلجت، فقال لي: رمتك والله هذه الوصيفة فأصابت قلبك، فقلت: غير ملوم، فضحك ثم قال: أنشدني في هذا المعنى، فأنشدته قول المرار:

ألكني إليها عمرك الله يا فتى بآية ما قالت متى هو رائح
وآيه ما قالت لهن عشيةً وفي الستر حرات الوجوه ملائح
تخيرن أرماكن فارمين رميةً أخا أسد إذ طرحته الطوارح

فلبسن مسلاس الوشاح كأنها مهاة لها طفل برمان راشح

فقال له الواثق: أحسنت بحياتي وظرفت، اصنع فيها لحناً، فإن جاء كما نريد وأطربنا فالوصيفة لك فصنعت فيه لحناً وغنيته إياه، فاصطبح عليه وشرب بقية يومه وليلته حتى سكر، و لم يقترح علي غيره، وانصرفت بالجارية.
حدثني عمي قال حدثني فضل اليزيدي عن إسحاق قال: دخلت على الواثق يوماً وهو خاثر النفس، فأخذت عوداً من الخزانة ووقفت بين يديه فغنيته:

من الظباء ظباء همها السخب ترعى القلوب وفي قلبي لها عشب
أهوى الظباء اللواتي لا قرون لها وحليها الدر والياقوت والذهب
لايغتربن ولايسكن باديةً وليس يعرفن ماصر ولاحلب

وفي الذين غدوا، نفسي الفداء لهم شمس تبرقع أحياناً وتنتقب
ياحسن ماسرقت عيني وما انتهبت والعين تسرق أحياناً وتنتهب
إذا يد سرقت فالقطع يلزمها والقطع في سرق العينين لايجب

قال: فهش إلي ونشط ودعا بطعام خفيف وأكلنا واصطبح وأمر لي بمائة ألف درهم. و أخبرني به الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن علي بن الحسن عن إبراهيم بن محمد الكرخي عن إسحاق، فذكر مثله، وقال فيه: فأمر لي بعشرة آلاف درهم.

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عبيد الله بن عبدالله بن طاهر عن أخيه محمد قال: كان إسحاق الموصلي يدخل في مبطنة وطيلسان مثل زي الفقهاء على المأمون، فسأله إن يأذن له في دخول المقصورة يوم الجمعة بدراعة سوداء وطيلسان أسودة فتبسم المأمون وقال له: ولا كل هذا بمرة يا إسحاق، ولكن قد اشترينا منك هذه المسألة بمائة ألف درهم حتى لا تغتم، وأمر بحملها إليه فحملت.

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عبيد الله بن عبدالله قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن أبي خالد الأسلمي: أنه ذكر إسحاق يوماً وكان يفضله ويعالم شأنه ويقدمه في الشعر تقديماً مفرطاً، فقال: ما قولكم في رجل محدث تشبه بذي الرمة وقال على لسانه شعراً وغنى فيه ونسبه إليه، فلم يشكك أحد سمعه أنه له ولا فطن لما فعل أحد إلا من حصل شعر ذي الرمة كله ورواه، فسئل أبو خالد عن هذا الشعر فقال:

ومدرجة للريح تيهاء لم تكن ليجشمها زميلة غير حازم
يضل بها الساري وإن كان هادياً وتقطع أنفاس الرياح النواسم
تعسفت أفري جوزها بشملة بعيدة مابين القرا والمناسم
كأن شرار المرو من نبذها به نجوم هوت أخرى الليالي العواتم

حدثني عمي وأحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا فضل اليزيدي عن إسحاق قال: غنيت المأمون يوماً هذين البيتين:

لأحسن من قرع المثاني ورجعها تواتر صوت الثغر يقرع بالثغر
وسكر الهوى أروى لعظمي ومفصلي من الشرب في الكاسات من عاتق الخمر

فقال لي المأمون: ألا أخبرك بأطيب من ذلك وأحسن. الفراغ والشباب والجدة.

حدثني الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال: كان لإسحاق غلام يقال له فتح، يستقي الماء لأهل داره على بغلين من بغاله دائماً، فقال إسحاق: قلت له يوماً: أي شيء خبرك يا فتح؟ قال: خبري أنه ليس في هذه الدار أحد أشقى مني ومنك، قلت: وكيف ذلك؟ قال: أنت تطعم أهل الدار الخبز وأنا أسقيهم الماء، فاستظرفت قوله وضحكت منه، ثم قلت له: فأي شيء تحب؟ قال: تعتقني وتهب لي البغلين أستقي عليهما، فقلت له: قد فعلت.

أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي قال حدثنا حماد بن إسحاق قال: كان لأبي. البصير الشاعر قيان، وكان يتكلم في الغناء بغير علم ولا صواب فيضحك منه، فقال أبي فيه:

سكت عن الغناء فما أماري ... بصيراً لا ولاغير البصير

مخافة أن أجنن فيه نفسي ... كما قد جن فيه أبو البصير

أخبرني الحسين بن يحيى المرداسي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

نهاني الرشيد أن أغني أحداً غيره، ثم استوهبني جعفر بن يحيى وسأله أن يأذن لي في أن أغنيه ففعل، واتفقنا يوماً عند جعفر بن يحيى وعنده أخوه الفضل، والرشيد يومئذ يعقب علة قد عوفي منها وليس يشرب، فقال لي الفضل: انصرف إلي الليلة حتى أهب لك مائة ألف الدرهم، فقلت له: إن الرشيد قد نهاني ألا أغني إلا له أو لأخيك، وليس يخفى عليه خبري، وأنا متهم عنده بالميل إليكم، ولست أتعرض له ولا أعرضك، و لم أجبه. فلما نكبهم الرشيد قال: إيه يا إسحاق، تركتني بالرقة وجلست ببغداد تغني للفضل بن يحيى، فحلفت بحياته أني ما جالسته قط إلا على المذاكرة والحديث، وأنه ما سمعني قط أغني إلا عند أخيه جعفر، وحلفت بتربة المهدي أن يسأل عن هذا جميع من في الدار من نسائه، فسأل عنه فحدثنه بمثل ما ذكرته له، وعرف خبر المائة الألف الدرهم التي بذلها لي فرددتها عليه. فلما دخلت عليه ضحك إلي ثم قال: قد سألت عن أمرك فعرفت منه مثل ما عرفتني، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم عوضاً مما بذله لك الفضل.

حدثني الصولي قال حدثني ميمون بن هارون عن إسحاق أنه كان يقول: الإسناد قيد الحديث، فتحدث مرة بحديث لا إسناد له، فسئل عن إسناده، فقال: هذا من المرسلات عرفاً.

حدثني الصولي قال حدثني ميمون بن هارون عن أبيه، وحدثني عمي عبدالله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبدالله بن مالك عن إسحاق قال: أنشدت الفضل بن يحيى قول أبي الحجناء نصيب مولى المهدي فيهم:

عند الملوك مضرة ومنافع ... وأرى البرامك لا تضر وتنفع

إن كان سر كان غيرهم له ... أو كان خير فهو فيهم أجمع

إن العروق إذا استسر بها الثرى ... أشر النبات بها وطاب المزرع

فإذا جهلت من امرىء أعراقه ... وقديمه فانظر إلى مايصنع

قال فقال: كأنا والله لم نسمع هذا الشعر قط، قد كنا وصلناه بثلاثين ألف درهم، وإذا نجدد له الساعة صلة له ولك معه لحفظك الأبيات، فوصلنا بثلاثين ألف درهم.

وأخبرني الصولي قال حدثني الحسن بن يحيى الكاتب أبو الجماز قال: عتب المأمون على إسحاق في شيء، فكتب إليه رقعة وأوصلها إليه من يده، ففتحها المأمون فإذا فيها قوله:

لاشيء أعظم من جرمي سوى أملي ... لحسن عفوك عن ذنبي وعن زللي

فإن يكن ذا وذا في القدر قد عظما فأنت أعظم من جزمي ومن أملي

فضحك ثم قال: يا إسحاق، عذرك أعلى قدراً من جرمك، وما جال بفكري، ولا أخطرته بعد انقضائه على ذكري.

حدثني عمي قال حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال: خرجنا مع الواثق إلى القاطول للصيد، ومعنا جماعة الجلساء والمغنين وفيهم عمرو بن بانة وعلويه ومخارق وعقيد، وقدم إسحاق في ذلك الوقت فأخرجه معه، فتصيد على القاطول ثم عاد فأكل وشرب أقداحاً، ثم أمر بالبكور إلى الصبوح فباكرنا واصطبحنا. فغنى عمرو بن بانة لحن إبراهيم الموصلي:

بلوت أمور الناس طرا فأصبحت مذممة عندي براء من الحمد

وأصبح عندي من وثقت بغيبه بغيض الأيادي كل إحسانه نكد

- ولحنه خفيف رمل بالوسطى - فغناه على ما أخفه من إبراهيم بن المهمي وقد غيره. فقال الواثق لإسحاق: أتعرف هذا اللحن؟ فقال: نعم، هذا لحن أبي ولكنه مما زعم إبراهيم بن المهدي أنه جندره وأصلحه فأفسده ودمر عليه، فقال له: غنه أنت، فغناه فأتى به على حقيقته واستحسنه الواثق جداً، فغم ذلك عمرو بن بانة فقال لإسحاق: أفأنت مثل إبراهيم بن المهلبي حتى تقول هذا فيه، قال: لا والله ما أنا مثله، أما على الحقيقة فأنا عبده وعبد أبيه، وليس هذا مما نحن فيه، وأما الغناء فما دخولك أنت بيننا فيه ما أحسنت قط أن تأخذ فضلاً عن أن تغني، ولا قمت بأداء غناء فضلاً عن أن تميز بين المحسنين، وإلا فغن أي صوت شئت مما أخذته عنه وعن غيره كائناً من كان، فإن لم أوضح لك ولمن حضر أنه لا يسلم لك صوت من نقصان أجزاء وفساد صنعية فدمى به رهن، فأساء عمرو الجواب وأغلظ في القول، فأمضه الواثق وشتمه وأمر بإقامته عن مجلسه فأقيم. فلما كان من الغد دخل إسحاق على الواثق فأنشده:

ومجلسي باكرته بكورا والطير ما فارقت الوكورا

والصبح لم يستنطق العصفورا على غديرلم يكن دعثورا

لم تر عيني مثله غديرا يجري حباب مائه مسجورا

على حصى تخسبه كافورا تسمع للماء به خريرا

ينسج أعلى متنه سطورا نسيم ريح قد ونت فتورا

حتى تخال متنه حصيرا والشرب قد حفوا به حضورا

وأمروا الساقي أن يديرا كأسهم الأصغر والكبيرا

وأعملوا البم معاً والزيرا وجاوبت عيدانهم زميرا
وقربوا المغني النحريرا مقدماً في حذقه مشهورا
فهم يطيرون به سرورا ولا ترى في شربهم تقصيرا
ولا لصفو عيشهم تكديرا ولا لخلق منهم نظيرا
إلأ رجيلاً منهم سكيرا معربداً موضحاً شريرا
مدعياً للعلم مستعيرا يروم سعياً كاذباً مغرورا
وأن يكون عالماً بصيرا مفضلاً بعلمه مذكورا
غمزته ولم يكن صبورا فعاذ مئي هارباً مذعورا
بمعسر تحسبهم حميرا أشد منهم حمقاً كثيرا
لا ينطقون الدهر إلا زورا حتى إذا كسرته تكسيرا
كالليث لما ضغم الخنزيرا ولي انهزاماً خاسئاً مدحورا
معترفاً بذله مقهورا وكنت قدماً ضيغماً هصورا
معتلياً لقزنه عقورا وما أخاف الزمن العثورا
إذ كنت بالواثق مستجيرا قد عز من كان له نصيرا
إمام عدل دبر الأمورا برأيه ولم يرد مشيرا
ترى من الحق عليه نورا تقبل المهدي والمنصورا
وجده الأدنى تقى وخيرا ورثه المعتصم التدبيرا
فأصبح الملك به منيرا وأصبح العدل به منشورا
قد أمن الناس به المحظورا إذا علا المنبر والسريرا
رأيت بدراً طالعاً منيرا بحراً ترى الغني والفقيرا
يرجون منه نائلاً غزيرا والله لا زلت له شكورا
لا جاحد النعمى ولا كفورا وكنت بالشكر له جديرا

حدثني الصولي قال حدثني ميمون بن هارون قال: سمعت إسحاق يقول: أنشدني الأصمعي قول الأعشى:

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فإنا معشر نزل

ثم قلت له: أي شيء تحفظ في هذا المعنى.- وكان مع بخله بالعلم لا يبخل بمثل هذا- فأنشدني لربيعة بن مقروم الضبي:

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها بسليم أوظفة القوائم هيكل

فدعوا نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه إذا لم أنزل

حدثني عمي قال حدثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد بن مروان قال حدثني عبدالله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال: اجتمعنا يوماً إما قال في منزلي أو في منزل محمد بن الحارث بن بسخنر، ودخلنا ودخل إلينا إسحاق الموصلي وعندنا ملاحظ تغنينا وقد قامت الصلاة، فدخل إسحاق وهي غائبة فقال: فيم كنتم ومن عندكم؟ فأخبرناه بخبرها، فقال: لا تعرفوها من أنا فيخرجها التصنع لي والتحفظ مني عن طبعها، ولكن دعوها وهواها حتى ننتفع بها، وخرجت وهي لا تعرفه وجلست كما كانت أولا، وابتدأت وغنت - والصنعة لفليح بن أبي العوراء، ولحنه رمل. هكذا أخبرنا إسحاق أن الغناء لفليح-:

إني تعلقت ظبياً شادناً خرقاً علقته شقوة مني وماعلقا

قال: فطرب إسحاق وشرب حتى والى بين خمسة أقداح من نبيذ شديد كان بين يديه وهو يستعيدها، فأخذ إسحاق دواة وكتب:

سأشرب ما دامت تغني ملاحظ وإن كان لي في الشيب عن ذاك واعظ

ملاحظ غنينا بعيشك وليكن عليك لما استحفظته منك حافظ

فأقسم ما غنى غناءك محسن مجيد ولم يلفظ كلفظك لافظ

وفي بعض هذا القول مني مساءة وغيظ شديد للمغنين غائظ

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال حدثني إسحاق قال: قال لي الرشيد يوماً: بأي شيء يتحدث الناس. قلت: يتحدثون بأنك تقبض على البرامكة وتولي الفضل بن الربيع الوزارة، فغضب وصاح بي: وما أنت وذاك ويلك، فأمسكت. فلما كان بعد أيام دعا بنا فكان أول شيء غنيته:

إذا نحن صدقناك فضر عندك الصدق

طلبنا النفع بالباط ل إذ لم ينفع الحق

فلو قدم صبا في هواه الصبر والرفق

لقدمت على الناس ولكن الهوى رزق

في هذه الأبيات خفيف رمل بالوسطى ينسب إلى إسحاق وإلى ابن جامع، والصحيح أنه لإسحاق. وقيل: إن الشعر لأبي العتاهية. قال: فضحك الرشيد وقال لي: يا إسحاق، قد صرت حقوداً.

أخبرني الحسم قال حدثنا يزيد بن محمد قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت على المعتصم يوماً بسر من رأى، فإذا الواثق بين يديه وعنده علويه ومخارق، فغناه مخارق صوتاً فلم ينشط له، ثم غناه علويه فأطربه. فلما رأيت طربه لغناء علويه دون غناء مخارق اندفعت فغنيته لحني:

تجنبت ليلى أن يلج بك الهوى وهيهات كان الحب قبل التجنب

فأمر لي بألف دينار ولعلويه بخمسمائة دينار، و لم يأمر لمخارق بشيء.

تجنبت ليلى أن يلج بك الهوى وهيهات كان الحب قبل التجنب

ألا إنما غادرت يا أم مالك صدى أينما تذهب به الريح يذهب

الشعر للمجنون. والغناء لإسحاق ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وغنى ابن جامع في هذين البيتين وبيتين آخرين أضافهما إليهما ليسا من هذا الشعر، هزجاً بالبنصر. والبيتان المضافان:

برى اللحم عن أحناء عظمى ومنكبي هوى لسليمى في الفؤاد المعذب

وإني سعيد أن رأت لك مرة من الدهرعيني منزلاً في بني أبي

أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال: غنى علويه بين يدي الواثق يوماً:

خليل لي سأهجره لذنب لست أذكره

ولكني سأرعاه وأكتمه وأستره

وأظهرأنني راض وأسكت لا أخبره

لكي لايعلم الواشي بما عندي فأكسره

- الشعر والغناء لإسحاق هزج بالوسطى- قال: فطرب الواثق طرباً شديداً، واستحسن اللحن، وأمر لعلويه بألف دينارثم قال: أهذا اللحن لك؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، هو هذا لهذا الهزبر يعني إسحاق- قال: وكان إسحاق حاضراً- فضحك الواثق وقال: قد ظلمناه إذاً، وأمر لإسحاق بثلاثين ألف درهم.

أخبرنا علي بن عبد العزيز الكاتب عن عبيد الله بن عبدالله بن خرداذبه عن أبيه قال: كان إسحاق عند الفتح بن الحجاج الكرخي وعلويه حاضر فغناه علويه:

علقتك ناشئاً حتى رأيت الرأس مبيضاً

على يسر وإعسار وفيض نوالكم فيضاً

ألا أحبب بأرض كن ت تحتلينها أرضا

وأهلك حبذا ماهم وإن أبدوا لي البغضا

الشعر لابن أذينة. والغناء لابن سريج قيل أول بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق. وفيه لإسحاق هزج خفيف، مطلق في مجرى البنصر، عن إسحاق أيضاً. وفيه للأبجر قيل أول، ولإبراهيم الموصلي رمل، جميع ذلك عن الهشامي.

قال فغناه إياه في الثقيل، ثم غناه هزجاً، فقال له الفتح، لمن الثقيل. فقال: لابن سريج، قال: فلمن الهزج. قال: لهذا الهزبر يعني إسحاق فقال له الفتح: ويلك يا إسحاق! أتعارض ثقيل ابن سريج بهزجك؟! قال: فقبض إسحاق على لحيته ثم قال: على ذلك فوالله ما فاتني إلا بتحريكه الذقن.

أخبرني الحسن قال حدثني يزيد بن محمد قال حدثني إسحاق قال: دخلت يوماً على المعتصم وعنده إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، واستدناني فدنوت منه، واستدناني فتوقفت خوفاً من أن أكون موازياً في المجلس لإسحاق بن إبراهيم، ففطن المعتصم فقال: إن إسحاق لكريم، وإنك لم تستنزل ما عند الكريم بمثل إكرامه. ثم تحدثنا وأفضت بنا المذاكرة إلى قول أبي خراش الهذلي:

حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا خراش وبعض الشر أهون من بعض

فأنشدها المعتصم إلى آخرها، وأنشد فيها:

ولم أدر من ألقى عليه رداءه سوى أنه قد حط عن ماجد محض

والرواية "قد بز عن ماجد محض"، فغلطت وأسأت الأدب، فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه رواية الكتاب وما اخذ عن المعلم، والصحيح بز عن ماجد محض، فقال لي: نعم صدقت، وغمزني بعينه، يحذرني من إسحاق وفطنت لخلطي فأمسكت، وعلمت أنه قد أشفق علي من بادرة تبدر من إسحاق لأنه كان لا يحتمل مثل هذا في الخلفاء من أحد حتى يعظم عقوبته ويطيل حبسه، كائناً من كان، فنبهني- رحمه الله- على ذلك حتى أمسكت وتنبهت.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال قال عبيد الله بن معاوية قال عمرو بن بانة: كنا عند المأمون، فقال: ما أقل الهزج في الغناء القديم!، وقال إسحاق: ما كثره! ثم غناه نحو ثلاثين صوتاً في الهزج القديم. فقلت لأصحابي: هذا الذي تزعمون أنه قليل الرواية أخبرنا يحيى قال حدثنا أبي عن إسحاق قال: قال لي العباس بن جرير: قاتلك الله! مذكر فطنة، ومؤنث طبيعة، ما أمكرك!.

حدثنا يحيى بن علي قال حدثني أبي عن إسحاق قال، وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد عن إسحاق قال: فقال لي أفليت والله يا أبا محمد فقلت له: وما أفليت؟ رعيت فلاة لم يرعها أحد غيرك.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أخي أحمد بن علي عن عافية بن شبيب قال: قلت لزرزور بن سعيد: حدثني عن إسحاق كيف كان يصنع إذا حضر معكم عند الخليفة وهو منقطع ذاهب وحلوقكم ليس مثلها في الدنيا. فقال: كان والله لا يزال بحذقه ورفقه وتأنيه ولطفه حتى نصير معه أقل من التراب.

أخبرنا يحيى قال حدثني أبي قال حدثنا إسحاق قال: دخلت على الفضل بن الربيع فقال لي: يا إسحاق، كثر والله شيبك!، فقلت: أنا وذاك أصلحك الله كما قال أخو ثقيف:

الشيب إن يظهر فإن وراءه عمراً يكون خلاله متنفس

لم ينتقص مني المشيب قلامة ولنحن حين بدا ألب وأكيس

قال: هات يا غلام دواة وقرطاساً، اكتبهما لي لأتسلى بهما.

أخبرنا يحيى قال حدثني أبي قال حدثني إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، وأخبرني الحسن بن علي عن يزيد بن محمد بن عبد الملك عن إسحاق قال: قال الفضل بن يحيى لأبي: مالي لا أرى إسحاق، عرفني ما خبره؟ فقال: خير. ورأى في كلامه شيئاً يشكك، فقال: أعليل هو؟ فقال: لا، ولكنه جاءك مرات فحجبه نافذ الخادم ولحقته جفوة، فقال له: فإن حجبه بعدها فلينكه. فجاءني أبي فقال لي: القه، فقد سأل عنك، وخبرني بما جرى. وجئت فجبت أيضاً، وخرج الفضل ليركب، فوثبت إليه برقعة وقد كتبت فيها:

جعلت فداءك من كل سوء إلى حسن رأيك أشكو أناسا

يحولون بيني وبين السلام فما إن أسلم إلا اختلاسا

وأنفذت أمرك في نافذ فما زاده ذاك إلا شماسا

فلما قرأها ضحك حتى غلب، ثم قال: أو قد فعلتها يا فاسق؟! فقلت: لا وا الله يا سيدي، وإنما مزحت، فخجل نافذ خجلاً شديداً، و لم يعد بعد ذلك لمساءتي.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني عن محمد بن عبدالله بن مالك قال حدثني إسحاق قال: ذكر المعتصم يوماً بعض أصحابه وقد غاب عنه، فقال: تعالوا حتى نقول ما يصنع في هذا الوقت، فقال قوم: يلعب بالنرد، وقال قوم: يغني. فبلغتني النوبة، فقال: قل يا إسحاق، قلت: إذا أقول وأصيب. قال: أتعلم الغيب؟ قلت: لا، ولكني أفهم ما يصنع وأقدر على معرفته، قال: فإن لم تصب. قلت: فإن أصبت؟ قال: لك حكمك، وإن لم تصب. قلت: لك دمي، قال: وجب، قلت: وجب قال: فقل، قلت: يتنفس، قال: فإن كان ميتاً؟ قلت: تحفظ الساعة التي تكلمت فيها، فإن كان مات فيها أو قبلها فقد قمرتني، فقال: قد أنصفت، قلت: فالحكم، قال: احتكم ما شئت قلت: ما حكمي إلا رضاك يا أمير المؤمنين، قال: فإن رضاي لك، وقد أمرت لك بمائة ألف الدرهم، أترى مزيداً؟ فقلت: ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين، قال: فإنها مائتا ألف درهم، أترى مزيداً؟ قلت: ما أحوجني إلى ذلك يا أمير المؤمنين، قال: فإنها ثلثمائة ألف، أترى مزيداً. قلت: ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين قال: يا صفيق الوجه! ما نزيدك على هذا شيئاً أخبرنا يحيى قال حدثني أبو أيوب قال حدثني محمد بن عبدالله بن مالك قال حدثني إسحاق قال:

عمل محمد المخلوع سفينة فأعجب بها، وركب فيها يريد الأنبار. فلما أمعن وأنا مقبل على بعض أبواب السفينة

صاحوا: إسحاق إسحاق، فوثبت فدنوت منه فقال لي: كيف ترى سفينتي؟ فقلت: حسنة يا أمير المؤمنين، عمرها الله ببقائك. فقام يريد الخلاء وقال لي: قل فيها أبياتاً، فقلت: وخرج فقمت بالأبيات، فاشتهاها جداً وقال لي: أحسنت يا إسحاق، وحياتك لأهبن لك عشرة آلاف دينار قلت: متى يا أمير المؤمنين. إذا وسع الله عليك! فضحك ودعا بها على المكان. و لم يذكر يحيى في خبره الأبيات.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: غنيت الواثق في شعر قلته وأنا عنده بسر من رأى وقد طال مقامي واشتقت إلى أهلي، وهو:

ياحبذا ريح الجنوب إذا بدت في الصبح و هي ضعيفة الأنفاس

قد حملت برد الندى وتحملت عبقاً من الجثجاث و البسباس

فشرب عليه واستحسنه وقال لي: يا أبا محمد، لو قلت مكان ياحبذا ريح الجنوب": يا حبذا ريح الشمال"، ألم يكن أرق وأعذى وأصح للأجساد وأقل وخامة وأطيب للأنفس. فقلت: ما ذهب علي ما قاله، أمير المؤمنين، ولكن التفسير فيما بعده فقال: قل فقلت:

ماذا تهيج من الصبابة و الهوى للصب بعد ذهوله و الياس

فقال الواثق: إنما استطبت ما تجيء به الجنوب من نسيم أهل بغداد لا الجنوب، وإليهم اشتقت لا إليها، فقلت: أجل يا أمير المؤمنين وقمت فقبلت يده، فضحك وقال: قد أذنت لك بعد ثلاثة أيام، فامض راشداً، وأمر لي بمائة ألف درهم. لحن إسحاق هذا من الثقيل الأول.

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي عن إسحاق قال: لم أر قط مثل جعفر بن يحيى، كانت له فتوة وظرف وأدب وحسن غناء وضرب بالطبل، وكان يأخذ بأجزل حظ من كل فن من الأدب والفتوة. فحضرت باب أمير المؤمنين الرشيد، فقيل لي: إنه نائم، فانصرفت فلقيني جعفر بن يحيى فقال لي: ما الخبر؟ فقلت: أمير المؤمنين نائم؟ فقال: قف مكانك؟ ومضى إلى دار أمير المؤمنين فخرج إليه الحاجب فأعلمه أنه نائم. فخرج إلي وقال لي: قد نام أمير المؤمنين، فسر بنا إلى المنزل حتى نخلو جميعاً بقية يومنا وتغنيني وأغنيك ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا قلت نعم، فصرنا إلى منزله فطرحنا ثيابنا، ودعا بالطعام فطعمنا، وأمر بإخراج الجواري وقال: لتبرزن، فليس عندنا من تحتشمن منه. فلما وضع الشراب دعا بقميص حرير فلبسه ودعا بخلوق فتخلق به، ثم دعا لي بمثل ذلك، وجعل يغنيني وأغنيه، ثم دعا بالحاجب فتقدم إليه وأمره بألا يأذن لأحد من الناس كلهم، وإن جاء رسول أمير المؤمنين أعلمه أنه مشغول، واحتاط في ذلك وتقدم فيه إلى جميع الحجاب والخدم ثم قال: إن جاء عبد الملك فاذنوا له - يعني رجلاً كان يأنس به ويمازحه ويحضر خلواته- ثم أخذنا في! شأننا فوالله إنا لعلى حالة سارة عجيبة إذ رفع الستر، وإذا عبد الملك بن صالح الهاشمي قد أقبل، وغلط الحاجب و لم يفرق بينه وبين الذي يأنس به جعفر بن يحيى. وكان عبد الملك بن صالح الهاشمي من جلالة القدر والتقشف وفي الامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمر جليل، وكان أمير المؤمنين قد اجتهد به أن يشرب معه أوعنده قدحاً فلم يفعل ذلك رفعاً

لنفسه. فلما رأيناه مقبلاً، أقبل كل واحد منا ينظر إلى صاحبه، وكاد جعفر أن ينشق غيظاً. وفهم الرجل حالنا، فأقبل نحونا، حتى إذا صار إلى الزواق الذي نحن فيه نزع قلنسيته فرمى بها مع طيلسانه جانباً ثم قال: أطعمونا شيئاً فدعا له جعفر بالطعام وهو منتفخ غضباً وغيظاً فطعم، ثم دعا برطل فشربه، ثم أقبل إلى المجلس الذي نحن فيه فأخذ بعضادتي الباب ثم قال: اشركونا فيما أنتم فيه، فقال له جعفر: ادخل ثم دعا بقميص حرير وخلوق فلبس وتخلق، ثم دعا برطل ورطل حتى شرب عدة أرطال، ثم اندفع ليغنينا، فكان والله أحسننا جميعاً غناء. فلما طابت نفس جعفر وسري عنه ما كان به التفت إليه فقال له: ارفع حوائجك

فقال: ليس هذا موضع حوائج، فقال: لتفعلن، و لم يزل يلح عليه حتى قال له: أمير المؤمنين علي واجد، فأحب أن تترضاه، قال: فإن أمير المؤمنين قد رضي عنك، فهات حوائجك، فقال: هذه كانت حاجتي، قال: ارفع حوائجك كما أقول! لك، قال: علي دين فادح، قال: هذه أربعة آلاف ألف درهم، فإن أحببت أن تقبضها فاقبضها من مترلي الساعة، فإنه لم يمنعني من إعطائك إياها إلا أن قدرك يجل على أن يصلك مثلي، ولكني ضامن لها حتى تحمل من مال أمير المؤمنين غداً فسل أيضاً، قال: ابني، تكلم أمير المؤمنين حتى ينوه باسمه، قال: قد ولاه أإمير المؤمنين مصر وزوج ابنته الغالية ومهرها ألفي ألف درهم. قال إسحاق: فقلت في نفسي: قد سكر الرجل أعني جعفراً. فلما أصبحت لم تكن لي همة إلا حضور دار الرشيد وإذا جعفربن يحيى قد بكر، ووجدت في الدار جلبة، وإذا أبو يوسف القاضي ونظراؤه قد دعي بهم، ثم دعي بعبد الملك بن صالح وابنه فأدخلا على الرشيد فقال الرشيد لعبد الملك: إن أمير المؤمنين كان واجداً عليك وقد رضي عنك، وأمر لك بأربعة آلاف ألف درهم، فاقبضها من جعفربن يحيى الساعة. ثم دعا بإبنه فقال: اشهدوا أني قد زوجته العالية بنت أمير المؤمنين وأمهرتها عنه ألفي ألف درهم من مالي ووليته مصر. قال: فلما خرج جعفر بن يحيى سألته عن الخبر، فقال: بكرت على أمير المؤمنين فحكيت له ما كان منا وما كنا فيه حرفاً حرفاً، ووصفت له دخول عبد الملك وما صنع، فعجب لذلك وسر به، ثم قلت له: قد ضمنت له عنك يا أمير المؤمنين ضماناً فقال: ما هو. فأعلمته، قال: أوف له بضمانك، وأمر بإحضاره فكان ما رأيت.

أخبرني عمي قال حدثني فضل اليزيدي عن إسحاق قال: لما صنعت لحني في:

هل إلى نظرة إليك سبيل

ألقيته على علويه، وجاءني رسول أبي بطبق فاكهة باكورة، فبعثت إليه: برك الله يا أبة ووصلك الساعة أبعث إليك بأحسن من هذه الباكورة، فقال: إني أظنه قد أتى بآبدة فلم يلبث أن دخل عليه علويه فغناه الصوت، فعجب منه وأعجب به، وقال: قد أخبرتكم أنه قد أتى بآبدة. ثم قال لولده: أنتم تلومونني على تفضيل إسحاق ومحبتي له، والله لو كان ابن غيري لأحببته لفضله فكيف وهو ابني، وستعلمون أنكم لا تعيشون إلا به. وقد ذكر أبو حاتم الباهلي عن أخية أبي معاوية بن سعيد بن سلم أن هذه القصة كانت لما صنع إسحاق لحنه في:

غيضن من عبراتهن وقلن لي

وقد ذكرت ذلك مع أخبار هذا الصوت في موضعه.

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى قال: سألت إسحاق عن إبراهيم بن المهدي، فقال: دعني منه، فليست له رواية ولادراية و لا حكاية.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني فضل اليزيدي عن إسحاق قال: كالنت هشيمة الخمارة جارتي، وكانت تخصني بأطيب الشراب وجيده فماتت فقلت أرثيها:

أضحت هشيمة في القبورمقيمة وخلت منازلها من الفتيان

كانت إذاهجرالمحب حبيبه دبت له في السر والإعلان

حتى يلين لما تريد قياده ويصيرسيئه إلى الإحسان

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: سألني إدريس بن أبي حفصة حاجة، فقضيتها له وزدت فيما سأل. فقال لي:

إذا الرجال جهلوا المكارما كان بها ابن الموصلي عالما

أبقاك ذو العرش بقاء دائما فقد جعلت للكرام خاتما

إسحاق لو كنت لقيت حاتما كان نداه لنداك خادما

قال حماد: وقال لي أبي: كان إدريس سخيا من بين آل أبي حفصة، فنزل به ضيف، فتنمرت امرأته عليه، فقال لها:

من شر أيامك اللاتي خلقت لها إذا فقدت ندى صوتي وزواري

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال: كان علي بن هشام قد دعاني ودعا عبدالله بن محمد بن أبي عيينة، فتأخرت عنه حتى اصطبحنا شديداً، وتشاغلت عنه برجل من الأعراب كان يجيئني فأكتب عنه وكان فصيحاً وكان عند علي بن هشام بعض من يعاديني، فسألوا ابن أبي عيينة أن يعاتبني بشعر ينسبني فيه إلى الخلف فكتب إلي:

ياامليا بالوعد والخلف والمط ل بطيئاً عن دعوة الأصحاب

لهجاً بالأعراب إن لدينا بعض ماتشتهي من الأعراب

قد عرفنا الذي شغلت به نا وإن كان غير ما في الكتاب

قال: فكتبت إلى الذي حمل ابن أبي عيينة على هذه الأبيات- قال حماد: وأظنه إبراهيم بن المهدي-:

قد فهمت الكتاب أصلحك الله وعندي عليه رد الجواب

ولعمري ماتنصفون ولاكا ن الذي جاء منكم في حسابي

لست آتيك فاعلمن ولالي فيك حظ من بعد هذا الكتاب

قال حماد: قال أبي: وكتبت إلى علي بن هشام وقدأعتللت أياماً فلم يأتني رسوله:

أناعليل منذ فارقتني وأنت عمن غاب لاتسأل

ماهكذا كنت ولاهكذا فيما مضى كنت بناتفعل

فلما وصلت إليه رقعتي ركب إلي وجاءني عائداً.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد قال: لما خرج إبي إلى البصرة خرجته الأولى وعاد، أنشدني في ذلك لنفسه:

ما كنت أعرف ما في البين من حزن حتى تنادوا بأن قد جيء بالسفن

قامت تودعني والعين تغلبها فجمجمت بعض ما قالت ولم تبن

مالت علي تفديني وترشفني كما يميل نسيم الريح بالغصن

وأعرضت ثم قالت وهي باكية يا ليت معرفتي إياك لم تكن

لما افترقنا على كره لفرقتها أيقنت أني رهين الهم والحزن

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: أنشدني شداد بن عقبة لجميل:

قفي تسل عنك النفس بالخطة التي تطيلين تخويفي بها ووعيدي

فقد طالما من غيرشكوى قبيحة رضينا بحكم منك غيرسديد

قال: فأنشدت الزبير بن بكار هذين البيتين، فقال: لو لم أنصرف من العراق إلا بهما لرأيتهما غنماً. وأنشدني شداد لجميل أيضاً:

بثين سليني بعض مالي فإنما يبين عند المال كل بخيل

فإني وتكراري الزيارة نحوكم لبين يدي هجر بثين طويل

قال أبي: فقلت لشداد: فهلا أزيدك فيهما. فقال: بلى، فقلت:

فيا ليت شعري هل تقولين بعدنا إذا نحن أزمعنا غداً لرحيل

ألا ليت أياماً مضين رواجع وليت النوى قد ساعدت بجميل

فقال شداد: أحسنت والله! وإن هذا الشعر لضائع، فقلت: وكيف ذلك. قال: نفيته عن نفسك بتسميتك، جميلاً فيه، ولم يلحق بجميل، فضاع بينكما جميعاً.

حدثني جحظة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال حدثني إسحاق الموصلي قال: دعاني إسحاق بن إبراهيم المصعبي، وكان عبدالله بن طاهر عنده يومئذ، فوجه إلي فحضرت وحضر علويه ومخارق وغيرهما من المغنين فبيناهم على شرابهم وهم أسر ما كانوا، إذ وافاه رسول أمير المؤمنين فقال: أجب، فقال: السمع والطاعة، ودعا بثيابه فلبسها. ثم التفت إلى محمد بن راشد الخناق فقال له: قد بلغني أنك أحفظ الناس لما يدور في المجالس، فاحفظ لي كل صوت يمر وما يشربه كل إنسان، حتى إذا عدت أعدت علي الأصوات وشربت ما فاتني، فقال: نعم، أصلح الله الأمير. ومضى إلى المأمون، فأمره بالشخوص إلى بابك من غد، وتقدم إليه فيما يحتاج إليه ورجع من عنده. فلما دخل ووضع ثيابه قال: يا محمد، ما صنعت فيما تقدمت به إليك. قال: قد أحكمته أعزك الله، ثم أخبره بما شرب القوم وما-استحسنوه من الغناء بعده، فأمر أن يجمع له أكثر ما شربه واحد منهم في قدح، وأن يعاد عليه صوت صوت مما حفظه له حتى يستوفي ما فاته القوم به، ففعل ذلك وشرب حتى استوفى النبيذ والأصوات. ثم قال لي: يا أبا محمد، إني قد عملت في منصرفي من عند أمير المؤمنين أبياتاً فاسمعها فقلت: هاتها أعز الله الأمير، فأنشدني:

ألا من لقلب مسلم للنوائب ... أحاطت به الأحزان من كل جانب
تبين يوم البين أن اعتزامه ... على الصبر من بعض الظنون الكواذب
حرام على رامي فؤادي بسهمه ... دم صبه بين الحشى والترائب
أراق دماً لولا الهوى ما أراقه ... فهل بدمي من ثائر أو مطالب

قال: فقلت له: ما سمعت أحسن من هذا الشعر قط، فقال لي: فاصنع فيه، فصنعت فيه لحناً، وأحضرني وصيفة له، فألقيته عليها حتى أخذته، وقال: إنما أردت أن أتسلى به في طريقي وتذكرني به الجارية أمرك إذا غنته. فكان كلما ذكر أتاني بره، إلى أن قدم، عدة دفعات. لم أجد لإسحاق صنعة في هذا الشعر، والذي وجدت فيه لعبدالله بن طاهر خفيف رمل، ذكره ابنه عبيد الله عنه. ولمخارق لحن من الرمل. ولعمرو بن بانة هزج بالوسطى. ولمخارق والطاهرية خفيف ثقيل.

حدثني جحظة قال حدثني أبو عبدالله محمد بن حمدون قال: سأل المتوكل عن إسحاق الموصلي، فعرف أنه قد كف وأنه في منزله ببغداد فكتب في إحضاره. فلما دخل عليه رفعه حتى أجلسه قدام السرير، وأعطاه مخدة، وقال له: بلغني أن المعتصم دفع إليك مخدة في أول يوم جلست بين يديه وهو خليفة، وقال: إنه لا يستجلب ما عند حر بمثل الكرامة، ثم سأله: هل أكل. فقال نعم، فأمر أن يسقى، فلما شرب أقداحاً قال: هاتوا لأبي محمد عوداً فجيء به، فاندفع يغني بصوت الشعر فيه والغناء له:

ماعلة الشيخ عيناه بأربعة ... تغرورقان بدمع ثم تنسكب

- قال أبو عبدالله: فوالله ما بقي غلام من الغلمان الوقوف على الحير إلا وجدته يرقص طرباً وهو لا يعلم بما يفعل- فأمر له بمائة ألف درهم. ثم قال لي المتوكل: يابن حمدون، أتحسن أن تغنيني هذا الصوت؟ فقلت نعم، قال: غنه، فترنمت به، فقال إسحاق: من هذا الذي يحكيني. فقال: هذا ابن صديقك حمدون، فقال: وددت أنه لمحسن أن يحكيني، فقلت له: أنت عرضتني له يا أمير المؤمنين. ثم انحدر المتوكل إلى رقة بوصرا، وكان يستطيبها لكثرة تغريد الأطيار بها، فغنى إسحاق:

أأن هتفت ورقاء في رونق الضحى على غصن غض الشباب من الرند
بكيت كما يبكي الحزين صبابة وشوقاً وتابعت الأنين إلى نجد

فضحك المتوكل وقال له: يا إسحاق، هذه أخت فعلتك بالواثق لما غنيته بالصالحية:

طربت إلى الأصيبية الصغار وذكرني الهوى قرب المزار

فكم أعطاك لما أذن لك في الانصراف؟ قال: مائة ألف درهم فأمر له بمائة ألف درهم، وأذن له، بالانصراف إلى بغداد. وكان هذا آخر عهدنا به، لأن إسحاق توفي بعد ذلك بشهرين.

حدثني جحظة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت على الواثق أستأذنه في الانحدار إلى بغداد فوجدته مصطبحاً، فقال: بحياتي غن:

ألا إن أهل الدار قد ودعوا الدارا وإن كان أهل الدار في الحي أجوارا
وقد تركوا قلبي حزيناً متيماً بذكرهم، لو يستطيع لقد طارا

فتطيرت من اقتراحه له وغنيته إياه، فشرب عليه مراراً، وأمر لي بثلاثين ألف درهم وأذن لي فانصرفت، ثم كان آخر عهدي به. الشعر لمطيع بن إياس. والغناء لإبراهيم الموصلي قيل أول بالوسطى عن عمرو.

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدثنا عبدالله بن الفرج قال حدثنا أحمد بن معاوية قال: كنت في بيتي وعلويه يغنيني:

أعرضن من شمط في الرأس لاح به فهن عنه إذا أبصرنه حيد
قد كن يعهدن مني منظراً حسناً وجمة حسرت عنها العناقيد

فوردت علي رقعة من إسحاق الموصلي يستسقيني نبيذاً فبعثت إليه بدن مع غلام لي، فلما توسط الغلام به الجسر زحم فكسر، فرجع الغلام إلى إسحاق فأخبره الخبر وسأله مسئلتي التجافي عنه، فكتب إلي:

يا أحمد بن معاويه إني رميت بداهيه
أشكو إليك فأشكني كسر الغلام الخابيه
ياليتها سلمت وكا ن فداءها ابن الزانيه

فبعثت إليه بأربعة أدنان، وأعتقت الغلام بشفاعته في أمره.

أخبرني جعفر بن قدامة ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق الموصلي قال قال لي حمدون بن إسماعيل رحمه الله: لما صنع أبوك رحمه الله هذا الصوت:

قف بالديار التي عفا القدم ... وغيرتها الأرواح والديم

لما وقفنا بها نسائلها ... فاضت من القوم أعين سجم

ذكر العيش مضى إذا ذكرت ... مافات منه فذكره سقم

وكل عيش دامت غضارته ... منقطع مرة ومنصرم

- ولحنه قيل أول- اعجب به المعتصم والواثق جميعا، فقال له المعتصم: بحياتي اردده على مخارق وعلويه والجماعة ليأخذوه عنك، وانصحهم فيه، فإنهم إن أحسنوا فيه نسب إليك إحسانهم، وإن أساءوا بان فضلك عليهم، فرده عليهم أكثر من مائتي مرة، وكانوا يقصدون إلى منزله ويرده عليهم، ومات وما أخذوا منه علم الله إلا رسمه.

الشعر والغناء لإسحاق، ولحنه ثقيل أول.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال: خرجنا مع الرشيد يريد الرقة، فلما صرنا بالموضع الذي يقال له القائم نزلنا، وخرج يتصيد وخرجنا معه، فأبعد في طلب الصيد، ولاح لي دير فقصدته وقد تعبت، فأشرفت على صاحبه، فقال: هل لك في النزول بنا اليوم؟ فقلت: إي والله، وإني إلى ذلك لمحتاج، فنزل ففتح لي الباب وجلس يحدثني، وكان شيخاً كبيراً وقد أدرك دولة بني أمية، فجعل يحدثني عمن نزل به من القوم ومواليهم وجيوشهم وعرض علي الطعام فأجبته، فقدم إلي طعاماً من طعام الديارات نظيفاً طيباً، فأكلت منه، وأتاني بشراب وريان طري فشربت منه، ووكل بي جارية تخدمني راهبة لم أر أحسن وجهاً منها ولا أشكل، فشربت حتى سكرت، ونمت وانتبهت عشاء، فقلت في ذلك:

بدير القائم الأقصى ... غزال شادن أحوى

برى حبي له جسمي ... ولايعلم ما ألقى

وأكتم حبه جهدي ... ولا والله مايخفى

وركبت فلحقت بالمعسكر والرشيد قد جلس للشرب وطلبني فلم أوجد. وأخبرت بذلك، فغنيت في الأبيات ودخلت إليه، فقال لي: أين كنت؟ ويحك، فأخبرته بالخبر وغنيته الصوت، فطرب وشرب عليه حتى سكر، وأخر الرحيل في غد، ومضينا إلى الدير ونزله، فرأى الشيخ واستنطقه، ورأى الجارية التي كانت تخدمني بالأمس فدعا بطعام خفيف فأصاب منه، ودعا بالشراب، وأمر الجارية التي كانت بالأمس تخدمني أن تتولى خدمته وسقيه ففعلت، وشرب حتى طابت نفسه، ثم أمر للدير بألف دينار، وأمر باحتمال خراجه له سبع سنين، فرحلنا.

قال حماد: فحدثني أبي قال: فلما صرنا بتل عزاز من دابق خرجت أنا وأصحاب لي نتنزه في قرية من قراها، فأقمنا بها أياماً، وطلبني الرشيد فلم يجدني. فلما رجعت أتيت الفضل بن الربيع فقال لي: أين كنت، طلبك أمير المؤمنين، فأخبرته بنزهتنا فغضب. وخفت من الرشيد أكثر مما لقيت من الفضل فقلت:

إن قلبي بالتل تل عزاز ... عند ظبي من الظباء الجوازي

شادن يسكن الشآم وفيه ... مع ظرف العراق شكل الحجاز

يالقومي لبنت قس أصابت ... منك صفو الهوى وليست تجازي

حلفت بالمسيح أن تنجز الوع ... د وليست تهم بالإنجاز

وغنيت فيه، ثم دخلت على الرشيد وهو مغضب، فقال: أين كنت؟ طلبتك فلم أجدك، فاعتذرت إليه وأنشدته هذا الشعر وغنيته إياه، فتبسم وقال: عذر وأبيك وأي عذر وما زال يشرب عليه ويستعيدنيه ليلته جمعاء حتى انصرفنا مع طلوع الفجر. فلما وصلت إلى رحلي إذا برسول أمير المؤمنين قد أتانا يدعونا، فوافيت فدخلت، وإذا ابن جامع يتمرغ على دكان في الدار وهو سكران يتململ، فقال لي: يابن الموصلي، أتدري ما جاء بنا؟ فقلت: لا والله ما أدري، فقال: لكني والله أدري دراية صحيحة، جاءت بنا نضرانيتك الزانية، عليك وعليها لعنة الله. وخرج الآذن فأذن لنا، فدخلنا. فلما رأيت الرشيد تبسمت، فقال لي: ما يضحكك؟ فأخبرته بقول ابن جامع، فقال: صدق، ما هو إلا أن فقدتكم فاشتقت إلى ما كنا فيه، فعودوا بنا، فعدنا فيه حتى انقضى مجلسنا وانصرفنا.

لحن إسحاق:

بدير القائم الأقصى

خفيف ثقيل بالوسطى. وفيه للقاسم بن زرزور ثقيل أول. ولحنه في:

إن قلبي بالتل تل عزاز

خفيف رمل.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثني حماد عن أبيه قال: دخلت على الرشيد يوماً في عمامة قد كورتها على رأسي، فقال: ما هذه العمامة! كأنك من الأنبار. فلما كان من غد. دعا بنا إليه، فأمهلت حتى دخل المغنون جميعاً قبلي، ثم دخلت عليه في آخرهم، وقد شددت وسطي بمشدة حرير أحمر، ولبست لباساً مشتهراً، وأخذت بيدي صفاقتين وأقبلت أخطر وأضرب بالصفاقتين وأغني:

اسمع لصوت مليح ... من صعة الأنباري

صوت خفيف ظريف ... يطير في الأوتار

فبسط يده إلي حتى كاد يقوم، وجعل يقول: أحسنت وحياتي! أحسنت أحسنت! حتى جلست، ثم شرب عليه

بقية يومه، وماستعاد غيره، وأمر لي بعشرين ألف درهم. لحن إسحاق في هذا الشعر هزج.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد قال حدثني أحمد بن يحيى المكي قال: كنت عند الفضل بن الربيع، فغنى بعض من كان عنده:

كل شيء منك في عيني حسن ونصيبي منك هم وحزن

لاتظني أنه غيرني قدم العهد ولاطول الزمن

فقال لي: أتدري لمن هذا؟ فقلت: لبعض الطنبوريين، فقال: لا ولكنه لذلك الشيطان إسحاق. لحن إسحاق في هذين البيتين رمل بالوسطى من مجموع أغانيه.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال: لما خرجنا مع الرشيد إلى طوس كنت معه أسايره، فاستسقيت ماء من منزل نزلناه يقال له سحنة فخرجت إلينا جارية كأنها ظبية، فسقتني ماء، فقلت هذا الشعر:

غزال يرتعي جنبات واد بسحنة قد تمكن في فؤادي

سقاني شربة كانت شفاء لعلة حائم حران صادي

وغنيته الرشيد، فقال لي: أتحب أن أزوجكها؟ فقلت: نعم والله يا سيدي، قال: فاخطبها والمهر علي وما يصلحها، فخطبتها، فأبى أهلها أن يخرجوها من بلدهم. لحن إسحاق في هذين البيتين ثقيل أول. وفيه لعلويه خفيف رمل.

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال: قال لي أبي: ما اغتممت بشيء قط مثل ما اغتممت بصوت مليح صنعته في هذا الشعر.

كان لي قلب أعيش به فاكتوى بالنار فاحترقا

أنا لم أرزق محبتها إنما للعبد مارزقا

من يكن ماذاق طعم ردى ذاقه لاشك إن عشقا

فإني صنعت فيه لحناً، وجعلت أردده في جناح لي سحراً، فأظن أن إنساناً من العامة مر بي فسمعه فأخذه، فبكرت من غد إلى المعتصم لأغنيه، فإذا أنا بسواط يسوط الناطف وهو يغني اللحن بعينه إلا أنه غناء فاسد. فعجبت وقلت: ترى من أين لهذا السواط هذا الصوت ولعلي إذ غنيته أن يكون قد مر بي هذا فسمعني أغنيه، وبقيت متحيراً، ثم قلت يا فتى، ممن سمعت هذا الصوت. فلم يجبني والتفت إلى شريكه، وقال: هذا يسألني ممن سمعته! هذا غنائي، والله لو سمعه إسحاق الموصلي لخرىء في سراويله. فبادرت والله هارباً خوف أن يمر بي إنسان فيسمع ما جرى علي فأفتضح، وما علم الله أني نطقت بذلك الصوت بعدها.

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال: كتب إبراهيم بن المهدي إلى أبي: أي شيء تصحيف: "لا يريح مثل الأسنة. فكتب إليه أبي: تصحيفه: "لا يرث جميل إلا بثينة فكتب إليه: وي منك.

أخبرنا جعفر قال حدثنا حماد عن أبيه قال: دخلت يوماً على جعفر بن يحيى، فرأى شفتي تتحركان بشيء كنت أعمله، فقال: أتدعو أم تصنع ماذا؟ فقلت: بل أمدح، قال: قل، فقلت:

وكنت إذا إذن عليك جرى لنا ... تجلى لنا وجه أغر وسيم

علانية محمودة وسريرة ... وفعل يسر المعتفين كريم

فاحتبسني وأمر لي بمال جليل وكسوة، وقال: زد البيتين حسناً بأن تصنع فيهما لحناً، فصنعت لحناً من الثقيل الثاني، فلم يزل يشرب عليهما حتى سكر.

أخبرنا محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه أنه حدثه قال: غدوت يوماً وأنا ضجر من ملازمة دار الخلافة والخدمة فيها فخرجت وركبت بكرة، وعزمت على أن أطوف الصحراء وأتفرج فقلت لغلماني: إن جاء رسول الخليفة أو غيره فعرفوه أني بكرت في بعض مهماتي، وأنكم لا تعرفون أين توجهت، ومضيت وطفت ما بدا لي، ثم عدت وقد حمي النهار فوقفت في الشارع المعروف بالمخرم في فناء ثخين الظل وجناح رحب على، الطريق لأستريح. فلم ألبث أن جاء خادم يقود حماراً فارهاً عليه جارية راكبة، تحتها منديل دبيقي وعليها من اللباس الفاخر ما لا غاية بعده، ورأيت لها قواماً حسناً وطرفاً فاتراً وشمائل حسنة، فخرصت عليها أنها مغنية، فدخلت الدار التي كنت واقفاً عليها. ثم لم ألبث أن جاء رجلان شابان جميلان، فاستأذنا فأذن لهما فنزلا ونزلت معهما ودخلت، فظنا أن صاحب الدار دعاني وظن صاحب الدار أني معهما فجلسنا، وأتي بالطعام فأكلنا وبالشراب فوضع، وخرجت الجارية وفي يدها عود فغنت وشربنا، وقمت قومة، وسأل صاحب المنزل الرجلين عني فأخبراه أنهما لا يعرفاني، فقال: هذا طفيلي، ولكنه ظريف، فأجملوا عشرته. وجئت فجلست، وغنت الجارية في لحن لي:

ذكرتك أن مرت بنا أم شادن ... أمام المطايا تشرئب وتسنح

من المؤلفات الرمل أدماء حرة ... شعاع الضحى في متنها يتوضح

فأدته أداء صالحاً وشربت. ثم غنت أصواتاً شتى، وغنت في أضعافها من صنعتي:

الطلول الدوارس ... فارقتها الأوانس

أوحشت بعد أهلها ... فهي قفر بسابس

فكان أمرها فيه أصلح منه في الأول. ثم غنت أصواتاً من القديم والحديث، وغنت في أثنائها من صنعتي:

قل لمن صد عاتباً ... ونأى عنك جانبا

قد بلغت الذي أرد ... ت وإن كنت لاعبا

فكان أصلح ما غنته، فاستعذته منها لأصححه لها، فأقبل علي رجل من الرجلين وقال: ما رأيت طفيليا أصفق وجهاً منك! لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت، وهذا غاية المثل طفيلي مقترح، فأطرقت و لم أجبه، وجعل صاحبه يكفه عني فلا يكف. ثم قاموا للصلاة وتأخرت قليلاً، فأخذت عود الجارية، ثم شددت طبقته وأصلحته، إصلاحاً محكماً، وعدت إلى موضعي فصليت، وعادوا، ثم أخذ ذلك الرجل في عربدته علي وأنا صامت، ثم أخذت الجارية العود فجسته وأنكرت حاله وقالت: من مس عودي؟ قالوا: ما مسه أحد! قالت: بلى، والله لقد مسه حاذق متقدم وشد طبقته وأصلحه إصلاح متمكن من صناعته، فقلت لها: أنا أصلحته قالت: فبالله خذه واضرب به، فأخذته وضربت به مبدأ صحيحاً ظريفاً عجيباً صعباً، فيه نقرات محركة، فما بقي أحد منهم إلا وثب أعلى قدميه، وجلس بين يدي، ثم قالوا: بالله يا سيدنا أتغني؟ فقلت: نعم، وأعرفكم نفسي، أنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي، ووالله إني لأتيه على الخليفة إذا طلبني وأنتم تسمعونني ما أكره منذ اليوم لأني تملحت معكم، فوالله لا نطقت بحرف ولا جلست معكم حتى تخرجوا هذا المعربد المقيت الغث، فقال له صاحبه: من هذا حذرت عليك، فأخذ يعتذر، فقلت: والله لا نطقت بحرف ولا جلست معكم حتى يخرج، فأخذوا بيده فأخرجوه وعادوا. فبدأت وغنيت الأصوات التي غنتها الجارية من صنعتي، فقال لي الرجل: هل لك في خصلة؟ قلت: ما هي؟ قال: تقيم عندي شهراً، والجارية والحمار لك مع ما عليها من حلي، قلت: أفعل، فأقمت عنده ثلاثين يوماً لا يدري أحد أين أنا، والمأمون يطلبني في كل موضع فلا يعرف لي خبراً. فلما كان بعد ثلاثين يوماً أسلم إلي الجارية والحمار والخادم، فجئت بذلك إلى منزلي، وركبت إلى المأمون من وقتي، فلما رأني قال: إسحاق! ويحك! أين تكون؟ فأخبرته بخبري؟ فقال: علي بالرجل الساعة؟ فدللتهم على بيته فأحضر، فسأله المأمون عن القصة فأخبره، فقال له: أنت رجل ذو مروءة وسبيلك أن تعاون عليها، وأمر له بمائة ألف درهم، وقال: لا تعاشرن ذلك المعربد النذل! البتة وأمر لي بخمسين ألف درهم، وقال: احضرني الجارية، فأحضرتها فغنته، فقال لي: قد جعلت لها نوبة في كل يوم ثلاثاء تغنيني وراء الستارة مع الجواري، وأمر لها بخمسين ألف درهم. فربحت والله بتلك الركبة وأربحت.

ذكرتك أن مرت بنا أم شادن أمام المطايا تشرئب وتسنح

من المؤلفات الرمل أدماء حرة شعاع الضحى في متنها يتوضح

الشعر لذي الرمة. والغناء لإسحاق ثقيل أول بالسبابة والوسطى، عن ابن المكي. ومن أغاني إسحاق:

قل لمن صد عاتبا ونأى عنك جانبا

قد بلغت الذي أرد ت وإن كنت لاعبا

الطلول الدوارس فارقتها الأوانس

أوحشت بعد أهلها فهي قفر بسابس

الشعر لابن ياسين، شاعر مجهول قليل الشعر، كان صديقاً لإسحاق. والغناء لإسحاق خفيف ثقيل. وهذا الصوت من أوابد إسحاق وبدائعه.

أخبرني عمي قال حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال: كنت عند الواثق، فغنته شجى التي وهبها له إسحاق هذا الصوت، فقال لمخارق وعلويه: والله لو عاش معبد ما شق غبار إسحاق في هذا الصوت فقالا له: إنه لحسن يا أمير المؤمنين، فغضب وقال: ليس عندكما فيه إلا هذا! ثم أقبل على أحمد بن المكي فقال: دعني من هذيه الأحمقين، أول بيت في هذا الصوت أربع كلمات: الطلول كلمة، و لا الدوارس كلمة، وفارقتها! كلمة، و الأوانس كلمة، فانظر هل ترك إسحاق شيئاً من الصنعة يتصرف فيه المغني لم يدخله في هذه الكلمات الأربع! بدأ بها نشيداً، وتلاه بالبسيط، وجعل فيه صياحاً، وإسجاحاً، وترجيحاً للنغم، واختلاساً فيها، وعمل هذا كله في أربع كلمات، فهل سمعت أحداً تقدم أو تأخر فعل مثل هذا أو قدر عليه؟! فقال: صدق أمير المؤمنين، فد لحق من قبله وسبق من بعده.

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني إسحاق قال: لما خرجت مع الواثق إلى النجف درنا بالحيرة ومررنا بدياراتها، فرأيت دير مريم وحسن بنائه، فقلت:

نعم المحل لمن يسعى للذته دير لمريم فوق الظهر معمور

ظل ظليل وماء غير ذي أسن وقاصرات كأمثال الدمى حور

فقال الواثق: لا نصطبح والله غداً إلا فيه، وأمر بأن يعد فيه ما يصلح من الليل، وباكرناه فاصطبحنا فيه على هذا الصوت، وأمر بمال ففرق على أهل ذلك الدير، وأمر لي بجائزة. لحن إسحاق في هذين البيتين ثاني ثقيل بالبنصر.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: أخرج إلي عبدالله بن طاهر يوماً بيتي شعر في رقعة وقال: هذان البيتان وجدتهما على بساط طبري أصبهبذي أهدى إلي من طبرستان، فأحب أن تغنيني فيهما، فقرأتهما فإذا هما:

لج بالعين واكف من هوى لايساعف

كلما كف غربها هيجته المعارف

قال: فغنيت فيهما وغدوت بهما إليه، فأعجب بالصوت ووصلني بصلة سنية، وكان يشتهيه ويقترحه، وطرحته على جميع جواريه، وشاع خبر إعجابه به، فبينا المعتصم يوماً جالس يعرض عليه فرش الربيع، إذ مر به بساط ديباج في نهاية الحسن عليه هذان البيتان ومعهما:

إنما الموت أن تفا رق من أنت آلف

لك حبان في الفؤا د تليد وطارف

فأمر بالبساط فحمل إلى عبدالله بن طاهر، وقال للرسول: قل له: إني قد عرفت شغفك بالغناء في هذا الشعر، فلما وقع هذا البساط أحببت أن أتم سرورك به. فشكر عبدالله ما تأذى إليه من هذه الرسالة وأعظم مقداره، وقال لي: والله يا أبا محمد لسروري بتمام الشعر أشد من سروري بكل شيء، فألحقهما في الغناء بالبيتين الأولين، فألحقتهما.

لج بالعين واكف — من هوى لا يساعف
كلما كف غربها — هيجته المعازف
إنما الموت أن تفا — رق من أنت آلف
لك حبان في الفؤا — د تليد وطارف

و لم أعرف من خبر شاعره غير ما ذكرته في هذا الخبر. والغناء لإسحاق هزج بالوسطى.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المديني عن ابن المكي عن أبيه قال: قلت لإسحاق يوماً: يا أبا محمد، كم تكون صنعتك. فقال: ما بلغت مائتين قط.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا حماد بن إسحاق قال:

قال لي وكيل بن الحروني: قلت لأبيك إسحاق: يا أبا محمد، كم يكون غناؤك. قال: نحوا من أربعمائة صوت. قال: وقال له رجل بحضرتي: مالك لا تكثر الصنعة كما يكثر الناس. قال: لأني إنما أنقر في صخرة. ولإسحاق أخبار كثيرة قليلة الفائدة كثيرة الحشو، طرحتها لذلك، وله أخبار أخر حسن ذكرها في مواضع تليق بها فأخرتها واحتبستها عليها وفيما ذكرته هاهنا منها مقنع.

وتوفي إسحاق ببغداد في أول خلافة المتوكل. فأخبرني الصولي قال ذكر إبراهيم بن محمد الشاهيني: أن إسحاق كان يسأل الله ألا يبتليه بالقولنج لما رأى من صعوبته على أبيه، فرأى في منامه كأن قائلاً يقول له: قد اجيبت دعوتك ولست تموت بالقولنج، ولكنك تموت بضده، فأصابه ذرب في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين، فكان يتصدق في كل يوم أمكنه أن يصومه بمائة درهم، ثم ضعف عن الصوم فلم يطقه ومات في شهر رمضان.

نعي إسحاق إلى المتوكل في وسط خلافته، فغمه وحزن عليه، وقال: ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته، ثم نعي إليه بعمه أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فقال: تكافأت الحالتان، وقام الفتح بوفاة أحمد وما كنت آمن وثبته علي مقام الفجيعة بإسحاق، فالحمد لله على ذلك.

حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني رجل من الكتاب من أهل قطربل قال حدثني أبي عن أبيه قال: رأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول لي:

مات الحسان ابن الحسا — ن ومات إحسان الزمان

فأصبحت من غد فركبت في بعض حوائجي، فتلقاني خبر وفاة إسحاق الموصلي.

وقال إدريس بن أبي حفصة يرثي إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

سقي الله يابن الموصلي بوابل ... من الغيث قبراً أنت فيه مقيم

ذهبت فأوحشت الكرام فماينى ... بعبرته يبكي عليك كريم

إلى الله أشكو فقد إسحاق إنني ... وإن كنت شيخاً بالعراق يتيم

وقال محمد بن عمرو الجرجاني يرثيه:

على الحدث الشرقي عوجاً فسلما ... ببغداد لما ضن عنه عوائده

وقولا له لو كان للموت فدية ... فداك من الموت الطريف وتالده

أإسحاق لا تبعد وإن كان قد رمى ... بك الموت ورداً ليس يصدر وارده

إذا هزل اخضرت فنون حديثه ... ورقت حواشيه وطابت مشاهده

إن جد كان القول جداً وأقسمت ... مخارجه ألا تلين معاقده

فبك على ابن الموصلي بعبرة ... كما ارفض من نظم الجمان فرائده

وقال مصعب بن عبد الله الزبيري يرثيه نسخت ذلك من كتاب جعفر بن قدامة، وذكر أن حماد بن إسحاق انشده إياها ونسخته أيضاً من كتاب الحرمي بن أبي العلاء يذكر فيه عن الزبير عن عمه مصعب أنه أنشده لنفسه يرثي إسحاق:

أتدري لمن تبكي العيون الذوارف ... وينهل منها واكف ثم واكف

نعم لامرئ لم يبق في الناس مثله ... مفيد لعلم أو صديق ملاطف

تجهز إسحاق إلى الله غادياً ... فلله ما ضمت عليه اللائف

وما حمل النعش المزجى عشية ... إلى القبر إلا دامع العين لاهف

صدورهم مرضى عليه عميدة ... لها أزمة من ذكره وزفازف

ترى كل محزون تفيض جفونه ... دموعاً على الخدين والوجه شاسف

جزيت جزاء المحسنين مضاعفاً ... كما كان جدواك الندى المتضاعف

فكم لك فينا من خلائق جزلة ... سبقت بها منها حديث وسالف

هي الشهد أو أحلى إلينا حلاوة ... من الشهد لم يمزج به الماء غارف

ذهبت وخليت الصديق بعولة ... به أسف من حزنه مترادف

إذا خطرات الذكر عاودن قلبه تتابع منهن الشؤون النوازف
حبيب إلى الإخوان يرزون ماله وآت لما يأتي امرؤ الصدق عارف
هو المن والسلوى لمن يستفيده وسم على من يشرب السم زاعف
بكت داره من بعده وتنكرت معالم من آفاقها ومعارف
فما الدار بالدار التي كنت أعتري وإني بها لولا افتقاديك عارف

هي الدار إلا أنها قد تخشعت وأظلم منها جانب فهو كاسف
وبان الجمال والفعال كلاهما من الدار واستنت عليها العواصف
خلت داره من بعده فكأنما بعاقبة لم يغن في الدار طارف
وقد كان فيها للصديق معرس وملتمس إن طاف بالدار طائف
كرامة إخوان الصفاء وزلفة لمن جاء تزجيه إليه الرواجف
صحابته الغر الكرام ولم يكن ليصحبه السود اللئام المقارف
يؤول إليه كل أبلج شامخ ملوك وأبناء الملوك الغطارف
فلقيت في يمنى يديك صحيفة إذا نشرت يوم الحساب الصحائف
يسر الذي فيها إذا ما بدا له ويفتر منها ضاحكاً وهو واقف
بما كان ميموناً على كل صاحب يعين على ما نابه ويكانف
سريع إلى إخوانه برضائه وعن كل ماساء الأخلاء صارف
أرى الناس كالنسناس لم يبق منهم خلافك إلاحشوة وزعانف

أخبرنا يحيى بن علي قال: أنشدني أبو أيوب لأحمد بن إبراهيم يرثي إسحاق في قصيدة له:

لقد طاب الحمام غداة ألوى بنفس أبي محمد الحمام
فلو قبل الفداء إذا فدته ملوك كان يألفها كرام
فلاتبعد فكل فتى سيثوى عليه الترب يحثى والرجام

قال وقال أيضاً يرثيه:

لله أي فتى إلى دار البلى حمل الرجال ضحى على الأعواد

كم من كريم ما تجف دموعه من حاضر يبكي عليه وباد
أمسى يؤبنه ويعرف فضله من كان يثلبه من الحساد
فسقتك يا بن الموصلي روائح تروى صداك بصوبها وغواد

وقد بقيت من أخبار إسحاق بقايا مثل أخباره مع بني هاشم، وأخباره مع إبراهيم بن المهدي وغيرها، فإنها كثيرة، ولها مواضع ذكرت فيها وحسن ذكرها هنالك، فأخرتها لذلك عن أخباره التي ذكرت هاهنا، حسبما شرطنا في أول الكتاب.

ألا قاتل الله اللوى من محلة وقاتل دنيانا بها كيف ذلت
غنينا زماناً باللوى ثم أصبحت عراص اللوى من أهلها قد تخلت

عروضه من الطويل. الشعر للصمة القشيري، والغناء لإسحاق، ولحنه المختار ثقيل أول بالوسطى في مجراها.

الجزء السادس

أخبار الصمة القشيري

نسبه

هو الصمة بن عبدالله بن الطفيل بن قرة بن هبيرة بن عامربن سلمة الخيربن قشيربن كعب بن ربيعة بن عامربن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار.
شاعر إسلامي بدوي مقل، من شعراء الدولة الاموية. ولجده قرة بن هبيرة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه صلى الله عليه وسلم واله.
وفد جده قرة على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم: أخبرني بخبره عبيد الله بن محمد الرازي. وعمي قالا حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي بكر الهذلي وابن دأب وغيرهما من الرواة قالوا: وفد قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخيربن قشيربن كعب بن ربيعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم، وقال له: يا رسول الله، إنا كنا نعبد الآلهة لا تنفعنا ولا تضرنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم، "نعم ذا عقلا".
وقال ابن دأب: وكان من خبر الصمة أنه هوي امرأة من قومه ثم من بنات عمه دنية يقال لها العامرية بنت غطيف بن حبيب بن قرة بن هبيرة، فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها، وخطبها عامر بن بشر بن أبي براء بن مالك بن ملاعب الأسنة بن جعفر بن كلاب، فزوجه إياها. وكان عامر قصيراً قبيحاً، فقال الصمة بن عبدالله في ذلك:

فإن تنكحوها عامراً لاطلاعكم إليه يدهدهكم برجليه عامر

شبهه بالجعل الذي يدهده البعرة برجليه.

قال: فلما بنى بها زوجها، وجد الصمة بها وجداً شديداً وحزن عليها، فزوجه أهله امرأة منهم يقال لها جبرة بنت وحشي بن الطفيل بن قرة بن هبيرة، فأقام عليها مقاماً يسيراً، ثم رحل إلى الشأم غضباً على قومه، وخلف امرأته فيهم، وقال لها:

كليم التمرحتى تهرم النخل واضفري خطامك ماتدرين ما اليوم من أمس

وقال فيها أيضاً:

لعمري لئن كنتم على النأى والقلى بكم مثل ما بي إنكم لصديق
إذا زفرات الحب صعدن في الحشى رددن ولم تنهج لهن طريق

وقال فيها أيضاً:

إذا ما أتتنا الريح من نحو أرضكم أتتنا برياكم فطاب هبوبها

أتتنا بريح المسك خالط عنبراً وريح الخزامى باكرتها جنوبها

وقال فيها أيضاً:

هل تجزيني العامرية موقفي على نسوة بين الحمى وغضى الجمر

مررن بأسباب الصبا فذكرنها فأومأت إذ ما من جواب ولا نكر

وقال ابن دأب: وأخبرني جماعة من بني قشير أن الصمة خرج في غزي من المسلمين إلى بلد الديلم فمات بطبرستان.

قال ابن دأب: وأنشدني جماعة من بني قشير للصمة:

ألا تسألان الله أن يسقي الحمى بلى فسقى الله الحمى والمطاليا

وأسأل من لاقيت هل مطر الحمى فهل يسألن عني الحمى كيف حاليا

الغناء في هذين البيتين لإسحاق، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى، وهو من مختار الأغاني ونادرها.

أخبرني محمد بن خلف وكيع وعمي قالا حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال قال عبدالله بن محمد بن إسماعيل الجعفري حدثنا عبدالله بن إسحاق الجعفري عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال حدثني رجل من أهل طبرستان كبير السن قال: بينا أنا يوماً أمشي في ضيعة لي فيها ألوان من الفاكهة والزعفران وغير ذلك من الأشجار، إذ أنا بإنسان في البستان مطروح عليه أهدام خلقان، فدنوت منه فإذا هو يتحرك ولا يتكلم، فأصغيت إليه فإذا هو يقول بصوت خفي:

تعز بصبر لا وجدك لا ترى بشام الحمى أخرى الليالي الغوابر

كأن فؤادي من تذكره الحمى وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

قال: فما زال يردد هذين البيتين حتى فاضت نفسه، فسألت عنه فقيل لي: هذا الصمة بن عبدالله القشيري.

كان ابن الأعرابي يستحسن شعراً له: أخبرني عمي قال حدثنا الخراز أحمد بن الحارث قال: كان ابن الأعرابي يستحسن قول الصمة:

أما وجلال الله لو تذكرينني كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا

فقالت بلى والله ذكراً لو أنه يصب على صم الصفا لتصدعا

غنى في هذين البيتين عبيد الله بن أبي غسان ثاني ثقيل بالوسطى. وفيهما لعريب خفيف رمل:

ولما رأيت البشر قد حال بينن وجالت بنات الشوق في الصدر نزعا

تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الإصغاء ليتاً وأخدعا

أخبرني أبو الطيب بن الوشاء قال: قال لي إبراهيم بن محمد بن سليمان الأزدعي: لو حلف حالف أن أحسن أبيات قيلت في الجاهلية والإسلام في الغزل قول الصمة القشيري ما حنث:

حننت إلى ريا ونفسك باعدت مزارك من ريا وشعباكما معا

فما حسن أن تأتي الأمر طائعا وتجزع أن داعي الصبابة أسمعا

بكت عيني اليمنى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني على كبدي من خشية أن تصدعا

فليست عشيات الحمى برواجع عليك ولكن خل عينيك تدمعا

غنت في هذين البيتين قرشية الزرقاء لحناً من الثقيل الأول عن الهشامي. وهذه الأبيات التي أولها "حننت إلى ريا تروى لقيس بن ذريح في أخباره وشعره بأسانيد قد ذكرت في مواضعها، ويروى بعضها للمجنون في أخباره، بأسانيد قد ذكرت أيضاً في أخباره. والصحيح في البيتين الأولين أنهما لقيس بن ذريح وروايتهما له، آثبت، وقد تواترت الروايات بأنهما له من عدة طرق، والأخر مشكوك فيها أهي للمجنون أم للصمة.

أنشدنا محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم للصمة القشيري قال: وكان أبو حاتم يستجيدهما، وأنشدنيهما عمي عن الكراني عن أبي حاتم، وأنشدنيهما الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن أبي حاتم:

إذا نأت لم تفارقني علاقتها وإن دنت فصدود العاتب الزاري

فحال عيني من يوميك واحدة تبكي لفرط صدود أونوى دار

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبيد الله بن إسحاق بن سلام قال حدثني أبي عن شعيب بن صخر عن بعض بني عقيل قال: مررت بالصمة بن عبدالله القشيري يوماً وهو جالس وحده يبكي ويخاطب نفسه ويقول: لا والله ما صدقتك فيما قالت، فقلت: من تعني. ويحك! أجننت! قال: اعني التي أقول فيها:

أما وجلال الله لو تذكرينني كذكريك ماكفكفت للعين مدمعا

فقالت بلى والله ذكراً لوأنه يصب على صم الصفا لتصدعا

أسلي نفسي عنها وأخبرها أنها لو ذكرتني كما قالت لكانت في مثل حالي.

أخبرني عمي قال حدثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدثني مسعود بن عيسى بن إسماعيل العبدي عن موسى بن عبدالله التيمي قال.

خطب الصمة القشيري بنت عمه وكان لها محباً، فاشتط عليه عمه في المهر فسأل أباه أن يعاونه وكان كثير المال

فلم يعنه بشيء فسأل عشيرته فأعطوه، فأتى بالإبل عمه، فقال: لا أقبل هذه في مهر ابنتي، فاسأل أباك أن يبدلها لك فسأل ذلك أباه فأبى عليه، فلما رأى ذلك من فعلهما قطع عقلها وخلاها، فعاد كل بعير منها إلى ألافه. وتحمل الصفة راحلاً. فقالت بنت عمه حين رأته يتحمل: تالله ما رأيت كاليوم رجلاً باعته عشيرته بأبعرة. ومضى من وجهه حتى لحق بالثغر فقال وقد طال مقامه واشتاقها وندم على فعله:

أتبكي على ريا ونفسك باعدت ... مزارك من ريا وشعباكما معا
فماحسن أن تأتي الأمرطائعا ... وتجزع أن داعي الصبابة أسمعا

وقد أخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي: أن الصمة خطب ابنة عمه هذه إلى أبيها فقال له: لا أزوجكها إلا على كذا وكذا من الإبل، فذهب إلى أبيه فأعلمه بذلك وشكا إليه ما يجد بها فساق الإبل عنه إلى أخيه فلما جاء بها عدها عمه فوجدها تنقص بعيراً، فقال: لا آخذها إلا كاملة، فغضب أبوه وحلف لا يزيده على ما جاء به شيئاً. ورجع إلى الصمة، فقال له: ما وراءك. فأخبره، فقال: تالله ما رأيت قط ألأم منكما جميعاة وإني لألأم منكما إن أقمت بينكما ثم ركب ناقته ورحل إلى ثغر من الثغور، فأقام به حتى مات. وقال في ذلك:

أمن ذكر دار بالرقاشين أصبحت ... بها عاصفات الصيف بدءاً ورجعا
حننت إلى ريا ونفسك باعدت ... مزارك من ريا وشعباكما معا
فما حسن أن تأتي الأمر طائعا ... وتجزع أن داعي الصبابة أسمعا
كأنك لم نشهد وداع مفارق ... ولم ترشعبي صاحبين تقطعا
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها ... عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
تحمل أهلي من قنين وغادروا ... به أهل ليلى حين جيد وأمرعا
ألا يا خليلي اللذين تواصيا ... بلومي إلا أن أطيع وأسمعا
قفا إنه لا بد من رجع نظرة ... يمانية شتى بها القوم أو معا
لمغتصب قد عزه القوم أمره ... حياء يكف الدمع أن يتطلعا
تبرض عينيه الصبابة كلما ... دنا الليل أو أوفى من الأرض ميفعا
فليست عشيات الحمى برواجع ... إليك ولكن خل عينيك تدمعا
قل لأسماء أنجزي الميعادا ... وانظري أن تزودي منك زادا
إن تكوني حللت ربعاً من الشأ ... م وجاورت حميراً أومرادا

أوتناءت بك النوى فلقد قد ... ت فؤادي لحينه فانقادا
ذاك أني علقت منك جوى الحـ ... ـب وليداً فزدت سناً فزادا

الشعر لداود بن سلم. والغناء لدحمان، ولحنه المختار من الثقيل الأول بالوسطى. وقد كنا وجدنا هذا الشعر في رواية علي بن يحيى عن إسحاق منسوباً إلى المرقش، وطلبناه في أشعار المرقشين جميعاً فلم نجده، وكنا نظنه من شاذ الروايات حتى وقع إلينا في شعر داود بن سلم، وفي خبر أنا ذاكره في أخبار داود. وإنما نذكر ما وقع إلينا عن رواته، فما وقع من غلط فوجدناه أو وقفنا على صحته أثبتناه وأبطلنا ما فرط منا غيره، وما لم يجر هذا المجرى فلا ينبغي لقارىء هذا الكتاب أن يلزمنا لوم خطأ لم نتعمده ولا اخترعناه، وإنما حكيناه عن رواته واجتهدنا في الإصابة. وإن عرف صواباً مخالفاً لما ذكرناه وأصلحه، فإن ذلك لا يضره ولا يخلو به من فضل وذكر جميل إن شاء الله.

أخبار داود بن سلم ونسبه

داود بن سلم مولى بني تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، ثم يقول بعض الرواة: إنه مولى آل أبي بكر، ويقول بعضهم: إنه مولى آل طلحة. وهو مخضرم من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، من ساكني المدينة، يقال له داود الآدم وداود الأرمك. وكان من أقبح الناس وجهاً.

وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يستثقله، فرآه ذات يوم يخطر خطرة منكرة فدعا به، وكان يتولى المدينة، فضربه ضرباً مبرحاً. وأظهر أنه إنما فعل ذلك به من أجل الخطرة التي تخايل فيها في مشيته. فقال بعض الشعراء في ذلك وأظنه ابن رهيمة:

ضرب العادل سعد ... ابن سلم في السماجه
فقضى الله لسعد ... من أميركل حاجه

أخبرني محمد بن سليمان الطوسي قال حدثنا الزبير بن بكار قال: سألت محمد بن موسى بن طلحة عن داود بن سلم، هل هو مولاهم؟ فقال: كذلك يقول الناس، هو مولانا، أبوه رجل من النبط، وأمه بنت حوط مولى عمر بن عبيد الله بن معمر فانتسب إلى ولاء أمه. وفي ذلك يقول ويمدح ابن معمر:

وإذا دعا الجاني النصير لنصره ... وأرتني الغرر النصيرة معمر
متخازرين كأن أسد خفية ... بمقامها مستبسلات تزأر
متجاسرين بحمل كل ملمة ... متجبرين على الذي يتجبر
عسل الرضا فإذا أردت خصامهم ... خلط الشمام بفيك صاب مفقر

لا يطبعون ولا ترى أخلاقهم إلا تطيب كما يطيب العنبر

رفعوا بناي بعتق حوط دتية جدي وفضلهم الذي لا ينكر

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال: كان داود بن سلم مولى بني تيم بن مرة، وكان يقال له: الآدم لشدة سواده، وكان من أبخل الناس فطرقه قوم وهو بالعقيق، فصاحوا به: العشاء والقرى يابن سفم، فقال لهم: لا عشاء لكم عندي ولا قرى، قالوا: فأين قولك في قصيدتك إذ تقول فيها:

يا دار هنل! ألا حييت من دار لم أمض منك لباناتي وأوطاري

عودت فيها إذاما الضيف نبهني عقر العشار على يسري وإعساري

قال: لستم من أولئك الذين عنيت.

قال: ودخل على السري بن عبدالله الهاشمي، وقد أصيب بابن له فوقف بين يديه ثم أنشده:

يا من على الأرض من عجم ومن عرب استرجعوا خاست الدنيا بعباس

فجعت من سبعة قد كنت آملهم من ضنء والدهم بالسيد الراس

قال: وداود بن سلم الذي يقول:

قل لأسماء أنجزي الميعادا وانظري أن تزودي منك زادا

إن تكوني حللت ربعاً من الشأ م وجاورت حميرا أومرادا

أوتناءت بك النوى فلقد قد ت فؤادي لحينه فانقادا

ذاك أني علقت منك جوى الح ب وليداً فزدت سنا فزادا

قال أبو زيد: أنشدنيها أبو غسان محمد بن يحيى وإبراهيم بن المنذر لداود بن سلم.

يادار هند ألا حييت من دار لم أقض منك لباناتي وأوطاري

أخبرنا الطوسي قال حدثنا الزبير قال أخبرني مصعب بن عثمان قال:

دعا الحسن بن زيد إسحاق بن إبراهيم بن طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي أيام كان بالمدينة إلى ولاية القضاء فأبى عليه فحبسه، فدعا مسرقين يسرقون له مغسلاً في السجن، وجاء بنو طلحة فانسجنوا معه. وبلغ ذلك الحسن بن زيد، فأرسل إليه فأتي به، فقال: إنك تلاججت علي، وقد حلفت ألا أرسلك حتى تعمل لي، فأبرر يميني، ففعل، فأرسل الحسن معه جنداً حتى جلس في المسجد مجلس القضاء والجند على رأسه، فجاءه داود بن سلم فوقف عليه فقال:

طلبوا الفقه والمروءة والحل وفيك أجتمعن يا إسحاق

فقال: ادفعوه، فدفعوه، فنحي عنه فجلس ساعة ثم قام من مجلسه، فأعفاه الحسن بن زيد من القضاء فلما سار إلى منزله أرسل إلى داود بن سلم بخمسين ديناراً، وقال للرسول: قل له: يقول لك مولاك: ما حملك على أن تمدحني بشيء أكرهه؟ استعن بهذه على أمرك.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محرز بن سعيد قال: بينما سعد بن إبراهيم في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم يقضي بين الناس إذ دخل عليه زيد بن إسماعيل بن عبدالله بن جعفر، ومعه داود بن سلم مولى التيميين، وعليهما ثياب ملونة يجرانها فأومأ أن يؤتى بهما، فأشار إلى زيد أن اجلس، فجلس بالقرب منه، وأومأ إلى الآخر أن يجلس حيث يجلس مثله، ثم قال لعون من أعوانه: ادع لي نوح بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله، فدعي له فجاء أحسن الناس سمتاً وتشميراً ونقاء ثياب، فأشار إليه فجلس ثم أقبل على زيد فقال له: يابن أخي، تشبه بشيخك هذا وسمته وتشميره ونقاء وبه، ولا تعد إلى هذا اللبس، قم فانصرف.ثم أقبل على ابن سلم وكان قبيحاً، فقال له: هذا ابن جعفر أحتمل هذا له، وأنت لأي شيء أحتمل هذا لك. أللؤم أصلك، أم لساجة وجهك، جرد يا غلام، فجرد فضربه أسواطاً. فقال ابن رهيمة:

جلد العادل سعد ابن سلم في السماجه

فقضى الله لسعد من أمير كل حاجه

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يعقوب بن حميد بن كاسب قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون عن يوسف بن الماجشون قال: قال لي أبي- وقد عزل سعد بن إبراهيم عن القضاء- يا بني تعجل بنا عسى أن نروح مع سعد بن إبراهيم، فإن القاضي إذا عزل لم يزل الناس ينالون منه، فخرجنا حتى جئنا دار سعد بن إبراهيم، فإذا صوت عال، فقال لي أي شيء هذا. أرى أنه قد أعجل علي، ودخلنا فإذا داود بن سلم يقول له: أطال الله بقاءك يا أبا إسحاق وفعل بك، وقد كان سعد جلد داود بن سلم أربعين سوطاً، فأقبل علي سعد وعلى أبي، فقال: لم تر مثل أربعين سوطاً في ظهر لئيم. قال: وفيه يقول الشاعر:

ضرب العادل سعد ابن سلم في السماجه

فقضى الله لسعد من أمير كل حاجه

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال الزبير بن بكار قال حدثني أبو يحيى الزهري واسمه هارون بن عبدالله قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن أبيه قال: كان الحسن بن زيد قد عود داود بن سلم مولى بني تيم إذا جاءته غلة من الخانقين أن يصله. فلما مدح داود بن سلم جعفر بن سليمان، وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعد شديد، أغضب ذلك الحسن، فقدم من حج أو عمرة، ودخل عليه داود مسلماً، فقال له الحسن: أنت القائل في جعفر:

وكنا حديثاً قبل تأمير جعفر وكان المنى في جعفر أن يؤمرا

حوى المنبرين الطاهرين كليهما إذا ماخطا عن منبرأم منبرا

كأن بني حواء صفوا أمامه فخبر من أنسابهم فتخيرا؟

فقال داود: نعم، جعلني الله فداءكم، فكنتم خيرة اختياره، وأنا الذي أقول:

لعمري لئن عاقبت أوجدت منعماً بعفو عن الجاني وإن كان معذرا

لأنت بما قدمت أولى بمدحة واكرم فرعاً إن فخرت وعنصرا

هو الغرة الزهراء من فرع هاشم ويدعو عليا ذا المعالي وجعفرا

وزيد الندى والسبط سبط محمد وعمك بالطف الزكي المطهرا

ومانال من ذا جعفرغيرمجلس إذا مانفاه العزل عنه تأخرا

بحقكم نالوا ذراها فأصبحوا يرون به عزاعليكم ومفخرا

قال: فعاد الحسن بن زيد له إلى ما كان عليه، و لم يزل يصله ويحسن إليه حتى مات. قال أبو يحيى: يعني بقوله: "وإن كان معذراً أن جعفراً أعطاه بأبياته الثلاثة ألف دينار، فذكر أن له عذراً في مدحه إياه بجزالة إعطائه.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الواقدي عن ابن أبي الزناد قال: كنت ليلة عند الحسن بن زيد ببطحاء ابن أزهر على ستة أميال من المدينة، حيال ذي الحليفة نصف الليل جلوساً في القمر، وأبو السائب المخزومي معنا، وكان ذا فضل وكان مشغوفاً بالسماع والغزل، وبين أيدينا طبق عليه فريك فنحن نصيب منه، والحسن يومئذ عامل المنصور على المدينة، فأنشد الحسن قول داود بن سلم وجعل يمد به صوته ويطربه:

فعرسنا ببطن عريتنات ليجمعنا وفاطمة المسير

أتنسى إذ تعرض وهو باد مقلدها كما برق الصبير

ومن يطع الهوى يعرف هواه وقد ينبيك بالأمرالخبير

على أني زفرت غداة هرشى فكاد يريبهم مني الزفير

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه للهذلي ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة، وأظنه هذا اللحن قال: فأخذ أبو السائب الطبق! فوحش به إلى السماء، فوقع الفريك على رأس الحسن بن زيد فقال له: مالك. ويحك! أجننت! فقال له أبو السائب: أسألك بالله وبقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما أعدت إنشاد هذا الصوت ومددته كما فعلت قال: فما ملك الحسن نفسه ضحكاً، ورد الحسن الأبيات لأستحلافه إياه. قال ابن أبي الزناد: فلما خرج أبو السائب قال لي: يابن أبي الزناد، أما سمعت مده:

ومن يطع الهوى يعرف هواه

فقلت نعم، قال: لو علمت أنه يقبل مالي لدفعته إليه بهذه الثلاثة الأبيات. أخبرني بخبره عبيد الله بن محمد الرازي وعمي قالا حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي بكر الهذلي.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثتني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت: أرسلتني مولاتي فاطمة في حاجة، فمررت برحبة القضاء، فإذا بضبيعة العبسي خليفة جعفر بن سليمان يقضي بين الناس، فأرسل إلي فدعاني، وقد كنت رطلت شعري وربطت في أطرافه من ألوان العهن، فقال: ما هذا؟ فقلت شيء أتملح به فقال: يا حرسي قنعها بالسوط. قالت: فتناولت السوط بيدي وقلت: قاتلك الله! ما أبين الفرق بينك وبين سعد بن إبراهيم سعد يجلد الناس في السماجة، وأنت تجلدهم في الملاحة، وقد قال الشاعر:

جلد العادل سعد ابن سلم في السماجه

فقضى الله لسعد من أمير كل حاجه

قالت: فضحك حتى ضرب بيديه ورجليه، وقال: خل عنها. قالت: فكان يسوم بي، وكانت مولاتي تقول: لا أبيعها إلا أن تهوى ذلك، وأقول: لا أريد بأهلي بدلاً إلى أن مررت يوماً بالرحبة وهو في منظرة دار مروان ينظر فأرسل إلي فدعاني، فوجدته من وراء كلة وأنا لا أشعر به، وحازم وجرير جالسان، فقال لي حازم: الأمير يريدك، فقلت: لا أريد بأهلي بدلاً وكشفت الكلة عن جعفر بن سليمان، فارتعت لذلك فقلت: آه فقال: مالك؟ فقلت:

سمعت بذكر الناس هنداً فلم أزل أخا سقم حتى نظرت إلى هند

قال: فأبصرت ماذا؟ ويحك! فقلت:

فأبصرت هنداً حرة غيرأنها تصدى لقتل المسلمين على عمد

قالت: فضحك حتى استلقى، وأرسل إلى مولاتي ليبتاعني، فقالت: لا والله لا أبيعها حتى تستبيعني، فقلت: والله لا أستبيعك أبداً.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا يونس بن عبدالله عن داود بن سلم قال: كنت يوماً جالساً مع قثم بن العباس قبل أن يملكوا بفنائه، فمرت بنا جارية، فأعجب بها قثم وتمناها فلم يمكنه ثمنها. فلما ولي قثم اليمامة اشترى الجارية إنسان يقال له صالح. قال داود بن سلم: فكتبت إلى قثم:

ياصاحب العيس ثم راكبها أبلغ إذا ما لقيته قثم

أن الغزال الذي أجازبنا معارضاً إذ توسط الحرما

حوله صالح فصارمع الإ نس وخلى الوحوش والسلما

قال: فأرسل قثم في طلب الجارية ليشتريها، فوجدها قد ماتت.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبدالله بن محمد بن موسى بن طلحة قال حدثني زهير بن حسن مولى آل الربيع بن يونس: أن داود بن سلم خرج إلى حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية، فلما نزل به حط غلمانه متاع داود وحلوا عن راحلته، فلما دخل عليه أنشأ يقول:

ولما دفعت لأبوابهم ... ولاقيت حرباً لقيت النجاحا

وجدناه يحمده المجتدون ... ويأبى على العسر إلا سماحا

ويغشون حتى يرى كلبهم ... يهاب الهرير وينسى النباحا

قال: فأجازه بجائزة عظيمة، ثم استأذنه في الخروج فأذن له وأعطاه ألف دينار. فلم يعنه أحد من غلمانه و لم يقوموا إليه، فظن أن حرباً ساخط عليه، فرجع إليه فأخبره بما رأى من غلمانه، فقال له: سلهم لم فعلوا بك ذلك. قال: فسألهم، فقالوا: إننا نتزل من جاءنا ولا نرحل من خرج عنا. قال: فسمع الغاضري حديثه فأتاه فحدثه فقال: أنا يهودي إن لم يكن الذي قال الغلمان أحسن من شعرك.

وذكر محمد بن داود بن الجراح أن عمر بن شبة أنشده ابن عائشة لداود بن سلم، فقال: أحسن والله داود حيث يقول:

لججت من حبي في تقريبه ... وعميت عيناي عن عيوبه

كذاك صرف الدهرفي تقليبه ... لا يلبث الحبيب عن حبيبه

أو يغفر الأعظم من ذنوبه

قال: وأنشدني أحمد بن يحيى عن عبدالله بن شبيب لداود بن سلم قال:

وما ذر قرن الشمس إلا ذكرتها ... وأذكرها في وقت كل غروب

وأذكرها ما بين ذاك وهذه ... وبالليل أحلامي وعند هبوبي

وقد شفني شوقي وأبعدني الهوى ... وأعيا الذي بي طب كل طبيب

وأعجب أني لا أموت صبابة ... وماكمد من عاشق بعجيب

وكل محب قد سلا غيرأنني ... غريب الهوى، ياويح كل غريب

وكم لام فيها من أخ ذي نصيحة ... فقلت له اقصرفغيرمصيب

أتأمر إنساناً بفرقة قلبه ... أتصلح أجسام بغير قلوب

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال: كان داود بن سلم منقطعاً إلى قثم بن العباس، وفيه يقول:

عتقت من حلي ومن رحلتي ... يا ناق إن أدنيتني من قثم
إنك إن أدنيت منه غداً ... حالفني اليسر ومات العدم
في وجهه بدر وفي كفه ... بحر وفي العرنين منه شمم
أصم عن قيل الخنا سمعه ... وماعن الخيربه من صمم
لم يدر ما لا وبلى قد درى ... فعافها واعتاض منها نعم

قال أبو إسحاق إسماعيل بن يونس قال أبو زيد عمر بن شبة قال لي إسحاق: لنظم العمياء في هذه الأبيات صنعة عجيبة، وكانت تجسيدها ما شاءت إذا غنتها .

أخبار دحمان ونسبه

دحمان لقب لقب به، واسمه عبد الرحمن بن عمرو، مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. ويكنى أبا عمرو، ويقال له دحمان الأشقر. قال إسحاق: كان دحمان مع شهرته بالغناء رجلاً صالحاً كثير الصلاة معدل الشهادة مدمناً للحج وكان كثيراً ما يقول: ما رأيت باطلاً أشبه بحق من الغناء.

قال إسحاق: وحدثني الزبيري أن دحمان شهد عند عبد العزيز بن المطلب بن عبدالله، بن حنطب المخزومي، وهو يلي القضاء لرجل من أهل المدينة على رجل من أهل العراق بشهادة، فأجازها وعدله، فقال له العراقي: إنه دحمان، قال: أعرفه، ولو لم أعرفه لسألت عنه، قال: إنه يغني ويعلم الجواري الغناء، قال: غفر الله لنا ولك، وأينا لا يتغنى! اخرج إلى الرجل عن حقه. وفي دحمان يقول أعشى بني سليم:

إذا ما هرج الواد ... ي أو ثقل دحمان
سمعت الشدو من هذا ... ومن هذا بميزان
فهذا سيد الإنس ... وهذا سيد الجان

وفيه يقول أيضاً:

كانوا فحولاً فصاروا عند حلبتهم ... لما انبرى لهم دحمان خصيانا
فأبلغوه عن الأعشى مقالته ... أعشى سليم أبي عمرو سليمانا
قولوا يقول أبو عمرو لصحبته ... ياليت دحمان قبل الموت غنانا

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم عن إبراهيم بن المهدي أنه حدثه عن ابن جامع وزبير بن دحمان جميعاً: أن دحمان كان معدلاً مقبول الشهادة عند القضاة بالمدينة، وكان أبو سعيد مولى فائد أيضاً ممن تقبل شهادته.

وكان دحمان من رواة معبد وغلمانه المتقدمين. قال: وكان معبد في أول أمره مقبول الشهادة، فلما حضر الوليد بن يزيد وعاشره على تلك الهنات وغنى له سقطت عدالته، لا لأن شيئاً بان عليه من دخول في محظور، ولكن، لأنه اجتمع مع الوليد على ما كان يستعمله.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المديني قال قال إسحاق: كان دحمان يكنى أبا عمرو، مولى بني ليث، واسمه عبد الرحمن، وكان يخضب رأسه ولحيته بالحناء وهو من غلمان معبد. قال إسحاق: وكان أبي لا يضعه بحيث يضعه الناس، ويقول: لو كان عبداً ما اشتريته على الغناء بأربعمائة درهم. وأشبه الناس به في الغناء ابنه عبدالله، وكان يفضل الزبير ابنه تفضيلاً شديداً على عبدالله أخيه وعلى دحمان أبيه، أخبرني يحيى عن أبي أيوب عن أحمد بن المكي عن عبدالله بن دحمان قال: رجع أبي من عند المهدي وفي حاصله مائة ألف دينار.

أخبرنا إسماعيل بن يونس وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال: بلغني أن المهدي أعطى دحمان في ليلة واحدة خمسين ألف دينار وذلك أنه غنى في شعر الأحوص:

قطوف المشي إذ تمشي ... ترى في مشيها خرقا

فأعجبه وطرب، واستخفه السرور حتى قال لدحمان: سلني ما شئت، فقال: ضيعتان بالمدينة يقال لهما ريان وغالب فأقطعه إياهما. فلما خرج التوقيع بذلك إلى أبي عبيد الله وعمر بن بزيع راجعا المهدي فيه وقالا: إن هاتين ضيعتان لم يملكهما قط إلا خليفة، وقد استقطعهما ولاة العهود في أيام بني أمية فلم يقطعوهما فقال: والله لا أرجع فيهما إلا بعد أن يرضى، فصولح عنهما على خمسين ألف دينار.

سرى ذا الهم بل طرقا ... فبت مسقدا قلقا

كذاك الحب مما يح ... دث التسهيد والأرقا

قطوف المشي إذ تمشى ... ترى في مشيهاخرقا

وتثقلها عجيزتها ... إذا ولت لتنطلقا

الشعر للأحوص. والغناء لدحمان ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، وذكر الهشامي أنه لابن سريج.

سئل عن ثمن ردائه فأجاب: أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق قال: مر دحمان المغني وعليه رداء جيد عدني، فقال له من حضر: بكم اشتريت هذا يا أبا عمرو؟ قال:

ما ضز جيراننا إذ انتجعوا .

ما ضر جيراننا إذ انتجعوا لو أنهم قبل بينهم ربعوا
أحموا على عاشق زيارته فهو بهجران بينهم قطع
وهو كأن الهيام خالطه وما به غير حبها ذرع
كأن لبنى صبير غادية أو دمية زينت بها البيع
الله بيني وبين قيمها يفر عني بها وأتبع

أخبرني وكيع عن أبي أيوب المديني إجازة عن أبي محمد العامري الأويسي قال: كان دحمان جمالاً يكري إلى المواضع ويتجر، وكانت له مروءة، فبينا هو ذات يوم قد أكرى جماله وأخذ، ماله إذ سمع رنة، فقام واتبع الصوت، فإذا جارية قد خرجت تبكي، فقال لها: أمملوكة أنت؟ قالت: نعم، فقال: لمن؟ فقالت: لامرأة من قريش، وسمتها له، فقال: أتبيعك؟ قالت: نعم، ودخلت إلى مولاتها فقالت: هذا إنسان يشتريني، فقالت: ائذني له، فدخل، فسامها حتى استقر أمر الثمن بينهما على مائتي دينار، فنقدها إياها وانصرف بالجارية. قال دحمان: فأقامت عندي مدة أطرح عليها ويطرح عليها معبد والأبجر ونظراؤهما من المغنين ثم خرجت بها بعد ذلك إلى الشأم وقد حذقت، وكنت لا أزال إذا نزلنا أنزل الأكرياء ناحية، وأنزل معتزلاً بها ناحية في محمل وأطرح على المحمل من أعبية الجمالين، وأجلس أنا وهي تحت ظلها، فأخرج شيئاً فنأكله، ونضع ركوة فيها لنا شراب، فنشرب ونتغنى حتى نرحل. ولم نزل كذلك حتى قربنا من الشأم. فبينا أنا ذات يوم نازل وأنا ألقي عليها لحني:

لو رد ذو شفق حمام منية لرددت عن عبد العزيز حماما
صلى عليك الله من مستودع جاورت بوماً في القبور وهاما

الشعر لكثير يرثي عبد العزيز بن مروان. وزعم بعض الرواة أن هذا الشعر ليس لكثير وأنه لعبد الصمد بن علي الهشامي يرثي ابناً له. والغناء لدحمان، ولحنه من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر.

فال: فرددته عليها حتى أخذته واندفعت تغنيه، فإذا أنا براكب قد طلع فسلم علينا فرددنا عليه السلام، فقال: أتأذنون لي أن أنزل تحت ظلكم هذا ساعة؟ قلنا نعم، فنزل، وعرضت عليه طعامنا وشرابنا فأجاب، فقدمنا إليه السفرة فأكل وشرب معنا، واستعاد الصوت مراراً. ثم قال للجارية: أتغنين لدحمان شيئاً. قالت نعم. قال: فغنته أصواتاً من صنعتي، وغمزتها ألا تعرفه أبي دحمان، فطرب وامتلأ سروراً وشرب أقداحاً والجارية تغنيه حتى قرب وقت الرحيل، فأقبل علي وقال: أتبيعني هذه الجارية؟ فقلت نعم، قال: بكم؟ قلت كالعابث: بعشرة آلاف دينار، قال: قد أخذتها بها، فهلم دواة وقرطاساً، فجئته بذلك، فكتب: ادفع إلى حامل كتابي هذا حين تقرؤه عشرة آلاف دينار، واستوص به خيراً وأعلمني بمكانه وختم الكتاب ودفعه إلي، ثم قال: أتدفع إلي الجارية أم تمضي بها معك حتى تقبض مالك. فقلت: بل أدفعها إليك، فحملها وقال: إذا جئت البخراء فسل عن فلان

وادفع كتابي هذا إليه واقبض منه مالك، ثم انصرف بالجارية. قال: ومضيت، فلما وردت البخراء سألت عن اسم الرجل.، فدللت عليه، فإذا داره دار ملك، فدخلت عليه ودفعت إليه الكتاب، فقبله ووضعه على عينيه، ودعا بعشرة آلاف دينار فدفعها إلي، وقال: هذا كتاب أمير المؤمنين، وقال لي اجلس حتى أعلم أمير المؤمنين بك، فقلت له: حيث كنت فأنا عبدك وبين يديك، وقد كان أمر لي بأنزال وكان بخيلاً، فاغتنمت ذلك فارتحلت، وقد كنت أصبت بجملين، وكانت عدة أجمالي خمسة عشر فصارت ثلاثة عشر. قال: وسأل عني الوليد، فلم يدر القهرمان أين يطلبني، فقال له الوليد: عدة جماله خمسة عشر جملاً فأردده إلي، فلم أوجد، لأنه لم يكن في الرفقة من معه خمسة عشر جملاً، و لم يعرف اسمي فيسأل عني. قال: وأقامت الجارية عنده شهراً لا يسأل عنها، ثم دعاها بعد أن استبرئت وأصلح من شأنها، فظل معها يومه، حتى إذا كان في آخر نهاره قال لها: غنيني لدحمان فغنت، وقال لها: زيديني فزادت.ثم قبلت عليه فقالت: يا أمير المؤمنين، أو ما سمعت غناء دحمان منه؟ قالا لا، قالت: بلى والله قال: أقول لك لا، فتقولين بلى والله! فقالت: بلى والله لقد سمعته قال: وما ذاك. ويحك! قالت: إن الرجل الذي اشتريتني منه هو دحمان، قال: أو ذلك هو. قالت: نعم، هو هو قال: فكيف لم أعلم؟ قالت: غمزني بألا أعلمك. فأمر فكتب إلى عامل المدينة بأن يحمل إليه دحمان، فحمل فلم يزل عنده أثيراً.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثنا ابن جامع قال: تذاكروا يوماً كبر الأيور بحضرة بعض أمراء المدينة فأطالوا القول، ثم قال بعضهم: إنما يكون كبر أير، الرجل على قدر حر أمه، فالتفت الأمير إلى دحمان فقال: يا دحمان، كيف أيرك؟ فقال له: أيها الأمير، أنت لم ترد أن تعرف كبر أيري، وإنما أردت أن تعرف مقدار حر أمي. وكان دحمان طيباً ظريفاً.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال: أول ما عرف من ظرف دحمان أن رجلاً مر به يوماً، فقال له: أير حماري في حر أمك يا دحيم، فلم يفهم ما قاله، وفهمه رجل كان حاضراً معه فضحك، فقال: مم ضحكت؟ فلم يخبره، فقال له: أقسمت عليك إلا أخبرتني، قال: إنه شتمك فلا أحب استقبالك بما قاله لك، فقال: والله لتخبرني كائناً ما كان، فقال له: قال: كذا وكذا من حماري في حر أمك، فضحك ثم قال: أعجب والله وأغلظ علي من شتمه كنايتك عن أير حماره وتصريحك بحر أمي لا تكني.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أبو خالد يزيد بن محمد المهلبي قال حدثني إسحاق الموصلي قال حدثنا عبدالله بن الربيع المديني قال حدثني الربعي المغني قال: قال لنا جعفر بن سليمان وهو أمير المدينة: اغدوا على قصري بالعقيق غداً وكنت أنا ودحمان وعطرد، فغدوت للموعد، فبدأت بمنزل دحمان وهو في جهينة، فإذا هو وعطرد قد اجتمعا على قدر يطبخانها، وإذا السماء بغش، فأذكرتهما الموعد، فقالا: أما ترى يومنا هذا ما أطيبه! اجلس حتى نأكل من هذه القدر ونصيب

شيئاً ونستمتع من هذا اليوم، فقال: ما كنت لأفعل مع ما تقدم الأمير به إلي، فقالا لي: كأنا بالأمير قد انحل

عزمه، وأخذك المطر إلى أن تبلغ، ثم رجع إلينا مبتلاً فتقرع الباب وتعود إلى ما سألناك حينئذ. قال: فلم ألتفت إلى قولهما ومضيت، وإذا جعفر مشرف من قصره والمضارب تضرب والقدور تنصب، فلما كنت بحيث يسمع.

وأستصحب الأصحاب حتى إذا ونوا وملوا من الإدلاج جئتكم وحدي

قال: وما ذاك. فأخبرته، فقال: يا غلام، هات مائتي دينار أو أربعمائة دينار الشك من إسحاق الموصلي فانثرها في حجر الربعي، اذهب الأن فلا تحل لها عقدة حتى تريهما إياها فقلت: وما في يدي من ذلك! يأتيانك غدا فتلحقهما بي قال: ما كنت لأفعل، قلت: فلا أمضي حتى تحلف لي أنك لا تفعل، فحلف. فمضيت إليهما، فقرعت الباب فصاحا وقالا: ألم نقل لك إن هذه تكون حالك، فقلت: كلا فأريتهما الدنانير فقالا: إن الأمير لحي كريم، ونأتيه غدا فنعتذر إليه فيدعوه كرمه إلى أن يلحقنا بك، فقلت: كذبتكما أنفسكما، والله إني قد أحكمت الأمر ووكدت عليه الأيمان ألا يفعل، فقالا: لا وصلتك رحم.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن منصور بن أبي مزاحم قال أخبرني عبد العزيز بن الماجشون قال: صلينا يوماً الصبح بالمدينة، فقال قوم: قد سال العقيق، فخرجنا من المسجد مبادرين إلى العقيق، فانتهينا إلى العرصة، فإذا من وراء الوادي قبالتنا دحمان المعي وابن جندب مع طلوع الشمس قد تماسكا بينهما صوتاً وهو:

أسكن البدو ما سكنت ببدو فإذا ما حضرت طاب الحضور

وإذا أطيب صوت في الدنيا. قال: وكان أخي يكره السماع، فلما سمعه طرب طرباً شديداً وتحرك وكان لغناء دحمان أشد استحساناً وحركة وارتياحاً فقال لي: يا أخي، اسمع إلى غناء دحمان، والله لكأنه يسكب على الماء زيتاً.

أوحش الجنبذان فالدير منها فقراها فالمنزل المحظور

أسكن البدو ما أقمت ببدو فإذا ما حضرت طاب الحضور

أي عيش ألذه لست فيه أوترى نعمة به وسرور

الشعر لحسان بن ثابت. والغناء لابن مسجح رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن عبد الرحمن عن أبي عثمان البصري قال: قال دحمان: دخلت على الفضل بن يحيى ذات يوم، فلما جلسنا، قام وأومأ إلي فقمت، فأخذ بيدي ومضى بي إلى منظرة له على الطريق، ودعا بالطعام فأكلنا، ثم صرنا إلى الشراب، فبينا نحن كذلك إذ مرت بنا جارية سوداء حجازية تغني:

اهجريني أوصليني كيفما شئت فكوني

أنت والله تحبي ني وإن لم تخبريني

فطرب وقال: أحسنت! ادخلي فدخلت، فأمر بطعام فقدم إليها فأكلت، وسقاها أقداحاً، وسألها عن مواليها فأخبرته، فبعث، فاشترها، فوجدها من أحسن الناس غناء وأطيبهم صوتاً وأملحهم طبعاً فغلبتني عليه مدة وتناساني فكتبت إليه:

أخرجت السوداء ماكان في ... قلبك لي من شدة الحب

فإن يدم ذا منك لادام لي ... مت من الإعراض والكرب

قال: فلما قرأ الرقعة ضحك، وبعث فدعاني ووصلني، وعاد إلى ما كان عليه من الأنس.

قال مؤلف هذا الكتاب: هكذا أخبرنا ابن المرزبان بهذا الخبر، وأظنه غلطاً لأن دحمان لم يدرك خلافة الرشيد، وإنما أدركها ابناه زبير وعبدالله، فإما أن يكون الخبر لأحدهما أو يكون لدحمان مع غير الفضل بن يحيى.

وإني لآتي البيت ما إن أحبه ... وأكثر هجر البيت وهو حبيب

وأغضي على أشياء منكم تسوءني ... وأدعى إلى ماسركم فأجيب

وأحبس عنك النفس والنفس صبة ... بقربك والممشى إليك قريب

الشعر للأحوص. والغناء لدحمان ثقيل أول. وقد تقدمت أخبار الأحوص ودحمان فيما مضى من الكتاب.

حييا خولة مني بالسلام ... درة البحر ومصباح الظلام

لايكن وعدك برقاً خلباً ... كاذباً يلمع في عرض الغمام

واذكري الوعد الذي واعدتنا ... ليلة النصف من الشهرالحرام

الشعر لأعشى همدان. والغناء لأحمد النصيبي، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وعروضه من الرمل. والخلب من البرق: الذي لا غيث معه ولا ينتفع بسحابه. وتضرب المثل به العرب لمن أخلف وعده، قال الشاعر:

لايكن وعدك برقاً خلباً ... إن خيرالبرق ما الغيث معه

وعرض السحابة: الناحية منها.

أخبار أعشى دحمان ونسبه

اسمه عبد الرحمن بن عبدالله بن الحارث بن نظام بن جشم بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عبد الحر بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن نزار بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ويكنى أبا المصبح، شاعر فصيح، كوفي، من شعراء الدولة الأموية. وكان زوج أخت الشعبي الفقيه، والشعبي زوج أخته. وكان أحد الفقهاء القراء، ثم ترك

ذلك وقال الشعر، وآخى أحمد النصبي بالعشيرية والبلدية، فكان إذا قال شعراً غنى فيه أحمد. وخرج مع ابن الأشعث، فأتي به الحجاج أسيراً في الأسرى، فقتله صبراً.

أخبرني بما أذكره من جملة أخباره الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي عن !محمد بن معاوية الأسدي أنه أخذ أخباره هذه عن ابن كناسة عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية وعن غيرهم، من رواة الكوفيين. قال حدثنا عمر بن شبة وأبو هفان جميعاً عن إسحاق الموصلي عن الهيثم بن عدي عن عبدالله بن عياش الهمداني. قال العنزي: وأخذت بعضها من رواية مسعود بن بشر عن الأصمعي. وما كان من غير رواية هؤلاء ذكرته مفرداً.

أخبرني المهلبي أبو أحمد حبيب بن نصر وعلي بن صالح قالا حدثنا عمربن شبة وأبو هفان جميعاً عن إسحاق الموصلي عن الهيثم بن عدي عن عبدالله بن عياش الهمداني قال: كان الشعبي عامر بن شراحيل زوج أخت أعشى همدان، وكان أعشى همدان زوج أخت الشعبي. فأتاه أعشى همدان يوماً، وكان أحد القراء للقرآن، فقال له: إني رأيت كأني أدخلت بيتاً فيه حنطة وشعير، وقيل لي: خذ أيهما شئت، فأخذت الشعيرة فقال: إن صدقت رؤياك تركت القرآن وقراءته وقلت الشعر فكان كما قال: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي عن محمد بن معاوية الأسدي عن ابن كناسة، قال العنزي وحدثني مسعود بن بشر عن أبي عبيدة والأصمعي قالا، رافق روايتهم الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال: كان أعشى همدان أبو المصبح ممن أغزاه الحجاج بلد الديلم ونواحي دستبي، فأسر، فلم يزل أسيراً في، أيدي الديلم مدة.ثم إن بنتا للعلج الذي أسره هويته، وصارت إليه ليلاً فمكنته من نفسها، فأصبح وقد واقعها ثماني مرات، فقالت له الديلمية: يا معشر المسلمين، أهكذا تفعلون بنسائكم. فقال لها: هكذا نفعل كلنا فقالت له: بهذا العمل نصرتم، أفرأيت إن خلصتك، أتصطفيني لنفسك؟ فقال لها نعم، وعاهدها. فلما كان الليل حلت قيوده وأخذت به طرقاً تعرفها حتى خلصته وهربت معه. فقال شاعر من أسرى المسلمين:

فمن كان يفديه من الأسر ماله ... فهمدان تفديها الغداة أيورها

وقال الأعشى يذكر ما لحقه من أسر الديلم:

لمن الظعائن سيرهن ترجف ... عوم السفين إذا تقاعس مجذف

مرت بذي خشب كأن حمولها ... نخل بيثرب طلعه متضعف

غنى في هذين البيتين أحمد النصبي، ولحنه خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن عمرو وابن المكي. وفيهما لمحمد الزف خفيف رمل بالوسطى عن عمرو:

عولين ديباجاً وفاخر سندس ... وبخز أكسية العراق تحفف

وغدت بهم يوم الفراق عرامس ... فتل المرافق بالهوادج دلف

بان الخليط وفاتني برحيله ... خود إذا ذكرت لقلبك يشغف

تجلو بمسواك الأراك منظماً ... عذبا إذا ضحكت تهلل ينطف

وكأن ريقتها على علل الكرى ... عسل مصفى في القلال وقرقف

وكأنما نظرت بعيني ظبية ... "تحنو على خشف لها وتعطف

وإذا تنوء إلى القيام تدافعت ... مثل النزيف ينوء ثم يضعف

ثقلت روادفها ومال بخصرها ... كفل كما مال النقا المتقصف

ولها ذراعاً بكر رحبية ... ولها بنان بالخضاب مطرف

وعوارض مصقولة وترائب ... بيض وبطن كالسبيكة مخطف

ولها بهاء في النساء وبهجة ... وبها تحل الشمس حين تشرف

تلك التي كانت هواي وحاجتي ... لو أن دارا بالأحبة تسعف

وإذا تصنك من الحوادث نكبة ... فاصبر فكل مصيبه ستكشف

ولئن بكيت من الفراق صبابة ... إن الكبير إذا بكى ليعنف

عجباً من الأيام كيف تصرفت ... والدار تدنو مرة وتقذف

أصبحت رهناً للعداة مكبلا ... أمسي وأصبح في الأداهم أرسف

بين القليسم فالقيول فحامن ... فاللهزمين ومضجعي متكنف

هذه أسماء مواضع من بلد الديلم تكنفته الهموم بها

فجبال ويمة ما تزال منيفة ... يا ليت أن جبال ويمة تنسف

ويمة وشلبة: ناحيتان من نواحي الري:

ولقد أراني قبل ذلك ناعماً ... جذلان آبى أن أضام وآنف

واستنكرت ساقي الوثاق وساعدي ... وأنا امرؤ بادي الأشاجع أعجف

ولقد تضر سني الحروب وإنني ... ألفى بكل مخافة أتعسف

أتسربل الليل البهيم وأستري ... في الخبت إذ لا يسترون وأوجف

ما إن أزال مقنعاً أو حاسراً ... سلف الكتيبة والكتيبة وقف

فأصابني قوم فكنت أصيبهم ... فالآن أصبر للزمان وأعرف
إني لطلاب الترات مطلب ... وبكل أسباب المنية أشرف
باق على الحدثان غير مكذب ... لا كاسف بالي ولا متأسف
إن نلت لم أفرح بشيء نلته ... وإذا سبقت به فلا أتلهف
إني لأحمي في المضيق فوارسي ... وأكر خلف المستضاف وأعطف
وأشد إذ يكبو الجبان وأصطلي ... حر الأسنة والأسنة ترعف
فلئن أصابتني الحروب فربما ... أدعى إذا منع الرداف فأردف
ولربما يروى بكفي لهذم ... ماض ومطرد الكعوب مثقف
وأغير غارات وأشهد مشهداً ... قلب الجبان به يطير ويرجف
وأرى مغانم لو أشاء حويتها ... فيصدني عنها غنى وتعفف

غنى في هذه الأبيات دحمان، ولحنه ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي. قال الهشامي: فيها لمالك خفيف ثقيل أول بالوسطى، ووافقه في هذا ابن المكي قالوا جميعاً: ثم ضرب البعث على جيش أهل الكوفة إلى مكران، فأخرجه الحجاج معهم، فخرج إليها وطال مقامه بها ومرض، فاجتواها وقال في ذلك- وأنشدني بعض هذه القصيدة اليزيدي عن سليمان بن أبي شيخ:

طلبت الصبا إذ علا المكبر ... وشاب القذال وما تقصر
وبان الشباب ولذاته ... ومثلك في الجهل لايعذر
وقال العواذل هل ينتهي ... فيقدعه الشيب أو يقصر
وفي أربعين توفيتها ... وعشر مضت لي مستبصر
وموعظة لامرىء حازم ... إذا كان يسمع أو يبصر
فلاتأسفن على ما مضى ... ولا يحزننك ما يدبر
فإن الحوادث تبلي الفتى ... وإن الزمان به يعثر
فيوماً يساء بما نابه ... ويوماً يسر فيسبشر
ومن كل ذلك يلقى الفتى ... ويمنى له منه ما يقدر
كأني لم أرتحل جسرة ... ولم أجفها بعد ما تضمر
فأجشمها كل ديمومة ... ويعرفها البلد المقفر

ولم أشهد البأس يوم الوغى علي المفاضة والمغفر
ولم أخرق الصف حتى تميل دارعة القوم والحسر
وتحتى جرداء خيفانة من الخيل أو سابح مجفر
أطاعن بالرمح حتى اللبان يجري به العلق الأحمر
وما كنت في الحرب إذ شمرت كمن لا يذيب ولا يخثر
ولكنني كنت ذا مرة عطوفا إذا هتف المحجر
فإن أمس قد لاح في المشيب أم البنين، فقد أذكر

رخاء من العيش كنا به إذالدهر خال لنا مصحر
وإذ أنا في عنفوان الشبا ب يعجبني اللهو والسمر
أصيد الحسان ويصطدنني وتعجبني الكاعب المعصر
وبيضاء مثل مهاة الكثب لاعيب فيهالمن ينظحر
كأن مقلدها إذ بدا به الدر والشذر والجوهر
مقلد أدماء نجدية يعن له شادن أحور
كأن جنى النحل والزنجبي ل والفارسية إذ تعصر
يصب على برد أنيابها مخالطه المسك والعنبر
إذا انصرفت وتلوت بها رقاق المجاسد والمئزر
وغض السوار وجال الوشاح على عكن خصرها مضمر
وضاق عن الساق خلخالها فكاد مخمها ينمر
فتور القيام رخيم الكلا م يفزعها الصوت إذ تزجر
وتنمى إلى حسب شامخ فليست مجذب إذ تفخر
فتلك التي شفني حبها وحملني فوق ما أقدر
فلا تعذلاني في حبها فإني بمعنرة أجدر

ومن ها هنا رواية اليزيدي-:

وقولا لذي طرب عاشق: أشط المزار بمن تذكر؟

بكوفية أصلها بالفرا ت تبدو هنالك أو تحضر

وأنت تسير إلى مكران فقد شحط الورد والمصدر

ولم تك من حاجتي مكران ولا الغزو فيها ولا المتجر

وخبرت عنها ولم اتها فما زلت من ذكرها أذعر

بأن الكثير بها جائع وأن القليل بها مقتر

وأن لحى الناس من حرها تطول فتجلم أو تضفر

ويزعم من جاءها قبلنا بأنا سنسهم أو ننحر

أعوذ بربي من المخزيا ت فيما أسر وما أجهر

وحدثت أن مالنا رجعة سنين ومن بعدها أشهر

إلى ذاك ما شاب أبناؤنا وباد الأخلاء والمعشر

وما كان بي من نشاط لها وإني لذو عدة موسر

ولكن بعثت لها كارهاً وقيل انطلق كالذي يؤمر

فكان النجاء ولم ألتفت إليهم وشرهم منكر

هو السيف جرد من غمده فليس عن السيف مستأخر

وكم من أخ لي مستأنس يظل به الدمع يستحسر

يودعني وانتحت عبرة له كالجداول أو أغزر

فلست بلاقيه من بعدها يد الدهر ما هبت الصرصر

وقد قيل إنكم عابرو ن بحرالها لم يكن يعبر

إلى السند والهند في أرضهم هم الجن لكنهم أنكر

وما رام غزوا لها قبلنا أكابر عاد ولا حمير

ولا رام سابور غزوا لها ولا الشيخ كسرى ولا قيصر

ومن دونها معبر واسع وأجر عظيم لمن يؤجر

وذكر محمد بن صالح بن النطاح أن هشام بن محمد الكلبي حدث عن أبيه: أن أعشى همدان كان مع خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي بالري ودستبي، وكان الأعشى شاعر أهل اليمن بالكوفة وفارسهم، فلما قدم خالد من مغزاه خرج جواريه يتلقينه وفيهن أم ولد له كانت رفيعة القدر عنده، فجعل الناس يمرون عليها إلى أن جاز بها الأعشى وهو على فرسه يميل يميناً ويساراً من النعاس فقالت أم ولد خالد بن عتاب لجواريها: إن امرأة خالد لتفاخرني بأبيها وعمها وأخيها، وهل يزيدون على أن يكونوا مثل هذا الشيخ المرتعش!. وسمعها الأعشى فقال: من هذه؟ فقال له بعض الناس: هذه جارية خالد فضحك وقال لها: إليك عني يا لكعاء ثم أنشأ يقول:

وما يدريك ما فرس جرور ... وما يدريك ما حمل السلاح
ومايدريك ماشيخ كبير ... عداه الدهرعن سنن المراح
فأقسم لو ركبت الورد يوما ... وليلته إلى وضح الصباح
إذا لنظرت منك إلى مكان ... كسحق البرد أو أثرالجراح

قال: فأصبحت الجارية فدخلت إلى خالد فشكت إليه الأعشى، فقالت: والله ما تكرم، ولقد اجترىء عليك فقال لها: وما ذاك؟ فأخبرته أنها مرت برجل في وجه الصبح، ووصفته له وأنه سبها، فقال: ذلك أعشى، همدان، فأي شيء قال لك. فأنشدته الأبيات. فبعث إلى الأعشى، فلما دخل عليه قال له: ما تقول. هذه زعمت أنك هجوتها، فقال: أساءت سمعاً، إنما قلت:

مررت بنسوة متعطرات ... كضوء الصبح أوبيض الأداحي
على شقرالبغال فصدن قلبي ... بحسن الدل والحدق الملاح
فقلت من الظباء فقلن سرب ... بدالك من ظباء بني رياح

فقالت: لا والله، ما هكذا قال، وأعادت الأبيات فقال له خالد: أما إنها لولا أنها قد ولدت مني لوهبتها لك، ولكني أفتدي جنايتها بمثل ثمنها، فدفعه إليه وقال له: أقسمت عليك يا أبا المصبح ألآ تعيد في هذا المعنى شيئاً بعد ما فرط منك.

وذكر هذا الخبر العتري في روايته التي قدمت ذكرها، ولم يأت به على هذا الشرح.

وقال هو وابن النطاح جميعاً: وكان خالد يقول للأعشى في بعض ما يمنيه إياه ويعده به: إن وليت عملاً كان لك ما دون الناس جميعاً، فمتى استعملت فخذ خاتمي واقض في أمور الناس كيف شئت. قال: فاستعمل خالد على أصبهان وصار معه الأعشى، فلما وصل إلى عمله جفاه وتناساه، ففارقه الأعشى ورجع إلى الكوفة وقال فيه:

تمنيني إمارتها تميم ... وما أمي بأم بشي تميم
وكان أبوسليمان أخاً لي ... ولكن الشراك من الأديم

أتينا أصبهان فهزلتنا وكنا قبل ذلك في نعيم
أتذكرنا ومرة إذغزونا وأنت على بغيلك ذي الوشوم
ويركب رأسه في كل وحل ويعثرفي الطريق المستقيم
وليس عليك إلاطيلسان نصيبي وإلاسحق نيم
فقد أصبحت في خزوقز تبختر ماترى لك من حميم
وتحسب أن تلقاها زمانا كذبت ورب مكة والحطيم

هذه رواية ابن النطاح، وزاد العتزي في روايته-:

وكانت أصبهان كخير أرض لمغترب وصعلوك عديم
ولكنا أتيناها وفيها ذوو لأضغان والحقد القديم
فأنكرت الوجوه وأنكرتني وجوه ماتخبرعن كريم
وكان سفاهة مني وجهلاً مسيري لا أسيرإلى حميم
فلو كان ابن عتاب كريماً سما لرواية الأمرالجسيم
وكيف رجاء من غلبت عليه تنائي الدار كالرحم العقيم

قال ابن النطاح: فبعث إليه خالد: من مرة هذا الذي ادعيت أني وأنت غزونا معه على بغل ذي وشوم؟ ومتى كان ذلك. ومتى رأيت علي الطيلسان والنيم اللذين وصفتهما؟ فأرسل إليه: هذا كلام أردت وصفك بظاهره، فأما تفسيره، فإن مرة مرارة مرة ما غرست عندي من القبيح. والبغل المركب الذي ارتكبته مني لا يزال يعثر بك في كل وعث وجدد ووعر وسهل. وأما الطيلسان فما ألبسك إياه من العار والذم وإن شئت راجعت الجميل فراجعته لك، فقال: لا، بل أراجع الجميل وتراجعه فوصله بمال عظيم وترضاه. هكذا روى من قدمت ذكره.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال: لما ولي خالد بن عتاب بن ورقاء أصبهان، خرج إليه أعشى همدان، وكان صديقه وجاره بالكوفة، فلم يجد عنده ما يحب، وأعطى خالد الناس عطايا فجعله في أقلها وفضل عليه آل عطارد، فبلغه عنه أنه ذمه فحبسه مدة ثم طلقه، فقال يهجوه:

وما كنت ممن ألجأته خصاصة إليك ولا ممن تغر المواعد
ولكنها الأطماع وهي مذلة دنت بي وأنت النازح المتباعد
أتحبسني في غيرشيء وتارة تلاحظني شزراً وأنفك عاقد
فإنك لاكابني فزارة فاعلمن خلقت ولم يشبههما لك والد

ولامدرك ما قد خلا من نداهما أبوك ولاحوضيهما أنت وارد
وإنك لو ساميت آل عطارد لبذتك أعناق لهم وسواعد

ومأثرة عادية لن تنالها وبيت رفيع لم تخنه القواعد
وهل أنت إلا ثعلب في ديارهم تشل فتغسا أو يقودك قائد
أرى خالداً يختال مشياً كأنه من الكبرياء نفشل أو عطارد
وما كان يربوع شبيها لدارم وما عدلت شمس النهار الفراقد

قالوا: ولما خرج ابن الأشعث على الحجاج بن يوسف حشد معه أهل الكوفة، فلم يبق من وجوههم وقرائهم أحد له نباهة إلا خرج معه لثقل وطأة الحجاج عليهم. فكان عامر الشعبي وأعشى همدان ممن خرج معه، وخرج، أحمد النضبي أبو اسامة الهمذاني المغني مع الأعشى لالفته إياه، وجعل الأعشى يقول الشعر في ابن الأشعث يمدحه، ولا يزال يحرض أهل الكوفة بأشعاره على القتال، وكان مما قاله في ابن الأشعث يمدحه:

يأبى الإله وعزة ابن محمد وجدود ملك قبل آل ثمود
أن تأنسوا بمذممين، عروقهم في الناس إن نسبوا عروق عبيد
كم من أب لك كان يعقد تاجه بجبين أبلج مقول صنديد
وإذا سألت: المجد أين محله فالمجد بين محمد وسعيد
بين الأشج وبين قيس باذخ بخ بخ لوالده وللمولود
ماقضرت بك أن تنال مدى العلا أخلاق مكرمة وإرث جدود
قرم إذا سامى القروم ترى له أعراق مجد طارف وتليد
وإذا دعا لعظيمة حشدت له همدان تحت لوائه المعقود
يمشون في حلق الحديد كأنهم أشد الإباء سمعن زأر أسود
وإذا دعوت بال كندة أجفلوا بكهول صدق سيد ومسود
وشباب مأسدة كأن سيوفهم في كل ملحمة بروق رعود
ما إن ترى قيساً يقارب قيسكم في المكرمات ولاترى كسعيد

وقال حماد الراوية في خبره: كانت لأعشى همدان مع ابن الأشعث مواقف محمودة وبلاء حسن وآثار مشهورة، وكان الأعشى من أخواله، لأن أم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أم عمرو بنت سعيد بن قيس الهمداني. قال:

فلما صار ابن الأشعث إلى سجستان جبى مالاً كثيرا، فسأله أعشى همدان أن يعطيه منه زيادة على عطائه فمنعه، فقال الأعشى في ذلك:

هل تعرف الدار عفا رسمها ... بالحضر فالروضة من آمد

دار لخود طفلة رودة ... بانت فأمسى حبها عامدي

بيضاء مثل الشمس رقراقة ... تنسم عن في اشر بارد

لم يخط قلبي سهمها إذ رمت ... يا عجبا من سهمها القاصد

يأيها القزم الهجان الذي ... ينطش بطش الأسد اللابد

والفاعل الفعل الشريف الذي ... ينمى إلى الغائب والشاهد

كم قد اسدي لك من مدحه ... تروى مع الصادر والوارد

وكم أجبنا لك من دعوة ... فاعرف فما العارف كالجاحد

نحن حميناك وما تحتمي ... في الروع من مثنى ولا واحد

يوم انتصرنا لك من عابد ... ويوم أنجيناك من خالد

ووقعة الري التي نلتها ... بجحفل من جمعنا عاقد

وكم لقينا لك من واتر ... يصرف نابي حنق حارد

ثم وطئناه بأقدامنا ... وكان مثل الحية الراصد

إلى بلاء حسن قد مضى ... وأنت في ذلك كالزاهد

فاذكر أيادينا وآلاءنا ... بعوده من حلمك الراشد

ويوم الأهواز فلا تنسه ... ليس النثا والقول بالبائد

إنا لنرجوك كما نزتجي ... صوب الغمام المبرق الراعد

فانفخ بكفيك وما ضمتا ... وافعل فعال الشيد الماجد

ما لك لا تعطي وأنت امرؤ ... مثر من الطارف والتالد

تجبي سجستان وما حولها ... متكئاً في عيشك الراغد

لاترهب الدهر وأيامه ... وتجرد الأرض مع الجارد

إن يك مكروه تهجنا له ... وأنت في المعروف كالراقد

ثم ترى أنا سنرضى بذا كلا ورب الراكع الساجد
وحرمة البيت وأستاره ومن به من ناسك عابد
تلك لكم أمنية باطل وغفوة من حلم الراقد
ما أنا إن هاجك من بعدها هيج بآتيك ولا كابد
ولا إذا ناطوك في حلقة بحامل عنك ولا فاقد
فأعط ما أعطيته طيباً لا خير في المنكود والناكد
نحن ولدناك فلا تجفن والله قد وصاك بالوالد
إن تك من كندة في بيتها فإن أخوالك هن حاشد
شم العرانين وأهل الندى ومنتهى الضينان والرائد
كم فيهم من فارس معلم وسائس للجيش أو قائد
وراكب للهول يجتابه مثل شهاب القبس الواقد
أو ملأ يشفى بأحلامهم من سفه الجاهل والمارد
لم يجعل الله بأحسابنا نقصا وما الناقص كالزائد
ورب خال لك، في قومه فرع طويل الباع والساعد
يحتضر البأس ومايبتغى سوى إسار البطل الناجد
والطعن بالراية مستمكناً في الصف في العادية الناهد
فارتح لأخوالك واذكرهم وارحمهم للسلف العائد
فإن أخوالك لم يبرحوا يربون بالرفد على الرافد
لم يبخلوا يوماً ولم يجبنوا في السلف الغافي ي ولا القاعد
ورب خال لك في قومه حمال أثقال لها واجد
معترف للرزء في ماله والحق للسائل والعامد

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي، وأخبرني عمي عن الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي، وذكره العتزي عن أصحابه، قالوا جميعاً: خرج أعشى همدان إلى الشأم في ولاية مروان بن الحكم، فلم ينل فيها حظاً فجاء إلى النعمان بن بشير وهوعامل على حمص، فشكا إليه حاله، فكلم له النعمان بن بشير اليمانية وقال لهم: هذا شاعر اليمن ولسانها، واستماحهم له، فقالوا: نعم، يعطيه كل رجل منا دينارين من

عطائه، فقال: لا، بل أعطوه ديناراً ديناراً واجعلوا ذلك معجلاً، فقالوا: أعطه إياه من بيت المال واحتسبها على كل رجل من عطائه، ففعل النعمان وكانوا عشرين ألفاً فأعطاه عشرين ألف دينار وارتجعها منهم عند العطاء. فقال الأعشى يمدح النعمان:

ولم أر للحاجات عند التماسها ... كنعمان نعمان الندى ابن بشير

إذا قال أوفى ما يقول ولم يكن ... كمدلٍ إلى الأقوام حبل غرور

متى أكفرالنعمان لم ألف شاكراً ... وماخيرمن لايقتدي بشكور

فلولا أخو الأنصار كنت كنازلٍ ... ثوى ماثوى لم ينقلب بنقير

وقال الهيثم بن عدي في خبره: حاصر المهلب بن أبي صفرة نصيبين، وفيها أبو قارب يزيد بن أبي صخرومعه الخشبية فقال المهلب: يأيها الناس، لا يهولنكم هؤلاء القوم فإنما هم العبيد بأيديها العصي. فحمل عليهم المهلب وأصحابه فلقوهم بالعصي فهزموهم حتى أزالوهم عن موقفهم. فدس المهلب رجلاً من عبد القيس إلى يزيد بن أبي صخر ليغتاله، وجعل له على ذلك جعلا سنيا قال الهيثم: بلغني أنه أعطاه مائتي ألف درهم قبل أن يمضي ووعده بمثلها إذا عاد فاندس له العبدي فاغتاله فقتله وقتل بعده. فقال أعشى همدان في ذلك:

يسمون أصحاب العصي وما أرى ... مع القوم إلا المشرفية من عصا

ألا أيها الليث الذي جاء حاذراً ... وألقى بنا جرمى الخيام وعرصا

أتحسب غزو الشأم يوماً وحربه ... كبيض ينظمن الجمان المفصصا

وسيرك بالأهواز إذ أنت امنٌ ... وشربك ألبان الخلايا المقرصا

فأقسمت لاتجبي لك الدهردرهماً ... نصيبون حتى تبتلى وتمحصا

ولا أنت من أثوابها الخضرلابسٌ ... ولكن خشباناً شداداً ومشقصا

فكم رد من ذي حاجةٍ لاينالها ... جديع العتيك رده الله أبرصا

وشيد بنياناً وظاهر كسوةً ... وطال جديع بعد ما كان أوقصا

تصغير جدع جديع بالدال غير معجمة. والأبيات التي كان فيها الغناء المذكور معه خبر الأعشى في هذا الكتاب يقولها في زوجة له من هفدان يقال لها جزلة، هكذا رواه الكوفيون، وهو الصحيح. وذكر الأصمعي أنها خولة، هكذا رواه في شعر الأعشى.

فذكر العتري في أخبار الأعشى المتقدم إسنادها: أنها كانت عند الأعشى امرأةٌ من قومه يقال لها أم الجلال،

فطالت مدتها معه وأبغضها، ثم خطب امرأة من قومه يقال لها جزلة وقال الأصمعي: خولة فقالت له: لا، حتى تطلق أم الجلال فطلقها وقال في ذلك:

تقادم ودك أم الجلال ... فطاشت نبالك عند النضال

وطال لزومك لي حقبةً ... فرثت قوى الحبل بعد الوصال

وكان الفؤاد بهامعجباً ... فقدأصبح اليوم عن ذاك سالي

صحا لا مسيئاً ولا ظالماً ... ولكن سلاسوةً في جمال

ورضت خلائفنا كلها ... ورضنا خلائقكم كل حال

فأكيبتنا في الذي بيننا ... تسومينني كل أمرٍعضال

وقدتأمرين بقطع الصديق ... وكان الصديق لنا غير قالي

وإتيان ما قد تجنبته ... وليداً ولمت عليه رجالي

أفاليوم أركبه بعد ما ... علا الشيب مني صميم القذال

لعمرأبيك لقد خلتني ... ضعيف القوى أوشديد المحال

هلمي اسألي نائلا فانظري ... أأحرمك الخيرعند السؤال

ألم تعلمي أنني مغرقٌ ... نماني إلى المجد عمي وخالي

وأني إذا ساءني منزلٌ ... عزمت فأوشكت منه ارتحالي

فبعض العتاب، فلاتهلكي ... فلا لك في ذاك خيرٌ ولالي

فلما بدا لي منها البذا ... ء صبحتها بثلاث عجال

ثلاثاً خرجن جميعاً بها ... فخلينها ذات بيتٍ ومال

إلى أهلها غير مخلوعةٍ ... ومامسهاعندنامن نكال

فأمست تحن حنين اللقا ... ح من جزع إثر من لايبالي

فحني حنينك واستيقني ... بأنا اطرحناك ذات الشمال

وأن لا رجوع فلا تكذبي ... ن ما حنت النيب إثر الفصال

ولا تحسبيني بأني ندم ... ت كلا وخالقنا ذي الجلال

فقالت له أم الجلال: بئس والله بعل الحرة وقرين الزوجة المسلمة أنت! ويحك! أعددت طول الصحبة والحرمة ذنباً تسبني وتهجوني به! ثم دعت عليه أن يبغضه الله إلى زوجته التي اختارها، وفارقته. فلما انتقلت إلى أ أهلها

وصارت جزلة إليه، ودخل بها لم يحظ عندها، ففركته وتنكرت له واشتد شغفه بها ثم خرج مع ابن الأشعث فقال فيها:

حييا جزلة مني بالسلام ... درة البحر ومصباح الظلام
لا تصدي بعد ود ثابتٍ ... واسمعي يا أم عيسى من كلامي
إن تدومي لي فوصلي دائمٌ ... أو تهمي لي بهجر أو صرام
أو تكوني مثل برقٍ خلب ... خادع يلمع في عرض الغمام
أو كتخييل سراب مغرضٍ ... بفلاة أو طروق في المنام
فاعلمي إن كنت لما تعلمي ... ومتى ما تفعلي ذاك تلامي
بعد ما كان الذي كان فلا ... تتبعي الإحسان إلا بالتمام
لا تناسيئ كل ما أعطيتني ... من عهود ومواثيق عظام
واذكري الوعد الذي واعدتني ... ليلة النصف من الشهر الحرام
فلئن بدلت أو خست بنا ... وتجرأت على أم صمام

أم صمام: الغدر والحنث:

لا تبالين إذاً من بعدها ... أبداً ترك صلاةٍ أو صيام
راجعي الوصل وردي نظرةً ... لا تلجي في طماح وأثام
وإذا أنكرت مني شيمةً ... ولقد ينكر ما ليس بذام
فاذكريها لي أزل عنها ولا ... تسفحي عينيك بالدمع السجام
وأرى حبلك رثا خلقاً ... وحبالي جدداً غير رمام

عجبت جزلة مني أن رأت ... لمتي حفت بشيب كالثغام
ورأت جسمي علاه كبرةٌ ... وصروف الدهر قد أبلت عظامي
وصليت الحرب حتى تركت ... جسدي نضواً كأشلاء اللجام
وهي بيضاء على منكبها ... قططٌ جعدٌ وميال سخام
وإذا تضحك تبدي حبباً ... كرضاب المسك في الراح المدام
كملت ما بين قرنٍ فإلى ... موضع الخلخال منها والخدام

فأراها اليوم لي قد أحدثت خلقاً ليس على العهد

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعيد الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن مجالد عن الشعبي: أنه أتى البصرة أيام ابن الزبير، فجلس في المسجد إلى قوم من تميم فيهم الأحنف بن قيس فتذاكروا أهل الكوفة وأهل البصرة وفاخروا بينهم، إلى أن قال قائل من أهل البصرة: وهل أهل الكوفة إلا خولنا؟ استنقذناهم من عبيدهم! -يعني الخوارج-. قال الشعبي: فهجس في صدري أن تمثلت قول أعشى همدان:

أفخرتم أن قتلتم أعبداً وهزمتم مرةً آل عزل

نحن سقناهم إليكم عنوةً وجمعنا أمركم بعد فشل

فإذا فاخرتمونا فاذكروا مافعلنا بكم يوم الجمل

بين شيخ خاضبٍ عثنونه وفتى أبيض وضاحٍ رفل

جاءنا يرفل في سابغةٍ فذبحناه ضحى ذبح الحمل

وعفونا فنسيتم عفونا وكفرتم نحمة الله الأجل

قال: فضحك الأحنف، ثم قال: يأهل البصرة، قد فخر عليكم الشعبي وصدق وانتصف، فأحسنوا مجالسته.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العتري قال حدثنا الرياشي عن أبي محلم عن الخليل بن عبد الحميد عن أبيه قال: بعث بشر بن مروان الزبير بن خزيمة الخثعمي إلى الري فلقيه الخوارج بجلولاء، فقتلوا جيشه وهزموه وأبادوا عسكره، وكان معه أعشى همدان، فقال في ذلك:

أمرت خثعمٌ على غير خير ثم أوصاهم الأمير بسير

أين ماكنتم تعيفون للنا س وما تزجرون من كل طير

ضلت الطيرعنكم بجلولا ءوغرتكم أماني الزبير

قدرّما أتيح لي من فلسطي ن على فالج ثقال وعير

خثعمي مغصص جزجمان ي محل غزامع ابن نمير

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال: سألت الأصمعي عن أعشى همدان فقال: هو من الفحول وهو إسلامي كثير الشعر ثم قال لي: العجب من ابن دأب حين يزعم أن أعشى همدان قال:

من دعا لي غزيلي أربح الله تجارته

ثم قال: سبحان الله أمثل هذا يجوز على الأعشى؟ أن يجزم اسم الله عز وجل ويرفع تجارته وهو نصب.

ثم قال لي خلفٌ الأحمر: والله لقد طمع ابن دأب في الخلافة حين ظن أن هذا يقبل منه وأن له من المحل مثل أن يجوز مثل هذا. قال ثم قال: ومع ذلك أيضاً إن قوله: من دعا لي غزيلي لا يجوز، إنما هو: من دعا لغزيلي، ومن

دعا لبعير ضال.

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال: أملق أعشى همدان فأتى خالد بن عتاب بن وزقاء فأنشده:

رأيت ثناء الناس بالقول طيباً ... عليك وقالوا ماجدٌ وابن ماجد

بني الحارث السامين للمجد، إنكم ... بنيتم بناءً ذكره غيربائد

هنيئا لما أعطاكم الله واعلموا ... بأني ساطري خالداً في القصائد

فأن يك عتابٌ مضى لسبيله فما مات من يبقى له مثل خالد فأمر له بخمسة آلاف درهم.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان قال: قال عمر بن عبد العزيز يوما لسابق البربري ودخل عليه: أنشدني يا سابق شيئاً من شعرك تذكرني به فقال: أو خيراً من شعري؟ فقال: هات قال قال أعشى همدان:

وبينما المرء أمسى ناعماً جذلاً ... في أهله معجباً بالعيش ذا أنق

غراء، أتيح له من حينه عرض ... فما تلبث حتى مات كالصعق

ثمت أضحى ضحى من غب ثالثة ... مقنعاً غير ذي روح ولا رمق

يبكى عليه وأدنوه لمظلمة ... تغلى جوانبها بالترب والفلق

فماتزود مما كان يجمعه ... إلاحنوطا وماواراه من خرق

وغيرنفحة أعوادٍ تشب له ... وقل ذلك من زاد لمنطلق

قال: فبكى عمر حتى أخضل لحيته.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الحسين بن محمد بن أبي طالب الديناري قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال: سأل أعشى همدان شجرة بن سليمان العبسي حاجةً فرده عنها، فقال يهجوه:

لقد كنت خياطاً فأصبحت فارساً ... تعد إذا عد الفوارس من مضر

فإن كنت قد أنكرت هذا فقل كذا ... وبين لي الجرح الذي كان قد دثر

وإصبعك الوسطى عليه شهيدةٌ ... وما ذاك إلا وخزها الثوب بالإبر

قال وكان يقال: إن شجرة كان خياطاً، وقد كان ولي للحجاج بعض أعمال السواد. فلما قدم على الحجاج فال له: يا شجرة، ارني إصبعك أنظر إليها قال: أصلح الله الأمير، وما تصنع بها؟ قال: أنظر إلى صفة الأعشى ة فخجل شجرة. فقال الحجاج لحاجبه: مر المعطي أن يعطى الأعشى من عطاء شجرة كذا وكذا. يا شجرة، إذا

أتاك امرؤ ذو حسب ولسان فاشتر عرضك منه.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد الأزدي قال حدثنا أحمد بن عمرو الحنفي عن جماعة قال المبرد: أحسب أن أحدهم مؤرج بن عمرو السدوسي قالوا: لما اتي الحجاج بن يوسف الثقفي بأعشى همدان أسيراً، قال: الحمد لله الذي أمكن منك، ألست القائل:

لما سفؤنا للكفور الفتان ... بالسيد الغطريف عبد الرحمن

سار بجمع كالقطا من قحطان ... ومن معد قد أتى ابن عدنان

أمكن ربي من ثقيف هفدان ... يوماً إلى الليل يسلي ما كان

إن ثقيفا منهم الكذابان ... كذابها الماضي وكذابٌ ثان

أو لست القائل:

يابن الأشج قريع كن ... دة لا أبالي فيك عتبا

أنت الرئيس ابن الرئي ... س وأنت أعلى الناس كعبا

نبئت حجاج بن يو ... سف خرمن زلق فتبا

فانهض فديت لعله ... يجلوبك الرحمن كربا

وابعث عطية في الخيو ... ل يكبهن عليه كبا

كلا يا عدو الله، بل عبد الرحمن بن الأشعث هو الذي خر من زلق فتب، وحار وانكب، وما لقي ما أحب ورفع بها صوته واربد وجهه واهتز منكباه، فلم يبق أحد في المجلس إلا أهمته نفسه وأرتعدت فرائصه. فقال له الأعشى بل أنا القائل أيها الأمير:

أبى الله إلا أن يتمم نوره ... ويطفىء نار الفاسقين فتخمدا

وينزل ذلاً بالعراق وأهله ... كما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا

ومالبث الحجاج أن سل سيفه ... علينا فولى جمعنا وتبددا

وما زاحف الحجاج إلارأيته ... حساما ملقى للحروب معودا

فكيف رأيت الله فرق جمعهم ... ومزقهم عرض البلاد وشردا

بمانكثوامن بيعة بعد بيعة ... إذاضمنوها اليوم خاسوا بهاغدا

وما أحدثوامن بدعة وعظيمة ... من القول لم تصعد إلى الله مصعدا

ولما دلفنا لابن يوسف ضلة ... وأبرق منا العارضان وأرعدا

قطعنا إليه الخندقين وإنما قطعناوأفضينا إلى الموت مرصدا
فصادمنا الحجاج دون صفوفنا كفاحاً ولم يضرب لذلك موعدا
بجند أمير المؤمنين وخيله وسلطانه أمسى معاناً مؤيدا
ليهنىءأمير المؤمنين ظهوره على أمة كانوابغاةً وحسدا
وجدنا بني مروان خيرأئمة وأعظم هذا الخلق حلماً وسؤددا
وخيرقريش في قريش أرومة وأكرمهم إلا النبي محمدا
إذا ما تدبرنا عواقب أمرنا وجدنا أمير المؤمنين المسددا
سيغلب قوماً غالبوا الله جهرة وإن كايدوه كان أقوى وأكيدا

كذاك يضل الله من كان قلبه ضعيفا ومن والى النفاق وألحدا
فقد تركوا الأموال والأهل خلفهم وبيضاً عليهن الجلابيب خردا
يناديهم مستعبرات إليهم ويذرين دمعاً في الخدود وإثمدا
وإلاتناولهن منك برحمة يكن سبايا والبعولة أعبدا
تعطف أمير المؤمنين عليهم فقد تركوا أمرالسفاهة والردى
لعلهم أن يحدثوا العام توبةً وتعرف نصحاً منهم وتوددا
لقد شمت يابن الأشعث العام مصرنا فظلوا وما لاقوا من الطيرأسعدا
كما شاء الله النجير وأهله بجدك من قد كان أشقى وأنكدا

فقال من حضر من أهل الشام: قد أحسن أيها الأمير، فخل سبيله فقال: أتظنون أنه أراد المدح! لا والله! لكنه قال هذا أسفاً لغلبتكم إياه وأراد به أن يحرض أصحابه. ثم أقبل عليه فقال له: أظننت يا عدو الله أنك تخدعني بهذا الشعر وتنفلت من يدي حتى تنجو! ألست القائل! ويحك!.

وإذاسألت: المجد أين محله فالمجد بين محمد وسعيد
بين الأغروبين قيس باذخٌ بخ بخ لوالده وللمولود

والله لا تبخبخ بعدها أبداً. أو لست القائل:

وأصابني قومٌ وكنت أصيبهم فاليوم أصبر للزمان وأعرف !

كذبت والله، ما كنت صبوراً ولا عروفاً. ثم قلت بعده:

وإذاتصبك من الحوادث نكبةٌ فاصبرفكل غيابة ستكشف

أما والله لتكونن نكبة لا تنكشف غيابتها عنك أبداً! يا حرسي، اضرب عنقه فضرب عنقه.

وذكر مؤرج السدوسي أن الأعشى كان شديد التحريض على الحجاج في تلك الحروب، فجال أهل العراق جولة ثم عادوا، فنزل عن سرجه ونزعه عن فرسه، ونزع درعه فوضعها فوق السرج، ثم جلس عليها فأحدث والناس يرونه، ثم أقبل عليهم فقال لهم: لعلكم أنكرتم ما صنعت! قالوا: أو ليس هذا موضع نكير. قال: لا، كلكم قد سلح في سرجه ودرعه خوفاً وفرقاً، ولكنكم سترتموه وأظهرته ة فحمي القوم وقاتلوا أشد قتال يومهم إلى الليل، وشاعت فيهم الجراح والقتلى، وانهزم أهل الشأم يومئذ، ثم عاودوهم من غد وقد نكأتهم الحرب ة وجاء مددٌ من أهل الشأم، فباكروهم القتال وهم مستريحون فكانت الهزيمة وقتل ابن الأشعث. وقد حكيت هذه الحكاية عن أبي كلدة اليشكري أنه فعلها في هذه الوقعة، وذكر ذلك أبو عمرو الشيباني في أخبار أبي كلدة ، وقد ذكر ما حكاه مع أخباره في موضعه من، هذا الكتاب.

النصبي هو صاحب الأنصاب. وأول من غنى بها وعنه أخذ النصب في الغناء هو أحمد بن اسامة الهمداني، من رهط الأعشى الأدنين. و لم أجد نسبه متصلا فأذكره. وكان يغني بالطنبور في الإسلام. وكان، فيما يقال، ينادم عبيد الله بن زياد سراً ويغنيه. وله صنعةٌ كثيرة حسنة لم يلحقها أحد من الطنبوريين ولا كثير ممن يغني بالعود. وذكره جحظة في كتاب الطنبوريين فأتى من ذكره بشيء ليس من جنس أخباره ولا زمانه، وثلبه فيما ذكره. وكان مذهبه عفا الله عنا وعنه في هذا الكتاب أن يثلب جميع من ذكره من أهل صناعته بأقبح ما قدرعليه، وكان يجب عليه ضد هذا، لأن من أنتسب إلى صناعة، ثم ذكر متقدمي أهلها، كان الأجمل به أن يذكر محاسن أخبارهم وظريف قصصهم ومليح ما عرفه منهم لا أن يثلبهم بما لا يعلم وما يعلم. فكان فيما قرأت عليه من هذا الكتاب أخبار أحمد النصبي، وبه صدر كتابه فقال: أحمد النصبي أول من غنى الأنصاب على الطنبور وأظهرها وسيرها و لم يخدم خليفة ولا كان له شعر ولا أدب.

وحدثني جماعة من الكوفيين أنه لم يكن بالكوفة أبخل منه مع يساره، وأنه كان يفرض الناس بالربا، وأنه اغتص في دعوة دعي إليها بفالوذجة حارة فبلعها فجمعت أحشاءه فمات. وهذا كله باطل. أما الغناء فله منه صنعة في الثقيل الأول وخفيف الثقيل والثقيل الثاني، ليس لكثير أحد مثلها. منها الصوت الفي تقدم ذكرهوهو قوله: حييا خولة مني بالسلام ومنها:

سلبت الجواري حفيهن فلم تدع لسوراً ولا طوقاً على النحر مذهبا

وهو من الثقيل الثاني، والشعر للعديل بن الفرخ ، وقد ذكرت ذلك في أخباره.

ومنها:

يأيها القلب المطيع الهوى أنى اعتراك الطرب النازخ

وهو أيضا من الثقيل الثاني، وأصوات كثيرةٌ نالمحرة تدل على تقدمه.

وأما ما وصفه من بخله وقرضه للناس بالربا وموته من فالوذجة حارة أكلها، فلا أدري من من الكوفيين حدثه بهذا الحديث، ليس يخلو من أن يكون كاذباً، أو نحل هو هذه الحكاية ووضعها هنا، لأن أحمد النصبي خرج مع أعشى همدان وكان قرابته وإلفه في عسكر ابن الأشعث، فقتل فيمن قتل. روى ذلك الثقات من أهل الكوفة والعلم بأخبار الناس، وذلك يذكر في جملة أخباره.

أخبرنا محمد بن مزيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، وذكره العتري في أخبار أعشى همدان المذكورة عنه عن رجاله المسفين قال: كان أحمد النصبي مواخياً لأعشى همدان مواصلاً له، فأكثر غنائه في أشعاره مثل صنعته في شعره:

حييا خولة مني بالسلام

ولمن الظعائن سيرهن ترجف

ويأيها القلب المطيع الهوى

وهذه الأصوات قلائد صنعته وغرر أغانيه. قال: وكان سبب قوله الشعر في سليم بن صالح بن سعد بن جابر العنبري وكان منزل سليم ساباط المدائن- أن أعشى همدان وأحمد النضبي خرجا في بعض مغازيهما، فنزلا على سليم فأحسن قراهما وأمر لدوابهما بعلوفة وقضيم، وأقسم عليهما أن ينتقلا إلى منزله ففعلا، فعرض عليهما الشراب فأنعما به وطلباه فوضعه بين أيديهما وجلسا يشربان ة فقال أحمد النصبي للأعشى: قل في هذا الرجل الكريم شعراً تمدحه به حتى أغني فيه فقال الأعشى يمدحه:

يأيها القلب المطيع الهوى	أنى اعتراك الطرب النازح
تذكر جملاً فإذا ما نأت	طار شعاعاً قلبك الطامح
هلا تناهيت وكنت امرأ	يزجرك المرشد والناصح
ما لك لا تترك جهل الصبا	وقد علاك الشمط الواضح
فصار من ينهاك عن حبها	لم تر إلا أنه كاشح
يا جمل ما حبي لكم زائلٌ	عني ولا عن كبدي نازح
حملت ودا لكم خالصاً	جداً إذا ما هزل المازح
ثم لقد طال طلابيكم	أسعى وخير العمل الناجح
إني توسمت امرأ ماجداً	يصدق في مدحته المادح

ذؤابة العنبر فاخترته والمرء قهد ينعشه الصالح
أبلج بهلولا وظني به أن ثنائي عنده رابح
سليم ما أنت بنكسٍ ولا ذمك لي غادٍ ولا رائح
أعطيت ودي وثنائي معاً وخلةً ميزانها راجح
أرعاك بالغيب وأهوى لك ال مرشد وجيبي فاعلمن ناصح
إني لمن سالمت سلمٌ ومن عاديت أمسي وله ناطح
في الرأس منه وعلى أنفه من نقماتي ميسمٌ لائح
نعم فتى الحي إذا ليلةٌ لم يور فيها زنده القادح
وراح بالشول إلى أهلها مغبرة أذقانها كالح
وهبت الريح شاميةً فانجحر القابس والنابح
قد علم الحي إذا أمحلوا أنك رفادٌ لهم مانح
في الليلة القالي قراها التي لا عابقٌ فيها ولا صابح
فالضيف معروفٌ له حقه له على أبوابكم فاتح
والخيل قد تعلم يوم الوغى أنك من جمرتهاناضح

قال: فغنى أحمد النصيبي في بعض هذه الأبيات، وجارية لسليم في السطح، فسمعت الغناء، فنزلت إلى مولاها وقالت: إني سمعت من أضيافك شعراً ما سمعت أحسن منه فخرج معها مولاها فاستمع حتى فهم ثم نزل فدخل عليهما، فقال لأحمد: لمن هذا الشعر والغناء؟ ومن أنتما. فقال: الشعر لهذا، وهو أبو المصبح أعشى همدان، والغناء لي، وأنا أحمد النصيبي الهمداني فانكب على رأس أعشى همدان فقبله وقال: كتمتماني أنفسكما، وكدتما أن تفارقاني و لم أعرفكما، و لم أعلم خبركما، واحتبسهما شهراً ثم حملهما على فرسين، وقال: خلفا عندي ما كان من دوابكما، وإرجعا من مغزاكما إلي. فمضيا إلى مغزاهما، فأقاما حيناً ثم انصرفا، فلما شارفا منزله قال أحمد للأعشى: إني أرى عجباً! قال: وما هو. فال: أرى فوق قصر سليم ثعلباً، قال: لئن كنت صادقاً فما بقي في القرية أحد. فدخلا القرية، فوجدا سليما وجميع أهل القرية قد أصابهم الطاعون، فمات أكثرهم وانتقل باقيهم. هكذا ذكر إسحاق، وذكر غيره: أن الحجاج طالب سليماً بمال عظيم، فلم يخرج منه حتى باع كل ما يملكه، وخربت قريته وتفرق أهلها ثم باعه الحجاج عبداً، فاشتراه بعض أشراف أهل الكوفة، إما أسماء بن خارجة وإما بعض نظرائه، فأعتقه.

يأيها القلب المطيع الهوى أنى اعتراك الطرب النازح

تذكرجملاً فإذا ما نأت طارشعاعاً قلبك الطامح
أعطيت ودي وثنائي معاً وخلة ميزانها راجح
إني تخيرت امرأماجدا يصدق في مدحته المادح
سليم ما أنت بنكسٍ ولا ذمك لي غادٍ ولارائح
نعم فتى الحي إذا ليلةٌ لم يورفيها زنده القادح
وراح بالشول إلى أهلها مغبرة أذقانها كالح
وهئت الريح شآميةً فانجحر القابسى والنابح

الشعر لأعشى همدان. والغناء لأحمد النصيبي، ولحنه ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر يونس أن فيه لمالكٍ لحناً ولسنان الكاتب لحناً اخر.

تنكر من سعدى وأقفر من هند مقامهما بين الرغامين فالفرد
محل لسعدى طالما سكنت به فأوحش ممن كان يسكنه بعدي

الشعر لحفاد الراوية. والغناء لعبادل، ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه خفيف ثقيل أول بالوسطى، ذكر الهشامي أنه للهذلي، وذكر عمرو بن بانة أنه لعبادل بن عطية.

هو حماد بن ميسرة، فيما ذكره الهيثم بن عدي، وكان صاحبه وراويته وأعلم الناس به، وزعم أنه مولى بني شيبان. وذكر المدائني والقحذمي أنه حماد بن سابور، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها. وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره وتستزيوه، فيفد عليهم وينادمهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ويجزلون صلته.

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي وعمي إسماعيل العتكي قالوا حدثنا الرياشي قال: قال الأصمعي: كان حماد أعلم الناس إذا نصح. قال وقلت لحماد: ممن أنتم. قال: كان أبي من سبى سلمان بن ربيعة، فطرحتنا سلمان لبني شيبان، فولاؤنا لهم. قال: وكان أبوه يسمى ميسرة، ويكنى أبا ليلى. قال العتكي في خبره: قال الرياشي: وكذلك ذكر الهيثم بن عدي في أمر حماد.

أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي والهيثم بن عدي ولقيط قالوا: قال الوليد بن يزيد لحماد الراوية: بم استحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية. فقال: بأني أروي لكل شاعر، تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به، ثم أروي لاكثر منهم ممن تعرف أنك لم تعرفه و لم تسمع به، ثم لا أنشد شعراً قديما ولا محدثا إلا ميزت القديم منه من المحدث فقال: إن هذا لعلم وأبيك كثير فكم مقدار ما تحفظ من الشعر؟ قال: كثيراً، ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام ! قال: سأمتحنك في هذا، وأمره بالإنشاد. فأنشد الوليد حتى ضجر، ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه

عنه ويستوفى عليه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين، وأخبر الوليد بذلك، فأمر له بمائة ألف درهم.

أخبرني يحيى بن علي المنجم قال حدثني أبي قال حدثني إسحاق الموصلي عن مروان بن أبي حفصة، وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو بكر العامري عن الأثرم عن مروان بن أبي حفصة قال:

دخلت أنا وطريح بن إسماعيل الثقفي والحسين بن مطير الأسدي في جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد وهو في فرش قد غاب فيها، وإذا رجل عنده، كلما أنشد شاعرٌ شعراً، وقف الوليد بن يزيد على بيت بيت من شعره وقال: هذا أخذه من موضع كذا وكذا، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان، حضى أتى على أكثر، الشعر، فقلت: من هذا. فقالوا: حماد الراوية. فلما وقفت بين يدي الوليد أنشده قلت: ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لحنة لحانة فأقبل الشيخ علي وقال: يابن أخي، إني رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً. فذهب عني الشعر كله إلا شعر ابن مقبل، فقلت له: نعم، شعر ابن مقبل قال: أنشد، فأنشدته قوله:

سل الدار من جنبي حبر فواهبٍ إذا مارأى هضب القليب المضيح

ثم جزت فقال لي: قف فوقفت فقال لي: ماذا يقول؟ فلم أدر ما يقول! فقال لي حماد: يابن أخي، أنا أعلم الناس بكلام العرب. يقال: تراءى الموضعان إذا تقابلا.

حدثني عمي قال حدثني الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي قال: قلت لحماد الراوية يوماً: ألق علي ما شئت من الشعر أفسره لك، فضحك وقال لي: ما معنى قول ابن مزا حم الثمالي:

تخوف السير منها تامكاً قرداً كما تخوف عود النبعة السفن .

فلم أدر ما أقول، فقال: تخوف: تنقص. قال الله عز وجل: "أو يأخذهم على تخوفٍ" أي على تنقص.

قال الهيثم: ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حماد.

كذب الفرزدق في شعر نسبه لنفسه فأقر: حدثني محمد بن خلف وكيع قال حدثني الكراني محمد بن سعد عن النضر بن عمرو عن الوليد بن هشام عن أبيه قال: أنشدني الفرزدق وحمادٌ الراوية حاضر:

وكنت كذئب السوء لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحال على الدم

ففال له حماد: آنت تقوله. قال: نعم، قال: ليس الأمر كذلك، هذا لرجل من أهل اليمن قال: ومن يعلم هذا غيرك! أفأردت أن أتركه وقد لحنيه الناس ورووه لي لأنك تعلمه وحدك ويجهله الناس جميعا غيرك!.

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني الفضل قال حدثني ابن النطاح فال حدثني أبو عمرو الشيباني قال: ما سألت أبا عمرو بن العلاء قط عن حماد الراوية إلا قدمه على نفسه، ولا سألت حماداً عن أبي عمرو إلا قدمه على نفسه.

حدثنا إبراهيم بن أيوب عن عبدالله بن مسلم، وذكر عبدالله بن مسلم عن الثقفي عن إبراهيم بن عمر والعامري قالا: كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون: حماد عجرد، وحماد بن الزبرقان، وحماد الراوية، يتنادمون على

الشراب ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة، وكانوا كأنهم نفس واحدة، وكانوا يرمون بالزندفة جميعاً.

أخبرني الحسن بن يحيى المرداسي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه فال: دخل مطيع بن إياس ويحيى بن زياد على حماد الراوية، فإذا سراجه على ثلاث قصبات قد جمع أعلاهن وأسفلهن بطين، فقال له يحيى بن زياد: يا حماد، إنك لمسرف مبتذل لحر المتاع، فقال له مطيع: ألا تبيع هذه المنارة وتشتري أقل ثمناً منها وتنفق علينا وعلى نفسك الباقي وتتسع به؟ فقال له يحيى: ما أحسن ظنك به! ومن أين له مثل هذه. إنما هي وديعة أو عارية، فقال له مطيع: أما إنه لعظيم الأمانة عند الناس! قال له يحيى: وعلى عظيم أمانته فما أجهل من يخرج مثل هذه من داره ويأمن عليها غيره! قال مطيع: ما أظنها عاريةً ولا وديعة ولكني أظنها مرهونة عنده على مال، وإلا فمن يخرج هذه من بيته! فقال لهما حماد: قوما عني يابني الزانيتين واخرجا من مترلي، فشرٌ منكما من يدخلكما بيته.

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن عبيد وأبو عصيدة قال حدثني محمد بن عبد الرحمن العبدي عن حميد بن محمد الكوفي عن إبراهيم بن عبد الرحمن القرشي عن محمد بن أنس، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن حماد الرواية، وخبر حماد بن إسحاق أتم واللفظ له.

قال حماد الراوية: كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك، فكان هشام يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية في أيام يزيد، فلما مات يزيد وأفضت الخلافة إلى هشام خفته، فمكثت في بيتي سنةً لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سراً. فلما لم أسمع أحداً يذكرني سنةً أمنت فخرجت فصليت الجمعة، ثم جلست عند باب الفيل فإذا شرطيان قد وقفا علي فقالا لي: يا حماد، أجب الأمير يوسف بن عمر فقلت في نفسي: من هذا كنت أحذر، ثم قلت للشرطيين: هل لكما أن تدعاني آتي أهلي فأودعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبداً ثم أصير معكما إليه. فقالا: ما إلى ذلك من سبيل. فاستسلمت في أيديهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر، فسلمت عليه فرد علي السلام، ورمى إلي كتاباً فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم. من عبدالله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر، أما بعد، فاذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غير مروع ولا متعتع، وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مهرياً يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق ". فأخذت الخمسمائة الدينار، ونظرت فإذا جمل مرحول، فوضعت رجلي في الغرز وسرت اثنتي عشرة ليلة حتى وافيت باب هشام، فاستأذنت فأذن لي، فدخلت عليه في دارٍ قوراء مفروشة بالرخام، وهو في مجلس مفروش بالرخام، وبين كل رخامتين قضيب ذهب، وحيطانه كذلك، وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب خز حمر وقد تضمخ بالمسك والعنبر، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب يقلبه بيده فتفوح روائحه، فسلمت فرد علي، واستدناني فدنوت حتى قبلت رجله، وإذا جاريتان لم أر قبلهما مثلهما، في أذني كل واحدة منهما حفقتان من ذهب فيهما لؤلؤلتان

تتوقدان فقال لي: كيف أنت يا حماد وكيف حالك؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين قال: أتدري فيم بعثت إليك.
قلت: لا قال: بعثت إليك لبيتٍ خطر ببالي لم أدر من قاله قلت: وما هو؟ فقال:

فدعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينةٌ في يمينها إبريق

قلت: هذا يقوله عدي بن زيد في قصيدة له قال: فأنشدنيها، فأنشدته:

بكر العاذلون في وضح الصب ح يقولون لي ألا تستفيق
ويلومون فيك يابنة عبد الل ه والقلب عندكم موهوق
لست أدري إذ أكثروا العذل عندي أعدوٌ يلومني أوصديق
زانهاحسنهاوفرعٌ عميم واثيثٌ صلت الجبين أنيق
وثنايا مفلجات عذاب لاقصارٌ ترى ولاهن روق
فدعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينةٌ في يمينها إبريق
قدمته على عقار كعين ال ديك صفى سلافها الراووق
مرة قبل مزجهافإذا ما مزجت لذ طعمها من يذوق
وطفت فوقها فقاقيع كالد رصغار يثيرها التصفيق
ثم كان المزاج ماء سماء غير ما آجنٍ ولا مطروق

قال: فطرب، ثم قال: أحسنت والله يا حماد، يا جارية اسقيه، فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي. وقال: أعد، فأعدت، فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه، ثم قال للجارية الأخرى: اسقيه، فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي. فقلت: إن سقتني الثالثة افتضحت، فقال: سل حوائجك، فقلت كائنة ما كانت؟ قال: نعم قلت: إحدى الجاريتين فقال لي: هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما، ثم قال للأولى: اسقيه، فسقتنني شربة سقطت معها، فلم أعقل حتى أصبحت فإذا بالجاريتين عند رأسي، وإذا عدة من الخدم مع كل واحد منهم بدرة، فقال لي أحدهم: أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: خذ هفه فانتفع بها، فأخذتها والجاريتين وانصرفت. هذا لفظ حماد عن أبيه. و لم يقل أحمد بن عبيد في خبره أنه سقاه شيئاً، ولكنه ذكر أنه طرب لإنشاده، ووهب له الجاريتين لما طلب إحداهما، وأنزله في دار، ثم نقله من غدٍ إلى منزل أعده له، فانتقل إليه فوجد فيه الجاريتين وما لهما وكل ما يحتاج إليه، وأنه أقام عنده مدة فوصل إليه مائة ألف درهم، وهذا هو الصحيح لأن هشاماً لم يكن يشرب ولا يسقي أحد بحضرته مسكراً، وكان ينكر ذلك ويعيبه ويعاقب عليه.
في أبيات عدي المذكورة في هذا الخبر غناءٌ نسبته:

بكر العاذلون في وضح الصب ح يقولون ما له لا يفيق

ويلومون فيك يابنة عبد اللـ ـه والقلب عندكم موهوق

ثم نادوا إلى الصبوح فقامت قينة في يمينها إبريق

قدمته على عقار كعين الد يك صفى سلافها الراووق

في البيتين الأولين لحن من الثقيل الأول مختلفٌ في صانعه، نسبه يحيى بن المكي إلى معبد، ونسبه الهشامي إلى حنين. وفي الثالث وهو -ثم نادوا- والرابع لعبدالله بن العباس الربيعي رملٌ، وفيهما خفيف رملٍ ينسب إلى مالك وخفيف ثقيل، ذكر حبش أنه لحنين.

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الأصمعي قال: قال حماد الراوية: كتب الوليد بن يزيد وهو خليفة إلى يوسف بن عمر: احمل إلي حماداً الراوية على ما أحب من دواب البريد، وأعطه عشرة آلاف درهم معونة له، فلما أتاه الكتاب وأنا عنده نبذه إلي، فقلت: السمع والطاعة، فقال: يا دكين بن شجرة، أعطه عشرة آلاف درهم، فأخذتها. فلما كان اليوم الذي أردت الخروج فيه أتيت يوسف مودعاً، فقال: يا حماد، أنا بالموضع الذي قد عرفت من أمير المؤمنين، ولست مستغنياً عن ثنائك، فقلت: أصلح الله الأمير: إن العوان لا تعلم الخمرة. فخرجت حتى أتيت الوليد بن يزيد وهو بالبخراء، فاستأذنت فأذن لي، فإذا هو على سرير ممهد وعليه ثوبان: إزار ورداء يقيئان الزعفران قيئا، وإذا عنده معبد ومالكٌ وأبو كامل مولاه، فتركني حتى سكن جأشي، ثم قال: أنشدني: أمن المنون وريبها تتوجع فأنشدته إياها حتى أتيت على آخرها. فقال لساقيه: اسقه يا سبرة أكؤساً، فسقاني ثلاث أكؤس خدرت ما بين الذؤابة والنعل. ثم قال: يا معبد غنني:

ألاهل جاءك الأظعا ن إذ جاوزن مطلحا

فغناه. ثم قال: غنني:

أتنسى إذ تودعنا سليمى بفرع بشامةٍ، سقي البشام

فغنى. ثم قال: غنني:

جلا أمية عنا كل مظلمة سهل الحجاب وأوفى بالذي وعدا

فغناه. ثم قال: اسقني يا غلام بزب فرعون، فأتاه بقدح معوج فيه طول فسقاه به عشرين قدحاً. ثم أتاه. الحاجب فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، الرجل الذي طلبت بالباب فقال: أدخله، فدخل غلام شابٌ لم أر أحسن منه وجها في رجله فدع، فقال: يا سبرة اسقه كأسا، فسقاه، ثم قال له: غنني:

وهي إذ ذاك عليها مئزر ولها بيت جوار من لعب

فغناه، فنبذ إليه أحد ثوبيه، ثم قال: غنني:

طرق الخيال فمرحبا ألفاً برؤية زينبا

فغضب معبد وقال: يا أمير المؤمنين، إنا مقبلون إليك بأقدارنا وأسناننا، وإنك تتركنا بمزجر الكلب وأقبلت على هذا الصبي، فقال: والله يا أبا عباد ما جهلت قدرك ولا سنك، ولكن هذا الغلام طرحني على مثل الطياجن من حرارة غنائه. فسألت عن الغلام. فإذا هو ابن عائشة.

حدثني الحسن بن محمد المادراني الكاتب قال حدثني الرياشي عن العتبي، وأخبرني به هاشم بن محمد عن الرياشي- وليس خبره بتمام هذا- قال: طلب المنصور حماداً الراوية، فطلب ببغداد فلم يوجد، وسئل عنه إخوانه فعرفوا من سألهم عنه أنه بالبصرة، فوجهوا إليه برسول يشخصه. قال الرسول: فوجدته في حانة وهو عريان يشرب نبيذا من إجانة وعلى سوأته رأس دستجة، فقلت: أجب أمير المؤمنين. فما رأيت رسالةً أرفع ولا حالة أوضع من تلك. فأجاب، فأشخصته إليه. فلما مثل بين يديه، قال له: أنشدني شعر هفان بن همام بن نضلة يرثي أباه فأنشده:

خليل عوجا إنها حاجةٌ لنا ... على قبر همامٍ سقته الرواعد

على قبرمن يرجى نداه ويبتغى ... جداه إذا لم يحمد الأرض رائد

كريم النثا حلو الشمائل بينه ... وبين المزجى نفنفٌ متباعد

إذا نازع القوم الأحاديث لم يكن ... عييا ولاثقلاً على من يقاعد

صبورٌعلى العلات يصبح بطنه ... خميصاً وآتيه على الزاد حامد

وضعنا الفتى كل الفتى في حفيرة ... بحرين قد راحت عليه العوائد

صريعاً كنصل السيف تضرب حوله ... ترائبهن المعولات الفواقد

قال: فبكى أبو جعفر حتى أخضل لحيته، ثم قال: هكذا كان أخي أبو العباس رضي الله عنه.

أخبرني الحسين بن يحيى المرداسي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكردية يستخف مطيع بن إياس ويحبه، وكان منقطعاً إليه وله معه مترلة حسنة، فذكر له حماداً الراوية، وكان صديقه، وكان مطرحاً مجفواً في أيامهم، فقال: ائتنا به لنراه. فأتى مطيع حماداً فأخبره بذلك وأمره بالمسير معه إليه فقال له حماد: دعني فإن دولتي كانت مع بني أمية ومالي عند هؤلاء خير، فأبى مطيعٌ إلا الذهاب إليه، فاستعار حماد سواداً وسيفاً ثم أتاه، ثم مضى به مطيعٌ إلى جعفر. فلما دخل عليه سلم عليه سلاما حسناً وأثنى عليه وذكر فضله فرد عليه وأمره بالجلوس فجلس. فقال جعفر: أنشدني فقال: لمن أيها الأمير. ألشاعر بعينه أم لمن حضر؟ قال: بل أنشدني لجرير. قال حماد: فسلخ والله شعر جرير كله من قلبي إلا قوله:

بان الخليط برامتين فودعوا ... أو كلما اعتزموا لبين تجزع

فاندفعت فأنشدته إياه، حتى انتهيت إلى قوله:

وتقول بوزع قد دببت على العصا هلا هزئت بغيرنا يابوزع

قال حماد: فقال لي جعفر: أعد هذا البيت، فأعدته ة فقال: بوزع، أي شيء هو؟ فقلت: اسم امرأة فقال: إمرأة اسمها بوزع هو بريء من الله ورسوله ونفي من العباس بن عبد المطلب إن كانت بوزع إلا غولاً من الغيلان تركتني والله يا هذا لا أنام الليلة من فزع بوزع يا غلمان قفاه فصفعت والله حتى لم أدر أين أنا ثم قال: جروا برجله: فجروا برجلي حتى أخرجت من بين يديه مسحوباً، فتخرق السواد وانكسر جفن السيف ولقيت شراً عظيماً مما جرى علي وكان أغلظ من ذلك كله وأشد بلاء إغرامي ثمن السواد وجفن السيف فلما انصرفت أتاني مطيع، يتوجع لي فقلت له: ألم أخبرك أني لا أصيب منهم خيراً وأن حظي قد مضى مع بني أمية!.

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: بلغني أن رجلاً تحدث في مجلس حماد الراوية فقال: بلغني أن المأبون له رحم كرحم المرأة- قال: وكان الرجل يرمى بهذا الداء- فقال حماد لغلامه: اكتب هذا الخبر عن الشيخ، فإن خير العلم ما حمل عن أهله.

قال: وكتب حماد الراوية إلى بعض الأشراف الرؤساء قال:

إن لي حاجةً فرأيك فيها لك نفسي فدى من الأوصاب

وهي ليست مما يبلغهاغي ري ولا يستطيعها في كتاب

غير أني أقولها حين ألقا ك رويداً ألسرها في حجاب

فكتب إليه الرجل: اكتب إلي بحاجتك ولا تشهرني بشعرك فكتب إليه حماد:

إنني عاشق لجبتك الدك ناء عشقاً قد حال دون الشراب

فاكسنيها فدتك نفسي وأهلي أتباهى بها على الأصحاب

ولك الله والأمانة أن أج علها عمرها أمير ثيابي

فبعث إليه بها. وقد رويت هذه القصة لمطيع بن إياس.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبو يعقوب الخزيمي قال: كنت في مجلس فيه حماد عجرد وحماد الرواية ومعنا غلام أمرد، فنظر إليه حماد الراوية نظراً شديداً وقال لي: يا أبا يعقوب، قد عزمت الليلة على أن أدب على هذا الغلام فقلت: شأنك به ثم نمنا، فلم أشعر بشيء إلا وحماد ينيكني، وإذا أنا قد غلطت ونمت في موضع الغلام، فكرهت أن أتكلم فينتبه الناس فأفتضح وأبطل عليه ما أراد، فأخذت بيده فوضعتها على عيني العوراء ليعرفني، فقال: قد عرفت الآن، فيكون ماذا وفديناه بذبح عظيم.

قال: وما برح علم الله وأنا أعالجه جهدي فلا ينفعني حتى أنزل.

قال إسحاق: وأهدى حماد إلى صديق له غلاماً وكتب إليه: قد بعثت إليك غلاماً تتعلم عليه كظم الغيظ.

قال: واستهدى من صديق له نبيذاً فأهدى إليه دسيتجة نبيذ. فكتب إليه: لو عرفت في العدد أقل من واحد، وفي

الألوان شراً من السواد، لأهديته إلي.

قال: وسمع مغنية تغني:

عاد قلبي من الطويلة عاد

فقال: وثمود، فإن الله عز وجل لم يفرق بينهما. والشعر:

عاد قلبي من الطويلة عيد

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي قال حدثني أبو عثمان اللاحقي، وأخبرني به محمد بن مزيد عن حماد عن أبية عن محمد بن سلام عن بشر بن المفضل بن لاحق قال:

جاء رجل إلى حماد الراوية فأنشده شعراً وقال: أنا قلته فقال له أنت لا تقول مثل هذا، هذا ليس لك، وإن كنت صادقاً فاهجني. فذهب ثم عاد إليه فقال له: قد قلت فيك:

سيعلم حماد إذا ما هجوته ... أأنتحل الأشعار أم أنا شاعرٌ

ألم ترحماداً تقدم بطنه ... وأخر عنه ماتجن المآزر

فليس براءٍ خصيتيه ولو جثا ... لركبته، ما دام للزيت عاصر

فياليته أمسى قعيدة بيته ... له بعل صدقٍ كومه متواتر

فحماد نعم العرس للمرء يبتغي ان ... كاح وبئس المرء فيمن يفاخر

فقال حماد: حسبنا، عافاك الله، هذا المقدار وحسبك! قد علمنا أنك شاعر وأنك قائل الشعر الأول وأجود منه، وأحب أن تكتم هذا الشعر ولا تذيعه فتفضحني فقال له: قد كنت غنياً عن هذا. وانصرف الرجل وجعل حماد يقول: أسمعتم أعجب مما جررت على نفسي من البلاء!.

حدثني الأسدي أبو الحسن قال حدثنا الرياشي قال حدثنا أبو عبدالله الفهمي قال: عاب حماد الراوية شعراً لأبي الغول فقال يهجوه:

نعم الفتى لوكان يعرف ربه ... ويقيم وقت صلاته حماد

هدلت مشافره الدنان فأنفه ... مثل القدوم يسنها الحداد

وابيض من شرب المدامة وجهه ... فبياضه يوم الحساب سواد

لايعجبنك بزه وثيابه ... إن اليهود ترى لها أجلاد

حماد يا ضبعا تجر جعارها ... أخنى لها بالقريتين جراد

سبعاً يلاعبها ابنها وبناتها ... ولهامن الخرق الكباروساد

قال معنى قوله:

أخنى لها بالقريتين جراد

هو مثل قول العرب للضبع: خامري أم عامر، أبشري بجراد عظال وكمر رجال؟ فإن الضبع تجيء إلى القتيل وقد استلقى على قفاه، وانتفخ غرموله فكان كالمنطع، فتحتك به وتحيض من الشهوة، فيثب عليها الذئب حينئذ فتلد منه السمع، وهو دابة، لا يولد له مثل البغل. وفي مثل هذا المعنى يقول الشنفري الأزدي.

تضحك الضبع لقتلى هذيل وترى الذئب لها يستهل

تضحك: تحيض.

وقال ابن النطاح: كان حماد الراوية في أول أمره يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص، فنقب ليلةً على رجل فأخذ ماله وكان فيه جزء من شعر الأنصار، فقرأه حماد فاستحلاه وتحفظه، ثم طلب الأدب والشعر وأيام الناس ولغات العرب بعد ذلك، وترك ما كان عليه فبلغ في العلم ما بلغ.

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل عن أبيه عن جده عن حماد الراوية قال: دخلت على المهدي فقال: أنشدني أحسن أبيات قيلت في السكر، ولك عشرة آلاف وخلعتان كسوة الشتاء والصيف، فأنشدته قول الأخطل:

ترى الزجاج ولم يطمث يطيف به كأنه من دم الأجواف مختضب

حتى إذا افتض ماء المزن عذرتها راح الزجاج وفي ألوانه صهب

تنزو إذا شجها بالماء مازجها نزو الجنادب في رمضاء تلتهب

راحوا وهم يحسبون الأرض في فلك إن صرعوا وقت الراحات والركب

فقال لي: أحسنت وأمر لي بما شرطه ووعدني به فأخذته.

حدثني اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله قال حدثني سليمان بن أبي شيخ قال حدثني صالح بن سليمان قال: قدم حماد الراوية على بلال بن أبي بردة البصرة، وعند بلال ذو الرقة، فأنشده حمادٌ شعراً مدحه به فقال بلال لذي الرقة: كيف ترى هذا الشعر؟ قال: جيدا وليس له قال: فمن يقوله. قال: لا أثري إلا أنه لم يقله فلما قضى بلالٌ حوائج حماد وأجازه، قال له: إن لي إليك حاجةً قال: هي مقضيةٌ قال: أنت قلت ذلك الشعر. قال: لا قال: فمن يقوله. قال: بعض شعراء الجاهلية، وهو شعر قديم وما يرويه غيري ة قال: فمن أين علم ذو الرمة أنه ليس من قولك. قال: عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام.

قال صالح: وأنشد حماد الراوية بلال بن أبي بردة ذات يوم قصيدةً قالها ونحلها الحطيئة يمدح أبا موسى الأشعري يقول فيها:

جمعت من عامرٍ فيها ومن جشم ومن تميم ومن حاء ومن حام

مستحقبات رواياها جحافلها يسموبها أشعريٌ طرفه سامي

فقال له بلال: قد علمت أن هذا شيء قلته أنت ونسبته إلى الحطيئة، وإلا فهل كان يجوز أن يمدح الحطيئة أبا مرسى بشيء لا أعرفه أنا ولا أرويه! ولكن دعها تذهب في الناس وسيرها حتى تشتهر، ووصله.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال سمعت أحمد بن الحارث الخراز يقول سمعت ابن الأعرابي يقول سمعت المفضل الضبي يقول: قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً. فقيل له: وكيف ذلك. أيخطىء في روايته أم يلحن؟ قال: ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب، لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها، ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره، ويحمل ذلك عنه في الافاق، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد، وأين ذلك!.

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي فال حدثني السعيدي الراوية وأبو إياد المؤدب- وكان مؤدبي ثم أدب المعتصم بعد ذلك وقد تعالت سنه- وحدثني بنحوٍ من ذلك عبدالله بن مالك وسعيد بن سلم وحدثني به ابن غزالة أيضاً، اتفقوا عليه: أنهم كانوا في دار أمير المؤمنين المهدي بعيسا باذ، وقد اجتمع فيها عدةٌ من الرواة والعلماء بأيام العرب، وآدابها وأشعارها ولغاتها، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب، فدعا بالمفضل الضبي الراوية فدخل، فمكث مليا ثم خرج إلينا ومعه حماد والمفضل جميعاً وقد بان في وجه حمادٍ الانكسار والغم، وفي وجه المفضل السرور والنشاط، ثم خرج حسين الخادم معهما، فقال يا معشر من حضر من أهل العلم: إن أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين ألف عرهم لجودة شعره وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها، ووصل المفضل بخمسين ألفاً لصدقه وصحة روايته، فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدثاً فليسمع من حماد، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل، فسمألنا عن السبب فأخبرنا أن المهدي قال للمفضل لما دعا به وحده: إني رأيت زهير بن أبي سلمى افتتح قصيدته بأن قال:

دع ذا وعد القول في هرم

و لم يتقدم له قبل ذلك قول، فما الذي أمر نفسه بتركه؟ فقال له المفضل: ما سمعت يا أمير المؤمنين في هذا شيئاً إلا أني توهمته كان يفكر في قول يقوله، أو يروي في أن يقول شعراً فعدل محنه إلى مدح هرم وقال د ع ذا، أو كان مفكراً في شيء من شأنه فتركه وقال د ع ذا، أي د ع ما أنت فيه من الفكر وعد القول في هرم، فأمسك عنه. ثم دعا بحمادٍ فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضل، فقال ليس هكذا قال زهيرٌ يا أمير المؤمنين، قال فكيف قال؟ فأنشده:

لمن الديار بقنة الحجر أقوين مذ حجج ومذ دهر

قفربمندفع النحائث من ضفوى أولات الضال والسدر

دع ذا وعد القول في هرم خير الكهول وسيد الحضر

قال: فأطرق المهدي ساعةً، ثم أقبل على حماد فقال له: قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبرٌ لا بد من استحلافك عليه، ثم استحلفه بأيمان البيعة وكل يمين محرجة ليصدقنه عن كل ما يسأله عنه، فحلف له بما توثق منه. قال له: اصدقني عن حال هذه الأبيات ومن أضافها إلى زهير، فأقر له حينئذ أنه قائلها، فأمر فيه وفي المفضل بما أمر به من شهرة أمرهما وكشفه.

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثنا أحمد بن عبيد قال حدثنا الأصمعي قال: قال حماد الراوية: أرسل إلي أمير الكوفة فقال لي: قد أتاني كتاب أمير المؤمنين الوليد بن يزيد يأمرني بحملك. فحملت فقدمت عليه وهو في الصيد، فلما رجع أذن لي، فدخلت عليه وهو في بيت منجد بالأرمني أرضه وحيطانه، فقال لي: أنت حماد الراوية؟ فقلت له: إن الناس ليقولون ذلك، قال: فما بلغ من روايتك. قلت: أروي سبعمائة قصيدة أول كل واحدة منها: بانت سعاد، فقال: إنها لرواية! ثم دعا بشراب فأتته جارية بكأس وإبريق فصبت في الكأس ثم مزجته حتى رأيت له حباباً قال: أنشدني في مثل هذه فقلت: يا أمير المؤمنين، هي كما قال عدي بن زيد:

بكر العاذلون في وضح الصب يقولون لي ألا تستفيق

ثم ثاروا إلى الصبوح فقامت قينةٌ في يمينها إبريق

قدمته على سلافٍ كريح ال مسك صفى سلافها الراووق

فترى فوقها فقاقيع كاليا قوت يجري خلالها التصفيق

قال: فشربها ولم يزل يستعيدني الأبيات ويشرب عليها حتى سكر ثم قام فتناول مرفقةً من تلك المرافق فجعلها على رأسه ونادى: من يشتري لحوم البقر. ثم قال لي: يا حماد، دونك ما في البيت فهو لك فكان أول مالٍ تأثلته.

حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: قال خلف: كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب وأعطيه المنحول، فيقبل ذلك مني ويدخله في أشعارها. وكان فيه حمق.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال حدثني المسور العتري- وكان من رواة العرب وكان أسن من سماك بن حرب عن حماداً قال: دخلت على زياد فقال لي: أنشدني فقلت: من شعر من أيها الأمير. قال: من شعر الأعشى ة فأنشدته:

بكرت سمية غدوة أجمالها

قال: فما أتممت القصيدة حتى تبينت الغضب في وجهه، وقال الحاجب للناس: ارتفعوا، فقاموا ثم لم أعد والله إليه. قال حماد: فكنت بعد ذلك إذا استنشدني خليفة أو أمير تنبهت قبل أن أنشده لئلا يكون في القصيدة اسم أم

له أو ابنة أو أخت أو زوجة.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: قال الوليد بن يزيد لحماد الراوية: لم سميت الراوية. وما بلغ من حفظك حتى استحققت هذا الاسم. فقال له: يا أمير المؤمنين، إن كلام العرب يجري على ثمانية وعشرين حرفاً، أنا أنشدك على كل حرف منها مائة قصيدة ة فقال: إن هذا لحفظ! هات، فاندفع ينشد حتى مل الوليد، ثم استخلف على الاستماع منه خليفةً حتى وفاه ما قال فأحسن الوليد صلته وصرفه.

أخبرني الحرفي بن أبي العلاء قال حدثني الحسين بن محمد بن أبي طالب الديناري قال حدثني إسحاق الموصلي قال: قال حماد الراوية: أرسل الوليد بن يزيد إليئ بمائتي دينار، وأمر يوسف بن عمر بحملي إليه على البريد. قال فقلت: لا يسألني إلا عن طرفيه قريش وثقيف، فنظرت في كتابي قريش وثقيف. فلما قدمت عليه سألني عن أشعار بلي، فأنشدته منها ما استحسنه ثم قال: أنشدني في الشراب- وعنده وجوه من أهل الشام- فأنشدته:

اصبح القوم قهوةً ... في أباريق تحتذى

من كميتٍ مدامةٍ ... حبذا تلك حبذا

يترك الأذن شربها ... أرجواناً بها خذا

فقال: أعدها، فأعدتها فقال لخدمه: خذوا آذان القوم، فأتينا بالشراب فسقينا حتى ما درينا متى نقلنا قال: ثم حملنا وطرحنا في دار الضيفان، فما أيقظنا إلا حر الشمس. وجعل شيخ من أهل الشأم يشتمني ويقول: فعل الله بك وفعل، أنت الذي صنعت بنا هذا.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ قال حدثني أبو عبيدة قال حدثني يحيى بن صبيرة بن الطرماح بن حكيم عن أبيه عن جده الطرماح قال: أنشدت حفاداً الراوية في مسجد الكوفة - وكان أذكى الناس وأحفظهم- قولي:

بان الخليط بسحرةٍ فتبددوا

وهي ستون بيتاً، فسكت ساعةً ولا أدري ما يريد ثم أقبل علي فقال: أهذه لك؟ قلت: نعم؟ قال: ليس الأمر كما تقول، ثم ردها علي كلها وزيادة عشرين بيتاً زادها فيها في وقته فقلت له: ويحك! إن هذا الشعر قلته منذ أيام ما اطلع عليه أحد قال: قد والله قلت أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة وإلا فعلي وعلي فقلت: لله على حجة حافياً راجلاً إن جالستك بعد هذا أبداً فأخذ قبضةً من حصى المسجد وقال: لله علي بكل حصاة من هذا الحصى مائة حجة إن كنت أبالي فقلت: أنت رجل ماجنٌ والكلام معك ضائع ثم انصرفت. قال دماذ: وكان أبو عبيدة والأصمعي ينشدان بيتي الطرماح في هذه القصيدة وهما:

مجتاب حلة برجدٍ لسراته ... قدداً وأخلف ما سواه البرجد

يبدو وتضمره البلاد كأنه سيفٌ على شرفٍ يسل ويغمد

وكانا يقولان: هذا أشعر الناس في هذين البيتين.

عبادل بن عطية مولى قريش، مكي، مغن مخسٌ متقدم من الطبقة الثانية التي منها يونس الكاتب وسياطٌ ودحمان. وكان حسن الوجه، نظيف الثياب ظريفاً، و لم يفارق الحجاز ولا وفد إلى ملوك بني أمية كما وفد غيره من طبقته ومن هو فوقها. ويقال إنه كان مقبول الشهادة.

أخبرني الحسن بن علي قال! حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثنا حماد عن ابن أبي جناح قال: كان عبادل بن عطية سرياً نبيلاً نظيفاً ساكن الطرف حسن العشرة، وكان يعاشر مشيخة قريش وجلة أحداثها، فإذا أرادوا الغناء منه غنى فأحسن وأطرب. وكانت له صنعة كثيرة.

منها:

تقول يا عمتا كفي جوانبه ويلي بليت وأبلى جيدي الشعر

ومنها:

أمن حذر البين ماترقد ودمعك يجري فمايجمد

ومنها:

إني استحيتك أن أفوه بحاجتي فإذا قرأت صحيفتي فتفهم

ومنها:

قولا لنائل ما تقضين في رجلٍ يهوى هواك وما جنبته اجتنبا

ومنها:

علام ترين اليوم قتلي لديكم حلالاً بلا ذنبٍ وقتلي محرم

قال: وكانوا يقولون له: ألا تكثر الصنعة؟ فيقول: بأبي أنتم، إنما أنحته من صخر، ومن أكثر أرذل.

أمن حذر البين ما ترقد ودمعك يجري فما يجمد

دعاني إلى الحين فاقتادني فؤادٌ إلى شقوتي يعمد

فلو أن قلبي صحا وارعوى لكان له عنكم مقعد

يبيد الزمان وحبي لكم يزيد خبالاً ومايفد

الغناء لعبادل ثقيلٌ أول بالسبابة والوسطى عن ابن المكي. وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل.

ومنها:

ليست نعم منك للعافين مسجلةً من التخلق لكن شيمةٌ خلق
يكاد بابك من علم بصاحبه من دون بوابه للناس يندلق

لإسحاق في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأول بالبنصر عن عمرو. وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق أن الشعر لطريح. وذكر يعقوب بن السكيت أنه لابن هزمة. والغناء في اللحن المختار لشهية مولاة العبلات خفيف رملٍ بالبنصر في مجراها. فمن روى هذه الأبيات لابن هزمة ذكر أنها من قصيدة له يمدح بها عبد الواحد بن سلمان بن عبد الملك ومن ذكر أنها لطريح ذكر أنها من قصيدة له يمدح بها الوليد بن يزيد. والصحيح من القولين أن البيت الأول من البيتين لطريح والثاني لابن هرمة. فبيت طريح من قصيدته التي مدح بها الوليد بن يزيد وهي طويلة، يقول في تشبيبها:

تقول والعيس قد شدت بأرحلها ألحق أنك منا اليوم منطلق؟
قلت نعم فاكظمي قالت وما جلدي ولا أظن اجتماعاً حين نفترق
فقلت إن أحي لا أطول بعادكم وكيف والقلب رهنٌ عندكم غلق
فارقتها لا فؤادي من تذكرها سالي الهموم ولا حبلي لها خلق
فاضت على إثرهم عيناك دمعهما كما تتابع يجري اللؤلؤ النسق
فاستبق عينك لا يودي البكاء بها واكفف بوادر دمعٍ منك تستبق
ليس الشؤون وإن جادت بباقيةٍ ولا الجفون على هذا ولا الحدق

لإسحاق في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأول بالبنصر عن عمرو يقول فيها في مدح الوليد:

ومانعم منك للعافين مسجلة من التخلق لكن شيمةٌ خلق
ساهمت فيهاو لافاختصصت بها وطارقومٌ بل اوالذم فانطلقوا
قوم هم شرف الدنيا وسوددها صفوٌعلى الناس لم يخلط بهم رنق
إن حاربوا وضعوا أو سالموا رفعوا أو عاقدوا ضمنوا أو حدثوا صدقوا

وأما قصيدة إبراهيم بن هرمة التي فيها هذا الشعر فنذكر خبرها، ثم نذكر موضع الغناء وما قبله وما بعده منها. ومن أبي أحمد رحمه الله سمعنا ذلك أجمع. ولكنه حكى عن إسحاق في الأصوات المختارة ما قاله إسحاق. ولعله لم يتفقد ذلك، أو لعل أحد الشاعرين أغار على هذا البيت فانتحله وسرقه من قائله.

أخبرني يحيى بن علي قال أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن رجل من أهل البصرة، وحدثني به وكيع قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك عن حماد عن أبيه عن رجل من أهل البصرة- وخبره أتم- قال: قال العباس بن

الوليد بن عبد الملك- وكان بخيلاً لا يحب أن يعطي أحداً شيئاً- ما بال الشعرأء تمدح أهل بيتي أجمع ولا تمدحني. فبلغ ذلك ابن هرمة، وكان قد مدحه فلم يثبه، فقال يعرض به ويمدح عبد الواحد بن سليمان:

ومعجب بمديح الشعر يمنعه ... من المديح ثواب المدح والشفق

يا آبى المدح من قول يحبره ... ذو نيقة في حواشي شعره أنق

إنك والمدح كالعذراء يعجبها ... مس الرجال ويثني قلبها الفرق

لكن بمدين من مفضى سويمرةٍ ... من لايذم ولا يشنا له خلق

أهل المدائح تأتيه فتمدحه ... والمادجون إذا قالوا له صدقوا

- يعني عبد الواحد بن سليمان-:

لا يستقر ولا تخفى علامته ... إذا القنا شال في أطرافها الحرق

في يوم لامال عند المرءينفعه ... إلا السنان وإلا الرمح والدرق

يطعن بالرمح أحياناً ويضربهم ... بالسيف ثم يدانيهم فيعتنق

وهذا البيت سرقه ابن هرمة من زهير ومن مهلهل جميعاً، فإنهما سبقا إليه. قال مهلهل وهو أقدمهما:

أنبضوا معجس القسي وأبرق ... نا كما توعد الفحول الفحولا

يعنى أنهم لما أخذوا القسي ليرموهم من بعيد انتضوا سيوفهم ليخالطوهم ويكافحوهم بها.

وقال زهير- وهو أشرح من الأول-:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطعنوا ... ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

فما ترك في المعنى فضلاً لغيره.

رجع إلى شعر ابن هرمة:

يكاد بابك من جود ومن كرم ... من دون بوابه للناس يندلق

ويروى: إذا أطاف به الجادون. و لا العافون أيضاً. ويروى:ينبلق:

إني لأطوي رجالاً أن أزورهم ... وفيهم عكر الأنعام والورق

طي الثياب التي لو كشفت وجدت ... فيها المعاوز في التفتيش والخرق

وأترك الثوب يوماً وهو ذو سعة ... وألبس الثوب وهو الضيق الخلق

إكرام نفسي وأني لايوافقني ... ولو ظمئت فحمت المشرب الرنق

قال هارون بن الزيات في خبره: فلما قال ابن هرمة هذه القصيدة أنشدها عبد الواحد بن سليمان وهو إذ ذاك أمير الحجاز فأمر له بثلثمائة دينار وخلعة موشية من ثيابه، وحمله على فرس وأعطاه ثلاثين لفحة ومائة شاة، وسأله عما يكفيه في كل سنة ويكفي عياله من البر والتمر، فأخبره به، فأمر له بذلك أجمع لسنة، وقال له: هذا لك علي ما دمت ودمت في الدنيا، واقتصعه لنفسه وأنس به، وقال له: لست بمحوجك إلى غيري أبداً. فلما عزل عبد الواحد بن سليمان عن المدينة، تصدى للوالي مكانه وامتدحه. و لم يلبث أن ولي عبد الواحد بعد ذلك وبلغه الخبر، فأمر ان يحجب عنه ابن هرمة وطرور وجفاه، حتى تحمل عليه بعبد الله بن الحسن بن الحسن، فاستوهبه منه فعاد له إلى ما أحبه.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي، وأخبرني به علي بن سليمان الأخفش عن أحمد بن يحيى ثعلب عن الرياشي وخبره أتم قال الرياشي حدثني أبو سلمة الغفاري قال قال ابن ربيح راوية ابن هرمة قال حدثني ابن هرمة قال: أول من رفعني في الشعر عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، فأخذ علي ألا أمدح أحداً غيره، وكان والياً على المدينة، وكان لا يدع بري وصلتي والقيام بمؤونتي. فلم ينشب أن عزل وولي غيره مكانه، وكان الوالي من بني الحارث بن كعب. فدعتني نفسي إلى مدحه طمعاً أن يهب لي كما كان عبد الواحد يهب لي، فمدحته فلم يصنع بي ما ظننت. ثم قدم عبد الواحد المدينة، فأخبر أني مدحت الذي عزل به، فأمر بي فحجبت عنه، ورمت الدخول عليه فمنعت، فلم أدع بالمدينة وجها ولا رجلاً له نباهةٌ وقدر من قريش إلا سألته أن يشفع لي في أن يعيدني إلى منزلتي عنده، فيأبى ذلك فلا يفعله. فلما أعوزتني الحيل أتيت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب

- صلوات الله عليه وعليهم- فقلت: يابن رسول الله، إن هذا الرجل قد كان يكرمني وأخذ علي ألا أمدح غيره، فأعطيته بذلك عهداً، ثم دعاني الشره والكد إلى أن مدحت الوالي بعده. وقصصت عليه قصتي وسألته أن يشفع لي، فركب معي. فأخبرني الواقف على رأس عبد الواحد أن عبد الله بن حسن لما دخل إليه قام عبد الواحد فعانقه وأجلسه إلى جنبه، ثم قال: أحاجةٌ غدت بك أصلحك الله؟ قال نعم قال: كل حاجة لك مقضية إلا ابن هرمة فقال له: إن رأيت ألا تستثني في حاجتي فافعل قال: قد فعلت قال: فحاجتي ابن هرمة قال: قد رضيت عنه وأعدته إلى منزلته قال: فتأذن له أن ينشدك قال: تعفيني من هذه قال: أسألك أن تفعل قال ائتوا به فدخلت عليه وأنشدته قولي فيه:

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمة الجناح

قال فغضب عبد الله بن الحسن حتى انقطع رزه ثم وثب مغضباً، وتجوزت في الإنشاد ثم لحقته فقلت له: جزاك الله خيراً يابن رسول الله فقال: ولكن لا جزاك الله خيراً يا ماص بظر أمه، أتقول لابن مروان:

وكان أبوك قادمة الجناح

بحضرتي وأنا ابن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وابن علي بن أبي طالب- عليه السلام- فقلت: جعلني الله فداك، إني قلت قولاً أخدعه به طلباً لدنياه، ووالله ما قست بكم أحداً قط. أفلم تسمعني قد قلت فيها:

وبعض القول يذهب بالرياح

فضحك عبد الله وقال: قاتلك الله، ما أظرفك.

وهذه القصيدة الحائية التي مدح بها عبد الواحد من فاخر الشعر ونادر الكلام ومن جيد شعر ابن هرمة خاصةً، أولها:

صرمت حبائلاً من حب سلمى ... لهندٍ ما عمدت لمستراح

فإنك إن تقم لا تلق هنداً ... وإن ترحل فقلبك غير صاحي

يظل نهاره يهفي بهند ... ويأرق ليله حتى الصباح

أعبد الواحد المحمود إني ... أغص حذار سخطك بالقراح

فشلت راحتاي وجال مهري ... فألقاني بمشتجر الرماح

وأقعدني الزمان فبت صفراً ... من المال المعزب والمراح

إذا فخمت غيرك في ثنائي ... ونصحي في المغيبة وامتداحي

كأن قصائدي لك فاصطنعني ... كرائم قد عضلن عن النكاح

فإن أك قد هفوت إلى أمير ... فعن غير التطوع والسماح

ولكق سقطةٌ عيبت علينا ... وبعض القول يذهب في الرياح

لعمرك إنني وبني عدي ... ومن يهوى رشادي أو صلاحي

إذا لم ترض عني أو تصلني ... لفي حين أعالجه متاح

وإنك إن حططت إليك رحلي ... بغربي الشراة لذو ارتياح

هششت لحاجة ووعدت أخرى ... ولم تبخل بناجزة السراح

وجدنا غالباً خلقت جناحاً ... وكان أبوك قادمة الجناح

إذا جعل البخيل البخل ترساً ... وكان سلاحه دون السلاح

فإن سلاحك المعروف حتى ... تفوز بعرض ذي شيمٍ صحاح

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني إبراهيم بن إسحاق العمري قالى حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال: قلت لابن هرمة: أتمدح عبد الواحد بن سليمان بشعر ما مدحت به غيره فتقول فيه هذا البيت:

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمة الجناح

ثم تقول فيها:

أعبد الواحد الميمون إني أغص حذار سخطك بالقراح

فبأي شيء استوجب ذلك منك. فقال: إني أخبرك بالقصة لتعذرني: أصابتني أزمة بالمدينة، فاستنهضتني بنت عمي للخروج، فقلت لها: ويحك! إنه ليس عندي ما يقل جناحي فقالت: أنا أنهضك بما أمكنني، وكانت عندي نابٌ لي فنهضت عليها نهجد النوام ونؤذي السمار، وليس من منزل أنزله إلا قال الناس: ابن هرمة! حتى دفعت إلى دمشق، فأويت إلى مسجد عبد الواحد في جوف الليل، فجلست فيه أنتظره إلى أن نظرت إلى بزوغ الفجر، فإذا الباب ينفلق عن رجل كأنه البدر، فدنا فأذن ثم صلى ركعتين، وتأملته فإذا هو عبد الواحد، فقمت فدنوت منه وسلمت عليه فقال لي: أبو إسحاق! أهلاً ومرحباً، فقلت لبيك، بأبي أنت وأمي! وحياك الله بالسلام وقربك من رضوانه فقال: أما آن لك أن تزورنا فقد طال العهد واشتد الشوق، فما وراءك. قلت: لا تسلني بأبي حأ أنت وأمي فإن الدهر قد أخنى علي فما وجدت مستغاثاً غيرك، فقال: لا ترع فقد وردت على ما تحب إن شاء الله. فوالله إني لأخاطبه فإذا بثلاثة فتية قد خرجوا كأنهم الأشطان ، فسلموا عليه، فاستدنى الأكبر منهم فهمس إليه بشيء دوني ودون أخويه فمضى إلى البيت ثم رجع، فجلس إليه فكلمه بشيء دوني ثم ولى، فلم يلبث أن خرج ومعه عبد ضابط يحمل عبئاً من الثياب حتى ضرب به بين يدي، ثم همس إليه ثانيةً فعاد، وإذا به قد رجع ومعه مثل ذلك، فضرب به بين يدي. فقال لي عبد الواحد: ادن يا أبا إسحاق، فإني أعلم أنك لم تصر إلينا حتى تفاقم صدعك، فخذ هذا وارجع إلى عيالك، فوالله ما سللنا لك هذا إلا من أشداق عيالنا، ودفع إلي ألف دينار، وقال لي: قم فارحل فأغث من وراءك فقمت إلى الباب، فلما نظرت إلى ناقتي ضقت فقال لي: تعال، ما أرى هذه مبلغتك، يا غلام، قدم له جملي فلاناً. فوالله لقد كنت بالجمل أشد سروراً مني بكل ما نلته فهل تلومني أن أغص حذار سخط هذا بالقراح! ووالله ما أنشدته ليلتئذ بيتاً واحداً.

أخبرني محى بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني محمد بن عمر الخرجاني قال حدثني عثمان بن حفص الثقفي قال حدثني محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين- صلى الله عليه- قال: دخلت مع أبي على المنصور بالمدينة وهو جالس في دار مروان، فلما اجتمع الناس قام ابن هرمة فقال: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداءك، شاعرك وصنيعتك إن رأيت أن تأذن لي في الإنشادة قال هات، فأنشده قوله:

سرى ثوبه عنك الصبا المتخايل على

له لحظاتٌ عن حفافى سريره اذا كرها فيها عقابٌ ونائل

فأم الذي آمنت آمنة الردى وأم الذي خوفت بالثكل ثاكل

فقال له المنصور: أما لقد رأيتك فى هذه الدار قائماً بين يدي عد الواحد بن سليمان تنشده قولك

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمة الجناح

قال: فقطع بابن هرمه حتى ما قدر على الاعتذار فقال له المنصور: أنت رجل شاعر طالب خير، وكل ذلك يقول الشاعر، وقد أمر لك أمير المؤمنين بثلثمائة دينار. فقام إليه الحسن بن زيد فقال: يا أمير المؤمنين، إن ابن هرمة رجل منفاق متلاف لا يليق شيئاً، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر له بها يجرى عليه منها ما يكفيه ويكفي عياله ويكتب بذلك إلى صاحب الجاري أن يجريها عليهم فعل فقال: افعلوا ذلك به. قال: وإنما فعل به الحسن لن زيد هذا لأنه كان مغضباً عليه لقوله يمدح عبد الله بن حسن:

ماغيرت وجهه أمٌ مهجنه إذا القتام تغشى أوجه الهجن

حدثني يحيى بن علي بن يحيى، وأخبرنا ابن أبي الأزهر وجحظة قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال يحيى بن علي في خبره عن الفضل بن يحيى، و لم يقله الآخران: دخل ابن هرمة على المنصور وقال: يا أمير المؤمنين، إني قد مدحتك مديحاً لم يمدح أحد أحداً بمثله وما عسىأن تقول في بعد قول كعب الأشقري في الملهب:

براك الله حين براك بحراً وفجر منك أنهاراً غزاراً

فقال له: قد قلت أحسن من هذا، قال: هات، فانشده قوله:

له لحظات عن حفافي سريره إذا كرها فيها عقابٌ ونائل

قال: فأمر له بأربعةآلاف درهم. فقال له المهدي: يا أمير المؤمنين، قد تكلف في سفره إليك نحوهاة فقال له المنصور: يا بني، إني قد وهبت له ما هو أعظم من ذلك، وهبت له نفسه، أليس هو القائل لعبد الواحد بن سليمان:

إذا قيل من خيرمن يرتجى لمعتر فهرٍ ومحتاجها

ومن يعجل الخيل يوم الوغى بإلجامها قبل إسراجها

أشارت نساء بنى غالب إليك به قبل أزواجها

وهذه القصيدة من فاخر شعر ابن هرمة، وأولها:

أجارتنا روحي نغمة على هائم النفس مهتاجها

ولاخير في ود مستكرهٍ ولاحاجةٍ دون إنضاجها

يقول فيها يمدح عبد الواحد بن سليمان:

كأن قتودي على خاضبٍ زفوف العشيات هداجها

إلى ملكٍ لا إلى سوقة كسته الملوك ذر اتاجها

تحل الوفود بأبوابه فتلقى الغنى قبل إرتاجها

بقراع أبواب دور الملو ك عند التحية ولاجها

إلى دار ذي حسبٍ ماجدٍ حمول المغارم فراجها

ركود الجفان غداة الصبا ويوم الشمال وإرهاجها

وقفت بمدحيه عند الجما ر انشده بين حجاجها

أخبرني محمد بن جعفرالنحوي صهر المبرد قال حدثني أبو إسحاق طلحة بن عبد الله الطلحي قال حدثني محمد بن سليمان بن المنصور قال: وجه المنصور رسولاً قاصداً إلى ابن هرمة ودفع إليه ألف دينار وخلعة، ووصفه له وقال: امض إليه فإنك تراه جالساً في موضع كذا من المسجد، فانتسب له إلى بني أمية أو مواليهم، وسله أن ينشدك قصيدته الحائية التي يقول فيها يمدح عبد الواحد بن سليمان:

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمة الجناح

فإذا أنشدكها فأخرجه من المسجد واضرب عنقه وجئني برأسه وإن أنشدك قصيدته اللامية التي يمدحني بها فادفع إليه الألف الدينار والخلعة، وما أراه ينشدك غيرها ولا يعترف بالحائية. قال: فأتاه الرسول فوجده كما قال المنصور، فجلس إليه واستنشده قصيدته في عبد الواحدة فقال: ما قلت هذه القصيدة قط ولا أعرفها وإنما نحلها إياي من يعادني، ولكن إن شئت أنشدتك أحسن منها قال: قد شئت فهات فأنشده:

سرى ثوبه عنك الضبا المتخايل

حتى أتى على آخرها ثم قال له: هات ما أمرك أمير المؤمنين بدفعه إلي فقال: أي شيء تقول يا هذا وأي شيء دفع إلي فقال: دع ذا عنك، فوالله ما بعثك إلا أمير المؤمنين ومعك مالٌ وكسوة إلي، وأمرك أن تسألني عن هذه القصيدة فإن أنشدتك إياها ضربت عنقي وحملت رأسي إليه، وإن أنشدتك هذه اللامية دفعت إلى ما حملك إياه فضحك الرسول ثم قال: صدقت لعمري ودفع إليه الألف الدينار والخلعة. فما سمعنا بشيء أعجب من حديثهما.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عمي عن جدي قال: لما أنشد ابن هرمة المنصور قصيدته اللامية التي مدحه بها أمر له بألف درهم فكلمه فيه المهدي واستقلها فقال يا بني، لو رأيت هذا بحيث رأيته وهو واقف بين يدي عبد الواحد بن سليمان ينشده:

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمة الجناح

لاستكثرت له ما استقللته، ولرأيت أن حياته بعد ذلك القول ربح كثير. والله إني يا بني ما هممت له منذ يومئذ بخير فذكرت قوله إلا زال ما عرض بقلبي إلى ضده حتى أهم بقتله ثم أعفو عنه. فأمسك المهدي.

ومما يغني فيه من مدائح ابن هرمة في عبد الواحد بن سليمان قوله من قصيدةٍ أنا ذاكرها بعد فراغي من ذكر الأبيات، على أن المغنين قد خلطوا مع أبياته أبياتاً لغيره:

ولما أن دنا منا ارتحالٌ وقرب ناجيات السير كوم

تحاسر واضحات اللون زهر على ديباج أوجهها النعيم

أتين مودعات والمطايا لدى أكوارها خوضٌ هجوم

فكم من حرة بين المنقى إلى أحدٍ إلى ما حاز ريم

ويروى:

فكم بين الأقارع فالمنفى

وهو أجود.

إلى الجماء من خدٍ أسيل نقي اللون ليس به كلوم

كأني من تذكر ما ألاقي إذا ما أظلم الليل البهيم

سليمٌ مل منه أقربوه وأسلمه المداوي والحميم

ذكر الزبير بن بكار أن هذا الشعر كله لأبي المنهال نفيلة الأشجعي. قال : وسمعت بعض أصحابنا يقول: إنه لمعمر بن العنبر الهذلي. والصحيح من القول، أن بعض هذه الأبيات لابن هرمة من قصيدة له يمدح بها عبد الواحد بن سليمان مخفوضة الميم، ولماغني فيها وفي أبيات نفيلة وخلط فيه ما أوجب خفض القافية غير إلى ما أوجب رفعها. فأما ما لابن هرمة فيها فهو من قصيدته التي أولها:

أجارتنا بذي نفر أقيمي فما أبكى على الدهر الذميم

أقيمي وجه عامك ثم سيري بل اواهي الجوار ولا مليم

فكم بين الأقارع فالمنقى إلى أحدً إلى أكناف ريم

إلى الجماء من خدٍ أسيل نقي اللون ليس بذي كلوم

ومن عينٍ مكحلة الأماقي بلا كحل ومن كشح هضيم

أرقت وغاب عني من يلوم ولكن لم أنم أنا للهموم
أرقت وشفني وجعٌ بقلب ي لزينب أو أميمة أو رعوم
أقاسي ليلةً كالحول حتى تبدى الصح منقطع البريم
كأن الصبح أبلق في حجول يشسب ويتقي ضرب الشكيم
رأيت الشيب قد نزلت علينا روائعه بحجة مستقيم
إذا ناكرته ناكرت منه خصومة لا ألد ولا ظلوم
وودعني الشباب فصرت منه كراضٍ بالصغيرمن العظيم
فدع ما لايرد عليك شيئاً من الجارات أو دمن الرسوم
وقل قولاً تطبق مفصليه بمدحه صاحب الرأي الصروم
لعبد الواحد الفلج المعلى علاخلق النفورة والخصوم
دعته المكرمات فناولته خطام المجد في سن الفطيم

وهي طويلة. فمن الأبيات التي فيها الغناء أربعة أبيات لابن هرمة قد مضت في هذه القصيدة وإنما غيرت حتى صارت مرفوعةً، فاتفقت الأبيات وغني فيها. وأما أبيات نفيلة فما بقي من الصوت المذكور بعد أبيات ابن هرمة له. ويتلو ذلك من أبيات نفيلة قوله:

يضيء دجى الظلام إذا تبدى كضوء الفجر منظره وسيم
وقائلة ومثنيةٍ علينا تقول وما لها فينا حميم
وأخرى لبها معنا ولكن تصبر وهي واجمةٌ كظوم
تعد لنا الليالي تحتصيها متى هوحائنٌ منه قدوم
متى تر غفلة الواشين عنها تجد بدموعها العين السجوم

والغناء في هذه الأبيات المذكورة المختلط فيها شعر ابن هرمة ونفيلة لمعبد، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى عن عمرو ويونس. وفيها لحن من الثقيل الثاني ينسب إلى الوابصي. وفيها خفيف ثقيل ينسب إلى معبد وإلى ابن سريج.

وهذا الوابصي هو الصلت بن العاصي بن وابصة بن خالد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم.

كان تنصر ولحق ببلاد الروم، لأن عمر بن عبد العزيز فيما ذكر حده في الخمر، وهو أمير الحجاز، فغضب فلحق ببلاد الروم وتنصر هناك، ومات هنالك نصرانياً.

رآه رسول عمر بن عبد العزيز الذي ذهب إلى الروم لفك الأسرى: فأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن عبد العزيز قال أخبرني ابن العلاء أظنه أبا عمرو أو أخاه عن جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حكيم، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا سعيد بن عامر عن جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حكيم، وقد جمعت الروايتين، قال اليزيدي في خبره: إن إسماعيل حدث: أن عمر بن عبد العزيز بعث في الفداء. وقال عمر بن شبة: إن إسماعيل حدث قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز فأتاه البريد الذي جاء من القسطنطينية فحدثه قال: بينا أنا أجول في القسطنطينية إذ سمعت رجلاً يغني بلسان فصيح وصوت شج:

فكم من حرة بين المنقى إلى احدٍ إلى جنبات ريم

فسمعت غناءً لم أسمع قط أحسن منه. فلما سمعت الغناء وحسنه، لم أدر أهو كذلك حسن، أم لغربته وغربة العربية في ذلك الموضع. فدنوت من الصوت، فلما قربت منه إذا هو في غرفة، فنزلت عن بغلتي فأوثقتها ثم صعدت إليه فقمت على باب الغرفة، فإذا رجل متسلق على قفاه يغني هذين البيتين لا يزيد عليهما وهو واضعٌ إحدى رجليه على الأخرى، فإذا فرغ بكى فيبكي ما شاء الله ثم يعيد الغناء. ففعل ذلك مراراً فقلت: السلام عليكم فوثب ورد السلام فقلت: أبشر فقد فك الله أسرك، أنا بريد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى، هذا الطاغية في فداء الأسارى. ثم سألته: من أنت. فقال: أنا الوابصي، أخذت فعذبت حتى دخلت في دينهم فقلت له: أنت والله أحب من أفتديه إلى أمير المؤمنين وإلي إن لم تكن دخلت في الكفر، فقال: قد والله دخلت فيه فقلت: أنشدك الله إلا أسلمت، فقال: أأسلم وهذان ابناي وقد تزوجت امرأة منهم وهذان ابناها، وإذا دخلت المدينة قيل لي يا نصراني وقيل مثل ذلك لولدي وأمهما، لا والله لا أفعل. فقلت له: قد كنت قارئاً للقرآن فما بقي معك منه؟ قال: لا شيء إلا هذه الآية "ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين". قال: فعاودته وقلت له: إنك لا تعير بهذا فقال: وكيف بعبادة الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير. فقلت: سبحان الله أما تقرأ: "إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان" فجعل يعيد علي قوله: فكيف بما فعلت و لم يجبني إلى الرجوع. قال: فرفع عمر يده وقال: اللهم لا تمتني حتى تمكنني منه. قال: فوالله ما زلت راجياً لإجابة دعوة عمر فيه. قال جويرية في حديثه: وقد رأيت أخا الوابصي بالمدينة.

وقال يعقوب بن السكيت في هذا الخبر. أخبرني ابن الأزرق عن رجل من أهل البصرة أنسيت اسمه قال: نزلنا في ظل حصن من الحصون التي للروم، فإذا أنا بقائل يقول من فوق الحصن:

فكم بين الأقارع فالمنقى إلى أحد إلى ميقات ريم

إلى الزوراء من ثغر نقي عوارضه ومن دل رخيم

ومن عين مكحلة الأماقي بلا كحل ومن كشح هضيم

وهو ينشد بلسان فصيح ويبكي، فناديته: أيها المنشد، فأشرف فتىً كأحسن الناس. فقلت: من الرجل وما قصتك؟ فقال: أنا رجل من الغزاة من العرب نزلت مكانك هذا، فأشرفت علي جارية كأحسن الناس فعشقتها. فكلمتها فقالت: إن دخلت في ديني لم أخالفك فغلب علي الشيطان فدخلت في دينها، فأنا كما ترى. فقلت: أكنت تقرأ القران؟ فقال: إي والله لقد حفظته. قلت: فما تحفظ منه اليوم. قال: لا شيء إلا قوله عز وجل: "ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين". قلت: فهل لك أن نعطيهم فداءك وتخرج. قال: ففكر ساعة ثم قال: انطلق صحبك الله.

بعفر ما ورد في شعر ابن هرمة من الأخبار: ومما ورد في الأخبار من شعر ابن هرمة:

في حاضر لجب بالليل سامره فيه الصواهل والرايات والعكر

وخرد كالمها حور مدامعها كأنها بين كثبان النقا البقر

الشعر لابن هرمة. والغناء في اللحن المختار لحنين، ولحنه من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. قال إسحاق: وفيه لأبي همهمة لحن من الثقيل الأول أيضاً. وأبو همهمة هذا مغن أسود من أهل المدينة، ليس بمشهور ولا ممن نادم الخلفاء ولا وجدت له خبراً فأذكره.

بزينت ألمم قبل أن يرحل الركب وقل إن تملينا فما ملك القلب

وقل في تجنيها لك الذنب: إنما عتابك من عاتبت فيماله عتب

الشعر لنصيب. والغناء في اللحن المختار لكردم بن معبد، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لمعبد لحن آخر من خفيف الثقيل عن يونس والهشامي ودنانير. وفيه لإبراهيم لحن آخر من الثقيل الأول ذكره الهشامي.

وقد تقدم من أخبار نصيب ما فيه كفاية، وإنما تأخر منها ما له موضع يصلح إفراده فيه، مثل أخبار هذا الصوت.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمي الفضل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن ابن كناسة قال: قال نصيب: ما توهمت أني أحسن أن أقول الشعر حتى قلت:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي عن محمد بن معن الغفاري قال أخبرني ابن الربيح قال: مر بنا جميل ونحن بضرية ، فاجتمعنا إليه فسمعته يقول: لأن أكون سبقت الأسود إلى قوله:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب

أحب إلي من كذا وكذا- لشيء قاله عظيم.

أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني سعيد بن عمرو عن حبيب بن شوذب الأسدي قال: مر بنا جرير بن الخطفي ونحن بضرية، فاجتمعنا إليه فسمعته يقول: لأن أكون سبقت العبد إلى هذا البيت أحب إلي من كذا وكذا يعني قوله:

بزينب ألمم قيل أن يرحل الركب

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل عن إسحاق الموصلي عن ابن كناسة قال: اجتمع الكميت بن زيد ونصيب في الحمام، فقال له الكميت: أنشدني قولك:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب

فقال: والله ما أحفظها، فقال الكميت: لكني أحفظها، أفأنشدك إياها. قال نعم، فأقبل الكميت ينشده وهو أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال ذكر ابن أبي الحويرث عن مولاة لهم، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص عن مولاة لهم قالت: إنا لبمنى إذ نظرت إلى أبنية مضروبة وأثاث وأمتعة، فلم أدر لمن هي، حتى أنيخ بعير، فنزل عنه أسود وسوداء . فألقيا أنفسهما على بعض المتاع، ومر راكب يتغنى غناء الركبان

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب

فرأيت السوداء تخبط الأسود وتقول له: شهرتني وأذعت في الناس ذكري، فإذا هو نصيب وزوجته. قال إسحاق في خبره: وكان الذي اجتاز بهم وتغنى ابن سريج.

كان ابن سريج يغني لنسوة في شعره فلم يشأ أن يتعرف بهن: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قال محمد بن كناسة عن أبيه قال: قال، نصب: والله إني لأسير على راحلتي إذا أدركت نسوة ذوات جمال يتناشدن قولي:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب

وإذا معهن ابن سريج، فقلن له: يا أبا يحيى، غننا في هذا الشعر، فغناهن فأحسن، فقلن: وددنا والله يا أبا يحيى أن نصيبا معنا فيتم سرورنا، فحركت بعيري لأتعرف بهن وأنشدهن ، فالتفتت إحداهن إلي فقالت حين رأتني: والله لقد زعموا أن نصيبا يشبه هذا الأسود لا جرم، فقلت: والله لا أتعرف بهن سائر اليوم، ومضيت وتركتهن. قال: وكان الذي تغنى به ابن سريج من شعري:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب وقل إن تملينا فما ملك القلب

وقل إن تنل بالحب منك مودة فما مثل مالقيت من حبكم حب

وقل في تجنيها لك الذنب إنما عتابك من عاتبت فيماله عتب

فمن شاء رام الوصل أوقال ظالماً لذي وده ذنب وليس له ذنب

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إبراهيم بن عبدالله السعدي عن جدته جمال بنت عون عن جدها قال: قلت للنصيب: أنشدني يا أبا محجن من شعرك شيئاً، فقال: أيه تريد. قلت: ما شئت قال: لا أنشدك أو تقترح ما تريد فقلت: قولك:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب

قال: فتبسم وقال: هذا شعر قلته وأنا غلام، ثم أنشدني القصيدة. قال الزبير: وهي أجود ما قال.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهبلي قالا حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي عن أيوب بن شاس، ونسخت هذا الخبر من كتاب أحمد بن الحارث الرازعن المدائني عن أبي بكر الهذلي عن أيوب بن شاس وروايته أتم من رواية عمر بن شبة قال أيوب: حدثني عبدالله بن سعيد: أن النصيب دخل على عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة، فقال له: هيه يا أسود:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب وقل إن تملينا فما ملك القلب

أأنت الذي تشهر النساء وتقول فيهن فقال: يا أمير المؤمنين، إني قد تركت ذلك وتبت من قول الشعر، وكان قد نسك، فأثنى عليه القوم وقالوا فيه قولاً جميلاً فقال له: أما إذ أثنى عليك القوم فسل حاجتك، فقال: يا أمير المؤمنين، لي، بنيات سويداوات أرغب بهن عن السودان ويرغب عنهن البيضان، فإن رأيت أن تفرض لهن فافعل، ففعل.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبدالله بن شبيب عن محمد بن المؤمل بن طالوت عن أبيه عن عثمان بن الضحاك الحزامي قال:

خرجت على بعير لي أريد الحج، فنزلت في فناء خيمة بالأبواء، فإذا جارية قد خرجت من الخيمة ففتحت الباب بيديها فآستلهاني حسنها، فتمثلت قول نصيب:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب وقل إن تملينا فما ملك القلب

فقالت الجارية: أتعرف قائل هذا الشعر. قلت: نعم، ذاك نصيب، قالت: أفتعرف زينب هذه. قلت: لا قالت: فأنا والله زينبه، وهو اليوم الذي وعدني فيه الزيارة، ولعلك لا ترحل حتى تراه. فوقفت ساعة فإذا أنا براكب قد طلع فجاء حتى أناخ قريباً منها، ثم نزل فسلم عليها وسلمت عليه فقلت: عاشقان التقيا ولا بد أن يكون لهما حاجة، فقمت إلى راحلتي فشددت عليها؟ فقال: على رسلك، أنا معك؟ فلبث ساعة ثم رحل ورحلت معه؟ فقال لي: كأنك قلت في نفسك كذا وكذا قلت: قد كان ذاك فقال لا، ورب الكعبة البنية المستورة ما جلست معها مجلساً قط هو أقرب من هذا.

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبو ربيعة: لو لم تكن هذه القصيدة:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب

لنصيب، شغر من كانت تشبه. فقلت: شعر امرىء القيس، لأنها جزلة الكلام جيدة. قال: سبحان الله قلت: ما شأنك. فقال: سألت أباك عن هذا فقال لي مثل ما قلت، فعجبت من اتفاقكما.

قال هارون وحدثني حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص الثقفي عن رجل سماه قال: أتاني منقذ الهلالي ليلةً وضرب علي الباب، فقلت: من هذا. فقال: منقذ الهلالي، فخرجت فزعاً، فقلت: فيم السرى أي ما جاء بك تسري إلي ليلاً في هذه الساعة؟ قال: خير، أتاني أهلي بدجاجة مشوية بين رغيفين، فتغذيت بها معهم، ثم أتيت بقنينة نبيذ قد التقى طرفاها، فشربت وذكرت قول نصيب:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب

فأنشدها فأطربتني، وفكرت في إنسان يفهم حسن ذلك ويعرف فضله فلم أجد غيرك فأتيتك. فقلت: ما جاء بك إلا هذا. قال: لا، وانصرف.

قال حماد: معنى قوله: التقى طرفاها، أي قد صفت وراقت فأسفلها وأعلاها سواء في الصفاء.

ومما يغنى فيه من قصيدة نصيب البائية المذكورة قوله:

خليلي من كعب ألما هديتما بزينب لايفقدكما أبداً كعب

من اليوم زوراها فإن ركابنا غداة غد عنها وعن أهلها نكب

الغناء لمالك خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو بن بانة.

صوت من المائة المختارة

على رواية جحظة عن أصحابه

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عنم

والدار وحش والرسوم كما رقش في ظهر الأديم قلم

لست كأقوام خلائقهم نث أحاديث وهتك حرم

نث الحديث: إشاعته. والعنم: شجر أحمر، وقيل: بل هو دود أحمر كالأساريع يكون في البقل في أيام الربيع. والأديم: الجلد. وجلد كل شيء أديمه. ورقش: زين الشعر لمرقش الأكبر، والغناء لابن عائشة هزج بالبنصر في مجراها.

أخبار المرقش الأكبر ونسبه

المرقش لقب غلب عليه بقوله:

الدار وحش والرسوم كما رقش في ظهر الأديم قلم

عوف بن مالك المعروف بالبرك

وهو أحد من قال شعراً فلقب به. واسمه فيما ذكر أبو عمرو الشيباني عمرو. وقال غيره: عوف بن سعدبن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن بن عكابة بن صعب بن علي بن بكربن وائل. وهو أحد المتيمين. كان يهوى ابنة عمه أسماء بنت عوف بن مالك بن ضبيعة، وكان المرقش الأصغر ابن أخي المرقش الأكبر. واسمه فيما ذكر أبو عمروربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك. وقال غيره: هو عمرو بن حرملة بن سعد بن مالك. وهو أيضاً أحد المتيمين، كان يهوى فاطمة بنت المنذر الملك ويتشبب بها. وكان للمرقشين جميعاً موقع في بكر بن وائل وحروبها مع بني تغلب، وبأس وشجاعة ونجدة وتقدم في المشاهد ونكاية في العدو وحسن أثر. كان عوف بن مالك بن ضبيعة عم المرقش الأكبر من فرسان بكر بن وائل. وهو القائل يوم قضة: يا لبكر بن وائل، أفي كل يوم فرارا ومحلوفي لا يمر بي رجل من بكر بن وائل منهزماً إلا ضربته بسيفي. وبرك يقاتل فسمي البرك يومئذ.

عمر بن مالك وأسره لمهلهل:

وكان أخوه عمرو بن مالك أيضاً من فرسان بكر، وهو الذي أسر مهلهلاً، التقيا في خيلين من غير مزاحفة في، بعض الغارات بين بكر وتغلب، في موضع يقال له نقا الرمل، فانهزمت خيل مهلهل وأدركه عمرو بن مالك فأسره فانطلق به إلى قومه، وهم في نواحي هجر، فأحسن إساره. ومر عليه تاجر يبيع الخمر قدم بها من هجر، وكان صديقاً لمهلهل يشتري منه الخمر، فأهدى إليه وهو أسير زق خمرة فاجتمع إليه بنو مالك فنحروا عنده بكراً وشربوا عند مهلهل في بيته وقد أفرد له عمرو بيتاً يكون فيه فلما أخذ فيهم الشراب لغنى مهلهل فيما كان يقوله من الشعر وينوح به على كليب، فسمع ذلك عمرو بن مالك فقال: إنه لريان، والله لا يشرب ماء حتى يرد ربيب يعني جملاً كان لعمرو بن مالك، وكان يتناول الدهاس من أجواف هجر فيرعى فيها غبا بعد عشر في حمارة القيظ فطلبت ركبان بني مالك ربيباً وهم حراص على ألا يقتل مهلهل، فلم يقدروا على البعير حتى مات مهلهل عطشاً. ونحر عمرو بن مالك يومئذ ناباً فأسرج جلدها على مهلهل وأخرج رأسه. وكانت بنت خال مهلهل امرأته بنت المحلل أحد بني لغلب قد أرادت أن تأتيه وهو أسيرة فقال يذكرها:

ظبية ما ابنة المحلل شنبا ء لعوب لذيذة في العناق

فلفا بلغها ما هو فيه لم تأته حتى مات. فكان هبنقة القيسي أحد بني قيس بن ثعلبة واسمه يزيد بن ثروان يقول وكان محمقاً وهو الذي تضرب به العرب المثل في الحمق: لا؟ يكون لي جمل أبداً إلا سميته ربيباً يعني أن ربيباً كان مباركاً لقتله مهلهلاً. ذكر ذلك أجمع ابن الكلبي وغيره من الرواة. والقصيدة الميمية التي فيها الغناء المذكورة بذكر أخبار المرقش يقولها في مرثية ابن عم له. وفيها يقول:

بل هل شجتك الظعن باكرةً كأنها النخيل من ملهم

قال أبو عمرو ووافقه المفضل الضبي: وكان من خبر المرقش الأكبر أنه عشق ابنة عمه أسماء بنت عوف بن مالك، وهو البرك، عشقها وهو غلام فخطبها إلى أبيها، فقال: لا أزوجك حتى تعرف بالبأس وهذا قبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن وكان يعده فيها المواعيد. ثم انطلق مرقش إلى ملك من الملوك فكان عنده زماناً ومدحه فأجازه. وأصاب عوفاً زمان شديدث فأتاه رجل من مراد أحد بني غطيف ، فأرغبه في المال فزوجه أسماء على مائة من الإبل، ثم تنحى عن بني سعد بن مالك.

ورجع مرقش، فقال إخوته: لا تخبروه إلا أنها ماتت، فذبحوا كبشاً وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ولفوها في ملحفة ثم قبروها. فلما قدم مرقش عليهم أخبروه أنها ماتت، وأتوا به موضع القبرة فنظر إليه وصار بعد ذلك يعتاده ويزوره. فبينا هو ذات يوم مضطجع وقد تغطى بثوبه وابنا أخيه يلعبان بكعبين لهما إذ اختصما في كعب، فقال أحدهما: هدا كعبي أعطانيه أبي من الكبش الدي دفنوه وقالوا إذا جاء مرقش أخبرناه أنه قبر أسماء. فكشف مرقش، عن رأسه ودعا الغلام وكان قد ضني ضناً شديداً فسأله عن الحديث فأخبره به وبتزويج المرادي أسماء فدعا مرقش وليدة له ولها زوج من غفيلة كان عسيفاً لمرقش، فأمرها بأن تدعو له زوجها فدعته، وكانت له رواحل فأمره بإحضارها ليطلب المرادي عليها، فأحضره إياها، فركبها ومضى في طلبه، فمرض في الطريق حتى ما يحمل إلا معروضاً. وإنهما نزلا كهفاً بأسفل نجران، وهي أرض مراد، ومع الغفلي امرأته وليدة مرقش فسمع مرقش زوج الوليدة يقول لها: اتركيه فقد هلك سقماً وهلكنا معه ضراً وجوعاً. فجعلت الوليدة تبكي من ذلك، فقال لها زوجها: أطيعيني، وإلا فإني تاركك وذاهب. قال: وكان مرقش يكتب، وكان أبوه دفعه وأخاه حرملة وكانا أحب ولده إليه إلى نصراني من أهل الحيرة فعلمهما الخط. فلما سمع مرقش قول الغفلي للوليدة كتب مرقش على مؤخرة الرحل هذه الأبيات:

يا صاحبي تلبثا لا تعجلا إن الرواح رهين ألا تفعلا

فلعل لبثكما يفرط سيئا أو يسبق الإسراع سيباً مقبلا

ياراكباً إما عرضت فبلغن آنس بن سعد إن لقيت وحرملا

لله دركما ودر أبيكما إن أفلت العبدان حتى يقتلا

من مبلغ الأقوام أن مرقشاً أضحى على الأصحاب عبئاً مثقلا

وكأنما ترد السباع بشلوه إذ غاب جمع بني ضبيعة منهلا

قال: فانطلق الغفلي وامرأته حتى رجعا إلى أهلهما، فقالا: مات المرقش. ونظر حرملة إلى الرحل وجعل يقلبه فقرأ الأبيات، فدعاهما وخوفهما وأمرهما بأن يصدقاه ففعلا، فقتلهما. وقد كانا وصفا له الموضع، فركب في

طلب المرقش حتى أتى المكان، فسأل عن خبره فعرف أن مرقشاً كان في الكهف و لم يزل فيه حتى إذا هو بغنم تترو على الغار الذي هو فيه وأقبل راعيها إليها. فلما بصر به قال له: من أنت وما شأنك. فقال له مرقش: أنا رجل من مراد، وقال للراعي : من أنت؟ قال: راعي فلان، وإذا هو راعي زوج أسماء. فقال له مرقش: أتستطيع أن تكلم أسماء امرأة صاحبك؟ قال: لا، ولا أدنو منها، ولكن تأتيني جاريتها كل ليلة فأحلب لها عتراً فتأتيها بلبنها.

فقال له: خذ خاتمي هذا، فإذا حلبت فألقه في اللبن، فإنها ستعرفه، وإنك مصيب به خيراً لم يصبه راع قط إن أنت فعلت ذلك. فأخذ الراعي الخاتم. ولما راحت الجارية بالقدح وحلب لها العتر طرح الخاتم فيه، فانطلقت الجارية به وتركته بين يديها. فلما سكنت الرغوة أخذته فشربته، وكذلك كانت تصنع، فقرع الخاتم ثنيتها، فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته، فقالت للجارية: ما هذا الخاتم. قالت: ما لي به علم، فأرسلتها إلى مولاها وهو في شرف بنجران، فأقبل فزعاً فقال لها: لم دعوتني؟ قالت له: ادع عبدك راعي غنمك فدعاه، فقالت: سله أين وجد هذا الخاتم قال: وجدته مع رجل في كهف خبان .قال: ويقال كهف جبار فقال: اطرحه في اللبن الذي تشربه أسماء فإنك مصيب به خيراً، وما أخبرني من هو، ولقد تركته بآخر رمق. فقال لها زوجها: وما هذا الخاتم؟ قالت: خاتم مرقش، فأعجل الساعة في طلبه. فركب فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى طرقاه من فاحتملاه إلى أهلهما، فمات عند أسماء. وقال قبل أن يموت:

سرى ليلاً خيال من سليمى ... فأرقني وأصحابي هجود

فبت أدير أمري كل حال ... وأذكر أهلها وهم بعيد

على أن قد سما طرفي لنار ... يشب لها بذي الأرطى وقود

حواليها مها بيض التراقي ... وآرام وغزلان رقود

نواعم لاتعالج بؤس عيش ... أوانس لاتروح ولاتزود

يرحن معاً بطاء المشيء بدًا ... عليهن المجاسد والبرود

سكن ببلدة وسكنت أخرى ... وقطعت المواثق والعهود

فما بالي أفي ويخان عهدي ... ومابالي أصاد ولا أصيد

ورب أسيلة الخدين ... بكير منعمة لها فرع وجيد

وذو أشر شتيت النبت عذب ... نقي اللون براق برود

لهوت بها زماناً في شبابي ... وزارتها النجائب والقصيد

أناس كلما أخلقت وصلاً ... عناني منهم وصل جديد

ثم مات عند أسماء، فدفن في أرض مراد.

وقال غير أبي عمرو والمفضل: أتى رجل من مراد يقال له قرن الغزال، وكان موسراً، فخطب أسماء وخطبها المرقش وكان مملقاً، فزوجها أبوها من المرادي سراة فظهر على ذلك مرقش فقال: لئن ظفرت به لأقتلنه. فلما أراد أن يهتديها خاف أهلها عليها وعلى بعلها من مرقش، فتربصوا بها حتى عزب مرقش في إبله، وبنى المرادي بأسماء واحتملها إلى بلده. فلما رجع مرقش إلى الحي رأى غلاما يتعرق عظماً، فقال له: يا غلام، ما حدث بعدي في الحي. وأوجس في صدره خيفةً لما كان، فقال الغلام: اهتدى المراثي امرأته أسماء بنت عوف. فرجع المرقش إلى حيه فلبس لأمته وركب فرسه الأغر، واتبع آثار القوم يريد قتل المرادي. فلما طلع لهم قالوا للمرادي: هذا مرقش، وإن لقيك فنفسك دون نفسه. وقالوا لأسماء: إنه سيمر عليك، فأطلعي رأسك إليه واسفري، فإنه لا يرميك ولا يضرك، ويلهو، بحديثك عن طلب بعلك، حتى يلحقه إخوته فيردوه. وقالوا للمرادي: تقدم فتقدم. وجاءهم مرقش. فلما حاذاهم أطلعت أسماء من خدرها ونادته، فغض من فرسه وسار بقربها، حتى أدركه أخواه أنس وحرملة فعذلاه ورداه عن القوم. ومضى بها المرادي فألحقها بحيه. وضني مرقش لفراق أسماء. فقال في ذلك:

أمن آل أسماء الرسوم الدوارس تخطط فيها الطير قفر بسابس

وهي قصيدة طويلة. وقال في أسماء أيضاً:

أغالبك القلب اللجوج صبابةً وشوقاً إلى أسماء أم أنست غالبه

يهيم ولايعيا بأسماء قلبه كذاك الهوى إمراره وعواقبه

أيلحى امرؤ في حب أسماءقد نأى بغمز من الواشين وازور جانبه

وأسماء هم النفس إن كنت عالماً وبادى أحاديث الفؤاد وغائبه

إذا ذكرتها النفس ظلت كأنني يزعزعني قفقاف ورد وصالبه

كان مع المجالد بن ريان في غارته على بني تغلب وقال شعراً: وقال أبو عمرو: وقع المجالد بن ريان ببني تغلب بجمران فنكى فيهم وأصاب مالاً وأسرى، وكان معه المرقش الأكبر، فقال المرقش في ذلك:

أتتني لسسان بني عامر فجلى أحاديثها عن بصر

بأن بني الوخم ساروا معا بجيش كضوء نجوم السحر

بكل خبوب السسرى نهدة وكل كميت طوال أغر

فما شعرالحي حتى رأوا بريق القوانس فوق الغرر

فأقبلنهم ثم أدبرنهم وأصدرنهم قبل حين الصدر

فيا رب شلو تخطر فنه كريم لدى مزحف أو مكر

وكائن بجمران من مزعف ومن رجل وجهه قد عفر

وأما المرقش الأصغر

فهو على ما ذكر أبو عمروربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة. والمرقش الأكبر عم الأصغر، والأصغر عم طرفة بن العبد. قال أبو عمرو: والمرقش الأصغر أشعر المرقشين وأطولهما عمراً. وهو الذي عشق فاطمة بنت المنذر، وكانت لها وليدة يقال لها بنت عجلان، وكان لها قصر بكاظمة، وعليه حرس. وكان الحرس يجرون كل ليلة حوله الثياب فلا يطؤه أحد إلا بنت عجلان. وكان لبنت عجلان في كل ليلة رجل من أهل الماء يبيت عندها. فقال عمرو بن جناب بن مالك لمرقش: إن بنت عجلان تأخذ كل عشية رجلاً ممن يعجبها فيبيت معها.

وكان مرقش ترعيةً لا يفارق إبله، فأقام بالماء وترك إبله ظمأى، وكان من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم شعراً. وكانت فاطمة بنت المنذر تقعد فوق القصر فتنظر إلى الناس. فجاء مرقش فبات عند ابنة عجلان، حتى إذا كان من الغد تجردت عند مولاتها. فقالت لها: ما هذا بفخذيك،وإذا نكت كأنها التين وكآثار السياط من شدة حفزه إياها عند الجماعق الت: آثار رجل بات معي الليلة. وقد كانت فاطمة قالت لها: لقد رأيت رجلاً جميلاً راح نحونا بالعشية لم أره قبل ذلك، قالت: فإنه فتى قعد عن إبله وكان يرعاها، وهو الفتى الجميل الذي رأيته، وهو الذي بات، معي فأثر في هذه الآثار. قالت لها فاطمة: فإذا كان غد وأتاك فقدمي له مجمراً ومريه أن يجلس عليه وأعطيه سواكاً، فإن استاك به أورده فلا خير فيه، وإن قعد على المجمر أورده فلا خير فيه. فأتته بالمجمر فقالت له: اقعد عليه، فأبى وقال: أدنيه مني، فدخن لحيته وجمته وأبى أن يقعد عليه، وأخذ السواك فقطع رأسه واستاك به. فأتت ابنة عجلان فاطمة فأخبرتها بما صنع، فازدادت به عجباً وقالت: ائتيني به. فتعلقت به كما كانت تتعلق، فمضى معها وانصرف أصحابه. فقال القوم حين انصرفوا: لشد ما علقت بنت عجلان المرقش وكان الحرس ينثرون التراب حول قبة فاطمه بنت المنذر ويجرون عليه ثوباً حين تمسي ويحرسونها فلا يدخل عليها إلا ابنة عجلان، فإذا كان الغد بعث الملك بالقافة فينظرون أثر من دخل إليها ويعودون فيقولون له: لم نر إلا أثر بنت عجلان. فلما كانت تلك الليلة حملت بنت عجلان مرقشاً على ظهرها وحزمته إلى بطنها بثوب، وأدخلته إليها فبات معها. فلما أصبح بعث الملك بالقافة فنظروا وعادوا إليه فقالوا: نظرنا أثر بنت عجلان وهي مثقلة. فلبث بذلك حيناً يدخل إليها. فكان عمرو بن جناب بن عوف بن مالك يرى ما يفعل ولا يعرف مذهبه. فقال له: ألم تكن عاهدتني عهداً لا تكتمني شيئاً ولا أكتمك ولا نتكاذب. فأخبره مرقش الخبر فقال له: لا أرضى عنك ولا أكلمك أبداً أو تدخلني عليها، وحلف على ذلك. فانطلق المرقش إلى المكان الذي كان يواعد فيه بنت عجلان فأجلسه فيه وانصرف وأخبره كيف يصنع، وكانا متشابهين غير أن عمرو بن جناب كان أشعر، فأتته بنت

عجلان فاحتملته وأدخلته إليها وصنع ما أمره به مرقش. فلما أراد مباشرتها وجدت شعر فخذيه فاستنكرته، وإذا هو يرعد، فدفعته بقدمها في صدره وقالت: قبح الله سرا عند المعيدي. ودعت بنت عجلان فذهبت به، وانطلق إلى موضع صاحبه. فلما رآه قد أسرع الكرة و لم يلبث، إلا قليلاً، علم أنه قد افتضح، فعض على إصبعه فقطعها. ثم انطلق إلى أهله وترك المال الذي كان فيه يعني الإبل التي كان مقيماً فيها حياءً مما صنع. وقال مرقش في ذلك:

ألا يا اسلمى لا صرم لي اليوم فاطما ... ولا أبداً ما دام وصلك دائما

رمتك ابنة البكري عن فرع ضالة ... وهن بنا خوص يخلن نعائما

تراءت لنا يوم الرحيل بوارد ... وعذب الثنايا لم يكن متراكما

سقاه حباب المزن في متكلل ... من الشمس رواه ربابا سواجما

أرنك بذات الضال منها معاصماً ... وخدا أسيلا كالوذيلة ناعما

صحا قلبه عنها على أن ذكرةً ... إذا خطرت دارت به الأرض قائما

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن ... خرجن سراعاً واقتعدن المفائما

تحملن من جو الوريعة بعد ما ... تعالى النهار وانتجعن الصرائما

تحلين ياقوتاً وشذراً وصيغة ... جزعاً ظفاريا ودرا توائما

سلكن القرى والجزع تحدى جمالها ... ووركن قوا واجتزن عن المخارما

ألا حبذا وجه تريك بياضه ... ومنسدلات كالمثاني فواحما

وإني لأستحيي فطيمة جائعاً ... خميصاً وأستحيي فطيمة طاعما

وإني لأستحييك والخرق بيننا ... مخافة أن تلقى أخا لي صارما

وإني وإن كلت قلوصي لراجم ... بها وبنفسي يا فطيم المراجما

ألايا اسلمى بالكوكب الطلق فاطما ... وإن لم يكن صرف النوى متلائما

ألايا اسلمى ثم اعلمي أن حاجتي ... إليك فردي من نوالك فاطما

أفاطم لو أن النساء ببلدة ... وأنت بأخرى لابتغيتك هائما

متى مايشأ ذوالود يصرم خليله ... ويغضب عليه لامحالة ظالما

وآلى جناب حلفةً فأطعته ... فنفسك ول اللوم إن كنت نادما

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ... ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

ألم تر أن المرء يجذم كفه ويجشم من لوم الصديق المجاشما
أمن حلم أصبحت تتكت واجما وقد تعترى الأحلام من كان نائما

من المائة المختارة

إذا قلت تسلو النفس أو تنتهي المنى أبى القلب إلا حب أم حكيم
منعمة صفراء حلو دلالها أبيت بها بعد الهدوء أهيم
قطوف الخطا مخطوطة المتن زانها مع الحسن خلق في الجمال عميم

الشعر مختلف في قائله، فمن الرواة من يرويه لصالح بن عبدالله العبشمي، ومنهم من يرويه لقطري بن الفجاءة المازني، ومنهم من يرويه لعبيدة بن هلال اليشكري. والغناء لسياط، وله فيه لحنان: أحدهما، وهو المختار، ثقيل أول بالوسطى، والآخر خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. ولبعض الشراة قصيدة في هذا الوزن وعلى هذه القافية، وفيها ذكر لأم حكيم هذه أيضاً، تنسب إلى هؤلاء الشعراء الثلاثة، ويختلف في قائلها كالاختلاف في قائل هذه. وفيها أيضاً غناء وهو في هذه الأبيات. منها:

لعمرك إني في الحياة لزاهد وفي العيش ما لم ألق أم حكيم
ولو شهدتني يوم دولاب أبصرت طعان فتى في الحرب غير ذميم

ذكر المبرد أن الشعر لقطري بن الفجاءة، وذكر الهيثم بن عدي أنه لعمرو القنا، وذكر وهب بن جرير أنه لحبيب بن سهم التميمي، وذكر أبو مخنف أنه لعبيدة بن هلال اليشكري، وذكر خالد بن خداش أنه لعمرو القنا أيضاً. والغناء لمعبد ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس.

خبر الوقعة التي قيل فيها هذا الشعر

وهي وقعة دولاب وشيء من أخبار هؤلاء وأنسابهم وخبر أم حكيم هذه.

وقعة دولاب وشيء من أخبار الشراة: هذان الشعران قيلا في وقعة دولاب، وهي قرية من عمل الأهواز، بينها وبين الأهواز نحو من أربعة فراسخ، كانت بها حرب بين الإزارقة وبين مسلم بن عبيس بن كريز خليفة عبدالله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب، وذلك في أيام ابن الزبير. أخبرني بخبر هذه الحرب أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن عمر بن شبة عن المدائني، وأخبرني بها عبيد الله بن محمد الرازي عن الخراز عن المدائنيئ، وأخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير بن حرب عن خالد بن خداش: أن نافع بن الأزرق، لما تفرقت آراء الخوارج ومذاهبهم في أصول مقالتهم أقام بسوق الأهواز وأعمالها لا يعترض الناس، وقد كان متشككاً في ذلك. فقالت له امرأته: إن كنت قد كفرت بعد إيمانك وشككت فيه، فدع نحلتك ودعوتك، وإن كنت قد خرجت من

الكفر إلى الإيمان فاقتل الكفار حيث لقيتهم وأثخن في النساء والصبيان كما قال نوح: "لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً". فقبل قولها واستعرض الناس وبسط سيفه، فقتل الرجال والنساء والولدان، وجعل يقول: إن هؤلاء إذا كبروا كانوا مثل آبائهم. وإذا وطيء بلداً فعل مثل هذا به إلى
أن يجيبه أهله جميعاً ويدخلوا ملته، فيرفع السيف ويضع الجباية فيجبي الخراج. فعظم أمره واشتدت شوكته وفشا عفاله في السواد. فارتاع لذلك أهل البصرة ومشوا إلى الأحنف بن قيس فشكوا إليه أمرهم وقالوا له: ليس بيننا وبين القوم إلا ليلتان، وسيرتهم كما ترى، فقال لهم الأحنف: إن سيرتهم في مصر كم إن ظفروا به مثل سيرتهم في سوادكم، فخذوا في جهاد عدوكم. وحرضهم الأحنف، فاجتمع إليه عشرة آلاف رجل في السلاح. فأتاه عبدالله بن الحارث بن نوفل، وسأله أن يؤمر عليهم أميراً، فاختار لهم مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة، وكان فارساً شجاعاً ديناً، فأمره عليهم وشيعه. فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس وقال: إني ما خرجت لامتيار ذهب ولا وفضة، وإني لأحارب قوماً إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفهم ورماحهم. فمن كان من شأنه الجهاد فلينهض، ومن أحب الحياة فليرجع. فرجع نفز يسير ومضى الباقون معه، فلما صاروا بدولاب خرج إليهم نافع بن الأزرق، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتلى، وتضاربوا بالسيوف والعمدة فقتل في المعركة ابن عبيس وهو على أهل البصرة، وذلك في جمادى الآخرة سنة خمس وستين، وقتل نافع بن الأزرق يومئذ أيضاً، فعجب الناس من ذلك، وأن الفريقين تصابروا حتى قتل منهم خلق كثير، وقتل رئيسا العسكرين، والشراة يومئذ ستمائة رجل، فكانت الحدة يومئذ وبأس الشراة واقعاً ببني تميم وبني سدوس. وأتى ابن عبيس وهو يجود بنفسه فاستخلف على الناس الربيع بن عمرو الغداني، وكان يقال له الأجذم، كانت يده أصيبت بكابل مع عبد الرحمن بن سمرة. واستخلف نافع بن الأزرق عبيد الله بن بشير بن الماحوز أحد بني سليط بن يربع. فكان رئيسا المسلمين والخوارج جميعاًمن بني يربوع، رئيس المسلمين من بني غدانة بن يربوع، ورئيس الشراة من بني سليط بن يربوع، فاتصلت الحرب بينهم عشرين يوماً. قال المدائني في خبره: وادعى قتل نافع بن الأزرق رجل من باهلة يقال له سلامة. وتحدث بعد ذلك قال: كنت لما قتلته على برذون ورد فإذا أنا برجل ينادي، وأنا واقف في خمس بني تميم، فإذا به يعرض علي المبارزة فتغافلت عنه، وجعل يطلبني وأنا أنتقل من خمس إلى خمس وليس يزايلني، فصرت إلى رحلي ثم رجعت فدعاني إلى المبارزة، فلما كثر خرجت إليه، فاختلفنا ضربتين فضربته فصرعته، ونزلت فأخذت رأسه وسلبته، فإذا امرأة قد رأتني حين قتلت نافعاً، فخرجت لتثأر به. قالوا: فلما قتل نافع وابن عبيس وولي الجيش إلى ربيع بن عمرو لم يزل يقاتل الشراة نيفاً وعشرين يوماً، ثم أصبح ذات يوم فقال لأصحابه: إني مقتول لا محالة، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: إني رأيت البارحة كأن يدي التي أصيبت بكابل انحطت من السماء فاشتشلتني. فلما كان الغد قاتل إلى الليل ثم غاداهم فقتل يومئذ قال: استشلاه: أخذه إليه. يقال: استشلاه واشتلاه قال: فلما قتل الربيع تدافع أهل البصرة الراية حتى خافوا العطب إذ لم يكن لهم رئيس ثم أجمعوا على الحجاج بن باب الحميري. وقد اقتتل الناس يومئذ وقبله

بيومين قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله، تطاعنوا بالرماح حتى تقصفت، ثم تضاربوا بالسيوف والعمد حتى لم يبق لأحد منهم قوة، وحتى كان الرجل منهم يضرب الرجل فلا يغني شيئاً من الإعياء، وحتى كانوا يترامون بالحجارة ويتكادمون بالأفواه. فلما تدافع القوم الراية وأبوها واتفقوا على الحجاج بن باب امتنع من أخذها. فقال له كريب بن عبد الرحمن: خذها فإنها مكرمة، فقال: إنها لراية مشئومة، ما أخذها أحد إلا قتل. فقال له كريب: يا أعور تقارعت العرب على أمرها ثم صيروها إليك فتأبى خوف القتل، خذ اللواء ويحك، فإن حضر أجلك قتلت إن كانت معك أو لم تكن. فأخذ اللواء وناهضهم،

فاقتتلوا حتى انتقضت الصفوف وصاروا كراديس والخوارج أقوى عدة بالدروع والجواشن. وجعل الحجاج يغمض عينيه ويحمل حتى يغيب في الشراة ويطعن فيهم ويقتل حتى يظن أنه قد قتل، ثم يرفع رأسه وسيفه يقطر دماً، ويفتح عينيه فيرى الناس كراديس يقاتل كل قوم في ناحية. ثم التقى الحجاج بن باب وعمران ين الحارث الراسبي ، فاختلفا ضربتين كل واحد منهما قتل صاحبه، وجال الناس بينهما جولة ثم تحاجزوا، وأصبح أهل البصرة وقد هرب عامتهم، وولوا حارثة بن بدر الغداني أمرهم ليس بهم طرق ولا بالخوارج. فقالت امرأة من الشراة وهي أم عمران قاتل الحجاج بن باب وقتيله ترثي ابنها عمران:

أله أيد عمراناً وطهره ... وكان عمران يدعو الله في السحر

يدعوه سرا وإعلاناً ليرزقه ... شهادة بيدي ملحادة غدر

ولى صحابته عن حر ملحمة ... وشد عمران كالضرغامة الذكر

قال: فلما عقدوا لحارثة بن بدر الرياسة وسلموا إليه الراية نادى فيهم بأن يثبتوا، فإذا فتح الله عليهم فللعرب زيادة فريضتين وللموالي زيادة فريضة، فندب الناس فالتقوا وليس بأحد منهم طرق، وقد فشت فيهم الجراحات فلهم أنين، وما تطأ الخيل إلا على القتلى. فبينما هم كذلك إذ أقبل من اليمامة جمع من الشراة يقول المكثر إنهم مائتان والمقلل إنهم أربعون، فاجتمعوا وهم يريحون مع أصحابهم واجتمعوا كبكبة واحدة، فحملوا على المسلمين. فلما رآهم حارثة بن بدر نكص برايته فانهزم وقال:

كرنبوا ودولبوا ... وحيث شئتم فاذهبوا

وقال:

أير الحمار فريضة لعبيدكم ... والخصيتان فريضة الأعراب

وتتابع الناس على أثره منهزمين، وتبعتهم الخوارج، فالقوا أنفسهم في دجيل فغرق منهم خلق كثير وسلمت بقيتهم. وكان ممن غرق دغفل بن حنظلة أحد بني عمرو بن شيبان. ولحقت قطعة من الشراة خيل عبد القيس فأكبوا عليهم، فعطفت عليهم خيل من بني تميم فعاونوهم وقاتلوا السراة حتى كشفوهم وانصرفوا إلى أصحابهم. وعبرت بقية الناس، فصار حارثة ومن معه بنهر تيري والسراة بالأهواز، فأقاموا ثلاثة أيام. وكان على الأزد

يومئذ قبيصة بن أبي صفرة أخو المهلب، وهو جد هزارمرد . قال: وغرق يومئذ من الأزد عدد كثير. فقال شاعر الأزراقة:

يرى من جاء ينظرمن دجيل شيوخ الأزد طافيةً لحاها

وقال شاعر آخر منهم:

شمت ابن بدر، والحوادث جمة، والظالمون بنافع بن الأزرق

والموت حتم لامحالة واقع من لايصبحه نهاراً يطرق

فلئن أمير المؤمنين أصابه ريب المنون فمن تصبه يغلق

قال قطري بن الفجاءة، فيما ذكر المبرد، وقال المدائني في خبره: إن صالح بن عبدالله العبشمي قائل ذلك، وقال خالد بن خداش: بل قائلها عمرو القنا، قال وهب بن جرير عن أبيه فيما حدثني به أحمد بن الجعد الوشاء عن أحمد بن أبي خيثمة عن أبيه عن وهب بن جرير عن أبيه: إن حبيب بن سهم قائلها:

لعمرك إني في الحياة لزاهد وفي العيش ما لم ألق أم حكيم

من الخفرات البيض لم أرمثلها شفاءً لذي بث ولالسقيم

لعمرك إني يوم ألطم وجهها على نائبات الدهرغيرحليم

ولوشهدتني يوم دولاب أبصرت طعان فتى في الحرب غير لئيم

غداة طفت علماء بكربن وائل وألافها من حمير وسليم

ومال الحجازيون نحو بلادهم وعجنا صدورالخيل نحو تميم

وكان لعبد القيس أول جدها وولت شيوخ الأزدفهي تعوم

فلم أريوماً كان كثرمقعصاً يمج دماً من فائظ وكليم

وضاربة خدا كريماًعلى فتى أغر نجيب الأمهات كريم

أصيب بدولاب ولم تك موطناً له أرض دولاب وديرحميم

فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا تبيح من الكفاركل حريم

رأت فتية باعوا الإله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم

حدثني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا خلاد الأرقط قال:

كان الشراة والمسلمون يتواقفون ويتساءلون بينهم عن أمر الدين وغير ذلك على أمان وسكون فلا يهيج بعضهم بعضاً. فتواقف يوماً عبيدة بن هلال اليشكري وأبو حزابة التميمي وهما في الحرب، فقال عبيدة: يا أبا حزابة، إني

سائلك عن أشياء، أفتصدقني في الجواب عنها؟ قال: نعم، إن تضمنت لي مثل ذلك، قال: قد فعلت. قال: سل عما بدا لك. قال: ما تقول في أئمتكم. قال: يبيحون الدم الحرام والمال الحرام والفرج الحرام. قال: ويحك فكيف فعلهم في المال؟ قال: يخبونه من غير حقه، وينفقونه في غير حقه. قال: فكيف فعلهم في اليتيم. قال: يظلمونه ماله، ويمنعونه حقه، وينيكون أمه. قال: ويلك يا أبا حزابة أفمثل هؤلاء تتبع.قال: قد أجبت، فاسمع سؤالي ودع عنك عتابي على رأيي، قال: قل. قال: أي الخمر أطيب: أخمر السهل أم خمر الجبل. قال: ويلك أتسأل مثلي عن هذا؟ قال: قد أوجبت على نفسك أن تجيب، قال: أما إذ أبيت فإن خمر الجبل أقوى وأسكر، وخمر السهل أحسن وأسلس. قال أبو حزابة: فأي الزواني أفره: أزواني رامهرمز أم زواني أرجان ؟ قال: ويلك إن مثلي لا يسأل عن مثل هذا قال: لا بد من الجواب أو تغدر، فقال: أما إذ أبيت فزواني رامهرمز أرق أبشاراً، وزواني أزجان أحسن أبداناً. قال: فأي الرجلين أشعر: أجرير أم الفرزدق. قال: عليك وعليهما لعنة الله، أيهما الذي يقول:

وطوى الطراد مع القياد بطونها طي التجار بحضرموت برودا

قال: جرير، قال: فهو أشعرهما. قال: وكان الناس قد تجاذبوا في أمر جرير والفرزدق حتى تواثبوا وصاروا إلى المهلب محكمين له في ذلك، فقال: أردتم أن أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين فيمتضغاني، كنت لأحكم بينهما، ولكني أدلكم على من يحكم بينهما ثم يهون عليه سبابهما، عليكم بالشراة فسلوهم إذا تواقفتم. فلما تواقفوا سأل أبو حزابة عبيدة بن هلال عن ذلك فأجابه بهذا الجواب.

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال: حدثت أن امرأة من الخوارج كانت مع قطري بن الفجاءة يقال لها أم حكيم، وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجهاً وأحسنهم بدينهم تمسكاً، وخطبها جماعة منهم فردهم و لم تجب إلى ذلك؟ فأخبرني من شهدها أنها كانت تحمل على الناس وترتجز:

أحمل رأساً قد سئمت حمله وقد مللت دفنه وغسله

ألا فتى يحمل عني ثقله

قال: وهم يفدونها بالآباء والأمهات، فما رأيت قبلها ولا بعدها مثلها.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عمي قال: كان عبيدة بن هلال إذا تكاف الناس ناداهم: ليخرج إلي بعضكم، فيخرج إليه فتيان من العسكر، فيقول لهم: أيما أحب إليكم: أقرأ عليكم القرآن أو أنشدكم الشعر؟ فيقولون له: أما القرآن فقد عرفناه مثل معرفتك، فأنشدنا، فيقول لهم: يا فسقة، والله قد علمت أنكم تختارون الشعر على القرآن، ثم لا يزال ينشدهم ويستنشدهم حتى يملوا ثم يفترقون.

أخبار سياط ونسبه

سياط لقب غلب عليه، واسمه عبدالله بن وهب، ويكنى أبا وهب، مكي مولى خزاعة. وكان مقدماً في الغناء رواية وصنعة، ومقدماً في الضرب معدوداً في الضراب. وهو أستاذ ابن جامع وإبراهيم الموصلي، وعنه أخذا ونقلا ونقل نظراؤهما الغناء القديم، وأخذه هو عن يونس الكاتب. وكان سياط زوج أم ابن جامع. وفيه يقول بعضر الشعراء:

ماسمعت الغناء إلا شجاني ... من سياط وزاد في وسواسي

غنني ياسياط قد ذهب اللي ... ل غناءً يطيرمنه نعاسي

ما أبالي إذاسمعت غناءً ... لسياط مافاتني للرؤاسي

والرؤاسي الذي عناه هو عباس بن منقار، وهو من بني رؤاس. وفيه يقول محمد بن أبان الضبي:

إذا واخيت عباساً ... فكن منه على وجل

فتى لايقبل العذر ... ولايرغب في الوصل

وما إن يتغنى من ... يواخيه من النبل

قال حماد بن إسحاق: لقب سياط هذا اللقب لأنه كان كثيراً ما يتغنى:

كأن مزاحف الحيات فيه ... قبيل الصبح آثار السياط

وأخبرني محمد بن خلف قال حدثني هارون بن مخارق عن أبيه، وأخبرني به عبدالله بن عباس بن الفضل بن الربيع الربيعي عن وسواسة الموصلي و لم أسمع أنا هذا الخبر من وسواسةعن حماد عن أبيه، قالا :

غنى إبراهيم الموصلي يوماً صوتاً لسياط، فقال له ابنه إسحاق: لمن هذا الغناء يا أبت؟ قال: لمن لو عاش ما وجد أبوك شيئاً يأكله، لسياط. قال: وقال المهدي يوماً وهو يشرب لسلام الأبرش : جئني بسياط وعقاب وحبال، فارتاع كل من حضر وظن جميعهم أنه يريد الإيقاع بهم أو ببعضهم، فجاءه بسياط المغني وعقاب المدني وكان الذي يوقع عليه وحبال الزامر. فجعل الجلساء يشتمونهم والمهدي يضحك.

أخبرني محمد بن خلف قال حدثني أبو أيوب المدني قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: مر سياط على أبي ريحانة المدني في يوم بارد وهو جالس في الشمس وعليه ثوب رقيق رث، فوثب إليه أبو ريحانة وقال: بأبي أنت يا أبا وهب، غنني صوتك في شعر ابن جندب:

فؤادي رهين في هواك ومهجتي ... تذوب وأجفاني عليك هموم

فغناه إياه، فشق قميصه ورجع إلى موضعه من الشمس وقد ازداد برداً وجهداً. فقال له رجل: ما أغنى عنك ما غناك من شق قميصك فقال له يابن أخي، إن الشعر الحسن من المغني الحسن في الصوت المطرب أدفأ للمقرور من حمام محمى. فقال له رجل: أنت عندي من الذين قال الله جل وعز: "فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين". فقال: بل أنا من الذين قال تبارك وتعالى: "الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه". وقد أخبرني بهذا الخبر علي

بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه فذكر قريباً من هذا، ولفظ أبي أيوب وخبره أتم.

وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي، المعروف بابن أبي اليسع، قالحدثنا عمر بن شبة: أن سياطاً مر بأبي ريحانة المدني، فقال له: بحق القبر ومن غنني بلحنك في شعر ابن جندب:

لكل حمام أنت باك إذا بكى ودمعك منهل وقلبك يخفق

مخافة بعد بعد قرب وهجرة تكون ولما تأت والقلب مشفق

ولي مهجة ترفض من خوف عتبها وقلب بنار الحب يصلى ويحرق

أظل خليعاً بين أهلي متيماً وقلبي لما يرجوه منها معلق

فغناه إياه، فلما استوفاه ضرب بيده على قميصه فشقه حتى خرج منه وغشي عليه. فقال له رجل لما أفاق: يا أبا ريحانة، ما أغنى عنك الغناء، ثم ذكر باقي الخبر مثل ما تقدم.

أخبرني إسماعيل قال حدثني عمر بن شبة قال: مرت جارية بأبي ريحانة يوماً على ظهرها قربة وهي تغني وتقول:

وأبكى فلا ليلى بكت من صبابة إلي ولا ليلى لذي الود تبذل

وأخنع بالعتبى إذا كنت مذنباً وإن أذنبت كنت الذي أتنصل

فقام إليها فقال: يا سيدتي أعيدي فقالت: مولاتي تنتظرني والقربة على ظهري، فقال: أنا أحملها عنك، فدفعتها إليه فحملها، وغنته الصوت، فطرب فرمى بالقربة فشقها. فقالت له الجارية: أمن حقي أن أغنيك وتشق قربتي فقال لها: لا عليك، تعالي معي إلى السوق، فجاءت معه فباع ملحفته واشترى لها بثمنها قربة جديدة. فقال له رجل: يا أبا ريحانة، أنت والله كما قال الله عز وجل: "فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين"، فقال: بل أنا كما قال الله عز وجل: "الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه".

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني أبو العيناء قال قال إسحاق الموصلي: بلغني أن أبا ريحانة المدني كان جالساً في يوم شديد البرد وعليه قميص خلق رقيق، فمر به سياط المغني فوثب إليه وأخذ بلجامه وقال له: يا سيدي، بحق القبر ومن فيه غنني صوت ابن جندب، فغناه :

فؤادي رهين في هواك ومهجتي تذوب وأجفاني عليك هموم

فشق قميصه حتى خرج منه وبقي عارياً وغشي عليه، واجتمع الناس حوله وسياط واقف متعجب مما فعل. ثم أفاق وقام إليه، فرحمه سياط وقال له: مالك يا مشئوم؟ أي شيء تريد. قال: غنني بالله عليك:

ودع أمامة حان منك رحيل إن الوداع لمن تحب قليل

مثل القضيب تمايلت أعطافه فالريح تجذب متنه فيميل

إن كان شأنكم الدلال فإنه حسن دلالك يا أميم جميل

فغناه إياه، فلطم وجهه ثم خرج الدم من أنفه ووقع صريعاً. ومضى سياط، وحمل الناس أبا ريحانة إلى الشمس. فلما أفاق قيل له: ويحك خرقت قميصك وليس لك غيره فقال: دعوني، فإن الغناء الحسن من المغني المطرب أدفأ للمقرور من حمام المهدي إذا أوقد سبعة أيام. قال: ووجه له سياط بقميص وجبة وسراويل وعمامة.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبو أيوب المدني قال حدثني محمد بن عبدالله الخزاعي وحماد بن إسحاق جميعاً عن إسحاق قال: كان سياط أستاذ أبي وأستاذ ابن جامع ومن كان في ذلك العصر. فاعتل علةً، فجاءه أبي وابن جامع يعودانه.

فقال له أبي: أغزز علي بعلتك أبا وهب، ولو كانت مما يفتدى لفديتك منها. قال: كيف كنت لكم؟ قلنا: نعم الأستاذ والسيد. قال: قد غنيت لنفسي ستين صوتاً فأحب ألا تغيروها ولا تنتحلوها. فقال له أبي: أفعل ذلك يا أبا وهب، ولكن أي ذلك كرهت: أن يكون في غنائك فضل فأقصر عنه فيعرف فضلك عليم فيه، أو أن يكون فيه نقص فأحسنه فينسب إحساني إليك ويأخذه الناس عني لك؟ قال، :لقد استعفيت سن غير مكروه. قال الخزاعي فيب خبره: ثم قال لي إسحاق: كان سياط خزاعياً، وكان له زامر يقال له حبال، وضارب يقال له عقاب. قال حماد قال أبي: أدركت أربعة كانوا أحسن الناس غناء، سياط أحدهم. قال: وكان موته في أول أيام موسى الهادي.

أخبرني يحيى قال حدثنا أبو أيوب عن مصعب قال: دخل ابن جامع على سياط وقد نزل به الموت، فقال له: ألك حاجة. فقال: نعم، لا تزد في غنائي شيئاً ولا تنقص منه، دعه رأساً برأس، فإنما هو ثمانية عشر صوتاً.

أخبرنا محمد بن مزيد قال حدثنا حماد قال حدثني محمد بن حديد أخو النضر بن حديد: أن إخواناً لسياط دعوه، فأقام عندهم وبات ، فأصبحوا فوجدوه ميتاً في مترلهم، فجاءوا إلى أمه وقالوا: يا هذه، إنا دعونا ابنك لنكرمه ونسر به ونأنس بقربه فمات فجأة، وها نحن بين يديك فاحتكمي ما شئت، ونشدناك الله ألا تعرضينا للسلطان أو تدعي فيه علينا ما لم نفعله. فقالت: ما كنت لأفعل، وقد صدقتم، وهكذا مات أبوه فجأة. قال: فجاءت معنا فحملته إلى مترلها فأصلحت أمره ودفنته. وقد ذكرت هذه القصة بعينها في وفاة نبيه المغني، وخبره في ذلك يذكر مع أخباره إن شاء الله تعالى.

أخبرنا يحيى بن عليئ وعيسى بن الحسين الزيات واللفظ له، قالا حدثنا أبو أيوب قال حدثنا أحمد بن المكي قال: غنيت إبراهيم بن المهدي لسياط:

ضاف قلبي الهوى فأكثر سهوي

فاستحسنه جدا، وقال لي: ممن أخذته؟ قلت: من جارية أبيك قرشية الزباء، فقال: أشعرت أنه كان لأبي ثلاث جوار محسنات كلهن تسمى قرشية، منهن قرشية الزباء وقرشية السوداء وقرشية البيضاء، وكانت الزباء أحسنهن

غناءً يعني التي أخذت منها هذا الصوت، قال: وكنت أسمعها كثيراً تقول: قد سمعت المغنين وأخذت عنهم وتفقدت أغانيهم، فما رأيت فيهم مثل سياط قط. هذه الحكاية من رواية عيسى بن الحسين خاصة.

نسبة هذا الصوت

ضاف قلبى الهوى فأكثر سهوي وجوى الحب مفظع غير حلو
لو علا بعض ما علاني ثبيراً ظل ضعفاً ثبير من ذاك يهوي
من يكن من هوى الغواني خليا يا ثقاتي فإنني غير خلو

الغناء لسياط ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق.

من المائة المختارة

يا أم عمرو لقد طالبت ودكم جهدي وأعذرت فيه كل إعذار
حتى سقمت، وقد أصبحت سالمةً، مما أعالج من هم وتذكار

لم يسم قائل هذا الشعر. والغناء للرطاب. والرطاب مدني قليل الصنعة ليس بمشهور. وقيل له الرطاب لأنه كان يبيع الرطب بالمدينة. ولحنه المختار هزج بالوسطى.

تصدع الأنس الجميع أمسى فقلبي به صدوع
في إثرهم وجفون عيني مخضلة كلها دموع

لم يسم لنا قائل هذا الشعر ولا عرفناه. والغناء لدكين بن يزيد الكوفي. ولحنه المختار من خفيف الثقيل بالوسطى، وهكذا ذكر إسحاق في الألحان المتخارة للواثق. وذكر هذا الصوت في مجرد شجا فنسبه إلى دكين، وجنسه في الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. وذكر أيضاً فيه لحناً من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر، فزعم أنه ينسب إلى معبد وإلى الغريض. وفيه بيتان آخران وهما:

فالقلب إن سيم عنك صبراً كلف ماليس يستطيع
عاص لمن لام في هواكم وهو لكم سامع مطيع

من المائة المختارة

يأيها الرجل الذي قد زان منطقه البيان
لاتعتبن على الزما ن فليس يعتبك الزمان

الشعر لعبدالله بن هارون العروضي. والغناء لنبيه المغني، ولحنه المختار ثقيل أول بالبنصر.

فأما عبدالله بن هارون فما أعلم أنه وقع إلي له خبر إلا ما شهر من حاله في نفسه. وهو عبدالله بن هارون بن السميدع، مولى قريش، من أهل البصرة. وأخذ العروض من الخليل ابن أحمد، فكان مقدماً فيه. وانقطع إلى آل سليمان بن علي وأدب أولادهم، وكان يمدحهم كثيراً، فأكثر شعره فيهم. وهو مقل جداً. وكان يقول أوزاناً من العروض غريبة في شعره، ثم أخذ ذلك عنه ونحا نحوه فيه رزين العروضي فأتى فيه ببدائع جمة، وجعل أكثر شعره من هذا الجنس. فأما عبدالله بن هارون فما عرفت له خبراً ولا وقع إلي من أمره شيء غير ما ذكرته.

ذكر نبيه وأخباره

نسبه وأصله وشعره وسبب تعلمه الغناء: زعم ابن خرداذبه أنه رجل من بني تميم صليبة، وأن أصله من الكوفة، وأنه كان في أول أمره شاعراً لا يغني، ويقول شعراً صالحاً. فهوي قينة ببغداد فتعلم الغناء من أجلها وجعله سبباً للدخول عليها، و لم يزل يتزيد حتى جاد غناؤه وصنع فأحسن واشتهر، ودون غناؤه وعد في المحسنين. فمما قاله في هذه الجارية وغنى فيه قوله:

يا رب إني ما جفوت وقد جفت ... فإليك أشكو ذاك يا رباه

مولاة سوء ماترق لعبدها ... نعم الغلام وبئست المولاه

يارب إن كانت حياتي هكذا ... ضرراً علي فما أريد حياه

الغناء لنبيه ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى. ومن الناس من ينسب الشعر والغناء إلى علية بنت المهدي.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال: قلت لمخارق، وقد غنى هذا الصوت يوماً:

متى لجمع القلب الذكي وصارماً ... وأنفًا حميا تجتنبك المظالم

فسألته لمن هو، فقال: هذا لنبيه التميمي، وكان له أخوان يقال لهما منبه ونبهان، وكان ينزل شهار سوج الهيثم في محرب الريحان. قال أبو زيد: وسمعت مخارقاً يحدث إسحاق بن إبراهيم قال سمعت أباك إبراهيم بن ميمون يقول، وقد ذكر نبيهاً: إن عاش هذا الغلام ذهب خبرنا . قال: وكنت قد غنيته صوتاً أخذته عنه، وهو:

شكوت إلى قلبي الفراق فقال لي ... من الآن فايأس لا أغرك بالصبر

إذا صد من أهوى وأسلمني العزا ... ففرقة من أهوى أحرمن الجمر

أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني ابن أبي سعد عن محمد بن عبدالله بن مالك قال حدثني علي بن المفضل قال: اصطبحنا يوماً أنا ونبيه عند عبيد الله بن أبي غسان، فغنانا نبيه لحنه:

يأيها الرجل الذي ... قد زان منطقه البيان

فما سمعت أحسن منه، وكان صوتنا عليه بقية يومنا. ثم أردنا الانصراف، فسألنا عبيد الله أن نبيت عنده ونصطبح من غد فأجبناه. وقال لنبيه: أي شيء تشتهي أن يصلح لك؟ قال: تشتري لي غزالاً فتطعمني كبده كباباً، ونجعل سائر ما آكله من لحمه كما تحب، فقال: أفعل. فلما أصبحنا جاءه بغزال فأصلحه كما أحب. فلما استوفى أكله استلقى لينام، فحركناه فإذا هو ميت، فجزعنا من ذلك. وبعث عبيد الله إلى أمه فجاءت فأخبرها بخبره. فلما رأته استرجعت ثم قالت: لا بأس عليكم هو رابع أربعة ولدتهم كانت هذه ميتتهم جميعاً وميتة أبيهم من قبلهم، فسكنا إلى ذلك. وغسل في دار عبيد الله وأصلح شأنه وصلي عليه، ومضينا به إلى مقابرهم فدفن هناك.

وففت على ربع لسعدى وعبرتي ترقرق في العينين ثم تسيل

أسائل ربعاً قد تعفت رسومه عليه لأصناف الرياح ذيول

لم يسم لنا قائل هذا الشعر. والغناء لسليم هزج خفيف بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبار سليم

انقطع إلى إبراهيم المصلي، وهو أمر د فأحبه وعلمه: هو سليم بن سلام الكوفي، ويكنى أبا عبدالله. وكان حسن الوجه حسن الصوت. وقد انقطع وهو أمرد إلى إبراهيم الموصلي، فمال إليه وتعشقه، فعلمه وناصحه، فبرع وكثرت روايته، وصنع فأجاد. وكان إسحاق يهجوه ويطعن عليه. واتفق له اتفاق سيء: كان يخدم الرشيد فيتفق مع ابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وفليح ابن العوراء وحكم الوادي فيكون بالإضافة إليهم كالساقط. وكان من أبخل الناس، فلما مات خلف جملة عظيمة وافرة من المال، فقبضها السلطان عنه.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه:

أن إسحاق قال في سليم:

سليم بن لسلام على برد خلقه أحرغناء من حسين بن محرز

وأخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق، وأخبرنا يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق: أن الرشيد قال لبرصوما الزامر وكانت فيه لكنة ما تقول في ابن جامع. قال: زق من أسل، يريد من عسل. قال: فإبراهيم. قال: بستان فيه فاكهة وريحان وشوك. قال: فيزيد حوراء. قال: ما أبيد أسنانه يريد ما أبيض. قال: فحسين بن محرز. قال: ما أهسن خظامه، يريد ما أحسن خضابه. قال: فسليم بن سلام؟ قال: ما أنظف ثيابه.

قال إسماعيل بن يونس في خبره عن عمر بن شبة عن إسحاق: وغنى سليم يوماً وبرصوما يزمر عليه بين يلي الرشيد، فقصر سليم في موضع صيحة، فأخرج برصوما الناي من فيه ثم صاح به وقال له: يا أبا عبدالله، صيهة أشد من هذا، صيهة أشد من هذا، فضحك الرشيد حتى استلقى. قال: وما أذكر أني ضحكت قط أكثر من

ذلك اليوم.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال محمد بن الحسن بن مصعب: إنما أخر سليما عن أصحابه في الصنعة ولعه بالأهزاج، فإن ثلثي صنعته هزج، وله من ذلك ماليس لأحد منهم. قال: ثم قال محمد: غنى سليم يوماً بين يدي الرشيد ثلاثة أصوات من الهزج ولاء، أولها:

مت على من غبت عنه أسفا

والثاني:

أسرفت في الإعراض والهجر

والثالث:

أصبح قلبي به ندوب

فأطربه وأمر له بثلاثين ألف درهم، وقال له: لو كنت الحكم الوادي ما زدت على هذا الإحسان في أهزاجك. يعني أن الحكم كان منفرداً بالهزج.

مت على من غبت عنه أسفا — لست منه بمصيب خلفا

لن ترى قرةً عين أبداً — أوترى نحوهم منصرفا

قلت لماشفني وجدي بهم — حسبي الله لمابي وكفى

بين الدمع لمن أبصرني — ماتضمنت إذا ما ذرفا

الشعر للعباس بن الأحنف. والغناء لسليم، وله فيه لحنان، أحدهما في الأول والثاني هزج بالوسطى، والآخر في الثالث والرابع خفيف رمل بالبنصر مطلق. وفيهما لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو.

ومنها:

أسرفت في الإعراض والهجر — وجزت حد التيه والكبر

الهجر والإعراض من ذي الهوى — سلم ذي الغدر إلى الغدر

مالي وللهجران حسبي الذي — مر على رأسي من الهجر

ودون ما جربت فيما مضى — ما عرف الخير من الشر

الغناء لسليم هزج بالبنصر.

أصبح قلبي به ندوب — أندبه الشادن الربيب

تمادياً منه في التصابي — وقدعلا رأسي المشيب

أظنني ذائقاً حمامي — وأن إلمامه قريب

إذا فؤاد شجاه حب فقلما ينفع الطبيب

الشعر لأبي نواس. والغناء لسليم، وله فيه لحنان: خفيف رمل بالبنصر عن إسحاق، وهزج بالوسطى عن الهشامي. وزعمت بذل أن الهزج لها.

أخبرني عفي قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدثني هارون بن مخارق عن أبيه قال: كان سليم بن سلام كوفيا، وكان أبوه من أصحاب أبي مسلم صاحب الدولة ودعاته وثقاته، فكان يكاتب أهل العراق على يلى. وكان سليم حسن الصوت جهيره، وكان بخيلاً.

قال أحمد بن أبي طاهر وحدثني أبو الحواجب الأنصاري، واسمه محمد، قال: قال لي سليم يوماً: امض إلى موسى بن إسحاق الأزرق فادعه ووافياني مع الظهر، فجئناه مع الظهر، فأخرج إلينا ثلاثين جارية محسنة ونبيذاً، و لم يطعمنا شيئاً، و لم نكن كلنا شيئاً. فغمر موسى غلامه فذهب فاشترى لنا خبزاً وبيضاً، فأدخله إلى الكنيف وجلسنا نأكل، فدخل علينا، فلما رآنا نأكل غضب وخاصمنا وقال: أهكذا يفعل الناس تأكلون ولا تطعمونني وجلس معنا في الكنيف يأكل كما يأكل واحد منا حتى في الخبز والبيض.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي قال حدثني أبي قال:

كان سليم بن سلام صديقي وكان كثيراً ما يغشاني. فجاءني يوماً وأعلمني الغلام بمجيئه، فأمرت بإدخاله، فدخل وقال: قد جئتك في حاجة، فقلت: مقضية. فقال: إن المهرجان بعد غد، وقد أمرنا بحضور مجلس الخليفة، وأريد أن أغنيه لحناً أصنعه في شعر لم يعرفه هو ولا من بحضرته، فقل أبياتاً أغني فيها ملاحاة فقلت: على أن تقيم عندي وتصنع بحضرتي اللحن، قال: أفعل. فردوا دابته وأقام عندي، وقلت:

أتيتك عائذاً بك من ك لما ضاقت الحيل

وصيرني هواك وبي لحيني يضرب المثل

فإن سلمت لكم نفسي فما لاقيته جلل

وإن قتل الهوى رجلاً فإني ذلك الرجل

فغنى فيه وشربنا يومئذ عليه، وغنانا عدة أصوات من غنائه، فما رأيته مذ عرفته كان أنشط منه يومئذ.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن الجراح قال حدثني عبد الله بن محمد اليزيدي قال حدثني أخي محمد قال: سمعت أبي يقول: ما سرقت من الشعر قط إلا معنيين: قال مسلم بن الوليد:

ذاك ظبي تحير الحسن في الأر كن منه وجال كل مكان

عرضت دونه الحجال فمايل قاك ألا في النوم أو في الأماني

فاستعرت معناه فقلت:

يا بعيد الدار موصو لاً بقلبي ولسلني

ربما باعدك الده ر فأدنتك الأماني

الغناء في هذين البيتين لسليم هزج بالبنصر عن الهشامي.

قال: وقال مسلم أيضاً:

متى ماتسمعي بقتيل أرض فإني ذلك الرجل القتيل

ويروى: أصيب فإنني ذاك القتيل فقلت:

أتيتك عائذاً بك من ك لما ضاقت الحيل

وصيرني هواك وبي لحيني يضرب المثل

فإن سلمت لكم نفسي فما لاقيته جلل

وإن قتل الهوى رجلاً فإني ذلك الرجل

وجدت في كتاب علي بن محمد بن نصر عن جده حمدون بن إسماعيل، و لم أسمعه من أحد: أن إبراهيم بن المهدي سأل جماعةً من إخوانه أن يصطبحوا عنده قال حمدون: وكنت فيه، وكان فيمن دعا مخارق، فسار إليه وهو سكران لا فضل فيه لطعام ولا لشراب، فاغتم لذلك إبراهيم وعاتبه على ما صنع؟ فقال: لا والله أيها الأمير، ما كان آفتي إلا سليم بن سلام فإنه مر بي فدخل علي فغناني صوتاً له صنعه قريباً فشربت عليه إلى السحر حتى لم يبق في فضل وأخذته. فقال له إبراهيم: فغنناه إملالاً، فغناه:

إذا كنت ندماني فباكر مدامة معتقةً زفت إلى غير خاطب

إذاعتقت في دنها العام أقبلت تردى رداء الحسن في عين شارب

الغناء لسليم خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصرقال فبعث إبراهيم إلى سليم فأحضره، فغناه إياه وطرحه على جواريه وأمر له بجائزة، وشربنا عليه بقية يومنا حتى صرنا في حالة مخارق وصار في مثل أحوالنا.

من المائة المختارة

عتق الفؤاد من الصبا ومن السفاهة والعلاق

وحططت رحلي عن قلو ص الحب في قلص عتاق

ورفعت فضل إزاري ال مجرورعن قدمي وساقي

وكففت غرب النفس حت ى ما تتوق إلى متاق

لم يقع إلينا قائل هذا الشعر. والغناء لابن عباد الكاتب ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل، وقيل: إنه لغيره، بل قيل: إنه لعمرو.

أخبار ابن عبّاد

نسبه وكنيته وصاعته

هو محمد بن عباد، مولى بني مخزوم، وقيل: إنه مولى بني جمح، ويكنى أبا جعفر. مكي، من كبراء المغنين من الطبقة الثاينة منهم. وقد ذكره يونس الكاتب فيمن أخذ عنه الغناء، متقن الصنعة كثيرها. وكان أبوه من كتاب الديوان بمكة، فلذلك قيل ابن عباد الكاتب.

أخبرني إسماعيل بن يونس فال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفحص الثقفي عن أبي خالد الكناني عن ابن عباد الكاتب قال:

والله إني لأمشي بأعلى مكة في الشعب ، إذ أنا بمالك على حمار له ومعه فتيان من أهل المدينة، فظننت أنهم قالوا له: هذا ابن عباد، فمال إلي فملت إليه، فقال لي: أنت ابن عباد. قلت: نعم، قال: مل معي هاهنا، ففعلت؟ فأدخلني شعب ابن عامر ثم أدخلني دهليز ابن عامر وقال: غنني، فقلت: أغنيك هكذا وأنت مالك، وقد كان يبلغني أنه يثلب أهل مكة ويتعصب عليهم فقال: بالله إلا غنيتني صوتاً من صنعتك. فاندفعت فغنيته:

ألاياصاحبي قفا قليلاً ... على زبع تقادم بالمنيف

فأمست دارهم شحطت وبانت ... وأضحى القلب يخفق ذا وجيف

وما غنيته إياه إلا على احتشام. فلما فرغت نظر إلي وقال لي: قد والله أحسنت ولكن حلقك كأنه حلق زانية. فقلت: أما إذ أفلت منك بهذا فقد أفلت. وهذا اللحن من صدور غناء ابن عباد. ولحنه من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

وفاته ببغداد: أخبرني يحيى بن علي بن يحيى وعيسى بن الحسين قالا حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني جماعة من أهل العلم: أن ابن عباد الكاتب توفي ببغداد في الدولة العباسية ودفن بباب حرب. وقال أبو أيوب: أظنه فيمن قدم من مغني الحجار على المهدي.

من المائة المختارة:

ياطللاً غيره بعدي ... صوب ربيع صادق الرعد

أراك بعدالأنس ذا وحشة ... لست كما كنت على العهد

مالي أبكي طللاً كلما ... ساءلته عي عن الرد

كان به ذوغنج أهيف ... أحورمطبوع على الصد

لم يسم أبو أحمد قائل هذا الشعر. والغناء ليحيى المكي، ولحنه المختار من الهزج بالوسطى.

أخبار يحيى المكي ونسبه

اسمه وكنيته وكتمانه ولاءه لبني أمية لخدمته الخلفاء من بني العباس: هو يحيى بن مرزوق، مولى بني أمية، وكان يكتم ذلك لخدمته الخلفاء من بني العباس خوفاً من أن يجتنبوه ويحتشموه، فإذا سئل عن ولائه انتمى إلى قريش ولم يذكر البطن الذي ولاؤه لهم ، واستعفى من سأله عن ذلك. ويكنى يحيى أبا عثمان. وذكر ابن خزاذبة أنه مولى خزاعة. وليس قوله مما يحصل، لأنه لا يعتمد فيه على رواية ولا دراية.

أخبرني عبدالله بن الزبيع أبو بكر الربيعي صديقنا رحمه الله قال حدثني وسواسة بن الموصلي وقد لقيت وسواسة هذا، وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم وكان معلماً، ولم أسمع هذا منه فكتبته وأشياء أخر عن أبي بكر رحمه الله قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبي: سألت يحيى المكي عن ولائه، فانتمى إلى قريش فاستزدته في الشرح فسألني أن أعفيه.

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق ويحيى بن علي بن يحيى قالا حدثنا أبو أيوب المديني قال: كان يحيى المكي يكنى أبا عثمان، وهو مولى بني أمية، وكان يكتم ذلك ويقول: أنا مولى قريش.

ولما قال أعشى بني سليم يمدح دحمان:

كانوا فحولاً فصاروا عند حلبتهم ... لما انبرى لهم دحمان خصيانا

فأبلغوه عن الأعشى مقالته ... أعشى سليم أبي عمرو سليمانا

قولوا يقول أبوعمرو لصحبته ... ياليت دحمان قبل الموت غنانا

قال أبان بن عبد الحميد اللاحقي، ويقال إن ابنه حمدان بن أبان قالها. والأشبه عندي أنها لأبان، وما أظن ابنه أدرك يحيى:

يا مق يفضل دحماناً ويمدحه ... على المغنين طرا قلت بهتانا

لوكنت جالست يحيى أوسمعت به ... لم تمتدح أبداً ماعشت إنسانا

ولم تقل سفهاً في منية عرضت ... ياليت دحمان قبل الموت غنانا

لقدعجبت لدحمان ومادحه ... لاكان مادح دحمان ولاكانا

ماكان كابن صغيرالعين إذ جريا ... بل قام في غاية المجرى وما دانى

بذ الجياد أبو بكر وصيرها ... من بعد ما قرحت جذعاً وثنيانا

يعني بأبي بكر ابن صغير العين، وهو من معني مكة. وله أخبار تذكر في موضعها إن شاء الله تعالى.

مترلته في الغناء.

وعمر يحيى المكي مائة وعشرين سنة، وأصاب بالغناء ما لم يصبه أحد من نظرائه، ومات وهو صحيح السمع والبصر والعقل. وكان قدم مع الحجازيين الذين قدموا على المهدي في أول خلافته، فخرج أكثرهم وبقي، يحيى

بالعراق هو وولده يخدمون الخلفاء إلى أن انقرضوا. وكان آخرهم محمد بن أحمد بن يحيى المكي، وكان يغني مرتجلاً، ويحضر مجلس المعتمد مع المغنين فيوقع بقضيب على دواة. ولقيه جماعة من أصحابنا، وأخذ عنه جماعة ممن أدركنا من عجائز المغنيات، منهم قمرية العمرية، وكانت أم ولد عمرو بن بانة. وممن أدركه من أصحابنا جحظة، وكتبنا عنه عن ابن المكي هذا حكايات حسنة من أخبار أهله. وكان ابن جامع وإبراهيم الموصلي وفليح يفزعون إليه في الغناء القديم ويأخذونه عنه، ويعايي بعضهم بعضاً بما يأخذه منه ويغرب به على أصحابه، فإذا خرجت لهم الجوائز أخذوا منها ووفروا نصيبه. وله صنعة عجيبة نادرة متقدمة. وله كتاب في الأغاني ونسبها وأخبارها أو أجناسها، كبير جليل مشهور، إلا أنه كان كالمطرح عند الرواة لكثرة تخليطه في رواياته. والعمل على كتاب ابنه أحمد، فإنه صحح كثيراً مما أفسده أبوه، وأزال ما عرفه من تخاليط أبيه، وحقق ما نسبه من الأغاني إلى صانعه. وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت.

أخبرني عبدالله بن الربيع قال حدثني وسواسة بن الموصلي قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي قال: عمل جدي كتاباً في الأغاني وأهداه إلى عبدالله بن طاهر، وهو يومئذ شاب حديث السن، فاستحسنه وسر به، ثم عرضه على إسحاق فعرفه عواراً كثيراً في نسبه، لأن جدي كان لا يصحح لأحد نسبه صوت البتة، وينسب صنعته إلى المتقدمين، وينحل بعضهم صنعة بعض ضناً بذلك على غيره، فسقط من عين عبدالله وبقي في خزانته، ثم وقع إلى محمد بن عبدالله، فدعا أبي، وكان إليه محسناً وعليه مفضلاً، فعرضه عليه، فقال له: إن في هذه النسب تخليطاً كثيراً، خلطها أبي لضنه بهذا الشأن على الناس، ولكني أعمل لك كتاباً أصحح هذا وغيره فيه. فعمل له لحد كتاباً فيه اثنا عشر ألف صوت وأهداه إليه، فوصله محمد بثلاثين ألف درهم. وصحح له الكتاب الأول أيضاً فهو في أيدي الناس. قال وسواسة: وحدثني حماد أن أباه إسحاق كان يقدم يحيى المكي تقديماً كثيراً ويفضله ويناضل أباه وابن جامع فيه، ويقول: ليس يخلو يحيى فيما يرويه من الغناء الذي لا يعرفه أحا منكم من أحد أمرين: إما أن يكون محقاً فيه، كما يقول، فقد علم ما جهلتم، أو يكون من صنعته وقد نحله المتقدمين، كما تقولون، فهو أفضل له، وأوضح لتقدمه عليكم. قال: وكان أبي يقول: لولا ما أفسد به يحيى المكي نفسه من تخليطه في رواية الغناء على المتقدمين وإضافته إليهم ما ليس لهم وقلة ثباته على ما يحكيه من ذلك، لما تقدمه أحد. وقال محمد بن الحسن الكاتب: كان يحيى يخلط في نسب الغناء تخليطاً كثيراً، ولا يزال يصنع الصوت بعد الصوت يتشبه فيه بالغريض مرة وبمعبد أخرى وبابن سريج وابن محرز، ويجتهد في إحكامه وإتقانه حتى يشتبه على سامعه، فإذا حضر مجالس الخلفاء غناه على ما أحدث فيه، من ذلك، فيأتي بأحسن صنعة وأتقنها، وليس أحد يعرفها، فيسأل عن ذلك فيقول: أخذته عن فلان وأخذه فلان عن يونس أو عن نظرائه من رواة الأوائل، فلا يشك في قوله، ولا يثبت لمباراته أحد، ولا يقوم لمعارضته ولا يفي بها، حتى نشأ إسحاق فضبط الغناء وأخذه من مظانه ودونه، وكشف عوار يحيى في منحولاته وبينها للناس.

أظهر إسحاق غلطه فأرسل له هدايا وعاتبه: أخبرني عمي قال سمعت عبيد الله بن عبدالله بن طاهر يذكر عن

أحمد بن سعيد المالكي وكان مغنياً منقطعاً إلى طاهر وولده وكان من القواد قال: حضرت يحيى المكي يوماً وقد غنى صوتاً فسئل عنه فقال: هذا لمالك و لم يحفظ أحمد بن سعيد الصوت ثم غنى لحناً لمالك فسئل عن صانعه فقال: هذا لي، فقال له إسحاق: قلت ماذا؟ فديتك، وتضاحك به. فسئل عن صانعه فأخبر به، ثم غنى الصوت. فخجل يحيى حتى أمسك عنه، ثم غنى بعد ساعة في الثقيل الأول، واللحن:

إن الخليط أجد فاحتملا وأراد غيظك بالذي فعلا

فظللت تأمل قرب أوبتهم والنفس مما تأمل الأملا

فسئل عنه فنسبه إلى الغريض. فقال له إسحاق: يا أبا عثمان، ليس هذا من نمط الغريض ولا طريقته في الغناء، ولو شئت لأخذت مالك وتركت للغريض ماله و لم تتعب. فاستحيا يحيى و لم ينتفع بنفسه بقية يومه. فلما انصرف بعث إلى إسحاق بألطاف كثيرة وبر واسع، وكتب إليه يعاتبه ويستكف شره ويقول له: لست من أقرانك فتضادني، ولا أنا ممن يتصدى لمباغضتك ومباراتك فتكايدني، ولأنت إلى أن أفيدك وأعطيك ما تعلم أنك لا تجده عند غيري فتسمو به على أكفائك أحوج منك إلى أن تباغضني، فأعطي غيرك سلاحاً إذا حمله عليك لم تقم له، وأنت أولى وما تختار. فعرف إسحاق صدق يحيى، فكتب إليه يعتذر، ورد الألطاف التي حملها إليه، وحلف لا يعارضه بعدها، وشرط عليه الوفاء بما وعده به من الفوائد، فوفى له بها، وأخذ منه كل ما أراد من غناء المتقدمين. وكان إذا حز به أمر في شيء منها فزع إليه فأفاده وعاونه ونصحه، وما عاود إسحاق معارضته بعد ذلك. وحذره يحيى، فكان إذا سئل بحضرته عن شيء صدق فيه، وإذا غاب إسحاق خلط فيما يسأل عنه.

قال: وكان يحيى إذا صار إليه إسحاق بطلب منه شيئاً أعطاه إياه وأفاده وناصحه، ويقول لابنه أحمد: تعال حتى تأخذ مع أبي محمد ما الله يعلم أني كنت أبخل به عليك فضلاً عن غيرك. فيأخذه أحمد عن أبيه مع إسحاق. قال: وكان إسحاق بعد ذلك يتعصب ليحيى تعصباً شديداً، ويصفه ويقدمه ويعترف برياسته، وكذلك كان في وصف أحمد ابنه وتقريظه.

قال أحمد بن سعيد: والاختلاف الواقع في كتب الأغاني إلى الآن من بقايا تخليط يحيى. قال أحمد بن سعيد: وكانت صنعة يحيى ثلاثة آلاف صوت، منها زهاء ألف صوت لم يقاربه فيها أحد، والباقي متوسط. وذكر بعض أصحاب أحمد بن يحيى المكي عنه أنه سئل عن صنعة أبيه فقال: الذي صح عندي منها ألف وثلثمائة صوت، منها مائة وسبعون صوتاً غلب فيها على الناس جميعاً من تقدم منهم ومن تأخر، فلم يقم له فيها أحد.

وقال حماد بن إسحاق قال لي أبي: كان يحيى المكي يسأل عن الصوت، وهو يعلم لمن هو، فينسبه إلى غير صانعه، فيحمل ذلك عنه كذلك، ثم يسأله آخرون فينسبه غير تلك النسبة، حتى طال ذلك وكثر منه وقل تحفظه، فظهر عواره، ولولا ذلك لما قاومه أحد.

وقال أحمد بن سعيد المالكي في خبره: فال إسحاق يوماً للرشيد، قبل أن تصلح الحال بينه وبين يحيى المكي: أتحب

يا أمير المؤمنين أن أظهر لك كذب يحيى فيما ينسبه من الغناء. قال نعم. قال: أعطني أي شعر شئت حتى أصنع فيه، واسألني بحضرة يحيى عن نسبته فإني سأنسبه إلى رجل لا أصل له، واسأل يحيى عنه إذا غنيته، فإنه لا يمتنع من أن يدعي معرفته. فأعطاه شعراً فصنع فيه لحناً وغناه الرشيد: ثم قال له: يسألني أمير المؤمنين عن نسبته بين يديه. فلما حضر يحيى غناه إسحاق فسأله الرشيد: لمن هذا اللحن. فقال له إسحاق: لغناديس؟ المديني. فأقبل الرشيد على يحيى فقال له: أكنت لقيت غناديس المديني؟ قال: نعم، لقيته وأخذت عنه صوتين، ثم غنى صوتاً وقال: هذا أحدهما. فلما خرج يحيى حلف إسحاق بالطلاق ثلاثاً وعتق جواريه: أن الله ما خلق أحداً اسمه غناديس، ولا سمع في المغنين ولا غيرهم، وأنه وضع ذلك الاسم في وقته ذلك لينكشف أمره.

حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل قال: غنى جدي يوماً بين يدي الرشيد:

هل هيجتك مغاني الحي والدور ... فاشتقت إن الغريب الدار معذور

وهل يحل بنا إذ عيشنا أنق ... بيض أوانس أمثال الدمى حور

والصنعة له خفيف ثقيل فسار إليه إسحاق وسأله أن يعيده إياه، فقال: نعم، حبا وكرامة لك يابن أخي، ولو غيرك يروم ذلك لبعد عليه، وأعاده حتى أخذه إسحاق. فلما انصرف بعث إلى جدي بتخت ثياب وخاتم ياقوت نفيس.

حذثني جحظة قال حدثني القاسم بن زززور عن أبيه عن مولاه علي بن المارقي قال:

قال لي إبراهيم بن المهدي: ويلك يا مارقي، إن يحيى المكي غنى البارحة بحضرة أمير المؤمنين صوتاً فيه ذكر زينب، وقد كان النبيذ أخذ مني فأنسيت شعره، فى استعدته إياه فلم يعده، فاحتل لي عليه حتى تأخذه لي منه ولك علي سبق . فقال لي المارقي وأنا يومئذ غلامه، اذهب إليه فقل له إني أسأله أن يكون اليوم عندي، فمضيت إليه فجئته به. فلما تغدرا وضع النبيذ، فقال له المارقي: إني كنت سمعتك تغني صوتاً فيه زينب وأنا أحب أن آخذه منك وكان يحيى يوفي هذا الشأن حقه من الاستقصاء، فلا يخرج عنه إلا بحذر، ولا يدع الطلب والمسألة، ولا يلقي صوتاً إلا بعوض. قال لي جحظة في هذا الفصل: هذا فديتك، فعل يحيى مع ما أفاده من المال، ومع كرم من عاشره وخدمه من الخلفاء مثل الرشيد والبرامكة وسائر الناس، لا يلام ولا يعاب، ونحن مع هؤلاء السفل إن جئناهم نكارمهم تغافلوا عنا، وإن أعطونا الترر اليسير منوا به علينا وعابونا، فمن يلومي أن، أشتمهم. فقلت: ما عليك لوم. قال: فقال له يحيى: وأي شيء العوض إذا ألقيت عليك هذا الصوت. قال: ما تريد، قال: هذه الزربية الأرمينية، كم تقعد عليها، أما ان لك أن تملها. قال: بلى، وهي لك. قال: وهذه الظباء الحرمية، وأنا مكي لا أنت، وأنا أولى بها، قال: هي لك، وأمر بحملها معه. فلما حصلت له، قال المارقي: يا غلام، هات العود، قال يحيى: والميزان والدراهم، وكان لا يغني أو يأخذ خمسين درهماً، فأعطاه إياها فألقى عليه قوله:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب ... وقل إن تملينا فما ملك القلب

ولحنه لكردم ثقيل أول، فلم يشك المارقي أنه قد أخذ الصوت الذي طلبه إبراهيم وأدرك حاجته. فبكر إلى إبراهيم وقد أخذ الصوت، فقال له: قد جئتك بالحاجة. فدعا بالعود فغناه إياه، فقال له: لا والله ما هو هذا، وقد خدعك، فعاود الاحتيال عليه. فبعثني إليه وبعث معي خمسين درهماً. فلما دخل إليه وأكلا وشربا قال له يحيى: قد واليت بين دعواتك لي، ولم تكن برا ولا وصولا، فما هذا؟ قال: لا شيء والله إلا محبتي للأخذ عنك والاقتباس منك، فقال: سرك الله، فمه. قال: تذكرت الصوت الذي سألتك إياه فإذا ليس هو الذي ألقيت علي. قال: فتريد ماذا. قال: تذكر الصوت. قال: أفعل، ثم اندفع فغناه:

ألمم بزينب إن البين قد أفدا قل الثواء لئن كان الرحيل غدا

والغناء لمعبد ثقيل أول فقال له: نعم، فديتك يا أبا عثمان، هذا هو، ألقه علي، قال: العوض قال: ما، شئت. قال: هذا المطرف الأسود قال: هو لك. فأخذه وألقى عليه هذا الصوت حتى استوى له، وبكر إلى إبراهيم؟ فقال له: ما وراءك؟ قال: قد قضيت الحاجة، فدعا له بعود فغناه، فقال: خدعك والله، ليسر هذا هو، فعاود الاحتيال عليه، وكل ما تعطيه إياه ففي ذمتي. فلما كان اليوم الثالث بعث بي إليه، فدعوته وفعلنا مثل فعلنا بالأمس. فقال له يحيى: فمالك أيضاً. قال له: يا أبا عثمان، ليس هذا الصوت هو الذي أردت، فقال له: لست أعلم ما في نفسك فأذكره، وإنما علي أن أذكر ما فيه زينب من الغناء كما التمست حتى لا يبقى عندي زينب البتة إلا أحضرتها؟ فقال: هات على اسم الله، قال: اذكر العوض، قلت: ما شئت، قال: هذه الدراعة الوشي التي عليك، قال: فخذها والخمسين الدرهم، فأحضرها. فالقى عليه والغناء لمعبد ثقيل أول:

لزينب طيف تعتريني طوارقه هدوءاً إذا النجم ارجحنت لواحقه

فأخذه منه ومضى إلى إبراهيم، فصادفه يشرب مع الحرم فقال له حاجبه: هو متشاغل، فقال: قل له: قد جئتك بحاجتك. فدخل فأعلمه، فقال: يدخل فيغنيه في الدار وهو قائم، فإن كان هو وإلا فليخرج، ففعل؟ فقال:

ودنياك التي أمسيت فيها مزايلة الشقيق عن الشقيق

ومما قاله في مرثية أهله وذكر الموت وغني فيه - وإنما نذكر منها ما فيه غناء لأنها طويلة:

مالك وضاح دائم الغزل ألست تخشى تقارب الأجل
صل لذي العرش واتخذ قدماً تنجيك يوم العثار والزلل
يا موت ما إن تزال معترضاً لا مل دون منتهى الأمل
لو كان من فر منك منفلتا إذاً لأسرعت رحلة الجمل
لكن كفيك نال طولهما ما كل عنه نجائب الإبل

تنال كفاك كل مسهلة وخوت بحر ومعقل الوعل
لولا حذاري من الحتوف فقد أصبحت من خوفها على وجل
لكنت للقلب في الهوى تبعاً إن هواه ربائب الحجل
حرمية تسكن الحجاز لها شيخ غيور يعتل بالعلل
علق قلبي ربيب بيت ملو ك ذات قرطين وعثة الكفل
تفتر عن منطق تضن به يجري رضاباً كذائب العسل

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني سليمان بن أبي أيوب عن مصعب قال: قال وضاح اليمن في حبابة جارية يزيد بن عبد الملك، وشاهدها بالحجاز قبل أن يشتريها يزيد وتصير إليه، وسمع غناءها فأعجب بها إعجاباً شديداً:

يا من لقلب لا يطي ع الزاجرين ولا يفيق
تسلو قلوب ذوي الهوى وهو المكلف والمشوق
تبلت حبابة قلبه بالدل والشكل الأنيق
وبعين أحور يرتعي سقط الكثيب من العقيق
مكحولة بالسحر تن شي نشوة الخمر العتيق
هيفاء إن هي أقبلت لاحت كطالعة الشروق
والردف مثل نقاً تل د فهو زحلوق زلوق
في درة الأصداف مع تنقاً بها ردع الخلوق
داوي هواي وأطفئي ما في الفؤاد من الحريق
وترفقي أملي فقد كلفتني ما لا أطيق
في القلب منك جوى الم حب وراحة الصب الشفيق
هذا يقود برمتي قوداً إليك وذا يسوق
يا نفس قد كلفتني تعب الهوى منها فذوق
إن كنت تائقةً ل حر صبابة منها فتوق

ومما قاله في روضة وفيه عناء قوله:

يا لقومي لكثرة العذال ولطيف سرى مليح الدلال

زائر في قصور صنعاء يسري كل أرض مخوفة وجبال

والغناء لابن عباد عن الهشامي رمل - وهذه الأبيات من قصيدة له في روضة طويلة جيدة يقول فيها:

يقطع الحزن والمهامه والبي د ومن دونه ثمان ليالي

عاتب في المنام أحبب بعتبا ه إلينا وقوله من مقال

قالت أهلاً ومرحباً عدد القـ ـر وسهلاً بطيف هذا الخيال

حبذا من إذا خلونا نجيا قال: أهلي لك الفداء ومالي

وهي الهم والمنى وهوى النف س إذا اعتل ذو هوى باعتلال

قست ما كان قبلنا من هوى النا س فما قست حبها بمثال

لم أجد حبها يشاكله الحب ولا ونجدنا كوجد الرجال

كل حب إذا استطال سيبلى وهو روضة المنى غير بالي

لم يزده تقادم العهد إلا جدة عندنا وحسن احتلال

أيها العاذلون كيف عتابي بعد ما شاب مفرقي وقذالي

كيف عذلي على التي هي مني بمكان اليمين أخت الشمال

والذي أحرموا له وأحلوا بمنى صبح عاشرات الليالي

ما ملكت الهوى ولا النفس مني منذ علقتها فكيف احتيالي

إن نأت كان نأيها الموت صرفاً أو دنت لي فثم يبدو خبالي

يا بنة المالكي يا بهجة النف س أفي حبكم يحل اقتتالي

أي ذنب علي إن قلت إني لأحب الحجاز حب الزلال

لأحب الحجاز من حب من في ه وأهوى حلاله من حلال

ومما فيه غناء من شعر وضاح:

أيها الناعب ماذا تقول فكلانا سائل ومسول

لا كساك الله ما عشت ريشاً وبخوف بت ثم تقيل

ثم لا أنقفت في العش فرخاً أبداً إلا عليك دليل

حين تنبى أن هنداً قريب يبلغ الحاجات منها الرسول

ونأت هند فخبرت عنها أن عهد الود سوف يزول

ومنها:

حي التي أقصى فؤادك حلت علمت بأنك عاشق فأذلت

وإذا رأتك تقلقلت أحشاؤها شوقاً إليك فكثرت وأقلت

وإذا دخلت فاغلقت أبوابها عزم الغيور حجابها فاعتلت

وإذا خرجت بكت عليك صبابةً حتى تبل دموعها ما بلت

إن كنت يا وضاح زرت فمرحباً رحبت عليك بلادنا وأظلت

الغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو. وفيها ليحيى المكي ثاني ثقيل بالوسطى، من كتابه. ولابنه أحمد فيها هزج. وذكر حبش أن ليحيى فيها أيضاً خفيف ثقيل.

ومنها:

أتعرف أطلالا بميسرة اللوى إلى أرعب قد حالفتك به الصبا

فأهلاً وسهلاً بالتي حل حبها فؤادي وحلت دار شحط من النوى

الغناء فيه هزج يمي بالبنصر عن ابن المكي - وهذه أبيات يقولها لأخيه سماعة، وقد عتب عليه في بعض الأمور.

وفيها يقول:

أبادر درنوك الأمير وقربه لا ذكر في أهل الكرامة والنهى

وأتبع القصاص كل عشية رجاء ثواب الله في عدد الخطا

وأمست بقصر يضرب الماء سوره وأصبحت في صنعاء ألتمس الندى

فمن مبلغ عني سماعة ناهياً فإن شئت فاقطعنا كما يقطع السلى

وإن شئت وصل الرحم في غير حيلة فعلنا وقلنا للذي تشتهي بلى

وإن شئت صرماً للتفرق والنوى فبعداً، أدام الله تفرقة النوى

ومنها:

طرق الخيال فمرحباً ألفا بالشاغفات قلوبنا شغفا

ولقد يقول لي الطبيب وما نبأته من شأننا حرفا:

إني لأحسب أن داءك ذا من ذي دمالج يخضب الكفا

إني أنا الوضاح إن تصلي أحسن بك التشبيب والوصفا

شطت فشف القلب ذكركها ودنت فما بذلت لنا عرفا

ومنها: ويروى لبشار-:

يا مرحبا ألفا وألفا بالكاسرات إلي طرفا

رجح الروادف كالظبا تعرضت حواً ووطفا

أنكرن مركبي الحما ر وكن لا ينكرن طرفا

وسألنني أين الشبا ب فقلت بان وكان حلفا

أفنى شبابي فانقضى حلف النساء تبعن حلفا

أعطيتهن مودتي فجزينني كذباً وخلفا

وقصائد مثل الرقى أرسلتهن فكن شغفا

أوجعن كل مغازل وعصفن بالغيران عصفا

من كل لذات الفتى قد نلت نائلةً وعرفا

صدت الأوانس كالدمى وسقيتهن الخمر صرفا

ومنها:- وهذه القصيدة تجمع نسيبه بمن ذكر وفخره بأبيه وجده أبي جمد-.

أغنى على بيضاء تنكل عن برد وتمشي على هون كمشية ذي الحرد

وتلبس من بز العراق مناصفاً وأبراد عصب من مهلهلة الجند

إذا قلت يوماً نوليني تبسمت وقالت لعمر الله لو أنه اقتصد

سموت إليها بعد ما نام بعلها وقد وسدته الكف في ليلة الصرد

أشارت بطرف العين أهلاً ومرحباً ستعطى الذي تهوى على رغم من حسد

ألست ترى من حولنا من عدونا وكل غلام شامخ الأنف قد مرد

فقلت لها إني امرؤ فاعلمنه إذا ما أخذت السيف لم أحفل العدد

بنى لي إسماعيل مجدا مؤثلاً وعبد كلال قبله وأبو جمد

تطيف علينا قهوة في زجاجة تريك جبان القوم أمضى من الأسد

ومنها:

يا أيها القلب بعض ما تجد قد يعشق القلب ثم يتئد

قد يكتم المرء حبه حقباً وهو عميد وقلبه كمد

ماذا تراعون من فتى غزل قد تيمته خمصانة رؤد

يهددوني كيما أخافهم هيهات أنى يهدد الأسد

ومنها:

صدع البين والتفرق قلبي وتولت أم البنين بلي

ثوت النفس في الحمول لديها وتولى بالجسم مني صحبي

ولقد قلت والمدامع تجري بدموع كأنها فيض غرب

جزعا للفراق يوم تولت: حسبي الله ذو المعارج حسبي

ومنها:

يا بنة الواحد جودي فما إن تصرميني فبما أو لما

جودي علينا اليوم أو بيني فيم قتلت الرجل المسلما

إني وأيدي قلص ضمر وكل خرق ورد الموسما

ما علق القلب كتعليقها واضعة كفا علت معصما

ربة محراب إذا جئتها لم ألقها أو ارتقي سلما

إخوتها أربعة كلهم ينفون عنها الفارس المعلما

كيف أرجيها ومن دونها بواب سوء يعجل المشتما

أسود هتاك لأعراض من مر على الأبواب أو سلما

لا منة أعلم كانت لها عندي ولا تطلب فينا دما

بل هي لما أن رأت عاشقاً صبا رمته اليوم فيمن رمى

لما ارتمينا ورأت أنها قد أثبتت في قلبه أسهما

أعجبها ذاك فأبدت له سنتها البيضاء والمعصما

قامت تراءى لي على قصرها بين جوار خرد كالدمى

وتعقد المرط على جسرة مثل كثيب الرمل أو أعظما

ومنها:

دعاك من شوقك الدواعي وأنت وضاح ذو أتباع

دعتك ميالة لعوب أسيلة الخد باللماع

دلالك الحلو والمشهي وليس سريك بالمضاع

لا أمنع النفس عن هواها وكل شيء إلى انقطاع

ومنها:

ألا يا لقومي أطلقوا غل مرتهن ومنوا على مستشعر الهم والحزن

تذكر سلمى وفي نازحة فحن وهل تنفع الذكرى إذا اغترب الوطن

ألم ترها صفراء رؤداً شبابها أسيلة مجرى الدمع كالشادن الأغن

وأبصرت سلمى بين بردي مراجل وأراد عصب من مهلهلة اليمن

فقلت لها لا ترتقي السطح إنني أخاف عليكم كل ذي لمة حسن

الغناء لابن سريج، وله في هذا الشعر لحنان: ثقيل أول بالبنصر عن عمرو، ورمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وأول الرمل قوله:

ألا يا لقومي أطلقوا غل مرتهن

وأول الثقيل الأول: تذكر سلمى. وفي هذه الأبيات هزج يمني بالبنصر.

ومنها:

أغدوت أنم في الرائحين تروح أم أنت من ذكر الحسان صحيح

إذ قالت الحسناء ما لصديقنا رث الثياب وإنه لمليح

لا تسألن عن الثياب فإنني يوم اللقاء على الكماة مشيح

أرمي وأطعن ثم اتبع ضربة تدع النساء على الرجال تنوح

يا صاح إني قد حججت ت صت وزرت بيت المقدس

وأتيت لدا عامداً في عيد مريا سرجس

فرأيت فيه نسوة مثل الظباء الكنس

الشعر والغناء للمعلى بن طريف مولى المهدي. ولحنه المختار خفيف رمل بالبنصر. وكان المعلى بن طريف وأخوه ليث مملوكين مولدين من مولدي الكوفة لرجل من أهلها، فاشتراهما علي بن سليمان وأهداهما إلى المنصور، فوهبهما المنصور للمهدي فأعتقهما. ونهر المعلى وربض المعلى ببغداد منسوب إلى المعلى - هكذا ذكر

ذلك ابن خرداذبه - وكان ضارباً محسناً طيب الصوت حسن الأداء صالح الصنعة، أخذ الغناء عن إبراهيم وابن جامع وحكم الوادي. وولي أخوه ليث السند، وولي هو الطراز والبريد بخراسان، وقاتل يوسف البرم فهزمه، ثم ولي الأهواز بعد ذلك. فقال فيه بعض الشعراء يمدحه ويمدح أخاه الليث ويهجو علي بن صالح صاحب المصلى:

يا علي بن صالح ذا المصلى أنت تفدي ليثاً وتفدي المعلى

سد ليث ثغراً ووليت فاختن ت فبئس المولى وبئس المولى

وعلي بن سليمان هذا الذي أهدى المعلى وأخاه إلى المهدي هو الذي يقول فيه أبو دلامة زند بن الجون الأسدي؛ وكان خرج مع المهدي إلى الصيد، فرمى المهدي وعلي بن سليمان ظبياً سنح لهما، وقد أرسلت عليه الكلاب، بسهمين، فأصاب المهدي الظبي وأصاب علي بن سليمان الكلب فقتلاهما. فقال أبو دلامة:

قد رمى المهدي ظبياً شك بالسهم فؤاده

وعلي بن سليما ن رمى كلباً فصاده

فهنيئا لهما كل ام رىء يأكل زاده

حدثنا بذلك الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن مصعب، وعن أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكار عن.

ألا طرد الهوى عني رقادي فحسبي ما لقيت من السهاد

لعبدة إن عبدة تيمتني وحلت من فؤادي في السواد

الشعر لبشار.

والغناء المختار في هذين البيتين هزج خفيف بالبنصر، ذكر يحيى بن علي أنه يمني، وذكر الهشامي أنه لسليم.

أخبار بشار وعبده خاصة

إذ كانت أخباره سوى هذه تقدمت

حدثني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو أيوب المديني عمن حدثه عن الأصمعي هكذا قال، وأخبرني به عمي عن عبد الله بن أبي سعد عن علي بن مسرور عن الأصمعي قال: كان لبشار مجلس يجلس فيه يقال له البردان. فبينا هو في مجلسه ذات يوم وكان النساء يحضرنه، إذ سمع كلام امرأة يقال لها عبدة في المجلس، فدعا غلامه فقال: إني قد علقت امرأة، فإذا تكلمت فانظر من هي وأعرفها، فإذا انقضى المجلس وانصرف أهله فاتبعها وكلمها وأعلمها أنني لها محب وأنشدها هذه الأبيات وعرفها أني قلتها فيها:

قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم الأذن كالعين توفي القلب ما كان

ما كنت أول مشغوف بجارية يلقى بلقيانها روحا وريحانا

ويروى: هل من دواء لمشغوف بجارية-:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا

غنى إبراهيم في هذه الأبيات ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، عن إسحاق. وفيها لسياط ثقيل أول بالوسطى، عن عمرو.

وفيها لإسحاق هزج من جامع أغانيه - قال: فأبلغها الغلام الأبيات، فهشت لها، وكانت، تزوره مع نسوة يصحبنها فيأكلن عنده ويشربن وينصرفن بعد أن يحدثها وينشدها ولا تطمعه في نفسها. قال: وقال فيها:

قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها قلبي فأضحى به من حبها أثر

أنى ولم ترها تهذي! فقلت لهم إن الفؤاد يرى ما لا يرى البصر

أصبحت كالحائم الحران مجتنباً لم يقض ورداً ولا يرجى له صدر

قال: وقال فيها أيضاً- وهو من جيد ما قال فيها-:

يزهدني في حب عبدة معشر قلوبهم فيها مخالفة قلبي

فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتض فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب

فما تبصر العينان في موضع الهوى ولا تسمع الأذنان إلا من القلب

وما الحسن إلا كل حسن دعا الصبا وألف بين العشق والعاشق الصب

قال: وقال فيها:

يا قلب ما لي أراك لا تقر إياك أغني وعندك الخبر

أضعت بين الألى مضوا حرقاً أم ضاع ما استودعوك إذ بكروا؟

فقال بعض الحديث يشغفني والقلب راء ما لا يرى البصر

وأخبرني بهذا الخبر أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا خالد بن يزيد بن وهب عن جرير عن أبيه بمثل هذه القصة، وزاد فيها: أن عبدة جاءت إليه في نسوة خمس قد مات لإحداهن قريب فسألنه أن يقول شعرا ينحن عليه به، فوافينه وقد احتجم - وكان له مجلسان: مجلس يجلس فيه غدوة يسميه البردان ومجلس يجلس فيه عشية يسميه الرقيق - وهو جالس في البردان وقد قال لغلامه: أمسك علي بابي واطبخ لي وهيئ طعامي وطيبه وصف نبيذي.

قال: فإنه لكذلك إذا قرع الباب عليه قرعاً عنيفاً؟ فقال: ويحك يا غلام! انظر من يدق الباب دق الشرط؟ فنظر

الغلام وجاءه فقال: خمس نسوة بالباب يسألنك أن تقول شعرا ينحن فيه؛ فقال: أدخلهن. فلما دخلن نظرن إلى النبيذ مصفى في قنانيه؛ في جانب بيته، فقالت إحداهن: خمر؛ وقالت الأخرى: زبيب، وقالت الأخرى: معسل. فقال: لست بقائل لكن حرفاً أو تطعمن من طعامي وتشربن من شرابي. فتماسكن ساعة، وقالت إحداهن: فما عليكن من ذلك! هذا أعمى، كلن من طعامه واشربن من شرابه وخذن شعره، ففعلن.

وبلغ ذلك الحسن البصري فعابه وهتف به. فبلغ ذلك بشاراً، وكان الحسن يلقب القس، فقال فيه بشار:

لما طلعن من الرقي ... ق علي بالبردان خمسا

وكأنهن أهلة ... تحت الثياب زففن شمسا

باكرن طيب لطيمة ... رعمسن في الجادي عمسا

فسألنني من في البيو ... ت فقلت ما يحوين إنسا

ليت العيون الناظرا ... ت طمسن عنا اليوم طمسا

فأصبن من طرف الحدي ... ث لذاذة وخرجن ملسا

لو لا تعرضهن لي ... يا قس كنت كأنت قسا

أخبرني الأسدي ويحيى بن علي بن يحيى ومحمد بن عمران الصيرفي قالوا حدثنا العنزي قال حدثنا علي بن محمد عن جعفر بن محمد النوفلي قال: أتيت بشاراً ذات يوم، فقال لي: ما شعرت منذ أيام إلا بقارع يقرع بابي مع الصبح؛ فقلت: يا جارية، انظري من هذا؛ فقالت: مالك بن دينار؛ فقلت: مالي ولمالك بن دينار! ما هو من أشكالي! ائذني له. فدخل فقال لي: يا أبا معاذ، أتشتم أعراض الناس وتشبب بنسائهم! فلم يكن عندي إلا دفعه عن نفسي بأن قلت: لا أعاود؛ فخرج من عندي. وقلت في إثره:

غدا مالك بلاماته ... علي وما بات من باليه

فقلت دع اللوم في حبها ... فقبلك أعييت عذاليه

وإني لأكتمهم سرها ... غداة تقول لها الجاليه

أعبدة مالك مسلوبة ... وكنت مقرطقة حاليه

فقالت على رقبة: إنني ... رهنت المرعث خلخاليه

بمجلس يوم سأوفي به ... وإن أنكر الناس أحواليه

أخبرني وكيع قال حدثني عمرو بن محمد بن عبد الملك قال حدثني الحسن بن جهور قال حدثني هشام بن الأحنف، راوية بشار، قال: إني لعند بشار ذات يوم إذ أتته امرأة فقالت: يا أبا معاذ، عبدة تقرئك السلام وتقول

لك: قد اشتد شوقنا إليك و لم نرك منذ أيام؛ فقال: عن غير مقلية والله كان ذاك.

ثم قال لراويته: يا هشام، خذ الرقعة واكتب فيها ما أقول لك ثم ادفعه للرسول. قال هشام: فأملى علي:

عبد إني إليك بالأشواق لتلاق وكيف لي بالتلاقي

أنا والله أشتهي سحر عيني ك وأخشى مصارع العشاق

وأهاب الحرسي محتسب الجن د يلف البريء بالفساق

ومما يغني فيه من شعر بشار في عبدة قوله:

لعبدة دار ما تكلمنا الدار تلوح مغانيها كما لاح أسطار

أسائل أحجاراً ونؤياً مهدماً وكيف يجيب القول نؤي وأحجار

وما كلمتني دارها إذ سألتها وفي كبدي كالنفط شبت به النار

وعند مغاني دارها لو تكلمت لمكتئب بادي الصبابة أخبار

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن جامع ثقيل أول عن الهشامي. ومن هذه القصيدة:

تحمل جيراني فعيني لبينهم تفيض بتهتان إذا لاحت الدار

بكيت على من كنت أحظى بقربه وحق الذي حاذرت بالأمس إذ ساروا

الغناء ليحيى المكي ثقيل أول بالبنصر.

ومن الأغاني في شعره في عبدة:

مسني من صدود عبدة ضر فبنات الفؤاد ما تستقر

ذاك شيء في القلب من حب عب دة باد وباطن يستسر

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لإسحاق رمل بالبنصر عن عمرو. وفيه لحكم ثقيل أول بالوسطى من جامع غنائه في كتاب إبراهيم.

وفيه لفريدة خفيف ثقيل عن إسحاق. وفيه ليحيى المكي ثقيل أول من كتابه. وفيه لحسين بن محرز رمل عن الهشامي.

ومنها:

يا عبد إني قد ظلمت وإنني مبد مقالة راغب أو راهب

وأتوب مما تكرهين لتقبلي والله يقبل حسن فعل التائب

الغناء لحكم خفيف ثقيل عن إسحاق.

وفيه ليحيى المكي ثقيل أول من كتابه. وفيه لحسين بن محرز رمل عن الهشامي.

ومنها:

يا عبد حبك شفني شفا والحب داء يورث الحتفا

والحب يخفيه المحب، لكي لا يستراب به، وما يخفى

الغناء لسياط خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.

ومنها:

يا عبد بالله فرجي كربي فقد براني وشفني نصبي

وضقت ذرعاً بما كلفت به من حبكم والمحب في تعب

ففرجي كربة شجيت بها وحر حزن في الصدر كاللهب

ولا تظني ما أشتكي لعباً هيهات قد جل ذا عن اللعب

غناه سياط ثقيلاً أول بالبنصر عن عمرو.

ومنها:

يا عبد زوريني تكن منة لله عندي يوم ألقاك

والله ثم الله فاستيقني إني لأرجوك وأخشاك

يا عبد إني هالك مذنف إن لم أذق برد ثناياك

فلا تردي عاشقاً مدنفاً يرضى بهذا القدر من ذاك

الغناء لحكم هزج خفيف بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

ومنها:

يا عبد قد طال المطال فأنعمي واشفي فؤاد فتى يهيم متيم

الغناء ليزيد حوراء غير مجنس عن إبراهيم.

ومنها:

يا عبد هل للقاء من سبب أو لا فأدعو بالويل والحرب

الغناء ليزيد حوراء غير مجنس ومنها:

يا عبد هل لي منكم من عائد أم هل لديك صلاح قلب فاسد

الغناء لا بن عباد عن إبراهيم غير مجنس.

ومنها:

يا عبد حيي عن قريب وتأملي عين الرقيب

وارعي ودادي غائباً فلقد رعيتك في المغيب

أشكو إليك وإنما يشكو المحب إلى الحبيب

غرضي إليك من الهوى غرض المريض إلى الطبيب

الغناء لحكم مطلق في مجرى البنصر.

ومنها:

يا عبد بالله ارحمي عبدك وعلليه بمنى وعدك

يصبح مكروباً ويمسي به وليس يدري ماله عندك

ماذا تقولين لرب العلا إذا تخليت به وحدك

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو.

وفيه لإسحاق هزج من جامع أغانيه. وفيه ليزيد حوراء لحن ذكره إبراهيم و لم يجنسه.

وذكر حبشى أن الثقيل الثاني لسياط.

ومنها:

يا عند جلي كروبي وأسعفي وأثيبي

فقد تطاول همي وزفرتي ونحيى

الغناء لابن سكرة عن إبراهيم و لم يجنسه.

ومنها:

يا عبد أنت ذخيرتي نفسي فدتك وجيرتي

الله يعلم فيكم يا عبد حسن سريرتي

نفسي لنفسك خلة وكذاك أنت أميرتي

الغناء لحكم الوادي خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو.

ومنها:

يا عبد حبي لك مستور وكل حب غيره زور

إن كان هجري سركم فاهجروا إني بما سرك مسرور

الغناء لحكم هزج بالوسطى عن ابن المكي.

ومنها:

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيف ألم

وإذا قلت لها جودي لنا خرجت بالصمت عن لا ونعم

رفهي يا عبد عني واعلمي أنني يا عبد من لحم ودم

إن في بردي جسماً ناحلاً لو توكأت عليه لانهدم

ختم الحب لها في عنقي موضع الخاتم من أهل الذمم

الغناء لحكم هزج بالسبابة والوسطى عن ابن المكي. وذكره إسحاق في هذه الطريقة فلم ينسبه إلى أحد. وفيه لعثعث الأسود خفيف رمل في الأول والخامس.

وكان بشار ينكر هذا البيت الأخير وهو:

ختم الحب لها في عنقي

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني أبو حاتم السجستاني قال حدثني من أنشد بشاراً قوله:

لم يطل ليلي ولكن لم أنم

حتى بلغ إلى قوله:

ختم الحب لها في عنقي موضع الخاتم من أهل الذمم

فقال بشار: عمن أخذت هذا؟ قلت: عن راويتك فلان؛ فقال: قبحه الله! والله ما قلت هذا البيت قط، أما ترى إلى أثره فيه! ما أقبحه وأشد تميزه عني! فقال له بعض من حضر: نعم، هو ألحقه بالأبيات.

ومنها:

عبد إني قد اعترفت بذنبي فاغفري واعركي خطاي بجنب

عبد لا صبر لي ولست فمهلاً قائلاً قد عتبت في غير عتب

ولقد قلت حين أنصبني الح ب فأبلى جسمي وعذب قلبي

رب لا صبر لي على الهجر حسبي أقلني حسبي لك الحمد حسبي

الغناء لسياط خفيف رمل بالوسطى عن عمرو.

وفيه لسليم هزج من كتاب ابن المكي.

ومنها:

عبد منى وأنعمى قد ملكتم قياديه

شاب رأسي ولم تشب ابلائي لداتيه

الغناء لسياط خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه لعريب هزج.

ومنها:

عبد يا همتي عليك السلام فيم يجفى حبيبك المستهام

نزل الحب منزلاً في فؤادي وله فيه مجلس ومقام

الغناء لأبي زكار خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه لعريب هزج.

ومنها:

عبد يا قرة عيني أنصفي، روحي فداك

عاشق ليس له ذك ر ولا هم سواك

الغناء لعريب هزج. وفيه لحن ليزيد حوراء غير مجنس.

ومنها:

يا عبد يا جافية قاطعه أما رحمت المقلة الدامعه

يا عبد خافي الله في عاشق يهواك حتى تقع الواقعه

الغناء لأبي زكار هزج بالبنصر عن عمرو.

أرسلت أم جعفر لا تزور ليت شعري بالغيب من ذا دهاها

أ أتاها محرش بنميم كاذب ما أراد إلا رداها

روضه من الخفيف- الشعر للأحوص. والغناء لأم جعفر المدنية مولاة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. ولحنه من الثقيل الأول في مجرى البنصر عن إسحاق.

وذكر عمرو بن بانة أن فيه لحناً من الثقيل الأول بالبنصر، فلا أعلم أهذا يعني أم غيره.

وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها عن يحيى المكي وإسحاق.

وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو والهشامي.

أخبار الأحوص مع أم جعفر

وقد ذكرت أخبار الأحوص متقدماً إلا أخباره مع أم جعفر التي قال فيها هذا الشعر فإنها أخرت إلى هذا الموضع. وأم جعفر هذه امرأة من الأنصار من بني خطمة، وهي أم جعفر بنت عبد الله بن عرفطة بن قتادة بن معد بن غياث بن رزاح بن عامر بن عبد الله بن خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس. وله فيها أشعار كثيرة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني يعقوب بن القاسم ومحمد بن يحيى الطلحي عن عبد العزيز بن أبي ثابت، وأخبرني عمي قال حدثني محمد بن داود بن الجراح قال حدثني أحمد بن زهير عن مصعب، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن المحرز بن جعفر الدوسي، قالوا جميعا: لما أكثر الأحوص التشبيب بأم جعفر وشاع ذكره فيها توعده أخوها أيمن وهدده فلم ينته، فاستعدى عليه والي المدينة - وقال الزبير في خبره: فاستعدى عليه عمر بن عبد العزيز فربطهما في حبل ودفع إليهما سوطين وقال لهما: تجالدا؛ فتجالدا فغلب أخوها.

وقال غير الزبير في خبره: وسلح الأحوص في ثيابه وهرب وتبعه أخوها حتى فاته الأحوص هرباً. وقد كان الأحوص قال فيها:

لقد منعت معروفها أم جعفر ... وإني إلى معروفها لفقير

وقد أنكرت بعد اعتراف زيارتي ... وقد وغرت فيها علي صدور

أدور ولولا أن أرى أم جعفر ... بأبياتكم ما درت حيث أدور

أزور البيوت اللاصقات ببيتها ... وقلبي إلى البيت الذي لا أزور

وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى ... إذا لم يزر لا بد أن سيزور

أزور على أن لست أنفك كلما ... أتيت عدوا بالبنان

يشير فقال السائب بن عمرو، أحد بني عمرو بن عوف، يعارض الأحوص في هذه الأبيات ويعيره بفراره:

لقد منع المعروف من أم جعفر ... أخو ثقة عند الجلاد صبور

علاك بمتن السوط حتى اتقيته ... بأصفر من ماء الصفاق يفور

فقال الأحوص:

إذا أنا لم أغفر لأيمن ذنبه ... فمن ذا الذي يعفو له ذنبه بعي

أريد انتقام الذنب ثم تردني ... بد لأدانيه مباركة عندي

وقال الزبير في خبره خاصة: وإنما أعطاهما عمر بن عبد العزيز السوطين وأمرهما أن يتضاربا بهما اقتداء بعثمان بن عفان؛ فإنه كان لما تهاجى سالم بن دارة ومرة ابن واقع الغطفاني الفراري لزهما عثمان بحبل وأعطاهما سوطين فتجالدا بهما.

وقال عمر بن شبة في خبره: وقال الأحوص فيها أيضاً - وقد أنشدني علي بن سليمان الأخفش هذه الأبيات وزاد فيها على رواية عمر بن شبة بيتين فأضفتهما إليها-:

وإني ليدعوني هوى أم جعفر وجاراتها من ساعة فأجيب

وإني لآتي البيت ما إن أحبه وأكثر هجر البيت وهو حبيب

وأغضي على أشياء منكم تسوءني وأدعى إلى ما سركم فأجيب

هبيني امرأً إما بريئاً ظلمته وإما مسيئاً مذنبا فيتوب

فلا تتركي نفسي شعاعاً فإنها من الحزن قد كادت عليك تذوب

لك الله إني واصل ما وصلتني ومثن بما أوليتني ومثيب

وآخذ ما أعطيت عفواً وإنني لأزور عما تكرهين هيوب

هكذا ذكره الأخفش في هذه الأبيات الأخيرة، وهي مروية للمجنون في عدة روايات؛ وهي بشعره أشبه.

وفي هذه الأشعار التي مضت أغان نسبتها:

أدور ولولا أن أرى أم جعفر بأبياتكم ما درت حيث أدور

أدور على أن لست أنفك كلما أتيت عدواً بالبنان يشير

الغناء لمعبد، وله فيه لحنان: ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن عمرو.

ولإسحاق فيهما وفي قوله:

أزور البيوت اللاصقات ببيتها

وبعده:

أدور ولولا أن أرى أم جعفر

لحن من الرمل. وفي البيتين اللذين فيهما غناء معبد للغريض ثقيل أول عن الهشامي، ولإبراهيم خفيف ثقيل. وفيه لحن لشارية عن ابن المعتز و لم يذكر طريقته.

إذا أنا لم أغفر لأيمن ذنبه فمن ذا الذي يعفو له ذنبه بعدي

أريد مكافأة له وتصدني يد لأدانيه مباركة عندي

الغناء لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى عن يحيى المكي، وذكر غيره أنه منحول يحيى إلى معبد.

وفيه ثقيل ينسب إلى عريب ورونق.

ومنها وهو:

وإني لآتي البيت ما إن أحبه وأكثر هجر البيت وهو حبيب

وأغضي على أشياء منكم تسوءني وأدعى إلى ما سركم فأجيب

وما زلت من ذكراك حتى كأنني أميم بأفياء الديار سليب
أبثك ما ألقى وفي النفس حاجة لها بين جلدي والعظام دبيب
لك الله إني واصل ما وصلتني ومثن بما أوليتني ومثيب
وآخذ ما أعطيت عفواً وإنني لأزور عما تكرهين هيوب
فلا تتركي نفسي شعاعاً فإنها من الحزن قد كادت عليك تذوب

الشعر للأحوص. ومن الناس من ينسب البيت الخامس وما بعده إلى المجنون. والغناء في اللحن المختار لدحمان، وهو ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر.

وذكر الهشامي أن في الأبيات الأربعة لابن سريج لحناً من الثقيل الأول، فلا أعلم ألحن دحمان عنى أم ثقيلا آخر. وفي:

لك الله إني واصل ما وصلتني ومثن بما أوليتني ومثيب

لإسحاق ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو. وفيها لإبراهيم خفيف رمل بالوسطى.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن حسن؛ قال الزبير وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن محرز: أن أم جعفر لما أكثر الأحوص في ذكرها جاءت منتقبة، فوقفت عليه في مجلس قومه ولا يعرفها، وكانت امرأة عفيفة؛ فقالت له: اقض ثمن الغنم التي ابتعتها مني؛ فقال: ما ابتعت منك شيئاً. فأظهرت كتاباً قد وضعته. عليه وبكت وشكت حاجة وضرا وفاقة وقالت: يا قوم، كلموه. فلامه قومه وقالوا: اقض المرأة حقها؛ فجعل يحلف أنه ما رآها قط ولا يعرفها.

فكشفت وجهها وقالت: ويحك! أما تعرفني! فجعل يحلف مجتهداً أنه ما يعرفها ولا رآها قط. حتى إذا استفاض قولها وقوله واجتمع الناس وكثروا وسمعوا ما دار وكثر لغطهم وأقوالهم، قامت ثم قالت: أيها الناس، أسكتوا. ثم أقبلت عليه وقالت: يا عدو الله! صدقت، والله ما لي عليك حق ولا تعرفني، وقد حلفت على ذلك وأنت صادق، وأنا أم جعفر وأنت تقول: قلت لأم جعفر وقالت لي أم جعفر في شعرك! فخجل الأحوص وانكسر عن ذلك وبرئت عندهم.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير، وأخبرني به محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا ثعلب قال حدثنا الزبير عن عبد الملك بن عبد العزيز قال: أنشدت أبا السائب المخزومي قول الأحوص:

لقد منعت معروفها أم جعفر وإني إلى معروفها لفقير

فلما انتهيت إلى قوله:

أزور على أن لست أنفك كلما أتيت عدواً بالبنان يشير

أعجبه ذلك وطرب وقال: أتدري يا بن أخي كيف كانوا يقولون! الساعة دخل، الساعة خرج، الساعة مر، الساعة رجع، وجعل يومئ بإبهاميه إلى وراء منكبيه وبسبابته إلى حيال وجهه ويقلبها، يحكي ذهابه ورجوعه.

صاح قد لمت ظالماً فانظر ان كنت لائما

هل ترى مثل ظبية قلدوها التمائما

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء في اللحن المختار لمالك خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

وأخبرني ذكاء وجه الرزة أن فيه لعريب رملاً بالبنصر، وهو الذي فيه سجحة. وفيه لابن المكي خفيف ثقيل آخر بالوسطى. وزعم الهشامي أن فيه خفيف رمل بالوسطى لابن سريج، وقد سمعها ممن يغنيه.

وذكر حبش أن فيه رملاً آخر للغريض. ولعاتكة بنت شهدة فيه خفيف ثقيل، وهو من جيد صنعتها، وذكر جحظة عن أصحابه أن لحنها الرمل هو اللحن المختار، وأن إسحاق كان يقدمها ويستجيدها، ويزعم أنه أخذه عنها.

وقال ابن المعتز: حدثني أبو عبد الله الهشامي: أن عريب صنعت فيه لحنها الرمل بعد أن أفضت الخلافة إلى المعتصم، فأعجبه وأمرها أن تطرحه على جواريه، و لم أسمع بشراً قط غناه أحسن من خشف الواضحية.

وكل أخبار هؤلاء المغنين قد ذكرت، أو لها موضع تذكر فيه، إلا عاتكة بنت شهدة فإن أخبارها تذكر هاهنا؛ لأنه ليس لها شيء أعرفه من الصنعة فأذكره غير هذا.

وقد ذكر جحظة عن أصحابه أن لحنها هو المختار فوجب أن نذكر أخبارها معه أسوة غيرها.

كانت عاتكة بنت شهدة مدنية. وأمها شهدة جارية الوليد بن يزيد، وهو الصحيح. وكانت شهدة مغنية أيضاً.

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا العلاء قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني عبد الله بن العباس الربيعي عن بعض المغنين قال: كنا ليلة عند الرشيد ومعنا ابن جامع والموصلي وغيرهما، وعنده في تلك الليلة محمد بن داود بن إسماعيل بن علي؛ فتغنى المغنون، ثم اندفع محمد بن داود فغناه بين أضعافهم:

أم الوليد سلبتني حلمي وقتلتني فتخوفي إثمي

بالله يا أم الوليد أما تخشين في عواقب الظلم

وتركتني أبغي الطبيب وما لطبيبنا بالداء من علم

خافي إلهك في ابن عمك قد زودته سقما على سقم

قال: فاستحسن الرشيد الصوت واستحسنه جميع من حضره وطربوا له. فقال له الرشيد: يا حبيبي، لمن هذا الصوت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، سل هؤلاء المغنين لمن هو.

فقالوا: والله ما ندري، وإنه لغريب.

فقال: بحياتي لمن هو؟ فقال: وحياتك ما أدري إلا أني أخذته من شهدة جارية الوليد أم عاتكة بنت شهدة. هذا الشعر المذكور لابن قيس الرقيات، والغناء لأبن محرز، وله فيه لحنان، أحدهما ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو. وفيه لسليم خفيف رمل بالبنصر. ولحسين بن محرز ثقيل أول عن الهشامي وحبش.

أخبرني محمد بن مزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه: أنه ذكر عاتكة بنت شهدة يوماً فقال: كانت أضرب من رأيت بالعود؛ ولقد مكثت سبع سنين أختلف إليها في كل يوم فتضاربني ضرباً أو ضربين، ووصل إليها مني ومن أبي أكثر من ثلاثين ألف درهم بسببي: دراهم وهدايا.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال:

كانت عاتكة بنت شهدة أحسن خلق الله غناء وأرواهم، وماتت بالبصرة. وأمها شهدة نائحة من أهل مكة. وكان ابن جامع يلوذ منها بكثرة الترجيع.

فكان إذا أخذ يتزايد في غنائه قالت له: إلى أين يا أبا القاسم! ما هذا الترجيع الذي لا معنى له! عد بنا إلى معظم الغناء ودع من جنونك. فأضجرته يوماً بين يدي الرشيد فقال لها: إني أشتهي، علم الله، أن تحتك شعرتي بشعرتك. فقالت: اخسأ، قطع الله ظهرك! و لم تعد لأذاه بعدها.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا الزبير بن بكار قال: قال لي علي بن جعفر بن محمد: دخلت على جواري المرواني المغنيات بمكة، وعاتكة بنت شهدة تطارحهن لحنها:

يا صاحبي دعا الملامة واعلما أن الهوى يدع الكرام عبيدا

فجعلت واحدة منهن تقول: يدع الرجال عبيداً. فصاحت بها عاتكة بنت شهدة: ويلك! بندار الزيات العاض بظر أمه رجل! أفمن الكرام هو!. قال!: فكنت إذا مر بي بندار أو رأيته غلبني الضحك فأستحيي منه وآخذ بيده وأجعل ذلك بشاشة؛ حتى أورث هذا بيني وبينه مقاربة؛ فكان يقول: أبو الحسن علي بن جعفر صديق لي.

وكان مخارق مملوكاً لعاتكة، وهي علمته الغناء ووضعت يده على العود، ثم باعته؛ فانتقل من ملك رجل إلى ملك آخر حتى صار إلى الرشيد. وقد ذكر ذلك في أخباره.

ولو أن ما عند ابن بجرة عندها من الخمر لم تبلل لهاتي بناطل

لعمري لأنت البيت أكرم أهله وأقعد في أفيائه بالأصائل

عروضه من الطويل. الشعر لأبي ذؤيب الهذلي. والغناء لحكم الوادي، ولحنه المختار من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها.

ابن بجرة هذا، فيما ذكره الأصمعي، رجل كان يبيع الخمر بالطائف، وزعم أن الناطل كوز تكال به الخمر. وقال ابن الأعرابي: ليس هذا بشيء، وزعم أن الناطل: الشيء؛ يقال: ما في الإناء ناطل، أي شيء. وقال أبو عمرو الشيباني: سمعت الأعراب يقولون: الناطل: الجرعة من الماء واللبن والنبيذ. انتهى.

ذكر أبي ذؤيب وخبره ونسبه

هو خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار. وهو أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم فحسن إسلامه. ومات في غزاة إفريقية.

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال: كان أبو ذؤيب شاعراً فحلا لا غميزة فيه ولا وهن.

وقال ابن سلام: قال أبو عمرو بن العلاء: سئل حسان بن ثابت: من أشعر الناس؟ قال: أحيا أم رجلاً؟ قالوا: حيا؛ قال: أشعر الناس حيا هذيل، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب.

قال ابن سلام: ليس هذا من قول أبي عمرو ونحن نقوله.

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني محمد بن معاذ العمري قال: في التوراة: أبو ذؤيب مؤلف زوراً، وكان اسم الشاعر بالسريانية مؤلف زورا. فأخبرت بذلك بعض أصحاب العربية، وهو كثير بن إسحاق، فعجب منه وقال: قد بلغني ذاك. وكان فصيحاً كثير الغريب متمكناً في الشعر.

قال أبو زيد عمر بن شبة: تقدم أبو ذؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية التي يرثي فيها بنيه. يعني قوله:

أمن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يخزع

وهذه يقولها في بنين له خمسة أصيبوا في عام واحد بالطاعون ورثاهم فيها.

وسنذكر جميع ما يغنى فيه منها على أثر أخباره هذه.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن مصعب الزبيري، وأخبرني حرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال: كان أبو ذؤيب الهذلي خرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح أحد بني عامر بن لؤي إلى إفريقية سنة ست وعشرين غازياً إفرنجة في زمن عثمان.

فلما فتح عبد الله بن سعد إفريقية وما والاها بعث عبد الله بن الزبير - وكان في جنده- بشيراً إلى عثمان بن عفان، وبعث معه نفراً فيهم أبو ذؤيب.

ففي عبد الله يقول أبو ذؤيب:

فصاحب صدق كسيد الضرا ء ينهض في الغزو نهضاً نجيحاً

في قصيدة له.

فلما قدموا مصر مات أبو ذؤب بها. وقدم ابن الزبير على عثمان، وهو يومئذ، في قول ابن الزبير، ابن ست وعشرين سنة؛ وفي قول الواقدي ابن أربع وعشرين سنة. وبشر عبد الله عند مقدمه بخبيب بن عبد الله بن الزبير وبأخيه عروة. بن الزبير، وكانا ولدا في ذلك العام، وخبيب أكبرهما. قال مصعب: فسمعت أبي والزبير بن

خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يقولان: قال عبد الله بن الزبير: أحاط بنا جرجير صاحب إفريقية وهو ملك إفرنجة في عشرين ألفا ومائة ألف ونحن في عشرين ألفا؛ فضاق بالمسلمين أمرهم واختلفوا في الرأي، فدخل عبد الله بن سعد فسطاطه يخلو يفكر. قال عبد الله بن الزبير: فرأيت عورة من جرجير والناس على مصافهم، رأيته على برذون أشهب خفف أصحابه منقطعاً منهم، معه جاريتان له تظلانه من الشمس بريش الطواويس.

فجئت فسطاط عبد الله فطلبت الإذن عليه من حاجبه؛ فقال: إنه في شأنكم وإنه قد أمرني أن امسك الناس عنه. قال: فدرت فأتيت مؤخر فسطاطه فرفعته ودخلت عليه، فإذا هو مستلق على فراشه؛ ففزع وقال: ما الذي أدخلك علي يا بن الزبير؟ فقلت: إيه وإيه! كل أزب نفور! إني رأيت عورة من عدونا فرجوت الفرصة فيه وخشيت فواتها، فاخرج فاندب الناس إلي. قال: وما هي؟ فأخبرته؛ فقال: عور لعمري! ثم خرج فرأى ما رأيت؛ فقال: أيها الناس، انتدبوا مع ابن الزبير إلى عدوكم. فاخترت ثلاثين فارساً، وقلت: إني حامل اضربوا عن ظهري فإني سأكفيكم من ألقى إن شاء الله تعالى.

فحملت في الوجه الذي هو فيه وحملوا فذبوا عني حتى خرقتهم إلى أرض خالية، وتبينته فصمدت صمده؛ فوالله ما حسب إلا أني رسول ولا ظن أكثر أصحابه إلا ذاك، حتى رأى ما بي من أثر السلاح، فثنى برذونه هارباً، فأدركته فطعنته فسقط، ورميت بنفسي عليه، واتقت جاريتاه عنه السيف فقطعت يد إحداهما. وأجهزت عليه ثم رفعت رأسه في رمحي، وجال أصحابه وحمل المسلمون في ناحيتي وكبروا فقتلوهم كيف شاءوا، وكانت الهزيمة. فقال لي عبد الله بن سعد: ما أحد أحق بالبشارة منك، فبعثني إلى عثمان. وقدم مروان بعدي على عثمان حين اطمأنوا وباعوا المغنم وقسموه.

وكان مروان قد صفق على الخمس بخمسمائة ألف، فوضعها عنه عثمان، فكان ذلك مما تكلم فيه بسببه.

فقال عبد الرحمن بن حنبل بن مليل - وكان هو وأخوه كلدة أخوي صفوان بن أمية بن خلف لأمه، وهي صفية بنت معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، وكان أبوهما ممن سقط من اليمن إلى مكة -:

أحلف بالله جهد اليمي ... ن ما ترك الله أمراً سدى

ولكن خلقت لنا فتنة ... لكي نبتلى فيك أو تبتلى

دعوت الطريد فأدنيته ... خلافاً لسنة من قد مضى

وأعطيت مروان خمس العبا ... د ظلماً لهم وحميت الحمى

وما لا أتاك به الأشعري ... من الفيء أعطيته من دنا

وأن الأمينين قد بينا ... منار الطريق عليه الهدى

فما أخذا درهماً غيلةً ... ول اقسما درهماً في هوى

قال: والمال الذي ذكر أن الأشعري جاء به ما كان أبو موسى قدم به على عثمان من العراق، فأعطى عبد الله بن أسيد بن أبي العيص منه مائة ألف درهم، وقيل: ثلثمائة ألف درهم؛ فأنكر الناس ذلك.

أخبرني أحمد بن عبيد الله قال حدثنا عمر بن شبة عن محمد بن يحيى عن عبد العزيز- أظنه ابن الدراوردي - قال: ابن بجرة الذي ذكره أبو ذؤيب رجل من بني عبيد بن عويج بن عدي بن كعب من قريش، و لم يسكنوا مكة ولا المدينة قط، وبالمدينة منهم وامرأة، ولهم موال أشهر منهم، يقال لهم بنو سجفان.

وكان ابن بجرة هذا خماراً. وهذا الصوت الذي ذكرناه من لحن حكم الوادي المختار من قصيدة لأبي ذؤيب طويلة. فمما يغنى فيه: منها:

أساءلت رسم الدار أم لم تسائل ... عن الحي أم عن عهده بالأوائل

عفا غير رسم الدار ما إن تبينه ... وعفر ظباء قد ثوت في المنازل

فلو أن ما عند ابن بجرة عندها ... من الخمر لم تبلل لهاتي بناطل

فتلك التي لا يذهب الدهر حبها ... ولا ذكرها ما أرزمت أم حائل

غناه الغريض ثقيلا أول بالوسطى. ويقال: إن لمعبد فيه أيضاً لحناً.

قوله: أساءلت يخاطب نفسه. ويروى: عن السكن أو عن أهله. والسكن. الذي كانوا فيه. وقال الأصمعي: السكن: سكن الدار. والسكن: المترل أيضاً. ويروى: عفا غير نؤى الدار. والنؤى: حاجز يجعل حول بيوت الأعراب لئلا يصل المطر إليها. ويروى - وهو الصحيح-:

وأقطاع طفي قد عفت في المعاقل

والطفي: خوص المقل. والمعاقل: حيث نزلوا فامتنعوا، واحدها معقل. وواحد الطفي: طفية. وأرزمت: حنت. والحائل: الأنثى. والسقب: الذكر.

ومنها:

وإن حديثاً منك لو تبذلينه ... جنى النحل في ألبان عوذ مطافل

مطافل أبكار حديث نتاجها ... تشاب بماء مثل ماء المفاصل

غناه ابن سريج رملاً بالوسطى. جنى النحل: العسل. والعوذ: جمع عائذ، الناقة حين تضع فهي عائذ، فإذا تبعها ولدها قيل لها مطفل.

والمفاصل: منفصل السهل من الجبل حيث يكون الرضراض ، والماء الذي يستنقع فيها أطيب المياه. وتشاب: تخلط.

وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي: أن أبا ذؤيب إنما عنى بقوله: مطافل

أبكار أن لبن الأبكار أطيب الألبان، وهو لبنها لأول بطن وضعت. قال: وكذلك العسل فإن أطيبه ما كاد من بكر النحل. قال: وحدثني كردين قال: كتب الحجاج إلى عامله على فارس: ابعث إلي بعسل من عسل خلار ، من النحل الأبكار، من الدستفشار، الذي لم تمسه النار.

فأما قصيدته العينية التي فضل بها، فمما يغنى به منها:

أمن المنون وريبها تتوجع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع

قالت أمامة ما لجسمك شاحباً ... منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع

أم ما لجنبك لا يلائم مضجعاً ... إلا أقض عليك ذاك المضجع

فأجبتها أن ما لجسمي أنه ... أودى بني من البلاد فودعوا

عروضه من الكامل. غناه ابن محرز ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها.

قال الأصمعي: سميت المنون منوناً لأنها تذهب بمنة كل شيء وهي قوته.

وروى الأصمعي: وريبه فذكر المنون. والشاحب: المغير المهزول. يقال: شحب يشحب. ابتذلت: امتهنت نفسك وكرهت الدعة والزينة ولزمت العمل والسفر ومثل مالك يغنيك عن هذا، فاشتر لنفسك من يكفيك ذلك ويقوم لك به. ويلائم: يوافق. أقض عليك أي خشن فلم تستطع أن تضطجع عليه. والقضض: الرمل والحصى. قال الراجز:

إن أحيحاً مات من غير مرض ... ووجد في مرمضه حيث ارتمض

عساقل وجبأ فيها قضض

وودعوا: ذهبوا. استعمل ذلك في الذهاب لأن من عادة المفارق أن يودع.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أحمد بن عمر النحوي قال حدثني أبي عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال: لما مات جعفر بن المنصور الأكبر مشى المنصور في جنازته من المدينة إلى مقابر قريش، ومشى الناس أجمعون معه حتى دفنه، ثم انصرف إلى قصره. ثم أقبل على الربيع فقال: يا ربيع، انظر من في أهلي ينشدني:

أمن المنون وريبها تتوجع

حتى أتسلى بها عن مصيبتي. قال الربيع: فخرجت إلى بني هاشم وهم بأجمعهم حضور، فسألتهم عنها، فلم يكن فيهم أحد يحفظها، فرجعت فأخبرته؛ فقال: والله لمصيبتي بأهل بيتي ألا يكون فيهم أحد يحفظ هذا لقلة رغبتهم في الأدب أعظم وأشد علي من مصيبتي بابني.

ثم قال: انظر هل في القواد والعوام من الجند من يعرفها، فإني أحب أن أسمعها من إنسان ينشدها. فخرجت فاعترضت الناس فلم أجد أحدا ينشدها إلا شيخاً كبيراً مؤدباً قد انصرف من موضع تأديبه، فسألته: هل تحفظ شيئاً من الشعر؟ فقال: نعم، شعر أبي ذؤيب. فقلت: أنشدني. فابتدأ هذه القصيدة العينية. فقلت له: أنت بغيتي.

ثم أوصلته إلى المنصور فاستنشده إياها.

فلما قال:

والدهر ليس بمعتب من يجزع

قال: صدق والله، فأنشدني هذا البيت مائة مرة ليتردد هذا المصراع علي؛ فأنشده، ثم مر فيها. فلما انتهى إلى قوله:

والدهر لا يبقى على حدثانه جون السراة له جدائد أربع

قال: سلا أبو ذؤيب عند هذا القول. ثم أمر الشيخ بالانصراف. فاتبعته فقلت له: أأمر لك أمير المؤمنين بشيء؟ فأراني صرة في يده فيها مائة درهم.

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال:

كان أبو ذؤيب الهذلي يهوى امرأة يقال لها أم عمرو، وكان يرسل إليها خالد بن زهير فخانه فيها، وكذلك كان أبو ذؤيب فعل برجل يقال له عويم بن مالك بن عويمر وكان رسوله إليها. فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صرمها. فأرسلت تترضاه، فلم يفعل، وقال فيها:

تريدين كيما تجمعيني وخالدا وهل يجمع السيفان ويحك في غمد

أخالد ما راعيت مني قرابة فتحفظني بالغيب أو بعض ما تبدي

دعاك إليها مقلتاها وجيدها فملت كما مال المحب على عمد

وكنت كرقراق السراب إذا بدا لقوم وقد بات المطي بهم يخدي

فآليت لا أنفك أحدو قصيدة تكون وإياها بها مثلاً بعدي

غناه ابن سريج خفيف رمل بالبنصر. الغيب: السر.

والرقراق: الجاري. ويروى: أحذو قصيدة. فمن قال: أحذو بالذال المعجمة أراد أصنع، ومن قال: أحدوا أراد أغني.

وقال أبو ذؤيب في ذلك :

وما حمل البختي عام غياره عليه الوسوق برها وشعيرها

أتى قرية كانت كثيراً طعامها كرفغ التراب كل شيء يميرها

الرفغ من التراب: الكثير اللين-.

فقيل تحمل فوق طوقك إنها مطبعة من يأتها لا يضيرها

بأعظم مما كنت حملت خالداً وبعض أمانات الرجال غرورها

ولو أنني حملته البزل ما مشت به البزل حتى تتلئب صدورها

تتلئب: تستقيم وتنتصب وتمتد وتتتابع -:

خليلي الذي دلى لغي خليلتي جهاراً فكل قد أصاب عرورها

يقال: عره بكذا أي أصابه به-:

فشأنكها، إني أمين وإنني إذا ما تحالى مثلها لا أطورها

تحالى: من الحلاوة. أطورها: أقربها-:

أحاذر يوماً أن تبين قرينتي ويسلمها أحرازها ونصيرها

الأحراز: الحصون. قرينتي: نفسي-:

وما أنفس الفتيان إلا قرائن تبين ويبقى هامها وقبور

فنفسك فاحفظها ولا تفش للعدا من السر ما يطوى عليه ضميرها

وما يحفظ المكتوم من سر أهله إذا عقد الأسرار ضاع كبيرها

من القوم إلا ذو عفاف يعينه على ذاك منه صدق نفس وخيرها

رعى خالد سري ليالي نفسه توالى على قصد السبيل أمورها

فلما تراماه الشباب وغيه وفي النفس منه فتنة وفجورها

لوى رأسه عني ومال بوده أغانيج خود كان فينا يزورها

تعلقه منها دلال ومقلة تظل لأصحاب الشقاء تديرها

فإن حراماً أن أخون أمانة وآمن نفساً ليس عندي ضميرها

فأجابه خالد بن زهير:

لا يبعدن الله لبك إذ غزا وسافر والأحلام جم عثورها

غزا وسافر لبك: ذهب عنك. والعثور: من العثار وهو الخطأ-:

وكنت إماماً للعشيرة تنتهي إليك إذا ضاقت بأمر صدورها

لعلك إما أم عمرو تبدلت سواك خليلا شاتمي تستخيرها

الاستخارة: الاستعطاف-:

فإن التي فينا زعمت ومثلها لفيك ولكني أراك تجورها

تجورها. تعرض عنها-:

ألم تنتقذها من عويم بن مالك وأنت صفي نفسه وسجيرها

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها

ويروى قد أسرقها، أي جعلتها سائرة. ومن رواه هكذا روى يسيرها لأن مستقبل أفعل أسارها يسيرها. ويسيرها مستقبل سار السيرة يسيرها-.

فإن كنت تشكو من خليل مخانة فتلك الجوازي عقبها ونصورها

عقبها: يريد عاقبتها. ونصورها أي تنصر عليك، الواحد نصر -.

وإن كنت تبغي للظلامة مركباً ذلولاً فإني ليس عندي بعيرها

نشأت عسيراً لا تلين عريكتي ولم يغل يوماً فوق ظهري كورها

متى ما تشأ أحملك والرأس مائل على صعبة حرف وشيك طمورها

فلا تك كالثور الذي دفنت له حديدة حتف ثم أمسى يثيرها

يطيل ثواء عندها ليردها وهيهات منه دارها وقصورها

وقاسمها بالله جهداً لأنتم ألذ من السلوى إذا ما نشورها

نشورها: نجتنيها. السلوى هاهنا: العسل-.

فلم يغن عنه خدعه يوم أزمعت صريمتها والنفس مر ضميرها

ولم يلف جلدا حازماً ذا عزيمة وذا قوة ينفي بها من يزورها

فأقصر ولم تأخذك مني سحابة ينفر شاء المقلعين خريرها

المقلعين: الذين أصابهم القلع وهو السحاب-.

ولا تسبقن الناس مني بخمطة من السم مذرور عليها ذرورها

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا السكن بن سعيد قال حدثنا العباس بن هشام قال حدثني أبو عمرو عبد الله بن الحارث الهذلي من أهل المدينة قال: خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له يقال له أبو عبيد، حتى قدموا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فقال له: أي العمل أفضل يا أمير المؤمنين؟ قال: الإيمان بالله ورسوله. قال: قد فعلت، فأنه أفضل بعده؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قال: ذلك كان علي وإني لا أرجو جنة ولا أخاف نارا. ثم خرج فغزا أرض الروم مع المسلمين. فلما قفلوا أخذه الموت؛ فأراد ابنه وابن أخيه أن يتخلفا عليه جميعاً فمنعهما صاحب الساقة وقال: ليتخلف عليه أحدكما وليعلم أنه مقتول. فقال لهما أبو ذؤيب. اقترعا، فطارت القرعة لأبي عبيد، فتخلف عليه ومضى ابنه مع الناس. فكان أبو عبيد يحدث قال قال لي أبو ذؤيب: يا أبا عبيد،

احفر ذلك الجرف برمحك ثم اعضد من الشجر بسيفك ثم اجررني إلى هذا النهر فإنك لا تفرغ حتى أفرغ، فاغسلني وكفني ثم اجعلني في حفيري وانثل علي الجرف برمحك، وألق علي الغصون والشجر، ثم اتبع الناس فإن لهم رهجة تراها في الأفق إذا مشيت كأنها جهامة.

قال: فما أخطأ مما قال شيئاً، ولولا نعته لم أهتد لأثر الجيش. وقال وهو يجود بنفسه:

أبا عبيد رفع الكتاب واقترب الموعد والحساب

وعند رحلي جمل نجاب أحمر في حاركه انصباب

ثم مضيت حتى لحقت الناس. فكان يقال: إن أهل الإسلام أبعدوا الأثر في بلد الروم، فما كان وراء قبر أبي ذؤيب قبر يعرف لأحد من المسلمين.

ذكر حكم الوادي وخبره ونسبه

هو الحكم بن ميمون مولى الوليد بن عبد الملك. وكان أبوه حلاقاً يحلق رأس الوليد، فاشتراه فأعتقه. وكان حكم طويلا أحول، يكرى الجمال ينقل عليها الزيت من الشام إلى المدينة.

ويكنى أبا يحيى. وقال مصعب بن عبد الله بن الزبير: هو حكم بن يحيى بن ميمون، وكان أصله من الفرس، وكان جمالاً ينقل الزيت من وادي القرى إلى المدينة.

وذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أنه كان شيخاً طويلاً أحول أجنأ يخضب بالحناء، وكان جمالاً يحمل الزيت من جدة إلى المدينة، وكان واحد دهره في الحذق، وكان ينقر بالدف ويغني مرتجلاً، وعمر عمراً طويلاً، غنى الوليد بن عبد الملك، وغنى الرشيد ومات في الشطر من خلافته، وذكر أنه أخذ الغناء من عمر الوادي.

قال: وكان بوادي القرى جماعة من المغنين فيهم عمر بن زاذان- وقيل: ابن داود بن زاذان، وهو الذي كان يسميه الوليد جامع لذتي وحكم بن يحيى، وسليمان، وخليد بن عتيك - وقيل: ابن عبيد - ويعقوب الوادي. وكل هؤلاء كان يصنع فيحسن.

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني حماد قال قال لي أبي: أحذق من رأيت من المغنين أربعة: جدك وحكم وفليح بن العوراء وسياط. قلت: وما بلغ من حذقهم؟ قال، كانوا يصنعون فيحسنون، ويؤدون غناء غيرهم فيحسنون.

قال إسحاق: وقال لي أبي: ما في هؤلاء الذين تراهم من لمغنين أطبع من حكم وابن جامع، وفليح أدرى منهما بما يخرج من رأسه.

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن أحمد بن المكي حدثه عن أبيه قال حدثني حكم الوادي، وأخبرني به محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الغلابي عن حماد بن إسحاق عن أحمد بن المكي عن أبيه عن حكم الوادي قال: أدخلني عمر الوادي على الوليد بن يزيد، وهو على حمار، وعليه جبة وشي ورداء وشي وخف وشي، وفي

يده عقد جوهر، وفي كمه شيء لا أدري ما هو. فقال: من غناني ما أشتهي فله ما في كفي وما علي وما تحتي: فغنوه كلهم فلم يطرب؛ فقال لي: غن يا غلام، فغنيت:

إكليلها ألوان ووجهها فتان

وخالها فريد ليس له جيران

إذا مشت تثنت كأنها ثعبان

الشعر لمطيع بن إياس. والغناء لحكم الوادي هزج بالوسطى. وفيه لإبراهيم رمل خفيف بالوسطى - فطرب وأخرج ما كان في كمه، وإذا كيس فيه ألف دينار، فرمى به إلي مع عقد الجوهر؛ فلما دخل بعث إلي بالحمار وجميع ما كان عليه. وهذا الخبر يذكر من عدة وجوه في أخبار مطيع بن إياس.

وفي حكم الوادي يقول رجل من قريش:

أبو يحيى أخو الغزل المغني بصير بالثقال وبالخفاف

على العيدان يحسن مايغني ويحسن ما يقول على الدفاف

غناه حكم الوادي هزجاً بالبنصر.

قال! هارون بن عبد الملك قال أبو يحيى العبادي قال حدثني أحمد البارد قال: دخلت على حكم يوماً فقال لي: يا قصافي، إن رجلاً من قريش قال في هذا الشعر:

أبو يحيى أخو الغزل المغني

وقد غنيت فيه، فخذ العود حتى تسمعه مني؛ فأخذت العود فضربت عليه وغنانيه، فكنت أول من أخذ من حكم الوادي هذا الصوت.

قال أبو يحيى وقال إسحاق: سمعت حكماً الوادي يغني صوتاً فأعجبني، فسألته لمن هو؟ فقال: ولمن يكون هذا إلا لي وقال مصعب: حدثني شيخ أنه سمع حكما الوادي يغني، فقال له: أحسنت! فألقى الدف وقال للرجل: قبحك الله! تراني مع المغنين منذ ستين رمح! سنة وتقول لي أحسنت!.

وقال لي هارون حدثني مدرك بن يزيد قال قال لي فليح: بعث إلي يحيى بن خالد وإلى حكم الوادي، وابن جامع معنا، فأتيناه. فقلت لحكم الوادي - أو قال لي - إن ابن جامع معنا، فعاوني عليه لنكسره. فلما صرنا إلى الغناء غنى حكم، فصحت وقلت: هكذا والله يكون الغناء! ثم غنيت ففعل بي حكم مثل ذلك، وغنى ابن جامع فما كنا معه في شيء. فلما كان العشي أرسل إلى جاريته دنانير: إن أصحابك عندنا، فهل لك أن تخرجي إلينا؟! فخرجت وخرج معها وصائف لها، فأقبل عليها يقول لها من حيث يظن أنا لا نسمع: ليس في القوم أنزه نفساً من فليح، ثم أشار إلى غلام له: أن ائت كل إنسان بألفي درهم، فجاء بها. فدفع إلى ابن جامع ألفين فأخذها

فطرحها في كمه، ولحكم مثل ذلك فطرحها في كمه، ودفع إلي ألفين. فقلت: لدنانير: قد بلغ مني النبيذ فاحتبسيها لي عندك، فأخذت الدراهم مني وبعثت بها إلي من الغد، وقد زادت عليها مثلها، وأرسلت إلي: قد بعثت إليك بوديعتك وبشيء أحببت أن تفرقه على أخواتي تعني جواري.

قال هارون بن محمد قال حماد بن إسحاق قال أبي: أربعة بلغوا في أربعة أجناس من الغناء مبلغاً قصر عنه غيرهم: معبد في الثقيل، وابن سريج في الرمل، وحكم في الهزج، وإبراهيم في الماخوري.

قال هارون وحدثني أبي قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال: زار حكم الوادي الرشيد، فبره ووصله بثلثمائة ألف درهم، وسأله عمن يختار أن يكتب له بها إليه؛ فقال: اكتب لي بها إلى إبراهيم بن المهدي - وكان عاملاً له بالشام- قال إبراهيم: فقدم علي حكم بكتاب الرشيد، فدفعت إليه ما كتب به ووصلته بمثل ما وصله، إلا أني نقصته ألفاً من الثلثمائة وقلت له: لا أصلك بمثل صلة أمير المؤمنين.

فأقام عندي ثلاثين يوماً أخذت منه فيها ثلثمائة صوت، كل صوت منها أحب إلي من الثلثمائة الألف التي وهبتها له.

وأخبرني علي بن عبد العزيز عن عبيد الله بن خرداذبه قال قال مصعب بن عبد الله: بينا حكم الوادي بالمدينة إذ سمع قوماً يقولون: لو ذهبنا إلى جارية ابن شقران! فإنها حسنة الغناء! فمضوا إليها، وتبعهم حكم وعليه فروة، فدخلوا ودخل معهم، وصاحب المنزل يظن أنه معهم وهم يظنون أنه من قبل صاحب المنزل ولا يعرفونه. فغنت الجارية أصواتاً ثم غنت صوتاً ثم صوتاً. فقال حكم الوادي: أحسنت والله! وصاح. فقال له رب البيت: يا ماص كذا وكذا من أمه! وما يدريك ما الغناء! فوثب عليه يتعتعه وأراد ضربه. فقال له حكم: يا عبد الله، دخلت بسلام وأخرج كما دخلت، وقام ليخرج. فقال له رب البيت: لا أو أضربك. فقال حكم: على رسلك، أنا أعلم بالغناء منك ومنها، وقال: شدي موضع كذا وأصلحي موضع كذا، واندفع يغني. فقالت الجارية: إنه والله أبو يحيى فقال رب المنزل: جعلت فداك! المعذرة إلى الله وإليك! لم أعرفك! فقام حكم ليخرج فأبى الرجل؛ فقال: والله لأخرجن، فسأعود إليها لكرامتها لا لكرامتك.

ذكر أحمد بن المكي عن أبيه: أن حكماً لم يشهر بالغناء ويذهب له الصوت به حتى صار الأمر إلى بني العباس؛ فانقطع إلى محمد بن أبي العباس أمير المؤمنين وذلك في خلافة المنصور؛ فأعجب به واختاره على المغنين وأعجبته أهزاجه. وكان يقال: إنه من أهرج الناس. ويقال: إنه غنى الأهزاج في آخر عمره، وإن ابنه لامه على ذلك، وقال له: أبعد الكبر تغني غناء المخنثين! فقال له: اسكت فإنك جاهل، غنيت الثقيل ستين سنة فلم أنل إلا القوت، وغنيت الأهزاج منذ سنيات فأكسبتك ما لم تر مثله قط.

قال هارون بن محمد وقال يحيى بن خالد: ما رأينا فيمن يأتينا من المغنين أحداً أجود أداء من حكم. وليس أحد يسمع غناء ثم يغنيه بعد ذلك إلا وهو يغيره ويزيد فيه وينقص إلا حكماً. فقيل لحكم ذلك فقال: إني لست

أشرب، وغيري يشرب، فإذا شرب تغير غناؤه.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال: كان خبر حكم الوادي يتناهى إلى المنصور ويبلغه ما يصله به بنو سليمان بن علي، فيعجب لذلك ويستسرفه ويقول: هل هو إلا أن حسن شعراً بصوته وطرب مستمعيه، فماذا يكون! وعلام يعطونه هذه العطايا المسرفة! إلى أن جلس يوماً في مستشرف له، وقد كان حكم دخل إلى رجل من قواده - أراه قال: علي بن يقطين أو أبوه - وهو يراه؛ ثم خرج عشيا وقد حمله على بغلة له يعرفها المنصور، وخلع عليه ثياباً يعرفها له. فلما رآه المنصور قال: من هذا؟ فقيل: حكم الوادي.

فحرك رأسه ملياً ثم قال: لأن علمت أن هذا يستحق ما يعطاه. قيل: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وأنت تنكر ما يبلغك منه؟ قال: لأن فلاناً لا يعطي شيئاً من ماله باطلاً ولا يضعه إلا في حقه.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا قعنب بن المحرز الباهلي عن الأصمعي قال: رأيت حكماً الوادي حين مضى المهدي إلى بيت المقدس، وقد عارضه في الطريق وأخرج دفه ونقر فيه وله شعيرات على رأسه وقال: أنا والله يا أمير المؤمنين القائل:

ومتى تخرج العرو س فقد طال حبسها

فتسرع إليه الحرس؛ فقال: دعوه، وسأل عنه فاخبر أنه حكم الوادي؛ فوصله وأحسن إليه.

لحن حكم في هذا الشعر المذكور هزج بالبنصر. وفيه ألحان لغيره، وقد ذكرت في أخبار الوليد بن يزيد.

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن صالح الأضجم عن حكم الوادي قال: كان الهادي يشتهي من الغناء ما توسط وقل ترجيعه و لم يبلغ أن يستخف جدا؛ فأخرج ليلة ثلاث بدر وقال: من أطربني فهي له. فغناه ابن جامع وإبراهيم الموصلي والزبير بن دحمان فلم يصنعوا شيئاً، وعرفت ما أراد فغنيته لابن سريج:

غراء كالليلة المباركة ال قمراء تهدى أوائل الظلم

أكني بغير اسمها وقد عل م الله خفيات كل مكتتم

كأن فاها إذا تنسم عن طيب مشم وحسن مبتسم

يسن بالضرو من براقش أو هيلان أو يانع من العتم

الشعر في هذا الغناء للنابغة الجعدي؛ والصنعة لابن سريج رمل بالبنصر فوثب عن فراشه طرباً وقال: أحسنت أحسنت والله! اسقوني فسقي. ووثقت بأن البدر لي، فقمت فجلست عليها. فأحسن ابن جامع المحضر وقال: أحسن والله كما قال أمير المؤمنين، وإنه لمحسن مجمل. فلما سكن أمر الفراشين بحملها معي. فقلت لابن جامع: مثلك يفعل ما فعلت في شرفك ونسبك! فإن رأيت أن تشرفني بقبول إحداها فعلت. فقال: لا والله لا فعلت، والله لوددت أن الله زادك، وأسأل الله أن يهنيك ما رزقك.

ولحقني الموصلي فقال: آخذ يا حكم من هذا؟ فقلت: لا والله ولا درهماً واحدا لأنك لم تحسن المحضر.
ومات حكم الوادي من قرحة أصابته في صدره. فقال الدارمي فيه قبل وفاته:

إن أبا يحيى اشتكى علة ... أصبح منها بين عواد
فقلت والقلب به موجع ... يا رب عاف الحكم الوادي
فرب بيض قادة سادة ... كأنصل سلت من اغماد
نادمهم في مجلس لاهياً ... فأصمت المنشد والشادي

غنى فيه حكم الوادي هزجا بالبنصر.

أمعارف الدمن القفار توهم ... ولقد مضى حول لهن مجرم
ولقد وقفت على الديار لعلها ... بجواب رجع تحية تتكلم

عن علم ما فعل الخليط، فما درت ... أنى توجه بالخليط الموسم
ولقد عهدت بها سعاد وإنها ... بالله جاهدة اليمين لتقسم
إني لأوجه من تكلم عندها ... بألية ومخالف من يزعم
فلها لدينا بالذي بذلت لنا ... ود يطول له العناء ويعظم

عروضه من الكامل. الشعر لنصيب من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان.
والغناء لابن جامع. له فيه لحنان ذكرهما إسحاق، أحدهما ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. ولإبراهيم في البيتين الأولين ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى.
ولإسحاق وسياط فيهما ثقيل بالبنصر عن عمرو.

ذكر ابن جامع وخبره ونسبه

هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة بن سعيد، سعد بن سهم بن عمرو، بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب.
أخبرني الطوسي عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب، وأخبرنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا محمد بن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق قالا جميعاً: مات ضبيرة السهمي وله مائة سنة و لم يظهر في رأسه ولا لحيته شيب.
فقال بعض شعراء قريش يرثيه:

حجاج بيت الله إن ض ... بيرة السهمي ماتا

سبقت منيته المشي ب وكان ميتته افتلاتا

فتزودوا لا تهلكوا من دون أهلكم خفاتا

قال: وأسر أبو وداعة كافراً يوم بدر ففداه ابنه المطلب، وكان المطلب رجل صدق.

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث.

ويكنى ابن جامع أبا القاسم. وأمه امرأة من بني سهم وتزوجت بعد أبيه رجلاً من أهل اليمن.

فذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن حماد عن أبيه عن بعض أصحابه عن عون حاجب معن بن زائدة قال: رأيت أم ابن جامع وابن جامع معها عند معن بن زائدة وهو ضعيف يتبعها ويطأ ذيلها وكانت من قريش، ومعن يومئذ على اليمن.

فقالت: أصلح الأمير، إن عمي زوجني زوجاً ليس بكفء ففرق بيني وبينه.

قال: من هو؟ قالت: ابن ذي مناجب. قال: علي به. قال: فدخل أقبح من خلق الله وأشوهه خلقاً. قال: من هذه منك؟ قال: امرأتي. قال: خل سبيلها، ففعل. فأطرق مغن ساعة ثم رفع رأسه فقال:

لعمري لقد أصبحت غير محبب ولا حسن في عينها ذا مناجب

فما لمتها لما تبينت وجهه وعيناً له حوصاء من تحت حاجب

وأنفاً كأنف البكر يقطر دائباً على لحية عصلاء شابت وشارب

أتيت بها مثل المهاة تسوقها فيا حسن مجلوب ويا قبح جالب

وأمر لها بمائتي دينار وقال لها: تجهزي بها إلى بلادك.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرني حماد عن أبيه: أن الرشيد سأل ابن جامع يوماً عن نسبه وقال له: أي بني الإنس ولدك يا إسماعيل؟ قال: لا أدري، ولكن سل ابن أخي يعني إسحاق - وكان يماظ إبراهيم الموصلي ويميل إلى ابنه إسحاق قال إسحاق: ثم التفت إلي ابن جامع فقال: أخبره يا بن أخي بنسب عمك. فقال له الرشيد: قبحك الله شيخاً من قريش! تجهل نسبك حتى يخبرك به غيرك وهو رجل من العجم!.

قال هارون حدثني عبد الله بن عمرو قال حدثني أبو هشام محمد بن عبد الملك المخزومي قال أخبرني محمد بن عبد الله بن أبي فروة بن أبي قراد المخزومي قال: كان ابن جامع من أحفظ خلق الله لكتاب الله وأعلمه بما يحتاج إليه، كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلي الصبح ثم يصف قدميه حتى تطلع الشمس، ولا يصلي الناس الجمعة حتى يختم القران ثم ينصرف إلى منزله.

قال هارون وحدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني صالح بن علي بن عطية وغيره من رجال أهل العسكر قالوا: قدم ابن جامع قدمة له من مكة على الرشيد، وكان ابن جامع حسن السمت كثير الصلاة قد أخذ السجود جبهته، وكان يعتم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة، ويلبس لباس الفقهاء، ويركب حماراً مريسياً في

زي أهل الحجاز.

فبينا هو واقف على باب يحيى بن خالد يلتمس الإذن عليه، فوقف على ما كان يقف الناس عليه في القديم حتى يأذن لهم أو يصرفهم، أقبل أبو يوسف القاضي بأصحابه أهل القلانس؛ فلما هجم على الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبه ويحادثه، فوقعت عينه على ابن جامع فرأى سمته وحلاوة هيئته، فجاء فوقف إلى جانبه ثم قال له: أمتع الله بك، توسمت فيك الحجازية القرشية؛ قال: أصبت. قال: فمن أي قريش أنت؟ قال: من بني سهم. قال: فأي الحرمين منزلك؟ قال: مكة. قال: ومن لقيت من فقهائهم؟ قال: سل عمن شئت.

ففاتحه الفقه والحديث فوجد عنده ما أحب فاعجب به. ونظر الناس إليهما فقالوا: هذا القاضي قد أقبل على المغني، وأبو يوسف لا يعلم أنه ابن جامع. فقال أصحابه: لو أخبرناه عنه! ثم قالوا: لا، لعله لا يعود إلى مواقفته بعد اليوم، فلم نغمه. فلما كان الإذن الثاني ليحيى غدا عليه الناس وغدا عليه أبو يوسف، فنظر يطلب ابن جامع فرآه، فذهب فوقف إلى جانبه فحادثه طويلاً كما فعل في المرة الأولى. فلما انصرف قال له بعض أصحابه: أيها القاضي، أتعرف هذا الذي تواقف وتحادث؟ قال: نعم، رجل من قريش من أهل مكة من الفقهاء. قالوا: هذا ابن جامع المغني؛ قال: إنا لله! قالوا: إن الناس قد شهروك بمواقفته وأنكروا ذلك من فعلك. فلما كان الإذن الثالث جاء أبو يوسف ونظر إليه فتنكبه، وعرف ابن جامع أنه قد أنذر به، فجاء فوقف فسلم عليه، فرد السلام عليه أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاه به ثم انحرف عنه. فدنا منه ابن جامع، وعرف الناس القصة، وكان ابن جامع جهيراً فرفع صوته ثم قال: يا أبا يوسف، ما لك تنحرف عني؟ أي شيء أنكرت؟ قالوا لك: إني ابن جامع المغني فكرهت مواقفتي لك! أسألك عن مسألة ثم اصنع ما شئت؛ ومال الناس فأقبلوا نحوهما يستمعون. فقال: يا أبا يوسف، لو أن أعرابيا جلفا وقف بين يديك فأنشدك بجفاء وغلظة من لسانه وقال:

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

أكنت ترى بذلك بأسا؟ قال: لا، قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشعر قول، وروى في الحديث. فال ابن جامع: فإن قلت أنا هكذا، ثم اندفع يتغنى فيه حتى أتى عليه؛ ثم قال: يا أبا يوسف، رأيتني زدت فيه أو نقصت منه؟ قال: عافاك الله، أعفنا من ذلك. قال: يا أبا يوسف، أنت صاحب فتيا، ما زدته على أن حسنته بألفاظي فحسن في السماع ووصل إلى القلب.

ثم تنحى عنه ابن جامع.

قال: وحدثني عبد الله بن شبيب قال حدثني إبراهيم بن المنذر عن سفيان بن عيينة، ومر به ابن جامع يسحب الخز، فقال لبعض أصحابه: بلغني أن هذا القرشي أصاب مالاً من بعض الخلفاء، فبأي شيء أصابه؟ قالوا: بالغناء. قال: فمن منكم يذكر بعض ذلك؟ فأنشد بعض أصحابه ما يغني فيه:

وأصحب بالليل أهل الطواف وأرفع من مئزري المسبل

قال: أحسن، هيه! قال:

وأسجد بالليل حتى الصباح وأتلو من المحكم المنزل

قال: أحسن، هيه! قال:

عسى فارج الكرب عن يوسف يسخر لي ربة المحمل

قال: أما هذا فدعه.

وحدثني محمد بن الحسن العتابي قال حدثني جعفر بن محمد الكاتب قال حدثني طيب بن عبد الرحمن قال: كان ابن جامع يعد صيحة الصوت قبل أن يصنع عمود اللحن.

وحدث محمد بن الحسن قال حدثني أبو حارثة بن عبد الرحمن بن سعيد بن سلم عن أخيه أبي معاوية بن عبد الرحمن قال: قال لي ابن جامع: لولا أن القمار وحب الكلاب قد شغلاني لتركت المغنين لا يأكلون الخبز.

أخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه قال: أهدى رجل إلى ابن جامع كلباً فقال: ما اسمه؟ فقال: لا أدري، فدعا بدفتر فيه أسماء الكلاب فجعل يدعوه بكل اسم فيه حتى أجابه الكلب.

قال هارون بن محمد حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني محمد بن أحمد المكي قال حدثتني حولاء مولاة ابن جامع قالت: انتبه مولاي يوماً من قائلته فقال: علي بهشام يعني ابنه ادعوه لي عجلوه، فجاء مسرعاً. فقال: أي بني، خذ العود، فإن رجلاً من الجن ألقى علي في قائلتي صوتاً فأخاف أن أنساه.

فأخذ هشام العود وتغنى ابن جامع عليه رملاً لم أسمع له رملاً أحسن منه، وهو:

أمست رسوم الديار غيرها هوج الرياح الزعازع العصف

وكل حنانة لها زجل مثل حنين الروائم الشغف

فأخذه عنه هشام، فكان بعد ذلك يتغناه وينسبه إلى الجن. وفي هذا الصوت للهذلي لحن من الثقيل الثاني بالخنصر في مجرى الوسطى. وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو، وقيل: إن هذا اللحن لعبادل. وفيه لابن جامع الرمل المذكور.

هارون وحدثني أحمد بن بشر بن عبد الوهاب قال حدثني محمد بن موسى بن فليح الخزاعي قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد المكي قال: قال لي ابن جامع: أخذت من هارون ببيتين غنيته بهما عشرة آلاف دينار:

لا بد للعاشق من وقفة تكون بين الوصل والصرم

يعتب أحياناً وفي عتبه إظهار ما يخفي من السقم

إشفاقه داع إلى ظنه وظنه داع إلى الظلم

حتى إذا ما مضه هجره راجع من يهوى على رغم

هكذا رويته الشعر للعباس بن الأحنف. والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى.

وذكر ابن بانة أن هذا اللحن لسليم. وفيه لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى- قال: ثم قال لي ابن جامع: فمتى تصيب أنت بالمروءة شيئاً! وقال هارون حدثني أحمد بن زهير قال حدثني مصعب بن عبد الله قال: خرج ابن أبي عمرو الغفاري وعبد الرحمن بن أبي قباحة وغيرهما من القرشيين عماراً يريدون مكة؛ فلما كانوا بفخ نزلوا على البئر التي هناك ليغتسلوا فيها. قال : فبينا نحن نغتسل إذ سمعنا صوت غناء، فقلنا: لو ذهبنا إلى هؤلاء فسمعنا غناءهم! فأتيناهم، فإذا ابن جامع وأصحاب له يغنون وعندهم فضيخ لهم يشربون منه؛ فقالوا: تقدموا يا فتيان، فتقدم ابن أبي عمرو فجلس مع القوم وكان رأسهم، فجلسنا نشرب؛ وطرب ابن أبي قباحة فغنى. فقال ابن جامع: وابأبي وأمي! ابن أبي قباحة وإلا فهو ابن الفاعلة.

فقام ابن أبي عمرو فأخرج من وسطه هميناً فيه ثلثمائة درهم فنثرها على ابن أبي قباحة. فقال ابن جامع: امضوا بنا إلى المترل، فمضينا فأقمنا عنده شهراً ما نبرح ونحن على إحرامنا ذلك.

قال هارون بن محمد بن عبد الملك حدثني علي بن سليمان عن محمد بن أحمد النوفلي عن جارية ابن جامع الحولاء قال: - وكانت تتبناني - فتغنت يوماً وطربت وقالت: يا بني، ألا أغنيك هزجاً لسيدي في عشيقة له سوداء؟ قلت: بلى. فتغنت هزجاً ما سمعت أحسن منه، وهو:

أشبهك المسك وأشبهته قائمة في لونه قاعده

لا شك إذ لونكما واحد أنكما من طينة واحده

وقد روي هذا الشعر لأبي حفص الشطرنجي يقوله في دنانير مولاة البرامكه.

ونسب هذا الهزج إلى إبراهيم وابن جامع وغيرهما.

قال عبد الله بن عمرو حدثنا أحمد بن عمر بن إسماعيل الزهري قال حدثني محمد بن جعفر بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام - وكان يلقب الأبله - قال: قال برصوما الزامر، وذكر إبراهيم الموصلي وابن جامع، فقال: الموصلي بستان تجد فيه الحلو والحامض وطريا لم ينضج، فتأكل منه من ذا وذا. وابن جامع زق عسل، إن فتحت فمه خرج عسل حلو، وإن خرقت جنبه خرج عسل حلو، وإن فتحت يده خرج عسل حلو، كله جيد.

أخبرنا يحيى بن على عن أبيه وحماد عن إبراهيم بن المهدي - وكان إبراهيم يفضل ابن جامع ولا يقدم عليه أحداً، وابن جامع يميل إليه - قال: كنا في مجلس الرشيد وقد غلب على ابن جامع النبيذ، فغنى صوتاً فأخطأ في أقسامه؛ فالتفت إلي إبراهيم الموصلي فقال: قد خري فيه؛ وفهمت صدقه قال: فقلت لابن جامع: يا أبا القاسم، أعد الصوت وتحفظ فيه؛ فانتبه وأعاده فأصاب. فقال إبراهيم:

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

وتنكر لي لميلي مع ابن جامع عليه. فقلت للرشيد بعد أيام: إن لي حاجة إليك. قال: وما هي؟ قلت: تسأل إبراهيم الموصلي أن يرضى عني ويعود إلى ما كان عليه. فقال: إنما هو عبدك، وقال له: قم إليه فقبل رأسه.

فقلت : لا ينفعني رضاه في الظاهر دون الباطن، فسله أن يصحح الرضا. فقام إلي ليقبل رأسي كما أمر، فقال لي وقد أكب علي ليقبل رأسي: أتعود؟ قلت لا. قال: قد رضيت عنك رضا صحيحاً. وعاد إلى ما كان عليه.

وقال حماد عن أبي يحيى العبادي قال: قدم حوراء غلام حماد الشعراني وكان أحد المغنين المجيدين قال حدثني بعض أصحابنا قال:

كنا في دار أمير المؤمنين الرشيد فصاح بالمغنين: من فيكم يعرف.

وكعبة نجران حتم علي ... ك حتى تناخي بأبوابها؟

- الشعر للأعشى - فبدرهم إبراهيم الموصلي فقال: أنا أغنيه، وغناه فجاء بشيء عجيب. فغضب ابن جامع وقال لزلزل: دع العود، أنا من جحاش وجرة لا أحتاج إلى بيطار؛ ثم غنى الصوت؛ فصاح إليه مسرور: أحسنت يا أبا القاسم! ثلاث مرات.

وكعبة نجران حتم علي ... ك حتى تناخي بأبوابها

نزور يزيد وعبد المسيح ... وقيساً هم خير أربابها

وشاهدنا الجل والياسمي ... ن والمسمعات بقصابها

وبربطنا دائم معمل ... فأي الثلاثة أزرى بها

تنازعني إذ خلت بردها ... معطرة غير جلبابها

فلما التقينا على آلة ... ومدت إلي بأسبابها

الشعر للأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة. وهؤلاء الذين ذكرهم أساقفة نجران، وكان يزورهم ويمدحهم، ويمدح العاقب والسيد، وهما ملكا نجران، ويقيم عندهما ما شاء، يسقونه الخمر ويسمعونه الغناء الرومي، فإذا انصرف أجزلوا صلته.

أخبرنا بذلك محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي، وله أخبار كثيرة معهم تذكر في مواضعها إن شاء الله.

والغناء لحنين الحيري خفيف ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق في الأربعة الأول. وذكر عمرو أنه لابن محرز. وذكر يونس أن فيها لحنا لمالك و لم يجنسه. وذكر الهشامي أن في الخامس والسادس ثم الأول والثاني خفيف رمل بالوسطى ليحيى المكي.

وقال حماد عن مصعب بن عبد الله قال حدثني الطراز وكان بريد الفضل بن الربيع قال: لما مات المهدي وملك موسى الهادي أعطاني الفضل دنانير وقال: الحق بمكة فأتني بابن جامع واحمله في قبة ولا تعلمن بذا أحدا: ففعلت فأنزلته عندي واشتريت له جارية، وكان ابن جامع صاحب نساء. فذكره موسى ذات ليلة - وكان هو والحراني منقطعين إلى موسى أيام المهدي فضربهما المهدي وطردهما - فقال لجلسائه: أما فيكم أحد يرسل إلى ابن جامع

وقد علمتم موقعه مني! فقال له الفضل بن الربيع: هو والله عندي يا أمير المؤمنين وقد فعلت الذي أردت. وبعث إليه فأتي به في الليل. فوصل الفضل تلك الليلة بعشرة آلاف دينار وولاه حجابته.

قال إسحاق عن بعض أصحابه: كنا عند أمير المؤمنين الرشيد يوماً فقال الغلام الذي على الستارة: يا بن جامع، تغن ببيت السعدي :

فلو سألت سراة الحي سلمى ... على أن قد تلون بي زماني

لخبرها ذو والأحساب عني ... وأعدائي فكل قد بلاني

بذبي الذم عن حسبي بمالي ... وزبونات أشوس تيحان

وأني لا أزال أخاً حروب ... إذا لم أجن كنت مجن جاني

قال: فحرك ابن جامع رأسه - وكان إذا اقترح عليه الخليفة شيئاً قد أحسنه وكمله طار فرحاً - فغنى به؛ فاربد وجه إبراهيم لما سمعه منه، وكذا كان ابن جامع أيضاً يفعل؛ فقال له صاحب الستارة: أحسنت والله يا أميري! أعد فأعاد؛ فقال: أنت في حلبة لا يلحقك أحد فيها أبداً. ثم قال صاحب الستارة لإبراهيم: تغن بهذا الشعر فتغنى؛ فلما فرغ قال: مرعى ولا كالسعدان! أخطأت في موضع كذا وفي موضع كذا. فقال: نفي إبراهيم من أبيه إن كان يا أمير المؤمنين أخطأ حرفاً، وقد علمت أني أغفلت في هذين الموضعين.

قال إبراهيم: فلما انصرفنا قلت لابن جامع: والله ما أعلم أن أحداً بقي في الأرض يعرف هذا الغناء معرفة أمير المؤمنين. قال: حق والله، لهو إنسان يسمع الغناء منذ عشرين سنة مع هذا الذكاء الذي فيه.

قال إسحاق: كان ابن جامع إذا تغنى في هذا الشعر:

من كان يبكي لما بي ... من طول سقم رسيس

فالآن من قبل موتي ... لا عطر بعد عروس

بنيتم في فؤادي ... أوكار طير النحوس

قلبي فريس المنايا ... يا ويحه من فريس

- الشعر لرجل من قريش، والغناء لابن جامع في طريقة الرمل - لم يتغن في ذلك المجلس بغيره. وكان إذا أراد أن يتغنى سأل أن يزمر عليه برصوما. فلما كثر ذلك سألوه فيه فقال: لا والله، ولكنه إذا ابتدأت فغنيت في الشعر عرف الغرض الذي يصلح فما يجاوزه، وكنت معه في راحة؛ وذلك أن المغني إذا تغنى بزمر زامر فأكثر العمل على الزامر لأنه لا يقفو الأثر، فإذا زمر برصوما فأنا في راحة وهو في تعب، وإذا زمر علي غيره فهو في راحة وأنا في تعب. فإن شككتم فاسألوا برصوما ومنصور زلزل. فسألوهما عما قال، فقالا: صدق.

قال وحدثني علي بن أحمد الباهلي قال: سمعت مصعب بن عبد الله يقول: بلغ المهدي أن ابن جامع والموصلي

يأتيان موسى، فبعث إليهما فجيء بهما، فضرب الموصلي ضرباً مبرحاً، وقال له ابن جامع: ارحم أمي! فرق له وقال له: قبحك الله! رجل من قريش يغني! وطرده. فلما قام موسى، وجه الفضل خلفه بريداً حتى جاء به؛ فقال له موسى: ما كان ليفعل هذا غيرك.

قال وحدثني الزبير بن بكار قال قال لي فلفلة: تمنى يوماً موسى أمير المؤمنين ابن جامع، فدفع إلي الفضل بن الربيع خمسمائة دينار وقال: امض حتى تحمل ابن جامع، وبعث إليه بما يصلحه، فمضيت فحملته. فلما دخلنا أدخله الفضل الحمام وأصلح من شأنه. ودخل على موسى فغناه فلم يعجبه. فلما خرج قال له الفضل: تركت الخفيف وغنيت الثقيل، قال: فأدخلني عليه أخرى؛ فأدخله فغنى الخفيف؛ فقال: حاجتك فأعطاه ثلاثين ألف دينار.

قال وحدثني عبد الرحمن بن أيوب قال حدثنا أبو يحيى العبادي قال حدثني ابن أبي الرجال قال حدثني زلزل قال: أبطأ إبراهيم الموصلي عن الرشيد، فأمر مسروراً الخادم يسأل عنه - وكان أمير المؤمنين قد صير أمر المغنين إليه - فقيل له: لم يأت بعد. ثم جاء في آخر النهار، فقعد بيني وبين برصوما، فغنى صوتاً له فأطربه وأطرب والله كل من كان في المجلس.

قال: فقام ابن جامع من مجلسه فقعد بيني وبين برصوما ثم قال: أما والله يا نبطي ما أحسن إبراهيم وما أحسن غيركما. قال: ثم غنى فنسينا أنفسنا، والله لكأن العود كان في يده.

قال وحدثني عمر بن شبة قال حدثني يحيى بن إبراهيم بن عثمان بن نهيك قال: دعا أبي الرشيد يوماً، فأتاه ومعه جعفر بن يحيى، فأقاما عنده، وأتاهما ابن جامع فغناهما يومهما. فلما كان الغد انصرف الرشيد وأقام جعفر. قال: فدخل عليهم إبراهيم الموصلي فسأل جعفراً عن يومهم؛ فأخبره وقال له: لم يزل ابن جامع يغنينا إلا أنه كان يخرج من الإيقاع - وهو في قوله يريد أن يطيب نفس إبراهيم الموصلي - قال: فقال له إبراهيم: أتريد أن تطيب نفسي بما لا تطيب به! لا والله، ما ضرط ابن جامع منذ ثلاثين سنة إلا بإيقاع، فكيف يخرج من الإيقاع!.

قال وحدثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدثني أبي قال: كان سبب عزل العثماني أن ابن جامع سأل الرشيد أن يأذن له في المهارشة بالديوك والكلاب ولا يحد في النبيذ، فأذن له وكتب له بذلك كتاباً إلى العثماني. فلما وصل الكتاب قال: كذبت! أمير المؤمنين لا يحل ما حرم الله، وهذا كتاب مزور. والله لئن ثقفتك على حال من هذه الأحوال لأؤدبنك أدبك.

قال: فحذره ابن جامع. ووقع بين العثماني وحماد اليزيدي، وهو على البريد، ما يقع بين العمال. فلما حج هارون، قال حماد لابن جامع: أعني. عليه حتى أعزله؛ قال: أفعل. قال: فابدأ أنت وقل: إنه ظالم فاجر واستشهدني. فقال له ابن جامع: هذا لا يقبل في العثماني، ويفهم أمير المؤمنين كذبنا، ولكني أحتال من جهة ألطف من هذه. قال: فسأله هارون ابتداءً فقال له: يا بن جامع، كيف أميركم العثماني؟ قال: خير أمير وأعدله وأفضله وأقومه بحق لولا ضعف في عقله. قال: وما ضعفه؟ قال: قد أفنى الكلاب. قال: وما دعاه إلى إفنائها

قال: زعم أن كلباً دنا من عثمان بن عفان يوم ألقى على الكناس فأكل وجهه، فغضب على الكلاب فهو يقتلها. فقال: هذا ضعيف، اعزلوه! فكان سبب عزله.

قال هارون بن محمد وحدثني الحسن بن محمد الغياثي قال حدثني أبي عن القطراني قال:

كان ابن جامع بارا بوالدته، وكانت مقيمة بالمدينة وبمكة. فدعاه إبراهيم بن المهدي وأظهر له كتاباً إلى أمير المؤمنين فيه نعي والدته. قال: فجرع لذلك جزعاً شديداً، وجعل أصحابه يعزونه ويؤنسونه؛ ثم جاءوا بالطعام فلم يتركوه حتى طعم وشرب، وسألوه الغناء فامتنع.

فقال له إبراهيم بن المهدي: إنك ستبذل هذا لأمير المؤمنين، فابذله لإخوانك فاندفع يغني:

كم بالدروب وأرض الروم من قدم ... ومن جماجم صرعى ما بها قبروا

بقندهار ومن تقدر منيته ... بقندهار يرجم دونه الخبر

- الشعر ليزيد بن مفرغ الحميري. والغناء لابن جامع رمل. وفيه لابن سريج خفيف رمل جميعاً عن الهشامي -

قال: وجعل إبراهيم يسترده حتى صلح له. ثم قال: لا والله ما كان مما خبرناك شيء إنما مزحنا بك.

قال: ثم قال له: رد الصوت؛ فغناه فلم يكن من الغناء الأول في شيء. فقال له إبراهيم: خذه الآن على، فأداه إبراهيم على السماع الأول.

فقال له ابن جامع: أحب أن تطرحه أنت على كذا.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الحسن الشيباني عن أحمد بن يحيى المكي قال: كان أبي بين يدي الرشيد وابن جامع معه يغني بين يدي الرشيد. فغناه:

خليفة لا يخيب سائله ... عليه تاج الوقار معتدل

قال: وغنى من يتلوه، وهوم ابن جامع سكراً ونعاساً. فلما دار الغناء على أصحابه وصارت النوبة إليه، حركه من بجنبه لنوبته فانتبه وهو يغني:

اسلم وحييت أيها الطلل ... وإن عفتك الرياح والسبل

- قال: وهو يتلو البيت الأول - فعجب أهل المجلس من ذكائه وفهمه، وأعجب ذلك الرشيد

واسلم وحييت أيها الطلل ... وإن عفتك الرياح والسبل

خليفة لا يخيب سائله ... عليه تاج الوقار معتدل

الشعر لأشجع أو لسلم الخاسر يمدح به موسى الهادي. والغناء لابن جامع ثقيل أول بالوسطى، من رواية الهشامي وأحمد بن يحيى المكي.

قال هارون وقد حدثني بهذا الخبر عبد الرحمن بن أيوب قال حدثني أحمد بن يحيى المكي قال: كان ابن جامع أحسن ما يكون غناءً إذا حزن صوته. فأحب الرشيد أن يسمع ذلك على تلك الحال، فقال للفضل بن الربيع:

ابعث خريطة فيها نعي أم ابن جامع - وكان باراً بأمه - ففعل. فوردت الخريطة على أمير المؤمنين وهو في مجلس لهوه، فقال: يا بن جامع، جاء في هذه الخريطة نعي أمك. فاندفع ابن جامع يغني بتلك الحرقة والحزن الذي في قلبه:

كم بالدروب وأرض السند من قدم ومن جماجم صرعى ما بها قبروا

بقندهار ومن تكتب منيته بقندهار يرجم دونه الخبر

قال: فوالله ما ملكنا أنفسنا، ورأيت الغلمان يضربون برؤوسهم الحيطان والأساطين.- قال هارون: لا أشك أن ابن المكي قد حدث به عن رجل حضر ذلك فأغفله عبد الرحمن بن أيوب- قال: ثم غنى بعد ذلك:

يا صاحب القبر الغريب

وهو لحن قديم. وفيه لحن لابن المكي- فقال له الرشيد: أحسنت! وأمر له بعشرة آلاف دينار.

يا صاحب القبر الغريب بالشام في طرف الكثيب

بالحجر بين صفائح صم ترصف بالجبوب

رصفاً ولحد ممكن تحت العجاجة في القليب

فإذا ذكرت أنينه ومغيبه تحت المغيب

هاجت لواعج عبرة في الصدر دائمة الدبيب

أسفاً لحسن بلائه ولمصرع الشيخ الغريب

أقبلت أطلب طبه والموت يعضل بالطبيب

الشعر لمكين العذري يرثي أباه، وقيل: إنه لرجل خرج بابنه إلى الشأم هرباً به من جارية هويها فمات هناك. والغناء لحكم الوادي، رمل في مجرى البنصر. وقيل: إن الشعر لسلامة ترثي الوليد بن يزيد.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني الحسن بن محمد قال حدثنا أحمد بن الخليل بن مالك قال حدثني عبد الله بن علي بن عيسى بن ماهان قال سمعت يزيد يحدث:

أن أم جعفر بلغها أن الرشيد جالس وحده ليس معه أحد من الندماء ولا المسامرين؛ فأرسلت إليه: يا أمير المؤمنين، إني لم أرك منذ ثلاث وهذا اليوم الرابع. فأرسل إليها: عندي ابن جامع. فأرسلت إليه: أنت تعلم أني لا أهنأ بشرب ولا سماع ولا غيرهما إلا أن تشركني فيه، فما كان عليك أن أشركك في الذي أنت فيه! فأرسل إليها: إني سائر إليك الساعة. ثم قام وأخذ بيد ابن جامع، وقال لحسين الخادم: امض إليها فأعلمها أني قد جئت. وأقبل الرشيد، فلما نظر إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنها قد قامت تستقبله، فوجه إليها: إن معي ابن جامع؛ فعدلت إلى بعض المقاصير. وجاء الرشيد وصير ابن جامع في بعض المواضع التي يسمع منه فيها ولا يكون

حاضراً معهم.

وجاءت أم جعفر فدخلت على الرشيد وأهوت لتنكب على يده؛ فأجلسها إلى جانبه فاعتنقها اعتنقته.

ثم أمر ابن جامع أن يغني فاندفع فغنى:

ما رعدت رعدة ولا برقت ... لكنها أنشئت لنا خلقة

الماء يجري على نظام له ... لو يجد الماء مخرقاً خرقه

بتنا وباتت على نمارقها ... حتى بدا الصبح عينها أرقه

أن قيل إن الرحيل بعد غد ... والدار بعد الجميع مفترقه

- الشعر لعبيد بن الأبرص. والغناء لابن جامع ثاني ثقيل من أصوات قليلات الأشباه، عن إسحاق. وفيه لابن محرز ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة. وذكر يونس أن فيه لحناً لمعبد و لم يجنسه.

وفيه لحكم هزج بالوسطى عن عمرو والهشامي. ولمخارق في هذه الأبيات رمل بالبنصر عن الهشامي. وذكر حبش أن الثقيل الأول للغريض.

وذكر الهشامي أن لمتيم فيها ثاني ثقيل بالوسطى - قال: فقالت أم جعفر للرشيد: ما أحسن ما اشتهيت والله يا أمير المؤمنين!. ثم قالت لمسلم خادمها: ادفع إلى ابن جامع لكل بيت مائة ألف درهم. فقال الرشيد: غلبتنا يا بنت أبي الفضل وسبقتنا إلى بر ضيفنا وجليسنا.

فلما خرج، حمل إليها مكان كل درهم ديناراً.

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدثني محمد بن ضوين الصلصال التيمي قال حدثني إسماعيل بن جامع السهمي قال: ضمني الدهر ضماً شديداً بمكة، فانتقلت منها بعيالي إلى المدينة، فأصبحت يوماً وما أملك إلا ثلاثة دراهم. فهي في كمي إذا أنا بجارية حميراء على رقبتها جرة تريد الركي تسعى بين يدي وترنم بصوت شجي تقول:

شكونا إلى أحبابنا طول ليلنا ... فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا

وذاك لأن النوم يغشى عيونهم ... سراعاً وما يغشى لنا النوم أعينا

إذا ما دنا الليل المضر لذي الهوى ... جزعنا وهم يستبشرون إذا دنا

فلو أنهم كانوا يلاقون مثل ما ... نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

قال: فأخذ الغناء بقلبي و لم يدر لي منه حرف. فقلت: يا جارية، ما أدري أوجهك أحسن أم غناؤك! فلو شئت أعدت؛ قالت: حباً وكرامةً. ثم أسندت ظهرها إلى جدار قرب منها ورفعت إحدى رجليها فوضعتها على الأخرى، ووضعت الجرة على ساقيها ثم انبعثت تغنيه؛ فوالله ما دار لي منه حرف؛ فقلت: أحسنت! فلو شئت أعدتيه مرة أخرى! ففطنت وكلحت وقالت: ما أعجب أمركم! أحدكم لا يزال يجيء إلى الجارية عليها الضريبة

فيشغلها! فضربت بيدي إلى الثلاثة الدراهم فدفعتها إليها، وقلت: أقيمي بها وجهك اليوم إلى أن نلتقي. قال: فأخذتها كالكارهة وقالت: أنت الآن تريد أن تأخذ مني صوتا أحسبك ستأخذ به ألف دينار وألف دينار وألف دينار. قال: وابنعثت تغني؛ فأعملت فكري في غنائها حتى دار لي الصوت وفهمته، وانصرفت مسروراً إلى منزلي أردده حتى خف على لساني. ثم إني خرجت أريد بغداد فدخلتها، فنزل بي المكاري على باب محول؛ فبقيت لا أدري أين أتوجه ولا من أقصد. فذهبت أمشي مع الناس، حتى أتيت الجسر فعبرت معهم، ثم انتهيت إلى شارع المدينة، فرأيت مسجدا بالقرب من دار الفضل بن الربيع مرتفعاً؛ فقلت: مسجد قوم سراة؛ فدخلته، وحضرت صلاة المغرب وأقمت بمكاني حتى صليت العشاء الآخرة على جوع وتعب.

وانصرف أهل المسجد وبقي رجل يصلي، خلفه جماعة خدم وحول ينتظرون فراغه؛ فصلى ملياً ثم انصرف؛ فرآني فقال: أحسبك غريباً؟ قلت: أجل. قال: فمتى كنت في هذه المدينة؟ قلت: دخلتها آنفاً، وليس لي بها منزل ولا معرفة، وليست صناعتي من الصنائع التي يمت بها إلى أهل الخير. قال: وما صناعتك؟ قلت: أتغنى. قال: فوثب مبادراً ووكل بي بعض من معه. فسألت الموكل بي عنه فقال: هذا سلام الأبرش. قال: وإذا رسول قد جاء في طلبي فانتهى بي إلى قصر من قصور الخلافة، وجاوز بي مقصورة إلى مقصورة، ثم أدخلت مقصورة في آخر الدهليز؛ ودعا بطعام فأتيت بمائدة عليها من طعام الملوك، فأكلت حتى امتلأت. فإني لكذلك إذ سمعت ركضاً في الدهليز وقائلاً يقول: أين الرجل؟ قيل: هو هذا. قال: ادعوا له بغسول وخلعة وطيب، ففعل ذلك بي. فحملت على دابة إلى دار الخلافة - وعرفتها بالحرس والتكبير والنيران فجاوزت مقاصير عدة، حتى صرت إلى دار قوراء فيها أسرة في وسطها قد ضيف بعضها إلى بعض. فأمرني الرجل بالصعود فصعدت، وإذا رجل جالس عن يمينه ثلاث جوار في جورهن العيدان، وفي حجر الرجل عود. فرحب الرجل بي، وإذا مجالس حياله كان فيها قوم قد قاموا عنها. فلم ألبث أن خرج خادم من وراء الستر فقال للرجل: تغن، فابنعث يغني بصوت لي وهو:

لم تمش ميلاً ولم تركب على قتب ... ولم تر الشمس إلا دونها الكلل

تمشي الهوينى كأن الريح ترجعها ... مشي اليعافير في جيآتها الوهل

فغنى بغير إصابة وأوتار مختلفة ودساتين مختلفة. ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تلي الرجل فقال لها: تغني، فغنت أيضاً بصوت لي كانت فيه أحسن حالا من الرجل، وهو قوله:

يا دار أضحت خلاءً لا أنيس بها ... إلا الظباء وإلا الناشط الفرد

أين الذين إذا ما زرتهم جذلوا ... وطار عن قلبي التشواق والكمد

ثم عاد إلى الثانية وأحسبه أغفلها وما تغنت به، ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تليها فابنعثت تغني بصوت لحكم الوادي وهو:

فوالله ما أدري أيغلبني الهوى إذا جد وشك البين أم أنا غالبه
فأن أستطع أغلب وإن يغلب الهوى فمثل الذي لاقيت يغلب

قال: ثم عاد الخادم إلى الجارية الثالثة فغنت بصوت لحنين وهو قوله:

مررنا على قيسية عامرية لها بشر صافي الأديم هجان
فقالت وألقت جانب الستر دونها من آية أرض أو من الرجلان
فقلت لها أما تميم فأسرتي هديت وأما صاحبي فيمان
رفيقان ضم السفر بيني وبينه وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

ثم عاد إلى الرجل فغنى صوتا فشبه فيه. والشعر لعمر بن أبي ربيعة وهو قوله:

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا إذا أقول صحا يعتاده عيدا
كأن أحور من غزلان ذي بقر أعارها شبه العينين والجيدا
بمشرق كشعاع الشمس بهجته ومسبكر على لباتها سودا

ثم عاد إلى الجارية فتغنت بصوت لحكم الوادي:

تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل
وإنا لقوم ما نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول

وتغنت الثانية:

وددتك لما كان ودك خالصاً وأعرضت لما صرت نهباً مقسما
ولا يلبث الحوض الجديد بناؤه إذا كثر الوراد أن يتهدما

وتغنت الثالثة بشعر الخنساء:

وما كر إلا كان أول طاعن ولا أبصرته الخيل إلا اقشعرت
فيدرك ثأراً وهو لم يخطه الغنى فمثل أخي يوماً به العين قرت
فلست أرزا بعده برزية فأذكره إذا سلت وتجلت

وغنى الرجل في الدور الثالث:

لحى الله صعلوكاً مناه وهمه من الدهر أن يلقى لبوسا ومطعما

ينام الضحى حتى إذا ليله انتهى تنبه مثلوج الفؤاد مورما

ولكن صعلوكاً يساور همه ويمضي على الهيجاء ليثاً مقدما

فذلك إن يلق الكريهة يلقها كريماً وإن يستغن يوماً فربما

قال: وتغنت الجارية:

إذا كنت ربا للقلوص فلا يكن رفيقك يمشي خلفها غير راكب

أنخها فأردفه فإن حملتكما فذاك وإن كان العقاب فعاقب

قال: وتغنت الجارية بشعر عمرو بن معد يكرب:

ألم تر لما ضمني البلد القفر سمعت نداء يصدع القلب يا عمرو

أغثنا فإنا عصبة مذحجية نزار على وقر وليس لنا وفر

قال: وتغنت الثالثة بشعر عمر بن أبي ربيعة:

فلما تواقفنا وسلمت أسفرت وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

تبالهن بالعرفان لما عرفنني وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا

ولما تنازعن الأحاديث قلن لي أخفت علينا أن نغر ونخدع

قال: وتوقعت مجيء الخادم إلي، فقلت للرجل: بأبي أنت! خذ العود فشد وتر كذا وارفع الطبقة وحط دستان كذا؛ ففعل ما أمرته. وخرج الخادم فقال لي: تغن عافاك الله؛ فتغنيت بصوت الرجل الأول على غير ما غناه، فإذا جماعة من الخدم يحضرون حتى استندوا إلى الأسرة وقالوا: ويحك! لمن هذا الغناء؟ قلت: لي؛ فانصرفوا عني بتلك السرعة، وخرج إلي الخادم وقال: كذبت! هذا الغناء لابن جامع. ودار الدور؛ فلما انتهى الغناء إلي قلت للجارية التي تلي الرجل: خذي العود، فعلمت ما أريد فسوت العود على غنائها للصوت الثاني فتغنيت به. فخرجت إلي الجماعة الأولى من الخدم فقالوا: ويحك! لمن هذا؟ قلت: لي؛ فرجعوا وخرج الخادم. فتغنيت بصوت لي فلا يعرف إلا بي، وسقوني فتزيدت، وهو:

عوجي علي فسلمي جبر فيم الصدود وأنتم سفر

ما نلتقي إلا ثلاث منى حتى يفرق بيننا الدهر

قال: فتزلزلت والله الدار عليهم. وخرج الخادم فقال: ويحك! لمن هذا الغناء؟ قلت: لي. فرجع ثم خرج فقال: كذبت! هذا غناء ابن جامع. فقلت: فأنا إسماعيل بن جامع. فما شعرت إلا وأمير المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أقبلا من وراء الستر الذي كان يخرج منه الخادم. فقال لي الفضل بن الربيع: هذا أمير المؤمنين قد أقبل إليك. فلما

صعد السرير وثبت قائماً.

فقال لي: أبن جامع؟ قلت: ابن جامع، جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين. قال: ويحك! متى كنت في هذه البلدة؟ قلت: آنفاً، دخلتها في الوقت الذي علم بي أمير المؤمنين. قال: اجلس ويحك يا بن جامع! ومضى هو وجعفر فجلسا في بعض تلك المجالس، وقال لي: أبشر وابسط أملك؛ فدعوت له. ثم قال: غنني يا بن جامع. فخطر بقلبي صوت الجارية الحميراء فأمرت الرجل بإصلاح العود على ما أردت من الطبقة، فعرف ما أردت، فوزن العود وزناً وتعاهده حتى استقامت الأوتار وأخذت الدساتين مواضعها، وانبعثت أغني بصوت الجارية الحميراء. فنظر الرشيد إلى جعفر وقال: أسمعت كذا قط؟ فقال: لا والله ما خرق مسامعي قط مثله. فرفع الرشيد رأسه إلى خادم بالقرب منه فدعا بكيس فيه ألف دينار فجاء به فرمى به إلي، فصيرته تحت فخذي ودعوت لأمير المؤمنين. فقال: يا بن جامع، رد على أمير المؤمنين هذا الصوت، فرددته وتزيدت فيه. فقال له جعفر: يا سيدي، أما تراه كيف يتزيد في الغناء! هذا خلاف ما سمعناه أولاً وإن كان الأمر في اللحن واحداً. قال: فرفع الرشيد رأسه إلى ذلك الخادم فدعا بكيس آخر فيه ألف دينار، فجاءني به فصيرته تحت فخذي. وقال: تغن يا إسماعيل ما حضرك. فجعلت أقصد الصوت بعد الصوت مما كان يبلغني أنه يشتري عليه الجواري فأغنيه؟ فلم أزل أفعل ذلك إلى أن عسعس الليل. فقال: أتعبناك يا إسماعيل هذه الليلة بغنائك، فأعد على أمير المؤمنين الصوت يعني صوت الجارية فتغنيت. فدعا الخادم وأمره فأحضر كيساً ثالثا فيه ألف دينار. قال: فذكرت ما كانت الجارية قالت لي فتبسمت، ولحظني فقال: يا بن الفاعلة، مم تبسمت؟ فجثوت على ركبتي وقلت: يا أمير المؤمنين، الصدق منجاة. فقال لي بانتهار: قل. فقصصت عليه خبر الجارية. فلما استوعبه قال: صدقت، قد يكون هذا. وقام. ونزلت من السرير ولا أدري أين أقصد. فابتدرني فراشان فصارا بي إلى دار قد أمر بها أمير المؤمنين؛ ففرشت وأعد فيها جميع ما يكون في مثلها من آلة جلساء الملوك وندمائهم من الخدم، ومن كل آلة وخول إلى جوار ووصفاء. فدخلتها فقيراً وأصبحت من جلة أهلها ومياسيرهم.

وذكر لي هذا الخبر عبد الله بن الربيع عن أبي حفص الشيباني عن محمد بن القاسم عن إسماعيل بن جامع قال: ضمني الدهر بمكة ضماً شديداً فانتقلت إلى المدينة. فبينا أنا يوماً جالس مع بعض أهلها نتحدث، إذ قال لي رجل حضرنا: والله لقد بلغنا يا بن جامع أن الخليفة قد ذكرك، وأنت في هذا البلد ضائع! فقلت: والله ما بي نهوض. قال بعضهم: فنحن ننهضك. فاحتلت في شيء وشخصت إلى العراق، فقدمت بغداد، ونزلت عن بغل كنت اكتريته. ثم ذكر باقي الحديث نحو الذي قبله في المعاني، و لم يذكر خبر السوداء التي أخذ الصوت عنها. وأحسبه غلط في إدخاله هذه الحكاية هاهنا، ولتلك خبر آخر نذكره هاهنا. قال في هذا الخبر: إن الدور دار مرة أخرى حتى صار إلي؛ فخرج الخادم فقال: غن أيها الرجل! فقلت: ما أنتظر الآن!! ثم اندفعت أغني بصوت لي وهو:

فلو كان لي قلبان عشت بواحد وخلفت قلباً في هواك يعذب

ولكنما أحيا بقلب مروع فلا العيش يصفو لي ولا الموت يقرب
تعلمت أسباب الرضا خوف سخطها وعلمها حبي لها كيف تغضب
ولي ألف وجه قد عرفت مكانه ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

فخرج الرشيد حينئذ.

شكونا إلى أحبابنا طول ليلنا فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
وذاك لأن النوم يغشى عيونهم سراعاً وما يغشى لنا النوم أعينا
إذا ما دنا الليل المضر بذى الهوى جزعنا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثل ما نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

عروضه من الطويل. وذكر الهشامي أن الغناء لابن جامع هزج بالوسطى، وفي الخبر أنه أخذه عن سوداء لقيها بمكة.

ومنها:

يا دار أضحت خلاء لا أنيس بها إلا الظباء وإلا الناشط الفرد
أين الذين إذا ما زرتهم جذلوا وطار عن قلبي التشواق والكمد

في هذا الصوت لحن لابن سريج خفيف ثقيل أول بالوسطى من رواية حبش. ولحن ابن جامع رمل.

ومنها:

لم تمش ميلاً ولم تركب على جمل ولم تر الشمس إلا دونها الكلل
أقول للركب في درنا وقد ثملوا شيموا وكيف يشيم الشارب الثمل

الشعر للأعشى. والغناء لابن سريج رمل بالبنصر، وقد كتب فيما يغني فيه من قصيدة الأعشى التي أولها:

ودع هريرة إن الركب مرتحل

ومنها:

مررنا على قيسية عامرية لها بشر صافي الأديم هجان
فقالت وألقت جانب الستر دونها من اية أرض أو من الرجلان
فقلت لها أما تميم فأسرتي هديت وأما صاحبي فيماني
رفيقان ضم السفر بيني وبينه وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

غناه ابن سريج خفيف رمل بالبنصر.

ومنها:

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا إذا أقول صحا يعتاده عيدا

أجري على موعد منها فتخلفني فما أمل ولا توفي المواعيدا

كأنني حين أمسي لا تكلمني ذو بغية يبتغي ما ليس موجودا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى، وله فيه ثقيل أول بالبنصر وذكر عمرو بن بانة أن لمعبد فيه ثقيلاً أول، بالوسطى على مذهب إسحاق.

ومنها:

فوالله ما أدري أيغلبني الهوى إذا جد وشك البين أم أنا غالبه

فإن أستطع أغلب وإن يغلب الهوى فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه

عروضه من الطويل. الشعر لابن ميادة، والغناء للحجي خفيف! ثقيل بالبنصر من رواية حبش.

ومنها:

تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل

وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل

وإنا لقوم ما نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول

عروضه من مقبوض الطويل. الشعر للسموءل بن عادياء اليهودي. والغناء لحكم الوادي. ومنها:

وددتك لما كان ودك خالصاً وأعرضت لما صار نهباً مقسما

ولن يلبث الحوض الجديد بناؤه على كثرة الوراد أن يتهدما

عروضه من الطويل. وفيه خفيف ثقيل قديم لأهل مكة. وفيه لعريب ثقيل أول.

ومنها:

وما كر إلا كان أول طاعن ولا أبصرته الخيل إلا اقشعرت

فيدرك ثأراً ثم لم يخطه الغنى فمثل أخي يوما به العين قرت

فإن طلبوا وتراً بدا بتراتهم ويصبر يحميهم إذا الخيل ولت

عروضه من الطويل. الشعر للخنساء، والغناء لأبن سريج ثقيل أول بالبنصر وذكر علي بن يحيى أنه لمعبد في هذه الطريقة.

ومنها:

لحا الله صعلوكا مناه وهمه ... من الدهر أن يلقى لبوساً ومطعماً

ينام الضحى حتى إذا ليله انتهى ... تنبه مثلوج الفؤاد مورما

ولكن صعلوكاً يساور همه ... ويمضي على الهيجاء ليثاً مصمما

فذلك إن يلق الكريهة يلقها ... كريماً وإن يستغن يوماً فربما

عروضه من الطويل. الشعر يقال إنه لعروة بن الورد، ويقال: إنه لحاتم الطائي وهو الصحيح. والغناء لطويس خفيف رمل بالبنصر.

ومنها:

إذا كنت ربا للقلوص فلا يكن ... رفيقك يمشي خلفها غير راكب

أنخها فأردفه فإن حملتكما ... فذاك وإن كان العقاب فعاقب

عروضه من الطويل. والشعر لحاتم طيء.

ومنها:

ألم تر لما ضمني البلد القفر ... سمعت نداء يصدع القلب يا عمرو

أغثنا فإنا عصبة مذحجية ... نزار على وفر وليس لنا وفر

عروضه من الطويل. الشعر لعمرو بن معد يكرب. والغناء لحنين رمل بالوسطى عن حبش. ومنها:

فلما تواقفنا وسلمت أقبلت ... وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

تبالهن بالعرفان لما رأيتني ... وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا

ولما تنازعن الأحاديث قلن لي ... أخفت علينا أن نغر ونخدعا

وقربن أسباب الهوى لمتيم ... يقيس ذراعاً كلما قسن إصبعاً

عروضه من الطويل. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج والغريض ومالك ومعبد وابن جامع في عدة ألحان، قد كتبت مع الخبر في موضع غير هذا.

ومنها:

عوجي علي فسلمي جبر ... فيم الصدود وأنتم سفر

ما نلتقي إلا ثلاث منى حتى يفرق بيننا النفر

الحول ثم الحول يتبعه ما الدهر إلا الحول والشهر

الشعر للعرجي. والغناء للأبجر ثقيل أول عن الهشامي، ويقال إنه لابن محرز، ويقال بل لحنه فيه غير لحن الأبجر. وفيه رمل يقال إنه لابن جامع، وهو القول الصحيح، وذكر حبش أنه لابن سريج، وأن لحن ابن جامع خفيف رمل.

ومنها:

فلو كان لي قلبان عشت بواحد وخلفت قلباً في هواك يعذب

ولكنما أحيا بقلب مروع فلا العيش يصفو لي ولا الموت يقرب

تعلمت أسباب الرضا خوف هجرها وعلمها حبي لها كيف تغضب

ولي ألف وجه قد عرفت مكانه ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

عروضه من الطويل. الشعر لعمرو الوراق. والغناء لابن جامع خفيف رمل، ويقال إنه لعبد الله بن العباس. وفيه لعريب ثقيل أول. وفيه لرذاذ خفيف ثقيل. وفيه هزج يقال إنه لعريب، ويقال إنه لنمرة، ويقال إنه لأبي فارة، ويقال إنه لابن جامع.

حدثني مصعب الزبيري قال: قدم علينا ابن جامع المدينة قدمة في أيام الرشيد؛ فسمعته يوماً يغني في بعض بساتين المدينة:

وما لي لا أبكي وأندب ناقتي إذا صدر الرعيان ورد المناهل

وكنت إذا ما اشتد شوقي رحلتها فسارت بمحزون كثير البلابل

وكان رجلاً صيتاً، فكاد صوته يذهب بي كل مذهب، وما سمعت قبله ولا بعده مثله.

وما لي لا أبكي وأندب ناقتي إذا صدر الرعيان ورد المناهل

وكنت إذا ما اشتد شوقي ركبتها فسارت بمحزون كثير البلابل

الغناء لابن جامع خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن الهشامي وابن المكي.

أخبرني وكيع قال حدثني هارون بن محمد الزيات قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال: كنت في خمسين وصيفاً اهدوا للمنصور، ففرقنا في خدمته، فصرت إلى ياسر صاحب وضوئه. فكنت أراه يفعل شيئاً أعلم أنه خطأ: يعطيه الإبريق في آخر المستراح ويقف مكانه لا يبرح. وقال لي يوماً: كن مكاني في آخر المستراح. فكنت أعطيه الإبريق وأخرج مبادراً، فإذا سمعت حركته بادرت إليه.

فقال لي: ما أخفك على قلبي يا غلام! ويحك! ثم دخل قصراً من تلك القصور فرأى حيطانه مملوءة من الشعر المكتوب عليها. فبينا هو يقرأ ما فيه إذا هو بكتاب مفرد، فقرأه فإذا هو:

ومالي لا أبكي وأندب ناقتي إذا صدر الرعيان نحو المناهل

وكنت إذا ما اشتد شوقي رحلتها فسارت بمحزون طويل البلابل

وتحته مكتوب: آه آه، فلم يدر ما هو. وفطنت له فقلت: يا أمير المؤمنين، قد عرفت ما هو. فقال: قل؟ فقلت: قال الشعر ثم تأوه فقال: آه آه، فكتب تأوهه وتنفسه وتأسفه. فقال: مالك قاتلك الله! قد أعتقتك ووليتك مكان ياسر.

ذكر أخبار هذه الأصوات المتفرقة في الأخبار

وإنما أفردها عنها لئلا تنقطع خبر

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا

أخبرني الحسين بن يحيى قال حماد: قرأت على أبي، وذكر جعفر بن سعيد عن عبد الرحمن بن سليمان المكي قال حدثني المخزومي يعني الحارث بن خالد قال: بلغني أن الغريض خرج مع نشوة من أهل مكة من أهل الشرف ليلاً إلى بعض المتحدثات من نواحي مكة، وكانت ليلة مقمرة؛ فاشتقت إليهن وإلى مجالستهن وإلى حديثهن، وخفت على نفسي لجناية كنت أطالب بها، وكان عمر مهيباً معظماً لا يقدم عليه سلطان ولا غيره، وكان مني قريباً؛ فأتيته فقلت له: إن فلانة وفلانة وفلانة - حتى سميتهن كلهن - قد بعثني، وهن يقرأن عليك السلام، وقلن: تشوقن إليك في ليلتنا هذه لصوت أنشدناه فويسقك الغريض - وكان الغريض يغني هذا الصوت فيجيده، وكان ابن أبي ربيعة به معجباً، وكان كثيراً ما يسأل الغريض أن يغنيه، وهو قوله:

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا إذا أقول صحا يعتاده عيدا

كأن أحور من غزلان ذي نفر أفدى لها شبه العينين والجيدا

قامت تراءى وقد جد الرحيل بنا لتنكأ القرح من قلب قد اصطيدا

كأنني يوم أمسي لا تكلمني ذو بغية يبتغي ما ليس موجودا

أجرى على موعد منها فتخلفني فما أمل وما توفي المواعيدا

قد طال مطلي، لو ان اليأس ينفعني أو أن أصادف من تلقائها جودا

فليس تبذل لي عفواً وأكرمها من أن ترى عندنا في الحرص تشديدا

فلما أخبرته الخبر قال: لقد أزعجتني في وقت كانت الدعة أحب فيه إلي؛ ولكن صوت الغريض وحديث النسوة ليس له مترك ولا عنه محيص. فدعا بثيابه فلبسها، وقال: امض؛ فمضينا نمشي العجل حتى قربنا منهن. فقال لي عمر: خفض عليك مشيك ففعلت، حتى وقفنا عليهن وهن في أطيب حديث وأحسن مجلس؛ فسلمنا، فتهيبننا وتخفرن منا. فقال الغريض: لا عليكن! هذا ابن أبي ربيعة والحارث بن خالد جاءا متشوقين إلى حديثكن وغنائي. فقالت فلانة: وعليك السلام يا بن أبي ربيعة، والله ما تم مجلسنا إلا بك، اجلسا. فجلسنا غير بعيد، وأخذن عليهن جلابيبهن وتقنعن بأخمرتهن وأقبلن علينا بوجوههن وقلن لعمر: كيف أحسست بنا وقد أخفينا أمرنا؟ فقال: هذا الفاسق جاءني برسالتكن وكنت وقيذاً من علة وجدتها، فأسرعت الإجابة، ورجوت منكن على ذلك حسن الإثابة. فرددن عليه: قد وجب أجرك، و لم يخب سعيك، ووافق منا الحارث إرادة. فحدثهن بما قلت له، من قصة غناء الغريض؛ فقال النسوة: والله ما كان ذلك كذلك، ولقد نبهتنا على صوت حسن، يا غريض هاته. فاندفع الغريض يغني ويقول:

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا إذا أقول صحا يعتاده عيدا

حتى أتى على الشعر كله إلى آخره، فكل استحسنه. وأقبل علي ابن أبي ربيعة فجزاني الخير، وكذلك النسوة. فلم نزل بأنعم ليلة وأطيبها حتى بدأ القمر يغيب، فقمنا جميعاً، وأخذ النسوة طريقاً ونحن طريقاً وأخذ الغريض معنا.

وقال عمر في ذلك:

هل عند رسم برامة خبر أم لا فأي الأشياء تنتظر

قد ذكرتني الديار إذ درست والشوق مما يهيجه الذكر

ممشى رسول إلي يخبرني عنهم عشاء ببعض ما ائتمروا

ومجلس النسوة الثلاث لدى ال خيمات حتى تبلج السحر

فيهن هند والهم ذكرتها تلك التي لا يرى لها خطر

ثم انطلقنا وعندنا ولنا فيهن لو طال ليلنا وطر

وقولها للفتاة إذ أزف ال بين أغاد أم رائح عمر

عجلان لم يقض بعض حاجته هلا تأنى يوماً فينتظر

الله جار له وإن نزحت دار به أو بدا له سفر

غناه الغريض ثقيلا أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وفيه لابن سريج رمل بالوسطى. وفيه لعبد الرحيم الدفاف ثقيل أول بالبنصر في البيتين الأولين. وبعدهما:

هل من رسول إلي يخبرني بعد عشاء ببعض ما ائتمروا

يوم ظللنا وعندنا ولنا فيهن لو طال يومنا وطر

فلما كانت الليلة القابلة بعث إلي عمر فأتيته وإذا الغريض عنده. فقال له عمر: هات؛ فاندفع يغني:

هل عند رسم برامة خبر أم لا فأي الأشياء تنتظر

ومجلس النسوة الثلاث لدى ال خيمات حتى تبلج السحر

فقلت في نفسي: هذا والله صفة ما كنا فيه، فسكت حتى فرغ الغريض من الشعر كله؛ فقلت: يا أبا الخطاب، جعلت فداك! هذا والله صفة ما كنا فيه البارحة مع النسوة. فقال: إن ذلك ليقال. وذكر أحمد بن الحارث عن المدائني عن علي بن مجاهد قال: إن موسى بن مصعب كان على الموصل، فاستعمل رجلاً من أهل حران على كورة باهذرا وهي أجل كور الموصل، فأبطأ عليه الخراج؛ فكتب إليه:

هل عند رسم برامة خبر أم لا فأي الأشياء تنتظر

احمل ما عندك يا ماص بظر أمه، وإلا فقد أمرت. رسولي بشدك وثاقاً ويأتي بك. فخرج الرجل وأخذ ما كان معه من الخراج فلحق بحران، وكتب إليه: يا عاض بظر أمه! إلي تكتب بمثل هذا!

وإذا أهل بلدة أنكروني عرفتني الدوية الملساء

فلما قرأ موسى كتابه ضحك وقال: أحسن - يعلم الله - الجواب، ولا والله لا أطلبه أبدا. وفي غير هذه الرواية أنه كتب إليه في آخر رقعة:

إن الخليط الألى تهوى قد ائتمروا للبين ثم أجدوا السير فانشمروا

يا بن الزانية! والسلام. ثم هرب، فلم يطلبه.

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد قال قال أبي: غناني رجل من أهل المدينة لحن الغريض:

هل عند رسم برامة خبر أم لا فأي الأشياء تنتظر

فسألته أن يلقيه علي، فقال: لا إلا بألف درهم؛ فلم أسمح له بذلك. ومضى فلم ألقه. فوالله يا بني ما ندمت على شيء قط ندمي على ذلك، ولوددت أني وجدته الآن فأخذته منه كما سمعته وأخذ مني ألف دينار مكان الألف الدرهم.

تعيرنا أنا قليل عديدنا

الشعر لشريح بن السموءل بن عادياء. ويقال: إنه للسموءل. وكان من يهود يثرب؛ وهو الذي يضرب به المثل في الوفاء فيقال: أوفى من السموءل.

وكان السبب في ذلك فيما ذكر ابن الكلبي وأبو عبيدة وحدثني به محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان

بن أبي شيخ قال حدثنا يحيى بن سعيد الأموي عن محمد بن السائب الكلبي قال: كان امرؤ القيس بن حجر أودع السموءل بن عادياء أدراعاً؛ فأتاه الحارث بن ظالم- ويقال: الحارث بن أبي شمر الغساني - ليأخذها منه؛ فتحصن منه السموءل؛ فأخذ ابناً له غلاماً وناداه: إما أن تسلم الأدراع وإما أن قتلت ابنك؛ فأبى السموءل أن يسلم الأدراع إليه؛ فضرب الحارث وسط الغلام بالسيف فقطعه اثنين. فقال السموءل:

وفيت بأدرع الكندي إني ... إذا ما خان أقوام وفيت

وأوصى عادياً يوماً بألا ... تهدم يا سموءل ما بنيت

بنى لي عاديا حصناً حصيناً ... وماءً كلما شئت استقيت

وفي هذه القصيدة يقول:

أعاذلتي ألا لا تعذليني ... فكم من أمر عاذلة عصيت

دعيني وارشدي إن كنت أغوى ... كما غويت زعمت ولا تغوى

أعاذل قد طلبت اللوم حتى ... لو اني منته لقد انتهيت

وصفراء المعاصم قد دعتني ... إلى وصل فقلت لها أبيت

وزق قد جررت إلى الندامى ... وزق قد شربت وقد سقيت

وحتى لو يكون فتى أناس ... بكى من عذل عاذلة بكيت

عروضه من الوافر. والشعر للسموءل بن عادياء. والغناء لابن محرز في الأول والثاني والرابع والخامس خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى.

وغنى فيها مالك خفيف ثقيل بالبنصر في الأول والثاني.

وغنى دحمان أيضاً في الأول والثاني والرابع والخامس رملاً بالوسطى.

وغنى عبد الرحيم الدفاف في الأول والثاني رملاً بالبنصر.

وفي هذه الأبيات لابن سريج لحن في الرابع وما بعده. ثم في سائر الأبيات لحن ذكره يونس، ولم ينسبه.

ولإبراهيم الموصلي فيها لحن غير منسوب أيضاً.

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا يحيى بن سعيد الأموي قال حدثني محمد بن السائب الكلبي قال: هجا الأعشى رجلا من كلب فقال:

بنو الشهر الحرام فلست منهم ... ولست من الكرام بني عبيد

ولا من رهط جبار بن قرط ... ولا من رهط حارثة بن زيد

قال: وهؤلاء كلهم من كلب فقال الكلبي: أنا، لا أبالك، أشرف من هؤلاء. قال: فسبه الناس بعد بهجاء الأعشى، وكان متغيظاً عليه. فأغار الكلبي على قوم قد بات بهم الأعشى فأسر منهم نفراً وأسر الأعشى وهو لا يعرفه؟ فجاء حتى نزل بشريح بن السموءل بن عادياء الغساني صاحب تيماء بحصنه الذي يقال له الأبلق. فمر شريح بالأعشى، فنادى به الأعشى بقوله:

شريح لا تتركني بعد ما علقت ... حبالك اليوم بعد القد أظفاري

قد جلت ما بين بانقيا إلى عدن ... فطال في العجم ترددي وتسياري

فكان أكرمهم عهداً وأوثقهم ... عقدا أبوك بعرف غير إنكار

كالغيث ما استمطروه جاد وابله ... وفي الشدائد كالمستأسد الضاري

كن كالسموءل إذ طاف الهمام به ... في جحفل كسواد الليل جرار

إذ سامه خطتي خسف فقال له ... قل ما تشاء فإني سامع حار

فقال غدر وثكل أنت بينهما ... فاختر وما فيهما حظ لمختار

فشك غير طويل ثم قال له ... اقتل أسيرك إني مانع جاري

وسوف يعقبنيه إن ظفرت به ... رب كريم وبيض ذات أطهار

لا سرهن لدينا ذاهب هدراً ... وحافظات إذا استودعن أسراري

فاختار أدراعه كي لا يسب بها ... ولم يكن وعده فيها بختار

قال: فجاء شريح إلى الكلبي فقال له: هب لي هذا الأسير المضرور؛ فقال: هو لك، فأطلقه. وقال له: أقم عندي حتى أكرمك وأحبوك؛ فقال له الأعشى: إن من تمام صنيعك إلي أن تعطيني ناقةً ناجية وتخليني الساعة. قال: فأعطاه ناقة، فركبها ومضى من ساعته. وبلغ الكلبي أن الذي وهب لشريح هو الأعشى، فأرسل إلى شريح: ابعث إلي بالأسير الذي وهبت لك حتى أحبوه وأعطيه؛ فقال: قد مضى. فأرسل الكلبي في أثره فلم يلحقه.

وأما خبر:

وما كر إلا كان أول طاعن

- والشعر للخنساء - فإنه خبر يطول لذكر ما فيه من الوقائع؛ وهو يأتي فيما بعد هذا مفراد عن المائة الصوت المختارة في أخبار الخنساء.

وأما خبر الجارية التي أخذ عنها ابن جامع الصوت وما حكيناه من أنه وقع في حكاية محمد بن ضوين الصلصال فيها خطأ، فأخبرنا بخبرها الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي محمد العامري قال حدثني

عكاشة اليزيدي بجرجان قال حدثني إسماعيل بن جامع قال: بينا أنا في غرفة لي باليمن وأنا مشرف على مشرعة، إذ أقبلت أمة سوداء على ظهرها قربة، فملأتها ووضعتها على المشرعة لتستريح، وجلست فغنت:

فردي مصاب القلب أنت قتلته لا تبعدي فيما تجشمت كلثما

ويروى ولا تتركيه هائم القلب مغرماً-:

إلى الله أشكو بخلها وسماحتي لها عسل مني وتبذل علقما

أبي الله أن أمسي ولا تذكريني وعيناي من ذكراك قد ذرفت دما

أبيت فما تنفك لي منك حاجة رمى الله بالحب الذي كان أظلما

- غناه سياط خفيف ثقيل أول بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة - قال: ثم أخذت قربتها لتمضي. فاستفزني من شهوة الصوت ما لا قوام لي به، فنزلت إليها فقلت لها: أعيديه. فقالت: أنا عنك في شغل بخراجي. قلت: وكم هو؟ قالت: درهمان في كل يوم. قلت: فهذان درهمان، ورديه علي حتى آخذه منك، وأعطيتها درهمين؛ فقالت: أما الآن فنعم. فجلست، فلم تبرح حتى أخذته منها وانصرفت؛ فلهوت يومي به، وأصبحت من غد لا أذكر منه حرفاً، فإذا أنا بالسوداء قد طلعت ففعلت كفعلها بالأمس. فلما وضعت القربة تغنت غيره، فعدوت في أثرها وقلت: يا جارية، بحقي عليك ردي علي الصوت فقد ذهبت عني منه نغمة. فقالت: لا والله، ما مثلك تذهب عنه نغمة، أنت تقيس أوله على آخره، ولكنك قد أنسيته، ولست أفعل إلا بدرهمين آخرين. فدفعتهما إليها وأعادته علي حتى أخذته ثانية.

ثم قالت: إنك تستكثر فيه أربعة دراهم، وكأني بك قد أصبت به أربعة آلاف دينار. فكنت عند هارون يوماً وهو على سريره؛ فقال: من غناني فأطربني فله ألف دينار، وقدامه أكياس في كل كيس ألف دينار. فغنى القوم وغنيت فلم يطرب، حتى دار الغناء إلي ثانية فغنيت صوت السوداء؛ فرمى إلي بكيس فيه ألف دينار، ثم قال: أعده فغنيته؛ فرمى إلي بثان ثم قال: أعده فرمى إلي بثالث وأمسك. فضحكت؛ فقال: ما يضحكك؟ فقلت: لهذا الصوت حديث. عجيب يا أمير المؤمنين. فقال: وما هو؟ فحدثته به وقصصت عليه القصة؛ فرمى إلي برابع وقال: لا نكذب قولها.

عوجي علي فسلمي جبر

الشعر للعرجي وقد ذكرنا نسبة الصوت.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الواقدي عن ابن أبي الزناد قال حدثني محمد بن إسحاق قال: قيل لعمر بن عبد العزيز: إن بالمدينة مخنثاً قد أفسد نساءها فكتب إلى عامله بالمدينة أن يحمله. فأدخل عليه، فإذا شيخ خضيب اللحية والأطراف معتجر بسبنية قد حمل دفا في خريطته. فلما وقف بين يدي عمر صعد بصره فيه وصوبه وقال: سوأة لهذه الشيبة وهذه القامة! أتحفظ القرآن؟ قال: لا والله يا أبانا؛ قال: قبحك الله! وأشار إليه

من حضره فقالوا: اسكت فسكت. فقال له عمر: أتقرأ من المفصل شيئاً؟ قال: وما المفصل؟ قال: ويلك! أتقرأ من القرآن شيئاً؟ قال: نعم، أقرأ الحمد لله وأخطئ فيها في موضعين أو ثلاثة، وأقرأ قل أعوذ برب الناس وأخطئ فيها، وأقرأ قل هو الله أحد مثل الماء الجاري. قال: ضعوه في الحبس ووكلوا به معلماً يعلمه القرآن وما يجب عليه من حدود الطهاره والصلاة وأجروا عليه في كل يوم ثلاثة دراهم وعلى معلمه ثلاثة دراهم أخر، ولا يخرج من الحبس حتى يحفظ القرآن أجمع. فكان كلما علم سورة نسي التي قبلها. فبعث رسولاً إلى عمر: يا أمير المؤمنين، وجه إلي من يحمل إليك ما أتعلمه أولاً فأولاً، فإني لا أقدر على حمله جملة واحدة. فيئس عمر من فلاحه وقال: ما أرى هذه الدراهم إلا ضائعة، ولو أطعمناها جائعاً أو أعطيناها محتاجاً أو كسوناها عرياناً لكان أصلح. ثم دعا به، فلما وقف بين يديه قال له: اقرأ قل يأيها الكافرون . قال: أسأل الله العافية! أدخلت يدك في الجراب فأخرجت شر ما فيه وأصعبه. فأمر به فوجئت عنقه ونفاه.

فاندفع يغني وقد توجهوا به:

عوجي علي فسلمي جبر ... فيم الوقوف وأنتم سفر

ما نلتقي إلا ثلاث منى ... حتى يفرق بيننا النفر

فلما سمع الموكلون به حسن ترنمه خلوه وقالوا له: اذهب حيث شئت مصاحباً بعد استماعهم منه طرائف غنائه سائر يومهم وليلتهم.

أخبرني الحسين قال قال حماد قرأت على أبي عن المدائني قال: أحج خالد بن عبد الله ابنه محمداً وأصحبه رزاماً مولاه وأعطاه مالاً، وقال: إذا دخلت المدينة فاصرفه فيما أحببت. فلما صرنا بالمدينة سأل محمد عن جارية حاذقة؛ فقيل: عند محمد بن عمران التيمي القاضي. فصلينا الظهر في المسجد ثم. ملنا إليه فاستأذنا عليه فأذن لنا وقد انصرف من المسجد وهو قاعد على لبد ونعلاه في آخر اللبد؛ فسلمنا عليه فرد؛ ونسب محمداً فانتسب له، فقال: خيراً. ثم قال: هل من حاجة؟ فلجلج. فقال: كأنك ذكرت فلانة! يا جارية أخرجي؛ فخرجت فإذا أحسن الناس، ثم تغنت فإذا أحذق الناس؛ فجعل الشيخ يذهب مع حركاتها ويجيء، إلى أن غنت قوله:

عوجي علي فسلمي جبر

فلما بلغت:

حتى يفرق بيننا النفر

وثب الشيخ إلى نعله فعلقها في أذنه وجثا على ركبتيه وأخذ بطرف آذنه والنعل فيها وجعل يقول: أهدوني أنا بدنة، أهدوني أنا بدنة. ثم أقبل عليهم فقال: كم قيل لكم إنها تساوي؟ قالوا: ستمائة دينار. قال: هي وحق القبر خير من ستة آلاف دينار، ووالله لا يملكها علي أحد أبداً، فانصرفوا إذا شئتم.

أخبرنا وسواسة بن الموصلي - وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي - قال حدثني حماد بن إسحاق قال:

وجدت في كتب أبي عن عثمان بن حفص الثقفي عن ابن عم لعمارة بن حمزة قال حدثني سليم الحساب عن داود المكي قال: كنا في حلقة ابن جريج وهو يحدثنا وعنده ابن المبارك وجماعة من العراقيين، إذ مر به ابن تيزن - قال حماد: ويقال ابن بيرن - وقد ائتزر بمئزرة على صدره، وهي إزرة الشطار عندنا. فدعاه ابن جريج؛ فقال له: إني مستعجل، وقد وعدت أصحاباً لي فلا أقدر أن أحتبس عنهم. فأقسم عليه حتى أتاه، فجلس وقال له: ما تريد؟ قال: أحب أن تسمعني. قال: أنا أجيئك إلى المترل، فلم تجلسني مع هؤلاء الثقلاء!. قال: أسألك أن تفعل؛ قال: امرأته طالق إن غناك فوق ثلاثة أصوات. قال: ويحك! ما أعجلك باليمين؟! قال: أكره أن أحتبس عن أصحابي. فالتفت ابن جريج إلى أصحابه فقال: اعقلوا رحمكم الله. ثم قال له: غنني الصوت الذي أخبرتني أن ابن سريج غناه في اليوم الثالث من أيام منى على جمرة العقبة فقطع الطريق على الذاهب والجائي حتى تكسرت المحامل. فغناه:

عوجي علي فسلمي جبر

فقال ابن جريج: أحسنت والله!- ثلاث مرات - ويحك أعده. قال: أمن الثلاثة؟ فإني قد حلفت. قال: أعده فأعاده؛ فقال: أحسنت! أعده من الثلاثة فأعاده وقام فمضى. فقال ابن جريج لأصحابه: لعلكم أنكرتم ما فعلت! قالوا: إنا لننكره بالعراق. قال: فما تقولون في الرجز؟ يعني الحداء قالوا: لا بأس به. قال: فما الفرق بينهما!.

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك عن أبي أيوب المديني قال: ثلاثة من المغنين كانوا أحسن الناس حلوقاً: ابن تيزن، وابن عائشة، وابن أبي الكنات.

سقاني فرواني كميتاً مدامةً على ظمأ مني سلام بن مشكم

تخيرته أهل المدينة واحداً سواهم فلم أغبن ولم أتندم

عروضه من الطويل. والشعر لأبي سفيان بن حرب. والغناء لسليمان أخي بابويه الكوفي مولى الأشاعثة خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى.

ذكر أبي سفيان وأخباره ونسبه

هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وأم حرب بن أمية بنت أبي همهمة بن عبد العزي بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. وأم أبي سفيان صفية بنت حزن بن بجير بن الهزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، وهي عمة ميمونة أم المؤمنين وأم الفضل بنت الحارث بن حزن أم بني العباس بن عبد المطلب. وقد مضى ذكر أكثر أخبار ولد أمية والفرق بين الأعياص والعنابس منهم وجمل من أخبارهم في أول هذا الكتاب.

وكان حرب بن أمية قائد بني أمية ومن مالأهم في يوم عكاظ.

ويقال: إن سبب وفاته أن الجن قتلته وقتلت مرداس بن أبي عامر السلمي لإحراقهما شجر القرية وازدراعهما إياها. وهذا شيء قد ذكرته العرب في أشعارها وتواترت الروايات بذكره فذكرته، والله أعلم.

أخبرني الطوسي والحرمي بن أبي العلاء قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب، وأخبرنا محمد بن الحسين بن دريد عن عمه عن العباس بن هشام عن أبيه، وذكره أبو عبيدة وأبو عمرو الشيباني: أن حرب بن أمية لما انصرف من حرب عكاظ هو وإخوته مر بالقرية، وهي إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام. فقال له مرداس بن أبي عامر: أما ترى هذا الموضع؟ قال بلى. قال: نعم المزدرع هو فهل لك أن نكون شريكين فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نزدرعه بعد ذلك؟ قال نعم. فأضرما النار في الغيضة. فلما استطارت وعلا لهبها سمع من الغيضة أنين وضجيج كثير، ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعتها وخرجت منها. وقال مرداس بن أبي عامر في ذلك:

إني انتخبت لها حرباً وإخوتة ... إني بحبل وثيق العقد دساس

أني أقوم قبل الأمر حجته ... كيما يقال ولي الأمر مرداس

قال: فسمعوا هاتفاً يقول لما احترقت الغيضة:

ويل لحرب فارسا ... مطاعناً مخالسا

ويل لعمرو فارسا ... إذ لبسوا القوانسا

لنقتلن بقتله ... جحا جحاً عنابسا

ولم يلبث حرب بن أمية ومرداس بن أبي عامر أن ماتا. فأما مرداس فدفن بالقرية. ثم ادعاها بعد ذلك كليب بن أبي عهمة السلمي ثم الظفري.

فقال في ذلك عباس بن مرداس:

أكليب مالك كل يوم ظالماً ... والظلم أنكد وجهه ملعون

قد كان قومك يحسبونك سيداً ... وإخال أنك سيد معيون

المعيون: الذي أصابته العين، وقيل: المعيون: الحسن المنظر فيما تراه العين ولا عقل له

فإذا رجعت إلى نسائك فادهن ... إن المسالم رأسه مدهون

وافعل بقومك ما أراد بوائل ... يوم الغدير سميك المطعون

وإخال أنك سوف تلقى مثلها ... في صفحتيك سنانها المسنون

إن القربة قد تبين أمرها ... إن كان ينفع عندك التبين

حيث انطلقت تخطها لي ظالماً وأبو يزيد بجوها مدفون

أبو يزيد: مرداس بن أبي عامر.

وكان أبو سفيان سيداً من سادات قريش في الجاهلية ورأساً من رؤوس الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وكهفاً للمنافقين في أيامه، وأسلم يوم الفتح. وله في إسلامه أخبار نذكرها هنا. وكان تاجراً يجهز التجار بماله وأموال قريش إلى أرض العجم. وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهدة الفتح، وفقئت عينه يوم الطائف، فلم يزل أعور إلى يوم اليرموك، ففقئت عينه الأخرى يومئذ فعمي.

أخبرنا الطوسي والحرمي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني علي بن صالح عن جدي عبد الله بن مصعب عن إسحاق بن يحيى المكي عن أبي الهيثم عمن أخبره: أنه سمع أبا سفيان يمازح رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بنته أم حبيبة ويقول: والله إن هو إلا أن تركتك فتركتك العرب فما انتطحت جماء ولا ذات قرن، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ويقول: أنت تقول ذاك يا أبا حنظلة!.

قال الزبير وحدثني عمي مصعب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان وأبو سفيان يومئذ مشرك يحارب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له: إن محمداً قد نكح ابنتك؛ فقال: ذلك الفحل لا يقدع أنفه. واسم أم حبيبة رملة، وقيل: هند، والصحيح رملة.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني عن مسلمة بن محارب عن عثمان بن عبد الرحمن بن جوشن قال: أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً للناس، فأبطأ بإذن أبي سفيان. فلما دخل قال: يا رسول الله، ما أذنت لي حتى كدت تأذن للحجارة. فقال له: يا أبا سفيان كل الصيد في جوف الفرا.

حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا الخليل بن أسد النوشجاني قال حدثنا عطاء بن مصعب قال حدثني سفيان بن عيينة عن جعفر بن يحيى البرمكي قال: أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس، فكان آخر من دخل عليه أبا سفيان بن حرب. فقال: يا رسول الله، لقد أذنت للناس قبلي حتى ظننت أن حجارة الخندمة ليؤذن لها قبلي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما والله إنك والناس لكما قال الأول: كل الصيد في بطن الفرا. أي كل شيء لهؤلاء من المنزلة فإن لك وحدك مثل مالهم كلهم.

حدثني عمر بن إسماعيل بن أبي غيلان الثقفي قال حدثنا داود بن عمرو الضبي قال حدثنا المثنى بن زرعة أبو راشد عن محمد بن إسحاق قال حدثني الزهري عن عبد الله بن عبد الله عن عتبة عن ابن عباس قال حدثني أبو سفيان بن حرب قال : كنا قوماً تجاراً، وكانت الحرب بيننا وبين رسول صلى الله عليه وسلم قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا. فلما كانت الهدنة هدنة الحديبية، بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت في نفر من قريش إلى الشأم، وكان وجه متجرنا منه غزة، فقدمناها حين ظهر هرقل على من كان بأرضه من الفرس،

فأخرجهم منها وانتزع منهم صليبه الأعظم وكانوا قد استلبوه إياه. فلما بلغه ذلك منهم وبلغه أن صليبه قد استنقذ منهم، وكانت حمص منزله، خرج منها يمشي على قدميه شكراً لله حين رد عليه ما رد ليصلي في بيت المقدس تبسط له البسط وتلقى عليها الرياحين. فلما انتهى، إلى إيلياء فقضى فيها صلاته وكان معه بطارقته وأشراف الروم، أصبح ذات غدوة مهموماً يقلب طرفه إلى السماء. فقال له بطارقته: والله لكأنك أصبحت الغداة مهموماً. فقال: أجل! رأيت البارحة أن ملك الختان ظاهر. فقالوا: أيها الملك، ما نعلم أمة تختتن إلا اليهود، وهم في سلطانك وتحت يدك، فابعث إلى كل من لك عليه سلطان في بلادك فمره فليضرب أعناق من تحت يدك منهم من يهود واسترح من هذا الهم. فوالله إنهم لفي ذلك من رأيهم يدبرونه إذ أتاه رسول صاحب بصرى برجل من العرب يقوده - وكانت الملوك تتهادى الأخبار بينهم - فقال: أيها الملك، إن هذا رجل من العرب من أهل الشاء والإبل يحدث عن أمر حدث فاسأله. فلما انتهى به إلى هرقل رسول صاحب بصرى، قال هرقل لمن جاء به: سله عن هذا الحديث الذي كان ببلده؛ فسأله، فقال: خرج بين أظهرنا رجل يزعم أنه نبي، وقد اتبعه ناس فصدقوه وخالفه آخرون، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة، وتركتهم على ذلك.
فلما أخبره الخبر قال: جردوه فإذا هو مختون؛ فقال: هذا والله النبي الذي رأيت لا ما تقولون، أعطوه ثيابه وينطلق. ثم دعا صاحب شرطته فقال له: اقلب الشأم ظهراً لبطن حتى تأتيني برجل من قوم هذا الرجل.

فإنا لبغزة إذ هجم علينا صاحب شرطته فقال: أنتم من قوم الحجاز؟ قلنا نعم. قال: انطلقوا إلى الملك، فانطلقوا بنا. فلما انتهينا إليه قال: أنتم من رهط هذا الرجل الذي بالحجاز؟ قلنا نعم. قال: فأيكم أمس به رحماً؛ قال: قلت أنا - قال أبو سفيان: وأيم الله ما رأيت رجلاً أرى أنه أنكر من ذلك الأغلف يعني هرقل - ثم قال: أدنه، فأقعدني بين يديه وأقعد أصحابي خلفي، وقال: إني سأسأله، فإن كذب فردوا عليه.
- قال: فوالله لقد علمت أن لو كذبت ما ردوا علي، ولكني كنت امرأ سيداً أتبرم عن الكذب؛ وعرفت أن أيسر ما في ذلك إن أنا كذبته أن يحفظوه علي ثم يحدثوا به عني، فلم أكذبه - قال: أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يدعي ما يدعي. فجعلت أزهد له شأنه وأصغر له أموره، وأقول له: أيها الملك، ما يهمك من شأنه! إن أمره دون ما بلغك؛ فجعل لا يلتفت إلى ذلك مني. ثم قال: أنبئني فيما أسألك عنه من شأنه. قال: قلت سل عما بدا لك. قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: محض، هو أوسطنا نسباً.
قال: أخبرني هل كان أحد في أهل بيته يقول ما يقول فهو يتشبه به؟ قال.: قلت لا. قال: هل كان له فيكم ملك فسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه؟ قال: قلت لا. قال: أخبرني عن أتباعه منكم من هم؟ قال: قلت: الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء، فأما ذوو الأسنان من الأشراف من قومه فلم يتبعه منهم أحد. قال: فأخبرني عمن يتبعه أيحبه ويلزمه أم يقليه ويفارقه؟ قال: قلت: قلما يتبعه أحد فيفارقه.
قال: فأخبرني كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال: قلت: سجال يدال علينا وندال عليه. قال: فأخبرني هل يغدر؟ فلم

أجد شيئاً سألني عنه أغتمز فيه غيرها. قال: قلت: لا، ونحن منه في مدة ولا نأمن غدره. قال: فوالله ما التفت إليها مني. ثم كرر علي الحديث فقال: سألتك عن نسبه فيكم، فزعمت أنه محض من أوسطكم نسباً؛ فكذلك يأخذ الله النبي لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسباً. وسألتك هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل قوله فهو يتشبه به، فزعمت أن لا. وسألتك هل كان له ملك فيكم فسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث يطلب ملكه، فزعمت أن لا. وسألتك عن أتباعه، فزعصت أنهم الضعفاء والأحداث والمساكين والنساء، وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان. وسألتك عمن يتبعه أيحبه ويلزمه أم يقليه ويفارقه، فزعمت أنه لا يتبعه أحد فيفارقه، فكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلب رجل فتخرج منه، وسألتك عن الحرب بينكم وبينه فزعمت أنها سجال تدالون عليه ويدل عليكم، وكذلك حرب الأنبياء، ولهم تكون العاقبة. وسألتك هل يغدر، فزعمت أن لا. فلئن كنت صدقتني عنه فليغلبن علي ما تحت قدمي هاتين، ولوددت أني عنده فأغسل قدميه! انطلق لشأنك. فقمت من عنده وأنا أضرب بإحدى يدي على الأخرى وأقول: يا لعباد الله! لقد أمر أمر ابن أبي كبشة! أصبحت ملوك بني الأصفر يهابونه في ملكهم وسلطانهم.

قال ابن إسحاق: فقدم عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحية بن خليفة الكلبي، فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم. السلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن تتول فإن إثم الأكابر عليك ".

قال ابن شهاب: فأخبرني أسقف النصارى في زمن عبد الملك زعم أنه أدرك ذلك من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر هرقل وعقله، قال: فلما قدم عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل دحية بن خليفة، أخذه هرقل فجعله بين فخذيه وخاصرته، ثم كتب إلى رجل برومية كان يقرأ العبرانية ما تقرؤونه، فذكر له أمره ووصف له شأنه وأخبره بما جاء منه. فكتب إليه صاحب رومية: إنه النبي الذي كنا ننتظره لا شك فيه، فاتبعه وصدقه.

قال: فأمر هرقل ببطارقة الروم فجمعوا له في دسكرة ملكه، وأمر بها فأغلقت عليهم أبوابها، ثم اطلع عليهم من علية وخافهم على نفسه فقال: يا معشر الروم، قد جمعتكم لخبر، أتاني كتاب هذا الرجل يدعو إلى دينه، فوالله إنه النبي الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا؛ فهلم فلنبايعه ولنصدقه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا. قال: فنخرت الروم نخرة رجل واحد وابتدروا أبواب الدسكرة ليخرجوا فوجدوها وقد اغلقت دونهم. فقال: كروهم علي وخافهم على نفسه؛ فكروهم عليه. فقال: يا معشر الروم، إنما قلت لكم المقالة التي قلت لأنظر كيف صلابتكم في دينكم في هذا الأمر الذي قد حدث؛ فقد رأيت منكم الذي أسر به؛ فخروا سجداً. وأمر بأبواب الدسكرة ففتحت لهم فانطلقوا.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن زكريا الغلابي قال حدثني أبو بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس

قال قال لي العباس: خرجت في تجارة إلى رجل في ركب منهم أبو سفيان بن حرب، فقدمت اليمن.
فكنت أصنع يوماً طعاماً وأنصرف بأبي سفيان وبالنقر، ويصنع أبو سفيان يوماً فيفعل مثل ذلك. فقال لي في يومي الذي كنت أصنع فيه: هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى بيتي وترسل إلى غدائك؟ فقلت: نعم.
فانصرفت أنا والنفر إلى بيته وأرسلت إلى الغداء.
فلما تغدى القوم قاموا واحتبسني فقال لي: هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول الله؟ قلت: وأي بني أخي؟ قال أبو سفيان: إياي تكتم وأي بني أخيك ينبغي له أن يقول هذا إلا رجل واحد! قلت: وأيهم هو على ذلك؟ قال: محمد بن عبد الله. قلت: ما فعل! قال: بلى قد فعل. ثم أخرج إلي كتاباً من ابنه حنظلة بن أبي سفيان: إني أخبرك أن محمداً قام بالأبطح غدوة فقال: أنا رسول الله أدعوكم إلى الله.
قال: قلت: يا أبا حنظلة، لعله صادق. قال: مهلاً يا أبا الفضل، فوالله ما أحب أن تقول مثل هذا، وإني لأخشى أن تكون على بصر من هذا الأمر - وقال الحسن بن علي في روايته: على بصيرة من هذا الحديث - ثم قال: يا بني عبد المطلب، إنه والله ما برحت قريش تزعم أن لكم يمنةً وشؤمةً كل واحدة منهما عامة، فنشدتك الله يا أبا الفضل هل سمعت ذلك؟ قلت نعم. قال: فهذه والله إذاً شؤمتكم. قلت: فلعلها يمنتنا. فما كان بعد ذلك إلا ليال حتى قدم عبد الله بن حذافة السهمي بالخبر وهو مؤمن، ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن يتحدث به فيها.
وكان أبو سفيان يجلس إلى حبر من أحبار اليمن؛ فقال له اليهودي: ما هذا الخبر الذي بلغني؟ قال: هو ما سمعت. قال: أين فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال؟ قال أبو سفيان: صدقوا وأنا عمه. قال اليهودي: أأخو أبيه؟ قال نعم. قال: حدثني عنه.
قال: لا تسألني، فما كنت أحسب أن يدعي هذا الأمر أبداً، وما أحب أن أعيبه، وغيره خير منه. قال اليهودي: فليس به أذى، ولا بأس على يهود وتوراة موسى منه.
قال العباس: فتأدى إلي الخبر فحميت، وخرجت حتى أجلس إلى ذلك المجلس من غد وفيه أبو سفيان والحبر.
فقلت للحبر: بلغني أنك سألت ابن عمي هذا عن رجل منا يزعم أنه رسول الله، فأخبرك أنه عمه، وليس بعمه ولكنه ابن عمه، وأنا عمه أخو أبيه.
فقال: أأخو أبيه؟ قلت: أخو أبيه.
فأقبل على أبي سفيان فقال: أصدق؟ قال: نعم صدق. قال فقلت: سلني عنه، فإن كذبت فليردد علي. فأقبل علي فقال: أنشدك الله، هل فشت لابن أخيك صبوة أو سفهة؟ قال قلت: لا وإله عبد المطلب ولا كذب ولا خان، وإن كان اسمه عند قريش الأمين. قال: فهل كتب بيده؟ قال عباس: فظننت أنه خير له أن يكتب بيده، فأردت أن أقولها، ثم ذكرت مكان أبي سفيان وأنه مكذبي وراد، علي، فقلت: لا يكتب. فذهب الحبر وترك رداءه وجعل يصيح: ذبحت يهود! قتلت يهود!
قال العباس: فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان: يا أبا الفضل، إن اليهودي لفزع من ابن أخيك. قال قلت: قد

رأيت ما رأيت، فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به، فإن كان حقا كنت قد سبقت، وإن كان باطلاً فمعك غيرك من أكفائك؟ قال: لا والله ما أومن به حتى أرى الخيل تطلع من كداء وهو جبل بمكة. قال قلت ما تقول؟! قال: كلمة والله جاءت على فمي ما ألقيت لها بالاً، إلا أني أعلم أن الله لا يترك خيلاً تطلع من كداء. قال العباس: فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظرنا إلى الخيل قد طلعت من كداء، قلت: يا أبا سفيان، أتذكر الكلمة؟ قال لي: والله إني لذاكرها، فالحمد لله الذي هداني للإسلام.

حدثنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا البغوي قال حدثنا الغلابي أبو كريب محمد بن العلاء قال حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال حدثني الحسين بن عبيد الله بن العباس عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهراني يعني في غزاة الفتح قال العباس بن عبد المطلب وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة: يا صباح قريش! والله لئن بغتها رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها لهلاك قريش آخر الدهر.

فجلس على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء وقال: أخرج إلى الأراك، لعلي أرى حطاباً أو صاحب لبن أو داخلاً يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول صلى الله عليه وسلم فيستأمنونه. فوالله إني لأطوف في الأراك ألتمس ما خرجت له إذ سمعت صوت أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت أبا سفيان وهو يقول: والله ما رأيت كالليلة قط نيراناً. فقال بديل بن ورقاء: هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب. فقال أبو سفيان: خزاعة ألأم من ذلك وأذل.

فعرفت صوته فقلت: أبا حنظلة! فقال: أبا الفضل! قلت نعم؛ فقال: لبيك، فداؤك أبي وأمي! فما وراءك؟ فقلت: هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد دلف إليكم بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين. قال: فما تأمرني؟ فقلت: تركب عجز هذه البغلة فأستأمن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لئن ظفر بك ليضربن عنقك. فردفني فخرجت به أركض بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما مررت بنار من نيران المسلمين فنظروا إلي قالوا: عم رسول الله على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررنا بنار عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - فقال: أبو سفيان! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد؛ ثم اشتد نحو النبي صلى الله عليه وسلم، وركضت البغلة وقد أردفت أبا سفيان - قال العباس: - حتى اقتحمت على باب القبة وسبقت عمر بما تسبق به الدابة البطيئة الرجل البطي فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد، فدعني أضرب عنقه. قلت: يا رسول الله، إني قد أجرته.

ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذت برأسه وقلت: والله لا يناجيه اليوم أحد دوني. فلما أكثر فيه عمر قلت: مهلاً يا عمر! فوالله ما تصنع هذا إلا لأنه رجل من عبد مناف، ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا! قال: مهلاً يا عباس! فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم؛

وذلك لأني أعلم أن إسلامك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فقد أمناه حتى تغدو به علي الغداة فرجع به إلى منزله. فلما أصبح غدا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما رآه قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إلا الله! فقال: بأبي أنت وأمي! ما أوصلك وأحلمك وأكرمك! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً. فقال: ويحك تشهد بشهادة الحق قبل والله أن تضرب عنقك. قال: فتشهد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس من حين تشهد أبو سفيان: انصرف يا عباس فاحتبسه عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتى يمر عليه جنود الله. فقلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئاً يكون في قومه. فقال: نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن.

فخرجت به حتى أجلسته عند خطم الجبل بمضيق الوادي، فمرت عليه القبائل، فجعل يقول: من هؤلاء يا عباس؟ فأقول: سليم، فيقول: مالي ولسليم! ثم تمر به قبيلة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: أسلم، فيقول: مالي ولأسلم! وتمر به جهينة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: جهينة، فيقول: مالي ولجهينة! حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخضراء، كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق، فقال: من هؤلاء يا أبا الفضل؟ فقلت: هذا رسول صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار؛ فقال: يا أبا الفضل، لقد أصبح ابن أخيك عظيماً. فقلت: ويحك! إنها النبوة؛ قال: نعم إذاً. فقلت الحق الآن بقومك فحذرهم.
فخرج سريعاً حتى أتى مكة فصرخ في المسجد: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم بمالاً قبل لكم به. قالوا: فمه! قال: من دخل داري فهو آمن. فقالوا: ويحك ما تغني عنا دارك! قال: ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن.
حدثنا محمد بن جرير وأحمد بن الجعد قالا حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عناد عن عبد الله بن الزبير قال: لما كان يوم اليرموك خلفني أبي، فأخذت فرساً له وخرجت، فرأيت جماعة من الخلفاء فيهم أبو سفيان بن حرب فوقفت معهم، فكانت الروم إذا هزمت المسلمين قال أبو سفيان: إيه بني الأصفر، فإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان:

وبنو الأصفر الكرام مل وك الروم لم يبق منهم مذكور

فلما فتح الله على المسلمين حدثت أبي فقال: قاتله الله! يأبى إلا نفاقاً؟ أولسنا خيراً له من بني الأصفر! ثم كان يأخذ بيدي فيطوف على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: حدثهم، فأحدثهم فتعجبون من نفاقه.
حدثني أحمد بن الجعد قال حدثني ابن حميد قال حدثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال: دخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كف بصره، فقال: هل علينا من عين؟ فقال له عثمان: لا. فقال: حدثني محمد بن

حيان الباهلي قال حدثنا عمر بن علي الفلاش قال حدثنا سهل بن يوسف عن مالك بن مغول عن أشعث بن أبي الشعثاء عن مسيرة الهمداني عن أبي الأبجر الأكبر قال: جاء أبو سفيان إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أبا الحسن، ما بال هذا الأمر في أضعف قريش وأقلها! فوالله لئن شئت لأملأنها عليهم خيلاً ورجلاً.

فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أبا سفيان، طالما عاديت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فما ضرهم ذلك شيئاً، إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال أنشدني ابن عائشة لأبي سفيان بن حرب لما ولي أبو بكر قال:

وأضحت قريش بعد عز ومنعة ... خضوعاً لتيم لا بضرب القواضب

فيا لهف نفسي للذي ظفرت به ... وما زال منها فائزاً بالرغائب

وحدثني أحمد بن الجعد قال حدثني محمد بن حميد قال حدثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال: لما ولي عثمان الخلافة، دخل عليه أبو سفيان فقال: يا معشر بني أمية، إن الخلافة صارت في تيم وعدي حتى طمعت فيها، وقد صارت إليكم فتلقفوها بينكم تلقف الكرة، فوالله ما من جنة ولا نار - هذا أو نحوه - فصاح به عثمان: قم عني فعل الله بك وفعل. ولأبي سفيان أخبار من هذا الجنس ونحوه كثيرة يطول ذكرها، وفيما ذكرت منها مقنع.

والأبيات التي فيها الغناء يقولها في سلام بن مشكم اليهودي ويكنى أبا غنم، وكان نزل عليه في غزوة السويق، فقراه وأحسن ضيافته. فقال أبو سفيان فيه:

سقاني فرواني كميتاً مدامة ... على ظمأ مني سلام بن مشكيم

تخيرته أهل المدينة واحداً ... سواهم فلم أغبن ولم أتندم

فلما تقضي الليل قلت ولم أكن ... لأفرحه أبشر بعرف ومغنم

وإن أبا غنم يجود وداره ... بيثرب مأوى كل أبيض خضرم

ذكر الخبر عن غزوة السويق

ونزول أبي سفيان على سلام بن مشكم

كانت هذه الغزاة بعد وقعة بدر. وذلك أن أبا سفيان نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة ولا يشرب خمراً حتى يغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم. فخرج في عدة من قومه و لم يصنع شيئاً فعيرته قريش بذلك وقالوا: إنما خرجتم تشربون السويق فسميت غزوة السويق حدثنا محمد بن جرير، قرأته عليه، قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان عن عبيد الله بن

كعب بن مالك - وكان من أعلم الأنصار - قال: كان أبو سفيان حين رجع إلى مكة ورجع قبل قريش من بدر، نذر الأ يمس ماء من جنابة حتى يغزو محمداً صلى الله عليه وسلم. فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه، فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له تيت من المدينة على بريد أو نحوه ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل، فأتى حيي بن أخطب بيثرب فدق عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه؛ وانصرف إلى سلام بن مشكم - وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كنزهم فاستأذن عليه فأذن له، فقراه وسقاه ونظر له خبر الناس.

ثم خرج في عقب ليلته حتى جاء أصحابه؛ فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة، فأتوا ناحية منها يقال لها العريض، فحرقوا في أصوار من نخل لها، أتوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين.

فنذر بهم الناس؛ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم حتى بلغ قرقرة الكدر، ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، وقد رأوا من مزاود القوم ما قد طرحوه في الحرث يتخففون منه للنجاء.

فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنطمع أن تكون غزوة، قال نعم. وقد كان أبو سفيان قال وهو يتجهز خارجاً من مكة إلى المدينة أبياتاً من شعر يحرض فيها قريشاً فقال:

كروا على يثرب وجمعهم ... فإن ما جمعوا لكم نفل

إن يك يوم القليب كان لهم ... فإن ما بعده لكم دول

آليت لا أقرب النساء ولا ... يمس رأسي وجلدي الغسل

حتى تبيدوا قبائل الأوس وال ... خزرج إن الفؤاد مشتعل

فأجابه كعب بن مالك:

يا لهف أم المسبحين على ... جيش ابن حرب بالحرة الفشل

أتطرحون الرجال من سنم ال ... ظهر ترقى في قنة الجبل

جاءوا بجمع لو قيس منزله ... ما كان إلا كمعرس الدئل

عار من النصر والثراء ومن ... نجدة أهل البطحاء والأسل

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا سليمان بن سعد عن الواقدي: أن غزوة السويق كانت في ذي القعدة من سنة ثنتين من الهجرة.

حدثني عمي قال حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا ابن سعد عن الواقدي عن أبي الزناد عن عبد الله بن الحارث قال: شرب حسان بن ثابت يوماً مع سلام بن مشكم، وكان. له نديماً، معهم كعب بن أسد وعبد الله بن أبي وقيس بن الخطيم؛ فأسرع الشراب فيهم وكانوا في موادعة وقد وضعت الحرب أوزارها بينهم. فقال قيس بن الخطيم لحسان: تعال أشاربك؛ فتشاربا في إناء عظيم فأبقى حسان من الإناء شيئاً؛ فقال له قيس: اشرب.

فقال حسان وعرف الشر في وجهه: أو خيراً من ذلك أجعل لك الغلبة. قال: لا! إلا أن تشربه؛ فأبى حسان. وقال له سلام بن مشكم: يا أبا يزيد، لا تكرهه على ما لا يشتهي، إنما دعوته لإكرامه و لم تدعه لتسخف به وتسيء مجالسته. فقال له قيس: أفتدعوني أنت على أن تسيء مجالستي! فقال له سلام: ما في هذا سوء مجالسة، وما حملت عليك إلا لأنك مني وأني حليفك، وليست عليك غضاضة في هذا، وهذا رجل من الخزرج قد أكرمته وأدخلته مترلي؛ فيجب أن تكرم لي من أكرمته. ولعمري إن في الصحو لما تكتفون به من حروبكم؛ فافترقوا. وآلى سلام بن مشكم على نفسه ألا، يشرب سنة؛ وقد بلغ هذا من نديمه وكان كريماً.

من مبلغ عني أبا كامل　　أني إذا ما غاب كالهامل

قد زادني شوقاً إلى قربه　　مع ما بدا من رأيه الفاضل

الشعر للوليد بن يزيد. والغناء لأبي كامل. ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

وذكر حبش أن لأبي كامل فيه أيضاً لحناً من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى.

انتهى الجزء السادس من كتاب الأغاني ويليه الجزء السابع وأوله. أخبار الوليد بن يزيد ونسبه

الجزء السابع

أخبار الوليد بن يزيد ونسبه

نسبه وكنيته

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ويكنى أبا العباس. وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، وهي بنت أخي الحجاج. وفيه يقول أبو نخيلة:

بين أبي العاصي وبين الحجاج يالكما نوار سراجٍ وهاج

عليه بعد عمه عقد التاج

وأم يزيد بن عبد الملك عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية. وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر. وأم عبد الله بن عامر أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم، ولذلك قال الوليد بن يزيد:

نبي الهدى خالي ومن يك خاله نبي الهدى يقهر به من يفاخر

كان شاعراً خليعاً مرمياً بالزندقة: وكان الوليد بن يزيد بن فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم، وكان فاسقاً خليعاً متهماً في دينه مرمياً بالزندقة، وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقتل. وله أشعار كثيرة تدل على خبثه وكفره. ومن الناس من ينفي ذلك عنه وينكره، ويقول: إنه نحله وألصق إليه. والأغلب الأشهر غير ذلك.

ولاه أبوه العهد بعد هشام وطمع هشام في خلعه: أخبرني الحسن بن علي وأحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن إسحاق بن أيوب القرشي وجويرية بن أسماء وعامر بن الأسود والمنهال بن عبد الملك وأبي عمرو بن المبارك وسحيم بن حفص وغيرهم: أن يزيد بن عبد الملك لما وجه الجيوش إلى يزيد بن المهلب وعقد لمسلمة بن عبد الملك على الجيش وبعث العباس بن الوليد بن عبد الملك وعقد له على أهل دمشق، قال له العباس: يا أمير المؤمنين، إن أهل العراق أهل غدر وإرجاف، وقد وجهتنا محاربين والأحداث تحدث، ولا آمن أن يرجف أهل العراق ويقولوا: مات أمير المؤمنين و لم يعهد، فيفت ذلك في أعضاد أهل الشأم؛ فلو عهدت عهداً لعبد العزيز بن الوليد! قال: غداً.

وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك، فأتى يزيد فقال: يا أمير المؤمنين، أيما أحب إليك: ولد عبد الملك أو ولد الوليد؟ فقال: بل ولد عبد الملك. قال: أفأخوك أحق بالخلافة أم ابن أخيك؟ قال: إذا لم تكن في ولدي فأخي أحق بها من ابن أخي. قال: فابنك لم يبلغ، فبايع لهشام ثم لابنك بعد -هشام قال: والوليد يومئذ ابن إحدى

عشرة سنة - قال: غداً أبايع له. فلما أصبح فعل ذلك وبايع لهشام، وأخذ العهد عليه ألا يخلع الوليد بعده ولا يغير عهده ولا يحتال عليه. فلما أدرك الوليد ندم أبوه، فكان ينظر إليه ويقول: الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك. وتوفي يزيد سنة خمس ومائة وابنه الوليد ابن خمس عشرة سنة. قالوا : فلم يزل الوليد مكرماً عند هشام رفيع المترلة مدة، ثم طمع في خلعه وعقد العهد بعده لابنه مسلمة بن هشام، فجعل يذكر الوليد بن يزيد وتهتكه وإدمانه على الشراب، ويذكر ذلك في مجلسه ويقوم ويقعد به، وولاه الحج ليظهر ذلك منه بالحرمين فيسقط؛ فحج وظهر منه فعل كثير مذموم، وتشاغل بالمغنين وبالشراب، وأمر مولى له فحج بالناس. فلما حج طالبه هشامٌ بأن يخلع نفسه فأبى ذلك، فحرمه العطاء وحرم سائر مواليه وأسبابه وجفاه جفاء شديداً. فخرج متبدياً وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدبه ، وكان يرمى بالزندقة. ودعا هشام الناس إلى خلعه والبيعة لمسلمة بن هشام - وأمه أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاصي. وكان مسلمة يكنى أبا شاكر؛ كني بذلك لمولى كان لمروان يكنى أبا شاكر، كان ذا رأي وفضل وكانوا يعظمونه ويتبركون به - فأجابه إلى خلع الوليد والبيعة لمسلمة بن هشام محمد وإبراهيم ابنا هشام بن إسماعيل المخزومي والوليد وعبد العزيز وخالد بن القعقاع بن خويلد العبسي وغيرهم من خاصة هشام. وكتب إلى الوليد: ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيته وارتكبته غير متحاشٍ ولا مستترٍ، فليت شعري ما دينك؟! أعلى الإسلام أنت أم لا؟! فكتب إليه الوليد بن يزيد ويقال: بل قال ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى ونحله إياه :

صوت

يأيها السائل عن ديننا ... نحن على دين أبي شاكر

نشربها صرفاً وممزوجةً ... بالسخن أحياناً وبالفاتر

غناه عمر الوادي رملاً بالبنصر فغضب هشام على ابنه مسلمة، وقال: يعيرني بك الوليد وأنا أرشحك للخلافة! فالزم الأدب، واحضر الصلوات. وولاه الموسم سنة سبع عشرة ومائة، فأظهر النسك وقسم بمكة والمدينة أموالاً. فقال رجل من موالي أهل المدينة:

يأيها السائل عن ديننا ... نحن على دين أبي شاكر

الواهب البزل بأرسانها ... ليس بزنديق ولا كافر

قال المدائني: وبلغ خالداً القسري ما عزم عليه هشام، فقال: أنا بريء من خليفة يكنى أبا شاكر؛ فبلغت هشاماً عنه هذه، فكان ذلك سبب إيقاعه به.

تساب هو والعباس بن الوليد في مجلس هشام أخبرني محمد بن الحسن الكندي المؤدب قال حدثني أبي عن العباس بن هشام قال: دخل الوليد بن يزيد يوماً مجلس هشام بن عبد الملك وقد كان في ذكره قبل أن يدخل، فحمقه

من حضر من بني أمية. فلما جلس قال له العباس بن الوليد وعمر بن الوليد: كيف حبك يا وليد للروميات، فإن أباك كان بهن مشغوفاً؟ قال: إني لأحبهن؛ وكيف لا أحبهن ولن تزل الواحدة منهن قد جاءت بالهجين مثلك وكانت أم العباس رومية قال: اسكت فليس الفحل يأتي عسبه بمثلي، فقال له الوليد: اسكت يا بن البظراء! قال: أتفخر علي بما قطع من بظر أمك. وأقبل هشام على الوليد فقال له: ما شرابك؟ قال: شرابك يا أمير المؤمنين، وقام مغضباً فخرج. فقال هشام: أهذا الذي تزعمون أنه أحمق! ما هو أحمق، ولكني لا أظنه على الملة.

دخل مجلس هشام فعبث بمن كان فيه من وجوه بني أمية: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: مروان وليس هشام حاضراً، فجلس الوليد مجلس هشام، ثم أقبل على سعيد بن هشام فقال له: من أنت؟ وهو به عارف، قال: سعيد ابن أمير المؤمنين، قال: مرحباً بك. ثم نظر إلى أبي الزبير فقال: من أنت؟ قال: أبو الزبير مولاك أيها الأمير، قال: أنسطاسٌ أنت؟ مرحباً بك. ثم قال لإبراهيم بن هشام: من أنت؟ قال: إبراهيم بن هشام. قال: من إبراهيم بن هشام؟ وهو يعرفه، قال: إبراهيم بن هشام بن إسماعيل. قال: من إسماعيل؟ وهو يعرفه، قال: إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة. قال: من الوليد بن المغيرة؟ قال: الذي لم يكن جدك يرى أنه في شيء حتى زوجه أبي وهو بعض ولد ابنته. قال: يا بن اللخناء! أتقول هذا! وائتخذا . وأقبل هشام، فقيل لهما: قد جاء أمير المؤمنين، فجلسا وكفا. ودخل هشام، فما كاد الوليد يتنحى له عن صدر مجلسه، إلا أنه زحل له قليلاً، فجلس هشام وقال له: كيف أنت يا وليد؟ قال: صالح. قال: ما فعلت برابطك ؟ قال: معملة أو مستعملة. قال: فما فعل ندماؤك؟ قال: صالحون، ولعنهم الله إن كانوا شراً ممن حضرك، وقام، فقال له هشام: يا بن اللخناء! جئوا عنقه، فلم يفعلوا ودفعوه رويداً. فقال الوليد:

أنا ابن أبي العاصي وعثمان والدي ... ومروان جدي ذو الفعال وعامر

أنا ابن عظيم القريتين وعرها ... ثقيفٌ وفهرٌ والعصاة الأكابر

نبي الهدى خالي ومن يك خاله ... نبي الهدى يقهر به من يفاخر

مات مسلمة بن عبد الملك فرثاه

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: كان هشام بن عبد الملك يكثر تنقص الوليد بن يزيد، فكان مسلمة يعاتب هشاماً ويكفه، فمات مسلمة، فغم الوليد ورثاه فقال:

صوت

أنانا بريدان من واسطٍ ... يخبان بالكتب المعجمة

أقول وما البعد إلا الردى ... أمسلم لا تبعدن مسلمة

فقد كنت نوراً لنا في البلاد تضيء فقد أصبحت مظلمة

كتمنا نعيك نخشى اليقين فجلى اليقين عن الجمجمة

وكم من يتيم تلافيته بأرض العدو وكم أيمة

وكنت إذا الحرب درت دماً نصبت لها راية معلمة

غنى في هذه الأبيات التي أولها

أقول وما البعد إلا الردى

يونس خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو. وذكر الهشامي أن فيه ثقيلاً أول ينسب إلى أبي كامل وعمر الوادي. وذكر حبش أن ليونس فيه رملاً بالبنصر.

أخبرني الطوسي والحرمي بن أبي العلاء قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن زهير بن مضرس بن منظور بن زبان بن سيار عن أبيه قال: رأيت هشام بن عبد الملك وأنا في عسكره يوم توفي مسلمة بن عبد الملك وهشام في شرطته، إذا طلع الوليد بن يزيد على الناس وهو نشوان يجر مطرف خز عليه، فوقف على هشام فقال: يا أمير المؤمنين، إن عقبى من بقي لحوق من مضى، وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن يرى ، واختل الثغر فوهى، وعلى أثر من سلف يمضي من خلف، فتزودوا، فإن خير الزاد التقوى. فأعرض عنه هشام و لم يرد جواباً، ووجم الناس فما همس أحد بشيء. قال: فمضى الوليد وهو يقول:

أهينمةٌ حديث القوم أم هم سكوت بعد ما متع النهار

عزيز كان بينهم نبيّا فقول القوم وحي لا يحار

كأنا بعد مسلمة المرجى شروبٌ طوحت بهم عقار

أوالافٌ هجانٌ في قيودٍ تلفت كلما حنت ظؤار

فليتك لم تمت وفداك قومٌ تريح غبيهم عنا الديار

سقيم الصدر أو شكسٌ نكيد وآخر لا يزور ولا يزار

يعني بالسقيم الصدر يزيد بن الوليد، ويعني بالشكس هشاماً، والذي لا يزور ولا يزار مروان بن محمد.

أراد هشام خلعه فقال شعراً قال الزبير وحدثني محمد بن الضحاك عن أبيه قال: أراد هشام أن يخلع الوليد ويجعل العهد لولده، فقال الوليد:

كفرت يداً من منعم لو شكرتها جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن

رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبنى
أراك على الباقين تجني ضغينةً فيا ويحهم إن مت من شر ما تجني
كأني بهم يوماً وأكثر قولهم أيا ليت أنا حين يا ليت لا تغي

أمره هشام بطرد عبد الصمد فطرده ولما اضطهد أعوانه ذمه بشعر: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: عتب هشام على الوليد وخاصته. فخرج الوليد ومعه قوم من خاصته وموالية فنزل بالأبرق بين أرض بلقين وفزارة على ماء يقال له الأغدف، وخلف بالرصافة كاتبه عياض بن مسلم مولى عبد الملك ليكاتبه بما يحدث، وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى. فشربوا يوماً، فقال له الوليد: يا أبا وهب، قل أبياتاً نغني فيها، فقال أبياتاً، وأمر عمر الوادي فغنى فيها وهي:

صوت

ألم تر للنجم إذ سبعا يبادر في برجه المرجعا
تحير عن قصد مجراته إلى الغور والتمس المطلعا
فقلت وأعجبني شأنه وقد لاح إذ لاح لي مطمعا
لعل الوليد دنا ملكه فأمسى إليه قد استجمعا
وكنا نؤمل في ملكه كتأميل ذي الجدب أن يمرعا
عقدنا له محكمات الأمو ر طوعاً وكان لها موضعا

فروي هذا الشعر، وبلغ هشاماً، فقطع عن الوليد ما كان يجري عليه وعلى أصحابه وحرمهم، وكتب إلى الوليد: قد بلغني أنك اتخذت عبد الصمد خدناً ومحدثاً ونديماً، وقد حقق ذلك ما بلغني عنك، ولن أبرئك من سوء، فأخرج عبد الصمد مذموماً. قال: فأخرجه الوليد وقال:

لقد قذفوا أبا وهب بأمر كبيرٍ بل يزيد على الكبير
وأشهد أنهم كذبوا عليه شهادة عالمٍ بهم خبير

فكتب الوليد إلى هشام بأنه قد أخرج عبد الصمد، واعتذر إليه من منادمته، وسأله أن يأذن لابن سهيل في الخروج إليه - وكان من خاصة الوليد - فضرب هشامٌ ابن سهيل ونفاه وسيره وكان ابن سهيل من أهل النباهة، وقد ولي الولايات، ولي دمشق مراراً وولي غيرها وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد فضربه ضرباً مبرحاً وألبسه المسوح وقيده وحبسه، فغم ذلك الوليد فقال: من يثق بالناس! ومن يصنع المعروف! هذا الأحوال المشؤوم قدمه أبي على ولده وأهل بيته وولاه وهو يصنع بي ما ترون، ولا يعلم أن لي في أحدٍ هوى إلا أضر به،

كتب إلي بأن أخرج عبد الصمد فأخرجته، وكتبت إليه في أن يأذن لابن سهيل في الخروج إلي فضربه وطرده وقد علم رأيي فيه، وعرف مكان عياض مني وانقطاعه إلي فضربه وحبسه، يضارني بذلك، اللهم أجرني منه. ثم قال الوليد:

صوت

أنا النذير لمسدي نعمةٍ أبداً ... إلى المقاريف لما يخبر الدخلا
إن أنت أكرمتهم ألفيتهم بطروا ... وإن أهنتهم ألفيتهم ذللا
أتشمخون ومنا رأس نعمتكم ... ستعلمون إذا أبصرتم الدولا
انظر فإن أنت لم تقدر على مثلٍ ... لهم سوى الكلب فاضربه لهم مثلا
بينا يسمنه للصياد صاحبه ... حتى إذا ما استوى من بعد ما هزلا
عدا عليه فلم تضرره عدوته ... ولو أطاق له أكلاً لقد أكلا

غناه مالكٌ خفيف ثقيل من رواية الهشامي.

شعره في الفخر على هشام قال: وقال الوليد أيضاً يفتخر على هشام:

صوت

أنا الوليد أبو العباس قد علمت ... عليا معدٍّ مدى كري وإقدامي
إني لفي الذروة العليا إذا انتسبوا ... مقابلٌ بين أخوالي وأعمامي
بنى لي المجد بانٍ لم يكن وكلاً ... على منار مضيئاتٍ وأعلام
حللت من جوهر الأعياض قد علموا ... في باذخ مشمخر العز قمقام
صعب المرام يسامي النجم مطلعه ... يسمو إلى فرع طودٍ شامخ سامي

غناه عمر الوادي خفيف ثقيلٍ بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثني مصعب الزبيري قال: بعث الوليد بن يزيد إلى هشام بن عبد الملك راويته فأنشده قوله:

أنا الوليد أبو العباس قد علمت ... عليا معد مدى كري وإقدامي

فقال هشام: والله ما علمت له معدٌ كرا ولا إقداماً، إلا أنه شرب مرة مع عمه بكار بن عبد الملك فعربد عليه وعلى جواريه، فإن كان يعني ذلك بكره وإقدامه فعسى.

عابه هشام والزهري فحقد عليهما أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني عبد الله بن عمرو ابن أبي سعد قال حدثت أن أبا الزناد قال: دخلت على هشام بن عبد الملك وعنده الزهري وهما يعيبان الوليد، فأعرضت و لم أدخل في شيء من ذكره. فلم ألبث أن استؤذن للوليد فأذن له، فدخل وهو مغضب فجلس قليلاً ثم نهض. فلما مات هشام وولي الوليد كتب إلى المدينة فحملت فدخلت عليه، فقال: أتذكر قول الأحول والزهري؟ قلت: نعم، وما عرضت في شيء من أمرك، قال: صدقت، أتدري من أبلغني ذلك؟ قلت لا، قال: الخادم الواقف على رأسه، وايم الله لو بقي الفاسق الزهري لقتلته. ثم قال: ذهب هشام بعمري، فقلت: بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين، وقام وصلى العصر. ثم جلس يتحدث إلى المغرب ثم صلى المغرب ودعا بالعشاء فتعشيت معه ثم جلس يتحدث حتى صلى العتمة، ثم تحدثنا قليلاً ثم قال: اسقيني فأتينه بإناء مغطى، وجاء جوار فقمن بيني وبينه فشرب وانصرفن، ومكث قليلاً ثم قال: اسقيني ففعلن مثل ذلك. وما زال والله ذلك دأبه حتى طلع الفجر، فأحصيت له سبعين قدحاً.

وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب عن أبي الزناد قال: أجمع الزهري على أن يدخل إلى بلاد الروم إن ولي الوليد بن يزيد، فمات الزهري قبل ذلك.

عابه بعض بني مروان بالشراب فلعنهم

قال المدائني: وبلغ الوليد أن العباس بن الوليد وغيره من بني مروان يعيبونه بالشراب، فلعنهم وقال: إنهم ليعيبون علي ما لو كانت لهم فيه لذةٌ ما تركوه، وقال هذا الشعر، وأمر عمر الوادي أن يغني فيه - وهو من جيد شعره ومختاره. وفيه غناء قديم ذكره يونس لعمر الوادي غير مجنس - :

صوت

ولقد قضيت وإن تجلل لمتي	شيبٌ على رغم العدا لذاتي
من كاعباتٍ كالدمى ومناصفٍ	ومراكب للصيد والنشوات
في فتيةٍ تأبى الهوان وجوههم	شم الأنوف جحاجح سادات
إن يطلبوا بتراتهم يعطوا بها	أو يطلبوا لا يدركوا بترات

الكتابان المتبادلان بينه وبين هشام:

حدثني المنهال بن عبد الملك قال: كتب الوليد إلى هشام : "قد بلغني أحدث أمير المؤمنين من قطع ما قطع عني ومحو من محا من أصحابي، وأنه حرمني وأهلي. و لم أكن أخاف أن يبتلي الله أمير المؤمنين بذلك في ولا ينالني مثله

منه، و لم يبلغ استصحابي لابن سهيل ومسئلتي في أمره أن يجري علي ما جرى. وإن كان ابن سهيل على ما ذكره أمير المؤمنين، فبحسب العير أن يقرب من الذئب. وعلى ذلك فقد عقد الله لي من العهد وكتب لي من العمر وسبب لي من الرزق ما لا يقدر أحد دونه تبارك وتعالى على قطعه عني دون مدته ولا صرفه عن مواقعه المحتومة له. فقدر الله يجري على ما قدره فيما أحب الناس وكرهوا، لا تعجيل لآجله ولا تأخير لعاجله، والناس بعد ذلك يحتسبون الأوزار ويقترفون الآثام على أنفسهم من الله بما يستوجبون العقوبة عليه. وأمير المؤمنين أحق بالنظر في ذلك والحفظ له. والله يوفق أمير المؤمنين لطاعته، ويحسن القضاء له في الأمور بقدرته. وكتب إليه الوليد في آخر كتابه:

أليس عظيماً أن أرى كل وارد ... حياضك يوماً صادراً بالنوافل

فأرجع محمود الرجاء مصردا ... بتحلئةٍ عن ورد تلك المناهل

فأصبحت مما كنت آمل منكم ... وليس بلاقٍ ما رجا كل آمل

كمقتبض يوماً على عرض هبوةٍ ... يشد عليها كفه بالأنامل

فكتب إليه هشام: "قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به من قطع ما قطع وغير ذلك. وأمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يجري عليك، ولا يتخوف على نفسه اقتراف المآثم في الذي أحدث من قطع ما قطع ومحو من محا من صحابتك، لأمرين: أما أحدهما فإن أمير المؤمنين يعلم مواضعك التي كنت تصرف إليها ما يجريه عليك. وأما الآخر فإثبات صحابتك وأرزاقهم دارةٌ عليهم لا ينالهم ما نال المسلمين عند قطع البعوث عليهم وهم معك تجول بهم في سفهك. وأمير المؤمنين يرجو أن يكفر الله عنه ما سلف من إعطائه إياك باستئنافه قطعه عنك. وأما ابن سهيل، فلعمري لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جرى عليه لما جعله الله لذلك أهلاً. وهل زاد ابن سهيل، لله أبوك، على أن كان زفاناً مغنياً قد بلغ في السفه غايته! وليس مع ذلك ابن سهيل بشر ممن كنت تستصحبه في الأمور التي يتره أمير المؤمنين نفسه عنها مما كنت لعمري أهلاً للتوبيخ فيه. وأما ما ذكرت مما سببه الله لك، فإن الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك واصطفاه له، والله بالغ أمره. ولقد أصبح أمير المؤمنين وهو على يقين من رأيه إلا أنه لا يملك لنفسه مما أعطاه الله من كرامته ضراً ولا نفعاً، وإن الله ولي ذلك منه وإنه لا بد له من مفارقته، وإن الله أرأف بعباده وأرحم من أن يولي أمرهم غير من يرتضيه لهم منهم. وإن أمير المؤمنين مع حسن ظنه بربه لعلى أحسن الرجاء لأن يوليه بسبب ذلك لمن هو أهله في الرضا به لهم، فإن بلاء الله عند أمير المؤمنين أعظم من أن يبلغه ذكره أو يوازيه شكره إلا بعون منه. ولئن كان قد قدر الله لأمير المؤمنين وفاة تعجيلٍ، فإن في الذي هو مفض وصائرٌ إليه من كرامة الله لخلفاً من الدنيا. ولعمري إن كتابك لأمير المؤمنين بما كتبت به لغير مستنكر من سفهك وحمقك، فأبق على نفسك وقصر من غلوائها واربع على ظلعك، فإن الله سطوات وغيراً يصيب بها من يشاء من عباده. وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحب الأمور إليه وأرضاها له. وكتب في أسفل الكتاب:

إذا أنت سامحت الهوى قادك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقال

والسلام.

بشر بالخلافة بعد موت هشام

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة عن المدائني عن جويرية بن أسماء عن المنهال بن عبد الملك عن إسحاق بن أيوب كلهم عن أبي الزبير المنذر بن عمرو - قال: وكان كاتباً للوليد بن يزيد - قال:

أرسل إلي الوليد صبيحة اليوم الذي أتته فيه الخلافة فأتيته، فقال لي: يا أبا الزبير، ما أتت علي ليلةٌ أطول من هذه الليلة، عرضتني أمورٌ وحدثت نفسي فيها بأمور، وهذا الرجل قد أولع بي، فاركب بنا نتنفس. فركب وسرت معه، فسار ميلين ووقف على تل فجعل يشكو هشاماً، إذ نظر إلى رهج قد أقبل - قال عمر بن شبة في حديثه - وسمع قعقعة البريد، فتعوذ بالله من شر هشام، وقال: إن هذا البريد قد أقبل بموت وحي أو بملك عاجل. فقلت: لا يسوءك الله أيها الأمير بل يسرك ويبقيك، إذ بدا رجلان على البريد يقبلان، أحدهما مولى لآل أبي سفيان بن حرب، فلما قربا رأيا الوليد فنزلا يعدوان حتى دنوا فسلما عليه بالخلافة فوجم، وجعلا يكرران عليه التسليم بالخلافة، فقال: ويحكم! ما الخبر؟ أمات هشام؟ قالا نعم: قال: فمرحباً بكما! ما معكما؟ قالا: كتاب مولاك سالم بن عبد الرحمن، فقرأ الكتاب وانصرفنا. وسأل عن عياض بن مسلم كاتبه الذي كان هشام ضربه وحسبه، فقالا: يا أمير المؤمنين، لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمر الله، فلما صار إلى حالٍ لا ترجى الحياة لمثله معها، أرسل عياضٌ إلى الخزان: احتفظوا بما في أيديكم فلا يصلن أحد إلى شيء. وأفاق هشام إفاقةً فطلب شيئاً فمنعه، فقال: أرانا كنا خزاناً للوليد، وقضى من ساعته. فخرج عياضٌ من السجن ساعة قضى هشامٌ، فختم الأبواب والخزائن، وأمر بهشام فأنزل عن فراشه ومنعهم أن يكفنوه من الخزائن، فكفنه غالبٌ مولى هشام، ولم يجدوا قمقماً حتى استعاروه. وأمر الوليد بأخذ ابني هشام بن إسماعيل المخزومي، فأخذا بعد أن عاذ إبراهيم بن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك، فقال الوليد: ما أراه إلا قد نجا، فقال له يحيى بن عروة بن الزبير وأخوه عبد الله: إن الله لم يجعل قبر أبيك معاذاً للظالمين، فخذه برد ما في يده من مال الله، فقال: صدقت، وأخذهما فبعث بهما إلى يوسف بن عمر، وكتب إليه أن يبسط عليهما العذاب حتى يتلفا، ففعل ذلك بهما وماتا جميعاً في العذاب بعد أن أقيم إبراهيم بن هشام للناس حتى اقتضوا منه المظالم.

وقال عمر بن شبة في خبره: إنه لما نعي له هشام قال: والله لأتلقين هذه النعمة بسكرة قبل الظهر، ثم أنشأ يقول:

طاب يومي ولذ شرب السلافه إذ أتاني نعي من بالرصافة

وأتانا البريد ينعي هشاماً وأتانا بخاتم للخلافة

فاصطبحنا من خمر عانة صرفاً ولهونا بقينةٍ عزافه

ثم حلف ألا يبرح موضعه حتى يغنى في هذا الشعر ويشرب عليه، فغني له فيه وشرب وسكر، ثم دخل فبويع له بالخلافة.

قال: وسمع صياحاً، فسأل عنه، فقيل له: هذا من دار هشام يبكيه بناته، فقال:

إني سمعت بليلٍ ... ورا المصلى برنه

إذا بنات هشامٍ ... يندبن والدهنه

يندبن قرماً جليلاً ... قد كان يعضدهنه

أنا المخنث حقًّا ... إن لم أنيكنهنه

وقال المدائني في خبر أحمد بن الحارث: وشرب الوليد يوماً، فلما طابت نفسه تذكر هشاماً، فقال لعمر الوادي غنني:

إني سمعت بليل ... ورا المصلى برنه

فغناه فيه، فشرب عليه ثلاثة أرطال، ثم قال: والله لئن سمعه منك أحد أبداً لأقتلنك. قال: فما سمع منه بعدها ولا عرف.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

طاب يومي ولذ شرب السلافه ... إذ أتانا نعي من الرصافه

غناه عمر الوادي خفيف رملٍ بالبنصر.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال قال حكم الوادي: كنا عند الوليد بن يزيد وهو يشرب، إذ جاءنا خصيٌّ فشق جيبه وعزاه عن عمه هشام وهنأه بالخلافة وفي يده قضيب وخاتم وطومار ، فأمسكنا ساعةً ونظرنا إليه بعين الخلافة، فقال: غنوني، غنياني: قد طاب شرب السلافه.... البيتين، فلم نزل نغنيه بهما الليل كله.

سأل الرشيد عنه ابن أبي حفصة فمدحه

وذكر من شعره:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال:

دخلت على الرشيد أمير المؤمنين فسألني عن الوليد بن يزيد فذهبت أتزحزح، فقال: إن أمير المؤمنين لا ينكر ما

تقول فقل، قلت: كان من أصبح الناس وأظرف الناس وأشعر الناس. فقال: أتروى من شعره شيئاً؟ قلت: نعم، دخلت عليه مع عمومتي وفي يده قضيب ولي جمةٌ فينانة فجعل يدخل القضيب في جمتي وجعل يقول: يا غلام، ولدتك سكر وهي أم ولد كانت لمروان بن الحكم فزوجها أبا حفصة قال: فسمعته يومئذ ينشد:

ليت هشاماً عاش حتى يرى ... مكياله الأوفر قد أترعا

كلنا له الصاع التي كالها ... فما ظلمناه بها أصوعا

لم نأت ما نأتيه عن بدعة ... أحله القرآن لي أجمعا

قال: فأمر الرشيد بكتابتها فكتبت.

كان شاعراً مجيداً وشيء من شعره

وللوليد أشعار جيادٌ فوق هذا الشعر الذي اختاره مروان. فمنها وهو ما برز فيه وجوده وتبعه الناس جميعاً فيه وأخذوه منه قوله في صفة الخمر أنشدنيه الحسن بن علي قال أنشدني الحسين بن فهم قال أنشدني عمر بن شبة قال أنشدني أبو غسان محمد بن يحيى وغيره للوليد. قال: وكان أبو غسان يكاد يرقص إذا أنشدها :

اصدع نجي الهموم بالطرب ... وانعم على الدهر بابنة العنب

واستقبل العيش في غضارته ... لا تقف منه آثار معتقب

من قهوة زانها تقادمها ... فهي عجوز تعلو على الحقب

أشهى إلى الشرب يوم جلوتها ... من الفتاة الكريمة النسب

فقد تجلت ورق جوهرها ... حتى تبدت في منظر عجب

فهي بغير المزاج من شرر ... وهي لدى المزج سائل الذهب

كأنها في زجاجها قبسٌ ... تذكو ضياءً في عين مرتقب

في فتيةٍ من بني أمية أهل ... المجد والمأثرات والحسب

ما في الورى مثلهم ولا فيهم ... مثلي ولا منتمٍ لمثل أبي

قال المدائني في خبره: وقال الوليد حين أتاه نعي هشام:

طال ليلي فبت أسقى المداما ... إذ أتاني البريد ينعي هشاما

وأتاني بحلة وقضيب ... وأتاني بخاتم ثم قاما

فجعلت الولي من بعد فقدي ... يفضل الناس ناشئاً وغلاما

ذلك ابني وذاك قرم قريشٍ ... خير قرمٍ وخيرهم أعماما

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه المدائني عن جرير قال قال لي عمر الوادي: كنت يوماً أغني الوليد إذ ذكر هشاماً، فقال لي: غنني بهذه الأبيات، قلت: وما هي يا أمير المؤمنين؟ فأنشأ يقول:

هلك الأحول المشو م فقد أرسل المطر
ثمت استخلف الولي د فقد أورق الشجر

أخذ أبو نواس وغيره من الشعراء معانيه

في أشعارهم:

وللوليد في ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم، سلخوا معانيها، وأبو نواس خاصة فإنه سلخ معانيه كلها وجعلها في شعره فكررها في عدة مواضع منه. ولولا كراهة التطويل لذكرتها ها هنا، على أنها تنبيء عن نفسها.

وله أبيات أنشدنيها الحسن بن علي قال أنشدني الحسين بن فهم قال أنشدني عمر بن شبة قال أنشدني أبو غسان وغيره للوليد - وكان أبو غسان يكاد أن يرقص إذا أنشدها - :

اصدع نجي الهموم بالطرب وانعم على الدهر بابنة العنب

الأبيات التي مضت متقدماً. وهذا من بديع الكلام ونادره، وقد جود فيه منذ ابتدأ إلى أن ختم. وقد نقلها أبو نواس والحسين بن الضحاك في أشعارهما.

ومن جيد معانيه قوله:

رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

وقد مضت في أخباره مع هشام.

وأنشدني الحسن بن علي عن الحسين بن فهم قال أنشدني عمرو بن أبي عمرو للوليد بن يزيد وكان يستجيده فقال:

إذا كم يكن خيرٌ مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجةٍ حين تفزع
وكانوا إذا هموا بإحدى هناتهم حسرت لهم رأسي فلا أتقنع

ومن نادر شعره قوله لهشام

فإن تك قد مللت القرب مني فسوف ترى مجانبتي وبعدي
وسوف تلوم نفسك إن بقينا وتبلو الناس والأحوال بعدي

فتندم في الذي فرطت فيه إذا قايست في ذمي وحمدي

قال يوم بيعته على المنبر بدمشق

أخبرني الحسين بن يحيى قال حدثنا ابن مهرويه وعبد الله بن عمرو بن أبي سعد قالا حدثنا عبد الله بن أحمد بن الحارث الحرشي قال حدثنا محمد بن عائذ قال حدثني الهيثم بن عمران قال سمعته يقول: لما بويع الوليد سمعته على المنبر يقول بدمشق:

ضمنت لكم إن لم ترعني منيتي بأن سماء الضر عنكم ستقلع

كتب إلى أهل المدينة شعراً

ورد عليه حمزة بن بيض:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما ولى الوليد بن يزيد كتب إلى أهل المدينة والشعر له:

محرمكم ديوانكم وعطاؤكم به يكتب الكتاب والكتب تطبع

ضمنت لكم إن لم تصابوا بمهجتي بأن سماء الضر عنكم ستقلع

وأول هذه الأبيات:

ألا أيها الركب المخبون أبلغوا سلامي سكان البلاد فأسمعوا

وقولوا أتاكم أشبه الناس سنةً بوالده فاستبشروا وتوقعوا

سيوشك إلحاقٌ بكم وزيادة وأعطيةٌ تأتي تباعاً فتشفع

وكان سبب مكاتبته أهل الحرمين بذلك أن هشاماً لما خرج عليه زيد بن علي رضي الله عنه منع أهل مكة وأهل المدينة أعطياتهم سنةً. فقال حمزة بن بيض يرد على الوليد لما فعل خلاف ما قال:

وصلت سماء الضر بالضر بعد ما زعمت سماء الضر عنا ستقلع

فليت هشاماً كان حياً يسوسنا وكنا كما كنا نرجي ونطمع

بعث إلى جماعة من أهله يوم بيعته وأنشدهم شعراً يدل على مجونه: أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال روى جرير بن حازم عن الفضل بن سويد قال: بعث الوليد بن يزيد إلى جماعة من أهله لما ولي الخلافة فقال: أتدرون لم دعوتكم؟ قالوا لا: قال: ليقل قائلكم، فقال رجل منهم: أردت يا أمير المؤمنين أن ترينا ما جدد الله لك من نعمته وإحسانه، فقال: نعم، ولكني:

أشهد الله والملائكة الأب ... رار والعابدين أهل الصلاح
أنني أشتهي السماع وشرب ال ... كأس والعض للخدود الملاح
والنديم الكريم والخادم الفا ... ره يسعى علي بالأقداح

قوموا إذا شئتم.

عرضت عليه جارية وغنته فأمر بشرائها

أخبرني إسماعيل بن يونس وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال: عرضت على الوليد بن يزيد جاريةٌ صفراء كوفية مولدة يقال لها سعاد، فقال لها: أي شيء تحسنين؟ فقالت: أنا مغنية، فقال لها: غنيني، فغنت:

صوت

لولا الذي حملت من حبكم ... لكان في إظهاره مخرج
أو مذهب في الأرض ذو فسحةٍ ... أجل ومن حجت له مذحج
لكن سباني منكم شادنٌ ... مرببٌ ذو غنة أدعج
أغر ممكورٌ هضيم الحشى ... قد ضاق عنه الحجل والدملج

- الشعر للحارث بن خالد. والغناء لابن سريج خفيف رمل بالبنصر. وفيه لدحمان هزج بالوسطى، وذكر الهشامي أن الهزج ليحيى المكي - فطرب طرباً شديداً وقال: يا غلام اسقني، فسقاه عشرين قدحاً وهو يستعيدها. ثم قال لها: لمن هذا الشعر؟ قالت: للحارث بن خالد. قال: وممن أخذتيه؟ قالت: من حنين. قال: وأين لقيته؟ قالت: ربيت بالعراق وكان أهلي يجيئون به فيطارحني. فدعا صاحبه فقال: اذهب فابتعها بما بلغت ولا تراجعني في ثمنها ففعل، ولم تزل عنده حظيةً.

شرب هو ومحمد بن سليمان بجرن

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني عبيد الله بن عمار قال حدثني عبيد الله بن أحمد بن الحارث القرشي قال حدثنا العباس بن الوليد قال حدثنا ضمرة قال:
خرج عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام يوماً إلى بعض الديارات فنزل فيه وهو والٍ على الرملة، فسأل صاحب الدير: هل نزل بك أحدٌ من بني أمية؟ قال: نعم، نزل بي الوليد بن يزيد ومحمد بن سليمان بن عبد الملك. قال: فأي شيء صنعا؟ قال: شربا في ذلك الموضع، ولقد رأيتهما شربا في آنيتهما، ثم قال أحدهما لصاحبه: هلم

نشرب بهذا الجرن - وأومأ إلى جرنٍ عظيم من رخام - قال: أفعل، فلم يزالا يتعاطيانه بينهما ويشربان به حتى ثملا. فقال عبد الوهاب لمولى له أسود: هاته. قال ضمرة: وقد رأيته وكان يوصف بالشدة، فذهب يحركه فلم يقدر. فقال الراهب: والله لقد رأيتهما يتعاطيانه وكل واحد منهما يملؤه لصاحبه فيرفعه ويشربه غير مكترث.

وفد عليه سعد بن مرة ومدحه فأجازه

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى قال: وفد سعد بن مرة بن جبير مولى آل كثير بن الصلت، وكان شاعراً، على الوليد بن يزيد، فعرض له في يوم من أيام الربيع وقد خرج إلى متنزه له، فصاح به: يا أمير المؤمنين، وافدك وزائرك ومؤملك، فتبادر الحرس إليه ليصدوه عنه، فقال: دعوه، ادن إلي فدنا إليه، فقال: من أنت؟ قال: أنا رجل من أهل الحجاز شاعر، قال: تريد ماذا؟ قال: تسمع مني أربعة أبياتٍ، قال: هات.

صوت

شمن المخايل نحو أرضك بالحيا ... ولقين ركباناً بعرفك قفلا

قال: ثم مه، قال:

فعمدن نحوك لم ينخن لحاجة ... إلا وقوع الطير حتى ترحلا

قال: إن هذا السير حثيث، ثم ماذا؟ قال:

يعمدن نحو موطىءٍ حجراته ... كرماً ولم تعدل بذلك معدلا

قال: فقد وصلت إليه، فمه، قال:

لاحت لها نيران حيي قسطلٍ ... فاخترن نارك في المنازل منزلا

قال: فهل غير هذا؟ قال لا، قال: أنجحت وفادتك، ووجبت ضيافتك، أعطوه أربعة آلاف دينار، فقبضها ورحل.

الغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو والهشامي.

مسلمة بن هشام وزوجته

رجعت الرواية إلى حديث المدائني قال: لما أقدم العباس بن الوليد لإحصاء ما في خزائن هشام وولده سوى مسلمة بن هشام فإنه كان كثيراً ما يكف أباه عن الوليد ويكلمه فيه ألا يعرض له ولا يدخل منزله. وكانت عند مسلمة أم سلمة بنت يعقوب المخزومية، وكان مسلمة يشرب. فلما قدم العباس لإحصاء ما كتب إليه الوليد، كتبت أم سلمة: ما يفيق من الشراب ولا يهتم بشيءٍ مما فيه إخوته ولا بموت أبيه. فلما راح مسلمة بن هشام

إلى العباس قال له: يا مسلمة، كان أبوك يرشحك للخلافة ونحن نرجوك لما بلغني عنك، وأنبه وعاتبه على الشراب، فأنكر مسلمة ذلك وقال: من أخبرك بهذا؟ قال: كتبت إلي به أم سلمة، فطلقها في ذلك المجلس، فخرجت إلى فلسطين، وبها كانت تنزل، وتزوجها أبو العباس السفاح هناك.

قصة طلاقه سعدة وتعشقه أختها وسلمى التي عناها الوليد هناك هي سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان، وأمها أم عمرو بنت مروان بن الحكم، وأمها بنت عمر بن أبي ربيعة المخزومي.

فأخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام وعن المدائني عن جويرية بن أسماء: أن يزيد بن عبد الملك كان خرج إلى قرين متبدياً به، وكان هناك قصر لسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان، وكانت بنته أم عبد الملك، واسمها سعدة، تحت الوليد بن يزيد. فمرض سعيدٌ في ذلك الوقت، وجاءه الوليد عائداً، فدخل فلمح سلمى بنت سعيد أخت زوجته وسترها حواضنها وأختها فقامت ففرعتهن طولاً، فوقعت بقلب الوليد. فلما مات أبوه طلق أم عبد الملك زوجته وخطب سلمى إلى أبيها. وكانت لها أخت يقال لها أم عثمان تحت هشام بن عبد الملك، فبعثت إلى أبيها - وقيل: بعث إليه هشام - : أتريد أن تستفحل الوليد لبناتك يطلق هذه وينكح هذه! فلم يزوجه سعيد ورده أقبح رد. وهويها الوليد ورام السلو عنها فلم يسل، وكان يقول: العجب لسعيد! خطبت إليه فردني، ولو قد مات هشام ووليت لزوجني! وهي طالق ثلاثاً إن تزوجتها حينئذ وإن كنت أهواها. فيقال: إنما لما طلق سعدة ندم على ذلك وغمه. وكان لها من قلبه محل و لم تحصل له سلمى، فاهتم لذلك وجزع. وراسل سعدة، وقد كانت زوجت غيره فلم ينتفع بذلك.

أرسل أشعب لزوجته بعد طلاقها فردته

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري والحسن بن علي قالا حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجهم قال حدثنا المدائني قال: بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعد ما طلق امرأته، فقل: يا أشعب، لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلغ رسالتي سعدة، فقال: أحضر العشرة آلالاف الدرهم حتى أنظر إليها، فأحضرها الوليد، فوضعها أشعب على عنقه وقال: هات رسالتك، قال: قل لها يقول لك أمير المؤمنين:

أسعدة هل إليك لنا سبيل ... وهل حتى القيامة من تلاقي

بلى ولعل دهراً أن يؤاتي ... بموت من حليلك أو طلاق

فأصبح شامتاً وتقر عيني ... ويجمع شملنا بعد افتراق

فأتى أشعب الباب فأخبرت بمكانه، فأمرت بفرش له. ففرشت وجلست وأذنت لهز فلما دخل أنشدها ما أمره، فقالت لخدمها: خذوا الفاسق! فقال: يا سيدتي إنها بعشرة آلاف درهم. قالت: والله لأقتلنك أو تبلغه كما

بلغتني، قال: وما تهبين لي؟ قالت: بساطي الذي تحتي، قال: قومي عنه، فقامت فطواه وجعله إلى جانبه، ثم قال: هات رسالتك جعلت فداك، قالت: قل له:

أتبكي على لبنى وأنت تركتها ... فقد ذهبت لبنى فما أنت صانع

فأقبل أشعب فدخل على الوليد، فقال: هيه، فأنشده البيت، فقال: أوه قتلتني يا بن الزانية؟ ما أنا صانع، فاختر أنت الآن ما أنت صانع يا بن الزانية، إما أن أدليك على رأسك منكساً في بئر أو أرمي بك منكساً من فوق القصر أو أضرب رأسك بعمودي هذا ضربةً، هذا الذي أنا صانع، فاختر أنت الآن ما أنت صانع، فقال: ما كنت لتفعل شيئاً من ذلك، قال: و لم يا بن الزانية؟ قال: لم تكن لتعذب عينين نظرتا إلى سعدة. قال: أوه! أفلت والله بهذا يا بن الزانية؟ اخرج عني. وقال الحسن في روايته: إنها قالت له أنشده:

أتبكي على لبنى وأنت تركتها ... وأنت عليها بالملا كنت أقدر

وفي هذه الأبيات غناء هذه نسبته

صوت

أرى بيت لبنى أصبح اليوم يهجر ... وهجران لبنى يا لك الخير منكر

فإن تكن الدنيا بلبنى تغيرت ... فللدهر والدنيا بطونٌ وأظهر

أتبكي على لبنى وأنت تركتها ... وأنت عليها بالحرا كنت أقدر

عروضه من الطويل. والشعر لقيس بن ذريح. والغناء في الثاني والثالث للغريض ثقيل أول بالبنصر عن عمرو والهشامي.، وفيهما لعريب رملٌ بالبنصر. وفيه لشارية خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي. وفي الأول خفيف ثقيلٍ مجهول.

تزيا بزي زيات ليرى سلمى وشعره في ذلك

قال ابن سلام والمدائني في خبرهما: وخرج الوليد بن يزيد يريد فرتنى لعله يراها، فلقيه زيات معه حمار عليه زيت، فقال له: هل لك أن تأخذ فرسي هذا وتعطيني حمارك هذا بما عليه وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك؟ ففعل الزيات ذلك. وجاء الوليد وعليه الثياب وبين يديه الحمار يسوقه متنكراً حتى دخل قصر سعيد، فنادى: من يشتري الزيت، فاطلع بعض الجواري فرأينه فدخلن إلى سلمى وقلن: إن بالباب زياتاً أشبه الناس بالوليد، فاخرجي فانظري إليه، فخرجت فرأته ورآها، فرجعت القهقرى وقالت: هو والله الفاسق الوليد! وقد رآني! فقلن له: لا حاجة بنا إلى زيتك، فانصرف وقال:

إنني أبصرت شيخاً ... حسن الوجه مليح

ولباسي ثوب شيخ من عباءٍ ومسوح
وأبيع الزيت بيعاً خاسراً غير ربيح

وقال أيضاً:

فما مسكٌ يعل بزنجبيلٍ ولا عسلٌ بألبان اللقاح
بأشهى من مجاجة ريق سلمى ولا ما في الزقاق من القراح
ولا والله لا أنسى حياتي وثاق الباب دوني واطراحي

قال: فلما ولى الخلافة أشخص إلى المغنين فحضروه وفيهم معبدٌ وابن عائشة وذووهما. فقال لابن عائشة: يا محمد، إن غنيتني صوتين في نفسي فلك عندي مائة ألف درهم، فغناه قوله:

إنني أبصرت شيخاً

وغناه:

فما مسكٌ يعل بزنجبيل

الأبيات، فقال الوليد: ما عدوت ما في نفسي، وأمر له بمائة ألف درهم وألطاف وخلع، وأمر لسائر المغنين بدون ذلك.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

فما مسكٌ يعل بزنجبيلٍ ولا عسلٌ بألبان اللقاح

بأطيب من مجاجة ريق سلمى ولا ما في الزقاق من القراح

غناه ابن عائشة، ولحنه ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وحماد بن إسحاق: تزوج سلمى بعد ولايته الخلافة وماتت بعد قليل فرثاها: قال المدائني وابن سلام: فلما طال بالوليد ما به كتب إلى أبيها سعيد:

أبا عثمان هل لك في صنيع تصيب الرشد في صلتي هديتا
فأشكر منك ما تسدى وتحيى أبا عثمان ميتةً وميتا

قالوا: فلم يجبه إلى ذلك حتى ولى الخلافة، فلما وليها زوجه إياها، فلم يلبث إلا مدة يسيرةً حتى ماتت. وقال فيه ليلة زفت إليه:

خف من دار جيرتي يا بين داود أنسها

وهي طويلة. وفيها مما يغنى به:

أو لا تخرج العرو ... س فقد طال حبسها

قد دنا الصبح أو بدا ... وهي لم يقض لبسها

برزت كالهلال في ... ليلةٍ غاب نحسها

بين خمس كواعبٍ ... أكرم الخمس جنسها

غناء ابن سريج، فيما ذكره حبش، رملٌ بالبنصر، أوله:

خف من دار جيرتي

وغناء معبد فيه خفيف ثقيلٍ، أوله:

ومتى تخرج العروس

في رواية الهشامي وابن المكي. وغناء عمر الوادي في الأربعة الأبيات الأخر خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو. وذكر في النسخة الثانية ووافقه الهشامي أن فيه هزجاً بالوسطى ينسب إلى حكم وإلى أبي كامل وإلى عمر.

غنى حكم الوادي للمهدي فوصله

وقد أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الأصمعي قال: رأيت حكما الوادي قد تعرض للمهدي وهو يريد الحج، فوقف له في الطريق وكانت له شهرة، فأخرج دفاً له فنقر فيه وقال: أنا، أطال الله بقاءك، القائل:

ومتى تخرج العرو ... س فقد طال حبسها

قد دنا الصبح أو بدا ... وهي لم يقض لبسها

قال: فتسرع إليه الحرس، فصيح بهم، وإذا هو حكم الوادي، فأدخل إليه المضرب فوصله وانصرف.

نسبة أو لا تخرج العروس - قال: الشعر الوليد بن يزيد. والغناء لعمر الوادي. وفيه لحنان هزجٌ خفيف بالخنصر في مجرى البنصر "وخفيف رملٍ بالخنصر في مجرى البنصر جميعاً عن إسحاق"، وذكر حكم الوادي أن الهزج له، وذكر إسحاق أن لحن حكم خفيف رمل بالخنصر في مجرى الوسطى. وقال في كتاب يحيى: إن هذا اللحن لعمر الوادي. وذكر الهشامي أنه فيه خفيف ثقيلٍ لمعبد ورملاً لابن سريج. وذكر عمرو بن بانة أن فيه للدلال خفيف ثقيل أول بالبنصر.

ماتت سلمى فرثاها الوليد

وقال المدائني: مكثت عنده سلمى أربعين يوماً ثم ماتت، فقال:

ألما تعلما سلمى أقامت مضمنةً من الصحراء لحدا
لعمرك يا وليد لقد أجنوا بها حسباً ومكرمةً ومجدا
ووجهاً كان يقصر عن مداه شعاع الشمس أهلٌ أن يفدى
فلم أر ميتاً أبكى لعينٍ وأكثر جازعاً وأجل فقدا
وأجدر أن تكون لديه ملكاً يريك جلادةً ويسر وجدا

شعره في سلمى

ذكر أشعار الوليد التي قالها في سلمى وغنى المغنون فيها منها:

صوت

عرفت المنزل الخالي عفا من بعد أحوال
عفاه كل حنانٍ عسوف الوبل هطال
لسلمى قرة العين وبنت العم والخال
بذلت اليوم في سلمى خطاراً أتلفت مالي
كأن الريق من فيها سحيقٌ بين جريال

غناه عمر الوادي هزجاً بالوسطى عن عمرو. وذكر ابن خرداذبه أن هذا اللحن للوليد بن يزيد. وفي رملٌ ذكر الهشامي أنه لابن سريج.

ومنها وهو صوت الذي غناه أبو كامل فأعطاه الوليد قلنسيته : صوت

منازل قد تحل بها سليمى دوارس قد أضر بها السنون
أميت السر حفظاً يا سليمى إذا ما السر باح به الحزون

غناه أبو كامل من الثقيل الأول. وفي لابن سريج، ويقال للغريض، خفيف أول بالوسطى عن الهشامي، وقيل: إنه لحكم أو لعمر الوادي. ومنها:

صوت

أراني قد تصابيت وقد كنت تناهيت
ولو يتركني الحب لقد صمت وصليت

إذا شئت تصبرت ولا أصبر إن شيت

ولا والله لا يصب ر في الديمومة الحوت
سليمى ليس لي صبر وإن رخصت لي جيت
فقبلتك ألفين وفديت وحييت
ألا أحبب بزورٍ زا ر من سلمى ببيروت
غزالٌ أدعج العين نقي الجيد والليت

غناه ابن جامع في البيتين الأولين هزجاً بالوسطى، وغناه أبو كامل في الأبيات كلها على ما ذكرت بذل و لم يجنسه. وغنى حكم الوادي في الثالث والرابع والسابع والثامن خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو والهشامي.

ومنها:

صوت

عتبت سلمى علينا سفاها أن سببت اليوم فيها أباها
كان حق العتب يا قوم مني ليس منها كان قلبي فداها
فلئن كنت أردت بقلبي لأبي سلمى خلاف هواها
فثكلت اليوم سلمى فسلمى ملأت أرضي معاً وسماها
غير أني لا أظن عدواً قد أتاها كاشحاً بأذاها
فلها العتبى لدينا وقلت أبداً حتى أنال رضاها

غناه أبو كامل خفيف رملٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه ليحيى المكي ثقيل أول من رواية علي بن يحيى. وفيه رمل يقال: إنه لابن جامع، ويقال: بل لحن ابن جامع خفيف رمل أيضاً.

خطب سلمى إلى أبيها وهو سكران فرده فسبته فقال شعراً: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن عمرو قال: لقي سعيد بن خالد الوليد بن يزيد وهو مملٌ، فقال له: يا أبا عثمان، أتردني على سلمى! وكأني بك لو قد وليت الخلافة خطبتني فلم أجبك، وإن تزوجتها حينئذ فهي طالق ثلاثاً. فقال له سعيد: إن المرء يجعل كريمته عند مثلك لحقيقٌ بأكثر مما قلت، فأمضه الوليد وشتمه وتسامعا وافترقا. وبلغ الوليد أن سلمى جزعت لما جرى وبكت وسبت الوليد ونالت منه، فقال:

عتبت سلمى علينا سفاها أن هجوت اليوم فيها أباها

وذكر الأبيات. وقال أيضاً في ذلك:

صوت

على الدور التي بليت سفاها ... قفا يا صاحبي فسائلاها

دعتك صبابةٌ ودعاك شوق ... وأخضل دمع عينك مأقياها

وقالت عند هجوتنا أباها ... أردت الصرم فانتده انتداها

أردت بعادنا بهجاء شيخي ... وعندك خلةٌ تبغي هواها

فإن رضيت فذاك وإن تماديت ... فهبها خطةً بلغت مداها

غناه مالك بن أبي السمح خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وللهذلي فيه ثاني ثقيل بالوسطى عن يونس والهشامي، وذكر حبش: أن الثقيل الثاني لإسحاق يعني بقوله:

أردت بعادنا بهجاء شيخي .

أنه كان هجا سعيد بن خالد، فقال:

ومن يك مفتاحاً لخير يريده ... فإنك قفلٌ يا سعيد بن خالد

قال المدائني: لما غضبت سلمى من هجائه أباها قال يعتذر إليه بقوله:

ألا أبلغ ألا عثما ... ن عذرة معتبٍ أسفا

فلست كمن يودك بال ... لسان ويكثر الحلفا

عتبت علي في أشيا ... ء كانت بيننا سرفا

فلا تشمت بي الأعدا ... ء والجيران ملتهفا

تود لو أنني لحمٌ ... رأته الطير فاختطفا

ولا ترفع به رأساً ... عفا الرحمن ما سلفا

ومنها وهو من سخيف شعره:

صوت

خبروني أن سلمى ... خرجت يوم المصلى

فإذا طيرٌ مليح ... فوق غصن يتفلى

قلت من يعرف سلمى ... قال ها ثم تعلى

قلت يا طير ادن مني قال ها ثم تدلى

قلت هل أبصرت سلمى قال لا ثم تولى

فنكا في القلب كلماً باطناً ثم تعلى

فيه ثقيل أول بالبنصر مطلق، ذكر الهشامي أنه لأبي كامل ولعمر الوادي، وذكر حبش أنه لدحمان ومنها:

صوت

اسقني يا بن سالم قد أنارا كوكب الصبح وانجلى واستنارا

اسقني من سلاف ريق سليمى واسق هذا النديم كأساً عقارا

غناه ابن قدح

ثاني ثقيل بالوسطى من رواية حبش.

سأل المأمون ندماءه عن شعر يدل على أنه لملك ثم قال لهم: إنه شعر الوليد: أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله قال حدثني أبي: أنا المأمون قال لمن حضره من جلسائه: أنشدوني بيتاً لملك يدل البيت وإن لم يعرف قائله أنه شعر ملكٍ، فأنشده بعضهم قول امرىء القيس:

أمن أجل أعرابية حل أهلها جنوب الملا عيناك تبتدران

قال: وما في هذا مما يدل على ملكه! قد يجوز أن يقول هذا سوقةٌ من أهل الحضر، فكأنه يؤنب نفسه على التعلق بأعرابية، ثم قال: الشعر الذي يدل على أن قائله ملكٌ قول الوليد:

اسقني من سلاف ريق سليمى واسق هذا النديم كأساً عقارا

أما ترى إلى إشارته في قوله هذا النديم وأنها إشارة ملك. ومثل قوله:

لي المحض من ودهم ويغمرهم نائلي

وهذا قول من يقدر بالملك على طويات الرجال، يبذل المعروف لهم ويمكنه استخلاصها لنفسه. وفي هذا البيت مع أبيات قبله غناءٌ وهو قوله:

صوت

سقيت أبا كامل من الأصفر البابلي

وسقيتها معبداً ولك فتى بازل

لي المحض من ودهم ويغمرهم نائلي

فما لامني فيهم سوى حاسدٍ جاهل

غناه أبو كامل

ثقيلاً أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

ومنها وهو من ملح شعره:

صوت

أراني الله يا سلمى حياتي وفي يوم الحساب كما أراك

ألا تجزين من تيمت عصراً ومن لو تطلبين لقد قضاك

ومن لو مت مات ولا تموتي ولو أنسي له أجلٌ بكاك

ومن حقًّا لو اعطي ما تمنى من الدنيا العريضة ما عداك

ومن لو قلت مت فأطاق موتاً إذا ذاق الممات وما عصاك

أثيبي عاشقاً كلفاً معنى إذا خدرت له رجلٌ دعاك

كانت العرب تقول: إن الإنسان إذا خدرت قدمه باسم أحب الناس إليه فسكنت. في الخبر أن رجل عبد الله عمر خدرت، فقيل له: ادع باسم أحب الناس إليك، فقال: يا رسول الله، صلى الله على رسول الله وعلى آله وسلم. ذكر يونس أن في هذه الأبيات لحناً لسنان الكاتب، وذكرت دنانير أنه لحكم و لم تجنسه .

ومنها:

صوت

ويح سلمى لو تراني لعناها ما عناني

متلفاً في اللهو ما لي عاشقاً حور القيان

إنما أحزن قلبي قول سلمى إذ أتاني

ولقد كنت زماناً خالي الذرع لشاني

شاق قلبي وعناني حب سلمى وبراني

ولكم لام نصيحٌ في سليمى ونهاني

غنته فريدة خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه ثقيل أول ينسب إلى معبد، وهو فيما يذكر إسحاق يشبه غناءه وليس تعرف صحته له، وذكر كثير الكبير أنه له، وذكر الهشامي أنه لابن المكي. وفيه لحكم هزجٌ صحيح. ومنها:

صوت

بلغا عني سليمى وسلاها لي عما

فعلت في شأن صبٍّ دنفٍ أشعرهما

ولقد قلت لسلمى إذ قتلت البين علما

أنت همي يا سليمى قد قضاه الرب حتما

نزلت في القلب قسراً منزلاً قد كان يحمى

غناه حكمٌ خفيف ثقيلٍ. ولعمر الوادي فيه خفيف رمل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق. ومنها: صوت

يا سليمى يا سليمى كنت للقلب عذابا

يا سليمى ابنة عمي برد الليل وطابا

إيما واشٍ وشى بي فاملئي فاه ترابا

ريقها في الصبح مسك باشر العذب الرضابا

غناه عمر الوادي

هزجاً بالبنصر عن الهشامي

وذكر ابن المكي أنه لمعان . وفي كتاب إبراهيم أنه لعطرد. ومنها:

صوت

أسلمى تلك حييت قفي نخبرك إن شيت

وقيلي ساعةً نشك إليك الحب أو بيتي

فما صهباء لم تكس قذىً من خمر بيروت

ثوت في الدن أعواما ختيماً عند حانوت

غناه عمر الوادي ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو. ومنها:

صوت

يا من لقلب في الهوى متشعبٍ بل من القلب بالحبيب عميد
سلمى هواه ليس يعرف غيرها دون الطريف ودون كل تليد
إن القرابة والسعادة ألفا بين الوليد وبين بنت سعيد
يا قلب كم كلف الفؤاد بغادةٍ ممكورةٍ ريا العظام خريد

غناه عمر الوادي رملاً بالبنصر عن عمرو. ومنها:

قد تمنى معشرٌ إذا أطربوا من عقار وسوامٍ وذهب
ثم قالوا لي تمن واستمع كيف ننحو في الأماني والطلب
فتمنيت سليمى إنها بنت عمي من لهاميم العرب

فيه للهذلي خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. وذكر الهشامي أن هذا الخفيف الثقيل لخالد صامةً . وذكر ابن المكي أن فيه المكي ثاني ثقيل بالوسطى. ومنها:

صوت

هل إلى أم سعيدٍ من رسول أو سبيل
ناصحٍ يخبر أني حافظٌ ود خليل
يبذل الود لغيري وأكافي بالجميل
لست أرضى لخليلي من وصالي بالقليل

غناه عمر الوادي هزجاً خفيفاً بالسبابة في مجرى الوسطى. ومنها:

صوت

طاف من سلمى خيالٌ بعد ما نمت فهاجا
قلت عج نحوي أسائل ك عن الحب فعاجا
يا خليلي يا نديمي قم فأنفث لي سراجا

بفلاةٍ ليس ترعى أنبتت شيحاً وحاجا

غناه عمر الوادي ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو. ولابن سريج فيه خفيف رمل بالوسطى عن حبش. ولأبي سلمى المدني ثقيل أول عن ابن خرداذبه. ومنها:

صوت

أم سلامٍ أثيبي عاشقاً يعلم الله يقيناً ربه

أنكم من عيشه في نفسه يا سليمى فاعلميه حسبه

فارحميه إنه يهذي بكم هائمٌ صبٌ قد أودى قلبه

أنت لو كنت له راحمةً لم يكدر يا سليمى شربه

غناه حكمٌ رملاً بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أن فيه لابن سريج بالوسطى. ومنها:

صوت

رب بيتٍ كأنه متن سهم سوف نأتيه من قرى بيروت

من بلاد ليست لنا ببلاد كلما جئت نحوها حييت

أم سلام لا برحت بخير ثم لا زلت جنتي ما حييت

طرباً نحوكم وتوقاً وشوقاً لادكاريكم وطيب المبيت

حيثما كنت من بلاد وسرتم فوقاك الإله ما قد خشيت

في البيت الأول والثاني لابن عائشة ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن الهشامي، وذكر غيره أنه لإبراهيم. وفي الثالث وما بعده والثاني لابن عائشة أيضاً رمل بالوسطى، ولابن سريج خفيف رمل بالبنصر. وقيل: إن الرمل لعمر الوادي، وهو أن يكون له أشبه. ومنها:

صوت

طرقتني وصحابي هجوعٌ ظبيةٌ أدماء مثل الهلال

مثل قرن الشمس لما تبدت واستقلت في رؤوس الجبال

تقطع الأهوال نحوي وكانت عندنا سلمى ألوف الحجال

كم أجازت نحونا من بلاد وحشةٍ قتالةٍ للرجال

لابن محرز فيه ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق في الثاني والثالث. ولابن سريج في الأول وما بعده خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو. وفيه لحن لابن عائشة ذكر الهشامي أنه رمل بالوسطى. وفي خفيف رملٍ ينسب إلى ابن سريج وعمر الوادي. ومنها:

صوت

أنا الوليد الإمام مفتخراً ... أنعم بالي وأتبع الغزلا

أهوى سليمى وهي تصرمني ... وليس حقاً جفاء من وصلا

أسحب بردى إلى منازلها ... ولا أبالي مقال من عذلا

غنى فيه أبو كامل رملاً بالبنصر. وغنى عمر الوادي فيه خفيف رملٍ بالوسطى، ويقال إن هذا اللحن للوليد. أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قال الوليد على لسان سلمى:

صوت

اقر مني على الوليد السلاما ... عدد النجم قل ذا للوليد

حسداً ما حسدت أختي عليه ... ربنا بيننا وبين سعيد

غناه الهذلي خفيف ثقيل أول بالوسطى عن ابن المكي.

غضب على جاريته ثم صالحها

لشعر رجل من قريش:

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا خالد بن النضر القرشي بالبصرة قال حدثنا أبو حاتم السجستاني قال حدثنا العتبي قال: كانت للوليد بن يزيد جارية يقال لها صدوف، فغاضبها، ثم لم يطعه قلبه فجعل يتسبب لصلحها، فدخل عليه رجل قرشي من أهل المدينة فكلمه في حاجة وقد عرف خبره، فبرم به، فأنشده:

أعتبت أن عتبت عليك صدوف ... وعتاب مثلك مثلها تشريف

لا تقعدن تلوم نفسك دائماً ... فيها وأنت بحبها مشغوف

إن القطيعة لا يقوم لمثلها ... إلا القوي ومن يحب ضعيف

الحب أملك بالفتى من نفسه ... والذل فيه مسلك مألوف

قال: فضحك وجعل ذلك سبباً لصلحها، وأمر بقضاء حوائج القرشي كلها.

استقدم حماداً الراوية ليسأله عن شعر وأجازه: أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال قال حماد الراوية: استدعاني الوليد بن يزيد وأمر لي بألفين لنفقتي وألفين لعيالي، فقدمت عليه. فلما دخلت داره قال لي الخدم: أمير المؤمنين من خلف الستارة الحمراء، فسلمت بالخلافة، فقال لي: يا حماد، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: ثم ثاروا، فلم أدر ما يعني فقال: ويحك يا حماد! ثم ثاروا، فقلت في نفسي: راوية أهل العراق لا يدري عما يسأل! ثم انتبهت فقلت:

ثم ثاروا إلى الصبوح فقامت ... قينةٌ في يمينها إبريق

قدمته على عقار كعين الديك ... صفى سلافها الراووق

ثم فض الختام عن حاجب الد ... ن وقامت لدى اليهودي سوق

فسباها منه أشم عزيز ... أريحيٌّ غذاه عيش رقيق

الشعر لعدي بن زيد. والغناء لحنين خفيف ثقيل أول بالبنصر. وفيه لمالك خفيف رمل. ولعبد الله بن العباس الربيعي رمل، كل ذلك عن الهشامي قال: فإذا جارية قد أخرجت كفا لطيفة من تحت الستر في يدها قدح، والله ما أدري أيهما أحسن الكف أم القدح، فقال: رديه فما أنصفناه! تغدينا و لم نغده! فأتيت بالغداء، وحضر أبو كامل مولاه فغناه: صوت

أدر الكأس يميناً ... لا تدرها ليسار

اسق هذا ثم هذا ... صاحب العود النضار

من كميت عتقوها ... منذ دهر في جرار

ختموها بالأفاويه ... وكافورٍ وقار

فلقد أيقنت أني ... غير مبعوثٍ لنار

سأروض الناس حتى ... يركبوا أير الحمار

وذروا من يطلب الج ... نة يسعى لتبار

فيه هزجان بالوسطى والبنصر لعمر الوادي وأبي كامل فطرب وبرز إلينا وعليه غلالة موردةٌ، وشرب حتى سكر. فأقمت عنده مدة ثم أذن بالانصراف، وكتب لي إلى عامله بالعراق بعشرة آلاف درهم.

حكاية تروى عن تهتكه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: لما ولي الوليد بن يزيد لهج بالغناء والشراب والصيد، وحمل المغنين من المدينة وغيرها إليه وأرسل إلى أشعب فجاء به، فألبسه سراويل من جلد قرد له ذنب، وقال له: ارقص وغنني شعراً يعجبني، فإن فعلت فلك ألف درهم، فغناه

فأعجبه فأعطاه ألف درهم.

ودخل إليه يوماً، فلما رآه الوليد كشف عن أيره وهو منعظٌ - قال أشعب: فرأيته كأنه مزمار آبنوس مدهون - فقال لي: أرايت مثله قط؟ قلت: لا يا سيدي، قال: فاسجد له، فسجدن ثلاثاً، فقال: ما هذا؟ قلت: واحدةً لأيرك وثنتين لخصيتيك. قال: فضحك وأمر لي بجائزة.

قال: وتكلم بعض جلسائه والمغنية تغني، فكره ذلك وأضجره، فقال لبعض جلسائه: قم فنكه، فقام فناكه والناس حضورٌ وهو يضحك.

وذكرت جاريةٌ أنه واقعها يوماً وهو سكران، فلما تنحى عنها آذنه المؤذن بالصلاة، فحلف ألا يصلي بالناس غيرها، فخرجت متلثمةً فصلت بالناس.

قال: ونزل على غدير ماء فاستحسنه. فلما سكر حلف ألا يبرح حتى يشرب ذلك الغدير كله ونام، فأمر العلاء بن البندار بالقرب والروايا فأحضرت، فجعل يترحه ويصبه على الأرض والكثب التي حولهم حتى لم يبق فيه شيء، فلما أصبح الوليد رآه قد نشف فطرب وقال: أنا أبو العباس! ارتحلوا. فارتحل الناس.

نسخت من كتاب الحسين بن فهم قال النضر بن حديد حدثني ابن أبي جناح قال أخبرني عمر بن جبلة: أن الوليد بن يزيد بات عند امرأة وعدته المبيت، فقال حين انصرف:

قامت إلي بتقبيل تعانقني ... ريا العظام كأن المسك في فيها

ادخل فديتك لا يشعر بنا أحد ... نفسي لنفسك من داء تفديها

بتنا كذلك لا نومٌ على سررٍ ... من شدة الوجد تدنيني وأدنيها

حتى إذا ما بدا الخيطان قلت لها ... حان الفراق فكاد الحزن يشجيها

ثم انصرفت ولم يشعر بنا أحدٌ ... والله عني بحسن الفعل يجزيها

مر بنسوة من بني كلب استسقاهن وقال فيهن شعراً: وحدثني النضر بن حديد قال حدثنا هشام بن الكلبي عن خالد بن سعيد قال: مر الوليد بن يزيد وهو متصيدٌ بنسوة من بني كلب من بني المنجاب، فوقف عليهن واستسقاهن وحدثهن وأمر لهن بصلة، ثم مضى وهو يقول:

ولقد مررت بنسوة أعشينني ... حور المدامع من بني المنجاب

فيهن خرعبةٌ مليح دلها ... غرثى الوشاح دقيقة الأنياب

زين الحواضر ما ثوت في حضرها ... وتزين باديها من الأعراب

أطلق غزالاً صاده لشبهه سلمى: قال النضر وحدثني ابن الكلبي عن أبيه: أن الوليد خرج يتصيد ذات يوم، فصادت كلابه غزالاً، فأتي به فقال: خلوه ، فما رأيت أشبه منه جيداً وعينين بسلمى. ثم أنشأ يقول:

ولقد صدنا غزالاً سانحاً ... قد أردنا ذبحه لما سنح

فإذا شبهك ما ننكره حين أزجى طرفه ثم لمح

فتركناه ولولا حبكم فاعلمي ذاك لقد كان انذبح

أنت يا ظبي طليقٌ آمن فاغد في الغزلان مسروراً ورح

بعث إلى شراعة بن الزندبوذ وماجنه: نسخت من كتاب الحسين بن فهم قال أخبرني عمرو عن أبيه عن عمروا بن واقد الدمشقي قال: بعث الوليد بن يزيد إلى شراعة بن الزندبوذ، فلما قدم عليه قال: يا شراعة، إني لم أستحضرك لأسألك عن العلم ولا لأستفتيك في الفقه ولا لتحدثني ولا لتقرئني القرآن، قال: لو سألتني عن هذا لوجدتني فيه حماراً. قال: فكيف علمك بالفتوة؟ قال: ابن بجدتها، وعلى الخبير بها سقطت، فسل عما شئت. قال: فكيف علمك بالأشربة؟ قال: ليسألني أمير المؤمنين عما أحب. قال: ما قولك في الماء؟ قال: في الحياة، ويشركني فيه الحمار. قال: فاللبن؟ قال: ما رأيته قط إلا ذكرت أمي فاستحيت. قال: فالخمر؟ قال: تلك السارة البارة وشراب أهل الجنة. قال: لله درك! فإي شيء أحسن ما يشرب عليه؟ قال: عجبت لمن قدر أن يشرب على وجه السماء في كن من الحر والقر كيف يختار عليها شيئاً! الوليد وحادثة المصحف: قال وأخبرنا عمرو بن أبيه عن يحيى بن سليم قال: دعا الوليد بن يزيد ذات ليلة بمصحف، فلما فتحه وافق ورقةً فيها: "واستفتحوا وخاب كل جبارٍ عنيدٍ. من ورائه جهنم ويسقى من ماءٍ صديدٍ"، فقال: أسجعاً سجعاً! ثم أخذ القوس والنبل فرماه حتى مزقه، ثم قال:

أتوعد كل جبار عنيدٍ فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا لاقيت ربك يوم حشر فقل لله مزقني الوليد

قال: فما لبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى قتل.

غضب على جارية أمرها بالغناء في شعر لم تعرفه: أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم قال حدثني معاوية بن بكر عن يعقوب بن عياش المروزي من أهل ذي المروة أن أباه حمل عدة جوار إلى الوليد بن يزيد، فدخل إليه وعنده أخوه عبد الجبار وكان حسن الوجه والشعرة وفيها، فأمر الوليد جاريةً منهن أن تغني:

لو كنت من هاشم أو من بني أسد أو عبد شمس أو أصحاب اللوا الصيد

وأمرها أخوه أن تغني:

أتعجب أن طربت لصوت حاد حدا بزلاً يسرن ببطن واد

فغنت ما أمرها به الغمر ، فغضب الوليد واحمر وجهه، وظن أنها فعلت ذلك ميلاً إلى أخيه. وعرفت الشر في وجهه، فاندفعت فغنت: صوت

أيها العاتب الذي خاف هجري وبعادي وما عمدت لذاكا

أترى أنني بغيرك صبٌّ جعل الله من تظن فداكا
أنت كنت الملول في غير شيء بئس ما قلت ليس ذاك كذاكا
ولو أن الذي عتبت عليه خير الناس واحداً ما عداكا
فارض عني جعلت نعليك إني والعظيم الجليل أهوى رضاكا

- الشعر لعمر .أخ والغناء لمعبد من روايتي يونس وإسحاق، ولحنه من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وذكر حماد في أخبار ابن عائشة أن له فيه لحناً - قال: فسري عن الوليد وقال لها: ما منعك أن تغني ما دعوتك إليه؟ قالت: لم أكن أحسنه، وكنت أحسن الصوت الذي سألنيه، أخذته من ابن عائشة، فلما تبينت غضبك غنيت هذا الصوت وكنت أخذته من معبد. تعني الذي اعتذرت به إليه.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء صوت

لو كنت من هاشم أو من بني أسد أو عبد شمس أو أصحاب اللوا الصيد
أو من بني نوفل أو آل مطلبٍ أو من بني جمح الخضر الجلاعيد
أو من بني زهرة الأبطال قد عرفوا لله درك لم تهمم بتهديد

الشعر لحسان بن ثابت، يقوله لمسافع بن عياض أحد بني تيم بن مرة، وخبره يذكر بعد هذا. والغناء لابن سريج خفيف رمل بالخنصر ، وقيل: إنه لمالك. ومنها: صوت

أتعجب أن طربت لصوت حاد حدا بزلاً يسرن ببطن واد
فلا تعجب فإن الحب أمسى لبثنة في السواد من الفؤاد

الشعر لجميل. والغناء لابن عائشة رمل بالبنصر.

غنته جارية بشعر المخزومي فطرب وأمر بشرائها: أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم قال: عرضت على الوليد ين يزيد جاريةٌ مغنية، فقال لها: غني، فغنت: صوت

لولا الذي حملت من حبكم لكان من إظهاره مخرج
أو مذهبٌ في الأرض ذو فسحةٍ أجل ومن حجت له مذحج
لكن سباني منهم شادنٌ مرببٌ بينهم أدعج
أغر ممكورٌ هضيم الحشى قد ضاق عنه الحجل والدملج

فقال لها الوليد: لمن هذا الشعر؟ قال: للوليد بن يزيد المخزومي. قال: فممن أخذت الغناء؟ قالت: من حنين. فقال: أعيديه، فأعادته فأجادت، فطرب الوليد ونعر وقال: أحسنت وأبى وجمعت كل ما يحتاج إليه في غنائك،

وأمر بابتياعها، وحظيت عنده.

غنى في هذا الصوت ابن سريج ولحنه رمل بالبنصر. وغنى فيه إسحاق فيما ذكر الهشامي خفيف ثقيلٍ. ومما يغني به من هذه القصيدة: صوت

قد صرح القوم وما لجلجوا ... لجوا علينا ليت لم يلججوا

باتوا وفيهم كالمها طفلةٌ ... قد زانها الخلخال والدملج

غناه صباح الخياط خفيف ثقيلٍ بالبنصر. وغنى فيه ابن أبي الكنات خفيف ثقيل بالوسطى.

حسان بن ثابت وهجوه مسافع بن عياض: فأما خبر الشعر الذي قال حسان بن ثابت لمسافع بن عياض أحد بني تيم بن مرة، فأخبرني به الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عثمان بن عبد الرحمن: أن عبيد الله بن معمر وعبد الله بن عامر بن كريز اشتريا من عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقيقاً ممن سبي، ففضل عليهما ثمانون ألف درهم، فأمر بهما عمر أن يلزما . فمر بهما طلحة بن عبيد الله وهو يريد الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما لابن معمرٍ يلازم؟ فأخبر خبره، فأمر له بالأربعين ألفا التي عليه تقضى عنه. فقال ابن معمر لابن عامر: إنها إن قضيت عني بقيت ملازماً، وإن قضيت عنك لم يتركني طلحة حتى يقضي عني، فدفع إليه الأربعين ألفا درهم فقضاها ابن عامر عن نفسه وخليت سبيله. فمر طلحة منصرفاً من الصلاة فوجد ابن معمر يلازم فقال: ما لابن معمر؟ ألم آمر بالقضاء عنه! فأخبر بما صنع، فقال: أما ابن معمر فعلم أن له ابن عم لا يسلمه، احملوا عنه أربعين ألف درهم فاقضوها عنه، ففعلوا وخلي سبيله. فقال حسان بن ثابت لمسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة:

يا آل تيم ألا تنهون جاهلكم ... قبل القذاف بصمٍّ كالجلاميد

فنهنهوه فإني غير تاركِكم ... إن عاد ما اهتز ماءٌ في ثرى عود

لو كنت من هاشم أو من بني أسد ... أو عبد شمس أو أصحاب اللوا الصيد

أو من بني نوفل أو آل مطلبٍ ... أو من بني جمح الخضرِ الجلاعيد

أو من بني زهرة الأبطال قد عرفوا ... لله درك لم تهمم بتهديد

أو في الدؤابة من تيم إذا انتسبوا ... أو من بني الحارث البيض الأماجيد

لكن سأصرفها عنكم وأعدلها ... لطلحة بن عبيد الله ذي الجود

رجع الخبر إلى سياقه أخبار الوليد: الوليد بن يزيد وأبو الأقرع الشاعر: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال قال الهيثم حدثني ابن عياش قال: دخل أبو الأقرع على الوليد بن يزيد، فقال له: أنشدني قولك في الخمر، فأنشد قوله:

كميتٌ إذا شجت وفي الكأس وردةٌ لها في عظام الشاربين دبيب

تريك القذى من دونها وهي دونه لوجه أخيها في الإناء قطوب

فقال الوليد: شربتها يا أبا الأقرع ورب الكعبة! فقال: يا أمير المؤمنين، لئن كان نعتي لها رابك لقد رابني معرفتك بها.

رأى أم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب بن عبد الرحمن فأعجبته: أخبرني الحسن قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني عبد الله بن عمرو قال قال المدائني: نظر الوليد بن يزيد إلى أم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف وقد مروا بين يديها بالشمع ليلاً، فلما رآها أعجبته وراعه جمالها وحسنها، فسأل عنها فقيل له: إن لها زوجاً، فأنشأ يقول: صوت

إنما هاج لقلبي شجوه بعد المشيب

نظرةٌ قد وقرت في ال قلب من أم حبيب

فإذا ما ذقت فاها ذقت عذباً ذا غروب

خالط الراح بمسك خالصٍ غير مشوب

غناه ابن محرز خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشامي، وذكر عمرو بن بانة أنه للأبجر، وهو الصحيح.

الوليد بن يزيد في آخر دولته: أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن النضر بن عمرو عن العتبي قال: لما ظهرت المسودة بخراسان كتب نصر بن سيار إلى الوليد يستمده، فتشاغل عنه، فكتب إليه كتاباً وكتب في أسفله يقول:

أرى خلل الرماد وميض جمرٍ وأحر بأن يكون له ضرام

فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب مبدؤها الكلام

فقلت من التعجب ليت شعري أأيقاظٌ أمية أم نيام

فكتب إليه الوليد: قد أقطعتك خراسان، فاعمل لنفسك أودع، فإني مشغول عنك بابن سريج ومعبد والغريض.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن ابن الصباح عن ابن الكلبي عن حماد الراوية قال: دخلت يوماً على الوليد وكان آخر يوم لقيته فيه، فاستنشدني كل ضرب من شعر أهل الجاهلية والإسلام، فما هش لشيء منه حتى أخذت في السخف فأنشدته لعمار ذي مجنبذاً :

أشتهي منك منك من ك مكاناً مجنبذاً

فأجا فيه فيه في ه بأير كمثل ذا

ليت أيري وحرك يو ماً جميعاً تجابذا

فأخذ ذا بشعر ذا وأخذ ذا بقعر ذا

فضحك حتى استلقى وطرب، ودعا بالشراب فشرب، وجعل يستعيدني الأبيات فأعيدها حتى سكر وأمر لي بجائزة، فعلمت أن أمره قد أدبر. ثم أدخلت على أبي مسلمٍ فاستنشدني فأنشدته، قول الأفوه :

لنا معشر لم يبنوا لقومهم

فلما بلغت إلى قوله:

تهدى الأمور بأهل الرشد ما صلحت وإن تولت فبالأشرار تنقاد

قال: أنا ذلك الذي تنقاد به الناس، فأيقنت حينئذ أن أمره مقبل.

خطب يوماً خطبة الجمعة بشعر: أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: وجدت في كتاب عن عبيد الله بن سعيد الزهري عن عمر عن أبيه قال: خرج الوليد بن يزيد وكان من أصحابه على شراب، فقيل له: إن اليوم الجمعة، فقال: والله لأخطبنهم اليوم بشعر، فصعد المنبر فخطب فقال:

الحمد لله ولي الحمد أحمده في يسرنا والجهد

وهو الذي في الكرب أستعين وهو الذي ليس له قرين

أشهد في الدنيا وما سواها أن لا إله غيره إلهاً

ما إن له في خلقه شريك قد خضعت لملكه الملوك

أشهد أن الدين دين أحمد فليس من خالفه بمهتدي

وأنه رسول رب العرش القادر الفرد الشديد البطش

أرسله في خلقه نذيراً وبالكتاب واعظاً بشيراً

ليظهر الله بذاك الدينا وقد جعلنا قبل مشركينا

من يطع الله فقد أصابا أو يعصه أو الرسول خابا

ثم القران والهدى السبيل قد بقيا لما مضى الرسول

كأنه لما بقى لديكم حيٌ صحيحٌ لا يزال فيكم

إنكم من بعد إن تزلوا عن قصده أو نهجه تضلوا

لا تتركن نصحي فإني ناصح إن الطريق فاعلمن واضح

من يتق الله يجد غب التقى يوم الحساب صائراً إلى الهدى

إن التقى أفضل شيءٍ في العمل أرى جماع البر فيه قد دخل

خافوا الجحيم إخوتي لعلكم يوم اللقاء تعرفوا ما سركم
قد قيل في الأمثال لو علمتم فانتفعوا بذاك إن عقلتم
ما يزرع الزارع يوماً يحصده وما يقدم من صلاح يحمده
فاستغفروا ربكم وتوبوا فالموت منكم فاعلموا قريب

ثم نزل.

الوليد بن يزيد والوليد البندار: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه عن الوليد البندار قال: حججت مع الوليد بن يزيد، فقلت له لما أراد أن يخطب الناس: أيها الأمير، إن اليوم يومٌ يشهده الناس من جميع الآفاق، وأريد أن تشرفني بشيء. قال: وما هو؟ قلت: إذا علون المنبر دعوت بي فيتحدث الناس بذلك وبأنك أسررت إلي شيئاً، فقال: أفعل. فلما جلس على المنبر قال: الوليد البندار، فقمت إليه، فقال: ادن مني فدنوت، فأخذ بأذني ثم قال: البندار ولد زنا، والوليد ولد زنا، وكل من ترى حولنا ولد زنا، أفهمت؟ قلت: نعم، قال: انزل الآن، فنزلت.

نادرة له مع أشعب: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن أشعب قال: دخلت على الوليد بن يزيد الخاسر وقد تناول الخاسر وقد تناول نبيذاً، فقال له: تمن، فقلت: يتمنى أمير المؤمنين ثم أتمنى، قال: فإنما أردت أن تغلبني، فإني لأتمنى ضعف ما تتمنى به كائنا ما كان، قلت: فإني أتمنى كفلين من العذاب، فضحك ثم قال: إذا نوفرهما عليك. ثم قال لي: ما أشياء تبلغني عنك؟ قلت: يكذبون علي. قال: متى عهدك بالأصم؟ قلت: لا عهد لي به. فأخرج أيره كأنه نايٌ مدهون، فسجدت له ثلاث سجدات، فقال: ويلك إنما يسجد الناس سجدةً واحدةً، فقلت: واحدةً للأصم واثنتين لخصيتيك.

كان يغالي بالجوهر: أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن علي بن حمزة قال حدثني عبد الصمد بن موسى الهاشمي قال: إنما أغلى الجوهر بنو أمية، ولقد كان الوليد بن يزيد يلبس منه العقود ويغيرها في اليوم مراراً كما تغير الثياب شغفاً، فكان يجمعه من كل وجه ويغالي يه.

برز للناس راكباً فرساً وهو متهتك: قال: وكان يوماً داره على فرس له جاريةٌ تضرب بطبل قدامه، فأخذه منها ووضعه على رقبته، ونفر الفرس من صوت الطبل فخرج به على أصحابه في هذه الهيئة، وكان خليعاً.

قدم المدينة وبعث لابن يسار بخمر: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الخراز عن المدائني عن جويرية بن أسماء قال: قدم الوليد بن يزيد المدينة، فقلت لإسماعيل بن يسار: أحذنا مما أعطاك الله، فقال: هلم أقاسمك إن قبلت، بعث إلي براويةٍ من خمر.

مر بإسكار حاجبه وكان لا يشرب: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال حدثني رجل قال: كان الوليد بن يزيد إذا أصبح يوم الاثنين تغدى وشرب رطلين ثم جلس للناس. قال: فحدثني عمر الوادي قال: دخلت عليه وعنده أصحابه وقد تغدى وهو يشرب، فقال له: اشرب فشربت،

وطرب، وغنى صوتاً واحداً وأخذ دفافة فدفف بها، فأخذ كل واحد منا دفافة فدفف بها، وقام وقمنا حتى بلغنا إلى الحاجب، فلما رآنا الحاجب صاح بالناس: الحرم الحرم، اخرجوا. ودخل الحاجب فقال: جعلني الله فداءك، اليوم يحضر فيه الناس، فقال له: اجلس واشرب، فقال: إنما أنا حاجب فلا تحملين على الشراب فما شربته قط، قال: اجلس فاشرب، فامتنع، فما فارقناه حتى صببنا في حلقه بالقمع وقام وهو سكران.

قيل إنه افترع بنتاً له وكذب ذلك أبو الفرج:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن شريك قال حدثني عمي علي بن عمرو قرقارة قال حدثني أنيف بن هاشم بن الكلبي ومات قبل أبيه قال حدثني أبي قال: خرج الوليد بن يزيد من مقصورةٍ إلى مقصورةٍ، فإذا هو ببنت له معها حاضنتها، فوثب عليها فاقترعها، فقالت له الحاضنة: إنها المجوسية، قال: اسكتي! ثم قال:

من راقب الناس مات غماً ... وفاز باللذة الجسور

وأحسب أنا أن هذا الخبر باطلٌ، لأن هذا الشعر لسلم الخاسر، و لم يدرك زمن الوليد.

تمنى غلاء الخمر وعزة النساء لئلا يبتذلا: أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال أخبرني مسلمة بن سلم الكاتب قال: قال الوليد بن يزيد: وددت أن كل كأس تشرب من خمر بدينار، وأن كل حرٍ في جبهة أسد، فلا يشرب إلا سخي، ولا ينكح إلا شجاعٌ.

شرب شرب الفرس سبعة أسابيع: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال: سمعت رجلاً يحدث أبي الكوفة قال: أرسلت إلى الوليد جفنةٌ مملوءةٌ فرعونية قوارير لم ير مثلها قط. فلما أمسينا صببنا فيها الشراب في ليلة أربع عشرة، حتى إذا استوى القمر على رؤوسنا وصار في الجفنة قال الوليد: في أي منزلةٍ القمر الليلة؟ فقال بعضهم: في الحمل، وقال بعضهم: في منزلة كذا وكذا من منازل القمر، فقال بعض جلسائه: القمر في الجفنة، قال: قاتلك الله! أصبت ما في نفسي! لتشربن الهفتجنة . فقال مصعب: فسأل أبي عن الهفتجنة فقال: شرب كانت الفرس تشربه سبعة أسابيع. فشرب تسعةً وأربعين يوماً.

غناه المغنون فطرب واعترض على شعر لابن أذينة: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال أخبرني خالد صامة المغني وكان من أحسن الناس غناءً على عودٍ، قال: بعث إلي الوليد بن يزيد، فقدمت عليه، فوجدت عنده معبداً ومالكاً والهذلي، وعمر الوادي وأبا كامل، فغنى القوم ونحن في مجلس يا له من مجلس! وغلامٌ للوليد له سبرة يسقي القوم الطلاء، إذ جاءت نوبة الغناء إلي، فأخذت عودي فغنيت بأبيات قالها عروة بن أذينة يرثي أخاه بكراً: صوت

سرى همي وهم المرء يسري ... وغار النجم إلا قيد فتر

أراقب في المجرة كل نجم ... تعرض في المجرة كيف يجري

بحزن ما أزال مديماً ... كأن القلب أسعر حر جمر

على بكر أخي ولى حميداً وأي العيش يحسن بعد بكر

- غناه ابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى. وغنى فيه ابن عباد الكاتب ولحنه رمل بالوسطى عن الهشامي - قال خالد: فقال لي الوليد: أعد يا صام فأعدت، فقال: من يقوله ويحك؟ قلت: بان أذنية، قال: هذا والله العيش الذي نحن فيه على رغم أنفه، لقد تحجر واسعاً. قال عبد الرحمن بن عبد الله قال عبد الله بن أبي فروة: وأنشدها ابن أذنية ابن أبي عتيق، فضحك ابن أبي عتيق وقال: كل العيش يحسن حتى الخبز والزيت، فحلف ابن أذنية لا يكلمه أبداً، فمات ابن أبي عتيق وابن أذنية مهاجرٌ له.

أنشدت سكينة بنت الحسين شعر ابن أذنية فاعترضت عليه: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال: بلغني أن سكينة بنت الحسين رضي الله عنها أنشدت، وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن مصعب قال: أنشدت سكينة، وأخبرني الحسين بن يحيى عن عباد عن أبيه عن أبي يحيى العبادي: أن سكينة أنشدت أبيات عروة بن أذنية في أخيه بكر، فلما انتهت إلى قوله:

على بكر أخي ولى حميداً وأي العيش يحسن بعد بكر

قالت سكينة: ومن أخوه بكر! أليس الدحداح الأسيد القصير الذي كان يمر بنا صباحاً ومساء؟ قالوا: نعم، قالت: كل العيش والله يصلح ويحسن بعد بكر حتى الخبز والزيت.

سبق سليمان بن عبد الملك بين المغنين ببدرة فأخذها ابن سريج: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي عن إسحاق قال:

قدم سليمان بن عبد الملك المدينة، فجمع المغنين وسبق بينهم ببدرة، وقال: أيكم كان أحسن غناءً فهي له، فاجتمعوا. فبلغ الخبر ابن سريج، فجاء وقد أغلق الباب، فقال للحاجب: استأذن لي، قال: لا يمكن وقد أغلق الباب، ولو كنت جئت قبل أن يغلق الباب لاستأذنت لك. قال: فدعني أغن من شق الباب، قال نعم. فسكت حتى فرغ جميع المغنين من غنائهم ثم اندفع فغنى:

سرى همي وهم المرء يسري

فنظر المغنون بعضهم إلى بعض وعرفوه، فلما فرغ قال سليمان: أحسن والله! هذا والله أحسن منكم غناءً، أخرج يا غلام إليه بالبدرة، فأخرجها إليه.

الوليد بن يزيد وفرسه السندي: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن جعدبة: أن رجلاً أهدى إلى هشام بن عبد الملك خيلاً، فكان فيها فرس مربوعٌ قريب الركاب، فعرف الوليد منه ما لم يعرف هشام، فنهر الرجل وشتمه وقال. أتجيء بمثل هذا إلى أمير المؤمنين! ردوه عليه، فردوه. فلما خرج وجه إليه بثلاثين ألف درهم وأخذه منه، فهو فرسه الذي يسميه السندي.

فأخبرني بعض أصحابي أن الوليد خرج يوماً يتصيد وحده، فانتدب إليه مولى لهشام يريد الفتك به. فلما بصر به الوليد حاوله فقهره بفرسه الذي كان تحته فقتله. وقال في ذلك:

ألم ترأني بين ما أنا آمنٌ يخب بي السندي قفراً فيافيا
تطلعت من غورٍ فأبصرت فارساً فأوجست منه خيفةً أن يرانيا
ولما بدا لي أنما هو فارس وقفت له حتى أتى فرمانيا
رماني ثلاثاً ثم إني طعنته فرويت منه صعدتي وسنانيا

غناه أبو كامل لحناً من الماخوري بالبنصر. ولإبراهيم فيه ثقيل أول، وقيل: إن له فيه ماخورياً آخر. وفيه لعمر الوادي ثاني ثقيل. ولمالك رملٌ من رواية الهشامي.

قال: وقال الوليد أيضاً في فرسه السندي:

قد أغتدي بذي سبيبٍ هيكل مشرب مثل الغراب أرجل
أعددته لحلبات الأحوال ولك نقع ثائرٍ لجحفل
وكل خطب ذي شؤون معضل

فقال هشام: لكنا أعددنا له ما يسوءه، نخلعه ونقصيه، فيكون مهاناً مدحوراً مطرحاً.

ماتت سلمى بعد زفافها بسبعة أيام فرثاها: نسخت من كتاب أحمد بن أبي طاهر حدثني أبو الحسن العقيلي: أن الوليد لما ولي الخلافة خطب سلمى التي كان ينسب بها، فزوجها لما مضى صدرٌ من خلافته، فقامت عنده سبعة أيام فماتت، فقال يرثيها:

يا سلم كنت كجنةٍ قد أطعمت أفنانها دانٍ جناها موضع
أربابها شفقاً عليها نومهم تحليل موضعها ولما يهجعوا
حتى إذا فسح الربيع طنونهم نثر الخريف ثمارها فتصدعوا

أمر وهو سكران بقتل نديمه القاسم ثم ندم ورثاه: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن أبي العالية، وأخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكار عن عمه: أن الوليد بن يزيد لما انهمك على شربه ولذاته ورفض الآخرة وراء ظهره وأقبل على القصف والعسف مع المغنين مثل مالك ومعبد وابن عائشة وذويهم، كان نديمه القاسم بن الطويل العبادي، وكان أديباً ظريفاً شاعراً، فكان لا يصبر عنه، فغناه معبد ذات يوم شعر عدي: صوت

يكر العاذلون في وضح الص بح يقولون لي ألا تستفيق
لست أدري وقد جفاني خليلي أعدوٌ يلومني أم صديق
ثم قالوا ألا اصبحونا فقامت قينةٌ في يمينها إبريق
قدمته على عقار كعين الد يك صفى سلافها الراووق

- فيه لمعبد ثقيل ويقال إنه لحنين. وفيه لمالك خفيف رمل. وفيه لعبد الله بن العباس رملٌ كل ذلك عن الهشامي

- قال: فاستحسنه الوليد وأعجب به وطرب عليه وجعل يشرب إلى أن غلب عليه السكر فنام في موضعه، فانصرف ابن الطويل. فلما أفاق الوليد سأل عنه، فعرف حين انصرافه، فغضب وقال وهو سكران لغلام كان واقفاً على رأسه يقال له سبرة: ائتني برأسه، فمضى الغلام حتى ضرب عنقه وأتاه برأسه فجعله في طست بين يديه، فلما رآه أنكره وسأل عن الخبر فعرفه، فاسترجع وندم على ما فرط منه، وجعل يقلب الرأس بيده. ثم قال يرثيه: صوت

عيني للحدث الجليل جودا بأربعةٍ هموله

جودا بدمع إنه يشفي الفؤاد من الغليل

لله قبرٌ ضمنت فيه عظام ابن الطويل

ماذا تضمن إذ ثوى فيه من اللب الأصيل

قد كنت آوي من هوا ك إلى ذرى كهفٍ ظليل

أصبحت بعدك واحداً فرداً بمدوجة السيول

غناه الغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو. وغنى فيه سليم لحناً من الثقيل الأول بالبنصر عن الهشامي، وذكر غيره أن لحن الغريض لدحمان، وذكر حبشٌ انه لأبي كامل، وذكره غيره أن لحن الغريض لدحمان قال: ثم دخل إلى جواريه فقال: والله ما أبالي متى جاءني الموت بعد الخليل ابن الطويل. فيقال: إنه لم يعش بعده إلا مديدةً حتى قتل. والله أعلم.

أجاز حماداً الراوية لطربه لشعر أنشده إياه: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال روى الهيثم بن عدي عن ابن عياش عن حماد الراوية قال: دعاني الوليد يوماً من الأيام في السحر والقمر طالعٌ وعنده جماعةٌ من ندمائه وقد اصطبح، فقال: أنشدني في النسيب، فأنشدته أشعاراً كثيرة، فلم يهش لشيء منها، حتى أنشدته قول عمار ذي كناز :

اصبح القوم قهوةً في الأباريق تحتذى

من كميت مدامةٍ حبذا تلك حبذا

فطرب. ثم رفع رأسه إلى خادم وكان قائماً كأنه الشمس، فأومأ إليه فكشف ستراً خلف ظهره، فطلع منه أربعون وصيفاً كأنهم اللؤلؤ المنثور في أيديهم الأباريق والمناديل، فقال: أسقوهم، فما بقي أحد إلا أسقي، وأنا في خلال ذلك أنشده الشعر، فما زال يشرب ويسقى إلى طلوع الفجر. ثم لم نخرج عن حضرته حتى حملنا الفراشون في البسط فألقونا في دار الضيافة، فما أفقنا حتى طلعت الشمس. قال حماد: ثم أحضرني فخلع علي

خلعاً من فاخر ثيابه وأمر بعشرة آلاف درهم وحملني على فرس.

خاصم وكيله الجعفري في أرض لدى هشام فلم ينصفه فقال هو شعراً: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن أبي بكر الهذلي قال: للوليد بن يزيد يخاصم الجعفري في الرحبة من أرض دمشق، وكان الجعفري قد استولى عليها فقطع شفرة الأعلى، فاستعدى عليه هشاماً فلم يعده، فقال الوليد في ذلك:

أيا حكم المتبول لو كنت تعتزى ... إلى أسرةٍ ليسوا بسود زعانف

لأيقنت قد أدركت وترك عنوةً ... بلا حكم قاضٍ بل بضرب السوالف

غناه الهذلي ثقيلاً أول عن الهشامي ويونس قال: فلما استخلف الوليد بعث إلى بكر بن نوفل الجعفري فقال: ألا تعطي حكم بن الزبير حقه! قال: لا، فأمر به فشترت عينه. ثم قال:

يا رب أمرٍ ذي شؤون جحفل ... قاسيت فيه جلبات الأحول

مات ابنه مؤمن ونعاه إليه سنان الكاتب وهو سكران فرثاه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: خرج الوليد إلى متصيد له فأقام به، ومات له ابن يقال له مؤمن بن الوليد، فلم يقدر أحد أن ينعاه إليه، حتى ثمل فنعاه إليه سنان الكاتب وكان مغنياً، فقال الوليد - وفي هذا الشعر غناء من الأصوات التي أختيرت للواثق والرشيد قبله - : صوت من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

أتاني سنانٌ بالوداع لمؤمنٍ ... فقلت له إني إلى الله راجع

ألا أيها الحاثي عليه ترابه ... هبلت وشلت من يديك الأصابع

يقولون لا تجزع وأظهر جلادةً ... فكيف بما تحنى عليه الأضالع

عروضه من الطويل. غناه سنان الكاتب، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لأبي كامل خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. وقيل: إن فيه لحناً لعبد الله بن يونس صاحب أيلة.

كتب له مؤدبه يزيد شعراً ينصحه فرد عليه: أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عقيل بن عمرو قال: قال يزيد بن أبي مساحق السلمي مؤدب الوليد شعراً وبعث به إلى النوار جارية الوليد، فغنته به، وهو:

مضى الخلفاء بالأمر الحميد ... وأصبحت المذمة للوليد

تشاغل عن رعيته بلهو ... وخالف فعل ذي الرأي الرشيد

فكتب إليه الوليد:

ليت حظي اليوم من ... كل معاشٍ لي وزاد

قهوةٌ أبذل فيها طارفي ثم تلادي
فيظل القلب منها هائماً في كل واد
إن في ذاك صلاحي وفلاحي ورشادي

نهى بني أمية عن الغناء وقال إنه رقية الزنا: أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إبراهيم بن الوليد الحمصي قال حدثنا هارون بن الحسن العنبري قال: قال الوليد بن يزيد: يا بني أمية، إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة ويهدم المروءة ويثور على الخمر ويفعل ما يفعل السكر، فإن كنتم لا بد فاعلين، فجنبوه النساء فإن الغناء رقية الزنا. وإني لأقول ذلك فيه على أنه أحب إلي من كل لذة وأشهى إلي من الماء البارد إلى ذي الغلة، ولكن الحق أحق أن يقال.

قال له بعض مواليه إن الناس أنكروا عليك البيعة لابنيك فأجابه وقال شعراً: أخبرني الحسن بن علي حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال حدثني بعض موالي الوليد قال: دخلت إليه وقد عقد لابنيه بعده وقدم عثمان، فقلت له: يا أمير المؤمنين، أقول قول الموثوق بنصيحته أو يسعني السكوت؟ قال: بل قل قول الموثوق به، فقلت: إن الناس قد أنكروا ما فعلت وقالوا: يبايع لمن لم يحتلم، وقد سمعت ما أكره فيك، فقال: عضوا ببظور أمهاتكم، أفأدخل بيني وبين ابني غيري، فيلقى منه كما لقيت من الأحوال بعد أبي! ثم أنشأ يقول: صوت

سرى طيف ذا الظبي بالعاقدا ن ليلاً فهيج قلباً عميدا
وأرق عيني على غرة فباتت بحزنٍ تقاسى السهودا
نؤمل عثمان بعد الولي د للعهد فينا ونرجو سعيدا
كما كان إذ كان في دهره يزيد يرجي لتلك الوليدا
على أنها شسعت شسعةً فنحن نرجي لها أن تعودا
فإن هي عادت فعاص القري ب منها لتؤيس منها البعيدا

- غناه أبو كامل ثاني ثقيل بالبنصر من أصوات قليلة الأشباه. وذكر عمرو بن بانة أن فيه لعمر الوادي لحناً من الماخوري بالوسطى. وذكر الهشامي أن فيه خفيف رمل لحكم، وذكرت دنانير عن حكم أنه لعمر الوادي، وذكر حبش أن الثقيل الثاني لمالك وأن فيه لفضل النجار رملاً بالبنصر - أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكار قال: هو:

سرى طيف ظبي بأعلى الغوير

ولكن هذا تصحيف سليمان السوادي أو قال: خليد.

حبس يزيد الناقص وليي عهد الوليد وقتلهما: أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال: كان الوليد قد بايع لابنيه الحكم وعثمان، وهو أول من بايع لابن سريةٍ أمةٍ، و لم يكونوا يفعلون ذلك، وأخذهما يزيد بن الوليد الناقص، فحبسهما ثم قتلهما، وفيهما يقول ابن أبي عقب:

إذا قتل الخلف المديم لسكره ... بقفر من البخراء أسس في الرمل

وسيق بلا جرم إلى التحف والردى ... بنياه حتى يذبحا مذبح السخل

فويل بني مروان ماذا أصابهم ... بأيدي بني العباس بالأسر والقتل

تبع الكلبي الزنديق على قوله في ماني ورده العلاء البندار:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبي عن العلاء البندار قال: كان الوليد زنديقاً، وكان رجل من كلب يقول بمقالته مقالة الثنوية ، فدخلت على الوليد يوماً وذلك الكلبي عنده، وإذا بينهما سفطٌ قد رفع رأسه عنه فإذا ما يبدو لي منه حريرٌ أخضر، فقال: ادن يا علاء فدنوت، فرفع الحريرة فإذا في السفط صورة إنسان وإذا الزئبق والنوشادر قد جعلا في جفنه يطرف كأنه يتحرك، فقال: يا علاء، هذا ماني ، لم يبتعث الله نبياً قبله ولا يبتعث نبياً بعده. فقلت: يا أمير المؤمنين، اتق الله ولا يغرنك هذا الذي ترى عن دينك. فقال له الكلبي: يا أمير المؤمنين، ألم أقل لك: إن العلاء لا يحتمل هذا الحديث. قال العلاء: ومكثت أياماً، ثم جلست مع الوليد على بناء كان بناه في عسكره يشرف به والكلبي عنده، إذ نزل من عنده وقد كان الولد حمله على برذون هملاجٍ أشقر من أفره ما سخر، فخرج على برذونه ذلك فمضى به في الصحراء حتى غاب عن العسكر، فما شعر إلا وأعرابٌ قد جاءوا به يحملونه منفسخةً عنقه ميتاً وبرذونه يقاد حتى أسلموه. فبلغني ذلك، فخرجت متعمداً حتى أتيت أولئك الأعراب، وقد كانت لهم أبياتٌ بالقرب منه في أرض البخراء لا حجر فيها ولا مدر، فقلت لهم: كيف كانت قصة هذا الرجل؟ قالوا: أقبل علينا على برذون، فو الله لكأنه دهنٌ يسيل على صفاةٍ من فراهته، فعجبنا لذلك، إذ انقض رجلٌ من السماء عليه ثيابٌ بيض فأخذ بضبعيه فاحتمله ثم نكسه وضرب برأسه الأرض فدق عنقه ثم غاب عن عيوننا، فاحتملناه فجئنا به.

قصة الخارجين عليه ومقتله: وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الخراز عن المدائني قال: لما أكثر الوليد بن يزيد التهتك وانهمك في اللذات وشرب الخمر وبسط المكروه على ولد هشام والوليد وأفرط في أمره وغيه، مل الناس أيامه وكرهوه. وكان قد عقد لابنيه بعده و لم يكونا بلغا، فمشى الناس بعضهم إلى بعض في خلعه، وكان أقوالهم في ذلك يزيد الناقص بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، فمشى إلى أخيه العباس وكان امرأ صدقٍ و لم يكن في بني أمية مثله، كان يتشبه بعمر بن عبد العزيز فشكا إليه ما يجري على الناس من الوليد، فقال له: يا أخي، إن الناس قد ملوا بني مروان، وإن مشى بعضكم في أمر بعض أكلتم، ولله أجلٌ لا بد أن يبلغه فانتظره. فخرج من عنده ومشى إلى غيره، فبايعه جماعةٌ من اليمانية الوجوه، فعاد إلى أخيه ومعه مولى له وأعاد عليه القول وعرض له

بأنه قد دعي إلى الخلافة، فقال له: والله لولا أني لا آمنه عليك من تحامله لوجهت بك إليه مشدوداً، فنشدتك الله ألا تسعى في شيء من هذا. فانصرف من عنده وجعل يدعو الناس إلى نفسه. وبلغ الوليد ذلك فقال يذكر قومه ومشى بعضهم إلى بعض في خلعه: صوت

سل هم النفس عنها ... بعلنداةٍ علاة
تتقي الأرض وتهوي ... بخفاف مدمجات
ذاك أم بال قومي ... كسروا سن قناتي
واستخفوا بي وصاروا ... كقرودٍ خاسئات

الشعر للوليد بن يزيد بن عبد الملك. والغناء لأبي كامل غزيل الدمشقي ماخوري بالبنصر. وفي هذه القصيدة يقول الوليد بن يزيد:

أصبح اليوم وليدٌ ... هائماً بالفتيات
عنده راح وإبري ... قٌ وكأسٌ بالفلاة
ابعثوا خيلاً لخيل ... ورماةً لرماة

وأخبرني بالسبب في مقتله الحسن بن علي قال أخبرنا أحمد بن الحارث قال حدثني المدائني عن جويرية بن أسماء، وأخبرني بن ابن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه عن المدائني عن جويرية بن أسماء قال: قال ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك: لما أظهر الوليد بن يزيد أمره وأدمن على اللهو والصيد واحتجب عن الناس ووالى بين الشرب وانهمك في اللذات، سئمه الناس ووعظه من أشفق عليه من أهله، فلما لم يقلع دبوا في خلعه. فدخل أبي بشر بن الوليد على عمي العباس بن الوليد وأنا معه، فجعل يكلم عمي في أن يخلع الوليد بن يزيد ومعه عمي يزيد بن الوليد، فكان العباس ينهاه وأبي يرد عليه، فكنت أفرح وأقول في نفسي: أرى أبي يجترىء أن يكلم عمي ويرد عليه، فقال العباس: يا بني مروان، أظن أن الله قد أذن في هلاككم. ثم قال العباس:

إني أعيذكم بالله من فتنٍ ... مثل الجبال تسامى ثم تندفع
إن البرية قد ملت سياستكم ... فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تلحمن ذئاب الناس أنفسكم ... إن الذئاب إذا ما ألحمت رتعوا
لا تبقرن بأيديكم بطونكم ... فثم لا فديةٌ تغني ولا جزع

قال المدائني عن رجاله: فلما استجمع ليزيد أمره وهو متبدٍّ أقبل إلى دمشق، وبين مكانه الذي كان متبدياً فيه وبين دمشق أربع ليالٍ، فأقبل إلى دمشق متنكراً في سبعة أنفس على حمر وقد بايع له أكثر أهل دمشق وبايع له أكثر أهل المزة. فقال مولى لعباد بن زياد: إني لبجرود - وبين جرود ودمشق مرحلةٌ إذ طلع علينا سبعةٌ معتمون

على حمر فنزلوا، وفيهم رجل طويل جسيم، فرمى بنفسه فنام وألقوا عليه ثوباً، وقالوا لي: هل عندك شيء نشتريه من طعام؟ فقلت: أما بيعٌ فلا، وعندي من قراكم ما يشبعكم، فقالوا: فعجله، فذبحت لهم دجاجاً وفراخاً وأتيتهم بما حضر من عسل وسمن وشوانيز ، وقلت: أيقظوا صاحبكم للغداء، فقالوا: هو محموم لا يأكل، فسفروا للغداء فعرفت بعضهم، وسفر النائم فإذا هو يزيد بن الوليد، فعرفته فلم يكلمني. ومضوا ليدخلوا دمشق ليلاً في نفر من أصحابه مشاةٍ إلى معاوية بن مصاد وهو بالمزة - وبينها وبين دمشق ميل - فأصابهم مطر شديد، فأتوا منزل معاوية فضربوا بابه وقالوا: يزيد بن الوليد، فقال له معاوية: الفراش، ادخل أصلحك الله، قال: في رجلي طين وأكره أن أفسد عليك بساطك، فقال: ما تريدني عليه أفسد. فمشى على البساط وجلس على الفراش، ثم كلم معاوية فبايعه. وخرج إلى دمشق فنزل دار ثابت بن سليمان الحسني مستخفياً، وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف، فخاف عبد الملك الوباء فخرج فنزل قطناً ، واستخلف ابنه على دمشق وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السلمي، وتم ليزيد أمره فأجمع على الظهور. وقيل لعامل دمشق: إن يزيد خارجٌ فلم يصدق. وأرسل يزيد إلى أصحابه بين المغرب والعشاء في ليلة الجمعة من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة، فكمنوا في ميضأةٍ عند باب الفراديس ، حتى إذا أذنوا العتمة دخلوا المسجد مع الناس فصلوا. وللمسجد حرسٌ قد وكلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل، فإذا خرج الناس خرج الحرس وأغلق صاحب المسجد الأبواب، ودخل الدار من باب المقصورة فيدفع المفاتيح إلى من يحفظها ويخرج. فلما صلى الناس العتمة صاح الحرس بالناس فخرجوا، وتباطأ أصحاب يزيد الناقص، فجعلوا يخرجونهم من باب ويدخلون من باب، حتى لم يبق في المسجد إلا الحرس وأصحاب يزيد، فأخذوا الحرس. ومضى يزيد بن عنبسة السكسكي إلى يزيد فأخبره وأخذ بيده وقال: قم يا أمير المؤمنين وأبشر بعون الله ونصره، فأقبل وأقبلنا ونحن اثنا عشر رجلاً. فلما كنا عند سوق القمح لقيهم فيها مائتا رجل من أصحابهم، فمضوا حتى دخلوا المسجد وأتوا باب المقصورة، وقالوا: نحن رسل الوليد، ففتح لهم خادمٌ الباب، ودخلوا فأخذوا الخادم، وإذا أبو العاج سكران فأخذوه وأخذوا خزان البيت وصاحب البريد، وأرسل إلى كل من كان يحذره فأخذه. وأرسل من ليلته إلى محمد بن عبيد ة مولى سعيد بن العاص وهو على بعلبك، وإلى عبد الملك بن محمد بن الحجاج فأخذهما. وبعث أصحابه إلى الخشبية فأتوه، وقال للبوابين: لا تفتحوا الأبواب غدوةً إلا لمن أ خبركم بشعار كذا وكذا. قال: فتركوا الأبواب في السلاسل. وكان في المسجد سلاح كثير قدم به سليمان بن هشام من الجزيرة، فلم يكن الخزان قبضوه، فأصابوا سلاحاً كثيراً فأخذوه وأصبحوا، وجاء أهل المزة مع حريث بن أبي الجهم. فما انتصف النهار حتى بايع الناس يزيد وهو يتمثل قول النابغة:

إذا استنزلوا عنهن للطعن أرقلوا إلى الموت إرقال الجمال المصاعب

فجعل أصحابه يتعجبون ويقولون: انظروا إلى هذا! كان قبيل الصبح يسبح وهو الآن ينشد الشعر. قال : وأمر

يزيد عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان فوقف بباب الجابية فنادى: من كان له عطاءٌ فليأت إلى عطائه، ومن لم يكن له عطاء فله ألف درهم معونةُ ، فبايع له الناس وأمر بالعطاء. قال: وندب يزيد بن الوليد الناس إلى قتال الوليد بن يزيد بن عبد العزيز، وقال: من انتدب معه فله ألفان، فانتدب ألفا رجلٍ، فأعطاهم وقال: موعدكم ذنبه ، فوافى ذنبة ألف ومائتا رجل، فقال: ميعادكم مصنعةٌ بالبرية وهي لبني عبد العزيز بن الوليد، فوافاه ثمانمائة رجل، فسار فوافاهم ثقل الوليد فأخذوه ومع عبد العزيز فرسانٌ منهم منصور بن جمهور ويعقوب بن عبد الرحمن السلمي والأصبغ بن ذؤالة وشبيب بن أبي ملك الغساني وحميد بن نصر اللخمي، فأقبلوا فنزلوا قريباً من الوليد. فقال الوليد: أخرجوا لي سريراً فأخرجوه فصعد عليه. وأتاه خبر العباس بن الوليد: إني أجيئك. وأتى الوليد بفرسين الذائد والسندي، وقال: أعلي يتواثب الرجال وأنا أثب على الأسد وأتخصر الأفاعي!. وهم ينتظرون العباس أن يأتيهم و لم يكن بينهم كبير قتالٍ، فقتل عثمان الخشبي، وكان من أولاده الخشبية الذين كانوا مع المختار . وبلغ عبد العزيز بن الحجاج أن العباس بن الوليد يأتي الوليد، فأرسل منصور بن جمهور في جريدة خيل وقال: إنكم تلقون العباس بن الوليد ومعه بنوه في الشعب فخذوه. وخرج منصور في تلك الخيل وتقدموا إلى الشعب، وإذا العباس ومعه ثلاثون قد تقدموا أصحابه، فقال: اعدل إلى عبد العزيز، فشتمهم، فقال له منصور: والله لئن تقدمت لأنفذن حصينك بالرمح، فقال: إنا لله! فأقبلوا به يسوقونه إلى عبد العزيز. فقال له عبد العزيز: بايع ليزيد، فبايع ووقف، ونصبوا رايةً وقالوا: هذا العباس قد بايع. ونادى منادي عبد العزيز، من لحق بالعباس بن الوليد فهو آمنٌ، فقال العباس: إنا لله! خدعةٌ من خدع الشيطان! هلك والله بنو مروان! فتفرق الناس عن الوليد وأتوا العباس. وظاهر الوليد في درعين وقاتلهم. وقال الوليد: من جاء برأس فله خمسمائة درهم، فجاء جماعةٌ بعدة رؤوس، فقالوا: اكتبوا أسماءهم، فقال له رجل من مواليه: ليس هذا يا أمير المؤمنين يوماً يعامل فيه بالنسيئة. وناداهم رجالٌ: اقتلوا اللوطي قتلة قوم لوط، فرموه بالحجارة. فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وقال: صوت

دعوا لي سليمى والطلاء وقينةً ... وكأساً ألا حسبي بذلك مالا
إذا ما صفا عيش برملة عالجٍ ... وعانقت سلمى لا أريد بدالا
خذوا ملككم لا ثبت الله ملككم ... ثباتاً يساوي ما حييت عقالا
وخلوا عناني قبل عيرٍ وما جرى ... ولا تحسدوني أن أموت هزالا

غناه عمر الوادي رملاً بالوسطى عن حبش ثم قال لعمر الوادي: يا جامع لذتي، غنني بهذا الشعر. وقد أحاط الجند بالقصر، فقال لهم الوليد من وراء الباب: أما فيكم رجل شريف له حسب وحياءٌ أكلمه؟! فقال له يزيد بن عنبسة السكسكي: كلمني، فقال له الوليد: يا أخا السكاسك، ما تنقمون مني؟ ألم أزد في أعطياتكم وأعطية فقرائكم وأخدمت زمناكم ودفعت عنكم المؤن! فقال: ما ننقم عليك في أنفسنا شيئاً، ولكن ننقم عليك انتهاك

ما حرم الله وشرب الخمور ونكاح أمهات أولاد أبيك واستخفافك بأمر الله. قال: حسبك يا أخا السكاسك! فلعمري لقد أغرقت فأكثرت، وإن فيما أحل الله لسعةً عما ذكرت. ورجع إلى الدار فجلس وأخذ المصحف وقال: يومٌ كيوم عثمان، ونشر المصحف يقرأ، فعلوا الحائط، فكان أول من علا الحائط يزيد بن عنبسة، فنزل وسيف الوليد إلى جنبه، فقال له يزيد: نح سيفك، فقال الوليد: لو أردت السيف لكانت لي ولك حالةٌ غير هذه. فأخذ بيده وهو يريد أن يدخله بيتاً ، ويؤامر فيه، فنزل من الحائط عشرة فيهم منصور بن جمهور وعبد الرحمن وقيس مولى يزيد بن عبد الملك والسري بن زياد بن أبي كبشة، فضربه عبد الرحمن السلمي على رأسه ضربةً وضربه السري بن زياد على وجهه، وجروه بين خمسة ليخرجوه، فصاحت امرأةٌ كانت معه في الدار فكفوا عنه فلم يخرجوه، واحتز رأسه أبو علاقة القضاعي وخاط الضربة التي في وجهه بالعقب ، وقدم بالرأس على يزيد، قدم به روح بن مقبل، وقال: أبشر يا أمير المؤمنين بقتل الفاسق، فاستتم الأمر له وأحسن صلته. ثم كان من خلع يزيد بعد ذلك ما ليس هذا موضع ذكره.

قال: ولما قتل الوليد بن يزيد جعل أبو محجن مولى خالد القسري يدخل سيفه في است الوليد وهو مقتول. فقال الأصبغ بن ذؤالة الكلبي في قتل الوليد وأخذهم ابنيه:

من مبلغٌ قيساً وخندف كلها ... وساداتهم من عبد شمس وهاشم

قتلنا أمير المؤمنين بخالد ... وبعنا ولي عهده بالدراهم

وقال أبو محجن مولى خالد:

لو شاهدوا حد سيفي حين أدخله ... في است الوليد لماتوا عنده كمدا

كان عمر الوادي يغنيه حين قتل: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن هشام بن الكلبي عن جرير قال: قال لي عمر الوادي: كنت أغني الوليد أقول: صوت

كذبتك نفسك أم رأيت بواسطٍ ... غلس الظلام من الرباب خيالا

قال: فما أتممت الصوت حتى رأيت رأسه قد فارق بدنه ورأيته يتشحط في دمه. يقال: إن اللحن في هذا الشعر لعمر الوادي، ويقال: لابن جامع.

أخذ يزيد الحكم وعثمان ولي عهد الوليد وحبسهما وشتمهما قالوا: وكان عثمان والحكم ابنا الوليد قد بايعهما بالعهد بعده، فتغيبا فأخذهما يزيد بعد ذلك فحبسهما في الخضراء ودخل عليهما يزيد الأفقم بن هشام فجعل يشتم أباهما الوليد وكان قد ضربه وحلقه ، فبكى الحكم، فقال عثمان أخوه: اسكت يا أخي، وأقبل على يزيد فقال: أتشتم أبي! قال: نعم، قال: لكني لا أشتم عمي هشاماً، ووالله لو كنت من بني مروان ما شتمت أحداً منهم، فانظر إلى وجهك فإن كنت رأيت حكمياً يشبهك أوله مثل وجهك فأنت منهم، لا والله ما في الأرض حكمي يشبهك.

ندم أيوب السختياني لمقتله تخوفاً من الفتنة: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن مسلمة بن محارب قال: لما قتل الوليد قال أيوب السختياني: ليت القوم تركوا لنا خليفتنا لم يقتلوه. قال: وإنما قال ذلك تخوفاً من الفتنة.

لعن الرشيد قاتليه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني: أن ابناً للغمر بن يزيد بن عبد الملك دخل على الرشيد، فقال: ممن أنت؟ قال: من قريش، قال: من أيها؟ فأمسك قال: قل وأنت آمن، ولو أنك مرواني، قال: أنا ابن الغمر بن يزيد. قال: رحم الله عمك ولعن يزيد الناقص وقتلة عمك جميعاً، فإنهم قتلوا خليفةً مجمعاً عليه، ارفع إلي حوائجك، فقضاها.

رمى عند المهدي بالزندقة فدافع عنه: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الغلابي قال حدثنا العلاء بن سويد المنقري قال:

ذكر ليلةً المهدي أمير المؤمنين الوليد بن يزيد فقال: كان ظريفاً أديباً. فقال له شبيب بن شيبة: يا أمير المؤمنين إن رأيت ألا تجري ذكره على سمعك ولسانك فافعل فإنه كان زنديقاً، فقال: اسكت، فما كان الله ليضع خلافته عند من يكفر به. هكذا رواه الصولي.

دافع عنه ابن علاثة الفقيه لدى المهدي: وقد أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز إجازةً قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرنا عقيل بن عمرو قال أخبرني شبيب بن شيبة عن أبيه قال: كنا جلوساً عند المهدي فذكروا الوليد بن يزيد، فقال المهدي: أحسبه كان زنديقاً، فقام ابن علاثة الفقيه فقال: يا أمير المؤمنين، الله عز وجل أعظم من أن يولي خلافة النبوة وأمر الأمة من لا يؤمن بالله، لقد أخبرني من كان يشهده في ملاعبه وشربه عنه بمروءة في طهارته وصلاته، وحدثني أنه كان إذا حضرت الصلاة يطرح ثياباً كانت عليه من مطيبةٍ ومصبغةٍ ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويؤتى بثيابٍ بيضٍ نظافٍ من ثياب الخلافة فيصلي فيها أحسن صلاة بأحسن قراءة وأحسن سكوت وسكون وركوع وسجود، فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب التي كانت عليه قبل ذلك، ثم يعود إلى شربه ولهوه، أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله! فقال له المهدي: صدقت بارك الله عليك يا بن علاثة.

وفي جملة المائة الصوت المختارة عدة أصواتٍ من شعر الوليد نذكرها ها هنا مع أخباره، والله أعلم.

صوت من المائة المختارة

أم سلام ما ذكرتك إلا ... شرقت بالدموع مني المآقي

أم سلام ذكركم حيث كنتم ... أنت دائي وفي لسانك راقي

ما لقلبي يجول بين التراقي ... مستخفاً يتوق كل متاق

حذراً أن تبين دار سليمى ... أو يصيح الداعي لها بفراق

غناه عمر الوادي، ولحنه المختار خفيف رملٍ مطلق في مجرى البنصر. وذكر عمرو بن بانة أن لسلامة القس فيه خفيف رمل بالوسطى، ولعله بمعنى هذا. ومن الناس من يروى هذه الأبيات لعبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي في

سلامة القس، وليس ذلك له، هو للوليد صحيح، وهو كثيراً ما يذكر سلمى هذه في شعره بأم سلام وبسلمى، لأنه لم يكن يتصنع في شعره ولا يبالي بما يقوله منه. ومن ذلك قوله فيها: صوت

أم سلام لو لقيت من الوج ... د عشير الذي لقيت كفاك

فأثيبي بالوصل صبا عميداً ... وشفيقاً شجاه ما قد شجاك

غناه مالكٌ خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي.

ذكر أخبار عمر الوادي ونسبه

نسبه وإعجاب الوليد به

هو عمر بن داود بن زاذان. وجده زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفان. وكان عمر مهندساً. وأخذ الغناء عنه حكمٌ وذووه من أهل وادي القرى. وكان قدم إلى الحرم فأخذ من غناء أهله فحذق وصنع فأجاد وأتقن. وكان طيب الصوت شجيه مطرباً. وكان أول من غنى من أهل وادي القرى، واتصل بالوليد بن يزيد في أيام إمارته فتقدم عنده جداً، وكان يسميه جامع لذاتي ومحيي طربي. وقتل الوليد وهو يغنيه، وكان آخر عهده به من الناس. وفي عمر يقول الوليد بن يزيد وفيه غناء: صوت

إنني فكرت في عمرٍ ... حين قال القول فاختلجا

إنه للمستنير به ... قمر قد طمس السرجا

ويغني الشعر ينظمه ... سيد القوم الذي فلجا

أكمل الوادي صنعته ... في لباب الشعر فاندمجا

الشعر للوليد بن يزيد. والغناء لعمر الوادي هزج خفيفٌ بالبنصر في مجراها.

كان الوليد يقدمه على المغنين: أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان عمر الوادي يجتمع مع معبد ومالك وغيرهما من المغنين عند الوليد بن يزيد، فلا يمنعه حضورهم من تقديمه والإصغاء إليه والاختصاص له. وبلغني أنه كان لا يضرب وإنما كان مرتجلاً، وكان الوليد يسميه جامع لذاتي.

قال: وبلغني أيها حكما الوادي وغيره من مغني وادي القرى أخذوا عنه الغناء وانتحلوا أكثر أغانيه.

غضب الوليد على أبي رقية فاسترضاه عنه: قال: إسحاق وحدثني عبد السلام بن الربيع:

أن الوليد بن يزيد كان يوماً جالساً وعنده عمر الوادي وأبو رقية، وكان ضعيف العقل وكان يمسك المصحف على أم الوليد، فقال الوليد لعمر الوادي وقد غناه صوتاً: أحسنت والله، أنت جامع لذاتي، وأبو رقية مضطجعٌ وهم يحسبونه نائماً، فرفع رأسه إلى الوليد فقال له: وأنا جامع لذات أمك، فغضب الوليد وهم به، فقال له عمر الوادي: جعلني الله فداك! ما يعقل أبو رقية وهو صاح، فكيف يعقل وهو سكران! فأمسك عنه.

سمع غناء من راع أخذه عنه ومدحه: قال إسحاق: وحدثت عن عمر الوادي قال: بينا أنا أسير ليلة بين العرج والسقيا سمعت إنساناً يغني غناءً لم أسمع قط أحسن منه وهو: صوت

وكنت إذا ما جئت سعدى بأرضها أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها إذا ما انقضت أحدوثةٌ لو تعيدها

فكدت أسقط عن راحلتي طرباً، فقلت: والله لألتمسن الوصول إلى هذا الصوت ولو بذهاب عضوٍ من أعضائي حتى هبطت من الشرف ، فإذا أنا برجل يرعى غنماً وإذا هو صاحب الصوت، فأعلمته الذي أقصدني إليه وسألته إعادته علي، فقال: والله لو كان عندي قرىً ما فعلت، ولكني أجعله قراك، فربما ترنمت به وأنا جائعٌ فأشبع، وكسلان فأنشط ومستوحشٌ فآنس، فأعاده علي مراراً حتى أخذته، فو الله ما كان لي كلام غيره حتى دخلت المدينة، ولقد وجدته كما قال. حدثني بهذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني المؤمل بن طالوت الوادي قال حدثني مكين العذري قال: سمعت عمر الوادي يقول: بينا أنا أسير بين الروحاء والعرج، ثم ذكر مثله، وقال فيه: فربما ترنمت به وأنا غرثان فيشبعني، ومتسوحشٌ فيؤنسني، وكسلان فينشطني. قال: فما كان زادي حتى ولجت المدينة غيره ، وجربت ما وصفه الراعي فيه فوجدته كما قال.

نسبة هذا الصوت صوت

لقد هجرت سعدى وطال صدودها وعاود عيني دمعها وسهودها

وكنت إذا ما زرت سعدى بأرضها أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

منعمةٌ لم تلق بؤس معيشةٍ هي الخلد في الدنيا لمن يستفيدها

هي الخلد ما دامت لأهلك جارةً وهل دام في الدنيا لنفس خلودها

الشعر لكثير. والغناء لابن محرز ثقيلٌ أول مطلق بالبنصر عن يحيى المكي. وذكر الهشامي أن فيه ليزيد حوراء ثاني ثقيل. وفيه خفيفٌ رمل ينسب إلى عمر الوادي، وهو بعض هذا اللحن الذي حكاه عن الراعي ولا أعلم لمن هو. وهذه الأبيات من قصيدةٍ لكثير سائرها في الغزل وهي من جيد غزله ومختاره. وتمام الأبيات بعد ما مضى منها:

فتلك التي أصفيتها بمودتي وليداً ولما يستبن لي نهودها

وقد قتلت نفساً بغير جريرة وليس لها عقل ولا من يقيدها

فكيف يود القلب من لا يوده بلى قد تريد النفس من لا يريدها

ألا ليت شعري بعدنا هل تغيرت عن العهد أم أمست كعهدي عهودها

إذا ذكرتها النفس جنت بذكرها وريعت وحنت واستخف جليدها

فلو كان ما بي بالجبال لهدها وإن كان في الدنيا شديداً هدودها

ولست وإن أوعدت فيها بمنتهٍ وإن أوقدت نارٌ فشب وقودها
أبيت نجيا للهموم مسهداً وإن أوقدت نحوي بليل وقودها
فأصبحت ذا نفسين نفس مريضة من اليأس ما ينفك همٌ يعودها
ونفس إذا ما كنت وحدي تقطعت كما انسل من ذات النظام فريدها
فلم تبد لي يأساً ففي اليأس راحة ولم تبد لي جوداً فينفع جودها

أخذ من الوليد خاتم ياقوت بصوت اقترحه عليه: أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية قال: قال عمر الوادي: خرج إلي الوليد بن يزيد يوماً وفي يده خاتم ياقوتٍ أحمر قد كاد البيت يلتمع من شعاعه، فقال لي: يا جامع لذتي، أتحب أن أهبه لك؟ قلت: نعم والله يا مولاي، فقال: إن في هذه الأبيات التي أنشدك فيها واجهد نفسك، فإن أصبت إرادتي وهبته لك، فقلت: أجتهد وأرجو التوفيق.

صوت

ألا يسليك عن سلمى قتير الشيب والحلم

وأن الشك ملتبسٌ فلا وصلٌ ولا صرم
فلا والله رب النا س مالك عندنا ظلم
وكيف بظلم جاريةٍ ومنها اللين والرحم

فخلوت في بعض المجالس، فما زلت أديره حتى استقام، ثم خرجت إليه وعلى رأسه وصيفةٌ، بيدها كأس وهو يروم أن يشربها فلا يقدر خماراً، فقال: ما صنعت؟ فقلت: فرغت مما أمرتني به، وغنيته، فصاح: أحسنت والله! ووثب قائماً على رجليه وأخذ الكأس واستدناني فوضع يده اليسرى علي متكئاً والكأس في يده اليمنى، ثم قال لي: أعد بأبي أنت وأمي! فأعدته عليه فشرب ودعا بثانية وثالثة ورابعة وهو على حاله يشرب قائماً حتى كاد أن يسقط تعباً، ثم جلس ونزع الخاتم والحلة التي كانت عليه، فقال: والله العظيم لا تبرح هكذا حتى أسكر، فما زلت أعيده عليه ويشرب حتى مال على جنبه سكراً فنام.

سبق عبد المطلب بن عبد الله بينه وبين أشعب وأبي رقية في وجز: أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه عن غرير بن طلحة الأرقمي عن أبي الحكم عبد المطلب بن عبد الله بن يزيد بن عبد الملك قال: والله إني لبآلعقيق في قصر القاسم بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وعندي أشعب وعمر الوادي وأبو رقية، إذ دعوت بدينار فوضعته بين يدي وسبقتهموه في رجزٍ فكان أول من خسق عمر الوادي فقال:

أنا ابن داود أنا ابن زاذان أنا ابن مولى عمرو بن عثمان

ثم خسق أبو رقية فقال:

أنا ابن عامر القاري أنا ابن أول أعجمي

تقدم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم خسق أشعب فقال:

أنا ابن أم الخلنداج أنا ابن المحرشة بين أزواج

النبي صلى الله عليه وسلم. قال أبو الحكم: فقلت له: أي أخزاك الله، هل سمعت أحداً قط فخر بهذا! فقال: وهل فخر أحدٌ بمثل فخري! لولا أن أمي كانت عندهن ثقةً ما قبلن منها حتى يغضب بعضهن على بعض.

أخبار أبي كامل

كان مغنياً محسناً مضحكاً: اسمه الغزيل، وهو مولى الوليد بن يزيد، وقيل: بل كان مولى أبيه، وقيل: بل كان أبوه مولى عبد الملك. وكان مغنياً محسناً وطيباً مضحكاً. ولم أسمع له بخبر بعد أيام بني أمية، ولعله مات في أيامهم أو قتل معهم.

غنى الوليد وأطربه فخلع عليه قلنسيته: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني: أن أبا كامل غنى الوليد بن يزيد ذات يوم فقال: صوت

نام من كان خلياً من ألم وبدائي بت ليلي لم أنم

أرقب الصبح كأني مسندٌ في أكف القوم تغشاني الظلم

إن سلمى ولنا من حبها ديدنٌ في القلب ما اخضر السلم

قد سبتني بشتيتٍ نبته وثنايا لم يعبهن قضم

قال فطرب الوليد وخلع عليه قلنسية وشيٍ مذهبة كانت على رأسه. فكان أبو كامل يصونها ولا يلبسها إلا من عيد إلى عيد ويمسحها بكمه ويرفعها ويبكي ويقول: إنما أرفعها لأني أجد منها ريح سيدي يعني الوليد.

الغناء في هذا الصوت هزج بالوسطى، نسبه عمرو بن بانة إلى عمر الوادي، ونسبه غيره إلى أبي كامل، وزعم آخرون أنه لحكم هكذا نسبه ابن المكي إلى حكم وزعم أنه بالبنصر.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني الأصمعي عن صفوان بن الوليد المعيطي قال: غنى أبو كامل ذات يوم الوليد بن يزيد في لحنٍ لابن عائشة، وهو:

جنباني أذاة كل لئيم إنه ما علمت شر نديم

للوليد فيه أشعار كثيرة: فخلع عليه ثيابه كلها حتى قلنسيته. ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدمه، وزاد فيه أنه أوصى أن تجعل في أكفانه. وللوليد في أبي كامل أشعار كثيرة. فمنها مما يغني به: صوت

سقيت أبا كامل من الأصفر البابلي

وسقيتها معبداً وكل فتى فاضل

وقال أيضاً فيه:

وزقٍّ وافر الجنب ين مثل الجمل البازل

به رحت إلى صحبي وندماني أبي كامل

شربناه وقد بتنا بأعلى الدير بالساحل

ولم نقبل من الواشي قبول الجاهل الخاطل

الغناء لأبي كامل خفيفٌ رملٍ بالوسطى. وذكر الهشامي أنه ليحيى المكي وأنه نحله أبو كامل. وذكر أنه لعمر الوادي أو لحكم فيه رملاً بالوسطى وهو القائم.

وأخبرني أبو الحسن محمد بن إبراهيم قريش رحمه الله أن لينشو فيه خفيف رمل. ومنها في قول الوليد: صوت

سقيت أبا كامل من الأصفر البابلي

وسقيتها معبداً وكل فتىً فاضل

لي المحض من ودهم ويغمرهم نائلي

وما لامني فيهم سوى حاسدٍ جاهل

فيه هزجٌ ينسب إلى أبي كامل وإلى حكم. وفيه لينشوا ثقيلٌ أول. أخبرني بذلك قريشٌ ووجه الرزة جميعاً.

كان المعتضد يمدح شعر الوليد ويقول: فيه شمائل الملوك: وأخبرني قريش عن أحمد بن أبي العلاء قال: كان للمعتضد علي صوتان من شعر الوليد، أحدهما:

سقيت أبا كامل من الأصفر البابلي

والآخر:

إن في الكأس لمسكاً أو بكفي من سقاني

وكان يعجب بهما ويقول لجلسائه: أما ترون شمائل الملوك في شعره! ما أبينها :

لي المحض من ودهم ويغمرهم نائلي

وحين يقول:

كللاني توجاني وبشعري غنياني

وقد نسب إلى الوليد بن يزيد في هذه المائة الصوت المختارة شعر صوتين، لأن ذكر سليمى في أحدهما، ولأن الصنعة في الآخر لأبي كامل ، فذكرت من ذلك ها هنا صوتين، أحدهما : صوت من المائدة المختارة

سليمى تلك في العير قفي نخبرك أو سيري
إذا ما أنت لم ترثي لصب القلب مغمور
فلما أن دنا الصبح بأصوات العصافير
خرجنا نتبع الشمس عيوناً كالقوارير
وفينا شادنٌ أحو ر من حور اليعافير

الشعر ليزيد بن ضبة. والغناء في اللحن المختار لإسماعيل بن الهربذ، ولحنه رملٌ مطلق في مجرى الوسطى. هكذا ذكر إسحاق في كتاب شجا لابن الهربذ، وذكر في موضع آخر أن فيه لحناً لابن زرزور الطائفي رملاً آخر بالسبابة في مجرى البنصر. وذكر إبراهيم أن فيه لحناً لأبي كامل و لم يجنسه. وذكر حبش أن فيه لعطرد هزجاً بالوسطى.

أخبار يزيد بن ضبة ونسبه

نسبه وولاؤه وانقطاعه إلى الوليد بن يزيد: أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أحمد بن الهيثم عن الحسن بن إبراهيم بن سعدان عن عبد العظيم بن عبد الله بن يزيد بن ضبة الثقفي قال: كان جدي يزيد بن ضبة مولى لثقيف. واسم أبيه مقسم، وضبة أمه غلبت على نسبه، لأن أباه مات وخلفه صغيراً، فكانت أمه تحضن أولاد المغيرة بن شعبة ثم أولاد ابن عروة بن المغيرة، فكان جدي ينسب إليها لشهرتها. قال: وولاؤه لبني مالك بن حطيط ثم لبني عامر بن يسار. قال عبد العظيم: وكان جدي يزيد بن ضبة منقطعاً إلى الوليد بن يزيد في حياة أبيه متصلاً به لا يفارقه.

أراد أن يهنيء هشاماً بالخلافة فرده لانقطاعه للوليد وشعره في ذلك فلما أفضت الخلافة إلى هشام أتاه جدي مهنئاً بالخلافة. فلما استقر به المجلس ووصلت إليه الوفود وقامت الخطباء تثني عليه والشعراء تمدحه، مثل جدي بين السماطين فاستأذنه في الإنشاد، فلم يأذن له، وقال: عليك بالوليد فامدحه وأنشده، وأمر بإخراجه. وبلغ الوليد خبره، فبعث إليه بخمسمائة دينار، وقال له: لو أمنت عليك هشاماً لما فارقتني، ولكن اخرج إلى الطائف، وعليك بمالي هناك، فقد سوغتك جميع غلته، ومهما احتجت إلي من شيء بعد ذلك فالتمسه مني. فخرج إلى الطائف، وقال يذكر ما فعله هشام به:

أرى سلمى تصد وما صددنا وغير صدودها كنا أردنا
لقد بخلت بنائلها علينا ولو جادت بنائلها حمدنا
وقد ضنت بما وعدت وأمست تغير عهدها عما عهدنا
ولو علمت بما لاقيت سلمى فتخبرني وتعلم ما وجدنا

تلم على تنائي الدار منا فيسهرنا الخيال إذا رقدنا
ألم تر أننا لما ولينا أموراً خرقت فوهت سددنا
رأينا الفتق حين وهى عليهم وكم من مثله صدع رفأنا
إذا هاب الكريهة من يليها وأعظمها الهيوب لها عمدنا

وجبارٍ تركناه كليلاً وقائد فتنةٍ طاغٍ أزلنا
فلا تنسوا مواطننا فإنا إذا ما عاد أهل الجرم عدنا
وما هيضت مكاسر من جبرنا ولا جبرت مصيبة من هددنا
ألا من مبلغٌ عني هشاماً فما منا البلاء ولا بعدنا
وما كنا إلى الخلفاء نفضي ولا كنا نؤخر إن شهدنا
ألم يك بالبلاء لنا جزاءٌ فنجزى بالمحاسن أم حسدنا
وقد كان الملوك يرون حقا لوافدنا فنكرم إن وفدنا
ولينا الناس أزماناً طوالاً وسسناهم ودسناهم وقدنا
ألم تر من ولدنا كيف أشبى وأشبينا وما بهم قعدنا
نكون لمن ولدناه سماءً إذا شيمت مخايلنا رعدنا
وكان أبوك قد أسدى إلينا جسيمة أمره وبه سعدنا
كذلك أول الخلفاء كانوا بنا جدوا كما بهم جددنا
هم آباؤنا وهم بنونا لنا جبلوا كما لهم جبلنا
ونكوي بالعداوة من بغانا ونسعد بالمودة من وددنا
نرى حقاً لسائلنا علينا فنحبوه ونجزل إن وعدنا
ونضمن جارنا ونراه منا فنرفده فنجزل إن رفدنا
وما نعتد دون المجد مالاً إذا يغلى بمكرمةٍ أفدنا
وأتلد مجدنا أنا كرامٌ بحد المشرفية عنه ذدنا

هنأ الوليد بالخلافة فأعطاه لكل بيت ألف درهم: قال: فلم يزل مقيماً بالطائف إلى أن ولي الوليد بن يزيد الخلافة، فوفد إليه. فلما دخل عليه والناس بين يديه جلوس ووقوف على مراتبهم هنأه بالخلافة، فأدناه الوليد وضمه إليه، وقبل يزيد بن ضبة رجليه والأرض بين يديه، فقال الوليد لأصحابه: هذا طريد الأحول لصحبته إياي وانقطاعه إلي. فاستأذنه يزيد في الإنشاد وقال له: يا أمير المؤمنين، هذا اليوم الذي نهاني عمك هشام عن الإنشاد فيه قد بلغته بعد يأس، والحمد لله على ذلك. فأذن له، فأنشده:

سليمى تلك في العير ... قفي أسألك أو سيري
إذا ما بنت لم تأوي ... لصب القلب مغمور
وقد بانت ولم تعهد ... مهاةٌ في مهاً حور
وفي الآل حمول الح ... ي تزهى كالقراقير
يواريها وتبدو من ... ه آلٌ كالسمادير
وتطفو حين تطفو في ... ه كالنخل المواقير
لقد لاقيت من سلمى ... تباريح التناكير
دعت عيني لها قلبي ... وأسباب المقادير
وما إن من به شيبٌ ... إذا يصبو بمعذور
لسلمى رسم أطلالٍ ... عفتها الريح بالمور
خريقٌ تنخل الترب ... بأذيال الأعاصير
فأوحش إذ نأت سلمى ... بتلك الدور من دور
سأرمي قانصات البي ... د إن عشت بعسبور
من العيس شجوجاةٍ ... طواها النسع بالكور
إذا ما حقبٌ منها ... قرناه بتصدير
زجرنا العيس فارقدت ... بإعصافٍ وتشمير
تقاسيها على أين ... بإدلاجٍ وتهجير
إذا ما اعصوصب الآل ... ومال الظل بالقور
وراحت تتقي الشمس ... مطايا القوم كالعور
إلى أن يفضح الصبح ... بأصوات العصافير

لتعتام الوليد القر | م أهل الجود والخير
كريمٌ يهب البزل | مع الخور الجراجير
تراعي حين تزجيها | هوياً كالمزامير
كما جاوبت النيب | رباع الخلج الخور
ويعطى الذهب الأحم | ر وزناً بالقناطير
بلوناه فأحمدنا | ه في عسر وميسور
كريم العود والعنصر | ر غمرٌ غير منزور
له السبق إلى الغايا | ت في ضم المضامير
إمامٌ يوضح الحق | له نور على نور

مقالٌ من أخي ود | بحفظ الصدق مأثور
بإحكام وإخلاص | وتفهيم وتحبير

قال: فأمر الوليد بأن تعد أبيات القصيدة ويعطى لكل بيت ألف درهم، فعدت فكانت خمسين بيتاً فأعطي خمسين ألفاً. فكان أول خليفة عد أبيات الشعر وأعطى على عددها لكل بيت ألف درهم، ثم لم يفعل ذلك إلا هارون الرشيد، فإنه بلغه خبر جدي فأعطى مروان بن أبي حفصة ومنصوراً النمري لما مدحاه وهجوا آل أبي طالب لكل بيت ألف درهم.

أمره الوليد بمدح فرسه السندي وكانا قد خرجا إلى الصيد: قال عبد العظيم وحدثني أبي وجماعةٌ من أصحاب الوليد: أن الوليد خرج إلى الصيد ومعه جدي يزيد بن ضبة، فاصطاد على فرسه السندي صيداً حسناً، ولحق عليه حماراً فصرعه، فقال لجدي: صف فرسي هذا وصيدنا اليوم، فقال في ذلك:

أحوى سلس المر | سن مثل الصدع الشعب
سما فوق منيفاتٍ | طوالٍ كالقنا سلب
طويل الساق عنجوجٌ | أشق أصمع الكعب
على لأمٍ أصم مضم | ر الأشعر كالقعب
ترى بين حواميه | نسوراً كنوى القسب
معالًى شنج الأنسا | ء سامٍ جرشع الجنب

طوى بين الشراسيف إلى المنقب فالقنب
يغوص الملحم القائ م ذو حد وذو شغب
عتيد الشد والتقري ب والإحضار والعقب
صليب الأذن والكاه ل والموقف والعجب
عريض الخد والجبه ة والبركة والهلب
إذا ما حثه حارثٌ يباري الريح في غرب
وإن وجهه أسر ع كالخدروف في الثقب
وقفاهن كالأجد ل لما انضم للضرب
ووالى الطعن يختار جواشن بدنٍ قب
ترى كل مدلٍّ قا ئماً يلهث كالكلب
كأن الماء في الأعطا ف منه قطع العطب
كأن الدم في النحر قذالٌ عل بالخضب
يزين الدار موقوفاً ويشفي قوم الركب

قال: فقال له الوليد: أحسنت يا يزيد الوصف وأجدته، فاجعل لقصيدتك تشبيباً وأعطه الغزيل وعمر الوادي حتى يغنيا فيه، فقال: صوت

إلى هندٍ صبا قلبي وهندٌ مثلها يصبي
وهندٌ غادةٌ غيدا ء من جرثومةٍ غلب
وما إن وجد الناس من الأدواء كالحب
لقد لج بها الإعرا ض والهجر بلا ذنب
ولما أقض من هندٍ ومن جاراتها نحبي
أرى وجدي بهندٍ دا ثماً يزداد عن غب
وقد أطولت إعراضاً وما بغضهم طبي
ولكن رقبة الأع ين قد تحجز ذا اللب
ورغم الكاشح الراغ م فيها أيسر الخطب

قال: ودفع هذه الأبيات إلى المغنين فغنوه فيها.

كان فصيحاً يطلب الحوشي من الشعر: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي، وحدثني به محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال: كان يزيد بن ضبة مولى ثقيف، ولكنه كان فصيحاً، وقد أدركته بالطائف، وقد كان يطلب القوافي المعتاصة والحوشي من الشعر.

قال أهل الطائف إن له ألف قصيدة انتحلتها شعراء العرب: قال أبو حاتم في خبره خاصة وحدثني غسان بن عبد الله بن عبد الوهاب الثقفي عن جماعة من مشايخ الطائفيين وعلمائهم قالوا: قال يزيد بن ضبة ألف قصيدة، فاقتسمتها شعراء العرب وانتحلتها، فدخلت في أشعارها.

أخبار إسماعيل بن الهربذ

ولاؤه، وقد غنى الوليد وعمر إلى آخر أيام الرشيد: إسماعيل بن الهربذ مكيٌ مولى لآل الزبير بن العوام، وقيل: بل هو مولى بني كنانة. أدرك آخر أيام بني أمية وغنى الوليد بن يزيد، وعمر إلى آخر أيام الرشيد.

قدم على الرشيد وعنده بعض كبار المغنين فأطربه دونهم: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه عن عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي عن أبيه:

أن إسماعيل بن الهربذ قدم على الرشيد من مكة، فدخل إليه وعنده ابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وفليح وغيرهم والرشيد يومئذ خائرٌ به خمار شديد، فغنى ابن جامع ثم فليح ثم إبراهيم ثم إسحاق، فما حركه أحد منهم ولا أطربه، فاندفع ابن الهربذ يغني، فعجبوا من إقدامه في تلك الحال على الرشيد فغنى: صوت

يا راكب العيس التي ... وفدت من البلد الحرام

قل للإمام ابن الإما ... م أخي الإمام أبي الإمام

زين البرية إذ بدا ... فيهم كمصباح الظلام

جعل الإله الهرب ... ذي فداك من بين الأنام

- الغناء لابن الهربذ رملٌ بالوسطى عن عمرو - قال فكاد الرشيد يرقص، واستخفه الطرب حتى ضرب بيديه ورجليه، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن لهذا الصوت حديثاً، فإن أذن مولاي حدثته به، فقال: حدث. قال: كنت مملوكاً لرجل من ولد الزبير، فدفع إلي درهمين أبتاع له بهما لحماً، فرحت فلقيت جارية على رأسها جرةٌ مملوءةٌ من ماء العقيق وهي تغني هذا اللحن في شعر غير هذا الشعر على وزنه ورويه، فسألتها أن تعلمينه، فقالت: لا وحق القبر إلا بدرهمين، فدفعت إليها الدرهمين وعلمتنيه، فرجعت إلى مولاي بغير لحم فضربني ضرباً مبرحاً شغلت معه بنفسي فأنسيت الصوت: ثم دفع إلي درهمين آخرين بعد أيام أبتاع له بهما لحماً، فلقيتني الجارية فسألتها أن تعيد الصوت علي، فقالت: لا والله إلا بدرهمين، فدفعتهما إليها وأعادته علي مراراً حتى أخذته. فلما رجعت إلى مولاي أيضاً ولا لحم معي قال: ما القصة في هذين الدرهمين؟ فصدقته

القصة وأعدت عليه الصوت، فقبل بين عيني وأعتقني. فرحلت إليك بهذا الصوت، وقد جعلت ذلك اللحن في هذا الشعر، فقال: د ع الأول وتناسه، وأقم على الغناء بهذا اللحن في هذا الشعر، فأما مولاك فسأدفع إليه بدل كل درهم ألف دينار، ثم أمر له بذلك فحمل إليه.

شعر نسب للوليد وليس له: ومما نسب إلى الوليد بن يزيد من الشعر وليس له: صوت من المائة المختارة

امدح الكأس ومن أعملها ... واهج قوماً قتلونا بالعطش

إنما الكأس ربيعٌ باكرٌ ... فإذا ما غاب عنا لم نعش

الشعر لنابغة بني شيبان. والغناء لأبي كامل، ولحنه المختار من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى، وهو الذي تسميه الناس اليوم الماخوري. وفي لأبي كامل أيضاً خفيف رمل بالبنصر عن عمرو. وذكر الهشامي أن فيه لمالك لحناً من الثقيل الأول بالوسطى، ولعمر الوادي ثاني ثقيل بالبنصر.

نسب نابغة بني شيبان

نسبه، وهو شاعر بدوي أموي: النابغة اسمه عبد الله بن المخارق بن سليم بن حصرة بن قيس بن سنان بن حماد بن حارثة بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهب بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. شاعرٌ بدوي من شعراء الدولة الأموية. وكان يفد إلى الشأم إلى خلفاء بني أمية فيمدحهم ويجزلون عطاءه. وكان فيما أرى نصرانياً لأني وجدته في شعره يحلف بالإنجيل والرهبان وبالأيمان التي يحلف بها النصارى. ومدح عبد الملك بن مروان ومن بعده من ولده، وله في الوليد مدائح كثيرة.

مدح عبد الملك لما هم بخلع أخيه وتولية ابنه للعهد: أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال حدثني العمري عن العتبي قال: لما هم عبد الملك بخلع عبد العزيز أخيه وتولية الوليد ابنه العهد، كان نابغة بني شيبان منقطعاً إلى عبد الملك مداحاً له، فدخل إليه في يوم حفل والناس حواليه وولده قدامه، فمثل بين يديه وأنشده قوله:

أشتقت وانهل دمع عينك أن ... أضحى قفاراً من أهله طلح

حتى انتهى إلى قوله:

أزحت عنا آل الزبير ولو ... كانوا هم المالكين ما صلحوا

إن تلق بلوى فأنت مصطبرٌ ... وإن تلاق النعمى فلا فرح

ترمي بعيني أقنى على شرف ... لم يؤذه عائرٌ ولا لحح

آل أبي العاص آل مأثرةٍ ... غرٌّ عتاقٌ بالخير قد نفحوا

خير قريشٍ وهم أفاضلها ... في الجد جدٌّ وإن هم مزحوا

أرحبها أذرعاً وأصبرها ... أنتم إذا القوم في الوغى كلحوا
أما قريشٌ فأنت وارثها ... تكف من صعبهم إذا طمحوا
حفظت ما ضيعوا وزندهم ... أوريت إذ أصلدوا وقد قدحوا
آليت جهداً وصادقٌ قسمي ... برب عبدٍ تجنه الكرح
يظل يتلو الإنجيل يدرسه ... من خشية الله قلبه طفح
لابنك أولى بملك والده ... ونجم من قد عصاك مطرح
داود عدلٌ فاحكم بسيرته ... ثم ابن حرب فإنهم نصحوا
وهم خيارٌ فاعمل بسنتهم ... واحي بخير واكدح كما كدحوا

قال: فتبسم عبد الملك ولم يتكلم في ذل بإنذار ولا دفع، فعلم الناس أن رأيه خلع عبد العزيز. وبلغ ذلك من قول النابغة عبد العزيز، فقال : لقد أدخل ابن النصرانية نفسه مدخلاً ضيقاً فأوردها مورداً خطراً، وبالله علي لئن ظفرت به لاخضبن قدمه بدمه.

هنأ يزيد بن عبد الملك بالفتح بعد قتل يزيد بن المهلب: وقال أبو عمرو الشيباني: لما قتل يزيد بن المهلب دخل النابغة الشيباني على يزيد بن عبد الملك بن مروان، فأنشده قوله في تهنئته بالفتح:

ألا طال التنظر والثواء ... وجاء الصيف وانكشف الغطاء
وليس يقيم ذو شجنٍ مقيمٍ ... ولا يمضي إذا ابتغي المضاء
طوال الدهر إلا في كتابٍ ... ومقدارٍ يوافقه القضاء
فما يعطى الحريص غنًى لحرصٍ ... وقد ينمي لذي الجود الثراء
وكل شديدةٍ نزلت بحيٍّ ... سيتبعها إذا انتهت الرخاء

يقول فيها:

أؤم فتًى من الأعياص ملكاً ... أغر كأن غرته ضياء
لأسمعه غريب الشعر مدحاً ... وأثني حيث يتصل الثناء
يزيد الخير فهو يزيد خيراً ... وينمي كلما أبتغي النماء
فضضت كتائب الأزدي فضا ... بكبشك حين لفهما اللقاء

سمكت الملك مقتبلاً جديداً كما سمكت على الأرض السماء

نرجي أن تدوم لنا إماماً وفي ملك الوليد لنا رجاء

هشامٌ والوليد وكل نفسٍ تريد لك الفناء لك الفداء

وقي قصيدة طويلة، فأمر له بمائة ناقة من نعم كلب وأن توقر له براً وزبيباً، وكساه وأجزل صلته.

وفد على هشام مادحاً فطرده لغلوه في مدح يزيد: قال: ووفد إلى هشام لما ولي الخلافة، فلما رآه قال له: يا ماص ما أبقت المواسي من بظر أمه! ألست القائل:

هشامٌ والوليد ولك نفسٍ تريد لك الفناء لك الفداء

أخرجوه عني! والله لا يرزؤني شيئاً أبداً وحرمه. ولم يزل طول أيامه طريداً، حتى ولي الوليد بن يزيد، فوفد إليه ومدحه مدائح كثيرة، فأجزل صلته.

شعره في صفة الخمر ومدحها: حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبيد الله بن محمد الكوفي عن العمري الخصاف عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية أنه أنشده لنابغة بني شيبان:

أيها الساقي سقتك مزنةٌ من ربيعٍ ذي أهاضيب وطش

امدح الكأس ومن أعملها واهج قوماً قتلونا بالعطش

إنما الكأس ربيعٌ باكرٌ فإذا ما غاب عنا لم نعش

وكأن الشرب قوم موتوا من يقم منهم لأمر يرتعش

خرس الألسن مما نالهم بين مصروع وصاحٍ منتعش

من حميا قرقفٍ حصيةٍ قهوةٍ حوليةٍ لم تمتحش

ينفع المزكوم منها ريحها ثم تنفى داءه إن لم تنش

كل من يشربها يألفها ينفق الأموال فيها كل هش

استنشده الوليد شعراً فأنشده في الفخر بقومه فعاتبه ووصله: أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الجمحي - قال ابن أبي الأزهر: وهو محمد بن سلم - : غنى أبو كامل مولى الوليد بن يزيد يوماً بحضرة الوليد بن يزيد:

امدح الكأس ومن أعملها واهج قوماً قتلونا بالعطش

فسأل عن قائل هذا الشعر فقيل: نابغة بني شيبان، فأمر بإحضاره فأحضر، فاستنشده القصيدة فأنشده إياها،

وظن أن فيها مدحاً له فإذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم، فقال له الوليد: لو سعد جدك لكانت مديحاً فينا لا في بني شيبان، ولسنا نخليك على ذلك من حظ، ووصله وانصرف. وأول هذه القصيدة قوله:

خل قلبي من سليمى نبلها ... إذ رمتني بسهام لم تطش

طفلة الأعطاف رؤدٌ دميةٌ ... وشواها بختري لم يحش

وكأن الدر في أخراصها ... بيض كحلاء أقرته بعش

ولها عينا مهاةٍ في مهاً ... ترتعي نبت خزامى ونتش

حرة الوجه رخيمٌ صوتها ... رطبٌ تجنيه كف المنتقش

وهي في الليل إذا ما عونقت ... منية البعل وهم المفترش

وفيها يقول مفتخراً:

وبنو شيبان حولي عصبٌ ... ومنهم غلبٌ وليست بالقمش

وردوا المجد وكانوا أهله ... فرووا والجود عافٍ لم ينش

وترى الجرد لدى أبياتهم ... أرناتٍ بين صلصال وجش

ليس في الألوان منها هجنةٌ ... وضح البلق ولا عيب البرش

فبها يحؤوان أموال العدا ... ويصيدون عليها كل وحش

دميت أكفالها من طعنهم ... بالردينيات والخيل النجش

ننهل الخطي من أعدائنا ... ثم نفري الهام إن لم نفترش

فإذا العيس من المحل غدت ... وهي في أعينها مثل العمش

حسر الأوبار مما لقيت ... من سحاب حاد عنها لم يرش

خسف الأعين ترعى جوفةٌ ... همدت أوبارها لم تنتفش

ننعش العافي ومن لاذ بنا ... بسجال الخير من أيدٍ نعش

ذاك قولي وثنائي وهم ... أهل ودي خالصاً في غير غش

فسلوا شيبان إن فارقتهم ... يوم يمشون إلى قبري بنعش

هل غشينا محرماً في قومنا ... أو جزينا جازياً فحشاً بفحش

بعض شعره الذي غنى به: ومما يغني فيه من شعر نابغة بني شيبان: صوت

ذرفت عيني دموعاً ... من رسوم بحفير

موحشاتٍ طامساتٍ مثل آيات الزبور
وزقاقٍ مترعاتٍ من سلافات العصير
مجلخدات ملاءٍ بطنوهن بقير
فإذا صارت إليهم صيرت خير مصير
من شبابٍ وكهولٍ حكموا كأس المدير
كم ترى فيهم نديماً من رئيس وأمير

ذكر يونس أن فيه لمالك لحناً ولابن عائشة آخر، و لم يذكر طريقتهما، وفيه خفيف رملٍ معروف لا أدري لحن أيهما هو.

صوت من المائة المختارة

يا عمر حم فراقكم عمرا وعزمت منا النأي والهجرا
إحدى بني أودٍ كلفت بها حملت بلا ترةٍ لنا وترا
وترى لها دلاً إذا نطقت تركت بنات فؤاده صعرا
كتساقط الرطب الجني في الأ فنان لا بثراً ولا نزرا

الشعر لأبي دهبل الجمحي. والغناء لفزار الملكي، ولحنه المختار ثقيلٌ أول مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي.

أخبار أبي دهبل ونسبه

نسبه

نسبه - فيما ذكر الزبير بن بكار وغيره - وهب بن زمعة بن أسيد بن أحيحة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب. ولخلف بن وهب يقول عبد الله بن الزبعري أو غيره:

خلف بن وهب كل آخر ليلةٍ أبداً يكثر أهله بعيال
سقياً لوهب كهلها ووليدها ما دام في أبياتها الذيال
نعم الشباب شبابهم وكهولهم صيابة ليسوا من الجهال

أمه امرأة من هذيل: وأم أبي دهبل امرأة من هذيل. وإياها يعني بقوله:

أنا ابن الفروع الكرام التي هذيلٌ لأبياتها سائلة
هم ولدوني وأشبهتهم كما تشبه الليلة القابلة

واسمها، فيما ذكر ابن الأعرابي، هذيلة بنت سلمة.

كان شاعراً جميلاً عفيفاً:

قال المدائني: كان أبو دهبل رجلاً جميلاً شاعراً، وكانت له جمة يرسلها فتضرب منكبيه، وكان عفيفاً، وقال الشعر في آخر خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومدح معاوية، وعبد الله بن الزبير، وقد كان ابن الزبير ولاه بعض أعمال اليمن.

سأل قوم راهباً عن أشعر الناس فأشار إليه: حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري عن الكلبي عن أبي مسكين، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني العباس بن هشام عن أبيه عن أبي مسكين: أن قوماً مروا براهب، فقالوا له: يا راهب، من أشعر الناس؟ قال: مكانكم حتى أنظر في كتاب عندي، فنظر في رق له عتيق ثم قال: وهبٌ من وهبين، من جمح أو جمحين.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا علي بن صالح عن عبد الله بن عروة قال: قال أبو دهبل يفخر بقومه:

قومي بنو جمح قوم إذا انحدرت ... شهباء تبصر في حافاتها الزغفا

أهل الخلافة والموفون إن وعدوا ... والشاهدو الروع لا عزلاً ولا كشفا

قال الزبير وأنشدني عمي قال أنشدني مصعب لأبي دهبل يفخر بقومه بقوله:

أنا أبو دهبل وهبٌ لوهب ... من جمحٍ في العز منها والحسب

والأسرة الخضراء والعيص الأشب ... ومن هذيل والدي عالي النسب

أورثني المجد أبٌ من بعد أب ... رمحي رديني وسيفي المستلب

وبيضتي قونسها من الذهب ... درعي دلاصٌ سردها سردٌ عجب

والقوس فجاء لها نبلٌ ذرب ... محشورةٌ أحكم منهن القطب

ليوم هيجاء أعدت للرهب

كان يهوى امرأة من قومه فكادوا له عندها فهجرته: أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا محمد بن زهير قال حدثنا المدائني: أن أبا دهبل كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها عمرة، وكانت امرأةً جزلة يجتمع إليها الرجال للمحادثة وإنشاد الشعر والأخبار، وكان أبو دهبل لا يفارق مجلسها مع كل من يجتمع إليها، وكانت هي أيضاً محبة له.

وكان أبو دهبل رجلاً سيداً من أشراف بني جمح، وكان يحمل الحملات ويعطي الفقراء ويقري الضيف.

وزعمت بن جمح أنه تزوج عمرة هذه بعد ذلك، وزعم غيرهم أنه لم يصل إليها. وكانت عمرة توصيه بحفظ ما بينهما وكتمانه، فضمن لها ذلك واتصل ما بينهما. فوقفت عليه زوجته فدست إلى عمرة امرأةً داهيةً من عجائز

أهلها، فجاءها فحادثتها طويلاً ثم قالت لها في عرض حديثها: إني لأعجب لك كيف لا تتزوجين أبا دهبل مع ما بينكما! قالت: وأي شيء يكون بيني وبين أبي دهبل! قال: فتضاحكت وقالت: أتسترين عني شيئاً قد تحدثت به أشراف قريش في مجالسها وسوقة أهل الحجاز في أسواقها والسقاة في مواردها! فما يتدافع اثنان أنه يهواك وتهوينه، فوثبت عن مجلسها فاحتجبت ومنعت كل من كان يجالسها من المصير إليها. وجاء أبو دهبل على عادته فحجبته وأرسلت إليه بما كره. ففي ذلك يقول: صوت

تطاول هذا الليل ما يتبلج ... وأعيت غواشي عبرتي ما تفرج
وبت كئيباً ما أنام كأنما ... خلال ضلوعي جمرةٌ تتوهج
فطوراً أمني النفس من عمرة المنى ... وطوراً إذا ما لج بي الحزن أنشج
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ... ونحن إلى أن يوصل الحبل أحوج

الغناء في البيت الأول وبعده بيت في آخر القصيدة:

أخطط في ظهر الحصير كأنني ... أسيرٌ يخاف القتل ولهان ملفج

لمعبد ثقيلٌ أول بالوسطى. وذكر حماد عن أبيه في أخبار مالك أنه لحائد بن جرهد وأن مالكاً أخذه عنه فنسبه الناس إليه، فكان إذا غناه وسئل عنه يقول: هذا والله لحائد بن جرهد لا لي. وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش. وفي لقد قطع الواشون وقبله فطوراً أمني النفس لمالك ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى عن حبش؟

رأوا غرةً فاستقبلوها بألبهم ... فراحوا على ما لا نحب وأدلجوا
وكانوا أناساً كنت آمن غيبهم ... فلم ينههم حلمي ولم يتحرجوا
فليت كوانيناً من أهلي وأهلها ... بأجمعهم في قعر دجلة لججوا

هم منعونا ما نحب وأوقدوا ... علينا وشبوا نار صرم تأجج
ولو تركونا لا هدى الله سعيهم ... ولم يلحموا قولاً من الشر ينسج
لأوشك صرف الدهر يفرق بيننا ... ولا يستقيم الدهر والدهر أعوج
عسى كربةٌ أمسيت فيها مقيمةً ... يكون لنا منها نجاةٌ ومخرج
فيكبت أعداءٌ ويجذل آلفٌ ... له كبدٌ من لوعة الحب تلعج
وقلت لعباد وجاء كتابها ... لهذا وربي كانت العين تخلج
وإني لمحزونٌ عيشة زرتها ... وكنت إذا ما جئتها لا أعرج

أخطط في ظهر الحصير كأنني أسيرٌ يخاف القتل ولهان ملفج

الملفج: الفقير المحتاج.

وأشفق قلبي من فراق خليلةٍ لها نسبٌ في فرع فهرٍ متوج

وكفٌ كهداب الدمقس لطيفةٌ بها دوس حناء حديثٌ مضرج

يجول وشاحاها ويغتص حجلها ويشبع منها وقف عاج ودملج

فلما التقينا لجلجت في حديثها ومن آية الصرم الحديث الملجلج

شعره في عمرة: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أنشدني عمي ومحمد بن الضحاك عن أبيه محمد بن خشرم ومن شئت من قريش لأبي دهبل في عمرة:

يا عمر حم فراقكم عمرا وعزمت منا النأي والهجرا

يا عمر شيخك وهو ذو كرم يحمي الذمار ويكرم الصهرا

إن كان هذا السحر منك فلا ترعي علي وجددي السحرا

إحدى بني أود كلفت بها حملت بلا وتر لنا وترا

وترى لها دلاً إذا نطقت تركت بنات فؤاده صعرا

كتساقط الرطب الجني م ن الأفنان لا بثرا ولا نزرا

أقسمت ما أحببت حبكم لا ثيباً خلقت ولا بكرا

ومقالةٌ فيكم عركت بها جنبي أريد بها لك العذرا

ومريد سركم عدلت به فيما يحاول معدلاً وعرا

قالت يقيم بنا لنجزيه يوماً فخيم عندها شهرا

ما إن أقيم لحاجةٍ عرضت إلا لأبلي فيكم العذرا

قالوا: وفيها يقول:

صوت

يلومونني في غير ذنب جنيته وغيري في الذنب الذي كان ألوم

أمنا أناساً كنت تأتمنينهم فزادوا علينا في الحديث وأوهموا

وقالوا لنا ما لم يقل ثم كثروا علينا وباحوا بالذي كنت أكتم

غنى في هذه الأبيات أبو كامل مولى الوليد رملاً بالبنصر:

وقد منحت عيني القذى لفراقهم وعاد لها تهتانها فهي تسجم

وصافيت نسوانا فلم أر فيهم هواي ولا الود الذي كنت أعلم

أليست عظيماً أن نكون ببلدة كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلم

سمع أبو السائب المخزومي شعره فطرب: أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال: سمع أبو السائب المخزومي رجلاً ينشد قول أبي دهبل:

أليس عجيباً أن نكون ببلدة كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلم

فقال له أبو السائب: قف يا حبيبي فوقف، فصاح بجارية: يا سلامة اخرجي فخرجت، فقال له: أعد بأبي أنت البيت فأعاده، فقال: بلى والله إنه لعجيبٌ عظيم وإلا فسلامة حرة لوجه الله! اذهب فديتك مصاحباً. ثم دخل ودخلت الجارية تقول له: ما لقيت منك! لا تزال تقطعني عن شغلي فيما لا ينفعك ولا ينفعني!

شاب خاطبته عشيقته بشعر أبي دهبل

وحدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: كنا نختلف إلى أبي العباس المبرد ونحن أحداثٌ نكتب عن الرواة ما يروونه من الآداب والأخبار، وكان يصحبنا فتًى من أحسن الناس وجهاً وأنظفهم ثوباً وأجملهم زياً ولا نعرف باطن أمره، فانصرفنا يوماً من مجلس أبي العباس المبرد وجلسنا في مجلس نتقابل بما كتبناه ونصحح المجلس الذي شهدناه، فإذا بجارية قد اطلعت فطرحت في حجر الفتى رقعةً ما رأيت أحسن من شكلها مختومةً بعنبر، فقرأها منفرداً بها ثم أجاب عنها ورمى بها إلى الجارية. فلم نلبث أن خرج خادم من الدار في يده كرش ، فدخل إلينا فصفع الفتى به حتى رحمناه وخلصناه من يده وقمنا أسوأ الناس حالاً. فلما تباعدنا سألناه عن الرقعة، فإذا فيها مكتوب:

كفى حزناً أنا جميعاً ببلدةٍ كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلم

فقلنا له: هذا ابتداءٌ ظريف، فبأي شيء أجبت أنت؟ قال: هذا صوت سمعته يغني فيه، فلما قرأته في الرقعة أجبت عنه بصوت مثله. فسألناه ما هو؟ فقال: كتبت في الجواب:

أراعك بالخابور نوقٌ وأجمال

فقلنا له: ما وفاك القوم حقك قط، وقد كان ينبغي أن يدخلونا معك في القصة لدخولك في جملتنا، ولكنا نحن نوفيك حقك، ثم تناولناه فصفعناه حتى لم يدر أي طريق يأخذ، وكان آخر عهده بالاجتماع معنا.

رجع إلى أخبار أبي دهبل

أبو دهبل وعاتكة بنت معاوية أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال حدثنا صالح بن حسان قال، وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني محمد بن عمر قال حدثني محمد بن السري قال حدثني هشام بن الكلبي عن أبيه، يزيد أحدهما على الآخر في خبره، واللفظ لصالح بن حسان وخبره أتم، قال: حجت عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان، فنزلت من مكة بذي طوى. فبينا هي ذات جالسة وقد اشتد الحر وانقطع الطريق، وذلك في وقت الهاجرة، إذ أمرت جواريها فرفعن الستر وهي جالسةٌ في مجلسها عليها شفوفٌ لها تنظر إلى الطريق، إذ مر بها أبو دهبل الجمحي، وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظراً، فوقف طويلاً ينظر إليها وإلى جمالها وهي غافلة عنه، فلما فطنت له سترت وجهها وأمرت بطرح الستر وشتمته. فقال أبو دهبل:

إني دعاني الحين فاقتادني ... حتى رأيت الظبي بالباب

يا حسنه إذا سبني مدبراً ... مستتراً عني بجلباب

سبحان من وقفها حسرةً ... صبت على القلب بأوصاب

يذود عنها إن تطلبتها ... أبٌ لها ليس بوهاب

أحلها قصراً منيع الذرى ... يحمى بأبواب وحجاب

قال: وأنشد أبو دهبل هذه الأبيات بعض إخوانه، فشاعت بمكة وشهرت وغنى فيها المغنون، حتى سمعتها عاتكة إنشاداً وغناءً، فضحكت وأعجبتها إليه بكسوةٍ، وجرت الرسل بينهما. فلما صدرت عن مكة خرج معها إلى الشأم ونزل قريباً منها، فكانت تعاهده بالبر واللطف حتى وردت دمشق وورد معها، فانقطعت عن لقائه وبعد من أن يراها، ومرض بدمشق مرضاً طويلاً. فقال في ذلك:

طال ليلي وبت كالمحزون ... ومللت الثواء في جيرون

وأطلت المقام بالشأم حتى ... ظن أهلي مرجمات الظنون

فبكت خشية التفرق جملٌ ... كبكاء القرين إثر القرين

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغ ... واص ميزت من جوهر مكنون

وإذا ما نسبتها لم تجدها ... في سناء من المكارم دون

ثم خاصرتها إلى القبة الخض ... راء تمشي في مرمرٍ مسنون

قبةٌ من مراجل ضربوها ... عند برد الشتاء في قيطون

عن يساوي إذا دخلت من البا ... ب وإن كنت خارجاً عن يميني

ولقد قلت إذ تطاول سقمي ... وتقلبت ليلتي في فنون

ليت شعري أمن هوى طار نومي أم براني الباري قصير الجفون

قال: وشاع هذا الشعر حتى بلغ معاوية فأمسك عنه، حتى إذا كان في يوم الجمعة دخل عليه الناس وفيهم أبو دهبل، فقال معاوية لحاجبه: إذا أراد أبو دهبل الخروج فامنعه وارده إلي، وجعل الناس يسلمون وينصرفون، فقام أبو دهبل لينصرف، فناداه معاوية: يا أبا دهبل إلي، فلما دنا إليه أجلسه حتى خلا به، ثم قال له: ما كنت ظننت أن في قريش أشعر منك حيث تقول:

ولقد قلت إذ تطاول سقمي وتقلبت ليلتي في فنون

ليت شعري أمن هوىً طار نومي أم براني الباري قصير الجفون

غير أنك قلت:

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغ واص ميزت من جوهر مكنون

وإذا ما نسبتها لم تجدها في سناء من المكارم دون

ووالله إن فتاةً أبوها معاوية وجدها أبو سفيان وجدتها هند بنت عتبة لكما ذكرت، وأي شيء زدت في قدرها! ولقد أسأت في قولك:

ثم خاصرتها إلى القبة الخض راء تمشي في مرمر مسنون

فقال: والله يا أمير المؤمنين، ما قلت هذا، وإنما قيل على لساني. فقال له: أما من جهتي فلا خوف عليك، لأني أعلم صيانة ابنتي نفسها، وأعرف أن فتيان الشعر لم يتركوا أن يقولوا النسيب في كل من جاز أن يقولوه فيه وكل من لم يجز، وإنما أكره لك جوار يزيد، وأخاف عليك وثباته، فإن له سورة الشباب وأنفة الملوك. وإنما أراد معاوية أن يهرب أبو دهبل فتنقضي المقالة عن ابنته، فحذر أبو دهبل فخرج إلى مكة هارباً على وجهه، فكان يكاتب عاتكة. فبينا معاوية ذات يوم في مجلسة إذ جاءه خصي له فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد سقط إلى عاتكة اليوم كتاب، فلما قرأته بكت ثم أخذته فوضعته تحت مصلاها، وما زالت خاثرة النفس منذ اليوم. فقال له: اذهب فالطف لهذا الكتاب حتى تأتيني به. فانطلق الخصي، فلم يزل يلطف حتى أصاب منها غرةً فأخذ الكتاب وأقبل به إلى معاوية، فإذا فيه:

أعاتك هلا إذا بخلت فلا ترى لذي صبورة زلفى لديك ولا حقا

رددت فؤاداً قد تولى به الهوى وسكنت عيناً لا تمل ولا ترقا

ولكن خلعت القلب بالوعد والمنى ولم أر يوماً منك جودا ولا صدقا

أتنسين أيامي بربعك مدنفاً صريعاً بأرض الشأم ذا سقم ملقى

وليس صديقٌ يرتضى لوصيةٍ ... وأدعو لدائي بالشراب فما أسقى
وأكبر همي أن أرى لك مرسلاً ... فطول نهاري جالسٌ أرقب الطرقا
فواكبدي إذ ليس لي منك مجلسٌ ... فأشكو الذي بي من هواك وما ألقى
رأيتك تزدادين للصب غلظةً ... ويزداد قلبي كل يوم لكم عشقا

قال: فلما قرأ معاوية هذا الشعر بعث إلى يزيد بن معاوية، فأتاه فدخل عليه فوجد معاوية مطرقاً، فقال: يا أمير المؤمنين، ما هذا الأمر الذي شجاك؟ قال: أمر أمرضني وأقلقني منذ اليوم، وما أدري ما أعمل في شأنه. قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا الفاسق أبو دهبل كتب بهذه الأبيات إلى أختك عاتكة، فلم تزل باكيةً منذ اليوم، وقد أفسدها، فما ترى فيه؟ فقال: الله إن الرأي لهينٌ. قال: وما هو؟ قال: عبدٌ من عبيدك يكمن له في أزقة مكة فيريحنا منه. قال معاوية: أف لك؟ والله إن امرأً يريد بك ما يريد ويسمو بك إلى ما يسمو لغير ذي رأيٍ، وأنت قد ضاق درعك بكلمة وقصر فيها باعك حتى أردت أن تقتل رجلاً من قريش! أو ما تعلم أنك إذا فعلت ذلك صدقت قوله وجعلتنا أحدوثةً أبداً؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنه قال قصيدة أخرى تناشدها أهل مكة وسارت حتى بلغتني وأوجعتني وحملتني على ما أشرت به فيه. قال: وما هي؟ قال قال :

ألا لا تقل مهلاً فقد ذهب المهل ... وما كل من يلحى محباً له عقل
لقد كان في حولين حالا ولم أزر ... هواي وإن خوفت عن حبها شغل
حمى الملك الجبار عني لقاءها ... فمن دونها تخشى المتالف والقتل
فلا خير في حب يخاف وباله ... ولا في حبيبٍ لا يكون له وصل
فواكبدي إني شهرت بحبها ... ولم يك فيما بيننا ساعةً بذل
ويا عجباً إني أكاتم حبها ... وقد شاع حتى قطعت دونها السبل

قال: فقال معاوية: قد والله رفهت عني، فما كنت آمن أنه قد وصل إليها، فأما الآن وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وصل ولا بذلٌ فالخطب فيه يسير، قم عني فقام يزيد فانصرف. وحج معاوية في تلك السنة، فلما انقضت أيام الحج كتب أسماء وجوه قريش وأشرافهم وشعرائهم وكتب فيهم اسم أبي دهبل، ثم دعا بهم ففرق في جميعهم صلاتٍ سنيةً وأجازهم جوائز كثيرةً. فلما قبض أبو دهبل جائزته وقام لينصرف دعا به معاوية فرجع إليه، فقال له: يا أبا دهبل، ما لي رأيت أبا خالد يزيد بن أمير المؤمنين عليك ساخطاً في قوارص تأتيه عنك وشعرٍ لا تزال قد نطقت به وأنفذته إلى خصمائنا وموالينا، لا تعرض لأبي خالد. فجعل يعتذر إليه ويحلف له أنه مكذوبٌ عليه. فقال له معاوية: لا بأس عليك، وما يضرك ذلك عندنا، هل تأهلت؟ قال: لا. قال: فأي بنات عمك أحب إليك؟ قال: فلانة، قال: قد زوجتكها وأصدقتها ألفي دينار وأمرت لك بألف دينار. فلما قبضها قال: إن رأي

أمير المؤمنين أن يعفو لي عما مضى! فإن نطقت ببيت في معنى ما سبق مني فقد أبحت به دمي وفلانة التي زوجتنيها طالقٌ البتة. فسر بذلك معاوية وضمن له رضا يزيد عنه ووعده بإدرار ما وصله به في كل سنة، وانصرف إلى دمشق. و لم يحجج معاوية في تلك السنة إلا من أجل أبي دهبل.

قصته مع شامية تزوجها أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال حدثني إبراهيم بن عبد الله قال: خرج أبو دهبل يريد الغزو، وكان رجلاً صالحاً وكان جميلاً. فلما كان بجيرون جاءته امرأةٌ فأعطته كتاباً فقالت: اقرأ لي هذا الكتاب فقرأه لها، ثم ذهبت فدخلت قصراً ثم خرجت إليه فقالت: لو بلغت القصر فقرأت الكتاب على امرأة كان لك فيه أجرٌ إن شاء الله، فإنه من غائب لها يعنيها أمره، فبلغ معها القصر، فلما دخلا إذا فيه جوارٍ كثيرة، فأغلقن القصر عليه، وإذا فيه امرأة وضيئة، فدعته إلى نفسها فأبى، فأمرت به فحبس في بيت في القصر وأطعم وسقي قليلاً قليلاً حتى ضعف وكاد يموت، ثم دعته إلى نفسها فقال: لا يكون ذلك أبداً، ولكني أتزوجك، قالت: نعم، فتزوجها، فأمرت به فأحسن إليه حتى رجعت إليه نفسه، فأقام معها زماناً طويلاً لا تدعه يخرج، حتى يئس منه أهله وولده، وتزوج بنوه وبناته واقتسموا ماله، وأقامت زوجته تبكي عليه حتى عمشت و لم تقاسمهم ماله. ثم إنه قال لامرأته: إنك قد أثمت في وفي ولدي وأهلي، فأذني لي أطالعهم وأعود إليك، فأخذت عليه أيماناً ألا يقيم إلا سنةً حتى يعود إليها. فخرج من عندها يجر الدنيا حتى قدم على أهله، فرأى حال زوجته وما صار إليه ولده. وجاء إليه ولده، فقال لهم: لا والله ما بيني وبينكم عمل، أنتم قد ورثتموني وأنا حي فهو حظكم، والله لا يشرك زوجتي فيما قدمت به أحد، ثم قال لها: شأنك به فهو لك كله. وقال في الشامية:

صاح حياً الإله حيا ودوراً ... عند أصل القناة من جيرون

عن يساري إذا دخلت من البا ... ب وإن كنت خارجاً عن يميني

فبذاك اغتربت في الشأم حتى ... ظن أهلي مرجمات الظنون

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغ ... واص ميزت من جوهرٍ مكنون

وإذا ما نسبتها لم تجدها ... في سناء من المكارم دون

تجعل المسك واليلنجوج وال ... ند صلاءً لها على الكانون

ثم ماشيتها إلى القبة الخض ... راء تمشي في مرمر مسنون

وقبابٍ قد أسرجت وبيوت ... نظمت بالريحان والزرجون

قبة من مراجل ضربوها ... عند حد الشتاء في قيطون

ثم فارقتها على خير ما كا ... ن قرينٌ مفارقٌ لقرين

فبكت خشية التفرق للبي ن بكاء الحزين إثر الحزين

واسألي عن تذكري واطمئني لأناسي إذا هم عذلوني

فلما حل الأجل أراد الخروج إليها، فجاءه موتها فأقام.

وفد على ابن الأزرق فجفاه فذمه ثم مدحه لما أكرمه: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال:

وفد أبو دهبل الجمحي على ابن الأزرق عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، وكان يقال له ابن الأزرق والهبرزي ، وكان عاملاً لعبد الله بن الزبير على اليمن، فأنكره ورأى منه جفوةً، فمضى إلى عمارة بن عمرو بن حزم، وهو عامل لعبد الله بن الزبير على حضرموت، فقال يمدحه ويعرض بابن الأزرق:

يا رب حي بخير ما حييت إنساناً عماره

أعطي فأسناناً ولم يك من عطيته الصغاره

ومن العطية ما ترى جذماه ليس لها نزاره

حجراً تقلبه وهل تعطي على المدح الحجارة

كالبغل يحمد قائماً وتذم مشيته المصاره

ثم رجع من عند عمارة بن عمرو بن حزم فقدم، فقال له حنين مولى ابن الأزرق في السر: أرى أنك عجلت على ابن عمك وهو أجود الناس وأكرمهم، فعد إليه فإنه غير تاركك، واعلم أنا نخاف أن يكون قد عزل فلازمه ولا يفقدك، فإني أخاف أن ينساك، ففعل وأعطاه وأرضاه. فقال في ذلك:

يا حن إني لما حدثتني أصلاً مرنح من صميم الوجد معمود

نخاف عزل امرىء كنا نعيش به معروفه إن طلبنا الجود موجود

اعلم بأني لمن عاديت مضطغنٌ ضباً وأني عليك اليوم محسود

وأن شكرك عندي لا انقضاء له ما دام بالهضب من لبنان جلمود

أنت الممدح والمغلي به ثمناً إذ لا تمدح صم الجندل السود

إن تغد من منقلي نجران مرتحلا يرحل من اليمن المعروف والجود

ما زلت في دفعات الخير تفعلها لما اعترى الناس لأواءٌ ومجهود

حتى الذي بين عسفانٍ إلى عدنٍ لحبٌ لمن يطلب المعروف أخدود

قال: وأنشدنيها محمد بن الضحاك بن عثمان قال سمعتها من أبي.

حديثه عن نظم بيت من شعره

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال أخبرني الزبير بن بكار، وحدثني حمزة بن عتبة قال: قال أبو دهبل الجمحي: لما قلت أبياتي التي قلت فيها:

اعلم بأني لمن عاديت مضطغنٌ ضباً وأني عليك اليوم محسود

قلت فيها نصف بيت وأن شكرك عندي لا انقضاء له ثم أرتج علي فأقمت حولين لا أقع على تمامه، حتى سمعت رجلاً من الحاج في الموسم يذكر لبنان، فقلت: ما لبنان؟ فقال: جبل بالشأم، فأتممت نصف البيت:

ما دام بالهضب من لبنان جلمود

فضل إبراهيم بن هشام شعره على شعر نصيب: قال الزبير وحدثني محمد بن حبش المخزومي قال: دخل نصيبٌ على إبراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة فأنشده قصيدةً مدحه فيها، فقال إبراهيم بن هشام: ما هذا بشيء، أين هذا من قول أبي دهبل لصاحبنا ابن الأزرق حيث قال:

إن تغد من منقلي نجران مرتحلا يبن من اليمن المعروف والجود

فغضب نصيبٌ فحمي فترع عمامته وطرحها وبرك عليها، ثم قال: إن تأتونا برجال مثل ابن الأزرق نأتكم بمديح أجود من مديح أبي دهبل.

قال الزبير وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري قال حدثني إسماعيل بن يعقوب بن مجمع التيمي قال: كان إبراهيم بن هشام جباراً وكان يقيم بلا إذنٍ إذ كان على المدينة الأشهر. فإذا أذن للناس أذن معهم لشاعر، فينشد قصيدة مديح لهشام بن عبد الملك وقصيدة مديح لإبراهيم بن هشام. فأذن لهم يوماً، وكان الشاعر الذي أذن له معهم نصيباً وعليه جبة وشيٍ، فاستأذنه في الإنشاد فأذن له، فأنشده قصيدةً لهشام بن عبد الملك ثم قطعها وأنشد قصيدة مديح لإبراهيم بن هشام، وقصيدة هشام أشعر، فأراد الناس ممالحة نصيب فقالوا: ما أحسن هذا يا أبا محجن! أعد هذا البيت. فقال إبراهيم: أكثرتم، إنه لشاعرٌ، وأشعر منه الذي يقول في ابن الأزرق:

إن تمس من منقلي نجران مرتحلاً يبن من اليمن المعروف والجود

ما زلت في دفعات الخير تفعلها لما اعترى الناس لأواءٌ ومجهود

وحمي نصيب فقال: إنا والله ما نصنع المديح إلا على قدر الرجال، كما يكون الرجل يمدح. فعم الناس الضحك وحلم عنه، وقال الحاجب: ارتفعوا، فلما صاروا في السقيفة ضحكوا وقالوا: أرأيتم مثل شجاعة هذا الأسود على هذا الجبار! وحلم من غير حلم.

مدح ابن الأزرق بعد عزله

وذم إبراهيم بن سعد:

قال الزبير وحدثني عمي مصعب قال: خرج أبو دهبل يريد ابن الأزرق فلقيه معزولاً، فشق ذلك عليه واسترجع، فقال له ابن الأزرق: هون عليك! لم يفتك شيءٌ، فأعطاه مائتي دينار . فقال في ذلك أبو دهبل:

أعطى أميراً ومنزوعاً وما نزعت عنه المكارم تغشاه وما نزعا

وحدثني محمد بن الضحاك مثل ذلك وأنشدني البيت.

وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو توبة صالح بن محمد بن دراج قال حدثنا أبو عمرو الشيباني قال: ولى عبد الله بن الزبير ابناً لسعد بن أبي وقاص يقال له إبراهيم مكان الثبت بن عبد الرحمن بن الوليد الذي يقال له ابن الأزرق، فخرج حتى نزل بزبيد ، فقال لابن الأزرق: هلم حسابك، فقال: مالك عندي حساب ولا بيني وبينك عملٌ، وخرج متوجهاً إلى مكة. فاستأذنه أبو دهبل في صحبة الوقاصي فأذن له فرجع معه، حتى إذا دخلوا صنعاء لقيهم بحير بن ريسان في نفرٍ كثير من الفرس وغيرهم، ومضى ابن الأزرق ومعه ما احتمله من أموال اليمن، فسار يوماً ثم نزل فضرب رواقه ودعا الناس فأعطاهم ذلك المال حتى لم يبق منه درهم فقال أبو دهبل:

أعطى أميراً ومنزوعاً وما نزعت عنه المكارم تغشاه وما نزعا

وأقام أبو دهبل مع الوقاصي، فلم يصنع به خيراً. فقال أبو دهبل:

ماذا رزئنا غداة الخل من رمعٍ عند التفرق من خيم ومن كرم

ظل لنا واقفاً يعطي فأكثر ما سمى وقال لنا في قوله نعم

نعم حرف موقوف فإذا حرك أجريت حركته إلى الخفض لأنه أولى بالساكن:

ثم انتحى غير مذمومٍ وأعيننا لما تولى بدمع واكفٍ سجم

تحمله الناقة الأدماء معتجرا بالبرد كالبدر جلى ليلة الظلم

وكيف أنساك لا أيديك واحدةٌ عندي ولا بالذي أوليت من قدم

حتى لقينا بحيراً عند مقدمنا في موكب كضباع الجزع مرتكم

لما رأيت مقامي عند بابهم وددت أني بذاك الباب لم أقم

بحير بن ريسان وشعره فيه

وبحير بن ريسان الذي يقول فيه أبو دهبل:

بحير بن ريسان الذي سكن الجند يقول له الناس الجواد ومن ولد

له نفحاتٌ حين يذكر فضله كسيل ربيع في ضحاضحة السند

في هذين البيتين هزج بالبنصر ذكر عمرو بن بانة أنه ليمان، وذكر الهشامي أنه لابن جامع.

مدائحه في ابن الأزرق: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشيباني قال: كان ابن الزبير بعث عبد الله بن عبد الرحمن على بعض أعمال اليمن، فمد يده إلى أموالها وأعطى أعطيةً سنية وبث في قريش منها أشياء جزيلةً فأثنت عليه قريش ووفدوا إليه فأسنى لهم العطايا. وبلغ ذلك عبد الله بن الزبير فحسده وعزله بإبراهيم بن سعد بن أبي وقاص. فلما قدم عليه أراد أن يحاسبه، فقال له: مالك عندي حساب ولا بيني وبينك عمل، وقدم مكة، فخافت قريشٌ ابن الزبير عليه أن يفتشه أو يكشفه فلبست السلاح وخرجت إليه لتمنعه، فلما لقيهم نزلت إليه قريشٌ فسلمت عليه وبسطت له أرديتها وتلقته إماؤهم وولائدهم بمجامر الألوة والعود المندلي يبخرون بين يديه حتى انتهى إلى المسجد وطاف بالبيت، ثم جاء إلى ابن الزبير فسلم عليه وهم معه مطيفون به. فعلم ابن الزبير أنه لا سبيل له إليه فما عرض ولا صرح له بشيء. ومضى إلى منزله. فقال أبو دهبل:

فمن يك شان العزل أو هد ركنه لأعدائه يوماً فما شانك العزل

وما أصبحت من نعمة مستفادةٍ ولا رحمٍ إلا عليها لك الفضل

وقال أبو دهبل أيضاً فيه - أخبرني بذلك ابن المرزبان عن أبي توبة عن أبي عمرو الشيباني، وأخبرني به الحرمي عن الزبير عن عمه - :

عقم النساء فلم يلدن شبيهه إن النساء بمثله عقم

متهللٌ بنعم بلا متباعدٌ سيان منه الوفر والعدم

نزر الكلام من الحياء تخاله ضمنا وليس بجسمه سقم

وفد على سليمان بن عبد الملك

فلم يحسن وفادته ثم رضي عنه:

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أبو توبة عن أبي عمرو قال:

قال أبو دهبل يمدح ابن الأزرق:

بأبي وأمي غير قول الباطل الكامل ابن الكامل ابن الكامل

والحازم الأمر الكريم برأيه والواصل الأرحام وابن الواصل

جمع الرياسة والسماح كليهما جمع الجفير قداح نبل النابل

أخبرني محمد بن خلف قال حدثني محمد بن عمر قال حدثني سليمان بن عباد قال حدثني أبو جعفر الشويفعي رجل من أهل مكة قال: قدم سليمان بن عبد الملك مكة في حر شديد، فكان ينقل سريره بفناء الكعبة وأعطى الناس العطاء. فلما بلغ بني جمح نودي بأهل دهبل، فقال سليمان: أين أبو دهبل الشاعر؟ علي به، فأتي به، فقال سليمان: أنت أبو دهبل الشاعر؟ قال: نعم، قال: فأنت القائل:

فتنةٌ يشعلها ورادها حطب النار فدعها تشتعل

فإذا ما كان أمنٌ فأتهم وإذا ما كان خوفٌ فاعتزل

قال: نعم. قال: وأنت القائل:

يدعون مروان كيما يستجيب لهم وعند مروان خار القوم أو رقدوا

قد كان في قوم موسى قبلهم جسد عجلٌ إذا خار فيهم خورةً سجدوا

قال: نعم. قال: أنت القائل هذا ثم تطلب ما عندنا، لا والله ولا كرامة! فقال: يا أمير المؤمنين، إن قوماً فتنوا فكافحوكم بأسيافهم وأجلبوا عليكم بخيلهم ورجلهم ثم أدالكم الله منهم فعفوتم عنهم، وإنما فتنت فقلت بلساني، فلما لا يعفى عني! فقال سليمان: قد عفونا عنك وأقطعه قطيعةً بحاذان باليمن. فقيل لسليمان: كيف أقطعته هذه القطيعة! قال: أردت أن أميته وأميت ذكره بها.

أبو دهبل وعمرة محبوبته

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا المدائني عن جماعة من الرواة: أن أبا دهبل كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها عمرة وكان امرأةً جزلةً يجتمع الرجال عندها لإنشاد الشعر والمحادثة، وكان أبو دهبل لا يفارق مجلسها مع كل من يجتمع إليها، وكانت هي أيضاً محبةً له. وكان أبو دهبل من أشراف بني جمح، وكان يحمل الحمالة وكان مسوداً، وزعمت بنو جمح أنه تزوجها بعد، وزعم غيرهم من الرواة أنه لم يصل إليها ولم يجر بينهما حلال ولا حرام. قال: وكانت عمرة تتقدم إلى أبي دهبل في حفظ ما بينهما وكتمانه، فضمن ذلك لها. فجاء نسوةٌ كن يتحدثن إليها فذكرن لها شيئاً من أبي دهبل وقلن: قد علق امرأةً، قالت: وما ذاك؟ قلن: ذكر أنه عاشق لك وأنك عاشقة له. فرفعت مجلسها ومجالسة الرجال ظاهرةً وضربت حجاباً بينهم وبينها، وكتبت إلى أبي دهبل تعذله وتخبره بما بلغها من سوء صنيعه. فعند ذلك يقول:

تطاول هذا الليل ما يتبلج وأعيت غواشي عبرتي ما تفرج

وبت كئيباً ما أنام كأنما خلال ضلوعي جمرةٌ تتوهج

فطوراً أمني النفس من عمرة المنى وطوراً إذا ما لج بي الحزن أنشج

لقد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن إلى أن يوصل الحبل أحوج

رأوا غرةً فاستقبلوها بألبهم فراحوا على ما لا نحب وأدلجوا
وكانوا أناساً كنت آمن غيهم فلم ينههم حلم ولم يتحرجوا
هم منعونا ما نحب وأوقدوا علينا وشبوا نار صرم تأجج
ولو تركونا لا هدى الله سعيهم ولم يلحموا قولاً من الشر ينسج
لأوشك صرف الدهر يفرق بيننا وهل يستقيم الدهر والدهر أعوج
عسى كربةٌ أمسيت فيها مقيمةً يكون لنا منها نجاة ومخرج
فيكبت أعداءٌ ويجذل آلفٌ له كبد من لوعة الحب تنضج
وقلت لعباد وجاء كتابها لهذا وربي كانت العين تخلج
وخططت في ظهر الحصير كأنني أسيرٌ يخاف القتل ولهان ملفج
فلما التقينا لجلجلت في حديثها ومن آية الصرم الحديث الملجلج
وإني لمحجوبٌ عشية زرتها وكنت إذا ما جئتها لا أعرج
وأعيا علي القول والقول واسعٌ وفي القول مستنٌ كثيرٌ ومخرج

أبو السائب المخزومي وأبو جندب الهذلي تغنيهما جارية بشعر أبي دهبل:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني خالد بن بكر الصواف قال: أتيت ابن أبي العراقيب فسألته أن يدخلني على جارية مغنية لم ير أحدٌ مثلها قط، فقال لي: إن في البيت والله شيخين كريمين علي، لا أدري ما يوافقهما من دخول أحد عليهما، فلو أقمت حتى أطلع رأيهما في ذلك، فدخل ثم خرج إلي فقال: ادخل فدخلت، فإذا أبو السائب المخزومي وأبو جندب الهذلي، وخرجت علينا الجارية قاطبةً عابسةً، فلما وضع العود في حجرها اندفعت تغني وتقول:

عسى كربةٌ أمسيت فيها مقيمةً يكون لنا منها نجاة ومخرج
وإني لمحجوبٌ غداة أزورها وكنت إذا ما زرتها لا أعرج

قال: ثم بكت، فوثبا عليه جميعاً فقالا له: لعلك أربتها بشيء، عليك وعلينا إن لم تقم إليها حتى تقبل رأسها وترضاها، ففعل.

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء

صوت

تطاول هذا الليل ما يتبلج وأعيت غواشي عبرتي ما تفرج

أخطط في ظهر الحصير كأنني أسيرٌ يخاف القتل ولهان ملفج

الغناء لمعبد ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. وفيه لحن لمالك ذكره حماد عن أبيه في أخبار مالك و لم يجنسه. وحكي أن مالكاً كان إذا سئل عنه يذكر أنه أخذه من حائد بن جرهد فقومه وأصلحه. وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش والهشامي.

صوت

لقد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن إلى أن يوصل الحبل أحوج

فطوراً أمني النفس من عمرة المنى وطوراً إذا ما لج بي الهم أنشج

الغناء لمالك ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر حبش أن فيه لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى.

شعره في رثاء الحسين بن علي: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال: قال أبو دهبل في قتل الحسين بن علي صلوات الله عليه وزكواته:

تبيت سكارى من أمية نوماً وبالطف قتلي ما ينام حميمها

وما أفسد الإسلام إلا عصابةٌ تأمر نوكاها ودام نعيمها

فصارت قناة الدين في كف ظالمٍ إذا اعوج منها جانب لا يقيمها

قصيدته الدالية

قال الزبير وحدثني يحيى بن مقداد بن عمران بن يعقوب الزمعي قال حدثني عمي موسى بن يعقوب قال أنشدني أبو دهبل قصيدته التي تقول فيها:

سقى الله جازاناً فمن حل وليه فكل فسيلٍ من سهام وسردد

ومحصوله الدار التي خيمت بها سقاها فأروى كل ربع وفدفد

فأنت التي كلفتني البرك شاتياً وأوردتنيه فانظري أي مورد

صوت

فواندمي أن لم أعج إذ تقول لي تقدم فشيعنا إلى ضحوة الغد

تكن سكناً أو تقدر العين أنها ستبكي مراراً فآسل من بعد واحمد

فأصبحت مما كان بيني وبينها سوى ذكرها كالقابض الماء باليد

الغناء لابن سريج خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لبذل الكبير رملٌ عن الهشامي:

لعلك أن تلقى محباً فتشتفي ... برؤية ريم بضة المتجرد

بلاد العدا لم تأتها غير أنها ... بها هم نفسي من تهامٍ ومنجد

وما جعلت ما بين مكة ناقتي ... إلى البرك إلا نومة المتهجد

وكانت قبيل الصبح تنبذ رحلها ... بدومة من لغط القطا المتبدد

قال فقلت: يا عمي فما يمنعك أن تكتري دابةً بدرهمين فتشيعها وتصبح معك، فضحك وقال: نفع الله بك يا بن أخي، أما علمت أن الندم توبةٌ، وعمك كان أشغل مما تحسب.

أنشد أبو السائب شعراً له فتهكم به

قال الزبير وحدثني عمي مصعب بن عبد الله قال: أنشد رجل أبا السائب المخزومي قصيدة أبي دهبل:

سقى الله جازاناً فمن حل وليه ... فكل فسيلٍ من سهام وسردد

فلما بلغ قوله:

فواندمي أن لم أعج إذ تقول لي ... تقدم فشيعنا إلى ضحوة الغد

قال أبو السائب: ما صنع شيئاً! ألا اكتري حماراً بدرهمين فشيعهم و لم يقل فواندمي أو اعتذر! وإني أظن أنه قد كان له عذرٌ. قال: وما هو؟ قال: أظنه كان مثلي لا يجد شيئاً.

قصيدته الميمية

فقال الزبير وحدثني ابن مقداد قال حدثني عمي موسى بن يعقوب قال أنشدني أبو دهبل قوله:

صوت

ألا علق القلب المتيم كلثما ... لجاجاً ولم يلزم من الحب ملزما

خرجت بها من بطن مكة بعدما ... أصات المنادي بالصلاة فأعتما

فما نام من راعٍ ولا ارتد سامرٌ ... من الحي حتى جاوزت بي يلملما

ومرت ببطن الليث تهوي كأنما ... تبادر بالإدلاج نهباً مقسما

غنى في هذه الأبيات ابن سريج خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي. قال: وفيه هزجٌ يمانٍ بالوسطى، وذكر عمرو بانة أن خفيف الثقيل هو اليماني. وفيه لفيل مولى العبلات رملٌ صحيح عن حماد عن أبيه عن الهشامي. وقال الهشامي: فيه لحكم ثقيلٌ أول. وذكر أبو أيوب المديني في أغاني ابن جامع أن فيه لحناً و لم يجنسه:

وجازت على البزوء والليل كاسرٌ ... جناحين بالبزواء ورداً وأدهما

فما ذر قرن الشمس حتى تبينت ... بعليب نخلاً مشرفاً أو مخيما

ومرت على أشطان رونق بالضحى ... فما خزرت للماء عيناً ولا فما

وما شربت حتى ثنيت زمامها ... وخفت عليها أن تخر وتكلما

فقلت لها قد بنت غير ذميمةٍ ... وأصبح وادي البرك غيثاً مديما

قال: فقلت له: ما كنت إلا على الريح، فقال: يا بن أخي، إن عمك كان إذا هم فعل، وهي الحاجة . أما سمعت قول أخي بني مرة:

إذا أقبلت قلت مشحونةٌ ... أطاعت لها الريح قلعاً جفولا

وإن أدبرت قلت مذعورةٌ ... من الربد تتبع هيقاً ذمولا

وإن أعرضت خال فيها البصي ... ر مالا تكلفه أن يميلا

يدا سرحٍ مائلٍ ضبعها ... تسوم وتقدم رجلاً زحولا

فمرت على خشب غدوةً ... ومرت فويق أريكٍ أصيلا

تخبط بالليل حزانه ... كخبط القوي العزيز الذليلا

استحسن ريان السواق شعره وقال ليس بعده شيء: وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني جعفر بن الحسن اللهبي قال: أنشدت ريان السواق قول أبي دهبل:

أليس عجيباً أن نكون ببلدة ... كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلم

ولا تصرميني أن تريني أحبكم ... أبوء بذنبٍ إنني أنا أظلم

فقال: أحسن، أحسن الله إليه، ما بعد هذا شيءٌ.

وفي هذه القصيدة يقول:

صوت

أمنا أناساً كنت قد تأمنينهم ... فزادوا علينا في الحديث وأوهموا

وقالوا لنا ما لم يقل ثم كثروا ... علينا وباحوا بالذي كنت أكتم

لقد كحلت عيني القذى لفراقكم وعاودها تهتانها فيه تسجم

وأنكرت طيب العيش مني وكدرت علي حياتي والهوى متقسم

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن زرزور الطائفي خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه خفيفا رملٍ أحدهما بالوسطى لمتيم والآخر بالبنصر لعريب.

حديث القاسم ابن المعتمر مع أبي السائب عن شعره: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني عمي قال حدثني القاسم بن المعتمر الزهري قال: قلت لأبي السائب المخزومي: يا أبا السائب، أما أحسن أبو دهبل حيث يقول:

صوت

أأترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلةٍ إني إذاً لصبور

هبوني امرأً أضل بعيره له ذمة إن الذمام كبير

وللصاحب المتروك أفضل ذمةً على صاحبٍ من أن يضل بعير

قال: فقال لي: وبأبي أنت! كنت والله لا أحبك وتثقل علي، فأنا الآن أحبك وتخف علي.

وفي هذه الأبيات غناءٌ لابن سريج خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لعلويه رملٌ بالوسطى من جامع أغانيه. وفيه للمازني خفيف ثقيلٍ آخر من رواية الهشامي وذكاء وغيرهما. وأول هذا الصوت بيت لم يذكر في الخبر، وهو:

عفا الله عن ليلى الغداة فإنها إذا وليت حكماً علي تجور

توعد ابن صفوان عمه فقال

أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني عمي مصعب ومحمد بن الضحاك عن أبيه:

أن أبا ريحانة عم أبي دهبل كان شديد الخلاف على عبد الله بن الزبير، فتوعده عبد الله بن صفوان، فلحق بعبد الملك بن مروان، فاستمده الحجاج فأمده عبد الملك بطارق مولى عثمان في أربعة آلاف، فأشرف أبو ريحانة على أبي قبيس فصاح أبو ريحانة: أليس قد أخزاكم الله يأهل مكة! فقال له ابن أبي عتيق: بلى والله قد أخزانا الله. فقال له ابن الزبير: مهلاً يا بن أخي! فقال: قلنا لك ائذن لنا فيهم وهم قليل فأبيت حتى صاروا إلى ما ترى من الكثرة. قال: وقال أبو دهبل في وعيد عبد الله بن صفوان عمه أبا ريحانة واسمه علي بن أسيد بن أحيحة:

ولا توعد لتقلته عليا فإن وعيده كلأٌ وبيل

ونحن ببطن مكة إذ تداعى لرهطك من بني عمرو رعيل

أولو الجمع المقدم حين ثابوا إليك ومن يودعهم قليل
فلما أن تفانينا وأودى بثروتنا الترحل والرحيل
جعلت لحومنا غرضاً كأنا لتهلكنا عروبة أو سلول

رثى ابن الأزرق وأوصى أن يدفن بجانبه

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشيباني قال: مات ابن الأزرق وأبو دهبل حي فدفن بعليب، فلما احتضر أبو دهبل أيضاً أوصى أن يدفن عنده. وفيه يقول أبو دهبل يرثيه - عن أبي عمرو الشيباني : -

لقد غال هذا اللحد من بطن عليبٍ فتًى كان من أهل الندى والتكرم
فتى كان فيما ناب يوماً هو الفتى ونعم الفتى للطارق المتيمم
أألحق أني لا أزال على منًى إذا صدر الحجاج عن كل موسم
سقى الله أرضاً أنت ساكن قبرها سجال الغوادي من سحيلٍ ومبرم

خرج إلى مصر لطلب ميراث ثم عاد وقال شعراً: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني عمي قال حدثني إبراهيم بن أبي عبد الله قال: وقع لأبي دهبل ميراثٌ بمصر فخرج يريده، ثم رجع من الطريق فقال:

اسلمي أم دهبلٍ بعد هجر وتقضٍّ من الزمان وعمر
واذكري كري المطي إليكم بعد ما قد توجهت نحو مصر
لا تخالي أني نسيتك لما حال بيشٌ ومن به خلف ظهري
إن تكوني أنت المقدم قبلي وأطع يثو عند قبرك قبري

قال إبراهيم: فوقفت على قبره إلى جانب قبرها بعليبٍ.

صوت من المائة المختارة

من رواية علي بن يحيى

ألا أيها الشادن الأكحل إلى كم تقول ولا تفعل
إلى كم تجود بما لا نري د منك وتمنع ما نسأل

الشعر للحسين بن الضحاك. والغناء لأبي زكارٍ الأعمى، ولحنه المختار هزجٌ بالبنصر.

أخبار حسين بن الضحاك ونسبه

منشؤه وشعره: الحسين بن الضحاك باهليٌ صليبةٌ ، فيما ذكر محمد بن داود بن الجراح، والصحيح أنه مولى لباهلة. وهو بصري المولد والمنشأ، من شعراء الدولة العباسية، وأحد ندماء الخلفاء من بني هاشم. ويقال: إنه أول من جالس منهم محمد الأمين. شاعرٌ أديبٌ ظريف مطبوعٌ حسن التصرف في الشعر حلو المذهب، لشعره قبول ورونق صافٍ. وكان أبو نواس يأخذ معانيه في الخمر فيغير عليها. وإذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسبه الناس إلى أبي نواس. وله معانٍ في صفتها أبدع فيها وسبق إليها، فاستعارها أبو نواس، وأخبارهما في هذا المعنى وغيره تذكر في أماكنها. وكان يقلب الخليع والأشقر، وهاجى مسلم بن الوليد فانتصف منه. وله غزل كثير جيد. وهو من المطبوعين الذين تخلوا أشعارهم ومذاهبهم جملةً من التكلف. وعمر عمراً طويلاً حتى قارب المائة السنة، ومات في خلافة المستعين أو المنتصر.

وحدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال: كان حسين بن الضحاك بن ياسر مولًى لباهلة، وأصله من خراسان، فكان ربما اعترف بهذا الولاء وربما جحده، وكان يلقب بالأشقر، وهو ومحمد بن حازم الباهلي ابنا خالة.

وحدثني الصولي عن إبراهيم بن المعلى الباهلي: أنه سأله عن نسب حسين بن الضحاك فقال: هو حسين بن الضحاك بن ياسر، من موالي سليمان بن ربيعة الباهلي. قال الصولي: وسألت الطيب بن محمد الباهلي عنه فقال لي: هو الحسين بن الضحاك بن فلان بن فلان بن ياسر، قديم الولاء، وداره في بني مجاشع وفيها ولد الحسين، أرانيها صاحبنا سعيد بن مسلم.

قال قصيدته الخمرية فاستحسنها أبو نواس ونسبت إليه: أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب ومحمد بن يحيى الصولي قالا: حدثنا المغيرة بن محمد المهلبي قال حدثنا حسين بن الضحاك قال: أنشدت أبا نواس لما حججت قصيدتي التي قلتها في الخمر وهي:

بدلت من نفحات الورد بالآء ... ومن صبوحك در الإبل والشاء

فلما انتهيت منها إلى قولي:

حتى إذا أسندت في البيت واحتضرت ... عند الصبوح ببسامين أكفاء

فضت خواتمها في نعت واصفها ... عن مثل رقراقةٍ في جفن مرهاء

قال: فصعق صعقةً أفزعني، وقال: أحسنت والله يا أشقر! فقلت: ويلك يا حسن! إنك أفزعتني والله! فقال: بلى والله أفزعتني ورعتني، هذا معنى من المعاني التي كان فكري لا بد أن ينتهي إليها أو أغوص عليها وأقولها فسبقتني إليه واختلسته مني، وستعلم لمن يروى ألي أم لك، فكان والله كما قال، سمعت من لا يعلم يرويها له.

أخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عبد الله بني هاشم أبو جعفر قال: سمعت الحسين بن الضحاك يقول: لما قلت قصيدتي:

بدلت من نفحات الورد بالآء

أنشدتها أبا نواس، فقال: ستعلم لمن يرويها الناس ألي أم لك، فكان الأمر كما قال، رأيتها في دفاتر الناس في أول أشعاره.

أخبرني جعفر بن قدامه عن أحمد بن أبي طاهر بن صالح عن الحسين بن الضحاك، فذكر نحواً منه.

ذكر للمأمون فحجبه لشعره في الأمين

أخبرني الصولي قال حدثني عبد الله بن محمد الفارسي عن ثمامة بن أشرس، قال الصولي وحدثينه عون بن محمد عن عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال: لما قدم المأمون من خراسان وصار إلى بغداد، أمر بأن يسمى له قومٌ من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه، فذكر له جماعةٌ فيهم الحسين بن الضحاك، وكان من جلساء محمد المخلوع، فقرأ أسماءهم حتى بلغ إلى اسم حسين، فقال: أليس هو الذي يقول في محمد:

هلا بقيت لسد فاقتنا ... أبداً وكان لغيرك التلف

فلقد خلفت خلائفاً سلفوا ... ولسوف يعوز بعدك الخلف

لا حاجة لي فيه، والله لا يراني أبداً إلا في الطريق. و لم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له وتعريضه به.

قال: وانحدر حسينٌ إلى البصرة فأقام بها طول أيام المأمون.

أخبرني عمي والكوكبي بهذا قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا عبد الله بن الحارث المروزي عن إبراهيم بن عبد الله ابن أخي السندي بن شاهك، فذكر مثله سواء.

أنشد المأمون مدحه فيه فلم يرض عنه

قال ابن أبي طاهر فحدثني محمد بن عبد الله صاحب المراكب قال أخبرني أبي عن صالح بن الرشيد قال: دخلت يوماً على المأمون ومعي بيتان للحسين بن الضحاك، فقلت: يا أمير المؤمنين، أحب أن تسمع مني بيتين، فقال: أنشدهما فأنشدته:

حمدنا الله شكراً إذ حبانا ... بنصرك يا أمير المؤمنينا

فأنت خليفة الرحمن حقًّا ... جمعت سماحةً وجمعت دينا

فقال: لمن هذان البيتان يا صالح؟ فقلت: لعبدك يا أمير المؤمنين حسين بن الضحاك، قال: قد أحسن. فقلت: وله يا أمير المؤمنين أجود من هذا، فقال: وما هو؟ فأنشدته قوله:

صوت

أيبخل فرد الحسن فرد صفاته علي وقد أفردته بهوًى فرد

رأى الله عبد الله خير عباده فملكه والله أعلم بالعبد

قال: فأطرق ساعةً ثم قال: ما تطيب نفسي له بخير بعدما قال في أخي محمد وقال.

قال أبو الفرج: وهذه الأبيات تروى لابن البواب، وستذكر في أبوابه إن شاء الله تعالى، وعلى أن الذي رواها غلط في روايته غلطاً بيناً، لأنها مشهورةٌ من شعر حسين بن الضحاك. وقد روي أيضاً في أخباره أنه دفعها إلى ابن البواب فأوصلها إلى أن ابن المأمون، وكان له صديقاً. ولعل الغلط وقع من هذه الجهة.

الغناء في الأبيات المذكورة المنسوبة إلى حسين بن الضحاك وإلى ابن البواب الدالية لإبراهيم بن المهدي خفيف ثقيلٍ بالبنصر. وفيها لعبيد الله بن موسى الطائفي رمل بالبنصر.

أمر المأمون ابن بانة بالغناء بشعره في الأمين:

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه عن عمرو بن بانة أنهم كانوا عند صالح بن الرشيد، فقال: لست تطرح على جواري وغلماني ما أستجيده! فقال له: ويلك! ما أبغضك ابعث إلى منزلي فجيء بالدفاتر واختر منها ما شئت حتى ألقيه عليهم، فبعث إلى منزلي فجيء إليه بدفاتر الغناء فأخذ منها دفتراً ليتخير مما فيه، فمر به شعر الحسين بن الضحاك يرثي الأمين ويهجو المأمون وهو:

أطل حزناً وابك الإمام محمداً بحزن وإن خفت الحسام المهندا

فلا تمت الأشياء بعد محمدٍ ولا زال شمل الملك منها مبددا

ولا فرح المأمون بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريداً مشردا

فقال له صالح: أنت تعلم أن المأمون يجيء إلي في كل ساعة، فإذا قرأ هذا ما تراه يكون فاعلاً! ثم دعا بسكين فجعل يحكه، وصعد المأمون من الدرجة ورمى صالح الدفتر. فقال المأمون: يا غلام الدفتر، فأتي به، فنظر فيه ووقف على الحك فقال: إن قلت لكم: ما كنتم فيه تصدقوني؟ قلنا: نعم. قال: ينبغي أن يكون أخي قال لك: ابعث فجيء بدفاترك ليتخير ما تطرح، فوقف على هذا الشعر فكره أن أراه فأمر بحكه، قلنا: كذا كان. فقال: غنه يا عمرو، فقلت: يا أمير المؤمنين، الشعر لحسين بن الضحاك والغناء لسعيد بن جابر، فقال: وما يكون! غنه فغنيته، فقال: اردده فرددته ثلاث مرات، فأمر لي بثلاثين ألف درهم، وقال: حتى تعلم انه لم يضررك عندي.

قال: وسعيد بن جابر الذي يقول فيه حسين بن الضحاك، وكان نديمه وصديقه:

يا سعيد وأين مني سعيد

مراثيه في الأمين

ولحسين بن الضحاك في محمد الأمين مراثٍ كثيرةٌ جياد، وكان كثير التحقق به والموالاة له لكثرة أفضاله عليه وميله إليه وتقديمه إياه. وبلغ من جزعه عليه أنه خولط، فكان ينكر قتله لما بلغه ويدفعه ويقول: إنه مستتر وإنه قد وقف على تفرق دعاته في الأمصار يدعون إلى مراجعة أمره والوفاء ببيعته ضنًّا به وشفقةً عليه. ومن جيد مراثيه إياه قوله:

صوت

سألوني أن كيف نحن فقلنا ... من هوى نجمه فكيف يكون

نحن قوم أصابنا حدث الده ... ر فظلنا لريبه نستكين

نتمنى من الأمين إياباً ... لهف نفسي وأين مني الأمين

في هذه الأبيات لسعيد بن جابر ثاني ثقيل بالوسطى. وفيها لعريب خفيف ثقيلٍ.

ومن جيد قوله في مراثيه إياه

أعزى يا محمد عنك نفسي ... معاذ الله والأيدي الجسام

فهلا مات قوم لم يموتوا ... ودوفع عنك لي يوم الحمام

كأن الموت صادف منك غنما ... أو استشفى بقربك من سقام

أعجب المأمون ببيت من شعره وأجازه عليه بثلاثين ألف درهم: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا علي بن محمد النوفلي قال قال لي محمد بن عباد: قال لي المأمون وقد قدمت من البصرة؛ كيف ظريف شعرائكم وواحد مصركم؟ قلت: ما أعرفه، قال: ذاك الحسين بن الضحاك، أشعر شعرائكم وأظرف ظرفائكم. أليس هو الذي قال:

رأى الله عبد الله خير عباده ... فملكه والله أعلم بالعبد

قال: ثم قال لي المأمون: ما قال في أحد من شعراء زماننا بيتاً أبلغ من بيته هذا، فاكتب إليه فاستقدمه، وكان حسين عليلاً وكان يخاف بوادر المأمون لما فرط منه، فقلت للمأمون: إنه عليل يا أمير المؤمنين، علته تمنعه من الحركة والسفر. قال: فخذ كتاباً إلى عامل خراجكم بالبصرة حتى يعطيه ثلاثين ألف درهم، فأخذت الكتاب بذلك وأنفذته إليه فقبض المال.

قال الأزدي هو أشعر المحدثين

حدثنا علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال سمعت أبا العباس محمد بن يزيد الأزدي يقول: حسين بن الضحاك أشعر المحدثين حيث يقول:

أي ديباجة حسن هيجت لوعة حزني
إذ رماني القمر الزا هر عن فترة جفن

بأبي شمس نهارٍ برزت في يوم دجى
قربتني بالمنى ح تى إذا ما أخلفتني
تركتني بين ميعا د وخلفٍ وتجني
ما أراني لي من الصب وة إلا حسن ظني
إنما دامت على الغد ر لما تعرف مني
أستعيذ الله من إع راض من أعرض عني

استقدمه المعتصم من البصرة

أخبرني علي بن العباس قال حدثني سوادة بن الفيض المخزومي قال حدثني أبو الفيض بن سوادة عن جدي قال: لما ولي المعتصم الخلافة سألني عن حسين بن الضحاك، فأخبرته بإقامته بالبصرة لانحراف المأمون عنه، فأمر بمكاتبته بالقدوم عليه فقدم. فلما دخل وسلم استأذن في الإنشاد له، فأنشده قوله:

هلا سألت تلذذ المشتاق ومننت قبل فراقه بتلاق
إن الرقيب ليستريب تنفساً صعداً إليك وظاهر الإقلاق
ولئن أربت لقد نظرت بمقلةٍ عبري عليك سخينة الآماق
نفسي الفداء لخائفٍ مترقب جعل الوداع إشارةً بعناق
إذ لا جواب لمفحمٍ متحيرٍ إلا الدموع تصان بالإطراق

حتى انتهى إلى قوله:

خير الوفود مبشرٌ بخلافةٍ خصت ببهجتها أبا إسحاق
وافته في الشهر الحرام سليمة من كل مشكلة وكل شقاق
أعطته صفقتها الضمائر طاعةً قبل الأكف بأوكد الميثاق

سكن الأنام إلى إمام سلامةٍ عف الضمير مهذب الأخلاق
فحمى رعيته ودافع دونها وأجار مملقها من الإملاق

حتى أتمها. فقال له المعتصم: ادن مني فدنا منه، فملأ فمه جوهراً من جوهر بين يديه، ثم أمره بأن يخرجه من فيه فأخرجه، وأمر بأن ينظم ويدفع إليه ويخرج إلى الناس وهو في يده ليعلموا موقعه من رآيه ويعرفوا فعله. فكان أحسن ما مدح به يومئذ.

ومما قدمه أهل العلم على سائر ما قالته الشعراء قول حسين بن الضحاك حيث قال:

قل للألى صرفوا الوجوه عن الهدى متعسفين تعسف المراق
إني أحذركم بوادر ضيغمٍ دربٍ بحطم موائل الأعناق
متأهبٍ لا يستفز جنانه زجل الرعود ولامع الإبراق
لم يبق من متعرمين توثبوا بالشأم غير جماجمٍ أفلاق
من بين منجدل تمج عروقه علق الأخادع أو أسير وثاق
وثنى الخيول إلى معاقل قيصرٍ تختال بين أحزةٍ ورقاق
يحملن كل مشمر متغشمٍ ليثٍ هزبرٍ أهرت الأشداق
حتى إذا أم الحصون منازلاً والموت بين ترائبٍ وتراق
هرت بطارقها هرير قساورٍ بدهت بأكره منظر ومذاق
ثم استكانت للحصار ملوكها ذلاً وناط حلوقها بخناق
هربت وأسلمت الصليب عشيةً لم يبق غير حشاشة الأرماق

قال: فأمر له المعتصم لكل بيت بألف درهم، وقال له: أنت تعلم يا حسين أن هذا أكثر ما مدحني به مادحٌ في دولتنا. فقبل الأرض بين يديه وشكره وحمل المال معه.

أعجب الرياشي لبيتين له في الخمر

حدثني علي قال حدثني عثمان بن عمر الآجري قال: سمعت الرياشي ينشد هذين البيتين ويستحسنهما ويستظرفهما جداً وهما:

إذا ما الماء أمكنني وصفو سلافة العنب
صببت الفضة البيضا ء فوق قراضة الذهب

فقلت له: من يقولهما يا أبا الفضل؟ قال: أرق الناس طبعاً وأكثرهم ملحاً وأكملهم ظرفاً حسين بن الضحاك.

أخذ أبو نواس معنى له في الخمر فأجاده

أخبرني يحيى بن علي إجازةً قال حدثني أبي عن حسين بن الضحاك قال: أنشدت أبا نواس قصيدتي:

وشاطري اللسان مختلق التك ... ريه شاب المجون بالنسك

حتى بلغت إلى قولي :

كأنما نصب كاسه قمر ... يكرع في بعض أنجم الفلك

قال: فأنشدني أبو نواس بعد أيام لنفسه:

إذا عب فيها شارب القوم خلته ... يقبل في داجٍ من الليل كوكبا

قال: فقلت له: يا أبا علي هذه مصالتةٌ . فقال لي: أتظن أنه يروي لك في الخمر معنى جيد وأنا حي!. أخبرني به جعفر بن قدامة عن علي بن محمد بن نصر عن أحمد بن حمدون عن حسين بن الضحاك فذكر مثله.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال: أنشدت إبراهيم بن المدبر قول حسين بن الضحاك:

كأنما نصب كأسه قمرٌ ... حاسده بعض أنجم الفلك

حتى إذا رنحته سورتها ... وأبدلته السكون بالحرك

كشفت عن وزة مسنمة ... في لين صينية من الفلك

فقال لي إبراهيم بن المدبر: إن الحسين كان يزعم أن أبا نواس سرق منه هذا المعنى حين يقول: يقبل في داج من الليل كوكبا فإن كان سرقه منه فهو أحق به لأنه قد برز عليه، وإن كان حسين سرقه منه فقد قصر عنه.

مدح الواثق حين ولي الخلافة فأجازه

أخبرني محمد بن يحيى الخراساني قال حدثني محمد بن مخارق قال: لما بويع الواثق بالخلافة ودخل عليه الحسين بن الضحاك فأنشده قصيدته التي أولها: صوت

ألم يرع الإسلام موت نصيره ... بلى حق أن يرتاع من مات ناصره

سيسليك عما فات دولة مفضلٍ ... أوائله محمودةٌ وأواخره

ثنى الله عطفيه وألف شخصه ... على البر مذ شدت عليه مآزره

يصب ببذل المال حتى كأنما ... يرى بذله للمال نهباً يبادره

وما قدم الرحمن إلا مقدماً ... موارده محمودةٌ ومصادره

فقال الواثق: إن كان الحسين لينطق عن حسن طوية ويمدح بخلوص نية. ثم أمر بأن يعطي لكل بيت قاله من هذه القصيدة ألف درهم. فأعجبته الأبيات، حتى أمر فصنعت فيها عدة ألحان، منها لعريب في طريقة الثقيل الأول.

سرقته من شعر أبي العتاهية وأخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد قال حدثني محمد بن عمرو الرومي قال: لما ولي الواثق الخلافة أنشده حسين بن الضحاك قصيدةً منها:

سيسليك عما فات دولة مفضلٍ ... أوائله محمودةٌ وأواخره

وما قدم الرحمن إلا مقدماً ... موارده محمودةٌ ومصادره

قال: فأنشدت إسحاق الموصلي هذا الشعر، فقال لي: نقل حسين كلام أبي العتاهية في الرشيد حتى جاء بألفاظه بعينها حيث يقول:

جرى لك من هارون بالسعد طائره ... إمام اعتزام لا تخاف بوادره

إمامٌ له رأيٌ حميدٌ ورحمةٌ ... موارده محمودةٌ ومصادره

قال: فعجبت من رواية إسحاق شعر المحدثين، وإنما كان يروى للأوائل ويتعصب على المحدثين وعلى أبي العتاهية خاصةً.

في هذين الشعرين أغاني نسبتها:

صوت

جرى لك من هارون بالسعد طائره ... إمام اعتزامٍ لا تخاف بوادره

إمامٌ له رأيٌ حميدٌ ورحمةٌ ... موارده محمودةٌ ومصادره

هو الملك المجبول نفساً على التقى ... مسلمةٌ من كل سوء عساكره

لتغمد سيوف الحرب فالله وحده ... ولي أمير المؤمنين وناصره

الشعر لأبي العتاهية، على ما ذكره الصولي. وقد وجدت هذه القصيدة بعينها في بعض النسخ لسلمٍ الخاسر.

والغناء لإبراهيم، وله في لحنان خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو وثاني ثقيل بالبنصر عن الهشامي.

صوت

سيسليك عما فات دولة مفضلٍ ... أوائله محمودةٌ وأواخره

ثنى الله عطفيه وألف شخصه ... على البر مذ شدت عليه مآزره

الشعر لحسين بن الضحاك. والغناء لعريب ثقيل أول مطلق. وفيه لقلم الصالحية خفيف رمل، وهو أغرب اللحنين ولحن عريب المشهور.

مدح الواثق وهو في الصيد فأجازه أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني علي بن الصباح قال حدثني علي بن صالح كاتب الحسن بن رجاء قال حدثني إبراهيم بن الحسن بن سهل قال: كنا مع الواثق

بالقاطول وهو يتصيد، فصادر صيداً حسناً وهو في الزو من الإوز والدراج وطير الماء وغير ذلك، ثم رجع فتغدى، ودعا بالجلساء والمغنين وطرب، وقال: من ينشدنا؟ فقام الحسين بن الضحاك فأنشده:

سقى الله بالقاطول مسرح طرفكا ... وخص بسقياه مناكب قصركا

حتى انتهى إلى قوله:

تخين للدراج في جنباته ... وللغر آجالٌ قدرن بكفكا

حتوفاً إذا وجهتهن قواضباً ... عجالاً إذا أغريتهن بزجركا

أبحت حماماً مصعداً ومصوباً ... وما رمت في حاليك مجلس لهوكا

تصرف فيه بين نايٍ ومسمع ... ومشمولةٍ من كف ظبي لسقيكا

قضيت لباناتٍ وأنت مخيمٌ ... مريحٌ وإن شطت مسافة عزمكا

وما نال طيب العيش إلا مودعٌ ... وما طاب عيشٌ نال مجهود كدكا

فقال الواثق: ما يعدل الراحة ولذة الدعة شيء. فلما انتهى إلى قوله:

خلقت أمين الله للخلق عصمةً ... وأمناً فكلٌ في ذراك وظلكا

وثقت بمن سماك بالغيب واثقاً ... وثبت بالتأييد أركان ملككا

فأعطاك معطيك الخلافة شكرها ... وأسعد بالتقوى سريرة قلبكا

وزادك من أعمارنا غير منة ... عليك بها، أضعاف أضعاف عمركا

ولا زالت الأقدار في كل حالةٍ ... عداةً لمن عاداك سلما لسلمكا

إذا كنت من جدواك في كل نعمةٍ ... فلا كنت إن لم أفن عمري بشكركا

فطرب الواثق فضرب الأرض بمخصرةٍ كانت في يده، وقال: لله درك يا حسين! ما أقرب قلبك من لسانك! فقال: يا أمير المؤمنين، جودك ينطق المفحم بالشعر والجاحد بالشكر. فقال له: لن تنصرف إلا مسروراً، ثم أمر له بخمسين ألف درهم.

رغب الواثق في الشراب في يوم غيم حدثنا علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثنا أبو العباس الرياشي قال حدثنا الحسين بن الضحاك قال: دخلت على الواثق ذات يوم وفي السماء لطخ غيم، فقال لي: ما الرأي في هذا اليوم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، ما حكم به وأشار إليه قبلي أحمد بن يوسف، فإنه أشار بصواب لا يرد وجعله في شعرٍ لا يعارض. فقال: وما قال؟ فقلت قال:

أرى غيماً تؤلفه جنوبٌ ... وأحسبه سيأتينا بهطل

فعين الرأي أن تدعو برطلٍ ... فتشربه وتدعو لي برطل

فقال: أصبتما، ودعا بالطعام وبالشراب والمغنين والجلساء واصطبحنا.

وصف ليلة لهو قضاها الواثق أخبرني علي بن العباس قال حدثني الحسين بن علوان قال حدثني العباس بن عبيد الله الكاتب قال: كان حسين بن الضحاك ليلةً عند الواثق وقد شربوا إلى أن مضى ثلثٌ من الليل، فأمر بأن يبيت مكانه. فلما أصبح خرج إلى الندماء وهم مقيمون، قال لحسين: هل وصفت ليلتنا الماضية وطيبها؟ فقال: لم يمض شيء وأنا أقول الساعة، وفكر هينهةً ثم قال:

حثت صبوحي فكاهة اللاهي ... وطاب يومي بقرب أشباهي

فاستثر اللهو من مكامنه ... من قبل يومٍ منغصٍ ناهي

بابنة كرمٍ من كف منتطقٍ ... مؤزر بالمجون تياه

يسقيك من طرفه ومن يده ... سقى لطيف مجرب داهي

كأساً فكأساً كأن شاربها ... حيران بين الذكور والساهي

قال: فأمر الواثق برد مجلسه كهيئته، واصطبح يومه ذلك معهم، وقال: نحقق قولك يا حسين ونقضي لك كل أرب وحاجة.

شعره في جارية للواثق غضبت عليه أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن مغيرة المهلبي قال حدثنا حسين بن الضحاك قال: كانت لي نوبةٌ في دار الواثق أحضرها جلس أو لم يجلس. فبينا أنا نائم ذات ليلةٍ في حجرتي، إذ جاء خادم من خدم الحرم فقال: قم فإن أمير المؤمنين يدعوك. فقلت له: وما الخبر؟ قال: كان نائماً وإلى جانبه حظيةٌ له فقام وهو يظنها نائمةً، فألم بجارية له أخرى ولم تكن ليلة نوبتها وعاد إلى فراشه، فغضبت حظيته وتركته حتى نام، ثم قامت ودخلت حجرتها، فانتبه وهو يرى أنها عنده فلم يجدها، فقال: اختلست عزيزتي، ويحكم أين هي؟ فأخبر أنها قامت غضبى ومضت إلى حجرتها، فدعا بك. فقلت في طريقي:

غضبت أن زرت أخرى خلسةً ... فلها العتبى لدينا والرضا

يا فدتك النفس كانت هفوةً ... فاغفريها واصفحي عما مضى

واتركي العذل على من قاله ... وانسبي جوري إلى حكم القضا

فلقد نبهتني من رقدتي ... وعلى قلبي كنيران الغضا

قال: فلما جئته خبرني القصة وقال لي: قل في هذا شيئاً، ففكرت هنيهةً كأني أقول شعراً ثم أنشدته الأبيات.

فقال: أحسنت وحياتي! أعدها يا حسين، فأعدتها عليه حتى حفظها، وأمر لي بخمسمائة دينار، وقام فمضى إلى الجارية وخرجت أنا إلى حجرتي.

وأمره أن يقول شعرا في جارية له

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني الغلابي قال حدثني مهدي بن سابق قال قال لي حسين بن الضحاك: كان الواثق يتحظى جاريةً له فماتت فجزع عليها وترك الشرب أياماً ثم سلاها وعاد إلى حاله، فدعاني ليلة فقال لي: يا حسين، رأيت فلانة في النوم، فليت نومي كان طال قليلاً لأتمتع بلقائها، فقل في هذا شيئاً. فقلت:

ليت عين الدهر عنا غفلت ورقيب الليل عنا رقدا
وأقام النوم في مدته كالذي كان وكنا أبدا
بأبي زورٌ تلفت له فتنفست إليه الصعدا
بينما أضحك مسروراً به إذ تقطعت عليه كمدا

قال: فقال لي الواثق: أحسنت! ولكنك وصفت رقيب الليل فشكوته ولا ذنب لليل وإنما رأيت الرؤيا نهاراً. ثم عاد إلى منامه فرقد.

سرق منه أبو نواس معنى في الخمر

أخبرني جحظة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال حدثني حسين بن الضحاك، وأخبرني به جعفر بن قدامة عن علي بن يحيى عن حسين بن الضحاك قال: لقيني أبو نواس ذات يوم عند باب أم جعفر من الجانب الغربي، فأنشدته:

أخوي حي على الصبوح صباحاً هبا ولا تعدا الصباح رواحا
هذا الشميط كأنه متحير في الأفق سد طريقه فألاحا
ما تأمران بسكرة قروية قرنت إلى درك النجاح نجاحا

هكذا قال جحظة. والذي أحفظه:

ما تأمران بقهوة قروية

قال: فلما كان بعد أيام لقيني في ذلك الموضع فأنشدني يقول:

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا وأمله ديك الصباح صياحا

فقلت له: حسن يا بن الزانية؟ أفعلتها! فقال: دع هذا عنك، فو الله لا قلت في الخمر شيئاً أبداً وأنا حيٌّ إلا نسب لي.

شرب عند ابن المهدي فعربد عليه

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن سعيد قال حدثني أبو أمامة الباهلي عن الحسين بن الضحاك، قال محمد بن يحيى وحدثني المغيرة بن محمد المهلبي: أن الحسين بن الضحاك شرب يوماً عند إبراهيم بن المهدي، فجرت بينهما ملاحاةٌ في أمر الدين والمذهب، فدعا له إبراهيم بنطع وسيف وقد أخذ منه الشراب، فانصرف وهو غضبان. فكتب إليه إبراهيم يعتذر إليه ويسأله أن يجيئه. فكتب إليه:

نديمي غير منسوب ... إلى شيء من الحيف
سقاني مثل ما يشر ... ب فعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكأس ... دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الخمر ... مع التنين في الصيف

قال: ولم يعد إلى منادمته مدة. ثم إن إبراهيم تحمل عليه ووصل فعاد إلى منادمته.

نشأ هو وأبو نواس بالبصرة

ثم رحل إلى بغداد واتصل بالأمين:

حدثني عمي قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني حسين بن الضحاك قال: كنت أنا وأبو نواس ترين، نشأنا في مكان واحد وتأدبنا بالبصرة، وكنا نحضر مجالس الأدباء متصاحبين، ثم خرج قبلي عن البصرة وأقام مدة، واتصل بي ما آل إليه أمره، وبلغني إيثار السلطان وخاصته له، فخرجت عن البصرة إلى بغداد ولقيت الناس ومدحتهم وأخذت جوائزهم وعددت في الشعراء، وهذا كله في أيام الرشيد، إلا أني لم أصل إليه واتصلت بابنه صالح فكنت في خدمته. فغني يوماً بهذا الصوت:

أأن زم أجمالٌ وفارق جيرةٌ ... وصاح غراب البين أنت حزين

فقال لي صالح: قل أنت في هذا المعنى شيئاً، فقلت:

أأن دب حسادٌ ومل حبيب ... وأورق عود الهجر أنت حبيب
ليبلغ بنا هجر الحبيب مرامه ... هل الحب إلا عبرةٌ ونحيب
كأنك لم تسمع بفرقة ألفةٍ ... وغيبة وصل لا تراه يؤوب

فأمر بأن يغني فيه. واتصلت بمحمد ابن زبيدة في أيام أبيه وخدمته، ثم اتصلت خدمتي له في أيام خلافته.

جفاه صالح بن الرشيد فترضاه

بشعر فرضي عنه:

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني أبو العيناء عن الحسين بن الضحاك قال: كنت يوماً عند صالح بن الرشيد، فجرى بيننا كلامٌ على النبيذ وقد أخذ مني الشراب مأخذاً قوياً، فرددت عليه رداً أنكره وتأوله على غير ما أردت، فهاجرني، فكتبت إليه:

صوت

يا بن الإمام تركتني همِلا ... أبكي الحياة وأندب الأملا

ما بال عينك حين تلحظني ... ما إن تقل جفونها ثقلا

لو كان لي ذنبٌ لبحت به ... كي لا يقال هجرتني مللا

إن كنت أعرف زلةً سلفت ... فرأيت ميتة واحدى عجلا

- فيه خفيف ثقيل ينسب إلى عبد الله بن العلاء وإلى عبد الله بن العباس الربيعي - قال: فكتب إلي: قد تلافى لسانك بشعرك، ما جناه في وقت سكرك. وقد رضيت عنك رضاً صحيحاً، فصر إلي على أتم نشاطك، وأكمل بساطك. فعدت إلى خدمته فما سكرت عنده بعدها. قال: وكانت في حسين عربدةٌ.

أنشد ابن البواب شعره للمأمون

وشفع له فجفاه المأمون أولاً ثم وصله:

وأخبرني ببعضه محمد بن مزيد بن أبي الأزهر ومحمد بن خلف بن المرزبان، وألفاظهما تزيد وتنقص. وأخبرني ببعضه محمد بن خلف وكيع عن آخره وقصة وصوله إلى المأمون و لم يذكر ما قبل ذلك. قال: وحدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه - و لم يقل وكيع: عن أبيه - واللفظ في الخبر لابن أبي الأزهر وحديثه أتم، قال: كنت بين يدي المأمون واقفاً، فأدخل إليه ابن البواب، رقعةً فيها أبيات وقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إنشادها، فظنها له فقال: هات، فأنشده:

أجرني فإني قد ظمئت إلى الوعد ... متى تنجز الوعد المؤكد بالعهد

أعيذك من خلف الملوك وقد بدا ... تقطع أنفاسي عليك من الوجد

أيبخل فرد الحسن عني بنائلٍ ... قليلٍ وقد أفردته بهوى فرد

إلى أن بلغ إلى قوله:

رأى الله عبد الله خير عباده ... فملكه والله أعلم بالعبد

ألا إنما المأمون للناس عصمةٌ ... مميزةٌ بين الضلالة والرشد

فقال المأمون: أحسنت يا عبد الله! فقال: يا أمير المؤمنين، أحسن قائلها: قال: ومن هو؟ فقال: عبدك حسين بن الضحاك، فغضب ثم قال: لا حيا الله من ذكرت ولا بياه ولا قربه ولا أنعم به عيناً! أليس القائل:

أعيني جودا وابكيا لي محمدا ... ولا تذخرا دمعاً عليه وأسعدا

فلا تمت الأشياء بعد محمد ... ولا زال شمل الملك فيه مبددا

لا فرح المأمون بالملك بعده ... ولا زال في الدنيا طريداً مشردا

هذا بذاك، ولا شيء له عندنا. فقال له ابن البواب: فأين فضل إحسان أمير المؤمنين وسعة حلمه وعادته في العفو! فأمره بإحضاره. فلما حضر سلم، فرد عليه السلام رداً جافياً، ثم أقبل عليه فقال: أخبرني عنك: هل عرفت يوم قتل أخي محمد هاشميةً قتلت أو هتكت؟ قال لا. قال: فما معنى قولك:

وسرب ظباءٍ من ذؤابة هاشمٍ ... هتفن بدعة خير حيٍّ وميت

أرد يداً مني إذا ما ذكرته ... على كبدٍ حري وقلبٍ مفتت

فلا بات ليل الشامتين بغبطةٍ ... ولا بلغت آمالهم ما تمنت

فقال: يا أمير المؤمنين، لوعةٌ غلبتني، وروعةٌ فاجأتني، ونعمةٌ فقدتها بعد أن غمرتني، وإحسانٌ شكرته فأنطقني، وسيد فقدته فأقلقني، فإن عاقبت فبحقك، وإن عفوت فبفضلك. فدمعت عينا المأمون وقال: قد عفوت عنك وأمرت بإدرار أرزاقك وإعطائك ما فات منها، وجعلت عقوبة ذنبك امتناعي من استخدامك.

شعره في ابن مسعدة ليشفع له

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبي قال: لم أعيت حسين بن الضحاك الحيلة في رضا المأمون عنه، رمى بأمره إلى عمرو بن مسعدة وكتب إليه:

أنت طودي من بين هذي الهضاب ... وشهابي من دون كل شهاب

أنت يا عمرو قوتي وحياتي ... ولساني وأنت ظفري ونابي

أتراني أنسى أياديك البي ... ض إذا اسود نائل الأصحاب

أين عطف الكرام في مأقط الحا ... جة يحمون حوزة الآداب

أين أخلاقك الرضية حالت ... في أم أين رقة الكتاب

أنا في ذمة السحاب وأظمأ ... إن هذا لوصمةٌ في السحاب

قم إلى سيد البرية عني قومةً تستجر حسن خطاب
فلعل الآله يطفىء عني بك ناراً علي ذات التهاب

قال: فلم يزل عمرو يلطف للمأمون حتى أوصله إليه وأدر أرزاقه.

غضب المعتصم عليه فترضاه بشعر

حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني الحسين بن الضحاك قال: غضب المعتصم علي في شيء جرى على النبيذ، فقال: والله لأؤبنه! وحجبني أياماً. فكتبت إليه:

غضبت الإمام أشد من أدبه وقد استجرت وعذت من غضبة
أصبحت معتصماً بمعتصمٍ أثنى الآله عليه في كتبه
لا والذي لم يبق لي سبباً أرجو النجاة به سوى سببه
ما لي شفيعٌ غير حرمته ولكل من أشفى على عطبه

قال: فلما قرىء عليه التفت إلى الواثق ثم قال: بمثل هذا الكلام، يتسعطف الكرام، ما هو إلا أن سمعت أبيات حسين هذه حتى أزالت ما في نفسي عليه. فقال له الواثق: هو حقيقٌ بأن يوهب له ذنبه ويتجاوز عنه. فرضي عني وأمر بإحضاري.

هجا العباس ابن المأمون

قال الصولي فحدثني الحسين بن يحيى أن هذه الأبيات إنما كتب بها إلى المعتصم، لأنه بلغه عنه أنه مدح العباس بن المأمون وتمنى له الخلافة، فطلبه فاستتر وكتب بها إلى المعتصم على يدي الواثق فأوصلها وشفع له فرضي عنه وأمنه فظهر إليه، وهجا العباس بن المأمون فقال:

خل اللعين وما اكتسب لا زال منقطع السبب
يا عرة الثقلين لا ديناً رعيت ولا حسب
حسد الإمام مكانه جهلاً حذاك على العطب
وأبوك قدمه لها لما تخير وانتخب
ما تستطيع سوى التن فس والتجرع للكرب
ما زلت عند أبيك من تقص المروءة والأدب

أمره صالح بن الرشيد أن يقول شعراً

يغني فيه ابن بانة:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات وابن مهرويه قالا : كنا عند صالح بن الرشيد ليلةً ومعنا حسين بن الضحاك وذلك في خلافة المأمون، وكان صالح يهوى خادماً له، فغاضبه في تلك الليلة فتنحى عنه، وكان جالساً في صحنٍ حوله نرجس في قمر طالع حسنٍ، فقال للحسين: قل في مجلسنا هذا وما نحن فيه أبياتاً يغني فيها عمرو بن بانة. فقال الحسين:

وصف البدر حسن وجهك حتى ... خلت أني وما أراك أراكا

وإذا ما تنفس النرجس الغ ... ض توهمته نسيم شذاكا

خدعٌ للمنى تعللني في ... ك بإشراق ذا ونفحة ذاكا

لأدومن يا حبيبي على الع ... هد لهذا وذاك إذ حكياكا

قال عمرو: فقال لي صالح: تغن فيها ، فتغنيت فيها من ساعتي.

لحن عمرو في هذه الأبيات ثقيلٌ بالبنصر من روايته.

شعره في محبوبه يسر

خادم أبي عيسى بن الرشيد:

وقد حدثني بهذا الخبر علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني عبيد الله بن زكريا الضرير قال حدثنا الجماز عن أبي نواس قال: كنت أتعشق ابناً للعلاء يقال له محمد، وكان حسين يتعشق خادماً لأبي عيسى بن الرشيد يقال له يسر، فزارني يوماً فسألته عنه فقال: قد كاد قلبي أن يسلو عنه وعن حبه. قال: وجاءني ابن العلاء صاحبي فدخل علي وفي يده نرجسٌ، فجلسنا نشرب وطلع القمر، فقلت له: يا حسين أيما أحسن القمر أم محمد؟ فأطرق ساعةً ثم قال: اسمع جواب الذي سألت عنه:

وصف البدر حسن وجهك حتى ... خلت أني وما أراك أراكا

وإذا ما تنفس النرجس الغ ... ض توهمته نسيم شذاكا

وأخال الذي لثمت أنيسي ... وجليسي ما باشرته يداكا

خدعٌ للمنى تعللني في ... ك بإشراق ذا ونفحة ذكا

لأقيمن ما حييت على الشك ... ر لهذا وذاك إذ حكياكا

قال: فقلت له: أحسنت والله ما شئت! ولكنك يا كشخان هو ذا تقدر أن تقطع الطريق في عملي! فقال: يا كشخان أو شعري الذي سمعته في حاضرٍ أم بذكر غائبٍ! والله للنعل التي يطأ عليها يسرٌ أحسن عندي من صاحبك ومن القمر ومن كل ما أنتم فيه.

مدح المتوكل شعره

أخبرني علي بن العباس قال حدثني أحمد بن سعيد بن عنبسة القرشي الأموي قال حدثني علي بن الجهم قال: دخلت يوماً على المتوكل وهو جالس في صحن خلده وفي يده غصن آسٍ وهو يتمثل بهذا الشعر:

بالشط لي سكنٌ أفديه من سكن ... أهدى من الآس لي غصنين في غصن

فقلت إذ نظما إلفين والتبسا ... سقياً ورعياً لفألٍ فيكما حسن

فالآس لا شك أسٍ من تشوقنا ... شافٍ وآسٍ لنا يبقى على الزمن

أبشرتماني بأسبابٍ ستجمعنا ... إن شاء ربي ومهما يقضه يكن

قال: فلما فرغ من إنشادها قال لي وكدت أنشق حسداً: لمن هذا الشعر يا علي؟ فقلت: للحسين بن الضحاك يا سيدي. فقال لي: هو عندي أشعر أهل زماننا وأملحهم مذهباً وأظرفهم نمطاً . فقلت وقد زاد غيظي: في الغزل يا مولاي. قال: وفي غيره وإن رغم أنفك ومت حسداً. وكنت قد مدحته بقصيدة وأردت إنشادها يومئذ فلم أفعل، وعلمت أني لا أنتفع مع ما جرى بيننا بشيء لا به ولا بالقصيدة، فأخرتها إلى وقت آخر.

قصته مع شفيع خادم المتوكل

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي قال حدثني أبي قال: أحب المتوكل على الله أن ينادمه حسين بن الضحاك وأن يرى ما بقي من شهوته لما كان عليه، فأحضره وقد كبر وضعف، فسقاه حتى سكر، وقال لخادمه شفيع: اسقه، فسقاه وحياه بوردةٍ، وكانت علي شفيع ثيابٌ موردة، فمد الحسين يده إلى ذراع شفيع. فقال له المتوكل: يا حسين، أتجمش أخص خدمي عندي بحضرتي! فكيف لو خلوت! ما أحوجك إلى أدب! وقد كان المتوكل غمز شفيعاً على العبث به. فقال الحسين: يا سيدي، أريد دواةً وقرطاساً، فأمر له بذلك، فكتب بخطه:

وكالوردة الحمراء حيا بأحمرٍ ... من الورد يمشي في قراطق كالورد

له عبثاتٌ عند كل تحية ... بعينيه تستدعي الحليم إلى الوجد

تمنت أن أسقى بكفيه شربةً ... تذكرني ما قد نسيت من العهد

سقى الله دهراً لم أبت فيه ليلةً خليًّا ولكن من حبيب على وعد

ثم دفع الرقعة إلى شفيع وقال له: ادفعها إلى مولاك. فلما قرأها استملحها وقال: أحسنت والله يا حسين! لو كان شفيع ممن تجوز هبته لوهبته لك، ولكن بحياتي إلا كنت ساقيه باقي يومه هذا واخدمه كما تخدمني، وأمر له بمال كثير حمل معه لما انصرف. قال أحمد بن يزيد فحدثني أبي قال: صرت إلى الحسين بعد انصرافه من عند المتوكل بأيام، ويلك! أتدري ما صنعت؟! قال: نعم أدري، وما كنت لأدع عادتي بشيء، وقد قلت بعدك:

صوت

لا رأى عطفة الأح بة من لا يصرح

أصغر الساقيين أش كل عندي وأملح

لو تراه كالظبي يس نح حيناً ويبرح

خلت غصناً على كثي بٍ بنورٍ يرشح

غنى عمرو بن بانة في هذه الأبيات ثاني ثقيلٍ بالبنصر.

شعره في شفيع وقد حياه بتفاحة عنبر وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي وقال حدثني محمد بن أبي عون قال: حضرت المتوكل وعنده محمد بن عبد الله بن طاهر وقد أحضر حسين بن الضحاك للمنادمة، فأمر خادماً كان واقفاً على رأسه، فسقاه وحياه بتفاحة عنبر. وقال لحسين: قل في هذا شيئاً، فقال:

وكالدرة البيضاء حياً بعنبرٍ وكالورد يسعى في قراطق كالورد

له عبثاتٌ عند كل تحية بعينيه تستدعي الحليم إلى الوجد

تمنتي أن أسقى بكفيه شربةً تذكرني ما قد نسيت من العهد

سقى الله عيشاً لم أبت فيه ليلةً من الدهر إلا من حبيب على الوعد

فقال المتوكل: يحمل إلى حسين لكل بيت مائة دينار. فالتفت إليه محمد بن عبد الله بن طاهر كالمتعجب وقال: لم ذاك يا أمير المؤمنين! فو الله لقد أجاب فأسرع، وذكر فأوجع، وأطرب فأمتع، ولولا أن يد أمير المؤمنين لا تطاولها يدٌ لأجزلت له العطاء ولو أحاط بالطارف والتالد. فخجل المتوكل وقال: يعطى حسين بكل بيت ألف دينار. وقد أخبرني بهذا الخبر ابن قاسم الكوكبي قال حدثنا بشر بن محمد قال وحدثني علي بن الجهم: أنه حضر المتوكل وقد أمر شفيعاً أن يسقى حسين بن الضحاك، وذكر باقي الخبر نحو ما مضى من رواية غيره.

شعره في مقحم خادم ابن شغوف: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرد، وحدثني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني محمد بن مروان عن محمد بن عمرو الرومي قال: اجتمع حسين

بن الضحاك وعمرو بن بانة يوماً عند ابن شغوف الهاشمي فاحتبسهما عنده. وكان لابن شغوف خادم حسنٌ يقال له مقحم، وكان عمرو بن بانة يتعشقه ويسر ذلك من ابن شغوف. فلما أكلوا ووضع النبيذ قال عمرو بن بانة للحسين: قل في مقحمٍ أبياتاً أغن فيها الساعة. فقال الحسين:

وابأبي مقحمٌ لعزته ... قلت له إذ خلوت مكتتما

تحب بالله من يخصك بالو ... د فما قال لا ولا نعما

شعر إسحاق الموصلي في عمرو بن بانة

وغنى فيه عمرو. قال: فبيناهم كذلك إذ جاء الحاجب فقال: إسحاق الموصلي بالباب، فقال له عمرو: أعفنا من دخوله ولا تنغص علينا ببغضه وصلفه وثقله ففعل، وخرج الحاجب فاعتل على إسحاق حتى انصرف، وأقاموا يومهم وباتوا ليلتهم عند ابن شغوف. فلما أصبحوا مضى الحسين بن الضحاك إلى إسحاق فحدثه الحديث بنصه. فقال إسحاق:

يا بن شغوفٍ أما علمت بما ... قد صار في الناس كلهم علما

دعوت عمراً فبات ليلته ... في كل ما يشتهي كما زعما

حتى إذا ما الظلام ألبسه ... سرى دبيباً فضاجع الخدما

ثمت لم يرض أن يضاجعهم ... سراً ولكن أبدى الذي كتما

ثم تغنى لفرط صبوته ... صوتاً شفى من غليله السقما :

وابأبي مقحم لعزته ... قلت له إذ خلوت مكتتما

تحب بالله من يخصك بالو ... د فما قال لا ولا نعما

قال: وشاعت الأبيات في الناس وغنى فيها إسحاق أيضاً فيما أظن، فبلغت ابن شغوف فحلف ألا يدخل عمراً داره أبداً ولا يكلمه، وقال: فضحني وشهرني وعرضني للسان إسحاق، فمات مهاجراً له. وقال ابن أبي سعد في خبره: إن إسحاق غنى فيها للمعتصم، فسأله عن خبرها فحدثه بالحديث، فضحك وطرب وصفق، و لم يزل يستعيد الصوت والحديث وابن شغوف يكاد أن يموت إلى أن سكر ونام.

لحن عمرو بن بانة في البيتين اللذين قالهما حسين في مقحم من الثقيل الثاني بالوسطى.

قال له أبو نواس أنت أشعر الناس

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال سمعت مهدي بن سابق يقول: التقى أبو نواس وحسين بن الضحاك، فقال أبو نواس: أنت أشعر أهل زمانك في الغزل، قال: وفي أي ذلك؟ قال: ألا تعلم يا حسين؟ قال لا، قال: في قولك:

وابأبي مقحم لعزته ... قلت له إذ خلوت مكتتما

نحب بالله من يخصك بالو ... د فما قال لا ولا نعما

ثم تولى بمقلتي خجلٍ ... أراد رجع الجواب فاحتشما

فكنت كالمبتغي بحيلته ... برءاً من السقم فابتدا سقما

فقال الحسين: ويحك يا أبا نواس ! فأنت لا تفارق مذهبك في الخمر البتة، قال: لا والله، وبذلك فضلتك وفضلت الناس جميعاً.

مدح أبو العباس ثعلب شعره

أخبرني علي بن العباس قال أنشدنا أبو العباس ثعلب قال أنشدني حماد بن المبارك صاحب حسين بن الضحاك قال أنشدني حسين لنفسه:

لا وحبيك لا أصا ... فح بالدمع مدمعا

من بكى شجوه استرا ... ح وإن كان موجعا

كبدي من هواك أس ... قم من أن تقطعا

لم تدع سورة الضنى ... في للسقم موضعا

قال: ثم قال لن ثعلب: ما بقي من يحسن أن يقول مثل هذا.

قال ابن الرومي عنه إنه أغزل الناس

أخبرني علي قال حدثني محمد بن الفضل الأهوازي قال سمعت علي بن العباس الرومي يقول: حسين بن الضحاك أغزل الناس وأظرفهم. فقلت: حين يقول ماذا؟ فقال: حين يقول:

يا مستعير سوالف الحشف ... اسمع لحلفة صادق الحلف

إن لم أصح ليلي: ويا حربي ... ومن وجنتيك وفترة الطرف

فجحدت ربي فضل نعمته ... وعبدته أبداً على حرف

شعره في فتن محبوبته: أخبرني علي بن العباس الرومي قال حدثني قتيبة عن عمرو السكوني بالكوفة قال حدثني أبي قال حدثني حسين بن الضحاك قال: كانت تألفني مغنية، وتجيئني دائماً، وكنت أميل إليها وأستملحها، وكان يقال لها فتن. فكان يجيء معها خادم لمولاتها يحفظها يسمى نجحا، وكان بغيضاً شرس الخلق، فإذا جاء معها توقيته، فمرض، فجاءتني ومعها غيره، فبلغت منها مرادي وتفرجت يومي وليلتي، فقلت:

لا تلمني علي فتن ... إنها كاسمها فتن

فإذا لم أهم بها ... فبمن! لا بمن إذن

أين لا أين مثلها ... في جميع الورى سكن !

طيب نشرٍ إذا لثم ... ت وغنج ومحتضن

وال عشراً من الصبو ... ح على وجهها الحسن

وعلى لفظها الم ... نون للام بالغنن

لست انسى من الغري ... رة إذ بحت بالشجن

قولها إذ سلبتها ... عن كثيبٍ وعن عكن

ليس يرضيك يا فتى ... من هوى دون أن تهن

فامتزجنا معاً مما ... زجة الروح للبدن

وكفينا من أن نرا ... قب نجحاً إذا فطن

وأمناه أن ي ... نم وما كان مؤتمن

كل ما كان من حبي ... بك مستظرفٌ حسن

ناظر مخارقاً في أبي نواس وأبي العتاهية فحكم له: حدثني جحظة قال حدثني أبو عبد الله الهشامي: أن مخارقاً وحسين بن الضحاك تلاحيا في أبي العتاهية، وأبي نواس أيهما أشعر، فاتفقا على اختيار شعرٍ من شعريهما يتخايران فيه، فاختار الحسين بن الضحاك شيئاً من شعر أبي نواس جيداً قوياً لمعرفته بذلك، واختار مخارقٌ شيئاً من شعر أبي العتاهية ضعيفاً سخيفاً غزلاً كان يغنى فيه لا لشيء عرفه منه إلا لأنه استملحه وغنى فيه، فخاير به لقلة علمه ولما كان بينه وبين أبي العتاهية من المودة، وتخاطرا على مالٍ، وتحاكما إلى من يرتضيه الواثق بالله ويختاره لهما، فاختار الواثق لذلك أبا محلم، وبعث فأحضره وتحاكما إليه بالشعرين فحكم لحسين بن الضحاك. فتلكأ مخارق وقال: لم أحسن الاختيار للشعر ولحسينٌ أعلم مني بذلك، ولأبي العتاهية خيرٌ مما اخترت، وقد اختار حسينٌ أجود ما قدر عليه لأبي نواس لأنه أعلم مني بالشعر، ولكنا نتخاير بالشاعرين ففيهما وقع الجدال، فتحاكما فحكم لأبي نواس، وقال: هو أشعر وأذهب في فنون الشعر وأكثر إحساناً في جميع تصرفه. فأمر الواثق

بدفع الخطر إلى حسين، وانكسر مخارق فما انتفع به بقية يومه.

مدح الحسن بن سهل وطلب أن يصلح المأمون له: أخبرني ابن أبي طلحة قال حدثني سوادة بن الفيض قال حدثني أبي قال: لما اطرح المأمون حسين بن الضحاك لهواه كان في أخيه محمد وجفاه، لاذ الحسين بن الضحاك بالحسن بن سهل وطمع أن يصلحه له، فقال يمدحه:

أرى الآمال غير معرجاتٍ ... على أحدٍ سوى الحسن بن سهل

يباري يومه غده سماحاً ... كلا اليومين بان بكل فضل

أرى حسناً تقدم مستبداً ... ببعدٍ من رياسته وقبل

فإن حضرتك مشكلةٌ بشكٍّ ... شفاك بحكمةٍ وخطاب فصل

سليل مرازبٍ برعوا حلوماً ... وراع صغيرهم بسداد كهل

ملوكٌ إن جريت بهم أبروا ... وعزوا أن توازنهم بعدل

ليهنك أن ما أرجأت رشدٌ ... وما أمضيت من قول وفعل

وأنك مؤثرٌ للحق فينا ... أراك الله من قطع ووصل

وأنك للجميع حياً ربيعٍ ... يصوب على قرارة كل محل

قال: فاستحسنها الحسن بن سهل، ودعا بالحسين فقربه وآنسه ووصله وخلع عليه ووعده إصلاح المأمون له، فلم يمكنه ذلك لسوء رأي المأمون فيه ولما عاجل الحسن من العلة.

سأله الحسن بن سهل عن شعر له فأجابه: قال علي بن العباس بن أبي طلحة وحدثني أبو العباس أحمد بن الفضل المروزي قال: سمعت الحسن بن سهل يقول لحسين بن الضحاك: ما عنيت بقولك:

يا خلي الذرع من شجني ... إنما أشكو لترحمني

قال: قد بينته، قال: بأي شيء؟ قال: قلت:

منعك الميسور يؤيسني ... وقليل اليأس يقتلني

فقال له أبو محمد: إنك لتضيع بالخلاعة، ما أعطيته من البراعة.

عشق غلام الحسن بن سهل وتغزل فيه فوهبه له: أخبرني علي بن أبو العباس قال حدثني أحمد بن القاسم المري قال حدثني أبو هفان قال: سألت حسين بن الضحاك عن خبره المشهور مع الحسن بن سهل في اليوم الذي شرب معه فيه وبات عنده وكيف كان ابتداؤه، فقلت له: إني أشتهي أن أسمعه منك. فقال لي: دخلت على الحسن بن سهل في فصل الخريف وقد جاء وسميٌ من المطر فرش رشاً حسناً، واليوم في أحسن منظر وأطيبه، وهو

جالس على سرير آبنوس وعليه قبةٌ فوقها طارمة ديباج أصفر وهو يشرف على بستان في داره، وبين يديه وصائف يترددن في خدمته وعلى رأسه غلامٌ كالدينار، فسلمت عليه فرد علي السلام، ونظر إلي كالمستنطق، فأنشأت أقول:

ألست ترى ديمةً تهطل وهذا صباحك مستقبل

فقال: بلى. فقلت:

وتلك المدام وقد شاقنا برؤيته الشادن الأكحل

فقال: صدقت فمه، فقلت:

فعاد به وبنا سكرةٌ تهون مكروه ما نسأل

فسكت. فقلت:

فإني رأيت له نظرةً تخبرني أنه يفعل

ثم قال: مه، فقلت:

وقد أشكل العيش في يومنا فيا حبذا عيشنا المشكل

فقال: العيش مشكل، فما ترى؟ فقلت: مبادرة القصف وتقريب الإلف. قال: على أن تقيم معنا وتبيت عندنا. فقلت: له: لك الوفاء وعليك مثله لي من الشرط. قال: وما هو؟ قلت: يكون هذا الواقف على رأسك يسقيني. فضحك ثم قال: ذلك لك على ما فيه. ودعا بالطعام فأكلنا وبالشراب فشربنا أقداحاً. و لم أر الغلام، فسألت عنه فقال لي: الساعة يجيء، فلم نلبث أن وافاني، أين كان؟ فقال: كنت في الحمام وهو الذي حبسني عنك. فقلت لوقتي:

وابأبي أبيض في صفرةٍ كأنه تبرٌ على فضه
جرده الحمام على درةٍ تلوح فيها عكنٌ بضه
غصنٌ تبدى يتثنى على مأكمة مثقلة النهضه
كأنما الرش على خده طلٌّ على تفاحةٍ غضه
صفاته فاتنة كلها فبعضه يذكرني بعضه
يا ليتني زودني قبلةً أو لا فمن وجنته عضه

فقال لي الحسن: قد عمل فيك النبيذ، فقلت: لا وحياتك! فقال: هذا شرٌ من ذلك. فقلت:

اسقياني وصرفا بنت حولين قرقفا
واسقيا المرهف الغري ر سقى الله مرهفا

لا تقولا نراه أك ... لف نضواً مخففا
نعم ريحانة الندي ... م وإن كان مخطفا
إن يكن أكلفاً ف ... إني أرى البدر أكلفا
بأبي ما جن السري ... رة يبدي تعففا
حف أصداغه وعق ... ر بها ثم صففا
وحشا مدرج القصا ... ص بمسك ورصفا
فإذا رمت منه ذا ... ك تأبى وعنفا
ليس إلا بأن يرن ... حه السكر مسعفا
باكراً لا تسوفا ... ني عدمت المسوفا
أعجلاه وبالفضا ... ضة في السقي فاعنفا
واحملا شغبه وإن ... هو زنى وأففا
فإذا هم للمنا ... م فقوما وخففا

فتغاضب الغلام وقام فذهب، ثم عاد فقال لي: أقبل على شرابك ودع الهذيان. وناولني قدحاً. وقام أبو محمد ليبول، فشربت وأعطاني نقلاً فقلت: اجعل بدله قبلةً، فضحك وقال: أفعل، هذا وقته فبدا له وقال: لا أفعل، فعاودته فانتهرني. فقال له خادم للحسن يقال له فرج: بحياتي يا بني أسعفه بما طلب، فضحك ثم دنا مني كأنه يناولني نقلاً وتغافل فاختلست منه قبلةً، فقال لي: هي حرام عليك فقلت:

وبديع الدل قصري الغنج ... مره العين كحيل بالدعج
سمته شيئاً وأصغيت له ... بعد ما صرف كأساً ومزج
واستخفته على نشوته ... نبراتٌ من خفيفٍ وهزج
فتأبى وتثنى خجلاً ... وذرا الدمع فنوناً ونشج
لج في لولا وفي سوف ترى ... وكذا كفكف عني وخلج
ذهب الليل وما نولني ... دون أن أسفر صبحٌ وانبلج
هون الأمر عليه فرجٌ ... بتأتيه فسقياً لفرج
وبنفسي نفس من قال وقد ... كان ما كان حرامٌ وحرج

قال: ثم أسفر الصبح. فانصرفت وعدت من غدٍ إلى الحسن، فقال لي: كيف كنت في ليلتك وكيف كنت عند نومك؟ فقلت له: أأصف ذلك نثراً أم نظماً؟ فقال: بل نظماً فهو أحسن عندي، فقلت:

تألفت طيف غزال الحرم ... فواصلني بعد ما قد صرم

وما زلت أقنع من نيله ... بما تجتنيه بنان الحلم

بنفسي خيالٌ على رقبةٍ ... ألم به الشوق فيما زعم

أتاني يجاذب أردافه ... من البهر تحت كسوف الظلم

تمج سوالفه مسكةً ... وعنبرةً ريقه والنسم

تضمخ من بعد تجميره ... فطاب من القرن حتى القدم

يقول ونازعته توبه ... على أن يقول لشيء نعم

فغض الجفون على خجلةٍ ... وأعرض إعراضة المحتشم

فشبكت كفي على كفه ... وأصغيت ألثم دراً بفم

فنهنهني دفع لا مؤيسٍ ... بجد ولا مطمعٍ معتزم

إذا ما هممت فأدنيته ... تثنى وقال لي الويل لم

فما زلت أبسطه مازحاً ... وأفرط في اللهو حتى ابتسم

وحكمني الريم في نفسه ... بشيء ولكنه مكتتم

فواهاً لذلك من طارقٍ ... على أن ما كان أبقى سقم

قال: فقال لي الحسن: يا حسين يا فاسق! أظن ما ادعيته على الطيف في النوم كان في اليقظة مع الشخص نفسه، وأصلح الأشياء لنا بعد ما جرى أن نرحض العار عن أنفسنا بهبة الغلام لك، فخذه لا بورك لك فيه! فأخذته وانصرفت.

شعره في غلام للحسن بن سهل: حدثني علي بن العباس قال حدثني أبو العيناء قال: أنشدني الحسين بن الضحاك لنفسه في الغلام للحسن بن سهل كان اجتمع معه في دار الحسن، ثم لقيه بعد ذلك فسلم عليه فلم يكلمه الغلام، فقال:

فديتك ما لوجهك صدعني ... وأبديت التندم بالسلام

أحين خليتني وقرنت قلبي ... بطرفك والصبابة في نظام

تنكر ما عهدت لغب يوم ... فيا قرب الرضاع من الفطام

لأسرع ما نهيت إلى همومي سروري بالزيادة واللمام

أخذ جبة من موسى بن عمران كجبة أبي نواس: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني حسين بن الضحاك الخليع قال: كنت في المسجد الجامع بالبصرة، فدخل علينا أبو نواس وعليه جبة خز جديدة. فقلت له: من أين هذه يا أبا نواس؟ فلم يخبرني، فتوهمت أنه أخذها من موسى بن عمران لأنه دخل من باب بني تميم، فقمت فوجدت موسى قد لبس جبة خز أخرى، فقلت له:

كيف أصبحت يا أبا عمران

فقال: بخير صبحك الله به. فقلت:

يا كريم الإخاء والإخوان

فقال: أسمعك الله خيراً. فقلت:

إن لي حاجةً فرأيك فيها إننا في قضائها سيان

فقال: هاتها على اسم الله وبركته. فقلت:

جبةٌ من جبابك الخز حتى لا يراني الشتاء حيث يراني

قال: خذها على بركة الله، ومد كمه فترعتها وجئت وأبو نواس جالس، فقال: من أين لك هذه؟ فقلت: من حيث جاءتك تلك.

وفد هو ومحمد بن عمرو على المعتصم وأنشده شعراً فأجازهما: أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال أخبرني عبد الله بن الحارث عن إبراهيم بن عبد السلام عن الحسين بن الضحاك قال: دخلت أنا ومحمد بن عمرو الرومي دار المعتصم، فخرج علينا كالحاً. قال: فتوهمنا أنه أراد النكاح فعجز عنه. قال: وجاء إيتاخ فقال: مخارقٌ وعلويه وفلان وفلان من أشباههما بالباب، فقال: اعزب عني، عليك وعليهم لعنة الله! قال: فتبسمت إلى محمد بن عمرو، وفهم المعتصم تبسمي فقال لي: مم تبسمت؟ فقلت: من شيء حضرني، فقال: هاته، فأنشدته: صوت

انف عن قلبك الحزن باقترابٍ من السكن

وتمتع بكر طر فك في وجهه الحسن

إن فيه شفاء صد رك من لاعج الحزن

قال: فدعا بألفي دينار: ألفٍ لي وألفٍ لمحمد، فقلت: الشعر لي، فما معنى الألف لمحمد بن عمرو؟ قال: لأنه جاءنا معك. ثم أذن لمخارقٍ وعلويه فدخلا، فأمرهما بأن يغنيا فيه ففعلا، فما زال يعيد هذا الشعر، ولقد قام ليبول فسمعته يردده.

الغناء في هذا الشعر اشترك فيه مخارق وعلويه وهو من الثقيل الأول بالبنصر.

أحب غلام أبي كامل المهندس وقال في شعراً: أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد بن مروان قال: كان الحسين بن الضحاك عند أبي كامل المهندس وأنا معهم حاضر، فرأى خادماً فاستحسنه وأعجبه. فقال له بعض أصحابه: أتحبه؟ قال: نعم والله، قال: فأعلمه، قال: هو أعلم بحبي له مني به. ثم قال:

عالمٌ بحبيه ... مطرقٌ من التيه

يوسف الجمال وفر ... عونه في تعديه

لا وحق ما أنا من ... عطفه أرجيه

ما الحياة نافعةٌ ... لي علي تأبيه

النعيم يشغله ... والجمال يطغيه

فهو غير مكترثٍ ... للذي ألاقيه

تائهٌ تزهده ... في رغبتي فيه

قال محمد بن محمد: وغنى في هذا الشعر عمرو بن بانة وعريب وسليمٌ وجماعةٌ من المغنين.

أحب صديق له جارية وعارضه فيها غلام أمرد فمالت إليه فقال شعراً في ذلك: حدثني عمي قال حدثني ميمون بن هارون قال: كان للحسين بن الضحاك صديق وكان يتعشق جاريةً مغنيةً، فزاحمه فيها غلامٌ كان في مروءته حسن الوجه، فلما خرجت لحيته جعل ينتف ما يخرج منها، ومالت القينة إليه لشبابه، فشكا ذلك إلى الحسين بن الضحاك وسأله أن يقول فيها شعراً فقال:

خل الذي عنك لا تسطيع تدفعه ... يا من يصارع من لا شك يصرعه

جاءت طرائق شعر أنت ناتفها ... فكيف تصنع لو قد جاء أجمعه

الله أكبر لا أنفك من عجبٍ ... أأنت تحصد ما ذو العرش يزرعه

تبا لسعيك بل تبا لأمك إذ ... ترعى حمًى خالق الأحماء يمنعه

وقال فيه أيضاً:

ثكلتك أمك يا بن يوسف ... حتام ويحك أنت تنتف

لو قد أتى الصيف الذي ... فيه رؤوس الناس تكشف

فكشف عن خديك لي ... لكشفت عن مثل المفوف

أو مثل زرعٍ ناله ال ... يرقان أو نكباء حرجف

فغدا عليه الزارعو ن ليحصدوه وقد تقصف
فظللت تأسف كالألى أسفوا ولم يغن التأسف

أحب غلاماً فاشتراه صالح بن الرشيد: حدثني علي بن العباس قال حدثني عمير بن أحمد بن نصر الكوفي قال حدثني زيد بن محمد شيخنا قال: قلت لحسين بن الضحاك وقد قدم إلينا الكوفة: يا أبا علي شهرت نفسك وفضحتها في خادم، فألا اشتريته! فقال: فديتك! إن الحب لجاجٌ كله، وكنت أحببت هذا الخادم ووافقني على أن يستبيع لأشتريه، فعارضني فيه صالح بن الرشيد فاختلسه مني و لم أقدر على الانتصاف منه، وآثره الخادم واختاره، وكلانا يحبه إلا أن صالحاً يناك ولا أناك والخادم في الوسط بلا شغل. فضحكت من قوله، ثم سألته شيئاً من شعره، فأنشدني:

إن من لا أرى وليس يراني نصب عيني ممثلٌ بالأماني
بأبي من ضميره وضميري أبداً بالمغيب ينتجيان
نحن شخصان إن نظرت وروحا ن إذا ما اختبرت يمتزجان

فإذا ما هممت بالأمر أو ه م بشيء بدأته وبداني
كان وفقاً ما كان منه ومني فكأني حكيته وحكاني
خطرات الجفون منا سواءٌ وسواءٌ تحرك الأبدان

فسألته أن يحدثني بأسر يومٍ مر له معه، فقال: نعم اجتمعنا يوماً فغنى مغنٍّ لنا بشعر قلته فيه فاستحسنه كل من حضر، ثم تغنى بغيره، فقال لي: عارضه، فقلت: بقبلةٍ فقال: هي لك، فقلبته قبلة وقلت:

فديت من قال لي على خفره وغض من جفنه على حوره
سمع بي شعرك المليح فما ينفك شادٍ به على وتره
حسبك بعض الذي أذعت ولا حسب لصبٍّ لم يقض من وطره
وقلت يا مستعير سالفة الخش ف وحسن الفتور من نظره
لا تنكرن الحنين من طربٍ عاود فيك الصبا على كبره

لاطفه غلام أبي عيسى فقال فيه شعراً: حدثني الصولي وعلي بن العباس قالا حدثنا المغيرة بن محمد المهلبي قال: كان حسين بن الضحاك يتعشق خادماً لأبي عيسى أو لصالح بن الرشيد أخيه، فاجتمعا يوماً عند أخي مولى الخادم، فجعل حسينٌ يشكو إليه ما به فلا يسمع به ويكذبه، ثم سكن نفاره وضحك إليه وتحدثا ساعة. فأنشدنا حسين قوله فيه:

سائل بطيفك عن ليلى وعن سهري ... وعن تتابع أنفاسي وعن فكري
لم يخل قلبي من ذكراك إذ نظرت ... عيني إليك على صحوى ولا سكرى
سقياً ليوم سروري إذ تنازعني ... صفو المدامة بين الأنس والخفر
وفضل كأسك يأتيني فأشربه ... جهراً وتشرب كأسي غير مستتر
وكيف أشمله لثمي وألزمه ... نحري وترفعه كفي إلى بصري
فليت مدة يومي إذ مضى سلفاً ... كانت ومدة أيامي على قدر
حتى إذا ما انطوت عنا بشاشته ... صرنا جميعاً كذا جارين في الحفر

شعره في حادثة لصالح بن الرشيد مع غلام أخيه: حدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد بن مروان قال حدثني حسين بن الضحاك قال: كان صالح بن الرشيد يتعشق غلاماً يسمى يسراً خادم أخيه أبي عيسى، فكان يراوده عن نفسه فيعده ولا يفي له. فأرسله أبو عيسى ذات يومٍ إلى صالح أخيه في السحر يقول له: يا أخي إني قد اشتهيت أن أصطبح اليوم، فبحياتي لما ساعدتني وصرت إلي لنصطبح اليوم جميعاً. فسار يسرٌ إلى صالح أخيه في السحر وهو منتشٍ قد شرب في السحر، فأبلغه الرسالة، فقال: نعم وكرامة، اجلس أولاً فجلس، فقال: يا غلام أحضرني عشرة آلاف درهم فأحضرها، فقال له: يا يسر دعني من مواعيدك ومطلك، هذه عشرة آلاف درهم فخذها واقض حاجتي، وإلا فليس ها هنا إلا الغضب، فقال له: يا سيدي، إني أقضي الحاجة ولا آخذ المال. ثم فعل ما أراد وطاوعه، فقضى حاجته، وأمر صالحٌ بحمل العشرة الآلاف الدرهم معه. قال الحسين: ثم خرج إلي صالح من خلوته فقال: يا حسين، قد رأيت ما كنا فيه، فإن حضرك شيءٌ فقل: فقلت: صوت

أيا من طرفه سحر ... ومن ريقته خمر
تجاسرت فكاشفت ... ك لما غلب الصبر
وما أحسن في مثل ... ك أن ينهتك الستر
وإن لامني الناس ... ففي وجهك لي عذر
فدعني من مواعيد ... ك إذ حينك الدهر
فلا والله لا تبر ... ح أو ينقضي الأمر
فإما الغصب والذم ... وإما البذل والشكر
ولو شئت تيسرت ... كما سميت يا يسر

وكن كاسمك لا تمن عك النخوة والكبر

فلا فزت بحظي من ك إن داع له ذكر

قال الحسين: فضحك ثم قال: قد لعمري تيسر يسرٌ كما ذكرت. فقلت: نعم ومن لا يتيسر بعد أخذه الدية! لو أردتني أيضاً بهذا لتيسرت. فضحك ثم قال: نعطيك يا حسين الدية لحضورك ومساعدتك، ولا نريدك لما أردنا له يسراً، فبئست المطية أنت، وأمر لي بها. ثم أمر عريب بعد ذلك فغنت في بعض هذا الشعر.

شعره في غلام عبد الله بن العباس: حدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد بن مروان قال حدثني حسين بن الضحاك قال:

كنت عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع وهو مصطبحٌ وخادمٌ له يسقيه، فقال لي: يا أبا علي، قد استحسنت سقي هذا الغلام، فإن حضرك شيءٌ في قصتنا هذه فقل، فقلت:

أحيت صبوحي فكاهة اللاهي وطاب يومي لقرب أشباهي

فاستثر اللهو من مكامنه من قبل يومٍ منغصٍ ناهي

بابنة كرمٍ من كف منتطق مؤتزرٍ بالمجون تياه

يسقيك من طرفه ومن يده سقي لطيفٍ مجرب داهي

كأساً فكأساً كأن شاربها حيران بين الذكور والساهي

قال: فاستحسنه عبد الله، وغنى فيه لحناً مليحاً، وشربنا عليه بقية يومنا.

سكر فجمش يسراً فهدده بخنجره فقال شعراً: أخبرني علي بن العباس قال حدثني سوادة بن الفيض المخزومي قال حدثني أبي قال: خرج حسين بن الضحاك إلى القفص متنزهاً ومعه جماعةٌ من إخوانه ظرفاء. وبلغ يسراً الخادم خروجه، فشد في وسطه خنجراً وخرج إليه فجاءه وهو على غفلة، فسر به حسين وتلقاه وأقام معه إلى آخر النهار يشربان. فلما سكرا جمشه حسين، فأخرج خنجره عليه وعربد، فأمسك حسينٌ وعاد إلى شرابه، وقال في ذلك:

جمشت يسراً على تسكره وقد دهاني بحسن منظره

فهم بالفتك بي فناشده فيّ كريمٌ من خير معشره

يا من رأى مثل شادنٍ خنثٍ يصول في خدره بزوره

يسحب ذيل القميص صعتره ووارداتٍ من هدب مئزره

ولا يعاطي نديمه قدحاً إلا بإبهامه وخنصره

أخاف من كبره بوادره أدالني الله من تكبره

قد قلت للشرب إذ بدا فضلا ... في ريطتيه وفي ممصره
ويلي على شادنٍ توعدني ... بسل سكينه وخنجره
أما كفاه ما حز في كبدي ... بسحر أجفانه ومحجره
إذا نسيم الرياح قابلنا ... بالطيب من مسكه وعنبره
هز قواماً كأنه غصنٌ ... وارتج ما انحط من مخصره

شعر له في يسر: أخبرني علي بن العباس قال حدثني سوادة بن الفيض قال حدثني أبي قال: حضرت حسين بن الضحاك يوماً وقد جاءه يسرٌ فجلس عنده وأخذنا نتحدث ملياً ثم غازله حسينٌ، فقال له يسر: إياك والتعرض لي، واربح نفسك، فقال حسين: صوت

أيها النفاث في العقد ... أنا مطويٌّ على الكمد
إنما زخرفت لي خدعاً ... قدحت في الروح والجسد
هات يا خداع واحدةً ... من كثيرٍ قلته وقدى
ليت شعري بعد حلفك لي ... بوفاء العهد بعد غدٍ
ما الذي بالله صيره ... بعد قربٍ في مدى الأبد
ما لأنسٍ كان مبتذلاً ... منك لي بالأمس لم يعد
إيه قل لي غير محتشمٍ ... هل دهاني فيك من أحد
حبذا والكأس دائرةٌ ... لهونا والصيد بالطرد
وحديثٌ في القلوب له ... أخذٌ يصدعن في الكبد
يوم تعطيني وتأخذها ... دون ندماني يداً بيد
فإذا ألويت هيجني ... تلعٌ من ظبية البلد
وإذا أصعيت ذكرني ... نشر كافورٍ على برد
ذاك يومٌ كان حاسدنا ... فيه معذوراً على الحسد

قال شعراً للمعتصم بدير مران سكر عليه وغنى به المغنون: حدثني الصولي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال حدثنا عمرو بن بانة قال: خرجنا مع المعتصم إلى الشأم لما غزا، فنزلنا في طريقنا بدير مران - وهو دير على تلعةٍ مشرفة عاليةٍ تحتها مروجٌ ومياهٌ حسنة - فنزل فيه المعتصم فأكل ونشط للشرب ودعا بنا، فلما شربنا أقداحاً قال لحسين بن الضحاك: أين هذا المكان من ظهر بغداد! فقال: لا أين يا أمير المؤمنين! والله لبعض الغياض والآجام

هناك أحسن من هنا، قال: صدقت والله، وعلى ذلك فقل أبياتاً يغن فيها عمروٌ، فقال: أما أن أقول شيئاً في وصف هذه الناحية بخير فلا أحسب لساني ينطق به، ولكني أقول متشوقاً إلى بغداد: فضحك وقال قل ما شئت: صوت

يا دير ميدان لا عريت من سكنٍ ... هيجت لي سقماً يا دير ميدانا

هل عند قسك من علم فيخبرنا ... أم كيف يسعف وجه الصبر من بانا

حث المدام فإن الكأس مترعةً ... مما يهيج دواعي الشوق أحيانا

سقياً ورعياً لكرخايا وساكنها ... وللجنينة بالروحاء من كانا

فاستحسنها المعتصم، وأمرني ومخارقاً فغنينا فيها وشرب على ذلك حتى سكر، وأمر للجماعة بجوائز. لحن عمرو بن بانة في هذه الأبيات رمل، ولحن مخارق هزج، ويقال: إنه لغيره.

عبث بخادم أبي عيسى فضربته فجفاه فقال شعراً: أخبرني الصولي قال حدثنا يزيد بن محمد قال: كان حسين بن الضحاك يميل إلى خادم لأبي عيسى بن الرشيد، فعبث به يوماً على سكر، فأخذ قنينةً فضرب بها رأسه فشجه شجةً منكرةً، وشاع خبره وتوجع له إخوانه وعولج منها مدة، فجفا الخادم واطرحه وأبغضه و لم يعرض له بعدها. فرآه بعد ذلك في مجلس مولاه فعبث به الخادم وغازله. فلما أكثر ذلك قال له الحسين: صوت

تعز بيأسٍ عن هواي فإنني ... إذا انصرفت نفسي فهيهات عن ردي

إذا خنتم بالغيب ودي فما لكم ... تدلون إدلال المقم على العهد

ولي منك بدٌّ فاجتنبني مذمماً ... وإن خلت أني ليس لي منك من بد

الغناء في هذه الأبيات لعمرو بن بانة، وله فيه لحنان رملٌ وخفيف رمل.

هنأ الواثق بالخلافة فأجازه: حدثني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني عبد الله بن المؤمل العسكري قال: لما ولي الواثق الخلافة جلس للناس ودخل إليه المهنئون والشعراء فمدحوه وهنئوه، ثم استأذن حسين بن الضحاك بعدهم في الإنشاد، وكان من الجلساء فترفع عن الإنشاد مع الشعراء، فأذن له، فأنشده قوله:

أكاتم وجدي فما ينكتم ... بمن لو شكوت إليه رحم

وإني على حسن ظني به ... لأحذر إن بحت أن يحتشم

ولي عند لحظته روعةٌ ... تحقق ما ظنه المتهم

وقد علم الناس أني له ... محبٌ وأحسبه قد علم

وفي هذا رملٌ لعبد الله بن العباس بن الربيع:

وإني لمغضٍ على لوعةٍ ... من الشوق في كبدي تضطرم

عشية ودعت عن مقلةٍ ... سفوحٍ وزفرة قلبٍ سدم

فما كان عند النوى مسعدٌ ... سوى العين تمزج دمعاً بدم

سيذكر من بان أوطانه ... ويبكي المقيمين من لم يقم

إلى خازن الله في خلقه ... سراج النهار وبدر الظلم

رحلنا غرابيب زفافةً ... بدجلة في موجها الملتطم

إذا ما قصدنا لقاطولها ... ودهم قراقيرها تصطدم

سكناً إلى خير مسكونةٍ ... تيممها راغبٌ من أمم

مباركةٌ شاد بنيانها ... بخير المواطن خير الأمم

كأن بها نشر كافورةٍ ... لبرد نداها وطيب النسم

كظهر الأديم إذا ما السحا ... ب صاب على متنها وانسجم

مبرأة من وحول الشتاء ... إذا ما طمى وحله وارتكم

فما إن يزال بها راجلٌ ... يمر الهوينى ولا يلتطم

ويمشي على رسله آمناً ... سليم الشراك نقي القدم

وللنون والضب في بطنها ... مراتع مسكونةٌ والنعم

غدوت على الوحش مغترةً ... رواتع في نورها المنتظم

ورحت عليها وأسرابها ... تحوم بأكنافها تبتسم

ثم قال يمدح الواثق:

يضيق الفضاء به إن غدا ... بطودي أعاريبه والعجم

ترى النصر يقدم راياته ... إذا ما خفقن أمام العلم

وفي الله دوخ أعداءه ... وجرد فيهم سيوف النقم

وفي الله يكظم من غيظه ... وفي الله يصفح عمن جرم

رأى شيم الجود محمودةً ... وما شيم الجود إلا قسم

فراح على نعمٍ واغتدى ... كأن ليس يحسن إلا نعم

قال: فأمر له الواثق بثلاثين ألف لألف أدرهم، واتصلت أيامه بعد ذلك، و لم يزل من ندمائه.

أمره الواثق بأن يقول شعراً فأرتج عليه حيناً ثم قال: حدثني أحمد بن العباس قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثني مهدي بن سابق قال:

قال الواثق لحسين بن الضحاك: قل الساعة أبياتاً ملاحاً حتى أهب لك شيئاً مليحاً، فقال: في أي معنى يا أمير المؤمنين؟ فقال: امدد طرفك وقل فيما شئت مما ترى بين يديك وصفه. فالتفت فإذا ببساط زهره قد تفتحت أنواره وأشرق في نور الصبح، فأرتج علي ساعةً حتى خجلت وضقت ذرعاً. فقال لي الواثق: مالك ويحك! ألست ترى نور الصباح، ونور أقاح! فانفتح القول فقلت:

ألست ترى الصبح قد أسفرا ... ومبتكر الغيث قد أمطرا

وأسفرت الأرض عن حلة ... تضاحك بالأحمر الأصفرا

ووافاك نيسان في ورده ... وحثك في الشرب كي تسكرا

وتعمل كأسين في فتيةٍ ... تطارد بالأصغر الأكبرا

يحث كؤوسهم مخطفٌ ... تجاذب أردافه المئزرا

ترجل بالبان حتى إذا ... أدار غدائره وفرا

وفضض في الجلنار البها ... ر والآبنوسة والعبهرا

فلما تمازج ما شذرت ... مقاريض أطرافه شذرا

فكلٌ ينافس في بره ... ليفعل في ذاته المنكرا

قال: فضحك الواثق وقال: سنستعمل كل ما قلت يا حسين إلا الفسق الذي ذكرته فلا ولا كرامة. ثم أمر بإحضار الطعام فأكل وأكلوا معه. ثم قال: قوموا بنا إلى حانة الشط فقاموا إليها، فشرب وطرب، وما ترك يومئذ أحداً من الجلساء والمغنين والحشم إلا أمر له بصلة. وكانت من الأيام التي سارت أخبارها وذكرت في الآفاق. قال حسين: فلما كان من الغد غدوت إليه، فقال: أنشدني يا حسين شيئاً إن كنت قلته في يومنا الماضي، فقد كان حسناً، فأنشدته: شعره في حانة الشط وقد شرب فيها مع الواثق: صوت

يا حانة الشط قد أكرمت مثوانا ... عودي بيوم سرورٍ كالذي كانا

لا تفقدينا دعابات الإمام ولا ... طيب البطالة إسراراً وإعلانا

ولا تخالعنا في غير فاحشةٍ ... إذا يطربنا الطنبور أحيانا

وهاج زمر زنامٍ بين ذاك لنا ... شجواً فأهدى لنا روحاً وريحانا

وسلسل الرطل عمروٌ ثم عم به الس ... قيا فألحق أولانا بأخرانا

سقياً لشكلك من شكل خصصت به دون الدساكر من لذات دنيانا

حفت رياضك جناتٌ مجاورةٌ في كل مخترقٍ نهراً وبستانا

لا زلت آهله الأوطان عامرةً بأكرم الناس أعراقاً وأغصانا

قال: فأمر له الواثق بصلة سنية مجددة، واستحسن الصوت، وأمر فغنى في غدة أبيات منها، غنت فريدة في البيتين الأولين من هذه الأبيات، ولحنها هزج مطلقٌ.

خاصم أبا شهاب ولاحاه: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى قال: اجتمعت أنا وحسين بن الضحاك وأبو شهاب الشاعر وهو الذي يقول:

لقد كنت ريحانةً في الندى وتفاحةً في يد الكاعب

وعمرو بن بانة يغنيها فتذاكرنا الدواب، واتصل الحديث إلى أن تلاحى حسين وأبو شهاب في دابتيهما وتراهنا على المسابقة بهما، فتسابقا فسبقه أبو شهاب. فقال حسين في ذلك:

كلوا واشربوا هنئتم وتمتعوا وعيشوا وذموا الكودنين جميعا

فأقسم ما كان الذي نال منهما مدى السبق إذ جد الجراء سريعا

وهي قصيدة معروفة في شعره. فقال أبو شهاب يجيبه :

أيا شاعر الخصيان حاولت خطةً سبقت إليها وانكفأت سريعا

تحاول سبقي بالقريض سفاهةً لقد رمت جهلاً من حماي منيعا

وهي أيضاً قصيدة. فكان ذلك سبب التباعد بينهما. وكنا إذا أردنا العبث بحسين نقول له: أيا شاعر الخصيان، فيجن ويشتمنا.

قصته مع أحد جند الشام وإيقاعه بينه وبين عشيقته:

حدثني جعفر قال حدثني علي بن يحيى قال حدثني حسين بن الضحاك قال: كان يألفني إنسانٌ من جند الشأم عجيب الخلقة والزي والشكل غليظٌ جلفٌ جافٍ، فكنت أحتمل ذلك كله له ويكون حظي التعجب به، وكان يأتيني بكتب من عشيقة له ما رأيت كتباً أحلى منها ولا أظرف ولا أبلغ ولا أشكل من معانيها، ويسألني أن أجيب عنها، فأجهد نفسي في الجوابات وأصرف عنايتي إليها على علمي بأن الشامي بجهله لا يميز بين الخطأ والصواب، ولا يفرق بين الابتداء والجواب. فلما طال ذلك علي حسدته وتنبهت إلى إفساد حاله عندها. فسألته عن اسمها فقال: بصبص. فكتبت إليها عنه في جواب كتابٍ منها جاءني به:

أرقصني حبك يا بصبص والحب يا سيدتي يرقص

أرمصت أجفاني بطول البكا فما لأجفانك لا ترمص

وابأبي وجهك ذاك الذي كأنه من حسنه عصعص

فجاءني بعد ذلك فقال لي: يا أبا علي، جعلني الله فداءك، ما كان ذنبي إليك وما أردت بما صنعت بي؟ فقلت له: وما ذاك عافاك الله؟ فقال: ما هو والله إلا أن وصل ذلك الكتاب إليها حتى بعثت إلي: إني مشتاقة إليك، والكتاب لا ينوب عن الرؤية، فتعال إلى الروشن الذي بالقرب من بابنا فقف بحياله حتى أراك، فتزينت بأحسن ما قدرت عليه وصرت إلى الموضع. فبينا أنا واقفٌ مكلماً أو مشيراً إلي إذا شيء قد صب علي فملأني من قرني إلى قدمي وأفسد ثيابي وسرجي وصيري وجميع ما علي ودابتي في نهاية السواد والنتن والقذر، وإذا به ماءٌ قد خلط ببول وسواد سرجين ، فانصرفت بخزيٍ. وكان ما مر بي من الصبيان وسائر من مررت به من الضحك والطز والصياح بي أغلظ مما مر بي، ولحقني من أهلي ومن في مترلي شرٌّ من ذلك وأوجع. وأعظم من ذلك أن رسلها انقطعت عني جملةً. قال: فجعلت أعتذر إليه وأقول له: إن الآفة أنها لم تفهم معنى الشعر لجودته وفصاحته، وأنا أحمد الله على ما ناله وأسر الشماتة به.

دعاه الحسن بن رجاء ودعاه ابن بسخنر فذهب له واعتذر للحسن: أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ميمون بن هارون عن حسين بن الضحاك قال: كتب إلي الحسن بن رجاء في يوم شك وقد أمر الواثق بالإفطار، فقال:

هززتك للصبوح وقد نهاني أمير المؤمنين عن الصيام

وعندي من قيان المصر عشرٌ تطيب بهن عاتقة المدام

ومن أمثالهن إذا انتشينا ترانا نجتني ثمر الغرام

فكن أنت الجواب فليس شيءٌ أحب إلي من حذف الكلام

قال: فوردت علي رقعته وقد سبقه إلي محمد بن الحارث بن بسخنر ووجه إلي بغلام نظيف الوجه كان يتحظاه، ومعه ثلاثة غلمة أقران حسان الوجوه ومعهم رقعةٌ قد كتبها إلي كما تكتب المناشير، وختمها في أسفلها وكتب فيها يقول:

سر على اسم الله يا أش كل من غصن لجين

في ثلاثٍ من بني الرو م إلى دار حسين

فاشخص الكهل إلى مو لاك يا قرة عيني

أره العنف إذا استع صى وطالبه بدين

ودع اللفظ وخاطب ه بغمز الحاجبين

واحذر الرجعة من وج هك في خفي حنين

قال: فمضيت معهم، وكتبت إلى الحسن بن رجاء جواب رقعته:

دعوت إلى مماحكة الصيام ... وإعمال الملاهي والمدام
ولو سبق الرسول لكان سعيي ... إليك ينوب عن طول الكلام
وما شوقي إليك بدون شوقي ... إلى ثمر التصابي والغرام
ولكن حل في نفر عسوفٌ ... بمنشورٍ محل المستهام
حسينٍ فاستباح له حريماً ... بطرف باعثٍ سبب الحمام
وأظهر نخوةً وسطا وأبدى ... فظاظته بتركٍ للسلام
وأزعجني بألفاظٍ غلاظٍ ... وقد أعطيته طرفي زمامي
ولو خالفته لم يخش قتلي ... وقنعني سريعاً بالحسام

لاعب الواثق بالنرد وغازل خافان خادمه فقال شعراً: أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدثني أبي قال:

كان الواثق يلاعب حسين بن الضحاك بالنرد وخاقان غلام الواثق واقفٌ على رأسه، وكان الواثق يتحظاه، فجعل يلعب وينظر إليه. ثم قال للحسين بن الضحاك: إن قلت الساعة شعراً يشبه ما في نفسي وهبت لك ما تفرح به. فقال الحسين: صوت

أحبك حبًّا شابه بنصيحةٍ ... أبٌ لك مأمونٌ عليك شفيق
وأقسم ما بيني وبينك قربةٌ ... ولكن قلبي بالحسان علوق

فضحك الواثق وقال: أصبت ما في نفسي وأحسنت. وصنع الواثق فيه لحناً، وأمر لحسين بألفي دينار. لحن الواثق في هذين البيتين من الثقيل الأول بالوسطى.

فضل نفسه على أبي نواس فرده أحمد بن خلاد: أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أحمد بن خلاد قال: أنشدني حسين بن الضحاك لنفسه:

بدلت من نفحات الورد بالآء ... ومن صبوحك در الإبل والشاء

حتى أتى على آخرها، وقال لي: ما قال أحد من المحدثين مثلها. فقلت: أنت تحوم حول أبي نواس في قوله:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداء

وهي أشعر من قصيدتك. فغضب وقال: ألي تقول هذا! علي وعلي إن لم أكن نكت أبا نواس! فقلت له: دع ذا عنك، فإنه كلام في الشعر لا قدحٌ في نسب، لو نكت أبا نواس وأمه وأباه لم تكن أشعر منه. وأحب أن تقول لي: هل لك في قصيدتك بيتٌ نادر غير قولك:

فضت خواتمها في نعت واصفها عن مثل رقراقةٍ في عين مرهاء

وهذه قصيدة أبي نواس يقول فيها:

دارت على فتيةٍ ذل الزمان لهم فما أصابهم إلا بما شاءوا

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لو مسها حجرٌ مسته سراء

فأرسلت من فم الإبريق صافيةً كأنما أخذها بالعقل إغفاء

والله ما قدرت على هذا ولا تقدر عليه، فقام وهو مغضب كالمقر بقولي.

تحاكم هو وأبو نواس إلى ابن مناذر فحكم له: حدثني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال حدثني أحمد بن المعتصم قال: حج أبو نواس وحسين بن الضحاك فجمعهما الموسم، فتناشدا قصيدتيهما: قول أبي نواس:

دعك عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

وقصيدة حسين:

بدلت من نفحات الورد بالآء

فتنازعا أيهما أشعر في قصيدته، فقال أبو نواس: هذا ابن مناذر حاضرٌ الموسم وهو بيني وبينك. فأنشده قصيدته حتى فرغ منها، فقال أبو مناذر: ما أحسب أن أحداً يجيء بمثل هذه وهم بتفضيله، فقال له الحسين: لا تعجل حتى تسمع، فقال: هات، فأنشده قوله:

بدلت من نفحات الورد بالآء ومن صبوحك در الإبل والشاء

حتى انتهى إلى قوله:

فضت خواتمها في نعت واصفها عن مثل رقراقةٍ في عين مرهاء

فقال له ابن مناذر: حسبك، قد استغنيت عن أن تزيد شيئاً، والله لو لم تقل في دهرك كله غير هذا البيت لفضلتك به على سائر من وصف الخمر، قم فأنت أشعر وقصيدتك أفضل. فحكم له وقام أبو نواس منكسراً.

قال شعراً لكثير بن إسماعيل استرضى به المعتصم: أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد قال حدثني كثير بن إسماعيل التحتكار قال: لما قدم المعتصم بغداد، سأل عن ندماء صالح بن الرشيد وهو أبو الواسع وقنينة وحسين بن الضحاك وحاتم الريش وأنا، فأدخلنا عليه. فلشؤمي وشقائي كتبت بين عيني: سيدي هب لي شيئاً. فلما رآني قال: ما هذا على جبينك؟! فقال حمدون بن إسماعيل: يا سيدي تطايب بأن كتب على جبينه: سيدي هب لي شيئاً!. فلم يستطب لي ذلك ولا استملحه، ودعا بأصحابي من غد و لم يدع بي. ففزعت إلى حسين بن الضحاك، فقال لي: إني لم أحلل من أنسه بعد بالمحل الموجب أن أشفع إليه فيك،

ولكني أقول لك بيتين من الشعر وادفعهما إلى حمدون بن إسماعيل يوصلهما، فإن ذلك أبلغ. فقلت: أفعل. فقال حسين:

قل لدنيا أصبحت تلعب بي ... سلط الله عليك الآخرة

إن أكن أبرد من قنينةٍ ... ومن الريش فأمي فاجره

قال: فأخذتهما وعرفت حمدون أنهما لي وسألته إيصالهما ففعل، فضحك المعتصم وأمر لي بألفي دينار واستحضرني وألحقني بأصحابي.

كان ابن بسخنر يكره الصبوح فقال فيه شعراً:

أخبرني عمي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال قال لي أحمد بن حمدون: كان محمد بن الحارث بن بسخنر لا يرى الصبوح ولا يؤثر على الغبوق شيئاً، ويحتج بأن من خدم الخلفاء كان اصطحابه استخفافاً بالخدمة، لأنه لا يأمن أن يدعى على غفلة والغبوق يؤمنه من ذلك، وكان المعتصم يحب الصبوح، فكان يلقب ابن بسخنر الغبوقي. فإذا حضر مجلس المعتصم مع المغنين منعه الصبوح وجمع له مثل ما يشرب نظراؤه، فإذا كان الغبوق سقاه إياه جملةً غيظاً عليه، فيضج من ذلك ويسأل أن يترك حتى يشرب مع الندماء إذا حضروا فيمنعه ذلك. فقال فيه حسين بن الضحاك وفي حاتم الريش الضراط وكان من المضحكين:

حب أبي جعفر للغبوق ... كقبحك يا حاتمٌ مقبلا

فلا ذاك يعذر في فعله ... وحقك في الناس أن تقتلا

وأشبه شيء بما اختاره ... ضراطك دون الخلا في الملا

استعطف أبا أحمد بن الرشيد وكان قد غضب عليه: حدثني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا محمد بن علي بن حمزة قال: مزح أبو أحمد بن الرشيد مع حسين بن الضحاك مزاحاً أغضبه، فجاوبه حسين جواباً غضب منه أبو أحمد أيضاً. فمضى إليه حسين من غدٍ فاعتذر إليه وتنصل وحلف، فأظهر له قبولاً لعذره. ورأى ثقلاً في طرفه وانقباضاً عما كان يعهده منه، فقال في ذلك:

لا تعجبن لملةٍ صرفت ... وجه الأمير فإنه بشر

وإذا نبا بك في سريرته ... عقد الضمير نبا بك البصر

حكى للنشار صحبته للأمين وإكرامه له: حدثني الصولي قال حدثني أبو أحمد بن النشار قال:

كان أبي صديقاً للحسين بن الضحاك وكان يعاشره، فحملني معه يوماً إليه، وجعل أبي يحادثه إلى أن قال له: يا أبا علي، قد تأخرت أرزاقك وانقطعت موادك ونفقتك كثيرة، فكيف يمشي أمرك؟ فقال له: بلى والله يا أخي، ما قوام أمري إلا ببقايا هبات الأمين محمد بن زبيدة وذخائره وهبات جاريةٍ له لم يسمها أغنتني للأبد لشيءٍ ظريف جرى على غير تعمد، وذلك أن الأمين دعاني يوماً فقال لي: يا حسين، إن جليس الرجل عشيره وثقته

وموضع سره وأمنه، وإن جاريتي فلانة أحسن الناس وجهاً وغناء، وهي مني بمحل نفسي، وقد كدرت علي صفوها ونغصت علي النعمة فيها بعجبها بنفسها وتجنيها علي وإدلالها بما تعلم من حبي إياها. وإني محضرها ومحضر صاحبةً لها ليست منها في شيء لتغني معها. فإذا غنت وأومأت لك إليها على أن أمرها أبين من أن يخفى عليك فلا تستحسن الغناء ولا تشرب عليه، وإذا غنت الأخرى فاشرب واطرب واستحسن واشقق ثيابك، وعلي مكان كل ثوب مائة ثوب. فقلت: السمع والطاعة. فجلس في حجرة الخلوة وأحضرني وسقاني وخلع علي، وغنت المحسنة وقد أخذ الشراب مني، فما تمالكت أن استحسنت وطربت وشربت، فأومأ إلي وقطب في وجهي. ثم غنت الأخرى فجعلت أتكلف ما أقوله وأفعله. ثم غنت المحسنة ثانيةً فأتت بما لم أسمع مثله قط حسناً، فما ملكت نفسي أن صحت وشربت وطربت، وهو ينظر إلي ويعض شفتيه غيظاً، وقد زال عقلي فما أفكر فيه، حتى فعلت ذلك مراراً، وكلما ازداد شربي ذهب عقلي وزدت مما يكره، فغضب فأمضني وأمر بجر رجلي من بين يديه وصرفي فجررت وصرفت، فأمر بأن أحجب. وجاءني الناس يتوجعون لي ويسألوني عن قصتي فأقول لهم: حمل علي النبيذ فأسأت أدبي، فقومني أمير المؤمنين بصرفي وعاقبني بمنعي من الوصول إليه. ومضى لما أنا في شهرٌ، ثم جاءتني البشارة أنه قد رضي عني، وأمر بإحضاري فحضرت وأنا خائف. فلما وصلت أعطاني الأمين يده فقبلتها، وضحك إلي وقام وقال: اتبعني، ودخل إلى تلك الحجرة بعينها و لم يحضر غيري. وغنت المحسنة التي نالني من أجلها ما نالني فسكت فقال لي: قل ما شئت ولا تخف، فشربت واستحسنت. ثم قال لي: يا حسين، لقد خار الله لك بخلافي وجرى القدر بما تحب فيه. إن هذه الجارية عادت إلى الحال التي أريد منها ورضيت كل أفعالها، فأذكرتني بك وسألتني الرضا عنك والاختصاص لك، وقد فعلت ووصلتك بعشرة آلاف دينار، ووصلتك هي بدون ذلك. والله لو كنت فعلت ما قلت لك حتى تعود إلى مثل هذه الحال ثم تحقد ذلك عليك فتسألني ألا تصل إلي لأجبتها. فدعوت له وشكرته وحمدت الله على توفيقه، وزدت في الاستحسان والسرور إلى أن سكرت وانصرفت وقد حمل معي المال. فما كان يمضي أسبوع إلا وصلاتها وألطافها تصل إلي من الجوهر والثياب والمال بغير علم الأمين، وما جالسته مجلساً بعد ذلك إلا سألته أن يصلني. فكل شيء أنفقته بعده إلى هذه الغاية فمن فضل مالها وما ذخرت من صلاتها. قال ابن النشار: فقال له أبي: ما سمعت بأحسن من هذا الحديث ولا أعجب مما وفقه الله لك فيه.

هنأ الأمين بظفر جيشه بطاهر بن الحسين: حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبي قال: دخل حسين بن الضحاك على محمد الأمين بعقب رقعةٍ أوقعها أهل بغداد بأصحاب طاهر فهزموهم وفضحوهم، فهنأه بالظفر ثم استأذنه في الإنشاد، فأذن له فأنشده:

أمين الله ثق بالل ... ه تعط العز والنصره

كل الأمر إلى الله ... كلاك الله ذو القدره

لنا النصر بإذن الل ... ه والكرة لا الفره

وللمراق أعدائ ... ك يوم السوء والدبره
وكأسٌ تورد الموت ... كريهٌ طعمها مره
سقونا وسقيناهم ... فكانت بهم الحره
كذاك الحرب أحياناً ... علينا ولنا مره

فأمر له بعشرة آلاف درهم، و لم يزل يتبسم وهو ينشده.

عابثه الأمين وركب ظهره: حدثني الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال:

قال لي الحسين بن الضحاك: شربنا يوماً مع الأمين في بستانٍ، فسقانا على الريق، وجد بنا في الشرب، وتحرز من أن نذوق شيئاً. فاشتد الأمر علي، وقمت لأبول، فأعطيت خادماً من الخدم ألف درهم على أن يجعل لي تحت شجرةٍ أومأت إليها رقاقةً فيها لحمٌ، فأخذ الألف وفعل ذلك. ووثب محمد فقال: من يكون منك حماري؟ فكل واحد منهم قال له: أنا، لأنه كان يركب الواحد منا عبثاً ثم يصله، ثم قال: يا حسين، أنت أضلع القوم. فركبني وجعل يطوف وأنا أعدل به عن الشجرة وهو يمر بي إليها حتى صار تحتها، فرأى الرقاقة فتطأطأ فأخذها فأكلها على ظهري، وقال: هذه جعلت لبعضكم، ثم رجع إلى مجلسه وما وصلني بشيء. فقلت لأصحابي: أنا أشقى الناس، ركب ظهري وذهب ألف درهمٍ مني وفاتني ما يمسك رمقي و لم يصلني كعادتي، ما أنا إلا كما قال الشاعر:

ومطعم الصيد يوم الصيد مطعمه ... أنى توجه والمحروم محروم

أحب جارية لأم جعفر ووسط عاصماً الغساني في استيهابها فأبت فقال شعراً: حدثني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي المبرد قال: كان حسين بن الضحاك الأشقر، وهو الخليع، يهوى جاريةً لأم جعفر، وكانت من أجمل الجواري، وكان لها صدغان معقربان، وكانت تخرج إليه إذا جاء فتقول له: ما قلت فينا؟ أنشدنا منه شيئاً، فيخرج إليها الصحيفة، فتقول له: اقرأ معي، فيقرأ معها حتى تحفظه ثم تدخل وتأخذ الصحيفة. فشكا ذلك إلى عاصم الغساني الذي كان يمدحه سلم الخاسر وكان مكيناً عند أم جعفر، وسأله أن يستوهبها له فاستوهبها، فأبت عليه أم جعفر، فوجه إلى الخليع بألف دينار وقال: خذ هذا الألف، فقد جهدت الجهد كله فيها فلم تمكني حيلة. فقال الحسين في ذلك:

رمتك غداة السبت شمسٌ من الخلد ... بسهم الهوى عمداً وموتك في العمد
مؤزرة السربال مهضومة الحشا ... غلامية التقطيع شاطرة القد
محنأة الأطراف رؤدٌ شبابها ... معقربة الصدغين كاذبة الوعد
أقول ونفسي بين شوقٍ وزفرةٍ ... وقد شخصت عيني ودمعي على الخد

أجيزي علي من قد تركت فؤاده بلحظته بين التأسف والجهد
فقالت عذاب بالهوى مع قربكم وموتٌ إذا أقرحت قلبك بالبعد
لقد فطنت للجور فطنة عاصمٍ لصنع الأيادي الغر في طلب الحمد
سأشكوك في الأشعار غير مقصرٍ إلى عاصمٍ ذي المكرمات وذي المجد
لعل فتى غسان يجمع بيننا فيأمن قلبي منكم روعة الصد

أقطع المعتصم الناس دوراً دونه فقال شعراً: حدثني محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن مخارق قال: أقطع المعتصم الناس الدور بسر من رأى وأعطاهم النفقات لبنائها، و لم يقطع الحسين بن الضحاك شيئاً.

فدخل عليه فأنشده قوله:

يا أمين الله لا خطة لي ولقد أفردت صحبي بخطط
أنا في دهياء من مظلمةٍ تحمل الشيخ على كل غلط
صعبة المسلك يرتاع لها كل من أصعد فيها وهبط
بوني منك كما بوأتهم عرصةً تبسط طرفي ما انبسط
أبتني فيها لنفسي موطناً ولعقبي فرطاً بعد فرط
لم يزل منك قريباً مسكني فأعد لي عادة القرب فقط
كل من قربته مغتبطٌ ولمن أبعدت خزيٌ وسخط

قال: فأقطعه داراً وأعطاه ألف دينار لنفقته عليها.

حاز شعراً لأبي العتاهية: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال أخبرني عمي الفضل عن الحسين بن الضحاك قال: كنت أمشي مع أبي العتاهية، فمررت بمقبرة وفيها باكيةٌ تبكي بصوتٍ شجٍ على ابنٍ لها. فقال أبو العتاهية:

أما تنفك باكية بعين غزيرٌ دمعها كمدٌ حشاها

أجز يا حسين، فقلت:

تنادي حفرةً أعيت جواباً فقد ولهت وصم بها صداها

نصحه أبو العتاهية بألا يرثي الأمين فأطاعه: حدثني الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال حدثني الحسين بن الضحاك قال:

كنت عازماً على أن أرثي الأمين بلساني كله وأشفي لوعتي. فلقيني أبو العتاهية فقال لي: يا حسين، أنا إليك مائلٌ ولك محبٌ، وقد علمت مكانك من الأمين، وإنه لحقيق بأن ترثيه، إلا أنك قد أطلقت لسانك من التلهف

عليه والتوجع له بما صار هجاءً لغيره وثلباً له وتحريضاً عليه، وهذا المأمون منصبٌ إلى العراق قد أقبل عليك، فأبق على نفسك، يا ويحك! أتجسر على أن تقول:

تركوا حريم أبيهم نفلاً ... والمحصنات صوارخٌ هتف

هيهات بعدك أن يدون لهم ... عزٌّ وأن يبقى لهم شرف

أكفف غرب لسانك واطو ما انتشر عنك وتلاف ما فرط منك. فعلمت أنه قد نصحني فجزيته الخير، وقطعت القول فنجوت برأيه وما كدت أن أنجو.

أعرض عنه فتى جميل فقال فيه شعراً: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني أبو العيناء قال: وقف علينا حسين بن الضحاك ومعنا فتًى جالسٌ من أولاد الموالي جميل الوجه، فحادثنا طويلاً وجعل يقبل على الفتى بحديثه والفتى معرضٌ عنه حتى طال ذلك، ثم أقبل عليه الحسين فقال:

تتيه علينا أن رزقت ملاحةً ... فمهلاً علينا بعض تيهك يا بدر

لقد طالما كنا ملاحاً وربما ... صددنا وتهنا ثم غيرها الدهر

وقام فانصرف.

عربد في مجلس الأمين فغضب عليه ثم استرضاه بشعر فرضي عنه: أخبرني الحسن بن القاسم الكوفي قال حدثني ابن عجلان قال: غنى بعض المغنين في مجلس محمدٍ المخلوع بشعر حسين بن الضحاك، وهو: صوت

ألست ترى ديمةً تهطل ... وهذا صباحك مستقبل

وهذي العقار وقد راعنا ... بطلعته الشادن الأكحل

فعاد به وبنا سكرةٌ ... تهون مكروه ما نسأل

فإني رأيت له نظرةً ... تخبرنا أنه يفعل

قال: فأمر بإحضار حسين فأحضر، وقد كان محمد شرب أرطالاً. فلما مثل بين يديه أمر فسقي ثلاثة أرطالٍ، فلم يستوفها الحسين حتى غلبه السكر وقذف، فأمر بحمله إلى منزله فحمل. فلما أفاق كتب إليه:

إذا كنت في عصبةٍ ... من المعشر الأخيب

ولم يك في مسعدٌ ... نديم سوى جعدب

فأشرب من رملةٍ ... وأسهر من قطرب

ولما حباني الزما ... ن من حيث لم أحسب

ونادمت بدر السما ... ء في فلك الكوكب

أبت لي غضوضيتي ... ولؤمٌ من المنصب

فأسكرني مسرعاً قويٌ من المشرب

كذا النذل ينبوبه منادمة المنجب

قال: فرده إلى منادمته وأحسن جائزته وصلته.

شعره في غلام أبي أحمد بن الرشيد: أخبرني الكوكبي قال حدثني علي بن محمد بن نصر عن خالد بن حمدون: أن الحسين بن الضحاك أنشده وقد عاتبه خادم من خدام أبي أحمد بن الرشيد كان حسين يتعشقه ولامه في أن قال فيه شعراً وغنى فيه عمرو بن بانة، فقال حسين فيه: صوت

فديت من قال لي على خفره وغض جفناً له على حوره

سمع بي شعرك المليح فما ينفك شادٍ به على وتره

فقلت يا مستعير سالفة ال خشف وحسن الفتور من نظره

لا تتكرن الحنين من طربٍ عاود فيك الصبا على كبره

وغنى فيه عمرو بن بانة هزجاً مطلقاً.

كتب شعراً على قبر أبي نواس: أخبرني الكوكبي قال حدثني أبو سهل بن نوبخت عن عمرو بن بانة قال: لما مات أبو نواس كتب حسين بن الضحاك على قبره:

كابرنيك الزمان يا حسن فخاف سهمي وأفلح الزمن

ليتك إذ لم تكن بقيت لنا لم تبق روحٌ يحوطها بدن

هجا جراحاً مخنثاً اسمه نصير: أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبي قال: كان في جوار الحسين بن الضحاك طبيب يداوي الجراحات يقال له نصير، وكان مخنثاً، فإذا كانت وليمةٌ دخل مع المخنثين، وإذا لم تكن عالج الجراحات. فقال فيه الحسين بن الضحاك:

نصير ليس لمرد من شأنه نصير طبٌّ بالنكاريش

يقول للنكريش في خلوة مقال ذي لطف وتجميش

هل لك أن نلعب في فرشنا تقلب الطير المراعيش

يعني المبادلة. فكان نصيرٌ بعد ذلك يصيح به الصبيان: يا نصير نلعب تقلب الطير المراعيش فيشتمهم ويرميهم بالحجارة.

عبث ابن مناذر بشعر له فشتمه: حدثني جعفر قال حدثني علي بن يحيى عن حسين بن الضحاك قال: أنشدت ابن مناذر قصيدتي التي أقول فيها:

لفقدك ريحانة العسكر

وكانت من أول ما قلته من الشعر، فأخذ رداءه ورمى به إلى السقف وتلقاه برجله وجعل يردد هذا البيت. فقلنا لحسين: أتراه فعل ذلك استحساناً لما قلت؟ فقال لا، فقلنا، فإنما فعله طرّاً بك، فشتمه وشتمنا. وكنا بعد ذلك نسأله إعادة هذا البيت فيرمي بالحجارة ويجدد شتم ابن مناذر بأقبح ما يقدر عليه.

وقف ببابه سلولي وغنوي ينتظران محاربياً فقيل اجتمع اللؤم: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن المهرويه قال حدثني أحمد بن أبي كامل قال: مررت بباب حسين بن الضحاك، وإذا أبو يزيد السلولي وأبو حزرة الغنوي وهما ينتظران المحاربي وقد استؤذن لهم على ابن الضحاك، فقلت لهما: لم لا تدخلان؟ فقال أبو يزيد: ننتظر اللؤم أن يجتمع، فليس في الدنيا أعجب مما اجتمع منا، الغنوي والسلولي ينتظران المحاربي ليدخلوا على باهلي.

كتب أبياتاً عن الواثق يدعو الفتح بن خاقان للصبوح: أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر البوشنجي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني حسين بن الضحاك قال: كان الواثق يميل إلى الفتح بن خاقان ويأنس به وهو يومئذ غلام، وكان الفتح ذكياً جيد الطبع والفطنة. فقال له المعتصم يوماً وقد دخل على أبيه خاقان عرطوج: يا فتح أيما أحسن: داري أو دار أبيك؟ فقال له وهو غير متوقفٍ وهو صبي له سبع سنين أو نحوها: دار أبي إذا كنت فيها، فعجب منه وتبناه. وكان الواثق له بهذه المنزلة، وزاد المتوكل عليهما. فاعتل الفتح في أيام الواثق علةً صعبة ثم أفاق وعوفي، فعزم الواثق على الصبوح، فقال لي: يا حسين، اكتب بأبيات عني إلى الفتح تدعوه إلى الصبوح، فكتبت إليه:

لما اصطبحت وعين اللهو ترمقني ... قد لاح لي باكراً في ثوب بذلته

ناديت فتحاً وبشرت المدام به ... لما تخلص من مكروه علته

ذب الفتى عن حريم الراح مكرمةٌ ... إذا رآه امرؤ ضداً لنحلته

فاعجل إلينا وعجل بالسرور لنا ... وخالس الدهر في أوقات غفلته

فلما قرأها الفتح صار إليه فاصطبح معه.

شعره في غلام عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع: أخبرني عمي قال حدثني يعقوب بن نعيم وعبد الله بن أبي سعد قالا حدثنا محمد بن محمد الأنباري قال حدثني حسين بن الضحاك قال: كنت عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع وهو مصطبحٌ وخادم له يسقيه، فقال لي: يا أبا علي، قد استحسنت سقي هذا الخادم، فإن حضرك شيء في قصتنا هذه فقل، فقلت:

أحيت صبوحي فكاهة اللاهي ... وطاب يومي بقرب أشباهي

فاستتر اللهو من مكامنه ... من قبل يوم منغص ناهي

بابنة كرم من كف منتطقٍ مؤتزر بالمجون تياه

يسقيك من طرفه ومن يده سقي لطيفٍ مجرب داهي

كأساً فكأساً كأن شاربها حيران بين الذكور والساهي

قال: فاستحسنه عبد الله وغنى فيه لحناً مليحاً وشربنا عليه بقية يومنا.

وعده يسر بالسكر معه قبل رمضان ولم يف فقال فيه شعراً: أخبرني علي بن العباس قال حدثني سوادة بن الفيض عن أبيه قال: اتفق حسين بن الضحاك ويسرٌ مرةً عند بعض إخوانهما وشربا وذلك في العشر الأواخر من شعبان. فقال حسين ليسرٍ: يا سيدي، قد هجم الصوم علينا، فتفضل بمجلس نجتمع فيه قبل هجومه فوعده بذلك، فقال له: قد سكرت وأخشى أن يبدو لك، فحلف له يسرٌ أنه يفي. فلما كان من الغد كتب إليه حسين وسأله الوفاء، فجحد الوعد وأنكره. فكتب إليه يقول:

تجاسرت على الغدر كعاداتك في الهجر

فأخلفت وما استخلف ت من إخوانك الزهر

لئن خست لما ذل ك من فعلك بالنكر

وما أقنعني فعل ك يا مختلق العذر

بنفسي أنت إن سؤت فلا بد من الصبر

وإن جرعني الغيظ وإن خشن بالصدر

ولولا فرقي منك لسميتك في الشعر

وعنفتك لا آلو وإن جزت مدى العذر

أما تخرج من إخلا ف ميعادك في العشر

غداً يفطمنا الصوم عن الراح إلى الفطر

قال: فسألت الحسين بن الضحاك عما أثر له هذا الشعر وما كان الجواب، فقال: كان أحسن جوابٍ وأجمل فعل، كان اجتماعنا قبل الصوم في بستان لمولاه، وتممنا سرورنا وقضينا أوطارنا إلى الليل، وقلت في ذلك:

سقى الله بطن الدير من مستوى السفح إلى ملتقى النهرين فالأثل فالطلح

ملاعب قدن القلب قسراً إلى الهوى ويسرن ما أملت من درك النجح

أتنسى فلا أنسى عتابك بينها حبيبك حتى انقاد عفواً إلى الصلح

سمحت لمن أهوى بصفو مودتي ولكن من أهواه صيغ على الشح

شعره في يسر وفي أيام مضت له معه بالبصرة: قال علي بن العباس: وأنشدني سوادة بن الفيض عن أبيه لحسين بن الضحاك يصف أياماً مضت له بالبصرة ويومه بالقفص ومجيء يسرٍ إليه، وكان يسرٌ سأله أن يقول في ذلك شعراً:

تيسري للمام من أمم ولا تراعي حمامة الحرم

قد غاب لا آب من يراقبنا ونام لا قام سامر الخدم

فاستصحبي مسعدا يفاوضنا إذا خلونا في كل مكتتم

تبذلي بدلةً تقر بها ال عين ولا تحصري وتحتشمي

ليت نجوم السماء راكدةٌ على دجى ليلنا فلم ترم

ما لسروري بالشك ممتزجاً حتى كأني أراه في حلم

فرحت حتى استخفني فرحي وشبت عين اليقين بالتهم

أمسح عيني مستثبتاً نظري أخالني نائماً ولم أنم

سقياً لليلٍ أفنيت مدته ببارد الريق طيب النسم

أبيض مرتجةٍ روادفه ما عيب من قرنه إلى القدم

إذ قصبات العريش تجمعنا حتى تجلت أواخر الظلم

وليلةٍ بتها محسدةٍ محفوفةٍ بالظنون والتهم

أبث عبراته على غصصٍ يرد أنفاسه إلى الكظم

سقياً لقيطونها ومخدعها كم من لمام به ومن لمم

لا أكفر السليحين أزمنةً مطيعةً بالنعيم والنعم

وليلة القفص إذا سألت بها كانت شفاءً لعلة السقم

بات أنيسي صريع خمرته وتلك إحدى مصارع الكرم

وبت عن موعدٍ سبقت به ألثم دراً مفلجاً بفم

وابأبي من بدا بروعة لا وعاد من بعدها إلى نعم

أباحني نفسه ووسدني يمنى يديه وبات ملتزمي

حتى إذا اهتاجت النوافس في سحرة أحوى أحم كالحمم

وقلت هبا يا صاحبي ونب هت أباناً فهب كالزلم
فاستنها كالشهاب ضاحكةً عن بارقٍ في الإناء مبتسم
صفراء زيتيةً موشحةً بأرجوانٍ ملمع ضرم
أخذت ريحانةً أراح لها دب سروري بها دبيب دمي
فراجع العذر إن بدا لك في ال عذر وإن عدت لائماً فلم

حجب يسراً سيده فقال شعراً في ذلك: أخبرني علي بن العباس قال حدثني سوادة بن الفيض المخزومي قال حدثني المعتمر بن الوليد المخزومي قال: قال لي الحسين بن الضحاك وهو على شراب له: ويحكم أحدثكم عن يسرٍ بأعجوبة؟ قلنا: هات. قال: بلغ مولاه أنه جر له مع أخيه سببٌ، فحجبه كما تحجب النساء، وأمر بالحجر عليه، وأمره ألا يخرج عن داره إلا ومعه حافظٌ له موكل به. فقلت في ذلك:

ظن من لا كان ظنا بحبيبي فحماه
أرصد الباب رقيبي ن له فاكتفاه
فإذا ما اشتاق قربي ولقائي منعاه
جعل الله رقيبي ه من السوء فداه

والذي أقرح في الشا دن قلبي ولواه
كل مشتاق إليه فمن السوء فداه
سيما من حالت الأح راس من دون مناه

سأل أبا نواس أن يصلح بينه وبين يسر ففعل: أخبرني علي بن العباس قال حدثنا أحمد بن العباس الكاتب قال حدثنا عبد الله بن زكريا الضرير قال: قال أبو نواس: قال لي حسين بن الضحاك يوماً: يا أبا علي، أما ترى غضب يسرٍ علي! فقلت له: وما كان سبب ذلك؟ قال: حالٌ أردتها منه فمنعنيها فغضبت، فأسألك أن تصلح بيني وبينه. فقلت: وما تحب أن أبلغه عنك؟ قال: تقول له:

بحرمة السكر وما كانا عزمت أن تقتل إنساناً!
أخاف أن تهجرني صاحياً بعد سروري بك سكرانا
إن بقلبي روعةً كلما أضمر لي قلبك هجرانا
يا ليت ظني أبداً كاذبٌ فإنه يصدق أحيانا

قال: فقلت له: ويحك! أتجتنبه وتريد أن تترضاه وترسل إليه بمثل هذه الرسالة! فقال لي: أنا أعرف به، وهو كثير التبذل ، فأبلغه ما سألتك، فأبلغته فرضي عنه وأصلحت بينهما.

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى قال: جاءني يوماً حسين بن الضحاك، فقلت له: أي شيء كان خبرك أمس؟ فقال لي: اسمعه شعراً ولا أزيدك على ذلك وهو أحسن، فقلت: هات يا سيدي، فقال:

زائرةٌ زارت على غفلةٍ ... يا حبذا الزورة والزائره

فلم أزل أخدعها ليلتي ... خديعة الساحر للساحره

حتى إذا ما أذعنت بالرضا ... وأنعمت دارت بها الدائره

بت إلى الصبح بها ساهراً ... وباتت الجوزاء بي ساهره

أفعل ما شئت بها ليلتي ... وملء عيني نعمةٌ ظاهره

فلم ننم إلا على تسعة ... من غلمة بي وبها ثائره

سقياً لها لا لأخي شعرةٍ ... شعرته كالشعرة الوافره

وبين رجليه له حربةٌ ... مشهورةٌ في حقوه شاهره

وفي غدٍ يتبعها لحيةٌ ... تلحقه بالكرة الخاسره

قال فقلت له: زنيت يعلم الله إن كنت صادقاً. فقال: قل أنت ما شئت.

أغرى الواثق بالصبوح: حدثني الحسن بن علي قال حدثنا أبو العيناء قال: دخل حسين بن الضحاك على الواثق في خلافة المعتصم في يوم طيب، فحثه على الصبوح فلم ينشط له. فقال: اسمع ما قلت، قال: هات، فأنشده:

استتر اللهو من مكامنه ... من قبل يوم منغصٍ ناهي

بابنة كرم من كف منتطقٍ ... مؤتزرٍ بالمجون تياه

يسقيك من لحظه ومن يده ... سقى لطيفٍ مجرب داهي

كأساً فكأساً كأن شاربها ... حيران بين الذكور والساهي

قال: فنشط الواثق وقال: إن فرصة العيش لحقيقةٌ أن تنتهز، واصطبح ووصل الحسين.

شعره في جارية: حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو الشبل عاصم بن وهب البرجمي قال: حج الحسين بن الضحاك، فمر في منصرفه على موضع يعرف بالقريتين ، فإذا جارية تطلع في ثيابها وتنظر في حرها ثم تضربه بيدها وتقول: ما أضيعني وأضيعك! فأنشأ يقول:

مررت بالقريتين منصرفاً ... من حيث يقضي ذوو النهى النسكا

إذا فتاةٌ كأنها قمرٌ ... للتم لما توسط الفلكا

واضعةٌ كفها على حرها تقول يا ضيعتي وضيعتكا

قال: فلما سمعت قوله ضحكت وغطت وجهها وقالت: وافضيحتاه! أو قد سمعت ما قلت!.

شعره في شفيع خادم المتوكل: حدثني محمد الصولي قال حدثني ميمون بن هارون قال: كان الحسين بن الضحاك صديقاً لأبي، وكنت ألقاه معي كثيراً، وكانت نفسه قد تتبعت شفيعاً بعد انصرافه من مجلس المتوكل، فأنشدنا لنفسه فيه:

وأبيض في حمر الثياب كأنه إذا ما بدا نسرينةٌ في شقائق

سقاني بكفيه رحيقاً وسامني فسوقاً بعينيه ولست بفاسق

وأقسم لولا خشية الله وحده ومن لا أسمي كنت أول عاشق

وإني لمعذورٌ على وجناته وإن وسمتني شيبةٌ في المفارق

ولا عشق لي أو يحدث الدهر شرةً تعود بعادات الشباب المفارق

ولو كنت شكلاً للصبا لاتبعته ولكن سني بالصبا غير لائق

توفي ابنه محمد فطلب من المتوكل أن يجري أرزاقه على زوجته وأولاده: حدثني الصولي قال حدثنا ميمون بن هارون قال: كان للحسين بن الضحاك ابن يسمى محمداً، له أرزاق، فمات فقطعت أرزاقه. فقال يخاطب المتوكل ويسأله أن يجعل أرزاق ابنه المتوفى لزوجته وأولاده:

إني أتيتك شافعاً بولي عهد المسلمينا

وشبيهك المعتز أو جه شافع في العالمينا

يا بن الخلائق الأولي ن ويا أبا المتأخرينا

إن ابن عبدك مات وا لأيام تخترم القرينا

ومضى وخلف صبيةً بعراصه متلددينا

ومهيرةً عبرى خلا ف أقاربٍ مستعبرينا

أصبحن في ريب الحوا دث يحسنون بك الظنونا

قطع الولاة جرايةً كانوا بها مستمسكينا

فامنن برد جميع ما قطعوه غير مراقبينا

أعطاك أفضل ما تؤ مل أفضل المتفضلينا

قال: فأمر المتوكل له بما سأل. فقال يشكره:

يا خير مستخلفٍ من آل عباس اسلم وليس على الأيام من باس

أحييت من أملي نضواً تعاوره تعاقب اليأس حتى مات بالياس

هجا مغنية فهربت وانقطع خبرها: أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: كنا في مجلس ومعنا حسين بن الضحاك ونحن على نبيذ، فعبث بالمغنية وجمشها ، فصاحت عليه واستخفت به. فأنشأ يقول:

لها في وجهها عكن وثلثا وجهها ذقن

وأسنان كريش ال بط بين أصولها عفن

قال: فضحكنا، وبكت المغنية حتى قلت قد عميت، وما انتفعنا بها بقية يومنا. وشاع هذان البيتان فكسدت من أجلهما. وكانت إذا حضرت في موضع أنشدوا البيتين فتجن. ثم هربت من سر من رأى، فما عرفنا لها بعد ذلك خبراً.

قال جعفر وحدثنا أبو العيناء أنه حضر هذا المجلس، وحكى مثل ما حكاه محمد.

حديثه عن سنه: حدثني عمي قال حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال: سألت حسين بن الضحاك ونحن في مجلس المتوكل عن سنة، فاقل: لست أحفظ السنة التي ولدت فيها بعينها، ولكني أذكر وأنا بالبصرة موت شعبة بن الحجاج سنة ستين ومائة.

وشى به جماعة إلى المتوكل فاسترضاه بشعر فأجازه: حدثني الصولي قال حدثني علي بن محمد بن نصر قال حدثني خالي يعني أحمد بن حمدون قال: أمر المتوكل أن ينادمه حسين بن الضحاك ويلازمه، فلم يطق ذلك لكبر سنه. فقال للمتوكل بعض من حضر عنده: هو يطيق الذهاب إلى القرى والمواخير والسكر فيها ويعجز عن خدمتك! فبلغه ذلك، فدفع إلي أبياتاً قالها وسألني إيصالها، فأوصلتها إلى المتوكل، وهي:

أما في ثمانين وفيتها عذيرٌ وإن أنا لم أعتذر

فكيف وقد جزتها صاعداً مع الصاعدين بتسع أخر

وقد رفع الله أقلامه عن ابن ثمانين دون البشر

سوى من أصر على فتنةٍ وألحد في دينه أو كفر

وإني لمن أسراء الإل ه في الأرض نصب صروف القدر

فإن يقض لي عملاً صالحاً أثاب وإن يقض شراً غفر

فلا تلح في كبرٍ هدني فلا ذنب لي أن بلغت الكبر

هو الشيب حل بعقب الشباب فأعقبني خوراً من أشر
وقد بسط الله لي عذره فمن ذا يلوم إذا ما عذر
وإني لفي كنفٍ مغدقٍ وعزٍّ بنصر أبي المنتصر
يباري الرياح بفضل السما ح حتى تبلد أو تنحسر
له أكد الوحي ميراثه ومن ذا يخالف وحي السور
وما للحسود وأشياعه ومن كذب الحق إلا الحجر

قال ابن حمدون: فلما أوصلتها شيعتها بكلامي أعذره، وقلت: لو أطاق خدمة أمير المؤمنين لكان أسعد بها.

فقال المتوكل: صدقت، خذ له عشرين ألف درهم واحملها إليه، فأخذتها فحملتها إليه.

ضربه الخلفاء من الرشيد إلى الواثق:

حدثني عمي قال حدثني علي بن محمد بن نصر قال حدثني خالي عن حسين بن الضحاك قال: ضربني الرشيد في خلافته لصحبتي ولده، ثم ضربني الأمين لمايلة ابنه عبد الله، ثم ضربني المأمون لميلي إلى محمد ، ثم ضربني المعتصم لمودة كانت بيني وبين العباس بن المأمون، ثم ضربني الواثق لشيء بلغه من ذهابي إلى المتوكل، وكل ذلك يجري مجرى الولع بي والتحذير لي. ثم أحضرني المتوكل وأمر شفيعاً بالولع بي، فتغاضب المتوكل علي. فقلت له: يا أمير المؤمنين، إن كنت تريد أن تضربني كما ضربني آباؤك، فاعلم أن آخر ضرب ضربته بسببك. فضحك وقال: بل أحسن إليك يا حسين وأصونك وأكرمك.

وصف حاله في أواخر أيامه بشعر: حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن مروان الأبزاري قال: دخلت على حسين بن الضحاك، فقلت له: كيف أنت؟ جعلني الله فداءك! فبكى ثم أنشأ يقول:

أصبحت من أسراء الله محتبساً في الأرض نحو قضاء الله والقدر
إن الثمانين إذ وفيت عدتها لم تبق باقيةً مني ولم تذر

أخبار أبي زكار الأعمى

مغن بغدادي قديم انقطع لآل برمك: قال أبو الفرج: أبو زكار هذا رجل من أهل بغداد من قدماء المغنين، وكان منقطعاً إلى آل برمك، وكانوا يؤثرونه ويفضلون عليه إفضالاً.

قتل جعفر البرمكي وهو يغنيه: فحدثني محمد بن جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال: سمعت مسروراً يحدث أبي قال: لما أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى، دخلت عليه وعنده أبو زكار الأعمى وهو يغنيه بصوت لم أسمع بمثله:

فلا تبعد فكل فتًى سيأتي عليه الموت يطرق أو يغادي
وكل ذخيرةٍ لا بد يوماً وإن بقيت تصير إلى نفاد
ولو يفدى من الحدثان شيءٌ فديتك بالطريف وبالتلاد

طلب أن يقتل مع جعفر فأمر الرشيد بالإحسان إليه: فقلت له: في هذا والله أتيتك! فأخذت بيده فأقمته وأمرت بضرب عنقه. فقال لي أبو زكار: نشدتك الله إلا ألحقتني به. فقلت: وما رغبتك في ذلك؟ قال: إنه أغناني عمن سواه بإحسانه، فما أحب أن أبقى بعده. فقلت: أستأمر أمير المؤمنين في ذلك. فلما أتيت الرشيد برأس جعفر أخبرته بقصة أبي زكار، فقال لي: هذا رجل فيه مصطنعٌ، فاضممه إليك وانظر ما كان يجريه عليه فأتمه له.

قال إسحاق الموصلي عن صوت له: هو معرق في العمى: حدثني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق قال: غنى علويه يوماً بحضرة أبي، فقال أبي: مه! هذا الصوت معرقٌ في العمى. الشعر لبشار الأعمى، والغناء لأبي زكار الأعمى، وأول الصوت عميت أمري.

صوت من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

ما جرت خطرةٌ على القلب مني فيك إلا استترت عن أصحابي
من دموع تجري، فإن كنت وحدي خالياً أسعدت دموعي انتحابي
إن حبي إياك قد سل جسمي ورماني بالشيب قبل الشباب
لو منحت اللقا شفى بك صبًّا هائم القلب قد ثوى في التراب

الشعر في الأبيات للسيد الحميري. والغناء لمحمد نعجة الكوفي، مغن غير مشهور ولا ممن خدم الخلفاء وليس له خبر. ولحنه المختار ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر. وذكر حبش أن لمحمد نعجة فيه أيضاً خفيف رمل بالبنصر.

أخبار السيد الحميري

نسبه: السيد لقبه. واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري. ويكنى أبا هاشم. وأمه امرأة من الأزد ثم من بني الحدان. وجده يزيد بن ربيعة، شاعر مشهور، وهو الذي هجا زياداً وبنيه ونفاهم عن آل حرب، وحبسه عبيد الله بن زياد لذلك وعذبه، ثم أطلقه معاوية. وخبره في هذا طويل يذكر في موضعه مع سائر أخباره، إذ كان الغرض ها هنا ذكر أخبار السيد.

ووجدت في بعض الكتب عن إسحاق بن محمد النخعي قال: سمعت ابن عائشة والقحذمي يقولان: هو يزيد بن مفرغ، ومن قال: إنه يزيد بن معاوية فقد أخطأ. ومفرغ لقب ربيعة، لأنه راهن أن يشرب عساً من لبن فشربه حتى فرغه، فلقب مفرغاً. وكان شعاباً بسيالة، ثم صار إلى البصرة.

شاعر متقدم مطبوع، وترك شعره لذمة الصحابة:

وكان شاعراً متقدماً مطبوعاً. يقال: أن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة: بشار، وأبو العتاهية، والسيد، فإنه لا يعلم أن أحد قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع.

وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله عليه وسلم وأزواجه في شعر ويستعمله من قذفهم والطعن عليهم، فتحومي شعره من هذا الجنس وغيره لذلك، وهجر الناس تخوفاً وترقباً وله طراز من الشعر ومذهب قلما يلحق فيه أو يقاربه. ولا يعرف له من الشعر كثيرٌ. وليس يخلو من مدح بني هاشم أو ذم غيرهم ممن هو عنده ضدٌ لهم. ولولا أن أخباره كلها تجري هذا المجرى ولا تخرج عنه لوجب ألا نذكر منها شيئاً؛ ولكنا شرطنا أن نأتي بأخبار من نذكره من الشعراء؛ فلم نجد بداً من ذكر أسلم ما وجدناه له وأخلاها من سيئ اختاره على قلة ذلك.

كان أبوه إباضيين ولما تشيع هما بقتله: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمَّار قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن إسماعيل بن الساحر راوية السيد، قال ابن عمار وحدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه: أن أبوى السيد كانا إباضيين ، وكان مترلهما بالبصرة في غرفة بني ضبة، وكان السيد يقول: طالما سب أمير المؤمنين في هذه الغرفة. فإذا سئل عن التشيع من أين وقع له، قال: غاصت علي الرحمة غوصاً.

وروي عن السيد أن أبويه لما علما بمذهبه هما بقتله، فأتى عقبة بن سلم الهنائي فأخبره بذلك، فأجاره وبوأه مترلاً وهبه له، فكان فيه حتى ماتا فورثهما.

قال راويته: إنه على مذهب الكيسانية: وقد أخبرني الحسن بن علي البري عن محمد بن عامر عن القاسم بن الربيع عن أبي داود سليمان بن سفيان المعروف بالحترق راوية السيد الحميري قال: ما مضى والله على مذهب الكيسانية . وهذه القصائد التي يقولها الناس مثل:

تجعفرت باسم الله والله أكبر

و

تجعفرت باسم الله فيمن تجعفرا

وقوله:

أيا راكباً نحو المدينة جسرةً عذافرةً تهوي بها كل سبسب

إذا ما هداك الله لاقيت جعفراً فقل يا أمين الله وابن المهذب

لغلام للسيد يقال له قاسم الخياط، قالها ونحلها للسيد، وجازت على كثير من الناس ممن لم يعرف خبرها، بمحل قاسم منه وخدمته إياه.

أوصافه الجسمية ومواهبه: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبو جعفر الأعرج ابن بنت الفضيل بن بشار قال: كان السيد أسمر، تام القامة، أشنب ، ذا وفرةٍ ، حسن الألفاظ،

جميل الخطاب، إذا تحدث في مجلس قومٍ أعطى كل رجل في المجلس نصيبه من حديثه.

حديث الفرزدق عنه وعن عمران بن حطان: أخبرني أحمد قال حدثني محمد بن عباد عن أبي عمرو الشيباني عن لبطة بن الفرزدق قال: تذاكرنا الشعراء عند أبي، فقال: إن ها هنا لرجلين لو أخذا في معنى الناس لما كنا معهما في شيء. فسألناه من هما؟ فقال: السيد الحميري وعمران بن حطان السدوسي ، ولكن الله عز وجل قد شغل كل واحد منهما بالقول في مذهبه.

كان نتن الإبطين: أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبو جعفر ابن بنت الفضيل بن بشار قال: كان السيد أسمر، تام الخلقة، أشنب، ذا وفرة، حسن الألفاظ، وكان مع ذلك أنتن الناس إبطين، لا يقدر أحدٌ على الجلوس معه لنتن رائحتهما.

مدح الأصمعي شعره وذم مذهبه: قال حدثني التوزي قال: رأى الأصمعي جزءاً فيه من شعر السيد، فقال: لمن هذا؟ فسترته عنه لعلمي بما عنده فيه، فأقسم علي أن أخبره فأخبرته، فقال: أنشدني قصيدةً منه، فأنشدته ثم أخرى وهو يستزيدني، ثم قال: قبحه الله ما أسلكه لطريق الفحول! لولا مذهبه ولولا ما في شعره ما قدمت عليه أحداً من طبقته.

مدح أبو عبيده شعره: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال: سمعت أبا عبيدة يقول: أشعر المحدثين السيد الحميري وبشار.

قال راويته: إنه على مذهب محمد بن الحنفية: أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي عن أبي شراعة القيسي عن مسعود بن بشر.

أن جماعةً تذاكروا أمر السيد، وأنه رجع عن مذهبه في ابن الحنفيه وقال بإمامة جعفر بن محمد. فقال ابن الساحر راويته: والله ما رجع عن ذلك ولا القصائد الجعفريات إلا منحولةٌ له قيلت بعده. وآخر عهدي به قبل موته بثلاث وقد سمع رجلاً يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي عليه السلام: إنه سيولد لك بعدي ولدٌ وقد نحلته اسمي وكنيتي فقال في ذلك وهي آخر قصيدة قالها:

أشاقتك المنازل بعد هند	وتربيها وذات الدل دعد
منازل أقفرت منهن محت	معالمهن من سبلٍ ورعد
وريحٍ حرجفٍ تستن فيها	بسافي الترب تلحم ما تسدي
ألم يبلغك والأنباء تنمي	مقال محمدٍ فيما يؤدي
إلى ذي علمه الهادي على	وخولة خادمٌ في البيت تردي
ألم تر أن خولة سوف تأتي	بواري الزند صافي الخيم نجد

يفوز بكنيتي واسمي لأني ... نحلتهماه والمهدي بعدي
يغيب عنهم حتى يقولوا ... تضمنه بطيبة بطن لحد
سنين وأشهراً ويرى برضوى ... بشعب بين أنمار وأسد
مقيم بين آرامٍ وعينٍ ... وحفانٍ تروح خلال ربد
تراعيها السباع وليس منها ... ملاقيهن مفترساً بحد
أمن به الردى فرتعن طوراً ... بلا خوف لدى مرعًى وورد
حلفت برب مكة والمصلى ... وبيتٍ طاهر الأركان فرد
يطوف به الحجيج وكل عامٍ ... يحل لديه وفدٌ بعد وفد
لقد كان ابن خولة غير شك ... صفاء ولايتي وخلوص ودي
فما أحدٌ أحب إلي فيما ... أسر وما أبوح به وأبدي
سوى ذي الوحي أحمد أو علي ... ولا أزكى وأطيب منه عندي
ومن ذا يا بن خولة إذ رمتني ... بأسهمها المنية حين وعدي
يذبب عنكم ويسد مما ... تثلم من حصونكم كسدي
وما لي أن أمر به ولكن ... أؤمل أن يؤخر يوم فقدي
فأدرك دولةً لك لست فيها ... بجبار فتوصف بالتعدي
على قوم بغوا فيكم علينا ... لتعدي منكم يا خير معد
لتعل بنا عليهم حيث كانوا ... بغورٍ من تهامة أو بنجد
إذا ما سرت من بلد حرامٍ ... إلى من بالمدينة من معد
وماذا غرهم والخير منهم ... بأشوس أعصل الأنياب ورد
وأنت لمن بغى وعداً وأذكى ... عليك الحرب واسترداك مرد

في البيتين الأولين من هذه القصيدة غناء، نسبته: صوت

أشاقتك المنازل بعد هند ... وتربيها وذات الدل دعد
منازل أقفرت منهن محت ... معالمهن من سبلٍ ورعد

عروضه من الوافر. الشعر للسيد الحميري. والغناء لمعبد ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن يحيى المكي. وذكر الهشامي أنه لكردم. وذكر عمرو بن بانة أن اللحن لمالك ثقيلٌ أول بالوسطى.

ذكر إسماعيل بن الساحر مذهبه وكان راويته: وقال إسماعيل بن الساحر راوية السيد: كنت عنده يوماً في جناح له، فأجال بصره فيه ثم قال: يا إسماعيل، طال والله ما شتم أمير المؤمنين عليٌّ في هذا الجناح. قلت: ومن كان يفعل؟ قال: أبواي. وكان يذهب مذهب الكيسانية ويقول بإمامة محمد بن الحنفية، وله في ذلك شعر كثير. وقد روى بعض من لم تصح روايته أنه رجع عن مذهبه وقال بمذهبه الإمامية ، وله في ذلك:

تجعفرت باسم الله والله أكبر وأيقنت أن الله يعفو ويغفر

وما وجدنا ذلك في رواية محصل، ولا شعره أيضاً من هذا الجنس ولا في هذا المذهب، لأن هذا شعر ضعيفٌ يتبين التوليد فيه، وشعره في قصائده الكيسانية مباينٌ لهذا جزالةً ومتانةً، وله رونق ومعنى ليسا لما يذكر عنه في غيره.

مدح الأصمعي شعره وذم مذهبه:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد الثمالي قال حدثني التوزي قال قال لي الأصمعي: أحب أن تأتيني بشيء من شعر هذا الحميري فعل الله به وفعل، فأتيته بشيء منه، فقرأه فقال: قاتله الله! ما أطبعه وأسلكه لسبيل الشعراء! والله لولا ما في شعره من سب السلف لما تقدمه من طبقته أحد.

مدح أبو عبيدة شعره وكان يرويه: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال: أتيت أبا عبيدة معمر بن المثنى يوماً وعنده رجلٌ من بني هاشم يقرأ عليه كتاباً، فلما رآني أطبقه. فقال له أبو عبيدة: إن أبا زيد ليس ممن يحتشم منه، فأقرأ. فأخذ الكتاب وجعل يقرؤه، فإذا هو شعر السيد. فجعل أبو عبيدة يعجب منه ويستحسنه. قال أبو زيد: وكان أبو عبيدة يرويه. قال: وسمعت محمد بن أبي بكر المقدمي يقول: سمعت جعفر بن سليمان الضبعي ينشد شعر السيد.

أخبرني ابن دريد قال: سئل أبو عبيدة من أشعر المولدين؟ قال: السيد وبشار.

كثرة شعره وعدم الإحاطة به: وقال الموصلي حدثني عمي قال: جمعت للسيد في بني هاشم ألفين وثلثمائة قصيدة، فخلت أن قد استوعبت شعره، حتى جلس إلي يوماً رجلٌ ذو أطمارٍ رثةٍ، فسمعني أنشد شيئاً من شعره، فأنشدني له ثلاث قصائد لم تكن عندي. فقلت في نفسي: لو كان هذا يعلم ما عندي كله ثم أنشدني بعده ما ليس عندي لكان عجيباً، فكيف وهو لا يعلم وإنما أنشد ما حضره! وعرفت حينئذ أن شعره ليس مما يدرك ولا يمكن جمعه كله.

رأي بشار فيه: أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن ابن عائشة قال: وقف السيد على بشار وهو ينشد الشعر، فأقبل عليه وقال:

أيها المادح العباد ليعطى إن لله ما بأيدي العباد

فاسأل الله ما طلبت إليهم وارج نفع المنزل العواد

لا تقل في الجواد ما ليس فيه وتسمي البخيل باسم الجواد

قال بشار: من هذا؟ فعرفه، فقال: لولا أن هذا الرجل قد شغل عنا بمدح بني هاشم لشغلنا، ولو شاركنا في مذهبنا لأتعبنا. وروي في هذا الخبر أن عمران بن حطان الشاري خاطب الفرزدق بهذه المخاطبة وأجابه بهذا الجواب.

إذا قال في شعره دع ذا أتى بعده سب السلف: أخبرني علي بن سليمان الأخفش عن سعيد بن المسيب عن أبي سعيد السكري عن الطوسي قال: إذا رأيت في شعر السيد دع ذا فدعه، فإنه لا يأتي بعده إلا سب السلف أو بليةٌ م بلاياه.

قال له ابن سيرين في رؤيا قصها عليه: تكون شاعراً: وروى الحسن بن علي بن المعتز الكوفي عن أبيه عن السيد قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وكأنه في حديقةٍ سبخةٍ فيها نخل طوالٌ وإلى جانبها أرض كأنها الكافور ليس فيها شيء، فقال: أتدري لمن هذا النخل؟ قلت: لا يا رسول الله، قال: لامرىء القيس بن حجر، فاقلعها واغرسها في هذه الأرض ففعلت. وأتيت ابن سيرين فقصصت رؤياي عليه، فقال: أتقول الشعر؟ قلت: لا، قال: أما إنك ستقول شعراً مثل شعر امرىء القيس إلا أنك تقوله في قوم بررة أطهار. قال: فما انصرفت إلا وأنا أقول الشعر.

أنشد غانم الوراق من شعره لجماعة فمدحوه: قال الحسن وحدثني غانم الوراق قال: خرجت إلى بادية البصرة فصرت إلى عمرو بن تميم، فأثبتني بعضهم فقال: هذا الشيخ والله راوية. فجلسوا إلي وأنسوا بي، وأنشدتهم، وبدأت بشعر ذي الرمة فعرفوه، وبشعر جرير والفرزدق فعرفوهما، ثم أنشدتهم للسيد:

أتعرف رسماً بالسويين قد دثر عفته أهاضيب السحائب والمطر

وجرت به الأذيال ريحان خلفةً صباً ودبورٌ بالعشيات والبكر

منازل قد كانت تكون بجوها هضيم الحشا ريا الشوى سحرها النظر

قطوف الخطا خمصانةٌ بختريةٌ كأن محياها سنا دارة القمر

رمتني ببعد بعد قرب بها النوى فبانت ولما أقض من عبدة الوطر

ولما رأتني خشية البين موجعاً أكفكف مني أدمعا فيضها درر

أشارت بأطرافٍ إلي ودمعها كنظم جمانٍ خانه السلك فانتثر

وقد كنت مما أحدث البين حاذراً فلم يغن عني منه خوفي والحذر

قال: فجعلوا يمرقون لإنشادي ويطربون، وقالوا: لمن هذا؟ فأعلمتهم، فقالوا: هو والله أحد المطبوعين، لا والله ما

بقي في هذا الزمان مثله.

له من الشعر ما يجوز أن يقرأ على المنابر: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار قال: سمعت عمي يقول: لو أن قصيدة السيد التي يقول فيها:

إن يوم التطهير يومٌ عظيم خص بالفضل فيه أهل الكساء

قرئت على منبر ما كان فيها بأسٌ، ولو أن شعره كله كان مثله لرويناه وما عيبناه.

وأخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا العباس بن ميمون طائع قال حدثنا نافع عن التوزي بهذه الحكاية بعينها فإنه قالها في:

إن يوم التطهير يوم عظيم

قال: و لم يكن التوزي متشيعاً.

سمع أعرابي شعره ففضله على جرير: قال علي بن المغيرة حدثني الحسين بن ثابت قال: قدم علينا رجل بدويٌ وكان أروى الناس لجرير، فكان ينشدني الشيء من شعره، فأنشد في معناه للسيد حتى أكثرت. فقال لي: ويحك! من هذا؟ هو والله أشعر من صاحبنا.

مدح السفاح فأمر له بما أراد: أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي عن ابن عائشة قال: لما استقام الأمر لبني العباس قام السيد إلى أبي العباس السفاح حين نزل عن المنبر فقال:

دونكموها يا بني هاشمٍ فجددوا من عهدها الدارسا

دونكموها لا علا كعب من كان عليكم ملكها نافسا

دونكموها فالبسوا تاجها لا تعدموا منكم له لابسا

لو خير المنبر فرسانه ما اختار إلا منكم فارسا

قد ساسها قبلكم ساسةٌ لم يتركوا رطباً ولا يابسا

ولست من أن تملكوها إلى مهبط عيسى فيكم آيسا

فسر أبو العباس بذلك، وقال له: أحسنت يا إسماعيل! سلني حاجتك، قال: تولي سليمان بن حبيب الأهواز، ففعل.

أنشد لجعفر بن محمد شعراً فبكى: وذكر التميمي - وهو علي بن إسماعيل - عن أبيه قال: كنت عند أبي عبد الله بن جعفر بن محمد إذ استأذن آذنه للسيد، فأمره بإيصاله، وأقعد حرمه خلف سترٍ. ودخل فسلم وجلس. فاستنشده فأنشده قوله:

امرر على جدث الحسي ن فقل لأعظمه الزكيه

آأعظماً لا زلت من وطفاء ساكبةٍ رويه
وإذا مررت بقبره فأطل به وقف المطيه
وابك المطهر للم طهر والمطهرة النقيه
كبكاء معلولةٍ أتت يوماً لواحدها المنيه

قال: فرأيت دموع جعفر بن محمد تتحدر على خديه، وارتفع الصراخ والبكاء من داره، حتى أمره بالإمساك فأمسك. قال: فحدثت أبي بذلك لما انصرفت، فقال لي: ويلي على الكيساني الفاعل ابن الفاعل! يقول:

فإذا مررت بقبره فأطل به وقف المطيه

فقلت: يا أبت، وماذا يصنع؟ قال: أو لا ينحر! أو لا يقتل نفسه! فثكلته أمه!.

يحاكم إليه رجلان من بني دارم في أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم: حدثني أبو جعفر الأعرج وهو - ابن بنت الفضيل بن بشار - عن إسماعيل بن الساحر راوية السيد وهو الذي يقول فيه السيد في بعض قصائده:

وإسماعيل يبرز من فلانٍ ويزعم أنه للنار صالي

قال: تلاحى رجلان من بني عبد الله بن دارم في لمفاضلة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله، فرضيا بحكم أول من يطلع. فطلع السيد، فقاما إليه وهما لا يعرفانه، فقال له مفضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه منهما: إني وهذا اختلفنا في خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: علي بن أبي طالب. فقطع السيد كلامه ثم قال: وأي شيء قال هذا الآخر ابن الزانية! فضحك من حضر ووجم الرجل و لم يحر جواباً.

جعفر بن محمد وشعر السيد: وقال التميمي وحدثني أبي قال قال لي فضيل الرسان : أنشد جعفر بن محمد قصيدة السيد:

لأم عمرو باللوى مربع دارسةٌ أعلامه بلقع

فسمعت النحيب من داره. فسألني لمن هي، فأخبرته أنها للسيد، وسألني عنه فعرفته وفاته، فقال: رحمه الله. قلت: إني رأيته يشرب النبيذ في الرستاق ، قال: قال: أتعني الخمر؟ قلت نعم. قال: وما خطر ذنبٍ عند الله أن يغفره لمحب علي!.

كان يقول بالرجعة:

وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال: جاء رجلٌ إلى السيد فقال: بلغني أنك تقول بالرجعة ، فقال: صدق الذي أخبرك، وهذا ديني، قال: أفتعطيني ديناراً بمائة دينار إلى الرجعة؟ قال السيد: نعم وأكثر من ذلك إن وثقت لي بأنك ترجع إنساناً. قال: وأي شيء أرجع! قال: أخشى أن ترجع كلباً أو خنزيراً فيذهب مالي، فأفحمه.

جعفر بن عفان الطائي وعمر بن حفص: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال جعفر بن

عفان الطائي الشاعر: أهدى إلي سليمان بن علي مهراً أعجبني وعزمت تربيته. فلما مضت علي أشهرٌ عزمت على الحج، ففكرت في صديق لي أودعه المهر ليقوم عليه، فأجمع رأيي على رجل من أهلي يقال له عمر بن حفص، فصرت إليه فسألته أن يأمر سائسه بالقيام عليه وخبرته بمكانه من قلبي، ودعا بسائسه فتقدم إليه في ذلك، ووهبت للسائس دراهم وأوصيته به، ومضيت إلى الحج. ثم انصرفت وقلبي متعلق، فبدأت بمنزل عمر بن حفص قبل منزلي لأعرف حال المهر، فإذا هو قد ركب حتى دبر ظهره وعجف من قلة القيام عليه. فقلت له: يا أبا حفص، أهكذا أوصيتك من هذا المهر! فقال: وما ذنبي! لم ينجع فيه العلف. فانصرفت به وقلت:

من عاذري من أبي حفص وثقت به ... وكان عندي له في نفسه خطر
فلم يكن عند ظني في أمانته ... والظن يخلف والإنسان يختبر
أضاع مهري ولم يحسن ولايته ... حتى تبين فيه الجهد والضرر
عاتبته فيه في رفق فقلت له ... يا صاح هل لك من عذر فتعتذر
فقال داءٌ به قدماً أضر به ... وداؤه الجوع والإتعاب والسفر
قد كان لي في اسمه عنه وكنيته ... لو كنت معتبراً ناهٍ ومعتبر
فكيف ينصحني أو كيف يحفظني ... يوماً إذا غبت عنه واسمه عمر
لو كان لي ولدٌ شتى لهم عددٌ ... فيهم سميوه إن قلوا وإن كثروا
لم ينصحوا لي ولم يبقوا علي ولو ... ساوى عديدهم الحصباء والشجر

أرسل إلى المهدي يهجو بني عدي وبني تيم ويطلب إليه أن يقطع عطاءهم: قال وحدثني أبو سليمان الناجي قال: جلس المهدي يوماً يعطي قريشاً صلاتٍ لهم وهو ولي عهدٍ، فبدأ ببني هاشم ثم بسائر قريش. فجاء السيد فرفع إلى الربيع رقعةً مختومة وقال: إن فيها نصيحة للأمير فأوصلها إليه، فأوصلها، فإذا فيها:

قل لابن عباسٍ سمي محمدٍ ... لا تعطين بني عدي درهما
احرم بني تيم بن مرة إنهم ... شر البرية آخراً ومقدما
إن تعطهم لا يشكروا لك نعمةً ... ويكافئوك بأن تذم وتشتما
وإن ائتمنتهم أو استعملتهم ... خانوك واتخذوا خراجك مغنما
ولئن منعتهم لقد بدءوكم ... بالمنع إذ ملكوا وكانوا أظلما
منعوا تراث محمدٍ أعمامه ... وابنية وابنته عديلة مريما
وتأمروا من غير أن يستخلفوا ... وكفى بما فعلوا هنالك مأثما

لم يشكروا لمحمد إنعامه أفيشكرون لغيره إن أنعما
والله من عليهم بمحمد وهداهم وكسا الجنوب وأطعما
ثم انبروا لوصيه ووليه بالمنكرات فجرعوه العلقما

وهي قصيدةٌ طويلة حذف باقيها لقبح ما فيه. قال: فرمى بها إلى أبي عبيد الله ثم قال: اقطع العطاء فقطعه، وانصرف الناس، ودخل السيد إليه، فلما رآه ضحك وقال: قد قبلنا نصيحتك يا إسماعيل، و لم يعطهم شيئاً.

أخبرني به عمي عن محمد بن داود بن الجراح عن إسحاق النخعي عن أبي سليمان الرياحي مثله.

ناظره شيطان الطاق في الإمامة فقال شعراً: أخبرني الحسن بن محمد بن الجمهور القمي قال حدثني أبي قال حدثني أبو داود المسترق راوية السيد: أنه حضر يوماً وقد ناظره محمد بن علي بن النعمان المعروف بشيطان الطاق في الإمامة، فغلبه محمد في دفع ابن الحنفية عن الإمامة، فقال السيد:

ألا يأيها الجدل المعني لنا ما نحن ويحك والعناء!
أتبصر ما تقول وأنت كهلٌ تراك عليك من ورع رداء
ألا إن الأئمة من قريشٍ ولاة الحق أربعةٌ سواء

عليٌّ والثلاثة من بنيه هم أسباطه والأوصياء
فأنى في وصيته إليهم يكون الشك منا والمراء
بهم أوصاهم ودعا إليه جميع الخلق لو سمع الدعاء
فسبطٌ سبط إيمانٍ وحلمٍ وسبطٌ غيبته كربلاء
سقى جدثاً تضمنه ملثٌّ هتوف الرعد مرتجزٌ رواء
تظل مظلةً منها عزالٍ عليه وتغتدي أخرى ملاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
من البيت المحجب في سراةٍ شراةٍ لف بينهم الإخاء
عصائب ليس دون أغر أجلى بمكة قائمٍ لهم انتهاء

رآه العبدي في النوم ينشد النبي صلى الله عليه وسلم شعراً: وهذه الأبيات بعينها تروى لكثير ذكر ذلك ابن أبي سعد فقال وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا علي بن محمد النوفلي قال حدثني إبراهيم بن هاشم العبدي البصري قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وبين يديه السيد الشاعر وهو ينشد:

أجد بآل فاطمة البكور فدمع العين منهمرٌ غزير

حتى أنشده إياها على آخره وهو يسمع. قال: فحدثت هذا الحديث رجلاً جمعتني وإياه طوس عند قبر علي بن موسى الرضا، فقال لي: والله لقد كنت على خلافٍ فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وبين يديه رجل ينشد:

أجد بآل فاطمة البكور

إلى آخرها، فاستيقظت من نومي وقد رسخ في قلبي من حب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما كنت أعتقده.

أخبرني وكيع قال حدثني إسحاق بن محمد قال حدثنا أبو سليمان الناجي ومحمد بن حليم الأعرج قالا: كان السيد إذا استنشد شيئاً من شعره لم يبدأ بشيء إلا بقوله:

أجد بآل فاطمة البكور فدمع العين مثهمر غزير

مدح العتبي شعره وألفاظه في قصيدته اللامية: قال إسحاق: وسمعت العتبي يقول: ليس في عصرنا هذا أحسن مذهباً في شعره ولا أنقى ألفاظاً من السيد، ثم قال لبعض من حضر: أنشدنا قصيدته اللامية التي أنشدتناها اليوم، فأنشده قوله:

هل عند من أحببت تنويل أم لا فإن اللوم تضليل

أم في الحشى منك جوى باطنٌ ليس تداويه الأباطيل

علقت يا مغرور خداعةً بالوعد منها لك تخييل

ريا رداح النوم خمصانة كأنها أدماء عطبول

يشفيك منها حين تخلو بها ضمٌّ إلى النحر وتقبيل

وذوق ريقٍ طيبٍ طعمه كأنه بالمسك معلول

في نسوةٍ مثل المها خردٍ تضيق عنهن الخلاخيل

يقول فيها:

أقسم بالله وآلائه والمرء عما قال مسؤول

إن علي بن أبي طالب على التقى والبر مجبول

فقال العتبي: أحسن والله ما شاء، هذا والله الشعر الذي يهجم على القلب بلا حجاب.

في البيتين الأولين من هذه القصيدة لمخارق رملٌ بالبنصر عن الهشامي، وذكر حبش أنه للغريض. وفيه لحنٌ لسليمان من كتب بذل غير مجنس.

كان لا يأتي في شعره بالغريب: أخبرني عمي قال حدثني محمد بن داود بن الجراح قال حدثني إسحاق بن محمد

النخعي عن عبد الحميد بن عقبة عن إسحاق بن ثابت العطار قال: كنا كثيراً ما نقول للسيد: ما لك لا تستعمل في شعرك من الغريب ما تسأله عنه كما يفعل الشعراء؟ قال: لأن أقول شعراً قريباً من القلوب يلذه من سمعه خيرٌ من أن أقول شيئاً متعقداً تضل فيه الأوهام.

سب محارب بن دثار وترحم على أبي الأسود: أخبرني أحمد بن عمار قال أخبرنا يعقوب بن نعيم قال حدثني إبراهيم بن عبد الله الطلحي راوية الشعراء بالكوفة قال حدثنا أبو مسعود عمرو بن عيسى الرباح ومحمد بن سلمة، يزيد بعضهم على بعض: إن السيد لما قدم الكوفة أتاه محمد بن سهل راوية الكميت، فأقبل عليه السيد فقال: من الذي يقول:

يعيب علي أقوامٌ سفاهاً ... بأن أرجي أبا حسن عليا

وإرجائي أبا حسن صوابٌ ... عن العمرين برًّا أو شقيا

فإن قدمت قوماً قال قومٌ ... أسأت وكنت كذاباً رديا

إذا أيقنت أن الله ربي ... وأرسل أحمداً حقًّا نبياً

وأن الرسل قد بعثوا بحق ... وأن الله كان لهم وليا

فليس علي في الإرجاء بأسٌ ... ولا لبسٌ ولست أخاف شيا؟

فقال محمد بن سهل: هذا يقوله محارب بن دثار الذهلي: فقال السيد: لا كان الله وليا للعاض بظر أمه! من ينشدنا قصيدة أبي الأسود:

أحب محمداً حبًّا شديداً ... وعباساً وحمزة والوصيا

فأنشده القصيدة بعض من كان حاضراً، فطفق يسب محارب بن دثار ويترحم على أبي الأسود. فبلغ الخبر منصوراً النمري فقال: ما كان على أبي هاشم لو هجاه بقصيدة يعارض بها أبياته، ثم قال:

يود محاربٌ لو قد رآها ... وأبصرهم حواليها جثيا

وأن لسانه من ناب أفعى ... وما أرجا أبا حسن عليا

وأن عجوزه مصعت بكلبٍ ... وكان دماء ساقيها جريا

متى ترجىء أبا حسن عليًّا ... فقد أرجيت يا لكعٌ نبيا

كان جعفر بن سليمان كثيراً ما ينشد شعره: أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم البزي قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال حدثني إبراهيم بن الحسن الباهلي قال: دخلت على جعفر بن سليمان

الضبعي ومعي أحاديث لأسأله عنها وعنده قومٌ لم أعرفهم، وكان كثيراً ما ينشد شعر السيد، فمن أنكره عليه لم يحدثه، فسمعته ينشدهم:

ما تعدل الدنيا جميعاً كلها ... من حوض أحمد شربةً من ماء

ثم جاءه خبر فقام. فقلت للذين كانوا عنده: من يقول هذا الشعر؟ قالوا: السيد الحميري.

مرت به امرأة من آل الزبير فقال شعراً: حدثني عمي والكراني قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن عبد الله بن الحسين عن أبي عمرو الشيباني عن الحارث بن صفوان، وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه: أن السيد كان بالأهواز، فمرت به امرأة من آل الزبير تزف إلى إسماعيل بن عبد الله بن العباس، وسمع الجلبة فسأل عنها فأخبر بها، فقال:

أتتنا تزف على بغلة ... وفوق رحالتها قبه

زبيريةٌ من بنات الذي ... أحل الحرام من الكعبه

تزف إلى ملك ماجد ... فلا اجتمعا وبها الوجبة

روى هذا الخبر إسماعيل بن الساحر فقال فيه: فدخلت في طريقها إلى خربةٍ للخلاء، فنهشتها أفعى فماتت، فكان السيد يقول: لحقتها دعوتي.

خرج الناس للاستسقاء فجعل يدعو عليهم: حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل عن أبي طالب الجعفري وهو محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن جعفر قال أخبرني أبي قال: خرج أهل البصرة يستسقون وخرج فيهم السيد وعليه ثياب خز وجبةٌ ومطرفٌ وعمامة، فجعل يجر مطرفه ويقول:

اهبط إلى الأرض فخذ جلمداً ... ثم ارمهم يا مزن بالجلمد

لا تسقهم من سبلٍ قطرةً ... فإنهم حرب بني أحمد

رأى لوحاً في يد رجل فكتب فيه شعراً يعرض برواة الحديث من أهل السنة: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن إسحاق البغوي قال حدثنا الحرمازي قال حدثني رجل قال: كنت أختلف إلى ابني قيس، وكانا يرويان عن الحسن، فلقيني السيد يوماً وأنا منصرف من عندهما، فقال: أرني ألواحك أكتب فيها شيئاً وإلا أخذتها فمحوت ما فيها. فأعطيته ألواحي فكتب فيها:

لشربةٌ من سويقٍ عند مسغبةٍ ... وأكلةٌ من ثريدٍ لحمه واري

أشد مما روى حبًّا إلي بنو ... قيس ومما روى صلت بن دينار

مما رواه فلانٌ عن فلانهم ... ذاك الذي كان يدعوهم إلى النار

رآه زيد بن موسى في النوم ينشد النبي صلى الله عليه وسلم شعراً: أخبرني أحمد بن علي الخفاف قال حدثني أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن طباطبا قال: سمعت زيد بن موسى بن جعفر يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وقدامه رجلٌ جالسٌ عليه ثيابٌ بيضٌ، فنظرت إليه فلم أعرفه، إذ التفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا سيد، أنشدني قولك:

لأم عمرو في اللوى مربع

فأنشده إياها كلها ما غادر منها بيتاً واحداً، فحفظتها عنه كلها في النوم. قال أبو إسماعيل: وكان يزيد بن موسى لحانةً رديء الإنشاد، فكان إذا أنشد هذه القصيدة لم يتتعتع فيها و لم يلحن.

أنشد فضيل الرسان جعفر بن علي شعر فترحم عليه وترحم عليه أهله: وقال محمد بن داود بن الجراح في روايته عن إسحاق النخعي حدثني عبد الرحمن بن محمد الكوفي عن علي بن إسماعيل الهيثمي عن فضيل الرسان قال: دخلت على جعفر بن محمدٍ أعزيه عن عمه زيد، ثم قلت له: ألا أنشدك شعر السيد؟ فقال: أنشد، فأنشدته قصيدةً يقول فيها:

فالناس يوم البعث راياتهم ... خمسٌ فمنها هالكٌ أربع

قائدها العجل وفرعونهم ... وسامري الأمة المفظع

ومارقٌ من دينه مخرج ... أسود عبدٌ لكعٌ أوكع

ورايةٌ قائدها وجهه ... كأنه الشمس إذا تطلع

فسمعت مجيباً من وراء الستور فقال: من قائل هذا الشعر؟ فقلت: السيد! فقال: رحمه الله. فقلت: جعلت فداك! إني رأيته يشرب الخمر. فقال: رحمه الله! فما ذنبٌ على الله أن يغفره لآل علي! إن محب علي لا تزل له قدمٌ إلا تثبت له أخرى.

حدثني الأخفش عن أبي العيناء عن علي بن الحسن بن علي بن الحسين عن أبيه عن جعفر بن محمد أنه ذكر السيد فترحم عليه وقال: إن زلت له قدمٌ فقد تثبت الأخرى.

ماراه رجل في تفضيل علي فغرقه: نسخت من كتاب الشاهيني حدثني محمد بن سهل الحميري عن أبيه قال: انحدر السيد الحميري في سفينة إلى الأهواز، فماراه رجلٌ في تفضيل علي وباهله على ذلك. فلما كان الليل قام الرجل ليبول على حرف السفينة، فدفعه السيد فغرقه، فصاح الملاحون: غرق والله الرجل! فقال السيد: دعوه فإنه باهليٌّ .

هجا قوماً لم ينصتوا لشعره: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرد قال حدثني التوزي قال: جلس السيد يوماً إلى قوم، فجعل ينشدهم وهم يلغطون، فقال:

قد ضيع الله ما جمعت من أدب بين الحمير وبين الشاء والبقر
لا يسمعون إلى قول أجيء به وكيف تستمع الأنعام للبشر
أقول ما سكتوا إنسٌ فإن نطقوا قلت الضفادع بين الماء والشجر

اغتابه رجل عند قوم فهجاه: أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم البزي قال حدثنا إسحاق بن محمد النخعي عن محمد بن الربيع عن سويد بن حمدان بن الحصين قال: كان السيد يختلف إلينا ويغشانا، فقام من عندنا ذات يومٍ، فخلفه رجل وقال: لكم شرفٌ وقدر عند السلطان، فلا تجالسوا هذا فإنه مشهور بشرب الخمر وشتم السلف. فبلغ ذلك السيد فكتب إليه:

وصفت لك الحوض يا بن الحصين على صفة الحارث الأعور
فإن تسق منه غداً شربةً تفز من نصيبك بالأوفر
فما لي ذنبٌ سوى أنني ذكرت الذي فرعن خيبر
ذكرت امرأً فر عن مرحبٍ فرار الحمار من القسور
فأنكر ذاك جليسٌ لكم زنيمٌ أخو خلقٍ أعور
لحاني بحب إمام الهدى وفاروق أمتنا الأكبر
سأحلق لحيته إنها شهودٌ على الزور والمنكر

قال: فهجر والله مشايخنا جميعاً ذلك الرجل ولزموا محبة السيد ومجالسته.

رد سوار بن عبد الله شهادته فهجاه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق.

أن السيد تقدم إلى سوار القاضي ليشهد عنده، وقد كان دافع المشهود له بذلك وقال: أعفني من الشهادة عند سوار، وبذل له مالاً فلم يعفه. فلما تقدم إلى سوار فشهد قال : ألست معروف بالسيد! قال: بلى، قال: استغفر الله من ذنب تجرأت به على الشهادة عندي، قم لا أرضى بك. فقام مغضباً من مجلسه وكتب إلى سوار رقعةً فيها يقول:

إن سوار بن عبد الل ه من شر القضاة

فلما قرأها سوار وثب عن مجلسه وقصد أبا جعفر المنصور وهو يومئذ نازل بالجسر، فسبقه السيد إليه فأنشده:

قل للإمام الذي ينجى بطاعته يوم القيامة من بحبوحة النار
لا تستعينن جزاك الله صالحةً يا خير من دب في حكمٍ بسوار

لا تستعن بخبيث الرأي ذي صلفٍ جم العيوب عظيم الكبر جبار
تضحي الخصوم لديه من تجبره لا يرفعون إليه لحظ أبصار
تيهاً وكبراً ولولا ما رفعت له من ضبعه كان عين الجائع العاري

ودخل سوارٌ، فلما رآه المنصور تبسم وقال: أما بلغك خبر إياس بن معاوية حيث قبل شهادة الفرزدق واستزاد في الشهود! فما أحوجك للتعريض للسيد ولسانه! ثم أمر السيد بمصالحته.

مدح المنصور لما ولى ابنيه العهد: وقال إسحاق بن محمد النخعي عبد الله بن محمد الجعفري قال حدثني محمد بن عبد الله الحميري قال: دخل السيد علي المهدي لما بايع لابنيه موسى وهارون، فأنشأ يقول:

ما بال مجرى دمعك الساجم أمن قذًى بات بها لازم
أم من هوًى أنت له ساهر صبابةً من قلبك الهائم
آليت لا أمدح ذا نائلٍ من معشر غير بني هاشم
أولتهم عندي يد المصطفى ذي الفضل والمن أبي القاسم
فإنها بيضاء محمودةٌ جزاؤها الشكر على العالم
جزاؤها حفظ أبي جعفر خليفة الرحمن والقائم
وطاعة المهدي ثم ابنه موسى علي ذي الإربة الحازم
وللرشيد الرابع المرتضى مفترضٌ من حقه اللازم
ملكهم خمسون معدودةً برغم أنف الحاسد الراغم
ليس علينا ما بقوا غيرهم في هذه الأمة من حاكم
حتى يردوها إلى هابط عليه عيسى منهم ناجم

كان يأتي الأعمش فيكتب عنه فضائل علي بن أبي طالب: وقال علي بن المغيرة حدثني بن عبد الله السدوسي عن المدائني قال: كان السيد يأتي الأعمش فيكتب عنه فضائل علي رضي الله عنه ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعراً. فخرج ذات يوم من عند بعض أمراء الكوفة وقد حمله على فرس وخلع عليه، فوقف بالكناسة ثم قال: يا معشر الكوفيين، من جاءني منكم بفضيلة لعلي بن أبي طالب لم أقل فيها شعراً أعطيته فرسي هذا وما علي. فجعلوا يحدثونه وينشدهم، حتى أتاهم رجل منهم وقال: سمع عن علي قصة فنظمها: إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عزم على الركوب، فلبس ثيابه وأراد لبس الخف فلبس أحد خفيه، ثم أهوى إلى الآخر ليأخذه فانقض عقابٌ من السماء فحلق به ثم ألقاه فسقط منه أسود وانساب فدخل جحراً، فلبس عليٌّ رضي الله عنه الخف. قال: و لم يكن قال في ذلك شيئاً، ففكر هنيهةً ثم قال:

ألا يا قوم للعجب العجاب لخف أبي الحسين وللحباب
أتى خفًّا له وانساب فيه لينهش رجله منه بناب
فخر من السماء له عقابٌ من العقبان أو شبه العقاب
فطار به فحلق ثم أهوى به للأرض من دون السحاب
إلى جحرٍ له فانساب فيه بعيد القعر لم يرتج بباب
كريه الوجه أسود ذو بصيصٍ حديد الناب أزرق ذو لعاب
ودوفع عن أبي حسن عليٍّ نقيع سمامه بعد انسياب

ثم حرك فرسه ومضى وجعل تشبيبها بعد ذلك:

صبوت إلى سليمى والرباب وما لأخي المشيب وللتصابي

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثني عبد الله بن أحمد بن مستورد قال: وقف السيد يوماً بالكوفة، فقال: من أتاني بفضيلة لعلي بن أبي طالب ما قلت فيها شعراً فله دينارٌ، وذكر باقي الحديث. فأما العقاب الذي انقض على خف علي بن أبي طالب رضي الله عنه فحدثني بخبره أحمد بن محمد بن سعيد الهمذاني قال حدثني جعفر بن علي بن نجيح قال حدثنا أبو عبد الرحمن المسعودي عن أبي داود الطهوي عن أبي الزعل المرادي قال: قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فتطهر للصلاة، ثم نزع خفه فانساب فيه أفعى، فما عاد ليلبسه انقضت عقابٌ فأخذته فحلقت به ثم ألقته فخرج الأفعى منه. وقد روي مثل هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدثني به أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد قال حدثني محمد بن عبيد بن عقبة قال حدثنا محمد بن الصلت قال حدثنا حيان بن علي بن أبي سعيد بن عكرمة عن ابن عباس قال:

كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد حاجةً تباعد حتى لا يراه أحد، فنزع خفه فإذا عقاب قد تدلى فرفعه فسقط منه أسود سالخ. فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم إني أعوذ بك من شر ما يمشي على بطنه ومن شر ما يمشي على رجليه ومن شر ما يمشي على أربع ومن شر الجن والإنس".

قال أبو سعيد وحدثنا محمد بن إسماعيل الراشدي قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا حيان بن علي عن سعد بن طريف عن عكرمة عن ابن عباس مثله.

بلغه أن الحسن والحسين ركبا ظهر النبي صلى الله عليه وسلم فقال شعراً: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا حاتم بن قبيصة قال: سمع السيد محدثاً يحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ساجداً، فركب الحسن والحسين على ظهره، فقال عمر رضي الله عنه: نعم المطي مطيكما! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ونعم الراكبان هما". فانصرف السيد من فوره فقال في ذلك:

أتى حسناً والحسين النبي وقد جلسا حجرةً يلعبان
ففداهما ثم حياهما وكانا لديه بذاك المكان
فراحا وتحتهما عاتقاه فنعم المطية والراكبان
وليدان أمهما برةٌ حصانٌ مطهرةٌ للحصان
وشيخهما ابن أبي طالب فنعم الوليدان والوالدان
خليلي لا ترجيا واعلما بأن الهدى غير ما تزعمان
وأن عمى الشك بعد اليقين وضعف البصيرة بعد العيان
ضلالٌ فلا تلججا فيهما فبئست لعمركما الخصلتان
أيرجى عليٌّ إمام الهدى وعثمان ما أعند المرجيان
ويرجى ابن حربٍ وأشياعه وهوج الخوارج بالنهروان
يكون إمامهم في المعاد خبيث الهوى مؤمن الشيصبان

مدح المنصور وعنده سوار فعارضه فهجاه: وذكر إسماعيل بن الساحر قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني محمد بن أبيه قال حدثني أبي وعمي عن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن يعقوب بن سعيد بن عمرو قال حدثنا الحارث بن عبد المطلب قال: كنت جالساً في مجلس أبي جعفر المنصور وهو بالجسر وهو قاعدٌ مع جماعة على دجلة بالبصرة وسوار بن عبد الله العنبري قاضي البصرة جالسٌ عنده والسيد بن محمد بين يديه ينشد قوله:

إن الأله الذي لا شيء يشبهه أعطاكم الملك للدنيا وللدين
أعطاكم الله ملكاً لا زوال له حتى يقاد إليكم صاحب الصين
وصاحب الهند مأخوذاً برمته وصاحب الترك محبوساً على هون

والمنصور يضحك سروراً بما ينشده، فحانت منه التفاتةٌ فرأى وجه سوارٍ يتربد غيظاً ويسود حنقاً ويدلك إحدى يديه بالأخرى ويتحرق، فقال له المنصور: ما لك! أرابك شيءٌ؟ قال: نعم، هذا الرجل يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، والله يا أمير المؤمنين ما صدقك ما في نفسه، وإن الذين يواليهم لغيركم. فقال المنصور: مهلاً! هذا شاعرنا ووليّنا، وما عرفت منه إلا صدق محبة وإخلاص نية. فقال له السيد: يا أمير المؤمنين، والله ما تحملت غضكم لأحد، وما وجدت أبوي عليه فافتتنت بهما، وما زلت مشهوراً بموالاتكم في أيام عدوكم. فقال له: صدقت. قال: ولكن هذا وأهلوه أعداء الله ورسوله قديماً والذين نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات ، فنزلت فيهم آيةٌ من القرآن "أكثرهم لا يعقلون". وجرى بينهما خطابٌ طويل. فقال السيد قصيدته التي أولها:

قف بنا يا صاح واربع بالمغاني الموحشات

أنشدها أحمد بن عبيد الله بن عمار عن النوفلي، وأخبرنا محمد بخبره مع سوار بالقصة من ها هنا إلى آخرها، وقال فيها:

يا أمين الله يا من صور يا خير الولاة

إن سوار بن عب د الله من شر القضاة

نعثليٌ جمليٌّ لكم غير موات

جده سارق عنزٍ فجرةً من فجرات

لرسول الله والقا ذفه بالمنكرات

وابن من كان ينادي من وراء الحجرات

يا هناة اخرج إلينا إننا أهل هنات

مدحنا المدح ومن نر م يصب بالزفرات

فاكفنيه لا كفاه ال له شر الطارقات

اعتذر إلى سوار فلم يعذره: فشكاه سوار إلى أبي جعفر، فأمره بأن يصير إليه معتذراً، ففعل فلم يعذره، فقال:

أتيت دعي بني العنبر أروم اعتذاراً فلم أعذر

فقلت لنفسي وعاتبتها على اللؤم في فعلها أقصري

أيعتذر الحر مما أتى إلى رجل من بني العنبر

أبوك ابن سارق عنز النبي وأمك بنت أبي جحدر

ونحن على رغمك الرافضو ن لأهل الضلالة والمنكر

بلغه أن سواراً يريد قطعه في سرقة فشكاه إلى المنصور: قال: وبلغ السيد أن سواراً قد أعد جماعةً يشهدون عليه بسرقة ليقطعه، فشكاه إلى أبي جعفر، فدعا بسوارٍ وقال له: قد عزلتك عن الحكم للسيد أو عليه. فما تعرض له بسوء حتى مات.

رماه أبو الخلال عند عقبة بن سلم بس الصحابة فقال شعراً: وروى عب الله بن أبي بكر العتكي أن أبا الخلال العتكي دخل على عقبة بن سلم والسيد عنده وقد أمر له بجائزة، وكان أبو الخلال شيخ العشيرة وكبيرها، فقال له: أيها الأمير، أتعطي هذه العطايا رجلاً ما يفتر عن سب أبي بكر وعمر! فقال هل عقبة: ما علمت ذاك ولا أعطيته إلا على العشرة والمودة القديمة وما يوجبه حقه وجواره مع ما هو عليه من موالاة قومٍ يلزمنا حقهم

ورعايتهم. فقال له أبو الخلال: فمره إن كان صادقاً أن يمدح أبا بكر وعمر حتى نعرف براءته مما ينسب إليه من الرفض . فقال: قد سمعك، فإن شاء فعل. فقال السيد:

إذا أنا لم أحفظ وصاة محمدٍ ... ولا عهده يوم الغدير المؤكدا

فإني كمن يشري الضلالة بالهدى ... تنصر من بعد التقى وتهودا

وما لي وتيم أو عدي وإنما ... أولو نعمتي في الله من آل أحمدا

تتم صلاتي بالصلاة عليهم ... وليست صلاتي بعد أن أتشهدا

بكاملةٍ إن لم أصل عليهم ... وأدع لهم ربًّا كريماً ممجدا

بذلت لهم ودي ونصحي ونصرتي ... مدى الدهر ما سميت يا صاح سيدا

وإن امرأً يلحى على صدق ودهم ... أحق وأولى فيهم أن يفندا

فإن شئت فاختر عاجل الغم صلةً ... وإلا فأمسك كي تصان وتحمدا

ثم نهض مغضباً. فقام أبو الخلال إلى عقبة فقال: أعذني من شره أعاذك الله من السوء أيها الأمير، قال: قد فعلت على ألا تعرض له بعدها.

قصته مع امرأة تميمية إباضية تزوجها: ومما يحكى عنه أنه اجتمع في طريقه بامرأة تميمية إباضية، فأعجبها وقالت: أريد أن أتزوج بك ونحن على ظهر الطريق. قال: يكون كنكاح أم خارجةً قبل حضور ولِيٍّ وشهودٍ. فاستضحكت وقالت: ننظر في هذا، وعلى ذلك فمن أنت ؟ فقال:

إن تسألني بقومي تسألي رجلاً ... في ذروة العز من أحياء ذي يمن

حولي بها ذو كلاعٍ في منازلها ... وذو رعينٍ وهمدانٌ وذويزن

والأزد أزد عمان الأكرمون إذا ... عدت مآثرهم في سالف الزمن

بانت كريمتهم عني فدارهم ... داري وفي الرحب من أوطانهم وطني

لي منزلان بلحجٍ منزلٌ وسطٌ ... منها ولي منزلٌ للعز في عدن

ثم الولاء الذي أرجو النجاة به ... من كبة النار للهادي أبي حسن

فقالت: قد عرفناك، ولا شيء أعجب من هذا: يمانٍ وتميميةٌ، ورافضيٌّ وإباضية، فكيف يجتمعان!. فقال: بحسن رأيك في تسخو نفسك، ولا يذكر أحدنا سلفاً ولا مذهباً. قالت: أفليس التزويج إذا علم انكشف معه المستور، وظهرت خفيات الأمور! قال: فأنا أعرض عليك أخرى. قالت: ما هي؟ قال: المتعة التي لا يعلم بها أحد. قالت: تلك أخت الزنا. قال: أعيذك بالله أن تكفري بالقرآن بعد الإيمان! قالت: فكيف؟ قال: قال الله تعالى: "فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضةً ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة".

فقالت: أستخير الله وأقلدك أن كنت صاحب قياس. ففعلت . فانصرفت معه وبات معرساً بها. وبلغ أهلها من الخوارج أمرها، فتوعدوها بالقتل وقالوا: تزوجت بكافر! فجحدت ذلك و لم يعلموا بالمتعة. فكانت هذه تختلف إليه على هذه السبيل من المتعة وتواصله حتى افترقا.

عارضه ابن لسليمان بن علي في مذهبه بباب عقبة بن سلم فأجابه: وقال الحسن بن علي بن المغيرة حدثني أبي قال: كنت مع السيد على باب عقبة ومعنا ابنٌ لسليمان بن علي ننتظره وقد أسرج له ليركب، إذ قال ابن سليمان بن علي يعرض بالسيد: أشعر الناس والله الذي يقول:

محمد خير من يمشي على قدمٍ ... وصاحباه وعثمان بن عفانا

فوثب السيد وقال: أشعر والله منه الذي يقول:

سائل قريشاً إذا ما كنت ذا عمهٍ ... من كان أثبتها في الدين أوتادا

من كان أعلمها علماً وأحلمها ... حلماً وأصدقها قولاً وميعادا

إن يصدقوك فلن يعدوا أبا حسنٍ ... إن أنت لم تلق للأبرار حسادا

ثم أقبل على الهاشمي فقال: يا فتى، نعم الخلف أنت لشرف سلفك! أراك تهدم شرفك، وتثلب سلفك، وتسعى بالعداوة على أهلك، وتفضل من ليس أصلك من أصله على من فضلك من فضله، وسأخبر أمير المؤمنين عنك بذا حتى يضعك. فوثب الفتى خجلاً و لم ينتظر عقبة بن سلم. وكتب إليه صاحب خبره بما جرى عند الركوبة حتى خرجت الجائزة للسيد.

جلس مع قوم يخوضون في ذكر الزرع والنخل فقام وقال شعراً: أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا ابن القاسم البزي عن إسحاق بن محمد النخعي عن عقبة بن مالك الديلي عن الحسن بن علي بن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي قال: كنا جلوساً عند أبي عمرو بن العلاء، فتذاكرنا السيد، فجاء فجلس، وخضنا في ذكر الزرع والنخل ساعةً فنهض. فقلنا: يا أبا هاشم، مم القيام؟ فقال:

إني لأكره أن أطيل بمجلس ... لا ذكر فيه لفضل آل محمد

لا ذكر فيه لأحمد ووصيه ... وبنيه ذلك مجلسٌ نطفٌ ردي

إن الذي ينساهم في مجلس ... حتى يفارقه لغير مسدد

سكر بالأهوازن فحبسه العسس وكتب شعراً لواليها فأطلقه وأجازه: وروى أبو سليمان الناجي: أن السيد قدم الأهواز وأبو بجير بن سماك الأسدي يتولاها، وكان له صديقاً. وكان لأبي بجير مولى يقال له يزيد بن مذعور يحفظ شعر السيد ينشده أبا بجير، وكان أبو بجير يتشيع. فذهب السيد إلى قوم من إخوانه بالأهواز فنزل بهم وشرب عندهم، فلما أمسى انصرف، فأخذه العسس فحبس. فكتب من غده بهذه الأبيات وبعث بها إلى يزيد

بن مذعور. فدخل على أبي بجير وقال: قد جنى عليك صاحب عسسك ما لا قوام لك به. قال: وما ذلك؟ قال: اسمع هذه الأبيات، كتبها السيد من الحبس، فأنشده يقول:

قف بالديار وحيها يا مربع ... واسأل وكيف يجيب من لا يسمع

إن الديار خلت وليس بجوها ... إلا الضوابح والحمام الوقع

ولقد تكون بها أوانس كالدمى ... جملٌ وعزة والرباب وبوزع

حورٌ نواعم لا ترى في مثلها ... أمثالهن من الصيانة أربع

فعرين بعد تألفٍ وتجمع ... والدهر صاح مشتتٌ ما تجمع

فاسلم فإنك قد نزلت بمنزل ... عند الأمير تضر فيه وتنفع

تؤتى هواك إذا نطقت بحاجةٍ ... فيه وتشفع عنده فيشفع

هب لي الذي أحببته في أحمد ... وبنيه إنك حاصدٌ ما تزرع

يختص آل محمد بمحبة ... في الصدر قد طويت عليها الأضلع

في هذا الغناء لسعيد.

ضمن رثاءه لعباد بن حبيب هجواً لسوار القاضي بعد موته:

وحكى ابن الساحر: أن السيد دعي لشهادة عند سوار القاضي، فقال لصاحب الدعوى: أعفني من الشهادة عند سوارٍ، فلم يعفه صاحبها منها حبااأوطالبه بإقامتها عند سوار. فلما حضر عنده وشهد قال له: ألم أعرفك وتعرفني! وكيف مع معرفتك بي تقدم على الشهادة عندي! فقال له: إني تخوفت إكراهه، ولقد افتديت شهادتي عندك بمال فلم يقبل مني فأقمتها ، فلا يقبل الله لك صرفاً ولا عدلاً إن قبلتها، وقام من عنده، و لم يقدر سوارٌ له على شيء لما تقدم به المنصور إليه في أمره، واغتاظ غيظاً شديداً وانصرف من مجلسه فلم يقض يومئذ بين اثنين. ثم إن سواراً اعتل علته التي مات فيها فلم يقدر السيد على هجائه في حياته لنهي المنصور إياه عن ذلك. ومات سوار فأخرج عشياً وحفر له، فوقع الحفر في موضع كنيف. وكان بين الأزد وبين تميم عداوةٌ، فمات عقب موته عباد بن حبيب بن المهلب، فهجا السيد سواراً في قصيدة رثى بها عباداً ودفعها إلى نواتج الأزد لما بينهم وبين تميم من العداوة ولقربهم من دار سوار ينحن بها، وأولها:

يا من غدا حاملاً جثمان سوار ... من داره طاعناً منها إلى النار

لا قدس الله روحاً كان هيكلها ... فقد مضت بعظيم الخزي والعار

حتى هوت قعر برهوتٍ معذبةً ... وجسمه في كنيف بين أقذار

لقد رأيت من الرحمن معجبةً ... فيه وأحكامه تجري بمقدار

فاذهب عليك من الرحمن بهلته يا شر حي براه الخالق الباري

مازح صديقاً له زنجياً بشعر: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن محمد البقال قال حدثنا شيبان بن محمد الحراني وكان يلقب بعوضة وصار من سادات الأزد قال: كان السيد جاري، وكان أدلم ، وكان ينادم فتياناً من فتيان الحي فيهم فتًى مثله أدلم غليظ الأنف والشفتين مزنج الخلقة. وكان السيد من أنتن الناس إبطين. وكانا يتمازحان، فيقول له السيد: أنت زنجي الأنف والشفتين، ويقول الفتى للسيد: أنت زنجي اللون والإبطين. فقال السيد:

أعارك يوم بعناه رباحٌ مشافره وأنفك ذا القبيحا

وكانت حصتي إبطي منه ولوناً حالكاً أمسى فضوحا

فهل لك في مبادلتيك إبطي بأنفك تحمد البيع الربيحا

فإنك أقبح الفتيان أنفاً وإبطي أنتن الآباط ريحا

كان له صديق ينفق عليه من ماله فلامته امرأته لذلك فهجاها: أخبرني أحمد قال حدثني شيبان قال: مات منا رجلٌ موسرٌ وخلف ابناً له فورث ماله وأتلفه بالإسراف، وأقبل على الفساد واللهو، وقد تزوج امرأةً تسمى ليلى، واجتمع على السيد وكان من أظرف الناس، وكان الفتى لا يصبر عنه، وأنفق عليه مالاً كثيراً، وكانت ليلى تعذله على إسرافه وتقول له: كأني بك قد افتقرت فلم يغن عنك شيئاً. فهجاها السيد. وكان مما قال فيها:

أقول يا ليت ليلي في يدي حنقٍ من العداوة من أعدى أعاديها

يعلو بها فوق رعنٍ ثم يحدرها في هوة فتدهدى يومها فيها

أوليتها في عمار البحر قد عصفت فيه الرياح فهاجت من أواذيها

أوليتها قرنت يوماً إلى فرسي قد شد منها إلى هاديه هاديها

حتى يرى لحمها من حضره زيماً وقد أتى القوم بعد الموت ناعيها

فمن بكاها فلا جفت مدامعه لا أسخن الله إلا عين باكيها

أهدى له بعض ولاة الكوفة رداء فقال شعراً يمدحه ويستزيده: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي وعبد الحميد بن عقبة قالا حدثنا الحسن بن علي بن المغيرة الكسلان عن محمد بن كناسة قال: أهدى بعض ولاة الكوفة إلى السيد رداءً عدنياً، فكتب إليه السيد فقال:

وقد أتانا رداءٌ من هديتكم فلا عدمتك طول الدهر من وال

هو الجمال جزاك الله صالحةً لو أنه كان موصولاً بسربال

فبعث إليه بخلعة تامةٍ وفرسٍ جواد وقال: يقطع عتاب أبي هاشم واستزادته إيانا.

سمع قاصاً بباب أبي سفيان يمدح الشيخين فسبهما: حدثني عمي قال حدثنا الكراني عن بعض البصريين عن سليمان بن أرقم قال:

كنت مع السيد، فمر بقاصٍّ على باب أبي سفيان بن العلاء وهو يقول: يوزن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة في كفة بأمته أجمع فيرجع بهم، ثم يؤتى بفلان فيوزن بهم فيرجح ثم يؤتى بفلان فيوزن بهم فيرجح. فأقبل على أبي سفيان فقال: لعمري إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرجح على أمته في الفضل، والحديث حقٌّ، وإنما رجح الآخران الناس في سيئاتهم، لأن من سن سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها. قال: فما أجابه أحد. فمضى فلم يبق أحدٌ من القوم إلا سبه.

صادف بنت الفجاءة وأنشدها شعراً له متغزلاً فيها: وقال أبو جعفر الأعرج حدثني إسماعيل بن الساحر قال: خرجت من مترل نصر بن مسعود أنا وكاتب عقبة بن سلم والسيد ونحن سكارى. فلما كنا بزهران لقيتنا بنت الفجاءة بن عمرو بن قطري بن الفجاءة، وكانت امرأةً برزةً حسناء فصيحةً، فواقفها السيد وتخاطب عليها وأنشدها من شعره بتجميش ، فأعجب كل واحد منهما صاحبه. فقال السيد :

من ناكثين وقاسطين الأروع	حول الأمين وقال هات ليسمعوا
قم يا بن مذعورٍ فأنشد نكسوا	خضع الرقاب بأعين لا ترفع
لولا حذار أبي بجير أظهروا	شنآنهم وتفرقوا وتصدعوا
لا تجزعوا فلقد صبرنا فاصبروا	سبعين عاماً والأنوف تجدع
إذ لا يزال يقوم كل عروبةٍ	منكم بصاحبنا خطيبٌ مصقع
مسحنفرٌ في غيه متتايعٌ	في الشتم مثله بخيل يسجع
ليس مخلوقاً ويسخط خالقاً	إن الشقي بكل شرٍّ مولع

فلما سمعها أبو بجير دعا صاحب عسسه فشتمه وقال: جنيت علي ما لا يد لي به، اذهب صاغراً إلى الحبس وقل: أيكن أبو هاشم، فإذا أجابك فأخرجه واحمله على دابتك وامش معه صاغراً حتى تأتيني به ففعل. فأبى السيد و لم يجبه إلى الخروج إلا بعد أن يطلق له كل من أخذ معه. فرجع إلى أبي بجير فأخبره، فقال: الحمد لله الذي لم يقل أخرجهم وأعط كل واحدٍ منهم مالاً، فما كنا نقدر على خلافه، افعل ما أحب برغم أنفك الآن. فمضى فخلى سبيله وسبيل كل من كان معه ممن أخذ في تلك الليلة، وأتي به إلى أبي بجير. فتناوله بلسانه وقال: قدمت علينا فلما تأتنا وأتيت بعض أصحابك الفساق وشربت ما حرم عليك حتى جرى ما جرى، فاعتذر من ذلك إليه، فأمر له أبو بجير بجائزة سنية وحمله وأقام عنده مدةً.

عاتب قوم أبا بجير على التشيع فاستنشد مولاه شعر السيد وطردهم: قال النوفلي وحدثني أبي: أن جماعة من أهل

الثغور قدموا على أبي بجير بتسبيب بهم فأطلقهم، ثم جاءوه فعاتبوه على التشيع وسألوه الرجوع، فغضب من ذلك ودعا بمولاه يزيد بن مذعور فقال: أنشدني ويلك لأبي هاشم. فأنشده قوله:

يا صاحبي لدمنتين عفاهما ... مر الرياح عليهما فمحاهما

حتى فرغ. ثم قال: هات النونية، فأنشده:

يا صاحبي تروحا وذراني ... ليس الخلي كمسعر الأحزان

فلما فرغ قال: أنشدني الدماغة الرائية، فأنشده إياها. فلما فرغ أقبل عليه الثغريون فقالوا له: ما أعتبتنا فيما عاتبناك عليه. فقال: يا حمير! هل في الجواب أكثر مما سمعتم! والله لولا أني لا أعلم كيف يقع فعلي من أمير المؤمنين لضربت أعناقكم! قوموا إلى غير حفظ الله فقاموا. وبلغ السيد الخبر فقال:

إذا قال الأمير أبو بجيرٍ ... أخو أسدٍ لمنشده يزيدا

طربت إلى الكرام فهات فيهم ... مديحاً من مديحك أو نشيدا

رأيت لمن بحضرته وجوهاً ... من الشكاك والمرجين سودا

كأن يزيد ينشد بامتداح ... أبا حسنٍ نصارى أو يهودا

نقد العبدي شعر له فصدقه وقال إنه أشعر منه: وروى أبو داود المسترق: أن السيد والعبدي اجتمعا، فأنشد السيد:

إني أدين بما دان الوصي به ... يوم الخريبة من قتل المحلينا

وبالذي دان يوم النهروان به ... وشاركت كفه كفي بصفينا

فقال له العبدي: أخطأت، لو شاركت كفك كفه كنت مثله، ولكن قل: تابعت كفي كفه لتكون تابعاً لا شريكاً. فكان السيد بعد ذلك يقول: أنا أشعر الناس إلا العبدي.

سب الشيخين في شعر له وسكر فرفع أمره إلى أبي بجير فأهانه:

وقال إسحاق النخعي عن عبد الحميد بن عقبة عن أبي جعفر الأعرج عن إسماعيل بن الساحر قال: كنت مع السيد وقد اكترينا سفينة إلى الأهواز، فجلس فيها معنا قومٌ شراةٌ، فجعلوا ينالون من عثمان. فأخرج السيد رأسه إليهم وقال:

شفيت من نعثلٍ في نحتت أثلته ... فاعمد هديت إلى نحت الغويين

اعمد هديت إلى نحت اللذين هما ... كانا عن الشر لو شاءا غنيين

قال إسماعيل: فلما قدمنا الأهواز قدم السيد وقد سكر، فأتي به أبا بجير بن سماك الأسدي، وكان ابن النجاشي عند ابن سماك بعد العشاء الآخرة، وكان يعرفه باسمه و لم يعرفه. فقال له: يا شيخ السوء، تخرج سكران في هذا

الوقت! لأحسن أدبك. فقال له: والله لا فعلت، ولتكرمني ولتخلعن علي وتحملني وتجيزني. قال: أو تهزأ أيضاً! قال: لا والله! ثم اندفع ينشده فقال:

من كان معتذراً من شتمه عمراً ... فابن النجاشي منه غير معتذر

وابن النجاشي براءٌ غير محتشم ... في دينه من أبي بكر ومن عمر

ثم أنشده قوله:

إحداهما نمت عليه حديثه ... وبغت عليه نفسه إحداهما

فهما اللتان سمعت رب محمد ... في الذكر قص على العباد نباهما

فقال: أبو هاشم؟ فقال نعم. قال: ارتفع. فحمله وأجازه، وقال: والله لأصدقن قولك في جميع ما حلفت عليه.

أباح له أبو بجير شرب النبيذ: قال إسماعيل: رأى أبو بجير السيد متغير اللون، فسأله عن حاله، فقال: فقدت الشراب الذي ألفته لكراهة الأمير إياه، قال: اشربه، فإننا نحتمله لك. قال: ليس عندي. قال لكاتبه: اكتب له بمائتي دورق ميبختج . فقال له السيد: ليس هذا من البلاغة. قال: وما هي؟ قال: البلاغة أن تأتي من الكلام بما تحتاج إليه وتدع ما يستغنى عنه. قال: وكيف ذلك؟ قال: اكتب بمائتي دورق مي ولا تكتب بختج، فإنك تستغني عنه. فضحك، ثم أمر فكتب له بذلك. قال: والمي: النبيذ.

أظهرت المرجئة الشماتة بأبي بجير لما مرض فقال هو شعراً: قال إسماعيل: وبلغ السيد وهو بالأهواز أن أبا بجير قد أشرف على الموت، فأظهرت المرجئة الشماتة به. فخرج السيد محترفاً حتى اكترى سفينةً وخرج إليها، وأنشأ يقول:

تباشر أهل تدمر إذ أتاهم ... بأمر أميرنا لهم بشير

ولا لأميرنا ذنبٌ إليهم ... صغيرٌ في الحياة ولا كبير

سوى حب النبي وأقربيه ... وموالاهم بحبهم جدير

وقالوا لي لكيما يحزنوني ... ولكن قولهم إفكٌ وزور

لقد أمسى أخوك أبو بجير ... بمنزلة يزار ولا يزور

وظلت شيعة الهادي عليٍّ ... كأن الأرض تحتهم تمور

فبت كأنني مما رموني ... به في قد ذي حلقٍ أسير

كأن مدامعي وجفون عيني ... توخز بالقتاد فهن عور

أقول علي للرحمن نذرٌ ... صحيحٌ حيث تحتبس النذور

بمكة إن لقيت أبا بجيرٍ ... صحيحاً واللواء له يسير

وهي قصيدة طويلة.

رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وأنشده قصيدته العينية: وروى محمد بن عاصم عن أبي داود المسترق عن السيد: أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فاستنشده فأنشده قوله:

لأم عمرو باللوى مربع　　طامسةٌ أعلامه بلقع

حتى انتهى إلى قوله:

قالوا له لو شئت أعلمتنا　　إلى من الغاية والمفزع

فقال: حسبك! ثم نقض يده وقال: قد والله أعلمتهم.

مرضه ووفاته: وروى أبو داود وإسماعيل بن الساحر: أنهما حضرا السيد عند وفاته بواسط وقد أصابه شرًى وكربٌ فجلس ثم قال: اللهم أهكذا جزائي في حب آل محمد! قال: فكأنما كانت ناراً فطفئت عنه.

قال شعراً وهو يحتضر في التبرؤ من عثمان والشيخين: وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي بإسنادٍ له لم يحضرني وأنا أخرجه إن شاء الله تعالى قال: حدثني من حضر السيد وقد احتضر فقال:

برئت إلى الأله من ابن أروى　　ومن دين الخوارج أجمعينا

ومن فعلٍ برئت ومن فعيل　　غداة دعي أمير المؤمنينا

ثم كأن نفسه كانت حصاةً فسقطت.

بلغ المنصور أن أهل واسط لم يدفنوه فقال لئن صح لأحرقنها:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة عن أبي الهذيل العلاف عن أبي جعفر المنصور قال: بلغني أن السيد مات بواسط فلم يدفنوه. والله لئن تحقق عندي لأحرقنها!.

ترحم عليه جعفر بن محمد: ووجدت في بعض الكتب: حدثني محمد بن يحيى اللؤلئي قال حدثني محمد بن عباد بن صهيب عن أبيه قال: كنت عند جعفر بن محمد، فأتاه نعي السيد، فدعا له وترحم عليه. فقال رجلٌ: يا بن رسول الله، تدعو له وهو يشرب الخمر ويؤمن بالرجعة! فقال: حدثني أبي عن جدي أن محبي آل محمد لا يموتون إلا تائبين وقد تاب، ورفع مصلًّى كانت تحته، فأخرج كتاباً من السيد يعرفه فيه أنه قد تاب ويسأله الدعاء له.

عاش إلى خلافة الرشيد ومدحه: وذكر محمد بن إدريس العتبي أن معاذ بن يزيد الحميري حدثه أن السيد عاش إلى خلافة هارون الرشيد وفي أيامه مات، وأنه مدحه بقصيدتين فأمر له ببدرتين ففرقهما. فبلغ ذلك الرشيد فقال: أحسب أبا هاشم تورع عن قبول جوائزنا.

لما مات أحضر له سبعون كفناً: أخبرني ابن عمار قال حدثنا يعقوب بن نعيم قال حدثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحي قال حدثني إسحاق بن محمد بن بشير بن عمار الصيرفي عن جده بشير بن عمار قال: حضرت وفاة السيد في الرميلة ببغداد، فوجه رسولاً إلى صف الجزارين الكوفيين يعلمهم بحاله ووفاته، فغلط الرسول فذهب

إلى صف السموسين ، فشتموه ولعنوه، فعلم أنه قد غلط، فعاد إلى الكوفيين يعلمهم بحاله ووفاته، فوافاه سبعون كفناً. قال: وحضرناه جميعاً وإنه ليتحسر تحسراً شديداً وإن وجهه لأسود كالقار وما يتكلم، إلى أنا أفاق إفاقةً وفتح عينيه فنظر إلى ناحية القبلة ثم قال: يا أمير المؤمنين، أتفعل هذا بوليك! قالها ثلاث مرات مرةً بعد أخرى. قال: فتجلى والله في جبهته عرق بياض، فما زال يتسع ويلبس وجهه حتى صار كله كالبدر ، وتوفي فأخذنا في جهازه ودفناه في الجنينة ببغداد، وذلك في خلافة الرشيد.

أخبار عبد الله بن علقمة وحبيشة

صوت من المائة المختارة

فلا زلن حسرى ظلعاً لم حملنها ... إلى بلدٍ ناءٍ قليل الأصادق

ولا ذنب لي إذ قلت إذ نحن جيرةٌ ... أثيبي بودٍّ قبل إحدى البوائق

عروضه من الطويل: قوله: فلا زلن حسرى: دعاء على الإبل التي ظعنت بها وأبعدتها عنه. وحسرى: قد حسرن أي بلغ منهن الجهد فلم يبقى فيهن بقيةً، يقال حسر ناقته فهو يحسرها، وهي حسرى، والذكر حسير ، قال الله عز وجل: "ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسيرٌ". وفي الحديث: "فإن أتعبتها حسرتها". والظلع في كل شيء: أن تألم رجله فلا يقدر أن يمشي عليها فيغمز في مشيه كالأعرج إذا مشى، ويقال: ظلع فهو ظالعٌ. والنائي: البعيد، والنية: الناحية التي تنوي إليها، والنوى: البعد، والتنائي: التباعد. والبوائق: الحوادث التي تأتي بما يحذر بغتةً، وهي مثل المصائب والنوائب.

البيت الأول من الشعر لكثير، ويقال: إنه لأبي جندب الهذلي. والبيت الثاني لرجل من كنانة ثم من بني جذيمة، وزعم ابن دأبٍ أنه عبد الله بن علقمة أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة، وقيل أيضاً: إنه يقال له عمرو الذي قتله خالد بن الوليد في بعض مغازيه التي وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها. الغناء في اللحن المختار لمتيم مولاة علي بن هشام وأم أولاده. ولحنها رمل بالبنصر، من رواية إسحاق وعمرو، وهو من الأرمال النادرة المختارة. وفيه خفيف ثقيلٍ، يقال: إنه لحسين بن محرز، ويقال: إنه قديم من غناء أهل مكة.

أخبار عبد الله بن علقمة وتعشقه حبيشة: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثني العباس بن بكار قال حدثنا ابن دأب قال: كان من حديث عبد الله بن علقمة أحد بني علقمة أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة أنه خرج مع أمه وهو مع ذلك غلامٌ يفعةٌ دون المحتلم لتزور جارةً لها، وكان لها بنت يقال لها حبيشة بنت حبيش أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة. فلما رآها عبد الله بن علقمة أعجبته ووقعت في نفسه، وانصرف وترك أمه عند جارتها، فلبثت عندها يومين.

ثم أتاها عبد الله بن علقمة ليرجعها إلى منزلها، فوجد حبيشة قد زينت لأمرٍ كان في الحي، فازداد بها عجباً، وانصرف بأمه في غداةٍ تمطر، فمشى معها شيئاً ثم أنشأ يقول:

وما أدري بلى إني لأدري أصوب القطر أحسن أم حبيش

حبيشة والذي خلق الهدايا وما عن بعدها للصب عيش

فسمعت ذلك أمه فتغافلت عنه وكرهت قوله. ثم مشيا ملياً، فإذا هو بظبي على ربوةٍ من الأرض، فقال:

يا أمتا أخبريني غير كاذبةٍ وما يريد مسول الحق بالكذب

أتلك أحسن أم ظبيٌ برابيةٍ لا بل حبيشة في عيني وفي أربي

فزجرته أمه وقالت له: ما أنت وهذا! نزوجك بنت عمك فهي أجمل من تلك. وأتت امرأة عمه فأخبرتها خبره، وقالت: زيني ابنتك له، ففعلت وأدخلتها عليه. فلما رآها أطرق. فقالت له أمه: أيهما الآن أحسن؟ فقال:

إذا غيبت عني حبيشة مرةً من الدهر لم أملك عزاءً ولا صبرا

كأن الحشى حر السعير يحشه وقود الغضى والقلب مستعرا

وجعل يراسل الجارية وتراسله حتى علقته كما علقها، وكثر قوله للشعر فيها. فمن ذلك قال:

حبيشة هل جدي وجدك جامعٌ بشملكم شملي وأهلكم أهلي

وهل أنا ملتفٌّ بثوبك مرةً بصحراء بين الأليتين إلى النخل

وهل أشتفي من ريق ثغرك مرةً كراحٍ ومسكٍ خالطا ضرب النحل

فلما بلغ أهلها خبرهما حجبوها عنه مدة، وهو يزيد غراماً بها ويكثر قول الشعر فيها. فأتوها فقالوا لها: عديه السرحة، فإذا أتاك فقولي له: نشدتك الله إن كنت أحببتني فو الله ما على الأرض شيءٌ أبغض إلي منك، ونحن قريبٌ نستمع ما تقولين. فوعدته وجلسوا قريباً يستمعون، وجلست عند السرحة، وأقبل عبد الله لوعدها. فلما دنا منها دمعت عينها والتفتت إلى حيث أهلها جلوسٌ، فعرف أنهم قريب فرجع. وبلغه ما قالوا لها أن تقوله فأنشأ يقول:

لو قلت ما قالوا لزدت جوًى بكم على أنه لم يبق ستر ولا صبر

ولم يك حبي عن نوالٍ بذلته فيسليني عنه التجهم والهجر

وما أنس م الأشياء لا أنس دمعها ونظرتها حتى يغيبني القبر

سرية خالد بن الوليد إلى بني عامر بن عبد مناة: وبعث النبي صلى الله عليه وسلم على أثر ذلك خالد بن الوليد بن بني عامر بن عبد مناة بن كنانة وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام، فإن أجابوه وإلا قاتلهم . فصبحهم خالد بن الوليد بالغميصاء وقد سمعوا به فخافوه فظعنوا، وكانوا قتلوا أخاه الفاكه بن الوليد وعمه الفاكه بن المغيرة في الجاهلية، وكانوا من أشد حي في كنانة بأساً يسمون لعقة الدم. فلما صبحهم خالدٌ ومعه بنو سليم، وكانت بنو سليم طلبتهم بمالك بن خالد بن صخر بن الشريد وإخوته كرزٍ وعمرو والحارث، وكانوا قتلوهم في موطن

واحد. فلما صبحهم خالدٌ في ذلك اليوم ورأوا معه بني سليم زادهم ذلك نفوراً. فقال لهم خالد: أسلموا تسلموا. قالوا: نحن قومٌ مسلمون. قال: فألقوا سلاحكم وانزلوا، قالوا: لا والله. فقال جذيمة بن الحارث أحد بني أقرم: يا قوم، لا تضعوا سلاحكم، والله ما بعد وضع السلاح إلا القتل. قالوا: لا والله لا نلقي سلاحنا ولا نترل، ما نحن منك ولا لمن معك بآمنين. قال خالدٌ: فلا أمان لكم إن لم تترلوا. فترلت فرقةٌ منهم فأسرهم، وتفرق بقية القوم فرقتين، فأصعدت فرقةٌ وسفلت فرقةٌ أخرى.

رواية عبد الله بن أبي حدرد لما وقع لعبد الله بن علقمة مع حبيشة وهو يقتل: قال ابن دأب: فأخبرني من لا أتهم عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي قال: كنت يومئذ في جند خالد، فبعثنا في أثر ظعن مصعدةٍ يسوق بهن فتيةٌ، فقال: أدركوا أولئك. قال: فخرجنا في أثرهم حتى أدركناهم وقد مضوا، ووقف لنا غلام شابٌ على الطريق. فلما انتهينا إليه جعل يقاتلنا وهو يقول:

بين أطراف الذيول واربعن مشي حييات كأن لم يفزعن

إن يمنع اليوم نساءٌ تمنعن

فقاتلنا طويلاً فقتلناه، ومضينا حتى لحقنا الظعن، فخرج إلينا غلام كأنه الأول، فجعل يقاتلنا ويقول:

أقسم ما إن خادرٌ ذو لبدة يزأر بين أيكةٍ ووهده

يفرس شبان الرجال وحده بأصدق الغداة مني نجده

فقاتلنا حتى قتلناه، وأدركنا الظعن فأخذناهن، فإذا فيهن غلامٌ وضيءٌ به صفرةٌ في لونه كالمنهوك، فربطناه بحبل وقدمناه لنقتله، فقال لنا: هل لكم في خير؟ قلنا: وما هو؟ قال: تدركون بي الظعن أسفل الوادي ثم تقتلونني، قلنا، نفعل. فخرجنا حتى نعارض الظعن أسفل الوادي. فلما كان بحيث يسمعن الصوت، نادى بأعلى صوته: اسلمي حبيش، عند نفاد العيش. فأقبلت إليه جاريةٌ بيضاء حسناء فقالت: وأنت فاسلم على كثرة الأعداء، وشدة البلاء. فقال: سلامٌ عليكم دهراً، وإن بقيت عصراً. قالت: وأنت سلامٌ عليك عشراً، وشفعاً تترى، وثلاثاً وتراً. فقال:

إن يقتلوني يا حبيش فلم يدع هواك لهم مني سوى غلة الصدر

وأنت التي أخليت لحمي من دمي وعظمي وأسبلت الدموع على نحري

فقالت له:

ونحن بكينا من فراقك مرةً وأخرى وآسيناك في العسر واليسر

وأنت فلا تبعد فنعم فتى الهوى جميل العفاف في المودة والستر

فقال لها:

أريتك إن طالبتكم فوجدتكم بحلية أو أدركتكم بالخوانق
ألم يك حقًّا أن ينول عاشقٌ تكلف إدلاج السرى والودائق

فقال: بلى والله. فقال:

فلا ذنب لي إذ قلت إذ نحن جيرةٌ أثيبي بودٍّ قبل إحدى بالبوائق
أثيبي بود قبل أن تشحط النوى وينأى خليطٌ بالحبيب المفارق

قال ابن أبي حدرد: فضربنا عنقه، فتقحمت الجارية من خدرها حتى أتت نحوه فالتقمت فاه، فنزعنا منها رأسه وإنها لتكسع بنفسها حتى ماتت مكانها. وأفلت من القوم غلامٌ من بني أقرم يقال له السميدع حتى اقتحم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما صنع خالد وشكاه.

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل خالد فأرسل علياً رضي الله عنه لأهل القتلى فوداهم: قال ابن دأب: فأخبرني صالح بن كيسان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله: هل أنكر عليه أحدٌ ما صنع؟ فقال: نعم، رجل أصفر ربعةٌ ورجل أحمر طويلٌ. فقال عمر: أنا والله يا رسول الله أعرفهما، أما الأول فهو ابني وصفته، وأما الثاني فهو سالم مولى أبي حذيفة. وكان خالد قد أمر كل من أسر أسيراً أن يضرب عنقه، فأطلق عبد الله بن عمر وسالم مولى أبي حذيفة أسيرين كانا معهما. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه بعد فراغه من حنين وبعث معه بإبلٍ وورقٍ وأمره أن يديهم فوداهم، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله فقال علي: قدمت عليهم فقلت لهم: هل لكم أن تقبلوا هذا الجمل بما أصيب منكم من القتلى والجرحى وتحللوا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا نعم: فقلت لهم: فهل لكم أن تقبلوا الثاني بما دخلكم من الروع والفزع؟ قالوا نعم. فقلت لهم: فهل لكم أن تقبلوا الثالث وتحللوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما علم ومما لم يعلم؟ قالوا نعم. قال: فدفعته إليهم. وجعلت أديهم، حتى إني لأدي ميلغة الكلب، وفضلت فضلةٌ فدفعتها إليهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقبلوها؟ قال نعم. قال: فو الذي أنا عبده لهي أحب إلي من حمر النعم.

وقالت سلمى بنت عميس:

وكم غادروا يوم الغميصاء من فتًى أصيب فلم يجرح وقد كان جارحا
ومن سيدٍ كهل عليه مهابةٌ أصيب ولما يعله الشيب واضحا
أحاطت بخطاب الأيامى وطلقت غداتئذٍ من كان منهن ناكحا
ولولا مقال القوم للقوم أسلموا للاقت سليمٌ يوم ذلك ناطحا

ما وقع بين قريش وبين بني عامر بن عبد مناة في الجاهلية: قال ابن دأب: وأما سبب قتلهم القرشيين، فإنه كان نفرٌ من قريش بضعة عشر أقبلوا من اليمن حتى نزلوا على ماء من مياه بني عامر بن عبد مناة بن كنانة، وكان يقال لهم لعقة الدم وكانوا ذوي بأسٍ شديد. فجاءت إليهم بنو عامر فقالوا للقرشيين: إياكم أن يكون معكم

رجل من فهم، لأنه كان له عندهم ذحل. قالوا: لا والله ما هو معنا، وهو معهم. فلما راحوا أدركهم العامريون ففتشوهم فوجدوا الفهمي معهم في رحالهم، فقتلوه وقتلوهم وأخذوا أموالهم. فقال راجزهم:

إن قريشاً غدرت وعاده ... نحن قتلنا منهم بغاده

عشرين كهلاً ما لهم زيادة

وكان فيمن قتل يومئذ عفان بن أبي العاصي أبو عثمان بن عفان، وعوف بن عوف أبو عبد الرحمن بن عوف، والفاكه بن المغيرة، والفاكه بن الوليد بن المغيرة. فأرادت قريشٌ قتالهم حتى خذلتهم بنو الحارث بن عبد مناة فلم يفعلوا شيئاً. وكان خالد بن عبيد الله أحد بني الحارث بن عبد مناة فيمن حضر الوقعة هو وضرار . فأشار إلى ذلك ضرار بن الخطاب بقوله:

دعوت إلى خطةٍ خالداً ... من المجد ضيعها خالد

فو الله أدري أضاهى بها ... بني العم أم صدره بارد

ولو خالدٌ عاد في مثلها ... لتابعه عنقٌ وارد

وقال ضرارٌ أيضاً:

أرى ابني لؤيٍّ أسرعا أن تسالما ... وقد سلكت أبناؤها كل مسلك

فإن أنتم لم تثأروا برجالكم ... فدوكوا الذي أنتم عليه بمدوك

فإن أداة الحرب ما قد جمعتم ... ومن يتق الأقرام بالشر يترك

سرايا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح إلى قبائل كنانة: فلما كان يوم فتح مكة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجيوش إلى قبائل بني كنانة حوله، فبعث إلى بني ضمرة نميلة بن عبد الله الليثي، وإلى بني الدئل عمرو بن أمية الضمري، وبعث إلى بني مدلج عياش بن أبي ربيعة المخزومي، وبعث إلى بني بغيض ومحارب بن فهر عبد الله بن نهيك أحد بني مالك بن حسل، وبعث إلى بني عامر بن عبد مناة خالداً.

فوافاهم خالدٌ بماء يقال له الغميصاء، وقد كان خبره سقط إليهم، فمضى منهم سلفٌ قتله بقوم منهم، يقال لهم بنو قيس بن عامر وبنو قعين بن عامر وهم خير القوم وأشرفهم، فأصيب من أصيب. فلما أقبل خالد ودخل المدينة قال له النبي صلى الله عليه وسلم: يا خالد ما دعاك إلى هذا! قال: يا رسول الله آيات سمعتهن أنزلت عليك. قال: وما هي؟ قال: قول الله عز ذكره: "قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قومٍ مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم" وجاءني ابن أم أصرم فقال لي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تقاتل. فحينئذ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فوادهم.

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا سعد بن أبي نصر قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن نوفل بن

مساحق عن رجل من مزينة يقال له ابن عاصم عن أبيه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سريةٍ وأمرنا ألا نقتل أحداً إن رأينا مسجداً أو سمعنا أذاناً قال وكيع وأخبرني أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادي قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن نوفل عن ابن عاصم هذا عن أبيه بهذا الحديث قال: فبينا نحن نسير إذا بفتًى يسوق ظعائن، فعرضنا عليه الإسلام فإذا هو لا يعرفه، فقال: ما أنتم صانعون بي إن لم أسلم؟ قلنا: نحن قاتلوك. قال: فدعوني ألحق هذه الظعائن، فتركناه، فأتى هودجاً منها وأدخل رأسه فيه وقال: اسلمي حبيش، قبل نفاذ العيش. فقالت: وأنت فاسلم تسعاً وتراً، وثمانياً تترى، وعشراً أخرى. فقال لها:

فلا ذنب لي قد قلت إذ نحن جيرةٌ ... أثيبي بودٍّ قبل إحدى البوائق

أثيبي بود قبل أن تشحط النوى ... وينأى أميرٌ بالحبيب المفارق

قال: ثم جاء فضربنا عنقه. فخرجت من ذلك الهودج جاريةٌ جميلة فجنأت عليه، فما زالت تبكي حتى ماتت.

حديث خالد للنبي صلى الله عليه وسلم عن غزوته بني جذيمة: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وعمرو بن عبد الله العتكي قالا حدثنا عمر بن شبة قال: يروى أن خالد بن الوليد كان جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم، فسئل عن غزوته بني جذيمة فقال: إن أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدثت. فقال: تحدث. فقال: لقيناهم بالغميصاء عند وجه الصبح، فقاتلناهم حتى كاد قرن الشمس يغيب، فمنحنا الله أكتافهم فتبعناهم نطلبهم، فإذا بغلام له ذوائب على فرس ذنوبٍ في أخريات القوم، فبوأت له الرمح فوضعته بين كتفيه، فقال: لا إله، فقبضت عنه الرمح، فقال: إلا اللات أحسنت أو أساءت. فهمسته همسةً أذريته وقيذاً ، ثم أخذته أسيراً فشددته وثاقاً، ثم كلمته فلم يكلمني، واستخبرته فلم يخبرني. فلما كان ببعض الطريق رأى نسوةً من بني جذيمة يسوق بهن المسلمون، فقال:

أيا خالد! قلت: ما تشاء؟ قال: هل أنت واقفي على هؤلاء النسوة؟! فأتيت على أصحابي ففعلت، وفيهن جارية تدعى حبيشة، فقال لها: ناوليني يدك فناولته يدها في ثوبها، فقال: اسلمي حبيش، قبل نفاد العيش. فقالت: حييت عشراً، وتسعاً وتراً، وثمانياً تترى. فقال:

أريتك إن طالبتكم فوجدتكم ... بحلية أو أدركتكم بالخوانق

ألم يك حقًّا أن ينول عاشقٌ ... تكلف إدلاج السرى والودائق

وقد قلت إذ أهلي لأهلك جيرةٌ ... أثيبي بود قبل إحدى الصعائق

أثيبي بودٍّ قبل أن تشحط النوى ... وينأ أميرٌ بالحبيب المفارق

فإني لا ضيعت سر أمانتي ... ولا راق عيني بعد عينك رائق

سوى أن ما نال العشيرة شاغلٌ ... عن الود إلا أن يكون التوامق

فلما جاء على حاله تلك قدمته فضربت عنقه. فأقبلت الجارية ووضعت رأسه في حجرها وجعلت ترشفه وتقول:

لا تبعدن يا عمرو حيًّا وهالكاً ... فحق بحسن المدح مثلك من مثلي
لا تبعدن يا عمرو حيًّا وهالكاً ... فقد عشت محمود الثنا ماجد الفعل
فمن لطراد الخيل تشجر بالقنا ... وللفخر يوماً عند قرقرة البزل

وجعلت تبكي وتردد هذه الأبيات حتى ماتت وإن رأسه لفي حجرها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد رفعت لي يا خالد وإن سبعين ملكاً لمطيفون بك يحضونك على قتل عمرو حتى قتلته.

أبو السائب المخزومي وطربه بصوت شغله عن الفطور والسحور وكان صائماً: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن المنذر عن صفية بنت الزبير بن هشام قالت: كان أبو السائب المخزومي رجلاً صالحاً زاهداً متقللاً يصوم الدهر، وكان أرق خلق الله وأشدهم غزلاً. فوجه ابنه يوماً يأتيه بما يفطر عليه، فأبطأ الغلام إلى العتمة. فلما جاء قال له: يا عدو نفسه، ما أخرك إلى هذا الوقت؟ قال: جزت بباب بني فلان فسمعت منه غناءً فوقفت حتى أخذته. فقال: هات يا بني، فو الله لئن كنت أحسنت لأحبونك، ولئن كنت أسأت لأضربنك. فاندفع يغني بشعر كثير:

ولما علوا شغباً تبينت أنه ... تقطع من أهل الحجاز علائقي
فلا زلن حسرى ظلعاً لم حملنها ... إلى بلدٍ ناءٍ قليل الأصادق

فلم يزل يغنيه إلى نصف الليل. فقالت له زوجته. يا هذا، قد انتصف الليل وما أفطرنا. قال لها: أنت طالقٌ إن كان فطورنا غيره. فلم يزل يغنيه إلى السحر. فلما كان السحر قالت له زوجته: هذا السحر وما أفطرنا! فقال: أنت طالقٌ إن كان سحورنا غيره. فلما أصبح قال لابنه: خذ جبتي هذه وأعطني خلقك ليكون الحباء فضل ما بينهما. فقال له: يا أبت، أنت شيخٌ وأنا شابٌ وأنا أقوى على البرد منك. قال، يا بني، ما ترك صوتك هذا للبرد علي سبيلاً ما حييت .

شعر لسليمان بن أبي دباكل: أخبرني وكيع قال أنشدنا أحمد بن يزيد الشيباني عن مصعب الزبيري لسليمان ابن أبي دباكل قال:

فهلا نظرت الصبح يا بعل زينبٍ ... فتقضى لبانات الحبيب المفارق
يروح إذا يمسي حنيناً ويغتدي ... وتهجيره عند احتدام الودائق
فطر جاهداً أو كن حليفاً لصخرةٍ ... ممنعةٍ في رأس أرعن شاهق
فما زال هذا الدهر من شؤم صرفه ... يفرق بين العاشقين الأوامق

فيبعدنا ممن نريد اقترابه ... ويدني إلينا من نحب نفارق
ولما علوا شغباً تبينت أنه ... تقطع من أهل الحجاز علائقي
فلا زلن حسرى ظلعاً لم حملنها ... إلى بلدٍ ناءٍ قليل الأصادق

ذكر متيم الهشامية وبعض أخبارها

مغنية شاعرة اشتراها علي بن هشام وهي أم ولده:

كانت متيم صفراء مولدةً من مولدات البصرة، وبها نشأت وتأدبت وغنت. وأخذت عن إسحاق وعن أبيه من قبله وعن طبقتهما من المغنين. وكانت من تخريج بذل وتعليمها. وعلى ما أخذت عنها كانت تعتمد. فاشتراها علي بن هشام بعد ذلك، فازدادت أخذاً ممن كان يغشاه من أكابر المغنين. وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً وأدباً. وكانت تقول الشعر ليس مما يستجاد، ولكنه يستحسن من مثلها. وحظيت عند علي بن هشام حظوةً شديدة، وتقدمت على جواريه جمع عنده، وهي أم ولده كلهم.

كانت مولاة للبانة واشتراها منها علي بن هشام وأولدها: وقال عبد الله بن العتز فيما أخبرني عنه محمد بن إبراهيم قريش قال أخبرني الحسن بن أحمد المعروف بأبي عبد الله الهشامي قال: كانت متيم للبانة بنت عبد الله بن إسماعيل المراكبي مولي عريب، فاشتراها علي بن هشام منها بعشرين ألف درهم وهي إذ ذاك جويرية، فولدت له صفية وتكنى أم العباس، ثم ولدت محمداً ويعرف بأبي عبد الله، ثم ولدت بعده ابناً يقال له هارون ويعرف بأبي جعفر، سماه المأمون وكناه لما ولد بهذا الاسم والكنية. قال: ولما توفي علي بن هشام عتقت.

كانت تغني المأمون والمعتصم: وكان المأمون يبعث إليها فتجيئه فتغنيه. فلما خرج المعتصم إلى سر من رأى أرسل إليها فأشخصها وأنزلها داخل الجوسق في دار كانت تسمى الدمشقي وأقطعها غيرها. وكانت تستأذن المعتصم في الدخول إلى بغداد إلى ولدها فتزورهم وترجع، ثم ضمها لما خرجت قلم. وقلم جاريةٌ كانت لعلي بن هشام.

وكانت متيم صفراء حلوة الوجه.

فضلها عبد الله بن العباس على نفسه: فذكر محمد بن الحسن الكاتب أن الحسين بن يحيى بن أكثم حدثه عن الحسن بن إبراهيم بن رياح قال: سألت عبد الله بن العباس الربيعي: من أحسن من أدركت صنعةً؟ قال: إسحاق. قلت: ثم من؟ قال: علويه. قلت: ثم من؟ قال: متيم. قلت: ثم من؟ قال: ثم أنا. فعجبت من تقديمه متيم على نفسه، فقال: الحق أحق أن يتبع.

أخبرني محمد بن الحسن قال حدثنا عمر بن شبة قال: سئل عبد الله بن العباس الربيعي عن أحسن الناس غناءً. فذكر مثل هذه الحكاية، وزاد فيها أن قال له: أحسن أن أصنع كما صنعت متيم في قوله:

فلا زلن حسرى ظلعاً لم حملنها

ولا كما صنع علويه في قول الصمة:

فواحسرتي لم أقض منك لبانةً ولم أتمتع بالجوار وبالقرب

قال: فأين عمرو بن بانة؟ قال: عمرو لا يضع نفسه في الصنعة هذا الموضع، ولكنه صنع لحناً في هذا الغناء.

نسبة صوت علويه صوت

فواحسرتي لم أقض منك لبانةً ولم أتمتع بالجوار وبالقرب

يقولون هذا آخر العهد منهم فقلت وهذا آخر العهد من قلبي

ألا يا حمام الشعب شعب مراهق سقتك الغوادي من حمامٍ ومن شعب

الشعر للصمة بن عبد الله القشيري. والغناء فيه لعلويه، ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى. وفيه لمخارق خفيف رمل بالوسطى، أوله: ألا يا حمام الشعب ثم الثاني ثم الأول. وذكر حبشٌ أن فيه لإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر.

تطاول إبراهيم بن المهدي إلى منظرة كانت تغني بها وأخذ منها صوتاً: وقال ابن المعتز أخبرني الهشامي قال: كانت متيم ذات يوم جالسةً بين يدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهدي حاضرٌ، فغنت متيم في الثقيل الأول:

لزينب طيفٌ تعتريني طوارقه هدواً إذا ما النجم لاحت لواحقه

فأشار إليها إبراهيم إن تعيده، فقالت متيم للمعتصم: يا سيدي، إبراهيم يستعيدني الصوت وكأنه يريد أن يأخذه، فقال لها: لا تعيديه. فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضراً مجلس المعتصم ومتيم غائبةً، فانصرف إبراهيم بعد حين إلى مترله ومتيم في مترلها بالميدان وطريقه عليها وهي في منظرة لها مشرفةٍ على الطريق وهي تغني هذا الصوت وتطرحه على جواري علي بن هشام، فتقدم إلى المنظرة وهو على دابته فتطاول حتى أخذ الصوت، ثم ضرب باب المنظرة بمقرعته وقال: قد أخذناه بلا حمدك.

طلبها المأمون من علي بن هشام فلم يرض: وقال ابن المعتز: وحدثت أن المأمون سأل علي بن هشام أن يهبها له وكان بغنائها معجباً ، فدفعه بذلك و لم يكن له منها ولدٌ. فلما ألح المأمون في طلبها حرص عليٌّ على أن تعلق منه حتى حبلت ويئس المأمون منها. فيقال إن ذلك كان سبباً لغضبه عليه حتى قتله.

كان المعتصم يمازحها: وحدثني سليمان الطبال أنه رأى متيم في بعض مجالس المعتصم يمازحها ويجبذ بردائها.

غنت علي بن هشام صوتاً أراد إسحاق انتحاله فعوضه عنه ببرذون: وحكى علي بن محمد الهشامي قال: أهدي إلى علي بن هشام برذونٌ أشهب قرطاسي وكان في النهاية من الحسن والفراهة، وكان عليٌّ به معجباً، وكان إسحاق يشتهيه شهوةً شديدة، وعرض لعلي بطلبه مراراً فلم يرض أن يعطيه له. فسار إسحاق إلى علي يوماً بعقب صنعة متيم فلا زلن حسرى فاحتبسه عليٌّ وبعث إلى متيم أن تجعل صوتها هذا في صدر غنائها ففعلت، فأطرب إسحاق إطراباً شديداً، وجعل يسترده، فترده وتستوفيه ليزيد في إطرابه إسحاق وهو يصغي إليها ويتفهمه حتى صح له. ثم قال لعلي: ما فعل البرذون الأشهب؟ قال: علي ما عهدت من حسنه وفراهته. قال:

فاختر الآن مني خلةً من اثنتين: إما أن طبت لي نفساً به وحملتني عليه، وإما أن أبيت فأدعي والله هذا الصوت لي وقد أخذته، أفتراك تقول: إنه لمتيم وأقول: إنه لي ويؤخذ قولك ويترك قولي؟! قال: لا والله ما أظن هذا ولا أراه، يا غلام قد البرذون إلى منزل أبي محمد بسرجه ولجامه، لا بارك الله له فيه!.

كان إسحاق يرى أنها ساوته: قال علي بن محمد وحدثني أحمد بن حمدون: أن إسحاق قال لمتيم لما سمع هذا الصوت منها: أنت أنا فأنا من! يريد أنها قد حلت محله وساوته. قال علي بن محمد وقال جدي أبو جعفر: كانت متيم تقول: صوت

فلا زلن حسرى ظلعاً لم حملنها

الرمل كله.

علي بن هشام وعتابه بذل جاريته: وحدثني الهشامي قال مد علي بن هشام يده إلى بذل جاريته في عتابٍ يعاتبها، ثم ندم على فعله ذلك، ثم أنشأ يقول:

فليت يدي بانت غداة مددتها إليك ولم ترجع بكفٍّ وساعد

وغنت متيم جاريته فيه في الثقيل الأول، فكان يقال لبذل جارية عليٍّ بذل الصغيرة.

ضرب موسوس بذل بالعود فكان سبب موتها: وحدثني الهشامي قال: كان سبب موت بذل هذه أنها كانت ذات يوم جالسةً عند المأمون فغنته، وكان حاضراً في ذلك المجلس موسوسٌ يكنى بأبي الكركدن من أهل طبرستان يضحك منه المأمون، فعبثوا به فوثب عليهم وهرب الناس من بين يديه فلم يبق أحدٌ حتى هرب المأمون، وبقيت بذل جالسةً والعود في حجرها، فأخذ العود من يدها وضرب به رأسها فشجها في شابورتها اليمنى، فانصرفت وحمت، وكان سبب موتها.

تزوج المعتصم بذل الصغيرة وبقيت في قصره بعد موته: وحدثني الهشامي قال: لما مات علي بن هشام ومات المأمون، أخذ المعتصم جواري علي بن هشام كلهن فأدخلهن القصر، فتزوج ببذل المغنية وبقيت عنده إلى نأأن مات، فخرجت بذل الكبيرة والباقون إلا بذل الصغيرة لأنها كانت حرمته فلم يخرجوها .

ويقال: إنه لم يكن في المغنين أحسن صنعةً من علويه وعبد الله بن العباس ومتيم.

شعر ابن الجهم في متيم الهشامية وأولادها: وفي أولادها يقول علي بن الجهم:

بني متيم هل تدرون ما الخبر وكيف يستر أمرٌ ليس يستتر

حاجيتكم من أبوكم يا بني عصبٍ شتى ولكنما للعاهر الحجر

غضبت من علي بن هشام وصالحها بشعر: قال: وحدثني جدي قال: كلم علي بن هشام متيم فأجابته جواباً لم يرضه، فدفع يده في صدرها، فغضبت ونهضت، فتثاقلت عن الخروج إليه. فكتب إليها: صوت

فليت يدي بانت غداة مددتها إليك ولم ترجع بكفٍّ وساعد

فإن يرجع الرحمن ما كان بيننا فلست إلى يوم التنادي بعائد

غنته متيم خفيف رملٍ بالبنصر.

عتبت على علي بن هشام وترضاها ثم كتب إليها فرضيت: قال: وعتبت عليه مرةً فتمادى عتبها، وترضاها فلم ترض، فكتب إليها : الإدلال يدعو إلى الإملال، ورب هجرٍ دعا إلى صبر، وإنما سمي القلب قلباً لتقلبه. ولقد صدق العباس بن الأحنف حيث يقول:

ما أراني إلا سأهجر من لي س يراني أقوى على الهجران

قد حدا بي إلى الجفاء وفائي ما أضر الوفاء بالإنسان

قال: فخرجت إليه من وقتها ورضيت .

كانت تهدي للهشامي نبقاً لأنه يحبه: وحدثني الهشامي قال:

كانت متيم تحبني حباً شديداً يتجاوز محبة الأخت لأخيها، وكانت تعلم أني أحب النبق، فكانت لا تزال تبعث إلي منه. فإني لأذكر في ليلة من الليالي في وقت السحر إذا أنا ببابي يدق. فقيل: من هذا؟ فقالوا: خادم متيم يريد أن يدخل إلى أبي عبد الله. فقلت: يدخل. فدخل ومعه إلي صينية فيها نبقٌ، فقال لي: تقرئك السلام وتقول لك: كنت عند أمير المؤمنين المعتصم بالله فجاءوه بنبقٍ من أحسن ما يكون، فقلت له: يا سيدي، أطلب من أمير المؤمنين شيئاً؟ فقال لي: تطلبين ما شئت. قالت: يطعمني أمير المؤمنين من هذا النبق، فقال لسمانة : اجعل من هذا النبق في صينية واجعلوها قدام متيم، فأخذته وذللته لك وقد بعثت به إليك معي، ثم دفعت إلي دراهم وقالت: هب للحراس هذه الدراهم لكي يفتحوا الدروب لك حتى تصير به إليه.

أراد إسحاق انتحال غناء متيم فعوضه علي بن هشام عن ذلك ببرذون: ثم حدثنا الهشامي قال: بعث علي بن هشام إلى إسحاق فجاء، فأخرج متيم جاريته إليه، فغنت بين يديه:

فلا زلن حسرى ظلعاً لم حملنها إلى بلدٍ ناءٍ قليل الأصادق

فاستعاده إسحاق واستحسنه، ثم قال له: بكم تشتري مني هذا الصوت؟ فقال له علي بن هشام: جاريتي تصنع هذا الصوت وأشتريه منك! قال: قد أخذته الساعة وأدعيه، فقول من يصدق، قولي أو قولك! فافتداه منه ببرذون اختاره له.

سمع علي بن هشام من قلم جارية زبيدة صوتاً فأخرجه لجواريه بمائة ألف دينار: وحدثني الهشامي قال: سمع علي بن هشام قدام المأمون من قلم جارية زبيدة صوتاً عجيباً، فرشا لمن أخرجه من دار زبيدة بمائة ألف دينار حتى صار إلى داره وطرح الصوت على جواريه. ولو علمت بذلك زبيدة لاشتد عليها، ولو سألها أن توجه به ما فعلت.

ذكر إسحاق متيم في كتابه وكان يتعالى من ذكر غيرها: وحدثني يحيى بن علي بن يحيى المنجم عن أبيه قال: لما صنعت متيم اللحن في قوله:

فلا زلن حسرى ظلعاً لم حملنها

أعجب به علي بن هشام، وأسمعه إسحاق فاستحسنه وقال: من أين لك هذا؟ فقال: من بعض الجواري. فقال : إنه لعريب، و لم يزل يستعيده حتى قال: إنه لمتيم، فأطرق. وكان متحاملاً على المغنين شديد النفاسة عليهم كثير الظلم لهم مسرفاً في حط درجاتهم، وما رأيته في غنائه ذكر لعلويه ولا مخارق ولا عمرو بن بانة ولا عبد الله بن عباس وأولا محمد بن الحارث صوتاً واحداً ترفعاً عن ذكرهم منتصباً لهم، وذكر في آخر الكتاب قوله:

فلا زلن حسرى ظلعاً لم حملنها إلى بلد ناءٍ قليل الأصادق

ووقع تحته لمتيم. وذكر آخر كل صوت في الكتاب ونسب إلى كل مغنٍّ صوته غير مخارقٍ وعلويه وعمرو بن بانة وعبد الله بن عباس فما ذكرهم بشيء.

سمعت شاهك جدة علي بن هشام صوتها فأعجبت بها وأمرت لها بجائزة: أخبرنا أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ابن المكي عن أبيه قال قال لي علي بن هشام: لما قدمت علي شاهك جدتي من خراسان، قالت: اعرض جواريك علي، فعرضتهن عليها. ثم جلسنا على الشراب، وغنتنا متيم. وأطالت جدتي الجلوس فلم أنبسط إلى جواري كما كنت أفعل، فقلت هذين البيتين: صوت

أنبقى على هذا وأنت قريبةٌ وقد منع الزوار بعض التكلم

سلامٌ عليكم لا سلام مودعٍ ولكن سلامٌ من حبيب متيم

وكتبتهما في رقعة ورميت بها إلى متيم، فأخذتها ونهضت إلى الصلاة ، ثم عادت وقد صنعت فيه اللحن الذي يغنى فيه اليوم، فغنت. فقالت شاهك: ما أرانا إلا قد ثقلنا عليكم اليوم، وأمرت الجواري فحملن محفتها، وأمرت بجوائز للجواري وساوت بينهن، وأمرت لمتيم بمائة ألف درهم.

هي أول من عقد على الإزار زناراً: وأخبرني قال: أول من عقد من النساء في طرف الإزار زناراً وخيط إبريسم ثم تجعله في رأسها فيثبت الإزار ولا يتحرك ولا يزول متيم.

مرت بقصر مولاها بعد قتله فرثته: أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال: مرت متيم في نسوةٍ وهي مستخفيةٌ بقصر علي بن هشام بعد أن قتل، فلما رأت بابه مغلقاً لا أنيس عليه وقد علاه التراب والغبرة وطرحت في أفنيته المزابل، وقفت عليه وتمثلت: صوت

يا منزلاً لم تبل أطلاله حاشا لأطلالك أن تبلى

لم أبك أطلالك لكنني بكيت عيشي فيك إذ ولى

قد كان لي فيك هوًى مرةً غيبه التراب وما ملا

فصرت أبكي جاهداً فقده عند اذكاري حيثما حلا

فالعيش أولى ما بكاه الفتى لا بد للمحزون أن يسلى

فيه رمل بالوسطى لا بن جامع قال: ثم بكت حتى سقطت من قامتها، وجعل النسوة يناشدنها ويقلن: الله الله في نفسك! فإنك تؤخذين الآن، فبعد لأيٍ ما حملت تتهادى بين امرأتين حتى تجاوزت الموضع.

أمرها المعتصم بالغناء فعرضت بمولاها: نسخت من كتاب أبي سعيد السكري حدثني الحارث بن أبي أسامة قال حدثني محمد بن الحسن عن عبد الله بن العباس الربيعي قال: قالت لي متيم: بعث إلي المعتصم بعد قدومه بغداد، فذهبت إليه، فأمرني بالغناء فغنيت:

هل مسعدٌ لبكاء بغبرة أو دماء

فقال: اعدلي عن هذا البيت إلى غيره، فغنيته غيره من معناه، فدمعت عيناه وقال: غني غير هذا. فغنيت في لحني:

أولئك قومي بعد عزٍّ ومنعةٍ تفانوا وإلا تذرف العين أكمد

فبكى وقال: ويحك! لا تغنيني في هذا المعنى شيئاً البتة . فغنيت في لحني:

لا تأمن الموت في حلٍّ وفي حرمٍ إن المنايا تغشى كل إنسان

واسلك طريقك هوناً غير مكترثٍ فسوف يأتيك ما يمني لك الماني

فقال: والله لولا أني أعلم أنك إنما غنيت بما في قلبك لصاحبك وأنك لم تريدني لمثلت بك، ولكن خذوا بيدها فأخرجوها، فأخذوا بيدي فأخرجت.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء صوت

هل مسعدٌ لبكاء بعبرة أو دماء

وذا لفقد خليلٍ لسادةٍ نجباء

الشعر لمراد شاعرة علي بن هشام ترثيه لما قتله المأمون. والغناء لمتيم. ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى. منها:

ذهبت من الدنيا وقد ذهبت مني

وقد أخرج في أخبار إبراهيم بن المهدي لأنه من غنائه وشعره، وشرحت أخباره فيه. ولحنه رملٌ بالوسطى. ومنها: صوت

أولئك قومي بعد عزّ ومنعة تفانوا وإلا تذرف العين أكمد

وقد أخرج في أخبار أبي سعيد مولى فائد والعبلي وغنيا فيه من مراثيهما في بني أميه. ولحن متيم هذا الذي غنت فيه المعتصم ثاني ثقيل بالوسطى.

ومنها: صوت

لا تأمن الموت في حل وفي حرم

ذك الهشامي أنه مما وجده من غناء متيم، غير أن لها لحناً فيه يذكر في موضع غير هذا على شرحٍ إن شاء الله تعالى، وإنما ألفت صوتاً تولعت به وغنته فنسبه إليها .

كانت تغني لنفسها خفيف رمل: وأخبرني قال: كنا في مجلسنا نياماً. فلما كان مع الفجر إذا متيم قد دخلت علينا وقالت: أطعموني شيئاً، فأخرجوا إليها شيئاً تأكله، فأكلت، ودعت بنبيذ وابتدأت الشرب، ودعت بعود فاندفعت تغني لنفسها وتشرب. وكان مما غنت:

كيف الثواء بأرض لا أراك بها يا أكثر الناس عندي منةً ويدا

خفيف رمل وقال: ما رأيت أحداً من المغنين والمغنيات إذا غنوا لأنفسهم يكادون يغنون إلا خفيف رمل.

نوحها على سيدها: وأخبرني قال حدثني بعض أهلها قال: لما أصبنا بعلي بن هشام، جاء النوائح، فطرح بعض من حضر من مغنياته عليهن نوحاً من نوح متيم، وكان حسناً جيداً، فأبطأ نوح النوائح اللاتي جئن لحسنه وجودته. وكانت زين حاضرةً فاستحسنته جداً، وقالت: رضي الله عنك يا متيم! كنت علماً في السرور، وأنت علم في المصائب.

وأخبرني قال: إني لأذكر من بعض نوحها:

لعليٍّ وأحمد وحسينٍ ثم نصر وقبله للخليل

هزجٌ.

أرسلت لها مؤنسة هدية يوم حجامتها: قال ابن المعتز: وأخبرني الهشامي قال: وجهت مؤنسة جارية المأمون إلى متيم جارية علي بن هشام في يومٍ احتجمت في مخنقةً في وسطها حبةٌ لها قيمة جليلة كبيرة وعن يمين الحبة ويسارها أربع يواقيت وأربع زمردات وما بينها من شذور الذهب، وباقي المخنقة قد طيب بغاليةٍ.

كانت تحب البنفسج وتؤثره على غيره: وأخبرني قال: كانت متيم يعجبها البنفسج جداً، وكان عندها آثر من كل ريحان وطيبٍ، حتى إنها من شدة إعجابها به لا يكاد يخلو من كمها الريحان ولا نراه إلا كما قطف من البستان .

لما ماتت هي وإبراهيم بن المهدي وبذل قالت جارية للمعتصم أظن أن في الجنة عرساً: وقد أخبرني رحمه الله قال حدثنا أبو جعفر بن الدهقانة:

أن جاريةً للمعتصم قالت له لما ماتت متيم وإبراهيم بن المهدي وبذل: يا سيدي، أظن أن في الجنة عرساً، فطلبوا هؤلاء إليه. فنهاها المعتصم عن هذا القول وأنكره. فلما كان بعد أيام، وقع حريقٌ في حجرة هذه القائلة فاحترق

كل ما تملكه. وسمع المعتصم الجلبة فقال: ما هذا؟ فأخبر عنه، فدعا بها فقال: ما قصتك؟ فبكت وقالت: يا سيدي، احترق كل ما أملكه. فقال: لا تجزعي، فإن هذا لم يحترق وإنما استعاره أصحاب ذلك العرس.

أمرها المأمون بأن تجيز شعراً: وقد ذكرت في متقدم أخبار متيم أنها كانت تقول الشعر و لم أذكر شيئاً. فمن ذلك ما أخبرنا به الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي طالب الديناري قال حدثني الفضل بن العباس بن يعقوب قال حدثني أبي قال: قال المأمون لمتيم جارية علي بن هشام: أجيزي لي هذين البيتين:

تعالي تكون الكتب بيني وبينكم ملاحظةً نومي بها ونشير

ورسلي بحاجاتي وهن كثيرةٌ إليك إشاراتٌ بها وزفير

صوت من المائة المختارة

إن العيون التي في طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك له وهن أضعف خلق الله أركانا

عروضه من البسيط. والشعر لجرير. والغناء لابن محرز. ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل. وفي هذه القصيدة أبياتٌ أخر تغنى فيه ألحانٌ سوى هذا اللحن، منها قوله: صوت من المائة المختارة

أتبعتهم مقلةً إنسانها غرقٌ هل ما ترى تاركٌ للعين إنسانا

إن العيون التي في طرفها مرضٌ قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

الغناء في هذين البيتين ثقيلٌ أول مطلق بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

ومنها أيضاً: صوت

بان الأخلا وما ودعت من بانا وقطعوا من حبال الوصل أركانا

أصبحت لا أبتغي من بعدهم بدلاً بالدار داراً ولا الجيران جيرانا

وصرت مذ ودع الأظعان ذا طربٍ مروعاً من حذار البين محزانا

في الأول والثاني والثالث من الأبيات خفيف رمل بالبنصر. وفيها للغريض ثاني ثقيل بالبنصر، من رواية عمرو بن بانة والهشامي. وذكر حبشٌ أن فيه لمالك خفيف رملٍ بالوسطى، ولابن سرجس في الأول والثاني وبعدهما:

أتبعتهم مقلةً إنسانها غرقٌ

رملٌ بالوسطى. وذكر الهشامي أن لابن محرز في الأول والثاني بعدهما أتبعتهم مقلة لحناً من الثقيل الأول بالبنصر، وذكر المكي أنه لمعبد.

الجزء الثامن

نسب جرير وأخباره

نسبه من قبل أبويه: جرير بن عطية بن الخطفى. والخطفى لقبٌ، واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار. ويكنى أبا حزرة. ولقب الخطفى لقوله:

يرفعن لليل إذا ما أسدفا أعناق جنانٍ وهاماً رجفا

وعنقاً بعد الكلل خيطفا

ويروى: خطفى.

وهو والفرزدق والأخطل المقدمون على شعراء الإسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعاً. ومختلفٌ في أيهم المتقدم، و لم يبق أحد من شعراء عصرهم إلا تعرض لهم فافتضح وسقط وبقوا يتصاولون، على أن الأخطل إنما دخل بين جرير والفرزدق في آخره أمرهما وقد أسن ونفد أكثر عمره. وهو وإن كان له فضله وتقدمه فليس نجره من نجار هذين في شيء، وله أخبار مفردة عنهما ستذكر بعد هذا مع ما يغنى من شعره.

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي قال حدثنا محمد بن سلام الجمحي، وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش قالا حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب وأبي غسان دماذ وإبراهيم بن سعدان عن أبيه جميعاً عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، بنسب جرير على ما ذكرته وسائر ما أذكره في الكتاب من أخباره فأحكيه عن أبي عبيدة أو عن محمد بن سلام. قالوا جميعاً: وأم جرير أم قيس بنت معيد بن عمير بن مسعود بن حارثة بن عوف بن كليب بن يربوع. وأم عطية النوار بنت يزيد بن عبد العزى بن مسعود بن حارثة بن عوف بن كليب.

قال أبو عبيدة ومحمد بن سلام ووافقهما الأصمعي فيما أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة عنه: اتفقت العرب على أن أشعر أهل الإسلام ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل، واختلفوا في تقديم بعضهم على بعض. قال محمد بن سلام: والراعي معهم في طبقتهم ولكنه آخرهم، والمخالف في ذلك قليل. وقد سمعت يونس يقول: ما شهدت مشهداً قط ذكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهل المجلس على أحدهما. وكان يونس فرزدقياً. قال ابن سلام: وقال ابن دأب: الفرزدق أشعر عامةً وجرير أشعر خاصةً. وقال أبو عبيدة: كان أبو عمرو يشبه جريراً بالأعشى، والفرزدق بزهير، والأخطل بالنابغة، قال أبو عبيدة: يحتج من قدم جريراً بأنه كان أكثرهم فنون

شعر، وأسهلهم ألفاظاً، وأقلهم تكلفاً، وأرقهم نسيباً، وكان ديناً عفيفاً. وقال عامر بن عبد الملك: جرير كان أشبههما وأنسبهما.

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني: قال خالد بن كلثوم: ما رأيت أشعر من جرير والفرزدق، قال الفرزدق بيتاً مدح فيه قبيلتين وهجا قبيلتين، قال:

عجبت لعجلٍ إذ تهاجي عبيدها ... كما آل يربوعٍ هجوا آل دارم

يعني بعبيدها بني حنيفة. وقال جرير بيتاً هجا فيه أربعة:

إن الفرزدق والبعيث وأمه ... وأبا البعيث لشر ما إستار

قال: وقال جرير: لقد هجوت التيم في ثلاث كلمات ما هجا فيهن شاعر شاعراً قبلي، قلت:

من الأصلاب ينزل لؤم تيمٍ ... وفي الأرحام يخلق والمشيم

جرير وطبقته من الشعراء: وقال محمد بن سلام: قال العلاء بن جرير العنبري وكان شيخاً قد جالس الناس: إذا لم يجيء الأخطل سابقاً فهو سكيتٌ، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سكيتاً، وجرير يجيء سابقاً ومصلياً وسكيتاً.

قال محمد بن سلام: ورأيت أعرابياً من بني أسد أعجبني ظرفه وروايته، فقلت له: أيهما عندكم أشعر؟ قال: بيوت الشعر أربعة: فخرٌ ومديح وهجاء ونسيب، وفي كلها غلب جرير، قال في الفخر:

إذا غضبت عليك بنو تميمٍ ... حسبت الناس كلهم غضابا

والمديح:

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

والهجاء:

فغض الطرف إنك من نميرٍ ... فلا كعباً بلغت ولا كلابا

والنسب:

إن العيون التي في طرفها حور ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

قال أبو عبد الله محمد بن سلام: وبيت النسيب عندي:

فلما التقى الحيان ألقيت العصا ... ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

قال كيسان: أما والله لقد أوجعكم يعني في الهجاء. فقال: يا أحمق! أو ذاك يمنعه أن يكون شاعراً! تفضيله عبيدة بن هلال على الفرزدق: أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة، وأخبرنا أبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام الجمحي قال حدثني أبان بن عثمان البلخي قال: تنازع في جرير والفرزدق رجلان في عسكر المهلب، فارتفعا إليه وسألاه، فقال: لا أقول بينهما شيئاً ولكني أدلكما على من يهون عليه

سخطهما: عبيدة بن هلال اليشكري وكان بإزائه مع قطري وبينهما نهر. وقال عمر بن شبة: في هؤلاء الخوارج من تهون عليه سبال كل واحد منهما فأما أنا فما كنت لأعرض نفسي لهما. فخرج أحد الرجلين وقد تراضيا بحكم الخوارج، فبدر من الصف ثم دع بعبيدة بن هلال للمبارزة فخرج إليه.

فقال: إني أسألك عن شيء تحاكمنا إليك فيه، فقال: وما هو؟ عليكما لعنة الله. قال: فأي الرجلين عندك أشعر: أجرير أم الفرزدق؟ فقال: لعنكما الله ولعن جريراً والفرزدق! أمثلي يسأل عن هذين الكلبين! قالا: لا بد من حكمك. قال: فإني سائلكم قبل ذلك عن ثلاث. قالوا: سل. قال: ما تقولون في إمامكم إذا فجر؟ قالوا: نطيعه وإن عصى الله عز وجل. قال: قبحكم الله! فما تقولون في كتاب الله وأحكامه قالوا: ننبذه وراء ظهورنا ونعطل أحكامه. قال: لعنكم الله إذاً! فما تقولون في اليتيم؟ قالوا: نأكل ماله وننيك أمه. قال: أخزاكم الله إذاً! والله لقد زدتموني فيكم بصيرةً. ثم ذهب لينصرف، فقالوا له: إن الوفاء يلزمك، وقد سألتنا فأخبرناك و لم تخبرنا، فرجع فقال: من الذي يقول:

إنا لنذعر يا قفير عدونا ... بالخيل لاحقة الأياطل قودا

وتحوط حوزتنا وتحمي سرحنا ... جردٌ ترى لمغارها أخدودا

أجرى قلائدها وقدد لحمها ... ألا يذقن مع الشكائم عوداً

وطوى القياد مع الطراد متونها ... طي التجار بحضر موت برودا

قالا: جريرٌ، فهو ذاك، فانصرفا.

حديث الأصمعي وغيره عنه: أخبرني عم أبي عبد العزيز بن أحمد قال حدثنا الرياشي قال قال الأصمعي وذكر جريراً فقال: كان ينهشه ثلاثة أوربعون شاعراً فينبذهم وراء ظهره ويرمي بهم واحداً واحداً، ومنهم من كان ينفحه فيرمي به، وثبت له الفرزدق والأخطل. وقال جرير: والله ما يهجوني الأخطل وحده وإنه ليهجوني معه خمسون شاعراً كلهم عزيزٌ ليس بدون الأخطل، وذلك أنه كان إذا أراد هجائي جمعهم على شراب، فيقول هذا بيتاً وهذا بيتاً، وينتحل هو القصيدة بعد أن يتمموها.

قال ابن سلام: وحدثني أبو البيداء الرياحي قال قال الفرزدق: إني وإياه لنغترف من بحر واحد وتضطرب دلاؤه عند طول النهر.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني زيرك بن هبيرة المناني قال: كان جريرٌ ميدان الشعر، من لم يجر فيه لم يرو شيئاً، وكان من هاجى جريراً فغلبه جرير أرجح عندهم ممن هاجى شاعراً آخر غير جرير فغلب.

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: تذاكروا جريراً والفرزدق في حلقة يونس بن معاوية بن أبي عمر بن العلاء وخلف الأحمر ومسمع وعامر ابنا عبد الملك المسمعيان، فسمعت عامراً وهو شيخ بكر بن وائل يقول:

كان جرير والله أنسبهما وأسبهما وأشبههما.

سمع الراعي شعره فأقر بأنه جدير بالسبق: قال ابن سلام: وحدثني أبو البيداء قال: مر راكبٌ بالراعي وهو يغني بيتين لجرير، وهما:

وعاو عوى من غير شيء رميته ... بقارعةٍ أنفاذها تقطر الدما

خروجٍ بأفواه الرواة كأنها ... قرا هندوانيٍّ إذ هز صمما

فأتبعه الراعي رسولاً يسأله لمن البيتان؟ قال: لجرير. قال: لو اجتمع على هذا جميع الجن والإنس ما أغنوا فيه شيئاً. ثم قال لمن حضر: ويحكم أألام على أن يغلبني مثل هذا!.

رأي بشار فيه وفي صاحبيه ورثاؤه ابنه: قال ابن سلام: وسألت بشاراً المرعث: إي الثلاثة أشعر؟ فقال: لم يكن الأخطل مثلهما ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه. قلت: فهذان؟ قال: كانت لجرير ضروبٌ من الشعر لا يحسنها الفرزدق، ولقد ماتت النوار فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير. فقلت لبشار: وأي شيء لجريرٍ من المراثي إلا التي رثى بها امرأته! فأنشدني لجرير يرثي ابنه سوادة ومات بالشأم:

قالوا نصيبك من أجرٍ لهم ... كيف العزاء وقد فارقت أشبالي

فارقتني حين كف الدهر من بصري ... وحين صرت كعظم الرمة البالي

أمس سوادة يجلو مقلتي لحمٍ ... بازٍ يصرصر فوق المربأ العالي

قد كنت أعرفه مني إذا غلقت ... رهن الجياد ومد الغاية الغالي

إن الثوي بذي الزيتون فاحتسبي ... قد أسرع اليوم في عقلي وفي حالي

إلا تكن لك بالديرين معولةٌ ... فرب باكيةٍ بالرمل معوال

كأم بوٍّ عجولٍ عند معهده ... حنت إلى جلدٍ منه وأوصال

حتى إذا عرفت أن لا حياة به ... ردت هماهم حرى الجوف مثكال

زادت على وجدها وجداً وإن رجعت ... في الصدر منها خطوبٌ ذات بلبال

أخبرني عبد الواحد بن عبيد عن قعنب بن المحرز الباهلي عن المغيرة بن حجناء وعمارة بن عقيل قالا: خرج جرير إلى دمشق يؤم الوليد، فمرض ابن له يقال له سوادة، وكان به معجباً، فمات بالشأم، فجزع عليه ورثاه جرير فقال:

أودى سوادة يجلو مقلتي لحمٍ ... بازٍ يصرصر فوق المربأ العالي

حديث الفرزدق عنه: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية قال حدثني رجل من أصحاب الحديث يقال له الحسن قال حدثني أبو نصر اليشكري عن مولى لبني هاشم قال:

إمترى أهل المجلس في جرير والفرزدق أيهما أشعر، فدخلت على الفرزدق فما سألني عن شيء حتى قال: يا نوار، أدركت برنيتك؟ قالت: قد فعلت أو كادت. قال: فابثعي بدرهم فاشتري لحماً، ففعلت وجعلت تشرحه وتلقيه على النار ويأكل. ثم قال: هاتي برنيتك، فشرب قدحاً ثم ناولني، وشرب آخر ثم ناولني. ثم قال: هات حاجتك يا بن أخي، فأخبرته، قال: أعن ابن الخطفى تسألني! ثم تنفس حتى قلت: انشقت حيازيمه، ثم قال: قاتله الله! فما أخشن ناحيته وأشرد قافيته! والله لو تركوه لأبكى العجوز على شبابها، والشابة على أحبابها، ولكنهم هروه فوجدوه عند الهراش نابجا وعند الجراء قارحاً، وقد قال بيتاً لأن أكون قلته أحب إلى مما طلعت عليه الشمس:

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

أثنى عليه الفرزدق أمام الأحوص: أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة، قالا: نزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة. فقال الأحوص: ما تشتهي؟ قال: شواء وطلاء وغناء. قال: ذلك لك، ومضى به إلى قينة بالمدينة، فغنته: صوت

ألا حي الديار بسعد إني أحب لحب فاطمة الديارا
إذا ما حل أهلك يا سليمى بدارة صلصلٍ شحطوا مزارا
أراد الظاعنون ليحزنوني فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

غناه أبو محرز خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر فقال الفرزدق: ما أرق أشعاركم يأهل الحجاز وأملحها! قال: أو ما تدري لمن هذا الشعر؟ قال: لا والله. قال: فهو والله لجريرٍ يهجوك به. فقال: ويل ابن المراغة! ما كان أحوجه مع عفافه إلى صلابة شعري، وأحوجني مع شهواتي إلى رقة شعره!.

قدم المدينة وتحدث مع الأحوص حتى أخزاه وأقبل على أشعب وأجازه: أخبرني أحمد قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق الموصلي، وأخبرني محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه قال قال إسحاق بن يحيى بن طلحة: قدم علينا جريرٌ المدينة فحشدنا له، فبينا نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته، وجاء الأحوص فقال: أين هذا؟ فقلنا: قام آنفاً، ما تريد منه؟ قال: أخزيه، والله إن الفرزدق لأشعر منه وأشرف. فأقبل جريرٌ علينا وقال: من الرجل؟ قلنا: الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح. قال: هذا الخبيث بن الطيب. ثم أقبل عليه فقال: قد قلت:

يقر بعيني ما يقر بعينها وأحسن شيءٍ ما به العين قرت

فإنه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر، أفيقر ذلك بعينك؟ قال: وكان الأحوص يرمى بالأبنة فانصرف وأرسل إليه بتمر وفاكهة. وأقبلنا نسأل جريراً وهو في مؤخر البيت وأشعب عند الباب، فأقبل أشعب يسأله، فقال له جرير: والله إنك لأقبحهم وجهاً ولكني أراك أطولهم حسباً، وقد أبرمتني. فقال: أنا والله أنفعهم لك. فانتبه جريرٌ فقال: كيف؟ قال: إني لأملح شعرك، واندفع يغنيه قوله: صوت

يا أخت ناجية السلام عليكم قبل الفراق وقيل لوم العذل

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الفراق فعلت ما لم أفعل

قال: فأدناه جريرٌ منه حتى ألصق ركبته بركبته وجعله قريباً منه، ثم قال: أجل! والله إنك لأنفعهم لي وأحسنهم تزييناً لشعري، أعد، فأعاده عليه وجرير يبكي حتى اخضلت لحيته، ثم وهب لأشعب دراهم كانت معه وكساه حلةً من حلل الملوك. وكان يرسل إليه طول مقامه بالمدينة فيغنيه أشعب ويعطيه جريرٌ شعره فيغني فيه قال: وكان أشعب من أحسن الناس صوتاً. قال حماد: والغناء الذي غناه فيه أشعب لابن سريج.

أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد السكري عن الرياشي عن الأصمعي قال وذكر المغيرة بن حجناء قال حدثني أبي عن أبيه عن جده يحيى بن أعين، وذكر ذلك هشام بن الكلبي قال حدثني النهشلي من بني مسعود بن خالد بن مالك بن ربعي بن سلمى بن جندل قال حدثني مسحل بن كسيب بن عمران بن عطاء بن الخطفى، وأمه الربداء بنت جرير - وهذا الخبر وإن كان فيه طولٌ محتوٍ على سائر أخبار من ناقض جريراً أو اعتن بينه وبين الفرزدق وغيره فذكرته هنا لاشتماله على ذلك في بلاغ واختصار - : أن جريراً قدم على الحكم بن أيوب بن يحيى بن الحكم بن أبي عقيل، وهو خليفة للحجاج يومئذ، فمدحه جرير فقال:

أقبلت من ثهلان أو جنبي خيم على قلاصٍ مثل خيطان السلم

ثهلان: جبلٌ كان لباهلة ثم غلبت عليه نميرٌ. وخيم: جبلٌ يناوحه من طرفه الأقصى فيما بين ركنه الأقصى وبين مطلع الشمس، به ماء ونخل:

قد طويت بطونها طي الأدم يبحثن بحثاً كمضلات الخدم

إذا قطعن علما بدا علم حتى تناهين إلى باب الحكم

خليفة الحجاج غير المتهم في معقد العز وبؤبؤء الكرم

بعد انفضاج البدن واللحم زيم

فلما قدم عليه استنطقه فأعجبه ظرفه وشعره، فكتب إلى الحجاج: إنه قدم علي أعرابيٌّ شيطانٌ من الشياطين. فكتب إليه أن ابعث به إلي، ففعل، فقدم عليه فأكرمه الحجاج وكساه جبة صبريةً وأنزله فمكث أياماً. ثم أرسل إليه بعد نومه فقالوا: أجب الأمير، فقال: ألبس ثيابي، فقالوا: لا! والله لقد أمرنا أن نأتيه بك على الحال التي نجدك عليها، ففزع جرير وعليه قميص غليظ وملاءة صفراء. فلما رأى ما به رجلٌ من الرسل دنا منه وقال: لا بأس عليك، إنما دعاك للحديث. قال جرير: فلما دخلت عليه قال: إيه يا عدو الله! علام تشتم الناس وتظلمهم؟ فقلت: جعلني الله فداء الأمير، والله إني ما أظلمهم ولكنهم يظلمونني فأنتصر. ما لي ولابن أم غسان! وما لي وللبعيث! وما لي وللفرزدق! وما لي وللأخطل! وما لي وللتيمي! حتى عددهم واحداً واحداً. فقال الحجاج: ما

أدري ما لك ولهم! قال: أخبر الأمير أعزه الله: أما غسان بن ذهبل فإنه رجلٌ من قومي هجاني وهجا عشيرتي وكان شاعراً. قال: فقال: لك ماذا؟ قال قال لي:

لعمري لئن كانت بجيلة زانها ... جريرٌ لقد أخزي كليباً جريرها
رميت نضالاً عن كليبٍ فقصرت ... مراميك حتى عاد صفراً جفيرها
ولا يذبحون الشاة إلا بميسرٍ ... طويلٌ تناجيها صغارٌ قدورها

قال: فما قلت له؟ قال قلت:

ألا ليت شعري عن سليطٍ ألم تجد ... سليطٌ سوى غسان جاراً يجيرها
فقد ضمنوا الأحساب صاحب سوءةٍ ... يناجي بها نفساً خبيثاً ضميرها
كأن سليطاً في جواشنها الخصى ... إذا حل بين الأملحين وقيرها
أضجوا الروايا بالمزاد فإنكم ... ستكفون ركض الخيل تدمى نحورها
كأن السليطيات مجناة كمأةٍ ... لأول جانٍ بالعصا يستثيرها
عضاريط يشوون الفراسن بالضحى ... إذا ما السرايا حث ركضاً مغيرها
فما في سليطٍ فارسٌ ذو حفيظةٍ ... ومعقلها يوم الهياج جعورها
عجبت من الداعي جحيشاً وصائداً ... وعيساء يسعى بالعلاب نفيرها

قال: ثم من؟ قال: البعيث. قال: ما لك وله؟ قال: اعترض دونه ابن أم غسان يفضله علي ويعينه. قال: فما قال لك؟ قال قال لي:

كليبٌ لئام الناس قد تعلمونه ... وأنت إذا عدت كليبٌ لئيمها
أترجو كليبٌ أن يجيء حديثها ... بخيرٍ وقد أعيا كليباً قديمها

قال: فما قلت له؟ قال قلت:

ألم ترأني قد رميت ابن فرتنى ... بصماء لا يرجو الحياة أميمها
له أم سوءٍ بئس ما قدمت له ... إذا فرط الأحساب عد قديمها

قال: ثم من؟ قلت: الفرزدق. قال: وما لك وله؟ قلت: أعان البعيث علي.

قال: فما قلت له؟ قال قلت:

تمنى رجالٌ من تميمٍ لي الردى ... وما ذاد عن أحسابهم ذائدٌ مثلي
كأنهم لا يعلمون مواطني ... وقد جربوا أني أنا السابق المبلى

فلو شاء قومي كان حلمي فيهم وكان على جهال أعدائهم جهلي

قد زعموا أن الفرزدق حيةٌ وما قتل الحيات من أحدٍ قبلي

قال: ثم من؟ قلت: الأخطل. قال: ما لك وله؟ قلت: رشاه محمد بن عمير ابن عطاردٍ زقاً من خمر وكساه حلةً على أن يفضل علي الفرزدق ويهجوني. قال: فما قال لك؟ قال قال:

إخسأ إليك كليب إن مجاشعاً وأبا الفوارس نهشلاً أخوان

وإذا وردت الماء كان لدارمٍ جماته وسهولة الأعطان

وإذا قذفت أباك في ميزانهم رجحوا وشال أبوك في الميزان

قال: فما قلت له؟ قال قلت:

ياذا العباءة إن بشراً قد قضى ألا تجوز حكومة النشوان

فدعوا الحكومة لستم من أهلها إن لحكومة في بني شيبان

قتلوا كليبكم بلقحة جارهم يا خزر تغلب لستم بهجان

قال: ثم من؟ قلت: عمر بن لجأ التيمي. قال: ما لك وله؟ قال: قلت بيتاً من شعر فقبحه وقاله على غير ما قلته؟ قلت:

لقومي أحمى للحقيقة منكم وأضرب للجبار والنقع ساطع

وأوثق عند المردفات عشيةً لحاقاً إذا ما جرد السيف لامع

فزعم أني قلت:

وأوثق عند المرهفات عشيةً لحاقاً إذا ما جرد السيف لامع

فقال: لحقتهن عند العشي وقد أخذن غدوةً، والله ما يمسين حتى يفضحن.

قال: فما قلت له؟ قال قلت:

يا تيم تيم عدي لا أبا لكم لا يوقعنكم في سوءة عمر

خل الطريق لمن يبني المنار به وابرز ببرزة حيث اضطرك القدر

حتى أتى على الشعر. قال: ثم من؟ قلت: سراقة بن مرداس البارقي. قال: ما لك وله؟ قال قلت: لا شيء، حمله بشر بن مروان وأكرهه على هجائي، ثم بعث إلي رسولاً وأمرني أن أجيبه. قال: فما قال لك؟ قال قال:

إن الفرزدق برزت أعراقه عفواً وغودر في الغبار جرير

ما كنت أول محمرٍ قعدت به مسعاته إن اللئيم عثور
هذا قضاء البارقي وإنه بالميل في ميزانكم لبصير

قال: فما قلت له؟ قال قلت:

يا بشر حق لوجهك التبشير هلا غضبت لنا وأنت أمير
بشرٌ أبو مروان إن عاسرته عسرٌ وعند يساره ميسور
إن الكريمة ينصر الكرم ابنها وابن اللئيمة للئام نصور
قد كان حقك أن تقول لبارقٍ يا آل بارق فيم سب جرير
وكسحت باستك للفخار وبارقٌ شيخان أعمى مقعدٌ وكسير

قال: ثم من؟ قلت: البلتع وهو المستنير بن سبرة العنبري. قال: ما لك وله؟ قلت: أعان علي ابن لجأ. قال: فما قال لك؟ قلت قال:

إن التي ربتك لما طلقت قعدت على جحش المراغة تمرغ
أتعيب من رضيت قريشٌ صهره وأبوك عبدٌ بالخورنق أذلغ

قال: فما قلت له؟ قال قلت:

فما مستنير الخبث إلا فراشةٌ هوت بين مؤتج الحريقين ساطع
نهيت بنات المستنير عن الرقى وعن مشيهن الليل بين المزارع

ويروى:

بين مؤتجٍّ من النار ساطع

قال: ثم من؟ قلت: راعي الإبل. قال: ما لك وله؟ قلت: قدمت البصرة وكان بلغني أنه قال لي:

يا صاحبي دنا الرواح فسيرا غلب الفرزدق في الهجاء جريرا

وقال أيضاً:

رأيت الجحش جحش بني كليبٍ تيمم حوض دجلة ثم هابا

فقلت: يا أبا جندل، إنك شيخ مضر وشاعرها، وقد بلغني أنك تفضل علي الفرزدق، وأنت تسمع قولك، وهو ابن عمي دونك، فإن كان لا بد من تفضيلٍ فأنا أحق به لمدحي قومك وذكري إياهم. قال: وابنه جندلٌ على فرسٍ له، فأقبل يسير بفرسه حتى ضرب عجز دابتي وأنا قائم فكاد يقطع أصبع رجلي وقال: لا أراك واقفاً على هذا الكلب من بني كليب، فمضى، وناديته: أنا ابن يربوع! إن أهلك بعثوك مائراً من هبود وبئس المائر، وإنما

بعثني أهلي لأقعد على قارعة هذا المربد فلا يسبهم أحدٌ إلا سببته، وإن علي نذراً إن جعلت في عيني غمضاً حتى أخزيك. قال: فما أصبحت حتى هجوته فقلت:

فغض الطرف إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلابا

قال فغدوت عليه من الغد فأخذته بعنانه، فما فارقته حتى أنشدته إياها. فلما مررت على قولي:

أجندل ما تقول بنو نميرٍ إذاً ما الأير في است أبيك غابا

قال: فأرسل يدي وقال: يقولون والله شراً.

قال: ثم من؟ قلت: العباس بن يزيد الكندي قال: ما لك وله؟ قال لما قلت:

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضاباً

قال:

ألا رغمت أنوف بني تميمٍ فساة التمر إن كانوا غضابا

لقد غضبت عليك بنو تميمٍ فما نكأت بغضبتها ذبابا

لو اطلع الغراب على تميم وما فيها من السوءات شابا

قال: فتركته خمس سنين لا أهجوه، ثم قدمت الكوفة فأتيت مجلس كندة، فطلبت إليهم أن يكفوه عني، فقالوا: ما نكفه وإنه لشاعرٌ وأوعدوني، فقلت:

ألا أبلغ بني حجر بن وهبٍ بأن التمر حلوٌ في الشتاء

فعودوا للنخيل فأبروها وعيثوا بالمشقر فالصفاء

قال: فمكثت قليلاً، ثم بعثوا إلي راكباً فأخبروني بمثالبه وجواره في طيءٍ حيث جاور عتاباً، وحبل أخته هضيبة حيث حبلت. قال: فقلت ماذا؟ قال قلت:

إذا جهل الشقي ولم يقدر لبعض الأمر أوشك أن يصاباً

أعبداً حل في شعبى غريباً ألؤماً لا أبا لك واغترابا

فما خفيت هضيبة حين جرت ولا إطعام سخلتها الكلابا

تخرق بالمشاقص حالبيها وقد بلت مشيمتها الترابا

فقد حملت ثمانيةً وأوفت بتاسعها وتحسبها كعاباً

قال: ثم من؟ قلت: جفنة الهزاني بن جعفر بن عباية بن شكس من عنزة. قال: وما لك وله؟ قال: أقبل سائلاً حتى أتاني وأنا أمدر حوضاً لي، فقال: يا جرير، قم إلي ها هنا، قلت نعم. ثم أتيته فقلت: ما حاجتك؟ قال: مدحتك

فاستمع مني. قلت: أنشدني فأنشد، فقلت: قد والله أحسنت وأجملت، فما حاجتك؟ قال: تكسوني الحلة التي كساكها الوليد بن عبد الملك العام. فقلت: أني لم أقف فيها بالموسم، ولا بد من أن أقف فيها العام، ولكني أكسوك حلة خيراً منها كان كسانيها الوليد عاماً أول. فقال: ما أقبل غيرها بعينها. فقلت: بلى، فاقبل وأزيدك معها دنانير نفقةً. فقال: ما أفعل، ومضى فأتى المرار بن منقذ أحد بني العدوية، فحمله على ناقةٍ له يقال لها القصواء. فقال جفنة:

لعمرك للمرار يوم لقيته ... على الشحط خيرٌ من جريرٍ وأكرم

قال: فما قلت له؟ قال قلت:

لقد بعثت هزان جفنة مائراً ... فآب وأحذى قومه شر مغنم

فيا راكب القصواء ما أنت قائلٌ ... لهزان إذ أسلمتها شر مسلم

أظن عجان التيس هزان طالباً ... علالة سباق الأضاميم مرجم

كأن بني هزان حين رديتهم ... وبارٌ تضاغت تحت غارٍ مهدم

بني عبد عمروٍ قد فرغت إليكم ... وقد طال زجري لو نهاكم تقدمي

ورصعاء هزانيةٍ قد تحفشت ... على مثل حرباء الفلاة المعمم

قال: ثم من؟ قلت: المرار بن منقذ. قال: ما لك وله؟ قلت: أعان علي الفرزدق. قال: فما قلت له؟ قال قلت:

بني منقذٍ لا صلح حتى تضمكم ... من الحرب صماء القناة زبون

وحتى تذوقوا كأس من كان قبلكم ... ويسلح منكم في الحبال قرين

فإن كنتم كلبى فعندي شفاؤكم ... وللجن إن كان اعتراك جنون

قال: ثم من؟ قلت: حكيم بن معية من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. قال: وما لك وله؟ قلت: بلغني أنه أعان علي غسان السليطي. قال: فما قلت له؟ قال قلت:

إذا طلع الركبان نجداً وغوروا ... بها فارجزا يا بني معية أو دعا

أتسمن أستاه المجر وقد رأوا ... مجراً بو عساوي رماح مصرعا

ألا إنما كانت غضوب محامياً ... غداة اللوى لم تدفع الضيم مدفعا

قال: ثم من؟ قلت: ثور بن الأشهب بن رميلة النهشلي. قال: وما لك وله؟ قلت: أعان علي الفرزدق. قال: فما قلت له؟ قال قلت:

سيخزى إذا ضنت حلائب مالكٍ ... ثويرٌ ويخزى عاصمٌ وجميع

وقبلك ما أعيا الرماة إذا رموا صفاً ليس في قاراتهن صدوع

قال: ثم من؟ قلت: الدلهمس أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة. قال: ما لك وله؟ قلت: أعان علي الفرزدق. قال: فما قلت له؟ قال قلت:

لقد نفخت منك الوريدين علجةٌ خبيثة ريح المنكبين قبوع

ولو أنجبت أم الدلهمس لم يعب فوارسنا لا عاش وهو جميع

أليس ابن حمراء العجان كأنما ثلاثة غربانٍ عليه وقوع

فلا تدنيا رحل الدلهمس إنه بصيرٌ بما يأتي اللئام سميع

هو النخبة الخوار ما دون قلبه حجابٌ ولا حول الحجاب ضلوع

قال: ثم مررت على مجلس لهم فاعتذرت إليهم فلم يقبلوا عذري، وأنشدوني شعراً لم يخبروني من قاله:

غضبت علينا أن علاك ابن غالبٍ فهلا على جديك في ذاك تغضب

هما إذ علا بالمرء مسعاة قومه أناخا فشداك العقال المؤرب

قال: فعلمت أنه شعر قبضة الكلب. قال: فجمعتهم في شعري فقلت:

و أكثر ما كانت ربيعة أنها خباءان شتى لا أنيسٌ ولا قفر

محالفهم فقرٌ شديدٌ وذلةٌ وبئس الحليفان المذلة والفقر

فصبراً على ذل ربيع بن مالكٍ وكل ذليلٍ خير عادته الصبر

قال: ثم من؟ قلت: هبيرة بن الصلت الربعي من ربيعة بن مالكٍ أيضاً، كان يروي شعر الفرزدق. قال: فما قلت له؟ قال قلت:

يمشي هبيرة بعد مقتل شيخه مشي المراسل أوذنت بطلاق

ماذا أردت إلي حين تحرقت ناري وشمر مئزري عن ساقي

إن القراف بمنخريك لبينٌ وسواد وجهك يا بن أم عفاق

سيروا فرب مسبحين وقائلٍ هذا شقاً لبني ربيعة باقي

أبني ربيعة قد أخس بحظكم لؤم الجدود ودقة الأخلاق

قال: ثم من؟ قلت: علقة والسرندى من بني الرباب كانا يعينان ابن لجأ. قال: فما قلت لهما؟ قال قلت:

عض السرندي على تثليم ناجذه من أم علقه بظراً غمه الشعر

وعض علقة لا يألو بعرعرةٍ من بظر أم السرندى وهو منتصر

قال: ثم من؟ قلت: الطهوي، كان يروي شعر الفرزدق. قال: ما قلت له؟ قال قلت:

أتنسون وهباً يا بني زبد استها وقد كنتم جيران وهب بن أبجرا
فما تتقون الشر حتى يصيبكم ولا تعرفون الأمر إلا تدبرا
ألا رب أعشى ظالمٍ متخمطٍ جعلت لعينيه جلاءً فأبصرا

قال: ثم من؟ قلت: عقبة بن السنيع الطهوي وكان نذر دمي. قال: فما قلت له: قال قلت:

يا عقب يا بن سنيع ليس عندكم مأوى الرفاق ولا ذو الراية الغادي
يا عقب يا بن سنيع بعض قولكم إن الوثاب لكم عندي بمرصاد
ما ظنكم بيني ميثاء إن فزعوا ليلاً وشد عليهم حية الوادي
يغدو علي أبو ليلى ليقتلني جهلاً علي ولم يثأر بشداد
إرووا علي وأرضوا بي صديقكم واستسمعوا يا بني ميثاء إنشادي

ميثاء هي بنت زهير بن شداد الطهوي وهي أم عوف بن أبي سود بن مالك ابن حنظلة.

وقال أيضاً لبني ميثاء:

نبئت عقبة خصافاً توعدني يا رب آدر من ميثاء مأفون
لو في طهية أحلامٌ لما اعترضوا دون الذي كنت أرميه ويرميني

قال: ثم من؟ قلت: سمحة الأعور النبهاني، كانت له امرأة من طيء ولدت في بني سليط فأعطوه وحملوه علي. فسألني فاشتط، و لم يكن عندي فحرمته، فقال:

أقول لأصحابي النجاء فإنه كفى الذم أن يأتي الضيوف جرير
جرير ابن ذات البظر هل أنت زائلٌ لقدرك دون النازلين ستور
وهل يكرم الأضياف كلبٌ لكلبةٍ لها عند أطناب البيوت هرير
فلو عند غسان السليطي عرست رغا قرنٌ منها وكاس عقير
فتًى هو خيرٌ منك نفساً ووالداً عليك إذا كان الجوار يجير

فقال جرير:

وجدنا بني نبهان أذناب طيء وللناس أذنابٌ ترى وصدور
تغنى ابن نبهانيةٍ طال بظرها وباع ابنها عند الهياج قصير

وأعور من نبهان أما نهاره فأعمى وأما ليله فبصير

ستأتي بني نبهان مني قصائدٌ تطلع من سلمى وهن وعور

ترى قزم المعزى مهور نسائهم وفي قزم المعزى لهن مهور

قال: وطلع الصبح فنهض ونهضت. قال: فأخبرني من كان قاعداً معه أنه قال: قاتله الله أعرابياً! إنه لجروهراش.

قصته مع الراعي وابنه جندل:

أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد السكري عن الرياشي عن الأصمعي قال وذكر المغيرة بن حجناء قال حدثني أبي عن أبيه قال: كان راعي الإبل يقضي للفرزدق على جرير ويفضله، وكان راعي الإبل قد ضخم أمره وكان من شعراء الناس. فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال: هلا تعجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق علي وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم! قال جرير: فضربت رأيي فيه. ثم خرج جرير ذات يوم يمشي و لم يركب دابته، وقال: والله ما يسرني أن يعلم أحد. وكان لراعي الإبل والفرزدق وجلسائهما حلقةٌ بأعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها. قال: فخرجت أتعرض له لألقاء من حيالٍ حيث كنت أراه يمر إذا انصرف من مجلسه، وما يسرني أن يعلم أحد، حتى إذا هو قد مر على بغلة له وابنه جندلٌ يسير وراءه على مهرٍ له أحوى محذوف الذنب وإنسانٌ يمشي معه يسأله عن بعض السبب، فلما استقبلته قلت: مرحباً بك يا أبا جندل!

وضربت بشمالي على معرفة بغلته، ثم قلت: يا أبا جندل! إن قولك يستمع وإنك تفضل الفرزدق علي تفضيلاً قبيحاً وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم وهو ابن عمي، ويكفيك في ذاك هينٌ: إذا ذكرنا أن تقول كلاهما شاعرٌ كريم، ولا تحتمل مني ولا منه لائمةً. قلا: فبينا أنا وهو كذاك واقفاً علي. وما رد علي بذلك شيئاً حتى لحق ابنه جندلٌ، فرفع كرمانية معه فضرب بها عجز بغلته ثم قال: لا أراك واقفاً على كلبٍ من بني كليب كأنك تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً! وضرب البغلة ضربةً، فرمحتني رمحةً وقعت منها قلنسوتي، فو الله لو يعرج علي الراعي لقلت سفيهٌ غوى - يعني جندلاً ابنه - ولكن لا والله ما عاج علي، فأخذت قلنسوتي فمسحتها ثم أعدتها على رأسي ثم قلت:

أجندل ما تقول بنو نميرٍ إذا ما الأير في است أبيك غابا

فسمعت الراعي قال لابنه: أما والله لقد طرحت قلنسوته طرحةً مشؤومة. قال جريرٌ: ولا والله ما القلنسوة بأغيظ أمره إلي لو كان عاج علي، فانصرف جرير غضبان حتى إذا صلى العشاء بمنزله في عليةٍ له قال: ارفعوا إلي باطيةً من نبيذ وأسرجوا لي، فأسرجوا له وأتوه بباطيةٍ من نبيذ. قال: فجعل يهمهم، فسمعت صوته عجوزٌ في الجار فاطلعت في الدرجة حتى نظرت إليه، فإذا هو يحبو على الفراش عرياناً لما هو فيه، فانحدرت فقالت: ضيفكم مجنون! رأيت منه كذا وكذا! فقالوا لها: اذهبي لطيتك، نحن أعلم به وبما يمارس. فما زال كذلك حتى كان السحر، ثم إذا هو يكبر قد قالها ثمانين بيتاً في بني نمير. فلما ختمها بقوله:

فغض الطرف إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلابا

كبر ثم قال: أخزيته ورب الكعبة. ثم أصبح، حتى إذا عرف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمربد، وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق، دعا بدهنٍ فادهن وكف رأسه، وكان حسن الشعر، ثم قال: يا غلام، أسرج لي، فأسرج له حصاناً، ثم قصد مجلسهم، حتى إذا كان بموضع السلام قال: يا غلام - ولم يسلم - قل لعبيدٍ: أبعثك نسوتك تكسبهن المال بالعراق! أما والذي نفس جريرٍ بيده لترجعن إليهن بميرٍ يسوءهن ولا يسرهن! ثم اندفع فيها فأنشدها. قال: فنكسر الفرزدق وراعى الإبل وأرم القوم، حتى إذا فرغ منها سار، وثبت راعي الإبل ساعةً ثم ركب بغلته بشرٍّ وعرٍّ وخلى المجلس حتى ترقى إلى منزله الذي ينزله ثم قال لأصحابه: ركابكم ركابكم، فليس لكم ها هنا مقام، فضحكم والله جرير! فقال له بعض القوم: ذاك شؤمك وشؤم ابنك. قال: فما كان إلا ترحلهم. قال فسرنا إلى أهلنا سيراً ما ساره أحد، وهم بالشريف وهو أعلى دار بني نميرٍ. فيحلف بالله راعى الإبل إنا وجدنا في أهلنا:

فغض الطرف إنك من نميرٍ

وأقسم بالله ما بلغه إنسيٌّ قط، وإن لجريرٍ لأشياعاً من الجن. فتشاءمت به بنو نمير وسبوه وابنه، فهم يتشاءمون به إلى الآن.

قال قصيدته في هجو الراعي عند رجل من أنصاره: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال حدثني مولًى لبني كليب بن يربوع كان يبيع الرطب بالبصرة أنسيت اسمه قال:

كنت أجمع شعر جرير وأشتهي أن أحفظه وأرويه. فجاءني ليلةً فقال: إن راعى الإبل النميري قد هجاني، وإني آتيك الليلة فأعد لي شواءً رشراشاً ونبيذاً مخفساً، فأعددت له ذلك. فلما أعتم جاءني فقال: هلم عشاءك، فأتيته به، فأكل ثم قال: هلم نبيذك، فأتيته به، فشرب أقداحاً ثم قال: هات دواةً وكتفاً، فأتيته بهما، فجعل يملي علي قوله:

أقلي اللوم عاذل والعتابا وقولي إن أصبت لقد أصابا

حتى بلغ إلى قوله:

فغض الطرف إنك من نميرٍ

فجعل يردده ولا يزيد عليه حتى حملتني عيني، فضربت بذقني صدري نائماً، فإذا به قد وثب حتى أصاب السقف رأسه وكبر ثم صاح: أخزيته والله! أكتب:

فلا كعباً بلغت ولا كلابا

غضضته وقدمت إخوته عليه! والله لا يفلح بعدها أبداً. فكان والله كما قال ما أفلح هو ولا نميري بعدها.

أنشد الفرزدق أشطار شعر له فأخبر بتواليها: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي

عبيدة قال: أقبل راكبٌ من اليمامة، فمر بالفرزدق وهو جالس في المربد، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من اليمامة. فقال: هل رأيت ابن المراغة؟ قال نعم؟ قال: فأي شيءٍ أحدث بعدي؟ فأنشده:

هاج الهوى لفؤادك المهتاج

فقال الفرزدق:

فانظر بتوضح باكر الأحداج

فأنشده الرجل:

هذا هوًى شغف الفؤاد مبرحٌ

فقال الفرزدق:

ونوًى تقاذف غير ذات خلاج

فأنشده الرجل:

إن الغراب بما كرهت لمولعٌ

فقال الفرزدق:

بنوى الأحبة دائم التشحاج

فقال الرجل: هكذا والله، قال أفسمعتها من غيري؟ قال: لا! ولكن هكذا ينبغي أن يقال، أو ما علمت أن شيطاننا واحد! ثم قال: أمدح بها الحجاج؟ قال نعم: قال. إياه أراد.

أجاب الفرزدق في الحج جواباً حسناً: أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال حدثنا محمد بن إسحاق بن عبد الرحمن قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني أبو عبيدة قال: إلتقى جريرٌ والفرزدق بمنًى وهما حاجان، فقال الفرزدق لجرير:

فإنك لاقٍ بالمنازل من منًى فخاراً فخبرني بمن أنت فاخر

فقال له جريرٌ: بلبيك اللهم لبيك. قال إسحاق: فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويعجبون منه.

هجا التيم فلم يؤثر فيهم من لؤم أصلهم: أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام، وأخبرني وكيعٌ عن محمد بن إسماعيل عن ابن سلام قال حدثنا أبو الخطاب عن أبيه عن حجباء بن جرير قال: قلت لأبي: يا أبت، ما هجوت قوماً إلا أفسدتهم سوى التيم. فقال: إني لم أجد حسباً أضعه، ولا بناء أهدمه.

حديثه مع ابنه عن درجات الشعراء: قال ابن سلام أخبرني أبو قيس عن عكرمة بن جرير قال: قلت لأبي: يا أبت، من أشعر الناس؟ فقال: أفالجاهلية تريد أم الإسلام؟ قلت: أخبرني عن الجاهلية. قال: شاعر الجاهلية زهير. قلت: فالإسلام؟ قال: نبعة الشعر الفرزدق. قلت: فالأخطل؟ قال: يجيد صفة الملوك ويصيب نعت الخمر. قلت:

فما تركت لنفسك؟ قال: دعني فإني نحرت الشعر نحراً.

سمعه الفرزدق ينشد بائيته فتوقع فيها نصف بيت فيه هجو له فكان كما ظن: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني الحسن بن عليل قال حدثني محمد بن عبد الله العبدي عن عمارة بن عقيل عن جده قال: وقف الفرزدق على أبي بمربد البصرة وهو ينشد قصيدته التي هجا بها الراعي، فلما بلغ إلى قوله:

فغض الطرف إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلابا

أقبل الفرزدق على روايته فقال: غضه والله فلا يجيبه أبداً ولا يفلح بعدها. فلما بلغ إلى قوله:

بها برصٌ بجانب إسكتيها

وضع الفرزدق يده على فيه وغطى عنفقته، فقال أبي:

كعنفقة الفرزدق حين شابا

فانصرف الفرزدق وهو يقول: اللهم أخزه! والله لقد علمت حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غير هذا، ولكن طمعت ألا يأبه فغطيت وجهي، فما أغناني ذلك شيئاً. قال العتري حدثني مسعود بن بشر عن أبي عبيدة قال قال يونس: ما أرى جريراً قال هذا المصراع إلا حين غطى الفرزدق عنفقته، فإنه نبهه عليه بتغطيته إياها.

سئل الفرزدق عمن يجاريه في الشعر فلم يعترف إلا به: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي قال:

قال رجل من بني دارم للفرزدق وهو بالبصرة: يا أبا فراس، هل تعلم اليوم أحداً يرمي معك؟ فقال: لا! والله ما أعرف نابحاً إلا وقد استكان ولا ناهشاً إلا وقد انجحر إلا القائل:

فإن لم أجد في القرب والبعد حاجتي تشأمت أو حولت وجهي يمانيا

فردي جمال الحي ثم تحملني فما لك فيهم من مقامٍ ولا ليا

فإني لمغرورٌ أعلل بالمنى ليالي أرجو أن مالك ماليا

وقائلةٍ والدمع يحدر كحلها أبعد جرير تكرمون الموماليا

بأي نجادٍ تحمل السيف بعد ما قطعت القوى من محملٍ كان باقيا

بأي سنانٍ تطعن القرم بعدما نزعت سناناً من قناتك ماضيا

لساني وسيفي صارمان كلاهما وللسيف أشوى وقعةً من لسانيا

قال: وهذا الشعر لجرير.

وفد على يزيد بن معاوية وأخذ جائزته: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد بن عمارة بن عقيل عن أبيه قال: قال جرير: وفدت إلى يزيد بن معاوية وأنا شابٌ يومئذ، فاستؤذن لي عليه في جملة

الشعراء، فخرج الحاجب إلي وقال: يقول لك أمير المؤمنين: إنه لا يصل إلينا شاعر لا نعرفه ولا نسمع بشيءٍ من شعره، وما سمعنا لك بشيء فنأذن لك على بصيرة. فقلت له: تقول لأمير المؤمنين: أنا القائل:

وإني لعف الفقر مشترك الغنى ... سريعٌ إذا لم أرض داري انتقاليا

جريء الجنان لا أهاب من الردى ... إذا ما جعلت السيف قبض بنانيا

وليس لسيفي في العظام بقيةٌ ... وللسيف أشوى وقعةً من لسانيا

فدخل الحاجب عليه فأنشده الأبيات، ثم خرج إلي وأذن لي، فدخلت وأنشدته وأخذت الجائزة مع الشعراء، فكانت أول جائزة أخذتها من الخليفة، وقال لي: لقد فارق أبي الدنيا وما يظن أبياتك التي توسلت بها إلي إلا لي.

موازنة حماد الراوية بينه وبين الفرزدق: أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال: أتيت الفرزدق فأنشدني، ثم قال لي: هل أتيت الكلب جريراً؟ قلت نعم. قال: فأنا أشعر أو هو؟ فقلت: أنت في بعض الأمر وهو في بعض. فقال: لم تناصحني. فقلت: هو أشعر إذا أرخى من خناقه، وأنت أشعر منه إذا خفت أو رجوت. فقال: وهل الشعر إلا في الخوف والرجاء وعند الخير والشر!.

حكم له بشر بن مروان وقد تفاخر هو والفرزدق بحضرته: أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني عن يحيى بن عنبسة القرشي وعوانة بن الحكم: أن جريراً والفرزدق اجتمعا عند بشر بن مروان، فقال لهما بشر: إنكما قد تقارضتما الأشعار وتطالبتما الآثار وتقاولتما الفخر وتهاجيتما. فأما الهجاء فليست بي إليه حاجة، فجددا بين يدي فخراً ودعاني مما مضى. فقال الفرزدق:

نحن السنام والمناسم غيرنا ... فمن ذا يساوي بالسنام المناسما !

فقال جرير:

على موضع الأستاه أنتم زعمتم ... وكل سنامٍ تابعٌ للغلاصم

فقال الفرزدق:

على محرثٍ للفرث أنتم زعمتم ... ألا إن فوق الغلصمات الجماجما

فقال جرير:

وأنبأتمونا أنكم هام قومكم ... ولا هام إلا تابعٌ للخراطم

فقال الفرزدق:

فنحن الزمام القائد المقتدى به ... من الناس ما زلنا ولسنا لهازما

فقال جرير:

فنحن بني زيد قطعنا زمامها ... فتاهت كسارٍ طائش الرأس عارم

فقال بشر: غلبته يا جرير بقطعك الزمام وذهابك بالناقة. وأحسن الجائزة لهما وفضل جريراً.

جرير وسكينة بنت الحسين: قال المدائني وحدثني عوانة بن الحكم قال: جاء جرير إلى باب سكينة بنت الحسين عليه السلام يستأذن عليها فلم تأذن له، وخرجت إليه جارية لها فقالت: تقول لك سيدتي: أنت القائل:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعي بسلام

قال نعم. قالت: فألا أخذت بيدها فرحبت به وأدنيت مجلسها وقلت لها ما يقال لمثلها! أنت عفيفٌ وفيك ضعف، فخذ هذين الألفي الدرهم فالحق بأهلك.

تفضيل سكينة بنت الحسين له على الفرزدق:

قال المدائني في خبره هذا وحدثني أبو يعقوب الثقفي عن الشعبي: أن الفرزدق خرج حاجاً، فلما قضى حجه عدل إلى المدينة فدخل إلى سكينة بنت الحسين عليهما السلام فسلم. فقالت له: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا. قلت: كذبت! أشعر منك الذي قال:

بنفسي من تجنبه عزيزٌ علي ومن زيارته لمام

ومن أمسي وأصبح لا أراه ويطرقني إذا هجع النيام

فقال: والله لو أذنت لي لأسمعتك أحسن منه. قالت: أقيموه فأخرج ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها، فقالت: يا فرزدق، من أشعر الناس. قال: أنا. قالت: كذبت! صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول:

لولا الحياء لعادني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

كانت إذا هجر الضجيع فراشها كتم الحديث وعفت الأسرار

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليلٌ يكر عليهم ونهار

فقال: والله لئن أذنت لي لأسمعنك أحسن منه، فأمرت به فأخرج. ثم عاد إليها في اليوم الثالث وحولها مولداتٌ لها كأنهن التماثيل، فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن فأعجب بها وبهت ينظر إليها. فقالت له سكينة: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت! صاحبك أشعر منك حيث يقول:

إن العيون التي في طرفها مرضٌ قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا

أتبعتهم مقلةً إنسانها غرق هل ما ترى تاركٌ للعين إنسانا

فقال: والله لئن تركتني لأسمعنك أحسن منه، فأمرت بإخراجه. فالتفت إليها وقال: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لي عليك حقاً عظيماً. قالت: وما هو؟ قال: ضربت إليك اباط الإبل من مكة إرادة التسليم عليك، فكان جزائي من ذلك تكذيبي وطردي وتفضيل جرير علي ومنعك إياي أن أنشدك شيئاً من شعري، وبي ما قد عيل منه صبري، وهذه المنايا تغدو وتروح، ولعلي لا أفارق المدينة حتى أموت، فإذا أنا مت فمري بي أن

أدرج في كفني وأدفن في حر هذه يغني الجارية التي أعجبته. فضحكت سكينة وأمرت له بالجارية، فخرج بها آخذاً بريطتها، وأمرت الجواري فدفعن في أقفيتهما، ونادته. يا فرزدق احتفظ بها وأحسن صحبتها فإني آثرتك بها على نفسي.

حضر أعرابي مائدة عبد الملك بن مروان ووصف له طعاماً أشهى من طعامه ثم سأله عن أحسن الشعر فأجاب من شعر جرير.

قال المدائني في خبره هذا وحدثني أبو عمران بن عبد الملك بن عمير عن أبيه، وحدثنيه عوانة أيضاً قالا:

صنع عبد الملك بن مروان طعاماً فأكثر وأطاب ودعا إليه الناس فأكلوا. فقال بعضهم: ما أطيب هذا الطعام! ما نرى أن أحداً رأى أكثر منه ولا أكل أطيب منه. فقال أعرابي من ناحية القوم: أما أكثر فلا، وأما أطيب فقد والله أكلت أطيب منه، فطفقوا يضحكون من قوله. فأشار إليه عبد الملك فأدني منه، فقال: ما أنت بمحقٍّ فيما تقول إلا أن تخبرني بما يبين به صدقك. فقال: نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا بهجر في برثٍ أحمر في أقصى حجر، إذ توفي أبي وترك كلاً وعيالاً، وكان له نخل، فكانت فيه نخلةٌ لم ينظر الناظرون إلى مثلها، كأن تمرها أخفاف الرباع لم ير تمرٌ قد أغلظ ولا أصلب ولا أصغر نوًى ولا أحلى حلاوةً منه. وكانت تطرقها أتانٌ وحشيةٌ قد ألفتها تأوي الليل تحتها، فكانت تثبت رجليها في أصلها وترفع يديها وتعطو بفيها فلا تترك فيها إلا النبيذ والمتفرق، فأعظمني ذلك ووقع مني كل موقع، فانطلقت بقوسي وأسهمي وأنا أظن أني أرجع من ساعتي، فمكثت يوماً وليلةً لا أراها، حتى إذا كان السحر أقبلت، فتهيأت لها فرشقتها فأصبتها وأجهزت عليها، ثم عمدت إلى سرتها فاقتددتها، ثم عمدت إلى حطب جزل فجمعته إلى رضفٍ وعمدت إلى زندي فقدحت وأضرمت النار في ذلك الحطب، وألقيت سرتها فيها، وأدركني نوم الشباب فلم يوقظني إلا حر الشمس في ظهري، فانطلقت إليها فكشفتها وألقيت ما عليها من قذًى وسواد ورماد، ثم قلبت منها مثل الملاءة البيضاء، فألقيت عليها من رطب تلك النخلة المجزعة والمنصفة، فسمعت لها أطيطاً كتداعي عامرٍ وغطفان، ثم أقبلت أتناول الشحمة واللحمة فأضعها بين التمرتين وأهوي إلى فمي، فيما أحلف إني ما أكلت طعاماً مثله قط. فقال له عبد الملك : لقد أكلت طعاماً طيباً، فمن أنت؟ قال: أنا رجل جانبتني عنعنة تميمٍ وأسدٍ وكشكشة ربيعة وحوشي أهل اليمن وإن كنت منهم. فقال: من أيهم أنت؟ قال: من أخوالك من عذرة. قال: أولئك فصحاء الناس، فهل لك علمٌ بالشعر؟ قال: سلني عما بدا لك يا أمير المؤمنين. قال: أي بيتٍ قالته العرب أمدح؟ قال: قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

قال: وكان جرير في القوم، فرفع رأسه وتطاول لها. ثم قال: فأي بيتٍ قالته العرب أفخر؟ قال: قول جرير:

إذا غضبت عليك بنو تميم ... حسبت الناس كلهم غضابا

قال: فتحرك لها جرير. ثم قال له: فأي بيتٍ أهجى؟ قال: قول جري:

فغض الطرف إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلابا

قال: فاستشرف لها جريرٌ. قال: فأي بيتٍ أغزل؟ قال: قول جرير:

إن العيون التي في طرفها مرضٌ قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

قال: فاهتز جرير وطرب. ثم قال له: فأي بيتٍ قالته العرب أحسن تشبيهاً؟ قال: قول جرير:

سرى نحوهم ليلٌ كأن نجومه قناديل فيهن الذبالى المفتل

فقال جرير: جائزتي للعذري يا أمير المؤمنين. فقال له عبد الملك: وله مثلها من بيت المال، ولك جائزتك يا جرير لا تنتقص منها شيئاً. وكانت جائزة جريرٍ آلاف درهم وتوابعها من الحملان والكسوة. فخرج العذري وفي يده اليمنى ثمانية آلاف درهم وفي اليسرى رزمة ثياب.

تفضيل عبيدة بن هلال لجرير على الفرزدق: أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن عياش الهمداني قال:

بينا المهلب ذات يوم أو ليلةٍ بفارس وهو يقاتل الأزارقة إذ سمع في عسكره جلبةً وصياحاً، فقال: ما هذا؟ قالوا: جماعةٌ من العرب تحاكموا إليك في شيء. فأذن لهم فقالوا: إنا اختلفنا في جرير والفرزدق، فكل فريقٍ منا يزعم أن أحدهما أشعر من الآخر، وقد رضينا بحكم الأمير. فقال: كأنكم أردتم أن تعرضوني لهذين الكلبين فيمزقا جلدتي! لا أحكم بينهما، ولكني أدلكم على من يهون عليه سبال جرير وسبال الفرزدق، عليكم بالأزارقة، فإنهم قومٌ عربٌ يبصرون بالشعر. ويقولون فيه بالحق. فلما كان الغد خرج عبيدة بن هلال اليشكري ودعا إلى المبارزة، فخرج إليه رجل من عسكر المهلب كان لقطري صديقاً، فقال له: يا عبيدة، سألتك الله إلا أخبرتني عن شيء أسألك عنه. قال: سل. قال: أو تخبرني؟ قال: نعم إن كنت أعلمه. قال: أجريرٌ أشعر أم الفرزدق؟ قال: قبحك الله! أتركت القرآن والفقه وسألتني عن الشعر! إنا تشاجرنا في ذلك ورضينا بك. فقال من الذي يقول:

وطوى الطراد مع القياد بطونها طي التجار بحضرموت برودا

فقال: جرير. قال: هذا أشعر الرجلين.

لم يترع في شعره إلى الغزل ولا إلى الرجز: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي عن العتبي قال: قال جرير: ما عشقت قط، ولو عشقت لنسبت نسيباً تسمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها، وإني لأرى من الرجز أمثال آثار الخيل في الثرى، ولولا أني أخاف أن يستفرغني لأكثرت منه.

جرير في ضيافة عبد العزيز بن الوليد: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وعمي قالا حدثنا ابن الأعرابي قال حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن بيهس بن صهيب الجرمي عن عامر بن شبل الجرمي قال: قدم جرير على عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وهو نازلٌ بدير مران، فكنا نغدو إليه بكراً، فيخرج إلينا ويجلس في برنس خزٍّ له لا يكلمنا كلمةً حتى يجيء طباخ عبد العزيز إليه بقدحٍ من طلاء مسخن يفور، وبكتلةٍ من سمن كأنها هامة رجل فيخوضها

فيه، ثم يدفعه إليه فيأتي عليه، ويقبل علينا ويحدثنا في كل فن، وينشدنا لنفسه ولغيره، حتى يحضر غداء عبد العزيز فنقوم إليه جميعاً. وكان يختم مجلسه بالتسبيح فيطيل. فقال له رجل: ما يغني عنك هذا التسبيح مع قذفك للمحصنات! فتبسم وقال: يا بن أخي خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم، إنهم والله يا بن أخي يبدءوني ثم لا أحلم.

وفد رجل من قبيلة الفرزدق على امرأة من بني حنيفة فأسمعته هجو جرير لهم وقصة عشقها لابن عم محمد:

أخبرني عمي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعيد بن جعفر بن يوسف بن محمد بن موسى قال حدثني الأخفش عن أبي محذورة الوراق عن أبي مالكٍ الراوية قال سمعت الفرزدق يقول: وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني إبراهيم بن محمد الطائفي قال حدثني محمد بن مسعدة الأخفش عن أبي محذورة الوراق عن أبي مالك الراوية قال: سمعت الفرزدق يقول: أبق غلامان لرجلٍ منا يقال له الخضر، فحدثني قال: خرجت في طلبهما وأنا على ناقةٍ لي عيساء كوماء أريد اليمامة، فلما صرت في ماءٍ لبني حنيفة يقال له الصرصران ارتفعت سحابةٌ فرعدت وبرقت وأرخت عزاليها، فعدلت إلى بعض ديارهم وسألت القرى فأجابوا فدخلت داراً لهم وأنخت الناقة وجلست تحت ظلةٍ لهم من جريد النخل، وفي الدار جويريةٌ لهم سوداء، إذ دخلت جاريةٌ كأنها سبيكة فضة وكأن عينيها كوكبان دريان، فسألت الجارية: لمن هذه العيساء؟ تعني ناقتي فقالت: لضيفكم هذا. فعدلت إلي فقالت: السلام عليك، فرددت عليها السلام. فقالت لي: ممن الرجل؟ فقلت: من بني حنظلة. فقالت: من أيهم؟ فقلت: من بني نهشل. فتبسمت وقالت: أنت إذاً ممن عناه الفرزدق بقوله:

إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتاً دعائمه أعز وأطول

بيتاً بناه لنا المليك وما بنى ... ملك السماء فإنه لا ينقل

بيتاً زرارة محتبٍ بفنائه ... ومجاشعٌ وأبو الفوارس نهشل

قال: فقلت: نعم جعلت فداك! وأعجبني ما سمعت منها. فضحكت وقالت: فإن ابن الخطفى قد هدم عليكم بيتكم هذا الذي فخرتم به حيث يقول:

أخزى الذي رفع السماء مجاشعاً ... وبنى بناءك بالحضيض الأسفل

بيتاً يحمم قينكم بفنائه ... دنساً مقاعده خبيث المدخل

قال: فوجمت. فلما رأت ذلك في وجهي قالت: لا عليك، فإن الناس يقال فيهم ويقولون: ثم قالت: أين تؤم؟ قلت: اليمامة. فتنفست الصعداء ثم قالت: ها هي تلك أمامك، ثم أنشأت تقول:

تذكرني بلاداً خير أهلي ... بها أهل المروءة والكرامة

ألا فسقى الإله أجش صوباً ... يسح بدره بلد اليمامة

وحيا بالسلام أبا نجيدٍ فأهلٌ للتحية والسلامة

قال: فأنست بها وقلت لها: أذات خدنٍ أم ذات بعلٍ؟ فأنشأت تقول:

إذا رقد النيام فإن عمراً تؤرقه الهموم إلى الصباح

تقطع قلبه الذكرى وقلبي فلا هو بالخلي ولا بصاح

سقى الله اليمامة دار قوم بها عمروٌ ويحن إلى الرواح

فقلت لها: من عمرو هذا؟ فأنشأت تقول:

سألت ولو علمت كففت عنه ومن لك بالجواب سوى الخبير

فإن تك ذا قبولٍ إن عمراً هو القمر المضيء المستنير

وما لي بالتبعل مستراحٌ ولو رد التبعل لي أسيري

قال: ثم سكتت سكتةً كأنها تتسمع إلى كلام، ثم تهافتت وأنشأت تقول:

يخيل لي هيا عمرو بن كعبٍ كأنك قد حملت على سرير

يسير بك الهوينى القوم لما رماك الحب بالعلق العسير

فإن تك هكذا يا عمرو إني مبكرةٌ عليك إلى القبور

ثم شهقت شهقة فخرت ميتةً. فقلت لهم: من هذه؟ فقالوا: هذه عقيلة بنت الضحاك بن عمرو بن محرق بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء. فقلت لهم: فمن عمروٌ هذا؟ قالوا: ابن عمها عمرو بن كعب بن محرق بن النعمان بن المنذر، فارتحلت من عندهم. فلما دخلت اليمامة سألت عن عمرو هذا فإذا هو قد دفن في ذلك الوقت الذي قلت فيه ما قالت.

قصته مع عمر بن عبد العزيز حين وفد عليه: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو الهيثم بدر بن سعيد العطار قال حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: لما استخلف عمر بن عبد العزيز جاءه الشعراء فجعلوا لا يصلون إليه، فجاء عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وعليه عمامةٌ قد أرخى طرفيها فدخل، فصاح به جرير:

يأيها القارىء المرخى عمامته هذا زمانك إني قد مضى زمني

أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه أني لدى الباب كالمصفود في قرن

قال: فدخل على عمر فاستأذن له، فأدخله عليه. وقد كان هيأ له شعراً، فلما دخل عليه غيره وقال:

إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر

نال الخلافة إذ كانت له قدراً ... كما أتى ربه موسى على قدر

أأذكر الجهد والبلوى التي نزلت ... أم تكتفي بالذي بلغت من خبري

ما زلت بعدك في دارٍ تعرفني ... قد طال بعدك إصعادي ومنحدري

لا ينفع الحاضر المجهود بادينا ... ولا يجود لنا بادٍ على حضر

كم بالمواسم من شعثاء أرملةٍ ... ومن يتيمٍ ضعيف الصوت والبصر

يدعوك دعوة ملهوفٍ كأن به ... خبلاً من الجن أو مساً من النشر

ممن يعدك تكفي فقد والده ... كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر

قال: فبكى عمر ثم قال: يا بن الخطفى، أمن أبناء المهاجرين أنت فنعرف لك حقهم، أم من أبناء الأنصار فيجب لك ما يجب لهم، أم من فقراء المسلمين فنأمر صاحب صدقات قومك فيصلك بمثل ما يصل به قومك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ما أنا بواحدٍ من هؤلاء، وإني لمن أكثر قومي مالاً، وأحسنهم حالاً، ولكني أسألك ما عودتنيه الخلفاء: أربعة آلاف درهم وما يتبعها من كسوةٍ وحملانٍ. فقال له عمر: كل امرىء يلقى فعله، وأما أنا فما أرى لك في مال الله حقاً، ولكن انتظر، يخرج عطائي، فأنظر ما يكفي عيالي سنةً منه فأدخره لهم، ثم إن فضل فضلٌ صرفنها إليك. فقال جرير: لا، بل يوفر أمير المؤمنين ويحمد وأخرج راضياً، قال: فذلك أحب إلي، فخرج. فلما ولى قال عمر: إن شر هذا ليتقى، ردوه إلي، فردوه فقال: إن عندي أربعين ديناراً وخلعتين إذا غسلت إحداهما لبست الأخرى، وأنا مقاسمك ذلك، على أن الله جل وعز يعلم أن عمر أحوج إلى ذلك منك. فقال له: قد وفرك الله يا أمير المؤمنين وأنا والله راض. قال: أما وقد حفلت فإن ما وفرته علي و لم تضيق به معيشتنا آثر في نفسي من المدح، فامض مصاحباً، فخرج. فقال له أصحابه وفيهم الفرزدق: ما صنع بك أمير المؤمنين يا أبا حزرة؟ قال: خرجت من عند رجل يقرب الفقراء ويباعد الشعراء وأنا مع ذلك عنه راضٍ ثم وضع رجله في غرز راحلته وأتى قومه. فقالوا له: ما صنع بك يا أمير المؤمنين أبا حزرة؟ فقال:

تركت لكم بالشأم حبل جماعةٍ ... أمين القوى مستحصد العقد باقيا

وجدت رقى الشيطان لا تستفزه ... وقد كان شيطاني من الجن راقيا

هذه رواية عمر بن شبة. وأما اليزيدي فإنه قال في خبره: فقال له جريرٌ يا أمير المؤمنين، فإني ابن سبيل. قال: لك ما لأنباء السبيل، زادك ونفقةٌ تبلغك وتبدل راحلتك إن لم تحملك. فألح عليه، فقالت له بنو أمية: يا أبا حزرة، مهلاً عن أمير المؤمنين، ونحن نرضيك من أموالنا عنه، فخرج. وجمعت له بنو أمية مالاً عظيماً، فما خرج من عند خليفةٍ بأكثر مما خرج من عند عمر.

رؤيا أمه وهي حامل به: أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة

قال: رأت أم جريرٍ وهي حاملٌ به كأنها ولدت حبلاً من شعرٍ أسود، فلما سقط منها جعل يترو فيقع في عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجالٍ كثيرٍ، فانتبهت فزعةً فأولت الرؤيا فقيل لها: تلدين غلاماً شاعراً ذا شرٍّ وشدة شكيمة وبلاءٍ على الناس. فلما ولدته جريراً باسم الحبل الذي رأت أنه خرج منها. قال: والجرير: الحبل.

قال إنه أشعر الناس لأنه فاخر بأبيه وهو دنيء: قال إسحاق وقال الأصمعي حدثني بلال بن جرير - أو حدثت عنه - أن رجلاً قال لجرير: من أشعر الناس؟ قال له: قم حتى أعرفك الجواب، فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطية وقد أخذ عتراً له فاعتقلها وجعل يمص ضرعها، فصاح به: اخرج يا أبت، فخرج شيخٌ دميمٌ رث الهيئة وقد سال لبن العتر على لحيته، فقال: ألا ترى هذا؟ قال نعم. قال: أو تعرفه؟ قال لا. هذا أبي، أفتدري لم كان يشرب من ضرع العتر؟ قلت لا. قال: مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن. ثم قال: أشعر الناس من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعراً وقارعهم به فغلبهم جميعاً.

إخوته: حدثني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله بن محمد بن موسى مولى بني هاشم قال حدثني عمارة بن عقيل عن المغيرة بن حجناء عن أبيه قال: ولد جريرٌ لسبعة أشهر، فكان الفرزدق يعيره ذلك، وفيه يقول:

وأنت ابن صغرى لم تتم شهورها

قال وولد عطية جريراً - وأمه أم قيس بنت معيد من بني كليب - وعمراً وأبا الورد. فأما أبو الورد فكان يحسد جريراً، فذهبت لجريرٍ إبلٌ فشمت به أبو الورد فقال له جريرٌ:

أبا الورد أبقى الله منها بقيةً ... كفت كل لوامٍ خذولٍ وحاسد

وأما عمرو فكان أكبر من جرير، وكان يقارضه الشعر. فقال له جريرٌ:

وعمرو قد كرهت عتاب عمروٍ ... وقد كثر المعاتب والذنوب

وقد صدعت صخرة من رماكم ... وقد يرمى بي الحجر الصليب

وقد قطع الحديد فلا تماروا ... فرندٌ لا يفل ولا يذوب

شعر قاله ليزيد ابن معاوية يعاتب به أباه: قال: وأول شعر قاله جرير في زمن معاوية، قال لابنه:

فردي جمال البين ثم تحملي ... فما لك فيهم من مقامٍ ولا ليا

لقد قادني الجيران يوماً وقدتهم ... وفارقت حتى ما تصب جماليا

وإني لمغرورٌ أعلل بالمنى ... ليالي أرجو أن مالك ماليا

بأي سنانٍ تطعن القرم بعدما ... نزعت سناناً من قناتك ماضيا

بأي نجادٍ تحمل السيف بعدما ... قطعت القوى من محملٍ كان باقيا

قال: وكان يزيد بن معاوية عاتب أباه بهذه الأبيات ونسبها إلى نفسه، لأن جريراً لم يكن شعره شهر حينئذٍ. فقدم جرير على يزيد في خلافته فاستؤذن له مع الشعراء، فأمر يزيد ألا يدخل عليه شاعر إلا من عرف شعره، فقال جرير: قولوا له: أنا القائل:

فرديي جمال الحي ثم تحملي فما لك فيهم من مقامٍ و لا ليا

فأمر بإدخاله. فلما أنشده قال يزيد: لقد فارق أبي الدنيا وما يحسب إلا أني قائلها، وأمر له بجائزة وكسوة.

استعار من أبيه فحلاً ولما استرده منه عرض به: أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال قال أبو عبيدة قال أبو عمرو: استعار جرير من أبيه فحلاً يطرقه في إبله، فلما استغنى عنه جاءه أبوه في بتٍّ خلقٍ يسترده، فدفعه إليه وقال: يا أبت، هذا ترد إلى عطية تعتل. يعرض بقول الفرزدق فيه:

ليس الكرام بناحليك أباهم حتى ترد عطية تعتل

اتعاظه بجنازة مرت عليه: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي وعمر بن شبة قالا حدثنا الأصمعي قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال: جلس جرير يملي على رجل قوله:

ودع أمامة حان منك رحيل إن الوداع لمن تحب قليل

فمروا عليه بجنازة، فقطع الأنشاد وجعل يبكي، ثم قال: شيبتني هذه الجنازة. قال أبو عمرو: فقلت له: فعلام تقذف المحصنات منذ كذا وكذا! فقال: إنهم يبدءونني ثم لا أعفو.

قيل إنه فضل لمقاومته الفرزدق: أخبرني عمي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال حدثنا عبد الله بن المعذل قال: كان أبي وجماعةٌ من علمائنا يقولون: إنما فضل جريرٌ لمقاومته الفرزدق، وأفضل شعرٍ قاله جرير:

حي الهدملة من ذات المواعيس

هجا بني الهجيم لأنهم منعوه الإنشاد في مسجدهم: أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا أبو الغراف قال: أتى الفرزدق مجلس بني الهجيم في مسجدهم فأنشدهم، وبلغ ذلك جريراً فأتاهم من الغد لينشدهم كما أنشدهم الفرزدق. فقال له شيخ منهم: يا هذا اتق الله! فإن هذا المسجد إنما بني لذكر الله والصلاة. فقال جرير: أقررتم للفرزدق ومنعتموني! وخرج مغضباً وهو يقول:

إن الهجيم قبيلةٌ معلونةٌ حص اللحى متشابهو الألوان

هم يتركون بنيهم وبناتهم صعر الأنوف لريح كل دخان

لو يسمعون بأكلة أو شربةٍ بعمان أصبح جمعهم بعمان

قال: وخفة اللحى في بني هجيم ظاهرة. وقيل لرجل منهم: ما بالكم يا بني الهجيم حص اللحى؟ قال: إن الفحل واحد.

حديثه مع عبد الملك أو الوليد ابنه عن الشعراء وعن نفسه: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن

بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن عبد الله بن آدم قال سمعت عمارة بن عقيل يحدث عن أبيه عن جده قال: قال عبد الملك أو الوليد انبه لجرير: من أشعر الناس؟ قال فقال: ابن العشرين. قال: فما رأيك في ابني أبي سلمى؟ قال: كان شعرهما نيرا يا أمير المؤمنين. قال: فما تقول في امرىء القيس؟ قال: اتخذ الخبيث الشعر نعلين، وأقسم بالله لو أدركته لرفعت ذلاذله. قال: فما تقول في ذي الرمة؟ قال: قدر من ظريف الشعر وغريبه وحسنه على ما لم يقدر عليه أحد. قال: فما تقول في الأخطل؟ قال: ما أخرج لسان ابن النصرانية ما في صدره من الشعر حتى مات. قال: فما تقول في الفرزدق؟ قال: في يده والله يا أمير المؤمنين نبعةٌ من الشعر قد قبض عليها. قال: فما أراك أبقيت لنفسك شيئاً! قال: بلى والله يا أمير المؤمنين! إني لمدينة الشعر التي منها يخرج وإليها يعود، نسبت فأطربت، وهجوت فأرديت، ومدحت فسنيت ، وأرملت فأغزرت، ورجزت فأبحرت، فأنا قلت ضروب الشعر كلها، وكل واحد منهم قال نوعاً منها. قال: صدقت.

طلبت جاريه له أن يبيعها فعيره الفرزدق ذلك:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال: كانت لجرير أمةٌ وكان بها معجباً، فاستخفت المطعم والملبس والغشيان واستقلت ما عنده، وكانت قبله عند قوم يقال لهم بنو زيد، أهل خصب ونعمة، فسامته أن يبيعها وألحت في ذلك، فقال فيها:

تكلفني معيشة آل زيدٍ ... ومن لي بالمرفق والصناب

تقول ألا تضم كضم زيدٍ ... وما ضمي وليس معي شبابي

فقال الفرزدق يعير ذلك:

فإن تفقرك علجة آل زيدٍ ... ويعجزك المرفق والصناب

فقدماً كان عيش أبيك مراً ... يعيش بما تعيش به الكلاب

قصته مع ذي الرمة عند المهاجر بن عبد الله: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا العباس بن ميمون قال حدثنا التوزي عن أبي عبيدة عن أيوب بن كسيب قال: دخل جرير على المهاجر بن عبد الله وهو والي اليمامة وعنده ذو الرمة ينشده. فقال المهاجر بن عبد الله لجرير: كيف ترى؟ قال: لقد قال وما أنعم. فغضب ذو الرمة ونهض وهو يقول:

أنا أبو الحارث واسمي غيلان

فنهض جرير وقال:

إني امرأٌ خلقت شكساً أشوسا ... إن تضرساني تضرسا مضرسا

قد لبس الدهر وأبقى ملبسا ... من شاء من نار الجحيم اقتبسا

قال: فجلس ذو الرمة وحاد عنه فلم يجبه.

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا ابن النطاح عن أبي عبيدة قال: كان ذو الرمة ممن أعان على جرير و لم يصحر له، فقال جرير فيه:

أقول نصاحةً لبني عديٍّ ... ثيابكم ونضح دم القتيل

وهي قصيدة. قال: وكانوا يتعاونون عليه ولا يصحرون له.

حديثه مع ذي الرمة وهشام المرئي: أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو الغراف قال: قال الفرزدق لذي الرمة: ألهاك البكاء في الديار وهذا العبد يرجز بك يعني هشاماً المرئي بمقبرة بني حصن. قال: وكان السبب في الهجاء بين ذي الرمة وهشام أن ذا الرمة نزل بقرية لبني امرىء القيس يقال لها: مرأةنأ، فلم يقروه و لم يعلفوا له، فارتحل وهو يقول:

نزلنا وقد طال النهار وأوقدت ... علينا حصى المعزاء شمسٌ تنالها

أنخنا فظللنا بأبراد يمنةٍ ... رقاقٍ وأسيافٍ قديمٍ صقالها

فلما رآنا أهل مرأة أغلقوا ... مخادع لم ترفع لخيرٍ ظلالها

وقد سميت باسم امرىء القيس قريةٌ ... كرامٌ صواديها لئامٌ رجالها

يظل الكرام المرملون بجوها ... سواءٌ عليهم حملها وحيالها

ولو وضعت أكوارها عند بيهسٍ ... على ذات غسلٍ لم تشمس رحالها

فقال جرير لهشام، وكان يتهم ذا الرمة بهجائه التيم وهم إخوة عدي: عليك العبد يعني ذا الرمة. قال: فما أصنع يا أبا حزرة وهو يقول القصيد وأنا أقول الرجز، والرجز لا يقوم للقصيد؟ فلو رفدتني! قال: قل له:

عجبت لرجلٍ من عديٍّ مشمسٍ ... وفي أي يومٍ لم تشمس رحالها

وفيم عديٌّ عند تيم من العلا ... وأيامنا اللاتي يعد فعالها

مددت بكفٍّ من عديٍّ قصيرةٍ ... لتدرك من زيد يداً لا تنالها

وضبة عمي يا بن جلٍّ فلا ترم ... مساعي قومٍ ليس منك سجالها

يماشي عدياً لؤمها ما تجنه ... من الناس ما ماشت عدياً ظلالها

فقل لعديٍّ تستعن بنسائها ... علي فقد أعيا عدياً رجالها

أذا الرم قد قلدت قومك رمةً ... بطيئاً بأيدي المطلقين انحلالها

ترى اللؤم ما عاشت عديٌّ مخلداً ... سرابيلها منه ومنه نعالها

قال: فلج الهجاء بين ذي الرمة وهشام. فلما أنشد المرئي هذه الأبيات وسمعها ذو الرمة قال: كذب العبد السوء! ليس هذا الكلام له، هذا كلامٌ نجديٌّ حنظلي، هذا كلام ابن الأتان. قال: ولم يزل ذو الرمة مستعلياً على هشام حتى لقيه جرير فرفده هذه الأبيات.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عدنان قال حدثني أبو صخر من ولد حجناء بن نوح بن جرير قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال:

أتى هشام بن قيس المرئي أبي يعني جريراً فاسترفده على ذي الرمة، وقد كانا تهاجيا دهراً، وكان سبب ذلك أن ذا الرمة نزل على أهل قرية لبني امرىء القيس فلم يدخلوا رحله، فذمهم في القرى، ومدح بيهساً صاحب ذات غسل - وهو مرئي. وذات غسل: قرية له - فقال ذو الرمة:

ولما وردنا مرأة اللوم أغلقت ... دساكر لم تفتح لخير ظلالها

ولو عريت أصلابها عند بهيس ... على ذات غسل لم تشمس رحالها

إذا ما امرؤ القيس ابن لؤمٍ تطعمت ... بكأس الندامى خبثتها سبالها

فقال جرير للمرئي: قل له.

غضبت لرحلٍ من عدي مشمسٍ ... وفي أي يومٍ لم تشمس رحالها

وذكر الأبيات الماضية المذكورة في رواية أبي خليفة. قال: فلقي ذو الرمة جريراً فقال له: تعصب للمرئي وأنا خالك! قال: حين قلت ماذا؟ قال: حين قلت له أن يقول لي:

عجبت لرحلٍ من عديٍّ مشمسٍ

فقال له جرير: لا! بل ألهاك البكاء في دارمية حتى أبيحت محارمك. قال: وكان بلغ جريراً ميل ذو الرمة عليه، فجعل يعتذر إليه ويحلف له. فقال له جرير: اذهب الآن فقل للمرئي:

يعد الناسبون إلى تميم ... بيوت المجد أربعةً كبارا

يعدون الرباب وآل سعدٍ ... وعمراً ثم حنظلة الخيارا

ويهلك بينها المرئي لغواً ... كما ألغيت في الدية الحوارا

فقال ذو الرمة قصيدته التي أولها:

نبت عيناك عن طللٍ بجزوى ... عفته الريح وامتنح القطارا

وألحق فيها هذه الأبيات. فلما أنشدها وسمعها المرئي جعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بويله وحربه ويقول: ما لي ولجرير! فقيل له: وأين جريرٌ منك! هذا رجل يهاجيك وتهاجيه! فقال: هيهات! لا والله ما يحسن ذو الرمة أن يقول:

ويذهب بينها المرئي لغواً كما ألغيت في الدية الحوارا

هذا والله كلام جرير ما تعداه قط. قال: ومر الفرزدق بذي الرمة وهو ينشده هذه القصيدة، فلما أنشد الأبيات الثلاثة فيها قال له الفرزدق: أعد يا غيلان، فأعاد، فقال له: أأنت تقول هذا؟ نعم يا أبي فراس. قال: كذب فوك! والله لقد نحلكها أشد لحيين منك، هذا شعر ابن الأتان. قال وجاء المرئيون إلى جرير فقالوا: يا أبا حزره، قد استعلى علينا ذو الرمة، فأعنا على عادتك الجميلة. فقال: هيهات! قد والله ظلمت خالي لكم مرةً وجاءني فاعتذر وحلف، وما كنت لأعينكم عليه بعدها. قال: ومات ذو الرمة في تلك الأيام.

أقر له نصيب بالسبق عليه وعلى جميل: أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني العمري عن لقيط قال حدثني أبو بكر بن نوفل قال حدثني من سأل النصيب قال: قلت له: يا أبا محجن، بيتٌ قلته نازعك فيه جريرٌ وجميلٌ، فأحب أن تخبرني أيكم فيه أشعر؟ قال: وما هو؟ قلت قولك:

أضر بها التهجير حتى كأنها أكب عليها جازرٌ معترق

وقال جميل:

أضر بها التهجير حتى كأنها بقايا سلالٍ لم يدعها سلالها

وقال جرير:

إذا بلغوا المنازل لم تقيد وفي طول الكلال لها قيود

فقال: نصيب: قاتل الله ابن الخطفى! ما أشعره!. قال: فقال له الرجل: أما أنت فقد فضلته؛ فقال: هو ما أقول لك.

قال عنه ابن مناذر هو أشعر الناس: أخبرني ابن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الرحمن بن القاسم العجلي قال حدثني الحسن بن علي المنقري قال قال مسعود بن بشر: قلت لابن مناذر بمكة: من أشعر الناس؟ قال: من إذا شئت لعب، وإذا شئت جد، فإذا لعب أطعمك لعبه فيه، وإذا رمته بعد عليك، وإذا جد فيما قصد له أيأسك من نفسه. قلت: مثل من؟ قال: مثل جرير حين يقول إذا لعب:

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلاً بعينك ما يزال معينا

ثم قال حين جد:

إن الذي حرم المكارم تغلباً جعل الخلافة والنبوة فينا

مضرٌ أبي وأبو الملوك فهل لكم يا آل تغلب من أبٍ كأبينا

هذا ابن عمي في دمشق خليفةً لو شئت ساقكم إلي قطينا

اعترض عليه عبد الملك بن مروان في هذا الشعر: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني الرياشي قال حدثنا الأصمعي عن أبي عمرو قال: لما بلغ عبد الملك قول جرير:

هذا ابن عمي في دمشق خليفةً لو شئت ساقكم إلي قطينا

قال: ما زاد ابن المراغة على أن جعلني شرطياً! أما إنه لو قال:

لو شاء ساقكم إلي قطينا

لسقتهم إليه كما قال.

فضله بشار على الأخطل وعلى الفرزدق: أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال: سألت بشاراً العقيلي عن الثلاثة فقال: لم يكن الأخطل مثلهما، ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه. قلت: فجريرٌ والفرزدق؟ قال: كان جريرٌ يحسن ضروباً من الشعر لا يحسنها الفرزدق، وفضل جريراً عليه.

مقارنة بينه وبين الأخطل والفرزدق: وقال ابن سلام : قال العلاء بن جرير - وكان قد أدرك الناس وسمع -: كان يقال: الأخطل إذا لم يجيء سابقاً فهو سكيت، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سكيتاً فهو بمنزله المصلى أبداً، وجرير يجيء سابقاً ومصلياً وسكيتاً. قال ابن سلام: وتأويل قوله: إن الأخطل خمساً أو ستاً أو سبعاً طوالاً روائع غرراً جياداً هو بهن سابق، وسائر شعره دون أشعارهما، فهو فيما بقي بمنزلة السكيت - والسكيت: آخر الخيل في الرهان - والفرزدق دونه في هذه الروائع وفوقه في بقية شعره، فهو كالمصلى أبداً - وهو الذي يجيء بعد السباق وقبل السكيت - وجرير له روائع هو بهن سابق، وأوساطٌ هو بهن مصلٍّ، وسفسافاتٌ هو بهن سكيت.

مناقضة بينه وبين الفرزدق: أخبرني أبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام قال حدثني حاجب بن زيد بن شيبان بن علقمة بن زرارة قال: قال جرير بالكوفة

لقد قادني من حب ماوية الهوى وما كنت تلقاني الجنيبة أقودا

أحب ثرى نجدٍ وبالغور حاجةٌ فغار الهوى يا عبد قيس وأنجدا

أقول له يا عبد قيس صبابةً بأيٍّ ترى مستوقد النار أوقدا

فقال أرى ناراً يشب وقودها بحيث استفاض الجزع شيحاً وغرقدا

فأعجب الناس وتناشدوها. قال: فحدثني جابر بن جندل قال: فقال لنا جريرٌ: أعجبتكم هذه الأبيات؟ قالوا: نعم. قال: كأنكم بابن القين وقد قال:

أعد نظراً يا عبد قيس لعلما أضاءت لك النار الحمار المقيدا

قال: فلم يلبثوا أن جاءهم قول الفرزدق هذا البيت وبعده:

حمارٌ بمروت السحامة قاربت وظيفيه حول البيت حتى تزددا

كلبية لم يجعل الله وجهها كريماً ولم يسنح بها الطير أسعدا

قال: فتناشدها الناس. فقال الفرزدق: كأنكم بابن المراغة قد قال:

وما عبت من نار أضاء وقودها فراساً وبسطام بن قيسٍ مقيدا

قال فإذا بالبيت قد جاء لجريرٍ ومعه:

وأوقدت بالسيدان ناراً ذليلةً وأشهدت من سوءات جعثن مشهدا

جرير والأخطل في حضرة عبد الملك بن مروان: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جشم عن عمارة بن عقيل عن أبيه قال: وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأخطل داخلٌ عنده، وقد كانا تهاجيا و لم ير أحد منهما صاحبه، فلما استأذنوا عليه لجرير أذن له فدخل فسلم ثم جلس وقد عرفه الأخطل، فطمح طرف جرير إلى الأخطل وقد رآه ينظر إليه نظراً شديداً فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الذي منعت نومك وهضمت قومك. فقال له جرير: ذلك أشقى لك كائناً من كنت. ثم أقبل على عبد الملك بن مروان فقال: من هذا يا أمير المؤمنين؟ جعلني الله فداك! فضحك ثم قال: هذا الأخطل يا أبا حزرة. فرد عليه بصره ثم قال: فلا حياك الله يا بن النصرانية! أما منعك نومي فلو نمت عندك لكان خيراً لك. وأما هضمك قومي فكيف هضمهم وأنت ممن ضربت عليه الذلة وباء بغضبٍ من الله وأدى الجزية عن يدٍ وهو صاغر. وكيف تتهضم لا أم لك فيهم النبوة والخلافة وأنت لهم عبدٌ مأمور ومحكومٌ عليه لا حاكم. ثم أقبل على عبد الملك فقال: ائذن لي يا أمير المؤمنين في ابن النصرانية، فقال لا يجوز أن يكون ذلك بحضرتي. تحاكم هو وبنو حمان إلى إبراهيم بن عدي في بئر فحكم له: أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو يحيى الضبي قال: نازع جرير بني حمان في ركية لهم، فصاروا إلى إبراهيم بن عدي باليمامة يتحاكمون إليه؛ فقال جرير:

أعوذ بالأمير غير الجبار من ظلم حمان وتحويل الدار

ما كان قبل حفرنا من محفار وضربي المنقار بعد المنقار

في جبل أصم غير خوار يصيح بالجب صياح الصرار

له صهيل كصهيل الأمهار فاسأل بني صحبٍ ورهط الجرار

والسلميين العظام الأخطار والجار قد يخبر عن دار الجار

فقال الحماني:

ما لكليبٍ من حمى ولا دار غير مقام أتنٍ وأعيار

قعس الظهور داميات الأثفار

قال فقال جرير: فعن مقامهن، جعلت فداك، أجادل. فقال ابن عدي للحماني: لقد أقررت لخصمك، وحكم بها لجرير.

نزل ببني مازن وبني هلال فمدحهم بعد أن هجاهم: قال ابن سلام وأخبرني أبو يحيى الضبي قال: بينا جريرٌ يسير على راحته إذ هجم على أبياتٍ من مازن وهلال - وهما بطنان من ضبة - فخافهم، لسوء أثره في ضبة، فقال:

فلا خوفٌ عليك ولن تراعي ... بعقوة مازنٍ وبني هلال

هما الحيان إن فزعا يطيرا ... إلى جردٍ كأمثال السعالي

أمازن يا بن كعبٍ إن قلبي ... لكم طول الحياة لغير قالي

غطاريفٌ يبيت الجار فيهم ... قرير العين في أهلٍ ومال

قال: أجل يا أبا حزرة فلا خوف عليك.

وفد على عبد الملك في دمشق فالتف الناس حوله في المسجد دون الفرزدق: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال قال شعيب بن صخر حدثني هارون بن إبراهيم قال: رأيت جريراً والفرزدق في مسجد دمشق وقد قدماها على الوليد بن عبد الملك والناس عنقٌ واحد على جرير: قيس وموالي بني أمية يسلمون عليه ويسألونه كيف كنت يا أبا حزرة في مسيرك، وكيف أهلك وأسبابك. وما يطيف بالفرزدق إلا نفرٌ من خندف جلوسٌ معه. قال شعيبٌ: فقلت لهارون: و لم ذلك؟ قال: لمدحه قيساً وقوله في العجم:

فيجمعنا والغر أولاد سارةٍ ... أبٌ لا نبالي بعده من تعذرا

قال شعيب: بلغني أنه أهديت له يومئذ مائة حلة، أهداها إليه الموالي سوى غيرهم، وأخبرني بهذا الخبر أبو خليفة عن محمد بن سلام عن شعيب بن صخر، فذكر نحواً من حكاية أبي زيد، إلا أنها أتم من حكاية ابن سلام. وقال أبو خليفة في خبره: سمعت عمارة بن عقيل بن بلال يقول: وافته في يومه ذلك مائة حلة من بني الأحرار.

رأي الأحوص في قباء فعرض به لئلا يعين عليه: أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني أحمد بن الهيثم الفراسي قال: بينا جريرٌ بقباء إذ طلع الأحوص وجريرٌ ينشد قوله:

لولا الحياء لعادني استعبار ... ولزرت قبرك والحبيب يزار

فلما نظر إلى الأحوص قطع الشعر ورفع صوته يقول:

عوى الشعراء بعضهم لبعضٍ ... علي فقد أصابهم انتقام

إذا أرسلت قافيةً شروداً ... رأوا أخرى تحرق فاستداموا

فمصطلم المسامع أو خصي ... وآخر عظم هامته حطام

ثم عاد من حيث قطع. فلما فرغ قيل له: و لم قلت هذا؟ قال: قد نهيت الأحوص أن يعين علي الفرزدق، فأنا والله يا بني عمرو بن عوف ما تعوذت من شاعر قط، ولولا حقكم ما تعوذت منه.

أوفده الحجاج على عبد الملك مع ابنه محمد وأوصاه به: أخبرنا علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا الحسن بن الحسين السكري قال: قال عمارة بن عقيل حدثني أبي عن أبيه: أن الحجاج أوفد ابنه محمد بن الحجاج إلى عبد الملك وأوفد إليه جريراً معه ووصاه به وأمره بمسألة عبد الملك في الاستماع منه ومعاونته عليه. فلما وردا استأذن له محمد على عبد الملك، فلم يأذن له، وكان لا يسمع من شعراء مضر ولا يأذن لهم، لأنهم كانوا زبيريةً. فلما استأذن له محمد على عبد الملك و لم يأذن له أعلمه أن أباه الحجاج يسأله في أمره ويقول: إنه لم يكن ممن والى ابن الزبير ولا نصره بيده ولا لسانه، وقال له محمد: يا أمير المؤمنين: إن العرب لتحدث أن عبدك وسيفك الحجاج شفع في شاعر قد لاذ به وجعله وسيلته ثم ردته، فأذن له فدخل فاستأذن في الإنشاد، فقال له: وما عساك أن تقول فينا بعد قولك في الحجاج! ألست القائل:

من سد مطلع النفاق عليكم أم من يصول كصولة الحجاج

إن الله لم ينصرني بالحجاج وإنما نصر دينه وخليفته. أو لست القائل:

أم من يغار على النساء حفيظةً إذ لا يثقن بغيرةِ الأزواج

يا عاض كذا وكذا من أمه! والله لهممت أن أطير بك طيرةً بطيئاً سقوطها، أخرج عني، فأخرج بشرٍّ. فلما كان بعد ثلاث شفع إلي محمدٌ لجرير وقال له: يا أمير المؤمنين، إني أديت رسالة عبدك الحجاج وشفاعته في جرير، فلما أذنت له خاطبته بما أطار لبه منه وأشمت به عدوه، ولو لم تأذن له لكان خيراً له مما سمع. فإن رأيت أن تهب كل ذنب له لعبدك الحجاج ولي فافعل، فإذن له. فاستأذنه في الإنشاد، فقال: لا تنشدني إلا في الحجاج فإنما أنت للحجاج خاصةً. فسأله أن ينشده مديحه فيه، فأبى وأقسم ألا ينشده إلا من قوله في الحجاج، فأنشده وخرج بغير جائزة. فلما أزف الرحيل قال جرير لمحمد: إن رحلت عن أمير المؤمنين و لم يسمع مني و لم آخذ له جائزة سقطت آخر الدهر، ولست بارحاً بابه أو يأذن لي في الإنشاد. وأمسك عبد الملك عن الإذن له. فقال جرير: إرحل أنت وأقيم أنا. فدخل محمد على عبد الملك فأخبره بقول جرير واستأذنه له وسأله أن يسمع منه وقبل يده ورجله، فإذن له. فدخل فاستأذن في الإنشاد، فأمسك عبد الملك. فقال له محمد: أنشد ويحك! فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

فتبسم عبد الملك وقال: كذلك نحن وما زلنا كذلك. ثم اعتمد على ابن الزبير فقال:

دعوت الملحدين أبا خبيب جماحاً هل شفيت من الجماح

وقد وجدوا الخليفة هبرزياً ألف العيص ليس من النواحي
وما شجرات عيصك في قريش بعشات الفروع ولا ضواحي

قال: ثم أنشده إياها حتى أتى على ذكر زوجته فيها فقال:

تعزت أم حزرة ثم قالت رأيت الموردين ذوي لقاح
تعلل وهي ساغبةٌ بنيها بأنفاسٍ من الشبم القراح

فقال عبد الملك: هل ترويها مائة لقحة؟ فقال: إن لم يروها ذلك فلا أرواها الله! فهل إليها - جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين - من سبيل؟ فأمر له بمائة لقحة وثمانية من الرعاء. وكانت بين يديه جاماتٌ من ذهب، فقال له جرير: يا أمير المؤمنين، تأمر لي بواحدة منهن تكون محلبا؟ فضحك وندس إليه واحدةً منهن بالقضيب وقال: خذها لا نفعتك! فأخذها وقال: بلى والله يا أمير المؤمنين لينفعني كل ما منحتنيه، وخرج من عنده. قال: وقد ذكر ذلك جريرٌ في شعره فقال يمدح يزيد بن عبد الملك.

أعطوا هنيدة يحدوها ثمانيةٌ ما في عطائهم منٌّ ولا سرف

هجا سراقة البارقي بأمر بشر بن مروان لأنه فضل الفرزدق عليه: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني دماذ أبو غسان عن أبي عبيدة قال: بذل محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة أربعة آلاف درهم وفرساً لمن فضل من الشعراء الفرزدق على جرير، فلم يقدم عليه أحد منهم إلا سراقة البارقي فإنه قال يفضل الفرزدق:

أبلغ تميماً غثها وسمينها والحكم يقصد مرةً ويجور
أن الفرزدق برزت أعراقه سبقاً وخلف في الغبار جرير
ذهب الفرزدق بالفضائل والعلا وابن المراغة مخلفٌ محسور
هذا قضاء البارقي وإنني بالميل في ميزانهم لبصير

قال أبو عبيدة فحدثني أيوب بن كسيب قال حدثني أبي قال: كنت مع جرير، فأتاه رسول بشر بن مروان فدفع إليه كتابه، وقال له: إنه قد أمرني أن أوصله إليك ولا أبرح حتى تجيب عن الشعر في يومك إن لقيتك نهاراً أو ليلتك إن لقيتك ليلاً، وأخرج إليه كتاب بشر وقد نسخ له القصيدة وأمره بأن يجيب عنها. فأخذها ومكث ليلته يجتهد أن يقول شيئاً فلا يمكنه، فهتف به صاحبه من الجن من زلوية البيت فقال له: أزعمت أنك تقول الشعر! ما هو إلا أن غبت عنك ليلةً حتى لم تحسن أن تقول شيئاً! فهلا قلت:

يا بشر حق لوجهك التبشير هلا قضيت لنا وأنت أمير

فقال له جرير: حسبك كفيتك. قال: وسمع قائلاً يقول لآخر: قد أنار الصبح، فقال جرير:

يا صاحبي هل الصباح منير أم هل للوم عواذلي تفتير

إلى أن فرغ منها. وفيها يقول:

قد كان حقك أن تقول لبارقٍ يا آل بارق فيم سب جرير

يعطى النساء مهورهن كرامةً ونساء بارق ما لهن مهور

فأخذها الرسول ومضى بها إلى بشر، فقرئت بالعراق وأفحم سراقة فلم ينطق بعدها بشيء من مناقضته.

مناقضته عمر بن لجأ وسبب ذلك: أخبرني أبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام حدثني أبو يحيى الضبي قال: كان الذي هاج الهجاء بين جرير وعمر بن لجأ أن عمر كان ينشد أرجوزةً له يصف فيها إبله وجريرٌ حاضرٌ، فقال فيها:

قد وردت قبل إنا ضحائها تفرس الحيات في خرشائها

جر العجوز الثني من ردائها

فقال له جرير: أخفقت. فقال: كيف أقول؟ قال تقول:

جر العروس الثني من ردائها

فقال له التيمي أنت أسوً قولاً مني حيث تقول:

وأوثق عند المردفات عيشةً لحاقاً إذا ما جرد السيف لامع

فجعلتهن مردفاتٍ غدوةً ثم تداركتهن عشيةً. فقال: كيف أقول؟ قال تقول:

وأوثق عند المرهفات عشيةً

فقال جرير: والله لهذا البيت أحب إلي من بكري حزرة، ولكنك مجلبٌ للفرزدق. وقال فيه جرير:

هلا سوانا ادرأتم يا بني لجأٍ شيئاً يقارب أو وحشاً لها غرر

أحين كنت سماماً يا بني لجأٍ وخاطرت بي عن أحسابها مضر!

خل الطريق لمن يبني المنار به وابرز ببرزة حيث اضطرك القدر

أنت ابن برزة منسوباً إلى لجأٍ عند العصارة والعيدان تعتصر

ويروي:

ألست نزرة خوارٍ على أمةٍ عند العصارة والعيدان تعتصر

فقال ابن لجأ يرد عليه:

لقد كذبت وشر القول أكذبه ما خاطرت بك عن أحسابها مضر
بل أنت نزرة خوار على أمةٍ لا يسبق الحلبات اللؤم والخور
ما قلت من هذه إلا سأنقضها يا بن الأتان بمثلى تنقض المرر

وقال عمر بن لجأ:

عجبت لما لاقت رياحٌ من الأذى وما اقتبسوا من ي وللشر قابس
غضاباً لكلبٍ من كليبٍ فرسته هوى ولشدات الأشود فرائس
إذا ما ابن يربوعٍ أتاك لمأكل على مجلسٍ إن الأكيل مجالس
فقل لابن يربوعٍ ألست براحضٍ سبالك عنا إنهن نجائس
تمسح يربوعٌ سبالاً لئيمة بها من مني العبد رطبٌ ويابس

قال: ثم اجتمع جرير وابن لجأ بالمدينة وقد وردها الوليد بن عبد الملك، وكان يتأله في نفسه، فقال: أتقذفان المحصنات وتغضبانهن! ثم أمر أبا بكر محمد بن حزم الأنصاري - وكان والياً له بالمدينة - بضربهما، فضربهما وأقامهما على البلس مقرونين، والتيمي يومئذٍ أشب من جرير، فجعل يشول بجريرٍ وجريرٌ يقول وهو المشول به:

فلست مفارقاً قرني حتى يطول تصعدي بك وانحداري

فقال ابن لجأ:

ولما أن قرنت إلى جريرٍ أبى ذو بطنه إلا انحدارا

فقال له قدامه بن إبراهيم الجمحي: وبئسما قلت! جعلت نفسك المقرون إليه! قال: فكيف أقول؟ قال تقول:

ولما لز في قرني جريرٌ

فقال: جزيت خيراً، لا أقوله والله أبداً إلا هكذا.

هو والأخطل في حضرة عبد الملك ابن مروان: حدثني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العتزي قال حدثني محمد بن عبد الله العبدي قال حدثني عمارة بن عقيل عن أبيه قال:

وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأخطل داخل عنده، وقد كانا تهاجيا و لم يلق أحدهما صاحبه. فلما استأذنوا لجرير أذن له فسلم وجلس، وقد عرفه الأخطل، فطمح بصر جرير إليه فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الذي منعت نومك وهضمت قومك. فقال له جريرٌ: ذاك أشقى لك كائناً من كنت. ثم أقبل على عبد الملك فقال: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فضحك وقال: هذا الأخطل يا أبا حزرة. فرد بصره إليه وقال: فلا حياك الله يا بن النصرانية! أما منعك نومي فلو نمت عنك لكان خيراً لك. وأما تهضمك قومي فكيف تهضمهم وأنت ممن ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضبٍ من الله! إيذن لي يا أمير المؤمنين في ابن النصرانية. فقال: لا يكون

لك بين يدي. فوثب جريرٌ مغضباً. فقال عبد الملك: قم يا أخطل واتبع صاحبك، فإنما قام غضباً علينا فيك، فنهض الأخطل. فقال عبد الملك لخادم له: انظر ما يصنعان إذ برز له الأخطل. فخرج جرير فدعا بغلام له فقدم إليه حصاناً له أدهم فركبه وهدر والفرس يهتز من تحته، وخرج الأخطل فلاذ بالباب وتوارى خلفه، و لم يزل واقفاً حتى مضى جرير. فدخل الخادم إلى عبد الملك فأخبره، فضحك وقال: قاتل الله جريراً! ما أفحله! أما والله لو كان النصراني برز إليه لأكله.

سئل عن نفسه وعن الفرزدق والأخطل فأجاب: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي عن أبي عمرو قال: سئل جرير أي الثلاثة أشعر؟ فقال: أما الفرزدق فيتكلف مني ما لا يطيقه، وأما الأخطل فأشدنا اجتراءً وأرمانا للغرض، وأما أنا فمدينة الشعر. وقد حدثني بهذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شبة عن الأصمعي فذكر نحو ما ذكره الرياشي، وقال في خبره: وأما الأخطل فأنعتنا للخمر وأمدحنا للملوك.

فضله أبو مهدي على جميع الشعراء: أخبرنا عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن عطاء بن مصعب قال: قلت لأبي مهدي الباهلي وكان من علماء العرب: إيما أشعر أجريرٌ أم الفرزدق؟ فغضب ثم قال: جريرٌ أشعر العرب كلها، ثم قال: لا يزال الشعراء موقوفين يوم القيامة حتى يجيء جريرٌ فيحكم بينهم: لم يحفل بنو طهية بهجائه حتى هجاهم في قصيدة الراعي فجزعوا: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني العباس بن ميمون قال سمعت أبا عثمان المازني يقول: قال جرير: هجوت بني طهية أنواع الهجاء، فلم يحفلوا بقولي حتى قلت في قصيدة الراعي:

كأن بني طهية رهط سلمى ... حجارة خارىءٍ يرمي كلابا

فجزعوا حينئذٍ ولاذوا بي.

كان عاقاً لأبيه وابنه عاق له: أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني قال: كان جرير من أعق الناس بأبيه، وكان بلالٌ ابنه أعق الناس به. فراجع جريرٌ بلالاً الكلام يوماً، فقال له بلال: الكاذب مني ومنك ناك أمه. فأقبلت أمه عليه وقالت له: يا عدو الله! أتقول هذا لأبيك! فقال جرير: دعيه، فو الله لكأنه سمعها مني وأنا أقولها لأبي.

هجا عمر بن يزيد لتعصبه للفرزدق عليه: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثنا العمري عن لقيط قال: كان عمر بن يزيد بن عمير الأسدي يتعصب للفرزدق على جرير. فتزوج امرأة من بني عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم، فقال جرير:

نكحت إلى بني عدس بن زيدٍ ... فقد هجنت خيلهم العرابا

أتنسى يوم مسكن إذ تنادي ... وقد أخطأت بالقدم الركابا

وهي قصيدة، فاجتمعوا على عمر بن يزيد. و لم يزالوا به حتى خلعوا المرأة منه.

استشفع عنبسة بن سعيد إلى الحجاج ثم أنشده فأجازه: أخبرني محمد بن خلف قال حدثني محمد بن الهيثم قال

حدثني عمي أبو فراس قال حدثني ودقة بن معروف قال:

نزل جريرٌ على عنبسة بن سعيد بواسط، و لم يكن أحدٌ يدخلها إلا بإذن الحجاج. فلما دخل على عنبسة، قال له: ويحك! لقد غررت بنفسك! فما حملك على ما فعلت؟ قال: شعرٌ قلته اعتلج في صدري وجاشت به نفسي وأحببت أن يسمعه الأمير. قال: فعنفه وأدخله بيتاً في جانب داره وقال: لا تطلعن رأسك حتى ننظر كيف تكون الحيلة لك. قال: فأتاه رسول الحجاج من ساعته يدعوه في يوم قائظٍ، وهو قاعدٌ في الخضراء وقد صب فيها ماء استنقع في أسفلها وهو قاعد على سرير وكرسيٌ موضوعٌ ناحيةً. قال عنبسة: فقعدت على الكرسي، وأقبل علي الحجاج يحدثني. فلما رأيت تطلقه وطيب نفسه قلت: أصلح الله أمير! رجل من شعراء العرب قال فيك شعراً أجاد فيه، فاستخفه عجبه به حتى دعاه إلى أن رحل إليك ودخل مدينتك من غير أن يستأذن له. قال: ومن هو؟ قلت: ابن الخطفى. قال: وأين هو؟ قلت: في المنزل. قال: يا غلام! فأقبل الغلمان يتسارعون. قال: صف لهم موضعه من دارك، فوصفت لهم البيت الذي هو فيه، فانطلقوا حتى جاءوا به، فأدخل عليه وهو مأخوذٌ بضبعيه حتى رمي به في الخضراء، فوقع على وجهه في الماء ثم قام يتنفش كما يتنفش الفرخ. فقال له: هيه! ما أقدمك علينا بغير إذننا لا أم لك؟ قال: اصلح الله الأمير! قلت في الأمير شعراً لم يقل مثله أحدٌ، فجاش به صدري وأحببت أن يسمعه مني الأمير، فأقبلت به إليه. قال: فتطلق الحجاج وسكن، واستنشده فأنشده. ثم قال: يا غلام! فجاءوا يسعون. فقال: علي بالجارية التي بعث بها إلينا عامل اليمامة، فأتي بجارية بيضاء مديدة القامة. فقال: إن أصبت صفتها فهي لك. فقال: ما اسمها؟ قال: أمامة، فأنشأ يقول:

ودع أمامة حان منك رحيل ... إن الوداع لمن تحب قليل

مثل الكئيب تهليت أعطافه ... فالريح تجبر متنه وتهيل

تلك القلوب صواديا تيمتها ... وأرى الشفاء وما إليه سبيل

فقال: خذ بيدها. فبكت الجارية وانتحبت. فقال: ادفعوها إليه بمتاعها وبغلها ورحالها.

أمره الحجاج وأمر الفرزدق بأن يدخلا عليه بلباس آبائهما في الجاهلية: أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو الغراف قال: قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو في قصره بجزيز البصرة: ائتياني في لباس آبائكما في الجاهلية. فلبس الفرزدق الديباج والخز وقعد في قبة. وشاور جريرٌ دهاة بني يربوع فقالوا له: ما لباس آبائنا إلا الحديد، فلبس جرير درعاً وتقلد سيفاً وأخذ رمحاً وركب فرساً لعباد بن الحصين يقال له المنحاز وأقبل في أربعين فارساً من بن يربوع، وجاء الفرزدق في هيئته، فقال جرير:

لبست سلاحي والفرزدق لعبةٌ ... عليه وشاحا كرجٍ وجلاجله

أعدوا مع الحلي الملاب فإنما ... جريرٌ لكم بعلٌ وأنتم حلائله

ثم رجعا، فوقف جرير في مقبرة بني حصن ووقف الفرزدق في المربد. قال: فأخبرني أبي عن محمد بن زياد قال: كنت أختلف إلى جرير والفرزدق، وكان جريرٌ يومئذٍ كأنه أصغرهما في عيني.

هجا الفرزدق حين نوى أن ينال جائزة المهاجر فثناه عن ذلك: أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا أبو اليقظان عن جويرية بن أسماء قال: قدم الفرزدق اليمامة وعليها المهاجر بن عبد الله الكلابي فقال: لو دخلت على هذا فأصبت منه شيئاً و لم يعلم بي جرير! فلم تستقر به الدار حتى قال جرير:

رأيتك إذ لم يغنك الله بالغنى ... رجعت إلى قيسٍ وخدك ضارع

وما ذاك إن أعطى الفرزدق باسته ... بأول ثغرٍ ضيعته مجاشع

فلما بلغ ذلك الفرزدق قال: لا جرم والله لا أدخل عليه ولا أرزؤه شيئاً ولا أقيم باليمامة، ثم رحل.

انتصار الفرزدق له على التيمي ثم صلحه مع التيمي: أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال قال أبو البيداء: لقي الفرزدق عمر بن عطية أخا جرير، وهو حينئذٍ يهاجي ابن لجأ، فقال له: ويلك! قل لأخيك: ثكلتك أمك! إيت التيمي من عل كما أصنع أنا بك. وكان الفرزدق قد أنف لجريرٍ وحمي من أن يتعلق به التيمي. قال ابن سلام. فأنشدني له خلفٌ الأحمر يقوله للتيمي:

وما أنت إن قرما تميمٍ تساميا ... أخا التيم إلا كالوشيظة في العظم

فلو كنت مولى العز أو في ظلاله ... ظلمت ولكن لا يدي لك بالظلم

فقال له التيمي:

كذبت أنا القرم الذي دق مالكاً ... وأفناء يربوعٍ وما أنت بالقرم

قال ابن سلام فحدثني أبو الغراف: أن رجال تميم مشت بين جريرٍ والتيمي وقالوا: والله ما شعراءنا إلا بلاءٌ علينا ينشرون مساوينا ويهجون أحياءنا وموتانا، فلم يزالوا بهما حتى أصلحوا بينهما بالعهود والمواثيق المغلظة ألا يعودا في هجاء. فكف التيمي، وكان جريرٌ لا يزال يسل الواحدة بعد الواحدة فيه، فيقول التيمي: والله ما نقضت هذه ولا سمعتها، فيقول جرير: هذه كانت قبل الصلح.

قال ابن سلام فحدثني عثمان بن عثمان عن عبد الرحمن بن حرملة قال: لما ورد علينا هجاء جرير والتيمي، قال لي سعيد بن المسيب ترو شيئاً مما قالا، فأتيته وقد استقبل القبلة يريد أن يكبر، فقال لي: أرويت؟ قلت نعم. فأقبل علي بوجهه فأنشدته للتيمي وهو يقول: هيه هيه! ثم أنشدته لجرير، فقال: أكله أكله!.

لم يؤثر هجاؤه في التيم للؤمهم: قال ابن سلام وحدثني الرازي عن حجناء بن جرير قال: قلت لأبي: يا أبت، ما هجوت قوماً قط إلا فضحتهم إلا التيم. يا بني، لم أجد بناءً أهدمه ولا شرفاً أضعه وكانت تيمٌ رعاء غنم يغدون في غنمهم ثم يروحون، وقد جاء كل رجل منهم بأبيات فينتحلها ابن لجأ. فقيل لجرير: ما صنعت في التيم شيئاً،

فقال: إنهم شعراء لئامٌ.

هو أشعر عند العامة والفرزدق عند الخاصة: أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني ابن النطاح قال حدثني أبو اليقظان قال: قال جرير لرجل من بني طهية: أيما أشعر أنا أم الفرزدق؟ فقال له: أنت عند العامة والفرزدق عند العلماء. فصاح جرير: أنا أبو حزرة! غلبته ورب الكعبة! والله ما في كل مائة رجل عالمٌ واحد.

هو وعدي بن الرقاع في حضرة الوليد بن عبد الملك: حدثنا أحمد بن عمار قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال حدثني ابن النطاح قال، وحدثني أبو الأخضر لمخارق بن الأخضر القيسي قال: إني كنت والله الذي لا إله إلا هو أخص الناس بجرير، وكان ينزل إذا قدم على الوليد بن عبد الملك عند سعيد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وكان عدي بن الرقاع خاصاً بالوليد مداحاً له، فكان جرير يجيء إلى باب الوليد فلا يجالس أحداً من التزارية ولا يجلس إلا إلى رجل من اليمن بحيث يقرب من مجلس بن الرقاع إلى أن يأذن الوليد للناس فيدخل. فقلت له: يا أبا حزرة، اختصصت عدوك بمجلسك! فقال: إني والله ما أجلس إليه إلا لأنشده أشعاراً تخزيه وتخزي قومه. قال: و لم يكن ينشده شيئاً من شعره، وإنما كان ينشده شعر غيره ليذله ويخوفه نفسه. فأذن الوليد للناس ذات عشية فدخلوا ودخلنا، فأخذ الناس مجالسهم، وتخلف جريرٌ فلم يدخل حتى دخل الناس وأخذوا مجالسهم واطمأنوا فيها. فبينما هم كذلك إذا بجرير قد مثل بين السماطين يقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله، إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ابن الرقاع المتفرقة أؤلف بعضها إلى بعض! - قال: وأنا جالسٌ أسمع - فقال الوليد: والله لهممت أن أخرجه على ظهرك إلى الناس. فقال جرير وهو قائم كما هو:

فإن تنهني عنه فسمعاً وطاعةً وإلا فإني عرضةٌ للمراجم

قال فقال له الوليد: لا كثر الله في الناس أمثالك. فقال له جرير: يا أمير المؤمنين، إنما أنا واحدٌ قد سعرت الأمة، فلو كثر أمثالي لأكلوا الناس أكلاً. قال: فنظرت والله إلى الوليد تبسم حتى بدت ثناياه تعجباً من جرير وجلده. قال: ثم أمره فجلس.

أخبرني ابن عمار قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا ابن النطاح عن أبي عبيدة قال: كان جرير عند الوليد وعدي بن الرقاع ينشده. فقال الوليد لجرير: كيف تسمع؟ قال: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: عدي بن الرقاع. قال: فإن شر الثياب الرقاع، ثم قال جرير: "عاملةٌ ناصبةٌ تصلى ناراً حاميةً"، فغضب الوليد وقال: يا بن اللخناء! ما بقي لك إلا أن تتناول كتاب الله! والله ليركبنك! يا غلام أوكفه حتى يركبه. فغمز عمر بن الوليد الغلام الذي أمره الوليد فأبطأ بالإكاف. فلما سكن غضب الوليد قام إليه عمر فكلمه وطلب إليه وقال: هذا شاعر مضر ولسانها، فإن رأى أمير المؤمنين ألا يغض منه! و لم يزل به حتى أعفاه، وقال له: والله لئن هجوته أو عرضت به لأفعلن بك ولأفعلن! فقال فيه تلك القصيدة التي يقول فيها:

أقصر فإن نزاراً لن يفاخرها فرعٌ لئيمٌ وأصلٌ غير مغروس

وذكر وقائع نزارٍ في اليمن، فعلمنا أنه عنا. و لم يجبه الآخر بشيء.

وصف شبة بن عقال وخالد بن صفوان له وللفرزدق والأخطل: حدثني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي قال: قال هشام بن عبد الملك لشبة بن عقال وعنده جرير والفرزدق والأخطل، وهو يومئذٍ أميرٌ ألا تخبرني عن هؤلاء الذين قد مزقوا أعراضهم، وهتكوا أستارهم وأغروا بين عشائرهم في غير خير ولا بر ولا نفع أيهم أشعر؟ فقال شبة: أما جرير فيغرف من بحر، وأما الفرزدق فينحت من صخر، وأما الأخطل فيجيد المدح والفخر. فقال هشام: ما فسرت لنا شيئاً نحصله. فقال ما عندي غير ما قلت. فقال لخالد بن صفوان: صفهم لنا يا بن الأهتم، فقال: أما أعظمهم فخراً، وأبعدهم ذكراً، وأحسنهم عذراً، وأسيرهم مثلاً، وأقلهم غزلاً، وأحلاهم عللاً، الطامي إذا زخر، والحامي إذا زأر، والسامي إذا خطر، الذي إن هدر قال، وإن خطر صال، الفصيح اللسان، الطويل العنان، فالفرزدق. وأما أحسنهم نعتاً، وأمدحهم بيتاً، وأقلهم فوتاً، الذي إن هجا وضع، وإن مدح رفع، فالأخطل. وأما أغزرهم بحراً، وأرقهم شعراً، وأهتكهم لعدوه ستراً، الأغر الأبلق، الذي أن طلب لم يسبق، وإن طلب لم يلحق، فجرير. وكلهم ذكي الفؤاد، رفيع العماد، وراي الزناد. فقال له مسلمة بن عبد الملك: ما سمعنا بمثلك يا خالد في الأولين ولا رأينا في الآخرين، وأشهد أنك أحسنهم وصفاً، وألينهم عطفاً، وأعفهم مقالاً، وأكرمهم فعالا. فقال خالد: أتم الله عليك نعمه، وأجزل لديكم قسمه، وآنس بكم الغربة، وفرج بكم الكربة. وأنت، والله ما علمت أيها الأمير، كريم الغراس، عالمٌ بالناس، جوادٌ في المحل، بسامٌ عند البذل، حليمٌ عند الطيش، في ذروة قريش، ولباب عبد شمس، ويومك خيرٌ من أمس. فضحك هشامٌ وقال: ما رأيت كتخلصك يا بن صفوان في مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعاً وسلمت منهم.

جرير وابن لجأ وقد قرنهما عمر بن عبد العزيز حين تقاذفا: أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني مصعب الزبيري قال حدثني إبراهيم بن عبد الله مولى بني زهرة قال: حضرت عمر بن لجأ وجرير بن الخطفى موقوفين للناس بسوق المدينة لما تهاجيا وتقاذفا وقد أمر بهما عمر بن عبد العزيز فقرنا وأقيما. قال: وعمر بن لجأ شابٌ كأنه حصان، وجريرٌ شيخٌ قد أسن وضعف. قال فيقول ابن لجأ:

رأوا قمراً بساحتهم منيراً ... وكيف يقارن القمر الحمارا

قال: ثم يثرو به وهما مقرونان في حبلٍ فيسقطان إلى الأرض، فأما ابن لجأ فيقع قائماً، وأما جرير فيخر لركبتيه ووجهه، فإذا قام نفض الغبار عنه. ثم قال بغنته قولاً يخرج الكلام به من أنفه - وكان كلامه كأن فيه نوناً -:

فلست مفارقاً قرني حتى ... يطول تصعدي بك وانحداري

قال فقال رجل من جلساء عمر له حين حضر غداؤه: لو دعا الأمير بأسيريه فغداهما معه! ففعل ذلك عمر. وإنما فعله بهما لأنهما تقاذفا، وكان جريرٌ قال له:

تقول والعبد مسكينٌ يجررها ... أرفق فديتك أنت الناكح الذكر

قال: وهذه قصيدته التي يقول فيها:

يا تيم تيم عدي لا أبا لكم لا يوقعنكم في سوءةٍ عمر

قال ابنه: أجود شعره قصيدته الدالية: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني على بن محمد النوفلي قال حدثني أبي قال:

كنت باليمامة وأنا واليها فكان ابنٌ لجريرٍ يكثر عندي الدخول وكنت أوثره فلم أقل له قط أنشدني أجود شعرٍ لأبيك إلا أنشدني الدالية:

أهوًى أراك برامتين وقودا أم بالجنينة من مدافع أودا

فأقول له: ويحك! لا تزيدني على هذه! فيقول سألتني عن أجود شعر أبي وهذه أجود شعره، وقد كان يقدمها على جميعه.

ذهب إلى الشأم ونزل على نميري فأكرمه: حدثني ابن عمار قال حدثني النوفلي قال حدثني علي بن عبد الملك الكعبي من ولد كعب مولى الحجاج قال حدثني فلانٌ العلامة التميمي يرويه عن جرير قال: ما ندمت على هجائي بني نميرٍ قط إلا مرة واحدة، فإني خرجت إلى الشأم فنزلت بقوم نزولٍ في قصرٍ لهم في ضيعة من ضياعهم، وقد نظرت إليه من بين القصور مشيداً حسناً وسألت عن صاحبه فقيل لي: هو رجل من بني نمير. فقلت: هذا شآمٍ وأنا بدويٌ لا يعرفني، فجئت فاستضفت. فلما أذن لي ودخلت عليه عرفني فقراني أحسن القرى ليلتين، فلما أصبحت جلست، ودعا بنيةً له فضمها إليه وترشفها، فإذا هي أحسن الناس وجهاً ولها نشرٌ لم أشم أطيب منه. فنظرت إلى عينيها فقلت: تالله ما رأيت أحسن من عيني هذه الصبية ولا من حورها قط، وعوذتها: فقال لي: يا أبا حزرة أسوداء المحاجر هي؟ فذهبت أصف طيب رائحتها. فقال: أصن وبرٍ هي؟ فقلت: يرحمك الله! إن الشاعر ليقول، ووالله لقد ساءني ما قلته، ولكن صاحبكم بدأني فانتصرت، وذهبت أعتذر. فقال: دع ذا عنك أبا حزرة، فو الله ما لك عندي إلا ما تحب. قال: وأحسن والله إلي وزودني وكساني، فانصرفت وأنا أندم الناس على ما سلف مني إلى قومه.

كان المفضل من أنصار الفرزدق فحاجه محاج بقصيدته السينية: أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود قال حدثني ابن أبي علقمة الثقفي قال: كان المفضل يقدم الفرزدق، فأنشدته قول جرير:

حي الهدملة من ذات المواعيس فالحنو أصبح قفراً غير مأنوس

وقلت أنشدني لغيره مثلها فسكت. قال: وكان الفرزدق إذا أنشدها يقول: مثلها فليقل ابن اللخناء.

رثاء الفرزدق ابن أخيه وجرير ابنه: أخبرنا أبو خليفة بن الحباب قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني عبد الجبار بن سعيد بن سليمان المساحقي عن المحرر بن أبي هريرة قال: إني لفي عسكر سليمان بن عبد الملك وفيه جريرٌ والفرزدق في غزاةٍ، إذ أتانا الفرزدق في غداةٍ، ثم قال، اشهدوا أن محمد ابن أخي، ثم أنشأ يقول:

فبت بديري أريحاء بليلةٍ خداريةٍ يزداد طولاً تمامها
أكابد فيها نفس أقرب من مشى أبوه بأمٍّ غاب عنها نيامها
وكنا نرى من غالبٍ في محمد شمائل تعلو الفاعلين كرامها
وكان ذا ما حل أرضاً تزينت بزينتها صحراؤها وإكامها
سقى أريحاء الغيث وهي بغيضةٌ إلينا ولكن بي لتسقاه هامها

قال: ثم انصرف. وجاء جرير فقال: قد رأيت هذا وسمعت ما قال في ابن أخيه، وما ابن أخيه فعل الله به وفعل! قال: ومضى جرير، فو الله ما لبثنا إلا جمعاً حتى جاءنا فقام مقامه ونعى ابنه سوادة فقال:

أودى سوادة يجلو مقلتي لحم بازٍ يصرصر فوق المربأ العالي
فارقتني حين كف الدهر من بصري وحين صرت كعظم الرمة البالي
إلا تكن لك بالديرين باكيةٌ فرب باكيةٍ بالرمل معوال
قالوا نصيبك من أجر فقلت لهم كيف العزاء وقد فارقت أشبالي

هجا الفرزدق لزواجه حدراء بنت زيق وجواب الفرزدق له: أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني حاجب بن زيد وأبو الغراف قالا: تزوج الفرزدق حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس على حكم أبيها، فاحتكم مائةً من الإبل. فدخل على الحجاج يسأله ذلك، فعذله وقال له: أتتزوج امرأةً على حكمها! فقال عنبسة بن سعيد وأراد نفعه: إنما هي من حواشي إبل الصدقة، فأمر له الحجاج بها. فوثب جريرٌ فقال:

يا زيق قد كنت من شيبان في حسبٍ يا زيق ويحك من أنكحت يا زيق
أنكحت ويحك قيناً باسته حممٌ يا زيق ويحك هل بارت بك السوق

غاب المثنى فلم يشهد نجيكما والحوفزان ولم يشهدك مفروق
يا رب قائلةٍ بعد البناء بها لا الصهر راضٍ ولا ابن القين معشوق
أين الألى استنزلوا النعمان ضاحيةً أم أين أبناء شيبان الغرانيق

قال: فلم يجبه الفرزدق عنها. فقال جريرٌ أيضاً:

فلا أنا معطي الحكم عن شف منصبٍ ولا عن بنات الحنظليين راغب
وهن كماء المزن يشفى به الصدى وكانت ملاحاً غيرهن المشارب
فلو كنت حراً كان عشراً سياقكم إلى آل زيقٍ والوصيف المقارب

فقال الفرزدق:

فنل مثلها من مثلهم ثم لمهم ... على دارميٍّ بين ليلى وغالب
هم زوجوا قبلي لقيطاً وأنكحوا ... ضراراً وهم أكفاؤنا في المناسب
ولو قبلوا مني عطية سقته ... إلى آل زيقٍ من وصيفٍ مقارب
ولو تنكح الشمس النجوم بناتها ... إذاً لنكحناهن قبل الكواكب

قال ابن سلام فحدثني الرازي عن أبيه قال: ما كانت امرأة من بني حنظلة إلا ترفع لجريرٍ اللوية في عظمها لتطرفه بها لقوله:

وهن كماء يشفى به الصدى ... وكانت ملاحاً غيرهن المشارب

فقلت للرازي: ما اللوية؟ قال: الشريحة من اللحم، أو الفدرة من التمر، أو الكبة من الشحم، أو الحفنة من الأقط، فإذا ذهب الألبان وضاقت المعيشة كانت طرفةً عندهم.

قال: وقال جرير أيضاً في شأن حدراء:

أثائرةٌ حدراء من جر بالنقا ... وهل لأبي حدراء في الوتر طالب
أتثأر بسطاماً إذا ابتلت استها ... وقد بولت في مسمعيه الثعالب

قال ابن سلام: والنقا الذي عناه جريرٌ هو الموضع الذي قتلت فيه بنو ضبة بسطاماً، وهو بسطام بن قيس. قال: فكرهت بنو شيبان أن يهتك جريرٌ أعراضهم. فلما أراد الفرزدق نقل حدراء اعتلوا عليه وقالوا له إنها ماتت. فقال جرير:

فأقسم ما ماتت ولكنما التوى ... بحدراء قومٌ لم يروك لها أهلا
رأوا أن صهر القين عارٌ عليهم ... وأن لبسطامٍ على غالبٍ فضلا

مدح قوماً عاوده في مرضه: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي ابن أبي سعد قال حدثنا محمد ابن إدريس اليمامي قال حدثنا علي بن عبد الله بن محمد بن مهاجر عن أبيه عن جده قال: دخلنا على جرير في نفرٍ من قريش نعوده في علته التي مات فيها، فالتفت إلينا فقال:

أهلاً وسهلاً بقوم زينوا حسبي ... وإن مرضت فهم أهلي وعوادي
إن تجر طيرٌ بأمر فيه عافيةٌ ... أو بالفراق فقد أحسنتم زادي
لو أن ليثاً أبا شبلين أوعدني ... لم يسلموني لليث الغابة العادي

نعي الفرزدق إليه فشمت به ثم رثاه: أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال حدثني أبو جناح بني كعب بن عمرو بن تميم قال: نعي الفرزدق إلى المهاجر بن عبد الله وجريرٌ عنده فقال:

مات الفرزدق بعد ما جدعته ليت الفرزدق كان عاش قليلاً

فقال له المهاجر: بئس لعمر الله ما قلت في ابن عمك! أتهجو ميتاً! أما والله لو رثيته لكنت أكرم العرب وأشعرها. فقال: إن رأى الأمير أن يكتمها علي فإنها سوءة، ثم قال من وقته:

فلا وضعت بعد الفرزدق حامل ولا ذات بعلٍ من نفاسٍ تعلت

هو الوافد الميمون والرائق الثأي إذا النعل يوماً بالعشيرة زلت

قال: ثم بكى ثم قال: أما والله إني لأعلم أني قليل البقاء بعده، ولقد كان نجمنا واحداً وكل واحد منا مشغول بصاحبه، وقلما مات ضد أو صديق إلا تبعه صاحبه. فكان كذلك، مات بعد سنة. وقد زاد الناس في بيتي جريرٍ هذين أبياتاً أخر، ولم يقل غيرهما وإنما أضيف إلى ما قاله.

صوت من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

رحل الخليط جمالهم بسواد وحدا على إثر البخيلة حادي

ما إن شعرت ولا علمت بينهم حتى سمعت به الغراب ينادي

الشعر لجميل. والغناء لإبراهيم، ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

نسب جميل وأخباره

هو جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن ظبيان وقيل ابن معمر بن حن بن ظبيان بن قيس بن جزء بن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد بن كثير بن عذرة بن سعد وهو هذيم، وسمي بذلك إضافة لاسمه إلى عبدٍ لأبيه يقال له هذيم كان يحضنه فغلب عليه ابن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. والنسابون مختلفون في قضاعة، فمنهم من يزعم أن قضاعة ابن معد وهو أخو نزار بن معد لأبيه وأمه، وهي معانة بنت جوسم بن جلهمة بن عامر بن عوف بن عدي بن دب بن جرهم، ومنهم من يزعم أنهم من حمير. وقد ذكر جميل ذلك في شعره فانتسب معدياً فقال:

أنا جميلٌ في السنام من معد في الأسرة الحصداء والعيص الأشد

وقال راجز من قضاعة ينسبهم إلى حمير:

قضاعة الأثرون خير معشر قضاعة بن مالك بن حمير

ولهم في هذا أراجيز كثيرةٌ. إلا أن قضاعة اليوم تنسب كلها في حمير، فتزعم أن قضاعة ابن مالك بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وقال القحذمي: اسم سبأ عامر، وإنما قيل له سبأ لأنه أول من سبى النساء. وكان يقال له عب الشمس، أي عديل الشمس، سمي بذلك لحسنه. ومن زعم من

هؤلاء أن قضاعة ليس ابن معد ذكر أن أمه عكبرة امرأة من سبأ كانت تحت مالك بن عمر فمات عنها وهي حامل، فخلفه عليها معد بن عدنان، فولدت قضاعة على فراشه. وقال: مؤرج بن عمرو: هذا قول أحدثوه بعد وصنعوا شعراً ألصقوه به ليصححوا هذا القول، وهو:

يأيها الداعي ادعنا وأبشر وكن قضاعياً ولا تنزر

قضاعة الأثرون خير معشر قضاعة بن مالك بن حمير

النسب المعروف غير المنكر

قال مؤرج: وهذا شيء قيل في آخر أيام بني أمية. وشعراء قضاعة في الجاهلية والإسلام كلها تنتمي إلى معد. قال جميل:

وأي معدٍّ كان فيء رماحهم كما قد أفانا والمفاخر منصف

وقال زيادة بن زيد يهجو بني عمه بني عامر رهط هدبة بن خشرم:

وإذا معدٌّ أوقدت نيرانها للمجد أغضت عامرٌ وتضعضعوا

كان راوية هدبة بن خشرم وكان كثير راويته: وجميل شاعر فصيح مقدم جامع للشعر والرواية، كان راوية هدبة بن خشرم، وكان هدبة شاعراً راويةً للحطيئة، وكان الحطيئة شاعراً راوية لزهير وابنه. وقال أبو محلم: آخر من اجتمع له الشعر والرواية كثير، وكان راوية جميل، وجميلٌ راوية هدبة، وهدبة راوية الحطيئة، والحطيئة راوية زهير.

نسب بثينة عشيقته: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن القحذمي قال: كان جميلٌ يهوى بثينة بنت حبأ بن ثعلبة بن الهوذ بن عمرو بن الأحب بن حن بن ربيعة تلتقي هي وجميل في حن من ربيعة في النسب.

كان كثير راويته يقدمه على نفسه: حدثني أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي وهاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قالا حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي عن ابن أبي الزناد قال: كان كثير راوية جميل، وكان يقدمه على نفسه ويتخذه إماماً، وإذا سئل عنه قال: وهل علم الله عز وجل ما تسمعون إلا منه! أخبرني محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه عن صباح بن خاقان عن عبد الله بن معاوية الزبيري قال: كان كثير إذا ذكر له جميلٌ قال: وهل علم الله ما تسمعون إلا منه! مر على جماعة بشعب سلع فاستنشدوه من شعره فأنشدهم فمدحوه: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران عن المسور بن عبد الملك عن نصيب مولى عبد العزيز بن مروان قال: قدمت المدينة فسألت عن أعلم أهلها بالشعر، فقيل لي: الوليد بن سعيد بن أبي سنان الأسلمي، فوجدته بشعب سلع مع عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن أزهر. فإنا لجلوسٌ إذ طلع علينا رجلٌ طويل بين المنكبين طوالٌ يقود راحلةً عليها بزةٌ حسنة. فقال عبد الرحمن بن حسان لعبد

الرحمن بن أزهر: يا أبا جبير، هذا جميلٌ، فادعه لعله أن ينشدنا. فصاح به عبد الرحمن: هيا جميل هيا جميل! فالتفت فقال: من هذا؟ فقال: أنا عبد الرحمن بن أزهر. فقال: قد علمت أنه لا يجترىء علي إلا مثلك. فأتاه فقال له أنشدنا، فأنشدهم:

نحن منعنا يوم أولِ نساءنا ... ويوم أفيٍّ والأسنة ترعف

ويوم ركابا ذي الجذاة ووقعةٍ ... ببنيان كانت بعض ما قد تسلفوا
يحب الغواني البيض طل لوائنا ... إذا ما أتانا الصارخ المتلهف
نسير أمام الناس والناس خلفنا ... فإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
فأي معدٍّ كان فيء رماحه ... كما قد أفأنا والمفاخر ينصف
وكنا إذا ما معشرٌ نصبوا لنا ... ومرت جواري طيرهم وتعيفوا
وضعنا لهم صاع القصاص رهينةً ... بما سوف نوفيها إذا الناس طففوا
إذا استبق الأقوام مجداً وجدتنا ... لنا مغرفا مجدٍ وللناس مغرف

قال: ثم قال له: أنشدنا هزجا. قال: وما الهزج؟ لعله هذا القصير؟ قال نعم، فأنشده - قال الزبير: لم يذكر في هذا الخبر من هذه القصيدة الهزج سوى بيتين، وأنشدنا باقيها بهلول بن سليمان بن قرضاب البلوي - : صوت

رسم دارٍ وقفت في طلله ... كدت أقضي الغداة من جلله
موحشاً ما ترى به أحداً تن ... تسج الريح ترب معتدله
وصريعاً من الثمام ترى ... عارمات المدب في أسله
بين علياء وابشٍ فبليٍّ ... فالغميم الذي إلى جبله
واقفاً في ديار أم جسيرٍ ... من ضحى يومه إلى أصله
يا خليلي إن أمٍّ جسيرٍ ... حين يدنو الضجيع من غلله
روضةٌ ذات حنوةٍ وخزامى ... جاد فيها الربيع من سبلة
بينما هن بالأراك معاً ... إذ بدا راكبٌ على جمله
فتأطرن ثم قلن لها ... أكرميه حييت في نزله
فظللنا بنعمةٍ واتكأنا ... وشربنا الحلال من قلله
قد أصون الحديث دون خليلٍ ... لا أخاف الأذاة من قبله

غير ما بغضةٍ ولا لآجتنابِ غير أني ألحت من وجله

وخليلٍ صاقبت مرتضياً وخليلٍ فارقت من مله

قال: فأنشده إياها حتى فرغ منها ثم اقتاد راحلته مولياً. فقال ابن الأزهر: هذا أشعر أهل الإسلام. فقال ابن حسان: نعم والله وأشعر أهل الجاهلية، والله ما لأحد منهم مثل هجائه ولا نسيبه. فقال عبد الرحمن بن الأزهر: صدقت.؟ قال نصيب: وأنشدت الوليد فقال لي: أنت أشعر أهل جلدتك، والله ما زاد عليها. فقلت: يا أبا محجن، أفرضيت منه بأن تكون أشعر السودان؟ قال: وددت والله يا بن أخي أنه أعطاني أكثر من هذا، ولكنه لم يفعل، ولست بكاذبك.

كان صادق الصبابة وكان كثير يتقول: أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: كان لكثير في النسيب حظٌّ وافر وجميلٌ مقدم عليه وعلى أصحاب النسيب في النسيب، وكان كثير راوية جميل، وكان جميل صادق الصبابة والعشق، ولم يكن كثير بعاشق ولكنه كان يتقول. وكان الناس يستحسنون بيت كثير في النسب:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

قال: ورأيت من يفضل عليه بيت جميل:

خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

قال ابن سلام: وهذا البيت الذي لكثير أخذه من جميل حيث يقول:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى على كل مرقب

عرض الفرزدق لكثير بأنه سرق منه فرد عليه بمثله: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن أبي شهاب عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال: لقي الفرزدق كثيراً بقارعة البلاط وأنا وهو نمشي نزيد المسجد، فقال له الفرزدق: يا أبا صخر، أنت أنسب العرب حين تقول:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

يعرض له بسرقته من جميل. فقال له كثير: وأنت يا أبا فراس أفخر الناس حين تقول:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

قال عبد العزيز: وهذا البيت أيضاً لجميل سرقه الفرزدق فقال الفرزدق لكثير: هل كانت أمك مرت بالبصرة قال: لا! ولكن أبي، فكان نزيلاً لأمك. قال طلحة بن عبد الله. فو الذي نفسي بيده لعجبت من كثير وجوابه، وما رأيت أحداً قط أحمق منه، رأيتني دخلت عليه يوما في نفرٍ من قريش وكنا كثيراً ما نتهزأ به، فقلنا: كيف تجدك يا أبا صخر؟ قال: بخيرٍ، أما سمعتم الناس يقولون شيئاً؟ قلنا: نعم، يتحدثون أنك الدجال. فقال: والله لئن

قلتم ذاك إني لأجد في عيني هذه ضعفاً منذ أيام.

كان كثير يفضله على نفسه ويبدأ بإنشاد شعره: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال كتب إلي أبو محمد إسحاق بن إبراهيم يقول حدثني أبو عبيدة عن جويرية بن أسماء قال: كان أبو صخر كثير صديقاً لي، وكان يأتيني كثيراً، فقلما استنشدته إلا بدأ بجميل وأنشد له ثم أنشد لنفسه، وكان يفضله ويتخذه إماماً.

قال الزبير وكتب إلي إسحاق يقول حدثني صباح بن خاقان عن عبد الله بن معاوية بن عاصم بن المنذر بن الزبير ذكر جميل لكثير، فقالوا: ما تقول فيه؟. فقال: منه علم الله عز وجل.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو يحيى الزهري عن إسحاق بن قبيصة الكوفي عن رجل سماه قال: سألت نصيباً: أجميلٌ أنسب أم كثير؟ فقال: أنا سألت كثيراً عن ذاك فقال: وهل وطأ لنا النسيب إلا جميل! قال عمر بن شبة وقال إسحاق حدثني السعيدي عن أبي مالك النهدي قال: جلس إلينا نصيب فذكرنا جميلاً، فقال: ذاك إمام المحبين، وهل هدى الله عز وجل لما ترى إلا بجميل.

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة عن جويرية بن أسماء قال: ما استنشدت كثيراً قط إلا بدأ بجميل وأنشدني له ثم أنشدني بعده لنفسه، وكان يفضله ويتخذه إماماً.

أول عشقه بثينة: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني هلول بن سليمان بن قرضاب البلوي قال: كان جميل ينسب بأم الجسير، وكان أول ما علق بثينة أنه أقبل يوماً بإبله حتى أوردها وادياً يقال له بغيض، فاضطجع وأرسل إبله مصعدةً، وأهل بثينة بذنب الوادي، فأقبلت بثينة وجارةٌ لها واردتين الماء، فمرتا على فصالٍ له بروكٍ فعرمتهن بثينة - يقول: نفرتهن - وهي إذ ذاك جويريةٌ صغيرة، فسبها جميلٌ، فافترت عليه، فملح إليه سبابها فقال:

وأول ما قاد المودة بيننا ... بوادي بغيضٍ يا بثين سباب

وقلنا لها قولاً فجاءت بمثله ... لكل كلامٍ يا بثين جواب

قال الزبير وحدثني محمد بن إسماعيل بن جعفر عن سعيد بن نبيه بن الأسود العذري وكانت بثينة عند أبيه نبيه بن الأسود، وإياه يعني جميلٌ بقوله:

لقد أنكحوا جهلاً نبيهاً ظعينةً ... لطيفة طي الكشح ذات شوًى خدل

قال الزبير وحدثني أيضاً الأسباط بن عيسى بن عبد الجبار العذري أن جميل بن معمر خرج في يوم عيدٍ والنساء إذ ذاك يتزين ويبدو بعضهن لبعض ويبدون للرجال، وأن جميلاً وقف على بثينة وأختها أم الجسير في نساء من بني الأحب وهن بنات عم عبيد الله بن قطبة أخي أبيه لحاً، فرأى منهن منظراً وأعجبنه وعشق بثينة وقعد معهن، ثم راح وقد كان معه فتيانٌ من بني الأحب، فعلم أن القوم قد عرفوا في نظره حب بثينة ووجدوا عليه، فراح وهو يقول:

عجل الفراق وليته لم يعجل وجرت بوادر دمعك المتهلل

طرباً وشاقك ما لقيت ولم تخف بين الحبيب غداة برقة مجول

وعرفت أنك حين رحت ولم يكن بعد اليقين وليس ذاك بمشكل

لن تستطيع إلى بثينة رجعةً بعد التفرق دون عامٍ مقبل

قال: وإن بثينة لما أخبرت أن جميلاً قد نسب بها حلفت بالله لا يأتيها على خلاءٍ إلا خرجت إليه وتتوارى منه، فكان يأتيها عند غفلات الرجال فيتحدث إليها ومع أخواتها، حتى نمي إلى رجالها أنه يتحدث إليها إذا خلا منهم، وكانوا أصلافاً غيراً - أو قال غيارى - فرصدوه بجماعةٍ نحوٍ من بضعة عشر رجلاً وجاء على الصهباء ناقته حتى وقف على بثينة وأم الجسير وهما يحدثانه وهو ينشدهما يومئذٍ:

حلفت برب الراقصات إلى منًى هوي القطا يجتزن بطن دفين

لقد ظن هذا القلب أن ليس لاقياً سليمى ولا أم الجسير لحين

فليت رجالاً فيك قد نذروا دمي وهموا بقتلي يا بثين لقوني

فبينا هو على تلك الحال إذ وثب عليه القوم فرماهم بها فسبقت به وهو يقول

إذا جوع الإثنان جمعا رميتهم بأركانها حتى تخلى سبيلها

فكان هذا أول سبب المهاجاة بينه وبين عبد الله بن قطبة.

واعدته بثينة فمنعها أهلها فقرعه نساء الحي، وشعره في ذلك: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا هلول بن سليمان عن مشيخةٍ من عذرة: أن بثينة واعدت جميلاً أن يلتقيا في بعض المواضع فأتى لوعدها. وجاء أعرابيٌّ يستضيف القوم فأنزلوه وقروه، فقال لهم: قد رأيت في بطن هذا الوادي ثلاثة نفرٍ متفرقين متوارين في الشجر، وأنا خائف عليكم أن يسلبوا بعض إبلكم، فعرفوا أنه جميلٌ وصاحباه، فحرسوا بثينة ومنعوها من الوفاء بوعده. فلما أسفر له الصبح انصرف كئيباً سيء الظن بها ورجع إلى أهله، فجعل نساء الحي يقرعنه بذلك ويقلن له: إنما حصلت منها على الباطل والكذب والغدر، وغيرها أولى بوصلك منها، كما أن غيرك يحظى بها. فقال في ذلك: صوت

أبثين إنك قد ملكت فأسجحي وخذي بحظك من كريمٍ واصل

فأجبتها في القول بعد تسترٍ حبي بثينة عن وصالك شاغلي

فلرب عارضةٍ علينا وصلها بالجد تخطله بقول الهازل

لو كان في صدري كقدر قلامةٍ فضلاً وصلتك أو أتتك رسائلي

الغناء ليحيى المكي ثقيل أول بالوسطى من رواية ابنه أحمد عنه: صوت

ويقلن إنك قد رضيت بباطلٍ ... منها فهل لك في اجتناب الباطل

ولباطلٌ مما أحب حديثه ... أشهى إلي من البغيض الباذل

ليزلن عنك هواي ثم يصلنني ... وإذا هويت فما هواي بزائل

الغناء لسليم رملٌ بالوسطى عن عمرو، وذكر في نسخته الثانية أنه ليزيد حوراء. وروى حماد عن أبيه في أخبار ابن سريج أن لابن سريج فيه لحناً و لم يجنسه:

صادت فؤادي يا بثين حبالكم ... يوم الحجون وأخطأتك حبائلي

منيتني فلويت ما منيتني ... وجعلت عاجل ما وعدت كآجل

وتثاقلت لما رأت كلفي بها ... أحبب إلي بذاك من متثاقل

وأطعت في عواذلاً فهجرتني ... وعصيت فيك وقد جهدن عواذلي

حاولنني لأبت حبل وصالكم ... مني ولست وإن جهدن بفاعل

فرددتهن وقد سبعين بهجركم ... لما سعين له بأفوق ناصل

يعضضن من غيظٍ علي أناملاً ... ووددت لو يعضضن صم جنادل

ويقلن إنك يا بثين بخيلةٌ ... نفسي فداؤك من ضنينٍ باخل

قالوا: وقال جميل في وعد بثينة بالتلاقي وتأخرها قصيدةً أولها:

يا صاح عن بعض الملامة أقصر ... إن المنى للقاء أم المسور

فمما يغنى فيه منها قوله: صوت

وكأن طارقها على علل الكرى ... والنجم وهناً قد دنا لتغور

يستاف ريح مدامةٍ معجونةٍ ... بذكي مسكٍ أو سحيق العنبر

الغناء لابن جامع ثقيلٌ أول بالبنصر من رواية الهشامي. وذكر عمرو بن بانة أنه لآبن المكي.

ومما يغنى فيه منها قوله: صوت

إني لأحفظ غيبكم ويسرني ... إذ تذكرين بصالح أن تذكري

ويكون يومٌ لا أرى لك مرسلاً ... أو نلتقي فيه علي كأشهر

يا ليتني ألقى المنية بغتةً ... إن كان يوم لقائكم لم يقدر

أو أستطيع تجلداً عن ذكركم ... فيفيق بعض صبابتي وتفكري

الغناء لابن محرز خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي. وفيه يقول:

لو قد تجن كما أجن من الهوى ... لعذرت أو لظلمت إن لم تعذر

والله ما للقلب من علم بها ... غير الظنون وغير قول المخبر

لا تحسبي أني هجرتك طائعاً ... حدثٌ لعمرك رائعٌ أن تهجري

فلتبكين الباكيات وإن أبح ... يوماً بسرك معلناً لم أعذر

يهواك ما عشت الفؤاد فإن أمت ... يتبع صداي صداك بين الأقبر

صوت

إني إليك بما وعدت لناظرٌ ... نظر الفقير إلى الغني المكثر

يعد الديون وليس ينجز موعداً ... هذا الغريم لنا وليس بمعسر

ما أنت والوعد الذي تعديننا ... إلا كبرق سحابةٍ لم تمطر

قلبي نصحت له فرد نصيحتي ... فمتى هجرتيه فمنه تكثري

الغناء في هذه الأبيات لسليم رملٌ عن الهشامي. وفيه قدحٌ طنبوري أظنه لجحظة أو لعلي بن مودة. قالوا: وقال في إخلافها إياها هذا الموعد: صوت

ألا ليت ريعان الشباب جديد ... ودهراً تولى بها بثين يعود

فنغني كما كنا نكون وأنتم ... قريبٌ وإذ ما تبذلين زهيد

ويروى:

ومما لا يزيد بعيد

وهكذا يغنى فيه: الغناء لسليم خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى. ومما يغنى فيه من هذه القصيدة.

صوت

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً ... بوادي القرى إني إذاً لسعيد

وهل ألقين فرداً بثينة مرةً ... تجود لنا من ودها ونجود

علقت الهوى منها وليداً فلم يزل ... إلى اليوم ينمي حبها ويزيد

وأفنيت عمري بانتظاري وعدها ... وأبليت فيها الدهر وهو جديد

فلا أنا مردودٌ بما جئت طالباً ... ولا حبها فيما يبيد يبيد

الغناء لمعبدٍ ثقيلٌ أول بالوسطى. ومما يغنى فيه منها: صوت

وما أنس م الأشياء لا أنس قولها وقد قربت بصرى أمصر تريد
ولا قولها لولا العيون التي ترى لزرتك فاعذرني فدتك جدود
خليلي ما ألقى من الوجد قاتلي ودمعي بما قلت الغداة شهيد
يقولون جاهد يا جميل بغزوةٍ وأي جهادٍ غيرهن أريد
لكل حديثٍ بينهن بشاشةٌ وكل قتيلٍ عندهن شهيد

الغناء للغريض خفيف ثقيلٍ من رواية حماد عن أبيه. وفي هذه القصيدة يقول:

إذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي من الحب قالت ثابتٌ ويزيد
يا جميل بغزوةٍ وأي جهادٍ غيرهن أريد
وإن قلت ردي بعض عقلي أعش به مع الناس قالت ذاك منك بعيد
ألا قد أرى والله أن رب عبرةٍ إذا الدار شطت بيننا ستزود
إذا فكرت قالت قد ادركت وده وما ضرني بخلي فكيف أجود
فلو تكشف الأحشاء صودف تحتها لبثنة حبٌّ طارفٌ وتليد
تذكرينها كل ريحٍ مريضةٍ لها بالتلاع القاويات وئيد
وقد تلتقي الأشتات بعد تفرقٍ وقد تدرك الحاجات وهي بعيد

عاتبته بثينة لشعر قاله فيها: أخبرني علي بن صالح قال حدثني عمر بن شبة عن إسحاق قال: لقي جميلٌ بثينة بعد تهاجرٍ كان بينهما طالت مدته، فتعاتبا طويلاً فقالت له: ويحك يا جميل! أتزعم أنك تهواني وأنت الذي تقول:

رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغر من أنيابها بالقوادح !

فأطرق طويلاً يبكي ثم قال: بل أنا القائل:

ألا ليت أعمى أصم تقودني بثينة لا يخفى علي كلامها

فقالت له: ويحك! ما حملك على هذه المنى! أو ليس في سعة العافية ما كفانا جميعاً!.

تجسس أبوهما وأخوها كلامه مع بثينة فلم يريا ريبة: قال إسحاق وحدثني أيوب بن عباية قال: سعت أمةٌ لبثينة بها إلى أبيها وأخيها وقالت لهما: إن جميلاً عندها الليلة، فأتياها مشتملين على سيفين، فرأياه جالساً حجرةً منها يحدثها ويشكو إليه بثة، ثم قال لها: يا بثينة، أرأيت ودي إياك وشغفي بك ألا تحزينيه؟ قالت: بماذا؟ قال: بما يكون بين المتحابين. فقالت له: يا جميل، أهذا تبغي! والله لقد كنت عندي بعيداً منه، ولئن عاودت تعريضاً بريبةٍ لا رأيت وجهي أبداً. فضحك وقال: والله ما قلت لك هذا إلا لأعلم ما عندك فيه، ولو علمت أنك تجيبيني إليه

لعلمت أنك تجيبين غيري، ولو رأيت منك مساعدةً عليه لضربتك بسيفي هذا ما استمسك في يدي، ولو أطاعتني نفسي لهجرتك هجرة الأبد، أو ما سمعت قولي:

وإني لأرضى من بثينة بالذي ... لو ابصره الواشي لقرت بلابله

بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى ... وبالأمل المرجو قد خاب آمله

وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي ... أواخره لا نلتقي وأوائله

قال فقال أبوها لأخيها: قم بنا، فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها، فانصرفا وتركاهما.

قابلها مرة بسعي صديق له: أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عناية عن رجل من عذرة قال: كنت تراباً لجميل وكان يألفني، فقال لي ذات يوم: هل تساعدني على لقاء بثينة؟ فمضيت معه، فكمن لي في الوادي وبعث بي إلى راعي بثينة بخاتمه، فدفعته إليه، فمضى به إليها ثم عاد بموعد منها إليه. فلما كان الليل جاءته فتحدثا طويلاً حتى أصبحا ثم ودعها وركب ناقته. فلما استوى في غرزها وهي باركةٌ قالت له: ادن مني يا جميل: صوت

إن المنازل هيجت أطرابي ... واستعجمت آياتها بجوابي

قفراً تلوح بذي اللجين كأنها ... أنضاء رسمٍ أو سطور كتاب

لما وقفت بها القلوص تبادرت ... مني الدموع لفرقة الأحباب

وذكرت عصراً يا بثينة شاقني ... وذكرت أيامي وشرخ شبابي

الغناء في هذه الأبيات للهذلي ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أرسل كثيراً إلى بثينة ليستجد منها موعداً: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق الموصلي عن السعيدي، وأخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال حدثنا أبو مالكٍ النهدي قال: جلس إلينا كثير ذات يوم فتذاكرنا جميلاً، فقال: لقيني مرةً فقال لي: من أين أقبلت؟ قلت: من عند أبي الحبيبة أعني بثينة. فقال: وإلى أين تمضي؟ قلت: إلى الحبيبة أعني عزة. فقال: لا بد من أن ترجع عودك على بدئك فتستجد لي موعداً من بثينة. فقلت: عهدي بها الساعة وأنا أستحيي أن أرجع. فقال: لا بد من ذلك. فقلت له: فمتى عهدك ببثينة؟ فقال: في أول الصيد وقد وقعت سحابةٌ بأسفل وادي الدوم فخرجت ومعها جاريةٌ لها تغسل ثيابها، فلما أبصرتني أنكرتني، فضربت بيديها إلى ثوب في الماء فالتحفت به، وعرفتني الجارية، فأعادت الثوب في الماء، وتحدثنا حتى غاب الشمس. وسألتها الموعد فقالت: أهلي سائرون، وما وجدت أحداً آمنه فأرسله إليها. فقال له كثير: فهل لك في أن آتي الحي فأنزع بأبياتٍ من شعرٍ أذكر فيها هذه العلامة إن لم أقدر على الخلوة بها؟ قال: ذلك الصواب، فأرسله إليها، فقال له: انتظرني ثم خرج كثير حتى أناخ بهم. فقال له

أبوها: ما ردك؟ قال: ثلاثة أبياتٍ عرضت لي فأحببت أن أعرضها عليك. قال: هاتها. قال كثير: فأنشدته وبثينة تسمع:

فقلت لها يا عز أرسل صاحبي ... إليك رسولاً والموكل مرسل

بأن تجعلي بيني وبينك موعداً ... وأن تأمريني ما الذي فيه أفعل

وآخر عهدي منك يوم لقيتني ... بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

قال: فضربت بثينة جانب خدرها وقالت: إخسأ إخسأ! فقال أبوها: مهيم يا بثينة؟ قالت: كلبٌ يأتينا إذا نؤم الناس من وراء الرابية. ثم قالت للجارية:أ ابغينا من الدومات حطباً لنذبح لكثير شاةً ونشويها له. فقال كثير: أنا أعجل من ذلك. وراح إلى جميل فأخبره. فقال له جميل: الموعد الدومات. وقالت لأم الحسين وليلى ونجيا بنات خالتها وكانت قد أنست إليهن واطمأنت بهن: إني قد رأيت في نحو نشيد كثير أن جميلاً معه. وخرج كثير وجميلٌ حتى أتيا الدومات، وجاءت بثينة ومن معها، فما برحوا حتى برق الصبح. فكان كثير يقول: ما رأيت مجلساً قط أحسن من ذلك ولا مثل علم أحدهما بضمير الآخر! ما أدري أيهما كان أفهم! وصف صالح بن حسان بيتاً من شعره: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي، وأخبرني عمي عن الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي قال قال لي صالح بن حسان: هل تعرف بيتاً نصفه أعرابيٌّ في شملة وآخره مخنثٌ من أهل العقيق يتقصف تقصفاً؟ قلت: لا. قال: قد أجلتك حولاً. قلت: لا أدري ما هو! فقال قول جميل:

ألا أيها النوام ويحكم هبوا

كأنه أعرابي في شملة. ثم أدركه ما يدرك العاشق فقال:

أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

كأنه من كلام مخنثي العقيق.

أهدر السلطان لأهل بثينة دمه إن لقيها وما كان منه بعد ذلك: أخبرني الحسين بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال أخبرنا عبد الله بن أبي كريم عن أبي عمرو وإسحاق بن مروان قال: عشق جميلٌ بثينة وهو غلام، فلما بلغ خطبها فمنع منها، فكان يقول فيها الأشعار، حتى اشتهر وطرد، فكان يأتيها سراً ثم تزوجت فكان يزورها في بيت زوجها في الحين خفية إلى أن استعمل دجاجة بن ربعي على وادي القرى فشكوه إليه فتقدم إليه ألا يلم بأبياتها وأهدر دمه لهم إن عاود زيارتها، فاحتبس حينئذ.

أن حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدثنا أحمد بن أبي العلاء قال حدثني إبراهيم الرماح قال حدثنا جابر أبو العلاء التنوخي قال: لما نذر أهل بثينة دم جميل وأهدره لهم السلطان ضاقت الدنيا بجميل، فكان يصعد بالليل على قور رملٍ يتنسم الريح من نحو حي بثينة ويقول:

أيا ريح الشمال أما تريني أهيم وأنني بادي النحول
هبي لي نسمةً من ريح بثنٍ ومني بالهبوب إلى جميل
وقولي يا بثينة حسب نفسي قليلك أو أقل من القليل

فإذا بدا وضح الصبح انصرف. وكانت بثينة تقول لجوارٍ من الحي عندها: ويحكن! إني لأسمع أنين جميل من بعض القيران! فيقلن لها: اتقي لها! فهذا شيء يخيله لك الشيطان لا حقيقة له.

تذاكر هو وكثير شعريهما في العشق وبكيا: حدثني أحمد بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني أحمد بن يعلى قال حدثني سويد بن عصام قال حدثني روح أبو نعيم قال: التقى جميلٌ وكثير فتذاكرا النسيب، فقال كثير: يا جميل، أترى بثينة لم تسمع بقولك:

يقيك جميل كل سوءٍ أما له لديك حديثٌ أو إليك رسول
وقد قلت في حبي لكم وصبابتي محاسن شعرٍ ذكرهن يطول
فإن لم يكن قولي رضاك فعلمي هبوب الصبايا بثن كيف أقول
فما غاب عن عيني خيالك لحظةً ولا زال عنها، والخيال يزول

فقال جميل: أترى عزة قد حال يا كثير لم تسمع بقولك:

يقول العدا يا عز قد حال دونكم شجاعٌ على ظهر الطريق مصمم
فقلت لها والله لو كان دونكم جهنم ما راعت فؤادي جهنم
وكيف يروع القلب يا عز رائعٌ ووجهك في الظلماء للسفر معلم
وما ظلمتك النفس يا عز في الهوى فلا تنقمي حبي فما فيه منقم

قال: فبكيا قطعةً من الليل ثم انصرفا.

واعد بثينة وعرف ذلك أهلها فلم تذهب: وقال الهيثم بن عدي ومن ذكر روايته معه من أصحابه:

زار جميلٌ بثينة ذات يومٍ، فنزل قريباً من الماء يترصد أمةً لها أو راعية، فلم يكن نزوله بعيداً من ورود أمة حبشية معها قربةٌ، وكانت به عارفةً وبما بينها وبينه. فسلمت عليه وجلست معه، وجعل يحدثها ويسألها عن أخبار بثينة ويحدثها بخبره بعدها ويحملها رسائله. ثم أعطاها خاتمه وسألها دفعه إلى بثينة وأخذ موعدٍ عليها، ففعلت وانصرفت إلى أهلها وقد أبطأت عليهم. فلقيها أبو بثينة وزوجها وأخوها فسألوها عما أبطأ بها، فالتوت عليهم ولم تخبرهم وتعللت، فضربوها ضرباً مبرحاً، فأعلمتهم حالها مع جميل ودفعت إليهم خاتمه. ومر بها في تلك الحال فتيان من بني عذرة فسمعا القصة كلها وعرفا الموضع الذي فيه جميل، فأحبا أن يثبطا عنه فقالا للقوم: إنكم إن لقيتم جميلاً وليست بثينة معه ثم قتلتموه لزمكم في ذلك كل مكروه، وأهل بثينة أعز عذرة، فدعوا الأمة توصل

خاتمه إلى بثينة، فإذا زارها بيتموهما جميعاً، قالوا: صدقتما لعمري إن هذا الرأي. فدفعوا الخاتم إلى الأمة وأمروها بإيصاله وحذروها أن تخبر بثنية بأنهم علموا القصة، ففعلت. و لم تعلم بثينة بما جرى. ومضى الفتيان فأنذرا جميلاً، فقال: والله ما أرهبهم، وإن في كنانتي ثلاثين سهماً والله لا أخطأ كل واحد منها رجلاً منهم، وهذا سيفي والله ما أنا به رعش اليد ولا جبان الجنان. فناشداه الله وقالا: البقية أصلح، فتقيم عندنا في بيوتنا حتى يهدأ الطلب، ثم نبعث إليها فتزورك وتقضي من لقائها وطراً وتنصرف سليماً غير مؤبن. فقال أما الآن فابعثا إليها من ينذرها، فأتياه براعيةٍ لهما وقالا له: قل بحاجتك، فقال: ادخلي إليها وقولي لها: إني أردت اقتناص ظبي فحذره ذلك جماعةٌ اعتوروه من القناص ففاتني الليلة. فمضت فأعلمتها ما قال لها، فعرفت قصته وبحثت عنها فعرفتها، فلم تخرج لزيارته تلك الليلة ورصدوها فلم تبرح مكانها ومضوا يقتصون أثره فرأوا بعر ناقته فعرفوا أنه قد فاتهم، فقال جميل في ذلك:

خليلي عوجا اليوم حتى تسلما ... على عذبة الأنياب طيبة النشر

ألما بها ثم اشفعا لي وسلما ... عليها سقاها الله من سبل القطر

إذا ما دنت زدت اشتياقاً وإن نأت ... جرعت لنأي الدار منها وللبعد

أبى القلب إلا حب بثنة لم يرد ... سواها وحب القلب بثنة لا يجدي

قال: وقال أيضاً: ومن الناس من يضيف هذه الأبيات إلى هذه القصيدة، وفيها أبياتٌ معادة القوافي تدل على أنها مفردةٌ عنها، وهي:

ألم تسأل الدار القديمة هل لها ... بأم جسيرٍ بعد عهدك من عهد

وفيها يقول: صوت

سلى الركب هل عجنا لمغناك مرةً ... صدور المطايا وهي موقرةٌ تخدي

وهل فاضت العين الشروق بمائها ... من اجلك حتى اخضل من دمعها بردي

الغناء لأحمد بن المكي ثاني ثقيلٍ بالوسطى:

وإني لأستجري لك الطير جاهداً ... لتجري بيمنٍ من لقائك من سعد

وإني لأستبكي إذا الركب غردوا ... بذكراك أن يحيا بك الركب إذ يخدي

فهل تجزيني أم عمرٍو بودها ... فإن الذي أخفي بها فوق ما أبدي

وكل محبٍّ لم يزد فوق جهده ... وقد زدتها في الحب مني على الجهد

قصته مع أم منظور وقد أبت عليه أن تريه إياها: أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني عمر بن إبراهيم وغيره وبهلول بن سليمان البلوي: أن رهط بثينة ائتمنوا عليها عجوزاً منهم يثقون بها يقال لها أم منظور. فجاءها

جميل فقال لها: يا أم منظور، أريني بثينة. فقالت: لا! والله لا أفعل، قد ائتمنوني عليها. فقال: أما والله لأضرنك، فقالت: المضرة والله في أن أريكها. فخرج من عندها وهو يقول:

ما أنس لا أنس منها نظرةً سلفت بالحجر يوم جلتها أم منظور

ولا انسلابتها خرساً جبائرها إلي من ساقط الأوراق مستور

قال: فما كان إلا قليلٌ حتى انتهى إليهم هذان البيتان. قال: فتعلقوا بأم منظور فحلفت لهم بكل يمينٍ فلم يقبلوا منها. هكذا ذكر الزبير بن بكار في خبر أم منظور، وقد ذكر فيه غير ذلك.

استدعى مصعب أم منظور وسألها عن قصتها مع جميل وبثينة:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي، وأخبرني به ابن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي: أن رجلاً أنشد مصعب بن الزبير قول جميل:

ما أنس لا أنس منها نظرةً سلفت بالحجر يوم جلتها أم منظور

فقال: لوددت أني عرفت كيف جلتها. فقيل له: إن أم منظور هذه حية. فكتب في حملها إليه مكرمة فحملت إليه. فقال لها: أخبريني عن قول جميل:

ما أنس لا أنس منها نظرةً سلفت بالحجر يوم جلتها أم منظور

كيف كانت هذه الجلوة؟ قالت: ألبستها قلادة بلح ومخنقة بلح واسطتها تفاحةٌ، وضفرت شعرها وجعلت في فرقها شيئاً من الخلوق. ومر بنا جميلٌ راكباً ناقته فجعل ينظر إليها بمؤخر عينه ويلتفت إليها حتى غاب عنا. فقال لها مصعب: فإني أقسم عليك إلا جلوت عائشة بنت طلحة مثل ما جلوت بثينة، ففعلت: وركب مصعبٌ ناقته وأقبل عليهما وجعل ينظر إلى عائشة بمؤخر عينه ويسير حتى غاب عنهما ثم رجع.

زارها مرة متنكراً في زي سائل: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني بهلول عن بعض مشايخه: أن جميلاً جاء إلى بثنية ليلةً وقد أخذ ثياب راعٍ لبعض الحي، فوجد عندها ضيفاناً لها، فانتبذ ناحيةً، فسألته: من أنت، فقال: مسكينٌ مكاتب، فجلس وحده، فعشت ضيفانها وعشته وحده. ثم جلست هي وجاريةٌ لها على صلائهما واضطجع القوم منتحين. فقال جميلٌ: واعدته مرة وأحس أهلها فمنعوها فقال في ذلك شعراً:

هل البائس المقرور دانٍ فمصطلٍ من النار أو معطًى لحافاً فلابس

فقالت لجاريتها: صوت جميلٍ والله! اذهبي فانظري! فرجعت إليها فقالت: هو والله جميل! فشهقت شهقةً سمعها القوم فأقبلوا يجرون وقالوا مالك؟ فطرحت برداً لها من حبرةٍ في النار وقالت: احترق بردي، فرجع القوم.

وأرسلت جاريتها إلى جميل، فجاءتها به، فحبسته عندها ثلاث ليالٍ، ثم سلم عليها وخرج.

وقال الهيثم وأصحابه في أخبارهم: كانت بثينة قد واعدت جميلاً للالتقاء في بعض المواضع، فأتى لوعدها. وجاء أعرابيٌ يستضيف القوم فأنزلوه وقروه، فقال لهم: إني قد رأيت في بطن هذا الوادي ثلاثة نفرٍ متفرقين متوارين في

الشجر وأنا خائفٌ عليكم أن يسلوا بعض إبلكم. فعرفوا أنه جميلٌ وصاحباه، فحرسوا بثينة ومنعوها من الوفاء بوعده. فلما أسفر له الصبح انصرف كئيباً سيء الظن بها ورجع إلى أهله، فجعل نساء الحي يقرعنه بذلك ويقلن له: إنما حصلت منها على الباطل والكذب والغدر، وغيرها أولى بوصلك منها، كما أن غيرك يحظى بها، فقال في ذلك:

أبثين إنك قد ملك فأسجحي ... وخذي بحظك من كريم واصل

صوت

فلرب عارضةٍ علينا وصلها ... بالجد تخلطه بقول الهازل

فأجبتها بالقول بعد تسترٍ ... حبي بثينة عن وصالك شاغلي

لو كان في قلبي كقدر قلامةٍ ... فضلاً وصلتك أو أتتك رسائلي

الغناء ليحيى المكي ثقيلٌ أول بالوسطى من رواية أحمد:

ويقلن أنك قد رضيت بباطلٍ ... منها فهل لك في اجتناب الباطل

ولباطلٌ ممن أحب حديثه ... أشهى إلي من البغيض الباذل

الغناء لسليم رملٌ بالوسطى عن عمرو. وذكر عمر أنه ليزيد حوراء.

قصته مع بثينة وقد علم زوجها بمقامه معها وما قيل في ذلك من الشعر:

وذكر الهيثم بن عدي وأصحابه أن جماعةً من بني عذرة حدثوا أن جميلاً رصد بثينة ذات ليلةٍ في نجعةٍ لهم، حتى إذا صادف منها خلوةً سكر ودنا منها وذلك في ليلةٍ ظلماء ذات غيم وريح ورعد، فحذفها بحصاةٍ فأصابت بعض أترابها، ففزعت وقالت: والله ما حذفني في هذا الوقت بحصاةٍ إلا الجن! فقالت لها بثينة وقد فطنت: إن جميلاً فعل ذلك فانصرفي ناحيةً إلى منزلك حتى ننام، فانصرفت وبقيت مع بثينة أم الجسير وأم منظور، فقامت إلى جميل فأدخلته الخباء معها وتحدثا طويلاً، ثم اضطجع إلى جنبه فذهب النوم بهما حتى أصبحا وجاءها غلام زوجها بصبوح من اللبن بعث به إليها، فرآها نائمةً مع جميل، فمضى لوجهه حتى خبر سيده. ورأته ليلى والصبوح معه وقد عرفت خبر جميلٍ وبثينة فاستوقفته كأنها تسأله عن حاله وبعثت بجارية لها وقالت حذري بثينة وجميلاً، فجاءت الجارية فنبهتهما. فلما تبينت بثينة الصبح قد أضاء والناس منتشرين ارتاعت وقالت: يا جميل! نفسك نفسك! فقد جاءني غلام نبيهٍ بصبوحي من اللبن فرآنا نائمين! فقال لها جميل وهو غير مكترثٍ لما خوفته منه:

لعمرك ما خوفتني من مخافةٍ ... بثين ولا حذرتني موضع الحذر

فأقسم لا يلقى لي اليوم غرةٌ ... وفي الكف مني صارمٌ قاطعٌ ذكر

فأقسمت عليه أن يلقى نفسه تحت النضد وقالت: إنما أسألك ذلك خوفاً على نفسي من الفضيحة لا خوفاً عليك، ففعل ذلك ونامت كما كانت، واضطجعت أم الجسير إلى جانبها وذهبت خادم ليلى إليها فأخبرتها الخبر فتركت العبد يمضي إلى سيده فمضى والصبوح معه وقال له: إني رأيت بثينة مضطجعة وجميلٌ إلى جانبها. فجاء نبيه إلى أخيها وأبيها بأيديهما وعرفهما الخبر وجاءوا بأجمعهم إلى بثينة وهي نائمة فكشفوا عنها الثوب فإذا أم الجسير إلى جانبها نائمة. فخجل زوجها وسب عبده وقالت ليلى لأخيها وأبيها: قبحكما الله! أفي كل يوم تفضحان فتاتكما ويلقاكما هذا الأعور فيها بكل قبيح! قبحه الله وإياكما! وجعلا يسبان زوجها ويقولان له كل قول قبيح. وأقام جميلٌ عند بثينة حتى أجنه الليل ثم ودعها وانصرف. وحذرهم بثينة لما جرى من لقائه إياها فتحامته مدةً، فقال في ذلك: صوت

أأن هتفت ورقاء ظلت سفاهةً ... تبكي على جملٍ لورقاء تهتف

فلو كان لي بالصرم يا صاح طاقةٌ ... صرمت ولكني عن الصرم أضعف

للهذلي في هذين البيتين لحنان أحدهما ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، والآخر خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو، وذكر غيره لابن جامع. وفيه لبذل الكبرى خفيف ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر عن أحمد بن المكي. ومما يغنى فيه من هذه القصيدة قوله: صوت

لها في سواد القلب بالحب ميعةٌ ... هي الموت أو كادت على الموت تشرف

وما ذكرتك النفس يا بثن مرةً ... من الدهر إلا كادت النفس تتلف

وإلا اعترتني زفرةٌ واستكانةٌ ... وجاد لها سجلٌ من الدمع يذرف

وما استطرفت نفسي حديثاً لخلةٍ ... أسر به إلا حديثك أطرف

الغناء لإبراهيم ثقيلٌ أول بالوسطى عن الهشامي. وأول هذه القصيدة:

أمن منزلٍ قفرٍ تعفت رسومه ... شمالٌ تغاديه ونكباء حرجف

فأصبح قفراً بعد ما كان آهلاً ... وجمل المنى تشتو به وتصيف

ظللت ومستنٌ من الدمع هاملٌ ... من العين لما عجت بالدار ينزف

أمنصفتي جملٌ فتعدل بيننا ... إذا حكمت والحاكم العدل ينصف

تعلقتها والجسم مني مصححٌ ... فما زال ينمي حب جملٍ وأضعف

إلى اليوم حتى سل جسمي وشفني ... وأنكرت من نفسي الذي كنت أعرف

قناةٌ من المران ما فوق حقوها ... وما تحته منها نقاً يتقصف

لها مقلتا ريم وجيد جدايةٍ ... وكشحٌ كطي السابرية أهيف

ولست بناسٍ أهلها حين أقبلوا وجالوا علينا بالسيوف وطوفوا
وقالوا جميلٌ بات في الحي عندها وقد جردوا أسيافهم ثم وقفوا
وفي البيت ليث الغاب لولا مخافةٌ على نفس جملٍ والإله لأرعفوا

هممت وقد كادت مراراً تطلعت إلى حربهم نفسي وفي الكف مرهف
وما سرني غير الذي كان منهم ومني وقد جاءوا إلي وأوجفوا
فكم مرتجٍ أمراً أتيح له الردى ومن خائفٍ لم ينتقصه التخوف

له بيتٍ كان نصفه أعرابي ونصفه مخنث: حدثني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال، قال لي صالح بن حسان: هل تعرف بيتاً نصفه أعرابيٌّ في شملة وآخره مخنث يتفكك من مخنثي العقيق؟ فقلت: لا أدري. قال: قد أجلتك فيه حولاً. فقلت: لو أجلتني حولين ما علمت. قال: قول جميل:

ألا أيها النوام ويحكم هبوا

هذا أعرابيٌّ في شملة. ثم قال:

نسائلكم هل يقتل الرجل الحب

كأنه والله من مخنثي العقيق. في هذا الشعر غناء، نسبته وشرحه: صوت

ألا أيها النوام ويحكم هبوا نسائلكم هل يقتل الرجل الحب
ألا رب ركبٍ قد دفعت وجيفهم إليك ولولا أنت لم يوجف الركب

الغناء لابن محرز خفيف رملٍ بالسبابة والوسطى عن يحيى المكي، وذكره إسحاق في هذه الطريقة و لم ينسبه إلى أحد. وفيه لسليم ما خوريٌّ عن الهشامي. وفيه لمالك ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وقيل: إنه لمعبد. وفيه لعريب هزجٌ من رواية ابن المعتز. وذكر عبد الله بن موسى أن لحن مالك من الثقيل الأول وأن خفيف الرمل لابن سريج وأن الهزج لحمدونه بنت الرشيد.

جفا بثينة لما علقت حجنة الهلالي: أخبرنا الحسين بن يحيى المرداسي قال أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب ابن عباية المحرزي عن شيخ من رهط جميلٍ من عذرة: أن بثينة لما علقت حجنة الهلالي جفاها جميلٌ. قال: وأنشدني لجميلٍ في ذلك: صوت

بينا حبالٌ ذات عقدٍ لبثنةٍ أتيح لها بعض الغواة فحلها
فعدنا كأنا لم يكن بيننا هوًى وصار الذي حل الحبال هوًى لها

وقالوا نراها يا جميل تبدلت وغيرها الواشي فقلت لعلها

الغناء للهذلي خفيف ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى. وذكره إسحاق في هذه الطريقة والإصبع و لم ينسبه إلى أحد.

تمثل إفريقي بشعر له يعرض فيه بفتى من آل عثمان: أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثنا أبو عوف عن عبد الرحمن بن مقرن قال: بعثني المنصور لأبتاع له جاريةً من المدينة وقال لي: اعمل برأي ابن نفيس، فكنت أفعل ذلك، وأغشى ابنه، وكانت له جارية مغنية قد كلف بها فتًى من آل عثمان بن عفان، فكان يبيع عقدةً عقدة من ماله وينفق ثمنها عليها. وابتلي برجل من أهل إفريقية ومعه ابن له، فغشي ابن الإفريقي بيت ابن نفيس فجعل يكسو الجارية وأهلها ويبرهم حتى حظي عندهم وغلب عليهم وتثاقلوا العثماني. فقضي أن اجتمعنا عشيةً عندها وحضر ابن الإفريقي والعثماني، فنزع ابن الإفريقي خفه فتناثر المسك منه، وأراد العثماني أن يكيده بفعله. فجلسنا ساعةً، فقال لها ابن الإفريقي: غني:

بينا حبالٌ ذات عقدٍ لبثنة أتيح لها بعض الغواة فحلها

يعرض بالعثماني. فقال لها العثماني: لا حاجة لنا في هذا، ولكن غني:

ومن يرع نجداً يلفني قد رعيته بجنيته الأولى ويورد على وردي

قال: فنكس ابن الإفريقي رأسه وخرج العثماني فذهب، وحمد أهل البيت فما انتفعوا بقية يومهم.

شعره حين زوجت بثينة نبيهاً: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي وبهلول بن سليمان البلوي: أن جميلاً قال لما زوجت بثينة نبيهاً: صوت

ألا ناد عيراً من بثينة ترتعي نودع على شحط النوى ونودع

وحثوا على جمع الركاب وقربوا جمالاً ونوقاً جلةً لم تضعضع

في هذين البيتين رملٌ لابن سريج عن الهشامي. ومما يغنى فيه من هذه القصيدة: صوت

أعيذك بالرحمن من عيشٍ شقوةٍ وأن تطمعي يوماً إلى غير مطمع

إذا ما ابن معلونٍ تحدر رشحه عليك فموتي بعد ذلك أودعي

مللن ولم أملل وما كنت سائماً لأجمال سعدى ما أنخن بجعجع

وحثوا على جمع الركاب وقربوا جمالاً ونوقاً جلةً لم تضعضع

ألا قد أرى إلا بثينة ها هنا لنا بعد ذا المصطاف والمتربع

لمعبد في الثالث والرابع من هذه الأبيات ثقيلٌ أول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق. ولابن سريج في الأول والثاني والخامس خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو. وللأبجر في الأول والخامس والثالث والرابع رملٌ

بالبنصر. وفي الأول والثاني خفيف ثقيلٍ ينسب إلى معبد وغيره، و لم تعرف صحته من جهةٍ يوثق بها.

شعره لما أبعده السلطان عن بثينة: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال أنشدنا هلول بن سليمان لجميل لما بعد عن بثينة وخاف السلطان، وكان هلولٌ يعجب به:

ألا قد أرى إلا بثينة للقلب ... بوادي بدا لا بحسمى و لا الشغب

و لا ببصاقٍ قد تيممت فاعترف ... لما أنت لاقٍ أو تنكب عن الركب

أفي كل يومٍ أنت محدث صبوةٍ ... تموت لها بدلت غيرك من قلب

حديث عبد الملك معها عن عشق جميل لها: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا أبي عن يعقوب بن محمد الزهري عن سليمان بن صخر الحرشي قال حدثنا سليمان بن زياد الثقفي: أن بثينة دخلت على عبد الملك بن مروان. فرأى امرأةً خلفاء مولية، فقال لها: ما الذي رأى فيك جميلٌ؟. قالت: الذي رأى فيك الناس حين استخلفوك: فضحك عبد الملك حتى بدت له سنٌّ سوداء كان يسترها.

شعره في جمله جديل: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن إبراهيم العويثي: أن جمل جميلٍ الذي كان يزور عليه بثينة يقال له جديل وفيه يقول:

أنخب جديلاً عند بثنة ليلةً ... ويوماً أطال الله رغم جديل

أليس مناخ النضو يوماً وليلةً ... لبثنة فيما بيننا بقليل؟

مهاجاته قومها بني الأحب وإهدار السلطان لهم دمه: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان محمد بن يحيى المكي: أن جميلاً لما اشتهرت بثينة بحبه إياها اعترضه عبيد الله بن قطبة أحد بني الأحب وهو من رهطها الأدنين فهجاه، وبلغ ذلك جميلاً فأجابه، وتطاولا فغلبه جميل وكف عن ابن قطبة، واعترضه عمير بن رمل رجلٌ من بني الأحب فهجاه. وإياه عنى جميلٌ بقوله:

إذا الناس هابوا خزيةً ذهبت بها ... أحب المخازي كهلها ووليدها

لعمر عجوزٍ طرقت بك إنني ... عمير بن رملٍ لابن حربٍ أقودها

بنفسي فلا تقطع فؤداك ضلةً ... كذلك حزني وعثها وصعودها

قال: فاستعدوا عليه عامر بن ربعي بن دجاجة، وكانت إليه بلاد عذرة، وقالوا: يهجونا ويغشى بيوتنا وينسب بنسائنا! فأباحهم دمه، وطلب فهرب منه. وغضبت بثينة لهجائه أهلها جميعاً. فقال جميل:

وما صائبٌ من نابلٍ قذفت به ... يدٌ وممر العقدتين وثيق

له من خوافي النسر حمٌّ نظائرٌ ... ونصلٌ كنصل الزاعبي فتيق

على نبعةٍ زوراء أما خطامها ... فمتنٌ وأما عودها فعتيق

بأوشك قتلاً منك يوم رميتني نوافذ لم تظهر لهن خروق
تفرق أهلانا بثين فمنهم فريقٌ أقاموا استمر فريق
فلو كنت خواراً لقد باح مضمري ولكنني صلب القناة عريق
كأن لم نحارب يا بثين لو انه تكشف غماها وأنت صديق

قال ويدل على طلب عامر بن ربعي إياه قوله:

أضر بأخفاف البغلية أنها حذار ابن ربعي بهن رجوم

لما أهدر دمه هرب إلى اليمن ثم رجع بعد عزل عامر إلى الشأم: أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن عبد الله الحزنبل الأصبهاني قال حدثني عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال حدثني بعض رواة عذرة: أن السلطان أهدر دم جميل لرهط بثينة إن وجدوه قد غشي دورهم. فحذرهم مدة، ثم وجدوه عندها، فأعذروا إليه وتوعدوه وكرهوا أن ينشب بينهم وبين قومه حربٌ في دمه، وكان قومه أعز من قومها، فأعادوا شكواه إلى السلطان، فطلبه طلباً شديداً، فهرب إلى اليمن فأقام بها مدة. وأنشدني له في ذلك:

ألم خيالٌ من بثينة طارق على النأي مشتاقٌ إلي وشائق

سرت من تلاع الحجر حتى تخلصت إلي ودوني الأشعرون وغافق
كأن فتيت المسك خالط نشرها تغل به أردانها والمرافق
تقوم إذا قامت به عن فراشها ويغدو به من حضنها من تعانق

قال أبو عمرو وحدثني هذا العذري: أن جميلاً لم يزل باليمن حتى عزل ذلك الوالي عنهم، وانتجعوا ناحية الشام فرحل إليهم. قال: فلقيته فسألته عما أحدث بعدي، فأنشدني:

سقى منزلينا يا بثين بحاجرٍ على الهجر منا صيفٌ وربيع
ودورك يا ليلى وإن كن بعدنا بلين بلىً لم تبلهن ربوع
وخيماتك اللاتي بمنعرج اللوى لقمريها بالمشرقين سجيع
تزعزع منها الريح كل عشيةٍ هزيمٌ بسلاف الرياح رجيع
وإني أن يعلى بك اللوم أو تري بدار أذًى من شامتٍ لجزوع
وإني على الشيء الذي يلتوى به وإن زجرتني زجرةً لو ريع
فقدتك من نفسٍ شعاعٍ فإنني نهيتك عن هذا وأنت جميع

فقربت لي غير القريب وأشرفت هناك ثنايا ما لهن طلوع

يقولون صبٌّ بالغواني موكلٌ وهل ذاك من فعل الرجال بديع !

وقالوا رعيت اللهو والمال ضائعٌ فكالناس فيهم صالحٌ ومضيع

الغناء لصالح بن الرشيد رمل بالوسطى عن الهشامي وابن خرداذبه وإبراهيم. وذكر حبشٌ أن في هذه الأبيات لإسحاق لحناً من الثقيل بالوسطى، ولم يذكر هذا أحد غيره ولا سمعناه ولا قرأناه إلا في كتابه. ومن الناس من يدخل هذه الأبيات في قصيدة المجنون التي على روي وقافية هذه القصيدة، وليست له.

أنشد كثير من شعره وقال هو أشعر الناس: أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي عن أبي عبيدة عن أبيه قال: دخل علينا كثير يوماً وقد أخذ بطرف ريطته وألقى طرفها الآخر وهو يقول: هو والله أشعر الناس حيث يقول:

وخبرتماني أن تيماء منزلٌ لليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا

فهذي شهور الصيف عني قد انقضت فما للنوى ترمي بليلى المراميا

ويجر ربطته حتى يبلغ إلينا، ثم يولي عنا ويجرها ويقول: هو والله أشعر الناس حيث يقول:

وأنت التي إن شئت كدرت عيشتي وإن شئت بعد الله أنعمت باليا

وأنت التي ما من صديق ولا عدا يرى نضو ما أبقيت إلا رثى ليا

ثم يرجع إلينا ويقول: هو والله أشعر الناس. فقلنا: من تعني يا أبا صخر؟ فقال: ومن أعني سوى جميل! هو والله أشعر الناس حيث يقول هذا! وتيماء خاصةً. مترلٌ لبني عذرة، وليس من منازل عامر، وإنما يرويه عن المجنون من لا يعلمه.

وفي هذه القصيدة يقول جميل:

وما زلتم يا بثن حتى لو أنني من الشوق أستبكي الحمام بكى ليا

إذا خدرت رجلي وقيل شفاؤها دعاء حبيبٍ كنت أنت دعائيا

وما زادني النأي المفرق بعدكم ولا كثرة الناهين إلا تماديا

ألم تلعمي يا عذبة الريق أنني أظل إذا لم ألق وجهك صاديا

لقد خفت أن ألقى المنية بغتةً وفي النفس حاجاتٌ إليك كما هيا

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا بعض أصحابنا عن محمد بن معن الغفاري عن الأصبغ بن عبد العزيز قال: كنت عند طلحة بن عبد الله بن عوف، فدخل عليه كثير، فلما دخل من الباب أخذ برجله فثناها ثم حجل حتى بلغ الفراش وهو يقول: جميلٌ والله أشعر العرب حيث يقول:

وخبرتماني أن تيماء منزل

ثم ذكر باقي الخبر الذي رواه محمد بن مزيد.

يوم ذي ضال: أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني عمر بن إبراهيم السعدي.

أن رهط بثينة قالوا إنما يتبع جميلٌ أمةً لنا. فواعد جميلٌ بثينة حين لقيها ببرقاء ذي ضال، فتحاثا ليلاً طويلاً حتى أسحرا. ثم قال لها: هل لك أن ترقدي؟ قالت: ما شئت، وأنا خائفةٌ أن نكون قد أصبحنا. فوسدها جانبه ثم اضطجعا ونامت، فانسل واستوى على راحلته فذهب، وأصبحت في مضجعها، فلم يرع الحي إلا بها راقدةً عند مناخ راحلة جميل. فقال جميل في ذلك:

فمن يك في حبي بثينة يمتري فبرقاء ذي علي شهيد

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن شبيب عن الحزامي عن فليح بن إسماعيل بمثل هذه القصة، وزاد فيها: فلما انتبهت بثينة علمت ما أراده جميل بها، فهجرته وآلت ألا تظهر له، فقال:

ألا هل إلى إلمامةٍ أن ألمها بثينة يوماً في الحياة سبيل؟

فإن هي قالت لا سبيل فقل لها عناءٌ على العذري منك طويل

على حينٍ يسلو الناس عن طلب الصبا وينسى اتباع الوصل منه خليل

شكاه أهلها إلى قومه فلاموه، وشعره في ذلك: وقال الهيثم وأصحابه في أخبارهم: تشكى زوج بثينة إلى أبيها وأخيها إلمام جميل بها. فوجهوا إلى جميل وأعذروا إليه وشكوه إلى عشيرته وأعذروا إليهم فيه وتوعدوه، وأتاهم فلامه أهله وعنفوه وقالوا: إنا نستحلف إليهم ونتبرأ منك ومن جريرتك. فأقام مدة لا يلم بها، ثم لقي ابني عمه روقاً ومسعوداً، فشكا إليهما ما به وأنشدهما قوله:

وإني على الشيء الذي يلتوى به وإن زجرتني زجرةً لوريع

فقدتك من نفسٍ شعاعٍ فإنني نهيتك عن هذا وأنت جميع

فقربت لي غير القريب وأشرفت هناك ثنايا ما لهن طلوع

يقولون صبٌّ بالغواني موكلٌ وهل ذاك من فعل الرجال بديع

وقالوا رعيت اللهو والمال ضائعٌ فكالناس فيهم صالحٌ ومضيع

تمثل محمد بن عبد الله بن حسن بشعره لزوجته: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب بن عبد الله قال: كانت تحت محمد بن عبد الله بن حسن امرأة من ولد الزبير يقال لها فليحة، وكانت لها

صبيةٌ يقال لها رخية، قد ربتها لغير رشدة، وكانت من أجمل النساء وجهاً. فرأت محمداً وقد نظر إليها ذات يوم نظراً شديداً، ثم تمثل قول جميل:

بثنية من صنفٍ يقلبن أيدي الرم ... اة وما يحملن قوساً ولا نبلا

ولكنما يظفرن بالصيد كلما ... جلون الثنايا الغر والأعين النجلا

يخالسن ميعاداً يرعن لقولها ... إذا نطقت كانت مقالتها فصلا

يرين قريباً بيتها وهي لا ترى ... سوى بيتها بيتاً قريباً ولا سهلا

فقالت له فليحة: كأنك تريد رخية! قال: إي والله! قالت: إني أخشى أن تجيء منك بولد وهي لغير رشدة. فقال لها: إن الدنس لا يلحق الأعقاب ولا يضر الأحساب. فقالت له: فما يضر إذاً! والله ما يضر إلا الأعقاب والأحساب، وقد وهبتها لك. فسر بذلك وقال: أما والله لقد أعطيتك خيراً منها. قالت: وما هو؟ قال: أبيات جميلٍ التي أنشدتها إياها، لقد مكثت أسعى في طلبها حولين. فضحكت وقالت: ما لي ولأبيات جميلٍ! والله ما ابتغيت إلا مسرتك. قال: فولدت منه غلاماً. وكانت فليحة تدعو الله ألا يبقيه. فبينا محمدٌ في بعض هربه من المنصور والجارية وابنها معه إذ رهقهما الطلب، فسقط الصبي من الجبل فتقطع. فكان محمد بعد ذلك يقول: أجيب في هذا الصبي دعاء فليحة.

نصح أبوه فرد عليه رداً أبكاه وأبكى الحاضرين، وشعره في ذلك: وقال الهيثم بن عدي وأصحابه في أخبارهم: لما نذر أهل بثينة دم جميل وأباحهم السلطان قتله، أعذروا إلى أهله. وكانت منازلهم متجاورة، إنما هم بيوتاتٌ يفترقون كما يفترق البطون والأفخاذ والقبائل غير متباعدين، ألم تر إلى قول جميل:

أبيت مع الهلاك ضيفاً لأهلها ... وأهلي قريبٌ موسعون أولو فضل

فمشت مشيخة الحي إلى أبيه - وكان يلقب صباحاً وكان ذا مالٍ وفضل وقدر في أهله - فشكوه إليه وناشدوه الله والرحم وسألوه كف ابنه عما يتعرض له ويفضحهم به في فتاتهم، فوعدهم كفه ومنعه ما استطاع، ثم انصرفوا. فدعا به فقال له: يا بني! حتى متى أنت عمهٌ في ظلالك، لا تأنف من أن تتعلق بذات بعل يخلو بها وينكحها وأنت عنها بمعزل ثم تقوم من تحته إليك فتغرك بخداعها وتريك الصفاء والمودة وهي مضمرةٌ لبعلها ما تضمره الحرة لمن ملكها، فيكون قولها لك تعليلاً وغروراً، فإذا انصرفت عنها عادت إلى بعلها على حالتها المبذولة، إن هذا لذلٌ وضيمٌ! ما أعرف أخيب سهماً ولا أضيع عمراً منك. فأنشدك الله إلا كففت وتأملت أمرك، فإنك تعلم أن ما قلته حقٌ، ولو كان إليها سبيلٌ لبذلت ما أملكه فيها، ولكن هذا أمر قد فات واستبد به من قدر له، وفي النساء عوضٌ. فقال له جميل: الرأي ما رأيت، والقول كما قلت، فهل رأيت قبلي أحداً قدر أن يدفع عن قلبه هواه، أو ملك أن يسلي نفسه، أو استطاع أن يدفع ما قضي عليه! والله لو قدرت أن أمحو ذكرها

من قلبي أو أزيل شخصها عن عيني لفعلت، ولكن لا سبيل إلى ذلك، وإنما هو بلاءٌ بليت به لحينٍ قد أتيح لي، وأنا أمتنع من طروق هذا الحي والإلمام بهم ولو مت كمداً، وهذا جهدي ومبلغ ما أقدر عليه. وقام وهو يبكي، فبكى أبوه ومن حضر جزعاً لما رأوا منه. فذلك حين يقول جميل: صوت

ألا من لقلبٍ لا يمل فيذهل ... أفق فالتعزي عن بثينة أجمل

سلا كل ذي ودٍّ علمت مكانه ... وأنت بها حتى الممات موكل

فما هكذا أحببت من كان قبلها ... ولا هكذا فيما مضى كنت تفعل

الغناء لمالك ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق

فيا قلب دع ذكري بثينة إنها ... وإن كنت تهواها تضن وتبخل

وقد أيأست من نيلها وتجهمت ... ولليأس إن لم يقدر النيل أمثل

وإلا فسلها نائلاً قبل بينها ... وأبخل بها مسؤولةً حيت تسأل

وكيف ترجي وصلها بعد بعدها ... وقد جد حبل الوصل ممن تؤمل

وإن التي أحببت قد حيل دونها ... فكن حازماً والحازم المتحول

ففي اليأس ما يسلي وفي الناس خلةٌ ... وفي الأرض عمن لا يواتيك معزل

بدا كلفٌ مني بها فتثاقلت ... وما لا يرى من غائب الوجد أفضل

هبيني بريئاً نلته بظلامةٍ ... عفاها لكم أو مذنباً يتنصل

قناةٌ من المران ما فوق حقوها ... وما تحته منها نقاً يتهيل

قال وقال أيضاً في هذه الحال.

صوت

أعن ظعن الحي الألى كنت تسأل ... بليلٍ فردوا عيرهم وتحملوا

فأمسوا وهم أهل الديار وأصبحوا ... ومن أهلها الغربان بالدار تحجل

في هذين البيتين لسياطٍ خفيف رملٍ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لآبن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو

على حين ولى الأمر عنا وأسمحت ... عصا البين وانبت الرجاء المؤمل

فما هو إلا أن أهيم بذكرها ... ويحظى بجدواها سواي ويجذل

وقد أبقت الأيام مني على العدا ... حساماً إذا مس الصريبة يفصل

ولست كمن إن سيم ضيماً أطاعه ... ولا كامرىءٍ إن عضه الدهر ينكل

لعمري لقد أبدى لي البين صفحه ... وبين لي ما شئت لو كنت أعقل

وآخر عهدي من بثينة نظرةٌ ... على موقف كادت من البين تقتل

فلله عينا من رأى مثل حاجةٍ ... كتمتكها والنفس منها تململ

وإني لأستبكي إذا ذكر الهوى ... إليك وإني من هواك لأوجل

نظرت ببشرٍ نظرةً ظلت أمتري ... بها عبرةً والعين بالدمع تكحل

إذا ما كررت الطرف نحوك رده ... من البعد فياضٌ من الدمع يهمل

ودع بثينة حين خروجه من الشأم: أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية قال:

لما أراد جميلٌ الخروج إلى الشأم، هجم ليلاً على بثينة وقد وجد غفلةً. فقالت له: أهلكتني والله وأهلكت نفسك! ويحك! أما تخاف! فقال لها: هذا وجهي إلى الشأم، إنما جئتك مودعاً. فحادثها طويلاً ثم ودعها، وقال: يا بثينة، ما أرانا نلتقي بعد هذا، وبكيا طويلاً. ثم قال لها وهو يبكي:

ألا لا أبالي جفوة الناس ما بدا ... لنا منك رأيٌ يا بثين جميل

وما لم تطيعي كاشحاً أو تبدلي ... بنا بدلاً أو كان منك ذهول

وإني وتكراري الزيارة نحوكم ... بثين بذي هجرٍ بثين يطول

وإن صباباتي بكم لكثيرةٌ ... بثين ونسيانيكم لقليل

أمره مروان وأمر جواس بن قطبة بالحداء لمدحه فقالا شعراً في الفخر: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني شيوخٌ من عذرة: أن مروان بن الحكم خرج مسافراً في نفرٍ من قريش ومعه جميل بن معمر وجواس بن قطبة أخو عبيد الله بن قطبة. فقال مروان لجواس: انزل فارجز بنا، وهو يريد أن يمدحه. فنزل جواس وقال:

يقول أميري هل تسوق ركابنا ... فقلت له حادٍ لهن سوائيا

تكرمت عن سوق المطي ولم يكن ... سياق المطي همتي ورجائيا

جعلت أبي رهناً وعرضي سادراً ... إلى أهل بيت لم يكونوا كفائيا

إلى شر بيتٍ من قضاعة منصبا ... وفي شر قومٍ منهم قد بداليا

فقال مروان: اركب لا ركبت! ثم قال لجميل: انزل فارجز بنا، وهو يريد أن يمدحه. فنزل جميل فقال:

أنا جميلٌ في السنام الأعظم الفارع الناس الأعز الأكرم
أحمي ذماري ووجدت أقرمي كانوا على غارب طودٍ خضرم
أعيا على الناس فلم يهدم

فقال: عد عن هذا. فقال جميل:

لهفا على البيت المعدي لهفا من بعد ما كان قد استكفا
ولو دعا الله ومد الكفا لرجفت منه الجبال رجفا

فقال له اركب لا ركبت! أمره الوليد بالحداء ليمدحه فقال شعراً في الفخر، و لم يمدح أحداً قط: قال الزبير وحدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال: كان جميلٌ مع الوليد بن عبد الملك في سفر والوليد على نجيب، فرجز به مكين العذري فقال:

يا بكر هل تعلم من علاكا خليفة الله على ذراكا

فقال الوليد لجميل: انزل فارجز، وظن الوليد أنه يمدحه. فنزل فقال:

أنا جميلٌ في السنام من معد في الذروة العلياء والركن الأشد
والبيت من سعد بن زيد والعدد ما يبتغي الأعداء مني ولقد
أضربي بالشتم لساني ومرد أقود من شئت وصعبٌ لم أقد

فقال له الوليد: اركب لا حملك الله! قال: وما مدح جميل أحداً قط.

هدده الحزين الديلي فهجاه: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا يونس بن عبد الله بن سالم قال: وقف جميلٌ على الحزين الديلي والحزين ينشد الناس. فقال له الحزين وهو لا يعرفه: كيف تسمع شعري؟ قال: صالحٌ وسط. فغضب الحزين وقال له: ممن أنت؟ فو الله لأهجونك وعشيرتك! فقال جميل: إذا تندم. فأقبل الحزين يهمهم يريد هجاءه. فقال جميل:

الديل أذناب بكرٍ حين تنسبهم وكل قومٍ لهم من قومهم ذنب

فقامت له بنو الديل وناشدوه الله إلا كف عنهم، و لم يزالوا به حتى أمسك وانصرف.

راجز جواس بن قطبة حين ذكر أخته فغلبه: أخبرني الحرمي ومحمد بن مزيد - واللفظ له - قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه قال: لما هاجى عبيد الله بن قطبة جميلاً واستعلى عليه جميلٌ، أعرض عنه، واعترضه أخوه جواس بن قطبة فهجاه وذكر أختاً لجميل. وكان جميل قبل ذلك يحتقره ولا ينصب له، حتى هجا أخته فقال فيهما ذكرها به من شعره:

إلى فخذيها العبلتين وكانتا بعهدي لفاوين أردفتا ثقلا

فغضب جميلٌ حينئذ فواعده للمراجزة. قال الزبير فحدثني بعض آل العباس بن سهل بن سعد عن عباس قال: قدمت من عند عبد الملك بن مروان وقد أجازني وكساني برداً، كان ذلك البرد أفضل جائزتي، فنزلت وادي القرى فوافقت الجمعة بها فاستخرجت بردي الذي من عند عبد الملك وقلت أصلي مع الناس، فلقيني جميلٌ، وكان صديقاً لي، فسلم بعضا على بعضٍ وتساءلنا ثم افترقنا. فلما أمسيت إذا هو قد أتاني في رحلي فقال: البرد الذي رأيته عليك تعيرنيه حتى أتجمل به، فإن بيني وبين جواس مراجزةً، وتحضر فتسمع. قال قلت: لا! بل هو لك كسوة، فكسوته إياه، وقلت لأصحابي: ما من شيء أحب إلي من أن أسمع مراجزتهما. فلما أصبحنا جعل الأعاريب يأتون أرسالاً حتى اجتمع منهم بشرٌ كثيرٌ، وحضرت وأصحابي، فإذا بجميل قد جاء وعليه حلتان ما رأيت مثلهما على أحد قط، وإذا بردي الذي كسوته إياه قد جعله جلاً لجمله، فتراجزا فرجز جميل، وكانت بثينة تكنى أم عبد الملك، فقال:

يا أم عبد الملك اصرميني ... فبيني صرمى أوصليني
أبكي وما يدريك ما يبكيني ... أبكي حذار أن تفارقيني
وتجعلي أبعد مني دوني ... إن بني عمك أوعدوني
إن يقطعوا رأسي إذا لقوني ... ويقتلوني ثم لا يدوني
كلا ورب البيت لو لقوني ... شفعاً ووتراً لتواكلوني
قد علم الأعداء أن دوني ... ضرباً كإيزاغ المخاض الجون
ألا أسب القوم إذ سبوني ... بلى وما مر علي دفين
وسابحاتٍ بلوي الحجون ... قد جربوني ثم جربوني
حتى إذا شابوا وشيبوني ... أخزاهم الله ولا يخزيني
أشباه أعيارٍ على معين ... أحسن حس أسدٍ حرون
فهن يضرطن من اليقين ... أنا جميلٌ فتعرفوني
وما تقنعت فتنكروني ... وما أعينكم لتسألوني
أنمى إلى عاديةٍ طحون ... ينشق عنها السيل ذو الشؤون
غمرٌ يدق رجح السفين ... ذو حدبٍ إذا يرى حجون
تنحل أحقاد الرجال دوني

قال: ورجز جميل أيضاً:

أنا جميلٌ في السنام من معد

وقد تقدمت هذه الأرجوزة. ثم رجز بعده جواسٌ فلم يصنع شيئاً. قال: فما رأيت غلبةً مثلها قط.

هجا خواتا العذري وبني الأحب: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا هلول بن سليمان عن العلاء بن سعيد البلوي وجماعةٍ غيره من قومه: أن رجلاً من بني عذرة كان يقال له خواتٌ، أمه بلوية، وكان شاعراً، وكان جميل ابن جذامية. فخرج جميل إلى أخواله بجذام وهو يقول:

جذام سيوف الله في كل موطنٍ ... إذا أزمت يوم اللقاء أزام

هم منعوا ما بين مصر فذي القرى ... إلى الشأم من حلٍّ به وحرام

بضربٍ يزيل الهام عن سكناته ... وطعنٍ كإيزاغ المخاض تؤام

إذا قصرت يوماً أكف قبيلةٍ ... عن المجد نالته أكف جذام

فأعطوه مائة بكرة. قال: وخرج خواتٌ إلى أخواله من بلي وهو يقول:

إن بلياً غرةٌ يهتدى بها ... كما يهتدي الساري بمطلع النجم

هم ولدوا أمي وكنت ابن أختهم ... ولم أتخول جذم قومٍ بلا علم

قال: فأعطوه مائة غرة ما بين فرس إلى وليدة، ففخر على صاحبه، وذكر أن الغرة الواحدة مما أتى به مما معه تعدل كل شيء أتى به جميل. فقال عبيد الله بن قطبة:

ستقضي بيننا حكماء سعدٍ ... أقطبة كان خيراً أم صباح

قال: وكان عبد الله بن معمر أبو جميلٍ يلقب صباحاً. وكان عبيد الله بن قطبة يلقب حماظا. فقال النخار العذري أحد بني الحارث بن سعد: قطبة كان خيراً من صباح. فقال جميل يهجو بني الأحب رهط قطبة ويهجو النخار:

إن أحب سفلٌ أشرار ... حثالةٌ عودهم خوار

أذل قومٍ حين يدعى الجار ... كما أذل الحارث النخار

وقال الأبيرق العتبي: قطبة كان خيراً من صباحٌ. فقال جميل:

يا بن الأبيرق وطبٌ بت مسنده ... إلى وسادك من حم الذرى جون

وأكلتان إذا ما شئت مرتفقاً ... بالسير من نغل الدفين مدهون

أذكر وأمك مني حين تنكبني ... جني فيغلب جني كل مجنون

وقال جماعةٌ من شعراء سعد بن تفضيل قطبة على صباح أقوالاً أجابهم عنها جميل فأفحمهم، حتى قال له جعفر بن سراقة أحد بني قرة:

نحن منعنا ذا القرى من عدونا وعذرة إذ نلقى يهوداً ويعشرا

منعناه من عليا معدٍّ وأنتم سفاسيف روحٍ بين قرح وخيبرا

فريقان رهبانٌ بأسفل ذي القرى وبالشأم عرافون فيمن تنصرا

فلما بلغت جميلاً اتقاه وعلم أنه سيعلو عليه، فقال جميل:

بني عامرٍ أنى انتجعتم وكنتم إذا حصل الأقوام كالخصية الفرد

فأنتم ولأيٌّ موضع الذل حجرةً وقرة أولى بالعلاء وبالمجد

فأعرض عنه جعفر قال الزبير: بنو عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد رهط هدبة بن خشرم بن كرز بن أبي حية بن الكاهن وهو سلمة بن أسحم بن عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن سعد هذيم بن زيد. وزيادة ابن زيد بن مالك بن عامر بن قرة بن خنبس بن عمرو بن ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد هذيم. ولأي بن عبد مناة بن الحارث بن سعد هذيم قال: فدخل جميل على هدبة بن خشرم السجن وهو محبوسٌ بدم زيادة بن زيد، وأهدى له بردين من ثياب كساه إياهما سعيد بن العاصي، وجاءه بنفقةٍ، فلما دخل عليه عرض ذلك عليه، فقال هدبة: أنت يا بن قميئةٍ الذي تقول:

بني عامرٍ أنى انتجعتم وكنتم إذا عدد الأقوام كالخصية الفرد

أما والله لئن خلص الله لي ساقي لأمدن لك مضمارك، خذ برديك ونفقتك. فخرج جميل، فلما بلغ باب السجن خارجاً قال: اللهم أغن عني أجدع بني عامر! وكانت بنو عامر قد قلوا فحالفوا لأياً.

لقي عمر بن أبي ربيعة وتناشدا الشعر وفضله على نفسه: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المخزومي قال حدثني شيخ من أهلي عن أبيه عن الحارث مولى هشام بن المغيرة الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة:

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ

قال: شهدت عمر بن أبي ربيعة وجميل بن عبد الله بن معمر وقد اجتمعا بالأبطح، فأنشد جميلٌ قصيدته:

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلي بثينة أو أبدت لنا جانب البخل

يقولون مهلاً يا جميل وإنني لأقسم ما بي من بثينة من مهل

أحلماً فقبل اليوم كان أوانه أم اخشى فقبل اليوم أوعدت بالقتل

لقد أنكحوا حربي نبيهاً ظعينةً لطيفة طي البطن ذات شوًى خدل

وكم قد رأينا ساعياً بنميمةٍ ... لآخر لم يعمد بكفٍّ ولا رجل

إذ ما تراجعنا الذي كان بيننا ... جرى الدمع من عيني بثينة بالكحل

صوت

كلانا بكى أو كاد يبكي صبابةً ... إلى إلفه واستعجلت عبرةً قبلي

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها ... ولكن طلابيها لما فات من عقلي

فيا ويح نفسي حسب نفسي الذي بها ... ويا ويح أهلي ما أصيب به أهلي

وقالت لأترابٍ لها لا زعانفٍ ... قصارٍ ولا كس الثنايا ولا ثعل

إذا حميت شمس النهار اتقينها ... بأكسية الديباج والخز ذي الخمل

تداعين فاستعجمن مشياً بذي الغضا ... دبيب القطا الكدري في الدمث السهل

إذا ارتعن أو فزعن قمن حوالها ... قيام بنات الماء في جانب الضحل

أجدي لا ألقى بثينة مرةً ... من الدهر إلا خائفاً أو على رجل

خليلي فيما عشتما هل رأيتما ... قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

قال: وأنشده عمر قوله:

جرى ناصحٌ بالود بيني وبينها ... فقربني يوم الحصاب إلى قتلي

فما أنس م الأشياء أنس موقفي ... وموقفها وهناً بقارعة النخل

فلما تواقفنا عرفت الذي بها ... كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل

فقلن لها هذا عشاءٌ وأهلنا ... قريبٌ ألما تسأمي مركب البغل

فقالت فما شئتن قلن لها انزلي ... فللأرض خيرٌ من وقوفٍ على رحل

فأقبلن أمثال الدمى فاكتنفنها ... وكلٌّ يفدي بالمودة والأهل

نجومٌ درايٌّ تكنفن صورةً ... من البدر وافت غير هوجٍ ولا ثجل

فسلمت واستأنست خيفة أن يرى ... عدوٌّ مكاني أو يرى كاشحٌ فعلي

فقالت وألقت جانب الستر إنما ... معي فتحدث غير ذي رقبةٍ أهلي

فقلت لها ما بي لهم من ترقبٍ ... ولكن سري ليس يحمله مثلي

فلما اقتصرنا دونهن حديثنا وهن طبيباتٌ بحاجة ذي التبل
عرفن الذي نهوى فقلن ائذني لنا نطف ساعةً في برد ليلٍ وفي سهل
فقالت فلا تلبثن قلن تحدثي أتيناك وانسبن انسياب مها الرمل
وقمن وقد أفهمن ذا اللب أنما أتين الذي يأتين من ذاك من أجلي

فقال جميلٌ: هيهات يا أبا الخطاب: لا أقول والله مثل هذا سجيس الليالي! وما خاطب النساء مخاطبتك أحد، وقام مشمراً.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني صوت

خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي
أبيت مع الهلاك ضيفاً لأهلها وأهلي قريبٌ موسعون ذوو فضل
فلو تركت عقلي معي ما طلبتها ولكن طلابيها لما فات من عقلي

الغناء للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وذكر حماد والهشامي أن فيه لنافع الخير مولى عبد الله بن جعفر لحناً من الثقيل الأول.

ومنها: صوت

ألا أيها البيت الذي حيل دونه بنا أنت من بيتٍ وأهلك من أهل
ثلاثة أبياتٍ فبيتٌ أحبه وبيتان ليسا من هواي ولا شكلي
كلانا بكى أو كاد يبكي صبابةً إلى إلفه واستعجلت عبرةً قبلي

الغناء لإسحاق خفيف ثقيل الثاني بالبنصر.

ومنها: صوت

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلي بثينة أو أبدت لنا جانب البخل
يقولون مهلاً يا جميل وإنني لأقسم ما بي عن بثنية من مهل

الغناء لابن محرز من كتاب يونس ولم يجنسه، وذكر إسحاق أنه مما ينسب إلى ابن محرز وابن مسجح، ولم يصح عنده لأيهما هو ولا ذكر طريقته.

غنى نافع الخير يزيد بن معاوية من شعره: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني غير واحد من الرواة عن صالح بن حسان قال أخبرني نافعٌ مولى عبد الله بن جعفر - وما رأيت أحداً قط كان أشكل ظرفاً ولا أزين في مجلسٍ ولا أحسن غناءً منه - قال:

قدمنا مع عبد الله بن جعفر مرة على معاوية، فأرسل إلي يزيد يدعوني ليلاً، فقلت: أكره أن يعلم أمير المؤمنين

مكاني عندك فيشكوني إلى ابن جعفر. قال فامهل حتى إذا سمر أمير المؤمنين فإن ابن جعفر يكون معه فلا يفتقدك ونخلو نحن بما نريد قبل قيامهما. فأتيته فغنيته، فو الله ما رأيت فتًى أشرف أريحيةً منه، والله لألقى علي من الكسا الخز والوشي وغيره ما لم أستطع حمله، ثم أمر لي بخمسمائة دينار. قال: وذهب بنا الحديث وما كنا فيه، حتى قام معاوية ونهض ابن جعفر معه، وكان باب يزيد في سقيفة معاوية، فسمع صوتي، فقال لابن جعفر: ما هذا يا بن جعفر؟ قال: هذا والله صوت نافع. فدخل علينا، فلما أحس بن يزيد تناوم. فقال له معاوية: ما لك يا بني؟ قال: صدعت فرجوت أن يسكن عني بصوت هذا. قال: فتبسم معاوية وقال: يا نافع، ما كان أغنانا عن قدومك! فقال له ابن جعفر: يا أمير المؤمنين، إن هذا في بعض الأحايين يذكي القلب. قال: فضحك معاويةٌ وانصرف. فقال لي ابن جعفر: ويلك! هل شرب شيئاً؟ قلت: لا والله. قال: والله إني لأرجو أن يكون من فتيان بني عبد مناف الذين ينتفع بهم. قال نافع: ثم قدمنا على يزيد مع عبد الله بن جعفر بعد ما استخلف، فأجلسه معه على سريره ودخلت حاشيته تسلم عليه ودخلت معهم. فلما نظر إلي تبسم. ثم نهض ابن جعفر وتبعناه. فقيل له: نظر إلى نافعٍ وتبسم. فقال ابن جعفر: هذا تأويل تلك الليلة. فقضى حوائج ابن جعفر وأضعف ما كان يصله به معاويةٌ. فلما أراد الانصراف أتاه يودعه ونحن معه، فأرسل إلي يزيد فدخلت عليه. قال: ويحك يا نافع! ما أخرتك إلا لأتفرغ لك. هات لحنك:

خليلي فما عشتما هل رأيتما ... قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

فأسمعته، فقال: أعد ويلك! فأعدته، ثم قال: أعد فأعدته ثلاثاً. فقال: أحسنت، فسل حاجتك، فما سألته في ذلك اليوم شيئاً إلا أعطانيه. ثم قال: إن يصلح لنا هذا الأمر من قبل ابن الزبير فلعلنا أن نحج فتلقانا بالمدينة! فإن هذا الأمر لا يصلح إلا هناك. قال نافع: فمنعنا والله من ذلك شؤم ابن الزبير.

سأله عمر بن أبي ربيعة عن بثينة فذهب إليها وحدثها: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفري قال حدثنا القاسم بن أبي الزناد قال: خرج عمر بن أبي ربيعة يريد الشأم، فلما كان بالجناب لقيه جميلٌ، فقال له عمر: أنشدني، فأنشده:

خليلي فما عشتما هل رأيتما ... قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

ثم قال جميل: أنشدني يا أبا الخطاب، فأنشده:

ألم تسأل الأطلال والمتربعا ... ببطن حلياتٍ دوارس بلقعا

فلما بلغ إلى قوله:

فلما تواقفنا وسلمت أشرقت ... وجوهٌ زهاها الحسن أن تتقنعا

تبالهن بالعرفان لما عرفنني ... وقلن امرؤٌ باغٍ أكل وأوضعا

وقربن أسباب الهوى لمتيم ... يقيس ذراعاً كلما قسن إصبعا

قال: فصاح جميلٌ واستخذى وقال: ألا إن النسيب أخذ من هذا، وما أنشده حرفاً، فقال له عمر: اذهب بنا إلى بثينة حتى نسلم عليها. فقال له جميل: قد أهدر لهم السلطان دمي إن وجدوني عندها، وهاتيك أبياتها. فأتاها عمر حتى وقف على أبياتها وتأنس حتى كلم، فقال: يا جارية، أنا عمر بن أبي ربيعة، فأعلمي بثينة مكاني. فخرجت إليه بثينة في مباذلها وقالت: والله يا عمر لا أكون من نسائك اللاتي يزعمن أن قد قتلهن الوجد بك، فانكسر عمر، قال وإذا امرأةٌ أدماء طوالةٌ.

وأخبرني بهذا الخبر علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن المسيبي والزبير فذكر مثل ما ذكره الزبير وزاد فيه قال: فقال لها قول جميل:

وهما قالتا لو أن جميلاً ... عرض اليوم نظرةً فرآنا

بينما ذاك منهما وإذا بي ... أعمل النص سيرةً زفيانا

نظرت نحو تربها ثم قالت ... قد أتانا وما علمنا منانا

فقالت: إنه استملى منك فما أفلح، وقد قيل: اربط الحمار مع الفرس، فإن لم يتعلم من جريه تعلم من خلقه. لقي بثينة ورصده أهلها فهددهم ثم هجرته بثينة وشعره في ذلك:

وذكر الهيثم بن عدي وأصحابه في أخبارهم: أن جميلاً طال مقامه بالشأم ثم قدم، وبلغ بثينة خبره فراسلته مع بعض نساء الحي تذكر شوقها إليه ووجدها به وطلبها للحيلة في لقائه، وواعدته لموضع يلتقيان فيه، فسار إليها وحدثها طويلاً وأخبرها خبره بعدها. وقد كان أهلها رصدوها، فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجما عليهما، فوثب جميلٌ فانتضى سيفه وشد عليهما فاتقياه بالهرب، وناشدته بثينة الله إلا انصرف، وقالت له: إن أقمت فضحتني، ولعل الحي أن يلحقوك. فأبى وقال: أنا مقيمٌ وامضي أنت وليصنعوا ما أحبوا. فلم تزل تناشده حتى انصرف. وقال في ذلك وقد هجرته وانقطع التلاقي بينهما مدة:

ألم تسأل الربع الخلاء فينطق ... وهل تخبرنك اليوم بيداء سملق

وقفت بها حتى تجلت عمايتي ... ومل الوقوف الأرحبي المنوق

تعز وإن كانت عليك كريمةً ... لعلك من رقٍّ لبثنة تعتق

لعمركم إن البعاد لشائقي ... وبعض بعاد البين والنأي أشوق

لعلك محزونٌ ومبدٍ صبابةً ... ومظهر شكوى من أناسٍ تفرقوا

وبيضٍ غريراتٍ تثني خصورها ... إذا قمن أعجازٌ ثقال وأسؤق

غرائر لم يلقين بؤس معيشةٍ ... يجن بهن الناظرٌ المتنوق

وغلغلت من وجدٍ إليهن بعدما ... سريت وأحشائي من الخوف تخفق

معي صارمٌ قد أخلص القين صقله ... له حين أغشيه الضريبة رونق
فلولا احتيالي ضقن ذرعاً بزائرٍ ... به من صباباتٍ إليهن أولق
تسوك بقضبان الأراك مفلجاً ... يشعشع فيه الفارسي المروق
أبثنة للوصل الذي كان بيننا ... نضا مثل ما ينضوا الخضاب فيخلق
أبثنة ما تنأين إلا كأنني ... بنجم الثريا ما نأيت معلق

أنشد إسحاق الرشيد أحسن شعره من العتاب: أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت على الرشيد يوماً فقال لي: يا إسحاق، أنشدني أحسن ما تعرف في عتاب محبٍّ وهو ظالم متعتب. فقلت: يا أمير المؤمنين قول جميل:

رد الماء ما جاءت بصفوٍ ذنائبه ... ودعه إذا خيضت بطرقٍ مشاربه
أعاتب من يحلو لدي عتابه ... وأترك من لا أشتهي وأجانبه
ومن لذة الدنيا وإن كنت ظالماً ... عناقك مظلوماً وأنت تعاتبه

فقال: أحسن والله! أعدها علي، فأعدتها حتى حفظها، وأمر لي بثلاثين ألف درهم وتركني وقام فدخل إلى دار الحرم.

ذهب معه صديق له إلى بثينة فطارده أهلها فرجع: أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن السعيدي قال: حدثني رجلٌ كان يصحب جميلاً من أهل تيماء قال:

كنت يوماً جالساً مع جميل وهو يحدثني وأحدثه، إذ ثار وتربد وجهه، فأنكرته ورأيت منه غير ما كنت أرى، ووثب نافراً مقشعر الشعر متغير اللون، حتى أتى بناقةٍ له قريبةٍ من الأرض مجتمعةٍ موثقة الخلق فشد عليها رحله، ثم أتي بمحلب فيه لبنٌ فشربه، ثم ثنى فشربت حتى رويت، ثم قال لي: اشدد أداة رحلك واشرب واسق جملك فإني ذاهبٌ بك إلى بعض مذاهبي، ففعلت. فجال في ظهر ناقته وركبت ناقتي، فسرنا بياض يومنا وسواد ليلتنا، ثم أصبحنا فسرنا يومنا كله، لا والله ما نزلنا إلا للصلاة، فلما كان اليوم الثالث دفعنا إلى نسوةٍ فمال إليهن، ووجدنا الرجال خلوفاً، وإذا قدر لبنٍ ثم وقد جهدت جوعاً وعطشاً. فلما رأيت القدر اقتحمت عن بعيري وتركته جانباً، ثم أدخلت رأسي في القدر ما يثنيني حرها حتى رويت، فذهبت أخرج رأسي من القدر فضاقت علي وإذا هي على رأسي قلنسية، فضحكن مني وغسلن ما أصابني. وأتي جميلٌ بقرًى فو الله ما التفت إليه. فبينا هو يحدثهن إذا رواعي الإبل، وقد كان السلطان أحل لهم دمه إن وجدوه في بلادهم، وجاء الناس فقالوا له: ويحك! انج وتقدم! فو الله ما أكبرهم كل الإكبار. وغشيه الرجال فجعلوا يرمونه ويطردونه، فإذا قربوا منه قاتلهم ورمى فيهم. وهام بي جملي، فقال له يسر: لنفسك مركباً خلفي، فأردفني خلفه. ولا والله ما انكسر ولا انحل عن فرصته حتى رجع إلى أهله، وقد سار ست ليال وستة أيام وما التفت إلى طعام.

لامه فيها روق ابن عمه ولما رأى ما به احتال في زيارته لها وشعره في ذلك: وشكا زوج بثينة إلى أبيها وأخيها إلمام جميلٍ بها، فوجهوا إلى جميلٍ فأعذروا إليه وشكوه إلى عشيرته وأعذروا إليهم وتوعدوه وإياهم. فلامه أهله وعنفوه وقالوا: استخلص إليهم ونبرأ منك ومن جريرتك. فأقام مدةً لا يلم بها. ثم لقي ابني عمه روقاً ومسعدة، فشكا إليهما ما به وأنشدهما قوله: صوت

زورا بثينة فالحبيب مزور ... إن الزيارة للمحب يسير
إن الترحل إن تلبس أمرنا ... واعتاقنا قدرٌ أحم بكور

الغناء لعريب رملٌ بالوسطى صوت

إني عشية رحت وهي حزينةٌ ... تشكو إلي صبابةً لصبور
وتقول بت عندي فديتك ليلةً ... أشكو إليك فإن ذاك يسير

الغناء لسليم خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه ثقيلٌ أول بالبنصر ذكر الهشامي أنه لمخارق، وذكر حبش أنه لإبراهيم. وذكر حبش أن لحن مخارق خفيف رملٍ

غراء مبسامٌ كأن حديثها ... در تحدر نظمه منثور
محطوطة المتنين مضمرة الحشى ... ريا الروادف خلقها ممكور
لا حسنها حسنٌ ولا كدلالها ... دلٌّ ولا كوقارها توقير
إن اللسان بذكرها لموكلٌ ... والقلب صادٍ والخواطر صور
ولئن جزيت الود مني مثله ... إني بذلك يا بثين جدير

فقال له روق: إنك لعاجزٌ ضعيف في استكانتك لهذه المرأة وتركك الاستبدال بها مع كثرة النساء ووجود من هو أجمل منها، وإنك منها بين فجورٍ أرفعك عنه، أو ذلٍّ لا أحبه لك، أو كمدٍ يؤديك إلى التلف، أو مخاطرةٍ بنفسك لقومها إن تعرضت لها بعد أعذارهم إليك. وإن صرفت نفسك عنها وغلبت هواك فيها وتجرعت مرارة الحزم حتى تألفها وتصبر نفسك عليها طائعةً أو كارهة ألفت ذلك وسلوت. فبكى جميل وقال: يا أخي، لو ملكت اختياري لكان ما قلت صواباً، ولكني لا أملك الاختيار ولا أنا كالأسير لا يملك للنفسه نفعاً، وقد جئتك لأمرٍ أسألك ألا تكدر ما رجوته عندك فيه بلوم، وأن تحمل على نفسك في مساعدتي. فقال له: فإن كنت لا بد مهلكاً نفسك فاعمل على زيارتها ليلاً، فإنها تخرج مع بنات عم لها إلى ملعب لهن، فأجيء معك حينئذٍ سراً، ولي أخٌ من رهط بثينة من بني الأحب، نأوي عنده نهاراً، وأسأله مساعدتك على هذا، فتقيم عنده أياماً نهارك وتجتمع معها بالليل إلى أن تقضي أربك، فشكره. ومضى روق إلى الرجل الذي من رهط بثينة، فأخبره الخبر واستعهده كتمانه وسأله مساعدته فيه. فقال له: لقد جئتني بإحدى العظائم، ويحك! إن في هذا معاداتي الحي جميعاً إن فطن

به. فقال: أنا أتحرز في أمره من أن يظهر ، فواعده في ذلك، ومضى إلى جميلٍ فأخبره بالقصة، فأتيا الرجل ليلاً فأقاما عنده. وأرسل إلى بثينة بوليدةٍ له بخاتم جميل فدفعته إليها، فلما رأته عرفت، فتبعتها وجاءته فتحدثا ليلتهما. وأقام بموضعه ثلاثة أيام ثم ودعها، وقال لها: عن غير قلى والله ولا مللٍ يا بثينة كان وداعي لك، ولكني قد تذممت من هذا الرجل الكريم وتعريضه نفسه لقومه، وأقمت عنده ثلاثاً ولا مزيد على ذلك، ثم انصرف. وقال في عذل روقٍ ابن عمه إياه:

لقد لامني فيها أخٌ ذو قرابةٍ ... حبيب إليه في ملامته رشدي

وقال أفق حتى متى أنت هائمٌ ... ببثنة فيها قد تعيد وقد تبدي

فقلت له فيها قضى الله ما ترى ... علي وهل فيما قضى الله من رد

فإن بك رشداً حبها أو غوايةً ... فقد جئته ما كان مني على عمد

صوت

لقد لج ميثاقٌ من الله بيننا ... وليس لمن لم يوف لله من عهد

فلا وأبيها الخير ما خنت عهدها ... ولا لي علمٌ بالذي فعلت بعدي

وما زادها الواشون إلا كرامةً ... علي وما زالت مودتها عندي

الغناء لمتيم ثقيلٌ أول عن الهشامي. وذكر ابن المعتز أنه لشارية، وذكر ابن خرداذبه أنه لقلم الصالحية

أفي الناس أمثالي أحب فحالهم ... كحالي أم أحببت من بينهم وحدي

وهل هكذا يلقى المحبون مثل ما ... لقيت بها أم لم يجد أحدٌ وجدي

وقال جميل فيها:

خليلي عوجا اليوم حتى تسلما ... على عذبة الأنياب طيبة النشر

ألما بها ثم اشفعا لي وسلما ... عليها سقاها الله من سائغ القطر

وبوحا بذكرى عند بثنة وانظرا ... أترتاح يوماً أم تهش إلى ذكرى

فإن لم تكن تقطع قوى الود بيننا ... ولم تنس ما أسلفت في سالف الدهر

فسوف يرى منها اشتياقٌ ولوعةٌ ... ببينٍ وغربٌ من مدامعها يجري

وإن تك قد حالت عن العهد بعدنا ... وأصغت إلى قول المؤنب والمزري

فسوف يرى منها صدودٌ ولم تكن ... بنفسي من أهل الخيانة والغدر

أعوذ بك اللهم أن تشحط النوى ... ببثنة في أدنى حياتي ولا حشري

وجاور إذا ما مت بيني وبينها فيا حبذا موتي إذا جاورت قبري
عدمتك من حبٍّ أما منك راحةٌ وما بك عني من توانٍ ولا فتر
ألا أيها الحب المبرح هل ترى أخا كلفٍ يغري بحبٍّ كما أغري
أجدك لا تبلى وقد بلى الهوى ولا ينتهي حبي بثينة للزجر
أغري أجدك لا تبلى وقد بلي الهوى ولا ينتهي حبي بثينة للزجر

صوت

هي البدر حسناً والنساء كواكبٌ وشتان ما بين الكواكب والبدر
لقد فضلت حسناً على الناس مثلما على ألف شهر فضلت ليلة القدر

غنت شاريةٌ في هذين البيتين خفيف رملٍ من رواية ابن المعتز.

تهاجرا مدة ثم اصطلحا: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرنا إسحاق بن محمد بن أبان قال حدثني الرحال بن سعد المازني قال: وقع بين جميل وبثينة هجرٌ في غيرةٍ كان غارها عليها من فتًى كان يتحدث إليها من بني عمها، فكان جميل يتحدث إلى غيرها، فيشق ذلك على بثينة وعلى جميل، وجعل كل واحدٍ منهما يكره أن يبدي لصاحبه شأنه. فدخل جميلٌ يوماً وقد غلبه الأمر إلى البيت الذي كان يجتمع فيه مع بثينة. فلما رأته بثينة جاءت إلى البيت و لم تبرز له، فجزع لذلك جميل، وجع كل واحد منهما يطالع صاحبه، وقد بلغ الأمر من جميل كل مبلغ، فأنشأ يقول:

لقد خفت أن يغتالني الموت عنوةً وفي النفس حاجاتٌ إليك كما هيا
وإني لتثنيني الحفيظة كلما لقيتك يوماً أن أبثك ما بيا
ألم تعملي يا عذبة الريق أنني أظل إذا لم أسق ريقك صاديا

قال: فرقت له بثينة، وقالت لمولاةٍ لها كانت معها: ما أحسن الصدق بأهله! ثم اصطلحا. فقالت له بثينة: أنشدني قولك:

تظل وراء الستر ترنو بلحظها إذا مر من أترابها من يروقها

فأنشدها إياها، فبكت وقالت: كلاً يا جميل! ومن ترى أنه يروقني غيرك! نعي جميل وحزن بثينة عليه: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال ذكر أيوب بن عباية قال: خرجت من تيماء في أغباش السحر، فرأيت عجوزاً على أتان، فتكلمت فإذا أعرابيةٌ فصيحة. فقلت: ممن أنت؟ فقالت: عذرية. فأجريت ذكر جميل وبثينة، فقالت: والله إنا لعلى ماءٍ لنا بالجناب وقد تنكبنا الجادة لجيوشٍ

كانت تأتينا من قبل الشأم تريد الحجاز، وقد خرج رجالنا لسفرٍ وخلفوا معنا أحداثاً، فانحدروا ذات عشية إلى صرمٍ قريبٍ منا يتحدثون إلى جوارٍ منهم، فلم يبق غيري وغير بثينة، إذ انحدر علينا منحدرٌ من هضبةٍ تلقاءنا، فسلم ونحن مستوحشون وجلون. فتأملته ورددت السلام فإذا جميلٌ. فقلت: أجميل؟ قال: أي والله، وإذا به لا يتماسك جوعاً، فقمت إلى قعبٍ لنا فيه أقطٌ مطحون وإلى عكةٍ فيها سمن وربٌّ، فعصرتها على الأقط ثم أدنيتها منه وقلت: أصب من هذا، فأصاب منه، وقمت إلى سقاءٍ فيه لبنٌ فصببت عليه ماءً بارداً فشرب منه وتراجعت نفسه. فقلت: له: لقد بلغت ولقيت شراً، فما أمرك؟ قال: أنا والله في هذه الهضبة التي ترين منذ ثلاث ما أريمها أنتظر أن أرى فرجةً، فلما رأيت منحدر فتيانكم أتيتكم لأودعكم وأنا عامدٌ إلى مصر. فتحدثنا ساعةً ثم ودعنا وشخص، فلم تطل غيبته أن جاءنا نعيه. فزعموا أنه قال حين حضرته الوفاة:

صدع النعي وما كنى بجميل　　وثوى بمصر ثواء غير قفول

ولقد أجر الذيل في وادي القرى　　نشوان بين مزارعٍ ونخيل

قومي بثينة فاندبي بعويل　　وابكي خليك دون كل خليل

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني محمد بن القاسم عن الأصمعي قال: حدثني رجلٌ شهد جميلاً لما حضرته الوفاة بمصر أنه دعاه فقال: هل لك في أن أعطيك كل ما أخلفه على أن تفعل شيئاً أعهده إليك؟ فقال قلت: اللهم نعم. قال: إذا أنا مت فخذ حلتي هذه التي في عيبتي فاعزلها جانباً ثم كل شيء سواها لك، وارحل إلى رهط بني الأحب من عذرة - وهو رهط بثينة - فإذا صرت إليهم فارتحل ناقتي هذه واركبها، ثم البس حلتي هذه واشققها ثم اعل على شرفٍ وصح بهذه الأبيات وخلاك ذمٌّ. ثم أنشدني هذه الأبيات:

صدع النعي وما كني بجميل　　وثوى بمصر ثواء غير قفول

وذكر الأبيات المتقدمة فلما قضى وواريته أتيت رهط بثنية ففعلت ما أمرني به جميل، فما استتممت الأبيات حتى برزت إلي امرأةٌ يتبعها نسوةٌ قد فرعتهن طولاً وبرزت أمامهن كأنها بدرٌ قد برز في دجنةٍ وهي تتعثر في مرطها حتى أتتني، فقالت: يا هذا، والله لئن كنت صادقاً لقد قتلتني، ولئن كنت كاذباً لقد فضحتني. قلتك والله ما أنا إلا صادق، وأخرجت حلته. فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصكت وجهها، واجتمع نساء الحي يبكين معها ويندبنه حتى صعقت فمكثت مغشياً عليها ساعةً، ثم قامت وهي تقول:

وإن سلوي عن جميلٍ لساعةٌ　　من الدهر ما حانت ولا حان حينها

سواءٌ علينا يا جميل بن معمرٍ　　إذا مت بأساء الحياة ولينها

قال: فلم أر يوماً كان أكثر باكياً وباكيةً منه يومئذ.

صوت من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

أمسى الشباب مودعاً محمودا والشيب مؤتنف المحل جديدا

وتغير البيض الأوانس بعدما حملتهن مواثقاً وعهودا

عروضه من الكامل. الشعر ليزيد بن الطثرية، والغناء لإسحاق، ولحنه المختار من الثقيل الأول بالبنصر. وفيه لبابويه خفيف ثقيلٍ بالوسطى، كلاهما من رواية عمرو بن بانة.

ذكر يزيد بن الطثرية وأخباره ونسبه

نسبه ونسب أمه: ذكر ابن الكلبي أن اسمه يزيد بن الصمة أحد بني سلمة الخير بن قشير. وذكر البصريون أنه من ولد الأعور بن قشير. وقال أبو عمرو الشيباني: اسمه يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وإنما قيل له سلمة الخير لأنه كان لقشيرٍ ابنٌ آخر يقال له سلمة الشر. قال: وقد قيل: إنه يزيد بن المنتشر بن سلمة. والطثرية أمه، فيما أخبرني به علي بن سليمان الأخفش عن السكري عن محمد بن حبيب، امرأةٌ من طثر، وهم حيٌّ من اليمن عدادهم في جرم. وقال غيره: إن طثراً من عتر بن وائل إخوة بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وكان أبو جراد أحد بني المنتفق بن عامر بن عقيل أسر طثراً فمكث عنده زماناً ثم خلاه وأخذ عليه إصراً ليبعثن إليه بفدائه أو ليأتينه بنفسه وأهله فلم يجد فداءً، فاحتمل بأهله حتى دخل على أبي جراد فوسمه سمة إبله، فهم حلفاء لبني المنتفق إلى اليوم نحوٌ من خمسمائة رجلٍ متفرقين في بني عقيل يوالون بني المنتفق، وهم يعيرون ذلك الوسم. وقال بعض من يهجوهم:

عليه الوسم وسم أبي جراد

وفيهم يقول يزيد بن الطثرية:

ألا بئسما أن تجرموني وتغضبوا علي إذا عاتبتكم يا بني طثر

وزعم بعض البصريين: أن الطثرية أم يزيد كانت مولعةً بإخراج زبد اللبن، فسميت الطثرية. وطثرة اللبن: زبدته. كان يلقب مودقاً لجماله، وكان كثير التحدث إلى النساء: ويكنى يزيد أبا المكشوح. وكان يلقب مودقاً، سمي بذلك لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه، فكانوا يقولون: إنه إذا جلس بين النساء ودقهن.

أخبرني محمد بن خلف عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان يزيد بن الطثرية يقول: من أفحم عند النساء فلينشد من شعري. قال: وكان كثيراً ما يتحدث إلى النساء، وكان يقال: إنه عنين.

ما جرى بين جرم وقشير وما كان من مياد الجرمي ويزيد بن الطثرية:

وروى عنه عبد الله بن عمر عن يحيى بن جابر أحد بني عمرو بن كلاب عن سعاد بنت يزيد بن زريق امرأةٍ منهم: أن يزيد بن الطثرية كان من أحسن من مضى وجهاً وأطيبه حديثاً، وأن النساء كانت مفتونةً به، وذكر

الناس أنه كان عنيناً، وذلك أنه لا عقب له، وأن الناس أمحلوا حتى ذهبت الدقيقة من المال وهلكت الجليلة، فأقبل صرمٌ من جرم ساقته السنة والجدب من بلاده إلى بلاد بني قشير، وكان بينهم وبين بني قشير حربٌ عظيمة، فلم يجدوا بداً من رمي قشيرٍ بأنفسهم لما قد ساقهم من الجدب والمجاعة ودقة الأموال وما أشرفوا عليه من الهلكة، ووقع الربيع في بلاد بني قشيرٍ فانتجعها الناس وطلبوها، فلم يعد أن لقيت جرمٌ قشيراً، فنصبت قشيرٌ لهم الحرب. فقالت جرم: إنما جئنا مستجيرين غير محاربين. قالوا: مما ذا؟ قالوا: من السنة والجدب والهلكة التي لا باقية لها. فأجارهم قشيرٌ وسالمتهم وأرعتهم طرفاً من بلادها. وكان في جرم فتًى يقال له مياد، وكان غزلاً حسن الوجه تام القامة آخذاً بقلوب النساء. والغزل في جرمٍ جائزٌ حسن، وهو في قشيرٍ نائرة. فلما نازلت جرمٌ قشيراً وجاورتها أصبح مياذٌ الجرمي فغدا إلى القشيريات يطلب منهن الغزل والصبا والحديث واستبراز الفتيات عند غيبة الرجال واشتغالهم بالسقي والرعية وما أشبه ذلك، فدفعنه عنهم وأسمعنه ما يكره. وراحت رجالهن عليهن وهن مغضبات، فقال عجائز منهن: والله ما ندري أرعيتم جرماً المرعى أم أرعيتموهم نساءكم! فاشتد ذلك عليهم وقالوا: وما أدراكنه؟ قلن: رجلٌ منذ اليوم ظل مجحراً لنا ما يطلع منا رأس واحدةٍ، يدور بين بيوتنا. فقال بعضهم: بيتوا جرماً فاصطلموها. وقال بعضهم: قبيح! قومٌ قد سقيتموهم مياهكم وأرعيتموهم مراعيكم وخلطتموهم بأنفسهم وأجرتموهم من القحط والسنة تفتاتون عليه هذه الافتيات! لا تفعلوا، ولكن تصبحوا وتقدموا إلى هؤلاء القوم في هذا الرجل، فإنه سفيهٌ من سفهائهم فليأخذوا على يديه. فإن يفعلوا فأتموا لهم إحسانكم، وإن يمتنعوا ويقروا ما كان منه يحل لكم البسط عليهم وتخرجوا من ذمتهم، فأجمعوا على ذلك. فلما أصبحوا غداً نفر منهم إلى جرمٍ فقالوا: ما هذه البدعة التي قد جاورتمونا بها! إن كانت هذه البدعة سجيةً لكم فليس لكم عندنا إرعاء ولا إسقاء، فبرزوا عنا أنفسكم وأذنوا بحرب. وإن كان افتتاناً فغيروا على من فعله. وإنهم لم يعدوا أن قالوا لجرمٍ ذلك. فقام رجالٌ من جرمٍ وقالوا: ما هذا الذي نالكم؟ قالوا: رجلٌ منكم أمس ظل يجر أذياله بين أبياتنا ما ندري علام كان أمره! فقهقهت جرمٌ من جفاء القشيريين وعجرفيتها وقالوا: إنكم لتحسون من نسائكم ببلاءٍ، ألا فابعثوا إلى بيوتنا رجلاً ورجلاً. فقالوا: والله ما نحس من نسائنا ببلاء، وما نعرف منهن إلا العفة والكرم، ولكن فيكم الذي قلتم. قالوا: فإنا نبعث رجلاً إلى بيوتكم يا بني قشير إذا غدت الرجال وأخلف النساء، وتبعثون رجلاً إلى البيوت، ونتحالف أنه لا يتقدم رجلٌ منا إلى زوجةٍ ولا أخت ولا بنت ولا يعلمها بشيء مما دار بين القوم، فيظل كلاهما في بيوت أصحابه حتى يردا علينا عشياً الماء وتخلى لهما البيوت، ولا تبرز عليهما امرأةٌ ولا تصادق منهما واحداً فيقبل منهما صرفٌ ولا عدلٌ إلا بموثق يأخذه عليها وعلامةٍ تكون معه منها. قالوا: اللهم نعم. فظلوا يومهم ذلك وباتوا ليلتهم، حتى إذا كان من الغد غدوا إلى الماء وتحالفوا أنه لا يعود إلى البيوت منهم أحد دون الليل. وغدا مياد الجرمي إلى القشيريات، وغدا يزيد بن الطثرية القشيري إلى الجرميات، فظل عندهن بأكرم مظلٍّ لا يصير إلى واحدةٍ منهن إلا افتتنت به وتابعته إلى المودة والإخاء وقبض منها رهناً وسألته ألا يدخل من بيوت جرمٍ إلا بيتها، فيقول لها: وأي شيء تخافين وقد أخذت مني المواثيق

والعهود وليس لأحدٍ في قلبي نصيبٌ غيرك، حتى صليت العصر. فانصرف يزيد بفتخٍ كثيرٍ وذبلٍ وبراقع وانصرف مكحولاً مدهوناً شبعان ريان مرجل اللمة. وظل ميادٌ الجرمي يدور بين بيوت القشيريات مرجوماً مقصًى لا يتقرب إلى بيت إلا استقبلته الولائد بالعمد والجندل، فتهالك لهن وظن انه ارتيادٌ منهن له، حتى أخذه ضربٌ كثير بالجندل ورأى البأس منهن وجهده العطش، فانصرف حتى جاء إلى سمرةٍ قريباً إلى نصف النهار، فتوسد يده ونام تحتها نويمةً حتى أفرجت عنه الظهيرة وفاءت الأظلال

وسكن بعض ما به من ألم الضرب وبرد عطشه قليلاً، ثم قرب إلى الماء حتى ورد على القوم قبل يزيد، فوجأمةً تذود غنماً في بعض الظعن، فأخذ برقعها فقال: هذا برقع واحدةٍ من نسائكم، فطرحه بين يدي القوم، وجاءت الأمة تعدو فتعلقت ببرقعها فرد عليها وخجل ميادٌ خجلاً شديداً. وجاء يزيد ممسياً وقد كاد القوم أن يتفرقوا، فنثر كمه بين أيديهم ملآن براقع وذبلاً وفتخاً، وقد حلف القوم ألا يعرف رجلٌ شيئاً إلا رفعه. فلما نثر ما معه اسودت وجوه جرمٍ وأمسكوا بأيديهم إمساكةً. فقالت قشير: أنتم تعرفون ما كان بيننا أمس من العهود والمواثيق وتحرج الأموال والأهل، فمن شاء أن ينصرف إلى حرام فليمسك يده، فبسط كل رجل يده إلى ما عرف فأخذه وتفرقوا عن حرب، وقالوا: هذه مكيدةٌ يا قشير. فقال في ذلك يزيد بن الطثرية:

فإن شئت يا ميادُ زرنا وزرتم ... ولم ننفس الدنيا على من يصيبها

أيذهب ميادٌ بألباب نسوتي ... ونسوة ميادٍ صحيحٌ قلوبها

وقال ميادٌ الجرمي:

لعمرك إن جمع بني قشيرٍ ... لجرمٍ في يزيد لظالمونا

أليس الظلم أن أباك منا ... وأنك في كتيبة آخرينا

أحالفةٌ عليك بنو قشيرٍ ... يمين الصبر أم متحرجونا

أحب وحشية ومرض لبعدها فأعانه ابن عمه على رؤيتها فبرىء:

قال: وبلي يزيد بعشق جاريةٍ من جرم في ذلك اليوم يقال لها وحشية، وكانت من أحسن النساء. ونافرهم جرمٌ فلم يجد إليها سبيلاً، فصار من العشق إلى أن أشرف على الموت واشتد به الجهد، فجاء إلى ابن عم له يقال له خليفة بن بوزل، بعد اختلاف الأطباء إليه ويأسهم منه، فقال له: يا بن عم، قد تعلم أنه ليس إلى هذه المرأة سبيل، وأن التعزي أجمل، فما أربك في أن تقتل نفسك وتأثم بربك!. قال: وما همي يا بن عم بنفسي وما لي فيها أمر ولا نهيٌ، ولا همي إلا نفس الجرمية، فإن كنت تريد حياتي فأرنيها. قال: كيف الحيلة؟ قال: تحملني إليها. فحمله إليها وهو لا يطمع في الجرمية، إلا أنهم كانوا إذا قالوا له نذهب بك إلى وحشية أبل قليلاً وراجع وطمع، وإذا أيس منها اشتد به الوجع. فخرج به خليفة بن بوزل فحمله فتخلل به اليمن، حتى إذا دخل في قبيلةٍ انتسب إلى أخرى ويخبر أنه طالب حاجة. وأبل حتى صلح بعض الصلاح، وطمع فيه ابن عمه، وصارا بعد زمانٍ

إلى حيّ وحشية فلقيا الرعيان وكمنا في جبل من الجبال. فجعل خليفة يترل فيتعرض لرعيان الشاء فيسألهم عن راعي وحشية، حتى لقي غلامها وغنمها، فواعدهم موعداً وسألهم ما حال وحشية؟ فقال غلامها: هي والله بشرٌ! لا حفظ الله بني قشير ولا يوماً رأيناهم فيه! فما زالت عليلةً منذ رأيناهم وكان بها طرفٌ مما بابن الطثرية فقال: ويحك! فإن ها هنا إنساناً يداويها، فلا تقل لأحدٍ غيرها. قال: نعم إن شاء الله تعالى. فأعلمها الراعي ما قال له الرجل حين صار إليها. فقالت له: ويحك! فجيء به. ثم إنه خرج فلقيه بالغد فأعلمه، وطل عنده يرعى غنمه، وتأخر عن الشاء حتى تقدمته الشاء وجنح الليل، وانحدر بين يدي غنمه حتى أراحها. ومشى فيها يزيد حتى قربت من البيت على أربع وتحلل شملةً سوداء بلون شاةٍ من الغنم، فصار إلى وحشية، فسرت به سروراً شديداً، وأدخلته ستراً لها وجمعت عليه من الغد من تثق به من صواحباتها وأترابها. وقد كان عهد إلى ابن عمه أن يقيم في الجبل ثلاث ليال، فإن لم يره فلينصرف. فأقام يزيد عندها ثلاث ليال ورجع إلى أصح ما كان عليه، ثم انصرف فصار إلى صاحبه. فقال: ما وراءك يا يزيد؟ ورأى من سروره وطيب نفسه ما سره. فقال:

لو انك شاهدت الصبا يا بن بوزلٍ بفرع الغضى إذ راجعتني غياطله
لشاهدت لهواً بعد شحطٍ من النوى على سخط الأعداء حلواً شمائله

صوت

ويوماً كإبهام القطاة مزيناً لعيني ضحاه غالباً لي باطله

غنى في البيت الثالث وبعده البيت الثاني، وروايته:

تشاهد لهواً بعد شحطٍ من النوى

مخارقٌ ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حبش.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال حدثني علي بن الصباح قلا: قال أبو محضة الأعرابي وأنشد هذه الأبيات ليزيد بن الطثرية، فلما بلغ إلى قوله:

بنفسي من لو مر برد بنانه على كبدي كانت شفاءً أناملة
ومن هابني في كل أمرٍ وهبته فلا هو يعطيني ولا أنا سائله

طرب لذلك وقال: هذا والله من مغنج الكلام.

كتب إلى وحشية شعراً فأجابته: ونسخت من كتاب الحسن بن علي: حدثنا عبد الله بن عمرو قال حدثني هشام بن محمد بن موسى قال حدثنا عبد الله بن إبراهيم الطائي قال حدثني عبد الله بن روح الغنوي قال حدثتني ظبية بنت وزير الجاهلية قالت: كتب يزيد بن الطثرية إلى وحشية:

أحبك أطراف النهار بشاشةً وبالليل يدعوني الهوى فأجيب
لئن أصبحت ريح المودة بيننا شمالاً لقدماً كنت وهي جنوب

فأجابته بقولها:

أحبك حب اليأس إن نفع الحيا وإن لم يكن لي من هواك طبيب

يزيد بن الطثرية وابن بوزل برملة حائل: أخبرني يحيى بن علي إجازةً عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني هانىء بن سعد: أن ابن الطثرية وابن بوزل، وهو قطري بن بوزل، خرجا يسيران حتى نزلا برملة حائل بين قفار الملح، فقال يزيد لابن بوزل: اذهب فاسق راحلتك واسقنا. فلما جاوز أوفى يزيد على أجرع، فرأى أشباحاً فأتاها. فقيل له: هذه والله فلانة وأهلها عجيبةٌ بها أي معجبون بها. فأتاها فظل عشيته وبات ليلته وأقام الغد حتى راح عشياً وقد لقي ابن بوزل كل شرٍّ ومات غيظاً. فلما دنا منه قال:

لو أنك شاهدت الصبا يا بن بوزلٍ بجزع الغضى إذ راجعتني غياطله

بأسفل خل الملح إذ دين ذي الهوى مؤدًى وإذ خير الوصال أوائله

لشاهدت يوماً بعد شحطٍ من النوى وبعد تنائي الدار حلواً شمائله

وقد روي:

وغيم الصبا إذ راجعتني غياطله

فاخترط سيفه ابن بوزل، وحاوطه يزيد بعصاه، ثم اعتذر إليه وأخبره خبره فقبل منه. وقد روى هذه الأبيات أبو عمرو الشيباني وغيره فزاد فيها على إسحاق هذه الأبيات:

ألا حبذا عيناك يا أم شنبلٍ إذا الكحل في جفنيهما جال جائله

فداك من الخلان كل ممزجٍ تكون لأدنى من يلاقي وسائله

فرحنا تلقانا به أم شنبلٍ ضحياً وأبكتنا عشياً أصائله

وكنت كأني حين كان كلامها وداعاً وخلى موثق العهد حامله

رهينٌ بنفسٍ لم تفك كبوله عن الساق حتى جرد السيف قاتله

فقال دعوني سجدتين وأرعدت حذار الردى أحشاؤه ومفاصله

بنو سدرة ويزيد ابن الطثرية: قال إسحاق وقال أبو عثمان سعيد بن طارق: نزلت ساريةٌ من بني سدرة على بني قشير بمائهم، فجعلت فتيان قشير تترجل وتتزين وتزور بيوت سدرة. فاستنهوهم، فقال يزيد بن الطثرية: وما في هذا عليكم! زوروا بيوتنا كما نزور بيوتكم، وقال:

دعوهن يتبعن الصبا وتبادلوا بنا ليس بأسٌ بيننا بالتبادل

ثم إن بني سدرة قالوا لنسائهم: ويحكن فضحتنا! نأتي نساء هؤلاء فلا نقدر عليهم ويأتونكن فلا تحتجبن عنهم. فقالت كهلةٌ منهن: مروا نساءكم يجتمعن إلى بيتي، فإذا جاءوا لم يجدوا امرأة إلا عندي، فإن يزيد أتاني لم يعد في بيوتكم ففعلوا. فجاء يزيد فقال:

سلام عليكن الغداة فما لنا ... إليكن إلا أن تشأن سبيل

فقالت الكهلة: ومن أنت؟ فقال:

أنا الهائم الصب الذي قاده الهوى ... إليك فأمسى في حبالك مسلما

برته دواعي الحب حتى تركنه ... سقيما ولم يتركن لحماً ولا دما

فقالت: اختر إحدى ثلاث خصال: إما أن تمضي ثم ترجع علينا فإنا نرقب عيون الرجال فإنهم قد سبونا فيك، وإما أن تختار أحبنا إليك، وأن تطلب امرأةً واحدةً خيرٌ من أن يشهرك الناس، ونسي الثالثة. فقال: سآخذ إحداهن، فاختاري أنت إحدى ثلاث خصال. قالت: وما هن؟ قال: إما أن أحملك على مرضوفٍ من أمري فتركبيه، وإما أن تحمليني على مشروج من أمرك فأركبه، وإما أن تلزي بكري بين قلوصيك. قالت: لو وقع بكرك بين قلوصي لطمرتا به طمرةً يتطامن عنقه منها. قال: كلا! إنه شديد الوجيف، عارم الوظيف، فغلبها. فلما أتاهما القوم قالت لهم: إنه أتاني رجلٌ لا تمتنع عليه امرأةٌ. فإما أن تغمضوا له، وإما أن ترحلوا عن مكانكم هذا، فرحلوا وذهبوا. فقال حكيم بن أبي الخلاف السدري في قصيدة له يذكر أنه إنما ارتحلوا عنهم لأنهم آذوهم بكثرة ما يصنعون بها:

فكان الذي تهدون للجار منكم ... بخاتج حباتٍ كثيراً سعالها

يزيد بن الطثرية وأسماء الجعفرية: قال إسحاق فأخبرني الفزاري: أن قوماً من بني نميرٍ وقوماً من بني جعفر تزاوروا، فزار شبانٌ من بني جعفر بيوت بني نمير، فقبلوا وحدثوا، وزار بنو نمير بني جعفر فلم يقبلوا، فاستنجدوا ابن الطثرية فزار معهم بيوت بني جعفر، فأنشدهن وحدثهن فأعجبن به واجتمعن إليه من البيوت. فتوعد بنو جعفر ابن الطثرية، فتتاركوا وأمسك بعضهم عن بعض. فأرسلت أسماء الجعفرية إلى ابن الطثرية أن لا تقطعني، وإن منعت فإني سأتخلص إلى لقائك. فأنشأ يقول:

خليلي بين المنحنى من مخمرٍ ... وبين اللوى من عرفجاء المقابل

قفا بين أعناق اللوى لمريةٍ ... جنوبٍ تداوي غل شوقٍ مماطل

لكيما أرى أسماء أو لتمسني ... رياحٌ برياها لذاذ الشمائل

لقد حادلت أسماء دونك باللوى ... عيون العد سقياً لها من محادل

ودست رسولاً أن حولي عصابةً ... هم الحرب فاستبطن سلاح المقاتل

عشية مالي من نصيرٍ بأرضها سوى السيف ضمته إلي حمائلي

فيأيها الواشون بالغش بيننا فرادى ومثنى من عدوٍّ وعاذل
دعوهن يتبعن الهوى وتبادلوا بنا ليس بأسٌ بيننا بالتبادل
تروا حين نأتيهن نحن وأنتم لمن وعلى من وطأة المتثاقل
ومن عريت للهو قدماً ركابه وشاعت قوافي شعره في القبائل
تبرز وجوه السابقين ويختلط على المقرف الكافي غبار القنابل
فإن تمنعوا أسماء أو يك نفعها لكم أو تدبوا بيننا بالغوائل
فلن تمنعوني أن أعلل صحبتي على كل شيء من مدى العين قابل

حبسه لديون لزمته وما وقع في ذلك بينه وبين عقبة بن شريك: قال إسحاق وحدثني أبو زياد الكلابي: أن يزيد بن الطثرية كان شريفاً متلافاً يغشاه الدين، فإذا أخذ به قضاه عنه أخ له يقال له ثور، ثم إنه كثر عليه دينٌ لمولًى لعقبة بن شريك الحرشي يقال له البربري فحبسه له عقبة بالعقيق من بلاد بني عقيل، وعقبة عليها يومئذٍ أميرٌ.
وقال المفضل بن سلمة قال أبو عمرو الشيباني: كان يزيد قد هرب منه، فرجع إليه من حب أسماء، وكانت جارة البربري، فأخذه البربري. ويقال: إنه أعطاه بعيراً من إبل ثور أخيه. فقال يزيد في السجن:

قضى غرمائي حب أسماء بعد ما تخونني ظلمٌ لهم وفجور
فلو قل دين البربري قضيته ولكن دين البربري كثير
وكنت إذا حلت علي ديونهم أضم جناحي منهم فأطير
علي لهم في كل شهرٍ أديةٌ ثمانون وافٍ نقدها وجزور
نجيء إلى ثورٍ ففيم رحيلنا وثورٌ علينا في الحياة صبور
أشد على ثورٍ وثورٌ إذا رأى بنا خلةً جزل العطاء غفور
فذلك دأبي ما بقيت وما مشى لثورٍ على ظهر البلاد بعير

ويرى: فهذا له ما دمت حياً ثم إن عقبة حج على جمل له يقال له ابن الكميت أنجب ما ركب الناس، وثبت ابن الطثرية في السجن حتى انصرف عقبة بن شريك من مكة، فأرسل ابن الكميت في مخاضه مستقبلة الربيع وهي حاضرة العقيق، تأكل الغضى وتشرب بأحسائه، وانحدر عقبة نحو اليمامة وعليها المهاجر بن عبد الله الكلابي.
فلما ضاقت بابن الطثرية المخارج قال له صاحبٌ له: لا أعلم لك أنجى إن قدرت على الخروج من السجن إلا أن تركب ابن الكميت فينجيك نحو بلد من البلاد. فلم يزل حتى جعل للحداد، على أن يرسله ليلةً إلى ابن عمه،

جعلا، فشكا إليه وجده بها فأرسله. فمضى يزيد نحو الإبل عشاءً فاحتكم ابن الكميت حتى جلس عليه فوجهه قصد اليمامة يريد عقبة بن شريك، وقال في طريقه:

لعمري إن ابن الكميت على الوجا وسيري خمساً بعد خمسٍ مكمل

لطلق الهوادي بالوجيف إذا ونى ذوات البقايا والعتيق الهمرجل

فورد اليمامة فأناخ بابن الكميت على باب المهاجر، فكان أول من خرج عليه عقبة بن شريك. فلما نظر إليه عرفه وعرف الجمل فقال: ويحك! أيزيد أنت؟ قال نعم وهذا ابن الكميت؟ قال نعم قال: ويحك! فما شأنك؟ قال: يا عقبة، فار منك إليك، وأنشده قصيدته التي يقول فيها:

يا عقب قد شذب اللحاء عن العصا عني وكنت مؤزراً محمودا

صل لي جناحي واتخذني عدةً ترمي بي المتعاشي الصنديدا

فقال له عقبة - وكانت من خير فعلةٍ علمناه فعلها: - أشهدكم أني قد أبرأته من دين البربري وأن له ابن الكميت، وأمره أن يحتكم فيما سوى ذلك من ماله. وهذا البيتان من القصيدة التي أولها:

أمسى الشباب مودعاً محمودا

وهي من جيد شعره، يقول فيها:

ومدلةٍ عند التبذل يفتري منها الوشاح مخصراً أملودا

نازعتها غنم الصبا إن الصبا قد كان مني للكواعب عيدا

يا للرجال وإنما يشكو الفتى مر الحوادث أو يكون جليدا

بكرت نوار تجد باقية القوى يوم الفراق وتخلف الموعودا

ولرب أمر هوًى يكون ندامةً وسبيل مكرهةٍ يكون رشيدا

ثم قال يفخر:

لا أتقي حسك الضغائن بالرقى فعل الذليل وإن بقيت وحيدا

لكن أجرد للضغائن مثلها حتى تموت وللحقود حقودا

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح قال: قال أبو محضة الأعرابي وأنشد هذه الأبيات ليزيد بن الطثرية: هي والله من مغنج الكلام:

بنفسي من لو مر برد بنانه على كبدي كانت شفاءً أناملُه

ومن هابني في كل شيء وهبته فلا هو يعطيني ولا أنا سائله

وهذه الأبيات من قصيدته التي قالها في وحشية الجرمية التي مضى ذكرها.

تبعه أعداء له فترك راحلته وفر، وشعره في ذلك: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثتني ظبية قالت: مر يزيد بن الطثرية بأعداء له، فأرادوه وهو على راحلته فركضها وركضوا الإبل على أثره، فخشي أن يدركوه وكانت نفسه عنده أوثق من الراحلة، فنزل فسبقهم عدواً، وأدركوا الراحلة فعقروها. فقال في ذلك:

ألا هل أتى ليلى على نأي دارها بأي لم أقاتل يوم صخرٍ مذودا

وأني أسلمت الركاب فعقرت وقد كنت مقداماً بسيفي مفردا

أثرت فلم أسطع قتالاً ولا ترى أخا شيعةٍ يوماً كآخر أوحدا

فهل تصر من الغانيات مودتي إذا قيل قد هاب المنون فعردا

هاجى فديكا الجرمي لأنه عذب وحشية بالنار ليصدها عنه: أخبرني يحيى إجازةً عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي زياد قال: كان يزيد بن الطثرية يتحدث إلى نساء فديك بن حنظلة الجرمي، ومنزلهما بالفلج فبلغ ذلك فديكا فشق عليه فزجر نساءه عن ذلك، فأبين إلا أن يدخل عليهن يزيد. فدخل عليهن فديك ذات يوم وقد جمعهن جميعاً أخواته وبنات عمه وغيرهن من حرمه، ثم قال لهن: قد بلغني أن يزيد دخل عليكن وقد نهيتكن عنه، وإن لله علي نذراً واجباً واخترط سيفه إن لم أضرب أعناقكن به. فلما ملأهن رعباً ضرب عنق غلامٍ له مولدٍ يقال له عصام فقتله، ثم أنشأ يقول:

جعلت عصاماً عبرةً حين رابني أناسيٌّ من أهلي مراضٌ قلوبها

ثم إن فديكاً رأى يزيد قائماً عند باب أهله، فظن أنه يواعد بعض نسائه، فارتصده على طريقه وأمر بزبية فحفرت على الطريق ثم أوقد فيها ناراً لينةً ثم اختبأ في مكان ومعه عبدان له وقال لهما: تبصرا هل تريان أحداً، فلم يلبثا إلا قليلاً حتى خرجت بنت أخي فديك، وكان يقال لها وحشية، تتهادى في برودها ليعاد يزيد، فأيقظه العبدان، ومضت حتى وقعت على الزبية فاحترق بعضها، وأمر بها فأخرجت، واحتملها العبدان فانطلقا بها إلى داره. فقال فديك:

شفى النفس من وحشية اليوم أنها تهادى وقد كانت سريعاً عنيقها

فإلا تدعى خبط الموارد في الدجى تكن قمناً من غشيةٍ لا تفيقها

دواء طبيبٍ كان يعلم أنه يداوي المجانين المخلى طريقها

فبلغ ذلك يزيد فقال:

ستبرأ من بعد الضمانة رجلها وتأتي الذي تهوى مخلًّى طريقها
علي هدايا البدن إن لم ألاقها وإن لم يكن إلا فديكٌ يسوقها
يحصنها مني فديكٌ سفاهةً وقد ذهبت فيها الكباس وحوقها
تذيقونها شيئاً من النار كلما رأت من بني كعبٍ غلاماً يروقها

قال: وإنما كانت وضعت رجلها فأحرقتها النار.

وقال يزيد أيضاً:

يا سخنة العين للجرمي إذ جمعت بيني وبين نوارٍ وحشة الدار
خبرتهم عذبوا بالنار جارتهم ومن يعذب غير الله بالنار

فبلغ ذلك فديكاً فقال:

أحالفةٌ عليك بنو قشيرٍ يمين الصبر أم متحرجونا

ويروى: يمين الله:

فإن تتكل قشيرٌ تقض جرمٌ وتقض لها مع الشبه اليقينا
أليس الجور أن أباك منا وأنك في قبيلة آخرينا
لعمر الله أن بني قشيرٍ لجرم في يزيد لظالمونا
فإلا يلحفوا فعليك شكلٌ ونجرٌ ليس مما يعرفونا
وأعرف فيك سيما آل صقرٍ ومشيتهم إذا يتخيلونا

قال: وكانت جرمٌ تدعيه، وقشيرٌ تدعيه، فأراد أن يخبر أنه دعي.

وقال فديك بن حنظلة يهجوه:

وإنا لسيارون بالسنة التي أحلت وفينا جفوةٌ حين نظلم
ومنا الذي لاقته أمك خالياً فلم تدر ما أي الشهور المحرم

فقال يزيد يهجو فديكاً:

أنعت عيراً من عيور القهر أقمر من شر خميرٍ قمر
صبح أبيات فديكٍ يجري منزلة اللؤم ودار الغدر
فلقيته عند باب العقر ينشطها والدرع عند الصدر
نشطك بالدلو قراح الجفر

حاور حسناء عرفته من حديثه: أخبرنا يحيى بن علي إجازةً عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثنا أبو الحارث هانىء بن سعد الخفاجي قال: ذكرت ليزيد بن الطثرية امرأةٌ حدثةٌ جميلةٌ، فخرج حتى يدفع إليها، فوجد عندها رجلين قاعدين يتحدثان، فسلم عليهم، فأوجست أنه يزيد و لم تتثبت، ورأت عليه مسحة. فقالت: أي ريح جاءت بك يا رجل؟ قال: الجنوب. قالت: فأي طيرٍ جرت لك الغداة؟ قال: عترٌ زنمةٌ رأيتها يداورها ثعلبان، فانقض عليها سرحانٌ فراغ الثعلبان. قال: فطفرت وراء سترها، وعرفت أنه يزيد.

ذهب معه قطري لرؤية نساء يحتجبن عنه، وشعره في ذلك: قال إسحاق وحدثني عطرد قال: قال قطري بن بوزل ليزيد بن الطثرية: انطلق معي إلى فلانة وفلانة فإنهن يبرزن لك ويستترن عني، عسى أن أراهن اليوم على وجهك. فذهب به معه، فخرج عليهما النسوة وظلا يتحدثان عندهن حتى تروحا. وقال يزيد في ذلك:

على قطريٍّ نعمةٌ إن جرى بها ... يزيد وإلا يجزه الله لي أجرا

ذنوت به حتى رمى الوحش بعدما ... رأى قطريٌّ من أوائلها نفرا

قصته مع رجل من صداء أحب خثعمية فأعانه عليها: أخبرني يحيى إجازةً عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن عطرد قال: نزل نفر من صداء بناحية العقيق، وهو منزل ابن الطثرية، نصف النهار فلم يأتهم أحد، فأبصرهم ابن الطثرية فمر عليهم وهو منصرف وليسوا قريباً من أهله. فلما رآهم مرملين أنفذ إليهم هديةً ومضى على حياله و لم يراجعهم. فسألوا عنه بعد حتى عرفوه، فحلا عندهم وأعجبهم. ثم إن فتًى منهم واده فآخاه فأهدى له برداً وجبة ونعلين. ثم أغار المقدم بن عمرو بن همام بن مطرف بن الأعلم بن ربيعة بن عقيل على ناس من خثعم. وفي ذلك يقول الشاعر:

مغار ابن همام على حي خثعما

فأخذ منهم إبلاً ورقيقاً، وكانت فيهن جاريةٌ من حسان الوجوه، وكان يهواها الذي آخى يزيد، فأصابه عليها بلاءٌ عظيم حتى نحل جسمه وتغيرت حاله، فأقبل الفتى حتى نزل العقيق متنكراً، فشكا إلى يزيد ما أصابه في تلك الجارية. فقال: أفيك خير؟ قال نعم: فإني أدفعها إليك. فخبأه في عريشٍ له أياماً حتى خطف الجارية فدفعها إليه. فبعث إليها قطري بن بوزل، فاعترض لها بين أهلا وبين السوق فذهب بها حتى دفعها إليه وقد وطن له ناقةً مفاجةً فقال: النجاة فإنك لن تصبح حتى تخرج من بلاد قشير وتصير إلى دار نهد فقد نجوت، وأنا أخفي أثرك فعفى أثره، وقال لابنة حمارة كان يشرب عندها: اسحبي ذيلك على أثره ففعلت. ثم بحث على ذلك حتى قيل: قد كان قطريٌّ أحدث الناس بها عهداً، فاستعدى عليه فظفر بيزيد فأخذ مكانه فحبس بحجر، حبسه المهاجر. ففي ذلك يقول يزيد:

ألا لا أبالي إن نجا لي ابن بوزلٍ ... ثوائي وتقييدي بحجرٍ لياليا

إذا حم أمر فهو لا بد واقعٌ ... له لا أبالي ما علي ولا ليا

هو العسل الماذي طوراً وتارةً هو السم والذيفان والليث عاديا

نحر ناقة من إبل أخيه لنسوة فسبه فقال شعراً: أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب عن محمد بن سلام الجمحي قال حدثني أبو الغراف قال.

كان يزيد بن الطثرية صاحب غزلٍ ومحادثة للنساء، وكان ظريفاً جميلاً من أحسن الناس كلهم شعراً، وكان أخوه ثورٌ سيداً كثير المال والنخل والرقيق، وكان متنسكاً كثير الحج والصدقة كثير الملازمة لإبله ونخله، فلا يكاد يلم بالحي إلا الفلتة والوقعة، وكانت إبله ترد مع الرعاء على أخيه يزيد بن الطثرية فتسقى على عينه. فبينا يزيد مارٌّ في الإبل وقد صدر عن الماء إذ مر بخباءٍ فيه نسوةٌ من الحاضر، فلما رأينه قلن: يا يزيد: أطعمنا لحماً. فقال: أعطيني سكيناً فأعطينه، ونحر لهن ناقةً من إبل أخيه. وبلغ الخبر أخاه، فلما جاءه أخذ بشعره وفسقه وشتمه. فأنشأ يزيد يقول:

يا ثور لا تشتمن عرضي فداك أبي فإنما الشتم للقوم العواوير

ما عقر نابٍ لأمثال الدمى خردٍ عينٍ كرامٍ وأبكارٍ معاصير

عطفن حولي يسألن القرى أصلاً وليس يرضين مني بالمعاذير

هبهن ضيفاً عراكم بعد هجعتكم في قطقطٍ من سقيط الليل منثور

وليس قربكم شاءٌ ولا لينٌ أيرحل الضيف عنكم غير مجبور

ما خير واردةٍ للماء صادرةٍ لا تنجلي عن عقير الرجل منحور

أحب امرأة وعلم أن سعة يحبونها فقال شعراً: أخبرني أبو خليفة قال قال ابن سلام: كان يزيد بن الطثرية يتحدث إلى امرأة ويعجب بها. فبينما هو عندها إذ حدث لها شابٌّ سواه قد طلع عليه، ثم جاء آخر ثم آخر، فلم يزالوا كذلك حتى تموا سبعةً وهو الثامن، فقال:

أرى سبعةً يسعون للوصل كلهم له عند ليلى دينةٌ يستدينها

فألقيت سهمي وسطهم حين أوخشوا فما صار لي من ذاك إلا ثمينها

وكنت عزوف النفس أشنأ أن أرى على الشرك من ورهاء طوعٌ قرينها

فيوماً تراها بالعهود وفيةً ويوماً على دين ابن خاقان دينها

يداً بيدٍ من جاء بالعين منهم ومن لم يجيء بالعين حيزت رهونها

وقال فيها وقد صارمها:

ألا بأبي من قد برى الجسم حبه ومن هو موموقٌ إلي حبيب

ومن هو لا يزداد إلا تشوقاً ... وليس يرى إلا عليه رقيب
وإني وإن أحموا علي كلامها ... وحالت أعادٍ دونها وحروب
لمثنٍ على ليلى ثناءٌ يزيدها ... قوافٍ بأفواه الرواة تطيب
أليلى احذري نقض القوى لا يزل لنا ... على النأي والهجران منك نصيب
وكوني على الواشين لداء شغبةً ... كما أنا للواشي ألد شغوب
فإن خفت ألا تحكمي مرة القوى ... فردي فؤادي والمزار قريب

كتب والي اليمامة إلى أخيه ليؤدبه فحلق لمته فقال شعراً: أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن رجل من بني عامر ثم من بني خفاجة قال: استعدت جرم على ابن الطثرية في وحشية امرأةٍ منهم كان يشبب بها فكتب بها صاحب اليمامة إلى ثور أخي يزيد بن الطثرية وأمره بأدبه، فجعل عقوبته حلق لمته فحلقها، فقال يزيد:

أقول لثورٍ وهو يحلق لمتي ... بحجناء مردودٍ عليها نصابها

قال عبد الرحمن: كان عمي يحتج في تأنيث الموسى بهذا البيت

ترفق بها يا ثور ليس ثوابها ... بهذا ولكن غير هذا ثوابها
ألا ربما يا ثور قد غل وسطها ... أناملٌ رخصاتٌ حديثٌ خضابها
وتسلك مدرى العاج في مدلهمةٍ ... إذا لم تفرج مات غماً صوابها
فراح بها ثورٌ ترف كأنها ... سلاسل درع خيره وانسكابها
منعمةٌ كالشرية الفرد جادها ... نجاء الثريا هطلها وذهابها
فأصبح رأسي كالصخيرة أشرفت ... عليها عقابٌ ثم طارت عقابها

أخبار من حلق رؤوسهم: ونظير هذا الخبر من حلقت جمته فرثاها، وليس من هذا الباب، ولكن يذكر الشيء بمثله: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عبد الرحمن بن عمه قال: شرب طخيمٌ الأسدي بالحيرة، فأخذه العباس بن معبد المري، وكان على شرط يوسف بن عمر، فحلق رأسه، فقال:

وبالحيرة البيضاء شيخٌ مسلطٌ ... إذا حلف الأيمان بالله برت
لقد حلقوا منا غدافاً كأنها ... عناقيد كرمٍ أينعت فاسبطرت
يظل العذارى حين تحلق لمتي ... على عجلٍ يلقطنها حين جزت

أخبرني محمد عن عبد الرحمن عن عمه عن بعض بني كلاب قال: أخذ فتًى منا مع بعض فتيات الحي، فحلق رأسه فقال:

يا لمتي ولقد خلقت جميلةً وكرمت حين أصابك الجلمان

أمست تروق الناظرين وأصبحت قصصاً تكون فواصل المرجان

شعره في أخيه ثور: أخبرني وكيع قال حدثني علي بن الحسين بن عبد الأعلى قال حدثنا أبو محلم قال: كان ليزيد ين الطثرية أخٌ يقال له ثور أكبر منه، فكان يزيد يغير على ماله ويتلفه، فيتحمله ثور لمحبته إياه. فقال يزيد في ذلك:

نغير على ثورٍ وثورٌ يسرنا وثورٌ علينا في الحياة صبور

وذلك دأبي ما حييت وما مشى لثورٍ على عفر التراب بعير

الحرب بين عقيل وبني حنيفة ومقتل يزيد وما رثاه به الشعراء: وقتل يزيد بن الطثرية في خلافة بني العباس، قتلته بنو حنيفة.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل بن سلمة عن أبي عبيدة وابن الكلبي، وأخبرنا يحيى بن علي عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي الجراح العقيلي قال: أغارت بنو حنيفة على طائفة من بني عقيل ومعهم رجلٌ من بني قشير جارٌ لهم، فقتل القشيري رجلٌ من بني عقيل واطردت إبلٌ من العقيليين، فأتى الصريخ عقيلاً فلحقوا القوم فقاتلوهم فقتلوا من بني حنيفة رجالاً وعقروا أفراساً ثلاثةً من خيل حنيفة وانصرفوا، فلبثوا سنة. ثم إن عقيلاً انحدرت منتجعةً من بلادها إلى بلاد بني تميم، فذكر لحنيفة وهم بالكوكبة والقيضاف، فغزتهم حنيفة، وحذر العقيليون وأتتهم النذر من نمير فانكشفوا فلم يقدروا عليهم، فبلغ ذلك من بني عقيل وتلهفوا على بني حنيفة، فجمعوا جمعاً ليغزوا حنيفة، ثم تشاوروا. فقال بعضهم: لا تغزوا قوماً في منازلهم ودورهم فيتحصنوا دونكم ويمتنعوا منكم، ولا نأمن أن يفضحوكم، فأقاموا بالعقيق. وجاءت حنيفة غازيةً كعباً لا تتعداها حتى وقعت بالفلج، فتطاير الناس، ورأس حنيفة يومئذ المندلف، وجاء صريخ كعب إلى أبي لطيفة بن مسلم العقيلي وهو بالعقيق أميرٌ عليها، فضاق بالرسول ذرعاً وأتاه هولٌ شديد، فأرسل في عقيل يستمدها، فأتته ربيعة بن عقيل وقشير بن كعب والحريش بن كعب وأفناه خفاجة، وجاش إليه الناس، فقال: إني قد أرسلت طليعةً فانتظروها حتى تجيء ونعلم ما تشير به. قال أبو الجراح: فأصبح صبح ثالثةٍ على فرس له يهتف: أعز الله نصركم وأمتعنا بكم! انصرفوا راشدين فلم يكن بأسٌ، فانصرف الناس، وصار في بني عمه ورهطه دنيةً. وإنما فعل ذلك لتكون له السمعة والذكر. فكان فيمن سار معه القحيف بن خمير ويزيد بن الطثرية الشاعران، فساروا حتى واجهوا القوم، فواقعوهم، فقتلوا المندلف، رموه في عينه، وسبوا وأسروا

ومثلوا بهم وقطعوا أيدي اثنين منهم وأرسلوهما إلى اليمامة وصنعوا ما أرادوا. و لم يقتل ممن كان مع أبي لطيفة غير يزيد بن الطثرية، نشب ثوبه في جذلٍ من عشرةٍ فانقلب، وخبطه القوم فقتل. فقال القحيف يرثيه:

ألا نبكي سراة بني قشيرٍ ... على صنديدها وعلى فتاها

فإن يقتل يزيد فقد قتلنا ... سراتهم الكهول على لحاها

أبا المكشوح بعدك من يحامي ... ومن يزجي المطي على وجاها

وقال القحيف أيضاً يرثيه:

إن تقتلوا منا شهيداً صابرا ... فقد تركنا منكم مجازراً

عشرين لما يدخلوا المقابرا ... قتلى أصيبت قعصاً نحائرا

نعجا ترى أرجلها شواغرا

وهذه من رواية ابن حبيب وحده. وقال القحيف أيضاً و لم يروها إلا ابن حبيب:

يا عين بكي هملاً على همل ... على يزيد ويزيد بن حمل

قتال أبطالٍ وجرار حلل

قال: ويزيد بن حمل قشيري قتل يومئذ أيضاً. وقالت زينت بنت الطثرية ترثي أخاها يزيد وعن أبي عمرو الشيباني أن الأبيات لأم يزيد، قال: وهي من الأزد. ويقال: إنها لوحشية الجرمية:

أرى الأثل من بطن العقيق مجاوري ... مقيماً وقد غالت يزيد غوائله

فتًى قد قد السيف لا متضائلٌ ... ولا رهلٌ لباته وبآدله

فتًى لا ترى قد القميص بخصره ... ولكنما توهي القميص كواهله

إذا نزل الضيفان كان عذوراً ... على الحي حتى تستقل مراجله

يسرك مظلوماً ويرضيك ظالماً ... وكل الذي حملته فهو حامله

إذا جد عند الجد أرضاك جده ... وذو باطلٍ إن شئت ألهاك باطله

إذا القوم أموا بيته فهو عامدٌ ... لأفضل ما أموا له فهو فاعله

مضى وورثناه دريس مفاضةٍ ... وأبيض هندياً طويلاً حمائله

وقد كان يحمي المحجرين بسيفه ... ويبلغ أقصى حجرة الحي نائله

فتًى ليس لابن العم كالذئب إن رأى ... بصاحبه يوماً دماً فهو آكله

سيبكيه مولاه إذا ما ترفعت ... عن الساق عند الروع يوماً ذلاذله

الذلذل: هدب الثياب.

وقد أخبرنا الحرمي عن الزبير عن عمر بن إبراهيم السعدي عن عباس بن عبد الصمد قال: قال هشام بن عبد الملك للعجير السلولي: أصدقت فيما قلت في ابن عمك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، ألا إني قلت:

فتًى قد قد السيف لا متضائلٌ ولا رهلٌ لباته وأباجله

فذكر هذا البيت وحده ونسبه إلى العجير السلولي من الأبيات المنسوبة إلى أخت يزيد بن الطثرية أو إلى أمه وأتى بأبيات أخر ليست منها، وسيذكر ذلك في أخبار العجير مشروحاً إن شاء الله تعالى.

ومما يغنى فيه من شعر يزيد بن الطثرية قوله: صوت

بنفسي من لا بد أني هاجره ومن أنا في الميسور والعسر ذاكره

ومن قد رماه الناس بي فاتقاهم ببغضي إلا ما تجن ضمائره

عروضه من الطويل. غنى في هذين البيتين عبد الله بن العباس الربيعي لحناً من خفيف الثقيل بالبنصر. وغنت فيه عريب وفي أبيات أضافتها إليها لحناً من خفيف الثقيل الأول آخر. وغنت علية بنت المهدي فيها خفيف رملٍ. وذكر الهشامي أن لإبراهيم فيها لحناً ماخورياً. والأبيات المضافة:

بنفسي من لا أخبر الناس باسمه وإن حملت حقداً علي عشائره

بأهلي وما لي من جلبت له الأذى ومن ذكره مني قريبٌ أسامره

ومن لو جرت شحناء بيني وبينه وحاورني لم أدر كيف أحاوره

صوت من المائة المختارة

شأتك المنازل بالأبرق دوارس كالعين في المهرق

لآل جميلة قد أخلقت ومهما يطل عهده يخلق

فإن يقل الناس لي عاشقٌ فأين الذي هو لم يعشق

ولم يبك نؤياً على عبرةٍ بداء الصبابة والمعلق

شأتك: بعدت عنك. والشأو. البعد. يقال: جرى الفرس شأواً، يريد طلقاً. والمهرق: الصحيفة، والجمع المهارق. يريد أن الدار قد بقيت منها طرائق كالصحف وما فيها.

الشعر للأحوص. والغناء لجميلة. ولحنها المختار خفيف رملٍ بالوسطى عن إسحاق. وفيه لعطرد ثقيلٌ أول بالخنصر في مجرى الوسطى. وفيه لمعبد خفيف ثقيلٍ عن حبش: وفيه رمل يقال: إنه لفريدة، ويقال: إنه لمالك. وقيل: إن الثقيل الأول لابن عائشة. وذكر عمرو بن بانة أن خفيف الرمل لعطرد أيضاً.

ذكر جميلة وأخبارها

ولاء جميلة وشعر عبد الرحمن بن أرطأة فيها: هي جميلة مولاة بني سليم ثم مولاة بطن منهم يقال لهم بنو بهز، وكان لها زوج من موالي بني الحارث بن الخزرج، وكانت تنزل فيهم، فغلب عليها ولاء زوجها، فقيل: إنها مولاة للأنصار، تنزل بالسنح وهو الموضع الذي كان ينزله أبو بكر الصديق، ذكر ذلك إبراهيم بن زياد الأنصاري الأموي السعيدي. وذكر عبد العزيز بن عمران أنها مولاة للحجاج بن علاط السلمي وهي أصل من أصول الغناء. وعنها أخذ معبدٌ وابن عائشة وحبابة وسلامة وعقيلة العقيقية والشماسيتان خليدة وربيحة. وفيها يقول عبد الرحمن بن أرطأة: صوت

إن الدلال وحسن الغنا ... ء سط بيوت بني الخزرج

وتلكم جميلة زين النساء ... إذا هي تزدان للمخرج

إذا جئتها بذلت ودها ... بوجه منيرٍ لها أبلج

الشعر لعبد الرحمن بن أرطأة. والغناء لمالكٍ خفيف ثقيلٍ أول مطلق في مجرى الوسطى، ويقال: فيه الدلال وجميلة لحنان.

كانت أعلم خلق الله بالغناء: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي جعفر القرشي عن المحرزي قال: كانت جميلة أعلم خلق الله بالغناء، وكان معبد يقول: أصل الغناء جميلة وفرعه نحن، ولولا جميلة لم نكن نحن مغنين.

كيف تعلمت الغناء: قال إسحاق وحدثني أيوب بن عباية قال حدثني رجل من الأنصار قال: سئلت جميلة: أنى لك هذا الغناء؟ قالت: والله ما هو إلهامٌ ولا تعليم ولكن أبا جعفر سائب خاثر كان لنا جاراً وكنت أسمعه يغني ويضرب بالعود فلا أفهمه، فأخذت تلك النغمات فبنيت عليها غنائي، فجاءت أجود من تأليف ذلك الغناء، فعلمت وألقيت، فسمعني مواليات يوماً وأنا أغني سراً ففهمنني ودخلن علي وقلن: قد علمنا فما تكتمينا. فأقسمن علي، فرفعت صوتي وغنيتهن بشعر زهير بن أبي سلمى:

وما ذكرتك إلا هجت لي طرباً ... إن المحب ببعض الأمر معذور

ليس المحب بمن إن شط غيره ... هجر الحبيب وفي الهجران تغيير

صوت

نام الخلي فنوم العين تعذير ... مما ادكرت وهم النفس مذكور

ذكرت سلمى وما ذكري براجعها ... ودونها سببٌ يهوي به المور

الشعر لزهير. والغناء في هذين البيتين لجميلة فقط رملٌ بالوسطى عن حبش فحينئذ ظهر أمري وشاع ذكري، فقصدني الناس وجلست للتعليم، فكان الجواري يتكاوسنني، فربما انصرف أكثرهن و لم يأخذن شيئاً سوى ما

سمعني أطارح لغيرهن، ولقد كسبت لموالي ما لم يخطر لهن ببال، وأهل ذلك كانوا وكنت.

إجماع الناس على تقديمها في الغناء: وحدثني أبو خليفة قال حدثني ابن سلام قال حدثني مسلمة بن محمد بن مسلمة الثقفي قال: كانت جميلة ممن لا يشك في فضيلتها في الغناء، و لم يدع أحدٌ مقاربتها في ذلك، وكل مدني ومكي يشهد لها بالفضل.

وصف مجلس من مجالسها غنت فيه وغنى فيه مغنو مكة والمدينة: قال إسحاق وحدثني هشام بن المرية المدني قال حدثني جرير المدني - قال إسحاق: وكانا جميعاً مغنيين حاذقين شيخين جليلين عالمين ظريفين، وكانا قد أسنا، فأما هشام فبلغ الثمانين، وأما جرير فلا أدري - قال جرير: وفد ابن سريج والغريض وسعيد بن مسجح ومسلم بن محرز المدينة لبعض من وفدوا عليه، فأجمع رأيهم على النزول على جميلة مولاة بهزٍ، فنزلوا عليها فخرجوا يوماً إلى العقيق متنزهين، فوردوا على معبد وابن عائشة فجلسوا إليهما فتحدثوا ساعةً، ثم سأل معبدٌ ابن سريج وأصحابه أن يعرضوا عليهم بعض ما ألفوا. فقال ابن عائشة: إن للقوم أعمالاً كثيرةً حسنةً ولك أيضاً يا أبا عباد، ولكن قد اجتمع علماء مكة، وأنا وأنت من أهل المدينة، فليعمل كل واحد منا صوتاً ساعته ثم يغن به. قال: معبد: يا بن عائشة، قد أعجبتك نفسك حتى بلغتك هذه المرتبة! قال ابن عائشة: أو غضبت يا أبا عباد، إني لم أقل هذا وأنا أريد أن أتنقصك فإنك لأنت المفاد منه. قال معبدٌ: أما إذا قد اختلفنا وأصحابنا المكيون سكوتٌ فلنجعل بيننا حكما. قال ابن عائشة: إن أصحابنا شركاء في الحكومة. قال ابن سريج: على شريطةً، قال: على أن يكون ما نغني به من الشعر ما حكمت فيه امرأةٌ. قال ابن عائشة ومعبد: رضينا، وهي وأم جندب. فأجمع رأيهم على الاجتماع في منزل جميلة من غدٍ. فلما حضروا قال ابن عائشة: ما ترى يا أبا عباد؟ قال: أرى أن يبتدىء أصحابنا أو أحدهم. قال ابن سريج: بل أنتما أولى. قالا: لم نكن لنفعل. فأقبل ابن سريج على سعيد بن مسجح فسأله أن يبتدىء فأبى. فأجمع رأي المكيين على أن يتبدىء ابن سريج. فغنى ابن سريج: صوت

ذهبت من الهجران في غير مذهب ... ولم يك حقاً كل هذا التجنب

خليلي مرا بي على أم جندب ... أقض لبانات الفؤاد المعذب

فإنكما إن تنظراني ساعةً ... من الدهر تنفعني لدى أم جندب

ألم تریاني كلما جئت طارقاً ... وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

الشعر لامرىء القيس. ولابن سريج فيه لحنان ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى، وخفيف رملٍ بالسبابة في مجرى الوسطى جميعاً عن أسحاق وغنى معبد: صوت

فلله عينا من رأى من تفرقٍ ... أشت وأنأى من فراق المحصب

علون بأنطاكيةٍ فوق عقمةٍ ... كجرمة نخلٍ أو كجنة يثرب

فريقان منهم سالكٌ بطن نخلةٍ ... وآخر منهم جازعٌ نجد كبكب

فعيناك غرباً جدولٍ في مفاضةٍ كمر خليجٍ في سنيحٍ مثقب

وغنى ابن مسجح: صوت

وقالت فإن يبخل عليك ويعتلل يسؤك وإن يكشف غرامك تدرب

وإنك لم يفخر عليك كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يغلبك مثل مغلب

وإنك لم تقطع لبانة عاشقٍ بمثل بكور أو رواحٍ مؤوب

بأدماء حرجوجٍ كأن قتودها على أبلق الكشحين ليس بمغرب

يغرد بالأسحار في كل سدفةٍ تغرد مياح الندامى المطرب

وغنى ابن عائشة: صوت

وقد أغتدي والطير في وكناتها وماء الندى يجري على كل مذنب

بمنجردٍ قيد الأوابد لاحه طراد الهوادي كل شأوٍ مغرب

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه تقول هزيز الريح مرت بأثأب

له أيطلا ظبيٍ وساقا نعامةٍ وصهوة عيرٍ قائم فوق مرقب

وغنى ابن محرز: صوت زار معبد مالك بن أبي السمح، فقال له: هل لك أن نصير إلى جميلة؟ فمضيا جميعاً فقصداها، فأذنت لهما فدخلا، فأخرجت إليهما رقعت فيها أبيات، فقالت لمعبد: بعث بهذه الرقعة إلي فلان أغني فيها. فقال معبد: فابتدئي، فابدأت جميلة فغنت: صوت

إنما الذلفاء همي فليدعني من يلوم

فغنى معبد:

أحسن الناس جميعا حين تمشي وتقوم

فغنت جميلة:

حبب الذلفاء عندي منطقٌ منهما رخيم

فغنى معبد:

أصل الحبل لترضى وهي للحبل صروم

فغنت جميلة:

حبها في القلب داءٌ مستكينٌ لا يريم

طريقة واحدة الشعر للأحوص. وذكر ابن النطاح أنه للبختري العبادي. والغناء لمعبد، وله فيه لحنان خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن ابن المكي، وثقيل أول بالوسطى عن عمرو. وذكر أحمد بن سعيد المالكي أن له فيه خفيف ثقيل آخر. وذكر حماد بن إسحاق أن فيه لمالك وجميلة لحنين وقالت لمعبد ولمالك: يغني كل واحد منكما لحناً مما عليه. فغناها معبد بشعر قال فيها الأحوص يصفها به، وكان معجباً بها، وكانت هي له مكرمة، وهو قوله:

شأتك المنازل بالأبرق ... دوارس كالعين في المهرق

لآل جميلة قد أخلقت ... ومهما يطل عهده يخلق

فإن يقل الناس لي عاشقٌ ... فأين الذي هو لم يعشق

ولم يبك نؤباً على عبرةٍ ... بداء الصبابة والمعلق

في هذه الأبيات ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى، ذكر إسحاق أنه لعطرد، وذكر ابن المكي أنه لجميلة. وفيها خفيف رملٍ في مجراها، ذكر إسحاق أنه لعطرد أيضاً وعمرو، وذكر الهشامي أن الثقيل الأول لابن عائشة. وذكر حبش أن فيه خفيف ثقيل لمعبد وأن خفيف الرمل لمالك قال معبد: فسرت جميلة بما غنيتها به وتبسمت وقالت: حسبك يا أبا عباد! ولم تكنني قبلها ولا بعدها. ثم قالت لمالك: يا أخا طيئ هات ما عندك وجنبنا مثل قول عبد ابن قطن. فاندفع وغنى بلحنٍ لها، وقد تغنى به أيضاً معبدٌ لها. واللحن:

ألا من لقلبٍ لا يمل فيذهل ... أفق فالتعزي عن بثينة أجمل

فما هكذا أحببت قد كان قبلها ... ولا هكذا فيما مضى كنت تفعل

فإن التي أحببت قد حيل دونها ... فكن حازماً والحازم المتحول

لحن جميلة هكذا ثقيل أول بالبنصر. وفيه ألحان عدةٌ مع أبيات أخر من القصيدة، وهي لجميل فقالت جميلة: أحسنت والله في غنائك وفي الأداء عني. أما قوله: شأتك فأراد بعدت عنك. والشأو: البعد، يقال: جرى الفرس شأواً أو شأوين أي طلقاً أو طلقين. والمهرق: الصحيفة بما فيها من الكتاب، والجمع مهارق، قال ذو الرمة:

كمستعبرٍ في رسم دارٍ كأنها ... بوعساء تنضوها الجماهير مهرق

الذلفاء التي شبب بها الأحوص:

والعين أن تتعين الإداوة أو القربة التي تخرز ويسيل الماء عن عيون الخرز. فشبه ما بقي من الدار بتعين القربة وطرائق خروقها التي ذكرت يترل منها الماء شيئاً بعد شيء. فأما الذلفاء التي فيها فهي التي فتن بها أهل المدينة. وقال بعض من كانت عنده بعد ما طلقها:

لا بارك الله في دار عددت بها ... طلاق ذلفاء من دارٍ ومن بلد

فلا يقولن ثلاثاً قائلٌ أبداً إني وجدت ثلاثاً أنكد العدد

فكان إذا عد شيئاً يقول: واحدٌ اثنان أربعةٌ ولا يقول ثلاثة.

حديث بثينة عن عفة جميل وعن حالها لما سمعت نعيه: وقالت جميلة: حدثتني بثينة وكانت صدوقة اللسان جميلة الوجه حسنة البيان عفيفة البطن والفرج قالت: والله ما أرادني جميلٌ رحمة الله عليه بريبةٍ قط ولا حدثت أنا نفسي بذلك منه. وإن الحي انتجعوا موضعاً وإني لفي هودج لي أسير إذا بهاتفٍ ينشد أبياتاً، فلم أتمالك أن رميت بنفسي وأهل الحي ينظرون، فبقيت أطلب المنشد فلم أقف عليه، فناديت: أيها الهاتف بشعر جميل ما وراءك منه؟ وأنا أحسبه قد قضى نحبه ومضى لسبيله، فلم يجبني مجيب، فناديت ثلاثاً، وفي كل ذلك لا يرد علي أحد شيئاً. فقال صواحباتي: أصابك يا بثينة طائفٌ من الشيطان؟ فقلت: كلا! لقد سمعت قائلاً يقول! قلن: نحن معك و لم نسمع! فرجعت فركبت مطيتي وأنا حيرى والهة العقل كاسفة البال، ثم سرنا. فلما كان في الليل إذ ذلك الهاتف يهتف بذلك الشعر بعينه، فرميت بنفسي وسعيت إلى الصوت، فلما قربت منه انقطع، فقلت: أيها الهاتف، ارحم حيرتي وسكن عبرتي بخبر هذه الأبيات، فإن لها شأنا! فلم يرد علي سيئاً. فرجعت إلى رحلي فركبت وسرت وأنا ذاهبة العقل، وفي كل ذلك لا يخبرني صواحباتي أنهن سمعن شيئاً.

فلما كانت الليلة القابلة نزلنا وأخذ الحي مضاجعهم ونامت كل عين، فإذا الهاتف يهتف بي ويقول: يا بثينة، أقبلي إلي أنبئك عما تريدين. فأقبلت نحو الصوت، فإذا شيخٌ كأنه من رجال الحي، فسألته عن اسمه وبيته. فقال: دعي هذا وخذي فيما هو أهم عليك فقلت له: وإن هذا لمما يهمني. قال: اقنعي بما قلت لك. قلت له: أنت المنشد الأبيات؟ قال نعم. قلت: فما خبر جميل؟ قال: نعم فارقته وقد قضى نحبه وصار إلى حفرته رحمة الله عليه. فصرخت صرخةً آذنت منها الحي، وسقطت لوجهي فأغمي علي، فكأن صوتي لم يسمعه أحد، وبقيت سائر ليلتي، ثم أفقت عند طلوع الفجر وأهلي يطلبونني فلا يقفون على موضعي، ورفعت صوتي بالويل والبكاء ورجعت إلى مكاني. فقال لي أهلي: ما خبرك وما شأنك؟ فقصصت عليهم القصة. فقالوا: يرحم الله جميلاً. واجتمع نساء الحي وأنشدتهن الأبيات فأسعدنني بالبكاء، فأقمن كذلك لا يفارقنني ثلاثاً، وتحزن الرجال أيضاً وبكوا ورثوه وقالوا كلهم: يرحمه الله، فإنه كان عفيفاً صدوقاً! فلم أكحل بعده بإثمد ولا فرقت رأسي بمخيط ولا مشط ولا دهنته إلا من صداع خفيف على بصري منه ولا لبست خماراً مصبوغاً ولا أزال أبكيه إلى الممات. فالت جميلة: فأنشدتني الشعر كله وهذا الغناء بعضه، وهو:

ألا من لقلبٍ لا يمل فيذهل أفق فالتعزي عن بثينة أجمل

مدحها ابن سريج فردت عليه مدحه ثم غنت وغنى هو ومعبد ومالك بشعر حاتم الطائي: قال ابن سلام حدثني جرير قال: زار ابن سريج جميلة ليسمع منها ويأخذ عنها. فلما قدم عليها أنزلته وأكرمته وسألته عن أخبار مكة فأخبرها. وبلغ معبداً الخبر. وكانت تطارحه وتسأله عن أخبار مكة فيخبرها. وكانت عندها جاريةٌ محسنةٌ لبقةٌ ظريفةٌ، فابتدأت تطارحها. فقال ابن سريج: سبحان الله! نحن كنا أحق بالابتداء. قالت جميلة: كل إنسانٍ في بيته

أمير وليس للداخل أن يتأمر عليه. فقال ابن سريج: صدقت جعلت فداءك! وما أدري أيهما أحسن أدبك أم غناؤك! فقالت له: كف يا عبيد، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "احثوا في وجوه المداحين التراب". فسكت ابن سريج. وطارحت الجارية بشعر حاتم الطائي:

أتعرف آثار الديار توهما ... كخطك في رقٍّ كتاباً منمنما

أذاعت به الأرواح بعد أنيسها ... شهوراً وأياماً وحولاً مجرما

فأصبحن قد غيرن ظاهر تربه ... وغيرت الأنواء ما كان معلما

وغيرها طول التقادم والبلى ... فما أعرف الأطلال إلا توهما

قال: فحدثت أنه حضر ذلك المجلس جماعةٌ من حذاق أهل الغناء، فكلهم قال: مزامير داود! قال ابن سريج لها: أفأسمعك صوتاً لي في هذا الشعر؟ قالت: هاته، فغنى:

ديار التي قامت تريك وقد عفت ... وأقوت من الزوار كفاً ومعصما

تهادى عليها حليها ذات بهجة ... وكشحاً كطي السابرية أهضما

فبانت لطياتٍ لها وتبدلت ... به بدلاً مرت به الطير أشؤما

وعاذلتان هبتا بعد هجعةٍ ... تلومان متلافاً مفيداً ملوما

قالت جميلة: أحسنت يا عبيد، وقد غفرنا لك زلتك لحسن غنائك. قال معبد: جعلت فداءك! أفلا أسمعك أنا أيضاً لحناً علمته في هذا الشعر؟ قالت: هات وإني لأعلم أنك تحسن. فاندفع فغنى:

فقلت وقد طال العتاب عليهما ... وأوعدتاني أن تبينا وتصرما

ألا لا تلوماني على ما تقدما ... كفى بصروف الدهر للمرء محكما

تلومان لما غور النجم ضلةً ... فتًى لا يرى الإنفاق في الحق مغرما

قالت جميلة: ما عدوت الظن بك ولا تجاوزت الطريقة التي أنت عليها. قال: مالكٌ: أفلا أغنيك أنا أيضاً؟ قالت: ما علمتك إلا تجيد الغناء وتحسن، فهات. فاندفع فغنى في هذا الشعر:

يضيء لنا البيت الظليل خصاصه ... إذا هي ليلاً حاولت أن تبسما

إذا انقلبت فوق الحشية مرةً ... ترنم وسواس الحلي ترنما

ونحراً كفاثور اللجين يزينه ... توقد ياقوتٍ وشذرٍ منظما

كجمر الغضى هبت به بعد هجعةٍ ... من الليل أرواح الصبا فتنسما

فقالت: جميلٌ ما قلت وحسنٌ ما نظمت، وإن صوتك يا مالك لمما يزيد العقل قوةً والنفس طيباً والطبيعة سهولة، وما أحسب أن مجلسنا هذا إلا سيكون علماً وفي آخر الزمان متواصفاً، والخبر ليس كالمشاهدة، والواصف ليس كالمعاين وخاصة في الغناء.

زارها ابن أبي عتيق وابن ربيعة والأحوص فغنتهم: وحدثني الحسن بن عتبة اللهبي قال حدثني من رأى ابن أبي عتيق وابن أبي ربيعة والأحوص بن محمد الأنصاري وقد أتوا منزل جميلة فاستأذنوا عليها فأذنت لهم، فلما جلسوا سألت عمر وأحفت، فقال لها: إني قصدتك من مكة للسلام عليك. فقالت له: أهل الفضل أنت. قال: وقد أحببت أن تفرغي لنا نفسك اليوم وتخلي لنا مجلسك، قالت: أفعل. قال لها الأحوص: أحب ألا تغني إلا ما أسألك. قالت: ليس المجلس لك، والقوم شركاؤك فيه. قال: أجل. قال عمر: إن ترد أن تفعل ذلك بك يكن. قال الأحوص: كلا! قال عمر: فإني أرى أن نجعل الخيار إليها. قال ابن أبي عتيق: وفقك الله. فدعت بالعود وغنت:

تمشي الهوينى إذا مشت فضلاً ... مشي النزيف المخمور في الصعد

تظل من زور بيت جارتها ... واضعةً كفها على الكبد

يا من لقلبٍ متيمٍ سدمٍ ... عالٍ رهينٍ مكلمٍ كمد

أزجره وهو غير مزدجر ... عنها وطرفي مكحل السهد

فلقد سمعت للبيت زلزلةٌ وللدار همهمةٌ. فقال عمر: لله درك يا جميلة! ماذا أعطيت! أنت الغناء وآخره! ثم سكتت ساعة وأخذوا في الحديث، ثم أخذت العود وغنت:

شطت سعاد وأمسى البين قد أفدا ... وأورثوك سقاماً يصدع الكبدا

لا أستطيع لها هجراً ولا ترةً ... ولا تزال أحاديثي بها جددا

الغناء فيه لسياطٍ خفيف رملٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق. ولم يذكر حبش لحن جميلة. وذكر إبراهيم أن فيه لحناً لحكم الوادي. وذكر الهشامي وابن خرداذبه أنه من ألحان عمر بن عبد العزيز بن مروان في سعاد وأن طريقته من الثقيل الثاني بالوسطى. وذكر إبراهيم أن لابن جامع فيه أيضاً صنعةً فاستخف القوم أجمعين، وصفقوا بأيديهم وفحصوا بأرجلهم وحركوا رؤوسهم، وقالوا: نحن فداؤك من السوء ووقاؤك من المكروه، ما أحسن ما غنيت وأجمل ما قلت! وأحضر الغداء فتغدى القوم بأنواع من الأطعمة الحارة والباردة ومن الفاكهة الرطبة واليابسة، ثم دعت بأنواعٍ من الأشربة. فقال عمر: لا أشرب، وقال ابن أبي عتيق مثل ذلك، فقال الأحوص: لكنني أشرب، وما جزاء جميلة أن يمتنع من شرابها! قال عمر: ليس ذلك كما ظننته. قالت جميلة: من شاء أن يحملني بنفسه ويخلط روحي بروحه شكرناه، ومن أبى ذلك عذرناه، ولم يمنعه ذلك عندنا ما يريد من قضاء

حوائجه والأنس بمحادثته. قال ابن أبي عتيق: ما يحسن بنا إلا مساعدتك. قال عمر: لا أكون أخسكم، إفعلوا ما شئتم تجدوني سميعاً مطيعاً. فشرب القوم أجمعون. فغنت صوتاً بشعر لعمر:

ولقد قالت لجاراتٍ لها ... كالمها يلعبن في حجرتها

خذن عني الظل لا يتبعني ... ومضت تسعى إلى قبتها

لم تعانق رجلاً فيما مضى ... طفلةٌ غيداء في حلتها

لم يطش قط لها سهمٌ ومن ... ترمه لا ينج من رميتها

لم يذكر طريقة لحنها في هذا الصوت. وذكر الهشامي أن فيه لابن المكي رملا بالبنصر. وذكر علي بن يحيى أن فيه لابن سريج رملا بالوسطى فصاح عمر: ويلاه! ويلاه! ثلاثاً ثم عمد إلى جيب قميصه فشقه إلى أسفله فصار قباءً، ثم آب إلى عقله فندم واعتذر وقال: لم أملك من نفسي شيئاً. قال القوم: قد أصابنا كالذي أصابك وأغمي علينا، غير أنا فارقناك في تخريق الثياب. فدعت جميلة بثيابٍ فخلعتها على عمر، فقبلها ولبسها، وانصرف القوم إلى منازلهم. وكان عمر نازلاً على ابن أبي عتيق، فوجه عمر إلى جميلة بعشرة آلاف درهم بعشرة أثواب كانت معه، فقبلتها جميلة. وانصرف عمر إلى مكة جذلان مسروراً.

حجت ومعها الشعراء والمغنون والمغنيات ووصف ركبها في مكة وفي المدينة حتى آبت من الحج: قال إسحاق وحدثني أبي عن سياط وابن جامع عن يونس قالا: حجت جميلة، وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق ابن إبراهيم قال حدثني أبي سياطٍ وابن جامع عن يونس الكاتب، وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قالوا جميعاً:

إن جميلة حجت - وقد جمعت رواياتهم لتقاربها، وأحسب الخبر كله مصنوعاً وذلك بينٌ فيه - فخرج معها من المغنين مشيعين حتى وافوا مكة ورجعوا معها من الرجال المشهورين الحذاق بالغناء هيتٌ وطويسٌ والدلال وبرد الفؤاد ونومه الضحى وفندٌ ورحمة وهبة الله - هؤلاء مشايخ وكلهم طيب الغناء - ومعبدٌ ومالكٌ وابن عائشة ونافع بن طنبورة وبديحٌ المليح ونافع الخير، ومن المغنيات الفرهة و عزة الميلاء وحبابة وسلامة وخليدة وعقيلة والشماسية وفرعة وبلبلة ولذة العيش وسعيدة والزرقاء، ومن غير المغنين ابن أبي عتيق والأحوص وكثير عزة ونصيب وجماعةٌ من الأشراف، وكذلك من النساء من مواليها وغيرهن. وأما سياطٌ فذكر أنه حج معها من القيان مشيعاتٍ لها ومعظماتٍ لقدرها ولحقها زهاء خمسين قينةً، وجه بهن مواليهن معها فأعطوهن النفقات وحملوهن على الإبل في الهوادج والقباب وغير ذلك، فأبت جميلة أن تنفق واحدةٌ منهن درهماً فما فوقه حتى رجعن. وأما يونس فذكر أنه حج معها من الرجال المغنين مع من سمينا زهاء ثلاثين رجلاً، وتخايروا في اتخاذ أنواع اللباس العجيب الظريف وكذلك في الهوادج والقباب. وقيل، فيما قال أهل المدينة: إنهم ما رأوا مثل ذلك الجمع سفراً طيباً وحسناً وملاحةً. قالوا: ولما قاربوا مكة تلقاهم سعيد بن مسجح وابن سريج والغريض وابن محرز والهذليون وجماعةٌ من المغنين من أهل مكة وقيانٌ كثيرٌ لم يسمين لنا، ومن غير المغنين عمر بن أبي ربيعة

والحارث بن خالدٍ المخزومي والعرجي وجماعةٌ من الأشراف. فدخلت جميلة مكة وما بالحجاز مغنٍّ حاذقٌ ولا مغنيةٌ إلا وهو معها وجماعةٌ من الأشراف ممن سمينا وغيرهم من الرجال والنساء. وخرج أبناء أهل مكة من الرجال والنساء ينظرون إلى جمعها وحسن هيئتهم. فلما قضت حجها سألها المكيون أن تجعل لهم مجلساً. فقالت: للغناء أم للحديث؟ قالوا: لهما جميعاً. قالت: ما كنت لأخلط جداً بهزل، وأبت أن تجلس للغناء. فقال عمر بن أبي ربيعة: أقسمت على من كان في قلبه حبٌّ لاستماع غنائها إلى خرج معها إلى المدينة، فإني خارج. فعزم القوم الذين سميناهم كلهم على الخروج ومعهم جماعةٌ ممن نشط، فخرجت في جمع أكثر من جمعها بالمدينة. فلما قدمت المدينة تلقاها أهلها وأشرافهم من الرجال والنساء، فدخلت أحسن مما خرجت به منها، وخرج الرجال والنساء من بيوتهم فوقفوا على أبواب دورهم ينظرون إلى جمعها وإلى القادمين معها. فلما دخلت منزلها وتفرق الجمع إلى منازلهم ونزل أهل مكة على أقاربهم وإخوانهم أتاها الناس مسلمين، وما استنكف من ذلك كبيرٌ ولا صغير. فلما مضى لمقدمها عشرة أيام جلست للغناء، فقالت لعمر بن أبي ربيعة: إني جالسةٌ لك ولأصحابك، وإذا شئت فعد الناس لذلك اليوم، فغصت الدار بالأشراف من الرجال والنساء. فابتدأت جميلة فغنت صوتاً بشعر عمر: وصف مجلس غنائها بالمدينة بعد عودها من الحج:

هيهات من أمة الوهاب منزلنا ... إذا حللنا بسيف البحر من عدن

واحتل أهلك أجياداً فليس لنا ... إلا التذكر أو حظٌّ من الحزن

لو أنها أبصرت بالجزع عبرته ... وقد تغرد قمري على فنن

إذاً رأت غير ما ظنت بصاحبها ... وأيقنت أن عكاً ليس من وطني

ما أنس لا أنس يوم الخيف موقفها ... وموقفي وكلانا ثم ذو شجن

وقولها للثريا وهي باكيةٌ ... والدمع منها على الخدين ذو سنن

بالله قولي له في غير معتبةٍ ... ماذا أردت بطول المكث في اليمن

إن كنت حاولت دنيا أو نعمت بها ... فما أصبت بترك الحج من ثمن

فكلهم استحسن الغناء، وضج القوم من حسن ما سمعوا. ويقال: إنهم ما سمعوا غناءً قط أحسن من غنائها ذلك الصوت في ذلك اليوم. ودمعت عين عمر حتى جرى الدمع على ثيابه ولحيته. وإنه ما رئي عمر كذلك في محفل غيره قط. ثم أقبلت على ابن سريج فقالت: هات، فاندفع يغني ورفع صوته بشعر عمر: غنى ابن سريج في مجلسها بشعر عمر:

أليست بالتي قالت ... لمولاةٍ لها ظهرا

أشيري بالسلام له ... إذا هو نحونا نظرا

وقولي في ملاطفةٍ لزينب نولي عمرا
وهذا سحرك النسوا ن قد خبرتني الخبرا

غناء ابن مسجح: فسمع من ابن سريج في هذا اللحن من الحسن ما يقال إنه ما سمع مثله. ثم قالت لسعيد بن مسجح: هات يا أبا عثمان، فاندفع فغنى:

قد قلت قبل البين لما خشيته لتعقب وداً أو لتعلم ما عندي
لك الخير هل من مصدرٍ تصدرينه يريح كما سهلت لي سبل الورد
فلما شكوت الحب صدت كأنما شكوت الذي ألقى إلى حجرٍ صلد
تولت فأبدت غلةً دون نقعها كما أرصدت من بخلها إذا بدا وجدي

غناء معبد: فاستحسن ذلك منه وبرع فيه. ثم قالت: يا معبد هات، فغنى:

أحارب من حاربت من ذي عداوةٍ وأحبس مالي إن غرمت فأعقل
وإني أخوك الدائم العهد لم أحل إن ابزاك خصمٌ أو نبابك منزل
ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتني يمينك فانظر أي كفٍّ تبدل

قالت جميلة: أحسنت يا معبد اختيار الشعر والغناء هذا الشعر لمعن بن أوس غناء ابن محرز: ثم قالت: هات يا بن محرز، فإني لم أؤخرك لخساسةٍ بك ولا جهلاً بالذي يجب في الصناعة، ولكنني رأيتك تحب من الأمور كلها أوسطها وأعدلها، فجعلتك حيث تحب واسطةً بين المكيين والمدنيين. فغنى:

وقفت بربع قد تحمل أهله فأذريت دمعاً يسبق الطرف هامله
بسائلة الروحاء أو بطن مثغرٍ لها الضاحكات الرابيات سواهله
هو الموت إلا أن الموت مدةً متى يلق يوماً فارغاً فهو شاغله

غناء الغريض: فقالت جميلة: يا أبا الخطاب، كيف بدا لك في ثلاثةٍ وأنت لا ترى ذلك؟ قال: أحببت أن أواسي معبداً. قال معبد: والله ما عدوت ما أردت. ثم قالت للغريض: هات يا مولى العبلات فاندفع يغني:

فوا ندمي على الشباب ووا ندم ندمت وبان اليوم مني بغير ذم
وإذا إخوتي حولي وإذ أنا شائخٌ وإذ لا أجيب العاذلات من الصمم
أرادت عراراً بالهوان ومن يرد عراراً لعمري بالهوان فقد ظلم

قالت جميلة: أحسن عمرو بن شأس و لم تحسن إذا أفسدت غناءك بالتعريض. والله ما وضعناك إلى موضعك ولا نقصنا من حظك! فبماذا أهناك! ثم أقبلت على الجماعة فقالت: يا هؤلاء، اصدقوه وعرفوه نفسه ليقنع بمكانه. فأقبل القوم عليه وقالوا له: قد أخطأت إن كنت عرضت. فقال: قد كان ذلك، ولست بعائدٍ. وقام إلى جميلة فقبل طرف ثوبها واعتذر فقبلت عذره وقالت له: لا تعد. ثم أقبلت على ابن عائشة فقالت: يا أبا جعفر هات، فتغنى بشعر النابغة: غناء ابن عائشة:

سقى الغيث قبراً بين بصرى وجاسمٍ ... عليه من الوسمي جودٌ ووابل

وأنبت حوذاناً وعوفاً منوراً ... سأتبعه من خير ما قال قائل

بكى حارث الجولان من هلك ربه ... فحوران منه خاشعٌ متضائل

وما كان بيني لو لقيتك سالماً ... وبين الغنى إلا ليالٍ قلائل

غناء نافع وبديح: قالت جميلة: حسنٌ ما قلت يا أبا جعفر. ثم أقبلت على نافع وبديح فقالت: أحب أن تغنياني صوتاً واحداً، فغنيا جميعاً بصوتٍ واحد ولحنٍ واحد:

ألا يا من يلوم على التصابي ... أفق شيئاً لتسمع من جوابي

بكرت تلومني في الحب جهلاً ... وما في حب مثلي من معاب

أليس من السعادة غير شكٍّ ... هوى متواصلين على اقتراب

كريم نال وداً في عفافٍ ... وسترٍ من منعمةٍ كعاب

غناء الهذليين الثلاثة: فقالت جميلة: هواكما والله واحد وغناؤكما واحد، وأنتما نحتما من بقية الكرم وواحد الشرف: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. ثم أقبلت على الهذليين الثلاثة فقالت: غنوا صوتاً واحداً، فاندفعوا فغنوا بشعر عنترة العبسي:

حييت من طللٍ تقادم عهده ... أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

كيف المزار وقد تربع أهلها ... بعنيزتين واهلنا بالغيلم

إن كنت أزمعت الفراق فإنما ... زمت ركابكم بليلٍ مظلم

شربت بماء الدحرضين فأصبحت ... زوراء تنفر عن حياض الديلم

غناء نافع بن طنبورة:

قالت: ما رأيت شيئاً أشبه بغنائكم من اتفاق أرواحكم. ثم أقبلت على نافع بن طنبورة فقالت: هات يا نقش الغضار ويا حسن اللسان، فاندفع يغني:

يا طول ليلي وبت لم أنم ... وسادي الهم مبطنٌ سقمي

أن قمت يوماً على البلاط فأب صرت رقاشاً وليت لم أقم

فقالت جميلة: حسنٌ والله ولابن سريج في هذا اللحن أربعة أبياتٍ في صوت غناء مالك بن أبي السمح: ثم قالت: يا مالك هات، فإني لم أؤخرك لأنك في طبقة آخرهم، ولكني أردت أن أختم بك يومنا تبركاً بك وكي يكون أول مجلسنا كآخره ووسطه كطرفه، وإنك عندي ومعبداً لفي طريقة واحدة ومذهبٍ واحد، لا يدفع ذلك إلا ظالمٌ ولا ينكره إلا عاضل. الحق أقول: فمن شاء فلينكر، فسكت القوم كلهم إقراراً لما قالت. واندفع يغني:

عدوٌّ لمن عادت وسلمٌ لسلمها ومن قربت سلمى أحب وقربا

هبيني امرأً إما بريئاً ظلمته وإما مسيئاً تاب بعد وأعتبا

أقول التماس العذر لما ظلمتني وحملتني ذنباً وما كنت مذنبا

ليهنئك إشمات العدو بهجرنا وقطعك حبل الوصل حتى تقضبا

اليوم الثاني من أيام المدينة وغناء طويس: قالت جميلة: ليت صوتك يا مالك قد دام لنا ودمنا له. وقطعت المجلس وانصرف عامة الناس وبقي خواصهم. فلما كان اليوم الثاني حضر القوم جميعاً. فقالت لطويس: هات يا أبا عبد النعيم. قال: فأنكر ما فعلت جميلة في اليوم الأول، لأن طويساً لم يكن يرضى بذلك. فأخبرني ابن جامع أن جميلة صنفتهم طويساً وأصحابه وابن سريج وأصحابه، ثم أقرعت بينهم، فخرجت القرعة الأولى لابن سريج وأصحابه والثانية لطويسٍ وأصحابه. فابتدأ طويسٌ فغنى:

قد طال ليلي وعاد لي طربي من حب خودٍ كريمة الحسب

غراء مثل الهلال آنسةٍ أو مثل تمثال صورة الذهب

صادت فؤادي بجيد مغزلةٍ ترعى رياضاً ملتفة العشب

غناء الدلال: فقالت جميلة: حسنٌ والله يا أبا عبدا النعيم. ثم قالت للدلال: هات يا أبا يزيد، فاندفع فغنى:

قد كنت آمل فيكم أملاً والمرء ليس بمدركٍ أمله

حتى بدا لي منكم خلفٌ فزجرت قلبي فارعوى جهله

ليس الفتى بمخلدٍ أبداً حياً وليس بفائتٍ أجله

حي البغوم ومن بعقوتها وقفا العمود وإن خلا أهله

غناء برد الفؤاد ونومة الضحى: قالت: حسن والله يا أبا يزيد. ثم قالت لهيت: إنا نجلك اليوم لكبر سنك ورقة عظمك. قال: أجل يا ماما. ثم قالت لبرد الفؤاد ونومة الضحى: هاتيا جميعاً لحناً واحداً، فغنيا:

إني تذكرت فلا تلحنى لؤلؤةً مكنونةً تنطق

مسكنها طيبة لم يغذها بؤسٌ ولا والٍ بها يخرق

قد قلت والعيس سراعٌ بنا ترقل إرقالاً وما تعنق

يا صاحبي شوقي أرى قاتلي وموردي منها جوًى يقلق

غناء فند ورحمة وهبة الله: قالت جميلة: أحسنتما. ثم قالت لفند ورحمة وهبة الله: هاتوا جميعاً صوتاً واحداً فإنكم متفقون في الأصوات والألحان، فاندفعوا فغنوا:

أشاقك من نحو العقيق بروق لوامع تخفى تارة وتشوق

وما لي لا أهوى جواري بربرٍ وروحي إلى أرواحهن تتوق

لهن جمالٌ فائقٌ وملاحةٌ ودلٌ على دل النساء يفوق

وكان بربرٌ حاضراً، فقال:

جواري والله ما وصفتم، فمن شاء أقر ومن شاء أنكر .

غناء جميلة: فقالت جميلة: صدق. ثم غنت جميلة بشعر الأعشى ولمعبد فيه صوتٌ أخذه عنها:

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا واحتلت الغور فالجدين فالفرعا

واستنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

تقول بنتي وقد قربت مرتحلاً يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا

وكان شيءٌ إلى شيء فغيره دهرٌ ملحٌ على تفريق ما جمعا

اليوم الثالث من أيام المدينة:

فلم يسمع شيءٌ أحسن من ابتدائها بالأمس وختمها في اليوم الثاني. وقطعت المجلس فانصرف القوم وأقام آخرون. فلما كان اليوم الثالث اجتمع الناس، فضربت ستارة وأجلست الجواري كلهن فضربن وضربت فضربن على خمسين وتراً فتزلزلت الدار، ثم غنت على عودها وهن يضربن على ضربها بهذا الشعر:

فإن خفيت كانت لعينك قرةً وإن تبد يوماً لم يعممك عارها

من الخفرات البيض لم تر غلظةً وفي الحسب الضخم الرفيع نجارها

فما روضةٌ بالحزن طيبة الثرى يمج الندا جثجاثها وعرارها

بأطيب من فيها ذا جئت طارقاً وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

غناء عزة الميلاء: فدمعت أعين كثير منهم حتى بل ثوبه وتنفس الصعداء وقال: بنفسي أنت يا جميلة! ثم قالت للجواري: اكففن فكففن، وقالت: يا عز غني، فغنت بشعر لعمر:

تذكرت هنداً وأعصارها ولم تقض نفسك أوطارها

تذكرت النفس ما قد مضى وهاجت على العين عوارها
لتمنح رامة منا الهوى وترعى لرامة أسرارها
إذا لم نزرها حذار العدا حسدنا على الزور زوارها

غناء حبابة وسلامة: فقالت جميلة: يا عز، إنك لباقيةٌ على الدهر، فهنيئاً لك حسن هذا الصون مع جودة هذا الغناء. ثم قالت لحبابة وسلامة: هاتيا لحناً واحداً، فغنتا:

كفى حزناً أنى أغيب وتشهد وما نلتقي والقلب حران مقصد
ومن عجبٍ أنى إذا الليل جنني أقوم من الشوق الشديد وأقعد
أحن إليكم مثل ما حن تائقٌ إلى الورد عطشان الفؤاد مصرد
ولي كبدٌ حرى يعذبها الهوى ولي جسدٌ يبلى ولا يتجدد

غناء خليدة: فاستحسن غناؤهما. ثم أقبلت على خيلدة فقالت لها: بنفسي أنت! غني، فغنت:

ألا يا من يلوم على التصابي أفق شيئاً لتسمع من جوابي
بكرت تلومني في الحب جهلاً وما في حب مثلي من معاب
أليس من السعادة غير شكٍّ هوى متواصلين على اقتراب
كريمٌ نال وداً في عفافٍ وسترٍ من منعمةٍ كعاب

غناء عقيلة والشماسية: فاستحسن منها ما غنت، وهو بلحنها حسنٌ جداً. ثم قالت لعقيلة والشماسية: هاتيا، فغنتا:

هجرت الحبيب اليوم في غير ما اجترم وقطعت من ذي ودك الحبل فانصرم
أطعت الوشاة الكاشحين ومن يطع مقالة واش يقرع السن من ندم

غناء فرعة وبلبلة ولذة العيش: ثم قالت لفرعة وبلبلة ولذة العيش: هاتين فغنين، فاندفعن بصوتٍ واحد:

لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى بغى سقماً إني إذاً لسقيم
علي دماء البدن إن كان حبها على النأي في طول الزمان يريم
تلم ملماتٌ فينسين بعدها ويذكر منها العهد وهو قديم
فأقسم ما صافيت بعدك خلةً ولا لك عندي في الفؤاد قسيم

غناء سعدة والزرقاء: قالت: أحسنتن! وهو لعمري حسنٌ. وقالت لسعدة والزرقاء: غنيا، فغنتا:

قد أرسلوني يعزوني فقلت لهم كيف العزاء وقد سارت بها الرفق

استهدت الريم عينيه فجادلها بمقلتيه ولم تترك له عنق

فاستحسن ذلك. ثم قالت للجماعة فغنوا، وانقضى المجلس وعاد كل إنسانٍ إلى وطنه. فما رئي مجلسٌ ولا جمعٌ أحسن من اليوم الأول ثم الثاني ثم الثالث.

طلب إبراهيم الموصلي الغناء لسماعه صوتاً لها:

وحدثتني عمتي - وكانت أسن من أبي وعمرت بعده - قالت: كان السبب في طلب أبيك الغناء والمواظبة عليه لحناً سمعه لجميلة في منزل يونس بن محمد الكاتب، فانصرف وهو كئيبٌ حزين مغمومٌ لم يطعم ولم يقبل علينا بوجهه كما كان يفعل. فسألته عن السبب فأمسك، فألححت عليه فانتهرني، وكان لي مكرماً، فغضبت وقمت من ذلك المجلس إلى بيت آخر، فتبعني وترضاني وقال لي: أحدثك ولا كتمان منك: عشقت صوتاً لامرأة قد ماتت، فأنا بها وبصوتها هائمٌ إن لم يتداركني الله منه برحمته. فقالت: أتظن أن الله يحيي لك ميتاً! قال: بل لا أشك. قالت: فما تعليقك قلبك بما لا يعطاه إلا نبيٌ ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم!. وأما عشقك الصوت فهو أن تحذقه وتغنيه عشر مرارٍ، فتمله ويذهب عشقك له! فكأنه ارعوى ورجع إلى نفسه، وقام فقبل رأسي ويدي ورجلي وقال لي: فرجت عني ما كنت فيه من الكرب والغم، ثم تمثل: حبك الشيء يعمي ويصم ولزم بيت يونس حتى حذق الصوت ولم يمكث إلا زمناً يسيراً حتى مات يونس وانضم إلى سياطٍ، وكان من أحذق أهل زمانه بالغناء وأحسنهم أداءً عمن مضى. قالت عمتي: فقلت لإبراهيم: وما الصوت؟ فأنشدني الشعر ولم يحسن أداء الغناء:

من البكرات عراقيةٌ تسمى سبيعة أطريتها

من آل أبي بكرة الأكرمين خصصت بودي فأصفيتها

ومن حبها زرت أهل العراق وأسخطت أهلي وأرضيتها

أموت إذا شحطت دارها وأحيا إذا أنا لاقيتها

فأقسم لو أن ما بي بها وكنت الطبيب لداويتها

قالت عمتي: هذا شعرٌ حسنٌ، فكيف به إذا قطع ومدد تمديد الأطربة وضرب عليها بقضبان الدفلى على بطون المعزى! فما مضت الأيام والليالي حتى سمعت اللحن مؤدى، فما خرق مسامعي شيءٌ قط أحسن منه، ولقد أذكرني بما يؤثر من حسن صوت داود وجمال يوسف. فبينا أنا يوماً جالسةٌ إذ طلع عليه إبراهيم ضاحكاً مستبشراً، فقال لي: ألا أحدثك بعجبٍ؟ قلت: وما هو؟ قال: إن لي شريكا في عشق صوت جميلة. قلت: وكيف ذلك؟ قال كنت عند سياطٍ في يومنا هذا وأنا أغنيه الصوت وقد وقفني فيه على شيء لم أكن أحكمته عن يونس، وحضر عند سياطٍ شيخٌ نبيلٌ فسبح على الصوت تسبيحاً طويلاً، فظننت أنه فعل ذلك لاستحسانه الصوت. فلما فرغت أنا وسياطٌ من اللحن قال الشيخ: ما أعجب أمر هذا الشعر وأحسن ما غني به وأحسن ما

قال قائله! فقلت له دون القوم: وما بلغ من العجب به؟ قال: نعم! حجت سبيعة من ولد عبد الرحمن بن أبي بكرة، وكانت من أجمل النساء، فأبصرها عمر بن أبي ربيعة، فلما انحدرت إلى العراق اتبعها يشيعها حتى بلغ معها موضعاً يقال له الخورنق. فقالت له: لو بلغت إلى أهلي وخطبتني لزوجوك. فقال لها: ما كنت لأخلط تشييعي إياك بخطبة، ولكن أرجع ثم آتيكم خاطباً، فرجع ومر بالمدينة فقال فيها: قال ابن أبي ربيعة شعراً في سبيعة فلحنته وعلمته جارية من جواريه:

من البكرات عراقيةٌ تسمى سبيعة أطريتها

ثم أتى بيت جميلة فسألها أن تغني بهذا الشعر ففعلت. فأعجبه ما سمع من حسن غنائها وجودة تأليفها، فحسن موقع ذلك منه، فوجه إلى بعض مواليات ممن كانت تطلب الغناء أن تأتي جميلة وتأخذ الصوت منها، فطارحتها إياه أياماً حتى حذقت ومهرت به. فلما رأى ذلك عمر قال: أرى أن تخرجي إلى سبيعة وتغنيها هذا الصوت وتبلغيها رسالتي، قالت: نعم. جعلني الله فداك. فأتتها فرحبت بها، وأعلمتها الرسالة، فحيت وأكرمت، ثم غنتها فكادت أن تموت فرحاً وسروراً لحسن الغناء والشعر. ثم عادت رسول عمر فأعلمته ما كان وقالت له: إنها خارجة في تلك السنة.

حج سبيعة ثانية وسؤالها جميلة أن تغنيها بشعر عمر فيها:

فلما كان أوان الحج استأذنت سبيعة أباها في الحج، فأبى عليها وقال لها: قد حججت حجة الإسلام، قالت له: تلك الحجة هي التي أسهرت ليلي وأطالت نهاري وتوقتني إلى أن أعود وأزور البيت وذلك القبر، وإن أنت لم تأذن لي مت كمداً وغماً، وذلك أن بقائي إنما كان لحضور الوقت، فإن يئست فالموت لا شك نازلٌ بي. فلما رأى ذلك أبوها رق لها وقال: ليس يسعني منعها مع ما أرى بها. ووافى عمر المدينة ليعرف خبرها، فلما قدمت علم بذلك. وسألها أن تأتي منزل جميلة، وقد سبق إليه عمر، فأكرمتها جميلة وسرت بمكانها. فقالت لها سبيعة: جعلني الله فداك! أقلقني وأسهرني صوتك بشعر عمر في، فأسمعيني إياه، قالت جميلة: وعزازةً لوجهك الجميل! فغنتها الصوت، فأغمي عليها ساعةً حتى رش على وجهها الماء وثاب إليها عقلها. ثم قالت: أعيدي علي، فأعادت الصوت مراراً في كل مرة يغشى عليها. ثم خرجت إلى مكة وخرج معها. فلما رجعت مرت بالمدينة وعمر معها، فأتت جميلة فقالت لها: أعيدي علي الصوت ففعلت، وأقامت عليها ثلاثاً تسألها أن تعيد الصوت. فقالت لها جميلة: إني أريد أن أغنيك صوتاً فاسمعيه. قالت: هاتيه يا سيدتي، فغنتها:

أبت المليحة أن تواصلني وأظن أني زائرٌ رمسي
لا خير في الدنيا وزينتها ما لم توافق نفسها نفسي
لا صبر لي عنها إذا حسرت كالبدر أو قرنٍ من الشمس
ورمت فؤادك عند نظرتها بملاحة الإيثار والأنس

قالت سبيعة: لولا أن الأول شعر عمر لقدمت هذا على كل شيء سمعته. فقال عمر: فإنه والله أحسن من ذلك، فأما الشعر فلا. قالت جميلة : صدقت والله. قالت عمتي قال لها أبي: لعمري إن ذلك على ما قالا.

ولابن سريج في هذا الشعر لحنٌ عن جميلة وربما حكي بزيادةٍ أو نقصانٍ أو مثلاً بمثل.

جمعت الناس في دارها وقصت عليهم رؤياها واعتزامها ترك الغناء فاختلفوا وخطب شيخ يحبذ الغناء فرجعت: أخبرني من يفهم الغناء قال:

بلغني أن جميلة قعدت يوماً على كرسي لها وقالت لآذنتها: لا تحجبي عنا أحداً اليوم، واقعدي بالباب، فكل من يمر بالباب فاعرضي عليه مجلسي، ففعلت ذلك حتى غصت الدار بالناس، فقالت جميلة: اصعدوا إلى العلالي، فصعدت جماعةٌ حتى امتلأت السطوح. فجاءتها بعض جواريها فقالت لها: يا سيدتي، إن تمادي أمرك على ما أرى لم يبق في دارك حائطٌ إلا سقط، فأظهري ما تريدين. قالت: اجلسي. فلما تعالى النهار واشتد الحر استسقى الناس الماء فدعت لهم بالسويق، فشرب من أراد، فقالت: أقسمت على كل رجل وامرأة دخل منزلي إلا شرب، فلم يبق في سفل الدار ولا علوها أحد إلا شرب، وقام على رؤوسهم الجواري بالمناديل والمراوح الكبار، وأمرت جواريها فقمن على كراسي صغارٍ فيما بين كل عشرة نفرٍ جاريةٌ تروح. ثم قالت لهم: إني قد رأيت في منامي شيئاً أفزعني وأرعبني، ولست أعرف ما سبب ذلك، وقد خفت أن يكون قرب أجلي، وليس ينفعني إلا صالح عملي، وقد رأيت أن أترك الغناء كراهة أني يلحقني منه شيء عند ربي. فقال قوم منهم: وفقك الله وثبت عزمك! وقال آخرون: بل لا حرج عليك في الغناء. وقال شيخ منهم ذو سن وعلم وفقه وتجربة: قد تكلمت الجماعة، ولك حزبٍ بما لديهم فرحون، و لم أعترض عليهم في قولهم ولا شركتهم في رأيهم، فاستمعوا الآن لقولي وأنصتوا ولا تشغبوا إلى وقت انقضاء كلامي، فمن قبل قولي فالله موفقه، ومن خالفني فلا بأس عليه إذ كنت في طاعة ربي. فسكت القوم جميعاً. فتكلم الشيخ فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: يا معشر أهل الحجاز، إنكم متى تخاذلتم فشلتم ووثب عليكم عدوكم وظفر بكم ولا تفلحوا بعدها أبداً. إنكم قد انقلبتم على أعقابكم لأهل العراق وغيرهم ممن لا يزال ينكر عليكم ما هو وارثه عنكم، لا ينكره عالمكم ولا يدفعه عابدكم بشهادة شريفكم ووضيعكم يندب إليه كما يندب جموعكم وشرفكم وعزكم. فأكثر ما يكون عند عابدكم فيه الجلوس عنه لا للتحريم له لكن للزهد في الدنيا، لأن الغناء من أكبر اللذات وأسر النفوس من جميع الشهوات، يحيي القلب ويزيد في العقل ويسر النفس ويفسح في الرأي ويتيسر به العسير وتفتح به الجيوش ويذلل به الجبارون حتى يمتهنوا أنفسهم عند استماعه، ويبرىء المرضى ومن مات قلبه وعقله وبصره، ويزيد أهل الثروة غنًى وأهل الفقر قناعةٌ ورضاً باستماعه فيعزفون عن طلب الأموال. من تمسك به كان عالماً ومن فارقه كان جاهلاً، لأنه لا منزلة أرفع ولا شيء أحسن منه، فكيف يستصوب تركه ولا يستعان به على النشاط في عبادة ربنا عز وجل. وكلامٌ كثيرٌ غير هذا ذهب عن المحدث به، فما رد عليه أحد ولا أنكر ذلك

منهم بشرٌ، وكلٌّ عاد بالخطأ على نفسه وأقر بالحق له. ثم قال لجميلة: أوعيت ما قلت ووقع من نفسك ما ذكرت؟ قالت: أجل وأنا أستغفر الله. قال لها: فاختمي مجلسنا وفرقي جماعتنا بصوت فقط، فغنت:

أفي رسم دارٍ دمعك المترقرق ... سفاهاً! وما استنطاق ما ليس ينطق

بحيث التقى جمعٌ وأقصى محسرٍ ... مغانيه قد كادت عن العهد تخلق

مقامٌ لنا بعد العشاء ومنزلٌ ... به لم يكدره علينا معوق

فأحسن شيء كان أول ليلنا ... وآخره حزنٌ إذا نتفرق

فقال الشيخ: حسنٌ والله! أمثل هذا يترك! فيم نتشاهد الرجال! لا والله ولا كرامة لمن خالف الحق. ثم قام وقام الناس معه، وقال: الحمد لله الذي لم يفرق جماعتنا على اليأس من الغناء ولا جحود فضيلته، وسلامٌ عليك ورحمة الله يا جميلة.

وصف مجلس لها غنت فيه ورقصت وغنى المغنون ورقصوا: وقال أبو عبد الله: جلست جميلة يوماً ولبست برنساً طويلاً، وألبست من كان عندها برانس دون ذلك، وكان في القوم ابن سريج، وكان قبيح الصلع قد اتخذ وفرة شعر يضعها على رأسه، وأحبت جميلة أن ترى صلعته. فلما بلغ البرنس إلى ابن سريج قال: دبرت علي ورب الكعبة! وكشف صلعته ووضع القلنسية على رأسه، وضحك القوم من قبحأنا صلعته، ثم قامت جميلة ورقصت وضربت بالعود وعلى رأسها البرنس الطويل وعلى عاتقها بردةٌ يمانيةٌ وعلى القوم أمثالها، وقام ابن سريج يرقص ومعبد والغريض وابن عائشة ومالكٌ وفي يد كل واحد منهم عود يضرب به على ضرب جميلة ورقصها، فغنت وغنى القوم على غنائها:

ذهب الشباب وليته لم يذهب ... وعلا المفارق وقع شيبٍ مغرب

والغانيات يردن غيرك صاحباً ... ويعدنك الهجران بعد تقرب

إني أقول مقالةً بتجاربٍ ... حقاً ولم يخبرك مثل مجرب

صاف الكريم وكمن لعرضك صائناً ... وعن اللئيم ومثله فتنكب

ثم دعت بثياب مصبغة ووفرة شعر مثل وفرة ابن سريج فوضعتها على رأسها، ودعت للقوم بمثل ذلك فلبسوا، ثم ضربت بالعود وتمشت وتمشى القوم خلفها، وغنت وغنوا بغنائها بصوت واحد:

يمشين مشي قطا البطاح تأوداً ... قب البطون رواجح الأكفال

فيهن آنسة الحديث حييةٌ ... ليست بفاحشةٍ ولا متفال

وتكون ريقتها إذا نبهتها ... كالمسك فوق سلافة الجريال

ثم نعرت ونعر القوم طرباً، ثم جلست وجلسوا وخلعوا ثيابهم ورجعوا إلى زيهم، وأذنت لمن كان ببابها فدخلوا، وانصرف المغنون وبقي عندها من يطارحها من الجواري.

استزارت عبد الله بن جعفر لمجلس غناء هيأته له فزارها: وحدثني عمتي قالت: سمعت سياطاً يحدث أباك يوماً جميلة فقال: بنفسي هي وأمي! فما كان أحسن وجهها وخلقها وغناءها! ما خلفت النساء مثلها شبيهاً، فأعجبني ذلك. ثم قال سياط: جلست جميلة يوماً للوفادة عليها، وجعلت على رؤوس جواريها شعوراً مسدلةً كالعناقيد إلى أعجازهن، وألبستهن أنواع الثياب المصبغة ووضعت فوق الشعور التيجان، وزينتهن بأنواع الحلي، ووجهت إلى عبد الله بن جعفر تستزيره، وقالت لكاتب أملت عليه: بأبي أنت وأمي! قدرك يجل عن رسالتي وكرمك يحتمل زلتي، وذنبي لا تقال عثرته ولا تغفر حوبته. فإن صفحت فالصفح لكم معشر أهل البيت يؤثر، والخير والفضل كله فيكم مدخر، ونحن العبيد وأنتم الموالي. فطوبى لمن كان لكم مقارباً والي وجوهكم ناظراً! وطوبى لمن كان لكم مجاوراً، وبعزكم قاهراً، وبضيائكم مبصراً! والويل لمن جهل قدركم و لم يعرف ما أوجبه الله على هذا الخلق لكم! فصغيركم كبير بل لا صغير فيكم، وكبيركم جليلٌ بل الجلالة التي وهبها الله عز وجل للخلق هي لكم ومقصورةٌ عليكم. وبالكتاب نسألك وبحق الرسول ندعوك إن كنت نشيطاً لمجلس هيأته لك لا يحسن إلا بك ولا يتم إلا معك، ولا يصلح أن ينقل عن موضعه، ولا يسلك به غير طريقه. فلما قرأ عبد الله الكتاب قال: إنا لنعرف تعظيمها لنا وإكرامها لصغيرنا وكبيرنا.

وقد علمت أنها قد آلت أليةً ألا تغني أحداً إلا في منزلها. وقال للرسول: والله قد كنت على الركوب إلى موضع كذا وكان في عزمي المرور بها. فأما إذ وافق ذلك مرادها فإني جاعلٌ بعد رجوعي طريقي عليها. فلما صار إلى بابها أدخل بعض ما كان معه إليها وصرف بعضهم. فنظر إلى ذلك الحسن البارع والهيئة الباذة، فأعجبه ووقع من نفسه، فقال: يا جميلة! لقد أوتيت خيراً كثيراً، ما أحسن ما صنعت! فقالت: يا سيدي، إن الجميل للجميل يصلح، ولك هيأت هذا المجلس. فجلس عبد الله بن جعفر وقامت على رأسه وقامت الجواري صفين، فأقسم عليها فجلست غير بعيد. ثم قالت: يا سيدي، ألا أغنيك؟ قال: بلى! فغنت:

بني شيبة الحمد الذي كان وجهه ... يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

كهولهم خير الكهول ونسلهم ... كنسل الملوك لا يبور ولا يحرى

أبو عتبة الملقي إليك جماله ... أغر هجان اللون من نفر زهر

لساقي الحجيج ثم للخير هاشمٍ ... وعبد منافٍ ذلك السيد الغمر

أبوكم قصيٌّ كان يدعى مجمعاً ... به جمع الله القبائل من فهر

فقال عبد الله: أحسنت يا جميلة وأحسن حذافة ما قال! بالله أعيديه علي فأعادته، فجاء الصوت أحسن من الارتجال. ثم دعت لكل جاريةٍ بعودٍ وأمرتهن بالجلوس على كراسي صغارٍ قد أعدتها لهن، فضربن وغنت عليهن

هذا الصوت وغنى جواريها على غنائها. فلما ضربن جميعاً قال عبد الله: ما ظننت أن مثل هذا يكون! وإنه لمما يفتن القلب! ولذلك كرهه كثير من الناس لما علموا فيه. ثم دعا ببغلته فركبها وانصرف إلى مترله. وقد كانت جميلة أعدت طعاماً كثيراً، وكان أراد المقام، فقال لأصحابه: تخلفوا للغداء، فتغدوا وانصرفوا مسرورين. وهذا الشعر لحذافة بن غانم بن عبيد الله بن عويج بن عدي بن كعب يمدح به عبد المطلب.

أراد العرجي أن يترل عليها حين فر من مكة فأبت وأنزلته على الأحوص: قال وحدثني بعض المكيين قال: كان العرجي وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان شاعراً سخياً شجاعاً أديباً ظريفاً. ويشبه شعره بشعر عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد بن هشام وإن كانا قدما عليه، وقد نسيب كثيرٌ من شعره إلى شعرهما، وكان صاحب صيد. فخرج يوماً متنزهاً من مكة ومعه جماعةٌ من غلمانه ومواليه ومعه كلابه وفهوده وصقوره وبوازيه نحو الطائف إلى مالٍ له بالعرج - وبهذا الموضع سمي العرجي - فجرى بينه وبين مولى لبني أمية كلامٌ، فأمضه المولى فكف عنه العرجي حتى أوى إلى مترله، ثم هجم عليه ومعه غلمانه فأمرهم أن يوثقوه، ثم أمرهم أن ينكحوا امرأته وهو يراهم ففعلوا، ثم أخرجه فقتله. فبلغ أمير مكة ما فعل فطلبه، فخرج من مترلة وأخرج معه غلمانة ومواليه وآلة الصيد وتوجه نحو المدينة وقد ركب أفراسه وأعد عدته. فلم يزل يتصد ويقصف في طريقه حتى دخل المدينة ليلاً، وأراد المقام في مترل جميلة، وكانت آلت ألا تغني بشعره ولا تدخله مترلها لكثرة عبثه وسفهه وحداثة سنه. فلما أعلمت بمكانه ليلاً قالت: طارق! إن له لشأناً! فاستخبرت خبره فقيل لها: إنه قدم مستخفياً، و لم ير بالمدينة موضعاً هو أطيب له من مترلك، والأيمان تكفر، والأشراف لا يردون. فقالت لرسولها إليه: مترلي مترل جوازٍ. ولا يمكن مثلك الاستخفاء فيها، فعليك بالأحوص - وكان الأحوص مجانباً له لشيء جرى بينه وبينه في مترل جميلة - فقال أنى لي بالأحوص مع الذي كان بيننا! قالت: ائته عني وقل له: قد غنينا بذلك الشعر، فأن أحببت أن تظهر وتبقى مودتنا لك، فأصلح ما بينك وبين عبد الله، إذ أصلح ما بيننا، وأنزله مترلك. قال لها: ليس هذا بمقنعي، أما إذ أبيت أن أقيم بمترلك فوجهي معي رسولاً إلى الأحوص، فإن مترله أحب إلي بعد مترلك. فوجهت معه إلى الأحوص بعض مولياته، فأنزله الأحوص وأكرمه وأحسن جواره وستر أمره. فقال شعراً ووجه به إلى جميلة:

ألا قاتل الله الهوى كيف أخلقا ... فلم تلفه إلا مشوباً ممذقا

وما من حبيبٍ يستزير حبيبه ... يعاتبه في الود إلا تفرقا

أمر وصال الغانيات فأصبحت ... مضاضته يشجى بها من تمطقا

تعلق هذا القلب للحين معلقاً ... غزالاً تحلى عقد درٍّ ويارقا

إذا قلت مهلاً للفؤاد عن التي ... دعتك إليها العين أغضى وأطرفا

دعانا فلم نستبق حباً بما نرى فما منك هذا العذل إلا تخرقا

فقد سن هذا الحب من كان قبلنا وقاد الصبا المرء الكريم فأعنقا

فلما قرأت شعره رقت له وقالت: كيف لي بإيلائي ألا يدخل مترلي ولا أغنيه بشعره؟ فقيل لها: يدخل مترلك وتغنين وتكفرين عن يمينك. فوجهت إليه أن صر إلينا والأحوص في تلك الليلة، فجاءاها، وعرفت الأحوص تكفير اليمين، فقال لها: وأنا والله شفيعه إليك، ففرجي ما به من غمٍّ فقد فارق من يحب ويهوى، فتؤنسينه وتسرينه وتغنينه بشعره. فغنت:

ألا قاتل الله الهوى كيف أخلقا فلم تلفه إلا مشوباً ممذقا

وحدثني بعض أهلنا قال قال يونس بن محمد: كان الأحوص معجباً بها وملازماً لها فصار إليها بغلام له جميل فأخرجته خوف الفتنة ثم دعتهما دعوة خاصة وغنتهما:

كان الأحوص معجباً بجميلة، و لم يكن يكاد يفارق مترلها إذا جلست. فصار إليها غلاماً بغلام جميل الوجه يفتن من رآه، فشغل أهل المجلس، وذهبت اللحون عن الجواري وخلطن في غنائهن. فأشارت جميلة إلى الأحوص أن أخرج الغلام، فالخلل قد عم مجلسي وأفسد علي أمري. فأبى الأحوص وتغافل، وكان بالغلام معجباً، فآثر لذته بالنظر إلى الغلام مع السماع. ونظر الغلام إلى الوجوه الحسان من الجواري ونظرن إليه، وكان مجلساً عاماً. فلما خافت عاقبة المجلس وظهور أمره أمرت بعض من حضر بإخراج الغلام فأخرج، وغضب الأحوص وخرج مع الغلام و لم يقل شيئاً، فأحمد أهل المجلس ما كان من جميلة، وقال لها بعضهم: هذا كان الظن بك، أكرمك الله! فقالت: إنه والله ما استأذنني في المجيء به ولا علمت به حتى رأيته في داري، ولا رأيت له وجهاً قبل ذلك، وإنه ليعز علي غضب الأحوص، ولكن الحق أولى، وكان ينبغي له ألا يعرض نفسه وإياي لما نكره مثله. فلما تفرق أهل المجلس بعثت إليه: الذنب لك ونحن منه برءاء، إذ كنت قد عرفت مذهبي، فلم عرضتني للذي كان، فقد ساءني ذلك وبلغ مني، ولكن لم أجد بداً من الذي رأيت إما حياءً وإما تصنعاً. فرد عليها: ليس هذا لك بعذر إن لم تجعلي لي وله مجلساً نخلو فيه جميعاً تمحين به ما كان منك. قالت: أفعل ذلك سراً، قال الأحوص: قد رضيت. فجاءاها ليلاً فأكرمتهما، و لم تظهر واحدةً من جواريها على ذلك إلا عجائز من مواليها. وسألها الأحوص وأقسم عليها أن تغنيه من شعره:

وبالفقر دارٌ من جميلة هيجت سوالف حبٍّ في فؤادك منصب

وكانت إذا تنأى أو تفرقت شداد الهوى لم تدر ما قول مشغب

أسيلة مجرى الدمع خمصانة الحشا برود الثنايا ذات خلقٍ مشرعب

ترى العين ما تهوى وفيها زيادةٌ من الحسن إذ تبدو وملهىً لملعب

قال يونس: ما لها صوتٌ أحسن منه، وابن محرزٍ يغنيه وعنها أخذه، وأنا أغنيه فتعجبني نفسي ويدخلني شيء لا أعرفه من النخوة والتيه. وقال المحدث لي بهذا الحديث عن يونس: إن هذا للأحوص في جميلة. والذي عندي أنه لطيفل الغنوي قال في ابن زيد الخيل، وهو زيد بن المهلهل بن المختلس بن عبد رضاً أحد بني نبهان، ونبهان لقبٌ له، ولكنه سودان بن عمرو بن الغوث بن طيء، أغار على بني عامر فأصاب بني كلاب وبني كعب، واستحر القتل في غني بن أعصر ومالك بن أعصر ومالك بن أعصر، وأعصر هو الدخان، ولذلك قيل لهما ابنا دخان، وأخوهما الحارث وهو الطفاوة وهو مالك بن سعد بن قيس بن عيلان، وغطفان بن سعد عمهم. وكانت غني مع بني عامرٍ في دارهم موالي لنمير، وكان فيهم فرسانٌ وشعراء. ثم إن غنياً أغارت على طيء وعليهم سيار بن هريم، فقال في ذلك قصيدته الطويلة:

وبالقفر دارٌ من جميلة هيجت　　سوالف شوقٍ في فؤادك منصب

لحنت قصيدة لعمرو بن أحمر بن العمرد في عمر بن الخطاب لحناً جميلاً، ونبذة عن ترجمة ابن أحمر: وحدثني أيوب بن عباية قال: كان عمرو بن أحمر بن العمرد بن عامر بن عبد شمس بن فراص بن معن بن مالك ابن أعصر بن قيس بن عيلان بن مضر من شعراء الجاهلية المعدودين، وكان يتزل الشأم، وقد أدرك الإسلام وأسلم، وقال في الجاهلية والإسلام شعراً كثيراً وفي الخفاء الذين أدركهم: عمر بن الخطاب فمن دونه إلى عبد الملك بن مروان، وكان في خيل خالد بن الوليد حين وجه أبو بكر خالداً إلى الشأم، و لم يأت أبا بكر. وقال في خالد رحمه الله:

إذا قال سيف الله كروا عليهم　　كررت بقلبٍ رابط الجأش صارم

وقال في عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدة له طويلة جيدة:

أدركت آل أبي حفص وأسرته　　وقبل ذاك ودهراً بعده كلبا

قد ترتمى بقوافٍ بيننا دولٌ　　بين الهناتين لا جداً ولا لعبا

الله يعلم ما قولي وقولهم　　إذ يركبون جناناً مسهباً وربا

وقال في عثمان بن عفان رضي الله عنه:

حثى فليس إلى عثمان مرتجعٌ　　إلا العداء وإلا مكنعٌ ضرر

إخالها سمعت عزفاً فتحسبه　　إهابة القسر ليلاً حين تنتشر

وقال في علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

من مبلغٌ مالكاً عني أبا حسنٍ　　فارتح لخصمٍ هداك الله مظلوم

فلما أنشدت جميلة قصيدته في عمر بن الخطاب، قالت: والله لأعلمن فيها لحناً لا يسمعه أحدٌ أبداً إلا بكى. قال

إبراهيم: وصدقت، والله ما سمعته قط إلا أبكاني، لأني أجد حين أسمعه شيئاً يضغط قلبي ويحرقه فلا أملك عيني، وما رأيت أحداً قط سمعه إلا كانت هذه حاله.

صوت من المائة المختارة

يا دار عبلة من مشارق مأسل — درس الشؤون وعهدها لم ينجل

فاستبدلت عفر الظباء كأنما — أبعارها في الصيف حب الفلفل

تمشي النعام به خلاءً حوله — مشي النصارى حول بيت الهيكل

إحذر محل السوء لا تحلل به — وإذا نبا بك منزلٌ فتحول

الشعر، فيما ذكر يحيى بن علي عن إسحاق، لعنترة بن شداد العبسي. وما رأيت هذا الشعر في شيء من دواوين شعر عنترة، ولعله من رواية لم تقع إلينا، فذكر غير أبي أحمد أن الشعر لعبد قيس بن خفاف البرجمي، إلا أن البيت الأخير لعنترة صحيح لا يشك فيه. والغناء لأبي دلف القاسم بن عيسى العجلي، ولحنه المختار، على ما ذكره أبو أحمد، من الثقيل الأول. وذكر ابن خرداذبه أن لحن أبي دلف خفيف ثقيل بالوسطى. وذكر إسحاق أن فيه لمعبد لحناً من الثقيل الأول المطلق في مجرى الوسطى، وأن فيه لأبي دلف لحناً و لم يجنسه. وذكر حبش أن فيه لابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى. وأن لابن سريج في البيت الثاني ثقيلاً أول، وذكر ابن خرداذبه أن خفيف الثقيل لمالك، وليس ممن يعتمد على قوله. وقد ذكر يونس أيضاً أن فيه غناء لمالك و لم يذكر جنسه ولا طريقته.

ذكر عنترة ونسبه وشيء من أخباره

نسب عنترة: أمه أمة حبشية، كان أبوه نفاه ثم ألحقه بنسبه: هو عنترة بن شداد، وقيل: ابن عمرو بن شداد، وقيل: عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة، وقيل: مخزوم بن عوف بن مالك ابن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر. وله لقبٌ يقال له عنترة الفلحاء، وذلك لتشقق شفتيه. وأمه أمةٌ حبشية يقال لها ربيبة، وكان لها ولدٌ عبيدٌ من غير شداد، وكانوا إخوته لأمه. وقد كان شداد نفاه مرةً ثم اعترف به فألحق بنسبه. وكانت العرب تفعل ذلك، تستعبد بني الإماء، فإن أنجب اعترفت به وإلا بقي عبداً.

حرشت عليه امرأة أبيه فضربه أبوه فكفته عنه فقال فيها شعراً: فأخبرني علي بن سليمان النحوي الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري عن محمد بن حبيب، قال أبو سعيد وذكر ذلك أبو عمرو الشيباني، قالا: كان عنترة قبل أن يدعيه أبوه حرشت عليه امرأة أبيه وقالت: إنه يراودني عن نفسي، فغضب من ذلك شداد غضباً شديداً وضربه ضرباً مبرحاً وضربه بالسيف، فوقعت عليه امرأة أبيه وكفته عنه. فلما رأت ما به من الجراح بكت - وكان اسمها سمية وقيل: سهية - فقال عنترة: صوت

أمن سمية دمع العين مذروف لو أن ذا منك قبل اليوم معروف
كأنها يوم صدت ما تكلمني ظبيٌ بعسفان ساجي العين مطروف
تجللتنى إذ أهوى العصا قبلي كأنها صنمٌ يعتاد معكوف
العبد عبدكم والمال مالكم فهل عذابك عني اليوم مصروف
تنسى بلائي إذا ما غارةٌ لحقت تخرج منها الطوالات السراعيف
يخرجن منها وقد بلت رحائلها بالماء تركضها الشم الغطاريف
قد أطعن الطعنة النجلاء عن عرضٍ تصفر كف أخيها وهو منزوف

غنى في البيت الأول والثاني علوية، ولحنه من الثقيل الأول مطلق في مجرى البنصر، وقيل: إنه لإبراهيم. وفيهما رملٌ بالوسطى يقال: إن لابن سريج، وهو من منحول ابن المكي.

قوله مذروف: من ذرفت عينه، يقال: ذرفت تذرف ذريفاً وذرفاً، وهو قطرٌ يكاد يتصل. وقوله: لو أن ذامنك قيل اليوم معروف. أي قد أنكرت هذا الحنو والإشفاق منك، لأنه لو كان معروفاً قبل ذلك لم ينكره. ساجي العين. ساكنها. والساجي: الساكن من كل شيء. مطروف: أصابت عينه طرفةٌ، وإذا كان كذلك فهو أسكن لعينه. تجللتني: ألقت نفسها علي. وأهوى: اعتمد. صنم يعتاد أي يؤتى مرةً بعد مرة. ومعكوف: يعكف عليه. والسراعيف: السراع، واحدها سرعوفة. والطوالات: الخيل. والرحائل: السروج. والشمم: ارتفاع في الأنف. والغطاريف: الكرام والسادة أيضاً. والغطرفة: ضرب من السير والمشي يختال فيه. والنجلاء: الواسعة. يقال: سنانٌ منجلٌ: واسع الطعنة: عن عرض أي عن شقٍّ وحرف. وقال غيره: أعترضه اعتراضاً حين أقاتله.

سبب ادعاء أبيه إياه: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن ابن الكلبي، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال قال ابن الكلبي: شدادٌ جد عنترة غلب على نسبه، وهو عنترة بن شداد، وقد سمعت من يقول: إنما شداداً عمه، كان نشأ في حجره فنسب إليه دون أبيه. قال: وإنما ادعاه أبوه بعد الكبر، وذلك لأن أمه كانت أمةً سوداء يقال لها ربيبة، وكانت العرب في الجاهلية إذا كان للرجل منهم ولدٌ من أمةٍ استعبدوه. وكان لعنترة إخوةٌ من أمة عبيدٌ. وكان سبب ادعاء أبي عنترة إياه أن بعض أحياء العرب أغاروا على بني عبس فأصابوا منهم واستاقوا إبلاً، فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم عما معهم وعنترة يومئذٍ فيهم، فقال له أبوه: كر يا عنترة. فقال عنترة: العبد لا يحسن الكر، إنما يحسن الحلاب والصر. فقال: كر وأنت حر. فكر وهو يقول:

أنا الهجين عنتره كل امرىء يحمي حره
أسوده وأحمره والشعرات المشعره

وقاتل يومئذ قتالاً حسناً، فادعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه.

وحكى غير ابن الكلبي أن السبب في هذا أن عبساً أغاروا على طيء، فأصابوا نعماً، فلما أرادوا القسمة قالوا لعنترة: لا نقسم لك نصيباً مثل أنصبائنا لأنك عبد. فلما طال الخطب بينهم كرت عليهم طيء، فاعتزلهم عنترة وقال: دونكم القوم، فإنكم عددهم. واستنقذت طيء الإبل. فقال له أبوه: كر يا عنترة. فقال: أو يحسن العبد الكر! فقال له أبوه: فاعترف به، فكر واستنقذ النعم. وجعل يقول:

أنا الهجين عنتره كل امرىء يحمي حره

الأبيات.

قال ابن الكلبي: وعنترة أحد أغربه العرب، وهم ثلاثة: عنترة وأمه ربيبة، وخفاف بن عمير الشريدي وأمه ندبة، والسليك بن عمير السعدي وأمه السلكة، وإليهن ينسبون. وفي ذلك يقول عنترة:

إني امرؤٌ من خير عبسٍ منصباً شطري وأحمي سائري بالمنصل

وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت ألفيت خيراً من معمٍّ مخول

يقول: إن أبي من أكرم عبس بشطري، والشطر الآخر ينوب عن كرم أمي فيه ضربي بالسيف، فأنا خيرٌ في قومي، ممن عمه وخاله منهم وهو لا يغني غنائي. وأحسب أن في القصيدة هي التي يضاف إليها البيتان اللذان يغنى فيهما، وهذه الأبيات قالها في حرب داحس والغبراء.

حامى عن بني عبس حين انهزمت أمام تميم، فسبه قيس بن زهير فهجاه: قال أبو عمرو الشيباني: غزت بنو عبس بني تميم وعليهم قيس بن زهير، فانهزمت بنو عبس وطلبتهم بنو تميم، فوقف لهم عنترة، ولحقتهم كبكبةٌ من الخيل، فحامى عنترة عن الناس فلم يصب مدبرٌ. وكان قيس بن زهير سيدهم، فساءه ما صنع عنترة يومئذ، فقال حين رجع: والله ما حمى الناس إلا ابن السوداء. وكان قيس أكولا. فبلغ عنترة ما قال، فقال يعرض به قصيدته التي يقول فيها: صوت

بكرت تخوفني الحتوف كأنني أصبحت عن عرض الحتوف بمعزل

فأجبتها أن المنية منهلٌ لا بد أن أسقى بكأس المنهل

فاقنى حياءك لا أبالك واعلمي أني امرؤ سأموت إن لم أقتل

إن المنية لو تمثل مثلث مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل

إني امرؤ من خير عبسٍ منصباً شطري وأحمي سائري بالمنصل

وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت ألفيت خيراً من معمٍّ مخول

والخيل تعلم والفوارس أنني فرقت جمعهم بصربة فيصل
إذا لا أبادر في المضيق فوارسي أو لا أوكل بالرعيل الأول
إن يلحقوا أكرر وإن يستلحموا أشدد وإن يلفوا بضنكٍ أنزل
حين النزول يكون غاية مثلنا ويفر كل مضللٍ مستوهل
والخيل ساهمة الوجوه كأنما تسقى فوارسها نقيع الحنظل
ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل

عروضه من الكامل. غنت في الأربعة الأبيات الأول والبيت الثاني عريب خفيف رمل بالبنصر من رواية الهشامي وابن المعتز وأبي العبيس.

الحتوف: ما عرض للإنسان من المكاره والمتالف. عن عرض أي ما يعرف منها. بمعزل أي في ناحية معتزلة عن ذلك. ومنهل: مورد. وقوله: فاقني حياءك. أي احفظيه ولا تضيعيه. والضنك: الضيق. يقول: إن المنية لو خلقت مثالاً لكانت في مثل صورتي. والمنصب: الأصل. والمنصل: السيف، ويقال منصل أيضاً بفتح الصاد. وأحجمت: كعت. والكتيبة: الجماعة إذا اجتمعت و لم تنتشر. وتلاحظت: نظرت من يقدم على العدو. وأصل التلاحظ النظر من القوم بعضهم إلى بعض بمؤخر العين. والفيصل: الذي يفصل بين الناس. وقوله: لا أبادر في المضيق فوارسي أي لا أكون أول منهزم ولكني أكون حاميتهم. والرعيل: القطعة من كل شيء. ويستلحموا: يدركوا. والمستلحم: المدرك، وأنشد الأصمعي:

نجى علاجاً وبشراً كل سلهبةٍ واستلحم الموت أصحاب البراذين

وساهمة: ضامرة متغيرة، قد كلح فوارسها لشدة الحرب وهولها. وقوله: ولقد أبيت على الطوى وأظله. قال الأصمعي: أبيت بالليل على الطوى وأظل بالنهار كذلك حتى أنال به كريم المأكل أي ما لا عيب فيه علي، ومثله قوله: إنه ليأتي علي اليومان لا أذوقهما طعاماً ولا شراباً أي لا أذوق فيهما. والطوى: خمص البطن، يقال: رجل طيان وطاوي البطن.

أنشد النبي صلى الله عليه وسلم بيتاً من شعره فود لو رآه: وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابن عائشة قال: أنشد النبي صلى الله عليه وسلم قول عنترة:

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل

فقال صلى الله عليه وسلم: ما وصف لي أعرابيٌّ قط فأحببت أن أراه إلا عنترة.

كيف ألحق أخوته لأمه بنسب قومه: أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة: أن عنترة كان له إخوة من أمه، فأحب عنترة أن يدعيهم أقومه، فأمر أخاً له كان

خيرهم في نفسه يقال له حنبل، فقال له: أرو مهرك من اللبن ثم مر به علي عشاءً. فإذا قلت لكم: ما شأن مهركم متخدداً مهزولاً ضامراً، فاضرب بطنه بالسيف كأنك تريهم أنك قد غضبت مما قلت: فمر عليهم، فقال له: يا حنبل، ما شأن مهركم متخدداً أعجر من اللبن؟ فأهوى أخوه بالسيف إلى بطن مهره فضربه فظهر اللبن. فقال في ذلك عنترة:

أبني زبيبة ما لمهركم متخدداً وبطونكم عجر

ألكم بإيغال الوليد على أثر الشياه بشدةٍ خبر

وهي قصيدة. قال: فاستلاظه نفرٌ من قومه ونفاه آخرون. ففي ذلك يقول عنترة:

ألا يا دار عبلة بالطوي كرجع الوشم في كف الهدي

وهي طويلة يعدد فيها بلاءه وآثاره عند قومه.

جوابه حين سئل أنت أشجع العرب: أخبرني عمي قال أخبرني الكراني عن النضر بن عمرو عن الهيثم بن عدي قال: قيل لعنترة: أنت أشجع العرب وأشدها؟ قال لا. قيل: فبماذا شاع لك هذا في الناس؟ قال: كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزماً، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزماً، ولا أدخل إلا موضعاً أرى لي منه مخرجاً، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله.

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبة قال:

قال عمر بن الخطاب للحطيئة: كيف كنتم في حربكم؟ قال: كنا ألف فارس حازمٍ. قال: وكيف يكون ذلك؟ قال: كان قيس بن زهير فينا وكان حازماً فكنا لا نعصيه. وكان فارسنا عنترة فكنا نحمل إذا حمل ونحجم إذا أحجم. وكان فينا الربيع بن زياد وكان ذا رأي فكنا نستشيره ولا نخالفه. وكان فينا عروة بن الورد فكنا نأتم بشعره، فكنا كما وصفت لك. فقال عمر: صدقت.

أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد السكري قال قال محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل عن أبي عبيدة وابن الكلبي قالا: موته واختلاف الروايات في سببه: أغار عنترة على بني نبهان من طيء فطرد لهم طريدةً وهو شيخ كبير، فجعل يرتجز وهو يطردها ويقول:

آثار ظلمانٍ بقاعٍ محرب

قال: وكان زر بن جابر النبهاني في فتوة، فرماه وقال: خذها وأنا ابن سلمى، فقطع مطاه، فتحامل بالرمية حتى أتى أهله، فقال وهو مجروح:

وإن ابن سلمى عنده فاعلموه دمي وهيهات لا يرجى ابن سلمى ولا دمي

يحل بأكناف الشعاب وينتمي مكان الثريا ليس بالمتهضم

رماني ولم يدهش بأزرق لهذمٍ عشية حلوا بين نعفٍ ومخرم

قال ابن الكلبي: وكان الذي قتله يلقب بالأسد الرهيص. وأما أبو عمرو الشيباني فذكر أنه غزا طيئاً مع قومه، فانهزمت عبس، فخر عن فرسه و لم يقدر من الكبر أن يعود فيركب، فدخل دغلاً، وأبصره ربيئة طيىء فنزل إليه، وهاب أن يأخذه أسيراً فرماه وقتله.

وذكر أبو عبيدة أنه كان قد أسن واحتاج وعجز بكبر سنه عن الغارات. وكان له على رجل من غطفان بكرٌ، فخرج يتقاضاه إياه، فهاجت عليه ريحٌ من صيف وهو بين شرجٍ وناظرة، فأصابته فقتلته.

كان أحد الذين يباليهم عمرو بن معد يكرب قال أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: كان عمرو بن معد يكرب يقول: ما أبالي من لقيت من فرسان العرب ما لم يلقني حراها وهجيناها. يعني بالحرين عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب، وبالعبدين عنترة والسليك بن السلكة.

هذه أخبار عنترة قد ذكرت فيها ما حضر.

عبد قيس بن خفاف البرجمي

نبذة عن عبد قيس بن خفاف البرجمي: وأما عبد قيس بن خفاف البرجمي فإني لم أجد له خبراً أذكره إلا ما أخبرني به جعفر بن قدامة قال: قرأت في كتابٍ لأبي عثمان المازني: كان عبد قيس بن خفاف البرجمي أتى حاتم طيىء في دماء حملها عن قومه فأسلموه فيها وعجز عنها، فقال: والله لآتين من يحملها عني، وكان شريفاً شاعراً شجاعاً، فقدم على حاتم وقال له: إنه وقعت بيني وبين قومي دماءٌ فتواكلوها، وإني حملتها في مالي وأهلي، فقدمت مالي وأخرت أهلي، وكنت أوثق الناس في نفسي. فإن تحملتها فكم من حقٍّ قضيته وهمٍّ كفيته، وإن حال دون ذلك حائلٌ لم أذمم يومك و لم أنس غدك، ثم أنشأ يقول:

حملت دماءً للبراجم جمةً ... فجئتك لما أسلمتني البراجم

وقالوا سفاهاً لم حملت دماءنا ... فقلت لهم يكفي الحمالة حاتم

متى آته فيها يقل لي مرحباً ... وأهلاً وسهلاً أخطأتك الأشائم

فيحملها عني وأن شئت زادني ... زيادة من حيزت إليه المكارم

يعيش الندى ما عاش حام طيىءٍ ... وإن مات قامت للسخاء مآتم

ينادين مات الجود معك فلا نرى ... مجيباً له ما حام في الجو حائم

وقال رجال أنهب العام ماله ... فقلت لهم إني بذلك عالم

ولكنه يعطى من اموال طيىءٍ ... إذا حلق المال الحقوق اللوازم

فيعطي التي فيها الغنى وكأنه ... لتصغيره تلك العطية جارم

بذلك أوصاه عديٌّ وحشرجٌ ... وسعدٌ وعبد الله تلك القماقم

فقال له حاتم: إني كنت لأحب أن يأتيني مثلك من قومك، وهذا مرباعي من الغارة على بني تميم فخذه وافراً، فإن وفى بالحمالة وإلا أكملتها لك، وهي مائتا بعير سوى نبيها وفصالها، مع أني لا أحب أن تؤبس قومك بأموالهم. فضحك أبو جبيل وقال: لكم ما أخذتم منا ولنا ما أخذنا منكم، وأي بعير دفعته إلي وليس ذنبه في يد صاحبه فأنت منه بريء. فأخذها وزاده مائة بعير، وانصرف راجعاً إلى قومه. فقال حاتم:

أتاني البرجمي أبو جبيلٍ ... لهمٍّ في حمالته طويل

فقلت له خذ المرباع منها ... فإني لست أرضى بالقليل

على حالٍ ولا عودت نفسي ... على علاتها علل البخيل

فخذها إنها مائتا بعيرٍ ... سوى الناب الرذية والفصيل

ولا منٌّ عليك بها فإني ... رأيت المن بزري بالجميل

فآب البرجمي وما عليه ... من اعباء الحمالة من فتيل

يجر الذيل ينفض مذرويه ... خفيف الظهر من حملٍ ثقيل

ذكر أبي دلف ونسبه وأخباره

نسب أبي دلف ومكانته: هو القاسم بن عيسى بن إدريس، أحد بني عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. ومحله في الشجاعة وعلو المحل عند الخلفاء وعظم الغناء في المشاهد وحسن الأدب وجودة الشعر محلٌّ ليس لكبير أحد من نظرائه. وذكر ذلك أجمع مما لا معنى له لطوله، وفي هذا القدر من أخباره مقنع. وله أشعارٌ جيادٌ، وصنعةٌ كثيرة حسنة. فمن جيد شعره وله فيه صنعة قوله: صوت

بنفسي يا جنان وأنت مني ... محل الروح من جسد الجبان

ولو أني أقول مكان نفسي ... خشيت عليك بادرة الزمان

لإقدامي إذا ما الخيل حامت ... وهاب كماتها حر الطعان

وله فيه لحن. وهذا البيت الأول أخذه من كلام إبراهيم النظام.

أخذ معنى من محاورة إبراهيم النظام لغلام: أخبرني به علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال: لقي إبراهيم النظام غلاماً حسن الوجه، فاستحسنه وأراد كلامه فعارضه، ثم قال له: يا غلام، إنك لولا ما سبق من قول الحكماء مما جعلوا به السبيل لمثلي إلى مثلك في قولهم: لا ينبغي لأحد أن يكبرأ عن أن يسأل، كما أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يصغر عن أن يقول، لما أنبت إلى مخاطبتك ولا انشرح صدري لمحادثتك، لكنه سبب الإخاء وعقد المودة، ومحلك من قلبي محل الروح من جسد الجبان. فقال له الغلام - وهو لا يعرفه - لئن

قلت ذلك أيها الرجل لقد قال أستاذنا إبراهيم النظام: الطبائع تجاذب ما شاكلها بالمجانسة، وتميل إلى ما قاربها بالموافقة، وكياني مائلٌ إلى كيانك بكليتي. ولو كان الذي انطوى عليه عرضاً لم أعتد به وداً، ولكنه جوهر جسمي، فبقاؤه ببقاء النفس، وعدمه بعدمها، وأقول كما قال الهذلي:

فتيقني أن قد كلفت بكم ثم افعلي ما شئت عن علم

فقال له النظام: إنما كلمتك بما سمعت وأنت عندي غلام مستحسن، ولو علمت أن محلك مثل محل معمرٍ وطبقته في الجدل لما تعرضت لك. قال أبو الحسن: ومن هذا أخذ أبو دلف قوله:

أحبك يا جنان وأنت مني محل الروح من جسد الجبان

ومن جيد شعره وله فيه صنعة قوله صوت

في كل يومٍ أبى بيضاء طالعةً كأنما أنبتت في ناظر البصر

لئن قصصتك بالمقراضٍ عن بصري لما قطعتك عن همي وعن فكري

بلغه طروق الشراة وهو بالسردان مع جارية له فأسرع لحربهم وردهم: أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب قال حدثني أبي قال سمعت عبد العزيز بن دلف بن أبي دلف يقول: حدثتني ظبية جارية أبي قالت: إني لمعه ليلةً بالسرادن وهو جالسٌ يشرب معي وعليه ثيابٌ ممسكة، إذ أتاه الصريخ بطروق الشراة أطراف عسكره، فلبس الجوشن ومضى فقتل وأسر وانصرف إلي في آخر الليل وهو يغني - قالت: والشعر له - : صوت

ليلتي بالسرادن كللت بالمحاسن

وجوارٍ أوانسٍ كالظباء الشوادن

بدلت بالممسكا ت ادراع الجواشن

الشعر لأبي دلف. والغناء له رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر.

خرج مع الإفشين لحرب بابك فأراد قتله فأنقذه ابن أبي داود:

وقال أحمد بن أبي طاهر: كان أبو دلف القاسم بن عيسى في جملة من كان مع الإفشين خيذر بن كاووس لما خرج لمحاربة بابك، ثم تنكر له، فوجه يوماً بمن جاء به ليقتله. وبلغ المعتصم الخبر، فبعث إليه بأحمد بن بي دواد وقال له: أدركه، وما أراك تلحقه، فاحتل في خلاصه منه كيف شئت. قال ابن أبي دواد: فمضيت ركضاً حتى وافيته، فإذا أبو دلف واقفٌ بين يديه وقد أخذ بيديه غلامان له تركيان، فرميت بنفسي على البساط، وكنت إذا جئته دعا لي بمصلى، فقال لي: سبحان الله! ما حملك على هذا؟ قلت: أنت أجلستني هذا المجلس. ثم كلمته في القاسم وسألته فيه وخضعت له، فجعل لا يزداد إلا غلظةً. فلما رأيت ذلك قلت: هذا عبدٌ وقد أغرقت في الرفق به فلم ينفع، وليس إلا أخذه بالرهبة والصدق؟ فقمت فقلت: كم تراك قدرت! تقتل أولياء أمير المؤمنين واحداً بعد واحد، وتخالف أمره في قائد بعد قائد! قد حملت إليك هذه الرسالة عن أمير المؤمنين، فهات الجواب!. قال:

فذل حتى لصق بالأرض وبان لي الاضطراب فيه. فلما رأيت ذلك نهضت إلى أبي دلف وأخذت بيده، وقلت له: قد أخذته بأمر أمير المؤمنين. فقال: لا تفعل يا أبا عبد الله. فقلت: قد فعلت وأخرجت القاسم فحملته على دابة ووافيت المعتصم. فلما بصر بي قال: بك يا أبا عبد الله وريت زنادي، ثم رد علي خبري مع الإفشين حدساً بظنه ما أخطأ فيه حرفاً؟ ثم سألني عما ذكره لي وهو كما قال، فأخبرته أنه لم يخطىء حرفاً.

وقال علي بن محمد حدثني جدي قال: كان أحمد بن أبي دواد ينكر أمر الغناء إنكاراً شديداً. فأعلمه المعتصم أن صديقه أبا دلف يغني، فقال: ما أراه مع عقله يفعل ذلك. فستر أحمد بن أبي دواد في موضع وأحضر أبا دلف وأمره أن يغني، ففعل ذلك وأطال، ثم أخرج أحمد بن أبي دواد عليه من موضعه والكراهة ظاهرةٌ في وجهه. فلما رآه أحمد قال له: سوءةً لهذا من فعل! بعد هذه السن وهذا المحل تضع نفسك كما أرى! فحجل أبو دلف وتشور، وقال: إنهم أكرهوني على ذلك. فقال: هبهم أكرهوك على الغناء أفأكرهوك على الإحسان والإصابة!.

قال علي وحدثني جدي: أن سبب منادمته للمعتصم أنه كان نديماً للواثق، وكان أبو دلف قد وصف للمعتصم فأحب أن يسمعه، وسأل الواثق عنه؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أنا على الفصد غداً وهم عندي. فقال له المعتصم: أحب ألا تخفى علي شيئاً من خبركم. وفصد الواثق، فأتاه أبو دلف وأتته رسل الخليفة بالهدايا، وأعلمهم الواثق حضور أبي دلف عنده، فلم يلبث أن أقبل الخدم يقولون: قد جاء الخليفة. فقام الواثق وكل من عنده حتى تلقوه حين برز من الدهليز إلى الصحن، فجاء حتى جلس، وأمر بندماء الواثق فردوا إلى مجالسهم. قال حمدون:

وخنست عن مجلسي الذي كنت فيه لحداثتي، فنظر المعتصم إلى مكاني خالياً، فسأل عن صاحبه فسميت له، فأمر بإحضاري فرجعت إلى مكاني، وأمر بأن يؤتى برطلٍ من شرابه فأتي به؟ فأقبل على أبي دلف فقال له: يا قاسم، غن أمير المؤمنين صوتاً، فما حصر ولا تثاقل وقال: أغني أمير المؤمنين صوتاً بعينه أو ما اخترته؟ قال: بل غن صنعتك في شعر جرير:

بان الخليط برامتين فودعوا

فغناه إياه. فقال المعتصم: أحسن! أحسن! ثلاثاً، وشرب الرطل، ولم يزل يستعيده ويشرب عليه حتى والى بين سبعة أرطال، ثم دعا بحمار فركبه، وأمر أبا دلف أن ينصرف معه، وأمرني بالانصراف معهما، فخرجت أسعى مع ركابه، فثبت في ندمائه من ذلك اليوم، وأمر لأبي دلف بعشرين ألف دينار.

بان الخليط برامتين فودعوا ... أو كلما اعتزموا لبينٍ تجزع

كيف العزاء ولم أجد مذ غبتم ... قلباً يقر ولا شراباً ينقع

عروضه من الكامل. الشعر لجرير، والغناء لأبي دلف ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشامي وعمرو بن بانة.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: كان جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكردية يستخف مطيع بن إياس، وكان منقطعاً إليه وله منه

منزلةٌ حسنة. فذكر له مطيع بن إياس حماداً الراوية، وكان مطرحاً مجفواً في أيامهم. فقال له: دعني، فإن دولتي

كانت في بني أمية وما لي عند هؤلاء خير. فأبى مطيع إلا الذهاب به إليه. فاستعار سواداً وسيفاً، ثم أتاه فدخل على جعفر فسلم عليه وجلس. فقال له جعفر: أنشدني. فقال: لمن أيها الأمير؟ قال: لجرير. قال حماد: فسلخ الله شعره أجمع من قلبي إلاّ قوله:

بان الخليط برامتين فودعوا

فاندفعت أنشده إياه حتى بلغت إلى قوله:

وتقول بوزع قد دببت على العصا هلا هزئت بغيرنا يا بوزع

قال حماد فقال لي جعفر: أعد هذا البيت فأعدته، فقال: إيش هو بوزع؟ قلت: اسم امرأة. قال: امرأة اسمها بوزع! هو بريءٌ من الله ورسوله ومن العباس بن عبد المطلب إن كانت بوزع إلا غولاً من الغيلان! تركتني والله يا هذا لا أنام الليل من فزع بوزع! يا غلمان، قفاه. قال: فصفعت والله حتى لم أدر أين أنا. ثم قال: جروا برجله، فجروا برجلي حتى أخرجت من بين يديه وقد تخرق السواد وانكسر جفن السيف ولقيت شراً عظيماً مما جرى من ذلك. وكان أغلظ من ذلك علي غرامتي السواد والسيف. فلما انصرف إلي مطيع جعل يتوجع لي. فقلت له: ألم أخبرك أني لا أصيب منهم خيراً وأن حظي قد مضى مع من مضى من بني أمية!.

رجع الحديث إلى أخبار أبي دلف.

وكان أبو دلف جواداً ممدحاً، وفيه يقول علي بن جبلة:

إنما الدنيا أبو دلفٍ بين مغزاه ومحتضره

وإذا ولى أبو دلفٍ ولت الدنيا على أثره

وهي من جيد شعره وحسن مدائحه. وفيها يقول:

ذاد ورد الغي عن صدره وارعوى واللهو من وطره

ندمي أن الشباب مضى لم أبلغه مدى أشره

حسرت عني بشاشته وذوى المحمود من ثمره

ودمٍ أهدرت من رشأٍ لم يرد عقلاً على هدره

فأتت دون الصبا هنةٌ قلبت فوقي على وتره

دع جدا قحطان أم مضرٍ في يمانية وفي مضره

وامتدح من وائلٍ رجلاً عصر الآفاق من عصره

المنايا في مقانبه والعطايا في ذرا حجره

ملكٌ تندى أنامله كانبلاج النوء عن مطره

مستهلٌ عن مواهبه كابتسام الروض عن زهره
جبلٌ عزت مناكبه أمنت عدنان في نفره
إنما الدنيا أبو دلفٍ بين مغزاه ومحتضره
فإذا ولى أبو دلفٍ ولت الدنيا على أثره
كل من في الأرض من عربٍ بين باديه إلى حضره
مستعيرٌ منه مكرمةً يكتسيها يوم مفتخره

وهذان البيتان هما اللذان أحفظا المأمون على عليٌّ بن جبلة حتى سل لسانه من قفاه، وقوله في أبي دلف أيضاً:

أنت الذي تنزل الأيام منزلها وتنقل الدهر من حالٍ إلى حال
وما مددت مدى طرفٍ إلى أحدٍ إلا قضيت بأرزاقٍ وآجال

وسنذكر ذلك في موضعه من أخبار علي بن جبلة إن شاء الله تعالى، إذ كان القصد ها هنا أمر أبي دلف.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: كنا عند أبي العباس المبرد يوماً وعنده فتىً من ولد أبي البختري وهب بن وهب القاضي أمرد حسن الوجه، وفتًى من ولد أبي دلف العجلي شبيه به في الجمال. فقال المبرد لابن أبي البختري: أعرف لجدك قصةً ظريفة من الكرم حسنةً لم يستق إليها. قال: وما هي؟ قال: دعي رجلٌ من أهل الأدب إلى بعض المواضع، فسقوه نبيذاً غير الذي كانوا يشربون منه؟ فقال فيهم:

نبيذان في مجلسٍ واحدً لإيثار مثرٍ على مقتر
فلو كان فعلك ذا في الطعام لزمت قياسك في المسكر
ولو كنت تطلب شأو الكرام صنعت صنيع أبي البختري
تتبع إخوانه في البلاد فأغنى المقل عن المكثر

فبلغت الأبيات أبا البختري فبعث إليه بثلثمائة دينار. قال ابن عمار: فقلت: قد فعل جد هذا الفتى في هذا المعنى ما هو أحسن من هذا. قال: وما فعل؟ قلت: بلغه أن رجلاً أفتقر بعد ثروة، فقالت له امرأته: افترض في الجند، فقال:

إليك عني فقد كلفتني شططاً حمل السلاح وقيل الدارعين قف
تمشي المنايا إلى غيري فأكرهها فكيف أمشي إليها عاري الكتيف
حسبت أن نفاد المال غيرني وأن روحي في جنبي أبي دلف

فأحضره أبو دلف ثم قال له: كم أملت امرأتك أن يكون رزقك؟ قال: مائة دينار. قال: وكم أملت أن تعيش؟ قال: عشرين سنة. قال: فذلك لك علي على ما أملت امرأتك في مالنا دون مال السلطان، وأمر بإعطائه إياه. قال: فرأيت وجه ابن أبي دلف يتهلل، وانكسر ابن أبي البختري انكساراً شديداً.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرد قال أخبرني علي بن القاسم قال: قال علي بن جبلة: زرت أبا دلف بالجبل، فكان يظهر من إكرامي وبري والتحفي بي أمراً مفرطاً، حتى تأخرت عنه حيناً حياءً. فبعث إلي معقل بن عيسى، فقال: يقول لك الأمير: قد انقطعت عني، وأحسبك استقللت بري بك، فلا يغضبنك ذلك، فسأزيد فيه حتى ترضى. فقلت: والله ما قطعني إلا إفراطه في البر، وكتبت إليه.

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمةٍ ... وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر

ولكنني لما أتيتك زائراً ... فأفرطت في بري عجزت عن الشكر

فم الان لا آتيك إلا مسلماً ... أزورك في الشهرين يوماً أو الشهر

فإن زدتني براً تزايدت جفوةً ... ولم تلقني طول الحياة إلى الحشر

فلما قرأها معقل استحسنها جداً وقال: أحسنت والله! أما إن الأمير لتعجبه هذه المعاني. فلما أوصلها إلى أبي دلف قال: قاتله الله. ما أشعره وأدق معانيه! فأعجبته فأجابني لوقته - وكان حسن البديهة حاضر الجواب -:

ألا رب ضيفٍ طارقٍ قد بسطته ... وآنسته قبل الضيافة بالبشر

أتاني يرجيني فما حال دونه ... ودون القرى والعرف من نائلي ستري

وجدت له فضلاً علي بقصده ... إلي وبراً زاد فيه على بري

فزودته مالاً يقل بقاؤه ... وزودني مدحاً يدوم على الدهر

قال: وبعث إلي بالأبيات مع وصيفٍ له وبعث معه إلي بألف دينار، فقلت حينئذ: إنما الدنيا أبو دلفٍ. الأبيات.

أخبرني علي بن سليمان قال أخبرنا المبرد قال أخبرني إبراهيم بن خلف قال: بينا أبو دلف يسير مع معقل، وهما إذ ذاك بالعراق، إذ مرا بقصر، فأشرفت منه جاريتان، فقالت إحداهما للأخرى: هذا أبو دلف الذي يقول فيه الشاعر:

إنما الدنيا أبو دلف

فقالت الأخرى: أو هذا! قد والله كنت أحب أن أراه منذ سمعت ما قيل فيه. فالتفت أبو دلف إلى معقل فقال: ما أنصفنا علي بن جبلة ولا وفيناه حقه، وإن ذلك لمن كبير همي. قال: وكان أعطاه ألف دينار.

أما القطاة فإني سوف أنعتها ... نعتاً يوافق منها بعض ما فيها

سكاء مخطوبةٌ في ريشها طرق ... صهبٌ قوادمها كدرٌ خوافيها

عروضه من البسيط. والشعر مختلف في قائله، ينسب إلى أوس بن غلفاء الهجيمي وإلى مزاحم العقيلي وإلى العباس بن يزيد بن الأسود الكندي وإلى العجير السلولي وإلى عمرو بن عقيل بن الحجاج الهجيمي وهو أصح الأقوال، رواه ثعلب عن أبي نصر عن الأصمعي. وعلى أن في هذه الروايات أبياتاً ليست مما يغنى فيه وأبياتاً ليست في الرواية. وقد روي أيضاً أن الجماعة المذكورة تساجلوا هذه الأبيات فقال كل واحد منهم بعضاً. وأخبار ذلك وما يحتاج إليه في شرح غريبه يذكر بعد هذا. والغناء في اللحن المختار لمعبد خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى. في هذين البيتين مع أبيات أخر من القصيدة اشتراك كثيرٌ بين المغنين يتقدم بعض الأبيات فيه بعضاً ويتأخر بعضها عن بعض على اختلاف تقديم ذلك وتأخيره. والأبيات تكتب ها هنا ثم تنسب صنعة كل صانع في شيء منها إليه، وهي بعد البيتين الأولين، إذ كانا قد مضيا واستغني عن إعادتهما:

لما تبدى لها طارت وقد علمت ... أن قد أظل وأن الحي غاشيها

تشتق في حيث لم تبعد مصعدةً ... ولم تصوب إلى أدنى مهاويها

تنتاش صفراء مطروقاً بقيتها ... قد كاد يأزي عن الدعموص آزيها

ما هاج عينك أم قد كاد يبكيها ... من رسم دار كسحق البرد باقيها

فلا غنيمةٌ توفي بالذي وعدت ... ولا فؤادك حتى الموت ناسيها

بسيط مولى عبد الله بن جعفر خفيف ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر من رواية إسحاق في أما القطاة والذي بعده، وتنتاش صفراء خفيف ثقيل نصر عن عمرو. ولإبراهيم الموصلي في لما تبدى لها وأما القطاة خفيف رمل عن الهشامي. ولعمر الوادي في أما القطاة ثقيلٌ بالوسطى. ولابن جامع في لما تبدى لها وبعده أما القطاة خفيف رملٌ. ولسياط في الأول والثاني وبعدهما تشتق في حيث لم تبعد خفيف ثقيل بالبنصر، ومن الناس من ينسب لحنه إلى عمر الوادي وينسب لحن عمر إليه. ولعلويه في أما القطاة والذي بعده رملٌ هو من صدور أغانيه ومقدمها. فجميع ما وجدتة في هذه الأبيات من الصنعة أحد عشر لحناً.

فأما خبر هذا الشعر، فإن ابن الكلبي زعم أن السبب فيه أن العجير السلولي أوس بن غلفاء الهجيمي ومزاحماً العقيلي والعباس بن يزيد بن الأسود الكندي وحميد بن ثور الهلالي اجتمعوا فتفاخروا بأشعارهم وتناشدوا وادعى كل واحد منهم أنه أشعر من صاحبه. ومر بهم سرب قطاً، فقال أحدهم: تعالوا حتى نصف القطا ثم نتحاكم إلى من نتراضى به، فأينا كان أحسن وصفاً لها غلب أصحابه، فتراهنوا على ذلك. فقال أوس بن غلفاء الأبيات المذكورة وهي أما القطاة. وقال حميد أبياتاً وصف ناقته فيها، ثم خرج إلى صفة القطاة فقال:

كما انصلتت كدراء تسقي فراخها ... بشمطة رفهاً والمياه شعوب

غدت لم تباعد في السماء ودونها ... إذا ما علت أهويةٌ وصبوب

قرينة سبعٍ إن تواترن مرةً ضربن فصفت أرؤس وجنوب
فجاءت وما جاء القطا ثم قلصت بمفحصها والواردات تنوب
وجاءت ومسقاها الذي وردت به إلى الصدر مشدود العصام كتيب
تبادر أطفالاً مساكين دونها فلاً لا تخطاه العيون رغيب
وصفن لها مزناً بأرض تنوفةٍ فما هي إلا نهلةٌ وتؤوب

وقال العباس بن يزيد بن الأسود - هكذا ذكر ابن الكلبي وغيره يرويها لبعض بني مرة - :

حذاء مدبرةً سكاء مقبلةً للماء في النحر منها نؤطةٌ عجب
تسقى أزيغب ترويه مجاجتها وذاك من ظمأة من ظمئها شرب
منهرت الشدق لم تنبت قوادمه في حاجب العين من تسبيده زبب
تدعو القطا بقصير الخطو ليس له قدام منحرها ريشٌ ولا زغب
تدعو القطا وبه تدعى إذا انتسبت يا صدقها حين تدعوه وتنتسب

وقال مزاحم العقيلي:

أذلك أم كدريةٌ هاج وردها من القيظ يومٌ واقدٌ وسموم
غدت كنواة القسب لا مضمحلةٌ وناةٌ ولا عجلى الفتور سئوم
تواشك رجع المنكبين وترتمى إلى كلكل للهاديات قدوم
فما انخفضت حتى رأت ما يسرها وفيء الضحى قد مال فهو ذميم
أباطح وانتصت على حيث تستقي بها شركٌ للواردات مقيم
سقتها سيول المدجنات فأصبحت علاجيم تجري مرةً وتدوم
فلما استقت من بارد الماء وانجلى عن النفس منها لوحةٌ وهموم
دعت باسمها حين استقت فاستقلها قوادم حجنٌ ريشهن مليم
بجؤزٍ كحق الهاجرية زانه بأطراف عود الفارسي وشوم

يعني حق الطيب. شبه حوصلتها به. والوشوم يعني الشية التي في صدرها:

لتسقي زغباً بالتنوفة لم يكن خلاف مولاها لهن حميم
ترائك بالأرض الفلاة ومن بدع بمنزلها الأولاد فهو مليم

إذا استقبلتها الريح طمت رفيقةً وهن بمهرى كالكرات جثوم

يراطن وقصاء القفا وحشة الشوى بدعوى القطا لحنٌ لهن قديم

فبتن قريرات العيون وقد جرى عليهن شرب فاستقين منيم

صبيب سقاءٍ نيط قد بركت به معاودةٌ سقي الفراخ رءوم

وقال العجير فيما روى ابن الكلبي، وقد تروى لغيره:

سأغلب والسماء ومن بناها قطاة مزاحمٍ ومن انتحاها

قطاة مزاحمٍ وأبي المثنى على حوزيةٍ صلبٍ شواها

غدت كالقطرة السفواء تهوي أمام مجلجلٍ زجلٍ نفاها

تكفأ كالجمانة لا تبالي أبالموماة أضحت أم سواها

نبت منها العجيزة فاحزألت ونبس للتقتل منكباها

كأن كعوبها أطراف نبلٍ كساها الرازقية من براها

قال: واحتكموا إلى ليلى الأخيلية، فحكمت لأوس بن غلفاء.

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل عن قعنب بن محرز الباهلي قال حدثني رجل عن أبي عبيدة قال أخبرنا حميد بن ثور والعجير السلولي ومزاحم العقيلي وأوس بن غلفاء الهجيمي أنهم تحاكموا إلى ليلى الأخيلية لما وصفوا القطاة أيهم أحسن وصفاً لها، فقالت:

ألا كل ما قال الرواة وأنشدوا بها غير ما قال السلولي بهرج

وحكمت له. فمال حميد بن ثور يهجوها:

كأنك ورهاء العنانين بغلةٌ رأت حصناً فعارضتهن تشحج

ووجدت هذه الحكاية عن أبي عبيدة مذكورةً عن دماذ عنه وأنه سأله عن أبيات العجير فأنشده:

تجوب الدجى سكاء من دون فرخها بمطلى أريك نفنفٌ وسهوب

فجاءت وقرن الشمس بادٍ كأنه هجانٌ بصحراء الخبيب شبوب

لتسقي أفراخاً لها قد تبللت حلاقيم أسماطٌ لها وقلوب

قصار الخطا زغب الرؤوس كأنها كراتٌ تلظى مرةً وتلوب

فأما ما ذكرت من رواية ثعلب في الأبيات التي فيها الغناء فإنه أنشدها عن أبي حاتم عن الأصمعي أن أبا الحضير أنشده لعمرو بن عقيل بن الحجاج الهجيمي:

أما القطاة فإني سوف أنعتها نعتاً يوافق نعتي بعض ما فيها

صفراء مطروقةٌ في ريشها خطبٌ صفرٌ قوادمها سود خوافيها

منقارها كنواة القسب قلمها بمبرد حاذق الكفين يبريها

تمشي كمشي فتاة الحي مسرعةً حذار قومٍ إلى سترٍ يواريها

قال الأصمعي: مطروقة يعني أن ريشها بعضه فوق بعض. والخطب: لون الرماد، يقال للمشبه به أخطب:

تتناش صفراء مطروقاً بقيتها قد كاد يأزي عن الدعموص آزيها

تتناش: تتناول بقية من الماء. والمطروق: الماء الذي قد خالطه البول. وقوله: يأزى أي يقل عن الدعموص فيخرج منه لقلته. والدعموص: الصغير من الضفادع وجمعه دعاميص

تسقي رذيين بالموماة قوتهما في ثغرة النحر من أعلى تراقيها

الرذي: الساقط من الضعف. يعني فرخيها

كأن هيدبةً من فوق جؤجئها أو جرو حنظلةٍ لم يعد راميها

جرو الحنظل: صغاره. وقوله: لم يعد من العداء، أي لم يعد عليها فيكسرها

تشتق من حيث لم تبعد مصعدة ولم تصوب إلى أدنى مهاويها

حتى إذا استأنسا للوقت واحتضرت توجسا الوحي منها عند غاشيها

ويروى: حتى إذا استأنسا للصوت. وتوجسا: تسمعا. وحيها أي سرعة طيرانها. وغاشيها أي حين تغشاهما وتنتهي إليهما

ترفعا عن شؤون غير ذاكيةٍ على لديدي أعالي المهد أدحيها

الذاكية: الشديدة الحركة. والمهد: أفحوصها. ولديداه: جانباه

مدا إليها بأفواهٍ مزينةٍ صعداً ليستنزلا الأرزاق من فيها

كأنها حين مداها لجنأتها طلى بواطنها بالورس طاليها

جنأتها أي جنأت عليهما بصدرها لتزقهما

حثلين رضا رفاض البيض عن زغبٍ ورقٌ أسافلها بيضٌ أعاليها

حثلين: دقيقين ضاويين. رضا: كسرا. والرفاض: ما ارفض وتفرق

ترأدا حين قاما ثمت احتطبا على نحائف منآدٍ محانيها

ترأدا: تثنيا. واحتطبا: دلوا. والمنآد: المنعطف. ومحانيها: حيث انحنت

تكاد من لينها تنآد أسؤقها تأود الربل لم تعرم نواميها

تعرم: تشتد. ونواميها: أعاليها:

لا أشتكي نوشة الأيام من ورقي إلا إلى من أن سوف يشكيها

لدلهم مأثراتٌ قد عددن له إن المآثر معدودٌ مساعيها

تنمي به في بني لأيٍ دعائمها ومن جمانة لم نخضع سواريها

بنى له في بيوت المجد والده وليس من ليس يبنيها كبانيها

وأنشدني هذه الأبيات الحسن بن محمد الضبعي الشاعر المعروف بابن الحداد قال: وجدتها بخط محمد بن داود بن الجراح عن إسماعيل بن يونس الشيعي شيخنا رحمه الله عن أخيه عن أبي محلم مثل رواية ثعلب وزاد فيها: قال أبو محلم: جمانة ابن جرير بن عبد ثعلبة بن سعد بن الهجيم، وهم أخوال دلهم هذا الممدوح. ودلهم من بني لأي ثم من بني يزيد بن هلال بن بذل بن عمرو بن الهيثم، وكان أحد الشجعان، وهو قتل الضحاك بن قيس الخارجي بيده مع مروان بن محمد ليلة كفرتوثا.

أيها القلب لا أراك تفيق طالما قد تعلقتك العلوق

من يكن من هوى حبيبٍ قريباً فأنا النازح البعيد السحيق

قدر الحب بيننا فالتقينا وكلانا إلى اللقاء مشوق

الشعر لعمر بن أبي ربيعة وقد مضت أخباره. والغناء في اللحن المختار لبابويه الكوفي خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن سريج ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه أيضاً لمخارق خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي. وفيه لعلويه رملٌ بالبنصر عنه وعن الهشامي. وبابويه رجل من أهل الكوفة قليل الصنعة، ليس ممن خدم الخلفاء ولا الأكابر، ولا أعلم له خبراً فأذكره.

من القلب أضحى بكم مستهاما خائفاً للوشاة يخفي الكلاما

إن طرفي رسول نفسي ونفسي عن فؤادي تقرا عليك السلاما

لم يقع إلينا قائل الشعر فنذكر خبره. والغناء لرياض جارية أبي حماد خفيف ثقيل بالوسطى. وكان أبو حماد هذا أحد القواد الخراسانية ومن أولاد الدعاة، وكان يعاشر إسحاق ويبره ويهاديه، فأخذت رياض عنه غناءً كثيراً، وكانت محسنةً ضاربةً كثيرة الرواية، وأحب إسحاق أن ينوه باسمها ويرفع من شأنها، فذكر صنعتها في هذا

الصوت فيما اختاره للواثق قضاءً لحق مولاها. وليس فيما قلته في هذا لأن الصوت غير مختار ولكن في الغناء ما هو أفضل منه بكثير و لم يذكره، وقد فعل ذلك بجماعة ممن كان يوده ويتعصب له مثل متيم وأبي دلف وغيرهم. ومن يعلم هذه الصناعة يعرف صحة ما قلناه. وماتت رياض هذه مملوكةً لمولاها لم تخرج من يده ولا شهرت ولا روي لها خبر.

راح صحبي وعاود القلب داء ... من حبيبٍ طلابه لي عناء
حسن الرأي والمواعيد لا يل ... فى لشيء مما يقول وفاء
من تعزى عمن يحب فإني ... ليس لي ما حييت عنه عزاء
أم عثمان قد قتلت قتيلاً ... عمد عينٍ قتلته لا خطاء

لم يقع إلينا قائل هذا الشعر فنذكره. والغناء لنافع بن طنبورة، ولحنه المختار خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى. وفي هذا الشعر لحنٌ لعبد الله بن طاهر ثاني ثقيلٍ من جيد صنعته، وكان نسبه إلى لميس جاريته، وله خبر سنذكره في أخباره إذا انتهينا. وكان نافع بن طنبورة يكنى أبا عبد الله، مغنٍّ محسنٌ من أهل المدينة، حسن الوجه نظيف الثوب، يلقب نقش الغضار لحسن وجهه. وجعلته جميلة في المرتبة، لما اجتمع المغنون إليها، بعد نافع وبديح وقبل مالك بن أبي السمح. وغناها يومئذ:

يا طول ليلي وبت لم أنم ... وسادي الهم مبطنٌ سقمي
أن قمت يوماً على البلاط وأب ... صرت رقاشاً فليت لم أقم

فقالت جميلة: أحسنت والله يا نقش الغضار ويا حلو اللسان ويا حسن البيان!. و لم يفارق ابن طنبورة الحجاز ولا خدم الخلفاء ولا انتجعهم بصنعة فخمل ذكره.

عتق الفؤاد من الصبا ... ومن السفاهة والعلاق
وحططت رحلي عن قلو ... ص الغي في قلص عتاق
ورفعت فضل إزاري ال ... مجرور عن قدمي وساقي

وكففت غرب النفس حت ... ى ما تتوق إلى متاق

الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت. والغناء لابن عباد الكاتب. ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل، وقيل: إنه لغيره.

أخبار سعيد بن عبد الرحمن

وقد مضى نسبه في نسب جده حسان بن ثابت متدماً. وهو شاعر من شعراء الدولة الأموية، متوسطٌ في طبقته ليس معدوداً في الفحول. وقد وفد إلى الخلفاء من بني أمية فمدحهم ووصلوه. و لم تكن له نباهة أبيه وجده.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني أبو عمرو الخصاف عن العتبي قال: خرج سعيد بن عبد الرحمن بن حسان مع جماعة من قريش إلى الشأم في خلافة هشام بن عبد الملك، وسألهم معاونته، فلم يصادفوا من هشام له نشاطاً. وكان الوليد بن يزيد قد طلق امرأته العثمانية ليتزوج أختها، فمنعه هشام عن ذلك ونهى أباها أن يزوجه. فمر يوماً بالوليد وقد خرج من داره ليركب، فلما رآه وقف، فأمر به الوليد فدعي إليه، فلما جاءه قال: أنت ابن عبد الرحمن بن حسان؟ قال: نعم أيها الأمير. فقال له: ما أقدمك؟ قال: وفدت على أمير المؤمنين منتجعاً ومادحاً ومستشفعاً بجماعة صحبتهم من أهله، فلم أنل منه خطوةً ولا قبولاً. قال: لكنك تجد عندي ما تحب، فأقم حتى أعود. فأقام ببابه حتى دخل إلى هشامٍ وخرج من عنده، فنزل ودعا بسعيد، فدخل إليه، فأمر بتغيير هيئته وإصلاح شأنه، ثم قال له: أنشدني قصيدةً بلغتني لك فشوقتني إليك، وغنيت في بعضها، فلم أزل أتمنى لقاءك. فقال: أي قصيدة أيها الأمير؟ قال قولك:

أبائنةٌ سعدى ولم توف بالعهد ... ولم تشف قلباً تيمته على عمد

نعم أفمودٍ أنت إن شطت النوى ... بسعدى وما من فرقة الدهر من رد

كأن قد رأيت البين لا شيء دونه ... فم الآن أعلن ما تسر من الوجد

لعلك منها بعد أن تشحط النوى ... ملاقٍ كما لاقى ابن عجلان من هند

فويل ابن سلمى خلةً غير أنها ... تبلغ مني وهي مازحةٌ جدي

وتدنو لنا في القول وهى بعيدةٌ ... فما إن بسلمى من دنو ولا بعد

ومهما أكن جلدا عليه فإنني ... على هجرها غير الصبور ولا الجلد

إذا سمت نفسي هجرها قطعت به ... فجانبته فيما أسر وما أبدي

كأني أرى في هجرها أي ساعةٍ ... هممت به موتى وفي وصلها خلدي

ومن أجلها صافيت من لا تردني ... عليه له قربى ولا نعمةٌ عندي

وأغضيت عيني من رجالٍ على القذى ... يقولون أقوالاً أمضوا بها جلدي

وأقصيت من قد كنت أدني مكانه ... وأدنيت من قد كنت أقصيته جهدي

فإن يك أمسى وصل سلمى خلابةً ... فما أنا بالمفتون في مثلها وحدي

فأصبح ما منتك ديناً مسوفاً ... لواه غريمٌ ذو اعتلالٍ وذو جحد

تجود بتقريب الذي هو آجلٌ ... من الوعد ممطولٌ وتبخل بالنقد

وقد قلت إذ أهدت إلينا تحيةً عليها سلام الله من نازح مهدي

سقي الغيث ذاك الغور ما سكنت به ونجداً إذا صارت نواها إلى نجد

قال: فجعل ينشدها ودموع الوليد تنحدر على خديه حتى فرغ منها. ثم قال له: لن تحتاج إلى رفد أحد ولا معونته ما بقيت، وأمر له بخمسمائة درهم، وقال: إبعث بها إلى أهلك وأقم عندي، فلن تعدم ما تحبه ما بقيت. فلم يزل معه زماناً، ثم استأذنه وانصرف. وفي بعض هذه الأبيات غناءٌ نسبته:

أبائنةٌ سعدى ولم توف بالعهد ولم تشف قلباً أقصدته على عمد

ومهما أكن جلداً عليه فإنني على هجرها غير الصبور ولا الجلد

الغناء لمالك خفيف ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي. من هذه القصيدة:

وأغضيت عيني من رجال على القذى يقولون أقوالاً أمضوا بها جلدي

إذا سمت نفسي هجرها قطعت به فجانبته فيما أسر وما أبدي

الغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي ومحمد بن الضحاك بن عثمان قالا: وفد سعيد بن عبد الرحمن بن حسان على هشام بن عبد الملك وكان حسن الوجه، فاختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدب الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فأراده على نفسه، وكان لوطياً زنديقاً، فدخل سعيد على هشام مغضباً وهو يقول:

إنه والله لولا أنت لم ينج مني سالماً عبد الصمد

فقال له هشام: ولماذا؟ قال:

إنه قد رام مني خطةً لم يرمها قبله مني أحد

فقال: وما هي؟ قال:

رام جهلاً بي وجهلاً بأبي يدخل الأفعى إلى خيس الأسد

قال: فضحك هشام وقال له: لو فعلت به شيئاً لم أنكر عليك.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني عمر بن شبة قال أخبرنا ابن عائشة لا أعلمه إلا عن أبيه قال: سأل سعيد بن عبد الرحمن بن حسان صديقاً له حاجةً - وقال هشام بن محمد في خبره: سأل سعيد بن عبد الرحمن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم حاجةً - يكلم فيها سليمان بن عبد الملك فلم يقضها له، ففزع فيها إلى غيره فقضاها، فقال:

سئلت فلم تفعل وأدركت حاجتي تولى سواكم حمدها واصطناعها
أبى لك كسب الحمد رأي مقصرٌ ونفسٌ أضاق الله بالخير باعها
إذا ما أرادته على الخير مرةً عصاها وإن همت بشر أطاعها

قال ابن عمار: وقد أنشدنا هذه الأبيات سليمان بن أبي شيخ لسعيد بن عبد الرحمن و لم يذكر لها خبراً.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي عن ابن عائشة قال: قال رجلٌ من الأنصار لعدي بن الرقاع: أكتبني شيئاً من شعرك. قال: ومن أي العرب أنت؟ قال: أنا رجلٌ من الأنصار. قال: ومن منكم القائل:

إن الحمام إلى الحجاز بهيج لي طرباً ترنمه إذا يترنم
والبرق حين أشيمه متيامناً وجنائب الأرواح حين تنسم

فقال له: سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت. فقال: عليكم بصاحبكم فاكتب شعره، فلست تحتاج معه إلى غيره.

وفي أول هذه القصيدة غناءٌ نسبته:

برح الخفاء فأي ما بك تكتم والشوق يظهر ما تسر فيعلم
وحملت سقماً من علائق حبها والحب يعلقه الصحيح فيسقم

الغناء لحكم خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشامي، وذكره إبراهيم له و لم يجنسه وفي هذه القصيدة يقول:

علوية أمست ودون وصالها مضمار مصر وعابدٌ والقلزم
خودٌ تطيف بها نواعم كالدمى مما اصطفى ذو النيقة المتوسم
حلين مرجان البحور وجوهراً كالجمر فيه على النحور ينظم
قالت وماء العين يغسل كحلها عند الفراق بمستهل يسجم
يا ليت أنك يا سعيد بأرضنا تلقي المراسي ثاوياً وتخيم
فتصيب لذة عيشنا ورخاءه فنكون أجواراً فماذا تنقم
لا ترجعن إلى الحجاز فإنه بلدٌ به عيش الكريم مذمم
وهلم جاورنا فقلت له اقصري عيشٌ بطيبة ويح غيرك أنعم
أيفارق الوطن الحبيب لمنزلٍ ناءٍ ويشرى بالحديث الأقدم
إن الحمام إلى الحجاز يهيج لي طرباً ترنمه إذا يترنم

والبرق حين أشيمه متيامناً ... وجنائب الأرواح حين تنسم

لو لح ذو قسمٍ على أن لم يكن ... في الناس مشبهها لبر المقسم

من أجلها تركي القرار وخفضه ... وتجشمي ما لم أكن أتجشم

ولقد كتمت غداة بانت حاجةً ... في الصدر لم يعلم بها متكلم

تشفي برؤيتها السقيم وترتمى ... حب القلوب رميها لا يسلم

رقراقةٌ في عنفوان شبابها ... فيها عن الخلق الدني تكرم

ضنت على مغرىً بطول سؤالها ... صب كما يسل الغنيٌ المعدم

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو مسلم عن الحرمازي قال:
خرج سعيد بن عبد الرحمن بن حسان إلى عسكر يزيد بن عبد الملك، فأتى عنبسة بن سعيد بن العاصي، وكان أبوه صديقاً لأبيه، فسأله أن يرفع أمره إلى الخليفة، فوعده أن يفعل، فلم يمكث إلا يسيراً حتى طرقه لصٌ فسرق متاعه وكل شيء كان معه، فأتى عنبسة فتنجزه ما وعده، فاعتل عليه ودافعه، فرجع سعيد من عنده فارتجل وقال:

أعنبس قد كنت لا تعتزي ... إلى عدةٍ منك كانت ضلالا

وعدت عداتٍ لو انجزتها ... إذا لحمدت ولم ترز مالا

وما كان ضرك لو قد شفعت ... فأعطى الخليفة عفواً نوالا

وقد ينجز الحر موعوده ... ويفعل ما كان بالأمس قالا

فيا ليتني والمنى كاسمها ... وقد يصرف الدهر حالاً فحالا

قعدت ولم ألتمس ما وعدت ... ويا ليت وعدك كان اعتلالا

وكانت نعم منك مخزونةً ... وقلت من أول يوم ألالا

أرى كذب القول من شر ما ... يعد إذا الناس عدوا الخصالا

فأبقيت لي عنك مندوحةً ... ونفساً عزوفاً تقل السؤالا

فإن عدت أرجوكم بعدها ... فبدلت بعد العلاء السفالا

أأرجوك من بعد ما قد عزفت ... لعمري لقد جئت شيئاً عضالا

نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني يأثره عن أبيه قال: كان سعيد بن عبد الرحمن بن حسان إذا وفد إلى الشأم نزل على الوليد بن يزيد، فأحسن نزله وأعطاه وكساه وشفع له. فلما حج الوليد لقيه سعيد بن عبد

الرحمن في أول من لقيه، فسلم عليه، فرد الوليد عليه السلام وحياه وقربه وأمر بإنزاله معه وبسطه، و لم يأنس بأحد أنسه به. وأنشده سعيدٌ قوله فيه:

يا لقومي للهجر بعد التصافي وتنائى الجميع بعد ائتلاف
ما شجا القلب بعد طول اندمال غير هابٍ كالفرخ بين أثافي
ونعيب الغراب في عرصة الدا ر ونؤيٍ تسقي عليه السوافي

وقد روى عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان قال: رأى علي ابن عمر أوضاحاً فقال: ألقها عنك فقد كبرت.

ما جرت خطرةٌ على القلب مني فيك إلا استترت عن أصحابي
من دموعٍ تجري فإن كنت وحدي خالياً أسعدت دموعي انتحابي
إن حبي إياك قد سل جسمي ورماني بالشيب قبل الشباب
إرحمي عاشقاً لك اليوم صبا هائم العقل قد ثوى في التراب

الشعر للسيد الحميري، والغناء لمحمد نعجة خفيف رمل أيضاً. و لم أجد لهذا المغني خبراً ولا ذكراً في موضع من المواضع أذكره. وقد مضت أخبار السيد متقدماً.

أكرع الكرعة الروية منها ثم أصحو وما شفيت غليلي
كم أتى دون عهد أم جميل من أني حاجةٍ ولبثٍ طويل
وصياح الغراب أن سر فأسرع سوف تحظى بنائلٍ وقبول

الشعر للأحوص. والغناء للبردان خفيف ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر.

أخبار البردان

البردان لقب غلب عليه. ومن الناس من يقول: بردان من أهل المدينة، وأخذ الغناء عن معبد وقبله عن جميلة وعزة الميلاء. وكان معدلاً مقبول الشهادة، وكان متولي السوق بالمدينة.

قال هارون بن الزيات حدثني أبو أيوب المديني عن محمد بن سلام قال: هو بردان بضم الباء وتسكين الراء.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر وحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه قال قال إسحاق: كان بردان متولي السوق بالمدينة. فقدم إليه رجل خصماً يدعي عليه حقا، فوجب الحكم عليه فأمر به إلى الحبس. فقال له الرجل: أنت بغير هذا أعلم منك بهذا. فقال: ردوه فرد، فقال: لعلك تعني الغناء! إني والله به لعارف، ولو سمعت شيئاً جاء البارحة لازددت علماً بأني عارف، ومهما جهلت فإني بوجوب الحق عليك عالم، اذهبوا به إلى الحبس حتى يخرج إلى غريمه من حقه.

قال وحدثني أبو أيوب عن حماد عن أبيه عن ابن جامع عن سياط قال: رأيت البردان بالمدينة يتولى سوقها وقد أسن، فقلت له: يا عم، إني رويت لك صوتاً صنعته، وأحببت أن تصححه لي. فضحك ثم قال: نعم يا بني وحباً وكرامة. لعله:

كم أتى دون عهد أم جميل

فقلت: قال: مل بنا إلى ها هنا، فمال بي إلى دار في السوق، ثم قال: غنه، فقلت: بل تتم إحسانك يا عم وتغنيني به فإنه أطيب لنفسي، فإن سمعته كما أقول غنيته وأنا غير متهيب، وإن كان فيه مستصلحٌ استعدته. فضحك ثم قال: أنت لست تريد أن تصحح غنائك، إنما تريد أن تقول سمعتني وأنا شيخ وقد انقطعت وأنت شاب. فقلت للجماعة: إن رأيتم أن تسألوه أن يشفعني فيما طلبت منه! فسألوه، فاندفع فغناه فأعاده ثلاث مرات، فما رأيت أحسن من غنائه على كبر سنه ونقصان صوته. ثم قال: غنه فغنيته، فطرب الشيخ حتى بكى، وقال: اذهب يا بني، فأنت أحسن الناس غناءً، ولئن عشت ليكونن لك شأن. قال: وكان بردان خفيف الروح طيب الحديث مليح النادرة مقبول الشهادة قد لقي الناس، فكان بعد ذلك إذا رآني يدعوني فيأخذني معه إلى منزله ويسألني أن أغنيه فأفعل، فإذا طابت نفسه سألته أن يطرح علي شيئاً من أغاني القدماء فيفعل إلى أن أخذت عنه عدة أصوات.

لمن الديار بحائلٍ فوعال ... درست وغيرها سنون خوالي
درج البوارح فوقها فتنكرت ... بعد الأنيس معارف الأطلال
دمنٌ تذعذعها الرياح وتارةً ... تعفو بمرتجز السحاب ثقال
فكأنما هي من تقادم عهدها ... ورقٌ نشرن من الكتاب بوالي

الشعر للأخطل، والغناء لسائب خاثر، ولحنه المختار من الثقيل الأول بالبنصر من أصوات قليلة الأشباه. وذكر عمرو بن بانة أن في الثاني والرابع من الأبيات للأبجر ثقيلاً أول. وذكر حبش أن لمعبد فيه ثقيلاً أول بالوسطى وأنه أحد السبعة، وأن لإسحاق فيه ثاني ثقيل، وذكر الهشامي أن لحن إسحاق خفيف ثقيل.

ذكر الأخطل وأخباره ونسبه

هو غياث بن غوث بن الصلت بن الطارقة، ويقال ابن سيحان بن عمرو بن الفدوكس بن عمرو بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمر بن غنم بن تغلب. ويكنى أبا مالك. وقال المدائني: هو غياث بن غوث بن سلمة بن طارقة، قال: ويقال لسلمة سلمة اللحام. قال: وبعث النعمان بن المنذر بأربعة أرماح لفرسان العرب، فأخذ أبو براء عامر بن مالك رمحاً، وسلمة بن طارقة اللحام رمحاً وهو جد الأخطل، وأنس بن مدرك رمحاً،

وعمرو بن معد يكرب رمحا.

والأخطل لقبٌ غلب عليه. ذكر هارون بن الزيات عن ابن النطاح عن أبي عبيدة أن السبب فيه أنه هجا رجلاً من قومه، فقال له: يا غلام، إنك لأخطل، فغلبت عليه. وذكر يعقوب بن السكيت أن عتبة بن الزعل بن عبد الله بن عمر بن عمرو بن حبيب بن الهجرس بن تيم بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب حمل حمالةً، فأتى قومه يسأل فيها، فجعل الأخطل يتكلم وهو يومئذ غلام. فقال عتبة: من هذا الغلام الأخطل؟! فلقب به.

قال يعقوب وقال غير أبي عبيدة: إن كعب بن جعيل كان شاعر تغلب، وكان لا يأتي منهم قوماً إلا أكرموه وضربوا له قبة، حتى إنه كان تمد له حبالٌ بين وتدين فتملأ له غنما. فأتى في مالك بن جشم ففعلوا ذلك به، فجاء الأخطل وهو غلام فأخرج الغنم وطردها، فسبه عتبة ورد الغنم إلى مواضعها، فعاد وأخرجها وكعبٌ ينظر إليه، فقال: إن غلامكم هذا لأخطل - والأخطل: السفيه - فغلب عليه. ولج الهجاء بينهما، فقال الأخطل فيه:

سميت كعباً بشر العظام ... وكان أبوك يسمى الجعل

وإن محلك من وائلٍ ... محل القراد من است الجمل

فقال كعب: قد كنت أقول لا يقهرني إلا رجل له ذكرٌ ونبأ، ولقد أعددت هذين البيين لأن أهجى بهما منذ كذا وكذا، فغلب عليهما هذا الغلام.

وقال هارون بن الزيات حدثني قبيصة بن معاوية المهلبي قال حدثني عيسى بن إسماعيل قال حدثني القحذمي قال: وقع بين ابني جعيل وأمهما ذرءٌ من كلام، فأدخلوا الأخطل بينهم، فقال الأخطل:

لعمرك إنني وابني جعيلٍ ... وأمهما لإستارٌ لئيم

فقال ابن جعيل: يا غلام، إن هذا لخطلٌ من رأيك، ولولا أن أمي سمية أمك لتركت أمك يحدو بها الركبان، فسمي الأخطل يذلك. وكان اسم أمهما وأمم الأخطل ليلى.

وقال هارون حدثني إسماعيل بن مجمع عن ابن الكلبي عن قومٍ من تغلب في قصة كعب بن جعيل والأخطل بمثل ما ذكره يعقوب عن غير أبي عبيدة ممن لم يسمه، وقال فيها: وكان الأخطل يومئذ يقرزم - والقرزمة: الابتداء بقول الشعر - فقال له أبوه: أبقرزمتك تريد أن تقاوم ابن جعيل! وضربه. قال: وجاء ابن جعيل على تفئة ذلك فقال: من صاحب الكلام؟ فقال أبوه: لا تحفل به فإنه غلام أخطل. فقال له كعب:

شاهد هذا الوجه غب الحمة

فقال الأخطل:

فناك كعب بن جعيلٍ أمة

فقال كعب: ما اسم أمك؟ قال: ليلى. قال: أردت أن تعيذها باسم أمي. قال: لا أعاذها الله إذاً. وكان اسم أم الأخطل ليلى، وهي امرأة من إياد، فيسمي الأخطل يومئذ، وقال:

هجا الناس ليلى أم كعبٍ فمزقت ... فلم يبق إلا نفنفٌ أنا رافعة

وقال فيه أيضاً:

هجاني المنتنان ابنا جعيلٍ ... وأي الناس يقتله الهجاء

ولدتم بعد إخوتكم من استٍ ... فهلا جئتم من حيث جاؤوا

فانصرف كعب، ولج الهجاء بينهما.

وكان نصرانياً من أهل الجزيرة. ومحله في الشعر أكبر من أن يحتاج إلى وصف. وهو وجرير والفرزدق طبقةٌ واحدة، فجعلها ابن سلام أول طبقات الإسلام. و لم يقع إجماع على أحدهم أنه أفضل، ولكل واحدٍ منهم طبقةٌ تفضله عن الجماعة.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن أبي عبيدة قال: جاء رجلٌ إلى يونس فقال له: من أشعر الثلاثة؟ قال: الأخطل. قلنا: من الثلاثة؟ قال: أي ثلاثة ذكروا فهو أشعرهم. قلنا: عمن تروي هذا؟ قال: عن عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق الحضرمي وأبي عمرو بن العلاء وعنبسة الفيل وميمون الأقرن الذين ماشوا الكلام وطرقوه. أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز قال قال أبو عبيدة عن يونس، فذكر مثله وزاد فيه: لا كأصحابك هؤلاء لا بدويون ولا نحويون. فقلت للرجل: سله وبأي شيء فضلوه؟ قال: بأنه كان أكثرهم عدد طوالٍ جيادٍ ليس فيها سقطٌ ولا فحش وأشدهم تهذيباً للشعر. فقال أبو وهب الدقاق: أما إن حماد وجناداً كانا لا يفضلانه. فقال: وما حماد وجناد! لا نحويان ولا بدويان ولا يبصران الكسور ولا يفصحان، وأنا أحدثك عن أبناء تسعين أو كثر أدوا إلى أمثالهم ماشوا الكلام وطرقوه حتى وضعوا أبنيته فلم تشذ عنهم زنة كلمة، وألحقوا السليم بالسليم والمضاعف بالمضاعف والمعتل بالمعتل والأجوف بالأجوف وبنات الياء بالياء وبنات الواو بالواو، فلم تخف عليهم كلمةٌ عربية، وما علم حمادٍ وجناد!.

قال هارون حدثني القاسم بن يوسف عن الأصمعي: أن الأخطل كان يقول تسعين بيتاً ثم يختار منها ثلاثين فيطيرها.

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب قال أخبرنا محمد بن سلام قال سمعت سلمة بن عياش وذكر أهل المجلس جريراً والفرزدق والأخطل ففضله سلمة عليهما. قال: وكان إذا ذكر الأخطل يقول: ومن مثل الأخطل وله في كل بيت، شعرٍ بيتان! ثم ينشد قوله:

ولقد علمت إذا العشار تروحت ... هدج الرئال تكبهن شمالا

أنا نعجل بالعبيط لضيفنا ... قبل العيال ونضرب الأبطالا

ثم يقول ولو قال:

ولقد علمت إذا العشا ر تروحت هدج الرئال

كان شعراً، وإذا زدت فيه تكبهن شمالاً، كان أيضاً شعراً من رويٍّ آخر.

أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو يحيى الضبي قال: كعب بن جعيل لقبه الأخطل، سمعه ينشد هجاءً فقال: يا غلام إنك لأخطل اللسان، فلزمته.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري فال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية قال حدثنا بعض أصحابنا عن رجل من بني سعد قال:

كنت مع نوح بن جرير في ظل شجرة، فقلت له: قبحك الله وقبح أباك! أما أبوك فأفنى عمره في مديح عبد ثقيف يعني الحجاج. وأما أنت فامتدحت قثم بن العباس فلم تهتد لمناقبه ومناقب آبائه حتى امتدحته بقصرٍ بناه. فقال: والله لئن سؤتني في هذا الموضع لقد سؤت فيه أبي: بينا أنا آكل معه يوماً وفي فيه لقمةٌ وفي يده أخرى، فقلت: يا أبت، أنت أشعر أم الأخطل؟ فجرض باللقمة التي في فيه ورمى بالتي في يده وقال: يا بني، لقد سررتني وسؤتني. فأما سرورك إياي فلتعهدك لي مثل هذا وسؤالك عنه. وأما ما سؤتني به فلذكرك رجلاً قد مات. يا بني أدركت الأخطل وله نابٌ واحد، ولو أدركته وله ناب آخر لأكلني به، ولكني أعانتني عليه خصلتان: كبر سن، وخبث دين.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد وقال: سئل حماد الراوية عن الأخطل، فقال: ما تسألوني عن رجلٍ قد حبب شعره إلى النصرانية! قال إسحاق وحدثني أبو عبيدة قال قال أبو عمرو: لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما قدمت عليه أحداً.

قال إسحاق وحدثني الأصمعي أن أبا عمرو أنشد بيت شعر، فاستجاده وقال: لو كان للأخطل ما زاد.

وذكر يعقوب بن السكيت عن الأصمعي عن أبي عمرو: أن جريراً سئل أي الثلاثة أشعر؟ فقال: أما الفرزدق فتكلف مني ما لا يطيق. وأما الأخطل فأشدنا اجتراءً وأرمانا للفرائض. وأما أنا فمدينة الشعر.

وقال ابن النطاح حدثني الأصمعي قال: إنما أدرك جريرٌ الأخطل وهو شيخٌ قد تحطم. وكان الأخطل أسنٌ من جرير، وكان جرير يقول: أدركته وله نابٌ واحد، ولو أدركت له نابين لأكلني. قال: وكان أبو عمرو يقول: لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما فضلت عليه أحداً.

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: قال العلاء بن جرير: إذا لم يجيء الأخطل سابقاً فهو سكيتٌ، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سكيتاً، وجرير يجيء سابقاً ومصلياً وسكيتاً.

وقال يعقوب بن السكيت قال الأصمعي: قيل لجرير: ما تقول في الأخطل؟ قال: كان أشدنا اجتراء بالقليل وأنعتنا للحمر والخمر.

وروى إسماعيل عن عبيد الله عن مؤرج عن شعبة عن سماك بن حرب: أن الفرزدق دخل الكوفة، فلقيه ضوء بن

اللجلاج، فقال له: من أمدح أهل الإسلام؟ فقال له: وما تريد إلى ذلك؟ قال: تمارينا فيه. قال: الأخطل أمدح العرب.

وقال هارون بن الزيات حدثني هارون بن مسلم عن حفص بن عمر قال: سمعت شيخاً كان يجلس إلى يونس كان يكنى أبا حفص، فحدثه أنه سأل جريراً عن الأخطل فقال: أمدح الناس لكريمٍ وأوصفه للخمر. قال: وكان أبو عبيدة يقول: شعراء الإسلام الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق. قال أبو عبيدة: وكان أبو عمرو يشبه الأخطل بالنابغة لصحة شعره.

وقال ابن النطاح حدثني عبد الله بن رؤبة بن العجاج قال: كان أبو عمرو يفضل الأخطل.

وقال ابن النطاح حدثني عبد الرحمن بن برزج قال: كان حماد يفضل الأخطل على جرير والفرزدق. فقال له الفرزدق: إنما تفضله لأنه فاسق مثلك. فقال: لو فضلته بالفسق لفضلتك.

قال ابن النطاح قال لي إسحاق بن مرار الشيباني: الأخطل عندنا أشعر الثلاثة. فقلت: يقال إنه أمدحهم! فقال: لا والله! ولكن أهجاهم. من منهما يحسن أن يقول:

ونحن رفعنا عن سلول رماحنا وعمداً رغبنا عن دماء بني نصر

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال: قال الأخطل: أشعر الناس قبيلةً بنو قيس بن ثعلبة، وأشعر الناس بيتاً آل أبي سلمى وأشعر الناس رجل في قميصي.

أخبرني الحسن قال حدثني محمد قال حدثني الخراز عن المدائني عن علي بن حماد - هكذا قال، وأظنه علي بن مجاهد - قال: قال الأخطل لعبد الملك: يا أمير المؤمنين، زعم ابن المراغة أنه يبلغ مدحتك في ثلاثة أيام وقد أقمت في مدحتك:

خف القطين فراحوا منك أو بكروا

سنةً فما بلغت كل ما أردت. فقال عبد الملك: فأسمعناها يا أخطل، فأنشده إياها، فجعلت أرى عبد الملك يتطاول لها، ثم قال: ويحك يا أخطل! أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب؟ قال: أكتفي بقول أمير المؤمنين. وأمر له بجفنةٍ كانت بين يديه فملئت دراهم وألقى عليه خلعاً، وخرج به مولى لعبد الملك على الناس يقول: هذا شاعر أمير المؤمنين، هذا أشعر العرب.

وقال ابن الزيات حدثني جعفر بن محمد بن عيينة بن المنهال عن هشام عن عوانة قال: أنشد عبد الملك قول كثير فيه:

فما تركوها عنوةً عن مودةٍ ولكن بحد المشرفي استقالها

فأعجب به. فقال له الأخطل: ما قلت لك والله يا أمير المؤمنين أحسن منه. قال: وما قلت؟ قال قلت:

أهلوا من الشهر الحرام فأصبحوا موالي ملكٍ لا طريفٍ ولا غصب

جعلته لك حقاً وجعلك أخذته غصباً، قال: صدقت.

قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال أخبرنا عمر بن شبة قال أخبرنا أبو دقاقة الشامي مولى قريش عن شيخ من قريش قال: رأيت الأخطل خارجاً من عند عبد الملك، فلما انحدر دنوت منه فقلت: يا أبا مالك، من أشعر العرب؟ قال: هذان الكلبان المتعاقران من بني تميم. فقلت: فأين أنت منهما؟ قال: أنا واللات أشعر منهما. قال: فحلف باللات هزؤاً واستخفافاً بدينه.

وروى هذا الخبر أبو أيوب المديني عن المدائني عن عاصم بن شنل الجرمي أنه سأل الأخطل عن هذا، فذكر نحوه، وقال: واللات والعزى.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال ذكر الحرمازي: أن رجلاً من بني شيبان جاء إلى الأخطل فقال له: يا أبا مالك، إنا، وإن كنا بحيث تعلم من افتراق العشيرة واتصال الحرب والعداوة، تجمعنا ربيعة، وإن لك عندي نصحاً. فقال: هاته، فما كذبت. فقلت: إنك قد هجوت جريراً ودخلت بينه وبين الفرزدق وأنت غنيٌّ عن ذلك ولا سيما أنه يبسط لسانه بما ينقبض عنه لسانك ويسب ربيعة سباً لا تقدر على سب مضر بمثله والملك فيهم والنبوة قبله، فلو شئت أمسكت عن مشارته ومهارته. فقال: صدقت في نصحك وعرفت مرادك، وصلتك رحمٌ! فو الصليب والقربان لأتخلصن إلى كليب خاصةً دون مضر بما يلبسهم خزيه ويشملهم عاره. ثم اعلم أن العالم بالشعر لا يبالي وحق الصليب إذا مر به البيت المعاير السائر الجيد، أمسلمٌ قاله أم نصراني.

أخبرني وكيع قال حدثني أبو أيوب المديني عن أبي الحسن المدائني قال: أصبح عبد الملك يوماً في غداةٍ باردة، فتمثل قول الأخطل:

إذا اصطبح الفتى منها ثلاثاً بغير الماء حاول أن يطولا

مشى قرشيةً لا شك فيها وأرخى من مآزره الفضولا

ثم قال: كأني أنظر إليه الساعة مجلل الإزار مستقبل الشمس في حانوت من حوانيت دمشق، ثم بعث رجلاً يطلبه فوجده كما ذكره.

وقال هارون بن الزيات حدثني طائع عن الأصمعي قال: أنشد أبو حية النميري يوماً أبا عمرو:

يا لمعدٍّ ويا للناس كلهم ويا لغائبهم يوماً ومن شهدا

كأنه معجبٌ بهذا البيت، فجعل أبو عمرو يقول له: إنك لتعجب بنفسك كأنك الأخطل.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الغلابي عن عبد الرحمن التيمي عن هشام بن سليمان المخزومي: أن الأخطل قدم على عبد الملك، فنزل على ابن سرحون كاتبه. فقال عبد الملك: على من نزلت؟ قال: على فلان. قال:

قاتلك الله! ما أعلمك بصالح المنازل! فما تريد أن يتزلك؟ قال: درمكٌ من درمككم هذا ولحمٌ وخمر من بيت رأس. فضحك عبد الملك ثم قال له: ويلك! وعلى أي شيء اقتتلنا إلا على هذا!. ثم قال: ألا تسلم فنفرض لك في الفيء ونعطيك عشرة آلاف؟ قال: فكيف بالخمر؟ فال: وما تصنع بها وإن أولها لمر وإن آخرها لسكر! فقال: أما إذ قلت ذلك فإن فيما بين هاتين لمنزلةً ما ملكك فيها إلا كعلقة ماء من الفرات بالإصبع. فضحك ثم قال: ألا تزور الحجاج! فإنه كتب يستزيرك. فقال: أطائعٌ أم كاره؟ قال: بل طائع. قال: ما كنت لأختار نواله على نوالك ولا قربه على قربك، إنني إذاً لكما فال الشاعر:

كمبتاعٍ ليركبه حماراً تخيره من الفرس الكبير

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمره بمدح الحجاج؟ فمدحه بقوله:

صرمت حبالك زينبٌ ورعوم وبدا المجمجم منهما المكتوم

ووجه بالقصيدة مع ابنه إليه وليست من جيد شعره.

وقال هارون بن الزيات حدثني محمد بن إسماعيل عن أبي غسان قال: ذكروا الفرزدق وجريراً في حلقة المدائني، فقلت لصباح بن خاقان: أنشدك بيتين للأخطل وتجيء لجرير والفرزدق بمثلهما؟ قال: هات، فأنشدته:

ألم يأتها أن الأراقم فلقت جماجم قيسٍ بين راذان والحضر

جماجم قومٍ لم يعافوا ظلامةً ولم يعرفوا أين الوفاء من الغدر

قال: فسكت.

قال إسحاق وحدثني أبو عبيدة أن يونس سئل عن جرير والفرزدق والأخطل: أيهم أشعر؟ قال: أجمعت العلماء على الأخطل. فقلت لرجل إلى جنبه: سله ومن هم؟ فقال: من شئت، ابن أبي إسحاق وأبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وعنبسة الفيل وميمون الأقرن، هؤلاء طرقوا الكلام وماشوه لا كمن تحكمون عنه لا بدويين ولا نحويين. فقلت !لرجل: سله: وبأي شيء فضل على هؤلاء؟ قال: بأنه كان أكثرهم عدد قصائد طوالٍ جيادٍ ليس فيها فحش ولا سفط. قال أبو عبيدة: فنظرنا في ذلك فوجدنا للأخطل عشراً بهذه الصفة وإلى جانبها عشراً إن لم تكن مثلها فليست بدونها، ووجدنا لجرير بهذه الصفة ثلاثاً. قال إسحاق: فسألت أبا عبيدة عن العشر فقال:

عفا واسطٌ من آل رضوى فنبتل

وتأبد الربع من سلمى بأحفار

وخف القطين فراحوا منك وابتكروا

وكذبتك عينك أم رأيت بواسطٍ

ودع المعمر لا تسأل بمصرعه

ولمن الديار بحائلٍ فوعال

قال إسحاق: و لم أحفظ بقية العشر. قال: وقصائد جرير:

حي الهدملة من ذات المواعيس

وألا طرقتك وأهلي هجود

وأهوى أراك برامتين وقودا

قال وقال أبو عبيدة: الأخطل أشبه بالجاهلية وأشدهم أسر شعرٍ وأقلهم سقطا وأخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة عن أبي عبيدة مثله. وفي بعض هذه القصائد التي ذكرت للأخطل أغانٍ هذا موضع ذكرها.

منها:

تأبد الربع من سلمى بأحفار وأقفرت من سليمى دمنة الدار

وقد تحل بها سلمى تجاذبني تساقط الحلي حاجاتي وأسراري

غناه عمر الوادي هزجاً بالسبابة في مجرى الوسطى. وسنذكر خبر هذا الشعر في أخبار عبد الرحمن بن حسان لما هجاه الأخطل وهجا الأنصار، إذ كان هذا الشعر قيل في ذلك.

ومنها:

خف القطين فراحوا منك وابتكروا وأزعجتهم نوىً في صرفها غير

كأنني شارب يوم استبد بهم من قهوةٍ ضمنتها حمص أو جدر

جادت بها من ذوات القار مترعةٌ كلفاء ينحت عن خرطومها المدر

غناه إبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر. ولابن سريج فيه رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه رمل آخر يقال: إنه لعلوية، ويقال: إنه لإبراهيم. وفيه لعلوية خفيف ثقيل آخر لا يشك فيه.

وقال هارون بن الزيات حدثني ابن النطاح عن أبي عمرو الشيباني عن رجل من كلب يقال له مهوش عن أبيه: أن عمر بن الوليد بن عبد الملك سأل الأخطل عن أشعر الناس، قال: الذي كان إذا مدح رفع، وإذا هجا وضع. قال: ومن هو؟ قال: الأعشى. قال: ثم من؟ قال: ابن العشرين يعني طرفة. قال: ثم من؟ قال: أنا.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال أخبرنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو بكر العليمي قال حدثنا أبو قحافة المري عن أبيه قال: دخل الأخطل على بشر بن مروان وعنده الراعي، فقال له بشرٌ: أنت أشعر أم هذا؟ قال: أنا أشعر منه وأكرم.

فقال للراعي: ما تقول! قال: أما أشعر مني فعسى، وأما أكرم فإن كان في أمهاته من ولدت مثل الأمير فنعم.

فلما خرج الأخطل قال له رجلٌ: أتقول لخال الأمير أنا أكرم منك!. قال: ويلك! إن أبا نسطوس وضع في رأسي أكؤساً ثلاثاً، فوالله ما أعقل معها.

قال: ودخل الأخطل على عبد الملك بن مروان، فاستنشده، فقال: قد يبس حلقي، فمر من يسقيني. فقال: اسقوه ماء. فقال: شراب الحمار، وهو عندنا كثير. قال: فاسقوه لبناً. قال: عن اللبن فطمت. قال: فاسقوه عسلاً. قال: شراب المريض. قال: فتريد ماذا؟ قال: خمراً يا أمير المؤمنين. قال: أو عهدتني أسقي الخمر لا أم لك! لولا حرمتك بنا لفعلت بك وفعلت!. فخرج فلقي فراشاً لعبد الملك فقال: ويلك! إن أمير المؤمنين استنشدني وقد صحل صوتي، فاسقني شربة خمر فسقاه، فقال: اعدله بآخر فسقاه آخر. فقال: تركتهما يعتركان في بطني، إسقني ثالثاً فسقاه ثالثاً. فقال: تركتني أمشي على واحدة، إعدل ميلي برابع فسقاه رابعاً، فدخل على عبد الملك فأنشده:

خف القطين فراحوا منك وابتكروا وأزعجتهم نوًى في صرفها غير

فقال عبد الملك: خذ بيده يا غلام فأخرجه، ثم ألق عليه من الخلع ما يغمره، وأحسن جائزته، وقال: إن لكل قوم شاعراً وإن شاعر بني أمية الأخطل.

أخبرني أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سلام قال قال أبان بن عثمان حدثني سماك بن حرب عن ضوء بن اللجلاج قال: دخلت حماماً بالكوفة وفيه الأخطل، قال فقال: ممن الرجل؟ قلت: من بني ذهل. قال: أتروي للفرزدق شيئاً؟ قلت نعم. قال: ما أشعر خليلي! على أنه ما أسرع ما رجع في هبته. قلت: وما ذاك؟ قال قوله:

أبنى غدانة إنني حررتكم فوهبتكم لعطية بن جعال

لولا عطية لاجت دعت أنوفكم من بين ألام آنفٍ وسبال

وهبهم في الأول ورجع في الآخر. فقلت: لو أنكر الناس كلهم هذا ما كان ينبغي أن تنكره أنت. قال: كيف؟ قلت: هجوت زفر بن الحارث ثم خوفت الخليفة منه فقلت:

بني أمية إني ناصحٌ لكم فلا يبيتن فيكم آمنا زفر

مفترشاً كافتراش الليث كلكله لوقعةٍ كائنٍ فيها له جزر

ومدحت عكرمة بن ربعي فقلت:

قد كنت أحسبه قيناً وأخبره فاليوم طير عن أثوابه الشرر

قال: لو أردت المبالغة في هجائه ما زدت على هذا. فقال له الأخطل: والله لولا أنك من قوم سبق لي منهم ما سبق لهجوتك هجاءً يدخل معك قبرك. ثم قال:

ما كنت هاجي قومٍ بعد مدحهم ولا تكدر نعمى بعد ما تجب

أخرج عني.

وقال هارون بن الزيات حدثني أحمد بن إسماعيل الفهري عن أحمد بن عبد العزيز بن علي بن ميمون عن معن بن خلاد عن أبيه قال: لما استنزل عبد الملك زفر بن الحارث الكلابي من قرقيسيا، أقعده معه على سريره، فدخل عليه ابن ذي الكلاع. فلما نظر إليه مع عبد الملك على السرير بكى. فقال له: ما يبكيك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كيف لا أبكي وسيف هذا يقطر من دماء قومي في طاعتهم لك وخلافه عليك، ثم هو معك على السرير وأنا على الأرض! قال: إني لم أجلسه معي أن يكون أكرم علي منك، ولكن لسانه لساني وحديثه يعجبني. فبلغت الأخطل وهو يشرب فقال: أما والله لأقومن في ذلك مقاماً لم يقمه ابن ذي الكلاع! ثم خرج حتى دخل على عبد الملك. فلما ملأ عينه منه قال:

وكأسٍ مثل عين الديك صرفٍ ... تنسي الشاربين لها العقولا

إذا شرب الفتى منها ثلاثاً ... بغير الماء حاول أن يطولا

مشى قرشية لا شك فيها ... وأرخى من مآزره الفضولا

فقال له عبد الملك: ما أخرج هذا منك يا أبا مالك إلا خطةٌ في رأسك. قال: أجل والله يا أمير المؤمنين حين تجلس عدو الله هذا معك على السرير وهو القائل بالأمس:

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

قال: فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدر زفر فقلبه عن السرير وقال: أذهب الله حزازات تلك الصدور. فقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين والعهد الذي أعطيتني!. فكان زفر يقول: ما أيقنت بالموت قط إلا تلك الساعة حين قال الأخطل ما قال.

وقال هارون بن الزيات حدثني هارون بن مسلم عن سعيد بن الحارث عن عبد الخالق بن حنظلة الشيباني قال: قال الأخطل: فضلت الشعراء في المديح والهجاء والنسيب بما لا يلحق بي فيه. فأما النسيب فقولي:

ألا يا اسلمي يا هند هند بني بدر ... وإن كان حيانا عدًى آخر الدهر

من الخفرات البيض أما وشاحها ... فيجري وأما القلب منها فلا يجري

تموت وتحيا بالضجيع وتلتوي ... بمطرد المتنين منبتر الخصر

وقولي في المديح:

نفسي فداء أمير المؤمنين إذا ... أبدى النواجذ يوماً عارمٌ ذكر

الخائض الغمرة الميمون طائره ... خليفة الله يستسقى به المطر

وقولي في الهجاء:

وكنت إذا لقيت عبيد تيمٍ وتيماً قلت أيهم العبيد

لئيم العالمين يسود تيماً وسيدهم وإن كرهوا مسود

قال عبد الخالق: وصدق لعمري، لقد فضلهم.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة عن أحمد بن معاوية عن محمد بن داود قال: طلق أعرابيٌّ امرأته فتزوجها الأخطل، وكان الأخطل قد طلق امرأته قبل ذلك. فبينا هي معه إذ ذكرت زوجها الأول فتنفست، فقال الأخطل:

كلانا على هم يبيت كأنما بجنبيه من مس الفراش قروح

على زوجها الماضي تنوح وإنني على زوجتي الأخرى كذلك أنوح

أخبرني الحسن بن علي قال أخبرنا أحمد بن زهير بن حرب عن خالد بن خداش: أن الأخطل قال لعبد الملك بن المهلب: ما نازعتني نفسي قط إلى مدح أحدٍ ما نازعتني إلى مدحكم، فأعطني عطيةً تبسط بها لساني، فوالله لأردينكم أرديةً لا يذهب صقالها إلى يوم القيامة. فقال: أعلم والله يا أبا مالك أنك بذلك مليء، ولكني أخاف أن يبلغ أمير المؤمنين أني أسأل في غرم وأعطى الشعراء فأهلك ويظن ذلك مني حيلةً. فلما قدم على إخوته لاموه كل اللوم فيما فعله. فقال: قد أخبرته بعذري.

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال أبو الخطاب حدثني نوح بن جرير قال: قلت لأبي: أنت أشعر أم الأخطل؟ فنهرني وقال: بئس ما قلت! وما أنت وذاك لا أم لك! فقلت: وما أنا وغيره! قال: لقد أعنت عليه بكفر وكبر سن، وما رأيته إلا خشيت أن يبتلعني.

أخبرني عمي عن الكراني عن دماذ عن أبي عبيدة قال: قال رجل لأبي عمرو: يا عجباً للأخطل! نصراني كافر يهجو المسلمين!. فقال أبو عمرو: يالكع! لقد كان الأخطل يجيء وعليه جبة خز وحرز خز، في عنقه سلسلة ذهب فيها صليب ذهب تنفض لحيته خمراً حتى يدخل على عبد الملك بن مروان بغير إذن.

وقال هارون حدثني أحمد بن إسماعيل الفهري عن أحمد بن عبد الله بن علي الدوسي عن معقل بن فلان عن أبيه عن أبي العسكر قال: كنا بباب مسلمة بن عبد الملك، فتذاكرنا الشعراء الثلاثة، فقال أصحابي: حكمناك وتراضينا بك. فقلت: نعم، هم عندي كأفراسٍ ثلاثة أرسلتهن في رهان، فأحدها سابقٌ الدهر كله، وأحدها مصلٍّ، وأحدها يجيء أحياناً سابق الريح وأحياناً سكيتاً وأحياناً متخلفاً. فأما السابق في كل حالاته فالأخطل. وأما المصلى في كل حالاته فالفرزدق. وأما الذي يسبق الريح أحياناً ويتخلف أحياناً فجرير، ثم أنشد له:

سرى لهم ليلٌ كأن نجومه قناديل فيهن الذبال المفتل

وقال: أحسن في هذا وسبق. ثم أنشد:

التغلبية مهرها فلسان والتغلبي جنازة الشيطان

وقال: تخلف في هذه. فخرجنا من عنده على هذا.

وقال هارون بن الزيات حدثني محمد بن عمرو الخرجاني عن أبيه: أن الفرزدق والأخطل، بينا هما يشربان وقد اجتمعا بالكوفة في إمارة بشر بن مروان إذ دخل عليهما فتى من أهل اليمامة، فقالا له: هل تروي لجرير شيئاً؟ فأنشدهما:

لو قد بعثت على الفرزدق ميسمي وعلى البعيث لقد نكحت الأخطلا

فأقبل الفرزدق فقال: يا أبا مالك، أتراه إن وسمني يتوركك على كبر سنك! ففزع الفتى فقام وقال!: أنا عائذٌ بالله من شركما. فقالا: اجلس لا بأس عليك! ونادماه بقية يومهما.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال أخبرنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو يعلى قال حدثني عبد السلام بن حرب قال: نزل الفرزدق على الأخطل ليلاً وهو لا يعرفه، فجاءه بعشاءٍ ثم قال له: إني نصراني وأنت حنيفٌ، فأي الشراب أحب إليك؟ قال: شرابك. ثم جعل الأخطل لا ينشد بيتاً إلا أتم الفرزدق القصيدة. فقال الأخطل: لقد نزل بي الليلة شر، من أنت؟ قال: الفرزدق بن غالب. قال: فسجد لي وسجدت له. فقيل للفرزدق في ذلك، فقال: كرهت أن يفضلني. فنادى الأخطل: يا بني تغلب هذا الفرزدق. فجمعوا له إبلاً كثيرة. فلما أصبح فرقها ثم شخص.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال: كان مما يقدم به الأخطل أنه كان أخبثهم هجاءً في عفافٍ عن الفحش. وقال الأخطل: ما هجوت أحداً قط بما تستحي العذراء أن تنشده أباها.

أخبرني أحمد وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا بن شبة قال حدثني محمد بن عباد الموصلي قال: خرج يزيد بن معاوية معه عام حج بالأخطل. فاشتاق يزيد أهله فقال:

بكى كل ذي شجوٍ من الشأم شاقه تهامٍ فأنى يلتقي الشجيان

أجز يا أخطل، فقال:

يغور الذي بالشأم أو ينجد الذي بغور تهاماتٍ فيلتقيان

أخبرني أحمد وحبيب قالا حدثنا عمر بن شبة قال: قيل لأبي العباس أمير المؤمنين: إن رجلاً شاعراً قد مدحك، فتسمع شعره؟ قال: وما عسى أن يقول في بعد قول ابن النصرانية في بني أمية:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

أخبرني به وكيع عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي بمثله.

قال هارون وحدثني هارون بن سليمان عن الحسن بن مروان التميمي عن أبي بردة الفزاري عن رجل من تغلب

قال: لحظ الأخطل شكوةً لأمه فيها لبن وجراباً فيه تمر وزبيب، وكان جائعاً وكان يضيق عليه، فقال لها: يا أمه، آل فلان يزورونك ويقضون حقك وأنت لا تأتينهم وعندهم عليلٌ، فلو أتيتهم لكان أجمل وأولى بك. قالت: جزيت خيراً يا بني! لقد نبهت على مكرمةٍ. وقامت فلبست ثيابها ومضت إليهم. فمضى الأخطل إلى الشكوة ففرغ ما فيها وإلى الجراب فأكل التمر والزبيب كله. وجاءت فلحظت موضعها فرأته فارغاً، فعلمت أنه قد دهاها، وعمدت إلى خشبة لتضربه بها، فهرب وقال:

ألم على عنبات العجوز وشكوتها من غياثٍ لمم

فظلت تنادي ألا ويلها وتلعن واللعن منها أمم

وذكر يعقوب بن السكيت هذه القصة، فحكى أنها كانت مع امرأةٍ لأبيه لها منه بنون، فكانت تؤثرهم باللبن والتمر والزبيب وتبعث به يرعى أعتراً لها. وسائر القصة والشعر متفق. وقال في خبره: وهذا أول شعر قاله الأخطل.

أخبرني الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن علي بن فيروز عن الأصمعي عن أمامة ورعوم اللتين قال فيهما الأخطل:

صرمت أمامة حبلها ورعوم

ورعوم وأمامة بنتا سعيد بن إياس بن هانىء بن قبيصة، وكان الأخطل نزل عليه فأطعمه وسقاه خمراً وخرجتا وهما جويريتان فخدمتاه. ثم نزل عليه ثانيةً وقد كبرتا فحجبتا عنه، فسأل عنهما وقال: فأين ابنتاي؟ فأخبر بكبرهما، فنسب بهما. قال: والرعوم هي التي كانت عند قتيبة بن مسلم وكان يقال لها أم الأخماس، تزوجت في أخماس البصرة محمد بن المهلب وعامر بن مسمع وعباد بن الحصين وقتيبة بن مسلم، وكان يقال لها الجارود.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخراز عن المدائني قال قال أبو عبد الملك: كانت بكر بن وائل إذا تشاجرت في شيء رضيت بالأخطل، وكان يدخل المسجد فيقدمون إليه. قال: فرأيته بالجزيرة وقد شكي إلى القس وقد أخذ بلحيته وضربه بعصاه وهو يصيء كما يصيء الفرخ. فقلت له: أين هذا مما كنت فيه بالكوفة؟ فقال: يا بن أخي، إذا جاء الدين ذللنا.

وقال يعقوب بن السكيت زعم غيلان عن يحيى بن بلال عن عمر بن عبد الله عن داود بن المساور قال: دخلت إلى الأخطل فسلمت عليه، فنسبني فانتسبت، واستنشدته فقال: أنشدك حبة قلبي، ثم أنشدني:

لعمري لقد أسريت لا ليل عاجز بسلهبة الخدين ضاوية القرب

إليك أمير المؤمنين رحلتها على الطائر الميمون والمنزل الرحب

فقلت: من أشعر الناس؟ قال: الأعشى. قلت: ثم من؟ قال: ثم أنا.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه عن أبي أيوب المديني عن المدائني قال: إمتدح الأخطل هشاماً

فأعطاه خمسمائة درهم، فلم يرضها وخرج فاشترى بها تفاحاً وفرقه على الصبيان. فبلغ ذلك هشاماً فقال: قبحه الله! ما ضر إلا نفسه.

وقال يعقوب بن السكيت حدثني سلمة النميري - وتوفي وله مائةٌ وأربعون سنة - أنه حضر هشاماً وله يومئذ تسع عشرة سنة وحضر جريرٌ والفرزدق والأخطل عنده، فأحضر هشامٌ ناقةً له فقال متمثلاً:

أنيخها ما بدا لي ثم أرحلها

ثم قال: أيكم أتم البيت كما أريد فهي له. فقال جرير:

كأنها نقنقٌ يعدو بصحراء

فقال: لم تصنع شيئاً. فقال الفرزدق:

كأنها كاسرٌ بالدو فتخاء

فقال: لم تغن شيئاً. فقال الأخطل:

ترخي المشافر واللحيين إرخاء

فقال: اركبها لا حملك الله!.

وقال هارون بن الزيات حدثني الخراز عن المدائني قال: هجت الأخطل جاريةٌ من قومه، فقال لأبيها: يا أبا الدلماء، إن ابنتك تعرضت لي فاكففها. فقال له: هي امرأةٌ مالكةٌ لأمرها. فقال الأخطل.

ألا أبلغ أبا الدلماء عني ... بأن سنان شاعركم قصير

فإن يطعن فليس بذي غناءٍ ... وإن يطعن فمطعنه يسير

متى ما ألقه ومعي سلاحي ... يخر على قفاه فلا يحير

فمشى أبوها في رجال من قومه إلى الأخطل فكلموه، فقال: أما ما مضى فقد مضى ولا أزيد.

أخبرنا أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سلام قال: لما حضرت الأخطل الوفاة قيل له: يا أبا مالك، ألا توصي؟ فقال:

أوصي الفرزدق عند الممات ... بأم جريرٍ وأعيارها

وزار القبور أبو مالكٍ ... برغم العداة وأوتارها

أخبرنا أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سلام قال قال لي معاوية بن أبي عمرو بن العلاء: أي البيتين عندك أجود: قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

أم قول الأخطل:

شمس العداوة حتى يستفاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

فقلت: بيت جرير أحلى وأسير، وبيت الأخطل أجزل وأرزن. فقال: صدقت، وهكذا كانا في أنفسهما عند الخاصة والعامة.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الحلبي وجعفر بن سعيد أن رجلاً سأل حمادا الراوية عن الأخطل فقال: ويحكم! ما أقول في شعر رجلٍ قد والله حبب إلي شعره النصرانية!.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو عثمان الأشناندانى عن أبي عبيدة قال: كان يونس بن حبيب وعيسى بن عمر وأبو عمرو يفضلون الأخطل على الثلاثة.

وقال هارون بن الزيات حدثني أبو عثمان المازني عن العتبي عن أبيه: أن سليمان بن عبد الملك سأل عمر بن عبد العزيز: أجريرٌ أشعر أم الأخطل؟ فقال له: أعفني. قال: لا والله لا أعفيك. قال: إن الأخطل ضيق عليه كفره القول، وإن جريراً وسع عليه إسلامه قوله، وقد بلغ الأخطل منه حيث رأيت. فقال له سليمان: فضلت والله الأخطل.

قال هارون وحدثني أبو عثمان عن الأصمعي عن خالد بن كلثوم قال: قال عبد الملك للفرزدق: من أشعر الناس في الإسلام؟ قال: كفاك بابن النصرانية إذا مدح.

أخبرنا أحمد وحبيب قالا حدثنا عمر بن شبة قال: حدثت أن الحجاج بن يوسف أوفد وفداً إلى عبد الملك وفيهم جريرٌ. فجلس لهم ثم أمر بالأخطل فدعي له، فلما دخل عليه قال له: يا أخطل، هذا سبك - يعني جريراً - وجريرٌ جالسٌ- فأقبل عليه جريرٌ فقال: أين تركت خنازير أمك؟! قال: راعيةً مع أعيار أمك، وإن أتيتنا قريناك منها. فأقبل جرير على عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، إن رائحة الخمر لتفوح منه. قال: صدق يا أمير المؤمنين، وما اعتذاري من ذلك!.

تعيب الخمر وهي شراب كسرى ويشرب قومك العجب العجيبا

مني العبد عبد أبي سواج أحق من المدامة أن تعيبا

فقال عبد الملك: دعوا هذا، وأنشدني يا جرير، فأنشده ثلاث قصائد كلها في الحجاج يمدحه بها، فأحفظ عبد الملك، وقال له: يا جرير، إن الله لم ينصر الحجاج وإنما نصر خليفته ودينه. ثم أقبل على الأخطل فقال:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

فقال عبد الملك: هذه المزمرة، والله لو وضعت على زبر الحديد لأذابتها. ثم أمر له بخلعٍ فخلعت عليه حتى غاب فيها، وجعل يقول: إن لكل قومٍ شاعراً، وإن الأخطل شاعر بني أمية فأما قول الأخطل:

مني العبد عبد أبي سواجٍ

فأخبرني بخبر أبي سواجٍ علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدي قالا حدثنا أبو سعيد السكري قال حدثنا محمد بن حبيب وأبو غسان دماذ عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أن أبا سواج وهو عباد بن خلف الضبي جاور بني يربوع، وكانت له فرسٌ يقال لها بذوة، وكان لصرد بن جمرة اليربوعي فرس يقال لها القضيب، فتراهنا عشرين بعشرين، فسبقت بذوة فظلمه ابن جمرة حقه ومنعه سبقه، وجعل يفجر بامرأته. ثم إن أبا سواج ذهب إلى البحرين يمتار، فلما أقبل راجعاً، وكان رجلاً شديداً معجباً بنفسه، جعل يقول وهو يحدو:

يا ليت شعري هل بغت من بعدي

فسمع قائلاً يقول من خلفه:

نعم بمكوي قفاه جعدي

فعاد إلى قوله فأجابه بمثل ذلك. وقدم إلى منزله فأقام به مدةً، فتغاضب صرد على امرأة أبي سواج وقال: لا أرضى أو تقدي من است أبي سواج سيراً. فأخبرت زوجها بذلك فقام إلى نعجةٍ له فذبحها وقد من باطن أليتيها سيراً فدفعه إليها، فجعله صرد بن جمرة في نعله، فقال لقومه: إذا أقبلت وفيكم أبو سواج فسلوني من أين أقبلت ففعلوا، فقال: من ذي بليان وأريد ذابليان، وفي نعلي شراكان، من است إنسان. فقام أبو سواج: فطرح ثوبه وقال: أنشدكم الله! هل ترون بأساً؟ ثم أمر أبو سواج غلامين له راعيين أن يأخذا أمةً له فيتراوحاها، ودفع إليهما عساً وقال: لئن قطرت منكما قطرةٌ في غير العس لأقتلنكما. فباتا يتراوحانها ويصبان ما جاء منهما في العس، وأمرهما أن يحلبا عليه فحلبا حتى ملأاه، ثم قال لامرأته: والله لتسقنه صرد أو لأقتلنك: واختبأ وقال: ابعثي إليه حتى يأتيك ففعلت. وأتاها لعادتها كما كان يأتيها، فرحبت به واستبطأته ثم قامت إلى العس فناولته إياه. فلما ذاقه رأى طعماً خبيثاً وجعل يتمطق من اللبن الذي يشرب وقال: إني أرى لبنكم خاثراً، أحسب إبلكم رعت السعدان.

فقالت: إن هذا من طول مكثه في الإناء، أقسمت عليك إلا شربته. فلما وقع في بطنه وجد لموت، فخرج إلى أهله ولا يعلم أصحابه بشيء من أمره. فلما جن على أبي سواج الليل أتى أهله وغلمانه فانصرفوا إلى قومه وخلف الفرس وكلبه في الدار، فجعل الكلب ينبح والفرس يصهل، وذلك ليظن القوم أنه لم يرتحل. فساروا ليلتهم والدار ليس فيها غيره وكلبه وفرسه وعسه. فلما أصبح ركب فرسه وأخذ العس فأتى مجلس بني يربوع فقال: جزاكم الله من جيرانٍ خيراً! فقد أحسنتم الجوار، وفعلتم ما كنتم له أهلاً. فقالوا له: يا أبا سواج، ما بدا لك في الانصراف عنا؟ قال: إن صرد بن جمرة لم يكن فيما بيني وبينه محسناً، وقد قلت في ذلك:

إن المني إذا سرى ... في العبد أصبح مسمغدا

أتنال سلمى باطلاً ... وخلقت يوم خلقت جلدا

صرد بن جمرة هل لقي ت رثيئة لبناً وعصدا

واعلموا أن هذا القدح قد أحبل منكم رجلاً وهو صرد بن جمرة. ثم رمى بالعس على صخرةٍ فانكسر وركض فرسه. وتنادوا: عليكم الرجل، فأعجزهم ولحق بقومه. وقال في ذلك عمر بن لجأ التيمي:

تمسح يربوعٌ سبالاً لئيمةً بها من مني العبد رطبٌ ويابس

وإياه عنى الأخطل بقوله:

ويشرب قومك العجب العجيبا

أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال زعم محمد بن حفص بن عائشة التيمي عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب قال: قدمت الشام وأنا شاب مع أبي، فكنت أطوف في كنائسها ومساجدها؛ فد خلت كنيسة دمشق، وإذا الأخطل فيها محبوس، فجعلت. أنظر إليه. فسأل عني فأخبر بنسبي، فقال: يا فتى، إنك لرجل شريف، وإني أسألك حاجة.

فقلت: حاجتك مقضيه. قال إن القس حبسني هاهنا فتكلمه ليخلي عني. فأتيت القس فانتسبت له، فرحب وعظم، قلت: إن لي إليك حاجة. قال: ما حاجتك؟ قلت: الأخطل تخلي عنه. قال: أعيذك بالله من هذا! مثلك لا يتكلم فيه، فاسق يشتم أعراض الناس ويهجوهم! فلم أزل أطلب إليه حتى مضى معي متكئا على عصاه، فوقف عليه ورفع عصاه وقال: يا عدو الله! أتعود تشتم الناس وتهجوهم وتقذف المحصنات! وهو يقول: لست بعائد ولا أفعل، ويستخذي له. قال: فقلت له: يا أبا مالك، الناس يهابونك والخليفة يكرمك وقدرك في الناس قدرك، وأنت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستخذي له!. قال: فجعل يقول لي: إنه الدين! إنه الدين!.

أخبرنا اليزيدي عن عمه عبيد الله عن ابن حبيب عن الهيثم بن عدي قال: كانت امرأة الأخطل حاملا، وكان متمسكا بدينه. فمر به الأسقف يوما. فقال لها: الحقيه فتمسحي به؛ فعدت فلم تلحق إلا ذ نب حماره فتمسحت به ورجعت. فقال لها: هو وذنب حماره سواء.

أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا ابن سلام قال حدثني يونس قال قال أبو الغراف. سمع هشام بن عبد الملك الأخطل وهو يقول:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخرا يكون كصالح الأعمال

فقال: هنيئا لك أبا مالك هذا الإسلام!. فقال له: يا أمير المؤمنين ، مازلت مسلماً في ديني.

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا ابن سلام قال حدثني يونس وعبد الملك وأبو الغراف فألفت ما قالوا، قالوا: أتى الأخطل الكوفة، فأتى الغضبان بن القبعثري الشيباني فسأله في حمالة، فقال: إن شئت أعطيتك ألفين، وإن شئت أعطيتك درهمين. قال: وما بال الألفين وما بال الدرهمين؟ قال: إن أعطيتك ألفين لم يعطكها إلا قليل، وإن

أعطيتك درهمين لم يبق في الكوفة بكري إلا أعطاك درهمين؛ وكتبنا إلى إخواننا بالبصرة فلم يبق بكري بها إلا أعطاك درهمين، فخفت عليهم المئونة وكثر لك النيل. فقال: فهذه إذاً. فقال: نقسمها لك على أن ترد علينا. فكتب بالبصرة إلى سويد بن منجوف السدوسي فقدم البصرة - فقال يونس في حديثه - فنزل على آل الصلت بن حريث الحنفي فأخبر من سمعه يقول : والله لا أزال أفعل ذلك. ثم رجع الحديث الأول: فأتى سويداً فأخبره بحاجته. فقال نعم! وأقبل على قومه فقال: هذا أبو مالك قد أتاكم يسألكم أن تجمعوا له، وهو الذي يقول:

إذا ما قلت قد صالحت بكراً ... أبى البغضاء والنسب البعيد

وأيام لناولهم طوال ... يعض الهام فيهن الحديد

ومهراق الدماء بواردات ... تبيد المخزيات ولا تبيد

هما أخوان يصطليان ناراً ... رداء الحرب بينهما جديد

فقالوا: فلا والله لا نعطيه شيئا. فقال الأخطل:

فإن تبخل سدوس بدرهميها ... فإن الريح طيبة قبول

تواكلني بنو العلات منهم ... وغالت مالكاً ويزيد غول

صريعاً وائل هلكاً جميعاً ... كأن الأرض بعدهما محول

وقال في سويد بن منجوف - وكان رجلا ليس بذي منظر -:

وما جذع سوء خرب السوس أصله ... لما حملته وائل بمطيق

أخبرنا أبو خليفة قال قال محمد بن سلام: كان الأخطل مع مهارته وشعره يسقط أحيانا: كان مدح سماكاً الأسدي، وهو سماك الهالكي من بني عمرو بن أسد، وبنو عمرو يلقبون القيون، ومسجد سماك بالكوفة معروف، وكان من أهلها؛ فخرج أيام علي هارباً فلحق بالجزيرة، فمدحه الأخطل فقال:

نعم المجير سماك من بني أسد ... بالقاع إذ قتلت جيرانها مضر

قد كنت أحسبه قيناً وأخبره ... فاليوم طيرعن أثوابه الشرر

إن سماكاً بني مجداً لأسرته ... حتى الممات وفعل الخير يبتدر

فقال سماك: يا أخطل: أردت مدحي فهجوتني، كان الناس يقولون قولا فحققته. فلما هجا سويداً قال له سويد: والله يا أبا مالك، ما تحسن تهجو ولا تمدح؛ لقد أردت مدح الأسدي فهجوته- يعني قوله:

قد كنت أحسبه قينا وأنبؤه ... فاليوم طير عن أثوابه الشرر

إن سماكاً بني مجداً لأسرته ... حتى الممات وفعل الخير يبتدر

- وأردت هجائي فمدحتني، جعلت وائلاً حملتني أمورها، وما طمعت في بني تغلب فضلاً عن بكر.

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبان البجلي قال: مر الأخطل بالكوفة في بني رؤاس ومؤذنهم ينادي بالصلاة. فقال له بعض فتيانهم: ألا تدخل يا أبا مالك فتصلي؟ فقال:

أصلي حيث تدركني صلاتي ... وليس البر عند بني رؤاس

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبو الحصين الأموي قال: بينا الأخطل قد خلا بخميرة له في نزهة مع صاحب له، وطرأ عليهما طارىء لا يعرفانه ولا يستخفانه، فشرب شرابهما وثقل عليهما. فقال الأخطل في ذلك:

وليس القذى بالعود يسقط في الإنا ... ولا بذباب خطبه أيسر الأمر

ولكن شخصاً لا نسر بقربه ... رمتنا به الغيظان من حيث لا ندري

يروي:

ولكن قذاها زائر لا نحبه

وهو الجيد. الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو. وقد أخبرنا بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري قال حدثنا الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال: بينا الأخطل جالس عند امرأة من قومه، وكان أهل البدو إذ ذاك يتحدث رجالهم إلى النساء لا يرون بذلك بأساً، وبين يديه باطية شراب والمرأة تحدثه وهو يشرب، إذ دخل رجل فجلس، فثقل على الأخطل وكره أن يقول له قم استحياءً منه. وأطال الرجل الجلوس إلى أن أقبل ذباب فوقع في الباطية في شرابه؛ فقال الرجل: يا أبا مالك، الذباب في شرابك. فقال:

وليس القذى بالعود يسقط في الخمر ... ولا بذباب نزعه أيسر الأمر

ولكن قذاها زائر لا نحبه ... رمتنا به الغيطان من حيث لا ندري

قال: فقام الرجل فانصرف.

وأخبرني عمي رحمه الله بهذا الحديث عن الكراني عن الزيادي عن علي بن الحفار أخي أبي الحجاج : أن الأخطل جاء إلى معبد في قدمة قدمها إلى الشأم. فقال له معبد: إني أحب محادثتك. فقال له: وأنا أحب ذلك. وقاما يتصبحان الغدران-حتى وقفا على غدير فنزلا وأكلا؛ فتبعهما أعرابي فجلس معهما. وذكر الخبر مثل الذي قبله.

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال أبان بن عثمان حدثني أبي قال: دعا الأخطل شاب من شباب أهل الكوفة إلى منزله. فقال له: يا بن أخي، أنت لا تحتمل المئونة وليس عندك معتمد؛ فلم يزل به حتى انتجعه، فأتى الباب فقال: يا شقراء، فخرجت إليه امرأة، فقال لأمه: هذا أبو مالك قد أتاني؛ فباعت غزلاً لها واشترت له لحماً ونبيذاً و ريحاناً. فدخل خصاً لها فأكل معه وشرب، وقال في ذلك:

وبيت كظهر الفيل جل متاعه أباريقه و الشارب المتقطر
ترى فيه أثلام الأصيص كأنها إذا بال فيها الشيخ جفر معور
لعمرك ما لاقيت يوم معيشة من الدهر إلا يوم شقراء أقصر
حوارية لا يدخل الذم بيتها مطهرة يأوي إليها مطهر

وذكر هارون بن الزيات هذا الخبر عن حماد عن أبيه أنه كان نازلاً على عكرمة الفياض وأنه خرج من عنده يوماً، فمر بفتيان يشربون ومعهم قينة يقال لها شقراء. وذكر الخبر مثل ما قبله، وزاد فيه: فأقام عندهم أربعة أيام. وظن عكرمة أنه غضب فانصرف عنه. فلما أتاه أخبره بخبره، فبعث إلى الفتيان بألف درهم وأعطاه خمسة آلاف، فمضى بها إليهم وقال: إستعينوا بهذه على أمركم. و لم يزل ينادمهم حتى رحل.

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبو يحيى الضبي قال: اجتمع الفرزدق وجرير والأخطل عند بشر بن مروان، وكان بشر يغري بين الشعراء. فقال للأخطل: أحكم بين الفرزدق وجرير. فقال: أعفني أيها الأمير. قال: أحكم بينهما، فاستعفاه بجهده فأبى إلا أن يقول؛ فقال: هذا حكم مشئوم؛ ثم قال: الفرزدق ينحت من صخر، وجرير يغرف من بحر. فلم يرض بذلك جرير، وكان سبب الهجاء بينهما. فقال جرير في حكومته:

يا ذا الغباوة إن بشراً قد قضى ألا تجوز حكومة النشوان
فدعوا الحكومة لستم من أهلها إن الحكومة في بني شيبان
قتلوا كليبكم بلقحة جارهم يا خزر تغلب لستم بهجان

فقال الأخطل يرد على جرير:

ولقد تناسبتم إلى أحسابكم وجعلتم حكماً من السلطان
فإذا كليب لا تساوي دارماً حتى يساوي حزرم بأبان
و إذا جعلت أباك في ميزانهم رجحوا وشال أبوك في الميزان
وإذا وردت الماء كان لدارم عفواته و سهولة الأعطان

ثم استطارا في الهجاء.

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا أبو الغراف قال: لما قال جرير:

إذا أخذت قيس عليك وخندف بأقطارها لم تدر من أين تسرح

قال الأخطل. لا أين! سد والله علي الدنيا. فلما أنشد قوله:

فما لك في نجد حصاة تعدها وما لك من غوري تهامة أبطح

قال الأخطل: لا أبالي والله ألا يكون فتح لي والصليب القول؛ ثم قال:

ولكن لنا بر العراق و بحره وحيث ترى القرقور في الماء يسبح

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني محمد بن الحجاج الأسيدي قال: خرجت إلى الصائفة فنزلت منزلاً ببني تغلب فلم أجد به طعاماً و لا شراباً ولا علفاً لدوابي شرى ولا قرى و لم أجد ظلاً؛ فقتل لرجل منهم: ما في داركم هذه مسجد يستظل فيه؟ فقال: ممن أنت؟ قلت: من بني تميم. قال: ما كنت أرى عمك جريراً إلا قد أخبرك حين قال:

فينا المساجد و الإمام ولا ترى في آل تغلب مسجداً معمورا

أخبرني أبو خليفة قال أنبأنا محمد بن سلام قال حدثني شيخ من ضبيعة قال: خرج جرير إلى الشام فنزل منزلاً ببني تغلب فخرج متلثما عليه ثياب سفره، فلقيه رجل لا يعرفه. فقال: ممن الرجل؟ قال: من بني تميم. قال: أما سمعت ما قلت لغاوي بني تميم؟! فأنشده مما قال لجرير. فقال: أما سمعت ما قال لك غاوي بني تميم؟! فأنشده. ثم عاد الأخطل وعاد جرير في نقضه حتى كثر ذلك بينهما. فقال التغلبي: من أنت؟ لا حياك الله! والله لكأنك جرير. قال: فأنا جرير. قال: وأنا الأخطل.

أخبرني عمي قال أنبأنا الكراني قال أنبأنا أبو عبد الرحمن عن المدائني قال: دخل الأخطل على عبد الملك وقد شرب، فكلمه فخلط في كلامه. فقال له: ما هذا؟ فقال:

إذا شرب الفتى منها ثلاثاً بغير الماء حاول أن يطولاً

مشى قرشية لا عيب فيها وأرخى من مآزره الفضولا

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قال أخبرني إسماعيل بن أبي محمد اليزيدي قال أخبرني أبو محمد اليزيدي قال: خرج الفرزدق يؤم بعض الملوك من بني أمية، فرفع له في طريقه بيت أحمر من أدم، فدنا منه وسأل فقيل له: بيت الأخطل. فأتاه فقال: انزل. فلما نزل قام إليه الأخطل وهو لا يعرفه إلا أنه ضيف؛ فقعدا يتحدثان. فقال له الأخطل: ممن الرجل؟ قال: من بني تميم. قال: فإنك إذا من رهط أخي الفرزدق. فقال: تحفظ من شعره شيئا؟ قال: نعم كثيراً. فما زالا يتناشدان ويتعجب الأخطل من حفظه شعر الفرزدق إلى أن عمل فيه الشراب،- وقد كان الأخطل قال له قبل ذلك: أنتم معشر الحنفية لا ترون أن تشربوا من شرابنا. فقال له الفرزدق: خفض قليلاً وهات من شرابك فاسقنا. فلما عملت الراح في أبي فراس قال: أنا والله الذي أقول في جرير فأنشده. فقام إليه الأخطل فقبل رأسه وقال: لا جزاك الله عني خيراً! لم كتمتني نفسك منذ اليوم! وأخذا في شرابهما وتناشدهما، إلى أن قال له الأخطل: والله إنك وإياي لأشعر منه ولكنه أوتي من سير الشعر ما لم نؤته؛ قلت أنا بيتا ما أعلم أن أحداً قال أهجى منه، قلت:

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولي على النار

فلم يروه إلا حكماء أهل الشعر. وقال هو:

و التغلبي إذا تنحنح للقرى حك استه وتمثل الأمثالا

فلم تبق سقاة ولا أمثالها إلا رووه. فقضيا له أنه أسير شعراً منهما.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال قال المدائني: كان للأخطل الشاعر دار ضيافة، فمر به عكرمة الفياض وهو لا يعرفه، فقيل له: هذا رجل شريف قد نزل بنا. فلما أمسى بعث إليه فتعشى معه، ثم قال له: أتصيب من الشراب شيئا؟ قال: نعم. قال: أيه؟ قال: كله إلا شرابك. فدعا له بشراب يوافقه، وإذا عنده قينتان هما خلفه وبينه وبينهما ستر، وإذا الأخطل أشهب اللحية له ضفيرتان؛ فغمز الستر بقضيب في يده وقال: غنياني بأردية الشعر، فغناه بقول عمرو بن شأس:

وبيض تطلى بالعبير كأنما يطأن وإن أعنقن في جدد وحلا

لهونا بها يوماً و يوماً بشارب إذا قلت مغلوباً وجدت له عقلا

فأما السبب في مدح الأخطل عكرمة بن ربعي الفياض فأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: قدم الأخطل الكوفة فأتى حوشب بن رويم الشيباني، فقال: إني تحملت حمالتين لأحقن بهما دماء قومي فنهره، فأتى سيار بن البزيعة، فسأله فاعتذر إليه، فأتى عكرمة الفياض، وكان كاتباً لبشر بن مروان، فسأله وأخبره بما أراد عليه الرجلان؛ فقال: أما إني لا أهرك ولا أعتذر إليك، ولكني أعطيك إحداهما عيناً والأخرى عرضاً. قال: وحدث أمر بالكوفة فاجتمع له الناس في المسجد، فقيل له: إن أردت أن تكافىء عكرمة يوماً فاليوم. فلبس جبة خز وركب فرساً وتقلد صليباً من ذهب وأتى باب المسجد ونزل عن فرسه. فلما رآه حوشب وسيار نفساً عليه ذلك وقال له عكرمة: يا أبا مالك، فجاء فوقف وابتدأ ينشد قصيدته:

لمن الديار بحائل فوعال

حتى انتهى إلى قوله:

إن ابن ربعي كفاني سيبه ضغن العدو وغدرة المحتال

أغليت حين تواكلتني وائل إن المكارم عند ذاك غوال

ولقد مننت على ربيعة كلها وكفيت كل مواكل خذال

كابن البزيعة أو كآخر مثله أولى لك ابن مسيمة الأجمال

إن اللئيم إذا سألت بهرته وترى الكريم يراح كالمختال

وإذا عدلت به رجالاً لم تجد فيض الفرات كراشح الأوشال

قال: فجعل عكرمة يبتهج ويقول: هذه والله أحب إلي من حمر النعم. ومما في شعر الأخطل من الأصوات المختارة:

أراعك بالخابور نوق وأجمال ودار عفتها الريح بعدي بأذيال

ومبنى قباب المالكية حولنا وجرد تغادى بين سهل وأجبال

عروضه من الطويل. الشعر للأخطل. والغناء لابن محرز، ولحنه المختار من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه خفيف رمل في هذا الوجه نسبه يحيى المكي إلى ابن محرز، وذكر الهشامي أنه منحول. وفيه لحنين الحيري ثقيل أول عن الهشامي

ذكر سائب خاثر ونسبه

كان سائب خاثر مولى بني ليث. وأصله من فيء كسرى، وأشترى عبد الله بن جعفر ولاءه من مواليه، وقيل: بل اشتراه فأعتقه، وقيل: بل كان على ولائه لبني ليث، وإنما أنقطع إلى عبدالله بن جعفر فلزمه وعرف به. وكان يبيع الطعام بالمدينة. واسم أبيه الذي أعتقه بنو ليث "يشا" .

قال ابن الكلبي وأبو غسان وغيرهما: هو أول من عمل العود بالمدينة وغنى به. وقال ابن خرداذبه: كان عبدالله بن عامر أشترى إماء صناجات وأتى بهن المدينة، فكان لهن يوم في الجمعة يلعبن فيه، وسمع الناس منهن، فأخذ عنهن. ثم قدم رجل فارسي يسمى بنشيط، فغنى فأعجب عبد الله بن جعفر به. فقال له سائب خاثر: أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسي بالعربية، ثم غدا على عبدالله بن جعفر وقد صنع:

لمن الديار رسومها قفر

قال ابن الكلبي: وهو أول صوت غني به في الإسلام من الغناء العربي المتقن الصنعة. قال: ثم آشترى عبد الله بن جعفر نشيطاً بعد ذلك، فأخذ عن سائب خاثر الغناء العربي وأخذ عنه ابن سريح وجميلة وعزة الميلاء وغيرهم.

قال ابن الكلبي وحدثني أبو مسكين قال: كان سائب خاثر يكنى أبا جعفر، و لم يكن يضرب بالعود إنما كان يقرع بقضيب ويغني مرتجلاً، و لم يزل يغني. وقتل يوم الحرة. ومر به بعض القرشيين وهو قتيل، فضربه برجله وقال: إن ها هنا لحنجرةً حسنةً. وكان سائب من ساكني المدينة. قال ابن الكلبي: وكان سائب تاجراً موسراً يبيع الطعام، وكان تحته أربع نسوة، وكان أنقطاعه إلى عبد الله بن جعفر، وكان مع ذلك يخالط سروات الناس وأشرافهم لظرفه وحلاوته وحسن صوته. وكان قد آلى ألا يغني أحداً سوى عبدالله بن جعفر، إلا أن يكون خليفةً أو ولي عهد أو ابن خليفة؛ فكان على ذلك إلى أن قتل. قال: وأخذ معبد عنه غناءً كثيراً فنحل الناس بعضه إليه ، وأهل العلم بالغناء يعرفون ذلك. وزعم ابن خرداذبه أن أم محمد ابن عمرو الواقدي القاضي المحدث بنت عيسى بن جعفر بن سائب خاثر.

وقال ابن الكلبي: سائب خاثر أول من غنى بالعربية الغناء الثقيل؛ وأول لحن صنعه منه:

لمن الديار رسومها قفر

قال: قألفت هذا الصوت الفروح. قال وحدثني محمد بن يزيد أن أول صوت صنعه في شعر أمرىء القيس:

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل

وأن معبداً أخذ لحنه فيه فغنى عليه:

أمن آل ليلى باللوى متربع

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن لقيط قال: وفد عبد الله بن جعفر على معاوية ومعه سائب خاثر فوقع له في حوائجه، ثم عرض عليه حاجة لسائب خاثر؛ فقال معاوية: من سائب خاثر؟ قال: رجل من أهل المدينة ليثي يروي الشعر. قال: أو كل من روى الشعر أراد أن نصله! قال: إنه حسنه. قال: وإن حسنه! قال: أفأدخله إليك يا أمير المؤمنين؟ قال نعم. قال: فألبسته ممصرتين إزاراً ورداء. فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته يتغنى:

لمن الديار رسومها قفر

قالتفت معاوية إلى عبدالله بن جعفر فقال: أشهد لقد حسنه! فقضى حوائجه وأحسن إليه.

لمن الديار رسومها قفر — لعبت بها الأرواح والقطر

وخلالها من بعد ساكنها — حجج مضين ثمان أوعشر

والزعفران على ترائبها — شرق به اللثات والنحر

الشعر ينسب إلى أبي بكر بن المسور بن مخرمة الزهري، وإلى الحارث بن خالد المخزومي، وإلى بعض القرشيين من السبعة المعدودين من شعراء العرب. والغناء لسائب خاثر ثقيل أول بالسبابة عن الكلبي وحبش، وذكر أن لحن شمائب خاثر ثقيل أول بالوسطى، و وافق إسحاق في ذلك، وذكر أن الثقيل الأول لنشيط. وذكر يونس أن فيه لحناً لمعبد و لم يجنسه، وذكر الهشامي أن لحن معبد خفيف ثقيل، وأن فيه لابن سريج خفيف رمل.

أخبرنا أحمد بن عبيدالله بن عمار وأحمد بن عبدالعزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس قالوا حدثنا عمر بن شبة حدثني قبيصة بن عمرو قال حدثنا محمد بن المنهال عن رجل حدثه، وذكر ذلك أيضاً ابن الكلبي عن لقيط قال: أشرف معاوية بن أبي سفيان ليلاً على منزل يزيد أبنه، فسمع صوتاً أعجبه، وأستخفه السماع فاستمع قائماً حتى مل، ثم دعا بكرسيي فجلس عليه، وأشتهى الاستزادة فاستمع بقية ليلته حتى مل. فلما أصبح غداً عليه يزيد. فقال له: يا بني! من كان جليسك البارحة؟ قال: أي جليس يا أمير المؤمنين؟ وأستعجم عليه. قال: عرفني فإنه لم يخف علي شيء من أمرك. قال: سائب خاثر. قال: فأخثر له يا بني من برك وصلتك، فما رأيت بمجالسته بأساً. قال ابن الكلبي: قدم معاوية المدينة في بعض ما كان يقدم؛ فأمر حاجبه بالإذن للناس؛ فخرج الآذن ثم رجع

فقال: ما بالباب أحد. فقال معاوية: وأين الناس؟ قال: عند ابن جعفر. فدعا ببغلته فركبها ثم توجه إليهم. فلما جلس قال بعض: القرشيين لسائب خاثر: مطرفي هذا لك - وكان من خز - إن أنت أندفعت تغني ومشيت بين السماطين وأنت تغني. فقام ومشى بين السماطين وغنى:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فسمع منه معاوية وطرب وأصغى إليه حتى سكت وهو مستحسن لذلك، ثم قام وأنصرف إلى منزله. وأخذ سائب خاثر المطرف.

أخبرني حبيب بن نصر عن عمر بن شبه عن الزبيري، وأخبرني أبو بكر بن أبي شيبة البزار قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: قتل سائب خاثر يوم الحرة، وكان خشي على نفسه من أهل الشأم فخرج إليهم وجعل يحدثهم ويقول: أنا مغن، ومن حالي وقصتي كيت وكيت؛ وقد خدمت أمير المؤمنين يزيد وأباه قبله. قالوا: فغن لنا، فجعل يغني؛ فقام إليه أحدهم فقال له: أحسنت والله! ثم ضربه بالسيف فقتله. وبلغ يزيد خبره ومر به أسمه في أسماء من قتل يومئذ فلم يعرفه وقال: من سائب خاثر هذا؟ فقيل له: هو سائب خاثر المغني. فعرفه فقال: ويله!! ماله ولنا! ألم نحسن إليه ونصله ونخلطه بأنفسنا! فما الذي حمله على عداوتنا! لا جرم أن بغيه صرعه. وقال المدائني في خبره: فقال إن لله! أو بلغ القتل إلى سائب خاثر وطبقته! ما أرى أنه بقي بالمدينة أحد. ثم قال: قبحكم الله يأهل الشام! تجدهم صادفوه في حديقة أو حائط مستتراً منهم فقتلوه.

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال أنبأنا عمر بن شبة قال! حدثني قبيصة بن عمرو قال حدثني حاتم بن قبيصة قال حدثني ابن جعدبة قال حدثني مويلك عن أبيه قال قال لي سائب خاثر يوم الحرة: هل سمعت شيئاً صنعته؟ فغناني صوتاً:

لمن طلل بين الكراع إلى القصر يغيب عنا آيه سبل القطر

إلى خالدات ما تريم وهامد وأشعث ترسيه الوليدة بالفهر

قال: فسمعت عجباً معجباً، ثم ذكر أهله وولده فبكى. فقلت له: وما يمنعك منهم؟ فقال: أما بعد شيء سمعته ورأيته من يزيد بن معاوية فلا! ثم تقدم حتى قتل.

أقفرمن أهله مصيف فبطن نخلة فالعريف

هل تبلغني ديار قومي مهرية سيرها زفيف

يا أم نعمان نولينا قد ينفع النائل الطفيف

أعمامها الصيد من لؤي حقاً و أخوالها ثقيف

الشعر لأبي فرعة الكناني، والغناء لجرادتي عبدالله بن جدعان، ولحنه من خفيف الثقيل. وفيه في الثالث والرابع ثقيل أول مطلق.

ذكر جرادتي عبدالله بن جدعان

و خبرهما وشيء من أخبار ابن جدعان

هو عبدالله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب.

قال ابن الكلبي: كانت لابن جدعان أمتان تسميان الجرادتين تتغنيان في الجاهلية، سماهما بجرادتي عاد. و وهبهما عبدالله بن جدعان لأمية بن أبي الصلت الثقفي، وقد كان أمتدحه. وكان ابن جدعان سيدا جوادا، فرأى أمية ينظر إليهما هو عنده فأعطاه إياهما.

وأخبرني أبو الليث نصر بن القاسم الفرائضي قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا حفص بن غياث عن داوود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه؟ قال: "لا لم يقل يوماً اغفر لي خطيئتي يوم الدين ".

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني جعفر بن الحسين قال حدثني إبراهيم بن أحمد قال: قدم أمية بن أبي الصلت على عبدالله بن جدعان؛ فلما دخل عليه قال له عبد الله: أمر ما أتى بك! فقال أمية: كلاب غرماء نبحتني ونهشتني. فقال له عبدالله: قدمت علي وأنا عليل من حقوق لزمتني ونهشتني، فأنظرني قليلاً، ما في يدي، وقد ضمنتك قضاء دينك ولا أسأل عن مبلغه. قال: فأقام أمية أياماً، فأتاه فقال:

أأذكرحاجتي أم قد كفاني	حياؤك إن شيمتك الحياء
وعلمك بالأمور و أنت قرم	لك الحسب المهذب والسناء
كريم لا يغيره صباح	عن الخلق السني ولامساء
تباري الريح مكرمةً وجوداً	إذا ما الكلب أحجره الشتاء
إذا أثنى عليك المرء يوماً	كفاه من تعرضه الثناء
إذا خلفت عبدالله فاعلم	بأن القوم ليس لهم جزاء
فأرضك كل مكرمة بناها	بنو تيم و أنت لهم سماء
فأبرز فضله حقاً عليهم	كما برزت لناظرها السماء
فهل تخفى السماء على بصير	وهل بالشمس طالعةً خفاء

فلما أنشده أمية هذا الشعر كانت عنده قينتان فقال: خذ أيتهما شئت؛ فأخذ إحداهما وانصرف. فمر بمجلس من مجالس قريش فلاموه على أخذها وقالوا له: لقد لقيته عليلاً، فلو رددتها عليه، فإن الشيخ يحتاج إلى خدمتها، كان ذلك أقرب لك عنده وأكثر من كل حق ضمنه لك، فوقع الكلام من أمية موقعاً وندم، ورجع إليه ليردها عليه. فلما أتاه بها قال له ابن جدعان: لعلك إنما رددتها لأن قريشاً لاموك على أخذها وقالوا كذا وكذا، فوصف لأمية ما قال له القوم. فقال أمية: والله ما أخطأت يا أبا زهير. فقال عبدالله بن جدعان: فما الذي قلت في ذلك: فقال أمية:

عطاؤك زين لامرىء إن حبوته ببذل وما كل العطاء يزين

وليس بشين لامرىء بذل وجهه إليك كما بعض السؤال يشين

غنت فيه جرادتا عبدالله بن جدعان- فقال عبدالله لأمية: خذ الأخرى؛ فأخذهما جميعاً وخرج. فلما صار إلى القوم بهما أنشأ يقول- وقد أنشدنا هذه الأبيات أحمد بن عبدالعزيز الجوهري عن عمر بن شبة وفيها زيادة-:

ومالي لا أحييه وعندي مواهب يطلعن من النجاد

لأبيض من بني تيم بن كعب وهم كالمشرفيات الحداد

لكل قبيلة هاد و رأس وأنت الرأس تقدم كل هادي

له بالخيف قد علمت معد و إن البيت يرفع بالعماد

له داع بمكة مشمعل وآخر فوق دارته ينادي

إلى ردح من الشيزي ملاء لباب البر يلبك بالشهاد

وقال فيه أيضاً:

ذكر ابن جدعان بخي ركلما ذكر الكرام

من لايخون ولا يع ق ولا تغيره اللئام

نجب النجيبة والنجي ب له الرحالة والزمام

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن إسحاق البغوي قال حدثنا الأثرم عن أبي عبيدة قال: كان ابن جدعان سيداً من قريش؟ فوفد على كسرى فأكل عنده الفالوذ، فسأل عنه فقيل له: هذا الفالوذ. قال: وما الفالوذ؟ قالوا: لباب البر يلبك مع عسل النحل. قال: ابغوني غلاماً يصنعه؟ فأتوه بغلام يصنعه فآبتاعه ثم، قدم به مكة معه، ثم أمره فصنع له الفالوذ بمكة، فوضع الموائد بالأبطح إلى باب المسجد، ثم نادى مناديه: ألا من أراد الفالوذ فليحضر فحضر الناس؟ فكان فيمن حضر أمية بن أبي الصلت؟ فقال فيه:

ومالي لا أحييه وعندي مواهب يطلعن من النجاد
إلي وإنه للناس نهي ولا يعتل بالكلم الصوادي

وذكر باقي الأبيات التي مضت متقدماً.

حدثنا أحمد بن عبيدالله بن عمار قال أخبرنا يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدثني محمد بن عمران الجرجاني- وليس بصاحب إسحاق الموصلي؟ قال: وهو شيخ لقيته بجرجان- قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال: سألت سفيان بن عيينة فقلت: يا أبا محمد، ما تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم: "كان من أكثر دعاء الأنبياء قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" وإنما هو ذكر وليس فيه من الدعاء شيء؟ فقال لي: أعرفت حديث مالك بن الحارث: يقول الله جل ثناؤه: " إذا شغل عبدي ثناؤه علي عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين "؟ قلت: نعم، أنت حدثتنيه عن منصور عن مالك بن الحارث. قال: فهذا تفسير ذلك، ثم قال: أما علمت ما قال أمية بن أبي الصلت حين خرج إلى ابن جدعان يطلب نائله وفضله. قلت: لا أدري؟ قال قال:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الثناء

ثم قال سفيان: فهذا مخلوق ينسب إلى الجود فقيل له: يكفينا من مسألتك أن نثني عليك ونسكت حتى تأتي على حاجتنا، فكيف بالخالق.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا حميد بن حميد قال حدثني جبار ابن جابر قال: دخل أمية بن أبي الصلت على عبد الله بن جدعان وهو يجود بنفسه؟ فقال له أمية: كيف تجدك أبا زهير؟ قال: إني لمدابر، أي ذاهب. فقال أمية:

علم ابن جدعان بن عم رو أنه يوماً مدابر
ومسافرسفراً بعي د لا يؤوب به المسافر
فقدوره بفنائه للضيف مترعة زواخر
تبدو الكسور من انضرا ج الغلي فيها والكراكر
فكأنهن بما حمي ن وما شحن بها ضرائر
بذ المعاشركلها بالفضل قدعلم المعاشر
وعلا علو الشمس حتى ما يفاخره مفاخر
دانت له أبناء فه ر من بني كعب وعامر

أنت الجواد ابن الجوا د بكم ينافر من ينافر

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري قال أخبرني أبو عبدالرحمن الغلابي عن الواقدي عن ابن أبي الزناد قال: ما مات أحد من كبراء قريش في الجاهلية إلا ترك الخمر أستحياء مما فيها من الدنس؟ ولقد عابها ابن جدعان قبل موته فقال:

شربت الخمرحتى قال قومي ألست عن السفاه بمستفيق

وحتى ما أوسد في مبيت أنام به سوى الترب السحيق

وحتى أغلق الحانوت رهني وآنست الهوان من الصديق

قال: وكان سبب تركه الخمر أن أمية بن أبي الصلت شرب معه فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب. فقال له: ما بال عينك؟ فسكت. فلما ألح عليه قال له: أنت صاحبها أصبتها البارحة. فقال: أو بلغ مني الشراب الذي أبلع معه من جليسي هذا لا جرم لأدينها لك ديتين، فأعطاه عشرة آلاف درهم، وقال: الخمر علي حرام أن أذوقها أبداً، تركها من يومئذ.

من المائة المختارة

قد لعمري بت ليلي كأخي الداء الوجيع

ونجي الهم مني بات أدنى من ضجيعي

كلما أبصرت ربعاً خالياً فاضت دموعي

لاتلمنا إن خشعنا أوهممنا بالخشوع

إذا فقدنا سيداً ك ان لناغيرمضيع

الشعر للأحوص. والغناء لسلامة القس. ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالوسطى في مجراها. وقد قيل: إن الشعر والغناء جميعاً لها، وقد قيل: إن الغناء لمعبد وإنما أخذته عنه.

ذكر سلامة القس وخبرها

كانت سلامة مولدة من مولدات المدينة وبها نشأت. وأخذت الغناء عن معبد وابن عائشة وجميلة ومالك بن أبي السمح وذويهم فمهرت. وإنما سميت سلامة القس لأن رجلاً يعرف بعبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي من قراء أهل مكة، وكان يلقب بالقس لعبادته، شغف بها وشهر، فغلب عليها لقبه. واشتراها يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان، وعاشت بعده، وكانت إحدى من اهم به الوليد من جواري أبيه حين قال له قتلته: ننقم عليك أنك تطأ جواري أبيك. وقد ذكرنا ذلك في خبر مقتله.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: كانت حبابة وسلامة القس من قيان أهل المدينة، وكانتا حاذقتين

ظريفتين ضاربتين وكانت سلامة أحسنهما غناءً، وحبابة أحسنهما وجهاً، وكانت سلامة تقول الشعر، وكانت حبابة تتعاطاه فلا تحسن. وأخبرني بذلك المدائني عن جرير.

وحدثني الزبيري قال حدثني من رأى سلامة قال: ما رأيت من قيان المدينة فتاةً ولا عجوزاً أحسن غناءً من سلامة. وعن جميلة أخذت الغناء.

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا أبو زيد عمر بن شبة قال حدثني المدائني قال: كانت حبابة وسلامة قينتين بالمدينة، أما سلامة فكانت لسهيل بن عبد الرحمن، ولها يقول ابن قيس الرقيات:

لقد فتنت ريا وسلامة القسا ... فلم تتركا للقس عقلاً ولا نفسا

فتاتان أما منهما فشبيهة ال ... هلال وأخرى منهما تشبه الشمسا

وغناه مالك بن أبي السمح. وفيها يقول ابن قيس الرقيات:

أختان إحداهما كالشمس طالعةً ... في يوم دجنٍ وأخرى تشبه القمرا

قال: وفتن القس بسلامة، وفيها يقول:

أهابك أن أقول بذلت نفسي ... ولو أني أطيع القلب قالا

حياءً منك حتى سل جسمي ... وشق علي كتماني وطالا

قال: والقس هو عبد الرحمن بن أبي عمار من بني جشم بن معاوية، وكان منزله بمكة. وكان سبب افتتانه بها فيما حدثني خلاد الأرقط قال سمعت من شيوخنا أهل مكة يقولون: كان القس من أعبد أهل مكة، وكان يشبه بعطاء بن أبي رباح، وأنه سمع غناء سلامة القس على غير تعمد منه لذلك. فبلغ غناؤها منه كل مبلغ، فرآه مولاها فقال له: هل لك أن أخرجها إليك أو تدخل فتسمع، فأبى. فقال مولاها: أنا أقعدها في موضع تسمع غناءها ولا تراها فأبى، فلم يزل به حتى دخل فأسمعه غناءها فأعجبه. فقال له: هل لك في أن أخرجها إليك؟ فأبى. فلم يزل به حتى أخرجها فأقعدها بين يديه، فتغنت فشغف بها وشغفت به، وعرف ذلك أهل مكة. فقالت له يوماً: أنا والله أحبك.

قال: وأنا والله أحبك. قالت: وأحب أن أضع فمي على فمك. قال: وأنا والله أحب ذاك. قالت: فما يمنعك، فوالله إن الموضع لخالٍ. قال: إني سمعت الله عز وجل يقول: "الأخلاء يؤمئذٍ بعضهم لبعض عدوٌّ إلا المتقين" وأنا أكره أن تكون خلة ما بيني وبينك تؤول إلى عداوة. ثم قام وانصرف وعاد إلى ما كان عليه من النسك، وقال من فوره فيها:

إن التي طرقتك بين ركائبٍ ... تمشي بمزهرها وأنت حرام

لتصيد قلبك أو جزاء مودةٍ ... إن الرفيق له عليك ذمام

باتت تعللنا وتحسب أننا ... في ذاك أيقاظ ونحن نيام

حتى إذا سطع الضياء لناظرٍ فإذا وذلك بيننا أحلام

قد كنت أعذل في السفاهة أهلها فاعجب لما تأتى به الأيام

فاليوم أعذرهم وأعلم أنما سبل الضلالة والهدى أقسام

ومن قوله فيها:

ألم ترها لا يبعد الله دارها إذا رجعت في صوتها كيف تصنع

تمد نظام القول ثم ترده إلى صلصلٍ في صوتها يترجع

وفيها يقول:

ألا قل لهذا القلب هل أنت مبصر وهل أنت عن سلامة اليوم مقصر

ألا ليت أني حين صارت بها النوى جليسٌ لسلمى كلما عج مزهر

وقال في قصيدةٍ له:

سلام ويحك هل تحيين من ماتا أو ترجعين على المحزون ما فاتا

وقال أيضاً:

سلام هل لي منكم ناصر أم هل لقلبي عنكم زاجر

قد سمع الناس بوجدي بكم فمنهم اللائم والعاذر

في أشعار كثيرة يطول ذكرها.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني الجمحي قال: كانت سلامة وريا أختين، وكانتا من أجمل النساء وأحسنهن غناء. فاجتمع الأحوص وابن قيس الرقيات عندهما، فقال لهما ابن قيس الرقيات: إني أريد أن أمدحكما بأبيات وأصدق فيها ولا أكذب، فإن أنتما غنيتماني بذلك وإلا هجوتكما ولا أقربكما. قالتا: فما قلت؟ قال قلت:

لقد فتنت ريا وسلامة القسا فلم تتركا للقس عقلاً ولا نفسا

فتاتان أما منهما فشبيهة ال هلال وأخرى منهما تشبه الشمسا

تكنان أبشاراً رقاقاً وأوجهاً عتاقاً وأطرافاً مخضبة ملسا

فغنته سلامة واستحسنتاه. وقالتا للأحوص: ما قلت يا أخا الأنصار؟ قال قلت:

أسلام هل لمتيم تنويل أم هل صرمت وغال ودك غول

لا تصرفي عني دلالك إنه حسن لدي وإن بخلت جميل
أزعمت أن صبابتي أكذوبة يوماً وأن زيارتي تعليل

- الغناء لسلامة القس خفيف ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي وحماد. وفيه لإبراهيم لحنان، أحدهما خفيف ثقيل بالبنصر في مجراها عن إسحاق وعمرو، والآخر ثقيل أوله استهلال عن الهشامي- فغنت الأبيات. فقال ابن قيس الرقيات: يا سلامة أحسنت والله! وأظنك عاشقة لهذا الحلقي! فقال له الأحوص: ما الذي أخرجك إلى هذا؟ قال: حسن غنائها بشعرك، فلولا أن لك في قلبها محبة مفرطة ما جاءها هكذا حسناً على هذه البديهة. فقال له الأحوص: على قدر حسن شعري على شعرك هكذا حسن الغناء به، وما هذا منك إلا حسد، ونبين لك الآن ما حسدت عليه. فقالت سلامة: لولا أن الدخول بينكما يوجب بغضة لحكمت بينكما حكومة لا يردها أحد. قال الأحوص: فأنت من ذلك آمنة. قال أبن قيس الرقيات: كلا! قد أمنت أن تكون الحكومة عليك، فلذلك سبقت بالأمان لها. قال الأحوص: فرأيك يدلك على أن معرفتك بأن المحكوم عليه أنت؟ وتفرقا. فلما صار الأحوص إلى منزله جاءه ابن قيس الرقيات فقرع بابه، فأذن له وسلم عليه واعتذر.

ومما قاله الأحوص في سلامة القس وغني به:

أسلام إنك قد ملكت فأسجحي قد يملك الحر الكريم فيسجح
مني على عانٍ أطلت عناءه في الغل عندك والعناة تسرح
إني لأنصحكم وأعلم أنه سيان عندك من يغش وينصح
وإذا شكوت إلى سلامة حبها قالت أجد منك ذا أم تمزح

الشعر للأحوص. والغناء لابن مسجح في الأول والثاني ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. ولدحمان في الأربعة الأبيات ثقيل أول بالبنصر فيه استهلال. وفيه خفيف ثقيل يقال: إنه لمالك؟ ويقال: إنه لسلامة القس.

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال: قال أيوب بن عباية: كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار من بني جشم بن معاوية، وكان فقيهاً عابداً من عباد مكة، يسمى القس لعبادته، وكانت سلامة بمكة لسهيل، وكان يدخل عليها الشعراء فينشدونها وتنشدهم وتغني من أحب الغناء؟ ففتن بها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار القس، فشاع ذاك وظهر، فسميت سلامة القس بذلك.

قال إسحاق وحدثني أيوب بن عباية قال: سألها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار القس أن تغنيه بشعر مدحها به ففعلت، وهو:

ما بال قلبك لا يزال يهيمه ذكر عواقب غيهن سقام
إن التي طرقتك بين ركائب تمشي بمزهرها وأنت حرام
لتصيد قلبك أو جزاء مودة إن الرفيق له عليك ذمام

باتت تعللنا وتحسب أننا في ذاك أيقاظ ونحن نيام

حتى إذا سطع الصباح لناظر فإذا وذلك بيننا أحلام
قد كنت أعذل في السفاهة أهلها فأعجب لما تأتي به الأيام
فاليوم أعذرهم وأعلم إنما سبل الغواية والهدى أقسام

قال إسحاق وحدثني المدائني قال حدثني جرير قال: لما قدم يزيد بن عبد الملك مكة وأراد شراء سلامة القس وعرضت عليه، أمرها أن تغنيه، فكان أول صوت غنته:

إن التي طرقتك بين ركائب تمشي بمزهرها وأنت حرام
والبيض تمشي كالبدور والدمى ونواغم يمشين في الأرقام
لتصيد قلبك أو جزاء مودة إن الرفيق له عليك ذمام

فاستحسنه يزيد فاشتراها. فكان أول صوت غنته لما اشتراها:

ألا قل لهذا القلب هل أنت مبصر وهل أنت عن سلامة اليوم مقصر
ألا ليت أني حين صار بها النوى جليس لسلمى حيث ما عج مزهر
وإني إذا ما الصوت زال بنفسها يزال بنفسي قبلها حين تقبر
إذا أخذت في الصوت كاد جليسها يطير إليها قلبه حين ينظر
كأن حماماً راعبياً مؤدياً إذا نطقت من صدرها يتغشمر

فقال لها يزيد: يا حبيبتي، من قائل هذا الشعر؟ فقصت عليه القصة، فرق له وقال: أحسن وأحسنت!.

قال إسحاق وحدثني المدائني قال: لما اشترى يزيد بن عبد الملك سلامة، وكان الأحوص معجباً بها وبحسن غنائها وبكثرة مجالستها؟ فلما أراد يزيد الرحلة، قال أبياتاً وبعث بها إلى سلامة. فلما جاءها الشعر غنت به يزيد وأخبرته الخبر، وهو:

عاود القلب من سلامة نصب فلعيني من جوى الحب غرب
ولقد قلت أيها القلب ذو الشو ق، الذي لا يحب حبك حب
إنه قد دنا فراق سليمى وغدا مطلب عن الوصل صعب

غناه ابن محرز ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن مسجح خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو. وفيه لابن عباد وعلويه رملان. وفيه لدحمان خفيف رمل. هذه الحكايات الثلاث عن الهشامي. وذكر

حبش أن لسلامة القس فيه ثاني ثقيل بالوسطى.

قال إسحاق وحدثني أيوب بن عباية قال: كانت سلامة وريا لرجل واحد، وكانت حبابة لرجل، وكانت المقدمة منهن سلامة، حتى صارتا إلى يزيد بن عبد الملك، فكانت حبابة تنظر إلى سلامة بتلك العين الجليلة المتقدمة وتعرف فضلها عليها. فلما رأت أثرها عند يزيد ومحبة يزيد لها استخفت بها. فقالت لها سلامة أي أخيه! نسيت لي فضلي عليك! ويلك! أين تأديب الغناء وأين حق التعليم! أنسيت قول جميلة يوماً وهي تطارحنا وهي تقول لك: خذي إحكام ما أطارحك من أختك سلامة، ولن تزالي بخير ما بقيت لك وكان أمركما مؤتلفاً!.

قالت: صدقت خليليتي! والله لا عدت إلى شيء تكرهينه، فما عادت لها إلى مكروه. وماتت حبابة وعاشت سلامة بعدها دهراً.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب عن عبد الرحمن بن المغيرة الحزامي الأكبر قال:

لما قدم عثمان بن حيان المري المدينة والياً عليها، قال له قوم من وجوه الناس: إنك قد وليت على كثرة من الفساد، فإن كنت تريد أن تصلح فطهرها من الغناء والزنا. فصاح في ذلك وأجل أهلها ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة. وكان ابن أبي عتيق غائباً، وكان من أهل الفضل والعفاف والصلاح. فلما كان آخر ليلة من الأجل قدم فقال: لا أدخل منزلي حتى أدخل على سلامة القس. فدخل عليها فقال: ما دخلت منزلي حتى جئتكم أسلم عليكم. قالوا: ما أغفلك عن أمرنا! وأخبروه الخبر. فقال: اصبروا علي الليلة. فقالوا: نخاف ألا يمكنك شيء وننكظ قال: إن خفتم شيئاً فاخرجوا في السحر. ثم خرج فاستأذن على عثمان بن حيان فأذن له، فسلم عليه، وذكر له غيبته وأنه جاءه ليقضي حقه، ثم جزاه خيراً على ما فعل من إخراج أهل الغناء والزنا، وقال: أرجو ألا تكون عملت عملاً هو خير لك من ذلك. قال عثمان: قد فعلت ذلك وأشار به علي أصحابك. فقال: قد أصبت، ولكن ما تقول- أمتع الله بك- في امرأة كانت هذه صناعتها وكانت تكره على ذلك ثم تركته وأقبلت على الصلاة والصيام والخير، وأتى رسولها إليك تقول: أتوجه إليك وأعوذ بك أن تخرجني من جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجده؟ قال: فإني أدعها لك ولكلامك. قال أبن أبي عتيق: لا يدعك الناس، ولكن تأتيك وتسمع من كلامها وتنظر إليها، فإن رأيت أن مثلها ينبغي أن يترك تركتها؟ قال نعم. فجاءه بها وقال لها: اجعلي معك سبحة وتخشعي ففعلت.

فلما دخلت على عثمان حدثته، وإذا هي من أعلم الناس بالناس وأعجب بها، وحدثته عن آبائه وأمورهم ففكه لذلك. فقال لها أبن أبي عتيق: أقرئي للأمير فقرأت له؟ فقال لها احدي له ففعلت، فكثر تعجبه. فقال: كيف لو سمعتها في صناعتها! فلم يزل يترله شيئاً شيئاً حتى أمرها بالغناء. فقال لها أبن أبي عتيق: غني، فغنت:

سددن خصاص الخيم لما دخلنه بكل لبان واضح وجبين

فغنته؟ فقام عثمان من مجلسه فقعد بين يديها ثم قال: لا والله ما مثل هذه تخرج!. قال ابن أبي عتيق: لا يدعك الناس، يقولون: أقر سلامة وأخرج غيرها. قال: فدعوهم جميعا؟ فتركوهم جميعاً.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عبد الله بن أبي فروة قال: قدمت رسل يزيد بن عبد الملك المدينة فاشتروا سلامة المغنية من آل رمانة بعشرين ألف دينار. فلما خرجت من ملك أهلها طلبوا إلى الرسل أن يتركوها عندهم أياماً ليجهزوها بما يشبهها من حلي وثياب وطيب وصبغ. فقالت لهم الرسل: هذا كله معنا لا حاجة بنا إلى شيء منه، وأمروها بالرحيل. فخرجت حتى نزلت سقاية سليمان بن عبد الملك وشيعها الخلق من أهل المدينة، فلما بلغوا السقاية قالت للرسل: قوم كانوا يغشونني ويسلمون علي، ولا بد لي من وداعهم والسلام عليهم، فأذن للناس عليها فانقضوا حتى ملئوا رحبة القصر ووراء ذلك، فوقفت بينهم ومعها العود، فغنتهم:

فارقوني وقد علمت يقيناً ... ما لمن ذلق ميتة من إياب

إن أهل الحصاب قد تركوني ... مولعاً موزعاً بأهل الحصاب

أهل بيت تتابعوا للمنايا ... ما على الدهر بعدهم من عتاب

سكنوا الجزع جزع بيت أبي مو ... سى إلى النخل من صفي السباب

كم بذاك الحجون من حي صدق ... وكهول أعفة وشباب

قال عيسى: وكنت في الناس، فلم تزل تردد هذا الصوت حتى راحت، وانتحب الناس بالبكاء عند ركوبها، فما شئت أن أرى باكياً إلا رأيته.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال:

وجه يزيد بن عبد الملك إلى الأحوص في القدوم عليه، وكان الغريض معه، فقال له: اخرج معي حتى آخذ لك جائزة أمير المؤمنين وتغنيه، فإني لا أحمل إليه شيئاً هو أحب إليه منك، فخرجا. فلما قدم الأحوص على يزيد جلس له ودعا به. فأنشده مدائح فأستحسنها، وخرج من عنده، فبعثت إليه سلامة جارية يزيد بلطفٍ. فأرسل إليها: إن الغريض عندي فدمت به هدية إليك. فلما جاءها الجواب اشتاقت إلى الغريض وإلى الاستماع منه. فلما دعاها أمير المؤمنين تمارضت وبعثت إلى الأحوص: إذا دعاك أمير المؤمنين فاحتل له في أن تذكر له الغريض. فلما دعا يزيد الأحوص قال له يزيد: ويحك يا أحوص! هل لسمعت شيئاً في طريقك تطرفنا به؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، مررت في بعض الطريق فسمعت صوتاً أعجبني حسنه وجودة شعره، فوقفت حتى أستقصيت خبره، فإذا هو الغريض، وإذا هو يغني بأحسن صوت وأشجاه:

ألا هاج التذكر لي سقاماً ... ونكس الداء والوجع الغراما

سلامة إنها همي ودائي ... وشر الداء ما بطن العظاما .

فقلت له ودمع العين يجري ... على الخدين أربعة سجاما

عليك لها السلام فمن نصب يبيت الليل يهذي مستهاما

قال يزيد: ويلك يا أحوص! أنا ذاك في هوى خليليّ؟ وما كنت أحسب مثل هذا يتفق، وإن ذاك لما يزيد لها في قلبي. فلما صنعت يا أحوص حين سمعت ذاك قال: سمعت ما لم أسمع يا أمير المؤمنين أحسن منه، فما صبرت حتى أخرجت الغريض معي وأخفيت أمره، وعلمت أن أمير المؤمنين يسألني عما رأيت في طريقي. فقال له يزيد: ائتني بالغريض ليلاً وأخف أمره. فرجع الأحوص إلى منزله وبعث إلى سلامة بالخبر. فقالت للرسول: قل له جزيت خيراً، قد انتهى إلي كل ما قلت، وقد تلطفت وأحسنت. فلما وارى الليل أهله بعث إلى الأحوص أن عجل المجيء إلي مع ضيفك. فجاء الأحوص مع الغريض فدخلا عليه. فقال غنني الصوت الذي أخبرني الأحوص أنه سمعه منك- وكان الأحوص قد أخبر الغريض الخبر، وإنما ذلك شعر قاله الأحوص يريد يحركه به على سلامة يحتال للغريض في الدخول عليه- فقال: غنني الصوت الذي أخبرني الأحوص. فلما غناه الغريض دمعت عين يزيد ثم قال: ويحك! هل يمكن أن تصير إلى مجلسي؟ قيل له: هي صالحة. فأرسل إليها فأقبلت. فقيل ليزيد: قد جاءت، فضرب لها حجاب فجلست، وأعاد عليه الغريض الصوت، فقالت: أحسن والله يا أمير المؤمنين، فاسمعه مني، فأخذت العود فضربته وغنت الصوت، فكاد يزيد أن يطير فرحاً وسروراً، وقال: يا أحوص، إنك لمبارك! يا غريض غنني في ليليّ هذا الصوت، فلم يزل يغنيه حتى قام يزيد وأمر لهما بمال، وقال: لا يصبح الغريض في شيء من دمشق. فأرتحل الغريض من ليلته، وأقام الأحوص بعده أياماً ثم لحق به؟ وبعثت سلامة إليهما بكسوة ولطف كثير.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني رجل من أهلي من بني نوفل قال: قدمت في جماعة من قريش على يزيد بن عبد الملك، فألفيناه في علته التي مات فيها بعد وفاة حبابة، فنزلنا منزلاً لاصقاً بقصر يزيد، فكنا إذا أصبحنا بعثنا بمولى لنا يأتينا بخبره، وربما أتينا الباب فسألنا، فكان يثقل في كل يوم. فإنا لفي منزلنا ليلة إذ سمعنا همساً من بكاء ثم يزيد ذلك، ثم سمعنا صوت سلامة القس وهي رافعة صوتها تنوح وتقول:

لا تلمنا إن خشعنا أو هممنا بخشوع

قد لعمري بت ليلي كأخي الداء الوجيع

كلما أبصرت ربعاً خالياً فاضت دموعي

قد خلا من سيد كا ن لنا غير مضيع

ثم صاحت وا أمير المؤمنين! فعلمنا وفاته، فأصبحنا فغدونا في جنازته.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا إسماعيل بن أبي أويس عن أبيه قال: قال يزيد بن عبد الملك ما يمر

عيني ما أوتيت من أمر الخلافة حتى أشتري سلامة جارية مصعب بن سهيل الزهري وحبابة جارية آل لاحق المكية؟ فأرسل فاشتريتا له. فلما اجتمعتا عنده قال: أنا الآن كما قال الشاعر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر

فلما توفي يزيد رثته سلامة فقالت وهي تنوح عليه هذا الشعر:

لا تلمنا إن خشعنا أو هممنا بخشوع

إذ فقدنا سيداً كا ن لنا غير مضيع

وهو كالليث إذا ما عد أصحاب الدروع

يقنص الأبطال ضرباً في مضي ورجوع

أخبرنا الحسين بن يحيى قال حدثنا الزبير والمدائني أن سلامة كانت لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف، فاشتراها يزيد بن عبد الملك، وكانت مغنية حاذقة جميلة ظريفة تقول الشعر، فما رأيت خصالاً أربعاً اجتمعن في امرأة مثلها: حسن وجهها وحسن غنائها وحسن شعرها. قال: والشعر الذي كانت تغني به:

لا تلمنا إن خشعنا أو هممنا بخشوع

للذي حل بنا اليو م من الأمر الفظيع

وذكر باقي الأبيات مثل ما ذكره غيره.

قال إسحاق وحدثني الجمحي قال حدثنا من رأى سلامة تندب يزيد بن عبد الملك بمرثية رثته بها، فما سمع السامعون بشيء أحسن من ذلك ولا أشجى، ولقد أبكت العيون وأحرقت القلوب وأفتنت الأسماع، وهي:

يا صاحب القبر الغريب بالشأم في طرف الكثيب

بالشأم بين صفائح صم ترصف بالجبوب

لما سمعت أنينه وبكاءه عند المغيب

أقبلت أطلب طبه والداء يعضل بالطبيب

الشعر لرجل من العرب كان خرج بابن له من الحجاز إلى الشأم بسبب امرأة هويها وخاف أن يفسد بحبها، فلما فقدها مرض بالشأم وضني فمات ودفن بها. كذا ذكر ابن الكلبي، وخبره يكتب عقب أخبار سلامة القس.

والغناء لسلامة ثقيل أول بالوسطى عن حبش. وفيه لحكم رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لحن لابن غزوان الدمشقي من كتاب ابن خرداذبه غير مجنس.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني الجمحي قال: حدثني من حضر الوليد بن يزيد

وهو يسأل سلامة أن تغنيه شعرها في يزيد وهي تتنغص من ذلك وتدمع عيناها، فأقسم عليها فغنته،؟ فما سمعت شيئاً أحسن من ذلك. فقال لها الوليد: رحم الله أبي وأطال عمري وأمتعني بحسن غنائك يا سلامة!. بم كان أبي يقدم عليك حبابة؟ قالت: لا أدري والله!. قال لها، لكنني والله أدري! ذلك بما قسم الله لها. قالت: يا سيدي أجل.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني عبد الله بن عبد الملك الهدادي عن بعض رجاله عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: سمعت نائحة مدنية تنوح بهذا الشعر:

قد لعمري بت ليلي كأخي الداء الوجيع

ونجي الهم مني بات أدنى من ضلوعي

كلما أبصرت ربعاً دارساً فاضت دموعي

مقفراً من سيد كا ن لنا غير مضيع

والشعر للأحوص. والنوح لمعبد، وكان صنعه لسلامة وناحت به سلامة على يزيد. فلما سمعته منها استحسنته واشتهيته ولهجت به، فكنت أترنم به كثيراً. فسمع ذلك مني أبي فقال: ما تصنع بهذا؟ قلت: شعر قاله الأحوص وصنعه معبد سلامة وناحت به سلامة على يزيد. ثم ضرب الدهر، فلما مات الرشيد إذا رسول أم جعفر قد وافاني فأمرني بالحضور. فسرت إليها، فبعثت إلي: إني قد جمعت بنات الخلفاء وبنات هاشم لننوح على الرشيد في ليلتنا هذه؟ فقل الساعة أبياتاً رقيقة واصنعهن صنعة حسنة حتى أنوح بهن. فأردت نفسي على أن أقول شيئاً فما حضرني وجعلت ترسل إلي تحثني، فذكرت هذا النوح فأريت أني أصنع شيئاً، ثم قلت: قد حضرني القول وقد صنعت فيه ما أمرت؟ فبعثت إلي بكنيزة وقالت: طارحها حتى تطارحنيه. فأخذت كنيزة العود ورددته عليها حتى أخذته، ثم دخلت فطارحته أم جعفر، فبعثت إلي بمائة ألف درهم ومائة ثوب.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

لقد فتنت ريا وسلامة القسا فلم تتركا للقس عقلاً ولا نفسا

فتاتان أما منهما فشبيهة ال هلال وأخرى منهما تشبه الشمسا

الشعر لعبد الله بن قيس الرقيات. والغناء لمالك خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن سريج ثقيل أول عن الهشامي. وزعم عمرو بن بانة أن خفيف الثقيل لحنين الحيري. وقيل: إن الثقيل الأول لدحمان.

ومنها الشعر الذي أوله:

أهابك أن أقول بذلت نفسي

أأثلة جر جيرتك الزيالا وعاد ضمير ودكم خبالا
فإني مستقيلك أثل لبي ولب المرء أفضل ما استقالا

أهابك أن أقول بذلت نفسي ولو أني أطيع القلب قالا
حياء منك حتى سل جسمي وشق علي كتماني وطالا

الشعر للقس. والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر. وفيه لمعبد ثقيل أول بالوسطى، أوله:

أهابك أن أقول بذلت نفسي

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا بكار بن رباح قال: كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار من بني جشم بن معاوية، وقد كانت أصابت جده منة من صفوان بن أمية، وكان يترل مكة، وكان من عباد أهلها، فسمي القس من عبادته. فمر ذات يوم بسلامة وهي تغني فوقف فتسمع غناءها. فرآه مولاها فدعاه إلى أن يدخله إليها فيسمع منها، فأبى عليه. فقال له: فإني أقعدك في مكان تسمع منها ولا تراها. فقال: أما هذا فنعم. فأدخله داره وأجلسه حيث يسمع غناءها؟ ثم أمرها فخرجت إليه. فلما رآها علقت بقلبه فهام بها، واشتهر وشاع خبره بالمدينة. قال: وجعل يتردد إلى مترل مولاها مدة طويلة. ثم إن مولاها خرج يوماً لبعض شأنه وخلفه مقيماً عندها فقالت له: أنا والله أحبك! فقال لها: وأنا والله الذي لا إله إلا هو. قالت: وأنا والله اشتهي أن أعانقك وأقبلك! قال: وأنا والله. قالت: وأشتهي والله أن أضاجعك وأجعل بطني على بطنك وصدري على صدرك! قال: وأنا والله. قالت: فما يمنعك من ذلك؟ فوالله إن المكان لخال! قال: يمنعني منه قول الله عز وجل: "الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين" فأكره أن تحول مودتي لك عداوة ، يوم القيامة. ثم خرج من عندها وهو يبكي؟ فما عاد إليها بعد ذلك.

وأخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن المدائني قال: لما ملك يزيد بن عبد الملك حبابة وسلامة القس تمثل:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر

ثم قال: ما شاء بعد من أمر الدنيا فليفتني.

وإني ليرضيني قليل نوالكم وإن كنت لا أرضى لكم بقليل
بحرمة ما قد كان بيني وبينكم من الوصل إلا عدتم بجميل

الشعر للعباس بن الأحنف. والغناء لسليمان الفزاري. ولحنه المختار من الرمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه خفيف رمل أوله الثاني ثم الأول، ينسب إلى حكم الوادي وإلى سليمان أيضاً. وفيه لحن من الثقيل الأول! يقال: إنه لمخارق، ذكر حبش أن لحن مخارق ثاني ثقيل.

أخبار العباس بن الأحنف ونسبه

هو - فيما ذكر ابن النطاح - العثاص بن الأحنف بن الأسود بن طفحة ابن جدان بن كلدة من بني عدي بن حنيفة.

وأخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال سمعت إبراهيم بن العباس يقول: العباس بن الأحنف بن الأسود بن قدامة بن هفيان من بني هفان بن الحارث بن الذهل بن الدول بن حنيفة. قال: وكان حاجب بن قدامة عم العباس من رجال الدولة.

قال محمد بن يحيى وحدثني أبو عبد الله الكندي قال حدثني محمد بن بكر الحنفي الشاعر قال حدثني أبي قال: سمعت العباس بن الأحنف يذكر أن هوذة بن علي الحنفي قد ولده من قبل بعض أمهاته.

وكان العباس شاعراً غزلاً ظريفاً مطبوعاً، من شعراء الدولة العباسية، وله مذهب حسن، ولديباجة شعره رونق، ولمعانيه عذوبة ولطف. و لم يكن يتجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء، ولا يتصرف في شيء من هذه المعاني.

وقدمه أبو العباس المبرد في كتاب الروضة على نظرائه، وأطنب في وصفه، وقال: رأيت جماعة من الرواة للشعر يقدمونه. قال: وكان العباس من الظرفاء، و لم يكن من الخلعاء، وكان غزلاً و لم يكن فاسقاً، وكان ظاهر النعمة ملوكي المذهب شديد التترف، وذلك بين في شعره. وكان قصده الغزل وشغله النسيب، وكان حلواً مقبولاً غزلاً غزير الفكر واسع الكلام كثير التصرف في الغزل وحده، و لم يكن هجاء ولا مداحاً.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أبو ذكوان قال: سمعت إبراهيم بن العباس يصف العباس بن الأحنف، فقال: كان والله ممن إذا تكلم لم يحب سامعه أن يسكت، وكان فصيحاً جميلاً ظريف اللسان، لو شئت أن تقول كلامه كله شعر لقلت.

حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: رأيت نسخاً من شعر العباس بن الأحنف بخراسان، وكان عليها مكتوب: "شعر الأمير أبي الفضل العباس ".

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثني صالح بن عبد الوهاب: أن العباس بن الأحنف كان من عرب خراسان، ومنشؤه ببغداد، و لم تزل العلماء تقدمه على كثير من المحدثين، ولا تزال قد ترى له الشيء البارع جداً حتى تلحقه بالمحسنين.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا يموت بن المزرع قال: سمعت خالي "يعني الجاحظ" يقول: لولا أن العباس بن الأحنف أحذق الناس وأشعرهم وأوسعهم كلاماً وخاطراً ما قدر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزه، لأنه لا يهجو ولا يمدح ولا يتكسب ولا يتصرف، وما نعلم شاعراً لزم فناً واحداً لزومه فأحسن فيه وكثر.

حدثني محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن القاسم بن خلاد قال: أنشد الحرمازي أبو علي وأنا حاضر للعباس بن الأحنف:

لا جزى الله دمع عيني خيراً وجزى الله كل خير لساني

نم دمعي فليس يكتم شيئاً ورأيت اللسان ذا كتمان

كنت مثل الكتاب أخفاه طي فاستدلوا عليه بالعنوان

- الغناء لعريب رمل- ثم قال الحرمازي: هذا والله طراز يطلب الشعراء مثله فلا يقدرون عليه.

أخبرني محمد قال حدثني حسين بن فهم قال سمعت العطوي يقول: كان العباس بن الأحنف شاعراً مجيداً غزلاً، وكان أبو الهذيل العلاف يبغضه ويلعنه لقوله:

إذا أردت سلواً كان ناصركم قلبي وما أنا من قلبي بمنتصر

فأكثروا أو أقلوا من إساءتكم فكل ذلك محمول على القدر

قال: فكان أبو الهذيل يلعنه لهذا ويقول: يعقد الكفر والفجور في شعره.

قال محمد بن يحيى: وأنشدني محمد بن العباس اليزيدي شعراً للعباس أظنه يهجو به أبا الهذيل- وما، سمعت للعباس هجاء غيره:

يا من يكذب أخبار الرسول لقد أخطأت في كل ما تأتي وما تذر

كذبت بالقدر الجاري عليك فقد أتاك مني بما لا تشتهي القدر

حدثني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن سعيد عن الرياشي قال: قيل للأصمعي- أو قلت له- ما أحسن ما تحفظ للمحدثين؟ قال: قول العباس بن الأحنف:

لو كنت عاتبة لسكن روعتي أملي رضاك وزرت غير مراقب

لكن مللت فلم تكن لي حيلة صد الملول خلاف صد العاتب

الغناء للعباس أخي بحر رمل.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ومحمد بن العباس اليزيدي قالا، واللفظ لهاشم، قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال: دخل عمي على الرشيد والعباس بن الأحنف عنده، فقال العباسي للرشيد: دعني أعبث بالأصمعي. قال له الرشيد: إنه ليس ممن يحتمل العبث. فقال: لست أعبث به عبثاً يشق عليه. قال: أنت أعلم. فلما دخل عمي قال له: يا أبا سعيد، من الذي يقول:

إذا أحببت أن تص نع شيئاً يعجب الناسا

فصور هاهنا فوزاً وصور ثم عباسا

فإن لم يدنوا حتى ترى رأسيهما راسا

كذب بها بما قاست وكذبه بما قاسى

فقال له عمي يعرض بأنه نبطي: قاله الذي يقول:

إذا أحببت أن تبص ... ر شيئاً يعجب الخلقا

فصور هاهنا دوراً ... وصور هاهنا فلقا

فإن لم يدنوا حتى ... ترى خلقيهما خلقا

فكذبها بما لاقت ... وكذبه بما يلقى

قال: فخجل العباس، وقال له الرشيد: قد نهيتك فلم تقبل.

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال أنشدني إبراهيم بن العباسي للعباس بن الأحنف:

قالت ظلوم سمية الظلم ... مالي رأيتك ناحل الجسم

يا من رمى قلبي فاقصده ... أنت العليم بموضع السهم

فقلت له: إن أبا حاتم السجستاني حكى عن الأصمعي أنه أنشد للعباس بن الأحنف:

أتأذنون لصب في زيارتكم ... فعندكم شهوات السمع والبصر

لا يضمر السوء إن طال الجلوس به ... عف الضمير ولكن فاسق النظر

فقال الأصمعي: ما زال هذا الفتى يدخل يده في جرابه فلا يخرج شيئاً، حتى أدخلها فأخرج هذا، ومن أدمن طلب شيء ظفر ببعضه. فقال إبراهيم بن العباس: أنا لا أدري ما قال الأصمعي، ولكن أنشدك للعباس ما لا تدفع أنت ولا غيرك فضله، ثم أنشدني قوله:

والله لو أن القلوب كقلبها ... مارق للولد الضعيف الوالد

وقوله:

لكن مللت فلم تكن لي حيلة ... صد الملول خلاف صد العاتب

وقوله:

حتى إذا اقتحم الفتى لجج الهوى ... جائت أمور لا تطاق كبار

ثم قال: هذا والله ما لا يقدر أحد على أن يقول مثله أبداً.

حدثني عمي قال حدثني ميمون بن هارون قال: كنا عند الحسن بن وهب فقال لبنان: غنيني:

أتأذنون لصب في زيارتكم ... فعندكم شهوات السمع والبصر

لا يضمر السوء إن طال الجلوس به ... عف الضمير ولكن فاسق النظر

قال: فضحكت ثم قالت: فأي خير فيه إن كان كذا أو أي معنى! فخجل الحسن من نادرتها عليه، وعجبنا من حدة جوابها وفطنتها.

حدثني الصولي قال: أخبرنا أحمد بن إسماعيل النصيبيني قال سمعت سعيد بن جنيد يقول: ما أعرف أحسن من شعر العباس في إخفاء أمره حيث يقول:

أريدك بالسلام فأتقيهم فأعمد بالسلام إلى سواك

وأكثر فيهم ضحكي ليخفى فسني ضاحك والقلب باك

حدثني الصولي قال حدثني علي بن محمد بن نصر قال حدثني خالي أحمد بن حمدون قال: كان بين الواثق وبين بعض جواريه شر فخرج كسلان، فلم أزل أنا والفتح بن خاقان نحتال لنشاطه، فراني أضاحك الفتح فقال: قاتل الله أبن الأحنف حيث يقول:

عدل من الله أبكاني وأضحكها فالحمد لله عدل كل ما صنعا

اليوم أبكي على قلبي وأندبه قلب ألح عليه الحب فانصدعا

فقال الفتح: أنت والله يا أمير المؤمنين في وضع التمثل موضعه أشعر منه وأعلم وأظرف.

أخبرني الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه قال: قالت للواثق جارية له كان يهواها وقد جرى بينهما عتب: إن كنت تستطيل بعز الخلافة فأنا أدل بعز الحب. أتراك لم تسمع بخليفة عشق قبلك قط فاستوفى من معشوقه حقه، ولكني لا أرى لي نظيراً في طاعتك. فقال الواثق: لله در ابن الأحنف حيث يقول:

أما تحسبيني أرى للعاشقين بلى، ثم لست أرى لي نظيرا

لعل الذي بيديه الأمور سيجعل في الكره خيراً كثيرا

حدثني الصولي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي قال: سمعت الزبير يقول: ابن الأحنف أشعر الناس في قوله:

تعتل بالشغل عنا ما تكلمنا الشغل للقلب ليس الشغل للبدن

ويقول: لا أعلم شيئاً من أمور الدنيا خيرها وشرها إلا وهو يصلح أن يتمثل فيه بهذا النصف الأخير.

حدثني الصولي قال حدثني محمد بن سعيد عن حماد بن إسحاق قال: كان أبي يقول: لقد ظرف ابن الأحنف في قوله يصف طول عهده بالنوم:

قفا خبراني أيها الرجلان عن النوم إن الهجر نهاني

وكيف يكون النوم أم كيف طعمه صفا النوم لي إن كنتما تصفان

قال: على قلة إعجابه بمثل هذه الأشعار.

حدثني الصولي قال حدثني ميمون بن هارون بن مخلد قال حدثنا أحمد بن إبراهيم قال: رأيت سلمة بن عاصم

ومعه شعر العباس بن الأحنف، فعجبت منه وقلت: مثلك- أعزك الله- يحمل هذا! فقال: ألا أحمل شعر من يقول:

أسأت أن أحسنت ظني بكم والحزم سوء الظن بالناس

يقلقني الشوق فآتيكم والقلب مملوء من اليأس

غنى هذين البيتين حسين بن محرز خفيف رمل بالوسطى. وأول الصوت:

يا فوز يا منية عباس واحربا من قلبك القاسي

وروى أحمد بن إبراهيم قال: أتاني أعرابي فصيح ظريف، فجعلت أكتب عنه أشياء حساناً، ثم قال: أتشدني لأصحابكم الحضريين. فأنشدته للعباس بن الأحنف:

ذكرتك بالتفاح لما شممته وبالراح لما قابلت أوجه الشرب

تذكرت بالتفاح منك سوالفاً وبالراح طعماً من مقبلك العذب

فقال: هذا عندك وأنت تكتب عني! لا أنشدك حرفاً بعد هذا.

فضل العباس بن الفضل بعض شعره على قول أهل العراق: وحدثني الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى الكاتب قال سمعت عبد الله بن العباس بن الفضل يقول:

سبحان رب العلا ما كان أغفلني عما رمتني به الأيام والزمن

من لم يذق فرقة الأحباب ثم يرى آثارهم بعدهم لم يدر ما الحزن

قال أبو بكر: وقد غنى عبد الله بن العباس فيه صوتاً خفيف رمل.

حدثني الصولي قال! حدثنا ميمون بن هارون قال: سمعت حسين بن الضحاك يقول: لو جاء العباس بن الأحنف بقوله ما قاله في بيتين في أبيات لعذر، وهو قوله:

لعمرك ما يستريح المحب فقد يكتم المرء أسراره

حتى يبوح بأسراره فتظهر في بعض أشعاره

ثم قال: أما قوله في هذا المعنى الذي لم يتقدمه فيه أحد فهو:

الحب أملك للفؤاد بقهره من أن يرى للستر فيه نصيب

وإذا بدا سر اللبيب فإنه لم يبد إلا والفتى مغلوب

أخبرني الصولي قال حدثني الغلابي قال حدثني الزبير بن بحار قال قال أبو العتاهية: ما حسدت أحداً إلا العباس بن الأحنف في قوله:

إذا امتنع القريب فلم تنله على قرب فذاك هو البعيد

فإني كنت أولى به منه وهو بشعري أشبه منه بشعره. فقلت له: صدقت، هو يشبه شعرك.

أخبرني الصولي فال حدثني أبو الحسن الأنصاري قال: سمعت الكندي يقول: العباس بن الأحنف مليح ظريف حكيم جزل في شعره، وكان قليلاً ما يرضيني الشعر. فكان ينشد له كثيراً:

ألا تعجبون كما أعجب حبيب يسيء ولا يعتب

وأبغي رضاه على سخطه فيأبى علي ويستصعب

فيا ليت حظي إذا ما أسأ ت أنك ترضى ولا تغضب

كان إبراهيم الموصلي مشغوفاً بشعره كثير الغناء فيه: أخبرني الصولي قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثني حماد بن إسحاق قال: كان جدي إبراهيم مشغوفاً بشعر العباس، فتغنى في كثير من شعره، فذكر أشعاراً كثيرة حفظت منها:

وقد ملئت ماء الشباب كأنها قضيب من الريحان ريان أخضر

هم كتموني سيرهم حين أزمعوا وقالوا أتعدنا للرواح وبكروا

ذكر الهشامي أن اللحن في هذين البيتين لعلوية رمل، وفي كتاب ابن المكي أنه لابن سريح، وهو غلط.

وقد أخبرني الحسن بن علي عن الحسين بن فهم قال: أنشد المأمون قول عباس بن الأحنف:

هم كتموني سيرهم حين أزمعوا وقالوا أتعدنا للرواح وبكروا

فقال المأمون: سخروا بأبي الفضل.

قال: وحفظت منها:

تمنى رجال ما أحبوا وإنما تمنيت أن أشكو إليك وتسمعا

أرى كل معشوقين غيري وغيرها قد أستعذبا طول الهوى وتمتعا

الغناء لإبراهيم ثقيل أول بالبنصر. وفيه ثقيل أول بالوسطى ينسب إلى يزيد حوراء وإلى سليم بن سلام.

قال وحفظت منها:

بكت عيني لأنواع من الحزن وأوجاع

وأني كل يوم عن دكم يحظى بي الساعي

أعيش الدهر إن عشت بقلب منك مرتاع

وإن حل بي البعد سينعاني لك الناعي

الغناء لإبراهيم الموصلي ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو. وفي كتاب إبراهيم بن المهدي الذي رواه الهشامي عنه أن لإبراهيم بن المهدي فيه لحنين: ثقيلاً أول وماخورياً. وفيه هزج محدث.

أخبرني الصولي قال حدثنا أصحابنا عن محمد بن الفضل عن حماد بن إسحاق قال: ما غنى جدي في شعر أحد من الشعراء أكثر مما غنى في شعر ذي الرمة وعباس بن الأحنف.

أخبرني الصولي قال! حدثني محمد بن عبد الله التميمي قال: كنا في مجلس ابن الأعرابي، إذ أقبل رجل من ولد سعيد بن سالم كان يلزم ابن الأعرابي، وكان يحبه ويأنس به، فقال له: ما أخرك عني؟ فاعتذر بأشياء ثم قال: كنت مع مخارق عند بعض بني الرشيد فوهب له مائة ألف درهم على صوت غناه به، فاستكثر ذلك ابن الأعرابي واستهاله وعجب منه، وقال: ما هو؟ قال: غناه بشعر عباس بن الأحنف:

بكت عيني لأنواع ... من الحزن وأوجاع

وأني كل يوم عن ... دكم يحظى بي الساعي

فقال ابن الأعرابي: أما الغناء فما أدري ما هو، ولكن هذا والله كلام قريب مليح.

حدثني الصولي قال حدثنا محمد بن الهيثم قال حدثني محمد بن عمرو الرومي قال: كنا عند الواثق فقال: أريد أن أصنع لحناً في شعر معناه أن الإنسان كائناً من كان لا يقدر على الاحتراس من عدوه، فهل تعرفون في هذا شيئاً؟ فأنشدنا ضروباً من الأشعار فقال: ما جئتم بشيء مثل قول عباس بن الأحنف:

قلبي إلى ما ضرني داعي ... يكثر أسقامي وأوجاعي

كيف احتراسي من عدوي ... إذا كان عدوي بين أضلاعي

أسلمني للحب أشياعي ... لما سعى بي عندها الساعي

لقلما أبقى على كل ذا ... يوشك أن ينعاني الناعي

قال: فعمل فيه الواثق لحنه الثقيل الأول، النشيد بالوسطى حدثني الصولي قال حدثني محمد بن موسى أو حدثت به عنه عن علي بن الجهم قال: انصرفت ليلة من عند المتوكل، فلما دخلت مترلي جاءني رسوله يطلبني، فراعني ذلك وقلت: بل تتبعت به بعد انصرافي، فرجعت إليه وجلاً، فأدخلت عليه وهو في مرقده. فلما رآني ضحك، فأيقنت بالسلامة، فقال: يا علي، أنا مذ فارقتك ساهر، خطر على قلبي هذا الشعر الذي يغني فيه أخي، قول الشاعر:

قلبي إلى ما ضرني داعي

الأبيات. فحرصت أن أعمل مثل هذا فلم يجئني، أو أن أعمل مثل اللحن فما أمكنني؟ فوجدت في نفسي نقصاً، فقلت: يا سيدي، كان أخوك خليفة يغني وأنت خليفة لا تغنى، فقال: قد والله أهديت إلى عيني نوماً، أعطوه

ألف دينار، فأخذها وانصرفت.

وجدت في كتاب الشاهيني بغير إسناد: أنشد أبو الحارث جميز قول العباس بن الأحنف.

قلبي إلى ما ضرني داعي

الأبيات. فبكى ثم قال: هذا شعر رجل جائع في جارية طباخة مليحة، فقلت له: من أين قلت ذاك؟ قال: لأنه بدأ فقال: قلبي إلى ما ضرني داعي وكذلك الإنسان يدعوه قلبه وشهوته إلى ما يضره من الطعام والشراب فيأكله، فتكثر علله وأوجاعه، وهذا تعريض، ثم صرح فقال:

كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي

وليس للإنسان عدو بين أضلاعه إلا معدته، فهي تتلف ماله، وهي سبب أسقامه، وهي مفتاح كل بلاء عليه-، ثم قال:

إن دام لي هجرك يا مالكي أوشك أن ينعاني الناعي

فعلمت أن الطباخة كانت صديقته، وأنها هجرته ففقدها وفقد الطعام، فلو دام ذلك عليه لمات جوعا ونعاه الناعي.

وحدثني الصولي قال حدثني محمد بن عيسى قال: جاء عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع إلى الحسن بن وهب، وعنده بنان جارية محمد بن حماد، وهي نائمة سكرى وهو يبكي عندها. فقال له: مالك؟ قال: قد كنت نائما فجاءتني فأنبهتني وقالت: اجلس حتى تشرب فجلست، فوالله ما غنت عشرة أصوات حتى نامت وما شربت إلا قليلاً، فذكرت قول أشعر الناس وأظرفهم، العباس بن الأحنف.

أبكي الذين أذاقوني مودتهم حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا

فأنا أبكي وأنشد هذا البيت.

وحدثني الصولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال: سمعت إبراهيم بن العباس يقول: ما رأيت كلاماً محدثاً أجزل في رقة، ولا أصعب في سهولة، ولا أبلغ في إيجاز، من قول العباس بن الأحنف:

تعالي نجدد دارس العهد بيننا كلانا على طول الجفاء ملوم

قال الصولي: ووجدت بخط عبد الله بن الحسن: أنشد أبو محمد الحسن بن مخلد قال: أنشدني إبراهيم بن العباس بن الأحنف:

إن قال لم يفعل وإن سيل لم يبذل وإن عوتب لم يعتب

صب بعصياني ولو قال لي لا تشرب البارد لم أشرب

إليك أشكو رب ما حل بي من صد هذا المذنب المغضب

غنى في هذه الأبيات أحمد بن صدقة هزجاً بالوسطى. وفيها لحن آخر لغيره- قال الحسن بن مخلد: ثم قال لي إبراهيم بن العباس: هذا والله الكلام الحسن المعنى، السهل المورد، القريب المتناول، المليح اللفظ، العذب المستمع.

حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي قال: سمعت علي بن يحيى يقول: من الشعر المرزوق من المغنين خاصة شعر العباس بن الأحنف، وخاصة قوله:

نائم من أهدى لي الأرقا مستريحاً سامني قلقا

فإنه غنى فيه جماعة من المغنين، منهم إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق وغيرهما. قال: وكان يستحسن هذا الشعر، وأظن استحسانه إياه حمله على أن قال في رويه وقافيته:

بأبي والله من طرقا كابتسام البرق إذ خفقا

وعمل فيه لحناً من خفيف الثقيل في الإصبع الوسطى. هكذا رواه الصولي.

وأخبرني جحظة قال حدثني حماد بن إسحاق قال: قال أبي: هذا الصوت:

نام من أهدى لي الأرقا

من الأشعار المحظوظة في الغناء لكثرة ما فيه من الصنعة واشتراك المغنين في ألحانه. وذكر محمد بن الحسن الكاتب عن علي بن محمد بن نصر عن جده حمدون أنه قال ذلك و لم يذكره عن إسحاق.

نام من أهدى لي الأرقا مستريحاً زادني قلقا

لو يبيت الناس كلهم بسهادي بيض الحدقا

كان لي قلب أعيش به فاصطلى بالحب فاحترقا

أنا لم أرزق مودتكم إنما للعبد ما رزقا

لإسحاق في هذا الشعر خفيف بالوسطى في مجراها. ولأبيه إبراهيم أيضاً فيه خفيف ثقيل آخر. ولابن جامع فيه لحنان: رمل مطلق في مجرى الوسطى في الأول والثالث، وخفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى أيضاً في الأبيات كلها. وفيه لسليم هزج، وفيه لعلويه ثقيل أول.

بأبي والله من طرقا كابتسام البرق إذ خفقا

زادني شوقاً بزورته وملا قلبي به حرقا

من لقلب هائم دنف كلما سليته قلقا

زارني طيف الحبيب فما زاد أن أغرى بي الأرقا

الشعر لعلي بن يحيى، وذكر الصولي أن الغناء له خفيف ثقيل أول بالوسطى.

وذكر أبو العبيس بن حمدون أن هذا الخفيف الثقيل من صنعته. وفيه لعريب ثاني ثقيل بالوسطى أيضاً.

حدثني الصولي قال: سمعت عبد الله بن المعتز يقول: لو قيل: ما أحسن شيء تعرفه؟ قلت: شعر العباس بن الأحنف:

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا ... وفرق الناس فينا قولهم فرقا

فكاذب قد رمي بالحب غيركم ... وصادق ليس يدري أنه صدقا

قال: وللمسدود في هذا الشعر لحن. قال: و لم يغن المسدود أحسن من غنائه في شعر العباس بن الأحنف. هكذا ذكر الصولي، و لم يأت بغير هذا. ولإسحاق في هذين البيتين ثقيل أول بالبنصر من نسخة عمرو بن بانة الثانية. ولابن جامع ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي. وليزيد حوراء خفيف ثقيل عنه. وللمسدود رمل. ولعبد الله بن العباس الربيعي خفيف رمل.

وأخبرني الصولي قال حدثني محمد بن سعيد قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: غضب الفضل بن الربيع على جارية له كانت أحب الناس إليه، فتأخرت عن استرضائه، فغمه ذلك، فوجه إلى أبي يعلمه ويشكوها إليه. فكتب إليه أبي: لك العزة والشرف، ولأعدائك الذل والرغم. واستعمل قول العباس بن الأحنف:

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه ... و إن كنت مظلوماً فقل أنا ظالم

فإنك إلا تغفر الذنب في الهوى ... يفارقك من تهوى و أنفك راغم

فقال: صدقت، وبعث إليها فترضاها.

أخبرني الصولي قال حدثني أبو بكر بن أبي خيثمة قال: قيل لمصعب الزبيري: إن الناس يستبردون شعر العباس بن الأحنف. فقال: لقد ظلموه، أليس الذي يقول:

قالت ظلوم سمية الظلم ... مالي رأيتك ناحل الجسم

يا من رمى قلبي فأقصده ... أنت العليم بموقع السهم

أخبرني الصولي قال حدثنا ميمون بن هارون قال حدثني أبو عبد الله الهشامي الحسن بن أحمد قال حدثنا عمرو بن بانة قال: كنا في دار أم جعفر جماعة من الشعراء والمغنين، فخرجت جارية لها وكمها مملوء دراهم، فقالت: أيكم القائل:

من ذا يعيرك عينة تبكي بها ... أرأيت عيناً للبكاء تعار

فأومئ إلى العباس بن الأحنف، فنثرت الدراهم في حجره فنفضها فلقطها الفراشون، ثم دخلت ومعها ثلاثة نفر من الفراشين على عنق كل فراش بدرة فيها دراهم، فمضوا بها إلى منزل العباس بن الأحنف: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن موسى قال: أنشد الرشيد قول العباس بن الأحنف:

من ذا يعيرك عينه تبكي بها

فقال: من لا صحبه الله ولا حاطه.

حدثني الصولي قال حدثني عون بن محقد الكندي قال: كنا مع مخلد الموصلي في مجلس وكان معنا عبد الله بن ربيعة الزقي، فأنشد مخلد الموصلي قصيدة له يقول

كل شيء أقوى عليه ولكن ليس لي بالفراق منك يدان

فجعل يستحسنه ويردده، فقال له عبد الله: أنت الفداء لمن ابتدأ هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول:

سلبتني من الشرور ثياباً وكستني من الهموم ثيابا

كلما أغلقت من الوصل باباً فتحت لي إلى المنية بابا

عذبيني بكل شيء سوى الص د فما ذقت كالصدود عذابا

قال: فضحك الموصلي. والشعر للعباس بن الأحنف.

وأخبرني الصولي قال حدثني أبو الحسن الأسدي قال: سمع الرياشي يقول، وقد ذكر عنده العباس بن الأحنف: والله لو لم يقل من الشعر إلا هذين البيتين لكفيا:

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا

صرت كأني ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق

وفي هذين البيتين لحن لعبد الله بن العباس من الثقيل الثاني بالبنصر. وفيه لخزرج رمل أول عن عبد الله بن العباس:

أنت لا تعلمين ما الهم والحزن ولا تعلمين ما الأرق

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن يزيد المبرد قال حدثني بعض مشايخ الأزد عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: كان الرشيد يقدم أبا العتاهية حتى يجوز الحد في تقديمه، وكنت أقدم العباس بن الأحنف؟ فاغتابني بعض الناس عند الرشيد وعابني عنده، وقال عقب ذلك: وبحسبك يا أمير المؤمنين أنه يخالفك في العباس بن الأحنف على حداثة سنه وقلة حذقه وتجريبه، ويقدمه على أبي العتاهية مع ميلك إليه. وبلغني الخبر فدخلت على الرشيد، فقال لي ابتداء: أيما أشعر عندك: العباس بن الأحنف أو أبو العتاهية؟ فعلمت الذي يريد، فأطرقت كأني مستثبت ثم قلت: أبو العتاهية أشعر. قال: أنشدني لهذا ولهذا، قلت: فبأيهما أبدأ؟ قال: بالعباس. قال: فأنشدته أجود ما أرويه للعباس، وهو قوله:

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا

فقال لي: أحسن، فأنشدني لأبي العتاهية، فأنشدته أضعف ما أقدر عليه، وهو قوله:

كأن عتابة من حسنها ... دمية قس فتنت قسها

يا رب لو أنسيتنيها بما ... في جنة الفردوس لم أنسها

إني إذاً مثل التي لم تزل ... دائبة في طحنها كدسها

حتى إذا لم يبق منها سوى ... حفنة بر قتلت نفسها

قال: أتعيره هذا! فأين أنت عن قوله:

قال لي أحمد ولم يدر ما بي ... أتحب الغداة عتبة حقا

فتنفست ثم قلت نعم حب ... اً جرى في العروق عرقاً فعرقا

ويحك! أتعرف لأحد مثل هذا، أو تعرف أحداً سبقه إلى قوله: "فتنفست ثم قلت كذا وكذا"! اذهب ويحك فاحفظها، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، ولو كنت سمعت بها لحفظتها. قال إسحاق: وما أشك إني كنت أحفظ لها حينئذ من أبي العتاهية، ولكني إنما أنشدت ما أنشدت تعصباً.

قال محمد بن يزيد: وحدثت من غير وجه أن الرشيد ألف العباس بن الأحنف؟ فلما خرج إلى خراسان طال مقامه بها، ثم خرج إلى أرمينية والعباس معه ماشياً إلى بغداد، فعارضه في طريقه فأنشده:

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ... ثم القفول فقد جئنا خراسانا

ما أقدر الله أن يدني على شحط ... سكان دجلة من سكان جيحان

متى الذي كنت أرجوه وآمله ... أما الذي كنت أخشاه فقد كانا

عين الزمان أصابتنا فلا نظرت ... وعذبت بصنوف الهجر ألوانا

في هذين البيتين الأخيرين رمل بالوسطى ينسب إلى مخارق وإلى غيره- قال فقال له الرشيد: قد أشتقت يا عباس وأذنت لك خاصة، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

أخبرني الصولي قال حدثنا محمد بن القاسم قال: سمعت مصعباً الزبيري يقول: العباس بن الأحنف وعمرو العراف ما ابتدلا شعرهما في رغبة ولا رهبة، ولكن فيما أحباه، فلزما فناً واحداً لو لزمه غيرهما ممن يكثر إكثارهما لضعف فيه.

توهمت بالخيف رسماً محيلا ... لعزة تعرف منه الطلولا

تبذل بالحي صوت الصدى ... ونوح الحمامة تدعو هديلا

عروضه من المتقارب. الخيف الذي عناه كثير ليس بخيف مني، بل هو موضع آخر في بلاد ضمرة. والطلول: جمع طلل، وهو ما كان له شخص وجسم عال من آثار الديار. والرسم ما لم يكن له شخص أو جسم، والصدى

هاهنا: طائر، وفي موضع آخر: العطش. ويزعم أهل الجاهلية أن الصدى طائر يخرج من رأس المقتول فلا يزال يصيح أسقوني، حتى يدرك بثأره. قال طرفة:

كريم يروي نفسه في حياته ستعلم إن متنا صدى أينا الصدي

والحمام: القماري ونحوها من الطير. والهديل: أصواتها.

الشعر لكثير والغناء لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر، ونسبه إلى جاريته وكنى عنها، فذكر أن الصنعة لبعض من كثرت دربته بالغناء وعظم علمه وأتعب نفسه حتى جمع النغم العشر في هذا الصوت، وذكر أن طريقته من الثقيل الأول، وأنه ليس يجوز أن ينسبه إلى موضع إصبع مفردة، لأن ابتداءه على المثنى مطلقاً، ثم بسبابة المثنى، ثم وسطى المثنى، ثم بنصر المثنى، ثم خنصر المثنى، ثم سبابة الزير، ثم وسطاه، ثم بنصره، ثم خنصره، ثم النغمة الحادة، وهي العاشرة. وفيه لابن محرز ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر. وفيه لابن الهزبذ رمل بالوسطى عن عمرو، وهذا الصوت من الثقيل الثاني، وهو الذي ذكر إسحاق في كتاب النغم وعللها أن لحن ابن محرز فيه يجمع ثمانياً من النغم العشر، وأنه لا يعرف صوتاً يجمعها غيره، وأنه يمكن من كان له علم ثاقب بالصناعة أن يأتي في صوت واحد بالنغم العشر، بعد تعب طويل ومعاناة شديدة. وذكر عبيد الله أن صانع هذا الصوت الذي كنى عنه فعل ذلك وتلطف له حتى أتى بالنغم العشر في هذا متوالية من أولها إلى آخرها، وأتى بها في الصوت الذي بعده متفرقة على غير توال إلا أنها كلها فيه، وذكر أن ذلك الصوت أحسن مسموعاً وأحلى. وحكى ذلك أيضاً عنه يحيى بن علي بن يحيى في كتاب النغم. وإذ فرغت من حكاية ما ذكره وحكاه عبيد الله في نسبة هذا الصوت فقد ينبغي أخرى الأمر فيه على التقليد دون القول الصحيح فيما ذكره وحكاه. والذي وصفه من جهة النغم العشر متوالية في صوت واحد محال لا حقيقة له، ولا يمكن أحداً بتة أن يفعله. وأنا أبين العلة في ذلك على تقريب، إذ كان استقصاء شرحها طويلاً. وقد ذكرته في رسالة إلى بعض إخواني في علل النغم، وشرحت هناك العلة في أن قسم الغناء قسمين وجعل على مجريين: الوسطى والبنصر دون غيرهما، حتى لا يدخل واحدة منهما على صاحبتها في مجراها قرب مخرج الصوت، إذا كان على الوسطى منه أو إذا كان على البنصر وشبهه به. فإذا أراد مريد إلحاق هذا بهذا لم يمكنه بتة على وجه ولا سبب، ولا يوجد في استطاعة حيوان أن يتلو إحداهما بالأخرى. وإذا أتبعت إحداهما بالأخرى في ناي أو آلة من آلات الزمر تفضلت إحداهما بالأخرى. وإنما قلت النغم في غناء الأوائل لأنهم قسموها قسمين بين هاتين الإصبعين، فوجدوهما إذا دخلت إحداهما مع الأخرى في طريقتها لم يكن ذلك إلا بعد أن يفصل بينهما بنغم أخرى للسبابة والخنصر يدخل بينهما حتى تتباعد المسافة بينهما، ثم لا يكون. لذلك الغناء ملاحة ولا طيب للمضادة في المجريين، فتركوه و لم يستعملوه، فإن كان صح لعبيد الله عمل في النغم العشر في صوت، فلعله صح له في الصوت الذي ذكر أنه فرقها فيه؟ فأما المتوالية- على ما ذكره هاهنا- فمحال، ولست أقدر في هذا الموضع على شرح أكثر من هذا، وهو في الرسالة التي ذكرتها مشروح.

يا دار عبلة من مشارق مأسل درس الشؤون وعهدها لم ينجل

واستبدلت عفر الظباء كأنما أبعارها في الصيف حب الفلفل

ذكر يحيى بن علي أن الشعر لعنترة بن شداد، وليس ذلك بصحيح. وذكر غيره من الرواة أنه لعبد قيس بن خفاف البرجمي، وليس ذلك بصحيح أيضاً، والشعر لحارثة بن بدر الغداني من قصيدة له طويلة يفتخر فيها ويذكر سالف أيامه. وقد ذكرت المختار منها بعقب أخبار حارثة وبعد انقضائها. والغناء المختار لأبي دلف العجلي، ولحنه في المختار ثقيل أول، وفيه ألحان كثيرة.

حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن غدانة بن يربوع.

وقال خالد بن حبل: حارثة بن بدر بن مالك بن كليب بن غدانة بن يربوع.

وأم حارثة بن بدر امرأة من بني صريم بن الحارث، يقال لها: الصدوف، بنت صدى.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سوية المنقري، قال: مر عمرو بن الأهتم بحارثة بن بدر، والأحنف بن قيس، وزيد بن جبلة، وهم مجتمعون، فسلم عليهم، ثم بقي مفكراً، فقالوا: مالك؟ فقال: ما في الأرض ثلاثة أنجب من آبائكم، حيث جاؤوا بأمثالكم من أمثال أمهاتكم فضحكوا منه.

قال: وأم الأحنف: الزافرية، واسمها حبى، من باهلة، وأم زيد بن جبلة: عمرة بنت حذلم، من بني الشعيراء. وأم حارثة: الصدوف بنت صدى، من بني صريم بن الحارث.

وقد مضى نسب بني يربوع في نسب جرير وغيره أمن عشيرته، من هذا الكتاب.

وفي بني غدانة يقول الفرزدق:

أبني غدانة إنني حررتكم فوهبتكم لعطيه بن جعال

لولا عطية لاجتدعت أنوفكم من بين الأم أعين وسبال

وكان عطية استوهب منه أعراضهم لصهر كان بينه وبينهم، وكان عطية سيداً من سادات بني تميم. فلما سمع هذا الشعر قال: والله لقد أمتن علي أبو فراس بهذه الهبة وما تممها حتى ارتجعها، ووصل الامتنان بتحريرهم بأقبح هجاء لهم.

قال: وكان عطية هذا جواداً وفيه يقول جرير:

إن الجواد على المواطن كلها وابن الجواد عطية بن جعال

يهب النجائب لا يمل عطاءها والمقربات كأنهن سعالى

وحارثة بن بدر من فرسان بني تميم ووجوهها وساداتها أو جودائها، وأحسب أنه قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم في حال صباه وحداثته. وهو من ولد بني الأحنف بن قيس، وليس بمعدود في فحول الشعراء، ولكنه كان يعارض نظراءه الشعر، وله من ذلك أشياء كثيرة ليست مما يلحقه بالمتقدمين في الشعر والمتصرفين في فنونه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري،، قال: أنبأنا عمر بن شبة، قال: أنبأنا المدائني، قال: كان زياد مكرماً لحارثة بن بدر، قابلاً لرأيه، محتملاً لما يعلمه من تناوله الشراب. فلما ولي عبيد الله بن زياد أخر حارثة بعض التأخير، فعاتبه على ذلك. فقال له عبيد الله: إنك تتناول الشراب،. فقال له: قد كان أبوك يعلم هذا مني، ويقربني ويكرمني. فقال له: إن أبي كان لا يخاف من القالة في تقريبك ما أخاف، وإن اللسان إلي فيك لأسرع منه إلى أبي. فقال حارثة:

وكم من أمير قد تجبر بعدما ... مريت له الدنيا بسيفي فدرت

إذا ما هي احلولت نفى حق مقسمي ... وتقسم لي منها إذا ما أمرت

إذا زبنته عن فواق يريده ... دعيت ولا أدعى إذا ما أقرت

وقال حارثة بن بدر أيضاً، وقد شاوره عبيد الله في بعض الأمر:

أهان وأقصى ثم ينتصحونني ... ومن ذا الذي يعطى نصيحته قسرا

رأيت أكف المصلتين عليكم ... ملاء وكفي من عطاياكم صفرا

متى تسألوني ما علي وتمنعوا ... الذي لي لم أسطع على ذلكم صبرا

فقال له عبيد الله: فإني معوضك ومولياك، فولاه.

أخبرني يحيى بن علي إجازة، قال: أنبأنا أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، قال: قال لي أبو اليقظان: حول زياد دعوة حارثة بن بدر وديوانه في قريش، لمكانه منه، فقال فيه، رجل من بني كليب يهجوه بذلك:

شهدت بأن حارثة بن بدر ... غداني اللهازم والكلام

سجاح في كتاب الله أدنى ... له من نوفل وبني هشام

يعني سجاح، التي ادعت النبوة وهي امرأة من بني تميمٍ قال أحمد بن يحيى: وقال المدائني: احترقت دار حارثة بن بدر بالبصرة، أحرقها بعض أعدائه من بني عمه، فقال في ذلك:

رأيت المنايا بادئات وعوداً ... إلى دارنا سهلا إليها طريقها

لها نبعة كانت تقينا فروعها ... فقد تلفت إلا قليلا عروقها

قال: وكان لحارثة أخ يقال له: دارع، فأحرق مع ابن الحضرمي البصرة وقال أحمد يحيى أيضاً: كان عطية بن جعال يهاجي حارثة بن بدر، ثم اصطلحا. وكان أيضاً يهاجيه من قومه العكمص، وكانت بنو سليط تروي هجاءه لحارثة بن بدر، فقال حارثة يهجوهم:

أراوية علي بنو سليط هجاء الناس يا لبني سليط

فما لحمي لتأكله سليط شبيهاً بالذكي ولا العبيط

أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله بن صالح بن سمح بن عمرة الأسدي أبو الحسن، قال: أنبأنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: قال: روح بن السكن: كان أنس بن زنيم الليثي صديقاً لعبيد الله بن زياد، فرأى منه جفوة وأثرة لحارثة بن بدر الغداني، فقال:

أهان وأقصى ثم ترجى نصيحتي وأي امرئ يعطي نصيحته قسرا

رأيت أكف المصلتين عليكم ملاء وكفي من عطاياكم صفرا

فإن تسألوني ما علي وتمنعوا ال ذي لي لم أسطع على ذلكم صبرا

رأيتكم تعطون من ترهبونه زربية قد وشحت حلقاً صفرا

وإني مع الساعي عليكم بسيفه إذا عظمكم يوماً رأيت به كسرا

فقال عبيد الله بن زياد لحارثة بن بدر: أجبه. فاستعفاه لمودة كانت بينهما، فأكرمه على ذلك وأقسم عليه ليجيبنه، فقال:

تبدلت من أنس إنه كذوب المودة خوانها

أراه بصيراً بضر الخليل وخير الأخلاء عورانها

فأجابه أنس فقال:

إن الخيانة شر الخليل والكفر عندك ديوانها

بصرت به في قديم الزمان كما بصر العين إنسانها

فأجابه حارثة بن بدر فقال:

ألكني إلى أنس إنه عظيم الحواشة عندي مهيب

فما أبتغي عثرات الخليل ولا أبغين عليه الوثوب

وما إن أرى ماله مغنماً من الدهر إن أعوزتني الكسوب

فقال أنس:

أحار بن بدر وأنت أمرؤ لعمري المتاع إلي الحبيب
متى كان مالك لي مغنماً من الدهر إن أعوزتني الكسوب
وشر الأخلاء عند البلاء وعند الرزية خل كذوب

قال: فتهادى أنس وحارثة الشعر عند عبيد الله زماناً، ووقع بينهما شر حتى قدم سلم بن زياد من عند يزيد بن معاوية عاملاً على خراسان وسجستان، فجعل ينتخب ناساً من أهل البصرة والكوفة، وكان الذي بين عبيد الله وبين سلم شيئاً، فأرسل سلم إلى أنس يعرض عليه صحبته وجعل له أن يستعمله على كورة، فقال له أنس: أمهلني حتى أنظر في أمري، وكتب إلى عبيد الله بن زياد.

ألم ترني خيرت والأمر واقع فما كنت لما قلت بالمتخير
رضاك على شيء سواه ومن يكن إذا اختار ذا حزم من الأمر يظفر
فعدت لترضى عن جهاد وصاحب شفيق قديم الود كان موقري
على أحد الثغرين ثم تركته وقد كنت في تأميره غير ممتري
فأمسكت عن سلم عناني وصحبتي ليعرف وجه العذر قبل التعذر
فان كنت لما تدر ما هي شيمتي فسل بي أكفائي وسل بي معشري
ألست مع الإحسان والجود ذا غنى وبأس إذا ما كفروا في التستر
ورأي وقد أعصى الهوى خشية الردى وأعرف غب الأمر قبل التدبر
وما كنت لولا ذاك ترتد بغبتي على ارتداد المظلم المتجبر

قال: ودفعها إلى عبيدالله بن زياد، في صحيفة، فقرأها ثم دفعها إلى حارثة بن بدر، وقال له: أردد على أنس صحيفته فلا حاجة لنا فيها. فقال حارثة:

ألكني إلى من قال هذا وقل له كذبت فما إن أنت بالمتخير
وإنك لو صاحبت سلماً وجدته كعهدك عهد السوء لم يتغير
أتنصح لي يوماً ولست بناصح لنفسك فاغشش ما بدا لك أو ذر
كذبت ولكن أنت رهن بخزية ويوم كأيام عبوس مذكر
كأشقر أضحى بين رمحين إن مضى على الرمح ينحر أو تأخر يعقر

قال: وأعجبت عبيد الله، وقال: لعمري لقد أجبته. على إرادتي وأمسك عبيد الله في يده الصحيفة، فلما دخل عليه أنس دفعها إليه، فنظر فيها، ثم قال لعبيد الله: لقد رد علي من لا أستطيع جوابه. وظن أن عبيد الله قالها،

وخرج أنس والصحيفة في يده، فلقيه عبد الرحمن بن رألان فدفعها إليه أنس، فلما قرأها قال: هذا شعر حارثة بن بدر، أعرفه. فقال له أنس: صدقت والله، ثم قال لحارثة:

عجبت لهرج من زمان مضلل ورأي لألباب الرجال مغير
ومن حقبه عوجاء غول تلبست على الناس جلد الأربد المتنمر
فلا يعرف المعروف فيه لأهله وإن قيل فيه منكر لم ينكر
لحارثة الهدي الخنى لي ظالماً ولم أر مثل مدر صيد مدري
لحار بن بدر قد أتتني مقالة فما بال نكر منك من غير منكر
أيروي عليك الناس ما لا تقوله فتعذر أم أنت أمرؤ غير معذر

فإن يك حقاً ما يقال فلا يكن دبيباً وجاهرني فما من تستر
أقلدك إن كنت امرءً خان عرضه قوافي من باقي الكلام المشهر
وقد كنت قبل اليوم جزبت أنني أشق على ذي الشعر والمتشعر
وأن لساني بالقصائد ماهر تعن له غر القوافي وتنبري
أصادفها حيناً يسيراً وأبتغي لها مرة شزراً إذا لم تيسر
تناولني بالشتم في غير كنهه فمهلاً أبا الخيماء وابن المعذر
هجوت وقد ساماك في الشعر خطة ال ذليل ولم يفعل كأفعال منكر

قال: وقال أنس بن زنيم لعبيد الله بن زياد، وفيه غناء:

سل أميري ما الذي غيره عن وصالي اليوم حتى ودعه
لا تهني بعد إكرامك لي فشديد عادة منتزعه
لا يكن وغدك برقاً خلباً إن خير البرق ما الغيث معه

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: زعم عاصم بن الحدثان أن حارثة بن بدر قال لعبيد الله بن ظبيان، وكانا في عرس لابن مسمع: هل لك في شراب؟ قال: نعم، فأتيا بنبيذ من زبيب وعسل، فأخذ ابن ظبيان العس فكرع فيه حتى كاد يأتي عليه، ثم ناوله حارثة. فقال له حارثة: يا بن ظبيان، إنك لطب بحسوها. فقال: أجل، والله إني لأشربها حلالاً وأجاهر بها إذا أخفى غيري شرب الحرام. فقال له حارثة: من غيرك هذا؟ قال: سائلي عن هذا الأمر. فقال حارثة:

إذا كنت نديماني فخذها وسقني ... ودع عنك من رآك تكرع في الخمر
فإني امرؤ ولا أشرب الخمر في الدجا ... ولكنني أحسو النبيذ من التمر
حيا وتقاً لله والله عالم ... بكل الذي نأتيه في السر والجهر
ومثلك قد جربته وخبرته ... أبا مطر والحين أسبابه تجري
حساها كمستدمى الغزال عتيقة ... إذا شعشعت بالماء طيبة النشر
أقام عليها دهره كل ليلة ... يشافهها حتى يرى وضح الفجر
فأصبح ميتاً ميتة الكلب صحكة ... لأصحابه حتى يدهده في القبر
فما إن بكاه غير دن ومزهر ... وغانية كالبدر واضحة الثغر
وباطية كانت له خدن زنية ... يعاقرها والليل معتكر الستر

أخبرني عمي، قال: حدثنا الكراني، قال: حدثنا العمري عن عاصم بن الحدثان، قال: عاتب الأحنف بن قيس حارثة بن بدر على معاقرة الشراب وقال له: قد فضحت نفسك وأسقطت قدرك، وأوجعه عتاباً. فقال له: إني سأعتبك. فانصرف الأحنف طامعاً في صلاحه، فلما أمسى راح إليه فقال له: اسمع يا أبا بحر ما قلت لك. فقال: هات، فأنشده:

يذم أبو بحر أموراً يريدها ... ويكرهها للأريحي المسود
فإن كنت عياباً فقل ما تريده ... ودع عنك شربي لست فيه بأوحد
سأشربها صهباء كالمسك ريحها ... وأشربها في كل ناد ومشهد
فنفسك فانصح يا بن قيس وخلني ... ورأيي فما رأيي برأي مفند
وقائلة يا حار هل أنت ممسك عليك ... من التبذير قلت لها اقصدي
ولا تأمريني بالشداد فإنني ... رأيت الكثير المال غير مخلد
ولا عيب لي إلا اصطباحي قهوة ... متى يمزجها الماء في الكأس تزبد
معتقة صهباء كالمسك ريحها ... إذا هي فاحت أذهبت غلة الصدي
ألا إنما الرشد المبين طريقه ... خلاف الذي قد قلت إذ أنت مرشدي
سأشربها ما حج لله راكب ... مجاهرة وحدي ومع كل مسعد
وأسعد ندماني وأتبع شهوتي ... وأبذل عفواً كل ما ملكت يدي
كذا العيش لا عيش ابن قيس ... من الشرب للماء القراح المصرد

وصحبه

فقال له الأحنف: حسبك، فإني أراك غير مقلع عن غيك، ولن أعاتبك بعدها أبداً.

قال عاصم: ثم كان بعد ذلك بن الأحنف وحارثة كلام وخصومة، فافترقا عن مجلسهما متغاضبين، فبلغ حارثة أن الأحنف قال: أما والله لولا ما يعلم لقلت فيه ما هو أهله. فقال حارثة: وهل يقدر على أن يذمني بأكثر من الشراب وحبي له؟ وذلك أمر لست أعتذر منه إلى أحد، ثم قال في ذلك:

وكم لائم لي في الشراب زجرته ... فقلت له دعني وما أنا شارب

فلست عن الصهباء ما عشت مقصراً ... وإن لامني فيها اللئام الأشائب

أأترك لذاتي وآتي هواكم ... ألا ليس مثلي يابن قيس يخالب

أنا الليث معدواً عليه وعاديا ... إذا سلت البيض الرقاق القواضب

فأنت حليم تزجر الناس عن هوى ... نفوسهم جهلاً وحلمك عازب

فحلمك صنه لا تذله وخلني ... وشأني وأركب كل ما أنت راكب

فإني امرؤ عودت نفسي عادة ... وكل امرئ لا شك ما اعتاد طالب

أجود بمالي ما حييت سماحة ... وأنت بخيل يجتويك المصاحب

فما أنت أو ما غي من ثان غاوياً ... إذا أنت لم تسدد عليك المذاهب

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: أنبأنا أبو الأسود الخليل بن أسد، قال: أنبأنا العمري عن العتبي، قال: أجرى الوليد بن عبد الملك الخيل وعنده حارثة بن بدر الغداني، وهو حينئذ في ألف وستمائة من العطاء، فسبق الولد، فقال حارثة: هذه فرصة. فقام فهناه ودعا له، ثم قال:

إلى الألفين مطلع قريب ... زيادة أربع لي قد بقينا

فإن أهلك فهن لكم وإلا ... فهن من المتاع لكم سنينا

فقال له الوليد: فتشاطرني ذلك: لك مائتان ولي مائتان. فصير عطاءه ألفا وثمانمائة. ثم أجرى الوليد الخيل، فسبق أيضاً، فقال حارثة: هذه فرصة أخرى. فقام فهنأه ودعا له، ثم فال:

وما أحتجب الألفان إلا بهين ... هما الآن أدنى منهما قبل ذالكا

فجد بهما تفديك نفسي فإنني ... معلق آمالي ببعض حبالكا

فأمر الوليد له بالمائتين، فانصرف وعطاؤه ألفان.

أخبرني محمد بن يحيى، أنبأنا محمد بن زكريا، قال: أنبأنا مهدي بن سابق، قال: أنبأنا عبد الرحمن بن شبيب بن

شيبة، عن أبيه، قال: قال زياد يوماً لحارثة بن بدر: من أخطب الناس، أنا أو أنت؟ فقال: الأمير أخطب مني إذا توعد ووعد، وأعطى ومنع، وبرق ورعد، وأنا أخطب منه في الوفادة وفي الثناء والتحبير، وأنا أكذب إذا خطبت، فأحشو كلامي بزيادة مليحة شهية، والأمير يقصد إلى الحق وميزان العدل ولا يزيد فيه شعيرة ولا ينقص منه. فقال له زياد: قاتلك الله! فلقد أجدت تخليص صفتك وصفتي، من حيث أعطيت نفسك الخطابة كلها وأرضيتني وتخلصت. ثم التفت إلى أولاده فقال: هذا لعمركم البيان الصريح.

أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا عن الحرمازي، قال: شرب حارثة بن بدر مع بني زياد ليلة إلى الصبح فأكثر، وصرف ومزجوا، فلما أن غدا على زياد كان وجهه شديد الحمرة، ففطن له زياد، فقال: مالك يا حارثة؟ فقال: أكلت البارحة رماناً فأكثرت. قال: قد عرفت مع من أكلته، ولكنهم قشروه وأكلته بقشره فأصارك إلى ما ترى.

قال الحرمازي: قال بعض أهل العلم: إن زياداً استعمل حارثة على سرق. فمات زياد وهو بها، ثم إنه بلغه موته، فقال حارثة يرثيه:

إن الرزية في قبر بمنزلة ... تجري عليها بظهر الكوفة المور

أدت إليه قريش نعش سيدها ... ففيه ضافي الندى والحزم مقبور

أبا المغيرة والدنيا مغيرة ... وإن من غر بالدنيا لمغرور

قد كان عندك للمعروف معرفة ... وكان عندك للنكراء تنكير

وكنت تؤتى فتعطي الخير عن سعة ... فاليوم بابك دون الهجر مهجور

ولا تلين إذا عوسرت مقتسراً ... وكل أمرك ما يوسرت ميسور

قال: وكان الذي أتاه بنعيه مسعود بن عمرو الأزدي، فقال حارثة:

لقد جاء مسعود أخو الأزد غدوة ... بداهية غراء باد حجولها

من الشر ظل الناس فيها كأنهم ... وقد جاء بالأخبار من لا يحيلها

أخبرني الحسن بن علي، قال: أنبأنا العمري عن أحمد بن خالد بن منجوف، عن مؤرج السدوسي، قال: دخل حارثة بن بدر على عبيد الله بن زياد وعنده سعد الرابية أحد بني عمرو بن يربوع بن حنظلة، وكان شريراً يضحك ابن زياد ويلهيه، وله يقول الفرزدق:

إني لأبغض سعداً أن أجاوره ... ولا أحب بني عمرو بن يربوع

قوم إذا حاربوا لم يخشهم أحد ... والجار فيهم ذليل غير ممنوع

فلما جلس حارثة قال له سعد: يا حارثة، أينع الكرم؟ فال: نعم، واستودع ماءه الأصيص، فمه؟ قال: إني لم أرد بأساً. قال: أجل! ولست من أهل البأس: ولكن هل لك علم بالأتان إذا اعتاص رحمها، كيف يسطى عليها، أكما يسطى على الفرس، أم كيف؟ قال: واحدة بواحدة، والبادي أظلم، سألتني عما لا علم لي به، وسألتك عما تعلم و. قال: أنت بما سألتك عنه أعلم مني بما سألتني عنه، ولكن من شاء جهل نفسه وأنكر ما يعرف.

وقال حارثة يهجو سعداً:

لا ترج مني يابن سعد هوادة ولا صحبة ما أرزمت أم حائل

أعند الأمير ابن الأمير تعيبني وأنت ابن عمرو مضحك في القبائل

ولو غيرنا يا سعد رمت حريمه بخسف لقد غودرت لحماً لآكل

فشالت بك العنقاء أو صرت لحمة لأغبس عواء العشيات عاسل

أخبرني هاشم بن محمد، قال: أنبأنا الرياشي عن الأصمعي وأبي عبيدة، قالا: كان حارثة بن بدر يجالس مالك بن مسمع فإذا جاء وقت يشرب فيه قام، فأراد مالك أن يعلم من حضره أنه قام ليشرب، فقال له: إلى أين تمضي يا أبا العنبس؟ قال، أجيء بعباد بن الحصين يفقأ عينك الأخرى - وقال الأصمعي: "مضي فأفقأ عين عباد بن الحصين لآخذ لك بثأرك - وكان عباد فقأ عين مالك يوم المرب.

قال: وذكر المدائني أن حارثة بن بدر كان يومئذ - وهو يوم فتنة مسعود - على خيل حنظلة بإزاء بكر بن وائل، فجعل عبس بن مطلق بن ربيعة الصريمي على الخيل بحيال الأزد، ومعه سعد والرباب والأساورة، وقال حارثة بن بدر:

سيكفيك عبس أخو كهمس مقارعة الأزد بالمربد

ويكفيك عمرو وأشياعه لكيز بن أفصى وما عددوا

وأكفيك بكراً إذا أقبلت بطعن يشيب له الأمرد

فلما اصطف الناس، أرسل مالك بن مسمع إلى ضرار بن القعقاع يسأله الصلح على أن يعطيه ما أحب، فقال له حارثة: إنه والله ما أرسل إليك نظراً لك ولا إبقاء عليك، ولكنه أراد أن يغري بينك وبين سعد. فمضى ضرار إلى راية الأحنف فحملها وحمل على مالك فهزمه، وفقئت عينه يومئذ.

أخبرني محمد بن يحيى قال: أنبأنا محمد بن زكريا، عن محمد بن سلام، عن أبي اليقظان قال: مر حارثة بن بدر بالمسجد الذي يقال له مسجد الأحامرة بالبصرة فرأى مشيخة قد خضبوا لحاهم بالحناء فقال: ما هذه الأحامرة؟ فالمسجد الآن يلقب مسجد الأحامرة منذ يوم قال حارثة هذا القول.

أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا، عن القحذمي، قال: عرض لحارثة بن بدر رجل من الخلج في أمر كرهه عند زياد، فقال فيه حارثة:

لقد عجبت وكم للدهر من عجب ما تزيد في أنسابها الخلج

كانوا خساً أو زكاً من دون أربعة لم يخلقوا وجدود الناس تعتلج

أخبرني الحسن بن علي، قال: أنبأنا أحمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن عمر بن زياد الكندي، قال: أنبأنا يحيى بن آدم، عن أبي زائدة، عن مجالد، عن الشعبي، قال: كنت عند عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. فأنشدته لحارثة. بن بدر:

وكان لنا نبع تقينا عروقه فقد بلغت إلا قليلاً حلوقها

وشيب رأسي واستخف حلومنا رعود المنايا فوقنا وبروقها

وإنا لتستحلي المنايا نفوسنا ونترك أخرى مرة ما تذوقها

رأيت المنايا بادئات وعوداً إلى دارنا سهلاً إليها طريقها

فقد قسمت نفسي فريقين منهما فريق مع الموتى وعندي فريقها

قال الشعبي: فقال لي ابن جعفر: نحن كنا أحق بهذا الشعر. وجاءه غلامه بدراهم في منديل، فقال له: هذه غلة أرضك بمكان كذا وكذا. فقال: ألقها في حجر الشعبي. فألقاها في حجري.

أخبرني الحسن بن علي، قال: أنبأنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، عن مسلمة بن محارب: أن زياداً استعمل حارثة بن بدر على كوار، وهو إذ ذاك عامل علي بن أبي طالب رضي الله عنه على فارس، وكان حارثة بن بدر صاحب شراب، فكتب زياد إلى حارثة يحثه على جباية الخراج، فكتب إليه علقمة بن معبد المازني:

ألم تر أن حارثة بن بدر يصلي وهو أكفر من حمار

وأن المال يعرف من حواه ويعرف بالزواني والعقار

وقال المدائني في خبره هذا: حمل زياد بن أبيه حارثة بن بدر على بغلة يقال لها أطلال كان خرزاذ بن الهربد ابتاعها بأربعة آلاف درهم وأهداها له، فركبها حارثة، وكان فيها نفار، فصرعته عن ظهرها، فقام فركبها، وقال:

ما هاج أطلال بجني حرمه تحمل وضاحاً رفيع الحكمه

قرماً إذا زاحم قرماً زحمه

أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا، قال: أنبأنا إبراهيم بن عمر عن أبي عبيدة وعبد الله بن محمد، قالا: مر سليمان بن عمرو بن مرثد بحارثة بن بدر وهو بفارس يريد خراسان، فأنزله وقراه وقرى أصحابه، وحملهم وإياه، فلما ركبوا للمسير قال سليمان:

قريت فأحسنت القرى وسقيتنا معتقة صهباء كالعنبر الرطب
وواسيتنا فيما ملكت تبرعاً وكنت ابن بدر نعم منزل الركب
وأنت لعمري في تميم عمادها إذا ما تداعت للعلى موضع القطب
وفارسها في كل يوم كريهة وملجؤها إن حمل خطب من الخطب
وعندكم نال الغنى من أراده إذا ما خطرتم كالضراغمة الغلب
يرى الحلق الماذي فوق حماتهم إذا الحرب شبت بالمهندة القضب
وعند الرخا والأمن غيث ورحمة لمن يعتريهم خائفاً صولة الحرب
وجدتهم جوداً صباحاً وجوههم كراماً على العلات في فادح الخطب
كأن دنانيراً على قسماتهم إذا جئتهم قد خفت نكباً من النكب
فمن مبلغ عني تميماً فخيركم غدانة حقاً قاله غير ذي لعب

فقال حارثة يجيبه:

وأسحم ملآن جررت لفتية كراماً أبوهم خير بكر بن وائل
وأطولهم كفاً وأصدقهم حيا وأكرمهم عند اختلاف المناصل
من المرثديين الذين إذا انتدوا رأيت نادياً جده غير خامل
فعالهم زين لهم ووجوههم تزين الذي يأتونه في المحافل
فسقياً ورعياً لابن عمرو بن مرثد سليمان ذي المجد التليد الحلاحل
فتى لم يزل يسمو إلى كل نجدة فيدرك ما أعيت يد المتناول
فحسبك بي علماً به وبفضله إذا ذكر الأقوام أهل الفضائل

أخبرني عمي، قال: أنبأنا الكراني، قال: أنبأنا العمري، عن عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان، قال: دخل أنس بن زنيم على عبيد الله بن زياد، وعنده حارثة بن بدر، وكان بينهما تعارض ومقارضة قبل ذلك، فلما خرج أنس قال عبيد الله لحارثة: أي رجل هو أنس عندك؟ قال: هو عندي- أصلح الله الأمير- كما قلت فيه:

يبيت بطيناً من لحوم صديقه خميصاً من التقوى ومن طلب الحمد
ينام إذا ما الليل جن ظلامه ويسري إلى حاجاته نومة الفهد
يراعي عذارى قومه كلما دجا له الليل والسوات كالأسد الورد
جريئاً على أكل الحرام وفعله جباناً عن الأقران معترم الكرد

فلما كان من الغد، دخل أنس على عبيد الله، فقال له عبيد الله، بحضرة حارثة: إني سألت هذا عنك فأخبرني بما كرهته لك، و لم أكن إخالك كما نعت لي- فقال: أصلح الله الأمير، إن يكن قال خيراً فأنا أهله، وإن قال غير ذلك فلم يعد ما هو أولى به مني، أما والله لو كان- أصلح الله الأمير- حقاً، لحفظ غيبتي، فلقد أوليته حسن الثناء بما ليس أهله، والله يعلم أني كنت كاذباً، وما إخال ما قاله في إلا عقوبة، فإن عقوبة الكذب حاضرة، وثمرة الكذب الندامة، فقد لعمري أجنيتها بكذبي وقولي فيه ما ليس فيه. وهو عندي كما أقول- أصلح الله الأمير- وأنشد:

يحلي لي الطرف ابن بدر وإنني ... لأعرف في وجه ابن بدر لي البغضا
رآني شجاً في حلقه ما يسيغه ... فما إن يزال الدهر يجرض بي جرضا
ومالي من ذنب إليه علمته ... سوى أن راني في عشيرته محضا
وإن ابن بدر في تميم مكركس ... إذا سيم خسفاً أو مشنعة أغضى
فعش يابن بدر ما بقيت كما أرى ... كثير الخنا لا تسأم الذل والغضا
تعيب الرجال الصالحين وفعلهم ... وتبذل بخلاً دون ما نلته العرضا
وترضى بما لا يرتضي الحر مثله ... وذو الحلم بالتخييس والذل لا يرضى

قال: وقال أنس في حارثة بن بدر ينسبه إلى الخمر والفجور:

أحار بن بدر باكر الراح ... إنها تنسيك ما قدمت في سالف الدهر
تنسيك أسباباً عظاماً ركبتها ... وأنت على عمياء في سنن تجري
أتذكر ما أسديت واخترت فعله ... وجئت من المكروه والشر والنكر
إذا قلت مهلاً نلت عرضي فما ... الذي تعيب على مثلي هبلت أبا عمرو
أليس عظيماً أن تكايد حرة ... مهفهفة الكشحين طيبة النشر
فإن كنت قد أزمعت بشرك بالذي ... عرفت به إذ أنت تخزي ولا تدري
فدغ عنك شرب الخمر وارجع إلى التي ... بها يرتضي أهل النباهة والذكر
عليك نبيذ التمر إن كنت شارباً ... فإن نبيذ التمر خير من الخمر
ألا إن شرب الخمر يزري بذي الحجى ... ويذهب بالمال التلاد وبالوفر
فصبراً عن الصهباء وأعلم بأنني ... نصيح وأني قد كبرت عن الزجر

وأنك إن كفكفتني عن نصيحة تركتك يا حار بن بدر إلى الحشر
أأبذل نصحي ثم تعصي نصيحتي وتهجرني عنها هبلت أبا بدر

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم.، عن خالد بن سعيد، عن أبيه، قال: لما ولي حارثة بن بدر سوق خرج معه المشيعون من البصرة وفيهم أبو الأسود الدؤلي، فلما انصرف المشيعون دنا منه أبو الأسود فقال له:

أحار بن بدر قد وليت إمارة فكن جرذاً فيها تخون وتسرق
ولا تحقرن يا حار شيئاً تصيبه فحظك من ملك العراقين سرق
فإن جميع الناس إما مكذب يقول بما يهوى وإما مصدق
يقولون أقوالاً بظن وشبهه فإن قيل هاتوا حققوا لم يحققوا
فلا تعجزن فالعجز أبطأ مركب وما كل من يدعي إلى الرزق يرزق
وكاثر تميماً بالغنى إن للغنى لساناً به يطسو إلى العيي وينطق

فقال له حارثة:

جزاك مليك الناس خير جزائه فقد قلت معروفاً وأوصيت كافياً
أمرت بحزم لو أمرت بغيره لألفيتني فيه لرأيك عاصيا
ستلقى أخاً يصيفيك بالود حاضراً ويوليك حفظ الغيب إن كنت نائيا

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن عاصم ابن الحدثان، قال: لما ندب حارثة بن بدر لقتال الأزارقة بدولاب لقيهم، فلما حميت الحرب بينهم واشتدت، قال حارثة لأصحابه:

كرنبوا ودولبوا وحيث شئتم فاذهبوا

ثم انهزم، فقال غوث بن الحباب يهجوه ويعيره بالفرار، ويعيره بشرب الخمر أو معاقرتها

أحار بن بدر دونك الكأس إنها بمثلك أولى من قراع الكتائب
عليك بها صهباء كالمسك ريحها يظل أخوها للعدا غير هائب
فدع عنك أقواماً وليت قتالهم فلست صبوراً عند وقع القواضب
وخذها كعين الديك تشفي من الجوى وتترك ذا الهمات حصر المذاهب
إذا شعشعت بالماء خلت حبابها نظائم در أو عيون الجنادب

كأنك إذ تحسو ثلاثة أكؤس من التيه قرم من قروم المرازب
ودع عنك أبناء الحروب وشدهم إذا خطروا مثل الجمال المصاعب

خبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا العلاء بن الفضل بن أبي سوية، قال: حدثني أبي، قال: كانت في تميم حمالتان، فاجتمعوا في مقبرة بني شيبان، فقال لهم الأحنف: لا تعجلوا حتى يحضر سيدكم. فقالوا: من سيدنا غيرك؟ قال: حارثة بن بدر. قال: وقدم حارثة من الأهواز بمال كثير فبلغه ما قال الأحنف، فقال: اغرمنيها والله ابن الزافرية! ثم أتاهم كأنه لم يعلم فيما اجتمعوا، فقال فيم اجتمعتم؟ فأخبروه، فقال: لا تلقوا فيهما أحداً فهما علي، ثم أتى منزله فقال:

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردي بالسودد

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه، قال: خرج أصحاب الحديث إلى سفيان بن عيينة فازدحموا، فقال: لقد هممت ألا أحدثكم شهراً. فقام إليه شاب من أهل العراق، فقال له: يا أبا محمد، ألن جانبك، وحسن قولك، وتأس بصالحي سلفك، وأجمل مجالسة جلسائك، فقد أصبحت بقية الناس، وأميناً لله ورسوله على العلم، والله إن الرجل ليريد الحج فتتعاظمه مشقته حتى يكاد أن يقيم، فيكون لقاؤه إياك وطمعه فيك كثر ما يحركه عليه. قال: فخضع سفيان أو تواضع، ورق وبكى، ثم تمثل بقول حارثة:

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردي بالسودد

ثم حدثهم بعد ذلك بكل ما أرادوا إلى أن رحلوا.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ومحمد بن الحسين الكندي، قالا: حدثنا الخليل بن أسد، قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، عن الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة: أن حارثة بن بدر الغداني كان سعى في الأرض فسادا، فأهدر علي ابن أبي طالب عليه السلام دمه، فهرب فاستجار بأشراف الناس، فلم يجره أحد، فقيل له: عليك بسعيد بن قيس الهمداني فلعله أن يجيرك. فطلب سعيداً فلم يجده، فجلس في طلبه حتى جاء، فأخذ بلجام فرسه فقال: أجرني أجارك الله، قال: ويحك، مالك؟ قال: أهدر أمير المؤمنين دمي. قال: وفيم ذاك؟ قال: سعيت في الأرض فساداً. قال: ومن أنت؟ قال: حارثة بن بدر الغداني. قال: أقنم. وانصرف إلى علي عليه السلام فوجده قائماً على المنبر يخطب، فقال: يا أمير المؤمنين، ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً؟ قال: أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض. قال: يا أمير المؤمنين، إلا من؟ قال: إلا من تاب. قال: فهذا حارثة بن بدر قد جاء تائباً، وقد أجرته. قال: أنت رجل من المسلمين وقد أجرنا من أجرت. ثم قال علي عليه السلام وهو على المنبر: أيها الناس، إني كنت نذرت دم حارثة بن بدر، فمن لقيه فلا يعرض له. فانصرف إليه سعيد بن قيس فأعلمه وحمله وكساه، وأجازه بجائزة سنية، فقال فيه حارثة:

الله يجزي سعيد الخير نافلة أعني سعيد بن قيس قرم همدان
أنقدني من شفا غبراء مظلمة لولا شفاعته ألبست أكفاني
قالت تميم بن مر لا نخاطبه وقد أبت ذلكم قيس بن عيلان

قال الهيثم: لم يكن الحسن بن عمارة يروي من هذا الشعر غير هذه الثلاثة الأبيات، وأخذت الشعر كله من حماد الراوية، فقلت له: ممن أخذته قال: من سماك ابن حرب. وهو:

أساغ في الحلق ريقا كان يجرضني وأظهر الله سري بعد كتمان
إني تداركني عف شمائله آباؤه حين ينمى خير قحطان
ينميه قيس وزيد والفتى كرب وذو جبائر من أولاد عثمان

وذو رعين وسيف وابن ذي يزن وعلقم قبلهم أعني ابن نبهان

قال: فلما أراد الانصراف إلى البصرة شيعه سعيد بن قيس إلى نهر البصريين في ألف راكب، وحمله وجهزه، فقال حارثة:

لقد سررت غداة النهر إذ برزت أشياخ همدان فيها المجد والخير
يقودهم ملك جزل مواهبه واري الزناد لدى الخيرات مذكور
أعني سعيد بن قيس خير ذي يزن سامي العماد لدى السلطان محبور
ما إن يلين إذا ما سيم منقصة لكن له غضب فيها وتنكير
أغر أبلج يستسقى الغمام به جنابه الدهر يضحي وهو ممطور

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثنا محمد بن زكريا، قال: حدثنا محمد ابن معاوية الزيادي، عن القحذمي، قال: كان حارثة بن بدر فصيحاً بليغاً عارفاً بأخبار الناس وأيامهم، حلواً شاعراً ذا فكاهة، فكان زياد يأنس به طول حياته، فلما مات وولي عبيد الله ابنه، كان يجفوه، فدخل إليه في جمهور الناس، فجلس متوارياً منه حتى خف الناس، ثم قام فأذكره بحقوقه على زياد وأنسه به. فقال له: ما أعرفني بما قلت! غير أن أبي كان قد عرفه الناس وعرفوا سيرته، فلم يكن يلصق به من أهل الريبة مثل ما يلحقني، مع الشباب وقرب العهد بالإمارة، فأما إن قلت ما قلت فاختر مجالستي إن شئت ليلاً وإن شئت نهاراً. فقال: الليل أحب إلي. فكان يدعوه ليلاً فيسامره، فلما عرفه استحلاه، فغلب عليه ليله ونهاره حتى كان يغيب فيبعث من يحضره، فجاءه ليلة وبوجهه آثار، فقال له: ما هذا يا حار؟ قال: ركبت فرسي الأشقر فلجج بي مضيقاً فسحجني. قال: لكنك لو ركبت أحد الأشهبين لم يصبك شيء من هذا. يعني: اللبن والماء.

أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا، قال: أنبأنا محمد ابن معاوية الزيادي، عن القحذمي، عن عمه، قال: خرج حارثة بن بدر إلى سلم بن زياد بخراسان فأوصى رجلاً من غدانة أن يتعاهد امرأته الشماء ويقوم بأمرها، فكان الغداني يأتيها فيتحدث عندها ويطيل، حتى أحبها وصبا بها، فكتب إلى حارثة يخبره أنها فسدت عليه وتغيرت، ويشير عليه بفراقها، ويقول له: إنها قد فضحتك من تلعب الرجال بها. فكتب إليها بطلاقها، وكتب في آخر كتابه:

ألا آذنا شماء بالبين إنه ... أبى أود الشماء أن يتقوما

قال: فلما طلقها وقضت عدتها، خطبها الغداني فتزوجها، وكان حارثة شديد الحب لها، وبلغه ذلك، وما صنعت، فقال:

لعمرك ما فارقت شماء عن قلى ... ولكن أطلت النأي عنها فملت

مقيماً بمروروذ لا أنا قافل ... إليها ولا تدنو إذا هي حلت

أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا، قال: أنبأنا مهدي بن سابق، قال: أنبأنا عطاء، عن عاصم بن الحدثان، قال: تزوج حارثة بن بدر ميسة بنت جابر، وكانت تذكر بجمال وعقل ولسان، فلما هلك حارثة تزوجها بشر بن شعاف بعده فلم تحمده، فقالت ترثي حارثة:

بدلت بشراً شقاء أو معاقبة ... من فارس كان قدماً غير خوار

يا ليتني قبل بشر كان عاجلني ... داع من الله أو داع من النار

وقالت أيضاً فيه:

ما خار لي ذو العرش لما استخرته ... وعذبني أن صرت لابن شعاف

فما كان لي بغلاً وما كان مثله ... يكون حليفاً أو ينال إلافي

فيا رب قد أوقعتني في بلية ... فكن لي حضناً منه رب وكاف

ونح إلهي ربقتي من يد امرئ ... شتيم محياه لكل مصافي

هو السوأة السوأة لا خير عنده ... لطالب خير أو أحذ قوافي

يرى أكلة إن نلتها قلع ضرسه ... وما تلك زلفى يا آل عبد مناف

وإن حادث عض الشعافي لم يكن ... صليباً ولا ذا تدرأ وقذاف

أخبرني محمد بن مزيد، قال: أنبأنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم ابن الحدثان، قال: لقي أنس بن زنيم الدئلي حارثة بن بدر فقال له: يا حارثة، قد قفت لك أبياتاً فاسمعها. فقال: هاتها، فأنشده:

فحتى متى أنت ابن بدر مخيم ... وصحبك يحسون الحليب من الكرم

فإن كان شراً فاله عنه وخله لغيرك من أهل التخبط والظلم

وإن كنت ذا علم بها واحتسائها فما لك تأتي ما يشينك عن علم
تق الله وأقبل يابن بدر محللاً وقلت لي اتركها لأوضعت في الحكم
وأيقنت أن القول ما قلت فانتفع بقولي ولا تجعل كلامي من الجرم
فرب نصيح الجيب رد انتصاحه عليه بلا ذنب وعوجل بالشتم

فقال له حارثة: لقد قلت فأحسنت، ونصحت فبالغت، جزيت الخير أبا زنيم. فلما رجع إلى منزله، أتاه ندماؤه فذكر لهم ما قال ابن زنيم، فقالوا: والله ما نرى ذلك إلا حسداً. ثم قال حارثة بن بدر لابن زنيم:

يعيب علي الراح من لو يذوقها لجن بها حتى يغيب في القبر
فدعها أو امدحها فإنا نحبها صراحاً كما أغراك ربك بالهجر
علام تذم الراح والراح كاسمها تريح الفتى من همه آخر الدهر
فلمني فإن اللوم فيها يزيدني غراماً بها إن الملامة قد تغرى
وبالله أولي صادقاً لو شربتها لأقصرت عن عذلي وملت إلى عذري
وإن شئت جربها وذقها عتيقة لها أرج كالمسك محمودة الخبر
فإن أنت لم تخلع عذارك فانحني وقل لي لحاك الله من عاجز غمر
وقبلك ما قد لامني في اصطباحها وفي شربها بدر فأعرضت عن بدر
وحاسيتها قوماً كأن وجوههم دنانير في اللأواء والزمن النكر
فدعني من التغذل فيها فإنني خلقت أبياً لا ألين عدى القسر
أجود وأعطي المتفسات تبرعاً وأغلي بها عند اليسارة والعسر
وأشربها حتى أخر مجدلاً معتقة صهباء طيبة النشر
ولولا النهى لم أضح ما عشت ساعة ولكنني نهنهت نفسي عن الهجر
فقصرت عنها بعد طول لجاجة وحب لها في سر أمري وفي الهجر
وحق لمثلي أن يكف عن الخنى ويقصر عن بعض الغواية والنكر

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه، عن أبي عبيدة: أن عبيد الله بن زياد استعمل حارثة بن بدر على نيسابور فغاب عنه أشهراً، ثم قدم فدخل عليه، فقال له: ما جاء بك و لم أكتب إليك؟ قال: استنظفت خراجك

وجئت به وليس لي بها عمل، فما مقامي؟ قال: أو بذلك أمرتك؟ ارجع فاردد عليهم الخراج وخذه منهم نجوماً حتى تنقضي السنة وقد فرغت من ذلك، فإنه أرفق بالرعية وبك، واحذر أن تحملهم على بيع غلاتهم ومواشيهم ولا التعنيف عليهم. فرجع فرد الخراج عليهم، وأقام يستخرجه منهم نجوماً حتى مضت السنة.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا الرياشي عن الأصمعي، قال: قال الأحنف بن قيس: ما غبت عن أمر قط فحضره حارثة بن بدر إلا وثقت بإحكامه إياه وجودة عقده له، وكان حارثة بن بدر من الدهاة.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا أحمد بن يحيى، عن ابن الأعرابي، قال: كان حارثة بن بدر يصيب من الشراب، وكان حظياً عند زياد، فعوتب زياد على رأيه فيه. فقال: أتلومونني على حارثة؟ فوالله ما تفل في مجلسي قط، ولا حك ركابه ركابي، ولا سار معي في علاوة الريح فغبر علي، ولا دعوته قط فاحتجت إلى تجشم الالتفات إليه حتى يوازيني، ولا شاورته في شيء إلا نصحني، ولا سألته عن شيء من أمر العرب وأخبارها إلا وجدته به بصيراً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، وأحمد بن عبيد الله بن عمار، قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا الأصمعي، قال: لما كان يوم دولاب وأفضت الحرب إلى حارثة بن بدر صاح: من جاءنا من الموالي فله فريضة العرب، ومن جاءنا من الأعراب فله فريضة المهاجر. فلما رأى ما يلقى أصحابه من الأزارقة قال:

أير الحمار فريضة لشبابكم ... والخصيتان فريضة الأعراب

عض الموالي جلد أير أبيهم ... إن الموالي معشر الخياب

ثم قال:

كرنبوا ودولبوا ... وشرقوا وغربوا

وحيث شئتم فاذهبوا

يعني بقوله كرنبوا أي خذوا طريق كرنبى، و دولبوا: خذوا طريق دولاب.

أخبرني. محمد بن زكريا الصحاف، قال: حدثنا قعنب بن محرز، قال: حدثنا الهيثم بن عدي، عن ابن عياش، عن المغيرة بن المنتشر، قال: إنا عند عبيد الله بن زياد، وعنده الأحنف ابن قيس، وحارثة بن بدر، وكان حارثة يتهم بالشراب. فقال له عبيد الله: يا حارثة، أي الشراب أطيب؟ قال: برة طبريه بأقطة عتربة، بسمنة عربية، بسكرة سوسية فتبسم عبيد الله، ثم قال للأحنف: يا أبا بحر، أي الشراب أطيب؟ قال: الخمر. فقال له عبيد الله: وما يدريك ولست من أهلها؟ قال: من يستحلها لا يعدوها إلى غيرها، ومن يحرمها يتأول فيها حتى يشربها. قال: فضحك عبيد الله.

أخبرني أحمد بن محمد أبو الحسن الأسدي وعمرو بن عبد الله العتكي، قالا: حدثنا الرياشي. وقال العتكي في

خبره: "عن أبي عبيدة"، و لم تقله الأسدي ولا تجاوز الرياشي به: إن حارثة كان بكوار من أردشير خره يتنزه فقال:

ألم تر أن حارثة بن بدر أقام بدير أبلق من كوارا

ثم قال لجند كانوا معه: من أجاز هذا البيت فله حكمه. فقال له رجل منهم: أنا أجيزه على أن تجعل لي الأمان من غضبك، وتجعلني رسولك إلى البصرة، وتطلب لي القفل من الأمير. قال: ذلك لك. قال: ثم رد عليه نشيد البيت، فقال الرجل:

مقيما يشرب الصهباء صرفاً إذا ما قلت تصرعه استدارا

فقال له حارثة: لك شرطك، ولو كنت قلت لنا شيئاً يسرنا لسررناك.

كتب إلي أبو خليفة الفضل بن الحباب، أخبرنا محمد بن سلام، قال: قدم الأبيرد الرياحي على حارثة بن بدر فقال له: اكسني ثوبين أدخل بهما على الأمير. فكساه ثوبين لم يرضهما، فقال فيه:

أحارث أمسك فضل برديك إنما أجاع وأعرى الله من كنت كاسيا

وكنت إذا استمطرت منك سحابة لتمطرني عادت عجاجاً وسافيا

أحارث عاود شربك الخمر إنني رأيت زياداً عنك أصبح لاهيا

فبلغت زياداً، وبلغت حارثة، فقال: قبحه الله! لقد شهد علي، بما لم يعلم، و لم أدع جوابه إلا لما أخبرني محمد بن مزيد، قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم ابن الحدثان، قال: كان الحكم بن المنذر بن الجارود يشرب الشراب، فقيل له في ذلك وعوتب، وعرف أن الصلتان العبدي هجاه فقال فيه:

ترك الأشياء طراً وانحنى يشرب الصهباء من ماء العنب

لا يخاف الناس قد أدمنها وفي تزري باللئيم المؤتشب

وهي بالأشراف أزرى وإلى غاية التأنيب تدعو ذا الحسب

فدع الخمر أبا حرب وسذ قومك الأذنين من بين العرب

فقال: لعنه الله! والله ما ترك للصلح موضعاً، ولقد صدق، ولولا الشرب لكنت الرجل الكامل، وما يخفي علي قبيحه وسوء القالة فيه، ولكني سمعت حارثة بن بدر الغداني أنشد أبياتاً يوماً فحملتني على المجاهرة الشراب، وإن كان ذلك إلي بغيضاً. قيل له: وما الأبيات؟ قال: سمعته ينشد:

أذهب عني الغم والهم والذي به تطرد الأحداث شرب المروق

فوالله ما أنفك بالراح مهتراً ولولا لام فيها كل حر موفق

فما لائمي فيها وإن كان ناصحاً بأعلم مني بالرحيق المعتق

ولكن قلبي مستهام بحبها وحب القيان رأي كل محمق
سأشربها صرفاً وأسقي صحابتي وأطلب غرات الغزال المنطق

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم بن الحدثان، قال: كان لحارثة بن بدر نديم من قريش يصيب معه الشراب، ولا يفارقه إذا شرب، وقال فيه.

وأبيض من أولاد سعد بن مالك سقيت من الصهباء حتى تقطرا
وحتى رأى الشخص القريب بسكره شخوصاً فنادى يا آل سعد وكبرا
فقلت أسكران؟ فقال مكابراً أبى الله لي أن أستخف وأسكرا
فقلت له أشرب هذه بابلية تخال بها مسكاً ذكياً وعنبراً
فلما حساها هرها ثم إنه تماسك شيئاً واجما متفكرا
وقال أعدها قلت صبراً سويعة فهوم شيئاً ثم قام فبربراً
فقلت له نم ساعة عل ما أرى من السكر يبدي منك صرماً مذكرا

قال إسحاق: قال عاصم بن الحدثان: كان أبو صخر مخارق بن صخر أحد بني ربيعة بن مالك شاعراً، وهو خال أبي حزانة، أو خال أبي جميعة، وكان صديقاً لحارثة بن بدر، فدخل عليه يوماً. وهو مصطبح، فعاتبه حارثة بن بدر، وقال له،: قد أسقطت الخمر قدرك ومروءتك. قال له: دع عنك هذا الجنون وهلم نتساعد واسمع ما قلت. قال: هاته، فأنشده:

غدانا ناصحاً لم يأل جهداً مخارق يلوم على شرب السلاف المعتق
فقلت أبا صخر دع الناس يجهلوا ودونكها صهباء ذات تألق
تراها إذا ما الماء خالط جسمها تخايل في كف الوصيف المنطق
لها أرج كالمسك تذهب ريحها عماية حاسيها بحسن ترفق
وكم لائم فيها بصير بفضلها رمته بسهم صائب متزلق
فظل لرياها يعض ندامة يديه وأرغى بعد طول تمطق
وقال لك العذر ابن بدر على التي تسلي هموم المستهام المشوق
فلست ابن صخر تاركاً شرب قهوة لقول لئيم جاهل متحذلق
يعيب علي الشرب والشرب همه ليحسب ذا رأي أصيل مصدق

فما أنا بالغر ابن صخر ولا الذي يصمم في شيء من الأمر موبق

فقال له مخارق بن صخر: إنما عاتبتك لأن الناس قد كثروا فيك، ورأيت النصيحة لله واجبة علي، وكرهت أن تضع لذتك قدرك، فإن أطعتني في تركها وإلا فلا تجاهر بها، فإنك قادر على أن تبلغ حاجتك في ستر. فقال حارثة: ما عندي غير ما سمعت، فتركه وانصرف.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: أأجأنا الرياشي عن محمد بن سلام، عن يونسى بن حبيب، قال: لما بنى فيل مولى زياد داره بالسبابجة، صنع طعاماً ودعا أصحاب زياد، فدخلوا الحمام المعروف بحمام فيل وخرجوا فتغدوا عنده وركب فيل وأصحابه الهمايج والمقاريف والبغال، واجتاز بهم معه على حارثة بن دبر وأبي الأسود الدؤلي وهما جالسان، فقال أبو الأسود:

لعمر أبيك ما حمام كسرى على الثلثين من حمام فيل

فقال حارثة:

وما إيجافنا خلف الموالي بسنتنا على عهد الرسول

أخبرني محمد بن مزيد، قال: أنبأنا حماد عن أبيه، عن عاصم بن الحدثان، قال: حدثني عمي عن الحارث الهجيمي، قال: ذكر حلم الأحنف بن قيس عند عبيد الله بن زياد وعنده حارثة بن بدر، فنفس عليه حارثة ذلك، فقال لعبيد الله: أيها الأمير، ما يبلغ حلم من لا قدرة له ولا يملك لعدوه ضراً ولا لصديقه نفعاً. وإنما يتكلف الدخول فيما لا يعنيه؟ فبلغ ذلك من قوله. الأحنف فقال: أهون بحارثة وكلامه؟ وما حارثة ومقداره؟ أليس الذي يقوك- قبح الله رأيه- في قوله:

إذا ما شربت الراح أبدت مكارمي وجدت بما حازت يداي من الوفر
وإن سبني جهلاً نديمي لم أزد على أشرب سقاك الله طيبة النشر
أرى ذاك حقاً واجباً لمنادمي إذا قال لي غير الجميل من النكر

أخبرني عمي، قال: أنبأنا الكراني، قال: أنبأنا الرياشي عن الأصمعي، قال: كان لحارثة بن بدر جارية يقال لها ميسة وكان بها مشغوفاً، فلما مات تزوجت بعده بشر بن شغاف. فهؤلاء الشغافيون من ولدها، وفيها يقول حارثة:

خليلي لولا حب ميسة لم أبل أفي اليوم لاقيت المنية أم غدا
خليلي إن أفشيت سري إليكما فلا تجعلا سري حديثاً مبددا
وإن أنتما أفشيتماه فلا رأت عيونكما يوم الحساب محمدا
ولا زلتما في شقوة ما بقيتما تذوقان عيشاً سيء الحال أنكدا

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي، قال: أنبأنا الحسين بن عليل، قال: أنبأنا مسعود بن بشر عن أبي عبيدة، قال: اجتاز حارثة بن بدر الغداني بمجلسي من مجالس قومه من بني تميم ومعه كعب مولاه، فكلما اجتاز بقوم قاموا إليه وقالوا: مرحباً بسيدنا، فلما ولى قال له كعب: ما سمعت كلاماً قط أقر لعيني ولا ألذ بسمعي من هذا الكلام الذي لسمعته اليوم. فقال له حارثة: لكني لم أسمع كلاماً قط أكره لنفسي وأبغض إلي مما سمعته. قال: ولم قال: ويحك يا كعب! إنما سودني قومي حين ذهب خيارهم وأماثلهم، فاحفظ عني هذا البيت:

خلت الديار فسدت غير مسود ... ومن الشقاء تفردي بالسودد

قال: واشتكى حارثة ابن بدر، وأشرف على الموت، فجعل قومه يعودونه فقالوا له: هل لك من حاجة أو شيء تريده؟ قال: نعم، اكسروا رجل مولاي كعب لئلا يبرح من عندي فإنه يؤنسني. ففعلوا، وأنشد يقول:

يا كعب مهلاً فلا تجزع على أحد ... يا كعب لم يبق منا غير أجساد

يا كعب ما راح من قوم ولا بكروا ... إلا وللموت في آثارهم حادي

يا كعب ما طلعت شمس ولا غربت ... إلا تقرب آجالاً لميعاد

يا كعب كم من حمى قوم نزلت به ... على صواعق من زجر وإيعاد

فإن لقيت بواد حية ذكرا ... فأذهب ودعني أمارس حية الوادي

جاء بعقب هذه الترجمة في الجزء الحادي والعشرين:

عش فحبيك سريعاً قاتلي ... والضنى إن لم تصلني واصلي

ظفر الشوق بقلب دنف ... فيك والسقم بجسم ناحل

فهما بين اكتئاب وضنى ... تركاني كالقضيب الذابل

الشعر لخالد الكاتب، والغناء للمسدود، رمل مطلق في مجرى الوسطى. وذكر جحظة أن هذا الرمل أخذ عنه، وأنه أول صوت سمعه فكتبه.

ثم جاءت بعد هذا أخبار خالد الكاتب.

الجزء التاسع

ذكر أخبار كثير ونسبه

نسبه

هو فيما أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي، أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر بن مخلد بن سعيد بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مليح بن عمرو وهو خزاعة بن ربيعة وهو يحيى بن حارثة بن عمرو وهو مزيقيا بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن " بن الأزد وهو درء وقيل دراء ممدوداً بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وأخبرنا أبو عبد الرحمن أحمد بن محمد بن إسحاق الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أبو صخر بن أبي الزعراء الخزاعي عن أمه ليلى بنت كثير قالت: هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن مخلد بن سبيع بن سعد بن مليح بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر. وأمه جمعة بنت الأشيم بن خالد بن عبيد بن مبشر بن رياح بن سيالة بن عامر بن جعثمة بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر. وكانت كنية الأشيم جده أبي أمه أبا جمعة، ولذلك قيل له ابن أبي جمعة.

وكان له ابن يقال له ثواب من أشعر أهل زمانه، مات سنة إحدى وأربعين ومائة ولا ولد له.

ومات كثير سنة خمس ومائة في ولاية يزيد بن عبد الملك. وليس له اليوم ولد إلا من بنته ليلى. ولليلى بنته ابن يكنى أبا سلمة الشاعر وهو الذي يقول: صوت

وكان عزيزاً أن تبيتي وبيننا ... حجابٌ فقد أمسيت مني على شهر

ففي القرب تعذيبٌ وفي النأي حسرة ... فيا ويح نفسي كيف أصنع بالدهر

في هذين البيتين غناء لمقاسة. ولحنه من الثقيل الأول بالخنصر عن حبس.

كنيته وطبقته في الشعراء ونحلته: ويكنى كثير أبا صخر. وهو من فحول شعراء الإسلام، وجعله ابن سلام في الطبقة الأولى منهم وقرن به جريراً والفرزدق والأخطل والراعي. وكان غالياً في التشيع يذهب مذهب الكيسانية ، ويقول بالرجعة والتناسخ، وكان محمقاً مشهوراً بذلك. وكان آل مروان يعلمون بمذهبه فلا يغيرهم ذلك لجلالته في أعينهم ولطف محله في أنفسهم وعندهم. وكان من أتيه الناس وأذهبهم بنفسه على كل أحد.

الحديث عنه وعلى شعره:

أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني هارون بن عبد الله الزهري قال حدثني سليمان بن فليح قال: سمعت محمد بن عبد العزيزيعني ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف يقول ما قصد

القصيد ولا نعت الملوك مثل كثير.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال كتب إلي إسحاق بن إبراهيم الموصلي حدثني إبراهيم بن سعد قال: إني لأروي لكثير ثلاثين قصيدة لو رقي بها مجنون لأفاق.

أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني بعض أصحاب الحديث قال: كنا نأتي إبراهيم بن سعد وهو خبيث النفس، فنسأله عن شعر كثير فتطيب نفسه، ويحدثنا.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي عبيدة قال: من لم يجمع من شعر كثير ثلاثين لامية فلم يجمع شعره. قال الزبير قال المؤملي: وكان ابن أبي عبيدة يملي شعر كثير بثلاثين ديناراً. قال وسئل عمي مصعب: من أشعر الناس؟ فقال: كثير بن أبي جمعة، وقال: هو أشعر من جرير والفرزدق والراعي وعامتهم يعني الشعراء، و لم يدرك أحد في مديح الملوك ما أدرك كثير.

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب إجازةً قال حدثنا محمد بن سلام الجمحي قال: كان كثير شاعر أهل الحجاز، وهو شاعر فحل، ولكنه منقوص حظه بالعراق.

أخبرني أبو خليفة قال أخبرنا ابن سلام قال سمعت يونس النحوي يقول: كثير أشعر أهل الإسلام. قال ابن سلام: وسمعت ابن أبي حفصة يعجبه مذهبه في المديح جداً، ويقول: كان يستقصي المديح، وكان فيه مع جودة شعره خطلٌ وعجب.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري قال أخبرني إبراهيم بن إبراهيم بن حسين بن زيد قال: سمعت المسور بن عبد الملك يقول: ما ضر من يروي شعر كثير وجميلٍ إلا تكون عنده مغنيتان مطربتان.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني عن الوقاصي قال: رأيت كثيراً يطوف في البيت، فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكذبه؛ وكان إذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول: طأطئ رأسك لا يصيبه السقف.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني، وعن ابن حبيب عن أبيه عن جده عن جد أبيه عبد العزيز وأمه جمعة بنت كثير قال: قال جرير لكثير: أي رجل أنت لولا دمامتك! فقال كثير:

إن أك قصداً في الرجال فإنني إذا حل أمرٌ ساحتي لطويل

ما كان بينه وبين الحزين الديلي

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني عن الوقاصي قال، وأخبرنا الحرمي أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن يحيى عن

بعض أصحابهم الديليين قال: التقى كثير والحزين الديلي في المدينة في دار ابن أزهر في سوق الغنم، فضمهما المجلس. فقال كثير للحزين: ما أنت شاعرٌ يا حزين، إنما توصل الشيء إلى الشيء. فقال له الحزين: أتأذن لي أن أهجوك؟قال نعم. وكان كثير قال قبل ذلك وهو ينتسب إلى بني الصلت بن النضر بن كنانة:

أليس أبي بالنضر أو ليس إخوتي ... بكل هجانٍ من بني الصلت أزهرا

فإن لم يكونوا من بني الصلت فاتركوا ... أراكاً بأذيال الخمائل أخضرا

قال: فلما أذن كثير للحزين أن يهجوه قال للحزين:

لقد علقت زب الذباب كثيراً ... أساود لا يطنينه وأراقم

قصير القميص فاحشٌ عند بيته ... يعض القراد باسته وهو قائم

وما أنتم منا ولكنكم لنا ... عبيد العصا ما ابتل في البحر عائم

وقد علم الأقوام أن بني استها ... خزاعة أذنابٌ وأنا القوادم

ووالله لولا الله ثم ضرابنا ... بأسيافنا دارت عليها المقاسم

ولولا بنو بكر لذلت وأهلكت ... بطعنٍ وأفنتها السيوف الصوارم

تهدده أبو الطفيل واستوهبه خندف الأسدي

قال: فقام كثير فحمل عليه فلكزه. وكان الحزين طويلاً أيداً. فقال له الحزين. أنت عن هذا أعجز، واحتمله فكان في يده مثل الكرة، فضرب به الأرض، فخلصه منه الأزهريون. فبلغ ذلك " أبا الطفيل عامر بن واثلة وهو بالكوفة، فأقسم لئن ملأ عينيه من الكثير ليضربنه بالسيف أو ليطعننه بالرمح. وكان خندفٌ الأسدي صديقاً لأبي الطفيل، فطلب إلى أبي الطفيل في كثير واستوهبه إياه فوهبه له. والتقيا بمكة وجلسا جميعاً مع عمر بن علي بن أبي طالب، فقال: أما الله لولا ما أعطيت خندفاً من العهد لوفيت لك. فذلك قول كثير في قصيدته التي يرثي فيها خندفاً:

ينال رجالاً نفعه وهو منهم ... بعيدٌ كعيوق الثريا المحلق

أنكر على الأحوص ضراعته في الاستجداء أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وجبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال: قال كثير: في أي شعر أعطى هؤلاء الأحوص عشرة آلاف دينار؟ قالوا: في قوله فيهم:

وما كان لي طارفاً من تجارةٍ ... وما كان ميراثاً من المال متلدا

ولكن عطايا من إمامٍ مباركٍ ... ملا الأرض معروفاً وجوداً وسوددا

فقال كثير: إنه لضرع قبحه الله ! ألا قال كما قلت: صوت

دع عنك سلمى إذ فات مطلبها ... واذكر خليليك من بني الحكم

ما أعطياني ولا سألتهما إلا وإني لحاجزي كرمي
إني متى لا يكن نوالهما عندي مما قد فعلت أحتشم
مبدي الرضا عنهما ومنصرفٌ عن بعض ما لو فعلتُ لم ألم
لا أنزر النائل الخليل إذا ما اعتل نزر الظؤور لم ترم

عروضه من المنسرح. غنى في هذا الشعر يونس ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وغنى فيه الغريض ثاني ثقيلٍ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة. و فيه لحن من الثقيل الأول ينسب إلى معبد، وليس بصحيح له. قال الزبير بن بكار في تفسير قوله: لا أنزر النائل الخليل يقول: لا ألح عليه بالمسألة، يقال: نزرته أنزره إذا ألححت عليه. والظؤور: المتعطفة على غير أولادها.

حديثه مع عبد الملك في استقطاعه أرضاً له: أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثنا المؤملي عن أبي عبيدة، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال: دخل كثير على عبد الملك بن مروان فقال: ياأمير المؤمنين، إن أرضاً لك يقال لها غرب ربما أتيتها وخرجت إليها بولدي وعيالي فأصبنا من رطبها وتمرها بشراءٍ، مرة وطعمة مرة. فإن رأى أمير المؤمنين أن يعمرنيها فعل. فقال له عبد الملك: ذلك لك. فندمه الناس وقالوا له: أنت شاعر الخليفة ولك عنده منزلة، فهلا سألت الأرض قطيعةً !. فأتى الوليد فقال: إن لي إلى أمير المؤمنين حاجةً فأجلسني قريباً من البرذون. فلما استوى عليه عبد الملك قال له: إيهٍ ! وعلم أن له إليه حاجةً. فقال كثير:

جزتك الجوازي عن صديقك نضرةً وأدناك ربي في الرفيق المقرب
فإنك لا يعطى عليك ظلامةً عدوٌ ولا تنأى عن المتقرب
وإنك ما تمنع فإنك مانعٌ بحقٍ، وما أعطيت لم تتعقب

فقال له: أترغب غرباً؟ قال: نعم ياأمير المؤمنين. قال: اكتبوها له، ففعلوا.

هجاء الحزين له في مجلس ابن أبي عتيق:

أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤملي قال حدثني عبد الله بن أبي عبيدة قال: كان الحزين الكناني قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين في كل شهر، منهم ابن أبي عتيق. فجاءه لأخذ درهميه على حمارٍ له أعجف قال: وكثير مع ابن أبي عتيق فدعا ابن أبي عتيق للحزين بدرهمين. فقال الحزين لابن أبي عتيق: من هذا معك؟ قال: هذا أبو صخر كثير بن أبي جمعة قال: وكان قصيراً دميماً فقال له الحزين: أتأذن لي أن أهجوه ببيت من شعر؟ قال: لا ! لعمري لا آذن لك أن تهجو جليسي، ولكني أشتري عرضه منك بدرهمين آخرين ودعا له بهما. فأخذهما ثم قال: لا بد من هجائه ببيت. قال: أو أشتري ذلك منك بدرهمين

آخرين، ودعا له بهما. فأخذهما ثم قال: ما أنا بتاركه حتى أهجوه. قال: أو أشتري ذلك منك بدرهمين. فقال له كثير: إيذن له، ما عسى أن يكون في بيت ! فأذن له ابن أبي عتيق. فقال:

قصير القميص فاحشٌ عند بيته يعض القراد باسته وهو قائم

قال: فوثب كثير إليه فلكزه، فسقط هو والحمار، وخلص ابن أبي عتيق بينهما، وقال لكثير قبحك الله ! أتأذن له وتسفه عليه ! فقال كثير: أو أنا ظننته أن يبلغ بي هذا كله في بيت واحد ! ادعى أنه قرشي فرده الشعراء وسبه الكوفيون: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوزه، وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الرحمن بن الخضر الخزاعي عن ولد جمعة بنت كثير أنه وجد في كتب أبيه التي فيها شعر كثير: أن عبد الملك بن مروان قال له: ويحك ! إلحق بقومك من خزاعة، فأخبر أنه من كنانة قريش، وأنشد كثير قوله:

أليس أبي بالصلت أم ليس إخوتي بكل هجانٍ من بني النضر أزهرا

فإن لم تكونوا من بني النضرفاتركوا أراكاً بأذناب القوابل أخضرا

أبيت التي قد سمتني ونكرتها ولو سمتها قبلي قبيصة أنكرا

لبسنا ثياب العصب فاختلط السدى بنا وبهم والحضرمي المخصرا

فقال له عبد الملك: لا بد أن تنشد هذا الشعر على منبري الكوفة والبصرة، وحمله وكتب به إلى العراق في أمره. قال عمر بن شبة في خبره خاصة: فأجابته خزاعة الحجاز إلى ذلك. وقال فيه الأحوص ويقال: بل قاله سراقة البارقي:

لعمري لقد جاء العراق كثيرٌ بأحدوثةٍ من وحيه المتكذب

أيزعم أني من كنانة أولى وما لي من أمٍ هناك ولا أب

فإن كنت حراً أو تخاف معرةً فخذ ما أخذت من أميرك واذهب

فقال كثير يجيبه وفي خبر الزبير: قال هذا لأبي علقمة الخزاعي:

أيا خبثٌ أكرم كنانة إنهم مواليك إن أمرٌ سما بك معلق

وفي رواية الزبير: أبا علقمٍ.

بنو النضر ترمي من ورائك بالحصى أولو حسبٍ فيهم وفاءٌ ومصدقٌ

يفيدونك المال الكثير ولم تجد لملكهم شبهاً لو انك تصدق

إذا ركبوا ثارت عليك عجاجةٌ وفي الأرض من وقع الأسنةً أولق

فأجابه الأحوص بقوله:

دع القوم ما حلوا ببطن قراضمٍ ... وحيث تفشى بيضه المتفلق

فإنك لو قاربت أو قلت شبهةً ... لذي الحق فيها والمخاصم معلق

عذرناك أو قلنا صدقت وإنما ... يصدق بالأقوال من كان يصدق

ستأبى بنو عمروٍ عليك وينتمي ... لهم حسبٌ في جذم غسان معرق

فإنك لا عمراً أباك حفظته ... ولا النضر إن ضيعت شيخك تلحق

ولم تدرك القوم الذين طلبتهم ... فكنت كما كان السقاء المعلق

بجذمة ساقٍ ليس منه لحاؤها ... ولم يك عنها قلبه يتعلق

فأصبحت كالمهريق فضلة مائه ... لبادي سرابٍ بالملا يترقرق

قال: فخرج كثير فأتى الكوفة، فرمي به إلى مسجد بارق. فقالوا له: أنت من أهل الحجاز؟ قال نعم. قالوا: فأخبرنا عن رجل شاعر ولد زناً يدعى كثيراً. قال سبحان الله ! أما تسمعون أيها المشايخ ما يقول الفتيان ! قالوا: هو ما قاله لنفسه. فانسل منهم وجاء إلى والي الكوفة حسان بن كيسان، فطيره على البريد. فقال عمر بن شبة في خبره: إن سراقة البارقي هو المخاطب له بهذه الشتيمة وإنه عرفه وقال له: إن قلت هذا على المنبر قتلتك قحطان وأنا أولهم، فانصرف إلى منزله و لم يعد إلى عبد الملك.

نبذة عن سراقة البارقي وقصته مع المختار حين أسر: وكان سراقة هذا شاعراً ظريفاً. فأخبرني عمي قال حدثني الكراني عن النضر بن عمر عن الهيثم بن عدي عن الأعمش عن إبراهيم قال: كان سراقة البارقي من ظرفاء أهل العراق، فأسره المختار يوم جبانة السبيع، وكان للمختار فيها وقعةٌ منكرة، فجاء به الذي أسره إلى المختار فقال له: إني أسرت هذا. فقال له سراقة: كذب ! ما هو الذي أسرني، إنما أسرني غلامٌ أسود على برذون أبلق عليه ثيابٌ خضرٌ، ما أراه في عسكرك الآن، وسلمني إليه. فقال المختار: أما إن الرجل قد عاين الملائكة ! خلوا سبيله فخلوه، فهرب فأنشأ يقول:

ألا أبلغ أبا إسحاق أني ... رأيت البلق دهماً مصمتات

أري عيني ما لم تبصراه ... كلانا عالمٌ بالترهات

كفرت بدينكم وجعلت نذراً ... علي قتالكم حتى الممات

كان يرى أن ابن الحنفية لم يمت وكان ذلك رأي السيد: أخبرنا الحرمي قال أخبرنا الزبيرقال أخبرنا عمرو ومحمد بن الضحاك قالا: كان كثير يتشيع تشيعاً قبيحاً، يزعم أن محمد بن الحنفية لم يمت. قال: وكان ذلك رأي السيد، وقد قال فيه يعني السيد شعراً كثيراً، منه:

ألا قل للوصي فدتك نفسي ... أطلت بذلك الجبل المقاما
أضر بمعشرٍ والوك منا ... وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طرا ... مقامك عنهم ستين عاماً
وما ذاق ابن خولة طعم موتٍ ... ولا وارت له أرضٌ عظاما
لقد اوفى بمورق شعب رضوى ... تراجعه الملائكة الكلاما
وإن له به لمقيل صدقٍ ... وأندية تحدثه كراما
هدانا الله إذ جرتم لأمرٍ ... به ولديه نلتمس التماما
تمام مودة المهدي حتى ... تروا راياتنا تترى نظاما

وقال كثير في ذلك:

ألا إن الأئمة من قريشٍ ... ولاة الحق أربعة سواء
عليٌ والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبطٌ سبط إيمان وبرٍ ... وسبطٌ غيبته كربلاء
وسبطٌ لا تراه العين حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى عنه زماناً ... برضوى عنده عسلٌ وماء

شعره في ابن الحنفية حين سجنه ابن الزبير في سجن عارم: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارث بن محمد عن المدائني عن أبي بكر الهذلي قال: كان عبد الله بن الزبير قد أغري ببني هاشم يتبعهم بكل مكروه ويغري بهم ويخطب بهم على المنابر ويصرح ويعرض بذكرهم. فربما عارضه ابن عباس وغيره منهم. ثم بدا له فيهم فحبس ابن الحنفية في سجن عارمٍ ، ثم جمعه وسائر من كان بحضرته من بني هاشم، فجعلهم في محبس وملأه حطباً وأضرم فيه النار. وقد كان بلغه أن أبا عبد الله الجدلي وسائر شيعة ابن الحنفية قد وافوا لنصرته ومحاربة ابن الزبير، فكان ذلك سبب إيقاعه به. وبلغ أبا عبد الله الخبر فوافى ساعة أضرمت النار عليهم فأطفأها واستنقذهم، وأخرج ابن الحنفية عن جوار ابن الزبير منذ يومئذٍ. فأنشدها محمد بن العباس اليزيدي قال أنشدنا محمد بن حبيب لكثير يذكر ابن الحنفية وقد حبسه ابن الزبير في سجن يقال له سجن عارم:

من ير هذا الشيخ بالخيف من منىً ... من الناس يعلم أنه غير ظالم
سمي النبي المصطفى وابن عمه ... وفكاك أغلالٍ ونفاع غارم
أبي فهو لا يشري هدىً بضلالةٍ ... ولا يتقي في الله لومة لائم

ونحن بحمد الله نتلو كتابه حلولاً بهذا الخيف خيف المحارم

بحيث الحمام آمن الروع ساكنٌ وحيث العدو كالصديق المسالم

فما فرح الدنيا بباقٍ لأهله ولا شدة البلوى بضربة لازم

تخبر من لاقيت أنك عائذٌ بل العائذ المظلوم في سجن عارم

أنشد علي بن عبد الله شعراً له في ابن الحنفية وحديثه معه: حدثني أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا الزبير بن بكار، وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري عن سعيد عن عقبة الجهني عن أبيه قال: سمعت كثيراً ينشد علي بن عبد الله بن جعفر قوله في محمد بن الحنفية:

أقر الله عيني إذ دعاني أمين الله يلطف في السؤال

وأثنى في هواي علي خيراً وساءل عن بني وكيف حالي

وكيف ذكرت حال أبي خبيبٍ وزلة فعله عند السؤال

هو المهدي خبرناه كعبٌ أخو الأحبار في الحقب الخوالي

فقال له علي بن عبد الله: ياأبا صخر، ما يثني عليك في هواك خيراً إلا من كان على مثل مذهبك. قال: أجل بأبي أنت وأمي !. قال: وكان كثير كيسانياً يرى الرجعة. قال الزبير: أبو خبيب عبد الله بن الزبير، كناه بابنه خبيب وهو أكبر ولده، وكان كثير سيئ الرأي فيه. قال الزبير: فأخبرني عمي قال: لما قال كثير:

هو المهدي خبرناه كعبٌ أخو الأحبار في الحقب الخوالي

فقيل له: ألقيت كعباً؟ قال: لا. قيل: فلم قلت خبرناه كعب؟ قال: بالتوهم.

غلوه في التشيع والقول بالرجعة وأخبار له في ذلك: قال: وكان كثير شيعياً غالياً يزعم أن الأرواح تتناسخ، ويحتج بقول الله تعالى: " في أي صورةٍ ما شاء ركبك " ويقول: ألا ترى أنه حوله من صورة في صورة !.

قال: فحدثني عمر بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي عبيدة قال: خندفٌ الأسدي الذي أدخل كثيراً في الخشبية.

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي عن محمد ابن معن الغفاري قال: كنا بالسيالة في مشيخةٍ نتحدث، إذا بكثير قد طلع علينا متكئاً على عصاه.

فقال: كنا ببيداء فأشرف السيالة وبهذه الناحية، فما بقي موضع ببيداء إلا وقد جئته، فإذا هو على حاله ما تغير وما تغيرت الجبال ولا الموضع الذي كنا نطوف فيه، وهذا يكون حتى نرجع إليه. وكان يؤمن بالرجعة.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني يحيى بن محمد قال: دخل عبد الله بن حسن على كثير يعوده في

مرضه الذي بات فيه. فقال له كثير: أبشر ! فكأنك بي بعد أربعين ليلة قد طلعت عليك على فرس عتيق. فقال له عبد الله بن حسن: مالك عليك لعنة الله ! فوالله لئن مت لا أشهدك ولا أعودك ولا أكلمك أبداً.

كان أبو هاشم يتجسس أخباره

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني يحيى بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز أحسبه عن أبن الماجشون قال: وكان أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي قد وضع الأرصاد على كثير فلا يزال يؤتى بالخبر من حبره، فيقول له إذا لقيه: كنت في كذا وكنت في كذا، إلى أن جرى بين كثير وبين رجل كلامٌ فأتي به أبو هاشم. فأقبل به على أدراجه ، فقال له أبو هاشم: كنت الساعة مع فلان فقلت له كذا وكذا وقال لك كذا وكذا. فقال له كثير: أشهد أنك رسول الله.

كان يقول عن الأطفال من آل البيت إنهم الأنبياء الصغار: أخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا محمد، وأخبرنا ! الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن إسماعيل عن موسى بن عبد الله فيما أحسب قال: نظر كثير إلى بني حسن بن حسن وهم صغار فقال: بأبي أنتم ! هؤلاء الأنبياء الصغار. وكان يرى الرجعة. وروى علي بن بشر بن سعيد الرازي عن محمد بن حميد عن أبي زهير عبد الرحمن بن مغراء الدوسي عن محمد بن عمارة قال: مر كثير بمعاوية بن عبد الله بن جعفر وهو في المكتب، فأكب عليه يقبله وقال: أنت من الأنبياء الصغار ورب الكعبة !.

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا قعنب بن المحرز قال حدثني إبراهيم بن داجة قال:

كان كثير شيعياً، وكان يأتي ولد حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه، فيهب لهم الدراهم ويقول: وا بأبي الأنبياء الصغار ! وكان يؤمن بالرجعة. فيقول له محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وهو أخوهم لأمهم ،: يا عم هب لي، فيقول: لا ! لست من الشجرة.

كان عمرو بن عبد العزيز يعرف بحبه صلاح بن هاشم و فسادهم: أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عثمان بن عبد الرحمن عن إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبيد الله قال: قال عمر بن عبد العزيز: إني لأعرف صلاح بني هاشم من فسادهم بحب كثير: من أحبه منهم فهو فاسد، ومن أبغضه فهو صالح، لأنه كان خشبياً يقول بالرجعة.

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن أبي لهيعة عن رجاء بن حيوة قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: إن مما أعتبر به صلاح بني هاشم وفسادهم حب كثير، ثم ذكر مثله.

قال لعمته إنه يونس بن متى: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا علي بن صالح عن ابن دأب قال: كان كثير يدخل على عمه له برزة فتكرمه وتطرح له وسادةً يجلس عليها. قال لها يوماً: لا والله ما تعرفيني ولا

تكرميني حق كرامتي ! قالت: بلى والله إني لأعرفك. فقال: فمن أنا؟ قالت: ابن فلان وابن فلانة، وجعلت تمدح أباه وأمه. فقال: قد عرفت أنك لا تعرفينني. قالت: فمن أنت؟ قال: أنا يونس بن متى.

كان عاقاً لأبيه: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني أبي قال: كان كثير عاقاً لأبيه ، وكان أبوه قد أصابته قرحةٌ في إصبع من أصابع يده. فقال له كثير: أتدري لم أصابتك هذه القرحة في إصبعك؟ قال: لا أدري قال: مما ترفعها إلى الله في يمين كاذبة.

ضافه مزني وذمه بأنه لم يقم لصلاة الصبح: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا إبراهيم بن المنذر عن محمد بن معن الغفاري عن أبيه وغيره قال حدثني رجل من مزينة قال: ضفت كثيراً ليلة وبت عنده ثم تحدثنا ونمنا. فلما طلع الفجر تضور ، ثم قمت فتوضأت وصليت وكثير راقد في لحافه. فلما طلع قرن الشمس تضور ثم قال: يا جارية اسجري لي ماء. قال قلت: تباً لك سائر اليوم ! أو هذه الساعة هذا! وركبت راحلتي وتركته. قال الزبير: أسخني لي ماء.

كان يهزأ به ويصدق ما يسمع عن نفسه: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران المحمد بن عبد العزيز عن ابن شهاب عن طلحة بن عبيد الله قال: ما رأيت قط أحمق من كثير. دخلت عليه يوماً في نفر من قريش وكنا كثيراً ما نتهزأ به، وكان يتشيع تشيعاً قبيحاً. فقلت له: كيف تجدك يا أبا صخر؟ وهو مريض، فقال: أجدني ذاهباً. فقلت: كلا ! فقال: هل سمعتم الناس يقولون شيئاً؟ فقلت: نعم ! يتحدثون أنك الدجال. قال: أما لئن قلت ذاك إني لأجد في عيني ضعفاً منذ أيام.

كان تياهاً ويستحمقه فتيان المدينة لذلك: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران: أن ناساً من أهل المدينة كانوا يلعبون بكثير فيقولون وهو يسمع: إن كثيراً لا يلتفت من تيهه. فكان الرجل يأتيه من ورأه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكبر ويمضي في قميصه.

سأله عبد الملك عن شيء وحلفه بأبي تراب: أخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال: بلغني أن كثيراً دخل على عبد الملك بن مروان، فسأله عن شيء فأخبره به. فقال وحق علي بن أبي طالب إنه كما ذكرت؟ قال كثير: يا أمير المؤمنين، لو سألتني بحقك لصدقتك. قال: لا أسألك إلا بحق أبي تراب . فحلف له به فرضي.

تمثل عبد الملك بشعر له حين منعته عاتكة من الخروج لحرب مصعب وحديثه معه عن هذه الحرب: أخبرنا الفضل بن الحباب أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني عثمان بن عبد الرحمن، وأخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة، وأخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا المؤملي عن ابن أبي عبيدة، قالوا جميعاً.

لما أراد عبد الملك الخروج إلى مصعب لاذت به عاتكة بنت يزيد بن معاويه وهي أم ابنه يزيد، وقالت: يا أمير

المؤمنين، لا تخرج السنة لحرب مصعب، فإن آل الزبير ذكروا خروجك، وابعث إليها الجيوش، وبكت وبكى جواريها معها. وجلس وقال: قاتل الله ابن أبي جمعة ! فأين قوله: صوت

إذا ما أراد الغزو لم تثن همه حصانٌ عليها عقد درٍ يزينها

نهته فلما لم تر النهي عاقه بكت فبكى مما شجاها قطينها

غناه ابن سريج ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق والله لكنه يراني ويراك يا عاتكة، ثم خرج. قال محمد بن جعفر النحوي في خبره ووافقه عليه عمر بن شبة: فلما خرج عبد الملك نظر إلى كثير في ناحية عسكره يسير مطرقاً، فدعا به وقال: لأعلم ما أسكتك وألقى عليك بثك، فإن أخبرتك عنه أتصدقني؟ قال نعم ! قال: وحق أبي تراب لتصدقني، قال: والله لأصدقنك. قال: لا أو تحلف به، فحلف به. فقال تقول: رجلان من قريش يلقي أحدهما صاحبه فيحاربه، القاتل والمقتول في النار، فما معنى سيرى مع أحدهما إلى الآخر ولا آمن سهماً عائراً لعله أن يصيبني فيقتلني فأكون معهما ! قال: والله يا أمير المؤمنين ما أخطأت. قال: فارجع من قريب، وأمر له بجائزة.

بكى لقتل آل المهلب فزجره يزيد وضحك منه: أخبرنا وكيع قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثنا أبو تمام الطائي حبيب بن أوس قال حدثني العطاف بن هارون عن يحيى عن حمزة قاضي دمشق قال حدثني حفص الأموي قال: كنت أختلف إلى كثير أتروى شعره. قال: فوالله إني لعنده يوماً إذا وقف عليه واقف فقال: قتل آل المهلب بالعقر . فقال: ما أجل الخطب ! ضحى آل أبي سفيان بالدين يوم الطف، وضحى بنو مروان بالكرم يوم العقر ! ثم انتضحت عيناه باكياً. فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فدعا به. فلما دخل عليه قال: عليك لعنة الله ! أترابيةً وعصبية ! وجعل يضحك منه.

سأله عبد الملك عن أشعر الناس فأجابه: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد عن أبيه قال: قال عبد الملك بن مروان لكثير: من أشعر الناس اليوم يا أبا صخر؟ قال: من يروي أمير المؤمنين شعره. فقال عبد الملك: أما إنك لمنهم.

جواب عبد الملك له وقد سأله عن شعره: أخبرنا وكيع قال حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا حماد بن إسحاق عن ابن أبي عوف عن عوانة قال: قال كثير لعبد الملك: كيف ترى شعري يا أمير المؤمنين؟ قال أراه يسبق السحر، ويغلب الشعر.

كان عبد الملك يروي أولاده شعره: أخبرنا عمي عن الكراني عن النضر بن عمر قال: كان عبد الملك بن مروان يخرج شعر كثير إلى مؤدب ولده مختوماً يرويهم إياه ويرده.

نزل مرعي لإبله فضيق عليه أهله فذم جوارهم: أخبرنا الحرمي قال أخبرنا الزبير قال حدثنا عبد الله بن خالد الجهني: أن كثيراً شب في حجر عمٍ له صالح، فلما بلغ الحلم أشفق عليه أن يسفه، وكان غير جيد الرأي ولا حسن النظر في عواقب الأمور. فاشترى له عمه قطيعاً من الإبل وأنزله فرش ملل فكان به، ثم ارتفع فنزل فرع

المسور بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف بن جبل جهينة الأصغر، وكان قبل المسور لبني مالك بن أفصى، فضيقوا على كثير وأساءوا جواره، فانتقل عنهم وقال:

أبت إبلي ماء الرداة وشفها ... بنو العم يحمون النضيح المبردا

وما يمنعون الماء إلا ضنانةً ... بأصلاب عسرى شوكها قد تخددا

فعادت فلم تجهد على فضل مائه ... رياحاً ولا سقيا ابن طلق بن أسعدا

قال: ويروى أنه أول شعر قاله.

روايته عن بدء قوله الشعر: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي قال: قال كثير: ما قلت الشعر حتى قولته. قيل له: وكيف ذاك؟ قال: بينا أنا يوماً نصف النهار أسير على بعيرٍ لي بالغميم أو بقاع حمدان ، إذا راكبٌ قد دنا مني حتى صار على جنبي، فتأملته فإذا هو صفر وهو يجر نفسه في الأرض جراً. فقال لي: قل الشعر وألقاه عليه. قلت: من أنت؟ قال: أنا قرينك من الجن. فقلت الشعر.

عزة عشيقته وأول عشقه لها: ونسب كثير لكثرة تشبيبه بعزة الضمرية إليها، وعرف بها فقيل كثير عزة. وهي عزة بنت حميل بن وقاص. أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن الحسن قال: أبو بصرة الغفاري المحدث واسمه حميل بن وقاص هو أبو عزة التي كان ينسب بها كثير. وكان ابتداء عشقه إياها على أنه قد قيل: إنه كان في ذلك كاذباً و لم يكن بعاشق، وذلك يذكر بعد خبره معها فيما أخبرني به الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن إبراهيم السعدي قال حدثني إبراهيم بن يعقوب بن جميع الخزاعي: أنه كان أول عشق كثير عزة أن كثيراً مر بنسوة من بني ضمرة ومعه جلب غنم، فأرسلن إليه عزة وهي صغيرة، فقالت: يقلن لك النسوة: بعنا كبشاً من هذه الغنم وأنسئنا بثمنه إلى أن ترجع، فأعطاها كبشاً وأعجبته. فلما رجع جاءته امرأة منهن بدراهمه، فقال: وأين الصبية التي أخذت مني الكبش؟ قالت: وما تصنع بها ! هذه دراهمك. قال: لا آخذ دراهمي إلا ممن دفعت الكبش إليها. وخرج وهو يقول:

قضى كل ذي دينٍ فوفى غريمه ... وعزة ممطولٌ معنىً غريمها

قال: فكان أول لقائه إياها.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن الخضر بن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن أبي جندل عن أبيه عبد العزيز الخزاعي وأمه جمعة بنت كثير عن أمه جمعة عن أبيها كثير: أن أول علاقته بعزة أنه خرج من مترله يسوق خلف غنمٍ إلى الجار ، فلما كان بالخبت وقف على نسوةٍ من بني ضمرة فسألهن عن الماء، فقلن لعزة وهي جارية حين كعب ثدياها: أرشديه إلى الماء، فأرشدته وأعجبته. فبينا هو يسقى غنمه إذ جاءته عزة بدراهم، فقالت: يقلن لك النسوة: بعنا بهذه الدراهم كبشاً من ضأنك: فأمر الغلام فدفع إليها كبشاً، وقال: ردي الدراهم وقولي لهن: إذا رحت بكن اقتضيت حقي.. فلما راح مر بهن، فقلن له: هذا حقك فخذه. فقال:

عزة غريمي ، ولست أقتضي حقي إلا منها. فمزحن معه وقلن: ويحك ! عزة جارية صغيرة وليس فيها وفاء لحقك فأحله إلى إحدانا فإنها أملأ به منها وأسرع له أداء. فقال: ما أنا بمحيلٍ حقي عنها. ومضى لوجهه، ثم رجع إليهن حين فرغ من بيع جلبه فأنشدهن فيها:

نظرت إليها نظرةً وهي عاتقٌ ... على حين أن شبت وبان نهودها

وقد درعوها وهي ذات مؤصدٍ ... مجوبٍ ولما يلبس الدرع ريدها

من الخفرات البيض ود جليسها ... إذا ما انقضت أحدوثةٌ لو تعيدها

في هذا البيت وأبيات أخر معه غناءٌ يذكر بعد تمام هذا الخبر وما يضاف إليه من جنسه. وأنشدهن أيضاً:

قضى كل ذي دينٍ فوفى غريمه ... وعزة ممطولٌ معنىً غريمها

فقلن له: أبيت إلا عزة ! وأبرزها إليه وهي كارهة. ثم أحبته عزة بعد ذلك أشد من حبه إياها. قال الزبير: فسألت محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الخزاعي المعروف بأبي جندل عن هذا الحديث، فعرفه وحدثنيه عن أبيه عن جده عبد العزيز بن أبي جندل عن أمه جمعة بنت كثير عن أبيها.

سؤال عبد الملك لعزة عن كثير وسبب إعجابه بها: وأخبرني عمي الحسن بن محمد الأصفهاني رحمه الله قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال حدثنا النضر بن عمرو قال حدثني عمر بن عبد الله بن خالد المعيطي، وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني إبراهيم بن إسحاق الطلحي، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني يعقوب بن عبد الله الأسدي وغيره، قال الزبير وحدثني محمد بن صالح الأسلمي قال: دخلت عزة على عبد الملك بن مروان وقد عجزت، فقال لها أنت عزة كثير ! فقالت: أبا عزة بنت حميل. قال: أنت التي يقول لك كثير:

لعزة نارٌ ما تبوخ كأنها ... إذا ما رمقناها من البعد كوكب

فما الذي أعجبه منك؟ قالت: كلا يا أمير المؤمنين ! فوالله لقد كنت في عهده أحسن من النار في الليلة القرة. وفي حديث محمد بن صالح الأسلمي: فقالت له: أعجبه مني ما أعجب المسلمين منك حين صيروك خليفة. قال: وكانت له سن سوداء يخفيها، فضحك حتى بدت. فقالت له: هذا الذي أردت أن أبديه. فقال لها: هل تروين قول كثير فيك:

وقد زعمت أني تغيرت بعدها ... ومن ذا الذي يا عز لا يتغير

تغير جسمي والخليفة كالتي ... عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

قالت لا ! ولكني أروي قوله:

كأني أنادي صخرةً حين أعرضت ... من الصم لو تمشي بها العصم زلت

صفوحاً فما تلقاك إلا بخيلةً فمن مل منها ذلك الوصل ملت

فأمر بها فأدخلت على عاتكة بنت يزيد وفي غير هذه الرواية: أنها أدخلت على أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت لها: أرأيت قول كثير:

قضى كل ذي دينٍ فوفى غريمه وعزة ممطول معنىً غريمها

ما هذا الذي ذكره؟ قالت: قبلةٌ وعدته إياها. قالت: أنجزيها وعلي إثمها.

قصة غلام له مع عزة وإعتاقه بسبب ذلك: أخبرنا الحسن بن الطيب البجلي الشجاعي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال روى ابن جعدبة عن أشياخه، وأخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أبو بكر بن يزيد بن عياض بن جعدبة عن أبيه.

أن كثيراً كان له غلام تاجر، فباع من عزة بعض سلعه ومطلته مدة وهو لا يعرفها. فقال لها يوماً: أنت والله كما قال مولاي:

قضى كل ذي دينٍ فوفى غريمه وعزة ممطولٌ معنىً غريمها

فانصرف عنه خجلة. فقالت له امرأة: أتعرف عزة؟ قال: لا والله !. قالت: فهذه والله عزة. فقال: لا جرم والله لا آخذ منها شيئاً ولا أقتضيها. ورجع إلى كثير فأخبره بذلك، فأعتقه ووهب له المال الذي كان في يده.

لقيت قسيمة بنت عياض عزة ووصفتها: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يعقوب بن حكيم السلمي عن قسيمة بنت عياض بن سعيد الأسلمية، وكنيتها أم البنين، قالت: سارت علينا عزة في جماعة من قومها بين يدي يربوع وجهينة، فسمعنا بها، فاجتمعت جماعة من نساء الحاضر أنا فيهن، فجئناها فرأينا امرأة حلوةً حميراء نظيفة، فتضاءلنا لها، ومعها نسوةٌ كلهن لها عليهن فضلٌ من الجمال والخلق، إلى أن تحدثت ساعةً فإذا هي أبرع الناس وأحلاهم حديثاً، فما فارقناها إلا ولها علينا الفضل في أعيننا، وما نرى في الدنيا امرأة تروقها جمالاً وحسناً وحلاوة.

سأل عبد الملك كثيراً عن أعجب خبر له مع عزة فذكر له ملاقاتها له مع زوجها إذ أمرها بشتمه: أخبرني عمي قال حدثني الفضل اليزيدي عن إسحاق الموصلي عن أبي نصر شيخ له عن الهيثم بن عدي: أن عبد الملك سأل كثيراً عن أعجب خبر له مع عزة، فقال: حججت سنَة من السنين وحج زوج عزة بها، ولم يعلم أحد منا بصاحبه. فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها ببتياع سمن تصلح به طعاماً لأهل رفقته، فجعلت تدور الخيام خيمةً خيمةً حتى دخلت إلي وهي لا تعلم إنها خيمتي، وكنت أبري أسهماً لي. فلما رأيتها جعلت أبري وأنا انظر إليها ولا أعلم حتى بريت عظامي مرات ولا أشعر به والدم يجري. فلما تبينت ذلك دخلت إلي فأمسكت يدي وجعلت تمسح الدم عنها بثوبها، وكان عندي نحيٌ من سمن، فحلفت لتأخذنه، فأخذته وجاءت إلى زوجها بالسمن. فلما رأى الدم سألها عن خبره فكاتمته، حتى حلف لتصدقنه فصدقته، فضربها وحلف لتشتمني في وجهي. فوقفت علي وهو معها فقالت لي: يا بن الزانية وهي تبكي، ثم انصرفا. فذلك حين أقول:

يكلفها الخنزير شتمي وما بها هواني ولكن للمليك استذلت

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء: صوت

خليلي هذا رسم عزة فاعقلا قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

وما كنت أدري قبل عزة ما البكى وما موجعات القلب حتى تولت

فليت قلوصي عند عزة قيدت بحبل ضعيفٍ بان منها فضلت

وأصبح في القوم المقيمين رحلها وكان لها باغٍ سواي فبلت

فقلت لها ياعز كل مصيبة إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

أسيئي بنا أو أحسني، لا ملومّة لدينا ولا مقليةٌ إن تقلت

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامرٍ لعزة من أعراضنا ما استحلت

تمنيتها حتى إذا ما رأيتها رأيت المنايا شرعاً قد أظلت

كأني أنادي صخرةً حين أعرضت من الصم لو تمشي بها العصم ذلت

صفوحاً فما تلقاك إلا بخيلةً فمن مل مها ذلك الوصل ملت

أصاب الردى أن كان يهوى لك الردى وجن اللواتي قلن عزة جنت

عروضه من الطويل. غنى معبد في الخمسة الأول ثقيلاً أول بالوسطى. وغنى إبراهيم في الثالث والرابع ثقيلاً أول بالبنصر عن عمرو، وغنى في هنيئاً مريئاً والذي بعده خفيف رملٍ بالوسطى. وغنى إبراهيم في الخامس وما بعده ثاني ثقيل. وذكر الهشامي أن لابن سريج في هنيئاً مريئاً وما بعده ثاني ثقيل بالبنصر. وذكر أحمد بن المكي أن لإبراهيم في " كأني أنادي " والذي بعده وفي أسيئي بنا أو أحسني هزجاً بالسبابة في مجرى البنصر، ولإسحاق فيه هزج آخر به " . ولعريب في " كأني أنادي أيضاً رمل. ولإسحاق في وما كنت أدري ثقيل أول. وله في أصاب الردى ثقيل أول أخر، وقيل: إن لإبراهيم في فقلت لها يا عز خفيف ثقيل ينسب إلى دحمان وإلى سياط.

اجتمعا ذات ليلة ووصف ذلك صديق له: أخبرني الحرمي وحبيب بن نصر قالا حدثنا الزبير قال حدثنا يعقوب بن حكيم عن إبراهيم بن أبي عمرو الجهني عن أبيه قال: سارت علينا عزة في جماعة من قومها، فنزلت حيالنا، فجاءني كثير ذات يوم فقال لي: أريد أن أكون عندك اليوم فاذهب إلى عزة، فصرت به إلى منزلي. فأقام عندي حتى كان العشاء، ثم أرسلني إليها وأعطاني خاتمه وقال: إذا سلمت فاستخرج إليك جارية، فادفع إليها خاتمي وأعلمها مكاني. فجئت بيتها فسلمت فخرجت إلي الجارية فأعطيتها الخاتم. فقالت: أين الموعد؟ قلت: صخرات أبي عبيد الليلة، فواعدتها هناك، فرجعت إليه فأعلمته. فلما أمسى قال لي: انهض بنا، فنهضنا فجلسنا هناك

نتحدث حتى جاءت من الليل فجلست فتحدثا فاطألا، فذهبت لأقوم. فقال لي: إلى أين تذهب؟ فقلت: أخليكما ساعة لعلكما تتحدثان ببعض ماتكتمان. قال لي: إجلس ! فوالله ما كان بيننا شيء قط. فجلست وهما يتحدثان وإن بينهما لثمامةً عظيمه هي من ورائها جالسة حتى أسحرنا، ثم قامت فانصرفت، وقمت أنا وهو فظل عندي حتى أمسى ثم انطلق.

سامته سكينة بجمله فلما رأى عزة معها تركه لهم: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا إسحق بن إبراهيم عن عبد الله بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاصي قال: خرج كثير في الحاج بجمل له يبيعه، فمر بسكينة بنت الحسين ومعها عزة وهو لا يعرفها. فقالت سكينة: هذا كثير فسوموه بالجمل، فساموه فاستام مائتي درهم فقالت: ضع عنا فأبى. فدعت له بتمر وزبد فأكل، ثم قالت له: ضع عنا كذا وكذا لشيء يسير فأبى. فقالوا: قد أكلت يا كثير بأكثر مما نسألك ! فقال: ما أنا بواضعٍ شيئاً. فقالت سكينة: اكشفوا، فكشفوا عنها وعن عزة. فلما رأهما استحيا وانصرف وهو يقول: هو لكم هو لكم !.

قال بعض الرواة أنه لم يكن صادقاً في عشقه: من ذكر أن كثيراً كان يكذب في عشقه: أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا ابن سلام قال: كان كثير مدعياً و لم يكن عاشقاً، وكان جميلٌ صادق الصبابة والعشق.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال زعم إسحاق بن إبراهيم أنه سمع أبا عبيدة يقول كان جميل يصدق في حبه، وكان كثير يكذب.

ومما وجدناه في أخباره و لم نسمعه من أحد أنه نظر إلى عزة ذات يوم وهي منتقبة تميس في مشيتها، فلم يعرفها كثير فاتبعها وقال: يا سيدتي ! قفي حتى أكلمك فاني لم أر مثلك قط، فمن أنت ويحك؟ قالت: ويحك ! وهل تركت عزة فيك بقية لأحد؟ قال: بأبي أنت ! والله لو أن عزة أمة لي لوهبتها لك.

قالت: فهل لك في المخالة؟ قال: وكيف لي بذلك؟ قالت: إني وكيف بما قلت في عزة؟! قال: أقلبه فأحوله إليك. فسفرت عن وجهها ثم قالت: أغدراً يا فاسق وإنك لهكذا ! فأبلس ! و لم ينطق وبهت. فلما مضت أنشأ يقول:

ألا ليتني قبل الذي قلت شيب لي	من السم جدحاتٌ بماء الذرارح
فمت ولم تعلم علي خيانة	وكم طالبٍ للريح ليس برابح
أبوء بذنبي إنني قد ظلمتها	وإنني بباقي سرها غير بائح

لقي عزة في طريقه إلى مصر وتعاتبا: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة قال زعم ابن الكلبي عن أبي المقوم قال أخبرني سائب راوية كثير قال: خرجت معه نريد مصر، فمررنا بالماء الذي فيه عزة فإذا هي في خباء، فسلمنا جميعاً، فقالت عزة: وعليك السلام يا سائب. ثم أقبلت على كثير فقالت: ويحك ! ألا تتقي الله ! أرأيت قولك:

بآية ما أتيتك أم عمرو فقمت لحاجتي والبيت خالي

أخلوت معك في بيت أو غير بيت قط ؟! قال. لم أقله، ولكنني قلت:

فأقسم لو أتيت البحر يوماً لأشرب ما سقتني من بلال

وأقسم إن حبك إم عمرو لداءٌ عند منقطع السعال

قالت: أما هذا فنعم. فأتينا عبد العزيز ثم عدنا فقال كثير: عليك السلام يا عزة قالت: عليك السلام يا جمل فقال كثير.

صوت

حيتك عزة بعد الهجر فانصرفت فحي ويحك من حياك يا جمل

لو كنت حييتها ما زلت ذامقة عندي وما مسك الإدلاج والعمل

ليت التحية كانت لي فأشكرها ما كان يا جملٌ حييت يا رجل

ذكر يونس أن في هذه الأبيات غناء لمعبد. وذكر الهشامي أن فيها لبثينة خفيف رمل بالبنصر. وذكر حبش أن فيها للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى، ولإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى.

قصته مع أم الحويرث الخزاعية وحديث عشقه لها: أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال حدثني علي بن محمد البرمكي قال حدثني إبراهيم بن المهدي قال: قدم علي هشام بن محمد الكلبي فسألته عن العشاق يوماً فحدثني قال: تعشق كثير امرأة من خزاعة يقال لها أم الحويرث فنسب بها، وكرهت أن يسمع بها ويفضحها كما سمع بعزة، فقالت له: إنك رجلٌ فقير لا مال لك، فابتغ مالاً يعفى عليك ثم تعال فاخطبني كما يخطب الكرام. قال: فاحلفي لي ووثقي إنك لا تتزوجين حتى أقدم عليك، فحلفت ووثقت له. فمدح عبد الرحمن بن إبريق الأزدي، فخرج إليه، فلقيته ظباءٌ سوانح ولقي غراباً يفحص التراب بوجهه، فتطير من ذلك حتى قدم على حي من لهب فقال: أيكم يزجر؟ فقالوا: كلنا، فمن تريد؟ قال: أعلمكم بذاك. قالوا: ذاك الشيخ المنحني الصلب. فأتاه فقص عليه القصة، فكره ذلك له وقال له: قد توفيت أو تزوجت رجلاً من بني عمها. فأنشأ يقول: صوت

تيممت لهباً أبتغي العلم عندهم وقد رد علم العائفين إلى لهب

تيممت شيخاً منهم ذا بجالةٍ بصيراً بزجر الطير منحنى الصلب

فقلت له ماذا ترى في سوانحٍ وصوت غرابٍ يفحص الوجه بالترب

فقال جرى الطير السنيح ببينها وقال غرابٌ جد منهمر السكب

فإلا تكن ماتت فقد حال دونها سواك خليلٌ باطنٌ من بني كعب

غناه مالك من رواية يونس و لم يجنسه قال: فمدح الرجل الأزدي ثم أتاه فأصاب منه خيراً كثيراً، ثم قدم عليها فوجدها قد تزوجت رجلاً من بني كعب، فأخذه الهلاس ، فكشح جنباه بالنار. فلما اندمل من علته وضع يده على ظهره فإذا هو برقمتين، فقال: ما هذا؟ قالوا: إنه أخذك الهلاس وزعم الأطباء أنه لا علاج لك إلا الكشح بالنار فكشحت بالنار. فأنشأ يقول: صوت

عفا الله عن أم الحويرث ذنبها علام تعنيني وتكمي دوائيا

فلو آذنوني قبل أن يرقموا بها لقلت لهم أم الحويرث دائيا

-في هذين البيتين لمالك ثقيلٌ أول بالوسطى. ولآبن سريج رملٌ بالبنصر كلاهما عن عمر والهشامي. وقيل: إن فيهما لمعبد لحنا وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة و لم يتجاوزاه بالرواية فذكر نحو هذا وقال فيه: إنه قصد ابن الأزرق بن حفص بن المغيرة المخزومي الذي كان باليمن، وإنه فعل ذلك بعد موت عزة. وسائر الخبر متقارب.

سأله ابن جعفر عن سبب هزاله فأجابه: وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري عن محمد بن سليمان بن فليح أو فليح بن سليمان أنا شككت عن أبيه عن جده قال: جاء كثير إلى عبد الله بن جعفر وقد نحل وتغير. فقال له عبد الله: مالي أراك متغيراً يا أبا صخر؟ قال: هذا ما عملت بي أم الحويرث، ثم ألقى قميصه فإذا به صار مثل القش وإذا به آثار من كيٍ، ثم أنشد:

عفا الله عن أم الحويرث ذنبها

الأبيات.

أغرت عزة به بثينة لتتبين حاله: أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي قال حدثني الحزامي عمن حدثه من أهل قديد : أن عزة قالت لبثينة: تصدي لكثير وأطمعيه في نفسك حتى أسمع ما يجيبك به. فأقبلت إليه وعزة تمشي وراءها مختفيةً، فعرضت عليه الوصل، فقارها ثم قال:

رمتني على عمدٍ بثينة بعدما تولى شبابي وارجحن شبابها

وذكر أبياتاً أخر سقط من الكتاب ذكرها. فكشفت عزة عن وجهها، فبادرها الكلام ثم قال:

ولكنما ترمين نفساً مريضةً لعزة منها صفوها ولبابها

فضحكت ثم قالت:أولى لك بها قد نجوت، وانصرفتا تتضاحكان.

قال لأهله إذ بكوا في مرضه سأرجع بعد أيام: أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال: بكى بعض أهل كثير عليه حين نزل به الموت. فقال له كثير: لا تبك، فكأنك بي بعد أربعين ليلةً تسمع خشفة نعلى من تلك الشعبة راجعاً إليكم.

مات هو وعكرمة في يوم واحد سنة 105: أخبرني الفضل بن الحباب أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال

حدثني ابن جعدبة و أبو اليقظان عن جويرية بن أسماء قال: مات كثير وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد، فاجتمعت قريش في جنازة كثير، و لم يوجد لعكرمة من يحمله.

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن مصعب قال حدثني الواقدي قال حدثني خالد بن القاسم البياضي قال: مات عكرمة مولى ابن عباس وكثير بن عبد الرحمن الخزاعي صاحب عزة في يوم واحد في سنة خمس ومائة، فرأيتهما جميعاً صلي عليهما في يومٍ واحد بعد الظهر في موضع الجنائز، فقال الناس: مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس.

ما جرى في جنازته بين أبي جعفر الباقر وزينب بنت معيقب: وقال ابن أبي سعد الوراق حدثني رجاء بن سهل أبو نصر الصاغاني قال حدثنا يحيى بن غيلان قال حدثني المفضل بن فضالة عن يزيد بن عروة قال: مات عكرمة وكثير عزة في يوم واحد، فأخرجت جنازتاهما، فما علمت تخلفت امرأة بالمدينة ولا رجل عن جنازتيهما. قال: وقيل مات اليوم أشعر الناس وأعلم الناس. قال: وغلب النساء على جنازة كثير يبكينه ويذكرن عزة في ندبتهن له. قال: فقال أبو جعفر محمد بن علي: افرجوا لي عن جنازة كثير لأرفها. قال: فجعلنا ندفع عنها النساء وجعل يضربهن محمد بن علي بكمه ويقول: تنحين يا صواحبات يوسف. فانتدبت له امرأة منهن فقالت: يا بن رسول الله لقد صدقت، إنا لصواحبات يوسف وقد كنا له خير منكم له. قال: فقال: أبو جعفر لبعض مواليه: احتفظ بها حتى تجيئني بها إذا انصرفنا. قال: فلما انصرف أتي بتلك المرأة كأنها شرارة النار. فقال لها محمد بن علي: أنت القائلة إنكن ليوسف خير منا؟ قالت: نعم ! تؤمنني غضبك يا بن رسول الله؟ قال: أنت آمنةٌ من غضبي فأبيني. قالت: نحن يا بن رسول الله دعوناه إلى اللذات من المطعم والمشرب والتمتع والتنعم، وأنتم يا معشر الرجال ألقيتموه في الجب وبعتموه بأبخس الأثمان وحبستموه في السجن. فأينا كان عليه أحنى وبه أرأف ؟! فقال محمد: لله درك ! ولن تغالب إمراة إلا غلبت. ثم قال لها: ألك بعل؟ قالت: لي من الرجال من أنا بعله. قال: فقال أبو جعفر: صدقت، مثلك من تملك بعلها ولا يملكها. قال: فلما انصرفت قال رجل من القوم: هذه زينب بنت معيقب .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء: صوت

نظرت إليها نظرةً وهي عاتقٌ ... على حين أنشبت وبان نهدوها

نظرت إليها نظرة ما يسرني ... بها حمر أنعام البلاد وسودها

وكنت إذا ما جئت سعدى بأرضها ... أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها ... إذا ما انقضت أحدوثةٌ لو تعيدها

عروضه من الطويل. البيت الأول لكثير. والثاني والثالث لنصيب من قصيدته التي أولها:

لقد هجرت سعدى وطال صدودها

غنى في البيت الثاني والثالث جحدر الراعي خفيف رمل بالبنصر. وغنى فيهما الهذلي رملاً بالوسطى. وغنى في الثالث والرابع دعامة ثقيلاً أول بالبنصر.

عمر الوادي يأخذ صوتاً من راعي غنم في شعر له: أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قال عمر الوادي، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني مكين العذري قال: سمعت عمر الوادي يقول: بينا أنا أسير بين الروحاء والعرج إذ سمعت إنساناً يغني غناء لم أسمع قط مثله في بيتي كثير:

وكنت إذا ما جئت سعدى بأرضها أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

قال: فكدت أسقط عن راحلتي طرباً، وقلت: والله لألتمسن الوصول إلى هذا الصوت ولو بذهاب عضو من أعضائي، فتيممت سمته فإذا راعٍ في غنم، فسألته إعادته عليه. قال: نعم ! ولو حضرني قرى أقريكه ما أعدته، ولكني أجعله قراك، فربما ترنمت به وأنا غرثانٌ فأشبع، وعطشانٌ فأروى، ومستوحشٌ فآنس، وكسلانٌ فأنشط. قال: فأعادهما عليه حتى أخذتهما، فما كان زادي حتى ولجت المدينة غيرهما.

أخبار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كان عالماً ومغنياً ونسب غنائه لجاريته شاجي ترفعاً: وهو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، ويكنى أبا أحمد. وله محلٌ من الأدب والتصرف في فنونه ورواية الشعر و قوله والعلم بالغة وأيام الناس وعلوم الأوائل من الفلاسفة في الموسيقى والهندسة وغير ذلك مما يجل عن الوصف ويكثر ذكره. وله صنعةٌ في الغناء حسنة متقنة عجيبة تدل على ما ذكرناه ها هنا من توصله ما عجز عنه الأوائل من جمع النغم كلها في صوت واحد تتبعه هو وأتى به على فضله فيها وطلبه لها. وكان المعتضد بالله، رحمة الله عليه، ربما كان أراد أن يصنع في بعض الأشعار غناءً وبحضرته أكابر المغنين مثل القاسم بن زرزور وأحمد بن المكي ومن دونهما مثل أحمد بن أبي العلاء وطبقتهم، فيعدل عنهم إليه فيصنع فيها أحسن صنعة، ويترفع عن إظهار نفسه بذلك، ويومئ إلى أنه من صنعته جاريته شاجي ، وكانت إحدى المحسنات المبرزات المقدمات؛ وذلك بتخريجه وتأديبه، وكان بها معجباً ولها مقدماً.

كان المعتضد يتفقده لما رقت حاله وطلب منه جاريته ليسمع غناءها فأرسلها له: فأخبرني أحمد بن جعفر بن جحظة قال: لما أختلت حال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كان المعتضد يتفقده بالصلات الفينة بعد الفينة. واتفق يوماً كان فيه مصطحباً أن غني بصوت الصنعة فيه لشاجي جارية عبيد الله؛ فكتب إليه كتاباً يقسم أن يأمرها بزيارته ففعل. قال: فحدثني من حضر من المغنيات ذلك المجلس بعد موت المعتضد قالت: دخلت إلينا وما منا إلا من يرفل في الحلي والحلل وهي في أثواب ليست كثيابنا، فاحتقرناها؛ فلما غنت احتقرنا أنفسنا. ة لم تزل تلك حالنا حتى صارت في أعيننا كالجبل وصرنا كل شيء. قال: ولما انصرفت أمر لها المعتضد بمال وكسوة. ودخلت إلى مولاها فجعل يسألها عن أمرها وما رأت مما استظرفت وسمعت مما استغربت. فقالت: ما استحسنت

هناك شيئاً ولا استغربته من غناءٍ ولا غيره إلا عوداً من عود محفور فإني استظرفته. قال جحظة: فما قولك فيمن يدخل دار الخلافة فلا يمد عينه لشيء يستحسنه فيها إلا عوداً !.

كانت شاجي جاريته تلحن للمعتضد بعض الشعر: قال محمد بن الحسن الكاتب وحدثني النوشجاني قال: كان المعتضد إذا استحسن شعراً بعث به إلى شاجي جارية عبيد الله بن طاهر فتغنى فيه. قال: وكانت صنعتها تسمى في عصره غناء الدار.

ماتت شاجي فرثاها قال محمد بن الحسن: وماتت شاجي في حياة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وكان عليلاً، فقال يرثيها وله فيه صنعة من خفيف الثقيل الأول بالوسطى:

يميناً يقيناً لو بليت بفقدها ... وبي نبض عرقٍ للحياة أو النكس

لأوشكت قتل النفس قبل فراقها ... ولكنها ماتت وقد ذهبت نفسي

له كتاب الآداب الرفيعة في الغناء

ومن نادر صنعة عبيد الله وجيد شعره قوله وله فيه لحنان ثقيلٌ أول وهزجٌ، والثقيل الأول أجودهما:

أنفق إذا أيسرت غير مقتر ... وأنفق على ماخيلت حين تعسر

غير الجود يفنى المال والمال مقبلٌ ... ولا البخل يبقي المال والجد مدبر

وأشعاره كثيرة جيدة كثيرة النادر والمختار. وكتابه في النغم وعلل الأغناي المسمى " كتاب الآداب الرفيعة " كتاب مشهور جليل الفائدة دالٌ على فضل مؤلفه.

قص عليه الزبير بن بكار قصة فاستحسنها وأمر له بمال: أخبرني جحظة قال حدثني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني موسى بن هارون، فيما أرى، قال:

كنت عند عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد جاءه الزبير بن بكار فأعلمه أن المتوكل أو المعتز - وأراه المعتز - بعث إلى أخيه محمد بن عبد الله بن طاهر يأمر بإحضاره وتقليده القضاء. فقال الزبير بن بكار: قد بلغت هذه السن وأتولى القضاء ! أو بعد ما رويت أن من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين ! فقال له: فتلحق بأمير المؤمنين بسر من رأى، فقال له: أفعل. فأمر له بمال ينفقه، وبظهر يحمله ويحمل ثقله. ثم قال له إن رأيت يا أبا عبد الله أن تفيدنا شيئاً قبل أن نفترق ! قال: نعم ! انصرفت من عمرة المحرم؛ فبينا أنا بأثايةٌ العرج، إذا أنا بجماعة مجتمعة، فأقبلت إليهم وإذا رجل كان يقنص الظباء وقد وقع ظبي في حبالته فذبحه، فانتفض في يده فضرب بقرنه صدره فنشب القرن فيه فمات. وأقبلت فتاة كأنها المهاة، فلما رأت زوجها ميتاً شهقت ثم قالت:

ياحسن لو بطلٌ لكنه أجل ... على الأثاية ما أودى به البطل

ياحسن جمع أحشائي وأقلقها ... وذاك يا حسن لو لا غيره جلل

أضحت فتاة نهدٍ علانيةً وبعلها بين أيدي القوم محتمل

قال: ثم شهقت فماتت. فما رأيت أعجب من الثلاثة: الظبي مذبوح، والرجل جريح ميت، والفتاة ميتة حرى . فأمر له عبيد الله بمال آخر. ثم أقبل إليه أخيه محمد بن عبد الله بعد خروج الزبير فقال: أما إن الذي أخذناه من الفائدة في خبر حسن وفي قولها :

أضحت فتاة بني نهدٍ علانيةً

- تريد ظاهرة - أكثر عندي مما أعطيناه من الحباء والصلة. وقد أخبرني الحسين بن علي عن الدمشقي عن الزبير بخبر حسن فقط، و لم يذكر فيه من خبر عبيد الله شيئاً.

ومن الأصوات التي تجمع النغم العشر: صوت لحنه في شعر ابن هرمة يجمع النغم العشر: وهو يجمع النغم العشر كلها على غير توالٍ:

وإنك إذ أطعمتني منك بالرضا وأيأستني من بعد ذلك بالغضب

كممكنة من ضرعها كف حالبٍ ودافقة من بعد ذلك ما حلب

عروضه من الطويل. الشعر لإبراهيم بن علي بن هرمة. والغناء في هذا اللحن الجامع للنغم لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر، خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى في مجراها وعليها ابتدأ الصوت.

أثبت في كتابه نقد أبي نواس لشعر لابن هرمة وشعر لجرير: وقال عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات حدثني بعض أصحابنا عن أبي نواس أنه قال: شاعران قالا بيتين وضعا التشبيه فيهما في غير موضعه. فلو أخذ البيت الثاني من شعر أحدهما فجعل مع بيت الآخر، وأخذ بيت ذاك فجعل مع هذا لصار متفقاً معنى وتشبيهاً. فقلت له: أنى ذلك؟ فقال: قول جرير للفرزدق:

فإنك إذ تهجو تميماً وترتشي تبابين قيس أو سحوق العمائم

كمهريق ما إن بالفلاة وغره سرابٌ أذاعته رياح السمائم

وقول ابن هرمة:

وإني وتركي ندى الأكرمين وقدحي بكفي زندا شحاحا

كتاركةٍ بيضها بالعراء وملبسةٍ بيض أخرى جناحا

فلو قال جرير:

فإنك إذ تهجو تميماً وترتشي تبابين قيس أو سحوق العمائم

كتاركةٍ بيضها بالعراء وملبسةٍ بيض أخرى جناحا

لكان أشبه منه ببيته. ولو قال ابن هرمة مع بيته:

وإني وتركي ندى الأكرمين وقدحي بكفي زندا شحاحا

كمهريق ما إن بالفلاة وغره سرابٌ أذاعته رياح السمائم

كان أشبه به. ثم قال: ولكن ابن هرمة قد تلافى ذلك بعد فقال:

وإنك إذ أطعمتني منك بالرضا وأيأستني من بعد ذلك بالغضب

كممكنة من ضرعها كف حالبٍ ودافقة من بعد ذلك ما حلب

وقد أتى عبيد الله بن عبد الله بهذا الكلام بعينه في الآداب الرفيعة . وإنما أخذه من أبي نواس على ما روي عنه.

ومما يجمع النغم العشر صوت ابن أبي مطر في شعر نصيب: ووجدت في كتاب مؤلف في النغم غير مسمى الصانع: أن من الأصوات التي تجمع النغم العشر صوت ابن أبي مطر المكي في شعر نصيب وهو: صوت

ألا أيها الربع المقيم بعنبب سقتك السوافي من مراح ومعزب

بذي هيدبٍ أما الربى تحت ودقه فتروي وأما كل وادٍ فيزعب

عروضه من الطويل. ويروي الربع الخلاء بعنبب أي الخالي. وعنبب: موضع، ويروي سقتك الغوادي من مرادٍ". والمراد. الموقع الذي يرتاد فيرعى فيه الكلأ. والمراح: الموضع الذي تروح إليه المواشي وتبيت فيه وفي الحديث أنه رخص في الصلاة في مراح الغنم ونهى عنها في أعطان الأبل. والمعزب: الموضع الذي يعزب فيه الرجل عن البيوت والمنازل. وأصل العزوب: البعد يقال عزب عنه رأيه وحلمه أي بعد، والعزب مأخوذ من ذلك وهيدب السماء أطرافٌ تراه في أذنابه كأنه معلق به. قال أوس بن حجر:

دانٍ مسفٌ فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح

ويزعب: يطفح، يقال: زعبه السيل إذا ملأه . الشعر لنصيب يقوله في عبد العزيز بن مروان.

وفد نصيب على عبد العزيز بن مروان ومدحه فأجازه: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني جميع بن علي النميري عن عبد الله بن عبد العزيز بن محجن بن النصيب، قال الزبير وكتب إلي بذلك عبد الله بن عبد العزيز يذكره عن عوضة بنت النصيب قالت: وفد أبي على عبد العزيز بن مروان بمصر، فوقف على الباب فاستأذن فلم يؤذن له. فأرسل إليه حاجبه فقال: استنشده، فإن كان شعره رديئاً فارددده، وإن كان جيداً فأدخله. فقال نصيب: قد جلبنا شيئاً للأمير، فإن قبله نشرناه عليه وإلا طويناه ورجعنا به. فقال عبد العزيز: إن هذا لكلام رجلٍ ذهنٍ، فأدخله. فلما واجهه أنشد قصيدته التي يقول فيها:

ألاهل أتى الصقر بن مروان أنني أرد لدي الأبواب عنه وأحجب

وأني ثويت اليوم والأمس قبله على الباب حتى كادت الشمس تغرب

وأني إذا رمت الدخول تردني مهابة قيسٍ والرتاج المضبب

قال: وكان حاجب عبد العزيز يسمى قيساً. قال: وتشبيب هذه القصيدة:

ألا أيها الربع المقيم بعنببٍ سقتك السواقي من مراحٍ ومعزب

قال: فلما دخل على عبد العزيز أعجب بشعره وأوجهه ، وقال للفرزدق: كيف تسمع هذا الشعر؟ قال: حسنٌ إلا من لغته. قال: هذا والله أشعر منك !. قال: وقال نصيب فيها أيضاً:

وأهلي بأرضٍ نازحون وما لهم كاسبٌ غيري ولا متقلب

فهل تلحقنيهم بعبلٍ مواشكٍ على الأين من نجب ابن مروان أصهب

أبو بكرات إن أردت افتحاله وذو ثبتاتٍ بالرديفين متعب

فقال له عبد العزيز: ادخل على المهاري فخذ منها ما شئت، فلو كنت سألت غيره لأعطيته فدخل فرده الجمال. فقال عبد العزيز: دعه فإنما يأخذ الذي نعت، فأخذه.

قال الزبير وحدثني بعض أصحابنا عن محمد بن عبد العزيز قال: نزل عبد العزيز بن عبد الوهاب على المهدي بعنبب من وادي السراة الذي عنى نصيب بقوله:

ألا أيها الربع الخلاء بعنبب

والمهدي هو الذي يقول فيه الشاعر:

اسلمي يا دار من هند بالسويقات إلى المهدي

صوت له يجمع ثماني نغم وقد مدحه إسحاق صوت وهو يجمع من النغم ثمانيا:

يا من لقلبٍ مقصرٍ ترك المنى لفواتها

وتظلف النفس التي قد كان من حاجاتها

وطلابك الحاجات من سلمى ومن جاراتها

كتطرد العنس الذمو ل الفضل من مثناتها

قوله: يا من لقلب مقصر تأسف على شبابه، ويدل على ذلك قوله:

وتظلف النفس التي قد كان من حاجاتها

يقال:اظلف نفسك عن كذا أي أمنعها منه لئلا يكون لها أثر فيه. وهو مأخوذ من ظلف الأرض وهو المكان الذي لا أثر فيه. قال عوف بن الأحوص:

ألم أظلف عن الشعراء عرضي كما ظلف الوسيفة بالكراع

الوسيقة: الجماعة من الأبل. يعني أنها تساق فلا يوجد لها أثر في الكراع، وهو منقطع الجبل. قال الشاعر:

أمست كراع الغميم موحشةً بعد الذي قد خلا، من العجب

وقوله:

كتطرد العنس الذمو ل الفضل من مثناتها

يقول: طلابك هذه الحاجات ضلالٌ وتتابعٌ كتطرد العنس وهي الناقة المذكرة الخلق الفضل من مثناها. والتطرد: التتبع، ومثله قول الشاعر:

خبطت الصبا خبط البعير خطامه فلم أنتبه للشيب حتى علانيا

الشعر لمسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس. والغناء لابن محرز ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وهذا الصوت يجمع من النغم ثمانيا، وكذلك ذكر إسحاق ووصف أنه لم يجمع شيءٌ من الغناء قديمه وحديثه إلى عصره من النغم ما جمعه هذا الصوت، ووصف أنه لو تلطف متلطف لأن يجمع النغم العشر في صوت واحد لأمكنه ذلك، بعد أن يكون فهماً بالصناعة طويل المعاناة لها وبعد أن يتعب نفسه في ذلك حتى يصح له. فلم يقدر على ذلك سوى عبيد الله بن عبد الله إلى وقتنا هذا.

ذكر مسافر ونسبه

نسبه وهو أحد السادات المعروفين بأزواد الركب: مسافر بن أبي عمرو بن أمية، ويكنى أبا أمية. وقد تقدم نسبه وأنساب أهله. وأمه آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهي أم أبي معيط أبان بن عمرو بن أمية. وأبو معيط ومسافر أخوان لأب وأم، وهما أخوا عمومتهما أبي العاصي وأخويه من بني أمية الذين أمهم آمنة، لأن أبا عمرو تزوجها بعد أبيه. وكان سيداً جواداً، وهو أحد أزواد الركب، وإنما سموا بذلك لأنهم كانوا لا يدعون غريباً ولا مار طريقٍ ولا محتاجاً يجتاز بهم إلا أنزلوه وتكفلوا به حتى يظعن.

مناقضاته عمارة بن الوليد: وهو أحد شعراء قريش، وكان يناقض عمارة بن الوليد الذي أمر النجاشي السواحر فسحرته. فمن ذلك قول عمارة:

خلق البيض الحسان لنا وجياد الريط والأزر

كابراً كنا أحق به حين صيغ الشمس والقمر

وقال مسافر يرد عليه:

أعمار بن الوليد وقد يذكر الشاعر من ذكره

هل أخو كأس محققها وموق صحبه سكرة

ومحييهم إذا شربوا ومقل فيهم هذره

خلق البيض الحسان لنا وجياد الريط والحبره

كابراً كنا أحق به كل حي تابع آثره

خطب هندا بنت عتبة ولما تزوجت أبا سفيان مرض واعتل حتى مات: وله شعر ليس بالكثير. والأبيات التي فيها الغناء يقولها في هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وكان يهواها. فخطبها إلى أبيها بعد فراقها الفاكه بن المغيرة، فلم ترض ثروته وماله. فوفد على النعمان يستعينه على أمره ثم عاد، فكان أول ما لقيه أبو سفيان، فأعلمه بتزويجه من هند. فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني ابن أبي سلمة عن هشام، قال ابن عمار وقد حدثناه ابن أبي سعد عن علي بن الصباح عن هشام، قال ابن عمار وحدثنيه علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه دخل حديث بعضهم في بعض: أن مسافر بن أبي عمرو بن أمية كان من فتيان قريش جمالاً وشعراً وسخاء. قالوا: فعشق هنداً بنت عتبة بن ربيعة وعشقته، فاهم بها وحملت منه. قال بعض الرواة: فقال معروف بن خربوذ: فلما بان حملها أو كاد قالت له: اخرج، فخرج حتى أتى الحيرة، فأتى عمرو بن هند فكان ينادمه. وأقبل أبو سفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها، فلقي مسافراً، فسأله عن حال قريش والناس، فأخبره وقال له فيما يقول: وتزوجت هنداً بنت عتبة. فدخله من ذلك ما اعتل معه حتى استسقى بطنه. قال ابن خربوذ: قال مسافر في ذلك:

ألا إن هنداً أصبحت منك محرماً وأصبحت من أدنى حموتها حما

وأصبحت كالمقمور جفن سلاحه يقلب بالكفين قوساً وأسهما

فدعا له عمرو بن هند الأطباء، فقالوا: لا دواء له إلا الكي. فقال له: ما ترى؟ قال: افعل. فدعا له الذي يعالجه فأحمى مكاويه، فلما صارت كالنار قال: ادع أقواماً يمسكونه. فقال لهم مسافر: لست أحتاج إلى ذلك. فجعل يضع المكاوي عليه. فلما رأى صبره ضرط الطبيب، فقال مسافر:

قد يضرط العير والمكواة في النار

لما مات رثاه أبو طالب: فجرت مثلاً فلم يزده إلا ثقلاً. فخرج يريد مكة. فلما انتهى إلى موضع يقال له هبالة مات فدفن بها، ونعي إلى قريش. فقال أبو طالب بن عبد المطلب يرثيه:

ليت شعري مسافر بن أبي عم روٍ وليت يقولها المحزون

رجع الركب سالمين جميعاً وخليلي في مرمسٍ مدفون

بورك الميت الغريب كما بو رك نضر الريحان والزيتون

بيت صدق على هبالة قد حا لت فيافٍ من دونه وحزون

مدرةٌ يدفع الخصوم بأيدٍ وبوجهٍ يزينه العرنين

كم خليلٍ رزئته وابن عمٍ وحميمٍ قضت عليه المنون

فتعزيت بالتأسي وبالصب ر وإني بصاحبي لضنين

غنى في هذين البيتين يحيى المكي ثاني ثقيلٍ بالوسطى من رواية ابنه والهشامي.

وأنشدنا الحرمي قال أنشدنا الزبير لأبي طالب بن عبد المطلب في مسافر بن أبي عمرو:

ألا إن خير الناس غير مدافعٍ بسرو سحيمٍ غيبته المقابر

تبكي أباها أم وهبٍ وقد نأى وريسان أمسى دونه ويحابر

على خير حافٍ من معدٍ وناعلٍ إذا الخير يرجى أو إذا الشر حاضر

تنادوا ولا أبو أمية فيهم لقد بلغت كظ النفوس الحناجر

قال وقال النوفلي: إن البيتين:

ألا إن هنداً أصبحت منك محرماً

والذي بعده لهشام بن المغيرة، وكانت عنده أسماء بنت مخرمة النهشلية، فولدت له أبا جهل وأخاه الحارث، ثم غضب عليها فجعلها مثل ظهر أمه وكان أول ظهار كان فجعلته قريشٌ طلاقاً. فأرادت أسماء الانصراف إلى أهلها، فقال لها هشام: وأين الموعد؟ قالت: الموسم. فقال لها ابناها: أقيمي معنا فأقامت معهما. فقال المغيرة بن عبد الله وهو أبو زوجها: أما والله لأزوجنك غلاماً ليس بدون هشام، فزوجها أبا ربيعة ولده الآخر، فولدت له عياشاً وعبد الله. فذلك قول هشام:

تحدثنا أسماء أن سوف نلتقي أحاديث طسمٍ ، إنما أنت حالم

وقوله:

ألا أصبحت أسماء حجراً محرماً وأصبحت من أدنى حموتها حما

قال النوفلي في خبره وحدثني أبي: أنه إنما كان مسافر خرج إلى النعمان بن المنذر يتعرض لإصابة مال ينكح به هنداً، فأكرمه النعمان واستظرفه ونادمه وضرب عليه قبةً من أدمٍ حمراء. وكان الملك إذا فعل ذلك برجل عرف قدره منه ومكانه عنده. وقدم أبو سفيان بن حرب في بعض تجاراته، فسأله مسافر عن حال الناس بمكة، فذكر له أنه تزوج هنداً؛ فاضطرب مسافر حتى مات. وقال بعض الناس: إنه استسقى بطنه فكوي فمات بهذا السبب.

قال النوفلي: فهو أحد من قتله العشق.

خبر طلاق هند بنت عتبة من الفاكه بن المغيرة: فأما خبر هند وطلاق الفاكه بن المغيرة إياها، فأخبرني به أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني أبو السكين زكريا بن يحيى بن عمرو بن حصن بن

حميد بن حارثة الطائي قال حدثني عمي زحر بن حصن عن جده حميد بن حارثة قال: كانت هند بنت عتبة عند الفاكه بن المغيرة، وكان الفاكه من فتيان قريش، وكان له بيتٌ للضيافة بارزٌ من البيوت يغشاه الناس من غير إذن. فخلا البيت ذات يوم، فاضطجع هو وهند فيه ثم نهض لبعض حاجته. وأقبل رجلٌ ممن كان يغشى البيت فولجه، فلما رآها رجع هارباً، وأبصره الفاكه فأقبل إليها فضربها برجله وقال: من هذا الذي خرج من عندك !؟ قالت: ما رأيت أحداً ولا أنتبهت حتى أنبهتني. فقال لها: ارجعي إلى أمك. وتكلم الناس فيها، وقال لها أبوها: يا بنية إن الناس قد أكثروا فيك، فأنبئيني نبأك، فإن يكن الرجل عليك صادقاً دسست عليه من يقتله فتنقطع عنك المقالة، وإن يك كاذباً حاكمته إلى بعض كهان اليمن. فقالت: لا والله ما هو علي بصادق. فقال له: يا فاكه، إنك قد رميت بنتي بأمرٍ عظيم، فحاكمني إلى بعض كهان اليمن. فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج عتبة في جماعة من عبد مناف ومعهم هند ونسوة. فلما شارفوا البلاد وقالوا غداً نرد على الرجل تنكرت حال هند. فقال لها عتبة: إني أرى ما حل بك من تنكر الحال، وما ذاك إلا لمكروهٍ عندك.

قالت: لا والله يا أبتاه ما ذاك لمكروه، ولكني أعرف أنكم تأتون بشراً يخطئ ويصيب، ولا آمنه أن يسمني ميسماً يكون علي سبةً. فقال لها: إني سوف أختبره لك، فصفر بفرسه حتى أدلى ، ثم أدخل في إحليله حبة بر وأوكأ عليها بسير. فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم. فلما قعدوا قال له عتبة: جئناك في أمرٍ وقد خبأت لك خبئاً أختبرك به فانظر ما هو؟ قال: ثمرةٌ في كمرة . قال: إني أريد أبين من هذا. قال: حبة بر في إحليل مهر. قال: صدقت، أنظر في أمر هؤلاء النسوة. فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول: انهضي، حتى دنا من هند فقال لها: انهضي غير رسحاء ولا زانية، ولتلدن ملكاً يقال له معاوية. فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها، فنثرت يدها من يده وقالت: إليك عني ! فوالله لأحرص أن يكون ذلك من غيرك، فتزوجها أبو سفيان.

وقد قيل: إن بيتي مسافر بن أبي عمرو أعني:

ألا أن هنداً أصبحت منك محرما

لابن عجلان .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني عبد الله بن علي بن الحسن عن أبي نصر عن الأصمعي عن عبد الله بن أبي سلمة عن أيوب عن ابن سيرين قال: خرج عبد الله بن العجلان في الجاهلية فقال:

ألا إن هنداً أصبحت منك محرما وأصبحت من أدنى حموتها حما

فأصبحت كالمقمور جفن سلاحه يقلب بالكفين قوساً وأسهما

شعر لمسافر في الفخر: ثم مد بهما صوته فمات. قال ابن سيرين: فما سمعت أن أحداً مات عشقاً غير هذا. ومما يغني فيه من شعر مسافر بن أبي عمرو وهو من جيد شعره قوله يفتخر: صوت

ألم نسق الحجيج ونن حر المذلاقة الرفدا
وزمزم من أرومتنا ونفقأعين من حسدا
وإن مناقب الخيرا ت لم نسبق بها عددا
فإن نهلك فلم نملك وهل من خالدٍ خلدا

غناه ابن سريج رملاً في الخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لسائب خاثر لحن من خفيف الثقيل الأول بالوسطى من رواية حماد. وفيه للزف ثقيل بالوسطى.

فأما خبر عمارة بن الوليد والسبب الذي من أجله أمر النجاشي السواحر فسحرته ما كان بين عمرو وعمارة لدى النجاشي: فإن الواقدي ذكره عن عبد الله بن جعفر بن أبي عون قال:

كان عمارة بن الوليد المخزومي بعدما مشت قريش بعمارة إلى أبي طالب خرج هو وعمرو بن العاص بن وائل السهمي، وكانا كلاهما تاجرين، إلى النجاشي، وكانت أرض الحبشة لقريش متجراً ووهجاً، وكلاهما مشركٌ شاعرٌ فاتكٌ وهما في جاهليتهما، وكان عمارة معجباً بالنساء صاحب محادثة ؛ فركبا في السفينة ليالي فأصابا من خمر معهما. فلما انتشى عمارة قال لامرأة عمرو بن العاص: قبليني. فقال لها عمرو: قبلي ابن عمك فقبلته. فحذر عمرو على زوجته فرصدها ورصدته، فجعل إذا شرب معه أقل عمروٌ من الشراب وأرق لنفسه بالماء مخافة أن يسكر فيغلبه عمارة على أهله. وجعل عمارة يراودها على نفسها فامتنعت منه. ثم إن عمراً جلس إلى ناحية السفينة يبول، فدفعه عمارة في البحر. فلما وقع فيه سبح حتى أخذ بالقلس فارتفع فظهر على السفينة. فقال له عمارة: أما والله لو علمت يا عمرو أنك تحسن السباحة ما فعلت. فاضطغنها عمرو وعلم أنه أراد قتله. فمضينا على وجههما ذلك حتى قدما أرض الحبشة ونزلاها. وكتب عمرو بن العاص إلى أبيه العاص أن اخلعني وتبرأ من جريرتي إلى بني المغيرة وجميع بني مخزوم. وذلك أنه خشي على أبيه أن يتبع بجريرته وهو يرصد لعمارة ما يرصد. فلما ورد الكتاب على العاص بن وائل مشى في رجال من قومه منهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج إلى بني المغيرة وغيرهم من بني مخزوم فقال: إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتم، وكلاهما فاتكٌ صاحب شر، وهما غير مأمونين على أنفسهما ولا ندري ما يكون. وإني أبرأ إليكما من عمرو ومن جريرته وقد خلعته. فقالت بنو المغيرة وبنو مخزوم: أنت تخاف عمراً على عمارة ! وقد خلعنا نحن عمارة وتبرأنا إليك من جريرته، فخل بين الرجلين. فقال السهميون : قد قبلنا، فابعثوا منادياً بمكة أنا قد خلعناهما. وتبرأ كل قوم من صاحبهم ومما جر عليهم، فبعثوا منادياً ينادي بمكة بذلك. فقال الأسود بن المطلب: بطل والله دم عمارة بن الوليد آخر الدهر !. فلما اطمأنا بأرض الحبشة لم يلبث عمارة أن دب لامرأة النجاشي فأدخلته فاختلف إليها. فجعل إذا رجع من مدخله يخبر عمرو بن العاص بما كان من أمره. فجعل عمرو يقول: ما أصدقك أنك قدرت على هذا الشأن، إن المرأة أرفع من ذلك. فلما أكثر على عمرو مما كان يخبره، وقد كان صدقه ولكن أحب التثبت، وكان عمرو يغيب عنه حتى يأتيه في السحر، وكان في منزل واحد معه، وجعل عمارة يدعوه إلى أن يشرب معه فيأبى عمرو

ويقول: إن هذا يشغلك عن مدخلك، وكان عمرو يريد أن يأتيه بشيء لا يستطيع دفعه إن هو رفعه إلى النجاشي. فقال له في بعض ما يذكر له من أمرها: إن كنت صادقاً فقل لها تدهنك من دهن النجاشي الذي لا يدهن به غيره فإني أعرفه، لو أتيتني به لصدقتك. ففعل عمارة " فجاء " بقارورة من دهنه، فلما شمه عرفه. فقال له عمرو عند ذلك: أنت صادقٌ ! لقد أصبت شيئاً ما أصاب أحدٌ مثله قط من العرب ونلت من امرأة الملك شيئاً ما سمعنا بمثل هذا وكانوا أهل جاهلية ثم سكت عنه، حتى إذا اطمأن دخل على النجاشي فقال: أيها الملك ! إن ابن عمي سفيهٌ، وقد خشيت أن يعرني عندك أمره، وقد أردت أن أعلمك شأنه و لم أفعل حتى استثبت أنه قد دخل على بعض نسائك فأكثر. وهذا من دهنك قد أعطيه ودهنني منه. فلما شم النجاشي الدهن قال: صدقت، هذا دهني الذي لايكون إلا عند نسائي. ثم دعا بعمارة ودعا بالسواحر، فجردوه من ثيابه فنفخن في إحليله، ثم خلى سبيله فخرج هارباً. فلم يزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب. فخرج إليه عبد الله بن أبي ربيعة وكان اسمه قبل أن يسلم بحيراً فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله فرصده على ماء بأرض الحبشة، وكان يرده مع الوحش، فورد، فلما وجد ريح الإنس هرب، حتى إذا أجهده العطش ورد فشرب حتى تملأ وخرجوا في طلبه. فقال عبد الله بن أبي ربيعة: فسعيت إليه فالتزمته، فجعل يقول لي: يا بحير أرسلني ! يا بحير أرسلني ! إني أموت إن أمسكتموني. قال عبد الله: وضغطته فمات في يدي مكانه. فواراه ثم انصرف. وكان شعره قد غطى على كل شيء منه.

قال الواقدي عن ابن أبي الزناد: وقال عمرو لعمارة: يا فائد، إن كنت تحب أن أصدقك بهذا أو أقبله منك فأتني بثوبين أصفرين. فلما رأى النجاشي الثوبين قال له عمرو: أتعرف الثوبين؟ قال نعم.

وقال الواقدي عن ابن أبي الزناد عن أبيه، قال النجاشي لعمارة: إني أكره أن أقتل قرشياً، ولو قتلت قرشياً لقتلتك، فدعا بالسواحر.

شعر عمرو بن العاص في عمارة: فقال عمرو بن العاص يذكر عمارة وما صنع به قال الواقدي أخبرني ابن أبي الزناد أنه سمع ذلك من ابن ابنه عمرو بن شعيب بن عبد الله بن عمرو يذكر لحده:

تعلم عمار أن من شر شيمة ... لمثلك أن يدعى ابن عمٍ له ابنما

وإن كنت ذا بردين أحوى مرجلا ... فلست براعٍ لابن عمك محرما

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه ... ولم ينه قلباً غاوياً حيث يمما

قضى وطراً منه يسيراً وأصبحت ... إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

فليس الفتى ولو أتمت عروقه ... بذي كرمٍ إلا بأن يتكرما

صحبت من الأمر الرفيق طريقه ... ووليت غي الأمر من قد تلوما

من الآن فانزع عن مطاعم جمةٍ وعالج أمور المجد لا تتندما

شعر خولة بنت ثابت في عمارة: قال إسحاق وحدثني الأصمعي: أن خولة بنت ثابت أخت حسان قالت في عمارة لما سحر:

يا ليلتي لم أنم ولم أكد أقطعها بالبكاء والسهد

أبكي على فتيةٍ رزئتهم كانوا جبالي فأوهنوا عضدي

كانوا جمالي ونصرتي وبهم أمنع ضيمي وكل مضطهد

فبعدهم أرقب النجوم وأذ ري الدمع والحزن والجٌ كبدي

قال الأصمعي واجتاز ابن سريج بطويس ومعه فتيةٌ من قريش وهو يغنيهم في هذا الصوت، فوقف حتى سمعه، ثم أقبل عليهم فقال: هذا والله سيد من غناه.

هذه الأصوات التي ذكرها الجامعة للنغم العشر والثماني النغم منها هي المشهورة المعروفة عند الرواة وفي روايات الرواة وعند المغنين.

كان عبيد الله يراسل المعتضد على لسان جواريه: وكان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يراسل المعتضد بالله إذا استزار جواريه على ألسنتهم ومع ذوي الأنس عنده من رسله: مع أحمد بن الطيب وثابت بن قرة الطائي، يذكر النغم وتفصيل مجاريها ومعانيها حتى فهم ذلك. فصنع لحناً فجمع النغم العشر في قول دريد بن الصمة:

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع

كان المكتفي يراسله في الغناء: وصنع صنعةً متقنة جيدة، منها ما سمعناه من المحسنين والمحسنات ومنها ما لم نسمعه، يكون مبلغها نحو خمسين صوتاً. وقد ذكرت من ذلك ما صلح في أغاني الخلفاء. ثم صنع مثل ذلك للمكتفي بالله لرغبته في هذه الصناعة. فوجدت رقعةً بخطه كتب بها إلى المكتفي نسختها: قال إسحاق بن إبراهيم حين صاغ عند أبي العباس عبد الله بن طاهر بأمره لحنه في:

يوم تبدي لنا قتيلة عن جيدٍ تليعٍ تزينه الأطواق

وشتيتٍ كالأقحوان جلاه الطل فيه عذوبةٌ واتساق

إني نظرت مع إبراهيم وتصفحت غناء العرب كله، فلم نجد في جميع غناء العرب صوتاً أطول إيقاعاً من:

عادك الهم ليلة الإيجاف من غزال مخضب الأطراف

ولحنه خفيف ثقيلٍ لابن محرز؛ فإن إيقاعة ستة وخمسون دوراً. ثم لحن معبد:

هريرة ودعها وإن لام لائم غداة غدٍ أم أنت للبين واجم

وهو أحد سبعته . ولحنه خفيف ثقيلٍ، ودور إيقاعه ستةٌ وخمسون دوراً، إلا أن صوت ابن محرز سداسيٌ في العروض من الخفيف، وصوت معبد ثمانٍ من الطويل؛ فصوت ابن محرز أعجب لأنه أقصر. وما زلنا حتى تهيأ لنا شعرٌ رباعيٌ في سيدنا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، دور إيقاعه ستة وخمسون دوراً، وهو يجمع من النغم العشر ثمانياً؛ وهذا ظريف جداً بديع لم يكن مثله. وأما الصوت الذي في تهنئة النوروز فلأنفسنا عملناه؛ إذ لم يكن لنا من يدبر مثل هذا معه غيره. وقد كتبنا شعره وشعر الآخر، وإيقاع كل واحد منهما خفيفٌ ثقيل، والصنعة فيهما تستظرف:

جمع الخلائف كلهم لجميع ما ... بلغوا وأعطوا في الإمام المكتفي

وله الهدايا ألف نوروزٍ وه ... ذا الشعر منها لحنه لم يعرف

والآخر:

دولة المكتفي الخلي ... فة تفنى مدى الدول

يوم عيدٍ ويوم عر ... سٍ فما بعدها أمل

الصنعة في البيت الأول خاصةً تدور على ستة وخمسين إيقاعاً.

هكذا وجدت في الرقعة بخط عبيد الله. وما سمعت أحداً يغني هذين الصوتين. وقد عرضتهما على غير واحد من المتقدمين ومن مغنيات القصور فما عرفهما أحدٌ منهن. وذكرهما في الكتاب لأن شريطته توجب ذكرهما.

الأرمال الثلاثة المختارة

الأرمال المختارة والكلام عنها: أخبرني يحيى بن علي ومحمد بن خلف وكيع والحسين بن يحيى قالوا حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي، قال أبو أحمد رحمه الله وأخبرني أبي أيضاً عن إسحاق، وأخبرنا علي بن عبد العزيز قال حدثنا عبيد الله بن خرداذبة قال قال إسحاق: أجمع العلماء بالغناء أن أحسن رملٍ غني رمل:

فلم أر كالتجمير منظر ناظرٍ

ثم رمل:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل

ولو عاش ابن سريج حتى يسمع لحني الرمل:

لعلك إن طالت حياتك أن ترى

لاستحيا أن يصنع بعده شيئاً. وفي روايتي وكيع وعلي بن يحيى ولعلم أني نعم الشاهد له.

نسبة الأصوات وأخبارها: صوت الصوت الأول من هذه الأرمال في شعر ابن أبي ربيعة:

فلم أر كالتجمير منظر ناظرٍ ولا كليالي الحج أفلتن ذا هوى
فكم من قتيلٍ ما يباء به دمٌ ومن غلقٍ رهناً إذا لفه منى
ومن مالئ عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى
يسحبن أذيال المروط بأسؤقٍ خدال وأعجازٍ مآكمها روا

عروضه من الطويل. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج رملٌ بالبنصر. وقد كان علويه فيما بلغنا صنع فيه رملاً، وفي أفاطم مهلاً خفيف رملٍ، وفي لعلك إن طالت حياتك رملاً آخر، و لم يصنع شيئاً وسقطت ألحانه فيها فما تكاد تعرف. وهذه الأبيات يقولها عمر بن أبي ربيعة في بنت مروان بن الحكم.

ابن أبي ربيعة وأم عمرو بنت مروان

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا ابن كناسة عن أبي بكر بن عياش قال: حجت أم عمرو بنت مروان، فلما قضت نسكها أتت عمر بن أبي ربيعة وقد أخفت نفسها في نساءٍ معها، فحادثته ثم انصرفت، وعادت إليه منصرفها من عرفات وقد أثبتها. فقالت له: لا تذكرني في شعرك، وبعثت إليه بألف دينار. فقبلها واشترى بها ثياباً من ثياب اليمن وطيباً فأهداه إليها فردته. فقال: إذاً والله أنهبه الناس فيكون مشهوراً؛ فقبلته. وقال فيها:

أيها الرائح المجد ابتكارا قد قضى من تهامة الأوطارا
من يكن قلبه الغداة خلياً ففؤادي بالخيف أمسى مطارا
ليت ذا الدهر كان حتماً علينا كل يومين حجة واعتمارا

قال ابن كناسة قال ابن عياش: فلما وجهت منصرفةً قال فيها:

فكم من قتيلٍ ما يباء به دمٌ ومن غلقٍ رهناً إذا لفه منى

قال: ويروى ومن غلقٍ رهنٍ كأنه قال ومن رهنٍ غلقٍ؛ لا يجعل من نعت الرهن. كأنه جعل الإنسان غلقاً وجعله رهناً؛ كما يقال: كم من عاشقٍ مدنفٍ، ومن كلفٍ صبٍ.

قال الزبير وحدثني مسلم بن عبد الله بن مسلم بن جندب عن أبيه قال: أنشده ابن أبي عتيق فقال: إن في نفس الجمل ما ليس في نفس الجمال.

قال: وقال عبد الله بن عمر، وقد أنشده عمر بن أبي ربيعة شعره هذا: يابن أخي ! أما اتقيت الله حيث تقول:

ليت ذا الدهر كان حتماً علينا كل يومين حجةً واعتمارا

فقال له عمر بن أبي ربيعة: بأبي أنت وأمي ! إني وضعت ليتاً حيث لا تغنى.

أمر عمر بن عبد العزيز بنفيه ثم خلاه لما تاب: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، وأخبرني علي بن عبد

العزيز عن عبيد الله بن عبد الله عن إسحاق، وأخبرني ببعض هذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا مصعب بن عثمان: أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة لم تكن له همةٌ إلا عمر بن أبي ربيعة والأحوص. فكتب إلى عامله على المدينة: قد عرفت عمر والأحوص بالخبث والشر. فإذا أتاك كتابي هذا فاشددهما واحملهما إلي. فلما أتاه الكتاب حملهما إليه. فأقبل على عمر فقال له هيه!

فلم أر كالتجمير منظر ناظرٍ ولا كليالي الحج أفلتن ذا هوى

وكم ماليءٍ عينيه من شيءٍ غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

فإذا لم يفلت الناس منك في هذه الأيام فمتى يفلتون! أما والله لو اهتممت بأمر حجك لم تنظر إلى شيء غيرك! ثم أمر بنفيه. فقال يا أمير المؤمنين، أو خير من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أعاهد الله ألا أعود إلى مثل هذا الشعر ولا أذكر النساء في شعرٍ أبداً وأجدد توبةً على يديك. قال: أو تفعل؟ قال نعم. فعاهد الله على توبةٍ وخلاه. ثم دعا بالأحوص فقال هيه! نفى الأحوص و لم يطلقه إلا يزيد بن عبد الملك:

الله بيني وبين قيمها يهرب مني بها وأتبع

با الله بين قيمها وبينك ! ثم أمر بنفيه إلى بيش ، وقيل إلى دهلك وهو الصحيح، فنفي إليها، فلم يزل بها. فرحل إلى عمر عدةٌ من الأنصار فكلموه في أمره وسألوه أن يقدمه وقالوا له: قد عرفت نسبه وقدمه وموضعه وقد أخرج إلى بلاد الشرك، فنطلب إليك أن ترده إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار قومه. فقال لهم عمر: من الذي يقول:

فما هو إلا أن أراها فجاءةً فأبهت حتى ما أكاد أحير

- وفي رواية الزبير أجيب مكان أخير قالوا: الأحوص . قال: فمن الذي يقول:

أدور ولولا أن أرى أم جعفرٍ بأبياتكم ما درت حيث أدور

وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى إذا لم يزر لا بد أن سيزور

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

كأن لبنى صبير غاديةٍ أو دميةٌ زينت بها البيع

الله بيني وبين قيمها يهرب مني بها وأتبع

قالوا: الأحوص. قال: إن الفاسق عنها يومئذٍ لمشغول، والله لا أرده ما كان لي سلطان. فمكث هناك بعد ولاية عمر صادراً من ولاية يزيد بن عبد الملك ثم خلاه.

قال: وكتب إلى عمر بن عبد العزيز من موضعه قال الزبير: أنشدنيها عبد الملك بن عبد العزيز ابن بنت الماجشون قال أنشدنيها يوسف بن الماجشون يعني هذه الأبيات:

أيا راكباً إما عرضت فبلغن ... هديت أمير المؤمنين رسائلي

وقل لأبي حفصٍ إذا ما لقيته ... لقد كنت نفاعاً قليل الغوائل

أفي الله أن تدنوا ابن حزم وتقطعوا ... قوى حرماتٍ بيننا ووصائل

فكيف ترى للعيش طيباً ولذةً ... وخالك أمسى موثقاً في الحبائل

وما طمع الحزمي في الجاه قبلها ... إلى أحدٍ من آل مروان عادل

وشى وأطاعوه بنا وأعانه ... على أمرنا من ليس عنا بغافل

وكنت أرى أن القرابة لم تدع ... ولا الحرمات في العصور الأوائل

إلى أحد من آل مروان ذي حجىً ... بأمرٍ كرهناه مقالاً لقائل

يسر بما أنهى العدو وإنه ... كنافلةٍ لي من خيار النوافل

فهل ينقصني القوم أن كنت مسلماً ... بريئاً بلائي في ليالٍ قلائل

ألا رب مسرورٍ بنا سيغيظه ... لدي غب أمر عضه بالأنامل

رجا الصلح مني آل حزم بن فرتنى ... على دينهم جهلاً ولست بفاعل

ألا قد يرجون الهوان فإنهم ... بنو حبقٍ ناء عن الخير فائل

على حين حل القول بي وتنظرت ... عقوبتهم مني رؤوس القبائل

فمن يك أمسى سائلاً بشماتةٍ ... بما حل بي أو شامتاً غير سائل

فقد عجمت مني العواجم ما جداً ... صبوراً على عضات تلك التلاتل

إذا نال لم يفرح وليس لنكبةٍ ... إذا حدثت بالخاضع المتضائل

قال الزبير: وقال الأحوص أيضاً:

هل أنت أمير المؤمنين فإنني ... بودك من ود العباد لقانع

متمم أجرٍ قد مضى وصنيعةٍ ... لكم عندنا أو ما تعد الصنائع

فكم من عدوٍ سائل ذي كشاحةٍ ... ومنتظرٍ بالغيب ما أنت صانع

فلم يغن عنه ذلك و لم يخل سبيل عمر، حتى ولي يزيد بن عبد الملك فأقدمه وقد غنته حبابة بصوت في شعره.

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال قال هشام بن حسان:

كان السبب في رد يزيد بن عبد الملك الأحوص أن جميلة غنته يوماً:

كريم قريشٍ حين ينسب والذي ... أقرت له بالملك كهلاً وأمردا

فطرب يزيد وقال: ويحك! من كريم قريشٍ هذا؟ قالت: أنت يا أمير المؤمنين، ومن عسى أن يكون ذلك غيرك ! قال: ومن قائل هذا الشعر في؟ قالت: الأحوص وهو منفي. فكتب برده وحمله إليه وأنفذ إليه صلاتٍ سنية. فلما قدم إليه أدناه وقربه وأكرمه. وقال له يوماً في مجلس حافل: والله لو لم تمت إلينا بحقٍ ولا صهرٍ ولا رحمٍ إلا بقولك:

وإني لأستحييكم أن يقودني إلى غيركم من سائر الناس مطمع

لكفاك ذلك عندنا. قال: ولم يزل ينادمه وينافس به حتى مات. وأخبار الأحوص في هذا السبب وغيره قد مضت مشروحةً في أول ما مضى من ذكره وأخباره؛ لأن الغرض ها هنا ذكر بقية خبره مع عمر بن أبي ربيعة في الشعرين اللذين أنكرهما عليهما عمر بن عبد العزيز وأشخصا من أجلهما.

سليمان بن عبد الملك ونفيه ابن أبي ربيعة إلى الطائف: أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أحمد بن زهير قال: مصعب بن عبد الله قال: حج سليمان بن عبد الملك وهو خليفة، فأرسل إلى عمر بن أبي ربيعة فقال له: ألست القائل:

فكم من قتيلٍ ما يباء به دمٌ ومن غلقٍ رهناً إذا لفه منى
ومن مالئٍ عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى
يسحبن أذيال المروط بأسؤقٍ خدالٍ وأعجاز مآكمها روا
أوانس يسلبن الحليم فؤاده فيا طول ما شوقٍ ويا طول مجتلى

قال نعم. قال لا جرم والله لا تحضر الحج العام مع الناس ! فأخرجه إلى الطائف.

ابن أبي عتيق وغناء ابن سريج

أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي حدثني أبن الكلبي عن أبي مسكين وعن صالح بن حسان قال: قدم ابن أبي عتيق إلى مكة فسمع غناء ابن سريج:

فلم أر كالتجمير منظر ناظرٍ ولا كليالي الحج أفلتن ذا هوى

فقال: ما سمعت كاليوم قط، وما كنت أحسب أن مثل هذا بمكة، وأمر له بمال وحدره معه إلى المدينة، وقال: لأصغرن إلى معبد نفسه ولأهدين إلى المدينة شيئاً لم ير أهلها مثله حسناً وظرفاً وطيب مجلس ودماثة خلق ورقة منظر ومقةً عند كل أحد. فقدم به المدينة وجمع بينه وبين معبد. فقال لابن سريج: ما تقول فيه؟ قال: إن عاش كان مغني بلاده.

أبو السائب وابن سريج

وقال إسحاق وحدثني المدائني عن جرير قال: قال لي أبو السائب يوماً ما معك من مرقصات ابن سريج؟ فغنيته:

فلم أر كالتجمير منظر ناظر

فقال: كما أنت حتى أنحرم لهذا بركعتين.

الوليد بن عبد الملك يأمر والي المدينة أن يشخص إليه ابن سريج: حدثني الحسين قال قال حماد قرأت على أبي وحدثني أبو عبد الله الزبيري قال: كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكة أن أشخص إلي ابن سريج. فورد الرسول إلى الوالي، فمر في بعض طريقه على ابن سريج وهو جالس بين قربي بئر وهو يغني:

فلم أر كالتجمير منظر ناظر

فقال له الرسول: تالله ما رأيت كاليوم قط ولا رأيت أحمق ممن يتركك ويبعث إلى غيرك. فقال له ابن سريج: أما والله ما هو بقدمٍ ولا ساق، ولكنه بقسمٍ وأرزاق. ثم مضى الرسول فأوصل الكتاب، وبعث الولي إلى ابن سريج فأحضره. فلما رآه الرسول قال: قد عجبت أن يكون المطلوب غيرك.

عبد الله بن الزبير يعجب لسماع غناء ابن سريج: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال رقي عبد الله بن أبا قبيس ليلاً، فسمع غناء فنزل هو وأصحابه يتعجبون وقال: لقد سمعت صوتاً إن كان من الإنس إنه لعجب، وإن كان من الجن لقد أعطوا شيئاً كثيراً. فاتبعوا الصوت فإذا ابن سريج يتغنى في شعر عمر:

فلم أر كالتجمير منظر ناظر

ومن هذه الأرمال الثلاثة:

ثاني الأرمال الثلاثة

في شعر امرئ القيس:

صوت

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

أغرك مني أن حبك قاتلي وإنك مهما تأمري القلب يفعل

الشعر لامرئ القيس. والغناء في هذين البيتين من الرمل المختار لإسحاق بالبنصر. وفي هذين البيتين مع أبيات أخرى من هذه القصيدة ألحانٌ شتى لجماعة نذكرها ها هنا ومن غنى فيها، ثم نتبع ما يحتاج إلى ذكره منها، وقد يجمع سائر ما يغنى فيه من القصيدة معه: شيء من معلقته وشرحه

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضخ فالمقراة لمن يعف رسمها لما نسجتها من جنوبٍ وشمأل
أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي
وإن كنت قد ساءتك مني خليفةٌ فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
أغرك مني أن حبك قاتلي وإنك مهما تأمري القلب يفعل
وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلبٍ مقتل
تسلت عمايات الرجال عن الصبا وليس فؤادي عن هواك بمنسلي
ألا أيها الليل الطويل ألا انجل بصبح وما الإصباح فيك بأمثل
وبيض خدرٍ لا يرام خباؤها تمتعت من لهوٍ بها غير معجل
تجاوزت أحراساً إليها ومعشراً علي حراصاً لو يسرون مقتلي
ألا رب يوم صالح لك منهما ولا سيما يومٌ بدارة جلجل
ويومٌ عقرت للعذارى مطيتي فواعجبي من رحلها المتحمل
وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجردٍ قيد الأوابد هيكل
مكرٍ مفرٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً كجلمود صخر حطه السيل من علٍ
فقلت لها سيري وأرخي زمامه ولا تبعدين من جناك المعلل

عروضه من الطويل. وسقط اللوى منقطعه. واللوى: المستدق من الرمل حيث يستدق فيخرج منه إلى اللوى. والدخول وحوملٌ وتوضح والمقراة: مواضع ما بين إمرة إلى أسود العين. وقال أبو عبيدة في سقط اللوى وسقط الولد وسقط النار سَقط وسُقط وسِقط ثلاث لغات. وقال أبو زيد: اللوى: أرض تكون بين الحزن والرمل فصلاً بينهما. وقال الأصمعي: قوله بين الدخول فحومل خطأ ولا يجوز إلا بواو وحومل؛ لأنه لا يجوز أن يقال: رأيت فلاناً بين زيد فعمرو، إنما يقال وعمرو؛ ويقال: رأيت زيداً فعمراً إذا رأى كل واحد منهما بعد صاحبه. وقال غيره: يجوز فحومل كما يقال: مطرنا بين الكوفة فالبصرة، كأنه قال: من الكوفة إلى البصرة، يريد أن المطر لم يتجاوز ما بين هاتين الناحيتين؛ وليس هذا مثل بين زيد فعمرو. ويعف رسمها: يدرس. ونسجتها: ضربتها مقبلة و مدبرة فعفتها. يعني أن الجنوب تعفي هذا الرسم إذا هبت وتجيء الشمأل فتكشفه. وقال غير أبي عبيدة: المقراة ليس اسم موضع إنما هو الحوض الذي يجمع فيه الماء. والرسم: الأثر الذي لا شخص له. ويروي لما نسجته يعني الرسم. ويقال عفا يعفو عفواً وعفاءً؛ قال الشاعر:

على أثار من ذهب العفاء

يعني محو الأثر. وفاطمة التي خاطبها فقال أفاطم مهلاً بنت العبيد بن ثعلبة بن عامر بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة، وهي التي يقول فيها:

لا وأبيك ابنة العامري

وأزمعت صرمي، يقال أزمعت وأجمعت وعزمت وكله سواء. يقول: إن كنت عزمت على الهجر فأجملي. ويقول الأسير: أجملوا في قتلي، قتلةً أحسن من هذه، أي على رفق وجميل. والصرم: القطيعة والصرم المصدر؛ يقال: صرمته أصرمه صرماً مفتوحٌ إذا قطعته، ومنه سيف صارم أي قاطع، ومنه الصرام ، ومنه الصرائم وهي القطع من الرمل تنقطع من معظمه. قوله: سلي ثيابي من ثيابك كناية، أي اقطعي أمري من أمرك. وقوله تنسل: تبني عنها ويقال للسن إذا بانت فسقطت والنصل إذا سقط: نسل ينسل، وهو النسيل والنسال.

وقال قوم: الثياب: القلب. وقوله: وما ذرفت عيناك أي ما بكيت إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل. قال الأصمعي: يعني أنك ما بكيت إلا لتخرقي قلباً معشراً، أي مكسرا شبهه بالبرمة إذا كانت قطعا، ويقال: برمة أعشار. قال: و لم أسمع للأعشار واحداً. يقول: لتضربي بسهميك أي بعينيك فتجعلي قلبي مخرقاً فاسداً كما يخرق الجابر أعشار البرمة؛ فالبرمة تنجبر إذا أخرقت وأصلحت، والقلب لا ينجبر. قال: ومثله قوله:

رمتك أبنة البكري عن فرع ضالةٍ

أي نظرت إليك فأفرحت قلبك. وقال غير الأصمعي وهو قول الكوفيين: إنما هذا مثل أعشار الجزور وهي تنقسم على عشر انصباء، فضربت فيها بسهميك المعلي وله سبعة انصباء والرقيب وله ثلاثة انصباء، فأراد أنها ذهبت بقلبه كله. مقتل أي مذلل، يقال بعير مقتل أي مذلل، تسلت: ذهبت. يقال: سلوت عنه وسليت عنه إذا طابت نفسك بتركه. وقال: رؤية:

لو أشرب السلوان ما سليت

والعمايات: الجهالات. عد الجهل عمي. والصبا: اللعب. قال ابن السكيت: صبا يصبو صبواً وصبو وصباءً وصباً. انجل: انكشف. والأمر الجلي المنكشف. وقوله: أنا ابن جلا أي أنا ابن المكشوف الأمر المشهور غير المستور، ومنه جلاء العروس وجلاء السيف. وقوله فيك بأمثل " يقول: إذا جاءني الصباح وأنا فيك فليس ذلك بأمثل لأن الصبح قد يجيء والليل مظلم بعد. يقول: ليس الصبح بأمثل وهو فيك، أي يريد أن يجيء منكشفاً منجلياً لا سواد فيه ولو أراد أن الصباح فيك أمثل من الليل لقال: منك بأمثل ومثله قول حميد بن ثور في ذكر مجيء الصبح والليل باق:

فلما تجلى الصبح عنها وأبصرت وفي غبش الليل الشخوص الأباعد

غبش الليل: بقيته. هذا قول يعقوب بن السكيت. وبيضة خدرٍ شبه المرأة بالبيضة لصفائها ورقتها. غير معجل أي لم يعجلني أحد عما أريده منها. والخباء: ما كان على عمودين أو ثلاثة. البيت: ما كان على ستة أعمدة إلى تسعة. والخيمة: من الشعر. وقوله: يسرون مقتلي قال الأصمعي: يسرون، وروى غيره: يشرون بالشين المعجمة أي يظهرونه، وقال الشاعر:

فما برحوا حتى أتى الله نصره وحتى أشرت بالأكف الأصابع

أي أظهرت. وقال غيرهما: لو يسرون من الإسرار أي لويستطيعون قتلي لأسروه من الناس وقتلوني. قال أبو عبيدة: دارة جلجل في الحمى، وقال ابن الكلبي: هي عند عين كندة. ويروى سيماً مخففا وسيما مشدده ويقال: رب رجل ورب رجل وربت رجل. ومن القراء من يقرأ " ربما يود الذين كفروا " مخففة. وقرأ عليه رجل ربما فقال له: أظنك يعجبك الرب .

ويروى:

فيا عجبا من رحلها المحتمل

أي يا عجبا لسفه وسبابي يومئذ ويروي:

وقد أغتدي والطير في وكراتها

بالراء. قال أبو عبيدة: والأكنات في الجبال كالتماريد في السهل، والواحدة أكنة وهي الوقنات، والواحدة أقنة، وقد وقن يقن. وقال الأصمعي: إذا أوى الطير إلى وكره قيل وكر يكر ووكن يكن، ويقال: إنه جاءنا والطير وكن ما خرجنا. والمنجرد: القصير الشعرة، وذلك من العتق. والأوابد: الوحش، وتأبدت: توحشت، وتأبد الموضع إذا توحش وقيد الأوابد: يعني الفرس. يقول: هو قيدٌ لها لأنها لا تفوته كأنها مقيدة. والهيكل: العظيم من الخيل ومن الشجر؛ ومنه سمي بيت النصارى الهيكل. وقال أبو عبيدة يقال: قيد الأوابد وقيد الرهن، وهو الذي كأن طريدة في قيد له إذا طلبها، وكأن مسابقه في الرهان مقيد. قال أبو عبيدة: وأول من قيدها: امرئ القيس. والمنجرد: القصير الشعرة الصافي الأديم. والهيكل الذكر، والأنثى هيكلة، والجمع هياكل وهو العظيم العبل الكثيف اللين. وقوله مكر مفر يقول: إذا شئت أن أكر عليه وجدته، وكذلك إذا أردت أن أفر عليه أو أقبل أو أدبر. والجلمود الصخرة. ووصفها بأن السيل حطها من علٍ لأنها إذا كانت في أعلى الجبل كان أصلب لها. من علٍ: من فوق.

ويقال من علِ علُ ومن علوا ومن عالِ ومن علوٍ ومن معالٍ. وقوله سيري وأرخي زمامه أي هوني عليك الأمر ولا تبالي اعقر أم سلم. وجناك كل شيء اجتنيته من قبلة وما أشبه ذلك من الجنى، وهو من الإنسان مثل الجنى من الشجر أي ما أجتني من ثمره. هو المعلل: الملهي.

غنى في قفا نبك، وأفاطم مهلاً، وأغرك و وما ذرفت عيناك معبد لحناً من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى

الوسطى. وغنى معبد أيضاً في الأول من هذه الأبيات خفيف رمل بالوسطى وغنى سعيد بن جابر في الأربعة الأبيات رملاً وغنت عريب في:

أغرك مني أن حبك قاتلي

وبعده شعر ليس منه وهو:

فلا تحرجي من سفك مهجة عاشقٍ بلى فاقتلي ثم اقتلي ثم فاقتلي

فلا تدعي أن تفعلي ما أردته بنا، ما أراك الله من ذاك فافعلي

ولحنها فيها خفيف رمل. وغنى ابن محرز في تسلت عمايات الرجال وبعده ألا أيها الليل الطويل ثاني ثقيل بالوسطى. وغنى فيهما عبد الله بن العباس الربيعي ثاني ثقيل آخر بالسبابة في مجرى البنصر. وغنت جميلة " تسلت عمايات الرجال وبعده ألا رب يوم لك لحناً من الثقيل الأول عن الهشامي. وغنت عزة الميلاء في تسلت عاميات الرجال وبعده ويوم عقرت للعذارى مطيتي ثقيلاً أول عن الهشامي. وغنت حميدة جارية ابن تفاحة في " وبيضة خدرٍ وتجاوزت أحراساً لحناً من الثقيل الأول بالوسطى. ولطويس في قفا نبك وبعده فتوضح فالمقراة ثقيل أول أخر. وفي وأفاطم مهلاً و أغرك مني أن حبك قاتلي ليزيد بن الرحال هزج. ولأبي عيسى بن الرشيد في وقد أغتدي و مكر مفر أول ثقيل. ولفليح في قفا نبك وبعده أغرك مني رمل.

وقيل: إن لمعبد في وبيضة خدرٍ لحناً من الثقيل ألاول، وقيل: هو لحن حميدة. ولعريب في هذين البيتين خفيف ثقيل، من رواية أبي العبيس. وغنى سلام بن الغسال وقيل بل عبيدة أخوه في وقد كنت قد ساءتك مني و أغرك مني رملاً بالوسطى. وغنى في فقلت لها سيري وأرخي زمامه سعدويه بالنصر ثاني ثقيل. وغنى في قفا نبك وبعده فتوضح فالمقراة إبراهيم الموصلي فقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن ابن المكي. وزعم حبش إن لإسحاق فيهما ثقيلاً. وغنى في أغرك مني و وما ذرفت ابن سريج خفيف رمل بالوسطى من رواية ابن المكي، وقيل: بل هو من منحوله. وغنى بديح مولى ابن جعفر فيه " وما ذرفت عيناك " بيتاً واحداً ثقيلاً أول مطلقاً في مجرى الوسطى عن ابن المكي. فجميع ما جمع في هذه المواضع مما وجد في شعر " فقا نبك " من الأغاني صحيحها والمشكوك فيه منها اثنان وعشرون لحناً: منها في الثقيل الأول تسعة أصوات، وفي الثقيل الثاني ثلاثة أصوات، وفي الرمل أربعة أصوات، وفي خفيف الرمل صوتان، وفي الهزج صوت، وفي خفيف الثقيل ثلاثة أصوات.

ذكر أمرئ القيس ونسبه وأخباره

نسبه من قبل أبويه: قال الأصمعي: هو أمرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمر وبن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور وهو كندة. وقال ابن الأعرابي: هو أمرؤ القيس بن حجر بن عمرو ابن معاوية بن الحارث بن ثور

وهو كندة. وقال محمد بن حبيب: هو أمرؤ القيس بن حجر بن الحارث الملك بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة. وقال بعض الرواة: هو أمرؤ القيس بن السمط بن أمرئ القيس بن عمرو بن معاوية بن ثور وهو كندة. وقالوا جميعاً: كندة هو كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نو ح. وقال ابن الأعرابي: ثور هو كندة بن مرتع بن عفير بن الحارث بن مرة بن عدي بن أدد ابن زيد بن عمرو بن مسمع بن عريب بن عمرو بن زيد بن كهلال.

وأم أمرئ القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير أخت كليب ومهلهل ابني ربيعة التغلبيين. وقال من زعم أنه أمرؤ القيس بن السمط: أمه تملك بنت عمرو بن زبيد بن مذحج رهط عمرو بن معد يكرب.

قال من ذكر هذا وأمه تملك: قد ذكر ذلك امرؤ القيس في شعره فقال:

ألا هل أتاها والحوادث جمةٌ بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا

بيقر أي جاء العراق والحضر. ويقال: بيقر الرجل إذا هاجر. وقال يعقوب بن السكيت: أم حجر أبي امرئ القيس أم قطام بنت سلمى امرأةٌ من عنزة .

كنيته ولقبه: ويكنى امرؤ القيس، على ما ذكره أبو عبيدة، أبا الحارث. وقال غيره: يكنى أبا وهب. وكان يقال له الملك الضليل، وقيل له أيضاً ذو القروح وإياها عنى الفرزدق بقوله:

وهب القصائد لي النوابغ إذ مضوا وأبو زيد وذو القروح و جرول

يعني بأبي يزيد المخبل السعدي، وجرول الحطيئة.

مولده ومنزله: قال: وولد ببلاد بني أسد. وقال ابن حبيب:كان ينزل المشقر من اليمامة. ويقال:بل كان ينزل في حصن بالبحرين.

سبب تسمية آبائه بأسمائهم

وقال جميع من ذكرنا من الرواة: إنما سمي كندة لأنه كند أباه أي عقه. وسمي مرتعٌ بذلك لأنه كن يجعل لمن أتاه من قومه مرتعاً له ولماشيته. وسمي حجرٌ آكل المرار بذلك لأنه لما أتاه الخبر بأن الحارث بن جبلة كان نائماً في حجر امرأته هند وهي تفليه جعل يأكل المرار " وهو نبت شديد المرارة " من الغيظ وهو لا يدري. ويقال: بل قلت هند للحارث وقد سألها: ما ترين حجراً فاعلاً؟ قالت: كأنك به قد أدركك الخيل وهو كأنه بعيرٌ قد أكل المرار.

قال: وسمي عمرو المقصور لأنه قد قصر على ملك أبيه أي أقعد فيه كرهاً.

قصة جده الحارث بن عمرو مع قباذ وابنه أنوشروان: أخبرني بخبره، على ما قد سقته ونظمته. أحمد بن عبد

العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة و لم يتجاوزه، وروى بعضه عن علي بن الصباح بن هاشم بن الكلبي، وأخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن علي بن الصباح عن هشام بن الكلبي، قال ابن أبي سعد وأخبرني دارم بن عقال بن حبيب الغساني أحد ولد السموءل بن عادياء عن أشياخه، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي يوسف عن عمه إسماعيل ،وأضفت إلى ذلك رواية ابن الكلبي مما لم أسمعه من أحد ورواية الهيثم بن عدي ويعقوب بن السكيت والأثرم وغيرهم، لما في ذلك من الاختلاف، ونسبت رواية كل راوٍ إذا خالف رواية غيره إليه، قالوا: كان عمر بن حجر وهوالمقصور ملكاً بعد أبيه، وكان أخوه معاوية وهو الجون على اليمامة، وأمهما شعبة بنت أبي معاهر بن حسان بن عمرو بن تبع. ولما مات ملك بعده ابنه الحارث، وكان شديد الملك بعيد الصيت. ولما ملك قباذ بن فيروز خرج في أيام ملكه رجل يقال له مزدك فدعا الناس إلى الزندقة وإباحة الحرم وألا يمنع أحد منهم أخاه مايريده من ذلك. وكان المنذر بن ماء السماء يومئذ عاملاً على الحيرة ونواحيها. فدعاه قباذ إلى الدخول معه في ذلك فأبى. فدعا الحارث بن عمرو فأجابه؛ فشدد له ملكه وأطرد المنذر عن مملكته وغلب على ملكه. وكانت أم أنوشروان بين يدي قباذ يوماً، فدخل عليه مزدك. فلما رأى أم أنوشروان قال القباذ: ادفعها لي لأقضي حاجتي منها؛ فقال: دونكها. فوثب إليه أنوشروان فلم يزل يسأله ويضرع إليه أن يهب له أمه حتى قبل رجله فتركها له؛ فكانت تلك في نفسه. فهلك قباذ على تلك الحال، وملك أنوشروان فجلس في مجلس الملك. وبلغ المنذر هلاك قباذ فأقبل إلى أنوشروان وقد علم خلافه على أبيه فيما كانوا دخلوا فيه. فأذن أنوشروان للناس، فدخل عليه مزدك ثم دخل عليه المنذر. فقال أنوشروان: إني كنت تمنيت أمنيتين أرجو أن يكون الله قد جمعهما لي. فقال مزدك: وما هما أيها الملك؟ قال: تمنيت أن أملك فأستعمل هذا الرجل الشريف يعني المنذر وأن أقتل هؤلاء الزنادقة. فقال له مزدك: أو تستطيع أن تقتل الناس كلهم ؟! قال: إنك لها هنا يابن الزانية ! والله ما ذهب نتن ريح جوربك من أنفي منذ قبلت رجلك إلى يومي هذا ! وأمر به فقتل وصلب، وأمر بقتل الزنادقة فقتل منهم ما بين جازر إلى النهروان إلى المدائن في ضحوة واحدة مائة ألف زنديق وصلبهم؛ وسمي يومئذ أنوشروان. وطلب أنوشروان الحارث بن عمرو؛ فبلغه ذلك وهو بالأنبار، وكان بها منزله - وإنما سميت الأنبار لأنه كان يكون بها أهراء الطعام وهي الأنابير - فخرج هارباً في هجائنه وماله وولده فمر بالثوية ؛ وتبعه المنذر بالخيل من تغلب وبهراء وإيادٍ، فلحق بأرض كلب فنجا، وانتهبوا ماله وهجائنه. وأخذت بنو تغلب ثمانيةً وأربعين نفساً من بني آكل المرار؛ فقدم بهم على المنذر فضرب رقابهم بحفر الأملاك في ديار بني مرينا العباديين بين دير هند والكوفة. فذلك قول عمرو بن كلثوم:

فآبوا بالنهاب والسبايا وأبنا بالملوك مصفدينا

وفيهم يقول امرؤ القيس: س

ملوكٌ من بني حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلونا

فلو في يوم معركةٍ أصيبوا ولكن في ديار بني مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل ولكن في الدماء مرملينا
تظل الطير عاكفةً عليهم وتنتزع الحواجب والعيونا

قالوا: ومضى الحارث فأقام بأرض كلب. فكلب يزعمون أنهم قتلوه. وعلماء كندة تزعم أنه خرج إلى الصيد فألظ بتيس من الظباء فأعجزه، فآلا أليةً ألا يأكل أولاً إلا من كبده. فطلبته الخيل ثلاثاً فأتي بعد ثالثة وقد هلك جوعاً، فشوي له بطنه، فتناول فلذةً من كبده فأكلها حارة فمات. وفي ذلك يقول الوليد بن عدي الكندي في أحد بني بجيلة:

فشووا فكان شواؤهم خبطاً له إن المنية لا تجل جليلا

وزعم ابن قتيبة أن أهل اليمن يزعمون أن قباذ بن فيروز لم يملك الحارث بن عمرو وأن تبعاً الأخير هو الذي ملكه. قال: ولما أقبل المنذر إلى الحيرة هرب الحارث وتبعته خيلٌ فقتلت ابنه عمراً وقتلوا ابنه مالكاً بهيت . وصار الحارث إلى مسحلان فقتلته كلب. وزعم غير ابن القتيبة أنه مكث فيهم حتى مات حتف أنفه.

الحارث بن عمرو وتمليكه أولاده على قبائل العرب: وقال الهيثم بن عدي حدثني حماد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد عن سعية بن عريض من يهود تيماء قال: لما قتل الحارث بن أبي شمر الغساني عمرو بن حجر ملك بعده ابنه الحارث بن عمرو، وأمه بنت عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان ونزل الحيرة. فلما تفاسدت القبائل من نزار أتاه أشرافهم فقالوا: إنا في دينك ونحن نخاف أن نتفانى فيما يحدث بيننا، فوجه معنا بنيك يتزلون فينا فيكفون بعضنا عن بعض. ففرق ولده في قبائل العرب، فملك ابنه حجراً على بني أسدٍ وغطفان وملك ابنه شرحبيل قتيل يوم الكلاب على بكر بن وائل بأسرها وبني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم والرباب. وملك ابنه معد يكرب وهو غلفاء " سمي بذلك لأنه كان يغلف رأسه " على بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة وطوائف من بني دارم " بن مالك " بن حنظلة والصنائع وهم بنو رقية قوم كانوا يكونون مع الملوك من شذاذ العرب. وملك ابنه عبد الله على عبد القيس، وملك ابنه سلمة على قيس.

مقتل حجر أبي امرئ القيس: وقال ابن الكلبي حدثني أبي: أن حجراً كان في بني أسد، وكانت له عليهم إتاوة في كل سنة مؤقتة؛ فغبر ذلك دهراً. ثم بعث إليهم جابيه الذي كان يجبيهم، فمنعوه ذلك وحجرٌ يومئذ بتهامة - وضربوا رسله وضرجوهم ضرجاً شديداً قبيحاً. فبلغ ذلك حجراً؛ فسار إليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من قيس وكنانة، فأتاهم وأخذ سراتهم، فجعل يقتلهم بالعصا - فسموا عبيد العصا - وأباح الأموال، وصيرهم إلى تهامة وآلى بالله ألا يساكنوهم في بلد أبداً، وحبس منهم عمرو بن مسعود بن كندة بن فزارة الأسدي وكان سيداً، وعبيد بن الأبرص الشاعر. فسارت بنو أسد ثلاثاً. ثم إن عبيد بنم الأبرص قام فقال: أيها الملك اسمع مقالتي:

يا عين فابكي ما بني أسدٍ فهم أهل الندامه
أهل القباب الحمر والن عم المؤبل والمدامه
وذوي الجياد الجرد والأسل المثقفة المقامه
حلاً أبيت اللعن حلا إن فيما قلت آمه
في كل وادٍ بين يث رب فالقصور إلى اليمامه
تطريب عانٍ أوصيا ح محرقٍ أو صوت هامه
ومنعتهم نجداً فقد حلوا على وجلٍ تهامه
برمت بنو أسدٍ كما برمت ببيضتها الحمامه
جعلت لها عودين من نشيمٍ وآخر من ثمامه
إما تركت تركت عف واً أو قتلت فلا ملامه
أنت المليك عليهم وهم العبيد إلى القيامه
ذلوا لسوطك مثل ما ذل الأشيقر ذو الخزامه

قال:فرق لهم حجر حين سمع قوله، فبعث في أثرهم فأقبلوا. حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم، وهو عوف بن ربيعة بن سوادة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، فقال لبني أسد: يا عبادي ! قالوا لبيك ربنا. قال: من الملك الأصهب، الغلاب غير المغلب، في الإبل كأنها الربرب، لا يعلق رأسه الصخب، هذا دمه ينعثب ، وهذا غداً أول من يسلب. قالوا: من هو يا ربنا؟ قال: لولا أن تجيش نفسٌ جاشية، لأخبرتكم أنه حجر ضاحية. فركبوا كل صعب وذلول، فما أشرق لهم النهار حتى أتو على عسكر حجر فهجموا على قبته وكان حجابه من بني الحارث بن سعد يقال لهم بنو خدان بن خنثر منهم معاوية بن الحارث وشبيب ورقية ومالك وحبيب، وكان حجر قد اعتق أباهم من القتل. فلما نظروا إلى القوم يريدون قتله خيموا عليه ليمنعوه ويجيروه. فاقبل عليهم علباء بن الحارث الكاهلي، وكان حجر قد قتل أباه، فطعنه من خللهم فأصاب نساه فقتله.

فلما قتلوه قالت بنو أسد: يا معشر كنانة وقيس، أنتم إخواننا وبنو عمنا، والرجل بعيد النسب منا ومنكم، وقد رأيتم ما كان يصنع بكم هو وقومه. فانتهبوهم فشدوا على هجائنه فمزقوها ولفوه في ريطة بيضاء وطرحوه على ظهر الطريق. فلما رأته قيس وكنانة انتهبوا أسلابه. ووثب عمرو بن مسعود فضم عياله وقال: أنا لهم جارٌ قال ابن الكلبي: وعدة قبائل من أسد يدعون قتل حجر ويقولون: إن علباء كان الساعي في قتله وصاحب المشورة

و لم يقتله هو.
قال ابن حبيب: خدان في بني أسد وخدان في بني تميم وفي بني جديلة بالخاء المفتوحة، وخدان مضمومة في الأزد، وليس في العرب غير هؤلاء.
قال أبو عمرو الشيباني: بل كان حجر لما خاف من بني أسد استجار عوير بن شجنةأحد بني عطارد بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم لبنته هند بنت حجر وعياله. وقال لبني أسد لما كثروه: أما إذا كان هذا شأنكم فإني مرتحل عنكم ومخليكم وشأنكم؛ فواعدوه على ذلك. ومال على خالد بن خدان أحد بني سعد بن ثعلبة. فأدركه علباء بن الحارث أحد بني كاهل فقال: يا خالد اقتل صاحبك لا يفلت فيعرك وإيانا بشر، فامتنع خالد. ومر علباء بقصدة رمح مكسورة فيها سنانها، فطعن بها في خاصرة حجر وهو غافل فقتله. ففي ذلك يقول الأسدي:

وقصدة علباء بن قيس بن كاهلٍ منية حجر في جوار ابن خدان

وذكر الهيثم بن عدي أن حجراً لما استجار عوير بن شجنة لبنيه وقطينه تحول عنهم فأقام في قومه مدةً، وجمع لبني أسد جمعاً عظيماً من قومه وأقبل مدلاً بمن معه من الجنود. فتآمرت بنو أسد بينها وقالوا: والله لئن قهركم هذا ليحكمن عليكم حكم الصبي ! فما خيرعيش يكون بعد قهر وأنتم بحمد الله أشد العرب ! فموتوا كراماً. فساروا إلى حجر وقد ارتحل نحوهم فلقوه فاقتتلوا قتالاً شديداً. وكان صاحب أمرهم علباء بن الحارث، فحمل على حجر فطعنه فقتله، وانهزمت كندة وفيهم يومئذ امرؤ القيس فهرب على فرس له شقراء وأعجزهم، وأسروا من أهل بيته رجالاً و قتلوا وملئوا أيديهم من الغنائم، وأخذوا جواري حجر ونساءه وما كان معه من شيء فاقتسموه بينهم.

وقال يعقوب بن السكيت حدثني خالد الكربي قال: كان سبب قتل حجر أنه كان وفد إلى أبيه الحارث بن عمرو في مرضه الذي مات فيه وأقام عنده حتى هلك، ثم أقبل راجعاً إلى بني أسد وقد كان أغار عليهم في النساء وأساء ولايته، وكان يقدم بعض ثقله أمامه ويهيأ نزله ثم يجيء وقد هيىء له من ذلك ما يعجبه فينزل، ويقدم مثل ذلك إلى ما بين يديه من المنازل فيضرب له في المنزلة الأخرى. فلما دنا من بلاد بني أسد وقد بلغهم موت أبيه طمعوا فيه. فلما أظلهم وضربت قبابه أجتمعت بنو أسد إلى نوفل بن ربيعة بن الخدان، فقال: يا بني أسد ! من يتلقى هذا الرجل منكم فيقتطعه؟ فإن قد أجمعت على الفتك به فقال له القوم: ما لذلك أحد غيرك. فخرج نوفل في خيله حتى أغار على الثقل فقتل من وجد فيه، وساق الثقل وأصاب جاريتين قينتين لحجر، ثم أقبل حتى أتى قومه. فلما رأو ما قد حدث وأتاهم به عرفوا أن حجراً يقاتلهم وأنه لا بد من القتال، فحشد الناس لذلك، وبلغ حجراً أمرهم، فأقبل نحوهم. فلما غشيهم ناهضوه القتال وهم بين أبرقين من الرمل في بلادهم يدعيان اليوم أبرقي حجر، فلم يلبثوا حجرًا أن هزموا أصحابه وأسروه فحبسوه وتشاور القوم في قتله، فقال لهم كاهن من

كهنتهم بعد أن حبسوه ليروا فيه رأيهم: أي قومٍ ! لا تعجلوا بقتل الرجل حتى أزجر لكم. فانصرف عن القوم لينظر لهم في قتله. فلما رأى ذلك علباء خشي أن يتوكلوا في قتله؛ فدعا غلاماً من بني كاهل، وكان ابن أخته وكان حجر قتل أباه زوج أخت علباء، فقال: يا بني، أعندك خيرٌ فتثأر بأبيك وتنال شرف الدهر وإن قومك لن يقتلوك ؟!. فلم يزل بالغلام حتى حربه ، ودفع إليه حديدة وقد شحذها وقال: أدخل عليه مع قومك ثم أطعنه في مقتله: فعمد الغلام إلى الحديدة فخبأها ثم دخل على حجر في قبته التي حبس فيها. فلما رأى الغلام غفلةً وثب عليه فقتله، فوثب القوم على الغلام. فقالت بنو كاهل: ثأرنا وفي أيدينا. فقال الغلام: إنما ثأرت بأبي، فخلوا عنه. وأقبل كاهنهم المزدجر فقال: أي قومٍ ! قتلتموه ! ملك شهر ، وذل دهر. أما والله لا تحظون عند الملوك بعده أبداً.

وصيته لبنيه عند موته

قال ابن السكيت: ولما طعن الأسدي حجراً و لم يجهز عليه، أوصى ودفع كتابه إلى رجل وقال له: أنطلق إلى ابني نافع - وكان أبر ولده - فإن بكى وجزع فاله عنه، واستقرهم واحداً واحداً حتى تأتي امرأة القيس - وكان أصغرهم - فأيهم لم يجزع فدفع إليه سلاحي وخيلي وقدوري ووصيتي. وقد كان بين في وصيته من قتله وكيف كان خبره. فأنطلق الرجل بوصيته إلى نافع ابنه: فأخذ التراب فوضعه على رأسه. ثم استقراهم واحداً واحداً فكلهم فعل ذلك، حتى اتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلاعبه بالنرد؛ فقال له: قتل حجر. فلم يلتفت إلى قوله، وأمسك نديمه فقال له امرؤ القيس: أضرب فضرب. حتى إذا فرغ قال ما كنت أفسد عليك دستك. ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله فأخبره. فقال: الخمر علي والنساء حرام حتى أقتل من بني أسد مائة وأجز نواصي مائة. وفي ذلك يقول:

أرقت ولم يأرق لما بي نافع وهاج لي الشوق الهموم الروادع

وقال ابن الكلبي: حدثني أبي عن ابن الكاهن الأسدي أن حجراً كان طرد امرأ القيس وآلى ألا يقيم معه أنفةً من قوله الشعر، وكانت الملوك تأنف من ذلك، فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاط من شذاذ العرب من طيء وكلب وبكر بن وائل، فإذا صادف غديراً أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم، وخرج إلى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنته قيانه. ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ثم ينتقل عنه إلى غيره. فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدمون من أرض اليمن، أتاه به رجلٌ من بني عجل يقال له عامر الأعور أخو الوصاف. فلما أتاه بذلك قال:

تطاول الليل على دمون دمون إنا معشرٌ يمانون

وإننا لأهلها محبون

ثم قال: ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً. لا صحو اليوم ولا سكر غداً. " اليوم خمرٌ، وغداً أمر " فذهبت مثلاً. ثم قال:

خليلي لا في اليوم مصحىً لشاربٍ ولا في غدٍ إذ ذاك ما كان يشرب

ثم شرب سبعاً. فلما صحا آلى ألا يأكل لحماً، ولا يشرب خمراً، ولا يدهن بدهن، ولا يصيب امرأة، ولا يغسل رأسه من جنابة، حتى يدرك بثأره. فلما جنة الليل رأى برقاً فقال:

أرقت لبرقٍ بليلٍ أهل يضيء سناه بأعلى الجبل

أتاني حديثٌ فكذبته بأمر تزعزع منه القلل

بقتل بني أسدٍ ربهم ألا كل شيءٍ سواه جلل

فأين ربيعة عن ربها وأين تميمٌ وأين الخول

ألا يحضرون لدي بابه كما يحضرون إذا ما أكل

وروى الهيثم عن أصحابه أن امرأ القيس لما قتل أبوه كان غلاماً قد ترعرع، وكان في بني حنظلة مقيماً لأن ظئرة كانت امرأة منهم. فلما بلغه ذلك قال:

يا لهف هندٍ إذ خطئن كاهلاً القاتلين الملك الحلاحلا

تالله لا يذهب شيخي باطلاً يا خير شيخ حسباً ونائلاً

وخيرهم قد علموا فواضلا يحملننا والأسل النواهلا

وحي صعبٍ والوشيج الذابلا مستثفراتٍ بالحصى جوافلا

يعني صعب بن علي بن بكر بن وائل. معنى قوله مستثفرات بالحصى: يريد أنها أثارت الحصى بجوافرها لشدة جريها حتىارتفع إلى أثفارها فكأنها استثفرت به.

وقال الهيثم بن عدي: لما قتل حجر انحازت بنته وقطينه إلى عوير بن شجنة. فقال له قومه: كل أموالهم فإنهم مأكولون، فأبى. فلما كان الليل حمل هنداً وقطينها وأخذ بخطام جملها وأشأم بهم في ليلة طخياء مدلهمة. فلما أضاء البرق أبدى عن ساقيه وكانت حمشتين . فقالت هند: ما رأيت كالليلة ساقي وافٍ. فسمعها فقال ياهند: هما ساقا غادرٍ شرٍ. فرمى بها النجاد حتى أطلعها نجران، وقال لها: إني لست أغني عنك شيئاً وراء هذا الموضع، وهؤلاء قومك، وقد برئت خفارتي. فمدحه امرؤ القيس بعدة قصائد، منها قوله في قصيدة له:

ألا إن قوماً كنتم أمس دونهم هم منعوا جاراتكم آل غدران

عويرٌ ومن مثل العوير ورهطه أبر بميثاقٍ وأوفى بجيران

هم أبلغوا الحي المضيع أهله وساروا بهم بين الفرات ونجران

وقوله:

ألا قبح الله البراجم كلها وجدع يربوعاً وعفر دارما

فما فعلوا فعل العوير ورهطه لدى باب حجرٍ إذ تجرد قائما

وقال ابن قتيبة في خبره: إن القصة المذكورة عن عوير كانت مع أبي حنبل وجارية ابن مر. قال ويقال: بل كانت مع عامر بن جوين الطائي وإن ابنته أشارت عليه بأخذ مال حجر وعياله، فقام ودخل الوادي ثم صاح: ألا إن عامر ابن جوين غدر، فأجابه الصدى مثل قوله، فقال ما أقبح هذا من قول ! ثم صاح: ألا إن عامر بن جوين وفى، فأجابه الصدى بمثل قوله، فقال: ما " أحسن هذا ! ثم دعا ابنته بجذعةٍ من غنم فاحتلبها وشرب واستلقى على قفاه وقال: والله لا أغدر ما أجزأتني جذعة. ثم نهض وكانت ساقاه حمشتين، فقالت ابنته: والله ما رأيت كاليوم ساقي واف. فقال: وكيف بهما إذا كانتا ساقي غادرٍ ! هما والله حينئذٍ أقبح.

امرؤ القيس يستعدي بكراً وتغلب على بني أسد: وقال ابن الكلبي عن أبيه ويعقوب بن السكيت عن خالد الكلابي: إن امرأ القيس ارتحل حتى نزل بكراً وتغلب، فسألهم النصر على بني أسد. فبعث العيون على بني أسد فنذروا بالعيون ولجئوا إلى بني كنانة. وكان الذي أنذرهم بهم علباء بن الحارث. فلما كان الليل قال لهم علباء: يا معشر بني أسد تعلمون ! والله إن عيون امرئ القيس قد أتتكم ورجعت إليه بخبركم، فارحلوا بليل ولا تعلموا بني كنانة، ففعلوا. وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب حتى انتهى إلى بني كنانة وهو يحسبهم بني أسد فوضع السلاح فيهم وقال: يا لثارات الملك ! يا لثارات الهمام ! فخرجت إليه عجوزٌ من بني كنانة فقالت: أبيت اللعن ! لسنا لك بثأر، نحن من كنانة، فدونك ثأرك فاطلبهم فإن القوم قد شاروا بالأمس. فتبع بني أسد ففاتوه ليلتهم تلك -فقال في ذلك:

ألا يالهف هندٍ إثر قومٍ هم كانوا الشفاء فلم يصابوا

وقاهم جدهم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب

وأفلتهن علباءٌ جريضاً ولو أدركنه صفر الوطاب

يعني ببني ابيهم بني كنانة، لأن أسداً وكنانة ابني خزيمة أخوان.

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: سمعت رجلاً سأل يونس عن قوله " صفر الوطاب "، فقال: سألنا رؤبة عنه فقال: لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله فصفرت وطابه من اللبن. وقال غيره: صفر الوطاب أي أنه كان يقتل فيكون جسمه صفراً من دمه كما يكون الوطاب صفراً من اللبن.

" وأدركهم " ظهراً وقد تقطعت خيله وقطع أعناقهم العطش، وبنو أسد جامون على الماء، فنهد إليهم فقاتلهم

حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم، وحجز الليل بينهم، وهربت بنو أسد. فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم وقالوا له: قد أصبت ثأرك. قال: والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحداً. قالوا: بلى، ولكنك رجل مشئوم. وكرهوا قتالهم بني كنانة وانصرفوا عنه. ومضى هارباً لوجهه حتى لحق بحمير.

يلجأ إلى عمرو بن المنذر: وقال ابن السكيت حدثني خالد الكلابي: أن امرأ القيس لما أقبل من الحرب على فرسه الشقراء لجأ إلى ابن عمته عمرو بن المنذر وامه هند بنت عمرو بن حجر بن آكل المرار، وذلك بعد قتل أبيه وأعمامه وتفرق ملك أهل بيته، وكان عمرو يومئذٍ خليفةً لأبيه المنذر ببقة وهي بين الأنبار وهيت فمدحه وذكر صهره ورحمه وأنه قد تعلق بحباله ولجأ إليه. فأجاره، ومكث عنده زماناً. ثم بلغ المنذر مكانه عنده فطلبه، وأنذره عمرو فهرب حتى أتى حمير.

يستنصر أزد شنوءة

وقال ابن الكلبي والهيثم بن عدي وعمر بن شبة وابن قتيبة: فلما امتنعت بكر بن وائل وتغلب من اتباع بني أسد خرج من فوره ذلك إلى اليمن فاستنصر أزدشنوءة، فأبوا أن ينصروه وقالوا: إخواننا وجيراننا.

ومرثد الخير الحميري: فنزل بقيلٍ يدعى مرثد الخير بن ذي جدن الحميري، وكانت بينهما قرابة، فستنصره واستمده على بني أسد، فأمده بخمسمائة رجل من حمير؛ ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس بهم.

وقرمل بن الحميم: وقام بالمملكة بعده رجلٌ من حمير يقال له قرمل بن الحميم وكانت أمه سوداء، فردد امرأ القيس وطول عليه حتى هم بالانصراف وقال:

وإذ نحن ندعو مرثد الخير ربنا وإذ نحن لا ندعى عبيداً لقرمل

فأنفذ له ذلك الجيش؛ وتبعه شذاذٌ من العرب، واستأجر من قبائل العرب رجالاً، فسار بهم إلى بني أسد. ومر بتبالة وبها صنم للعرب تعظمه يقال له ذو الخلصة ؛ فاستقسم عنده بقداحة وهي ثلاثة الآمر والناهي والمتربص، فأجالها فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي، فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصنم وقال: مصصت بظر أمك ! لو أبوك قتل ما عقتني. ثم خرج فظفر ببني أسد ويقال: إنه ما استقسم عند ذي الخلصة بعد ذلك بقدح حتى جاء أمر الله بالإسلام وهدمه جرير بن عبد الله البجلي.

طلبه المنذر فهرب

ونزل بالحارث بن شهاب:

قالوا: وألح المنذر في طلب امرئ القيس ووجه الجيوش في طلبه من إياد وبهراء وتنوخ و لم تكن له طاقة، وأمده أنوشروان بجيش من الأساورة فسرحهم في طلبه. وتفرقت حمير ومن كان معه عنه. فنجا في عصبة من بني آكل

المرار حتى نزل بالحارث بن شهاب من بني يربوع بن حنظلة، ومع امرئ القيس أدراع خمسة: الفضفاضة والضيافة والمحصنة والخربق وأم الذيول كن لبني آكل المرار يتوارثونها ملكاً عن ملك. فقلما لبثوا عند الحارث بن شهاب حتى بعث إليه المنذر مائة من أصحابه يوعده بالحرب إن لم يسلم إليه بني آكل المرار فأسلمهم؛ ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث وبنته هند بنت امرئ القيس والأدرع والسلاح ومال كان بقي معه.

فخرج على وجهه حتى وقع في أرض طيئ.

ثم نزل على سعد بن الضباب الإيادي: وقيل: بل نزل قبلهم على سعد بن الضباب الإيادي سيد قومه فأجازه.

قال ابن الكلبي: وكانت أم سعد بن الضباب تحت حجرٍ أبي امرئ القيس فطلقها وكانت حاملاً وهو لا يعرف، فتزوجها الضباب فولدت سعداً على فراشه، فلحق نسبه به. فقال امرؤ القيس يذكر ذلك:

يفاكهنا سعدٌ وينعم بالنا ... ويغدو علينا بالجفان وبالجزر

ونعرف فيه من أبيه شمائلاً ... ومن خاله ومن يزيد ومن حجر

سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا ... ونائل ذا إذا صحا وإذا سكر

ثم تحول عنه فوقع في أرض طيىء فنزل برجل من بني جديلة يقال له المعلى بن تيم. ففي ذلك يقول:

كأني إذ نزلت على المعلى ... نزلت على البواذخ من شمام

فما ملك العراق على المعلى ... بمقتدرٍ ولا ملك الشآم

أقر حشى امرئ القيس بن حجرٍ ... بنو تيمٍ مصابيح الظلام

قالوا: فلبث عنده واتخذ إبلاً هنالك. فغدا قومٌ من بني جديلة يقال لهم بنو زيد فطردوا الأبل. وكانت لامرئ القيس رواحل مقيدة عند البيوت خوفاً من أن يدهمه أمر ليسبق عليهن. فخرج حينئذٍ فنزل ببني نبهان من طيىء، فخرج نفر منهم فركبوا الرواحل ليطلبوا له الأبل فأخذتهن جديلة، فرجعوا إليه بلا شيء. فقال في ذلك:

وأعجبني مشي الحزقة خالدٍ ... كمشي أتانٍ حلئت بالمناهل

فدع عنك نهباً صيح في حجراته ... ولكن حديثاً ما حديث الرواحل

ففرقت عليه بنو نبهان فرقاً من معزى يحلبها. فأنشأ يقول:

إذا ما لم تجد إبلاً فمعزى ... كأن قرون جلتها العصى

إذا ما قام حالبها أرنت ... كأن القوم صبحهم نعي

فتملأ بيتنا أقطاً وسمناً ... وحسبك من غنى شبعٌ وري

ثم نزل بي عامر بن جوين: فكأن ما عندهم ما شاء الله. ثم خرج فنزل بعامر بن جوين وأتخذ عنده إبلاً، وعامرٌ يومئذٍ أحد الخلعاء الفتاك قد تبرأ قومه من جرائره، فكان عنده ما شاء الله، ثم هم أن يغلبه على أهله وماله، ففطن امرؤ القيس بشعر كان عامر ينطق به وهو قوله:

فكم بالصعيد من هجان مؤبلة ... تسير صحاحاً ذات قيد ومرسله

أردت بها فتكاً فلم أرتمض له ... ونهنهت نفسي بعد ما كدت أفعله

وكان عامر أيضاً يقول يعرض بهند بنت امرئ القيس:

ألا حي هنداً وأطلالها ... وتظعان هندٍ وتحلا لها

هممت بنفسي كل الهمومي ... فأولى لنفسي أولى لها

ساحمل نفسي على آلةٍ ... فإما عليها وإما لها

هكذا روى ابن أبي سعد عن دارم بن عقال. ومن الناس من يروي هذه الأبيات للخنساء في قصيدتها:

ألا ما ليعيني ألا ما لها ... لقد أخضل الدمع سربالها

ثم بحارثة بن مر: قالوا: فلما عرف امرؤ القيس ذلك منه وخافه على أهله وماله، تغفله وأنتقل إلى رجل من بني ثعل يقال له حارثة بن مر فاستجار به. فوقعت الحرب بين عامر وبين الثعلي، فكانت في ذلك أمورٌ كثيرة. قال دارم بن عقال في خبره: فلما وقعت الحرب بين طيىء من أجله، خرج من عندهم فنزل برجل من بني فزارة يقال له عمرو بن جابر بن مازن، فطلب منه الجوار حتى يرى ذات عيبه . فقال له الفزاري: يابن حجر، إني أراك في خلل من قومك وأنا أنفس بمثلك من أهل الشرف، وقد كدت بالأمس تؤكل في دار طيئ، وأهل البادية أهل بر لا أهل حصون تمنعهم، وبينك وبين أهل اليمن ذؤبانٌ من قيس، أفلا أدلك على بلد! فقد جئت قيصر وجئت النعمان فلم أر لضيف نازل ولا لمجتدٍ مثله ولا مثل صاحبه. قال: من هو وأين منزله؟ قال: السموءل بتيماء، وسوف أضرب لك مثله، هو يمنع ضعفك حتى ترى ذات عيبك، وهو في حصن حصين وحسبٍ كبير. فقال له امرؤ القيس: وكيف لي به؟ قال: أوصلك إلى من يوصلك إليه؛ فصحبه إلى رجل من بني فزارة يقال له الربيع بن ضبع الفزاري ممن يأتي السموءل فيحمله ويعطيه. فلما صار إليه قال له الفزاري: إن السموءل يعجبه الشعر. فتعال نتناشد له أشعاراً. فقال امرؤ القيس: قل حتى أقول. فقال الربيع:

قل للمنية أي حينٍ نلتقي ... بفناء بيتك في الحضيض المزلق

وهي طويلة يقول فيها:

ولقد أتيت بني المصاص مفاخراً ... وإلى السموءل زرته بالأبلق

فأتيت أفضل من تحمل حاجةً ... إن جئته في غارمٍ أو مرهق

عرفت له الأقوام كل فضيلةٍ وحوى المكارم سابقاً لم يسبق

قال: فقال امرؤ القيس:

طرقتك هندٌ بعد طول تجنبٍ وهناً ولم تك قبل ذلك تطرق

وهي قصيدة طويلة، وأظنها منحولة لأنها لا تشاكل كلام امرئ القيس، والتوليد فيها بين، وما دونها في ديوانه أحد من الثقات؛ وأحسبها مما صنعه دارم لأنه من ولد السموءل ومما صنعه من روى عنه من ذلك فلم تكتب هنا .

قال فوفد الفزاري بأمرئ القيس إليه. فلما كانوا ببعض الطريق إذا هم ببقرة وحشية مرمية. فلما نظر إليها أصحابه قاموا فذكوها. فبينما هم كذلك إذا هم بقوم قناصين من بني ثغل . فقالوا لهم: من أنتم؟ فانتسبوا لهم، وإذا هم من جيران السموءل فانصرفوا جميعاً وقال امرؤ القيس:

رب رامٍ من بني ثغلٍ مخرج كفيه من قتره

عارضٍ زوراء من نشمٍ مع باناةٍ على وتره

هكذا في رواية ابن دارم. ويروى غير باناةٍ و تحت باناةٍ:

إذ أتته الوحش واردةً فتثنى النزع في يسره

فرماها في فرائصها بإزاء الحوض أو عقره

برهيشٍ من كنانته كتلظي الجمر في شرره

راشه من ريش ناهضةٍ ثم أمهاه عل حجره

فهو لا تنمي رميته ماله لا عد من نفر

طلب إلى السموءل أن يكتب له إلى الحارث ليوصله إلى قيصر: قال: ثم مضى القوم حتى قدموا على السموءل، فأنشده الشعر، وعرف لهم حقهم، فأنزل المرأة في قبة أدم وأنزل القوم في مجلس له براحٍ؛ فكان عنده ما شاء الله. ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر بن الغساني بالشأم ليوصله إلى قيصر؛ فاستنجد له رجلاً، واستودع عنده المرأة والأدراع والمال، وأقام معها يزيد بن معاوية بن الحارث ابن عمه. فمضى حتى انتهى إلى قيصر؛ فقبله وأكرمه وكانت له عنده منزلة.

لما وصل إلى قيصر دس له عنده الطماح حتى سمه بحلة خلعها عليه: فاندس رجل من بني أسد يقال له الطماح، وكان امرؤ القيس قد قتل أخاً له من بني أسد، حتى أتى إلى بلاد الروم فأقام مستخفياً ثم إن قيصر ضم إليه جيشاً كثيفاً وفيهم جماعة من أبناء الملوك. فلما فصل قال لقيصر قوم من أصحابه: إن العرب قوم غدر ولا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوك بمن بعثت معه. وقال ابن الكلبي: بل قال له الطماح: إن امرأ القيس غويٌ عاهرٌ وإنه لما

انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل ابنتك ويواصلها، وهو قائل في ذلك أشعاراً يشهرها بها في العرب فيفضحها ويفضحك. فبعث إليه بحلة وشيٍ مسمومة منسوجة بالذهب وقال له: إني أرسلت إليك بحلتي التي كنت ألبسها تكرمةٌ لك، فإذا وصلت إليك فالبسها باليمن والبركة، واكتب إلي بخبرك من مترلٍ مترلٍ. فلما وصلت إليه لبسها واشتد سروره بها؛ فأسرع فيه السم وسقط جلده؛ فلذلك سمي ذا القروح، وقال في ذلك:

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ... ليلبسني مما يلبس أبؤسا

فلو أنها نفسٌ لموت سويةً ... ولكنها نفسٌ تساقط أنفسا

قال: فلما صار إلى بلدة من بلاد الروم تدعى أنقرة احتضر بها؛ فقال:

رب خطبةٍ مسحنفره ... وطعنةٍ مثعنجره

وجفنةٍ متحيره ... حلت بأرض أنقره

ورأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدفنت في سفح جبل يقال له عسيب؛ فسأل عنها فأخبر بقصتها، فقال:

أجارتنا إن المزار قريب ... وإني مقيمٌ ما اقام عسيب

أجارتنا إنا غريبان ها هنا ... وكل غريبٍ للغريب نسيب

ثم مات فدفن إلى جنب المرأة، فقبره هناك.

عبد الملك بن عمير يحدث عمر بن هبيرة بحديث عنه فيسر به ويجيزه: أخبرني محمد بن القاسم عن مجالد بن سعيد بن عبد الملك بن عمير قال:

قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة، فأرسل إلى عشرة أنا أحدهم من وجوه الكوفة فسمروا عنده، ثم قال: ليحدثني كل رجل منكم أحدوثة وابدأ أنت يا أبا عمر . فقلت أصلح الله الأمير ! أحديث الحق أم حديث الباطل؟ قال: بل حديث حق. قلت: إن امرأ القيس آلى بأليةٍ ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة وثنتين؛ فجعل يخطب النساء، فإذا سألهن عن هذا قلن أربعة عشر. فبينما هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنةً له صغيرة كأنها البدر ليلة تمامه، فأعجبته. فقال لها: يا جارية ! ما ثمانية وأربعة واثنتان؟ فقالت: أما ثمانية فأطباء الكلبة. وأما الرابعة فأخلاف الناقة. وأما اثنتان فثديا المرأة. فخطبها إلى أبيها فزوجه إياها. وشرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال، فجعل لها ذلك، وأن يسوق لها مائة من الإبل وعشر أعبد وعشرة وصائف وثلاثة أفراس ففعل ذلك. ثم أن بعث عبداً له إلى المرأة وأهدى إليها نحياً من سمن ونحياً من عسل وحلة من عصب. فنزل العبد ببعض المياه فنشر الحلة ولبسها فتعلقت بعشرة فانشقت، وفتح النحيين فطعم أهل الماء منهما فنقصا. ثم قدم على حي المرأة وهم خلوفٌ . فسألها عن أبيها وأمها وأخيها ودفع إليها هديتها. فقالت له أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً، وأن أمي ذهبت تشق النفس نفسين، وأن أخي يراعي الشمس وأن

سماءكم انشقت، وأن وعاءيكم نضبا. فقدم الغلام على مولاه فأخبره. فقال: أما قولها إن أبي ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً، فإن أباها ذهب يحالف قوماً على قومه. وأما قولها ذهبت أمي تشق النفس نفسين، فإن أمها ذهبت تقبل امرأة نفساء. وأما قولها إن أخي يراعي الشمس،فإن أخاها في سرح له يرعاه فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به. وأما قولها: إن سماءكم انشقت، فإن البرد الذي بعثت به انشق. وأما قولها إن وعاءيكم نضبا، فإن النحيين الذي بعثت بهما نقصا، فأصدقني. فقال: يا مولاي، إني نزلت بماء من مياه العرب، فسألوني عن نسبي فأخبرتهم إني ابن عمك، ونشرت الحلة فانشقت وفتحت النحيين فأطعمت منهما أهل الماء. فقال: أولى لك !. ثم ساق مائةٍ من الإبل وخرج نحوها ومعه الغلام، فنزلا منزلاً. فخرج الغلام يسقي الإبل فعجز؛ فأعانه امرؤ القيس؛ فرمى به الغلام في البئر، وخرج حتى أتى المرأة بالإبل وأخبرهم أنه زوجها. فقيل لها: قد جاء زوجك. فقالت: والله ما أدري أزوجي هو أم لا ! ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا. فقالت: اسقوه لبناً حارزاً وهو الحامض فسقوه فشرب. فقالت: افرشوا له عن الفرث والدم، ففرشوا له فنام فلما أصبحت أرسلت إليه: إني أريد أن أسألك. فقال: سلي عما شئت. فقالت: مما تختلج شفتاك؟ قال: لتقبيلي إياك. قالت: فمم يختلج كشحاك؟ قال: لالتزامي إياك. قالت: فمما يختلج فخذاك؟ قال: لتوركي إياك. قالت: عليكم العبد فشدوا أيديكم به، ففعلوا. قال: ومر قومٌ فاستخرجوا امرأ القيس من البئر، فرجع إلى حيه، فاستاق مائة من الإبل وأقبل إلى امرأته. فقيل لها قد جاء زوجك. فقالت: والله ما أدري أزوجي هو أم لا، ولكن انحروا له جزوراً فأطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا. فلما أتوه بذلك قال: وأين الكبد والسنام والملحاء ! فأبى أن يأكل. فقالت: اسقوه لبناً حازراً. فأبى أن يشربه وقال: فأين الصريف والرثيئة !. فقالت: افرشوا له عند الفرث والدم. فأبى أن ينام وقال: افرشوا لي فوق التلعة الحمراء، واضربوا عليها خباء. ثم ارسلت إليه: هلم شربطتي عليك في المسائل الثلاث. فأرسل إليها أن سلي عما شئت. فقالت: مما تختلج شفتاك. قال: لشرب المشعشعات. قالت: فمما يختلج كشحاك، قال: للبسي الحبرات. قالت: فمما تختلج فخذاك؟ قال: لركضي المطهمات. فقالت: هذا زوجي لعمري ! فعليكم به، واقتلوا العبد، فقتلوه. ودخل امرؤ القيس بالجارية. فقال ابن هبيرة: حسبكم ! فلا خير في الحديث في سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو؛ ولن تأتينا بأعجب مه فقمنا وانصرفنا. وأمر لي بجائزة.

مفاوضات امرئ القيس وقبائل أسد بعد موت حجر: نسخت من كتاب جدي يحيى بن محمد بن ثوابة بخطه رحمه الله حدثني الحسن بن سعيد عن أبي عبيدة قال: أخبرني سيبويه النحوي أن الخليل بن أحمد أخبره قال: قدم على امرئ القيس بن حجر بعد مقتل أبيه رجالٌ من قبائل بني أسد كهولٌ وشبان، فيهم المهاجر بن خداش ابن عم عبيد بن الأبرص، وقبيصة بن نعيم، وكان في بني أسد مقيماً وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور ورداً وإصداراً يعرف ذلك له من كان محيطاً بأكناف بلده من العرب. فلما علم بمكانهم أمر بإنزالهم وتقدم بإكرامهم والإفضال عليهم، واحتجب عنهم ثلاثاً. فسألوا من حضره من رجال كندة فقال: هو في شغل بإخراج ما في خزائن حجر من السلاح والعدة. فقالوا: اللهم غفراً، إنما قدمنا في أمر نتناسى به ذكر ما سلف ونستدرك به ما فرط، فليبلغ

ذلك عنا. فخرج عليهم في قباء وخف وعمامةٍ سوداء؛ وكانت العرب لا تعتم بالسواد إلا في الترات. فلما نظروا إليه قاموا له، وبدر إليه قبيصة: إنك في المحل والقدر والمعرفة بتصرف الدهر وما تحدثه أيامه وتتنقل به أحواله بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظٍ ولا تذكرة مجرب. ولك من سؤدد منصبك وشرف أعراقك وكرم أصلك في العرب محتمل يحتمل ما حمل عليه من إقالة العثرة، ورجوع عن هفوة. ولا تتجاوز الهمم إلى غاية إلا رجعت إليك فوجدت عندك من فضيلة الرأي وبصيرة الفهم وكرم الصفح في الذي كان من الخطب الجليل الذي عمت رزيته نزاراً واليمن، و لم تخصص كندة بذلك دوننا للشرف البارع. كان لحجرٍ التاج والعمة فوق الجبين الكريم وإخاء الحمد وطيب الشيم. ولو كان يفدى هالك بالأنفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا على مثله ببذل ذلك ولفديناه منه، ولكن مضى به سبيل لا يرجع أولاه على أخراه ولا يلحق أقصاه أدناه. فأحمد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال: إما أن اخترت من بني أسد أشرفها بيتاً، وأعلاها في بناء للكرمات صوتاً فقدناه إليك بنسعه تذهب مع شفرات حسامك قصدته فيقول رجلٌ امتحن بهلك عزيز فلم تستل سخيمته إلا بتمكينه من الانتقام، أو فداءً بما يروح من بني أسد من نعمها فهي ألوف تجاوز الحسبة فكان ذلك فداءً رجعت به القضب إلى أجفانها لم يردده تسليط الإحن على البرءاء؛ وإما أن توادعنا حتى تضع الحوامل فنسدل الأزر ونعقد الخمر فوق الرايات. قال: فبكى ساعة ثم رفع رأسه فقال: لقد علمت العرب أن لا كفء لحجر في دم، وإني لن أعتاض به جملاً أو ناقةً فأكتسب بذلك سبة الأبد وفت العضد. وأما النظرة فقد أوجبتها الأجنة في بطون أمهاتها، ولن أكون لعطبها سبباً، وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك، تحمل القلوب حنقا وفوق الأسنة علقا :

إذا جالت الخيل في مأزقٍ تصافح فيه المنايا النفوسا

أتقيمون أم تنصرفون؟ قالوا: بل ننصرف بأسوأ الاختيار، وأبلى الاجترار لمكروه وأذية، وحرب وبلية. ثم نهضوا عنه، وقبيصة يقول متمثلاً:

لعلك أن تستوخم الموت إن غدت كتائبنا في مأزق الموت تمطر

فقال امرؤ القيس: لا والله لا أستوخمه، فرويداً ينكشف لك دجاها عن فرسان كندة وكتائب حمير. ولقد كان ذكر غير هذا أولى بي إن كنت نازلاً بربعي؛ ولكنك قلت فأجبت. فقال قبيصة: ما نتوقع فوق قدر المعاتبة والإعتاب. قال امرؤ القيس: فهو ذاك.

أصوات معبد المعروفة بألقابها وهي خمسة أصوات معبد الخمسة وألقابها: أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبة عن إسحاق: أن معبد كان يسمي صوته:

هريرة ودعها وإن لام لائم

الدوامة لكثرة ما فيه من الترجيع. ويسمى صوته:

عاود القلب من تذكر جملٍ

المنمنم. ويسمى صوته:

أمن آل ليلى بالملا متربع

معقصات القرون أي يحرك خصل الشعر. ويسمي صوته:

"جعل الله جعفراً لك بعلاً

المتبختر. ويسمي صوته:

ضوء برقٍ بدا لعينيك أم شبت بذي الأثل من سلامة نار

مقطع الأثفار .

نسبة هذه الأصوات وأخبارها

هريرة ودعها وإن لام لائم غداة غدٍ أم أنت للبين واجم

لقد كان في حولٍ ثواءٍ ثويته تقضى لبانات ويسأم سائم

مبتلةٌ هيفاء رودٌ شبابها لها مقلتا ريمٍ وأسود فاحم

ووجهٌ نقي اللون صافٍ يزينه مع الحلي لباتٌ لها ومعاصم

الواجم: الساكت المطرق من الحزن، يقال: وجم يجم وجوما. وقوله: لقد كان في حول ثواء ثويته: قال الكوفيون: أراد لقد كان في ثواء حول ثويته، فجعل ثواء بدلاً من حول. فأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام عن يونس قال: كان أبو عمرو بن العلاء يعيب قول الأعشى:

لقد كان في حول ثواء ثويته

جداً ويقول: ما أعرف له معنى ولا وجهاً يصح. قال أبو خليفة: وأما عبيدة فإنه قال: معناه لقد كان في ثواء حول ثويته. والبانات والمآرب والحوائج والأوطار واحد. والمبتلة: الحسنة الخلق. والهيفاء: اللطيفة الخصر. والرئم: الظبي. والفاحم: الشديد السواد. وقال: لباتٌ لها وإنما لها لبة واحدة ولكن العرب تقول ذلك كثيراً؛ يقال: لها لباتٌ حسانٌ، يراد اللبة وما حولها. والمعاصم: موضع الأسورة، وواحدها معصم.

الشعر للأعشى. والغناء لمعبد، وله فيه لحنان، أحدهما وهو الملقب بالدوامة خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر ثقيل عن الهشامي وابن خرداذبة.

أخبار الأعشى ونسبه

نسبه وكنيته: الأعشى هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. ويكنى أبا بصير.

لقب أبيه قتيل الجوع: وكان يقال لأبيه قيس بن جندل قتيل الجوع، وسمي بذلك لأنه دخل غارا يستظل فيه من الحر، فوقعت صخرة عظيمة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعاً. فقال فيه جهنام واسمه عمرو وهو من قومه من بني قيس بن ثعلبة يهجوه وكانا يتهاجيان:

أبوك قتيل الجوع قيس بن جندلٍ وخالك عبدٌ من خماعة راضعٌ

شاعر جاهلي: وهوأحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم وتقدم على سائرهم، وليس ذلك بمجمع عليه لا فيه ولا في غيره.

أشعر الناس إذا طرب: أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال سألت يونس النحوي: من أشعر الناس؟ قال: لا اوميء إلى رجل بعينه ولكني أقول: امرؤ القيس إذا غضب، والنابغة إذا رهب وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب.

قبيلته أشعر القبائل عند حسان: أخبرني ابن عمار عن ابن مهرويه عن حذيفة بن محمد عن ابن سلام بمثله.

أخبرني عمي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين.

أن حسان سئل: من أشعر الناس؟ فقال: أشاعر بعينه أم قبيلة؟ قالوا: بل قبيلة. قال: الزرق من بني قيس بن ثعلبة، وهذا حديث يروى أيضاً عن غير حسان.

فاخر ابن شفيع بقبيلته بني ثعلبة عبد العزيز بن زرارة: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار عن ابن مهرويه قال حدثنا عبدة بن عصمة عن فراس بن خندف عن علي بن شفيع قال: إني لواقفٌ بسوق حجر إذ أنا برجل من هيئته وحاله عليه مقطعات خزٍ وهو على نجيب مهري عليه رحل لم أر قط أحسن منه وهو يقول: من يفاخرني من ينافرني ببني عامر بن صعصعة فرساناً وشعراء وعدداً وفعالاً ؟! قلت: أنا. قال: بمن؟ قلت: ببني ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. فقال: أما بلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المنافرة؟ ثم ولى هارباً. قلت: من هذا؟ قيل: عبد العزيز بن زرارة بن جزء بن سفيان الكلابي.

هو صناجة العرب: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال: قال أبو عبيدة: من قدم الأعشى يحتج بكثرة طواله الجياد وتصرفه في المديح والهجاء وسائر فنون الشعر، وليس ذلك لغيره. ويقال: هو أول من سأل بشعره، وانتجع به أقاصي البلاد. وكان يغنى في شعره، فكانت العرب تسميه صناجة العرب.

أخبرني المهلبي والجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال: سمعت خلاداً الأرقط يقول سمعت خلفاً الأحمر يقول: لا يعرف من أشعر الناس كما لايعرف من أشجع الناس ولا من كذا ولا من كذا، لأشياء ذكرها خلفٌ ونسيتها

أنا. أبو زيد عمر بن شبة يقول هذا.

كان أبو عمرو بن العلاء يقدمه: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي يوسف قال حدثني عمي إسماعيل بن أبي محمد قال أخبرني أبي قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقدم الأعشى.

سئل مروان بن أبي حفصة عن أشعر الناس فقدمه بشعره:

وقال هشام بن الكلبي أخبرني أبو قبيصة المجاشعي أن مروان ابن أبي حفصة سئل: من أشعر الناس؟ قال: الذي يقول:

كلا أبويكم كان فرع دعامةٍ ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصاً

يعني الأعشى.

قدمه حماد على جميع الشعراء حين سأله المنصور عن ذلك: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي قال قال سلمة بن نجاح أخبرني يحيى بن سليم الكاتب قال: بعثني أبو جعفر أمير المؤمنين بالكوفة إلى حماد الراوية أسأله عن أشعر الشعراء. قال: فأتيت باب حماد فاستأذنت وقلت: يا غلام ! فأجابني إنسانٌ من أقصى بيتٍ في الدار: فقال: من أنت؟ فقلت: يحيى بن سليم رسول أمير المؤمنين. قال: ادخل رحمك الله ! فدخلت أتسمت الصوت حتى وقفت على باب البيت، فإذا حمادٌ عريانٌ على فرجه دستجة شاهسفرم. فقلت: إن أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس. فقال: نعم ! ذلك الأعشى صناجها.

أوصى أبو عمرو بن العلاء الناس بشعره: أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال سمعت أبا عبيدة يقول سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: عليكم بشعر الأعشى، فإني شبهته بالبازي يصيد ما بين العندليب إلى الكركي.

وضعه جني في المرتبة الثالة بعد امرئ القيس وطرفة: أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال سمعت أبا عبيدة يقول: بلغني أن رجلاً من أهل البصرة حج وروى هذا الحديث ابن الكلبي عن شعيب بن عبد الرحمن أبي معاوية النحوي عن رجلٍ من أهل البصرة أنه حج قال فإني لأسير في ليلةٍ إضحيانةٍ إذ نظرت إلىرجلٍ شاب راكبٍ على ظليم قد زمه بخطامه وهو يذهب عليه ويجيء، وهو يرتجز ويقول:

هل يبلغنيهم إلى الصباح هقلٌ كأن رأسه جماح

الجماح: أطراف النبت الذي يسمى الحلي وهو سنبلة، إلا أنه ليس بخشن يشبه أذناب الثعالب . قال: والجماح أيضاً سهيم يلعب به الصبيان يجعلون مكان زجه طيناً قال: فعلمت بأنه ليس بإنسي، فاستوحشت منه. فتردد علي ذاهباً وراجعاً حتى أنست به؛ فقلت: من أشعر الناس يا هذا؟ قال: الذي يقول:

وما ذرفت عيناك إلى لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل

قلت: ومن هو؟ قال: امرؤ القيس. قلت: فمن الثاني؟ قال: الذي يقول:

تطرد القر بحرٍ ساخنٍ وعكيك القيظ إن جاء بقر

قلت: ومن يقوله؟ قال: طرفة. قلت: ومن الثالث؟ قال الذي يقول:

وتبرد برد رداء العرو س بالصيف رقرقت فيه العبيرا

قلت: ومن يقوله؟ قال: الأعشى، ثم ذهب به.

هو أستاذ الشعراء في الجاهلية وجرير أستاذهم في الإسلام: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أبو عدنان قال وقال لي يحيى بن الجون العبدي راوية بشار: نحن حاكة الشعر في الجاهلية والإسلام ونحن أعلم الناس به، أعشى بني قيس بن ثعلبة أستاذ الشعراء في الجاهلية. وجرير بن الخطفي أستاذهم في الإسلام.

حديث الشعبي عنه: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال: قال الشعبي: الأعشى أغزل الناس قي بيت، وأخنث الناس في بيت، وأشجع الناس قي بيت. فأما أغزل بيتٍ فقوله:

غراء فرعاء مصقولٌ عوارضها تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل

وأما أخنث بيت فقوله:

قالت هريرة لما جئت زائرها ويلي عليك وويلي منك يارجلٌ

وأما أشجع بيت فقوله:

قالوا الطراد فقلنا تلك عاداتنا أو تنزلون فإنا معشرٌ نزل

حماد الراوية يسأل عن أشعر العرب فيجيب من شعره: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه عن ابن أبي سعد قال ذكر الهيثم بن عدي أن حماد الراوية سئل عن أشعر العرب، قال الذي يقول:

نازعتهم قضب الريحان متئكاً وقهوة مزةٌ راووقها خضل

كان قدرياً وكان لبيد مثبتاً: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا أبو علي العنزي قال حدثني محمد بن معاوية الأسدي قال حدثني رجلٌ عن أبان بن تغلب عن سماك بن حرب قال قال لي يحيى بن متى راوية الأعشى وكان نصرانياً عبادياً وكان معمراً قال: كان الأعشى قدرياً وكان لبيد مثبتاً. قال لبيد:

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البا ومن شاء أضل

وقال الأعشى.

إستأثر الله بالوفاء وبال عدل وولى الملانة الرجلا

قلت: فمن أين أخذ الأعشى مذهبه؟ قال: من قبل العباديين نصارى الحيرة، كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقنوه ذلك.

هريرة عشيقته: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أبو شراعة في مجلس الرياشي قال حدثنا مشايخ بني قيس بن ثعلبة قالوا: كانت هريرة التي يشبب بها الأعشى أمةً سوداء لحسان بن عمرو بن مرثد.

وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن فراس بن الخندف قال: كانت هريرة وخليدة أختين قينتين كانتا لبشر بن عمرو بن مرثد، وكانتا تغنيانه النصب ، وقدم بهما اليمامة لما هرب من النعمان. قال ابن دريد فأخبرني عمي عن ابن الكلبي بمثل ذلك.

مدح المحلق الكلابي وذكر بناته فتزوجن: وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن الرياشي مما أجازه له عن العتبي عن رجل من قيس عيلان قال: كان الأعشى يوافي سوق عكاظ في كل سنة، وكان المحلق الكلابي مئناثاً مملقاً. فقالت له امرأته: يا أبا كلاب، ما يمنعك من التعرض لهذا الشاعر! فما رأيت أحداً اقتطعه إلى نفسه إلا وأكسبه خيراً. قال: ويحك! ما عندي إلا ناقتي وعليها الحمل !. قالت: الله يخلفها عليك. قال: فهل له بد من الشراب والمسوح ؟ قالت: إن عندي ذخيرةً لي ولعلي أن أجمعها. قال: فتلقاه قبل أن يسبق إليه أحدٌ وابنه يقوده فأخذ الخطام؛ فقال الأعشى: من هذا الذي غلبنا على خطامنا؟ قال: المحلق. قال: شريفٌ كريم، ثم سلمه إليه فأناخه؛ فنحر له ناقته وكشط له عن سنامها وكبدها، ثم سقاه، وأحاطت بناته به يغمزنه ويمسحنه. فقال: ما هذه الجواري حولي؟ قال: بنات أخيك وهن ثمانٍ شريدتهن قليلة. قال: وخرج من عنده و لم يقل فيه شيئاً. فلما وافى سوق عكاظ إذا هو بسرحةٍ قد اجتمع الناس عليها وإذا الأعشى ينشدهم.

لعمري لقد لاحت عيونٌ كثيرةٌ ... إلى ضوء نار باليفاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار الندى والمحلق

رضيعي لبان ثدي أمٍ تحالفا ... بأسحم داجٍ عوض لا نتفرق

فسلم عليه المحلق؛ فقال له: مرحباً يا سيدي بسيد قومه. ونادى: يا معاشر العرب، هل فيكم مذكارٌ يزوج ابنه إلى الشريف الكريم !. قال: فما قام من مقعده وفيهن مخطوبةٌ إلا وقد زوجها. وفي أول القصيدة عناء وهو: صوت

أرقت وما هذا السهاد المؤرق ... وما بي من سقمٍ وما بي معشق

ولكن أراني لا أزال بحادثٍ ... أغادى بما لم يمس عندي وأطرق

غناه ابن محرز خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لحنٌ ليونس من كتابه غير مجنس. وفيه لابن سريج ثقيلٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو.

اسم المحلق الكلابي وسبب كنيته وسبب اتصاله بالأعشى: أخبرني أبو العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل قال: اسم المحلق عبد العزى بن حنتم بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن عبيد وهو أبو بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وإنما سمي محلقاً لأن حصاناً له عضه في وجنته

فحلق فيه حلقة.

قال: وأنشد الأعشى قصيدته هذه كسرى ففسرت له؛ فلما سمعها قال: إن كان هذا سهر لغير سقم ولا عشق فما هو إلا لص.

وذكر علي بن محمد النوفلي في خبر المحلق مع الأعشى غير هذه الحكايات، وزعم أن أباه حدثه عن بعض الكلابيين من أهل البادية قال:

كان لأبي المحلق شرفٌ فمات وقد أتلف ماله، وبقي المحلق وثلاث أخواتٍ له و لم يترك لهم إلا ناقةً واحدة وحلتي بردٍ حبرة كان يشهد فيهما الحقوق . فأقبل الأعشى من بعض أسفاره يريد مترله باليمامة، فنزل الماء الذي به المحلق، فقراه أهل الماء فأحسنوا قراه. فأقبلت عمة المحلق فقالت: يابن أخي ! هذا الأعشى قد نزل بمائنا وقد قراه أهل الماء، والعرب تزعم أنه لم يمدح قوماً إلا رفعهم، و لم يهج قوماً إلا وضعهم؛ فانظر ما أقول لك واحتل في زقٍ من خمر من عند بعض التجار فأرسل إليه بهذه الناقة والزق وبردي أبيك؛ فوالله لئن اعتلج الكبد والسنام والخمر في جوفه ونظر إلى عطفيه في البردين، ليقولن فيك شعراً يرفعك به. قال: ما أملك غير هذه الناقة، وأنا أتوقع رسلها . فأقبل يدخل ويخرج ويهم ولا يفعل؛ فكلما دخل على عمته حضته؛ حتى دخل عليها فقال: قد ارتحل الرجل ومضى. قالت: الآن والله أحسن ما كان القرى ! تتبعه ذلك مع غلام أبيك مولىً له أسود شيخٍ فحيثما لحقه أخبره عنك أنك كنت غائباً عن الماء عند نزوله إياه، وأنك لما وردت الماء فعلمت أنه كان به كرهت أن يفوتك قراه؛ فإن هذا أحسن لموقعه عنده. فلم تزل تحضه حتى أتى بعض التجار فكلمه أن يقرضه ثمن زق خمرٍ وأتاه بمن يضمن ذلك عنه فأعطاه؛ فوجه بالناقة والخمر والبردين مع مولى أبيه فخرج يتبعه؛ فكلما مر بماء قيل: ارتحل أمس عنه، حتى صار إلى مترل الأعشى بمنفوحة اليمامة فوجد عنده عدة من الفتيان قد غداهم بغير لحم وصب لهم فضيخاً فهم يشربون منه، إذ قرع الباب فقال: انظروا من هذا؟ فخرجوا فإذا رسول المحلق يقول كذا وكذا. فدخلوا عليه وقالوا: هذا رسول المحلق الكلابي أتاك بكيت وكيت. فقال: ويحكم ! أعرابيٌ والذي أرسل إلي لا قدر له ! والله لئن اعتلج الكبد والسنام والخمر في جوفي لأقولن فيه شعراً لم أقل قط مثله. فواثبه الفتيان وقالوا: غبت عنا فأطلت الغيبة ثم أتيناك فلم تطعمنا لحماً وسقيتنا الفضيخ واللحم والخمر ببابك، لا نرضى بدا منك. فقال: ائذنوا له؛ فدخل فأدى الرسالة وقد أناخ الجزور بالباب ووضع الزق والبردين بين يديه. قال: أقره السلام وقل له: وصلتك رحمٌ، سيأتيك ثناؤنا. وقام الفتيان إلى الجزور فنحروها وشقوا خاصرتها عن كبدها وجلدها عن سنامها ثم جاءوا بهما، فأقبلوا يشوون، وصبوا الخمر فشربوا، وأكل معهم وشرب ولبس البردين ونظر إلى عطفيه فيهما فأنشأ يقول:

أرقت وما هذا السهاد المؤرق

حتى انتهى إلى قوله:

أيا مسمعٍ سار الذي قد فعلتم ... فأنجد أقوامٌ به ثم أعرقوا

هب تعقد الأحمال في كل منزلٍ وتعقد أطراف الحبال وتطلق

قال: فسار الشعر وشاع في العرب. فما أتت على المحلق سنةٌ حتى زوج أخواته الثلاث كل واحدة على مائة ناقة، فأيسر وشرف.

وذكر الهيثم بن عدي عن حماد الراوية عن معقل عن أبي بكر الهلالي قال: خرج الأعشى إلى اليمن يريد قيس بن معد يكرب، فمر ببني كلاب، فأصابه مطرٌ في ليلة ظلماء، فأوى إلى فتىً من بني بكر بن كلاب، فبصر به المحلق وهو عبد العزى بن حنتم بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن عبيد بن كلاب وهو يومئذ غلامٌ له ذؤابة، فأتى أمه فقال: يا أمه رأيت رجلاً أخلق به أن يكسبنا مجداً. قالت: وما تريد يا بني؟ قال: نضيفه الليلة. فأعطته حلابها فاشترى به عشيراً من جزور وخمراً؛ فأتى الأعشى، فأخذه إليه، فطعم وشرب واصطلى، ثم اصطبح فقال فيه:

أرقت وما هذا السهاد المؤرق

والرواية الأولى أصح.

سألته امرأة أن يشبب ببناتها فشبب بهن فزوجهن: أخبرني أحمد بن عمار قال حدثنا يعقوب بن نعيم قال حدثنا قعنب بن المحرز عن الأصمعي قال حدثني رجلٌ قال: جاءت امرأة إلى الأعشى فقالت: إن لي بناتٍ قد كسدن علي، فشبب بواحدة منهن لعلها أن تنفق. فشبب بواحدة منهن، فما شعر الأعشى إلا بجزور قد بعث به إليه. فقال: ما هذا؟ فقالوا: زوجت فلانة. فشبب بالأخرى فأتاه مثل ذلك، فسأل عنها فقيل: زوجت. فما زال يشبب بواحدة فواحدة منهن حتى زوجن جميعاً.

أسره رجل من كلب كان قد هجاه فاستوهبه منه شريح بن السموءل: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا يحيى بن أبي سعيد الأموي عن محمد بن السائب الكلبي قال: هجا الأعشى رجلاً من كلب فقال:

بنو الشهر الحرام فلست منهم ولست من الكرام بني عبيد

ولا من رهط جبار بن قرطٍ ولا من رهط حارثة بن زيد

- قال: وهؤلاء كلهم من كلب فقال الكلبي: لا أبا لك ! أنا أشرف من هؤلاء. قال: فسبه الناس بعد بهجاء الأعشى إياه، وكان متغيظاً عليه. فأغار على قوم قد بات فيهم الأعشى فأسر منهم نفراً وأسر الأعشى وهو لا يعرفه، ثم جاء حتى نزل بشريح بن السموءل بن عادياء الغساني صاحب تيماء بحصنه الذي يقال له الأبلق. فمر شريحٌ بالأعشى؛ فناداه الأعشى:

شريح لا تتركني بعد ما علقت حبالك اليوم بعد القد أظفاري

قد جلت ما بين بانقيا إلى عدنٍ وطال في العجم ترددي وتسياري

فكان أكرمهم عهداً وأوثقهم مجداً أبوك بعزفٍ غير إنكار

كالغيث ما استمطروه جاد وابله ... وفي الشدائد كالمستأسد الضاري
كن كالسموءل إذ طاف الهمام به ... في جحفلٍ كهزيع الليل جرار
إذ سامه خطتي خسفٍ فقال له ... قل ما تشاء فإني سامعٌ حار
فقال غدرٌ وثكلٌ أنت بينهما ... فاختر وما فيهما حظٌ لمختار
فشك غير طويلٍ ثم قال له ... اقتل أسيرك إني مانعٌ جاري
وسوف يعقبنيه إن ظفرت به ... ربٌ كريمٌ وبيضٌ ذات أطهار
لا سرهن لدينا ذاهبٌ هدراً ... وحافظات إذا استودعن أسراري
فاختار أدراعه كي لا يسب بها ... ولم يكن وعده فيها بختار

قال: وكان امرؤ القيس بن حجر أودع السموءل بن عادياء أدراعاً مائةً، فأتاه الحارث بن ظالم ويقال الحارث بن أبي شمر الغساني ليأخذها منه، فتحصن منه السموءل؛ فأخذ الحارث ابناً له غلاماً وكان في الصيد، فقال: إما أن سلمت الأدراع إلي وإما أن قتلت ابنك. فأبى السموءل أن يسلم إليه الأدراع؛ فضرب الحارث وسط الغلام بالسيف فقطعه قطعتين، فيقال: إن جريراً حين قال للفرزدق:

بسيف أبي رغوان سيف مجاشعٍ ... ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

إنما عني هذه الضربة. فقال السموءل في ذلك:

وفيت بذمة الكندي إني ... إذا ما ذم أقوامٌ وفيت
وأوصى عاديا يوماً بأن لا ... تهدم يا سموءل ما بنيت
بنى لي عاديا حصناً حصيناً ... وماءً كلما شئت استقيت

قال: فجاء شريح إلى الكلبي فقال له: هب لي هذا الأسير المضرور. فقال: هو لك، فأطلقه. وقال: أقم عندي حتى أكرمك وأحبوك. فقال له الأعشى: إن من تمام صنيعتك أن تعطيني ناقةً نجيبة وتخليني الساعة. قال: فأعطاه ناقةً فركبها ومضى من ساعته. وبلغ الكلبي أن الذي وهب لشريح هو الأعشى. فأرسل إلى شريح: ابعث إلى الأسير الذي وهبت لك حتى أحبوه وأعطيه. فقال: قد مضى. فأرسل الكلبي في أثره فلم يلحقه.

مدح عامر بن الطفيل وهجا علقمة بن علاثة: حدثنا ابن علاثة عن محمد العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا يحيى بن سعيد بن يحيى الأموي عن محمد بن السائب قال: أتى الأعشى الأسود العنسي وقد امتدحه فاستبطأ جائزته. فقال الأسود: ليس عندنا عينٌ ولكن نعطيك عرضاً، فأعطاه خمسمائة مثقال دهنا وبخمسمائة حللاً وعنبراً. فلما مر ببلاد بني عامر خافهم على ما معه، فأتى علقمة بن علاثة فقال له: أجرني، فقال: قد أجرتك. قال: من الجن والإنس؟ قال نعم. قال: ومن الموت؟ قال لا. فأتى عامر بن الطفيل فقال:

أجرني، قد أجرتك. قال: من الجن والإنس؟ قال نعم قال: ومن الموت؟ قال نعم. قال: وكيف تجيرني من الموت؟ قال: إن مت وأنت في جواري بعثت إلى أهلك الدية. فقال: الآن علمت أنك قد أجرتني من الموت. فمدح عامراً وهجا علقمة. فقال علقمة: لو علمت الذي أراد كنت أعطيته إياه.

قال الكلبي: و لم يهج علقمة بشيء أشد عليه من قوله:

تبيتون في المشتى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

فرفع علقمة يده وقال: لعنه الله ! إن كان كاذباً ! أنحن نفعل هذا بجاراتنا !. وأخبار الأعشى وعلقمة وعامر تأتي مشروحة في خبر منافرتهما إن شاء الله تعالى.

تزوج امرأة من عنزة ثم طلقها وقال فيها شعراً:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله قال حدثني محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل وغيره من أصحابه: أن الأعشى تزوج امرأة من عنزة ثم من هزان قال: وعنزة هو ابن أسد بن ربيعة بن نزار فلم يرضها و لم يستحسن خلقها، فطلقها وقال فيها:

بيني حصان الفرج غير ذميمةٍ وموموقةً فينا كذاك ووامقه

وذوقي فتى قومٍ فإني ذائقٌ فتاة أناسٍ مثل ما أنت ذائقه

لقد كان في فتيان قومك منكحٌ وشبان هزان الطوال الغرانقه

فبيني فإن البين خيرٌ من العصا وإلا تري لي فوق رأسك بارقه

وما ذاك عندي أن تكوني دنيئةً ولا أن تكوني جئت عندي ببائقه

ويا جارتا بيني فإنك طالقه كذاك أمور الناس غادٍ وطارقه

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الحسين بن إبراهيم بن الحر قال حدثنا المبارك بن سعيد عن سفيان الثوري قال: طلاق الجاهلية طلاقٌ. كانت عند الأعشى امرأة فأتاها قومها فضربوه وقالوا: طلقها فقال:

أيا جارتا بيني فإنك طالقه كذاك أمور الناس غادٍ وطارقه

وذكر باقي الأبيات مثل ما تقدم.

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثنا عثمان البرقي في إسناد له قال: أخذ قومٌ الأعشى فقالوا له: طلق امرأتك؛ فقال:

أيا جارتا بيني فإنك طالقه كذاك أمور الناس غادٍ وطارقه

ثم ذكر نحو الخبر الذي قبله على ما قدمناه.

في هذه الأبيات غناء نسبته: صوت

فبيني فإن البين خيرٌ من العصا وإلا تري لي فوق رأسك بارقه
وما ذاك عندي أن تكوني دنيئةً ولا أن تكوني جئت عندي ببائقه
ويا جارتا بيني فإنك طالقه كذاك أمور الناس غادٍ وطارقه

الشعر للأعشى. والغناء للهذلي خفيف ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.

وفيه لابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشامي. قال الهشامي: وفيه لفليح خفيف ثقيل بالوسطى لا يشك فيه من غنائه. وذكر حبشٌ أن الثقيل الثاني لآبن سريج وذكر عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أن الخفيف الثاني المنسوب إلى فليح لأبيه عبد الله بن طاهر. وهذا الصوت يغنى في هذا الزمان على ما سمعناه:

أيا جارتا دومي فإنك صادقه ومومومقةٌ فينا كذاك ووامقه
ولم نفترق أن كنت فينا دنيئةً ولا أن تكوني جئت عندي ببائقه

وأحسبه غير في دور الطاهرية على هذا.

فخر الأخطل بشعر له في الخمر فرد عليه الشعبي بشعره: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثي سوار بن أبي شراعة قال حدثني أبي عن مسعود بن بشر عن أبي عبيدة قال: دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وقد شرب خمراً وتضمخ بلخالخ وخلوق وعنده الشعبي. فلما رآه قال: يا شعبي، ناك الأخطل أمهات الشعراء جميعاً. فقال له الشعبي: بأي شيء؟ قال حين يقول:

وتظل تنصفنا بها قرويةٌ إبريقها برقاعه ملثوم
فإذا تعاورت الأكف زجاجها نفحت فشم رياحها المزكوم

فقال الأخطل : سمعت بمثل هذا يا شعبي؟ ! قال: إن أمنتك قلت لك. قال: أنت آمن. فقلت له: أشعر والله منك الذي يقول:

وأدكن عاتقٍ حجلٍ ربحلٍ صبحت براحه شرباً كراما
من اللائي حملن على المطايا كريح المسك تستل الزكاما

فقال الأخطل: ويحك ! ومن يقول هذا؟ قلت: الأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة. فقال: قدوس قدوس ! ناك الأعشى أمهات الشعراء جميعاً وحق الصليب !.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة والهيثم بن عدي، وحدثني الصولي قال حدثني الغلابي عن العتبي عن أبيه، وذكر هارون بن الزيات عن حماد عن أبيه عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن سعيد الضبي، قالوا جميعاً: قدم الأخطل الكوفة، فأتاه الشعبي يسمع من شعره. قال: فوجدته يتغدى، فدعاني أتغدى فأتيته، فوضع الشراب فدعاني إليه فأتيته. فقال ما حاجتك؟ قلت: أحب أن أسمع من شعرك، فأنشدني قوله:

صرمت أمامة حبلنا ورعوم

حتى انتهى إلى قوله:

فإذا تعاورت الأكف ختامها نفحت فشم رياحها المزكوم

فقال: يا شعبي، ناك الأخطل أمهات الشعراء بهذا البيت. قلت: الأعشى أشعر منك يا أبا مالك . قال: وكيف؟ قلت: لأنه قال:

من خمر عانة قد أتى لختامها حولٌ تسل غمامة المزكوم

فضرب بالكأس الأرض وقال: هو والمسيح أشعر مني ! ناك والله الأعشى أمهات الشعراء إلا أنا.

مدح سلامة ذا فائش فأجازه: حدثني وكيع قال حدثني محمد بن إسحاق المعولي عن إسحاق الموصلي عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية عن سماك بن حرب قال: قال الاعشى: أتيت سلامة ذا فائش فأطلت المقام ببابه حتى وصلت إليه فأنشدته:

إن محلاً وإن مرتحلاً وإن في السفر من مضى مهلاً

استأثر الله بالوفاء وبال عدل وولى الملامة الرجلا

الشعر قلدته سلامة ذا فائش والشيء حيث ما جعلا

فقال: صدقت، الشيء حيث ما جعل، وأمر لي بمائة من الإبل وكساني حللا وأعطاني كرشاً مدبوغةً مملوءةً عنبراً وقال: إياك أن تخدع عما فيها. فأتيت الحيرة فبعتها بثلثمائة ناقة حمراء.

أراد أن يفد على النبي ليسلم فردته قريش بجائزة فعثر به بعيره فمات: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال قال هشام بن القاسم الغنوي وكان علامة بأمر الأعشى: إنه وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد مدحه بقصيدته التي أولها:

الم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وعادك ما عاد السليم المسهدا

وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خلة مهددا

وفيها يقول لناقته:

فآليت لا أرثي لها من كلالةٍ ولا من حفاً حتى تزور محمدا

نبيٌ يرى ما لا ترون وذكره أغار لعمري في البلاد وأنجدا

متى ما تناخي عند باب ابن هاشمٍ تراحي وتلقي من فواضله يدا

فبلغ خبره قريشاً فرصدوه على طريقه وقالوا: هذا صناجة العرب، ما مدح أحداً قط إلا رفع في قدره: فلما ورد عليهم قالوا له: أين أردت يا أبا بصير؟ قال: أردت صاحبكم هذا لأسلم، قالوا: إنه ينهاك عن خلال ويحرمها

عليك، وكلها بك رافق ولك موافق. قال: وما هن؟ فقال أبو سفيان بن حرب: الزنا: قال: لقد تركني الزنا ومما تركته؛ ثم ماذا؟ قال القمار. قال: لعلي إن لقيته أن أصيب منه عوضاً من القمار؛ ثم ماذا؟ قالوا: الربا. قال: ما دنت ولا ادنت؛ ثم ماذا؟ قالوا: الخمر. قال: أوه ! أرجع إلى صبابةٍ قد بقيت لي في المهراس فأشربها. فقال له أبو سفيان: هل لك في خير مما هممت به؟ قال: وما هو؟ قال: نحن وهو الآن في هدنة ،فتأخذ مائة من الإبل وترجع إلى بلدك سنتك هذه وتنظر ما يصير إليه أمرنا، فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفاً، وإن ظهر علينا أتيته. فقال: ما أكره ذلك. فقال أبو سفيان: يا معشر قريش، هذا الأعشى ! والله لئن أتى محمداً واتبعه ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره، فاجمعوا له مائةً من الإبل، ففعلوا؛ فأخذها وانطلق إلى بلده. فلما كان بقاع منفوحة رمى به بعيره فقتله.

قبره بمنفوحة يتنادم عليه الفتيان: أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا محمد بن إدريس بن سليمان بن أبي حفصة قال. قبر الأعشى بمنفوحة وأنا رأيته؛ فإذا أراد الفتيان أن يشربوا خرجوا إلى قبره فشربوا عنده وصبوا عنده فضلات الأقداح. أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا علي بن سليمان النوفلي قال حدثنا أبي قال: أتيت اليمامة والياً عليها، فمررت بمنفوحة وهي منزل الأعشى التي يقول فيها:

بشط منفوحة فالحاجر

فقلت: أهذه قرية الأعشى؟ قالوا نعم. فقلت: أين منزله؟ قالوا: ذاك واشاروا إليه. قلت: فأين قبره؟ قالوا: بفناء بيته. فعدلت إليه بالجيش فانتهيت إلى قبره فإذا هو رطبٌ. فقلت: ما لي أراه رطباً؟ فقالوا: إن الفتيان ينادمونه فيجعلون قبره مجلس رجل منهم، فإذا صار إليه القدح صبوه عليه لقوله: أرجع إلى اليمامة فأشبع من الأطيبين الزنا والخمر.

صوت معبد المسمى بالدوامة في شعره: وأخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا الأطروش بن إسحاق بن إبراهيم عن أبي: أن ابن عائشة غنى يوماً:

هريرة ودعها وإن لام لائم

فأعجبته نفسه ورآه ينظر في أعطافه. فقيل له: لقد أصبحت اليوم تائهاً ! فقال: وما يمنعني من ذلك وقد أخذت عن أبي عباد معبدٍ أحد عشر صوتاً منها:

هريرة ودعها وإن لام لائم

وأبو عباد مغني أهل المدينة وإمامهم !.

قال: وكان معبد يقول والله لقد صنعت صوتاً لا يقدر أن يغنيه شبعانٌ ممتلئ، ولا يقدر متكئٌ على أن يغنيه حتى يجثو، ولا قائم حتى يقعد. قيل: وما هو يا أبا عباد؟ قال إسحاق فأخبرني بذاك محمد بن سلام الجمحي أنه بلغه أن معبداً قاله. وأخبرني بهذا الخبر إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى قال: قال معبد: والله لأغنين صوتاً لا يغنيه مهموم ولا شبعانٌ ولا حامل حملٍ، ثم غنى:

ولقد قلت والضم ير كثير البلابل
ليت شعري تمنياً والمنى غير طائل
هل رسولٌ مبلغ فيؤدي رسائلي

لحن معبد هذا خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس. وفيه ثقيلٌ أول ينسب إليه أيضاً، ويقال: إنه لأهل مكة.

صوت معبد المسمى بالمنمنم.

ومنها الصوت المسمى بالمنمنم.

صوت

هاج ذا القلب من تذكر جملٍ ما يهيج المتيم المحزونا
إذ تراءت على البلاط فلما واجهتنا كالشمس تعشي العيونا
ليلة السبت إذ نظرت إليها نظرةً زادت الفؤاد جنونا

الشعر لإسماعيل بن يسار. والغناء لمعبدٍ ثقيل أول بالوسطى. وفيه لدحمان ثاني ثقيل بالبنصر، ذكر الهشامي أنه لا يشك فيه من غنائه. وقد مضت أخبار إسماعيل بن يسار في المائة المختارة فاستغنى عن إعادتها ها هنا.

صوت صوت معبد المسمى بمعقصات القرون:

آمن آل ليلى بالملا متربع كما لاح وشمٌ في الذراع مرجع
سأتبع ليلى حيث سارت وخيمت وما الناس إلا ألفٌ ومودع

الشعر لعمرو بن سعيد بن زيد، وقيل: إنه لمجنون وإن مع هذين البيتين أخر وهي:

وقفت لليلى بعد عشرين حجةً بمنزلةٍ فانهلت العين تدمع
فأمرض قلبي حبها وطلابها فيا آل ليلى دعوةً كيف أصنع
سأتبع ليلى حيث حلت وخيمت وما الناس إلا آلفٌ ومودع
كأن زماماً في الفؤاد معلقاً تقود به حيث استمرت وأتبع

والغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ أول بالسبابة في مجرى الوسطى. وقد ذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أن هذا الصوت منحول إلى معبد وأنه مما يشبه غناءه. وذكر ابن الكلبي عن محمد بن يزيد أن معبداً أخذ لحن سائب خاثر في:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل

فغنى فيه:

أمن آل ليلى بالملا متربع

عمرو بن سعيد بن زيد وأخباره

نسبه، وشيء عن أبيه سعيد بن زيد: هو عمرو بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب. وسعيد بن زيد يكنى أبا الأعور، وهو أحد العشرة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حراء فرجف بهم، فقال: أثبت حراء فليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد.

أخبرني ابن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال حدثني الهيثم بن سفيان عن أبي مسكين قال: جلس الوليد بن يزيد يوماً للمغنين وكانوا متوافرين عنده وفيهم معبد وابن عائشة؛ فقال لابن عائشة: يا محمد. قال: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: إني قد قلت شعراً فغني فيه. قال: وما هو؟ فأنشده إياه، وترنم به محمد ثم غناه فأحسن، وهو: صوت

عللاني وأسقياني	من شرابٍ أصبهاني
من شراب الشيخ كسرى	أو شراب القيروان
إن في الكأس لمسكاً	أو بكف من سقاني
أو لقد غودر فيها	حين صبت في الدنان
كللاني توجاني	وبشعري غنياني
أطلقاني بوثاقي	وأشددا ني بعناني
إنما الكأس ربيعٌ	يتعاطى بالبنان
وحميا الكأس دبت	بين رجلي ولساني

الغناء لابن عائشة هزج بالبنصر من رواية حبش قال: فأجاد ابن عائشة واستحسن غناءه من حضر؛ فالتفت إلى معبد فقال: كيف ترى يا أبا عباد؟ فقال له معبد: شنت غناءك بصلفك. فقال ابن عائشة: يا أحول ! والله لولا أنك شيخنا وأنك في مجلس أمير المؤمنين لأعلمتك من الشائن لغنائه أنا بصلفي أم أنت بقبح وجهك. وفطن الوليد بحركتهما فقال: ما هذا؟ فقال: خير يا أمير المؤمنين، لحنٌ كان معبد طارحنيه فأنسيته فسألته عنه لأغني فيه أمير المؤمنين. فقال:وما هو؟ فقال:

آمن آل ليلى بالملا متربع	كما لاح وشمٌ في الذراع مرجع

فقال: هات يا معبد، فغناه إياه؛ فأستحسنه الوليد وقال: أنت والله سيد من غنى. وهذا الخبر أيضاً مما يدل على أن ما ذكره حماد من هذا الصوت منحول لمعبد لا حقيقة له.

أحمد بن أبي العلاء يغني المعتضد بشعر الوليد فيجيزه: أخبرني محمد بن إبراهيم قريض قال حدثني أحمد بن أبي العلاء المغني قال: غنيت المعتضد صوتاً في شعر له ثم أتبعته بشعر الوليد بن يزيد:

كللاني توجاني وبشعري غنياني

فقال: أحسن والله ! هكذا تقول الملوك المترفون، وهكذا يطربون، وبمثل هذا يشيرون، وإليه يرتاحون ! أحسنت يا أحمد الأختيار لما شاكل الحال، وأحسنت الغناء، أعد؛ فأعدته، فأمر لي بعشرة آلآف درهم وشرب رطلاً استعاده فأعدته، وفعل مثل ذلك حتى استعاده ست مرات وشرب ستة أرطال وأمر لي بعشرة الآف درهم وقال مرة أخرى بستمائة دينار ثم سكر. وما رئي قبل ذلك ولا بعده أعطي مغنياً هذه العطية. وفي الخبر زيادة وقد ذكرته في موضعت آخر يصلح له.

وقد ذكر محمد بن الحسن الكاتب عن أحمد بن سهل النوشجاني أنه حضر أحمد بن أبي العلاء وقد غنى المعتضد هذا الصوت في هذا المجلس وأمر له بهذا المال بعينه و لم يشرح القصة كما شرحها أحمد.

ومنها صوت وهو المتبختر: صوت معبد المسمى بالمتبختر:

جعل الله جعفراً لك بعلاً وشفاءً من حادث الأوصاب

إذ تقولين للوليدة قومي فانظري من ترين بالأبواب

الشعر للأحوص. والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر. وذكر حماد عن أبيه في كتاب معبد أنه منحول إلى معبد وأنه لكردم.

صوت وهو المسمى مقطع الأثفار

ضوء نارٍ بدا لعينك أم شب ت بذي الأثل من سلامة نار

تلك بين الرياض والأثل والبا نات منا ومن سلامة دار

وكذاك الزمان يذهب بالنا س وتبقى الرسوم والأثار

الشعر للأحوص. والغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر يونس أن فيه صوتين لمعبد وعمر الوادي رملٌ عن الهشامي. وفيه لعبد الله بن العباس خفيف رمل بالوسطى.

الأحوص وموسى شهوات

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمي قال: مدح موسى شهوات أبا بكر بن عبد العزيز بن مروان بقصيدة أحسن فيها وأجاد وقال فيها:

وكذاك الزمان يذهب بالنا س وتبقى الديار والأثار

فقام الأحوص ودخل منزله وقال قصيدةً مدح فيها أبا بكر بن عبد العزيز أيضاً وأتى فيها بهذا البيت بعينه وخرج فأنشدها. فقال له موسى شهوات: ما رأيت يا أحوص مثلك ! قلت قصيدة مدحت فيها الأمير فسرقت أجود بيتٍ فيها وجعلته في قصيدتك. فقال له الأحوص: ليس الأمر كما ذكرت، ولا البيت لي ولا لك، هو للبيد سرقناه جميعاً منه، إنما ذكر لبيدٌ قومه فقال:

فعفا آخر الزمان عليهم فعلى آخر الزمان الدبار

وكذاك الزمان يذهب بالنا س وتبقى الرسوم والأثار

قال: فسكت موسى شهوات فلم يحر جواباً كأنما ألقمه حجراً.

حديث سلامة مع الأحوص وعبد الرحمن بن حسان وهو كما يرى أبو الفرج موضوع: ونسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدمشقي خبر الأحوص مع سلامة التي ذكرها في هذا الشعر وهو موضوع لا أشك فيه لأن شعره المنسوب إلى الأحوص شعر ساقطٌ سخيفٌ لا يشبه نمط الأحوص، والتوليد بين فيه يشهد على أنه محدث. والقصة أيضاً باطلةٌ لا أصل لها؛ ولكني ذكرته في موضعه على ما فيه من سوء العهدة. قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أبو محمد الجزري قال:

كانت بالمدينة سلامة من أحسن الناس وجهاً وأتمهن عقلاً وأحسنهن حديثاً قد قرأت القرآن وروت الأشعار وقالت الشعر، وكان عبد الرحمن بن حسان والأحوص بن محمد يختلفان إليها فيرويانها الشعر ويناشدانها إياه. فعلقت الأحوص وصدت عن عبد الرحمن. فقال لها عبد الرحمن يعرض لها بما ظنه من ذلك:

أرى الإقبال منك على خليلي ومالي في حديثكم نصيب

فأجابته:

لأن الله علقه فؤادي فحاز الحب دونكم الحبيب

فقال الأحوص:

خليلي لا تلمها في هواها ألذ العيش ما تهوى القلوب

قال: فأضرب عنها ابن حسان وخرج ممتدحاً ليزيد بن معاوية فأكرمه وأعطاه. فلما أراد الانصراف قال له: يا أمير المؤمنين، عندي نصيحة، قال: وما هي؟ جارية خلفتها بالمدينة لامرأة من قريش من أجمل الناس وأكملهم وأعقلهم ولا تصلح أن تكون إلا لأمير المؤمنين وفي سماره: فأرسل إليها يزيد فاشتريت له وحملت إليه؛ فوقعت منه موقعاً عظيماً وفضلها على جميع من عنده. وقدم عبد الرحمن المدينة فمر بالأحوص وهو قاعد على باب داره وهو مهموم، فأراد أن يزيده إلى ما به فقال:

يا مبتلى بالحب مفدوحا لاقى من الحب تباريحا

ألجمه الحب فما ينثني إلا بكأس الشوق مصبوحا

وصار ما يعجبه مغلقاً عنه وما يكره مفتوحا
قد حازها من أصبحت عنده ينال منها الشم والريحا
خليفة الله فسل الهوى وعز قلباً منك مجروحا

فأمسك الأحوص عن جوابه. ثم أن شابين من بني أمية أرادا الوفادة إلى يزيد، فأتاهما الأحوص فسألهما أن يحملا له كتاباً ففعلا. فكتب إليها معهما:

سلام ذكرك ملصقٌ بلساني وعلى هواك تعودني أحزاني
ما لي رأيتك في المنام مطيعةً وإذا انتبهت لججت في العصيان
أبداً محبك ممسك بفؤاده يخشى اللجاجة منك في الهجران
إن كنت عاتبةً فإني معتبٌ بعد الإساءة فاقبلي إحساني
لا تقتلي رجلاً يراك لما به مثل الشراب لغلة الظمآن
ولقد أقول لقاطنين من اهلنا كانا على خلق من الإخوان
يا صاحبي على فؤادي جمرّة وبرى الهوى جسمي كما تريان
أمرقيان إلى سلامة أنتما ما قد لقيت بها وتحتسبان
لا أستطيع الصبر عنها إنها من مهجتي نزلت لكل مكان

قال: ثم غلبه جزعه فخرج إلى يزيد ممتدحاً له. فلما قدم عليه قربه وأكرمه وبلغ لديه كل مبلغ. فدست إليه سلامة خادماً وأعطته مالاً على أن يدخله إليها. فأخبر الخادم يزيد بذلك؛ فقال: امض برسالتها. ففعل ما أمره به وأدخل الأحوص، وجلس يزيد بحيث يراهما فلما بصرت الجارية بالأحوص بكت إليه وبكى إليها، وأمرت فألقي له كرسي فقعد عليه، وجعل كل واحد منهما يشكو إلى صاحبه شدة الشوق. فلم يزالا يتحدثان إلى السحر ويزيد يسمع كلامهما من غير أن تكون بينهما رية. حتى إذا هم بالخروج قال:

أمسى فؤادي في همٍ وبلبال من حب من لم أزل منه على بال

فقالت:

صحا المحبون بعد النأي إذ يئسوا وقد يئست وما أصحو على حال

فقال:

من كان يسلو بيأسٍ عن أخي ثقةٍ فعن سلامة ما أمسيت بالسالي

فقالت:

والله والله لا أنساك يا سكني حتى يفارق مني الروح أوصالي

فقال:

والله ما خاب من أمسى وأنت له يا قرة العين في أهلٍ وفي مال

ثم ودعها وخرج. فأخذه يزيد ودعا بها فقال: أخبراني عما كان جرى بينكما في ليلتكما واصدقاني. فأخبراه وأنشداه ما قالاه، فلم يخرما حرفاً ولا غيرا شيئاً مما سمعه. فقال له يزيد: أتحبها يا أحوص؟ قال: إي والله يا أمير المؤمنين.

حباً شديداً تليداً غير مطرفٍ بين الجوانح مثل النار يضطرم

فقال لها: أتحبينه؟ قالت: نعم يا أمير المؤمنين.

حباً شديداً جرى كالروح في جسدي فهل يفرق بين الروح والجسد

فقال يزيد: إنكما لتصفان حباً شديداً خذها يا أحوص فهي لك، ووصله بصلة سنيةٌ، وانصرف بها وبالجارية إلى الحجاز وهو من أقر الناس عيناً. مضى الحديث.

أصوات معبد المسماة مدن معبد وتسمى أيضاً حصون معبد مدن معبد أو حصونه: أخبرني ابن أبي الأزهر والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه، قال حسين في خبره واللفظ له عن إسماعيل بن جامع عن يونس الكاتب قال: قال معبد وقد سمع رجلاً يقول: إن قتيبة بن مسلم فتح سبعة حصون أو سبع مدن لخراسان فيها سبعة حصون صعبة المرتقى والمسالك و لم يوصل إليها قط. فقال: والله لقد صنعت سبعة ألحان كل لحن منها أشد من فتح تلك الحصون. فسئل عنها فقال:

لعمري لئن شطت بعثمة دارها

هريرةً ودعها وإن لام لائم

رأيت عرابة الأوسي يسمو

كم بذاك الحجون من حي صدقِ

لو تعلمين الغيب أيقنت أنني

يا دار عبلة بالجواء تكلمي

ودع هريرة إن الركب مرتحل

ومن الناس من يروي مدن معبد:

تقطع من ظلامة الوصل أجمع

خمصانةٌ قلقٌ موشحها

يوم تبدي لنا قتيلة

مكان:

كم بذاك الحجون من حي صدق

لو تعلمين الغيب أيقنت أنني

يا دار عبلة بالجواء تكلمي

نسبة هذه الأصوات وأخبارها صوت

لعمري لئن شطت بعثمة دارها لقد كدت من وشك الفراق أليح

أروح بهم ثم أغدو بمثله ويحسب أني في الثياب صحيح

عروضه من الطويل. شطت: بعدت. ووشك الفراق: دنوه وسرعته. وأليح: أشفق وأجزع. والشعر لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة الفقيه. والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر من رواية يونس وإسحاق وعمرو وغيرهم. وفيه رمل يقال: إنه لابن سريج.

ذكر عبيد الله بن عبد الله ونسبه

نسبه، وعداده في بني زهرة: هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فأر بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. وهوفي حلفاء بني زهرة من قريش وعداده فيهم.

كان لجده صحبة وليس بدرياً: وعتبة بن مسعود وعبد الله بن مسعود البدري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوان، ولعتبة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم وليس من البدريين.

استعمل أباه عمر بن الخطاب: وكان ابنه عبد الله أبو عبيد الله بن عبد الله رجلاً صالحاً، واستعمله عمر بن الخطاب فأحمده.

أخواه عون وعبد الرحمن

ولعبيد الله بن عبد الله أخوان عونٌ وعبد الرحمن.

وكان عون من أهل الفقه والأدب، وكان يقول بالإرجاء ثم رجع عنه. وقال وكان شاعراً:

فأول ما أفارق غير شك أفارق ما يقول المرجئونا

وقالوا مؤمنٌ من آل جورٍ وليس المؤمنون بجائرينا

وقالوا مؤمنٌ دمه حلالٌ وقد حرمت دماء المؤمنينا

وخرج مع ابن الأشعث، فلما هزم هرب، وطلبه الحجاج؛ فأتى محمد بن مروان بن الحكم بنصيبين فأمنه وألزمه ابنيه مروان بن محمد وعبد الرحمن بن محمد. فقال له: كيف رأيت ابني أخيك؟ قال: أما عبد الرحمن فطفلٌ، وأما مروان فأبي إن أتيته حجب، وإن قعدت عنه عتب، وإن عاتبته صخب، وإن صاحبته غضب. ثم تركه ولزم عمر بن عبد العزيز فلم يزل معه. ذكر ذلك كله ومعانيه الأصمعي عن أبي نوفل الهذلي عن أبيه: ولعونٍ يقول جرير:

يا أيها القارئ المرخي عمامته هذا زمانك إني قد مضى زمني

أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه إني لدى الباب كالمصفود في قرن

وخبره يأتي في أخبار جرير .

كان فقيهاً، وهوأحد السبعة بالمدينة: وأما عبد الرحمن فلم تكن له نباهة أخويه وفضلهما فسقط ذكره.

وأما عبيد الله فإنه أحد وجوه الفقهاء الذين روي عنهم الفقه والحديث. وهو أحد السبعة من أهل المدينة، وهم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وعروة بن الزبير، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسعيد بن المسيب، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وخارجة بن زيد بن ثابت، وسليمان بن يسار. وكان عبيد الله ضريراً. وقد روى عن جماعة من وجوه الصحابة مثل ابن عباس وعبد الله بن مسعود عمه وأبي هريرة. وروى عنه الزهري وابن أبي الزناد وغيرهما من نظرائهما.

كان يؤثره ابن عباس: وكان عبد الله بن عباس يقضمه ويؤثره.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثنا أبي قال حدثنا يونس بن محمد قال حدثنا حماد بن زيد عن معمر عن الزهري قال: كان عبيد الله بن عبد الله يلطف لابن عباس فكان يعزه عزاً.

حديث الزهري عنه

وكان كثير الاتصال به: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار عن محمد بن الحسن عن مالك بن أنس عن ابن شهاب الزهري قال: كنت أخدم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة حتى إن كنت لأستقي الماء المالح وإن كان ليسأل جاريته فتقول: غلامك الأعمش.

أخبرني وكيع قال حدثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: أدركت أربعة بحور، عبيد الله بن عبد الله أحدهم.

أخبرني وكيع قال حدثنا محمد قال حدثنا حامد بن يحيى عن أبي عيينة عن الزهري قال: سمعت من العلم شيئاً كثيراً، فلما لقيت عبيد الله بن عبد الله كأني كنت في شعب من الشعاب فوقعت في الوادي؛ وقال مرة: صرت كأني لم أسمع من العلم شيئاً.

أثنى عليه عمر بن عبد العزيز: أخبرني وكيع قال حدثني بشر بن موسى قال حدثنا الحميدي عن ابن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال: كان عمر بن العزيز يقول: ليت لي مجلساً من عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بدية. أخبرني وكيع قال حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال حدثني عمي عن يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن حمزة بن عبد الله قال: قال عمر بن عبد العزيز: لو كان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة حياً ما صدرت إلا عن رأيه، ولوددت أن لي بيوم من عبيد الله غرماً. قال ذلك في خلافته.

ما جرى بين عمر بن عبد العزيز وعروة في شأن عائشة وابن الزبير أمامه، ثم شعره لعمر حين أرسل إليه: أخبرنا محمد بن جرير الطبري وعم أبي عبد العزيز بن أحمد ومحمد بن العباس اليزيدي والطوسي ووكيع والحرمي بن أبي العلاء وطاهر بن عبد الله الهاشمي، قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا إبراهيم بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وابن أخيه يحيى بن محمد بن طلحة جميعاً عن عثمان بن عمر بن موسى عن الزهري قال: دخل عروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة على عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة. فقال عروة لشيء حدث به من ذكر عائشة وعبد الله بن الزبير: سمعت عائشة تقول: ما أحببت أحداً حبي عبد الله بن الزبير لا أعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبوي. فقال عمر: إنكم لتنتحلون عائشة لابن الزبير انتحال من لا يرى لكم مسلم معه فيها نصيباً.

فقال عروة: بركة عائشة كانت أوسع من ألا يرى لكم مسلم فيها حق، ولقد كان عبد الله منها بحيث وضعته الرحم والمودة التي لا يشرك كل واحد منهما فيه عند صاحبه أحدٌ. فقال عمرو: كذبت. فقال عروة: هذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يعلم أني غير كاذب، وإن من أكذب الكاذبين من كذب الصادقين. فسكت عبيد الله ولم يدخل بينهما في شيء. فأفف بهما عمرو وقال: أخرجا عني. ثم لم يلبث أن بعث إلى عبيد الله بن عبد الله رسولاً يدعوه لبعض ما كان يدعوه إليه. فكتب إليه عبيد الله:

لعمر ابن ليلى وابن عائشة التي ... لمروان أدته، أبٌ غير زمل

لو أنهم عماً وجداً ووالداً ... تأسوا فسنوا سنة المتعطل

عذرت أبا حفص وإن كان واحداً ... من القوم يهدي هديهم ليس يأتلي

ولكنهم فاتوا وجئت مصلياً ... تقرب إثر السابق المتمهل

وعمت فإن تسبق فضنء مبرزٍ ... جوادٍ وإن تسبق فنفسك فاعذل

فمالك بالسلطان أن تحمل القذى ... جفون عيونٍ بالقذى لم تكحل

وما الحق أن تهوى فتعسف بالذي ... هويت إذا ما كان ليس بأعدل

أبى الله والأحساب أن ترأم الخنى ... نفوسٌ كرامٌ بالخنا لم توكل

قال الزبير في خبره وحده: الضنء والضنء: الولد. قال: وأنشد الخليل بن أسد قال أنشدني دهثم:

ابن عجوزٍ ضنؤها غير أمر لو نحرت في بيتها عشر جزر
لأصبحت من لحمهن تعتذر تغدو على الحي بعود من سمر
حتى يفر أهلها كل مفر

حجبه عمر بن عبد العزيز فقال فيه شعر ثم اعتذر فعذره: أخبرني الحسن بن علي ووكيع قالا حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير، وأخبرناه الحرمي بن أبي العلاء إجازةً قال حدثنا الزبير عن ابن أبي أويس عن بكار بن حارثة عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة: إن عبيد الله بن عبد الله جاء إلى عمر بن عبد العزيز فاستأذن عليه، فرده الحاجب وقال له: عنده عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وهو مختلٍ به، فانصرف غضبان. وكان في صلاحه ربما صنع الأبيات، فقال لعمر:

أبن لي فكن مثلي أو ابتغ صاحباً كمثلك إني تابع صاحباً مثلي
عزيزٌ إخائي لا ينال مودتي من الناس إلا مسلمٌ كامل العقل
وما يلبث الفتيان أن يتفرقوا إذا لم يؤلف روح شكل إلى شكل

قال: فأخبر عمر بأبياته؛ فبعث إليه أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة وعراك بن مالك يعذرانه عنده ويقولان:إن عمر يقسم بالله ما علم بأبياتك ولا برد الحاجب إياك، فعذره. قال الزبير وقد أنشدني محمد بن الحسن قال أنشدني مخزر بن جعفر لعبيد الله بن عبد الله هذه الأبيات وزاد فيها وهو أولها:

وإني امرؤ من يصفني الود يلفني وإن نزحت دارٌ به دائم الوصل
عزيز إخائي لا ينال مودتي من الناس إلا مسلمٌ كامل العقل
ولولا اتقائي الله قلت قصيدةً تسير بها الركبان أبردها يغلي
بها تنقض الأحلاس في كل منزل وينفي الكرى عنه بها صاحب الرحل
كفاني يسيرٌ إذ أراك بحاجتي كليل اللسان ما تمر وما تحلي
تلاوذ بالأبواب مني مخافة ال ملامة والإخلاف شرٌ من البخل

وذكر الأبيات الأول بعد هذه.

شعره في عراك وابن حزم حين علم أنهما مرا عليه و لم يسلما: أخبرني وكيع قال حدثني علي بن حرب الموصلي قال حدثنا إسماعيل بن ريان الطائي قال سمعت ابن إدريس يقول: كان عراك بن مالك وأبو بكر بن حزم وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة يتجالسون بالمدينة زماناً. ثم أن ابن حزم ولي إمرتها وولي عراكٌ القضاء، وكانا يمران بعبيد الله فلا يسلمان عليه ولا يقفان، وكان ضريراً فأخبر بذلك، فأنشأ يقول:

ألا أبلغا عني عراك بن مالك ولا تدعا أن تثنيا بأبي بكر
فقد جعلت تبدو شواكل منكما كأنكما بي موقران من الصخر
وطاوعتما بي داعكاً ذا معاكةٍ لعمري لقد أزرى وما مثله يزري
ولولا اتقائي ثم بقياي فيكما للمتكما لوماً أحر من الجمر

صوت

فمسا تراب الأرض منها خلقتما ومنها المعاد والمصير إلى الحشر
ولا تأنفا أن تسألا وتسلما فما خشي الإنسان شراً من الكبر
فلو شئت أن ألفي عدواً وطاعنا لألفيته أو قال عندي في السر
فإن أنا لم آمر ولم أنه عنكما ضحكت له حتى يلج ويستشري

عروضه من الطويل. غني في:

فمسا تراب الأرض منها خلقتما

والذي بعده لحن من الثقيل الأول بالبنصر من رواية عمرو بن بانة وابن المكي ويونس وغيرهم. وزعم ابن شهاب الزهري أن عبيد الله قال هذه الأبيات في عمر بن عبد العزيز وعمرو بن عثمان، يعني أن الأبيات الأول ليست منها في شيء، وإنما أدخلت فيها لاتفاق الروي والقافية.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثنا إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن ابن شهاب قال: جئت عبيد الله بن عبد الله يوماً في مترله فوجدته ينفخ وهو مغتاظ؛ فقلت له: ما لك؟ قال: جئت أميركم آنفاً يعني عمر بن عبد العزيز فسلمت عليه وعلى عبد الله بن عمرو بن عثمان، فلم يردا علي، فقلت:

فمسا تراب الأرض منها خلقتما

وذكر الأبيات الأربعة. قال فقلت له: رحمك الله ! أتقول الشعر في فضلك ونسكك ! قال: إن المصدور إذا نفث برأ.

قال أبو زيد حدثنا إبراهيم بن المنذر، وأنشدني هذه الأبيات عبد العزيز بن أبي ثابت عن ابن أبي الزناد له وذكر مثل ذلك وأنها في عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو، وزاد فيها:

وكيف يريدان ابن تسعين حجةً على ما أتى وهو ابن عشرين أوعشر

شيء من شعره: ولعبيد الله بن عبد الله شعرٌ فحلٌ جيد ليس بالكثير. ومنه قوله:

إذا كان لي سرٌ فحدثته العدا وضاق به صدري فللناس أعذر

وسرك ما استودعته وكتمته ... وليس بسر حين يفشو ويظهر

وقوله لابن شهاب الزهري:

إذا قلت أما بعد لم يثن منطقي ... فحاذر إذا ما قلت كيف أقول

إذا شئت أن تلقى خليلاً مصافياً ... لقيت وإخوان الثقات قليل

استحسن جامع بن مرخية شعره فأجازه: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال: أنشد عبيد الله بن عبد الله جامع بن مرخية الكلابي لنفسه:

لعمر أبي المحصين أيام نلتقي ... لما لا نلاقيها من الدهر أكثر

يعدون يوماً واحداً إن أتيتها ... وينسون ما كانت على الدهر تهجر

وإن أولع الواشون عمداً بوصلنا ... فنحن بتجديد المودة أبصر

قال: فأعجبت أبياته هذه جامعاً، فسر ذلك عبيد الله فكساه وحمله.

جامع بن مرخية هذا من شعراء الحجاز، وهو الذي يقول:

سألت سعيد بن المسيب مفتى ال ... مدينة هل في حب ظمياء من وزر

فقال سعيد بن المسيب إنما ... تلام على ما تستطيع من الأمر

فبلغ قوله سعيداً، فقال: كذب والله ! ما سألني ولا أفتيته بما قال. أخبرني بذلك الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير.

مختارات من شعره: ومن جيد شعر عبيد الله وسهله:

أعاذل عاجل ما أشتهي ... أحب من الآجل الرائث

سأنفق مالي على لذتي ... وأوثر نفسي على الوارث

أبادر إهلاك مستهلك ... لمالي أو عبث العابث

وقوله يفتخر في أبيات:

إذا هي حلت وسط عوذ ابن غالب ... فذلك ودٌ نازحٌ لا أطالعه

شددت حيازيمي على قلب حازمٍ ... كتومٍ لما ضمت عليه أضالعه

أداجي رجالاً لست مطلع بعضهم ... على سر بعضٍ إن صدري واسعه

بنى لي عبد الله في ذروة العلا ... وعتبة مجداً لا تنال مصانعه

وقوله وفيه غناء: صوت

إن يك ذا الدهر قد أضر بنا ... من غير ذحلٍ فربما نفعا

أبكي على ذلك الزمان ولا أحسب شيئاً قد فات مرتجعا

إذ نحن في ظل نعمةٍ سلفت كانت لها كل نعمةٍ تبعا

عروضه من المنسرح. غنت فيها عريب خفيف رملٍ عن الهشامي.

قدمت المدينة مكية فتنت الناس فشبب بها: حدثنا محمد بن جرير الطبري والحرمي بن أبي العلاء ووكيع قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إسماعيل بن يعقوب عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال: قدمت المدينة امرأةٌ من ناحية مكة من هذيل، وكانت جميلة فخطبها الناس وكادت تذهب بعقول أكثرهم فقال فيها عبيد الله بن عبد الله بن عتبة:

أحبك حباً لو عملت ببعضه لجدت ولم يصعب عليك شديد

وحبك يا أم الصبي مدلهي شهيدي أبو بكر وأي شهيد

ويعلم وجدي القاسم بن محمد وعروة ما ألقى بكم وسعيد

ويعلم ما أخفي سليمان علمه وخارجةٌ يبدي لنا ويعيد

متى تسألي عما أقول فتخبري فللحب عندي طارفٌ وتليد

فبلغت أبياته سعيد بن المسيب، فقال: والله لقد أمن أن تسألنا وعلم أنها لو استشهدت بنا لم نشهد له بالباطل عندها.

وقال الزبير: أبو بكر الذي ذكر والنفر المسمون معه: أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وعروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، وخارجة بن زيد بن ثابت، وهم الفقهاء الذين أخذ عنهم أهل المدينة.

عتب على زوجة عثمة في بعض الأمر فطلقها وشعره فيها: أخبرني وكيع قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات عن أحمد بن سعيد الفهري عن إبراهيم بن المنذر بن عبد الملك بن الماجشون: أن أبيات عبيد الله بن عبد الله بن عتبة التي أولها:

لعمري لئن شطت بعثمة دارها لقد كدت من وشك الفراق أليح

قالها في زوجة له كانت تسمى عثمة، فعتب عليها في بعض الأمر فطلقها. وله فيها أشعار كثيرة، منها هذه الأبيات، ومنها قوله يذكر ندمه على طلاقها:

كتمت الهوى حتى أضر بك الكتم ولامك أقوامٌ ولومهم ظلم

وأخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير قال قال لي عمي: لقيني علي بن صالح فأنشدني بيتاً وسألني من قائله؟ وهل فيه زيادة؟ فقلت: لا أدري، وقد قدم ابن أخي أعنيك وقلما فاتني شيء إلا وجدته عنده. قال الزبير: فأنشدني عمي البيت وهو:

غرابٌ وظبيٌ أعضب القرن ناديا بصرمٍ وصردان العشي تصيح

فقلت له: قائله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وتمامها:

لعمري لئن شطت بعثمة دارها لقد كنت من وشك الفراق أليح

أروح بهم ثم أغدو بمثله ويحسب أني في الثياب صحيح

فكتبهما عمي عني وانصرف بهما إليه.

صوت

ألا من لنفسٍ لا تموت فينقضي عناها ولا تحيا حياةً لها طعم

أأترك إتيان الحبيب تأثماً ألا إن هجران الحبيب هو الإثم

فذق هجرها قد كنت تزعم أنه رشادٌ ألا يا ربما كذب الزعم

عروضه من الطويل. غنى يونس في هذه الأبيات الثلاثة لحناً ماخورياً وهو خفيف الثقيل الثاني من رواية إسحاق ويونس وابن المكي وغيرهم. وغنت عريب في:

أأترك إتيان الحبيب تأثما

لحناً من الثقيل الأول، وأضافت إليه بعده على الولاء بيتين ليسا من هذا الشعر وهما:

وأقبل أقوال الوشاة تجرماً ألا إن أقوال الوشاة هي الجرم

وأشتاق لي إلفاً على قرب داره لأن ملاقاة الحبيب هي الغنم

ومما قاله عبيد الله أيضاً في زوجته هذه وغني فيه: صوت

عفت أطلال عثمة بالغميم فأضحت وهي موحشة الرسوم

وقد كنا نحل بها وفيها هضيم الكشح جائلة البريم

عروضه من الوافر. عفت. درست. والأطلال: ما شخص من آثار الديار. والرسوم: ما لم يكن له شخص منها ولا ارتفاع وإنما هو أثر. والهضيم الكشح الخميص الحشى والبطن. والبريم: الخلخال، وقيل: بل هو اسم لكل ما يلبس من الحلي في اليدين والرجلين. والجائل: ما يجول في موضعه لا يستقر. غنى في هذين البيتين قفا النجار. ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر.

ومما قاله في زوجته عثمة وفيها غناء: صوت

تغلغل حب عثمة في فؤادي فباديه مع الخافي يسير

تغلغل حيث لم يبلغ شرابٌ ولا حزنٌ ولم يبلغ سرور

صدعت القلب ثم ذررت فيه هواك فليم والتأم الفطور

أكاد إذا ذكرت العهد منها أطير لو ان إنساناً يطير
غني النفس أن أزداد حباً ولكني إلى صلةٍ فقير
وأنفذ جارحاك سواد قلبي فأنت علي ما عشنا أمير

لمعبد في الأول والثاني من الأبيات هزجٌ بالبنصر عن حبش، وذكر أحمد بن عبيد الله أنه منحولٌ من المكي. وفي الثالث ثم الثاني لأبي عيسى بن الرشيد رملٌ.

قال ابن أبي الزناد في الخبر الذي تقدم ذكره عن عبيد الله وما قاله من الشعر في عثمة وغيرها: فقيل له: أتقول في مثل هذا ؟! قال: في اللدود راحة المفئود .

بلغه أن رجالاً يقع ببعض الصحابة فجفاه: أخبرني وكيع قال حدثنا أحمد بن عبد الرحمن قال حدثنا بن وهب عن يعقوب يعني ابن عبد الرحمن عن أبيه قال:

كان رجل يأتي عبيد الله بن عبد الله ويجلس إليه. فبلغ عبيد الله أنه يقع ببعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجاءه الرجل فلم يلتفت إليه عبيد الله. وكان الرجل شديد العقل، فقال له: يا أبا محمد، إن لك لشأناً، فإن رأيت لي عذراً فاقبل عذري. فقال له: أتتهم الله في علمه؟ قال: أعوذ بالله. قال: أتتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه؟ قال: أعوذ بالله. قال: يقول الله عز وجل: " لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة " وأنت تقع في فلان وهو ممن بايع، فهل بلغك أن الله سخط عليك بعد أن رضي عنه ؟! قال: والله لا أعود أبداً. قال: والرجل عمر بن عبد العزيز .

صوته: أخبرني وكيع عن أحمد بن زهير عن يحيى بن معين قال: مات عبيد الله بن عبد الله سنة اثنتين ومائة، ويقال سنة تسع وتسعين وأخبرني محمد بن جرير الطبري والحسن بن علي عن الحارث عن ابن سعد عن معن عن محمد بن هلال: إن عبيد الله توفي بالمدينة سنة ثمانٍ وتسعين.

صوت من أصوات معبد المعروفة بالمدن: ومنها : صوت

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل
غراء فرعاء مصقولٌ عوارضها تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل
تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت كما استعان بريح عشرقٌ زجل
علقتها عرضاً وعلقت رجلاً غيري وعلق أخرى غيرها الرجل
قالت هريرة لما جئت زائرها ويلي عليك وويلي منك يا رجل
لم تمش ميلاً ولم تركب على جملٍ ولم تر الشمس إلا دونها الكلل
أقول للركب في درنى وقد ثملوا شيموا وكيف يشيم الشارب الثمل

كناطح صخرةً يوماً ليفلقها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

أبلغ يزيد بني شيبان مألكةً أبا ثبيتٍ أما تنفك تأتكل

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فإنا معشرٌ نزل

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاوٍ نشولٌ مشلٌ شلشلٌ شول

في فتيةٍ كسيوف الهند قد علموا أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الحيل

نازعتهم قضب الريحان متكئاً وقهوة مزةً راووقها خضل

غنى معبد في الأول والثاني في لحنه المذكور في مدن معبد لحناً من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكرت دنانير أن فيهما لابن سريج أيضاً صنعةً. ولمعبد أيضاً في الرابع والخامس والثالث ثقيلٌ أول، ذكره حبشٌ، وقيل له: بل هو لحن ابن سريج، وذلك الصحيح. ولابن محرز في الثقيل في " إن تركبوا " وفي " كناطح صخرةً " ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق. ولحنينٍ الحيري في " أبلغ يزيد بني شيبان " و " إن تركبوا " ثاني ثقيلٍ آخر. وذكر أحمد بن المكي أن لابن محرز في " ودع هريرة " و " تسمع للحلي " ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر. وفي " وقد غدوت " وما بعده رملٌ لابن سريج و مخارق عن الهشامي. ولابن سريج في " تسمع للحلى " وقبله " ودع هريرة " رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وللغريض في " قالت هريرة " و " علقتها عرضاً " رمل. وفي هذه الأبيات بعينها هزجٌ ينسب إليه أيضاً وإلى غيره. وفي " تسمع للحلى " و " قالت هريرة " هزج لمحمد بن حسن بن مصعب. وفي " لم تمش ميلاً " و " أقول للركب " لابن سريج خفيف الثقيل الأول بالبنصر عن حبش وفي " قالت هريرة " و " تسمع للحلى " لحن لابن سريج. وإن لحنين في البيتين الآخرين لحناً آخر. وقد مضت أخبار هريرة مع الأعشى في:

هريرة ودعها وإن لام لائم

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال قلت لأعرابية: ما الغراء؟ قالت: التي بين حاجبيها بلجٌ وفي جبهتها اتساعٌ تتباعد قصتها عن حاجبيها فيكون بينهما نفنف . وقال أبو عبيدة: الفرعاء: الكثيرة الشعر. والعوارض: الأسنان. والهويني: تصغير الهوني، والهوني: مؤنث الأهون. والوجي: الظالع وهو الذي قد حفي فليس يكاد يستقل على رجله. والوحل: الذي وقع في الوحل. والعشرق: نبت يبس فتحركه الريح؛ شبه صوت حليها بصوته. الزجل: المصوت من العشرق. وعلقتها: أحببتها. وعرضاً: على غير موعد. والوعل: التيس الجبلي، والجمع أوعال. مألكة: رسالة والجمع مآلك. ما تنفك: ما تزال. وتأتكل: تتحرق. وقال أبو عبيدة: الشاوي: الذي يشوي اللحم: والنشول: الذي ينشل اللحم من القدر. ومشلٌ: سواقٌ سريع يسوق به. وشلشلٌ: خفيف. وشولٌ: طيب الريح.

ما وقع بين بني كعب وبني همام

وقصيدة الأعشى في ذلك:

الشعر للأعشى وقد تقدم نسبه وأخباره. يقول هذه القصيدة ليزيد بن مسهر أبي ثابت الشيباني. قال أبو عبيدة: وكان من حديث هذه القصيدة أن رجلاً من بني كعب بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، يقال له ضبيع، قتل رجلاً من بني همام يقال له زاهر بن سيار بن أسعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، وكان ضبيع مطروقاً ضعيف العقل. فنهاهم يزيد بن مسهر أن يقتلوا ضبيعة بزاهر وقال: اقتلوا به سيداً من بني سعد بن مالك بن ضبيعة، فحض بني سيار بن أسعد على ذلك وأمرهم به. وبلغ بني قيس مما قاله، فقال الأعشى هذه الكلمة يأمره أن يدع بني سيار وبني كعب ولا يعين بني سيار ؛ فإنه إن أعانهم أعانت قبائل بني قيس بني كعب، وحذرهم أن تلقى شيبان منهم مثل ما لقوا يوم العين عين محلم بهجر.

يوم عين محلم: قال أبو عبيدة: وكان من حديث ذلك اليوم، كما زعم عمر بن هلال أحد بني سعد بن قيس بن ثعلبة، أن يزيد بن مسهر كان خالع أصرم بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة، وكان عوف أبو بني الأصرم يقال له الأعجف والضيعة له وهي قرية باليمامة. فلما خلع يزيد أصرم من ماله خالعه على أن يرهنه ابنيه أفلت وشهابا ابني أصرم، وأمهما فطيمة بنت شرحبيل بن عوسجة بن ثعلبة بن سعد بن قيس، وأن يزيد قمر أصرم فطلب أن يدفع إليه ابنيه رهينةً، فأبت أمهما وأبى يزيد إلا أخذهما. فنادت قومها، فحضر الناس للحرب، فاشتملت فطيمة على ابنيها بثوبها، وفك قومها عنها وعنهما. فذلك قول الأعشى:

نحن الفوارس يوم العين ضاحيةً جنبي فطيمة لا ميلٌ ولا عزل

قال: فانهزمت بنو شيبان، فحذر الأعشى أن يلقى مسهرٌ مثل تلك الحال.

قال أبو عبيدة: وذكر عامر ومسمعٌ عن قتادة الفقيه أن رجلين من بني مروان تنازعا في هذا الحديث، فجردا رسولاً في ذلك إلى العراق حتى قدم إلى الكوفة فسأل فأخبر أن فطيمة من بني سعد بن قيس كانت عند رجل من بني شيبان، وكانت له زوجة أخرى من بني شيبان، فتعايرتا فعمدت الشيبانية، فحلت ذوائب فطيمة، فاهتاج الحيان فاقتتلوا، فهزمت بنو شيبان يومئذٍ.

مسحل رئي الأعشى: أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أحمد بن محمد القصير قال حدثنا محمد بن صالح قال حدثني أبو اليقظان قال حدثني جويرية عن يشكر بن وائل اليشكري، وكان من علماء بكر بن وائل وولد أيام مسيلمة فجيء به إليه فمسح له على رأسه فعمي، قال جويرية فحدثني يشكر هذا قال حدثني جرير بن عبد الله البجلي قال: سافرت في الجاهلية فأقبلت على بعيري ليلةً أريد أن أسقيه، فجعلت أريده على أن يتقدم فوالله ما يتقدم، فتقدمت فدنوت من الماء وعقلته، ثم أتيت الماء فإذا قوم مشوهون عند الماء فقعدت. فبينا أنا عندهم إذ أتاهم رجل أشد تشويهاً منهم فقالوا: هذا شاعرهم. فقالوا له: يا فلان أنشد هذا فإنه ضيف؛ فأنشد:

ودع هريرة إن الركب مرتحل

فلا والله ما خرم منها بيتاً واحداً حتى انتهى إلى هذا البيت.

تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت كما استعان بريحٍ عشرقٌ زجل

فأعجب به. فقلت: من يقول هذه القصيدة؟ قال: أنا. قلت: لولا ما تقول لأخبرتك أن أعشى بني ثعلبة أنشدنيها عام أول بنجران. قال: فإنك صادق، أنا الذي ألقيتها على لسانه وأنا مسحلٌ صاحبه، ما ضاع شعر شاعرٍ وضعه عند ميمون بن قيس:

رأيت عرابة الأوسي يسمو إلى الخيرات منقطع القرين

إذا ما رايةٌ رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

عروضه من الوافر. الشعر للشماخ. والغناء لمعبد خفيف الثقيل الأول بالوسطى. وذكر إسحاق أنه من الأصوات القليلة الأشباه. وذكر ابن المكي أن له فيه لحناً آخر من خفيف الثقيل. وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة عن محمد بن يحيى أبي غسان قال غنى أبو نؤي:

رأيت عرابة الأوسي يسمو إلى الخيرات منقطع القرين

فنسبه الناس إلى معبد. ولعله يعني اللحن الآخر الذي ذكره ابن المكي. وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أخبرني حماد عن ابن أبي جناح قال: الناس ينسبون هذا الصوت إلى معبد.

ذكر الشماخ ونسبه وخبره

نسبه من قبل أبويه: هو، فيما ذكر لنا أبو خليفة بن محمد بن سلام، الشماخ بن ضرار بن سنان بن أمية بن عمرو بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان. وذكر الكوفيون أنه الشماخ بن ضرار بن حرملة بن صيفي بن إياس بن عبد بن عثمان بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان. وأم الشماخ أنمارية من بنات الخرشب ويقال: إنهن أنجب نساء العرب، واسمها معاذة بنت بجير بن خالد بن إياس.

مخضرم، وهو أحد من هجا عشيرته: والشماخ مخضرم ممن أدرك الجاهلية والإسلام، وقد قال للنبي صلى الله عليه وسلم.

تعلم رسول الله أنا كأننا أفأنا بأنمارٍ ثعالب ذي غسل

يعني أنمار بن بغيض وهم قومه. وهو أحد من هجا عشيرته وهجا أضيافه ومنّ عليهم بالقرى. والشماخ: لقب واسمه معقل، وقيل الهيثم ، والصحيح معقل. قال جبل بن جوال له في قصة كانت بينهما:

لعمري لعل الخير لو تعلمانه يمن علينا معقلٌ ويزيد

منيحة عنزٍ أو عطاء فطيمةٍ ألا أن نيل الثعلبي زهيد

له أخوان جزء ومزرد: وللشماخ أخوان من أمه وأبيه شاعران، أحدهما مزرد وهو مشهور، واسمه يزيد وإنما سمي مزرداً لقوله:

فقلت تزردها عبيد فإنني لدرد الشيوخ في السنين مزرد

والآخر جزء بن ضرار، وهو الذي يقول يرثي عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

علك سلامٌ من أميرٍ وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق

فمن يسع أو يركب جناحي نعامةٍ ليدرك ما حاولت بالأمس يسبق

ناحت الجن على عمر بشعر فنحل لجزء أخيه: وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيزالجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا شهاب بن عباد قال حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا مسعر عن عبد الملك بن عمير عن الصقر بن عبد الله بن عروة عن عائشة قالت: ناحت الجن على عمر قبل أن يقتل بثلاث فقالت:

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت له الأرض تهتز العضاه بأسؤق

جزى الله خيراً من إمامٍ وباركت يد الله في ذلك الأديم الممزق

فمن يسع أو يركب جناحي نعامةٍ ليدرك ما حاولت بالأمس يسبق

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها بوائق في أكمامها لم تفتق

وما كنت أخشى أن تكون وفاته بكفي سبنتى أزرق العين مطرق

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا سليمان بن داود الهاشمي قال أخبرنا إبراهيم بن سعد الزهري عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة عن أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق: أن عائشة حدثتها أن عمر أذن لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يحججن في آخر حجة حجها عمر. قال: فلما ارتحل عمر من المحصب أقبل رجل متلثم فقال وأنا أسمع: هذا كان منزله، فأناخ في منزل عمر ثم رفع عقيرته يتغنى:

عليك سلامٌ من أميرٍ وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق

فمن يجر أو يركب جناحي نعامة ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها بوائق من أكمامها لم تفتق

قالت عائشة: فقلت لبعض أهلي: اعلموا لي علم هذا الرجل، فذهبوا فلم يجدوا في مناخه أحداً. قالت عائشة فوالله إني لأحسبه من الجن. فلما قتل عمر نحل الناس هذه الأبيات للشماخ بن ضرار أو جماع بن ضرار. هكذا في الخبر، وهو جزء بن ضرا ر.

وضعه ابن سلام في الطبقة الثالثة: وجعل محمد بن سلام في الطبقة الثالثة الشماخ وقرنه بالنابغة ولبيد وأبي ذؤيب الهذلي، ووصفه فقال: كان شديد متون الشعر أشد كلاماً من لبيد، وفيه كزازةٌ ، ولبيد أسهل منه منطقاً. أخبرنا بذلك أبو خليفة عنه.

قال الحطيئة إنه أشعر غطفان: وقد قال الحطيئة في وصيته: أبلغوا الشماخ أنه أشعر غطفان، قد كتب ذلك في شعر الحطيئة .

هو أوصف الناس للحمير: وهو أوصف الناس للحمير. أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن ابن الكلبي قال: أنشد الوليد بن عبد الملك شيئاً من شعر الشماخ في صفة الحمير فقال: ما أوصفه لها إني لأحسب أن أحد أبويه كان حماراً.

أخبرني إبراهيم بن عبد الله قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال: كان الشماخ يهجو قومه ويهجو ضيفه ويمن عليه بقراه. وهو أوصف الناس للقوس والحمار وأرجز الناس على البديهة.

حديث الشماخ ومزرد مع أمهما: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: قال مزرد لأمه: كان كعب بن زهير لا يهابني وهو اليوم يهابني. فقالت: يا بني نعم ! إنه يرى جرو الهراش موثقاً ببابك. تعني أخاه الشماخ. وقد ذكر محمد بن الحسن الأحول هذا الخبر عن ابن الأعرابي عن المفضل قال: قالت معاذة بنت بجير بن خلف للشماخ ومزرد: عرضتماني لشعراء العرب الحطيئة وكعب بن زهير. فقال: كلا ! لا تخافي. قالت: فما يؤمنني؟ قالا: إنك ربطت بباب بيتك جروي هراشٍ لا يجترىء أحدٌ عليهما. يعنيان أنفسهما.

منازعته قوم امرأته إلى كثير بن الصلت: أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني شعيب بن صخر قال: كانت عند الشماخ امرأةٌ من بني سليم أحد بني حرام بن سماك، فنازعته وادعته طلاقاً وحضر معها قومها فاختصموا إلى كثير بن السلط - وكان عثمان بن عفان أقعده للنظر بين الناس، وهو رجل من كندة وعداده في بني جمح وقد ولدهم بني جمح ثم تحولوا إلى بني العباس فهم فيهم اليوم - فرأى كثير عليهم يميناً، فالتوى الشماخ باليمين يحرضهم عليها، ثم حلف وقال:

أتتني سليمٌ قضها وقضيضها ... تمسح حولي بالبقيع سبالها

يقولون لي يا احلف ولست بحالف ... أخاتلهم عنها لكيما أنالها

ففرجت هم النفس عني بحلفةٍ ... كما شقت الشقراء عنها جلالها

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال: قدم ناسٌ من بهز المدينة يستعدون على الشماخ وزعموا أنه هجاهم ونفاهم، فجحد ذلك الشماخ. فأمر عثمان كثير بن الصلت أن يستحلفه على منبر النبي صلى الله عليه وسلم: ما هجاهم. فانطلق به كثيرٌ إلى المسجد ثم انتحاه دون بني بهز - وبهز: اسمه تيم بن سليم بن منصور - فقال له: ويلك يا شماخ ! إنك لتحلف على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن حلف به آثما يتبوأ مقعده

من النار ! قال: فكيف أفعل فداؤك أبي وأمي؟ ! قال: إني سوف أحلفك ما هجوتهم، فاقلب الكلام علي وعلى ناحيتي فقال: والله ما هجوتكم، فأردني وناحيتي بذلك، وإني سأدفع عنك. فلما وقف حلف كما قال له وأقبل كثير فقال: ما هجوتكم. فقالت بهز: ما عنى غيركم، فأعد اليمين عليه. فقال: ما لي أتأوله ! هل استحلفته إلا لكم ! وما اليمين إلا مرةٌ واحدة ! انصرف يا شماخ. فانصرف وهو يقول:

أتتني سليم قضها وقضيضها ... تمسح حولي بالبقيع سبالها
يقولون لي يا احلف ولست بحالفٍ ... أخادعهم عنها لكيما أنالها
فلولا كثيرٌ نعم الله باله ... أزلت بأعلى حجتيك نعالها
ففرجت هم الموت عني بحلفةٍ ... كما شقت الشقراء عنها جلالها

سألته امرأة لا تعرفه عن قصته مع زوجه، وشعره في ذلك: ونسخت هذا الخبر على التمام من كتاب يحيى بن حازم قال حدثني علي بن صالح صاحب المصلى قال قال القاسم بن معن:

كان الشماخ تزوج امرأة من بني سليم فأساء إليها وضربها وكسر يدها. فعرضت امرأةٌ من قومها، يقال لها أسماء ذات يوم للطريق تسأل عن صاحبتها. فاجتاز الشماخ وهي لا تعرفه: فقالت له: ما فعل الخبيث شماخ؟ فقال لها: وما تريدين منه؟ قالت: إنه فعل بصاحبةٍ لنا كيت وكيت. فتجاهل عليها وقال: لا أعلم له خبراً، ومضى وتركها وهو يقول:

تعارض أسماء الرفاق عشيةً ... تسائل عن ضغن النساء النواكح
وماذا عليها إن قلوصٌ تمرغت ... بعدلين أو ألقتهما بالصحاصح
فإنك لو أنكحت دارت بك الرحا ... وألقيت رحلي سمحةً غير طامح
أأسماء إني قد أتاني مخبرٌ ... بفيقة ينبي منطقاً غير صالح
بعجت إليه البطن ثم انتصحته ... وما كل من يفشى إليه بناصح
وإني من قومٍ على أن ذممتهم ... إذا أولموا لم يولموا بالأنافح
وإنك من قوم تحن نساؤهم ... إلى الجانب الأقصى حنين المنائح

ثم دخل المدينة في بعض حوائجه، فتعلقت به بنو سليم يطلبونه بظلامة صاحبتهم، فأنكر. فقالوا: احلف، فجعل يطلب إليهم ويغلظ عليهم أمر اليمين وشدتها عليه ليرضوا بها منه حتى رضوا، فحلف لهم وقال:

ألا أصبحت عرسي من البيت جامحاً ... بغير بلاءٍ أي أمرٍ بدا لها
على خيرةٍ كانت أم العرس جامحٌ ... فكيف وقد سقنا إلى الحي ما لها
سترجع غضبى رثة الحال عندنا ... كما قطعت منا بليلٍ وصالها

فذكر بعد هذه الأبيات قوله:

أتتني سليم قضها وقضيضها

إلى آخر الأبيات.

خطب امرأة فتزوجها أخوه جزء فماتا متهاجرين: وقال ابن الكلبي: كان الشماخ يهوى امرأةً من قومه يقال لها كلبة بنت جوال أخت جبل بن جوال الشاعر ابن صفوان بن بلال بن أصرم بن إياس بن عبد تميم بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة، وكان يتحدث إليها ويقول فيها الشعر؛ فخطبها فأجابته وهمت أن تتزوجه. ثم خرج إلى سفر له فتزوجها أخوه جزء بن ضرار، فآلى الشماخ ألا يكلمه أبداً، وهجاه بقصيدته التي يقول فيها:

لنا صاحبٌ قد خان من أجل نظرةٍ سقيم الفؤاد حب كلبة شاغله

فماتا متهاجرين.

استنشد المهدي بن دأب من أشعر ما قالت العرب فأنشده من شعره: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثني أحمد بن محمد بن بكر الزبيري قال حدثنا الحسن بن موسى بن رباح مولى الأنصار عن أبي غزية الأنصاري قال: كنت على باب المهدي يوماً، فخرج حاجبه فقال: أين ابن دأب؟ فقال: هأنذا. فقال: ادخل؛ فدخل ثم خرج فجلس. فقلت: يابن دأب، ما جرى بينك وبين أمير المؤمنين؟ قال قال لي: أنشدني أبياتاً من أشعر ما قالت العرب؛ فأردت أن أنشده قول صاحبك أبي صرمة الأنصاري التي يقول فيها:

لنا صورٌ يؤول الحق فيها وأخلاقٌ يسود بها الفقير

ونصحٌ للعشيرة حيث كانت إذا ملئت من الغش الصدور

وحلمٌ لا يصوب الجهل فيه وإطعامٌ إذا قحط الصبير

بذات يدٍ على ما كان فيها نجود به قليلٌ أو كثير

فتركتها وقلت: إن من أشعر ما قالت العرب قول الشماخ:

وأشعث قد قدّ السفار قميصه يجر شواءً بالعصا غير منضج

دعوت إلى ما نابني فأجابني كريمٍ من الفتيان غير مزلج

فتى يملأ الشيزي ويروي سنانه ويضرب في رأس الكمي المدجج

فتى ليس بالراضي بأدنى معيشةٍ ولا في بيوت الحي بالمتولج

فقال: أحسنت ! ثم رفع رأسه إلى عبد الله بن مالك فقال: هذه صفتك يا أبا العباس. فأكب عليه عبد الله فقبل رأسه وقال: ذكرك الله بخير الذكر يا أمير المؤمنين. قال أبو غزية فقلت له: الأبيات التي تركت والله أشعر من

التي ذكرت.

عرابة الذي مدحه ونسبه: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

عرابة الذي عناه الشماخ بمدحه هو أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو عرابة بن أوس بن قيظي بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج. وإنما قال له الشماخ: عرابة الأوسي، وهو من الخزرج، نسبةً إلى أبيه أوس بن قيظي. و لم يصنع إسحاق في هذا القول شيئاً. عرابة من الأوس لا من الخزرج؛ وفي الأوس رجل يقال له الخزرج ليس هذا هو الجد الذي ينتهي إليه الخزرجيون الذي هو أخو الأوس، هذا الخزرج بن النبيت بن مالك بن الأوس، وهكذا نسبه النسابون.

أتى عرابة النبي في غزاة أحد مع غلمةً فردهم: وأخبرني به الحرمي بن أبي العلاء عن عبد الله بن جعفر بن مصعب عن جده مصعب الزبيري عن ابن القداح: وأتى النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة أحد ليغزو معه؛ فرده في غلمة استصغرهم:منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وأسيد بن حضير و البراء بن عازب وعرابة بن أوس وأبو سعيد الخدري.

أخبرني بذلك محمد بن جرير الطبري عن الحارث بن سعد عن الواقدي عن محمد بن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق.

قصة أبي عرابة وعمه مع النبي: وأوس بن قيظي أبو عرابة من المنافقين الذين شهدوا أحداً مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي قال له: إن بيوتنا عورةٌ. وأخوه مربع بن قيظي الأعمى الذي حثا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب لما خرج إلى أحدٍ وقد مر في حائطه وقال له: إن كنت نبياً فما أحل لك أن تدخل في حائطي. فضربه سعد بن زيد الأشهلي بقوسه فشجه وقال: دعني يا رسول الله أقتله فإنه منافق. فقال صلى الله عليه وسلم:" دعوه فإنه أعمى القلب أعمى البصر". فقال أخوه أوس بن قيظي أبو عرابة: لا والله ولكنها عداوتكم يا بني الأشهل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا والله ولكنه نفاقكم يا بني قيظي ".

كان عرابة سيداً في قومه وأبوه من وجوه المنافقين: أخبرنا بذلك الحرمي عن عبد الله بن جعفر الزبيري عن جده مصعب عن ابن القداح: أن عرابة كان سيداً من سادات قومه وجواداً من أجوادهم، وكان أبوه أوس بن قيظي من وجوه المنافقين.

لقي الشماخ بالمدينة فأكرمه فمدحه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن جعدبة، وأخبرني علي بن سليمان عن محمد بن يزيد، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم: أن الشماخ خرج يريد المدينة، فلقيه عرابة بن أوس فسأله عما أقدمه المدينة، فقال: أردت أن أمتار لأهلي. وكان معه بعيران فأوقرهما له براً وتمراً وكساه وبره وأكرمه. فخرج عن المدينة وامتدحه بهذه القصيدة التي يقول فيها:

رأيت عرابة الأوسي يسمو إلى الخيرات منقطع القرين

سأله معاوية بأي شيء سدت فأجابه: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال: قال معاوية لعرابة بن أوس: بأي شيء سدت قومك؟ فقال: أعفو عن جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعى في حاجاتهم، فمن فعل كما أفعل فهو مثلي، ومن قصر عنه فأنا خيرٌ منه، ومن زاد فهو خير مني. قال الأصمعي: وقد انقرض عقب عرابة فلم يبق منهم أحد.

اعترض عليه ابن دأب في شعره لابن جعفر: أخبرني أحمد بن يحيى بن محمد بن سعيد الهمداني قال قال يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قال ابن دأب وسمع قول الشماخ بن ضرار في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه:

إنك يابن جعفر نعم الفتى ونعم مأوى طارق إذا أتى

وجار ضيف طرق الحي سرى صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى

إن الحديث طرف من القرى

فقال ابن دأب: العجب للشماخ ! يقول مثل هذا لابن جعفر ويقول لعرابة:

إذا ما رايةٌ رفعت لمجد تلقاها عرابةٌ باليمين

ابن جعفر كان أحق بهذا من عرابة !.

نقد أبو نواس بيتاً له ووازنه بشعر الفرزدق: أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني الكراني محمد بن سعد قال حدثني طائع قال أخبرني أبو عمرو الكيس قال قال لي أبو نواس: ما أحسن الشماخ في قوله:

إذا بلغتني وحملت رحلي عرابة فاشرقي بدم الوتين

لا كما قال الفرزدق:

علام تلفتين وأنت تحتي وخير الناس كلهم أمامي

متى تردي الرصافة تستريحي من التهجير والدبر الدوامي

قلت أنا: وقد أخذ معنى قول الفرزدق هذا داود بن سلم في مدحه قثم بن العباس فأحسن فقال:

نجوت من حلي ومن رحلتي يا ناق إن أدنيتني من قثم

إنك إن أذنيت منه غداً حالفنا اليسر ومات العدم

في كفه بحرٌ وفي وجهه بدرٌ وفي العرنين منه شمم

أصم عن قيل الخنا سمعه وما عن الخير به من صمم

لم يدر ما " لا " و " بلى " قد درى فعافها واعتاض منها " نعم"

نقد عبد الملك بن مروان شعره: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الخراز عن المدائني قال: أنشد عبد الملك قول الشماخ في عرابة بن أوس:

إذا بلغتني وحملت رحلي عرابة فاشرقي بدم الوتين

فقال: بئست المكافأة كافأها! حملت رحله وبلغته بغيته فجعل مكافأتها نحرها !.

المهلب والشعراء: قال الخراز: ومثل هذا ما حدثناه المدائني عن ابن دأب أن رجلاً لقي المهلب فنحر ناقته في وجهه؛ فتطير من ذلك وقال له: ما قصتك؟ فقال:

إني نذرت لئن لقيتك سالماً أن تستمر بها شفار الجازر

فقال المهلب: فأطعمونا من كبد هذه المظلومة، ووصله.

قال المدائني: ولقيته امرأةٌ من الأزد وقد قدم من حرب كان نهض إليها، فقالت: أيها الأمير، إني نذرت إن وافيتك سالماً أن أقبل يدك وأصوم يوماً وتهب لي جارية صغدية وثلثمائة درهم. فضحك المهلب وقال: قد وفينا لك بنذرك فلا تعاودي مثله، فليس كل أحد يفي لك به.

المهدي وأبو دلامة: وأخبرني الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني بعض أصحابنا عن القحذمي: أن أبا دلامة لقي المهدي لما قدم بغداد، فقال له:

إني نذرت لئن رأيتك وارداً أرض العراق وأنت ذو وفر

لتصلين على النبي محمدٍ ولتملأن دراهماً حجري

فقال له: أما النبي فصلى الله على النبي محمد وآله وسلم، وأما الدراهم فلا سبيل إليها. فقال له: أنت أكرم من أن تعطيني أسهلهما عليك وتمنعني الأخرى. فضحك وأمر له بما سأل. وهذا مما ليس يجري في هذا الباب ولكن يذكر الشيء بمثله.

لطيفة الأعرابي على مائدة عبد الملك بن مروان بسبب بيت له: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا مسعود بن عيسى العبدي قال حدثني أحمد بن طالب الكناني كنانة تغلب، وأخبرني به محمد بن أحمد بن الطلاس عن الخراز عن المدائني لم يتجاوزه به قال: نصب عبد الملك بن مروان الموائد يطعم الناس؛ فجلس رجل من أهل العراق على بعض تلك الموائد. فنظر إليه خادمٌ لعبد الملك فأنكره، فقال له: أعراقي أنت؟ قال: نعم. قال: أنت جاسوس؟ قال: لا. قال: بلى. قال: ويحك! دعني أهنأ بزاد أمير المؤمنين ولا تنغصني به. ثم إن عبد الملك وقف على تلك المائدة فقال من القائل:

إذا الأرطى توسد أبرديه خدود جوازىءٍ برمل عين

وما معناه ! ومن أجاب فيه أجزناه، والخادم يسمع. فقال العراقي للخادم: أتحب أن أشرح لك قائله وفيم قاله؟ قال: نعم. قال: يقوله عدي بن زيد في صفة البطيخ الرمسي. فقال ذلك الخادم. فضحك عبد الملك حتى سقط.

فقال له الخادم: أخطأت أم أصبت؟ فقال: بل أخطأت. فقال: ياأمير المؤمنين، هذا العراقي فعل الله به وفعل لقنينه. فقال: أي الرجال هو؟ فأراه إياه. فعاد إليه عبد الملك وقال: أنت لقنته هذا؟ قال: نعم. قال: أفخطأً لقنته أم صواباً؟ قال: بل خطأ. قال: و لم؟ قال: لإني كنت متحرماً بمائدتك فقال لي كيت وكيت، فأردت أن أكفه عني وأضحكك. قال: فكيف الصواب؟ قال: يقوله الشماخ بن ضرار الغطفاني في صفة البقرة الوحشية قد جزأت بالرطب عن الماء. قال: صدقت وأجازه، ثم قال له: حاجتك؟ قال: تنحي هذا عن بابك فإنه يشينه.

سأل كثير يزيد بن عبد الملك عن معنى بيت له نسبه: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال كتب إلي إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن أبا عبيدة حدثه عن غير واحد من أهل المدينة:

أن يزيد بن عبد الملك لما قدم عليه الأحوص وصله بمائة ألف درهم. فأقبل إليه كثير يرجو أكثر من ذلك، وكان قد عوده من كان قبل يزيد من الخلفاء أن يلقي عليهم من بيوت الشعر ويسألهم عن المعاني. فألقى على يزيد بيتاً وقال: يا أمير المؤمنين، ما يعني الشماخ بقوله:

فما أروى وإن كرمت علينا ... بأدنى من موقفةٍ حرون

تطيف على الرماة فتتقيهم ... بأوعال معطفة القرون

فقال يزيد: وما يضر يا ماص بظر أمه ألا يعلم أمير المؤمنين هذا! وإن احتاج إلى علمه سأل عبداً مثلك عنه! فندم كثير وسكته من حضر من أهل بيته، وقالوا له: إنه قد عوده من كان قبلك من الخلفاء أن يلقى عليه أشباه هذا، وكانوا يشتهونه منه ويسألونه إياه؛ فطفئ عنه غضبه. وكانت جائزته ثلاثين ألفاً، وكان يطمع في أكثر من جائزة الأحوص.

وأخبرنا أبو خليفة بهذا الخبر عن محمد بن سلام فذكر أنه سأل يزيد عن قول الشماخ:

وقد عرقت مغابنها وجادت ... بدرتها قرى حجن قتين

فسكت عنه يزيد، فقال يزيد: وما على أمير المؤمنين لا أم لك ألا يعرف هذا ! هو القراد أشبه الدواب بك !.

تمثل ابن الزبير ببيت له في حواره لمعاوية: نسخت من كتاب يحيى بن حازم حدثنا علي بن صالح صاحب المصلى قال حدثنا ابن دأب قال: قال معاوية لعبد الله بن الزبير وهو عنده بالمدينة في أناس: يابن الزبير، ألا تعذرني في حسن بن علي ! ما رأيته مذ قدمت المدينة إلا مرةً. قال: دع عنك حسناً، فأنت والله وهو كما قال الشماخ:

أجامل أقواماً حياءً وقد أرى ... صدورهم تغلي علي مراضها

والله لو يشاء حسن أن يضربك بمائة ألف سيف ضربك! والله لأهل العراق أرأم له من أم الحوار لحوارها. فقال معاوية رحمه الله: أردت أن تغريني به! والله لأصلن رحمه ولأقبلن عليه، وقال:

ألا أيها المرء المحرش بيننا ... ألا اقتل أخاك لست قاتل أربد

أبى قربه مني وحسن بلائه ... وعلمي بما يأتي به الدهر في غد

والشعر لعروة بن قيس فقال ابن الزبير: أما والله إني وإياه ليدٌ عليك بحلف الفضول. فقال معاوية: من أنت! لا أعرض لك وحلف الفضول! والله ما كنت فيها إلا كالرهينة تئخن معنا وتردى هزيلاً، كما قال أخو همدان:

إذا ما بعيرٌ قام علق رحله ... وإن هو أبقى بالحياة مقطعا

صوت من مدن معبد

صوت معبد في شعر كثير بن كثير

وهو الذي أوله:

كم بذاك الحجون من حي صدقٍ

أسعداني بعبرةٍ أسراب ... من شؤون كثيرة التسكاب

إن أهل الحصاب قد تركوني ... موزعاً مولعاً بأهل الحصاب

كم بذاك الحجون من حي صدقٍ ... وكهول أعفةٍ وشباب

سكنوا الجزع جزع بيت أبي مو ... سى إلى النخل من صفي السباب

فارقوني وقد علمت يقيناً ... ما لمن ذاق ميتةً من إياب

فلي الويل بعدهم وعليهم ... صرت فرداً وملني أصحابي

عروضه من الخفيف. الشؤون: الشعب التي يتداخل بعضها في بعض من عظام الرأس، واحدها شأن مهموزا. والجزع: منعطف الوادي. وصفي السباب: جمع صفاة وهي الحجارة. ولقبت صفي السباب لأن قوماً من قريش ومواليهم كانوا يخرجون إليها بالعشيات يتشاتمون ويذكرون المعايب والمثالب التي يرمون بها؛ فسميت تلك الحجارة صفي السباب.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال يقال: صفا السباب وصفي السباب بفتح الفاء وكسرها جميعاً، وهو شعبٌ من شعاب مكة فيها صفاً أي صخرٌ مطروح. وكانت قريش تخرج فتقف على ذلك الموضع فيفتخرون ثم يتشاتمون وذلك في الجاهلية فلا يفترقون إلا عن قتال؛ ثم صار ذلك في صدرٍ من الإسلام أيضاً حتى نشأ سديف مولى عتبة بن أبي سديف وشبيبٌ مولى بني أمية، فكان هذا يخرج في موالي بني هاشم وهذا في موالي بني أمية، فيفتخرون ثم يتشاتمون ثم يتجالدون بالسيوف. وكان يقال لهم السديفية والشبيبية. وكان أهل مكة مقتسمين بينهما في العصبية؛ ثم درس ذلك فصارت العصبية بمكة بين الجزارين والحناطين، فهي بينهم إلى اليوم، وكذلك بالمدينة في القمار وغيره.

الشعر لكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي، وقيل: بل هو لكثير عزة. وقد روي في ذلك خبر

نذكره. والغناء لمعبد ثقيلٌ أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أن فيه ثقيلاً أول بالخنصر للغريض ولحناً آخر لابن عباد و لم يجنسه. ولابن جامع في الخامس والسادس رملٌ بالوسطى. ولابن سريج في الأربعة الأول ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. ولابن أبي دباكل الخزاعي فيها ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي وأبي أيوب المدني وحبش. فمن روى هذا الشعر لكثير عزة يرويه:

إن أهل الخضاب قد تركوني

ويزعم أن كثيراً قاله في خضاب خضبته عزة به.

ابن عائشة يذكر بحادثة لكثير وعزة فيغني بشعر: أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة و لم يتجاوزه، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني الزبيري قال حدثني بهذا الخبر أيضاً وفيه زيادة وخبره أحسن وأكثر تلخيصاً وأدخل في معنى الكتاب، قال الزبيري حدثني أبي قال: خرجت إلى ناحية فيد متنزهاً، فرأيت ابن عائشة يمشي بين رجلين من آل الزبير وإحدى يديه على يد هذا والأخرى على يد هذا، وهو يمشي بينهما كأنه امرأة تجلى على زوجها. فلما رأيتهم دنوت فسلمت وكنت أحدث القوم سناً، فاشتهيت غناء ابن عائشة فلم أدر كيف أصنع. وكان ابن عائشة إذا هيجته تحرك. فقلت: رحم الله كثيراً وعزة! ما كان أوفاهما وأكرمهما وأصونهما لأنفسهما! لقد ذكرت بهذه الأودية التي نحن فيها خبر عزة حين خضبت كثيراً. فقال ابن عائشة: وكيف كان حديث ذلك؟ قلت: حدثني من حضره بذلك ومن ها هنا تتفق رواية عمر بن شبة والزبيري - قال: خرج كثير يريد عزة وهي منتجعة بالصواري وهي الأودية بناحية فدك، فلما كان منها قريباً وعلم أن القوم جلسوا عند أنديتهم للحديث بعث أعرابياً فقال له: اذهب إلى ذلك الماء فإنك ترى امرأةً جسيمةً لحيمة تبالط الرجال الشعر قال إسحاق: المبالطة: أن تنشد أول الشعر وآخره - فإذا رأيتها فناد: من رأى الجمل الأحمر؟ مراراً. ففعل. فقالت له: ويحك قد أسمعت فانصرف إليه فأخبره. فلم يلبث أن أقبلت جاريةٌ معها طستٌ وتورٌ وقربة ماء حتى انتهت إليه، ثم جاءت بعد ذلك عزة فرأته جالساً محتبياً قريباً من ذراع راحلته. فقالت له: ما على هذا فارقتك !. فركب راحلته وهي باركةٌ وقامت إلى لحيته فأخذت التور فخضبته وهو على ظهر جمله حتى فرغت من خضابه، ثم نزل فجعلا يتحدثان حتى علق الخضاب، ثم قامت إليه فغسلت لحيته ودهنته، ثم قام فركب وقال:

إن أهل الخضاب قد تركوني موزعاً مولعاً بأهل الخضاب

وذكر باقي الأبيات كلها. وإلى ها هنا رواية عمربن شبة. فقال ابن عائشة: فأنا والله أغنيه وأجيده، فهل لكم في ذلك؟ فقلنا: وهل لنا عنه مدفعٌ ! فاندفع يغني بالأبيات، فخيل إلي أن الأودية تنطق معه حسناً. فلما رجعنا إلى المدينة قصصت القصة، فقيل لي: إن ذلك أحسن صوت يغنيه ابن عائشة؟ فقلت: لا أدري إلا أني سمعت شيئاً وافق محبتي.

معبد وابن سريج يبكيان أهل مكة بغنائهما

وقال عبد الله بن أبي سعد حدثني عبد الله بن الصباح عن هشام بن محمد عن أبيه قال: زار معبدٌ ابن سريج والغريض بمكة؛ فخرجا به إلى التنعيم ثم صاروا إلى الثنية العليا ثم قالوا: تعالوا حتى نبكي أهل مكة؛ فاندفع ابن سريج فغنى صوته في شعر كثير بن كثير السهمي:

أسعديني بعبرةٍ أسراب من دموعٍ كثيرة التسكاب

فأخذ أهل مكة بالبكاء وأنوا حتى سمع أنينهم. ثم غنى معبد: صوت

يا راكباً نحو المدينة جسرةً أجداً تلاعب حلقةً وزماما
اقرأ على أهل البقيع من امرئ كمدٍ على أهل البقيع سلاما
كم غيبوا فيه كريماً ماجداً شهماً ومقتبل الشباب غلاما
ونفيسةً في أهلها مرجوةً جمعت صباحة صورةٍ وتماما

فنادوا من الدروب بالويل والحرب والسلب، وبقي الغريض لا يقدر من البكاء والصراخ أن يغني.

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لمعبد ثقيل أول بالوسطى، وذكر عمرو بن بانة أنه ليحيى المكي، وقد غلط. وذكر حبش أن لعلوية فيه ثقيلاً أول آخر.

صوت من مدن معبد في شعر قيس بن ذريح: ومن مدن معبد.

صوت

وقد أضيف إليه غيره من القصيدة:

سلي هل قلاني من عشيرٍ صحبته وهل ذم رحلي في الرفاق رفيق
وهل يجتوي القوم الكرام صحابتي إذا اغبر مخشي الفجاج عميق
ولو تعلمين الغيب أيقنت أنني لكم والهدايا المشعرات صديق
تكاد بلاد الله يا أم معمرٍ بما رحبت يوماً علي تضيق
أذود سوام الطرف عنك وهل لها إلى أحدٍ إلا إليك طريق
وحدثتني يا قلب أنك صابرٌ على البين من لبنى فسوف تذوق
مت كمداً أو عش سقيماً فإنما تكلفني ما لا أراك تطيق
بلبنى أنادى عند أول غشية ولو كنت بين العائدات أفيق
إذا ذكرت لبنى تجلتك زفرةٌ ويثني لك الداعي بها فتفيق

عروضه من الطويل. الشعر لقيس بن ذريح. والغناء لمعبد في اللحن المذكور ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق في الأول والثاني والثالث. وذكر في موضع. آخر وافقته دنانير أن لمعبد ثقيلاً أول بالبنصر في مجرى الوسطى أوله: صوت

أتجمع قلباً بالعراق فريقه ومنه بأطلال الأراك فريق

فكيف بها لا الدار جامعة النوى ولا أنت يوماً عن هواك تفيق

ولو تعلمين الغيب أيقنت أنني لكم والهدايا المشعرات صديق

البيتان الأولان يرويان لجرير وغيره، والثالث لقيس بن ذريح أضافه إليهما معبد. وذكر عمرو ويونس أن لحن معبد الأول في خمسة أبيات أولى من الشعر. وذكر عمرو بن بانة أن لبذل الكبيرة خفيف رملٍ بالوسطى في الرابع من الأبيات وبعده:

دعون الهوى ثم ارتمين قلوبنا بأعين أعداءٍ وهن صديق

وبعده الخامس من الأبيات وهو " أذود سوام الطرف ". وزعم حبشٌ أن في لحن معبد الثاني الذي أوله: " أتجمع قلباً " لابن سريج خفيف رملٍ بالبنصر، وذكر أيضاً أن للغريض في الأول والثاني والسابع ثاني ثقيلٍ بالبنصر، ولابن مسجح خفيف رملٍ بالبنصر. وفي السادس وما بعده لحكم الوادي ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر حبش أن للغريض فيها ثقيلاً أول بالوسطى.

ذكر قيس بن ذريح ونسبه وأخباره

نسبه: هو، فيما ذكر الكلبي والقحذمي وغيرهما، قيس بن ذريح بن سنة بن حذافة بن طريف بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة وهو علي بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. وذكر أبو شراعة القيسي أنه قيس بن ذريح بن الحباب بن سنة؛ وسائر النسب متفق. واحتج بقول قيس:

فإن يك تهيامي بلبنى غوايةً فقد يا ذريح بن الحباب غويت

وذكر القحذمي أن أمه بنت سنة بن الذاهل بن عامر الخزاعي، وهذا هو الصحيح؛ وأنه كان له خال يقال له عمرو بن سنة شاعر، وهو الذي يقول:

ضربوا الفيل بالمغمس حتى ظل يحبو كأنه محموم

وفيه يقول قيس:

أنبئت أن لخالي هجمةً حبساً كأنهن بجنب المشعر النصل

قد كنت فيما مضى قدماً تجاورنا لا ناقةٌ لك ترعاها ولا جمل

ما ضر خالي عمراً لو تقسمها بعض الحياض وجم البئر محتفل

هو رضيع الحسين بن علي: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال حدثني أحمد بن القاسم بن يوسف قال حدثني جزء بن قطن قال حدثنا جساس بن محمد بن عمرو أحد بني الحارث بن كعب عن محمد بن أبي السري عن هشام بن الكلبي قال حدثني عدد من الكنانيين: أن قيس بن ذريح كان رضيع الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، أرضعته أم قيس.

أول عشقه لبنى ثم زواجه بها

أخبرنا بخبر قيس ولبنى امرأته جماعةٌ من مشايخنا في قصص متصلة ومنقطة وأخبار منثورة ومنظومةٍ، فألفت ذلك أجمع ليتسق حديثه إلا ما جاء مفرداً وعسر إخراجه عن جملة النظم فذكرته على حدة. فممن أخبرنا بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة و لم يتجاوزه إلى غيره، وإبراهيم بن محمد بن أيوب عن ابن قتيبة، والحسن بن علي عن محمد بن موسى بن حماد البربري عن أحمد بن القاسم بن يوسف عن جزء بن قطن عن جساس بن محمد عن محمد بن أبي السري عن هشام بن الكلبي وعلى روايته أكثر المعول. ونسخت أيضاً من أخباره أيضاً المنظومة أشياء ذكرها القحذمي عن رجاله، وخالد بن كلثوم عن نفسه ومن روى عنه، وخالد بن جمل ونتفاً حكاها اليوسفي صاحب الرسائل عن أبيه عن أحمد بن حماد عن جميل عن ابن أبي جناح الكعبي. وحكيت كل متفقٍ فيه متصلاً، وكل مختلف في معانيه منسوباً إلى راويه. قالوا جميعاً: كان منزل قومه في ظاهر المدينة، وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة. وذكر خالد بن كلثوم أن منزله كان بسرف واحتج بقوله:

الحمد لله قد أمست مجاورةً أهل العقيق وأمسينا على سرف

قالوا: فمر قيس لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خزاعة، فوقف على خيمة منها والحي خلوف والخيمة خيمة لبنى بنت الحباب الكعبية، فاستسقى ماءً، فسقته وخرجت إليه به، وكانت امرأةً مديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام. فلما رآها وقعت في نفسه، وشرب الماء. فقالت له: أتنزل فتتبرد عندنا؟ قال: نعم. فنزل بهم. وجاء أبوها فنحر له وأكرمه. فانصرف قيس وفي قلبه من لبنى حرٌ لا يطفأ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع وروي. ثم أتاها يوماً آخر وقد اشتد وجده بها، فسلم فظهرت له وردت سلامه وتحفت به؛ فشكا إليها ما يجد بها وما يلقى من حبها، وشكت إليه مثل ذلك فأطالت؛ وعرف كل واحد منهما ما له عند صاحبه. فانصرف إلى أبيه وأعلمه حاله وسأله أن يزوجه إياها. فأبى عليه وقال: يا بني، عليك بإحدى بنات عمك فهن أحق بك. وكان ذريح كثير المال موسراً، فأحب ألا يخرج ابنه إلى غريبة. فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه أبوه به. فأتى أمه فشكا ذلك إليها واستعان بها على أبيه، فلم يجد عندها ما يحب. فأتى الحسين بن علي بن أبي طالب وابن أبي عتيق فشكا إليهما ما به وما رد عليه أبوه. فقال له الحسين: أنا أكفيك. فمشى معه إلى أبي لبنى. فلما بصر به

أعظمه ووثب إليه، وقال له: يابن رسول الله، ما جاء بك؟ ألا بعثت إلي فأتيتك ! قال: إن الذي جئت فيه يوجب قصدك وقد جئتك خاطباً ابنتك لبنى لقيس بن ذريح. فقال: يا بن رسول الله، ما كنا لنعصي لك أمراً وما بنا عن الفتى رغبة، ولكن أحب الأمر إلينا أن يخطبها ذريح أبوه علينا وأن يكون ذلك عن أمره، فإنا نخاف إن لم يسع أبوه في هذا أن يكون عاراً وسبةً علينا. فأتى الحسين رضي الله عنه ذريحاً وقومه وهم مجتمعون، فقاموا إليه إعظاماً له وقالوا له مثل قول الخزاعيين. فقال لذريح: أقسمت عليك إلا خطبت لبنى لابنك قيس. قال: السمع والطاعة لأمرك. فخرج معه في وجوه من قومه حتى أتوا لبنى فخطبها ذريحٌ على ابنه إلى أبيها فزوجه إياها، وزفت إليه بعد ذلك.

أبواه يغريانه بطلاقها ويأبى هو

فأقامت معه مدة لا ينكر أحدٌ من صاحبه شيئاً. وكان أبر الناس بأمه، فأهلته لبنى وعكوفه عليها عن بعض ذلك، فوجدت امه في نفسها وقالت: لقد شغلت هذه المرأة ابني عن بري؛ و لم تر للكلام في ذلك موضع حتى مرض مرضاً شديداً. فلما برأ من علته قالت أمه لأبيه: لقد خشيت أن يموت قيسٌ وما يترك خلفاً وقد حرم الولد من هذه المرأة، وأنت ذو مال فيصير مالك إلى الكلالة ، فزوجه بغيرها لعل الله يرزقه ولداً، وألحت عليه في ذلك. فأمهل قيساً حتى إذا اجتمع قومه دعاه فقال: يا قيس، إنك اعتللت هذه العلة فخفت عليك ولا ولد لك ولا لي سواك. وهذه المرأة ليست بولود؛ فتزوج إحدى بنات عمك لعل الله أن يهب لك ولداً تقر به عينك وأعيننا. فقال قيس: لست متزوجاً غيرها أبداً. فقال له أبوه: فإن في مالي سعةً فتسر بالإماء. قال: ولا أسوءها بشيء أبداً والله. قال أبوه: فإني أقسم عليك إلا طلقتها. فأبى وقال: الموت والله علي أسهل من ذلك، ولكني أخيرك خصلةً من ثلاث خصال. قال: وما هي؟ قال: تتزوج أنت فلعل الله أن يرزقك ولداً غيري. قال: فما في فضلة لذلك. قال: فدعني أرتحل عنك بأهلي واصنع ما كنت صانعاً لو مت في علتي هذه. قال: ولا هذه. قال ك فأدع لبنى عندك وأرتحل عنك فلعلي أسلوها فإني ما أحب بعد أن تكون نفسي طيبة أنها في خيالي. قال: لا أرضى أو تطلقها، وحلف لا يكنه سقف بيت أبداً حتى يطلق لبنى ،فكان يخرج فيقف في حر الشمس، ويجيء قيسٌ فيقف إلى جانبه فيظله بردائه ويصلى هو بحر الشمس حتى يفيء الفيء فينصرف عنه، ويدخل إلى لبنى فيعانقها وتعانقه ويبكي وتبكي معه وتقول له: يا قيس، لا تطع أباك فتهلك وتهلكني. فيقول: ما كنت لأطيع أحداً فيك أبداً. فيقال: إنه مكث كذلك سنةً وقال. خالد بن كلثوم: ذكر ابن عائشة أنه أقام على ذلك أربعين يوماً ثم طلقها. وهذا ليس بصحيح.

طلاقه لبنى ثم ندمه على فراقها

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أحمد بن زهير قال حدثني يحيى بن معين قال حدثنا عبد الرزاق قال اخبرنا ابن جريج قال أخبرني عمر بن أبي سفيان عن ليث بن عمرو: أنه سمع قيس بن ذريح يقول لزيد بن سليمان: هجرني أبواي في لبنى عشر سنين أستأذن عليهما فيرداني حتى طلقتها. قال ابن جريح: وأخبرت أن عبد الله بن صفوان الطويل لقي ذريحاً أبا قيس فقال له: ما حملك على أن فرقت بينهما؟ أما علمت أن عمر بن الخطاب قال: ما أبالي أفرقت بينهما أو مشيت إليهما بالسيف. وروى هذا الحديث إبراهيم بن يسار الزمادي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال قال الحسين بن علي رضي الله عنهما لذريح بن سنة أبي قيس: أحل لك أن فرقت بين قيس ولبنى؟ ! أما إني سمعت عمر بن الخطاب يقول: ما أبالي أفرقت بين الرجل وامرأته أو مشيت إليهما بالسيف. قالوا: فلما بانت لبنى بطلاقه إياها وفرغ من الكلام، لم يلبث حتى استطير عقله وذهب به ولحقه مثل الجنون. وتذكر لبنى وحالها معه فأسف وجعل يبكي وينشج أحر نشيج. وبلغها الخبر فأرسلت إلى أبيها ليحتملها، وقيل: بل أقامت حتى انقضت عدتها وقيسٌ يدخل عليها. فأقبل أبوها بهودج على ناقة وبإبل تحمل أثاثها. فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها فقال: ويحك ! ما دهاني فيكم؟ فقالت: لا تسألني وسل لبنى. فذهب ليلم بخبائها فيسألها، فمنعه قومها. فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له: ما لك ويحك تسأل كأنك جاهلٌ أو تتجاهل! هذه لبنى ترتحل الليلة أو غداً. فسقط مغشياً عليه لا يعقل ثم أفاق وهو يقول:

وإني لمفنٍ دمع عيني بالبكا ... حذار الذي قد كان أو هو كائن

وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلةٍ ... فراق حبيبٍ لم يبن وهو بائن

وما كنت أخشى أن تكون منيتي ... بكفيك إلا أن ما حان حائن

في هذه الأبيات غناء ولها أخبار قد ذكرت في أخبار المجنون. قال وقال قيس:

يقولون لبنى فتنةٌ كنت قبلها ... بخير فلا تندم عليها وطلق

فطاوعت أعدائي وعاصيت ناصحي ... وأقررت عين الشامت المتخلق

وددت وبيت الله أني عصيتهم ... وحملت في رضوانها كل موبق

وكلفت خوض البحر والبحر زاخرٌ ... أبيت على أثباج موج مغرق

كأني أرى الناس المحبين بعدها ... عصارة ماء الحنظل المتفلق

فتنكر عيني بعدها كل منظرٍ ... ويكره سمعي بعدها كل منطق

قال: وسقط غرابٌ قريباً منه فجعل ينعق مراراً، فتطير منه وقال:

لقد نادى الغراب ببين لبنى ... فطار القلب من حذر الغراب

وقال غداً تتباعد دار لبنى ... وتنأى بعد ودٍ واقتراب

فقلت تعست ويحك من غراب ... وكان الدهر سعيك في تباب

وقال أيضاً وقد منعه قومه من الإلمام بها: صوت

ألا يا غراب البين ويحك نبني ... بعلمك في لبنى وأنت خبير

فإن أنت لم تخبر بما قد علمته ... فلا طرت إلا والجناح كسير

ودرت بأعداءٍ حبيبك فيهم ... كما قد تراني بالحبيب أدور

غنى سليمان أخو حجبةً رملاً بالوسطى.

قالوا: وقال أيضاً وقد دخلت هودجها ورحلت وهي تبكي ويتبعها:

ألا يا غراب البين هل أنت مخبري ... بخيرٍ كما خبرت بالنأي والشر

وقلت كذاك الدهر مازال فاجعاً ... صدقت وهل شيءٌ بباق على الدهر

غنى فيهما ابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشامي. وذكر حبش أن لقفا النجار فيهما ثقيلاً أول بالوسطى.

قالوا: فلما ارتحل قومها اتبعها ملياً، ثم علم أن أباها سيمنعه من المسير معها، فوقف ينظر إليهم ويبكي حتى غابوا عن عينه فكر راجعاً. ونظر إلى أثر خف بعيرها فأكب عليه يقبله ورجع يقبل موضع مجلسها وأثر قدمها. فليم على ذلك وعنفه قومه على تقبيل التراب؛ فقال:

وما أحببت أرضكم ولكن ... أقبل إثر من وطئ الترابا

لقد لاقيت من كلفي بلبنى ... بلاءً ما أسيغ به الشرابا

إذا نادى المنادي باسم لبنى ... عييت فما أطيق له جوابا

وقال وقد نظر إلى آثارها: صوت

ألا يا ربع لبنى ما تقول ... أبن لي اليوم ما فعل الحلول

فلو أن الديار تجيب صباً ... لرد جوابي الربع المحيل

ولو أني قدرت غداة قالت ... غدرت وماء مقلتها يسيل

نحرت النفس حين سمعت منها ... مقالتها وذاك لها قليل

شفيت غليل نفسي من فعالي ... ولم أغبر بلا عقلٍ أجول

غنى فيه حسين بن محرز خفيف ثقيلٍ من روايتي بذل وقريض. وتمام هذه الأبيات:

كأني والهٌ بفراق لبنى ... تهيم بفقد واحدها ثكول

ألا يا قلب ويحك كن جليداً فقد رحلت وفات بها الذميل
فإنك لا تطيق رجوع لبنى إذا رحلت وإن كثر العويل
وكم قد عشت كم بالقرب منها ولكن الفراق هو السبيل
فصبراً كل مؤتلفين يوماً من الأيام عيشهما يزول

قال: فلما جن عليه الليل وانفرد وأوى إلى مضجعه لم يأخذ القرار وجعل يتململ فيه تململ السليم، ثم وثب حتى أتى موضع خبائها، فجعل يتمرغ فيه ويبكي ويقول: صوت

بت والهم يا لبينى ضجيعي وجرت مذ نأيت عني دموعي
وتنفست إذ ذكرتك حتى زالت اليوم عن فؤادي ضلوعي
أتناساك كيف يريغ فؤادي ثم يشتد عند ذاك ولوعي
يا لبينى فدتك نفسي وأهلي هل لدهرٍ مضى لنا من رجوع

غنت في البيتين الأولين شارية خفيف رملٍ بالوسطى. وغنى فيهما حسين بن محرز ثاني ثقيل، هكذا ذكر الهشامي؛ وقد قيل إنه لهاشم بن سليمان.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال زبير بن بكار حدثني عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن محمد بن معن الغفاري عن أبيه عن عجوز لهم يقال حمادة بنت أبي مسافر قالت: جاورت آل ذريح بقطيع لي فيه الرائمة وذات البو والحائل والمتبع. قال: فكان قيس بن ذريح إلى شرفٍ في ذلك القطيع ينظر إلى ما يلقين فيتعجب. فقلما لبث حتى عزم عليه أبوه بطلاق لبنى فكاد يموت، ثم آلى أبوه لئن أقامت لا يساكن قيساً. فظعنت فقال:

أيا كبداً طارت صدوعاً نوافذاً ويا حسرتا ماذا تغلغل في القلب
فأقسم ما عمش العيون شوارفٌ روائم بوٍ حائمات على سقب
تشممنه لو يستطعنس ارتشفنه إذا سفنه يزددن نكباً على نكب

رئمن فما تنحاش منهن شارفٌ وحالفن حبساً في المحول وفي الجدب
بأوجد مني يوم ولت حمولها وقد طلعت أولى الركاب من النقب
وكل ملمات الزمان وجدتها سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال سمعت ابن عائشة يقول: قال إسحاق بن الفضل الهاشمي: لم يقل الناس في هذا المعنى مثل قول قيس بن ذريح:

وكل مصيبات الزمان وجدتها سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

قال وقال ابن النطاح قال أبو دعامة: خرج في فتية إلى بلادها حتى رآها، وشعره في ذلك: خرج قيس في فتية من قومه واعتل على أبيه بالصيد، فأتى بلاد لبنى، فجعل يتوقع أن يراها أو يرى من يرسل إليها. فاشتغل الفتيان بالصيد؛ فلما قضوا وطرهم منه رجعوا إليه وهو واقف، فقالوا له: لقد عرفنا ما أردت بإخراجنا معك وأنت لم ترد الصيد وأنما أردت لقاء لبنى، وقد تعذر عليك فانصرف الآن. فقال:

وما حائماتٌ حمن يوماً وليلةً على الماء يغشين العصي حوان

عوافي لا يصدرن عنه لوجهةٍ ولا هن من برد الحياض دوان

يرين حبات الماء والموت دونه فهن لأصوات السقاة روان

بأجهد مني حر شوقٍ ولوعةٍ عليك ولكن العدو عداني

خليلي إني ميتٌ أو مكلمٌ لبينى بسري فامضيا وذراني

أنل حاجتي لوحدي ويا رب حاجةٍ قضيت على هولٍ وخوف جنان

فإن أحق الناس ألا تجاوزا وتطرحا من لو يشاء شفاني

ومن قادني للموت حتى إذا صفت مشاربه السم الذعاف سقاني

قال: فأقاموا معه حتى لقيها، فقالت له: يا هذا، إنك متعرضٌ لنفسك وفاضحي. فقال لها:

صدعت القلب ثم زرت فيه هواك فليم فالتأم الفطور

تغلغل حيث لم يبلغ شرابٌ ولا حزن ولم يبلغ سرور

أبو السائب المخزومي وشعر قيس: وقال القحذمي حدثني أبو الوردان قال حدثني أبي قال: أنشدت أبا السائب المخزومي قول قيس:

صدعت القلب ثم زرت فيه هواك فليم فالتأم الفطور

فصاح بجارية له سندية تسمى زبدة، فقال: أي زبدة عجلي. فقالت: أنا أعجن. فقال: ويحك! تعالي ودعي العجين. فجاءت فقال لي: أنشد بيتي قيس فأعدهما. فقال لها: يا زبدة، أحسن قيس وإلا فأنت حرة ! إرجعي الآن إلى عجينك أدركيه لا يبرد.

حسرته على فراقها وتأنيبه نفسه

قالوا: وجعل قيس يعاتب نفسه في طاعته أباه في طلاقه لبنى ويقول: فألا رحلت بها عن بلده فلم أر ما يفعل و لم يرني! فكان إذا فقدني أقلع عما يفعله وإذا فقدته لم أتحرج من فعله! وما كان علي لو اعتزلته وأقمت في حيها أو

في بعض بوادي العرب، أو عصيته فلم أطعه ! هذه جنايتي على نفسي فلا لوم على أحد ! وهأنذا ميتٌ مما فعلته، فمن يرد روحي إلي! وهل لي سبيل إلى لبنى بعد الطلاق وكلما قرع نفسه وأنبها بلونٍ من التقريع والتأنيب بكى أحر بكاء وألصق خده بالأرض ووضعه على آثارها ثم قال: صوت

ويلي وعولي ومالي حين تفلتني ... من بعد ما أحرزت كفي بها الظفرا

قد قال قلبي لطرفي وهو يعذله ... هذا جزاؤك مني فاكدم الحجرا

قد كنت أنهاك عنها لو تطاوعني ... فاصبر فما لك فيها أجر من صبرا

غناه الغريض خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى عن عمرو. وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أول بالوسطى عن حبش. وفي الثالث والأول خفيف رملٍ يقال إنه لابن الهربذ.

قالوا وقال أيضاً:

بانت لبينى فأنت اليوم متبول ... والرأي عندك بعد الحزم مخبول

أستودع الله لبنى إذ تفارقني ... بالرغم مني وقول الشيخ مفعول

وقد أراني بلبنى حق مقتنعٍ ... والشمل مجتمعٌ والحبل موصول

قال خالد بن كلثوم وقال:

ألا ليت لبنى في خلاءٍ تزورني ... فأشكو إليها لوعتي ثم ترجع

صحا كل ذي لبٍ وكل متيم ... وقلبي بلبنى ما حييت مروع

فيامن لقلبٍ ما يفيق من الهوى ... ويامن لعينٍ بالصبابة تدمع

قالوا وقال في ليلته تلك:

قد قلت للقلب لا لبناك فاعترف ... واقض اللبانة ما قضيت وانصرف

قد كنت أحلف جهداً لا أفارقها ... أفٍ لكثرة ذاك القيل والحلف

حتى تكنفني الواشون فافتلتت ... لا تأمنن أبداً من غش مكتنف

هيهات هيهات قد أمست مجاورةً ... أهل العقيق وأمسينا على سرف

-قال: وسرف على ستة أميال من مكة. والعقيق: واد باليمامة-

حي يمانون والبطحاء منزلنا ... هذا لعمرك شملٌ غير مؤتلف

من شعره في لبنى وقد سنحت له ظبية: قالوا: فلما أصبح خرج متوجهاً نحو الطريق الذي سلكته يتنسم روائحها، فسنحت له ظبيةٌ فقصدها فهربت منه فقال:

ألا يا شبه لبنى لا تراعي ولا تتيممي قلل القلاع

وهي قصيدة طويلة يقول فيها:

فوا كبدي وعاودني رداعي وكان فراق لبنى كالخداع

تكنفني الوشاة فأزعجوني فيا لله للواشي المطاع

فأصبحت الغداة ألوم نفسي على شيءٍ وليس بمستطاع

كمغبونٍ يعض على يديه تبين غبنه بعد البياع

بدار مضيعةٍ تركتك لبنى كذاك الحين يهدى للمضاع

وقد عشنا نلذ العيش حيناً لو أن الدهر للإنسان داع

ولكن الجميع إلى افتراق وأسباب الحتوف لها دواع

غناه الغريض من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لمعبد خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى عن عمرو والهشامي. ولشارية في البيتين الأولين ثقيلٌ أول آخر بالوسطى. ولابن سريج رملٌ بالوسطى عن الهشامي في:

بدار مضيعةٍ تركتك لبنى

وقبله:

فوا كبدي وعاودني رداعي

ولسياطٍ في البيتين الأولين خفيف رملٍ بالبنصر عن حبش.

أغرت أمه فتيات الحي بأن يعبن عنده لبنى ليسلوها فلم يسل، وشعره في ذلك: حدثني عمي عن الكراني عن العتبي عن أبيه قال: بعثت أم قيس بن ذريح بفتيات من قومه إليه يعبن إليه لبنى ويعبنه بجزعه وبكائه ويتعرضن لوصاله، فأتينه فاجتمعن حواليه وجعلن يمازحنه ويعبن لبنى عنده ويعيرنه ما يفعله. فلما أطلن أقبل عليهن وقال: صوت

يقر بعيني قربها ويزيدني بها كلفاً من كان عندي يعيبها

وكم قائلٍ قد قال تب فعصيته وتلك لعمري توبةٌ لا أتوبها

فيا نفس صبراً لست والله فاعلمي بأول نفسٍ غاب عنها حبيبها

- غناه دحمان ثقيلاً أول بالوسطى. وفيه هزجٌ بالبنصر لسليم، وذكر حبش أنه لإسحاق - قال: فانصرفن عنه إلى أمه فأيأسنها من سلوته. وقال سائر الرواة الذين ذكرتهم: اجتمع إليه النسوة فأطلن الجلوس عنده ومحادثته

وهو ساهٍ عنهن، ثم نادى: يا لبنى ! فقلن له: ما لك ويحك ! فقال: خدرت رجلي، ويقال: إن دعاء الإنسان باسم أحب الناس إليه يذهب عنه خدر الرجل فناديتها لذلك. فقمن عنه، وقال:

إذا خدرت رجلي تذكرت من لها ... فناديت لبنى باسمها ودعوت

دعوت التي لو أن نفسي تطيعني ... لفارقتها من حبها وقضيت

برت نبلها للصيد لبنى وريشت ... وريشت أخرى مثلها وبريت

فلما رمتني أقصدتني بسهمها ... وأخطأتها بالسهم حين رميت

وفارقت لبنى ضلةً فكأنني ... قرنت إلى العيوق ثم هويت

فيا ليت أني مت قبل فراقها ... وهل ترجعن فوت القضية ليت

فصرت وشيخي كالذي عثرت به ... غداة الوغى بين العداة كميت

فقامت ولم تضرر هناك سويةً ... وفارسها تحت السنابك ميت

فإن يك تهيامي بلبنى غوايةً ... فقد يا ذريح بن الحباب غويت

فلا أنت ما أملت فيّ رأيته ... ولا أنا لبنى والحياة حويت

فوطّن لهلكي منك نفساً فإنني ... كأنك بي قد يا ذريح قضيت

حديثه في مرضه مع عواده ومع طبيبه عن لبنى، وشعره في ذلك: وقال خالد بن كلثوم: مرض قيس، فسأل أبوه فتيات الحي أن يعدنه ويحدثنه لعله أن يتسلى أو يعلق بعضهن، ففعلن ذلك. ودخل إليه طبيب ليداويه والفتيات معه، فلما اجتمعن عنده جعلن يحادثنه وأطلن السؤال عن سبب علته، فقال: صوت

عيد قيسٌ من حب لبنى ولبنى ... داء قيسٍ والحب داءٌ شديد

وإذا عادني العوائد يوماً ... قالت العين لا أرى من أريد

ليت لبنى تعودني ثم أقضي ... إنها لا تعود فيمن يعود

ويح قيسٍ لقد تضمن منها ... داء خبلٍ فالقلب منه عميد

- غناه ابن سريج خفيف رملٍ عن الهشامي. وفيه للحجي ثقيلٌ أول بالوسطى. وفيه ليحيى المكي رملٌ - قالوا: فقال له الطبيب: منذ كم هذه العلة؟ ومنذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت؟ فقال: صوت

تعلق روحي روحها قبل خلقنا ... ومن بعد ما كنا نطافاً وفي المهد

فزاد كما زدنا فأصبح نامياً ... وليس إذا متنا بمنصرم العهد

ولكنه باقٍ على كل حادثٍ ... وزائرنا في ظلمة القبر واللحد

- غناه الغريض ثقيلاً أول بالوسطى من رواية حبش - قالوا: فقال له الطبيب: إن مما يسليك عنها أن تتذكر ما فيها من المساوئ والمعايب وما تعافه النفس من أقذار بني آدم؛ فإن النفس تنبو حينئذٍ وتسلو ويخف ما بها. فقال:

إذا عبتها شبهتها البدر طالعاً ... وحسبك من عيبٍ لها شبه البدر

لقد فضلت لبنى على الناس مثل ما ... على ألف شهر فضلت ليلة القدر

صوت

إذا ما مشت شبراً من الأرض أرجفت ... من البهر حتى ما تزيد على شبر

لها كفلٌ يرتج منها إذا مشت ... ومتنٌ كغصن اللبان مضطمر الخصر

- غنى في هذين البيتين ابن المكي خفيف رملٍ بالوسطى. وفيهما رمل ينسب إلى ابن سريج وإلى ابن طنبورة عن الهشامي - قالوا: ودخل أبوه وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة، فأنبه ولامه وقال له: يا بني ! الله الله في نفسك ! فإنك ميت إن دمت على هذا ! فقال:

وفي عروة العذري إن مت أسوةٌ ... وعمرو بن عجلان الذي قتلت هند

وبي مثل ما ماتا به غير أنني ... إلى أجلٍ لم يأتني وقته بعد

صوت

هل الحب إلا عبرةٌ بعد زفرةٍ ... وحرٌ على الأحشاء ليس له برد

وفيض دموع تستهل إذا بدا ... لنا علمٌ من أرضكم لم يكن يبدو

غنى في هذين البيتين زيد بن الخطاب مولى سليمان بن أبي جعفر، وقيل: إنه مولى سليمان بن علي، ثقيلاً أول بالوسطى عن الهشامي.

إعجاب أبي السائب المخزومي بشعر له: وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير، وأخبرنا اليزيدي عن ثعلب عن الزبير قال حدثني إسماعيل بن أبي أويس قال: جلست أنا وأبو السائب في النبالين، فأنشدني قول قيس بن ذريح:

عيد قيسٌ من حب لبنى ولبنى ... داء قيسٍ والحب داءٌ شديد

ليت لبنى تعودني ثم أقضي ... إنها لاتعود فيمن يعود

قال: فأنشدته أنا لقيس:

تعلق روحي روحها قبل خلقنا ... ومن بعد ما كنا نطافاً وفي المهد

فزاد كما زدنا وأصبح نامياً ... وليس إذا متنا بمنتقض العهد

ولكنه باقٍ على كل حادثٍ ... وزائرنا في ظلمة القبر واللحد

فحلف لا يزال يقوم ويقعد حتى يرويها. فدخل زقاق النبالين وجعلت أرددها عليه ويقوم ويقعد حتى رواها.
رجع الخبر إلى سياقته.
زوجه أبوه غيرها ليسلوها فتزوجت لبنى، وما قال في ذلك من الشعر: وقال خالد بن جمل: فلما طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بأن يزوجه امرأةً جميلة فلعله أن يسلو بها عن لبنى. فدعاه إلى ذلك فأباه وقال:

لقد خفت ألا تقنع النفس بعدها بشيءٍ من الدنيا وإن كان مقنعا
وأزجر عنها النفس إذ حيل دونها وتأبى إليها النفس إلا تطلعا

فأعلمهم أبوه بما رد عليه. قالوا: فمره بالمسير في أحياء العرب والنزول عليهم فلعل عينه أن تقع على امرأةٍ تعجبه. فأقسم عليه أبوه أن يفعل. فسار حتى نزل في حيٍ من فزارة، فرأى جاريةً حسناء قد حسرت برقع خزٍ عن وجهها وهي كالبدر ليلة تمه، فقال لها: ما اسمك يا جارية؟ قالت: لبنى. فسقط على وجهه مغشياً عليه، فنضحت على وجهه ماء وارتاعت لما عراه، ثم قالت: إن لم يكن هذا قيس بن ذريح إنه لمجنون !فأفاق فنسبته فانتسب. فقالت: قد علمت أنك قيس، ولكن نشدتك بالله وبحق لبنى إلا أصبت من طعامنا. وقدمت إليه طعاماً، فأصاب منه بإصبعه. وركب فأتى على أثره أخٌ لها كان غائباً، فرأى مناخ ناقته، فسألهم عنه فأخبروه، فركب حتى رده إلى منزله، وحلف عليه ليقيمن عنده شهراً. فقال له: لقد شققت علي، ولكني سأتبع هواك، والفزاري يزداد إعجاباً بحديثه وعقله وروايته، فعرض عليه الصهر. فقال له: يا هذا إن فيك لرغبةً، ولكني في شغل لا ينتفع بي معه. فلم يزل يعاوده والحي يلومونه ويقولون له: قد خشينا أن يصير علينا فعلك سبة. فقال: دعوني، ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام. فلم يزل به حتى أجابه وعقد الصهر بينه وبينه على أخته المسماة لبنى، وقال له: أنا أسوق عنك صداقها. فقال: أنا والله يا أخي أكثر قومي مالاً، فما حاجتك إلى تكلف هذا؟ أنا سائر إلى قومي وسائق إليها المهر. ففعل وأعلم أباه الذي كان منه، فسره وساق المهر عنه. ورجع إلى الفزاريين حتى أدخلت عليه زوجته، فلم يروه هش إليها ولا دنا منها ولا خاطبها بحرفٍ ولا نظر إليها. وأقام على ذلك أياماً كثيرة. ثم أعلمهم أنه يريد الخروج إلى قومه أياماً فأذنوا له في ذلك، فمضى لوجهه إلى المدينة. وكان له صديق من الأنصار بها؛ فأتاه فأعلمه الأنصاري أن خبر تزويجه بلغ لبنى فغمها وقالت: إنه لغدار ! ولقد كنت أمتنع من إجابة قومي إلى التزويج فأنا الآن أجيبهم، وقد كان أبوها شكى قيساً إلى معاوية وأعلمه تعرضه لها بعض الطلاق. فكتب إلى مروان بن الحكم يهدر دمه إن تعرض لها، وأمر أباها أن يزوجها رجلاً يعرف بخالد بن حلزة من بني عبد الله بن غطفان - ويقال: بل أمره بتزويجها رجلاً من آل كثير بن الصلت الكندي حليف قريش فزوجها أبوها منه قال: فجعل نساء الحي يقلن ليلة زفافها:

لبينى زوجها أصب ح لا حر بواديه
له فضلٌ على الناس بما باتت تناجيه

وقيسٌ ميتٌ حيٌ صريعٌ في بواكيه

فلا يبعده الله وبعداً لنواعيه

قال: فجزع قيس جزعاً شديداً وجعل ينشج أحر نشيج ويبكي أحر بكاء. ثم ركب من فوره حتى أتى محلة قومها، فناداه النساء: ما تصنع الآن ها هنا ! قد نقلت لبنى إلى زوجها !. وجعل الفتيان يعارضونه بهذه المقالة وما أشبهها وهو لا يجيبهم حتى أتى موضع خبائها فنزل عن راحلته وجعل يتمعك في موضعها ويمرغ خده على ترابها ويبكي أحر بكاء. ثم قال: صوت

إلى الله أشكو فقد لبنى كما شكا إلى الله فقد الوالدين يتيم

يتيمٌ جفاه الأقربون فجسمه نحيلٌ وعهد الوالدين قديم

بكت دارهم من نأيهم فتهللت دموعي فاي الجازعين ألوم

أمستعبراً يبكي من الشوق والهوى أم آخر يبكي شجوه ويهيم

لابن جامع في البيتين الأولين ثقيلٌ أول بالوسطى عن الهشامي. ولعريب فيهما ثاني ثقيلٍ. وفي الثالث والرابع لمياسة خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو وحبش والهشامي وتمام هذه الأبيات، وليست فيها صنعة، قوله:

تهيضني من حب لبنى علائقٌ وأصناف حبٍ هولهن عظيم

ومن يتعلق حب لبنى فؤاده يمت أو يعش ما عاش وهو كليم

فإني وإن أجمعت عنك تجلداً على العهد فيما بيننا لمقيم

وإن زماناً شتت الشمل بيننا وبينكم فيه العدا لمشوم

أفي الحق هذا أن قلبك فارغٌ صحيح وقلبي في هواك سقيم

وقد قيل: إن هذه الأبيات ليست لقيس وإنما خلطت بشعره. ولكنها في هذه الرواية منسوبة إليه.

قال: وقال أيضاً في رحيل لبنى عن وطنها وانتقالها إلى زوجها بالمدينة وهو مقيم في حيها: صوت

بانت لبينى فهاج القلب من بانا وكان ما وعدت مطلاً ولیانا

وأخلفتك منىً قد كنت تأملها فأصبح القلب بعد البين حيرانا

الله يدري وما يدري به أحدٌ ماذا أجمجم من ذكراك أحيانا

يا أكمل الناس من قرنٍ إلى قدمٍ وأحسن الناس ذا ثوبٍ وعريانا

نعم الضجيع بعيد النوم تجلبه إليك ممتلئاً نوماً ويقظانا

للغريض في هذه الأبيات ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو. وذكر الهشامي أن فيه لابن محرز ثاني ثقيلٍ آخر. وقال أحمد بن عبيد: فيه لحنان ليحيى المكي وعلويه. وتمام هذه القصيدة:

لا بارك الله فيمن كان يحسبكم ... إلا على العهد حتى كان ما كانا

حتى استفقت أخيراً بعد ما نكحت ... كأنما كان ذاك القلب حيرانا

قد زراني طيفكم ليلاً فأرقني ... فبت للشوق أذري الدمع تهتانا

إن تصرمي الحبل أو تمسي مفارقةً ... فالدهر يحدث للإنسان ألوانا

وما أرى مثلكم في الناس من بشرٍ ... فقد رأيت به حياً ونسوانا

شكاه أبوها إلى معاوية فأهدر دمه، وشعره في ذلك:

وقال ابن قتيبة في خبره عن الهيثم بن عدي، ورواه عمر بن شبة أيضاً: أن أبا لبنى شخص إلى معاوية فشكا إليه قيساً وتعرضه لابنته بعد طلاقه إياها. فكتب معاوية إلى مروان أبو سعيد بن العاص يهدر دمه إن ألم بهـــا وأن يشتد في ذلك. فكتب مروان أو سعيد في ذلك إلى صاحب الماء الذي يتزله أبو لبنى كتاباً وكيداً، ووجهت لبنى رسولاً قاصداً إلى قيس تعلمه ما جرى وتحذره. وبلغ أباه الخبر فعاتبه وتجهمه وقال له: انتهى بك الأمـــر إلى أن يهدر السلطان دمك ! فقال:

صوت

فإن يحجبوها أو يحل دون وصلها ... مقالة واشٍ أو وعيد أمير

فلن يمنعوا عيني من دائم البكا ... ولن يذهبوا ما قد أجن ضميري

إلى الله أشكو ما ألاقي من الهوى ... ومن حرقٍ تعتادني و زفير

ومن حرقٍ للحب في باطن الحشى ... وليلٍ طويل الحزن غير قصير

سأبكي على نفسي بعينٍ غزيرةٍ ... بكاء حزينٍ في الوثاق أسير

وكنا جميعاً قبل أن يظهر الهوى ... بأنعم حالي غبطةٍ وسرور

فما برح الواشون حتى بدت لهم ... بطون الهوى مقلوبةً لظهور

لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا ... ولكنما الدنيا متاع غرور

-هكذا في هذا الخبر أن الشعر لقيس بن ذريح. وذكر الزبير بن بكار أنه لجده عبد الله بن مصعب - غنى يزيد حوراء في الأول و الثاني والسادس والثالث من هذه الأبيات خفيف رملٍ بالوسطى. وغنى إبراهيم في الأول

والثاني لحناً من كتابه غير مجنس. وذكر حبش أن فيهما لإسحاق خفيف ثقيلٍ بالوسطى. وفي الخامس وما بعده لعريب ثقيلٌ أول ابتداؤه نشيد. وقال ابن الكلبي في خبره: قال قيس في اهدار معاوية دمه إن زارها:

إن تك لبنى قد أتى دون قربها ... حجابٌ منيعٌ ما إليه سبيل

فإن نسيم الجو يجمع بيننا ... ونبصر قرن الشمس حين تزول

وأرواحنا بالليل في الحي تلتقي ... ونعلم أنا بالنهار نقيل

وتجمعنا الأرض القرار وفوقنا ... سماء نرى فيها النجوم تجول

إلى أن يعود الدهر سلماً وتنقضي ... تراثٌ بغاها عندنا وذحول

شعره فيما حين صادفها في موسم الحج: ومما وجد في كتاب لابن النطاح قال العتبي حدثني أبي قال: حج قيس بن ذريح، واتفق أن حجت لبنى في تلك السنة، فرآها ومعها امرأة من قومها، فدهش وبقي واقفاً مكانه ومضت لسبيلها. ثم أرسلت إليه بالمرأة تبلغه السلام وتسأله عن خبره؛ فألفته جالساً وحده ينشد ويبكي:

ويوم منى أعرضت عني فلم أقل ... بحاجة نفس عند لبنى مقالها

وفي اليأس للنفس المريضة راحةٌ ... إذا النفس رامت خطةً لا تنالها

فدخلت خباءه وجعلت تحدثه عن لبنى ويحدثها عن نفسه ملياً، و لم تعلمه أن لبنى أرسلتها إليه. فسألها أن تبلغها عنه السلام، فامتنعت عليه؛ فأنشأ يقول:

إذاطلعت شمس النهار فسلمي ... فآية تسليمي عليك طلوعها

بعشر تحياتٍ إذا الشمس أشرقت ... وعشرٍ إذا اصفرت وحان رجوعها

ولو أبلغتها جارةٌ قولي اسلمي ... بكت جزعاً وارفض منها دموعها

وبان الذي تخفي من الوجد في الحشى ... إذا جاءها عني حديث يروعها

غنى في البيتين الأولين علويه خفيف رملٍ بالوسطى - قال: وقضى الناس حجهم وانصرفوا. فمرض قيس في طريقه مرضاً شديداً أشفى منه على الموت، فلم يأته رسولها عائداً لأن قومها رأوه وعلموا به؛ فقال:

ألبنى لقد جلت عليك مصيبتي ... غداة غدٍ إذ حل ما أتوقع

تمنينني نيلاً وتلوينني به ... فنفسي شوقاً كل يوم تقطع

وقلبك قط ما يلين لما يرى ... فواكبدي قد طال هذا التضرع

ألومك في شأني وأنت مليمةٌ ... لعمري وأجفى للمحب وأقطع

أخبرت أني فيك ميت حسرتي فما فاض من عينيك للوجد مدمع
ولكن لعمري قد بكيتك جاهداً وإن كان دائي كله منك أجمع
صبيحة جاء العائدات يعدنني فظلت علي العائدات تفجع
فقائلةٌ جئنا إليه وقد قضى وقائلةٌ لا، بل تركناه ينزع

وروى القحذمي ها هنا:

فما غشيت عينيك من ذاك عبرة وعيني على ما بي بذكراك تدمع
إذا أنت لم تبكي علي جنازةً لديك فلا تبكي غداً حين أرفع

قال: فبلغتها الأبيات، فجزعت جزعاً شديداً وبكت بكاء كثيراً. ثم خرجت إليه ليلاً على موعد فاعتذرت وقالت: إنما أبقي عليك وأخشى أن تقتل، فأنا أتحاماك لذلك، ولو هذا لما افترقنا. وودعته وانصرفت.

شعره فيها وقد بلغه أنها كذبت مرضه: وقال خالد بن كلثوم: فبلغه أن أهلها قالوا لها: إنه عليل لما به وإنه سيموت في سفره هذا. فقالت لهم لتدفعهم عن نفسها: ما أراه إلا كاذباً فيما يدعي ومتعللاً لا عليلاً. فبلغه ذلك فقال:

تكاد بلاد الله يا أم معمرٍ بما رحبت يوماً علي تضيق
تكذبني بالود لبنى وليتها تكلف مني مثله فتذوق
ولو تعلمين الغيب أيقنت أنني لكم والهدايا المشعرات صديق
تتوق إليك النفس ثم أردها حياءً ومثلي بالحياء حقيق
أذود سوام النفس عنك وماله على أحدٍ إلا عليك طريق
فإني وإن حاولت صرمي وهجرتي عليك من أحداث الردى لشفيق
ولم أر أياماً كأيامنا التي مررن علينا والزمان أنيق
ووعدك إيانا، ولو قلت عاجلٌ ، بعيدٌ كما قد تعلمين سحيق
وحدثتني ياقلب أنك صابر على البين من لبنى فسوف تذوق
فمت كمداً أو عش سقيماً فإنما تكلفني مالا أراك تطيق
أطعت وشاةً لم يكن لك فيهم خليلٌ ولا جارٌ عليك شفيق
فإن تك لما تسل عنها فإنني بها مغرمٌ صب الفؤاد مشوق
بلبنى أنادى عند أول غشية ويثني بها الداعي لها فأفيق

شهدت على نفسي بأنك غادةٌ ... رداحٌ وأن الوجه منك عتيق
وأنك لا تجزينني بصحابةٍ ... ولا أنا للهجران منك مطيق
وأنك قسمت الفؤاد فنصفه ... رهينٌ ونصفٌ في الحبال وثيق
صبوحي إذا ما ذرت الشمس ذكركم ... ولي ذكركم عند المساء غبوق
إذا أنا عزيت الهوى أو تركته ... أتت عبراتٌ بالدموع تسوق
كأن الهوى بين الحيازيم والحشى ... وبين التراقي واللهاة حريق
فإن كنت لما تعلمي العلم فاسألي ... فبعضٌ لبعضٍ في الفعال فؤوق

سلي هل قلاني من عشيرٍ صحبته ... وهل مل رحلي في الرفاق رفيق
وهل يجتوي القوم الكرام صحابتي ... إذا اغبر مخشي الفجاج عميق
وأكتم أسرار الهوى فأميتها ... إذا باح مزاحٌ بهن بروق
سعى الدهر والواشون بيني وبينها ... فقطع حبل الوصل وهو وثيق
هل الصبر إلا أن أصد فلا أرى ... بأرضك إلا أن يكون طريق

قصته مع لبنى وزوجها وقد باعه ناقة وهو لا يعرفه: قال: ثم أتى قومه فاقتطع قطعةً من إبله وأعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعها ويمتار لأهله بثمنها. فعرف أبوه أنه إنما يريد لبنى، فعاتبه وجزره عن ذلك؛ فلم يقبل منه وأخذ إبله وقدم بها المدينة. فبينا هو يعرضها إذ ساومه زوج لبنى بناقة منها وهما لا يتعارفان، فباعه إياها. فقال له: إذا كان غدٌ فأتني في كثير بن الصلت فاقبض الثمن؛ قال: نعم. ومضى زوج لبنى إليها فقال لها: إني ابتعت ناقة من رجل من أهل البادية وهو يأتينا غداً ليقبض ثمنها، فأعدي له طعاماً، ففعلت. فلما كان من الغد جاء قيس فصوت بالخادم: قولي لسيدك: صاحب الناقة بالباب. فعرفت لبنى نغمته فلم تقل شيئاً. فقال زوجها للخادم: قولي له: ادخل، فدخل فجلس. فقالت لبنى للخادم: قولي له: يا فتى، مالي أراك أشعث أغبر؟ فقالت له ذلك. فتنفس ثم قال لها: هكذا تكون حال من فارق الأحبة واختار الموت على الحياة، وبكى. فقالت لها لبنى: قولي له: حدثنا حديثك. فلما ابتدأ يحدث به كشفت الحجاب وقالت: حسبك ! قد عرفنا حديثك! وأسبلت الحجاب. فبهت ساعة لايتكلم ثم انفجر باكياً ونهض فخرج. فناداه زوجها: ويحك ! ما قصتك؟ ارجع اقبض ثمن ناقتك، وإن شئت زدناك. فلم يكلمه وخرج فاغترز في رحله ومضى. وقالت لبنى لزوجها: ويحك ! هذا قيس بن ذريح. فما حملك على ما فعلت به؟ قال: ما عرفته. وجعل قيسٌ يبكي في طريقه ويندب نفسه ويوبخها على فعله ثم قال: صوت

أتبكي على لبنى وأنت تركتها ... وأنت عليها بالملا أنت أقدر
فإن تكن الدنيا بلبنى تقلبت ... علي فللدنيا بطونٌ وأظهر
لقد كان فيها للأمانة موضعٌ ... وللكف مرتادٌ وللعين منظر
وللحائم العطشان ري بريقها ... وللمرح المختال خمرٌ ومسكر
كأني لها أرجوحةٌ بين أحبلٍ ... إذا ذكرةٌ منها على القلب تخطر

للغريض في البيتين الأولين ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو والهشامي وفيها لعريب رملٌ. ولشارية خفيف رملٍ من رواية أبي العبيس.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: تزوج رجل من أهل المدينة يقال له أبو درة امرأة كانت قبله عند رجل آخر من أهل المدينة يقال له أبو بطينة؛ فلقيه زوجها الأول فضربه ضربة شلت يده منها. فلقيه أبو السائب المخزومي فقال له: يا أبا درة! أضربك أبو بطينة في زوجته؟ قال: نعم. أما إني أشهد أنها ليست كما قال قيس بن ذريح في زوجته لبنى:

لقد كان فيها للأمانة موضعٌ ... وللكف مرتادٌ وللعين منظر
وللحائم العطشان ري بريقها ... وللمرح المختال خمر ومسكر

قال: وكانت زوجة أبي درة هذه سوداء كأنها خنفساء.

مرضه بعد هذه الحادثة: قال: وعاد إلى قومه بعد رؤيته إياها وقد أنكر نفسه وأسف ولحقه أمر عظيم؛ فأنكروه وسألوه عن حاله فلم يخبرهم، ومرض مرضاً شديداً أشرف منه على الموت. فدخل إليه أبوه ورجال قومه فكلموه وعاتبوه وناشدوه الله. فقال: ويحكم ! أتروني أمرضت نفسي أو وجدت لها سلوةً بعد اليأس فاخترت الهم والبلاء، أو لي في ذلك صنع ! هذا ما اختاره لي أبواي وقتلاني به. فجعل أبوه يبكي ويدعو به بالفرج والسلوة. فقال قيس:

لقد عذبتني يا حب لبنى ... فقع إما بموتٍ أو حياة
فإن الموت أروح من حياةٍ ... تدوم على التباعد والشتات
وقال الأقربون تعز عنها ... فقلت لهم إذاً حانت وفاتي

دست إليه رسولاً يسأله لم تزوج حتى تزوجت هي:

قال: ودست إليه لبنى بعد خروجه رسولاً وقالت له: استنشده، فإن سألك عن سبتك فانتسب له خزاعياً، فإذا أنشدك فقل له: لم تزوجت بعدها حتى أجابت إلى أن تتزوج بعدك؟ واحفظ ما يقول لك حتى ترده علي. فأتاه الرسول فسلم وانتسب خزاعياً، وذكر أنه من أهل الشام واستنشده؛ فأنشده قوله:

فأقسم ما عمش العيون شوارفٌ روائم بوٍ حانياتٌ على سقب

وقد مضت هذه الأبيات فقال له رجل: فلم تزوجت بعدها؟ فأخبره الخبر، وحلف له أن عينه ما اكتحلت بالمرأة التي تزوجها، وأنه لو رأها في نسوةً ما عرفها، وأنه ما مد يده إليها ولا كلمها ولا كشف لها عن ثوب. فقال له الرجل: فأنني جارٌ لها وإنها من الوجد بك على حال قد تمنى زوجها معها أن تكون بقربها لتصلح حالها بك؛ فحملني إليها ما شئت أؤده إليها. قال: تعود إلي إذا أردت الرحيل، فعاد إليه لما أراد الرحيل. فقال تقول لها:

ألا حي لبنى اليوم إن كنت غاديا وألمم بها من قبل أن لا تلاقيا

وأهدِ لها منك النصيحة إنها قليلٌ ولا تخشى الوشاة الأدانيا

وقل إنني والراقصات إلى منى بأجبل جمعٍ يتظرون المناديا

أصونك عن بعض الأمور مضنةً وأخشى عليك الكاشحين الأعاديا

تساقط نفسي حين ألقاك أنفساً يردن فما يصدرن إلا صواديا

فإن أحيا أو أهلك فلست بزائل لكم حافظاً ما بل ريق لسانيا

أقول إذا نفسي من الوجد أصعدت بها زفرةٌ تعتادني هي ما هيا

وبين الحشى والنحر مني حرارةٌ ولوعة وجدٍ تترك القلب ساهيا

ألا ليت لبنى لم تكن لي خلةً ولم ترني لبنى ولم أدر ما هيا

سلي الناس هل خبرت سرك منهم أخا ثقةٍ أو ظاهر الغش باديا

يقول لي الواشون لما تظاهروا عليك وأضحى الحبل للبين واهيا

لعمري لقبل اليوم حملت ما ترى وأنذرت من لبنى الذي كنت لاقيا

خليلي مالي قد بليت ولا أرى لبينى على الهجران إلا كما هيا

ألا يا غراب البين مالك كلما ذكرت لبينى طرت لي عن شماليا

أعندك علم الغيب أم لست مخبري عن الحي إلا بالذي قد بدا ليا

جزعت عليها لو أرى لي مجزعاً وأفنيت دمع العين لو كان فانيا

حياتك لا تغلب عليها فإنه كفى بالذي تلقى لنفسك ناهيا

تمر الليالي والشهور ولا أرى ولوعي بها يزداد إلا تماديا

فما عن نوالٍ من لبينى زيارتي ولا قلة الإلمام أن كنت قاليا

ولكنها صدت وحملت من هوىً لها ما يؤود الشامخات الرواسيا

وهذه القصيدة تخلط بقصيدة المجنون التي في وزنها وعلى قافيتها لتشابههما، فقلما يتميزان.
غنى الحسين بن محرز في البيت الأول والبيت الخامس من هذه القصيدة ثقيلاً أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من روايتي بذل والهشامي.
أنب لبنى زوجها لافتضاح أمره بشعر قيس فغضبت: حدثني المدائني عن عوانة عن يحيى بن علي الكناني قال: شهر أمر قيس بالمدينة وغنى في شعره الغريض ومعبد ومالك وذووهم، فلم يبق شريف ولا وضيع إلا سمع بذلك فأطربه وحزن لقيس مما به. وجاءها زوجها فأنبها على ذلك وعاتبها وقال: قد فضحتني بذكرك. فغضبت وقالت: يا هذا، إني والله ما تزوجتك رغبة فيك ولا فيما عندك ولا دلس أمري عليك، ولقد علمت أني كنت زوجته قبلك وأنه أكره على طلاقي. ووالله ما قبلت التزويج حتى أهدر دمه إن ألم بحينا، فخشيت أن يحمله ما يجد على المخاطرة فيقتل، فتزوجتك. وأمرك الأن إليك، ففارقني فلا حاجة بي إليك. فأمسك عن جوابها وجعل يأتيها بجواري المدينة يغنينها بشعر قيس كيما يستصلحها بذلك؛ فلا تزداد إلا تمادياً وبعداً، ولا تزال تبكي كلما سمعت شيئاً من ذلك أحر بكاء وأشجاه.
وسط بريكة في لقائها، وشعره في ذلك: رجع الحديث إلى سياقته.

وقال الحرمازي وخالد بن جمل: كانت امرأة من موالي بني زهرة يقال لها بريكة من أظرف النساء وأكرمهن، وكان لها زوج من قريش له دار ضيافة. فلما طالت علة قيس قال له أبوه: إني لأعلم أن شفاءك في القرب من لبنى فارحل إلى المدينة. فرحل إليها حتى أتى دار الضيافة التي لزوج بريكة. فوثب غلمانه إلى رحل قيس ليحطوه. فقال: لا تفعلوا فلست نازلاً أو ألقى بريكة فإني قصدتها في حاجة؛ فإن وجدت لها عندها موضعاً نزلت بكم وإلا رحلت. فأتوها فأخبروها. فخرجت إليه فسلمت عليه ورحبت به وقالت: حاجتك مقضيةٌ كائنةً ما كانت، فانزل. فنزل ودنا منها فقال: أذكر حاجتي؟ قالت: إن شئت. قال: أنا قيس بن ذريح. قالت: حياك الله وقربك ! إن ذكرك لجديدٌ عندنا في كل وقت. قال: وحاجتي أن أرى لبنى نظرةً واحدةً كيف شئت. قالت: ذلك لك علي. فنزل بهم وأقام عندها وأخفت أمره، ثم أهدى لها هدايا كثيرةً وقال: لاطفيها وزوجها بهذا حتى يأنس بك. ففعلت وزارتها مراراً، ثم قالت لزوجها: أخبرني عنك: أنت خيرٌ من زوجي؟ قال: لا. قالت: فلبنى خيرٌ مني؟ قال: لا. قالت: فما بالي أزورها ولا تزورني؟ قال: ذلك إليها. فأتتها وسألتها الزيارة وأعلمتها أن قيساً عندها. فتسارعت إلى ذلك وأتتها. فلما رأها ورأته بكيا حتى كادا يتلفان. ثم جعلت تسأله عن خبره وعلته فيخبرها، ويسألها فتخبره. ثم قالت: أنشدني ما قلت في علتك؛ فأنشدها قوله:

أعالج من نفسي بقايا حشاشةٍ ... على رمقٍ والعائدات تعود
فإن ذكرت لبنى هششت لذكرها ... كما هش للثدي الدرور وليد
أجيب بلبنى من دعاني تجلداً ... وبي زفراتٌ تتجلى وتعود

تعيد إلى روحي الحياة وإنني بنفسي لو عاينتني لأجود

قال: وفي هذه القصيدة يقول: صوت

ألا ليت أياماً مضين تعود فإن عدن يوماً إنني لسعيد

سقى دار لبنى حيث خلت وخيمت من الأرض منهل الغمام رعود

في هذين البيتين لعريب خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى، وقيل: إنه لغيرها. وتمام هذه القصيدة:

على كل حالٍ إن دنت أو تباعدت فإن تدن منا فالدنو مزيد

فلا اليأس يسليني ولا القرب نافعي ولبنى منوعٌ ما تكاد تجود

كأني من لبنى سليمٌ مسهدٌ يظل على أيدي الرجال يميد

رمتني لبينى في الفؤاد بسهمها وسهم لبينى للفؤاد صيود

سلا كل ذي شجوٍ علمت مكانه وقلبي للبنى ما حييت ودود

وقائلةٍ قد مات أو هو ميتٌ وللنفس مني أن تفيض رصيد

أعالج من نفسي بقايا حشاشةٍ على رمقٍ والعائدات تعود

وقال الحرمازي في خبره خاصة: وعاتبته على تزوجه؛ فحلف أنه لم ينظر إليها ملء عينيه ولا دنا منها فصدقته. وقال: صوت

ولقد أردت الصبر عنك فعاقني علقٌ بقلبي من هواك قديم

يبقى على حدث الزمان وريبه وعلى جفائك، إنه لكريم

فصرمته وصححت وهو بدائه شتان بين مصحح وسقيم

واربته زمناً فعاد بحلمه إن المحب عن الحبيب حليم

لعريب في هذه الأبيات خفيف ثقيل، وللدرامي خفيف رمل من رواية الهشامي. ومن الناس من ينسب خفيف الثقيل إليه وخفيف الرمل إليها قالوا: فلم يزل يومه معها يحدثها ويشكو إليها أعف شكوى وأكرم حديث حتى أمسى؛ فانصرفت ووعدته بالرجوع إليه من غدٍ فلم ترجع. وشاع خبره فلم ترسل إليه رسولاً. فكتب لها الأبيات في رقعة ودفعها إلى بريكة وسألها أن توصلها إليها، ورحل متوجهاً إلى معاوية. والأبيات: صوت

بنفسي من قلبي له الدهر ذاكر ومن هو عني معرض القلب صابر

ومن حبه يزداد عندي جدةً وحبي لديه مخلق العهد داثر

شكا إلى يزيد ما به وامتدحه فحقن دمه:

-غنت في هذين البيتين ضنين جارية خاقان بن حامد خفيف رملٍ قالوا: ثم ارتحل إلى معاوية، فدخل إلى يزيد فشكا ما به إليه وامتدحه؛ فرق له وقال: سل ما شئت، إن شئت أن أكتب إلى زوجها فأحتم عليه أن يطلقها فعلت. قال: لا أريد ذلك، ولكن أحب أن أقيم بحيث تقيم من البلاد، أتعرف أخبارها وأقنع بذلك من غير أن يهدر دمي. قال: لو سألت هذا من غير أن ترحل إلينا فيه لما وجب أن تمنعه، فأقم حيث شئت؛ وأخذ كتاب أبيه له بأن يقيم حيث شاء وأحب ولا يعترض عليه أحد، وأزال ما كان كتب له في إهدار دمه؛ فقدم إلى بلده؛ وبلغ الفزاريين خبره وإلمامه بلبنى، فكاتبوه في ذلك وعاتبوه. فقال للرسول: قل للفتى يعني أخا الجارية التي تزوجها: يا أخي ما غررتك من نفسي ،ولقد أعلمتك أني مشغول عن كل أحد، وقد جعلت أمر أختك إليك فأمض فيه من حكمك ما رأيت. فتكرم الفتى على أن يفرق بينهما، فمكثت في حباله مدة ثم ماتت.

لقيه عياش السعدي ذاهلاً شارد اللب وأنشده من شعره فيها: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش السعدي عن أبيه قال: أقبلت ذات يوم من الغابة ؛ فلما كنت بالمذاد ، إذا ربعٌ حديث العهد بالساكن، وإذا رجل مجتمعٌ في جانب ذلك الربع يبكي ويحدث نفسه. فسلمت فلم يرد علي سلاماً. فقلت في نفسي: رجل ملتبسٌ به فوليت عنه. فصاح بي بعد ساعة: وعليك السلام، هلم هلم إلي يا صاحب السلام ! فأتيته فقال: أما والله لقد فهمت سلامك ولكني رجل مشترك اللب يضل عني أحياناً ثم يعود إلي. فقلت ومن أنت؟ قال: قيس بن ذريح الليثي. قلت صاحب لبنى؟ قال: صاحب لبنى لعمري وقتيلها! ثم أرسل عينيه كأنهما مزادتان؛ فما أنسى حسن قوله:

أبائنة لبنى ولم تقطع المدى ... بوصلٍ ولا صرمٍ فييأس طامع

نهاري نهار الوالهين صبابةً ... وليلي تنبو فيه عني المضاجع

وقد كنت قبل اليوم خلواً وإنما ... تقسم بين الهالكين المصارع

فلولا رجاء القلب أن تسعف النوى ... لما حبسته بينهن الأضالع

له وجباتٌ إثر لبنى كأنها ... شقائق برقٍ في السماء لوامع

أبى الله أن يلقى الرشاد متيمٌ ... ألا كل أمر حم لابد واقع

هما برحابي معولين كلاهما ... فؤادٌ وعينٌ جفنها الدهر دامع

عبد الله بن مسلم بن جندب ينشد من شعره: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد قال حدثنا الزبير قال، وأخبرنا به وكيع عن أبي أيوب المديني، قال الزبير قال حدثتني ظبية قالت: سمعت عبد الله بن مسلم بن جندب ينشد زوجي قول قيس بن ذريح:

إذا ذكرت لبنى تأوه واشتكى ... تأوه محموم عليه البلابل

يبيت ويضحي تحت ظل منيةٍ به رمقٌ تبكي عليه القبائل

قتيل للبنى صدع الحب قلبه وفي الحب شغلٌ للمحبين شاغل

فصاح زوجي:أوه ! واحرباه واسلباه !. ثم أقبل على ابن جندب فقال: ويلك ! أتنشد هذا كذا ! قال: فكيف أنشده؟ قال: لم لا تتأوه كما يتأوه وتشتكي كما يشتكي!.

استنشده ابن أبي عتيق أحر ما قال في لبنى: وقال القحذمي: قال ابن أبي عتيق لقيس يوماً: أنشدني أحر ما قلت في لبنى. فأنشده قوله:

وإني لأهوى النوم في غير حينه لعل لقاءً في المنام يكون

تحدثني الأحلام أني أراكم فيا ليت أحلام المنام يقين

شهدت بأني لم أحل عن مودةٍ وأني بكم لو تعلمين ضنين

وأن فؤادي لا يلين إلى هوى سواك وإن قالوا بلى سيلين

فقال له بن أبي عتيق: لقل ما رضيت به منها يا قيس. قال: ذلك جهد المقل.

غنى في البتين الأولين قفا النجار ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش.

أنشد ثعلب من شعره وكان يستحسنه: أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب لقيس بن ذريح وكان يستحسن هذه الأبيات من شعره:

سقى طلل الداري التي أنتم بها حياً ثم وبلٌ صيفٌ وربيع

مضى زمنٌ والناس يستشفعون بي فهل لي إلى لبنى الغداة شفيع

سأصرم لبنى حبلك اليوم مجملاً وإن كان صرم الحبل منك يروع

وسوف أسلي النفس عنك كما سلا عن البلد النأي البعيد نزيع

وإن مسني للضر منك كآبةٌ وإن نال جسمي للفراق خشوع

يقولون صب بالنساء موكلٌ وما ذاك من فعل الرجال بديع

ندمت على ما كان مني ندامةً كما ندم المغبون حين يبيع

فقدتك من نفسٍ شعاعٍ ألم أكن نهيتك عن هذا وأنت جميع

فقربت لي غير القريب وأشرفت هناك ثنايا ما لهن طلوع

إلى الله أشكو نيةً شقت العصا هي اليوم شتى وهي أمس جميع

فيا حجرات الدار حيث تحملوا بذي سلمٍ لا جادكن ربيع

صوت

فلو لم يهجني الظاعنون لها جني حمائم ورقٌ في الديار وقوع

تداعين فاستبكين من كان ذا هوى نوائح لم تقطر لهن دموع

-غنى في هذين البيتين ابن سريج خفيف ثقيلٍ أول عن الهشامي - صوت

إذا أمرتني العاذلات بهجرها أبت كبدٌ عما يقلن صديع

وكيف أطيع العاذلات وذكرها يؤرقني والعاذلات هجوع

غنى في هذين البيتين إبراهيم ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو.

فكاهات لأبي السائب في شعره

وفي سيرته:

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: أنشدت أبا السائب المخزومي قول قيس بن ذريح: صوت

أحبك أصنافاً من الحب لم أجد لها مثلاً في سائر الناس يوصف

فمنهن حبٌ للحبيب ورحمةٌ بمعرفتي منه بما يتكلف

ومنهن ألا يعرض الدهر ذكرها على القلب إلا كادت النفس تتلف

وحبٌ بدا بالجسم واللون ظاهرٌ وحبٌ لدى نفسي من الروح ألطف

قال أبو السائب: لا جرم والله لأخلصن له الصفاء ولأغضبن لغضبه ولأرضين لرضاه. غنى في البيتين الأولين الحسين بن محرز خفيف ثقيلٍ عن الهشامي وبذل.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا الملك بن عبد العزيز عن أبي السائب المخزومي أنه أخبره أنه كان مع عبد الرحمن بن عبد الله بن كثير في سقيفة دار كثير، إذ مر بجنازةٍ؛ فقال لي: يا أبا السائب، جارك ابن كلدة، إلا تقوم بنا فنصلي عليه! قال: قلت: بلى والله فديتك! فقمنا حتى إذا كنا عند دار أويس إذ ذكرت أن جده كان تزوج لبنى ونزل بها المدينة، فرجعت فطرحت نفسي بالسقيفة وقلت: لا يراني الله أصلي عليه. فرجع الكثيري فقال: أكنت جنباً؟ قلت: لا والله. قال: فعلى غير وضوء؟ قلت: لا والله. قال: فما لك؟ قلت: ذكرت أن جده كان تزوج لبنى وفرق بينها وبين قيس بن ذريح لما ظعن بها من بلادها، فما كنت لأصلي عليه.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثني هارون بن

موسى الفروي قال أخبرنا الخليل بن سعيد قال: مررت بسوق الطير، فإذا الناس قد اجتمعوا يركب بعضهم بعضاً، فاطلعت فإذا أبو السائب المخزومي قائم على غراب يباع وقد أخذ بطرف ردائه وهو يقول للغراب: يقول لك قيس بن ذريح:

ألا يا غراب البين قد طرت بالذي أحاذر من لبنى فهل أنت واقع

لم لا تقع! ويضربه بردائه والغراب يصيح. قال: فقال قائل له: أصلحك الله يا أبا السائب ! ليس هذا ذاك الغراب. فقال: قد علمت، ولكن آخذ البريء حتى يقع الجريء .

آلت لبنى ألا ترى غراباً إلا قتلته لبيت قاله من قصيدة، وذكر المختار منها: وقال الحرمازي في خبره: لم بلغ لبنى قول قيس:

ألا يا غراب البين قد طرت بالذي أحاذر من لبنى فهل أنت واقع

آلت ألا ترى غراباً إلا قتلته؛ فكانت كلما رأته أو رأته خادمٌ لها أو جارة ابتيع ممن هو معه وذبحته.

وهذه القصيدة العينية أيضاً من جيد شعر قيس. والمختر منها قوله:

أتبكي على لبنى وأنت تركتها وكنت كآتٍ حتفه وهو طائع
فيا قلب صبراً واعترافاً لما ترى ويا حبها قع بالذي أنت واقع
ويا قلب خبرني إذا شطت النوى بلبنى وبانت عنك ما أنت صانع

أتصبر للبين المشت مع الجوى أم أنت امرؤ ناسي الحياء فجازع
كأنك بدعٌ لم ترى الناس قبلها ولم يطلعك الدهر فيمن يطالع
ألا يا غراب البين قد طرت بالذي أحاذر من لبنى فهل أنت واقع
فليس محبٌ دائماً لحبيبه ولا ثقةٌ إلا له الدهر فاجع
كان بلاد الله ما لم تكن بها وإن كان فيها الناس قفرٌ بلاقع
فما أنت إذ بانت لبينى بهاجعٍ إذا ما اطمأنت بالنيام المضاجع

صوت

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى ويجمعني والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى إذا دجا لي الليل هزتني إليك المضاجع
لقد رسخت في القلب منك مودةٌ كما رسخت في الراحتين الأصابع

أحال علي الهم من كل جانب ودامت فلم تبرح علي الفواجع
ألا إنما أبكي لما هو واقعٌ فهل جزعي من وشك ذلك نافع
وقد كنت أبكي والنوى مطمئنةٌ بنا وبكم من علم ما البين صانع
وأهجركم هجر البغيض وحبكم على كبدي منه كلوم صوادع
وأعمد للأرض التي لا أريدها لترجعني يوماً إليك الرواجع
وأشفق من هجرانكم وتروعني مخافة وشك البين والشمل جامع
فما كل ما منتك نفسك خالياً تلاقي ولا كل الهوى أنت تابع
لعمري لمن أمسى ولبنى ضجيعه من الناس ما اختيرت عليه المضاجع
فتلك لبينى قد تراخى مزارها وتلك نواها غربةٌ ما تطاوع
وليس لأمرٍ حاول الله جمعه مشتٌ ولا ما فرق الله جامع
فلا تبكين في إثر لبنى ندامةً وقد نزعتها من يديك النوازع

غنى الغريض في الثالث والرابع والأول والعشرين وهو " لعمري لمن أمسى ولبنى ضجيعه " ثقيلاً أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وغنى إبراهيم الموصلي في العاشر وهو: " أقضي نهاري بالحديث وبالمنى " والحادي عشر والثاني عشر رملاً بالوسطى عن عمرو. وقد قيل: إن ثلاثة أبيات من هذه وهي: " أقضي نهاري بالحديث وبالمنى" والبيتان اللذان بعده لابن الدمينة الخثعمي؛ وهو الصحيح؛ وإنما أدخلها الناس من هذه الأبيات لتشابهها.

مصير قيس ولبنى وهل ماتا زوجين أو مفترقين: وقد اختلف في آخر أمر قيس ولبنى؛ فذكر أكثر الرواة أنهما ماتا على افتراقهما، فمنهم من قال: إنه مات قبلها وبلغها ذلك فماتت أسفاً عليه. ومنهم من قال: بل ماتت قبله ومات أسفاً عليها، وممن ذكر ذلك اليوسفي عن علي بن صالح المصلى؛ قال قال لي أبو عمرو المدني: ماتت لبنى، فخرج قيسٌ ومعه جماعةٌ من أهله فوقف على قبرها فقال:

ماتت لبينى فموتها موتي هل تنفعن حسرتي على الفوت
وسوف أبكي بكاء مكتئبٍ قضى حياةً وجداً على ميت

ثم أكب على القبر يبكي حتى أغمي عليه؛ فرفعه أهله إلى منزله وهو لا يعقل، فلم يزل عليلاً لا يفيق ولا يجيب مكلماً ثلاثاً حتى مات فدفن إلى جنبها.

وذكر القحذمي وابن عائشة وخالد بن جمل أن ابن أبي عتيق صار إلى الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وجماعةٍ من قريش، فقال لهم: إن لي حاجةً إلى رجل أخشى أن يردني فيها،

وإني أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه. قالوا: ذلك لك مبتذلٌ منا. فاجتمعوا ليومٍ وعدهم فيه، فمضى بهم إلى زوج لبنى. فلما رآهم أعظم مصيرهم إليه وأكبره. فقالوا: لقد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق. قال: هي مقضية كائنةً ما كانت. قال ابن أبي عتيق: قد قضيتها كائنةً ما كانت من ملك أو مال أو أهل؟ قال نعم. قال: تهب لهم ولي لبنى زوجتك وتطلقها. قال: فإني أشهدكم أنها طالقٌ ثلاثاً. فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا: والله ما عرفنا حاجته، ولو علمنا أنها هذه ما سألناك إياها. وقال ابن عائشة: فعوضه الحسن من ذلك مائة ألف درهم وحملها ابن أبي عتيق إليه. فلم تزل عنده حتى انقضت عدتها. فسأل القوم أباها فزوجها قيساً، فلم تزل معه حتى ماتا. قالوا: فقال قيس يمدح ابن أبي عتيق:

جزى الرحمن أفضل ما يجازي ... على الإحسان خيراً من صديق
فقد جربت إخواني جميعاً ... فما ألفيت كابن أبي عتيق
سعى في جمع شملي بعد صدعٍ ... ورأيٍ حدت فيه عن الطريق
وأطفأ لوعةً كانت بقلبي ... أغصتني حرارتها بريقي

قال: فقال له ابن أبي عتيق: يا حبيبي أمسك عن هذا المديح؛ فما يسمعه أحد إلا ظنني قواداً. مضى الحديث.

صوت من مدن معبد في شعر عنترة: ومن مدن معبد وهو الذي أوله:

يا دار عبلة بالجواء تكلمي

وقد جمع معه سائر ما يغنى فيه من القصيدة.

منها: صوت

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم
يا دار عبلة بالجواء تكلمي ... وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي
وتحل عبلة بالجواء وأهلنا ... بالحزن فالصمان فالمتثلم
كيف القرار وقد تربع أهلها ... بعنيزتين وأهلنا بالغيلم
حييت من طللٍ تقادم عهده ... أقوى وأقفر بعد أم الهيثم
ولقد نزلت فلا تظني غيره ... مني بمنزلة المحب المكرم
ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر ... للحرب دائرةٌ على ابني ضمضم
الشاتمي عرضي ولم أشتمهما ... والناذرين إذا لم القهما دمي
ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها ... قيل الفوارس ويك عنتر فاقدم
ما زلت أرميهم بثغرة نحره ... ولبانه حتى تسربل بالدم

هلا سألت الخيل يابنة مالكٍ إن كنت جاهلةً بما لم تعلمي
يخبرك من شهد الوقيعة أنني أغشى الوغى وأعف عند المغنم
يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بئرٍ في لبان الأدهم
فشككت بالرمح الطويل ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم
فإذا شربت فإنني مستهلكٌ مالي، وعرضي وافرٌ لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندىً وكما علمت شمائلي وتكرمي

الشعر لعنترة بن شداد العبسي، وقد تقدمت أخباره ونسبه. وغنى في البيت الأول، على ما ذكره ابن المكي، إسحاق خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى، وما وجدت هذا في رواية غيره. وغنى معبد في البيت الثاني والثالث خفيف ثقيلٍ أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وهو الصوت المعدود في مدن معبد. وغنى سلام الغسال في السابع والثامن والثالث والعاشر رملاً بالسبابة في مجرى البنصر، ووجدت في بعض الكتب أن له ايضاً في السابع وجده ثاني ثقيلٍ أيضاً، وذكر عمرو بن بانة أن هذا الثقيل الثاني بالوسطى لمعبد ووافقه يونس، وذكر ابن المكي أن هذا الثقيل الثاني للهذلي، وذكر غيره أنه لابن محرز. وذكر أحمد بن عبيد أن في السابع ثقيلاً أول للهذلي، ووافقه حبش. وذكر حبش أن في الثاني لمعبد ثقيلاً أول، وأن لابن سريج فيه رملاً آخر غير رمل ابن الغسال، وأن لابن مسجح أيضاً فيه خفيف ثقيلٍ بالوسطى. وفي كتاب أبي العبيس: له في الثالث لحن. وفي كتاب أبي أيوب المديني: لابن جامع في هذه الأبيات لحن. ولمعبد في الحادي عشر والثاني عشر والخامس عشر والسادس عشر خفيف ثقيلٍ أول مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً. ولعلوية في السادس والرابع ثاني ثقيلٍ، وله أيضاً في الرابع عشر والثالث عشر رملٌ. وفي كتاب هارون بن الزيات لعبد آلٍ في الخامس ثقيلٌ أول؛ وقد نسب الثقيل الثاني المختلف فيه لابن محرز. وفي كتاب هارون: لأحمد النصبي في الرابع والخامس لحن.

" هل غادر الشعراء " البيت، يدفع أكثر الرواة أن يكون لعنترة؛ وممن يدفعه الأصمعي وابن الأعرابي. وأول القصيدة عندهما " يا دار عبلة ". فذكر أبو عمرو الشيباني أنه لم يكن يرويه حتى سمع أبا حزامٍ العكلي يرويه له. قوله: " هل غادر الشعراء من متردم " يقول: هل تركوا شيئاً ينظر فيه لم ينظروا فيه؟. والمتردم: المتعطف، وهو مصدر. يقول: هل تركوا شيئاً يتردم عليه أي يتعطف؛ ويقال: تردمت الناقة على ولدها إذا تعطفت عليه، وثوبٌ مردم وملدم إذا سدت خروقه بالرقاع. والربع: المنزل، سمي ربعاً لارتباعهم فيه؛ والربيعة: الصخرة حكى أبو نصر أنه يقول: هل ترك الشعراء من خرقٍ لم يرقعوه وفتقٍ لم يرتقوه ! وهو أشبه بقوله من متردم. وقال غيره: يعني بقوله من متردم البناء وهو الردم، أي لم يتركوا بناءً إلا بنوه؛ قال الله عز وجل " أجعل بينكم وبينهم ردماً " يعني بناء؛ وردم فلان حائطه أي بناه. والجواء: بلد بعينه؛ والجواء أيضاً: جمع جوٍ وهو البطن الواسع من

الأرض. عمي صباحاً، وانعمي صباحاً: تحيةٌ. تربع أهلها: نزلوا في الربيع. وعنيزتين: أكمةٌ سوداء بين البصرة ومكة. والغيلم: موضع. والطلل: ما كان له شخص من الدار مثل أثفية أو وتدٍ أو نؤيٍ، وتقول العرب: حيا الله طللك، أي شخصك. وابنا ضمضم: حصين وهرم المريان. وثغرة نحره: موضع لبته. واللبان: مجرى لبة من صدره وهو الصدر نفسه. ويروى " بغرة وجهه". وتسربل، أي صار له سربال من الدم. وقوله:" هلا سألت الخيل " يريد فرسان الخيل ؛كما قال الله تعالى: " واسأل القرية ". والوقيعة: الوقعة. والوغى والوحى: أصوات الناس وجلبتهم في الحرب؛ وقال الشاعر:

وليلٍ كساج الحميري أدرعته كأن وغى حافاته لغط العجم

والأشطان: الحبال، واحدها شطن. شبه اختلاف الرماح في صدر فرسه بالأشطان. وشككت بالرمح: نظمت. وقال أبو عمرو: يعني بثياب قلبه. والعرض: موضع المدح والذم من الرجل؛ يقال: طيب العرض أي طيب ريح الجسم. والكلوم: الجراح. والوافر: التام. وشمائلي: أخلاقي، واحدها شمال. يقال: فلان حلو الشمائل والنحائت والضرائب والغرائز.

عنترة يقول معلقته لأن رجلاً سبه وعيره سواده: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري قال قال أبو عمرو الشيباني:

قال عنترة هذه القصيدة لأن رجلاً من بني عبس سابه فذكر سواده وسواد أمه وإخوته وعيره ذلك. فقال عنترة: والله إن الناس ليترافدون بالطعمة، فوالله ما حضرت مرفد الناس أنت ولا أبوك ولا جدك قط. وإن الناس ليدعون في ا لفزع فما رأيتك في خيل قط، ولا كنت في أول النساء. وإن اللبس " يعني الاختلاط " ليكون بيننا فما حضرت أنت ولا أحدٌ من أهل بيتك لحظةٍ فيصل قط، وكنت فقعاً بقرقرة . ولو كنت في مرتبتك ومغرسك التي أنت فيه ثم ما جدتك لمجدتك، أو طاولتك لطلتك، ولو سألت أمك وأباك عن هذا لأخبراك بصحته. وإني، وأوفى المنغم، وأعف عن المسألة واجود بما ملكت، وأفضل الخطة الصمعاء . فقال له الآخر: أنا أشعر منك. فقال: ستعلم !. وكان عنترة لا يقول من الشعر إلى البيت أو البيتين في الحرب فقال هذه القصيدة. ويزعمون أنها أول قصيدة قالها. وكانت العرب تسميها المذهبة.

بقية مدن معبد

نسبة الأصوات التي جعلت مكان بعض هذه الأصوات في مدن معبد، وهن: صوت من مدنه في شعر كثير عزة: صوت

تقطع من ظلامة الوصل أجمع أخيراً على أن لم يكن يتقطع

وأصبحت قد ودعت ظلامة التي تضر وما كانت مع الضر تنفع

الشعر لكثير. والغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر عن عمرو ويونس.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن البكار قال حدثني سليمان بن عياش السعدي قال قال السائب راوية كثير، وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال زعم ابن الكلبي عن أبي المقوم قال حدثني سائب راوية كثير قال: كنت مع كثير عند ظلامة فأقمنا أياماً. فلما أردنا الانصراف عقدت له في علاقة سوطه عقداً وقالت: أحفظها ثم انصرفنا فمررنا على ماء لبني ضمرة، فقال: إن في هذه الأخبية جاريةً ظريفةً ذات جمال، فهل لك أن تستبرزها؟ فقلت: ذاك إليك. قال: فملنا إليهم فخرجت إلينا جاريتها فأخرجتها إلينا، فإذا هي عزة، فجلس معها يحادثها، وطرح سوطه بينه وبينها إلى أن غلبته عيناه، وأقبلت عزة على تلك العقد تحلها واحدةً واحدةً. فلما استيقظ انصرفنا. فنظر إلى علاقة سوطه فقال: أحلتها؟ قلت: نعم ! فلا وصلها الله ! والله إنك لمجنون. قال: فسكت عني طويلاً ثم رفع السوط فضرب به واسط رحله وأنشأ يقول:

تقطع من ظلامة الوصل أجمع ... أخيراً على أن لم يكن يتقطع

وأصبحت قد ودعت ظلامة التي ... تضر وما كانت مع الضر تنفع

وقد سد من أبواب ظلامة التي ... لنا خلفٌ للنفس منها ومقنع

ثم وصل عزة بعد ذلك وقطع ظلامة.

ومنها: وهو الذي أوله: " خمصانةٌ قلقٌ موشحها ".

صوت من مدنه في شعر الحارث

ابن خالد:

صوت

أقوى من آل ظليمة الحزم ... فلغمرتان فأوحش الخطم

فجنوب أثبرةٍ فملحدها ... فلسدرتان فما حوى دسم

وبما أرى سخصاً به حسناً ... في القوم إذا حيتكم نعم

إذا ودها صافٍ و رؤيتها ... أمنيةٌ وكلامها غنم

لفاء مملوءٌ مخلخلها ... عجزاء ليس لعظمها حجم

خمصانةٌ قلقٌ موشحها ... رؤد الشباب على بها عظم

وكأن غاليةً تباشرها ... تحت أثياب إذا صغا النجم

أظليم إن مصابكم رجلاً ... أهدى السلام تحيةً ظلم

اقصيته وأراد سلمكم فليهنه إذ جاءك السلم

عروضه من الكامل. الشعر للحارث بن خالد المخزومي. والغناء لمعبد، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر. قال: ولحن معبد :

خمصانةٌ قلقٌ موشحها

وأول لحن مالك:

أقوى من آل ظليمة الحزم

ذكر الحارث بن خالد

ونسبه وخبره في هذا الشعر

الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ وقد تقدم ذكره وأخباره في كتاب المائة المختارة في بعض الأغاني المختارة التي شعرها له وهو:

إن امرأً تعتاده ذكر

تزوج حميدة بنت النعمان بن بشير ثم طلقها: أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال: بلغني أن الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة -ويقال: بل خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة -كان تزوج حميدة بنت النعمان بن بشير بدمشق لما قدم على عبد الملك بن مروان. فقالت فيه:

نكحت المديني إذ جاءني فيالك من نكحةٍ غاويه

كهول دمشق وشبانها أحب إلينا من الجاليه

صنانٌ لهم كصنان التيو س أعيا على المسك والغاليه

فقال الحارث يجيبها: صوت

أسنا ضوء نار ضمرة بالقف رة أبصرت أم سنا ضوء برق

قاطنات الحجون أشهى إلى قل بي من ساكنات دور دمشق

يتضو عن لو تضمخن بالمس ك صناناً كأنه ريح مرق

غناه مالك بن أبي السمح خفيف ثقيلٍ أول بالسبابة في مجرى البنصر من رواية إسحاق. وفيه لابن محرز لحنٌ من رواية عمرو بن بانة ثقيلٌ أول بالوسطى.

رجعت الرواية إلى خبر الحارث قال: وطلقها الحارث؛ فخلف عليها روح بن زنباع. قال: وكان الحارث خطب

أمة لمالك بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وخطبها عبد الله بن مطيع. فتزوجها عبد الله ثم طلقها أو مات عنها، فتزوجها الحارث بن خالد بعد ذلك وقال فيها قبل أن يتزوج:

أقوى من آل ظليمة الحزم فالغمرتان فأوحش الخطم

الأبيات التي فيها الغناء.

قال وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم عن عوانة بهذا الخبر فذكر مثله، و لم يذكر أن الحارث هو المتزوجها، وفسر قولها:

أحب إلينا من الجاليه

وقال: الجاليه أهل الحجاز، كان أهل الشام يسمونهم بذلك لأنهم كانوا يجلون عن بلادهم إلى الشام. وقال في الحديث: فبلغ عبد الملك قولها فقال: لولا أنها قدمت الكهول على الشبان لعاقبتها.

قتل مصعب أختها عمرة بعد قتل زوجها المختار: قال عوانة: وكانت لحميدة أخت يقال لها عمرة، وكانت تحت المختار بن أبي عبيد الثقفي، فأخذها مصعب بعد قتله المختار وأخذ امرأته الأخرى وهي بنت سمرة بنت جندب، فأمرهما بالبراءة من المختار. أما بنت سمرة فبرئت منه، وأبت ذلك عمرة. فكتب به مصعب إلى أخيه عبد الله. فكتب إليه: إن أبت أن تبرأ منه فاقتلها.

فأبت فحفر لها حفيرة وأقيمت فيها فقتلت. فقال عمر بن أبي ربيعة في ذلك:

إن من أعجب العجائب عندي قتل بيضاء حرةٍ عطبول

قتلت حرةٌ على غير جرمٍ إن لله درها من قتيل

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

رجع الحديث إلى رواية عمر بن شبة قال أبو زيد وحدثني ابن عائشة عن أبيه بهذا الخبر ونحوه، وزاد فيه أن الحارث لما تزوجها قالت فيه:

نكحت المديني إذ جاءني فيالك من نكحةٍ غاويه

تهاجي حميدة مع زوجها روح بن زنباع: وذكر الأبيات المتقدمة. وقال عمر بن شبة فيه: وتزوجها روح بن زنباع؛ فنظر إليها يوماً تنظر إلى قومه جذام، وقد اجتمعوا عنده فلامها. فقالت: وهل أرى إلا جذام !فوالله ما أحب الحلال منهم فكيف بالحرام !.

وقالت تهجوه:

بكى الخز من روحٍ وأنكر جلده وعجت عجيجاً من جذام المطارف

وقال العبا قد كنت حيناً لباسكم وأكسيةٌ كرديةٌ وقطائف

فقال روح:

إن تبك منا تبك ممن يهينها وإن تهوكم تهو اللئام المقارفا

وقال روح:

أثني علي بما علمت فإنني مثنٍ عليك لبئس حشو المنطق

فقالت:

أثني عليك بأن باعك ضيقٌ وبأن أصلك في جذام ملصق

فقال روح:

أثني علي بما علمت فإنني مثنٍ عليك بمثل ريح الجورب

فقالت:

فثناؤنا شر الثناء عليكم أسوا وأنتن من سلاح الثعلب

وقالت:

وهل أنا إلا مهرةٌ عربيةٌ سليلة أفراس تجللها بغل

فإن نتجت مهراً كريماً فبالحرى وإن يك إقرافٌ فما أنجب الفحل

فقال روح:

فما بال مهرٍ رائع عرضت له أتانٌ فبالت عند جحفلة البغل

إذا هو ولى جانباً ربخت له كما ربخت قمراء في دمس سهل

وقالت عمرة لأخيها أبان بن النعمان:

أطال الله شأوك من غلامٍ متى كانت مناكحنا جذام

أترضى بالأكارع والذنابى وقد كنا يقر بنا السنام

وقال ابن عم لروح:

رضي الأشياخ بالفطيون فحلاً وترغب للحماقة عن جذام

يهودي له بضع العذارى فقبحاً للكهول وللغلام

تزف إليه قبل الزوج خودٌ كأن شمساً تدلت من غمام

فأبقى ذلكم عاراً وخزياً بقاء الوحي في صم السلام

يهودٌ جمعوا من كل أوبٍ وليسوا بالغطاريف الكرام

وقالت:

سميت روحاً وأنت الغم قد علموا لا روح الله عن روح بن زنباع

فقال روح:

لا روح الله عمن ليس يمنعنا مالٌ رغيبٌ وبعلٌ غير ممناع

كشافعٍ جونةٍ ثجلٍ مخاصرها دبابة شثنة الكفين جباع

قال: والجباع: القصيرة. والجباع من السهام: الذي لا نصل له. والجباع: الرصف . وقالت:

تكحل عينيك برد العشي كأنك مسومةٌ زانيه

وآية ذلك بعد الخفوق تغلف رأسك بالغاليه

وأن بنيك لريب الزما ن أمست رقابهم حاليه

فلو كان أوسٌ لهم حاضراً لقال لهم إن ذا ماليه

وأوس رجل من جذام يقال له: أنه استودع روحاً مالاً فلم يرده عليه. فقال لها روح:

إن يكن الخلع من بالكم فليس الخلاعة من باليه

وإن كان من قد مضى مثلكم فأفٌ وتفٌ على الماضيه

وما إن برا الله فاستيقني ه من ذات بعلٍ ومن جاريه

شبيهاً بك اليوم فيمن بقي ولا كان في الأعصر الخاليه

فبعداً لمحياك إذ ما حييت وبعداً لأعظمك الباليه

تزوجها بعده الفيض بن محمد بن الحكم: وقال روح في بعض ما يتنازعان فيه: اللهم إن بقيت بعدي فابتلها ببعلٍ يلطم وجهها ويملئ حجرها قيئاً: فتزوجها بعده الفيض بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل وكان شاباً جميلاً يصيب من الشراب فأحبته. فكان ربما أصاب من الشراب مسكراً فيلطم وجهها ويقيء في حجرها؛ فتقول: يرحم الله أبا زرعة! قد أجيبت دعوته في. وقالت لفيض:

سميت فيضاً وما شيءٌ تفيض به إلا سلاحك بين الباب والدار

فتلك دعوة روح الخير أعرفها سقى الإله صداه الأوطف الساري

وقالت لفيض أيضاً:

ألا يا فيض كنت أراك فيضاً فلا فيضاً أصبت ولا فراتا

وقالت:

وليس فيضٌ بفياض العطاء لنا لكن فيضاً لنا بالقيء فياض

ليث الليوث علينا باسلٌ شرسٌ وفي الحروب هيوب الصدر جياض

تزوج ابنتها من الفيض الحجاج بن يوسف: فولدت من الفيض ابنةً فتزوجها الحجاج بن يوسف؛ وقد كانت قبلها عند الحجاج أم أبانٍ بنت النعمان بنت بشير فقالت حميدة للحجاج:

إذا تذكرت نكاح الحجاج من النهار أو من الليل الداج

فاضت له العين بدمع ثجاج وأشعل القلب بوجدٍ وهاج

لو كان نعمان قتيل الأعلاج مستوي الشخص صحيح الأوداج

لكنت منها بمكان النساج قد كنت أرجو بعض ما يرجو الراج

أن تنكحيه ملكاً أو ذا تاج

فقدمت حميدة على ابنتها زائرة. فقال لها الحجاج: يا حميدة، إني كنت احتمل مزاحك مرةً ، وأما اليوم فإني بالعراق وهو قوم سوءٍ فإياك !. فقالت: سأكف حتى أرحل.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا سليمان بن أيوب قال حدثنا المدائني عن مسلمة بن محارب قال:

قالت حميدة بنت النعمان لزوجها روح بن زنباع، وكان أسود ضخماً: كيف تسود وفيك ثلاث خصال: أنت من جذام، وأنت جبانٌ، وأنت غيور. فقال: أما جذام فأنا في أرومتها ، وبحسب الرجل أن يكون في أرومة قومه. وأما الجبن فإنما لي نفسٌ واحدة، ولو كان لي نفسان لجدت بإحداهما. وأما الغيرة فهو أمر لا أحب أن أشارك فيه، وإن المرء لحقيقٌ بالغيرة على المرأة مثلك الحمقاء الورهاء لا يأمن أنت تأتي بولد من غيره فتقذفه في حجره. ثم ذكر باقي خبرها مثل ما تقدم، وقال فيه فخلف بعده عليها الفيض بن محمد عم يوسف بن عمر، فكان يشرب ويلطمها ويقيء في حجرها فقالت:

سميت فيضاً وما شيءٌ تفيض به إلا سلاحك بين الباب والدار

قال المدائني: وتمثل فيضٌ يوماً بهذا البيت:

إن كنت ساقيةً يوماً على كرمٍ صفو المدامة فاسقيها بني قطن

ثم تحرك فضرط. فقالت: واسقِ هذه بني قطن !.

أبو عثمان المازني والواثق: وهذا الصوت أعني:

أقوى من آل ظليمة الحزم

هو الصوت الذي أشخص الواثق له أبا عثمان المازني بسبب بيت منه اختلف في إعرابه بحضرته، وهو قوله:

أظليم أن مصابكم رجلاً أهدى السلام تحيةً ظلم

وقال آخرون: رجلٌ. حدثني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن أبي العباس محمد بن يزيد عن أبي عثمان، وأخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا القاسم بن إسماعيل وعون بن محمد وعبد الواحد بن العباس بن عبد الواحد والطيب بن محمد الباهلي، يزيد بعضهم على بعض، قالوا حدثنا أبو عثمان المازني قال: كان سبب طلب الواثق لي أن مخارقاً غنى في مجلسه:

أظليم أن مصابكم رجلاً أهدى السلام تحيةً ظلم

فغناه مخارق " رجلٌ " فتابعه بعض القوم وخالفه أخرون. فسأل الواثق عمن بقي من رؤساء النحويين فذكرت له، فأمر بحملي. فاما وصلت إليه قال: ممن الرجل؟ قلت: من بني مازن. قال: أمن مازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة أم مازن اليمن؟ قلت: من مازن ربيعة. فقال لي با اسمك؟ "يريد ما اسمك وهي لغة كثيرة في قومنا " فقلت على القياس: مكرٌ " أي بكر " فضحك فقال : اجلس واطبئن: يريد: اطمئن " فجلست. فسألني عن البيت. فقلت: " إن مصابكم رجلاً " فقال: أين خبر "إن "؟ قلت: " ظلم " وهو الحرف الذي في آخر البيت. وقال الأخفش في خبره: وقلت له: إن معنى " مصابكم " إصابتكم، مثل ما تقول: إن قتلكم رجلاً حياكم ظلمٌ. ثم قلت: يا أمير المؤمنين، إن البيت كله معلق لا معنى له حتى يتم بقوله " ظلم ". ألا ترى أنه لو قال: أظليم إن مصابكم رجلٌ أهدى السلام تحيةً، لما احتيج إلى " ظلم " ولا كان له معنىً، إلا أن يجعل التحية بالسلام ظلماً، وذلك محال، ويجب حينئذٍ أن يقول:

أظليم إن مصابكم رجلٌ أهدى السلام تحيةً ظلما

ولا معنى لذلك، ولا هو، لم كان له وجهٌ، معنى قول الشاعر في شعره. فقال: صدقت، ألك ولدٌ؟ قلت: بنيةٌ لا غير. قال: فما قالت حين ودعتها؟ قال قلت: أنشدت شعر الأعشى:

تقول ابنتي حين جد الرحيل أرانا سواءً ومن قد يتم
أبانا فما رمت من عندنا فإنا بخيرٍ إذا لم ترم
أرانا إذا أضمرتك البلا د نجفى وتقطع منا الرحم

قال: فما قلت لها؟ قال: قلت لها قول جرير:

ثقي بالله ليس له شريكٌ ومن عند الخليفة بالنجاح

فقال: ثق بالنجاح إن شاء الله تعالى. إن ها هنا قوماً يختلفون إلى أولادنا فامتحنهم، فمن كان منهم عالماً ينتفع به ألزمناهم إياه، ومن كان بغير هذه الصورة قطعناه عنهم. فأمر فجمعوا إلي فامتحنتهم فما وجدت فيهم طائلاً؛ وحذروا ناحيتي، فقلت: لا بأس على أحد. فلما رجعت إليه قال: كيف رايتهم؟ قلت: يفضل بعضهم بعضاً في علوم، ويفضل الباقون في غيرها، وكلٌ يحتاج إليه. فقال لي الواثق: إني خاطبت منهم واحداً فكان في نهاية من الجهل في خطابه ونظره. فقلت: يا أمير المؤمنين، أكثر من تقدم منهم بهذه الصفة؛ ولقد أنشدت فيهم:

إن المعلم لا يزال مضعفاً ولو ابتنى فوق السماء بناء

من علم الصبيان أضنوا عقله مما يرقي غدوةً ومساء

مضى الحديث:

صوت من مدن معبد في شعر الأعشى

ومنها: صوت

يوم تبدي لنا قتيلة عن جي دٍ أسيلٍ تزينه الأطواق

وشيتٍ كالأقحوان جلاه ال طل فيه عذوبةٌ واتساق

الشعر للأعشى. والغناء لمعبد. وذكر إسحاق أن لحنه خفيف ثقيلٍ من أصوات قليلات الأشباه، وذكر عمرو بن بانة أن لحنه من الثقيل الأول بالبنصر. ولإسحاق لحنٌ من الثقيل أيضاً وهو مما عارض فيه معبداً فانتصف منه، ومن أوائل أغانيه وصدورها.

أخبرنا إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق قال ذكر الحسن بن عتبة اللهبي المعروف بفورك قال: قتيلات معبد: قال لي الوليد بن يزيد: أريد الحج، فما يمنعني منه إلا أن يلقاني أهل المدينة بقتيلات معبد وبقصره ونخله فأفتضح به طرباً. يعني ثلاثة أصوات لمعبد من شعر الأعشى في قتيلة هذه، ونسبتها تأتي بعد. ويعني بقصره ونخله لحنه:

القصر فالنخل فالجماء بينهما

قال أبو زيد قال إسحاق وحدثني عبد الملك بن هلال: وبلغني أن فتنةً من قريش دخلوا إلى قينةٍ ومعهم روح بن حاتم المهلبي، فتماروا فيما يختارونه من الغناء. فقالت لهم: أغني لكم صوتاً يزيل الاختلاف ويوقع بينكم الاجتماع، فرضوا بها. فغنت:

يوم تبدي لنا قتيلةٌ عن جي دٍ أسيلٍ تزينه الأطواق

فرضوا به واتفقوا على أنه أحسن صوت يعرفونه، وأقاموا عندها أسبوعاً لا يسمعونه غيره.

نسبة أصوات معبد في قتيلة الصوتان الباقيان من قتيلات معبد في شعر الأعشى: منها:

أثوى وقصر ليلة ليزودا فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

يجحدن ديني بالنهار وأقتضي ديني إذا وقذ النعاس الرقدا

وأرى الغواني لا يواصلن أمرأً فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

الشعر للأعشى. والغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أبو شراعة في مجلس الرياشي قال: حدثت أن رجلاً نظر إلى الأعشى يدور بين البيوت ليلاً؛ فقال له: يا أبا بصير، إلى أين في هذا الوقت؟ فقال:

يجحدن ديني بالنهار وأقتضي ... ديني إذا وقذ النعاس الرقدا

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثنا أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان قال حدثني إسحاق الموصلي قال حدثني أبي قال: غنيت بين يدي الرشيد وستارته منصوبة:

وأرى الغواني لا يواصلن أمرأً ... فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

فطرب واستعاده وأمر لي بمال. فلما أردت أن أنصرف قال لي: يا عاض كذا وكذا ! أتغني بهذا الصوت وجواري من وراء ستارةٍ يسمعنه ! لولا حرمتك لضربت عنقك !. فتركته والله حتى أنسيته.

ومنها: صوت

ألم خيالٌ من قتيلة بعدما ... وهى حبلها من حبلنا فتصرما

فبت كأني شاربٌ بعد هجعةٍ ... سخاميةً حمراء تحسب عندما

الشعر للأعشى. والغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر عن عمرو. وفيه لابن محرز ثاني ثقيلٍ بالوسطى عنه وعن ابن المكي.

سبعة ابن سريج

فأما السبعة التي جعلت لابن سريج بإزار سبعة معبد فإني قرأت خبرها في كتاب محمد بن الحسن، قال حدثني الحسين بن أحمد الأكثمي عن أبيه قال: ذكرنا عند إسحاق يوماً أصوات معبد السبعة فقال: والله ما سبعة ابن سريج بدونهن. فقلنا له: وأي سبعة؟ فقال: إن مغني المكيين لما سمعوا بسبعة معبد وشهرتها لحقتهم لذلك غيرة، فاجتمعوا فاختاروا من غناء ابن سريج سبعةً فجعلوها بإزاء سبعة معبد، ثم خايروا أهل المدينة فانتصفوا منهم. فسألوا إسحاق عن السبعة السريجية؛ فقال: منها.

تشكى الكميت الجري لما جهدته

وقد مضت نسبته في الثلاثة الأصوات المختارة.

و لقد حببت نعمٌ إلينا بوجهها

و قرب جيراننا جمالهم

و أرقت وما هذا السهاد المؤرق

وقد مضى في أخبار الأعشى المذكورة في مدن معبد -

و بينا كذاك إذا عجاجة موكبٍ

و فلم أر كالتجمير منظر ناظرٍ

- وقد مضى في الأرمال المختارة -

و تضوع مسكاً بطن نعمان إن مشت

- وقد ذكر في المائة مع غيره في شعر النميري -

و إن جاء فليأت على بغلةٍ

نسبة ما لم تمض نسبته من هذه الأصوات إذ كان بعضها قد مضى متقدماً الكلام على ما لم يمض الكلام عليه من هذه السبقة:

فمنها: صوت

لقد حببت نعمٌ إلينا بوجهها مساكن ما بين الوتائر فالنقع

ومن أجل ذات الخال أعملت ناقتي أكلفها سير الكلال مع الظلع

عروضه من الطويل. والشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالبنصر. وذات الخال التي عناها ها هنا عمر امرأةٌ من ولد أبي سفيان بن حرب، كان عمر يكني عنها بذلك.

عمر بن أبي ربيعة وذات الخال: حدثني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن الزهيري والمسيبي ومحمد بن سلام والمدائني، وأخبرنا به الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي و لم يتجاوزه: أن عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق كانا جالسين بفناء الكعبة، إذ مرت بهما امرأة من آل أبي سفيان، فدعا عمر بكتفٍ فكتب إليها وكنى عن اسمها: صوت

ألما بذات الخال فاستطلعا لنا على العهد باقٍ ودها أم تصرما

وقولا لها إن النوى أجنبيةٌ بنا وبكم قد خفت أن تتيمما

غناه ابن سريج خفيف ثقيلٍ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق - قال فقال له ابن أبي عتيق: سبحان الله ! ما تريد إلا امرأةٍ مسلمة محرمةٍ أن تكتب إليها مثل هذا ! قال: فكيف بما قد سيرته في الناس من قولي:

لقد حببت نعمٌ إلينا بوجهها مساكن ما بين الوتائر والنقع

ومن أجل ذات الخال أعملت ناقتي أكلفها سير الكلال مع الظلع

ومن أجل ذات الخال يوم لقيتها بمندفع الأخباب أخضلني دمعي

ومن أجل ذات الخال آلف منزلاً أحل به لا ذا صديقٍ ولا زرع

ومن أجل ذات الخال عدت كأنني مخامر سقمٍ داخلٍ أو أخو ربع

ألما بذات الخال إن مقامها لدى الباب زاد القلب صدعاً على صدع

وأخرى لدى البيت العتيق نظرتها إليها تمشت في عظامي وفي سمعي

وقال الحرمي في خبره: أما ترى ما سار لي من الشعر ! ما علم الله أني طلعت حراماً قط ! ثم انصرفنا. فلما كان من الغد التقينا. فقال عمر: أشعرت أن ذلك الإنسان قد رد الجواب؟ قال: وما كان من رده؟ قال: كتب. صوت

أمسى قريضك بالهوى نماما فاربع هديت وكن له كتاما

واعلم بأن الخال حين وصفته قعد العدو به عليك وقاما

لا تحسبن الكاشحين عدمتهم عما يسوءك غافلين نياما

لا تمكنن من الدفينة كاشحاً يتلو بها حفظاً عليك إماما

غنى فيه سليم خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو. قال: وفيه لفريدة وإبراهيم لحنان.

وفي بعض النسخ: لإسحاق فيه ثقيلٌ أول غير منسوب. وذكر حبش أن خفيف الرمل لفريدة.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال أخبرنا أبو أيوب المديني عن محمد بن سلام، قال وأخبرني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام قال: سألت عمر بن خليفة العبدي -وكان عابداً وكان يعجبه الغناء -أي القوم كان أحسن غناء؟ قال: ابن سريج إذا تمعبد -يريد: إذا غنى في مذهب معبد من الثقيل -قلت: مثل ماذا؟ قال: مثل صوته : صوت

لقد حببت نعمٌ إلينا بوجهها مساكن ما بين الوتائر فالنقع

وقال حماد بن إسحاق حدثني أبي قال حدثني أبو محمد العامري قال: جلس معبد والأبجر وجماعةٌ من المغنين فتذاكروا ابن سريج وما اشتهاه الناس من غنائه، فقالوا: ماهو إلا من غناء الزفاف والمخنثين. فنمي الحديث إلى ابن سريج فغنى:

لقد حببت نعمٌ إلينا بوجهها

فلما جاء معبد وأصحابه واجتمعوا غناهم إياه. فلما سمعوه قاموا هاربين، وجعل ابن سريج يصفق خلفهم ويقول: إلى أين؟ ! إنما هو ابن ليلته فكيف لو اختمر !. قال فقال معبد: دعوه مع طرائقه الأول ولا تهيجوه على طرائقكم، وإلا لم يدع لكم والله خبزاً تأكلونه.

قال الزبير في خبره عن عمه: وعلق نعماً هذه فقال فيها شعراً كثيراً. ونحن نذكر ها هنا ما فيه غناءٌ من ذلك. فمنه قوله:

خطرت لذات الخال ذكرى بعدما سلك المطي بنا على الأنصاب

أنصاب عمرة والمطي كأنها قطع القطا صدرت عن الأحباب

فاهل دمعي في الرداء صبابةً فسترته بالبرد عن أصحابي

فرأى سوابق دمعةٍ مسكوبةٍ بكرٌ فقال بكى أبو الخطاب

عروضه من الكامل. بكر الذي ذكره ها هنا عمر هو ابن أبي عتيق وهو يسميه في شعره ببكر وبعتيق، وإياه يعني بقوله:

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي إن بي يا عتيق ما قد كفاني

الغناء في خطرت لذات الخال للغريض، ولحنه ثقيلٌ أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أن فيه ثقيلاً أول بالبنصر لأبي سعيد مولى فائد.

وأخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني عمي: أن عمر بن أبي ربيعة وافقها وهي تستلم الركن فقرب منها. فلما رأته تأخرت وبعثت إليه جاريتها. فقالت له: تقول لك ابنة عمك: إن هذا مقامٌ لابد منه كما ترى، وأنا أعلم أنك ستقول في موقفنا هذا فلا تقولن هجراً. فأرسل إليها: لست أقول إلا خيراً. ثم تعرض لها وهي ترمي الجمار، فأعرضت عنه واستترت؛ فقال: صوت

دين هذا القلب من نعم بسقامٍ ليس كالسقم

إن نعماً أقصدت رجلاً آمناً بالخيف إذ ترمي

اسمعي منا تحاورنا واحكمي رضيت بالحكم

بشتيتٍ نبته رتلٍ طيب الأنياب والطعم

يأتكم منه بحجته فله العتبى ولا أحمي

عروضه من المديد. الغناء لإسحاق خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيها لمالك ثقيلٌ أول من أصوات قليلات الأشباه عن إسحاق. وفيه لابن سريج رملٌ بالبنصر عن حبش. وفيه لابن مسجح ثقيلٌ أول بالوسطى عن حبش أيضاً. وذكر الهشامي أن الصوت مما يشك فيه أنه لمعبد أو غيره.

قال: وقال فيها أيضاً: صوت

أبيني اليوم أي نعم أوصلٌ منك أو صرم

فإن يك صرم عاتبةٍ فقد نغنى وهو سلم

تلومك في الهوى نعم وليس لها به علم

صحيحٌ لو رأى نعماً لخالط جسمه سقم

عروضه من الهزج. غناه مالك ولحنه ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لمتيم خفيف رملٍ بالبنصر عن إسحاق ، وذكر أن فيه أيضاً صنعةً لابن سريج.

ومما يغنى فيه مما قاله فيها - وهو من قصيدة طويلة -: صوت

فقلت لجنادٍ خذ السيف واشتمل عليه بحزمٍ وانظر الشمس تغرب

وأسرج لنا الدهماء واعجل بممطري ولا تعلمن خلقاً من الناس مذهبي

عروضه من الطويل. غناه زرزور غلام المارقي خفيف ثقيلٍ بالبنصر.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمي قال: قيل لعمر بن أبي ربيعة: ما أحب شيء أصبته إليك؟ قال: بينا أنا في منزلي ذات ليلة إذ طرقني رسول مصعب بن الزبير بكتابه يقول: إنه قد وقعت عندنا أثوابٌ مما يشبهك، وقد بعثت بها إليك وبدنانير ومسك وطيب وبغلة. قال: فإذا بثياب من وشي وخز العراق لم أر مثلها قط وأربعمائة دينار ومسكٍ وطيبٍ كثير وبغلة. فلما أصبحت لبست بعض تلك الثياب وتطيبت وأحرزت الدنانير وركبت البغلة وأنا نشيط لا هم لي قد أحرزت نفقة سنتي؛ فما أفدت فائدةً كانت أحب إلي منها.

وقلت في ذلك:

ألا أرسلت نعمٌ إلينا أن ائتنا فأحببت بها من مرسلٍ متغضب

فأرسلت أن لا أستطيع فأرسلت تؤكد أيمان الحبيب المؤنب

فقلت لجنادٍ خذ السيف واشتمل عليه بحزمٍ وانظر الشمس تغرب

وأسرج لنا الدهماء واعجل بممطري ولا تعلمن خلقاً من الناس مذهبي

وموعدك البطحاء أو بطن يأجج أو الشعب بالممروخ من بطن مغرب

فلما التقينا سلمت وتبسمت وقالت مقال المعرض المتجنب

أمن أجل واشٍ كاشحٍ بنميمةٍ مشى بيننا صدقته لم تكذب

قطعت وصال الحبل منا ومن يطع بذي وده قول المحرش يعتب

فبات وسادي ثني كفٍ مخضبٍ معاود عذبٍ لم يكدر بمشرب

إذا ملت مالت كالكثيب رخيمةٌ منعمةٌ حسانة المتجلبب

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي قال:

بلغ عمر بن أبي ربيعة أن نعماً اغتسلت في غدير؛ فنزل عليه و لم يزل يشرب منه حتى نضب.

قال الزبير قال عمي: " وقال فيها أيضاً: صوت

طال ليلي وعادني اليوم سقم وأصابت مقاتل القلب نعم

وأصابت مقاتلي بسهامٍ نافذاتٍ وما تبين كلم
حرة الوجه والشمائل والجو هر تكليمها لمن نال غنم
هكذا وصف ما بدا لي منها ليس لي بالذي تغيب علم
غير أني أرى الثياب ملاءً في يفاعٍ يزين ذلك جسم
وحديثٍ بمثله تنزل العص م رخيمٍ يشوب ذلك حلم

عروضه من الخفيف. غنى ابن سريج في الأربعة الأبيات لحناً ذكره إسحاق وأبو أيوب المديني في جامع غنائه و لم يجنسه، وذكر حبش أنه خفيف رملٍ بالبنصر.

مناقشة بين إسحاق وإبراهيم بن المهدي في معبد وابن سريج: أخبرني عمي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال حدثني عمرو بن بانة قال: كنت حاضراً مع إسحاق بن إبراهيم الموصلي عند إبراهيم بن المهدي. فتفاوضنا حديث المغنين، ثم انتهوا إلى أن حكى إسحاق قول عمر بن أبي خليفة: " إذا تمعبد ابن سريج كان أحسن الناس غناءً ". فقال إبراهيم لإسحاق: حاشاك يا أبا محمد أم تقول هذا ! فقد رفع الله علمك وقدر ابن سريج عن مثل هذا القول، وأغنى ابن سريج بنفسه عن أن يقال له تمعبد؛ وما كان معبد يضع نفسه هذا الموضع؛ وكيف ذلك وهو إذا أحسن يقول: أصبحت اليوم سريجياً. وما قد أنصف أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي معبداً في هذا القول؛ لأن معبدا وإن كان يعظم ابن سريج ويوفيه حقه فليس بدونه ولا هو بمرذول عنده. وقد مضى في صدر الكتاب خبر ابن سريج لما قدم المدينة مع الغريض ليستمنحا أهلها، فسمعاه وهو يصيد الطير يغني لحنه:

القصر فالنخل فالجماء بينهما

فرجع ابن سريج ورد الغريض وقال: لاخير لنا عند قوم هذا غناء غلامٍ فيهم يصيد الطير، فكيف بمن داخل الجونة !.

تعظيم ابن سريج لمعبد وأخذه عنه: وأظرف ذلك من أخباره وأدل على تعظيم ابن سريج معبداً ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن سليمان النوفلي، قال حدثني أبي قال: التقى ابن سريج ومعبد ليلةً بعد افتراق طويل وبعد عهد؛ فتساءلا عما صنعا من الأغاني بعد افتراقهما؛ فتغنى هذا وتغنى هذا؛ ثم تغنى ابن سريج لحنه في:

أنا الهالك المسلوب مهجة نفسه إذا جاوزت مراً وعسفان عيرها

فغناه مرسلاً لا صيحة فيه. فقال له معبد: أفلا حسنته بصيحة ! قال: فأين أضعها؟ قال: في:

غدت سافراً والشمس قد ذر قرنها

قال: فصح أنت فيه حتى أسمع منك. قال: فصاح فيه معبدٌ الصيحة التي يغنى بها فيه اليوم. فاستعاده ابن سريج حتى أخذه فغنى صوته كما رسمه معبدٌ فحسن به جداً. وفي هذا دليل يبين فيه التحامل على معبد في الحكاية.

صوت

غدت سافراً والشمس قد ذر قرنها ... فأغشى شعاع الشمس منها سفورها

وقد علمت شمس النهار بأنها ... إذا ما بدت يوماً سيذهب نورها

أنا الهالك المسلوب مهجة نفسه ... إذا جاوزت مراً وعسفان عيرها

أهاجتك سلمى إذ أجد بكورها ... وهجر يوماً للرواح بعيرها

الشعر يقال: إنه لطريف العنبري. والغناء لابن سريج خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى في مجراها عن ابن المكي، وذكر عمرو أنه لسياط. ولإبراهيم في الثالث والأول والرابع خفيف رملٍ مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو. وفيه لبسباسة ثقيلٌ أول بالبنصر عن حبش. وفيه لابن جامع لحنٌ عن حبش من رواية أبي أيوب المديني.

ومن سبعة ابن سريج

صوت أصوات من سبعة ابن سريج في شعر ابن أبي ربيعة:

قرب جيراننا جمالهم ... ليلاً فأضحوا معاً قد ارتفعوا

ما كنت أدري بوشك بينهم ... حتى رأيت الحداة قد طلعوا

على مصكين من جمالهم ... وعنتريسين فيهما شجع

يا نفس صبراً فإنه سفهٌ ... بالحر أن يستفزه الجزع

الشعر لعمر بن ابي ربيعة. والغناء لابن سريج ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو. وذكر حبش أن فيه للغريض ثقيلاً أول بالبنصر. وذكر ابن أبي حسان أن هبة الله بن إبراهيم بن المهدي حدثه عن أبيه عن ابن جامع قال: عيب على ابن سريج خفة غنائه، فأخذ أبيات عمر بن أبي ربيعة:

قرب جيراننا جمالهم

فغنى فيها في كل إيقاع لحناً. فجميع ما فيها من الألحان له.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني منصور بن أبي مزاحم قال حدثني رزام أبو قيس مولى خالد بن عبد الله قال: قال لي إسماعيل بن عبد الله: يا أبا قيس، أي رجل أنت لولا أنك تحب السماع !. قلت: أصلحك الله ! أما والله لو سمعت فلانة تغنيك:

قرب جيراننا جمالهم ليلاً فأضحوا معاً قد ارتفعوا

لعذرتني. فقال: يا أبا قيس، لا عاتبتك بعد هذا أبداً.

ومنها: صوت

بينا كذلك إذ عجاجة موكبٍ رفعوا ذميل العيس في الصحراء

قالت أبو الخطاب أعرف زيه ولباسه لا شك غير خفاء

الشعر لابن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج ثقيلٌ أول بالبنصر، وذكر الهشامي وأبو العبيس أنه لمعبد؛ وليس الأمر كما ذكرا.

ومنها: صوت وهو الذي أوله:

إن جاء فليأت على بغلةٍ

سلمى عديه سرحتي مالكٍ أو الربا دونهما منزلا

إن جاء فليأت على بغلةٍ إني أخاف المهر أن يصهلا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج من رواية يحيى بن المكي والهشامي ثقيلٌ أول بالبنصر، وذكر يونس أنه للغريض، وذكره إسحاق في أغاني الغريض و لم يجنسه.

أغاني الخلفاء وأولادهم

من ثبت عنه من الخلفاء أنه غنى ومن لم يثبت عنه ذلك: قال مؤلف هذا الكتاب: المنسوب إلى الخلفاء من الأغاني والملصق بهم منها لا أصل لحله ولا حقيقة لأكثره، لا سيما ما حكاه ابن خرداذبة فإنه بدأ بعمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر أنه تغنى في هذا البيت:

كأن راكبها غصنٌ بمروحةٍ

ثم والى بين جماعة من الخلفاء واحداً بعد واحد، حتى كأن ذلك عنده ميراث من مواريث الخلافة أو ركن من أركان الإمامة لابد منه ولا معدل عنه، يخبط خبط العشواء ويجمع جمع حاطب الليل. فاماعمر بن الخطاب فلو جاز هذا أن يروى عن كل أحد لبعد عنه؛ وإنما روي أنه تمثل بهذا البيت وقد ركب ناقةً فاستوطأها، لا أنه غنى به، ولا كان الغناء العربي أيضاً عرف في زمانه إلا ما كانت العرب تستعمله من النصب والحداء، وذلك جارٍ مجرى الإنشاد إلا أنه يقع بتطريب وترجيع يسير ورفعٍ للصوت. والذي صح من ذلك عن رواة هذا الشأن فأنا ذاكرٌ منه ما كان متقن الصنعة لاحقاً بجيد الغناء قريباً من صنعة الأوائل وسالكاً مذاهبهم لا ما كان ضعيفاً سخيفاً، وجامعٌ منه ما اتصل به خبرٌ له يستحسن ويجري مجرى هذا الكتاب وما تضمنه.

فأول من دونت له صنعةٌ منهم عمر بن عبد العزيز؛ فإنه ذكر عنه أنه صنع في أيام إمارته على الحجاز سبعة ألحان

يذكر سعاد فيها كلها؛ فبعضها عرفت الشاعر القائل له فذكرت خبره، وبعضها لم أعرف قائله فأتيت به كما وقع إلي. فإن مر بي بعد وقتي هذا أثبته في موضعه وشرحت من أخباره ما اتصل بي، وإن لم يقع لي ووقع إلى بعض من كتب هذا الكتاب فمن أقل الحقوق عليه أن يتكلف إثباته ولا يستثقل تجشم هذا القليل فقد وصل إلى فوائد جمة تجشمناها له ولنظرائه في هذا الكتاب، فحظي بها من غير نصبٍ ولا كدح؛ فإن جمال ذلك موفر عليه إذا نسب إليه، وعيبه عنا ساقطٌ مع اعتذارنا عنه إن شاء الله.

ومن الناس ممن ينكر أن تكون لعمر بن عبد العزيز هذه الصنعة ويقول: إنها أصواتٌ محكمة العمل لا يقدر على مثلها إلا من طالت دربته بالصنعة وحذق الغناء ومهر فيه وتمكن منه. ولم يوجد عمر بن عبد العزيز في وقت من الأوقات ولا حال من الحالات اشتهر بالغناء ولا عرف به ولا بمعاشرة أهله، ولا جالس من ينقل ذلك عنه ويؤديه؛ وإنما هو شيء يحسن المغنون نسبته إليه. وروي من غير وجه خلافٌ لذلك وإثباتٌ لصنعته إياها، وهو أصح القولين؛ لأن الذين أنكروا ذلك لم يأتوا على إنكارهم بحجة أكثر من هذا الظن والدعوى، ومخالفوهم قد أيدهم أخبارٌ رويت.

عمر بن عبد العزيز والغناء

أخبرني محمد بن خلف وكيع والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق قال حدثني أبي عن أبيه وعن إسماعيل ابن جامع عن سياط عن يونس الكاتب عن شهدة أم عاتكة بنت شهدة عن كردم بن معبد عن أبيه: أن عمربن عبد العزيز طارحه لحنه في:

ألما صاحبي نزر سعادا

ونسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسين الكاتب قال حدثني أبو يعلى زرقان غلام أبي الهذيل وصاحب أحمد بن أبي داود قال حدثني محمد بن يونس قال حدثني هاتفٌ أراه قال أم ولد المعتصم قالت حدثتني علية بنت المهدي قالت حدثتني عاتكة بنت شهدة عن أمها شهدة عن كردم قال: طرح علي عمر بن عبد العزيز لحنه:

علق القلب سعادا ... عادت القلب فعادا

كلما عوتب فيها ... أو نهي عنها تمادى

وهو مشغوف بسعدى ... قد عصى فيها وزادا

قال كردم: وكان عمر أحسن خلق الله صوتاً، وكان حسن القراءة للقرآن.

ونسخت من كتاب ابن الكرنبي بخطة حدثني أحمد بن الفتح الحجاجي في مجلس حماد بن إسحاق قال أخبرني احمد بن الحسين قال: رأيت عمر بن عبد العزيز في النوم وعليه عمامةٌ ورأيت الشجة في وجهه تدل على أنها

ضربة حافرٍ، فسمعته يقول: قال عمر بن الخطاب: لا تعلموا نساءكم الخلع . قال حدثني محمد بن الحسين: فأقبلت عليه في نومي فقلت له: يا أمير المؤمنين، صوتٌ يزعم الناس أنك صنعته في شعر جرير:

ألما صاحبي نزر سعادا لوشك فراقها وذرا البعادا

لعمرك إن نفع سعاد عني لمصروفٌ ونفعي عن سعادا

إلى الفاروق ينتسب ابن ليلى ومروان الذي رفع العمادا

فتبسم عمر و لم يرد علي شيئاً.

نسبة هذين الصوتين صوت

ألما صاحبي نزر سعادا لوشك فراقها وذرا البعادا

لعمرك إن نفع سعاد عني لمصروفٌ ونفعي عن سعادا

إلىالفاروق ينتسب ابن ليلى ومروان الذي رفع العمادا

الشعر لجرير يمدح عمربن عبد العزيز بن مروان. والغناء لعمر بن عبد العزيز ثقيلٌ أول مطلق في مجرى البنصر. وفيه خفيف ثقيلٍ ينسب إلى معبد.

صوت

علق القلب سعادا عادت القلب فعادا

كلما عوتب فيها أو نهي عنا تمادى

وهو مشغوفٌ بسعدى قد عصى فيها وزادا

الغناء لعمر بن عبد العزيز خفيف ثقيلٍ. وفيه ثاني ثقيلٍ ينسب إلى الهذلي.

ذكر عمر بن عبد العزيز وشيء من أخباره هو أشج بني مروان: عمر بن عبد العزيز مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. ويكنى أبا حفص. وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكان يقال له أشج قريش؛ لأنه كان في جبهته أثر يقال إنه ضربة حافرٍ. فذكر يحيى بن سعيد الأموي عن أبيه أن عبد الملك بن مروان كان يؤثر عمر بن عبد العزيز ويرق عليه ويدينه، وإذا دخل عليه رفعه فوق ولده جميعاً إلا الوليد. فعاتبه بعض بنيه على ذلك، فقال له: أو ما تعلم لم فعلت ذلك؟ قال لا. قال: إن هذا سيلي الخلافة يوماً وهو أشج بني مروان الذي يملأ الأرض عدلاً بعد أن تملأ جوراً، فمالي لا أحبه وأدنيه !.

أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا الرياشي قال حدثنا سالم بن عجلان قال: خرج عمر بن عبد العزيز يلعب فرمحته بغلةٌ على جبينه. فبلغ الخبر أمه أم عاصم، فخرجت في خدمها ،وأقبل عبد العزيز بن مروان إليها فقالت: أما الكبير فيخدم، وأما الصغير فيكرم، وأما الوسط فيضيع ! لما لا تتخذ لابني حاضناً حتى أصابه ما ترى !

فجعل عبد العزيز يمسح الدم عن وجهه، ثم نظر إليها وقال لها: ويحك ! إن كان أشج بني مروان، أو أشج بني

أمية، إنه لسعيد !.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن أحمد المقدمي قال حدثنا عبيد الله بن سعد الزهري قال حدثنا هارون بن معروف قال حدثنا ضمرة قال سمعت ثروان مولى عمر بن عبد العزيز قال: دخل عمر بن عبد العزيز وهو غلام إصطبل أبيه، فضربه فرس على وجهه، فأوتي به أبوه يحمل. فجعل أبوه يمسح الدم عن وجهه ويقول: لئن كنت أشج بني أمية إنك لسعيد.

أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب:

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا مصعب الزبيري قال: كانت بنتٌ لعبيد الله بن عمر بن الخطاب تحت إبراهيم بن نعيم النحام فماتت، فأخذ عاصم بن عمر بيده فأدخله منزله، وأخرج إليه ابنتيه حفصة وأم عاصم، فقال له: اختر فأختار حفصة فزوجها إياه. فقيل له تركت أم عاصم وهي أجملهما ! فقال: رأيت جاريةً رائعة، وبلغني أن آل مروان ذكروها فقلت: علهم أن يصيبوا من دنياهم. فتزوجها عبد العزيز بن مروان، فولدت له أبا بكر وعمر وكانت عنده. وقتل إبراهيم بن نعيم يوم الحرة. وماتت أم عاصم عند عبد العزيز بن مروان؛ فتزوج أختها حفصة بعدها، فحملت إليه بمصر؛ فمرت بأيلة وبها مخنث أو معتوه وقد كان أهدى لأم عاصم حين مرت به فأثابته. فلما مرت به حفصة أهدى لها فلم تثبه. فقال: "ليست حفصة من رجال أم عاصم " فذهبت مثلاً.

لما ولي بدأ بأهل بيته وأخذ ما كان في أيديهم وسمى أعمالهم المظالم: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا أبو بكر الرمادي وسليمان بن أبي شيخ قالا حدثنا أبو صالح كاتب الليث قال حدثني الليث قال: لما ولي عمر بن عبد العزيز، بدأ بلحمته وأهل بيته، فأخذ ما كان في أيديهم وسمى أعمالهم المظالم. ففزعت بني أمية إلى فاطمة بنت مروان عمته. فأرسلت إليه: إنه قد عناني أمرٌ لا بد من لقائك فيه. فأتته ليلاً فأنزلها عن دابتها. فلما أخذت مجلسها قال: يا عمة، أنت أولى بالكلام لأن الحاجة لك فتكلمي. قالت: تكلم يا أمير المؤمنين. فقال: إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رحمةً، لم يبعثه عذاباً، إلى الناس كافة، ثم اختار له ما عنده فقبضه إليه، وترك لهم نهراً شربهم فيه سواء. ثم قام أبو بكر فترك النهر على حاله. ثم ولي عمر فعمل على عمل صاحبه، فلما ولي عثمان اشتق من ذلك النهر نهراً. ثم ولي معاوية فشق منه الأنهار. ثم لم يزل ذلك النهر يشق منه يزيد ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان حتى أفضى الأمر إلي، وقد يبس النهر الأعظم ولن يروى أصحاب النهر حتى يعود إليهم النهر الأعظم إلى ما كان عليه. فقالت له: قد أردت كلامك ومذاكرتك. فأما إذ كانت هذه مقالتك فلست بذاكرةٍ لك شيئاً أبداً. ورجعت إليهم فأبلغتهم كلامه.

وقال سليمان بن أبي شيخ في خبره: فلما رجعت إلى بني أمية قالت لهم: ذوقوا مغبة أمركم في تزويجكم آل عمر بن الخطاب.

كثير والأحوص ونصيب عند عمر بن عبد العزيز: أخبرني محمد بن خلف وكيع قال أخبرني عبد الله بن دينار

مولى بني نصر بن معاوية قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن التيمي قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن سهيل عن حماد الراوية، وأخبرني محمد بن حسين الكندي خطيب القادسية قال حدثنا الرياشي قال حدثنا شيبان بن مالك قال حدثنا عبد الله بن إسماعيل الجحدري عن حماد الراوية، والروايتان متقاربتان وأكثر اللفظ للرياشي، قال: دخلت المدينة ألتمس العلم، فكان أول من لقيت كثيرعزة. فقلت: يا أبا صخر، ما عندك من بضاعتي؟ قال: عندي ما عند الأحوص ونصيب. قلت: وما هو؟ قال: هما أحق بإخبارك. فقلت له: إن لم نحث المطي نحوكم شهراً نطلب ما عندكم إلا ليبقى لكم ذكرٌ، وقل من يفعل ذلك، فأخبرني عما سألتك ليكون ما تخبرني به حديثاً آخذه عنك. فقال: إنه لما كان من أمر عمر بن عبد العزيز ما كان، قدمت أنا ونصيب والأحوص وكل واحد منا يدل بسابقته عند عبد العزيز وإخائه لعمر. فكان أول من لقينا مسلمة بن عبد الملك وهو يومئذٍ فتى العرب، وكل واحد منا ينظر في عطفيه لا يشك أنه شريك الخليفة في الخلافة، فأحسن ضيافتنا وأكرم مثوانا، ثم قال: أما علمتم أن إمامكم لا يعطي الشعراء شيئاً؟ قلنا: قد جئنا الآن، فوجه لنا في هذا الأمر وجهاً. فقال: إن كان ذو دينٍ من آل مروان قد ولي الخلافة فقد بقي ذوي دنياهم من يقضي حوائجكم ويفعل بكم ما أنتم له أهل. فأقمنا على بابه أربعة أشهرٍ لا نصل إليه، وجعل مسلمة يستأذن لنا فلا يؤذن. فقلت: لو أتيت المسجد يوم الجمعة فتحفظت من كلام عمر شيئاً !. فأتيت المسجد فأنا أول من حفظ كلامه سمعته يقول في خطبة له: لكل سفرٍ زادٌ لا محالة، فهتزودوا من الدنيا إلى الآخرة التقوى، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه، فعمل طلباً لهذا وخوفاً من هذا. ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم، وتنقادوا لعدوكم. واعلموا أنه إنما يطمئن بالدنيا من وثق بالنجاة من عذاب الله في الآخرة. فأما من لا يداوي جرحاً إلا أصابه جرحٌ من ناحية أخرى، فكيف يطمئن بالدنيا ! أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى نفسي عنه فتخسر صفقتي، وتبدو عيلتي، وتظهر مسكنتي يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق. فارتج المسجد بالبكاء، وبكى عمر حتى بل ثوبه، حتى ظننا أنه قاضٍ نحبه. فبلغت إلى صاحبي فقلت: جددا لعمر من الشعر غير ما أعددناه، فليس الرجل بدنيوي. ثم إن مسلمة استأذن لنا يوم جمعة بعد ما أذن للعامة. فدخلنا فسلمنا عليه بالخلافة فرد علينا. فقلت له: يا أمير المؤمنين، طال الثواء وقلت الفائدة وتحدثت بجفائك إيانا وفود العرب. فقال: يا كثير، أما سمعت إلى قول الله عز وجل في كتابه " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضةً من الله والله عليم حكيم " أفمن هؤلاء أنت؟ فقلت له وأنا ضاحك: أنا ابن سبيلٍ ومنقطع به. قال: أولست ضيف أبي سعيد؟ قلت بلى. قال: ما أحسب من كان ضيف أبي سعيد ابن سبيل ولا منقطعاً به. ثم أستأذنته في الإنشاد، فقال: قل ولا تقل إلا حقاً؛ فإن الله سائلك. فقلت:

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف ... بريأً ولم تتبع مقالة مجرم

وقلت فصدقت الذي قلت بالذي ... فعلت، فأضحى راضياً كل مسلم

ألا إنما يكفي الفتى بعد زيغه ... من الأود الباقي ثقاف المقوم

لقد لبست لبس الهلوك ثيابها وأبدت لك الدنيا بكف ومعصم
وتومض أحياناً بعين مريضةٍ وتبسم عن مثل الجمان المنظم
فأعرضت عنها مشمئزاً كأنما سقتك مدوفاً من سمام وعلقم
وقد كنت من أجبالها في ممنعٍ ومن بحرها في مزبد الموج مفعم
وما زلت سباقاً إلى كل غايةٍ صعدت بها أعلى البناء المقدم
فلما أتاك الملك عفواً ولم يكن لطالب دنيا بعده من تكلم
تركت الذي يفنى وإن كان مونقاً وآثرت ما يبقى برأي مصمم
فاضررت بالفاني وشمرت للذي أمامك في يومٍ من الهوال مظلم
ومالك أن كنت الخليفة مانعٌ سوى الله من مالٍ رغيبٍ ولا دم
سما لك همٌ في الفؤاد مؤرقٌ صعدت به أعلى المعالي بسلم
فما بين شرق الأرض والغرب كلها منادٍ ينادي من فصيح وأعجم
يقول :أمير المؤمنين ظلمتني بأخذٍ لدينارٍ ولا أخذ درهم
ولا بسط كف لامرئٍ ظالم له ولا السفك منه ظالماً ملء محجم
فلو يستطيع المسلمون تقسموا لك الشطر من أعمارهم غير ندم

فعشت به ما حج لله راكبٌ مغذٌ مطيفٌ بالمقام وزمزم
فأربح بها من صفقةٍ لمبايع وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

فقال لي: يا كثير، إن الله سائلك عن كل ما قلت. ثم تقدم إليه الأحوص فأستأذنه فقال: قل ولا تقل إلا حقاً؛ فإن الله سائلك. فأنشده:

وما الشعر إلا خطبةٌ من مؤلفٍ بمنطق حق أو بمنطق باطل
فلا تقبلن إلا الذي وافق الرضى ولا ترجعنا كالنساء الأرامل
رأيناك لم تعدل عن الحق يمنةً ولا يسرةً فعل الظلوم المجادل
ولكن أخذت القصد جهدك كله وتقفوا مثال الصالحين الأوائل
فقلنا ولم نكذب بما قد بدا لنا ومن ذا يرد الحق من قول عاذل

ومن ذا يرد السهم بعد مروقه على فوقه إن عار من نزع نابل
ولولا الذي قد عودتنا خلائفٌ غطاريف كانت كالليوث البواسل
لما وخدت شهراً برحلي جسرةٌ تفل متون البيد بين الرواحل
ولكن رجونا منك مثل الذي به صرفنا قديماً من ذويك الأفاضل
فإن لم يكن للشعر عندك موضعٌ وإن كان مثل الدر من قول قائل
وكان مصيباً صادقاً لا يعيبه سوى أنه يبنى بناء المنازل
فإن لنا قربى ومحض مودةٍ وميراث آباءٍ مشوا بالمناصل
فذادوا عدو السلم عن عقر دارهم وأرسوا عمود الدين بعد تمايل
فقلبلك ما أعطى الهنيدةٌ جلةً على شعر كعباً من سديسٍ وبازل
رسول الإله المصطفى بنبوةٍ عليه سلامٌ بالضحى والأصائل
فكل الذي عددت يكفيك بعضه ونيلك خيرٌ من بحور السوائل

فقال له عمر: يا أحوص، إن الله سائلك عن كل ما قلت. ثم تقدم إليه نصيب فأستأذن في الإنشاد، فأبى أن يأذن له وغضب غضباً شديداً، وأمره باللحاق بدابق . وأمر لي وللأحوص لكل واحد بمائة وخمسين درهماً.

وقال الرياشي في خبره: فقال لنا: ما عندي ما أعطيكم، فانتظروا حتى يخرج عطائي فأواسيكم منه. فانتظرنا حتى خرج فأمر لي وللأحوص بثلثمائة درهم، وأمر لنصيب بمائة وخمسين درهماً. فما رأيت أعظم بركةً من الثلاث المائة التي أعطاني، ابتعت بها وصيفةً فعلمتها الغناء فبعتها بألف دينار.

خبر دكين الراجز معه: أخبرني عمي عبد العزيز بن أحمد قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: قال دكين الراجز: امتدحت عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة، فأمر لي بخمس عشرة ناقة كرائم، فكرهت أن أرمي بهن الفجاج، و لم تطب نفسي ببيعهن. فقدمت علينا رفقة من مصر، فسألتهم الصحبة، فقالوا: ذاك إليك، ونحن نخرج الليلة، فأتيته فودعته وعنده شيخان لا أعرفهما. فقال لي: يا دكين إن لي نفساً تواقة، فإن صرت إلى أكثر مما أنا فيه فأتني ولك الإحسان. قلت: أشهد لي بذلك. قال: أشهد الله به. قلت: ومن خلقه؟ قال: هذين الشيخين. فأقبلت على أحدهما فقلت: من أنت أعرفك؟ قال: سالم بن عبد الله بن عمر. فقلت له لقد استسمنت الشاهد. وقلت للآخر: من أنت؟ قال: أبو يحيى مولى الأمير. فخرجت إلى بلدي بهن، فرمى الله في أذنابهن بالبركة حتى اعتقدت منهن الإبل والعبيد. فإني لبصحراء فلجٍ إذا ناعٍ ينعى سليمان. قلت: فمن القائم بعده؟ قال: عمر بن عبد العزيز. فتوجهت نحوه، فلقيني جريرٌ متصرفاً من عنده. فقلت: يا أبا حزرة، من أين؟

فقال: من عند من يعطي الفقراء، ويمنع الشعراء. فانطلقت فإذا هو في عرصة دار وقد أحاط الناس به، فلم أخلص إليه فناديت:

يا عمر الخيرات والمكارم ... وعمر الدسائع العظائم

إني امرؤٌ من قطن بن دارم ... طلبت ديني من أخي مكارم

إذ تنتحي والليل غير نائم ... عند أبي يحيى وعند سالم

فقام أبو يحيى فقال: يا أمير المؤمنين، لهذا البدوي عندي شهادةٌ عليك، فقال: أعرفها، أدنُ يا دكين، أنا كما ذكرت لك، إن نفسي لم تنل شيئاً قط إلا تاقت لما هو فوقه، وقد نلت غاية الدنيا فنفسي تتوق إلى الآخرة، والله ما رزأت من أموال الناس شيئاً، ولا عندي إلا ألف درهم، فخذ نصفها. قال: فوالله ما رأيت ألفاً كان أعظم بركة منه. قال: ودكين الذي يقول:

إذا المرء يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداءٍ يرتديه جميل

وإن هو لم يرفع عن اللؤم نفسه ... فليس إلى حسن الثناء سبيل

زهده بعد أن ولي الخلافة: أخبرني الحرمي عن الزبير عن هارون بن صالح عن أبيه قال: كنا نعطي الغسال الدراهم الكثيرة حتى يغسل ثيابنا في أثر ثياب عمر بن عبد العزيز من كثرة الطيب فيها يعني المسك. قال: ثم رأيت ثيابه بعد ذلك وقد ولي الخلافة فرأيت غير ما كنت أعرف.

حبه آل البيت: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي عن نافع بن أبي نعيم قال: قدم عبد الله بن الحسن بن الحسن على عمر بن عبد العزيز فقال: إنك لا تغنم أهلك شيئاً خيراً من نفسك فارجع، وأتبعه حوائجه.

قال الرياشي وحدثنا نصر بن علي قال حدثنا أبو أحمد محمد بن الزبير الأسدي عن سعيد بن أبان قال.

رأيت عمر بن عبد العزيز آخذاً بسرة عبد الله بن حسن وقال: اذكرها عندك تشفع لي يوم القيامة.

حدثني أبو عبيد الصيرفي قال حدثنا الفضل بن الحسن المصري قال حدثنا عبد الله بن عمر القواريري قال حدثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبان القرشي قال: دخل عبد الله بن حسن على عمر بن عبد العزيز وهو حديث السن وله وفرةٌ ، فرفع مجلسه وأقبل عليه وقضى حوائجه، ثم أخذ عكنةً من عكنه فغمزها حتى أوجعه وقال له: أذكرها عندك للشفاعة. فلما خرج لامه أهله وقالوا: فعلت هذا بغلام حديث السن ! فقال: إن الثقة حدثني حتى كأني اسمعه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إنما فاطمة بضعةٌ مني يسرني ما يسرها " وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حية لسرها ما فعلت بابنها. قالوا: فما معنى غمزك بطنه وقولك ما قلت؟ قال: إنه ليس أحدٌ من بني هاشم إلا وله شفاعة، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا.

أكرم يزيد بن عيسى لأنه مولى علي: أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي قال أخبرني يزيد بن عيسى بن مورق قال: كنت بالشام زمن ولي عمر بن عبد العزيز، وكان بخناصرة ، وكان يعطي الغرباء مائتي درهم. قال فجئته فأجده متكئاً على إزار وكساء من صوف. فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من أهل الحجاز. قال: من أيهم؟ قلت: من أهل المدينة. قال: من أيهم؟ قلت من قريش. قال: من أي قريش؟ قلت: من بني هاشم. قال: من أي بني هاشم؟ قلت: مولى علي. قال: من علي؟ فسكت. قال: من ؟! فقلت ابن أبي طالب. فجلس وطرح الكساء ثم وضع يده على صدره وقال: وأنا والله مولى علي، ثم قال: أشهد على عدد ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من كنت مولاه فعليٌ مولاه ". أين مزاحم ؟ كم تعطي مثله؟ قال: مائتي درهم. قال: أعطه خمسين ديناراً لولائه من علي. ثم قال: أفي فرضٍ أنت؟ قلت لا. قال: وافرض له، ثم قال: الحق بلادك فإنه سيأتيك إن شاء الله ما يأتي غيرك.

سمى عمر بن علي نحله غلامه مورقاً: قال أبو زيد فحدثني عيسى بن عبد الله قال حدثني أبي عن أبيه قال قال أبي: ولد لي غلامٌ يوم قام عمربن عبد العزيز، فغدوت عليه فقلت له: ولد لي في هذه الليلة غلام. فقال لي: ممن؟ قلت: من التغلبية. قال: فهب لي اسمه. قلت نعم. قال: قد سميته اسمي ونحلته غلامي مورقاً، وكان نوبياً فأعتقه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك؛ فولده اليوم موالينا.

كان يكرم عبد الله بن الحسن: أخبرني محمد بن العباس قال حدثنا عمر قال حدثنا عيسى بن عبد الله قال أخبرني موسى بن عبد الله بن حسن عن أبيه قال: كان عمر بن عبد العزيز يراني إذا كانت لي حاجةٌ أتردد إلى بابه. فقال لي: ألم أقل لك: إذا كانت لك حاجةٌ فارفع بها إلي ! فوالله إني لأستحي من الله أن يراك على بابي.

لم يفد من ولا يته شيئاً وخلف ولده فقراء:

أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني العمري عن العتبي عن أبيه قال: لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة جمع ولده حوله، فلما رآهم استغبر ثم قال: بأبي ولأمي من خلفتهم بعدي فقراء !. فقال له مسلمة بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين، فتعقب فعلك وأغنهم، فما يمنعك أحدٌ في حياتك ولا يرتجعه الوالي بعدك. فنظر إليه نظر مغضب متعجب فقال: يا مسلمة، منعتهم إياه في حياتي وأشقى به بعد وفاتي ! إن ولدي بين رجلين: إما مطيع لله فالله مصلحٌ له شأنه ورازقه ما يكفيه، أو عاصٍ له فما كنت لأعينه على معصيته. يا مسلمة، إني حضرت أباك لما دفن فحملتني عيني عند قبره فرأيته قد أفضى إلى أمرٍ من أمر الله راعني وهالني، فعاهدت الله ألا أعمل بمثل عمله إن وليت؛ وقد اجتهدت في ذلك طول حياتي، وأرجو أن أفضي إلى عفوٍ من الله وغفران. قال مسلمة: فلما دفن حضرت دفنه، فما فرغ من شأنه حتى حملتني عيني، فرأيته فيما يرى النائم وهو في روضةٍ خضراء نضرة فيحاء وأنهارٍ مطردةٍ وعليه ثيابٌ بيضٌ، فأقبل علي فقال: يا مسلمة، لمثل هذا فليعمل العاملون. هذا أو نحوه، فإن الحكاية تزيد أو تنقص.

رثاء مسلمة بن عبد الملك: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ عن يحيى بن سعيد الأموي قال: لما مات عمر بن عبد العزيز وقف مسلمة عليه بعد أن أدرج في كفنه فقال: رحمك الله يا أمير المؤمنين ! فقد أورثت صالحينا بك اقتداءً وهدىً، وملأت قلوبنا بمواعظك وذكرك خشيةً وتقىً، وأثلت لنا بفضلك شرفاً وفخراً، وأبقيت لنا في الصالحين بعدك ذكراً.

كتابه إلى أسارى قسطنطينية: أخبرني الحسن قال أخبرنا الغلابي عن ابن عائشة عن أبيه: أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الأسارى بقسطنطينية: أما بعد، فإنكم تعدون أنفسكم أسارى ولستم أسارى. معاذ الله ! أنتم الحبساء في سبيل الله. واعلموا أني لست أقسم شيئاً بين رعيتي إلا خصصت أهلكم بأوفر ذلك وأطيبه. ولقد بعثت إليكم خمسة دنانير، خمسة دنانير. ولولا أني خشيت إن زدتكم أن يحبسه عنكم طاغية الروم لزدتكم. وقد بعثت إليكم فلان بن فلان يفادي صغيركم وكبيركم، ذكركم وأنثاكم، حركم ومملوككم بما يسأل، فأبشروا ثم أبشروا.

كتاب الحسن البصري له ورده عليه: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال زعم لنا سليمان بن أرقم قال: كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز، وكان يكاتبه، فلما استخلف كتب إليه: " من الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز ". فقيل له إن الرجل قد ولي وتغير. فقال: لو علمت أن غير ذلك أحب إليه لاتبعت محبته. ثم كتب: " من الحسن بن أبي الحسن إلى عمر بن عبد العزيز. أما بعد، فكأنك بالدنيا لم تكن، وكأنك بالآخرة لم تزل ". قال: فمضيت إليه بالكتاب فقدمت عليه به. فإني عنده أتوقع الجواب إذ خرج يوماً غير يوم جمعة حتى صعد المنبر واجتمع الناس. فلما كثروا قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنكم في أسلاب الماضين، وسيرثكم الباقون حتى تصيروا إلى خير الوارثين. كل يومٍ تجهزون غادياً إلى الله ورائحاً، قد حضر أجله، وطوي عمله، وعاين الحساب، وخلع الأسلاب، وسكن التراب، ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد. ثم وضع يديه على وجهه فبكى ملياً ثم رفعهما فقال: يا أيها الناس، من وصل إلينا منكم بحاجته لم نأله خيراً، ومن عجز فوالله لوددت أنه وآل عمر في العجز سواء. قال: ثم نزل. فأرسل إلي فدخلت إليه؛ فكتب: " بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإنك لست بأول من كتب عليه الموت، وقد مات. والسلام ".

آخر خطبة له: أخبرني ابن عمار قال حدثني سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا أبو مطرف المغيرة بن مطرف عن شعيب بن صفوان عن أبيه:

أن عمر بن عبد العزيز خطب بخناصرة خطبةً لم يخطب بعدها، حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنكم لم تخلقوا عبثاً و لم تتركوا سدىً؛ وإن لكم معاداً يتولى الله فيه الحكم فيكم والفصل بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحرم الجنة التي عرضها السماوات والأرض. واعلموا أن الأمان غداً لمن حذر الله وخافه، وباع قليلاً بكثير، ونافذاً بباق، وخوفاً بأمانٍ. ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلفها من بعدكم الباقون، وكذلك حتى تردوا إلى خير الوارثين. ثم إنكم في كل يوم وليلة تشيعون غادياً إلى الله ورائحاً،

قد قضى نحبه، وانقضى أجله، ثم تضعونه في صدعٍ من الأرض في بطن لحد، ثم تدعونه غير موسدٍ ولا ممهد، قد خلع الأسلاب، وفارق الأحباب، ووجه للحساب، غنياً عما ترك، فقيراً إلى ما قدم. وايم الله إني لأقول لكم هذه المقالة ولا أعلم عند أحدٍ منكم أكثر مما عندي، وأستغفر الله لي ولكم. وما يبلغنا أحدٌ منكم حاجته يسعها ما عندنا إلا سددنا من حاجته ما قدرنا عليه، ولا أحدٌ يتسع له ما عندنا إلا وددت أن بدئ بي وبلحمتي الذين يلونني حتى يستوي عيشنا وعيشكم. وايم الله لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان به مني ناطقاً ذلولاً عالماً بأسبابه، ولكنه من الله عز وجل كتابٌ ناطق، وسنةٌ عادلة، دل فيهما على طاعته ونهى فيهما عن معصيته. ثم بكى فتلقى دموعه بطرف ردائه؛ ثم نزل فلم ير على تلك الأعواد بعد حتى قبضه الله إليه. رحمة الله عليه.

اشترى موضع قبره بعشرة دنانير: أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو سلمة المديني. عن إبراهيم بن ميسرة: أن عمر بن عبد العزيز اشترى موضع قبره بعشرة دنانير.

وفاته: أخبرني اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو سلمة المديني قال أخبرني ابن مسلمة بن عبد الملك قال حدثني أبي مسلمة قال: كنا عند عمر في اليوم الذي توفي فيه أنا وفاطمة بنت عبد الملك؛ فقلنا له: يا أمير المؤمنين، إنا نرى أنا قد منعناك النوم، فلو تأخرنا عنك شيئاً عسى أن تنام ! قال: ما أبالي لو فعلتما. قال: فتنحيت أنا وهي وبيننا وبينه ستر. قال: فما نشبنا أن سمعناه يقول: حي الوجوه حي الوجوه. فابتدرناه أنا وهي فجئناه وقد أغمض ميتاً، فإذا هاتفٌ يهتف في البيت لا نراه: " تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ".

من أصواته في سعاد: ومن أصوات عمر في سعاد صوت

ألا يا دين قلبك من سليمى	كما قد دين قلبك من سعادا
هما سبتا الفؤاد وأصبتاه	ولم يدرك بذلك ما أرادا
قفا نعرف منازل من سليمى	دوارس بين حومل أو عرادا
ذكرت بها الشباب وآل ليلى	فلم يرد الشباب بها مرادا
فإن تشب الذؤابة أم زيدٍ	فقد لاقيت أياماً شدادا

عروضه من الوافر. الشعر لأشهب بن رميلة فيما ذكر ابن الأعرابي وأبو عمرو الشيباني. وحكى ابن الأعرابي أنه سمع بعض بني ضبة يذكر أنها لابن أبي رميلة الضبي. والغناء لعمر بن عبد العزيز رملٌ بالوسطى عن الهشامي وحبشٍ وغيرهما. وفي نسخة عمرو بن بانة الثانية: لخزرجٍ رملٌ بالبنصر.

نسب الأشهب بن رميلة وأخباره نسبه: رميلة أمه، وهي أمةٌ لخالد بن الملك بن ربعي بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم بن عمرو بن تميم. وهو الأشهب بن ثور بن أبي حارثة بن عبد الدار بن جندل بن نهشل بن دارم

في النسب. قال أبو عمرو: وولدها يزعمون أنها سبيةً من سبايا العرب، فولدت لثور بن أبي حارثة أربعة نفر، وهم رباب، وحجناء، والأشهب، وسويد.

إخوته وعزهم في الجاهلية والإسلام: فكانوا من أشد إخوةٍ في العرب لساناً ويداً، وأمنعهم جانباً. وكثرت أموالهم في الإسلام. وكان أبوهم ثورٌ ابتاع رميلة في الجاهلية، وولدتهم في الجاهلية، فعزوا عزاً عظيماً، حتى كانوا إذا وردوا ماءً من مياه الصمان حظروا على الناس ما يريدون منه. وكانت لرميلة قطيفةٌ حمراء، فكانوا يأخذون الهدب من تلك القطيفة فيلقونه على الماء، أي قد سبقنا إلى هذا، فلا يرده أحد لعزهم، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه ويدعون ما يستغنون عنه.

يوم الصمان بينهم وبين أبناء عمومتهم:

فوردوا في بعض السنين ماءً من مياه الصمان وورد معهم ناسٌ من بني قطن بن نهشل. وكانت بنو قطن بن نهشل وبنو زيد بن نهشل وبنو مناف بن درام حلفاء. وكانت الأعجاز حلفاء عليهم، وهم جندل وجرول وصخر بنو نهشل. فأورد بعضهم بعيره فأشرعه حوضاً قد حظروا عليه. وبلغهم ذلك فغضبوا منه واجتمعوا وأحلافهم، واجتمعت الأحلاف عليهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فضرب رباب بن رميلةٌ رأس نسير بن صبيح المعروف بأبي بدال، وأمه بنت أبي الحمام بن قراد بن مخزوم. وقال رباب في ذلك:

ضربته عشية الهلال ... أول يومٍ عد من شوال

ضرباً على رأس أبي بدال ... ثمت ما أبت ولا أبالي

ألا يؤوب آخر الليالي

فجمع كل واحد منهما لصاحبه. فقالت بنو قطن: يا بني جرول ويا بني صخر ويا بني مناف ، ضرب صاحبكم صاحبنا ضربةً لا ندري أيموت منها أم يعيش، فأنصفونا؛ فأبى القوم أن يفعلوا؛ فاقتتلوا يومهم ذلك إلى الليل. وكان أبي بن أشيم أخو بني جرول وهو سيدهم خرج في حاجةٍ له، فلقيه بعض بني قطن فأسره وأتى به أصحابه. فقال نهشل بن حري: يا بني قطن، أطيعوني اليوم وأعصوني أبداً. قالوا: نعم، فقل. فقال: إن هذا لم يشهد شركم ولا حربكم، ولا يحل لكم دمه، وإن قومه أحر من يقاتلكم وشوكتهم؛ فخذوا عليه العهد أن يصرفهم عنكم وخلوا سبيله. قالوا: افعل ما رأيت. فأتاه نهشل بن حري فقال له: يا أبا أسماء، إن قومك قد حالوا بيننا وبين حقنا وقاتلوا دونه، وقد أمكننا الله منك، وأنت والله أوفى دماً عندنا من بني رميلة، فوالله لأقتلنك أو تعطيني ما أسألك. قال: سل. قال: تجعل أن تصرف بني جرول جميعاً، فإن لم يطيعوك انصرفت ببني أشيم، فإن لم يطيعوك أتيتنا. قال: نعم. فخلي سبيله تحت الليل. فأتاهم وهم بحيث يرى بعضهم بعضاً فقال: يا بني جرول انصرفوا؛ أتعترضون على قوم يريدون حقهم ! ألا تتقون الله ! والله لقد أسرني القوم ولو أرادوا قتلي لكان فيه وفاءٌ بحقهم، ولكنهم يكرهون حربكم فلا تبغوا عليهم. فانصرف منهم أكثر من سبعين رجلاً. فلما رأى ذلك بنو صخر وبنو جرول قالوا: والله إن لنظلم قومنا إن قاتلناهم؛ وانصرفوا، وتخاذل القوم. فلما رأى

ذلك الأشهب بن رميلة قال: ويلكم ! أفي ضربة من عصا لم تصنع شيئاً تسفكون دماءكم ! والله ما به من بأس، فأعطوا قومكم حقهم. فقال حجناء ورباب: والله لننصرفن فلنلحقن بغيركم ولا نعطي ما بأيدينا. فجعل الأشهب بن رميلة يقول: ويلكم ! أتخربون دار قومكم في ضربة عصاً لم تبلغ شيئاً ! فلم يزل بهم حتى جاؤوا برباب فدفعوه إلى بني قطن، وأخذوا منهم أبا بدال وهو المضروب فمات في تلك الليلة في أيديهم؛ فكتموه، وأرسلوا إلى عباد بن مسعود، ومالك بن ربعي، ومالك بن عوف، والقعقاع بن معبد، فعرضوا عليهم الدية. فقالوا: وما الدية وصاحبنا حي ! قالوا: فإن صاحبكم ليس بحي. فأمسكوا وقالوا: ننظر. ثم جاؤوا إلى رباب فقالوا: أوصنا بما بدا لك. قال: دعوني أصلي. قالوا: صل. فصلى ركعتين ثم قال: أما والله إني إلى ربي لذو حاجة، وما منعني أن أزيد في صلاتي إلا أن تروا أن ذلك فرقٌ من الموت، فليضربني منكم رجلٌ شديد الساعد حديد السيف. فدفعوه إلى أبي خزيمة بن نسير المكني بأبي بدال فضرب عنقه، فدفنوه؛ وذلك في الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفان. فقال الأشهب يرثي أخاه ويلوم نفسه في دفعه إليهم لتسكن الحرب:

أعيني قلت عبرةٌ من أخيكما ... بأن تسهرا ليل التمام وتجزعا

وباكيةٍ تبكي الرباب وقائلٍ ... جزى الله خيراً ما أعف وأمنعا

وأضرب في الهيجا إذا حمس الوغى ... وأطعم إذا أمسى المراضيع جوعاً

إذا ما اعترضنا من أخينا أخاهم ... روينا ولم نشفِ الغليل فينقعا

قرونا دماً والضيف منتظر القرى ... ودعوةِ داعٍ قد دعانا فأسمعا

مردنا وكانت هفوةً من حلومنا ... بثديٍ إلى أولاد ضمرة أقطعا

وقد لامني قومي ونفسي تلومني ... بما فال رأيي في رباب وضيعا

فلو كان قلبي من حديد أذابه ... ولو كان من صم الصفا لتصدعا

مضى الحديث.

أصوات عمر في سعاد

ونسخت من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدثني محمد بن أحمد ين يحيى المكي عن أبيه قال: لعمر بن عبد العزيز في سعاد سبعة ألحان.

منها:

يا سعاد التي سبتني فؤادي ... ورقادي هبي لعيني رقادي

ولحنه رملٌ مطلق.

ومنها:

حظ عيني من سعاد أبداً طول السهاد

ولحنه رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر.

ومنها:

سبحان ربي برا سعادا لا تعرف الوصل والوداد

ولحنه خفيف رملٍ.

ومنها:

لعمري لئن كانت سعاد هي المنى وجنة خلد لا يمل خلودها

ولحنه ثقيل أول.

ومنها:

أسعاد جودي لا شقيت سعادا وأجزي محبك رأفةً ووداد

ولحنه خفيف رملٍ.

ومنها:

ألما صاحبي نزر سعادا

ومنها:

ألا يا دين قلبك من سليمى

وقد ذكرت طريقتهما.

كان محدثاً وفقيهاً وراوياً: وقد روي عن عمر بن عبد العزيز حديثٌ كثيرٌ وفقهٌ، وحمل عنه أهل العلم.

أخبرنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا عمران بن بكار الكلاعي قال حدثنا خالد بن علي قال حدثنا بقية بن الوليد عن مبشر بن إسماعيل عن بشر بن عمر بن عبد العزيز عن أبيه عمر عن جده عبد العزيز عن معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من أحب أن تمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار ".

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وعمي قالا حدثنا العنزي قال حدثني وزير بن محمد أبو هاشم الغساني قال حدثني محمد بن أيوب بن سعيد السكري عن عمر بن عبد العزيز عن أمه عن أبيها عاصم بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نعم الإدام الخل ".

غناء يزيد بن عبد الملك

وممن حكي عنه أنه صنع في شعره غناءً يزيد بن عبد الملك، و لم يأت ذلك برواية عمن يحصل قوله كما حكي عن عمر بن عبد العزيز، وإنما وجد في الكتب أنه صنع لحناً في شعره، وذكره من لا يوثق به، و لم نروه عن أحد

فلم نأت بأخباره ها هنا مشروحةً، وأتيت بها في أخباره مع حبابة بحيث يصلح. وأما اللحن الذي ذكر أنه صنعه فهو:

صوت

أبلغ حبابة أسقى ربعها المطر ما للفؤاد سوى ذكراكم وطر

إن سار صحبي لم أملل بذكركم أو غرسوا فهموم النفس والفكر

في هذين البيتين ثقيلٌ أول يقال إنه ليزيد بن عبد الملك. وذكر ابن المكي أنه لحبابة.

وحكي عن الهيثم بن عدي أن يزيد بن عبد الملك لما رأى حبابة تعلقها و لم يقدر على ابتياعها خوفاً من أخيه سليمان أو من عمر بن عبد العزيز، وقال فيها هذين البيتين وهو راحل عن الحجاز، وغناه فيهما معبد، فوصله بعد ذلك بما كان يغنيه، وأخذته حبابة وغيرها عنه. وذكر الهشامي أنه مما لا يشك فيه من غناء معبد. وقد مضت أخبار يزيد بن عبد الملك وحبابة في صدر هذا الكتاب فاستغني عن إعادتها هنا.

غناء الوليد بن يزيد

وممن غنى منهم الوليد بن يزيد: وله أصوات صنعها مشهورةٌ، وقد كان يضرب بالعود ويوقع بالطبل ويمشي بالدف على مذهب أهل الحجاز. أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد عن الفطراني عن محمد بن جبر قال حدثني من سمع خالد صامة يقول: كنت يوماً عند الوليد بن يزيد وأنا أغنيه:

أراني الله يا سلمى حياتي

وهو يشرب حتى سكر. ثم قال لي: هات العود، فدفعته إليه، فغناه أحسن غناء؛ فنفست عليه إحسانه، ودعوت بطبل فجعلت أوقع عليه وهو يضرب حتى دفع العود وأخذ الطبل فجعل يوقع به أحسن إيقاع، ثم دعا بدفٍ فأخذه ومشى به وجعل يغني أهزاج طويس حتى قلت قد عاش، ثم جلس وقد انبهر. فقلت: يا سيدي، كنت أرى أنك تأخذ عنا ونحن الآن نحتاج إلى الأخذ عنك ! فقال: اسكت ويلك ! فوالله أن سمع هذا منك أحدٌ ما دمت حياً لأقتلنك. فوالله ما حكيته عنه حتى قتل.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرنا أبو أيوب المديني قال ذكر أبو الحسن المدائني أن يحيى مولى العبلات المعروف بفيل وهو الذي غنى:

أزرى بنا أننا شالت نعامتنا

كان مقيماً بمكة. فلما قدمها الوليد بن يزيد سأل عن أحسن الناس غناءً وحكايةً لابن سريج؛ فقيل له: فيل.

فدعاه وقال له: امش لي بالدف، ففعل. ثم قال له الوليد: هاته حتى أمشي به، فإن أخطأت فقومني. فمشى به أحسن من مشية فيل. فقال له يحيى: جعلت فداءك ! إيذن لي حتى أختلف إليك لأتعلم منك.

فمن مشهور صنعته في شعره:

وصفراء في الكأس كالزعفران سباها التجيبي من عسقلان

تريك القذاة وعرض الأناء سترٌ لها دون لمس البنان

لحنه فيه خفيف رملٍ. وفيه لأبي كامل ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس. ولعمر الوادي فيه ثقيلٌ أول بالوسطى عن يونس والهشامي. وقد مضت أخباره مشروحة في المائة الصوت المختارة.

غناء الواثق

وممن دونت صنعته من خلفاء بني العباس الواثق بالله.

و لم نعلمه حكي ذلك عن أحد منهم قبله إلا ما قدمنا سوء العهدة فيه عن ابن خرداذبة؛ فإنه حكى أن للسفاح والمنصور وسائرهم غناء وأتى فيها بأشياء غثةٍ لا يحسن لمحصلٍ ذكرها.

غنى الواثق في شعر لأبي العتاهية بحضرة إسحاق ووصله: وأخبرني يحيى بن محمد الصولي قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت يوماً دار الواثق بغير إذن إلى موضع أمر أن أدخله إذا كان جالساً. فسمعت صوت عود من بيت وترنماً لم أسمع أحسن منه قط، فأطلع خادمٌ رأسه ثم رده وصاح بي فدخلت فإذا الواثق. فقال: أي شيء سمعت؟ فقلت: الطلاق لازمٌ لي وكل مملوك لي حرٌ لقد سمعت ما لم أسمع مثله قط حسناً ! فضحك فقال: وما هو ! إنما هذه فضلة أدب وعلم مدحه الأوائل واشتهاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمهم والتابعون بعدهم وكثر في حرم الله ومهاجر رسول الله. أتحب أن تسمعه مني؟ قلت: إي والذي شرفني بخطابك وجميل رأيك. فقال: يا غلام، هات العود وأعط إسحاق رطلاً. فدفع الرطل إلي وضرب وغنى في شعر لأبي العتاهية بلحنٍ صنعه فيه:

أضحت قبورهم من بعد عزهم تسفي عليها الصبا والحرجف الشمل

لا يدفعون هواماً عن وجوههم كأنهم خشبٌ بالقاع منجدل

فشربت الرطل ثم قمت فدعوت له؛ فأجلسني وقال: أتشتهي أن تسمعه ثانيةً؟ فقلت: إي والله، فغنانيه ودعا لي برطل، ففعلت كما فعلت ثانيةً ثم ثالثةً. وصاح ببعض خدمه وقال له: إحمل إلى إسحاق ثلثمائة ألف درهم. ثم قال: يا إسحاق، قد سمعت ثلاثة أصوات وشربت ثلاثة أرطال وأخذت ثلثمائة ألف درهم، فانصرف إلى أهلك ليسروا بسرورك؛ فانصرفت بالدراهم.

صنع مائة صوت ليس فيها صوت ساقط: أخبرني محمد قال سمعت أحمد بن محمد بن الفرات يقول سمعت عريب تقول: صنع الواثق مائة صوتٍ ما فيها صوتٌ ساقطٌ. ولقد صنع في هذا الشعر:

هل تعلمين وراء الحب منزلةً تدني إليك فإن الحب أقصاني

هذا كتاب فتىً طالت بليته يقول يا مشتكى بثي وأحزاني

لحناً من الرمل تشبه فيه بصنعة الأوائل.

نسبة هذا الصوت الشعر ليعقوب بن إسحاق الربعي المخزومي. والغناء للواثق رملٌ بالوسطى من رواية الهشامي.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي والحرمي بن أبي العلاء وعلي بن سليمان الأخفش قالوا حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال قال الزبير بن بكار: كتب ابن أبي مسرة المكي إلى أهل المدينة بيتين وهما:

هذا كتاب فتىً طالت بليته يقول يا مشتكى بثي وأحزاني

هل تعلمين وراء الحب منزلةً تدني إليك فإن الحب أقصاني

قال الزبير: وكنت غائباً، فلما قدمت قال لي أهل المدينة ذلك. فقلت لهم: أيكتب إليكم صاحبكم يعاتبكم فلا تجيبونه !.

شعر يعقوب بن إسحاق الربعي: أنشدني يعقوب بن إسحاق الربعي المخزومي لنفسه:

قال الوشاة لهندٍ عن تصارمنا ولست أنسى هوى هندٍ وتنساني

يعقوب ليس بمتبولٍ ولا كلفٍ ويح الوشاة فإن الداء أضناني

ما بي سوى الحب من هندٍ وإن بخلت حبي لهندٍ برى جسمي وأبلاني

قد قلت حين بدا لي بخل سيدتي وقد تتابع بي بثي وأحزاني

هل تعلمين وراء الحب منزلةً تدني إليك فإن الحب أقصاني

قالت نعم قلت ما ذاكم أسيدتي وطاعة الحب تنفي كل عصيان

قالت فدعنا بلا صرمٍ ولا صلةٍ ولا صدودٍ ولا في حال هجران

حتى يشك وشاةٌ قد رموك بنا وأعلنوا بك فينا أي إعلان

ومن غناء الواثق بالله: صوت غناؤه في شعر لذي الرمة:

خليلي عوجا من صدور الرواحل بجرعاء حزوى وأبكيا في المنازل

لعل انحدار الدمع يعقب راحةً من الوجد أو يشفي نجي البلابل

الشعر لذي الرمة. والغناء للواثق بالله رملٌ مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي. ولإسحاق فيهما رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر. ولحن الواثق منهما الذي أوله البيت الثاني وهو اللحن المحثوث المسجح وله ردةٌ في " لعل ". ولحن إسحاق أوله البيت الأول ثم الثاني وهو أشدهما إمساكاً وفيه صياح.

غنى إسحاق الموصلي بحضرته صوتاً أخذته عنه شاجى فأجازه: أخبرنا أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي: أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطاهري وقد كان تكلم له في حاجة فقضيت. فقال له: أعطاك الله أيها الأمير ما لم تحط به أمنية و لم تبلغه رغبة. قال: فاشتهي هذا الكلام فاستعاده فأعدته. قال: ثم مكثنا ما شاء الله؛ وأرسل الواثق إلى محمد بن إبراهيم يأمره بإشخاصي إليه في الصوت الذي أمرني أن أتغنى فيه وهو:

لقد بخلت حتى لو اني سألتها

فأمر لي بمائة ألف درهم. فأقمت ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنيهم يقدر على أن يأخذ هذا الصوت مني. فلما طال مقامي قلت: يا أمير المؤمنين، ليس أحد من هؤلاء المغنين يقدر على أن يأخذ هذا الغناء مني. فقال لي: و لم ويحك؟ قلت: لأني لا أصححه ولا تسخو نفسي لهم به. فلما فعلت يا أمير المؤمنين في الجارية التي أخذتها مني ؟"يعني شجا، وهي التي كان أهداها إلى الواثق وعمل لها المصنف الذي في أيدي الناس لإسحاق ". قال: وكيف؟ فقلت: لأنها تأخذه مني وأطيب به لها نفساً، وهم يأخذونه منها. قال: فأمر بها فأخرجت وأخذته على المكان. فأمر لي بمائة ألف درهم أخرى، وأذن لي في الانصراف. وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهري حاضراً عنده، فقلت له عند وداعي إياه: أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تحط به أمنية و لم تبلغه رغبة. فالتفت إلي إسحاق بن إبراهيم فقال لي: ويحك يا إسحاق ! تعيد الدعاء ! فقلت: إي والله أعيده قاصٌ أنا أو مغنٍ.

فانصرفت إلى بغداد وأقمت، حتى قدم إسحاق فجئته مسلماً. فقال: ويلك يا إسحاق ! أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده؟ قلت: لا، أيها الأمير. قال: قال لي: ويحك ! كنا أغنى الناس عن أن نبعث إسحاق على لحننا فيفسده علينا. هذه رواية أبي أيوب.

تقدير إسحاق لغناء الواثق: قال أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى وأخبرني أبي رحمه الله عن إسحاق أنه قال: لما صنعت لحني في:

خليلي عوجا من صدور الرواحل

غنيته الواثق فاستحسنه وعجب من صحة قسمته، ومكث صوته أياماً ثم قال لي: يا إسحاق، قد صنعت لحناً في صوتك وفي إيقاعه، وأمر فغنيت به؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، بغضت إلي لحني وسمجته عندي. وقد كنت استأذنته مراتٍ في الانحدار إلى بغداد بعد أن ألقيت اللحن الذي كان أمرني بصنعه في:

لقد بخلت حتى لو اني سألتها

فمنعني ودافعني بذلك. فلما صنع لحنه الرمل في:

خليلي عوجا من صدور الرواحل

قلت له: يا أمير المؤمنين، قد والله اقتصصت وزدت؛ فأذن لي بعد ذلك. قال أبو الحسن علي بن يحيى قلت لإسحاق: فأيهما أجود الآن لحنك فيه أو لحنه؟ فقال: لحني أجود قسمةً وأكثر عملاً، ولحنه أظرف، لأنه جعل ردته من نفس قسمته، فليس يقدر على أدائه إلا متمكنٌ من نفسه. قال أبو الحسن: فتأملت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق. قال وقال لي إسحاق: ما كان يحضر مجلس الواثق أعلم منه بالغناء.

فأما نسبة هذين الصوتين، فإن أحدهما قد مضى ومضت نسبته. والآخر: صوت

أيا منشر الموتى أقدني من التي بها نهلت نفسي سقاماً وعلت

لقد بخلت حتى لو اني سألتها قذى العين من ضاحي التراب لضنت

الشعر لأعرابيٍ رواه إسحاق عنه و لم يذكر اسمه، والناس يغلطون فينسبونه إلى كثير ويظنونه من قصيدته التي أولها:

خليلي هذا رسم عزة فاعقلا قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

وهذا خطأ ممن قال ذلك. والغناء للواثق ثاني ثقيلٍ بالوسطى. ولإسحاق في البيت الثاني وبعده بيت ألحقه به ليس من الشعر ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى. والبيت الذي ألحقه إسحاق به من شعره:

فإن بخلت فالبخل منها سجيةٌ وإن بذلت أعطت قليلاً وأكدت

كان يعرض غناءه على إسحاق فيدلي فيه برأيه: أخبرني عمي رحمه الله قال حدثني أبو جعفر بن الدهقانة النديم قال: كان الواثق إذا أراد أن يعرض صنعته على إسحاق نسبها إلى غيره وقال: وقع إلينا صوتٌ قديم من بعض العجائز ما سمعه أحدٌ، ويأمر من يغنيه إياه. وكان إسحاق يأخذ نفسه في ذلك بقول الحق أشد أخذٍ، فإن كان جيداً من صناعته قرظه ووصفه واستحسنه، وإن كان مطرحاً أو فاسداً أو متوسطاً ذكر ما فيه. فربما كان للواثق فيه هوًى فيسأله عن تقويمه وإصلاح فساده، وربما اطرحه بقول إسحاق فيه؛ إلى أن صنع لحناً في قول الشاعر:

لقد بخلت حتى لو اني سألتها قذى العين من ضاحي التراب لضنت

كان عنده مخارق لإسحاق فجفاه وأصلحت بينهما فريدة: فأعجب به واستحسنه، وأمر المغنين فغنوا فيه، وأمر بإشخاص إسحاق إليه من بغداد ليسمعه.

فكاده مخارق عنده وقال: يا أمير المؤمنين ،إن إسحاق شيطانٌ خبيث داهية، وإن قولك له فيما تصنعه: هذا صوتٌ وقع إلينا، لا يخفى عليه به أن الصوت لك ومن صنعتك ولا يوقع في فهمه أنه قديم، فيقول لك وبحضرتك ما يقارب هواك، فإذا خرج عن حضرتك قال لنا ضد ذلك. فأحفظ الواثق قوله وغاظه، وقال له: أريد على هذا القول منك دليلاً. قال: أنا أقيم عليه الدليل إذا حضر. فلما قدم به وجلس في أول مجلس اندفع مخارق يغني لحن الواثق:

لقد بخلت حتى لون اني سألتها

فزاد فيه زوائد أفسدت قسمته فساداً شديداً وخفيت على الواثق لكثرة زوائد مخارق في غنائه. فسأله الواثق عنه؛ فقال: هذا غناء فاسدٌ غير مرضي عندي. فغضب الواثق وأمر بإسحاق فسحب حتى أخرج من المجلس. فلما كان من الغد قالت فريدة للواثق: يا أمير المؤمنين، إن إسحاق رجل يأخذ نفسه بقول الحق في صناعته على كل حالٍ ساءته أو سرته، لا يخاف في ذلك ضرراً ولا يرجو نفعاً؛ وما لك منه عوض. وقد كاده مخارقٌ عندك فزاد في صدر الصوت من زوائده التي تعرف، وتركه في المصراع الثاني على حاله، ونقص من البيت الثاني، وقد تبينت ذلك. وأنا أعرضه على إسحاق وأغنيه إياه على صحته، واسمع ما يقول. ومازالت تلطف للواثق حتى رضي عنه وأمر بإحضاره. فغنته إياه فريدة كما صنعه الواثق. فلما سمعه قال: هذا صوتٌ صحيح الصنعة والقسمة والتجزئة، وما هكذا سمعته في المرة الأولى. ثم أخبر الواثق عن مواضع فساده حينئذٍ، وأبان ذلك له بما فهمه. وغنته فريدة عدة أصوات من القديم والحديث كلها يقول فيها بما عنده من مدحٍ لبعضها وطعنٍ على بعض. فاستحسن الواثق ذلك وأجازه يومئذٍ وحباه، وجفى مخارق مدة لما فعله به.

أخبرني جحظة قال حدثني ابن المكي عن أبيه قال: كان الواثق إذا صنع شيئاً من الغناء أخبر إسحاق به وعرضه عليه حتى يصلح ما فيه ثم يظهره.

وقد أخبرني الحسن بن علي عن يزيد بن محمد المهلبي بهذا الخبر فذكر نحو ما ذكرته ها هنا وفي ألفاظه اختلاف. وقد تقدم ذكره وابتدأناه في أخبار إسحاق. والأبيات الثانية التي غنى فيها الواثق وإسحاق أنشدنيها علي بن سليمان الأخفش وعلي بن هارون بن علي بن يحيى جميعاً عن هارون بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق لأعرابيٍ، وأنشدناها محمد بن عباس اليزيدي قال أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب لبعض الأعراب:

ألا قاتل الله الحمامة غدوةً ... على الغصن ماذا هيجت حين غنت

فغنت بصوتٍ أعجميٍ فهيجت ... هواي الذي كانت ضلوعي أكنت

فلو قطرت عين امرئ من صبابةٍ ... دماً قطرت عيني دماً وألمت

فما سكتت حتى أويت لصوتها ... وقلت أرى هذي الحمامة جنت

ولي زفراتٌ لم يدمن قتلنني ... بشوقٍ إلى نادي التي قد تولت

إذا قلت هذي زفرة اليوم قد مضت ... فمن لي بأخرى في غدٍ قد أظلت

أيا منشر الموتى أعني على التي ... بها نهلت نفسي سقاماً وعلت

لقد بخلت حتى لو اني سألتها ... قذى العين من سافي التراب لضنت

فقلت ارحلا يا صاحبي فليتني أرى كل نفس أعطيت ما تمنت
حلفت لها بالله ما أم واحدٍ إذا ذكرته آخر الليل أنت
وما وجد أعرابيةٍ قذفت بها صروف النوى من حيث لم تك ظنت
إذا ذكرت ماء العضاه وطيبه وبطن الحصى من بطن خبت أرنت
بأعظم من وجدي بها غير أنني أجمجم أحشائي على ما أجنت

غناه إسحاق فوصله وشعره فيه: أخبرني جحظة وابن أبي الأزهير ويحيى بن علي والحسين بن يحيى قالوا جميعاً أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه، وقد جمعت روايتهم في هذا الخبر وزدت فيه ما نقصه كل واحد منهم حتى كملت ألفاظه، قال: ما وصلني أحد من الخلفاء بمثل ما وصلني به الواثق؛ وما أحد منهم يكرمني إكرامه. ولقد غنيته لحني:

لعلك إن طالت حياتك أن ترى بلاداً بها مبدًى لليلى ومحضر

فاستعاده مني ليلةً لا يشرب على غيره، ثم وصلني بثلثمائة ألف درهم. ولقد قدمت عليه في بعض قدماتي، فقال لي: ويحك يا إسحاق ! أما اشتقت إلي ! فقلت: بلى والله ياسيدي ! وقلت في ذلك أبياتاً إن أمرتني أنشدتها. قال: هات؛ فأنشدته:

أشكو إلى الله بعدي عن خليفته وما أقاسيه من همٍ ومن كبر
لا أستطيع رحيلاً إن هممت به يوماً إليه ولا أقوى على السفر
أنوي الرحيل إليه ثم يمنعني ما أحدث الدهر والأيام في بصري

ثم استأذنته في إنشاد قصيدة مدحته بها فأذن لي؛ فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها:

لما أمرت بإشخاصي إليك هوى قلبي حنيناً إلى أهلي وأولادي
ثم اعتزمت فلم أحفل ببينهم وطابت النفس عن فضلٍ وحماد
كم نعمةٍ لأبيك الخير أفردني بها وخص بأخرى بعد إفرادي
فلو شكرت أياديكم وأنعمكم لما أحاط بها وصفي وتعدادي
لأشكرنك ما غار النجوم وما حدا على الصبح في إثر الدجى حاد

قال علي بن يحيى خاصةً في خبره: فقال لي أحمد بن إبراهيم: يا أبا الحسن، أخبرني لو قال الخليفة لإسحاق: أحضر لي فضلاً وحماداً أليس كان يفتضح إسحاق ! يعني من دمامة خلقتهما وتخلف شاهدهما.

خرج معه إسحاق إلى النجف، وشعره فيها وفي حنينه إلى ولده: قال إسحاق: ثم انحدرت مع الواثق إلى النجف، فقلت: يا أمير المؤمنين، قد قلت في النجف قصيدة. فقال هاتها؛ فأنشدته قولي:

يا راكب العيس لا تعجل بنا وقف نحي داراً لسعدى ثم ننصرف

لم ينزل الناس في سهلٍ ولا جبلٍ أصفى هواءً ولا أغذى من النجف

حفت ببرٍ وبحرٍ في جوانبها فالبر في طرفٍ والبحر في طرف

ما إن يزال نسيمٌ من يمانيةٍ يأتيك منها برياً روضةٍ أنف

حتى انتهيت إلى مديحه فقلت وقد انتهيت إلى قولي فيه:

لا يحسب الجود يفني ماله أبداً ولا يرى بذل ما يحوي من السرف

فقال لي: أحسنت يا أبا محمد ! فكناني، وأمر لي بألف درهم. وانحدرنا إلى الصالحية التي يقول فيها أبو نواس:

فالصالحية من أكناف كلواذا

وذكرت الصبيان وبغداد فقلت:

أتبكي على بغداد وهي قريبةٌ فكيف إذا ما ازددت منها غداً بعدا

لعمرك ما فارقت بغداد عن قلى لو أن وجدنا من فراقٍ لها بدا

إذا ذكرت بغداد نفسي تقطعت من الشوق أو كادت تموت بها وجدا

كفى حزناً أن رحت لم تستطع لها وداعاً ولم تحدث لساكنها عهدا

فقال لي: يا موصلي لقد اشتقت إلى بغداد ! فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكن اشتقت إلى الصبيان، وقد حضرني بيتان. فقال: هاتهما. فقلت:

حننت إلى الأصبية الصغار وشاقك منهم قرب المزار

وكل مفارقٍ يزداد شوقاً إذا دنت الديار من الديار

فقال لي: يا إسحاق، سر إلى بغداد فأقم شهراً مع صبيانك ثم عد إلينا، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم.

امتياز إسحاق على المغنين في مجلسه: أخبرني جحظة عن ابن حمدون: أن إسحاق كان يحضر مجالس الخلفاء إذا جلسوا للشرب في جملة المغنين وعوده معه إلى أيام الواثق، فإنه كان إذا قدم عليه يحضر مع الجلساء بغير عود، ويدنيه الواثق ولا يغني حتى يقول له: غن، فإذا قال له غن جاؤوه بعود فغنى به، وإذا فرغ العود من بين يديه إكراماً من الواثق له.

برز إسحاق عليه في لحن اشتركا فيه: أخبرني الحسين بن يحيى عن وسواسة بن الموصلي عن حماد بن إسحاق قال: كتب حمدون بن إسماعيل إلى أبي: إن أمير المؤمنين الواثق يأمرك ان تصنع لحناً في هذا الشعر:

لقد بخلت حتى لو اني سألتها

وقد كان الواثق غنى فيه غناء أعجبه، فغنى فيه أبي. فلما سمعه الواثق قال: أفسد علينا إسحاق ما كنا أعجبنا به من غنائنا. قال حماد: ثم لم أعلم أن أبي صنع بعده غناءً حتى مات.

ومن مشهور أغاني الواثق: صوت

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله غزالان مكحولان مؤتلفان

أرغتهما ختلاً فلم أستطعهما ورمياً ففاتاني وقد رمياني

ولحنه فيه من الثقيل الأول. ولإسحاق فيه رملٌ.

قصة لأعرابي عاشق مع إسحاق بن سليمان بن علي: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني محمد بن منصور بن علية القرشي قال أخبرني جعفر بن عبيد الله بن جعفر الهاشمي عن إسحاق بن سليمان بن علي قال: لقيت أعرابياً بالسمية فصيحاً، فاستخففته وتأملته فإذا هو مصفرٌ شاحب ناحل الجسم، فاستنشدته فأنشدني الشيء بعد الشيء على استكراهٍ مني له. فقلت له ما بالك؟ فوالله إنك لفصيح ! فقال: أما ترى الجبلين؟ قلت بلى. قال: في ظلالهما والله يمنعني من إنشادك ويشغلني ويذهلني عن الناس. قلت: وما ذاك؟ قال: بنت عم لي قد تيمتني وذهبت بعقلي، والله إنه لتأتي علي ساعاتٌ ما أدري أفي السماء أنا أم في الأرض، ولا أزال ثابت العقل ما لم يخامر ذكرها قلبي، فإذا خامره بطلت حواسي وعزب عني لبي. قلت: فما يمنعك منها؟ أقلة ما في يديك؟ قال: والله ما يمنعني منها غير ذلك. قلت: وكم مهرها؟ قال: مائة ناقة. قلت: فأنا ادفعها إليك إذاً لتدفعها إليها. قال: والله لئن فعلت ذلك إنك لأعظم الناس علي منةً. فوعدته بذلك واستنشدته ما قال فيها. فأنشدني أشياء كثيرةً منها قوله:

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله غزالان مكحولان مؤتلفان

البيتان. فقلت له: يا أعرابي، والله لقد قتلتني بقولك " ففاتاني وقد قتلاني " وأنا بريء من العباس أن لم أقم بأمرك. ثم دعوت بمركوب فركبته وحملت معي الأعرابي، فصرنا إلى أبي الجارية في جماعةٍ من أهلي و موالي حتى زوجته إياها وضمنت عنه الصداق واشتريت له مائة ناقة فسقتها عنه؛ وأقمت عندهم ثلاثاً ونحرت لهم ثلاثين جزورا، ووهبت للأعرابي عشرة آلاف درهم وللجارية مثلها، وقلت: استعينا بهذا على اتصالكما وانصرفت. فكان الأعرابي يطرقنا في كل سنة وامرأته معه فأهب له وأصله وينصرف.

غناؤه في شعر حسان: ومن أغانيه - أخبرني به ذكاء وجه الرزة عن أحمد بن العلاء عن مخارق وأنه أخذه عنه - : صوت

إن التي عاطيتني فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجةٍ أرخاهما للمفصل

يروي: " كلتاهما جلب العصير " و " حلب العصير ". ويروي: " للمَفصل " و " للمِفصل ". والمَفصل: الواحد من المفاصل، والمِفصل هو اللسان. ذكر ذلك علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن الحسن الأحول عن ابن الأعرابي.

الشعر لحسان بن ثابت. والغناء للواثق خفيف رملٍ بالبنصر. وفيه لإبراهيم الموصلي رملٌ مطلقٌ في مجرى الوسطى. وهذه الأبيات من قصيدة حسان المشهورة التي يمدح بها بني جفنة، وأولها:

أسألت رسم الدار أم لم تسأل

وهي من فاخر المديح، منها قوله:

أولاد جفنة عند قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

بيض الوجوه كريمةٌ أنسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

تفسير القاضي عبيد الله بن الحسن لهذا الشعر: نسخت من كتاب الشاهيني: حدثني ابن علي العنزي قال حدثني أحمد بن عبد الملك بن أبي السمال السعدي قال حدثني أبو ظبيان الحماني قال: اجتمعت جماعةٌ من الحي على شرابٍ لهم، فتغنى رجل منهم بشعر حسان:

إن التي عاطيتها فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجةٍ أرخاهما للمفصل

فقال رجل من القوم: ما معنى قوله " إن التي عاطيتني " فجعلها واحدة، ثم قال: " كلتاهما حلب العصير " فجعلهما اثنتين؟ فلم يعلم أحد منا الجواب. فقال الرجل من القوم: امرأته طالقٌ ثلاثاً إن بات أو يسأل القاضي عبيد الله بن الحسن عن تفسير هذا الشعر. قال أبو ظبيان: فحدثني بعض أصحابنا السعديين قال: فأتيناه نتخطى إليه الأحياء حتى أتيناه وهو في مسجده يصلي بين العشاءين. فلما سمع حسنا أوجز في صلاته، ثم أقبل علينا وقال: ما حاجتكم؟ فبدأ رجل منا كان احسننا بقيةً فقال: نحن، أعز الله القاضي، قومٌ نزعنا إليك من طرف البصرة في حاجة مهمة فيها بعض الشيء. فإن أذنت لنا قلنا. قال: قولوا. فذكر يمين الرجل والشعر. فقال: أما قوله " إن التي ناولتني " هي الخمرة. وقوله: " قتلت " يعني مزجت بالماء. وقوله: " كلتاهما حلب العصير " يعني به الخمر و مزاجها، فالخمر عصير العنب، والماء عصير السحاب؛ قال الله عز وجل: " وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً " انصرفوا إذا شئتم.

غناؤه لحناً على مثال لحن لمخارق: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه قال: غنى مخارقٌ يوماً بحضرة الواثق:

حتى إذا الليل خبا ضوءه ... وغابت الجوزاء والمرزم

خرجت والوطء خفيٌ كما ... ينساب من مكمنه الأرقم

فاستملح الواثق الشعر واللحن، فصنع في نحوه:

قالت إذا الليل دجا فأتنا ... فجئتها حين دجا الليل

خفي وطء الرجل من حارسٍ ... ولو درى حل بي الويل

ولحنه فيه من الرمل. وصنع فيه الناس ألحاناً بعده: منها لعريب خفيف رملٍ، ومنها ثقيلٌ أول لا أعلم لمن هو؛ وسمعت ذكاء ومحمد بن إبراهيم قريضاً يغنيانه وذكراً أنهما أخذاه عن أحمد بن أبي العلاء، ولا أدري لمن هو.

تحدث إسحاق إليه بقصة أعرابي عاشق وغنى في شعره فوصله ووصل الأعرابي: حدثني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حمدا بن إسحاق قال حدثني أبي قال: سرت إلى سر من رأى بعد قدومي من الحج، فدخلت إلى الواثق فقال: بأي شيء أطرفتني من أحاديث الأعراب وأشعارهم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، جلس إلي فتى من الأعراب في بعض المنازل، فحادثني فرأيت منه أحلى ما رأيت من الفتيان منظراً وحديثاً وأدباً. فاستنشدته فأنشدني:

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله ... غزالان مكحولان مؤتلفان

إذا أمنا التفا بجيدي تواصلٍ ... وطرفاهما للريب مسترقان

أرغتهما ختلاً فلم أستطعهما ... ورمياً ففاتاني وقد قتلاني

ثم تنفس تنفساً ظننت أنه قد قطع حيازيمه. فقلت: ما لك بأبي أنت؟ فقال: أن لي وراء هذين الجبلين شجناً، وقد حيل بيني وبين المرور به ونذروا دمي، وأنا أتمتع بالنظر إلى الجبلين تعللاً بهما إذا قدم الحاج، ثم يحال بيني وبين ذلك. فقلت له: زدني مما قلت في ذلك. فأنشدني:

إذا ما وردت الماء في بعض أهله ... حضور فعرض بي كأنك مازح

فإن سألت عني حضور فقل لها ... به غبرٌ من دائه وهو صالح

فأمرني الواثق فكتبت له الشعرين. فلما كان بعد أيام دعاني فقال: قد صنع بعض عجائز دارنا الشعرين لحناً فاسمعه، فإن ارتضيته أظهرناه وإن رأيت فيه موضع إصلاح أصلحته. فغني لنا من وراء الستار، فكان في نهاية الجودة، وكذلك كان يفعل إذا صنع شيئاً. فقلت له: أحسن والله صانعه يا أمير المؤمنين ما شاء !. فقال: بحياتي؟ فقلت: وحياتك، وحلفت له بما وثق به، وأمر لي برطلٍ فشربته، ثم أخذ العود فغناه ثلاث مرات، وسقاني ثلاثة

أرطال وأمر لي بثلاثين ألف دلاهم. فلما كان بعد أيام دعاني فقال: قد صنع أيضاً عندنا في الشعر الآخر، وأمر فغني به؛ فكانت حالي فيه مثل الحال في الأول. فلما استحسنته وحلفت له على جودته ثلاث مرات، سقاني ثلاثة أرطال وأمر لي بثلاثين ألف درهم. ثم قال لي: هل قضيت حق هديتك؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين؛ فأطال الله بقاءك، وتمم نعمتك، ولا أفقدنيها منك وبك. ثم قال: لكنك لم تقض حق جليسك الأعرابي ولا سألتني معونته على أمره، وقد سبقت مسألتك وكتبت بخبره إلى صاحب الحجاز وأمرته بإحضاره، وخطبت المرأة له وحمل صداقها إلى قومها عنه من مالي. فقبلت يديه وقلت: السبق إلى المكارم لك، وأنت أولى بها من عبدك ومن سائر الناس.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني: منها الصوتان اللذان في الأخبار المتقدمة.

صوت

حتى إذا الليل خبا ضوءه ... وغابت الجوزاء والمرزم

أقبلت والوطء خفيٌّ كما ... ينساب من مكمنه الأرقم

ذكر يحيى المكي أن اللحن لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر، وذكر الهشامي أنه منحولٌ.

طرب شيخ لسماع مغنية فرمى بنفسه في الفرات: فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وإسماعيل بن يونس وغيرهما قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن ابن كناسة قال: إصطحب شيخٌ مع شباب في سفينةٍ في الفرات ومعه مغنية. فلما صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ: معنا جاريةٌ لبعضنا وهي مغنية، فأحببنا أن نسمع غناءها فهبناك، فإن أذنت لنا فعلنا. قال: أنا أصعد إلى طلل السفينة، فاصنعوا أنتم ما شئتم فصعد، وأخذت الجارية عودها فغنت:

حتى إذا الصبح بدا ضوءه ... وغابت الجوزاء والمرزم

أقبلت والوطء خفيٌّ كما ... ينساب من مكمنه الأرقم

فطرب الشيخ وصاح ثم رمى بنفسه بثيابه في الفرات، وجعل يغوص في الفرات ويطفو ويقول: أنا الأرقم !أنا الأرقم ! فألقوا أنفسهم خلفه، فبعد لأيٍ ما استخرجوه، وقالوا له: يا شيخ، ما حملك على ما صنعت؟ فقال: إليكم عني ! فإني والله أعرف من معاني الشعر ما لا تعرفون. وقال إسماعيل في خبره فقلت له: ما أصابك؟ فقال: دب شيء من قدمي إلى رأسي كدبيب النمل ونزل في رأسي مثله، فلما وردا على قلبي لم أعقل ما عملت.

وأما ما في الخبر من الصنعة في: " قالت إذا الليل دجا " فإن لحن الواثق هو المشهور، وما وجدت في كتب " الأغاني " غيره، بل سمعت محمد بن إبراهيم المعروف بقريض وذكاء وجه الرزة يغنيان فيه لحناً من الثقيل الأول المذموم فسألتهما عن صانعه فلم يعرفاه، وذكرا جميعاً أنهما أخذاه عن أحمد بن أبي العلاء.

علمه بالغناء وعدد أصواته وذكر المشهور منها: وأخبرني الصولي عن أحمد بن محمد بن إسحاق عن حماد بن

إسحاق قال: كان الواثق أعلم الخلفاء بالغناء، وبلغت صنعته مائة صوتٍ، وكان أحذق من غنى بضرب العود، قال: ثم ذكرها فعد منها:

يفرح الناس بالسماع وأبكي أنا حزناً إذا سمعت السماع

ولها في الفؤاد صدعٌ مقيمٌ مثل صدع الزجاج أعيا الصناعا

الشعر للعباس بن الأحنف. والغناء للواثق خفيف ثقيلٍ. وفيه لأبي دلف خفيف رملٍ.

ومنها:

ألا أيها النفس التي كادها الهوى أفأنت إذا رمت السلو غريمي

أفيقي فقد أفنيت صبري أو اصبري لما قد لقيتيه علي ودومي

الشعر والغناء للواثق خفيف رملٍ ومنها:

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله غزالان مكحولان مؤتلفان

أرغتهما ختلاً فلم أستطعهما ورمياً ففاتاني وقد قتلاني

الغناء للواثق ثقيلٌ أول. وفيه لإسحاق رملٌ وهو من غريب صنعته، يقال إنه صنعه بالرقة.

ومنها:

كل يومٍ قطيعةٌ وعتاب ينقضي دهرنا ونحن غضاب

ليت شعري أنا خصصت بهذا دون ذا الخلق أم كذا الأحباب

فاصبر النفس لا تكونن جزوعاً إنما الحب حسرةٌ وعذاب

فيه للواثق رملٌ، ولزرزور ثقيلٌ أول، ولعريب هزجٌ.

ومنها:

ولم أر ليلى بعد موقف ساعةٍ بخيف منى ترمي جمار المحصبِ

ويبدي الحصى منها إذا قذفت به من البرد أطراف البنان المخضب

فأصبحت من ليلى الغداة كناظرٍ مع الصبح في أعقاب نجم مغرب

ألا إنما غادرت يا أم مالكٍ صدى أينما تذهب به الريح يذهب

الصنعة في هذا الشعر ثقيلٌ أول وهو لحن الواثق فيما أرى. ونسبه حبش، وهو قليل التحصيل، إلى ابن محرز في موضع، وإلى سليم في موضع آخر، و إلى معبد في موضع ثالث.

ومنها:

أمست وشاتك قد دبت عقاربها وقد رموك بعين الغش وابتدروا

تريك أعينهم ما في صدورهم إن الصدور يؤدي غيبها النظر

الشعر للمجنون. والغناء للواثق ثاني ثقيلٍ. وفيه لمتيم ثقيلٌ أول. وقد نسب لحن كل واحد منهما إلى الآخر.

ومنها:

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

فيا هجر ليلى قد بلغت بي المدى وزدت على ما لم يكن بلغ الهجر

الغناء للواثق رملٌ. وفيه لمعبد ثاني ثقيلٍ بالوسطى، ولابن سريج ثقيلٌ أول بالبنصر، ولعريب ثقيلٌ أول آخر.

ومنها:

كأن شخصي وشخصه حكيا نظام نسرينتين في غصن

فليت ليلي وليله أبداً دام ودمنا به فلم نبن

الشعر أظنه لعلي بن هشام أو لمراد . ولحن الواثق فيه ثقيلٌ أول. وفيه لعريب ثقيلٌ أول آخر. وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ولمتيم لحنان لم يقع إلي جنسهما.

ومنها:

أهابك إجلالاً وما بك قدرةٌ علي ولكن ملء عينٍ حبيبها

وما فارقتك النفس يا ليل أنها قلتك ولكن قل منك نصيبها

لحن الواثق فيه ثقيلٌ أول مطلق في مجرى الوسطى. وفيه لغيره لحن.

ومنها:

في فمي ماءٌ وهل ين طق من في فيه ماءُ !

أنا مملوكٌ لمملو كٍ عليه الرقباء

كنت حراً هاشمياً فاسترقتني الإماء

وسباني من له كا ن على الكره السباء

أحمد الله على ما ساقه نحوي القضاء

ما بعيني دموعٌ أنفد الدمع البكاء

الغناء للواثق رملٌ.

ومنها :

أي عونٍ على الهموم ثلاث مترعاتٌ من بعدهن ثلاث

بعدها أربعٌ تتمة عشرٍ لا بطاءٌ لكنهن حثاث

فيه رملٌ ينسب إلى الواثق وإلى متيم.

ومنها :

أيا عبرة العينين قد ظمئ الحد فما لكما من أن تلما به بد

ويا مقلةً قد صار يبغضها الكرى كأن لم يكن من قبل بينهما ود

لئن كان طول العهد أحدث سلوةً فموعد بين العين والعبرة الوجد

وما أنا إلا كاللذين تخرموا على أن قلبي من قلوبهم فرد

الشعر والغناء للواثق رملٌ. وفيه لأبي حشيشة هزجٌ، ذكر ذلك الهشامي الملقب بالمسك، وأخبرني جحظة أنه للمسدود. وأخبرني جحظة أن من صنعة أبي حشيشة في شعر الواثق خفيف رملٍ وهو:

سألته حويجةً فأعرضا وعلق القلب به ومرضا

فاستل مني سيف عزمٍ منتضى فكان ما كان وكابرنا القضا

قال: وفي هذا الشعر أيضاً للواثق رملٌ، ولقلم الصالحية فيه هزج. وقد غلط جحظة في هذا الشعر، وهو لسعيد بن حميد مشهور، وله فيه خبر قد ذكرناه في موضعه .

غاضبه خادم له فقال فيه شعراً غنى فيه: أخبرني عمي عن علي بن محمد بن نصر عن جده ابن حمدون عن أبيه حمدون بن إسماعيل قال: كان الواثق يحب خادماً له كان أهدي إليه من مصر، فغاضبه يوماً وهجره، فسمع الخادم يحدث صباحاً له بحديث أغضبه عليه، إلى أن قال له: والله إنه ليجهد منذ أمس على أن أصالحه فما أفعل. فقال الواثق في ذلك:

يا ذا الذي بعذابي ظل مفتخراً هل أنت إلا مليكٌ جار إذ قدرا

لولا الهوى لتجازينا على قدرٍ وإن أفق مرةً منه فسوف ترى

قال: وغنى الواثق وعلويه فيه لحنين، ذكر الهشامي أن لحن الواثق خفيف ثقيلٍ، وفي أغانيه علويه: لحنه في هذا الشعر خفيف رملٍ.

غنى في شعر لعلي بن الجهم: حدثني الصولي قال حدثني بن أبي العيناء عن أبيه عن إبراهيم بن الحسن بن سهل قال: كنا وقوفاً على رأس الواثق في أول مجالسه التي جلسها لما ولي الخلافة، فقال: من ينشدنا شعراً قصيراً مليحاً؟ فحرصت على أن أعمل شيئاً فلم يجئني، فأنشدته لعلي بن الجهم:

لو تنصلت إلينا لوهبنا لك ذنبك

ليتني أملك قلبي مثلما تملك قلبك

أيها الواثق بالل ... ه لقد ناصحت ربك
سيدي ما أبغض العي ... ش إذا فارقت قربك
أصبحت حجتك العلي ... ا وحزب الله حزبك

فاستحسنها وقال: لمن هذه؟ فقلت: لعبدك علي بن الجهم. فقال: خذ ألف دينار لك وله؛ وصنع فيه لحناً كنا نغني به بعد ذلك.

يوم له مع المغنين بسر من رأى: أخبرني محمد بن يحيى بن أبي عباد قال حدثني أبي قال: لما خرج المعتصم إلى عمورية استخلف الواثق بسر من رأى، فكانت أموره كلها كأمور أبيه. فوجه إلى الجلساء والمغنين أن يبكروا إليه يوماً حدد لهم، ووجه إلى إسحاق، فحضر الجميع. فقال لهم الواثق: إني عزمت على الصبوح، ولست أجلس على سرير حتى أختلط بكم ونكون كالشيء الواحد، فاجلسوا معي حلقةً، وليكن كل جليس إلى جانبه مغنٍ، فجلسوا كذلك. فقال الواثق: أنا أبدأ؛ فأخذ عوداً فغنى وشربوا وغنى من بعده، حتى انتهى إلى إسحاق فأعطي العود فلم يأخذه. فقل: دعوه. ثم غنوا دوراً آخر. فلما بلغ الغناء إلى إسحاق لم يغن، وفعل هذا ثلاث مرات. فوثب الواثق فجلس على سريره وأمر الناس فأدخلوا، فما قال لأحد منهم: اجلس. ثم قال: علي بإسحاق !. فلما رآه قال: يا خوزي يا كلب ! أتترل لك وأغني و ترتفع عني ! أترى لو أني قتلتك كان المعتصم يقيدني بك ! ابطحوه ! فبطح فضرب ثلاثين مقرعةً ضرباً خفيفاً، وحلف ألا يغني سائر يومه سواه. فاعتذر وتكلمت الجماعة فيه، فأخذ العود وما زال يغني حتى انقضى ذلك اليوم، وعاد الواثق إلى مجلسه.

شعره في خادم يهواه: وجدت في بعض الكتب عن ابن المعتز قال: كان الواثق يهوى خادماً له فقال فيه:

سأمنع قلبي من مودة غادر ... تعبدني خبثاً بمكر مكاشر
خطبت إليه الوصل خطبة راغبٍ ... فلاحظني زهواً بطرف مهاجر

قال أبو العباس عبد الله بن المعتز: وللواثق في هذا الشعر لحن من الثقيل الأول.

ألقى على غلمانه صوتاً فأخذوه عنه: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال حدثني عبد أم غلام الواثق قال: دعى بنا الواثق مع صلاة الغداة وهو يستاك فقال: خذوا هذا الصوت، ونحن عشرون غلاماً كلنا يغني ويضرب، ثم ألقى علينا:

أشكو إلى الله ما ألقى من الكمد ... حسبي بربي فلا أشكو إلى أحدٍ

فما زال يردده حتى أخذناه عنه.

نسبة هذا الصوت:

أشكو إلى الله ما ألقى من الكمد ... حسبي بربي فلا أشكو إلى أحدٍ
أين الزمان الذي قد كنت ناعمةٍ ... مهلةٌ بدنوي منك يا سندي

وأسأل الله يوماً منك يفرحني فقد كحلت جفون العين بالسهد

شوقاً إليك وما تدرين ما لقيت نفسي عليك وما بالقلب من كمد

الغناء للواثق ثقيلٌ أول بالبنصر. وفيه لعريب أيضاً ثقيلٌ أول بالوسطى.

كان إسحاق يصحح له غناءه: أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني محمد بن أحمد المكي قال حدثني أبي قال: كان الواثق يعرض صنعته على إسحاق، فيصلح الشيء بعد الشيء مما يخفى على الواثق؛ فإذا صححه أخرجه إلينا وسمعناه.

أمر مخارقاً وعلويه وعريب أن يعارضوا لحناً له: حدثنا جحظة قال حدثني حماد بن إسحاق قال حدثني مخارق قال: لما صنع الواثق لحنه في:

حوراءُ ممكورةٌ منعمةٌ كأنما شف وجهها نزف

وصنع لحنه في " سأذكر سرباً طال ما كنت فيهم " أمرني وعلويه وعريب أن نعارض صنعته فيهما، ففعلنا واجتهدنا ثم غنيناه. فضحك فقال: أمنا معكم أن نجد من يبغض إلينا صنعتنا كما بغض إسحاق إلينا " أيا منشر الموتى ". قال حماد: هذا آخر لحنٍ صنعه أبي. يعني الذي عارض به لحن الواثق في " أيا منشر الموتى ".

غناه إسحاق صوتاً فتطير به: أخبرني جحظة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت يوماً إلى الواثق وهو مصطبحٌ، فقال لي: غني يا إسحاق بحياتك عليك صوتاً غريباً لم أسمعه منك حتى أسربه بقية يومي. فكإن الله أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت:

يا دار إن كان البلى قد محاك فإنه يعجبني أن أراك

أبكي الذي قد كان لي مألفاً فيك فأتي الدار من أجل ذاك

-والغناء في هذا اللحن للأبجر رملٌ بالوسطى عن ابن المكي وهو الصواب، وذكر عمرو بن بانة أنه لسليم - قال فتبينت الكراهية في وجهه، وندمت على ما فرط مني. وتجلد فشرب رطلاً كان في يده، وعدلت عن الصوت إلى غيره. فكان والله ذلك اليوم آخر جلوسي معه.

وممن حكي عنه أنه صنع في شعره وشعر غيره المنتصر

غناء المنتصر

فإني ذكرت ما روي عنه أنه غنى فيه على سوء العهدة في ذلك وضعف الصنعة، لئلا يشذ عن الكتاب شيءٌ قد روي وقد تداوله الناس. فمما ذكر عنه أنه غنى فيه: صوت

سقيت كأساً كشفت عن ناظريه الخمرا

فنشطتني ولقد كنت حزيناً خاثرا

الشعر للمنتصر، وهو شعرٌ ضعيفٌ ركيك إلا أنه يغني فيه.

كان متحلفاً في قول الشعر ومتقدماً في غيره وكان يغني قبل الخلافة: وحدثني الصولي عن أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه قال: كان طبع المنتصر متخلفاً في قول الشعر وكان متقدماً في كل شيء غيره؛ فكان إذا قال شعراً صنع فيه وأمر المغنين بإظهاره، وكان حسن العلم بالغناء. فلما ولي الخلافة قطع ذلك وأمر بستر ما تقدم منه. من ذلك صنعته في شعره وهو من الثقيل الأول المذموم:

سقيت كأساً كشفت عن ناظريه الخمرا

قال: ومن شعره الذي غنى فيه ولحنه ثاني ثقيلٍ: صوت

متى ترفع الأيام من وضعنه وينقاد لي دهرٌ علي جموحٌ

أعلل نفسي بالرجاء وإنني لأغدو على ما ساءني وأروح

قال: وكان أبي يستجيد هذين البيتين ويستحسنهما. ونذكر ها هنا شيئاً من أخبار المنتصر في هذا المعنى دون غيره أسوة ما فعلناه في نظرائه.

أراد الشرب علانية فجاء الناس ليروه فقال شعراً فتفرقوا: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي عباد قال حدثني أبي قال: أراد المنتصر أن يشرب في الزقاق، فوافى الناس من كل وجه ليروه ويخدموه؛ فوقف على شاطئ دجلة وأقبل على الناس فقال:

لعمري لقد أسحرت خيلنا بأكناف دجلة للملعب

والشعر " بأكناف دجلة للمصعب " ولكنه غيره لأنه تطير من ذكر المصعب -

فمن يك منا يبت آمناً ومن يك من غيرنا يهرب

قال: فعلم أنه يريد الخلوة بالندماء والمغنين، فانصرفوا، فلم يبق معه إلا من يصلح للأنس والخدمة.

جفا يزيد المهلبي لاختصاصه بالمتوكل ثم عفا عنه وأكرمه: حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي قال: كان أبي أخص الناس بالمنتصر، وكان يجالسه قبل مجالسته المتوكل. فدخل المتوكل يوماً على المنتصر على غفلة، فسمع كلامه فاستحسنه، فأخذه إليه وجعله في جلسائه. وكان المنتصر يريد منه أن يلازمه كما كان، فلم يقدر على ذلك لملازمته أباه؛ فعتب عليه لتأخره عنه على ثقةٍ بمودة وأنسٍ به. فلما أفضت إليه الخلافة استأذن عليه؛ فحجبه وأمر بأن يعتقل في الدار فحبس أكثر يومه. ثم أذن له فدخل وسلم وقبل الأرض بين يديه ثم قبل يده، فأمره بالجلوس؛ ثم التفت إلى بنان بن عمرو وقال: غن، وكان العود في يده:

غدرت ولم أغدر وخنت ولم أخن ورمت بديلاً بي ولم أتبدل

- قال: والشعر للمنتصر - فغناه بنانٌ. وعلم أبي أنه أراده بذلك فقام فقال: والله ما اخترت خدمة غيرك ولا صرت إليها إلا بعد إذنك. فقال: صدقت؛ إنما قلت هذا مازحاً؛ أتراني أتجاوز بك حكم الله عز وجل إذ يقول: "وليس عليكم جناحٌ فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً ". ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له فأنشده:

ألا يا قوم قد برح الخفاء ... وبان الصبر مني والعزاء
تعجب صاحبي لضياع مثلي ... وليس لداء محروم دواء
جفاني سيدٌ قد كان براً ... ولم أذنب فما هذا الجفاء
حللت بداره وعلمت أني ... بدار لا يخيب بها الرجاء
فلما شاب رأسي في ذراه ... حجبت بعقب ما بعد اللقاء
فإن تتأى ستور الإذن عنا ... فما نأت المحبة والثناء
وإن يك كادني ظلماً عدوٌ ... فعند البحث ينكشف الغطاء
ألم تر أن بالآفاق منا ... جماجم حشو أقبرها الوفاء
وقد وصف الزمان لنا زيادٌ ... وقال مقالةً فيها شفاء
ألا يا رب مغمومٍ سيحظى ... بدولتنا ومسرورٍ يساء
أمنتصر الخلائف جدت فينا ... كما جادت على الأرض السماء
وسعت الناس عدلاً فاستقاموا ... بأحكامٍ عليهن الضياء
وليس يفوتنا ما عشت خيرٌ ... كفانا أن يطول لك البقاء

قال: فقال له المنتصر: والله إنك لمن ذوي ثقتي وموضع اختياري، ولك عندي الزلفى، فطب نفساً. قال ووصلني بثلاثة آلاف دينار.

شعر الحسين بن الضحاك فيه: حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال: لما ولي المنتصر الخلافة دخل عليه الحسين بن الضحاك فهنأه بالخلافة وأنشده:

تجددت الدنيا بملك محمد ... فأهلاً وسهلاً بالزمان المجدد
هي الدولة الغراء راحت وبكرت ... مشهرةً بالرشد في كل مشهد
لعمري لقد شدت عرا الدين بيعةٌ ... أعز بها الرحمن كل موحد

هنتك أمير المؤمنين خلافةٌ جمعت بها أهواء أمة محمد

قال: فأظهر إكرامه والسرور به، وقال له: إن في بقائك بهاءً بالملك، وقد ضعفت عن الحركة، فكاتبني بحاجاتك ولا تحمل على نفسك بكثرة الحركة. ووصله بثلاثة آلاف دينار ليقضي بها ديناً بلغه أنه عليه.

قال: وقال الحسين بن الضحاك فيه وقد ركب الظهور وراءه الناس، وهو آخر شعر قاله:

ألا ليت شعري أبدرٌ بدا نهاراً أم الملك المنتصر

إمامٌ تضمن أثوابه على سرجه قمراً من بشر

حمى الله دولة سلطانه بجند القضاء وجند القدر

فلا زال ما بقيت مدةٌ يروح بها الدهر أو يبتكر

قال: وغنى فيه بنانٌ وعريب.

شعر يزيد المهلبي فيه: حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي قال: أول قصيدة أنشدها أبي في المنتصر بعد أن ولي الخلافة:

ليهنك ملكٌ بالسعادة طائره موارده محمودةٌ ومصادره

فأنت الذي كنا مرجي فلم نخب كما يرتجى من واقع الغيب باكره

بمنتصرٍ بالله تمت أمورنا ومن ينتصر بالله فالله ناصره

فأمر المنتصر عريب أن تغني نشيداً في أول الأبيات وتجعل البسيط في البيت الأخير؛ فعملته وغنته به.

حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد قال: صلى المنتصر بالناس في الأضحى سنة سبع وأربعين ومائتين؛ فأنشده أبي لما انصرف:

ما استشرف الناس عيداً مثل عيدهم مع الإمام الذي بالله ينتصر

غدا بجمعٍ كجنح الليل يقدمه وجهٌ أغر كما يجلو الدجى القمر

يأمهم صادعٌ بالحق أحكمه حزمٌ وعلمٌ بما يأتي وما يذر

لو خير الناس فاختاروا لأنفسهم أحظ منك لما نالوه ما قدروا

قال: فأمر لهم بألف دينار، وتقدم إلى ابن المكي أن يغني في الأبيات.

غناه بنان بن عمرو بشعر مروان فأمره ألا يغني في شعر آل أبي حفصة:

حدثني الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال حدثني بنان بن عمرو المغني قال: غنيت يوماً بين يدي المنتصر:

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أو تسترون هلالها

فقال لي: إياك وأن تغني بحضرتي هذا الصوت وأشباهه، فما أحب أن أغنى إلا في أشعار آل أبي حفصة خاصة.

غناء المعتز بالله

وممن هذه سبيله في صنعة الغناء المعتز بالله: فإني لم أجد له منها شيئاً إلا ما ذكره الصولي في أخباره؛ فأتيت بما حكاه للعلة التي قدمتها من أني كرهت أن يخل الكتاب بشيء قد دونه الناس وتعارفوه. فمما ذكر أنه غنى فيه: صوت

لعمري لقد أصحرت خيلنا ... بأكناف دجلة للمصعب

فمن يك منا يبت آمناً ... ومن يك من غيرنا يهرب

الشعر لعدي بن الرقاع. والغناء للمعتز خفيف رملٍ. وهذه الأبيات من قصيدة لعدي يقولها في الوقعة التي كانت بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير بطسوج مسكن، فقتل فيها مصعبٌ بقرية من مسكن يقال لها دير الجاثليق، وذكرته الشعراء في هذه الأبيات:

لعمري لقد أصحرت خيلنا ... بأكناف دجلة للمصعب

يهزون كل طويل القنا ... ة لدنٍ ومعتدل الثعلب

فداؤك أمي وأبناؤها ... وإن شئت زدت عليها أبي

وما قلتها رهبةً إنما ... يحل العقاب على المذنب

إذا شئت نازلت مستقتلاً ... أزاحم كالجمل الأجرب

فمن يك منا يبت آمناً ... ومن يك من غيرنا يهرب

أخبار عدي بن الرقاع ونسبه نسبه: هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع بن عصر بن عك بن شعل بن معاوية بن الحارث وهو عاملة بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد. وأم معاوية بن الحارث عاملة بنت وديعة من قضاعة، وبها سموا عاملة. ونسبه الناس إلى الرقاع، وهو جد جده، لشهرته؛ أخبرني بذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام.

شاعر أموي اختص بالوليد بن عبد الملك جعله ابن سلام في الطبقة الثالثة: وكان شاعراً مقدماً عند بني أمية مداحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك. وله بنت شاعرة يقال لها سلمى، ذكر ذلك ابن النطاح. وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام. وكان منزله بدمشق. وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم. وقد تعرض لجرير وناقضه في مجلس الوليد بن عبد الملك، ثم لم تتم بينهما مهاجاةٌ، إلا أن جريراً قد هجاه تعريضاً في قصيدته:

حي الهدملة من ذات المواعيس

و لم يصرح لأن الوليد حلف إن هو هجاه أسرجه وألجمه وحمله على ظهره، فلم يصرح بهجائه.

ما جرى بينه وبين جرير في حضرة الوليد بن عبد الملك: أخبرني أبو خليفة إجازةً قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني أبو الغراف قال: دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وهو خليفة وعنده عدي بن الرقاع العاملي. فقال الوليد لجرير: أتعرف هذا؟ قال: لا يا أمير المؤمنين. فقال الوليد: هذا عدي بن الرقاع. فقال جرير: فشر الثياب الرقاع، قال: ممن هو؟ قال: العاملي. فقال جرير: هي التي يقول "فيها " الله عز وجل " عاملةٌ ناصبةٌ تصلى ناراً حاميةً ". ثم قال:

يقصر باع العاملي عن الندى ولكن أير العاملي طويل

فقال له عدي بن الرقاع:

أأمك كانت أخبرتك بطوله أم انت امرؤٌ لم تدر كيف تقول

فقال لا! بل أدري كيف أقول. فوثب العاملي إلى رجل الوليد فقبلها وقال: أجرني منه. فقال الوليد لجرير: لئن شتمته لأسرجنك ولألجمنك حتى يركبك فيعيرك الشعراء بذلك. فكنى جريرٌ عن اسمه فقال:

إني إذا الشاعر المغرور حربني جارٌ لقبرٍ على مران مرموس

قد كان أشوث آباءٍ فورثنا شغباً على الناس في أبنائه الشوس

أقصر فإن نزاراً لن يفاضلها فرعٌ لئيمٌ وأصلٌ غير مغروس

وابن اللبون إذا ما لز في قرنٍ لم يستطع صولة البزل القناعيس

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة:

دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وعنده عدي بن الرقاع العاملي. فقال له الوليد: أتعرف هذا؟ قال: لا، فمن هو؟ قال: هذا ابن الرقاع. قال فشر الثياب الرقاع، فممن هو؟ قال: من عاملة. قال: أمن التي قال الله تعالى فيها: "عاملةٌ ناصبةٌ تصلى ناراً حاميةً " !. فقال الوليد: والله ليركبنك لشاعرنا ومادحنا والراثي لأمواتنا تقول هذه المقالة !! يا غلام بإكافٍ ولجام. فقام إليه عمر بن الوليد فسأله أن يعفيه فأعفاه. فقال: والله لئن هجوته لأفعلن ولأفعلن. فلم يصرح بهجائه وعرض، فقال قصيدته التي أولها:

حي الهدملة من ذات المواعيس

وقال فيها يعرض به:

قد جربت عركتي في كل معتركٍ غلب الأسود فما بال الضغابيس

فضل جرير عليه كثيراً في مجلس بعض الخلفاء: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش السعديب قال: ذكر كثير وعدي بن الرقاع العاملي في مجلس بعض خلفاء بني أمية،

فامتروا فيهما أيهما أشعر وفي المجلس جرير. فقال جرير: لقد قال كثير بيتاً هو أشهر وأعرف في الناس من عدي بن الرقاع نفسه؛ ثم أنشد قول كثير:

أأن زم أجمالٌ وفارق جيرةٌ وصاح غراب البين أنت حزين

قال: فحلف الخليفة لئن كان عدي بن الرقاع أعرف في الناس من بيت كثير ليسرجن جريراً وليلجمنه وليركبن عدي بن الرقاع على ظهره. فكتب إلى واليه في المدينة: إذا فرغت من خطبتك فسل الناس من الذي يقول:

أأن زم أجمالٌ وفارق جيرةٌ وصاح غراب البين أنت حزين

وعن نسب ابن الرقاع. فلما فرغ الوالي من خطبته قال: إن أمير المؤمنين كتب إلي أن أسألكم من الذي يقول:

أأن زم أجمالٌ وفارق جيرةٌ

قال: فابتدروا من كل وجه يقولون: كثير كثير. ثم قال: وأمرني أن أسأل عن نسب ابن الرقاع؛ فقالوا: لا ندري؛ حتى قام أعرابي من مؤخر المسجد فقال: هو من عاملة.

نقد محمد بن المنجم بيتاً من شعره: أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه قال قال لي محمد بن المنجم: ما أحدٌ ذكر لي فأحببت أن أراه فإذا رأيته أمرت بصفعه إلا عدي بن الرقاع. قلت: و لم ذلك؟ قال: لقوله:

وعلمت حتى ما أسائل عالماً عن علم واحدةٍ لكي أزدادها

فكنت أعرض عليه أصناف العلوم، فكلما مر به شيء لا يحسنه أمرت بصفعه.

جاءه شعراء ليعارضوه فردت عليهم بنته فأفحمتهم: حدثني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال: كان عدي بن الرقاع ينزل بالشام، وكانت له بنت تقول الشعر. فأتاه ناس من الشعراء ليماتنوه وكان غائباً؛ فسمعت بنته وهي صغيرة لم تبلغ دور وعيدهم، فخرجت إليهم وأنشأت تقول:

تجمعتم من كل أوبٍ وبلدةٍ على واحدٍ لا زلتم قرن واحد

فأفحمتهم.

كان من أوصف الشعراء للمطية: وقال عبد الله بن مسلم: ومما ينفرد به ويقدم فيه وصف المطية؛ فإنه كان من أوصف الشعراء لها.

استحسن أبو عمرو شعره: حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا محمد بن عباد بن موسى قال: كنت عند أبي عمرو أعرض أو يعرض عليه رجلٌ بحضرتي من شعر عدي بن الرقاع، وقرأت أو قرأ هذه الأبيات:

لولا الحياء وأن رأسي قد عسا فيه المشيب لزرت أم القاسم

وكأنها وسط النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنةٌ وليس بنائم

فقال أبو عمرو: أحسن والله !. فقال رجل كان يحضر مجلسه أعرابي كأنه مدني: أما والله لو رأيته مشبوحاً بين أربعةٍ وقضبان الدفلى تأخذه لكنت أشد له استحساناً. يعني إذا كان يغني به على العود.

استحسن أبو عبيدة بيتاً له: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد عن علي بن المغيرة قال: كان أبو عبيدة يستحسن بيت عدي بن الرقاع:

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنةٌ وليس بنائم

جداً ويقول: ما قال أحد في مثل هذا المعنى أحسن منه في هذا الشعر. وفي هذا الشعر غناء، نسبته: صوت

لولا الحياء وأن رأسي قد عسا فيه المشيب لزرت أم القاسم

وكأنها وسط النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنةٌ وليس بنائم

ألمم على طللٍ عفا متقادم بين الذؤيب وبين غيب الناعم

عروضه من الكامل. الجآذر: جمع جؤذر وهي أولاد البقر الوحشية. وجاسمٌ: موضع. ويروى في هذا الشعر " عاسم " مكان "جاسم ". والوسنان: النائم، والوسن النوم، الواحدة منه سنة. والترنيق: الدنو من الشيء يريد أن يفعله، يقال: رنقت العقاب لصيدها إذا دنت منه، وترنيقها أيضاً أن تقصر عن الخفقان بجناحيها. ويقال: طيرٌ مرنقة إذا جاءت تطير ثم أرادت الوقوع ومدت أجنحتها فلم تخفق وترجحت. ويقال للقوم إذا قصروا في سيرهم، وللسابح إذا قصر في الخفق بيديه ورجليه: قد رنقوا ترنيقاً. الشعر لعدي بن الرقاع. والغناء لابن مسجح خفيف ثقيلٍ أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه ثقيلٌ أول بالبنصر ينسب إليه أيضاً وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى بن المكي إليه.

استحسن أبو عمرو شعره واستحسن مدني الغناء به: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن عبد الله المعروف بالحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو قال: كنت عند أبي ورجلٌ يقرأ عليه شعر عدي بن الرقاع. فلما قرأ عليه القصيدة التي يقول فيها:

لولا الحياء وأن رأسي قد عسا فيه المشيب لزرت أم القاسم

قال أبي: أحسن والله عدي بن الرقاع !. قال: وعنده شيخٌ مدني جالس، فقال الشيخ: والله لئن كان عديٌ أحسن لما أساء أبو عباد. قال أبي: ومن هو أبو عباد؟ قال: معبد. والله لو سمعت لحنه في هذا الشعر لكان طربك أشد واستحسانك له أكثر. فجعل أبي يضحك.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن جرير عن محمد بن سلام قال: عزل الوليد بن عبد الملك

عبيدة بن عبد الرحمن عن الأردن وضربه وحلقه وأقامه للناس وقال للمتوكلين به: من أتاه متوجعاً وأثنى عليه فأتوني به. فأتى عدي بن الرقاع، وكان عبيدة إليه محسناً فوقف عليه وأنشأ يقول:

فما عزلوك مسبوقاً ولكن إلى الخيرات سباقاً جوادا
وكنت أخي وما ولدتك أمي وصولاً باذلاً لي مسترادا
وقد هيضت لنكبتك القدامى كذاك الله يفعل ما أرادا

فوثب المتوكلون به إليه، فأدخلوه إلى الوليد واخبروه بما جرى. فتغيظ عليه الوليد وقال له: أتمدح رجلاً قد فعلت به ما فعلت !. فقال: يا أمير المؤمنين، إنه كان إلي محسناُ ولي مؤثراً، وبي براً؛ ففي أي وقت كنت أكافئه بعد هذا اليوم ! فقال: صدقت وكرمت ! فقد عفوت عنك وعنه لك ! فخذه وانصرف. فانصرف به إلى منزله.

عده جرير أنسب الشعراء لشعر له: أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أحمد بن يحيى ثعلب قال: قال نوح بن جرير لأبيه: يا أبت، من أنسب الشعراء؟ قال له: أتعني ما قلت؟ قال: إني لست أريد من شعرك إنما أريد من شعر غيرك. قال: ابن الرقاع في قوله:

لولا الحياء وأن رأسي قد عسا فيه المشيب لزرت أم القاسم

الثلاثة الأبيات. ثم قال لي: ما كان يبالي أن لم يقل بعدها شيئاً.

عجب جرير من توفيقه في تشبيه دقيق: أخبرني الحسن بن علي عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: قال جرير: سمعت عدي بن الرقاع ينشد:

تزجي أغن كأن إبرة روقه

فرحمته من هذا التشبيه فقلت: بأي شيء يشبهه ترى ! فلما قال:

قلمٌ أصاب من الدواة مدادها

رحمت نفسي منه.

تابع روح بن زنباع ثم خالفه وتابع نائل بن قيس في نسبهم: أخبرني اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن ابن حبيب عن أبي عبيدة قال: مال روح بن زنباع الجذامي إلى يزيد بن معاوية لما فصل بين الخطبتين فقال: يا أمير المؤمنين، ألحقنا بإخوتنا من معدٍ فإنا معديون، والله ما نحن من قصب الشأم ولا من زعاف اليمن. فقال يزيد: إن أجمع قومك على ذلك جعلناك حيث شئت. فبلغ ذلك عدي بن الرقاع فقال:

إنا رضينا وإن غابت جماعتنا ما قال سيدنا روح بن زنباع
يرعى ثمانين ألفاً كان مثلهم مما يخالف أحياناً على الراعي

قال: فبلغ ذلك نائل بن قيس الجذامي، فجاء يركض فرسه حتى دخل المقصورة في الجمعة الثانية، فلما قام يزيد

على المنبر، وثب فقال: أين الغادر الكاذب روح بن زنباع؟ ! فأشاروا إلى مجلسه. فأقبل عليه وعلى يزيد ثم قال: يا أمير المؤمنين، قد بلغني ما قال لك هذا، وما نعرف شيئاً منه ولا نقر به، ولكنا قوم من قحطان يسعنا ما يسعهم ويعجز عنا ما يعجز عنهم. فأمسك روح ورجع حن رأيه. فقال عدي بن الرقاع في ذلك:

أضلال ليلٍ ساقطٍ أكنافه ... في الناس أعذر أم ضلال نهار

قحطان والدنا الذي ندعى له ... وأبو خزيمة خندف بن نزار

أنبيع والدنا الذي ندعى له ... بأبي معاشر غائبٍ متواري

تلك التجارة لا زكاء لمثلها ... ذهبٌ يباع بآنكٍ وإبار

فقال له يزيد: غيرت يابن الرقاع. قال: إن ناثلاً والله علي أعزهما سخطاً، وأنصحما لي ولعشيرتي. قال أبو عبيدة: الإبار: جمع إبرة.

ما كان بينه وبين ابن سريج في حضرة الوليد بن عبد الملك: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده إبراهيم: أن الأحوص و ابن سريج قدما المدينة ، فنزلا في بعض الخانات ليصلحا من شأنهما، وقد قدم عدي بن الرقاع وكانت هذه حاله، فنزل عليهما. فلما كان في بعض الليل أفاضوا في الأحاديث؛ فقال عدي بن الرقاع لابن سريج: والله لخروجنا كان لأمير المؤمنين أجدى علينا من المقام معك يا مولى بني نوفل. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنك توشك أن تلهينا فتشغلنا عما قصدنا له. فقال له ابن سريج: أو قلة شكرٍ أيضاً ! فغضب عديٌ وقال: أنك لتمن علينا أن نزلنا عليك؛ وإني أعاهد الله ألا يظلني وإياك سقفٌ إلا أن يكون بحضرة أمير المؤمنين. وخرج من عندهما. وقدم الوليد من باديته فأذن لهما فدخلا. وبلغه خبر ابن الرقاع وما جرى بينه وبين ابن سريج؛ فأمر بابن سريج فأخفي في بيت ودعا بعدي فأدخله؛ فأنشد قصيدةً امتدحه بها. فلما فرغ، أومأ إلى بعض الخدم فأمر ابن سريج فغنى في شعر عدي بن الرقاع يمدح الوليد:

عرف الديار توهماً فاعتادها ... من بعدها شمل البلى أبلادها

فطرب عدي وقال: لا والله ما سمعت يا أمير المؤمنين بمثل هذا قط ولا ظننت أن يكون مثله طيباً وحسناً. ولولا أنه في مجلس أمير المؤمنين لقلت طائفٌ من الجن. أيأذن لي أمير المؤمنين أن أقول؟ قال: قل. قال: مثل هذا عند أمير المؤمنين وهو يبعث إلى ابن سريج يتخطى به قبائل العرب فيقال: ابن سريج المغني مولى بني نوفل بعث أمير المؤمنين إليه !. فضحك ثم قال للخادم: أخرجه فخرج. فلما رآه عديٌ أطرق خجلاً ثم قال: المعذرة إلى الله وإليك يا أخي، فما ظننت أنك بهذه المنزلة، وإنك لحقيقٌ أن تحتمل على كل هفوة وخطيئة. فأمر لهم الوليد بمال سوى بينهم فيه، ونادمهم يومئذٍ إلى الليل.

نسبة هذا الصوت المذكور في هذا الخبر وسائر ما مضى في أخبار عدي قبله من الأشعار التي فيها غناء: صوت

عرف الدار توهماً فاعتادها ... من بعد ما شمل البلى أبلادها

إلا رواكد كلهن قد اصطلى حمراء أشعل أهلها إيقادا

عروضه من الكامل. الشعر لعدي بن الرقاع. والغناء لابن محرز خفيف ثقيلٍ أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أفحمه كثير في حضرة الوليد بن عبد الملك: أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال: أنشد عدي بن الرقاع الوليد بن عبد الملك قصيدته التي أولها:

عرف الديار توهماً فاعتادها

وعنده كثير وقد كان يبلغه عن عدي أنه يطعن على شعره ويقول: هذا شعر حجازيٌّ مقرورٌ إذا أصابه قر الشأم جمد وهلك. فأنشده إياها حتى أتى على قوله:

وقصيدةٍ قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها

فقال له كثير: لو كنت مطبوعاً أو فصيحاً أو عالماً لم تات فيها بميلٍ ولا سناد فتحتاج إلى أن تقومها. ثم أنشد:

نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منآدها

فقال له كثير: لا جرم أن الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء، ولأن تكون مستقيمةً لا تحتاج إلى ثقافٍ أجود لها. ثم أنشد:

وعلمت حتى ما أسائل واحداً عن علم واحدةٍ لكي أزدادها

فقال كثير: كذبت ورب البيت الحرام ! فليمتحنك أمير المؤمنين بأن يسألك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك. وما كنت قط أحمق منك الآن حين تظن هذا بنفسك. فضحك الوليد ومن حضر، وقطع بعدي بن الرقاع حتى ما نطق.

أخبار المعتز في الأغاني ومع المغنين وما جرى هذا المجرى شعره في جارية يهواها: حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني علي بن محمد بن نصر قال حدثني جدي حمدون بن إسماعيل قال: اصطبح المعتز في يوم ثلاثاء ونحن بين يديه ثم وثب فدخل، واعترضته جارية كان يحبها ولم يكن ذلك اليوم من أيامها فقبلها وخرج؛ فحدثني بما كان وأنشدني لنفسه في ذلك: صوت

إني قمرتك يا سؤلي ويا أملي أمراً مطاعاً بلا مطلٍ ولا علل

حتى متى يا حبيب النفس تمطلني وقد قمرتك مراتٍ فلم تف لي

يوم الثلاثاء يومٌ سوف أشكره إذ زارني فيه من أهوي على عجل

فلم أنل منه شيئاً غير قبلته وكان ذلك عند أعظم النفل

قال: وعمل فيه لحن خفيف وشربنا عليه سائر يومنا. الغناء في هذه الأبيات لعريب رملٌ عن الهشامي. ولأبي العبيس في الثالث والرابع هزجٌ.

طارحه بنان المغني في بيت من الشعر وتغنى فيه: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي قال حدثني أبي قال: كان المعتز يشرب على بستان مملوء من النمام وبين النمام شقائق النعمان، فدخل إليه يونس بن بغا وعليه قباءٌ أخضر؛ فقال المعتز: صوت

شبهت حمرة خده في ثوبه بشقائق النعمان في النمام

ثم قال: أجيزوا. فابتدر بنانٌ المغني، وكان ربما عبث بالبيت بعد البيت، فقال:

والقد منه إذا بدا في قرطقٍ كالغصن في لينٍ وحسن قوام

فقال له المعتز: فغن فيه الآن، فعمل فيه لحناً. لحن بنانٍ في هذين البتيين من خفيف الثقيل الثاني وهو الماخوري.

أخبر بوفاة أم يونس بن بغا ففتر المجلس ثم عاد أحسن ما كان: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي عباد قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال: شرب المعتز ويونس بن بغا بين يديه يسقيه والجلساء والمغنون بين يديه وقد أعد الخلع والجوائز، إذ دخل بغا فقال: يا أمير المؤمنين، والدة عبدك يونس في الموت وهي تحب أن تراه؛ فأذن له فخرج. وفتر المعتز ونعس بعده، وقام الجلساء وتفرق المغنون، إلى أن صليت المغرب، وعاد المعتز إلى مجلسه، ودخل يونس وبين يديه الشموع. فلما رآه المعتز دعا برطلٍ فشربه وسقى يونس رطلاً وغناه المغنون، وعاد المجلس أحسن ما كان؛ فقال المعتز: صوت

تغيب فلا أفرح فليتك ما تبرح

وإن جئت عذبتني بأنك لا تسمح

فأصبحت ما بين ذي ن لي كبد تجرح

على ذاك يا سيدي دنوك لي أصلح

ثم قال: غنوا فيه، فجعلوا يفكرون. فقال المعتز لسليمان بن القصار الطنبوري: ويلك ! ألحان الطنبور أملح وأخف فغن فيه أنت؛ فغنى فيه لحناً؛ فدفع إليه دنانير الخريطة وهي مائة دينار مكية ومائتان مكتوبٌ على كل دينار منها " ضرب هذا الدينار بالجوسق بخريطة أمير المؤمنين المعتز بالله " ثم دعا بالخلع والجوائز لسائر الناس، فكان ذلك المجلس من أحسن المجالس.

لحن سليمان بن القصار في هذه الأبيات رملٌ مطلق.

لما قتل بغا هنأه الناس بالظفر: حدثني الصولي قال حدثني محمد بن عبد السميع الهاشمي قال حدثني أبي قال: لما قتل بغا دخلنا فهنأنا المعتز بالظفر، فاصطبح ومعه يونس بن بغا، وما رأينا قط وجهين اجتمعا أحسن من وجهيهما. فما مضت ثلاث ساعات حتى سكر، ثم خرج علينا المعتز فقال:

ما إن ترى منظراً إن شئته حسناً إلا صريعاً يهادى بين سكرين

سكر الشراب وسكرٍ من هوى رشأٍ تخاله والذي يهواه غصنين

ثم أمر فتغنى فيه بعض المغنين.

قصة المعتز ويونس بن بغا مع ديراني: حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق الخراساني قال حدثني الفضل بن العباس بن المأمون قال:

كنت مع المعتز في الصيد، فانقطع عن الموكب وأنا ويونس بن بغا معه، ونحن بقرب قنطرة وصيف، وكان هناك ديرٌ فيه ديرانيٌ يعرفني وأعرفه، نظيفٌ ظريفٌ مليح الأدب واللفظ. فشكا المعتز العطش. فقلت: يا أمير المؤمنين، في هذا الدير ديرانيٌ أعرفه خفيف الروح لا يخلو من ماء بارد، أفترى أن نميل إليه؟ قال نعم. فجئناه فأخرج لنا ماءً بارداً وسألني عن المعتز ويونس فقلت: فتيان من أبناء الجند؛ فقال: بل مفلتان من حور الجنة. فقلت له: هذا ليس في دينك. فقال: هو الآن في ديني. فضحك المعتز. فقال لي الديراني: أتأكلون شيئاً؟ قلت نعم. فأخرج شطيراتٍ وخبزاً وإداماً نظيفاً، فأكلنا أطيب أكل، وجاءنا بأطراف أشنانٍ. فاستظرفه المعتز وقال لي: قل له فيما بينك وبينه: من تحب أن يكون معك من هذين لا يفارقك. فقلت له، فقال: " كلاهما وتمرا ". فضحك المعتز حتى مال على حائط الدير. فقلت للديراني: لا بد من أن تختار. فقال: الأختيار والله في هذا دمار، وما خلق الله عقلاً يميز بين هذين. ولحقهما الموكب، فارتاع الديراني. فقال له المعتز: بحياتي لا تنقطع عما كنا فيه، فإني لمن ثم مولى ولمن ها هنا صديق. فمزحنا ساعةً؛ ثم أمر له بخمسمائة ألف درهم. فقال : والله ما أقبلها إلا على شرط. قال: وما هو؟ قال: يجيب أمير المؤمنين دعوتي مع من أراد. قال: ذلك لك. فاتعدنا ليوم جئناه فيه، فلم يبق غايةً، وأقام للموكب كله ما احتاج إليه، وجاءنا بأولاد النصارى يخدموننا. ووصله المعتز يومئذٍ صلةً سنيةً؛ و لم يزل يعتاده ويقيم عنده.

ولي الخلافة وله سبع عشرة سنة، وشعره في ذلك: حدثني الصولي قال حدثنا عبد الله بن المعتز قال: بويع للمعتز بالخلافة وله سبع عشرة سنةً كاملة وأشهر. فلما انقضت البيعة قال:

توحدني الرحمن بالعز والعلا فأصبحت فوق العالمين أميرا

هكذا ذكر الصولي في قافية الشعر. ووجدته في أغاني بنانٍ مرفوع القافية، وله فيه صنعة. ولعل المعتز قال البيت، فأضاف بنانٌ إليه آخر وجعل المخاطبة عن نفسه للمعتز فقال: صوت

توحدك الرحمن بالعز والعلا فأنت على كل الأنام أمير

تقاتل عنك الترك والخزر كلها كأنهم أسدٌ لهن زئير

الغناء لبنانٍ لحنان خفيف ثقيلٍ وخفيف رملٍ. ومما قاله المعتز وغنى فيه قوله - ذكر الصولي أن عبد الله بن المعتز أنشده إياه لأبيه -: صوت

ألا حي الحبيب فدته نفسي بكأسٍ من مدامة خانقينا

فإني قد بقيت مع الليالي أقاسي الهم في يده سنينا

الغناء فيه لعريب خفيف رملٍ، ولبنانٍ هزجٌ.

وممن ذكر أن له صنعةً من الخلفاء المعتمد.

غناء المعتمد

قال محمد بن يحيى الصولي ذكر عبد الله بن المعتز عن القاسم بن زرزور أن المعتمد ألقى عليه لحناً صنعه في هذا الشعر وهو:

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزراً مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

الشعر للفرزدق. والغناء للمعتمد، ولحنه فيه خفيف ثقيلٍ. هذه حكاية الصولي. وفي غناء عريب: لها في هذا البيت خفيف ثقيلٍ. ولا أعلم لمن هو منهما على صحة، إلا أن المشهور في أيدي الناس أنه لعريب. و لم أسمع للمعتمد غناءً إلا من هذه الجهة التي ذكرتها.

ذكر أخبار الفرزدق في هذا الشعر خاصة

دون غيره

لأن أخباره كثيرة جداً، فكرهت أن أثبتها ها هنا في غناء مشكوك فيه، فذكرت نسبه وخبره في هذا الشعر خاصة، وأخباره تأتي بعد هذا في موضع مفرد يتسع لطول أحاديثه نسبه: الفرزدق لقبٌ غلب عليه. واسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

هو وجرير والأخطل أشعر طبقات الإسلاميين: وهو وجرير والأخطل أشعر طبقات الإسلاميين والمقدم في الطبقة الأولى منهم. وأخباره تذكر مفردةً في موضع آخر يتسع لها، ونذكر ها هنا في هذا المعنى. فأخبرني خبره في ذلك جماعة. فممن أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة، وأخبرني به أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سلام، وأخبرني به محمد بن العباس اليزيدي عن السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة وابن الأعرابي، قال عمر بن شبة خاصة في خبره حدثني محمد بن يحيى قال حدثني أبي:

حديث الفرزدق والنوار وذمه بني قيس وزهيراً وبني أم النسير لمعاونتهم إياها: أن عبد الله بن الزبير تزوج تماضر بنت منظور بن زبان، وأمها مليكة بنت خارجة بن سنان بن أبي حارثة، فخاصم الفرزدق امرأته النوار إلى ابن الزبير. هكذا ذكر محمد بن يحيى و لم يذكر السبب في الخصومة، وذكرها عمر بن شبة و لم يروها عن أحد، وذكرها ابن حبيب عن أصحابه، وذكرها أبو غسان دماذٌ عن أبي عبيدة: أن رجلاً من بني أمية خطب النوار

بنت أعين المجاشعية، فرضيته وجعلت أمرها إلى الفرزدق. فقال: أشهدي لي بذلك على نفسك شهوداً ففعلت، واجتمع الناس لذلك. فتكلم الفرزدق ثم قال: اشهدوا أني قد تزوجتها وأصدقتها كذا وكذا، فأنا ابن عمها وأحق بها. فبلغ ذلك النوار فأبته واستترت من الفرزدق وجزعت ولجأت إلى بني قيس بن عاصم المنقري. فقال فيها:

بني عاصمٍ لا تلجئوها فإنكم ... ملاجئ للسوءات دسم العمائم

بني عاصمٍ لولا كان حياً أبوكم ... للام بنيه اليوم قيس بن عاصم

فقالوا: والله لئن زدت على هذين البيتين لتقتلنك غيلةً. فنافرته إلى عبد الله بن الزبير وأرادت الخروج إليه؛ فتحامى الناس كراءها. ثم إن رجلاً من بني عدي يقال له زهير بن ثعلبة وقوماً يعرفون ببني أم النسير أكروها؛ فقال الفرزدق:

ولولا أن تقول بني عدي ... أليست أم حنظلة النوار

أتتكم يابني ملكان عني ... قوافٍ لا تقسمها التجار

يعني بالنوار ها هنا بنت جل بن عدي بن عبد مناة وهي أم حنظلة بن مالك بن زيد مناة وهي إحدى جداته. وقال فيها أيضاً:

سرى بالنوار عوهجيٌ يسوقه ... عبيدٌ قصير الشبر نائي الأقارب

تؤم بلاد الأمن دائبة السرى ... إلى خير والٍ من لؤي بن غالب

فدونك عرسي تبتغي نقض عقدتي ... وإبطال حقي باليمين الكواذب

وقال أيضاً:

ولولا أن أمي من عديٍ ... وأني كارهٌ سخط الرباب

إذاً لأتى الدواهي من قريبٍ ... جزاءً غير منصرف العقاب

وصلت على بني ملكان مني ... بجيش غير منتظر الإياب

وقال لزهير أيضاً:

لبئس العبء يحمله زهيرٌ ... على أعجاز صرمته نوار

لقد أهدت وليدتنا إليكم ... عوائر لا تقسمها التجار

وقال لبني أم النسير:

لعمري لقد أردى النوار وساقها ... إلى الغور أحلامٌ خفافٌ عقولها

أطاعت بني أم النسير فأصبحت ... على قتبٍ يعلو الفلاة دليلها

وقد سخطت مني النوار الذي ارتضى ... به قبلها الأزواج خاب رحيلها

وإن امرأً أمسى تحبب زوجتي ... كماش إلى أسد الشرى يستبيلها

ومن دون أبوال الأسود بسالةٌ ... وبسطة أيدٍ يمنع الضيم طولها

وإن أمير المؤمنين لعالمٌ ... بتأويل ما أوصى العباد رسولها

فدونكها يابن الزبير فإنها ... مولعةٌ يوهي الحجارة قيلها

استشفعت النوار إلى ابن الزبير امرأته فاستشفع هو بابنه حمزة: فلما قدمت مكة نزلت على بنت منظور بن زبان، واستشفعت بها إلى زوجها عبد الله. وانضم الفرزدق إلى حمزة بن عبد الله بن الزبير وأمه بنت منظورٍ هذه، ومدحه فقال:

أصبحت قد نزلت بحمزة حاجتي ... إن المنوه باسمه الموثوق

الأبيات. وقال فيه أيضاً:

يا حمز هل لك في ذي حاجة غرضت ... أنضاؤه بمكانٍ غير ممطور

فأنت أحرى قريشٍ أن تكون لها ... وأنت بين أبي بكر ومنظور

بين الحواري والصديق في شعبٍ ... نبتنا في طيب الإسلام والخير

هذه الأبيات كلها من رواية أبي زيد خاصةً. قالوا جميعاً: وقال في النوار:

هلمي لابن عمك لا تكوني ... كمختارٍ على الفرس الحمارا

وقال فيها ايضاً:

تخاصمني النوار وغاب فيها ... كرأس الضب يلتمس الجرادا

قال أبو زيد في خبره خاصة: فجعل أمر الفرزدق يضعف وأمر النوار يقوى. وقال الفرزدق:

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم ... وشفعت بنت منظور بن زبانا

صوت

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزراً ... مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

- غنت في هذا البيت عريب خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر - فبلغ ابن الزبير هذا فدعا النوار فقال: إن شئت فرقت بينكما وقتلته فلا يهجونا أبداً، وإن شئت سيرته إلى بلاد العدو. فقالت: ما أريد واحدةً منهما. قال: فإنه ابن عمك وهو فيك راغب، أفأزوجه إياك؟ قالت نعم. فزوجه إياها. فكان الفرزدق يقول: خرجنا متباغضين فرجعنا متحابين.

هدده ابن الزبير وعيره جلاء قومه تميم عن البيت فقال في ذلك شعراً: أخبرني أحمد قال حدثني عمرو بن شبة قال

قال عثمان بن سليمان: شهدت الفرزدق يوم نازع النوار فتوجه القضاء عليه، فأشفق من ذلك وتعرض لابن الزبير بكلام أغضبه، وكان ابن الزبير حديداً. فقال له ابن الزبير: أيا ألأم الناس ! وهل أنت وقومك إلا جالية العرب ! وأمر به فأقيم. واقبل علينا فقال: إن بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة فاستلبوه؛ وأجمعت العرب عليها لما انتهكت ما لم ينتهكه أحد قط فأجلتها من أرض تهامة. فلما كان في طائفة من ذلك اليوم لقيني الفرزدق فقال: هيه ! أيعيرنا ابن الزبير جلاءنا عن البيت ! اسمع ! ثم قال:

فإن تغضب قريشٌ ثم تغضب ... فإن الأرض ترعاها تميم

هم عدد النجوم وكل حيٍ ... سواهم لا تعد لهم نجوم

فلولا بنت مرٍ من نزارٍ ... لما صح المنابت والأديم

بها كثر العديد وطاب منكم ... وغيركم أحذ الريش هيم

فمهلاً عن تذلل من عززتم ... بخولته وعز به الحميم

أعبد الله مهلاً عن أذاتي ... فإني لا الضعيف ولا السؤوم

ولكني صفاةٌ لم تؤبس ... تزل الطير عنها والعصوم

أنا ابن العاقر الخور الصفايا ... بصوءر حيث فتحت العكوم

وذكر الزبير بن بكار عن عمه أن عبد الله بن الزبير لما حكم على الفرزدق قال: إنما حكمت علي بهذا لأفارقها فتثب عليها؛ وأمر به فأقيم، وقال له ما قال في بني تميم. قال: ثم خرج عبد الله بن الزبير إلى المسجد فرأى الفرزدق في بعض طرق مكة وقد بلغته أبياته التي قالها، فقبض ابن الزبير على عنقه فكاد يدقها، ثم قال:

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزاً ... ولو رضيت رمح استه لاستقرت

قال الزبير: وهذا الشعر لجعفر بن الزبير.

ماكان بينه وبين ابن الزبير بعد ما قال له ما حاجتك بالنوار وقد كرهتك: أخبرنا أبو خليفة قال أخبرنا ابن سلام قال أخبرنا إبراهيم بن حبيب الشهيد قال: قال ابن الزبير للفرزدق: ما حاجتك بها وقد كرهتك ! كن لها أكره وخل سبيلها. فخرج وهو يقول: ما أمرني بطلاقها إلا ليثب عليها. فبلغ ذلك ابن الزبير فخرج وقد استهل هلال ذي الحجة ولبس ثياب الإحرام يريد البيت الحرام، فألفى الفرزدق بباب المسجد عند الباعة، فأخذ بعنقه فغمزها حتى جعل رأسه بين ركبتيه وقال:

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزاً ... ولو رضيت رمح استه لاستقرت

قال الزبير: وهذا البيت لجعفر بن الزبير.

هجاه جعفر بن الزبير فنهاه أخوه عن ذلك: أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة عن محمد بن يحيى عن أبيه قال: لما قال الفرزدق في ابن الزبير:

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم وشفعت بنت منظور بن زبانا

قال جعفر بن الزبير:

ألا تلكم عرس الفرزدق جامحاً ولو رضيت رمح استه لاستقرت

فقال عبد الله بن الزبير: أتجزرنا كلباً من كلاب بني تميم ! لئن عدت لم أكلمك أبداً.

قال: وتماضر التي عناها الفرزدق أم خبيب وثابتٍ ابني عبد الله بن الزبير. وماتت عند عبد الله، فتزوج أختها أم هاشم فولدت له هاشماً وحمزة وعباداً.

قال: وفي أم هاشم يقول الفرزدق يستعينها على ابن الزبير ويشكو طول مقامه:

تروحت الركبان يا أم هاشم وهن مناخاتٌ لهن حنينٌ

وخيسن حتى ليس فيهن نافقٌ لبيعٍ ولا مركوبهن سمين

قال: وهذا يدل على أن النوار كانت استعانت بأم هاشم لا بتماضر.

فلما أذنت النوار في تزويجها منه استعان في مهرها سلم بن زيد فأعانه:

فما أذنت النوار لعبد الله في تزويجها بالفرزدق حكم لها عليه بمهر مثلها عشرة آلاف درهم. فسأل: هل بمكة أحد يعينه؟ فدل على سلم بن زياد، وكان ابن الزبير حبسه، فقال فيه:

دعي مغلقي الأبواب دون فعالهم ومري تمشي بي هبلت إلى سلم

إلى من يرى المعروف سهلاً سبيله ويفعل أفعال الكرام التي تنمي

ثم دخل على سلمٍ فأنشده. فقال له: هي لك ومثلها نفقتك، ثم أمر له بعشرين ألفاً فقبضها. فقالت له زوجته أم عثمان بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاصي الثقفية: أعطي عشرين ألفاً وأنت محبوس ! فقال:

ألا بكرت عرسي تلوم سفاهةً على ما مضى مني وتأمر بالبخل

فقلت لها و الجود مني سجيةٌ وهل يمنع المعروف سؤاله مثلي

ذريني فإني غير تارك شيمتي ولا مقصر عن السماحة والبذل

ولا طاردٍ ضيفي إذا جاء طارقاً فقد طرق الأضياف شيخي من قبلي

أأبخل ! إن البخل ليس بمخلدٍ ولا الجود يدنيني إلى الموت والقتل

أبيع بني حربٍ بآل خويلد وما ذاك عند الله في البيع بالعدل

وأشري ابن مروان الخليفة طائعاً بنجل بني العوام ! قبح من نجل

فإن تظهروا لي البخل آل خويلدٍ فما دلكم دلي ولا شكلكم شكلي

وإن تقهروني حيث غابت عشيرتي فمن عجب الأيام أن تقهروا مثلي

لم تحسن النوار عشرته فتزوج عليها حدراء بنت زيق ومدحها وذم النوار: قال دماذٌ في خبره: ثم اصطلحا ورضيت به، وساق إليها مهرها ودخل بها وأحبلها قبل أن تخرج من مكة ثم خرج بها وهما عديلان في محملٍ. فكانت لا تزال تشاوره وتخالفه، لأنها كانت صالحةً حسنة الدين وكانت تكره كثيراً من أمره. فتزوج عليها حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، فتزوجها على مائة من الإبل. فقالت له النوار: ويلك ! تزوجت أعرابيةٌ دقيقة الساقين بوالة على عقبيها على مائة بعير !. فقال الفرزدق يفضلها عليها ويعيرها إنها كانت تربيها أمةٌ:

لجاريةٌ بين السليل عروقها وبين أبي الصهباء من آل خالد

أحق بإغلاء المهور من التي ربت وهي تنزو في حجور الولائد

ومدحها أيضاً فقال:

عقيلةٌ من بني شيبان ترفعها دعائمٌ للعلا من آل همام

من آل مرة بين المستضاء بهم من رهط صيدٍ مصاليتٍ وحكام

بين الأحاوص من كلبٍ مركبها وبين قيسٍ بن مسعود وبسطام

وقال أيضاً يمدحها ويعرض بالنوار:

لعمري لأعرابيةٌ في مظلمة تظل بأعلى بيتها الريح تخفق

كأم غزالٍ أو كدرةٍ غائصٍ إذا ما أنت مثل الغمامة تشرق

أحب إلينا من ضناكٍ ضفنةٍ إذا وضعت عنها المراوح تعرق

فقال بعض باهلة يجيبه:

أعوذ بالله من غولٍ مغولةً كأن حافرها في الحد ظنبوب

تستروح الشاة من ميل إذا ذبحت حب اللحام كما يستروح الذيب

هاجاه جرير بإغراء النوار: وأغضب الفرزدق النوار بمدحه إياها، فقالت: والله لأخزينك يا فاسق ! وبعثت إلى جرير فجاءها؛ فقالت: ألا ترى ما قال لي الفاسق ! وشكت إليه. فقال:

فلا أنا معطي الحكم عن شف منصبٍ ولا عن بنات الحنظليين راغب

وهن كماء المزن يشفى به الصدى وكانت ملاحاً غيرهن المشارب

لقد كنت أهلاً أن تسوق دياتكم إلى آل زيق أن يعيبك عائب

وما عدلت ذات الصليب ظعينةً عتيبة والردفان منها وحاجب

ألا ربما لم نعط زيقاً بحكمه وأدى إلينا الحكم والغل لازب

حوينا أبا زيق وزيقاً وعمه وجده زيقٍ قد حوتها المقانب

فأجابه الفرزدق بقصيدة منها:

ألست إذ القعساء أنسل ظهرها إلى آل بسطام بن قيس بخاطب

فنل مثلها من مثلهم ثم لمهم بملكك من مالٍ مراحٍ وعازب

فلو كنت من أكفاء حدراء لم تلم على دارمي بين ليلى وغالب

وإني لأخشى إن خطبت إليهم عليك التي لاقى يسار الكواعب

- يسارٌ كان عبداً لبني غدانة، فأراد مولاته على نفسها، فنهته مرةً بعد مرة، وألح فوعدته، فجاء فقالت له: إني أريد أن أبخرك فإن رائحتك متغيرة، فوضعت تحته مجمرةً وقد أعدت له حديدة حادة، فأدخلت يدها فقبضت على ذكره وهو يرى أن ذلك لشيء، فقطعته بالموسى؛ فقال: " صبراً على مجامر الكرام " فذهبت مثلاً - عاد الشعر:

ولو قبلوا مني عطية سقته إلى آل زيق من وصيف مقارب

هم زوجوا قبلي ضراراً وأنكحوا لقيطاً وهم أكفاؤنا في المناسب

ولو تنكح الشمس النجوم بناتها إذا لنكحناهن قبل الكواكب

وقال جرير:

يا زيق أنكحت قيناً باسته حممٌ يا زيق ويحك من أنكحت يا زيق

غاب المثنى فلم يشهد نجيكما والحوفزان ولم يشهدك مفروق

أين الألى أنزلوا النعمان مقتسراً أم أين أبناء شيبان الغرانيق

يارب قائلةٍ بعد البناء بها لا الصهر راضٍ و لا ابن القين معشوق

وقال الفرزدق لجرير في هذا:

إن كان أنفك قد أعياك محمله فأركب أتانك ثم اخطب إلى زيق

قال: ولامه الحجاج وقال: أتزوجت ابنة نصراني على مائة ناقة؟ ! قال: وما هي في جود الأمير ! قال: فاشترى الإبل وساقها.

رأى في طريقه إلى حدراء كبشاً مذبوحاً فتشاءم بموتها وشعره حين أخبر بوفاتها: فلما كان في بعض الطريق ومعه أوفى بن خترير أحد بني التيم بن شيبان بن ثعلبة دليله رأى كبشاً مذبوحاً، فقال: يا أوفى، هلكت والله حدراء !. قال: ما لك بذلك من علم !. فلما بلغ قال له بعض قومها: هذا البيت فانزل، وأما حدراء فهلكت. وقد عرفنا الذي يصيبكم في دينكم من ميراثها وهو النصف فهو لك عندنا. فقال: لا والله لا أرزأ منه قطميراً، وهذه صدقتها فاقبضوها. فقال: يا بني دارم ! والله ما صاهرنا أكرم منكم. قال: وفي هذه القصة يقول الفرزدق:

عجبت لحادينا المقحم سيره ... بنا موجفاتٍ من كلال وظلعا

ليدنينا ممن إلينا لقاؤه ... حبيبُ ومن دارٍ أردنا لتجمعا

ولو يعلم الغيب الذي من أمامنا ... لكر بنا حادي المطي فأسرعا

يقولون زر حدراء والترب دونها ... وكيف بشيءٍ وصله قد تقطعا

وما مات عند ابن المراغة مثلها ... ولا تبعته ظاعناً حيث ودعا

يقول ابن خنزيرٍ بكيت ولم تكن ... على امرأةٍ عينا أخيك لتدمعا

وأهون رزءٍ لامرئٍ غير جازع ... رزية مرتج الروادف أفرعا

استعان الحجاج في مهر حدراء فعذله فشفع له عنبسة بن سعيد: وقال ابن سلام فيما أخبرنا به أبو خليفة عنه قال حدثني حاجب بن زيد وأبو الغراف قالا: تزوج الفرزدق حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين وهو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان على حكم أبيها فاحتكم مائة من الإبل. فدخل على الحجاج فعذله فقال: أتزوجتها على حكمها وحكم أبيها مائة بعير وهو نصرانية وجئتنا متعرضاً أن نسوقها عنك ! أخرج ما لك عندنا شيء !. فقال عنبسة بن سعيد بن العاصي وأراد نفعه: أيهل الأمير، إنها من حواشي إبل الصدقة؛ فأمر له بها. فوثب عليه جرير فقال:

يا زيق قد كنت من شيبان في حسبٍ ... يا زيق ويحك من أنكحت يا زيق

أنكحت ويحك قيناً باسته حممٌ ... يازيق ويحك هل بارت بك السوق

ثم ذكر باقي القصيدة بمثل رواية دماذ.

أراد أن تحمل حدراء فاعتلوا بموتها وشعر لجرير في ذلك: قال ابن سلام: وأراد الفرزدق أن تحمل؛ فاعتلوا عليه وقالوا: ماتت، كراهة أن يهتك جريرٌ أعراضهم. فقال جرير:

وأقسم ما ماتت ولكنه التوى ... بحدراء قومٌ لم يروك لها أهلاً

رأوا أن صهر القين عارٌ عليهم وأن لبسطام على غالبٍ فضلا

إذا هي حلت مسحلان وحاربت بشيبان لاقى القوم من دونها شغلا

وحدراء هذه هي التي ذكرها الفرزدق في أشعاره. ومن ذلك قوله:

صوت

عزفت بأعشاشٍ وما كدت تعزف وأنكرت من حدراء ما كانت تعرف

ولج بك الهجران حتى كأنما ترى الموت في البيت الذي كنت تألف

عروضه من الطويل. عزفت عن الشيء انصرفت عنه، عزف يعزف عزوفا. الشعر للفرزدق. والغناء لسلسل، ثاني ثقيلٍ بالوسطى. وفيه لحن للغريض من الثقيل الأول بالبنصر من رواية حبش.

قصة ما كان بينه وبين ابن أبي بكر بن حزم حين أنشده من شعر حسان في المسجد: أخبرني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدي قالا حدثنا أبو سعيد السكري قال حدثنا محمد بن حبيب وأبو غسان دماذٌ عن أبي عبيدة قال اليربوعي: قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهري:قدم الفرزدق المدينة في إمارة أبان بن عثمان. قال: فإني والفرزدق وكثيرا لجلوسٌ في المسجد نتناشد الأشعار، إذ طلع علينا غلامٌ شختٌ آدم في ثوبين ممصرين " أي مصبوغين بصفرة غير شديدة " ثم قصد نحونا حتى جاء إلينا فلم يسلم، فقال: أيكم الفرزدق؟ فقلت مخافة أن يكون من قريش: أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها ! فقال: لو كان كذلك لم أقل هذا له. فقال له الفرزدق: ومن أنت لا أم لك؟ ! قال: رجل من بني الأنصار ثم من بني النجار ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم. بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب وتزعم مضر ذلك لك، وقد قال صاحبنا حسان شعراً فأردت أن أعرضه عليك وأؤجلك سنةً؛ فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب وإلا فأنت كذاب منتحل.

ثم أنشده قول حسان:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدةٍ دما

متى ما تزرنا من معدً عصابةٌ وغسان نمنع حوضنا أن يهدما

- قيل إن قوله: " وغسان " ها هنا قسمٌ أقسم به، لأن غسان لم تكن تغزوهم مع معد -

أبى فعلنا المعروف أن ننطق الخنا وقائلنا بالعرف إلا تكلما

ولدنا بني العنقاء وابني محرقٍ فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما

فأنشده القصيدة إلى آخرها وقال له: إني قد أجلتك فيها حولاً، ثم انصرف. وانصرف الفرزدق مغضباً يسحب رداءه ما يدري أي طريقٍ يسلك، حتى خرج من المسجد. قال: فأقبل كثير علي فقال: قاتل الله الأنصاري ! ما

أفصح لهجته، وأوضح حجته، وأجود شعره !. قال فلم نزل في حديث الفرزدق والأنصاري بقية يومنا. حتى إذا كان الغد خرجت من مترلي إلى مجلسي الذي كنت فيه بالأمس؛ وأتاني كثير فجلس معي. فإنا لنتذاكر الفرزدق ونقول: ليت شعري ما فعل، إذ طلع علينا في حلة أفواف يمانيةٍ موشاةٍ، له غديرتان، حتى جلس في مجلسه بالأمس، ثم قال: ما فعل الأنصاري؟ قال: فنلنا منه وشتمناه. فقال: قاتله الله ! ما رميت بمثله ولا سمعت بمثل شعره ! فارقتكما فأتيت مترلي فأقبلت أصعد وأصوب في كل فنٍ من الشعر، فلكأني مفحمٌ أو لم أقل قط شعراً حتى ناد المنادي بالفجر، فرحلت ناقتي ثم أخذت بزمامها فقدتها حتى أتيت ذباباً ، ثم ناديت بأعلى صوتي: أخاكم أبا لبنى - وقال سعدان : أبا ليلى ! - فجاش صدري كما يجيش المرجل، ثم عقلت ناقتي وتوسدت ذراعها؛ فما قمت حتى قلت مائةً وثلاثة عشر بيتاً. فبينا هو ينشدنا، إذ طلع علينا الأنصاري حتى انتهى إلينا فسلم ثم قال: أما إني لم آتك لأعجلك عن الأجل الذي وقته لك، ولكني أحببت ألا أراك إلا سألتك عما صنعت. فقال: اجلس، ثم أنشده:

عزفت بأعشاشٍ وما كدت تعزف

فلما فرغ الفرزدق من إنشاده قام الأنصاري كئيباً. فلما توارى طلع أبوه وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في مشيخة من الأنصار، فسلموا علينا وقالوا: يا أبا فراس، قد عرفت حللنا ومكاننا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصيته بنا. وقد بلغنا أن سفيهاً من سفهائنا تعرض لك، فنسألك بالله لما حفظت فينا وصية النبي صلى الله عليه وسلم ووهبتنا له و لم تفضحنا.

قال إبراهيم بن محمد: فأقبلت أكلمه أنا وكثير؛ فلما أكثرنا عليه قال: اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشي.

قال: وقد كان جرير قال:

ألا أيها القلب الطروب المكلف أفق ربما ينأى هواك ويسعف

ظللت وقد خبرت أن لست جازعاً لربع بسلمانين عينك تذرف

فجعل الفرزدق هذه القصيدة نقيدة لها نسبة ما في الخبر من الأصوات منها: صوت

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نحدةٍ دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرقٍ فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما

عروضه من الطويل. الشعر لحسان بن ثابت. والغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر عن عمرو بن بانة.

ما كان بين النابغة وحسان بسوق عكاظ حين مدح النابغة الخنساء: أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثني محمد بن سعد الكراني عن أبي عبد الرحمن الثقفي، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب الصائغ عن ابن قتيبة: أن نابغة بني ذبيان كان تضرب له قبة من أدم بسوق

عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء؛ فدخل إليه حسان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعره وأنشدته الخنساء قولها:

قذى بعينك أما بالعين عوار

حتى انتهت إلى قولها:

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علمٌ في رأسه ثار

وإن صخراً لمولانا وسيدنا وإن صخراً إذا نشتو لنحار

فقال: لولا أن أبا بصيرٍ أنشدني قبلك لقلت: إنك أشعر الناس ! أنت والله أشعر من كل ذات مثانة . قالت: والله ومن كل ذي خصيتين. فقال حسان: أنا والله أشعر منك ومنها. قال: حيث تقول ماذا؟ قال: حيث أقول:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدةٍ دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرقٍ فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما

فقال: إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت و لم تفخر بمن ولدك. وفي رواية أخرى: فقال له: إنك قلت " الجفنات " فقللت العدد ولو قلت " الجفان " لكان أكثر. وقلت " يلمعن في الضحى " ولو قلت " يبرقن بالدجى ". لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً. وقلت: " يقطرن من نجدة دماً " فدللت على قلت القتل ولو قلت " يجرين " لكان أكثر لانصباب الدم. وفخرت بمن ولدت و لم تفخر بمن ولدك. فقام حسان منكسراً منقطعاً.

مما يغني فيه من قصيدة الفرزدق الفائية قوله: صوت

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

فيه رملٌ بالوسطى، يقال: إنه لابن سريج، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكي.

انتحل بيتاً لجميل: أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد الكلابي قال: وقف الفرزدق على جميلٍ والناس مجتمعون عليه وهو ينشد:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

فأشرع إليه رأسه من وراء الناس وقال: أنا أحق بهذا البيت منك. قال: أنشدك الله يا أبا فراس !. فمضى الفرزدق وانتحله.

عرض هو وكثير كل منهما للآخر أنه سرق بيتاً من جميل: أخبرني الحرمي ابن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني أبي عن جدي: أن الفرزدق لقي كثيراً فقال له: ما أشعرك يا كثير في قولك:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

فعرض له بسرقته إياه من جميل:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى على كل مرقب

فقال له كثير: أنت يا فرزدق أشعر مني في قولك:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

- قال: وهذا البيت لجميل سرقه الفرزدق - فقال الفرزدق لكثير: هل كانت أمك ترد البصرة؟ قال: لا ! ولكن نزيلاً لأمك.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن ابن شهاب عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال: لقي الفرزدق كثيراً بقارعة البلاط وأنا وهو نمشي؛ فقال له الفرزدق: يا أبا صخر ! أنت أنسب العرب حيث تقول:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

قال: وأنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

-قال عبد العزيز: وهذان البيتان جميعاً لجميل، سرق أحدهما الفرزدق، وسرق الآخر كثير - فقال له الفرزدق: يا أبا صخر، هل كانت أمك ترد البصرة؟ قال: لا ! ولكن أبي كان كثيراً يردها. قال طلحة: فوالذي نفسي بيده لقد تعجبت من كثير وجوابه، وما رأيت أحداً قط أحمق منه؛ لقد دخلت عليه يوماً في نفر من قريش، وكنا كثيراً نهزأ به، وكان يتشيع تشيعاً قبيحاً، فقلنا له: كيف تجدك يا أبا صخر ! فقال: بخير. هل سمعتم الناس يقولون شيئاً؟ قلت: نعم ! يتحدثون أنك الدجال. قال: والله إن قلت ذلك إني لأجد في عيني هذه ضعفاً منذ أيام !.

ولجرير قصيدةً يناقض بها هذه القصيدة في أولها غناء نسبته:

ألا أيها القلب الطروب المكلف أفق ربما ينأى هواك ويسعف

ظللت وقد خبرت أن لست جازعاً لربع بسلمانين عينك تذرف

الشعر لجرير. والغناء لمحمد بن الأشعث الكوفي ثاني ثقيل بالبنصر، عن عمرو بن بانة. وقال حبش: فيه ثقيلٌ أول بالوسطى. وليس ذلك بصحيح.

رجع الحديث إلى سياقه حديث الفرزدق والنوار: تزوج رهيمة بنت غنيم اليربوعية: قال دماذ: وتزوج الفرزدق على النوار امرأةً من اليرابيع، وهم بطن من النمر بن قاسط حلفاء لبني الحارث بن عباد القيني، وقد انتسبوا فيه. فقالت له النوار: وما عسى أنت تكون القينية؟ ! فقال:

أرتك نجوم الليل والشمس حيةٌ زحام بنات الحارث بن عباد

نساءٌ أبوهن الأغر ولم تكن من الحت في أجبالها وهداد
ولم يكن الجوف الغموض محلها ولا في الهجاريين رهط زياد
أبوها الذي أدنى النعامة بعدما أبت وائلٌ في الحرب غير تماد

-يعني بأبيها الذي أدنى النعامة الحارث بن عباد، وأراد قوله:

قربا مربط النعامة مني
عدلت بها ميل النوار فأصبحت مقاربةً لي بعد طول بعاد
وليست وإن أنبأت أني أحبها إلى دارميات النجار جياد

وقال أبو عبيدة حدثني أعين بن لبطة قال: تزوج الفرزدق، مضارةً للنوار، امرأة يقال لها رهيمة بنت غنيم بن درهم من اليرابيع، قوم من النمر بن قاسط في بني الحارث بن عباد. وأمها الحميضة من بني الحارث. فنافرته الحميضة فاستعدت عليه. فأنكرها الفرزدق وقال: أنا بريء منها، وطلق ابنتها وقال:

إن الحميضة كانت لي ولابنتها مثل الهراسة بين النعل والقدم
إذا أتت أهلها مني مطلقةً فلن أرد عليها زفرة الندم

مضى الحديث. ولم أجد لأحدٍ من الخلفاء الذين ذكرتهم والذين لم أذكرهم، بعد الواثق، صنعة يعتد بها إلى المعتضد، فإنه صنع صنعةً متقنة عجيبة، أبرت على صنعة سائر الخلفاء سوى الواثق، وفضل فيها أكثر أهل الزمان الذي نشأ فيه. وإنما ذكرت صنعة من بينهما، لأنها قد رويت، فأما حقيقة الغناء الجيد فليس بينهما مثلهما.

وذكر عبيد الله بن عبد الله بن طاهر صنعة المعتضد فقرظها، وقال: لم أجد لحناً قديماً قد جمع من النغم ما جمعه لحن ابن محرز في شعر مسافر بن أبي عمرو وهو:

يا من لقلبٍ مقصرٍ ترك المنى لفواتها

فإنه جمع من النغم العشر ثمانياً، ولحن ابن محرز ايضاً في شعر كثير:

توهمت بالخيف رسماً محيلا لعزة تعرف منه الطلولا

وهو أيضاً يجمع ثمانياً من النغم. وقد تلطف بعض من له دربةٌ وحذقةٌ بهذه الصناعة حتى جمع النغم العشر في هذا الصوت الأخير متوالية، وجمعها في صوت آخر غير متوالية، وهو في شعر ابن هرمة:

فإنك إذ أطمعتني منك بالرضا وأيأستني من بعد ذلك بالغضب

وأعجب من ذلك ما عمله أمير المؤمنين المعتضد بالله؛ فإنه صنع في رجز دريد بن الصمة " يا ليتني فيها جذع " لحناً من الثقيل الأول يجمع النغم العشر، فأتى به مستوفى الصنعة محكم البناء، صحيح الأجزاء والقسمة، مشبع

المفاصل، كثير الأدوار، لاحقاً بجيد صنعة الأوائل، وإنما زاد فضله على من تقدمه لأنه عمله في ضرب من الرجز قصيراً جداً، واستوفى فيه الصنعة كلها على ضيق الوزن، فصار أعجب مما تقدمه؛ إذ تلك عملت في أوزان تامة وأعاريض طوال يتمكن الصانع فيها من الصنعة ويقتدر على كثرة التصرف؛ وليس هذا الوزن في تمكنه من ذلك فيه مثل تلك.

نسبة هذا اللحن صوت

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع

أقود وطفاء الزمع كأنها شاةٌ صدع

الشعر لدريد بن الصمة. والغناء للمعتضد، ولحنه ثقيلٌ أول يجمع النغم العشر.

الجزء العاشر

أخبار دريد بن الصمة ونسبه

نسبه

هو دريد بن الصمة. واسم الصمة، في ما ذكر أبو عمرو، معاوية الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر بن بكر بن علقة وقيل علقمة، بن خزاعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن. وأما أبو عبيدة فقال: هو دريد بن الصمة، واسمه معاوية بن الحارث بن بكر بن علقة و لم يذكر معاوية. وقال ابن سلام: الحارث بن معاوية بن بكر بن علقة.

صفاته

ودريد بن الصمة فارسٌ شجاع شاعر فحل، وجعله محمد بن سلام أول شعراء الفرسان. وقد كان أطول الفرسان الشعراء غزواً، وأبعدهم أثراً، وأكثرهم ظفراً، وأيمنهم نقيبةً عند العرب، وأشعرهم دريد بن الصمة.

قتل يوم حنين

وقال أبو عبيدة: كان دريد بن الصمة سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم وكان مظفراً ميمون النقيبة، وغزا نحو مائة غزاةٍ ما أخفق في واحدة منها، وأدرك الإسلام فلم يسلم، وخرج مع قومه في يوم حنينٍ مظاهراً للمشركين، ولا فضل فيه للحرب، وإنما أخرجوه تيمناً به وليقتبسوا من رأيه، فمنعهم مالك بن عوف من قبول مشورته، وخالفه لئلا يكون له ذكر، فقتل دريد يومئذٍ على شركه. وخبره يأتي بعد هذا.

إخوته

وكان لدريد أخوةٌ وهم عبد الله الذي قتله غطفان، وعبد يغوث قتله بنو مرة، وقيس قتله بنو أبي بكر بن كلاب، وخالدٌ قتله بنو الحارث بن كعب، أمهم جميعاً ريحانة بنت معد يكرب الزبيدي أخت عمرو بن معد يكرب كان الصمة سباها ثم تزوجها فأولدها بنيه. وإياها يعني أخوها عمرو بقوله في شعره:

أمن ريحانة الداعي السميع ... يؤرقني وأصحابي هجوع

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

ابنه وبنته شاعران: وكان لدريدٍ ابنٌ يقال له سلمة، وكان شاعراً وهو الذي رمى أبا عامر الأشعري بسهم فأصاب ركبته فقتله وارتجز فقال:

إن تسألوا عني فإني سلمه ابن سمادير لمن توسمه

أضرب بالسيف رؤوس المسلمه

وكانت لدريد أيضاً بنتٌ يقال لها عمرة وكانت شاعرة، ولها فيه مراثٍ كثيرةٌ.

شعره في الصبر على النوائب

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة وأخبرني به محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة، وأخبرني بأخبار له مجموعةٍ ومتفرقةٍ جماعةً من شيوخنا أذكرهم في مواضعهم، وأخبرني أيضاً بخبره محمد بن خلف بن المرزبان عن صالح بن محمد بن أبي عمرو الشيباني وقد بينت رواية كل واحد منهم في موضعها، قال أبو عبيدة سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: أحسن شعرٍ قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة حيث يقول:

تقول ألا تبكي أخاك ! وقد أرى مكان البكا لكن بنيت على الصبر

لمقتل عبد الله والهالك الذي على الشرف الأعلى قتيل أبي بكر

وعبد يغوث أو خليلي خالدٍ وعز مصاباً حثو قبرٍ على قبر

أبى القتل إلا آل الصمة إنهم أبوا غيره والقدر يجري إلى القدر

فإما ترين ما تزال دماؤنا لدى واترٍ يشقى بها آخر الدهر

فإن للحم السيف غير نكيرةٍ ونلحمه حيناً وليس بذي نكر

يغار علينا واترين فيشتفى بنا إن أصبنا، أو نغير على وتر

بذاك قسمنا الدهر شطرين قسمةً فما ينقضي إلا ونحن على شطر

وأخبرني ابن عمار قال: حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن القاسم الأسدي عن صاعدٍ مولى الكميت بن يزيد يقول: أحسن شعره قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة، وذكر هذه الأبيات.

يوم اللوى ومقتل أخيه وما رثاه به

قال أبو عبيدة: فأما عبد الله بن الصمة فإن السبب في مقتله أنه كان غزا غطفان ومعه بنو جشم وبنو نصرٍ أبناء معاوية فظفر بهم وساق أموالهم في يوم يقال له يوم اللوى ومضى بها. ولما كان منهم غير بعيد قال: انزلوا بنا، فقال له أخوه دريد: يا أبا فرعان - وكانت لعبد الله ثلاث كنى: أبو فرعان، وأبو ذفافة، وأبو أوفى، وكلها قد ذكرها دريدٌ في شعره -: نشدتك الله ألا تنزل فإن غطفان ليست بغافلةٍ عن أموالها، فأقسم لا يريم حتى يأخذ

مرباعه وينقع نقيعه ، فيأكل ويطعم ويقسم البقية بين أصحابه، فبينا هم في ذلك وقد سطعت الدواخن، إذا بغبارٍ قد ارتفع أشد من دخانهم، وإذا عبسٌ وفزارة وأشجع قد أقبلت فقالوا لربيئتهم : انظر ماذا ترى؟ فقال: أرى قوماً جعاداً كأن سرابيلهم قد غمست في الجادي قال: تلك أشجع، ليست بشيء. ثم نظر فقال: أرى قوماً كأنهم الصبيان، أسنتهم عند آذان خيولهم. قال: تلك فزارة. ثم نظر فقال: أرى قوماً أدماناً كأنما يحملون الجبل بسوادهم، يخدون الأرض بأقدامهم خداً، ويجرون رماحهم جراً، قال: تلك عبسٌ والموت معهم ! فتلاحقوا بالمنعرج من رميلة اللوى فاقتتلوا فقتل رجلٌ من بني قاربٍ وهم من بني عبس عبد الله بن الصمة فتنادوا: قتل أبو ذفافة فعطف دريد فذب عنه فلم يغن شيئاً وجرح دريد فسقط فكفوا عنه وهم يرون أنه قيل، واستنقذوا المال ونجا من هرب. فمر الزهدمان وهما من بني عبس، وهما زهدمٌ وقيسٌ ابنا حزن أنه بن وهب بن رواحة وإنما فقيل لهم الزهدمان تغليباً لأشهر الاسمين عليهما، كما قيل العمران لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والقمران للشمس والقمر. قال دريد: فسمعت زهدماً العبسي يقول لكردم الفزاري إني لأحسب دريداً حياً فانزل فأجهز عليه، قال: قد مات، قال: انزل فانظر إلى سبته هل ترمز؟ قال دريد: فسددت من حتارها أي من شرجها، قال فنظر فقال: هيهات، أي قد مات، فولى عني، قال: ومال بالزج في شرج دريد فطعنه فيه فطعنه فيه فسال دمٌ كان قد احتقن في جوفه، قال دريد فعرفت الخفة حينئذٍ فأمهلت، حتى إذا كان الليل مشيت وأنا ضعيف قد نزفني الدم حتى ما أكاد أبصر، فجزت بجماعة تسير فدخلت فيهم، فوقعت بين عرقوبي بعير ظعينة، فنفر البعير فنادت: نعوز بالله منك، فانتسبت لها فاعلمت الحي بمكاني، فغسل عني الدم وزودت زاداً وسقاء فنجوت، وزعم بعض الغطفانيين أن المرأة كانت فزارية وأن الحي كان علموا بمكانه فتركوه فداوته المرأة حتى برأ ولحق بقومه، قال: ثم حج كردم بعد ذلك في نفرٍ من بني عبس فلما قاربوا ديار دريد تنكروا خوفاً ، ومر بهم فأنكرهم، فجعل يمشي فيهم ويسألهم من هم؟ فقال له كردم: عمن تسأل؟ فدفعه دريد، وقال: أما عنك وعمن معك فلا أسأل أبداً، وعانقه، وأهدي إليه فرساً وسلاحاً، وقال له: هذا بما فعلت بي يوم اللوى.

وقال دريد يرثي أخاه عبد الله:

أرث جديد الحبل من أم معبد ... بعاقبةٍ وأخلفت كل موعد

وبانت ولم أحمد إليك جوارها ... ولم ترج منا ردة اليوم أو غد

وهي طويلة وفيها يقول:

أعاذلتي كل امرئ وابن أمه ... متاعٌ كزاد الراكب المتزود

أعاذل إن الرزء أمثال خالدٍ ... ولا رزء مما أهلك المرء عن يد

نصحت لعارضٍ وأصحاب عارض ... ورهط بني السوداء والقوم شهدي

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج ... سراتهم في الفارسي المسرد

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرجد إلى ضحى الغد
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم وأنني غير مهتد
وهل أنا إلى من غزية إن غوت غويت، وإن ترشد غزية أرشد
دعاني أخي والخيل بيني وبينه فلما دعاني لم يجدني بقعدد

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارساً فقلت أعبد الله ذلكم الردي
فإن يك عبد الله خلى مكانه فلم يك وقافاً ولا طائش اليد
ولا برماً إذا الرياح تناوحت برطب العضاه والهشيم المعضد
نظرت إليه والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسيج المدد
فطاعنت عنه الخيل حتى تبددت وحتى علاني أشقر اللون مزبد
فما رمت حتى خرقتني رماحهم وغودرت أكبو في القنا المتقصد
قتال امرئٍ واسى أخاه بنفسه وأيقن أن المرء غير مخلد
صبورٌ على وقع المصائب حافظ من اليوم أعقاب الأحاديث في غد

في بعض هذه الأبيات غناء وهو: صوت

تمثل علي عليه السلام بشعره:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرجد إلى ضحى الغد
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم وأنني غير مهتد
وهل أنا إلى من غزية إن غوت غويت، وإن ترشد غزية أرشد

الغناء ليحيى المكي ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر من رواية ابنه أحمد، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحمد. وهذه الأبيات تمثل بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند منصرفه من صفين.

حدثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجلي قال حدثنا حسين بن نضر بن مزاحم قال حدثنا عمر بن سعيد عن أبي مخنف عن رجاله أن علياً عليه السلام لما اختلفت كلمة أصحابه في أمر الحكمين وتفرقت الخوارج وقالوا له ارجع عن أمر الحكمين وتب واعترف بأنك كفرت إذ حكمت، ولم يقبل ذلك منهم، وخالفوه وفارقوه تمثل بقول دريد:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرجد إلى ضحى الغد

الأبيات: أخوه عبد الله وأسماؤه وكناه: قال أبو عبيدة: كانت لعبد الله بن الصمة ثلاثة أسماءٍ وثلاث كنى: عبد الله ومعبد وخالد. ويكنى أبا ذفافة وأبا فرعان وأبا أوفى.

وقال دريد:

أبا ذفافة من للخيل إذ طردت فاضطرها الطعن في وعثٍ وإيجاف

يا فارس الخيل في الهيجاء إذ شغلت كلتا اليدين دروراً غير وقاف

له أفضل بيت في الصبر على النوائب: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس أنه كان يقول: أفضل بيت قالته العرب في الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة:

قليل التشكي للمصيبات حافظٌ من اليوم أعقاب الأحاديث في غد

عاتبته زوجته أم معبد على بكائه أخاه فطلقها وقال شعراً: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن أبي المهاجر، وذكر مثله أبو عمرو الشيباني، أن أم معبد التي ذكرها دريد في شعره هذا كانت امرأته فطلقها، لأنها رأته شديد الجزع على أخيه، فعاتبته على ذلك وصغرت شأن أخيه وسبته، فطلقها وقال فيها:

أرث جديد الحبل من أم معبد بعاقبةٍ وأخلفت كل موعد

وبانت ولم أحمد إليك جوارها ولم ترج منا ردة اليوم أو غد

فقالت له أم معبد: بئس والله ما أثنيت علي يا أبا قرة ! لقد أطعمتك مأدومي، وبثثتك مكتومي، وأتيتك باهلاً غير ذات صرار وما استفرمت قبلك إلا من حيض.

وقال أبو عبيدة في خبره: بلغ دريد بن الصمة أن زوجته سبت أخاه فطلقها وألحقها بأهلها وقال في ذلك:

أعبد الله إن سبتك عرسي تقدم بعض لحمي قبل بعض

إذا عرس امرئ شتمت أخاه فليس فؤاد شانئه بحمض

معاذ الله أن يشتمن رهطي وأن يملكن إبرامي ونقضي

حارب غطفان يوم الغدير طلباً بثأر أخيه وقال شعراً: أخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال:

أغار دريد بن الصمة بعد مقتل أخيه عبد الله على غطفان يطالبهم بدمه، فاستقراهم حياً حياً، وقتل من بني عبس ساعدة بن مر، وأسر ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب، أسره مرة بن عوف الجشمي. فقالت بنو جشم: لو فاديناه ! فأبى ذلك دريد عليهم، وقتله بأخيه عبد الله وقتل من بني فزارة رجلاً يقال له حزام وأخوة له، وأصاب جماعةً من بني مرة ومن بني ثعلبة بن سعد ومن أحياء غطفان، وذلك في يوم الغدير. وفي هذا اليوم وفي من قتل فيه منهم يقول:

تأبد من أهله معشر فجو سويقة فالأصفر

فجزع الحليف إلى واسطٍ فذلك مبدًى وذا محضر

فأبلغ سليمى وألفافها وقد يعطف النسب الأكبر

بأني ثأرت بأخوانكم وكنت كأني بهم مخفر

صبحنا فزارة سمر القنا فمهلاً فزارة لا تضجروا

وأبلغ لديك بني مازنٍ فكيف الوعيد ولم تقرروا

فإن تقتلوا فتيةً أفردوا أصابهم الحين أو تظفروا

فإن حزاماً لدى معركٍ وأخوته حولهم أنسر

ويوم يزيد بني ناشبٍ وقبل يزيدكم الأكبر

أثرنا صريخ بني ناشبٍ ورهط لقيط فلا تفخروا

تجر الضباع بأوصالهم ويلحقن منهم ولم يقبروا

ويقول قي ذلك أيضاً دريد بن الصمة في قصيدة له أخرى:

جزينا بني عبس جزاءً موفراً بمقتل عبد الله يوم الذئاب

و لولا سواد الليل أدرك ركضنا بذي الرمث والأرطى عياض بن ناشب

قتلنا بعبد الله خير لداته ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

قال أبو عبيدة: أنشد عبد الملك بن مروان شعر دريد بن صمة هذا فقال: كاد دريد أن ينسب ذؤاب بن أسماء إلى آدم. فلما بلغ المنشد قوله:

و لولا سواد الليل أدرك ركضنا بذي الرمث والأرطى عياض بن ناشب

قال عبد الله: ليت الشمس كانت بقيت له قليلاً حتى يدركه.

قال أبو عبيدة وقال دريد أيضاً في هذه الواقعة:

قتلنا بعبد الله خير لداته وخير شباب الناس لو ضم أجمعا

ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب منيته أجرى إليها وأوضعا

فتى مثل متن السيف يهتز للندى كعالية الرمح الرديني أروعا

أغرته أمه بالاستعانة بأخواله في ثأر أخيه فأبى وقتل ذؤاب بن أسماء: وقال ابن الكلبي: قالت ريحانة بنت معد يكرب لدريد بن الصمة بعد حول من مقتل أخيه: يا بني إن كنت عجزت عن طلب الثأر بأخيك فاستعن بخالك

وعشيرته من زبيد، فأنف من ذلك وحلف لا يكتحل ولا يدهن ولا يمس طيباً ولا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يدرك ثأره، فغزا هذه الغزاة وجاءها بذؤاب بن أسماء فقتله بفنائها، وقال: هل بلغت ما في نفسك؟ ! قالت: نعم متعت بك ! وروي عن ابن الكلبي لريحانة في هذا المعنى أبياتٌ لم تحضرني وقد كتبت خبرها.

أخوه قيس بن الصمة ومقتله: وأما قتيل أبي بكر الذي ذكره دريد فإنه أخوه قيس بن الصمة، قتله بنو أبي بكر بن كلاب. وكان السبب في ذلك، فيما أخبرني به هاشم بن محمد عن دماذ عن أبي عبيدة، أنه غزا في قومه بني خزاعة من بني جشم، فأغاروا على إبلٍ لبني كعب بن أبي بكر بن كلاب، فانطلقوا بها. وخرج بنو أبي بكر بن كلاب في طلبها حتى إذا دنوا منهم قال عمرو بن سفيان الكلابي، وكان حازماً عاقلاً، امكثوا، ومضى هو متنكراً حتى لقي رجلاً من بني خزاعة فسلم عليه واستسقاه فسقاه وانتسب له هلالياً، فسأله عن قومه وأين مرعى إبلهم، وأعلمه أنه جاء رائداً لقومه يريد مجاورتهم، فخبره الرجل بكل ما أراد، فرجع إلى قومه وقد عرف بغيته، فصبح القوم فظفرت بهم بنو كلابٍ وقتلوا قيس بن الصمة، وذهبوا بإبل بني خزاعة وارتجعوا إبلهم .

وكان يقال لعمروبن سفيان ذو السيفين، لأنه كان يلقى الحرب ومعه سيفان خوفاً من أن يخونه أحدهما. وإياه عنى دريد بن الصمة بقوله:

إن امرءاً بات عمروٌ بين صرمته ... عمرو بن سفيان ذو السيفين مغرور

يا آل سفيان ما بالي وبالكمو ... هل تنتهون وباقي القول مأثور؟

يا آل سفيان ما بالي وبالكمو ... أنتم كبيرٌ وفي الأحلام عصفور

هلا نهيتم أخاكم عن سفاهته ... إذ تشربون وغاوي الخمر مدحور ؟

لا أعرفن لمةً سوداء داجيةً ... تدعوا كلاباً وفيها الرمح مكسور

لن تسبقوني ولو أمهلتكم شرفاً ... عقبى إذا أبطأ الفحج المخاصير

خبر الحرب بين بني عامر وبني جشم وبين أسد وغطفان: وأخبرنا بخبر ابتداء هذه الحروب محمد بن العباس اليزيدي قال قرأت على أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال: أغارت بنو عامر بن صعصعة وبنو جشم بن معاوية على أسدٍ وغطفان، وكان دريد بن الصمة وعمرو بن سفيان بن ذي اللحية متساندين ، فدريد على بني جشم بن معاوية، وعمرو بن سفيان على بني عامر. فقال عبد الله بن الصمة لأخيه: إني غير معطيك الرياسة، ولكن لي في هذا اليوم شأناً. ثم اشترك عبد الله وشراحيل بن سفيان، فلما أغار القوم أخذ عبد الله من نعم بني أسدٍ ستين وأصاب القوم ما شاءوا. وأدرك رجل من بني جذيمة عبد الله بن الصمة فقال له عبد الله بن الصمة: ارجع فإني كنت شاركت شراحيل بن سفيان، فإن استطاع دريد فليأته وليأخذ مالي منه. وأقام دريدٌ في أواخر الحي فقال له عمرو: ارتحل بالناس قبل أن يأتيك الصراخ ، فقال: إني أنتظر أخي عبد الله. حتى إذا أطال عليه قال له: إن

أخاك قد أدرك فوارس من الحليفيين يسوقون بظعنهم فقتلوه. فانطلقوا حتى إذا كانوا بحيث يفترقون قال دريد لشراحيل : إن عبد الله أنبأني و لم يكذبني قط إن له شركةً مع شراحيل فأدوا إلينا شركته. فقالوا له: ما شاركناه قط. فقال دريد: ما أنا بتاركك حتى أستحلفكم عند ذي الخلصة " وثنٍ من أوثانهم ". فأجابوه إلى ذلك وحلفوا، ثم جاء عبد الله بغنيمةٍ عظيمة فجاءوه ينشدونه الشرك. فقال لهم دريد: ألم أحلفكم حين ظننتم أن عبد الله قد قتل. فقالوا: ما حلفنا وجعلوا يناشدون عبد الله أن يعطيهم، فقال: لا، حتى يرضى دريدٌ، فأبى أن يرضى فتوعدوه أن يسرقوا إبله. فقال دريد في ذلك:

هل مثل قلبك في الأهواء معذور ... والحب بعد مشيب المرء مغرور

وذكر الأبيات التي تقدمت في الخبر قبل هذا وزاد فيها:

إذا غلبتم صديقاً تبطشون به ... كما تهدم في الماء الجماهير

وأنتم معشرٌ في عرقكم شنجٌ ... بزخ الظهور وفي الأستاه تأخير

قد علم القوم أني من سراتهم ... إذا تقبض في البطن المذاكير

وقد أروع سوام القوم ضاحيةً ... بالجرد يركضها الشعث المغاوير

يحملن كل هجانٍ صارمٍ ذكرٍ ... وتحتهم شزبٌ قبٌ مضامير

أوعدتمو إبلي كلا سمينعها ... بنو غزية لا ميلٌ ولا صور

أخوه عبد يغوث ومقتله وما رثاه به: وأما عبد يغوث بن الصمة وخبر مقتله فإنه كان ينزل بين أظهر بني الصادر فقتلوه. قال أبو عبيدة في خبره: قتله مجمع بن مزاحم أخو شجنة بن مزاحم وهو من بني يربوع بن غيظ بن مرة. فقال دريد بن الصمة:

أبلغ نعيماً وأوفى إن لقيتهما ... إن لم يكن كان في سمعيهما صمم

فما أخي بأخي سوءٍ فينقصه ... إذا تقارب بابن الصادر القسم

ولن يزال شهاباً يستضاء به ... يهدي المقانب ما لم تهلك الصمم

عاري الأشاجع معصوبٌ بلمته ... أمر الزعامة، في عرنينه شمم

خالد بن الصمة ومقتله: قال أبو عبيدة: أما قوله " أو نديمي خالدٍ "، فإنه يعني خالد بن الصمة؛ فإن بني الحارث بن كعب غزت بني جشم بن معاوية، فخرجوا إليهم فقاتلوهم فقتلت بنو الحارث خالد بن الصمة، وإياه عنى. وقال غير أبي عبيدة: خالد بن الحارث الذي عناه دريدٌ هو عمه خالد بن الحارث أخو الصمة بن الحارث قتلته أحمس " بطناً من شنوءة "، وكان دريد بن الصمة أغار عليهم في قومه فظفر بهم واستاق إبلهم وأموالهم وسبى

نساءهم وملأ يديه وأيدي أصحابه، و لم يصب أحد ممن كان معه إلا خالد بن الحارث عمه، رماه رجل منهم بسهم فقتله؛ فقال دريد بن الصمة يرثيه:

يا خالداً خالد الأيسار والنادي وخالد الريح إذ هبت بصراد

وخالد القول والفعل المعيش به و خالد الحرب إذ عضت بأزراد
وخالد الركب إذ جد السفار بهم و خالد الحي لما ضن بالزاد

وقال أبو عبيدة: قال دريد يرثي أخاه خالداً:

أميم أجدي عافي الرزء واجشمي وشدي على رزءٍ ضلوعك وابأسي
حرامٌ عليها أن ترى في حياتها كمثل أبي جعدٍ فعودي أو اجلسي
أعف وأجدى نائلاً لعشيرةٍ وأكرم مخلود لدى كل مجلس
وألين منه صفحةً لعشيرةٍ وخيراً أبا ضيفٍ وخيراً لمجلس
تقول هلالٌ خارجٌ من غمامةٍ إذا جاء يجري في شليلٍ وقونس
يشد متون الأقربين بهاؤه ويخبث نفس الشانئ المتعبس
وليس بمكبابٍ إذا الليل جنه نؤوم إذا ما أدلجوا في المعرس
ولكنه مدلاج ليلٍ إذا سرى يند سراه كل هادٍ مملس

هذه رواية أبي عبيدة.

يوم ثيل: وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن عمه العباس بن هشام عن أبيه أن خالد بن الصمة قتل في غارةٍ أغارتها بنو الحارث بن كعب على بني نصر بن معاوية في يومٍ يقال له يوم ثيل ، فأصابوا ناساً من بني نصر. وبلغ الخبر بني جشم فلحقوهم، ورئيس بني جشم يومئذٍ مالك بن حزن، فاستنقذوا ما كان في أيديهم من غنائم بني نصر، فأصابوا ذا القرن الحارثي أسيراً وفقئوا عين شهاب بن أبان الحارثي بسهم، وقتل يومئذٍ خالد بن الصمة وكان مع مالك بن حزن، وأصابت بنو جشم منهم ناساً، وكان رئيس بني الحارث بن كعب يومئذٍ شهاب بن أبان، و لم يشهد دريد بن الصمة ذلك اليوم؛ فلما رجعوا قتلوا ذا القرن بخالد بن الصمة، ولما قدم لتضرب عنقه، صاح بأوس بن الصمة، وكان له صديقاً، و لم يكن أوس حاضراً، فلم ينفعه ذلك وقتل. فلما قدم أوسٌ غضب وقال: أقتلتم رجلاً استجار باسمي ! فقال عوف بن معاوية في ذلك:

نبئت أوساً بكى ذا القرن إذ شربا على عكاظ بكاءً غال مجهودي
إني حلفت بما جمعت من نشبٍ وما ذبحت على أنصابك السود

لتبكين قتيلاً منك مقترباً إني رأيتك تبكي للأباعيد

قصة زواجه بامرأة وجدها ثيباً: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة، وأخبرني عبد الله بن مالك النحوي الضرير قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: تزوج دريد بن الصمة امرأه فوجده ثيباً، وكانوا قالوا له إنها بكر، فقام عنها قبل أن يصل إليها، وأخذ سيفه فأقبل به إليها ليضر بها، فتلقته أمها لتدفعه عنها، فوقف يديها " أي حزهما و لم يقطعهما "، فنظر إليها بعد ذلك وهي معصوبة فقال:

أقر العين أن عصبت يديها وما إن تعصبان على خضاب

فأبقاهن أن لهن جداً وواقيةً كواقية الكلاب

قالوا: يريد أن الكلب يصيبه الجرح فيلحس نفسه فيبرأ.

ما جرى بينه وبين عياض الثعلبي: قال أبو عبيدة وابن الأعرابي جميعاً في هذه الرواية: أسر دريد بن الصمة عياضاً الثعلبي أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان فأنعم عليه. ثم إن دريداً أتاه بعد ذلك يستثيبه. فقال له: إيت رحلك حتى أبعث إليك بثوابك؛ فانصرف دريدٌ. فبعث إليه بوطبٍ نصفه لبن ونصفه بول. فغضب دريد و لم يلبث إلا قليلاً حتى أغار على بني ثعلبة، واستاق إبل عياض، وافلت عياضٌ منه جريحاً؛ فقال دريد في ذلك من قصيدةٍ:

فإن تنج يدمى عارضاك فإننا تركنا بنيك للضباع وللرخم

جزيت عياضاً كفره وعقوقه وأخرجته من المدفأة الدهم

ألا هل أتاه ما ركبنا سراتهم وما قد عقرنا من صفيٍ ومن قرم

هجا عبد الله بن جدعان ثم مدحه: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: هجا دريد بن الصمة عبد الله بن جدعان التيمي تيم قريش فقال:

هل بالحوادث والأيام من عجب أم بابن جدعان عبد الله من كلب

إستٌ حميتٌ وهي في عكم ربته في يوم حرٍ شديد الشر والهرب

إذا لقيت بني حرب وأخوتهم لا يأكلون عطين الجلد والأهب

لا ينكلون ولا تشوي رماحهم من الكماة ذوي الأبدان والجبب

فاقعد بطيناً مع الأقوام ما قعدوا وإن غزوت فلا تبعد من النصب

فلو ثقفتك وسط القوم ترصدني إذا تلبس منك العرض بالحقب

وما سمعت بصقرٍ ظل يرصده من قبل هذا بجنب المرج من خرب

قال: فلقيه عبد الله بن جدعان بعكاظ فحياه وقال له: هل تعرفني يا دريد؟ قال لا. قال: فلم هجوتني؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا عبد الله بن جدعان. قال: هجوتك لأنك كنت امرأً كريماً، فأحببت أن أضع شعري موضعه. فقال له عبد الله: لئن كنت هجوت لقد مدحت؛ وكساه وحمله على ناقة برحلها. فقال دريد يمدحه:

إليك ابن جدعان أعملتها ... مخففةً للسرى والنصب
فلا خفض حتى تلاقي امرأً ... جواد الرضا وحليم الغضب
وجلداً إذا الحرب مرت به ... يعين عليها بجزل الحطب
رحلت البلاد فما إن أرى ... شبيه ابن جدعان وسط العرب
سوى ملكٍ شامخٍ ملكه ... له البحر يجري وعين الذهب

تغزل في الخنساء وخطبها فامتنعت وتهاجيا: أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام موقوفاً عليه لم يتجاوزه إلى غيره، وحدثني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة عن الأصمعي وأبي عبيدة، وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني علي بن المغيرة عن أبي عبيدة، وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو بكر العامري قال حدثني ابن نوبة عن أبي عمرو الشيباني، وأخبرني عمي قال حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي ، وقد جمعت أخبارهم على اختلاف ألفاظهم في هذا الموضع، أن دريد بن الصمة مر بالخنساء بنت عمرو بن الشريد، وهي تهنأ بعيراً لها وقد تبذلت حتى فرغت منه، ثم نضت عنها ثيابها فاغتسلت ودريد بن الصمة يراها وهي لا تشعر به فأعجبته؛ فانصرف إلى رحله وأنشأ يقول:

حيوا تماضر واربعوا صحبي ... وقفوا فإن وقوفكم حسبي
أخناس قد هام الفؤاد بكم ... وأصابه تبلٌ من الحب
ما إن رأيت ولا سمعت به ... كاليوم طالي أينقٍ جرب
متبذلاً تبدو محاسنه ... يضع الهناء مواضع النقب
متحسراً نضح الهناء به ... نضح العبير بريطة العصب
فسليهم عني خناس إذا ... عض الجميع الخطب ما خطبي

- قالوا: وتماضر اسمها. والخنساء لقبٌ غلب عليها - فلما أصبح غداً على أبيها فخطبها إليه. فقال له أبوها: مرحباً بك أبا قرة ! إنك للكريم لايطعن في حسبه، والسيد لا يرد عن حاجته، والفحل لا يقرع أنفه. - وقال أبو عبيدة خاصة مكان " لا يطعن في حسبه " لا يطعن في عيبه " - ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها، وأنا ذاكرك لها وهي فاعلة. ثم دخل إليها وقال لها: يا خنساء، أتاك فارس هوزان وسيد بني جشم دريد بن

الصمة يخطبك وهو من تعلمين، ودريد يسمع قولهما. فقالت: يا أبت، أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح وناكحةً شيخ بني جشم هامة اليوم أو غدٍ !. فخرج إليه أبوها فقال: يا أبا قرة قد امتنعت، ولعلها أن تجيب فيما بعد. فقال: قد سمعت قولكما، وانصرف. هذه رواية من ذكرت. وقال ابن الكلبي: قالت لأبيها: أنظرني حتى أشاور نفسي، ثم بعثت خلف دريد وليدةً فقالت لها: انظري دريداً إذا بال، فإن وجدت بوله قد خرق الأرض ففيه بقية، وإن وجدته قد ساح على وجهها فلا فضل فيه. فاتبعته وليدتها ثم عادت إليها فقالت: وجدت بوله قد ساح على وجه الأرض، فأمسكت. وعاود دريد أباها فعاودها فقالت له هذه المقالة المذكورة؛ ثم أنشات تقول:

أتخطبني، هبلت، على دريدٍ ... وقد أطردت سيد آل بدر!

معاذ الله ينكحني حبركى ... يقال أبوه من جشم بن بكر

ولو أمسيت في جشمٍ هدياً ... لقد أمسيت في دنسٍ وفقر

فغضب دريد من قولها وقال يهجوها:

وقاك الله يابنة آل عمروٍ ... من الفتيان أمثالي ونفسي

فلا تلدي ولا ينكحك مثلي ... إذا ما ليلةٌ طرقت بنحس

لقد علم المراضع في جمادى ... إذا استعجلن عن حزٍ بنهس

بأني لا أبيت بغير لحم ... وأبدأ بالأرامل حين أمسي

وأني لا ينال الحي ضيفي ... ولا جاري يبيت خبيث نفس

إذا عقب القدور تكن مالاً ... تحت حلائل الأبرام عرسي

وأصفر من قداح النبع صلبٍ ... خفي الوسم في ضرسٍ ولمس

دفعت إلى المفيض إذا استلقوا ... على الركبات مطلع كل شمس

فإن أكدى فتامكةٌ تؤدى ... وإن أربى فإني غير نكس

وتزعم أنني شيخٌ كبيرٌ ... وهل خبرتها أني ابن أمس

تريد شرنبث القدمين شثناً ... يبادر بالجدائر كل كرس

وما قصرت يدي عن عظم أمر ... أهم به ولا سهمي بنكس

وما أنا بالمزجى حين يسمو ... عظيمٌ في الأمور ولا بوهس

قال: فقيل للخنساء: ألا تجيبينه؟ فقالت: لا أجمع عليه أن أرده وأهجوه.

آخر أيامه وشعره بعد أن أسن وضعف جسمه: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: لما

أسن دريد جعل له قومه بيتاً مفرداً عن البيوت، ووكلوا به أمةً تخدمه، فكانت إذا أرادت أن تبعد في حاجة قيدته بقيد الفرس. فدخل إليه رجل من قومه فقال له: كيف أنت يا دريد؟ فأنشأ يقول:

أصبحت أقذف أهداف المنون كما ... يرمي الدريئة أدنى فوقه الوتر

في منصفٍ من مدى تسعين من مائة ... كرمية الكاعب العذراء بالحجر

في منزلٍ نازحٍ ممن الحي منتبذٍ ... كمربط العير لا أدعى إلى خبر

كأنني خربٌ قصت قوادمه ... أو جثةٌ من بغاثٍ في يدي خصر

يمضون أمرهم دوني وما فقدوا ... مني عزيمة أمرٍ ما خلا كبري

ونومةً لست أقضيها وإن متعت ... وما مضى قبل من شأوي ومن عمري

وأنني رابني قيدٌ حبست به ... وقد أكون وما يمشى على أثري

إن السنين إذا قربن من مائة ... لوين مرة أحوالٍ على مرر

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: قالت امرأة دريد له: قد أسننت وضعف جسمك وقتل أهلك وفني شبابك، ولا مال لك ولا عدة، فعلى أي شيء تعول إن طال بك العمر أو على أي شيء تخلف أهلك إن قتلت؟ فقال دريد: صوت

أعاذل إنما أفنى شبابي ... ركوبي في الصريخ إلى المنادي

مع الفتيان حتى كل جسمي ... وأقرح عاتقي حمل النجاد

أعاذل إنه مالٌ طريفٌ ... أحب إلي من مالٍ تلاد

أعاذل عدتي بدني ورمحي ... وكل مقلص شكس القياد

ويبقى بعد حلم القوم حلمي ... ويفنى قبل زاد القوم زادي

هذا الشعر رواه أبو عبيدة لدريد، وغيره يرويه لعمرو بن معد يكرب، وقول أبي عبيدة أصح. لابن محرز في هذه الأبيات ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أن لابن سريج فيها ثاني ثقيلٍ بالبنصر. وخلط المغنون بهذا الشعر قول عمرو بن معد يكرب في هذين اللحنين:

أريد حياته ويريد قتلي ... عذيرك من خليلك من مراد

ولو لاقيتني ومعي سلاحي ... تكشف شحم قلبك عن سواد

قتلت بنو يربوع الصمة أباه فغزاهم: وقال أبو عبيدة فيما رويناه عن دماذ عنه: قتلت بنو يربوع الصمة أبا دريد غدراً، وأسروا ابن عم له؛ فغزاهم دريد ببني نصر فأوقع ببني يربوع وبني سعدٍ جميعاً، فقتل فيهم. وكان فيمن قتل عمار بن كعب؛ وقال فيهم:

دعوت الحي نصراً فاستهلوا ... بشبانٍ ذوي كرمٍ وشيب
على جردٍ كأمثال السعالي ... ورجلٍ مثل أهمية الكثيب
فما جبنوا ولكنا نصبنا ... صدور الشرعبية للقلوب
فكم غادرن من كابٍ صريعٍ ... يمج نجيع جائفةٍ ذنوب

وتلكم عادةٌ لبني ربابٍ ... إذا ما كان موتٌ من قريبي
فأجلوا والسوام لنا مباحٌ ... وكل كريمةٍ خو عروب
وقد ترك ابن كعب في مكرٍ ... حبيساً بين ضبعانٍ وذيب

كان أبوه شاعراً: قال أبو عبيدة: وكان الصمة أبو دريد شاعراً، وهو الذي يقول في حرب الفجار التي كانت بينهم وبين قريش:

لاقت قريشٌ غداة العقي ... ق أمراً لها وجدته وبيلا
وجئنا إليهم كموج الأتي ... يعلو النجاد ويملا المسيلا
وأعددت للحرب خيفانةً ... ورمحاً طويلاً وسيفاً صقيلا
ومحكمةً من دروع القيو ... ن تسمع للسيف فيها صليلا

وكان أخوه مالك شاعراً

قال: وكان أخوه مالك بن الصمة شاعراً؛ وهو القائل يرثي أخاه خالداً:

أبني غزية إن شلواً ماجداً ... وسط البيوت السود مدفع كركر
لاتسقني بيديك إن لم ألتمس ... بالخيل بين هبولة فالقرقر

تحالف مع معاوية بن عمرو بن الشريد ورثاه: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: تحالف دريد بن الصمة ومعاوية بن عمرو بن الشريد وتواثقا إن هلك أحدهما أن يرثيه الباقي بعده، وإن قتل أن يطلب بثأره. فقتل معاوية بن عمرو بن الشريد، قتله هاشم بن حرملة بن الأشعر المري. فرثاه دريد بقصيدته التي أولها:

ألا هبت تلوم بغير قدر وقد أحفظتني ودخلت ستري

وإلا تتركي لومي سفاهاً تلمك عليه نفسك غير عصر

وفيها يقول:

فإن الرزء يوم وقفت أدعو فلم أسمع معاوية بن عمرو

ولو أسمعته لأتاك يسعى حثيث السعي أو لأتاك يجري

بشكة حازمٍ لا غمز فيه إذا لبس الكماة جلود نمر

عرفت مكانه فعطفت زوراً وأين مكان زورٍ يابن بكر

على إرمٍ وأحجار ثقالٍ وأغصانٍ من السلمات سمر

وبنيان القبور أتى عليها طوال الدهر شهراً بعد شهر

حديث عارض الجشمي عنه وقد خرف: أخبرني عبد الله بن مالك النحوي قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: وقف عارضٌ الجشمي على دريد وقد خرف وهو عريانٌ وهو يكوم كوم بطحاء بين رجليه يلعب بذلك؛ فجعل عارضٌ يتعجب مما صار إليه دريد. فرفع رأسه دريد إليه وقال:

كأنني رأس حضن في يوم غيم ودجن

يا ليتني عهد زمن أنفض رأسي وذقن

كأنني فحل حصن أرسل في حبل عنن

أرسل كالظبي الأرن ألصق أذناً بأذن

قال: ثم سقط؛ فقال له عارض: انهض دريد ! فقال:

لا نهض في مثل زماني الأول محنب الساق شديد الأعصل

ضخم الكراديس خميص الأشكل ذي حنجرٍ رحب وصلبٍ أعدل

خرج في حرب حنين وهو شيخ ونصح مالك بن عوف فخالفه: حدثنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله قال:

لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أقام بها خمس عشرة ليلةً يقصر ، وكان فتحها في عشر ليالٍ بقين من شهر رمضان. قال ابن إسحاق: وحدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لما سمعت به هوزان جمعها مالك بن عوف النصري، فاجتمعت إليه ثقيف مع هوزان، و لم يجتمع إليه من قيس إلا هوزان وناسٌ قليلٌ من بني هلال، وغابت عنها كعبٌ وكلاب، فجمعت نصرٌ وجشمٌ وسعدٌ وبنو بكر وثقيف واحتشدت، وفي بني جشم دريد بن الصمة شيخٌ كبيرٌ فانٍ ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب، وكان شيخاً مجرباً، وفي ثقيف في

الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود، وفي بني مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف. فلما أجمع مالكٌ المسير حط مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم. فلما نزلوا بأوطاس اجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصمة في شجارٍ له يقاد به. فقال لهم دريد: بأي وادٍ أنتم؟ قالوا: بأوطاس. قال: نعم مجال الخيل، ليس بالحزن الضرس ولا السهل الدهس . ما لي أسمع رغاء الإبل ونهيق الحمير وبكاء الصغير وثغاء الشاء؟ ! قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم. فقال: أين مالكٌ؟ فدعي له به. فقال له: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا اليوم كائن له ما بعده من الأيام !. ما لي أسمع رغاء البعير ونهيق الحمير وبكاء الصبيان وثغاء الشاء؟ ! قال: سقت مع الناس نساءهم وأبناءهم وأموالهم. قال: و لم؟ قال: أردت أن أجعل مع كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم. قال: فانقض به ووبخه ولامه، ثم قال: راعي ضأنٍ والله " أي أحمق " ! وهل يرد المنهزم شيء ! إنما إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك. ثم قال: ما فعلت كعبٌ وكلاب؟ قال: لم يشهدها أحدٌ منهم. قال: غاب الحد والجد ! لو كان يوم علاءٍ ورفعة لم تغب عنه كعبٌ وكلاب ! ولوددت أنكم فعلتم مثل ما فعلوا. فمن شهدها منهم؟ قالوا: بنو عمرو بن عامر وبنو عوف بن عامر قال: ذانك الجذعان من عامرٍ لا ينفعان ولا يضران. ثم قال: يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوزان إلى نحور الخيل شيئاً. ارفعهم إلى أعلى بلادهم وعلياء قومهم ثم الق القوم بالرجال على متون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك و لم تفضح في حريمك. قال: لا والله ما أفعل ذلك أبداً ! إنك قد خرفت وخرف رأيك وعلمك. والله لتطيعني يا معشر هوزان أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من وراء ظهري - فنفس على دريد أن يكون له في ذلك اليوم ذكرٌ ورأيٌ - فقالوا له: أطعناك وخالفنا دريداً. فقال دريد: هذا يوم لم أشهده و لم أغب عنه. ثم قال:

يا ليتني فيها جذع ... أخب فيها وأضع

أقود وطفاء الزمع ... كأنها شاةٌ صدع

قال: فلما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انهزم المشركون فأتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة ، وتبعت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك نخلة، فأدرك ربيعة بن رفيع السلمي أحد بني يربوع بن سمال بن عوف دريد بن الصمة فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة، وذلك أنه كان في شجارٍ له، فأناخ به فإذا هو برجلٍ شيخ كبير و لم يعرفه الغلام. فقال له دريد: ماذا تريد؟ قال: أقتلك. قال: ومن أنت؟ قال: أنا ربيعة بن رفيع السلمي. فأنشأ دريد يقول:

ويح ابن أكمة ماذا يريد ... من المرعش الذاهب الأدرد

فأقسم لو أن بي قوةً ... لولت فرائصه ترعد

ويا لهف نفسي ألا تكون معي قوة الشارخ الأمرد

ثم ضربه السلمي بسيفه فلم يغن شيئاً. فقال له: بئس ما سلحتك أمك ! خذ سيفي هذا من مؤخر رحلي في القراب فاضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ، فإني كذلك كنت أفعل بالرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة، فرب يومٍ قد منعت فيه نساءك !. فزعمت بنو سليم أن ربيعة قال: لما ضربته بالسيف سقط فانكشف، فإذا عجانه وبطن فخذيه مثل القراطيس من ركوب الخيل أعراءً . فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه؛ فقالت له: لقد أعتق قتيلك ثلاثاً من أمهاتك. وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري ابن عم أبي موسى الأشعري، فهزمهم الله عز وجل وفتح عليه. فيزعمون أن سلمة بن دريد بن الصمة رماه بسهم فأصاب ركبته فقتله " يعني أبا عامر ".

فقالت عمرة بنت دريد ترثيه:

جزى عنا الإله بني سليمٍ وأعقبهم بما فعلوا عقاق
وأسقانا إذا سرنا إليهم دماء خيارهم يوم التلاقي
فرب منوهٍ بك من سليمٍ أجيب وقد دعاك بلا رماق
ورب كريمةٍ أعتقت منهم وأخرى قد فككت من الوثاق

وقالت عمرة ترثيه أيضاً:

قالوا قتلنا دريداً قلت قد صدقوا وظل دمعي على الخدين يبتدر
لولا الذي قهر الأقوام كلهم رأت سليمٌ وكعبٌ كيف تأتمر
إذاً لصبحهم غباً وظاهرةً حيث استقر نواهم جحفلٌ ذفر

استحثه قومه على الأخذ بثأر أخيه خالد من بني الحارث فقال شعراً وأجابه عبد الله بن عبد المدان: ونسخت من كتاب مترجمٍ بأنه نسخ من نسخة عمرو بن أبي عمرو الشيباني يأثره عن أبيه قال قال محمد بن السائب الكلبي: كان دريد بن الصمة يوماً يشرب مع نفرٍ من قومه، فقالوا له: يا أبا ذفافة - وكان يكنى بأبي ذفافة وبأبي قرة - أينجو بنو الحارث بن كعبٍ منك وقد قتلوا أخاك خالداً !؟ فقال لهم: إن القوم جمرة مذحج، وهم أكفاء جشم، ولا يحمل بي هجاؤهم. فأحفظوه بكثرة القول وأغضبوه، فقال:

يابني الحارث أنتم معشرٌ زندكم وارٍ في الحرب بهم
ولكم خيلٌ عليها فتيةٌ كأسود الغاب يحمين الأجم
ليس في الأرض قبيلٌ مثلكم حين يرفض العدا غير جشم

لست للصمة إن لم آتكم بالخناذيذ تبارى في اللجم
فتقر العين منكم مرةً بانبعاث الحر نوحاً تلتدم
وترى نجران منكم بلقعاً غير شمطاء وطفلٍ قد يتم
فانظروها كالسعالي شزباً قبل رأس الحول إن لم أخترم

قال: فنمي قوله إلى عبد الله بن عبد المدان، فقال يجيبه:

نبئت أن دريداً ظل معترضاً يهدي الوعيد إلى نجران من حضن
كالكلب يعوي إلى بيداء مقفرةٍ من ذا يواعدنا بالحرب لم يحن
إن تلق حي بني الديان تلقهم شم الأنوف إليهم عزة اليمن
ما كان في الناس للديان من شبهٍ إلا رعينٌ وإلا آل ذي يزن
أغمض جفونك عما لست نائله نحن الذين سبقنا الناس بالدمن
نحن الذين تركنا خالداً عطباً وسط العجاج كأن المرء لم يكن
إن تهجنا تهج أنجاداً شرامحةً بيض الوجوه مرافيداً على الزمن
أورى زيادٌ لنا زنداً ووالدنا عبد المدان وأورى زنده قطن

رده أسماء بن زنباع عن ظعينته زينب وطعنه فأصاب عينه: أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو بكر العامري عن ابن الأعرابي قال: أغار دريد بن الصمة في نفر من أصحابه، فمروا بأسماء بن زنباع الحارثي ومعه ظعينته زينب، فأحاطوا به لينتزعوها في يده، فقاتلهم دونها فقتل منهم وجرح، ثم اختلف هو ودريد طعنتين: فطعنه دريد فأخطأه، وطعنه أسماء فأصاب عينه، وانهزم دريدٌ ولحق بأصحابه؛ فقال دريدٌ في ذلك:

شلت يميني ولا أشرب معتقةً إذ أخطأ الموت أسماء بن زنباع

قصته مع أنس بن مدركة الخثعمي ويزيد بن عبد المدان وشعره في ذلك:

ونسخت من كتاب أبي عمرو الشيباني الذي ذكرته يأثره عن محمد بن السائب الكلبي قال: جاور رجلٌ من ثمالة عبد الله بن الصمة، فهلك عبد الله وأقام الرجل في جوار دريد. وأغار أنس بن مدركة الخثعمي على بني جشم، فأصاب مال الثمالي وأصاب ناساً من ثمالة كانوا جيراناً لدريد؛ فكف دريد عن طلب القوم وشغل بحرب من يليه، وقال لجاره ذلك: أمهلني عامي هذا. فقال الثمالي: قد أمهلتك عامين. وخرج دريد ليلةً لحاجته وقد أبطأ في أمر الثمالي، فسمعه يقول:

كساك دريد الدهر ثوب خزايةٍ وجدعك الحامي حقيقته أنس
دع الخيل والسمر الطوال لخثعمٍ فما أنت والرمح الطويل وما الفرس

وما أنت والغزو المتابع للعدا ... وهمك سوق العود والدلو والمرس
فلو كان عبد الله حياً لردها ... وما أصبحت إبلي بنجران تحتبس
ولا أصبحت عرسي بأشقى معيشةٍ ... وشيخٌ كبير من ثمالة في تعس
يراعي نجوم الليل من بعد هجعةٍ ... إلى الصبح محزوناً يطاوله النفس
وكنت وعبد الله حيٌ وما أرى ... أبالي من الأعداء من قام أو جلس
فأصبحت مهضوماً حزيناً لفقده ... وهل من نكيرٍ بعد حولين تلتمس

قال: فضاق دريد ذرعاً بقوله، وشاور أولي الرأي من قومه؛ فقالوا له: ارحل إلى يزيد بن عبد المدان؛ فإن أنساً قد خلف المال والعيال بنجران للحرب التي وقعت بين خثعم، وإن يزيد يردها عليك. فقال دريد: بل أقدم إليه قبل ذلك مدحةً ثم أنظر ما موقعي من الرجل، فقال هذه القصيدة وبعث بها إلى يزيد:

بني الديان ردوا مال جاري ... وأسرى في كبولهم الثقال
وردوا السبي إن شئتم بمنٍ ... وإن شئتم مفاداةً بمال
فأنتم أهل عائدةٍ وفضلٍ ... وأيدٍ في مواهبكم طوال
متى ما تمنعوا شيئاً فليست ... حبائل أخذه غير السؤال
وحربكم بني الديان حربٌ ... يغص المرء منها بالزلال
وجارتكم بني الديان بسلٌ ... وجاركم يعد مع العيال
حذا عبد المدان لكم حذاءً ... مخصرة الصدور على مثال
بني الديان إن بني زيادٍ ... هم أهل التكرم والفعال
فأولوني بني الديان خيراً ... أقر لكم به أخرى الليالي

قال: فلما بلغ يزيد شعره قال: وجب حق الرجل ! فبعث إليه أن اقدم علينا. فلما قدم عليه أكرمه وأحسن مثواه. فقال: له دريد يوماً: يا أبا النضر، إني رأيت منكم خصالاً لم أرها من أحد من قومكم: إني رأيت أبنيتكم متفرقة، ونتاج خيلكم قليلاً، وسرحكم يجيء معتماً، وصبيانكم يتضاغون من غير جوع. قال: أجل ! أما قلة نتاجنا فنتاج هوازن يكفينا وأما تفرق أبنيتنا فللغيرة على النساء. وأما بكاء صبياننا فإنا نبدأ بالخيل قبل العيال. وأما تمسينا بالنعم فإن فينا الغرائب والأرامل، تخرج المرأة إلى مالها حيث لا يراها أحدٌ. قال: وأقبلت طلائعهم على يزيد، فقال شيخ منهم:

أتتك السلامة فارع النعم ... ولا تقل الدهر إلا نعم

وسرح دريداً بنعمى جشم وإن سالك المرء إحدى القحم

فقال له دريد: من أين جاء هؤلاء؟ فقال: هذه طلائعنا لا نسرح ولا نصطبح حتى يرجعوا إلينا. فقال له: ما ظلمكم من جعلكم جمرة مذجح. ورد يزيد عليه الأسارى من قومه وجيرانه، ثم قال له: سلني ما شئت؛ فلم يسأله شيئاً إلا أعطاه إياه. فقال دريد في ذلك:

مدحت يزيد بن عبد المدان فأكرم به من فتىً ممتدح

إذا المدح زان فتى معشرٍ فإن يزيد يزين المدح

حللت به دون أصحابه فأورى زنادي لما قدح

ورد النساء بأطهارها ولو كان غير يزيدٍ فضح

وفك الرجال وكل امرئٍ إذا أصلح الله يوماً صلح

وقلت له بعد عتق النساء وفك الرجال ورد اللقح

أجر لي فوارس من عامرٍ فأكرم بنفحته إذا نفح

وما زلت أعرف في وجهه بكري السؤال ظهور الفرح

رأيت أبا النضر في مذحج بمنزلة الفجر حين اتضح

إذا قارعوا عنه لم يقرعوا وإن قدموه لكبشٍ نطح

وإن حضر الناس لم يخزهم وإن وازنوه بقرنٍ رجح

فذاك فتاها وذو فضلها وإن نابحٌ بفخارٍ نبح

قصته مع مسهر بن يزيد الحارثي وشعره: قال وقال ابن الكلبي: خرج دريد بن الصمة في فوارس من قومه في غزاة له، فلقيه مسهر بن يزيد الحارثي، الذي فقأعين عامر بن الطفيل، يقود بامرأته أسماء بنت حزن الحارثية. فلما رآه القوم قالوا: الغنيمة، هذا فارسٌ واحد يقود ظعينةً، وخليقٌ أن يكون الرجل قرشياً. فقال دريد: هل منكم رجل يمضي إليه فيقتله ويأتينا به وبالظعينة؟ فانتدب إليه رجلٌ من القوم فحمل عليه، فلقيه مسهر فاختلفا طعنتين بينهما، فقتله مسهر بن الحارث. ثم حمل عليه آخر فكانت سبيله سبيل صاحبه؛ حتى قتل منهم أربعة نفر. وبقي دريد وحده فأقبل إليه؛ فلما رآه ألقى الخطام من يده إلى المرأة وقال: خذي خطامك؛ فقد أقبل إلي فارس ليس كالفرسان الذين تقدموه؛ ثم قصد إليه وهو يقول:

أما ترى الفارس بعد الفارس أرداهم عامل رمح يابس

فقال له دريد: من أنت لله أبوك؟ قال: رجلٌ من بني الحارث بن كعب. قال: أنت الحصين؟ قال لا. قال: فالمحجل هوذة؟ قال لا. قال: فمن أنت؟ قال: أنا مسهر بن يزيد. قال: فانصرف دريد وهو يقول:

أمن ذكر سلمى ماء عينك يهمل ... كما انهل خزرٌ من شعيبٍ مشلشل

وماذا ترجي بالسلامة بعدما ... نأت حقبٌ وابيض منك المرجل

وحالت عوادي الحرب بيني وبينها ... وحربٌ تعل الموت صرفاً وتنهل

قراها إذا باتت لدي مفاضةٌ ... وذو خصلٍ نهد المراكل هيكل

كميشٌ كتيس الرمل أخلص متنه ... ضريب الخلايا والنقيع المعجل

عتيدٌ لأيام الحروب كأنه ... إذا انجاب ريعان العجاجة أجدل

يجاوب جرداً كالسراحين ضمراً ... ترود بأبواب البيوت وتصهل

على كل حيٍ قد أطلت بغارةٍ ... ولا مثل ما لاقى الحماس وزعبل

- الحماس وزعبل: قبيلتان من بني الحارث بن كعب -

غداة رأونا بالغريف كأننا ... حبي أدرته الصبا متهلل

بمشعلةٍ تدعو هوازن، فوقها ... نسيجٌ من الماذي لأم مرفل

لدى معركٍ فيها تركنا سراتهم ... ينادون، منهم موثقٌ ومجدل

نجذ جهاراً بالسيوف رؤوسهم ... وأرماحنا منهم تعل وتنهل

ترى كل مسود العذارين فارسٍ ... يطيف به نسرٌ وعرفاء جيأل

قال مؤلف هذا الكتاب: هذه الأخبار التي ذكرها عن ابن الكلبي موضوعةٌ كلها، والتوليد بين فيها وفي أشعارها، وما رأيت شيئاً منها في ديوان دريد بن الصمة على سائر الروايات. وأعجب من ذلك هذا الخبر الأخير؛ فإنه ذكر فيه ما لحق دريداً من الهجنة والفضيحة في أصحابه وقتل من قتل معه وانصرافه منفرداً، وشعر دريد هذا يفخر فيه بأنه ظفر ببني الحارث وقتل أمائلهم؛ وهذا من أكاذيب ابن الكلبي. وإنما ذكرته على ما فيه لئلا يسقط من الكتاب شيء قد رواه الناس وتداولوه.

أخبار المعتضد في صنعة هذا اللحن

وغيره من الأغاني - دون أخباره في غير ذلك لأنها كثيرة تخرج عن حد الكتاب - وشيء من أخباره مع المغنين وغيرهم يصلح لما ها هنا: راسل عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في أمر النغم العشر حتى فهمها وجمعها في صوت: حدثني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أن المعتضد بعث إليه - لما صنعت

جاريته شاجي اللحن الذي يجمع النغم العشر - بظبي وحبيب جاريتي أخيه سليمان بن عبد الله بن طاهر حتى أخذتا اللحن عنه ونقلتاه إليه وألقتاه على جواريه. قال: و لم يزل يراسلني مع عبد الله بن أحمد بن حمدون في أمر النغم العشر ويسألني عنها وأشرحها له، حتى فهمها جيداً وجمعها في صوتٍ صنعه في شعر دريد بن الصمة:

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع

وألقاه عليهما حتى أدتاه إلي مستعلماً بذلك هل هو صحيح القسمة والأجزاء أم لا، فعرفته صحته ودللته على ذلك حتى تيقنه فسر بذلك؛ وهو لعمري من جيد الصنعة ونادرها. وقد صنع المعتضد ألحاناً في عدة أشعار قد صنع فيها الفحول من القدماء والمحدثين وعارضهم بصنعته فأحسن وشاكل وضاهى، فلم يعجز ولا قصر ولا أتى بشيء يعتذر منه. فمن ذلك أنه صنع في:

أما القطاة فإني سوف أنعتها نعتاً يوافق نعتي بعض ما فيها

لحناً في الثقيل الأول بالبنصر في نهاية الجودة، سمعت إبراهيم بن القاسم بن زرزور يغنيه، فكان من أحسن ما صنع في هذا الصوت على كثرة الصنعة فيه واشتراك القدماء والمحدثين في صنعته مثل معبد ونشيطٍ ومالك وابن محرز وسنانٍ وعمر الوادي وابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وعلويه. وأظرف من ذلك أنه صنع في:

تشكى الكميت الجري لما جهدته وبين لو يستطيع أن يتكلما

لحناً من الثقيل الأول بالوسطى، وقد صنع قبله ابن سريج لحناً هو من الألحان الثلاثة المختارة من الغناء كله، فما قصر في صنعته ولا عجز عن بلوغ الغاية فيها؛ هذا بعد أن صنع إسحاق فيها لحناً من الثقيل الثاني عارض ابن سريج به في لحنه؛ فما امتنع من أن يتلو مثل هذين ولا نظير لهما في القدماء والمحدثين، ثم جود غاية التجويد فيما اتبعهما به وعارضهما فيه. هذا مع أصوات لها صنعتها تزاهي المائة صوت، ما فيها ساقطٌ ولا مرذول، وسأذكر منها ما يصلح ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى. ومن نادر صنعة المعتضد: صوت

أناةً فإن تغن عقب بعدها وعيداً فإن لم يغن أغنت عزائمه

الشعر لإبراهيم بن العباس، والغناء للمعتضد ثقيلٌ أول. هذا بيتٌ قاله إبراهيم وهو لا يعلم أنه شعر، وإنما كتب به في رسالة عن المعتصم إلى بعض أصحاب الأطراف فقال في فصل منه: " وإن عند أمير المؤمنين في أمرك أناةً، فإن لم تغن عقب بعدها وعيداً، فإن لم يغن أغنت عزائمه ". فلما تأمله أنه شعر وأنه بيتٌ نادر فأخرجه في شعره.

أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه

نسبه، وشيء عن آبائه: إبراهيم بن العباس بن محمد بن صولٍ، وكان صولٌ رجلاً من الأتراك، ففتح يزيد بن المهلب بلده وأسلم على يديه، فهم موالي يزيد. ولما دعا يزيد إلى نفسه لحق به صولٌ لينصره فصادفه قد قتل. وكان يقاتل كل من بينه وبين يزيد من جيش بني أمية ويكتب على سهامه: صولٌ يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه. فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك، فاغتاظ وجعل يقول: ويلي على ابن الغلفاء ! وماله وللدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه ! ولعله لا يفقه صلاته !. وكان ابنه محمد بن صول من رجال الدولة العباسية ودعاتها، وقد كان بعض أهليهم ادعوا أنه عربٌ وأن العباس بن الأحنف خالهم. وأما صول فإن خالد بن خداش ذكر عن أهله قالوا: كان صولٌ وفيروز أخوين ملكا على جرجان، وكانا تركيين تمجسا وتشبها بالفرس. فلما حضر يزيد بن المهلب جرجان أمنهما، فأسلم صولٌ على يديه و لم يزل معه حتى قتل يوم العقر . وكان محمد بن صول يكنى أبا عمارة، أحد الدعاة، وقتله عبد الله بن علي لما خالف مع مقاتل بن حكيم العكي وعدةٍ آخرين.

كان يقول الشعر ثم يختاره: وأما إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله فإنهما كانا من وجوه الكتاب، وكان عبد الله أسنهما وأشدهما تقدماً، وكان إبراهيم آدبهما وأحسنهما شعراً، وكان يقول الشعر ثم يختاره، ويسقط رذله، ثم يسقط الوسط، ثم يسقط ما يسبق إليه، فلا يدع من القصيدة إلا اليسير، وربما لم يدع منها إلا بيتاً أو بيتين؛ فمن ذلك قوله:

ولكن الجواد أبا هشام ... وفي العهد مأمون المغيب

وهذا إبتداء يدل على أن قبله غيره؛ وقوله في أخيه:

ولكن عبد الله لما حوى الغنى ... وصار له من بين إخوته مال

وهذا أيضاً إبتداء يدل على أن قبله غيره. وكان إبراهيم وأخوه عبد الله من صنائع ذي الرياستين، اتصلا به فرفع منهما. وتنقل إبراهيم في الأعمال الجليلة والدواوين إلى أن مات وهو يتقلد ديوان الضياع والنفقات بسر من رأى في سنة ثلاث وأربعين ومائتين للنصف من شعبان.

قال محمد بن داود وحدثني أحمد بن سعيد بن حسان قال حدثني ابن إبراهيم قال سمعت دعبلاً يقول: لو تكسب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركنا في غير شيء. قال: ثم أنشدنا له، وكان يستحسن ذلك من قوله:

إن امرأ ضن بمعروفه ... عني لمبذولٌ له عذري

ما أنا بالراغب في عرفه ... إن كان لا يرغب في شكري

هجاؤه محمد بن عبد الملك الزيات وتشفيه بموته: وكان إبراهيم بن العباس صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات، ثم آذاه وقصده وصارت بينهما شحناء عظيمة لم يمكن تلافيها، فكان إبراهيم يهجوه؛ فمن قوله فيه:

أبا جعفرٍ خف خفضةً بعد رفعةٍ ... وقصر قليلاً من مدى غلوائكا

لئن كان هذا اليوم يومً حويته ... فإن رجائي في غدٍ كرجائكا

وله فيه أيضاً:

دعوتك في بلوى ألمت صروفها فأوقدت من ضغنٍ علي سعيرها

فإني إذا أدعوك عند ملمةٍ كداعيةٍ عند القبور نصيرها

وقال فيه لما مات:

لما أتاني خبر الزيات وإنه قد صار في الأموات

أيقنت أن موته حياتي

هجره صديقه الحارث بن بسخنر مرضاة لمحمد بن عبد الملك الزيات فقال في ذلك شعراً: أخبرني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال: لما انحرف محمد بن عبد الملك الزيات عن إبراهيم تحاماه الناس أن يلقوه، وكان الحارث بن بسخنر صديقاً له مصافياً، فهجره فيمن هجره من إخوانه؛ فكتب إليه:

تغير لي فيمن تغير حارث وكم من أخ قد غيرته الحوادث

أحارث إن شوركت فيك فطالما غنينا وما بيني وبينك ثالث

وقد قيل: إن هذه الأبيات لإسحاق بن إبراهيم الموصلي.

ومن جيد قوله إبراهيم بن العباس وفيه غناء: صوت

خل النفاق لإهله وعليك فالتمس الطريقا

واذهب بنفسك إن ترى إلا عدواً أو صديقاً

الغناء لأبي العبيس بن حمدون ثقيل أول قصة عشقه لقينة وانكماشه لتأخرها وشعره فيها: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال: كان إبراهيم بن العباس يهوى قينة بسر من رأى، فكان لا يكاد يفارقها. فجلس يوماً للشرب ومعه إخوان له، ودعا جماعةً من جواري القيان، ودعاها فأبطأت، فتنغص عليهم يومهم لما رأوا من شغل قلبه بتأخرها، ثم وافت فسري عنه وطابت نفسه وشرب وطرب، ثم دعا بدواة فكتب:

ألم ترنا يومنا إذ نأت فلم تأت من بين أترابها

وقد غمرتنا دواعي السرور بإشعالها وبإلهابها

ومدت علينا سماء النعيم وكل المنى تحت أطنابها

ونحن فتورٌ إلى أن بدت وبدر الدجى بين أثوابها

فلما نأت كيف كنا لها ولما دنت كيف صرنا بها

وأمر من حضر فقرأ عليها الأبيات؛ فتجنت وقالت: ما القصة كما وصفت، وقد كنتم في قصفكم مع من حضر. وإنما تجملتم لي لما حضرت. فأنشأ يقول:

يا من حنيني إليه ومن فؤادي لديه

ومن إذا غاب من بي نهم أسفت عليه

إذا حضرت فما من هم من أصبو إليه

من غاب غيرك منهم فأمره في يديه

قال: فرضيت عنه، وأثننا يوماً على أحسن حال.

أجازه دعبل في شعر: وقال محمد بن داود حدثني محمد بن القاسم قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال حدثني إبراهيم بن العباس - قال حدثني به دعبلُ أيضاً فكانا متفيقين في الرواية - قال: كنا نطلب جميعاً بالشعر، فخرجنا وكنا في محمل، فابتدأت أقول في المطلب بن عبد الله بن مالك:

أمطلبٌ أنت مستعذبٌ

فقال دعبل:

لسم الأفاعي ومستقتل

فقلت:

فإن أشف منك تكن سبةٌ

فقال دعبل:

وإن أعف عنك فما تفعل

روى له الأخفش أبياتاً كان يفضلها ويستجيدها: أنشدني الأخفش لإبراهيم بن العباس وكان يفضلها ويستجيدها:

أميل مع الذمام على ابن أمي وآخذ للصديق من الشقيق

وإن ألفيتني حراً مطاعاً فإنك واجدي عبد الصديق

أفرق بين معروفي ومني وأجمع بين مالي والحقوق

جوابه لأبي أيوب: أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسن بن أبي البغل قال حدثني عمي قال:

اجتاز محمد بن علي برد الخيار على أبي أيوب ابن أخت الوزير وهو متولي ديار مضر فلم يتلقه، ونزل الرقة فلم يصل إليه و لم يبره، وخرج عنها فلم يشيعه. فلامه إخوانه وقالوا: يشكوك إلى إبراهيم بن العباس فكتب إلى إبراهيم يعتذر مما جرى بعلةٍ.

فكتب إليه إبراهيم على ظهر كتابه:

أبداً معتذرٌ لا يعذر وركوبٌ للتي لا تغفر

وملقى بمساوٍ كلها منه تبدو وإليه تصدر

هي من كل الورى منكرةٌ وهي منه وحده لا تنكر

كان يهوى جارية اسمها " سامر " أهدت له جاريتين: أخبرني عمي قال حدثني ابن برد الخيار عن أبيه قال: كان إبراهيم بن العباس يهوى جارية لبعض المغنين بسر من رأى يقال لها سامر، وشهر بها، فكان منزله لا يخلو منها. ثم دعيت في وليمة لبعض أهلها فغابت عنه أياماً ثم جاءته ومعها جاريتان لمولاها. وقالت له: قد أهديت صاحبتي إليك عوضاً من مغيبي عنك؛ فأنشأ يقول: صوت

أقبلنا يحففن مثل الشمس طالعةً قد حسن الله أولاها وأخراها

ما كنت فيهن إلا كنت واسطةً وكن دونك يمناها ويسراها

الغناء لسلسل مولى بني هاشم، ثاني ثقيلٍ بالوسطى مطلقٌ. وليس لسلسل خبر يدون ولا هو من المشهورين ولا ممن خدم الخلفاء أو دون له حديث. وذكر حبش أنه لسلسل مولاة محمد بن حرب الهلالي. وسلسل هذه كانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً، وكانت لبعض المغنين بالبصرة، وكان محمد بن حرب هذا يتعشقها و لم تكن مولاته. فأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا إسحاق بن محمد النخعي قال حدثني حماد بن إسحاق قال: أتى أبان بن عبد الحميد الشاعر رجلاً بالبصرة وله قينة يقال لها سلسل، فصادف عندها محمد بن قطن الهلالي وعثمان بن الحكم بن صخر الثقفي فقال:

فتنت سلسل قلب ابن قطن ثم ثنت بابن صخر فافتتن

فأتيت اليوم كي أنقذهم فإذا نحن جميعً في قرن

فأظن الغلط وقع على حبش من ها هنا أو سمع هذا الخبر فتوهم أنها مولاة محمد بن حرب.

ذهابه مع دعبل ورزين وركوبهم حمير أهل الشوك وشعرهم في ذلك: أخبرني عمي ووكيع قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن عيسى بن عبد الرحمن قال: خرج إبراهيم بن العباس ودعبل بن علي وأخوه رزين في نظرائهم من أهل الأدب رجالةً إلى بعض البساتين في خلافة المأمون، فلقيهم قوم من أهل السواد من أصحاب الشوك، فأعطوهم شيئاً وركبوا تلك الحمير فأنشأ إبراهيم يقول:

أعيضت بعد حمل الشو ك أحمالاً من الحرف

نشاوى لا من الصهبا ء بل من شدة الضعف

فقال رزين:

فلو كنتم على ذاك تؤولون إلى قصف

تساوت حالكم فيه ولم تبقوا على خسف

فقال دعبل:

وإذا فات الذي فات فكونوا من بني الظرف

ومروا نقصف اليوم فإني بائعٌ خفي

فانصرفوا معه فباع خفه وأنفقه عليهم.

رثاؤه لابنه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهروية قال قال لي علي بن الحسين الإسكافي: كان لإبراهيم ابنٌ قد يفع وترعرع، وكان معجباً به فأعتل علة لم تطل ومات؛ فرثاه بمراثٍ كثيرة، وجزع عليه جزعاً شديداً فمما رثاه به قوله:

كنت السواد لمقلتي فبكى عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

فيه رملٌ لابن القصار. ومن مراثيه إياه قوله:

وما زلت مذلد أعطيته أدافع عنه حمام الأجل

أعوذه دائباً بالقران أرمي بطرفي إلى حيث حل

فأضحت يدي قصدها واحدٌ إلى حيث حل فلم يرتحل

عاتبه أبو وائلة في لهوه فقال شعراً: وقال أحمد بن أبي طاهر حدثني أبو وائلة قال: قلت لإبراهيم بن العباس: قد أخملت نفسك ورضيت أن تكون تابعاً أبداً لاقتصارك على القصف واللعب؛ فأنشأ يقول:

إنما المرء صورةٌ حيث حلت تناهت

أنا مذ كنت في التص رف لي حال ساعتي

وهبه أخوه عبد الله ثلث ماله وأخته الثلث الآخر وشعره في ذلك: أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثني ابن السخي قال:

وهب عبد الله بن العباس لأخيه إبراهيم ثلث ماله، ووهب لأخته الثلث الأخر، فسار مساوياً لهما في الحال؛ فقال إبراهيم:

ولكن عبد الله لما حوى الغنى وصار له من بين إخوته مال

رأى خلةً منهم تسد بماله فساهمهم حتى استوت بهم الحال

وهذا مما عيب على إبراهيم قوله ابتداءً " ولكن عبد الله " وقد كرره في شعره فقال:

ولكن الجواد أبا هشام وفي العهد مأمون المغيب

بطيءٌ عنك ما استغنيت عنه وطلاعٌ عليك مع الخطوب

والسبب في ذلك اختياره شعره وإسقاطه ما لم يرضه منه.

عزله عن الأهواز: وقرأت في بعض الكتب: لما عزل إبراهيم بن العباس عن الأهواز في أيام محمد بن عبد الملك الزيات اعتقل بها وأوذي، وكان محمد قبل الوزارة صديقه، وكان يؤمل منه يسامحه ويطلقه، فكتب إليه:

فلو إذ نبا دهرٌ وأنكر صاحبٌ ... وسلط أعداءٌ وغاب نصير

تكون عن الأهواز داري بنجوةٍ ... ولكن مقاديرٌ جرت وأمور

وإني لأرجو بعد هذا محمداً ... لأفضل ما يرجى أخٌ ووزير

فأقام محمد على قصده وتكشفه والإساءة إليه حتى بلغ منه كل مكروه. وانفرجت الحال بينهما على ذلك، وهجاه إبراهيم هجاءً كثيراً.

أرسل ابن الزيات أبا الجهم للكنايه به: واخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو عبد الله الباقطاني أو الطالقاني قال حدثني علي بن الحسين بن عبد الأعلى قال: وجه محمد بن عبد الملك بأبي الجهم أحمد بن سيف إلى الأهواز ليكشف إبراهيم بن العباس، فتحامل عليه تحاملاً شديداً. فكتب إبراهيم إلى محمد بن عبد الملك يعرفه ذلك ويشكوه إليه ويقول له: أبو الجهم كافرٌ لا يبالي ما عمل، وهو القائل لما مات غلامه يخاطب ملك الموت:

وأقبلت تسعى إلى واحدي ... ضراراً كأني قتلت الرسولا

تركت عبيد بني طاهرٍ ... وقد ملئوا الأرض عرضاً وطولاً

فسوف أدين بترك الصلاة ... وأصطبح الخمر صرفاً شمولاً

فكان محمد لعصبيته على إبراهيم وقصده له يقول: ليس هذا الشعر لأبي الجهم، إنما إبراهيم قاله ونسب إليه.

مدح المتوكل ببيتين وغنى بهما جعفر بن رفعة: أخبرني أحمد بن جعفر بن رفعة قال حدثني أبي قال دعاني إبراهيم بن العباس وقال: قد مدحت أميرالمؤمنين المتوكل ببيتين، فغن فيهما وأشعهما، ودع لي بطيب كثير فأعطانيه، وخلع علي خلعة سرية، فغنيت فيهما. والبيتان:

صوت

ما واحدٌ من واحدٍ ... أولى بفضل أو مروه

ممن أبوه وجده ... بين الخلافة والنبوه

واشعتها وغنى فيهما المتوكل فاستحسنهما ووصله صلةٌ سنية.

لحن جعفر بن رفعة في هذين البيتين رملٌ بالبنصر.

مدح الرضا لما عقدت ولاية العهد فأجازه: أخبرني محمد بن يونس الأنباري قال حدثني أبي: أن إبراهيم بن العباس الصولي دخل على الرضا لما عقد له المأمون وولاه العهد، فأنشده قوله:

أزالت عزاء القلب بعد التجلد مصارع أولاد النبي محمد

- صلى الله عليه وسلم - فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضربت باسمه، فلم تزل عند إبراهيم، وجعل منها مهور نسائه، وخلف بعضها لكفنه وجهازه إلى قبره.

آذى إسحاق ابن أخي زيدان فهدده فكف عنه: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو العباس بن الفرات والباقطاني قالا: كان إسحاق بن إبراهيم ابن أخي زيدان صديقاً لإبراهيم بن العباس، فأنسخه شعره في مدح الرضا، ثم ولي إبراهيم ين العباس في أيام المتوكل ديوان الضياع، فعزله عن ضيع كانت بيده بحلوان، وطالبه بمال وجب عليه، وتباعد بينهما. فقال إسحاق لبعض من يثق به: قل لإبراهيم بن العباس: والله لئن لم يكفف عما يفعله في لأخرجن قصيدته في الرضا بخطه إلى المتوكل. فأحجم عنه إبراهيم وتلافاه، ووجه من ارتجع القصيدة منه وجعله على ثقةٍ من أنه لا يظهرها، ثم أفرج عنه وأزال ما كان يطالبه به.

نادرته في ثقيل: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال:

راكبت إبراهيم بن العباس، فلقينا رجلٌ كان إبراهيم يستثقله، فسلم عليه، فلما مضى قال: يا أبا إسحاق إنه جرمي. فقلت: ما كان عندي إلا أنه من أهل السواد. فضحك وقال: إنما أردت قول الشاعر:

تسائل عن أخي جرم ثقيلٌ والذي خلقه

كتابه في شفاعة لرجل

إلى بعض إخوانه:

أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن السخي قال حدثني الحسن بن عبد الله الصولي قال: كتب عمي إبراهيم بن العباس شفاعة لرجل إلى بعض إخوانه: فلان ممن يزكو شكره، ويحسن ذكره، ويعني أمره، والصنيعة عنده واقعة موقعها وسالكةٌ طريقها.

وأفضل ما يأتيه ذو الدين والحجا إصابة شكر لم يضع معه أجر

مدحه عبيد الله بن يحيى عند المتوكل: أخبرني عمي عن أبي العيناء قال: كان عبيد الله بن يحيى يقول للمتوكل: يا أمير المؤمنين، إن إبراهيم بن العباس فضيلةٌ خبأها الله لك، وذخيرةٌ ذخرها لدولتك.

طلب إليه المتوكل وصف القدور الإبراهيمية ومحوهما في ذلك: وذكر عن علي بن يحيى: أن المتوكل بعث إلى إبراهيم بن العباس يأمره أن يصف له القدور الإبراهيمية، وكان ابتدعها؛ فكتب له صفتها، وكتب في آخرها في ذكر الأبازير: " ووزن دانق " ونسي أن يكتب من أي شيء. فلما وصلت إليه الصفة اغتاظ ثم قال لعلي بن يحيى: احلف بحياتي أن تقول له ما آمرك به، ففعل. فقال له: قل وزن دانق من أي شيء؟ أمن بظر أمك ! قال علي بن يحيى: فدخلت إليه فقلت: إني جئتك في رسالة عزيز علي أن أؤديها؛ فقال: هاتها، فأديتها. قال: فارجع

إليه وقل له عني: يا سيدي، أن علي بن يحيى أخي وصديقي وقد أدى الرسالة؛ فإن رأيت أن تجعل وزن الدانق من بظر أمي وبظر أمه جمعاً تفضلت بذلك. فقلت: قبحك الله ! وأنا أيش ذنبي ! قال: قد أديت الرسالة وهذا جوابها. فدخلت إلى المتوكل فقال: إيه ما قال لك؟ فقلت: قبح الله ما جئتك به ! وأخبرته بالجواب؛ فضحك حتى فحص برجله وجعل يشرب عليه بقية يومه. وإذا لقيته قال لي: يا علي، وزن دانق أيش ! فأقول: لعنة الله على إبراهيم.

داعب الحسن بن وهب وشعره في ذلك: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال: دعا الحسن بن وهب إبراهيم بن العباس؛ فقال له: أركب وأجيئك عشياً فلا تنتظرني بالغداة. فأبطأ عليه، وأسرع الحسن في شربه فسكر ونام، وجاء إبراهيم فرآه على تلك الحالة، فدعا بدواة وكتب:

رحنا إليك وقد راحت بك الراح ... وأسرعت فيك أوتارٌ وأقداح

قال: وحدثني محمد بن موسى قال: نظر إبراهيم بن العباس الحسن بن وهبٍ وهو مخمورٌ فقال له:

عيناك قد حكتا مبي ... تك كيف كنت وكيف كانا

ولرب عينٍ قد أرت ... ك مبيت صاحبها عياناً

فأجابه الحسن بن وهب بعشرين بيتاً وطالبه بمثلها؛ فكتب إليه بأربعة أبيات وطالبه بأربعين بيتاً. وأبيات إبراهيم:

أأبا علي خير قولك ما ... حصلت أنجعه ومختصره

ما عندنا في البيع من غبنٍ ... للمستقل بواحدٍ عشرة

أنا أهل ذلك غير محتشمٍ ... أرضى القديم وأقتفي أثره

ها نحن وفيناك أربعةً ... والأربعون لديك منتظره

أخبرني الصولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال: سمعت إبراهيم بن العباس وقد لبس سواده يوماً يقول: يا غلام هات ذلك السيف الذي ما ضر الله به أحداً قط غيري.

كان يستثقل ابن أخيه وحكايات عنه في ذلك: قال: وسأل يوماً عن ابن أخيه طماس وهو أحمد بن عبد الله بن العباس فقيل له: هو مشغول بطبيب ومنجم عنده، وكان يستثقله، فقال قل له يا غلام: والله مالكا في الناس طبعٌ؛ ولا في السماء نجمٌ، فما لك تكلف هذا التكلف.

أخبرني الصولي قال حدثني أحمد بن السخي قال: أمر إبراهيم بن العباس أن يجمع كل أعور يمر في الطريق، فجمعوهم ووقفوهم وخرج ومعه طماس، فلم رأى العور مجتمعين قال لطماس: كلهم مثلك، فاترك هذا الصلف فإنه داعية إلى التلف.

أخبرني الصولي قال حدثني ميمون بن موسى قال: قال الحسن بن وهب لإبراهيم بن العباس: تعال حتى نعد البغضاء؛ قال: ابدأ بي أولاً من أجل ابن أخي طماس ثم ثن بمن شئت.

أمر الحسن بن مخلد بأمر فأبطأ فيه فقال شعراً: أخبرني الصولي قال قال جعفر بن محمود:
ركبت بين يدي إبراهيم بن العباس. فأمر الحسن بن مخلد بأمرٍ فاستبطأه فيه فنظر إليه فقال:

معجبٌ عند نفسه ... وهو لي غير معجب
إن أقل لا يقل نعم ... عاتبٌ غير معتب
مولعٌ بالخلاف لي ... عامداً والتجنب
قلت فيه بضد ما ... قيل في أم جندب

يريد قول امرئ القيس:

خليلي مرا بي على أم جندب

أي فأنا لا أريد أن أمر بك.
تنادر بابن الكلبي عند المتوكل لما جاء كتابه: قال وأخبرني الصولي قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه قال: كان المتوكل قد ولى ابن الكلبي البريد، وأحلفه بالطلاق ألا يكتمه شيئاً من أمر الناس جميعاً ولا من أمره هو في نفسه. فكتب إليه يوماً أن امرأته خرجت مع حبتها في نزهة، وأن حبتها عربدت عليها فجرحتها في صدغها. فقرأه إبراهيم بن العباس على المتوكل ثم قال له: يا أمير المؤمنين، قد صحف ابن الكلبي، إنما هو: " جرحتها في سرمها " ، فضحك المتوكل وقال: صدقت. ما أظن القصة إلى هكذا. قال: ولم يكن ابن الكلبي هذا من العرب، إنما كان أبوه يلقب " كلب الرحل " فقيل له الكلبي.
استعطافه محمد بن عبد الملك الزيات: أخبرني عمي قال حدثنا ميمون بن هارون قال: كتب إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك يستعطفه: كتبت إليك وقد بلغت المدية المحز، وعدت الأيام بك علي، بعد عدوي بك عليها، وكان أسوأ ظني وأكثر خوفي، أن تسكن في وقت حركتها، وتكف عند أذاها، فصرت علي أضر منها، وكف الصديق عن نصرتي خوفاً منك، وبادر إلي العدو تقرباً إليك. وكتب تحت ذلك:

أخٌ بين وبين الده ... ر صاحب أينا غلبا
صديقي ما استقام فإن ... نبا دهرٌ علي نبا
وثبت على الزمان به ... فعاد به وقد وثبا
ولو عاد الزمان لنا ... لعاد به أخاً حدبا

قال وكتب إليه: أما والله لو أمنت ودك لقلت؛ ولكني أخاف منك عتب لا تنصفني فيه، وأخشى من نفسي لائمةً لاتحتملها لي. وما قد قدر فهو كائن، وعن كل حادثة أحدوثة. وما استبدلت بحالةٍ كنت فيها مغتبطاً حالة أنا في مكروهها وألمها أشد علي من أني فزعت إلي ناصري عند ظلمٍ لحقني، فوجدت من يظلمني أخف نية في ظلمي منه، وأحمد الله كثيراً. ثم كتب في أسفلها:

وكنت أخي بإخاء الزمان فلما نبا صرت حرباً عواناً
وكنت أذم إليك الزمان فأصبحت فيك أذم الزمانا
وكنت أعدك للنائبات فأصبحت أطلب منك الأمانا

هجا محمد بن عبد الملك وكان قد أغرى به الواثق: أخبرني الصولي قال أخبرني الحسين بن فهم قال: كان محمد بن عبد الملك قد أغرى الواثق بإبراهيم بن العباس، وكان إبراهيم يعاتبه على ذلك ويداريه، ثم وقف الواثق على تحامله عليه فرفع يده عنه وأمر أن يقبل منه ما رفعه، ورده إلى الحضرة مصوناً، فلما أحس إبراهيم بذلك بسط لسانه في محمد، وحس ما بينه وبين ابن أبي داود. وهجا محمد بن عبد الملك هجاءً كثيراً؛ منه قوله:

قدرت فنم تضرر عدواً بقدرةٍ وسمت بها أخوانك الذل والرغما
وكنت مليئاً بالتي قد يعافها من الناس من يأبى الدنيئة والذما

تمادح هو وأبي تمام: أخبرني الصولي قال حدثنا ابن السخي قال حدثني الحسين بن عبد الله: قال: سمعت إبراهيم بن العباس حدثنا يقول لأبي تمام الطائي وقد أنشده شعراً له في المعتصم: يا أبا تمام، أمراءُ الكلام رعيةٌ لإحسانك. فقال له أبو تمام: ذلك لأني أستضيء بك وأرد شريعتك.

اعتذر له إبراهيم بن المدبر عن أخيه فقال شعراً: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال سمعت إبراهيم بن المدبر يقول: جرى بين إبراهيم بن العباس وبين أخي أحمد بن المدبر شيء وكان يودني دون أخي؛ فلقيته فأعتذرت إليه عنه؛ فقال لي: يا أبا إسحاق: صوت

خل النفاق لإهله وعليك فالتمس الطريقا
واذهب بنفسك إن ترى إلا عدواً أو صديقاً

الغناء لأبي العبيس.

احتال على المتوكل لينجي بعض عماله من العقوبة:

أخبرني الصولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال: انصرف إبراهيم بن العباس يوماً من دار المتوكل وقال لنا: أنا والله مسرورٌ بشيء مغمومٌ منه. فقلنا له: وما ذاك أعزك الله؟ قال: كان أحمد بن المدبر رفع إلى أمير المؤمنين أن بعض عمالي اقتطع مالاً، وصدق في الذي قاله، وكنت قد رأيت هلال الشهر ونحن مع أمير المؤمنين على وجهه فدعوت له، وضحك إلي فقال لي: إن أحمد قد رفع على عاملك كذا وكذا فاصدقني عنه؛ فضاقت علي الحجة، وخفت أن أحقق قوله إن اعترفت، ثم لا أرجع منه إلى شيء فيعود علي الغرم، فعدلت عن الحجة إلى الحيلة فقلت: أنا في هذا يا أمير المؤمنين كما قلت فيك: صوت

رد قولي وصدق الأقوال وأطاع الوشالة والعزالا
أتراه يكون شهر صدودٍ وعلى وجهه رأيت الهلالا

قال: والله لا يكون ذلك بحياتي يا إبرااهيم ! رو هذا الشعر بناناً حتى يغنيني به. فقلت: نعم يا سيدي على ألا يطالب صاحبي بقول أحمد. فقال للوزير: تقبل قول صاحبه في هذا المال. فسررت بالظفر، واغتممت ببطلان هذا المال وذهابه بمثل هذه الحيلة، ولعله قد جمع في زمن طويل وتعبٍ شديد.

سرق ابن دريد وابن الرومي شعره: أنشدت عمي رحمه الله أبياتاً لأبن دريد يمدح رجلاً من أهل البصرة:

يا من يقبل كف كل مخرقٍ هذا ابن يحيى ليس بالمخراق

قبل أنامله فلسنا أناملاً لكنهن مقاتح الأرزاق

فقال: يا بني هذا سرقه هو وابن الرومي جميعاً من إبراهيم بن العباس؛ قال إبراهيم بن العباس يمدح الفضل بن سهل:

لفضلِ بن سهلٍ يدٌ تقاصر عنها الأمل

فباطنها للندى وظاهرها للقبل

وبسطها للغنى وسطوتها للأجل

وسرقه ابن الرومي فقال:

أصبحت بين خصاصةٍ ومذلةٍ والحر بينهما يموت هزيلا

فأمدد إلي يداً تعود بطنها بذل الندم وظهورها التقبيلا

قال ثعلب إنه كان أشعر المحدثين: أخبرني الصولي قال سمعت أحمد بن يحيى ثعلباً يقول: كان إبراهيم بن العباس أشعر المحدثين. قال: وما روى ثعلبٌ شعر كاتب قط قال: وكنت يستحسن كثيراً قوله:

لنا إبلٌ كومٌ يضيق بها الفضا ويفتر عنها أرضها وسماؤها

فمن دونها أن تستباح دماؤنا ومن دوننا أن تستباح دماؤها

حنى وقرى فالموت دون مرامها وأيسر خطبٍ يوم حقٍ فناؤها

ثم قال: والله لو كان هذا لبعض الأوائل لا ستجيد له.

مدح الحسن بن سهل: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال سمعت الحسن بن رجاء يقول: كنا بفم الصلح أيام بني المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل؛ فقدم إبراهيم بن العباس علينا ودخل إلى الحسن بن سهل فأنشده:

ليهنئك أصهارٌ أذلت بعزها خدوداً وجدعت الأنوف الرواغما

جمعت بها الشملين من آل هاشمٍ وحزت بها للأكرمين الأكارما

بنوك غدوا آل النبي ووارثو ال خلافة والحاون كسرى وهاشماً

فقال له الحسن: " شنشنةً أعرفها من أخرم " أي إنك لم تزل تمدحنا، ثم قال له: أحسن الله عنا جزاءك يا أبا إسحاق؛ فما الكثير من فعلنا بك بجزاءٍ لليسير من حقك.

قال شعراً في قينة اسمها " سامر " كان يهواها فغضبت عليه: أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: أنشدني إبراهيم بن العباس لنفسه في قينةٍ اسمها سامر كان يهواها فغضبت عليه:

وعلمتني كيف الهوى وجهلته ... وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي

وأعلم ما لي عندكم فيردني ... هواي إلى حهلٍ فأقصر عن علمي

شعره في قصر الليل: أخبرني الصولي قال: سمعت عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يقول: لا يعلم لقديمٍ و لا لمحدثٍ في قصر الليل أحسن من قول إبراهيم بن العباس:

وليلةٍ من الليالي الزهر ... قابلت فيها بدرها ببدر

لم تك غير شفقٍ وفجر ... حتى تولت وهي بكر الدهر

تنكر له ابن الزيات لصلته بابن أبي دواد فاعتذر له بشعر:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني أحمد بن بشر المرثدي قال: كان إبراهيم بن العباس يوماً عند أحمد بن أبي دواد، فلما خرج من عنده لقيه محمد بن عبد الملك الزيات وهو خارج من داره؛ فتبين إبراهيم في وجه محمد الغضب فلم يخاطبه في العاجل بشيء. فلما انصرف إلى منزله كتب إليه.

دعني أواصل من قطع ... ت يراك بي إذ لا يراكا

إني متى أهجر لهج ... رك لا أضربه سواك

وإذا قطعتك في أخي ... ك قطعت فيك غداً أخاكا

حتى أرى متقسماً ... يومي لذا وغدي لذاكا

مسح المداد بكم ثوبه وشعره في ذلك: أخبرني الصولي قال حدثني أبو العيناء قال: كنت عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً، فنقط من القلم نقطةً مفسدةً فمسحها بكمه؛ فتعجبت من ذلك؛ فقال: لا تعجب، المال فرع والقلم أصل، ومن هذا السواد جاءت هذه الثياب، والأصل أحوج إلى المراعاة من الفرع. ثم فكر قليلاً وقال:

إذا ما الفكر ولد حسن لفظ ... وأسلمه الوجود إلى العيان

وهو شاه فنمنمه مسدٌ ... فصيحٌ في المقال بلا لسان

ترى حلل البيان منتشرات ... تجلى بينها صور المعاني

اتهمه المأمون بإفشاء سر مقتل الفضل بن سهل ثم عفى عنه بشفاعة هشام الخطيب: أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن صالح بن النطاح قال: لما عزم المأمون على الفتك بالفضل بن سهل، وندب له عبد العزيز بن عمران

الطائي، ومؤنساً البصري، وخلفاً المصري، وعلي بن أبي سعد ذا القلمين، وسراجاً الخادم، نمي الخبر إلى الفضل، فأظهره للمأمون وعاتبه عليه. فلما قتل الفضل وقتل المأمون قتلته، سأل من أين سقط الخبر إلى الفضل؟ فعرف أنه من جهة إبراهيم بن العباس، فطلبه فاستتر. وكان إبراهيم عرف هذا الخبر من جهة عبد العزيز بن عمران، وكان الفضل استكتب إبراهيم لعبد العزيز بن عمران، فأحبر به الفضل. قال: وتحمل إبراهيم بالناس على المأمون، وجرد في أمره هشاماً الخطيب المعروف بالعباسي وكان جريئاً على المأمون لأنه رباه، وشخص إليه إلى خراسان في فتنة إبراهيم بن المهدي، فلم يجبه المأمون إلى ما سأل. فلقيه إبراهيم مستتراً وسأله عما عمل في حاجته. فقال له هشام: قد وعدني في أمرك بما تحب. فقال له إبراهيم: أظن أن الأمر على غير هذا ! قال: وما تظن؟ قال: محلك عند أمير المؤمنين أجل من أن يعدك شيئاً فترضى بتأخيره، وهو أكرم من أن يعد مثلك شيئاً فيؤخره، ولكنك سمعت ما لا تحب في فكرهت أن تغمني به فقلت لي هذا القول، وأحسن الله على كل الأحوال جزاءك، فمضى هشام إلى المأمون فعرفه خبر إبراهيم، فعجب من فطنته وعفا عنه. قال: وفي هشام يقول إبراهيم بن العباس:

من كانت الأموال ذخراً له ... فإن ذخري أملي في هشام

فتى يقي اللامة عن عرضه ... وأنهب المال قضاء الزمام

مدح الفضل بن سهل: أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسين بن أبي البغل قال: دخل إبراهيم بن العباس على الفضل بن سهل فاستأذنه في الإنشاد، فقال هات، فأنشده:

يمضي الأمور على بديهته ... وتريه فكرته عواقبها

فيظل يصدرها ويوردها ... فيعم حاضرها وغائبها

وإذا ألمت صعبة عظمت ... فيها الرزية كان صاحبها

المستقل بها وقد رسبت ... ولوت على الأيام جانبها

وعدلتها بالحق فاعتدلت ... ووسعت راغبها وراهبها

وإذا الحروب غلت بعثت لها ... رأياً تفل به كتائبها

رأياً إذا نبت السيوف مضى ... عزمٌ بها فشفى مضاربها

أجرى إلى فئة بدولتها ... وأقام في أخرى نوادبها

وإذا الخطوب تأثلت ورست ... هدت فواصله نوائبها

وإذا جرت بضميره يده ... أبدت به الدنيا مناقبها

وأنشدني عميلإبراهيم بن العباس في الفضل بن سهل وفيه غناء: صوت

فلو كان للشكر شخصٌ يبين إذا ما تأمله الناظر
لمثلته لك حتى تراه فتعلم أني امرؤ شاكر

الغناء لأبي العبيس ثقيل أول. وفيه لرذاذ ثاني ثقيل. حدثني أبو يعقوب النوبختي قال حدثني جماعة من عمومتي وأهلنا أن رذاذاً صنع في هذين البيتين لحناً أعجب به الناس ةاستحسنوه، فلما كثر ذلك صنع فيه أبو العبيس لحناً آخر، فسقط لحن رذاذ واختار الناس لحن أبي العبيس.

مدح المتوكل وولاة العهود فأجازوه: أخبرني حنظلة قال حدثني ميمون بن هارون قال: لما عقد المتوكل لولاة العهود من ولده ركب بسر من رأى ركبةً لم ير أحسن منها، وركب ولاة العهود بين يديه، والأتراك بين أيديهم أولادهم يمشون بين يدي المتوكل بمناطق الذهب، في أيديهم الطبرزينات المحلاة بالذهب، ثم نزل بالماء فجلس فيه والجيش معه في الجوانحيات وسائر السفن، وجاء حتى نزل في القصر الذي يقال له العروس، وأذن للناس فدخلوا إليه فلما تكاملوا بين يديه، مثل إبراهيم بن العباس بين الصفين، فاستأذن في الإنشاد فأذن له، فقال:

ولما بدا جعفرٌ في الخمي س بين المطل وبين العروس
بدا لابساً بهما حلةً أزيلت بها طالعات النحوس
ولما بدا بين أحبابه ولاة العهود وعز النفوس
غدا قمراً بين أقماره وشمساً مككلة بالشموس
لإيقاد نارٍ وإطفائها ويومٍ أنيقٍ ويومٍ عبوس

ثم أقبل على ولاة العهود فقال:

أضحت عرى الإسلام وهي منوطةٌ بالنصر والإعزاز والتأييد
بخليفةٍ من هاشمٍ وثلاثةٍ كنف الخلافة من ولاة عهود
قمرٌ توافت حوله أقماره فحففن مطلع سعده بسعود
رفعتهم الأيام وارتفعوا به فسعوا فأكرم أنفسٍ وجدود

قال: فأمر له المتوكل بمائة ألف درهم، وأمر له ولاة العهود بمثلها.

فضل ابن برد الخيار شعره على شعر محمد بن عبد الملك الزيات: أخبرني عمي قال: اجتمعت أنا وهارون بن محمد بن عبد الملك وابن برد الخيار في مجلس عبيد الله بن سليمان قبل وزارته، فجعل هارون ينشد من أشعار أبيه محاسنها، ويفضلها ويقدمها. فقال له ابن برد الخيار: إن كان لأبيك مثل قول إبراهيم بن العباس:

أسدٌ ضارٍ إذا هيجته وأبٌ برٌ إذا ما قدرا

يعرف الأبعد إن أثرى ولا يعرف الأدنى إذا افتقرا

أو مثل قوله:

تلج السنون بيوتهم وترى لهم عن جار بيتهم ازورار مناكب

وتراهم بسيوفهم وشفارهم مستشرفين لراغبٍ أو راهب

حامين أو قارين حيث لقيتهم نهب العفاة ونهزةً للراغب

فاذكره وافخر به، وإلا فأقلل من الافخار والتطاول بما لاطائل فيه؛ فحجل هارون. وقال عبيد الله بن سليمان: لعمري ما في الكتاب أشعر من أبي إسحاق وأبي علي، " يعني عمه الحسن بن وهب " ثم أمر بعض كتابه بكتب المقطوعتين اللتين أنشدهما ابن برد الخيار.

هنأ الحسن بن سهل بصهر المأمون: أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يهنأ الحسن بن سهل بصهر المأمون:

هنتك أكرومةٌ جللت نعمتها أعلت وليك واجتثت أعاديكا

ما كان يحيا بها إلا الإمام وما كانت إذا قرنت بالحق تعدوكا

هجا محمد بن عبد الملك الزيات: أخبرني عمي قال حدثني محمد بن داود بن الجراح قال حدثني أبو محمد الحسن بن مخلد قال: أودع محمد بن عبد الملك الزيات مالاً عظيماً وجوهراً نفيساً، وقد راى تغيراً من الواثق فخافه وفرق ذلك في ثقاته من أهل الكرخ ومعامليه من التجار. وكان إبراهيم بن العباس يعاديه ويرصد له بالمكاره لإساءته إليه، فقال أبياتاً وأشاعها حتى بلغت الواثق يغريه به:

نصيحةٌ شانها وزير مستحفظٌ سارقٌ مغير

ودائعٌ جمةٌ عظام قد أسبلت دونها الستور

تسعة آلاف ألف ألفٍ خلالها جوهرٌ خطير

بجانب الكرخ عند قومٍ أنت بما عندهم خبير

والملك اليوم في أمور تحدث من بعدها أمور

قد شغلته محقراتٌ وصاحب الكارة الوزير

مدح المعتز بشعره:

أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يمدح المعتز وفيه غناء: صوت

سحور محاجر الحدقه مليحٌ والذي خلقه

سواءٌ في رعايته مجانبه ومن عشقه
لعيني في محاسنه رياض محاسنٍ أنقه
فأحياناً أنزهها وطوراً في دمٍ غرقه

يقول فيها في مدح المعتز بالله:

فيا قمراً أضاء لنا يلألئ نوره أفقه
يشبهه سنا المعتز ذو مقةٍ إذا رمقه
أميرٌ قلد الرحم ن أمر عباده عنقه
وفضله وطيبه وطهر في الورى خلقه

في الأربعة الأبيات الأول رملٌ ذكر الهشامي أنه لابن القصار، ووجدته في بعض الكتب لعريب.

هنأه أحمد بن المدبر وكان يحرض عليه فقال شعراً: أنشدني الأخفش لإبراهيم بن العباس يقولها لأحمد بن المدبر وقد جاءه بعد خلاصة من النكبة مهنئاً، وكان استعان به في أمر نكبته فقعد عنه، وبلغه أنه كان يحرض عليه ابن الزيات:

وكنت أخي بالدهر حتى إذا نبا نبوت فلما عاد عدت مع الدهر
فلا يوم إقبال عددتك طائلاً ولا يوم إدبارٍ عددتك في وتر
وما كنت إلا مثل أحلامنا نائمٍ كلا حالتيك من وفاءٍ ومن غدر

وأنشدني الصولي له في أحمد بن المدبر أيضاً وقد عاتبه أحمد بن المدبر على شيء بلغه فقال:

هب الزمان رماني الشأن في الخلان
فيمن رماني لما رأى الزمان رماني
ومن ذخرت لنفسي فصار ذخر الزمان
لو قيل لي خذ أماناً من أعظم الحدثان
لما أخذت أماناً إلا من الإخوان

ومن أخبار الجارية مجرى هذا الكتاب.

المعتضد وغلامه بدر: حدثني عمي عن جدي رحمهما الله قال قال لي عبيد الله بن سليمان، وكان يأنس بي أنساً شديداً لقديم الصحبة وائتناف المنشأ: دعاني المعتضد يوماً فقال: ألا تعاتب بدراً على ما لا يزال يستعمله من التخرق في النفقات والإثابات والزيادات والصلات ! وجعل يؤكد القول علي في ذلك؛ فلم أخرج عن حضرته

حتى دخل إليه بدر فجعل يستأمره في إطلاقات مسرفةٍ ونفقات واسعة وصلات سنية وهو يأذن له في ذلك كله. فلما خرج رأى في وجهي إنكاراً لما فعله بعدما جرى بيني وبينه؛ فقال لي: يا عبيد الله قد عرفت ما في نفسك، وأنا وإياه كما قال الشاعر:

صوت

في وجهه شافعٌ يمحو إساءته ... من القلوب مطاعٌ حيثما شفعا

مستقبلٌ الذي يهوى وإن كثرت ... منه الإساءة منفورٌ لما صنعا

وفي هذين البيتين خفيف رملٍ.

كان المعتضد يطرب لغناء ابن العلاء في شعر الوليد بن يزيد: حدثني محمد بن إبراهيم قريض قال حدثني أحمد بن العلاء قال: غنيت المعتضد:

كلللاني توجاني ... وبشعري غنياني

أطلقاني من وثاقي ... واشددااني بعناني

فاستحسنه جداً، ثم قال لي: ويحك يا أحمد ! أما ترى زهو الملك في شعره وقوله:

كللاني توجاني ... وبشعري غنياني

واستعاده مراراً، ثم وصلني كل مرة استعاده بعشرة آلاف درهم، وما وصل بها مغنياً قبلي ولا بعدي. قال: واستعاده مني ست مراتٍ ووهب لي ستين ألفاً، وقال النوشجاني: بل وصله بعشرة آلاف درهم مرةً واحدة.

صنعة أولاد الخلفاء الذكور منهم والإناث

فأولهم وأتقنهم صنعةً وأشهرهم ذكراً في الغناء إبراهيم بن المهدي؛ فإنه كان يتحقق به تحققاً شديداً ويبتذل نفسه ولا يستتر منه ولا يحاشي أحداً. وكان في أول أمره لا يفعل ذلك إلا من وراء ستر وعلى حال تصونٍ عنه وترفع، إلا أن يدعوه إليه الرشيد في خلوة والأمين بعده. فلما أمنه المأمون تهتك بالغناء وشرب النبيذ بحضرته والخروج من عنده ثملاً ومع المغنين، خوفاً منه وإظهاراً له أنه قد خلع ربقة الخلافة من عنقه وهتك ستره فيها حتى صار لا يصلح لها. وكان من اعلم الناس بالنغم والوتر والإيقاعات وأطبعهم في الغناء وأحسنهم صوتاً. وهو من المعدودين في طيب الصوت خاصةً؛ فإن المعدودين منهم في الدولة العباسية: ابن جامع وعمرو بن أبي الكنات وإبراهيم ابن المهدي ومخارق. وهؤلاء من الطبقة الأولى، وإن كان بعضهم يتقدم. وكان إبراهيم مع علمه وطبعه مقصراً عن أداء الغناء القديم وعن أن ينحوه في صنعته، فكان يحذف نغم الأغاني الكثيرة العمل حذفاً شديداً

ويخففها على قدر ما يصلح له ويفي بأدائه. فإذا عيب ذلك عليه قال: أنا ملكٌ وابن ملك، أغني كما أشتهي وعلى ما ألتذ. فهو أول من أفسد الغناء القديم، وجعل للناس طريقاً إلى الجسارة على تغييره. فالناس إلى الآن صنفان: من كان منهم على مذهب إسحاق وأصحابه ممن ينكر تغيير الغناء القديم ويعظم الإقدام عليه ويعيب من فعله، فهو يغني الغناء القديم على جهته أو قريباً منها. ومن أخذ بمذهب إبراهيم بن المهدي أو اقتدى به مثل مخارق وشارية وريق ومن أخذ عن هؤلاء إنما يغني الغناء القديم كما يشتهي هؤلاء لا كما غناه من ينسب إليه، ويجد على ذلك مساعدين ممن يشتهي أن يقرب عليه مأخذ الغناء ويكره ما ثقل وثقلت أدواره، ويستطيل الزمان في أخذ الغناء الجيد على جهته بقصر معرفته. وهذا إذا اطرد فإنما الصنعة لمن غنى في هذا الوقت لا للمتقدمين؛ لأنهم إذا غيروا ما أخذوه كما يرون وقد غيره من أخذوه عنه وأخذ ذلك أيضاً عمن غيره، حتى يمضي على هذا خمس طبقات أو نحوها. لم يتأد إلى الناس في عصرنا هذا من جهة الطبقة غناء قديم على الحقيقة البتة. وممن أفسد هذا الجنس خاصةً بنو حمدون بن إسماعيل فإن أصلهم فيه مخارق، وما نفع الله أحداً قط بما أخذ عنه، وزرياب الواثقية فإنها كانت بهذه الصورة تغير الغناء كما تريد، وجواري شارية وريق. فهذه الطبقة على ما ذكرت. ومن عداهم من الدور بمثل دور غريب ودور جواريها والقاسم بن زرزور وولده ودور بذل الكبرى ومن أخذ عنها، وجواري البرامكة وآل هاشم وآل يحيى بن معاذ ودور آل الربيع ومن جرى مجراهم ممن تمسك بالغناء القديم وحمله كما سمعه، فعسى أن يكون قد بقي ممن أخذ بذلك المذهب قليلٌ من كثير، وعلى أن الجميع من الصحيح والمغير قد انقضى في عصرنا هذا.

فمن مشهور غناء إبراهيم بن المهدي

صوت

هل تطمسون من السماء نجومها ... بأكفكم أو تسترون هلالها

أو تدفعون مقالةً من ربكم ... جبريل بلغها النبي فقالها

طرقتك زائرةً فحي خيالها ... زهراء تخلط بالدلال جمالها

الشعر لمروان بن أبي حفصة. والغناء لإبراهيم بن المهدي، ثقيلٌ أول بالبنصر، وذكر حبش أن فيه لابن جامعٍ لحناً ماخورياً.

أخباؤر مروان بن أبي حفصة ونسبه

نسبه وشيء من أخبار آبائه:

هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة. ويكنى أبا الصمت. واسم أبي حفصة يزيد. وذكر النوفلي عن أبيه أنه كان يهودياً، فأسلم على يدي مروان بن الحكم. وأهله ينكرون ذلك ويذكرون أنه من سبي إصطخر ، وإن

عثمان اشتراه فوهبه لمروان بن الحكم. وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا محمد بن إدريس بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة بمثل ذلك. قال: وشهد أبو حفصة الدار مع مولاه مروان بن الحكم، وقاتل قتالاً شديداً وقتل رجلاً من أسلم يقال له بنان. وجرح مروان يومئذٍ، أصابته ضربة قطعت علباءه فسقط، فوثب عليه أبو حفصة واحتمله، فجعل يحمله مرة على عنقه ومرة يجره، فيتأوه؛ فيقول له: اسكت واصبر؛ فإنه إن علموا أنك حي قتلت. فلم يزل به حتى أدخله دار امرأة من عترة فداواه فيها حتى برىء؛ فأعتقه مروان ونزل له عن أم ولدٍ له يقال لها سكر كانت له منها بنت يقال لها حفصة؛ فحضنها، فكني أبا حفصة؛ فحفصة بنت مروان. قال: وكان مروان إذا ولي المدينة وجه أبا حفصة إلى اليمامة - وكانت مضافةً إلى المدينة - ليجمع ما فيها من المال ويحمله إليه. قال: فمر أبو حفص بقرية من قرى اليمامة يقال لها العرض، فوقف على باب فاستسقى ماء فخرجت إليه جارية معصرٌ فسقته فأعجبته؛ فسأل عنها ليشتريها؛ فقيل له: هي حرة، وهي مولاةٌ لبني عامر بن حنيفة. فمضى حتى قدم حجرً ، ثم تبعتها نفسه فتزوجها، فلم يخرج من اليمامة حتى حملت بيحيى بن أبي حفصة، ثم حملت بمحمد ثم بعبد الله ثم بعبد العزيز. فلما وقعت فتنة ابن الزبير خرج أبو حفصة مع مروان إلى الشام.

قال محمد بن إدريس وحدثني أبي قال كان مروان بن أبي الجنوب يقول: أم يحيى بن أبي حفصة لحناء بنت ميمون من ولد النابغة الجعدي، وإن الشعر أتى آل أبي حفصة بذلك السبب. قال: وشهد أبو حفصة مع مروان يوم الجمل وقاتل قتالاً شديداً فلما ظفر علي بن ابي طالب رضي الله عنه، لجأ مروان إلى مالك بن مسمع فدخل داره ومعه أبو حفصة، فقال لمالك: أغلق بابك. فقال له مالك: إن لم أمنعك والباب مفتوحٌ لم أمنعك والباب مغلقٌ. فطلب علي رضي الله عنه مروان منه، فلم يدفعه إليه إلا برهينة، فدفع مالك الرهينة إلى أبي حفصة، ومضى مروان إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال لأبي حفصة: إن حدث حدثٌ بصاحبك فعليك بالرهينة. فلما أتى مروان علياً كساه كسوةً، فكساها مروان أبا حفصة، فغدا فيها أبو حفصة. وبلغ علياً رضي الله عنه ذلك فغضب وقال: كسوته كسوةً فكساها عبداً !. وشهد أبو حفصة مع مروان مرج راهط، وكان له بلاء. وكان أبو حفصة شاعراً.

قال أبو أحمد قال لي محمد بن إدريس أخبرني أبي أن أبا الصمت مروان بن أبي الجنوب أنشده لأبي حفصة يوم الدار:

وما قلت يوم الدار للقوم صالحوا ... أجل لا، ولا أخترت الحياة على القتل

ولكنني قد قلت للقوم جالدوا ... بأسيافكم لا يخلصن إلى الكهل

قال: وأنشدني لأبي حفصة أيضاً:

لست على الزحام بالأصر ... إني لورادٌ حياض الشر

معاودٌ للكر بعد الكر

قال يحيى وأخبرني محمد بن إدريس قال:

عكلٌ تدعي أن أبا حفصة منهم، يقولون: هو من كنانة بن عوف بن عبد مناة بن طابخة بن إلياس بن مضر، وقد كانوا استعدوا عليه مرروان بن الحكم، وقالوا: إنما باعته عمته لمجاعة؛ فأبى هو أن يقر لهم بذلك. ثم استعدوا عليه عبد الملك بن مروان أيضاً؛ فأبى إلا أنه رجل من العجم من سبي فارس، نشأ في عكل وهو صغير. قال محمد بن إدريس: وولد السموءل بن عادياء يدعونه والسموءل من غسان. قال محمد: وزعم أهل اليمامة وعكلٌ وغيرهم أن ثلاثة نفر أتوا مروان بن الحكم وهم أبو حفصة ورجل من تميم ورجلٌ من سليم، فباعوا أنفسهم منه في مجاعة نالتهم؛ فاستعدى أهل بيوتاتهم عليهم، فأقر أحدهم وهو السليمي أنه إنما أتى مروان فباعه نفسه وأنه من العرب؛ فدس إليه مروان من قتله. فلما رأى ذلك الآخران ثبتا على أنهما موليان لمروان. فأخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: زعم المدائني أنه كان لأبي حفصة ابن يقال له مروان سماه مروان بن الحكم باسمه، وليس بالشاعر، وإنه كان شجاعاً مجرباً، وأمد به عبد الملك بن مروان الحجاج وقال له: قد بعثنا إليك مولاي ابن أبي حفصة وهو يعدل ألف رجل. فشهد معه ومحاربة ابن الأشعث، فأبلى بلاءً حسناً وعقرت تحته عدة خيول، فأحتسب بها الحجاج عليه من عطائه. فشكاه إلى عبد الملك وذم الحجاج عنده؛ فعوضه مكان ما أغرمه الحجاج. وكان يحيى جد مروان بن سليمان جواداً ممدحاً.

جرير يودع ابنه يحيى بن أبي حفصة: أخبرنا محمد العباس اليزيدي قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: أراد جرير أن يوجه ابنه بلال بن جريرٍ إلى الشام في بعض أمره ،فأتى يحيى بن أبي حفصة فأودعه إياه، ثم بلغ بلالاً أن بعض بني أمية يريد الخروج، فقال لأبيه: لو كلفت هذا القرشي أمري ! فقال له جرير:

أزاداً سوى يحيى تريد وصاحباً ... ألا إن يحيى نعم زاد المسافر

وما تأمن الوجناء وقعة سيفه ... إذا انفضوا أو قل ما في الغرائر

يحيى بن أبي حفصة يتزوج بنت زياد بن هوذة: أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال: تزوج يحيى بن أبي حفصة بنت زياد بن هوذة بن شماس بن لأي بن أنف الناقة؛ فاستعدى عليه عماها عبد الملك بن مروان وقالا: أينكح إبراهيم بن عدي وهو من كنانة منك وإليك بنتها، وينكح هذا العبد هذه !. فقال عبد الملك: بل العبد ابن العبد والله إبراهيم بن عدي - وكان مغمور النسب في الإسلام - والله لهذا أشرف منه، وإن لأبيه من البلاء في الإسلام ما ليس لأبيها ولا لأبيكما، وما أحب أن لي بيحيى ألفاً منكما. والله لو تزوج بنت قيس بن عاصم ما نزعتها منه. ومن زوجه فقد زوج ابني هذا، وأشار إلى ابنه سليمان. فخرجا وتخلف يحيى بعدهما، فقال: يا أمير المؤمنين، إنهما قد أنضيا ركابهما وأخلقا ثيابهما والتزما مؤونة في سفرهما، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعوضهما عوضاً ! فقال: أبعد ما قالا فيك !! قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: بل أعطيك أنت ما سألت لهما وتعطيهما ما شئت. فكساه ووصله وحمله. فخرج يحيى إليهما ففرق ذلك عليهما، وزوج ابنه

سليمان بنت أحدهما، وولدت بنت زياد منه أولاداً.

يهنئ الوليد بن عبد الملك ويعزيه: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا الفضل اليزيدي قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال: ودخل يحيى بن أبي حفصة على الوليد بن عبد الملك لما بويع له بالخلافة بعد أبيه، فهنأه وعزاه وأنشده:

إن المنايا لا تغادر واحداً ... يمشي ببزته ولا ذا جنة

لو كان خلق للمنايا مفلتاً ... كان الخليفة مفلتاً منهنه

بكت المنابر يوم مات وإنما ... بكت المنابر فقد فارسهنه

لما علاهن الوليد خليفةً ... قلن ابنه ونظيره فسكنه

لو غيره قرع المنابر بعده ... لنكرنه فطرحنه عنهنه

زوج بنيه من بنات مقاتل المنقري فهجاه القلاح فرد عليه: أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا العتزي قال: خطب يحيى بن أبي حفصة إلى مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقري ابنته وأختيه، فأنعم له بذلك. فبعث يحيى إلى بنيه سليمان وعمر وجميل، فأتوه بالجفر فزوجهن بنيه ثلاثتهم، ودخلوا بهن ثم حملوهن إلى حجر. فقال القلاح بن حزن المنقري في ذلك:

سلامٌ على أوصال قيس بن علصمٍ ... وإن كن رمساً في التراب بواليا

أضيعتموا خيلاً عراباً فأصبحت ... كواسد لا ينكحن إلا المواليا

فلم أرى أبراداً أجر لخزيةٍ ... وألأم مكسواً وألأم كاسيا

من الخز واللائي بحجرٍ عليكم ... نشرنا فكن المخزيات البواقيا

فقال يحيى يرد عليه:

ألا قبح الله الفلاح و نسوةٍ ... على البئر يعطشن الكلاب من النتن

نكحنا بنات القرم قيس بن عاصم ... وعمداً رغبنا عن بنات بني حزن

أباً كان خيراً من أبيك أرومةً ... وأوسط في سعدٍ وأرجح في الوزن

لبيت بني حزن من الذل وهنةٌ ... كوهنة بيت العنكبوت التي تبني

ولم تر حزنياً، ولو ضم أربعاً ... وأبرز ، في فرج يعف ولا بطن

وضيف بني حزنٍ يجوع وجارهم ... إذا أمن الجيران ناءٍ من الأمن

يذكر خروج ابن المهلب: أخبرنا يحيى بن علي قال أنشدني محمد بن إدريس ليحيى يذكر خروج يزيد بن المهلب ويتأسف على الحجاج:

لا يصلح الناس إلا السيف إذا فتنوا لهفي عليك و لا حجاج للدين

لو كان حياً غداة الأزد إذ نكثوا لم يحص قتالهم حسابٌ ديرين

لم تأتيه الأزد عند الباب تربصه مثل الجراد تنزى في التبابين

من كل أفحج ذي حنفٍ مخالفةٍ أرفت به السفن علجاً غير مجنون

قال أبو أحمد: وأنشدني لليحيى في سفيان بن عمرو وإلى اليمامة:

لقد عصاني ابن عمرو إذ نصحت له ولو أطعت لما زلت به القدم

لو كنت أنفخ في فحمٍ لقد وقدت ناري ولكن رمادٍ ما له حمم

بخل مروان بن أبي حفصة ونوادر له في ذلك: وليحيى أشعار كثيرةٌ؛ وإنما ذكرنا ها هنا منها ماذكرنا لنعرف أعراق مروان في الشعر. وكان مروان أبخل الناس على يساره وكثرة ما أصابه من الخلفاء، لا سيما من بني العباس، فإنه كان رسمهم أن يعطوه بكل بيت يمدحهم به ألف درهم.

أخبرنا أحمد بن عمار وقال حدثنا علي بن محمد النوفلي قال سمعت أبي يقول: كان المهدي يعطي مروان وسلماً الخاسر عطية واحدة، وكان سلمٌ يأتي باب المهدي على البرذون قيمته عشرة آلاف درهم، والسرج واللجام المقذوذين ؛ ولباسه الخز والوشي وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان، ورائحة المسك والغالية والطيب تفوح منه، ويجيء مروان وعليه فرو كبشٍ، وقميص كرابيس وعمامة كرابيس، وخفاً كبلٍ وكساءٌ غليظٌ منتن الرائحة، وكان لا يأكل اللحم بخلاً حتى يقرم إليه، فإذا قرم أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله. فقيل له: نراك لا تأكل إلا الرؤوس في الصيف والشتاء، فلم تختار ذلك؟ قال: نعم ! الرأس أعرف سعره، ولا يستطيع الغلام أن يغبنني فيه، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه، إن مس عيناً أو أذناً أو خداً وقفت عليه، فآكل منه ألواناً، آكل عينيه لوناً، وأذنيه لوناً، وغلصمته لوناً، وأكفى مؤنة طبخه، فقد اجتمعت لي فيه مرافق.

أخبرنا يحيى بن علي قال أخبرنا أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر عن أبي العلاء المنقري قال حدثني موسى بن يحيى قال: أوصلنا إلى مروان بن أبي حفصة في وقت من الأوقات سبعين ألف درهم، وجمع إليها مالاً حتى تمت مائة وخمسين ألف درهم، وأودها يزيد بن مزيد.

قال: فبين نحن عند يحيى بن خالد إذ دخل يزيد بن مزيد، وكانت فيه دعابة، فقال: يا أبا علي أودعني مروان خمسين ومائة ألف درهم وهو يشتري الخبز من البقال. قال فغضب يحيى ثم قال: علي بمروان، فأتي به. فقال له: أخبرني أبو خالد لما أودعته من المال وما تبتاعه من البقال، والله لما يرى من أثر البخل عليك أضر من الفقر لو كان بك.

أخبرنا يحيى قال وحدثني عمر بن شبة عن أبي العلاء المنقري عن موسى بهذا الخبر، إلا أنه قال: فقال له يحيى: يا

مروان، والله لا بالبخل أسوأ عليك أثراً من الفقر لو صرت إلي، فلا تبخل.

أخبرنا يحيى قال حدثني عمر بن شبة قال: بلغني أن مروان بن أبي حفصة قال ما فرحت بشيء قط فرحي بمائة ألف وهبها لي أمير المؤمنين المهدي، فوزنتها فزاد درهماً فاشتريت به لحماً.

أخبونا يحيى قال حكى أبو غسان عن أبي عبيدة عن جهم بن خلف قال: أتينا اليمامة فنزلنا على مروان بن أبي حفصة، فأطعمنا تمراً، وأرسل غلامه بفلس وسكرجة ليشتري له زيتاً. فلما جاء بالزيت قال لغلامه: خنتني ! قال: من فلس كيف أخونك ! قال: أخذت الفلس لنفسك واستوهبت الزيت.

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أصحاب التوزي عنه قال: مر مروان بن أبي حفصة في بعض سفراته وهو يريد منى بأمرأة من العرب فأضافته، فقال: لله علي إن وهب لي الأمير مائة ألف أن أهب لكي درهماً، فأعطاه ستين ألف درهم، فأعطاها أربعة دوانق.

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دعامة قال: اشترى مروان لحماً بنصف درهم، فلما وضعه في القدر وكاد أن ينضج، دعاه صديق له، فرده على القصاب بنقصان دانق. فشكاه القصاب وجعل ينادي: هذا لحم مروان، وظن أنه يأنف لذلك. فبلغ الرشيد ذلك فقال: ويلك ! ما هذا ! قال: أكره الإسراف.

قصة له مع أبي الشمقمق: أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دعامة قال: أنشدت لرجل من بني بكر بن وائل في مروان:

وليس لمروانٍ على العرس غيرةٌ ولكن مروانا يغار على القدر

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبو هفان قال حدثني يحيى بن الجون العبدي قال: فرق المهدي على الشعراء جوائز، فأعطى مروان ثلاثين ألفاً. فجاءه أبو الشمقمق فقال له: أجزني من الجائزة. فقال له: أنا وأنت نأخذ ولا نعطي. قال: فاسمع مني بيتين. قال: هات. فقال أبو الشمقمق:

لحية مروان تقي عنبراً خالط مسكاً خالصاً أذفرا

فما يقيمان بها ساعةً إلا يعودان جميعاً خرا

فأمر له بدرهمين. وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر جحظة عن أبي هفان فذكر مثل الخبر الماضي وزاد فيه. فأعطاه عشرة دراهم، فقال له خذ هذه ولا تكن رواية الصبيان.

مدح الهادي فداعيه في المعجل والمؤجل ووصله: أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب عن جدي عبد الله بن مصعب قال: دخل مروان بن أبي حفصة على موسى الهادي، فأنشده قوله فيه:

تشابه يوماً بأسه ونواله فما أحدٌ يدري لأيهما الفضل

فقال له الهادي: أيما أحب إليك: أثلاثون ألفاً معجلةً أم مائة ألف تدون في الدواوين؟ فقال له: يا أمير المؤمنين أنت تحسن ما هو خير من هذا ولكنك نسيته، أفتأذن لي أن أذكرك؟ قال نعم. قال: تعجل لي الثلاثين ألفاً وتدون المائة الألف في الدواوين. فضحك وقال: بل يعجلان جميعاً؛ فحمل المال إليه أجمع.

مدح المهدي فلحنه اليزيدي فاعترض على سوء أدبه: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني سليمان بن جعفر قال حدثني أحمد بن عبد الأعلى قال: اجتمع مروان بن أبي حفصة وأبو محمد اليزيدي عند المهدي؛ فابتدأ مروان ينشد:

طرقتك زائرةً فحي خيالها

فقال اليزيدي: لحن والله وأنا أبو محمد. فقال له مروان: يا ضعيف الرأي أهذا لي يقال ! ثم قال:

بيضاء تخلط بالجمال دلالها

فقال له بعض من حضر: يا أمير المؤمنين أيتكئ في مجلسك ! " يعني اليزيدي " فقال: اعذروا شيخنا، فإن له حرمة.

سأله الرشيد عن الوليد بن يزيد فأجابه:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال أخبرني مروان بن أبي حفصة قال قال لي الرشيد: هل دخلت على الوليد بن يزيد؟ فقلت: نعم دخلت مع عمومتي إليه. قال: فأخبرني عنه. قال فذهبت أتزحزح. فقال لي: إن أمير المؤمنين لا يكره ما تقول، فقل ما شئت. فقلت: يا أمير المؤمنين، كان من أجمل الناس وأشدهم وأشعرهم وأجودهم. دخلت عليه مع عمومتي ولي لمةٌ فينانة، فجعل يغمز القضيب فيها ويقول: ولدتك سكر؟ - وهي أم ولدٍ لمروان بن الحكم فوهبها لجدي أبي حفصة فولدت منه - فقلت له: نعم. قال لي الرشيد: فهل تحفظ من شعره شيئاً؟ قلت: نعم، سمعته ينشد في خلافته وذكر هشاماً وتحامله عليه وما كان يريد من نقض أمره وولايته:

ليت هشاماً عاش حتى يرى ... مكتله الأوفر قد أترعا

كلنا له الصاع التي كالها ... وما ظلمناه بها أصوعا

وما أتينا ذاك عن بدعةٍ ... أحله الفرقان لي أجمعا

فقال الرشيد: يا غلام، الدواة والقرطاس، فؤتي بهما، فأمر الأبيات فكتبت.

فضل خلف الأحمر شعراً له على شعر للأعشى: أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني خلادٌ الأرقط قال: جاءنا مروان بن أبي حفصة إلى حلقة يونس، فأخذ بيد خلف الأحمر فأقامه، وأخذ خلفٌ بيدي فقمنا إلى دار أبي عمير فجلسنا في الدهليز. فقال مروان لخلفٍ: نشدتك الله يا أبا محرز إلا نصحتني في شعري فإن الناس يخدعون في أشعارهم، وأنشده قوله:

طرقتك زائرةً فحي خيالها بيضاء تخلط بالجمال دلالها

فقال له: أنت أشعر من الأعشى في قوله:

رحلت سمية غدوةً أجمالها

فقال له مروان: أتبلغ بي الأعشى هكذا ! ولا كل ذا ! قال: ويحك ! إن الأعشى قال في قصيدته هذه:

فأصاب حبة قلبها وطحالها

والطحال ما دخل قط في شيء إلا أفسده، وأنت قصيدتك سليمة كلها. فقال له مروان: إني إذا أردت أن أقول القصيدة رفعتها في حول أقولها في أربعة أشهر، وأنتخلها في أربعة أشهر، وأعرضها في أربعة أشهر.

عرض شعراً له على يونس فمدحه وفضله على شعر للأعشى: وأخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سلام قال أبو دلف هاشم بن محمد وحدثني به الرياشي عن الأصمعي قال: جاء مروان بن أبي حفصة إلى حلقة يونس، فسلم ثم قال لنا: أيكم يونس؟ فأومأنا إليه. فقال له: أصلحك الله ! إني أرى قوماً يقولون الشعر، لأن يكشف أحدهم سوءته ثم يمشي كذلك في الطريق أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر. وقد قلت شعراً أعرضه عليك، فإن كان جيداً أظهرته، وإن كان رديئاً سترته. فأنشده قوله:

طرقتك زائرةً فحي خيالها

فقال له يونس: يا هذا اذهب فأظهر هذا الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى في قوله:

رحلت سمية غدوةً أجمالها

فقال له مروان: سررتني وسؤتني. فأما الذي سررتني به فارتضاؤك الشعر. وأما الذي ساءني فتقديمك إياي على الأعشى وأنت تعرف محله. فقال: إنما قدمتك عليه في تلك القصيدة لا في شعره كله لأنه قال فيها:

فأصاب حبة قلبها وطحالها

والطحال لا يدخل في شيء إلا أفسده، وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه.

قال الأصمعي إنه مولد ولا علم له باللغة: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني العباس بن ميمون طالع قال: سمعت الأصمعي ذكر مروان بن أبي حفصة فقال: كان مولداً، لم يكن له علم باللغة.

أنشد شعر جماعة من الشعراء فقال عن كل واحد منهم إنه أشعر الناس: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني أحمد بن عبيد الله عن العتبي قال حدثني بعض أصحابنا قال: أنشدنا مروان بن أبي حفصة يوماً شعر زهير ثم قال: زهير والله أشعر الناس، ثم أنشد للأعشى فقال: الأعشى أشعر الناس، ثم أنشد شعراً لامرئ القيس فقال: امرؤ القيس أشعر الناس، ثم قال: والناس والله أشعر الناس. أي إن أشعر الناس من أنشدت له فوجدته قد أجاد، حتى ينتقل إلى شعر غيره.

اشترى من أعرابي شعراً مدح به مروان بن محمد فمدح هو به معن بن زائدة فأكرمه: أخبرني أحمد بن عبيد الله

بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبي قال:
إجتاز مروان بن أبي حفصة برجل من باهلة من أهل اليمامة وهو ينشد قوماً كان جالساً إليهم شعراً مدح به مروان بن محمد، وإن قتل قبل أن يلقاه وينشده إياه، أوله:

مروان يابن محمدٍ أنت الذي زيدت به شرفاً بنو مروان

فأعجبته القصيدة، فأمهل الباهلي حتى أقام من مجلسه، ثم أتاه في مترله فقال له: إني سمعت قصيدتك وأعجبتني، ومروان قد مضى ومضى أهله وفاتك ما قد رمته عنده؛ أتبيعني القصيدة حتى أنتحلها، فإنه خير لك من أن تبقى عليك وأنت فقير؟ قال نعم. قال: بكم؟ قال: بثلثمائة درهم. قال: ابتعتها؛ فأعطاه الدراهم وحلفه بالطلاق ثلاثاً وبالأيمان المحرجة ألا ينتحلها أبداً ولا ينسبها إلى نفسه ولا ينشدها، وانصرف بها إلى مترله، فغير منها أبياتاً وزاد فيها، وجعلها في معن، وقال في ذلك البيت:

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً إلى شرف بنو شيبان

ووفد بها إلى معن بن زائدة فملأ يديه، وأقام عنده مدةً حتى أثرى واتسعت حاله. فكان معنٌ أول من رفع ذكره ونوه به. قال: وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة ومراثٍ حسنةٌ.
نقل قصة فرار معن أن عبداً أسود طلقه تكرماً بعد ما عرفه: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن نعيم البلخي أبو يونس قال حدثني مروان بن أبي حفصة وكان لي صديقاً قال:
كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلباً شديداً، وجعل فيه مالاً؛ فحدثني معن بن زائدة باليمن أنه اضطر لشدة الطلب إلى أن أقام في الشمس حتى لوحت وجهه، وخفف عارضيه ولحيته، ولبس جبة صوف غليظة، وركب جملاً من الجمال النقالة ليمضي إلى البادية فيقيم بها، وكان قد أبلى في حرب يزيد بن عمر بن هبيرة بلاء حسناً غاظ المنصور وجد في طلبه. قال معنٌ: فلما خرجت من باب حرب تبعني أسود متقلداً سيفاً، حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خطام جملي فأناخه وقبض عليه؛ فقلت له: ما لك؟ قال: أنت طلبة أمير المؤمنين. قلت: ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين ! قال: معن بن زائدة. فقلت: يا هذا اتق الله ! وأين أنا من معن ! قال: دع هذا عنك فأنا والله أعرف به منك. فقلت له: فإن كانت القصة كما تقول فهذا جوهرٌ حملته معي يفي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بي، فخذه ولا تسفك دمي. قال: هاته فأخرجته إليه؛ فنظر إليه ساعة وقال: صدقت في قيمته، ولست قابله حتى أسألك عن شيء، فإن صدقتني أطلقتك. فقلت: قل. قال: إن الناس قد وصفوك بالجود، فأخبرني هل وهبت قط مالك كله؟ قلت لا. قال: فنصفه؟ قلت لا. قال: فثلثه؟ قلت لا. حتى بلغ العشر فاستحييت فقلت: أظن أني قد فعلت هذا. فقال: ما أراك فعلته ! أنا والله راجل، ورزقي من أبي جعفر عشرون درهماً، وهذا الجوهر قيمته آلاف الدنانير، وقد وهبته لك، ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور عنك بين الناس، ولتعلم أن في الدنيا أجود منك، فلا تعجبك نفسك ولتحقر بعد هذا كل شيء تفعله، ولا تتوقف عن مكرمة. ثم رمى بالعقد في حجري وخلى خطام البعير وانصرف. فقلت: يا هذا قد والله فضحتني، ولسفك دمي أهون علي

مما فعلت، فخذ ما دفعته إليك فإني غنيٌ عنه. فضحك ثم قال: أردت أن تكذبني في مفامي هذا، والله لا آخذه ولا آخذ بمعروف ثمناً أبداً، ومضى. فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن جاءني به ما شاء فما عرفت له خبراً وكأن الأرض ابتلعته.

سبب رضا المنصور عن معن بن زائدة:

قال: وكان سبب رضا المنصور عن معن أنه لم يزل مستتراً حتى كان يوم الهاشيمية ، فلما وثب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه، وثب معن وهو متلثم فانتضى سيفه وقاتل فأبلى بلاء حسناً، وذب القوم عنه حتى نجا وهم يحاربونه بعد، ثم جاء والمنصور راكب على بغلةٍ ولجامها بيد الربيع؛ فقال لهم: تنح فإني أحق باللجام منك في هذا الوقت وأعظم فيه غناء. فقال له المنصور: صدق فادفعه إليه؛ فأخذه و لم يزل يقاتل حتى انكشفت تلك الحال. فقال له المنصور: من أنت لله أبوك؟ قال: أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة. قال: قد أمنك الله على نفسك ومالك، ومثلك يصطنع. ثم أخذه معه وخلع عليه وحباه وزينه. ثم دعا به يوماً وقال له: إني قد أملتك لأمر، فكيف تكون فيه؟ قال: كما يحب أمير المؤمنين - قال: قد وليتك اليمن، فابسط السيف فيهم حتى ينقض حلف ربيعة واليمن - قال: أبلغ من ذلك ما يحب أمير المؤمنين. فولاه اليمن وتوجه إليها فابسط السيف فيهم حتى أسرف.

عاتب المنصور معنا على إكرامه له فأجابه إنما أكرمه لمدحه هو: قال مروان: وقدم معن بعقب ذلك فدخل على المنصور فقال له بعد كلام طويل: قد بلغ أمير المؤمنين عنك شيءٌ لولا مكانك عنده ورأيه فيك لغضب عليك. قلت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما تعرضت لك منك، قال: إعطاؤك مروان بن أبي حفصة ألف دينار لقوله فيك:

معن بن زائدة الذي زيدت به ... شرفاً إلى شرف بنو شيبان

إن عد أيام الفعال فإنما ... يوماه يوم ندًى ويوم طعان

فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أعطيته ما بلغته لهذا الشعر، وإنما أعطيته لقوله:

ما زلت يوم الهاشمية معلماً ... بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقاءه ... من وقع كل مهند وسنان

فاستحيا المنصور وقال: إنما أعطيته ما أعطيته لهذا القول؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين ! والله لو لا مخافة النقمة عندك لأمكنته من مفاتيح بيوت المال وأبحته إياها، فقال له المنصور: لله درك من أعرابي ! ما أهون عليك ما يعز على الرجال وأهل الحزم ! مدح المهدي فرده لمدحه معنا ثم مدحه العام المقبل فأحازه مائة ألف درهم: أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله بن محمد بن موسى قال أخبرني محمد بن موسى بن حمزة قال أخبرني الفضل بن الربيع قال: رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل على المهدي بعد وفاة

معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلمٌ الخاسر وغيره، فأنشده مديحاً فيه، فقال له: ومن أنت؟ قال: شاعرك يا أمير المؤمنين وعبدك مروان بن أبي حفصة. فقال له المهدي: ألست القائل:

أقمنا باليمامة بعد معن ... مقاماً لا نريد به زوالا

وقلنا أين نرحل بعد معنٍ ... وقد ذهب النوال فلا نوالا

قد ذهب النوال فيما زعمت، فلم جئت تطلب نوالنا؟ لا شيء لك عندنا، جروا برجله؛ فجروا برجله حتى أخرج. قال: فلما كان من العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء - وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام مرة - فمثل بين يديه وأنشده بعد رابع أو بعد خامس من الشعراء:

طرقتك زائرةً فحي خيالها ... بيضاء تخلط بالجمال دلالها

قادت فؤادك فاستقاد ومثلها ... قاد القلوب إلى الصبا فأمالها

قال: فأنصت الناس لها حتى بلغ إلى قوله:

هل تطمسون من السماء نجومها ... بأكفكم أو تسترون هلالها

أو تجحدون مقالةً عن ربكم ... جبريل بلغها النبي فقالها

شهدت من الأنفال آخر آية ... بتراثهم فأردتم إبطالها

قال: فرأيت المهدي قد زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع، ثم قال: كم هي؟ قال:مائة بيت. فأمر له بمائة ألف درهم. فكانت أول مائة ألف أعطيها شاعرٌ في أيام بني العباس.

مدح الرشيد فرده لمدحه معنا ثم مدحه بعد أيام فأجازه لكل بيت ألفاً:

قال: ومضت الأيام وولي هارون الرشيد الخلافة، فدخل إليه مروان؛ فرأيته واقفاً مع الشعراء ثم أنشده قصيدةً امتدحه بها. فقال له: من أنت؟ قال: شاعرك وعبدك يا أمير المؤمنين مروان بن أبي حفصة. قال له: ألست القائل في معن بن زائدة ! وأنشده البيتين اللذين أنشده إياهما المهدي، ثم قال: خذوا بيده فأخرجوه، لا شيء لك عندنا، فأخرج. فلما كان بعد ذلك بأيام تلطف حتى دخل؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

لعمرك ما أنسى غداة المحصب ... إشارة سلمى بالبنان المخضب

وقد صدر الحجاج إلى أقلهم ... مصادر شتى موكباً بعد موكب

قال: فأعجبته، فقال: كم قصيدتك من بيت؟ فقال: ستون أو سبعون. فأمر له بعدد أبياتها ألوفاً. فكان ذلك رسم مروان عندهم حتى مات.

مدح المهدي في الرصافة فأجازه: أخبرني عمي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي عن إسحاق قال: دخل مروان بن أبي حفصة على المهدي في أول سنة قدم عليه. قال: فدخلت عليه في قصره بالرصافة فأنشدته قولي:

أمروا وأحلى ما بلا الناس طعمه عذاب أمير المؤمنين ونائله

فإن طليق الله من أنت مطلقٌ وإن قتيل الله من أنت قاتله

كأن أمير المؤمنين محمداً أبو جعفر في كل أمر يحاوله

قال: فأعجب بها، وأمر لي بمال عظيم؛ فكانت تلك الصلة أول صلة سنية وصلت إلي في أيام بني هاشم.

مدح المهدي وذم عنده يعقوب بن داود فأجازه من خالص ماله: أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عبد الله العبدي الراوية قال حدثني حسين بن الضحاك قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال: دخلت على المهدي في قصر السلام، فلما سلمت عليه، وذلك بعقب سخطه على يعقوب بن داود؛ قلت : يا أمير المؤمنين إن يعقوب رجل رافضي وإنه سمعني أقول في الوراثة:

أنى يكون وليس ذاك بكائنٍ لبني البنات وراثة الأعمام

فذلك الذي حمله على عداوتي. ثم أنشدته:

كأن أمير المؤمنين محمداً لرأفته بالناس للناس والد

على أنه من خالف الحق منهم سقته يد الموت الحتوف الرواصد

ثم أنشدته:

أحيا أمير المؤمنين محمدٌ سنن النبي حرامها وحلالها

قال فقال لي المهدي: والله ما أعطيك إلا من صلب مالي فاعذرني، وأمر لي بثلاثين ألف درهم، وكساني جبةً ومطرفاً، وفرض لي على أهل بيته ومواليه ثلاثين ألفاً أخرى.

مدح معنا فأعطاه عطايا سنية لم يستكثرها عليه ابن الأعرابي: أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا ابن الأعرابي أن مروان بن أبي حفصة أخبره أنه وفد على معن بن زائدة فأنشده قوله:

بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم أسودٌ لها في بطن خفان أشبل

هم يمنعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السماكين منزل

لهاميم ، في الإسلام سادوا ولم يكن كأولهم في الجاهلية أول

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

ولا يستطيع الفاعلون فعالهم وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا

قال: فأمر لي بصلة سنية وخلع علي وحملني وزودني. قال ثم قال لنا ابن الأعرابي: لو أعطاه كل ما يملك لما وفاه حقه. قال: وكان ابن الأعرابي يختم به الشعراء، وما دون لأحدٍ بعده شعراً.

سئل عن جرير والفرزدق أيهما أشعر فأجاب بشعر: أخبرني حبيب بن نصر قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني أحمد بن موسى بن حمزة قال: رأيت مروان بن أبي حفصة في أيام محمد بن زبيدة في دار الخلافة وهو شيخ كبير، فسألته عن جرير والفرزدق أيهما أشعر، فقال لي: قد سئلت عنهما في أيام المهدي وعن الأخطل قبل ذلك، فقلت فيهم قولاً عقدته في شعر ليثبت. فسألته عنه فأنشدني:

ذهب الفرزدق بالهجاء وإنما ... حلوا القريض ومره الجرير

ولقد هجا فأمض أخطل تغلبٍ ... وحوى النها ببيانه المشهور

كل الثلاثة قد أجاد فمدحه ... وهجاؤه قد سار كل مسير

ولقد جريت ففت غير مهللٍ ... بجراء لا قرفٍ ولا مبهور

إني لآنف أن أحبر مدحةً ... أبداً لغير خليفة ووزير

ما ضرني حسد اللئام ولم يزل ... ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

قال: فلم ير أن يقدم على نفسه غيرها. وكتبت الأبيات عن فيه.

مدح معناً فسأله عن أمله فأعطاه إياه واستقله له: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني أبو حاتم السجستاني قال حدثني العنسي قال: لما قدم معن بن زائدة من اليمن ،دخل عليه مروان بن أبي حفصة والمجلس غاصٌ بأهله، فأخذ بعضادتي الباب وأنشأ يقول:

وما أحجم الأعداء عنك بقيةً ... عليك ولن لم يروا فيك مطمعا

له راحتان الجود والحتف فيهما ... أبى الله إلا أن تضرا وتنفعا

قال فقال له معن:احتكم، قال: عشرة آلاف درهم. فقال معن: ربحنا عليك تسعين ألفاً قال: أقلني. قال: لا أقال الله من يقيلك.

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبي قال: لما قدم معن بن زائدة من اليمن استقبله الناس وتلقاه مروان بن أبي حفصة، فأنشده قصيدةً يهنئه فيها بقدومه وبرأي المنصور فيه، وتلقاه فيمن تلقاه أبو القاسم محرز فجعل يقول له: سفكت الدماء، وظلمت الناس، وتعديت طورك بذلك. فلما أكثر على معن التفت إلي ثم قال له: يا محرز أخبرني بأي خفيك تضرب اليوم:أبا السباعي أم بالثماني؟ قال: فانقطع وسكت خجلاً.

ودخل معن على المنصور، فلما سلم عليه وسأله قال له: يا معن، أعطيت ابن حفصة مائة ألف درهم عن قوله فيك:

معن بن زائدة الذي زيدت به ... شرفاً إلى شرفٍ بنو شيبان

فقال له: كلا يا أمير المؤمنين بل أعطيته لقوله:

ما زلت يوم الهاشمية معلماً بالسيف دون خليفة الرحمن

فاستحيا المنصور من تهجينه إياه فتبسم وقال: أحسنت يا معن في فعلك.

ترك يحيى بن منصور الشعر فلما سمع بكرم معن مدحه وقال مروان في ذلك شعراً: أخبرني الحسن بن علي المصري قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن ثور قال حدثني أبو العباس العدوي قال: لما ولي معن بن زائدة اليمن كان يحيى بن منصور الذهلي قد تنسك وترك الشعر. فلما بلغته أفعال معن وفد إليه ومدحه، فقال مروان بن أبي حفصة:

لا تعدموا راحتي معن فإنهما بالجود أفتنتا يحيى بن منصور

لما رأى راحتي معنٍ تدفقتا بنائلٍ من عطاءٍ غير منزور

ألقى المسوح التي كان يلبسها وظل للشعر ذا رصفٍ وتحبير

تزوجت امرأة من أهله في بني مطر فلم يرضهم وقال شعراً: أخبرني محمد بن مزيد وعيسى بن الحسين قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: ورد على مروان بن أبي حفصة كتاب وهو بالمدينة أن امرأة من أهله تزوجت في قوم لم يرض صهرهم يقال لهم بنو مطر؛ فقال في ذلك لأخيها:

لو كنت أشبهت يحيى في مناكحه لما تنقيت فحلاً جده مطر

لله در جيادٍ كنت سائسها ضيعتها وبها التحجيل والغرر

نبئت خولة قالت يوم أنكحها قد طالما كنت منك العار أنتظر

تهكم بالجني الشاعر فهجاه و لم يعف عنه حتى حقره: أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا الحسن بن علي المعروف بحدان عن محمد بن حفص بن عمرو بن الأيهم الحنفي قال: مر مروان بن أبي حفصة برجل من تيم اللات بن ثعلبة يعرف بالجني، فقال له مروان: زعموا أنك تقول الشعر. فقال له: إن شئت عرفتك ذلك. فقال له مروان: ما أنت والشعر، ما أرى ذلك من طريقتك ولا مذهبك ولا تقوله ! فقال الجني: اجلس واسمع فجلس؛ فقال الجني يهجوه:

ثوى اللؤم في العجلان يوماً وليلةً وفي دار مروان ثوى آخر الدهر

غدا اللؤم يبغي مطرحاً لرحاله فنقب في بر البلاد وفي البحر

فلما أتى مروان خيم عنده وقال رضينا بالمقام إلى الحشر

وليست لمروانٍ على العرس غيرةٌ ولكن مروانا يغار على القدر

فقال له مروان: ناشدتك الله إلا كففت، فأنت أشعر الناس. فحلف الجني بالطلاق ثلاثاً أنه لا يكف حتى يصير

إليه بنفرٍ من رؤساء أهل اليمامة ثم يقول بحضرتهم: قاق في استي بيضة. فجلبهم إليه مروان وفعل ذلك بحضرتهم، وكان فيهم جدي يحيى بن الأيهم، فانصرفوا وهم يضحكون من فعله.

عزى الهادي في المهدي ببيتين تناقلهما الناس: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أبو عبد الله بن سليمان بن زيد الدوسي قال حدثني الفضل بن العباس بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي قال حدثنا محمد بن حرب بن قطن بن قبيصة بن مخارق الهلالي قال: لما مات المهدي وفدت العرب على موسى يهنئونه بالخلافة ويعزونه عن المهدي؛ فدخل مروان بن أبي حفصة فأخذ بعضادتي الباب ثم قال:

لقد أصبحت تختال في كل بلدةٍ ... بقبر أمير المؤمنين المقابر

ولو لم تسكن بابنه في مكانه ... لما برحت تبكي عليه المنابر

قال فخرج الناس بالبيتين.

مدح عمرو بن مسعدة في مرضه

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال: مرض عمرو بن مسعدة، فدخل عليه مروان بن أبي حفصة وقد أبل من مرضه فأنشأ يقول:

صح الجسم يا عمرو ... لك التمحيص والأجر

والله علينا الحم ... د والمنة والشكر

فقد كان شكا شوقاً ... إليك النهي والأمر

قال فنحا نحوه مسلم بن الوليد فقال:

قالوا أبو الفضل محمومٌ فقلت لهم ... نفسي الفداء له من كل محذور

يا ليت علته بي غير أن له ... أجر العليل وأني غير مأجور

رأى الغول في بعض سفراته ففزع: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثني رجل من بني سليم في مسجد الرصافة قال أخبرني مروان بن أبي حفصة قال: وفدت في ركب إلى الرشيد فصرنا في أرض موحشة قفرٍ، وجن علينا الليل فسرنا لنقطعها، فلم نشعر إلى بامرأة تسوق بنا إبلنا وتحدو في آثارنا، فإذا هي الغول. فلما لاح الفجر عدلت عنا وأخذت عرضاً وجعلت تقول:

يا كوكب الصبح إليك عني ... فلست من صبح وليس مني

قال: فما أذكر أني فزعت من شيء قط فزعي ليلتئذ.

عارضه التغلبي في شعره في وراثة بني العباس: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن الحسن الكوفي قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي مرة التغلبي قال: مررت بجعفر بن عفان الطائي

يوماً وهو على باب منزله، فسلمت عليه، فقال لي: مرحباً يا أخا تغلب، اجلس فجلست. فقال لي: أما تعجب من أن ابن أبي حفصة لعنه الله حيث يقول:

أنى يكن وليس ذاك بكائنٍ لبني البنات وراثة الأعمام

فقلت بلى والله إني لأتعجب منه وأكثر اللعن له، فهل قلت في ذلك شيئاً؟ فقال: نعم قلت:

لم لا يكون وإن ذاك بكائنٍ لبني البنات وراثة الأعمام

للبنات نصفٌ كامل من ماله والعم متروكٌ بغير سهام

ما للطليق وللتراث وإنما صلى الطريق مخافة الصمصام

لازمه صالح بن عطية الأضجم أياماً ثم قتله: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني صالح بن عطية الأضجم قال: لما قال مروان:

أنى يكن وليس ذاك بكائنٍ لبني البنات وراثة الأعمام

لزمته وعهدت الله أن أغتاله فأقتله في أي وقت أمكنني ذلك، وما زلت ألاطفه وأبره وأكتب أشعاره حتى خصصت به، فأنس بي جداً وعرفت ذلك بنو حفصة جميعاً فأنسوا بي، ولم أزل أطلب له غرةً حتى مرض من حمة أصابته، فلم أزل أظهر الجزع عليه وألازمه وألاطفه، حتى خلا لي البيت يوماً فوثبت عليه فأخذت بحلقه فما فارقته حتى مات، فخرجت وتركته، فخرج إليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتاً، وارتفعت الصيحة فحضرت وتباكيت وأظهرت الجزع عليه حتى دفن، وما فطن بما فعلت أحد ولا اتهمني به.

عود إلى ذكر إبراهيم بن المهدي

نشأته ونسب أمه شكلة:

ثم نعود إلى ذكر إبراهيم بن المهدي وأمه شكلة . ويكنى أبا إسحاق. وشكلة أمه مولودة كان أبوها من أصحاب المازيار، يقال له شاه أفرند، فقتل مع المازيار وسبيت بنته شكلة، فحملت إلى المنصور، فوهبها لمحياة أم ولده فربتها وبعثت بها إلى الطائف فنشأت هناك وتفصحت؛ فلما كبرت ردت إليها. فرآها المهدي عندها فأعجبته، فطلبها من محياة فأعطته إياها، فولدت منه إبراهيم، وكان رجلاً عاقلاً فهماً ديناً أديباً شاعراً راويةً للشعر وأيام العرب خطيباً فصيحاً حسن العارضة.

مدحة إسحاق الموصلي: وكان إسحاق الموصلي يقول: ما ولد العباس بن عبد المطلب بعد عبد الله بن العباس: رجلاً أفضل من إبراهيم بن المهدي. فقيل له: مع ما تبذل له من الغناء؟ فقال: وهل تم فضله إلا بذاك !. حدثني بذلك محمد بن يزيد عن حماد عن أبيه.

كان ينسب ما يصنع لجاريتيه

وكان أشد خلق الله إعظاماً للغناء، وأحرصهم عليه، وأشدهم منافسة فيه. وكانت صنعته لينة، فكان إذا صنع شيئاً نسبه إلى شارية وريق، لئلا يقع عليه في طعن أو تقريع، فقلت صنعته في أيدي الناس مع كثرتها لذلك. وكان إذا قيل له فيها شيء قال: إنما أصنع تطرباً لا تكسباً، وأغني لنفسي لا للناس فأعمل ما أشتهي.

كان ينازع إسحاق ويجادله وجرت بينهما مناظرات في الغناء: وكان حسن صوته يستر عوار ذلك كله. وكان الناس يقولون لم ير في جاهلية ولا إسلام أخٌ وأختٌ أحسن غناء من إبراهيم المهدي وأخته علية. وكان يماظ إسحاق ويجادله، فلا يقوم له ولا يفي به، ولا يزال إسحاق يغلبه ويغصه بريقه ويغص منه بما يظهر عليه من السقطات ويبينه من خطئه في وقته وعجزه من معرفة الخطأ الغامض إذا مر به؛ وقصوره من أداء الغناء القديم فيفضحه بذلك. وقد ذكرت قطعة من هذه الأخبار في أخبار إسحاق وأنا أذكر ها هنا منها ما لم أذكر هناك.

ومما خالف إبراهيم بن المهدي ومن قال بقوله قال إسحاق فيه: الثقيلان وخفيفهما، فإنه سمى الثقيل الأول وخفيفه الثقيل الثاني وخفيفه، وسمى الثقيل الثاني وخفيفه الثقيل الأول وخفيفه؛ وجرت بينهما في ذلك مناظراتٌ ومجادلاتٌ ومراسلة ومكاتبة ومشافهة. وحضرهما الناس، فلم يكن فيهم من يفي بفصل ما بينهما والحكم لأحداهما على صاحبه. ووضع لذلك مكاييل لتعرف بها أقدار الطرائق، وأمسك كل واحد منهما إلى آخر أقداره، فلم يصح شيء يعمل عليه، إلا أن قول إبراهيم بن المهدي اضمحل وبطل وترك، وعمل الناس على مذهب إسحاق؛ لأنه كان أعلم الرجلين وأشهرهما. وأوضح إسحاق أيضاً لذلك وجوهاً فقال: إن الثقيل الأول يجيء منه قدران، الثقيل الأول التام ،والقدر الأوسط من الثقيل الأول، وجميعاً طريقته واحدةٌ لاتساعه والتمكن منه، والثقيل الثاني لا يجيء هذا فيه ولا يقاربه. والثقيل الأول يمكن إدراج في ضربه لثقله، والثقيل الثاني لا يندرج لنقصه في ذلك. ولهما في هذا الكلام كثير ومخاطبات قد ذكرتها في أخبارهما، وشرحت العلل مبسوطةً في كتاب ألفته في النغم شرحاً ليس موضعه ولا يصلح فيه. وأما التجزئة والقسمة فإنهما أفنيا أعمارهما في تنازعهما فيهما، حتى كان يمضي لهما الزمن الطويل لا تنقطع مناظرتهما ومكاتبتهما في قسمة وتجزئة صوت واحد فيه، وحتى كانا يخرجان إلى كل قبيح، وحتى أنهما ماتا جميعاً وبينهما منازعة في هذا الصوت وقسمته:

حييا أم يعمرا قبل شحطٍ من النوى

لم يفصل بينهما فيها إلى أن افترقا. ولو ذهبت إلى ذكر ذلك وشرح سائر أخبار إبراهيم بن المهدي وقصصه لما ولي الخلافة وغير ذلك من وصفه بفصاحة اللسان، وحسن البيان، وجودة الشعر، ورواية العلم، والمعرفة بالجدل، وجزالة الرأي، والتصرف في الفقه واللغة، وسائر الآداب الشريفة، والعلوم النفسية، والأدوات الرفيعة، لأطلت. وإنما الغرض في هذا الكتاب الأغاني أو ما جرى من مجراها، لا سيما لمن كثرت الروايات والحكايات عنه؛ فلذالك اقتصرت على ما ذكرته من أخبار دون ما يستحقه من التفضيل والتبجيل والثناء الجميل.

كلمة لإبراهيم بن المهدي عن نفسه في صنعة الغناء: أخبرني عمي رحمه الله قال حدثني علي بن محمد بن بكر عن جده حمدون بن إسماعيل قال قال لي إبراهيم بن المهدي: لولا أني أرفع نفسي عن هذه الصناعة لأظهرت فيها ما

يعلم الناس معه أنهم لم يروا قبلي مثلي.

غنى الرشيد وعنده ابن جامع وإبراهيم الموصلي فأطرباه: أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن ابي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمي قال حدثني أحمد بن إبراهيم بن النهدي عن أبيه قال: دخلت يوماً إلى الرشيد وفي رأسي فضلة خمار، وبين يديه ابن جامع وإبراهيم الموصلي. فقال: بحياتي يا إبراهيم غنني. فأخذت العود و لم ألتفت إليهما لما رأسي من الفضلة فغنيت:

أسري بخالدة الخيال و لا أرى شيئاً ألذ من الخيال الطارق

فسمعت إبراهيم يقول لآبن جامع: لو طلب هذا بهذا الغناء ما نطلب لما أكلنا خبزاً أبداً. فقال ابن جامع: صدقت. فلما فرغت من غنائي وضعت العود ثم قلت: خذا في حقكما ودعا في باطلنا.

نسبة هذا الصوت صوت

أسري بخالدة الخيال و لا أرى شيئاً ألذ من الخيال الطارق

إن البلية من تمل حديثه فانقع فؤادك من حديث الوامق

أهواك فوق هوى النفوس ولم يزل مذ بنت بقلبي كالجناح الخافق

طرباً إليك ولم تبالي حاجتي ليس المكاذب كالخليل الصادق

الشعر لجرير. والغناء لابن عائشة رملٌ بالوسطى عن عمرو.

غنى الرشيد زعنده سليمان بن أبي جعفر وجعفر بن يحيى: أخبرني جحظة قال أخبرني هبة الله بن غبراهيم المهدي قال حدثني أبي، وحدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني هبة الله - و لم يذكر عن أبيه - قال: كان الرشيد يحب أن يسمع أبي. وقال جحظة عن هبة الله عن إبراهيم قال: كان الرشيد يحب أن يسمعني، فخلا بي مرات إلى أن سمعني. ثم حضرته مرةً وعنده سليمان بن أبي جعفر؛ فقال لي: عمك وسيد ولد المنصور بعد أبيك وقد أحب أن يسمعك؛ فلم يتركني حتى غنيت بين يديه:

إذ أنت فينا لم ينهاك عاصيةٌ وإذ أجرٌ إليكم سادراً رسني

فأمر لي بألف ألف درهم، ثم قال لي ليلةً و لم يبقى في المجلس إلا جعفر بن يحيى: أنا أحب أن تشرف جعفراً بأن تغنيه صوتاً. فغنيته لحناً صنعته في شعر الدارمي:

كأن صورتها في الوصف إذ وصفت دينار عينٍ من المصرية العتق

نسبة هذين الصوتين، منهما صوت

سقياً لربعك من ربعٍ بذي سلمٍ وللزمان به إذ ذاك من زمن

إذ أنت فينا لمن ينهاك عاصيةٌ وإذ أجر إليكم سادراً رسني

الشعر للأحوص. والغناء لآبن سريج ثقيل أول بالوسطى عن عمرو.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن زهير عن مصعب قال: أنشد منشدٌ وابن أبي عبيدة عندنا قول الأحوص:

إذ أنت فينا لمن ينهاك عاصيةٌ وإذ أجر إليكم سادراً رسني

فوثب قائماً وألقى طرف ردائه وجعل يخطو إلى طرفىالمجلس ويجره. ثم فعل ذلك حتى عاد إلينا. فقلنا له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: إني سمعت هذا الشعر مرة فأطربني، فجعلت على نفسي ألا أسمعه أبداً إلا جررت رسني.

والآخر من الصوتين: صوت

كأن صورتها في الوصف إذ وصفت دينار عينٍ من المصرية العتق

أو درة أعيت الغواص في صدفٍ أو ذهبٌ صاغه الصواغ في ورق

الشعر للدارمي. والغناء لمرزوق الصواف رملٌ بالبنصر عن ابن المكي. وذكر عمرو أن هذا اللحن للدارمي أيضاً. وذكر الهشامي أنه لابن سريج. وفي هذا الخبر أنه لإبراهيم بن المهدي. وفيه خفيف رملٍ يقال إنه لحن مرزوق الصواف، ويقال إنه لمتيم ثاني ثقيل عن الهشامي وابن المعتز.

غنى صوتاً على أربع طبقات: أخبرني يحيى بن المنجم قال ذكر لي عبيد الله بن طاهر عن إسحاق بن عمر بن زيع قال: كنت أضرب على إبراهيم بن المهدي صوتاً ذكره فغناه على أربع طبقات. على الطبقة التي كان العود عليها وعلى ضعفها، وعلى إسجاحها، وعلى إسحاج الإسجاح. قال أبو أحمد قال عبيد الله: وهذا شيء ما حكي لنا عن أحد غير إبراهيم، وقد تعاطاه بعض الحذاق بهذا الشأن، فوجده صعباً متعذراً لا يبلغ إلا بالصوت القوي وأشد ما في إسجاح الإسجاح؛ لأن الضعف لا يبلغ إلا بصوت قوي مائل إلى الدقة، ولا يكاد ما أتسع مخرجه يبلغ ذلك. فإذا دق حتى يبلغ الأضعاف لم يقدر على الإسجاح فضلاً عن إسجاح الإسجاح. فإذا غلظ حتى يتمكن من هذين لم يقدر على الضعف.

غنى صوتاً لمعبد:

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشيمي قال حدثني محمد بن سليمان بن موسى الهادي قال: دعاني إبراهيم بن المهدي يوماً قصرت إليه، وغنى صوتاً لمعبد:

أفي الحق هذا أنني بك مولع وأن فؤادي نحوك الدهر نازع

فقال لي: لمن هذا الغناء؟ فقلت: يا سيدي يقولون إنه لمعبد، ولا غنى والله مع معبد كذا قط، ولا سمعت أحداً يقول كذا، لا والله ما في الدنيا كذا. قال: فضحك ثم قال: والله يا بني ما قمت بنصف ما كان يقوم به معبد.

نسبة هذا الصوت أما اللحن فمن الثقيل الثاني، وقد ذكر في هذا الخبر أنه لمعبد، وما وجدته في شيء من الكتب له. وذكر الهشامي أنه لآبن المكي.

عاب مخارقاً عند المأمون: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني إسحاق بن محمد قال حدثني عيسى بن محمد القحطبي قال حدثني محمد بن الحارث بن بسخنر قال: لما قدم المأمون من خراسان لم يظهر لمغنٍ بالمدينة مدينة السلام غيري، فكنت أنادمه سراً، و لم يظهر للندماء أربع سنين، حتى ظفر بإبراهيم بن المهدي. فلما ظفر به وعفا عنه ظهر للندماء ثم جمعنا؛ ووجه إلى إبراهيم فحضر في ثياب مبتذلة. لما رأه المأمون قال: ألقى عمي رداء الكبر عن منكبيه، ثم أمر له بخلع فاخرة وقال: يا فتح غد عمي؛ فتغدى إبراهيم بحيث يراه المأمون ثم تحول إلينا، وكان مخارق حاضراً، فغنى مخارق:

هذا ورب مسوفين صبحتهم من خمر بابل لذةً للشارب

فقال له إبراهيم: أسأت فأعد؛ فأعاده، فقال: قاربت و لم تصب. فقال له المأمون: إن كان أساء فأحسن أنت. فغناه إبراهيم ثم قال لمخارق: أعده فأعاده، فقاغل: أحسنت. فقال للمأمون: كم بين الأمرين؟ فقال: كثيرٍ. فقال لمخارق: إنما مثلك كمثل الثوب الفاخر إذا غفل عنه أهله وقع عليه الغبار فأحال لونه، فإذا نفض عاد إلى جوهره. ثم غنى إبراهيم:

يا صاح يا ذا الضامر العنس و الرحل ذي الأقتاد والحلس

أما النهار فما تقصره رتكاً يزيدك كلما تمسي

ضن على مخارق بصوت: قال: وكانت لي جائزة قد خرجت، فقلت: يا أمير المؤمنين، تأمر يا سيدي بإلقا ء هذا الصوت علي مكان جائزتي فهو أحب إلي منها. فقال: يا عم ألق هذا الصوت على مخارق، فألقاه علي، حتى إذا كدت أن آخذه قال: اذهب فأنت أحذق الناس به. فقلت: إنه لم يصلح لي بعد. قال: فاغد علي. فغدوت عليه فغناه متلوياً؛ فقلت: أيها الأمير، لك في الخلافة ما ليس لأحد، أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعم الخليفة، تجود بالرغائب وتبخل علي بصوت ! فقال: ما احمقك ! إن المأمون لم يسبقني محبةً في ولا صلةً لرحمي ولا رباءً للمعروف عندي، ولكنه سمع من هذا الجرم ما لم يسمع من غيره. قال: فأعلمت المأمون مقالته؛ فقال: إنا لا نكدر على أبي إسحاق عفونا عنه، فدعه. فلما كانت أيام المعتصم خبر الصوت سراً. فقال: يا عم غنني: " يا صاح يا ذا الضامر العنس " فغناه؛ فقال: ألقه على مخارق. فقال: قد فعلت، وقد سبق مني قولٌ ألا أعيده عليه. ثم كان يتجانب أن يغنينه حيث أحضره.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء صوت

هذا ورب مسوفين صبحتهم من خمر بابل لذة للشارب

بكروا علي بسحرةٍ فصبحتهم بإناء ذي كرم كقعب الحالب

بزجاجة ملء اليدين كأنها قنديل فصحٍ في كنيسة راهب

الشعر لعدي بن زيد. والغناء لحنين خفيف ثقيلٍ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

صوت

يا صاح يا ذا الضامر العنس والرحل ذي الأقتاد والحلس

أما النهار فما تقصره رتكاً يزيدك كلما تمسي

الشعر لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد.

طلبت إليه أخته أسماء سماع غنائه: وذكر أحمد بن أبي طاهر عن أثير مولاة منصور بن المهدي عن ذؤابة مولاته أيضاً قالت قالت لي أسماء بنت المهدي: قلت لأخي إبراهيم:يا أخي أشتهي والله أن أسمع من غنائك شيئاً. فقال: إذاً والله يا أختي لا تسمعين مثله، علي وعلي، وغلظ في اليمين، إن لم يكن إبليس ظهر لي وعلمني النقر والنغم وصافحني وقال لي: اذهب فأنت مني وأنا منك.

غضب عليه الأمين ثم رضي عنه

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال: غضب علي محمد الأمين في بعض هناته، فسلمني إلى كوثر ، فحبسني في سرداب وأغلقه فمكثت فيه ليلتي. فلما أصبحت إذا إنا في شيخ قد خرج علي من زاوية السرداب، ودفع إلي وسطاً وقال: كل فأكلت، ثم أخرج قنينة شراب فقال: اشرب فشربت، ثم قال لي: غن:

لي مدةٌ لابد أن أبلغها معلومةٌ فإذا انقضت مت

لو ساورتني الأسد ضاريةٌ لغلبتها ما لم يج الوقت

فغنيته، وسمعني كوثر فصار إلى محمد وقال: قد جن عمك وهو جالس يغني بكيت وكيت. فأمر بإحضاري فأحضرت وأخبرته بالقصة، فأمر لي بسبعمائة درهم ورضي عني.

طارح أخته علية فأطربا المأمون وأحمد بن الرشيد: أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال سمعت ينشو يحدث عن أبي أحمد بن الرشيد قال: كنت يوماً بحضرة المأمون وهو يشرب، فدعا بياسرٍ وأدخله فساره بشيء ومضى وعاد. فقام المأمون وقال لي: قم، فدخل دار الحرم ودخلت معه، فسمعت غناءً أذهل عقلي و لم أقدر أن أتقدم ولا أتأخر. وفطن المأمون لما بي فضحك ثم قال: هذه عمتك علية تطارح عمك إبراهيم:

ما لي أرى الأبصار بي جافيه

نسبة هذا الصوت

مالي أرى الأبصار بي جافيه لم تلتفت مني إلى ناحيه
لا ينظر الناس إلى المبتلى وإنما الناس مع العافيه
وقد جفاني ظالماً سيدي فأدمعي منهاة هاميه
صحبي سلوا ربكم العافيه فقد دهتني بعدكم داهيه

الشعر والغناء لعلية بنت المهدي خفيف رملٍ. وأخبرني ذكاء وجه الرزة أن لعريب فيه خفيف رمل آخر مزموراً، وأن لحن علية مطلق.

كتب إليه إسحاق بجنس صوت فغناه من غير ان يسمعه: أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي عن إبراهيم عن علي بن هشام أن إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهدي بجنس صوت صنعه واصبعه ومجراه وإجراء لحنه؛ فغناه إبراهيم من غير أن يسمعه فأدى ما صنعه. والصوت:

حييا أم يعمرا قبل شحط من النوى
قلت لا تعجلوا الروا ح فقالوا ألا بلى
أجمع الحي رحلةٌ ففؤادي كذي الأسي

نسبة هذا الصوت الشعر لعمر بن أبي ربيعة و. والغناء لبن سريج ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول مطلقٌ في مجرى الوسطى. وذكر عمرو بن بانة أنه لمالك. وفيه للهذلي خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر عن ابن المكي، وزعم الهشامي أنه لحن مالك. وفيه لحنان من الثقيل الثاني أحدهما لإسحاق وهو الذي كتب به إسحاق إلى إبراهيم بن المهدي والآخر زعم الهشامي أنه لإبراهيم، وزعم عبد الله بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام أنه لابن محرز.

أخبرني عمي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الجمان: أن إسحاق بن إبراهيم لما صنع صوته:

قل لمن صد عاتباً

اتصل خبره بإبراهيم بن المهدي فكتب يسأله عنه؛ فكتب إليه بشعره وإيقاعه وبسيطه ومجراه وإصبعه وتجزئته وأقسامه ومخارج نغمه ومواضع مقاطعه ومقادير أدواره وأوزانه، فغناه. قال: ثم لقيني فغنيانه، ففضلني فيه بحسن صوته.

نسبة هذا الصوت

قل لمن صد عاتبا ونأى عنك جانبا
قد بلغت الذي أرد ت وإن كنت لاعبا

الشعر والغناء في هذا اللحن لإسحاق، ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها. وفيه لغيره ألحان.

سمعه أحمد بن أبي دواد فذهل عن نفسه ورجع عن إنكاره الغناء: أخبرني ابن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم

قال حدثني إسحاق بن محمد عن أبيه قال: سمعت أحمد بن أبي دواد يقول: كنت أعيب الغناء وأطعن على أهله، فخرج المعتصم يوماً إلى الشماسية في حراقةٍ يشرب، ووجه في طلبي فصرت إليه؛ فلما قربت منه سمعت غناءً حيرني وشغلني عن كل شيء، فسقط سوطي من يدي؛ فالتقت إلى زنقطة غلامي أطلب منه سوطه، فقال لي: قد والله سقط سوطي. فقلت له: فأي شيء كان سبب سقوطه؟ قال: صوت سمعته شغلني عن كل شيء فسقط سزطي من يدي؛ فإذا قصته قصتي. قال: وكنت أنكر أمر الطرب على الغناء وما يستفز الناس منه ويغلب على عقولهم، وأناظر المعتصم فيه. فلما دخلت عليه يومئذٍ أخبرته بالخبر؛ فضحك وقال: هذا عمي كان يغنيني:

إن هذا الطويل من آل حفصٍ نشر المجد بعدما كان ماتا

فإن تبت مما كنت تناظرنا عليه في ذم الغناء سألته أن يعيده. ففعلت وفعل، وبلغ بي الطرب أكثر مما يبلغني عن غيري فأنكره؛ ورجعت عن رأي منذ ذلك اليوم. وقد أخبرني بهذا الخبر أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى المنجم عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فذكر هذه القصة أو قريباً منها بزيادة اللفظ ونقصانه، وذكر أن الصوت الذي غناه إبراهيم:

طرقتك زائرةٌ فحي خيالها بيضاء تخلط بالحياء دلالها

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أو تسترون هلالها

اتخذ لنفسه حراقة بحذاء داره: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحسن بن عليل قال: سمعت هبة الله بن إبراهيم بن المهدي يقول: اتخذ أبي حراقةً فأمر بشدها في الجانب الغربي بحذاء داره، فمضيت إليها ليلة فكان أبي يخاطبنا من داره بأمره ونهيه، فنسمعه وبيننا عرض دجلة وما أجهد نفسه.

ثناء ابن أبي ظبية عليه: أخبرني عمي قال سمعت عبد الله بن مسلم بن قتيبة يقول حدثني بن أبي ظبية قال: كنت أسمع إبراهيم بن المهدي يتنحنح فأطرب.

غنى وعنده عدةً من المغنين وغنى بعده مخارق فأعاد هو فأطرب: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني القطراني المغني عن محمد بن جبر عن عبد الله بن العباس الربيعي قال: كنا عند إبراهيم بن المهدي ذات يوم وقد دعا كل مطربٍ محسن من المغنين يومئذ وهو جالس يلاعب أحدهم بالشطرنج. فترنم بصوت فريدة:

قال لي أحمدٌ ولم يدر ما بي أتحب الغداة عتبةً حقا

وهو متكىء. فلما فرغ منه ترنم به مخارق فأحسن فيه وأطربنا وزاد على إبراهيم، فأعاده إبراهيم وزاد في صوته فعفى على غناء مخارق. فلما فرغ رده مخارق وغنى فيه بصوته كله وتحفظ فيه، فكدنا نطير سروراً. واستوى إبراهيم جالساً وكان متكئاً فغناه بصوته كله ووفاه نغمه وشذوره، ونظرت إلى كتفيه تهتزان وبدنه أجمع يتحرك حتى فرغ منه، و مخارقٌ شاخصٌ نحوه يرعد وقد انتقع لونه وأصابعه تختلج؛ فخيل لي والله أن الإيوان يسير بنا.

فلما فرغ منه تقدم إليه مخارق فقبل يده وقال: جعلني الله فداك أين أنا منك ! ثم لم ينتفع مخارق بنفسه بقية يومه في غنائه، والله لكنما كان يتحدث.

نسبة هذا الصوت

قال لي أحمدٌ ولم يدر ما بي ... أتحب الغداة عتبةً حقا

فتنفست ثم قلت نعم حب ... اً جرى في العروق عرقا فعرقا

ما لدمعي عدمته ليس يرقا ... إنما يستهل غسقاً فغسقا

طرباً نحوه ظبيةٍ تركت قل ... بي من الوجد قرحةً ما تفقا

الشعر لأبي العتاهية. والغناء لفريدة خفيف رملٍ بالوسطى. وفيه لإبراهيم بن المهدي خفيف رملٍ آخر. ولفريدة أيضاً لحنٌ من الثقيل الثاني في أبيات من هذه القصيدة وهي:

قد لعمري مل الطبيب ومل ال ... أهل مني مما أداوى وأرقى

ليتني مت فاسترحت فإني ... أبداً ما حييت منها ملقى

غنى الأمين فأطربه: أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني عمي منصور بن المهدي: أنه كان عند أبي في يوم كانت عليه فيه نوبةٌ لمحمد الأمين، فتشاغل أبي بالشرب في بيته و لم يمض، وأرسل إليه عدة رسل فتأخر، قال منصور: فلما كان من غدٍ قال: ينبغي أن تعمل على الرواح إلي لنمضي إلى أمير المؤمنين فنترضاه؛ فما أشك في غضبه علي. ففعلت ومضينا. فسألنا عن خبره فأعلمنا أنه مشرف على حير الوحش وهو مخمور، وكان من عادته ألا يشرب إذا لحقه الخمار. فدخلنا؛ وكان طريقنا على حجرةٍ تصنع فيها الملاهي. فقل لي أخي: اذهب فاختر منها عوداً ترضاه، وأصلحه غاية الإصلاح حتى لا تحتاج إلى تغيره البتة عند الضرب؛ ففعلت وجعلته في كمي. ودخلنا على الأمين وظهره إلينا. فلما بصرنا به من بعيد قال: أخرج عودك فأخرجته، واندفع يغني:

وكأسٍ شربت على لذةٍ ... وأخرى تتداويت منها بها

لكي يعلم الناس أني امرؤٌ ... أتيت الفتوة من بابها

وشاهدنا الجل والياسم ... ين والمسمعات بقصابها

وبربطنا دائمٌ معملٌ ... فأي الثلاثة أزرى بها

فاستوى الأمين جالساً وطرب طرباً شديدا وقال: أحسنت والله يا عم وأحييت لي طرباً، ودعا برطل فشربه على الريق وامتد في شربه. قال منصور: وغنى إبراهيم يومئذٍ على أشد طبقة يتناهى إليها في العود، وما سمعت مثل

غنائه يومئذٍ قط. ولقد رأيت منه شيئاً عجيباً لو حدثت به ما صدقت، كان إذا ابتدأ يغني أصغت الوحش إليه ومدت أعناقها، و لم تزل تدنو منا حتى تكاد أن تضع رؤوسها على الدكان الذي كنا عليه، فإذا سكت نفرت وبعدت منا حتى تنتهي إلى أبعد غاية يمكنها التباعد فيها عنا، وجعل الأمين يعجب من ذلك، وانصرفنا من الجوائز بما لم ننصرف بمثله قط.

كتب له إسحاق بصوت صنعه فغناه وأجاده: أخبرني عمي والصولي قالا حدثنا الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجمان أن إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهدي بصوت صنعه في شعر له وهو:

قل لمن صد عاتبا ... ونأى عنك جانبا

قد بلغت الذي أرد ... ت و إن كنت لاعبا

وبين له شعره وإيقاعه وبساطه ومجراه وإصبعه وتجزئته وقسمته ومخارج نغمه ومواضع مقاطعه ومقادير أوزانه، فغناه إبراهيم، ثم لقيه بعد ذلك فغناه إياه فما خرم منه شذرةً ولا نغمةً. قال: وفاقني فيه بحسن صوته.

نسبة هذا الصوت

قل لمن صد عاتبا ... ونأى عنك جانبا

قد بلغت الذي أرد ... ت و إن كنت لاعبا

واعترفنا بما ادعي ... ت و إن كنت كاتبا

فافعل الآن ما أرد ... ت فقد جئت تائبا

يقال: إن الشعر لإسحاق، و لم أجده في مجموع شعره. ووجدت فيه لحناً لحكم الوادي في ديوان أغانيه ولحنه من الماخوري، وهو خفيفٌ من خفيف الثقيل الثاني بالبنصر. وكذلك ذكرت دنانير أنه لحكم الوادي؛ ويشبه أن يكون الشعر لغيره. ولحن إسحاق الذي كتب إلى إبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها. وفيه ثقيلٌ أول مطلق في مجرى البنصر لم يقع إلي نسبته إلى صانعه، وأظنه لحن حكمٍ.

غنى أبا دلف العجلي وأهداه جارية: أخبرني عمي قال حدثنا أبو عبد الله المرزبان قال حدثني إبراهيم بن أبي دلف العجلي قال: كنا مع المعتصم بالقاطول ، وكان إبراهيم بن المهدي في حراقته بالجانب الغربي وأبي وإسحاق الموصلي في حراقتيهما في الجانب الشرقي، فدعاهما يوم جمعة فغيرا إليه في زلال وأنا معهما وأنا صغير وعلي أقبيةٌ ومنطقةٌ. فلما دنونا من حراقة إبراهيم نهض ونهضنا ونهضت بنهوضه صبية له يقال لها غضة، وإذا في يديه كأسان وفي يديها كأس. فلما صعدنا إليه اندفع فغنى:

حيا كما الله خليليا ... إن ميتاً كنت و إن حيا

إن قتلتما خيراً فأهلٌ له ... أو قلتما غياً فلا غيا

ثم ناول كلا منهما كأساً وأخذ هو الكأس التي كانت في يد الجارية وقال: اشربا على ريقكما، ثم دعا بالطعام فأكلوا وشربوا، ثم أخذوا العيدان فغناهما ساعةً وغنياه؛ وضرب وضربا معه، وغنت الجارية بعدهم. فقال لها أبي: أحسنت مراراً. فقال له: إن كنت أحسنت فخذها إليك، فما أخرجتها إلا إليك.

سمع من مخارق لحناً فأطراه: أخبرني عمي قال حدثنا علي بن محمد بن نصر قال حدثني أبو العبيس بن حمدون قال: لما صنع مخارق في شعر العتابي.

أخضنى المقام الغمر إن كان غرني سنا خلبٍ أو زلت القدمان

وغناه إبراهيم بن المهدي؛ فقال له: أحسنت وحياتي ما شئت ! فسجد مخارق سروراً بقول إبراهيم ذلك له.

غنى عمرو بن بانة لحناً وحدثه حديثه

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني القطراني عن عمرو بن بانة قال: غنى إبراهيم بن المهدي يوماً:

أداراً بحزوى هجت للعين عبرةً فماء الهوى يرفض أو يترقرق

فاستحسنه وسألته إعادته علي حتى آخذه عنه ففعل. ثم قال لي: إن حديث هذا الصوت أحسن منه. قلت: وما حديثه أعزك الله؟ قال: غنانيه ابن جامع والصنعة فيه له، فلما أخذته عنه غنيته إياه ليسمعه مني، فاستحسنه جداً وقال: كأني والله ما سمعته قط إلا منك ثم كان صوته بعد ذلك على نسبة هذا الصوت.

قصته مع ابن بسخنر وجاريته شارية ومخارق وعلوية:

أخبرني علي بن إبراهيم الكاتب قال حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه قال حدثني محمد بن الحارث بن بسخنر قال: وجه إلى إبراهيم بن المهدي يوماً يدعوني، وذلك في أول خلافة المعتصم، فصرت إليه وهو جالس وحده وشارية جاريته خلف الستارة، فقال: إن قلت شعراً وغنيت فيه وطرحته على شارية فأخذته وزعمت أنها أحذق به مني، وأنا أقول أني أحذق به منها، وقد تراضينا بك حكماً بيننا لموضعك من هذه الصناعة، فاسمعه مني ومنها واحكم ولا تعجل حتى تسمعه ثلاث مرات. فقلت نعم. فاندفع يغني بهذا الصوت:

أضن بليلى وهي غير سخيةٍ وتبخل ليلى بالهوى وأجود

فأحسن وأجاد. ثم قال لها: تغني، فغنته فبرزت فيه حتى كأنه كان معها في أبيجاد، ونظر إلي فعرف أني قد عرفت فضلها عليه، فقال: على رسلك ! وتحدثنا ساعةً وشربنا. ثم اندفع فغناه ثانية فأضعف في الإحسان، ثم قال لها: تغني، فغنت فبرت وزادت أضعاف زيادته، وكدت أشق ثيابي طرباً. فقال لي: تثبت ولا تعجل. ثم غناه ثالثة فلم يبق غايةً في الإحكام، ثم أمرها فغنت، فكأنه إنما كان يلعب. ثم قال لي: قل، فقضيت لها؛ فقال: أصبت، فكم تساوي عندك؟ فحملني الحسد له عليها والنفاسة بمثلها أن قلت: تساوي مائة ألف درهم. فقال: أو ما تساوي على هذا الإحسان وهذا التفضيل إلا مائة ألف ! قبح الله رأيك ! والله ما أجد شيئاً أبلغ في

عقوبتك من أن أصرفك، قم فانصرف إلى منزلك مذموماً. فقلت له: ما لقولك اخرج من منزلي جواب، وقمت وانصرفت، وقد أحفظني كلامه وأرمضني . فلما خطوت خطواتٍ التفت إليه فقلت له: يا إبراهيم ! أتطردني من منزلك ! فوالله ما تحسن أنت ولا جاريتك شيئاً. وضرب الدهر ضربانه، ثم دعانا المعتصم بعد ذلك وهو بالوزيرية في قصر التل ، فدخلت أنا ومخارق وعلويه، وإذا أمير المؤمنين مصطبحٌ وبين يده ثلاث جاماتٍ: جام فضة مملوءةٌ دنانير جداً، وجام ذهب مملوءة دراهم جداً، وجام قوارير مملوءةٌ عنبراً، فظننا أنها لنا بل لم نشك في ذلك، فغنيناه وأجهدنا أنفسنا، فلم يطرب و لم يتحرك لشيء من غنائنا. ودخل الحاجب فقال: إبراهيم بن المهدي. فأذن له فدخل، فغناه أصواتاً أحسن فيها، ثم غناه بصوت من صنعته وهو:

ما بال شمس أبي الخطاب قد غربت يا صاحبي أظن الساعة اقتربت

فاستحسنه المعتصم وطرب له، وقال: أحسنت والله ! فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين فإن كنت أحسنت فهب لي إحدى هذه الجامات؛ فقال: خذ أيتها شئت، فأخذ التي فيها الدنانير؛ فنظر بعضنا إلى بعض. ثم غناه إبراهيم بشعر له وهو:

فما مزةٌ قهوةٌ قرقفٌ شمولٌ تروق براووقها

فقال: أحسنت والله يا عم وسررت. فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت أحسنت فهب لي جاماً أخرى؛ فقال: خذ أيتهما شئت، فأخذ الجام التي فيها الدراهم؛ فعند ذلك انقطع رجاؤنا منها. وغناه بعد ساعة:

ألا ليت ذات الخال تلقى من الهوى عشير الذي ألقى فيلتئم الحب

فارتج بنا المجلس الذي كنا فيه، وطرب المعتصم واستخفه الطرب فقام على رجليه، ثم جلس فقال: أحسنت والله ياعم ما شئت ! قال: فإن كنت قد أحسنت يا أمير المؤمنين فهب لي الجام الثالثة؛ فقال: خذها فأخذها. وقام أمير المؤمنين، ودعا إبراهيم بمنديل فشناه طاقتين ووضع الجامات فيه وشده، ودعا بطين فختمه ودفعه إلى غلامه، ونهضنا إلى الانصراف، وقدمت دوابنا. فلما ركب إبراهيم التفت إلي فقال: يا محمد بن الحارث، زعمت أني لا أحسن أنا وجاريتي شيئاً، وقد رأيت ثمرة الإحسان. فقلت في نفسي: قد رأيت، فخذها لا بارك الله لك فيها ! و لم أجبه بشيء.

نسبة هذه الأصوات صوت

ما بال شمس أبي الخطاب قد غربت يا صاحبي أظن الساعة اقتربت

أم لا فما بال ريحٍ كنت آملها غدت علي بصرٍ بعدما خبئت

أشكو إليك أبا الخطاب جاريةً غريرةً بفؤادي اليوم قد لعبت

رأيت قيمها يوماً يحدثها يا ليتها قربت مني وما بعدت

الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدي رملٌ بالبنصر. وفيه هزج بالبنصر، ذكر عمرو بن بانة أنه لإبراهيم الموصلي، وذكر غيره أنه لإبراهيم بن المهدي.

صوت

ألا ليت ذات الخال تلقى من الهوى عشير الذي ألقى فيلتئم الحب

وصالكم صدٌ وقربكم قلىً وعطفكم سخطٌ وسلمكم حرب

الشعر للعباس بن الأحنف. والغناء لإبراهيم.

شعر في باقة نرجس غنى به المعتصم: وقال ابن أبي طاهر حدثني المؤمل بن جعفر قال: سمعت أبي يقول: كانت في يد المعتصم باقة نرجس فقال لإبراهيم بن المهدي: يا عم قل فيها أبياتاً وغن فيها. فنكت في الأرض بقضيبٍ في يده هنيهةً ثم قال: صوت

ثلاث عيونٍ من النرجس على قائم أخضرٍ أملس

يذكرنني طيب ريا الحبيب فيمنعنني لذة المجلس

وصنع فيه لحناً وغناه به، فأعجبه وأمر له بجائزة. لحن إبراهيم في هذين البيتين خفيف رمل بالبنصر، ذكر لي ذكاء فغيره ذلك.

غضب عليه المأمون وسجنه فاستعطفه حتى عفا عنه: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي عن الجاحظ، وأخبرني به محمد بن يحيىالصولي قال حدثنا يموت بن المزرع عن الجاحظ قال: أرسل إلي ثمامة يوم جلس المأمون لإبراهيم بن المهدي وأمر بإحضار الناس على مراتبهم فحضروا فجيء بإبراهيم، وأخبرني عمي قال حدثنا الحسن بن عليل قال حدثني محمد بن عمرو الأنباري من أبناء خراسان قال: لما ظفر المأمون لإبراهيم بن المهدي أحب أن يوبخه على رؤوس الناس. قال: فجيء بإبراهيم يحجل في قيوده، فوقف على طرف الإيوان وقال :السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال له المأمون: لا سلم الله عليك ولا حفظك ولا رعاك ولا كلأك يا إبراهيم. فقال له إبراهيم: على رسلك يا أمير المؤمنين ! فلقد أصبحت ولي ثأري، والقدرة تذهب الحفيظة، ومن مد له الاغترار في الأمل هجمت به الأناة على التلف. وقد أصبح ذنبي فوق كل ذنب، كما أن عفوك فوق كل عفو - وقال الحسن بن عليل في خبره: وقد أصبحت فوق كل ذي ذنب، كما أصبح كل ذي عفو دونك - فإن تعاقب فبحقك، وإن تعف فبفضلك. قال: فأطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال: إن هذين أشارا علي بقتلك. فالتفت فإذا المعتصم والعباس بن المأمون، فقال: يا أمير المؤنين، أما حقيقة الرأي في معظم تدبير الخلافة والسياسة فقد أشارا عليك به وما غشاك إذ كان ما كان مني، ولكن الله عودك من العفو عادةً جريت عليها دافعاً ما تخاف بما ترجو، فكفاك الله. فتبسم المأمون وأقبل على ثمامة ثم قال: إن من الكلام ما

يفوق الدر ويغلب السحر، وإن كلام عمي منه، أطلقوا عن عمي حديده وردوه إلي مكرماً. فلما رد إليه قال: يا عم صر إلى المنادمة وارجع إلى الأنس، فلن ترى مني أبداً إلا ما تحب. فلما كان من الغد بعث إليه بدرجٍ فيه:

يا خير من ذملت يمانيةٌ به ... بعد الرسول لآيسٍ أو طامع

وأبر من عبد الإله على الهدى ... نفساً وأحكمه بحقٍ صادع

عسل الفوراع ما أطعت فإن تهج ... فالموت في جرع السمام الناقع

متيقظاً حذراً وما يخشى العدا ... نبهان من وسنات ليل الهاجع

والله يعلم ما أقول فإنها ... جهد الألية من حنيفٍ راكع

قسماً وما أدلي إليك بحجةٍ ... إلا التضرع من محبٍ خاشع

ما إن عصيتك والغواة تمدني ... أسبابها إلا بنية طائع

حتى إذا علقت حبائل شقوتي ... بردىً على حفر المهالك هائع

لم أدر أن لمثل ذنبي غافراً ... فأقمت أرقب أي حتفٍ صارعي

رد الحياة إلي بعد ذهابها ... ورع الإمام القاهر المتواضع

أحياك من ولاك أطول مدةٍ ... ورمى عدوك في الوتين بقاطع

إن الذي قسم الفضائل حازها ... في صلب آدم للإمام السابع

كم من يدٍ لك لا تحدثني بها ... نفسي إذا آلت إلي مطامعي

أسديتها عفواً إلي هنيئةً ... فشكرت مصطنعاً لأكرم صانع

ورحمت أطفالاً كأفراخ القطا ... وعويل عانسةٍ كقوس النازع

وعفوت عمن لم يكن عن مثله ... عفوٌ ولم يشفع إليك بشافع

إلا العلو عن العقوبة بعدما ... ظفرت يداك بمستكينٍ خاضع

قال: فبكى المأمون ثم قال: علي به، فأتي به فخلع عليه وحمله وأمر له بخمسة آلاف دينار، ودعا بالفراش فقال له: إذا رأيت عمي مقبلاً فاطرح له تكأةً، فكان ينادمه ولا ينكر عليه شيئاً. وروي بعض هذا الخبر عن محمد بن الفضل الهاشمي فقال فيه: لما فرغ المأمون من خطابه دفعه إلى ابن أبي خالد الأحول وقال: هو صديقك فخذه إليك. فقال: وما تغني صداقتي عنه وأمير المؤمنين ساخطٌ عليه ! أما إني وإن كنت له صديقاً لا أمتنع من قول

الحق فيه. فقال له:قل فإنك غير متهم. قال وهو يريد التسلق على العفو عنه : إن قتلته فقد قتلت الملوك قبلك أقل جرماً منه، وإن عفوت عنه عفوت عمن لم يعف قبلك عن مثله. فسكت المأمون ساعةً ثم تمثل:

فلئن عفوت لأعفون جللاً ولئن سطوت لأوهنن عظمي

قومي هم قتلوا أميم أخي فإذا رميت أصابني سهمي

خذه يا أحمد إليك مكرما، فانصرف به. ثم كتب إلى المأمون قصيدته العينية. فلما قرأها رق له وأمر برده إلى منزله ورد ما قبض منه من أمواله وأملاكه. وفي خبر عمي عن الحسين بن عليل قال: حدثني محمد بن إسحاق الأشعري عن أبي داود: أن المأمون تقدم إلى محمد بن مزداد لما أطلق إبراهيم أن يمنعه داري الخاصة والعامة، ويوكل به رجلاً من قبله يثق به ليعرفه أخباره وما يتكلم به. فكتب إليه الموكل به أن إبراهيم لما بلغه منعه من داري الخاصة والعامة تمثل:

يا سرحة الماء قد سدت موارده أمالإليك طريقٌ غير مسدود

لحائمٍ حام حتى لا حيام له محلأً عن طريق الماء مطرود

فلما قرأها المأمون بكى وأمر بإحضاره من وقته مكرماً وإنزاله في مرتبته؛ فصار إليه محمد فبشره بذلك وأمره بالركوب فركب. فلما دخل على المأمون قبل البساط ثم قال:

البر بي منك وطا العذر عندك لي دون اعتذاري فلم تعذل ولم تلم

وقام علمك بي فاحتج عندك لي مقام شاهد عدلٍ غير متهم

رددت مالي ولم تمنن علي به وقبل ردك مالي قد حقنت دمي

تعفو بعدلٍ وتسطو إن سطوت به فلا عدمناك من عافٍ ومنتقم

فبؤت منك وقد كافأتها بيد هي الحياتان من موت ومن عدم

فقال له: اجلس يا عم آمناً مطمئناً، فلن ترى أبداً مني ما تكره، إلا أن تحدث حدثاً أو تتغير عن طاعة؛ وأرجو ألا يكون ذلك منك إن شاء الله.

بذ أحمد بن يوسف الكاتب في حسن المحاضرة: أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ابن حمدون عن أبيه قال: كنت أحب أن أجمع بين إبراهيم بن المهدي وأحمد بن يوسف الكاتب بما كنت أراه من تقدم أحمد وغلبته الناس جميعاً بحفظه وبلاغته وأدبه في كل محضر ومجلس. فدخلت يوماً على إبراهيم بن المهدي وعنده أحمد بن يوسف وأبو العالية الخزري، فجعل إبراهيم يحدثنا فيضيف شيئاً إلى شيء، مرةً يضحكنا ومرةً يعظنا ومرةً ينشدنا ومرةً يذكرنا، وأحمد بن يوسف ساكت. فلما طال بنا المجلس أردت أن أخاطب أحمد، فسبقني إليه أبو العالية فقال:

ما لك لا تنبح يا كلب الدوم قد كنت نباحاً فما لك اليوم

فتبسم إبراهيم ثم قال: لو رأيتني في يد جعفر بن يحيى لرحمتني كما رحمت أحمد مني.

أثنى عليه إسحاق: أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي قال قال لي إسحاق: ليس فيمن يدعي العلم بالغناء مثل إبراهيم بن المهدي وأبي دلف القاسم بن عيسى العجلي. فقيل له: فأين محمد بن الحسن بن مصعب منهما؟ فقال: لو قيل لك إن محمد بن الحسن يبصر الغناء لكان ينبغي لك أن تقول: وكيف يبصر الغناء من نشأ بخراسان لا يسمع من الغناء العربي إلا ما لا يفهمه !.

إقرار ابن بانة له ولإسحاق بالعلو في فن الغناء: أخبرني يحيى قال حدثني أبو العبيس بن حمدون عن عمرو بن بانة قال: رأيت إسحاق الموصلي يناظر إبراهيم بن المهدي في الغناء، فتكلما فيه بما فهماه و لم نفهم منه شيئاً. فقلت لهما: لئن كان ما أنتما فيه من الغناء ما نحن منه في قليل ولا كثير.

فضل المأمون غناءه على غناء إسحاق في شعر للأخطل: أخبرني عمي عن علي بن محمد بن نصر عن جده حمدون: أن المأمون قال لإسحاق: غنني لحنك في شعر الأخطل:

يا قل خير الغواني كيف رغن به فشربه وشلٌ منهن تصريد

فغناه إياه فاستحسنه، ثم قال لإبراهيم بن المهدي: هل صنعت في هذا الشعر شيئاً؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فهاته؛ فغناه فاستحسنه المأمون وقدمه على صنعة إسحاق و لم يدفع إسحاق ذلك.

علمه إسحاق لحناً فطرب له الأمين وقصة ذلك: أخبرني أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى الموصلي قال ذكر أبي عن جدي عن عبد الله بن عيسى الماهاني قال: دخلت يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصلي في حاجة، فرأيت عليه مطرف خز أسود ما رأيت قط أحسن منه؛ فتحدثنا إلى أن أخذنا في أمر المطرف فقال: لقد كانت لكم أيامٌ حسنة ودولةٌ عجيبةٌ، فكيف ترى هذا؟ فقلت له: ما رأيت مثله. فقال: إن قيمته مائة ألف درهم، وله حديث عجيب. فقلت له: ما أقومه إلا نحواً من مائة دينار. فقال إسحاق: اسمع حديثه: شربنا يوماً من الأيام، فبت وأنا مثخن، فانتبهت لرسول محمد الأمين، فدخل علي فقال لي: يقول لك أمير المؤمنين عجل إلي - وكان بخيلاً على الطعام فكنت آكل قبل أن أذهب إليه - فقمت فتسوكت وأصلحت أمري، وأعجلني الرسول عن الغداء. فدخلت عليه وإبراهيم بن المهدي جالس عن يمينه وعليه هذا المطرف وعليه جبة خز دكناء. فقال لي محمد: يا إسحاق تغديت ؟ فقلت: نعم يا سيدي. فقال: إنك لنهمٌ، أهذا وقت غداء ! فقال: أصبحت يا أمير المؤمنين وبي حمار، فكان ذلك مما حداني على الأكل. فقال لهم: كم شربنا؟ فقالوا: ثلاثة أرطال. فقال: اسقوه مثلها. فقلت: إن رأيت أن تفرقها علي ! فقال: تسقى رطلين ورطلاً. فدفع إلي رطلان فجعلت أشربهما وأنا أتوهم أن نفسي تسيل معهما، ثم دفع إلي رطلٌ آخر فشربته فكأن شيئاً انجلى عني. فقال غنني:

كليبٌ لعمري كان أكثر ناصراً وأيسر جرماً منك ضرج بالدم

فغنيته؛ فقال: أحسنت طرب، ثم قام فدخل. وكان يفعل ذلك كثيراً، يدخل إلى النساء ويدعنا. فقمت في أثر قيامه فدعوت غلاماً لي فقلت: اذهب إلى مترلي وجئني ببزماوردتين ولفهما في منديل واذهب ركضاً وعجل. فمضى الغلام فجاءني بهما. فلما وافى الباب ونزل عن الدابة انقطع البرذون فنفق من شدة ما ركضه، فأدخل إلي البزماوردتين فأكلتهما ورجعت إلي نفسي وعدت إلى مجلسي. فقال لي إبراهيم: إن لي إليك حاجة أحب أن تقضيها لي. فقلت: إنما أنا عبدك وابن عبدك، قل ما شئت. قال: ترد علي:

كليبٌ لعمري كان أكثر ناصراً

وهذا المطرف لك. فقلت: أنا لا آخذ منك مطرفاً على هذا، ولكني أصير إليك إلى مترلك فألقيه على الجواري وأرده عليك مراراً. فقال: أحب أن ترده علي الساعة وأن تأخذ هذا المطرف فإنه من لبسك ومن حاله كذا وكذا. فرددت عليه الصوت مراراً حتى أخذه. ثم سمعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء فجلس ثم قعدنا، فشرب وتحدثنا. فغناه إبراهيم:

كليبٌ لعمري كان أكثر ناصراً

فكأني والله لم أسمعه قبل ذلك حسناً، وطرب محمد طرباً عجيباً وقال: أحسنت والله يا عم ! أعط يا غلام عشر بدرٍ لعمي الساعة، فجاءوا بها. فقال: يا أمير المؤمنين إن لي فيها شريكاً. قال: ومن هو؟ قال: إسحاق. قال: وكيف؟ قال: إنما أخذته الساعة منه لما قمت. فقلت له: و لم ! أضاقت الأموال على أمير المؤمنين حتى يشركك فيما تعطاه ! قال: أما أنا فأشركك وأمير المؤمنين أعلم. فلما انصرفنا من المجلس أعطاني ثلاثين ألفاً وأعطاني هذا المطرف. فهذا أخذ به مائة ألف درهم وهي قيمته.

حج مع الرشيد وقصته مع جارية رآها: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال لي إبراهيم بن المهدي: حججت مع الرشيد؛ فلما صرنا بالمدينة خرجت أدور في عرصاتها، فانتهيت إلى بئر وقد عطشت وجاريةٌ تستقي منها، فقلت: يا جارية، امتحي لي دلواً. فقالت: أنا والله عنك في شغل بضريبة موالي علي. فنقرت بسوطي على سرجي وغنيت: صوت

رام قلبي السلو عن أسماء ... وتعزى وما به من عزاء

سخنةٌ في الشتاء باردة الصي ... ف سراجٌ في الليلة الظلماء

كفناني إن مت في درع أروى ... وامتحالي من بئر عروة مائي

- الشعر للأحوص. والغناء لمعبد رملٌ مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق - وتمام هذه الأبيات:

إنني والذي تحج قريشٌ ... بيته سالكين نقب كداء

لملمٌ بها وإن أبت منها ... صادراً كالذي وردت بداء

ولها مربعٌ ببرقة خاخٍ ومصيفٌ بالقصر قصر قباء

قلبت لي ظهر المجن فأمست قد أطاعت مقالة الأعداء

ولمعبد أيضاً في البيت الأخير من هذه الأبيت ثم الأول والثاني خفيف ثقيلٍ عن الهشامي. ولابن سريج في:

ولها مربعٌ ببرقة خاخٍ

وكفناني إن مت في درع أروى

رملٌ عن الهشامي أيضاً. ولإبراهيم في:" رام قلبي " وما بعده ثاني ثقيلٍ عن حبش - قال إبراهيم بن المهدي في الخبر: فرفعت الجارية رأسها إلي فقالت: أتعرف بئر عروة؟ قلت لا. قالت: هذه والله بئر عروة، ثم سقتني حتى رويت، وقالت: إن رأيت أن تعيده ففعلت، فطربت وقالت: والله لأحملن قربةً إلى رحلك !. فقلت: افعلي، ففعلت وجاءت معي تحملها. فلما رأت الجيش والخدم فزعت. فقلت لها: لا بأس عليك ! وكسوتها ووهبت لها دنانير وحبستها عندي، ثم صرت إلى الرشيد فحدثته حديثها؛ فأمر بابتياعها وعتقها؛ فما برحت حتى اشتريت وأعتقت، وأخذت لها منه صلةً وافترقنا.

حواره مع المأمون حين استعطفه بكلام سعيد بن العاص لمعاوية: حدثني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن خلف بن المرزبان قالا حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثنا الفضل بن مروان قال: لما أدخل إبراهيم بن المهدي على المأمون وقد ظفر به، كلمه إبراهيم بكلام سعيد بن العاص كلم به معاوية بن أبي سفيان في سخطةٍ سخطها عليه واستعطفه به. وكان المأمون يحفظ الكلام، فقال له المأمون: هيهات يا إبراهيم ! هذا كلامٌ سبقك به فحل بن العاص بني أمية وقارحهم سعيد بن العاص وخاطب به معاوية. فقال له إبراهيم : مه يا أمير المؤمنين؟ !وأنت أيضاً إن عفوت فقد سبقك فحل بن حربٍ وقارحهم إلى العفو، فلا تكن حالي عندك في ذلك أبعد من حال سعيد عند معاوية، فإنك أشرف منه، وأنا أشرف من سعيد، وأنا أقرب إليك من سعيد إلى معوية، وإن أعظم الهجنة أن تسبق أمية هاشماً إلى مكرمة. فقال: صدقت يا عم، وقد عفوت عنك.

غضب عليه الأمين فاستعطفه: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: جرى بين محمد الأمين وبين إبراهيم بن المهدي كلامٌ على النبيذ، فوجد عليه محمد. فلما كان بعد أيام بعث إليه إبراهيم بألطافٍ فلم يقبلها؛ فوجه إليه وصيفةً مليحة مغنية معها عود معمول من عود هندي، وقال هذه الأبيات وغنى فيها وألقاها عليها حتى أخذت الصنعة وأحكمتها، ثم وجه بها إليه. فوقفت الجارية بين يديه وقالت له: عمك وعبدك يا أمير المؤمنين يقول لك - واندفعت تغني بالشعر وهو -:

هتكت الضمير برد اللطف وكشفت هجرك لي فانكشف

وإن كنت تنكر شيئاً جرى فهب للخلافة ما قد سلف

وجد لي بصفحك عن زلتي فبالفضل يأخذ أهل الشرف

قال: فسر محمدٌ بها، وبعث إلى إبراهيم فأحضره ورضى عنه وأمر له بخمسة آلاف دينار وتمم يومه معه.

صالح جاريته صدوف: أخبرني محمد بن خلف المرزبان قال أخبرني سعيد بن صالح الأسدي قال حدثني جعفر بن محمد الهاشمي قال حدثني بعض خدم إبراهيم بن المهدي قال: كانت لإبراهيم بن المهدي جارية يقال لها صدوف، وكان لها من نفسه موضع. فحسدها جواريه على محلها منه، فلم يزلن يبلغنه عنها ما يكره حتى غضب عليها وجفاها أياماً؛ ثم شق ذلك عليه واغتم به، و لم يطب نفساً بمراجعتها وصلحها. فدخل عليه الأعرابي أخو معللة صاحبة الفضل بن الربيع، وكان حسن الشعر حلو اللفظ فصيحاً، وكان إبراهيم يأنس به، فقال له: ما لي أرى الأمير منكسراً منذ أيام؟ فأمسك. فقال: قد عرفت حال الأمير وقلت في أمره أبياتاً إن أذن لي أنشدته إياها. فتبسم وقال: هات؛ فأنشده:

أعتبت أم عتبت عليك صدوف ... وعتاب مثلك مثلها تشريف

لا تقعدن تلوم نفسك دائباً ... فيها وأنت بحبها مشغوف

إن الصريمة لا ينوء بحملها ... إلا القوي بها وأنت ضعيف

فاستحسن إبراهيم الأبيات وأمر له بمائتي دينار، وبعث إلى صدوف فخرجت إليه ورضي عنها، وبعثت إليه صدوف بمائة دينار.

قيل له تب وأحرق دفاتر الغناء فقال ريق تحفظ كل غنائي: أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني أحمد بن علي بن حميدة قال حدثتني ريق قالت:

مرض إبراهيم بن المهدي مرضةً أشرف منها على الموت، فجعل يتذكر شغفه بالغناء وما سلف له فيه ويتندم عليه. فقال له بعض من حضر: فتب وأحرق دفاتر الغناء. فحرك رأسه ساعة ثم قال: يا مجانين ! فهبني أحرقت دفاتر الغناء كلها، ريق أيش أعمل بها؟ أأقتلها وهي تحفظ كل شيء في دفاتر الغناء !! رأى علياً في النوم: أخبرني جعفر بن قدامة والحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني المبرد عن أحمد بن الربيع عن إبراهيم بن المهدي قال: رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم، فقلت له: إن الناس قد أكثروا فيك وفي أبي بكر وعمر، فما عندك في ذلك؟ فقال لي: إخسأ ! و لم يزدني على ذلك. وأخبرني الكوكبي بهذا الخبر عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال: كان إبراهيم شديد الانحراف عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فحدث المأمون يوماً أنه رأى علياً في النوم، فقال له: من أنت؟ فأخبره أنه علي بن أبي طالب. قال: فمشينا حتى جئنا قنطرةً فذهب يتقدمني لعبورها؛ فأمسكته وقلت له: إنما أنا رجلٌ تدعي هذا الأمر بامرأة ونحن أحق به منك ! فما رأيت له في الجواب بلاغةً كما يوصف عنه. فقال: وأي شيء قال لك؟ فقال: ما زادني على أن قال سلاماً سلاماً. فقال له المأمون: قد والله أجابك أبلغ جواب. قال: وكيف؟ قال: عرفك أنك جاهلٌ لا يجاوب مثلك؛ قال الله عز وجل: " وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ". فخجل إبراهيم وقال: ليتني لم أحدثك بهذا الحديث.

تمنى له الأمين طول العمر: أخبرني الكوكبي قال حدثني المفضل بن سلمة عن هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن

أبيه قال: قلت للأمين يوماً: يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك ! فقال: بل جعلني الله فداءك؛ فأعظمت ذلك. فقال: يا عم لا تعظمه فإن لي عمراً لا يزيد ولا ينقص؛ فحياتي مع الأحبة أطيب من تجرعي فقدهم، وليس يضرني عيش من عاش بعدي منهم.

غنى للأمين لحناً فطرب وطلب إليه أن يلقنه إحدى جواريه، وقصة ذلك: حدثني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني أبي قال: كنت يوماً بين يدي الأمين أغنيه؛ فغنيته: صوت

أقوت منازل بالهضاب ... من آل هندٍ والرباب

خطارة بزمامها ... وإذا ونت ذلل الركاب

ترمي الحصاء بمناسمٍ ... صمٍ صلادمةٍ صلاب

قال: فاستحسن اللحن وسألني عن صانعه؛ فعرفته أن ابن جامع حدثني عن سياط أنه لابن عائشة؛ فلم يزل يشرب عليه لا يتجاوزه، ثم انصرفنا ليلتنا تلك. ووافاني رسوله حين انتبهت من النوم وأنا أستاك، فقال لي: يقول لك: بحياتي يا عم لا تشتغل بعد الصلاة بشيء غير الركوب إلي. فصليت وتناولت طعاماً خفيفاً وأنا ألبس ثيابي خوفاً من رجوع رسوله، وركبت إليه. فلما رآني من بعيد صاح بي: يا عم بحياتي:

خطارة بزمامها

فلما دخلت المجلس ابتدأته وغنيته؛ فأمر بإحضار صبيةٍ كان يتحظاها، فأخرجت إليه صبية كأنها لؤلؤة في يدها العود. فقال: بحياتي يا عم ألقه عليها ! فأعدته مراراً وهو يشرب؛ حتى إذا ظننت أنها قد أخذته أمرتها أن تغنيه فغنته، فإذا هو قد استوى لها إلا في موضع كان فيه وكان صعباً جداً فجهدت جهدي أن يقع لها طلباً لمسرته، وكان حقيقاً مني بذلك، فلم يقع لها البتة. ورأى جهدي في أمرها وتعذره عليها، فأقبل عليها وقد سكر ثم قال: نفيت من الرشيد وكل أمةٍ لي حرةٌ وعلي عهد الله لئن لم تأخذيه في المرة الثالثة لآمرن بإلقائك في دجلة ! قال: ودجلة تطفح وبيننا وبينها نحو ذراعين وذلك في الربيع، فتأملت القصة، فإذا هو قد سكر، وإذا الجارية لا تقوله كما أقوله أبداً. فقلت: هذه والله داهية، ويتنغص عليه يومه وأشرك في دمها، فعدلت عما كنت أغنيه عليه وتركت ما كنت أقوله، وغنيته كما كانت هي تقوله، وجعلت أردده حتى انقضت ثلاث مرات أعيده فيها على ما كانت هي تقوله، وأريته أني أجتهد. فلما انقضت الثلاث المرات قلت لها: هاتيه الآن، فغنته على ما كان وقع لها. فقلت: أحسنت يا أمير المؤمنين، ورددته معها ثلاث مرات، فطابت نفسه وسكن، وأمر لي بثلاثين ألف درهم.

حدث لجحظة مع طرخان ما حدث له هو مع الأمين :

قال جحظة: وقد لحقني مثل هذا؛ فإن طرخان بن محمد بن إسحاق بن كنداجيق استحسن صوتاً غنيته وهو:

أعياني الشادن الربيب ... أكتب أشكو فلا يجيب

من أين أبغي شفاء دائي وإنما دائي الطبيب

- ولحنه رملٌ - فقال: أحب أن تطرحه على زهرة جاريتي، فمكثت أتردد إليها شهراً وأكثر وأردده عليها وهو يصلني ويخلع علي ويعطيني كل شيء حسن يكون في مجلسه، فلا تأخذه مني ولا يقع لها. فلما كان بعد شهر قلت له: أيها الأمير قد والله استحييت من كثرة ما تعطيني بسبب هذا الصوت، وقد أعياني أن تأخذه زهرة؛ ثم حدثته حديث إبراهيم بن المهدي وقلت له: لولا أني آمنك عليها لقلته أنا كما تقوله هي حتى نتخلص جميعاً. وليس وحياتك تأخذه أبداً كما أقوله ولا فيه حيلة. فقال لي: فدعه إذاً.

غنى بحضرة المأمون لحناً وأراد ابن بسخنر أن يأخذه عنه فضلله: حدثني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم قال حدثني محمد بن الحارث بن بسخنر قال: غنى إبراهيم بن المهدي يوماً بحضرة المأمون: صوت

يا صاح يا ذا الضامر العنس والرحل ذي الأنساع والحلس

أما النهار فأنت تقطعه رتكاً وتصبح مثل ما تمسي

- في هذين البيتين لحن لمالك خفيف ثقيلٍ عن يونس والهشامي. قال: ولمعبد فيه ثقيل أول، وقد نسب قومٌ لحن كل واحد منهما إلى الآخر. قال محمد بن الحارث بن بسخنر في الخبر: واللحن لمالك بن أبي السمح وهو من قصاره. هكذا في الخبر - قال: فاستحسنه المأمون، وذهبت آخذه، ففطن لي إبراهيم فجعل يزيد فيه مرةً وينقص منه أخرى بزوائده التي كان يعملها في الغناء، وعلمت ما هو يصنع فتركته. فلما قام قلت للمأمون: يا سيدي إن رأيت أن تأمر إبراهيم أن يلقي علي:

يا صاح يا ذا الضامر العنس

قال: أفعل. فلما عاد قال له: يا إبراهيم ألق على محمد:

يا صاح يا ذا الضامر العنس

فألقاه علي كما كان يغنيه مغيراً، ثم انقضى إلى المجلس وسكر المأمون. فقال لي إبراهيم: قم الآن فأنت أحذق الناس به، فخرجت وخرج. ثم جئته إلى منزله فقلت له: ما في الأرض أعجب منك ! أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعم الخليفة تبخل على ولي لك مثلي لا يفاخرك بالغناء ولا يكاثرك بصوت !! فقال لي: يا محمد ما في الدنيا أضعف عقلاً منك ! والله ما اسبقاني المأمون محبةً لي ولا صلةً لرحمي، ولكنه سمع من هذا الجرم شيئاً فقده من سواه فاستبقاني لذلك. فغاظني فعله. فلما دخلت على المأمون حدثته بما قال لي. فقال المأمون: يا محمد هذا أكفر الناس لنعمةٍ ! وأطرق ملياً ثم قال لي: لا نكدر على أبي إسحاق عفونا عنه ولا نقطع رحمه، فدع هذا الصوت الذي ضن به عليك إلى لعنة الله.

قال بيتاً يكيد به لدعبل: حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن يزيد قال: قلت لدعبل: بالله أسألك أنت القائل:

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعةٌ إذا حسبوا يوماً وثامنهم كلب

فقال: لا والله ! فقلت: من قاله؟ قال: من حشا الله قبره ناراً إبراهيم بن المهدي، كافأني بذلك عن هجائي إياه ليشيط بدمي.

خطأ مخارقاً في لحن غناه للمأمون ثم لقنه إياه على وجهه: أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني محمد بن الحارث بن بسخنر قال: لما رضي المأمون عن إبراهيم بن المهدي ونادمه، دخل عليه متبذلاً في ثياب المغنين وزيهم. فلما رآه ضحك وقال: نزع عمي ثياب الكبر عن منكبيه. فدخل وجلس، وأمر المأمون بأن يخلع عليه فألبس الخلع. ثم ابتدأ مخارق فغنى: صوت

خليلي من كعبٍ ألما هديتما بزينب لا يفقدكما أبداً كعب

من اليوم زوارها فإن مطينا غداة غدٍ عنها وعن أهلها نكب

فقال له إبراهيم: أسأت وأخطأت. فقال له المأمون: يا عم إن كان أساء وأخطأ فأحسن أنت. فغنى إبراهيم الصوت. فلما فرغ منه قال لمخارق: أعده الآن، فأعاده فأحسن. فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين كم بين الصوت الآن وبينه في أول الأمر؟ قال: ما أبعد ما بينهما ! فالتفت إلى مخارقٍ ثم قال: إنما مثلك يا مخارق مثل الثوب الوشي الفاخر، إذا تغافل عنه أهله سقط عليه الغبار فحال لونه، فإذا نفض عاد إلى جوهره.

سأله الرشيد عن أحسن الأسماء وأسجمها فأجابه:

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثتني شارية الكبرى مولاة إبراهيم بن المهدي قالت: سمعت مولاي إبراهيم بن المهدي يحدث قال: كنت بين يدي الرشيد جالساً على طرف حراقةٍ من حراقاته وهو يريد الموصل وقد بلغنا إلى السودقانية ، والمدادون يمدون السفن، والشطرنج بيني وبينه، والدست متوجه له، إذا أطرق هنيةً ثم قال لي: يابن أم، ما أحسن الأسماء عندك؟ قلت: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: ثم أي شيء بعده؟ قلت: هارون اسم أمير المؤمنين. قال: فما أسمج الأسماء؟ قلت: إبراهيم. فزجني ثم قال: ويحك ! أتقول هذا ! أليس هو اسم إبراهيم خليل الرحمن ! فقلت له: بشؤم هذا الأسم لقي من نمرود ما لقي وطرح في النار. قال: فإبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم؟ قلت: لا جرم أنه لم يعمر من أجله. قال: فإبراهيم الإمام؟ قلت بحرفة اسمه قتله مروان في حران . وأزيدك يا أمير المؤمنين: إبراهيم بن الوليد خلع، وإبراهيم بن عبد الله بن حسن قتل، وعمه إبراهيم بن حسن سقط السجن عليه فمات، وما رأيت والله أحداً يسمى بهذا الأسم إلا قتل أو نكب أو رأيته مضروباً أو مقذفاً أو مظلوماً. ثم ما انقضى من الكلام حتى سمعت ملاحاً يصيح بآخر: مد إبراهيم يا عاض بظر أمه مد. فقلت له: أبقي لك شيءٌ بعد هذا ! ليس والله في الدنيا اسم أشأم من إبراهيم والسلام. فضحك حتى أشفقت عليه.

غنى المأمون لحناً عرض فيه بالحسن بن سهل: حدثني جحظة قال حدثني أبو عبد الله الهشامي عن أبيه قال: دخل الحسن بن سهل على المأمون وهو يشرب؛ فقال له: بحياتي وبحقي عليك يا أبا محمد إلا شربت معي قدحاً،

وصب له من نبيذه قدحاً. فأخذه بيده وقال له: من تحب أن يغنيك؟ فأومأ إبراهيم بن المهدي فقال له المأمون: غنه يا عم، فغناه:

تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت

يعرض به لما كان لحقه من السوداء والاختلاط. فغضب المأمون حتى ظن إبراهيم أنه سيوقع به، ثم قال له: أبيت إلا كفراً يا أكفر خلق الله لنعمه ! والله ما حقن دمك غيره ! ولقد أردت قتلك فقال لي: إن عفوت عنه فعلت فعلاً لم يسبقك إليه أحد، فعفوت والله عنك لقوله. أفحقه أن تعرض به ولا تدع كيدك ولا غلك ! أو أنفت من إيمائه إليك بالغناء ! فوثب إبراهيم قائماً وقال: يا أمير المؤمنين، لم أذهب حيث ظننت، ولست بعائد؛ فأعرض عنه.

غنى للمعتصم لحناً وسمعه أحمد بن أبي دواد فمال للغناء بعد أن كان يتجنبه: أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني جرير بن أحمد بن أبي دواد قال حدثني أخي عن أبي قال: كنت أتجنب الغناء وأطعن على أهله وأذم لهجهم به؛ فوجه المعتصم إلي عند خروجه من مدينة السلام: الحق بي؛ فلحقت به بباب الشماسية ومعي غلام زنقطة، فوجدته قد ركب الزورق، وسمعت عنده صوتاً أذهلني حتى سقط سوطي من يدي و لم أشعر به، ثم احتجت وقد أعنق بي برذوني أن أكفه بسوطي. فقلت لغلامي: هات سوطك؛ فقال سقط والله من يدي لما سمعت هذا الغناء. فغلبني الضحك حتى بان في وجهي. ودخلت على المعتصم بتلك الحال. فلما رآني قال لي: ما يضحكك يا أبا عبد الله؟ فحدثته، فقال، أتتوب الآن من الطعن علينا في السماع؟ فقلت له: قبل ذلك من كان يغنيك؟ قال: عمي إبراهيم، كان يغنيني:

إن هذا الطويل من آل حفصٍ أنشر المجد بعد ما كان ماتا

ثم قال: أعده يا عم ليسمعه أبو عبد الله فإني أعلم أنه لا يدع مذهبه. فقلت: بلى والله لأدعنه في هذا ولا لمتك عليه. فقال: أما إذ كانت توبته على يديك يا عم فلقد فزت بفخرها وعدلت برجل ضخم عن رأيه إلى شأننا. فضله مخارق على نفسه وعلى إبراهيم الموصلي وابن جامع: حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني طلحة بن عبد الله الطلحي قال حدثني الحسين بن إبراهيم قال: كنت أسأل مخارقاً: أي الناس أحسن غناءً؟ فيجيبني جواباً مجملاً حتى حففت عليه يوماً قال: كان إبراهيم الموصلي أحسن غناءً من ابن جامع بعشر طبقات، وأنا أحسن غناءً من إبرهيم الموصلي بعشر طبقات، وإبراهيم بن المهدي أحسن غناءً مني بعشر طبقات. قال ثم قال لي: أحسن الناس غناءٌ أحسنهم صوتاً، وإبراهيم بن المهدي أحسن الجن والإنس والوحش والطير صوتاً، وحسبك هذا.

سمع إسحاق صوتاً من لحنه وشعره فطرب له واستعاده عامة يومه وقصة ذلك :

حدثني علي بن هارون المنجم قال حدثني محمد بن أحمد بن علي بن يحي قال سمعت جدي علي بن يحيى يقول حدثني محمد بن الفضل الجرجرائي قال: انتبهت يوماً مغلساً، فدخل إلي الغلام فقال لي: إسحاق الموصلي بالباب

قبل أن أصلي الغداة. فقلت يدخل، في الدنيا إنسان يستأذن لإسحاق ! فدخل فقال: حملني الشوق إليك على أن بكرت هذا البكور، وقد حملت معي نبيذي وعملت على المقام عندك. فقلت: مرحباً بك وأهلاً. ودعوت طباخي فسألته عما في المطبخ، فذكر أشياء يسيرةٌ، منها قطعة جدي وطباهج ودراجٌ معلق. فقال: ما أريد غير ذلك، هاته الساعة. فقلت للطباخ: عجل بإحضاره، وعملت على الأكل معه وعلى أن نأخذ في شأننا. فدخل حاجبي فقال: رسول الأمير إسحاق بن إبراهيم بالباب، وإذا فرانقٌ يذكر أنه وجه به إلى محمد بن الفضل ليحضره. قال فقال لي إسحاق: قم في حفظ الله واجتهد في أن تتعجل. قال: فتقدمت إلى الخادم بإخراج الجواري إليه ووضع النبيذ بين يديه، ولبست ثيابي وخرجت وركبت. فلما سرت قليلاً قلت في نفسي: أنا أخسر الناس صفقةً إن تركت إسحاق بن الموصلي في منزلي ومضيت إلى إسحاق بن إبراهيم المصبعي، ولا أدري ما يريد مني. فقلت لفرانق: هل لك في خير؟ قال: وما هو؟ قلت: تأخذ ثلاثين درهماً وتمضي فتقول: إنك وجدتني شارب دواءٍ. قال: نعم. فدفعت إليه ثلاثين درهماً، وختمت له حتماً ورجعت. فقال لي إسحاق: أسرعت الكرة، فأخبرته بما صنعت؛ فقال وفقت. فجلست وكان يأكل فأكلت معه، فأخذنا في شأننا. وخرج الجواري إليه فغنين حتى مر صوت إبراهيم بن المهدي في شعره وهو:

جدد الحب بلايا أمرها ليس يسيرا

- ولحنه من الثقيل الثاني - قال: فطرب إسحاق طرباً ما رأيته طرب مثله قط، وعجب من إحسانه في صنعته وجودة قسمته، و لم يزل صوتنا يومنا أجمع لا نغني غيره حتى شرب إسحاق قطرميزة ، وفيه من المشمش الذي كان يشربه ثلاثة عشر رطلاً، وكلما حضرت صلاةٌ قام إسحاق يصلي بنا، فصلى بنا العتمة وقد فني قطرميزه فشرب من نبيذي رطلين على الصوت. قال: وكان محمد بن الفضل ينزل بسوق الثلاثاء وإسحاق ينزل على نهر المهدي. وقد وزر محمد بن الفضل للمتوكل قبل عبيد الله بن يحيى.

نسبة هذا الصوت:

جدد الحب بلايا أمرها ليس يسيرا
كبر الحب وقدماً كان إذ حل صغيرا
ذلل الحب رقاباً كان أدناها عسيرا
ليس لي من الحب إلفي غير حرماني السرورا

الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل.

أحب جارية عند بعض أهله وقال فيها شعراً: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال حدثني عبد الوهاب بن محمد بن عيسى قال: استتر إبراهيم بن المهدي عند بعض أهله من النساء، فوكلت بخدمته جاريةٌ جميلةٌ وقالت همساً: إن أرادك لشيءٍ فطاوعيه وأعلميه ذلك حتى يتسع له، فكانت توفيه حقه في

الخدمة والإعظام ولا تعلمه بما قالت لها؛ فجل مقدارها في نفسه إلى أن قبل يوماً يدها، فقبلت الأرض بين يديه. فقال:

يا غزالاً لي إليه ... شافعٌ من مقلتيه

والذي أجللت خد ... يه فقبلت يديه

بأبي وجهك ما أك ... ثر حسادي عليه

أنا ضيفٌ وجزاء الض ... يف إحسانٌ إليه

قال: وعمل فيه بعد ذلك لحناً في طريقة الهزج.

غنى للمأمون بشعر له وكان يخشى بطشه فرق له وأمنه: وقال أحمد بن أبي طاهر: غنى إبراهيم بن المهدي يوماً والمأمون مصطبحٌ، وقد كان خافه وبلغه عنه تنكره:

ذهبت من الدنيا وقد ذهبت مني ... هوى الدهر بي عنها وولى بها عني

فرق له المأمون لما سمعه، وقال: والله لا تذهب نفسك يا إبراهيم على يد أمير المؤمنين، فطب نفساً؛ فإن الله قد أمنك إلا أن تحدث حدثاً يشهد عليك فيه عدلٌ، وأرجو ألا يكون منك حدثٌ إن شاء الله.

نسبة هذا الصوت صوت

ذهبت من الدنيا وقد ذهبت مني ... هوى الدهر بي عنها وولى بها عني

فإن أبك نفسي أبك نفساً نفيسةً ... وإن أحتسبها أحتسبها على ضن

الشعر والغناء إبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل بالوسطى. وهذا الشعر قاله إبراهيم بن المهدي لما أخرج الجند عيسى بن محمد ابن أخي خالد من الحبس، وله في ذلك خبر طويل، وقد شرطنا ألا نذكر من أخباره إلا ما كان من جنس الغناء.

وفي هذا القصيدة يقول:

وأفلتني عيسى وكانت خديعةً ... حللت بها ملكي وفلت بها سني

قال ابن أبي طاهر وحدثني أبو بكر بن الخصيب قال حدثني محمد بن إبراهيم قال: غنى إبراهيم بن المهدي يوماً عند المأمون فأحسن، وبحضره المأمون كاتبٌ لطاهر يكنى أبا زيد، فطرب حتى وثب فأخذ طرف ثوب إبراهيم فقبله. فنظر إليه المأمون منكراً لفعله. فقال ما تنظر ! أقبله والله ولو قتلت عليه ! فتبسم المأمون وقال: أبيت إلا ظرفاً.

أراد الحسن بن سهل أن يضع منه فعرض هو به: قال ابن أبي طاهر وحدثني علي بن محمد قال سمعت بعض أصحابنا يقول: اجتمع إبراهيم بن المهدي والحسن بن سهل عند المأمون؛ فأراد الحسن أن يضع من إبراهيم فقال

له: يا أبا إسحاق أي صوت تغنيه العرب أحسن؟ يبد بذلك أن يشهر إبراهيم بالغناء والعلم به. فقال إبراهيم: بيت الأعشى:

تسمع للحلى وسواساً إذا انصرفت

أي إنك موسوس، وكان بالحسن شيءٌ من هذا.

غنت مغنية بحضرته فداعبها: أخبرني عمي عن جدي عن علي بن يحيى المنجم قال: غنت مغنية وإبراهيم بن المهدي حاضر:

من رأى نوقاً غدت سحراً

فقل إبراهيم: أنا رأيت هذا. قيل له: وأين رأيته أيها الأمير؟ قال: رأيت ولد علي بن ريطة يمضون في السحر إلى الصيد.

سمعته رومية أعجمية فبكت تأثراً من صوته: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال حدثني بعض الكتاب عن ريق قالت: خرجت يوماً إلى سيدي " تعني إبراهيم بن المهدي " وقد صنع لحنه في:

وإذا تباع كريمةٌ أو تشترى فسواك بائعها وأنت المشتري

وإذا صنعت صنيعة أتممتها بيدين ليس نداهما بمكدر

وجاريةٌ لنا رومية أعجمية لا تفصح في أقصى الدار تكنس، وهو يطرح الصوت على شارية، والأعجمية تبكي أحر بكاء سمعته قط، فجعلت أعجب من بكائها وأنظر إليها حتى سكت ،فلما سكت قطعت البكاء، فعلمت أن هذا من غلبته بحسن صوته لكل طبعٍ فصيحٍ وأعجمي.

غنى الأمين صوتاً فأجازه: أخبرني الحسين بن يحيى وابن المكي وابن أبي الأزهر عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: غنى إبراهيم بن المهدي ليلةً محمداً الأمين صوتاً لم أرضه في شعر لأبي نواس وهو:

يا كثير النوح في الدمن لا عليها بل على السكن

سنة العشاق واحدٌ فإذا أحببت فاستكن

ظن بي من قد كلفت به فهو يجفوني على الظنن

رشأ لولا ملاحته خلت الدنيا من الفتن

فأمر له بثلثمائة ألف درهم . قال إسحاق فقال إبراهيم له: يا أمير المؤمنين قد أجزتني إلى هذه الغاية بعشرين ألف درهم، فقال: هل هي إلا خراج بعض الكور !. هكذا ذكر إسحاق. وقد روى محمد بن الحارث بن بسخنر هذه الحكاية عن إبراهيم فقال: لما أردت الأنصراف قال: أوقروا زورق عمي دنانير ه فانصرفت بمال جليل.

كان يحسن الإيقاع على الطبل والناي: أخبرني أبو الحسن علي بن هارون قال ذكر لي أبو عبد الله الهشامي عن

أهله قال قال إبراهيم بن المهدي - وقد خرج إلى ذكر الطبل والإيقاع به - فقال إبراهيم: هو من الآلات التي لا يجوز أن تبلغ نهايتها. فقيل له: وكيف خص الطبل بذلك؟ فقال: لأن عمل اليدين فيه عملٌ واحد، ولا بد من أن يلحق اليسار فيه نقصٌ عن اليمين، ودعا بالطبل ليرينا كيف ذلك فأوقع إيقاعاً لم نكن نظن أن مثله يكون، وهو مع ذلك يرينا موضع زيادة اليمين على اليسار. قال وقال له الأمين في بعض خلواته: يا عم أشتهي أن أراك تزمر. فقال: يا أمير المؤمنين، ما وضعت على فمي نايًا قط ولا أضعه، ولكن يدعو أمير المؤمنين بفلانة - من موالي المهدي - حتى تنفخ في الناي وأمر يدي عليه. فأحضرت ووضعت الناي على فيها وأمسكه إبراهيم، فكلما مر الهواء أمر أصابعه، فأجمع سائر من حضر أن لم يسمع مثله قط.

حسن ترجيعه في لحن: وأخبرني أبو الحسن علي بن هارون أيضاً قال حدثني أبي قال حدثني عبيد الله بن عبد الله وأبو عبد الله الهشامي قالا:

كان إبراهيم بن المهدي إذا غنى لحنه:

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أو تسترون هلالها

فبلغ إلى قوله:

جبريل بلغها النبي فقالها

هز حلقه فيه ورجعه ترجيعاً تتزلزل منه الأرض.

غنت متيم اليمانية لحناً فاختلس إيقاعه منها: أخبرني محمد بن إبراهيم قريض قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني الهشامي قال: كانت متيم الهشامية ذات يوم جالسة بين يدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهدي حاضرٌ، فتغنت متيم في الثقيل الأول:

لزينب طيفٌ تعتريني طوارقه

فأشار إليها إبراهيم أن تعيده. فقالت متيم للمعتصم: يا سيدي إن إبراهيم يستعيدني الصوت وأظنه يريد أن يأخذه. فقال لها: لا تعيديه. فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضراً بمجلس المعتصم وكانت متيم غائبةً عنه، فانصرف إبراهيم بالليل إلى منزله ومتيم في منزلها في الميدان وطريقه عليها وهي في منظرةٍ لها مشرفةٍ على الطريق وهي تطرح هذا الصوت على بعض جواري بني هاشم، فتقدم إلى المنظرة على دابته وتطاول حتى أخذ الصوت، ثم ضرب باب المنظرة بمقرعته وقال: قد أخذناه بلا حمدك.

نسبة هذا الصوت

لزينب طيفٌ تعتريني طوارقه هدوءاً إذا النجم ارجحنت لواحقه

سيبكيك مرنان العشي يجيبه لطيف بنان الكف درمٌ مرافقه

إذا ما بساط اللهو مد وقربت للذاته أنماطه ونمارقه

الشعر للنميري. والغناء لمعبد، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول في البنصر في مجراها عن إسحاق. وفيه لمالك خفيف ثقيل أول بالبنصر عن يونس والهشامي.

برهان محمد بن موسى المنجم على أنه أحسن الناس غناء: أخبرني علي بن هارون قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: كان محمد بن موسى المنجم يقول:حكمت أن إبراهيم بن المهدي أحسن الناس كلهم غناءً ببرهان، وذلك أني كنت أراه بمجالس الخلفاء مثل المأمون والمعتصم يغني المغنون ويغني، فإذا ابتدأ الصوت لم يبق من الغلمان والمتصرفين في الخدمة وأصحاب الصناعات والمهن الصغار والكبار أحدٌ إلا ترك ما في يده وقرب من أقرب موضعٍ يمكنه أن يسمعه، فلا يزال مصغياً إليه لاهياً عما كان فيه مادام يغني، حتى إذا أمسك وتغنى غيره رجعوا إلى التشاغل بما كانوا فيه و لم يلتفتوا إلى ما كانوا يسمعون. ولا برهان أقوى من هذا في مثل هذا من شهادة الفطن له واتفاق الطبائع - مع اختلافها وتشعب طرقها-على الميل إليه والانقياد له.

كانت له أشياء لم يكن لأحد مثلها: حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال: قلت للمعتصم: كانت لأبي أشياء لم يكن لأحدٍ مثلها. فقال: وما هي؟ قلت: شارية وزامرتها معمعة. فقال: أما شارية فعندنا، فما فعلت الزامرة؟ قلت: ماتت. قال: وماذا؟ قلت: وساقيته مكنونة، و لم ير أحسن وجهاً ولا ألين ولا أظرف منها. قال: فما فعلت؟ قلت: ماتت. قال: وماذا؟ قلت: نخلةٌ كانت تحمل رطباً طول الرطبة منها شبر. قال: فما فعلت؟ قلت: جمرتها بعد وفاته. قال: وماذا؟ قلت: قدحه الضخضاح. قال: وماذا فعل؟ قلت: الساعة والله حجمني فيه أبو حرملة فسألته أن يهبه لي ففعل، ووجهت به إلى مترلي فغسل ونظف وأعيد إلى خزانتي، فرأيت أبي فيما يرى النائم في ليلتي تلك وهو يقول لي:

أيترع ضخضاحي دماً بعدما غدت ... علي به مكنونةٌ مترعا خمرا

فإن كنت مني أو تحب مسرتي ... فلا تغفلن قبل الصباح له كسرا

فانتبهت فزعاً وما فرق الصبح حتى كسرته.

كتب إليه إسحاق الموصلي فأجابه: فأما المماظة التي كانت بينه وبين إسحاق فقد مضى في خبر إسحاق منها طرفٌ. ونذكر ها هنا منها ما مجرى محاسن إبراهيم والقيام بحجته إن كانت له، وعذره فيما عيب عليه لأنه بذلك حقيق. فمن ذلك نسخت من كتابٍ أعطانيه أبو الفضل العباس بن أحمد بن ثوابة رحمه الله بخط إسحاق في قرطاس - وأنا أعرف خطه - وجواب لإبراهيم بن المهدي في ظهره بخط ضعيف وأظنه خطه؛ لأنه لو كان خط كاتبٍ لكان أجود من ذلك الخط، وقد ذهب أول الكتاب فذهب منه أول الابتداء والجواب، ونسخت بقيته؛ فكان ما وجدته من ابتداء إسحاق:

وكنت - جعلت فداءك - كتبت في كتابك إلى محمد بن واضح تذكر أنك مولاي وسيدي . فمتى دفعت ذلك ! وهل لي فخرٌ غيره ! أو لأحدٍ علي وعلى أبي رحمه الله من قبلي نعمةٌ سواكم وأحب ذلك أن يكون، وأرجو أن أموت قبل أن يبتليني الله بذلك إن شاء الله. فأما ذكرك - جعلت فداءك - الصناعة فقد أجل الله

قدرك عن الحاجة إلى دفعها والاعتذار عنها. وأما أنا المسكين فأنت تعلم أني لم أتخذ ما نحن في صناعةً قط، وأني لم أردها إلا لكم شكراً لنعمتك وحباً للقرب منكم وإليكم. فليس ينبغي أن يعيبني ذلك عندكم، ولا يجوز لأحدٍ أن يعيبني به إذ كان لكم. وقد علمت أنك لم تضعني من علويه ومخارق بحيث وضعتني إلا لغضب أحوجك إلى ذلك، وإلا فأنت تعلم أنهما لو كانا مملوكين لي لآثرت تعجيل الراحة منهما بعتقهما أو تخلية سبيلهما على ثمنٍ أصيبه ببيعهما أو حمدٍ أكتسبه بثمنهما، أو أنك تقرنني إليهما وتذكرني معهما !. أو تلومني الآن على أن أحرس فلا أنطق بحرف، وإن أفر من الغناء فرارك من الخطأ فيه، وأمتعض منه امتغاضك ممن يخفي عليك شيئاً من علومه !. كيف ترى - جعلت فداءك - الآن سبابي وأنت ترى أن أحداً لا يحسن السب غيرك !. قد أحدثت لي - جعلت فداءك - أدباً وزدتني بصيرةً فيما أحب من تركه وترك الكلام فيه. فإن ظننت أن هذا فرارٌ من الحجة وتعريد عن المناظرة، كما قلت، فقد ظفرت وصرت إلى ما أحببت؛ وإلا فإنه لا ينبغي للحر أن يتلهى بما لا تقوم لذته بمعرته، ولا العاقل أن يبذل ما عنده لمن لا يحمده، ولعله لا يقلب العين فيه حتى يلحقه ما يكره منه. وأما ما قاله أبي - رحمه الله - من أنه لم يزل يتمنى أن يرى من سادته من يعرف قدره حق معرفته ويبلغ علمه بهذه الصناعة الغاية العظمى حتى رآك، فقد صدق، وما زال يتمنى ذلك وما زلت أتمناه. فهل رأيت - جعلت فداءك - حظي منه إلا بانت ساويت به من لم يكن يساوي شسعه، ولعلك لا ترضى في بعض القوم حتى تفضله عليه، لا تنفعه عندك معرفةٌ به، ولا رعايةٌ لطول الصحبة والخدمة، ولا حفظٌ لآثار محمودة باقية نذكرها ونحتج بها. ثم ها أنا من بعده تضعني بالموضع الذي تضعني به، وتنسبني إلى ما تنسبني إليه؛ لأني توخيت الصواب واجتهدت في البذل والمناصحة، لا يدفعك عني حفظٌ لسلفٍ، ولا صيانةٌ لخلفٍ ولا استدامة لقديم ما نعلم، ولا مصانعةٌ لما تطلب، ولا ولاء مما أكره أن أقوله . فما أرى - جعلت فداءك - من معرفتك بما في أيدينا إلا تجرع الحسرات، وتطلبك لنا العثرات، والله المستعان. كيف أصنع جعلت فداءك ! إن سكت لم تقبل ذلك مني، وإن صدقت كذبتي وإن كذبت ظفرت بي، وإن مزحت لأطربك وأضحكك وأقرب من أنسك وآخذ بنصيبي من كرمك وغضبت وسببت، ولو كنت قريباً منك لضربت ! وليتك فعلت، فكان ذلك أيسر من غضبك. ثم من أعظم المصائب عندي أمرك إياي أن أسأل محمد بن واضح عن قولٍ قلته في عند عمرو بن بانة. فوالله - جعلت فداءك - إني لأبشع - بذكره فكيف أحب أن أذكره له !وإني لأرثي لك من النظر إليه، وأعجب من صبرك عليه، مع أني - أعوذ بالله من ذلك - لو رغبت في هذا منه ومن مثله لكفيتك ونفسي ذلك بأن أكسوه ثوبين، أو أهب له دينارين، أو أقول له أحسنت في صوتين، حتى نبلغ أكثر مما أردت لي أو أريده لنفسي. فالحمد لله الذي جعل حظي منك هذا ! ومثله غير مستصغر لشأنك ولا مستقل لقليل حسن رأيك. والله أسأل أن يطيل بقاءك، ويحسن جزاءك ويجعلني فداءك. قد طال الكتاب، وكثر العتاب. وجملة ما عندي من الإعظام والإجلال اللذين لا أخاف أن أجعلهما عندك، والمحبة التي لا أمتنع منها ولا أعرف سواها، والسمع والطاعة في تسليم ما تحب تسليمه والإقرار بما أحببت أن أقر به، وسأشهد على ذلك محمد بن واضح وأشهد لك به من أحببت

وأؤدي الخراج. ولكن لا بد من فائدة وإلا انكسر، فهات- جعلت فداءك - وأوف واستوف فإنك واجدٌ صحة واستقامة إن شاء الله. مد الله في عمرك، وصبرني عليك، وقدمني قبلك، وجعلني من كل سوء فداءك.

نسخة جواب إبراهيم بعدما ذهب منه

...وأية سلامةٍ أقدر لك عليها إلا أسوقها إليك، أعطاني الله ما احب من ذلك لك. فأما أن أتكلم من ورائك بشيء تستثقله متعمداً؛ فما أنا إذاً بحر ولا كريم؛ معاذ الله من ذلك !. ولئن جمعني وإياك وعلى بن هشام مجلسٌ لأستشهدنه على أشياء لم أذكرها لك، و لم أكتب بها إليك، إجلالاً لقدر حالك عندي من اعتدادٍ بمثل ذلك مني، وأنت عنه غافل، والله به عليم. وأما الرشوة فأرجو أن تجيئك على ما تشتهي آتاك الله ما تحب فيما تحب وتكره وجعلك له شاكراً. وأما الفوائد التي وعدت ورودها علينا فإني لواثقٌ أنك لا تفيدني شيئاً فأنظر فيه إلا وجدتني فيه فطنا أجيد تفتيشه وأعرف كنهه وأفيدك فيه وفيما استنبطت منه ما لا تجد عند نفسك أكثر منه، فأما غيرك فالهباء المنثور. ويا رأس المشنعين تقول إني عيرتك بالصناعة ثم تحتج بحذقك في تحريف الأقوال واكتساب الحجج، لتفحم خصمك، وتعلي حجتك فكيف أعيبك بحاجتي إليك، وما أنا داخل فيه معك ! لا ! ولكني قلا لك: إني لست كفلان وفلان ممن لو كان عنده أمر ينازعك به ثقل عليك، إنما أنا رجل من مواليك متوسلٌ إليك بما يسرك، أو كصاحبٍ لك تناظره بما تحب أن تجد من تناظره فيه، فليكن ذلك بالإنصاف وطلب الصواب أصبته أو أخطأته، لا بالحمية والأنفة والحيلة لترد الحق بالباطل. هذا معنى قولي؛ وقد استشهدت عليك فيه أبا جعفر، وجاءني كتابك وهو عندي يشهد لي. والكتاب الذي هذا فيه بخطي عنده لم يرده علي، فتتبع ما فيه وخذني به. فلعمري لئن كنت قرنتك بمن ذكرت لأعيبك بالتشبيه لك بهم ما عبت غير رأيي، ولا جهلت غير نفسي.

ولست أعتذر من هذا لأنك تشهد لي بالحق فيه، وإنما تريد أن تخصمني بلا حجة، فيكفيني علمك بما عندي، وإلا فأنت إذاً بي أجهل مني بك. وقلت: " تذكرني معهما " فقد ذكر الله النار مع الجنة، وموسى مع فرعون، وإبليس مع آدم، فلم يهن بذلك موسى ولا آدم ولا أكرم فرعون وإبليس، فأعفني من المغالطة لي والتحريف لقولي، واستمتع بي وأمتعني بالمصادقة. فإن أنت لم تفعل بقيت واحداً مستوحشاً، و لم تجد غيري إن علم ما تعلم لم ينقصك، وإن علم أكثر منك لم يشنك، وإن أفهمته كافاك، وإن استفهمته شفاك. لا والله ما أردت إلا ما ذكرته لك، ولا أحسبك ظننت في غير ذلك؛ لأنك لا تجهلني فأنا عندك غير جاهل. وواحدة هي لك دوني، والله ما كنت أبالي ألا أسمع من مخارق وعلويه شيئاً حتى أسمع بنعيهما، ولا أراهما حتى أراهما ميتين، وما في هذا غيرك والإعظام لك والإكرام. وذلك أنهما كانا لك غلامين فصيرتهما ندين تقول فيهما ويقولان فيك، وإنما هما صنيعتاك وخريجا تأديبك وإن كانا غير طائل. فلو أعرضت عن انتقاصهما ورفعت ما رفع الله من قدرك عن الإفراط في عيبهما، لكان ذلك أشبه بك وأجمل بمحلك وخطرك ومكانك. وكذلك الذي ترثي له منه وصاحبه محمد بن الحارث، فوالله ما أحب لك في أدبك وفضلك ودينك ومحلك أن تشهر نفسك لهما بهذا ومثله، وأن ينتهي إليهما ذلك عنك. أقول يعلم الله في ذلك لا لهما . وإن ذلك، لو صرت إليه، لأجمل بك وأجل لقدرك

وإن كنت لتتخولهما به. ولو أردت ذلك، وإن زهدت فيه، لم تضع نفسك ومحلك مع غلمانٍ أحداثٍ يبسطون ألسنتهم فيك بما بسطته منهم على نفسك، ولو لم تفعل لكنت أعظم في عيونهم من بعض مواليهم الذين تولوا منتهم. هذا رأيي لك بما هو أكبر لأمرك وأشبه بمحلك. ووالله ما غششتك ولا أوطأتك عشواء، فاختر لنفسك ما رأيت. ولا والله لا سمعا بهذا أبداً ولا بما قلته في إلا خزياً حتى يموتا، ولا أردت - يشهد الله - بهذا غيرك. وأما من ذكرت أني أسويه بأبي إسحاق رحمه الله وهو لا يساوي شسعة فإنك عنيت ابن جامع. وأنت لا تدخل بيني وبين أبي إسحاق رضي الله عنه، ولا أظنك والله أشد حباً له مني، ولا كان لك أشد حباً منه لي، فقد تعلم كيف كان لي، ولكن لا أظلم ابن جامع كما تظلمه أنت يا أظلم البشر. ولئن ضمنت أن تنصفني لأكلمنك فيه بما لا تدفعه، ولكني لا أكلمك في شيء حتى أثق بهذه منك، وإلا وسعني من السكوت ما وسعك. ومن العجب الذي لم أر مثله والمكابرة التي لايشبهها شيء اعتداؤك علي في التجزئة حيث تقول:

حييا أم يعمرا قبل شحطٍ من النوى

يا أخي وحبيب نفسي فانظر كم في هذا من العيوب !! قولك: " ييا " ليكون مثل " شحط " في الوزن ،أيكون مثل هذا في الكلام ! في الجزء الثاني " حي " حتى يكون مثل " قبل "، هل يكون مثل هذا ! أو ليس في " ييا " المشددة أربع ياءات، وفي " حي " التي عطفت بها ثلاثٌ فتصير سبع ياءات، وإنما هي ثلاث في الأصل: الياء المشددة وياء الإثنين حيث تقول " حييا " !. والناس في هذا بيني وبينك بهائم، فمن أستعدي عليك ! ولو أنصفت لعلمت أنه لا يمكن في:

حييا أم يعمرا

غير ما جزأت أنا إلا بهذا الغلط الذي لا يحول من تحريك ساكنٍ تجعله أول الكلام فقد زدت قبله حرفاً، أو تسكين متحرك فتريد بعده حرفاً؛ كقولك " أم يعمرا قابل شحطن " حيث جعلت قبل الباء ألفاً، وكقولك " أم يعمرن قبلاً " فزدت الألف لتسكت عليها لأن السكوت على متحرك لا يمكن. فأية حجةٍ هذه ! أو من يصبر لك على هذا ! وإنما أردت أنا ما يجوز فجئني بتجزئةٍ واحدة، لا أريد غير ذلك منك. مالك يا أخي تنفس علي الصواب فيما لا نقيصه عليك فيه ولا عيب، ثم اتخذت تحمدي إليك، بما قلت لك أن تسأل محمداً عن قولي فيك بظهر الغيب. ذنباً بطبعك على الظلم والتحريف، حتى كأني أعلمتك أن أحداً تنقصك فحميت لذلك، و لم يكن غير الرد عليه. والله ما مثلي يمن بهذا، ولكني كنت إذا تحدثت مع محمد خالياً كلمته بمثل ما أكلمك به من الرد والجدل، فلما كان عندنا من يحتشم كان كلامي بما يجب أن أتكلم به من الإكرام والتقديم، فقال لي: أي شيء هذا الذي أرى؟ فقلت له: هذا كلام الحشمة وذلك كلام الأنس. فأردت بإعلامك هذا أن تعلم أني لا أريد بما أنازعك فيه شيئاً يزيغ عما تعرف مني، وأني أذكرك بما يشبهك في موضعه. فلو اتقيت الله وأبقيت على الإخاء لما كنت تحرف هذا بشيء، وهو جميل أرضاه من نفسي، فتصيره قبيحاً تريد أن أعتذر إليك منه.

وأما أداء الخراج والإشهاد، فهذا شيء لم أطلبه منك، إنما انت طلبته مني ظالماً لي. وذلك لأني لم أنازعك إلا منازعة مناظرٍ يحب أن يعرف حسن فحصه وثاقب نظره.

وأما الرياسة فقد جعلها الله لك على أهل هذا العمل، ولا رياسة لي عليهم ولا لك علي؛ لأني في العلم مناظر وفي العمل متلذذ. فلا تظلمني ولا نفسك لي.

ومن بعد فإني أحب أن تخبرني كيف أنت اليوم بعد. والله غممتني، لا غمك الله ولا غمني بك. ولو شئت أرسلت إلى يحيى بن خالد طبيب أخي عبيد الله فإنه رفيقٌ مباركٌ عليم، وهو منك قريب في دار الروم، أخذت برأيه ومن علاجه. وهب الله لك العافية ووهبها لي فيك برحمته.

وإنما ذكرت هذا الابتداء وجوابه على طولهما، وهما قليلٌ من كثير من مكاتباتهما، لتعرف بهما طرفاً من مقدارهما في المنازعة والمجادلة، وأن إسحاق كان يريد من إبراهيم التواضع له والخنوع برياسته ويتحامل عليه في بعض الأوقات، وينحو إبراهيم نحو ما فعله به؛ لأن نفسه تأبى ما يريده إسحاق منه، فيستعمل معه من المباينة مثل ما استعمله، ويكونان في طرفين من الظلم يبعد كل واحد منهما عن إنصاف صاحبه. وقد روى يوسف بن إبراهيم أخباراً فيما جرى بينهما - فوجدت كلامهما مرصوفاً رصف إبراهيم بن المهدي ومنظوماً نظم منطقه - فيها تحاملٌ على إسحاق شديدٌ، وحكاياتٌ ينسب من نقلها إلى جهلٍ بصناعته كان إسحاق بعيداً من مثله، فعلمت أن إبراهيم عمل ذلك وألفه وأمر يوسف بنشره في الناس ليدور في أيديهم ذكرٌ له يفضل به. وذلك بعيدٌ وقوعه، ولن تدفع الحقائق بالأكاذيب، ولا يزيل الخطأ الصواب، ولا الخطل السداد. وكفى من نضح عن إسحاق بأن أغاني إبراهيم بن المهدي لا يكاد يعرف منها صوتٌ ولا يروى منها إلا اليسير، وأن كلامه في تجنيس الطرائق اطرح، وعمل على مذهب إسحاق، وانقضى الصنع لإبراهيم بذلك مع انقضاء مدته، كما يضمحل الباطل مع أهله. فعدلت عن ذكر تلك الأخبار؛ لا لأنها لم تقع إلي، ولكنها أخبار يتبين فيها التحامل والحنق، وتتضمن من السب لإسحاق والشتم والتجهيل ما يعلم أنه لم يكن يقضي على مثله لأحد ولو خاف القتل ، فاستبردت ذلك واطرحته، واعتمدت من أخبار إبراهيم على الصحيح، وما جرى مجرى هذا الكتاب من خبرٍ مستحسنٍ وحكايةٍ ظريفةٍ دون ما يجري مجرى التحامل؛ فقد مضى في صدر الكتاب من أخبارهما وإغصاص إسحاق إياه بريقه وتجريعه أمر من الصبر ما ينبئ عن بطلان غيره.

وممن صنع من أولاد الخلفاء علية بنت المهدي، ولا أعلم أحداً منهم بعد إبراهيم أخيها كان يتقدمها. وكان يقال: ما اجتمع في الجاهلية أو الإسلام أخٌ وأختٌ أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وعلية أخته. وأخبارها تذكر بعد هذا تاليةً لما أذكره من غنائها. فمن صنعتها: صوت

تضحك عما لو سقت منه شفا ... من أقحوانٍ بله قطر الندى

أغر يجلو عن غشا العين العشا ... حلو بعيني كل كهلٍ وفتى

إن فؤادي لا تسليه الرقى لو كان عنها صاحياً لقد صحا

الشعر لأبي النجم العجلي. والغناء لعلية بنت المهدي رملٌ بالوسطى.

أخبار أبي النجم ونسبه

أصله ونسبه، وهو من الطبقة الأولى من الرجاز: قال أبو عمرو الشيباني: اسمه المفضل، وقال ابن الأعرابي: اسمه الفضل بن قدامة بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة بن الحارث بن إلياس بن عوف بن ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وهو من رجاز الإسلام الفحول المقدمين وفي الطبقة الأولى منهم.

هو أبلغ في النعت من العجاج: أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي إجازةً عن محمد بن سلام وذكر ذلك الأصمعي أيضاً قالا قال أبو عمرو بن العلاء: كان أبو النجم أبلغ في النعت من العجاج.

انتصف مع الرجاز من الشعراء: أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني الفضل بن العباس الهلشمي عن أبي عبيدة قال: مازالت الشعراء تغلب حتى قال أبو النجم:

الحمد لله الوهوب المجزل

وقال العجاج:

قد حبر الدين الإله فجبر

وقال رؤبة:

وقاتم الأعماق خاوي المخترق

فانتصفوا منهم.

أعظمه رؤبة وقام له عن مكانه: ووجدت في أخبار أبي النجم عن أبي عمرو الشيباني قال: قال له فتيانٌ من عجل: هذا رؤبة بالمربد يجلس فيسمع شعره وينشد الناس ويجتمع إليه فتيان من بني تميم، فما يمنعك من ذلك؟ قال: أو تحبون هذا؟ قالوا نعم. قال: فأتوني بعسٍ من نبيذ فأتوه به ،فشربه ثم نهض وقال:

إذا اصطحبت أربعاً عرفتني ثم تجشمت الذي جشمتني

فما رآه رؤبة أعظمه وقام له عن مكانه وقال: هذا رجاز العرب. وسألوه أن ينشدهم فأنشدهم:

الحمد لله الوهوب المجزل

وكان إذا أنشد أزبد ووحش بثيابه " أي رمى بها ". وكان من أحسن الناس إنشاداً. فلما فرغ منها قال رؤبة: هذه أم الرجز. ثم قال: يا أبا النجم ،قد قربت مرعاها إذ جعلتها بين رجل وابنه. يوهم عليه رؤبة أنه حيث قال:

تبقلت من أول التبقل بين رماحي مالكٍ ونهشل

أنه يريد نهشل بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم. فقال له أبو النجم: هيهات ! الكمر تشابه. أي إني أنما أريد مالك بن ضبيعة بن قيس ين ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. ونهشل قبيلة من ربيعة وهؤلاء يرعون الصمان وعرض الدهناء. قال أبو عمرو: وكان سبب ذكر هاتين القبيلتين " يعني بني مالك ونهشل "أن دماءً كانت بين بني دارم وبني نهشل وحروباً في بلادهم، فتحامى جميعهم الرعي فيما بين فلجٍ والصمان مخافة أن يعروا بشر حتى عفا كلؤه وطال، فذكر أن بني عجل جاءت لعزها إلى ذلك الموضع فرعته و لم تخف من هذين الحيين، ففخر به أبو نجم. قال: ويدل على ذلك قول الفرزدق:

أترتع بالأحياء سعد بن مالكٍ وقد قتلوا مثنى بظنة واحد

فلم يبق بين الحي سعد بن مالكٍ ولا نهشل إلا دماء الأساود

ترتيب الرجاز في رأي بعض الرواة: وقال الأصمعي: قيل لبعض رواة العرب: من أرجز الناس؟ قال: بنو عجل ثم بنو سعد ثم بنو عجل ثم بنو سعد. " يريد الأغلب ثم العجاج ثم أبا النجم ثم رؤبة ".

كان يتسرع إلى رؤية فيكفه عنه المسمعي: أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال عامر بن عبد الملك المسمعي: كان رؤبة وأبو النجم يجتمعان عندي فأطلب لهما النبيذ، فكان أبو النجم يتسرع إلى رؤبة حتى أكفه عنه.

ناجز العجاج حتى هرب منه: ونسخت من كتاب أبي عمرو الشيباني قال حدثني بعض البصريين منهم أبو برزة المرثدي - قال وكان عالماً راويةً - قال:

خرج العجاج متحفلاً عليه جبة خز وعمامة خز على ناقةٍ له قد أجاد رحلها حتى وقف بالمربد والناس مجتمعون، فأنشدهم قول:

قد جبر الدين الإله فجبر

فذكر فيها ربيعة وهجاهم. فجاء رجل من بكر بن وائل إلى أبي النجم وهو في بيته فقال له: أنت جالسٌ وهذا العجاج يهجونا بالمربد قد اجتمع عليه الناس !! قال: صف لي حاله وزيه الذي هو فيه، فوصف له. فقال: ابغني جملاً طحاناً قد أكثر عليه من الهناء ، فجاء بالجمل إليه. فأخذ سراويل له فجعل إحدى رجليه فيها واتزر بالأخرى وركب الجمل ودفع خطامه إلى من يقوده، فانطلق حتى مربد أتى مربد. فلما دنا من العجاج قال: اخلع خطامه فخلعه، وأنشد:

تذكر القلب وجهلاً ما ذكر

فجعل الجمل يدنو من الناقة يتشممها ويتباعد عنه العجاج لئلا يفسد ثيابه ورحله بالقطران، حتى إذا بلغ إلى قوله:

شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

تعلق الناس هذا البيت وهرب العجاج.

غلب الشعراء عند عبد الملك بن مروان أو سليمان بن عبد الملك وظفر منه بجارية :

ونسخت من كتاب أبي عمرو قال حدثني أبو الأزهر ابن بنت أبي النجم عن أبي النجم أنه كان عند عبد الملك بن مروان - ويقال عند سليمان بن عبد الملك - يوماً وعنده جماعة من الشعراء، وكان أبو النجم فيهم والفرزدق، وجاريةٌ واقفةٌ على رأس سليمان أو عبد الملك تذب عنه، فقال: من صبحني بقصيدة يفتخر فيها وصدق في فخره فله هذه الجارية. فقاموا على ذلك ثم قالوا: إن أبا النجم يغلبنا بمقطعاته: يعنون بالرجز "، قال: فإني لا أقول إلا قصيدةً. فقال من ليلته قصيدته التي فخر فيها وهي:

علق الهوى بحبائل الشعثاء

ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراء فأنشده، حتى إذا بلغ إلى قوله:

منا الربع الجيوش لظهره عشرون وهو يعد في الأحياء

فقال عبد الملك: قف، إن كنت صدقت في هذا البيت فلا نريد ما وراءه. فقال الفرزدق: وأنا أعرف منه ستة عشر، ومن ولد ولده أربعة كلهم قد ربع. فقال عبد الملك أو سليمان: ومن ولد ولده هم ولده، إدفع إليه الجارية يا غلام. فقال: فغلبهم يومئذٍ.

قال: وبلغني من وجه آخر أنه قال له: فإذا أقررت له بستة عشر فقد وهبت له أربعة، ودفع إليه الجارية، فقدم بها البادية؛ فكان بينه وبين أهله شرٌ من أجلها.

وصف جارية لخالد بن عبد الله القسري لساعته فوهبها له: وقال أبو عمرو: بعث الجنيد بن عبد الرحمن المري إلى خالد بن عبد الله القسري بسبيٍ من الهند بيضٍ، فجعل يهب لأهل البيت كما هو للرجل من قريش ومن وجوه الناس، حتى بقيت جاريةٌ منهن جميلةٌ كان يدخرها وعليها ثياب أرضها فوطتان. فقال لأبي النجم: هل عندك فيها شيءٌ حاضر و تأخذها الساعة؟ قال: نعم أصلحك الله ! فقال العريان بن الهيثم النخعي: كذب والله ما يقدر على ذلك.

فقال أبو النجم:

علقت خوداً من بنات الزط ذات جهاز مضغطٍ ملط

رابي المجس جيد المحط كأنما قط على مقط

إذا بدا منها الذي تغطي كأن تحت ثوبها المنعط

شطاً رميت فوقه بشط لم ينز في البطن ولم ينحط

فيه شفاءٌ من أذى التمطي كهامة الشيخ اليماني الثط

وأومأ بيده إلى هامة العريان بن اليهثم. فضحك خالد وقال للعريان: كيف ترى ! أحتاج إلى أن يروي فيها يا عريان ؟! قال: والله ! ولكنه ملعون ابن ملعون: وقال أبو عمرو في الرواية وأخبرني به علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال حدثني محمد بن المغيرة بن محمد عن الزبير بن بكار عن فليح بن إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير قال: غضب عليه هشام ثم سمر معه ليلة فرضي عنه: ورد أبو النجم على هشام بن عبد الملك في الشعراء. فقال لهم هشام: صفوا لي إبلاً فقطروها وأوردوها وأصدروها حتى كأني أنظر إليها. فأنشدوه وأنشده أبو النجم:

الحمد لله الوهوب المجزل

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال " وهي على الأفق كعين. .. " وأراد أن يقول " الأحول " ثم ذكر حوله هشام فلم يتم البيت وأرتج إليه. فقال هشام: أجز البيت. فقال " كعين الأحول " وأتم القصيدة. فأمر هشام فوجيء عنقه وأخرج من الرصافة، وقال لصاحب شرطته: يا ربيع إياك وأن أرى هذا !، فكلم وجوه الناس صاحب الشرطة أن يقره ففعل، فكان يصيب من فضول أطعمة الناس ويأوي إلى المساجد. وقال الزبير في خبره قال أبو النجم: و لم يكن أحدٌ بالرصافة يضيف إلا سليم بن كيسان الكلبي وعمرو بن بسطام التغلبي، فكنت آتي سليماً فأتغدى عنه، وآتي عمراً فأتعشى عنده، وآتي المسجد فأبيت فيه. قال: فاهتم هشام ليلةً وأمسى لقس النفس وأراد محدثاً يحدثه، فقال لخادمٍ له: ابغني محدثاً أعرابياً أهوج شاعراً يروي الشعر. فخرج الخادم إلى المسجد فإذا هو بأبي النجم، فضربه برجله وقال له: قم أجب أمير المؤمنين. قال: إني رجل أعرابي غريب. قال: إياك أبغي، فهل تروي الشعر؟ قال: نعم وأقوله. فأقبل به حتى أدخله القصر وأغلق الباب ،قال: فأيقن بالشر ثم مضى فأدخله على هشام في بيت صغير، بينه وبين نسائه سترٌ رقيقٌ والشمع بين يديه تزهر . فلما دخل قال له هشام: أبو النجم ؟! قال: نعم يا أمير المؤمنين طريدك. قال: اجلس. فسأله وقال له: أين كنت تأوي ومن كان يترلك؟ فأخبره الخبر. قال: وكيف اجتمعا لك؟ قال: كنت أتغدى عند هذا وأتعشى عند هذا. قال: وأين كنت تبيت؟ قال: في المسجد حيث وجدني رسولك. قال: ومالك من الولد والمال؟ قال: أما المال فلا مال لي، وأما الولد فلي ثلاث بنات وبنيٌ يقال له شيبان. فقال: هل زوجت من بناتك أحداً؟ قال: نعم زوجت اثنتين، وبقيت واحدة تجمز في أبياتنا كأنها نعامة. قال: وما وصيت به الأولى؟ - وكانت تسمى " برة " بالراء - فقال:

أوصيت من برة قلباً حرا ... بالكلب خيراً والحماة سرا

لا تسأمي ضرباً لها وجرا ... حتى ترى حلو الحياة مرا

وإن كستك ذهباً ودرا ... والحي عميهم بشرً طرا

فضحك هشام وقال: فما قلت للأخرى؟ قال قلت:

سبي الحماة وابهتي عليها وإن دنت فازدلفي إليها
وأوجعي بالفهر ركبتيها ومرفقيها واضربي جنبيها
وظاهري النذر لها عليها لا تخبري الدهر به ابنتيها

قال: فضحك هشام حتى بدت نواجذه وسقط على قفاه. فقال: ويحك ! ماهذه وصية يعقوب ولده ! فقال: وما أن كيعقوب يا أمير المؤمنين. قال فما قلت للثالثة؟ قال قلت:

أوصيك يا بنتي فإني ذاهب أوصيك أن تحمدك القرائب
والجار والضيف الكريم الساغب لا يرجع المسكين وهو خائب
ولا تني أظفارك السلاهب منهن في وجه الحماة كاتب
والزوج إن الزوج بئس الصاحب

قال: فكيف قلت لها هذا ولم تتزوج؟ وأي شيء قلت في تأخير تزويجها؟ قال قلت فيها:

كأن ظلامة أخت شيبان يتيمةٌ ووالدها حيان
الرأس قملٌ كله وصئبان وليس في الساقين إلا خيطان
تلك التي يفزع منها الشيطان

قال: فضحك هشام حتى ضحك النساء لضحكه، وقال للخصي: كم بقي من نفقتك؟ قال: ثلثمائة دينار. قال: أعطه إياها ليجعلها في رجل ظلامة مكان الخيطين.

كان أسرع الناس بديهة: وقال الأصمعي أخبرني عمي وأخبرني ببعض هذا الحديث ابن بنت أبي النجم أن أبا النجم قال:

الحمد لله الوهوب المجزل

في قدر ما يمشي الإنسان من مسجد الأشياخ إلى حاتم الجزار. ومقدار ما بينهما غلوةٌ أو نحوها. قال: وكان أسرع الناس بديهةً.

سئل الأصمعي أي الرجز أحسن وأجود فقال رجز أبي النجم: أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثنا أبو الأسود النوجشاني قال: مر أبي بالأصمعي وأنا عنده فقال له: يا أبا سعيد أي الرجز أحسن وأجود؟ قال: رجز أبي النجم.

سأله هشام بن عبد الملك عن رأيه في النساء فأجابه: نسخت من كتاب أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني قال:

دخل أبو النجم على هشام بن عبد الملك وقد أتت له سبعون سنة. فقال له هشام: ما رأيك في النساء ؟قال: إني

لأنظر إليهن شزراً وينظرن إلي خزراً. فوهب له جارية وقال له: اغد علي فأعلمني ما كان منك. فلما أصبح غدا عليه. فقال له: ما صنعت؟ فقال: ما صنعت شيئاً ولا قدرت عليه، وقد قلت في ذلك أبياتاً. ثم أنشده:

نظرت فأعجبها الذي في درعها ... من حسنه ونظرت في سربالیا

فرأت لها كفلاً يميل بخصرها ... وعثاً روادفه وأجثم جاثيا

ورأيت منتشر العجان مقلصاً ... رخواً مفاصله وجلداً باليا

أدني له الركب الحليق كأنما ... أدني إليه عقارباً وأفاعيا

إن الندامة والسدامة فاعلمن ... لو قد صبرتك للمواسي خاليا

ما بال رأسك من ورائي طالعاً ... أظننت أن حر الفتاة ورائيا

فاذهب فإنك ميتٌ لا ترتجى ... أبد الأبيد لو عمرت لياليا

أنت الغرور إذا خبرت وربما ... كان الغرور لمن رجاه شافيا

لكن أيري لا يرجى نفعه ... حتى أعود أخاً فتاءٍ ناشياً

فضحك هشام وأمر له بجائزة أخرى.

حدث هشام بن عبد الملك عن نفسه فأضحكه: قال أبو عمرو الشيباني قال ابن كناسة: قال هشام بن عبد الملك لأبي النجم: يا أبا النجم حدثني. قال: عني أو عن غيري؟ قال: لا بل عنك. قال: إني لما كبرت عرض لي البول، فوضعت عند رجلي شيئاً أبول فيه. فقمت من الليل أبول، فخرج مني صوتٌ فتشددت، ثم عدت فخرج مني صوتٌ آخر، فأويت إلى فراشي، فقلت: يا أم الخيار هل سمعت شيئاً؟ فقالت: لا والله ولا واحدةً منهما ! فضحك. قال: وأم الخيار التي يعني بقوله:

قد أصبحت أم الخيار تدعي ... علي ذنباً كله لم أصنع

وهي أرجوزة طويلة.

ذكر فتاة في شعره فتزوجت: وقال أبو عمرو الشيباني: أتت مولاة لبني قيس بن ثعلبة أبا النجم فذكرت له أن بنتاً لها أدركت منذ سنتين، وهي من أجمل النساء وأمدهن قامةً و لم يخطبها أحدٌ، فلو ذكرتها في الشعر ! فقال: أفعل، فما اسمها؟ قالت: نفيسة. فقال:

نفيس يا قتالة الأقوام ... أقصدت قلبي منك بالسهام

وما يصيب القلب إلا رام ... لو يعلم العلم أبو هشام

ساق إليها حاصل الشآم ... وجزية الأهواز كل عام

وما سقى النيل من الطعام ... إذ ضاق منها موضع الإدغام

أجثم جاثٍ مستديرٌ حام يعض في كينٍ له تؤام

عض النجاري على اللجام

فقالت: حسبك حسبك ! ووفد إلى الشأم، فلما رجع سمع الزمر والجلبة، فقال: ماهذا؟ فقالوا: نفيسة تزوجت.

وصف فهود عبد الملك بن بشر بن مروان: قال أبو عمرو وذكر علي بن المسور بن عمرو عن الأصمعي قال أخبرني بعض الرواة وحدثني ابن أخت أبي النجم: أن عبد الملك بن بشر بن مروان قال لأبي النجم: صف لي فهودي هذه. فقال:

إنا نزلنا خير منزلات بين الحميرات المباركات

في لحم وحشٍ وحباريات وإن أردنا الصيد ذا اللذات

جاء مطيعاً لمطاوعات علمن أو قد كن عالمات

فسكن الطرف بمطرفات تريك آماقاً مخططات

مدح الحجاج برجز وطلب إليه واديا في بلاده: ونسخت من كتاب الخراز عن المدائني عن عثمان بن حفص أن أبا النجم مدح الحجاج برجزٍ يقول فيه:

ويل أم دور عزةٍ ومجد دور ثقيفٍ بسواء نجد

أهل الحصون والخيول الجرد

فأعجب الحجاج رجزه وقال: ما حاجتك؟ قال تقطعني ذا الجبنين. فوجم لها وسكت، ثم دعا كاتبه فقال: انظر ذا الجبنين ما هو ! فإن ذا الأعرابي سألنيه لعله نهر من أنهار العراق. فسألوا عنه فقيل: واد في بلاد بني عجل أعلاه حشفةٌ وأسفله سبخةٌ يخاصمه فيه بنو عم له. فقال: اكتبوا له به. قال: فأهله به إلى اليوم.

أخطأ في أشياء أخذت عليه: أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبو أيوب المديني قال قال الأصمعي: أخطأ أبو النجم في أشياء أخذت عليه، منها قوله:

وهي على عذبٍ روي المنهل دحل أبي المرقال خير الأدحل

من نحت عادٍ في الزمان الأول

قال الأصمعي: الدحل لا تورده الإبل إنما تورد الركايا . وقد عيب بهذا وعيب بقوله في البيت الذي يليه: إن هذا الدحل من نحت عاد. قال: والدحلان لا تحفر ولا تنحت، إنما هي خروق وشعاب في الأرض والجبال لا تصيبها الشمس ،فتبقى فيها المياه؛ وهي هوة في الأرض يضيق فمها ثم يتسع فيدخلها ماء السماء.

قال الأصمعي: وقال يصف فرسه وقد أجراه في حلبة:

تسبح أخراه ويطفو أوله

قال الأصمعي: أخطأ في هذا؛ لأنه إذا سبح أخراه كان حمار الكساح أسرع منه. قال الأصمعي: وحدثني أبي أنه رأى فرسه هذا فقومه بسبعين درهماً. وإنما يوصف الجواد بأنه تسبح أولاه وتلحق رجلاه. قال: وخير عدو الذكور أن تشرف، وخير عدو الإناث أن تنبسط وتصغى كعدو الذئب.

أخبار علية بنت المهدي

ونسبها ونتف من أحاديثها

أمها مكنونة أم ولد اشتريت للمهدي في حياة أبيه: علية بنت المهدي أمها أم ولد مغنيةٌ يقال لها مكنونة، كانت من جواري المروانية المغنية.

نسخت من كتاب محمد بن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن ابن القداح حدثه قال: كانت مكنونة جارية المروانية - وليست من آل مروان بن الحكم، هي زوجة الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس - مغنيةً، وكانت أحسن جارية بالمدينة وجهاً، وكانت رسحاء ، وكان بعض من يمازحها يعبث بها فيصيح: طست طست . وكانت حسنة الصدر والبطن، فكانت توضح بهما وتقول: ولكن هذا !. فاشتريت للمهدي في حياة أبيه بمائة ألف درهم، فغلبت عليه، حتى كانت الخيزران تقول: ما ملك امرأةً أغلظ علي منها. واستتر أمرها عن المنصور حتى مات ،فولدت له علية بنت المهدي.

بعض صفاتها: أخبرني عمي قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن عمه قال: كانت علية بنت المهدي من أحسن الناس وأظرفهم تقول الشعر الجيد وتصوغ فيه الألحان الحسنة، وكان بها عيب، كان في جبينها فضل سعةٍ حتى تمسح ، فاتخذت العصائب المكللة بالجوهر لتستر بها جبينها، فأحدثت والله شيئاً ما رأيت فيما ابتدعته النساء وأحدثته أحسن منه.

كانت حسنة الدين ولا تشرب ولا تغني إلا أيام حيضها: أخبرني الحسين بن يحيى ووكيع قالا حدثنا حماد بن إسحاق قال سمعت إبراهيم بن إسماعيل الكاتب يقول: كانت علية حسنة الدين، وكانت لا تغني ولا تشرب النبيذ إلا إذا كانت معتزلة الصلاة، فإذا طهرت أقبلت على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب، فلا تلذ بشيءٍ غير قول الشعر في الأحيان، إلا أن يدعوها الخليفة إلى شيءٍ فلا تقدر على خلافه. وكانت تقول: ما حرم الله شيئاً إلا وقد جعل فيما حلل منه عوضاً، فبأي شيءٍ يحتج عاصيه والمنتهك لحرماته !. وكانت تقول: لا غفر الله لي فتاحشةً ارتكبتها قط، ولا أقول في شعري إلا عبثاً.

لم يجتمع في الإسلام أخ وأخت أحسن غناء منها ومن أخيها: أخبرني أحمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد الكندي قال سمعت عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع يقول: ما اجتمع في الإسلام قط أخ وأخت أحسن غناءً من إبراهيم بن المهدي وأخته علية، وكانت تقدم عليه.

كانت تحب المكاتبة بالشعر وكاتبت طلاً فمنعها الرشيد: أخبرني محمد قال حدثنا عون بن محمد الكندي قال حدثنا سعيد بن إبراهيم قال: كانت علية تحب أن تراسل بالأشعار من تختصه، فاختصت خادماً يقال له " طل " من خدم الرشيد، فكانت تراسله بالشعر، فلم تره أياماً، فمشت على ميزابٍ وحدثته وقالت في ذلك:

قد كان ما كلفته زمناً ... يا طل من جدٍ بكم يكفي

حتى أتيتك زائراً عجلاً ... أمشي على حتفٍ إلى حتف

فحلف عليها الرشيد ألا تكلم طلاً ولا تسميه باسمه، فضمنت له ذلك. واستمع عليها يوماً وهي تدرس آخر سورة البقرة حتى بلغت إلى قوله عز وجل: " فإن لم يصبها زابل فطلٌ " وأرادت أن تقول: " فطلٌ " فقالت: فالذي نهانا عنه أمير المؤمنين. فدخل فقبل رأسها وقال: وهبت لك طلاً، ولا أمنعك بعد هذا من شيء تريدينه. ولها في طلٍ هذا عدة أشعارٍ فيها لها صنعة. منها: صوت

يا رب إني قد غرضت بهجرها ... فإليك أشكو ذاك يا رباه

مولاة سوءٍ تستهين بعبدها ... نعم الغلام وبئست المولاه

"طلٌ " ولكني حرمت نعيمه ... ووصاله إن لم يغثني الله

يا رب إن كانت حياتي هكذا ... ضراً علي فما أريد حياه

الشعر والغناء لها خفيف ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى. وقد ذكر ابن خرداذبه أن الشعر والغناء لنبيهٍ الكوفي، وأنه هوي جارية تغني، فتعلم الغناء من أجلها وقال الشعر، ولم يزل يتوصل إليها بذلك حتى صار مقدماً في المغنين، وأن هذا الشعر له فيها والصنعة أيضاً.

حجب عنها طل فقالت فيه شعراً وصحفت اسمه: أخبرني أحمد بن محمد أبو الحسن الأسدي قال حدثني محمد بن صالح بن شيخ بن عمير عن أبيه قال: حجب طلٌ عن علية فقالت وصحفت اسمه في أول بيت:

أيا سروة البستان طال تشوقي ... فهل لي إلى ظلٍ لديك سبيل

متى يلتقي من ليس يقضى خروجه ... وليس لمن يهوى إليه دخول

عسى الله أن نرتاح من كربةٍ لنا ... فيلقى اغتباطاً خلةٌ وخليل

عروضه من الطويل. الشعر والغناء لعلية خفيف رملٍ. كذا ذكر ميمون بن هارون، وذكر عمرو بن بانة أنه لسلسل خفيف رملٍ بالوسطى. وأول الصوت:

متى يلتقي من ليس يقضى خروجه

وذكر حبشٌ أنه للهذلي خفيف رملٍ بالبنصر.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق الطالقاني قال حدثني أبو عبد الله أحمد بن الحسين الهشامي قال: قالت علية في طلٍ وصحفت اسمه في هذا الشعر وغنت فيه: صوت

سلم على ذاك الغزال ... الأغيد الحسن الدلال

سلم عليه وقل له ... يا غل ألباب الرجال

خليت جسمي ضاحياً ... وسكنت في ظل الحجال

وبلغت مني غايةً ... لم أدر فيها ما احتيالي

الشعر والغناء لعلية خفيف رملٍ. وذكر غير هذا أن الغناء لأحمد بن المكي في هذه الطريقة.

أنت تقول الشعر في خادمها رشأوتكنى عنه بزينب: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون عن محمد بن علي بن عثمان الشطرنجي: أن علية كانت تقول الشعر في خادم لها يقال له: " رشأ " وتكني عنه. فمن شعرها فيه وكنت عنه بزينب: صوت

وجد الفؤاد بزينبا ... وجداً شديداً متعبا

أصبحت من كلفي بها ... أدعى سقيماً منصبا

ولقد كنيت عن اسمها ... عمداً لكي لا تغضبا

وجعلت زينب سترةً ... وكتمت أمراً معجبا

قالت وقد عز الوصا ... ل ولم أجد لي مذهبا

والله نلت المودة ... أو تنال الكوكبا

هكذا ذكر ميمون بن هارون، وروايته فيه عن المعروف بالشطرنجي و لم يحصل ما رواه. وهذا الصوت شعره لابن رهيمة المدني. والغناء ليونس الكاتب، ولحنه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وهو من زيانب يونس المشهورات وقد ذكرته معها . والصحيح أن علية غنت فيه لحناً من الثقيل الأول بالوسطى، حكى ذلك ابن المكي عن أبيه، وأخبرني به ذكاء عن القاسم بن زرزور.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسين بن يحيى الكاتب أو الجماز قال حدثني عبيد الله بن العباس الربيعي قال: لما علم من علية أنها تكني عن رشأ بزينب قالت: صوت

القلب مشتاقٌ إلى ريب ... يا رب ما هذا من العيب

قد تيمت قلبي فلم أستطع ... إلا البكا يا عالم الغيب

خبأت في شعري اسم الذي ... أرادته كالخبء في الجيب

قال: وغنت فيه لحناً من طريقة خفيف رملٍ فصحفت اسمها في ريب.

هجت طغيان حين وشت بها إلى رشأ: قال: وكانت لأم جعفر جارية يقال لها طغيان، فوشت بعلية إلى رشأ وحكت عنها ما لم تقل، فقالت علية:

لطغيان خفٌ مذ ثلاثين حجةً ... جديدٌ فلا يبلى ولا يتخرق

وكيف بلى خفٍ هو الدهر كله ... على قدميها في الهواء معلق

فما خرقت خفاً ولم تبل جورباً ... وأما سراويلاتها فتمزق

شعرها حين امتنع رشأ عن شرب النبيذ: قال: وحلف رشأ ألا يشرب النبيذ سنةً، فقالت: صوت

قد ثبت الخاتم في خنصري ... إذ جاءني منك تجنيك

حرمت شرب الراح إذ عفتها ... فلست في شيء أعاصيك

فلو تطوعت لعوضتني ... منه رضاب الريق من فيك

فيا لها عندي من نعمةٍ ... لست بها ما عشت أجزيك

يا زينباً قد أرقت مقلتي ... أمتعني الله بحبيك

غنت فيه علية هزجاً.

غنى عقيد للمعتصم بشعر فسأل عنه فقال محمد بن إسماعيل إنه لها فغضب وأعرض عنه: أخبرني جحظة ومحمد بن يحيى قالا حدثنا ميمون بن هارون قال حدثني الحسن بن إبراهيم بن رباح قال: قال لي محمد بن إسماعيل بن موسى الهادي: كنت عند المعتصم وعنده مخارق وعلويه ومحمد بن الحارث وعقيد، فتغنى عقيد وكنت أضرب عليه: صوت

نام عذالي ولم أنم ... واشتفى الواشون من سقمي

وإذا ما قلت بي ألمٌ ... شك من أهواه في ألمي

فطرب المعتصم وقال: لمن هذا الشعر والغناء؟ فقلت: لعلية، فأعرض عني، فعرفت غلطي وأن القوم أمسكوا عمداً، فقطع بي. وتبين جهلي، فقال: لا ترع يا محمد؛ فإن نصيبك فيها مثل نصيبي. الغناء لعلية خفيف رملٍ. وقد قال قوم: إن هذا اللحن للعباس بن أشرس الطنبوري مولى خزاعة، وإن الشعر لخالد الكاتب.

غنى بنان للمنتصر بلحن لها في شعر الرشيد: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد قال حدثني أبي قال: كنا عند المنتصر، فغناه بنانٌ لحناً من الرمل وهو خفيف الرمل: صوت

يا ربة المنزل بالبرك ... وربة السلطان والملك

تحرجي بالله من قتلنا لسنا من الديلم و الترك

فضحكت. فقال لي: مم ضحكت؟ قلت: من شرف قائل هذا الشعر، وشرف عمل اللحن فيه، وشرف مستمعه. قال: وما ذاك؟ قلت: الشعر فيه للرشيد، والغناء لعلية بنت المهدي. وأمير المؤمنين مستمعه. فأعجبه ذلك وما زال يستعيده.

أخذت من إسحاق لحناً وغنته الرشيد ثم غناه هو للمأمون فعنفه: حدثني إبراهيم بن محمد بن بركشة قال سمعت شيخاً يحدث أبي وأنا غلام فحفظت عنه ما حدثه به و لم أعرف اسمه، قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: عملت في أيام الرشيد لحناً وهو: صوت

سقياً لأرضٍ إذا ما نمت نبهني بعد الهدو بها قرع النواقيس

كأن سوسنها في كل شارقةٍ على الميادين أذناب الطواويس

قال: فأعجبني وعملت على أن أباكر فيه الرشيد. فلقيني في طريقي خادمٌ لعلية بنت المهدي، فقال: مولاتي تأمرك بدخول الدهليز لتسمع من بعض جواريها غناءً أخذته عن أبيك وشكت فيه الآن. فدخلت معه إلى حجرة قد أفردت لي كأنها كانت معدة فجلست، وقدم لي طعامٌ وشرابٌ فنلت حاجتي منهما، ثم خرج إلي خادم فقال لي: تقول لك مولاتي: أنا أعلم أنك قد غدوت إلى أمير المؤمنين بصوت قد أعددته له محدثٍ، فأسمعنيه ولك جائزةٌ سنية تتعجلها، ثم ما يأمر به لك بين يديك، ولعله لا يأمر لك بشيء أو لا يقع الصوت منه بحيث توخيت، فيذهب سعيك باطلاً. فاندفعت فغنيتها إياه، و لم تزل تستعيده مراراً، ثم أخرجت إلي عشرين ألف درهم وعشرين ثوباً، وقالت: هذه جائزتك، و لم تزل تستعيده مراراً. ثم قالت: اسمعه مني الآن؛ فغنته غناءً ما خرق سمعي مثله. ثم قالت: كيف تراه؟ قلت: أرى والله وما لم أر مثله. قالت: يا فلانة أعيدي له مثل ما أخذ؛ فأحضرت لي عشرين ألفاً أخرى وعشرين ثوباً. فقالت: هذا ثمنه، وأنا الآن داخلةٌ إلى أمير المؤمنين، أبدأ أتغنى به، وأخبر أنه من صنعتي. وأعطي الله عهداً لئن نطقت أن لك فيه صنعةً لأقتلنك ! هذا إن نجوت منه إن علم بمصيرك إلي. فخرجت من عندها ووالله إني لكالموقن بما أكره من جائزتها أسفاً على الصوت، فما جسرت والله بعد ذلك أن أتنغم به في نفسي فضلاً عن أن أظهره حتى ماتت. فدخلت على المأمون في أول مجلسٍ جلسه للهو بعدها، فبدأت به أول ما غنيت. فتغير لون المأمون وقال: من أين لك ويلك هذا ؟! قلت: ولي الأمان على الصدق؟ قال: ذلك لك. فحدثته الحديث. فقال: يا بغيض ! فما كان في هذا من النفاسة حتى شهرته وذكرت هذا منه مع ما قد أخذته من العوض ! وهجنني فيه هجنةً وددت معها أني لم أذكره. فآليت ألا أغنيه بعدها أبداً. الشعر في هذا الصوت لإسماعيل بن يسار النسائي، وقيل: إنه لإسحاق. ولحنه من الثقيل الأول مطلق في مجرى الوسطى. وذكر حبش أنه للهذلي، و لم يحصل ما قاله.

طارحت أخاها إبراهيم الغناء وسمعها من في مجلس المأمون:

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال قال لي ينشو المغني حدثني

أبو أحمد بن الرشيد قال: كنت يوماً عند المأمون وإلى جانبي منصور وإبراهيم عماي، فجاء ياسر دخلة فسار المأمون. فقال المأمون لإبراهيم: إن شئت يا إبراهيم: إن شئت يا إبراهيم فانهض، فنهض. فنظرت إلى ستر قد رفع مما يلي دار الحرم، فما كان بأسرع من أن سمعت شيئاً أقلقني. فنظر إلي المأمون وأنا أميل فقال لي: يا أبا أحمد ما لك تميل؟ فقلت: إني سمعت شيئاً ما سمعت بمثله. فقال: هذه عمتك علية تطارح عمك إبراهيم:

ما لي أرى الأبصار بي جافيه

نسبة هذا الصوت: صوت

ما لي أرى الأبصار بي جافيه — لم تلتفت مني إلى ناحيه
لا ينظر الناس إلى المبتلى — وإنما الناس مع العافية
صحبي سلوا ربكم العافيه — فقد دهتني بعدكم داهيه
صارمني بعدكم سيدي — فالعين من هجرانه باكيه

الشعر لأبي العتاهية، وذكر ابن المعتز أنه لعلية وأن اللحن لها خفيف رملٍ. وذكر أنه لغيرها خفيف رمل مطلق، ولحن علية مزمومٌ.

أرسلت إلى الرشيد ومنصور شراباً مع خلوب وغنمتها بلحن لها: أخبرني عمي قال حدثني أبو العباس أن بشراً المرثدي قال قالت له ريق: كنت يوماً بين يدي الرشيد وعنده أخوه منصور وهما يشربان، فدخلت إليه خلوب " جارية لعلية " ومعها كأسان مملوءتان وتحيتان، ومع خادم يتبعها عودٌ، فغنتها قائمة والكأسان في أيديهما والتحيتان بين أيديهما: صوت

حيا كما الله خليليا — إن ميتاً كنت وإن حيا
إن قلتما خيراً فخيرٌ لكم — أو قلتما غياً فلا غيا

فشربا. ثم دفعت إليهما رقعةً فإذا فيها: " صنعت يا سيدي أختكما هذا اللحن اليوم، وألقته على الجواري، واصطبحت فبعثت لكما به، وبعثت من شرابي إليكما ومن تحياتي وأحذق جواري لتغنيكما. هنأكما الله وسركما وأطاب عيشكما وعيشي بكما ".

دعا إبراهيم بن المهدي إسحاق وأبا دلف وغنتهم جاريته لحناً لها: أخبرني عمي قال حدثني بنحوٍ من هذا أبو عبد الله المرزبان قال حدثني إبراهيم بن أبي دلف العجلي قال: كنا مع المعتصم بالقاطول ، وكان إبراهيم بن المهدي في حراقته بالجانب الغربي، وأبي وإسحاق بن إبراهيم الموصلي في حراقتيهما بالجانب الشرقي. فدعاهما في يوم جمعة، فعبرا إليه من زلال وأنا معهما وأنا صغير، علي أقبيةٌ ومنطقةٌ فلما دنونا من حراقة إبراهيم فرآنا نهض ونهضت بنهوضه صبيةٌ له يقال لها " غضة " وإذا في يديها كأسان وفي يده كأس. فلما صعد إليه اندفع فغنى:

حيا كما الله خليليا — إن ميتاً كنت وإن حيا

إن قلتما خيراً فأهلاً به أو قلتما غياً فلا غيا

ثم ناول كل واحدٍ منهما كأساً، وأخذ هو الكأس الثالث الذي في يد الجارية وقال: هلم نشرب على ريقنا قدحاً ثم دعا بالطعام فأكلنا، ووضع النبيذ فشربنا، وغنياه وغناهما وضربا معه وضرب معهما، وغنت الصبية، فطرب أبي وقال لها: أحسنت أحسنت !. فقال له إبراهيم: إن كانت أحسنت فخذها، فما أخرجتها إلا لك.

شكت إليها أم جعفر انقطاع الرشيد فقالت شعراً وغنت به فرجع إليها: أخبرني علي بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا أبو هفان قال: أهديت إلى الرشيد جاريةٌ في غاية الجمال والكمال، فخلا معها يوماً وأخرج كل قينة في داره واصطبح، فكان جميع من حضره من جواريه المغنيات والخدمة في الشراب زهاء ألفي جارية في أحسن زيٍ من كل نوع من أنواع الثياب والجوهر. واتصل الخبر بأم جعفر فغلظ عليها ذلك، فأرسلت إلى علية تشكو إليها. فأرسلت إليها علية: لا يهولنك هذا، فوالله لأردنه إليك، قد عزمت أن أصنع شعراً وأصوغ فيه لحناً وأطرحه على جواري، فلا تبقى عندك جاريةٌ إلا بعثت بها إلي وألبسيهن ألوان الثياب ليأخذن الصوت مع جواري، ففعلت أم جعفر ما أمرتها به علية. فلما جاء وقت صلاة العصر لم يشعر الرشيد إلا وعلية قد خرجت عليه من حجرتها، وأم جعفر من حجرتها معها زهاء ألفي جاريةٍ من جواريها وسائر جواري القصر، عليهن غرائب اللباس، وكلهن في لحنٍ واحد هزجٍ صنعته علية: صوت

منفصلٌ عني وما قلبي عنه منفصل

يا قاطعي اليوم لمن نويت بعدي أن تصل

فطرب الرشيد وقام على رجليه حتى استقبل أم جعفر وعلية هو على غاية السرور، وقال: لم أر كاليوم قط. يا مسرور لا تبقين في بيت المال درهماً إلا نثرته. فكان مبلغ ما نثره يومئذٍ ستة آلاف ألف درهم، وما سمع بمثل ذلك اليوم قط.

كانت تحب لحن الرمل: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرد قال: كانت علية تقول: من لم يطربه الرمل لم يطربه شيء. وكانت تقول: من أصبح وعنده طباهجةٌ باردةٌ و لم يصطبح فعليه لعنة الله.

غنت هي وأخوها إبراهيم وزمر عليهما أخوهما يعقوب: حدثني عمي قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني يوسف بن إبراهيم قال قالت لي عريب: أحسن يوم رأيته وأطيبه يومٌ اجتمعت فيه مع إبراهيم بن المهدي عند أخته علية وعندهم أخوهم يعقوب، وكان أحذق الناس بالزمر. فبدأت علية فغنتهم من صنعتها وأخوها يعقوب يزمر عليها: صوت

تحبب فإن الحب داعية الحب وكم من بعيد الدار مستوجب القرب

وغنى إبراهيم في صنعته وزمر عليه يعقوب: صوت

يا واحد الحب ما لي منك إذ كلفت ... نفسي بحبك إلا الهم والحزن

لم ينسنيك سرورٌ لا ولا حزنٌ ... وكيف لا ! كيف ينسى وجهك الحسن

ولا خلا منك قلبي لا ولا جسدي ... كلي بكلك مشغولٌ ومرتهن

نورٌ تولد من شمس ومن قمرٍ ... حتى تكامل منه الروح والبدن

فما سمعت مثل ما سمعته منهما قط، وأعلم أني لا أسمع مثله أبداً.

تمارت خشف وعريب في عدد أصواتها بحضرة المتوكل: قال ميمون بن هارون قلت لعريب: رأيت في النوم كأني سألت علية بنت المهدي عن أغانيها فقالت لي: هي نيفٌ وخمسون صوتاً. فقالت لي عريب: هي كذلك. وقد أخبرني بنحو هذا الخبر عبد الله بن الربيع الربيعي قال حدثني وسواسة وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدثتني خشف الواضحية أنها تمارت هي وعريب في غناء علية بحضرة المتوكل أو غيره من الخلفاء، فقالت هي: هي ثلاثةٌ وسبعون صوتاً. فقالت عريب: هي اثنان وسبعون صوتاً. فقال المتوكل: غنيا غناءها، فلم تزالا تغنيان غناءها حتى مضى اثنان وسبعون صوتاً، ولم تذكر خشف الثالث والسبعين فقطع بها واستولت عريب عليها وانكسرت. قالت: فلما كان الليل رأيت علية فيما يرى النائم فقالت: يا خشف خالفتك عريب في غنائي ! قلت: نعم يا سيدتي. قالت: الصواب معك، أفتدرين ما الصوت الذي أنسيته؟ قلت: لا والله ! ولوددت أني فديت ما جرى بكل ما أملك. قالت هو: صوت

بني الحب على الجور فلو ... أنصف المعشوق فيه لسمح

ليس يستحسن في حكم الهوى ... عاشقٌ يحسن تأليف الحجج

لا تعيبن من محبٍ ذلةً ... ذلة العاشق مفتاح الفرج

وقليل الحب صرفاً خالصاً ... لك خيرٌ من كثير قد مزج

وكأنها قد اندفعت تغنيني به، فما سمعت أحسن مما غنته، ولقد زادت لي فيه أشياء في نومي لم أكن أعرفها. فانتبهت وأنا لا أعقل فرحاً به. فباكرت الخليفة وذكرت له القصة. فقالت عريب: هذا شيء صنعته أنت لما جرى بالأمس، وأما الصوت فصحيح. فخلفت للخليفة بما رضي به أن القصة كما حكيت. فقال: رؤياك والله أعجب، ورحم الله علية ! فما تركت ظرفها حيةً وميتةً، وأجازني جائزة سنية. ولعلية في هذا الصوت أعني:

بني الحب على الجور فلو

لحنان: خفيف ثقيلٍ وهزج. وقيل إن الهزج لغيرها.

سمع الرشيد لحنين لها من جاريتيها عند إبراهيم الموصلي فرجع إليها وسمعهما منها ومدحهما: ونسخت من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدثني أحمد بن محمد الفيرزان قال حدثني بعض خدم السلطان عن مسرور

الكبير، ونسخت هذا الخبر بعينه من كتاب محمد بن طاهر يرويه عن ابن الفيرزان، وفيهما خلاف يذكر في موضعه، قال:

اشتاق الرشيد إلى إبراهيم الموصلي يوماً، فركب حماراً يقرب من الأرض، ثم أمر بعض خدم الخاصة بالسعي بين يديه، وخرج من داره، فلم يزل حتى دخل على إبراهيم. فلما أحس به استقبله وقبل رجليه. وجلس الرشيد فنظر إلى مواضع قد كان فيها قومٌ ثم مضوا، ورأى عيداناً كثيرةً، فقال: يا إبراهيم ما هذا؟ فجعل يدافع. فقال: ويلك ! اصدقني. فقال: نعم يا أمير المؤمنين، جاريتان أطرح عليهما. قال: هاتهما. فأحضر جاريتين ظريفتين، وكانت الجاريتان لعلية بنت المهدي بعثت بهما يطرح عليهما. فقال الرشيد لإحداهما: غني، فغنت - وهذا كله من رواية محمد بن طاهر -:

بني الحب على الجور فلو ... أنصف المعشوق فيه لسمج

ليس يستحسن في حكم الهوى ... عاشقٌ يحسن تأليف الحجج

لا تعيبن من محبٍ ذلةً ... ذلة العاشق مفتاح الفرج

وقليل الحب صرفاً خالصاً ... لك خيرٌ من كثير قد مزج

فأحسنت جداً. فقال الرشيد: يا إبراهيم لمن الشعر؟ ما أملحه ! ولمن اللحن؟ ما أظرفه ! فقال: لا علم لي. فقال للجارية، فقالت: لستي. قال: ومن ستك؟ قالت: علية أخت أمير المؤمنين. قال: الشعر واللحن؟ ! قالت نعم ! فأطرق ساعة ثم رفع رأسه إلى الأخرى فقال: غني؛ فغنت: صوت

تحبب فإن الحب داعية الحب ... وكم من بعيد الدار مستوجب القرب

تبصر فإن حدثت أن أخا هوى ... نجا سالماً فارج النجاة من الحب

إذا لم يكن في الحب سخطٌ ولا رضاً ... فأين حلاوات الرسائل والكتب

- الغناء لعلية خفيف ثقيلٍ. وفي كتاب علويه: الغناء له - فسأل إبراهيم عن الغناء والشعر؛ فقال: لا علم لي يا أمير المؤمنين. فقال للجارية: لمن الشعر واللحن؟ فقالت لستي. قال: ومن ستك؟ فقالت: علية أخت أمير المؤمنين. فوثب الرشيد وقال: يا إبراهيم احتفظ بالجاريتين. ومضى فركب حماره وانصرف إلى علية. هذا كله في رواية محمد بن طاهر، ولم يذكره محمد بن الحسن، ولكنه قال في خبره: إن الرشيد زار الموصلي هذه الزيارة ليلاً، وكان سببها أنه انتبه في نصف الليل فقال: هاتوا حماري فأتي بحمارٍ كان له أسود يركبه في القصر قريبٍ من الأرض، فركبه وخرج في دراعة وشيءٍ متلثماً بعمامة وشيٍ ملتحفاً برداء وشيٍ، وخرج بين يديه مائة خادم أبيض سوى الفراشين. وكان مسرور الفرغاني جريئاً عليه لمكانته عنده، فلما خرج على باب القصر قال: أين يريد أمير المؤمنين في هذه الساعة؟ قال: أردت منزل الموصلي. قال مسرور: فمضى ونحن بين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم، فتلقاه وقبل حافر حماره وقال: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداءك، أفي مثل هذه الساعة تظهر !!

قال: نعم ! شوقٌ طرق بي. ثم نزل فجلس في طرف الإيوان وأجلس إبراهيم. فقال له إبراهيم: يا سيدي أتنشط لشيءٍ تأكله؟ قال: نعم، وما هو؟ قال: خاميز ظبيٍ. فأتي به كأنما كان معداً له فأصاب منه شيئاً يسيراً، ثم دعا بشرابٍ كان حمل معه. فقال له إبراهيم الموصلي: أو غنيك يا سيدي أم يغنيك إماؤك؟ فقال: بل الجواري. فخرج جواري إبراهيم فأخذن صدر الإيوان وجانبيه. فقال: أيضربن كلهن أم واحدةٌ واحدةٌ؟ فقال: بل تضرب اثنتان اثنتان وتغني واحدةٌ فواحدةٌ. ففعلن ذلك حتى مر صدر الإيوان وأحد جانبيه والرشيد يسمع ولا ينشط لشيءٍ من غنائهن، إلى أن غنت صبيةٌ من حاشية الصف.

صوت

يا موري الزند قد أعيت قوادحه — اقبس إذا شئت من قلبي بمقباس

ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم — إذا نظرت فلم أبصرك في الناس

فطرب لغنائها واستعاد الصوت مراراً وشرب أرطالاً، ثم سأل الجارية عن صانعه فأمسكت، فاستدناها فتقاعست، فأمر بها فأقيمت إليه، فأخبرته بشيءٍ أسرته إليه. فدعا بحماره فانصرف والتفت إلى إبراهيم فقال: ما عليك ألا تكون خليفةً ! فكادت نفسه تخرج، حتى دعا به بعد وأدناه. هذا نظم رواية محمد بن الحسن في خبره. وقال محمد بن طاهر في خبره. فقال للموصلي: احتفظ بالجاريتين، وركب من ساعته إلى علية فقال: قد أحببت أن أشرب عندك اليوم. فتقدمت فيما تصلحه، وأخذا في شأنهما. فلما أن كان في آخر الوقت حمل عليها بالنبيذ، ثم أخذ العود من حجر جارية فدفعه إليها، فأكبرت ذلك. فقال: وتربة المهدي لتغنن !. قالت: وما أغني؟ قال: غني:

بني الحب على الجور فلو

فعلمت أنه قد وقف على القصة فغنته. فلما أتت عليه قال لها غني:

تحبب فإن الحب داعية الحب

فلجلجت ثم غنته. فقام وقبل رأسها وقال: يا سيدي هذا عندك ولا أعلم ! وتمم يومه معها.

عادها أخوها إبراهيم وكرر السؤال عنها فخجل من جوابها: حدثني جحظة قال حدثني أبو العبيس بن حمدون قال قال إبراهيم بن المهدي: ما خجلت قط خجلتي من علية أختي. دخلت عليها يوماً عائداً فقلت: كيف أنت يا أختي جعلت فداءك وكيف حالك وجسمك؟ فقالت: بخير والحمد لله. ووقعت عيني على جارية تذب عنها فتشاغلت بالنظر إليها فأعجبتني وطال جلوسي، ثم استحييت من علية فأقبلت عليها فقلت: وكيف أنت يا أختي جعلت فداءك وكيف حالك وجسمك؟ فرفعت رأسها إلى حاضنةٍ لها وقالت: أليس هذا قد مضى مرة وأجبنا عنه ! فخجلت خجلاً ما خجلت مثله قط، وقمت وانصرفت.

أمرها الرشيد بالغناء فغنته من وراء ستار وكان معه جعفر فعرفه بها: أخبرني عبد الله بن الربيع الربيعي قال حدثني أحمد بن إسماعيل عن محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد قال: شهدت أبي جعفراً وأنا صغيرٌ وهو يحدث يحيى بن خالد جدي في بعض ما كان يخبره به من خلواته مع الرشيد، قال: يا أبت، أخذ بيدي أمير المؤمنين ثم أقبل على حجرة يخترقها حتى انتهى إلى حجرة مغلقة ففتحت له، ثم رجع من كان معنا من الخدم، ثم صرنا إلى حجرة مغلقة ففتحها بيده ودخلنا جميعاً وأغلقها من داخلٍ بيده، ثم صرنا إلى رواقٍ ففتحه وفي صدره مجلس مغلق فقعد على باب المجلس، فنقر هارون الباب بيده نقراتٍ فسمعنا حساً، ثم أعاد النقر فسمعنا صوت عود، ثم أعاد النقر ثالثةً فغنت جاريةٌ ما ظننت والله أن الله خلق مثلها في حسن الغناء وجودة الضرب. فقال لها أمير المؤمنين بعد أن غنت أصواتاً: غني صوتي، فغنت صوته، وهو: صوت

ومخنثٍ شهد الزفاف وقبله ... غنى الجواري حاسراً ومنقبا

لبس الدلال وقام ينقر دفه ... نقراً أقر به العيون وأطربا

إن النساء رأينه فعشقنه ... فشكون شدة ما بهن فأكذبا

- في هذا اللحن خفيف رملٍ نسبه يحيى المكي إلى ابن سريج ولم يصح له، وفيه خفيف ثقيل في كتاب علية أنه لها، وذكر عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات أنه لريق. واللحن مأخوذٌ من:

إن الرجال لهم إليك وسيلةٌ

وهو خفيف ثقيلٍ للهذلي، ويقال إنه لابن سريج، وهو يأتي في موضع آخر - قال: فطربت والله طرباً هممت معه أن أنطح برأسي الحائط. ثم قال غني:

طال تكذيبي وتصديقي

فغنت: صوت

طال تكذيبي وتصديقي ... لم أجد عهداً لمخلوق

إن ناساً في الهوى غدروا ... أحدثوا نقض المواثيق

لا تراني بعدهم أبداً ... أشتكي عشقاً لمعشوق

- لحن علية في هذا الصوت هزجٌ. والشعر لأبي جعفر محمد بن حميد الطوسي وله فيه لحنٌ خفيف ثقيلٍ. ولعريب فيه ثقيلٌ أول وخفيف ثقيلٍ آخر - قال: فرقص الرشيد ورقصت معه، ثم قال: امض بنا فإني أخاف أن يبدو منا ما هو أكثر من هذا، فمضينا. فلما صرنا إلى الدهليز قال وهو قابض على يدي: أعرفت هذه المرأة؟ قال قلت: لا يا أمير المؤمنين. قال: فإني أعلم أنك ستسأل عنها ولا تكتم ذلك، وأنا أخبرك أنها علية بنت المهدي. ووالله لئن لفظت به بين يدي أحدٍ وبلغني لأقتلنك. قال: فسمعت جدي يقول له: فقد والله لفظت به، ووالله

ليقتلنك ! فاصنع ما أنت صانع.

نسبة الصوت الذي أخذ منه:

ومحنثٍ شهد الزفاف وقبله

صوت

إن الرجال لهم إليك وسيلةٌ إن يأخذوك تكحلي وتخضبي

وأنا امرؤٌ إن يأخذوني عنوةً أقرن إلى سير الركاب وأجنب

ويكون مركبك القعود وحدجه وابن النعامة يوم ذلك مركبي

الناس يروون هذه الأبيات لعنترة بن شداد العبسي، وذكر الجاحظ أنها لخزر بن لوذان، وهو الصحيح. وخزر شاعرٌ قديم يقال إنه قبل امرئ القيس. وقد اختلف في معنى قوله " ابن النعامة " فقال أبو عبيدة والأصمعي: النعامة فرسه وابنها ظلها. يقول: أقاد في الهاجرة إلى جنبها فيكون ظلي كالراكب لظلها. وقال أبو عمرو الشيباني: ابن النعامة مقدم رجله مما يلي الأصابع. يقول: فلا يكون لي مركبٌ إلا رجلي. وقال خالد بن كلثوم: ابن النعامة الخشبة التي يصلب عليها. يقول: أقتل وأصلب فتكون الخشبة مركبي. واحتج من ذكر أنه يعني ظل فرسه وأنه يكون كالراكب له بقول الشاعر:

إذ ظل يحسب كل شيءٍ فارساً ويرى نعامة ظله فيحول

قال: وابن نعامة: ظل كل شيء. وقد مضى هذا الصوت مفرداً مع خبره في موضع آخر.

أمرها الرشيد بالغناء فنظمت فيه شعراً وغنته به فطرب: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي قال حدثنا حماد بن إسحاق قال: زار الرشيد علية فقال لها: بالله يا أختي غنيني. فقالت: وحياتك لأعملن فيك شعراً ولأعملن فيه لحناً فقالت من وقتها: صوت

تفديك أختك قد حبوت بنعمةٍ لسنا نعد لها الزمان عديلا

إلا الخلود، وذاك قربك سيدي لا زال قربك والبقاء طويلا

وحمدت ربي في إجابة دعوتي ورأيت حمدي عند ذاك قليلا

وعملت فيه لحناً من وقتها في طريقة خفيف الرمل، فأطرب الرشيد وشرب عليه بقية يومه.

طلب الرشيد أختها و لم يطلبها فقالت شعراً وبعثت من غناه له فأحضرها: قال: وقالت للرشيد أيضاً وقد طلب أختها و لم يطلبها.

صوت

ما لي نسيت وقد نودي بأصحابي وكنت والذكر عندي رائحٌ غادي

أنا التي لا أطيق الدهر فرقتكم فرق لي يا أخي من طول إبعاد

قال: وغنت فيه لحناً من الثقيل الثاني، وبعثت من غناه للرشيد، فبعث فأحضرها.

حجت وتأخرت فتكدر الرشيد فنظمت شعراً وغنته فرضي عنها: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد قال حدثني زرزور الكبير غلام جعفر بن موسى الهادي: أن علية حجت في أيام الرشيد، فلما انصرفت أقامت بطيزناباذ أياماً، فانتهى ذلك إلى الرشيد فغضب. فقالت علية: صوت

أي ذنبٍ أذنبته أي ذنب أي ذنبٍ لولا رجائي لربي

بمقامي بطيزناباذ يوماً بعده ليلةٌ على غير شرب

ثم باكرتها عقاراً شمولاً تفتن الناسك الحليم وتصبي

قرقفاً قهوةً تراها جهولاً ذات حلم فراجةً كل كرب

قال: وصنعت في البيتين الأولين لحناً خفيف الثقيل، وفي البيتين الأخيرين لحناً من الرمل. فلما جاءت وسمع الشعر واللحنين رضي عنا.

اشتاقها الرشيد وهو بالرقة فطلبها فجاءت وقالت شعراً وعملت فيه لحناً: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني عبد الله بن إبراهيم بن المهدي قال: اشتاق الرشيد إلى عمتي علية بالرقة، فكتب إلى خالها يزيد بن منصور في إخراجها إليه فأخرجها. فقالت في طريقها: صوت

اشرب وغن على صوت النواعير ما كنت أعرفها لولا ابن منصور

لولا الرجاء لمن أملت رؤيته ما جزت بغداد في خوف وتغرير

وعملت فيه لحناً في طريقة الثقيل الأول.

كانت مع الرشيد في الري فحنت إلى العراق بشعر فردها: أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال: حدثنا الهشامي أبو عبد الله قال: لما خرج الرشيد إلى الري أخذ أخته علية معه. فلما صار بالمرج عملت شعراً وصاغت فيه لحناً في طريقة الرمل وغنت به، وهو: صوت

ومغتربٍ بالمرج يبكي لشجوه وقد غاب عنه المسعدون على الحب

إذا ما أتاه الركب من نحو أرضه تنشق يستشفي برائحة الركب

فلما سمع الصوت علم أنها قد اشتاقت إلى العراق وأهلها به فردها.

غنت الرشيد في يوم فطر:

ونسخت من كتاب هارون بن محمد الزيات حدثني بعض موالي أبي عيسى بن الرشيد عن أبي عيسى: أن علية غنت الرشيد في يوم فطر: صوت

طالت علي ليالي الصوم واتصلت حتى لقد خلتها زادت على الأبد
شوقاً إلى مجلس يزهى بصاحبه أعيذه بجلال الواحد الصمد

الغناء لعلية ثاني ثقيلٍ لا يشك فيه، وذكر بعض الناس أنه للواثق، وذكر آخرون أنه لعبد الله بن العباس الربيعي. والصحيح أنه لعلية. وفيه لعريب ثقيلٌ أول غنته المعتمد يوم فطر فأمر لها بثلاثين ألف درهم.

ضربت وكيلها سباعاً وحبسته لخيانته فشفع فيه جيرانه فقالت شعراً: وقال ميمون بن هارون حدثني أحمد بن يوسف أبو الجهم قال: كان لعلية وكيل يقال له سباعٌ، فوقفت على خيانته فضربته وحبسته، فاجتمع جيرانه إليها فعرفوها جميل مذهبه وكثرة صدقه، وكتبوا بذلك رقعة، فوقعت فيها:

ألا أيهذا الراكب العيس بلغن سباعاً وقل انضم داركم السفر
أتسلبني مالي وإن جاء سائلٌ رققت له إن حطه نحوك الفقر
كشافيه المرضى بعائدة الزنا تؤمل أجراً حيث ليس لها أجر

تركت الغناء لموت الرشيد فألح عليها الأمين فغنته: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني علم السمراء جارية عبد الله بن موسى الهادي أنها شهدت علية غنت الأمين في شعر لها، وهو آخر شعر قالته فيه، وطريقته من الثقيل الثاني. وكانت لما مات الرشيد جزعت جزعاً شديداً وتركت النبيذ والغناء. فلم يزل بها الأمين حتى عادت فيهما على كرهٍ. والشعر: صوت

أطلت عاذلتي لومي وتفنيدي وأنت جاهلةٌ شوقي وتسهيدي
لا تشرب الراح بين المسمعات وزر ظبياً غريراً نقي الخد والجيد
قد رنحته شمولٌ فهو منجدلٌ يحكي بوجنته ماء العناقيد
قام الأمين فأغنى الناس كلهم فما فقيرٌ ولا حال بموجود

لحن علية في هذا الشعر ثاني ثقيل. ولعريب فيه هزجٌ، وقيل إن الهزج لإبراهيم بن المهدي.

وقال ميمون بن هارون حدثني محمد بن أبي عون قال حدثتني عريب أن علية قالت في لبانة بنت أخيها علي بن المهدي شعراً وغنت فيه من الثقيل الأول: صوت

وحدثني عن مجلس كنت زينه رسولٌ أمينٌ والنساء شهود
فقلت له كر الحديث الذي مضى وذكرك من ذاك الحديث أريد

وقد ذكر الهشامي أن هذا اللحن لإسحاق غناه بالرقة. وليس ذلك بصحيح.

سمعها إسماعيل بن الهادي تغني مستترةعند المأمون فأذهله غناؤها: أخبرني محمد بن يحيى عن عون بن محمد عن أبي أحمد بن الرشيد. ونسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسن عن عون بن محمد عن أبي أحمد بن الرشيد

واللفظ له قال: دخل يوماً إسماعيل بن الهادي إلى المأمون، فسمع غناءً أذهله. فقال له المأمون: ما لك؟ قال: قد سمعت ما أذهلني، وكنت أكذب بأن الأرغن الرومي يقتل طرباً، وقد صدقت الآن بذلك. قال: أو لا تدري ما هذا؟ قال: لا والله ! قال: هذه عمتك علية تلقي على عمك إبراهيم صوتاً من غنائها. إلى ها هنا رواية محمد بن يحيى. وفي رواية محمد بن الحسن قال: هذه عمتك تلقي على عمك إبراهيم صوتاً استحسنه من غنائها. فأصغيت إليه فإذا هي تلقي عليه: صوت

ليس خطب الهوى بخطبٍ يسير ... ليس ينبيك عنه مثل حبير

ليس أمر الهوى يدبر بالرأ ... ي ولا بالقياس والتفكير

اللحن في هذا لعليه ثقيلٌ أول. وفيه لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقيلٍ عن الهشامي.

توفيت ولها خمسون سنة، وسبب وفاتها: أخبرني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه: أن علية بنت المهدي ولدت سنة ستين ومائة، وتوفيت سنة عشر ومائتين ولها خمسون سنة. وكانت عند موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. وأخبرني محمد بن يحيى عن عون بن محمد قال حدثني محمد بن علي بن عثمان قال: ماتت علية سنة تسع ومائتين، وصلى عليها المأمون. وكان سبب وفاتها أن المأمون ضمها إليه وجعل يقبل رأسها، وكان وجهها مغطىً، فشرقت من ذلك وسعلت ثم حمت بعقب هذا أياماً يسيرةً وماتت.

وممن صنع أولاد الخلفاء أبو عيسى بن الرشيد فمن صنعته: صوت

قام بقلبي وقعد ... ظبيٌ نفى عني الجلد

خلفني مدلهاً ... أهيم في كل بلد

أسهرني ثم رقد ... وما رثى لي من كمد

ظبيٌ إذا ازددت له ... تذللاً تاه وصد

واعطشا إلى فمٍ ... يمج خمراً من برد

عروضه من مجزوء الرجز. والشعر والغناء لأبي عيسى بن الرشيد، ولحنه فيه ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى من روايتي عبد الله بن المعتز والهشامي. وذكر الهشامي أن له أيضاً فيه لحناً من ثقيل الرمل، وذكر حبشٌ أن الرمل لحسين بن محرز. وفيه لأبي العبيس بن حمدون خفيف ثقيلٍ.

أخبار أبي عيسى بن الرشيد ونسبه

شيء من أوصافه: اسمه أحمد، وقيل بل اسمه صالح بن الرشيد. وهذا النسب أشهر من أن يشرح. وأمه أم ولدٍ بربرية. وكان من أحسن الناس وجهاً ومجالسةً وعشرةً، وأمجنهم وأحدهم نادرةً وأشدهم عبثاً. وكان يقول شعراً

ليناً طيباً من مثله.

كان جميل الوجه: أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر أنه سمع أباه يقول: سمعت أبي " يعني طاهر بن الحسين " يحدث أنه سمع الرشيد يقول للمأمون: أنت تعلم أنك أحب الناس إلي، ولو أستطيع أن أجعل لك وجه أبي عيسى لفعلت.

كان إذا ركب جلس له الناس لرؤية حسنه: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني مسيح بن حاتم العكلي قال حدثنا إبراهيم بن محمد قال: كان يقال: انتهى جمال ولد الخلافه إلى أولاد الرشيد، ومن أولاد الرشيد إلى أولاد محمد وأبي عيسى. وكان أبو عيسى إذا عزم على الركوب جلس الناس له حتى يروه أكثر مما يجلسون للخلفاء.

مدحت عريب حسنه وغناءه: حدثني محمد قال حدثني يعقوب بن بنان قال حدثني علي بن الحسين الإسكافي قال: كنت عند أبي الصقر إسماعيل بن بلبل وعنده عريب، فسمعتها تقول: انتهى جمال الرشيد إلى محمد الأمين وأبي عيسى، ما رأى الناس مثلهما، وكان المعتز في طرازهما. قال: وسمعتها تقول لأبي العباس بن حمدون: ما غناؤك من غناء أبي عيسى بن الرشيد ! وما سمعت قط غناءً أحسن من غنائه، ولا رأيت وجهاً أحسن من وجهه.

عجب الرشيد من جواب له في صباه وقبله: أخبرني محمد قال حدثني الغلابي قال حدثنا يعقوب بن جعفر قال: قال الرشيد لأبي عيسى ابنه وهو صبي: ليت جمالك لعبد الله " يعني المأمون ". فقال له: على أن حظه منك لي. فعجب من جوابه على صباه وضمه إليه وقبله.

سخط من رؤية هلال شهر رمضان: وأخبرني الحسن بن علي وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن طاهر عن أبيه قال: حدثني من شهد المأمون ليلةً وهم يتراءون هلال شهر رمضان وأبو عيسى أخوه معه وهو مستلقٍ على قفاه، فرأوه وجعلو يدعون. فقال أبو عيسى قولاً أنكر عليه في ذلك المعنى. كأنه كان متسخطاً لورود الشهر، فما صام بعده.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الحسين بن فهم قال: قال: أبو عيسى بن الرشيد:

دهاني شهر الصوم لا كان من شهر وما صمت شهراً بعده آخر الدهر

فلو كان يعيدني الإمام بقدرةٍ على الشهر لاستعديت جهدي على الشهر

فناله بعقب قوله هذا الشعر صرعٌ، فكان يصرع في اليوم مراتٍ إلى أن مات، و لم يبلغ شهراً آخر.

مدح إبراهيم بن المهدي غناءه: وذكر علي بن الهشامي عن جده ابن حمدون قال: قلت لإبراهيم بن المهدي: من أحسن الناس غناء؟ قال: أنا. قلت: ثم من؟ قال: أبو عيسى بن الرشيد. قلت: ثم من؟ قال: مخارق.

عابث طاهر بن الحسين أمام المأمون فغضب فترضاه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدثنا محمد بن سعيد أخو غالب الصعدي قال: كان أبو عيسى بن الرشيد

وطاهر بن الحسين يتغديان مع المأمون، فأخذ أبو عيسى هندباءةً فغمسها في الخل وضرب بها عين طاهر الصحيحة. فغضب طاهرٌ وشق ذلك عليه وقال: يا أمير المؤمنين إحدى عيني ذاهبةٌ، والأخرى على يدي عدل، يفعل هذا بي بين يديك !! فقال له المأمون: يا أبا الطيب إنه والله ليعبث بي أكثر من هذا العبث.

عرض بيعقوب بن المهدي فضحك المأمون فنهاه:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدثني أبو عيسى بن علي بن عيسى بن ماهان قال: بينا المأمون يخطب يوم الجمعة على المنبر بالرصافة وأخوه أبو عيسى تلقاء وجهه في المقصورة، إذ أقبل يعقوب بن المهدي وكان أفسى الناس، معروفاً بذلك. فلما أقبل وضع أبي عيسى كمه على أنفه، وفهم المأمون ما أراد فكاد أن يضحك. فلما انصرف بعث إلى أبي عيسى فأحضره وقال له: والله لهممت أن أبطحك فأضربك مائة درة ! ويلك ! أردت أن تفضحني بين أيدي الناس يوم جمعة وأنا على المنبر ! إياك ان تعود لمثل هذه !. قال: وكان يعقوب بن المهدي لا يقدر أن يمسك الفساء إذا جاءه. فاتخذت له دايةٌ مثلثلةً وطيبتها وتنوقت فيها. فلما وضعتها تحته فسا، فقال: هذه ليست بطيبة. فقالت له الداية: فديتك ! هذه كانت طيبة وهي مثلثة، فلما ربعتها فسدت. قال: وكان يعقوب هذا محمقاً، كان يخطر بباله الشيء فيشتهيه فيثبته في إحصاء خزائنه. فضج خازنه من ذلك، فكان يثبت الشيء ثم يثبت تحته أنه ليس عنده، وإنما أثبته ليكون ذكره عنده إلى أن يملكه. فوجد في دفتر له فيه ثبت ثياب: " ثبت ما في الخزانة من الثياب المثقلة الإسكندرانية والهشامية، لا شيء - أستغفر الله - بل عندنا منها زرحية كانت للمهدي. الفصوص الياقوت الأحمر التي من حالها كذا وكذا لا شيء - أستغفر الله - بل عندنا منها درجٌ كان فيه للمهدي خاتمٌ هذه صفته ". فحمل ذلك الدفتر إلى المأمون، فضحك لما قراه حتى فحص برجله: وقال: ما سمعت بمثل هذا قط !.

كان المأمون يحبه ويتمنى أن يلي الأمر بعده: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا سليمان بن داود المهلبي قال حدثني الهيثم بن محمد بن عباد عن أبيه قال: كان المأمون أشد الناس حباً لأبي عيسى أخيه، كان يعده للأمر بعده، وتذاكرنا ذلك كثيراً، وسمعته يقول يوماً: إنه ليسهل عليه أمر الموت وفقد الملك، وما يسهل شيء منهما على أحد، وذلك لمحبتي أن يلي أبو عيسى الأمر من بعدي لشدة حبي إياه.

كان يحب صيد الخنازير فوقع عن دابته، وكان ذلك سبب موته: أخبرني محمد بن علي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال: كان سبب موت أبي عيسى بن الرشيد أنه كان يحب صيد الخنازير، فوقع عن دابته فلم يسلم دماغه، فكان يتخبط في اليوم مراتٍ إلى أن مات.

عزاء محمد بن عباد المأمون فيه: حدثني محمد قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا محمد بن عباد المهلبي قال: لما مات أبو عيسى بن الرشيد دخلت إلى المأمون وعمامتي علي، فخلعت عمامتي ونبذتها وراء ظهري - والخلفاء لا تعزى في العمائم - ودنوت. فقال لي: يا محمد، حال القدر دون الوطر. فقلت: يا أمير المؤمنين، كل مصيبةٍ أخطأتك تهون، فجعل الله الحزن لك لا عليك.

مات سنة تسع ومائتين: أخبرنا محمد قال حدثنا عون بن محمد قال سمعت هبة الله بن إبراهيم يقول: مات أبو عيسى بن الرشيد سنة تسع ومائتين، وصلى عليه المأمون ونزل في قبره، وامتنع من الطعام أياماً حتى خاف أن يضر ذلك به.

وجد عليه المأمون وجداً شديداً: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أبو العيناء قال سمعت محمد بن عباد يقول: لما توفي أبو عيسى بن الرشيد وجد المأمون عليه وجداً شديداً، وكان له محباً وإليه مائلاً. فركب إلى داره حتى حضر أمره وصلى عليه، وحضره الناس، وكنت فيمن حضر، فما رأيت مصاباً حزيناً قط أجمل أمراً في مصيبةٍ ولا أحرق وجداً منه من رجل صامت تجري دموعه على خديه من غير كلح ولا استنثارٍ.

بكاه المأمون وتمثل شعراً وعزاه فيه ابن أبي دواد وعمرو بن مسعدة وناحت عليه عريب: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد الوراق قال حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدثني أبي قال قال أحمد بن أبي دواد: دخلت على المأمون في أول صبحتي أياه وقد توفي أخوه أبو عيسى وكان له محباً وهو يبكي ويمسح عينيه بمنديل، فقعدت إلى جنب عمرو بن مسعدة وتمثلت قول الشاعر:

نقصٌ من الدنيا وأسبابها ... نقص المنايا من بني هاشم

ولم يزل على تلك الحال ساعة يبكي، ثم مسح عينيه وتمثل:

سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تغض ... فحسبك مني ما تجن الجوانح

كأن لم يمت حيٌّ سواك ولم تنح ... على أحدٍ إلا عليك النوائح

ثم التفت إلي فقال: هيه يا أحمد ! فتمثلت قول عبدة بن الطبيب:

عليك سلام الله قيس بن عاصمٍ ... ورحمته ما شاء أن يترحما

تحية من أوليته منك نعمةً ... إذا زار عن شحطٍ بلادك سلما

وما كان قيسٌ هلكه هلك واحدٍ ... ولكنه بنيان قومٍ تهدما

فبكى ساعةً ثم التفت إلى عمرو بن مسعدة فقال: هيه يا عمرو ! قال: نعم يا أمير المؤمنين

بكوا حذيفة لم تبكوا مثله ... حتى تعود قبائلٌ لم تخلق

فإذا عريب وجوارٍ معها يسمعن ما يدور بيننا، فقلن: اجعلوا لنا معكم في القول نصيباً. فقال لها المأمون: قولي، فرب صوابٍ منك كثير. فقالت:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر ... وليس لعينٍ لم يفض ماؤها عذر

كأن بني العباس يوم وفاته ... نجوم سماءٍ خر من بينها البدر

فبكى وبكينا. ثم قال لها المأمون: نوحي، فناحت ورد عليها الجواري. فبكى المأمون حتى قلت: قد خرجت نفسه، وبكينا معه أحر بكاء، ثم أمسكت. فقال لها المأمون: اصنعي فيه لحناً وغني به. فصنعت به لحناً على مذهب النوح وغنته إياه على العود. فوالذي لا يحلف بأجل منه لقد بكينا عليه غناءً أكثر مما بكينا عليه نوحاً.

طلب المأمون من أبي العتاهية أن يسليه عنه: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الطيب بن محمد الباهلي قال حدثني موسى بن سعيد عن أخيه عمرو قال: لما مات أبو عيسى بن الرشيد وجد عليه المأمون وجداً شديداً حتى امتنع من النوم و لم لم يطعم شيئاً. فدخل عليه أبو العتاهية، فقال له المأمون: حدثني يا أبا إسحاق بحديث بعض الملوك ممن كان في مثل حالنا وفارقها. فقال: يا أمير المؤمنين، لبس سليمان بن عبد الملك أفخر ثيابه ومس أطيب طيبه وركب أفره خيله وتقدم إلى جميع من معه أن يركب في مثل زيه وأكمل سلاحه، ونظر في مرآته فأعجبته هيئته وحسنه، فقال: أنا الملك الشاب، ثم قال لجارية له: كيف ترين؟ فقالت:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لا بقاء للإنسان

أنت خلوٌ من العيوب ومما ... يكره الناس غير أنك فاني

فأعرض بوجهه، فلم تدر عليه الجمعة إلا وهو في قبره. قال فبكى المأمون والناس، فما رأيت باكياً أكثر من ذلك اليوم. قال: وهذان البيتان لموسى شهوات.

بعض أصواته: ومن غناء أبي عيسى وجيد صنعته، والشعر له، وطريقته من الثقيل الثاني مطلق في مجرى البنصر.

وذكر حبشٌ أن فيه لحسين بن محرز أيضاً صنعةً من خفيف الرمل: صوت

رقدت عنك سلوتي ... والهوى ليس يرقد

وأطار السهاد نو ... مي فنومي مشرد

أنت بالحسن منك يا ... حسن الوجه تشهد

وفؤادي بحسن وج ... هك يشقى ويكمد

ومن غنائه أيضاً وهو من صدور صنعته في شعر الأخطل - ولحنه من الثقيل الأول -: صوت

إذا ما زيادٌ علني ثم علني ... ثلاث زجاجاتٍ لهن هدير

خرجت أجر الذيل حتى كأنني ... عليك أمير المؤمنين أمير

ولإسحاق في هذا الشعر رملٌ بالبنصر عن عمرو.

وممن عرفت له صنعة من أولاد الخلفاء

عبد الله بن موسى الهادي

صوته في شعر له: فمن صنعته: صوت

تقاضك دهرك ما أسلفا وكر عيشك بعد الصفا

فلا تجزعن فإن الزمان رهينٌ بتشتيت ما ألفا

وما زال قلبك مأوى السرور كثير الهوى ناعماً مترفا

ألح عليك بروعاته واقبل يرميك مستهدفا

الشعر والغناء لعبد الله بن موسى. ولحنه ماخوري وهو خفيف الثقيل الثاني بالوسطى.

اختلف مع ثقيف الخادم في صوت فضرب ثقيف رأسه بالعود فحلم عليه، وكان معربداً: أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني أبو حشيشة قال:

كان عبد الله بن موسى الهادي أضرب الناس بالعود وأحسنهم غناءً. وكان له غلام أسود يقال له قلمٌ، فعلمه الصوت وحذقه. فاشترته منه أم جعفر بثلثمائة ألف درهم. قال أبو حشيشة فحدثني دلشاد غلام عبد الله بن موسى قال: كنت أنا وثقيفٌ الخادم الأسود مولى الفضل بن الربيع نضارب مولاي عبد الله بن موسى وقد أخذ النبيذ من الجماعة. فضرب عبد الله وثقيفٌ صوتاً فاختلفا فيه وتشاجرا. فقال عبد الله: كذا أخذته من منصور زلزل. وقال ثقيفٌ: كذا أخذته منه، وطال تشاجرهما فيه. وكان ثقيفٌ معربداً يذهب عقله من أدنى شيء يشربه، وكان عبد الله أيضاً معربداً. فغضب ثقيفٌ ورفع العود وهو لا يعقل، فضرب به رأس عبد الله بن موسى فطوقه إياه. وابتدر خدم عبد الله؛ فقال لهم عبد الله بن موسى: لا تمسوه وأخرجوا العود من عنقي أخرجوه. وكان عبد الله بن موسى أشد خلق الله عربدةً أيضاً، فرزق في ذلك اليوم حلماً لم يرى مثله، وقال لخدمه: إن قتلته قتلت كلباً وتحدث الناس بذلك، ولكن اخلعوا عليه وهبوا له ولا يدخل مترلي أبداً.

دعا الحفصي فآثر عليه أخاه إسماعيل: قال جحظة قال أبو حشيشة أخبرني الحفصي المعزفي قال: دعاني عبد الله بن موسى يوماً ودعاني أخوه إسماعيل؛ فآثرت إسماعيل لما كان في عبد الله من العربدة. فلم نشعر إلا بعبد الله قد وافانا وقت العصر على برذونٍ أشهب متقلداً سيفاً وهو سكران. فلما رأيناه تطايرنا في الحجر، فنزل عن دابته وجلس. وجثا إسماعيل بين يديه إجلالاً له، وقال له: يا سيدي قد سررتني بتفضلك ومصيرك إلي. قال: دعني من هذا، من عندك؟ قال: فلان وفلان، فعد جماعة من كان عنده. قال له: هاتهم. فدعا بنا فخرجنا وقد متنا فزعاً. فأقبل علي منهم فقال لي: يا حفصي ! أبعث إليك ثلاثة أيام تباعاً فتدعني وتجيء إلى إسماعيل ! وضرب يده على سيفه، فقام إسماعيل بيني وبينه وقال: نعم ! يجيئني ويدعك؛ لإنه لا ينصرف من عندك إلا بشجةٍ أو عربدةٍ مع حرمان، ولا ينصرف من عندي إلا ببرٍ مع خلعةٍ ووعدٍ محصل أفتلومه على ذلك !. فكف عبد الله وكان شديد العربدة فقام وانصرف.

قال شعراً في خادم لصالح بن الرشيد: أخبرني الصولي حدثني عون بن محمد الكندي قال حدثني محمد بن إسماعيل عن أبيه سليمان بن داود وكان يكتب لإبي جعفر - قال: كنت جالساً مع عبد الله بن موسى الهادي، فمر به

خادمٌ لصالح بن الرشيد. فقال له: ما اسمك؟ فقال له: اسمي " لا تسل " فأعجبه حسنه وحسن منطقه فقال لي: قم بنا حتى نسر اليوم بذكر هذا البدر، فقمت معه. فأنشدني في ذلك اليوم:

وشادنٍ مر بنا بجرح باللحظ المقل
مظلوم خصرٍ ظالمٍ منه إذا يمشي الكفل
اعتدلت قامته واللحظ منه ما عدل
بدرٌ تراه أبداً طالع سعدٍ ما أفل
سألته عن اسمه فقال لي اسمي " لاتسل "
وأطلعت في وجنتي ه وردتان من خجل
فقلت ما أخطأ من سماك بل قال المثل
لا تسألن عن شادنٍ فاق جمالاً وكمل

قال: وقال فيه - وقد قيل إنه من هذه الأبيات -:

عز الذي نهوى وذل صب الفؤاد مختبل
لج به الهجر وذا ال هجر إذا لج قتل
من شادنٍ منطقٍ فاق جمالاً وكمل
تناصف الحسن به فلا تسل عن " لاتسل "

كان له ابن جيد الضرب وطلب إلى المكي أن يقومه موهماً أنه مملوك: وقال حدثني محمد بن أحمد المكي عن أبيه قال: دعاني عبد الله بن موسى يوماً فقال لي: أتقوم غلاماً ضارباً مغنياً قيمة عدلٍ لا حيف فيه على البائع ولا على المشتري؟ فقلت: نعم. فأخرج لي ابنه القاسم وكنت أعرفه، وهو أحسن من القمر ليلة البدر، فأخذ عوداً فضرب، فأكببت على يديه أقبلها. فقال لي عبد الله: أتقبل يد غلام مملوك؟ قلت: بأبي وأمي هو من مملوك ! وقبلت رجله أيضاً. فقال: أما إذا عرفته فأحب أن تضاربه، ففعلت. فلما رأى الغلام زيادتي عليه في الضرب اغتم وأقبل على أبيه فقال له كالمعتذر من ذنبه: أنا متلذذٌ وهذا مكتسبٌ. فضحكت وقلت: هو ذاك يا سيدي. وعجبت من حدة جوابه معتذراً على صغر سنه.

كان كريماً ممدحاً: أخبرني الصولي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال: كان عبد الله بن موسى جواداً كريماً ممدحاً، وكان يقول الشعر - وفيه لعلويه لحن من خفيف الثقيل الأول بالبنصر -: صوت

أعبد الله أنت لنا أمير وأنت من الزمان لنا مجيز

حكيت أباك موسى في العطايا إمام الناس والملك الكبير

غنى بشعر لعمر بن أبي ربيعة: قال محمد بن يحيى والعتابي: ولعبد الله بن موسى غناءٌ في قول عمر بن أبي ربيعة: صوت

إن أسماء أرسلت وأخو الشوق مرسل

أرسلت تستزيرني وتفدي وتعدل

ولحنه فيه رملٌ. قال: وفيه لابن سريج والغريض ومالك ألحانٌ.

عربد على المأمون فحبسه ثم سمه فمات: أخبرني علي بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين قال حدثني أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب قال: كان عبد الله بن موسى الهادي معربداً، وكان قد أحفظ المأمون مما يعربد عليه إذا شرب معه. فأمر بأن يحبس في منزله فلا يخرج منه؛ وأقعد على بابه حرساً. ثم تذمم من ذلك فأظهر له الرضا وصرف الحرس عن بابه، ثم نادمه فعربد عليه أيضاً وكلمه بكلام أحفظه. وكان عبد الله مغرماً بالصيد، فأمر المأمون خادماً من خواص خدمه يقال له " حسين " فسمه في دراجٍ وهو بمرسى أباد، فدعا بعبد الله بالعشاء، فأتاه حسين بذلك الدراج فأكله. فلما أحس بالسم ركب في الليل وقال لأصحابه: هو آخر ما تروني. قال: وأكل معه من الدراج خادمان، فأما أحدهما فمات من وقته، وأما الآخر فبقي مدة ثم مات، ومات عبد الله بعد أيام.

وممن رويت له صنعة من أولاد الخلفاء عبد الله بن محمد الأمين

فمن مشهور صنعته:

ألا يا دير حنظلة المفدى لقد أورثتني سقماً وكدا

أزف من العقار إليك دناً وأجعل تحته الورق المندى

الشعر والغناء لعبد الله بن محمد الأمين، وأخبرني بذلك محمد بن يحيى الصولي عن عبد الله بن المعتز وله فيه لحنان خفيف رملٍ وخفيف ثقيل وفيه لعبد الله بن موسى الهادي رملٌ. وفيه ثاني ثقيل، وذكر حبش - وهو ممن لا يحصل قوله - أنه لحنين، ولم يصح عندنا من صناعه.

أخبار عبد الله بن محمد ونسبه : نسبه: عبد الله بن محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. وأم عبد الله بن محمد أم ولد. وكان ظريفاً غزلاً يقول شعراً ليناً ويصنع صنعةً صالحةً. وأم محمد الأمين زبيدة بنت جعفر بن المنصور. وزبيدة لقبٌ غلب عليها، واسمها أمة العزيز، وكان المنصور يرقصها وهي صغيرة - وكانت سمينة حسنة البدن - فيقول لها: يا

زبيدة يا زبيدة، فغلب عليها ذلك.

كان صديقاً لأبي نهشل فأحب جارية اشتراها أخوه فكتب له شعراً فأخذها له منه: أخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال: كانت بين عبد الله بن محمد الأمين وبين أبي نهشل بن حميد مودة. فاعترض عبد الله جاريةً مغنيةً لبعض نساء بني هاشم وأعطى بها مالاً عظيماً. فعرفت منه رغبةً فيها فزدات عليه في السوم. فتركها ليكسرها. فجاء أخ لأبي نهشل بن حميد فاشتراها وزاد. فتبعتها نفس عبد الله، فسأل أبا نهشل أن يسأل أخاه النزول له عنها، فسأله ذلك فوعده ودافعه. فكتب عبد الله إلى أبي نهشل:

يا بن حميد يا أبا نهشل ... مفتاح باب الحدث المقفل

يا أكرم الناس وداداً وأر ... عاهم لحقٌ ضائعٍ مهمل

أحسنت في ودي وأجملت بل ... جزت فعال المحسن المجمل

بيتك في ذي يمنٍ شامخٌ ... تقصر عنه قنتا يدبل

خلفت فينا حاتماً ذا الندى ... وجدت جود العارض المسبل

أي أخٍ أنت لذي وحدةٍ ... تركته بالعز في جحفل

نجوم حظي منك مسعودةٌ ... فيما أرجي لسن بالأفل

فصدق الظن بما قلته ... وسهل الأمر به يسهل

لا تحرمني ولديك المنى ... بالله صيد الرشأ الأكحل

رميت منه بسهام الهوى ... وما درى بالرمي في مقلتي

أدنيتني بالوعد في صيده ... إدناه عطشان من المنهل

ثم تناسيت وأسلمتني ... إلى مطالٍ موحش المنزل

تركتني في لحةٍ عائماً ... لا أعرف المدبر من مقبل

صرح بأمر واضحٍ بينٍ ... لا خير في ذي لبس مشكل

قال: فلم يزل أبو نهشل بأخيه حتى نزل له عنها.

خرج إلى ضيعته وتكاتب هو ونديمه أبو نهشل بشعر: وأخبرني الصولي أيضاً بغير إسناد، ووجدت هذا الخبر في كتابٍ لمحمد بن الحسن الكاتب يرويه عن أبي حسان الفزاري قال: كان أبو نهشل بن حميد صديقاً لعبد الله بن محمد الأمين ونديماً. وكانت لعبد الله ضيعة بالسواد تعرف بالعمرية، فخرج إليها وأقام بها أياماً. فكتب إليه أبو نهشل:

سقى الله بالعمرية الغيث منزلاً حللت به يا مؤنسي وأميري
فأنت الذي لا يخلق الدهر ذكره وأنت أخي حقاً وأنت سروري

فأجابه عبد الله:

لئن كنت بالعمرية اليوم لاهياً فإن هواكم حيث كنت ضميري
فلا تحسبني في هواكم مقصراً وكن شوقي من سخطكم ومجيري

قال محمد بن الحسن في خبره: وصنع عبد الله في هذه الأبيات الأربعة لحناً، وصنع فيها سليمٌ بن سلام لحناً آخر.

نادم الواثق والخلفاء من بعده إلى المعتمد، وشعر له فيه: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عبد الله بن المعتز قال: كان عبد الله بن محمد الأمين ينادم الواثق ثم نادم بعده سائر الخلفاء إلى المعتمد.

قال: وأنشدني له في المعتمد:

رأيت الهلال على وجهكا فما زلت أدعو إلهي لكا
فلا زلت تحيا وأحيا معاً وآمنني الله من فقدكما

قال: ومن شعره - وله فيه لحنٌ من الرمل الثاني وهو خفيف الرمل -: صوت

يا من به كل خلقٍ تراه صباً متيم
ومن تجالل تيهاً فما تراه يكلم
لا شيء أعجب عندي ممن يراك فيسلم

فأما دير حنظلة الذي ذكره في شعره وفيه الغناء المذكور من صنعته متقدماً، فإنه ديرٌ بالجزيرة. أخبرني بخبره هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال أنشدني أبو المحكم لحنظلة بن أبي عفراء أحد بني حية الطائيين وهو رهط أبي زبيد ورهط إياس بن قبيصة:

ومهما يكن الزمان فإنني أرى قمر الليل المغرب كالفتى
يهل صغيراً ثم يعظم ضوءه وصورته حتى إذا ما هو استوى
تقارب يخبو ضوءه وشعاعه ويمصح حتى يستسر فلا يرى
كذلك زيد المرء ثم انتقاصه وتكراره في دهره بعد ما مضى
تصبح أهل الدار والدار زينةٌ وتأتي الجبال من شماريخها العلا
فلا ذا غنى يرجئن عن فضل ماله وإن قال أخرني وخذ رشوةً أبى
ولا عن فقيرٍ يأتخرن لفقره فتنفعه الشكوى إليهن إن شكا

قال: وكان حنظلة هذا قد تعبد الجاهلية وتفكر في أمر الآخرة وتنصر وبنى ديراً بالجزيرة؛ فهو الآن يعرف به يقال دير حنظلة. وفيه يقول الشاعر:

يا دير حنظلة المهيج لي الهوى قد تستطيع دواء عشق العاشق

وممن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن المتوكل

كان عبد الله بن المتوكل جمع له صنعةً مقدارها أكثر من ثلثمائة صوت، منها الجيد الصنعة و منها المتوسط، قد سمعنا كثيراً منها؛ إلا أني أذكر من ذلك ما عرفت شاعره وكان له خبرٌ يتصل به حسب ما شرطناه في هذا الكتاب وضمناه إياه من الأخبار، ثم أذكر أخبار أبي عيسى بعد ذلك: قال ابن المعتز حدثني النميري قال سمعت أبا عيسى بن المتوكل يقول: إذا أتممت صنعة ثلثمائة صوت وستين صوتاً عدد أيام السنة تركت الصنعة، فلما صنعها ترك الصنعة. فمنها - وهو لعمري من جيد الغناء وفاخر الصنعة، ولو لم يصنع غيره لكفاه - في شعر العتاهية: صوت

يضطرب الخوف والرجاء إذا حرك موسى القضيب أو فكر

ولحنه من الثقيل الأول. والشعر لأبي العتاهية، وقد مضت أخباره؛ وإنما قدمت ذكره بجودة صنعته وأنه شبه فيه بصنعة الفحول ومحكم أغاني الأوائل.

ومنها:

هي النفس ما حملتها تتحمل وللدهر أيامٌ تجور وتعدل

وعاقبة الصبر الجميل جميلةٌ وأفضل أخلاق الرجال التجمل

الشعر لعلي بن الجهم. والغناء لأبي عيسى بن المتوكل، ثاني ثقيلٍ بالوسطى.

أخبار علي بن الجهم ونسبه

نسبه ونسب قبيلته بني سامة: هو علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كراز بن كعب بن مالك بن عيينة بن جابر بن الحارث بن عبد البيت بن الحارث بن سامة بن بن لؤي بن غالب. هكذا يدعون، وقريش تدفعهم عن النسب وتسميهم بني ناجية، ينسبون إلى أمهم ناجية. وهي امرأة سامة بن لؤي. وكان سامة، فيما يقال، خرج إلى ناحية البحرين مغاضباً لأخيه كعب بن لؤي في مماظة كانت بينهما، فطأطأت

ناقته رأسها إلى االأرض لتأخذ شيئاً من العشب، فعلق بمشفرها أفعى فعطفته على قتبها فحكته به، فدب الأفعى على القتب حتى نهش ساق سامة فقتله. فقال أخوه يرثيه :

عين جودي لسامة بن لؤي علفت ساق ساقه العلاقه

رب كأسٍ هرقتها ابن لؤي حذر الموت لم تكن مهراقه

وقال من يدفع بني سامة من نسابي قريش: وكانت معه امراته ناجية. فلما مات تزوجت رجلاً من أهل البحرين فولدت منه الحارث، ومات أبوه وهو صغير. فلما ترعرع طمعت أمه في أن تلحقه بقريش، فأخبرته أنه ابن سامة بن لؤي. فرحل من البحرين إلى عمه كعب وأخبره أنه ابن أخيه سامة. فعرف كعب أمه وظنه صادقاً في دعواه. ومكث عنده مدةً، حتى قدم مكة ركب من أهل البحرين، فرأوا الحارث فسلموا عليه وحادثوه ساعةً. فسألهم عن كعب بن لؤي ومن أين يعرفونه، فقالوا له: هذا ابن رجلٍ من أهل بلدنا يقال له فلان، وشرحوا له خبره. فنفاه كعبٌ ونفى أمه، فرجعا إلى البحرين فكانا هناك، وتزوج الحارث وأعقب هذا العقب. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " عمي سامة لم يعقب ". وكان بنوا ناجية ارتدوا عن الإسلام. ولما ولي علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة دعاهم إلى الإسلام؛ فأسلم بعضهم وأقام الباقون على الردة فسباهم واسترقهم؛ فآشتراهم مصقلة بن هبيرة منه وأدى ثلث ثمنهم وأشهد بالباقي على نفسه، ثم أعتقهم وهرب من تحت ليله إلى معاوية، فصاروا أحراراً، ولزمه الثمن، فشعث علي بن أبي طالب شيئاً من داره، وقيل بل هدمها. فلم يدخل مصقلة الكوفة حتى قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وزعم ابن الكلبي: أن سامة بن لؤي ولد غالب بن سامة وأمه ناجية، ثم هلك سامة فخلف عليها ابنه الحارث بن سامة، ثم هلك ابنا سامة و لم يعقبا ، وأن قوماً من بني ناجية بنت جرم بن ربان علاف ادعوا أنهم بنو سامة بن لؤي، وأن أمهم ناجية هذه ونسبوها هذا النسب، وانتموا إلى الحارث بن سامة وهم الذين باعهم علي بن أبي طالب إلى مصقلة. قال: ودليل ذلك وأن هؤلاء بنو ناجية بنت جرم قول علقمة الخصي التميمي أحد بني ربيعة بن مالك:

زعمتم أن ناجي بنت جرم عجوزٌ بعد ما بلي السنام

فإن كانت كذاك فألبسوها فإن الحلى للأنثى تمام

وهذا أيضاً قول الهيثم بن عدي. فأما الزبير بن بكار فإنه أدخلهم في قريش وقال: هم قريشٌ العازبة. وإنما سموا العازبة لأنهم عزبوا عن قومهم فنسبوا إلى أمهم ناجية بنت جرم بن ربان وهو علاف، وهو أول من اتخذ الرحال العلافية فنسبت إليه. واسم ناجية ليلى؛ وإنما سميت ناجية لأنها سارت في مفازةٍ معه فعطشت فاستسقته ماء، فقال لها: الماء بين يديك، وهو يريها السراب، حتى جاءت الماء فشربت وسميت ناجية. وللزبير في إدخاهم في قريش مذهبٌ وهو مخالفة فعل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وميله إليهم لإجماعهم على بغضه رضي الله عنه،

حسب المشهور المأثور من مذهب الزبير في ذلك.

كان شاعراً فصيحاً اختص بالمتوكل وهجاء عليا وشيعته: وكان علي بن الجهم شاعراً فصيحاً مطبوعاً؛ وخص بالمتوكل حتى صار من جلسائه، ثم أبغضه لأنه كان كثير السعاية إليه بندمائه والذكر لهم بالقبيح عنده، وإذا خلا به عرفه أنهم يعيبونه ويثلبونه ويتنقصونه، فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقة، فنفاه بعد أن حبسه مدة. وأخباره تذكر على شرحٍ بعد هذا. وكان ينحو نحو مروان بن أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب وذمهم والإغراء بهم وهجاء الشيعة، وهو القائل:

ورافضةٍ تقول بشعب رضوى ... إمامٌ خاب ذلك من إمام

إمامٌ من له عشرون ألفاً ... من الأتراك مشرعة السهام

وفيه يقول البحتري:

إذا ما حصلت عليا قريشٍ ... فلا في العير أنت ولا النفير

وما رغثاؤك الجهم بن بدرٍ ... من الأقمار ثم ولا البدور

ولو أعطاك ربك ما تمنى ... لزاد الخلق في عظم الأيور

علام هجوت مجتهداً علياً ... بما لفقت من كذبٍ وزور

أما لك في استك الوجعاء شغلٌ ... يكفك عن أذى أهل القبور

وسمعه أبو العيناء يوماً يطعن على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال له: أنا أدري لما تطعن على علي أمير المؤمنين. فقال له: أتعني قصة بيعة أهلي من مصقلة بن هبيرة؟ قال: لا! أنت أوضع من ذلك، ولكن لأنه قتل الفاعل فعل قوم لوطٍ والمفعول به، وأنت أسفلهما.

هجا بختيشوع فسبه عند المتوكل فحبسه سنة ثم نفاه وقال في ذلك شعراً: أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الهشامي قال: كان علي بن الجهم قد هجا بختيشوع ، فسبه عند المتوكل فحبسه المتوكل. فقال علي بن الجهم في حبسه عدة قصائد كتب بها إلى المتوكل فأطلقه بعد سنة، ثم نفاه بعد ذلك إلى خراسان. فقال أول ما حبس قصيدةً كتب بها إلى أخيه، أولها قوله:

توكلنا على رب السماء ... وسلمنا لأسباب القضاء

ووطنا على غير الليالي ... نفوساً سامحت بعد الإباء

وأفنية الملوك محجباتٌ ... وباب الله مبذول الفناء

هي الأيام تكلمنا وتأسو ... وتأتي بالسعادة والشقاء

وما يجدي الثراء على غنيٍ ... إذا ما كان محظور العطاء

حلبنا الدهر أشطره ومرت ... بنا عقب الشدائد والرخاء

وجربنا وجرب أولونا ... فلا شيءٌ أعز من الوفاء

ولم ندع الحياء لمس ضر ... وبعض الضر يذهب بالحياء

ولم نحزن على دنيا تولت ... ولم نسبق إلى حسن العزاء

توق الناس يابن أبي وأمي ... فهم تبع المخافة والرجاء

ولا يغررك من وغدٍ إخاءٌ ... لأمرٍ ما غدا حسن الإخاء

ألم تر مظهرين علي عيباً ... وهم بالأمس إخوان الصفاء

فلما أن بليت غدوا وراحوا ... علي أشد أسباب البلاء

أبت أخطارهم أن ينصروني ... بمالٍ أو بجاه أو ثراء

وخافوا أن يقال لهم خذلتم ... صديقاً فادعوا قدم الجفاء

تضافرت الروافض والنصارى ... وأهل الاعتزال على هجائي

- يعني بأهل الاعتزال علي بن يحيى بن المنجم وقد كان بلغه عنه ذكر له: -

وعابوني وما ذنبي إليهم ... سوى علمي بأولاد الزناء

فبختيشوع يشهد لابن عمرو ... وعزونً لهارون المرائي

وما الجذماء بنت أبي سميرٍ ... بجذماء اللسان عن الخناء

إذا ماعد مثلكم رجالاً ... فما فضل الرجال على النساء

عليكم لعنة الله ابتداءً ... وعوداً في الصباح وفي المساء

إذا سميتم للناس قالوا ... أولئك شر من تحت السماء

أنا المتوكلي هوًى ورأياً ... وما بالواثقية من خفاء

وما حبس الخليفة لي بعارٍ ... وليس بمؤيسي منه التنائي

قال أبو الشبل شعره في الحبس كشعر عدي بن زيد: أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال قال لي أبو الشبل البرجمي: ما شعر علي بن الجهم في الحبس بدون شعر عدي بن زيد .

حبسه المتوكل بسعاية جلسائه ونفاه إلى خراسان فعذبه طاهر بن عبد الله فقال شعراً: أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال:

كان سبب حبس المتوكل علي بن الجهم أن جماعةً من الجلساء سعوا به إليه وقالوا له: إنه يجمش الخدم ويغمزهم، وأنه كثير الطعن عليك والعيب لك والإزراء على أخلاقك؛ و لم يزالوا به يوغرون صدره عليه حتى حبسه؛ ثم أبلغوه عنه أنه هجاه. فنفاه إلى خراسان وكتب بأن يصلب إذا وردها يوماً إلى الليل. فلما وصل إلى الشاذياخ حبسه طاهر بن عبد الله بن طاهر بها، ثم أخرج فصلب يوماً إلى الليل مجرداً ثم أنزل. فقال في ذلك:

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية ... الإثنين مسبوقاً و لا مجهولاً
نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم ... شرفاً وملء صدورهم تبجيلا
ما ازداد إلا رفعةً بنكوله ... وازدادت الأعداء عنه نكولا
هل كان إلا الليث فارق غيله ... فرأيته في محمل محمولا
لا يأمن الأعداء من شداته ... شداً يفصل هامهم تفصيلا
ما عابه أن بز عنه لباسه ... فالسيف أهول ما يرى مسلولا
إن يبتذل فالبدر لا يزري به ... أن كان ليلة تمه مبذولا
أو يسلبوه المال يحرن فقده ... ضيفاً ألم وطارقاً ونزيلاً
أو يحبسوه فليس يحبس سائرٌ ... من شعره يدع العزيز ذليلا
إن المصائب ما تعدت دينه ... نعمٌ وإن صعبت عليه قليلا
والله ليس بغافلٍ عن أمره ... وكفى بربك ناصراً ووكيلا
ولتعلمن إذا القلوب تكشفت ... عنها الأكنة من أضل سبيلا

كتب المتوكل لطاهر بإطلاقه فأطلقه فقال شعراً: أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال: كتب المتوكل إلى طاهر بن عبد الله بإطلاق علي بن الجهم. فلما أطلقه قال:

أطاهر إني عن خراسان راحل ... ومستخبرٌ عنها فما أنا قائل
أأصدق أم أكني عن الصدق أيما ... تخيرت أدته إليك المحافل
وسارت به الركبان واصطفقت به ... أكف قيانٍ واجتبته القبائل
وإني بغالي الحمد والذم عالم ... بما فيهما نامي الرمية ناضل
وحقاً أقول الصدق إني لمائلٌ ... إليك وإن لم يحظ بالود مائل
ألا حرمةٌ ترعى ألا عقد ذمةٍ ... لجارٍ ألا فعلٌ لقولٍ مشاكل
ألا منصفٌ إن لم نجد متفضلاً ... علينا ألا قاضٍ من الناس عادل

فلا تقطعن غيظاً علي أناملاً فقبلك ما عضت علي الأنامل

أطاهر إن تحسن فإني محسنٌ إليك وإن تبخل فإني باخل

فقال له طاهر: لا تقل إلا خيراً فإني لا أفعل بك إلا ما تحب؛ فوصله وحمله وكساه.

جمش جارية فباعدته فقال شعراً فأجابته: أخبرني عمي قال حدثني محمد قال: كان علي بن الجهم في مجلس فيه قينةٌ، فعابثها وجمشها، فباعدته وأعرضت عنه، فقال فيها:

خفي الله فيمن قد تبلت فؤاده وغادرته نضواً كأن به وقرا

دعي البخل لاأسمع به منك إنما سألتك أمراً ليس يعري لكم ظهرا

فقالت له: صدقت يا أبا الحسن، ليس يعري لنا ظهراً، ولكنه يملأ بطناً !! كان يتشاءم من الحارثي فرآه فقال شعراً: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال حدثنا علي بن الجهم قال: كان الحارثي يجيء إلى حلوان وأنا أتولاها - وكان علي بن الجهم على مظالمها - فإذا وردها وقع الإرجاف ، فلم يزل متصلاً حتى يخرج، فإذا خرج سكن الإرجاف. فأتاني مرةً وظهر كوكب الذنب في تلك الليلة، فقلت:

لما بدا أيقنت بالعطب فسألت ربي خير منقلب

لم يطلعا إلا لآبدة الحارثي وكوكب الذنب

قال ابن المدبر: وكان الحارثي أعور مقبح الوجه، وفيه يقول أبو علي البصير:

يا معشر البصراء لا تتطرفوا جيشي ولا تتعرضوا لنكيري

ردوا علي الحارثي فإنه أعمى يدلس نفسه في العور

انتحل شعراً لإبراهيم بن العباس: أخبرني الحسن قال حدثنا أبن مهرويه قال أنشدني إبراهيم بن المدبر لعلي بن الجهم وذكر أن علياً أنشده إياه لنفسه:

أميل مع الذمام على ابن أمي وآخذ للصديق من الشقيق

وإن ألفيتني حراً مطاعاً فإنك واجدي عبد الصديق

أفرق بين معروفي ومني وأجمع بين مالي والحقوق

فقال إبرهيم: كذب والله علي بن الجهم وأثم. والله لهذا الشعر أشهر بإبراهيم بن العباس من إبراهيم بالعباس أبيه. قال المتوكل إنه كذاب وأثبت كذبه بكلامه له: أخبرني الحسن قال حدثني ابن مهرويه قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال قال المتوكل: علي بن الجهم أكذب خلق الله. حفظت عليه أنه أخبرني أنه أقام بخراسان ثلاثين سنة، ثم مضت مدة أخرى وأنسي ما أخبرني به، فأخبرني أنه أقام بالثغور ثلاثين سنة، ثم مضت مدة أخرى وأنسي

الحكايتين جميعاً، فأخبرني أنه أقام بالجبل ثلاثين سنة، ثم مضت مدةٌ أخرى فأخبرني أنه أقام بمصر والشأم ثلاثين سنة، فيجب أن يكون عمره على هذا وعلى التقليل مائةً وخمسين سنة ، وإنما يزاهي سنه الخمسين سنةً. فليت شعري أي فائدة له في هذا الكذب وما معناه فيه ! ! عربد عليه بعض ولد علي بن هشام فهجاهم: أخبرني محمد بن إبراهيم قال حدثنا عبد الله بن المعتز ،وحدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال: إجتمع علي بن الجهم مع قوم من ولد علي بن هشام في مجلس، فعربد عليه بعضهم، فغضب وخرج من المجلس، واتصل الشر حتى تقاطعوا وهجروه وعابوه واغتابوه. فقال يهجوهم:

بني متيم هل تدرون ما الخبر ... وكيف يستر أمر ليس يستتر

حاجبتكم :من أبوكم يابني عصبٍ ... شتى ولكنما للعاهر الحجر

قد كان شيخكم شيخاً له خطرٌ ... لكن أمكم في أمرها نظر

ولم تكن أمكم والله يكلؤها محجوبةً ... دونها الحراس والستر

كانت مغنية الفتيان إن شربوا ... وغير ممنوعةٍ منهم إذا سكروا

وكان إخوانه غراً غطارفةً ... لا يمكن الشيخ أن يعصي إذا أمروا

قومٌ أعفاء إلا في بيوتكم ... فإن في مثلها قد تخلع العذر

فأصبحت كمراح الشول حافلةً ... من كل لاقحةٍ في بطنها درر

فجئتم عصباً من كل ناحية ... نوعا مخانيث في أعناقها الكبر

فواحدٌ كسرويٌ في قراطقه ... وآخرٌ قرشي حين يتبخر

ما علم أمكم من حل مئزرها ... ومن رماها بكم يأيها القذر

قوم إذا نسبوا فالأم واحدةٌ ... والله أعلم بالآباء إذ كثروا

لم تعرفوا الطعن إلا في أسافلكم ... وأنتم في المخازي فتيةٌ صبر

أحببت إعلامكم إني بأمركم ... وأمر غيركم من أهلكم خبر

تفكهون بأعراض الكرام و ما ... أنتم وذكركم السادات يا عرر

هذا الهجاء الذي تبقى مياسمه ... على جباهكم ما أورق الشجر

سعى عند المتوكل بندمائه وبلغه أنه هجاه فحبسه، وأحسن شعره في الحبس: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني بن المدبر قال: كتب صاحب الخبر إلى المتوكل أن الحسن بن عبد الملك بن صالح احترق فمات. فقال علي بن الجهم: قد بلغني أن العامل قتله وصانع صاحب الخبر حتى كتب بهذا. وكان يسعى

بالجلساء إلى المتوكل فأبغضه وأمره بأن يلزم بيته، ثم بلغه أنه هجاه فحبسه. وأحسن شعر قاله في الحبس بقصيدته التي أولها:

قالت حبست فقلت ليس بضائري ... حبسي وأي مهندٍ لا يغمد

أو ما رأيت الليث يألف غيله ... كبراً وأوباش السباع تردد

والشمس لولا أنها محجوبةٌ ... عن ناظريك لما أضاء الفرقد

والبدر يدركه السرار فتنجلي ... أيامه وكأنه متجدد

والغيث يحصره الغمام فما يرى ... إلا وريقه يروع ويرعد

والزاعبية لا يقيم كعوبها ... إلا الثقاف وجذوةٌ تتوقد

والنار في أحجارها مخبوءةٌ ... لا تصطلى إن لم تثرها الأزند

والحبس ما لم تغشه لدنيةٍ ... شنعاء نعم المنزل المتورد

بيتٌ يجدد للكريم كرامةً ... ويزار فيه ولا يزور و يحمد

لو لم يكن في الحبس إلا أنه ... لا يستذلك بالحجاب الأعبد

كم من عليل قد تخطاه الردى ... فنجا ومات طبيبه والعود

يا أحمد بن أبي دوادٍ إنما ... تدعى لكل عظيمة يا أحمد

أبلغ أمير المؤمنين فدونه ... خوض الردى ومخاوفٌ لا تنفد

أنتم بنو عم النبي محمدٍ ... أولى بما شرع النبي محمد

ما كان من كرمٍ فأنتم أهله ... كرمت مغارسكم وطاب المحتد

أمن السوية يا بن عم محمدٍ ... خصمٌ تقربه وآخر تبعد

إن الذين سعوا إليك بباطل ... حساد نعمتك التي لا تجحد

شهدوا وغبنا عنهم فتحكموا ... فينا وليس كغائب من يشهد

لو يجمع الخصماء عندك مجلسٌ ... يوماً لبان لك الطريق ألاقصد

فبأي جرمٍ أصبحت أعراضنا ... نهباً تقسمها اللئيم الأوغد

دخل على المتوكل والطبيب يفحص علته وكانت جاريته قبيحة أغضبته فضربها ثم اغتم لذلك فقال هو في ذلك شعراً: أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبو الفضل الربعي قال قال لي علي بن

الجهم: دخلت على المتوكل وقد بلغني أنه كلم قبيحة جاريته بشيء أغضبه، فرماها بمخدة فأصابت عينها فأثرت فيها، فتأوهت وبكت وبكى المعتز لبكائها؛ فخرج المتوكل وقد حم من الغم والغضب. فلما بصر بي دعاني وإذا الفتح يري بختيشوع القارورة ويشاوره فيها. فقال لي: قل يا علي في علتي هذه شيئاً وصف أن الطبيب ليس يدري ما بي؛ فقلت:

تنكر حال علتي الطبيب ... وقال أرى بجسمك ما يريب
جسست العرق منك فدل جسي ... على ألمٍ له خبرٌ عجيبٌ
فما هذا الذي بك هات قل لي ... فكان جوابه مني النحيب
وقلت أيا طبيب الهجر دائي ... وقلبي يا طبيب هو الكئيب
فحرك رأسه عجباً لقولي ... وقال الحب ليس له طبيب
فأعجبني الذي قد قال جداً ... وقلت بلى إذا رضي الحبيب
فقال هو الشفاء فلا تقصر ... فقلت أجل ولكن لا يجيب
ألا هل مسعدٌ يبكي لشجوي ... فإني هائم فردٌ غريب

فقال: أحسنت وحياتي ! يا غلام اسقني قدحاً؛ فجاءه بقدح منترب وسقيت الجماعة مثله. وخرجت إليه فضل الشاعرة بأبيات أمرتها قبيحة أن تقولها عنها: فقرأها فإذا هي:

أكتمن الذي في القلب من حرقٍ ... حتى أموت ولم يعلم به الناس
ولا يقال شكا من كان يعشقه ... إن الشكاة لمن تهوى هي الياس
ولا أبوح بشيءٍ كنت أكتمه ... عند الجلوس إذا ما دارت الكاس

فقال المتوكل: أحسنت يا فضل. وأمر لي ولها بعشرين ألف درهم، ودخل إلى قبيحة فترضاها.

خرج مع جماعة إلى الشام فقطع عليهم الأعراب الطريق ففر أصحابه وثبت هو وقال شعراً: أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال: خرج علي بن الجهم إلى الشام في قافلة، فخرجت عليهم الأعراب في خساف فهرب من كان في القافلة من المقاتلة، وثبت علي بن الجهم فقاتلهم قتالاً شديداً، وثاب الناس إليه فدفعهم و لم يحظوا بشيء. فقال في ذلك:

صبرت ومثلي صبره ليس ينكر ... وليس على ترك التقحم يعذر
غريزة حر لا اختلاق تكلفٍ ... إذا خام في يوم الوغى المتصبر
ولما رأيت الموت تهفو بنوده ... وبانت علاماتٌ له ليس تنكر
وأقبلت الأعراب من كل جانبٍ ... وثار عجاجٌ أسود اللون أكدر

بكل مشيحٍ مستميت مشمرٍ يجول به طرفٌ أقب مشمر
بأرض خسافٍ حين لم يك دافعٌ ولا مانعٌ إلا الصفيح المذكر
فقلل في عيني عظم جموعهم عزيمة قلبٍ فيه ما جل يصغر
بمعترك فيه المنايا جواسرٌ ونار الوغى بالمشرفية تسعر

فما صنت وجهي عن ظبات سيوفهم ولا انحزت عنهم والقنا تتكسر
ولم أك في حر الكريهة محجماً إذا لم يكن في الحرب للورد مصدر
إذا ساعد الطرف الفتى وجنانه وأسمر خطي وأبيض مبتر
فذاك، وإن كان الكريم بنفسه ، إذا اصطكت الأبطال في النقع عسكر
منعتهم من أن ينالوا قلامةً وكنت شجاهم والأسنة تقطر
وتلك سجايانا قديماً وحادثاً بها عرف الماضي وعز المؤخر
أبت لي قرومٌ أنجبتني أن أرى وإن جل خطبٌ خاشعاً أتضجر
أولئك آل الله فهر بن مالكٍ بهم يجبر العظم الكسير ويكسر
هم المنكب العالي على كل منكبٍ سيوفهم تفني وتغني وتفقر

قال إن أباه حبسه في الكتاب وهو صبي فكتب إلى أمه شعراً فكذبه إبراهيم بن المدبر: أخبرني عيسى بن الحسين الوراق والحسن بن علي قالا جميعاً حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عيسى بن أبي حرب قال حدثني علي بن الجهم قال: حبسني أبي في الكتاب، فكتبت إلى أمي:

يا أمتا أفديك من أم أشكو إليك فظاظة الجهم
قد سرح الصبيان كلهم وبقيت محصوراً بلا جرم

قال: وهو أول شعر قلته وبعثت به إلى أمي؛ فأرسلت إلى أبي: والله لئن لم تطلقه لأخرجن حاسرةً حتى أطلقه. قال عيسى فحدثت بهذا الخبر إبراهيم بن المدبر فقال: علي بن الجهم كذاب، وما يمنعه من أن يكون ولد هذا الحديث وقال هذا الشعر وله ستون سنة، ثم حدثكم أنه قاله وهو صغير، ليرفع من شأن نفسه !.

مدح أحمد بن أبي داود وكان منحرفاً عنه ليشفع له في حبسه فقعد عنه فهجاه وشمت به بعد أن نفاه المتوكل: أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال: كان أحمد بن أبي داود منحرفاً عن علي بن الجهم لاعتقاده مذهب الحشوية . فلما حبس علي بن الجهم مدح أحمد بن أبي داود عدة مدائح، وسأله أن يقوم بأمره ويشفع فيه، فلم يفعل وقعد عنه. فمنها قوله:

يا أحمد بن أبي داودٍ إنما تدعى لكل عظيمةٍ يا أحمد
أبلغ أمير المؤمنين ودونه خوض الردى ومخاوفٌ لا تنفد
أنتم بنو عم النبي محمد أولى بما شرع النبي محمد

وهذه الأبيات من قصيدته التي أولها:

قالت حبست فقلت ليس بضائري

فلما نفى المتوكل أحمد بن أبي داود شمت به علي بن الجهم وهجاه فقال:

يا أحمد بن أبي داودٍ دعوةً بعثت إليك جنادلاً وحديداً
ما هذه البدع التي سميتها بالجهل منك العدل والتوحيدا
أفسدت أمر الدين حين وليته ورميته بأبي الوليد وليدا
لا محكماً جزلاً ، ولا مستطرفاً كهلاً، ولا مستحدثاً معمودا
شرهاً، إذا ذكر المكارم والعلا ذكر القلايا مبدئاً ومعيدا
ويود لو مسخت ربيعة كلها وبنو إيادٍ صحفةً وثريدا
وإذا تربع في المجالس خلته ضبعاً وخلت بني أبيه قرودا
وإذا تبسم ضاحكاً شبهته شرقاً تعجل شربه مردودا
لا أصبحت بالخير عينٌ أبصرت تلك المناخر والثنايا السودا

كتب من حبسه شعراً لطاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين: أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال: كتب علي بن الجهم إلى طاهر من الحبس :

إن كان لي ذنبٌ فلي حرمةٌ والحق لا يدفعه الباطل
وحرمتي أعظم من زلتي لو نالني من عدلكم نائل
ولي حقوقٌ غير مجهولةٍ يعرفها العاقل والجاهل
وكل إنسانٍ له مذهبٌ وأهل ما يفعله الفاعل
وسيرة الأملاك منقولةٌ لا جائرٌ يخفى ولا عادل
وقد تعجلت الذي خفته منك ولم يأت الذي آمل

شعره في مقين كان ينزل عنده في جماعة بالكرخ: حدثني عمي قال حدثنا محمد قال:
كان علي بن الجهم يعاشر جماعةً من فتيان بغداد لما أطلق من حبسه ورد من النفي، وكانوا يتقاينون ببغداد، ويلزمون منزل مقين بالكرخ يقال له المفضل. فقال فيه علي بن الجهم:

نزلنا بباب الكرخ أطيب منزل ... على محسناتٍ من قيان المفضل
فلآبن سريجٍ والغريض ومعبدٍ ... بدائع في أسماعنا لم تبدل
أوانس ما للضيف منهن حشمةٌ ... ولا ربهن بالجليل المبجل
يسر إذا ما للضيف قل حياؤه ... ويغفل عنه وهو غير مغفل
ويكثر من ذم الوقار وأهله ... إذا الضيف لم يأنس ولم يتبذل
ولا يدفع الأيدي المريبة غيرةً ... إذا نال حظاً من لبوسٍ ومأكل
ويطرق إطراق الشجاع مهابةً ... ليطلق طرف الناظر المتأمل
أشر بيدٍ واغمز بطرفٍ ولا تخف ... رقيباً إذا ما كنت غير مبخل
وأعرض عن المصباح والهج بمثله ... فإن خمد المصباح فادن وقبل
وسل غير ممنوعٍ وقل غير مسكتٍ ... ونم غير مذعورٍ وقم غير معجل
لك البيت ما دامت هداياك جمةً ... وكنت ملياً بالنبيذ المعسل
فبادر بأيام الشباب فإنها ... تقضى وتفنى والغواية تنجلي
ودع عنك قول الناس أتلف ماله ... فلانٌ فأضحى مدبراً غير مقبل
هل الدهر إلا ليلةٌ طرحت بنا ... أواخرها في يوم لهوٍ معجل
سقى الله باب الكرخ من متنزهٍ ... إلى قصر وضاحٍ فبركة زلزل
مساحب أذيال القيان ومسرح ال ... حسان ومثوى كل خرقٍ معذل
لو أن امرأ القيس بن حجرٍ يحلها ... لأقصر عن ذكر الدخول وحومل
إذاً لرأى أن يمنح الود شادناً ... مقصر أذيال القبا غير مسبل
إذا اليل أدنى مضجعي منه لم يقل ... عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

أنشد إبراهيم بن المدبر شعراً لنفسه فكذبه وقال إن الشعر لإبراهيم بن العباس: حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال أنشدني علي بن الجهم لنفسه:

وإذا جزى الله أمرأً بفعاله ... فجزى أخاً لي ماجداً سمحا

ناديته عن كربةٍ فكأنما أطلعت عن ليلٍ به صبحا

فقلت له: ويلك ! هذا لإبراهيم بن العباس يقوله في محمد بن عبد الملك الزيات ! فجحدني وكابر. فدخل يوماً علي بن الجهم إلى إبراهيم بن العباس وأنا عنده. فلما رآني قال: اجتمع الإبراهيمان. فتركته ساعةً ثم أنشدت البيتين، وقلت لإبراهيم بن العباس: إن هذا يزعم أن هذين البيتين له. فقال: كذب، هذان لي في محمد ابن عبد الملك بن الزيات. فقال له علي بن الجهم بقحةٍ: ألم أنهك أن تنتحل شعري ! فغضب إبراهيم وجعل يقول له بيده: سوءةً عليك سوءةً لك ! ما أوقحك ! وهو لا ينكر في ذلك ولا يخجل. ثم التقينا بعد مدة فقال: أرأيت كيف أخزيت إبراهيم بن العباس !! فجعلت أعجب من صلابة وجهه.

شعر له في الفراق: حدثني عمي قال أنشدنا محمد بن سعد لعلي بن الجهم وفيه غناء:

اعلمي يا أحب شيءٍ إليا أن شوقي إليك قاضٍ عليا

إن قضى الله لي رجوعاً إليكم لا ذكرت الفراق ما دمت حيا

إن حر الفراق أنحل جسمي وكوى القلب منك بالشوق كيا

كان محمد بن عبد الملك الزيات منحرفاً عنه ويسبعه عند الخليفة فهجاه: حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال: كان محمد بن عبد الملك الزيات منحرفاً عن علي بن الجهم وكان يسبعه عند الخليفة ويعيبه ويذكره بكل قبيح. فقال فيه علي بن الجهم:

لعائن الله متابعات مصبحاتٍ ومهجرات

على ابن عبد الملك الزيات عرض شمل الملك للشتات

وأنفذ الأحكام جائرات على كتاب الله ذاريات

وعن عقول الناس خارجات يرمي الدواوين بتوقيعات

معقداتٍ كرقى الحيات سبحان من جل عن الصفات

بعد ركوب الطوف في الفرات وبعد بيع الزيت بالحبات

صرت وزيراً شامخ الثبات هارون يا ابن سيد السادات

أما ترى الأمور مهملات تشكو إليك عدم الكفاة

فعاجل العلج بمرهفات من بعد ألفٍ صخب الأصوات

بمثمراتٍ غير مورقات ترى بمتنيه مرصفات

ترصف الأسنان في اللثات

استرفد عمر بن الفرج فلم يرفده ثم قبض على عمر فشمت وقال شعراً: أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال: كان علي بن الجهم سأل عمر بن الفرج الرخجي معاونته، واسترفده في نكبته فلم يعاونه و لم يرفده، ثم قبض على عمر بن الفرج وأسلم إلى نجاح ليصادره. فقال علي بن الجهم له:

أبلغ نجاحاً فتى الفتيان مألكةً ... تمضي بها الريح إصداراً وإيرادا

لن يخرج المال عفواً من يدي عمرٍ ... أو يغمد السيف في فوديه إغمادا

الرخجيون لا يوفون ما وعدوا ... والرخجيات لا يخلفن ميعادا

قال وقال في عمر بن الفرج أيضاً:

جمعت أمرين ضاع الحزم بينهما ... تيه الملوك وأفعال المماليك

أردت شكراً بلا برٍ ومرزئةٍ ... لقد سلكت طريقاً غير مسلوك

ظننت عرضك لا يرمى بقارعةٍ ... وما أراك على حالٍ بمتروك

تمثل بشعره نديم لسليمان بن وهب وكان عربد عليه وأغضبه فرضي عنه: أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه قال: كان لسليمان بن وهبٍ نديمٌ يأنس به ويألفه، فعربد عليه ليلةً من الليالي عربدةً قبيحةً، فاطرحه وجفاه مدة. فوقف له على الطريق. فلما مر به وثب إليه فقال له: أيها الوزير، ألا تكون في أمري كما قال علي بن الجهم:

القوم إخوان صدقٍ بينهم نسب ... من المودة لم يعدل بها نسب

تراضعوا درة الصهباء بينهم ... فأوجبوا لرضيع الكأس ما يجب

لا تحفظن على السكران زلته ... ولا تريبنك من أخلاقه ريب

فقال له سليمان: قد رضيت عنك رضاً صحيحاً، فعد إلى ما كنت عليه من ملازمتي.

وأول هذه الأبيات:

الورد يضحك والأوتار تصطخب ... والناي يندب أشجاناً وينتحب

والراح تعرض في نور الربيع كما ... تجلى العروس عليها الدر والذهب

واللهو يلحق مغبوقاً بمصطبحٍ ... والدور سيان محثوثٌ ومنتخب

وكلما انسكبت في الكأس آونةً ... أقسمت أن شعاع الشمس ينسكب

أنشد عبد الله بن طاهر شعراً وكان مغتماً فسرى عنه: أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثني أسلم مولى عبد الله بن طاهر قال: دخل علي بن الجهم يوماً على عبد الله بن طاهر في غدوة من غدوات الربيع وفي السماء غيم رقيق والمطر يجيء قليلاً ويسكن قليلاً، وقد كان عبد الله عزم على الصبوح. فغاضبته حظيةٌ له،

فتنغص عليه عزمه وفتر. فخبر علي بن الجهم بالخبر وقيل له: قل في هذا المعنى شيئاً، لعله ينشط للصبوح. فدخل عليه فأنشده: صوت

أما ترى اليوم ما أحلى شمائله ... صحوٌ وغيمٌ وإبراقٌ وإرعاد

كأنه أنت يا من لا شبيه له ... وصلٌ وهجرٌ وتقريبٌ وإبعاد

فباكر الراح واشربها معتقةً ... لم يدخر مثلها كسرى ولا عاد

واشرب على الروض إذ لاحت زخارفه ... زهرٌ ونورٌ وأوراقٌ وأوراد

كأنما يومنا فعل الحبيب بنا ... بذلٌ وبخلٌ وإيعادٌ وميعاد

وليس يذهب عني كل فعلكم ... غيٌ ورشدٌ وإصلاحٌ وإفساد

فاستحسن الأبيات وأمر له بثلثمائة دينار؛ وحمله وخلع عليه، وأمر بأن يغنى في الأبيات. الغناء لبذل الطاهرية، خفيف رملٍ. وفيه لغيرها هزجٌ.

جلس في المقابر بعد خروجه من السجن

حدثني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال حدثني رجلٌ من أهل خراسان قال: رأيت علي بن الجهم بعدما أطلق من حبسه جالساً في المقابر؛ فقلت له: ويحك ! ما يجلسك ها هنا؟ !فقال:

يشتاق كل غريب عند غربته ... ويذكر الأهل والجيران والوطنا

وليس لي وطنٌ أمسيت أذكره ... إلا المقابر إذ صارت لهم وطنا

شعر له وفيه غناء: حدثني عمي قال أنشدنا أحمد بن عبيد ومحمد بن سعد لعلي بن الجهم وفيه غناء: صوت

لو تنصلت إلينا ... لوهبنا لك ذنبك

بأبي ما أبغض العي ... ش إذا فارقت قربك

ليتني أملك قلبي ... مثل ما تملك قلبك

أيها الواثق بالله ... لقد ناصحت ربك

ما رأى الناس إماماً ... أنهب الأموال نهبك

أصبحت حجتك العل ... يا وحزب الله حزبك

الغناء لعريب رملٌ. وفيه لغيرها هزجٌ.

مدح أبا أحمد بن الرشيد فلم يعطه شيئاً فهجاه: حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال: كان علي بن الجهم قد مدح أبا أحمد بن الرشيد فلم يعطه شيئاً، فقال يهجوه:

يا أبا أحمد لا ين ... جي من الشعر الفرار

لبني العباس أحلا ... مٌ عظامٌ ووقار

ولهم في الحرب إقدا ... مٌ ورأيٌ واصطبار

ولهم ألسنةٌ تب ... ري كما تبري الشفار

ووجوهٌ كنجوم اللي ... ل تهدي من يحار

ونسيمٌ كنسيم الرو ... ض جادته القطار

ولعطفيك عن المج ... د شماسٌ وازورار

إن تكن منهم بلا ش ... كٍ فللعود قتار

رثى عبد الله بن طاهر بشعر وأنشده ابنه يعزيه: حدثني جحظة وعمي قالا حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: دخل إلينا علي بن الجهم بعقب موت أبي والمجلس حافلٌ بالمعزين، فمثل قائماً وأنشدنا يرثيه:

أي ركن وهى من الإسلام ... أي يومٍ أخنى على الأيام

جل رزء الأمير عن كل رزءٍ ... أدركته خواطر الأوهام

سلبتنا الأيام ظلاً ظليلاً ... وأباحت حمىً عزيز المرام

يا بني مصعبٍ حللتم من النا ... س محل الأرواح في الأجسام

فإذا رابكم من الدهر ريبٌ ... عم ما خصكم جميع الأنام

انظروا هل ترون إلا دموعاً ... شاهداتٍ على قلوبٍ دوامي

من يداوي الدنيا ومن يكلأ المل ... ك لدى فادح الخطوب العظام

نحن متنا بموته واجل ال ... خطب موت السادات والأعلام

لم يمت والأمير طاهر حيٌ ... دائم الإنتقام والإنعام

وهو من بعده نظام المعالي ... وقوام الدنيا وسيف الإمام

قال: فما أذكر أني بكيت أو رأيت في دورنا باكياً أكثر من يومئذٍ.

غنت عريب المعتز بشعر له فطرب وفرق مالاً: حدثني عمي قال حدثنا أبو الدهقانة النديم قال: دخلنا يوماً إلى

المعتز وهو مصطبحٌ على صوتٍ اختاره واقترحه على عريب، وأظن الصنعة لها، فلم يزل يشرب عليه بقية يومه، فلما سكر أمر لها بثلاثين ألف درهم، وفرق على الجلساء كلهم الجوائز والطيب والخلع. والصوت:

العين بعدك لم تنظر إلى حسنٍ ... والنفس بعدك لم تسكن إلى سكن

كأن نفسي إذا ما غبت غائبةٌ ... حتى إذا عدت لي عادت إلى بدني

والشعر لعلي بن الجهم.

خرج مع عبد الله بن طاهر للصيد وشربوا فقال شعراً يصف ذلك: حدثني جحظة ومحمد بن خلف ووكيع وعمي قالوا جميعاً حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: لما أطلق أبي طاهرٌ علي بن الجهم من الحبس أقام معه بالشاذياخ مدةً. فخرجوا يوماً إلى الصيد، واتفق لهم مرجٌ كثير الطير والوحش، وكانت أيام الزعفران، فاصطادوا صيداً كثيراً حسناً، وأقاموا يشربون على الزعفران. فقال علي بن الجهم يصف ذلك:

وطئنا رياض الزعفران وأمسكت ... علينا البزاة البيض حمر الدرارج

ولم تحمها الأدغال منا وإنما ... أبحنا حماها بالكلاب النوابج

بمستروحاتٍ سابحاتٍ بطونها ... على الأرض أمثال السهام الزوالج

ومستشرفاتٍ بالهوادي كأنها ... وما عققت منها رؤوس الصوالج

ومن دالعاتٍ ألسناً فكأنها ... لحىً من رجالٍ خاضعين كواسج

فلينا بها الغيطان فلياً كأنها ... أنامل إحدى الغانيات الحوالج

فقل لبغاة الصيد هل من مفاخرٍ ... بصيدٍ وهل من واصفٍ أو مخارج

قرنا بزاةً بالصقور وحومت ... شواهيننا من بعد صيد الزمامج

كتب من حبسه إلى المتوكل شعراً: حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال: كتب علي بن الجهم إلى المتوكل وهو محبوس: صوت

أقلني أقالك من لم يزل ... يقيك ويصرف عنك الردى

ويغذوك بالنعم السابغات ... وليداً وذا ميعةٍ أمردا

وتجري مقاديره بالذي ... تحب إلى أن بلغت المدى

ويعليك حتى لو ان السماء ... تنال لجاوزتها مصعدا

فما بين ربك جل اسمه ... وبينك إلا نبي الهدى

فشكراً لأنعمه إنه إذا شكرت نعمةٌ جددا
وعفوك من مذنبٍ خاضعٍ قرنت المقيم به المقعدا
إذا ادرع الليل أفضى به إلى الصبح من قبل أن يرقدا
عفا الله عنك ألا حرمةٌ تعوذ بفضلك أن أبعدا
لئن جل ذنباً ولم أعتمد لأنت أجل وأعلى يدا
ألم تر عبداً عدا طوره ومولىً عفا ورشيداً هدى
ومفسد أمرٍ تلافيته فعاد فأصلح ما أفسدا
فلا عدت أعصيك فيما أمر ت حتى أزور الثرى ملحدا
وإلا فخالفت رب السماء وخنت الصديق وعفت الندى
وكنت كعزون أو كابن عمرو مبيح العيال لمن أولدا
يكثر في البيت صبيانه يغيظ بهم معشراً جسدا

شمت بأحمد بن أبي داود حين فلج وقال شعراً يهجوه: حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال: لما فلج ابن أبي داود شمت به علي بن الجهم وأظهر ذلك له وقال فيه:

لم يبق منك سوى خيالك لامعاً فوق الفراش ممهداً بوساد
فرحت بمصرعك البرية كلها من كان منهم موقناً بمعاد
كم مجلسٍ لله قد عطلته كي لا يحدث فيه بالإسناد
ولكم مصابيحٍ لنا أطفأتها حتى يزول عن الطريق الهادي
ولكم كريمة معشرٍ أرملتها ومحدثٍ أوثقت في الأقياد
إن الأسارى في السجون تفرجوا لما أتتك مواكب العواد
وغدا لمصرعك الطبيب فلم يجد شيئاً لدائك حيلة المرتاد
فذق الهوان معجلاً ومؤجلاً والله رب العرش بالمرصاد
لا زال فالجك الذي بك دائباً وفجعت قبل الموت بالأولاد

شعر له غنت فيه عريب: أنشدني عمي لابن الجهم وفيه غناء لعريب:

نطق الهوى بجوىً هو الحق وملكتني فليهنك الرق

رفقاً بقلبي يا معذبه رفقاً وليس لظالمٍ رفق
وإذا رأيتك لا تكلمني ضاقت علي الأرض والأفق

وأنشدني له وفيه غناء أيضاً، ويقال إنه آخر شعر قاله:

يا رحمةً للغريب بالبلد الن ازح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش بعده وما انتفعا

هجا مغنياً بشعر: وقال لمغنٍ حضر معه مجلساً وكان غير طيب:

كنت في مجلس فقال مغني ال قوم كم بيننا وبين الشتاء
فذرعت البساط مني إليه قلت هذا المقدار قبل الغناء
فإذا ما عزمت أن تتغنى آذن الحر كله بانقضاء

استشفع بقبيحة إلى المتوكل وهو في حبسه فأرسلت إليه ابنها المعتز: أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني عبد الله بن المعتز قال: لما حبس أمير المؤمنين المتوكل علي بن الجهم، وأجمع الجلساء على عداوته وإبلاغ الخليفة عنه كل مكروه ووصفهم مساويه، قال هذه القصيدة يمدحه ويذكره حقوقه عليه، وهي:

عفا الله عنك ألا حرمةٌ تعوذ بعفوك أن أبعدا

ووجه بها إلى بيدون الخادم، فدخل بها إلى قبيحة وقال لها: إن علي بن الجهم قد لاذ بك وليس له ناصرٌ سواك، وقد قصده هؤلاء الندماء والكتاب لأنه رجل من أهل السنة وهم روافض، فقد اجتمعوا على الإغراء بقتله. فدعت المعتز وقالت له: اذهب بهذه الرقعة يا بني إلى سيدك وأوصلها إليه، فجاء بها ووقف بين يدي أبيه. فقال له: ما معك فديتك؟ فدنا منه وقال: هذه رقعة دفعتها إلي أمي. فقرأها المتوكل وضحك. ثم أقبل عليهم فقال: أصبح أبو عبد الله - فديته -خصمكم. هذه رقعة علي بن الجهم يستقيل ، وأبو عبد الله شفيعه، وهو ممن لا يرد، وقرأها عليهم. فلما بلغ إلى قوله:

فلا عدت أعصيك فيما أمرت إلى أن أحل الثرى ملحدا
وإلا فخالفت رب السماء وخنت الصديق وعفت الندى
وكنت كعزون أو كابن عمرو مبيح العيال لمن أولدا

وثب ابن حمدون وقال للمعتز: يا سيدي فمن دفع هذه الرقعة إلى السيدة؟ قال بيدون الخادم: أنا. فقالوا له: أحسنت. تعادينا وتوصل رقعة عدونا في هجائنا !! فانصرف بيدون وقام المعتز فانصرف. واستلب ابن حمدون قوله:

وكنت كعزون أو كابن عمرو مبيح العيال لمن أولدا

فجعل ينشدهم إياه وهم يشتمون ابن حمدون ويضجون والمتوكل يضحك ويصفق ويشرب حتى سكر ونام، وسرقوا قصيدته من بين يدي المتوكل وانصرفوا، و لم يوقع بإطلاقه ونسيه. فقالوا لابن حمدون: ويلك ! تعيد هجاءنا وشتمنا !! فقال: يا حمقى والله لو لم أفعل ذلك فيضحك ويشرب حتى يسكر وينام لوقع في إطلاقه ووقعنا معه في كل ما نكره.

هنأ المتوكل بفتح أرمينية: أخبرني علي بن الحسين قال حدثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدثني أحمد بن حمدون قال: لما افتتحت أرمينية وقتل إسحاق بن إسماعيل دخل علي بن الجهم فأنشد المتوكل قصيدته التي يهنيه فيها بالفتح ويمدحه، فقال فيها وأومأ بيده إلى الرسول الوارد بالفتح وبرأس إسحاق بن إسماعيل:

أهلاً وسهلاً بك من رسول جئت بما يشفي من الغليل

بجملةٍ تغني عن التفصيل برأس إسحاق بن إسماعيل

قهراً بلا ختلٍ و لا تطويل

فاستحسن جميع من حضر ارتجاله هذا وابتداءه، وأمر له المتوكل بثلاثين ألف درهم، وتم القصيدة. وفيها يقول:

جاوز نهر الكر بالخيول تردي بفتيانٍ كأسد الغيل

معوداتٍ طلب الذحول خزر العيون طيبي النصول

شعثٌ على شعثٍ من الفحول جيشٌ يلف الحزن بالسهول

كأنه معتلج السيول يسوسه كهلٌ من الكهول

لا ينثني للصعب والذلول على أغر واضح الحجول

حتى إذا أصحر للمخذول ناجزه بصارمٍ صقيل

ضرباً طلحفاً ليس بالقليل ومنجنيق مثل حلق الفيل

ترفض عن خرطومه الطويل صواعقٌ من حجر السجيل

تترك كيد القوم في تضليل ما كان إلا مثل رجع القيل

حتى انجلت عن حزبه المفلول وعن نساءٍ حسرٍ ذهول

صوارخٍ يعثرون في الذيول ثواكل الأولاد والبعول

لا والذي يعرف العقول من غير تحديدٍ و لا تمثيل

ما قام لله و لا للرسول بالدين والدنيا وبالتنزيل

خليفةٌ كجعفر المأمول

مدح المتوكل بقصيدة وأرسلها من حبسه مع علي بن يحيى: أخبرني علي بن العباس قال حدثني محمد بن عبد السلام قال: رأيت مع علي بن يحيى المنجم قصيدة علي بن الجهم يمدح المتوكل ويصف الهاروني ، فقلت له: يا أبا الحسن، ما هذه القصيدة معك؟ فضحك وقال: قصيدةٌ لعلي بن الجهم سألني عرضها على أمير المؤمنين فعرضتها. فلما سمع قوله:

وقبة ملكٍ كأن النجو م تصغي إليها بأسرارها

تخر الوفود لها سجداً إذا ما تجلت لأبصارها

وفوارة ثأرها في السماء فليست تقصر عن ثارها

ترد على المزن ما أنزلت إلى الأرض من صوب مدرارها

تهلل وجهه واستحسنها. فلما انتهيت إلى قوله:

تبوأت بعدك قعر السجون وقد كنت أرثي لزوارها

غضب وتربد وجهه وقال: هذا بما كسبت يداه، و لم يسمع تمام القصيدة.

شاع مذهبه وشره فسافر لحلب فقتل في الطريق وقال شعراً قبل موته: أخبرني علي بن العباس قال حدثني الحسين بن موسى قال: لما شاع في الناس مذهب علي بن الجهم وشره وذكره كل أحدٍ بسوءٍ من صديقه وعدوه تحاماه الناس، فخرج عن بغداد إلى الشام، فاتفقنا إلى قافلةٍ إلى حلب. وخرج علينا نفرٌ من الأعراب، فتسرع إليهم قومٌ من المقاتلة، وخرج فيهم فقاتل قتالاً شديداً وهزم الأعراب. فلما كان من غدٍ خرج علينا منهم خلقٌ كثير، فتسرعت إليهم المقاتلة وخرج فيهم فأصابته طعنةٌ قتلته، فجئنا به واحتملناه وهو يترف دمه. فلما رآني بكى وجعل يوصيني بما يريد. فقلت له: ليس عليك بأس. فلما أمسينا قلق قلقاً شديداً وأحس بالموت، فجعل يقول:

أزيد في الليل ليل أم سال بالصبح سيل

ذكرت أهل دجيلٍ وأين مني دجيل

فأبكى كل من كان في القافلة، ومات مع السحر، فدفن في ذلك المنزل على مرحلة من حلب.

ومن صنعة أبي عيسى بن المتوكل صوت

إن الناس غطوني تغطيت عنهم وإن بحثوا عني ففيهم مباحث

وإن حفروا بئري حفرت بئارهم فسوف ترى ماذا تثير النبائث

الشعر لأبي دلامة. والغناء لأبي عيسى بن المتوكل، ولحنه ثقيلٌ أول عن المعتز.

أخبار أبي دلامة ونسبه

نسبه وهو مولى لبني أسد وكان فاسد الدين متهتكاً: أبو دلامة زند بن الجون. وأكثر الناس يصحف اسمه فيقول " زيد " بالياء، وذلك خطأ، وهو زند بالنون، وهو كوفي أسود، مولىً لبني أسد. كان أبوه عبداً لرجل منهم يقال لع فضافض فأعتقه. وأدرك آخر أيام بني أمية، و لم يكن له في أيامهم نباهة، ونبغ في أيام بني العباس، وانقطع إلى أبي عباس وأبي جعفر المنصور والمهدي، فكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيبون مجالسته ونوادره. وقد كان انقطع إلى روح بن حاتم المهلبي أيضاً في بعض أيامه. و لم يصل إلى أحدٍ من الشعراء ما وصل إلى أبي دلامة من المنصور خاصةً. وكان فاسد الدين، رديء المذهب، مرتكباً للمحارم، مضيعاً للفروض، مجاهراً بذلك، وكان يعلم هذا منه ويعرف به، فيتجافى عنه للطف محله.

أول شعر عرف به: وكان أول ما حفظ من شعره وأسنيت الجوائز له به قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور وذكر قتله أبا مسلم. فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن داود بن الجراح عن محمد بن القاسم عن أحمد بن حبيبٍ قال: لما قال أبو دلامة قصيدته في قتل أبي مسلم التي يقول فيها:

أبا مسلمٍ خوفتني القتل فاتنحى ... عليك بما خوفتني الأسد الورد

أبا مسلم ما غير الله نعمةً ... على عبده حتى يغيرها العبد

أنشدها المنصور في محفلٍ من الناس، فقال له: احتكم. قال: عشرة آلاف درهم. فأمر له بها. فلما خلا به قال له: إيه !! أما والله لو تعديتها لقتلتك.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن مسلمٍ عن أبيه: سمى لي أبو دلامة نفسه زنداً " بالنون " ابن الجون. وأسلم مولاه فضافض. وله أيضاً شعر، وكان في الصحابة.

أعفاه المنصور من لبس السواد والقلانس دون الناس: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني جعفر بن الحسين المهلبي قال: كان أبو جعفر المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوالٍ تدعم بعيدانٍ من داخلها، وأن يعقلوا السيوف في المناطق، ويكتبوا على ظهورهم " فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم " فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزي. فقال له أبو جعفر: ما حالك؟ قال: شر حالٍ، وجهي في نصفي، وسيفي في استي، وكتاب الله في وراء ظهري، وقد صبغت بالسواد ثيابي، فضحك منه وأعفاه وحده من ذلك، وقال له: إيالك أن يسمع هذا منك أحد .

ونسخت من كتابٍ لابن النطاح فذكر مثل هذه القصة سواءً وزاد فيها:

وكنا نرجي من إمامٍ زيادةً ... فجاد بطولٍ زاده في القلانس

تراها على هام الرجال كأنها ... دنان يهودٍ جللت بالبرانس

فضحك منه وأعفاه.

طلب من المنصور أو السفاح، كلب صيد ثم تدرج في الطلب إلى أشياء كثيرة:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال حدثني الجاحظ قال: كان أبو دلامة بين يدي المنصور واقفاً - وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة أنه كان واقفاً بين يدي السفاح - فقال له: سلني حاجتك. قال أبو دلامة: كلبٌ أتصيد به. قال له: أعطوه إياه. قال: ودابة أتصيد عليها. قال: أعطوه. قال: وغلامٌ يصيد بالكلب ويقوده. قال: أعطوه غلاماً. قال: وجاريةٌ تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه. قال: أعطوه جاريةً. قال: هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك فلا بد لهم من دار يسكنونها. فقال: أعطوه داراً تجمعهم. قال: فإن لم تكن ضيعةٌ فمن أين يعيشون ! قال:قد أعطيتك مائة جريبٍ عامرةً ومائة جريب غامرة. قال: وما الغامرة. قال: ما لا نبات فيه. قال: قد أقطعتك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرةً من فيافي بني لأسد. فضحك وقال: اجعلوها كلها عامرةً. قال: فأذن لي أن أقبل يدك. قال: أما هذه فدعها. قال: والله ما منعت عيالي شيئاً أقل ضرراً عليهم منها. قال الجاحظ: فانظر إلى حذقه بالمسألة ولطفه فيها: إبتدأ بكلب فسهل القصة به، وجعل يأتي بما يليه على ترتيبٍ وفكاهةٍ، حتى نال ما لو سأله بديهةً لما وصل إليه.

كنى باسم جبل بمكة: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني السكري عن محمد بن حبيب قال: اسم أبي دلامة زندٌ بالنون، ومن الناس من يرويه بالياء، وكني أبو دلامة باسم جبلٍ بمكة يقال له أبو دلامة، كانت قريش تئد فيه البنات في الجاهلية؛ وهو بأعلى مكة.

أنشد المنصور شعراً فأجازه: وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة، وأخبرني عمي قال حدثني الكراني عن العمري عن الهيثم قال: دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

إن الخليط أجد البين فانتجعوا ... وزودوك خبالاً بئس ما صنعوا

والله يعلم أن كادت لبينهم ... يوم الفراق حصاة القلب تنصدع

عجبت من صبيتي يوماً وأمهم ... أم الدلامة لما هاجها الجزع

لا بارك الله فيها من منبهةٍ ... هبت تلوم عيالي بعد ما هجعوا

ونحن مشتبهو الألوان أوجهنا ... سودٌ قباحٌ وفي أسمائنا شنع

إذا تشكت إلي الجوع قلت لها ... ما هاج جوعك إلا الري والشبع

- ويروى وهو الجيد:

أذابك الجوع مذ صارت عيالتنا ... على الخليفة منه الري والشبع

لا والذي يا أمير المؤمنين قضى ... لك الخلافة في أسبابها الرفع

مازلت أخلصها كسبي فتأكله ... دوني ودون عيالي ثم تضطجع

شوهاء مشنأةٌ في بطنها ثجلٌ ... وفي المفاصل من أوصالها فدع

ذكرتها بكتاب الله حرمتنا ولم تكن بكتاب الله تنتفع
فاخرنطمت ثم قالت وهي مغضبةٌ أأنت تتلو كتاب الله يا لكع
اخرج لتبغ لنا مالاً ومزرعةً كما لجيراننا مالٌ ومزدرع
واخدع خليفتنا عنها بمسألةٍ إن الخليفة للسؤال ينخدع

فضحك أبو جعفر وقال: أرضوها عني واكتبوا له بمائتي جريب عامرة ومائتي جريب غامرة - وقال الهيثم: بستمائة جريب عامرة وغامرة - فقال له: أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة والنجف، وإن شئت زدتك. فضحك وقال: اجعلوها كلها عامرة.

شهد عند ابن أبي ليلى لجارة له وقال شعراً فأمضى ابن أبي ليلى شهادته: حدثني محمد بن أحمد بن الطلاس قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: شهد أبو دلامة بشهادة لجارة له عند ابن أبي ليلى على أتانٍ نازعها فيها رجل. فلما فرغ من الشهادة. قال : اسمع ما قلت فيك قبل أن آتيك ثم اقض ما شئت. قال: هات؛ فأنشده:

إن الناس غطوني تغطيت عنهم وإن بحثوا عني ففيهم مباحث
وإن حفروا بئري حفرت بئارهم ليعلم يوماً كيف تلك النبائث

ثم أقبل على المرأة فقال: أتبيعينني الأتان؟ قالت نعم. قال: بكم؟ قالت: بمائة درهم. قال ادفعوها إليها ففعلوا. وأقبل على الرجل فقال: قد وهبتها لك، وقال لأبي دلامة: قد أمضيت شهادتك و لم أبحث عنك، وابتعت ممن شهدت له، ووهبت ملكي لمن رأيت. أرضيت؟ قال نعم، وانصرف.

شرب مع السيد الحميري أو أبي عطاء السندي فذم ابنته وأخبر المنصور فأكرمه: أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا محمد بن سلام عن علي بن إسماعيل قال: كنت أسقي أبا دلامة والسيد، إذ خرجت بنت لأبي دلامة ، فقال فيها أبو دلامة:

فما ولدتك مريم أم عيسى ولا رباك لقمان الحكيم

أجزيا أبا هاشم. فقال السيد :

ولكن قد تضمك أم سوءٍ إلى لباتها وأب لئيم

فضحك لذلك. ثم غدا أبو دلامة إلى المنصور فألفاه في الرحبة يصلح فيها شيئاً يريده، فأخبره بقصة بنته وأنشده البيتين، ثم اندفع فأنشده بعدهما:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرمٍ قومٌ لقيل اقعدوا يا آل عباس

ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلكم إلى السماء فأنتم أظهر الناس

وقدموا القائم المنصور رأسكم فالعين والأنف والأذنان في الرأس

فاستحسنها وقال له: بأي شيء تحب أن أعينك على قبح ابنتك هذه؟ فأخرج خريطة قد كان خاطها من الليل فقال: تملأ لي هذه دراهم ،فملئت فوسعت أربعة آلاف درهم.

وقد أخبرني بهذا الخبر عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال: دخل أبو عطاء السندي يوماً إلى أبي دلامة فاحتبسه عنده، ودعا بطعامٍ فأكلا وشبعا، وخرجت إلى أبي دلامة صبيةٌ له فحملها على كتفه، فبالت عليه فنبذها عن كتفه، ثم قال:

بللت علي لا حييت ثوبيفبال عليك شيطانٌ رجيم

فما ولدتك مريم أم عيسى ولا رباك لقمان الحكيم

ثم التفت إلى أبي عطاء فقال له: أجز. فقال:

صدقت أبا دلامة لم تلدها مطهرةٌ ولا فحلٌ كريم

ولكن قد حوتها أم سوءٍ إلى لباتها وأبٌ لئيم

فقال له أبو دلامة: عليك لعنة الله ! ما حملك على أن بلغت بي هذا كله ! والله لا أنازعك بيت شعرٍ أبداً. فقال أبو عطاء: لأن يكون الهرب من جهتك أحب إلي.

رثى السفاح عند المنصور فغضب وأراد إخراجه إلى الحرب فاسترضاه: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني أبو مالك عبد الله بن محمد قال حدثني أبي قال: لما توفي أبو العباس السفاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس عنده يعزونه؛ فأنشأ أبو دلامة يقول:

أمسيت بالأنبار يابن محمدٍ لم تستطع عن عقرها تحويلا

ويلي عليك أهلي كلهم ويلاً وعولاً في الحياة طويلا

فلتبكين لك النساء بعبرةٍ وليبكين لك الرجال عويلا

مات الندى إذ مت يابن محمد فجعلته لك في الثراء عديلا

إني سألت الناس بعدك كلهم فوجدت أسمح من سألت بخيلا

ألشقوتي أخرت بعدك للتي تدع العزيز من الرجال ذليلا

فلأحلفن يمين حق برةً بالله ما أعطيت بعدك سولا

قال فأبكى الناس قوله: فغضب المنصور غضباً شديداً وقال: لئن سمعتك تنشد هذه القصيدة لأقطعن لسانك.

فقال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين، إن أبا العباس أمير المؤمنين كان لي مكرماً وهو الذي جاء بي من البدو كما جاء الله بإخوة يوسف إليه، فقل كما قال يوسف لإخوته: " لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ". فسري عن المنصور وقال: قد أقلناك يا أبا دلامة، فسل حاجتك. فقال: يا أمير المؤمنين، قد كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً وهو مريض و لم أقبضها. فقال المنصور: ومن يعرف هذا؟ فقال: هؤلاء، وأشار إلى جماعة ممن حضر. فوثب سليمان بن مجالد وأبو الجهم فقالا: صدق أبو دلامة ، نحن نعلم ذلك. فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيظ: يا سليمان ادفعها إليه وسيره إلى هذا الطاغية " يعني عبد الله بن علي ، وقد كان خرج بناحية الشام، وأظهر الخلاف ". فوثب أبو دلامة فقال: يا أمير المؤمنين، إني أعيذك بالله أن أخرج معهم، فوالله إني لمشؤوم. فقال المنصور: امض فإن يمني يغلب شؤمك فاخرج.

فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أحب لك أن تجرب ذلك مني على مثل هذا العسكر؛ فإني لا أدري أيهما يغلب: أيمنك أم شؤمي، إلا أني بنفسي أوثق وأعرف وأطول تجربةً. قال: دعني من هذا فمالك من الخروج بد. فقال: إني أصدقك الآن، شهدت والله تسع عشر عسكراً كلها هزمت؛ وكنت سببها. فإن شئت الآن على بصيرةٍ أن يكون عسكرك العشرين فافعل. فاستغرب أبو جعفر ضحكاً، وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة.

أغضب المنصور لكثرة مدحه السفاح: أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال: لما مات أبو العباس السفاح وولي المنصور، دخل عليه أبو دلامة، فقال له أبو جعفر: ألست القائل لأبي العباس:

وكنا بالخليفة قد عقدنا ... لواء الأمر فانتقض اللواء

فنحن رعيةٌ هلكت ضياعاً ... تسوق بنا إلى الفتن الرعاء

قال: ما قلت هذا يا أمير المؤمنين. قال: كذبت والله ! أفلست القائل:

هلك الندى إذ بنت يابن محمدٍ ... فجعلته لك في التراب عديلا

ولقد سألت الناس بعدك كلهم ... فوجدت أكرم من سألت بخيلا

ولقد حلفت على يمينٍ برةً ... بالله ما أعطيت بعدك سولا

فقال أبو دلامة: إن أخاك صلى الله عليه غلبني على صبري، وسلبني عزيمتي، وعزني بإحسانه إلي وجزعي عليه، فقلت ما لم أتأمله، وإني أرغب في الثمن فاستفره السلعة حياً وميتاً. فإن أعطيت ما أعطى، أخذت ما أخذ. فأمر به فحبس ثلاثاً ثم خلى سبيله ودعاه إليه فوصله، ثم عاد له إلى ما كان عليه.

أمره روح بن حاتم بمبارزة خارجي فخدعه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أبو أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثني دلامة قال: أتى بي المنصور أو المهدي وأنا سكران، فحلف ليخرجني في بعث حربٍ، فأخرجني مع روح بن حاتم المهلبي لقتال الشراة . فلما التقى الجمعان قلت لروح: أما والله لو أن تحتي فرسك ومعي سلاحك

لأثرت في عدوك اليوم أثراً ترتضيه. فضحك وقال: والله العظيم لأدفعن ذلك إليك، ولآخذنك بالوفاء بشرطك. ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إلي، ودعا بغيرهما فاستبدل به. فلما حصل ذلك في يدي وزالت عني حلاوة الطمع، قلت له: أيها الأمير، هذا مقام العائذ بك ،وقد قلت بيتين فاسمعهما. قال: هات. فأنشدته:

إني استجرتك أن أقدم في الوغى ... لتطاعنٍ وتنازلٍ وضراب

فهب السيوف رأيتها مشهورةً ... فتركتها ومضيت في الهراب

ماذا تقول لما يجيء وما يرى ... من واردات الموت في النشاب

فقال: دع عنك هذا وستعلم. وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة، فقال: اخرج إليه يا أبا دلامة. فقلت: أنشدك الله أيها الأمير في دمي. قال: والله لتخرجن. فقلت: أيها الأمير فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا، وأنا والله جائع ما شبعت مني جارحةٌ من الجوع، فمر لي بشيءٍ آكله ثم أخرج. فأمر لي برغيفين ودجاجة، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف، فلما رآني الشاري أقبل نحوي عليه فروٌ وقد أصابه المطر فابتل، وأصابته الشمس فاقفعل وعيناه تقدان، فأسرع إلي. فقلت له: على رسلك يا هذا كما أنت فوقف. فقلت: أتقتل من لا يقاتلك؟ قال: لا. قلت: أتقتل رجلاً على دينك؟ قال: لا. قلت: أفتستحل ذلك قبل أن تدعو من تقاتله إلى دينك؟ قال: لا، فاذهب عني إلى لعنة الله. قلت: لا أفعل أو تسمع مني. قال: قل. قلت: هل كانت بيننا قط عداوةٌ أو ترةٌ، أو تعرفني بحالٍ تحفظك علي، أو تعلم بين أهلي وأهلك وتراً؟ قال: لا والله. قلت: ولا أنا والله لك إلا جميل الرأي، وإني لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين دينك وأريد السوء لمن أراده لك.

قال: يا هذا جزاك الله خيراً فانصرف. قلت: إن معي زاداً أحب أن آكله معك، وأحب مواكلتك لتتوكد المودة بيننا، ويرى أهل العسكر هوانهم علينا. فقال: فافعل. فتقدمت إليه حتى اختلف أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على معارفها والناس قد غلبوا ضحكاً. فلما استوفينا ودعني. ثم قلت له: إن هذا الجاهل إن أقمت على طلب المبارزة ندبني إليك فتتعبني وتتعب. فإن رأيت ألا تبرز اليوم فافعل. قال: قد فعلت. ثم انصرف وانصرفت. فقلت لروح: أما أنا فقد كفيتك قرني فقل لغيري أن يكفيك قرنه كما كفيتك، فأمسك. وخرج آخر يدعو إلى البراز، فقال لي: اخرج إليه. فقلت :

إني أدعوذ بروحٍ أن يقدمني ... إلى البراز فتخزى بي بنو أسد

إن البراز إلى الأقران أعلمه ... مما يفرق بين الروح والجسد

قد حالفتك المنايا إذ صمدت لها ... وأصبحت لجميع الخلق بالرصد

إن المهلب حب الموت أورثكم ... وما ورثت اختيار الموت عن أحد

لو أن لي مهجةً أخرى لجدت بها ... لكنها خلقت فرداً فلم أجد

فضحك وأعفاني.

أمره مروان بن محمد بمبارزة خارجي ففر منه: أخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال قال أبو دلامة: كنت في عسكر مروان أيام زحف إلى سنان الخارجي. فلما التقى الزحفان خرج منهم رجلٌ فنادى: من يبارز! فلم يخرج إليه أحدٌ إلا أعجله و لم ينهنهه . فغاظ ذلك مروان وجعل يندب الناس على خمسمائة، فقتل أصحاب الخمسمائة، فزاد مروان وندبهم على ألفٍ، و لم يزل يزيدهم حتى بلغ خمسة آلاف درهم. وكان تحتي فرس لا أخاف خونه؛ فلما سمعت بالخمسة آلاف ترقبته واقتحمت الصف. فلما نظرني الخارجي علم أني خرجت للطمع؛ فأقبل إلي متهيئاً وإذا عليه فروٌ قد أصابه المطر فابتل، ثم أصابته الشمس فأقفعل، وإذا عيناه تقدان كأنهما من غورهما في وقبين . فلما دنا مني أنشأ يقول:

وخارج أخرجه حب الطمع ... فر من الموت وفي الموت وقع

من كان ينوي أهله فلا رجع

فلما وقرت في أذني انصرفت عنه هارباً. وجعل مروان يقول: من هذا الفاضح؟ إيتوني به، فدخلت في غمار الناس فنجوت.

أعطاه موسى بن داود مالاً ليحج معه فهرب إلى السواد وسكر بالمال: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن السعيد قال حدثنا الزبير قال حدثنا جعفر بن الحسين اللهبي قال: عزم موسى بن داود بن علي الهاشمي على الحج. فقال لأبي دلامة: احجج معي ولك عشرة آلاف درهم. فقال: هاتها؛ فدفعت إليه، فأخذها وهرب إلى السواد، فجعل ينفقها هناك ويشرب بها الخمر. فطلبه موسى فلم يقدر عليه، وخشي فوت الحج فخرج. فلما شارف القادسية إذا هو بأبي دلامة خارجاً من قرية إلى أخرى وهو سكران، فأمر بأخذه وتقييده وطرحه في محملٍ بين يديه ففعل ذلك به. فلما سار غير بعيد أقبل على موسى وناداه:

يأيها الناس قولوا أجمعون معاً ... صلى الإله على موسى بن داود

كأن ديباجتي خديه من ذهبٍ ... إذا بدا لك في أثوابه السود

إني أعوذ بداودٍ وأعظمه ... من أن أكلف حجاً يا بن داود

خبرت أن طريق الحج معطشةٌ ... من الشراب وما شربي بتصريد

والله ما في من أجرٍ فتطلبه ... ولا الثناء على ديني بمحمود

فقال موسى: ألقوه لعنة الله على المحمل ودعوه ينصرف، فألقي وعاد إلى قصفه بالسواد، حتى نفدت العشرة آلاف درهم.

أمره المنصور بملازمة الجماعة في مسجد القصر فقال شعراً يستعفيه: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا

الزبير عن الجعفر بن الحسين اللهبي، وأخبرني عمي عن الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي قالا : قال أبو أيوب المورياني لأبي جعفر وكان يشنأ أبا دلامة ،: إن أبا دلامة معتكفٌ على الخمر فما يحضر صلاةً ولا مسجداً، وقد أفسد فتيان العسكر. فلو أمرته بالصلاة معك لأجرت فيه وفي غيره من فتيان عسكرك بقطعه عنهم. فلما دخل عليه أبو دلامة قال له: بابن اللخناء، ما هذا المجون الذي يبلغني عنك ! قال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين ما أنا والمجون وقد شارفت باب قبري !. قال: دعني من استكانتك وتضرعك، وإياك أن تفوتك صلاة الظهر والعصر في مسجدي. فلئن فاتتك لأحسنن أدبك ولأطيلن حبسك. فوقع في شرٍ ولزم المسجد أياماً، ثم كتب قصته ودفعها إلى المهدي فأوصلها إلى أبيه، وكان فيها:

ألم تعلما أن الخليفة لزتي ... بمسجده والقصر مالي وللقصر!
أصلي به الأولى جميعاً وعصرها ... فويلي من الأول وويلي من العصر
أصليهما بالكره في غير مسجدي ... فمالي في الأولى ولا العصر من أجر
لقد كان في قومي مساجد جمةٌ ... سواه ولكن كان قدراً من القدر
يكلفني من بعد ما شبت خطةً ... يحط بها عني الثقيل من الوزر
وما ضره والله يغفر ذنبه ... لو ان ذنوب العالمين على ظهري

قال: فلما قرأ المنصور قصته ضحك وأعفاه من الحضور معه، وأحلفه أن يصلي الصلاة في مسجد قبيلته.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن سعيد عن الزبير عن عمه، ونسخت من بعض الكتب عن نصر بن محمد الخراز عن أبيه عن الهيثم بن عدي وروانيه بعض من روى عن الزبير.

أن أبا جعفر كان يحب العبث بأبي دلامة - وقال الآخر: إن أبا العباس السفاح كان يحب ذلك - فكان يسأل عنه فيوجد في بيوت الخمارين لا فضل فيه. فعاتبه على انقطاعه عنه؛ فقال: إنما أفعل ذلك خوفاً أن تملني. فعلم أنه يحاجزه ، فأمر الربيع أن يوكل به من يحضره الصلوات معه في جماعةٍ في الدار. فلما طال ذلك عليه قال:

ألم تريا أن الخليفة لزني ... بمسجده والقصر مالي وللقصر!
فقد صدني عن مسجدٍ أستلذه ... أعلل فيه بالسماع وبالخمر
وكلفني الأولى جميعاً وعصرها ... فويلي من الأول وعولي من العصر
أصليهما بالكره في غير مسجدي ... فمالي من الأولى ولا العصر من أجر
يكلفني من بعد ما شبت توبةً ... يحط بها عني المثاقيل من وزري
لقد كان في قومي مساجد جمةٌ ... ولم ينشرح يوماً لغشيانها صدري
ووالله ما لي نيةٌ في صلاته ... ولا البر والإحسان والخير من أمري

وما ضره والله يغفر ذنبه لو ان ذنوب العالمين على ظهري

ألزمه المنصور بالقيام شهر رمضان فكتب إلى ريطة شعراً يستشفع بها للمهدي : فبلغته الأبيات فقال: صدق ! ما يضرني ذلك، والله لا يصلح هذا أبداً، فدعوه يعمل ما يشاء. وقال الهيثم في خبره: فقال له أبو جعفر: قد أعفيناك من هذه الحال، ولكن على أن لا تدع القيام معنا في ليالي شهر رمضان فقد أظل . فقال: أفعل. قال: إنك إن تأخرت لشرب الخمر علمت ذلك. ووالله لئن فعلت لأحدنك. فقال أبو دلامة: البلية في شهر أصلح منها في طول الدهر، وسمعاً وطاعةً. فلما حضر شهر رمضان لزم المسجد. وكان المهدي يبعث إليه في كل ليلة حرسياً يجيء به؛ فشق ذلك عليه، وفزع إلى الخيزران وأبي عبيد الله وكل من كان يلوذ بالمهدي ليشفعوا له في الإعفاء من القيام، فلم يجبهم. فقال له أبو عبيدة: الدال على الخير كفاعله، فكيف شكرك؟ قال: أتم شكر. قال: عليك بريطة فإنه لا يخالفها. قال: صدقت والله، ثم رفع إليها رقعةً يقول فيها:

أبلغا ريطة أني كنت عبداً لأبيها

فمضى يرحمه الل ه وأوصى بي إليها

وأراها نسيتني مثل نسيان أخيها

جاء شهر الصوم يمشي مشيةً ما أشتهيها

قائداً لي ليلة القد ر كأني أبتغيها

تنطح القبلة شهراً جبهتي لا تأتليها

ولقد عشت زماناً في فيافي وجيها

في ليالٍ من شتاءٍ كنت شيخاً أصطليها

قاعداً أوقد ناراً لضبابٍ أشتويها

وصبوحٍ وغبوقٍ في علابٍ أحتسيها

ما أبالي ليلة القد ر ولا تسمعنيها

فاطلبي لي فرجاً من ها وأجري لك فيها

فلما قرأت الرقعة ضحكت وأرسلت إليه: إصطبر حتى تمضي ليلة القدر. فكتب إليها: إني لم اسألك أن تكلميه في إعفائي عاماً قابلاً؛ وإذا مضت ليلة القدر فقد فني الشهر. وكتب تحتها أبياتاً:

خافي إلهك في نفسٍ قد احتضرت قامت قيامتها بين المصلينا

ما ليلة القدر من همي فأطلبها إني أخاف المنايا قبل عشرينا

يا ليلة القدر قد كسرت أرجلنا يا ليلة القدر حقاً ما تمنينا !؟
لا بارك اله في خير أؤمله في ليلة بعدما قمنا ثلاثينا

فلما قرأت الأبيات ضحكت، ودخلت إلى المهدي فشفعت له إليه، وأنشدته الشعرين، فضحك حتى استلقى، ودعا به وريطة معه في الحجلة فدخل؛ فأخرج رأسه إليه وقال: قد شفعنا ريطة فيك، وأمرنا لك بسبعة آلاف درهم. فقال: أما شفاعة سيدتي في حتى أعفيتني فأعفاها الله من النار. وأما السبعة الآلاف فما أعجبني ما فعلته؛ إما أن تتمها بثلاثة آلاف فتصير عشرة، أو تنقصني منها ألفين فتصير خمسة آلاف، فإني لا أحسن حساب السبعة. فقال قد جعلتها خمسة. قال: أعيذك بالله أن تختار أدنى الحالين وأنت أنت. فعبث به المهدي ساعةً ثم تكلمت فيه ريطة فأتمها له عشرة آلاف درهم.

أنشد المهدي شعره في نخاس فضحك منه: أخبرني الحسين بن علي عن حماد عن أبيه قال: مر أبو دلامة بنخاس يبيع الرقيق، فرأى عنده منهن من كل شيءٍ حسن، فانصرف مهموماً، فدخل إلى المهدي فأنشده:

إن كنت تبغي العيش حلواً صافياً فالشعر أعزبه وكن نخاساً
تنل الطرائف من ظراف نهدٍ يحدثن كل عشيةٍ أعراسا
والربح فيما بين ذلك راهنٌ سمحاً بيعك كنت أو مكاسا
دارت على الشعراء حرفة نوبةٍ فتجرعوا من بعد كأسٍ كاسا
وتسربلوا قمص الكساد فحاولوا بالنخس كسباً يذهب الإفلاسا

فجعل المهدي يضحك منه.

لفق رؤيا للمنصور وأخذ منه ثيابا: نسخت من كتب ابن النطاح قال: دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده:

رأيتك في المنام كسوت جلدي ثياباً جمةً وقضيت ديني
فكان بنفسجي الخز فيها وساجٌ ناعمٌ فأتم زيني
فصدق بافدتك النفس رؤيا رأتها في المنام كذاك عيني

فأمر له بذلك وقال له: لا تعد أن تتحلم علي ثانيةً، فأجعل حلمك أضغاثاً ولا أحققه.

حبسه المنصور لسكره فبعث له من الحبس شعراً فعفا عنه: ثم خرج من عنده ومضى فشرب في بعض الحانات فسكر وانصرف وهو يميل. فلقيه العسس فأخذوه، وقيل له: من أنت وما دينك؟ فقال:

ديني على دين بني العباس ما ختم الطين على القرطاس
إني اصطحبت أربعاً بالكاس فقد أدار شربها براسي
فهل بما قلت لك من باس

فأخذوه ومضوا، وخرقوا ثيابه وساجه وأتي به أبو جعفر - وكان يؤتى بكل من أخذه العسس -فحبسه مع الدجاج في بيت. فلما أفاق جعل ينادي غلامه مرةً وجاريته أخرى فلا يجيبه أحد، وهو في ذلك يسمع صوت الدجاج وزقاء الديوك. فلما أكثر قال له السجان: ما شأنك؟ قال: ويلك من أنت وأين أنا؟ قال: في الحبس، وأنا فلان السجان. قال: ومن حبسني؟ قال: أمير المؤمنين. قال: ومن خرق طيلساني؟ قال: الحرس. فطلب منه أن يأتيه بدواةٍ وقرطاس ففعل، فكتب إلى أبي جعفر:

أمير المؤمنين فدتك نفسي ... علام حبستني وخرقت ساجي
أمن صفراء صافية المزاج ... كأن شعاعها لهب السراج
وقد طبخت بنار الله حتى ... لقد صارت من النطف النضاج
تهش لها القلوب وتشتهيها ... إذا برزت ترقرق في الزجاج
أقاد إلى السجون بغير جرمٍ ... كأني بعض عمال الخراج
ولو معهم حبست لكان سهلاً ... ولكني حبست مع الدجاج
وقد كانت تخبرني ذنوبي ... بأني من عقابك غير ناجي
على أني وإن لاقيت شراً ... لخيرك بعد ذاك الشر راجي

فدعا به وقال: أين حبست يا أبا دلامة؟ قال: مع الدجاج. قال: فما كنت تصنع؟ قال: أقوقي معهن حتى أصبحت. فضحك وخلى سبيله وأمر له بجائزة. فلما خرج قال له الربيع: إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين. أما سمعت قوله "وقد طبخت بنار الله " " يعني الشمس ". فأمر برده ثم قال: يا خبيث شربت الخمر؟ قال لا. قال: أفلم تقل " طبخت بنار الله " تعني الشمس. قال: لا والله ما عنيت إلا نار الله الموقدة التي تطلع على فؤاد الربيع. فضحك وقال: خذها يا ربيع ولا تعاود التعرض.

لفق رؤيا لتمار وأخذ منه تمراً": قال ابن النطاح: ومر أبو دلامة بتمار بالكوفة فقال له:

رأيتك أطعمتني في المنام ... قواصر من تمرك البارحة
فأم العيال وصبيانها ... إلى الباب أعينهم طامحة

فأعطاه جلتي تمر وقال له: إن رأيت هذه الرؤيا ثانيةً لم يصح تفسيرها. فأخذهما وانصرف.

هنأ المهدي بقدومه من الري فملأ حجره دراهم: وقال ابن النطاح: لما قدم المهدي من الري دخل عليه أبو دلامة فأنشأ يقول:

إني نذرت لئن رأيتك سالماً ... بقرى العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبي محمدٍ ... ولتملأن دراهماً حجري

فقال: صلى الله وعليه وسلم، وأما الدراهم فلا. فقال له: أنت أكرم من أن تفرق بينهما وتختار أسهلهما. فأمر بأن يملأ حجره دراهم.

ومثل هذا وإن لم يكن منه ما حدثني به الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال: قدم المهلب من بعض غزواته، فلقيته عجوزٌ من الأزد فقالت: أيها الأمير، أسألك بالله والرحم إلا وقفت فوقف، فدنت وقبلت يده وقالت: هذا نذرٌ كان علي، إني نذرت علي لله أن أقبل يدك إن قدمت سالماً وهب لي أربعمائة درهم وجارية صغديةٌ تخدمني. فضحك وقال: أما نحن فقد وفينا بنذرك؛ ادفعوا إليها ذلك، وإياك يا أماه وهذه النذور؛ فليس كل أحد يفي لك بها وينشط لتحليلك منها.

ضجر من الصوم والحر فكتب للمهدي شعراً فعجل جائزته: قال ابن النطاح: وصام الناس في سنة شديدة الحر على عهد المهدي، وكان أبو دلامة يتنجز جائزةً أمر له المهدي بها. فكتب إليه أبو دلامة رقعةً يشكو فيها أذى الحر والصوم وهي:

أدعوك بالرحم التي هي جمعت ... في القرب بين قربينا والأبعد

إلا سمعت وأنت أكرم من مشى ... من منشدٍ يرجو جزاء المنشد

جاء الصيام فصمته متعبداً ... أرجو رجاء الصائم المتعبد

ولقيت من أمر الصيام وحره ... أمرين قيسا بالعذاب المؤصد

وسجدت حتى جبهتي مشجوجةٌ ... مما يناطحني الحصا في المسجد

فامنن بتسريحي بمطلك بالذي ... أسلفتنيه من البلاء المرصد

فلما قرأ المهدي رقعته غضب وقال: يا عاض كذا من أمه أي قرابةٍ بيني وبينك !؟ قال: رحم آدم وحواء، أنسيتهما يا أمير المؤمنين ! فضحك وقال: لا والله ما نسيتهما؛ وأمر بتعجيل ما أجازه به وزاد فيه. وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي قال حدثنا الخزاعي عن المدائني وزاد فيه قال: وأنشده أيضاً في ذم الصوم:

هل في البلاد لرزق الله مفترش ... أم لا ففي جلده من خشنةٍ برش

- يعني أن جلد الرزق خشن الملمس فهو يحترش كما يحترش الضب - الشعر:

أضحى الصيام منيخاً وسط عرصتنا ... ليت الصيام بأرض دونها حرش

إن صمت أوجعني بطني وأقلقني ... بين الجوانح مس الجوع والعطش

وإن خرجت بليلٍ نحو مسجدهم ... أضرني بصرٌ قد خانه العمش

عزى أم سلمة بنت يعقوب في السفاح فأضحكها: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن أحمد بن زهير عن الزبير

عن عمه، ونسخت من كتاب ابن النطاح قال اليزيدي في خبره: دخل أبو دلامة على ريطة بعد وفاة المهدي، وقال ابن النطاح: دخل على أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بعد وفاة أبي العباس، وهو الصحيح، فعزاها به وبكى وبكت معه، ثم أنشدها:

من مجملٌ في الصبر عنك فلم يكن ... صبري عليك غداة بنت جميلا

يجدون أبدالاً به وأنا امرؤ ... لو مت وجداً ما وجدت بديلا

إني سألت الناس بعدك كلهم ... فوجدت أجود من سألت بخيلا

فقالت أم سلمة: لم أر أحداً أصيب به غيري وغيرك يا أبا دلامة. فقال: ولا سواء يرحمك الله، لك منه ولد وما ولدت أنا منه. فضحكت - ولم تكن منذ مات أبو العباس ضحكت إلا ذلك الوقت - وقالت له: لو حدثت الشيطان لأضحكته.

خدع المهدي بموت زوجته وخدعت زوجته الخيزران بموته كذلك فضحكا منهما: أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الغلابي قال حدثنا عبد الله بن الضحاك قال: دخل أبو دلامة على المهدي وهو يبكي. فقال له: ما لك؟ قال: ماتت أم دلامة، وأنشده لنفسه فيها:

وكنا كزوجٍ من قطاً مفازةٍ ... لدى خفض عيشٍ ناعمٍ مؤنقٍ رغد

فأفردني ريب الزمان بصرفه ... ولم أر شيأ قط أوحش من فرد

فأمر له بثياب وطيبٍ ودنانير، وخرج. فدخلت أم دلامة على الخيزران فأعلمتها أن أبا دلامة قد مات، فأعطتها مثل ذلك، وخرجت. فلما التقى المهدي والخيزران عرفا حيلتهما فجعلا يضحكان لذلك ويعجبان منه.

فرض له المنصور على كل هاشمي عطاء فنقصه العباس بن محمد دينارين فذمه: أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة، ونسخت أنا من كتاب ابن النطاح قال: دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده:

أما ورب العاديات ضبحا ... حقاً ورب الموريات قدحا

إن المغيرات علي صبحا ... والناكئات من فؤادي قرحا

عشر ليالٍ بينهن ضبحا ... يجلفن مالي كل عامٍ صبحا

فقال أبو جعفر: وكم تذبح يا أبا دلامة؟ قال: اربعاً وعشرين شاة. ففرض له على كل هاشمي أربعةً وعشرين ديناراً، فكان يأخذهم منهم.

فأتى العباس بن محمد في عشر الأضحى يتنجزها. فقال: يا أبا دلامة أليس قد مات أبنك؟ قال بلى. قال أنقصوه دينارين.

قال: أصلح الله الأمير لا تفعل فإنه ترك عليّ ولدين. فأبى إلا أن ينقصه، فخرج وهو يقول:

أخطاك ما كنت ترجوه وتأمله ... فاغسل يديك من العباس بالياس

واغسل يديك بأشنان فأنقهما مما تؤل من معرف عباس

جزاك ربك يا عباس عن فرجٍ جنات عدن وعنيٍ جرزتي آس

فبلغ ذلك أبا جعفر فضحك، واغتاظ على العباس، وأمره بأن يبعث إليه بأربعة وعشرين ديناراً أخرى. هذه رواية يزيد.

قيل أن هذه القصة مع علي بن صالح: وأما ابن النطاح فإنه ذكر أن الذي نقصه الدينارين علي بن صالح وقال له: إنما نقصتك دينارين لموت ابنك دلامة. فحلف ألا يأخذ إلا خمسين ديناراً، ثم قام مغضباً؛ فأتبعه الرسول فأعطاه إياها. فقال له: أولى له. أما ما سبق فلا حيلة فيه، والمستأنف فقد أمنه. وقد كان قال فيه:

لعلي بن صالح بن علي نسبٌ لو يعينه بسماح

وبنو مالك كثيرٌ ولكن ما لنا في بقائهم من فلاح

غير فضلٍ فإن للفضل فضلاً مستبيناً على قريش البطاح

تخاصم إلى عافية القاضي وداعبه: أخبرني محمد بن أحمد عن محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: خاصم رجلٌ أبا دلامة في داره، فارتفعا إلى عافية القاضي؛ فأنشأ أبو دلامة يقول:

لقد خاصمتني دهاة الرجال وخاصمتها سنة وافيه

فما أدحض الله لي حجةً ولا خيب الله لي قافيه

ومن خفت من جوره في القضاء فلست أخافك يا عافيه

فقال له عافية: أما والله لأشكونك إلى أمير المؤمنين ولأعلمنه أنك هجوتني. قال: إذا يعز لك. قال: ولم؟ قال: لأنك لا تعرف المديح من الهجاء. فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر لأبي دلامة بجائزة.

أمره المهدي بهجاء أحد الحضور فهجا نفسه: أخبرني محمد بن أحمد عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال: دخل أبو دلامة على المهدي وعنده إسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى والعباس بن محمد ومحمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بني هاشم. فقال له: أنا أعطي الله عهداً لئن لم تهج واحداً ممن في البيت لأقطعن لسانك - ويقال إنه قال: لأضربن عنقك - فنظر إليه القوم، فكلما نظر واحد منهم غمزه بأن عليه رضاه. قال أبو دلامة: فعلمت أني قد وقعت وأنها عزمةٌ من عزماته لا بد منها، فلم أرى أحداً أحق بالهجاء مني، ولا أدعى إلى السلامة من هجاء نفسي، فقلت:

ألا أبلغ إليك أبا دلامة فليس من الكرام ولا كرامه

إذا لبس العمامة كان قرداً وخنزيراً إذا نزع العمامه

جمعت دمامةً وجمعت لؤماً كذاك اللؤم تتبعه الدمامه

فإن تك قد أصبت نعيم دنيا فلا تفرح فقد دنت القيامه

فضحك القوم و لم يبق منهم أحدٌ إلا أجازه.

قال شعراً في المهدي وعلي بن سليمان وقد خرجا للصيد فأصاب الأول وأخطأ الثاني: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير عن عمه قال: خرج المهدي وعلي بن سليمان إلى الصيد، فسنح لهما قطيعٌ من ظباء، فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل، فرمى المهدي ظبياً بسهم فصرعه، ورمى علي بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله. فقال أبو دلامة:

قد رمى المهدي ظبياً شك بالسهم فؤاده

وعلي بن سليما ن رمى كلباً فصاده

فهنيئاً لهما كل امرئ يأكل زاده

فضحك المهدي حتى كاد أن يسقط عن سرجه، وقال: صدق والله أبو دلامة، وأمر له بجائزة سنية. أخبرني بهذا الخبر عمي عن الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي فذكر مثل ما ذكره وقال فيه: فلقب علي بن سليمان " صائد الكلب " وعلق به.

أنشد المنصور شعراً فأعطاه داراً وكسوة ثم احتاج إلى الدار وعوضه بدلها: قال ابن النطاح: وأنشد أبو دلامة المنصور يوماً:

هاتيك والدتي عجوزٌ همةٌ مثل البلية درعها في المشجب

مهزولة اللحيين من يرها يقل أبصرت غولاً أو خيال القطرب

ما إن تركت لها ولا لآبنٍ لها مالاً يؤمل غير بكرٍ أجرب

ودجائجاً خمساً يرحن إليهم لما يبضن وغير عيرٍ مغرب

كتبوا إلي صحيفةً مطبوعةً جعلوا عليها طينةً كالعقرب

فعلمت أن الشر عند فكاكها ففككتها عن مثل ريح الجورب

وإذا شبيهٌ بالأفاعي رقشت يوعدنني بتلمظٍ وتثؤب

يشكون أن الجوع أهلك بعضهم لزباً فهل لك في عيالٍ لزب

لا يسألونك غير طل سحابةٍ تغشاهم من سيلك المتحلب

يا باذل الخيرات يابن بذولها وابن الكرام وكل قرمٍ منجب

أنتم بنو العباس يعلم أنكم قدماً فوارس كل يومٍ أشهب
أحلاس خيل الله وهي مغيرةٌ يخرجن من خلل الغبار الأكهب

قال: فأمر له بدار يسكنها وكسوة ودراهم. وكانت الدار قريبةٌ من قصره، فأمر بأن تزاد في قصره بعد ذلك لحاجة دعته إليها. فدخل عليه أبو دلامة فأنشده قوله:

يابن عم النبي دعوة شيخٍ قد دنا هدم داره ودماره
فهو كالماخض التي اعتادها الطل ق فقرت وما يقر قراره
إن تحز عسره بكفيك يوماً فبكفيك عسره ويساره
أو تدعه فللبوار، وأنى ولماذا وأنت حيٌ بواره
هل يخاف الهلاك شاعر قومٍ قدمت في مديحهم أشعاره
لكم الأرض كلها فأعيروا شيخكم ما احتوى عليه جداره
فكان قد مضى وخلف فيكم ما أعرتم وأقفرت منه داره

فاستعبر المنصور، وأمر بتعويضه داراً خيراً منها ووصله.

عابه عند المهدي محرز ومقاتل ابنا ذؤال فهجاهما بحضرته: قال ابن النطاح: ودخل أبو دلامة على المهدي وعنده محرز ومقاتل ابنا ذؤال يعاتبانه على تقريبه أبا دلامة ويعيبانه عنده.

فقال أبو دلامة:

ألا أيها المهدي هل أنت مخبري وإن أنت لم تفعل فهل أنت سائلي
ألم ترحم اللحيين من لحيتيهما وكلتاهما في طولها غير طائل
وإن أنت لم تفعل فهل أنت مكرمي بحلقهما من محرزٍ ومقاتل
فإن يأذن المهدي لي فيهما أقل مقالاً كوقع السيف بين المفاصل
وإلا تدعني والهموم تنوبني وقلبي من العجلين جم البلابل

فقال: أو آخذ لك منهما عشرة آلاف يفديان بها أعراضهما منك؟ قال: ذلك إلى أمير المؤمنين. فأخذها له منهما وأمسك عنهما.

مدح سعيد بن دعلج فأجازه: قال ابن النطاح: ودخل أبو دلامة على سعيد بن دعلج مولى بني تميم فقال:

إذا جئت الأمير فقل سلامٌ عليك ورحمة الله الرحيم

وأما بعد ذاك فلي غريمٌ ... من الأعراب قبح من غريم
غريمٌ لازمٌ بفناء بيتي ... لزوم الكلب أصحاب الرقيم
له مائةٌ علي ونصف أخرى ... ونصف النصف في صكٍ قديم
دراهم ما انتفعت بها ولكن ... وصلت بها شيوخ بني تميم
أتوني بالعشيرة يسألوني ... ولم أك في العشيرة باللئيم

فضحك وأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهماً وقال: ما أساء من أنصف، وقد كافأتك عن قومك وزدتك مائةً.

داعب المنصور في جنازة بنت عمه حتى ضحك: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن جعفر بن الحسين اللهبي عن عمه مصعب: أن حمادة بنت عيسى توفيت وحضر المنصور جنازتها. فلما وقف على حفرتها قال لأبي دلامة: ما أعددت لهذه الحفرة؟ قال: بنت عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنت عيسى يجاء بها الساعة فتدفن فيها. فضحك المنصور حتى غلب فستر وجهه.

سأل الخيزران جارية فوعدته بها وأبطأت فاستنجزها بشعر، وقصة زوجته وابنه مع هذه الجارية: أخبرني عمي رحمه الله تعالى قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال قال أبو عمر حفص بن عمر العمري حدثنا الهيثم قال: حجت الخيزران، فلما خرجت صاح بها أبو دلامة. قالت: سلوه ما أمره. قالوا له: ما أمرك؟ فقال: أدنوني من محملها. قالت: أدنوه، فأدني. فقال: أيتها السيدة، إني شيخ كبير وأجرك في عظيم. قالت: فمه. قال: تهبين لي جاريةً من جواريك تؤنسني وترفق بي وتريحني من عجوز عندي، قد أكلت رفدي، وأطالت كدي، وقد عاف جلدي جلدها، وتمنيت بعدها، وتشوقت فقدها. فضحكت الخيزران وقالت: سوف آمر لك بما سألت. فلما رجعت تلقاها وذكرها، وخرج معها إلى بغداد فأقام حتى غرض . ثم دخل على أم عبيدة حاضنة موسى وهارون، فدفع إليها رقعةً قد كتبها إلى الخيزران فيها:

أبلغي سيدتي بالل ... ه يا أم عبيدة
أنها أرشدها الله ... وإن كانت رشيده
وعدتني قبل أن تخ ... رج للحج وليده
فتأنيت وأرسل ... ت بعشرين قصيده
كلما أخلقن أخلف ... ت لها أخرى جديده
ليس في بيتي لتمهي ... د فراشي من قعيده
غير عجفاء عجوزٍ ... ساقها مثل القديده
وجهها أقبح من حو ... تٍ طريٍ في عصيده

فلما قرئت عليها الأبيات ضحكت واستعادتها منه لقوله " حوت طري في عصيده " وجعلت تضحك، ودعت بجارية من جواريها فائقة فقالت لها: خذي كل ما لك في قصري ففعلت، ثم دعت ببعض الخدم وقالت له: سلمها إلى أبي دلامة. فانطلق الخادم بها فلم يصادفه في منزله. فقال لامرأته: إذا رجع فادفعيها إليه، وقولي له: تقول لك السيدة: أحسن صحبة هذه الجارية فقد آثرتك بها؛ فقالت له نعم. فلما خرج دخل ابنها دلامة فوجد أمه تبكي. فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت: إن أردت أن تبرني يوماً من الدهر فاليوم. فقال: قولي ما شئت فإني أفعله. قالت: تدخل عليها فتعلمها أنك مالكها وتطؤها فتحرم عليه، وإلا ذهبت بعقله وجفاني وجفاك. ففعل ودخل إلى الجارية فوطئها ووافقها ذلك منه. وخرج. ثم دخل أبو دلامة فقال لامرأته: أين الجارية؟ قالت: في ذلك البيت. فدخل إليها شيخٌ محطمٌ ذاهبٌ، فمد يده إليها وذهب يقبلها. فقالت له: مالك ويلك ! تنح وإلا لطمتك لطمةً دققت بها أنفك. فقال لها: أبهذا أوصتك السيدة !. فقالت: إنها بعثت بي إلى فتى من حاله وهيئته كيت وكيت، وقد كان عندي آنفاً، ونال مني حاجته. فعلم أنه قد دهي من أم دلامة وابنها.

فخرج إليه أبو دلامة فلطمه ولببه وحلف ألا يفارقه إلا عند المهدي. فمضى به ملبباً حتى وقف على باب المهدي. فعرف خبره وأنه قد جاء بابنه على تلك الحالة فأمر بإدخاله. فلما دخل قال له: مالك ويلك؟ ! قال: عمل بي هذا ابن الخبيثة ما لم يعمل ولدٌ بأبيه، ولا ترضيني إلا أن تقتله. فقال له: ويلك ما فعل؟ فأخبره الخبر. فضحك حتى استلقى ثم جلس. فقال أبو دلامة: أعجبك فعله فتضحك منه؟ فقال: علي بالسيف والنطع. فقال دلامة: قد سمعت حجته يا أمير المؤمنين فاسمع حجتي. قال: هات. قال: هذا الشيخ أصفق الناس وجهاً، ينيك أمي منذ أربعين سنة ما غضبت، ونكت جاريته مرة واحدة فغضب وصنع بي ما ترى ! فضحك المهدي أكثر من ضحكه الأول، ثم قال: دعها له يا أبا دلامة وأنا أعطيك خيراً منها. قال: على أن تخبأها لي بين السماء والأرض، وإلا ناكها والله كما ناك هذه. فتقدم إلى دلامة ألا يعاود بمثل فعله. وحلف إنه إن عاود قتله، ووهب له جارية أخرى كما وعده.

سأله المهدي عن شاعر فأطراه فأجازه لحسن محضره: وقال ابن النطاح: دخل أبو دلامة على المهدي وعنده شاعرٌ ينشده. فقال له: ما ترى فيه؟ قال: إنه قد جهد نفسه لك فاجهد نفسك له. فقال المهدي: وأبيك إنها لكلمةٌ عذراء منك، أحسبك تعرفه ! قال: لا والله ما عرفته ولا قلت أنا حقاً. فأمر للشاعر بجائزة، ولأبي دلامة بمثلها لحسن محضره.

خلع عليه العقيلي من ثيابه التي عليه: قال ابن النطاح وحدثني أبو عبد الله العقيلي قال: رأيت على أبي دلامة فروةً في الصيف، فقلت له: ألا تمل هذه الفروة! قال: بلى، ورب مملولٍ لا يستطاع فراقه. فنزعت فاضل ثيابي في

موضعي ودفعتها إليه.

فزع من رؤية الفيل وقال فيه شعراً: قال: أهدي للمهدي فيلٌ، فرآه أبو دلامة فولى هارباً وقال:

يا قوم إني رأيت الفيل بعدكم ... لا بارك الله لي في رؤية الفيل

أبصرت قصراً له عينٌ يقلبها ... فكدت أرمي بسلحي في سراويلي

أنشد المهدي شعراً في بغلته واستوهبه أخرى غيرها: قال ابن النطاح: ودخل أبو دلامة على المهدي فأنشده قصيدته في بغلته المشهورة:

أتاني بغلةً يستام مني ... عريقٌ في الخسارة و الضلال

فقال تبيعها؟ قلت ارتبطها ... بحكمك إن بيعي غير غالي

فأقبل ضاحكاً نحوي سروراً ... وقال أراك سمحاً ذا جمال

هلم إلي يخلو بي خداعاً ... وما يدري الشقي بمن يخالي

فقلت بأربعين فقال أحسن ... إلي فإن مثلك ذو سجال

فاترك خمسةً منها لعلمي ... بما فيه يصير من الخبال

فقال المهدي: لقد أفلت من بلاءٍ عظيم. قال: والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهراً أتوقع صاحبها أن يردها. قال: ثم أنشده:

فأبدلني بها يا رب طرفاً ... يكون جمال مركبه جمالي

فقال لصاحب دوابه: خيره من الإصطبل مركبين . قال: يا أمير المؤمنين إن كان الاختيار لي وقعت في شرٍ من البغلة، ولكن مره أن يختار لي، فقال: اختر له. وأخبرني به عمي عن الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي، وخبره أتم.

احتال على العباس بن محمد بشعر وأخذ منه ألفي درهم وكان راهن المهدي على ذلك فأخذ منه ستة آلاف:

وأخبرني محمد بن خلف عن أحمد بن الهيثم عن العمري عن الهيثم بن عدي قال: دخل أبو دلامة يوماً على المهدي، فحادثه ساعةً وهو يضحك وقال له: هل بقي أحدٌ من أهلي لم يصلك؟ قال: إن أمنتني أخبرتك، وإن أعفيتني فهو أحب إلي. قال: بل تخبرني وأنت آمنٌ. قال كلهم قد وصلني إلا حاتم بني العباس. قال: ومن هو؟ قال: عمك العباس بن محمد. فالتفت إلى خادم على رأسه وقال: جأ عنق العاض بظر أمه. فلما دنا منه صاح به أبو دلامة: تنح يا عبد السوء لا تخنث مولاك وتنكث عهده وأمانه. فضحك المهدي وأمر الخادم فتنحى عنه، ثم قال لأبي دلامة: ويلك ! والله عمي أبخل الناس. فقال أبو دلامة: بل هو أسخى الناس. فقال له المهدي: والله لو

مت ما أعطاك شيئاً. قال: فإن أنا أتيته فأجازني؟ قال: لك بكل درهمٍ تأخذه منه ثلاثة دراهم. فانصرف أبو دلامة فحبر للعباس قصيدةً ثم غدا بها عليه وأنشده:

قف بالديار وأي الدهر لم تقف ... على المنازل بين الظهر والنجف

وما وقوفك في أطلال منزلةٍ ... لولا الذي استدرجت من قلبك الكلف

إن كنت أصبحت مشغوفاً بساكنها ... فال وربك لا تشفيك من شغف

دع ذا وقل في الذي قد فاز من مضرٍ ... بالمكرمات وعزٍ غير مقترف

هذي رسالة شيخ من بني أسدٍ ... يهدي السلام إلى العباس في الصحف

تخطها من جواري المصر كاتبةٌ ... قد طالما ضربت في اللام والألف

وطالما اختلفت صيفاً وشاتيةً ... إلى معلمها باللوح والكتف

حتى إذا نهد الثديان وامتلأا ... منها وخيفت على الإسراف والقرف

صينت ثلاث سنينٍ ما ترى أحداً ... كما يصون تجارٌ درة الصدف

فبينما الشيخ يهوي نحو مجلسه ... مبادراً لصلاة الصبح بالسدف

حانت له لمحةٌ منها فأبصرها ... مطلةً بين سجفيها من الغرف

فخر والله مايدري غداتئذٍ ... أخر منكشفاً أم غير منكشف

وجاءه الناس أفواجاً بمائهم ... ليغيلوا الرجل المغشي بالنطف

ووسوسوا بقرانٍ في مسامعه ... مخافة الجن والإنسان لم يخف

شيئاً ولكنه من حب جاريةٍ ... أمسى وأصبح موقوفاً على التلف

قالوا :لك الويل ما أبصرت؟ قلت لهم ... تطلعت من أعالي القصر ذي الشرف

فقلت أيكم والله يأجره ... يعين قوته فيها على ضعف

فقام شيخٌ بهيٌ من رجالهم ... قد طالما خدع الأقوام بالحلف

فابتاعها لي بألفي درهمٍ فأتى ... بها إلي فألقاها على كتفي

فبت ألثمها طوراً وألزمها ... طوراً وأصنع بعض الشيء في اللحف

فبين ذاك كذا إذ جاء صاحبها ... يبغي الدراهم في الميزان ذي الكفف

وذكر حقٍ على زندٍ وصاحبه ... والحق في طرفٍ والطين في طرف

وبين ذاك شهود لا يضرهم أكنت معترفاً أم غير معترف

فإن يكن منك شيءٌفهو حقهم أو لا فإني مدفوعٌ إلى التلف

قال: فضحك العباس وقال: ويحك أصادقٌ أنت؟ قال: نعم والله. قال: يا غلام ادفع إليه ألفي درهم ثمنها. قال: فأخذها ثم دخل على المهدي فأخبره القصة وما احتال له به. فأمر له المهدي بستة آلاف درهم.

وقال له المهدي: كيف لا يضرهم ذلك؟ قال: لأني معدم لا شيء عندي. وقال عمي في خبره: فقال له العباس بن محمد شاركني في هذه الجارية. قال: أفعل ولكن على شريطةٍ. قال: وما هي؟ قال: الشركة لا تكون إلا مفاوضةً ، فاشتر معها أخرى، ليبعث كل واحدٍ منا إلى صاحبه ما عنده ويأخذ الأخرى مكانها ليلةً وليلة. فقال له العباس: قبحك الله وقبح ما جئت به ! خذ الدراهم لا بارك الله لك فيها وانصرف.

أمره أبو مسلم بمبارزة رجل فقال شعراً أضحكه فأعفاه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني العبسي قال: كان أبو دلامة مع أبي مسلم في بعض حروبه مع بني أمية. فدعا رجلٌ إلى البراز؛ فقال له أبو مسلم: أبرز إليه. فأنشأ يقول:

ألا لا تلمني إن فررت فإنني أخاف على فخارتي أن تحطما

فلو أنني في السوق أبتاع مثلها وجدك ما باليت أن أتقدما

ضحك وأعفاه.

وعدته ريطة جارية فاستنجزها بشعر

ونسخت من كتاب ابن النطاح: أن ريطة وعدت أبا دلامة جاريةً فمطلته حتى امتدحها بعدة قصائد، كل ذلك لا تفي له، ثم خرجت إلى مكة ورجعت. وكانت لها جاريةٌ يقال لها أم عبيدة تخرج وتكلم الرجال وتبلغ عنها الرسائل. فقال أبو دلامة لأم عبيدة حين عيل صبره:

أبلغي سيدتي إن شئت يا أم عبيده

أنها أرشدها الل ه وإن كانت رشيده

وعدتني قبل أن تخ رج للحج وليده

فتنظرت وأرسل ت بعشرين قصيده

كلما تخلق أولى بدلت أخرى جديده

إنني شيخٌ كبيرٌ ليس في بيتي قعيده

غير مثل الغول عندي ذات أوصالٍ مديده
وجهها أسمج من حو تٍ طريٍ في عصيده
ذات رجلٍ ويدٍ كل تاهما مثل القديده

فدخلت على ريطة فأنشدتها الشعر، فأمرت له بجارية ومائتي دينار للنفقة عليها.

اشترى لأضيافه نبيذاً من نباذة

و لم يعطها الثمن وقال فيها شعراً: أخبرني الحسين بن يحيى نسخت من كتاب إسحاق الموصلي حدثني أبي عن جدي : أن أبا دلامة نزل بالكوفة، فأتاه أضيافٌ فغداهم، ثم بعث إلى سنديةٍ نباذة يقال لها دومة، فبعثت إليهم جرةً من نبيذ فشربوها، ثم أعاد فبعثت إليهم بأخرى، ثم جاءت تتقاضى الثمن. فقال: ليس عندي الثمن، ولكني أمدحك بما هو خيرٌ من نبيذك. فقال:

ألا يا دوم دام لك النعيم وأحمر ملء كفك مستقيم
شديد الأصل ينبذ حالباه يئن كأنه رجلٌ سقيم

وهذا الخبر يروى عن الأقيشر أيضاً.

قال شعراً في الجنيد النخاس يذمه ويمدح جارية له: قال إسحاق وحدثني أبي: أن أبا دلامة كان كثير الزيارة للجنيد النخاس، وكان يتعشق جاريةً له ويبغضه. فجاءه يوماً فقال: أخرج لي فلانة. فقال: إلى متى تخرج إليك ولست بمشترٍ !! قال: فإن لم أكن مشترياً فإني أخٌ يمدح ويطرى. قال: ما أنا بمخرجها إليك أو تقول فيها شعراً. قال: فاحلف بعتقها أن ترويها إياه وتأمرها بإنشاده من أتاك يعترضها ولا تحجبها. فحلف لا يحجبها. فقال أبو دلامة:

إني لأحسب أن سأمسي ميتاً أو سوف أصبح ثم لا أمسي
من حب جارية الجنيد وبغضه وكلاهما قاضٍ على نفسي
فكلامها يشفى به سقمي فإذا تكلم عاد لي نكسي

عاد إسحاق الأزرق وعنده طبيبه فقال شعراً ينصحه فيه بمجانبة الطبيب: أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال: دخل أبو دلامة على إسحاق الأزرق يعوده، وكان إسحاق قد مرض مرضاً شديداً، ثم تعافى منه وأفاق، فكان من ذلك ضعيفاً، وعند إسحاق طبيبٌ يصف له أدويةً تقوي بدنه. فقال أبو دلامة للطبيب: يابن الكافرة ! أتصف هذه الأدوية لرجل أضعفه المرض ! ما أردت والله إلا قتله. ثم التفت إلى إسحاق فقال: اسمع أيها الأمير مني. قال: هات ما عندك يا أبا دلامة. فأنشأ يقول:

نح عنك الطبيب واسمع لنعتي إنني ناصحٌ من النصاح

ذو تجاريب قد تقلبت في الصح ... ة دهراً وفي السقام المتاح

غاد هذا الكباب كل صباحٍ ... من متون الفتية السحاح
فإذا ما عطشت فاشرب ثلاثاً ... من عتيقٍ في الشم كالتفاح
ثم عند المساء فاعكف على ذا ... وعلى ذا بأعظم الأقداح
فتقوي ذا الضعف منك وتلفى ... عن ليالٍ أصح هذي الصحاح
ذا شفاءٌ ودع مقالة هذا ... ناك ذا أمه بأير رباح

فضحك إسحاق وعواده، وأمر لأبي دلامة بخمسمائة درهم. وكان الطبيب نصرانياً فقال: أعوذ بالله من شرك يا ركل " يريد يا رجل ". وقال الطبيب: اقبل مني أصلحك الله ولا تسألني عن شيء قدامه. فقال أبو دلامة: أما وقد أخذت أجرة صفقتي وقضيت الحق في نصح صديقي، فانعت له الآن أنت ما أحببت.

تنادر بسلمة الوصيف في حضرة المهدي: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو الشبل عاصم بن وهب البرجمي قال: دخل أبو دلامة على المهدي وبين يديه سلمة الوصيف واقفاً، فقال: إني أهديت إليك يا أمير المؤمنين مهراً ليس لأحد مثله. فإن رأيت أن تشرفني بقبوله. فأمره بإدخاله إليه. فخرج وأدخل إليه دابته التي كانت تحته، فإذا به برذونٌ محطمٌ أعجف هرمٌ. فقال له المهدي: أي شيءٍ هذا ويلك ! ألم تزعم أنه مهر !. فقال له: أو ليس هذا سلمة الوصيف بين يديك قائماً تسميه الوصيف وله ثمانون سنة، وهو عندك وصيفٌ ! فإذا كان سلمة وصيفاً فهذا مهرٌ. فجعل سلمة يشتمه والمهدي يضحك. ثم قال لسلمة: ويلك، إن لهذه منه أخوات، وإن أتى بها في محفل فضحك. فقال أبو دلامة: والله لأفضحنه يا أمير المؤمنين؛ فليس من مواليك أحدٌ إلا وقد وصلني غيره، فإني ما شربت له الماء قط. قال: فقد حكمت عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يدك. قال: قد فعلت على أن لا يعاود. فقال له: ما ترى؟ قال: أفعل، فلولا أني ما أخذت منه شيئاً قط ما فعلت معه مثل هذه. فمضى سلمة فحملها إليه.

عبث به ابنه فأراد أن يخصيه فحكم زوجته: أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال حدثني الخليل بن أسد عن عبد الرحمن بن صالح قال: جاء ابن أبي دلامة يوماً إلى أبيه وهو في محفلٍ من جيرانه وعشيرته جالس، فجلس بين يديه، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم: إن شيخي، كما ترون، قد كبرت سنه، ورق جلده، ودق عظمه، وبنا إلى حياته حاجة شديدة، فلا أزال أشير عليه بالشيء يمسك رمقه ويبقي قوته، فيخالفني فيه. وأنا أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لي أذكرها بحضرتكم، فيها صلاحٌ لجسمه، وبقاءٌ لحياته، فأسعفوني بمسألته. فقالوا: نفعل حباً وكرامةً. ثم أقبلوا على أبي دلامة بألسنتهم وتناولوه بالعتاب حتى رضي وهو ساكت، فقال قولوا للخبيث فليقل ما يريد، فستعلمون أنه لم يأت إلا ببلية. فقالوا له: قل. فقال: إن أبي إنما يقتله كثرة

الجماع، فتعاونوني عليه حتى أخصيه، فلن يقطعه عن ذلك غير الخصاء، فيكون أصح لجسمه وأطول لعمره. فعجبوا من ذلك وعلموا أنه إنما أراد أن يعبث بأبيه ويخجله حتى يشيع ذلك عنه فيرتفع له بذلك ذكر، فضحكوا منه. ثم قالوا لأبي دلامة: قد سمعت فأجب. قال: قد سمعتم أنتم وعرفتكم أنه لن يأتي بخير. قالوا: فما عندك في هذا؟ قال: قد جعلت أمه حكماً بيني وبينه فقوموا بنا إليها. فقاموا بأجمعهم فدخلوا إليها، وقص أبو دلامة القصة عليها، وقال لها: قد حكمتك. فأقبلت على الجماعة فقالت: إن ابني - أصلحه الله - قد نصح أباه وبره و لم يأل جهداً، وما أنا إلى بقاء أبيه بأحوج مني إلى بقائه، وهذا أمرٌ لم تقع به تجربةٌ منا، ولا جرت بمثله عادةٌ لنا، وما أشك في معرفته بذلك. فليبدأ بنفسه فليخصها؛ فإذا عوفي ورأيناه ذلك قد أثر عليه أثراً محموداً استعمله أبوه. فنعر أبوه وجعل يضحك به، وخجل ابنه، وانصرف القوم يضحكون ويعجبون من خبثهم جميعاً واتفاقهم في ذلك المذهب.

أمر المهدي مروانياً بقتل خارجي فنبا السيف في يده فقال هو في ذلك شعراً: أخبرني عمي قال حدثنا ميمون بن هارون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال:

كان عند المهدي رجل من بني مروان، فدخل إليه وسلم عليه. فأتى المهدي بعلج فأمر المرواني بضرب عنقه، فأخذ السيف وقام فضربه فنبا السيف عنه، فرمى به المرواني وقال: لو كان من سيوفنا ما نبا. فسمع المهدي الكلام فغاظه حتى تغير لونه وبان فيه. فقام يقطينٌ فأخذ السيف وحسر عن ذراعيه ثم ضرب العلج فرمى برأسه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إن هذه السيوف الطاعة لا تعمل إلا في أيدي الأولياء ولا تعمل في أيدي أهل المعصية. ثم قام أبو دلامة فقال: يا أمير المؤمنين، قد حضرني بيتان أفأقولهما؟ قال: قل. فأنشده:

أيهذا الإمام سيفك ماضٍ ... وبكف الولي غير كهام

فإذا ما نبا بكفٍ علمنا ... أنها كف مبغضٍ للإمام

قال: فسري عن المهدي وقام من مجلسه، وأمر حجابه بقتل الرجل المرواني فقتل.

أخبار عبد الله بن المعتز

وممن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد وأحسن وبرع وتقدم جميع أهل عصره فضلاً وشرفاً وأدباً وشعراً وظرفاً وتصرفاً في سائر الآداب أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله.

أدبه وشعره ودفاع أبي الفرج عن مذهبه في الأدب: وأمره، مع قرب عهده بعصرنا هذا، مشهور في فضائله وآدابه شهرةً تشرك في أكثر فضائله الخاص والعام. وشعره وإن كان فيه رقة الملوكية وغزل الظرفاء وهلهلة المحدثين، فإن فيه أشياء كثيرةً تجري في أسلوب المجيدين ولا تقصر عن مدى السابقين، وأشياء ظريفةً من أشعار الملوك في جنس ما هم بسبيله، ليس عليه أن يتشبه فيها بفحول الجاهلية. فليس يمكن واصفاً لصبوح، في مجلس شكلٍ ظريف، بين ندامى وقيان، وعلى ميادين من النور والبنفسج والنرجس ومنضودٍ من أمثال ذلك، إلى غير ما

ذكرته من جنس المجالس وفاخر الفرش ومختار الآلات، ورقة الخدم، أن يعدل بذلك عما يشبهه من الكلام السبط الرقيق الذي يفهمه كل من حضر، إلى جعد الكلام ووحشيه، وإلى وصف البيد والمهامه والظبي والظليم والناقة والجمل والديار والقفار والمنازل الخالية المهجورة؛ ولا إذا عدل عن ذلك وأحسن قيل له مسيء، ولا أن يغمط حقه كله إذا أحسن الكثير وتوسط في البعض وقصر في اليسير، وينسب إلى التقصير في الجميع، لنشر المقابح وطي المحاسن. فلو شاء أن يفعل هذا كل أحدٍ بمن تقدم لوجد مساغاً. ولو أن قائلاً أراد الطعن على صدور الشعراء، لقد رأى أن يطعن على الأعشى - وهو أحد من يقدمه الأوائل على سائر الشعراء - بقوله: " فأصاب حبة قلبه وطحالها ". وبقوله:

ويأمر لليحموم كل عشيةٍ بقتٍ وتعليقٍ فقد كاد يسنق

وأمثالٍ لهذا كثيرة. وإنما على الإنسان أن يحفظ من الشيء أحسنه، ويلغي ما لم يستحسنه، فليس مأخوذاً به. ولكن أقواماً أرادوا أن يرفعوا أنفسهم الوضيعة، ويشيدوا بذكرهم الخامل، ويعلوا أقدارهم الساقطة بالطعن على أهل الفضل والقدح فيهم، فلا يزدادون بذلك إلا ضعةً، ولا يزداد الآخر إلا ارتفاعاً. ألا ترى إلى ابن المعتز قد قتل أسوأ قتلة، ودرج فلم يبق له خلفٌ يقرظه ولا عقبٌ يرفع منه، وما يزداد بأدبه وشعره وفضله وحسن أخباره وتصرفه في كل فنٍ من العلوم إلا رفعةً وعلواً. ولا نظر إلى أضداده كلما ازدادوا في طعنه وتقريظ أنفسهم وأسلافهم الذين كانوا مثلهم في ثلبه والطعن عليه، زادوها سقوطاً وضعةً، وكلما وصفوا أشعارهم وقرظوا آدابهم، زادوا بها ثقلاً ومقتاً. فإذا وقع عليهم المحصل الموافق، عدلوا عن ثلبه في الآداب، إلى التشنيع عليه بأمر الدين وهجاء آل أبي طالب، وهم أول من فعل ذلك وشنع به على آل أبي طالب عند المكتفي حتى نهاهم عنه، فعدلوا عن عيب أنفسهم بذلك إلى عيبه، وارتكبوا أكثر منه. وأنا أذكر ذلك بعقب أخبار عبد الله، مصرحاً به على شرحٍ إن شاء الله تعالى.

علمه بصناعة الموسيقى: وكان عبد الله حسن العلم بصناعة الموسيقى، والكلام على النغم وعللها. وله في ذلك وفي غيره من الآداب كتبٌ مشهورةٌ، ومراسلاتٌ جرت بينه وبين عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وبين بني حمدون، وغيرهم، تدل على فضله وغزارة علمه وأدبه.

كتاب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر له وقد بعث إليه برسالة إلى ابن حمدون:

ولقد قرأت بخط عبيد الله بن عبد الله بن طاهر رقعةً إليه بخطه، وقد بعث إليه برسالة إلى ابن حمدون في أنه يجوز ولا ينكر أن يغير الإنسان بعض نغم الغناء القديم، ويعدل بها إلى ما يحسن في حلقه ومذهبه. وهي رسالةٌ طويلةٌ، وشاوره فيها. فكتب إليه عبيد الله: " قرأت - أيدك الله - الرسالة الفاضلة البارعة الموفقة. فأنا والله أقرؤها إلى آخرها، ثم أعود إلى أولها مبتهجاً، وأتأمل وأدعو مبتهلاً، وعين الله التي لا تنام عليك وعلى نعمه عندك. فإنها - علم الله - النعمة المعدومة المثل. ولقد تمثلت وأنا أكرر نظري فيها قول القائل في سيدنا وابن سيدنا عبد الله بن العباس:

كفى وشفى ما في النفوس ولم يدع لذي إربةٍ في القول جداً ولا هزلا

ولا والله ما رأيت جداً في هزلٍ، ولا هزلاً في جدٍ يشبه هذا الكلام في بلاغته وفصاحته وبيانه وإنارة برهانه وجزالة ألفاظه. ولقد خيل إلي أن لسان جدك العباس عليه السلام ينقسم على أجزاء، فلك - أعزك الله - نصفها، والنصف الآخر مقسوم بين أبي جعفر المنصور والمأمون رحمة الله عليهما. ولو أن هذه الرسالة جبهت الإبراهيمين إبراهيم بن المهدي وإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق وهم مجتمعون لبهت منهم الناظر، وأخرس الناطق، ولأقروا لك بالفضل في السبق، وظهور حجة الصدق، ثم كان قولك لهم فرقاً بين الحق والباطل، والخطأ والصواب. ووالله ما تأخذ في فنٍ من الفنون، إلا برزت فيه تبريز الجواد الرائع، المغبر في وجه كل حصان تابع. عضد الله الشرف ببقائك، وأحيا الأدب بحياتك، وجمل الدنيا وأهلها بطول عمرك ".

هذا كلام العقلاء وذوي الفضل في مثله، لا كلام الثقلاء وذوي الجهل. والإطالة في هذا المعنى مستغنىً عنها. والمشهور عنه وعن أضداده وما يأتي من أخباره بعد ذلك ففي معنى ما شرطته من جنس ما هو المقصد في كتابي هذا.

أصوات له في أشعار مختلفة: فمن صنعة عبد الله بن المعتز في شعره على أن أكثرها هذه سبيله فيها: صوت

هل ترجعن ليالٍ قد مضين لنا والدار جامعةٌ أزمان أزمانا

صنعته في بيتٍ واحد، ولحنه ثقيلٌ أول.

ومن صنعته في الثقيل الأول أيضاً - وفيه لعلويه رملٌ قديم، وما لحنه بدون لحن علويه -: صوت

سقى جانب القصرين فالدير فالحمى إلى الشجر المحفوف بالطين والمدر

ومن صنعته الظريفة الشكلة مع جودتها: صوت

وإبلائي من محضرٍ ومغيب وحبيبٍ مني بعيدٍ قريب

لم ترد ماء وجهه العين إلا شرقت قبل ريها برقيب

زارته زرياب في يوم السعانين وغناها: خفيف ثقيلٍ، ابتداؤه نشيد.

ومن صنعته، وله خبر أخبرني به علي بن هارون بن المنجم عن زرياب قالت: زرت عبد الله بن المعتز في يوم السعانين، فسر بورودي وصنع من وقته لحناً في شعر عبد الله بن العباس الربيعي الذي له فيه هزجٌ وهو: صوت

أنا في قلبي من الظبي كلوم فدع اللوم فإن اللوم لوم

حبذا يوم السعانين وما نلت فيه من سرورٍ لو يدوم

الشعر لعبد الله بن العباس، ولحنه فيه هزجٌ - قالت: فصنع عبد الله بن المعتز في البيت الثاني، وبعده بيتٌ أضافه إليه، هزجاً وهو:

زارني مولاي فيه ساعةً ليته والله ما عشت يقيم

ولحن ابن المعتز في " حبذا يوم السعانين " هذا البيت خفيف رملٍ، وهو من نهايات الأغاني التي صنعها.
ومن صنعته التي تظارف فيها وملح:

زاحم كمي كمه فالتويا وافق قلبي قلبه فاستويا
وطالما ذاقا الهوى فاكتويا يا قرة العين ويا همي ويا

أراد هنا بقوله " ويا " ما يقوله الناس في حكاية الشيء الذي يخاطبون به الإنسان من جميل أو قبيح، فيقولون: قلت له يا سيدي ويا مولاي ويا ويا، وكذلك ضده ليستغنى بالإشارة بهذا النداء عن الشرح. ولحن ابن المعتز في هذا هزجٌ.
حرجت عليه نشر في صورة جميلة فقال فيها شعراً على البديهة: حدثني جعفر بن قدامة قال: كنا عند ابن المعتز يوماً وعنده نشر وكان يحبها ويهيم بها، فخرجت علينا من صدر البستان في زمن الربيع، وعليها غلالةٌ معصفرة وفي يديها جنابي باكورة باقلاً . فقالت له: يا سيدي تلعب معي جنابي؟ فالتفت إلينا وقال على بديهته غير متوقفٍ ولا مفكر:

فديت من مر يمشي في معصفرةٍ عشيةً فسقاني ثم حياني
وقال تلعب جنابي فقلت له من جاد بالوصل لم يلعب بهجران

وأمر فغني فيه. غنت فيما أرى فيه هزار لحناً، وهو رملٌ مطلق.

جدر خادمه نشوان فجزع عليه

ثم عوفي فسر وقال شعراً:

حدثني جعفر قال: كان لعبد الله بن المعتز غلامٌ يحبه، وكان يغني غناءً صالحاً، يقال له " نشوان ". فجدر وجزع عبد الله لذلك جزعاً شديداً، ثم عوفي و لم يؤثر الجدري في وجهه أثراً قبيحاً. فدخلت إليه ذات يوم فقال لي: يا أبا القاسم، قد عوفي فلانٌ بعدك، وخرج أحسن مما كان، وقلت فيه بيتين وغنت زرياب فيهما رملاً ظريفاً، فاسمعهما إنشاداً إلى أن تسمعهما غناءً. فقلت: يتفضل الأمير، أيده الله تعالى، بإنشادي إياهما. فأنشدني:

لي قمرٌ جدر لما استوى فزاده حسناً فزادت هموم
أظنه غنى لشمس الضحى فنقطته طرباً بالنجوم

فقلت: أحسنت والله أيها الأمير. فقال لي: لو سمعته من زرياب كنت أشد استحساناً له. وخرجت زرياب فغنته لنا في طريقة الرمل في أحسن غناء، فشربنا عليه عامة يومنا.
غضب عليه غلامه نشوان فقال شعراً يترضاه به: حدثني جعفر قال: غضب هذا الغلام على عبد الله بن المعتز؛ فجهد في أن يترضاه، فلم تكن له فيه حيلة. فدخلت إليه فأنشدني فيه:

بأبي أنت قد تما ديت في الهجر والغضب

واصطباري على صدو دك يوماً من العجب

ليس لي إن فقدت وج هك في العيش من أرب

رحم الله من أعا ن الصلح واحتسب

قال: فمضيت إلى الغلام؛ ولم أزل أداريه وأرفق به حتى ترضيته وجئته به، فمر لنا يومئذٍ أطيب يومٍ وأحسنه، وغنتنا هزار في هذا الشعر رملاً عجيباً.

زار في حداثته أبا عيسى بن المتوكل وأنشده من شعره في كره البنات فمدحه: أخبرني الحسين بن القاسم الكاتب قال حدثني إبراهيم بن خليل الهاشمي قال: دخلت يوماً إلى أبي عيسى بن المتوكل، فوجدت عبد الله بن المعتز وقد جاءه مسلماً، وسنه يومئذٍ دون عشرين سنة، إذ دخل علي بن محمد بن أبي الشوارب القاضي، فأكرمه أبو عيسى ونهض إليه. فلما استقر به المجلس قال لأبي عيسى: قد احتجت إلى معونتك في أمر دفعت إليه لم أستغن فيه عن تكليفك المعاونة. قال: وما هو؟ قال: زوجت بنتاً من بناتنا رجلاً من أهلنا، فخرج عن مذاهبنا، وأساء عشرة أهله، وجعل منزل عيسى بن هارون أكثر مظانه وأوطانه، ويهددنا ويوعدنا بشره، حتى لقد نالنا من عيسى بسطٌ ليده ولسانه فينا بالقبيح والقول السيء، وكثرة معاونته له على ما يزري بدينه ونسبه. وقد توعدنا بأنه يكشف وجهه لنا في معاونة صهرنا هذا الغاوي علينا. ولولا نسبه الذي فخره لنا وعاره علينا، لانتصفنا منه بالحق دون التعدي، إلا أني أستعيذك منه. فقال له أبو عيسى: أنا أوجهه إليه بعد انصرافك، وأراسله بما أنا المتكفل بعده بألا يعود إلى عشرته، والضامن أن أرد هذا الصهر إلى حيث تحب ويقع بموافقتك. فشكره ودعا له وانصرف. فقال أبو عيسى: ألا ترون إلى هذا الرجل النبيه الفاضل السري الشريف يدفع إلى مثل هذا ! طوبى لمن لم تكن له بنت. فقال عبد الله بن المعتز: أيها الأمير إن لولدك في هذا المعنى شيئاً قاله واستحسنه جماعةٌ ممن يعلم ويقول الشعر. فقال: هاته فداك عمك. فأنشده لنفسه:

وبكرٍ قلت موتي قبل بعلٍ وإن أثرى وعد من الصميم

أأمزج باللئام دمي ولحمي فما عذري إلى النسب الكريم

فقال له أبو عيسى: أمتع الله أهلك ببقائك، وأحسن إليهم في زيادة إحسانه إليك، وجملهم بكمال محاسنك، ولا أرانا شراً فيك.

كان يعمر داره ويبيضها وقال شعراً في ذلك: أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني عبد الله بن موسى الكاتب قال: دخلت على عبد الله بن المعتز وفي داره طبقاتٌ من الصناع، وهو يبني داره ويبيضها. فقلت: ما هذه الغرامة الحادثة؟ فقال: ذلك السيل الذي جاء مذ ليالٍ أحدث في داري ما أحوج إلى الغرامة والكلفة، وقال:

ألامن لنفسٍ وأحزانها ودارٍ تداعى بحيطانها

أظل نهاري في شمسها شقياً معنىً ببنيانها

أسود وجهي بتبييضها وأهدم كيسي بعمرانها

خفف النميري صلاته وأطال السجود بعدها فقال هو شعراً: حدثني جعفر بن قدامة قال: كنت عند عبد الله بن المعتز ومعنا النميري، وحضرت الصلاة، فقام النميري فصلى صلاةً خفيفةً جداً، ثم دعا بعد انقضاء صلاته وسجد سجدةً طويلةً جداً، حتى استثقله جميع من حضر بسببها، وعبد الله ينظر إليه متعجباً ثم قال:

صلاتك بين الورى نقرةٌ كما اختلس الجرعة الوالغ

وتسجد من بعدها سجدةً كما ختم المزود الفارغ

انقطعت عنه بنت الكراعة وكان يحبها فقال شعراً: أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني عبيد الله بن موسى الكاتب قال: كانت بنت الكراعة تألف عبد الله بن المعتز، وكان يحب غناءها ويستظرفها ويحبها ويواصل إحضارها، ثم انقطعت عنه فقال:

ليت شعري بمن تشاغلت بعدي وهو لا شك جاهلٌ مغرور

هكذا كنت مثله في سرورٍ وغداً في الهموم مثلي يصير

كان يحب جارية قبيحة الصورة فاعترض عليه النميري فأجابه بشعر: حدثني جعفر بن قدامة قال: كنا عند ابن المعتز يوماً ومعنا النميري، وعنده جاريةٌ لبعض بنات المغنين تغنيه، وكانت محسنة إلا أنها كانت في غايةٍ من القبح، فجعل عبد الله يجمشها ويتعلق بها. فلما قامت قال له النميري: أيها الأمير، سألتك بالله أتتعشق هذه التي ما رأيت قط أقبح منها؟ فقال عبد الله وهو يضحك:

قلبي وثابٌ إلى ذا وذا ليس يرى شيئاً فيأباه

يهيم بالحسن كما ينبغي ويرحم القبح فيهواه

راسل خزامى فتأخرت عنه فقال شعراً فأجابته: أخبرنا الحسين بن القاسم قال حدثني أبو الحسن الأموي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال: كانت خزامى جارية الضبط المغنى تنادمني، وأنا حدثٌ ثم تركت النبيذ. وكانت مغنية محسنةً شاعرةً ظريفةً. فراسلتها مراراً فتأخرت عني، فكتبت إليها:

رأيتك قد أظهرت زهداً وتوبةً فقد سمجت من بعد توبتك الخمر

فأهديت ورداً كي يذكر عيشةً لمن لم يمتعنا ببهجتها الدهر

فأجابت:

أتاني قريضٌ يا أميري محبرٌ حكى لي نظم الدر فصل بالشذر

أأنكرت يابن الأكرمين إنابتي وقد أفصحت لي ألسن الدهر بالزجر

وآذنني شرخ الثياب ببينه فيا ليت شعري بعد ذلك ما عذري

شعره في موسم الربيع: حدثني جعفر بن قدامة قال: كنت أسرح مع عبد الله بن المعتز في يومٍ من أيام الربيع بالعباسية والدنيا كالجنة المزخرفة. فقال عبد الله:

حبذا آذار شهراً فيه للنور انتشار

ينقص الليل إذا جا ءويمتد النهار

وعلى الأرض اخضرارٌ واصفرارٌ واحمرار

فكأن الروض وشيٌ بالغت فيه التجار

نقشه آسٌ ونسري نٌ ووردٌ وبهار

هنأ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بولاية ابنه محمد شرطة بغداد: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: كتب عبد الله بن المعتز إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد استخلف مؤنسٌ ابنه محمد بن عبيد الله على الشرطة ببغداد:

فرحت بما أضعافه دون قدركم وقلت عسى قد هب من نومه الدهر

فترجع فينا دولةٌ طاهريةٌ كما بدأت، والأرض من بعده الأمر

عسى الله، إن الله ليس بغافلٍ ولا بد من يسرٍ إذا ما انتهى العسر

فكتب إليه عبيد الله قصيدةً منها:

ونحن إذا ما نلنا مس جفوةٍ فمنا على لأوائها الصبر والعذر

وإن رجعت من نعمة الله دولةٌ إلينا فمنا عندها الحمد والشكر

انقطع عنه محمد هذا مدة طويلة فكتب له شعراً يعاتبه: قال: وجاءه محمد بن عبيد الله بعقب هذا شاكراً لتهنئته، ثم لم يعد إليه مدةً طويلة. فكتب إليه عبد الله بن المعتز:

قد جئتنا مرةً ولم تعد ولم تزر بعدها ولم تعد

لست أرى واجداً بنا عوضاً فاطلب وجرب واستقص واجتهد

ناولني حبل وصله بيدٍ وهجره جاذباً له بيد

فلم يكن بين ذا وذا أمدٌ إلا كما بين ليلةٍ وغد

أبيات من معلقة زهير وشرحها

صوت

أمن أم أوفى دمنةٌ لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

بها العين والآرام يمشين خلفةً وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

وقفت بها من بعد عشرين حجةً فلأياً عرفت الدار بعد توهم

فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا عم صباحاً أيها الربع واسلم

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه يطيع العوالي ركبت كل لهذم

ومن هاب أسباب المنية يلقها ولو رام أسباب السماء بسلم

عروضه من الطويل. الحومانة، فيما ذكر الأصمعي، الأرض الغليظة، وجمعها حوامين. وقال غيره: الحومانة: ما كان دون الرمل. والدراج والمتثلم: موضعان. وروى أبو عمرو عن بعض ولد زهير " الدراج " مضمومة الدال. والعين: البقر. والآرام تسكن الجبال. خلفةً: يذهب فوجٌ ويجيء فوجٌ يخلفه مكانه. ويروى: مجثَم ومجثِم. فمن قال مجثَم قال: جثَم يجثُم جثوماً، ومن قال مجثِم قال: جثَم يجثِم جثماً، واللأي: البطء. الزجاج: جمع زجٍ. قال: وأصله أن القوم كانوا إذا أرادوا صلحاً قلبوا زجاج الرماح إلى فوق، فإن أبوا إلا الحرب قلبوا الأسنة. واللهذم: السنان المحدد؛ يقال رمح لهذمٌ وسنانٌ لهذمٌ: حاد. وأم أوفى: امرأة كانت لزهير فطلقها. وله في ذلك خبرٌ يذكر بعد هذا.

الشعر لزهير بن أبي سلمى. والغناء للغريض، ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق في الأول والثاني من الأبيات. وفيها لبذل الكبيرة ثقيلٌ أول بالبنصر. ولعلويه في الثالث والرابع ثقيل أول. ولإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالوسطى في الخامس والسادس. وفيهما ثقيل أول يقال إنه ليزيد حوراء.

نسب زهير وأخباره

نسبه: هو زهير بن أبي سلمى . واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح بن قرة بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن الأصم بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار. ومزينة أم عمرو بن أد هي بنت كلب بن وبرة.

هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء: وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء، وإنما اختلف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه. فأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم، وهم امرؤ قيس وزهير والنابغة الذبياني.

قال جرير هو شاعر الجاهلية: أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام عن أبي قيس عن عكرمة بن جرير عن أبيه قال: شاعر أهل الجاهلية زهير.

قال عمر لابن عباس إنه شاعر الشعراء: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا

هارون بن عمر قال حدثنا أيوب بن سويد قال حدثنا يحيى بن يزيد عن عمر بن عبد الله الليثي " عن ابن عباس " قال: قال عمر بن الخطاب ليلة مسيره إلى الجابية : أين ابن عباس؟ فأتيته ؛ فشكا تخلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فقلت : أو لم يعتذر إليك؟ قال بلى. قلت: فهو ما اعتذر به. ثم قال: أول من ريثكم عن هذا الأمر أبو بكر. إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة - ثم ذكر قصةً طويلةً ليست من هذا الباب فتركتها أنا - ثم قال: هل تروي لشاعر الشعراء؟ قلت: ومن هو؟ قال: الذي يقول:

ولو أن حمداً يخلد الناس أخلدوا ولكن حمد الناس ليس بمخلد

قلت: ذاك زهير. قال: فذاك شاعر الشعراء. قلت: وبم كان شاعر الشعراء؟ قال: لأنه لا يعاظل في الكلام وكان يتجنب وحشي الشعر، و لم يمدح أحداً إلا بما فيه. قال الأصمعي: يعاظل بين الكلام: يداخل فيه . ويقال: يتبع حوشي الكلام، ووحشي الكلام، والمعنى واحد.

كان قدامة بن موسى يقدمه على سائر الشعراء: أخبرنا أبو خليفة قال قال ابن سلام وأخبرني عمر بن موسى الجمحي عن أخيه قدامة بن موسى - وكان من أهل العلم -: أنه كان يقدم زهيراً. قلت: فأي شيء كان أعجب إليه؟ قال: الذي يقول فيه:

قد جعل المبتغون الخير من هرمٍ والسائلون إلى أبوابه طرقا

قال جرير هو أشعر أهل الجاهلية

قال ابن سلام وأخبرني أبو قيس العنبري - و لم أر بدوياً يفي به - عن عكرمة بن جرير قال:

قلت لأبي: يا أبت من أشعر الناس؟ قال: أعن الجاهلية تسألني أم عن الإسلام؟ قلت: ما أردت إلا الإسلام. فإذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها. قال: زهيرٌ أشعر أهلها. قلت: فالإسلام؟ قال: الفرزدق نبعة الشعر. قلت: فالأخطل؟ فقال: يجيد مدح الملوك ويصيب وصف الخمر. قلت: فما تركت لنفسك؟ قال: نحرت الشعر نحراً.

قال عنه الأحنف بن قيس هو أشعر الشعراء: أخبرني الحسن بن علي قال أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائني عن عيسى بن يزيد قال: سأل معاوية الأحنف بن قيسٍ عن أشعر الشعراء، فقال: زهير. قال: وكيف؟ قال: ألقى عن المادحين فضول الكلام. قال: مثل ماذا؟ قال: مثل قوله:

فما يك من خيرٍ أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل

مدح عمر بن الخطاب شعره وروى منه: أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن عمرو القيسي قال حدثنا خارجة بن عبد الله بن سليمان عن زيد بن ثابت عن عبد الله بن أبي سفيان عن أبيه عن ابن عباس، قال: وحدثنيه غيره وهو أتم من حديثه، قال قال ابن عباس: خرجت مع عمر في أول غزاةٍ غزاها. فقال لي ذات ليلة: يا بن عباس أنشدني لشاعر الشعراء. قلت: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: ابن أبي

سلمى. قلت: وبم صار كذلك؟ قال: لأنه لا يتبع حوشي الكلام. ، ولا يعاظل من المنطق، ولا يقول إلا ما يعرف، ولا يمتدح الرجل إلا بما يكون فيه. أليس الذي يقول:

إذا ابتدرت قيس بن عيلان غايةً ... من المجد من يسبق إليها يسود

سبقت إليها كل طلقٍ مبرز ... سبوقٍ إلى الغايات غير مزند

كفعل جوادٍ يسبق الخيل عفوه ال ... سراع وإن يجهد ويجهدن يبعد

ولو كان حمدٌ يخلد الناس لم تمت ... ولكن حمد الناس ليس بمخلد

أنشدني له، فأنشدته حتى برق الفجر. قال: حسبك الآن، إقرأ القرآن. قلت: وما أقرأ؟ قال: اقرأ الواقعة، فقرأتها ونزل فأذن وصلى.

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا أحمد بن عبيد قال أخبرنا أبو عبيدة عن عيسى بن يزيد بن بكر قال قال ابن عباس: خرجت مع عمر، ثم ذكر الحديث نحو هذا.

استعاذ منه النبي " صلى الله عليه وسلم " فما قال شعراً حتى مات: وجدت في بعض الكتب عن عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكار عن حميد بن محمد بن عبد العزيز الزهري عن أخيه إبراهيم بن محمد يرفعه: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نظر إلى زهير بن أبي سلمى وله مائة سنة فقال: " اللهم أعذني من شيطانه " فما لاك بيتاً حتى مات.

خرج أبوه أبو سلمى مع خاله وابن خاله لغزو طيء فمنعاه حقه في المغنم، وشعره في ذلك: قال ابن الأعرابي وأبو عمرو الشيباني: كان من حديث زهير وأهل بيته أنهم كانوا من مزينة، وكان بنو عبد الله بن غطفان جيرانهم، وقدماً ولدتهم بنو مرة. وكان من أمر أبي سلمى أنه خرج وخاله أسعد بن العدير بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض وابنه كعب بن أسعد في ناسٍ من بني مرة يغيرون على طيء، فأصابوا نعماً كثيرةً وأموالاً فرجعوا حتى انتهوا إلى أرضهم. فقال أبو سلمى لخاله أسعد وابن خاله كعبٍ: أفردا لي سهمي، فأبيا عليه ومنعاه حقه، فكف عنهما؛ حتى إذا الليل أتى أمه فقال: والذي أحلف به لتقومن إلى بعيرٍ من هذه الإبل فلتقعدن عليه أو لأضربن بسيفي تحت قرطيك. فقامت أمه إلى بعير منها فاعتنقت سنامه، وساق بها أبو سلمى وهو يرتجز ويقول:

ويلٌ لأجمال العجوز مني ... إذا دنوت ودنون مني

كأنني سمعمعٌ من جن

- سمعمعٌ: لطيف الجسم قليل اللحم - وساق الإبل وأمه حتى انتهى إلى قومه مزينة.

فذلك حيث يقول:

ولتغدون إبلٌ مجنبةٌ ... من عند أسعد وابنه كعب

- مجنبة: مجنوبة -

الآكلين صريح قومهما أكل الحبارى برعم الرطب

البرعم: شجرة ولها نور - قال: فلبث فيهم حيناً، ثم أقبل بمزينة مغيراً على بني ذبيان. حتى إذا مزينة أسهلت وخلفت بلادها ونظروا إلى أرض غطفان، تطايروا عنه راجعين، وتركوه وحده. فذلك حيث يقول:

من يشتري فرساً لخيرٍ غزوها وأبت عشيرة ربها أن تسهلا

يعني أن تنزل السهل. قال: وأقبل حين رأى ذلك من مزينة حتى دخل في أخواله بني مرة. قلم يزل هو وولده في بني عبد الله بن غطفان إلى اليوم.

قال معلقته في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف وقد حملا دية هرم بن ضمضم في مالهما: أمن أم أوفى دمنةٌ لم تكلم قالها زهير في قتل ورد بن حابس العبسي هرم بن ضمضم المري الذي يقول فيه عنترة وفي أخيه:

ولقد خشيت بأن الموت ولم تدر للحرب دائرةٌ على ابني ضمضم

ويمدح بها هرم بن سنان والحارث بن عوف بن سعد بن ذبيان المريين لأنهما احتملا ديته في مالهما؛ وذلك قول زهير:

سعى ساعياً غيظ بن مرة بعدما تبزل ما بين العشيرة بالدم

يعني بني غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان.

قال الأثرم أبو الحسن حدثني أبو عبيدة قال: كان ورد بن حابس العبسي قتل الهرم بن ضمضم المري، فتشاجر عبسٌ وذبيان قبل الصلح، وحلف حصين بن ضمضم ألا يغسل رأسه حتى يقتل ورد بن حابس أو رجلاً من بني عبس ثم من بني غالب، و لم يطلع على ذلك أحداً، وقد حمل الحمالة الحارث بن عوف بن أبي حارثة، وقيل بل أخوه حارثة بن سنان.

فأقبل رجلٌ من بني عبس ثم أحد بني مخزوم، حتى نزل بحصين بن ضمضم. فقال له الحصين: من أنت أيها الرجل؟ قال: عبسي. قال: من أي عبس؟ فلم يزل ينتسب حتى انتسب إلى بني غالب، فقتله حصين. وبلغ ذلك الحارث بن عوف وهرم بن سنان فاشتد عليهما، وبلغ بني عبسٍ فركبوا نحو الحارث. فلما بلغه ركوبهم إليه وما قد اشتد عليهم من قتل صاحبهم وأنهم يريدون قتل الحارث. بعث إليهم بمائة من الإبل معها ابنه. وقال للرسول: قل لهم: الإبل أحب إليكم أم أنفسكم؟ فأقبل الرسول حتى قال لهم ذلك. فقال لهم الربيع بن زياد: يا قوم إن أخاكم قد أرسل إليكم: " الإبل أحب إليكم أم ابني تقتلونه مكان قتيلكم " فقالوا نأخذ الإبل ونصالح قومنا، ونتم الصلح. فذلك حين يقول زهير يمدح الحارث وهرماً:

أمن أم أوفى دمنةٌ لم تكلم

وهي أول قصيدة مدح بها هرماً. ثم تابع ذلك بعد.

قصة زواج الحارث بن عوف ببهيسة بنت أوس وتحمله الدية في ماله بين عبس وذبيان: وقد أخبرني الحسن بن علي بهذه القصة، وروايته أتم من هذه، قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال:

قال الحارث بن عوف بن أبي حارثة: أتراني أخطب إلى أحد فيردني؟ قال نعم. قال: ومن ذاك. قال: أوس بن حارثة بن لأم الطائي. فقال الحارث لغلامه: ارحل بنا، ففعل. فركبا حتى أتيا أوس بن حارثة في بلاده فوجداه في منزله. فلما رأى الحارث بن عوف قال: مرحباً بك يا حار. قال: وبك. قال: ما جاء بك يا حار؟ قال: جئتك خاطباً. قال: لست هناك. فانصرف و لم يكلمه. ودخل أوسٌ على امرأته مغضباً وكانت من عبس فقالت: من رجلٌ وقف عليك فلم يطل و لم تكلمه؟ قال: ذاك سيد العرب الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري. قالت: فما لك لم تستنزله؟ قال: إنه استحمق. قالت: وكيف؟ قال: جاءني خاطباً. قالت: أفتريد أن تزوجك بناتك؟ قال: نعم. قالت: فإذا لم تزوج سيد العرب فمن؟ قال: قد كان ذلك. قالت: فتدارك ما كان منك. قال: بماذا؟ قالت: تلحقه فترده. قال: وكيف وقد فرط مني ما فرط إليه؟ قالت: تقول له: إنك لقيتني مغضباً بأمرٍ لم تقدم فيه قولاً، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت، فانصرف ولك عندي كل ما أحببت فإنه سيفعل. فركب في أثرهما. قال خارجة بن سنان: فو الله إني لأسير إذ حانت مني التفاتةٌ فرأيته، فأقبلت على الحارث وما يكلمني غماً فقلت له: هذا أوس بن حارثة في أثرنا. قال: وما نصنع به ! امض !. فلما رآنا لا نقف عليه صاح: يا حار اربع علي ساعةً. فوقفنا له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسروراً. فبلغني أن أوساً لما دخل منزله قال لزوجته أدعي لي فلانة " لأكبر بناته " فأتته، فقال: يا بنية، هذا الحارث بن عوف سيدٌ من سادات العرب، قد جاءني طالباً خاطباً، وقد أردت أن أزوجك منه فما تقولين؟ قالت: لا تفعل. قال: و لم؟ قالت: لأني امرأة في وجهي ردة ، وفي خلقي بعض العهدة ، ولست بابنة عمه فيرعى رحمي، وليس بجارك في البلد فيستحي منك، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي في ذلك ما فيه. قال: قومي بارك الله عليك. ادعي لي فلانة " لابنته الوسطى "؛ فدعتها، ثم قال لها مثل قوله لأختها؛ فأجابته بمثل جوابها وقالت: إني خرقاء وليست بيدي صناعة، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي في ذلك ما تعلم، وليس بابن عمي فيرعى حقي، ولا جارك في بلدك فيستحييك. قال: قومي بارك الله عليك. أدعي لي بهيسة " يعني الصغرى "، فأتي بها فقال لها كما قال لهما. فقالت: أنت وذاك. فقال لها: إني قد عرضت ذلك على أختيك فأبتاه. فقالت - و لم يذكر لها مقالتيهما - لكني والله الجميلة وجهاً، الصناع يداً، الرفيعة خلقاً، الحسيبة أباً، فإن طلقني فلا أحلف الله عليه بخير. فقال: بارك الله عليك. ثم خرج إلينا فقال: قد زوجتك يا حارث بهيسة بنت أوس. قال: قد قبلت. فأمر أمها أن تهيئها وتصلح من شأنها، ثم أمر ببيت فضرب له، وأنزله إياه. فلما هيئت بعث بها إليه. فلما أدخلت إليه لبث هنيهةً ثم خرج

إلي. فقلت: أفرغت من شأنك؟ قال: لا والله. قلت: وكيف ذاك؟ قال: لما مددت يدي إليها قالت: مه ! أعند أبي وإخوتي !! هذا والله ما لا يكون. قال: فأمر بالرحلة فارتحلنا ورحلنا بها معنا، فسرنا ما شاء الله. ثم قال لي: تقدم فتقدمت، وعدل بها عن الطريق، فلما لبث أن لحق بي. فقلت: أفرغت؟ قال: لا والله. قلت: و لم؟ قال: قالت لي: أكما يفعل بالأمة الجليبة أو السبية الأخيذة ! لا والله حتى تنحر الجزر، وتذبح الغنم، وتدعو العرب، وتعمل ما يعمل لمثلي. قلت: والله إني لأرى همةً وعقلاً، وأرجو أن تكون المرأة منجبةً إن شاء الله. فرحلنا حتى جئنا بلادنا، فأحضر الإبل والغنم، ثم دخل عليها وخرج إلي. فقلت: أفرغت؟ قال: لا. قلت: و لم؟ قال: دخلت عليها أريدها، وقلت لها قد أحضرنا من المال ما قد ترين، فقالت: والله لقد ذكرت لي من الشرف ما لا أراه فيك. قلت: وكيف؟ قالت: أتفرغ لنكاح النساء والعرب تقتل بعضها ! " وذلك في أيام حرب عبس وذبيان ". قلت: فيكون ماذا؟ قالت: اخرج إلى هؤلاء القوم فأصلح بينهم، ثم ارجع إلى أهلك فلن يفوتك. فقلت: والله إني لأرى همةً وعقلاً، ولقد قالت قولاً. قال: فاخرج بنا. فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا فيما بينهم بالصلح، فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى؛ فيؤخذ الفضل ممن هو عليه، فحملنا عنهم الديات، فكانت ثلاثة الآف بعير في ثلاث سنين، فانصرفنا بأجمل الذكر. قال محمد بن عبد العزيز: فمدحوا بذلك، وقال فيه زهير بن أبي سلمى قصيدته:

أمن أم أوفى دمنةٌ لم تكلم

فذكرهما فيها فقال:

تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

فأصبح يجري فيهم من تلادكم مغانم شتىً من إفال المرنم

ينجمها قومٌ لقومٍ غرامةً ولم يهريقوا بينهم ملء محجم

وذكر قيامهم في ذلك فقال:

"صحا القلب وقد كاد لا يسلو "

وهي قصيدة يقول فيها:

تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها وذبيان قد زلت بأقدامها النعل

وهذه لهم شرفٌ إلى الآن، ورجع فدخل بها، فولدت له بنين وبنات.

مدح بقصيدته القافية هرماً وأباه وإخواته: ومما مدح به هرماً وأباه وإخواته وغني فيه قوله: صوت

إن الخليط أجد البين فانفرقا وعلق القلب من أسماء ما علقا

وأخلفتك ابنة البكري وما وعدت فأصبح الحبل منها واهناً خلقا

قامت تبدى بذي ضال لتحزنني ولا محالة أن يشتاق من عشقا
بجيد مغزلةٍ أدماء خاذلةٍ من الظباء تراعي شادناً خرقا

انفرق: انفعل، من الفرقة. وأجد وجد بمعنىً واحد، من الجد خلاف اللعب. والواهن والواهي واحد. والحبل: السبب في المودة . والضال: السدر الصغار، واحدتها ضالة. والجيد: العنق. والمغزلة: الظبية التي لها غزال. والأدماء: البيضاء. والخاذلة: المقيمة على ولدها ولا تتبع الظباء. والشادن: الذي قد شدن أي تحرك و لم يقو بعد. والخرق: الدهش.

غنى مالك في الأول والثاني من الأبيات خفيف رملٍ بالوسطى، وقيل إنه لابن جامع، وقيل بل لحن ابن جامع بالبنصر. وفي الثالث والرابع لابن المكي رملٌ صحيحٌ من رواية بذل والهشامي.

وفي هذه القصيدة يقول يمدح هرماً:

قد جعل المبتغون الخير من هرمٍ والسائلون إلى أبوابه طرقا
من يلق يوماً على علاته هرماً يلق السماحة منه و الندى خلقا
ليثٌ بعثر يصطاد الليوث إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا
يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطعنوا ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

خرف سنان بن أبي حارثة ثم مات فرثاه: ومن مدائحه إياهم قوله يمدح أبا هرم سنان بن أبي حارثة. وذكر ابن الكلبي أنه هوي امرأةً فاستهيم بها؛ وتفاقم به ذلك حتى فقد فلم يعرف له خبر. فتزعم بنو مرة أن الجن استطارته فأدخلته بلادها، واستعجلته لكرمه. وذكر أبو عبيدة أنه قد كان هرم حتى بلغ مائةً وخمسين سنة؛ فهام على وجهه خرقاً ففقد. قال: فزعم لي شيخٌ من علماء بني مرة أنه خرج لحاجته بالليل فأبعد، فلما رجع ضل فهام طول ليلته حتى سقط فمات، وتبع قومه أثره فوجدوه ميتاً فرثاه زهير بقوله:

إن الرزية لا رزية مثلها ما تبتغي غطفان يوم أضلت
إن الركاب لتبتغي ذا مرةٍ بجنوب نجد إذا الشهور أحلت
ينعين خير الناس عند شديدةٍ عظمت مصيبته هناك وجلت
ومدفعٍ ذاق الهوان ملعنٍ راخيت عقدة حبله فانحلت
ولنعم حشو الدرع كان إذا سطا نهلت من العلق الرماح وعلت

أشعار له غنى فيها: والذي فيه غناء من مدائح زهير قوله: صوت

أمن أم سلمى عرفت الطلولا بذي حرض ما ثلاثٍ مثولا
بلين وتحسب آياتهن على فرط حولين رقاً محيلا

الماثل ها هنا: اللاطىء بالأرض، وفي موضع آخر: المتنصب القائم. وذو حرضٍ: موضعٌ. والحرض: الأشنان.
وآياتهن: علاماتهن. وفرط حولين: تقدم حولين، والفارط: المتقدم.
غنى في هذين البيتين إسحاق، وله فيهما لحنان: أحدهما ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، من كتابه.
والآخر ما خوريٌ من مجموع غنائه، وروايته عن الهشامي. وفيهما للزبير بن دحمان خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر عن عمرو. يقول فيها:

إليك سنان الغداة الرحي ... ل أعصي النهاة وأمضي الفؤولا

جمع فأل، أي لا أتطير.

فلا تأمني غزو أفراسه ... بني وائلٍ واحذريه جديلا
وكيف اتقاء امرئٍ لا يؤو ... ب بالقوم في الغزو حتى يطيلا

ومن الغناء في مدائح هرم قوله: صوت

قف بالديار التي لم يعفها القدم ... بلى وغيرها الأرواح والديم
كأن عيني وقد سال السليل بهم ... وعبرة ما هم لو أنهم أمم
غربٌ على بكرة أو لؤلؤٌ قلقٌ ... في السلك خان به رباته النظم

الديم: جمع ديمة وهو المطر الذي يدوم يوماً أو يومين مع سكون. سال السليل بهم: أي ساروا فيه سيراً سريعاً.
والسليل: وادٍ. وقوله وعبرة ما هم أي هم عبرة ، وما ها هنا صلة. لو أنهم أمم أي قصدٌ كنت أزوهم. والأمم: بين القريب والبعيد. والقلق: الذي لم يستقر لما انقطع الخيط. والنظم: جمعٌ واحدها نظام، شبه دموعه بلؤلؤ انقطع سلكه، وبماء سال من الغرب.
الغناء في هذه الأبيات رملٌ لابن المكي بالوسطى عن عمرو. وذكر عمرو أن لإسحاق فيها لحناً أيضاً. وذكر يونس أن فيها لحناً لمالك.
صوت

لمن الديار بقنة الحجر ... أقوين مذحججٍ ومذدهر
لعب الرياح بها وغيرها ... بعدي سوافي الريح والقطر
دع ذا وعد القول في هرمٍ ... خير الكهول وسيد الحضر
لو كنت من شيءٍ سوى بشرٍ ... كنت المنور ليلة البدر

القنة: الجبل الذي ليس بمنتشر. أقوين: خلون. والسوافي: ما تسفي الرياح . قال: والقطر مخفوضةٌ بنسقه على الريح ، والقطر لا سوافي له. وهذا تفعله العرب في المحاورة، وهو في مثل قولهم: حجر ضبٍ خربٍ.

غنى في هذه الأبيات سائب خاثر من رواية حماد عن أبيه، و لم يجنسه. وفيه ثقيلٌ أول بالبنصر نسبه عمرو بن بانة إلى معبد، ونسبه غيره إلى سائب، وإلى الأوسية مما ذكر حبشٌ. قال: وهي من قيان الحجاز القدائم مولاةٌ للأوس.

ومنها قوله يمدح سنان بن أبي حارثة: صوت

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو ... وأقفر من سلمى التعانيق فالثقل

وقد كنت من سلمى سنين ثمانياً ... على صير أمرٍ ما يمر وما يحلو

وكنت إذا ما جئت يوماً لحاجة ... مضت وأجمت حاجة الغد ما تخلو

وكل محبٍ أحدث النأي عنده ... سلو فؤادٍ غير حبك ما يسلو

تأوبني ذكر الأحبة بعدما ... هجعت ودوني قلة الحزن فالرمل

فأقسمت جهداً بالمنازل من منىً ... وما سحفت فيه المقاديم والقمل

لأرتحلن بالفجر ثم لأدأبن ... إلى الليل إلا أن يعرجني طفل

وهل ينبت الخطي إلا وشيجه ... وتغرس إلا منابتها النخل

التعانيق والثقل: موضعان. ويروى: فالنخل. وقوله على صير أمرٍ: أي على شرف أمر. وأجمت: دنت. وتأوبني: أتاني ليلاً. والتأويب: سير يوم إلى الليل. سحفت: حلقت، يقال سحف رأسه وسبته وجلطه: حلقه. وقوله " يعرجني طفلٌ " قال يقال الطفل: الليل، ويقال الطفل: مغيب الشمس، وقال أبو عبيدة: الطفل: الحزن، وإيقاده نار التحيير. والخطي: رماحٌ نسبها إلى الخط وهي من جزيرة بالبحرين ترفأ إليها سفن الرماح. والوشيج: القنا واحدها وشيجةٌ. والوشوج: دخول الشيء بعضه في بعض.

غنى إبراهيم الموصلي في الأول والثاني ثقيلاً أول بالبنصر من رواية الهشامي وعمرو. وغنى إبراهيم أيضاً في السادس والسابع والثامن خفيف ثقيلٍ. وفي الثالث لمعبد خفيف ثقيلٍ. ولعلويه في السابع والثامن خفيف رملٍ. وذكر حبشٌ أن لإبراهيم في الثامن لحناً ماخورياً.

ومن الغناء في مدائحه هرماً قوله: صوت

لمن طللٌ برامة لا يريم ... عفا وأحاله عهدٌ قديم

تطالعني خيالاتٌ لسلمى ... كما يتطالع الدين الغريم

غناه دحمان ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو. وعفا: درس ها هنا، وفي موضع آخر: كثر، وهو من الأضداد.
وخيالاتٌ: جمع خيال.
أنشد عمر رضي الله عنه شعراً له في هرم بن سنان فمدحه: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة، وقال المهلبي في خبرٍ له عن الأصمعي قال: أنشد عمر بن الخطاب قول زهير في هرم بن سنان يمدحه:

دع ذا وعد القول في هرمٍ ... خير الكهول وسيد الحضر

لو كنت من شيءٍ سوى بشرٍ ... كنت المنور ليلة البدر
ولأنت أوصل منح سمعت به ... لشوابك الأرحام والصهر
ولنعم حشو الدرع أنت إذا ... دعيت نزال ولج في الذعر
وأراك تفري ما خلقت وبع ... ض القوم يخلق ثم لا يفري
أثني عليك بما علمت وما ... أسلفت في النجدات من ذكر
والستر دون الفاحشات ولا ... يلقاك دون الخير من ستر

فقال عمر: ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.
قال عمر لبعض ولد هرم قد خلد ذكره لكم: قال وقال عمر لبعض ولد هرم: أنشدني بعض مدح زهيرٍ أباك، فأنشده. فقال عمر: إن كان ليحسن فيكم القول. قال: ونحن والله إن كنا لنحسن له العطاء. فقال: قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم.
حلف هرم أن يعطيه كلما لقيه: قال: وبلغني أن هرم كان قد حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه، ولا يسأله إلا أعطاه، ولا يسلم عليه إلا أعطاه: عبداً أو وليدة أو فرساً. فآستحيا زهيرٌ مما كان يقبل منه، فكان إذا رأه في ملأ قال: عموا صباحاً غير هرمٍ، وخيركم استثنيت. وروى المهلبي: وخيركم تركت.
سأل عمر ابنه عن الحلل التي كساه إياها هرم فأجابه: أخبرني الجوهري والمهلبي قالا حدثنا عمر بن شبه قال: قال عمر لابن زهير: ما فعلت الحلل التي كساها هرمٌ أباك؟ قال: أبلاها الدهر. قال: لكن الحلل التي كساها أبوك هرماً لم يبلها الدهر. وقد ذكر الهيثم بن عدي أن عائشة خاطبت بهذه المقالة بعض بنات زهير.
شعر له مدح به هرماً ولم يسبقه إليه أحد: وقال أبو زيد عمر بن شبة: ومما سبق فيه زهير في مدح هرمٍ ولم يسبقه إليه أحد قوله:

قد جعل المبتغون الخير من هرمٍ ... والسائلون إلى أبوابه طرقا
من يلق يوماً على علاته هرماً ... يلق السماحة منه والندى خلقا

يطلب شأو امرأين قدما حسباً بذا الملوك وبذا هذه السوقا

هو الجواد فإن يلحق بشأوهما على تكاليفه فمثله لحقا

أو يسبقاه على ما كان من مهلٍ فمثل ما قدما من صالح سبقا

مدح عبد الملك بن مروان شعره في مدح آل أبي حارثة: أخبرني الجوهري والمهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال قال المدائني: قال عبد الملك بن مروان: ما يضر من مدح بما مدح به زهيرٌ آل أبي حارثة من قوله:

على مكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

ألا يملك أمور الناس " يعني الخلافة ". قال ثم قال: ما ترك منهم زهيرٌ غنياً ولا فقيراً إلا وصفه ومدحه.

مدح عثمان بن عفان شعراً له: وقال ابن الأعرابي قال أبو زياد الكلابي: أنشد عثمان بن عفان قول زهير:

ومنهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فقال: أحسن زهيرٌ وصدق، لو أن رجلاً دخل بيتاً في جوف بيت لتحدث به الناس. قال وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " لا تعمل عملاً تكره أن يتحدث عنك به ".

تمثل عروة بن الزبير ببيت له وقد استخلف به عبد الملك بن مروان: قال وقال علي بن محمد المدائني حدثني ابن جعدويه: أن عروة بن الزبير لحق بعبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله بن الزبير. فكان إذا دخل إليه منفرداً أكرمه، وإذا دخل عليه وعنده أهل الشام استخف به. فقال له يوماً: يا أمير المؤمنين، بئس المزور أنت، تكرم ضيفك في الخلا، وتهينه في الملا، وقال : لله در زهير حيث يقول:

فقري في بلادك إن قوماً متى يدعوا بلادهم يهونوا

ثم استأذنه في الرجوع إلى المدينة، فقضى حوائجه وأذن له. وهذا البيت من قصيدة لزهير قالها في بني تميم، وقد بلغه أنها حشدت لغزو غطفان؛ أولها:

ألا أبلغ لديك بني تميمٍ وقد يأتيك بالخبر الظنون

الظنون: الذي لست منه على ثقة. والظنين: المتهم.

شعره في الحارث بن ورقاء وقد أخذ إبله وغلا: كان الحارث بن ورقاء الصيداوي من بني أسد أغار على بني عبد الله بن غطفان فغنم فاستاق إبل زهير وراعيه يساراً. فقال زهير:

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا وزودوك اشتياقاً أيةً سلكوا

وهي طويلة يقول فيها:

لئن حللت بجوٍ في بني أسدٍ في دين عمرو وحالت بيننا فدك

ليأتينك مني منطقٌ قذعٌ باقٍ كما دنس القبطية الودك

فاردد يساراً ولا تعنف عليه ولا تمعك بعرضك إن الغادر المعك
ولا تكونن كأقوامٍ علمتهم يلوون ما عندهم حتى إذا نهكوا
طابت نفوسهم عن حق خصمهم مخافة الشر وارتدوا لما تركوا

وفي هذه القصيدة مما يغنى فيه: صوت

أهوى لها أسفع الخدين مطرقٌ ريش القوادم لم ينصب له شرك
وقد أكون أمام الحي تحملني جرداء لا فحجٌ فيها ولا صكك

أهوى لها - يعني القطاة تقدم وصفه إياها - صقرٌ. ورواه الأصمعي: " هوى لها " وقال: هوى: انقض، وأهوى: أوفى. ومطرقٌ: ريشه بعضه على بعض ليس بمنتشر، وهو أعتق له. وقوله لم ينصب له شركٌ: أي لم يصطد ولم يذلل. والقوادم: العشر المتقدمات. والفحج: تباعد ما بين الفخذين. والصكك: اصطكاك العرقوبين في الدواب، وفي الناس الركبتين. قال: فلما أنشد الحارث هذا الشعر بعث بالغلام إلى زهير. وقيل: بل أنشد قول زهير:

تعلم أن شر الناس حيٌ ينادى في شعارهم يسار
ولولا عبسه لرددتموه وشر منيحة أيرٌ معار
إذا جمحت نساؤكم إليه أشظ كأنه مسدٌ مغار
يبربر حين يعدو من بعيدٍ إليها وهو قبقابٌ قطار

فرده عليه. فلامه قومه وقالوا له: اقتله ولا ترسل به إليه، فأبى عليهم. فقال زهير عند ذلك:

أبلغ لديك بني الصيداء كلهم أن يساراً أتانا غير مغلول
ولا مهانٍ ولكن عند ذي كرمٍ وفي حبال وفي العهد مأمول

وهي قصيدة. فقال الحارث لقومه: أيما أصلح. ما فعلت أو ما أردتم ؟قالوا: بل ما فعلت.

كان يذكر في شعره بنو غطفان وأحوال بني مرة ويمدحهم: قال ابن الأعرابي وحدثني أبو زياد الكلابي: إن زهيراً وأباه وولده كانوا في بني عبد الله بن غطفان، ومترلهم اليوم بالحاجر ، وكانوا فيه في الجاهلية. وكان أبو سلمى تزوج إلى رجل من بني فهر بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان يقال له الغدير -والغدير هو أبو بشامة الشاعر - فولدت له زهيراً وأوساً، وولد لزهير من امرأة من بني سحيم. وكان زهير يذكر في شعره بني مرة وغطفان ويمدحهم. وكان زهير في الجاهلية سيداً كثير المال حليماً معروفاً بالورع.

شكا إليه رجل من غطفان بني عليم بن جناب فهجاهم: قال وحدثني حماد الراوية عن سعيد الرواية عن سعيد بن عمرو بن سعيد: أنه بلغه أن زهيراً هجا آل بيتٍ من كلب من بني عليم بن جناب ، وكان بلغه عنهم شيءٌ من وراء وراء ،وكان رجل من بني عبد الله بن غطفان أتى بني عليم ، وأكرموه لما نزل بهم وأحسنوا جواره،

وكان رجلاً مولعاً بالقمار فنهوه عنه، فأبى إلا المقامرة. قمر مرةً فردوا عليه، ثم قمر أخرى فردوا عليه، ثم قمر الثالثة فلم يردوا عليه، فترحل عنهم وشكا ما صنع به إلى زهير، والعرب حينئذٍ يتقون الشعراء اتقاءً شديداً. فقال: ما خرجت في ليلة ظلماء إلا خفت أن يصيبني الله بعقوبة لهجائي قوماً ظلمتهم. قال:والذي هجاهم به قوله:

عفا من آل فاطمة الجواء ... فيمنٌ فالقوام فالحساء

فذو هاشٍ فميث عريتناتٍ ... عفتها الريح بعدك والسماء

جرت سنحاً فقلت لها أجيزي ... نوىً مشمولةً فمتى اللقاء

كأن أوابد الثيران فيها ... هجائن في مغابنها الطلاء

لقد طالبتها ولكل شيءٍ ... وإن طالت لحاجته انتهاء

وقد أغدو على شربٍ كرامٍ ... نشاوى واجدين لما نشاء

لهم طاسٌ وراووقٌ ومسكٌ ... تعل به جلودهم وماء

الجواء: أرض. ويمنٌ والقوادم: في بلاد غطفان. والميث: جمع ميثاء. قال أبو عمرو: إذا كان مسيل الماء مثل نصف الوادي أو ثلثيه فهي ميثاء. والسماء ها هنا: المطر. والسانح: ما أقبل من شمالك يريد يمينك. والبارح: ضده. وقال أبو عبيدة: سمعت يونس بن حبيب يسأل رؤبة عن السانح والبارح فقال: السانح: ما ولاك ميامنه. والبارح: ما ولاك مشائمه. وأجيزي: انفذي. قال الأصمعي: يقال أجزت الوادي إذ قطعته وخلفته، وجزته: إذا سرت فيه فتجاوزته. والأوابد: الوحشية. والهجائن: إبلٌ بيضٌ. والمغابن: الأرفاغ، واحدها مغبنٌ. ومشمولةٌ: سريعة الانكشاف. أخذه من الريح الشمال إذا كانت مع السحاب لم يلبث أن يذهب . وجعل مشمولة ها هنا في النوى لأن نيتهم كانت سريعة، فأحرى ذلك مجرى الذم، فهذه السنح.

غنى في الأول والثاني والسابع معبدٌ ثقيلاً أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر علي بن يحيى أن للغريض فيها خفيف ثقيل. وذكر حبشٌ أن فيه للهذلي ثاني ثقيلٍ بالوسطى. وفي الثالث والرابع مع بيت ليس لزهير أضيف إلى الشعر وهو:

بنفسي من تذكره سقامٌ ... أعالجه ومطلبه عناء

في هذه الأبيات الثلاثة خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها، ذكر إسحاق أنه للغريض، وغيره ينسبه إلى ابن سريج وإلى ابن عائشة. وفي الرابع والخامس لعلويه رمل لا يشك فيه من غنائه.

طلب من خاله بشامة وهو يحتضر أن يقسم له من ماله فقال له أورثتك الشعر: وقال ابن الأعرابي حدثني أبو زياد، وذكر بعض هذا الخبر إسحاق الموصلي عن حماد الراوية وعن ابن الكلبي عن أبيه قال: وكان بشامة بن

الغدير خال زهير بن أبي سلمى، وكان زهير منقطعاً إليه وكان معجباً بشعره. وكان بشامة رجلاً مقعداً و لم يكن له ولد، وكان مكثراً من المال، ومن أجل ذلك نزل إلى هذا البيت في غطفان لخئولتهم. وكان بشامة أحزم الناس رأياً، وكانت غطفان إذا أرادوا أن يغزوا أتوه فاستشاروه وصدروا عن رأيه، فإذا رجعوا قسموا له مثل ما يقسمون لأفضلهم، فمن أجل ذلك كثر ماله. وكان أسعد غطفان في زمانه. فلما حضره الموت جعل يقسم ماله في أهل بيته وبين بني إخوته. فأتاه زهيرٌ فقال: يا خالاه لو قسمت لي من مالك !! فقال: والله يابن أختي لقد قسمت لك أفضل ذلك وأجزله. قال: وما هو. قال: شعري ورثتنيه، وقد كان زهيرٌ قبل ذلك قال الشعر، وقد كان أول ما قال. فقال له زهير: الشعر شيءٌ ما قلته فكيف تعتد به علي؟ فقال له بشامة: ومن أين جئت بهذا الشعر ! لعلك ترى أنك جئت به من مزينة، وقد علمت العرب أن حصاتها وعين مائها في الشعر لهذا الحي من غطفان ثم لي منهم، وقد رويته عني. وأحذاه نصيباً من ماله ومات.

بشامة خاله شاعر مجيد وشيء من شعره: وبشامة شاعر مجيد وهو الذي يقول: صوت

ألا ترين وقد قطعتني قطعاً ... ماذا من الفوت بين البخل والجود

إلا يكن ورقٌ يوماً أراح به ... للخابطين فإني لين العود

الغناء لإسحاق ثقيلٌ أول بالبنصر، وقيل: إنه لإبراهيم.

طلق زوجته أم أوفى ثم ندم فقال شعراً: قال ابن الأعرابي: أم أوفى التي ذكرها زهيرٌ في شعره كانت امرأته، فولدت منه أولاداً ماتوا، ثم تزوج بعد ذلك امرأةً أخرى، وهي أم ابنيه كعب وبجير؛ فغارت من ذلك وآذته، فطلقها ثم ندم فقال فيها:

لعمرك والخطوب مغيراتٌ ... وفي طول المعاشرة التقالي

لقد باليت مظعن أم أوفى ... ولكن أم أوفى ما تبالي

فأما إذ نأيت فلا تقولي ... لذي صهرٍ أذلت ولم تذالي

أصبت بني منك ونلت مني ... من اللذات والحلل الغوالي

عانت امرأة ابنه سالماً فمات فرثاه: وقال ابن الأعرابي: كان لزهير ابنٌ يقال له سالم، جميل الوجه حسن الشعر. فأهدى رجلٌ إلى زهير بردين ، فلبسهما الفتى وركب فرساً له، فمر بامرأةٍ من العرب بماء يقال له النتاءة ، فقالت: ما رأيت كاليوم قط رجلاً ولا بردين ولا فرساً. فعثر به الفرس فاندقت عنقه وعنق الفرس وأنشق البردان . فقال زهير يرثيه:

رأت رجلاً لاقى من العيش غبطةً ... وأخطأه فيها الأمور العظائم

وشب له فيها بنون وتوبعت ... سلامة أعوامٍ له وغنائم

فأصبح محبوراً ينظر حوله بغبطته لو أن ذلك دائم

وعندي من الأيام ما ليس عنده فقلت تعلم إنما أنت حالم

لعلك يوماً أن تراعى بفاجعٍ كما راعني يوم النتاءة سالم

قال ابن الأعرابي: هو وقومه شعراء: كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره، وكان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرةً، وابناه كعبٌ وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرةً، وهي القائلة ترثيه:

وما يغني توقي الموت شيئاً ولا عقد التميم ولا الغضار

- والغضار: كان أحدهم إذا خشي على نفسه يعلق في عنقه خزفاً أخضر -

إذا لاقى منيته فأمسى يساق به وقد حق الحذار

ولاقاه من الأيام يومٌ كما من قبل لم يخلد قدار

وابن ابنه المضرب بن كعب بن زهير شاعرٌ، وهو القائل:

إني لأحبس نفسي وهي صاديةٌ عن مصعبٍ ولقد بانت لي الطرق

رعوى عليه كما أرعى على هرمٍ جدي زهيرٌ وفينا ذلك الخلق

مدح الملوك وسعيٌ في مسرتهم ثم الغنى ويد الممدوح تنطلق

ما امتاز به شعره وكان سبب تقديمه: أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: من قدم زهيراً احتج بأنه كان أحسنهم شعراً، وأبعدهم من سخفٍ، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليلٍ من الألفاظ، وأشدهم مبالغةً في المدح، وأكثرهم أمثالاً في شعره.

مرثية ابنه سالم: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال: كان لزهير ابنٌ يقال له سالم، وكان من أم كعب بن زهير؛ فمات أو قتل، فجزع عليه كعب جزعاً شديداً، فلامته امرأته وقالت: كأنه لم يصب غيرك من الناس ! فقال:

رأت رجلاً لاقى من العيش غبطةً وأخطأه فيها الأمور العظائم

وشب له فيها بنون وتوبعت سلامة أعوامٍ له وغنائم

فأصبح محبوراً ينظر حوله بغبطته لو أن ذلك دائم

وعندي من الأيام ما ليس عنده فقلت له مهلاً فإنك حالم

لعلك يوماً أن تراعي بفاجعٍ كما راعني يوم النتاءة سالم

صوت

عزفت ولم تصرم وأنت صروم وكيف تصابي من يقال حليم

صددت فأطولت الصدود ولا أرى وصالاً على طول الصدود يدوم

عروضه من الطويل. عزفت عن الشيء: إذا تركته وأبته نفسك. قال ابن الأعرابي: يقول لم تصرم صرم بتاتٍ. ولكن صرمت صرم دلالٍ. وأطولت الصدود أي أطلته. وإنما قال هذا ضرورةً . الشعر للمرار بن سعيد الفقعسي. والغناء لإسحاق رمل.

ذكر المرار وخبره ونسبه

نسبه وكان قصيراً ضئيل الجسم: هو المرار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نضلة بن الأشيم بن جحوان بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن ذودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار. وأم المرار بنت مروان بن منقذ الذي أغار على بني عامر بثهلان فقتل منهم مائةً بحبيب بن منقذ عمه ، وكانوا قتلوه.

وكان المرار قصيراً مفرط القصر ضئيل الجسم. وفي ذلك يقول:

عدوني الثعلب عند العدد حتى استشاروا بي إحدى الإحد

ليثاً هزبراً ذا سلاحٍ معتدي يرمي بطرفٍ كالحريق الموقد

كان يهاجي المساور بن هند: وكان يهاجي المساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي. وفيه يقول المرار:

شقيت بنو سعدٍ بشعر مساورٍ إن الشقي بكل حبلٍ يخنق

والمساور القائل فيه:

ما سرني أن أمي من بني أسدٍ وإن ربي ينجيني من النار

أو أنهم زوجوني من بناتهم وأن لي كل يوم ألف دينار

من مخضرمي الدولتين أغار هو وأخوه بدر على بني عبس ونهبا إبلهم فحبسهما الوالي: والمرار من مخضرمي الدولتين. وقد قيل: إنه لم يدرك الدولة العباسية.

وقال هذه القصيدة وهو محبوس. ذكر محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل والكوفيين:

أن المرار بن سعيد كان أتى حصين بن براق من بني عبس، فوقف على بيوتهم فجعل يحدث نساءهم وينشدهن الشعر. فنظروا إليه وهو مجتمعون على الماء فظنوا أنه يعظهن. ثم انصرف من عند النساء حتى وقف على الرجال. فقال له بعضهم: أنت يا مرار تقف على أبياتنا وتنشد النساء الشعر ! فقال: إنما كنت أسألهن. فجرى بينه وبينهم كلامٌ غليظ، فوثبوا عليه وضربوه وعقروا بعيره؛ فانصرف من عندهم إلى بني فقعس فأخبرهم الخبر،

فركبوا معه حتى أتوا بني عبس فقاتلوهم فهزموهم، وفقأت بنو فقعس من بني عبس عيناً وقتلوا رجلاً ثم انصرفوا. فحمل أبو شداد النصري لبني عبس مائتي بعير وغلظوا عليهم في الدية. ثم أن بدر بن سعيد أخا المرار قال: قد استوفت عبسٌ حقها، فعلام أترك ضرب أخي وعقر جمله ! فخرج حتى أتى جمالاً لبني عبس في المرعى فرمى بعضها فعقرها ثم انصرف. فقال للمرار: إنه والله ما يقنع بهذا ولكن أخرج بنا. فخرجا حتى أغارا على إبلٍ لبني عبس فطرداها وتوجها بها نحو تيماء . فلما كانا في بعض الطريق انقطع بطان راحلة بدر فندر عن رحله. فقال له المرار: يا أخي أطعني وانصرف ودع هذه الإبل في النار، فأبى عليه. ثم سارا، فلما كانا في بعض الطريق عرض لهما ظبيٌ أعضب أحد القرنين. فقال المرار لبدر: قد تطيرت من هذا السفر، ولا والله ما نرجع من هذا السفر أبداً، فأبى عليه بدرٌ. فتفرقت عبسٌ فرقتين في طلب الإبل، فعمدت فرقةٌ إلى وادي القرى ، وفرقةٌ إلى تيماء؛ فصادفوا الإبل بتيماء تباع، فأخذوا المرار وبدراً فرفعوهما إلى الوالي. وعرفت سمات عبسٍ على الإبل فدفعت إليهم، ورفع المرار وأخوه إلى المدينة فضربا وحبسا، فمات بدرٌ في الحبس. فكلمت عدةٌ من قريش زياد بن عبد الله النصري في المرار فخلاه. وقال في حبسه:

صرمت ولم تصرم وأنت صروم

وهي طويلة.

مات أخوه بدر في الحبس فرثاه: وقال يرثي أخاه بدراً:

ألا يا لقومي للتجلد والصبر ... وللقدر الساري إليك وما تدري

وللشيء تنساه وتذكر غيره ... وللشيء لا تنساه إلا على ذكر

وما لكما بالغيب علمٌ فتخبرا ... وما لكما في أمر عثمان من أمر

وهي طويلة، يقول فيها:

ألا قاتل الله المقادير والمنى ... وطيراً جرت بين السعافات والحبر

وقاتل تكذيبي العيافة بعدما ... زجرت فما أغنى اعتيافي ولا زجري

تروح فقد طال الثواء وقضيت ... مشاريط كانت نحو غايتها تجري

- المشاريط: العلامات والأمارات -

وما لقفولٍ بعد بدرٍ بشاشةٌ ... ولا الحي آتيهم ولا أوبة السفر

تذكرني بدراً زعازع حجرةٍ ... إذا عصفت إحدى عشياتها الغبر

- الزعازع: الشديدة الهبوب. والحجرة : السنة الشديدة -

إذا شولنا لم نؤت منها بمحلبٍ ... قرى الضيف منها بالمهند ذي الأثر

وأضيافنا إن نبهونا ذكرته فكيف إذاً أنساه غابرة الدهر
إذا سلم الساري تهلل وجهه على كل حالٍ من يسارٍ ومن عسر
تذكرت بدراً بعدما قيل عارفٌ لما نابه يا لهف نفسي على بدر
إذا خطرت منه على النفس خطرةٌ مرت دمع عيني فاستهل على نحري
وما كنت بكاءً ولكن يهيج لي على ذكره طيب الخلائق والخبر
أعيني إني شاكر ما فعلتما وحق لما أبليتماني بالشكر
سألتكما أن تسعداني فجدتما عوانين بالتسجام باقيتي قطر
فلما شفاني اليأس عنه بسلوةٍ وأعذرتما لا بل أجل من العذر
نهيتكما أن تسهراني فكنتما صبورين بعد اليأس طاويتي غبر

يقول: طويتما أغبار دمعكما. والأغبار: البقايا كأغبار اللبن.

خرج حاجاً وأضافه قرشي بالأبطح: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني رجل عن واصل بن زكريا بن المرار أن المرار قال: خرجت حاجاً فأنخت بناحية الأبطح، فجاء قوم فنحوني عن موضعي وضربوا فيه قبةٌ لرجل من قريش. فلما جاء وجلس أتيته فقلت:

هذا قعودي باركاً بالأبطح عليه عكما أكمرٍ لم تفتح

فقال: وما قصتك؟ فأخبرته. فقال: والله لاتفتح منهما شيئاً حتى تنصرف، فأقم معنا، يدك مع أيدينا، وقعودك مع أباعرنا . فوالله ما فتحت العدلين حتى انصرفت بهما إلى أهلي. فما هجاني أحد قط هجاءه.

حبس هو وأخوه بدر، وشعره في الحبس: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال أخبرني أبو موهبٍ رتيلٌ الزبيري أحد بني زبير بن عمرو بن قعين قال: كان المرار بن سعيد وأخوه بدرٌ لصين، وكان بدرٌ أشهر منه بالسرقة وأكثر غاراتٍ على الناس. فأغار بدر على ذودٍ لبعض بني غنم بن ذودان فطردها، فأخذ ورفع إلى عثمان بن حيان المري، وهو يومئذٍ على المدينة فحبسه. وطرد المرار طريدةً فأخذ معها وهو يبيعها بوادي القرى أو ببرمة ، فرفع إلى عثمان بن حيان فحبسه. قال: فاجتمعا ومكثا في السجن مدةً؛ ثم أفلت المرار وبقي بدرٌ في السجن حتى مات محبوساً مقيداً.

فقال المرار وهو في الحبس:

أنارٌ بدت من كوة السجن ضوءها عشية حل الحي بالجرع العفر
عشية حل الحي أرضاً خصيبةً يطيب بها مس الجنائب والقطر

فيا ويلتا سجن اليمامة أطلقا أسيركما ينظر إلى البرق ما يفري
فإن تفعلا أحمدكما ولقد أرى بأنكما لا ينبغي لكما شكري
ولو فارقت رجلي القيود وجدتني رفيقاً بنص العيس في البلد القفر
جديراً إذا أمسى بأرضٍ مضلةٍ بتقويمها حتى يرى وضح الفجر

خاصم رجلاً من قومه وسابه، وقال في ذلك شعراً: وقال أبو عمرو الشيباني: كان بين المرار بن سعيد وبين رجل من قومه لحاءٌ، فتقاذفا وتسابا، ثم صارا إلى الضرب بالعصا؛ فقال في ذلك: صوت

ألم تربع فتخبرك المغاني فكيف وهن مذ حججٍ ثمان
برئت من المنازل غير شوقٍ إلى الدار التي بلوى أبان

لإسحاق في هذين البيتين هزجٌ بالخنصر في مجرى البنصر من كتاب ابن المكي.

كان أخوه بدراً شاعراً، وشيء من شعره: وكان بدر بن سعيد أخو المرار شاعراً وهو الذي يقول: صوت

يا حبذا حين تمسي الريح باردةً وادي أشي وفتيانٌ به هضم
مخدمون كرامٌ في مجالسهم وفي الرحال إذا لاقيتهم خدم
وما أصاحب من قوم فأذكرهم إلا يزيدهم حباً إلي هم

الغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالخنصر والبنصر عن ابن المكي. وفيه لمتيم خفيف رملٍ. وذكر حبشٌ، أن الثقيل للهذلي. وفيه لمحمد بن الحارث بن بسخنر ثقيلٌ أول عن الهشامي.

صوت صوت ابن صاحب الوضوء في شعر النابغة:

خطاطيف حجنٌ في حبالٍ متينةٍ تمد بها أيد إليك نوازع
فإن كنت لا ذا الضغن عني مكذباً ولا حلفي عند البراءة نافع
فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

عروضه من الطويل. يقول: أنا في قبضتك متى شئت قدرت علي كأني في خطاطيف تجذبني إليك ولا أقدر على الهرب منك. ويروى " وإن خلت أن المنتوى " أي الموضع الذي أنتوي قصده. والمنتأى: المفتعل من النائي والحجن: الموجعة. والنوازع: الجواذب. والضغن: الحقد.

الشعر للنابغة الذبياني. والغناء لابن صاحب الوضوء من رواية إسحاق وعمرو ماخوري بالبنصر.

الجزء الحادي عشر

أخبار النابغة ونسبه

نسب النابغة: النابغة اسمه زياد بن معاوية بن ضباب بن جناب بن يربوع بن غيظ بن مرة ابن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر. ويكنى أبا أمامة . وذكر أهل الرواية أنه إنما لقب النابغة لقوله:

فقد نبغت لهم منا شؤون

وهو أحد الأشراف الذين غض الشعر منهم. وهو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء .

سأل عمر بن الخطاب عن شعر فلما أخبر أنه له قال إنه أشعر العرب: أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا شريك عن مجاهد عن الشعبي عن ربعي بن حراش قال: قال عمر: يا معشر غطفان، من الذي يقول:

أتيتك عارياً خلقاً ثيابي على خوفٍ تظن بي الظنون

قلنا: النابغة. قال: ذاك أشعر شعرائكم .

أخبرني أحمد وحبيب قالا حدثنا عمر بن شبه قال حدثنا عبيد بن جناد قال حدثنا معن بن عبد الرحمن عن عيسى بن عبد الرحمن السلمي عن جده عن الشعبي قال: قال عمر: من أشعر الناس؟ قالوا: أنت أعلم يا أمير المؤمنين. قال: من الذي يقول:

إلا سليمان إذ قال الإله له قم في البرية فاحددها عن الفند

وخبر الجن أني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد

قالوا: النابغة. قال: فمن الذي يقول:

أتيتك عارياً خلقاً ثيابي على خوفٍ تظن بي الظنون

قالوا: النابغة. قال: فمن الذي يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانةً لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ولست بمستبقٍ أخاً لا تلمه على شعثٍ أي الرجال المهذب

قالوا: النابغة. قال: فهو أشعر العرب .

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شبه قال حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثنا عمر بن أبي زائدة عن الشعبي قال: ذكر الشعر عند عمر؛ ثم ذكر مثله .

سئل ابن عباس عن أشعر الناس فأمر أبا الأسود بالجواب فذكره: أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثني علي بن محمد عن المدائني عن عبد الله بن الحسن عن عمر بن الحباب عن أبي المؤمل قال: قام رجل إلى ابن عباس فقال: أي الناس أشعر؟ فقال ابن عباس: أخبره يا أبا الأسود الدؤلي: قال الذي يقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

حوار في شعر له في مجلس الجنيد بن عبد الرحمن: أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي جرير بن شريك بن جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا عند الجنيد بن عبد الرحمن بخراسان وعنده بنو مرة وجلساؤه من الناس، فتذاكروا شعر النابغة حتى أنشدوا قوله:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

فقال شيخ من بني مرة: ما الذي رأى في النعمان حيث يقول له هذا! وهل كان النعمان إلا على منظرةٍ من مناظر الحيرة! وقالت ذلك القيسية فأكثروا. فنظر إلي الجنيد وقال: يا أبا خالد! لا يهولنك قول هؤلاء الأعاريض !فأقسم بالله أن لو عاينوا من النعمان ما عاين صاحبهم لقالوا أكثر مما قال، ولكنهم قالوا ما تسمع وهم آمنون .

كان يجلس للشعراء بعكاظ فمدح شعر الخنساء وحواره مع حسان: أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو بكر العليمي قال حدثني عبد الملك بن قريب قال: كان يضرب للنابغة قبة من أدمٍ بسوق عكاظ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها. قال: وأول من أنشده الأعشى ثم حسان بن ثابت ثم أنشدته الشعراء، ثم أنشدته الخنساء بنت عمرو ابن الشريد:

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فقال: والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفاً لقلت إنك أشعر الجن والإنس. فقام حسان فقال: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك !. فقال له النابغة: يابن أخي، أنت لا تحسن أن تقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

خطاطيف حجن في حبالٍ متينةٍ تمد بها أيدٍ إليك نوازع

قال: فخنس حسان لقوله .

تذاكر قوم الشعر وهم في الصحراء فإذا هم بجني يقول إنه أشعر الناس:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا أبو عمرو بن العلاء قال قال فلان لرجل سماه فانسيته: بينا نحن نسير بين أنقاءٍ من الأرض تذاكرنا الشعر، فإذا راكب أطيلس يقول أشعر الناس زياد ابن معاوية؛ ثم تملس فلم نره .

فضحك أبو عمرو على زهير: أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا الأصمعي قال سمعت أبا عمرو يقول: ما كان ينبغي للنابغة إلا أن يكون زهير أجيراً له .

سأل عبد الملك عن شعر له في اعتذاره للنعمان وقال إنه أشعر العرب: أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال عمرو بن المنتشر المرادي:

وفدنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه، فقام رجل فاعتذر من أمرٍ وحلف عليه. فقال له عبد الملك: ما كنت حرياً أن تفعل ولا تعتذر. ثم أقبل على أهل الشام فقال: أيكم يروي من اعتذار النابغة إلى النعمان:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراء الله للمرء مذهب

فلم يجد فيهم من يرويه؛ فأقبل علي فقال: أترويه؟ قلت: نعم! فأنشدته القصيدة كلها؛ فقال: هذا أشعر العرب .

سئل حماد بم تقدم النابغة فأجاب: أخبرنا بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبة قال: قال معاوية بن بكر الباهلي قلت لحماد الراوية: بم تقدم النابغة؟ قال: باكتفائك بالبيت الواحد من شعره، لا بل بنصف بيت، لا بل بربع بيت مثل قوله:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراء الله للمرء مذاهب

كل نصف يغنيك عن صاحبه، وقوله: أي الرجال المهذب، ربع بيت يغنيك عن غيره .

وهذه القصيدة العينية يقولها في النعمان بن المنذر يعتذر إليه بها وبعدة قصائد قالها فيه تذكر في مواضعها .

ولقد اختلفت الرواة في السبب الذي دعاه إلى ذلك .

كان أثيراً عند النعمان فدخل على زوجته المتجردة فوصفها: فأخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة عن أبي عبيدة وغيره من علمائهم: إن النابغة كان كبيراً عند النعمان خاصاً به وكان من ندمائه وأهل أنسه؛ فرأى زوجته المتجردة يوماً وغشيها تشبيهاً بالفجاءة، فسقط نصفيها واستترت بيدها وذراعها، فكادت ذراعها تستر وجهها لعبالتها وغلظها؛ فقال قصيدته التي أولها:

أمن آل مية رائح أو مغتدي ... عجلان ذا زادٍ وغير مزود

زعم البوارح أن رحلتنا غداً ... وبذاك تنعاب الغراب الأسود

لا مرحباً بغدٍ ولا غير أن ركابنا ... لما تزل برحالنا وكأن قد

في إثر غانيةٍ رمتك بسهمها ... فأصاب قلبك غير أن لم تقصد

بالدر والياقوت زين نحرها ... ومفضلٍ من لؤلؤ وزبرجد

عروضه من الكامل. وغناه أبو كاملٍ من رواية حبشٍ ثقيلاً أول بالبنصر. وغناه الغريض من روايته ثاني ثقيلٍ بالوسطى. وغناه ابن سريج من رواية إسحاق ثقيلاً في مجرى الوسطى .

قوله: أمن آل مية: يخاطب نفسه كالمستثبت. وعجلان: من العجلة، نصبه على الحال. والزاد في هذا الموضع: ما كان من تسليم ورد نحية. والبوارح: ما جاء من ميامنك إلى مياسرك فولاك مياسره. والسانح ما جاء من مياسرك فولاك ميامنه؛ حكى ذلك أبو عبيدة عن رؤبة وقد سأله يونس عنه. وأهل نجدٍ يتشاءمون بالبوارح، وغيرهم من العرب تتشاءم بالسانح وتتيمن بالبارح؛ ومنهم من لا يرى ذلك شيئاً قال بعضهم :

ولقد غدوت وكنت لا أغدو على واقٍ وحاتم

فإذا الأشائم كالأيا من والأيامن كالأشائم

وتنعاب الغراب: صياحه؛ يقال: نعب الغراب ينعب نعيباً ونعباناً، والتنعاب تفعال من هذا. وكان النابغة قال في هذا البيت: وبذاك خبرنا الغراب الأسود، ثم ورد يثرب فسمعه يغني فيه، فبان له الإقواء، فغيره في مواضع من شعره .

كان يقوى فلما ذهب إلى يثرب تبين له هذا العيب فأصلحه: وأخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق قرأت على أبي: قال أبو عبيدة: كان فحلان من الشعراء يقويان: النابغة وبشر بن أبي خازم. فأما النابغة فدخل يثرب فهابوه أن يقولوا له لحنت وأكفأت ، فدعوا قينةً وأمروها أن تغني في شعره ففعلت. فلما سمع الغناء و غير مزود، و الغراب الأسود، وبان له ذلك في اللحن فطن لموضع الخطأ فلم يعد. وأما بشر بن أبي خازمٍ فقال له أخوه سوادة: إنك تقوي. قال وما ذاك؟ قال: قولك:

وينسي مثل ما نسيت جذام

ثم قلت بعده: إلى البلد الشآم. ففطن فلم يعد .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا خلاد الأرقط وغيره من علمائنا قالوا: كان النابغة يقول: إن في شعري لعاهةً ما أقف عليها. فلما قدم المدينة غني في شعره؛ فلما سمع قوله: واتقتنا باليد، و يكاد من اللطافة يعقد، تبين له لما مدت، باليد، فصارت الكسرة ياء ومدت، يعقد، فصارت الضمة كالواو؛ ففطن فغيره وجعله:

غنم على أغصانه لم يعقد

وكان يقول: وردت يثرب وفي شعري بعض العاهة، فصدرت عنها وأنا أشعر الناس. وقوله لا مرحباً: لا سعةً؛ ونصبه ها هنا شبيه بالمصدر؛ كأنه قال لا رحب رحباً ولا أهل أهلاً. وأزف: قرب .

قال: وقال في قصيدته هذه يذكر ما نظر إليه من المتجردة وسترها وجهها بذراعها: صوت:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

بمخضب رخصٍ كأن بنانه عنم على أغصانه لم يعقد

ويفاحم رجلٍ أثيثٍ نبته كالكرم مال على الدعام المسند

نظرت إليك بحاجةٍ لم تقضها نظر السقيم إلى وجوه العود

غناه ابن سريج، ولحنه من خفيف الثقيل الأول بالوسطى عن عمرو. والنصيف: الخمار، والجمع أنصفة ونصف. والعنم: فيما ذكر أبو عبيدة، يساريع حمر تكون في البقل في الربيع. وقال الأصمعي: العنم: شجر يحمر وينعم نبته. والفاحم: الشديد السواد. والرجل: الذي ليس بجعد. والأثيث: المتكاثف؛ قال امرؤ القيس:

أثيثٍ كقنو النخلة المتعثكل

ويقال: شعر رجل ورجل. ويروى:

ورنت إلي بمقلتي مكحولةٍ

والمكحولة: البقرة. وقوله لم تقضها: يعني المرأة أي لم تقدر على الكلام من مخافة أهلها، فهي كالسقيم الذي ينظر إلى من يعوده .

غناه ابن سريج خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة .

قال صالح بن حسان إنه كان مخنثاً: وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري قال: قال الهيثم بن عدي قال لي صالح بن حسان: كان والله النابغة مخنثاً. قلت: وما علمك به؟ أرأيته قط؟ قال: لا والله !. قلت: أفأخبرت عنه؟ قال: لا. قلت: فما علمك به؟ قال: أما سمعت قوله:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

لا والله ما أحسن هذه الإشارة ولا هذا القول إلا من مخنث .

هروبه من النعمان إلى ملوك غسان واختلاف الرواة في سببه: قال: فأنشدها النابغة مرة بن سعد القريعي، فأنشدها مرة النعمان، فامتلأ غضباً فأوعد النابغة وتهدده؛ فهرب منه فأتى قومه، ثم شخص إلى ملوك غسان بالشام فامتدحهم. وقيل: إن عصام بن شهبرٍ الجرمي حاجب النعمان أنذره وعرفه ما يريده النعمان، وكان صديقه، فهرب. وعصام الذي يقول فيه الراجز:

نفس عصامٍ سودت عصاما وعلمته الكر والإقداما

وجعلته ملكاً هماما

وقال من رويت عنه خبر النابغة: إن السبب في هربه من النعمان أن عبد القيس بن خفاف التميمي ومرة بن سعد بن قريع السعدي عملا هجاءً في النعمان على لسانه، وأنشدا النعمان منه أبياتاً يقال فيها:

ملك يلاعب أمه وقطينه رخو المفاصل أيره كالمرود

ومنه:

قبح الله ثم ثنى بلعنٍ وارث الصائغ الجبان الجهولا

من يضر الأدنى ويعجز عن ضر الأقاصي ومن يخون الخليلا

يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ثم لا يرزأ العدو فتيلا

يعني بواعث الصائغ النعمان؛ وكان جده لأمه صائغاً بفدك يقال له عطية. وأم النعمان سلمى بنت عطية .

فأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل: أن مرة بن سعد القريعي الذي وشى بالنابغة كان له سيف قاطع يقال له ذو الريقة من كثرة فرنده وجوهره، فذكر النابغة للنعمان، فأخذه. فاضطغن ذلك حتى وشى به إلى النعمان وحرضه عليه .

وأخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام عن يونس بن حبيب عن أبي عمرو بن العلاء، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة، قالوا جميعاً:

إن الذي من أجله هرب النابغة من النعمان أنه كان والمنخل بن عبيد بن عامر اليشكري جالسين عنده، وكان النعمان دميماً أبرش قبيح المنظر، وكان المنخل بن عبيد من أجمل العرب، وكان يرمى بالمتجردة زوجة النعمان، ويتحدث العرب أن ابني النعمان منها كانا من المنخل. فقال النعمان للنابغة: يا أبا أمامة، صف المتجردة في شعرك؛ فقال قصيدته التي وصفها فيها ووصف بطنها وروادفها وفرجها. فلحقت المنخل من ذلك غيرة، فقال للنعمان: ما يستطيع أن يقول هذا الشعر إلا من جربه. فوقر ذلك في نفس النعمان. وبلغ النابغة فخافه فهرب فصار في غسان .

كان المنخل اليشكري يهوى هنداً بنت عمرو بن هند فتغزل فيها فقتله: قالوا: وكان المنخل يهوى هنداً بنت عمرو بن هند، وفيها يقول: صوت:

ولقد دخلت على الفتا ة الخدر في اليوم المطير

الكاعب الحسناء تر فل في الدمقس وفي الحرير

فدفعتها فتدافعت مشي القطاة إلى الغدير

ولثمتها فتنفست كتنفس الظبي البهير

غناه الموصلي من رواية عمرو بن بانة ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق .

وبدت وقالت يا منخل ما بجسمك من فتور ؟

ما مس جسمي غير حب بك فاهدئي عني وسيري

ولقد شربت من المدا مة بالكبير وبالصغير
فإذا سكرت فإنني رب الخورنق والسدير
وإذا صحوت فإنني رب الشويهة والبعير
يا هند هل من نائلٍ يا هند للعاني الأسير
وأحبها وتحبني وتحب ناقتها بعيري

وقال حماد بن إسحاق عن أبيه في كتاب أغاني ابن مسحج: في هذا الصوت لمالك ومعبدٍ وابن سريج وابن محرز والغريض وابن مسحج لكلهم فيه ألحان قال: فبلغ عمراً خبر المنخل فأخذه فقتله. وقال المنخل قبل أن يقتله وهو محبوس في يده يحض قومه على طلب الثأر به:

ظل وسط العراق قتلي بلا جر مٍ وقومي ينتجون السخالا

رجع الخبر إلى سياقه. قالوا جميعاً: فلما صار النابغة إلى غسان نزل بعمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر وأم الحارث الأعرج مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع الكندية وهي ذات القرطين اللذين يضرب بهما المثل فيقال لما يغلى به الثمن: خذه ولو بقرطي مارية. وأختها هند الهنود امرأة حجرٍ آكل المرار. وإياها عنى حسان بقوله في جبلة بن الأيهم:

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الجواد المفضل

مدح عمرو بن الحارث الأصغر الغساني وأخاه النعمان: ولذلك خبر يأتي في موضعه فمدحه النابغة ومدح أخاه النعمان. و لم يزل مقيماً مع عمرو حتى مات، وملك أخوه النعمان؛ فصار معه إلى أن استطلعه النعمان فعاد إليه. فمما مدح به عمراً قوله: صوت:

كليني لهمٍ يا أميمة ناصب وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكب
وصدرٍ أراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب
تقاعس حتى قلت لي بمنقضٍ وليس الذي يهدي النجوم بآئب
علي لعمرٍو نعمة بعد نعمةٍ لوالده ليست بذات عقارب

عروضه من الطويل. غنى في البيتين الولين ابن محرز خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو. وغنى فيه الأبجر من رواية حبشٍ ثاني ثقيلٍ بالوسطى. وغنى مالك في البيت الرابع ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات. وغنى في الأربعة الأبيات عبد الله ابن العباس الربيعي ماخورياً عن حبشٍ، وغنى فيها طويس رملاً بالوسطى بحكايتين عن حبش. هكذا روي قوله: يا أميمة، مفتوح الهاء. قال الخليل: من عادة العرب أن تنادي المؤنث بالترخيم يا أميم ويا عز ويا سلم؛ فلما لم يرخم

لحاجته إلى الترخيم أجراها على لفظها مرخمةً وأتى بها بالفتح. وكليني أي دعيني. ووكلته إلى كذا أكله وكالة .

وناصب : متعب. وبطيء الكواكب أي قد طال حتى إن كواكبه لا تجري ولا تغور. أراح: رد. يقال أراح الرجل إبله أي ردها. فيقول: رد هذا الليل إلي ما عزب من همي بالنهار؛ لأنه يتعلل نهاراً بمحادثة الناس والتشاغل بغير الفكر، فإذا خلا بالليل راح إليه همه. وتقاعس تأخر؛ وأصل التقاعس الرجوع إلى خلفٍ القهقري، فشبه الليل في طوله بالمتقاعس. والذي يهدي النجوم أولها، شبهها بهواديها . وقوله: ليست بذات عقارب، أي لا يكدرها ولا يمنها .

ومما يغنى فيه هذه القصيدة:

حلفت يميناً غير ذي مثنويةٍ ... ولا علم إلا حسن ظني بصاحب

لئن كان للقبرين قبر بجلقٍ ... وقبرٍ بصيداء الذي عن حارب

وللحارث الجفني سيد قومه ... ليلتمسن بالجيش دار المحارب

غناه إسحاق خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر على مذهبه من رواية عمرو بن بانة عنه ومن رواية حبش. وغناه ابن سريج ثاني ثقيلٍ بالبنصر. يقول: ليس لي علم بما يكون من صاحبي إلا أني أحسن الظن به. وقوله: لئن كان للقبرين، يعني لئن كان عمرو ابناً للمدفونين في هذين القبرين، يعني قبر أبيه وجده وهما الحارث الكبر والحارث الأعرج، ليلتمسن جيشه دار المحارب له؛ يحرضه بذلك وروي: أرض المحارب

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

إذا استنزلوا عنهن للطعن أرقلوا ... إلى الموت إرقال الجمال المصاعب

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم ... من الناس والأحلام غير عوازب

على عارفاتٍ للطعان عوابسٍ ... بهن كلوم بين دامٍ وجالب

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

إذا استنزلوا عنهن للطعن أرقلوا ... إلى الموت إرقال الجمال المصاعب

حبوت بها غسان إذ كنت لاحقاً ... بقومي وإذ أعيت علي مذاهبي

وجدت في كتابٍ لهارون بن محمد بن عبد الملك الزيات في البيتين والثالث والرابع لحناً منسوباً إلى معبد من خفيف الرمل بالوسطى. وأحسبه من لحن يحيى المكي. الشيمة: الطبيعة، وجمعها شيم. غير عوازب أي لا تعزب أحلامهم فتنفذ عنهم. وعارفات للطعان أي صابرات عليه عودت أن يحارب عليها. وعوابس كوالح. وجالب أي عليه جلبة وهي قشرة تكون على الجرح؛ يقال جلب الجرح يجلب جلوباً وأجلب إجلاباً. والإرقال: مشي

يشبه الخبب سريع. والمصاعب واحدها مصعب وهو الفحل الذي لم يمسسه الحبل وإنما يقتنى للفحلة، ويقال له قرم ومقرم. وقوله: حبوت بها، يعني بالقصيدة. وروى أبو عبيدة إذ كنت لاحقاً بقومٍ، وقال: يعني إذ كنت لاحقاً بغيركم أي بقومٍ آخرين، فكنتم أحق بالمدح منهم.

قالوا: فنظر إلى النعمان بن الحارث أخي عمرو وهو يومئذٍ غلام فقال:

هذا غلام حسن وجهه مقتبل الخير سريع التمام

للحارث الأكبر والحارث ال أصغر والأعرج خير الأنام

ثم لهندٍ ولهندٍ فقد أسرع في الخيرات منه إمام

خمسة آباءٍ وهم ما هم هم خير من يشرب صوب الغمام

غناه حنين خفيف رملٍ بالبنصر عن حبش .

فضله الشعبي على الأخطل في مواجهته في مجلس عبد الملك: أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا هارون بن عبد الله الزبيري قال حدثنا شيخ يكنى أبا داود عن الشعبي قال: دخلت على عبد الملك بن مروان وعنده الأخطل وأنا لا أعرفه. فقلت حين دخلت: عامر بن شراحيل الشعبي. فقال : على علمٍ ما أذنا لك. فقلت في نفسي: خذ واحدةً على وافد أهل العراق. فسال عبد الملك الأخطل: من أشعر الناس؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين. فقلت لعبد الملك: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فتبسم وقال: هذا الأخطل. فقلت في نفسي: خذها ثنتين على وافد أهل العراق، فقلت: أشعر منك الذي يقول:

هذا غلام حسن وجهه مستقبل الخير سريع التمام

للحارث الأكبر والحارث ال أصغر والأعرج خير الأنام

خمسة آباءٍ وهم ما هم هم خير من يشرب ماء الغمام

والشعر للنابغة فقال الأخطل: إن أمير المؤمنين إنما سألني عن أشعر أهل زمانه، ولو سألني عن أشعر أهل الجاهلية لكنت حرياً أن أقول كما قلت أو شبيهاً به. فقلت في نفسي: خذها ثلاثاً على وافد أهل العراق. يعني أنه أخطأ ثلاث مرات . ونسخت هذا الخبر من كتاب أحمد بن الحارث الخراز و لم أسمعه من أحد، ووجدته أتم مما رأيت في كل موضع، فأتيت به في هذا الموضع وإن لم يكن من خاص خبر النابغة لأنه أليق به. قال أحمد بن الحارث الخراز حدثني المدائني عن عبد الملك بن مسلم قال: كتب عبد الملك إلى الحجاج: إنه ليس شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه، و لم يكن عندي شيء ألذه إلا مناقلة الأخوان للحديث. وقبلك عامر الشعبي، فابعث به إلي يحدثني. فدعا الحجاج الشعبي فجهزه وبعث به إليه وقرظه وأطراه في كتابه. فخرج الشعبي حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب: استأذن لي. قال: من أنت؟ قال: أنا عامر الشعبي. قال: حياك الله! ثم نهض فأجلسني

على كرسيه. فلم يلبث أن خرج إلي فقال: ادخل يرحمك الله. فدخلت، فإذا عبد الملك جالس على كرسي وبين يديه رجل أبيض الرأس واللحية على كرسي، فسلمت فرد علي السلام، ثم أومأ إلي بقضيبه فقعدت عن يساره، ثم أقبل على الذي بين يديه فقال: ويحك! من أشعر الناس؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين. قال الشعبي: فأظلم علي ما بيني وبين عبد الملك، فلم أصبر أن قلت: ومن هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنه أشعر الناس ؟! قال: فعجب عبد الملك من عجلتي قبل أن يسألني عن حالي قال: هذا الأخطل. فقلت: يا أخطل! أشعر والله منك الذي يقول:

هذا غلام حسن وجهه ... مستقبل الخير سريع التمام

للحارث الأكبر والحارث ال ... أصغر والأعرج خير الأنام

ثم لهندٍ ولهندٍ فقد ... أسرع في الخيرات منهم إمام

خمسة آباءٍ وهم ما هم ... هم خير من يشرب صوب الغمام

فرددها حتى حفظها عبد الملك. فقال الأخطل: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا الشعبي. قال فقال: صدق والله يا أمير المؤمنين، النابغة والله أشعر مني. فقال الشعبي: ثم أقبل علي فقال: كيف أنت يا شعبي؟ قلت: بخير يا أمير المؤمنين فلا زلت به. ثم ذهبت لأضع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث؛ فقال: مه ! إنا لا نحتاج إلى هذا المنطق ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى تفارقنا. ثم أقبل علي فقال: ما تقول في النابغة؟ قال قلت: يا أمير المؤمنين، قد فضله عمر بن الخطاب في غير موطن على الشعراء أجمعين، وببابه وفد غطفان فقال: يا معشر غطفان، أي شعرائكم الذي يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانةً ... لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ولست بمستبقٍ أخاً لا تلمه ... على شعثٍ أي الرجال المهذب

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين. قال: فأيكم الذي يقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

خطاطيف جحن في حبالٍ متينةٍ ... تمد بها أيدٍ إليك نوازع

قالوا: النابغة. قال: فأيكم الذي يقول:

إلى ابن محرقٍ أعملت نفسي ... وراحلتي وقد هدت العيون

أتيتك عارياً خلقاً ثيابي ... على خوفٍ تظن بي الظنون

فألفيت الأمانة لم تخنها ... كذلك كان نوح لا يخون

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين. قال: هذا أشعر شعرائكم. قال: ثم أقبل على الأخطل فقال: أتحب أن لك قياضاً بشعرك شعر أحدٍ من العرب أو تحب أنك قلته؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، إلا أني وددت أن كنت قلت أبياتاً قالها رجل منا، كان والله ما علمت مغدف القناع قليل السماع قصير الذراع. قال: وما قال؟ فأنشد قصيدته:

إن محيوك فأسلم أيها الطلل ... وإن بليت وإن طالت بك الطيل

ليس الجديد به تبقى بشاشته ... إلا قليلاً ولا ذو خلةٍ يصل

والعيش لا عيش إلا ما تقر به ... عين ولا حال إلا سوف تنتقل

إن ترجعي من أبي عثمان منجحة ... فقد يهون على المستنجح العمل

والناس من يلق خيراً قائلون له ... ما يشتهي ولأم المخطئ الهبل

قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المتسعجل الزلل

حتى أتى على آخرها. قال الشعبي: فقلت: قد قال القطامي أفضل من هذا. قال: وما قال؟ قلت قال:

طرقت جنوب رحالنا من مطرق ... ما كنت أحسبها قريب المعنق

قطعت إليك بمثل جيد جدايةٍ ... حسنٍ معلق تومتيه مطوق

ومصرعين من الكلال كأنما ... شربوا الغبوق من الرحيق المعرق

متوسدين ذراع كل نجيبةٍ ... ومفرجٍ عرق المقذ منوق

وجثت على ركبٍ تهد بها الصفا ... وعلى كلاكل كالنقيل المطرق

وإذا سمعن إلى هماهم رفقة ... ومن النجوم غوابر لم تخفق

جعلت تميل خدودها آذانها ... طرباً بهن إلى حداء السوق

كالمنصتات إلى الغناء سمعنه ... من رائع لقلوبهن مشوق

وإذا نظرن إلى الطريق رأينه ... لهقاً كشاكلة الحصان الأبلق

وإذا تخلف بعدهن لحاجةٍ ... حادٍ يشسع نعله لم يلحق

وإذا يصيبك والحوادث جمة ... حدث حداك إلى أخيك الأوثق

لئن الهموم عن الفؤاد تفرقت ... وخلا التكلم للسان المطلق

قال: فقال عبد الملك: هذا والله أشعر، ثكلت القطامي أمه! قال: فالتفت إلي الأخطل فقال: يا شعبي، إن لك فنوناً في الأحاديث، وإنما لنا فن واحد؛ فإن رأيت ألا تحملني على أكتاف قومك فأدعهم حرضاً !. فقلت: لا

أعرض لك في شيء من الشعر أبداً، فأقلني في هذه المرة. قال: من يتكفل بك؟ قلت: أمير المؤمنين، فقال عبد الملك: هو علي ألا يعرض لك أبداً؛ ثم قال: يا شعبي، أي نساء الجاهلية أشعر؟ قلت: خنساء. قال: و لم فضلتها على غيرها؟ قلت: لقولها:

وقائلةٍ والنعش قد فات خطوها — لتدركه يا لهف نفسي على صخر

ألا ثكلت أم الذين غدوا به — إلى القبر! ماذا يحملون إلى القبر

فقال عبد الملك: أشعر منها والله التي تقول :

مهفهف الكشح والسربال منخرق — عنه القميص لسير الليل محتقر

لا يأمن الناس ممساه ومصبحه — في كل فجٍ وإن لم يغز ينتظر

ثم قال: يا شعبي، لعلك شق عليك ما سمعت. قلت: إي والله يا أمير المؤمنين أشد المشقة. إني أحدثك منذ شهرين أفدك إلا أبيات النابغة في الغلام. قال: يا شعبي، إنما أعلمتك هذا لأنه بلغني أن أهل العراق يتطاولون على أهل الشام، يقولون: إن كانوا غلبونا على الدولة فلم يغلبونا على العلم والرواية؛ وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق من أهل العراق؛ ثم رد علي الأبيات أبيات ليلى حتى حفظتها، و لم أزل عنده؛ فكنت أول داخل وآخر خارج. قال: فمكثت كذلك سنين ، وجعلني في ألفين من العطاء وعشرين رجلاً من ولدي وأهل بيتي في ألفين ألفين، فبعثني إلى أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر وكتب إليه: يا أخي، إني قد بعثت إليك الشعبي، فانظر هل رأيت مثله قط ؟! ثم أذن فانصرفت .

حديث حسان عنه حين وفد على النعمان: أخبرني الحسين بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني، وأخبرني ببعضه أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة عن أبي بكر الهذلي قال: قال حسان بن ثابت: قدمت على النعمان بن المنذر وقد امتدحته، فأتيت حاجبه عصام بن شهيرٍ فجلست إليه، فقال: إني لأرى عربياً، أفمن الحجاز أنت؟ قلت نعم. قال: فكن قحطانياً. فقلت: فأنا قحطاني. قال: يثربياً. قلت فأنا يثربي. قال: فكن خزرجياً. قلت: فأنا خزرجي. قال: فكن حسان بن ثابت. قلت: فأنا هو. قال: أجئت بمدحة الملك؟ قلت نعم. قال: فإني أرشدك: إذا دخلت إليه فإنه يسألك عن جبلة بن الأيهم ويسبه، فإياك أن تساعده على ذلك، ولكن أمر ذكره إمراراً لا توافق فيه ولا تخالف، وقل: ما دخول مثلي أيها الملك بينك وبين جبلة وهو منك وانت منه!. وإن دعاك إلى الطعام فلا تؤاكله، فإن أقسم عليك فأصب منه اليسير إصابة بارٍ قسمه متشرفٍ بمؤاكلته لا أكل جائعٍ سغبٍ، ولا تطل محادثته، ولا تبدأه بإخبار عن شيء حتى يكون هو السائل لك، ولا تطل الإقامة في مجلسه. فقلت: أحسن الله رفدك! قد أوصيت واعياً. ودخل ثم خرج إلي فقال لي: ادخل. فدخلت فسلمت وحييت تحية الملوك. فجاراني من أمر جبلة ما قاله عصام كأنه كان حاضراً، وأجبت بما أمرني، ثم استأذنته في الإنشاد فأذن لي فأنشدته. ثم دعا بالطعام، ففعلت ما أمرني عصام به، وبالشراب ففعلت

مثل ذلك. فأمر لي بجائزة سنية وخرجت. فقال لي عصام: بقيت علي واحدة لم أوصك بها، قد بلغني أن النابغة الذبياني قدم عليه، وإذا قدم فليس لأحد منه حظ سواه، فاستأذن حينئذٍ وانصرف مكرماً خير من أن تنصرف مجفواً، فأقمت ببابه شهراً. ثم قدم عليه الفزاريان وكان بينهما وبين النعمان دخلل أي خاصة وكان معهما النابغة قد استجار بهما وسألهما مسالة النعمان أن يرضى عنه. فضرب عليهما قبة من أدمٍ، و لم يشعر بأن النابغة معهما. ودس النابغة قينةً تغنيه بشعره:

يا دار مية بالعلياء فالسند

قلما سمع الشعر قال: أقسم بالله إنه لشعر النابغة! وسأل عنه فأخبر أنه مع الفزاريين، فكلماه فيه فأمنه .

وقال أبو زيد عمر بن شبة في خبره: لما صار معهما إلى النعمان كان يرسل إليهما بطيبٍ وألطاف مع قينة من إمائه، فكانا يأمرانها أن تبدأ بالنابغة قبلهما. فذكرت ذلك للنعمان، فعلم أنه النابغة. ثم ألقى عليها شعره هذا وسألها أن تغنيه به إذا أخذت فيه الخمر، ففعلت فأطربته، فقال: هذا شعر علوي ، هذا شعر النابغة !. قال: ثم خرج في غب سماء، فعارضه الفزاريان والنابغة بينهما قد خضبحناء فقنأ خضابه. فلما رآه النعمان قال: هي بدمٍ كانت أحرى أن تخضب. فقال الفزاريان: أبيت اللعن! لا تثريب ، قد أجرناه، والعفو أجمل. فأمنه واستنشد أشعاره. فعند ذلك قال حسان بن ثابت: فحسدته على ثلاث لا أدري أيتهن كنت له أشد حسداً: على إدناء النعمان له بعد المباعدة ومسامرته له وإصغائه إليه، أم على جودة شعره، أم على مائة بعيرٍ من عصافيره أمر له بها .

قال أبو عبيدة: قيل لأبي عمرو: أفمن مخافته امتدحه وأتاه بعد هربه منه أم لغير ذلك؟ فقال: لا لعمر الله ما لمخافته فعل، إن كان لآمناً من أن يوجه النعمان له جيشاً، وما كانت عشيرته لتسلمه لأول وهلة، ولكنه رغب في عطاياه وعصافيره. وكان النابغة يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب من عطايا النعمان وأبيه وجده، لا يستعمل غير ذلك. وقيل: إن السبب في رجوعه إلى النعمان بعد هربه منه أنه بلغه عليل لا يرجى، فأقلقه ذلك و لم يملك الصبر على البعد عنه مع علته وما خافه عليه وأشفق من حدوثه به، فصار إليه وألفاه محمولاً على سريره ينقل ما بين الغمر وقصور الحيرة. فقال لعصام بن شهبرٍ حاجبه فيما أخبرنا به اليزيد عن عمه عبيد الله وابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل: صوت:

ألم أقسم عليك لتخبرني	أمحمول على النعش الهمام
فإني لا ألومك في دخولي	ولكن ما وراءك يا عصام
فإن يهلك أبو قابوس يهلك	ربيع الناس والشهر الحرام
ونمسك بعده بذنابِ عيشٍ	أجب الظهر ليس له سنام

غناه حنين ثقيلاً أول بالبنصر عن حبش .

قال أبو عبيدة: كانت ملوك العرب إذا مرض أحدهم حملته الرجال على أكتافها يتعاقبونه، فيكون كذلك على أكتاف الرجال، لأنه عندهم أوطأ من الأرض .

وقوله:

فإني لا ألومك في دخولي

أي لا ألومك في ترك الإذن لي في الدخول، ولكن أخبرني بكنه أمره. وقوله:

ربيع الناس والشهر الحرام

يريد أنه كالربيع في الخصب لمجتديه، وكالشهر الحرام لجاره، لا يوصل إلى من أجاره كما لا يوصل في الشهر الحرام إلى أحد.

مما يغنى فيه من شعره:

رأيتك ترعاني بعينٍ بصيرةٍ وتبعث حراساً علي وناظرا

فآليت لا آتيك إن كنت مجرماً و لا أبتغي جاراً سواك مجاورا

وأهلي فداء لامرئ إن أتيته تقبل معروفي وسد المفاقرا

ألا أبلغ النعمان حيث لقيته وأهدي له الله الغيوث البواكرا

غناه خليد الوادي رملاً بالبنصر من رواية حبشٍ .

ومما يغنى فيه من قصائد النابغة التي يعتذر إلى النعمان: صوت:

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

وقفت فيها أصيلاناً أسائلها أعيت جواباً وما بالربع من أحدر

إلا الأواري لأياً ما أبينها والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد

ردت عليه أقاصيه ولبده ضرب الوليدة بالمسحاة في الثأد

خلت سبيل أتيٍ كان يحبسه ورفعته إلى السجفين فالنضد

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد

الغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لجميلة ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو وحبشٍ .

قال الأصمعي: قوله: يا دار مية، كما قال امرؤ القيس:

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي

يريد أهل الطلل. وقال الفراء: إنما نادى الدار لا أهلها أسفاً عليها وتشوقاً إلى أهلها وتمنيه أن تكون أهلاً.
والعلياء: المكان المرتفع بناؤه، يقال من ذلك علا يعلو وعلي يعلى، مثل حلا يحلو وحلي، وسلا يسلو وسلي يسلي. والسند: سند الجبل وهو ارتفاعه حيث يسند فيه أي يصعد. أقوت: أقفرت وخلت من أهلها. وقال أبو عبيدة في قوله يا دار مية ثم قال أقوت و لم يقل أقويت: إن من شان العرب أن يخاطبوا الشيء ثم يتركوه ويكفوا عنه .
وروى الأصمعي أصيلاناً وهو تصغير أصلان . ويروى عيت جواباً، أي عييت بالجواب. والأواري: جمع آري . ولأياً: بطئاً. والمظلومة: التي لم يكن فيها أثر فحفر أهلها فيها حوضاً، وظلمهم إياها إحداثهم فيها ما لم يكن فيها. شبه النؤى بذلك الحوض لاستدارته. والجلد: الرض الصلبة الغليظة من غير حجارة. وإنما جعلها جلداً لأن الحفر فيها لا يسهل. وقوله: ردت عليه أقاصيه، يعني أمةً فعلت ذلك، أضمرها و لم يكن جرى لها ذكر.
وأقاصيه: يعني أقاصي النؤي على أدناه ليرتفع. ولبده: طأمنه . والوليدة: الأمة الشابة. والثأد: الندى. والسبيل: الطريق. والأتي: النهر المحفور، والأتي: السيل من حيث كان. يقول: لما أفسدت طريق الأتي سهلت له طريقاً حتى جرى. ورفعته أي قدمت الحفر إلى موضع السجفين، وليس رفعته ها هنا من ارتفاع العلو .
والسجفان: ستران رقيقان يكونان في مقدم البيت. والنضد: ما نضد من المتاع. وأخنى: أفسد . ولبد: آخر نسور لقمان التي اختار أن يعمر مثل أعمارها، وله حديث ليس هذا موضعه .
صوت:

أسرت عليه من الجوزاء سارية ... تزجي الشمال عليه جامد البرد
فارتاع من صوت كلابٍ فبات له ... طوع الشوامت من خوفٍ ومن صرد
فبثهن عليه واستمر به ... صمع الكعوب بريات من الحرد
وكان ضمران منه حيث يوزعه ... طعن المعارك عند المحجر النجد
شك الفريصة بالمدرى فأنفذها ... طعن المبيطر إذ يشفى من العضد

غنى فيه إبراهيم الموصلي هزجاً بالبنصر من رواية عمرو بن بانة. وفيه لحن لمالك. يعني أن سحابة مرت عليه ليلاً وأن أنواء الجوزاء أسرت عليه بها. وتزجي: تسوق وتدفع. عليه أي على الثور . والكلاب: صاحب الكلاب.
وقوله: بات له طوع الشوامت، أي بات له ما يسر السوامت اللواتي شمتن به. وصمغ الكعوب: يعني قوائمه أنها لازقة محددة الأطراف ليست برهلاتٍ. وأصل الصمع رقة الشيء ولطافته. والحرد : داء يعيبه، يقال بعير أحرد، وناقة حرداء. والمحجر: الملجأ. والنجد : الشجاع. والفريصة: مرجع الكتف إلى الخاصرة والمدري: القرن.
والمبيطر: البيطار. والعضد: داء يأخذ في العضد .

وفي لحن إبراهيم الموصلي بعد: فارتاع من صوت كلابٍ:

كأن رحلي وقد زال النهار بنا يوم الجليل على مستأنسٍ وحد

من وحش وجرة موشيٍ أكارعه طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد

قال الأصمعي: زال النهار بنا أي انتصف. و بنا ها هنا في موضع علينا. ومن روى مستوجس فإنه يعني أنه قد أوجس شيئاً خافه فهو يستوجس. والجليل : الثمام، واحدته جليلة. ووجرة: طرف السي وهي فلاة بين مران وذات عرق وهي ستون ميلاً يجتمع فيها الوحش. وموشي أكارعه أي إنه أبيض في قوائمه نقط سود وفي وجهه سفعة . وطاوي المصير: ضامر. والمصير المعى، وجمعه المصران. والفرد: المنقطع القرين، يقال: فَرَد وفَرِد وفُرُد .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: غنى مخارق بين يدي الرشيد:

سرت عليه من الجوزاء سارية

فلما بلغ إلى قوله:

فارتاع من صوت كلابٍ فبات له

قال: فارتاعُ بضم العين، فأردت أن أرد عليه خطأه، ثم خفت أن يغضب الرشيد ويظن أني حسدته على منزلته منه وأردت إسقاطه. فالتفت إليه بعض من حضر أظنه قال محمد بن عمر الرومي فقال له: ويلك يا مخارق! أتغني بمثل هذا الخطأ القبيح لسوقةٍ فضلاً عن الملوك! ويلك! لو قلت: فارتاعَ، كان أخف على اللسان وأسهل من قولك: فارتاعُ. فخجل مخارق، وكفيت ما أردته بغيري. قال: وكان مخارق لحاناً .

ومنها: صوت:

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا ونصفه فقد

يحفه جانباً نيقٍ وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد

فحسبوه فألفوه كما حسبت تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزد

فكملت مائةً فيها حمامتها وأسرعت حسبةً في ذلك العدد

غناه ابن سريج خفيف ثقيلٍ عن الهشامي. هذا خبر روي عن زرقاء اليمامة ، ويروى عن بنت الخس .

أخذ معنى لزرقاء اليمامة: حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال سمعت أبا العباس محمد بن الحسن الأحول يقول: هذا أخذه النابغة من زرقاء اليمامة، وقالت:

ليت الحمام ليه ونصفه قديه

إلى حماميته تم الحمام ميه

فسلخه النابغة. وقال الأصمعي: سمعت أناساً من أهل البادية يتحدثون أن بنت الخس كانت قاعدةً في جوارٍ، فمر بها قطاً وارد في مضيقٍ من الجبل، فقالت:

يا ليت ذا القطا ليه ومثل نصف معيه

إلى قطاة أهليه إذاً لنا قطاً ميه

وأتبعت فعدت على الماء فإذا هي ست وستون. وقوله: فقد، أي فحسب. ويحفه أي يكون من ناحية هذا الثمد، يقال: حف القوم بالرجل أي اكتنفوه. والنيق: الجبل. ومثل الزجاجة: يريد عيناً صافية كصفاء الزجاجة .

الحسبة: الهيئة التي تحسب، ويقال: ما أحسن حسبته، مثل الجلسة واللبسة والركبة.

ومنها: صوت:

نبئت أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زأرٍ من الأسد

مهلاً فداء لك الأقوام كلهم وما أثمر من مالٍ ومن ولد

إن كنت قلت الذي بلغت معتمدا إذا فلا رفعت سوطي إلي يدي

هذا الثناء فإن تسمع به حسناً فلم أعرض أبيت اللعن بالصفد

غناه الهذلي، ولحنه من الثقيل الأول عن الهشامي. أثمر: أصلح وأجمع. والزأر: صياح الأسد، يقال: زأر زئيراً وهو الزأر. والصفد : العطية، يقال: أصفده بصفده إصفاداً إذا أعطاه، وصفده يصفده صفداً إذا أوثقه .

رواية أخرى في حديث حسان عنه حين وفد على النعمان:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني الصلت بن مسعود قال حدثنا أحمد بن شبويه عن سليمان بن صالح عن عبد الله بن المبارك عن فليح بن سليمان عن رجل قد سماه عن حسان بن ثابت، ونسخت من كتاب ابن أبي خيثمة عن أبيه عن مصعب الزبيري قال قال حسان بن ثابت، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي يوسف بن محمد عن عمه إسماعيل بن أبي محمد قال قال أبو عمرو الشيباني قال حسان بن ثابت وقد جمعت رواياتهم وذكرت اختلافهم فيها، وأكثر اللفظ للجوهري قال: خرجت إلى النعمان بن المنذر، فلقيت رجلاً وقال اليزيدي في خبره: فلقيت صائغاً من أهل فدك فلما رآني قال: كن يثربياً، فقلت: الأمر كذلك. قال: كن خزرجياً، قلت: أنا خزرجي. قال: كن نجارياً، قلت أنا نجاري. قال: كن حسان بن ثابت، قلت: أنا هو. فقال: أين تريد؟ قلت: إلى هذا الملك. قال: تريد أن أسددك إلى أين تذهب ومن تريد؟ قلت: نعم. قال: إن لي به علماً وخبراً. قلت: فأعلمني ذلك. قال: فإنك إذا جئته متروك شهراً قبل أن يرسل إليك عسى أن يسأل عنك رأس الشهر، ثم إنك متروك أخر بعد المسألة ثم عسى أن يؤذن لك. فإن أنت خلوت به وأعجبته فأنت مصيب منه خيراً، فأقم ما أقمت، فإن رأيت أبا أمامة فاظعن، فلا شيء لك عنده. قال:

فقدمت ففعل بي ما قال الرجل ثم أذن لي وأصبت منه مالاً كثيراً ونادمته وأكلت معه. فبينا أنا على ذلك وأنا معه في قبة له إذا رجل يرتجز حولها:

أصم أم يسمع رب القبه يا أوهب الناس لعنسٍ صلبه
ضرابةٍ بالمشفر الأذبه ذات هبابٍ في يديها جلبه
في لاحبٍ كأنه الأطبه

وفي رواية اليزيدي: في يديها خدبة ، أي طول واضطراب. والأطبة: جمع طباب وهو الشراك يجمع بين الأديمين في الخرز. وقال عمر بن شبة في خبره: قال فليح بن سليمان: أخذت هذا الرجز عن ابن دأب قال فقال: أليس بأبي أمامة؟ قالوا بلى. قال: فأذنوا له. ودخل فحياه وشرب معه. ثم وردت النعم السود، و لم يكن لأحد من العرب بعير أسود يعرف مكانه ولا يفتحل أحد بعيراً أسود غير النعمان. فاستأذنه في أن ينشده كلمته على الباء، فأذن له أن ينشد قصيدته التي يقول فيها:

فإنك شمس و الملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ووردت عليه مائة من الإبل السود الكلبية فيها رعاؤها وبيتها وكلبها، فقال: شأنك بها يا أبا أمامة، فهي لك بما فيها. قال حسان. فما أصابني حسد في موضع ما أصابني يومئذٍ، وما أدري أيما كنت أحسد له عليه: ألما أسمع من فضل شعره، أم ما أرى من جزيل عطائه، فجمعت جراميزي وركبت إلى بلادي. وقد روى الواقدي عن محمد بن صالح الخبر فذكر أن حسان قدم على جبلة بن أبي شمر، ولعله غلط. أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي يوسف قال حدثني عمي إسماعيل عن الواقدي عن محمد بن صالح قال: كان حسان بن ثابت يقدم على جبلة بن الأيهم سنةً ويقيم سنةً في أهله. فقال: لو وفدت على الحارث، فإن له قرابةً ورحمةً بصاحبي، وهو أبذل الناس لمعروف، وقد يئس مني أن أقدم عليه لما يعرف من انقطاعي إلى جبلة. فخرجت في السنة التي كنت أقيم فيها بالمدينة حتى قدمت على الحارث وقد هيأت مديحاً. فقال لي حاجبه وكان لي ناصحاً: إن الملك قد سر بقدومك عليه، وهو لا يدعك حتى تذكر جبلة فإياك أن تقع فيه فإنه يختبرك، فإنك إن وقعت فيه زهد فيك وإن ذكرت محاسنه ثقل عليه، فلا تبتدئ بذكره فإن سألك عنه فلا تطنب في الثناء عليه ولا تعبه، امسح ذكره مسحاً وجاوزه. وإنه سوف يدعوك إلى الطعام وهو يثقل عليه أن يؤكل طعامه أو يشرب شرابه، فلا تضع يدك في شيء حتى يدعوك إليه. فشكرت له ذلك. ثم دعاني فسألني عن البلاد والناس وعن عيشنا في الحجاز وكيف ما بيننا من الحرب، وكل ذلك أخبره، حتى انتهى إلى ذكر جبلة فقال: كيف تجد جبلة، فقد انقطعت إليه وتركتنا؟ فقلت له: إنما جبلة منك وأنت منه، فلم أجر معه في مدح ولا ذم، وفعلت في الطعام والشراب كما قال لي الحاجب. قال: ثم قال لي الحاجب: قد بلغني قدوم النابغة وهو صديقه وآنس به، وهو قبيح أن يجفوك بعد البر، فاستأذنه من الآن فهو أحسن. فاستأذنته فأذن لي وأمر لي بخمسمائة دينار وكساً وحملان ،

فقبضتها وانصرفت إلى أهلي .

صوت:

ملوك وإخوان إذا ما لقيتهم أحكم في أموالهم وأقرب

ولكنني كنت امرأً لي جانب من الأرض فيه مسترادٍ ومطلب

الغناء لإبراهيم ثقيل أول. الجانب هنا: المتسع من الأرض. والمسترادٍ: المختلف يذهب فيه ويجيء، ويقال: راد الرجل لأهله إذا خرج رائداً لهم في طلب الكلأ ونحوه. ثم ذكر مستراده فقال: ملوك وإخوان .

ومن القصيدة العينية: صوت:

عفا ذو حساً من قرتنا فالفوارع فجنبا أريكٍ فالتلاع الدوافع

فمجتمع الأشراج غير رسمها مصايف مرت بعدنا ومرابع

توهمت آياتٍ لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام سابع

رماد ككحل العين ما إن أبينه ونؤي كجذم الحوض أثلم خاشع

غناه معبد من رواية حبشٍ رملاً بالبنصر .

صوت:

آذنتنا ببينها أسماء رب ثاوٍ يمل منه الثواء

بعد عهدٍ لها ببرقة شما ء فأدنى ديارها الخلصاء

عروضه من الخفيف. آذنتنا: أعلمتنا. والبين: الفرقة. والثاوي: المقيم، يقال ثوى ثواءً. والبرقة: أرض ذات رمل وطين. وشماء والخلصاء: موضعان. الشعر للحارث بن حلزة اليشكري. والغناء لمعبد، ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، ومن الناس من ينسبه إلى حنين .

أخبار الحارث بن حلزة ونسبه

نسب الحارث بن حلزة: هو الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد بن عبد الله بن مالك بن عبد بن سعد بن جشم بن عاصم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي ابن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

السبب في قول قصيدته المعلقة: قال أبو عمرو الشيباني: كان من خبر هذه القصيدة والسبب الذي دعا الحارث إلى قولها أن عمرو بن هند الملك، وكان جباراً عظيم الشأن والملك، لما جمع بكراً وتغلب ابني وائل وأصلح بينهم، أخذ من الحيين رهناً من كل حي مائة غلام ليكف بعضهم عن بعض، فكان أولئك الرهن يكونون معه في مسيره ويغزون معه، فأصابتهم سموم في بعض مسيرهم فهلك عامة التغلبيين وسلم البكريون. فقالت تغلب

لبكر: أعطونا ديات أبنائنا، فإن ذلك لكم لازم، فأبت بكر بن وائل. فاجتمعت تغلب إلى عمرو بن كلثوم وأخبروه بالقصة. فقال عمرو بن كلثوم لتغلب: بمن ترون بكراً تعصب أمرها اليوم؟ قالوا: بمن عسى إلا برجل من أولاد ثعلبة. قال عمرو : أرى والله الأمر سينجلي عن أحمر أصلج أصم من بني يشكر. فجاءت بكر بالنعمان بن هرمٍ أحد بني ثعلبة بن غنم بن يشكر، وجاءت تغلب بعمرو بن كلثوم. فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنعمان بن هرم: يا أصم! جاءت بك أولاد ثعلبة تناضل عنهم وهم يفخرون عليك !. فقال النعمان: وعلى من أظلت السماء كلها يفخرون ثم لا ينكر ذلك. فقال عمرو بن كلثوم له: أما والله لو لطمتك لطمةً ما أخذوا لك بها. فقال له النعمان: والله لو فعلت ما أفلت بها قيس أير أبيك. فغضب عمرو بن هند وكان يؤثر بني تغلب على بكر، فقال: يا جارية أعطيه لحياً بلسان أنثى أي سبيه بلسانك . فقال: أيها الملك أعط ذلك أحب أهلك إليك. فقال: يا نعمان أيسرك أني أبوك؟ قال: لا! ولكن وددت أنك أمي فغضب عمرو بن هند غضباً شديداً حتى هم بالنعمان. وقام الحارث بن حلزة فارتجل قصيدته هذه ارتجالاً، توكأ على قوسه وأنشدها وانتظم كفه وهو لا يشعر من الغضب حتى فرغ منها. قال ابن الكلبي: أنشد الحارث عمرو بن هند هذه القصيدة وكان به وضح ، فقيل لعمرو بن هند: إن به وضحاً، فأمر أن يجعل بينه وبينه ستر. فلما تكلم أعجب بمنطقه، فلم يزل عمرو يقول: أدنوه أدنوه حتى أمر بطرح الستر وأقعده قريباً منه لإعجابه به. هذه رواية أبي عمرو. وذكر الأصمعي نحواً من ذلك وقال: أخذ منهم ثمانين غلاماً من كل حي وأصلح بينهم بذي المجاز ، وذكر أن الغلمان من بني تغلب كانوا معه في حرب فأصيبوا. وقال في خبره: إن الحارث بن حلزة لما ارتجل هذه القصيدة بين يدي عمرو قام عمرو بن كلثوم فارتجل قصيدته:

قفي قبل التفرق يا ظعينا

وغير الأصمعي ينكر ذلك وينكر أنه السبب في قول عمرو بن كلثوم .

وذكر ابن الكلبي عن أبيه أن الصلح كان بين بكر وتغلب عند المنذر بن ماء السماء، وكان قد شرط: أي رجلٍ وجد قتيلاً في دار قومٍ فهم ضامنون لدمه، وإن وجد بين محلتين قيس ما بينهما فينظر أقربهما إليه فتضمن ذلك القتيل. وكان الذي ولي ذلك واحتمى لبني تغلب قيس ابن شراحيل بن مرةً بن همام. ثم إن المنذر أخذ من الحيين أشرافهم وأعلامهم فبعث بهم إلى مكة، فشرط بعضهم على بعض وتواثقوا على ألا يبقي على ألا يبقي واحد منهم لصاحبه غائلةً ولا يطلبه بشيء مما كان من الآخر من الدماء. وبعث المنذر معهم رجلاً من بني تميم يقال له الغلاق. وفي ذلك يقول الحارث بن حلزة:

فهلا سعيت لصلح الصديق ... كصلح ابن مارية الأقصم

وقيس تدارك بكر العراق ... وتغلب من شرها الأعظم

وبيت شراحيل في وائلٍ ... مكان الثريا من الأنجم

فأصلح ما أفسدوا بينهم كذلك فعل الفتى الأكرم

ابن مارية هو قيس بن شراحيل. ومارية أمه بنت الصباح بن شيبان من بني هند فلبثوا كذلك ما شاء الله، وقد أخذ المنذر من الفريقين رهناً بأحداثهم، فمتى التوى أحد منهم بحق صاحبه أقاد من الرهن. فسرح النعمان بن المنذر ركباً من بني تغلب إلى جبل طيئ في أمر من أمره، فنزلوا بالطرفة وهي لبني شيبان وتيم اللات. فذكروا أنهم أجلوهم عن الماء وحملوهم على المفازة، فمات القوم عطشاً. فلما بلغ ذلك بني تغلب غضبوا وأتوا عمرو بن هند فاستعدوه على بكر، وقالوا: غدرتم ونقضتم العهد وانتهكتم الحرمة وسفكتم الدماء وقالت بكر: أنتم الذين فعلتم ذلك، قذفتمونا بالعضيهة وسمعتم الناس بها، وهتكتم الحجاب والستر بادعائكم الباطل علينا قد سقيناهم إذ وردوا، وحملناهم على الطريق إذ خرجوا، فهل علينا إذ حار القوم وضلوا !. ويصدق ذلك قول الحارث بن حلزة:

لم يغروكم غروراً ولكن يرفع الآل جرمهم والضحاء

كان أبو عمرو الشيباني يعجب لارتجاله معلقته في موقف واحد، وشرح أبيات منها: وقال يعقوب بن السكيت: كان أبو عمرو الشيباني يعجب لارتجال الحارث هذه القصيدة في موقف واحد ويقول: لو قالها في حول لم يلم. قال: وقد جمع فيها ذكر عدةٍ من أيام العرب عير ببعضها بني تغلب تصريحاً، وعرض ببعضها لعمرو بن هند، فمن ذلك قوله:

أعلينا جناح كندة أن يغ نم غازيها ومنا الجزاء

قال: وكانت كندة قد كسرت الخراج على الملك، فبعث إليهم رجالاً من بني تغلب يطالبونهم بذلك، فقتلوا و لم يدرك ثأرهم، فعيرهم بذلك. هكذا ذكر الأصمعي. وذكر غيره أن كندة غزتهم فقتلت وسبت واستاقت، فلم يكن في ذلك منهم شيء ولا أدركوا ثأراً. قال: وهكذا البيت الذي يليه وهو:

أم علينا جرى قضاعة أم لي س علينا فيما جنوا أنداء

فإن عيره بأن قضاعة كانت غزت تغلب ففعلت بهم فعل كندة، و لم يكن منهم في ذلك شيءٍ ولا أدركوا منهم ثاراً. قال: وقوله:

أم علينا جرى حنيفة أم ما جمعت من محاربٍ غبراء

قال: وكانت حنيفة محالفةً لتغلب على بكر، فأذكر الحارث عمرو بن هند بهذا البيت قتل شمر بن عمرو الحنفي أحد بني سحيم المنذر بن ماء السماء غيلةً لما حارب الحارث بن جبلة الغساني، وبعث الحارث إلى المنذر بمائة غلام تحت لواء شمر هذا يسأله الأمان على أن يخرج له عن ملكه ويكون من قبله، فركن المنذر إلى ذلك وأقام الغلمان معه، فاغتاله شمر بن عمرو الحنفي فقتله غيلةً، وتفرق من كان مع المنذر، وانتهبوا عسكره. فحرضه بذلك على حلفاء بني تغلب بني حنيفة. قال وقوله:

وثمانون من تميمٍ بأيدي هم رماح صدورهن القضاء

يعني عمراً أحد بني سعد بن زيد مناة، خرج في ثمانين رجلاً من تميم فأغار على قوم من بني قطنٍ من تغلب يقال لهم بنو رزاحٍ كانوا يسكنون أرضاً تعرف بنطاع قريبةً من البحرين، فقتل فيهم وأخذ أموالاً كثيرة، فلم يدرك منه بثأر. قال: وقوله:

ثم خيل من بعد ذاك مع الغلاق ولا رأفة ولا إبقاء

قال: الغلاق صاحب هجائن النعمان بن المنذر، وكان من بني حنظلة بن زيد مناة تميمياً .

وكان عمرو بن هند دعا بني تغلب بعد قتل المنذر إلى الطلب بثأره من غسان، فامتنعوا وقالوا: لا نطيع أحداً من بني المنذر أبداً! أيظن ابن هند أنا له رعاء !. فغضب عمرو بن هند وجمع جموعاً كثيرة من العرب، فلما اجتمعت آلى ألا يغزو قبل تغلب أحداً، فغزاهم فقتل منهم قوماً، ثم استعطفه من معه لهم واستوهبوه جريرتهم، فأمسك عن بقيتهم، وطلت دماء القتلى. فذلك قول الحارث:

من أصابوا من تغلبي فمطلو ل عليه إذا تولى العفاء

ثم اعتد على عمرو بحسن بلاء بكرٍ عنده فقال:

من لنا عنده من الخير آيا ت ثلاث في كلهن القضاء

آية شارق الشقيقة إذ جا ءوا جميعاً لكل حيٍ لواء

حول قيسٍ مستلئمين بكبشٍ قرظي كأنه عبلاء

فرددناهم بضرب كما يخ رج من خربة المزاد الماء

ثم حجراً أعني ابن أم قطامٍ وله فارسية خضراء

أسد في اللقاء ذو أشبالٍ وربيع إن شنعت غبراء

فرددناهم بطعن كما تن هز في جمة الطوي الدلاء

وفككنا غل امرئ القيس عنه بعدما طال حبسه والعناء

وأقدناه رب غسان بالمن ذر كرهاً وما تكال الدماء

وفديناهم بتسعة أملا كٍ كرامٍ أسلابهم أغلاء

ومع الجون جون آل بني الأو س عنود كأنها دفواء

يعني بهذه الأيام أياماً كانت كلها لبكر مع المنذر، فمنها يوم الشقيقة وهم قوم شيبان جاءوا مع قيس بن معد يكرب ومعه جمع عظيم من أهل اليمن يغيرون على إبل لعمرو بن هند، فردهم بنو يشكر وقتلوا فيهم، و لم

يوصل إلى شيء من إبل عمرو بن هند. ومنها يوم غزا حجر الكندي، وهو حجر بن أم قطام، امرأ القيس وهو ماء السماء بن المنذر، لقيه ومع حجر جمع كثير من كندة، وكانت بكر مع امرئ القيس، فخرجت إلى حجر فردته وقتلت جنوده. وقوله:

ففككنا غل امرئ القيس عنه

وكانت غسان أسرته يوم قتل المنذر أبيه، فأغارت بكر بن وائل على بعض بوادي الشام فقتلوا ملكاً من ملوك غسان واستنقذوا امرأ القيس بن المنذر، وأخذ عمرو بن هند بنتاً لذلك الملك يقال لها ميسون. وقوله: وفديناهم بتسعة ...، يعني بني حجر آكل المرار. وكان المنذر وجه خيلاً من بكر في طلب بني حجر، فظفرت بهم بكر بن وائل فأتوا المنذر بهم وهم تسعة، فأمر بذبحهم في ظاهر الحيرة فذبحوا بمكان يقال له جفر الأملاك. قال: والجون جون آل بني الأوس: ملك من ملوك كندة وهو ابن عم قيس بن معد يكرب. وكان الجون جاء ليمنع بني آكل المرار ومعه كتيبة خشناء، فحاربته بكر فهزموه، وأخذوا بني الجون إلى المنذر فقتلهم .

قال: فلما فرغ الحارث من هذه القصيدة حكم عمرو بن هند أنه لا يلزم بكر بن وائل ما حدث على رهائن تغلب، فتفرقوا على هذه الحال. ثم لم يزل في نفسه من ذلك شيء حتى هم باستخدام أم عمرو بن كلثوم تعرضاً لهم وإذلالاً، فقتله عمرو بن كلثوم. وخبره يذكر هناك .

قصيدة له دالية: قال يعقوب بن السكيت أنشدني النضر بن شميل للحارث بن حلزة وكان يستحسنها ويستجيدها ويقول: لله درة ما أشعره: صوت:

من حاكم بيني وبي ... ن الدهر مال علي عمدا

أودى بسادتنا وقد ... تركوا لنا حلقاً وجردا

خيلي وفارسها وربّ أبيك كان أعز فقدا

فلو أن ما يأوي إلي أصاب من ثهلان هدا

فضعي قناعك إن ري ... ب الدهر قد أفنى معدا

فلكم رأيت معاشراً ... قد جمعوا مالاً وولدا

وهم زباب حائر ... لا تسمع الآذان رعدا

فعش بجد لا يضر ... ك النوك ما لاقيت جدا

والعيش خير في ظلا ... ل النوك ممن عاش كذا

في البيت الأول من القصيدة والبيتين الأخيرين خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى لعبد الله بن العباس الربيعي، ومن الناس من ينسبه إلى بابويه .

صوت:

ألا هبي بصحنك فأصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

مشعشعة كأن الحص فيها إذا ما الماء خالطها سخينا

عروضه من الوافر. الشعر لعمر بن كلثوم التغلبي. والغناء لإسحاق ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى من روايته. وفيه لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

نسب عمر بن كلثوم وخبره

نسب عمر بن كلثوم من قبل أبويه: هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو ابن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان. وأم عمرو بن كلثوم ليلى بنت مهلهل أخي كليب، وأمها بنت بعج بن عتبة بن سعد بن زهير .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني العكلي عن العباس بن هشام عن أبيه عن خراش بن إسماعيل عن رجل من بني تغلب ثم من بني عتاب قال: سمعت الأخذر وكان نسابة يقول: لما تزوج مهلهل بنت بعج بن عتبة أهديت إليه، فولدت له ليلى بنت مهلهل. فقال مهلهل لامرأته هند: اقتليها. فأمرت خادماً لها أن تغيبها عنها. فلما نام هتف هاتف يقول:

كم من فتى يؤمل وسيد شمردل

وعدةٍ لا تجهل في بطن بنت مهلهل

واستيقظ فقال: يا هند أين بنتي؟ قالت: قتلتها. قال: كلا وإله ربيعة! فكان أول من حلف بها فاصدقيني، فأخبرته. فقال: أحسني غداءها. فتزوجها كلثوم بن مالك بن عتاب. فلما حملت بعمرو بم كلثوم قالت: إنه أتاني آتٍ في المنام فقال:

يا لك ليلى من ولد يقدم إقدام الأسد

من جشمٍ فيه العدد أقول قيلاً لا قند

فولدت غلاماً فسمته عمراً. فلما أتت عليه سنة قالت أتاني ذلك الآتي في الليل أعرفه، فأشار إلى الصبي وقال:

إني زعيم لك أم عمرو بماجد الجد كريم النجر

أشجع من ذي لبدٍ هزبر وقاص أقرانٍ شديد الأسر

يسودهم في خمسةٍ وعشر

قال الأخذر: فكان كما قال ساد وهو ابن خمسة عشر، ومات وله مائة وخمسون سنة .

قصة قتله لعمرو بن هند: قال أبو عمرو حدثني أسد بن عمرو الحنفي وكرد بن السمعي وغيرهما، وقال ابن الكلبي حدثني أبي وشرقي بن القطامي، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة: أن عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائه: هل تعلمون أحداً من العرب تأنف أمه من خدمة أمي؟ فقالوا: نعم! أم عمرو بن كلثوم. قال: و لم؟ قالوا: لأن أباها مهلهل بن ربيعة، وعمها كليب وائل أعز العرب، وبعلها كلثوم بن مالك أفرس العرب، وابنها عمرو وهو سيد قومه. فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله أن يزير أمه أمه. فأقبل عمرو من الجزيرة إلى الحيرة في جماعة من بني تغلب. وأمر عمرو بن هند برواقه فضرب فيما بين الحيرة والفرات، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا في وجوه بني تغلب ؟. فدخل عمرو بن كلثوم على عمر بن هند في رواقه، ودخلت ليلى وهند في قبة من جانب الرواق. وكانت هند عمة امرئ القيس بن حجر الشاعر، وكانت أم ليلى بنت مهلهل بنت أخي فاطمة بنت ربيعة التي هي أم امرئ القيس، وبينهما هذا النسب. وقد كان عمرو بن هند أمر أمه أن تنحي الخدم إذا دعا بالطرف وتستخدم ليلى. فدعا عمرو بمائدةٍ ثم دعا بالطرف. فقالت هند: ناوليني يا ليلى ذلك الطبق. فقالت ليلى: لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها. فأعادت عليها وألحت. فصاحت ليلى: واذلاه! يا لتغلب! فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه، ونظر إلى عمر بن هند فعرف الشر في وجهه، فوثب عمرو بن كلثوم إلى سيفٍ لعمرو بن هند معلقٍ بالرواق ليس هناك سيف غيره، فضرب به رأس عمرو بن هند، ونادى في بني تغلب، فانتهبوا ما في الرواق وساقوا نجائبه، وساروا نحو الجزيرة. ففي ذلك يقول عمرو بن كلثوم:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا

تعظيم تغلب بقصيدته المعلقة: وكان قام بها خطيباً بسوق عكاظ وقام بها في موسم مكة. وبنو تغلب تعظمها جداً ويرويها صغارهم وكبارهم، حتى هجوا بذلك؛ قال بعض شعراء بكر بن وائل:

ألهى بني تغلبٍ عن كل مكرمةٍ قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يروونها أبداً مذ كان أولهم يا للرجال لشعرٍ غير مسؤوم

فخر شعراء تغلب بقتله عمرو بن هند: وقال الفرزدق يرد على جرير في هجائه الأخطل:

ما ضر تغلب وائلٍ أهجوتها أم بلت حيث تناطح البحران

قوم هم قتلوا ابن هندٍ عنوةً عمراً وهم قسطوا على النعمان

وقال أفنون صريم التغلبي يفخر بفعل عمرو بن كلثوم في قصيدةٍ له:

لعمرك ما عمرو بن هندٍ وقد دعا لتخدم ليلى أمه بموفق

فقام ابن كلثومٍ إلى السيف مصلتاً فأمسك من ندمائه بالمخنق

وجلله عمرو على الرأس ضربةً بذي شطبٍ صافي الحديدة رونق

قال: وكان لعمرو أخ له مرة بن كلثوم، فقتل المنذر بن النعمان وأخاه. وإياه عنى الأخطل بقوله لجرير:

أبني كليبٍ إن عمي اللذا قتلا الملوك وفككا الأغلالا

وكان لعمرو بن كلثوم ابن يقال له عباد، وهو قاتل بشر بن عمرو بن عدس. ولعمرو بن كلثوم عقب باق، ومنهم كلثوم بن عمرو العتابي الشاعر صاحب الرسائل .

أغار على بني تميم ثم انتهى إلى بني حنيفة فأسره يزيد بن عمرو ثم أطلقه فمدحه: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن الأحول عن ابن الأعرابي قال: أغار عمرو بن كلثوم التغلبي على بني تميم ثم مر من غزوه ذلك على حي من بني قيس بن ثعلبة، فملأ يديه منهم وأصاب أسارى وسبايا؛ وكان فيمن أصاب أحمد بن جندل السعدي، ثم انتهى إلى بني حنيفة باليمامة وفيهم أناس من عجل، فسمع به أهل حجر ؛ فكان أول من أتاه من بني حنيفة بنو سحيم عليهم يزيد بن عمرو بن شمر. فلما رآهم عمرو بن كلثوم ارتجز فقال:

من عاذ مني بعدها فلا اجتبر ولا سقى الماء ولا أرعى الشجر

بنو لجيمٍ وجعاسيس مضر بجانب الدو يدهدون العكر

فانتهى إليه يزيد بن عمرو فطعنه فصرعه عن فرسه وأسره. وكان يزيد شديداً جسيماً، فشده في القد وقال له: أنت الذي تقول:

متى تعقد قرينتنا بحبلٍ تجد الحبل أو تقص القرينا

أما إني سأقرنك إلى ناقتي هذه فأطردكما جميعاً. فنادى عمرو بن كلثوم: يل لربيعة! أمثلة !. قال: فاجتمعت بنو لجيم فنهوه و لم يكن يريد ذلك به. فسار به حتى أتى قصراً بحجرٍ من قصورهم، وضرب عليه قبة ونحر له وكساه وحمله على نجيبه وسقاه الخمر. فلما أخذت برأسه تغنى:

أأجمع صحبتي السحر ارتحالاً ولم أشعر ببينٍ منك هالا

ولم أر مثل هالة في معدٍ أشبه حسنها إلا الهلالا

ألا أبلغ بني جشم بن بكرٍ وتغلب كلما أتيا حلالا

بأن الماجد القرم ابن عمرٍو غداة نطاع قد صدق القتالا

كتيبته ململمة رداح إذا يرمونها تفني النبالا

جزى الله الأغر يزيد خيراً ولقاه المسرة والجمالا
بمأخذه ابن كلثوم بن عمرٍو يزيد الخير نازله نزالا
بجمعٍ من بني قران صيدٍ يجيلون الطعان إذا أجالا
يزيد يقدم السفراء حتى يروي صدرها الأسل النهالا

حواره مع عمرو بن أبي حجر الغساني حين مر ببني تغلب فلم يكرموه: أخبرني علي بن سليمان قال أخبرنا الأحول عن ابن الأعرابي قال: زعموا أن بني تغلب حاربوا المنذر بن ماء السماء فلحقوا بالشام خوفاً منه. فمر بهم عمرو بن أبي حجر الغساني، فتلقاه عمرو بن كلثوم. فقال له: يا عمرو، ما منع قومك أن يتلقوني ؟! فقال له: يا عمرو يا خير الفتيان، فإن قومي لم يستيقظوا لحربٍ قط إلا علا فيها أمرهم واشتد شأنهم ومنعوا ما وراء ظهورهم. فقال له: أيقاظ نومةٍ ليس فيها حلم، أجتث فيها أصولهم، وأنفى فلهم إلى اليابس الجرد، والنازح الثمد. فانصرف عمرو بن كلثوم وهو يقول:

ألا فاعلم أبيت اللعن أنا على عمدٍ سناتي ما نريد
تعلم لأن محملنا ثقيل وأن زناد كبتنا شديد
وأنا ليس حي من معدٍ يوازينا إذا لبس الحديد

هجاؤه للنعمان بن المنذر: قال: وقال ابن الأعرابي: بلغ عمرو بن كلثومٍ أن النعمان بن المنذر يتوعده، فدعا كاتباً من العرب فكتب إليه:

ألا أبلغ النعمان عني رسالةً فمدحك حولي وذمك قارح
متى تلقني في تغلب ابنة وائلٍ وأشياعها ترقى إليك المسالح

وهجا النعمان بن المنذر هجاءً كثيراً، منه قوله يعيره بأمه سليمى:

حلت سليمى بخبتٍ بعد فرتاج وقد تكون قديماً في بني ناج
إذ لا ترجي سليمى أن يكون لها من بالخورنق من قينٍ ونساج
ولا يكون على أبوابها حرس كما تلفف قبطي بديباج
تمشي بعدلين من لؤمٍ ومنقصةٍ مشي المقيد في الينبوت والحاج

قال وقال في النعمان:

لحا الله أدنانا إلى اللؤم زلفة وألامنا خالاً وأعجزنا أبا

وأجدرنا أن ينفخ الكير خاله يصوغ القروط والشنوف بيثربا

وفاته ونصيحته لبنيه: أخبرني الحسين بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني علي بن المغيرة عن ابن الكلبي عن رجل من النمر بن قاسط قال: لما حضرت عمرو بن كلثومٍ الوفاة وقد أتت عليه خمسون ومائة سنة، جمع بنيه فقال: يا بني، قد بلغت من العمر ما لم يبلغه أحد من آبائي، ولا بد أن يترل بي ما نزل بهم من الموت. وإني والله ما عيرت أحداً بشيء إلا عيرت بمثله، إن كان حقاً فحقاً، وإن كان باطلاً فباطلاً. ومن سب سب؛ فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لكم، وأحسنوا جواركم يحسن ثناؤكم، وامنعوا من ضيم الغريب؛ فرب رجلٍ خير من ألف، ورد خير من خلف. وإذا حدثتم فعوا، وإذا حدثتم فأوجزوا؛ فإن مع الإكثار تكون الأهذار . وأشجع القوم العطوف بعد الكر، كما أن أكرم المنايا القتل. ولا خير فيمن لا روية له عند الغضب، ولا من إذا عوتب لم يعتب . ومن الناس من لا يرجى خيره، ولا يخاف شره؛ فبكؤه خير من دره، وعقوقه خير من بره. ولا تتزوجوا في حيكم فإنه يؤدي إلى قبيح البغض .

صوت:

لمن الديار ببرقة الروحان إذ لا نبيع زماننا بزمان

صدع الغواني إذ رمين فؤاده صدع الزجاجة ما لذاك تداني

إن زرت أهلك لم أنول حاجةً وإذا هجرتك شفني هجراني

الشعر لجرير يهجو الأخطل ويرد عليه حكومته التي حكم بها للفرزدق عليه. والغناء، فيما ذكره علي بن يحيى المنجم في كتابه الذي لقبه بالمحدث، لمعبدٍ ثقيل أول بالوسطى، وذكر الهشامي أنه لحنين، قال ويقال: إنه لمعبد. وفيه ليزيد حوراء لحن ذكره عبد الملك بن موسى عنه، وقال: لا أدري أهو الثقيل الأول أم خفيف الرمل. وذكر حبش أن الثقيل الأول للغريض وأن خفيف الرمل بالبنصر للدلال .

ذكر سبب تصال الهجاء بين جرير والأخطل

سبب التهاجي بين جرير والأخطل: أخبرني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدي قالا حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة وعن أبي غسان دماذٍ عن أبي عبيدة، وأخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أبو ذكوان القاسم بن إسماعيل قال حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة، وأخبرنا الصولي عن إبراهيم بن المعلى الباهلي عن الطوسي عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني، وقد جمعت رواياتهم. قال أبو عبيدة حدثني عامر بن مالك المسمعي قال: كان الذي هاج التهاجي بين جريرٍ والأخطل أنه لما بلغ الأخطل تهاجي جرير والفرزدق قال لابنه مالكٍ وهو أكبر ولده وبه كان يكنى: انحدر إلى العراق حتى تسمع منهما وتأتيني بخبرهما. فانحدر مالك حتى لقيهما وسمع منهما ثم اتى أباه. فقال له: كيف وجدتهما؟ قال: وجدت جريراً يغرف من بحر،

ووجدت الفرزدق ينحت من صخر. فقال الأخطل: الذي يغرف من بحرٍ أشعرهما؛ وقال يفضل جرير على الفرزدق:

إني قضيت قضاءً غير ذي جنفٍ لما سمعت ولما جاءني الخبر

أن الفرزدق قد شالت نعامته وعضه حية من قومه ذكر

وفي رواية ابن الأعرابي: قد سال الفرات به. قال أبو عبيدة: ثم إن بشر بن مروان دخل الكوفة، فقدم عليه الأخطل، فبعث إليه محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة بألف درهم وكسوة وبغلة وخمر، وقال له: لا تعن على شاعرنا، واهج هذا الكلب الذي يهجو بني دارم؛ فإنك قد قضيت على صاحبنا، فقل أبياتاً واقض لصاحبنا عليه. فقال الأخطل:

أجرير إنك والذي تسمو له كأسيفةٍ فخرت بحدج حصان

عملت لربتها فلما عوليت نسلت تعارضها مع الركبان

أتعد مأثرةً لغيرك فخرها وثناؤها في سالف الأزمان

تاج الملوك وفخرهم في دارمٍ أيام يربوع مع الرعيان

وهي طويلة يقول فيها:

فاخسأ إليك كليب إن مجاشعاً وابا الفوارس نهشلاً أخوان

سبقوا أباك بكل أعلى تلعةٍ في المجد عند مواقف الركبان

قوم إذا خطرت عليك فرومهم ألقتك بين كلاكلٍ وجران

وإذا وضعت أباك في ميزانهم رجحوا وشال أبوك في الميزان

وقال جرير يرد حكومة الأخطل:

لمن الديار ببرقة الروحان إذ لا نبيع زماننا بزمان

وهي طويلة يقول فيها:

يا ذا الغباوة إن بشراً قد قضى ألا تجوز حكومة النشوان

فدعوا الحكومة لستم من أهلها إن الحكومة في بني شيبان

قتلوا كليبكم بلقحة جارهم يا خزر تغلب لستم بهجان

قصيدة للأخطل وشرح بعض كلماتها: ومما غني فيه من نقائض جرير والأخطل: صوت:

أناخوا فجروا شاصياتٍ كأنها رجال من السودان لم يتسربلوا
فقلت أصبحوني لا أبا لأبيكم وما وضعوا الأثقال إلا ليفعلوا
تمر بها الأيدي سنيحاً وبارحاً وترفع باللهم حي وتنزل

الشاصيات: الشائلات القوائم من امتلائها. وعنى بالشاصيات ها هنا الزقاق، لأنها إذا امتلأت شالت أكارعها؛ يقال شصا برجله إذا رفعها، وشصا ببصره إذا شخص؛ قال الراجز يصف الشاخص:

وبقرٍ خماص ينظرن من خصاص
بأعين شواصي كفلق الرصاص

والسانح والسنيح: ما جاء عن يمينك يريد شمالك. والبارح: ما جاء عن شمالك يريد يمينك. والجابه ما جاء من أمامك مواجهاً لك. والقعيد والخفيف: ما جاء من ورائك. شبه دور الكأس واختلافها بينهم بالسوانح والبوارح .

الشعر للأخطل. والغناء لمالك، فيه لحنان كلاهما له، أحدهما رمل بالبنصر في مجراها في الأبيات الثلاثة على الولاء من رواية إسحاق، والآخر خفيف رملٍ بالوسطى في الثالث ثم الأول والثاني عن عمرو. وذكر عمرو أن الرمل أيضاً لابن سريج وأنه بالوسطى. وفيه لإبراهيم رمل بالبنصر في الأول والثاني عن الهشامي وعمرو. وفيه لابن محرز خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر عن عمرو والهشامي. ومنها: صوت:

خف القطين فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهم نوى في صرفها غير
كأنني شارب يوم استبد بهم من قرقفٍ ضمنتها حمص أو جدر
جادت بها ذوات القار مترعة كلفاء ينحت من خرطومها المدر
يا قاتل الله وصل الغانيات إذا أيقن أنك ممن قد زها الكبر
أعرضن لما حنى قوسي موترها وابيض بعد سواد اللمة الشعر

استبد بهم أي علي عليهم. والقرقف: التي تأخذ شاربها رعدة لشدتها. والكلفاء: الخابية في لونها كلف وقوله: زها الكبر، يعني استخفه وأضعفه؛ يقال: زهاه وازدهاه. وقال أبو عبيدة: الأصل في زهاه رفعه؛ فكأنه أراد أنه رفعه في علو سنه عما يردن منه. واللمة: الشعر المجتمع .

الشعر للأخطل يمدح عبد الملك بن مروان ويهجو قيساً وبني كليب ويقول فيها:

أما كليب بن يربوعٍ فليس لها عند التفاخر إيراد ولا صدر
مخلفون ويقضي الناس أمرهم وهم بغيبٍ وفي عمياء ما شعروا
ملطمون بأعقار الحياض فما ينفك من دارمي فيهم أثر

بئس الصحاة وبئس الشراب شربهم إذا جرى فيهم المزاء والسكر
قوم تناهت إليهم كل مخزيةٍ وكل فاحشةٍ سبت بها مضر
الآكلون خبيث الزاد وحدهم والسائلون بظهر الغيب ما الخبر

وهذه القصيدة من فاخر شعر الأخطل ومقدمه ومما غلب فيه على جرير. وقد احتاج جرير إلى سلخ بيته هذا الأخير فرده عليه بعينه في نقيضة هذه القصيدة، وضمنه بيتين من شعره فقال:

الآكلون خبيث الزاد وحدهم والنازلون إذا واراهم الخمر
والظاعنون على العمياء إن رحلوا والسائلون بظهر الغيب ما الخبر

وفي هذه القصيدة يقول الأخطل يمدح عبد الملك:

إلى امرئ لا تعرينا نوافله أظفره الله فليهنئ له الظفر
الخائض الغمر والميمون طائره خليفة الله يستسقى به المطر
والهم بعد نجي النفس يبعثه بالحزم والأصمعان القلب والحذر
وما الفرات إذا جاشت غواربه في حافتيه وفي أوساطه العشر
وزعزعته رياح الصيف واضطربت فوق الجآجيء من آذيه غدر
مسحنفر من جبال الروم يستره منها أكافيف فيها دونه زور
يوماً بأجود منه حين تسأله ولا بأجهر منه حين يجتهر
في نبعةٍ من قريش يعصبون بها ما إن يوازى بأعلى نبتها الشجر
حشد على الخير عيافو الخنا أنف إذا ألمت بهم مكروهة صبروا
لا يستقل ذوو الأضغان حربهم ولا يبين في عيدانهم خور
شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

مدح الرشيد بيتاً للأخطل: أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن أبيه: أن الرشيد قال لجماعة من أهله وجلسائه: أي بيت مدح به الخلفاء منا ومن بني أمية أفخر؟ فقالوا وأكثروا. فقال الرشيد: أمدح بيتٍ وأفخره قول ابن النصرانية في عبد الملك:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

مدح آدم بن عمر بن عبد العزيز بيتاً للأخطل في مجلس المهدي فأغضبه: أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن الحارث عن المدائني قال: قال المهدي يوماً وبين يديه مروان بن أبي حفصة: أين ما تقوله فينا من قولك في أمير المؤمنين المنصور:

له لحظات عن حفافي سريره إذا كرها فيها عقاب ونائل

فاعترضه آدم بن عمر بن عبد العزيز فقال: هيهات والله يا أمير المؤمنين أن يقول هذا ولا ابن هرمة كما قال الأخطل:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

قال: فغضب المهدي حتى استشاط وقال: كذب والله ابن النصرانية العاض بظر أمه وكذبت يا عاض بظر أمك! والله لولا أن يقال: إني خفرت بك لعرفتك من أكثر شعراً! خذوا برجل ابن الفاعلة فأخرجوه عني! فأخرجوه على تلك الحال، وجعل يشتمه وهو يجر ويقول: يابن الفاعلة! أراها في رؤوسكم وأنفسكم .

صوت:

إني أرقت ولم يأرق مع صاح لمستنكف بعيد النوم لواح

دانٍ مسفٍ فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح

عروضه من البسيط. الشعر لأوس بن حجر وهكذا رواه الأصمعي، أخبرنا بذلك اليزيدي عن الرياشي عنه، ووافقه بعض الكوفيين، وغير هؤلاء يرويه لعبيد بن الأبرص والغناء لإبراهيم الموصلي ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. ولحسين بن محرز لحن في البيت الثاني وبعده:

إن شرب الخمر أو أغلى بها ثمناً فلا محالة يوماً أنني صاح

وطريقته خفيف رمل بالوسطى .

قوله: مستكف: يعني مستديراً؛ وكل طرة كفة. أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال سمعت أبا مهدي يقول وهو يصف شجاعاً عرض له في طريقه: تبعني شجاع من هذه الشجعان، فمر خلفي كأنه سهم زالج، فحدت عنه، واستكف كأنه كفة حابلٍ، فرميته فنظرت ثلاثة أثنائه وكذلك يقال كُفة الحابل وكِفة الميزان بالكسر، والأولى مضمومة . ولواح: من قولهم لاح يلوح إذا ظهر. ومسف: قد أسف على وجه الأرض إذا صار عليها أو قرب منها أو دنا إليها؛ ومن هذا يقال: أسف الطائر إذا طار على وجه الأرض؛ ويقال ذلك للسهم أيضاً. وهيدبه: الذي تراه كالمتعلق بالسحاب. يقول: هذا السحاب يكاد من قال أن يمسه ويدفعه براحته لقربه من الأرض؛ وهو أحسن ما وصف به السحاب .

ذكر أوس بن حجر وشيء من أخباره

وقد اختلف في نسبه، فقال الأصمعي؛ فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي عن الرياشي عنه، هو أوس بن حجر بن مالك بن حزن بن عقيل بن خلف بن نمير. وقال ابن حبيب، فيما ذكره السكري عنه: هو أوس بن حجر من شعراء الجاهلية وفحولها .

وذكر أبو عبيدة أنه من الطبقة الثالثة، وقرنه بالحطيئة نابغة بني جعدة .

في الشعر: فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة حدثنا يونس عن أبي عمرو قال: كان أوس شاعر مضر حتى أسقطه النابغة وزهير، فهو شاعر تميم في الجاهلية غير مدافع .

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا الأصمعي قال سمعت أبا عمرو يقول: كان أوس بن حجرٍ فحل الشعراء؛ فلما نشأ النابغة طأطأ منه. وأما الكلبي فإنه زعم أن من هذه الطبقة لبيد ابن ربيعة والشماخ بن ضرار. قال: وتميم إلى الآن مقيمة على تقديم أوس. قال: ومنهم من يقول بتقديم عدي؛ وأنشد لحارثة بن بدرٍ الغداني:

والشعراء كان مبيته ومظله عند العبادي الذي لا يجهل

وقال يعقوب بن سليمان قال حماد: أدركت رجالاً من بني تميم لا يفضلون على عدي في الشعر أحداً .

أخبرني اليزيدي عن الرياشي عن الأصمعي قال: تميم تروى هذه القصيدة الحائية لعبيدٍ، وذلك غلط؛ ومن الناس من يخلطها بقصيدته التي على وزنها ورويها لتشابهما .

غنت فتاة أعرابية له في السحاب: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيدٍ السكري قال حدثنا علي بن الصباح قال حدثني عبيد الله بن الحسين بن المسود بن وردان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: خرج أعرابي مكفوف ومعه ابنة عم له لرعي غنم لهما. فقال الشيخ: أجد ريح النسيم قد دنا، فارفعي رأسك فانظري. فقالت: أراها كأنها ربرب معزى هزلي. قال: ارعي واحذري. ثم قال لها بعد ساعة: إني أجد ريح النسيم قد دنا، فارفعي رأسك فانظري. فقالت: أراها كأنها بغال دهم تجر جلالها. قال: ارعي واحذري. ثم مكث ساعة ثم قال: إني لأجد ريح النسيم قد دنا، فانظري. قالت: أراها كأنها بطن حمارٍ أصحر. فقال: ارعي واحذري. ثم مكث ساعة فقال: إني لأجد ريح النسيم، فما ترين؟ قالت: أراها كما قال الشاعر:

دانٍ مسفٍ فوق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قال بالراح

كأنما بين أعلاه وأسفله ريط متشرة أو ضوء مصباح

فمن بمحفله كمن بنجوته والمستكن كمن يمشي بقرواح

فقال: انجي لا أبا لك! فما انقضى كلامه حتى هطلت السماء عليهما .

البيت الثاني من هذه الأبيات ليس من رواية ابن حبيب ولا الأصمعي .

معنى قول الجارية: كأنها بطن حمار أصحر، تعني أنه أبيض فيه حمرة. والصحرة لون كذلك. وقوله: فمن بمحفله

كمن بنجوته، يعني من هو بحيث احتفل السيل واحتفال كل شيء معظمه كمن في نجوته. وقد روي: بمحفشه ، وهما واحد، ومعناهما مجرى معظم السيل. يقول: فمن هو في هذا الموضع منه كمن بنجوته أي ناحية عنه سواءً لكثرة المطر. والقراح: الفضاء؛ يقال قرواح وقرياح. ويقال في معنى المحفش: حفشت الأودية إذا سالت، وتحشفت المرأة على ولدها إذا قامت عليه .

كان يسير ليلاً فصرعته ناقته، فأكرمه فضالة بن كلدة، فمدحه: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني علي بن أبي عامر السهمي المصري قال حدثني أبو يوسف الأصبهاني قال حدثني أبو محمد الباهلي عن الأصمعي، وذكر هذا الخبر أيضاً التوزي عن أبي عبيدة، فجمعت روايتيهما، قالا: كان أوس بن حجر عزلاً مغرماً بالنساء؛ فخرج في سفر، حتى إذا كان بأرض بني أسدٍ بين شرجٍ وناظرة ، فبينا هو يسير ظلاماً إذ جالت به ناقته فصرعته فاندقت فخذاه فبات مكانه؛ حتى إذا أصبح غدا جواري الحي يجتنين الكمأة وغيرها من نبات الرض والناس في ربيع. فبينا هن كذلك إذ بصرن بناقته تجول وقد علق زمامها في شجرة وأبصرنه ملقىً، ففزعن فهربن. فدعا بجارية منهن فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا حليمة بنت فضالة بن كلدة، وكانت أصغرهن؛ فأعطاها حجراً وقال لها: اذهبي إلى أبيك فقولي له: ابن هذا يقرئك السلام. فأخبرته فقال: يا بنية، لقد أتيت أباك بمدح طويل أو هجاء طويل. ثم احتمل هو وأهله حتى بنى عليه بيته حيث صرع وقال: والله لا أتحول أبداً حتى تبرأ؛ وكانت حليمة تقوم عليه حتى استقل. فقال أوس بن حجر في ذلك:

جدلت على ليلةٍ ساهره ... بصحراء شرجٍ إلى ناظره

تزاد ليالي في طولها ... فليست بطلقٍ ولا ساكره

أنوء برجل بها ذهنها ... وأعيت بها أختها الغابرة

وقال في حليمة:

لعمرك ما ملت ثواء ثويها ... حليمة إذ ألقى مراسي مقعد

ولكن تلقت باليدين ضمانتي ... وحل بشرجٍ مِ القبائل عودي

ولم تلهها تلك التكاليف إنها ... كما شئت من أكرومةٍ وتخرد

سأجزيك أو يجزيك عني مثوب ... وقصرك أن يثنى عليك وتحمدي

رثى فضالة بن كلدة حين مات: قالا: ثم مات فضالة بن كلدة، وكان يكنى أبا دليجة، فقال فيه أوس بن حجرٍ يرثيه:

يا عين لا بد من سكب وتهمال ... على فضالة جل الرزء العالي

ويروى: عيني. العالي: الأمر العظيم الغالب. وهي طويلة جداً. وفيها مما يغنى فيه: صوت:

أبا دليجة من توصي بأرملةٍ ... أم من لأشعث ذي طمرين ممحال

أبا دليجة من يكفي العشيرة إذ أمسوا من الأمر في لبسٍ وبلبال

لا زال مسك وريحان له أرج على صداك بصافي اللون سلسال

غنى فيه دحمان خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وذكر حبش أن فيه رملاً بالوسطى عن عمرو. وذكر حبش أن فيه لابن عائشة رملاً بالبنصر، ولداود بن العباس ثاني ثقيل، ولابن جامع خفيف ثقيل .

ومن فاضل مراثيه إياه ونادرها قوله:

أيتها النفس أجملي جزعا إن الذي تكرهين قد وقعا

إن الذي جمع السماحة وال نجدة والحزم والقوى جمعا

المخلف المتلف المرزأ لم يمتع بضعفٍ ولم يمت طبعا

أودى وهل تنفع الإشاحة من شيء لمن قد يحاول البدعا

وهي قصيدة أيضاً يمدحه بها في حياته ويرثيه بعد وفاته. وله فيه قصائد غير هذه .

صوت:

رأيت زهيراً كلكل خالدٍ فأقبلت أسعى كالعجزل أبادر

فشلت يميني يوم أضرب خالداً ويمنعه مني الحديد المظاهر

عروضه من الطويل. الشعر لورقاء بن زهير. والغناء لكردمٍ، خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانة أنه لمعبد، وذكر إسحاق أنه ينسبه إلى معبد من لا يعلم، وروى عن أبيه سياط عن يونس أنه أخذه من كردمٍ وأعلمه أن الصنعة فيه له .

خبر ورقاء بن زهير

ونسبه وقصة شعره هذا:

هو ورقاء بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان، يقول لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ، أباها زهير بن جذيمة .؟ وكان السبب في ذلك فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر قالا حدثنا عمر بن شبة، ونسخت بعض هذا الخبر عن الأثرم ورواية ابن الكلبي، وأضفت بعض الروايات إلى بعض إلا ما أفردته وجلبته عن راويه. قال أبو عبيدة حدثني عبد الحميد بن عبد الواحد بن عاصم بن عبد الله بن رافع بن مالك بن عبد بن جلهمة ابن حداق بن يربوع بن سعد بن تغلب بن سعد بن عوف بن جلان بن غنم بن أعصر، قال حدثني أبي عبد الواحد وعمي صفوان ابنا عاصم عن أبيهما

عاصم بن عبد الله عمن أدرك شأس بن زهير. قال: كان مولد عاصم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وكان عاصم جاهلياً. قال: وقال عبد الحميد حدثني سيار بن عمرو أحد بني عبيد بن سعد بن عوف بن جلان بن غنم قال أبو عبيدة: وكان أعلم غنيٍ عن شيوخهم: مقتل شأس بن زهير أخيه والبحث عن قاتله ثم محاولة الثأر منه:

أن شأس بن زهير بن جذيمة أقبل من عند ملك قال أبو عبيدة: أراه النعمان وكان بينه وبين زهير صهر قال أبو عبيدة: ثم حدثني مرة أخرى قال: كانت ابنة زهير عنده فأقبل شأس بن وهير من عنده وقد حباه أفضل الحبوة مسكاً وكساً وقطفاً وطنافس، فأناخ ناقته في يوم شمالٍ وقرٍعلى ردهةٍ في جبلٍ ورياح بن الأسك أحد بني رباع بن عبيد بن سعد بن عوف بن رجلان على الردهة ليس غير بيته بالجبل؛ فأنشأ شأس يغتسل بين الناقة والبيت؛ فاستدبره رياح فأوى بسهم فبتر به صلبه. قال أبو عبيدة وحدثني رجل يخيل إلي أنه أبو يحيى الغنوي قال: ورد شأس وقد حباه الملك بحبوةٍ فيها قطيفة حمراء ذات هدب وطيب، فورد منعجاً وعليه خباء ملقىً لرياح بن الأسك فيه أهله في الظهيرة؛ فألقى ثيابه بفنائه ثم قعد يهرقي عليه الماء، والمرأة قريبة منه يعني امرأة رياح فإذا هو مثل الثور البيض. فقال رياح لامرأته: أنطيني قوسي؛ فمدت إليه قوسه وسهماً، وانتزعت المرأة نصله لئلا يقتله؛ فأهوى عجلان إليه فوضع السهم في مستدق الصلب بين فقارتين ففصلهما، وخر ساقطاً؛ وحفر له حفراً فهدمه عليه، ونحر جمله وأكله. قال: وقال عبد الحميد: أكل ركوبته وأولج متاعه بيته. وقال عبد الحميد: وفقد شأس وقص أثره ونشد، وركبوا إلى الملك فسألوه عن حاله. فقال لهم الملك: حبوته وسرحته. فقالوا: وما متعته به؟ قال: مسك وكساً ونطوع وقطف. فأقبلوا يقصون أثره فلم تتضح لهم سبيله. فمكثوا كذلك ما شاء الله، لا أدري كم، حتى رأوا امرأة رياحٍ باعت بعكاظ قطيفة حمراء أو بعض ما كان من حباء الملك. فعرفت وتيقنوا أن رياحاً ثأرهم. قال أبو عبيدة: وزعم الآخر قال: نشد زهير بن جذيمة الناس، فانقطع ذكره على منعج وسط غني، ثم أصابت الناس جاءحة وجوع، فنحر زهير ناقة ، فأعطى امرأة شطيها فقال: اشترى لي الهدب والطيب. فخرجت بذلك الشحم والسنام تبيعه حتى دفعت إلى امرأة رياح، فقالت: إن معي شحماً أبيعه في الهدب والطيب؛ فاشترت المرأة منها. فأتت المرأة زهيراً بذلك، فعرف الهدب، فأتى زهير غنياً، فقالوا: نعم! قتله رياح بن الأسك، ونحن برءاء منه. وقد لحق بخاله من بني الطماح وبني أسد بن خزيمة، فكان يكون الليل عنده ويظهر في أبان يريم الأروى ؛ إلى أن أصبح ذات يوم وهو عنده وعبس تريغه . فركب خاله جملاً وجعله على كفلٍ وراءه. فبينا هو كذلك إذ دنت، فقالوا : هذه خيل عبس تطلبك. فطمر في قاع شجر فحفر في أصل سوقه. ولقيت الخيل خاله فقالوا: هل كان معك أحد؟ قال: لا. فقالوا: ما هذا المركب زراءك؟ لتخبرنا أو لنقتلنك! قال: لا كذب، هو رياح في ذلك القاع. فلما دنوا منه قال الحصينان: يا بني عبسٍ دعونا وثأرنا، فخنسوا عنهما. فأخذ رياح نعلين من سبتٍ فصيرهما على صدره حيال كبده، ونادى: هذا غزالكما الذي تبغيان. فحمل عليه أحدهما فطعنه، فأزالت النعل الرمح إلى حيث شاكلته، ورماه رياح مولياً فجذم صلبه. قال: ثم جاء الآخر

فطعنه فلم يغن شيئاً، ورماه موليا فصرعه. فقالت عبس: أين تذهبون إلى هذا! والله ليقتلن منكم عدد مراميه، وقد جرحاه فسيموت. قال: وأخذ رياح رمحيهما وسلبيهما وخرج حتى سند إلى أبان. فأتته عجوز وهو يستدمي على الحوض ليشرب منه وقالت: استأسر تحي، فقال: جنبيني حتى أشرب. قال فأبت و لم تنته. فلما غلبته أخذ مشقصاً وكنع به كرسوعي يديها. قال فقال عبد الحميد: فلما استبان لزهير بن جذيمة أن رياحاً ثأره قال يرثي شأساً: رثاء زهير بن جذيمة لابنه شأس:

بكيت لشأسٍ حين خبرت أنه ... بماء غنيٍ آخر الليل يسلب
لقد كان مأتاه الرداه لحتفه ... وما كان لولا غرة الليل يغلب
فتيلٍ غنيٍ ليس شكل كشكله ... كذاك لعمري الحين للمرء يجلب
سأبكي عليه إن بكيت بعبرةٍ ... وحق لشأسٍ عبرة حين تسكب
وحزن عليه ما حييت وعولة ... على مثل ضوء البدر أو هو أعجب
إذا سيم ضيماً كان للضيم منكراً ... وكان لدي الهيجاء يخشى ويرهب
وإن صوت الداعي إلى الخير مرةً ... أجاب لما يدعو له حين يكرب
ففرج عنه ثم كان وليه ... فقلبي عليه لو بدا القلب ملهب

وقال زهير بن جذيمة حين قتل شأس: شأس وما شأس !والبأس وما البأس! لولا مقتل شأس، لم يكن بيننا بأس. قال: ثم انصرف إلى قومه، فكان لا يقدر على غنويٍ إلا قتله .

قال عبد الحميد: فغزت بنوعبسٍ غنياً قبل أن يطلبوا قوداً أو ديةً مع أخي شأس الحصين بن زهير بن جذيمة والحصين بن أسيد بن جذيمة ابن أخي زهير. فقيل ذلك لغني؛ فقالت لرياح: انج، لعلنا نصالح على شيء أو نرضيهم بدية أو فداء. فخرج رياح رديفاً لرجل من بني كلاب وزعم أبو حية النميري أنه من بني جعد وكان معهما صفيحة فيها آراب لحمٍ، لا يريان إلا أنهما قد خالفا وجهة القوم، فأرجفا أيديهما في الصحيفة فأخذ كل واخذ منهما وذرةً ليأكلها، مترادفين لا يقدران على النزول. قال: فمر فوق رؤوسهما صرد فصرصر، فألقيا اللحم وأمسكا بأيديهما وقالا: ما هذا! ثم عادا إلى مثل ذلك فأخذ كل واحد منهما عظماً، ومر الصرد فوق رؤوسهما فصرصر؛ فألقيا العظمين وأمسكا بأيديهما وقالا: ما هذا! ثم عادا الثالثة فأخذ كل واحد منهما قطعة، فمر الصرد فوق رؤوسهما فصرصر، فألقيا القطعتين ؛ حتى فعلا ذلك ثلاث مرات، فإذا هما بالقوم أدنى ظلمٍ وأدنى ظلمٍ أي أدنى شيء، وقد كانا يظنان أنهما قد خالفا وجهة القوم. فقال صاحبه لرياح: اذهب فإني آتي القوم أشاغلهم عنك وأحدثهم حتى تعجزهم ثم ماضٍ إن تركوني. فانحدر رياح عن عجز الجمل فأخذ أدراجه وعدا أثر الراحلة حتى أتى ضفة فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب فولج فيه، ثم أخذ نعليه فجعل إحداهما على

سرته والأخرى على صفنه ثم شد عليهما العمامة، ومضى صاحبه حتى لقي القوم، فسألوه فحدثهم وقال: هذه غني كاملة وقد دنوت منهم، فصدقوه وخلوا سربه . فلما ولى رأوا مركب الرجل خلفه، فقالوا: من الذي كان خلفك؟ فقال: لا مكذبة! ذلك رياح في الأوائل من السمرات. فقال الحصينان لمن معهما: قفوا علينا حتى نعلم علمه فقد أمكننا الله من ثأرنا، و لم يريدا أن يشركهما فيه أحد، فمضيا ووقف القوم عنهما. قالوا قال رياح: فإذا هما ينقلان فرسيهما، فما زالا يريغاني، فابتدراني فرميت الأول فبترت صلبه، وطعنني الأخر قبل أن أرميه وأراد السرة فأصاب الربلة ، ومر الفرس يهوي به، فاستدبرته بسهم فرشقت به صلبه فانفقر منحنى الأوصال، وقد بترت صلبيهما. قال أبو عبيدة قال أبو حية: بل قال رياح: استدبرته بسهم وقد خرجت قدمه فقطعتها، فكأنما نشرت بمنشار. قال عبد الحميد: وند فرساهما فلحقا بالقوم. قال رياح: فأخذت رمحيهما فخرجت بهما حتى أتيت رملةً فسندت فغرزت الرمحين فيها ثم انحدرت. قال: وطلبه القوم، حتى إذا رفع لهم الرمحان لم يقربوهما علم الله حتى وجدوا أثر رياح خارجاً قد فات. وانطلق رياح خارجاً حتى ورد ردهةً عليها بيت أنمار بن بغيض وفيه امرأة ولها ابنان قريبان منها وجمل راتع في الجبل، وقد مات رياح عطشاً. فلما رأته يستدمي طمعت فيه ورجت أن يأتيها ابناها، فقالت له: استأسر. فقال لها: دعيني ويحك أشرب، فأبت. فأخذ حديدة إما سكيناً وإما مشقصاً فجذم به رواهشها فماتت، وعب في الماء حتى نهل ثم توجه إلى قومه. فقال رياح فيها وفي الحصينين:

قالت لي استأسر لتكتفني ... حيناً ويعلو قولها قولي

ولأنت أجرأ من أسامة أو ... مني غداة وقفت للخيل

إذ الحصين لدى الحصين كما ... عدل الرجازة جانب الميل

قال الأثرم: الرجازة شيء يكون مع المرأة في هودجها، فإذا هو مال أحد الجانبين وضعته في الناحية الأخرى ليعتدل. قال أبو عبيدة: يعني حصين بن زهير بن جذيمة، وحصين بن أسيد بن جذيمة وهو ابن عمه .

قال أبو عبيدة قال عبد الحميد: والله لقد سمعت هذا الحديث على ما حدثتك به منذ ستين سنة قال عبد الحميد: وما سمعت أن بني عبس أدركوا بواحد منهم ولا اقتادوا ولا أنذروا، ولا سمعت فيه من الشعر لنا ولا لغيرنا في الجاهلية بأكثر مما أنشدتك. وإلى هذا انتهى حديثنا وحديثه، ولا والله ما قتل خالد بن جعفر زهير بن جذيمة في حربنا، غير أن الكميت بن زيدٍ الأسدي، وكانت له أمان من غني، ذكر من مقتل أخواله من غني في بني عبسٍ ومن قتلوا من بني نمير بن عامر في كلمةٍ له واحدة؛ فلعله لهذا الحديث قالها وذكر إدراكاتهم وذكر قتل شبيب بن سالم النميري، فقال في ذلك:

أنا ابن غني والداي كلاهما ... لأمين فيهم في الفروع وفي الأصل

هم استودعوا هوى شبيب بن سالمٍ ... وهم عدلوا بين الحصينين بالنبل

وهم قتلوا شأس الملوك ورغموا ... أباه زهيراً بالمذلة والثكل

فما أدركت فيهم جذيمة وترها بما قودٍ يوماً لديها ولا عقل

قال أبو عبيدة: فذكر عبد الحميد أنه أتى عليهم هنيئة من الدهر لا أدري كم وقت ذلك بعد انصرام أمر شأس. قال: فما زادوا على هذا فهو باطل. قال الأثرم: هبيئة من الدهر وهنيهة وبرهة وحقبة بمعنى الدهر .

مقتل زهير بن جذيمة العبسي

قتله خالد بن جعفر وتعظيم هوازن له: قتله خالد بن جعفر بن كلاب. قال أبو عبيدة قال أبو حية النميري: كان بين انصراف حديث شأس وحديث قتل خالد بن جعفرٍ زهير بن جذيمة ما بين العشرين سنةً إلى الثلاثين سنةً. قال أبو عبيدة: وهوازن بن منصور لا ترى زهير بن جذيمة إلا رباً . قال: وهوازن يومئذٍ لا خير فيها؛ ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد، فهم أذل من يدٍ في رحمٍ ،وإنما هم رعاء الشاء في الجبال. قال: وكان زهير يعشرهم ، وكان إذا كان أيام عكاظ أتاها زهير ويأتيها الناس من كل وجه، فتأتيه هوازن بالإتاوة التي كانت له في أعناقهم فيأتونه بالسمن والأقط والغنم؛ وذلك بعد ما خلع ذلك من أبي الجناد أخي بني أسيدٍ بن عمرو بن تميم. ثم إذا تفرق الناس عن عكاظ نزل زهير بالنفرات .

حلف خالد أن يقتله وشعره في ذلك: قال أبو عبيدة عن عبد الحميد وأبي حية النميري قالا: فأتته عجوز رهيش من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وقال أبو حية: بل أتته عجوز من هوازن بسمن في نحيٍ، واعتذرت إليه وشكت السنين التي تتابعن على الناس. فذاقه فلم يرض طعمه، فدعها بقوس في يده عطلٍ في صدرها، فاستلقت لحلاوة القفا فبدت عورتها؛ فغضب من ذلك هوازن وحقدت عليه إلى ما كان في صدرها من الغيظ والدمن وأوحرها من الحسك . قال: وقد أمرت عامر بن صعصعة يومئذٍ؛ فآلى خالد بن جعفر فقال: والله لأجعلن ذراعي وراء عنقه حتى أقتل أو يقتل. قال: وفي ذلك يقول خالد بن جعفر بن كلاب:

أديروني إدارتكم فإني وحذفة كالشجا تحت الوريد

مقربة أسويها بجزءٍ وألحفها ردائي في الجليد

وأوصي الراعيين ليؤثراها لها لبن الخلية والصعود

تراها في الغزاة هن شعث كقلب العاج في الرسغ الجديد

يبيت رباطها بالليل كفي على عود الحشيش وغير عود

لعل الله يمكنني عليها جهاراً من زهيرٍ أو أسيد

فإما تثقفوني فاقتلوني فمن أثقف فليس إلى الخلود

وقيس في المعارك غادرته قناتي في فوارس كالأسود

ويربوع بن غيظٍ يوم ساقٍ تركناهم كجارية وبيد

تركت بها نساء بني عصيمٍ أرامل ما تحن إلى وليد
يلذن بحارثٍ جزعاً عليه يقلن لحارثٍ لولا تسود
ومني بالظويلم قارعات تبيد المخزيات ولا تبيد
وحكت بركها ببني جحاشٍ وقد أجروا إليها من بعيد
تركت ابني جذيمة في مكرٍ ونصراً قد تركت لها شهودي

وصف مقتله وما كان قبله من حوادث:

قال أبو عبيدة وحدثني أبو سرار الغنوي قال: كان زهير رجلاً عدوساً ، فانتقل من قومه ببنيه وبني أخويه زنباع وأسيدٍ بركبةٍ يريغ الغيث في عشرواتٍ له وشولٍ. قال: وبنو عامر قريب منهم ولا يشعر بهم. قال عبد الحميد وأبو حية: بل بنو عامر بدمخٍ وزهير بالنفرات وبينهم ليلتان أو ثلاث. قال فقال أبو سرار: فأتى الحارث بني عامر، والله ما تغير طعم اللبن الذي زوده الحارث بن عمرو بن الشريد السلمي حتى أتى بني عامر فأخبرهم. قال أبو عبيدة أخبرني سليمان بن المزاحم المازني عن أبيه قال: بل كانت بنو عامر بالجريئة وزهير بالنفرات، وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفافٍ السلمي امرأة زهير بن جذيمة وهي أم ولده. فمر بها أخوها الحارث بن عمرو. فقال زهير لبنيه: إن هذا الحمار لطليعة عليكم فأوثقوه. فقالت أخته لبنيها: أيزوركم خالكم فتوثقوه وتحرموه! فخلوه. فقالت تماضر لأخيها الحارث: إنه ليريبني اكبئنانك وقروبك، فلا يأخذن فيك ما قال زهير؛ فإنه رجل ببذارة غيذارة شنوءة . قال: ثم حلبوا له وطباً وأخذوا منه يميناً ألا يخبر عنهم ولا ينذر به أحداً. قال أبو عبيدة: وزعم أبو حية النميري أنه لما أتوه بقراهم أراهم أنه يشربه في الظلمة وجعل يهوي به إلى جيبه فيصبه بين سرباله وصدره أسفاً وغيظاً. قال: وكان الذي حلب له الوطب وقراه الحارث بن زهير، وبه سمي. قال: فخرج يطير حتى أتى عامراً عند ناديهم، فأتى حاذةً أو شجرةً غيرها فألقى الوطب تحتها والقوم ينظرون، ثم قال: أيتها الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن فانظري ما طعمه. فقال أهل المجلس: هذا رجل مأخوذ عليه عهد وهو يخبركم خبراً. فأتوه فإذا هو الحارث بن عمرو، وذاقوا اللبن فإذا هو حلو لم يقرص بعد، فقالوا: إنه ليخبرنا أن طلبنا قريب. فركب معه ستة فوارس لينظروا ما الخبر، وهم خالد بن جعفر بن كلابٍ على حذفة، وحندج بن البكاء، ومعاوية بن عبادة بن عقيل فارس الهرار وهو الأخيل جد ليلى الأخيلية قال: والأخيل هو معاوية، قال: وهو يومئذٍ غلام له ذؤابتان، وكان أصغر من ركب ثلاثة فوارس من سائر بني عامر؛ فاقتصوا أثر السير، حتى إذا رأوا إبل بني جذيمة نزلوا عن الخيل. فقالت النساء: إنا لنرى حرجةً من عضاهٍ أو غابة رماح بمكان لم نكن نرى به شيئاً، ثم راحت الرعاء فأخبروا بمثل ما للنساء. قال: وأخبرت راعية أسيد بن جذيمة أسيداً بمثل ذلك؛ فأتى أسيد أخاه زهيراً فأخبره بما أخبرته به الراعية وقال: إنما رأت الخيل بني عامر ورماحها. فقال زهير: كل أزب نفور فذهبت مثلاً؛ وكان أسيد كثير الشعر خناسياً وأين بنو عامر! أما

بنو كلاب فكالحية إن تركتها تركتك، وإن وطئتها عضتك. وأما بنو كعبٍ فإنهم يصيدون اللأي يريد الثور الوحشي . وأما بنو نمير فإنهم يرعون إبلهم في رؤوس الجبال. وأما بنو هلالٍ فيبيعون العطر. قال: فتحمل عامة بني رواحة، وآلي زهير لا يبرح مكانه حتى يصبح. وتحمل من كان معه غير ابنيه ورقاء والحارث .

قال: وكان لزهير ربيئة من الجن فحدثه ببعض أمرهم حتى أصبح، وكانت له مظلة حتى أصبح، وكانت له مظلة دوجٍ يربط فيها أفراسه لا تريمه حذراً من الحوادث. قال: فلما أصبح صهلت فرس منها حين أحست بالخيل وهي القعساء. فقال زهير: ما لها؟ فقال ربيئته: أحست الخيل فصهلت إليهن. فلم تؤذنهم بهم إلا والخيل دوائس محاضير بالقوم غديةً. فقال أنهم أهل اليمن: يا أسيد ما هؤلاء الذين تعمي حديثهم منذ الليلة. قال: وركب أسيد فمضى ناجياً. قال: ووثب زهير وكان شيخاً نبيلاً فتدثر القعساء فرسه، وهو يومئذٍ شيخ قد بدن وهو يومئذٍ عقوق متهم، واعروري ورقاء والحارث ابناه فرسيهما، ثم خالفوا جهة مالهم ليعموا على بني عامر مكان مالهم فلا يأخذوه. فهتف هاتف من بني عامر: يا ليحامر يريد يحامر وهو شعار لأهل اليمن لأن يعمي على الجذميين من القوم. فقال زهير: هذه اليمن، قد علمت أنها أهل اليمن! وقال لابنه ورقاء: انظر يا ورقاء ما ترى؟ قال ورقاء: أرى فارساً على شقراء يجهدها ويكدها بالسوط قد ألح عليها يعني خالداً . فقال زهير: شيئاً ما يريد السوط إلى الشقراء، فذهبت مثلاً، وقال في المرة الثانية: شيئاً ما يطلب السوط على الشقراء، وهي حذفة فرس خالد بن جعفر، والفارس خالد بن جعفر. قال: وكانت الشقراء من خيل غني. قال: وتمردت القعساء بزهير؛ وجعل خالد يقول: لا نجوت إن نجا مجدع يعني زهيراً . فلما تمعطت القعساء بزهير و لم تتلعق بها حذفة، قال خالد لمعاوية الأخيل بن عبادة وكان على الهرار حصان أعوج : أدرك معاوي، فأدرك معاوية زهيراً، وجعل ابناه ورقاء والحارث يوطشان عنه أي عن أبيهما . قال فقال خالد: اطعن يا معاوية في نساها، فطعن إحدى رجليها فانخذلت القعساء بعض الانخذال وهي في ذلك تمعط. فقال زهير: اطعن الأخرى، يكيده بذلك لكي تستوي رجلاها فتحامل . فناداه خالد: يا معاوية أفد طعنتك أي اطعن مكاناً واحداً فشعشع الرمح في رجلها فانخذلت. قال: ولحقه خالد على حذقة فجعل يده وراء عنق زهير، فاستخف به عن الفرس حتى قلبه، وخر خالد فوقع فوقه، ورفع المغفر عن رأس زهير وقال: يا لعامرٍ اقتلونا معاً! فعرفوا أنهم بنو عامر. فقال ورقاء: وا انقطاع ظهراه! إنها لبنو عامر! سائر اليوم. وقال غيره: فقال بعض بني جذيمة: وا انقطاع ظهري !. قال: ولحق حندج بن البكاء وقد حسر خالد المغفر عن رأس زهير فقال: نح رأسك يا أبا جزءٍ، لم يحن يومك فنحى خالد رأسه وضرب حندج رأس زهير، وضرب ورقاء بن زهير رأس خالدٍ بالسيف وعليه درعان، وكان أسجر العينين، ازب أقمر، مثل الفالج، فلم يغن شيئاً. قال: وأجهض ابنا زهيرٍ القوم عن زهير فانتزعاه مرتثاً. فقال خالد حين استنقذ زهيراً ابناه. والهفتاه! قد كنت أظن أن هذا المخرج سيسعكم ! ولام حندجاً. فقال حندج وكان لجلالته غصة إذا تكلم. السيف حديد، والساعة شديد، وقد ضربته ورجلاي متمكنتان في الركابين وسمعت السيف قال قب

حين وقع برأسه، ورأيت على ظبته مثل ثمر المرار، وذقته فكان حلواً. فقال خالد: قتلته بأبي أنت !. ونظر بنو زهير فإذا الضربة قد بلغت الدماغ. ونهي بنو زهير أن يسقوا أباهم الماء، فاستسقاهم فمنعوه حتى هلك عطشاً. قال: وذلك أن المأموم يخاف عليه الماء، حتى بلغ منه العطش، فجعل يهتف: أميت أنا عطشاً . وينادي: يا ورقاء قال أبو حية: فجعل ينادي يا شأس فلما رأوا ذلك سقوه فمات لثالثةٍ. فقال ورقاء بن زهير:

رأيت زهيراً تحت كلكل خالدٍ ... فأقبلت أسعى كالعجول أبادر

إلى بطلين ينهضان كلاهما ... يريغان نصل السيف والسيف نادر

فشلت يميني إذ ضربت ابن جعفرٍ ... وأحرزه مني الحديد المظاهر

قال أبو عبيدة: وسمعت أبا عمرو بن العلاء ينشد هذا البيت فيها:

وشلت يميني يوم أضرب خالداً ... وشل بناناها وشل الخناصر

قال أبو عبيدة: وأنشدني أبو سرار أيضاً فيها:

فيا ليتني من قبل أيام خالدٍ ... ويوم زهيرٍ لم تلدني تماضر

تماضر بنت عمرو بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف السلمي امرأة زهير بن جذيمة. قال أبو عبيدة: أنشدني أبو سرار فيها:

لعمري لقد بشرت بي إذ ولدتني ... فماذا الذي ردت عليك البشائر

شعر لخالد بن جعفر يمن على هوازن بقتله زهير:

وقال خالد بن جعفر يمن على هوازن بقتله زهيراً ويصدق الحديث قال أبو عبيدة أنشدنيه مالك بن عامر بن عبد الله بن بشر بن عامر ملاعب الآسنة:

بل كيف تكفرني هوازن بعدما ... أعتقتهم فتوالدوا أحرارا

وقتلت ربهم زهيراً بعدما ... جدع الأنوف وأكثر الأوتارا

وجعلت حزن بلادهم وجبالهم ... أرضاً فضاءً سهلةً وعشارا

وجعلت مهر بناتهم ودمائهم ... عقل الملوك هجائناً أبكارا

قال أبو عبيدة: ألا ترى أنه ذكر في شعره أن زهيراً كان ربهم وقد كان جدعهم، وأنه قتله من أجلهم لا من أجل غني، وأن غنياً ليسوا من ذلك في ذكرٍ ولا لهم فيه معنًى .

شعر لورقاء بن زهير: قال: وقال ورقاء بن زهير:

أما كلاب فإنا نسالمها ... حتى يسالم ذئب الثلة الراعي

بنو جذيمة حاموا حول سيدهم ... إلا أسيداً نجا إذ ثوب الداعي

شعر للفرزدق ينعي فيه على بني عبس ضربة ورقاء خالداً: قال: ثم نعى الفرزدق على بني عبس ضربة ورقاء خالداً، واعتذر بها إلى سليمان بن عبد الملك فقال:

إن يك سيف خان أو قدر أبى ... لتأخير نفسٍ حتفها غير شاهد

فسيف بني عبسٍ وقد ضربوا به ... نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها ... وتقطع أحياناً مناط القلائد

ولو شئت قد السيف ما بين عنقه ... إلى علقٍ تحت الشراسيف جامد

قال: وكان ضلع بني عبسٍ مع جرير، فقال الفرزدق فيهم هذه الأبيات. هذه رواية أبي عبيدة .

وأما الأصمعي فإنه ذكر، فيما رواه الأثرم عنه، قال حدثني غير واحد من الأعراب أن سبب مقتل زهير العبسي أن ابنه شأس بن زهير وفد إلى بعض الملوك فرجع ومعه حباء قد حبي به، فمر بأبياتٍ من بني عامر بن صعصعة وأبياتٍ من بني غني على ماء لبني عامرٍ أو غيرهم الشك من الأصمعي . قال: فاغتسل، فناداه الغنوي: استتر فلم يحفل بما قال. فقال: استتر ويحك! البيوت بين يديك؛ فلم يحفل. فرماه الغنوي رياح بن الأسك بسهم أو فقتله والحي خلوف ، فاتبعه أصحاب شأس وهم في عدة، فركب الفلاة واتبعوه فرهقوه ، فقتل حصيناً وأخاه حصيناً، ثم نجا على وجهه حتى أدركه العطش، فلجأ إلى منزل عجوز من بني إنسان وبنو إنسان حي من بني جشم .

فقالت له العجوز: لا تبرح حتى يأتي بني فيأسروك. قال الأصمعي: فأخبرني مخبران اختلفا؛ فقال أحدهما: إنه أخذ سكيناً فقطع عصبتي يديها، وقال الآخر: أخذ حجراً فشدخ به رأسها، ثم أنشأ يقول:

ولأنت أشجع من أسامة أو ... مني غداة وقفت للخيل

إذ الحصين لدى الحصين كما ... عدل الرجازة جانب الميل

وإذا أنهنهها لأفتلها ... جاشت ليغلب قولها على قولي

قال: فضرب للزمان ضربانه ، فالتقى خالد بن جعفر بن كلاب وزهير بن جذيمة العبسي. فقال خالد لزهير: أما آن لك أن تشتفي وتكف؟ قال الأصمعي: يعني مما قتل بشأس قال: فأغلظ له زهير وحقره. قال الأصمعي: وأخبرني طلحة بن محمد بن سعيد بن المسيب أن ذلك الكلام بينهما كان بعكاظ عند قريش. فلما حقره زهير وسبه قال خالد: عسى إن كان! يتهدده ثم قال: اللهم أمكن يدي هذه الشقراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أعني عليه. فقال زهير: اللهم أمكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خل بيننا. فقال قريش: هلكت والله يا زهير !. فقال: إنكم والله الذين لا علم لكم .

قال الأصمعي: ثم نرجع إلى حديث العبسيين والعامريين، وبعضه من حديث أبي عمرو بن العلاء. قال: فجاء أخو امرأته فاطمة بنت الشريد السلمية، وهي أم قيس بن زهير، وكان زهير قد أساء إليهم في شيء فجاء أخوها

إلى بني عامرٍ فقال: هل لكم في زهير بن جذيمة ينتج إبله ليس معه أحد غير أخيه أسيد بن جذيمة وعبدٍ راعٍ لإبله! وجئتكم من عنده، وهذا لبن حلبوه لي. فذاقوه فإذا هو ليس بحازر ، فعلموا أنه قريب. فخرج حندج بن البكاء وخالد ابن جعفر ومعاوية بن عبادة بن عقيل، ، ليس على أحدهم درع غير خالد كانت عليه درع أعاره إياها عمرو بن يربوع الغنوي، وكانت درع ابن الأجلح المرادي كان قتله فأخذها منه، وكان يقال لها ذات الأزمة. وإنما سميت بذلك لأنها كانت لها عرى تعلق فضولها بها إذا أراد أن يشمرها. قال: فطلعوا. فقال أسيد بن جذيمة قال الأصمعي: وكان أسيد شيخاً كبيراً، وكان كثير شعر الوجه والجسد أتيت ورب الكعبة. فقال زهير: كل أزب نفور، فذهبت مثلاً. فلم يشعر بهم زهير إلا في سواد الليل، فركب فرسه ثم وجهها فلحقه قوم أحدهم حندج أو العقيلي واختلفوا فيهما فطعن فخذ الفرس طعنة خفيفة، ثم أراد أن يطعن الرجل الصحيحة، فناداه خالد: يا فلان لا تفعل فيستويا، أقبل على السقيمة. قال: فطعنها فانخذلت الفرس فأدركوه. فلما أدركوه رمى بنفسه، وعانقه خالد فقال: اقتلوني ومجدعاً! فجاء حندج وكان أعجم اللسان فقال لخالد وهو فوق زهير: نح رأسك يا أبا جزءٍ، فنحى رأسه فضرب حندج زهيراً ضربةً على دهشٍ، ثم ركبوا وتركوه. قال فقال خالد: ويحك يا حندج ما صنعت؟ فقال ساعدي شديد، وسيفي حديد، وضربته ضربة فقال السيف قب، وخرج عليه مثل ثمرة المرار، فطعمته فوجدته حلواً يعني دماغه . قال: إن كنت صدقت فقد قتلته. قال: فجاء قوم زهيرٍ فاحتملوه ومنعوه الماء كراهة أن يبتل دماغه فيموت. فقال: يا آل غطفان أأموت عطشاً! فسقي فمات، وذلك بعد أيام. ففي ذلك يقول ورقاء بن زهيرٍ وكان قد ضرب خالداً ضربةً فلم يصنع شيئاً، فقال:

رأيت زهيراً تحت كلكل خالدٍ ... فأقبلت أسعى كالعجول أبادر

إلى بطلين ينهضان كلاهما ... يريدان نصل السيف والسيف نادر

قال الأصمعي: فضرب الدهر من ضربانه إلى أن التقى خالد بن جعفر والحارث بن ظالم .

ذكر مقتل خالد بن جعفر بن كلاب

مقتل خالد بن جعفر وسببه: قتله الحارث بن ظالم المري. قال أبو عبيدة: كان الذي هاج من الأمر بين الحارث بن ظالم وخالد بن جعفر أن خالد بن جعفر أغار على رهط الحارث بن ظالم من بني يربوع بن غيظ ابن مرة وهم في وادٍ يقال له حراض، فقتل الرجال حتى أسرع ، والحارث يومئذٍ غلام، وبقيت النساء. وزعموا أن ظالماً هلك في تلك الوقعة من جراحةٍ أصابته يومئذٍ. وكانت نساء بني ذبيان لا يحلبن النعم، فلما بقين بغير رجال طفقن يدعون الحارث، فيشد عصاب الناقة ثم يحلبنها، ويبكين رجالهن ويبكي الحارث معهن، فنشأ على بغض خالد. وأردف ذلك قتل خالدٍ زهير بن جذيمة؛ فاستحق العداوة في غطفان. فقال خالد بن جعفر في تلك الواقعة:

تركت نساء يربوع بن غيظٍ ... أرامل يشتكين إلى وليد

يقلن لحارثٍ جزعاً عليه لك الخيرات مالك لا تسود

تركت بني جذيمة في مكرٍ ونصراً قد تركت لدى الشهود

ومني سوف تأتي قارعات تبيد المخزيات و لا تبيد

وقيس ابن المعارك غادرته قناتي في فوارس كالأسود

وحلت بركها ببني جحاشٍ وقد مدوا إليها من بعيد

وحي بني سبيعٍ يوم ساقٍ تركناهم كجارية وبيد

قال أبو عبيدة: فمكث خالد بن جعفر برهة من دهره، حتى كان من أمره وأمر زهير بن جذيمة ما كان، وخالد يومئذٍ رأس هوازن. فلما استحق عداوة عبسٍ وذبيان أتى النعمان بن المنذر ملك الحيرة لينظر ما قدره عنده، وأتاه بفرس؛ فألفى عنده الحارث بن ظالمٍ قد أهدى له فرساً فقال: أبيت اللعن، نعم صباحك، وأهلي فداؤك! هذا فرس من خيل بني مرة ، فلن تؤتى بفرسٍ يشق غباره، إن لم تنسبه انتسب، كنت ارتبطته لغزو بني عامر بن صعصعة؛ فلما أكرمت خالداً أهديته إليك. وقام الربيع بن زياد العبسي فقال: أبيت اللعن! نعم صباحك، وأهلي فداؤك! هذا فرس من خيل بني عامر ارتبطت أباه عشرين سنةً لم يخفق في غزوةٍ و لم يعتلك في سفرٍ، وفضله على هذين الفرسين كفضل بني عامر على غيرهم. قال: فغضب النعمان عند ذلك وقال: يا معشر قيس، أرى خيلكم أشباهاً ! أين اللواتي كأن أذنابها شقاق أعلامٍ وكأن مناخرها وجار الضباع، وكأن عيونها بغايا النساء، رقاق المستطعم تعالك اللجم في أشداقها، تدور على مذاودها كأنما يقضمن حصى. قال خالد: زعم الحارث أبيت اللعن أن تلك الخيل خيله وخيل آبائه. فغضب النعمان عند ذلك على الحارث بن ظالم. فلما أمسوا اجتمعوا عند قينةٍ من أهل الحيرة يقال لها بنت عفزرٍ يشربون. فقال خالد: تغني:

دار لهندٍ والرباب وفرتني ولميس قبل حوادث الأيام

وهن خالات الحارث بن ظالم، فغضب الحارث بن ظالم حتى امتلأ غيظاً وغضباً، وقال: ما تزال تتبع أولى بآخره. قال أبو عبيدة: ثم إن النعمان بن المنذر دعاهم بعد ذلك وقدم لهم تمراً؛ فطفق خالد بن جعفر يأكل ويلقي نوى ما يأكل من التمر بين يدي الحارث. فلما فرغ القوم قال خالد بن جعفر: أبيت اللعن! انظر إلى ما بين يدي الحارث بن ظالم من النوى! ما ترك لنا تمراً إلا أكله. فقال الحارث: أما أنا فأكلت التمر وألقيت النوى، وأما أنت فأكلته بنواه . فغضب خالد وكان لا ينازع، فقال: أتنازعني يا حارث وقد قتلت حاضرتك وتركتك يتيماً في حجور النساء! فقال الحارث: ذلك يوم لم أشهده، وأنا مغنٍ اليوم بمكاني. قال خالد: فهلا تشكر لي إذ قتلت زهير بن جذيمة وجعلتك سيد غطفان !. قال: بلى أشكرك على ذلك. فخرج الحارث بن ظالم إلى بنت عفرزٍ، فشرب عندها وقال لها تغني :

تعلم أبيت اللعن أني فاتك ... من اليوم أو من بعده بابن جعفر
أخالد قد نبهتني غير نائمٍ ... فلا تأمنن فتكي يد الدهر واحذر
أعيرتني أن نلت منا فوارساً ... غداة حراضٍ مثل جنان عبقر
أصابهم الدهر الختور بختره ... ومن لا يق الله الحوادث يعثر
فعلك يوماً أن تنوء بضربةٍ ... بكف فتًى من قومه غير جيدر
يغص بها عليا هوازن، والمنى ... لقاء أبي جزءٍ بأبيض مبتر

قال: فبلغ خالد بن جعفر قوله فلم يحفل به. فقال عبد الله بن جعدة وهو ابن أخت خالد، وكان رجل قيس رأياً لابنه: يا بني ائت أبا جزء فأخبره أن الحارث بن ظالم سفيه موتور، فأخف مبيتك الليلة؛ فإنه قد غلبه الشراب. فإن أبيت فاجعل بينك وبينه رجلاً ليحرسك. فوضعوا رجلاً بإزائه، ونام ابن جعدة دون الرجل، وخالد من خلف الرجل. وعرف أن ابن عتبة وابن جعدة يحرسان خالداً. فأقبل الحارث فانتهى إلى ابن جعدة فتعداه، ومضى إلى الرجل وهو يحسبه خالداً فعجنه بكلكله حتى كسره وجعل يكدمه لا يعقل، فخلى عنه والرجل تحته، ومضى إلى خالد وهو نائم، فضربه بالسيف حتى قتله. فقال لعروة : أخبر الناس أني قتلت خالداً. وقال في ذلك:

ألا سائل النعمان إن كنت سائلاً ... وحي كلاب هل فتكت بخالد
عشوت عليه وابن جعدة دونه ... وعروة يكلا عمه غير راقد
وقد نصبا رجلاً فباشرت جوزه ... بكلكل مخشي العداوة حارد
فأضربه بالسيف يأفوخ رأسه ... فصمم حتى نال نوط القلائد
وأفلت عبد الله مني بذعره ... وعروة من بعد ابن جعدة شاهدي

فلما أبت غطفان أن تجيره غضبت لذلك بنو عبس. وبعث إليه قيس بن زهير بن جذيمة بهذه الأبيات: شعر قيس بن زهير للحارث حين قتل خالداً وإجابته له:

جزاك الله خيراً من خليلٍ ... شفى من ذوي تبولته الخليلا
أزحت بها جوى ودخيل حزنٍ ... تمخخ أعظمي زمناً طويلا
كسوت الجعفري أبا جزيءٍ ... ولم تحفل به سيفاً صقيلا
أبأت به زهير بني بغيضٍ ... وكنت لمثلها ولها حمولا
كشفت له القناع وكنت ممن ... يجلي العار والأمر الجليلا

فأجابه الحارث بن ظالم:

أتاني عن قييس بني زهيرٍ مقالة كاذبٍ ذكر التبولا
فلو كنتم كما قلتم لكنتم لقاتل ثأركم حرزاً أصيلا
ولكن قلتم جاور سوانا فقد جللتنا حدثاً جليلا
ولو كانوا هم قتلوا أخاكم لما طردوا الذي قتل القتيلا

إباء غطفان جوار الحارث ولحوقه ببني تميم وطلب بني عامر له: قال أبو عبيدة: فلما منعته غطفان لحق بحاجب بن زرارة، فأجاره ووعده أن يمنعه من بني عامر. وبلغ بني عامر مكانه في بني تميم، فساروا في عليا هوازن. فلما كانوا قريباً من القوم في أول وادٍ من أوديتهم، خرج رجل من بني غنيٍ ببعض البوادي، فإذا هو بامرأةٍ من بني تميم ثم من بني حنظلة تحتني الكمأة، فأخذها فسألها عن الخبر، فأخبرته بمكان الحارث ابن ظالم عند حاجب بن زرارة وما وعده من نصر ومنعه. فانطلق بها الغنوي إلى رحله؛ فانسلت في وسطٍ من الليل، فأتى الغنوي الأحوص بن جعفر، فأخبره أن المرأة قد ذهبت وقال: هي منذرة عليك. فقال له الأحوص: ومتى عهدك بها؟ قال: عهدي بها والمني يقطر من فرجها. قال: وأبيك إن عهدك بها لقريب. وتبع المرأة عامر بن مالك يقص أثرها حتى انتهى إلى بني زرارة والمرأة عند حاجب وهو يقول لها: أخبريني أي قومٍ أخذوك؟ قالت: أخذني قوم يقبلون بوجوه الظباء، ويدبرون بأعجاز النساء. قال: أولئك بنو عامر. قال: فحدثيني من في القوم؟ قالت: رأيتهم يغدون على شيخ كبير لا ينظر بمآقيه حتى يرفعوا له من حاجبيه. قال: ذلك الأحوص بن جعفر. قالت: ورأيت شاباً شديد الخلق، كأن شعر ساعديه حلق الدرع يعذم القوم بلسانه عذم الفرس العضوض. قال: ذلك عتبة بن بشير بن خالد. قالت: ورأيت كهلاً إذا أقبل معه فتيان . يشرف القوم إليه، فإذا نطق أنصتوا. قال: ذلك عمرو بن خويلدٍ، والفتيان ابناه زرعة ويزيد. قالت: ورأيت شاباً طويلاً حسناً، إذا تكلم بكلمةٍ أنصتوا لها ثم يؤلون إليه كما تؤل الشول إلى فحلها. قال: ذلك عامر ابن مالك. قال أبو عبيدة: فدعا حاجب الحارث بن ظالم فأخبره برأيه وخبر القوم وقال: يا ابن ظالم، هؤلاء بنو عامر قد أتوك، فما أنت صانع؟ قال الحارث: ذلك إليك، إن شئت أقمت فقاتلت القوم، وإن شئت تنحيت. قال حاجب: تنح عني غير ملوم. فغضب الحارث من ذلك وقال: شعر الحارث حين أمره حاجب بالتنحي ورد حاجب عليه:

لعمري لقد جاورت في حي وائلٍ ومن وائلٍ جاورت في حي تغلب
فأصبحت في حي الأراقم لم يقل لي القوم يا حار بن ظالم اذهب
وقد كان ظني إذ عقلت إليكم بني عدسٍ ظني بأصحاب يثرب
غداة أتاهم تبع في جنوده فلم يسلموا المرين من حي يحصب
فإن تك في عليا هوازن شوكة تخاف ففيكم حد نابٍ ومحلب

وإن يمنع المرء الزراري جاره فأعجب بها من حاجبٍ ثم أعجب

فغضب حاجب فقال:

لعمر أبيك الخير يا حار إنني لأمنع جاراً من كليب بن وائل
وقد علم الحي المعدي أننا على ذاك كنا في الخطوب الأوائل
وأنا إذا ما خاف جار ظلامةً لبسنا له ثوبي وفاءٍ ونائل
وأن تميماً لم تحارب قبيلةً من الناس إلا أولعت بالكواهل
ولو حار بتنا عامر يا بن ظالمٍ لعضت علينا عامر بالأنامل
ولاستيقنت عليا هوازن أننا سنوطئها في دارها بالقنابل
ولكنني لا أبعث الحرب ظالماً ولو هجتها لم ألف شحمة آكل

قال: فتنحى الحارث بن ظالم عن بني زرارة فلحق بعروض اليمامة. ودعا معبداً ولقيطاً ابني زرارة فقال: سيرا في الظعن، فموعدكما رحرحان؛ فإنا مقيمون في حامية الخيل حتى تأتينا بنو عامر. وخرج عامر بن مالك إلى قومه بالخبر .فقالوا: ما ترى؟ قال: أن ندعهم بمكانهم ونسبقهم إلى الظعن. قال: فلقوها برحرحان، فاقتتلوا قتالاً شديداً فأصابوها، وأسر معبد وجرح لقيط. فبعثوا بمعبد إلى رجلٍ بالطائف كان يعذب الأسرى. فقطعه إرباً إرباً حتى قتله. وقال عامر بن مالك يرد على حاجب: شعر لعامر بن مالك يرد به على حاجب:

ألكني إلى المرء الزراري حاجبٍ رئيس تميمٍ في الخطوب الأوائل
وفارسها في كل يوم كريهةٍ وخير تميم بين حافٍ وناعل
لعمري لقد دافعت عن حي مالكٍ شآبيب من حربٍ تلقح حائل
على كل جرداء السراة طمرةٍ وأجدر خوار العنان مناقل
نصحت له إن كنت لاحقاً بقومٍ فلا تعدل بأبناء وائل
ولو ألجأته عصبة تغلبية لسرنا إليهم بالقنا والقنابل
ولو رمتم أن تمنعوه رأيتم هناك أموراً غيها غير طائل
لشاب وليد الحي قبل مشيبه وعضت تميم كلها بالأنامل
وقامت رجال منكم خندقية ينادون جهراً ليتنا لم نقاتل

قتل الحارث لابن النعمان: قال: فخرج الحارث بن ظالم من فوره ذلك حتى اتى سلمى بنت ظالم وفي حجرها ابن النعمان، فقال لها: إنه لن يجيرني من النعمان إلا تحرمي بابنه، فادفعيه إلي. وقد كان النعمان بعث إلى جاراتٍ للحارث بن ظالم فسباهن؛ فدعاه ذلك إلى قتل الغلام فقتله .

أخذ النعمان عم الحارث فاعتذر إليه فخلى عنه، وقال شعراً: فوثب النعمان على عم الحارث بن ظالم فقال له: لأقتلنك أو لتأتيني بابن أخيك. فاعتذر إليه فخلى عنه. فأقبل ينطلق فقال:

يا حار إني أحيا من مخبأةٍ ... وانت أجرأ من ذي لبدةٍ ضاري

قد كان بيتي فيكم بالعلاء فقد ... أحللت بيتي بين السيل والنار

مهما أخفك على شيءٍ تجيء به ... فلم أخفك على أمثالها حار

ولم أخفك على ليثٍ لن تخاتله ... عبل الذراعين للأقران هصار

وقد علمت بأني لن ينجيني ... مما فعلت سوى الإقرار بالعار

فقد عدوت على النعمان ظالمةً ... في قتل طفلٍ كمثل البدر ومعطار

فاعلم بأنك منه غير منفلتٍ ... وقد عدوت على ضرغامةٍ شاري

شعر للحارث في قتله ابن النعمان: وقال الحارث بن ظالم في ذلك:

قفا فاسمعا أخبركما إذ سألتما ... محارب مولاه، وثكلان نادم

حسبت أبا قابوس أنك سابقي ... ولما تذق فتكي وأنفك راغم

أخصي حمارٍ بات يكدم نحمةً ... أتؤكل جاراتي وجارك سالم

تمنيته جهراً على غير ريبةٍ ... أحاديث طسمٍ، إنما أنت حالم

فإن تك أذواداً أصبت ونسوةً ... فهذا ابن سلمى أمره متفاقم

علوت بذي الحيات مفرق رأسه ... وكان سلاحي تجتويه الجماجم

فتكت به فتكاً كفتكي بخالدٍ ... وهل يركب المكروه إلا الأكارم

بدأت بهذي ثم أثني بمثلها ... وثالثةٍ تبيض منها المقادم

شفيت غليل الصدر منه بضربةٍ ... كذلك يأبى المغضبون القماقم

فقال النعمان بن المنذر: ما يعني بالثالثة غيري. قال سنان بن أبي حارثة المري وهو يومئذٍ رأس غطفان: أبيت اللعن! والله ما ذمة الحارث لنا بذمة، ولا جاره لنا بجار، ولو أمنته ما أمناه. فبلغ ابن ظالم قول سنان بن أبي حارثة، فقال في ذلك: شعر للحارث يخاطب به النعمان:

ألا أبلغ النعمان عني رسالةً فكيف بخطاب الحطوب الأعاظم
وأنت طويل البغي أبلخ معور فزوع إذا ما خيف إحدى العظائم
فما غره والمرء يدرك وتره بأروع ماضي الهم من آل ظالم
أخي ثقةٍ ماضي الجنان مشيعٍ كميش التوالي عند صدق العزائم

فأقسم لولا من تعرض دونه لعولي بهندي الحديدة صارم
فأقتل أقواماً لئاماً أذلةً يعضون من غيظٍ أصول الأباهم
تمنى سنان ضلة أن يخيفني ويأمن، ما هذا بفعل المسالم
تمنيت جهداً أن تضيع ظلامتي كذبت ورب الراقصات الرواسم
يمين امرئ لم يرضع اللؤم ثديه ولم تتكنفه عروق الألائم

أخذ مصدق للنعمان إبلاً لديهث فاستجارت بالحارث فردها إليها: قال: فأمنه النعمان، وأقام حيناً. ثم إن مصدقاً للنعمان أخذ إبلاً لامرأة من بني مرة يقال لها ديهث؛ فأتت الحارث فعلقت دلوها بدلوه ومعها بني لها، فقالت: أبا ليلى! إني أتيتك مضافةً . فقال الحارث: إذا أورد القوم النعم فنادي بأعلى صوتك:

دعوت بالله ولم تراعي ذلك راعيك فنعم الراعي
وتلك ذود الحارث الكساع يمشي لها بصارمٍ قطاع
يشفي به مجامع الصداع

وخرج الحارث في أثرها يقول:

أنا أبو ليلى وسيفي المعلوب كم قد أجرنا من حريبٍ محروب
وكم رددنا من سليبٍ مسلوب وطعنةٍ طعنتها بالمنصوب
ذاك جهيز الموت عند المكروب

ثم قال لها: لا تردن عليك ناقة ولا بعير تعرفينه إلا أخذتيه ففعلت؛ فاتت على لقوحٍ لها يحلبها حبشي، فقالت: يا أبا ليلى! هذه لي. فقال الحبشي: كذبت. فقال الحارث: أرسلها لا أم لك! فضرط الحبشي. فقال الحارث: است الحالب أعلم، فسارت مثلاً. قال أبو عبيدة: ففي ذلك يقول في الإسلام الفرزدق:

كما كان أوفى إذ ينادي ابن ديهثٍ وصرمته كالمغنم المتنهب
فقام أبو ليلى إليه ابن ظالمٍ وكان متى ما يسلل السيف يضرب

وما كان جاراً غير دلوٍ تعلقت بحبلين في مستحصد القد مكرب

خروج الحارث إلى صديق من كندة: قال أبو عبيدة حدثني أبو محمد عصام العجلي قال: فلما قتل الحارث بن ظالمٍ خالد بن جعفر في جوار الملك خرج هارباً حتى أتى صديقاً له من كندة يحل شعبي قال: شعبي غير ممدود فلما ألح الأسود في طلب الحارث قال له الكندي: ما أرى لك نجاةً إلا أن ألحقك بحضرموت ببلاد اليمن فلا يوصل إليك. فسار معه يوماً وليلةً ،فلما غربه قال: إنني أنقطع ببلاد اليمن فاغترب بها، وقد برئت منك خفارتي .

لجوءه إلى بني عجل بن لجيم: فرجع حتى أتى أرض بكر بن وائل، فلجأ إلى بني عجل بن لجيم، فنزل على زبان فأجاره وضرب عليه قبة. وفي ذلك يقول العجلي:

ونحن منعنا بالرماح ابن ظالمٍ فظل يغني آمناً في خبائنا

قال أبو عبيدة: فجاءته بنو ذهل بن ثعلبة وبنو عمرو بن شيبان فقالوا: أخرج هذا المشؤوم من بين أظهرنا، لا يعرنا بشر، فإنا لا طاقة بالملحاء والملحاء كتيبة الأسود فأبت عجل أن تخفره ، فقاتلوه فامتنعت بنو عجلٍ. فقال الحارث بن ظالمٍ في الكندي وفيهم:

يكلفني الكندي سير تنوفةٍ أكابد فيها كل ذي صبةٍ مثري

الصبة: قطعة من الغنم أو بقية منها

وأقبل دوني جمع ذهلٍ كأنني خلاة لذهلٍ والزعانف من عمرو

ودوني ركب من لجيمٍ مصمم وزبان جاري والخفير على بكر

لعمري لا أخشى ظلامة ظالمٍ وسعد بن عجلٍ مجمعون على نصري

لحوقه بطيء: قال أبو عبيدة: ثم قال لهم الحارث: إني قد اشتهر أمري فيكم ومكاني، وأنا راحل عنكم. فارتحل فلحق بطيئ. فقال الحارث في ذلك:

لعمري لقد حلت بي اليوم ناقتي إلى ناصرٍ من طيئٍ غير خاذل

فأصبحت جاراً للمجرة منهم على باذخٍ يعلو على المتطاول

أخذ الأسود أموال جارات له فردها هو إليهن:

قال أبو عبيدة وحدثني أبو حية أن الأسود حين قتل الحارث خالداً سأل عن أمرٍ يبلغ منه. فقال له عروة بن عتبة: إن له جاراتٍ من بلي بن عمرو، ولا أراك تنال منه شيئاً أغيظ له من أخذهن وأخذ أموالهن، فبعث الأسود فأخذهن واستاق أموالهن. فبلغ ذلك الحارث، فخرج من الحين فأنساب في غمار الناس حتى عرف موضع جاراته ومرعى إبلهن، فأتى الإبل فوجد حالبين يحلبان ناقة يقال لها اللفاع، وكانت لبوناً كأغزر الإبل، إذا

حلبت اجترت، ودمعت عيناها، وأصغت برأسها ، وتفاجت تفاج البائل، وهجمت في المخلب هجماً حتى تسنمه ، وتجاوبت أحاليلها بالشخب هثاً وهثيماً حتى تصف بين ثلاثة محالب . فصاح الحارث بهما ورجز فقال:

إذا سمعت حنة اللفاع فادعابا ليلى ولا تراعي

ذلك راعيك فنعم الراعي يجبك رحب الباع والذراع

منطقاً بصارمٍ قطاع

خليا عنها! فعرفاه فضرط البائن. فقال الحارث: است الضارط أعلم، فذهبت مثلاً قال الأثرم: البائن الحالب الأيمن، والمستعلي الحالب الأيسر ثم عمد إلى أموال جاراته وإلى جاراته فجمعهن ورد أموالهن وسار معهن حتى اشتلاهن أي أنقذهم .

رواية أخرى في قتله ابن الملك: قال أبو عبيدة ولحق الحارث ببلاد قومه مختفياً. وكانت أخته سلمى بنت ظالم عند سنان بن أبي حارثة المري. قال أبو عبيدة: وكان الأسود بن المنذر قد تبنى سنان بن أبي حارثة المري ابنه شرحبيل، فكانت سلمى بنت كثير بن ربيعة من بني غنم بن دودان امرأة سنان ابن أبي حارثة المري ترضعه وهي أم هرمٍ، وكان هرم غنياً يقدر على ما يعطي سائليه. فجاء الحارث، وقد كان اندس في بلاد غطفان، فاستعار سرج سنانٍ، ولا يعلم سنان، وهم نزول بالشربة، فأتى به سلمى ابنة ظالم فقال: يقول لك بعلك: ابعثي بابن الملك مع الحارث حتى أستأمن له ويتخفر به، وهذا سرجه آية إليك. فزينته ثم دفعته إلى الحارث، فأتى بالغلام، ناحيةً من الشربة فقتله، ثم أنشأ يقول:

قفا فاسمعا أخبركما إذ سألتما محارب مولاه، وثكلان نادم

ثكلان نادم: يعني الأسود لأنه قتل ابنه شرحبيل. محارب مولاه: يعني الحارث نفسه. مولاه: سنان

أخصيي حمارٍ بات يكدم نجمةً أتؤكل جاراتي وجارك سالم

حسبت أبيت اللعن أنك فائت ولما تذق ثكلاً وأنفك راغم

فإن تك أذواداً أصبت ونسوةً فهذا ابن سلمى رأسه متفاقم

علوت بذي الحيات مفرق رأسه وكان سلاحي تجتويه الجماجم

فتكت به كما فتكت بخالدٍ ولا يركب المكروه إلا الأكارم

بدأت بتلك وانثنيت بهذه وثالثةٍ تبيض منها المقادم

قال: ففي ذلك يقول عقيل بن علفة في الإسلام وهو من بني يربوع بن غيظ بن مرة لما هاجى شبيب بن البرصاء، وأبوه يزيد، وهو من بني نشبة بن غيظ بن مرة ابن عم سنان بن أبي حارثة، فعيره بقتل الحارث بن ظالمٍ شرحبيل لأنه ربيب بني حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ رهط شبيب، ففي ذلك يقول عقيل:

قتلنا شرحبيلاً ربيب لأبيكم بناصية المعلوب ضاحية غصبا

فلم تنكروا أن يغمز القوم جاركم بإحدى الدواهي ثم لم تطلعوا نقبا

قال أبو عبيدة: وهرب الحارث، فغزا الأسود بني ذبيان إذ نقضوا العهد وبني أسدٍ بشط أريكٍ. قال أبو عبيدة: وسألته عنه فقال: هما أريكان الأسود والأبيض، ولا أدري بأيهما كانت الوقعة. قال أبو عبيدة وقال آخرون: إن سلمى امرأة سنانٍ التي أخذ الحارث شرحبيل من عندها من بني أسدٍ. قال: فإنما غزا الأسود بني أسدٍ لدفع الأسدية سلمى ابنه إلى الحارث، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً وسبى واستاق أموالهم. وفي ذلك يقول الأعشى ميمون:

وشيوخٍ صرعى بشطي أريكٍ ونساء كأنهن السعالي

من نواصي دودان إذ نقضوا العه د وذبيان والهجان الغوالي

رب رفدٍ هرقته ذلك اليو م وأسرى من معشرٍ أقتال

هؤلاء هم كلا احذي ت نعالاً محذوةً بمثال

ورأى من عصاك أصبح مخذو لاً وكعب الذي يطيعك عالي

وجود نعل شرحبيل بن الأسود في بني محارب وتعذيب الأسود لهم: قال: ووجد نعل شرحبيل عند أضاخ. وهو من الشربة في بني محارب بن خصفة بن قيس عيلان. قال: فاحمي لهم الأسود الصفا التي بصحراء أضاخٍ وقال لهم: إني أحذيكم نعالاً، فأمشاهم على الصفا المحمى فتساقط لحم أقدامهم. فلما كان الإسلام قتل جوشن الكندي رجلاً من بني محارب فأقيد به جوشن بالمدينة. وكان الكندي من رهط عباس بن يزيد الكندي فهجا بني محاربٍ فعيرهم بتحريق الأسود أقدامهم فقال:

على عهد كسرى نعلتكم ملوكنا صفاً من أضاخٍ حامياً يتلهب

قال أبو عبيدة: وصار ذلك مثلاً يتوعد به الشعراء من هجوه ويحذرونهم مثل ذلك. ومن ذلك أن ابن عتابٍ الكلبي ورد على بني النوس من جديلة طيئ، فسرقوا سهاماً له؛ فقال يحذرهم:

بني النوس ردوا أسهمي إن أسهمي كنعل شرحبيل التي في محارب

وقال في الجاهلية ابن أم كهف الطائي في مدحه لمالك بن حمارٍ الشمخي، فذكر نعل شرحبيل فقال:

ومولاك الذي قتل ابن سلمى علانيةً شرحبيل ابن نعل

لأنه لولا النعل لم يعرف، وإنما عرف بما صنع أبو ببني محاربٍ من أجل نعله التي وجدت في بني محاربٍ .

أخذ الأسود لسنان بن أبي حارثة الذي قتل ابنه عنده واعتذار الحارث بن سفيان عنه: قال أبو عبيدة: وأخذ الأسود سنان بن أبي حارثة؛ فأتاه الحارث بن سفيان أحد بني الصارد ، وهو الحارث بن سفيان بن مرة بن عوف

بن الحارث بن سفيان أخو سيار بن عمرو بن جابر الفزاري لأمه، فاعتذر إلى الأسود أن يكون سنان بن أبي حارثة أو اطلع، ولقد كان أطرد الحارث من بلاد غطفان، وقال: علي دية ابنك ألف بعيرٍ دية الملوك، فحملها إياه وخلى عن سنانٍ، فأدى إلى الأسود منها ثمانمائة بعير ثم مات. فقال سيار بن عمرو أخوه لأمه: أنا أقوم فيما بقي مقام الحارث بن سفيان. فلم يرض به الأسود. فرهنه سيار قوسه، فأدى البقية. فلما مدح قراد بن حنشٍ الصاردي بني فزارة جعل الحمالة كلها لسيار بن عمرو فقال:

ونحن رهنا القوس تمت فوديت ... بألفٍ على ظهر الفزاري أقرعا

بعشر مئينٍ للملوك سعى بها ... ليوفي سيار بن عمروٍ فأسرعا

رمينا صفاه بالمئين فأصبحت ... ثناياه للساعين في المجد مهيعا

قال ويقال: بل قالها ربيع بن قعنبٍ، فرد عليه قراد فقال:

ما كان ثعلب ذي عاجٍ ليحملها ... ولا الفزاري جوفان بن جوفان

ولكن تضمنها ألفاً فأخرجها ... على تكاليفها حار بن سفيان

وقال عويف القوافي بن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدرٍ في الإسلام يفخر على أبي منظور الوبري حين هاجاه أحد بني وبرٍ بن كلابٍ:

فهل وجدتم حاملاً كحاملي ... إذ رهن القوس بألفٍ كامل

بدية ابن الملك الحلاحل ... فافتكها من قبل عامٍ قابل

سيار الموفي بها ذو السائل

لحوق الحارث ببني دارم: قال أبو عبيدة: فلما قتل الحارث شرحبيل لحق ببني دارمٍ فلجأ إلى بني ضمرة. قال: وبنو عبد الله بن دارم يقولون: بل جاور معبد بن زرارة فأجاره، فجر جواره يوم رحرحان، وجر يوم رحران يوم جبلة. وطلبه الأسود بن المنذر بخفرته .

فلما بلغه نزوله ببني دارمٍ أرسل فيه إليهم أن يسلموه فأبوا. فقال يمن على بني قطن بن نهشل بن دارمٍ بما كان النعمان بن المنذر في أمر بني رشية وهي رميلة حين طلبهم من لقيط ابن زرارة حتى استنقذهم. ورشية أمة كانت لزرارة بن عدس بن زيدٍ المجاشعي، فوطئها رجل من بني نهشلٍ فأولدها؛ وكان زرارة يأتي بني نهشلٍ يطلب الغلمة التي ولدت، وولدت الأشهب بن رميلة والرباب بن رميلة وغيرهما، وكانوا يسمعونه ما يكره، فيرجع إلى ولده فيقول: أسمعني بنو عمي خيراً وقالوا: سنبعث بهم إليك عاجلاً، حتى مات زرارة. فقام لقيط ابنه بأمرهم؛ فلما أتاهم أسمعوه ما كره، ووقع بينهم شر. فذهب النهشلي إلى الملك فقال: أبيت اللعن! لا تصلني وتصل قومي بأفضل من طلبتك إلى لقيطٍ الغلمة ليكف عني. فدعاه فشرب معه، ثم استوهبهم منه فوهبهم له. فقال الأسود بن المنذر في ذلك:

كأين لنا من نعمةٍ في رقابكم بني قطنٍ فضلاً عليكم وأنعما

وكم منةٍ كانت لنا في بيوتكم وقتل كريم لم تعدوه مغرما

فإنكم لا تمنعون ابن ظالمٍ ولم يمس بالأيدي الوشيج المقوما

فأجابه ضمرة بن ضمرة فقال:

سنمنع جاراً عائذاً في بيوتكم بأسيافنا حتى يؤوب مسلما

إذا ما دعونا دارماً ما حال دونه عوابس يعلكن الشكيم المعجما

ولو كنت حرباً ما وردت طويلعاً ولا حوفه إلا خميساً عرمرما

تركت بني ماء السماء وفعلهم وأشبهت تيساً بالحجاز مزنما

ولن أذكر النعمان إلا بصالحٍ فإن له فضلاً علينا وأنعما

قال: وبلغ ذلك بني عامر، فخرج الأحوص عازياً لبني دارمٍ طالباً بدم أخيه خالد بن جعفر حين انطووا على الحارث وقاموا دونه، فغزاهم فالتقوا برحرحان، فهزمت بنو دارمٍ، وأسر معبد بن زرارة، فانطلقوا به حتى مات في أيديهم، وحديثه في يوم رحرحان يأتي بعد .

أسر بني قيس وبني هزان للحارث وحديثه معهم: ثم أسر بنو هزان الحارث بن ظالم. وقال أبو عبيدة: خرج الحارث من عندهم، فجعل يطوف في البلاد حتى سقط في ناحيةٍ من بلاد ربيعة، ووضع سلاحه وهو في فلاةٍ ليس فيها أثر ونام، فمر به نفر من بني قيس بن ثعلبة ومعهم قوم من بني هزان من عترة وهو نائم، فأخذوا فرسه وسلاحه ثم أوثقوه، فانتبه وقد شدوه فلا يملك من نفسه شيئاً. فسألوه من انت؟ فلم يخبرهم وطوى عنهم الخبر، فضربوه ليقتلوه على تأن يخبرهم من هو فلم يفعل. فاشتراه القيسيون من الهزانيين بزق خمرٍ وشاة ويقال: اشتراه رجل من بني سعد بإغلاق بكرةٍ وعشرين من الشاء ثم انطلقوا به إلى بلادهم. فقالوا له: من أنت؟ وما حالك؟ فلم يخبرهم. فضربوه ليموت فأبى. قال: وهو قريب من اليمامة. قال: فبينما هم على تلك الحال وهم يريغونه ضرباً مرةً وتهدداً أخرى ولياناً مرةً ليخبرهم بحاله وهو يأبى، حتى ملوه، فتركوه في قيد حتى انفلت ليلاً، فتوجه نحو اليمامة وهي قريب منه، فلقي غلمةً يلعبون، فنظر إلى غلامٍ منهم أخلقهم للخير عنده فقال: من أنت؟ قال: أنا بجير بن أبجر العجلي، وله ذؤابةً يومئذٍ وأمه امرأة قتادة بن مسلمة الحنفي. فأتاه وأخذ بحقويه والتزمه وقال: أنا لك جار. فيقال: إن عجلاً أجارته في هذا اليوم لا في اليوم الأول الذي ذكرناه في أول الحديث. فأتى الغلام أباه فأخبره وأجاره وقال: ائت عمك قتادة بن مسلمة الحنفي فأخبره؛ فأتى قتادة فأخبره فأجاره .

قال أبو عبيدة: وأما فراس فزعم أنه أفلت من بني قيس فأقبل شداً حتى أتى اليمامة، واتبعوه حتى انتهى إلى نادي بني حنيفة وفيه قتادة بن مسلمة. فلما رأوه يهوي نحوهم قال: إن هذا لخائف، وبصر بالقوم خلفه فصاح به:

الحصن الحصن! فأقبل حتى ولج الحصن. وجاءت بنو قيسٍ، فحال دونه وقال: لو أخذتموه قبل دخوله الحصن لأسلمته إليكم، فأما إذ تحرم بي فلا سبيل إليه. قال فقالوا: أسيرنا اشتريناه بأموالنا، وما هو لك بجارٍ ولا تعرفه، وإنما أتاك هارباً من أيدينا، ونحن قومك وجيرانك. قال: أما أن أسلمه أبداً فلا يكون ذلك، ولكن اختاروا مني: إن شئتم فانظروا ما اشتريتموه به فخذوه مني، وإن شئتم أعطيته سلاحاً كاملاً وحملته على فرس ودعوه حتى يقطع الوادي بينكم وبينه ثم دونكموه. فقالوا: رضينا. فقال ذلك للحارث فقال نعم. فألبسه سلاحاً كاملاً وحمله على فرسه وقال له: إن أفلتهم فرد إلي الفرس والسلاح لك. قال: فخرج، وتركوه حتى جاز الوادي، ثم اتبعوه ليأخذوه، فلم يزل يقاتلهم ويطاردهم حتى ورد بلاد بني قشيرٍ، وهو قريب من اليمامة أيضاً بينهما أقل من يومٍ. فلما صار إلى بلاد بني قشير يئسوا منه فرجعوا عنه. وعرفه بنو قشيرٍ فانطووا عليه وأكرموه. ورد إلى قتادة بن مسلمة فرسه وأرسل إليه بمائة من الإبل، لا أدري أأعطاه إياها بنو قشيرٍ من أموالهم ليكافئ بها قتادة أم كانت له، لم يفسر أبو عبيدة أمرها ولا سألته عنها. فقال الحارث بن ظالم في ابني حلاكة وهما من الذين باعوه من القيسيين وفيما كان من أمره قال أبو عبيدة: ويقال أسره راعيان من بني هزان يقال لهما ابنا حلاكة:

أبلغ لديك بني قيسٍ مغلغلةً ... أني أقسم في هزان أرباعا

ابنا حلاكة باعاني بلا ثمنٍ ... وباع ذو آل هزانٍ بما باعا

يا بني حلاكة لما تأخذا ثمني ... حتى أقسم أفراساً وأدراعا

قتادة الخير نالتني حذيته ... وكان قدماً إلى الخيرات طلاعا

وقال في ذلك أيضاً:

همت عكابة أن تضيم لجيما ... فأبت لجيم ما تقول عكابة

فأسقي بجيراً من رحيق مدامةٍ ... وأسقي الخفير وطهري أثوابه

جاءت حنيفة قبل جيئة يشكرٍ ... كلاً وجدنا أوفياء ذؤابه

مروره برجل من بني أسد: وزعم أبو عبيدة أن الحارث لما هزمت بنو تميم يوم رحرحان مر برجلٍ من بني أسد بن خزيمة؛ فقال: يا حار إنك مشؤوم وقد فعلت ما فعلت، فانظر إذا كنت بمكان كذا وكذا من برقة رحرحان فإن لي به جملاً أحمر فلا تعرض له. وإنما يعرض له ويكره أن يصرح فيبلغ الأسود فيأخذه. فلما كان الحارث بذلك المكان أخذ الجمل فنجا عليه، وإذا هو لا يساير من أمامه ولا يسبق من ورائه. فبلغ ذلك الأسود، فأخذ الأسود الأسدي وناساً من قومه. وبلغ ذلك الحارث بن ظالمٍ فقال كأنه يهجوهم لئلا يتهمهم الأسود:

أراني الله بالنعم المندى ... ببرقة رحرحان وقد أراني

لحي الأنكدين وحي عبسٍ ... وحي نعامةٍ وبني غدان

لحوقه بمكة وانتماؤه إلى قريش: قال: فلما بلغ قوله الأسود خلى عنهم. ولحق الحارث بمكة وانتمى إلى قريش؛ وذلك قوله:

وما قومي بثعلبة بن سعدٍ ... ولا بفزارة الشعر الرقابا

وقومي إن سألت بنو لؤيٍ ... بمكة علموا مضر الضرابا

قال: فزوده وحمله رواحة الجمحي على ناقة؛ فذلك قوله:

وهش رواحة الجمحي رحلي ... بناجيةٍ ولم يطلب ثوابا

كأن الرحل والأنساع منها ... وميثرتي كسين أقب جابا

لحوقه بالشام عند ملك من غسان ومقتله: يروى: حش، و هش، وهما لغتان. وحش سوى قال: فلحق الحارث بالشام بملك من ملوك غسان يقال هو النعمان، ويقال بل هو يزيد بن عمرو الغساني فأجاره. وكانت للملك ناقة محماة في عنقها مدية وزناد وصرة ملح، وإنما يختبر بذلك رعيته هل يجترئ عليه أحد منهم. ومع الحارث امرأتان، فوحمت إحدى امرأتيه قال أبو عبيدة: وأصابت الناس سنة شديدة فطلبت الشحم إليه. قال: ويحك! وأنى لي بالشحم والوداء! فألحت عليه، فعمد إلى الناقة فأدخلها بطن وادٍ فلب في سبلتها أي طعن . فأكلت امرأته ورفعت ما بقي من الشحم في عكتها. قال: وفقدت الناقة فوجدت نحيراً لم يؤخذ منها إلا السنام، فأعلموا ذلك الملك، وخفي عليهم من فعله. فأرسل إلى الخمس التغلبي وكان كاهناً فقال: من نحر الناقة؟ فذكر أن الحارث نحرها. فتذمم الملك وكذب عنه. فقال: إن أردت أن تعلم علم ذلك فدس امرأة تطلب إلى امرأته شحماً، ففعل. فدخل الحارث وقد أخرجت امرأته إليها شحماً، فعرف الداء فقتلها ودفنها في بيته. فلما فقدت المرأة قال الخمس: غالها ما غال الناقة، فإن كره الملك أن يفتشه عن ذلك فليأمر بالرحيل، فإذا ارتحل بحث بيته، ففعل. واستثار الخمس مكان بيته؛ فوثب عليه الحارث فقتله؛ فأخذ الحارث فحبس. فاستسقى ماءٍ فأتاه رجل بماء فقال: أتشرب؟ فأنشأ الحارث يقول:

لقد قال لي عند المجاهد صاحبي ... وقد حيل دون العيش هل أنت شارب

وددت باطراف البنان لو أنني ... بدى أروني ترمي ورائي الثعالب

الثعالب: من مرة وهم رماة. أروى: مكان. وقال مرةً أخرى: الثعالب بنو ثعلبة. يقول: كانوا يرمون عني ويقومون بأمري قال: فأمر الملك بقتله. فقال: إنك قد أجرتني فلا تغدرني . فقال: لا ضير! إن غدرت بك مرةً فقد غدرت بي مراراً. فأمر مالك بن الخمس التغلبي أن يقتله بأبيه. فقال: يا بن شر الأظماء أنت تقتلني! فقتله. وقال ابن الكلبي: لما قام ابن الخمس إلى الحارث ليقتله قال: من أنت؟ قال: ابن الخمس. قال: أنت ابن شر الأسماء؛ فقتله فقال رجل من ضري وهم حي من جرهم يرثي الحارث بن ظالمٍ:

يا حار حنيا ... حراً قطاميا

ما كنت ترعيا في البيت ضجعيا
أدعى لباخيا مملأ عيا

وأخذ ابن الخمس سيف الحارث بن ظالم المعلوب، فأتى به سوق عكاظ في الحرم، فجعل يعرضه على البيع ويقول: هذا سيف الحارث بن ظالم. فاسترآه إياه قيس بن زهير بن جذيمة فأراه إياه، فعلاه به حتى قتله في الحرم. فقال قيس بن زهيرٍ يرثي الحارث بن ظالم:

ما قصرت من حاضنٍ ستر بيتها أبر وأوفى منك حار بن ظالم
أعز وأحمى عند جارٍ وذمة وأضرب في كاب من النقع قاتم

هذه رواية أبي عبيدة والبصريين. وأما الكوفيين فإنهم يذكرون أن النعمان بن المنذر هو الذي قتله. أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل قال: لما هرب الحارث إلى مكة أسف النعمان بن المنذر على فوته إياه، فلطف له وراسله وأعطاه الأمان، وأشهد على نفسه وجوه العرب من ربيعة ومضر واليمن أنه لا يطلبه بذحلٍ ولا يسوءه في حال، وأرسل به مع جماعةٍ ليسكن الحارث إليهم، وأمرهم أن يتكلفوا له بالوفاء ويضمنوا له عنه أنه لا يهجيه، ففعلوا ذلك. وسكن إليه الحارث، فأتى النعمان وهو في قصر بني مقاتل، فقال للحاجب: استأذن لي، والناس يومئذٍ عند النعمان متوافرون، فاستأذن له، فقال النعمان: ائذن له وخذ سيفه. فقال له: ضع سيفك وادخل. فقال الحارث: و لم أضعه؟ قال: ضعه، فلا بأس عليك. فلما ألح عليه وضعه ودخل ومعه الأمان. فلما دخل قال: أنعم صباحاً أبيت اللعن. قال: لا أنعم الله صباحك !. فقال الحارث: هذا كتابك !. قال النعمان: كتابي والله ما أنكره، أنا كتبته لك، وقد غدرت وفتكت مراراً، فلا ضير أن غدرت بك مرة. ثم نادى: من يقتل هذا؟ فقام ابن الخمس التغلبي وكان الحارث فتك بأبيه فقال: أنا أقتله. وذكر باقي الخبر في قصته مع ابن الخمس مثل ما ذكر أبو عبيدة .

خبر الحارث وعمرو بن الإطنابة

وإنما ذكر هنا لاتصاله بمقتل خالد بن جعفر، ولأن فيما تناقضاه من الأشعار أغاني صالح ذكرها في هذا الموضع . غضب عمرو بن الإطنابة على الحارث لقتله خالداً وشعره في ذلك: قال أبو عبيدة: كان عمرو بن الإطنابة الخزرجي ملك الحجاز، ولما بلغه قتل الحارث بن ظالم خالد بن جعفرٍ، وكان خالداً مصافياً له، غضب لذلك غضباً شديداً، وقال: والله لو لقي الحارث خالداً وهو يقظان لما نظر إليه، ولكنه قتله نائماً ولو أتاني لعرف قدره؛ ثم دعا بشرابه ووضع التاج على رأسه ودعا بقيانه، فتغنين له:

عللاني وعللا صاحبيا وأسقياني من المروق ريا

إن فينا القيان يعزفن بالدف لفتياننا وعيشاً رخيا
يتبارين في النعيم ويصبب ن خلال القرون مسكاً ذكيا
إنما همهن أن يتحلي ن سموطاً وسنبلاً فارسياً
من سموط المرجان فضل بالشذ ر فأحسن بجليهن حليا
وفتىً يضرب الكتيبة بالسي ف إذا كانت السيوف عصيا
إننا لا نسر في غير نجدٍ إن فينا بها فتىً خزرجيا
يدفع الضيم والظلامة عنها فتجافي عنه لنا يا منيا
أبلغ الحارث بن ظالمٍ الرع ديد والناذر النذور عليا
أنما يقتل النيام ولا يق تل يقظان ذا سلاحٍ كميا
ومعي شكتي معابل كالجم ر وأعددت صارماً مشرفيا
لو هبطت البلاد أنسيتك القت ل كما ينسئ النسيء النسيا

مسير الحارث إلى عمرو وانخذال عمرو عنه وشعر الحارث في ذلك:

قال: فلما بلغ الحارث شعره هذا ازداد حنقاً وغيظاً، فسار حتى أتى ديار بني الخزرج، ثم دنا من قبة عمرو بن الإطنابة، ثم نادى أيها الملك أغثني فإني جار مكثور وخذ سلاحك، فأجابه وخرج معه. حتى برز له عطف عليه الحارث وقال: أنا أبو ليلى! فاعتركا مليا من الليل. وخشي عمرو أن يقتله الحارث فقال له: يا حار، إني شيخ كبير وإني تعتريني سنة، فهل لك في تأخير هذا الأمر إلى غدٍ؟ فقال: هيهات! ومن لي به في غدٍ! فتجاولا ساعةً، ثم ألقى عمرو الرمح من يده وقال: يا حار ألم أخبرك أن النعاس قد يغلبني! قد سقط رمحي فاكفف، فكف. قال: أنظرني إلى غدٍ. قال: لا أفعل. قال: فدعني آخذ رمحي. قال: خذه قال: أخشى أن تعجلني عنه أو تفتك بي إذا أردت أخذه. قال: وذمة ظالمٍ لا أعجلتك ولا قاتلتك ولا فتكت بك حتى تأخذه. قال: وذمة الإطنابة لا آخذه ولا أقاتلك. فانصرف الحارث إلا قومه وقال مجيباً له:

اعزفا لي بلذة قينتيا قبل أن يبكر المنون عليا
قبل أن يبكر العواذل إني كنت قدماً لأمرهن عصيا
ما أبالي أراشد فاصبحاني حسبتني عواذلي أم غويا
بعد ألا أصر لله إثماً في حياتي ولا أخون صفيا
من سلافٍ كأنها دم ظبيٍ في زجاجٍ تخاله رازقيا

قد بلغتنا مقالة المرء عمرٍو فأنفنا وكان ذاك بديا
قد هممنا بقتله إذ برزنا ولقيناه ذا سلاحٍ كميا
غير ما نائمٍ تعلل بالحل م معداً بكفه مشرفيا
فمننا عليه بعد علوٍ بوفاءٍ وكنت قدماً وفيا
ورجعنا بالصفح عنه وكان ال من منا عليه بعد تليا

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني: منها في شعر عمرو بن الإطنابة: صوت: الغناء في شعر عمرو والحارث:

عللاني وعللا صاحبيا واسقياني من المروق ريا
إن فينا القيان يعزفن بالدف لفتياننا وعيشاً رخيا

غنته عزة الميلاء من رواية حماد عن أبيه خفيف رملٍ بالوسطى. قال حماد أخبرني أبي قال بلغني أن معبداً قال: دخلت على جميلة وعندها عزة الميلاء تغنيها في شعر عمرو بن الإطنابة الخزرجي:

عللاني وعللا صاحبيا

على معزفةٍ لها وقد أسنت، فما سمعت قط مثلها وذهبت بعقلي وفتنتني، فقلت: هذا وهي كبيرة مسنة! فكيف لو أدركتها وهي شابة! وجعلت أعجب منها.

ومنها في شعر الحارث بن ظالم: صوت:

ما أبالي إذا اصطحبت ثلاثاً أرشيداً حسبتيني أم غويا
من سلافٍ كأنها دم ظبيٍ في زجاجٍ تخاله رازقيا

غناه فليح بن أبي العوراء رملاً بالبنصر عن عمرو بن بانة. وغناه ابن محرزٍ خفيف ثقيلٍ أول بالخنصر من رواية حبشٍ .

ومنها: صوت:

بلغتنا مقالة المرء عمرٍو فأنفنا وكان ذاك بديا
قد هممنا بقتله إذ برزنا ولقيناه ذا سلاحٍ كميا

غناه مالك خفيف رملٍ بالبنصر من رواية حبش، وذكر إسحاق في مجرده أن الغناء في هذين البيتين ليونس الكاتب، و لم ينسب الطريقة ولا جنسها .

ونذكر ها هنا خبر رحرحان ويوم قتله إذ كان مقتل الحارث وخبره خبرهما: يوم رحرحان الثاني والسبب فيه: أخبرني علي بن سليمان ومحمد بن العباس اليزيدي في كتاب النقائض قالا قال أبو سعيدٍ الحسن بن الحسين السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة قال: كان من خبر رحرحان الثاني أن الحارث بن ظالمٍ المري لما قتل

خالد بن جعفر بن كلابٍ غدراً عند النعمان بن المنذر بالحيرة هرب فأتى زرارة بن عدسٍ فكان عنده، وكان قوم الحارث قد تشاءموا به فلاموه، وكره أن يكون لقومه زعم عليه و الزعم المنة فلم يزل في بني تميمٍ عند زرارة حتى لحق بقريش. وكان يقال : إن مرة بن عوفٍ من لؤي بن غالبٍ، وهو قول الحارث بن ظالمٍ ينتمي إلى قريش:

رفعت السيف إذ قالوا قريش وبينت الشمائل و القبابا

فما قومي بثعلبة بن سعدٍ ولا بفزارة الشعر الرقابا

وأتاهم لذلك النسب، فكان عند عبد الله بن جدعان. فخرجت بنو عامر إلى الحارث بن ظالمٍ حيث لجأ إلى زرارة وعليهم الأحوص بن جعفر، فأصابوا امرأة من بني تميمٍ وجدوها تحتطب، وكان في رأس الخيل التي خرجت في طلب الحارث بن ظالم شريح بن الأحوص، وأصابوا غلماناً يجتنون الكمأة. وكان الذي أصاب تلك المرأة رجلاً من غنيٍ، فأرادت بنو عامر أخذها منه، فقال الأحوص: لا تأخذوا أخيذة خالي. وكانت أم جعفر يعني أبا الأحوص خبية بنت رياح الغنوي وهي إحدى المنجبات. ويقال: أتى شريح بن الأحوص بتلك المرأة إليه ، فسألها عن بني تميمٍ، فأخبرتهم أنهم لحقوا بقومهم حين بلغهم مجيئكم ففعها الأحوص إلى الغنوي فقال: اعفجها الليلةواحذر أن تنفلت. فوطئها الغنوي ثم نام، فذهبت على وجهها. فلما أصبح دعوا بها فوجدوها قد ذهبت. فسألوه عنها فقال هذا حري رطباً من زبها. وكانت المرأة يقال لها حنظلة ، وهي بنت أخي زرارة بن عدسٍ. فأتت قومها، فسألها عمها زرارة عما رأت، فلم تستطع أن تنطق. فقال بعضهم: اسقوها ماءً حاراً فإن قلبها قد برد من الفرق، ففعلوا وتركوها حتى اطمأنت. فقالت: يا عم! أخذني القوم أمس وهم فيما أرى يريدونكم، فاحذر أنت وقومك. فقال: لا بأس عليك يا بنت أخي، فلا تذعري قومك ولا تروعيهم، وأخبريني ما هيئة القوم وما نعتهم. قالت: أخذني قوم يقبلون بوجوه الظباء، ويدبرون بأعجاز النساء. قال زرارة: أولئك بنو عامرٍ، فمن رأيت فيهم؟ قالت: رأيت رجلاً قد سقط حاجباه على عينيه فهو يرفع حاجبيه، صغير العينين، عن أمره يصدرون. قال: ذاك الأحوص بن جعفر. قلت: ورأيت رجلاً قليل المنطق، إذا تكلم اجتمع القوم لمنطقه كما تجتمع الإبل لفحلها، وهو من أحسن الناس وجهاً، ومعه ابنان له لا يدبر أبداً إلا وهما يتبعانه، ولا يقبل إلا وهما بين يديه. قال: ذلك مالك بن جعفر، وابناه عامر وطفيل. قالت: ورأيت رجلاً أبيض هلقامةً جسيماً والهلقامة الأفوه وقال: ذلك ربيعة ابن عبد الله بن أبي بكر بن كلابٍ. قالت: ورأيت رجلاً أسود أخنس قصيراً، إذا تكلم عذم القوم عذم المنخوس. قال: ذلك ربيعة بن قرط بن عبد بن أبي بكر بن كلابٍ . قالت: ورأيت رجلاً صغير العينين، أقرن الحاجبين، كثير شعر السبلة، يسيل لعابه على لحيته إذا تكلم. قال: ذلك حندج بن البكاء. قالت: ورأيت رجلاً صغير العينين، ضيق الجبهة طويلاً يقود فرساً له، معه جفير لا يجاوز يده. قال: ذلك ربيعة بن عقيل. قالت: ورأيت رجلاً آدم، معه ابنان له حسنا الوجه أصهبان، إذا أقبلا نظر القوم إليهما حتى ينتهيا، وإذا أدبرا نظروا إليهما . قال: ذلك عمرو بن خويلد بن نفيل بن عمرو بن كلابٍ ، وابناه يزيد وزرعة.

ويقال قالت: ورأيت فيهم رجلين أحمرين جسيمين ذوي غدائر لا يفترقان في ممشىً ولا مجلس، فإذا أدبرا اتبعهما القوم بأبصارهم، وإذا أقبلا لم يزالوا ينظرون إليهما حتى يجلسا. قال: ذانك خويلد وخالد ابنا نفيلٍ. قالت: ورأيت رجلاً آدم جسيماً كأن رأسه مجز غضورةٍ والغضورة: حشيش دقاق خشن قائم يكون بمكة. تريد أن شعره قائم خشن كأنه حشيش قد جز . قال: ذلك عوف بن الأحوص. قالت: ورأيت رجلاً كأن شعر فخذيه حلق الدروع. قال: ذلك شريح بن الأحوص. قالت: ورأيت رجلاً أسمر طويلاً يجول في القوم كأنه غريب. قال: ذلك عبد الله بن جعدة، ويقال قالت: ورأيت رجلاً كثير شعر الرأس، صخاباً لا يدع طائفةً من القوم إلا أصخبها . قال: ذلك عبد الله بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

أسر معبد بن زرارة ومقتله:

فسارت بنو عامر نحوهم، والتقوا برحرحان، وأسر يومئذٍ معبد بن زرارة، أسره عامر بن مالكٍ، واشترك في أسره طفيل بن مالك ورجل من غنيٍ يقال له أبو عميلة وهو عصمة بن وهبٍ وكان أخا طفيل بن مالك من الرضاعة. وكان معبد بن زرارة رجلاً كثير المال. فوفد لقيط بن زرارة على عامر بن مالك في الشهر الحرام وهو رجب، وكانت مضر تدعوه الأصم؛ لأنهم كانوا لا يتنادون فيه يا لفلانٍ ويا لفلانٍ، ولا يتغازون ولا يتنادون فيه بالشعارات ، وهو أيضاً منصل الأل. والأل: الأسنة؛ وكانوا إذا دخل رجب أنصلوا ، الأسنة من الرماح حتى يخرج الشهر. وسأل لقيط عامراً أن يطلق أخاه. فقال: أما حصتي فقد وهبتها لك، ولكن أرض أخي وحليفي اللذين اشتركا فيه. فجعل لقيط لكل واحدٍ مائةً من الإبل، فرضيا وأتيا عامراً فأخبراه. فقال عامر للقيطٍ: دونك أخاك، فأطلق عنه. فلما أطلق فكر لقيط في نفسه فقال: أعطيهم مائتي بعيرٍ ثم تكون لهم النعمة علي بعد ذلك! لا والله لا أفعل ذلك! ورجع إلى عامر فقال: إن أبي زرارة نهاني أن أزيد على مائةٍ دية مضر، فإن أنتم رضيتم أعطيتكم مائةً من الإبل. فقالوا: لا حاجة لنا في ذلك؛ فانصرف لقيط. فقال له معبد: مالي يخرجني من أيديهم. فأبى ذلك عليه فقال: إذاً يقتسم العرب بني زرارة. فقال معبد لعامر بن مالك: يا عامر! أنشدك الله لما خليت سبيلي، فإنما يريد ابن الحمراء أن يأكل كل مالي و لم تكن أمه أم لقيط . فقال له عامر: أبعدك الله! إن لم يشفق عليك أخوك فأنا أحق ألا أشفق عليك. فعمدوا إلى معبدٍ فشدوا عليه القد وبعثوا به إلى الطائف، فلم يزل به حتى مات. فذلك قول شريح بن الأحوص:

لقيط وأنت امرؤ ماجد ... ولكن حلمك لا يهتدي

ولما أمنت وساغ الشرا ... ب واحتل بيتك في ثهمد

رفعت برجليك فوق الفرا ... ش تهدي القصائد في معبد

وأسلمته عند جد القتال ... وتبخل بالمال أن تفتدي

شعر لعوف بن عطية يعير لقيطاً: وقال في ذلك عوف بن عطية بن الخرع التيمي يعير لقيط بن زرارة:

هلا فوارس رحرحان هجوتهم عشراً تناوح في سرارة واد
لا تأكل الإبل الغراث نباته ما إن يقوم عماده بعماد
هلا كررت على أخيك معبدٍ والعامري يقوده بصفاد
وذكرت من لبن المحلق شربةً والخيل تعدو بالصفاح بداد

بداد : متفرقة. والصفاح: موضع. والمحلق: موسومة بمحلقٍ على وجوهها، يقول ذكرت لبنها، يعني إبله

لو كنت إذ لا تستطيع فديته بهجان أدمٍ طارف وتلاد
لكن تركته في عميقٍ قعرها جزراً لخامعةٍ وطير عواد
لو كنت مستحياً لعرضك مرةً قاتلت أو لفديت بالأذواد

وفيها يقول نابغة بني جعدة:

هلا سألت بيومي رحرحان وقد ظنت هوازن أن العز قد زالا

مما قاله الشعراء في وقعة رحرحان: وفيها يقول مقدام أخو بني عدس بن زيدٍ في الإسلام، وقتلت بنو طهية ابناً للقعقاع بن معبدٍ، فتوادوا فأخذت بنو طهية منهم الفضل:

وأنتم بنو ماء السماء زعمتم ومات أبوكم يا بني معبدٍ هزلا

وقال المخبل السعدي يذكر معبداً:

فإت تك نالتنا كليب بقرةٍ فيومك فيهم بالمصيفة أبرد
هم قتلوا يوم المصيفة مالكاً وشاط بأيديهم لقيط ومعبد

وفيها يقول عياض بن مرثد بن أسيد بن قريط بن لبيدٍ في الإسلام:

نحن أسرنا معبداً يوم معبدٍ فما افتك حتى مات من شدة الأسر
ونحن قتلنابالصفا بعد معبدٍ أخاه بأطراف الردينية السمر

وهذا يوم شعب جبلة: السبب في يوم جبلة:

قال أبو عبيدة: وأما يوم جبلة، وكان من عظام أيام العرب؛ وكان عظام أيام العرب ثلاثة : يوم كلاب ربيعة، ويوم جبلة، ويوم ذي قارٍ. وكان الذي هاج ويوم جبلة أن بني عبس بن بغيضٍ حين خرجوا هاربين من بني ذبيان بن بغيضٍ وحاربوا قومهم خرجوا متلددين . فقال الربيع بن زيادٍ العبسي: أما والله لأرمين العرب بحجرها، اقصدوا لبني عامرٍ؛ فخرج حتى نزل مضيقاً من وادي بني عامر ثم قال: امكثوا. فخرج ربيع وعامر ابنا زيادٍ والحارث بن خليفٍ حتى نزلوا على ربيعة بن شكل بن كعب بن الحريش ، وكان العقد من بني عامر إلى بني كعب بن ربيعة وكانت الرياسة في بني كلاب بن ربيعة . فقال ربيعة بن شكلٍ: يا بني عبسٍ، شأنكم جليل،

وذحلكم الذي يطلب منكم عظيم، وأنا أعلم والله أن هذه الحرب أعز حربٍ حاربتها العرب قط. ولا والله ما بد من بني كلابٍ، فأمهلوني حتى أستطلع طلع قومي. فخرج في قومٍ من بني كعبٍ حتى جاؤوا بني كلابٍ، فلقيهم عوف بن الأحوص فقال: يا قوم، أطيعوني في هذا الطرف من غطفان، فاقتلوهم ، واغنموهم لا تفلح غطفان بعده أبداً. والله إن تزيدون على أن تسمنوهم وتمنعوهم ثم يصيروا لقومكم أعداء. فأبوا عليه، وانقلبوا حتى نزلوا على الأحوص بن جعفر فذكروا له من أمرهم . فقال لربيعة بن شكلٍ: أظللتهم ظلك وأطعمتهم طعامك؟ قال نعم، قال: قد والله أجرت القوم! فأنزلوا القوم وسطهم بحبوحة دارهم .

وذكر بشر بن عبد الله بن حيان الكلابي أن عبساً لما حاربت قومها أتوا بني عامر وأرادوا عبد الله بن جعدة وابن الحريش ليصيروا حلفاءهم دون كلابٍ؛ فأتى قيس بن زهيرٍ وأقبل نحو بني جعفر هو والربيع بن زيادٍ حتى انتهيا إلى الأحوص جالساً قدام بيته . فقال قيس للربيع: إنه لا حلف ولا ثقة دون أن أنتهي إلى هذا الشيخ. فتقدم إليه قيس فأخذ بمجامع ثوبه من وراء فقال: هذا مقام العائذ بك! قتلتم أبي فما أخذت له عقلاً ولا قتلت به أحداً، وقد أتيتك لتجيرنا. نعم! أنا لك جار مما أجير منه نفسي، وعوف بن الأحوص عن ذلك غائب. فلما سمع عوف بذلك أتى الأحوص وعنده بنو جعفرٍ فقال: يا معشر بني جعفر، أطيعوني اليوم واعصوني أبداً، وإن كنت والله فيكم معصياً. إنهم والله لو لقوا بني ذبيان لولوكم أطراف الأسنة إذا نكهوا في أفواههم بكلام! فابدأوا بهم فاقتلوهم واجعلوهم مثل البرغوث دماغه في دمه. فأبوا عليه وحالفوهم. فقال: والله لا أدخل في هذا الحلف! قال: وسمعت بهم حيث قر قرارهم بنو ذبيان، فحشدوا واستعدوا وخرجوا وعليهم حصن بن حذيفة بن بدرٍ ومعه الحليفان أسد وذبيان يطلبون بدم حذيفة، وأقبل معهم شرحبيل بن أخضر بن الجون والجون هو معاوية؛ سمي بذلك لشدة سواده ابن آكل المرار الكندي في جمع من كندة، وأقبلت بنو حنظلة بن مالكٍ والرباب عليهم لقيط بن زرارة يطلبون بدم معبد بن زرارة ويثربي بن عدسٍ، وأقبل معهم حسان بن عمرو بن الجون في جمعٍ عظيم من كندة وغيرهم، فأقبلوا إليهم بوضائع كانت تكون بالحيرة مع الملوك وهم الرابطة. وكان في الرباب رجل من أشرافهم يقال له النعمان بن قهوسٍ التيمي، وكان معه لواء من سار إلى جبلة، وكان من فرسان العرب. وله تقول دختنوس بنت لقيط بن زرارة يومئذٍ: شعر لدختنوس بنت لقيط تعير ابن قهوس:

قر ابن قهوس الشجا ... ع بكفه رمح متل

يعدو به حاظي البضي ... ع كأنه سمع أزل

إنك من تميمٍ فدع ... غطفان إن ساروا ورحلوا

متل: مستقيم، يتل به كل شيء. الخاظي: الشيء المكتنز. والسمع: ولد الضبع من الذئب والعسبار: ولد الذئب من الكلبة .

لا منك عدهم ولا ... آباك إن هلكوا وذلوا

فخر البغي بحدج رب تها إذا الناس استقلوا

لا حدجها ركبت ولا لرغال فيه مستظل

ولقد رأيت أباك وس ط القوم يربق أو يجل

متقلداً ربق الفرا ر كأنه في الجيد غل

تشاور بني عامر في أمرهم: يجل: يلقط البعر. والفرار: أولاد الغنم، واحدها فرارة .

قال: وكان معهم رؤساء بني تميم: حاجب بن زرارة ولقيط بن زرارة وعمرو بن عمرٍو وعتيبة بن الحارث بن شهابٍ، وتبعهم غثاء من غثاء الناس يريدون الغنيمة، فجمعوا جمعاً لم يكن الجاهلية قط مثله أكثر كثرةً، فلم تشك العرب في هلاك بني عامر. فجاؤوا حتى مروا ببني سعد بن زيد مناة، فقالوا لهم: سيروا معنا إلى بني عامر. فقالت لهم بنو سعدٍ: ما كنا لنسير معكم ونحن نزعم أن عامر بن صعصعة ابن سعد بن زيد مناة . فقالوا: أما إذا أبيتم أن تسيروا معنا فاكتموا علينا. فقالوا: أما هذا فنعم. فلما سمعت بنو عامر بمسيرهم اجتمعوا إلى الأحوص بن جعفرٍ، وهو يومئذٍ شيخ كبير قد وقع حاجباه على عينيه وقد ترك الغزو غير أنه يدبر أمر الناس، وكان مجرباً حازماً ميمون النقيبة، فأخبروه الخبر، فقال لهم الأحوص: قد كبرت، فما أستطيع أن أجيء بالحزم وقد ذهب الرأي مني. ولكني إذا سمعت عرفت، فأجمعوا آراءكم ثم بيتوا ليلتكم هذه ثم اغدوا علي فاعرضوا علي آراءكم، ففعلوا. فلما أصبح غدوا عليه، فوضعت له عباءة بفنائه فجلس عليها. ورفع حاجبيه عن عينيه بعصابة ثم قال: هاتوا ما عندكم. فقال قبس بن زهيرٍ العبسي: بات في كنانتي الليلة مائة رأيٍ. فقال له الأحوص يكفينا منها رأي واحد حازم صليب مصيب، هات فانثر كنانتك. فجعل يعرض كل رأيٍ رآه حتى أنفد. فقال له الأحوص: ما أرى بات في كنانتك الليلة رأي واحد! وعرض الناس آرائهم حتى أنفدوا. فقال: ما أسمع شيئاً وقد صرتم إلي، احملوا أثقالكم وضعفاءكم ففعلوا، ثم قال: احملوا ظعنكم فحملوها، ثم قال: اركبوا فركبوا، وجعلوه في محفةٍ وقال: انطلقوا حتى تعلوا في اليمين ، فإن أدرككم أحد كررتم عليه، وإن أعجزتموهم مضيتم. فسار الناس حتى أتوا وادي بحارٍ ضحوةً، فإذا الناس يرجع بعضهم على بعض. فقال الأحوص: ما هذا؟ قيل هذا عمرو بن عبد الله بن جعدة في فتيانٍ من بني عامرٍ يعقرون بمن أجاز بهم ويقطعون بالنساء حواياهن .

فقال الأحوص قدموني، فقدموه حتى وقف عليهم فقال: ما هذا الذي تصنعون ؟! قال عمرو: أردت أن تفضحنا وتخرجنا هاربين من بلادنا ونحن أعز العرب، وأكثرهم عدداً وجلداً وأحدهم شوكة! تريد أن تجعلنا موالي في العرب إذ خرجت بنا هارباً !. قال: فكيف أفعل وقد جاءنا ما لا طاقة لنا به! فما الرأي؟ قال: نرجع إلى شعب جبلة فنحرز النساء والضعفة والذراري والأموال في رأسه ونكون في وسطه ففيه ثمل أي خصب وماء . فإن أقام من جاءك أسفل أقاموا على غير ماء ولا مقام لهم، وإن صعدوا عليك قاتلتهم من فوق رؤوسهم بالحجارة، فكنت في حرزٍ وكانوا في غير حرزٍ، وكنت على قتالهم أقوى منهم على قتالك. قال: هذا والله الرأي، فأين كان

هذا عنك حين استشرت الناس؟ قال: إنما جائني الآن. قال الأحوص للناس: ارجعوا فرجعوا. ففي ذلك يقول نابغة لبني جعدة:

ونحن حبسنا الحي عبساً وعامراً لحسان وابن الجون إذ قيل أقبلا
وقد صعدت وادي بحارٍ نساؤهم كإصعاد نسرٍ لا يرومون منزلا
عطفنا لهم عطف الضروس فصادفوا من الهضبة الحمراء عزاً ومعقلا

الضروس: الناقة العضوض فدخلوا شعب جبلة. وجبلة: هضبة حمراء بين الشريف والشرف. والشريف: ماء لبني نميرٍ. والشرف ماء لبني كلابٍ. وجبلة: جبل عظيم له شعب عظيم واسع، لا يؤتى الجبل إلا من قبل الشعب، والشعب متقارب المدخل وداخله متسع، وبه اليوم عرينة من بجيلة .

دخولهم شعب جبلة: فدخلت بنوعامر شعباً منه يقال له مسلح، فحصنوا النساء والذراري والأموال في رأس الجبل، وحلوا الإبل عن الماء، واقتسموا الشعب بالقداح فأقرع بين القبائل في شظاياه ، فخرجت بنو تميمٍ ومعهم بارق حي من الأزد حلفاء يومئذٍ لبني نميرٍ. وبارق هو سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامرٍ ماء السماء. وسمي مزيقياء لأنه كان يمزق عليه كل يومٍ حلةً فولجوا الخليف والخليف: الطريق بين الشعبين شبه الزقاق لأن سهمهم تخلف. وفيه يقول معقر بن أوس بن حمارٍ البارقي:

ونحن الأيمنون بنو نميرٍ يسيل بنا أمامهم الخليف

قال: وكان معقر يومئذٍ شيخاً كبيراً ومعه هؤلاء ابنة له تقود به جمله. فجعل يقول لها: من أسهل من الناس؟ فتخبره وتقول هؤلاء بنو فلان، وهؤلاء بنو فلان، حتى إذ تناهى الناس قال: اهبطي، لا يزال الشعب منيعاً سائر هذا اليوم، وهبط . وكانت كبشة بنت عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلابٍ يومئذٍ حاملاً بعامر بن الطفيل. فقالت: ويلكم يا بني عامرٍ ارفعوني! فوالله إن في بطني لعز بني عامر. فصفوا القسي على عواتقهم ثم حملوها حتى أثووها بالقنة يقال قنة وقنان . فزعموا أنها ولدت عامراً يوم فرغ الناس من القتال .

من شهد الوقعة من القبائل: فشهدت بنو عامر كلها جبلة إلا هلال بن عامرٍ وعامر بن ربيعة بن عامرٍ، وشهدها مع بني عامرٍ من العرب بنو عبس بن رفاعة بن الحارث بن بهثة بن سليم وكان لهم بأس وحزم وعليهم مرداس بن أبي عامرٍ، وهو أبو العباس بن مرداسٍ. وكانت بنو عبس بن رفاعة حلفاء بني عمرو بن كلابٍ .

تفرق بجيلة في بطون بني عامر: وزعم بعض بني عامرٍ أن مرداساً كان مع أخواله غنيٍ ، وكانت أمه فاطمة بنت جلهمة الغنوية. وشهدتها غني وباهلة وناس من بني سعد بن بكرٍ وقبائل بجيلة كلها إلا قسراً لحربٍ كانت بين قسرٍ وقومها، فارتحلت بجيلة فتفرقت في بطون بني عامرٍ، فكانت عادية بن عامرٍ ابن قدادٍ من بجيلة في بني عامر بن ربيعة، وكانت سحمة من بجيلة في بني جعفر بن كلابٍ ويقال: عمرو بن كلاب وكانت عرينة من نجيلة في

عمرو بن كلابٍ وكانت بنو قيس كبة لفرسٍ يقال لها كبة من بجيلة في بني عامر بن ربيعة وكانت فتيان في بني عامر بن ربيعة، وبنو قطيعة من بجيلة في بني أبي بكر بن كلابٍ، ونصيب بن عبد الله من بجيلة في بني نميرٍ، وكانت ثعلبة والخطام من بجيلة ، في بني عامر بن ربيعة، وبنو عامر بن معاوية بن زيد من بجيلة في بني أبي بكر بن كلابٍ معهم يومئذٍ نفير من عكلٍ، فبلغ جمعهم ثلاثين ألفاً. وعمي على بني عامر الخبر. فجعلوا لا يدرون ما قرب القوم من بعدهم .

ما فعله كرب بن صفوان لتميم وأسد: وأقبلت تميم وأسد ولفهم نحو جبلة، فلقوا كرب بن صفوان بن شجنة بن عطارد بن عوف بن كعب بن سعيد بن زيد مناة، فقالوا له: أين تذهب؟ أتريد أن تنذر بنار بني عامر؟ قال لا. قالوا: فأعطنا عهداً وموثقاً ألا تفعل؛ فأعطاهم فخلوا سبيله. فمضى مسرعاً على فرسٍ له عريٍ ، حتى إذا نظر إلى مجلس بني عامر وفيهم الأحوص نزل تحت شجرةٍ حيث يرونه؛ فأرسلوا إليه يدعونه، قال: لست فاعلاً، ولكن إذا رحلت فأتوا مترلي فإن الخبر فيه. فلما جاؤوا مترله إذا فيه تراب في صرةٍ وشوك قد كسر رؤوسه وفرق جهته، وإذا حنظلة موضوعة، وإذا وطب معلق فيه لبن. فقال الأحوص: هذا رجل قد أخذ عليه المواثيق ألا يتكلم، وهو يخبركم أن القوم مثل التراب كثرةً، وان شوكتهم كليلة وهم متفرقون ، وجاءتكم بنو حنظلة. أنظروا ما في الوطب، فاصطبوه فإذا فيه لبن حزر قرص . فقال القوم منكم على قدر حلاب اللبن إلى أن يحزر. فقال رجل من بني يربوعٍ ويقال قالته دختنوس بنت لقيط بن زرارة

كرب بن صفوان بن شجنة لم يدع ... من دارمٍ أحداً ولا من نهشل

أجعلت يربوعاً كقورة دائرٍ ... ولتحلفن بالله أن لم تفعل

وذلك قول عامر بن الطفيل بعد جبلة بحينٍ:

ألا أبلغ لديك جموع سعدٍ ... فبيتوا لن نهيجكم نياما

نصحتم بالمغيب ولم تعينوا ... علينا إنكم كنتم كراما

ولو كنتم مع ابن الجون كنتم ... كمن أودى وأصبح قد ألاما

صعود بني عامر الشعب وتشاور أعدائهم في الصعود إليهم: فلما استيقنت بنو عامرٍ بإقبالهم صعدوا الشعب، وأمر الأحوص بالإبل التي ظمئت قبل ذلك فقال: اعقلوها كل بعيرٍ بعقالين في يديه جميعاً. وأصبح لقيط والناس نزول به، وكانت مشورتهم إلى لقيطٍ؛ فاستقبلهم جمل عود أجرب أخذ أعصل كاشر عن أنيابه؛ فقال الحزاة من بني أسد والحازي العائف اعقروه. فقال لقيط: والله لا يعقر حتى يكون فحل إبلي غداً. وكان البعير من عصافير المنذر التي أخذها قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشيرٍ. والعصافير: إبل كانت للملوك نجائب ثم استقبلهم معاوية بن عبادة بن عقيلٍ وكان أعسر فقال:

أنا الغلام الأعسر ... الخير في والشر

فتشاءمت بنو أسدٍ وقالوا: ارجعوا عنهم وأطيعونا. فرجعت بنو أسدٍ فلم تشهد جبلة مع لقيطٍ إلا نفيراً يسيراً، منهم شأس بن أبي بليٍ أبو عمرو بن شأسٍ الشاعر، ومعقل بن عامرٍ بن موءلة المالكي. وقال الناس للقيطٍ: ما ترى؟ فقال: أرى أن تصعدوا إليهم. فقال شأس: لا تدخلوا على بني عامر؛ فإني أعلم الناس بهم، قد قاتلتهم وقاتلوني وهزمتم وهزموني، فما رأيت قوماً قط أقلق بمنزلٍ من بني عامر! والله ما وجدت لهم مثلاً إلا الشجاع؛ فإنه لا يقر في حجره قلقاً، وسيخرجون إليكم. والله لئن بتم هذه الليلة لا تشعرون بهم إلا وهم منحدرون عليكم. فقال لقيط: والله لندخلن عليهم. فأتوهم وقد أخذوا حذرهم. وجعل الأحوص ابنه شريحاً على تعبئة الناس. فأقبل لقيط وأصحابه مدلين فأسندوا إلى الجبل حتى ذرت الشمس. فصعد لقيط في الناس وأخذ بحافتي الشجن . فقالت بنو عامر للأحوص: قد أتوك. فقال: دعوهم. حتى إذا نصفوا الجبل وانتشروا فيه، قال الأحوص: حلة عقل الإبل ثم احدروها واتبعوا آثارها ، وليتبع كل رجلٍ منكم بعيره حجرين أو ثلاثةً، ففعلوا ثم صاحوا بها، فلم يفجأ الناس إلا الإبل تريد الماء والمرعى، وجعلوا يرمونهم بالحجارة والنبل؛ وأقبلت الإبل تحطم كل شيء مرت به، وجعل البعير يدهدي بيديه كذا وكذا حجراً. وقد كان لقيط واصحابه سخروا منهم حين صنعوا بالإبل ما صنعوا. فقال رجل من بني أسدٍ:

زعمت أن العير لا تقاتل ... بلى إذا تقعقع الرحائل

واختلف الهندي والذوابل ... وقالت الأبطال من ينازل

بلى وفيها حسب ونائل

شعر لبعض بني عامر في الوقعة: فانحط الناس منهزمين من الجبل حتى السهل. فلما بلغ الناس السهل لم يكن لأحدٍ منهم همة إلا أن يذهب على وجهه، فجعلت بنو عامر يقتلونهم ويصرعونهم بالسيوف في آثارهم، فانهزموا شر هزيمة. فجعل رجل من بني عامرٍ يومئذٍ يرتجز ويقول:

لم أر يوماً مثل يوم جبله ... يوم أتتنا أسد وحنظله

وغطفان والملوك أزفله ... نضربهم بقضبٍ منتخله

لم تعد أن أفرش عنها الصقله ... حتى حدوناهم حداء الزوملة

وجعل معقل بن عامر يرتجز ويقول:

يوم حماة الشعب يوم جبله ... بكل عضبٍ صارمٍ ومعبله

وهيكلٍ نهدٍ معاً وهيكله

المعبلة: السهم إذا كان نصله عريضاً فهو معبلة، والرقيق: القطبة .

قتال بني تميم ضد بني عامر: وخرجت بنو تميم من الخليف على الخيل فكركروا الناس يعني ردوهم وانقطع شريح بن الأحوص في فرسان حتى أخذ الجرف فقاتل الناس قتالاً شديداً هناك، وجعل لقيط يومئذٍ وهو على برذونٍ له مجففٍ بديباج أعطاه إياه كسرى وكان أول عربي جفف يقول:

عرفتكم والدمع مِ العين يكف ... لفارسٍ أتلفتموه ما خلف

إن النشيل والشواء والرغف ... والقينة الحسناء والكأس الأنف

وصفوة القدر وتعجيل اللقف ... للطاعنين الخيل والخيل قطف

وجعل لا يمر به أحد من الجيش إلا قال له : أنت والله قتلتنا وشتمتنا . فجعل يقول:

يا قوم قد أحرقتموني باللؤم ... ولم أقاتل عامراً قبل اليوم

فاليوم إذ قاتلتهم فلا لوم ... تقدموا وقدموني للقوم

شتان هذا والعناق والنوم ... والمضجع البارد في ظل الدوم

وقال شأس بن أبي بلي يجيبه:

لكن أنا قاتلتها قبل اليوم ... إذا كنت لا تعصي أموري في القوم

وجعل لقيط يقول: من كر فله خمسون ناقةً، وجعل يقول:

أكلكم يزجركم أرحب هلا ... ولن تروه الدهر إلا مقبلا

يحمل زغفاً ورئيساً حجفلا ... وسائلاً في أهله ما فعلا

وجعل يقول أيضاً:

أشقر إن لم تتقدم تنحر ... وإن تأخر عن هياجٍ تعقر

ثم عاد يقول:

إن الشواء والنشيل والرغف

فأجابه شريح بن الأحوص:

إن كنت ذا صدقٍ فأقحمه الجرف ... وقرب الأشقر حتى تعترف

وجوهنا إنا بنو البيض العطف

سقوط لقيط في الموقعة:

وبينه وبينه جرف منكر، فضرب لقيط فرسه وأقحمه عليه الجرف؛ فطعنه شريح فسقط . وقد اختلفوا في ذلك،

فذكروا أن الذي طعنه جزء بن خالد بن جعفرٍ، وبنو عقيلٍ تزعم أن عوف بن المنتفق العقيلي قتله يومئذٍ وأنشأ يقول:

ظلت تلوم لما بها عرسي ... جهلاً وأنت حليمة أمس

إن تقتلوا بكري وصاحبه ... فلقد شفيت بسيفه نفسي

فقتلته في الشعب أول فارسٍ ... في الشرق قبل أن ترحل الشمس

فزعموا أن عوفاً هذا قتل يومئذٍ ستة نفرٍ، وقتل ابن له وابن أخ له. وأم العلماء فلا يشكون أن شريحاً قتله، وارتث وبه طعنات والارتثاث أن يحمل وهو مجروح، فإن حمل ميتاً فليس بمرتث فبقي يوماً ثم مات. فجعل لقيط يقول عند موته:

يا ليت شعري عنك دختنوس ... إذا اتاك الخبر المرسوس

أتحلق القرون أم تميس ... لا بل تميس إنها عروس

دختنوس بنت لقيط بن زرارة، وكانت تحت عمرو بن عمرو بن عدسٍ. وجعلت بنو عبسٍ يضربونه وهو ميت، فقالت دختنوس: شعر لدختنوس في أبيها:

ألا يا لها الويلات ويلات من بكى ... لضرب بني عبس لقيطاً وقد قضى

لقد ضربوا وجهاً عليه مهابة ... وما تحفل الصم الجنادل من ردى

فلو أنكم كنتم غداة لقيتم ... لقيطاً صبرتم للأسنة والقنا

غدرتم ولكن كنتم مثل خضبٍ ... أصاب لها القناص من جانب الشرى

فما ثأره فيكم ولكن ثأره ... شريح وأردته الأسنة إذ هوى

فإن تعقب الأيام من عامرٍ يكن ... عليهم حريقاً لا يرام إذا سما

ليجزيهم بالقتل قتلا مضعفاً ... وما في دماء الحمس يا مال من بوا

ولو قتلتنا غالب كان قتلها ... علينا من العار المجدع للعلا

لقد صبرت كعب وحافظت ... كلاب وما أنتم هناك لمن رأى

وقالت دختنوس أيضاً:

لعمري لئن لاقت من الشر دارم ... عناء لقد آبت حميداً ضرابها

فما جيئوا بالشعب إذ صبرت لهم ... ربيعة يدعى كعبها وكلابها

عصوا بسيوف الهند واعتكرت لهم ... براكاء موتٍ لا يطير غرابها

براكاء: مباركة القتال وهو الجد في القتال. يقال للرجل إذا وقع خطب لا يطير غرابه . وقالت دختنوس:

بكر النعي بخير خن ... دف كهلها وشبابها
وبخيرها نسباً إذا ... عدت إلى أنسابها
فرت بنو أسدٍ خرو ... د الطير عن أربابها
لم يحفلوا نسباً ولم ... يلووا لفيء عقابها

من قتل في الموقعة ومن نجا وأخبارهم: وقتل يومئذٍ قريظ بن معبد بن زرارة، وزيد بن عمرو بن عدس قتله الحارث بن الأبرص بن ربيعة بن عامر بن عقيل، وقتل الفلتان بن المنذر بن سلمى بن جندل بن نهشلٍ، وقتل أبو إياس بن حرملة بن جعدة بن العجلان بن حشورة بن عجب بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان وهو يقول:

أقدم قطين إنهم بنو عبس ... المعشر الحلة في القوم الحمس

الحلة : لم يكونوا يتشددون في دينهم. قال: واستلحم عمرو بن حسحاس بن وهب بن أعياء ابن طريفٍ الأسدي، فاستنقذه معقل بن عامر بن موءلة فداواه وكساه. فقال معقل في ذلك:

يديت على ابن حسحاس بن وهبٍ ... بأسفل ذي الجذاة يد الكريم
قصرت له من الدهماء لما ... شهدت وغاب من له من حميم
ولو أني أشاء لكنت منه ... مكان الفرقدين من النجوم
أخبره بأن الجرح يشوي ... وأنك فوق عجلزةٍ جموم

يقول: إن الجرح الذي بك شوى لم يصب منك مقتلاً

ذكرت تعلة الفتيان يوماً ... وإلحاق الملامة بالمليم

قال: وحمل معاوية بن يزيد الفزاري فأخذ كبشة بنت الحجاج بن معاوية بن قشير، وكانت عند مالك بن خفاجة بن عمرو بن عقيل، فحمل معاوية بن خفاجة أخو مالكٍ على معاوية بن يزيد فقتله واستنقذ كبشة، وقال: يا بني عامر، إنهم يموتون، وقد كان قيل لهم إنهم لا يموتون. ونزل حسان بن عامر بن الجون وصاح: يا آل كندة! فحمل عليه شريح بن الأحوص؛ فاعترض دون ابن الجون رجل من كندة يقال له حوشب، فضربه شريح بن الأحوص في رأسه فانكسر السيف فيه، فخرج يعدو بنصف السيف وكان مما رعب الناس مكانه. وشد طفيل بن مالك بن جعفر فأسر حسان بن الجون، وشد عوف بن الأحوص على معاوية بن الجون فأسره وجز ناصيته وأعتقه على الثواب. فلقيته بنو عبس، فأخذه قيس بن زهير فقتله. فأتاهم عوف فقال: قتلتم طليقي فأحيوه أو ائتوني بملك مثله. فتخوفت بنو عبس شره وكان مهيباً، فقالوا: أمهلنا. فانطلقوا حتى أتوا أبا براء عامر بن مالك

بن جعفر يستغيثونه على عوف، فقال: دونكم سلمى بن مالك فإنه نديمه وصديقه وكانا مشتبهين أحمرين أشقرين ضخمةً أنوفهما، وكان في سلمى حياء فأتوه فقال: سأكلم لكم طفيلاً حتى يأخذ أخاه فإنه لا ينجيكم من عوف إلا ذلك، وايم الله ليأتين شحيحاً. فانطلقوا إليه، فقال طفيل: قد أتوني بك، ما أعرفني بما جئتم له! أتيتموني تريدون مني ابن الجون تقيدون به من عوف، خذوه فأعطاهم إياه؛ فأتوا به عوفاً فجز ناصيته وأعتقه؛ فسمي الجزاز. فذلك قول نافع بن الخنجر بن الحكم بن عقيل بن طفيل بن مالك في الإسلام:

قضينا الجون عن عبسٍ وكانت ... منية معبدٍ فينا هزالا

قال: وشهدها لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر وهو ابن تسع سنين، ويقال: كان ابن بضع عشرة سنة، وعامر بن مالك يقول له: اليوم يتمت من أبيك إن قتل أعمامك. وقتل يومئذٍ زهير بن عمرو بن معاوية، وجد مقتولاً بين ظهراني صفوف بني عامر حيث لم يبلغ القتال؛ وهو معاوية الضباب بن كلابٍ. فقال أخوه حصين للذي قتله:

يا ضبعاً عثواء لا تستأنسي ... تلتقم الهبر من السقب الرذي

أقسم بالله وما حجت بلي ... وما على العزى تعزه غني

وقد حلفت عند منحر الهدي ... أعطيكم غير صدور المشرفي

فليس مثلي عن زهيرٍ بغنى ... هو الشجاع والخطيب اللوذعي

والفارس الحازم والشهم الأبي ... والحامل الثقل إذا ينزل بي

وذكروا أن طفيل بن مالك لما رأى القتال يوم جبلة قال: ويلكم! وأين نعم هؤلاء! فأغار على نعم عمرٍو وإخوته وهم من بني عبد الله بن غطفان ثم من بني الثرماء، فاستاق ألف بعير. فلقيه عبيدة بن مالك فاستجداه، فأعطاه مائة بعير، وقال: كأني بك قد لقيت ظبيان بن مرة بن خالد فقال لك: أعطاك من ألفه مائةً! فجئت مغضباً. فلقي عبيدة ظبيان، فقال له: كم أعطاك؟ قال: مائة. فقال: أمائة من ألف! فغضب عبيدة. قال: وذكر أن عبيدة تسرع يومئذٍ إلى القتال، فنهاه أخواه عامر وطفيل أن يفعل حتى يرى مقاتلاً، فعصاهما وتقدم، فطعنه رجل في كتفه حتى خرج السنان من فوق ثديه فاستمسك فيه السنان، فأتى طفيلاً فقال له: دونك السنان فانزعه، فأبى أن يفعل ذلك غضباً، فأتى عامراً فلم ينزعه منه غضباً، فأتى سلمى بن مالك فانتزعه منه، وألقي جريحاً مع النساء حتى فرغ القوم من القتال. وقتلت بنو عامرٍ يومئذ من تميم ثلاثين غلاماً أغرل . وخرج حاجب بن زرارة منهزماً، وتبعه الزهدمان زهدم وقيس ابنا حزن بن وهب بن عويمر بن رواحة العبسيان، فجعلا يطردان حاجباً ويقولان له: استأسر وقد قدرا عليه، فيقول: من أنتما؟ فيقولان: الزهدمان، فيقول: لا أستأسر اليوم لمولين. فبينما هم كذلك إذ أدركهم مالك ذو الرقيبة بن سلمة بن قشير، فقال لحاجب: استأسر. قال: ومن أنت؟ قال: أنا مالك ذو الرقيبة. فقال: أفعل، فلعمري ما أدركتني حتى كدت أن أكون عبداً. فألقى إليه رمحه؛

واعتنقه زهدم فألقاه عن فرسه. فصاح حاجب: يا غوثاه. وندر السيف، وجعل زهدم يريغ قائم السيف. فنزل مالك فاقتلع زهداً عن حاجب. فمضى زهدم وأخوه فمضى زهدم وأخوه حتى أتيا قيس ابن زهير ابن جذيمة فقالا: أخذ مالك أسيرنا من أيدينا. قال: ومن أسيركما؟ قالا: حاجب بن زرارة. فخرج قيس يتمثل قول حنظلة بن الشرقي القيني أبي الطمحان رافعاً صوته يقول:

أجد بني الشرقي أولع أنني ... متى أستجر جاراً وإن عز يغدر

إذا قلت أوفى أدركته دروكة ... فيا موزع الجيران بالغي أقصر

حتى وقف على بني عامر فقال: إن صاحبكم أخذ أسيرنا. قالوا: من صاحبنا؟ قال: مالك ذو الرقيبة أخذ حاجباً من الزهدمين. فجاءهم مالك فقال: لم آخذه منهما، ولكنه استأسر لي وتركهما. فلم يبرحوا حتى حكموا حاجباً في ذلك وهو في بيت ذي الرقيبة، فقالوا: من أسرك يا حاجب؟ فقال: أما من ردني عن قصدي ومنعني أن أنجو ورأى مني عورة فتركها فالزهدمان. وأما الذي أستأسرت له فمالك؛ فحكموني في نفسي. قال له القوم: قد جعلنا إليك الحكم في نفسك. فقال: أما مالك فله ألف ناقةٍ، وللزهدمين مائة. فكان بين قيس بن زهير وبين الزهدمين مغاضبة بعد ذلك؛ فقال قيس:

جزاني الزهدمان جزاء سوءٍ ... وكنت المرء يجزى بالكرامه

وقد دافعت قد علمت معد ... بني قرطٍ وعمهم قدامه

ركبت بهم طريق الحق حتى ... أثبتهم بها مائةً ظلامه

وقال جرير في ذلك:

ويوم الشعب قد تركوا لقيطاً ... كأن عليه حلة أرجوان

وكبل حاجب بشمام حولاً ... فحكم ذا الرقيبة وهو عاني

وأما عمرو بن عمرو بن عدسٍ فأفلت يومئذٍ. فزعمت بنو سليمٍ أن الخيل عرضت على مرداس بن أبي عامر يوم جبلة، وكان أبصر الناس بالخيل، فعرضت عليه فرس لغلامٍ من بني كلابٍ، فقال: والله لا أعجزها ولا أدركها ذكر ولا أنثى؛ فهذا ردائي بها خمس وعشرون ناقةً. فلما انهزم الناس يوم جبلة خرج الكلابي على فرسه تلك يطلب عمرو بن عمرو. قال الكلابي: فراكضته نهاراً على السواء، والله ما علمت أنه سبقني بمقدارٍ أعرفه، ثم زاد مكانه ونقصت . فقلت: قمر والله مرداس. وهوى عمرو إلى فرسه فضربها بالسوط فانكشفت، فإذا هي خنثى، لا ذكر ولا أنثى، فأخبرتهم أني سبقت، فقال: قمر السلمي. فقلت لا، ثم أخبرتهم الخبر. فقال مرداس:

تمطت كميت كالهراوة ضامر ... لعمرو بن عمرٍو بعدما مس باليد

فلولا مدى الخنثى وبعد جرائها ... لقاظ ضعيف النهض حق مقيد

تذكر ربطاً بالعراق وراحةً وقد خفق الأسياف فوق المقلد

وزعم علماء بني عامر أنه لما انهزم الناس خرجت بنو عامر وحلفاؤهم في آثارهم يقتلون ويأسرون ويسلبون، فلحق قيس بن النتفق بن عامر بن طفيل بن عقيلٍ عمرو بن عمرو فأسره. فأقبل الحارث بن الأبرص بن ربيعة بن عقيلٍ في سرعان الخيل ، فرآه عمرو مقبلاً فقال لقيس: إن أدركني الحارث قتلني وفاتك ما تلتمس عندي، فهل أنت محسن إلي وإلى نفسك! تجز ناصيتي فتجعلها في كنانتك، ولك العهد لأفين لك، ففعل. وأدركهما الحارث وهو ينادي قيساً ويقول: اقتل اقتل. فلحق عمرو بقومه. فلما كان الشهر الحرام خرج قيس إلى عمرو ويستثيبه، وتبعه الحارث بن الأبرص حتى قدما على عمرو بن عمرو؛ فأمر عمرو بن عمرو ابنة أخيه آمنة بنت زيد بن عمرو فقال: اضربي على قيس الذي أنعم على عمك هذه القبة. وكان الحارث قتل أباها زيداً يوم جبلة. فجاءت بالقبة فرأت الحارث أهيأهما وأجملهما، فظنته قيساً فضربت القبة على رأسه وهي تقول: هذا والله رجل لم يطلع الدهر عليه بما اطلع به علي. فلما رجعت إلى عمها عمرو قال: يابنة أخي، على من ضربت القبة؟ فنعتت له نعت الحارث. فقال: ضربتها والله على رجلٍ قتل أباك وأمر بقتل عمك. فجزعت مما قال لها عمها. فقال الحارث بن الأبرص:

أما تدرين يابنة آل زيدٍ أمين بما أجن اليوم صدري

فكم من فارسٍ لم ترزئيه فتى الفتيان في عيصٍ وقصر

رأيت مكانه فصددت عنه فأعيا أمره وشددت أزري

لقد أمرته فعصى إماري بأم عزيمةٍ في جنب عمرو

أمرت به لتخمش حنتاه فضيع أمره قيس وأمري

الحنة الزوجة. يقال حنته، وطلته . ثم إن عمراً قال: يا حار، ما الذي جاء بك! فوالله ما لك عندي نعمة، ولقد كنت سيء الرأي فيّ، قتلت أخي وأمرت بقتلي. فقال: بل كففت عنك ، ولو شئت إذا أدركتك لقتلتك. قال: ما لك عندي من يد، ثم تذمم منه فأعطاه مائةً من الإبل، ثم انطلق فذهب الحارث فلما جاء عمراً قيس أعطاه إبلاً كثيرة، فخرج قيس بها، حتى إذا دنا من أهله سمع به الحارث بن الأبرص فخرج في فوارس من بني أبيه عرض لقيس فأخذ ما كان معه. فلما أتى قيس بني أبيه بني المنتفق اجتمعوا إليه وأرادوا الخروج. فقال: مهلاً! لا تقاتلوا إخوتكم؛ فإنه يوشك أن يرجع وأن يؤول إلى الحق فإنه رجل حسود. فلما رأى الحارث أن قيساً قد كف عنه رد إليه ما أخذ منه .

وأما عتيبة بن الحارث بن شهابٍ فإنه أسر يومئذٍ فقيد في القد، وكان يبول على قده حتى عفن. فلما دخل الشهر الحرام هرب فأفلت منهم بغير فداء .

وغنم مرداس بن أبي عامر عنائم وأخذ رجلاً فأخذ منه مائة ناقة، فانتزعها منه بنو أبي بكر ابن كلاب؛ فخرج مرداس إلى يزيد بن الصعق، وكان له خليلاً، فانتهى إليه مرداس وهو يقول:

لعمرك ما ترجو معد ربيعها ... رجائي يزيداً بل رجائي أكثر

يزيد بن عمرو خير من شد ناقةً ... بأقتادها إذا الرياح تصرصر

تداعت بنو بكر علي كأنما ... تداعت علي بالأحزة بربر

تداعوا علي أن رأوني بخلوةٍ ... وأنتم بأحدان الفوارس أبصر

ويروى بوحدان. فركب يزيد حتى أخذ الإبل من بني أبي بكر فردها إليه. فطرقه البكريون فسقوه الخمر حتى سكر، ثم سألوه الإبل فأعطاهم إياها. فلما أصبح ندم، فخرج إلى يزيد فوجد الخبر قد جاءه. فقال له يزيد: أصاحٍ أنت أم سكران ؟! فانصرف فاطرد إبلاً من إبل بني جعفر فذهب بها وأنشأ يقول:

أجن بليلى قلبه أن تذكرا ... منازل منها حول قرى ومحضرا

تخر الهدال فوق خيمات أهلها ... ويرسون حساً بالعقال مؤطرا

الحس: الفرس الخفيفة. والمؤطر: العطوف

سآبى وأستغني كما قد أمرتني ... وأصرف عنك العسر لست بأفقرا

وإن سليماً والحجاز مكانها ... متى اتهم أجد لبيي مهجرا

المهجر: الموضع الصالح؛ يقال: هذا أهجر من هذا إذا كان أجود منه وأصلح

يفرج عني حدهم وعديدهم ... وأسرج لبدي خارجياً مصدرا

قصرت عليه الحالبين فجوده ... إذا ما عدا بل الحزام وأمطرا

الحالبين: الراعيين. يقول احتبستهما

فخذ إبلاً إن العتاب كما ترى ... على خذمٍ ثم ارم للنصر جعفرا

فإن بأكناف البحار إلى الملا ... وذي النخل مصحىً إن صحوت ومسكرا

وأرعى من الأظلاف أثلاً وحمضةً ... وترعى من الأطواء أثلاً وعرعرا

وانصرف يومئذٍ سنان بن أبي حارثة المري في بني ذبيان على حاميته، فلحق بهم معاوية بن الصموت بن الكامل الكلابي، وكان يسمى الأسد المجدع، ومعه حرملة العكلي ونفر من الناس، فلحق بسنان بن أبي حارثة ومالك بن حمار الفزاري في سبعين فارساً من بني ذبيان. فقال سنان: يا مالك كر واحمنا ولك خولة بنت سنانٍ ابنتي أزوجكها. فكر مالك فقتل معاوية، ثم اتبعه حرملة العكلي وهو يقول:

لأي يوم يخبأ المرء السعه ... مودع ولا ترى فيه الدعه

فكر عليه مالك فقتله، ثم اتبعه رجل من بني كلاب، فكر عليه مالك فقتله، ثم اتبعه رجلان من قيس كبة من بجيلة، فكر عليهما فقتلهما، ومضى مالك وأصحابه. فقال مالك في ذلك:

ولقد صددت عن الغنيمة حرملاً ... ولقيته لداً وخيلي تطرد
أقبلته صدر الأغر وصارماً ... ذكراً فخر على اليدين الأبعد
وابن الصموت تركت حين لقيته ... في صدر مارنةٍ يقوم ويقعد
وابنا ربيعة في الغبار كلاهما ... وابنا غني عامر والأسود
حتى تنفس بعد نكظٍ مجحراً ... أذهبت عنه والفرائص ترعد

النكظ الجهد. قال:

يعدو ببزي سابح ذو ميعةٍ ... نهد المراكل ذو تليلٍ أقود

فخطب إليه مالك خولة فأبى أن يزوجه .

وأما بنو جعفر فيزعمون أن عروة الرحال بن عتبة بن جعفر وجد سنان بن أبي حارثة وابنيه هرماً ويزيد على غديرٍ قد كاد العطش أن يهلكهم، فجز نواصيهم وأعتقهم. ثم إن عروة أتى سناناً بعد ذلك يستثيبه ثواباً يرضاه فلم يثبه شيئاً .

فقال عروة في ذلك:

ألا من مبلغ عني سناناً ... ألوكاً لا أريد بها عتابا
أفي الخضراء تقسم هجمتيكم ... وعروة لم يثب إلا الترابا
فلو كان الجعافر طاوعوني ... غداة الشعب لم تذق الشرابا
أتجزي القين نعمتها عليكم ... ولا تجزي بنعمتها كلابا

وأما بنو عامر فيزعمون أن سناناً انصرف ذات يوم هو وناس من طيئ وغيرهم قبل الوقعة، فبلغه أن بني عامر يقولون: منا عليه، فأنشأ يقول:

والله ما منوا ولكن شكتي ... منت وحادرة المناكب صلدم
بخرير شول يوم يدعى عامر ... لا عاجز ورع ولا مستسلم

وأما بارق فتدعي أسر سنانٍ يومئذٍ على الثواب، ثم أتوه فلم يصنع بهم خيراً. فقال معقر بن أوس بن حمار البارقي:

متى تك في ذبيان منك صنيعة ... فلا تحمدنها الدهر بعد سنان

يظل يمنينا بحسن ثوابه لكم مائة يحدو بها فرسان
مخاض أؤديها وجل لقائح وأكرم مثوى منكم من أتاني
فجئناه للنعمى فكان ثوابه رغوث ووطبا حازرٍ مذقان
وظل ثلاثاً يسأل الحي ما يرى يؤامرهم فينا له أملان
فإن كنت هذا الدهر لا بد شاكراً فلا تثقن بالشكر في غطفان

تاريخ يوم جبلة: قال: وكان جبلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بتسع عشرة سنة. وولد النبي صلى الله عليه وسلم عام الفيل، ثم أوحى إليه بعد أربعين سنة، وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقدم عليه عامر بن الطفيل في السنة التي قبض فيها صلى الله عليه وسلم، قال: وهو ابن ثمانين سنة .

ما قيل في هذا اليوم من شعر: وقال المعقر بن اوس بن حمارٍ البارقي حليف بني نمير بن عامر:

أمن آل شعثاء الحمول البواكر مع الليل أم زالت قبيل الأباعر
وحلت سليمى في هضابٍ وأيكةٍ فليس عليها يوم ذلك قادر
وألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر
وصبحها أملاكها بكتيبةٍ عليها إذا أمست من الله ناظر
معاوية بن الجون ذبيان حوله وحسان في جمع الرباب مكاثر
فمروا بأطناب البيوت فردهم رجال بأطراف الرماح مساعر
وقد جمعوا جمعاً كأن زهاءه جراد هوى في هبوةٍ متطاير
فباتوا لنا ضيفاً وبتنا بنعمةٍ لنا مسمعات بالدفوف وسامر
ولم نقرهم شيئاً ولكن قصدهم صبوح لدينا مطلع الشمس حازر
صبحناهم عند الشروق كتائباً كأركان سلمى شبرها متواتر
كان نعام الدو باض عليهم وأعينهم تحت الحبيك جواحر

الحبيك في البيض إحكام عملها وطرائقها

من الضاربين الكبش يمشون قدماً إذا غص بالريق القليل الحناجر
وظن سراة القوم ألا يقتلوا إذا دعيت بالسفح عبس وعامر
ضربنا حبيك البيض في غمر لجةٍ فلم يبق في الناجين منهم مفاخر

ولم ينج إلا من يكون طمره ... يوائل أو نهد ملح مثابر
هوى زهدم تحت الغبار لحاجبٍ ... كما انقض أفنى ذو جناحين ماهر
هما بطلان يعثران كلاهما ... أراد رئاس السيف والسيف نادر
ولا فضل إلا أن يكون جراءة ... وذبيان تسمو والرؤوس حواسر
ينوء وكفا زهدمٍ من ورئه ... وقد علقت ما بينهن الأظافر
يفرج عنا كل ثغرٍ نخافه ... مسح كسرحان القصيمة ضامر

القصيمة من الرمل: ما أنبتت الغضى والرمث

وكل طموحٍ في العنان كأنها ... إذا اغتمست في الماء فتخاء كاسر

لها ناهض في المهد قد مهدت له ... كما مهدت للبعل حسناء عاقر

وبهذا البيت سمي معقراً واسمه سفيان بن أوس. وإنما خص العاقر لأنها أقل دلاً على الزوج من الولود فهي تصنع له وتداريه

تخاف نساءً يبتدرن حليلها ... محردة قد خردتها الضراء

وقال عامر بن الطفيل بعد ذلك بدهرٍ:

ويوم الجمع لاقينا لقيطاً ... كسونا رأسه عضباً حساما
أسرنا حاجباً فثوى بقدٍ ... ولم نترك لنسوته سواما
وجمع الجون إذ دلفوا إلينا ... صبحنا جمعهم جيشاً لهاما

وقال لبيد بن ربيعة في ذلك:

وهم حماة الشعب يوم تواكلت ... أسد وذبيان الصفا وتميم
فارتث كلماهم عشية هزمهم ... حي بمنعرج المسيل مقيم

تم اليوم والحمد لله .

صوت:

أيجمل ما يؤتى إلى فتيانكم ... وأنتم رجال فيكم عدد النمل
فلو أننا كنا رجالاً وكنتم ... نساء حجالٍ لم نقر بذا الفعل

الشعير لعفيرة بنت عفارٍ الجديسية التي يقال لها الشموس. والغناء لعريب خفيف ثقيلٍ أول مطلق في مجرى البنصر، وفيه لحن من الثقيل الأول قديم .

عمليق ملك طسم وجديس وسبب قتله: أخبرني بهذا الشعر والسبب الذي من أجله قيل علي بن سليمان الأخفش عن السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل أن عمليقاً ملك طسم بن لاوذ بن إرم بن سام ابن نوح عليه السلام، وجديس بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وكانت منازلهم في موضع اليمامة، كان في أول مملكته قد تمادى في الظلم والغشم والسيرة بغير الحق، وأن امرأةً من جديس كان يقال لها هزيلة، وكان لها زوج يقال له قرقس ، فطلقها وأراد أخذ ولدها منها، فخاصمته إلى عمليقٍ، فقال: أيها الملك إني حملته تسعاً، ووضعته دفعاً، وأرضعته شفعاً، حتى إذا تمت أوصاله، ودنا فصاله، أراد أن يأخذه مني كرهاً، ويتركني من بعده ورهاً . فقال لزوجها: ما حجتك؟ قال: حجتي أني قد أعطيتها المهر كاملاً، و لم أصب منها طائلاً، إلا وليداً حاملاً ، فافعل ما كنت فاعلاً. فأمر بالغلام أن يترع منهما جميعاً ويجعل في غلمانه، وقال لهزيلة: ابغيه ولداً، ولا تنكحي أحداً، وأجزيه صفداً . فقالت هزيلة: أما النكاح فإنما يكون بالمهر، وأما السفاح فإنما يكون بالقهر، ومالي فيهما من أمر. فلما سمع ذلك عمليق أمر بأن تباع هي وزوجها، فيعطى زوجها خمس ثمنها، وتعطى هزيلة عشر ثمن زوجها. فأنشات تقول:

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا ... فأنفذ حكماً في هزيلة ظالما

لعمري لقد حكمت لا متورعاً ... ولا كنت فيما تبرم الحكم عالما

ندمت ولم أندم وأنى بعثرتي ... وأصبح بعلي في الحكومة نادما

أمر ألا تزوج بكر من جديس حتى يفترعها: فلما سمع عمليق قولها أمر ألا تزوج بكر من جديسٍ وتهدى إلى زوجها حتى يفترعها هو قبل زوجها فلقوا من ذلك بلاءً وجهداً وذلاً. فلم يزل يفعل هذا حتى زوجت الشموس وهي عفيرة بنت عباد أخت الأسود الذي وقع إلى جبل طيئ فقتلته طيئ وسكنوا الجبل من بعده. فلما أرادوا حملها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عمليقٍ لينالها قبله، ومعها القيان يتغنين:

ابدي بعمليقٍ وقومي فاركبي ... وبادري الصبح لأمرٍ معجب

فسوف تلقين الذي لم تطلبي ... وما لبكرٍ عنده من مهرب

تحريض عفيرة بنت عباد قومها عليه: فلما أن دخلت عليه افترعها وخلى سبيلها. فخرجت إلى قومها في دمائها شاقة درعها من قبلٍ ومن دبرٍ والدم يسيل وهي في أقبح منظرٍ، وهي تقول:

لا أحد أذل من جديس ... أهكذا يفعل بالعروس

يرضى بهذا يا لقومي حر ... أهدى وقد أعطى وسيق المهر

لأخذة الموت كذا لنفسه ... خير من أن يفعل ذا بعرسه

وقالت تحرض قومها فيما أتي إليها:

أيجمل ما يؤتى إلى فتيانكم ... وأنتم رجال فيكم عدد النمل
وتصبح تمشي في الدماء عفيرة ... جهاراً وزفت في النساء إلى بعل
ولو أننا كنا رجالاً وكنتم ... نساءً لكنا لا نقر بذا الفعل

فموتوا كراماً أو أميتوا عدوكم ... ودبوا لنار الحرب بالحطب الجزل
وإلا فخلوا بطنها وتحملوا ... إلى بلدٍ قفرٍ وموتوا من الهزل
فللبين خير من مقامٍ على أذى ... وللموت خير من مقامٍ على الذل
وإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه ... فكونوا نساءً لا تعاب من الكحل
ودونكم طيب العروس فإنما ... خلقتم لأثواب العروس وللغسل
فبعداً وسحقاً للذي ليس دافعاً ... ويختال يمشي بيننا مشية الفحل

ائتمار جديس للغدر به وبقومه: فلما سمع الأسود أخوها ذلك وكان سيداً مطاعاً قال لقومه: يا معشر جديس! إن هؤلاء القوم ليسوا بأعز منكم في داركم إلا بما كان من ملك صاحبهم علينا وعليهم، ولولا عجزنا وإدهاننا ما كان له فضل علينا. ولو امتنعنا لكان لنا منه النصف . فأطيعوني فيما آمركم به، فإنه عز الدهر، وذهاب ذل العمر، وأقبلوا رأيي. قال: وقد أحمى جديساً ما سمعوا من قولها فقالوا: نطيعك، ولكن القوم أكثر وأحمى وأقوى. قال فإني أصنع للملك طعاماً ثم أدعوهم له جميعاً. فإذا جاءوا يرفلون في الحلل ثرنا إلى سيوفنا وهم عارون فأهمدناهم بها. قالوا: نفعل. فصنع طعاماً كثيراً وخرج به إلى ظهر بلدهم، ودعا عمليقاً وسأله أن يتغدى عنده هو وأهل بيته، فأجابه إلى ذلك وخرج مع أهله يرفلون في الحلي والحلل، حتى إذا أخذوا مجالسهم ومدوا أيديهم إلى الطعام، أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم، فشد الأسود على عمليق فقتله، وكل رجل منهم على جليسه حتى أماتوهم. فلما فرغوا من الأشراف شدوا على السفلة فلم يدعوا منهم أحداً. فقال الأسود في ذلك:

ذوقي ببغيك يا طسم مجللةً ... فقد أتيت لعمري أعجب العجب
إنا أبينا فلم ننفك نقتلهم ... والبغي هيج منا سورة الغضب
ولن يعود علينا بغيهم أبداً ... ولن يكونوا كذى أنفٍ ولا ذنب
وإن رعيتم لنا قربى مؤكدةً ... كنا الأقارب في الأرحام والنسب

غزوة حسان بن تبع لجديس وهروب الأسود وقتل طيئ له: ثم إن بقية طسم لجؤوا إلى حسان بن تبع، فغزا جديساً فقتلها وأخرب بلادها. فهرب الأسود قاتل عمليق، فأقام بجبلي طيئ قبل نزول طيئ إياهما. وكانت طيئ

تسكن الجرف من أرض اليمن، وهو اليوم محلة مراد وهمدان، وكان سيدهم يومئذٍ أسامة بن لؤي بن الغوث بن طيئ، وكان الوادي مسبعةً، وهم قليل عددهم، وقد كان ينتابهم بعير في أزمان الخريف و لم يدر أين يذهب و لم يروه إلى قابلٍ، وكانت الأزد قد خرجت من اليمن أيام العرم ، فاستوحشت طيئ لذلك وقالت: قد ظعن إخواننا فصاروا إلى الأرياف. فلما هموا بالظعن قالوا لأسامة: إن هذا البعير يأتينا من بلدٍ ريفٍ وخصبٍ، وإنا لنرى في بعره النوى. فلو أننا نتعهده عند انصرافه فشخصنا معه لكنا نصيب مكاناً خيراً من مكاننا هذا. فأجمعوا أمرهم على ذلك. فلما كان الخريف جاء البعير فضرب في إبلهم، فلما انصرف احتملوا واتبعوه يسيرون ويبيتون حيث يبيت حتى هبط على الجبلين. فقال أسامة بن لؤي:

اجعل طريباً كحبيبٍ ينسى لكل قومٍ مصبح وممسى

قال: وطريب اسم الموضع الذي كانوا يتزلون به. فهجمت طيئ على النخل في الشعاب وعلى مواشٍ كثيرة، وإذا هم برجلٍ في شعبٍ من تلك الشعاب وهو الأسود بن عباد، فهالهم ما رأوا من عظم خلقه وتخوفوه، وقد نزلوا ناحيةً من الأرض واستبروها هل يرون بها أحداً غيره فلم يروا. فقال أسامة بن لؤي لابن له يقال له الغوث: أي بني! إن قومك قد عرفوا فضلك عليهم في الجلد والبأس والرمي، فإن كفيتنا هذا الرجل سدت قومك آخر الدهر، وكنت الذي أنزلتنا هذا البلد. فانطلق الغوث حتى أتى الرجل فكلمه وساءله. فعجب الأسود من صغر خلق الغوث فقال له: من أين أقبلتم؟ قال: من اليمن، وأخبره خبر البعير ومجيئهم معه، وأنهم رهبوا ما رأوا من عظم خلقه وصغرهم عنه، وشغلوه بالكلام، فرماه الغوث بسهمٍ فقتله، وأقامت طيئ بالجبلين بعده، فهم هنالك إلى اليوم .

صوت:

إذا أقبل الإنسان آخر يشتهي ثناياه لم يحرج وكان له أجرا

فإن زاد زاد الله في حسناته مثاقيل يمحو الله عنه بها وزرا

الشعرلرجل من عذرة. والغناء لعريب ثقيل أول بالوسطى .

حديث عمرو بن أبي ربيعة عن صاحبه الجعد بن مهجع العذري: نسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن موسى بن حماد قال ذكر الرياشي قال قال حماد الراوية: أتيت مكة فجلست في حلقةٍ فيها عمرو بن أبي ربيعة، فتذاكروا من العذريين، فقال عمر بن أبي ربيعة: كان لي صديق من عذرة يقال له الجعد بن مهجعٍ، وكان أحد سلامان، وكان يلقى مثل الذي ألقى من الصبابة بالنساء والوجد بهن، على أنه كان لا عاهر الخلوة ولا سريع السلوة، وكان يوافي الموسم في كل سنة؛ فإذا راث عن وقته ترجمت عنه الأخبار، وتوكفت له الأسفار حتى يقدم. فغمني ذات سنةٍ إبطاؤه حتى قدم حجاج عذرة، فأتيت القوم أنشد صاحبي، وإذا غلام قد تنفس الصعداء

ثم قال: أعن أبي المسهر تسأل؟ قلت: عنه أسأل وإياه أردت. قال: هيهات هيهات! أصبح والله أبو المسهر لا مؤيساً فيهمل ولا مرجواً فيعلل، أصبح والله كما قال القائل:

لعمرك ما حبي لأسماء تاركي أعيش ولا أقضي به فأموت

قال قلت: وما الذي به؟ قال: مثل الذي بك من تهوركما في الضلال، وجركما أذيال الخسار، فكأنكما لم تسمعا بجنة ولا نار. قلت: من أنت منه يابن أخي؟ قال: أخوه. قلت: والله يابن أخي ما يمنعك أن تسلك مسلك أخيك من الأدب وأن تركب إلا انك وأخاك كالبرد والبجاد لا ترقعه ولا يرقعك، ثم صرفت وجه ناقتي وأنا أقول:

أرائحة حجاج عذرة وجهةً ولما يرح في القوم جعد بن مهجع

خليلان نشكو ما نلاقي من الهوى متى ما يقل أسمع وإن قلت يسمع

ألا ليت شعري أي شيءٍ أصابه فلى زفرات هجن ما بين أضلعي

فلا يبعدنك الله خلاً فإنني سألقى كما لاقيت في كل مصرع

ثم انطلقت حتى وقفت موقفي من عرفات. فبينا أنا كذلك إذ أنا بإنسان قد تغير لونه وساءت هيئته، فأدنى ناقته من ناقتي حتى خالف بين أعناقهما، ثم عانقني وبكى حتى اشتد بكاؤه. فقلت: ما وراءك؟ فقال: برح العذل، وطول المطل، ثم أنشأ يقول:

لئن كانت عدية ذات لبٍ لقد علمت بأن الحب داء

ألم تنظر إلى تغيير جسمي وإني لا يفارقني البكاء

ولو أني تفرقت الذي بي لقف الكلم وانكشف الغطاء

فإن معاشري ورجال قومي حتوفهم الصبابة واللقاء

إذا العذري مات خلي ذرعٍ فذاك العبد يبكيه الرشاء

فقلت: يا أبا المسهر إنها ساعة تضرب إليها أكباد الإبل من شرق الأرض وغربها، فلو دعوت الله كنت قمناً أن تظفر بحاجتك وأن تنصر على عدوك. قال: فتركني وأقبل على الدعاء. فلما نزلت الشمس للغروب وهم الناس أن يفيضوا سمعته يتكلم بشيء، فأصغيت إليه، فإذا هو يقول:

يا رب كل غدوةٍ وروحه من محرمٍ يشكو الضحى ولوحه

أنت حسيب الخلق يوم الدوحه

الجعد بن مهجع يذكر لعمر سبب عشقه ومسعى عمر في زواجه من عشقها: فقلت له: وما يوم الدوحة؟ قال: والله لأخبرنك ولو لم تسألني. فيممنا نحو مزدلفة، فأقبل علي وقال: إني رجل ذو مال كثيرٍ من نعمٍ وشاءٍ، وذو

المال لا يصدره ولا يرويه الثماد . وقطر الغيث أرض كلبٍ، فانتجعت أخوالي منهم، فأوسعوا لي عن صدر المجلس وسقوني جمة الماء، وكنت فيهم في خير أخوال. ثم إني عزمت على موافقة إبلي لهم يقال له الحوذان، فركبت فرسي وسمطت خلفي شراباً كان أهداه إلي بعضهم ثم مضيت، حتى إذا كنت بين الحي ومرعى النعم رفعت لي دوحة عظيمة، فنزلت عن فرسي وشددته بغصن من أغصانها وجلست في ظلها. فبينا أنا كذلك إذ سطع غبار من ناحية الحي ورفعت لي شخوص ثلاثة، ثم تبينت فإذا فارس يطرد مسحلاً وأتانا، فتأملته فإذا عليه درع أصفر وعمامة خزٍ سوداء، وإذا فروع شعره تضرب خصريه، فقلت: غلام حديث عهدٍ بعرس أعجلته لذة الصيد فترك ثوبه ولبس ثوب امرأته. فما جاز علي إلا يسيراً حتى طعن المسحل وثنى طعنةً للأتان فصرعهما، وأقبل راجعاً نحوي وهو يقول:

نطعنهم سلكى ومخلوجةً كرك لأمين على نابل

فقلت: إنك قد تعبت وأتعبت، فلو نزلت! فثنى رجله فنزل فشد فرسه بغصن من أغصان الشجرة وألقى رمحه وأقبل حتى جلس، فجعل يحدثني حديثاً ذكرت به قول أبي ذؤيب:

وإن حديثاً منك لو تبذلينه جنى النحل في ألبان عوذٍ مطافل

فقمت إلى فرسي فأصلحت من أمره ثم رجعت، وقد حسر العمامة عن رأسه، فإذا غلام كأن وجهه الدينار المنقوش. فقلت: سبحانك اللهم! ما أعظم قدرتك وأحسن صنعتك !. فقال: مم ذاك؟ قلت: مما راعني من جمالك وبهرني من نورك. قال: وما الذي يروعك من حبيس التراب، وأكيل الدواب، ثم لا يدري أينعم بعد ذلك أم يبأس. قلت: لا يصنع الله بك إلا خيراً. ثم تحدثنا ساعة، فأقبل علي وقال: ما هذا الذي أرى قد سمطت في سرجك؟ قلت: شراب أهداه إلي بعض أهلك، فهل لك فيه من أربٍ؟ قال: أنت وذاك. فأتيته به، فشرب منه وجعل ينكت أحياناً بالسوط على ثناياه، فجعل والله يتبين لي ظل السوط فيهن. فقلت: مهلاً فإني خائف أن تكسرهن، فقال: و لم؟ قلت: لأنهن رقاق وهن عذاب. قال: رفع عقيرته يتغنى:

إذا قبل الإنسان آخر يشتهي ثناياه لم يأثم وكان له أجرا

فإن زاد زاد الله في حسناته مثاقيل يمحو الله عنه بها الوزرا

ثم قام إلى فرسه فأصلح من أمره ثم رجع. قال: فبرقت لي بارقة تحت الدرع. فإذا ثدي كأنه حق عاجٍ. فقلت: نشدتك الله أمرأة؟ قالت: إي والله إلا أني أكره العشير وأحب الغزل. ثم جلست فجعلت تشرب معي ما أفقد من أنسها شيئاً حتى نظرت إلى عينيها كأنهما عينا مهاةٍ مذعورة. فوالله ما راعني إلا ميلها على الدوحة سكرى. فزين لي والله الغدر وحسن في عيني، ثم إن الله عصمني منه، فجلست حجرةً منها. فما لبثت إلا يسيراً حتى انتبهت فزعةً، فلاثت عمامتها برأسها، وجالت في متن فرسها، وقالت: جزاك الله عن الصحبة خيراً. قلت: أو ما تزودينني منك زاداً؟ فناولتني يدها، فقبلتها فشممت والله منها ريح المسك المفتوت، فذكرت قول الشاعر:

كأنها إذ تقضى النوم وانتبهت سحابة مالها عين ولا أثر

قلت: وأين الموعد؟ قالت: إن لي أخوة شرساً وأباً غيوراً. ووالله لأن أسرك أحب إلي من أضرك، ثم انصرفت. فجعلت أتبعها بصري حتى غابت، فهي والله يابن ربيعة أحلتني هذا المحل وأبلغتني. فقلت له: يا أبا المسهر إن الغدر بك مع ما تذكر لمليح. فبكى واشتد بكاؤه. فقلت: لا تبك؛ فما قلت إلا مازحاً، ولو لم أبلغ في حاجتك بمالي لسعيت في ذلك حتى أقدر عليه، فقال لي: خيراً. فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشد على ناقته، ودعوت غلامي فشد على بعير له، وحملت عليه قبة حمراء من أدمٍ كانت لأبي ربيعة المخزومي، وحملت معي ألف دينار ومطرف خز، وانطلقنا حتى أتينا بلاد كلب، فنشدنا عن أبي الجارية فوجدناه في نادي قومه، وإذا هو سيد الحي وإذا الناس حوله،. فوقفت على القوم فسلمت، فرد الشيخ السلام، ثم قال: من الرجل؟ قلت: عمرو بن أبي ربيعة بن المغيرة. فقال: المعروف غير المنكر، فما الذي جاء بك؟ قلت: خاطباً. قال: الكف، والرغبة. قلت: إني لم آت ذلك لنفسي عن غير زهادةٍ فيك ولا جهالةٍ بشرفك، ولكني أتيت في حاجة ابن أختكم العذري، وها هو ذاك. فقال: والله إنه لكفيء الحسب رفيع البيت، غير أن بناتي لم يقعن إلا في هذا الحي من قريش. فوجمت لذلك، وعرف التغير في وجهي فقال: أما إني صانع بك ما لم أصنعه بغيرك. قلت: وما ذاك فمثلي من شكر؟ قال: أخيرها فهي وما اختارت. قلت: ما أنصفتني إذ تختار لغيري وتولي الخيار غيرك. فأشار إلي العذري أن دعه يخيرها. فأرسل إليها: إن في الأمر كذا وكذا. فأرسلت إليه: ما كنت لأستبد برأي دون القرشي، فالخيار في قوله، حكمه. فقال لي: إنها قد ولتك أمرها فاقض ما أنت قاض. فحمدت الله عز وجل وأثنيت عليه وقلت: اشهدوا أني قد زوجتها من الجعد ابن مهجع وأصدقتها هذا الألف الدينار، وجعلت تكرمتها العبد والبعير والقبة، وكسوت الشيخ المطرف، وسألته أن يبني بها عليه في ليلته. فأرسل إلى أمها، فقالت: أتخرج ابنتي كما تخرج الأمة !. فقال الشيخ: هجري في جهازها، فما برحت حتى ضربت القبة في وسط الحريم، ثم أهديت إليه ليلاً، وبت أنا عند الشيخ. فلما أصبحت أتيت القبة فصحت بصاحبي، فخرج إلي وقد أثر السرور فيه، فقلت: كيف كنت بعدي وكيف هي بعدك؟ فقال لي: أبدت لي والله كثيراً مما كانت أخفته عني يوم لقيتها. فسألتها عن ذلك فأنشأت تقول: صوت:

كتمت الهوى لما رأيتك جازعاً وقلت فتىً بعض الصديق يريد

وأن تطرحني أو تقول فيتة يضر بها برح الهوى فتعود

فوريت عما بي وفي داخل الحشى من الوجد برح فاعلمن شديد

فقلت: أقم على أهلك، بارك الله لك فيهم، وانطلقت وأنا أقول:

كفيت أخي العذري ما كان نابه وإني لأعباء النوائب حمال

أما استحسنت مني المكارم والعلا إذا طرحت! إني لمالي بذال

وقال العذري:

إذا ما الخطاب خلى مكانه فأفٍ لدنيا ليس من أهلها عمر

فلا حي فتيان الحجازين بعده ولا سقيت أرض الحجازين بالمطر

صوت:

إن الخليط قد أزمعوا تركي فوقفت في عرصاتهم أبكي

جنية برزت لتقتلني مطلية الأصداغ بالمسك

عجباً لمثلك لا يكون له خرج العراق ومنبر الملك

الشعر لابن قيس الرقيات يقوله في عائشة بنت طلحة. والغناء لمعبد، ثقيل أول السبابة في مجرى البنصر. والسبب في قول ابن قيس هذا الشعر فيها يذكر في أخبارها إن شاء الله تعالى .

أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها

نسب عائشة بنت طلحة: عائشة بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم. وأمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق. أخبرني الحسن بن يحيى قال قال حماد قال أبي قال مصعب: كانت لا تستر وجهها وعتاب مصعب لها في ذلك: كانت عائشة بنت طلحة لا تستر وجهها من أحد. فعاتبها مصعب في ذلك، فقالت: إن الله تبارك وتعالى وسمني بميسم جمالٍ أحببت أن يراه الناس ويعرفوا فضلي عليهم، فما كنت لأستره، ووالله ما في وصمة يقدر أن يذكرني بها أحد. وطالت مرادة مصعبٍ إياها في ذلك، وكانت شرسة الخلق. قال: وكذلك نساء بني تميم هن أشرس خلق الله وأحظاه عند أزواجهن. وكانت عند الحسين بن علي صلوات الله عليهما ام إسحاق بنت طلحة، فكان يقول: والله لربما حملت ووضعت وهي مصارمة لي لا تكلمني .

غضبت على مصعب فبعث إليها ابن قيس الرقيات: قال: نالت عائشة من مصعبٍ وقالت: علي كظهر أمي، وقعدت في غرفة وهيأت فيها ما يصلحها. فجهد مصعب أن تكلمه فأبت. فبعث إليها ابن قيس الرقيات، فسألها كلامه، فقالت: كيف بيميني؟ فقال: ها هنا الشعبي فقيه أهل العراق فاستفتيه. فدخل عليها فأخبرته، فقال: ليس هذا بشيء. فقالت: أتحلني وتخرج خائباً! فأمرت له بأربعة آلاف درهم. وقال ابن قيس الرقيات لما رآها:

جنية برزت لتقتلنا مطلية الأقراب بالمسك

وذكر باقي الأبيات .

غضبت على مصعب فاسترضاها أشعب فرضيت: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن إسحاق اليعقوبي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم قال: كان أشعب يألف مصعباً، فغضبت عليه

عائشة بنت طلحة يوماً، وكانت من أحب الناس إليه، فشكا ذلك إلى أشعب فقال: ما لي إن رضيت؟ قال: حكمك. قال: عشرة آلاف درهم. قال: هي لك. فانطلق حتى أتى عائشة فقال: جعلت فداءك! قد علمت حبي لك وميلي قديماً وحديثاً إليك من غير منالةٍ ولا فائدة. وهذه حاجة قد عرضت تقضين بها حقي وترتهنين لها شكري. قالت: وما عناك؟ قال: قد جعل لي الأمير عشرة آلاف درهم إن رضيت عنه. قالت: ويحك! لا يمكنني ذلك. قال: بأبي أنت فارضي عنه حتى يعطيني ثم عودي إلى ما عودك الله من سوء الخلق. فضحكت منه ورضيت عن مصعب. وقد ذكر المدائني أن هذه القصة كانت لها مع عمرو بن عبيد الله بن معمر، وأن الرسول إليها والمخاطب لها بهذه المخاطبة ابن أبي عتيق .

وصفت عزة الميلاء لها ولعائشة بنت عثمان وأم القاسم بنت زكريا: وأخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قال أبي حدثت عن صالح بن حسان قال: كان بالمدينة امرأة حسناء تسمى عزة الميلاء يألفها الأشراف وغيرهم من أهل المروءات، وكانت من أظرف الناس وأعلمهم بأمور النساء. فأتاها مصعب بن الزبير وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وسعيد بن العاص، فقالوا: إنا خطبنا فانظري لنا. فقالت لمصعب: يابن أبي عبد الله ومن خطبت؟ فقال: عائشة بنت طلحة. فقالت: فأنت يابن أبي أحيحة؟ قال: عائشة بنت عثمان. قالت: فأنت يابن الصديق؟ قال: أم القاسم بنت زكريا بن طلحة .

قالت: يا جارية هاتي منقلي تعني خفيها فلبستهما وخرجت ومعها خادم لها، فإذا هي بجماعة يزحم بعضهم بعضاً، فقالت: يا جارية انظري ما هذا. فنظرت ثم رجعت فقالت: امرأة أخذت مع رجل. فقالت: داء قديم، امض ويلك. فبدأت بعائشة بنت طلحة فقالت: فديتك! كنا في مأدبة أو مأتم لقريش، فتذاكروا جمال النساء وخلقهن فذكروك، فلم أدر كيف أصفك فديتك. فألقي ثيابك ففعلت فأقبلت وأدبرت فارتج كل شيء منها. فقالت لها عزة: خذي ثوبك فديتك. فقال عائشة: قد قضيت حاجتك وبقيت حاجتي. قالت عزة: وما هي بنفسي أنت؟ قالت: تغنيني صوتاً. فاندفعت تغني لحنها: صوت:

خليلي عوجا بالمحلة من جمل ... وأترابها بين الأصيفر والخبل

نقف بمغانٍ قد محا رسمها البلى ... تعاقبها الأيام بالريح والوبل

فلو درج النمل الصغار بجلدها ... لأندب أعلى جلدها مدرج النمل

وأحسن خلق الله جيداً ومقلةً ... تشبه في النسوان بالشادن الطفل

الشعر لجميل بن عبد الله بن معمرٍ العذري. والغناء لعزة الميلاء ثقيل أول بالوسطى فقامت عائشة فقبلت ما بين عينيها ودعت لها بعشرة أثواب وبطرائف من أنواع الفضة وغير ذلك، فدفعته إلى مولاتها فحملته. وأتت النسوة على مثل ذلك تقول لهن، حتى أتت القوم في السقيفة. فقالوا: ما صنعت؟ فقالت: يابن أبي عبد الله، أما عائشة فلا والله إن رأيت مثلها مقبلةً ومدبرةً، محطوطة المتنين، عظيمة العجيزة، ممتلئة الترائب ، نقية الثغر وصفحة

الوجه، فرعاء الشعر، لفاء الفخذين، ممتلئة الصدر، خميصة البطن، ذات عكنٍ، ضخمة السرة، مسرولة الساق. يرتج ما بين أعلاها إلى قدميها. وفيها عيبان، أما أحدهما فيواريه الخمار، وأما الآخر فيواريه الخف: عظم القدم والأذن. وكانت عائشة كذلك. ثم قالت عزة: وأما أنت يابن أبي أحيحة فإني والله ما رأيت مثل خلق عائشة بنت عثمان لمرأة قط، ليس فيها عيب. والله لكأنما أفرغت إفراغاً، ولكن في الوجه ردة ، وإن استشرتني أشرت عليك بوجه تستأنس به. وأما أنت يابن الصديق فوالله ما رأيت مثل أم القاسم، كأنها خوط بانة تنثني، وكأنها جدل عنان، أو كأنها جان يتثنى على رمل، لو شئت أن تعقد أطرافها لفعلت. ولكنها شختة الصدر وأنت عريض الصدر؛ فإذا كا ذلك كان قبيحاً، لا والله حتى يملأ كل شيء مثله. قال: فوصلها الرجال والنساء وتزوجوهن .

أمها وخالتها، وزواجها من ابن خالها وأولادها منه: أخبرني الطوسي وحرمي عن الزبير عن عمه، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الزبيري والمدائني، ونسخت بعض هذه الأخبار من كتاب أحمد بن الحارث عن المدائني وجمعت ذلك، قالوا جميعاً: إن أم عائشة بنت طلحة أم كلثوم بنت أبو بكرٍ الصديق، وأمها حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير من بني الخزرج بن الحارث. قالوا: وكانت عائشة بنت طلحة تشبه بعائشة أم المؤمنين خالتها. فزوجتها عائشة عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وهو ابن أخيها وابن خال عائشة بنت طلحة، وهو أبو عذرها ، فلم تلد من أحد من أزواجها سواه؛ ولدت له عمران وبه كانت تكنى، وعبد الرحمن، وأبا بكر، وطلحة، ونفيسة وتزوجها الوليد بن عبد الملك، ولكل هؤلاء عقب. وكان ابنها طلحة من أجواد قريش، وله يقول الحزين الديلي:

فإن تك يا طلح أعطيتني ... عذافرةً تستخف الضفارا

فما كان نفعك لي مرةً ... ولا مرتين ولكن مرارا

أبوك الذي صدق المصطفى ... وسار مع المصطفى حيث سارا

وأمك بيضاء تميمية ... إذا نسب الناس كانوا نضارا

مصارمتها لزوجها وإيلاؤه منها: قال: فصارمت عائشة بنت طلحة زوجها، وخرجت من دارها غضبى، فمرت في المسجد وعليها ملحفة تريد عائشة أم المؤمنين، فرآها أبو هريرة فقال: سبحان الله! كأنها من الحور العين. فمكثت عند عائشة أربعة أشهر. وكان زوجها قد آلى منها، فأرسلت عائشة: إني أخاف عليك الإيلاء ، فضمها إليه وكان مولياً منها فقيل له: طلقها، فقال:

يقولون طلقها لأصبح ثاوباً ... مقيماً علي الهم، أحلام نائم

وإن فراقي أهل بيتٍ أحبهم ... لهم زلفة عندي لإحدى العظائم

زواجها من مصعب بن الزبير:

فتوفي عبد الله بعد ذلك وهي عنده، فما فتحت فاها عليه، وكانت عائشة أم المؤمنين تعدد عليها هذا في ذنوبها التي تعددها. ثم تزوجها بعده مصعب بن الزبير، فأمهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثل ذلك. فبلغ ذلك أخاه فقال: إن مصعباً قدم أيره، وأخر خيره. فبلغ ذلك من قوله عبد الملك بن مروان فقال: لكنه أخر أيره وخيره، وكتب ابن الزبير إلى مصعب يؤنبه على ذلك ويقسم عليه ألا يلحق به بمكة ولا ينزل المدينة ولا ينزل إلا بالبيداء، وقال له: إني لأرجو أن تكون الذي يخسف به البيداء، فما أمرتك بنزولها إلا لهذا. وصار إليه وأرضاه عن نفسه، فأمسك عنه .

كانت تعاسر مصعباً فاحتال له كاتبه ابن أبي فروة حتى ياسرته: قال وحدثني المدائني عن سحيم بن حفص قال: كان مصعب بن الزبير لا يقدر عليها إلا بتلاحٍ ينالها منه وبضربها. فشكا ذلك إلى ابن أبي فروة كاتبه. فقال له: أنا أكفيك هذا إن أذنت لي. قال: نعم! افعل ما شئت فإنها أفضل شيء نلته من الدنيا. فأتاها ليلاً ومعه أسودان فاستأذن عليها. فقالت له: أفي مثل هذه الساعة! قال نعم. فأدهلته. فقال للأسودين: احفرا ها هنا بئراً. فقالت له جاريتها: وما تصنع بالبئر؟ قال: شؤم ملاتك، أمرني هذا الفاجر أن أدفنها حيةً وهو أسفك خلق الله لدمٍ حرامٍ. فقالت عائشة: فانظرني أذهب إليه. قال: هيهات! لا سبيل إلى ذلك، وقال للأسودين: احفرا. فلما رأت الجد منه بكت ثم قالت: يابن فروة إنك لقاتلي ما منه بد؟ قال: نعم، وإني لأعلم أن الله سيجزيه بعدك، ولكنه قد غضب وهو كافر الغضب. قالت: وفي أي شيء غضبه. قال: في امتناعك عنه، وقد ظن أنك تبغضينه وتتطلعين إلى غيره فقد جن. فقالت: أنشدك الله إلا عاودته. قال: إني أخاف أن يقتلني. فبكت وبكى جواريها. فقال: قد رققت لك، وحلف أنه يغرر بنفسه، ثم قال لها: فما أقول؟ قالت: تضمن عني ألا أعود أبداً. قال: فما لي عندك؟ قالت: قيام بحقك ما عشت. قال: فأعطيني المواثيق، فأعطته. فقال للأسودين: مكانكما، وأتى مصعباً فأخبره. فقال له: استوثق منها بالأيمان، ففعلت وصلحت بعد ذلك لمصعب .

أخبار لها مع مصعب: قال: ودخل عليها مصعب يوماً وهي نائمة متصبحة ومعه ثماني لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار، فأنبهها ونثر اللؤلؤ في حجرها. فقالت له: نومتي كانت أحب إلي من هذ اللؤلؤ .

قال: وصارمت مصعباً مرة، فطالت له وشق ذلك عليها وعليه، وكانت لمصعب حرب فخرج إليها ثم عاد وقد ظفر، فشكت عائشة مصارمته إلى مولاة لها. فقالت: الآن يصلح أن تخرجي إليه. فخرجت فهنأته بالفتح وجعلت تمسح التراب عن وجهه. فقال لها مصعب: إني أشفق عليك من رائحة الحديد. فقالت: لهو والله عندي أطيب من ريح المسك الأذفر .

أخبرني ابن يحيى عن حماد عن أبيه عن المسعر قال: كان مصعب من أشد الناس إعجاباً بعائشة بنت طلحة، و لم يكن لها شبه في زمانها حسناً ودمائةً وجمالاً وهيئةً ومتانةً وعفةً، وإنها دعت يوماً نسوةً من قريش فلما جئنها أجلستهن في مجلس قد نضد فيه الريحان والفواكه والطيب و المجمر، وخلعت على كل امرأةٍ منهن، خلعةً تامة من

الوشي والخز ونحوهما، ودعت عزة الميلاء ففعلت بها مثل ذلك وأضعفت، ثم قال لعزة: هاتي يا عزة فغنينا، فغنتهن في شعر امرئ القيس:

وثغر أغر شتيت البنات ... لذيذ المقبل والمبتسم

وما ذقته غير ظنٍ به ... وبالظن يقضي عليك الحكم

وكان مصعب قريباً منهن ومعه إخوان له، فقام فانتقل حتى دنن منهن والستور مسبلة، فصاح: يا هذه إنا قد ذقناه فوجدناه على ما وصفت، فبارك الله فيك يا عزة! ثم أرسل إلى عائشة: أما أنت فلا سبيل لنا إليك مع من عندك، وأما عزة فتأذنين لها أن تغنينا هذا الصوت ثم تعود إليك، ففعلت. وخرجت عزة إليه فغنته هذا الصوت مراراً وكاد مصعب أن يذهب عقله فرحاً. ثم قال لها: يا عزة إنك لتحسنين القول والوصف، وأمرها بالعود إلى مجلسها، وتحدث ساعةً مع القوم ثم تفرقوا .

خطبها بشر بن مروان فتزوجت عمر بن عبيد الله:

وقال المدائني، وذكر القحذمي أيضاً في خبره: فلما قتل مصعب عن عائشة خطبها بشر بن مروان، وقدم عمر بن عبيد الله بن معمرٍ التيمي من الشام فنزل الكوفة، فبلغه أن بشر بن مروان خطبها، فأرسل إليها جاريةً لها وقال: قولي لابنة عمي يقرؤك السلام ابن عمك ويقول لك أنا خير من هذا المبسور المطحول، وأنا ابن عمك وأحق بك، وإن تزوجت بك ملأت بيتك خيراً، وحرك أيراً. فتزجته فبنى لها بالحيرة ومهدت له سبعة أفرشةٍ عرضها أربع أذرع، فأصبح ليلة بنى بها عن تسعٍ. قال: فلقيته مولاة لها فقالت: أبا حفص فديتك! قد كملت في كل شيء حتى في هذا .

وقال مصعب في خبره إن بشراً بعث إليها عمر بن عبيد الله بن معمر يخطبها عليه، فقالت له: يا مصارع قلة! أما وجد بشر رسولاً إلى ابنة عمك غيرك! فأين بك عن نفسك ؟! قال: أو تفعلين؟ قالت نعم، فتزوجها. وقال مصعب الزبيري في خبره: لما بنى بها عمر قال لها: لأقتلنك الليلة، فلم يصنع إلا واحدةً. فقالت له لما أصبح: قم يا قتال. قال: وقالت له حينئذٍ:

قد رأيناك فلم تحل لنا ... وبلوناك فلم نرض الخبر

وهذه الحكاية تحامل من مصعب الزبيري وعصبية. والخبر في رضاها عنه والحكاية في هذا غير ما حكاه وهو ما سبق .

ما كان في يوم زواجها من عمر بن عبد الله: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه عن ابن أبي سعد عن القحذمي أن عمر بن عبيد الله لما قدم الكوفة وتزوج عائشة بنت طلحة، فحمل إليها ألف ألف درهم: خمسمائة ألف درهم مهراً وخمسمائة ألف هدية، وقال لمولاتها: لك علي ألف دينارٍ إن دخلت بها الليلة. وأمر بالمال فحمل فألقي في الدار وغطي بالثياب. وخرجت عائشة فقالت لمولاتها: أهذا فرش أم ثياب؟ قالت: انظري إليه، فنظرت فإذا مال، فتبسمت. فقالت: أجزاء من حمل هذا أن يبيت عزباً! قالت: لا والله، ولكن لا يجوز دخوله إلا بعد أن

أتزين له وأستعد. قالت: فيم ذا! فوجهك والله أحسن من كل زينة، وما تمدين يدك إلى طيب أو ثوب أو مال أو فرش إلا وهو عندك. وقد عزمت عليك أن تأذني له. قالت: افعلي. فذهبت إليه فقالت له: بت بنا الليلة. فجاءهم عند العشاء الآخرة ، فأدني إليه طعام فأكل الطعام كله حتى أعرى الخوان، وغسل يده، وسأل عن المتوضأ فأخبرته فتوضأ، وقام يصلي حتى ضاق صدري ونمت، ثم قال: أعليكم إذن؟ قلت: نعم، فادخل، فأدخلته وأسبلت الستر عليهما. فعددت له في بقية الليل على قلتها سبع عشرة مرة دخل المتوضأ فيها. فلما أصبحنا وقفت على رأسه فقال: أتقولين شيئاً؟ قلت: نعم! والله ما رأيت، أكلت أكل سبعة، وصليت صلاة سبعة، ونكت نيك سبعة. فضحك وضرب بيده على منكب عائشة، فضحكت وغطت وجهها وقالت:

قد رأيناك فلم تحل لنا وبلوناك فلم نرض الخبر

ويدل أيضاً على على بطلان خبره أنه لما مات ندبته قائمةً، و لم تندب أحداً من أزواجها إلا جالسةً فقيل لها في ذلك، فقالت: إنه كان أكرمهم علي وأمسهم رحماً بي، وأردت ألا أتزوج بعده وكانت ندبة المرأة زوجها قائمة مما تفعله من لا تريد أن تتزوج بعد زوجها أخبرني بذلك الحسن بن علي عن أحمد بن زهير بن حرب عن محمد بن سلام. وهذا دليل على خلاف ما ذكره مصعب .

ثم رجع الخبر إلى سياقة خبرها: حديث امرأة عنها وقد اختلى بها عمر: قال المدائني في خبره: قالت امرأة: كنت عند عائشة بنت طلحة، فقيل لها: قد جاء الأمير، فتنحيت، ودخل عمر بن عبد الله، وكنت بحيث أسمع كلامهما، فوقع عليها فجاءت بالعجائب ثم خرج، فقلت لها: أنت في نفسك وموضعك وشرفك تفعلين هذا! فقالت: إنا نتشهى لهذه الفحول بكل ما حركها وكل ما قدرنا عليه .

طلبت ضرتها من مولاة لها أن تراها متجردة ثم ندمت أن رأتها: قال المدائني: وحدثني مسلمة بن محاربٍ قال: قالت رملة بنت عبد الله بن خلفٍ وكانت تحت عمر بن عبيد الله بن معمر، وقد ولدت منه ابنه طلحة الجود لمولاة عائشة بنت طلحة: أريني عائشة متجردة ولك ألفا درهم. فأخبرت عائشة بذلك. قالت: فإني أتجرد، فأعليمها ولا تعرفيها أني أعلم. فقامت عائشة كأنها تغتسل، وأعلمتها فأشرفت عليها مقبلةً ومدبرةً، فأعطت رملة مولاتها ألفي درهم، وقالت: لوددت أني أعطيتك أربعة آلاف درهم و لم أرها. قال: وكانت رملة قد أسنت، وكانت حسنة الجسم قبيحة الوجه عظيمة النف. وفيها وفي عائشة يقول الشاعر:

انعم بعائش عيشاً غير ذي رنق وانبذ برملة نبذ الجورب الخلق

ويقال: إن رملة قد أسنت عند عمر بن عبيد الله، فكانت تجتنبه أيام أقرائها ثم تغتسل، تريه أنها تحيض، وذلك بعد انقطاع حيضها. فقال في ذلك بعض الشعراء:

جعل الله كل قطرة حيض قطرت منك في حماليق عين

أخبرنا بذلك الجوهري عن عمر بن شبة .

أخبار لها مع عمر بن عبيد الله: وذكر هارون بن الزيات عن أبي بكر بن عياش قال: قال عمر بن عبيد الله

لعائشة بنت طلحة وقد أصاب منها طيب نفسٍ: ما مر بي مثل يوم أبي فديكٍ . فقالت له: اعدد أيامك واذكر أفضلها، فعد يوم سجستان ويوم قطريٍ بفارس ونحو ذلك. فقالت عائشة: قد تركت يوماً لم تكن في أيامك أشجع منك فيه. قال: وأي يوم؟ قالت: يوم أرخت عليها وعليك رملة الستر، تريد قبح وجهها .

قال: فمكثت عائشة عند عمر بن عبيد الله بن معمر ثماني سنين، ثم مات عنها في سنة اثنتين وثمانين، فتأيمت بعده، فخطبها جماعة فردهم، و لم تتزوج بعده أحداً .

قال المدائني: كان عمر بن عبيد الله من أشد الناس غيرةً، فدخل يوماً على عائشة وقد ناله حر شديد وغبار، فقال لها: انفضي التراب عني. فأخذت منديلاً تنفض به عنه التراب، ثم قالت له: ما رأيت الغبار على وجه أحدٍ قط كان أحسن منه على وجه مصعبٍ، قال: فكاد عمر يموت غيظاً .

وقال أحمد بن حماد بن جميل حدثني القحذمي قال: كانت عائشة بنت طلحة من أشد الناس مغايظةً لأزواجها، وكانت تكون لمن يجيء يحدثها في رقيق الثياب، فإذا قالوا: قد جاء الأمير ضمت عليها مطرفها وقطبت. وكانت كثيراً ما تصف لعمر بن عبيد الله مصعباً وجماله، تغيظه بذلك فيكاد يموت .

طلبت من الوليد بن عبد الملك أعواناً حين حجت: وقال المدائني حدثني مسلمة بن محارب وعبيد الله بن فائد، وأخبرنا به حرمي عن الزبير عن عمه ومحمد بن الضحاك، قالوا: دخلت عائشة بنت طلحة على الوليد بن عبد الملك وهو بمكة، فقالت: يا أمير المؤمنين، مر لي بأعوانٍ فضم إليها قوماً يكونون معها، فحجت ومعها ستون بغلاً عليها الهوادج والرحائل. فعرض لها عروة بن الزبير فقال:

عائش يا ذات البغال الستين أكل عامٍ هكذا تحجين

فأرسلت إليه: نعم يا عرية، فتقدم إن شئت، فكف عنها. و لم تتزوج حتى ماتت .

حجت مع سكينة بنت الحسين وكانت أحسن آلة وثقلاً: وقال غير المدائني: إن عائشة بنت طلحة حجت وسكينة بنت الحسين عليهما السلام معاً، وكانت عائشة أحسن آلة وثقلاً . فقال حاديها:

عائش يا ذات البغال الستين أكل عامٍ هكذا تحجين

فشق ذلك على سكينة، ونزل حاديها فقال:

عائش هذي ضرة تشكوك لولا أبوها ما اهتدى أبوك

فأمرت عائشة حاديها أن يكف فكف .

بهر موكب عاتكة بنت يزيد في الحج: وقال: إسحاق بن إبراهيم في خبره حدثني محمد بن سلام عن يزيد بن عياض قال: استأذنت عاتكة بنت يزيد بن معاوية عبد الملك في الحج، فأذن لها وقال: ارفعي حوائجك واستظهري؛ فإن عائشة بنت طلحة تحج، ففعلت فجاءت بهيئته جهدت فيها. فلما كانت بين مكة والمدينة إذا موكب قد جاء فضغطها وفرق جماعتها. فقالت: أرى عائشة بنت طلحة، فسألت عنها فقالوا: هذه خازنتها. ثم جاء موكب آخر أعظم من ذلك فقالوا: عائشة عائشة، فضغطهم، فسألت عنه، فقالوا: هذه ماشطتها. ثم

جاءت مواكب على هذا إلى سننها . ثم أقبلت كوكبة فيها ثلثمائة راحلةٍ عليها القباب والهوادج. فقالت عاتكة: ما عند الله خير وأبقى .

وقال هارون بن الزيات حدثني قبيصة عن ابن عائشة عن أمه عن سلامة مولاة جدته أثيلة بنت المغيرة بن عبد الله بن معمرٍ قالت: كان كبر عجيزتها مثار العجب: زرت مع مولاتي خالتها عائشة بنت طلحة وأنا يومئذٍ وصيفة ، فرأيت عجيزتها من خلفها وهي جالسة كأنها غيرها، فوضعت أصبعي عليها لأعلم ما هي، فلما وجدت مس أصبعي قالت: ما هذا؟ قلت: جعلت فداءك! لم أدر ما هو، فجئت لأنظر. فضحكت وقالت: ما أكثر من يعجب مما عجبت منه .

إعجاب أبي هريرة بجمالها: وزعم بكر بن عبد الله بن عاصم مولى عرينة عن أبيه عن جده: أن عائشة نازعت زوجها إلى أبي هريرة، فوقع خمارها عن وجهها، فقال أبو هريرة: سبحان الله! ما أحسن ما غذاك أهلك! لكأنما خرجت من الجنة .

وفدت على هشام فأعجب سامروه بعلمها: قال ابن عائشة وحدثني أبي أن عائشة بنت طلحة وفدت على هشام، فقال لها: ما أوفدك؟ قالت: حبست السماء المطر، ومنع السلطان الحق. قال: فإني أبل رحمك وأعرف حقك، ثم بعث إلى مشايخ بني أمية فقال: إن عائشة عندي، فاسمروا عندي الليلة فحضروا، فما تذاكروا شيئاً من أخبار العرب وأشعارها وأيامها إلا أفاضت معهم فيه، وما طلع نجم ولا غار إلا سمته. فقال لها هشام: أما الأول فلا أنكره، وأما النجوم فمن أين لك؟ قالت: أخذتها عن خالتي عائشة. فأمر لها بمائة ألف درهم وردها إلى المدينة .

مر بها النميري الشاعر فاستنشدته وخبره معها: أخبرني عمي عن الكراني عن المغيرة بن محمد المهلبي عن محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدثني ابن عمران البزازي قال: لما تأيمت عائشة بنت طلحة كانت تقيم بمكة سنةً، وبالمدينة سنةً، تخرج إلى مالٍ لها بالطائف عظيم وقصر لها فتتزه وتجلس فيه بالعشيات، فتناضل بين الرماة. فمر بها النميري الشاعر، فسألت عنه فنسب لها، فقالت: ائتوني به. فقالت له لما أتوها به: أنشدني مما قلت في زينب . فامتنع وقال: ابنة عمي وقد صارت عظاماً بالية. قالت: أقسمت لما فعلت. فأندشها قوله:

نزلن بفخٍ ثم رحن عشيةً ... يلبين للرحمن معتمرات

يخبئن أطراف الأكف من التقى ... ويخرجن شطر الليل معتجرات

ولما رأت ركب النميري أعرضت ... وكن من أن يلقينه حذرات

تضوع مسكاً بطن نعمان أن مشت ... به زينب في نسوة خفرات

فقالت: والله ما قلت إلا جميلاً، ولا وصفت إلا كرماً وطيباً وتقًى وديناً، أعطوه ألف درهم. فلما كانت الجمعة الأخرى تعرض لها، فقالت: علي به فجاء. فقالت: أنشدني من شعرك في زينب. فقال: أو أنشدك من قول الحارث فيك؟ فوثب مواليها، فقالت: دعوه؛ فإنه أراد أن يستقيد لابنة عمه، هات. فأنشدها:

ظعن الأمير بأحسن الخلق ... وغدوا بلبك مطلع الشوق

وتنوء تثقلها عجيزتها ... نهض الضعيف ينوء بالوسق

ما صبحت زوجاً بطلعتها ... إلا غدا بكواكب الطلق

قرشية عبق العبير بها ... عبق الدهان بجانب الحق

بيضاء من تيم كلفت بها ... هذا الجنون وليس بالعشق

قالت: والله ما ذكر إلا جميلاً، ذكر أني إذا أصبحت زوجاً بوجهي غدا بكواكب الطلق، وأني غدوت مع أمير تزوجني إلى الشرق. أعطوه ألف درهم واكسوه حلتين، ولا تعد لإتياننا يا نميري .

أخر الحارث بن خالدٍ الصلاة لتتم طوافها: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن محمد بن سلام: أن عبد الملك ولى الحارث بن خالد على مكة. فأذن المؤذن، وخرج للصلاة، فأرسلت إليه عائشة بنت طلحة: قد بقي من طوافي شيء لم آته، وكان يتعشقها، فأمر المؤذن فكف عن الإقامة، ففرغت من طوافها. وبلغ ذلك عبد الملك فعزله. فقال: ما أهون والله غضبه وعزله إياي علي عند رضاها عني .

كانت معناة بعجيزتها: أخبرني أحمد بن عبد العزيز حدثني عمر بن شبة قال: قال سلم بن قتيبة: رأيت عائشة بنت طلحة بمنىً أو مسجد الخيف، فسألتني من أنت؟ قلت: سلم بن قتيبة. فقالت: رحم الله مصعباً! ثم ذهبت تقوم ومعها امرأتان تنهضانها، فأعجزتها أليتاها من عظمهما، فقالت: إني بكما لمعناة. فذكرت قول الحارث:

وتنوء تثقلها عجيزتها ... نهض الضعيف ينوء بالوسق

وروى هذا الخبر بن الزيات عن جعفر بن محمد عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو عمرو بن خلاد عن المدائني قال: قال أبو هريرة لعائشة بنت طلحة: ما رأيت شيئاً أحسن منك إلا معاوية أول يومٍ خطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: والله لأنا أحسن من النار في الليلة القرة في عين المقرور .

خطبها أبان بن سعيد على يد أخيه فأبت: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عوانة قال: كتب أبان بن سعيدٍ إلى أخيه يحيى يخطب عليه عائشة بنت طلحة، ففعل. فقالت ليحيى: ما أنزل أخاك أيلة؟ قال: أراد العزلة. قالت: اكتب إلى أخيك:

حللت محل الضب لا أنت ضائر ... عدواً ولا مستنقع بك نافع

صوت:

إذا المال لم يوجب عليك عطاءه صنيعة تقوى أو صديق توامقه

منعت وبعض المنع حزم وقوة فلم يفتلتك المال إلا حقائقه

عروضه من الطويل. توامقه: تفاعله من الموامقة، أي توده ويودك؛ يقال: ومقته أمقه أي أحببته. ويفتلتك أي يخرجه من يدك وقبضتك. الشعر لكثيرٍ. والغناء لمالك بن أبي السمح، إنه للهذلي، خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر .

سئل ابن عمران الطلحي أن يعاون صيرفياً أفلس فتمثل ببيتين لكثير: أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيع قال حدثنا طلحة بن عبد الله قال حدثني أبو معمرٍ عافية بن شيبة قال حدثني العتبي قال: أفلس صيرفي بالمدينة، فخرج قوم يسألون له، فمروا بابن عمران الطلحي وقد فتح بابه واجتمع له أصحابه، فسألوه فقرع بمخصرته ثم رفع رأسه إليهم فقال:

إذا المال لم يوجب عليك عطاءه صنيعة تقوى أو صديق توامقه

بخلت وبعض البخل حزم وقوة فلم يفتلتك المال إلا حقائقه

إنا والله ما نحيد عن الحق، ولا نتدفق في الباطل، وإن لنا لحقوقاً تشغل فضول أموالنا، وما كل من أفلس من صيارفة المدينة قدرنا ان نجبره، فوموا. قال: فقمنا نستبق الباب .

أن يفرض له فأبى فتمثل الأبرش ببيتين لكثير: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو مسلمة المديني قال أخبرني أبي قال: كان رجل من الأنصار من بني حارثة مملقاً ليس في ديوانٍ ولا عطاء، وكان صديقاً لإبراهيم ابن هشام بن إسماعيل. فقال له يوماً: إن أمير المؤمنين مسابق عداً بين الخيل، وقد أمرت الحرس ألا يعرضوا لك حتى تكلمه. قال: فسبق هشاماً يومئذٍ ابن له، وكان السبق يشتد عليه. فعرض له النصاري فقال: يا أمير المؤمنين، أنا امرؤ من الأنصار، وقد بلغت هذه السن ولست في ديوان، فإن رأى أمير المؤمنين أن يفرض لي فعل. قال: فأقبل عليه هشام فقال: والله لا أفرض لك حتى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة، ثم أقبل على الأبرش فقال: يا أبرش أخطأ أخو الأنصار المسألة. فقال: يا أمير المؤمنين، ابن أبي جمعة يقول:

إذا المال لم يوجب عليك عطاءه صنيعة تقوى أو خليل توامقه

منعت وبعض المنع حزم وقوة فلم يفتلتك المال إلا حقائقه

من شعر عمرو بن شأس: صوت:

فواندمي على الشباب و واندم ندمت وبان اليوم مني بغير ذم

وإذ إخوتي حولي وإذ أنا شامخ وإذ لا أجيب العاذلات من الصمم

أرادت عراراً بالهوان ومن يرد عراراً لعمري بالهوان فقد ظلم

فإن كنت مني أو تريدين صحبتي فكوني له كالسمن ربت له الأدم
وإلا فبيني مثل ما بان راكب تيمم خمساً ليس في ورده يتم
فإن عراراً إن يكن ذا شكيمةٍ تعافيتها منه فما أملك الشيم
وإن عراراً إن يكن غير واضح فإني أحب الجون ذا المكنب العمم
وإني لعطي غثها وسمينها وأسري إذا ما الليل ذو الظلم ادلهم
حذاراً على ما كان قدم والدي إذا روحته محرجف تطرد الصرم

عروضه من الطويل. الشعر لعمرو بن شأس الأسدي. والغناء في الأول والثاني من الأبيات لمعبد. ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى، عن إسحاق. وذكر عمرو أن فيهما لمالك خفيف رملٍ بالبنصر. وفي الثامن والتاسع لابن جامع هزج بالوسطى عن الهشامي وعلي بن يحيى، وفيهما لإبراهيم ماخوري بالبنصر من نسخة عمرو الثانية، ولابن سريجٍ ثاني ثقيل بالبنصر عن حبشٍ، وفيهما رمل مجهول وقيل: إنه لسليم. الشامخ: الذي يشمخ بأنفه زهواً وكبراً. وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه. و الشيمة: الطبيعة. ربت له: يعني للسمن فلا تفسده . والأدم جمع واحدها أديم وجمعها أدم، كما يقال أفيق وأفق . واليتم: الغفلة والضيعة؛ واليتيم مأخوذ من هذا. واليتيم من البهائم: ما اختلج عن أمه. والعرب تقول: لا تخلج الفصيل عن أمه، فإن الذئب عالم بمكان الفصيل اليتيم . ويقال: فلان شديد الشكيمة أي شديد اللسان كثير البيان؛ ومنه شكيمة اللجام، وجمعها شكائم. قال عويف القوافي:

أقول لفتيانٍ كرامٍ تروحوا على الجرد في أفواههن الشكائم

والواضح: الأبيض. والجون: الأسود والأبيض أيضاً، وهو من الأضداد. والعمم: الطويل؛ يقال رجل عمم، وامرأة عمم، ورجل عميم، وامرأة عميمة، ونخل عميم، ونبت عميم. والسرى: السير ليلاً. وادلهم: اشتد سواده. والحرجف: الريح الشديدة الباردة. والصرم: جمع صرمةٍ وهي القطعة من الإبل. يعني أن هذه الريح إذا هبت طرد الرعاء الإبل مراحها وأعطافها فتسكنها فيها .

نسب عمرو بن شأس وأخباره

في هذا الشعر وغيره:

نسب عمرو بن شأس: هو عمرو بن شأس بن عبيد بن ثعلبة بن ذؤيبة بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة. وهذا الشعر يقوله في امرأته أم حسان وابنه عرار بن عمرو، وكانت تؤذيه وتعيره بسواده .

كانت امرأته تؤذي عراراً وتشتمه ويشتمها، فقال هو شعراً يخاطبها به: وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال

حدثنا محمد بن الحسن الأحول قال قال ابن الأعرابي: كانت امرأة عمرو بن شأس من رهطه، ويقال لها أم حسان، واسمها حية بنت الحارث بن سعد، وكان له ابن يقال له عرار من أمةٍ له سوداء وكانت تعيره وتؤذي عراراً وتشتمه ويشتمها. فلما أعيت عمراً قال فيها:

ديار ابنة السعدي هيه تكلمي ... بدافقة الحومان فالسفح من رمم

لعمر ابنة السعدي إني لأتقي ... خلائق تؤبى في الثراء وفي العدم

وقفت بها ولم أكن قبل أرتجي ... إذا الحبل من إحدى حبائبي انصرم

وإني لمزرٍ بالمطي تنقلي ... عليه وإيقاعي المهند بالعصم

وإني لأعطي غثها وسمينها ... وأسرى إذا ما الليل ذو الظلم ادلهم

إذا الثلج أضحى في الديار كأنه ... مناثر ملحٍ في السهول وفي الأكم

حذاراً على ما كان قدم والدي ... إذا روحتهم حرجف تطرد الصرم

وأترك ندماني يجر ثيابه ... وأوصاله من غير جرحٍ ولا سقم

ولكنها من ريةٍ بعد ريةٍ ... معتقةٍ صهباء راووقها رذم

من العانيات من مدامٍ كأنها ... مذابح غزلانٍ يطيب بها الشمم

وإذ أخوتي حولي وإذ أنا شامخ ... وإذ لا أجيب العاذلات من الصمم

ألم يأتها أني صحوت وأنني ... تحالمت حتى ما أعارم من عرم

وأطرقت إطراق الشجاع ولو يرى ... مساغاً لنابيه الشجاع لقد أزم

وقد علمت سعد بأني عميدها ... قديماً وأني لست أهضم من هضم

يقول: لا أظلم أحداً من قومي وأتهضمه فيطلبني بمثل ذلك، أي أرفع نفسي عن هذا

خزيمة ردائي الفعال ومعشر ... قديماً بنوا لي سورة المجد والكرم

إذا ما وردنا الماء كانت حماته ... بنو أسدٍ يوماً على رغم من رغم

أرادت عراراً بالهوان ومن يرد ... عراراً لعمري بالهوان فقد ظلم

لما يئس من الصلح بين امرأته وابنه طلقها ثم ندم وقال شعراً: وذكر باقي الأبيات. قال ابن الأعرابي وأبو بكر الشيباني: فجهد عمرو بن شأسٍ أن يصلح بين ابنه وامرأته أم حسان فلم يمكنه ذلك، وجعل الشر يزيد بينهما. فلما رأى ذلك طلقها، ثم ندم ولام نفسه؛ فقال في ذلك:

تذكر ذكرى أم حسان فاقشعر ... على دبرٍ لما تبين ما ائتمر

فكدت أذوق الموت لو أن عاشقاً أمر بموساه الشوارب فانتحر

تذكرتها وهناً وقد حال دونها رعان وقيعان بها الدهر الزهر والشجر

فكنت كذاب البو لما تذكرت لها ربعاً حنت لمعهده سحر

حفاظاً ولم تنزع هراي أثيمة كذلك شأو المرء يخلجه القدر

قال ابن الأعرابي: الأثيمة الفعيلة من الإثم، وهي مرفوعة بفعلها، كأنه قال: لم تنزع الأثيمة هواي. تخلجه: تصرفه. شأوه: همه ونيته. قال وقال فيها أيضاً:

ألم تعلمي يا أم حسان أنني إذا عبرة نهنهتها فتخلت

رجعت إلى صدرٍ كجرة حنتمٍ إذا قرعت صفراً من الماء صلت

خبر ابنه عرار مع عبد الملك حين جاءه رسولاً من قبل الحجاج: أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق بن محمد بن سلام، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال قال ابن سلام: لما قتل الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بعث برأسه مع عرار بن عمرو بن شأس الأسدي، فلما ورد به وأوصل كتاب الحجاج، جعل عبد الملك يعجب من بيانه وفصاحته مع سواده، فقال متمثلاً:

وإن عمراراً إن يكن غير واضح فإني أحب الجون ذا المنكب العمم

فضحك عرار من قوله ضحكاً غاظ عبد الملك؛ فقال له: مم ضحكت ويحك قال: أتعرف عراراً يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر ؟! قال لا. قال: أنا والله هو. فضحك عبد الملك ثم قال: حظ وافق كلمةً، وأحسن جائزته وسرحه .

قال شعراً في قتل ملك من غسان يقال له عدي: وقال الطوسي: أغار ملك من ملوك غسان يقال له عدي وهو ابن أخت الحارث بن أبي شمرٍ الغساني علي بني أسدٍ، فلقيته بنو سعد بن ثعلبة بن دودان بالفرات ورئيسهم ربيعة بن حذار ، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتلت بنو سعدٍ عدياً، اشترك في قتله عمرو وعمير ابنا حذار أخوا ربيعة، وأمهما امرأة من كنانة يقال لها تماضر إحدى بني فراس بن غنم وهي التي يقال لها مقيدة الحمار. فقالت فاختة بنت عدي:

لعمرك ما خشيت على عديٍ رماح بني مقيدة الحمار

ولكني خشيت على عديٍ رماح الجن أو إياك حار

تغنى الحارث بن أبي شمر خاله

قتيل ما قتيل ابني حذارٍ بعيد الهم طلاع النجار

ويروى: جواب الصحارى. فقال عمرو بن شأس في ذلك: صوت:

متى تعرف العينان أطلال دمنةٍ ... لليلى بأعلى ذي معارك تدمعا

على النحر والسربال حتى تبله ... سجوم ولم تجزع على الدار مجزعا

خليلي عوجا اليوم نقض لبانةً ... وإلا تعوجا اليوم لا ننطلق معا

وإن تنظراني اليوم أتبعكما غداً ... قياد الجنيب أو أذل وأطوعا

وهي قصيدة. غنى في هذه الأبيات إبراهيم ثقيلاً أول بالوسطى عن الهشامي. والدمنة في هذا الموضع: آثار الناس وما سودوا، وهي في غير هذا الموضع الحقد؛ يقال: في صدره علي إحنة، وترة، وضب، وحسيكة، ودمنة. وعوجا: احبسا وتلبثا، عاج يعوج عياجاً . وما أعيج بكلامك أي ما ألتفت إليه. واللبانة: الحاجة؛ يقال: لي في كذا لبانة ولبونة ولماسة، ووطر، وحوجاء ممدودةً. وقوله: لا ننطلق معاً، يقول إن لم تقفا تأخرت عنكما فتفرقنا. وتنظراني تنظراني؛ يقال نظرته أنظره، وأنظرته أنظره إنظاراً ونظرةً أيضاً إذا أخرته؛ قال الله عز وجل: " فنظرة إلى ميسرة ". والجنيب: المجنوب من فرس وغيره، والجنيب أيضاً الذي يشتكي رئته من شدة العطش .

خطب بنت رجل كان مجاوراً له فلما أحس منه امتناعاً أراد أن يصيبها سبية ثم تذمم وقال شعراً: وقال الطوسي قال الأصمعي: جاور رجل من بني عامر بن صعصعة عمرو بن شأس ومعه بنت له من أجمل الناس وأظرفهم، فخطبها عمرو إلى أبيها. فقال أبوها: أما دمت جاراً لكم فلا، لأني أكره أن يقول الناس غصبه أمره، ولكن إذا أتيت قومي فاخطبها إلي أزوجكها. فوجد عمرو من ذلك في نفسه واعتقد ألا يتزوجها أبداً إلا أن يصيبها مسبية. فلما ارتحل أبوها همّ عمرو بغزو قومها، فسار في أثر أبيها. فلما وقعت عينيه عليه وظفر به استحيا من جواره وما كان بينهما من العهد والميثاق، فنظر إلى الجارية أمامهم وقد أخرجت رأسها من الهودج تنظر إليه. فلما رأها رجع مستحيياً متذمماً منها. وكان عمرو مع شجاعته ونجدته من أهل الخير؛ فقال في ذلك: صوت:

إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا ... كفى لمطايانا بوجهك هاديا

أليس يزيد العيس خفة أذرعٍ ... وإن كن حسرى أن تكوني أماميا

ولولا اتقاء الله والعهد قد رأى ... منيته مني أبوك الليواليا

ونحن بنو خير السباع أكيلةً ... وأحربه إذا تنفس عاديا

بنو أسدٍ وزدٍ يشق بنابه ... عظام الرجال لا يجيب الرواقيا

متى تدع قيساً أدع خندف إنهم ... إذا ما دعوا أسمعت ثم الدواعيا

لنا حاضر لم يحضر الناس مثله ... وبادٍ إذا عدواً علينا البواديا

الغناء لإسحاق الموصلي ثاني ثقيل في الأول والثاني من الأبيات، وفيه لحن قديم .

سئل ابن سيرين فأنشد بيتين في شعره دلالة على جوازه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا الحزامي قال حدثنا معن بن عيسى عن رجل عن سويد بن أبي رهم قال: قلت لابن سيرين: ما تقول في الشعر؟ قال: هو كلام، حسنه حسن، وقبيحه قبيح،. قلت: فما تقول في النسيب؟ قال: لعلك تريد مثل قول الشاعر:

إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا ... كفى لمطايانا بوجهك هاديا

أليس يزيد العيس خفة أذرعٍ ... وإن كن حسرى أن تكوني أماميا

قال: وأراد بإنشاده إياهما أنك قد رأيتني أحفظ هذا الجنس وأرويه وأنشدتك إياه، فلو كان به بأس ما أنشدته .

صوت:

فإن تكن القتلى بواءً فإنكم ... فتىً ما قتلتم آل عوف بن عامر

فتىً كان أحيا من فتاةٍ حييةٍ ... وأشجع من ليثٍ بخفان خادر

عروضه من الطويل. البواء بالباء: التكافؤ؛ يقال ما فلان لفلان ببواء، أي ما هو له بكفء أن يقتل به. وما في قولها فتى ما قتلتم صلة. وآل عوف نداء. وخفان: موضع مشهور. وخادر: مقيم في مكمنة وغيله، وهو مأخوذ من الخدر .

الشعر لليلى الأخيلية ترثي توبة بن الخمير. والغناء لإسحاق بن إبراهيم الموصلي، رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وفيه لإبراهيم ثقيلٍ بالوسطى عن حبشٍ. وفي هذه القصيدة عدة أغانٍ تذكر مع سائر ما قاله توبة في ليلى وقالت فيه من الشعر عند انقضاء الخبر في مقتله إن شاء الله تعالى .

ذكر ليلى وخبر توبة بن الحمير معها

وخبر مقتله:

نسب ليلى الأخيلية: هي ليلى بنت عبد الله بن الرحال وقيل ابن الرحالة بن شداد بن كعب بن معاوية، وهو الأخيل وهو فارسها الهرار ، ابن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وهي من النساء المتقدمات في الشعر من شعراء الإسلام .

كان توبة بن الحمير يهواها ونسبه: وكان توبة بن الحمير يهواها. وهو توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو ابن عقيل .

جاءها توبة يوماً فسفرت له لتحذره: أخبرني ببعض أخبارهما أحمد بن عبد العزيز الجوهري ومحمد بن حبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثنا محمد بن علي أبو المغيرة قال حدثنا أبي عن أبي

عبيدة قال حدثني أنيس بن عمرو العامري قال: كان توبة بن الحمير أحد بني الأسدية، وهي عامرة بنت والبة بن الحارث، وكان يتعشق ليلى بنت عبد الله بن الرحالة ويقول فيها الشعر، فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها وزوجها في بني الأدلع. فجاء يوماً كما كان يجيء لزيارتها، فإذا هي سافرة و لم ير منها إليه إلا بشاشةً، فعلم أن ذلك لأمرٍ ما كان، فرجع إلى راحلته فركبها ومضى، وبلغ بني الأدلع أنه أتاها فتبعوه ففاتهم. فقال توبة في ذلك:

نأتك بليلى دارها و لا تزورها وشطت نواها واستمر مريرها

وهي طويلة، يقول فيها:

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداة سفورها

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال: كان توبة بن الحمير إذا أتى ليلى الأخيلية خرجت إليه في برقع. فلما شهر أمره شكوه إلى السلطان، فأباحهم دمه إن أتاهم. فمكثوا له في الموضع الذي كان يلقاها فيه. فلما علمت به خرجت سافرةً حتى جلست في طريقه فلما رآها سافرةً فطن لما أرادت وعلم أنه قد رصد، وأنها أسفرت لذلك تحذره، فركض فرسه فنجا. وذلك قوله:

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداة سفورها

قال أبو عبيدة وحدثني غير أنيس أنه كان يكثر زيارتها، فعاتبه أخوها وقومها فلم يعتب ، وشكوه إلى قومه فلم يقلع، فتظلموا منه إلى السلطان فأهدر دمه إلى أن أتاهم. وعلمت ليلى بذلك، وجاءها زوجها وكان غيوراً فحلف لئن لم تعلمه بمجيئه ليقتلنها، ولئن أنذرته بذلك ليقتلنها. قالت ليلى: وكنت أعرف الوجه الذي يجيئني منه، فرصدوه بموضعٍ ورصدته بآخر، فلما أقبل لم أقدر على كلامه لليمين، فسفرت وألقيت البرقع عن رأسي. فلما رأى ذلك أنكره فركب راحلته ومضى ففاتهم .

عرفها رجل من بني كلاب وخبره معها ومع زوجها: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن معاوية بن بكر قال حدثني أبو زيادٍ الكلابي قال: خرج رجل من بني كلابٍ ثم من بني الصحمة يبتغي إبلاً له حتى أوحش وأرمل ، ثم أمسى بأرض فنظر إلى بيت بوادٍ، فأقبل حيث يترل الضيف، فأبصر امرأة وصبياناً يدورون بالخباء فلم يكلمه أحد. فلما كان بعد هدأةٍ من الليل سمع جرجرة إبلٍ رائحةٍ، وسمع فيها صوت رجلٍ حتى جاء بها فأناخها على البيت، ثم تقدم فسمع الرجل يناجي المرأة ويقول: ما هذا السواد حذاءك؟ قالت: راكب أناخ بنا حين غابت الشمس و لم أكلمه. فقال لها: كذبت، ما هو إلا بعض خلانك، ونهض فضربها وهي تناشده، قال الرجل: فسمعته يقول: والله لا أترك ضربك حتى ياتي ضيفك هذا فيغيثك. فلما عيل صبرها قالت: يا صاحب البعير يا رجل! وأخذ الصحمي هرواته ثم أقبل يحضر حتى أتاها وهو يضربها، فضربه ثلاث ضربات أو أربعاً، ثم أدركته المرأة فقالت: يا عبد الله، ما لك ولنا! نح عنا نفسك، فانصرف فجلس على راحلته وأدلج ليلته كلها وقد ظن أنه قتل الرجل وهو لا يدري من الحي بعد ، حتى أصبح في أخبيةٍ

من الناس، ورأى غنماً فيها أمة مولدة، فسألها عن أشياء حتى بلغ به الذكر ، فقال: أخبريني عن أناس وجدهم بشعب كذا . فضحكت وقالت: إنك لتسألني عن شيء وأنت به عالم. فقال: وما ذاك لله بلادك؟ فوالله ما أنا به عالم. قالت: ذاك خباء ليلى الأخيلية، وهي أحسن الناس وجهاً، وزوجها رجل غيور فهو يعزب بها عن الناس فلا يحل بها معهم، والله ما يقربها أحد ولا يضيفها، فكيف نزلت أنت بها؟ قال: إنما مررت فنظرت إلى الخباء و لم أقربه، وكتمها الأمر. وتحدث الناس عن رجل نزل بها فضربها زوجها فضربه الرجل و لم يدر من هو. فلما أخبر باسم المرأة وأقر على نفسه تغنى بشعر دل فيه على نفسه وقال:

ألا يا ليل أخت بني عقيلٍ ... أنا الصحمي إن لم تعرفيني

دعتني دعوة فحجزت عنها ... بصكاتٍ رفعت بها يميني

فإن تك غيرة أبرئك منها ... وإن تك قد جننت فذا جنوني

سألها الحجاج هل كان بينها وبين توبة ريبة وجوابها له: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا رشد بن خنتم الهلالي قال حدثني أيوب بن عمرو عن رجل يقال له ورقاء قال: سمعت الحجاج يقول لليلى الأخيلية: إن شبابك قد ذهب، واضمحل أمرك وأمر توبة؛ فأقسم عليك إلا صدقتني، هل كانت بينكما ريبة قط أو خاطبك في ذلك قط؟ فقالت: لا والله أيها الأمير إلا أنه قال لي ليلةً وقد خلونا كلمةً ظننت أنه قد خضع فيها لبعض الأمر، فقلت له:

وذي حاجةٍ قلنا له لا تبح بها ... فليس إليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه ... وأنت لأخرى فارغ وحليل

فلا والله ما سمعت منه ريبةً بعدها حتى فرق بيننا الموت. قال لها الحجاج: فما كان منه بعد ذلك؟ قالت: وجه صاحباً له إلى حاضرنا فقال: إذا أتيت الحاضر من بني عبادة بن عقيل فاعل شرفاً ثم اهتف بهذا البيت:

عفا الله عنها هل أبيتن ليلةً ... من الدهر لا يسري إلي خيالها

فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى فقلت له:

وعنه عفا ربي وأحسن حفظه ... عزيز علينا حاجة لا ينالها

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء، وهو أجمع في قصيدة توبة .

نأتك بليلى دارها لا تزورها

صوت:

حمامة بطن الواديين ترنمي ... سقاك من الغر الغوادي مطيرها

أبيني لنا لا زال ريشك ناعماً ... ولا زلت في خضراء دانٍ بريرها

وأشرف بالقوز اليفاع لعلني أرى نار ليلى أو يراني بصيرها

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداة سفورها
علي دماء البدن إن كان بعلها يرى لي ذنباً غير أني أزورها
وأني إذا ما زرتها قلت يا اسلمي وما كان في قولي اسلمي ما يضيرها
وغيرني إن كنت لما تغيري هواجر تكتنينها وأسيرها
وأدماء من سر المهاري كأنها مهاة صوارٍ غير ما مس كورها
قطعت بها أجواز كل تنوفةٍ مخوفٍ رداها كلما استن مورها
ترى ضعفاء القوم فيها كأنهم دعاميص ماءٍ نش عنها غديرها

غنى في الأربعة الأبيات فليح بن أبي العوراء ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو. وغنى في الثالث والرابع ابن سريج رملاً بالوسطى عن الهشامي وعلي بن يحيى المنجم، وذكر غيرهما أنه لمحمد بن إسحاق بن عمرو بن بزيع. وغنى فيها الهذلي ثقيلاً أول بالبنصر عن حبشٍ. وغنى ابن محرز في، علي دماء البدن، والذي بعده خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو. وعن ابن مسجحٍ في:

وغيرني إن كنت لما تغيري

وما بعده لحن ذكر أن عبد الله بن جعفر رواه الأبيات وأمره أن يغني بها، أخبرني بذلك إسماعيل بن يونس الشيعي عن عمرو بن شبة عن إسحاق الموصلي عن ابن الكلبي في خبرٍ قد ذكرته في أخبار ابن مسجحٍ ، وذكر الهشامي أن اللحن ثقيل أول بالوسطى .

رأي الأصمعي فيما تضمنه شعر لتوبة: حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن يعقوب بالأنبار قال حدثنا من أنشد الأصمعي:

علي دماء البدن إن كان زوجها يرى لي ذنباً غير أني أزورها
وأني إذا ما زرتها قلت يا اسلمى فهل كان من قولي اسلمي ما يضيرها

فقال الأصمعي: شكوى مظلومٍ، وفعل ظالم .

مقتل توبة وسببه وكيف كان: أخبرني بالسبب في مقتل توبة محمد بن الحسن بن دريد إجازةً عن أبي حاتم السجستاني عن أبي عبيدة، والحسن بن علي الخفاف قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن علي ابن المغيرة عن أبيه عن أبي عبيدة، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي، ورواية أبي عبيدة أتم واللفظ له. قال أبو عبيدة:

كان الذي هاج مقتل توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة أنه كان بينه وبين بني عامر بن عوف بن عقيلٍ لحاء ، ثم إن توبة شهد بني خفاجة وبني عوفٍ وهم يختصمون عند همام بن مطرف العقيلي في بعض أمورهم. قال: وكان مروان بن الحكم يومئذٍ أميراً على المدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان، فاستعمله على صدقات بني عامر. قال: فوثب ثور بن أبي سمعان بن كعب بن عامر بن عوف بن عقيل على توبة بن الحمير فضربه بجرزٍ وعلى توبة الدرع والبيضة، فجرح أنف البيضة وجه توبة. فأمر همام بثور بن أبي سمعان فأقعد بين يدي توبة، فقال: خذ بحقك يا توبة. فقال له توبة: ما كان هذا إلا عن أمرك، وما كان ليجترئ علي عند غيرك. وأم همام صوبانة بنت جون بن عامر بن عوف بن عقيل فاتهمه توبة لذلك، فانصرف و لم يقتص منه. فمكثوا غير كثيرٍ، وإن توبة بلغه أن ثور بن أبي سمعان خرج في نفرٍ من رهطه إلى ماء من مياه قومه يقال له قوباء يريدون مالهم بموضع يقال له جرير بتثليثٍ قال: وبينهما فلاة فاتبعه توبة في ناس من أصحابه، فسأل عنه وبحث حتى ذكر له أنه عند رجلٍ من بني عامر بن عقيل يقال له سارية بن عمير بن أبي عدي وكان صديقاً لتوبة. فقال توبة: والله لا نطرقهم عند سارية الليلة حتى يخرجوا عنه. فأرادوا أن يخرجوا حين يصبحون. فقال لهم سارية. ادرعوا الليل؛ فإني لا آمن توبة عليكم الليلة فإنه لا ينام عن طلبكم. قال: فلما تعشوا ادرعوا الليل في الفلاة. وأقعد له توبة رجلين فغفل صاحبا توبة. فلما ذهب الليل فزع توبة وقال: لقد اغتررت إلى رجلين ما صنعا شيئاً، وإني لأعلم أنهم لم يصبحوا بهذه البلاد، فاقتص آثارهم، فإذا بأثر القوم قد خرجوا، فبعث إلى صاحبيه فأتياه، فقال: دونكما هذا الجمل فأوقراه من الماء في مزادتيه ثم اتبعا أثري، فإن خفي عليكما أن تدركاني فإني سأنور لكما إن أمسيتما دوني. وخرج توبة في أثر القوم مسرعاً، حتى إذ انتصف النهار جاوز علماً يقال له أفيح في الغائط. فقال لأصحابه: هل ترون سمراتٍ إلى جنب قرون بقرٍ؟ وقرون بقر مكان هنالك فإن ذلك مقيل القوم لم يتجاوزوه فليس وراءه ظل. فنظروا فقال قائل: أرى رجلاً يقود بعيراً كأنه يقوده لصيدٍ. قال توبة: ذلك ابن الحبترية، وذلك من أرمى من رمى. فمن له يختلجه دون القوم فلا ينذرون بنا؟ قال: فقال عبد الله أخو توبة: أنا له. قال: فاحذر لا يضربنك، وإن استطعت أن تحول بينه وبين أصحابه فافعل. فخلي طريق فرسه في غمضٍ من الأرض، ثم دنا منه فحمل عليه، فرماه لابن الحبترية قال: وبنو الحبتر ناس من مذحج في بني عقيل فعقر فرس عبد الله أخي توبة واختل السهم ساق عبد الله، فانحاز الرجل حتى أتى أصحابه فأنذرهم، فجمعوا ركابهم وكانت متفرقةً. قال: وغشيهم توبة ومن معه، فلما رأوا ذلك صفوا رحالهم وجعلوا السمرات في نحورهم وأخذوا سلاحهم ودرقهم، وزحف إليهم توبة، فارتمى القوم لا يغني أحداً منهم شيئاً في أحد. ثم إن توبة وكان يترس له أخوه عبد الله، قال: يا أخي لا تترس لي؛ فإني رأيت ثوراً كثيراً ما يرفع الترس، عسى أن أوافق منه عند رفعه مرمى فأرميه. قال: ففعل، فرماه توبة على حلمة ثديه فصرعه. وجال القوم فغشيهم توبة وأصحابه فوضعوا فيهم السلاح حتى تركوهم صرعى وهم سبعة نفرٍ. ثم إن ثوراً قال انتزعوا هذا السهم عني. قال توبة: ما وضعناه لننتزعه. فقال أصحاب توبة: انج بنا نأخذ آثارنا ونلحق راويتنا، فقد

أخذنا ثأرنا من هؤلاء وقد متنا عطشاً . قال توبة: كيف بهؤلاء القوم الذي لا يمنعون ولا يمتنعون !. فقالوا: أبعدهم الله. قال توبة: ما أنا بفاعل وما هم إلا عشيرتكم، ولكن تجيء الراوية فأضع لهم ماءً وأغسل عنهم دماءهم وأخيل عليهم من السباع والطير لا تأكلهم حتى أوذن قومهم بهم بعمقٍ . فأقام توبة حتى أتته الراوية قبل الليل، فسقاهم من الماء وغسل عنهم الدماء، وجعل في أساقيهم ماءً، ثم خيل لهم بالثياب على الشجر، ثم مضى حتى طرق من الليل سارية بن عويمر بن أبي عدي العقيلي فقال: إنا قد تركنا رهطاً من قومكم بسمراتٍ من قرون بقر، فأدركوهم، فمن كان حياً فداووه، ومن كان ميتاً فادفنوه، ثم انصرف فلحق بقومه. وصبح سارية القوم فاحتملهم وقد مات ثور بن أبي سمعان و لم يمت غيره. فلم يزل توبة خائفاً. وكان السليل بن ثورٍ المقتول رامياً كثير البغي والشر، فأخبر بغرةٍ من توبة وهو بقنةٍ من قنان الشرف يقال لها قنة بني الحمير، فركب في نحو ثلاثين فارساً حتى طرقه؛ فترقى توبة ورجل من إخوته في الجبل، فأحاطوا بالبيوت، فناداهم وهو في الجبل: هأنذا من تبغون فاجتنبوا البيوت. فقالوا: إنكم لن تستطيعوه وهو في الجبل، ولكن خذوا ما استدف لكم من ماله، فأخذوا أفراساً له ولإخوته وانصرفوا. ثم إن توبة غزاهم، فمر على أفلت بن حزن بن معاوية بن خفاجة ببطن بيشة . فقال: يا توبة أين تريد؟ قال: أريد الصبيان من بني عوف بن عقيلٍ. قال: لا تفعل فإن القوم قاتلوك، فمهلاً. قال: لا أقلع عنهم ما عشت، ثم ضرب بطن فرسه فاستمر به يحضر وهو يرتجز ويقول:

تنجو إذا قيل لها يعاط تنجو بهم من خلل الأمشاط

حتى انتهى إلى مكانٍ، يقال له حجر الراشدة، ظليلٍ، أسفله كالعمود، وأعلاه منتشر، فاستظل فيه هو وأصحابه. حتى إذا كان بالهاجرة مرت عليه إبل هبيرة بن السمين أخي بني عوف بن عقيلٍ واردةً ماءً لهم يقال له طلوب، فأخذها وخلى طريق راعيها، وقال له: إذا أتيت صدغ البقرة مولاك فأخبره أن توبة أخذ الإبل، ثم انصرف توبة يطرد الإبل . قال: فلما ورد العبد على مولاه فأخبره نادى في بني عوف وقال: حتام هذا! فتعاقدوا بينهم نحواً من ثلاثين فارساً ثم اتبعوه. ونهضت امرأة من بني خثعم من بني الهرة كانت في بني عوف وكانت تؤخذ لهم، فقالت: أروني أثره، فخرجوا بها فأروها أثره، فأخذت من ترابه فسافته فقالت: اطلبوه فإنه سيحبس عليكم. فطلبوه فسبقهم، فتلاوموا بينهم وقالوا: ما نرى له أثراً، وما نراه إلا وقد سبقكم. قال: وخرج توبة حتى إذا كان بالمضجع من أرض بني كلابٍ جعل نذارته وحبس أصحابه. حتىإذا كان بشعبٍ من هضبةٍ يقال لها هند من كبد المضجع جعل ابن عمٍ له يقال له قابض بن عبد الله ربيئةً له على رأس الهضبة فقال: انظر فإن شخص لك شيء فأعلمنا. فقال عبد الله بن الحمير: يا توبة إنك حائن ، أذكرك الله، فوالله ما رأيت يوماً أشبه بسمرات بني عوفٍ يوم أدركناهم في ساعتهم التي أتيناهم فيها منه ، فانج إن كان بك نجاة. قال: دعني، فقد جعلت ربيئة ينظر لنا. قال: ويرجع بنو عوف بن عقيل حين لم يجدوا أثر توبة فيلقون رجلاً من غني، فقالوا له: هل أحسست في مجيئك أثر خيلٍ أو أثر إبلٍ؟ قال: لا والله. قالوا: كذبت وضربوه. فقال: يا قوم لا تضربوني؛ فإني لم أجد أثراً،

ولقد رأيت زهاء كذا وكذا إبلاً شخوصاً في هاتيك الهضبة، وما أدري ما هو. فبعثوا رجلاً منهم يقال له يزيد بن رويبة لينظر حتى ما في الهضبة. فأشرف على القوم، فلما رآهم ألوى بثوبه لأصحابه حتى جاءوا، فحمل أولهم على القوم حتى غشي توبة، وفزع توبة وأخوه إلى خيلهما، فقام توبة إلى فرسه فغلبته لا يقدر على أن يلجمها ولا وقفت له، فخلى طريقها، وغشيه الرجل فاعتنقه، فصرعه توبة وهو مدهوش وقد لبس الدرع على السيف فانتزعه ثم أهوى به ليزيد بن رويبة فاتقاه بيده فقطع منها، وجعل يزيد يناشده رحم صفية، وصفية أم له من بني خفاجة. وغشي القوم توبة من ورائه فضربوه فقتلوه، وعلقهم عبد الله بن الحمير يطعنهم بالرمح حتى انكسر. قال: فلما فرغوا من توبة لووا على عبد الله بن الحمير فضربوا رجله فقطعوها. فلما وقع بالأرض أشرع سيفه وحده ثم جثا على ركبتيه وجعل يقول: هلموا، و لم يشعر القوم بما أصابه. وانصرف بنو عوف بن عقيل، وولى قابض منهزماً حتى لحق بعبد العزيز بن زرارة الكلابي فأخبره الخبر. قال: فركب عبد العزيز حتى أتى توبة فدفنه وضم أخاه. ثم ترافع القوم إلى مروان ابن الحكم، فكافأ بين الدمين وحملت الجراحات. ونزل بنو عوفٍ بن عقيلٍ البادية ولحقوا بالجزيرة والشام .

رواية لأبي عبيدة في مقتله وسببه:

قال أبو عبيدة: وقد كان توبة أيضاً يغير زمن معاوية بن أبي سفيان على قضاعة وخثعمٍ ومهرة وبني الحارث بن كعبٍ. وكانت بينهم وبين بني عقيلٍ مغاورات ، فكان توبة إذا أراد الغارة عليهم حمل الماء معه في الروايا ثم دفنه في بعض المفازة على مسيرة يومٍ منها، فيصيب ما قدر عليه من إبلهم فيدخلها المفازة فيطلبه القوم، فإن دخل المفازة أعجزهم فلم يقدروا عليه فانصرفوا عنه. قال: فمكث كذلك حيناً. ثم إنه أغار في المرة الأولى التي قتل فيها هو وأخوه عبد الله بن الحمير ورجل يقال له قابض بن أبي عقيل ، فوجد القوم قد حذروا فانصرف توبة مخفقاً لم يصب شيئاً. فمر برجل من بني عوف بن عامر بن عقيلٍ متنحياً عن قومه، فقتله توبة وقتل رجلاً كان معه من رهطه واطرد إبلهما، ثم خرج عامداً يريد عبد العزيز بن زرارة بن جزء بن سفيان بن عوف بن كلاب، وخرج ابن عم لثور بن أبي سمعان المقتول، فقال له خزيمة: صر إلى بني عوف بن عامر بن عقيلٍ فأخبرهم الخبر. فركبوا في طلب توبة فأدركوه في أرض بني خفاجة، وقد أمن في نفسه فنزل، وقد كان أسرى يومه وليلته، فاستظل ببرديه وألقى عنه درعه وخلى عن فرسه الخوصاء تتردد قريباً منه، وجعل قابضاً ربيئةً له ونام، فأقبلت بنو عوف بن عامر متقاطرين لئلا يفطن لهم أحد، فنظر قابض فأبصر رجلاً منهم إلى توبة فأنبهه. فقال توبة: ما رأيت؟ قال: رأيت شخص رجلٍ واحد، فنام و لم يكترث له، وعاد قابض إلى مكانه فغلبته عيناه فنام. قال: فأقبل القوم على تلك الحال فلم يشعر بهم قابض حتى غشوه، فلما رآهم طار على فرسه. وأقبل القوم إلى توبة، وكان أول من تقدم غلام أمرد على فرس عريٍ يقال له يزيد بن رويبة ابن سالم بن كعب بن عوف بن عامر بن عقيلٍ؛ ثم تلاه ابن عمه عبد الله بن سالم ثم تتابعوا. فلما سمع توبة وقع الخيل نهض وهو وسنان فلبس درعه على سيفه ثم صوت بفرسه الخوصاء فأتته، فلما أراد أن يركبها أهوت ترمحه ، ثلاث مراتٍ، فلما رأى ذلك لطم وجهها

فأدبرت، وحال القوم بينه وبينها. فأخذ رمحه وشد على يزيد بن رويبة فطعنه فأنفذ فخذيه جميعاً . وشد على توبة ابن عم الغلام عبد الله بن سالم فطعنه فقتله، وقطعوا رجل عبد الله. فلما رجع عبد الله بعد ذلك إلى قومه لاموه وقالوا له: فررت عن اخيك، فقال عبد الله بن الحمير في ذلك . قال أبو عبيدة وحدثني أيضاً مزرع بن عبد الله بن همام بن مطرف بن الأعلم قال: كان أهل دارٍ من بني جشم بن بكر بن هوازن يقال لهم بنو الشريد حلفاء لبني عداد بن خفاجة في الإسلام، فكان بينهم وبين خميس بن ربيعة رهط قومه قتال على ماءةٍ تدعى الحليفة وعامتها لجد بن همام. قال وشهد عبد الله بن الحمير ذلك وهو أعرج، عرج يوم قتل توبة فلم يغن كثير غناءٍ. فقالت بنو عقيل: لو توبة تلقاهم لبلوا منه بغير أفوق ناصل . فقال عبد الله بن الحمير يعتذر إليهم: قصيدة لعبد الله بن الحمير يعتذر فيها إلى قومه بعد قتل أخيه:

تأوبني بعارمة الهموم — كما يعتاد ذا الدين الغريم
كأن الهم ليس يريد غيري — ولو أمسى له نبط وروم
علام تقوم عاذلتي تلوم — تؤرقني وما إنجاب الصريم
فقلت لها رويداً كي تجلى — غواشي النوم والليل البهيم
ألما تعلمي أني قديماً — إذا ما شئت أعصي من يلوم
وأن المرء لا يدري إذا ما — يهم علام تحمله الهموم
وقد تعدي على الحاجات حرف — كركن الرعن ذعلبة عقيم
مداخلة الفقار وذات لوثٍ — على الحزان مقحمة غشوم
كأن الرحل منها فوق جأبٍ — بذات الحاذ معقله الصريم
طباه برجلة البقار برق — فبات الليل منتصباً يشيم
فبينا ذاك إذ هبطت عليه — دلوح المزن واهية هزيم
تهب لها الشمال فتمتريها — ويعقبها بنافحةٍ نسيم
يكب إذا الرذاذ جرى عليه — كما يصغي إلى الآسي الأميم
إذا ما قال أقشع جانباه — نشت من كل ناحيةٍ غيوم
فاشعر ليلة أرقاً وقراً — يسهره كما أرق السليم

ألا من يشتري رجلاً برجلٍ — تخونها السلاح فما تسوم

تلومك في القتال بنو عقيلٍ وكيف قتال أعرج لا يقوم

ولو كنت القتيل وكان حياً لقاتل لا ألف ولا سئوم

ولا جثامة ورع هيوب ولا ضرع إذا يمسي جثوم

قال: ثم إن خفاجة رهط توبة جمعوا لبني عوف بن عامر عقيل الذين قتلوا توبة، فلما بلغهم الخبر لحقوا ببني الحارث بن كعب، ثم افترقت بنو خفاجة. فلما بلغ ذلك بني عوف رجعوا، فجمعت لهم بنو خفاجة أيضاً قبائل عقيل. فلما رأت ذلك بنو عوف بن عامر بن عقيل لحقوا بالجزيرة فنزلوها؛ وهم رهط إسحاق بن مسافر بن ربيعة بن عاصم بن عمرو بن عامر بن عقيل. ثم إن بني عامر بن صعصعة صاروا في أمرهم إلى مروان بن الحكم وهو والي المدينة لمعاوية بن أبي سفيان، فقالوا: ننشدك الله أن تفرق جماعتنا، فعقل توبة وعقل الآخرين معاقل العرب مائةً من الإبل، فأدتها بنو عامر. قال: فخرجت بنو عوف بن عامر قتلة توبة فلحقوا بالجزيرة، فلم يبق بالعالية منهم أحد، وأقامت بنو ربيعة بن عقيلٍ وعروة ابن عقيل وعبادة بن عقيل بمكانهم بالبادية .

رواية أبي عبيدة عن مزرع في مقتله وسببه:

قال أبو عبيدة وحدثنا مزرع بن عمرو بن همام قال أبو عبيدة: وكان معي أبو الخطاب وغيره قال: توبة بن حمير بن ربيعة بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيلٍ، وأمه زبيدة. فهاج بينه وبين السليل بن ثور بن أبي سمعان بن عامر بن عوف بن عقيل كلام، وكان شريراً ونظير توبة في القوة والبأس، فبلغ الحور وهو الكلام إلى أن أوعد كل واحدٍ منهما صاحبه، فالتقى بعد ذلك توبة والسليل على غديرٍ من ماء السماء، فرمى توبة السليل فقتله. ثم إن توبة أغار ثانيةً على إبل بني السمين بن كعب بن عوف بن عقيلٍ واردةً ماءهم فاطردها. واتبعوه وهم سبعة نفر: يزيد بن رويبة، وعبد الله بن سالمٍ، ومعاوية بن عبد الله قال أبو عبيدة: و لم يذكر غير هؤلاء فانصرفوا يجنبون الخيل يحملون المزاد، فقصوا أثر توبة وأصحابه فوجدوهم وقد أخذوا في المضجع من أرض بني كلابٍ في أرضٍ دمثة تربةٍ، فضلت فرس توبة الخوصاء من الليل، فأقام واضطجع حتى أصبح، وساق أصحابه الإبل، وهم ثلاثة نفرٍ سوى توبة: المحرز أحد بني عمرو بن كلابٍ، وقابض بن أبي عقيل أحد بني خفاجة، وعبد الله بن حمير أخو توبة لأمه وأبيه. فلما أصبح توبة إذا فرسه الخوصاء راتعة أدنى ظلمٍ قريبة منه ليس دونها وجاح فأشلاها حتى أتته، ثم خرج يعدو حتى لحق بأصحابه، فانتهوا إلى هضبةٍ بكبد المضجع، فارتقى توبة فوقها ينظر الطلب ، فرآه القوم و لم يرهم عند طلوع الشمس، وبالت الخوصاء حين انتهت إلى الهضبة، فقال القوم: إنه لطائر أو إنسان. فركب يزيد بن رويبة وكان أحدث القوم سناً، وأمه بنت عم توبة، فأغار ركضاً حتى انتهى إلى الهضبة فإذا بول الفرس وعليه بقية من رغوته، وإذا أثر توبة يعرفونه، فرجع فخبر أصحابه. واندفع توبة وأصحابه حتى نزلوا إلى طرف هضبة يقال لها الشجر من أرض بني كلاب، فقالوا بالظهيرة، فلم يشعر شعره إلا والإبل قد نفرت، وكانت بركاً بالهاجرة، من وثيد الخيل. فوثب توبةً، وكان لا يضع السيف، فصب الدرع على السيف متقلده وهلاً، وداجت القوم، فطلب قائم السيف فلم يقدر عليه تحت الدرع فلم يستطع سله، فطار إلى الرمح فأخذه،

فأهوى به طعناً إلى يزيد بن رويبة، وقد كان يزيد عاهد الله ليقتلنه أو ليأخذنه، فأنفذ فخذ يزيد، واعتنقه يزيد فعض بوجنتيه، واستدبره عبد الله بالسيف ففلق رأس توبة، وهيت توبة حين اعتوره الرجلان بقابضٍ: يا قابض فلم يلو عليه، وفر قابض والكلابي، وذب عبد الله بن حمير عن أخيه، فأهوى له معاوية بن عبد الله بالسيف فأصاب ركبته فاختلعت أي سقطت. فأتى قابض من فوره ذلك عبد العزيز بن زرارة أحد بني أبي بكر بن كلاب فقال: قتل توبة. فنادى في قومه، فجاءه أبوه زرارة فقال: أين تريد؟ فقال: قتل توبة. فقل أبوه طوط سحقاً لك! أتطلب بدم توبة أن قتلته بنو عقيلٍ ظالماً لها باغياً عادياً عليها! قال: لكني أجنه إذاً. قال أبوه: أما هذه فنعم. فألقى السلاح وانطلق حتى أجنه، وحمل أخاه عبد الله بن حمير. قال: فأهل البادية يزعمون أن محرزاً سحر فأخذ عن سيفه. فقالت ليلى الأخيلية بنت عبد الله بن الرحالة بن شداد بن كعب ابن معاوية فارس الهرار ابن عبادة بن عقيلٍ: رثت ليلى توبة بعدة قصائد:

نظرت وركن من ذقانين دونه ... مفاوز حوضي أي نظرة ناظر
لأونس إن لم يقصر الطرف عنهم ... فلم تقصر الأخبار والطرف قاصري
فوارس أجلي شأوها عن عقيرةٍ ... لعاقرها فيها عقيرة عاقر

شأوها : سرعتها وهو الطلق وجريها، وقال غيره: غايتها. عقيرة: تعني توبة. لعاقرها: تعني لعاقر توبة، تريد يزيد بن رويبة. ووجه آخر : في عقيرة عاقرٍ معنى مدحٍ أي عقيرة كريمة لعاقرها. ووجه آخر: عقيرة لعاقرها: فيها الهلاك بعقرها

فآنست خيلاً بالرقي مغيرةً ... سوابقها مثل القطا المتواتر
قتيل بني عوفٍ وأيصر دونه ... قتيل بني عوفٍ قتيل يحابر
توارده أسيافهم فكأنما ... تصادرن عن أقطاع أبيض باتر
من الهندوانيات في كل قطعةٍ ... دم زل عن أثرٍ من السيف ظاهر
أتته المنايا دون زغفٍ حصينةٍ ... وأسمر خطيٍ وخوصاء ضامر
على كل حرداء السراة وسابحٍ ... درأن بشباك الحديد زوافر

عوابس تعدو الثعلبية ضمراً ... وهن شواحٍ بالشكيم الشواجر
فلا يبعدنك الله يا توب إنما ... لقاء المنايا دارعاً مثل حاسر
فإلا تك القتلى بواءً فإنكم ... ستلقون يوماً ورده غير صادر
وإن السليل إذ يباوي قتيلكم ... كمرحومةٍ من عركها غير طاهر

فإن تكن القتلى بواءً فإنكم فتىً ما قتلتم آل عوف بن عامر
فتىً لا تخطاه الرفاق ولا يرى لقدرٍ عيالاً دون جارٍ مجاور
ولا تأخذ الكوم الجلاد رماحها لتوبة في نحس الشتاء الصنابر
إذا ما رأته قائماً بسلاحه تقته الخفاف بالثقال البهازر
إذا لم يجد منها برسلٍ فقصره ذرى المرهفت والقلاص التواجر
قرى سيفه منها مشاشاً وضيفه سنام المهاريس السباط المشافر
وتوبة أحيا من فتاةٍ حييةٍ وأجرأ من ليثٍ بخفان خادر
ونعم الفتى إن كان توبة فاجراً وفوق الفتى إن كان ليس بفاجر
فتى ينهل الحاجات ثم يعلها فيطلعها عنه ثنايا المصادر

صوت:

كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ قلائص يفحصن الحصا بالكراكر
ولم يبن أبراداً عتاقاً لفتيةٍ كرامٍ ويرحل قبل فيء الهواجر

في هذين البيتين لحن من الثقيل الأول لمحمد بن إبراهيم قريض وهو من خاص صنعته وغنائه

ولم يتجل الصبح عنه وبطنه لطيف كطي السب ليس بحادر
فتىً كان للمولى سناءً ورفعة وللطارق الساري قرىً غير باسر
ولم يدع يوماً للحفاظ وللندا وللحرب يرمي نارها بالشرائر
وللبازل الكوماء يرغو حوارها وللخيل تعدو بالكمأة المساعر
كأنك لم تقطع فلاةً ولم تنخ قلاصاً لدى فأوٍ من الأرض غائر
وتصبح بمومأةٍ كأن صريفها صريف خطاطيف الصرى في المحاور
طوت نفعها عنا كلاب وآسدت بنا أجهليها بين غاوٍ وشاعر
وقد كان حقاً أن تقول سراتهم لعاً لأخينا عالياً غير عاثر
ودويةٍ قفرٍ يحار بها القطا تخطيتها بالناعجات الضوامر
فتالله تبني بيتها أم عاصمٍ على مثله أخرى الليالي الغوابر
فليس شهاب الحرب توبة بعدها بغازٍ ولا غادٍ بركبٍ مسافر

وقد كان طلاع النجاد وبين اللـ ... ـسان ومدلاج السرى غير فاتر

وقد كان قبل الحادثات إذا انتحى ... وسائق أو معبوطةً لم يغادر

وكنت إذا مولاك خاف ظلامةً ... دعاك ولم يهتف سواك بناصر

فإن يك عبد الله آسى ابن أمه ... وآب بأسلاب الكمي المغاور

وكان كذات البو تضرب عنده ... سباعاً وقد ألفيته في الجراجر

فإنك قد فارقته لك عاذراً ... وأني لحي عذر من في المقابر

فأقسمت أبكي بعد توبة هالكاً ... وأحفل من نالت صروف المقادر

على مثل همامٍ ولابن مطرفٍ ... لتبك البواكي أو لبشر بن عامر

غلامان كانا استوردا كل سورةٍ ... من المجد ثم استوثقا في المصادر

ربيعي حياً كانا يفيض نداهما ... على كل مغمورٍ نداة وغامر

كأن سنا ناريهما كل شتوةٍ ... سنا البرق يبدو للعيون النواظر

وقالت أيضاً ترثي توبة عن أم حمير، وأمها ابنة أخي توبة، عن أمها. قال أبو عبيدة: أم حمير أخت أبي الجراح العقيلي. قال: وأمها بنت توبة بن حمير. قال: وكان الأصمعي يعجب بها:

أيا عين بكي توبة ابن حمير ... بسحٍ كفيض الجدول المتفجر

لتبك عليه من خفاجة نسوة ... بماء شؤون الغبرة المتحدر

سمعن بهيجا أرهقت فذكرنه ... ولا يبعث الأحزان مثل التذكر

كأن فتى الفتيان توبة لم يسر ... بنجدٍ ولم يطلع مع المتغور

ولم يرد الماء السدام إذا بدا ... سنا الصبح في بادي الحواشي منور

ولم يغلب الخصم الضجاج ويملأ ال ... جفان سديفاً يوم نكباء صرصر

ولم يعل بالجرد الجياد يقودها ... بسرة بين الأشمسات فايصر

وصحراء موماةٍ يحار القطا ... قطعت على هول الجنان بمنسر

يقودون قباً كالسراحين لاحها ... سراهم وسير الراكب المتهجر

فلما بدت أرض العدو سقيتها ... مجاج بقيات المزاد المقير

ولما أهابوا بالنهاب حويتها بخاظي البضيع كره غير أعسر

ممرٍ ككر الأندري مثابرٍ إذا ما ونين مهلب الشد محضر

فألوت بأعناقٍ طوالٍ وراعها صلاصل بيضٍ سابغٍ وسنور

ألم تر أن العبد يقتل ربه فيظهر جد العبد من غير مظهر

قتلتم فتىً لا يسقط الروع رمحه إذا الخيل جالت في قناً متكسر

فيا توب للهيجا ويا توب للندى ويا توب للمستنبح المتنور

ألا رب مكروبٍ أجبت ونائلٍ بذلت ومعروف لديك ومنكر

وقالت ترثيه:

أقسمت أرثي بعد توبة هالكاً وأحفل من دارت عليه الدوائر

لعمرك ما بالموت عار على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المعاير

وما أحد حي وإن عاش سالماً بأخلد ممن غيبته المقابر

ومن كان مما يحدث الدهر جازعاً فلا بد يوماً أن يرى وهو صابر

وليس لذي عيشٍ عن الموت مقصر وليس على الأيام والدهر غابر

ولا الحي مما يحدث الدهر معتب ولا الميت إن لم يصبر الحي ناشر

وكل شبابٍ أو جديد إلى بلىً وكل امرئ يوماً إلى الله تعالى صائر

وكل قريني ألفةٍ لتفرقٍ شتاتاً وإن ضنا وطال التعاشر

فلا يبعدنك الله حياً وميتاً أخا الحرب إن دارت عليك الدوائر

ويروى:

فلا يبعدنك الله يا توب هالكاً أخا الحرب إن دارت عليك الدوائر

فآليت لا أنفك أبكيك ما دعت على فننٍ ورقاء أو طار طائر

قتيل بني عوفٍ فيا لهفتا له وما كنت أياهم عليه أحاذر

ولكنما أخشى عليه قبيلةً لها بدروب الروم بادٍ وحاضر

وقالت ترثيه:

كم هاتفٍ بك من باكٍ وباكيةٍ يا توب للضيف إذ تدعى وللجار

وتوب للخصم إن جاوروا وإن عدلوا ... وبدلوا الأمر نقضاً بعد إمرار
إن يصدروا المر تطلعه موارده ... أو يوردوا الأمر تحلله بإصدار

وقالت ترثيه:

هراقت بنو عوفٍ دماً غير واحدٍ ... له نبأ نجديه سيغور
تداعت له أفناء عوفٍ ولم يكن ... له يوم هضب الردهتين نصير

وقالت ترثيه:

يا عين بكي بدمعٍ دائم السجم ... وابكي لتوبة عند الروع والبهم
على فتىً من بني سعدٍ فجعت به ... ماذا أجن به في الحفرة الرجم
من كل صافيةٍ صرفٍ وقافيةٍ ... مثل السنان وأمرٍ غير مقتسم
ومصدرٍ حين يعيي القوم مصدرهم ... وجفنةٍ عند نحس الكوكب الشبم

وقالت تعير قابضاً:

جزى الله شراً قابضاً بصنيعه ... وكل امرئ يجزى بما كان ساعياً
دعا قابضاً والمرهقات يردنه ... فقبحت مدعواً ولبيك داعيا

وقالت لقابض وتعذر عبد الله أخا توبة:

دعى قابضاً والموت يخفق ظله ... وما قابض إذ لم يجب بنجيب
وآسى عبيد الله ثم ابن أمه ... ولو شاء نجى يوم ذاك حبيبي

خرج توبة إلى الشام فلقيه زنجي وخبره معه:

أخبرني الحسن بن علي عن عبد الله بن أبي سعدٍ عن أحمد بن معاوية بن بكر قال حدثني أبو الجراح العقيلي عن أمه دينار بنت خيبري بن الحمير عن توبة بن الحمير قال: خرجت إلى الشام، فبينا أنا أسير ليلةً في بلادٍ لا أنيس بها ذات شجرٍ نزلت لأريح، وأخذت ترسي فألقيته فوقي، وألقيت نفسي بين المضطجع والبارك. فلما وجدت طعم النوم إذا شيء قد تجللني عظيم ثقيل قد تجللني عظيم ثقيل قد برك علي، ونشزت عنه ثم قمصت منه قماصاً فرميت به على وجهه، وجلست إلى راحلتي فانتضيت السيف، ونهض نحوي فضربته ضربة انخزل منها، وعدت إلى موضعي وأنا لا أدري ما هو أإنسان أم سبع، فلما أصبحت إذا هو أسود زنجي يضرب برجليه وقد قطعت وسطه حتى كدت أبريه، وانتهيت إلى ناقةٍ مناخةٍ موقرةٍ ثياباً من سلبه، وإذا جارية شابةً ناهد وقد أوثقها وقرنها بناقته. فسألتها عن خبرها، فأخبرتني أنه قتل مولاها وأخذها منه. فأخذت الجميع وعدت إلى أهلي. قال أبو الجراح قالت أمي: وأنا أدركتها في الحي تخدم أهلنا .

حديث معاوية مع ليلى في توبة: أخبرنا اليزيدي عن ثعلب عن ابن الأعرابي قال أخبرنا عطاء بن مصعب القرشي عن عاصم الليثي عن يونس بن حبيبٍ الضبي عن أبي عمرو بن العلاء قال: سأل معاوية بن أبي سفيان ليلى الخيلية عن توبة بن الحمير فقال: ويحك يا ليلى! أكما يقول الناس كان توبة؟ قالت: يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقول الناس حقاً، والناس شجرة بغيٍ يحسدون أهل النعم حيث كانوا وعلى من كانت. ولقد كان يا أمير المؤمنين سبط البنان، حديد اللسان، شجاً للأقران، كريم المخبر ، عفيف المئزر، جميل المنظر. وهو يا أمير المؤمنين كما قلت له. قال: وما قلت له؟ قالت قلت و لم أتعد الحق وعلمي فيه:

بعيد الثرى لا يبلغ القوم قعره ... ألد ملد يغلب الحق باطله

إذا حل ركب في ذراه وظله ... ليمنعهم مما تخاف نوازله

حماهم بنصل السيف من كل فادحٍ ... يخافونه حتى تموت خصائله

فقال لها معاوية: ويحك! يزعم الناس أنه كان عاهراً خارباً . فقالت من ساعتها:

معاذ إلهي كان والله سيدا ... جواداً على العلات جماً نوافله

أغر خفاجياً يرى البخل سبةً ... تحلب كفاه الندى وأنامله

عفيفاً بعيد الهم صلباً قناته ... جميلاً محياه قليلاً غوائله

وقد علم الجوع الذي بات سارياً ... على الضيف والجيران أنك قاتله

وأنك رحب الباع يا توب بالقرى ... إذا ما لئيم القوم ضاقت منازله

يبيت قرير العين من بات جاره ... ويضحي بخيرٍ ضيفه ومنازله

فقال لها معاوية: ويحك يا ليلى! لقد جزت بتوبة قدره. فقالت: والله يا أمير المؤمنين لو رأيته وخبرته لعرفت أني مقصرة في نعته وأني لا أبلغ كنه ما هو أهله. فقال لها معاوية: من أي الرجال كان؟ قالت:

أتته المنايا حين تم تمامه ... وأقصر عنه كل قرنٍ يطاوله

وكان كليث الغاب يحمي عرينه ... وترضى به أشباله وحلائله

غصوب حليم حين يطلب حلمه ... وسم زعاف لا تصاب مقاتله

قال: فأمر لها بجائزةٍ عظيمة وقال لها: خبريني بأجود ما قلت فيه من الشعر. قالت: يا أمير المؤمنين، ما قلت فيه شيئاً إلا والذي فيه من خصال الخير أكثر منه. ولقد أجدت حين قلت:

جزى الله خيراً والجزاء بكفه ... فتىً من عقيلٍ ساد غير مكلف

فتىً كانت الدنيا تهون بأسرها ... عليه ولا ينفك جم التصرف

ينال عليات الآمور بهونةٍ ... إذا هي أعيت كل خرقٍ مشرف

هو الذوب بل أري الخلايا شبيهه بدرياقةٍ من خمر بيسان قرقف
فيا توب ما في العيش خير ولا ندى يعد وقد أمست في ترب نفنف
وما نلت منك النصف حتى ارتميت بك ال منايا بسهمٍ صائب الوقع أعجف
فيا ألف ألفٍ كنت حياً مسلماً لألقاك مثل القسور المتطرف

كما كنت إذ كنت المنحى من الردى إذا الخيل جالت بالقنا المتقصف
وكم من لهيفٍ محجرٍ قد أجبته بأبيض قطاع الضريبة مرهف
فأنقذته والموت يحرق نابه عليه ولم يطعن ولم يتنسف

ما كان بين توبة وجميل أمام بثينة: أخبرني الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن ابن سعد عن القحذمي عن محارب بن غصين العقيلي قال: كان توبة قد خرج إلى الشام، فمر ببني عذرة، فرأته بثينة فجعلت تنظر إليه، فشق ذلك على جميلٍ، وذلك قبل أن يظهر حبه لها. فقال له جميل: من أنت؟ قال: أنا توبة بن الحمير. قال: هل لك في الصراع؟ قال: ذلك إليك، فشدت عليه بثينة ملحفةً مورسة فأتزر بها، ثم صارعه فصرعه جميل. ثم قال: هل لك في النضال ؟ قال: نعم، فناضله فنضله جميل. ثم قال له: هل لك في السباق؟ فقال: نعم، فسابقه فسبقه جميل. فقال له توبة: يا هذا إنما تفعل بريح هذه الجالسة، ولكن اهبط بنا الوادي، فصرعه توبة ونضله وسبقه .

سأل عبد الملك بن مروان ليلى عما رآه توبة فيها فأجابته: أخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال: بلغني أن ليلى الأخيلية دخلت على عبد الملك بن مروان وقد أسنت وعجزت، فقال لها: ما رأى توبة فيك حين هويك؟ قالت: ما رآه الناس فيك حين ولوك. فضحك عبد الملك حتى بدت له سن سوداء كان يخفيها .

وفود ليلى على الحجاج وحديثه معها: وأخبرني الحسن بن علي عن ابن أبي سعد عن أحمد بن رشيد بن حكيم الهلالي عن أيوب بن عمرو عن رجلٍ من بني عامر يقال له ورقاء قال: كنت عند الحجاج بن يوسف، فدخل عليه الآذن فقال: أصلح الله الأمير، بالباب امرأة تهدر كما يهدر البعير الناد . قال: أدخلها. فلما دخلت نسبها فانتسبت له. فقال: ما أتى بك يا ليلى؟ قالت: إخلاف النجوم ، وقلة الغيوم ، وكلب البرد، وشدة الجهد، وكنت لنا بعد الله الرد . قال: فأخبريني عن الأرض. قالت: الأرض مقشعرة ، والفجاج مغبرة، وذو الغنى مختل، وذو الحد منفل. قال: وما سبب ذلك؟ قالت: أصابتنا سنون مجحفة مظلمة، لم تدع لنا فصيلاً ولا ربعاً، ولم تبق عافطةً ولا ناقطةً؛ فقد أهلكت الرجال، ومزقت العيال، وأفسدت الأموال، ثم أنشدته الأبيات التي ذكرناه متقدماً . وقال في الخبر: قال الحجاج: هذه التي تقول :

نحن الأخايل لا يزال غلامنا حتى يدب على العصا مشهوراً
تبكي الرماح إذا فقدن أكفنا جزعاً وتعرفنا الرفاق بحوراً

ثم قال لها: يا ليلى، أنشدينا بعض شعرك في توبة، فأنشدته قولها:

لعمرك ما بالموت عار على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المعاير
وما أحد حي وإن عاش سالماً بأخلد ممن غيبته المقابر
فلا الحي مما أحدث الدهر معتب ولا الميت إن لم يصبر الحي ناشر
وكل جديدٍ أو شبابٍ إلى بلًى وكل امرئٍ يوماً إلى الموت صائر
قتيل بني عوفٍ فيا لهفتا له وما كنت إياهم عليه أحاذر
ولكنني أخشى عليه قبيلةً لها بدروب الشأم بادٍ وحاضر

فقال الحجاج لحاجبه: اذهب فاقطع لسانها. فدعا لها بالحجام ليقطع لسانها، فقالت: ويلك! إنما قال لك الأمير اقطع لسانها بالصلة والعطاء، فارجع إليه واستأذنه. فرجع إليه فاستأمره ، فاستشاط عليه وهم بقطع لسانه، ثم أمر بها فأدخلت عليه، فقالت: كاد وعهد الله يقطع مقولي، وأنشدته:

حجاج أنت الذي لا فوقه أحد إلا الخليفة والمستغفر الصمد
حجاج أنت سنان الحرب إن نهجت وأنت للناس في الدواجي لنا تقد

أخبرنا الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو الحسن ميمون الموصلي عن سلمة بن أيوب بن مسلمة الهمداني قال: كان جدي عند الحجاج، فدخلت عليه امرأة برزة ، فانتسبت له فإذا هي ليلى الأخيلية. وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: كنت عند الحجاج. وأخبرني وكيع عن عن إسماعيل بن محمد عن المدائني عن جويرية عن بشر بن عبد الله بن أبي بكر: أن ليلى دخلت على الحجاج، ثم ذكر مثل الخبر الأول، وزاد فيه: فلما قالت:

غلام إذا هز القناة سقاها

قال لها: لا تقولي غلام، قولي همام. وقال فيه: فأمر لها بمائتين. فقالت: زدني، فقال: اجعلوها ثلاثمائة. فقال بعض جلسائه: إنها غنم. فقالت: الأمير أكرم من ذلك وأعظم قدراً من أن يأمر لي إلا بالإبل. قال: فاستحيا وأمر لها بثلاثمائة بعيرٍ، وإنما كان أمر لها بغنمٍ لا إبل .

وأخبرنا به وكيع عن إبراهيم بن إسحاق الصالحي عن عمر بن شبة عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه، وقال فيه: ألا قلت مكان غلامٍ همام! وذكر باقي الخبر الذي ذكره من تقدم، وقال فيه: فقال لها: أنشدينا ما قلت في توبة، فأنشدتها قولها:

فإن تكن القتلى بواءً فإنكم فتىً ما قلتم آل عوف بن عامر

فتىً كان أحيا من فتاةٍ حييةٍ وأشجع من ليثٍ بخفان خادر
أتته المنايا دون درعٍ حصينةٍ وأسمر خطي وجرداء ضامر
فنعم الفتى إن كان توبة فاجراً وفوق الفتى إن كان ليس بفاجر
كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ قلائص يفحصن الحصا بالكراكر

فقال لها أسماء بن خارجة: أيتها المرأة إنك لتصفين هذا الرجل بشيء ما تعرفه العرب فيه. فقالت: أيها الرجل هل رأيت توبة قط؟ قال: لا. فقالت: أما والله ولو رأيته لوددت أن كل عاتقٍ في بيتك حامل منه؛ فكأنما فقيء في وجه أسماء حب الرمان. فقال له الحجاج: وما كان لك ولها! .

وفاتها وكيف كانت: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد عن محمد بن علي بن المغيرة قال سمعت أبي يقول سمعت الأصمعي يذكر أن الحجاج أمر لها بعشرة آلاف درهم، وقال لها: هل لك من حاجةٍ؟ قالت: نعم أصلح الله الأمير، تحملني إلى ابن عمي قتيبة بن مسلمٍ، وهو على خراسان يومئذٍ فحملها إليه، فأجازها وأقبلت راجعة تريد البادية، فلما كانت بالري ماتت، فقبرها هناك. هكذا ذكر الأصمعي في وفاتها وهو غلط. وقد أخبرني عمي عن الحزنبل الأصبهاني عمن أخبره عن المدائني، وأخبرني الحسن بن علي عن ابن مهدي عن ابن أبي سعدٍ عن محمد بن الحسن النخعي عن ابن الخصيب الكاتب، واللفظ في الخبر للحزنبل، وروايته أتم: أن ليلى الأخيلية أقبلت من سفرٍ، فمرت بقبر توبة ومعها زوجها وهي في هودجٍ لها. فقالت: والله لا أبرح حتى أسلم على توبة، فجعل زوجها يمنعها من ذلك وتأبى إلا أن تلم به. فلما كثر ذلك منها تركها، فصعدت أكمةً عليها قبر توبة، فقالت: السلام عليك يا توبة، ثم حولت وجهها إلى القوم فقالت: ما عرفت له كذبةً قط قبل هذا. قالوا: وكيف؟ قالت: أليس القائل: صوت:

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت علي ودوني تربة وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا إليها صدًى من جانب القبر صائح
وأغبط من ليلى بما لا أناله ألا كل ما قرت به العين صالح

فما باله لم يسلم علي كما قال !. وكانت إلى جانب القبر بومة كامنة، فلما رأت الهودج واضطرابه فزعت وطارت في وجه الجمل، فنفر فرمى بليلى على رأسها، فماتت من وقتها، فدفنت إلى جنبه. وهذا هو الصحيح من خبر وفاتها .

غنى في الأبيات المذكورة آنفاً حكم الوادي لحنين، أحدهما رمل بالوسطى عن عمرو، والآخر خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى عن حبشٍ، وقال حبش: وفيها لحنان لجميلة والميلاء رملان بالبنصر، وذكر أبو العبيس بن حمدون أن الرمل لعمر الوادي .

كان توبة شريراً كثير الغارات: قال أبو عبيدة: كان توبة شريراً كثير الغارة على بني الحارث بن كعب وخثعمٍ وهمدان، فكان يزور نساءً منهم يتحدث إليهن، وقال:

أيذهب ريعان الشباب ولم أزر غرائر من همدان بيضاً نحورها

قال أبو عبيدة: وكان توبة ربما ارتفع إلى بلاد مهرة فيغير عليهم، وبين بلاد مهرة وبلاد عقيلٍ مفازة منكرة لا يقطعها الطير، وكان يحمل مزاد الماء فيدفن منه على يوم مزادةً ثم يغير عليهم فيطلبونه فيركب بهم المفازة، وإنما كان يتعمد حمارة القيظ وشدة الحر، فإذا ركب المفازة رجعوا عنه .

خبر ليلى مع عبد الملك بن مروان حين رآها عند زوجته عاتكة: أخبرني حرمي عن الزبير عن يحيى بن المقدام الربعي عن عمه موسى بن يعقوب قال:

دخل عبد الملك بن مروان على زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية، فرأى عندها امرأة بدوية أنكرها، فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا الواهة الحرى ليلى الأخيلية. قال: أنت التي تقولين:

أريقت جفان ابن الخليع فأصبحت حياض الندى زالت بهن المراتب

فعافته لهفى يطوفون حوله كما أنقض عرش البئر والورد عاصب

قالت: أنا التي أقول ذلك. قال: فما أبقيت لنا؟ قالت: الذي أبقاه الله لك. قال: وما ذاك؟ قالت: نسباً قرشياً، وعيشاً رخياً، وامرأة مطاعةً. قال: أفردته بالكرم! قالت: أفردته بما أفرده الله به. فقالت عاتكة: إنها قد جاءت تستعين بنا عليك في عينٍ تسقيها وتحميها لها. ولست ليزيد إن شفعتها في شيء من حاجاتها، لتقديمها أعرابياً جلفاً على أمير المؤمنين. قال: فوثبت ليلى فقامت على رجلها واندفعت تقول:

ستحملني ورحلي ذات وخدٍ عليها بنت آباءٍ كرم

إذا جعلت سواد الشأم جنباً وغلق دونها باب اللئام

فليس بعائدٍ أبداً إليهم ذوو الحاجات في غلس الظلام

أعاتك لو رأيت غداة بنا عزاء النفس عنكم واعتزامي

إذاً لعلمت واستيقنت أني مشيعة ولم ترعي ذمامي

أأجعل مثل توبة في نداه أبا الذبان فوه الدهر دامي

معاذ الله ما عسفت برحلي تغذ السير للبلد التهامي

أقلت خليفة فسواه أحجى بإمرته وأولى باللثام

لثام الملك حين تعد كعب ذوو الأخطار والخطط الجسام

فقيل لها: أي الكعبين عنيت؟ قالت: ما أخال كعباً ككعبي .

رواية أخرى في وفودها على الحجاج: أخبرنا اليزيدي عن الخليل بن أسدٍ عن العمري عن الهيثم بن عدي عن أبي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير عن محمد بن الحجاج بن يوسف قال: بينا الأمير جالس إذ استؤذن لليلى. فقال الحجاج: ومن ليلى؟ قيل: الأخيلية صاحبة توبة. قال: أدخلوها. فدخلت امرأة طويلة دعجاء العينين حسنة المشية إلى الفوه ما هي، حسنة الثغر، فسلمت فرد الحجاج عليها ورحب بها فدنت، فقال الحجاج: دراك ضع لها وسادةً يا غلام، فجلست. فقال: ما أعملك إلينا؟ قالت: السلام على الأمير، والقضاء لحقه، والتعرض لمعروفه. قال: وكيف خلفت قومك؟ قالت: تركتهم في حال خصبٍ وأمنٍ ودعةٍ. أما الخصب ففي الأموال والكلأ. وأما الأمن فقد أمنهم الله عز وجل بك. وأما الدعة فقد خامرهم من خوفك ما أصلح بينهم. ثم قالت: ألا أنشدك؟ فقال: إذا شئت. فقالت:

أحجاج إن الله أعطاك غايةً	يقصر عنها من أراد مداها
أحجاج لا يفلل سلاحك إنما ال	منايا بكف الله حيث تراها
إذا هبط الحجاج أرضاً مريضةً	تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها	غلام إذا هز القناة سقاها
سقاها دماء المارقين وعلها	إذا حجمت يوماً وخيف أذاها
إذا سمع الحجاج رز كتيبةٍ	أعد لها قبل النزول قراها
أعد لها مصقولةً فارسيةً	بأيدي رجالٍ يحلبون صراها
أحجاج لا تعط العصاة مناهم	ولا الله يعطي للعصاة مناها
ولا كل حلافٍ تقلد بيعةً	فأعظم عهد الله ثم شراها

فقال الحجاج ليحيى بن منقذٍ: لله بلادها ما أشعرها! فقال: ما لي بشعرها علم. فقال: علي بعبيدة بن موهبٍ وكان حاجبه، فقال: أنشديه فأنشدته، فقال عبيدة: هذه الشاعرة الكريمة، قد وجب حقها. قال: ما أغناها عن شفاعتك! يا غلام مر لها بخمسمائة درهم؛ وأكسها خمسة أثواب أحدها كساء حر، وأدخلها على ابنة عمها هند بنت أسماء فقل لها: حليها. فقالت: أصلح الله الأمير. أضر بنا العريف في الصدقة، وقد خربت بلادنا، وانكسرت قلوبنا، فأخذ خيار المال. قال اكتبوا لها إلى الحكم بن أيوب فليبتع لها خمسة أجمال وليجعل أحدها نجيباً ، واكتبوا إلى صاحب اليمامة بعزل العريف الذي شكته. فقال ابن موهبٍ: أصلح الله الأمير، أأصلها؟ قال نعم، فوصلها بأربعمائة درهم، ووصلتها هند بثلاثمائة درهم، ووصلها محمد بن الحجاج بوصيفتين .

قال الهيثم: فذكرت هذا الحديث لإسحاق بن الجصاص فكتبه عني، ثم حدثني عن حماد الراوية قال: لما فرغت

ليلى من شعرها أقبل الحجاج على جلسائه فقال لهم: أتدرون من هذه؟ قالوا: لا! والله ما رأينا امرأة أفصح ولا أبلغ منها ولا أحسن إنشاداً. قال: هذه ليلى صاحبة توبة. ثم أقبل عليها فقال لها: بالله يا ليلى أرأيت من توبة أمراً تكرهينه أو سألك شيئاً أو سألك شيئاً يعاب؟ قالت: لا والله الذي أسأله المغفرة ما كان ذلك منه قط. فقال: إذا لم يكن فيرحمنا الله وإياه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن ابن شبة عن عبد الله بن محمد بن حكيم الطائي عن خالد بن سعيد عن أبيه قال: كنت عند الحجاج فدخلت عليه ليلى الأخيلية، ثم ذكر مثل الخبر الأول، وزاد فيه: فلما قالت:

غلام إذا هز القناة سقاها

قال: لا تقولي غلام، قولي همام .

صوت:

سألني الناس أين يعمد هذا ... قلت آتي في الدار قرماً سريا

ما قطعت البلاد أسري ولا يم ... مت إلا إياك يا زكريا

كم عطاءٍ ونائل وجزيلٍ ... كان لي منكم هنياً مريا

عروضه من الخفيف، الشعر للأقيشرالأسدي. والغناء لدحمان، وله فيه لحنان، أحدهما خفيف ثقيلٍ من أصوات قليلة الأشباه عن إسحاق، والآخر ثقيل أول بالبنصر في الثالث والثاني عن عمرو، وذكر يونس أنه للأبجر و لم يجنسه، وذكر الهشامي أن لحن الأبجر خفيف ثقيلٍ، وأن لحن ابن بلوعٍ في الثالث ثاني ثقيل. وليحيى بن واصل ثقيل أول بالوسطى .

ذكر الأقيشر وأخباره

نسب الأقيشر واسمه ولقبه وكنيته: الأقيشر: لقب غلب عليه ، لأنه كان أحمر الوجه أقشر، واسمه المغيرة بن عبد الله بن معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. وكان يكنى أبا معرض، وقد ذكر ذلك في شعره في مواضع عدة، منها قوله:

فإن أبا معرضٍ إذا حسا ... من الراح كأساً على المنبر

خطيب لبيب أبو معرضٍ ... فإن ليم في الخمر لم يصبر

وعمر عمراً طويلاً، فكان أقعد بني أسد نسباً، وما أخلقه بأن يكون ولد في الجاهلية ونشأ في أول الإسلام؛ لأن سماك بن مخرمة الأسدي صاحب مسجد سماكٍ بالكوفة بناه في أيام عمر، وكان عثمانياً، وأهل تلك المحلة إلى اليوم كذلك. فيروي أهل الكوفة أن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه لم يصل فيه، وأهل الكوفة إلى اليوم يجتنبونه. وسماك الذي بناه هو سماك بن مخرمة بن حمين بن بلث بن عمرو بن معرض بن عمرو بن أسدٍ، والأقيشر

أقعد نسباً منه. وقال الأقيشر في ذكر مسجد سماكٍ شعراً .

أخبرني محمد بن الحسن الكندي الكوفي قال أخبرني الحسن بن عليل العنزي عن محمد بن معاوية وكنيته أبو عبد الله محمد بن معاوية قال: الأقيشر من رهط خريم بن فاتكٍ الأسدي. وخريم إنما نسب إلى جد أبيه فاتكٍ، وهو خريم بن الخرم بن شداد بن عمر بن فاتكٍ الأسدي، وفاتك بن قليب بن عمرو بن أسدٍ. والأقيشر هو المغيرة بن عبد الله بن معرض بن عمرو بن أسد .

قال في مسجد سماك بالكوفة شعراً ذم فيه بني دودان ثم ترضاهم ببيت: قال: وهو القائل لما بنى سماك بن مخرمة مسجده الذي بالكوفة، وهو أكبر مسجدٍ لبني أسدٍ، وهو في خطة بني نصر بن قعينٍ:

غضبت دودان من مسجدنا ... وبه يعرفهم كل أحد

لو هدمنا غدوةً بنيانه ... لانمحت أسماؤهم طول الأبد

اسمهم فيه وهم جيرانه ... واسمه الدهر لعمرو بن أسد

كلما صلوا قسمنا أجره ... فلنا النصف على كل جسد

فحلف بنو دودان ليضربنه. فأتاهم فقال: قد قلت بيتاً محوت به كل ما قلت. قالوا: وما هو يا فاسق؟ قال قلت:

وبنو دودان حي سادة ... حل بيت المجد فيهم والعدد

فتركوه .

كان خليعاً ماجناً مدمناً لشرب الخمر: أخبرني وكيع عن إسماعيل بن مجمع عن المدائني قال، وأخبرني أبو أيوب المديني عن محمد بن سلام قال: كان الأقيشر كوفياً خليعاً ماجناً مدمناً لشرب الخمر، وهو الذي يقول لنفسه:

فإن أبا معرضٍ إذ حسا ... من الراح كأساً على المنبر

خطيب لبيب أبو معرضٍ ... فصار خليعاً على المكبر

أحل الحرام أبو معرضٍ ... فإن ليم في الخمر لم يصبر

يجل اللئام ويلحى الكرام ... وإن أقصروا عنه لم يقصر

اجتاز على مجلس لبني عبس فناداه أحدهم بلقبه وكان يغضب منه فهجاه: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني، وأخبرني عبد الوهاب ابن عبيد الصحاف الكوفي عن قعنب بن محرزٍ الباهلي عن المدائني: أن القيشر مر يريد الحيرة ، فاجتاز على مجلسٍ لبني عبسٍ، فناداه أحدهم: يا أقيشر، وكان يغضب منها، فزجره الأشياخ، ومضى الأقيشر ثم عاد إليه معه رجل وقال له: قف معي، فإذا أنشدت بيتاً فقل لي: ولم ذلك، ثم انصرف، وخذ هذين الدرهمين. فقال له: أنا أصير معك إلى حيث شئت يا أبا معرض ولا أرزؤك شيئاً، قال: فافعل. فأقبل به حتى أتى مجلس القوم، فوقف عليهم ثم تأملهم وقد عرف الشاب، فأقبل عليه وقال:

أتدعوني الأقيشر ذلك اسمي وأدعوك ابن مطفئة السراج

فقال له الرجل: و لم ذاك؟ فقال:

تناجي خذنها بالليل سراً ورب الناس يعلم ما تناجي

قال قعنب في خبره. فلقب ذلك الرجل ابن مطفئة السراج .

كتب أبو الضحاك التميمي شعراً يذمه فرد عليه وتكرر ذلك: وقال قعنب في خبره عن المدائني أخبرنا به اليزيدي عن الخزار عن المدائني في كتاب الجوابات، و لم يروه الباقون: كان الأقيشر يكتري بغلة أبي المضاء المكاري فيركبها إلى الخمارين بالحيرة. فركبها يوماً ومضى لحاجته، وعند أبي المضاء رجل من تميمٍ يكنى أبا الضحاك، فقال له: من هذا؟ قال: الأقيشر. فأخذ طبق الميزان وكتب فيه:

عجبت لشاعرٍ من حي سوءٍ ضئيل الجسم مبطانٍ هجين

وقال لأبي المضاء: إذا جاء فأقرئه هذا. فلما جاء أقرأه. فقال له الأقيشر: ممن هو؟ قال: من بني تميم. فكتب الأقيشر تحت كتابه:

فلا أسداً أسب و لا تميماً وكيف يجوز سب الأكرمين

ولكن التميمي حال بيني وبينك يا ابن مضرطة العجين

فهرب إلى الكوفة فلم يزد على هذا .

وقال قعنب في خبره عن المدائني: فجاء التميمي فقرأ ما كتب، فكتب تحته:

يأيها المبتغي حشاً لحاجته وجه الأقيشر حش غير ممنوع

فلما قرأه قال: اللهم أني أستعديك عليه، وكتب تحته:

إني أتاني مقال كنت آمنة فجاء من فاحشٍ في الناس خلوع

عبد العزيز أبو الضحاك كنيته فيه من اللؤم وهي غير ممنوع

ولم تبت أمه إلا مطاحنةً وأن تؤاجر في سوق المراضيع

ينساب ماء البرايا في استها سرباً كأنما انساب في بعض البلاليع

من ثم جاءت به والبظر حنكه كأنه في استها تمثال يسروع

فلما جاءه جزع ومشى إليه بقوم من بني تميم، فطلبوا أن يكف ففعل. وأما عبد الله بن خلفٍ فذكر عن أبي عمرو الشيباني أن الأقيشر قال هذا في مسكين .

والشعر الذي فيه الغناء يقوله الأقيشر في زكريا بن طلحة الذي يقال له الفياض، وكان مداحاً له .

سمع عبد الملك بن مروان شعراً له في طلحة الفياض فمدحه: أخبرني الحسن بن علي عن العتزي عن محمد بن معاوية قال: غنت جارية عند عبد الملك ابن مروان بشعر الأقيشر:

قرب الله بالسلام وحيا زكريا بن طلحة الفياض
معدن الضيف إن أناخوا إليه بعد أين الطلائح الأنقاض

ساهمات العيون خوص رذايا قد براها الكلال بعد إياض
زاده خالد ابن عم أبيه منصباً كان في العلا ذا انتفاض
فرع تيمٍ من تيم مرة حقاً قد قضى ذاك لابن طلحة قاض

فقال عبد الملك للجارية: ويحك! لمن هذا؟ قالت: للأقيشر. قال: هذا المدح لا على طمعٍ ولا فرقٍ، وأشعر الناس الأقيشر .

لقيه الكميت فسمع من شعره وأثنى عليه: وذكر عبد الله بن خلفٍ أن أبا عمرو الشيباني أخبره الكميت بن زيد لقي الأقيشر في سفرةٍ ، فقال له: أين تقصد يا أبا معرض؟ فقال:

سألني الناس أين يقصد هذا قلت آتي في الدار قرماً سريا

وذكر باقي الأبيات التي فيها الغناء، فلم يزل الكميت يستعيده إياها مراراً، ثم قال: ما كذب من قال إنك أشعر الناس .

كان عنيناً فقال شعراً في ضد ذلك داعب به رجلاً من قيس: أخبرني عمي عن الكراني عن ابن سلام قال: كان الأقيشر عنيناً، وكان لا يأتي النساء، وكان كثيراً ما كان يصف ضد ذلك من نفسه. فجلس إليه يوماً رجل من قيس، فأنشده الأقيشر:

ولقد أروح بمشرفٍ ذي شعرةٍ عسر المكرة ماؤه يتفصد
مرحٍ يطير من المراح لعابه وتكاد جلدته به تتقدد

ثم قال للرجل: أتبصرالشعر؟ قال نعم. قال: فما وصفت؟ قال: فرساً قال: أفكنت لو رأيته ركبته؟ قال: إي والله وأثني عطفه. فكشف عن أيره وقال: هذا وصفت، فقم فاركبه. فوثب الرجل من مجلسه وجعل يقول له: قبحك الله من جليسٍ! سائر اليوم .

دعاه عابس وهو في جنازة بنت زياد العصفري لغداء وشراب فقال شعراً: ونسخت من كتاب عبد الله بن خلفٍ: حدثني أبو عمرو الشيباني قال: ماتت بنت زيادٍ العصفري، فخرج الأقيشر في جنازتها، فلما دفنوها انصرف، فلقيه عابس مولى عائذ الله، فقال له: هل لك في غداء وطلاء أتيت به من طيزناباذ قال نعم. فذهب به إلى منزله فغداه وسقاه، فلما شرب قال:

فليت زياداً لا يزلن بناته يمتن وألقى كلما عشت عابساً
فذلك يوم غاب عني شره وأنجحت فيه بعد ما كنت آيسا

أخذه الشرط من حانة فتخلص منهم برشوة وقال شعراً: ونسخت من كتابه: حدثني أبو عمرو قال: شرب الأقيشر في بيت خمارة بالحيرة، فجاءه الشرط ليأخذوه، فتحرز منهم وأغلق بابه وقال: لست أشرب، فما سبيلكم علي! قالوا: قد رأينا العس في كفك وأنت تشرب. قال: إنما شربت من لبن لقحةٍ لصاحب الدار، فلم يبرحوا حتى أخذوا منه درهمين. فقال:

إنما لقحتنا باطية فإذا ما مزجت كانت عجب
لبن أصفر صافٍ لونه ينزع الباسور من عجب الذنب
إنما نشرب من أموالنا فسلوا الشرطي ما هذا الغضب

سأل عبد الملك وقد بنى أسد عنه وقال إنه شاعرهم: أخبرني الحسن بن علي عن العتري عن محمد بن معاوية قال: دخل وفد بني أسدٍ على عبد الملك بن مروان، فقال: من شاعركم يا بني أسد؟ قالوا: إن فينا لشعراء ما يرضى قومهم أن يفضلوا عليهم أحداً. قال فما فعل الأقيشر؟ قالوا: مات. قال: لم يمت، ولكنه مشتغل بعشقه، وما أبعد أن يكون شاعركم إلا أنه يضيع نفسه. أليس هو القائل:

يأيها السائل عما مضى من علم هذا الزمن الذاهب
إن كنت تبغي العلم أو أهله أو شاهداً يخبر عن غائب
فاعتبر الأرض بأسمائها واعتبر الصاحب بالصاحب

سأل جاراً له طحاناً كان يقرض الناس فلم يعطه فقال فيه شعراً: وذكر عبد الله بن خلفٍ عن أبي عمرو الشيباني أن جاراً للأقشير طحاناً كان ينسئ الناس يكنى أبا عائشة. فأتاه الأقيشر فلم يعطه، فقال له:

يريد النساء ويأبى الرجال فما لي وما لأبي عائشه
أدام له الله كد الرجال وأثكله ابنته عائشه

فأعطاه ما أراد واستعفاه من أن يزيد شيئاً .

تعرض له رجل من هجيم فهجاهم فاستكفوه فكف: سخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيدي بخطه: قال الهيثم بن عدي حدثني عطاف بن عاصم بن الحدثان قال: مر أعرابي من بني تميمٍ كان يهزأ بالأقشير، فقال له:

أبا معرضٍ كن أنت إن مت دافني إلى جنب قبرٍ فيه شلو المضلل
فعلي أن أنجو من النار إنها تضرم للعبد اللئيم المبخل
بذلك أوصاها الإله ولم تزل تحش بأوصالٍ وترب وجندل

وأنت بحمد الله إن شئت مفلتي بحزمك فاحزم يا أقيشر واعجل

فقال له: ممن أنت؟ قال: من بني تميمٍ ثم أحد بني الهجيم بن عمرو بن تميمٍ، فقال الأقشير:

تميم بن مرٍ كفكفوا عن تعمدي بذلٍ فإني لست بالمتذلل

أيهزأ بي العبد الهجيمي ضلةً ومثلي رمي ذا التدرأ المتضلل

بداهيةٍ دهياء لا يستطيعها شماريخ من أركان سلمى ويدبل

وبالله لولا أن حلمي زاجري تركت تميماً ضحكةً كل محفل

فكفوا رماكم ذو الجلال بخزية تصبحكم في كل مجمعٍ ومنزل

فأنتم لئام الناس لا تنكرونه وألامكم طراً حريث بن جندل

فصار إليه شيوخ من بني الهجيم واعتذروا إليه واستكفوه فكف.

شرب مع مقعد وأعمى وغناهم مغن فطربوا فقال هو شعراً: أخبرني الأخفش قال حدثني أبو الفياض بن أبي شراعة عن أبيه قال: شرب الأقيشر بالحيرة في بيتٍ فيه خياط مقعد ورجل أعمى، وعندهم مغن مطرب، فطرب الأقيشر، فسقاهم من شربه، فلما انتشوا وثب الأعمى يسعى في حوائجهم، وقفز الخياط المقعد يرقص على ظلعة ويجهد في ذلك كل جهدٍ. فقال الأقيشر:

ومقعدٍ قومٍ قد مشى من شرابنا وأعمى سقيناه ثلاثاً فأبصرا

شراباً كريح العنبر الورد ريحه ومسحوق هندي من المسك أذفرا

من الفتيات الغر من أرض بابلٍ إذا شفها الحاني من الدن كبرا

لها من زجاج الشام عنق غريبة تأنق فيها صانع وتخيرا

ذخائر فرعون التي جبيت له وكل يسمى بالعتيق مشهرا

إذا ما رآها بعد إنقاء غسلها تدور علينا صائم القوم أفطرا

كان صاحب سراب وندامى تفرق أصحابه فقال شعراً: أخبرنا علي بن سليمان قال حدثني أبي قال: كان الأقيشر صاحب شرابٍ وندامى، فأشخص الحجاج بعض ندمائه إلى بعض النواحي ، ومات بعضهم، ونسك بعضهم، وهرب بعضهم؛ فقال في ذلك:

غلب الصبر فاعترتني هموم لفراق الثقات من إخواني

مات هذا وغاب هذا وهذا دائب في تلاوة القرآن

ولقد كان قبل إظهاره النس ك قديماً من أظرف الفتيان

شعر له في بغل أبي المضاء وكان يكتريه فيركبه إلى الحيرة: وأخبرني أبو الحسن الأسدي قال قال ابن الكلبي حدثني سلمة بن عبد سواع عن أبيه قال: كان الأقيشر لا يسأل أحداً أكثر من خمسة دراهم، يجعل درهمين في كراء بغل إلى الحيرة، ودرهمين للشراب، ودرهماً للطعام. وكان له جار يكنى أبا المضاء له بغل يكريه، وكان يعطيه درهمين ويأخذ بغله فيركبه إلى الحيرة، حتى يأتي بيت الخمار فينزل عنده ويربطه بلجامه وسرجه فيقال إنه أعطى ثمنه في الكراء ثم يجلس فيشرب حتى يمسي، ثم يركبه وينصرف. فقال في ذلك:

يا بغل بغل أبي المضاء تعلمن ... أني حلفت ولليمين نذور
لتعسفن وإن كرهت مهامهاً ... فيما أحب وكل ذاك يسير
بالرغم يا ولد الحمار قطعتها ... عمداً وأنت مذلل مصبور
حتى تزور مسمعاً في داره ... وترى المدامة بالأكف تدور
لا يرفعون بما يسوءك نعرةً ... وإذا سخطت فخطب ذاك صغير

خدعته امرأة بأنها أم حنين الخمار وأخذت منه درهمين، فأخذ يهجو أم حنين حتى استرضاه حنين:

قال: فأتى يوماً من الأيام بيت الخمار الذي كان يأتيه فلم يصادفه فجعل ينتظره، ودخلت الدار امرأة عبادية ، فقال لها: ما فعل فلان؟ قالت: مضى في حاجةٍ وانا امرأته، فما تريد؟ قال: نبيذاً. قالت: بكم؟ قال: بدرهمين. قالت: هلم درهميك وانتظرني. قال لا . قالت: فذلك إليك، ومضت وتبعها، فدخلت داراً لها بابان وخرجت من أحدهما وتركته. فلما طال جلوسه خرج إليه بعض أهل الدار، قالوا: ما يجلسك؟ فأخبرهم. فقالوا له: تلك امرأة محتالة يقال لها؟ أم حنينٍ من العباديين. فعلم أنه قد خدع، فانصرف إلى خماره فأخبره بالقصة وقال له: أنسئني اليوم فاسقني ففعل. وأنشأ الأقيشر يقول:

لم يغرر بذات خف سوانا ... بعد أخت العباد أم حنين
وعدتنا بدرهمين نبيذاً ... أو طلاءً معجلاً غير دين
ثم ألوت بالدرهمين جميعاً ... يا لقومي لضيعة الدرهمين

وذكر هذا الخبر عبد الله بن خلفٍ عن أبي عمرو الشيباني وزاد فيه: أن الخمار كان يسمى بحنينٍ، وأن المرأة المحتالة قالت له: إنها أم حنينٍ الخمار الذي كان يعامله حتى أخذت الدرهمين ثم هربت منه، وذكر الأبيات الثلاثة التي تقدمت، وبعدها:

عاهدت زوجها وقد قال إني ... سوف أغدو لحاجتي ولديني
فدعت كالحصان أبيض جلداً ... وافر الأير مرسل الخصيتين
قال ما أجرذا هديت فقالت ... سوف أعطيك أجره مرتين

فأبدأ الآن بالسفاح فلما سافحته أرضته بالأخريين
تلها للجبين ثم امتطاها عالم الأير أفحج الحالبين
بينما ذاك منهما وهي تحوي ظهره بالبنان والمعصمين
جاءها زوجها وقد شام فيها ذا انتصابٍ موثق الأخدعين
فتأسى وقال ويل طويل لحنينٍ من عار أم حنين

قال: فجاء حنين الخمار فقال له: يا هذا ما أردت بهجائي وهجاء أمي ؟! قال: أخذت مني درهمين و لم تعطيني شراباً. قال: والله ما تعرف أمي ولا أخذت منك شيئاً قط، فانظر إلى أمي فإن كانت هي صاحبتك غرمت لك الدرهمين. قال: لا والله ما أعرف غير أم حنين، ما قالت لي إلا ذلك، ولا أهجو إلا أم حنينٍ وابنها، فإن كانت أمك إياها أعني. وإن كانت أم حنينٍ أخرى فإياها أعني. فقال: إذاً لا يفرق الناس بينهما. قال: فما علي إذاً أترى درهمي يضيعان! فقال له: هلم إذاً أغرمهما لك وأقم ما تحتاج إليه، لا بارك الله لك! ففعل .

استكتبته العريان بن الهيثم من ملحه ثم أرسل له خمسين درهماً فاستقلها وهجاه، ثم استرضاه أبوه الهيثم: قال عبد الله وحدثني أبو عمرو قال: كان العريان بن الهيثم النخعي صديقاً للأقيشر، فقال له: يا أقيشر إني أريد أن أمتد إلى الشام فأكتبني من ملحك فأكتبه. فخرج إلى الشام فأصاب مالاً، فبعث إلى الأقيشر بخمسين درهماً، ففعل وقال: هات. قال المولى: على أن تهجوه إذ وضع منك؟ قال نعم، فأعطاه خمسين درهماً، وقال الأقيشر:

وسألتني يوم الرحيل قصائداً فملأتهن قصائداً وكتابا
إني صدقتك إذ وجدتك صادقاً وكذبتني فوجدتني كذابا
وفتحت باباً للخيانة عامداً لما فتحت من الخيانة بابا

وكان أبو العريان على الشرطة، فخافه الأقيشر من هجاء ابنه، وبلغ الهيثم هذه الأبيات فبعث إليه بخمسمائة درهم وسأله الكف عن ابنه وألا يشهره ، فأخذها وفعل .

خطب رجل من حضرموت امرأة من بني أسد وسأله عنها فهجاه: قال أبو عمرو: وخطب رجل من حضرموت امرأةً من بني أسدٍ، فأقبل يسأل عنها وعن حسبها وأمهاتها، حتى جاء الأقيشر فسأله عنها. فقال له: من أين أنت؟ قال: من حضرموت. فأنشأ يقول:

حضرموت فتشت أحسابنا وإلينا حضرموت تنتسب
إخوة القرد وهم أعمامه برئت منكم إلى الله العرب

طلبت إليه عمته أن يصلي فقال اختاري إما الصلاة أو الوضوء: أخبرني الحسن بن علي عن أبي أيوب المديني قال قال أبو طالب الشاعر حدثني رجل من بني أسدٍ قال:

سمعت عمة الأقيشر تقول له يوماً: اتق الله وقم فصل، فقال: لا أصلي. فأكثرت عليه، فقال: قد أبرمتني، فاختاري خصلةً من خصلتين: إما أن أصلي ولا أتطهر، وإما أن أتطهر ولا أصلي. قالت: قبحك الله! فإن لم يكن غير هذا فصل بلا وضوء .

جاءه شرطي وهو يشرب فخافه وسقاه بأنبوب من ثقب الباب: قال أبو أيوب: وحدثت أنه شرب يوماً في بيت خمار بالحيرة، فجاء شرطي من شرط الأمير ليدخل عليه، فغلق الباب دونه. فناداه الشرطي اسقني نبيذاً وأنت آمن. فقال: والله ما آمنك، ولكن هذا ثقب في الباب فاجلس عنده وأنا أسقيك منه، ثم وضع له أنبوباً من قصبٍ في الثقب وصب فيه نبيذاً من داخل والشرطي يشرب من خارج الباب حتى سكر. فقال الأقيشر:

سأل الشرطي أن نسقيه ... فسقيناه بأنبوب القصب

إنما نشرب من أموالنا ... فسلوا الشرطي ما هذا الغضب

أعطاه قيس بن محمد مالاً ونجمه له فكرر ذلك مراراً فرده فهجاه: أخبرني عمي عن الكراني عن قعنب بن المحرز، وحدثنا محمد بن خلف عن أبي أيوب المديني عن قعنب بن الهيثم بن عدي قال: كان قيس بن محمد بن الأشعث ضرير البصر، فأتاه الأقيشر فسأله، فأمر قهرمانه فأعطاه ثلاثمائة درهم، فقال: لا أريدها جملةً، ولكن مر القهرمان أن يعطيني في كل يومٍ ثلاثة دراهم حتى تنفد. فكان يأخذها منه، فيجعل درهماً لطعامه، ودرهماً لشرابه، ودرهماً لدابة تحمله إلى بيوت الخمارين. فلما نفدت الدراهم أتاه الثانية فسأله فأعطاه وفعل مثل ذلك، وأتاه الثالثة فأعطاه وفعل مثل ذلك، وأتاه الرابعة فسأله. فقال له قيس: لا أبا لك! كأنك قد جعلت هذا خراجاً علينا. فانصرف وهو يقول:

ألم تر قيس الأكمه ابن محمد ... يقول ولا تلقاه للخير يفعل

رأيتك أعمى العين والقلب ممسكاً ... وما خير أعمى العين والقلب يبخل

فلو صم تمت لعنة الله كلها ... عليه وما فيه من الشر أفضل

فقال قيس: لو نجا أحد من الأقيشر لنجوت منه .

كان سكران فحكموه في الصحابة فقال شعراً: أخبرني أبو الحسن الأسدي عن العتزي عن محمد بن معاوية قال: اختصم قوم بالكوفة في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فقالوا: نجعل بيننا أول من يطلع علينا. فطلع الأقيشر عليهم وهو سكران. فقال بعضهم لبعض: انظروا من حكمنا. فقالوا: يا أبا معرضٍ قد حكمناك. قال: فيماذا؟ فأخبروه. فمكث ساعةً ثم أنشأ يقول:

إذا صليت خمساً كل يومٍ ... فإن الله يغفر لي فسوقي

ولم أشرك برب الناس شيئاً ... فقد أمسكت بالحبل الوثيق

وهذا الحق ليس به خفاء ... ودعني من بنيات الطريق

أعطاه ابن رأس البغل مهر ابنة عم له فمدحه فاعترض عليه فأجابه: قال محمد بن معاوية: وتزوج الأقيشر ابنة عم له يقال لها الرباب، على أربعة آلاف درهم، ويقال على عشرة آلاف درهم، فأتى قومه فسألهم فلم يعطوه شيئاً؛ فأتى ابن رأس البغل وهو دهقان الصين وكان مجوسياً، فسأله فأعطاه الصداق. فقال الأقيشر:

كفاني المجوسي مهر الرباب ... فدىً للمجوسي خالي وعم

شهدت بأنك رطب المشاش ... وأن أباك الجواد الخصم

وأنك سيد أهل الجحيم ... إذا ما ترديت فيمن ظلم

تجاور قارون في قعرها ... وفرعون والمكتنى بالحكم

ذهب إلى عكرمة بن ربعي فلم يعطه فهجاه: فقال له المجوسي: ويحك! سألت قومك فلم يعطوك وجئتني فأعطيتك، فجزيتني هذا القول ولم أفلت من شعرك وشرك! قال: أو ما ترضى أن جعلتك مع الملوك وفوق أبي جهلٍ! ثم جاء إلى عكرمة بن ربعي التميمي فلم يعطه، فقال فيه:

سألت ربيعة من شرها ... أباً ثم أماً فقالوا لمه

فقلت لأعلم من شركم ... وأجعل بالسب فيه سمه

فقالوا لعكرمة المخزيات ... وماذا يرى الناس في عكرمه

فإن يك عبداً زكا ماله ... فما غيرذا فيه من مكرمه

شرب بما معه وبثيابه ثم جلس في تبن وحديث الخمار معه:

قال ابن الكلبي: وشرب الأقيشر في حانة خمار حتى أنفد ما معه، ثم شرب بثيابه حتى غلقت فلم يبق عليه شيء، وجلس في تبنٍ إلى جانب البيت وإلى حلقه مستدفئاً به. فمر رجل به ينشد ضالةً، فقال: اللهم اردد عليه واحفظ علينا. فقال له الخمار: نخنت عينك! أي شيء يحفظ عليك ربك؟ قال: هذا التبن لا تأخذه فأموت من البرد. فضحك الخمار ورد عليه ثيابه وقال: اذهب فاطلب ما تشرب به، ولا تجئني بثيابك فإني لا أشتريها بعد ذلك .

لقيه هشام الشرطي وهو سكران فحاوره في سكره: قال ابن الكلبي: واجتاز الأقيشر برجلٍ يقال له هشام وكان على شرطة عمرو بن حريثٍ وهو سكران، فدعا به فقال له: أنت سكران؟ قال لا. قال: فما هذه الرائحة؟ قال: أكلت سفرجلاً، ثم قال:

يقولون لي انكه شربت مدامةً ... فقلت كذبتم بل أكلت سفرجلاً

فضحك منه ثم قال: فإن لم تكن سكران أخبرني كم تصلي في كل يوم. فقال:

يسائلني هشام عن صلاتي ... صلاة المسلمين فقلت خمس

صلاة العصر والأولى ثمان ... مواترة فما فيهن لبس

وعند مغيب قرن الشمس وتر وشفع بعدها فيهن حبس
وغدوةً اثنتان معاً جميعاً ولما تبد للرائين شمس
وبعدها لوقتهما صلاةً لنسكٍ بالضحاء إذا نبس
أأحصيت الصلاة أيا هشاماً فذاك الخلاق جبس
تعود أن يلام فليس يوماً بحامده من الأقوام إنس

قال: فضحك هشام وقال: بلى أخبرتنا يا أبا معرض، فانصرف راشداً .

استنشد قتيبة بن مسلم مرداس بن جذام شعره في قدامة بن جعدة: أخبرني محمد بن الحسن بن دريدٍ عن أبي عبيدة قال: قدم رجل من بني سلول على قتيبة بن مسلمٍ بكتاب عامله على الري وهو المعلى بن عمرو المحاربي، فرآه على الباب قدامة بن جعدة بن هبيرة المخزومي وكان صديقاً لقتيبة، فدخل عليه فقال له: بابك ألأم العرب، سلولي رسول محاربي إلى باهلي. فتبسم قتيبة تبسماً فيه غيظ. وكان قدامة بن جعدة يتهم بشرب الخمر، وكان الأقيشر ينادمه. فقال قتيبة: ادعوا لي مرداس بن جذامٍ الأسدي فدعي. فقال له: أنشدني ما قال الأقيشر في قدامة بن جعدة وهو بالحيرة. فأنشده قوله :

رب ندمانٍ كريمٍ ماجد سيد الجدين من فرعي مضر
قد سقيت الكأس حتى هرها لم يخالط صفوها منه كدر
قلت قم صل فصلى قاعداً تتغشاه سمادير السكر
قرن الظهر مع العصر كما تقرن الحقة بالحق الذكر
ترك الفجر فما يقرؤها وقرأ الكوثر من بين السور

قال: فتغير لون القرشي وخجل. فقال له قتيبة: هذه بتلك، والبادئ أظلم .

استنشده عبد الملك أبياته في الخمر وحاوره فيها: أخبرني الاخفش عن محمد بن الحسن بن الحرون قال حدثنا الكسروي عن الأصمعي قال: قال عبد الملك للأقيشر: أنشدني أبياتك في الخمر، فأنشده قوله:

تريك القذى من دونها وهي دونه لوجه أخيها في الإناء قطوب
كميت إذا فضت وفي الكأس وردة لها في عظام الشاربين دبيب

فقال له: أحسنت يا أبا معرضٍ! ولقد أجدت وصفها، وأظنك قد شربتها. فقال: والله يا أمير المؤمنين إنه ليريبني منك معرفتك بهذا .

قصة له مع بعض ندمائه في حانة: أخبرني الحسن بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن ابن الكلبي عن رجلٍ من الأزد قال: كان الأقيشر يأتي إخواناً له يسألهم فيعطونه، فأتى رجلاً منهم فأمر له بخمسمائة درهم، فأخذها وتوجه إلى

الحانة ودفعها إلى صاحبها وقال له: أقم لي ما أحتاج إليه ففعل ذلك، وانضم إليه رفقاء له، فلم يزل معهم حتى نفدت الدراهم، فأتاهم بعد إنفاقها بيومٍ ثم أتاهم من غدٍ فاحتملوه، فلما أتاهم في اليوم الثالث نظر إليه أصحابه من بعيدٍ فقالوا لصاحب الحانة: أصعدنا إلى غرفتك هذه وأعلم الأقيشر أنا لم نأت اليوم. فلما جاء الأقيشر أعلمه ما قالوه له. فعلم الأقيشر أنه لا فرج له عند صاحب الحانة إلا برهنٍ، فطرح إليه ثيابه وقال له: أقم لي ما أحتاج إليه ففعل. فلما أخذ فيه الشراب أنشأ يقول:

يا خليلي اسقياني كأساً ثم كأساً حتى أخر نعاسا

إن في الغرفة التي فوق رأسي لأناساً يخادعون أناسا

يشربون المعتق الراح صرفاً ثم لا يرفعون بالزور راسا

فلما سمع أصحابه هذا الشعر فدوه بآبائهم وأمهاتهم ثم قالوا له: إما أن تصعد إلينا أو ننزل إليك، فصعد إليهم.

قصته مع عمه وبشر بن مروان حين مدح بشراً فوصله: أخبرني الحسن بن عليٍ عن ابن مهروية قال حدثني أبو مسلم المستملي عن المدائني قال: مدح الأقيشر بشر بن مروان ودخل إليه فأنشده القصيدة وعنده أيمن بن خزيم بن فاتكٍ الأسدي، فقال أيمن: هذا والله كلام حسن من جوفٍ خربٍ. فأجابه بالبيت المذكور. وقال أبو عمرو أيضاً في خبره: فلما صار الأقيشر إلى منزله بعث عمه فأخذ منه الألف الدرهم وقال: والله لا أخليك تفسدها وتشرب بها الخمر. قال: فتصنع بها ماذا؟ قال: أكسوك وأكسو عيالك وأعد لك قوت عامك. فتركه ودخل على بشر فقال له:

أبلغ أبا مروان أن عطاءه أزاغ به من ليس لي بعيال

قال: ومن ذلك؟ فأخبره الخبر. فأمر صاحب شرطته أن يحضر عمه وينتزع منه الألف الدرهم ويسلمها إليه، وقال: خذها ونحن نقوم لعيالك بما يصلحهم .

مدح حمارة بشعر داعر فسرت به: أخبرني هاشم بن محمد عن أبي غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: مر الأقيشر بحمارة بالحيرة يقال لها دومة، فنزل عندها فاشترى منها نبيذاً، ثم قال لها جودي لي الشراب حتى أجيد لك المدح ففعلت. فأنشأ يقول:

ألا يا دوم دام لك النعيم وأسمر ملء كفك مستقيم

شديد الأسر ينبض حالباه يحم كأنه رجل سقيم

يرويه الشراب فيزدهيه وينفخ فيه شيطان رجيم

قال: فسرت به الحمارة وقالت: ما قيل في أحسن من هذا ولا أسر لي منه .

مدح فاتك بن فضالة حين وفد على عبد الملك: أخبرني أبو الحسن الأسدي عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن

أيوب بن عباية قال: كان فاتك ابن فضالة بن شريكٍ الأسدي كريماً على بني أمية، وهو الوافد على عبد الملك بن مروان قبل أن ينهض إلى حرب ابن الزبير، فضمن له على أهل العراق طاعتهم وتسليم بلادهم إليه، وأن يسلموا مصعباً إذا لقيه ويتفرقوا عنه. وله يقول الأقيشر في هذه الوفادة:

وفد الوفود فكنت أفضل وافدٍ ... يا فاتك بن فضالة بن شريك

تولى الكوفة رجل من بني تميم فانكسر المنبر من تحته فهجاهم: أخبرني علي بن سليمان الأخفش عن السكري قال حدثني ابن حبيب قال: ولي الكوفة رجل من بني تميم يقال له مطر ؛ فلما علا المنبر انكسرت الدرجة من تحته فسقط عنها؛ فقال الأقيشر:

أبني تميمٍ ما لمنبر ملككم ... ما يستقر قراره يتمرمر

إن المنابر أنكرت أستاهكم ... فادعوا خزيمة يستقر المنبر

سئل عن قريظة بن قرظة فتكاسل عن ذكر اسمه فهجاه فرد عليه: أخبرني محمد بن مزيدٍ عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال: مر رجل من محاربٍ يقال له قريظة بن يقظة بالأقيشر الأسدي وهو مجلسٍ من مجالس بني أسدٍ، فسلم على الأقيشر وكان به عارفاً. فقال له القوم: من هذا يا أبا معرض؟ وكان مخموراً، فقال:

ومن لي بأن أستطيع أن أذكر اسمه ... وأعيا عقالاً أن يطيق له ذكرا

قال فضحك القوم وقالوا: سبحان الله! أي شيء تقول؟ فقال: اسمه ونسبه أعظم من أن أقدر على ذكرهما في يومٍ، فإن شئتم سميته اليوم ونسبته غداً، وإن شئتم نسبته اليوم وسميته غداً. قالوا: هات اسمه اليوم. فقال: قريظة . فقال رجل منهم: ينبغي أن يكون ابن يقظة. فقال الأقيشر: صدقت والله وأصبت، ولقد أثقلت اسمه حين ذكرته أن أقول نعم. فبلغ قريظة قوله وكان شاعراً فقال:

لسانك من سكرٍ ثقيل عن التقى ... ولكنه بالمخزيات طليق

وأنت حقيق يا أقيشر أن ترى ... كذاك إذا ما كنت غير مفيق

تسف من الصهباء صرفاً تخالها ... جنى النحل يهديه إليك صديق

فبلغ الأقيشر قول المحاربي وكان يكنى أبا الذيال، فأجابه فقال:

عدمت أبا الذيال من ذي نوالةٍ ... له في بيوت العاهرات طريق

أبالخمر عيرت امرأً ليس مقلعاً ... وذلك رأي لو علمت وثيق

سأشربها ما دمت حياً وإن أمت ... ففي النفس منها زفرة وشهيق

سمع الرشيد من يتغنى بشعر له في توبته من الخمر فأعجب به: أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال: بلغني أن الرشيد سمع ليلةً رجلاً يغني:

إن كانت الخمر قد عزت وقد منعت ... وحال من دونها الإسلام والحرج
فقد أباكرها صرفاً وأشربها ... أشفي بها غلتي صرفاً وأمتزج
وقد تقوم على رأسي مغنية ... لها إذا رجعت في صوتها غنج
وترفع الصوت أحياناً وتخفضه ... كما يطن ذباب الروضة الهزج

قال: فوجه في أثر الصوت من جاءه بالرجل وهو يرعد، فقال: لا ترع فإنما أعجبني حسن صوتك. فقال: والله يا أمير المؤمنين ما تغنيت بهذا الشعر إلا وأنا قد تبت من شرب النبيذ، وهذا شعر يقوله الأقيشر في توبته من النبيذ. فقال له الرشيد: وما حملك على تركه؟ قال: خشية الله. وإني فيه يا أمير المؤمنين كما قال زيد بن ظبيان:

جاءوا بقاقزةٍ صفراء مترعةٍ ... هل بين ذي كبرةٍ والخمر من نسب
بئس الشراب شراباً حين تشربه ... يوهي العظام وطوراً مفتر العصب
إني أخاف مليكي أن يعذبني ... وفي العشيرة أن يزري على حسبي

فقال له الرشيد: أنت وما اخترت أعلم، فأعد الصوت، فأعاده. وأمر بإحضار المغنين واستعاده، وأمرهم بأخذه عنه فأخذوه، ووصله وانصرف، وكان صوت الرشيد أياماً. هكذا ذكر إسماعيل بن يونس عن عمر بن شبة في هذا الخبر أن الأبيات للأقيشر، ووجدتها في شعر أبي محجنٍ الثقفي له لما تاب من الشراب .

خرج لغزو الشام فباع حماره وأنفق ثمنه في الفجور ثم رجع مع الغازين: أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيدٍ عن محمد بن حبيب قال: كان القباع ، وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، قد أخرج الأقيشر مع قومه لقتال أهل الشام، ولم يكن عند الأقيشر فرس فخرج على حمارٍ، فلما عبر جسر سورا فوصل لقريةٍ يقال لها قنين توارى عند خمار نبطيٍ يبرز زوجته للفجور، فباع حماره وجعل ينفقه هناك ويشرب بثمنه ويفجر إلى أن قفل الجيش، وقال في ذلك:

خرجت من المصر الحواري أهله ... بلا ندبةٍ فيها احتساب ولا جعل
إلى جيش أهل الشام أغزيت كارهاً ... سفاهاً بلا سيفٍ حديد ولا نبل
ولكن بترسٍ ليس فيه حمالة ... ورمحٍ ضعيف الزج متصدع النصل
حباني به ظلم القباع ولم أجد ... سوى أمره والسير شيئاً من الفعل
فأزمعت أمري ثم أصبحت غازياً ... وسلمت تسليم الغزاة على أهلي
وقلت لعلي أن أرى ثَمَّ راكباً ... على فرس أو ذا متاعٍ على بغل

جوادي حمار كان حيناً لظهره إكاف وإشناق المزادة والحبل
وقد خان عينيه بياض وخانه قوائم سوءٍ حين يزجر في الوحل
إذا ما انتحى في الماء والوحل لم ترم قوائمه حتى يؤخر بالحمل
أنادي الرفاق بارك الله فيكم رويدكم حتى أجوز إلى السهل
فسرنا إلى قنين يوماً وليلةً كأنا بغايا ما يسرن إلى بعل
إذا ما نزلنا لم نجد ظل ساحةٍ سوى يابس الأنهار أو سعف النخل
مررنا على سوراء نسمع جسرها يئط نقيضاً عن سفائنه الفضل
فلما بدا جسر السراة وأعرضت لنا سوق فراغ الحديث إلى شغل
نزلنا إلى ظل ظليلٍ وباءةٍ حلالٍ برغم القلطمان وما نفل
يشارطه من شاء كان بدرهمٍ عروساً بما بين السبيئة والنسل
فأتبعت رمح السوء سمية نصله وبعت حماري واسترحت من الثقل
تقول ظبايا قل قليلاً ألا ليا فقلت لها إصوي فإني على رسل
مهرت لها جرديقة فتركتها بمرها كطرف العين شائلة الرجل

مما يغنى فيه من شعره:

ومما يغنى فيه من شعر الأقيشر: صوت:

لا أشربن أبداً راحاً مسارقةً إلا مع الغر أبناء البطاريق
أفنى تلادي وما جمعت من نشبٍ قرع القواقيز أفواه الأباريق

الغناء لحنينٍ هزج بالبنصر عن عمرو. وفيه لعمر الوادي رمل بالبنصر عن الهشامي. وفيه ثقيل أول ينسب إلى حنينٍ وعمر وحكمٍ جميعاً. وهذا الغناء المذكور من قصيدة للأقيشر طويلةٍ، أولها:

إني يذكرني هنداً وجارتها بالطف صوت حمامات على نيق

صوت:

دعاني دعوةً والخيل تردي فلا أدري أباسمي أم كناني
وكان إجابتي إياه أني عطفت عليه خوار العنان

الشعر لابن الغريزة النهشلي. والغناء ليحيى المكي رمل بالوسطى عن الهشامي. وقد جعل المغنون معه هذا البيت ولم أجده في قصيدته، ولا أدري أهو له أم لغيره:

ألا يا من لذا البرق اليماني يلوح كأنه مصباح بان

أخبار ابن الغريزة ونسبه

نسب ابن الغريزة: كثير بن الغريزة التميمي أحد بني نهشلٍ. والغريزة أمه. وهو مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وقال الشعر فيهما. وهذا الشعر يقوله ابن الغريزة في غزاةٍ غزاها الأقرع بن حابسٍ وأخوه بالطالقان وجوزجان وتلك البلاد، فأصيب من أصحابه قوم بالطالقان فرثاهم ابن الغريزة .

قصيدته التي يذكر فيها يوم الطالقان ويرثي من قتل فيه: أخبرني الصولي عن الحزنبل عن ابن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال: بعث عمر بن الخطاب الأقرع بن حابسٍ وأخاه على جيشٍ إلى الطالقان وجوزجان وتلك البلاد، فأصيب من أصحابه قوم بالطالقان، فقال ابن الغريزة النهشلي وقد شهد تلك الوقعة يرثيهم ويذكر ذلك اليوم:

سقى مزن السحاب إذا استهلت مصارع فتيةٍ بالجوزجان

إلى القصرين من رستاق خوطٍ أبادهم هناك الأقرعان

وما بي أن أكون جزعت إلا حنين القلب للبرق اليماني

ومحبورٍ برؤيتنا يرجي ال لقاء ولن أراه ولم يراني

ورب أخٍ أصاب الموت قبلي بكيت ولو نعيت له بكاني

دعاني دعوةً والخيل تردي فما أدري أباسمي أم كناني

فكان إجابتي إياه أني عطفت عليه خوار العنان

وأي فتًى دعوت وقد تولت بهن الخيل ذات العنظوان

وأي فتىً إذا ما مت تدعو يطرف عنك غاشية السنان

فإن أهلك فلم أك ذا صدوفٍ عن الأقران في الحرب العوان

ولم أذلج لأطرق عرس جاري ولم أجعل على قومي لساني

ولكني إذا ما هايجوني منيع الجار مرتفع البنان

ويكرهني إذا استبسلت قرني وأقضي واحداً ما قد قضاني

فلا تستبعدا يومي فإني سأوشك مرةً أن تفقداني

ويدركني الذي لا بد منه وإن أشفقت من خوف الجنان

وتبكيني نوائح معولات تركن بدار معترك الزمان

حبائس بالعراق منهنهات سواحي الطرف كالبقر الهجان

أعاذلتي من لؤمٍ دعاني وللرشد المبين فاهدياني

وعاذلتي صوتكما قريب ونفعكما بعيد الخير واني

فردا الموت عني إن أتاني ولا أبيكما لا تفعلان

صوت:

دار لقاتلة الغرانق ما بها غير الوحوش خلت له وخلا لها

ظلت تسائل بالمتيم ما به وهي التي فعلت به أفعالها

الشعر لأعشى بني تغلب من قصيدة يمدح بها مسلمة بن عبد الملك ويهجو جريراً ويعين الأخطل عليه. ويروى ربع لقانصة الغرانق وهو الصحيح هكذا، ويغنى دار لقاتلة، لأنه يقول في آخر البيت: خلت له وخلا لها .

والغناء لعبد الله بن العباس ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو بن بانة وابن المكي. وفيه لمخارقٍ رمل من جميع أغانيه .

أخبار أعشى بني تغلب ونسبه

نسب أعشى تغلب وكان نصرانياً:

قال أبو عمرو الشيباني: اسمه ربيعة. وقال ابن حبيب: اسمه النعمان بن يحيى بن معاوية، أحد بني معاوية بن جشم بن بكرٍ بن حبيب بن عمرو بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزارٍ، شاعر من شعراء الدولة الأموية، وساكني الشام إذا حضر، وإذا بدا نزل في بلاد قومه بنواحي الموصل وديار ربيعة. وكان نصرانياً، وعلى ذلك مات .

قصته مع الحر بن يوسف: أخبرني علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيدٍ السكري قال حدثنا محمد بن حبيب عن أبي عمرو الشيباني قال: كان أعشى بني تغلب ينادم الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم. فشربا يوماً في بستانٍ له بالموصل، فسكر الأعشى فنام في البستان. ودعا الحر بجواريه فدخلن عليه قبته. واستيقظ الأعشى فأقبل ليدخل القبة، فمانعه الخدم، ودافعهم حتى كاد أن يهجم على الحر مع جواريه، فلطمه خصي منهم؛ فخرج إلى قومه فقال لهم: لطمني الحر. فوثب معه رجل من بني تغلب يقال له ابن أدعج وهو شهاب بن همام بن ثعلبة بن أبي سعدٍ، فاقتحما الحائط وهجما على الحر حتى لطمه الأعشى ثم رجعا. فقال الأعشى:

كأني وابن أدعج إذ دخلنا على قرشيك الورع الجبان

هزبراً غابةٍ وقصا حماراً فظلا حوله يتناهشان

أنا الجشمي من جشم بن بكرٍ عشية رعت طرفك بالبنان

أي لطمتك. وقوله أنا الجشمي أي مثلي يفعل ذلك بمثلك

فما يستطيع ذو ملكٍ عقابي إذا اجترمت يدي وجنى لساني
عشية غاب عنك بنو هشامٍ وعثمان استها وبنو أبان
تروح إلى منازلها قريش وأنت مخيم بالزرقان

والزرقان: قرية كانت للحر بسنجار .

مدح مدركاً الكناني فأساء ثوابه فهجاه: قال ابن حبيب: مدح أعشى بني تغلب مدرك بن عبد الله الكناني أحد بني أقيشر بن جذيمة ابن كعب فأساء ثوابه؛ فقال الأعشى:

لعمرك إني يوم أمدح مدركاً لكالمبتني حوضاً على غير منهل
أمر الهوى دوني وفيل مدحتي ولو لكريمٍ قلتها لم تفيل

شعره في شمعلة بن عامر حين قطع الخليفة بضعة من فخذه: قال ابن حبيب: كان شمعلة بن عامر بن عمرو بن بكرٍ أخو بني فائدٍ وهم رهط الفرس نصرانياً وكان ظريفاً، فدخل على بعض خلفاء بني أمية، فقال: أسلم يا شمعلة. قال: لا والله أسلم كارهاً أبداً، ولا أسلم إلا طائعاً إذا شئت. فغضب فأمر به فقطعت بضعة من فخذه وشويت بالنار وأطعمها. فقال أعشى بني تغلب في ذلك:

أمن حذةٍ بالفخذ منك تباشرت عداك فلا عار عليك ولا وزر
وإن أمير المؤمنين وجرحه لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

وفد على عمر بن عبد العزيز فلم يعطه فقال شعراً: وقال ابن حبيب قال أبو عمرو: كان الوليد عبد الملك محسناً إلى أعشى بني تغلب، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد إليه ومدحه فلم يعطه شيئاً، وقال: ما أرى للشعراء في بيت المال حقاً، ولو كان لهم فيه حق لما كان لك؛ لأنك امرؤ نصراني. فانصرف الأعشى وهو يقول:

لعمري لقد عاش الوليد حياته إمام هدىً لا مستزاد ولا نزر
كأن بني مروان بعد وفاته جلاميد لا تندى وإن بلها القطر

شعره حين قعد مالك بن مسمع عن معاونة بني شيبان: وقال ابن حبيب عن أبي عمرو: كانت بين بني شيبان وبين تغلب حروب، فعاون مالك بن مسمع بن شيبان في بعضها ثم قعد عنهم. فقال أعشى بني تغلب في ذلك:

بني أمنا مهلاً فإن نفوسنا تميت عليكم عتبها ومصالها
وترعى بلا جهلٍ قرابة بيننا وبينكم لما قطعتم وصالها
جزى الله شيباناً وتيماً ملامةً جزاء المسيء سعيها وفعالها
أبا مسمعٍ من تنكر الحق نفسه وتعجز عن المعروف يعرف ضلالها

أأوقدت نار الحرب حتى إذا بدا لنفسك ما تجني الحروب فهالها
نزعت وقد جردتها ذات منظرٍ قبيحٍ مهينٍ حيث ألقت حلالها
ألسنا إذا ما الحرب شب سعيرها وكان صفيح المشرقي صلالها
أجارتنا حل لكم إن تناولوا محارمها وأن تميزوا خلالها

كذبتم يمين الله حتى تعاوروا صدور العوالي بيننا ونصالها
وحتى ترى عين الذي كان شامتاً مزاحف عقرى بيننا ومجالها

صوت:

ويفرح بالمولود من آل برمكٍ بغاة الندى والرمح والسيف والنصل
وتنبسط الآمال فيه لفضله ولا سيما إن كان من ولد الفضل

الشعر لأبي النضير. والغناء لإسحاق، ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة من مجموع إسحاق. وقال حبش: فيه لإبراهيم الموصلي ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة من مجموع إسحاق. وقال حبش: فيه لإبراهيم الموصلي ثقيل آخر بالوسطى. ولقضيب وبراقش جاريتي يحيى بن خالد فيه لحنان .

أخبار أبي النضير ونسبه

اسم أبي النضير ونسبه: أبو النضير اسمه عمر بن عبد الملك، بصري، مولًى لبني جمح .

أخبرنا بذلك عمي عن ابن مهرويه عن إسحاق بن محمد النخعي عن إسحاق بن خلفٍ الشاعر قال: قلت لأبي النضير بن أبي الياس: لمن أنت ؟ فقال: لبني جمح .

هو شاعر بصري انقطع إلى البرامكة فأغنوه: وذكر أبو يحيى اللاحقي أن اسمه الفضل بن عبد الملك. شاعر من شعراء البصريين، صالح المذهب، ليس من المعدودين المتقدمين ولا من المولدين الساقطين. وكان يغني بالبصرة على جوارٍ له مولدات، ويظهر الخلاعة والمجون والفسق، ويعاشر جماعةً ممن يعرف بذلك الشأن. وكان أبان اللاحقي يعاشره ثم تصارما، وهجاه وهجا جواريه وافترقا على قليً، ثم انقطع إلى البرامكة فأغنوه إلى أن مات .

قال إسحاق الموصلي إنه أظرف الناس: أخبرنا ابن أبي الأزهر عن حماد بن إسحاق قال سمعت أبي يقول: لو قيل لي من أظرف من رأيته قط أو عاشرته، لقلت: أبو النضير .

دخل على الفضل بن يحيى فهنأه بمولود ارتجالاً: أخبرني عيسى الوراق عن الفضل اليزيدي عن إسحاق، وأخبرني محمد بن مزيدٍ عن حماد عن أبيه قال: ولد للفضل بن يحيى مولود، فوفد عليه أبو النضير و لم يكن عرف الخبر فيعد له تهنئةً، فلما مثل بين يديه ورأى الناس يهنئونه نثراً ونظماً قال ارتجالاً:

ويفرح بالمولود من آل برمكٍ بغاة الندى والسيف والرمح والنصل

وتنبسط الآمال فيه لفضله .....

ثم ارتج عليه فلم يدر ما يقول. فقال الفضل يلقنه:

ولا سيما إن كان من ولد الفضل

فاستحسن الناس بديهة الفضل في هذا، وأمر لأبي النضير بصلةٍ .

نقد الفضل بن يحيى شعراً له في مدحهم فأجابه: وأخبرني حبيب بن نصرٍ عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني بعض الموالي قال: حضرت الفضل بن يحيى وقد قال لأبي النضير: يا أبا النضير أنت القائل فيا:

إذا كنت من بغداد في رأس فرسخ وجدت نسيم الجود من آل برمك

لقد ضيقت علينا جداً. قال: أفلأجل ذلك أيها الأمير ضاقت علي صلتك وضاقت عني مكافأتك وأنا الذي أقول:

تشاغل الناس ببنيانهم والفضل في بنيانه جاهد

كل ذوي الفضل وأهل النهى للفضل في تدبيره حامد

وعلى ذلك فما قلت البيت الأول كما بلغ الأمير، وإنما قلت:

إذا كنت من بغداد منقطع الثرى وجدت نسيم الجود من آل برمك

فقال الفضل: إنما أخرت عنك لأمازحك، وأمر له بثلاثين ألف درهمٍ .

كتب إلى عنان وكان يهواها فأجابته: أخبرني ابن عمارٍ عن أبي إسحاق الطلحي عن أبي سهيلٍ قال: كان أبو النضير يهوى عنان جارية الناطفي، وكتب إليها:

إن لي حاجةً فرأيك فيها لك نفسي الفدا من الأوصاب

وهي ليست مما يبلغه غي ري ولا أستطيعه بكتاب

غير أني أقولها حين ألقا ك رويداً أسرها من ثيابي

فأجابته وقالت:

أنا مشغولة بمن لست أهوا ه وقلبي من دونه في حجاب

فإذا فيها ما أردت أمراً فأسرر ه ولا تجعلنه في كتاب

قال: قال أبو النضير فيها: شعر له في عنان: صوت:

أنا والله أهواك وأهواك وأهواك

وأهوى قبلةً منك على برد ثناياك
وأهوى لك ما أهوى لنفسي وكفى ذاك

فهل ينفعني ذل ك يوماً حين ألقاك
أنا والله أهواك وما يشعر مولاك
فإياك بأن يعل م إياك وإياك

فيه لعلى بن المارقي رمل بالبنصر عن الهشامي .

طلبت منه مكتومة المغنية صوتاً كان يغنيه فمازحها: حدثنا ابن عمار عن الطلحي عن أبي سهيلٍ قال: كان أبو النضير يغني غناءً صالحاً، فغنى ذات يومٍ صوتاً كان استفاده ببغداد. فقالت له قينة كانت ببغداد يقال لها مكتومة: اطرح علي هذا الصوت يا أبا النضير. فقال: لا تطيب نفسي به محابياً، ولكني أبيعك إياه. قالت: بكم؟ قال: برأس ماله. قالت: وما رأس ماله؟ قال: ناكني فيه الذي أخذته منه. فغطت وجهها وقالت: عليك وعلى هذا الصوت الدمار .

شعر له في مدح أبي جعفر عبد الله بن هشام: أخبرني ابن عمار الطلحي عن أبي سهيل قال: قال أبو النضير، وفيه غناء لإبراهيم: صوت:

أيصحو فؤادك أم يطرب وكيف وقد شحطت زينب
جرى الناس قبل أبي جعفرٍ زماناً فلم يدر من غلبوا
فلما جرى بأبي جعفر بنو تغلبٍ سبقت تغلب

قال أبو سهيلٍ: وأبو جعفرٍ الذي عناه أبو النضير هو عبد الله بن هشام بن عمرو التغلبي الذي يذكره العتابي في شعره ورسائله، وكان جواداً سخياً. وكان ابن هشامٍ ولي السند، وفيه يقول أبو النضير:

ألا أيها الغيث الذي سح وبله كأنك تحكي راحة ابن هشام
كأنك تحكيها لكن جوده يدوم وقد تأتي بغير دوام
وفيك جهام ربما كان مخلفاً وراحته تغدو بغير جهام

كان يرى أن الغناء على تقطيع العروض: أخبرني ابن عمار عن الطلحي وعن أبي سهيلٍ قال: كان أبو النضير يزعم أن الغناء على تقطيع العروض، ويقول: هكذا كان الذين مضوا يقولون، وكان مستهزئاً بالغناء حتى تعاطى أن يغني، وكان إبراهيم الموصلي يخالفه في ذلك ويقول: العروض محدث، والغناء قبله بزمانٍ. فقال إسحاق بن إبراهيم ينصر أباه:

سكت عن الغناء فلا أماري بصيراً لا ولا غير البصير

مخافةً أن أجنن فيه نفسي كما قد جن فيه أبو النضير

قاطعه أبان اللاحقي وقال شعراً يهجوه: أخبرني الحسن بن علي عن ابن مهروية قال حدثني أبو طلحة الخزاعي عن اللاحقي قال: كان جدي أبان يشرب مع إخوانٍ له على شاطيء دجلة بعد مصارمته أبا النضير، وكان القوم أصدقاء له ولأبي النضير، فذكروه. فقال جدي: إن حضر انصرفت. فقال جدي فيه:

رب يومٍ بشط دجلة لذٍ وليالٍ نعمت فيها لذاذ

غيبة لم تطل علي وماذا خير قرب المطرمذ الملاذ

ترك الأشربات ليس بعاطٍ لرساطونها ولا الراقياذ

وحكى الأحمق الذي ليس يدري أن خير الشراب هذا اللذاذ

ضل رأي أراه ذاك كما ضل غواة لاذوا بشر ملاذ

أنت أعمى فيما ادعيت كما لس ت لصوغ اللحان بالأستاذ

كان ذنباً أتوب منه إلى الل ه اختياريك صاحباً واتخاذي

إن لله صوم شهرين شكراً أن قضى منك عاجلاً إنقاذي

لا لدينٍ ولا لدنيا ولا يص لح في علم ما ادعى بنفاذ

كتب إلى حماد عجرد يسأله عن حاله في الشراب فأجابه: حدثني ابن عمار عن الطلحي عن أبي سهيل قال: كتب أبو النضير إلى حماد عجردٍ يسأل عن حاله في الشراب وشربه إياه ومن يعاشر عليه. فكتب إليه حماد:

أبا النضير اسمع كلامي ولا تجعل سوى الإنصاف من بالكا

سألت عن حالي، وما حال من لم يلق إلا عابداً ناسكا

يظهر لي ذا فمتى يفترض شيئاً تجده عادياً فاتكا

يعني حريث بن عمرو. وكان حماد نزل عليه، وكان حريث هذا مشهوراً بالزندقة، وكذلك حماد هذا كان مشهوراً به، فنزل عليه لذلك .

كتب إلى حمدان اللاحقي يشكو إليه عمر بن يحيى ويهجوه: أخبرني الحسن بن علي عن ابن مهروية عن أبي طلحة الخزاعي عن أبي يحيى اللاحقي قال:

كتب أبو النضير إلى عمي حمدان بن أبان، وكان له صديقاً، يشكو إليه عمر بن يحيى الزيادي وكان عربد عليه وشتمه:

أقر حمدان سلام ال له من فضلٍ وقل له

يا فتًى لست بحمد ال له أخشى أن أمله
ذاك أن الله قد أن هله الظرف وعله
وذرا بيت رقاشٍ وعلاها قد أحله
إن شتم السفلة الكش خان ذي القرنين ضله
ولو أن القلب هاجى عمراً يوماً لغله
ذاك أن الله قد أخ زى ابن يحيى وأذله
من يهاجي رجلاً يس توعب الجردان كله
ما يسيل الأير إلا أدخل الأير وبله
وإذا عاين أيراً وافي الفيشة غله
هذه قصة من قد جعل المردان شغله

أنشد الفضل بن الربيع شعراً في امرأة تزوجها وطلقها: حدثني عمي عن أبي العيناء عن أبي النضير قال: دخلت على الفضل بن الربيع فقال: هل أحدثت بعدي شيئاً؟ قلت: نعم، قلت أبياتاً في امرأةٍ تزوجتها وطلقتها لغير علةٍ إلا بغضي لها، وإنها لبيضاء بضة، كأنها سبيكة فضةٍ. فقال لي: وما قلت فيها؟ فقلت قلت:

رحلت سكينة بالطلاق فأرحت من غل الوثاق
رحلت فلم تألم لها نفسي ولم تدمع مآقي
لو لم تبن بطلاقها لأبنت نفسي بالإباق
وشفاء ما لا تشتهي ه تالنفس تعجيل الفراق

فقال: يا غلام، الدواة والقرطاس، فأتي بهما، فأمرني فكتبت له الأبيات، ثم قلت له: أنت والله تبغض بنت أبي العباس الطوسي. فقال: اسكت أخزاك الله! ثم ما لبث أن طلقها .

صوت:

ما بال عينك جائلاً أقذاؤها شرقت بعبرتها وطال بكاؤها
ذكرت عشيرتها وفرقة بينها فطوت لذلك غلة أحشاؤها

الشعر لعبد الله بن عمر العبلي. والغناء لأبي سعيدٍ مولى فائدٍ، رمل مطلق في مجرى الوسطى عن ابن المكي، وذكره إسحاق في هذه الطريقة و لم ينسبه إلى أحدٍ، وقيل: إنه من منحول يحيى إلى أبي سعيدٍ .

أخبار العبلي ونسبه

نسبه، وهو من مخضرمي الدولتين: اسمه عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس ابن عبد مناف، ويكنى أبا عدي ، شاعر مجيد من شعراء قريش، ومن مخضرمي الدولتين، وله أخبار مع بني أمية وبني هاشم تذكر في غير هذا الموضع .

سبب نسبه إلى العبلات: ويقال له عبد الله بن عمر العبلي، وليس منهم؛ لأن العبلات من ولد أمية الأصغر بن عبد شمس. سموا بذلك لأن أمهم عبلة بنت عبيد بن حارك بن قيس بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم، وهؤلاء يقال لهم براجم بني تميم، ولدت لعبد شمس بن عبد مناف أمية الأصغر، وعبد أمية ونوفلاً، وأمه من بني عبد شمس ، فهؤلاء يقال لهم العبلات، ولهم جميعاً عقب. أما أمية الأصغر فإنهم بالحجاز، وهم بنو الحارث بن أمية، منهم علي بن عبد الله بن الحارث، ومنهم الثريا صاحبة ابن أبي ربيعة .

وأما بنو نوفل وعبد أمية فإنهم بالشام كثير. وعبد العزى بن عبد شمس كان يقال له أسد البطحاء. وإنما أدخلهم الناس في العبلات لما صار الأمر لبني أمية الأكبر وسادوا وعظم شأنهم في الجاهلية والإسلام وكثر أشرافهم، فجعل سائر بني عبد شمس من لا يعلم قبيلةً واحدةً، فسموهم أمية الصغرى، ثم قيل لهم العبلات لشهرة الاسم.

وعلي بن عدي جد هذا الشاعر شهد مع عائشة يوم الجمل. وله يقول شاعر بني ضبة لعنة الله عليه:

يا رب أكبب بعليٍ جمله ... ولا تبارك في بعيرٍ حمله

إلا علي بن عديٍ ليس له

كان في أيام بني أمية يميل إلى بني هاشم ثم خرج على المنصور مع محمد بن عبد الله بن الحسن: فأما عبد الله بن عمر هذا الشاعر فكان في أيام بني أمية يميل إلى بني هاشمٍ ويذم بني أمية، و لم يكن منهم إليه صنع جميل، فسلم بذلك في أيام بني العباس، ثم خرج على المنصور في أيامه مع محمد بن عبد الله بن الحسن .

فرق هشام بن عبد الملك أموالاً و لم يعطه فقال شعراً: أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهيرٍ عن مصعبٍ الزبيري قال:

العبلي عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمسٍ، ويكنى أبا عدي، وله أخبار كثيرة مع بني هاشم وبني أمية. وقسم هشام بن عبد الملك أموالاً وأجاز بجوائز، فلم يعطه شيئاً. فقال:

خس حظي أن كنت من عبد شمسٍ ... ليتني كنت من بني مخزوم

فأفوز الغداة منهم بسهمٍ ... وأبيع الأب الشريف بلوم

استقدمه المنصور واستنشده فغضب عليه فذهب إلى المدينة: فلما استخلف المنصور كتب إلى السري بن عبد الله أن يوجه به إليه ففعل. فلما قدم عليه قال له: أنشدني ما قلت في قومك، فاستعفاه. فقال: لا أعفيك. فقال: أعطني الأمان فأعطاه، فأنشده:

ما بال عينك جائلاً أقذاؤها ... شرقت بعبرتها فطال بكاؤها

حتى انتهى إلى قوله:

فبنو أمية خير من وطيء الحصى شرفاً وأفضل ساسةٍ أمراؤها

فقال له: اخرج عني لا قرب الله دارك! فخرج حتى قدم المدينة، فألفى محمد بن عبد الله ابن حسن قد خرج فبايعه .

أخذت حرمه وأمواله فمدح السفاح فأكرمه ورد إليه ما أخذ منه: أخبرني عمي عن الكراني عن العمري عن العتبي عن أبيه قال: كان أبو عدي الذي يقال له العبلي مجفواً في أيام بني مروان وكان منقطعاً إلى بني هاشم، فلما أفضت الدولة إليهم لم يبقوا على أحدٍ من بني أمية، وكان الأمر في قتلهم جداً إلا من هرب وطار على وجهه. فخاف أبو عدي أن يقع به مكروه في تلك الفورة فتوارى؛ وأخذ داود بن عليٍ حرمه وماله؛ فهرب حتى أتى أبا العباس السفاح، فدخل عليه في غمار الناس متنكراً وجلس حجرةً حتى تقوض القوم وتفرقوا، وبقي أبو العباس مع خاصته. فوثب إليه أبو عدي فوقف بين يديه وقال:

ألا قل للمنازل بالستار سقيت الغيث من دمنٍ قفار

فهل لك بعدنا علم بسلمى وأترابٍ لها شبه الصوار

أوانس لا عوابس جافيات عن الخلق الجميل ولا عواري

وفيهن ابنة القصوي سلمى كهم النفس مفعمة الإزار

تلوث خمارها بأحم جعدٍ تضل الفاليات به المداري

برهرهة منعمة نمتها أبوتها إلى الحسب النضار

فدع ذكر الشباب وعهد سلمى فما لك منهما غير ادكار

وأهد لهاشمٍ غرر القوافي تنخلها بعلمٍ واختيار

لعمرك إنني ولزوم نجدٍ ولا ألقى حباء بني الخيار

لكالبادي لأبرد مستهل بحوباء كبطن العير عار

سأرحل رحلةً فيها اعتزام وجد في رواحٍ وابتكار

إلى أهل الرسول غدت برحلي عذافرة ترامى بالصحاري

تؤم المعشر الأبرار تبغي فكاكاً للنساء من الإسار

أيا أهل الرسول وصيد فهرٍ وخير الواقفين على الجمار

أتؤخذ نسوتي ويحاز مالي وقد جاهرت لو أغنى جهاري

واذعر أن دعيت لعبد شمسٍ وقد أمسكت بالحرم الصواري
بنصرة هاشمٍ شهرت نفسي بداري للعدا وبغير داري
بقربى هاشمٍ وبحق صهرٍ لأحمد لفه طيب النجار
ومنزل هاشم من عبد شمسٍ مكان الجيد من عليا الفقار

فقال له السفاح: من أنت؟ فانتسب له؟ فقال له: حق لعمري أعرفه قديماً ومودة لا أجحدها، وكتب له إلى داود بن علي بإطلاق من حبسه من أهله ورد أمواله عليه وإكرامه، وأمر له بنفقة تبلغه المدينة .

وفد على عبد الله بن حسن وأجازه هو وابناه وزوجه: أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا يحيى بن الحسن العلوي عن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن قال حدثني أبي قال: قال سعيد بن عقبة الجهني: إني لعند عبد الله بن الحسن إذ أتاه آتٍ فقال له: هذا رجل يدعوك، فخرجت فإذا أنا بأبي عدي الأموي الشاعر، فقال: أعلم أبا محمد. فخرج إليه عبد الله بن حسن وابناه وقد ظهرت المسودة وهم خائفون، فأمر له عبد الله بن حسن بأربعمائة دينار، فخرج من عندهم بألف دينار .

استنشده عبد الله بن حسن مما رثى به قومه ثم أكرمه هو وأهله:

وأخبرني حرمي عن الزبير، وأخبرني الأخفش عن المبرد عن المغيرة بن محمد المهلبي عن الزبير عن سليمان بن عياش السعدي قال: جاء عبد الله بن عمر بن عبد الله العبلي إلى سويقة وهو طريد بني العباس، وذلك بعقب أيام بني أمية وابتداء خروج ملكهم إلى بني العباس، فقصده عبد الله والحسن ابنا الحسن بسويقة، فاستنشده عبد الله شيئاً من شعره فأنشده. فقال له: أريد أن تنشدني شيئاً مما رثيت به قومك، فأنشده:

تقول أمامة لما رأت نشوزي عن المضجع النفس
وقلة نومي على مضجعي لدى هجعة العين النعس
أبي ما عراك؟ فقلت الهموم عرون أباك فلا تبلسي
عرون أباك فحبسنه من الذل في شر ما محبس
لفقد العشيرة إذ نالها سهام من الحدث المبئس
رمتها المنون بلا نصلٍ ولا طائشاتٍ ولا نكس
بأسهمهما الخالسات النفوس متى ما اقتضت مهجةً تخلس
فصرعاهم في نواحي البلا د تلقى بأرضٍ ولم ترمس
كريم أصيب وأثوابه من العار والذام لم تدنس
وآخر قد طار خوف الردى وكان الهمام فلم يحسس

فكم غادروا من بواكي العيو ... ن مرضى ومن صبية بؤس
إذا ما ذكرنهم لم تنم ... لحر الهموم ولم تجلس
يرجعن مثل بكاء الحما ... م في مأتمٍ قلق المجلس
فذاك الذي غالني فاعلمي ... ولا تسأليني فتستنحسي
وأشياء قد ضفنني بالبلاد ... ولست لهن بمستحلس
أفاض المدامع قتلى كدًى ... وقتلى بكثوة لم ترمس
وقتلى بوجٍ وباللابتي ... ن من يثربٍ خير ما أنفس
وبالزابيين نفوس ثوت ... وقتلى بنهر أبي فطرس
أؤلئك قوم تداعت بهم ... نوائب من زمن متعس
أذلت قيادي لمن رامني ... وألزقت الرغم بالمعطس
فما أنس لا أنس قتلاهم ... ولا عاش بعدهم من نسي

قال: فلما أتى عليها بكى محمد بن عبد الله بن حسن. فقال له عمه الحسن بن حسن بن علي عليهم السلام: أتبكي على بني أمية وأنت تريد ببني العباس ما تريد! فقال: والله يا عم لقد كنا نقمنا على بني أمية ما نقمنا، فما بنو العباس إلا أفل خوفاً لله منهم، وإن الحجة على بني العباس لأوجب منها عليهم. ولقد كانت للقوم أخلاق ومكارم وفواضل ليست لأبي جعفر. فوثب حنس وقال: أعوذ بالله من شرك، وبعث إلى أبي عدي بخمسين ديناراً، وأمر له عبد الله بن حسن بمثلها، وأمر له كل واحد من محمد وإبراهيم ابنيه بخمسين خمسين، وبعثت إليه أمهما هند بخمسين ديناراً، وكانت منفعته بها كثيرة. فقال أبو عدي في ذلك:

أقام ثوي بيت أبي عدي ... بخير منازل الجيران جارا
تقوض بيته وجلا طريداً ... فصادف خير دور الناس دارا
وإني إن نزلت بدار قومٍ ... ذكرتهم ولم أذمم جوارا

فقالت هند لعبد الله وابنيها منه: أقسمت عليكم إلا أعطيتموه خمسين ديناراً أخرى فقد أشركني معكم في المدح، فأعطوه خمسين ديناراً أخرى عن هند .

ولى الطائف لمحمد بن عبد الله بن حسن ثم فر إلى اليمن وشعره في ذلك: أخبرني عيسى بن الحسين الوراق عن أبي أيوب المديني قال ذكر محمد بن موسى مولى أبي عقيل قال: قدم أبو عدي العبلي الطائف والياً من قبل محمد بن عبد الله بن حسن أيام خروجه على أبي جعفر ومعه أعراب من مزينة وجهينة وأسلم فأخذ الطائف وأتى محمد بن أبي بكر العمري حتى بايع، وكان مع أبي عدي أحد عشر رجلاً من ولد أبي بكر الصديق، فقدمها بين

أذان الصبح والإقامة، فأقام بها ثلاثاً، ثم بلغه خروج الحسن بن معاوية من مكة، فاستخلف على الطائف عبد الملك بن أبي زهير وخرج ليتلقى الحسن بالعرج، فركب الحسن البحر، ومضى أبو عدي هارباً على وجهه إلى اليمن. فذلك حين يقول:

هيجت للأجزاع حول عراب ... واعتاد قلبك عائد الأطراب

وذكرت عهد معالمٍ بلوي الثرى ... هيهات تلك معالم الأحباب

هيهات تلك معالم من ذاهبٍ ... أمسى بحوضي أو بحقل قباب

قد حل بين أبارقٍ ما إن له ... فيها من أخوانٍ ولا أصحاب

شطت نواه عن الأليف وساقه ... لقرًى يمانيةٍ حمام كتاب

يا أخت آل أبي عديٍ أقصري ... وذري الخضاب فما أوان خضاب

أتخضبين وقد تخرم غالباً ... دهر أضر بها حديد الناب

والحرب تعرك غالباً بجرانها ... وتعض وهي حديدة الأنياب

أم كيف نفسك تستلد معيشةً ... أو تنقعين لها ألذ شراب

أنشد عبد الله بن حسن من شعره فبكى: وذكر العباس بن عيسى العقيلي عن هارون بن موسى الفروي عن سعيد بن عقبة الجهني قال: حضرت عبد الله بن عمر المكنى أبا عدي الأموي ينشد عبد الله بن حسن قوله:

أفاض المدامع قتلى كدًى ... وقتلى بكثوة لم ترمس

قال: فرأيت عبد الله بن حسن وإن دموعه لتجري على خده .

قيل إن القصيدة السينية اشترك فيها آخران معه حين أتاهم قتل بني أمية: وقد أخبرني محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن أبي سعيد مولى فائد قال: لما أتانا قتل عبد الله بن عليٍ من قتل من بني أمية كنت أنا وفتىً من ولد عثمان وأبو عدي العبلي متوارين في موضع واحد، فلحقني من الجزع ما يلحق الرجل على عشيرته، ولحق صاحبي كما لحقني، فبكينا طويلاً، ثم تناولنا هذه القصيدة بيننا، فقال كل واحد منا بعضها غير محصلٍ ما لكل واحدٍ منا فيها، قال: ثم أنشدنيها، فأخذتها من فيه:

تقول أمامة لما رأت ... نشوزي عن المضجع الأنفس

كان يكره ما يجري عليه بنو أمية من سب علي وشعره في ذلك: أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي عن ابن عائشة قال: كان أبو عدي الأموي يكره ما يجري عليه بنو أمية من ذكر علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وسبه على المنابر، ويظهر الإنكار لذلك، فشهد عليه قوم من بني أمية بمكة بذلك ونهوه عنه، فانتقل إلى المدينة وقال في ذلك:

شردوا بي عند امتداحي عليا ورأوا ذاك فيّ داءً دويا
فوربي لا أبرح الدهر حتى تختلى مهجتي بحبي عليا
وبنيه لحب أحمد إني كنت أحببتهم بحبي النبيا
حب دينٍ لا حب دنيا وشر ال حب حب يكون دنياويا
صاغني الله في الذؤابة منهم لا زنيماً ولا سنيداً دعيا
عدوياً خالي صريحاً وجدي عبد شمس وهاشم أبويا
فسواء علي لست أبالي عبشمياً دعيت أم هاشميا

دخل مع وفود قريش على هشام بن عبد الملك ومدحه ففضل هشام بني مخزوم فقال هو شعراً: أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي عن أبيه قال: وفد أبو عدي الأموي إلى هشام بن عبد الملك وقد امتدحه بقصيدته التي يقول فيها:

عبد شمسٍ أبوك وهو أبونا لا نناديك من مكانٍ بعيد
والقرابات بيننا واشجات محكمات القوى بحبلٍ شديد

فأنشده إياها، وأقام ببابه مدةً حتى حضر بابه وفود قريش فدخل فيهم، وأمر لهم بمال فضل فيه بني مخزوم أخواله، وأعطى أبا عدي عطيةً لم يرضاها، فانصرف وقال:

خس حظي أن كنت من عبد شمسٍ ليتني كنت من بني مخزوم
فأفوز الغداة فيهم بسهمٍ وأبيع الأب الكريم بلوم

غنى في البيتين المذكورين في هذا الخبر اللذين أولهما:

عبد شمس أبوك وهو أبونا

ابن جامع، ولحنه ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وأول هذه القصيدة التي قالها في هشام:

ليلتي من كنود بالغور عودي بصفاء الهوى من أم أسيد
ما سمعنا ذاك الهوى ونسينا عهده فارجعي به ثم زيدي
قد تولى عصر الشباب فقيداً رب جارٍ يبين غير فقيد

خلق الثوب من شبابٍ ولبس وجديد الشباب غير جديد
فاسر عنك الهموم حين تداعت بعلاةٍ مثل الفنيق وخود

عنتريسٍ توفي الزمام بفعمٍ ... مثل جذع الأشاءة المجرود

وارم جوز الفلا بها ثم سمها ... عجرفي النجاء بالتوخيد

وهشاماً خليفة الله فاعمد ... واصرمن مرة القوي الجليد

تلقه محكم القوى أريحياً ... ذا قرىً عاجلٍ وسيبٍ عتيد

ملكاً يشمل الرعية منه ... بأيادٍ ليت بذات خمود

أخضر الربع والجناب خصيب ... أفيح المستراد للمستريد

ذكرت ناقتي البطاخ فحنت ... حين أن وركت قبور ثمود

قلت بعض الحنين يا ناق سيري ... نحو برقٍ دعا لغيثٍ عميد

فأغذت في السير حتى أتتكم ... وهي قوداء في سواهم قود

قد براها السرى إليك وسيري ... تحت حر الظهيرة الصيخود

وطوى طائد العرائك منها ... غول بيدٍ تجتابها بعد بيد

وأتتكم حدب الظهور وكانت ... مسنماتٍ ممرها بالكديد

واطمأنت أرض الرصافة بالخص ... ب ولم تلق رحلها بالصعيد

نزلت بامرئٍ يرى الحمد غنماً ... باذلٍ متلفٍ مفيدٍ معيد

بذل العدل في القصاص فأضحى ... لا يخاف الضعيف ظلم شديد

من بنى النضر من ذرا منبت النض ... ر بورى زند وأكرم عود

فهو كالقلب في الجوانح منها ... واسط سر جذمها والعديد

بين مروان والوليد فبخ بخ ... للكريم المجيد غير الزهيد

لو جرى الناس نحو غاية مجدٍ ... لرهانٍ في المحفل المشهود

لعلاهم بسابغين من المج ... د على الناس طارفٍ وتليد

إنكم معشر أبي الله إلا ... أن تفوزوا بدرها المحشود

لم ير الله معشراً من بني مر ... وإن أولى بالملك والتسويد

قادة سادة ملوك بحار ... وبها ليل للقروم الصيد

أريحيون ماجدون خضمو ... ن حماة عند ارتداد الجلود

يقطعون النهار بالرأي والحز ... م ويحيون ليلهم بالسجود
أهل رفدٍ وسؤددٍ وحياءٍ ... ووفاءٍ بالوعد والموعود
ويرون الجوار من حرم الل ... ه فما الجار فيهم بوحيد
لو بمجدٍ نال الخلود قبيل ... آل مروان فزتم بالخلود
يابن خير الأخيار من عبد شمسٍ ... يا إمام الورى ورب الجنود
عبد شمسٍ أبوك وهو أبونا ... لا نناديك من مكانٍ بعيد
ثم جدي الأدنى وعمك شيخي ... وأبو شيخك الكريم الجدود
فالقرابات بيننا واشجات ... محكمات القوى بحبلٍ شديد
فأثبني ثواب مثلك مثلي ... تلقني للثواب غير جحود
إن ذا الجد من حبوت بود ... ليس من لا تود بالمجدود
وبحسب امرئٍ من الخير يرجى ... كونه عند ظلك الممدود

قصيدة له يندب فيها فرقة بني أمية: وأما قصيدته التي أولها:

ما بال عينك جائلاً أقذاؤها

وهي التي فيها الغناء المذكور، فإنه قالها في دولة بني أمية عند اختلاف كلمتهم ووقوع الفتنة بينهم، يندب بينهم ، وفيها يقول:

واعتادها ذكر العشيرة بالأسى ... فصباحها نابٍ بها ومساؤها
شركوا العدا في أمرهم فتفاقمت ... منها الفتون وفرقت أهواؤها
ظلت هناك وما يعاتب بعضها ... بعضاً فينفع ذا الرجاء رجاؤها
إلا بمرهفة الظبات كأنها ... شهب تقل إذا هوت أخطاؤها

وبعسلٍ زرقٍ يكون خضابها ... علق النحور إذا تفيض دماؤها
فبذاكم أمست تعاتب بينها ... فلقد خشيت بأن يحم فناؤها
ما ذا أؤمل إن أمية ودعت ... وبقاء سكان البلاد بقاؤها
أهل الرياسة والسياسة والندى ... وأسود حربٍ لا يخيم لقاؤها
غيث البلاد هم وهم أمراؤها ... سرج يضيء دجى الظلام ضياؤها

فلئن أمية ودعت وتتايعت لغاويةٍ حميت لها خلفاؤها
ليودعن من البرية غزها ومن البلاد جمالها ورجاؤها
ومن البلية أن بقيت خلافهم فرداً تهيجك دورهم وخلاؤها
لهفي على حرب العشيرة بينها هلا نهى جهالها حلماؤها
هلا نهًى تنهى الغوي عن التي يخشى على سلطانها غوغاؤها
وتقًى وأحلام لها مضرية فيها تدمى الكلوم ودواؤها
لما رأيت الحرب توقد بينها ويشب نار وقودها إذكاؤها
نوهت بالملك المهيمن دعوةً ورواح نفسي في البلاء دعاؤها
ليرد ألفتها ويجمع أمرها بخيارها فخيارها رحماؤها
فأجاب ربي في أمية دعوتي وحمى أمية ان يهد بناؤها
وحبا أمية بالخلافة إنهم نور البلاد وزينها وبهاؤها
فبنو أمية خير من وطئ الثرى شرفاً وأفضل ساسةٍ أمراؤها

وهي قصيدة طويلة اقتصرت منها على ما ذكرته .

صوت:

مهلاً ذريني فإني غالني خلقي وقد أرى في بلاد الله متسعا
ما عضني الدهر إلا زادني كرماً ولا استكنت له إن خان أو خدعا

الشعر لأبي جلدة اليشكري من قصيدةٍ يمدح بها مسمع بن مالك بن مسمعٍ، والغناء لعلويه رمل بالوسطى عن عمرو .

أخبار أبي جلدة ونسبه

نسب أبي جلدة: أبو جلدة بن عبيد بن منقذ بن حجر بن عبيد الله بن مسلمة بن حبيب بن عدي بن جشم بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائلٍ، شاعر إسلامي، من شعراء الدولة الأموية، ومن ساكني الكوفة. وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج .

كان أخص الناس بالحجاج ثم صار من أشدهم تحريضاً عليه حين خرج مع ابن الأشعث وقتل: أخبرني بخبره في جملة ديوان شعره محمد بن العباس اليزيدي وقرأته عليه قال حدثني عمي عبد الله قال حدثني محمد بن حبيب، وأخبرني به علي بن سليمان الأخفش أيضاً عن الحسن ابن الحسن اليشكري عن ابن الأعرابي قال: كان أبو جلدة

اليشكري من أخص الناس بالحجاج، حتى إنه بعثه وبعث معه عبد الله بن شداد ابن الهادي الليثي إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فخطب الحجاج منه ابنته أم كلثوم. ثم خرج بعد ذلك مع ابن الأشعث، وكان من أشد الناس تحريضاً على الحجاج. فلما أتي الحجاج برأسه ووضع بين يديه مكث ينظر إليه طويلاً ثم قال: كم من سرٍ أودعته في هذا الرأس فلم يخرج حتى أتيت به مقطوعاً. فلما كان يوم الزاوية خرج خرج أبو جلدة بين الصفين، ثم أقبل على أهل الكوفة فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها:

فقل للحواريات يبكين غيرنا ... ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح

بكين إلينا خشيةً أن تبيحها ... رماح النصارى والسيوف الجوارح

بكين لكيما يمنعوهن منهم ... وتأبى قلوب أضمرتها الجوانح

وناديتا أين الفرار وكنتم ... تغارون أن تبدو البرى والوشائح

أأسلمتمونا للعدو على القنا ... إذا انتزعت منها القرون النواطح

فما غار منكم غائر لحليلةٍ ... ولا عزب عزت عليه المناكح

قال: فلما أنشدهم هذه الأبيات أنفوا وثاروا فشدوا شدة تضعضع لهم عسكر الحجاج، وثبت لهم الحجاج وصاح بأهل الشام فتراجعوا وثبتوا، فكانت الدائرة له، فجعل يقتل الناس بقية يومه، حتى صاح به رجل: والله يا حجاج لئن كنا قد أسأنا في الذنب لما أحسنت في العفو، ولقد خالفت الله فينا وما أطعته. فقال له: وكيف ويلك؟ قال: لأن الله تعالى يقول " فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها " وقد قتلت فأثخنت حتى تجاوزت الحد، فأسر ولا تقتل، ثم قال: أو امنن. فقال أولى لك ! ألا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت! ثم نادى برفع السيف وأمن الناس جميعاً، قال ابن حبيب قال ابن الأعرابي: فبلغني أن الحجاج قال يوماً لجلسائه ما حرض على أحد أبو جلدة؛ فإنه نزل على سرحةٍ في وسط عسكرٍ لابن الأشعث ثم نزع سراويله فوضعه وسلح فوقه والناس ينظرون إليه. فقالوا له: ما لك ويلك أجننت! ما هذا الفعل! قال: كلكم قد فعلتم هذا إلا أنكم سترتموه وأظهرته. فشتموه وحملوا علي، فما أنساهم وهو يقدمهم ويرتجز:

نحن جلبنا الخيل من زرنجا ... ما لك يا حجاج منا منجى

لتبعجن بالسيوف بعجا ... أو لتفرن فذاك أحجى

فوالله لقد كاد أهل الشام يومئذٍ يتضعضعون لولا أن الله تعالى أيد بنصره .

قال وقال أبو جلدة يومئذٍ:

أيا لهفي ويا حزني جميعاً ... ويا غم الفؤاد لما لقينا

تركنا الدين والدنيا جميعاً وخلينا الحلائل والبنينا
فما كنا أناساً أهل دينٍ فنصبر للبلاء إذا بلينا
ولا كنا اناساً أهل دنيا فنمنعها وإن لم نرج دينا
تركنا دورنا لطغام عك وأنباط القرى والأشعرينا

ذم القعقاع بن سويد بعض ما عامله به فقال فيه شعراً: قال ابن حبيب: وكان أبو جلدة مع القعقاع بن سويد المنقري بسجستان، فذم منه بعض ما عامله به، فقال فيه:

ستعلم أن رأيك رأي سوءٍ إذا ظل الإمارة عنك زالا
وراح بنو أبيك ولست فيهم بذي ذكرٍ يزيدهم جمالا
هناك تذكر الأسلاف منهم إذا الليل القصير عليك طالا

فقال له القعقاع: ومتى يطول علي الليل القصير؟ قال: إذا نظرت إلى السماء مربعةً. فلما عزل وحبس أخرج رأسه ليلةً فنظر ، فإذا هو لا يرى السماء إلا بقدر تربيع السجن، فقال: هذا والله الذي حذرنيه أبو جلدة .

مدح مسمع بن مالك حين ولي سجستان ورثاه حين توفي: قال: وولي مسمع بن مالك سجستان، وكان مكث أبي جلدة بها، فخرج إليه فتلقاه ومدحه بقصيدته التي أولها:

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا وليت وصلاً لها من حبلها رجعا
شطت بها غربة زوراء نازحة فطارت النفس من وجدٍ بها قطعا
ما قرت العين إذ زالت فينفعها طعم الرقاد إذا ما هاجع هجعا
منعت نفسي من روحٍ تعيش به وقد أكون صحيح الصدر فانصدعا
غدت تلوم على ما فات عاذلتي وقبل لومك ما أغنيت من منعا
مهلاً ذريني فإني غالني خلقي وقد أرى في بلاد الله متسعا
فخري تليد وما أنفقت أخلفه سيب الإله وخير المال ما نفعا
ما عضني الدهر إلا زادني كرماً ولا استكنت له إن خان أو خدعا
ولا تلين على العلات معجمتي في النائبات إذا ما مسني طبعا
ولا تلين من عودي غمائزه إذا المغمز منها لان أو خضعا
ولا أخائل رب البيت غفلته ولا أقول لشيءٍ فات ما صنعا
إني لأمدح أقواماً ذوي حسبٍ لم يجعل الله في أقوالهم قذعا

الطيبين على العلات معجمةً لو يعصر المسك من أطرافهم نبعا
بني شهابٍ بها أعني وإنهم لأكرم الناس أخلاقاً ومصطنعا

قال: فوصله مسمع بن مالك وحمله وكساه وولاه ناشيتكين وكان مكتبه . قال: ثم توفي مسمع بن مالك سجستان، فقال أبو جلدة يرثيه:

أقول للنفس تأساءً وتعزيةً قد كان من مسمعٍ في مالكٍ خلف
يا مسمع الخير من ندعو إذا نزلت إحدى النوائب بالأقوام واختلفوا
يا مسمعاً لعراقٍ لا زعيم لها بمن ترى يؤمن المستشرف النطف
تلك العيون بحيث المصر سادمة تبكيك إذ غالك الأكفان والجرف
قد وسدوك يميناً غير موسدة وبذل جود لما أودي بك إلى التلف
كنت الشهاب الذي يرمى العدو به والبحر منه سجال الجود تغترف

كان ينادم شقيق بن سليط واستثقل أخاه ثعلبة فهجاه: قال ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال: كان أبو جلدة ينادم شقيق بن سليط بن بديل السدوسي أخاً بسطام بن سليطٍ، وكان لهما أخ يقال له ثعلبة بن سليطٍ، وكان ثقيلاً بخيلاً مبغضاً، وكان يطفل عليهم ويؤذيهم. فقال فيه أبو جلدة:

أحب على لذاذتنا شقيقاً وأبغض مثل ثعلبة الثقيل
له غم على الجلساء مؤذٍ نوافله إذا شربوا قليل

أعطى مسمع مالاً لعشيرته وجفا بكر فقال هو شعراً فأكرمه وأرضاه: قال ابن حبيب عن ابن الأعرابي: وفرق مسمع بن مالك في عشيرته بني قيس بن ثعلبة عطايا كثيرةً وقربهم وجفا سائر بطون بكر بن وائلٍ. فقال أبو جلدة:

إذا نلت مالاً قلت قيس عشيرتي تجور علينا عامداً في قضائكا
وإن كانت الأخرى فبكر بن وائلٍ بزعمك يخشى داؤها بدوائكا
هنالك لا نمشي الضراء إليكم بني مسمعٍ إنا هناك أولئكا
عسى دولة الذهلين يوماً ويشكرٍ تكر علينا سبغةً من عطائكا

قال: فبعث إليه مسمع فترضاه ووصله وفرق في سائر بطون بكر بن وائل على جذمين، جذمٍ يقال له الذهلان، وجذمٍ يقال له اللهازم. فالذهلان: بنو شيبان بن ثعلبة بن يشكر بن وائل، وبنو ضبيعة بن ربيعة . واللهازم: قيس بن ثعلبة، وتيم اللات بن ثعلبة، وعجل بن لجيم، وعنزة بن أسدٍ بن ربيعة. قال الفرزدق:

وأرضى بحكم الحي بكر بن وائلٍ إذا كان في الذهلين أو في اللهازم

قال: وقد دخل بنو قيس بن عكابة مع إخوتهم بني قيس بن ثعلبة بن عكابة. وأما حنيفة فلم تدخل في شيء من هذا لانقطاعهم عن قومهم باليمامة في وسط دار مضر، وكانوا لا ينصرون بكراً ولا يستنصرونهم. فلما جاء الإسلام ونزل الناس مع بني حنيفة ومع بني عجل بن لجيم فتلهزموا ودخل معهم حلفاؤهم بنو مازن بن جدي بن مالك بن صعب بن عليٍ، فصاروا جميعاً في اللهازم. وقال موسى بن جابر الحنفي السحيمي بعد ذلك في الإسلام:

وجدنا أبانا كان حل ببلدةٍ سوًى بين قيسٍ قيس عيلان والفزر

فلما نأت عنا العشيرة كلها أقمنا وحالفنا السيوف على الدهر

فما أسلمتنا بعد في يوم وقعةٍ ولا نحن أغمدنا السيوف على وتر

كان جاره سيف يشرب ويعربد عليه فهجاه: وقال ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال: كان لأبي جلدة بسجستان جار يقال له سيف من بني سعد، وكان يشرب الخمر ويعربد على أبي جلدة، فقال يهجوه:

قل لذوي سيفٍ وسيفٍ ألستم أقل بني سعدٍ حصاداً ومزرعا

كأنكم جعلان دار مقامةٍ على عذرات الحي أصبحن وقعا

لقد نال سيف في سجستان نهزةً تطاول منها فوق ما كان إصبعا

أصاب الزنا والخمر حتى لقد نمت له سرة تسقى الشراب المشعشعا

فلولا هوان الخمر ما ذقت طعمها ولا سقت إبريقاً بكفك مترعاً

كما لم يذقها أن تكون عزيزةً أبوك ولم يعرض عليها فيطمعا

وكان مكان الكلب أو من ورائه إذا ما المغني للذاذة أسمعا

خبره مع القعقاع حين أرجف به فتهدده بالعزل: قال ابن حبيب: وكان أبو جلدة قد استعمله القعقاع بن سويد حين تولى سجستان على بست والرخج، فأرجف الناس بالقعقاع وأرجف به أبو جلدة معهم، وكتب القعقاع إليه يتهدده؛ فكتب إليه أبو جلدة:

يهددني القعقاع في غير كنهه فقلت له بكر إذا رمتني ترسي

كأنا وأياكم إذا الحرب بيننا أسود عليها الزعفران مع الورس

ترى كمصابيح الدياجي وجوهنا إذا ما لقينا والهرقلية الملس

هناك السعود السانحات جرت لنا وتجري لكم طير البوارح بالنحس
وما أنت يا قعقاع إلا كمن مضى كأنك يوماً قد نقلت إلى الرمس
أظن بغال البرد تسري إليكم به غطفانياً وإلا فمن عبس
وإلا فبالبسال يا لك إن سرت به غير مغموز القناة ولا نكس
فعمالنا أوفى وخير بقيةً وعمالكم أهل الخيانة واللبس
وما لبني عمرٍو علي هوادة ولا للرباب غير تعسٍ من التعس

قال: فلما انتهت هذه القصيدة إلى القعقاع وجه برسولٍ إلى أبي جلدة، وقال: انظر، فإن كان كتب هذا الكتاب بالغداة فاعزله، وإن كان كتبه بالليل فأقرره على عمله ولا تعزله ولا تضربه. وكان أبو جلدة صاحب شرابٍ، فقال للرسول: والله ما كتبته إلا بالعشي. فسأله البينة على ذلك فأتاه بأقوامٍ شهدوا له بما قال، فأقره على عمله وانصرف عنه .

شبب ببنت دهقان فأهدى له ليترك ذكرها: قال ابن حبيب: ومر أبو جلدة بقصرٍ من قصور بست يتزله رجل من الدهاقين، فرأى ابنته تشرف من أعلى القصر، فأنشأ يقول:

إن في القصر ذي الخبا بدر تمٍ حسن الدل للفؤاد مصيبا
ولعاباً بالخلوق يأرج منه ريح رندٍ إذا استقل منيبا
يلبس الخز والمطارف والق ز وعصباً من اليماني قشيبا
ورأيت الحبيب يبرز كفاً ما رآه المحب إلا خضيبا

فبلغ ذلك من قوله الدهقان، فأهدى له وبره وسأله ألا يذكر ابنته في شعرٍ بعد ذلك .

لحقه ضيم فلم يمنعه قومه فهتف بمسمع بن مالك وآخرين فسعى له قومه: قال ابن حبيب: ولحق أبا جلدة ضيم من بعض الولاة، فهتف بقومه فلم يقدروا على منعه منه ولا معونته رهبةً للسلطان، فهتف بأعلى صوته: يا مسمع بن مالك، يا أمير بن أحمر، ثم أنشأ يقول:

ولما أن رأيت سراة قومي سكوتاً لا يثوب لهم زعيم
هتفت بمسمعٍ وصدى أميرٍ وقبر معمرٍ تلك القروم

قال: فأبكى جميع من حضر، وقاموا جميعاً إلى الوالي فسألوه في أمره حتى كف عنه. قال: وأمير بن أحمر رجل من بني يشكر، وكان سيداً جواداً، وفيه يقول زياد الأعجم:

لولا أمير هلكت يشكر ويشكر هلكى على كل حال

قال ابن الأعرابي: كان أمير بن أحمر والياً على خراسان في أيام معاوية .

ومعمر الذي عناه أبو جلدة معمر بن شمير بن عامر بن جبلة بن ناعب بن صريمٍ، وكان أمير سجستان، وكان سيداً شريفاً.

خطب خليعة بنت صعب فأبت وتزوجت غيره فقال شعراً: وقال: خطب أبو جلدة امرأة من بني عجلٍ يقال لها خليعة بنت صعبٍ، فأبت أن تتزوجه وقالت: أنت صعلوك فقير لا تحفظ مالك ولا تلفي شيئاً إلا أنفقته في الخمر، وتزوجت غيره. فقال أبو جلدة في ذلك: صوت:

لما خطبت إلى خليعة نفسها ... قالت خليعة ما أرى لك مالا

أودى بمالي يا خليع تكرمي ... وتخرقي وتحملي الأثقالا

إني وجدك لو شهدت مواقفي ... بالسفح يوم أجلل الأبطالا

سيفي، لسرك أن تكوني خادماً ... عندي إذا كره الكماة نزالا

الغناء لإبراهيم الموصلي ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي من كتاب علي بن يحيى .

ضرط بين قوم فضحكوا فأكرههم على أن يضرطوا: قال أبو سعيدٍ السكري وعمر بن سعيد صاحب الواقدي: إن أبا جلدة كان في قريةٍ من قرى بست يقال لها الخيزران ومعهم عمرو بن صوحان أخو صعصعة في جماعةٍ يتحدثون ويشربون، إذ قام أبو جلدة ليبول فضرط، وكان عظيم البطن، فتضاحك القوم منه، فسل سيفه وقال: لأضربن من لايضرط في مجلسه هذا ضربةً بسيفي، أمني تضحكون لا أم لكم! فما زال حتى ضرطوا جميعاً غير عمر بن صوحان. فقال له: قد علمت أن عبد القيس لا تضرط ولك بدلها عشر فسوات. قال: لا والله أو تفصح بها! فجعل عمر يجثي وينحني فلا يقدر عليها، فتركه. وقال أبو جلدة في ذلك:

أمن ضرطةٍ بالخيزران ضرطتها ... تشدد مني دارةً وتلين

فما هو إلا السيف أو ضرطة لها ... يثور دخان ساطع وطنين

قال: ولعمرو بن صوحان يقول أبو جلدة اليشكري وطالت صحبته إياه فلم يظفر منه بشيء:

صاحبت عمراً زماناً ثم قلت له ... الحق بقومك يا عمرو بن صوحانا

فإن صبرت فإن الصبر مكرمة ... وإن جزعت فقد كان الذي كانا

هجا زياداً الأعجم لهجوه بني يشكر: قال ابن سعيد وحدثني أبو صالح قال: بلغ أبا جلدة أن زياداً الأعجم هجا بني يشكر، فقال فيه:

لا تهج يشكر يا زياد ولا تكن ... غرضاً وأنت عن الأذى في معزل

واعلم بأنهم إذا ما حصلوا ... خير وأكرم من أبيك الأعزل
لولا زعيم بني المعلى لم نبت ... حتى نصبحكم بجيشٍ جحفل
تمشي الضراء رجالهم وكأنهم ... أسد العرين بكل عضبٍ منصل
فاحذر زياد ولا تكن تدرأ ... عند الرجال ونهزةً للمختل

مدح سليمان بن عمرو بن مرثد كان صديقاً له: وقال ابن حبيب: كان سليمان بن عمرو بن مرثد البكري صديقاً لأبي جلدة، وكان فارساً شجاعاً، وقتله ابن خازمٍ لشيء بلغه فأنكره؛ وفيه يقول أبو جلدة:

إذا كنت مرتاداً نديماً مكرراً ... نماه سراة من سراة بني بكر
فلا تعد ذا العليا سليمان عامداً ... تجد ماجداً بالجود منشرح الصدر
كريماً على علاته يبذل الندى ... ويشربها صهباء طيبة النشر
معتقةً كالمسك يذهب ريحها الزكام ... وتدعو المرء للجود بالوفر
وتترك حاسي الكأس منها مرنحاً ... يميد كما ماد الأثيم من السكر
تلوح كعين الديك ينزو حبابها ... إذا مزجت بالماء مثل لظى الجمر
فتلك إذا نادمت من آل مرثدٍ ... عليها نديماً ظل يهرف بالشعر
يغنيك تاراتٍ وطوراً يكرها ... عليك بحياك الإله ولا يدري
تعود ألا يجهل الدهر عندها ... وأن يبذل المعروف في العسر واليسر
وإن سليمان بن عمرو بن مرثدٍ ... تألى يميناً أن يريش ولا يبري
فهمته بذل الندى وابتنا العلا ... وضرب طلى الأبطال في الحرب بالبتر
وفي الأمن لا ينفك يحسو مدامةً ... إذا ما دجا ليل إلى وضح الفجر

قال: فلما بلغت سليمان هذه الأبيات قال: هجاني أخي وما تعمد، لكنه يرى أن الناس جميعاً يؤثرون الصهباء كما يؤثرها هو، ويشربونها كما يشربها. وبلغ قوله أبا جلدة فأتاه فاعتذر إليه، وحلف أنه لم يتعمد بذلك ما يكرهه وينكره. قال: قد علمت بذلك وشهدت لك به قبل أن تعتذر، وقبل عذره .

سأل الحضين بن المنذر شيئاً فلم يعطه إياه فهجاه: وقال ابن حبيب: سأل أبو جلدة الحضين بن المنذر الرقاشي فلم يعطه إياه، وقال: لا أعطيه ما يشرب به الخمر. فقال أبو جلدة يهجوه:

يا يوم بؤسٍ طلعت شمسه ... بالنحس لا فارقت رأس الحضين
إن حضيناً لم يزل باخلاً ... مذ كان بالمعروف كز اليدين

فبلغ الحضين قول أبي جلدة، فقال يهجوه:

عض أبو جلدة من أمه ... معترضاً ما جاوز الأسكتين

بظراً طويلاً غاشياً رأسه ... أعقف كالمنجل ذا شعبتين

وقال أبو جلدة في حضينٍ أيضاً:

لعمرك إني يوم أسند حاجتي ... إليك أبا ساسان غير مسدد

فلا عالم بالغيب من أين ضره ... ولا خائف بث الأحاديث في غد

فليت المنايا حلقت بي صروفها ... فلم أطلب المعروف عند المصرد

فلو كنت حراً يا حضين بن منذرٍ ... لقمت بحاجاتي ولم تتبلد

تجهمتني خوف القرى واطرحتني ... وكنت قصير الباع غير المقلد

ولم تعد ما قد كنت أهلاً لمثله ... من اللؤم يابن المستذل المعبد

تهدده بنو رقاش لهجائه الحضين فقال شعراً: قال: فبلغ أبا جلدة أن بني رقاش تهددوه بالقتل لهجائه الحضين بن منذرٍ، فقال:

تهددني جهلاً رقاش وليتني ... وكل رقاشي على الأرض في الحبل

فباست حضينٍ واست أمٍ رمت به ... فبئس محل الضيف في الزمن المحل

وإن أنا لم أترك رقاش وجمعهم ... أذل على وطء الهوان من النعل

فشلت يداي واتبعت سوى الهدى ... سبيلاً وقفت للخير والفضل

عظام الخصى ثط اللحى معدن الخنا ... مباخيل بالأزواد في الخصب والأزل

إذا أمنوا ضراء دهرٍ تعاظلوا ... عظال الكلاب في الدجنة والوبل

وإن عضهم دهر بنكبة حادثٍ ... فأخور عيداناً من المرخ والأثل

أسود شرى وسط الندي ثعالب ... إذا خطرت حرب مراجلها تغلي

شعره في دهقانة كان يختلف إليها: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال: عشق أبو جلدة دهقانة ببست وكان إليها ويكون عندها دائماً، وقال فيها:

وكأسٍ كأن المسك فيها حسوتها ... ونازعيها صاحب لي ملوم

أغر كأن البدر سنة وجهه ... له كفل وافٍ وفرع ومبسم
يضيء دجى الظلماء رونق خده ... وينجاب عنه الليل والليل مظلم
وثديان كالحقين والمتن مدمج ... وجيد عليه نسق درٍ منظم
وبطن طواه الله طياً ومنطق ... رخيم وردف نيط بالحقو مفأم
به تبلتني واستبتني وغادرت ... لظًى في فؤادي نارها تتضرم
أبيت بها أهذي إذا الليل جنني ... وأصبح مبهوتاً فما أتكلم
فمن مبلغ قومي الدنا أن مهجتي ... تبين، لئن بانت ألا تتلوم
وعهدي بها والله يصلح بالها ... تجود على من يشتهيها وتنعم
فما بالها ضنت علي بودها ... وقلبي لها يا قوم عانٍ متيم

قال: فلما بلغها الشعر سألت عن تفسيره ففسر لها. فلما انتهى المفسر إلى هذين البيتين الأخيرين غضبت فقالت: أنا زانية كما زعم! إن كلمته كلمةً أبداً. أو كلما اشتهاني إنسان بذلت له نفسي وأنعمت من روحي إذاً! أي أنا إذاً زانية. فصرمته، فلم يقدر عليها وعذب بها وعذب بها زماناً، ثم قال فيها لما يئس منها:

صحا قلبي وأقصر بعد غيٍ ... طويلٍ كان فيه من الغواني
بأن قصد السبيل فباع جهلاً ... برشدٍ وارتجى عقبى الزمان
وخاف الموت واعتصم ابن حجرٍ ... من الحب المبرح بالجنان
وقدماً كان معترماً جموحاً ... إلى لذاته سلس العنان
وأقلع بعد صبوته وأضحى ... طويل الليل يهرف بالقران
ويدعو الله مجتهداً لكيما ... ينال افوز من غرف الجنان

قال شعراً في يزيد بن المهلب ثم تنصل منه: قال ابن حبيب قال أبو عبيدة: كان يزيد بن المهلب يتهم بالنساء. فقال فيه أبو جلدة:

إذا اعتكرت ظلماء ليلٍ ونومت ... عيون رجالٍ واستلذوا المضاجعا
سما نحو جار البيت يستام عرسه ... يزيد دبيباً للمعاناة قابعا
وإن أمكنته جارة البيت أو رنت ... إليه أتاها بعد ذلك طائعا

فشاعت الأبيات ورواها الناس لقتادة بن معرب . فقال أبو جلدة:

أبا خالدٍ ركني ومن أنا عبده ... لقد غالني الأعداء عمداً لتغضبا

فإن كنت قلت اللذ أتاك به العدا فشلت يدي اليمنى وأصبحت أعضبا
ولا زلت محمولاً علي بلية وأمسيت شلواً للسباع متربا
فلا تسمعن قول العدا وتبينن أبا خالدٍ عذراً وإن كنت مغضبا

سئل عنه البعيث فذكر شعراً لقتادة بن معرب يهجوه به: وقال ابن حبيب: قال رجل للبعيث: أي رجلٍ هو أبو جلدة؟ فقال: قتادة بن معرب أعرف به حيث يقول:

إن أبا جلدة من سكره لا يعرف الحق من الباطل
يزداد غياً وانهماكاً ولا يسمع قول الناصح العاذل
أعيا أبوه وبنو عمه وكان في الذروة من وائل
فليته لم يك من يشكرٍ فبئس خدن الرجل العاقل

أعمى عن الحق بصير بما يعرفه كل فتًى جاهل
يصبح سكران ويمسي كما أصبح، لا أسقي من الوابل
شد ركاب الغي ثم اغتدى إلى التي تجلب من بابل
فالسجن إن عاش له منزل والسجن دار العاجز الخامل

شعر له يناقض به قتادة بن معرب: وقال أبو جلدة يجيبه:

قبحت لو كنت أمراً صالحاً تعرف ما الحق من الباطل
كففت عن شتمي بلا إحنةٍ ولم تورط كفة الحابل
لكن أبت نفسك فعل النهى والحزم والنجدة والنائل
فتحت لي بالشتم حتى بدا مكنون غشٍ في الحشا داخل
فاجهد وقل لا تترك جاهداً شتم امرئٍ ذي نجدةٍ عاقل
تعذلني في قهوةٍ مزةٍ درياقةٍ تجلب من بابل
ولو رآها خر من حبها يسجد للشيطان بالباطل
يا شر بكرٍ كلها محتداً ونهزة المختلس الآكل
عرضك وفره ودعني وما أهواه يا أحمق من باقل

عربد عليه ابن عم له فاحتمله وقال شعراً: قال ابن حبيب: كان أبو جلدة يشرب مع ابن عم له من بكر بن وائل، فسكر نديمه فعربد عليه وشتمه، فاحتمله أبو جلدة وسقاه حتى نام، وقال في ذلك:

أبى لي أن ألحى نديمي إذا انتشى ... وقال كلاماً سيئاً لي على السكر

وقاري وعلمي بالشراب وأهله ... وما ندم القوم الكرام كذي الحجر

فلست بلاحٍ لي نديماً بزلةٍ ... ولا هفوةٍ كانت ونحن على الخمر

عركت بجنبي قول خدني وصاحبي ... ونحن على صهباء طيبة النشر

فلما تمادى قلت خذها عريقةً ... فإنك من قومٍ جحاجحةٍ زهر

فما زلت أسقيه وأشرب مثل ما ... سقيت أخي حتى بدا وضح الفجر

وأيقنت أن السكر طار بلبه ... فأغرق في شتمي وقال وما يدري

ولاك لساناً كان إذ كان صاحياً ... يقلبه في كل فنٍ من الشعر

شعر له وقد دعا رجلاً من قومه للشراب فأبى: أخبرني محمد بن مزيدٍ قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال: كان أبو جلدة اليشكري قد خرج إلى تستر في بعثٍ، فشرب بها في حانةٍ مع رجلٍ من قومه كان ساكناً بها. ثم خرج عنها بعد ذلك وعاد إلى بست والرخج وكان مكتبه هناك، فأقام بها مدة، ثم لقي بها ذلك الرجل الذي نادمه بتستر ذات يومٍ، فسلم عليه ودعاه إلى منزل، فأكلا، ثم دعا بالشراب ليشربا، فامتنع الرجل وقال: إني قد تركتها لله. فقال أبو جلدة وهو يشرب:

ألا رب يومٍ لي ببست وليلةٍ ... ولا مثل أيامي المواضي بتستر

غنيت بها أسقي سلاف مدامةٍ ... كريم المحيا من عرانين يشكر

نبادر شرب الراح حتى نهرها ... وتتركنا مثل الصريع المعفر

فذلك دهر قد تولى نعيمه ... فأصبحت قد بدلت طول التوقر

فراجعني حلمي وأصبحت منهج ال ... شراب وقدماً كنت كالمتحير

وكل أوان الحق أبصرت قصده ... فلست وإن نبهت عنه بمقصر

سأركض في التقوى وفي العلم بعدما ... ركضت إلى أمر الغوي المشهر

وبالله حولي واحتيالي وقوتي ... ومن عنده عرفي الكثير ومنكري

مر به مسمع بن مالك فوثب إليه وقال فيه شعراً: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن الحارث المدائني قال: مر مسمع بن مالكٍ بأبي جلدة، فوثب إليه وأنشأ يقول:

يا مسمع بن مالكٍ يا مسمع أنت الجواد والخطيب المصقع

فاصنع كما كان أبوك يصنع

فقال له رجل كان جالساً هناك: إن قبل منك والله يا أبا جلدة ناك أمه، فقال له: وكيف ذلك ويحك؟ قال: لأنك أمرته أن يصنع كما كان أبوه يصنع !.

مدح مقاتل بن مسمع طمعاً في مثل ما كان مسمع يعطيه فلما رده هجاه: وقال أبو عمرو الشيباني: كان مسمع بن مالك يعطي أبا جلدة، فقال فيه :

يسعى أناس لكيما يدركوك ولو خاضوا بحارك أو ضحضاحها غرقوا

وأنت في الحرب لا رث القوى برم عند اللقاء ولا رعديدة فرق

كل الحلال التي يسعى الكرام لها إن يمدحوك بها يوماً فقد صدقوا

ساد العراق فحال الناس صالحة وسادهم وزمان الناس منخرق

لا خارجي ولا مستحدث شرفاً بل مجد آل شهابٍ كان مذ خلقوا

قال: ثم مدح مقاتل بن مسمعٍ طمعاً في مثل ما كان مسمع يعطيه، فلم يلتفت إليه وأمر أن يحجب عنه. فقيل له: تعرضت للسان أبي جلدة وخبثه. فقال: ومن هو الكلب! وما عسى أن يقول قبحه الله وقبح من كان منه! فليجهد جهده. فبلغ ذلك من قوله أبا جلدة فقال يهجوه:

قرى ضيفه الماء القراح ابن مسمع وكان لئيماً جاره يتذلل

فلما رأى الضيف القرى غير راهنٍ لديه تولى هارباً يتعلل

ينادي بأعلى الصوت بكر بن وائلٍ ألا كل من يرجو قراكم مضلل

عميدكم هر الضيوف فما لكم ربيعة أمسى ضيفكم يتحول

وخفتم بأن تقروا الضيوف وكنتم زماناً بكم يحيا الضريك المعيل

فما بالكم بالله أنتم بخلتم وقصرتم والضيف يقرى وينزل

ويكرم حتى يقترى حين يقترى يقول إذا ولى جميلاً فيجمل

فمهلاً بني بكرٍ دعوا آل مسمعٍ ورأيهم لا يسبق الخيل محثل

ودونكم أضيافكم فتحدبوا عليهم وواسوهم فذلك أجمل

ولا تصبحوا أحدوثةً مثل قائلٍ به يضرب الأمثال من يتمثل

إذا ما التقى الركبان يوماً تذاكروا بني مسمعٍ حتى يحموا ويثقلو

فلا تقربوا أبياتهم إن جارهم وضيفهم سيان أتى توسلوا
هم القوم غر الضيف منهم رواؤهم وما فيهم إلا لئيم مبخل
فلو ببني شيبان حلت ركائبي لكان قراهم راهناً حين أنزل
أولئك بالمكارم كلها وأجدر يوماً أن يواسوا ويفضلوا
بني مسمعٍ لا قرب الله داركم ولا زال واديكم من الماء يمحل
فلم تردعوا الأبطال بالبيض والقنا إذا جعلت نار الحروب تأكل

أخبار علويه ونسبه

نسب علويه وأصله: هو علي بن عبد الله بن سيف . وكان جده من السغد الذين سباهم الوليد بن عثمان بن عفان واسترق منهم جماعةً اختصهم بخدمته، وأعتق بعضهم، ولم يعتق الباقين فقتلوه. وذكر ابن خرداذبه، وهم ممن لا يحصل قوله ولا يعتمد عليه، أنه من أهل يثرب مولى بني أمية، والقول الأول أصح .

مهارته في الغناء والضرب وبعض أخلاقه ونشأته وسبب وفاته: ويكنى علويه أبا الحسن. وكان مغنياً حاذقاً، ومؤدباً محسناً، وصانعاً متفنناً، وضارباً متقدماً، مع خفة روح، وطيب مجالسة، وملاحة نوادر. وكان إبراهيم الموصلي علمه وخرجه وعني به جداً، فبرع وغنى لمحمد الأمين، وعاش أيام المتوكل، ومات بعد إسحاق الموصلي بمديدةٍ يسيرةٍ. وكان سبب وفاته أنه خرج به جرب، فشكاه إلى يحيى بن ماسويه، فبعث إليه بدواءٍ مسهلٍ وطلاءٍ، فشرب الطلاء واطلى بالدواء المستهل، فقتله ذلك. وكان إسحاق يتعصب له في أكثر أوقاته على مخارق. فأما التقديم والوصف فلم يكن إسحاق يرى أحداً من جماعته لهما أهلاً، فكانوا يتعصبون عليه لإبراهيم بن المهدي، فلا يضره ذلك مع تقدمه وفضله .

رأي إسحاق الموصلي فيه وفي مخارق:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق قال: قلت لأبي: أيما أفضل عندك مخارق أو علويه؟ فقال: يا بني علويه أعرفهما فهماً بما يخرج من رأسه وأعلمهما بما يغنيه ويؤديه، ولو خيرت بينهما من يطارح جواري أو شاوربي من يستنصحني لما أشرت إلا بعلويه؛ لأنه كان يؤدي الغناء، وصنع صنعةً محكمةً. ومخارق بتمكنه من حلقه وكثرة نعمه لا يقنع بالأخذ منه؛ لأنه لا يؤدي صوتاً واحداً كما أخذه ولا يغنيه مرتين غناءً واحداً لكثرة زوائده فيه. ولكنهما إذا اجتمعا عند خليفةٍ أو سوقةٍ غلب مخارق على المجلس لطيب صوته وكثرة نغمه .

حدثني جحظة قال حدثني أبو عبد الله بن حمدون قال حدثني أبي قال: اجتمعت مع إسحاق يوماً في بعض دور بني هاشم، وحضر علويه فغنى أصواتاً ثم غنى من صنعته: صوت:

ونبئت ليلى أرسلت بشفاعةٍ إلي فهلا نفس ليلى شفيعها

ولحنه ثاني ثقيل فقال له إسحاق: أحسنت والله يا أبا الحسن! أحسنت ما شئت !. فقام علوية من مجلسه فقبل رأس إسحاق وعينيه وجلس بين يديه وسر بقوله سروراً شديداً، ثم قال: أنت سيدي وابن سيدي، وأستاذي وابن أستاذي، ولي إليك حاجة. قال: قل، فوالله إني أبلغ فيها ما تحب. قال: أيما أفضل عندك أنا أو مخارق؟ فإني أحب أن أسمع منك في هذا المعنى قولاً يؤثر ويحكيه عنك من حضر، فتشرفني به. فقال إسحاق: ما منكم إلا محسن مجمل، فلا ترد أن ترى في هذا شيئاً. قال: سألتك بحقي عليك وبتربية أبيك وبكل حقٍ تعظمه إلا حكمت. فقال: ويحك! والله لو كنت أستجيز أن أقول غير الحق لقلته فيما تحب، فأما إذ أبيت إلا ما ذكرت فهاك ما عندي: فلو خيرت أنا من يطارح جواري أو يغنيني لما اخترت غيرك، ولكنما إذا غنيتما بين يدي خليفةٍ أو أمير غلبك على إطرابه واستبد عليك بجائزته. فغضب علويه وقام وقال: أفٍ من رضاك وغضبك! .

شاع له صوت كان الناس يظنونه لإسحاق: حدثني جعفر بن قدامة قال علي بن يحيى المنجم قال: قدمت من سر من رأى قدمةً إلى بغداد، فلقيت أبا محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فجعل يسألني عن أخبار الخليفة وأخبار الناس حتى انتهى إلى ذكر الغناء، فقال: أي شيء رأيت الناس يستحسنونه في هذه الأيام من الأغاني، فإن الناس ربما لهجوا بالصوت بعد الصوت؟ فقلت: صوتاً من صنعتك. فقال: أي شيء هو؟ فقلت: صوت:

ألا يا حمامي قصر دوران هجتما بقلبي الهوى لما تغنيتما ليا

وأبكيتماني وسط صحبتي ولم أكن أبالي دموع العين لو كنت خاليا

فضحك وقال: ليس هذا لي، هذا لعلويه، ولقد لعمري أحسن فيه وجود ما شاء .

لحن علويه في هذين البيتين ثاني ثقيلٍ بالوسطى .

أتاه بعض أصحابه فأطعمهم وغناهم ألحاناً لهم: حدثني عمي قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال حدثني أحمد بن محمد بن عبد الله الأبزاري قال: أتيت علويه يوماً بالعشي، فوجدت عنده خاقان بن حامدٍ وعبد الله بن صالح صاحب المصلى، وكنت حملت معي قفص فراريج كسكرية مسمنة وجرابي دقيق سميذٍ ، فسلمته إلى غلامه، وبعث إلى بشر بن حارثة: أطعمنا ما عندك، فلم يزل يطعمنا فضلاتٍ حتى أدرك طعامه، ثم بعث إلى عبد الوهاب بن الخصيب بن عمرو فحضر، وقدم الطعام فأكل وأكلنا أكل معذرين ، ثم قال: إني صنعت البارحة لحناً أعجبني ن فأسمعوه وقولوا فيه ما عندكم، وغنانا فقال: صوت:

هزئت عميرة أن رأت ظهري انحنى وذؤابتي علت بماء خضاب

لا تهزئي مني عمير فإنني محض كريم شيبتي وشبابي

لحن علويه في هذين البيتين من الثقيل الثاني بالوسطى فقلنا له: حسن والله جميل يا أبا الحسن، وشربنا عليه أقداحاً. ثم استؤذن لعثعثٍ غلام أحمد بن يحيى بن معاذ، فأذن له، ومع عثعث كتاب من مولاه أحمد بن يحيى:

سمعت يا سيدي منك صوتاً عند أمير المؤمنين يعني المعتصم ، فأحب أن تتفضل وتطرحه على عبدك عثعث.
وهو: صوت:

فوا حسرتا لم أقض منك لبانةً ولم أتمتع بالجوار وبالقرب
يقولون هذا آخر العهد منهم فقلت وهذا آخر العهد من قلبي

لحن علويه في هذا الشعر ثقيل أول، وهو من مقدم أغانيه وصدورها. وأول هذا الصوت:

ألا يا حمام الشعب شعب مورقٍ سقتك الغوادي من حمامٍ ومن شعب

قال: وإذا مع حسين رقعة من مولاه: سمعتك يا سيدي تغني عند الأمير أبي إسحاق إبراهيم ابن المهدي:

ألا يا حمامي قصر دوران هجمتما بقلبي الهوى لما تغنيتما ليا

أحب أن تطرحه على عبدك حسين. قال: فدعا بغلامٍ له يسمى عبد آل فطحه عليه حتى أحكماه ثم عرضاه عليه حتى صح لهما. فلما أعلم أنه مر لنا يوم يقارب طيب ذلك اليوم وحسنه .
وصف الواثق له: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: سمعت أبي يقول سمعت الواثق يقول: علويه أصح الناس صنعة بعد إسحاق، وأطيب الناس صوتاً بعد مخارق، وأضرب الناس بعد ربربٍ وملاحظ، فهو مصلي كل سابقٍ قادرٍ، وثاني كل أول واصلٍ متقدمٍ. قال: وكان الواثق يقول: غناء علويه مثل نقر الطست يبقى ساعةً في السمع بعد سكوته .
خطأ إسحاق لحناً غناه المعتصم فرد هو عليه: نسخت من كتاب أبي العباس بن ثوابة بخطة: حدثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدثني عبد الله بن العباس الربيعي قال: اجتمعت يوماً بين يدي المعتصم وحضر إسحاق الموصلي، فغنى علويه:

لعبدة دار ما تكلمنا الدار تلوح مغانيها كما لاح أسطار

فقال إسحاق: أخطأت فيه، ليس هو كذلك. فغضب علويه وقال: أم من أخذنا عنه هكذا زانية. فقال إسحاق: وشتمنا قبحه الله، ، وسكت وبان ذلك فيه. قال: وكان علويه أخذه من أبيه .
كان أعسر وعوده مقلوب الأوتار: حدثني عمي قال حدثنا هارون بن مخارق قال: كان علويه أعسر وكان عوده مقلوب الأوتار: البم أسفل الأوتار كلها، ثم المثلث فوقه، ثم المثنى، ثم الزير، وكان عوده إذا كان في يد غيره على هذه الصفة، وإذا كان معه أخذه باليمنى وضرب باليسرى، فيكون مستوياً في يده ومقلوباً في يد غيره .
كان بينه وبين ابن أخته الخلنجي القاضي منازعة فغنى بشعره للمأمون فعزله عن القضاء: أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيع قال كان الخلنجي القاضي، واسمه عبد الله بن محمد ، ابن أخت علويه المغني، وكان تياهاً صلفاً، فتقلد في خلافة الأمين قضاء الشرقية ، فكان يجلس إلى أسطوانة من أساطين المسجد فيستند إليها بجميع جسده ولا

يتحرك، فإذا تقدم إليه الخصمان أقبل عليهما بجميع جسده وترك الاستناد حتى يفصل بينهما ثم يعود لحاله. فعمد بعض المجان إلى رقعةٍ من الرقاع التي يكتب فيها الدعاوى فألصقها في موضع ذنبته بالدبق ومكن منها الدبق. فلما تقدم إليه الخصوم وأقبل عليهم بجميع جسده كما كان يفعل انكشفت رأسه وبقيت الذنبة موضعها مصلوبة ملتصقةً، فقام الخلنجي مغضباً وعلم أنها حيلة وقعت عليه، فغطى رأسه بطيلسانه وقام وانصرف وتركها مكانها، حتى جاء بعض أعوانه فأخذها. وقال بعض شعراء ذلك العصر فيه هذه الأبيات:

إن الخلنجي من تتايهه ... أثقل بادٍ لنا بطلعته

ما إن لذي نخوةٍ مناسبةٍ ... بين أخاوينه وقصعته

يصالح الخصم من يخاصمه ... خوفاً من الجور في قضيته

لو لم تدبقه كف قانصه ... لطار تيهاً على رعيته

قال وشهرت الأبيات والقصة ببغداد، وعمل له علويه حكايةً أعطاها للزفانين والمخنثين فأحرجوه فيها، وكان علويه يعاديه لمنازعةٍ كانت بينهما ففضحه، واستعفى الخلنجي من القضاء ببغداد وسأل أن يولى بعض الكور البعيدة، فولي جند دمشق أو حمص. فلما ولي المأمون الخلافة غناه علويه بشعر الخلنجي فقال:

برئت من الإسلام إن كان ذا الذي ... أتاك به الواشون عني كما قالوا

ولكنهم لما رأوك غرية ... بهجري تواصوا بالنميمة واحتالوا

فقد صرت أذناً للوشاة سميعةً ... ينالون من عرضي وإن شئت ما نالوا

فقال له المأمون: من يقول هذا الشعر؟ فقال: قاضي دمشق. فأمر المأمون بإحضاره، فكتب إلى صاحب دمشق بإشخاصه فأشخص، وجلس المأمون للشرب وأحضر علويه، ودعا بالقاضي فقال له: أنشدني قولك:

برئت من الإسلام إن كان ذا الذي ... أتاك به الواشون عني كما قالوا

فقال له: يا أمير المؤمنين هذه أبيات قلتها منذ أربعين سنةً وأنا صبي، والذي أكرمك بالخلافة وورثك ميراث النبوة ما قلت شعراً منذ أكثر من عشرين سنةً إلا في زهدٍ أو عتاب صديق. فقال له: اجلس فجلس، فناوله قدح نبيذ التمر أو الزبيب. فقال: لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرف شيئاً منها. فأخذ القدح من يده وقال: أما والله لو شربت شيئاً من هذا لضربت عنقك، وقد ظننت أنك صادق في قولك كله، ولكن لا يتولى لي القضاء رجل بدأ في قوله بالبراءة من الإسلام، انصرف إلى منزلك. وأمر علويه فغير الكلمة وجعل مكانها: حرمت مناي منك .

ضربه الأمين بوشاية ابن الربيع ثم تقرب بذلك إلى المأمون فلم ير منه ما يحب: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: كان علويه بين يدي الأمين، فغنى في بعض غنائه:

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد ... وشفت أنفسنا مما تجد

وكان الفضل بن الربيع يطعن عليه، فقال للأمين: إنما يعرض بك ويستبطئ المأمون في محاربته، فأمر به فضرب خمسين سوطاً وجر برجله، وجفاه مدةً، حتى ألقى نفسه على كوثرٍ فترضاه له ورد إلى خدمته، وأمر له بخمسة آلاف دينار. فلما قدم المأمون تقرب إليه بذلك، فلم يقع له بحيث يحب، وقال له: إن الملك بمنزلة الأسد أو النار، فلا تتعرض لما يغضبه، فإنه ربما جرى منه ما يتلفك ثم لا تقدر بعد ذلك على تلافي ما فرط منه ، و لم يعطه شيئاً .

غضب الأمين على إبراهيم الموصلي بعد موته لتقديم اسم المأمون عليه في شعره وترضاه ابنه إسحاق: ومثل هذا من فعل الأمين، ما حدثني به محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال: دخلت على الأمين فرأيته مغضباً كالحاً، فقلت له: ما لأمير المؤمنين تمم الله سروره ولا نغصه أراه كالحائر؟ قال: غاظني أبوك الساعة لا رحمه الله! والله لو كان حياً لضربته خمسمائة سوطٍ، ولولاك لنبشت الساعة قبره وأحرقت عظامه. فقمت على رجلي وقلت: أعوذ بالله من سخطك يا أمير المؤمنين! ومن أبي وما مقداره حتى تغتاظ منه! وما الذي غاظك فلعل له فيه عذراً؟ فقال: شدة محبته للمأمون وتقديمه إياه حتى قال في الرشيد شعراً يقدمه فيه علي وغناه فيه، وغنيته الساعة فأورثني هذا الغيظ. فقلت: والله ما سمعت بهذا قط ولا لأبي غناء إلا وأنا أرويه، ما هو؟ فقال قوله:

أبو المأمون فينا والأمين له كنفان من كرمٍ ولين

فقلت له: يا أمير المؤمنين لم يقدم المأمون في الشعر لتقديمه إياه في الموالاة، ولكن الشعر لم يصح وزنه إلا هكذا. فقال: كان ينبغي له إذا لم يصح الشعر إلا هكذا أن يدعه إلى لعنة الله. فلم أزل أداريه وأرفق به حتى سكن. فلما قدم المأمون سألني عن هذا الحديث فحدثته به، فجعل يضحك ويعجب منه .

مدحه عبد الله بن طاهر: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: سمعت أبي يقول: لو خيرت لوناً من الطعام لا أزيد عليه غيره لاخترت الدراجة ؛ لأني إن زدت في خلها صارت سكباجة ، وإن زدت في مائها صارت إسفيد باجةً ، وإن زدت في تصبيرها بل في تشييطها صارت مطجنة ، ولو اقتصرت على رجل واحد لما اخترت سوى علويه؛ لأنه إن حدثني ألهاني، وإن غناني أشجاني، وإن رجعت إلى رأيه كفاني .

حضر عند سعيد بن عجيف فأكرمه ثم طلبه عجيف: حدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد الأبزاري قال: كنت عند سعيد بن عجيفٍ أنا وعبد الوهاب بن الخصيب وعبد الله بن صالح صاحب المصلى، إذ دخل عليه حاجبه فقال له: علويه بالباب، فأذن له فدخل. فقال له: لا تحمدني فإني لم يجئني رسول رجلٍ اليوم، فعرضت إخواني جميعاً على قلبي فلم يقع عليه غيرك. فدعا له ببرذونٍ أدهم بسرجه ولجامه فأهداه إليه، وجلسنا نشرب وعلويه يغني. فلما توسطنا أمرنا جاء رسول عجيفٍ يطلبه في منزله، فقالوا له: هو

عند ابنه سعيد. فأتاه الرسول فقال له: أجب الأمير. فقلنا: هذا شيء ليس فيه حيلة. وقد جاء الرسول وهو يغني: صوت:

ألم تر أني يوم جو سويقةٍ بكيت فنادتني هنيدة ما ليا

فقلت لها إن البكاء لراحة به يشتفي من ظن أن لا تلاقيا

لحن علويه في هذا رمل. والشعر للفرزدق قال: فقام علويه ثم قال: هو ذا، أمضي إلى الأمير فأحدثه بحديثنا وأستأذنه في الانصراف بوقتٍ يكون فيه فضل لكم. فانصرف بعد المغرب ومعه جام، فيه مسك وعشرة آلاف درهمٍ ومنيان فيهما رماطون ، فقال: جئت أشرب عندكم، وآخذه وأنصرف إلى إنسانٍ له عندي أيادٍ يعني علي بن معاذٍ أخا يحيى ابن معاذ فلم يزل عندنا حتى هم بالانصراف. فلما رأيت ذلك فيه قمت قبله فأتيت منزل علي ابن معاذٍ، فقيل له: ابن الأبزاري بالباب. فبعث إلي: إن أردت مضاء فخذه يعني غلاماً كان يغني ، فقلت له: لست أريده، إنما أريدك أنت، فأذن لي فدخلت. فقال: ألك حاجة في هذا الوقت؟ فقلت: الساعة يجيئك علويه. فقال: وما يدريك؟ فحدثته بالحديث. ودخل علويه، فقال لي: ما جاء بك إلى ها هنا فقلت : ما كنت لأدع بقية ليلتي هذه تضيع، فما زال يغنينا ونشرب حتى نام الناس ثم انصرفنا .

فضله عمرو بن بانة على نفسه: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثنا هارون بن مخارق قال حدثني أبي قال: قلت لعمرو بن بانة: أيما أجود صنعتك أم صنعة علويه؟ فقال: صنعة علويه، لأنه ضارب وأنا مرتجل. ثم أطرق ساعة وقال: لا أكذبك يا أبا المهنأ والله ما أحسن أن أصنع مثل صنعة علويه:

فوا حسرتا لم أقض منك لبانةً ولم أتمتع بالجوار وبالقرب

ولا مثل صنعته:

هزئت أميمة أن رأت ظهري انحنى وذؤابتي علت بماء خضاب

ولا مثل صنعته:

ألا يا حمامي قصر دوران هجتما لقلبي الهوى لما تغنيتما ليا

وقد مضت نسبة هذه الأصوات .

غنى في شعر هجى به علي بن الهيثم فأغرى الفضل بن الربيع به الأمين حتى ضربه ثم رضي عنه: حدثني جحظة قال حدثني أحمد بن الحسين بن هشام أبو عبد الله قال حدثني أحمد بن الخليل ابن هشام قال: كان بين علويه وبين علي بن الهيثم جونقا شر في عربدةٍ وقعت بينهما بحضرة الفضل بن الربيع وتمادى الشر بينهما، فغنى علويه في شعرٍ هجاه به أبو يعقوب في حاجة، فهجاه وذكر أنه دعي. وكان جونقا يدعي أنه من بني تغلب، فقال فيه أبو يعقوب:

يا علي بن هيثمٍ يا جونقا أنت عندي من الأراقم حقا

عربي وجده نبطي! فدبنقا لذا الحديث دبنقا

قد أصابتك في التقرب عين فاستنارت لشهبها الفلك برقا

وإذا قال إنني عربي فانتهزه وقل له أنت شفقا

وللخريمي فيه أهاجٍ كثيرة نبطية فغنى علويه لحناً صنعه في هذه الأبيات بحضرة الأمين وكان الفضل بن الربيع حاضراً فقال: يا أمير المؤمنين علي بن الهيثم كابني، وإذا استخف به فإنما استخف بي. فقال الأمين: خذوه، فأخذوه وضرب ثلاثين درةً، وأمر بإخراجه. فطرح علويه نفسه على كوثرٍ فاستصلح له الفضل بن الربيع، وترضى له المين حتى رضي عنه ووهب له خمسة آلاف دينار .

ادعى أنه لو شاء جعل الغناء كالجوز فرد عليه إسحاق بما أخجله: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني مخارق قال: غنى علويه يوماً بحضرة الواثق هذا الصوت: صوت:

من صاحب الدهر لم يحمد تصرفه عناً وللدهر إحلاء وإمرار

ولحنه ثقيل أول فاستحسنه الواثق وطرب عليه. فقال علويه: والله لو شئت لجعلت الغناء في أيدي الناس أكثر من الجوز، وإسحاق حاضر بين يدي الواثق، فتضاحك ثم قال: يا أبا الحسن، إذا تكون قيمته مثل قيمة الجوز، ليتك إذ قللته صنعت شيئاً، فكيف إذا كثرته! فخجل علويه حتى كأنما ألقمه إسحاق حجراً، ما انتفع بنفسه يومئذٍ .

ترك موعد المأمون ليذهب إلى عريب ثم غناه بما صنعاه فاستظرفه: حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني عبد الله الهشامي قال:

قال لي علويه: أمرنا المأمون أن نباكره لنصطبح، فلقيني عبد الله بن إسماعيل المراكبي مولى عريب، فقال: أيها الظالم المعتدي أما ترحم ولا ترق، عريب هائمة من الشوق إليك تدعو الله وتستحكمه عليك وتحلم بك في نومها كل ليلة ثلاث مرات. قال علويه: فقلت أم الخلافة زانية، ومضيت معه. فحين دخلت قلت: استوثق من الباب، فأنا أعرف الناس بفضول الحجاب، فإذا عريب جالسة على كرسي تطبخ ثلاث قدور من دجاجٍ. فلما رأتني قامت فعانقتني وقبلتني وقالت: أي شيء تشتهي؟ فقلت: قدراً من هذه القدور، فأفرغت قدراً بيني وبينها فأكلنا، ودعت بالنبيذ فصبت رطلاً فشربت نصفه وسقتني نصفه، فما زلت أشرب حتى كدت أن أسكر. ثم قالت: يا أبا الحسن، غنيت البارحة في شعرٍ لأبي العتاهية أعجبني، أفتسمعه مني وتصلحه؟ فغنت: صوت:

عذيري من الإنسان لا إن جفوته صفا لي ولا إن صرت طوع يديه

وإني لمشتاق إلى ظل صاحبٍ يروق ويصفو إن كدرت عليه

فصيرناه مجلساً. وقالت: قد بقي فيه شيء، فلم أزل أنا وهي حتى أصلحناه. ثم قالت: وأحب تغني أنت فيه أيضاً لحناً، ففعلت. وجعلنا نشرب على اللحنين ملياً. ثم جاء الحجاب فكسروا الباب واستخرجوني، فدخلت إلى

المأمون فأقبلت أرقص من أقصى الإيوان وأصفق وأغني بالصوت، فسمع المأمون والمغنون ما لم يعرفوه فاستظرفوه، وقال المأمون: ادن يا علويه ورده ، فرددته عليه سبع مرات. فقال لي في آخرها عند قولي:

يروق ويصفو إن كدرت عليه

يا علويه خذ الخلافة وأعطني هذا الصاحب .

لحن عريب في هذا الشعر رمل. وفيه لعلويه لحنان: ثاني ثقيلٍ، وماخوري .

سمع منه إبراهيم بن المهدي صوتين فحسده: وقال العتابي حدثني أحمد بن حمدون قال: غاب عنا علويه مدةً ثم صار إلينا. فقال له إبراهيم بن المهدي: ما الذي أحدثت بعدي من الصنعة يا أبا الحسن؟ قال: صنعت صوتين. قال: فهاتهما إذاً؛ فغناه: صوت:

ألا إن لي نفسين نفساً تقول لي تمتع بليلى ما بدا لك لينها

ونفساً تقول استبق ودك واتئد ونفسك لا تطرح على من يهينها

لحن علويه في هذين البيتين خفيف ثقيل قال: فرأيت إبراهيم بن المهدي قد كاد يموت من حسده وتغير لونه و لم يدر ما يقول له؛ لأنه لم يجد في الصوت مطعناً، فعدل عن الكلام في هذا المعنى وقال: هذا يدل على أن ليلى هذه كانت من لينها مثل الموم بالبنفسج، فسكت علويه. ثم سأله عن الصوت الآخر فغناه .

صوت:

إذا كان لي شيئان يا أم مالكٍ فإن لجاري منهما ما تخيرا

وفي واحدٍ إن لم يكن غير واحدٍ أراه له أهلاً إذا كان مقترا

والشعر لحاتمٍ الطائي. لحن علويه في هذين البيتين أيضاً خفيف ثقيلٍ. وقد روي أن إبراهيم الموصلي صنعه ونحله إياه، وأنا أذكر خبره بعقب هذا الخبر قال أحمد بن حمدون: فأتى والله بما برز على الأول وأوفى عليه؛ وكاد إبراهيم يموت غيظاً وحسداً لمنافسته في الصنعة وعجزه عنها. فقال له: وإن كانت لك امرأتان يا أبا الحسن حبوت جارك منهما واحدةً؟ فخجل علويه وما نطق بصوتٍ بقية يومه .

نحله إبراهيم الموصلي صوتاً فلم يظهره إلا أمام المأمون: وحدثني عمي عن علي بن محمد عن جده حمدون هذا الخبر، ولفظه أقل من هذا .

فأما الخبر الذي ذكرته عن علويه أن إبراهيم الموصلي نحله هذا الصوت. فحدثني جحظة قال حدثني ابن المكي المرتجل وهو محمد بن أحمد بن يحيى قال حدثني علويه قال: قال إبراهيم الموصلي يوماً: إني قد صنعت صوتاً وما سمعه مني أحد بعد، وقد أحببت أن أنفعك وأرفع منك بأن ألقيه عليك وأهبه لك، ووالله ما فعلت هذا بإسحاق قط وقد خصصتك به، فانتحله وادعه، فلست أنسبه إلى نفسي وستكسب به مالاً. فألقى علي قوله:

إذا كان لي شيئان يا أم مالكٍ فإن لجاري منهما ما تخيرا

فأخذته وادعيته وسترته طول أيام الرشيد خوفاً من أنهم فيه وطول أيام الأمين حتى حدث عليه ما حدث. وقدم المأمون من خراسان وكان يخرج إلى الشماسية دائماً يتنزه، فركبت في زلالٍ وجئت أتبعه، فرأيت حراقة علي بن هشام، فقلت للملاح: اطرح زلالي على الحراقة ففعل، واستؤذن لي فدخلت وهو يشرب مع الجواري وما كانوا يحجبون جواريهم في ذلك الوقت ما لم يلدن فإذا بين يديه متيم وبذل من جواريه، فغنيته الصوت فاستحسنه جداً وطرب عليه وقال: لمن هذا؟ فقلت: هذا صوت صنعته وأهديته لك، و لم يسمعه أحد قبلك، فازداد به عجباً وطرباً وقال لها: خذيه عنه، فألقيته عليها حتى أخذته، فسر بذلك وطرب، وقال لي : ما أجد لك مكافأةً على هذه الهدية إلا إن أتحول عن هذه الحراقة بما فيها وأسلمه إليك أجمع. فتحول إلى أخرى، وسلمت الحراقة بخزانتها وجميع آلاتها إلي وكل شيء فيها، فبعث ذلك بمائةٍ وخمسين ألف درهمٍ واشتريت بها ضيعتي الصالحية .

غنى المأمون لحناً في بيت لم يعرفه أحد ثم عرف بعد: حدثني جحظة قال ابن المكي المرتجل عن أبيه قال قال إسحاق بن حميدٍ كاتب أبي الرازي، وحدثني به عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني حسان بن محمد الحارثي عن إسحاق بن حميدٍ كاتب أبي الرازي قال: غنى علويه الأعسر يوماً بين يدي المأمون :

تخيرت من نعمان عود أراكةٍ لهندٍ فمن هذا يبلغه هندا

فقال المأمون: اطلبوا لهذا البيت ثانياً فلم يعرف، وسأل كل من بحضرته من أهل الأدب والرواة والجلساء عن قائل هذا الشعر فلم يعرفه أحد. فقال إسحاق بن حميد: لما رأيت ذلك عنيت بهذا الشعر وجهدت في المسألة وطلبته ببغداد عند كل متأدب وذي معرفةٍ فلم يعرفه. وقلد المأمون أبا الرازي كور دجلة وأنا أكتب له، ثم نقله إلى اليمامة والبحرين. قال إسحاق ابن حميد: فلما خرجنا ركبت مع أبي الرازي في بعض الليالي على حمارة، فابتدأ الحادي يحدو بقصيدةٍ طويلةٍ، وإذا البيت الذي كنت أطلبه، فسألته عنها فذكر أنها للمرقش الأكبر، فحفظت منها هذه الأبيات:

خليلي عوجا بارك الله فيكما وإن لم تكن هند لأرضكما قصدا
وقولا لها ليس الضلال أجازنا ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا
تخيرت من نعمان عود أراكةٍ لهندٍ فمن هذا يبلغه هندا
وأنطيته سيفي لكيما أقيمه فلا أوداً فيه استنبت ولا خضدا
ستبلغ هنداً إن سلمنا قلائص مهاري يقطعن الفلاة بنا وخدا
فلما أنحنا العيس قد طار سيرها إليهم وجدناهم لنا بالقرى حشدا
فناولتها المسواك والقلب خائف وقلت لها يا هند أهلكتنا وجدا
فمدت يداً في حسن دلٍ تناولاً إليه وقالت ما أرى مثل ذا يهدى

وأقبلت كالمجتاز أدى رسالةً وقامت تجر الميساني والبردا

تعرض للحي الذين أريدهم وما التمست إلا لتقتلني عمدا

فما شبه هندٍ غير أدماء خاذلٍ من الوحش مرتاع طلاً فردا

قال: فكتب بها إلى المأمون فاستحسنت ورويت، وأمر علويه فصنع في البيتين الأولين منها غناء يشبه . أغاني علويه في هذه الأبيات: اللحن الأول في قوله:

تخيرت من نعمان عود أراكةٍ

غناه علويه وليس اللحن له، اللحن لإبراهيم خفيف ثقيلٍ بالبنصر. ولحنه الثاني الذي أمره أن يصنعه في:

خليلي عوجا بارك الله فيكما

رمل .

دفع إلى المعتصم رقعة في أمر رزقه ثم غناه بشعر لابن هرمة: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: عرض علويه على المعتصم رقعةً في أمر رقعةً في أمر رزقه وإقطاعه وهو يشرب دفعها إليه من يده، فلما أخذها اندفع علويه يغني: صوت:

إني أستحيتك أن أفوه بحاجتي فإذا قرأت صحيفتي فتفهم

وعليك عهد الله إن خبرته أحداً ولا أظهرته بتكلم

فقرأ المعتصم الرقعة وهو يضحك، ثم وقع له فيها بما أراد .

الشعر لابن هرمة كتب به إلى بعض آل أبي طالبٍ وهو إبراهيم بن الحسن يطلب منه نبيذاً وقد خرج هو وأصحابه إلى السيالة ، فكتب إليه البيت الأول على ما رويناه، والثاني غيره المغنون، وهو:

وعليك عهد الله إن أعلمته أهل السيالة إن فعلت وإن لم

فلما قرأ الرقعة قال: علي عهد الله إن لم أعلم به عامل السيالة. وكتب إلى عامل السيالة : إن ابن هرمة وأصحاباً له سفهاء يشربون بالسيالة، فاركب إليهم ونذروا به، فهرب، وقال يهجو إبراهيم:

كتبت إليك أستهدي نبيذاً وأدلي بالمودة والحقوق

فخيرت الأمير بذاك جهلاً وكنت أخا مفاضحةٍ وموق

حدثني بذلك الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير. وقد ذكرته في أخبار ابن هرمة . والغناء لعبادل .

غنى هو ومخارق معترضين بفرس كميت للمعتصم فأعطاهما غيره: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني موسى بن هارون الهاشمي قال حدثني أبي قال: كنت واقفاً بين يدي المعتصم وهو جالس على حير الوحش والخيل تعرض

عليه وهو يشرب وبين يديه علويه ومخارق يغنيان، فعرض عليه فرس كميت أحمر ما رأيت مثله قط، فتغامز علويه ومخارق، وغناه علويه:

وإذا ما شربوها وانتشوا وهبوا كل جوادٍ وطمر

فتغافل عنه. وغناه مخارق:

يهب البيض كالظباء وجرداً تحت أجلالها وعيس الركاب

فضحك ثم قال: اسكتا يا ابني الزانيتين، فليس يملكه والله واحد منكما. قال: ثم دار الدور، فغنى علويه:

وإذا ما شربوها وانتشوا وهبوا كل بغالٍ وحمر

فضحك وقال: أما هذا فنعم، وأمر لأحدهما ببغلٍ وللآخر بحمار .

اجتمع مع أصحاب له عند زلبهزة ومعه هاشمي حصلوا منه بحيلة على مال: حدثني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد الأبزاري قال: كنا عند زلبهزة النخاس، وكانت عنده جارية يقال لها خشف ابتاعها من علويه، وذلك في شهر رمضان، ومعنا رجل هاشمي من ولد عبد الصمد بن علي يقال له عبد الصمد، وإبراهيم بن عمرو بن نهبون وكان يحبها، فأعطى بها زلبهزة أربعة آلاف دينارٍ فلم يبعها منه، وبقيت معه حتى توفيت، فغنتنا أصواتاً كان فيها:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة محزونٍ ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب المسلم

وأبرزت طرفي نحوها لأجيبها وقلت لها قول امرئ غير معجم

هنيئاً لكم قتلي وصفو مودتي وقد سيط في لحمي هواك وفي دمي

الغناء لابن عائشة ثقيل أول عن الهشامي قال: فلما وثبنا للانصراف قال لنا وقد اشتد الحر: أقيموا عندي. فوجهت غلاماً معي وأعطيته ديناراً وقلت له ابتع فراريج بعشرة دراهم وثلجاً بخمسة دراهم وعجّل، فجاء بذلك فدفعه إلى زلبهزة وأمره بإصلاح الفراريج ألواناً، وكتب إلى علويه فعرفته خبرنا، فجاءنا وأقام، وأمطرنا عند زلبهزة، وشرب منا من كان يستجيز الشراب، وغنى علويه لحناً ذكر أنه لابن سريجٍ ثقيل أول، فاستغربه الجماعة، وهو: صوت:

يا هند إن الناس قد أفسدوا ودك حتى عزني المطلب

يا ليت من يسعى بنا كاذباً عاش مهاناً في أذى يتعب

هبيه ذنباً كنت أذنبته قد يغفر الله لمن يذنب

وقد شجاني وجرت دمعتي أن أرسلت هند وهي تعتب

ما هكذا عاهدتنا في منًى ... ما أنت إلا ساحر تخلب

حلفت لي بالله لا تبتغي ... غيرك ما عشت ولا نطلب

قال: وقام عبد الصمد الهاشمي ليبول. فقال علويه: كل شيء قد عرفت معناه: أما أنت فصديق الجماعة، وهذا يتعشق هذه، وهذا مولاها، وأنا ربيتها وعلمتها، وهذا الهاشمي أيشٍ معناه! فقلت لهم: دعوني أحكه وآخذ لزلبهزة منه شيئاً. فقال: لا والله ما أريد. فقلت له: أنت أحمق، أنا آخذ منه شيئاً لا يستحي القاضي من أخذه. فقال: إن كان هكذا فنعم. فقلت له إذا جاء عبد الصمد فقل لي: ما فعل الآجر الذي وعدتني به، فإن حائطي قد مال وأخاف أن يقع، ودعني والقصة. فلما جاء الهاشمي قال لي زلبهزة ما أمرته به، فقلت: ليس عندي آجر، ولكن اصبر حتى أطلب لك من بعض أصدقائي، وجعلت أنظر إلى الهاشمي نظر متعرضٍ به. قال الهاشمي: يا غلام دواةً ورقعةً، فأحضر ذلك. فكتب له بعشرة آلاف آجرةٍ إلى عامل له، وشربنا حتى السحر وانصرفنا. فجئت برقعته إلى الآجري ثم قلت: بكم تبيعه الآجر؟ فقال: بسبعة وعشرين درهماً الألف. قلت فبكم تشتريه مني؟ قال: بنقصان ثلاثة دراهم في الألف. فقلت: فهات، فأخذت منه مائتين وأربعين درهماً، واشتريت منها نبيذاً وفاكهةً وثلجاً ودجاجاً بأربعين درهماً، وأعطيت زلبهزة مائتي درهم وعرفته الخبر، ودعونا علويه والهاشمي وأقمنا عند زلبهزة ليلتنا الثانية. فقال علويه: نعم! الآن صار للهاشمي عندكم موضع ومعنى .

هو مصلي كل سابق في الصنعة والضرب وطيب الصوت: أخبرني جحظة قال حدثني أحمد بن حمدون قال حدثني أبي قال: قال لنا الواثق يوماً: من أحذق الناس بالصنعة؟ قلنا إسحاق؟ قال: ثم من؟ قلنا: علويه. قال: فمن أضرب الناس؟ قلنا: ثقيف . قال: ثم من؟ قلنا: علويه؟ قال: فمن أطيب الناس صوتاً؟ قلنا: مخارق. قال: ثم من؟ قلنا: علويه. قال: اعترفتم بأنه مصلي كل سابقٍ، وقد جمع الفضائل كلها وهي متفرقة فيهم، فما ثم ثانٍ لهذا الثالث .

غنى المأمون في دمشق بما أسره فغضب عليه وشتمه: وحدثني جحظة قال حدثني محمد بن أحمد المكي المرتجل قال حدثني أبي قال: دخلت إلى علويه أعود من علة اعتلها ثم عوفي منها، فجرى حديث المأمون، فقال لي: كدت علم الله أذهب دفعةً ذات يومٍ وأنا معه لولا أن الله تعالى سلمني ووهب لي حلمه. فقلت: كيف كان السبب في ذلك؟ فقال: كنت معه لما خرج إلى الشام، فدخلنا دمشق فطفنا فيها، وجعل يطوف على قصور بني أمية ويتبع آثارهم، فدخل صحناً من صحونهم، فإذا هو مفروش بالرخام الأخضر كله وفيه بركة ماء يدخلها ويخرج منها من عين تصب إليها، وفي البركة سمك، وبين يديها بستان على أربع زواياه أربع سروات كأنها قصت بمقراض من التفافها أحسن ما رأيت من السرو قط قداً وقدراً. فاستحسن ذلك، وعزم على الصبوح، وقال: هاتوا لي الساعة طعاماً خفيفاً، فأتي ببزماوردٍ فأكل، ودعا بشرابٍ، وأقبل علي وقال: غني ونشطني، فكأن الله عز وجل أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت:

لو كان حولي بنو أمية لم تنطق رجال أراهم نطقوا

فنظر إلي مغضباً وقال: عليك وعلى بني أمية لعنه الله! ويلك! أقلت لك سؤني أو سرني! ألم يكن لك وقت تذكر فيه بني أمية إلا هذا الوقت تعرض بي !. فتحيلت عليه وعلمت أني قد أخطأت ، فقلت: أتلومني على أن أذكر بني أمية! هذا مولاكم زرياب عندهم يركب في مائتي غلامٍ مملوكٍ له، ويملك ثلاثمائة ألف دينارٍ وهبوها له سوى الخيل والضياع والرقيق، وأنا عندكم أموت جوعاً. فقال أو لم يكن لك شيء تذكرني به نفسك غير هذا! فقلت: هكذا حضرني حين ذكرتهم فقال: اعدل عن هذا وتنبه على إرادتي. فأنساني الله كل شيء أحسنه إلا هذا الصوت:

الحين ساق إلى دمشق ولم أكن أرضى دمشق لأهلنا بلدا

فرماني بالقدح فأخطأني فانكسر القدح، وقال: قم عني إلى لعنة الله وحر سقر، وقام فركب. فكانت والله تلك الحال آخر عهدي به، حتى مرض ومات . قال: ثم قال لي: يا أبا جعفر كم تراني أحسن! أغني ثلاثة آلاف صوت، أربعة آلاف صوت، خمسة آلاف صوت، أنا والله أغني أكثر من ذلك، ذهب علم الله كله حتى كأني لم أعرف غير ما غنيت. ولقد ظننت أنه لو كانت لي ألف روح ما نجت منه واحدة منها، ولكنه كان رجلاً حليماً، وكان في العمر بقية .

نسبة هذين الصوتين المذكورين

في الخبر:

صوت:

لو كان حولي بنو أمية لم تنطق رجال أراهم نطقوا

من كل قرمٍ محضٍ ضرائبه عن منكبيه القميص ينخرق

الشعر لعبد الله بن قيس الرقيات. والغناء لمعبد، ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، وذكر الهاشمي أنه لابن سريج. وذكر ابن خرداذبه أن فيه لدكين بن عبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاصي لحناً من الثقيل الأول، وأن دكيناً مدني كان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان .

صوت:

الحين ساق إلى دمشق وما كانت دمشق لأهلنا بلدا

قادتك نفسك فاستقدت لها وأريت أمر غوايةٍ رشدا

لعمر الوادي في هذا الشعر ثقيل أول بالوسطى عن ابن المكي. قال: وفيه ليعقوب الوادي رمل بالبنصر .

اعترض علي خضابه فأجاب: حدثني عمي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال سمعت الحسن بن وهبٍ الكاتب يحدث: أن علويه كان يصطبح في يوم خضابه مع جواريه وحرمه، ويقول: أجعل صبوحي في أحسن ما يكون عند جواري. فقيل له: إن ابن سيرين كان يقول: لابأس بالخضاب ما لم تغرر به امرأة مسلمة. فقال: إنما كره لئلا يتصنع به لمن لا يعرفه من الحرائر فيتزوجها على أنه شاب وهو شيخ، فأما الإماء فهن ملكي، وما أريد أن أغرهن .

قال الحسن: فتعالل علويه على المعتصم ثلاثة أيامٍ متوالية واصطبح فيها، فدعاني، وكان صوته على جواريه في شعر الأخطل:

كأن عطارةً باتت تطيف به حتى تسربل مثل الورس وانتعلا

فقال لي: كيف رويته؟ فقلت له: قرأت شعر الأخطل وكان أعلم الناس به، كان يختار، تسرول، ويقول: إنما وصف ثوراً دخل روضة فيها نوار أصفر فأثر في قوائمه وبطنه فكان كالسراويل، لا أنه صار له سربل. ولو قال: تسربل أيضاً لم يكن فاسداً، ولكن الوجه تسرول .

مدح إسحاق لحناً له: خبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال: قدمت من سر من رأى قدمةً بعد طول غيبة، فدخلت إلى إسحاق الموصلي، فسلم علي وسألني خبري وخبر الناس حتى انتهيا إلى ذكر الغناء، فسألني عما يتشاغل الناس من الأصوات المستجادة . فقلت له: تركت الناس كلهم مغرمين بصوتٍ لك. قال: وما هو؟ فقلت:

ألا يا حمامي قصر دوران هجتما

فقال: ليس ذلك لي، ذاك لعلويه. وقد لعمري أحسن فيه وجود ما شاء .

قال المأمون أبياتاً فغناه فيها فوصله: أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال حدثني علويه قال: خرج المأمون يوماً ومعه أبيات قد قالها وكتبها في رقعة بخطه، وهي: صوت:

خرجنا إلى صيد الظباء فصادني هناك غزال أدعج العين أخور

غزال كأن البدر حل جبينه وفي خده الشعرى المنيرة تزهر

فصاد فؤادي إذا رماني بسهمه وسهم غزال الإنس طرف ومحجر

فيا من رأى ظبياً يصيد ومن رأى أخا قنصٍ يصطاد قهراً ويقسر

قال: فغنيته فيها ، فأمر لي بعشرة آلاف درهم .

قال أبو القاسم جعفر بن قدامة: لحن في هذا الشعر ثقيل أول ابتداؤه نشيد .

غنى في مجلس الرشيد بما أغضبه عليه: أخبرني محمد بن مزيدٍ قال حدثني حماد عن أبيه قال: غنيت الرشيد يوماً:

هما فتاتان لما يعرفا خلقي وبالشباب على شيبتي يدلان

فطرب وأمر لي بألف دينار. فقال له ابن مجامع وكان أحسد الناس: اسمع غناء العقلاء ودع غناء المجانين وكنت أخذت هذا الصوت من مجنون بالمدينة كان يجيده ثم غنى قوله:

ولقد قالت لأترابٍ لها كالمها يلعبن في حجرتها

خذن عني الظل لا يتبعني وغدت تسعى إلى قبتها

فطرب وأمر له بألف وخمسمائة دينار. ثم تغنى وجه القرعة:

يمشون فيها بكل سابغةٍ أحكم فيها القتير والحلق

فاستحسنه وشرب عليه وأمر له بخمسمائة دينار. ثم تغنى علويه:

وأرى الغواني لا يواصلن أمرأً فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

فدعاه الرشيد وقال له: يا عاض بظر أمه! تغني في مدح المرد وذم الشيب وستارتي منصوبة وقد شبت! كأنك إنما عرضت بي! ثم دعا بمسرور فأمره أن يأخذ بيده فيضربه ثلاثين درةً ولا يرده إلى مجلسه ففعل ذلك، ولم ينتفع الرشيد يومئذٍ بنفسه ولا انتفعنا به بقية يومنا، وجفا علويه شهراً فلم يأذن له حتى سألناه فأذن له .

نسبة هذه الأصوات التي تقدمت: صوت:

هما فتاتان لما يعرفا خلقي وبالشباب على شيبي يدلان

كل الفعال الذي يفعلنه حسن يضني فؤادي ويبدي سر أشجاني

بل احذرا صولةً من صول شيخكما مهلاً عن الشيخ مهلاً يا فتاتان

لم يقع إلي شاعره. فيه لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن سريج رمل بالبنصر عن عمرو. وفيه لسليمان المصاب رمل كان يغنيه، فدس الرشيد إليه إسحاق حتى أخذه منه، وقيل: بل دس عليه ابن جامع .

خبر أخذ إسحاق صوتاً من سليمان المصاب: أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: دعاني الرشيد لما حج، فقال: صر إلى موضع كذا وكذا من المدينة؛ فإن هناك غلاماً مجنوناً يغني صوتاً حسناً، وهو:

هما فتاتان لما يعرفا خلقي وبالشباب على شيبي يدلان

وله أم، فصر إليها وأقم عندها واحتل حتى تأخذه. فجئت أستدل حتى وقفت على بيتها، فخرجت إلي فوهبت لها مائتي درهم، وقلت لها: أريد أن تحتالي على ابنك حتى آخذ منه الصوت الفلاني. فقالت: نعم، وأدخلتني

دارها، وأمرتني فصعدت إلى علية لها، فما لبثت أن جاء ابنها فدخل. فقالت له: يا سليمان فدتك نفسي! أمك قد أصبحت اليوم خاثرةً مغرمةً ، فأحب أن تغني ذلك الصوت:

هما فتاتان لما يعرفا خلقي

فقال لها: ومتى حدث لك هذا الطرب؟ قالت: ما طربت ولكنني أحبت أن أتفرج من هم قد لحقني. فاندفع فغناه، فما سمعت أحسن من غنائه، فقالت له أمه: أحسنت! فديتك! فقد والله كشفت عني قطعةً من همي، فأسألك أن تعيده. قال: والله ما لي نشاط، ولا أشتري غمي بفرحك. فقالت: أعده مرتين ولك درهم صحيح تشتري به ناطفاً . قال: ومن أين لك درهم؟ ومتى حدث لك هذا السخاء؟ فقالت: هذا فضول لا تحتاج إليه وأخرجت إليه درهماً فأعطته إياه، فأخذه وغناه مرتين، فدار لي وكان يستوي، فأومأت إليها من فوق أن تستزيده. فقالت: يا بني بحقي عليك إلا أعدته. فقال: أظن أنك تريدين أن تأخذيه فتصيري مغنية. فقالت: نعم! كذا هو. قال لا! وحق القبر لا أعدته إلا بدرهم آخر. فأخرجت له درهماً آخر. فأخذه وقال: أظنك والله قد تزندقت وعبدت الكبش فهو ينقد لك هذه الدراهم، أو قد وجدت كنزاً. فغناه مرتين، وأخذته واستوى لي. ثم قام فخرج يعدو على وجهه. فجئت إلى الرشيد فغنيته به وأخبرته بالقصة، فطرب وضحك وأمر لي بألف دينار، وقال لي: هذه بدل مائتي الدرهم .

صوت:

ولقد قالت لأترابٍ لها — كالمها يلعبن في حجرتها

خذن عني الظل لا يتبعني — وعدت سعياً إلى قبتها

لم يصبها نكر فيما مضى — ظبية تختال في مشيتها

في هذه الأبيات رمل بالبنصر ذكر الهشامي أنه لابن جامع المكي، وذكر ابن المكي أنه لابن سريج. وهو في أخبار ابن سريج وأغانيه غير مجنس .

صوت:

يمشون فيها بكل سابغةٍ — أحكم فيها القتير والحلق

تعرف إنصافهم إذا شهدوا — وصبرهم حين تشخص الحدق

الغناء لابن محرز، خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي وحبش .

صوت:

يجحدنني ديني النهار وأقتضي — ديني إذا وقذ النعاس الرقدا

وأرى الغواني لا يواصلن أمرأً — فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

الشعر للأعشى. والغناء لمعبدٍ، خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

صوت:

أية حالٍ يابن رامين حال المحبين المساكين

تركتهم موتى وما موتوا قد جرعوا منك الأمرين

وسرت في ركبٍ على طيةٍ ركبٍ تهامٍ ويمانين

يا راعي الذود لقد رعتهم ويلك من روع المحبين

الشعر لإسماعيل بن عمارٍ الأسدي. والغناء لمحمد بن الأشعث بن فجوة الزهري الكوفي، ولحنه خفيف ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى، عن الهشامي وأحمد بن المكي .

نسب إسماعيل بن عمار وأخباره

نسب إسماعيل بن عمار: هو إسماعيل بن عمار بن عيينة بن الطفيل بن جذيمة بن عمرو بن خلف بن زبان بن كعب ابن مالك بن ثعلبة بن دوذان بن أسد بن خزيمة. أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن السكري عن ابن حبيب .

من مخضرمي الدولتين وكان يتزل الكوفة:

وإسماعيل بن عمارٍ شاعر، مقل، مخضرم من شعراء الدولتين الأموية والهاشمية. وكان يتزل الكوفة .

كان ممن يختلف إلى ابن رامين وجواريه: قال ابن حبيب: كان في الكوفة صاحب قيانٍ يقال له ابن رامين، قدمها من الحجاز؛ فكان من يسمع الغناء ويشرب النبيذ يأتونه ويقيمون عنده: مثل يحيى بن زيادٍ الحارثي، وشراعة ابن الزندبوذ، ومطيع بن إياس، وعبد الله بن العباس المفتون، وعونٍ العبادي الحيري، ومحمد بن الأشعث الزهري المغني. وكان نازلاً في بني أسدٍ في جيران إسماعيل بن عمار، فكان إسماعيل يغشاه ويشرب عنده. ثم انتقل من جواره إلى بني عائذ الله ، فكان إسماعيل يزوره هناك على مشقة لبعد ما بينهما. وكان لابن رامين جوارٍ يقال لهن سلامة الزرقاء، وسعدة، وربيحة وكن من أحسن الناس غناء، واشترى بعد ذلك محمد بن سليمان سلامة الزرقاء التي يقول فيها محمد بن الأشعث:

أمسى لسلامة الزرقاء في كبدي صدع مقيم طوال الدهر والأبد

لا يستطيع صناع القوم يشعبه وكيف يشعب صدع الحب في كبد

قصيدة له في جواري ابن رامين: وفي جواريه يقول إسماعيل بن عمار:

هل من شفاءٍ لقلبٍ لج محزون صبا وصب إلى رئم ابن رامين

إلى ربيحة إن الله فضلها بحسنها وسماعٍ دي أفانين

وهاج قلبي منها مضحك حسن ... ولثغة بعد في زايٍ وفي سين

نفسي تأبى لكم إلا طواعيةً ... وأنت تأبين لؤماً أن تطيعيني

وتلك قسمة ضيزى قد سمعت بها ... وأنت تتلينها ما ذاك في الدين

إن تسعفيني بذاك الشيء أرض به ... وإن ضننت به عني فزنيني

أنت الطبيب لداء قد تلبس بي ... من الجوى فانفثي في فيّ وارقيني

نعم شفاؤك منها أن تقول لها ... أضنيتني يوم دير اللج فاشفيني

يا رب إن ابن رامينٍ له بقر ... عين وليس لنا غير البراذين

لو شئت اعطيته مالاً على قدرٍ ... يرضى به منك غير الربرب العين

لا أنس سعدة الزرقاء يوم هما ... باللج شرقيه فوق الدكاكين

يغنين ابن رامينٍ على طربٍ ... بالمسجحي وتشبيب المحبين

أذاك أنعم أم يوم ظللت به ... فراشي الورد في بستان شورين

يشوي لنا الشيخ شورين دواجنه ... بالجردناج وسحاج الشقابين

نسقى طلاءً لعمرانٍ يعتقه ... يمشي الأصحاء ممنه كالمجانين

يزل أقدامنا من بعد صحتها ... كأنها ثقلاً يقلعن من طين

نمشي وأرجلنا مطوية شللاً ... مشي الإوز التي تأتي من الصين

أو مشي عميان ديرٍ لا دليل لهم ... سوى العصي إلى يوم السعانين

وفي فتيةٍ من بني تميمٍ لهوت بهم ... تيم بن مرة لا تيم العديين

خمر الوجوه كأنا من تحشمنا ... حسناء شمطاء وافت من فلسطين

ما عائذ الله لولا أنت من شجني ... ولا ابن رامين لولا ما يمنيني

في عائذ الله بيت ما مررت به ... إلا وجئت على قلبي بسكين

يا سعدة القينة الخضراء أنت لنا ... أنس لأنك في دار ابن رامين

ما كنت أحسب أن الأسد تؤنسني ... حتى رأيت إليك القلب يدعوني

لولا ربيحة ما استأنست ما عمدت ... نفسي إليك ولو مثلت من طين

باع ابن رامين سلامة في حجه فقال هو شعراً: قال: وحج ابن رامين وحج بجواريه معه، وكان محمد بن سليمان إذ ذاك على الحجاز، فاشترى منه سلامة الزرقاء بمائة ألف درهمٍ. فقال إسماعيل بن عمار:

أية حالٍ يا ابن رامين ... حال المحبين المساكين
تركتهم موتى وما موتوا ... قد جرعوا منك الأمرين
وسرت في ركبٍ على طية ... ركبٍ تهامٍ ويمانين
حججت بيت الله تبغي به البر ولم ترث لمحرون

يا راعي الذود لقد زعتهم ... ويلك من روع المحبين
فرقت قوماً لا يرى مثلهم ... ما بين كوفانٍ إلى الصين

مات له ابن فرثاه: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا السكري عن محمد قال: كان لإسماعيل بن عمارٍ ابن يقال له معن فمات، فقال يرثيه:

يا موت مالك مولعاً بضراري ... إني عليك وإن صبرت لزاري
تعدو علي كأنني لك واتر ... وأؤول منك كما يؤول فراري
نفس البعيد إذا أردت قريبةً ... ليست بناجيةٍ مع الأقدار
والمرء سوف وإن تطاول عمره ... يوماً بصير لحفرة الجفار
لما غلا عظم به فكأنه ... من حسن بنيته قضيب نضار
فجعتني بأعز أهلي كلهم ... تعدو عليه عدوة الجبار
هلا بنفسي أو ببعض قرابتي ... أوقعت أم ما كنت للمختار
وتركت ربتي التي من أجلها ... عفت الجهاد وصرت في الأمصار

رفض أن يكون عاملاً لما رأى العمال يعذبون وشعره في ذلك: أخبرني علي بن سليمان قال حدثني السكري عن محمد بن حبيب قال: قال رجل من بني أسدٍ كان وجهاً ، لإسماعيل بن عمار: هلم أركب معك إلى يوسف بن عمر، فإنه صديق، حتى أكلمه فيك يستعملك على عملٍ تنتفع به. فقال له إسماعيل: دعني حتى يقول الحول. فنظر إسماعيل إلى عمال يوسف يعذبون، فقال في ذلك:

رأيت صبيحة النيروز أمراً ... فظيعاً عن إمارتهم نهاني
فررت من العمالة بعد يحيى ... وبعد النهشلي أبي أبان

وبعد الزور ابن أبي كثيرٍ وفقيد أشجع وأبي بطان
فحاب بها أبا عثمان غيري فما شأن الإمارة لي بشان
أحاذر أن أقصر في خراجي إلى النيروز أو في المهرجان
أعجل إن أتى أجلي بوقتٍ وحسبي بالمجرحة المتان
فما عذري إذا عرضت ظهري لألفٍ من سياط الشاهجان
تعد ليوسفٍ عداً صحيحاً ويحفظها عليه الجالدان
وأسحب في سراويلي بقيدي إلى حسان معتقل اللسان
فمنهم قائل بعداً وسحقاً ومنهم أخران يفديان
كفاني من إمارتهم عطائي وما أحذيت من سبق الرهان
كفاني ذاك منهم ما بقينا كما فيما مضى لي قد كفاني

شعره في بوبة وصيفة عبد الرحمن بن عنبسة: وقال ابن حبيب في الإسناد الذي ذكرناه: إنه كانت لعبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاصي وصيفة مغنية يؤدبها ويصنعها ليهديها إلى هشام بن عبد الملك يقال لها بوبة. فقال فيها إسماعيل بن عمار:

بوب حييت عن جليسك بوبا مخطئاً في تحيتي أو مصيبا
ما رأينا قتيل حيٍ حبا ألقا تل بالوتر أن يكون حبيبا
غير ما قد رزقت يا بوب مني فهنيئاً وإن أتيت عجيبا
غير من به غليك وإن كن ت بقدر القيان طباً طبيباً
بنت عشرٍ أديبة في قريشٍ بخ فأكرم بهم أباً ونسيبا
أدبت في بني أمية حتى كملت في حجورهم تأديبا

قال: ثم أهداها ابن عنبسة إلى هشام. فقال إسماعيل بن عمار:

ألا حييت عنا ث م سقياً لك يا بوبه
وأكرم بك مهداةً وأحبب بك مطلوبه
وواهاً لك من بكرٍ وواهاً لك مثقوبه
وواهاً لك ملقاةً وواهاً لك مكبوبه
لقد عاين من يلقا ك من حسنك أعجوبه

ويا ويلي ويا عولي فنفسي الدهر مكروبه
على هيفاء حوراء على جيداء رعبوبه
إذا ضاجعها المولى فقد أدرك محبوبه

هجاؤه لجارية له كان يبغضها: قال ابن حبيب في هذه الرواية: كان لإسماعيل بن عمار جارية قد ولدت منه، وكانت سيئة الخلق قبيحة المنظر، وكان يبغضها وتبغضه، فقال فيها:

بليت بزمردةٍ كالعصا ألص وأخبث من كندش

تحب النساء وتأبى الرجال وتمشي مع الأسفه الأطيش
لها وجه قردٍ إذا ازينت ولون كبيض القطا الأبرش
ومن فوقه لمة جثلة كمثل الخوافي من المرعش
وبطن خواصره كالوطا ب زاد على كرش الأكرش
وإن نكهت كدت من نتنها أخر على جانب المفرش
وثدي تدلى على بطنها كقربة ذي الثلة المعطش
وفخذان بينهما بسطة إذا مشت مشية المنتشي
وسلق يخلخلها خاتم كساق الدجاجة أو أحمش
وفي كل ضرسٍ لها أكلة أصل من القبر ذي المنبش
ولما رأيت خوا أنفها وفيها وإصلال ما تحتشي
إلى ضامرٍ مثل ظلف الغزال أشد اصفراراً من المشمش
فررت من البيت من أجلها فرار الهجين من الأعمش
وأبرد من ثلج ساتيدما إذا راح كالعطب المنفش
وأرسح من ضفدعٍ عثةٍ تنق على الشط من مرعش
وأوسع من باب جسر الأمير تمر المحامل لم تخدش
فهذي صفاتي فلا تأتها فقد قلت طرداً لها كشكشي

هجا جاراً له بنى مسجداً قرب داره: وقال ابن حبيب: كان في جوار إسماعيل بن عمار رجل من قومه ينهاه عن السكر وهجاء الناس ويعذله، وكان إسماعيل له مغضباً. فبنى ذلك الرجل مسجداً يلاصق دار إسماعيل وحسنه

وشيده، وكان يجلس فيه هو وقومه وذوو التستر والصلاح منهم عامة نهارهم، فلا يقدر إسماعيل أن يشرب في داره ولا يدخل إليه أحد ممن كان يألفه من مغن أو مغنية أو غيرهما من أهل الريبة. فقال إسماعيل يهجوه وكان الرجل يتولى شيئاً من الوقوف للقاضي بالكوفة:

بنى مسجداً بنيانه من خيانةٍ ... لعمري لقداً كنت غير موفق

كصاحبة الرمان لما تصدقت ... جرت مثلاً للخائن المتصدق

يقول لها أهل الصلاح نصيحةً ... لك الويل لا تزني ولا تتصدقي

استعدى على غاضري كلف رهطه الطواف: وقال ابن حبيب: ولي العسس رجل غاضري، فأخذ من بني مالكٍ وهم رهط إسماعيل بن عمار بأن كانوا معه، فطافوا إلى الغداة. فلما أصبح غدا على الوالي مستعدياً على الغاضري. فقال له الوالي وكان رجلاً من همدان: ماذا صنع بك؟ فأنشأ يقول:

عس بنا ليلته كلها ... ما نحن في دنيا ولا آخره

يأمر أشياخ بني مالكٍ ... أن يحرسوادون بني غاضره

والله لا يرضى بذا كائناً ... من حكم همدان إلى الساهره

قال فقال له الوالي: قد لعمري صدقت، ووظف على سائر البطون أن يطوفوا مع صاحب العسس في عشائرهم ولا يتجاوزوا قبيلةً إلى قبيلةٍ، ويكون ذلك بنوائب بينهم .

كان منقطعاً إلى خالد بن خالد بن وليد فلما مات رثاه: وقال ابن حبيب: كان إسماعيل بن عمار منقطعاً إلى خالد بن الوليد بن عقبة بن معيطٍ، وكان إليه محسناً، وكان ينادمه. فولي خالد بن خالدٍ عملاً للوليد بن يزيد بن عبد الملك فخرج إليه، وكان إسماعيل عليلاً فتأخر عنه، ثم لم يلبث خالد أن مات في عمله، فورد نعيه الكوفة في يوم فطرٍ. فقال إسماعيل بن عمار يرثيه:

ما لعيني تفيض غير جمود ... ليس ترقا ولا لها من هجود

فإذا قرت العيون استهلت ... فإذا نمن أولعت بالسهود

ألنعي ابن خالدٍ خالد الخي ... رات في يوم زينةٍ مشهود

سنحت لي يوم الخميس غداة ال ... فطر طير بالنحس لا بالسعود

فتعيفت أنهن لأمرٍ ... مفظعٍ ما جرين في يوم عيد

فنعت خالد بن أروى وجل ال ... خطب فقدان خالد بن الوليد

سعى به عثمان بن درباس فهجاه فاستعدى عليه السلطان فحبسه: وقال ابن حبيب: كان لإسماعيل بن عمار جار يقال له عثمان بن درباس، فكان يؤذيه ويسعى به إلى السلطان في كل حال، ثم سعى به أنه يذهب مذهب الشراة ، فأخذ وحبس. فقال يهجوه:

من كان يحسدني جاري ويغبطني ... من الأنام بعثمان بن درباس

فقرب الله منه مثله أبداً ... جاراً وأبعد منه صالح الناس
جار له باب ساجٍ مغلق أبداً ... عليه من داخلٍ حراس أحراس
عبد وعبد وبنتاه وخادمه ... يدعون مثلهم ما ليس من ناس
صفر الوجوه كأن السل خامرهم ... وما بهم غير جهد الجوع من باس
له بنون كأطباءٍ معلقةٍ ... في بطن خنزيرةٍ في دار كناس
إن يفتح الباب عنهم بعد عاشرةٍ ... تظنهم خرجوا من قعر أرماس
فليت دار ابن درباسٍ معلقة ... بالنجم بين سلاليم وأمراس
فكان آخر عهدي منهم أبداً ... وابتعت داراً بغلماني وأفراسي

وقال: قال فيه أيضاً:

ليت برذوني وبغلي ... وجوادي وحماري
كن في الناس وأبدل ... ت غداً جاراً بجار
جار صدق بابن دربا ... سٍ وإلا بعت داري
فتبدلت به من ... يمنٍ أو من نزار
بدلاً يعرف ما الل ... ه وما حق الجوار
لو تبدلت سواه ... طاب ليلي ونهاري
واسترحنا من بلايا ... ه صغارٍ أو كبار
لو جزيناه بها كنا جميعاً في فجار
أو سكتنا كان ذلاً ... داخلاً تحت الشعار

كتب إلى ابن أخيه شعراً من الحبس فأجابه: قال: فلما قال فيه الشعر استعدى عليه السلطان، وذكر أنه من الشراة، وأنهم مجتمعون عنده، وأنه من دعاة عبد الله بن يحيى وأبي حمزة المختار. فكتب من السجن إلى ابن أخٍ له يقال له معان:

أبلغ معاناً عني وأخوته ... قولاً وما عالم كمن جهلا
بأنني والمصبحات منًى ... يعدون طوراً وتارةً رملا
لخائف أن يكون ودكم ... إياي بعد الصفا قد أفلا
أئن عراني دهري بنائبةٍ ... أصبح منها الفؤاد مشتعلا
حاولتم الصرم أو لعلكم ... ظننتم ما أصابني جللا
لا تغفلونا بني أخي فلقد ... أصبحت لا أبتغي بكم بدلا
تمسكوا بالذي امتسكت به ... فإن خير الإخوان من وصلا

قال: فكتب إليه ابن أخيه:

يا عم عوفيت من عذابهم الن ... كر وفارقت سجنهم عجلا
كتبت تشكو بني أخيك وقد ... أرسل من كان قبلنا مثلا
أبدأهم بالصراخ ينهزموا ... فأنت يا عم تبتغي العللا
زعمت أنا نرى بلاءك في ... دار بلاءٍ مكبلاً جللا
يا عم بئس الفتيان نحن إذاً ... أما وفي رجلك الكبول فلا
علي إن كنت صادقاً حجج ... للبيت عامين حافياً رجلا
بعد عنك الهموم فارج من ال ... له خلاصاً وأحسن الأملا

أطلقه الحكم بن الصلت من السجن وشعره فيه حين عزل: قال: ثم ولي الحكم بن الصلت فأطلقه وأحسن إليه، فلم يزل يشكره ويمدحه. ثم عزل الحكم بعد ذلك، فقال إسماعيل فيه:

تبارك كيف أوحشت ال ... كوفة أن لم يكن بها الحكم
الحكم العذل في رعيته ال ... كامل فيه العفاف والفهم
فأصبح القصر والسريران وال ... منبر كالكل من أبٍ يتم
يذري عليه السرير عبرته ... والمبتر المشرفي يلتدم
والناس من حسن سيرة الحكم ب ... ن الصلت يبكون كلما ظلموا

مثل السكارى في فرط وجدهم إلا عدواً عليه يتهم

يوم جرى طائر النحوس لهم ينزع منه القرطاس والقلم

فأرغم الله حاسديه كما أرغم هود القرود إذ رغموا

في سبتهم يوم كاب خطبهم والله ممن عصاه ينتقم

إنا إلى الله راجعون أما للناس عهد يوفى ولا ذمم

حول علينا، وليلتان لنا من لذة العيش، بئسما حكموا

لا حكم إلا الله يظهره يقضي لضيزائها التي قسموا

ماذا ترجي من عيشها مضر إن كان من شأنها الذي زعموا

ذم ولاية خالد القسري:

وقال ابن حبيب: سمع إسماعيل بن عمار رجلاً ينشد أبياتاً للفرزدق يهجو بها عمر بن هبيرة الفزاري لما ولي العراق ويعجب من ولايته إياها، وكان خالد القسري في تلك الأيام العراق، فقال إسماعيل: أعجب والله مما عجب منه الفرزدق من ولاية ابن هبيرة، وهو ما لست أراه يعجب منه، ولاية خالدٍ القسري وهو مخنث دعيّ ابن دعيٍّ، ثم قال:

عجب الفرزدق من فزارة أن رأى عنها أمية بالمشارق تنزع

فلقد رأى عجباً وأحدث بعده أمر تطير له القلوب وتفزع

بكت المنابر من فزارة شجوها فالآن من قسرٍ تضج وتجزع

فملوك خندف أضرعونا للعدا لله در ملوكنا ما تصنع

كانوا كقاذفةٍ بينهما ضلةً سفهاً وغيرهم ترب وترضع

شعر له في عينه وقلبه: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا عبد الله بن سعيد ابن أسيد العامري قال حدثني محمد بن أنسٍ الأسدي قال: شعر له في عينه وقلبه: جلست إلى إسماعيل بن عمار، وإذا هو يفتل أصابعه متأسفاً، فقلت: علام هذا التأسف والتلهف؟ فقال:

عيناي مشؤمتان ويحهما والقلب حران مبتلًى بهما

عرفتاه الهوى لظلمهما يا ليتني قبل ذا عدمتهما

هما إلى الحين دلتا وهما ذل على من أحب دمعهما

سأعذر القلب في هواه وما سبب كل البلاء غيرهما

شعر للأعشى وشرحه: صوت:

فكعبة نجران حتم علي ... ك حتى تناخي بأبوابها

نزور يزيد وعبد المسيح ... وقيساً هم خير أربابها

وشاهدنا الجل والياسمي ... ن والمسمعات بقصابها

وبربطنا دائم معمل ... فأي الثلاثة أزرى بها

إذا الحبرات فلوت بهم ... وجرو أسافل هدابها

فلما التقينا على آيةٍ ... ومدت إلي بأسبابها

عروضه من المتقارب. الشعر للأعشى يمدح بني عبد المدان الحارثيين من بني الحارث بن كعب. والغناء لحنين، خفيف ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق. وذكر يونس أن فيه لحناً لمالك، وزعم عمرو بن بانة أنه خفيف ثقيلٍ. وزعم أبو عبد الله الهشامي أن فيه لابن المكي خفيف رملٍ بالوسطى أوله:

تنازعني إذ خلت بردها

ومعه باقي الأبيات مخلطةً مقدمةً ومؤخرةً. والكعبة التي عناها الأعشى ها هنا يقال إنها بيعة بناها بنو عبد المدان على بناء الكعبة، وعظموها مضاهاة للكعبة، وسموها كعبة نجران، وكان فيها أساقفة يقيمون، وهم الذين جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى المباهلة، وقيل: بل هي قبة من أدمٍ سموها الكعبة. وكان إذا نزل بها مستجير أو أجير، أو خائف أمن، أو طالب حاجة قضيت، أو مسترفد أعطي ما يريده. والمسمعات: القيان. والقصاب: أوتار العيدان. وقال الأصمعي: قلت لبعض الأعراب: أنشدني شيئاً من شعرك. قال: كنت أقول الشعر وتركته. فقلت: و لم ذاك؟ قال: لأنني قلت شعراً وغنى فيه حكم الوادي وسمعته فكاد يذهل عقلي، فآليت ألا أقول شعراً، وما حرك حكم قصابه إلا توهمت أن الله عز وجل مخلدي بها في النار.

الجزء الثاني عشر

أخبار الأعشى وبني عبد المدان

وأخبارهم مع غيره :

كان الأعشى قدرياً ولبيد مجبراً: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية عن سماك بن حرب عن يونس بن متى راويةالأعشى قال: كان لبيد مجبراً حيث يقول:

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

وكان الأعشى قدرياً حيث يقول:

استأثر الله بالوفاء وبال عدل وولى الملامة الرجلا

فقلت له: من أين أخذ هذا؟ فقال: أخذه من أساقفة نجران. وكان يعود في كل سنةٍ إلى بني عبد المدان، فيمدحهم ويقيم عندهم يشرب الخمر معهم ويندامهم، ويسمع من أساقفة نجران قولهم؛ فكل شيءٍ في شعره من هذا فمنهم أخذه .

خبر أساقفة نجران مع النبي

صلى الله عليه وسلم:

خبر أساقفة نجران مع النبي:

فأما خبر مباهلتهم النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرني به علي بن العباس بن الوليد البجلي المعروف بالمقانعي الكوفي قال أنبأنا بكار بن أحمد بن اليسع الهمداني قال حدثنا عبد الله بن موسى عن أبي حمزة عن شهر بن حوشب. قال بكار وحدثنا إسماعيل بن أبانٍ العامري عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام، وحديثه أتم الأحاديث. وحدثني به جماعة آخرون بأسانيد مختلفةٍ وألفاظٍ تزيد وتنقص: فمن حدثني به علي بن أحمد بن حامد التميمي قال حدثنا الحسن بن عبد الواحد قال حدثنا حسن بن حسين عن حيان بن علي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن الحسن بن الحسين عن محمد بن بكر عن محمد بن عبد الله بن علي بن أبي رافعٍ عن أبيه عن جده عن أبي رافع. وأخبرني علي بن موسى الحميري في كتابه قال حدثنا جندل بن والقٍ قال حدثنا محمد ابن عمر عن عباد الكليبي عن كاملٍ أبي العلاء عن أبي صالح عن ابن عباس. وأخبرني أحمد بن الحسين بن سعد بن عثمان إجازةً قال حدثنا أبي قال حدثنا حصين بن مخارقٍ عن عبد

الصمد بن علي عن أبيه عن ابن عباسٍ. قال الحصين وحدثني أبو الجارود وأبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر، قال وحدثني حمد بن سالم وخليفة بن حسان عن زيد بن علي عليه السلام. قال حصين وحدثني سعيد بن طريفٍ عن عكرمة عن ابن عباس. وممن حدثني أيضاً بهذا الحديث علي بن العباس عن بكار عن إسماعيل بن أبان عن أبي أويس المدني عن جعفر بن محمد وعبد الله والحسن ابني الحسن. وممن حدثني به أيضاً محمد بن الحسين الأشناني قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق الراشدي قال حدثني يحيى بن سالم عن جابرٍ عن أبي جعفر عليه السلام . وممن أخبرني به أيضاً الحسين بن حمدان بن أيوب الكوفي عن محمد بن عمرو الخشاب عن حسين الأشقر عن شريك عن جابر عن أبي جعفر، وعن شريك عن المغيرة عن الشعبي، واللفظ للحديث الأول. قالوا:

قدم وفد نصارى نجران وفيهم الأسقف، والعاقب وأبو حبشٍ ، والسيد، وقيس، وعبد المسيح، وابن عبد المسيح الحارث وهو غلام، وقال شهر بن حوشب في حديثه: وهم أربعون حبراً حتى وقفوا على اليهود في بيت المدارس ، فصاحوا بهم: يا بن صوريا يا كعب بن الأشراف، انزلوا يا إخوة القرود والخنازير. فنزلوا إليهم، فقالوا لهم: هذا الرجل عندكم منذ كذا وكذا سنةً قد غلبكم أحضروا الممتحنة لنمتحنه غداً. فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم الصبح، قاموا فكبروا بين يديه، ثم تقدمهم الأسقف فقال: يا أبا القاسم، موسى من أبوه؟ قال: عمران. قال: فيوسف من أبوه؟ قال: يعقوب. قال: فأنت من أبوك؟ قال: إني عبد الله بن عبد المطلب. قال: فعيسى من أبوه؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله؛ فانقض عليه جبريل عليه السلام فقال : " إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب "فتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فنزا الأسقف ثم دير به مغشياً عليه، ثم رفع رأسه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : أتزعم أن الله جل وعلا أوحي إليك أن عيسى خلق من تراب! ما نجد هذا فيما أوحي إليك، ولا نجده فيما أوحي إلينا؛ ولا تجده اليهود فيما أوحي إليهم. فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: " فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع آبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ". فقال : أنصفتنا يا أبا القاسم، فمتى نباهلك؟ فقال: بالغداة إن شاء الله تعالى. وانصرف النصارى، وانصرفت اليهود وهي تقول: والله ما نبالي أيهما أهلك الله الحنيفية أو النصرانية. فلما صارت النصارى إلى بيوتها قالوا؛ والله إنكم لتعلمون أنه نبي، ولئن باهلناه إنا لنخشى أن نهلك، ولكن استقيلوه لعله يقيلنا. وغدا النبي صلى الله عليه وسلم من الصبح وغدا معه بعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم. فلما صلى الصبح، انصرف فاستقبل الناس بوجهه، ثم برك باركاً، وجاء بعلي فأقامه بين يديه، وجاء بفاطمة فأقامها بين كتفيه، وجاء بحسنٍ فأقامه عن يمينه، وجاء بحسينٍ فأقام عن يساره. فأقبلوا يسترون بالخشب والمسجد فرقاً أن يبدأهم بالمباهلة إذا رآهم، حتى بركوا بين يديه، ثم صاحوا: يا أبا القاسم، أقلنا أقالك الله عثرتك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم قال: و لم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قط إلا أعطاه فقال: قد أقلتكم فولوا . فلما ولوا قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أما والذي بعثني بالحق لو باهلتهم ما بقي على وجه الأرض نصراني ولا نصرانية إلا أهلكهم الله تعالى ". وفي حديث

شهر بن حوشب أن العاقب وثب فقال: أذكركم الله أن نلاعن هذا الرجل! فوالله لئن كان كاذباً ما لكم في ملاعنته خير، ولئن كان صادقاً لا يحول الحول ومنكم نافخ ضرمة فصالحوه ورجعوا .

خبر قبة نجران: وأما خبر القبة التي ذكرها الأعشى فأخبرني بخبرها عمي وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن عمرو الأنصاري عن هشام بن محمد عن أبيه قال: كان عبد المسيح بن دارس بن عربي بن معيقرٍ من أهل نجران، وكانت له قبة من ثلاثمائة جلد أديمٍ، وكان على نهر بنجران يقال النحيردان . قال: و لم يأت القبة خائف إلا أمن، ولا جائع إلا شبع؛ وكان يستغل من ذلك النهر عشرة آلاف دينارٍ، وكانت القبة تستغرق ذلك كله . وكان أول من نزل نجران من بني الحارث بن كعب يزيد بن عبد المدان بن الديان. وذلك أن عبد المسيح بن دارسٍ زوج يزيد بن عبد المدان ابنته رهيمة، فولدت له عبد الله بن يزيد، فهم بالكوفة. ومات عبد المسيح، فانتقل ماله إلى يزيد؛ فكان أول حارثي حل في نجران. وفي ذلك يقول أعشى قيس بن ثعلبة:

فكعبة نجران حتم علي ... ك حتى تناحي بأبوابها

نزور يزيد وعبد المسيح ... وقيساً هم خير أربابها

خطب يزيد بن عبد المدان وعامر بن المصطلق بنت أمية بن الأسكر فزوجها ليزيد: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه قال حدثني بعض بني الحارث بن كعب، وأخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه قال:

اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بموسم عكاظ، وقدم أمية بن الأسكر الكناني ومعه ابنة له من أجمل أهل زمانها، فخطبها يزيد وعامر. فقالت أم كلابٍ امرأة أمية بن الأسكر: من هذان الرجلان. فقال: هذا يزيد بن عبد المدان بن الديان، وهذا عامر بن الطفيل. فقالت: أعرف بني الديان ولا أعرف عامراً. فقال: هل سمعت بملاعب الأسنة ؟ فقالت: نعم. قال: فهذا ابن أخيه. وأقبل يزيد فقال: يا أمية، أنا ابن الديان صاحب الكثيب ، ورئيس مذحج، ومكلم العقاب ومن كان يصوب أصابعه فتنظف دماً، ويدلك راحتيه فتخرجان ذهباً. فقال أمية: بخٍ بخٍ. فقال عامر: جدي الأخرم، وعمي ملاعب الأسنة، وأبي فارس قرزل. فقال أمية: بخ بخ ! مرعًى ولا كالسعدان . فأرسلها مثلاً. فقال يزيد: يا عامر. هل تعلم شاعراً من قومي رحل بمدحةٍ إلى رجلٍ من قومك؟ قال: اللهم لا. قال: فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدائحهم إلى قومي؟ قال: اللهم نعم. قال: فهل لكم نجم يمانٍ أو برد يمانٍ أو سيف يمانٍ أو ركن يمانٍ؟ قال لا. قال: هل ملكناكم و لم تملكونا؟ قال نعم. فنهض يزيد وأنشأ يقول:

أمي يابن الأسكر بن مدلج ... لا تجعلن هوازناً كمذحج

إنك إن تلهج بأمرٍ تلجج ... ما النبع في مغرسه كالعوسج

ولا الصريح المحض كالممزج

قال: فقال مرة بن دودان النفيلي وكان عدواً لعامر:

يا ليت شعري عنك يا يزيد ... ماذا الذي من عامرٍ تريد

لكل قومٍ فخركم عتيد ... أمطلقون نحن أم عبيد

لا بل عبيد زادنا الهبيد

قال: فزوج أمية يزيد بن عبد المدان ابنته. فقال يزيد في ذلك:

يا للرجال لطارق الأحزان ... ولعامر بن طفيلٍ الوسنان

كانت إتاوة قومه لمحرقٍ ... زمناً وصارت بعد للنعمان

عد الفوارس هوازن كلها ... فخراً علي وجئت بالديان

فإذا لي الشرف المبين بوالدٍ ... صخم الدسيعة زانني ونماني

يا عام إنك فارس ذو ميعةٍ ... غض الشباب أخو ندى وقيان

واعلم بأنك بابن فارس قرزلٍ ... دون الذي تسعى له وتداني

ليست فوارس عامرٍ بمقرةٍ ... لك بالفضيلة في بني عيلان

فإذا لقيت بني الحماس ومالكٍ ... وبني الضباب وحي آل قنان

فاسأل عن الرجل المنوه باسمه ... والدافع العداء عن نجران

يعطى المقادة في فوارس قومه ... كرماً لعمرك والكريم يماني

فقال عامر بن الطفيل:

عجباً لواصف طارق الأحزان ... ولما يجيء به بنو الديان

فخروا علي بحبوةٍ لمحرقٍ ... وإتاوةٍ سيقت إلى النعمان

ما أنت وابن محرقٍ وقبيله ... وإتاوة اللخمي في عيلان

فاقصد بفخرك قصد قومك قصرةً ... ودع القبائل من بني قحطان

إن كان سالفة الإتاوة فيكم ... أو لا ففخرك فخر كل يماني

وافخر برهط بني الحماس ومالكٍ ... وبني الضباب وزعبلٍ وقنان

فأنا المعظم وابن فارس قرزلٍ ... وأبو براءٍ زانني ونماني

وأبو جزيءٍ ذو الفعال ومالك منعا الدمار صباح كل طعان

وإذا تعاظمت الأمور هوازن كنت المنوه باسمه والباني

طلب بنو عامر إلى مرة بن دودان أن يهجو بني الديان فأبى: فلما رجع القوم إلى بني عامر، وثبوا على مرة بن دودان وقالوا له: أنت من بني عامر، وأنت شاعر، و لم تهج بني الديان! فقال مرة:

تكلفني هوازن فخر قومٍ يقولون :الأنام لنا عبيد

أبونا مذحج وبنو أبيه إذا ما عدت الآباء هود

وهل لي إن فخرت بغير حق مقال والأنام لهم شهود

فأني تضرب الأعلام صفحاً عن العلياء أم من ذا يكيد

فقولوا يا بني عيلان كنا لهم قناً ، فما عنها محيد

محاورة ابن جفنة ليزيد بن عبد المدان والقيسيين:

وقال ابن الكلبي في هذه الرواية: قدم يزيد بن عبد المدان وعمر بن معد يكرب ومكشوح المرادي على ابن جفنة زواراً، وعنده وجوه قيس: ملاعب الأسنة عامر بن مالك، ويزيد بن عمرو بن الصعق، ودريد بن الصمة. فقال ابن جفنة ليزيد بن عبد المدان: ماذا كان يقول الديان إذا أصبح فإنه كان دياناً . فقال: كان يقول: آمنت بالذي رفع هذه يعني السماء ، ووضع هذه يعني الأرض ، وشق هذه يعني أصابعه ، ثم يخر ساجداً ويقول: سجد وجهي للذي خلقه وهو عاشم ، وما جشمني من شيءٍ فإني جاشم. فإذا رفع رأسه قال:

إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما

فقال ابن جفنة: إن هذا لذو دينٍ. ثم مال على القيسيين وقال: ألا تحدثوني عن هذه الرياح: الجنوب والشمال والدبور والصبا والنكباء، لم سميت بهذه الأسماء؛ فإنه أعياني علمها؟ فقال القوم: هذه أسماء وجدنا العرب عليها لا نعلم غير هذا فيها. فضحك يزيد بن عبد المدان ثم قال: يا خير الفتيان، ما كنت أحسب أن هذا يسقط علمه على هؤلاء وهم أهل الوبر. إن العرب تضرب أبياتها في القبلة مطلع الشمس، لتدفئهم في الشتاء وتزول عنهم في الصيف. فما هب من الرياح عن يمين البيت فهي الجنوب، وما هب عن شماله فهي الشمال، وما هب من أمامه فهي الصبا، وما هب من خلفه فهي الدبور، وما استدار من الرياح بين هذه الجهات فهي النكباء. فقال ابن جفنة: إن هذه للعلم يابن عبد المدان .

سأل ابن جفنة القيسيين عن النعمان بن المنذر فعابوه فرد عليهم يزيد: وأقبل على القيسيين يسألهم عن النعمان بن المنذر. فعابوه وصغروه. فنظر ابن جفنة إلى يزيد فقال له: ما تقول يابن عبد المدان؟ فقال يزيد : يا خير الفتيان. ليس صغيراً من منعك العراق، وشركك في الشام، وقيل له: أبيت اللعن. وقيل لك: يا خير الفتيان، وألفى أباه ملكاً كما ألفيت أباك ملكاً، فلا يسرك من يغرك؛ فإن هؤلاء لو سألهم عنك النعمان لقالوا فيك مثل

ما قالوا فيه. وايم الله ما فيهم رجل إلا ونعمة النعمان عنده عظيمة! فغضب عامر بن مالك وقال له: يابن الديان! أما والله لتحتلبن بها دماً! فقال له: ولم؟ أزيد في هوازن من لا أعرفه؟ فقال: لا! بل هم الذين تعرف. فضحك يزيد ثم قال: ما لهم جرأة بني الحارث، ولا فتك مراد، ولا بأس زبيد، ولا كيد جعفي ، ولا مغار طيء. وما هم ونحن الفتيان بسواء، وما قتلنا أسيراً قط ولا اشتهينا حرةً قط، ولا بكينا قتيلاً حتى نبئ به. وإن هؤلاء ليعجزون عن ثأرهم، حتى يقتل السمي بالسمي. والكني بالكني، والجار بالجار. وقال يزيد بن عبد المدان فيما كان بينه وبين القيسيين شعراً غدا به على ابن جفنة:

تمالا على النعمان قوم إليهم ... مواردة في ملكه ومصادره

على غير ذنبٍ كان منه إليهم ... سوى أنه جادت عليهم مواطره

فباعدهم من كل شرٍ يخافه ... وقربهم من كل خيرٍ يبادره

فظنوا وأعراض الظنون كثيرة ... بأن الذي قالوا من الأمر ضائره

فلم ينقصوا بالذي قيل شعرةً ... ولا فللت أنيابه وأظافره

وللحارث الجفني أعلم بالذي ... ينوء به النعمان إن خف طائره

فيا حار كم فيهم لنعمان نعمةً ... من الفضل والمن الذي أنا ذاكره

ذنوباً عفا عنها ومالاً أفاده ... وعظماً كسيراً قومته جوابره

ولو سأل عنك العائبين ابن منذرٍ ... لقالوا له القول الذي لا يحاوره

قال: فلما سمع ابن جفنة هذا القول عظم يزيد في عينه، وأجلسه معه على سريره، وسقاه بيده، وأعطاه عطية لم يعطها أحداً ممن وفد عليه قط .

استشفع جذامي إلى يزيد عند ابن جفنة فوهبه له: فلما قرب يزيد ركائبه ليرتحل سمع صوتاً إلى جانبه، وإذا هو رجل يقول:

أما من شفيعٍ من الزائرين ... يحب الثنا زنده ثاقب

يريد ابن جفنة إكرامه ... وقد يمسح الضرة الحالب

فينقذني من أظافيره ... وإلا فإني غداً ذاهب

فقد قلت يوماً على كربةٍ ... وفي الشرب في يثرب غالب

ألا ليت غسان في ملكها ... كلخمٍ، وقد يخطئ الشارب

وما في ابن جفنة من سبةٍ ... وقد خف حلمي بها العازب

كأني غريب من الأبعدين وفي الحلق مني شجاً ناشب

فقال يزيد: علي بالرجل، فأتي به. فقال: ما خطبك؟ أنت تقول هذا الشعر؟ قال: لا! بل قاله رجل من جذام جفاه ابن جفنة، وكانت له عند النعمان منزلة، فشرب فقال على شرابه شيئاً أنكره عليه ابن جفنة فحبسه، وهو مخرجه غداً فقاتله. فقال له يزيد: أنا أغنيك . فقال له: ومن أنت حتى أعرفك ؟ فقال: أنا يزيد بن عبد المدان. فقال: أنت لها وأبيك؟ قال: أجل! قد كفيتك أمر صاحبك ، فلا يسمعنك أحد تنشد هذا الشعر. وغدا يزيد على ابن جفنة ليودعه؛ فقال له: حياك الله يابن الديان! حاجتك. قال: تلحق قضاعة الشام بغسان ، وتؤثر من أتاك من وفود مذحج، وتهب لي الجذامي الذي لا شفيع إلا كرمك. قال: قد فعلت. أما إني حبسته لأهبه لسيد أهل ناحيتك، فكنت ذلك السيد، ووهبه له. فاحتمله يزيد معه، و لم يزل مجاوراً له بنجران في بني الحارث بن كعب. وقال ابن جفنة لأصحابه: ما كانت يميني لتفي إلا بقتله أو هبته لرجلٍ من بني الديان؛ فإن يميني كانت على هذين الأمرين. فعظم بذلك يزيد في عين أهل الشام ونبه ذكره وشرف .

استغاث هوازني يزيد في فك أسر أخيه فأغاثه: وقال ابن الكلبي في هذه الرواية عن أبيه: جاور رجلان من هوازن، يقال لهما عمرو وعامر، في بني مرة بن عوف بن ذبيان، وكانا قد أصابا دماً في قومهما. ثم إن قيس بن عاصم المنقري أغار على بني مرة بن عوف بن ذبيان، فأصاب عامراً أسيراً في عدة أسارى كانوا عند بني مرة، ففدى كل قومٍ أسيرهم من قيس بن عاصمٍ وتركوا الهوازني، فاستغاث أخوه بوجوه بني مرة: سنان بن أبي حارثة والحارث بن عوف والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة والحصين بن الحمام فلم يغيثوه، فركب إلى موسم عكاظ، فأتى منازل مذحج ليلاً فنادى:

دعوت سناناً وابن عوفٍ وحارثاً وعاليت دعوى بالحصين وهاشم

أعيرهم في كل يومٍ وليلةٍ بترك أسيرٍ عند القيس بن عاصم

حليفهم الأدنى وجار بيوتهم ومن كان عما سرهم غير نائم

فصموا وأحداث الزمان كثيرة وكم في بني العلات من متصامم

فيا ليت شعري من لإطلاق غله ومن ذا الذي يحظى به في المواسم

قال: فسمع صوتاً من الوادي ينادي بهذه الأبيات:

ألا أيهذا الذي لم يجب عليك بحيٍ يجلي الكرب

عليك بذا الحي من مذحجٍ فإنهم للرضا و الغضب

فناد يزيد بن عبد المدان وقيساً وعمرو بن معد يكرب

يفكوا أخاك بأموالهم وأقلل بمثلهم في العرب

أولاك الرؤوس فلا تعدهم ومن يجعل الرأس مثل الذنب !

قال: فاتبع الصوت فلم ير أحداً، فغدا على المكشوح، واسمه قيس بن عبد يغوث المرادي، فقال له: إني وأخي رجلان من بني جشم بن معاوية أصبنا دماً في قومنا، وإن قيس بن عاصم أغار على بني مرة وأخي فيهم مجاور فأخذه أسيراً، فاستغثت بسنان بن أبي حارثة والحارث بن عوف والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة فلم يغيثوني. فأتيت الموسم لأصيب به من يفك أخي، فانتهيت إلى منازل مذحج، فناديت بكذا وكذا، فسمعت من الوادي صوتاً أجابني بكذا وكذا، وقد بدأت بك لتفك أخي. فقال له المكشوح: والله إن قيس بن عاصم لرجل ما قارضته معروفاً قط ولا هو لي بجارٍ، ولكن اشتر أخاك منه وعلي الثمن، ولا يمنعك غلاؤه . ثم أتى عمرو بن معد يكرب فقال له مثل ذلك؛ فقال: هل بدأت بأحدٍ قبلي؟ قال: نعم! بقيس المكشوح قال: عليك بمن بدأت به. فتركه، وأتى يزيد بن عبد المدان فقال له: يا أبا النضر، إن من قصتي كذا وكذا. فقال له: مرحباً بك وأهلاً، ابعث إلى قيس ابن عاصم؛ فإن هو وهب لي أخاك شكرته، وإلا أغرت عليه حتى يتقيني بأخيك؛ فإن نلتها وإلا دفعت إليك كل أسير من بني تميم بنجران فاشتريت بهم أخاك. قال: هذا الرضا. فأرسل يزيد إلى قيس بن عاصمٍ بهذه الأبيات:

يا قيس أرسل أسيراً من بني جشمٍ إني بكل الذي تأتي به جازي
لا تأمن الدهر أن تشجى بغصته فاختر لنفسك إحمادي وإعزازي

فافكك أخا منقرٍ عنه وقل حسناً فيما سئلت وعقبه بإنجاز

قال: وبعث بالأبيات رسولاً إلى قيس بن عاصم؛ فأنشده إياها، ثم قال له : يا أبا علي، إن يزيد بن عبد المدان يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن المعروف قروض، ومع اليوم غد. فأطلق لي هذا الجشمي؛ فإن أخاه قد استغاث بأشراف بني مرة وبعمرو بن معد يكرب وبمكشوح مرادٍ فلم يصب عندهم حاجته فاستجار بي. ولو أرسلت إلي في جميع أسارى مضر بنجران لقضيت حقك. فقال قيس بن عاصم لمن حضره من بني تميم: هذا رسول يزيد بن عبد المدان سيد مذحج وابن سيدها ومن لا يزال له فيكم يد، وهذه فرصة لكم، فما ترون؟ قالوا: نرى أن نغليه عليه ونحكم فيه شططاً ؛ فإنه لن يخذله أبداً ولو أتى ثمنه على ماله. فقال قيس: بئس ما رأيتم! أما تخافون سجال الحروب ودول الأيام ومجازاة القروض! فلما أبوا عليه قال: بيعونيه، فأغلوه عليه، فتركه في أيديهم، وكان أسيراً في يد رجل من بني سعد، وبعث إلى يزيد فأعلمه بما جرى، وأعلمه أن الأسير لو كان في يده أو في بني مقر لأخذه وبعث به، ولكنه في يد رجل من بني سعد. فأرسل يزيد إلى السعدي أن سر إلي بأسيرك ولك فيه حكمك. فأتى به السعدي يزيد بن عبد المدان؛ فقال له: احتكم. فقال: مائة ناقة ورعاؤها فقال له يزيد إنك لقصير الهمة قريب الغنى جاهل بأخطار بني الحارث. أما والله لقد غبنتك يا أخا بني سعد،

ولقد كنت أخاف أن يأتي ثمنه على جل أموالنا، ولكنكم يا بني تميم قوم قصار الهمم. وأعطاه ما احتكم. فجاوره الأسير وأخوه حتى ماتا عنده بنجران .

أغار عبد المدان على هوازن في جماعة من بني الحارث فهزموا بني عامر: وقال ابن الكلبي: أغار عبد المدان على هوازن يوم السلف في جماعةٍ من بني الحارث بن كعب، وكانت حمته على بني عامر خاصة. فلما التقى القوم حمل على وبر بن معاوية النميري فصرعه، وثنى بطفيل بن مالك فأجره الرمح، وطار به فرسه قرزل فنجا، واستحر القتل في بني عامر، وتبعت خيل بني الحارث من انهزم من بني عامر، وفي هذه الخيل عمير ومعقل وكانا من فرسان بني الحارث بن كعب، فلم يزالوا بقية يومهم لا يبقون على شيء أصابوه، فقال في ذلك عبد المدان:

عفا من سليمى بطن غولٍ فيذبل ... فغمرة فيف الريح فالمتنخل

ديار التي صاد الفؤاد دلالها ... وأغرت بها يوم النوى حين ترحل

فإن تك صدت عن هواي وراعها ... نوازل أحداثٍ وشيب مجلل

فيا رب خيلٍ قد هديت بشطبةٍ ... يعارضها عبل الجزارة هيكل

سبوح إذا جال الحزام كأنه ... إذا انجاب عنه النقع في الخيل أجدل

يواغل جرداً كالقنا حارثيةً ... عليها قنان والحماس وزعبل

معاقلهم في كل يومٍ كريهةٍ ... صدور العوالي والصفيح المصقل

وزغف من الماذي بيض كأنها ... نهاء مرتها بالعشيات شمأل

فما ذر قرن الشمس حتى تلاحقت ... فوارس يهديها عمير ومعقل

فجالت على الحي الكلابي جولةً ... فباكرهم ورد من الموت معجل

فغادرن وبراً تحجل الطير حوله ... ونجى طفيلاً العجاجة قرزل

فلم ينج إلا فارس من رجالهم ... يخفف ركضاً خشية الموت أعزل

وليزيد بن عبد المدان أخبار مع دريد بن الصمة قد ذكرت مع أخبار دريد في صنعة المعتضد مع أغاني الخلفاء، فاستغني عن إعادتها في هذا الموضع .

أنعم يزيد بن عبد المدان على ملاعب الأسنة وأخيه فلما مات رثته أختهما: أخبرني علي بن سليمان قال أخبرني أبو سعيد السكري قال حدثني محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة وابن الكلبي، قالوا: أغار يزيد بن عبد المدان ومعه بنو الحارث بن كعبٍ على بني عامرٍ، فأسر عامر بن مالك ملاعب الأسنة أبا براء وأخاه عبيدة بن مالك ثم أنعم عليهما. فلما مات يزيد بن عبد المدان واسم عبد المدان عمرو، وكنيته أبو يزيد، وهو ابن

الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو قالت زينب بنت مالك بن جعفر بن كلاب أخت ملاعب الأسنة ترثي يزيد بن عبد المدان:

بكيت يزيد بن عبد المدا ... ن حلت به الأرض أثقالها

شريك الملوك ومن فضله ... يفضل في المجد أفضالها

فككت أسارى بني جعفرٍ ... وكندة إذ نلت أقوالها

ورهط المجالد قد جللت ... فواضل نعماك أجبالها

وقالت أيضاً ترثيه:

سأبكي يزيد بن عبد المدان ... على أنه الأحلم الأكرم

رماح من العزم مركوزة ... ملوك إذا برزت تحكم

قال: فلامها قومها في ذلك وعيروها بأن بكت يزيد؛ فقالت زينب:

ألا أيها الزاري علي بأنني ... نزارية أبكي كريماً يمانيا

ومالي لا أبكي يزيد وردني ... أجر جديداً مدرعي وردائيا

صوت:

أطل حمل الشناءة لي وبغضي ... وعش ما شئت فانظر من تضير

إذا أبصرتني أعرضت عني ... كأن الشمس من قبلي تدور

الشعر لعبد الله بن الحشرج الجعدي. والغناء لابن سريج ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي.

أخبار عبد الله بن الحشرج

نسب عبد الله بن الحشرج وأخلاقه: هو عبد الله بن الحشرج بن الأشهب بن ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. وكان عبد الله بن الحشرج سيداً من سادات قيس وأميراً من أمرائها، ولي أكثر أعمال خراسان، ومن أعمال فارس، وكرمان. وكان جواداً ممدحاً. وفيه يقول زياد الأعجم :

إن السماحة والشجاعة والندى ... في قبةٍ ضربت على ابن الحشرج

وله يقول أيضاً :

إذا كنت مرتاداً السماحة والندى ... فسائل تخبر عن ديار الأشاهب

نسبه إلى الأشهب جده. وفي بني الأشهب يقول نابغة بني جعدة:

أبعد فوارس يوم الشري ف آسى وبعد بني الأشهب

بعض أخبار أبيه وعمه زياد: وكان أبو الحشرج بن الأشهب سيداً شاعراً وأميراً كبيراً. وكان غلب على قهستان في زمن عبد الله بن خازم، فبعث إليه عبد الله بن خازمٍ المسيب بن أوفى القشيري، فقتل الحشرج وأخذ قهستان. وكان عمه زياد بن الأشهب أيضاً شريفاً سيداً، وكان قد سار إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يصلح بينه وبين معاوية على أن يوليه الشام فلم يجبه. وفي ذلك يقول نابغة بني جعدة يعتد على معاوية:

وقام زياد عند باب ابن هاشمٍ يريد صلاحاً بينكم ويقرب

مدحه قدامة بن الأحرز فوصله واعتذر: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فراسٍ قال: حدثنا العمري عن عطاء بن مصعبٍ عن عاصم بن الحدثان قال: جاء إلى عبد الله بن الحشرج وهو بقهستان رجل من قشيرٍ يقال له قدامة بن الأحرز ، فدخل عليه وأنشأ يقول:

أخ وابن عمٍ جاءكم متحرماً بكم فارأبوا خلاته يابن حشرج

فأنت ابن وردٍ سدت غير مدافعٍ معداً على رغم المنوط المعلهج

فبرزت عفواً إذ جريت ابن حشرجٍ وجاء سكيتاً كل أعقد أفحج

سبقت ابن وردٍ كل حافٍ وناعلٍ بجدٍ إذا حار الأضاميم ممعج

بورد بن عمر فتهم إن مثله قليل ومن يشر المحامد يفلج

هو الواهب الأموال والمشتري اللها وضراب رأس المستميت المدجج

قال: فأعطاه أربعة آلاف درهم، وقال: اعذرني يابن عمي؛ فإني في حالةٍ الله بها عليم من كثرة الطلاب، وأنت أحق من عذرني. قال: والله لو لم تعطني شيئاً مع ما أعلمه من جميل رأيك في عشيرتك ومن انقطع إليك لعذرتك، فكيف وقد أجزلت العطاء، وأرغمت الأعداء !.

بلغه أن ابن عم له نال منه فقال فيه شعراً: وكان لابن الحشرج ابن عم يقول للقشيري: ويحك! ليس عنده خير، وهو يكذبك ويملذك . فبلغ ذلك عبد الله بن الحشرج فقال:

أطل حمل الشناءة لي وبغضي وعش ما شئت فانظر من تضير

فما بيديك خير أرتجيه وغير صدودك الخطب الكبير

إذا أبصرتني أعرضت عني كأن الشمس من قلبي تدور

وكيف تعيب من تمسي فقيراً إليه حين تحزبك الأمور

ومن إن بعت منزلةً بأخرى حللت بأمره وبه تسير

أتزعم أنني ملذ كذوب وأن المكرمات لدي بور
وكيف أكون كذاباً ملوذاً وعندي يطلب الفرج الضرير
أواسي في النوائب من أتاني ويجبر بي أخو الضر الفقير

كان يعطي كثيراً فلامته زوجه وأيدها صديق له فقال شعراً: أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن الهيثم عن العمري عن عطاء بن مصعبٍ عن عاصم بن الحدثان قال: أعطى عبد الله بن الحشرج بخراسان حتى أعطى منشفةً كانت عليه وأعطى فراشه ولحافه. فقالت له امرأته: لشد ما تلاعب بك الشيطان، وصرت من إخوانه مبذراً؛ كما قال الله عز وجل: " إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين " فقال عبد الله بن الحشرج لرفاعة بن زوي النهدي وكان أخاً له وصديقاً: يا رفاعة، ألا تسمع إلى ما قالت هذه الورهاء وما تتكلم به ؟! فقال: صدقت والله وبرت! إنك لمبذر، وإن المبذرين لإخوان الشياطين. فقال ابن الحشرج في ذلك:

متى يأتنا الغيث تجد لنا مكارم ما تعيا بأموالنا التلد
مكارم ما جدنا به إذ تمنعت رجال وضنت في الرخاء وفي الجهد
أردنا بما جدنا به من تلادنا خلاف الذي يأتي خيار بني نهد
تلوم على اتلافي المال طلتي ويسعدها نهد بن زيدٍ على الزهد
أنهد بن زيدٍ لست منكم فتشفقوا علي ولا منكم غواتي ولا رشدي

أراد غوايتي فحذف الياء للضرورة

أبيت صغيراً ناشئاً ما أردتم وكهلاً حتى تبصروني في اللحد
سأبذل مالي إن مالي ذخيرة لعقبي وما أجني به ثمر الخلد
ولست بمبكاء على الزاد باسلٍ يهر على الأزواد كالأسد الورد
ولكنني سمح بما حزت باذل لما كلفت كفاي في الزمن الجحد
بذلك أوصاني الرقاد وقبله أبوه بأن أعطي وأوفي بالعهد

الرقاد: ابن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب وهو من عمومته، وكان شجاعاً سيداً جواداً .

قال عطاء بن مصعبٍ: وقال عبد الله بن الحشرج أيضاً في ذلك هذه القصيدة وقد ذكر ابن الكلبي وأبو اليقظان شيئاً من هذه القصيدة في كتابيهما المصنفين ونسباها إليه:

سأجعل مالي دون عرضي وقايةً من الذم؛ إن المال يفنى وينفد
ويبقي لي الجود اصطناع عشيرتي وغيرهم والجود عز مؤبد

ومتخذٍ ذنباً علي سماحتي ... بمالي، ونار البخل بالذم توقد
يبيد الفتى والحمد ليس ببائدٍ ... ولكنه للمرء فضل مؤكد
ولا شيء يبقى للفتى غير جوده ... بما ملكت كفاه والقوم شهد
ولائمةٍ في الجود نهنهت غربها ... وقلت لها بني المكارم أحمد
فلما ألحت في الملامة واعترت ... بذلك غيظي واعتراها التبلد
عرضت عليها خصلتين سماحتي ... وتطليقها والكف عني أرشد
فلجت وقالت أنت غاوٍ مبذر ... قرينك شيطان مريد مفند
فقلت لها بيني فما فيك رغبة ... ولي عنك في النسوان ظل ومقعد
وعيش أنيق والنساء معادن ... فمنهن غل شرها يتمرد
لها كل يوم فوق رأسي عارض ... من الشر براق يد الدهر يرعد
وأخرى يلد العيش منها، ضجيعها ... كريم يغاديه من الطير أسعد
فيا رجلاً حراً خذ القصد واترك ال ... بلايا فإن الموت للناس موعد
فعش ناعماً واترك مقالة عاذلٍ ... يلومك في بذل الندى ويفند
وجد باللها إن السماحة والندى ... هي الغاية القصوى وفيها التمجد
وحسب الفتى مجداً سمحة كفه ... وذو المجد محمود الفعال محسد

طلق امرأته لعذله إياه فلامه حنظلة بن الأشهب فقال شعراً:

قال فقالت له امرأته: والله ما وفقك الله لحظك! أنهبت مالك وبذرته وأعطيته هيان بن بيان ومن لا تدري من أي هافيةٍ هو! قال: فغضب فطلقها، وكان لها محباً وبها معجباً. فعنفه فيها ابن عم لها يقال له حنظلة بن الأشهب بن رميلة ، وقال له: نصحتك فكافأتها بالطلاق! فوالله ما وفقت لرشدك، ولا نلت حظك، ولقد خاب سعيك بعدها عند ذوي الألباب. فهلا مضيت لطيتك ، وجريت على ميدانك، و لم تلتفت إلى امرأةٍ من أهل الجهالة والطيش لم تخلق للمشورة ولا مثل رأيها يفتدى به! فقال ابن الحشرج لحنظلة:

أحنظل دع عنك الذي نال ماله ... ليحمده الأقوام في كل محفل
فكم من فقيرٍ بائس قد جبرته ... ومن عائلٍ أغنيت بعد التعيل
ومن مترفٍ عن منهج الحق جائرٍ ... علوت بعضبٍ ذي غرارين مقصل
وزارٍ علي الجود والجود شيمتي ... فقلت له دعني وكن غير مفضل

فمثلك قد عاصيت دهراً ولم أكن ... لأسمع أقوال اللئيم المبخل
أبى لي جدي البخل مذ كنت يافعاً ... صغيراً ومن يبخل يلم ويضلل
ويستغن عنه الناس، فاركب محجة ال ... كرام ودع ما أنت عنه بمعزل
فإني امرؤ لا أصحب الدهر باخلاً ... لئيماً وخير الناس كل معذل
ومستحمقٍ غاوٍ أتته نذيرتي ... فلج ولم يعرف معرة مقولي
نفحت ببيتٍ يملأ الفم شاردٍ ... له خبر كأنه حبر مغول
فكف ولو لم أرمه شاع قوله ... وصار كدرياق الذعاف المثمل
وليلٍ دجوجيٍ سريت ظلامه ... بناجيةٍ كالبرج وجناء عيهل
إلى ملك من آل مروان ماجدٍ ... كريم المحيا سيدٍ متفضل
يجود إذا أضنت قريش برفدها ... ويسبقها في كل يوم تفضل
أبوه أبو العاصي إذا الحرب شمرت ... مراها بمسنون الغرارين منجل
وقور إذا هاجت به الحرب مرجم ... صبور عليها غير نكسٍ مهلل
أقام لأهل الأرض دين محمدٍ ... وقد أدبروا وارتاب كل مضلل
فما زال حتى قوم الدين سيفه ... وعز بحزمٍ كل قرمٍ محجل
وغادر أهل الشك شتى، فمنهم ... قتيل وناجٍ فوق أجرد هيكل
نجا من رماح القوم قدماً وقد بدا ... تباشيره في العارض المتهلل

قال عاصم: يعني بهذا المدح محمد بن مروان لما قتل مصعب بن الزبير بدير الجاثليق . وكان محمد بن مروان يقوم بأمره، ويوليه الأعمال، ويشفع له إلى أخيه .

حواره مع ابن عمٍ له لامه في تبذيره: أخبرني محمد بن خلفٍ قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثنا العمري عن عطاء بن مصعب عن عاصم بن الحدثان قال: قال عبد الله بن الحشرج لابن عمٍ له لامه في إنهاب ماله وتبذيره إياه، وقال له فيما يقول: امرأتك كانت أعلم بك، نصحتك فكافأتها بالطلاق، فقال له: يابن عم، إن المرأة لم تخلق للمشورة، وإنما خلقت وثاراً للباءة . ووالله إن الرشد واليمن لفي خلاف المرأة. يابن عم إياك واستماع كلام النساء والأخذ به؛ فإنك إن أخذت به ندمت. فقال له ابن عمه: والله ليوشكن أن تحتاج يوماً إلى بعض ما أتلفت فلا تقدر عليه ولا يخلفه عليك هن وهن . فقال ابن الحشرج:

وعاذلة هبت بليلٍ تلومني ... وتعذلني فيما أفيد وأتلف

تلومتها حتى إذا هي أكثرت ... أتيت الذي كانت لدي توكف
وقلت عليك الفج أكثرت في الندى ... ومثلي تحاماه الألد المغطرف
أبى لي ما قد سمتني غير واحدٍ ... أب وجدود مجدها ليس يوصف
كهول وشبان مضوا لسبيلهم ... إذا ذكروا فالعين مني تذرف
هم الغيث إن ضنت سماء بقطرها ... وعندهم يرجو الحيا متلهف
وحربٍ يخاف الناس شدة عرها ... تظل بأنواع المنية تصرف

حموها وقاموا بالسيوف لحميها ... إذا فنيت أضحت لهم وهي تعصف
فلما أبت إلا طماحاً تتمروا ... بأسيافهم والقوم فيهم تعجرف
فذلت وأعطت بالقياد وأذعنت ... إذا ما اشتهى قومي وذو الذل ينصف
وكانت طموح الرأس يصرف نابها ... من الشر تاراتٍ وطوراً تقفقف
فلما امترينا بالسيوف خلوفها ... تأبت علينا والأسنة ترعف
فدرت طباقاً وأرعوت بعد جهلها ... وكنا رماماً للذي يتصلف

قال لابن زوي شعراً لأنه لامه في تبذيره: قال: وقال عبد الله بن الحشرج لرفاعة بن زويٍ النهدي فيما كان يلومه فيه من التبذير والجود:

ألام على جودي وما خلت أنني ... ببذلي وجودي جرت عن منهج القصد
فيا لائمي في الجود أقصر فإنني ... سأبذل مالي في الرخاء وفي الجهد
وجدت الفتى يفنى وتبقى فعاله ... ولا شيء خير في الحديث من الحمد
وإني بالله احتيالي وحرفتي ... أصير جاري بين أحشاي والكبد
أرى حقه في الناس ما عشت واجباً ... علي وآتي ما أتيت على عمد
وصاحب صدقٍ كان لي ففقدته ... وصيرني دهري إلى مائقٍ وغد
يلوم فعالي كل يوم وليلةٍ ... ويعدو على الجيران كالأسد الورد
يخالفني في كل حق وباطلٍ ... ويأنف أن يمشي على منهج الرشد
فلما تمادى قلت غير مسامحٍ ... له: النهج فاركب يا عسيف بني نهد

مدحه زيد الأعجم فوصله: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي قال حدثنا ابن عائشة قال: وفد زياد الأعجم على عبد الله بن الحشرج الجعدي وهو بسابور أمير عليها، فأمر بإنزاله وألطفه وبعث إليه ما يحتاج إليه. ثم غدا عليه زياد فأنشده:

إن السماحة والمروءة والندى ... في قبةٍ ضربت على ابن الحشرج

ملك أغر متوج ذو نائلٍ ... للمعتفين يمينه لم تشنج

يا خير من صعد المنابر بالتقى ... بعد النبي المصطفى المتحرج

لما أتيتك راجياً لنوالكم ... ألفيت باب نوالكم لم يرتج

قال: فأمر له بعشر آلاف درهم .

وقد قيل: إن الأبيات التي ذكرها وفيها الغناء ونسبتها إلى عبد الله بن الحشرج لغيره. والقول الأصح هو الأول. أخبرني بذلك محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسدٍ قال حدثنا العمري عن هشام بن الكلبي: أنه سمع أبا باسلٍ الطائي ينشد هذا الشعر، فقلت: لمن هو؟ فقال: لعمي عنترة بن الأخرس . قال: وكان جدي أخرس، فولد له سبعة أو ثمانية كلهم شاعر أو خطيب . ولعل هذا من أكاذيب ابن الكلبي، أو حكاه عن رجل أدعى فيه ما لا يعلم .

صوت:

أصاح هل من سبيل إلى نجد ... وريح الخزامى غضةً من ثرى جعد

وهل لياليا بذي الرمث مرجع ... فنشفي جوى الأحزان من لاعج الوجد

عروضه من الطويل. الشعر للطرماح بن حكيم. والغناء ليحيى المكي، ثقيل أول بالبنصر من كتابه .

أخبار الطرماح ونسبه

نسب الطرماح وبعض أخباره: هو الطرماح بن حكيم بن الحكم بن نفر بن قيس بن جحدر بن ثعلبة بن عبد رضا بن مالك بن أمان بن عمرو بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيءٍ. ويكنى أبا نفر. وأبا ضبينة . والطرماح: الطويل القامة. وقيل: إنه كان يلقب الطراح. أخبرني بذلك أحمد ابن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال: كان الطرماح بن حكيم يلقب الطراح لقوله: صوت :

ألا أيها الليل الطويل ألا ارتح ... بصبحٍ وما الإصباح منك بأروح

بلى إن للعينين في الصبح رحمةً ... بطرحهما طرفيهما كل مطرح

في هذين البيتين لأحمد بن المكي ثقيل أول بالوسطى من كتابه .

والطرماح من فحول الشعراء وفصحائهم. ومنشؤه بالشام، وانتقل إلى الكوفة بعد ذلك مع من وردها من

جيوش أهل الشام، واعتقد مذهب الشراة الأزارقة .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن المدائني عن أبي بكر الهذلي قال: قدم الطرماح بن حكيم الكوفة، فنزل في تيم اللات بن ثعلبة، وكان فيهم شيخ من الشراة له سمت وهيئة، وكان الطرماح يجالسه ويسمه منه، فرسخ كلامه في قلبه، ودعاه الشيخ إلى مذهبه، فقبله واعتقده أشد اعتقادٍ وأصحه، حتى مات عليه .

أخبرني ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال قال رؤبة: كان الطرماح والكميت يصيران إلي فيسألاني عن الغريب فأخبرهما به، فأراه بعد في أشعارهما .

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال سمعت محمد بن حبيب يقول: سألت ابن الأعرابي عن ثماني عشرة مسألةً كلها من غريب شعر الطرماح، فلم يعرف منها واحدةً، يقول في جميعها: لا أدري، لا أدري .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب قال حدثنا ابن قتيبة، قالا: كان الكميت بن زيد صديقاً للطرماح، لا يكادان يفترقان في حالٍ من أحوالهما. فقيل للكميت: لا شيء أعجب من صفاء ما بينك وبين الطرماح على تباعد ما يجمعكما من النسب والمذهب والبلد : هو شآمي قحطاني شاري، وأنت كوفي نزاري شيعي، فكيف اتفقتما مع تباين المذهب وشدة العصبية؟ فقال: اتفقنا على بغض العامة. قال: وأنشد الكميت قول الطرماح:

إذا قبضت نفس الطرماح أخلقت عرى المجد واسترخى عنان القصائد

فقال: إي والله! وعنان الخطابة والرواية والفصاحة والشجاعة. وقال عمر بن شبة: والسماحة مكان الشجاعة .

وفد على مخلد بن زياد ومعه الكميت وقصتهما في ذلك: نسخت من كتب جدي لأمي يحيى بن محمد بن ثوابة رحمه الله تعالى بخطه قال حدثني الحسن بن سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: وفد الطرماح بن حكيم والكميت بن زيد على مخلد بن يزيد المهلبي، فجلس لهما ودعاهما . فتقدم الطرماح لينشد؛ فقال له: أنشدنا قائماً. فقال: كلا والله! ما قدر الشعر أن أقوم له فيحط مني بقيامي وأحط منه بضراعتي، وهو عمود الفخر وبيت الذكر لمآثر العرب. قيل له: فتنح. ودعي بالكميت فأنشد قائماً، فأمر له بخمسين ألف درهم. فلما خرج الكميت شاطرها الطرماح، وقال له: أنت أبا ضبينة أبعد همةً وأنا ألطف حيلةً. وكان الطرماح يكنى أبا نفرٍ وأبا ضبينة .

كان هو والكميت في مسجد الكوفة فقصدهما ذو الرمة فاستنشدهما وأنشدهما: ونسخت من كتابه رضي الله عنه: أخبرني الحسن بن سعيد قال أخبرني ابن علاق قال أخبرني شيخ لنا أن خالد بن كلثوم أخبره قال: بينا أنا في مسجد الكوفة أريد الطرماح والكميت وهما جالسان بقرب باب الفيل، إذ رأيت أعرابياً قد جاء يسحب أهداماً له، حتى إذا توسط المسجد خر ساجداً، ثم رمى ببصره فرأى الكميت والطرماح فقصدهما. فقلت: من هذا الحائن الذي وقع بين هذين الأسدين! وعجبت من سجدته في غير موضع سجود وغير وقت صلاة

فقصدته، ثم سلمت عليهم ثم جلست أمامهم. فالتفت إلي الكميت فقال: أسمعني شيئاً يا أبا المستهل؛ فأنشده قوله:

أبت هذه النفس إلا ادكارا

حتى أتى على آخرها. فقال له: أحسنت والله يا أبا المستهل في ترقيص هذه القوافي ونظم عقدها ! ثم التفت إلى الطرماح فقال: أسمعني شيئاً يا أبا ضبينة؛ فأنشده كلمته التي يقول فيها:

أساءك تقويض الخليط المباين نعم والنوى قطاعة للقرائن

فقال: لله در هذا الكلام! ما أحسن إجابته لرويتك! إن كدت لأطيل لك حسداً. ثم قال الأعرابي: والله لقد قلت بعدكما ثلاثة أشعار، أما أحدها فكدت أطير به إلى السماء فرحاً. وأما الثاني فكدت أدعي به الخلافة. وأما الثالث فرأيت رقصاناً استفزني به الجذل حتى أتيت عليه. قالوا: فهات؛ فأنشدهم قوله :

أأن توهمت من خرقاء منزلةً ماء الصبابة من عينيك مسجوم

حتى إذا بلغ قوله:

تنجو إذ جعلت تدمى أخشتها وابتل بالزبد الجعد الخراطيم

قال: أعلمتم أني في هذا البيت منذ سنةٍ، فما ظفرت به إلا آنفاً، وأحسبكم قد رأيتم السجدة له. ثم أسمعهم قوله:

ما بال عينك منها الماء ينسكب

ثم أنشدهم كلمته الأخرى التي يقول فيها:

إذا الليل عن نشزٍ تجلى رمينه بأمثال أبصار النساء الفوارك

قال: فضرب الكميت بيده على صدر الطرماح، ثم قال: هذه والله الديباج لا نسجي ونسجك الكرابيس . فقال الطرماح: لن أقول ذلك وإن أقررت بجودته. فقطب ذو الرمة وقال: يا طرماح! أأنت تحسن أن تقول:

وكائن تخطت ناقتي من مفازةٍ إليك ومن أحواض ماءٍ مسدم

بأعقاره القردان هزلى كأنها نوادر صيصاء الهبيد المحطم

فأصغى الطرماح إلى الكميت وقال له: فانظر ما أخذ من ثواب هذا الشعر! قال: وهذه قصيدة مدح بها ذو الرمة عبد الملك، فلم يمدحه فيها ولا ذكره إلا بهذين البيتين، وسائرها في ناقته. فلما قدم على عبد الملك بها أنشده إياها. فقال له: ما مدحت بهذه القصيدة إلا ناقتك، فخذ منها الثواب. وكان ذو الرمة غير محظوظ من المديح فلم يفهم ذو الرمة قول الطرماح للكميت. فقال له الكميت: إنه ذو الرمة وله فضله، فأعتبه فقال له الطرماح:

معذرة إليك! إن عنان الشعر لفي كفك، فارجع معتباً، وأقول فيك كما قال أبو المستهل .

مر يخطر بمسجد البصرة فسأل عنه رجل فأنشد هو شعراً: أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى الصولي قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن إبراهيم بن عباد قال حدثني أبو تمامٍ الطائي قال: مر الطرماح بن حكيم في مسجد البصرة وهو يخطر في مشيته. فقال رجل: من هذا الخطار؟ فسمعه فقال: أنا الذي يقول: صوت:

لقد زادني حباً لنفس أنني ... بغيض إلى كل امرئٍ غير طائل

وأني شقي باللئام ولا ترى ... شقياً بهم إلا كريم الشمائل

إذا ما رآني قطع اللحظ بينه ... وبيني فعل العارف المتجاهل

ملأت عليه الأرض حتى كأنها ... من الضيق في عينيه كفة حابل

في هذه الأبيات لأبي العبيس بن حمدون خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر .

قصته مع خالد القسري حين وفد عليه بمدح: أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال أخبرنا إسماعيل بن مجمع قال حدثنا هشام بن محمد قال أخبرنا ابن أبي العمرطة الكندي قال: مدح الطرماح خالد بن عبد الله القسري، فأقبل على العريان بن الهيثم فقال: إني قد مدحت الأمير فأحب أن تدخلني عليه. قال: فدخل إليه فقال له: إن الطرماح قد مدحك وقال فيك قولاً حسناً. فقال: ما لي في الشعر من حاجةٍ. فقال العريان للطرماح: تراء له. فخرج معه ، فلما جاوز دار زيادٍ وصعد المسناة إذا شيء قد ارتفع له، فقال: يا عريان انظر، ما هذا؟ فنظر ثم رجع فقال: أصلح الله الأمير! هذا شيء بعث به إليك عبد الله بن أبي موسى من سجستان؛ فإذا حمر وبغال ورجال وصبيان ونساء. فقال: يا عريان، أين طرماحك هذا؟ قال: ها هنا. قال: أعطه كل ما قدم به. فرجع إلى الكوفة بما شاء ولم ينشده. قال هشام: والطرماح: الطويل .

سمع بيتاً لكثير في عبد الملك فقال لم يمدحه بل موه: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال حدثني الحجاجي قال: بلغني أن الطرماح جلس في حلقةٍ فيها رجل من بني عبس، فأنشد العبسي قول كثيرٍ في عبد الملك:

فكنت المعلى إذ أجيلت قداحهم ... وجال المنيح وسطها يتقلقل

فقال الطرماح: أما إنه ما أراد به أنه أعلاهم كعباً، ولكنه موه عليه في الظاهر وعنى في الباطن أنه السابع من الخلفاء الذين كان كثير لا يقول بإمامتهم؛ لأنه أخرج علياً عليه السلام منهم، فإذا أخرجه كان عبد الملك السابع، وكذلك المعلى السابع من القداح؛ فذلك قال ما قاله. وقد ذكر ذلك في موضع آخر فقال:

وكان الخلائف بعد الرسو ... ل لله كلهم تابعا

شيدان من بعد صديقهم ... وكان ابن حربٍ لهم رابعا

وكان ابنه بعده خامساً مطيعاً لمن قبله سامعا

ومروان سادس من قد مضى وكان ابنه بعده سابعا

قال: فعجبنا من تنبه الطرماح لمعنى قول كثير، وقد ذهب على عبد الملك فظنه مدحاً .

فضله أبو عبيدة والأصمعي ببيتين له: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ قال: كان أبو عبيدة والأصمعي يفضلان الطرماح في هذين البيتين، ويزعمان أنه فيهما أشعر الخلق:

مجتاب حلة برجدٍ لسراته قددا وأخلف ما سواه البرجد

يبدو وتضمره البلاد كأنه سيف على شرفٍ يسل ويغمد

أثنى أبو نواس على بيت له: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ قال قال أبو نواس: أشعر بيتٍ قيل بيت الطرماح:

إذا قبضت نفس الطرماح أخلقت عرى المجد واسترخى عنان القصائد

مناقضة بينه وبين حميد اليشكري:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة قال: فضل الطرماح بني شمخ في شعره على بني يشكر؛ فقال حميد اليشكري:

أتجعلنا إلى شمخ بن جرمٍ ونبهانٍ فأف لذا زمانا

ويوم الطالقان حماك قومي ولم تخضب بها طي سنانا

فقال الطرماح يجيبه:

لقد علم المعذل يوم يدعو برمثة يوم رمثة إذ دعانا

فوراس طييءٍ منعوه لما بكى جزعاً ولولاهم لحانا

فقال رجل من بني يشكر:

لأقضين قضاء غير ذي جنف بالحق بين حميدٍ والطرماح

جرى الطرماح حتى دقق مسحله وغودر العبد مقروناً بوضاح

يعني رجلاً من بني تميم كان يهاجي اليشكري .

شعر له في الشراة: أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا الرياشي قال قال الأصمعي قال خلف: كان الطرماح يرى رأي الشراة، ثم أنشد له:

لله در الشراة إنهم إذا الكرى مال بالطلى أرقوا

يرجعون الحنين آونةً وإن علا ساعةً بهم شهقوا
خوفاً تبيت القلوب واجفةً تكاد عنها الصدور تنفلق
كيف أرجي الحياة بعدهم وقد مضى مؤنسي فانطلقوا
قوم شحاح على اعتقادهم بالفوز مما يخاف قد وثقوا

أنشد خالداً القسري شعراً في الشكوى فأجازه: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس قال: دخل الطرماح على خالد بن عبد الله القسري فأنشده قوله:

وشيبني ما لا أزال مناهضاً بغير غنىً أسمو به وأبوع
وان رجال المال أضحوا ومالهم لهم عند أبواب الملوك شفيع
أمخترمي ريب المنون ولم أنل من المال ما أعصى به وأطيع

فأمر له بعشرين ألف درهم وقال: امض الآن فاعص بها وأطع .

قال المفضل: كأنه يوحى إليه، في الهجاء. ثم أنشد من هجائه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثنا حذيفة بن محمد الكوفي قال قال المفضل: إذا ركب الطرماح الهجاء فكأنما يوحى إليه، ثم أنشد له قوله:

لو حان ورد تميم ثم قيل لها حوض الرسول عليه الأزد لم ترد
أو أنزل الله وحياً أن يعذبها إن لم تعد لقتال الأزد لم تعد
لا عز نصر امرئٍ أضحى له فرس على تميمٍ يريد النصر من أحد
لو كان يخفى على الرحمن خافية من خلقه خفيت عنه بنو أسد

افتقده بعض أصحابه فلم يرعهم إلا نعشه: أخبرني إسماعيل بن يونس قال أخبرنا عمر بن شبة قال حدثني المدائني قال حدثني ابن دأبٍ عن ابن شبرمة، وأخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال أخبرني أبي قال حدثني الحسن بن عبد الرحمن الربعي قال حدثني محمد بن عمران قال حدثني إبراهيم بن سوار الضبي قال حدثني محمد بن زياد القرشي عن ابن شبرمة قال: كان الطرماح لنا جليساً ففقدناه أياماً كثيرة، فقمنا بأجمعنا لننظر ما فعل وما دهاه. فلما كنا قريباً من منزله إذا نحن بنعش عليه مطرف أخضر، فقلنا: لمن هذا النعش؟ فقيل: هذا نعش الطرماح. فقلنا: والله ما استجاب الله له حيث يقول:

وإني لمقتاد جوادي وقاذف به وبنفسي العام إحدى المقاذف
لأكسب مالاً أو أؤول غنىً من الله يكفيني عدات الخلائف
فيا رب إن حانت وفاتي فلا تكن على شرجعٍ يعلى بخضر المطارف

ولكن قبري بطن نسر مقيله بجو من السماء في نسورٍ عواكف
وأمسي شهيداً ثاوياً في عصابةٍ يصابون في فج من الأرض خائف
فوارس من شيبان ألف بينهم تقى الله تزالون عند التزاحف
إذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى وصاروا إلى ميعاد ما في المصاحف

صوت:

هل بالديار التي بالقاع من أحدٍ باقٍ فيسمع صوت المدلج الساري
تلك المنازل من صفراء ليس بها حي يجيب ولا أصوات سمار

الشعر لبيهسٍ الجرمي. والغناء لابن محرزٍ ثاني ثقيل بالبنصر، عن عمرو وقال ذكر ذلك يحيى المكي، وأظنه من المنحول. وفيه لطياب بن إبراهيم الموصلي خفيف ثقيل، وهو مأخوذ من لحن ابن صاحب الوضوء:

ارفع ضعيفك ولا يحر بك ضعفه

أخبار بيهس ونسبه

نسبه: هو بيهس بن صهيب بن عامر بن عبد الله بن ناتل بن مالك بن عبيد بن علقمة بن سعد بن كثير بن غالب بن عدي بن سميس بن طرود بن قدامة بن جرم بن ربان بن حلوان بن عمران ابن إلحاف بن قضاعة، شاعر فارس من شعراء الدولة الأموية. وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جرمٍ وكلبٍ وعذرة، ويحضر إذا حضروا فيكون بأجناد الشام .

اتهم بقتل غلام بن قيس فاستجار بمحمد بن مروان: قال أبو عمرو الشيباني: لما هدأت الفتنة بعد وقعة مرج راهطٍ وسكن الناس، مر غلام من قيسٍ بطوائف من جرم وعذرة وكلبٍ، وكانوا متجاورين على ماءٍ هناك لهم. فيقال: إن بعض أحداثهم نخس به ناقته فألقته، فاندقت عنقه فمات. واستعدى قومه عبد الملك بن مروان، فبعث إلى تلك البطون من جاءه بوجوههم وذوي الأخطار منهم، فهرب بيهس بن صهيب الجرمي وكان قد اتهم بأنه هو الذي نخس به فتزل بمحمد بن مروان واستجار به، فأجاره إلا من حدٍ توجبه عليه شهادة، فرضي بذلك .

صوت:

ألا يا حمامات اللوى عدن عودةً فإني إلى أصواتكن حرين
فعدن فلما عدن يمتنني وكدت باسراري لهن أبين
دعون بأصوات الهديل كأنما شربن حمياً أو بهن جنون
فلم تر عيني مثلهن حمائما بكين ولم تدمع لهن عيون

الشعر لأعرابي، هكذا أنشدناه جعفر بن قدامة عن أحمد بن حمدون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل. والغناء لمحمد بن الحارث بن بسخنر خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشامي. وقد قيل: إن الشعر لابن الدمينة .

أخبار محمد بن الحارث بن بسخنر

نسبه وبعض أخباره: هو محمد بن الحارث بن بسخنر، ويكنى أبا جعفر. وهم فيما يزعمون، موالي المنصور. وأحسبه ولاء خدمةٍ ولا ولاء عتق. وأصلهم من الري. وكان محمد يزعم من ولد بهرام جوبين . وولد محمد بالحيرة . وكان يغني مرتجلاً، إلا أن أصل ما غنى عليه المعزفة، وكانت تحمل معه إلى دار الخليفة. فمر غلامه بها يوماً، فقال قوم كانوا جلوساً على الطريق: مع هذا الغلام مصيدة الفأر، وقال بعضهم: لا، بل هي معزفة محمد بن الحارث. فحلف يومئذٍ بالطلاق والعتاق ألا يغني بمعزفة أبداً أنفةً من أن تشتبه آلة يغني بها بمصيدة الفأر. وكان محمد أحسن خلق الله تعالى أداءً وأسرعه أخذاً للغناء، وكان لأبيه الحارث بن بسخنر جوارٍ محسنات. وكان إسحاق يرضاهن ويأمرهن أن يطرحن على جواريه. وقال يوماً للمأمون وقد غنى مخارق بين يديه صوتاً فآلتاث غناؤه فيه وجاء به مضطرباً، فقال إسحاق للمأمون: يا أمير المؤمنين، إن مخارقاً قد أعجبه صوته وساء أداؤه في غنائه، فمره بملازمة جواري الحارث بن بسخنر حتى يعود إلى ما تريد .

هو أفضل من أخذ عن إسحاق أصواتاً: أخبرني جحظة قال حدثني أبو عبد الله الهشامي قال: سمعت إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يقول للواثق: قال لي إسحاق بن إبراهيم الموصلي: ما قدر أحد قط أن يأخذ مني صوتاً مستوياً إلا محمد بن الحارث بن بسخنر، فإنه أخذ مني عدة أصوات كما أغنيها. ثم لم نلبث أن دخل علينا محمد بن الحارث. فقال له الواثق: حدثني إسحاق بن إبراهيم عن إسحاق الموصلي فيك بكذا وكذا. فقال: قد قال إسحاق ذاك لي مراتٍ. فقال له الواثق: فأي شيءٍ أخذت من صنعته أحسن عندك؟ فقال: هو يزعم أنه لم يأخذ منه أحد قط هذا الصوت كما أخذته منه: صوت:

إذا المرء قاسى الدهر وابيض رأسه ... وثلم تثليم الإناء جوانبه

فليس له في العيش خير وإن بكى ... على العيش أو رجى الذي هو كاذبه

الشعر والغناء لإسحاق، ولحنه فيه رمل بالوسطى فأمره الواثق بأن يغنيه، فغناه إياه وأحسن ما شاء وأجاد. واستحسنه الواثق وأمر بأن يردده، فردده مراراً كثيرةً، حتى أخذه الواثق وأخذه جواريه والمغنون. قال جحظة قال الهشامي فحدثت بهذا الحديث عمرو بن بانة فقال: ما خلق الله تعالى أحداً يغني هذا الصوت كما يغنيه هبة الله بن إبراهيم بن المهدي. فقلت له: قد سمعت ابن إبراهيم يغنيه، فاسمعه من محمد ثم احكم. فلقيني بعد ذلك فقال: الأمر كما قلت، قد سمعته من محمد فسمعت منه الإحسان كله .

ردد صوتاً آخر من جارية أخرى: أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال: كنت يوماً في

منزلي، فجاءني محمد بن الحارث بن بسخنر مسلماً وعائداً من علةٍ كنت وجدتها؛ فسألته أن يقيم عندي ففعل، ودعوت بما حضر فأكلنا وشربنا، وغنى محمد بن الحارث هذا الصوت: صوت:

أمن ذكر خودٍ عينك اليوم تدمع ... وقلبك مشغول بخودك مولع

وقائلةٍ لي يوم وليت معرصاً ... أهذا فراق الحب أم كيف تصنع

فقلت كذاك الدهر يا خود فاعلمي ... يفرق بين الناس طراً ويجمع

أصل هذا الصوت يمانٍ هزج بالوسطى. قال الهشامي: وفيه لفليح ثاني ثقيلٍ، ولإسحاق خفيف رملٍ قال علي بن يحيى: فقلت له وقد ردد هذا الصوت مراراً وغناه أشجى غناءٍ: إن لك في هذا الصوت معنى، وقد كررته من غير أن يقترحه عليك أحد. فقال: نعم! هذا صوتي على جاريةٍ من القيان كنت أحبها وأخذته منها. فقلت له: فلم لا تواصلها؟ فقال:

لو لم أنكها دام لي حبها ... لكنني نكت فلا نكت

فأجبته فقلت:

أكثرت من نيكها والنيك مقطعة ... فارفق بنيكك إن الرفق محمود

أخذ جواري الواثق منه غناء أخذه من إسحاق: وأخبرني جعفر بن قدامة بن علي بن يحيى أن إسحاق غنى بحضرة الواثق لحنه :

ذكرتك إذ مرت بنا أم شادنٍ ... أمام المطايا تشرئب وتسنح

من المؤلفات الرمل أدماء حرة ... شعاع الضحى في متنها يتوضح

والشعر لذي الرمة، ولحن إسحاق فيه ثقيل أول فأمره الواثق أن يعيده على الجواري، وأحلفه بحياته أن ينصح فيه. فقال: لا يستطيع الجواري أن يأخذنه مني، ولكن يحضر محمد بن الحارث فيأخذه مني وتأخذه الجواري منه: فأحضر وألقاه عليه، فأخذه منه، وأخذته الجواري منه .

أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل المعروف بوسواسة الموصلي قال حدثني حماد بن إسحاق قال: قال لي محمد بن الحارث بن بسخنر: أخذت جارية الواثق مني صوتاً أخذته من أبيك، وهو : صوت :

أصبح الشيب في المفارق شاعاً ... واكتسى الرأس من مشيبٍ قناعا

وتوالى الشباب إلا قليلاً ... ثم يأبى القليل إلا وداعا

الشعر والغناء لإسحاق ثقيل أول قال: فسمعه الواثق منها، فاستحسنه وقال لعلويه ومخارق: أتعرفانه؟ فقال مخارق: أظنه لمحمد بن الحارث. فقال علويه: هيهات! ليس هذا مما يدخل في صنعة محمدٍ، هو يشبه صنعة ذلك الشيطان إسحاق. فقال له الواثق: ما أبعدت. ثم بعث إلي فأخبرني بالقصة ؛ فقلت: صدق علويه يا أمير المؤمنين،

هذا لإسحاق ومنه أخذته .

غنت جارية صوتاً أخذته عنه فأكرمها: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عبد الله بن المعتز قال قال لي أحمد بن الحسين بن هشام:

جاءني محمد بن الحارث بن بسخنر يوماً فقال لي: قم حتى أطفل بك على صديقٍ لي حرٍ، وله جارية أحسن خلق الله تعالى وجهاً وغناءً. فقلت له: أنت طفيلي وتطفل بي! هذه والله أخس حال. فقال لي: دع المجون وقم بنا؛ فهو مكان لا يستحي حر أن يتطفل عليه. فقمت معه، فقصد بي دار رجلٍ من فتيان أهل سر من رأى، كان لي صديقاً يكنى أبا صالح، وقد غيرت كنيته على سبيل اللقب فكنى أبا الصالحات، وكان ظريفاً حسن المروءة، يضرب بالعود على مذهب الفرس ضرباً حسناً ، وله رزق سني في الموالي، وكان من أولادهم، و لم يكن منزله يخلو من طعامٍ كثيرٍ نظيفٍ لكثرة قصد إخوانه منزله. فلما طرق بابه قلت له: فرجت عني، هذا صديقي وأنا طفيلي بنفسي لا أحتاج أن أكون في شفاعة طفيلي. فدخلنا، وقدم إلينا طعام عتيد طيب نظيف فأكلنا، وأحضرنا النبيذ، وخرجت جاريته إلينا من غير ستارةٍ فغنت غناءً حسناً شكلاً ظريفاً، ثم غنت من صنعة محمد بن الحارث هذا الصوت وكانت قد أخذته عنه وفيه أيضاً لحن لإبراهيم، والشعر لابن أبي عيينة: صوت:

ضيعت عهد فتىً لعهدك حافظٍ ... في حفظه عجب وفي تضييعك

إن تقتليه وتذهبي بفؤاده ... فبحسن وجهك لا بحسن صنيعك

فطرب محمد بن الحارث ونقطها بدنانير مسيفةٍ كانت معه في خريطته، ووجه غلامه فجاءه ببرنيةٍ غاليةٍ كبيرةٍ فغلفها منها ووهب لها الباقي. وكان لمحمد بن الحارث أخ طيب ظريف يكنى أبا هارون فطرب ونعر ونخر، وقال لأخيه: أريد أن أقول شيئاً في السر. قال: قله علانيةً، قال: لا يصلح، قال: والله ما بيني وبينك شيء أبالي أن تقوله جهراً، فقله. فقال: أشتهي علم الله أن تسأل أبا الصالحات أن ينيكني، فعسى صوتي أن ينفتح ويطيب غنائي. فضحك أبو الصالحات وخجلت الجارية وغطت وجهها وقالت: سخنت عينك! فإن حديثك يشبه وجهك .

صوت:

وأي أخٍ تبلو فتحمد أمره ... إذا لج خصم أو نبا بك منزل

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته ... على طرف الهجران إن كان يعقل

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتني ... يمينك فانظر أي كف تبدل

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد ... إليه بوجهٍ آخر الدهر تقبل

الشعر لمعن بن أوس المزني. والغناء لعريب خفيف رمل بالوسطى .

أخبار معن بن أوس ونسبه

نسبه، وهو شاعر فحل مخضرم: هو معن بن أوس بن نصر بن زياد بن أسعد بن أسحم بن ربيعة بن عدي بن ثعلبة بن ذؤيب بن عداء بن عثمان بن مزينة بن أد بن طابخة بن مضر بن نزارٍ. ونسبوا إلى مزينة وهي امرأة: مزينة بنت كلب بن وبرة، وأبوهم عمرو بن أد بنة طابخة .

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي وهاشم بن محمد الخزاعي وعمي قالوا: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: مزينة بنت كلب بن وبرة، تزوجها عمرو بن أد بن طابخة، فولدت له عثمان وأوساً، فغلبت أمهما على نسبهما. فعلى هذا القول عداء هو ابن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة .

ومعن شاعر مجيد فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام وله مدائح في جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورحمهم، منهم عبد الله بن جحش، وعمر بن أبي سلمة المخزومي. ووفد إلى عمرو بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مستعيناً به على بعض أمره، وخاطبه بقصيدته التي أولها:

تأوبه طيف بذات الجراثم فنام رفيقاه وليس بنائم

وعمر بعد ذلك إلى أيام الفتنة بين عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم .

أشعر الإسلاميين من مزينة: أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن يحيى بن عبد الله بن ثوبان عن علقمة بن محجنٍ الخزاعي عن أبيه قال: كان معاوية يفضل مزينة في الشعر، ويقول: كان أشعر أهل الجاهلية منهم وهو زهير، وكان أشعر أهل الإسلام منهم وهو ابنه كعب، ومعن بن أوس .

كان مئناثاً وقال شعراً في فضل الإناث: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال حدثنا العتبي قال: كان معن بن أوس مئناثاً ، وكان يحسن صحبة بناته وتربيتهن؛ فولد لبعض عشيرته بنت فكرهها وأظهر جزعاً من ذلك؛ فقال معن:

رأيت رجالاً يكرهون بناتهم وفيهن لا تكذب نساء صوالح

وفيهن والأيام تعثر بالفتى نوادب لا يمللنه ونوائح

مر به عبيد الله بن العباس، وقد كف بصره، فبعث إليه بهبة فمدحه: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العتري يعني الحسن بن عليل قال حدثني أحمد بن عبد الله بن علي بن سويد بن منجوفٍ عن أبيه قال: مر عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب بمعن بن أوس المزني وقد كف بصره فقال له: يا معن، كيف حالك؟ فقال له: ضعف بصري وكثر عيالي وغلبني الدين. قال: وكم دينك؟ قال: عشرة آلاف درهم. فبعث بها إليه. ثم مر به من الغد فقال له: كيف أصبحت يا معن؟ فقال:

أخذت بعين المال حتى نهكته وبالدين حتى ما أكاد أدان

وحتى سألت القرض عند ذوي الغنى ورد فلان حاجتي وفلان

فقال له عبيد الله: الله المستعان، إنا بعثنا إليك بالأمس لقمةً فمالكتها حتى انتزعت من يدك، فأي شيء للأهل والقرابة والجيران! وبعث إليه بعشرة آلاف درهم أخرى. فقال معن يمدحه:

إنك فرع من قريش وإنما ... تمج الندى منها البحور الفوارع

ثووا قادةً للناس بطحاء مكةٍ ... لهم وسقايات الحجيج الدوافع

فلما دعوا للموت لم تبك منهم ... على حادث الدهر العيون الدوامع

شيء من خلقه ورحلته إلى الشام: أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العنزي قال حدثني الفضل بن العباس القرشي عن سعيد بن عمرو الزبيري قال: كان لمعن بن أوس امرأةً يقال لها ثور ومان لها محباً، وكانت حضرية نشأت بالشام، وكانت في معن أعرابية ولوثة ، فكانت تضحك من عجرفيته . فسافر إلى الشام في بعض أعوامه ، فضلت الرفقة عن الطريق وعدلوا عن الماء، فطووا مترلهم وساروا يومهم وليلتهم، فسقط فرس معن في وجار ضبٍ دخلت يده فيه، فلم يستطع الفرس أن يقوم من شدة العطش حتى حمله أهل الرفقة حملاً فأنهضوه، وجعل معن يقوده ويقول:

لو شهدتني وجوادي ثور ... والرأس فيه ميل ومور

لضحكت حتى يميل الكور

قدم على ابن الزبير بمكة فلم يحسن ضيافته، وأكرمه ابن عباس وابن جعفر فمدحهما وذم ابن الزبير: أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي قال: قدم معن بن أوسٍ مكة على ابن الزبير فأنزله دير الضيفان، وكان يترلها الغرباء وأبناء السبيل والضيفان، فأقام يومه لم يطعم شيئاً؛ حتى إذا كان الليل جاءهم ابن الزبير بتيسٍ هرمٍ هزيلٍ فقال: كلوا من هذا، وهم نيف وسبعون رجلاً؛ فغضب معن وخرج من عنده، فأتى عبيد الله بن العباس، فقراه وحمله وكساه، ثم أتى عبد الله بن جعفر وحدثه حديثه، فأعطاه حتى أرضاه، وأقام عنده ثلاثاً ثم رحل . فقال يهجو ابن الزبير ويمدح ابن جعفر وابن عباس رضي الله تعالى عنهم أجمعين :

ظللنا بمستن الرياح غديةً ... إلى أن تعلى اليوم في شر محضر

لدى ابن الزبير حابسين بمنزلٍ ... من الخير والمعروف والرفد مقفر

رمانا أبو بكرٍ وقد طال يومنا ... بتيسٍ من الشاء الحجازي أعفر

وقال اطعموا منه ونحن ثلاثة ... وسبعون إنساناً فيالؤم مخبر

فقلت له لا تقرنا فأمامنا ... جفان ابن عباس العلا وابن جعفر

وكن آمناً وانعق بتيسك إنه ... له أعنز ينزو عليها وأبشر

أنشده الفرزدق بيتاً في هجاء مزينة فرد عليه بهجاء تميم: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن معاوية الأسدي قال: قدم معن بن أوس المزني البصرة، فقعد ينشد في المربد، فوقف عليه الفرزدق فقال: يا معن من الذي يقول:

لعمرك ما مزينة رهط معنٍ بأخفاف يطأن ولا سنام

فقال معن: أتعرف يا فرزدق الذي يقول:

لعمرك ما تميم أهل فلجٍ بأرداف الملوك ولا كرام

فقال الفرزدق: حسبك إنما جربتك . قال: قد جربت وأنت أعلم. فانصرف وتركه .

تمثل أحد أبناء روح بشعر له وهو على فاحشة: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أبو دلف قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال:

دخلت خضراء روحٍ ؛ فإذا أنا برجلٍ من ولده على فاحشة يوماً ، فقلت: قبحك الله! هذا موضع كان أبوك يضرب فيه الأعناق ويعطي اللهى وأنت تفعل فيه ما أرى! فالتفت إلي من غير أن يزول عنها وقال:

ورثنا المجد عن آباء صدق أسأنا في ديارهم الصنيعا

إذا الحسب الرفيع تواكلته بناة السوء أوشك أن يضيعا

قال: والشعر لمعن بن أوس المزني .

سافر إلى الشام وخلف ابنته في جوار ابن أبي سلمة وابن عمر بن الخطاب وقال شعراً: أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال حدثنا أحمد بن عبيدٍ أبو عصيدة عن الحرمازي قال: سافر معن بن أوس إلى الشام وخلف ابنته ليلى في جوار عمر بن أبي سلمة وأمه أم سلمة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وفي جوار عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه. فقال له بعض عشيرته: على من خلفت ابنتك ليلى بالحجاز وهي صبية ليس لها من يكفلها؟ فقال معن رحمه الله تعالى:

لعمرك مال ليلى بدار مضيعةٍ وما شيخها أن غاب عنها بخائف

وإن لها جارين لن يغدرا بها ربيب النبي وابن خير الخلائف

قال عبد الملك بن مروان عنه إنه أشعر الناس: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليلٍ العنزي قال حدثني مسعود بن بشر عن عبد الملك بن هشام قال: قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده عدة من أهل بيت وولده: ليقل كل واحد منكم أحسن شعرٍ سمع به؛ فذكروا لامرئ القيس والأعشى وطرفة فأكثروا حتى أتوا على محاسن ما قالوا فقال عبد الملك: أشعرهم والله الذي يقول:

وذي رحمٍ قلمت أظفار ضغنه بحلمي عنه وهو ليس له حلم

إذا سمته وصل القرابة سامني قطيعتها، تلك السفاهة والظلم

فاسعى لكي أبني ويهدم صالحي ... وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم
يحاول رغمي لا يحاول غيره ... وكالموت عندي أن ينال له رغم
فما زلت في لينٍ له وتعطفٍ ... عليه كما تحنو على الولد الأم
لأستل منه الضغن حتى سللته ... وإن كان ذا ضغنٍ يضيق به الحلم

قالوا: ومن قائلها يا أمير المؤمنين؟ قال: معن بن أوسٍ المزني .

خروجه إلى البصرة وزواجه من ليلى وطلاقها وقصة ذلك: أخبرني عيسى بن حسين الوراق قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش السعدي عن أبيه قال:

خرج معن بن أوس المزني إلى البصرة ليمتار منها ويبيع إبلاً له؛ فلما قدمها نزل بقومٍ من عشيرته، فتولت ضيافته امرأة منهم يقال لها ليلى، وكانت ذات جمالٍ ويسارٍ، فخطبها فأجابته فتزوجها، وأقام عندها حولاً في أنعم عيشٍ، فقال لها بعد حولٍ: يابنة عم، إني قد تركت ضيعةً لي ضائعةً، فلو أذنت لي فاطلعت طلع أهلي ورممت من مالي! فقالت: كم تقيم؟ قال: سنةً، فأذنت له. فأتى أهله فأقام فيهم وأزمن عنها أي طال مقامه فلما أبطأ عليها رحلت إلى المدينة فسألت عنه، فقيل لها: إنه بعمقٍ وهو ماء لمزينة فخرجت، حتى إذا كانت قريبة من عمقٍ نزلت منزلاً كريماً . وأقبل معن في طلب ذودٍ له قد أضلها وعليه مدرعة من صوفٍ وبت من صوفٍ أخضر قال: والبت: الطيلسان وعمامة غليظة. فلما رفع له القوم مال إليهم ليستسقي، ومع ليلى ابن أخٍ لها ومولى من مواليها جالس أمام خباءٍ له. فقال له معن: هل من ماءٍ؟ قال: نعم، وإن شئت سويقاً، وإن شئت لبناً؛ فأناخ. وصاح مولى ليلى: يا منهلة وكانت منهلة الوصيفة التي تقوم على معنٍ عندهم بالبصرة فلما أتته بالقدح وعرفها وحسر عن وجهه ليشرب عرفته وأثبتته ، فتركت القدح في يده وأقبلت مسرعةً إلى مولاتها فقالت: يا مولاتي، هذا والله معن إلا أنه في جبة صصوفٍ وبت صوفٍ. فقالت: هو والله عيشهم، الحقي مولاي فقولي له: هذا معن، فاحبسه. فخرجت الوصيفة مسرعة فأخبرت. فوضع معن القدح وقال له: دعني حتى ألقاها في غير هذا الزي. فقال: لست بارحاً حتى تدخل عليها. فلما رأته قالت: أهذا العيش الذي نزعت إليه يا معن ؟! قال: إي والله يا بنة عم! أما إنك لو أقمت إلى أيام الربيع حتى ينبت البلد الخزامى والرخامى والسخبر والكمأة، لأصبت عيشاً طيباً. فغسلت رأسه وجسده، وألبسته ثياباً لينة، وطيبته، وأقام معها ليلته أجمع يهرجها ، ثم غدا إلى عمقٍ حتى أعد لها طعاماً ونحر ناقةٍ وغنماً . وقدمت على الحي، فلم تبق فيهم امرأة إلا أتتها وسلمت عليها، فلم تدع منهن امرأة حتى وصلتها. وكانت لمعنٍ امرأة بعمقٍ يقال لها أم حقة. فقالت لمعن: هذه والله خير لك مني، فطلقني، وكانت قد حملت فدخله من ذلك وقام. ثم إن ليلى رحلت إلى مكة حاجّةً ومعن معها. فلما فرغا من حجهما انصرفا، فلما حاذيا منعرج الطريق إلى عمقٍ قال معن: يا ليلى، كأن فؤادي ينعرج إلى ما ها هنا. فلو أقمت سنتنا هذه حتى نحج من قابلٍ ثم نرحل إلى البصرة! فقالت: ما أنا ببارحةً مكاني حتى ترحل معي إلى البصرة أو

تطلقني. فقال: أما إذ ذكرت الطلاق فأنت طالق. فمضت إلى البصرة ، ومضى إلى عمقٍ، فلما فارقته وتبعتها نفسه، فقال في ذلك:

توهمت ربعاً بالمعبر واضحاً ... أبت قرتاه اليوم إلا تراوحا

أربت عليه رادة حضرمية ... ومرتجز كأن فيه المصابحا

إذا هي حلت كربلاء فلعلعاً ... فجوز العذيب دونها فالنوابحا

وبانت نواها من نواك وطاوعت ... مع الشانئين الشامتات الكواشحا

فقولا لليلى هل تعوض نادماً ... له رجعة قال الطلاق ممازحا

فإن هي قالت لا فقولا لها بلى ... ألا تتقين الجاريات الذوابحا

وهي قصيدة طويلة. فلما انصرف وليست ليلى معه قالت له امرأته أم حقة: ما فعلت ليلى؟ قال: طلقتها. قالت والله لو كان فيك خير ما فعلت ذلك، فطلقني أنا أيضاً. فقال لها معن:

أعاذل أقصري ودعي بياتي ... فإنك ذات لوماتٍ حمات

فإن الصبح منتظر قريب ... وإنك بالملامة لن تفاتي

نأت ليلى فليلى لا تواتي ... وضنت بالمودة والبتات

وحلت دارها سفوان بعدي ... فذا قارٍ فنخرق الفرات

تراعى الريف دائبةً عليها ... ظلال ألف مختلط النبات

فدعها أو تناولها بعنسٍ ... من العيدي في قلص شخات

وهي قصيدة طويلة. قال: وقال لأم حقة في مطالبتها إياه بالطلاق:

كأن لم يكن يا أم حقة قبل ذا ... بميطان مصطاف لنا ومرابع

وإذ نحن في غصن الشباب وقد عسا ... بنا الآن أن يعوض جازع

فقد أنكرته أم حقة حادثاً ... وأنكرها ما شئت والود خادع

ولو آذنتنا أم حقة إذ بنا ... شباب وإذ لما ترعنا الروائع

لقلنا لها بيني بليلٍ حميدةً ... كذاك بلا ذم تؤدي الودائع

صوت:

أعابد حييتم على النأي عابدا ... سقاك الإله المنشآت الرواعدا

أعابد ما شمس النهار إذا بدت بأحسن مما بين عينيك عابدا

ويروى:

أعابد ما شمس النهار بدت لنا

ويروى:

أعابد ما الشمس التي برزت لنا بأحسن مما بين ثوبيك عابدا

الشعر للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب. والغناء لعطرد ثاني ثقيلٍ بالبنصر. وفيه ليونس لحن من كتابه غير مجنس .

أخبار الحسين بن عبد الله

شعره في عابدة قبل زواجه بها: قد تقدم نسبه، وهو أشهر من أن يعاد. ويكنى أبا عبد الله. وكان من فتيان بني هاشم وظرفائهم وشعرائهم. وقد روى الحديث وحمل عنه، وله شعر صالح. وهذه الأبيات يقولها في زوجته عابدة بنت شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، وهي أخت عمرو ابن شعيب لذى يروى عنه الحديث. وفيها يقول قبل أن يتزوجها: صوت:

أعاذل إن الحب لا شك قاتلي لئن لم تقارضني هوى النفس عابده

أعابد خافي الله في قتل مسلمٍ وجودي عليه مرة قط واحده

فإن لم تريدي في أجراً ولا هوى لكم غير قتلي يا عبيد فراشده

فكم ليلةٍ قد بت أرعى نجومها وعبدة لا تدري بذلك راقده

الغناء لحكم الوادي، رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، عن إسحاق .

فمما حمل عنه من الحديث ما حدثني به أحمد بن سعيد قال حدثني محمد بن عبيد الله ابن المنادي قال حدثني يونس بن محمد قال حدثنا أبو أويس عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم على حسان بن ثابت وهو في ظل فارعٍ وحوله أصحابه وجاريته سيرين تغنيه بمزهرها:

هل علي ويحكما إن لهوت من حرج

فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: " لا حرج إن شاء الله " .

وكانت أم عابدة هذه عمة حسين بن عبد الله بن عبيد الله، أمها عمرة بنت عبيد الله بن العباس، تزوجها شعيب فولدت له محمداً وشعيباً ابني شعيب وعابدة، وكان يقال لها عابدة الحسن، وعابدة الحسناء .

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن يحيى قال: خطب عابدة

بنت شعيبٍ بكار بن عبد الملك وحسين بن عبد الله، فامتنعت على بكار وتزوجت الحسين. فقال له بكار: كيف تزوجتك العابدة واختارتك مع فقرك؟ فقال له الحسين: أتعيرنا بالفقر وقد نحلنا الله تعالى الكوثر !.

تنكر ما بينه وبين عبد الله بن معاوية فتعاتبا بشعر: أخبرني الحرمي والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار عن عمه قال: كان حسين بن عبد الله أمه أم ولدٍ، وكان يقول شيئاً من الشعر، وتزوج عابدة بنت شعيبٍ وولدت منه، وبسببها ردت على ولد عمرو بن العاص أموالهم في دولة بني العباس. وكان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر صديقاً له، ثم تنكر ما بينهما؛ فقال فيه ابن معاوية:

إن ابن عمك وابن أمك معلم شاكي السلاح
يقص العدو وليس ير ضى حين يبطش بالجراح
لا تحسبن أدى ابن عمك شرب ألبان اللقاح
بل كالشجاة ورا اللها ة إذا تسوغ بالقراح
فاختر لنفسك من يجي بك تحت أطراف الرماح
من لا يزال يسوءه بالغيب أن يلحاك لاح

فقال حسين له:

أبرق لمن يخشى وأو عد غير قومك بالسلاح
لسنا نقر لقائلٍ إلا المقرط بالصلاح

قال: ولحسين يقول ابن معاوية:

قل لذي الود والصفاء حسينٍ أقدر الود بيننا قدره
ليس للدابغ المحلم بد من عتاب الأديم ذي البشره
لست إن راغ ذو إخاءٍ ووِدٍ عن طريق بتابع أثره
بل أقيم القناة والود حتى يتبع الحق بعد أو يذره

كان صديقاً لابن أبي السمح ومدحه بشعر: أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام قال:

كان مالك بن أبي السمح الطائي المغني صديقاً للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس ونديماً له، وكان يتغنى في أشعاره. وله يقول الحسين رحمه الله تعالى:

لا عيش إلا بمالك بن أبي السم ح فلا تلحني ولا تلم
أبيض كالسيف أو كما يلمع ال بارق في حندسٍ من الظلم

يصيب من لذة الكريم ولا يهتك حق الإسلام والحرم

يا رب ليلٍ لنا كحاشية ال برد ويومٍ كذاك لم يدم

قد كنت فيه ومالك بن أبي السم ح الكريم الأخلاق والشيم

من ليس يعصيك إن رشدت ولا يجهل آي الترخيص في اللمم

قال: فقال له مالك: ولا إن غويت والله بأبي أنت وأمي أعصيك . قال وغنى مالك بهذه الأبيات بحضرة الوليد بن يزيد، فقال له: أخطأ حسين في صفتك، إنما كان ينبغي أن يقول:

أحول كالقرد أو كما يخرج ال سارق في حالكٍ من الظلم

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: كان الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس إذا صلى العصر دخل منزله وسمع الغناء عشيته. فأتاه قوم ذات عشية في حاجةٍ لهم فقضاها، ثم جلسوا يحدثونه. فلما أطالوا قال لهم: أتأذنون؟ فقالوا نعم. فقام في أصحاب له وهو يقول:

قوموا بنا ندرك من العيش لدةً ولا إنم فيها للتقي ولا عارا

صوت:

إن حرباً وإن صخراً أبا سف يان حازا مجداً وعزاً تليدا

فهما وارثا العلا عن جدودٍ ورثوها آباؤهم والجدودا

الشعر لفضالة بن شريكٍ الأسدي من قصيدة يمدح بها يزيد بن معاوية. وبعد هذين البيتين يقول:

وحوى إرثها معاوية القر م وأعطى صفو التراث يزيدا

والغناء لإبراهيم بن خالد المعيطي ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي. والله أعلم .

أخبار فضالة بن شريك ونسبه

نسبه وشعر لابنه عبد الله في ذم ابن الزبير: هو فضالة بن شريك بن سلمان بن خويلد بن سلمة بن عامرٍ موقد النار بن الحريش بن نمير ابن والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزارٍ. وكان شاعراً فاتكاً صعلوكاً مخضرماً أدرك الجاهلية والإسلام. وكان له ابنان شاعران، أحدهما عبد الله بن فضالة الوافد على عبد الله بن الزبير والقائل له: إن ناقتي قد نقبت ودبرت فقال له: ارقعها بجلدٍ واخصفها بهلبٍ وسر بها البردين. فقال له: إني قد جئتك مستحملاً لا مستثيراً ، فلعن الله ناقةً حملتني إليك. فقال له ابن الزبير: إن وراكبها. فانصرف من عنده وهو يقول:

أقول لغلمتي شدو ركابي أجاوز بطن مكة في سواد

فمالي حين أقطع ذات عرقٍ إلى ابن الكاهلية من معاد
سيبعد بيننا نص المطايا وتعليق الأداوى والمزاد
وكل معبدٍ قد أعلمته مناسمهن طلاع النجاد
أرى الحاجات عند أبي خبيبٍ نكدن ولا أمية بالبلاد
من الأعياص أو من آل حربٍ أغر كغرة الفرس الجواد

ابنه فاتك ومدح الأقيشر له: حدثنا بذلك محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني. فأما فاتك بن فضالة فكان سيداً جواداً. وله يقول الأقيشر يمدحه:

وفد الوفود فكنت أفضل وافدٍ يا فاتك بن فضالة بن شريك

مر بعاصم بن عمر بن الخطاب فلم يقره فهجاه: أخبرني بما ذكر من أخباره ها هنا مجموعاً علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيدٍ السكري عن محمد بن حبيب، وما ذكرته متفرقاً فأنا ذاكر إسناده عمن أخذته. قال ابن حبيب: مر فضالة بن شريكٍ بعاصم بن عمر الخطاب رضي الله تعالى عنهما وهو متبدٍ بناحية المدينة، فنزل به فلم يقره شيئاً ولم يبعث إليه ولا إلى أصحابه بشيءٍ ، وقد عرفوه مكانهم. فارتحلوا عنه. والتفت فضالة إلى مولى لعاصمٍ فقال له: قل له: أما والله لأطوقنك طوقاً لا يبلى. وقال يهجوه:

ألا أيها الباغي القرى لست واجداً قراك إذا ما بت في دار عاصم

إذا جئته تبغي القرى بات نائماً بطيناً وأمسى ضيفه غير نائم
فدع عاصماً أفٍ لأفعال عاصمٍ إذا حصل الأقوام أهل المكارم
فتىً من قريشٍ لا يجود بنائلٍ ويحسب أن البخل ضربة لازم
ولولا يد الفاروق قلدت عاصماً مطوقةً يحدى بها في المواسم
فليتك من جزم بن زبان أو بني فقم أو النوكى أبان بن دارم
أناس إذا ما الضيف حل بيوتهم غدا جائعاً عيمان ليس بغانم

قال : فلما بلغت أبياته عاصماً استعدى عليه عمرو بن سعيد بن العاص وهو يومئذٍ بالمدينة أمير، فهرب فضالة بن شريكٍ فلحق بالشام، وعاذ بيزيد بن معاوية وعرفه ذنبه وما تخوف من عاصم؛ فأعاذه، وكتب إلى عاصم يخبره أن فضالة أتاه مستجيراً به، وأنه يحب أن يهبه له. ولا يذكر لمعاوية شيئاً من أمره، ويضمن له ألا يعود لهجائه، فقبل ذلك عاصم وشفع يزيد بن معاوية. فقال فضالة يمدح يزيد بن معاوية:

إذا ما قريش فاخرت بقديمها فخرت بمجدٍ يا يزيد تليد

بمجد أمير المؤمنين ولم يزل أبوك أمين الله غير بليد
به عصم الله الأنام من الردى وأدرك تبلاً من معاشر صيد
ومجد أبي سفيان ذي الباع والندى وحربٍ وما حرب العلا بزهيد
فمن ذا الذي إن عدد الناس مجدهم يجيء بمجدٍ مثل مجد يزيد

وقال فيه القصيدة المذكور فيها الغناء في هذه القصيدة بعينها .

هجا ابن مطيع حين طرده المختار عن ولاية الكوفة: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني السكري عن ابن حبيب قال: كان عبد الله بن الزبير قد ولى عبد الله بن الأسود بن نضلة بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب، الكوفة، فطرده عنها المختار بن أبي عبيدة حين ظهر؛ فقال فضالة بن شريكٍ يهجو ابن مطيع:

دعا ابن مطيعٍ للبياع فجئته إلى بيعةٍ قلبي بها غير عارف
فقرب لي خشناء لما لمستها بكفي لم تشبه أكف الخلائف
معودةً حمل الهراوي لقومها فروراً إذا ما كان يوم التسايف
من الشثنات الكرم أنكرت لمسها وليست من البيض السياط اللطائف
ولم يسم إذ بايعته من خليفتي ولم يشترط إلا اشتراط المجازف
متى تلق أهل الشام في الخيل تلفني على مقربٍ لا يزدهى بالمجاذف
ممرٍ كبنيان العبادي مخطفٍ من الضاريات بالدماء الخواطف

هجا عمر بن مسعود لأنه تسول في جمع صداق زوجه: وقال ابن حبيب في هذا الإسناد: تزوج عامر بن مسعود بن أمية بن خلفٍ الجمحي امرأةً من بني نصر بن معاوية، وسأل في صداقها بالكوفة، فكان يأخذ من كل رجلٍ سأله درهمين درهمين. فقال له فضالة بن شريكٍ يهجوه بقوله:

أنكحتم يا بني نصرٍ فتاتكم وجهاً يشين وجوه الربرب العين
أنكحتم لا فتى دنيا يعاش به ولا شجاعاً إذا انشقت عصا الدين
قد كنت أرجو أبا حفص وسنته حتى نكحت بأرزاق المساكين

هجا رجلاً من بني سليم خان الأمانة: وقال ابن حبيب في هذا الإسناد: أودع فضالة بن شريكٍ رجلاً من بني سليم يقال له قيس ناقةً، فخرج في سفرٍ، فلما عاد طلبها منه، فذكر أنها سرقت. فقال فيه :

ولو أنني يوم بطن العقيق ذكرت وذو اللب ينسى كثيرا
مصاب سليمٍ لقاح النبي لم أودع الدهر فيهم بعيرا

وقد فات قيس بعيرانةٍ ... إذا الظل كان مداه قصيرا
من اللاعبات بفضل الزمام ... إذا أقلق السير فيه الضفورا
ومن يبك منكم بني موقدٍ ... ولم يرهم يبك شجواً كبيرا
هم العاسفون صلاب القنا ... إذا الحيل كانت من الطعن زورا
وأيسار لقمان إذ أمحلوا ... وعز لمن جاءهم مستجيرا
فإن أنا لم يقض لي ألقهم ... فرأت السلام عليهم كثيرا

عود إلى شعر في ذم ابن الزبير قيل إنه لفضالة: وذكر ابن حبيب في هذه الرواية أن القصيدة التي ذكرها عن المدائني في خبر عبد الله بن فضالة بن شريكٍ مع ابن الزبير كانت مع فضالة وابن الزبير لا مع ابنه، وذكر الأبيات وزاد فيها:

شكوت إليه أن نقبت قلوصي ... فرد جواب مشدود الصفاد
يضن بناقةٍ ويروم ملكاً ... محال ذلكم غير السداد
وليت إمارةً فبخلت لما ... وليتهم بملكٍ مستقاد
فإن وليت أمية أبدلوكم ... بكل سميدعٍ واري الزناد
من الأعياص أو من آل حربٍ ... أغر كغرة الفرس الجواد
إذا لم ألقهم بمنىً فإني ... ببيتٍ لا يهش له فؤادي
سيدنيني لهم نص المطايا ... وتعليق الأداوي والمزاد
وظهر معبدٍ قد أعملته ... مناسمهن طلاع النجاد
وعين الحمض حمض خناصرات ... وما بالعرق من سبل الغوادي
فهن خواضع الأبدان قود ... كأن رؤوسهن قبور عاد
كأن مواقع الغربان منها ... منارات بنين على عماد

طلب عبد الملك فضالة فلما وجده قد مات أكرم أهله: قال فلما ولي عبد الملك بعث إلى فضالة يطلبه، فوجده قد مات، فأمر لورثته بمائة ناقةٍ تحمل وقرها براً وتمراً . قال : والكاهلية التي ذكرها زهرة بنت خنثرٍ امرأة من بني كاهل ابن أسدٍ، وهي أم خويلد بن أسد بن عبد العزى .

صوت:

لقد طال عهدي بالإمام محمدٍ وما كنت أخشى أن يطول به عهدي
فأصبحت ذا بعدٍ وداري قريبة فواعجبا من قرب داري ومن بعدي
فيا ليت أن العيد لي عاد يومه فإني رأيت العيد وجهك لي يبدي
رأيتك في برد النبي محمدٍ كبدر الدجى بين العمامة والبرد

الشعر لأبي السمط مروان الأصفر بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر بن أبي حفصة .

والغناء لبنانٍ خفيف رملٍ مطلق ابتداؤه نشيد. وذكر الصولي أن هذا الشعر ليحيى بن مروان. وهذا غلط قبيح .

أخبار مروان الأصغر

كان أهله شعراء وشعره دونهم: قد مر نسبه ونسب أبيه وأهله وأخبارهم متقدماً. وكان مروان هذا آخر من بقي منهم يعد في الشعراء، وبقي بعده منهم متوج. وكان ساقطاً بارد الشعر. فذكر لي عن أبي هفان أنه قال: شعر آل أبي حفصة بمنزلة الماء الحار. ابتداؤه في نهاية الحرارة ثم تلين حرارته، ثم يفتر ثم يبرد، وكذا كانت أشعارهم، إلا أن ذلك الماء لما انتهى إلى متوج جمد .

وهذ الشعر يقوله مروان في المنتصر، وكان قد أقصاه وجفاه، وأظهر خلافاً لأبيه في سائر مذاهبه حتى في التشيع، فطرد مروان لنصبه، وأخرجه عن جلسائه. فقال هذه الأبيات وسأل بنان بن عمرو فغنى فيها المنتصر ليستعطفه. وخبره في ذلك يذكر في هذا الموضع من الكتاب .

مدح المتوكل وولاة عهده فأكرمه وأقطعه ضيعة: أخبرني عمي وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني حماد بن أحمد بن سليمان الكلبي قال حدثني أبو السمط مروان الأصغر قال: لما دخلت إلى المتوكل مدحته ومدحت ولاة العهود الثلاثة، وأنشدته :

سقى الله نجداً والسلام على نجد ويا حبذا نجد على النأي والبعد
نظرت إلى نجدٍ وبغداد دونها لعلي أرى نجداً وهيهات من نجد
ونجد بها قوم هواهم زيارتي ولا شيء أحلى من زيارتهم عندي

قال: فلما فرغت منها أمر لي بمائة وعشرين ألف درهم وخمسين ثوباً وثلاثةٍ من الظهر فرسٍ وبغلةٍ وحمارٍ، و لم أبرح حتى قلت قصيدتي التي أشكره فيها وأقول:

تخير رب الناس للناس جعفراً وملكه أمر العباد تخيرا

فلما صرت إلى هذا البيت:

فأمسك ندى كفيك عني ولا تزد فقد كدت أن أطغى وأن أتجبرا

قال لي لا والله لا أمسك حتى أغرقك بجودي .

وحدثني عمر بهذا الخبر قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني حماد بن أحمد بن يحي قال حدثني مروان بن أبي الجنوب، فذكر مثل هذا الخبر سواءً، وقال بعد قوله: لا والله لا أمسك حتى أغرقك، سلني حاجتك. فقلت: يا أمير المؤمنين، الضيعة التي أمرت أن أقطعها باليمامة ذكر ابن المدبر أنها وقف المعتصم على ولده فقال: قد قبلتك إياها مائة سنة بمائة درهم. فقلت: لا يحسن أن تضمن ضيعة بدرهمٍ في السنة. فقال ابن المدبر فبألف درهم كل سنة. فقلت نعم. فأمر ابن المدبر أن ينفد ذلك لي، وقال: ليست هذه حاجةً، هذه قبالة، فسلني حاجتك. فقلت: ضيعة يقال لها السيوح أمر الواثق بإقطاعي إياها، فمنعنيها ابن الزيات؛ فأمر بامضاء الإقطاع لي .

كان علي بن الجهم يطعن عليه حسداً له على موضعه من المتوكل، فهجاه هو في حضرة المتوكل وغلبه: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحي المنجم قال: كان علي بن الجهم يطعن على مروان بن أبي الجنوب ويثلبه حسداً له على موضعه من المتوكل. فقال له المتوكل يوماً : يا علي، أيما أشعر أنت أو مروان؟ فقال: أنا يا أمير المؤمنين. فأقبل على مروان فقال له: قد سمعت فما عندك؟ قال: كل أحدٍ أشعر مني يا أمير المؤمنين، وما أصف نفسي ولا أزكيها. وإذا رضيني أمير المؤمنين فما أبالي من زيفني. فقال له: قد صدقتك، علي يزعم سراً وجهراً أنه أشعر منك. فالتفت إليه مروان فقال له: يا علي! أأنت أشعر مني؟ فقال: أوتشك في ذاك؟ قال: نعم! أشك وأشك وهذا أمير المؤمنين بيننا. فقال له علي: إن أمير المؤمنين يحابيك. فقال المتوكل: هذا عي منك يا علي؛ ثم قال لابن حمدون: احكم بينهما. فقال: طرحتني والله يا أمير المؤمنين بين أنياب ومخالب أسدين. قال: والله لتحكمن بينهما. فقال له: أما إذ حلفت يا أمير المؤمنين فأشعرهما عندي أعرفهما في الشعر. فقال له المتوكل: قد سمعت يا علي. قال: قد عرف ميلك إليه فمال معه. فقال: دعنا منك، هذا كله عي، فإن كنت صادقاً فاهج مروان. قال: قد سكرت ولا فضل فيّ. فقال المتوكل لمروان: اهجه أنت، وبحياتي لا تبق غايةً. فقال مروان :

إن ابن جهمٍ في المغيب يعيبني ... ويقول لي حسناً إذا لاقاني

صغرت مهابته وعظم بطنه ... فكأنما في بطنه ولدان

ويح ابن جهمٍ ليس يرحم أمه ... لو كان يرحمها لما عاداني

فإذا التقينا ناك شعري شعره ... ونزا على شيطانه شيطاني

قال: فضحك المتوكل والجلساء منه، وانخزل ابن الجهم، فلم يكن عنده أكثر من أن قال: جمع حيلة الرجال وحيلة النساء. فقال له المتوكل: هذا أيضاً من عيك وبردك، إن كان عندك شيء فهاته؛ فلم يأت بشيء. فقال لمروان: بحياتي إن حضرك شيء فهاته، ولا تقصر في شتمك. فقال مروان:

لعمرك ما الجهم بن بدرٍ بشاعرٍ ... وهذا علي بعده يدعي الشعرا

ولكن أبي قد كان جاراً لأمه فلم ادعى الأشعار أوهمني أمرا

قال: فضحك المتوكل وقال: زده بحياتي. فقال فيه:

يابن بدرٍ يا عليه قلت إني قرشيه

قلت ما ليس بحقٍ فاسكتي يا نبطيه

اسكتي يا بنت جهمٍ اسكتي يا حلقيه

فاخذ عبادة هذه الأبيات فغناها على الطبل وجاوبه من كان يغني، والمتوكل يضحك ويضرب بيديه ورجليه، وعلي مطرق كأنه ميت، ثم قال: علي بالدواة فأتي بها، فكتب:

بلاء ليس يشبهه بلاء عداوة غير ذي حسبٍ ودين

يبيحك منه عرضاً لم يصنه ويرتع منك في عرضٍ مصون

قال علي بن الجهم شعراً في حبسه، فعارضه فلم يطلقوه: أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدثني محمد ابن السري قال: لما مدح علي بن الجهم وهو محبوس المتوكل بقوله:

توكلنا على رب السماء وسلمنا لأسباب القضاء

وذكر فيها جميع الندماء وسبعهم وهجاهم، انتدب له مروان بن أبي الجنوب فعارضه فيها، وقد كان المتوكل رق له، فلما أنشده مروان هذه القصيدة اعتورته ألسنة الجلساء فثلبوه واغتابوه وضربوا عليه، فتركه في محبسه.

والقصيدة :

ألم تعلم بأنك يابن جهمٍ دعي في أناسٍ أدعياء

أعبد الله تهجو وابن عمرٍ وبختيشوع أصحاب الوفاء

هجوت الأكرمين وأنت كلب حقيق بالشتيمة والهجاء

أترمي بالزناء بني حلالٍ وأنت زنيم أولاد الزناء

أسامة من جدودك يا بن جهمٍ! كذبت وما بذلك من خفاء

قال في المعتصم شعراً بعدما كان من أمر العباس بن المأمون وعجيف: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الحسين بن يحيى قال حدثني إبراهيم بن الحسن قال: لما كان من أمر العباس بن المأمون وعجيف ما كان، أنشد مروان بن أبي الجنوب المعتصم قصيدة أولها :

ألا يا دولة المعصوم دومي فإنك قلت للدنيا استقيمي

فلما بلغ إلى قوله:

هوى العباس حين أراد غدراً فوافى إذ هوى قعر الجحيم

كذاك هوى كمهواء عجيف فأصبح في سواء لظى الحميم

قال المعتصم: أبعده الله ! مدح أشناس فطرب له وأجازه من غير أن يفهمه: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثنا أبو العيناء قال: دخل مروان الأصغر بن أبي الجنوب على أشناس وقد مدحه بقصيدة فأنشده إياها، فجعل أشناس يحرك رأسه ويومئ بيديه ويظهر طرباً وسروراً، وأمر له بصلة. فلما خرج قال له كاتبه: رأيت الأمير قد طرب وحرك رأسه ويديه لما كان يسمعه، فقد فهمه ؟ قال نعم. قال: فأي شيء كان يقول. قال: ما زال يقول علي رقية الخبز حتى حصل ما أراد وانصرف .

هجا علي بن يحيى المنجم فرد عليه: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال: كان المتوكل يعابثني كثيراً، فقال في يومٍ من الأيام لمروان بن أبي جنوب: اهج علي بن يحيى؛ فقال مروان:

ألا إن يحيى لا يقاس إلى أبي وعرض ابن يحيى لا يقاس إلى عرضي

وهي أبيات ذكرها صيانةً لعلي بن يحيى. قال: فأجبته عنها فقلت:

صدقت لعمري ما يقاس إلى أبي أبوك، ومن قاس الشواهق بالخفض

وهل لك عرض طاهر فتقيسه إذا قيست الأعراض يوماً إلى عرضي

ألستم موالي للعين ورهطه أعادي بني العباس ذي الحسب المحض

توالون من عادى النبي ورهطه فترمون من والى أولي الفضل بالرفض

وليس عجيباً أن أرى لك مبغضاً لأنك أهل للعداوة والبغض

نقد أبو العنبس الصيمري شعراً له فتهاجرا: حدثني جحظة قال حدثني علي بن يحيى قال: أنشد مروان بن أبي جنوب المتوكل ذات يومٍ:

إني نزلت بساحة المتوكل ونزلت في أقصى ديار الموصل

فقال له بعض من حضر: فكيف الاتصال بين هؤلاء والمراسلة؟ فقال أبو العنبس الصيمري: كان له حمام هدى يبعث بها إليه من الموصل حتى يكاتبه على أجنحتها. فضحك المتوكل حتى استلقى، وخجل مروان وحلف بالطلاق لا يكلم أبا العنبس أبداً، فماتا متهاجرين. كذا أكبر حفظي أن جحظة حدثني به عن علي بن يحيى؛ فإني كتبته عن حفظي.

أنشد المتوكل في مرضه بالحمى قصيدة، فقال علي بن الجهم أن بعضها منتحل: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال قرأت في كتاب قديم: قال عوف بن محلم لعبد الله بن طاهر في علةٍ اعتلها:

فإن تك حمى الربع شفك وردها فعقباك منها أن يطول لك العمر
وقيناك لو نعطى المنى فيك والهوى لكان بنا الشكوى وكان لك الأجر

قال: ثم حم المتوكل حمى الربع، فدخل عليه مروان بن أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة، فأنشده قصيدةً له على هذا الروي، وأدخل البيتين فيها، فسر بها المتوكل. فقال له علي بن الجهم: يا أمير المؤمنين، هذا شعر مقول، والتفت إلي وقال: هذا يعلم. فالتفت إلي المتوكل وقال : أتعرفه؟ فقلت: ما سمعته قبل اليوم، فشتم علي بن الجهم وقال له: هذا من حسدك وشرك وكذبك. فلما خرجنا قال علي بن الجهم: ويحك! مالك قد جننت! أما تعرف هذا الشعر؟ قلت: بلى! وأنشدته إياه. فلما عدت إلى المتوكل من غدٍ قال له: يا أمير المؤمنين، قد اعترف لي بالشعر وأنشدنيه. فقال لي: أكذاك هو؟ فقلت: كذب يا أمير المؤمنين ! ما سمعت به قط فازداد عليه غيظاً وله شتماً. فلما خرجنا قال لي: ما في الأرض شر منك. فقلت له: أنت أحمق، تريد مني أن أجيء إلى شعرٍ قد قاله فيه شاعر يحبه ويعجبه شعره فأقول له: إني أعرفه فأوقع نفسي وعرضي في لسان الشاعر لترتفع أنت عنده، ويسقط ذاك ويبغضني أنا !.

صوت:

ما لإبراهيم في العل م بهذا الشأن ثان
إنما عمر أبي إس حاق زين للزمان
فإذا غنى أبو إسحا ق أجابته المثاني
منه يجنى ثمر الله و وريحان الجنان
جنة الدنيا أبو إس حاق في كل مكان

عروضه من الرمل. الشعر لابن سيابة. والغناء لإبراهيم الموصلي خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ابنه .

أخبار ابراهيم بن سيابة ونسبه

جده حجام وهو ظريف ويرمى بالأبنة: إبراهيم بن سيابة بني هاشم، وكان يقال: إن جده حجام أعتقه بعض الهاشميين. وهو من مقاربي شعراء وقته، ليست له نباهة ولا شعر شريف، وإنما كان يميل بمودته ومدحه إلى إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق، فغنيا في شعره ورفعا منه، وكانا يذكرانه للخلفاء والوزراء ويذكرانهم به إذا غنيا في شعره، فينفعانه بذلك. وكان خليعاً ماجناً، طيب النادرة، وكان يرمى بالأبنة .

شعره في جارية سوداء لامه أهله في عشقه لها: أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل

قال حدثني أبو زائدة عن جعفر بن زيادٍ قال: عشق ابن سيابة جاريةً سوداء، فلامه أهله على ذلك وعاتبوه؛ فقال:

يكون الخال في وجهٍ قبيحٍ فيكسوه الملاحة والجمالا

فكيف يلام معشوق على من يراها كلها في العين خالا

قصته مع ابن سوار القاضي ودايته رحاص: أخبرني محمد بن مزيدٍ وعيسى بن الحسين والحسين بن يحيى قالوا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: لقي إبراهيم بن سيابة وهو سكران ابناً لسوار بن عبد الله القاضي أمرد، فعانقه وقبله، وكانت معه داية يقال لها رحاص، فقيل لها: إنه لم يقبله تقبيل السلام، إنما قبله قبلةً شهوةٍ فلحقته الداية فشتمته وأسمعته كل ما يكره، وهجره الغلام بعد ذلك. فقال له:

قل للذي ليس لي من يدي هواه خلاص

أأن لثمتك سراً فأبصرتني رحاص

وقال في ذاك قوم على انتقاصي حراص

هجرتني وأنتني شتيمة وانتقاص

فهاك فاقتص مني إن الجروح قصاص

ويروى أن رحاص هذه مغنية كان الغلام يحبها، وأنه سكر ونام؛ فقبله ابن سيابة. فلما انتبه قال للجارية: ليت شعري ما كان خبرك من ابن سيابة؟ فقالت له: سل عن خبرك أنت معه؛ وحدثته بالقصة؛ فهجره الغلام؛ فقال هذا الشعر .

جوابه لمن عاتبه على مجونه، ولمن سأل عنه وهو سكران محمول في طبق: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهروية قال حدثنا علي بن الصباح قال: عاتبنا ابن سيابة على مجونه، فقال: ويلكم! لأن ألقى الله تبارك وتعالى بذل المعاصي فيرحمني، أحب إلي من ألقاه أتبختر إدلالاً بحسناتي فيمقتني .

قال: ورأيت ابن سيابة يوماً وهو سكران وقد حمل في طبق يعبرون به على الجسر، فسألهم إنسان ما هذا؟ فرفع رأسه من الطبق وقال: هذا بقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة يا كشخان .

ولع به أبو الحارث جميز حتى أخجله فهجاه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أبو الشبل البرجمي قال:

ولع يوماً أبو الحارث جميز بابن سيابة حتى أخجله. فقال عند ذلك ابن سيابة يهجوه:

بنى أبو الحارث الجميز في وسطٍ من ظهره وقريباً من ذراعين

ديراً لقسٍ إذا ما جاء يدخله ألقى على باب دير القس خرجين

يعدو على بطنه شداً على عجلٍ لا ذو يدين ولا يمشي برجلين

جوابه لمن اقترض منه فاعتذر: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إبراهيم تينة قال: كتب ابن سيابة إلى صديقٍ له يقترض منه شيئاً؛ فكتب إليه يعتذر له ويحلف أنه ليس عنده ما سأله. فكتب إليه: إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً. وإن كنت ملوماً فجعلك الله معذوراً .

ضرط في جماعة فكلم استه: أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان ابن سيابة الشاعر عندنا يوماً مع جماعةٍ نتحدث ونتناشد وهو ينشدنا شيئاً من شعره، فتحرك فضرط، فضرب بيده على استه غير مكترثٍ، ثم قال: إما أن تسكتي حتى أتكلم، وإما أن تتكلمي حتى أسكت.

غمز غلاماً أمرد فأجابه: أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب قال حدثني أبو هفان قال: غمز ابن سيابة غلاماً أمرد ذات يوم فأجابه، ومضى به إلى منزله، فأكلا وجلسا يشربان. فقال له الغلام: أنت ابن سيابة الزنديق؟ قال نعم. قال: أحب أن تعلمني الزندقة. قال: أفعل وكرامةً. ثم بطحه على وجهه، فلما تمكن منه أدخل عليه؛ فصاح الغلام أوه! أيشٍ هذا ويحك؟ قال سألتني أن أعلمك الزندقة، وهذا أول بابٍ من شرائعها.

يرى فقدان الدقيق أكبر مصيبة: أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني محرز بن جعفر الكاتب قال: قال لي إبراهيم بن سيابة الشاعر: إذا كانت في جيرانك جنازة وليس في بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة، فإن المصيبة عندك أكبر منها عند القوم، وبيتك أولى بالمأتم من بيتهم .

سخط عليه الفضل بن الربيع فاستعطفه بشعر فرضي عنه ووصله: أخبرني جعفر بن قدامة ومحمد بن مزيدٍ قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: سخط الفضل بن الربيع على ابن سيابة، فسألته أن يرضى عنه فامتنع. فكتب إليه ابن سيابة بهذه الأبيات وسألني إيصالها:

إن كان جرمي قد أحاط بحرمتي فأحط بجرمي عفوك المأمولا

فكم ارتجيتك في التي لا يرتجى في مثلها أحد فنلت السولا

وضللت عنك فلم أجد لي مذهباً ووجدت حلمك لي عليك دليلا

هبني أسأت وما أقر كي يزداد عفوك بعد طولك طولا

فالعفو أجمل والتفضل بامرئٍ لم يعدم الراجون منه جميلا

فلما قرأها الفضل دمعت عيناه ورضي عن ابن سيابة، وأوصله إليه وأمر إليه بعشرة آلاف درهم .

حواره المقذع مع بشار: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثنا الحسن بن الفضل قال سمعت ابن عائشة يقول: جاء إبراهيم بن سيابة إلى بشار فقال له: ما رأيت أعمى قط إلا وقد عوض من بصره إما الحفظ والذكاء وإما حسن الصوت، فأي شيء عوضت أنت ؟ قال: ألا أرى ثقيلاً مثلك، ثم قال

له: من أنت ويحك؟ قال: إبراهيم بن سيابة. فتضاحك ثم قال : لو نكح الأسد في استه لذل . وكان إبراهيم يرمى بذلك. ثم تمثل بشار:

لو نكح الليث في استه خضعا ... ومات جوعاً ولم ينل شبعا

كذلك السيف عند هزته ... لو بصق الناس فيه ما قطعا

نزل على سليمان بن يحيى بن معاذ بنيسابور: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله بن أبي نصر المروزي قال حدثني محمد بن عبد الله الطلحي قال حدثني سليمان بن يحيى بن معاذ قال: قدم إبراهيم بن سيابة نيسابور فأنزلته علي؛ فجاءني ليلةً من الليالي وهو مهرب ، فجعل يصيح بي: يا أبا أيوب. فخشيت أن يكون قد غشيه شيء يؤذيه، فقلت: ما تشاء؟ فقال:

أعياني الشادن الربيب

فقلت بماذا؟ فقال:

أكتب أشكو لا يجيب

قال فقلت له: داره وداوه؛ فقال:

من أين أبغي شفاء ما بي ... وإنما دائي الطبيب

فقلت: لا دواء إذاً إلا أن يفرج الله تعالى. فقال:

يا رب فرج إذاً وعجل ... فإنك السامع المجيب

ثم انصرف .

في هذا الشعر رمل طنبوري لجحظة .

من قصيدة أخت الوليد بن طريف في رثائه: قصيدة:

أيا شجر الخابور مال مورقاً ... كأنك لم تحزن على ابن طريف

فتًى لا يحب الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف

الشعر لأخت الوليد بن طريف الشاري. والغناء لعبد الله بن طاهر ثقيل أول بالوسطى، من رواية ابنه عبيد الله عنه. وأول هذه الأبيات كما أنشدنا محمد بن العباس اليزيدي عن أحمد ابن يحيى ثعلب :

بتل بناثا رسم قبرٍ كأنه ... على علمٍ فوق الجبال منيف

تضمن جواداً حاتمياً ونائلاً ... وسورة مقدامٍ وقلب حصيف

ألا قاتل الله الجثا حيث أضمرت ... فتًى كان بالمعروف غير عفيف

فإن يك أراده يزيد بن مزيدٍ فيا رب خيلٍ فضها وصفوف
ألا يا لقومٍ للنوائب والردى ودهرٍ ملح بالكرام عنيف
وللبدر من بين الكواكب إذ هوى وللشمس همت بعده بكسوف
أيا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تحزن على ابن طريف
فتًى لا يحب الزاد إلا من التقى ولا المال إلا من قناً وسيوف
ولا الخيل إلا كل جرداء شطبةٍ وكل حصانٍ باليدين غروف
فلا تجزعا يا ابنا طريفٍ فإنني أرى الموت نزالاً بكل شريف
فقدناك فقدان الربيع وليتنا فديناك من دهمائنا بألوف

وهذه الأبيات تقولها أخت الوليد بن طريفٍ ترثيه، وكان يزيد بن مزيدٍ قتله.

ذكر الخبر في ذلك

مقتل الوليد بن طريف: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد عن عمه عن جماعة من الرواة قال: كان الوليد بن طريفٍ الشيباني رأس الخوارج وأشدهم بأساً وصولةً وأشجعهم؛ فكان من بالشماسية لا يأمن طروقه إياه ، واشتدت شوكته وطالت أيامه. فوجه إليه الرشيد يزيد بن مزيدٍ الشيباني، فجعل يخاتله ويماكره. وكانت البرامكة منحرفةً عن يزيد بن مزيدٍ، فأغروا به أمير المؤمنين، وقالوا: إنما يتجافى عنه للرحم، وإلا فشوكة الوليد يسيرة، وهو يواعده وينتظر ما يكون من أمره. فوجه إليه الرشيد كتاب مغضبٍ يقول فيه: لو وجهت بأحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به، ولكنك مداهن متعصب. وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليوجهن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين. فلقي الوليد عشية خميسٍ في شهر رمضان. فيقال: إن يزيد جهد عطشاً حتى رمه بخاتمه في فيه، فجعل يلوكه ويقول: اللهم إنها شدة شديدة فاسترها. وقال لأصحابه: فداكم أبي وأمي، إنما هي الخوارج ولهم حملة، فاثبتوا لهم تحت التراس ، فإذا انقضت حملتهم فاحملوا؛ فإنهم إذا انهزموا لم يرجعوا. فكان كما قال، حملوا وثبت يزيد ومن معه من عشيرته وأصحابه، ثم حمل عليهم فانكشفوا. ويقال إن أسد بن يزيد كان شبيهاً بأبيه جداً، وكان لا يفصل بينهما إلى المتأمل، وكان أكثر ما يباعده منه ضربةً في وجه يزيد تأخذ من قصاص شعره ومنحرفةً على جبهته؛ فكان أسد يتمنى مثلها. فهوت له ضربة فأخرج وجهه من الترس فأصابته في ذلك الموضع. فيقال: إنه لو خطت على مثال ضربة أبيه ما عدا ، جاءت كأنها هي. واتبع يزيد الوليد بن طريفٍ فلحقه بعد مسافةٍ بعيدةٍ فأخذ رأسه. وكان الوليد خرج إليهم حيث خرج وهو يقول:

أنا الوليد بن طريف الشاري قسورة لا يصطلى بناري

جوركم أخرجني من داري

خرجت أخته لتثأر له فزجرها يزيد بن مزيد: فلما وقع فيهم السيف وأخذ رأس الوليد، صبحتهم أخته ليلى بنت طريفٍ مستعدةً عليها الدرع والجوشن، فجعلت تحمل على الناس فعرفت. فقال يزيد: دعوها، ثم خرج إليها فضرب بالرمح قطاة فرسها، ثم قال اغربي غرب الله عليك ! فقد فضحت العشيرة؛ فاستحيت وانصرفت وهي تقول:

أيا شجر الخابور مالك مورقاً ... كأنك لم تحزن على ابن طريف

فتًى لا يحب الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قناً وسيوف

ولا الذخر إلا كل جرداء صلدمٍ ... وكل دقيق الشفرتين خفيف

فلما انصرف يزيد بالظفر حجب برأي البرامكة، وأظهر الرشيد السخط عليه. فقال: وحق أمير المؤمنين لأصيفن وأشتون على فرسي أو أدخل. فارتفع الخبر بذلك فأذن له فدخل. فلما رآه أمير المؤمنين ضحك وسر وأقبل يصيح: مرحباً بالأعرابي! حتى دخل وأجلس وأكرم وعرف بلاؤه ونقاء صدره .

من قصيد مسلم بن الوليد في يزيد بن مزيد: ومدحه الشعراء بذلك. فكان أحسنهم مدحاً مسلم بن الوليد؛ فقال فيه قصيدته التي أولها:

أجررت حبل خليعٍ في الصبا غزل ... وشمرت همم العذال في عذلي

هاج البكاء على العين الطموح هوًى ... مفرق بين توديع ومحتمل

كيف السلو لقلبٍ بات مختبلاً ... يهذي بصاحب قلبٍ غير مختبل

وفيها يقول:

يفتر عند افترار الحرب مبتسماً ... إذا تغير وجه الفارس البطل

موفٍ على مهج في يوم ذي رهجٍ ... كأنه أجل يسعى إلى أمل

ينال بالرفق ما يعيا الرجال به ... كالموت مستعجلاً يأتي على مهل

لا يرحل الناس إلا نحو حجرته ... كالبيت يفضي إليه ملتقى السبل

يقري المنية أرواح العداة كما ... يقري الضيوف شحوم الكوم والبزل

يكسو السيوف رؤوس الناكثين به ... ويجعل الهام تيجان القنا الذبل

إذا انتضى سيفه كانت مسالكه ... مسالك الموت في الأبدان والقلل

لا تكذبن فإن المجد معدنه ... وراثة في بني شيبان لم تزل

إذا الشريكي لم يفخر على أحدٍ تكلم الفخر عنه غير منتحل

الزائديون قوم في رماحهم خوف المخيف وأمن الخائف الوجل

كبيرهم لا تقوم الراسيات له حلماً وطفلهم في هدي مكتهل

اسلم يزيد فما في الملك من أودٍ إذا سلمت ولا في الدين من خلل

لولا دفاعك بأس الروم إذ مكرت عن بيضة الدين لم تأمن من الثكل

والمارق ابن طريفٍ قد دلفت له بعارضٍ للمنايا مسبل هطل

لو أن غير شريكي أطاف به فاز الوليد بقدح الناضل الخصل

ما كان جمعهم لما دلفت لهم إلا كمثل جرادٍ ريع منجفل

كم آمنٍ لك نائي الدار ممتنعٍ أخرجته من حصون الملك والخول

تراه في الأمن في درعٍ مضاعفةٍ لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ولا يمسح عينيه من الكحل

يأبى لك الذم في يوميك إن ذكرا عضب حسام وعرض غير مبتذل

فافخر فما لك في شيبان من مثلٍ كذاك ما لبني شيبان من مثل

وقال محمد بن يزيد: يعني بقوله:

تراه في الأمن في درعٍ مضاعفةٍ

كان معن يقدمه على بنيه فعاتبته امرأته فأراها حالهم وحاله:

خبر يزيد بن مزيدٍ. وذاك أن امرأة معن بن زائدة عاتبت معناً في يزيد وقالت: إنك لتقدمه وتؤخر بنيك، وتشيد بذكره وتحمل ذكرهم، ولو نبهتهم لانتبهوا، ولو رفعتهم لارتفعوا. فقال معن: إن يزيد قريب لم تبعد رحمه، وله علي حكم الولد إذ كنت عمه. وبعد فإنهم ألوط بقلبي وأدنى من نفسي على ما توجبه واجبة الولادة للأبوة في تقديمهم ، ولكني لا أجد عندهم ما أجده عنده. ولو كان ما يضطلع به يزيد في بعيدٍ لصار قريباً، وفي عدوٍ لصار حبيباً. وسأريك في ليلتي هذه ما ينفسح به اللوم عني ويتبين به عذري. يا غلام اذهب فادع جساساً وزائدة وعبد الله فلاناً وفلاناً، حتى أتى على أسماء ولده؛ فلم يلبث أن جاؤوا في الغلائل المطيبة والنعال السندية، وذلك بعد هدأةٍ من الليل، فسلموا وجلسوا. ثم قال: يا غلام ادع لي يزيد وقد أسبل ستراً بينه وبين المرأة، وإذا به قد دخل عجلاً وعليه السلاح كله، فوضع رمحه بباب المجلس ثم أتى يحضر . فلما رآه معن قال: ما هذه الهيئة أبا الزبير؟ وكان يزيد يكنى أبا الزبير وأبا خالد فقال: جاءني رسول الأمير فسبق إلى نفسي أنه يريدني لوجهٍ، فقلت:

إن كان مضيت و لم أعرج، وإن يكن الأمر على خلاف ذلك فنزع هذه الآلة أيسر الخطب. فقال لهم: انصرفوا في حفظ الله. فقالت المرأة: قد تبين عذرك. فأنشد معن متمثلاً:

نفس عصامٍ سودت عصاما ... وعودته الكر والإقداما

وصيرته ملكاً هماما

من شعر أخته في رثائه: وأخبرني محمد بن الحسن الكندي قال حدثنا الرياشي قال: أنشدني الأصمعي لأخت الوليد بن طريف ترثيه:

ذكرت الوليد وأيامه ... إذ الأرض من شخصه بلقع

فأقبلت أطلبه في السماء ... كما يبتغي أنفه الأجدع

أضاعك قومك فليطلبوا ... إفادة مثل الذي ضيعوا

لو أن السيوف التي حدها ... يصيبك تعلم ما تصنع

نبت عنك أو جعلت هيبةً ... وخوفاً لصولك لا تقطع

بعض أخلاق عبد الله بن طاهر: فأما خبر عبد الله بن طاهر في صنعته هذا الصوت، فإن عبد الله كان بمحل من علو المنزلة وعظم القدر ولطف مكانٍ من الخلفاء، يستغني به عن التقريظ له والدلالة عليه. وأمره في ذلك مشهور عند الخاصة والعامة، وله في الأدب مع ذلك المحل الذي لا يدفع، وفي السماحة والشجاعة ما لا يقاربه فيه كبير أحدٍ .

فرق خراج مصر وقال أبياته أرضى بها المأمون: أخبرني علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد المبرد أن المأمون أعطى عبد الله بن طاهر مال مصر لسنةٍ خراجها وضياعها، فوهبه كله وفرقه في الناس، ورجع صفراً من ذلك، فغاظ المأمون فعله. فدخل إليه يوم مقدمه فأنشده أبياتاً قالها في هذا المعنى، وهي:

نفسي فداؤك والأعناق خاضعةً ... للنائبات أبيا غير متهضم

إليك أقبلت من أرضٍ أقمت بها ... حولين بعدك في شوقٍ وفي ألم

أقفو مساعيك اللاتي خصصت بها ... حذو الشراك على مثلٍ من الأدم

فكان فضلي فيها أنني تبع ... لما سننت من الإنعام والنعم

ولو وكلت إلى نفسي غنيت بها ... لكن بدأت فلم أعجز ولم ألم

فضحك المأمون وقال: والله ما نفست عليك مكرمةً نلتها ولا أحدوثةً حسن عنك ذكرها، ولكن هذا شيء إذا عودته نفسك افترقت و لم تقدر على لم شعثك وإصلاح حالك. وزال ما كان في نفسه .

أتاه معلى الطائي ومدحه فأجازه: أخبرني وكيع قال حدثنا عبد الله بن أبي سعدٍ قال حدثني عبد الله بن فرقدٍ قال

أخبرني محمد ابن الفضل محمد بن منصور قال: لما افتتح عبد الله بن طاهر مصر ونحن معه، سوغه المأمون خراجها. فصعد المنبر فلم يزل حتى أجاز بها كلها ثلاثة آلاف دينارٍ أو نحوها. فأتاه معلىً الطائي وقد أعلموه ما قد صنع عبد الله بن طاهر بالناس في الجوائز، وكان عليه واحداً، فوقف بين يديه تحت المنبر فقال: أصلح الله الأمير! أنا معلىً الطائي، وقد بلغ مني ما كان منك إلي من جفاءٍ وغلظٍ. فلا يغلظن علي قبلك، ولا يستخفنك الذي بلغك، أنا الذي أقول:

يا أعظم الناس عفواً عند مقدرةٍ ... وأظلم الناس عند الجود للمال

لو أصبح النيل يجري ماؤه ذهباً ... لما أشرت إلى خزنٍ بمثقال

تغلى بما فيه رق الحمد تملكه ... وليس شيء أعاض الحمد بالغالي

تفك باليسر كف العسر من زمنٍ ... إذا استطال على قوم بإقلال

لم تخل كفك من جودٍ لمختبطٍ ... أو مرهفٍ قاتلٍ في رأس قتال

وما بثثت رعيل الخيل في بلدٍ ... إلا عصفن بأرزاقٍ وآجال

إن كنت على بالٍ مننت به ... فإن شكرك من قلبي على بال

ما زلت منقضباً لولا مجاهرة ... من ألسنٍ خضن في صدري بأقوال

قال فضحك عبد الله وسر بما كان منه، وقال: يا أبا السمراء أقرضني عشرة آلاف دينار، فما أمسيت أملكها؛ فأقرضه فدفعها إليه .

أحسن إلى موسى بن خاقان ثم جفاه، فمدح موسى المأمون وعرض به: أخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه قال: كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر بمصر، وكان نديمه وجليسه، وكان له مؤثراً مقدماً؛ فأصاب منه معروفاً كثيراً وأجازه بجوائز سنية هناك وقبل ذلك. ثم إنه وجد عليه في بعض الأمر، فجفاه وظهر له منه بعض ما لم يحبه، فرجع حينئذ إلى بغداد وقال: صوت:

إن كان عبد الله خلانا ... لا مبدئاً عرفاً وإحسانا

فحسبنا الله رضينا به ... ثم بعبد الله مولانا

يعني بعبد الله الثاني المأمون، وغنت فيه جاريته ضعف لحناً من الثقيل الأول، وسمعه المأمون فاستحسنه ووصله وإياها. فبلغ ذلك عبد الله بن طاهر، فغاظه ذلك وقال: أجل! صنعنا المعروف إلى غير أهله فضاع .

وكانت ضعف إحدى المحسنات. ومن أوائل صنعتها وصدور أغانيها وما برزت فيه وقدمت فاختيرت، صنعتها في شعر جميلٍ:

أمنك سرى يا بثن طيف تأوبا هدوءاً فهاج القلب شوقاً وأنصبا
عجبت له أن زار في النوم مضجعي ولو زارني مستيقظاً كان أعجبا

الشعر لجميل، والغناء لضعف ثقيل أول بالبنصر .

قصته مع محمد بن يزيد الأموي: أخبرني عمي قال حدثني أبو جعفر بن الدهقانة النديم قال حدثنا العباس بن الفضل الخراساني، وكان من وجوه قواد طاهر وابنه عبد الله، وكان أديباً عاقلاً فاضلاً، قال: لما قال عبد الله بن طاهر قصيدته التي يفخر فيها بمآثر أبيه وأهله ويفخر بقتلهم المخلوع، عارضه محمد بن يزيد الأموي الحصني، وكان رجلاً من ولد مسلمة بن عبد الملك، فأفرط في السب وتجاوز الحد في قبح الرد، وتوسط بين القوم وبين بني هاشم فأربى في التوسط والتعصب. فكان مما قال فيه:

يا بن بيت النار موقدها ما لحاذيه سراويل
من حسين من أبوك ومن مصعب !غالتكم غول
نسب في الفخر مؤتشب وأبوات أراذيل
قاتل المخلوع مقتول ودم المقتول مطلول

وهي قصيدة طويلة. فلما ولي عبد الله مصر ورد إليه تدبير أمر الشام، علم الحصني أنه لا يفلت منه إن هرب ولا ينجو من يده حيث حل، وأحرز حرمه، وترك أمواله ودوابه وكل ما كان يملكه في موضعه، وفتح باب حصنه وجلس عليه، ونحن نتوقع من عبد الله بن طاهر أن يوقع به. فلما شارفنا بلده وكنا على أن نصبحه ، دعاني عبد الله في الليل فقال لي: بت عندي الليلة، وليكن فرسك معداً عندك لا يرد، ففعلت. فلما كان في السحر أمر غلمانه وأصحابه الأ يرحلوا حتى تطلع الشمس، وركب في السحر وأنا وخمسة من خواص غلمانه معه ، فسار حتى صبح الحصني، فرأى بابه مفتوحاً ورآه جالساً مفتوحاً مسترسلاً، فقصده وسلم عليه ونزل عنده وقال له: ما أجلسك ها هنا وحملك على أن فتحت بابك و لم تتحصن من هذا الجيش المقبل و لم تتنح عن عبد الله بن طاهر مع ما في نفسه عليك وما بلغه عنك؟ فقال: إن ما قلت لم يذهب علي، ولكني تأملت أمري، وعلمت أني أخطأت خطيئةً حملني عليها نزق الشباب وغرة الحداثة، وأني هربت منه لم أفته، فباعدت البنات والحرم، واستسلمت بنفسي وكل ما أملك؛ فأنا أهل بيتٍ قد أسرع القتل فينا، ولي بمن مضى أسوة؛ فإني أثق بأن الرجل إذا قتلني وأخذ مالي شفى غيظه و لم يتجاوز ذلك إلى الحرم ولا له فيهن أرب، ولا يوجب جرمي إليه أكثر مما بذلته. قال: فوالله ما اتقاه عبد الله إلا بدموعه تجري على لحيته. ثم قال له: أتعرفني؟ قال: لا والله! قال: أنا عبد الله بن طاهر، وقد أمن الله تعالى روعتك، وحقن دمك، وصان حرمك، وحرس نعمتك، وعفا عن ذنبك. وما تعجلت إليك وحدي إلا لتأمن من قبل هجوم الجيش، ولئلا يخالط عفوي عنك روعة تلحقك. فبكى الحصني

وقام فقبل رأسه؛ وضمه إليه عبد الله وأدناه، ثم قال له: إما لا فلا بد من عتاب. يا أخي جعلني الله فداك! قلت شعراً في قومي أفخر بهم لم أطعن فيه على حسبك ولا ادعيت فضلاً عليك. وفخرت بقتل رجلٍ هو وإن كان من قومك، فهم القوم الذين تأرك عندهم؛ فكان يسعك السكوت، أو إن لم تسكت لا تغرق ولا تسرف.
فقال: أيها الأمير، قد عفوت، فاجعله العفو الذي لا يخلطه تثريب، ولا يكدر صفوه تأنيب. قال: قد فعلت، فقم بنا ندخل إلى مترلك حتى نوجب عليك حقاً بالضيافة. فقام مسروراً فأدخلنا، فأتى بطعام كان قد أعده، فأكلنا وجلسنا نشرب في مستشرفٍ له. وأقبل الجيش، فأمرني عبد الله أن أتلقاهم فأرحلهم، ولا يترل أحد منهم إلا في المترل، وهو على ثلاثة فراسخ؛ فترلت فرحلتهم. وأقام عنده إلى العصر . ثم دعا بدواةٍ فكتب له بتسويغه خراجه ثلاث سنين، وقال له: إن نشطت لنا فالحق بنا، وإلا فأقم بمكانك. فقال: فأنا أتجهز بالأمير. ففعل فلحق بنا بمصر ولم يزل مع عبد الله لا يفارقه حتى رحل إلى العراق، فودعه وأقام ببلده .
بعض الأشعار التي غنى فيها وذكر بعض أخبار استدعاها بيانها: فأما الأصوات التي غنى فيها عبد الله بن طاهر فكثيرة . وكان عبيد الله بن عبد الله إذا ذكر شيئاً منها قال: الغناء للدار الكبيرة، وإذا ذكر شيئاً من صنعته قال: الغناء للدار الصغيرة فمنها ومن مختارها وصدورها ومقدمها لحنه من شعر أخت عمرو بن عاصية وقيل: إنه لأخت مسعود بن شداد فإنه صوت نادر جيد. قال أبو العبيس بن حمدون وقد ذكره ففضله: جاء به عبد الله بن طاهر صحيح العمل مزدوج النغم بين لينٍ وشدةٍ على رسم الحذاق من القدماء، وهو: صوت:

هلا سقيتم بني سهمٍ أسيركم نفسي فداؤك من ذي غلةٍ صادي
الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها مضرج بعد ما جادت بإزباد

الشعر لأخت عمرو بن عاصية السلمي ترثيه . وكان بنو سهم، وهم بطن من هذيل، أسروه في حربٍ كانت بينهم ولم يعرفوه، فلما عرفوه قتلوه. وكان قد عطش فاستسقاهم، فمنعوه وقتلوه على عطشه. وقيل: إن هذا الشعر للفارغة أخت مسعود بن شداد. ولحن عبد الله بن طاهر خفيف ثقيل أول بالوسطى ابتداؤه استهلال .
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال: قتلت بنو سهمٍ، وهم بطن من هذيل، عمرو بن عاصية السلمي، وكان رجلان منهم أخذاه أخذاً، فاستسقاهما ماء فمنعاه ذلك، ثم قتلاه. فقالت أخته ترثيه، وتذكر ما صنعوا به:

شبت هذيل وبهز بينها إرةً فلا تبوخ ولا يرتد صاليها

ويروى: شبت هذيل وسهم، وهو الصحيح، ولكن كذا قال عمر بن شبة .

إن ابن عاصية المقتول بينكما خلى علي فجاجاً كان يحميها

وقالت أيضاً ترثيه:

يا لهف نفسي لهفاً دائماً أبداً على ابن عاصية المقتول بالوادي

هلا سقيتم بنس سهمٍ أسيركم نفسي فداؤك من ذي غلة صادي

قال: فغزا عرعرة بن عاصية هذيلاً يطلبهم بدم أخيه، فقتل منهم نفراً وسبى امرأةً فجردها، ثم ساقها معه عارية إلى بلاد بني سليم؛ فقالت عند ذلك :

ألامت سليم في السياق وأفحشت وأفرط في السوق العنيف إسارها

لعل فتاةً منهم أن يسوقها فوارس منها وهي بادٍ شوارها

فإن سبقت عليا سليم بذحلها هذيلاً فقد باءت فكيف اعتذارها

ألا ليت شعري هل أرى الخيل شزباً تثير عجاجاً مستطيراً غبارها

فترقا عيون بعد طول بكائها ويغسل ما قد كان بالأمس عارها

هذه رواية عمر بن شبة. فأما رواية أبو عبيدة فإنه خالفه في ذلك، وذكر في مقتله، فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال: خرج عمرو بن عاصيةٍ السلمي ثم البهزي في جماعةٍ من قومه، فأغاروا على هذيل بن مدركة، فصادفوا حياً من هذيلٍ يقال لهم بنو سهم بن معاوية. وكانت امرأة من هذيل تحت رجل من بني بهزٍ، فقالت لابن لها معه : أي بني انطلق إلى أخوالك فأنذرهم بأن ابن عاصية قد أمسى يريدهم، وذلك حين عزم ابن عاصية على غزوهم وأراد المسير إليهم. فانطلق الغلام من تحت ليلته حتى أتى أخواله فأنذرهم، فقال: ابن عاصية السلمي يريدكم، فخذوا حذركم؛ فبدر القوم واستعدوا. وأصبح عمرو بن عاصية قريباً من الحي، فنزل فربأ لأصحابه على جبلٍ مشرف على القوم ، فإذا هم حذرون. فقال لأصحابه: أرى القوم حذرين إن لهم لشأناً، ولقد أنذروا علينا. فكمن في الجبل يطلب غفلتهم، فأصابه وأصحابه عطش شديد، فقال ابن عاصية لأصحابه: هل فيكم من يرتوي لأصحابه؟ فقال أصحابه: نخاف القوم، وأبى أحد منهم أن يجيبه إلى ذلك. قال: فخرج على فرسٍ له ومعه قربته. وقد وضعت هذيل على الماء منهم رصداً، وعلموا أنهم لا بد لهم من أن يردوا الماء. فمر بهم عمرو بن عاصية وقد كمن له شيخ وفتيان من هذيل، فلما نظروا إليه هم الفتيان أن يثاوراه . فقال الشيخ مهلاً! فإنه لم يركما. فكفا. فانتهى ابن عاصية إلى البئر، فنظر يميناً وشمالاً فلم ير أحداً والآخرون يرمقونه من حيث لا يراهم. فوثب نحو قربته فأخذها ثم دخل البئر فطفق يملأ القربة ويشرب. وأقبل الفتيان والشيخ معهم حتى أشرفوا عليه وهو في البئر، فرفع رأسه فأبصر القوم؛ فقالوا: قد أخزاك الله يا بن عاصية وأمكن منك! قال: ورمى الشيخ بسهم فأصاب أخمصه فأنفذه فصرعه، وشغل الفتيان بنزع السهم من قدم الشيخ، ووثب ابن عاصية من البئر شداً نحو أصحابه، وأدركه الفتيان قبل وصوله فأسراه. فقال لهما حين أخذاه: أرويابي من الماء ثم اصنعا ما بدا لكما. فلم يسقياه وتعاوراه بأسيافهما حتى قتلاه. فقالت أخت عمرو بن عاصية ترثي أخاها:

يا لهف نفسي يوماً ضلةً جزعاً على ابن عاصية المقتول بالوادي
إذ جاء ينفض عن أصحابه طفلاً مشي السبنتي أمام الأيكة العادي
هلا سقيتم بني سهمٍ أسيركم نفسي فداؤك من مستوردٍ صادي

قال أبو عبيدة: وآب غزي بني سليم بعد مقتل ابن عاصم. قال: فبلغ أخاه عرعرة بن عاصية قتل هذيلٍ أخاه وكيف صنع به، فجمع لهم جمعاً من قومه فيهم فوارس من بني سليم منهم عبيدة بن حكيم الشريدي وعمر بن الحارث الشريدي وأبو مالك البهزي وقيس بن عمرو أحد بني مطرود من بني سليم وفوارس من بني رعلٍ. قال: فسرى إليهم عرعرة، فالتقوا بموضع يقال له الجرف فاقتتلوا قتالاً شديداً، فظفرت بهم بنو سليم فأوجعوا فيهم وقتلوا منهم قتلى عظيمةً، وأسروا أسرى، وأصابوا امرأةً من هذيل فعروها من ثيابها واستاقوها مجردة فأفحشوا في ذلك. وقال عرعرة بن عاصية في ذلك يذكر من قتل:

ألا أبلغ هذيلاً حيث حلت مغلغلةً تخب مع الشفيق
مقامكم غداة الجرف لما تواقفت الفوارس بالمضيق

غداة رأيتم فرسان بهزٍ ورعلٍ ألبدت فوق الطريق
تراميتم قليلاً ثم ولت فوارسكم توقل كل نيق
بضربٍ تسقط الهامات منه وطعنٍ مثل إشعال الحريق

وقال لي: إن هذا الشعر الذي فيه صنعة عبد الله بن طاهر لمسعود بن شداد يرثي أخاه، وزعم أن جرماً كانت قتلته وهو عطشان، فقال:

يا عين جودي لمسعود بن شدادٍ بكل ذي عبراتٍ شجوه بادي
هلا سقيتم بني جرمٍ أسيركم نفسي فداؤك من ذي غلةٍ صادي

فأنشدنيها بعض أصحابنا قال أنشدني أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال أنشدني أبو حاتم عن أبي عبيدة لفارعة المرية أخت مسعود بن شداد ترثيه، فذكر من الأبيات البيت الأول، وبعده:

يا من رأى بارقاً قد بت أرمقه جوداً على الحرة السوداء بالوادي
أسقي به قبر من أعني وحب به قبراً إلي ولو لم يفده فادي
شهاد أنديةٍ رفاع أبنيةٍ شداد ألويةٍ فتاح أسداد
نحار راغيةٍ قتال طاغيةٍ حلال رابيةٍ فكاك أقياد

قوال محكمةٍ نقاض مبرمةٍ فراج مبهمةٍ حباس أوراد
حلال ممرعةٍ حمال مضلعةٍ قراع مفظعةٍ طلاع أنجاد
جماع كل خصال الخير قد علموا زين القرين وخطم الظالم العادي
أبا زرارة لا تبعد فكل فتًى يوماً رهين صفيحاتٍ وأعواد

والغناء في هذا الشعر لعبد الله بن طاهر خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر. قال عبيد الله بن عبد الله ابن طاهر: لما صنع أبي هذا الصوت لم يحب أن يشيع عنه شيء من هذا ولا ينسب إليه؛ لأنه كان يترفع عن الغناء، وما جس بيده وتراً قط ولا تعاطاه، ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول الدربة وحسن الثقافة ما لا يعرفه كبير أحدٍ. وبلغ من علم ذلك إلى أن صنع أصواتاً كثيرة، فألقاها على جواريه، فأخذها عنه وغنين بها، وسمعها الناس منهن وممن أخذ عنهن. فلما أن صنع هذا الصوت:

هلا سقيتم بني جرمٍ أسيركم نفسي فداؤك من ذي غلةٍ صادي

نسبه إلى مالك بن أبي السمح. وكان لآل الفضل بن الربيع جارية يقال لها داحة، فكانت ترغب إلى عبد الله بن طاهر لما ندبه المأمون إلى مصر في أن يأخذها معه ، وكانت تغنيه، وأخذت هذا الصوت عن جواريه، وأخذه المغنون عنها ورووه لمالك مدة. ثم قدم عبد الله العراق فحضر مجلس المأمون، وغني الصوت بحضرته ونسب إلى مالك، فضحك عبد الله ضحكاً كثيراً. فسئل عن القصة فصدق فيها واعترف بصنعة الصوت. فكشف المأمون عن ذلك. فلم يزل كل من سئل عنه يخبر عمن أخذه عنه، فتنتهي القصة إلى داحة ثم تقف ولا تعدوها.

فأحضرت داحة وسئلت فأخبرت بقصته؛ فعلم أنه من صنعته حينئذ بعد أن جاز على إسحاق وطبقته أنه لمالك.

ويقال: إن إسحاق لم يعجب من شيءٍ عجبه من عبد الله وحذقه بمذاهب الأوائل وحكاياتهم .

قال: ومن غنائه أيضاً: صوت:

راح صحبي وعاود القلب داء من حبيبٍ طلابه لي عناء
حسن الرأي والمواعيد لا يل فى لشيءٍ مما يقول وفاء
من تعزى عمن يحب فإني ليس لي ما حييت عنه عزاء

الغناء لابن طنبورة خفيف ثقيلٍ أول بالسبابة في مجرى الوسطى. ولحن عبد الله بن طاهر ثاني ثقيلٍ بالبنصر.

ومنها:

فمن يفرح ببينهم فغيري إذ غدوا فرحا

شعر لعمر بن أبي ربيعة وسببه: صوت:

يا خليلي قد مللت ثوائي بالمصلى وقد شنئت البقيعا

بلغاني ديار هندٍ وسلمى وارجعا بي فقد هويت الرجوعا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء للغريض خفيف ثقيلٍ بالوسطى في مجراها عن إسحاق ، وذكر الهشامي أنه لابن سريج. وذكر حبش أن فيه رملاً بالبنصر لإبراهيم. وفيه لحن لمعبدٍ ذكره حماد بن إسحاق عن أبيه و لم يجنسه .

أخبرني بخبر عمر بن أبي ربيعة في هذا الشعر وقوله إياه الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا سليمان بن عياش السعدي قال أخبرني السائب بن ذكوان راوية كثير قال : قدم عمر بن أبي ربيعة المدينة، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص قال، وأخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن عثمان بن حفص والزبيري والمسيبي، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة موقوفاً عليه. وجمعت رواياتهم، وأكثر اللفظ للزبير بن بكار وخبره أتم: أن عمر بن أبي ربيعة قدم المدينة، فزعموا أنه قدمها من أجل امرأةٍ من أهلها، فأقام بها شهراً؛ فذلك قوله:

يا خليلي قد مللت ثوائي بالمصلى وقد شننت البقيعا

خرج هو والأحوص إلى مكة فمرا بنصيب وكثير وتحاوروا: قال: ثم خرج إلى مكة، فخرج معه الأحوص واعتمرا .

قال الزبير في خبره عن سائب راوية كثيرٍ إنه قال: لما مرا بالروحاء استتلياني فخرجت أتلوهما، حتى لحقتهما بالعرج عند رواحهما. فخرجنا جميعاً حتى وردنا ودان ، فحبسهما النصيب وذبح لهما وأكرمهما، وخرجنا وخرج معنا النصيب. فلما جئنا كلية عدلنا جميعاً إلى منزل كثيرٍ، فقيل لنا: هبط قديداً ، فذكر لنا أنه في خيمةٍ من خيامها. فقال لي ابن أبي ربيعة: اذهب فادعه لي. فقال النصيب: هو أحمق وأشد كبراً من أن يأتيك. فقال لي عمر: اذهب كما أقول لك فادعه لي. فجئته، فهش لي وقال: اذكر غائباً تره، لقد جئت وأنا أذكرك. فأبلغه رسالة عمر؛ فحدد إلي نظرةً وقال: أما كان عندك من المعرفة ما يردعك عن إتياني بمثل هذه الرسالة! قلت: بلى والله! ولكني سترت عليك فأبى الله إلا أن يهتك سترك. فقال لي: إنك والله يا بن ذكوان ما أنت من شكلي؛ فقل لابن أبي ربيعة: إن كنت قرشياً فأنا قرشي. فقلت له: لا تترك هذا التلصق وأنت تقرف عنهم كما تقرف الصمغة! فقال: والله لأنا أثبت فيهم منك في سدوس. ثم قال: وقل له: إن كنت شاعراً فأنا أشعر منك. فقلت له: هذا إذا كان الحكم إليك. فقال: وإلى من هو ومن أولى بالحكم مني! وبعد هذا يا بن ذكوان فاحمد الله على لومك ؛ فقد منعك مني اليوم؟ فرجعت إلى عمر، فقال: ما وراءك؟ فقلت: ما قال لك نصيب. فقال: وإن. فأخبرته فضحك وضحك صاحباه ظهراً لبطنٍ، ثم نهضوا معي إليه. فدخلنا عليه في خيمةٍ، فوجدناه جالساً على جلد كبشٍ، فوالله ما أوسع للقرشي. فلما تحدثوا ملياً فأفاضوا في ذكر الشعر ، أقبل على عمر فقال له: أنت تنعت المرأة فتنسب بها ثم تدعها وتنسب بنفسك. أخبرني يا هذا عن قولك:

قالت تصدى له ليعرفنا ثم اغمزيه يا أخت في خفر
قالت لها وقد غمزته فأبى ثم اسبطرت تشتد في أثري
وقولها والدموع تسبقها لنفسدن الطواف في عمر

أتراك لو وصفت بهذا هرة أهلك ألم تكن قد قبحت وأسأت وقلت الهجر. إنما توصف الحرة بالحياء والإباء والالتواء والبخل والامتناع، كما يقال هذا وأشار إلى الأحوص:

أدور ولولا أن أرى أم جعفرٍ بأبياتكم ما درت حيث أدور
وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى إذا لم يزر لا بد أن سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفرٍ وإني إلى معروفها لفقير

قال: فدخلت الأحوص أبهة وعرفت الخيلاء فيه. فلما استبان كثير ذلك فيه قال: أبطل آخرك أولك. أخبرني عن قولك:

فإن تصلي أصلك وإن تبيني بصرمك بعد وصلك لا أبالي
ولا ألفى كمن إن سيم صرماً تعرض كي يرد إلى الوصال

أما والله لو كنت فحلاً لباليت ولو كسرت أنفك. ألا قلت كما قال هذا الأسود وأشار إلى نصيب:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب وقل إن تملينا فما ملك القلب

قال: فانكسر الأحوص، ودخلت النصيب أبهة. فلما نظر أن الكبرياء قد دخلته، قال له: يا ابن السوداء، فأخبرني عن قولك:

أهيم بدعدٍ ما حييت فإن أمت فواكبدي من ذا يهيم بها بعدي

أهمك من ينيكها بعدك! فقال نصيب: استوت القوق ، قال: وهي لعبة مثل المنقلة. ومن هذا الموضع ينفرد الزبير بروايته دون الباقين. قال سائب: فلما أمسك كثير أقبل عليه عمر فقال له: قد أنصتنا لك فاسمع يا مذبوب إلي أخبرني عن تخيرك لنفسك لمن تحب حيث تقول:

ألا ليتنا يا عز كنا لذي غنًى بعيرين نرعى في الخلاء ونعزب
كلانا به عر فمن يرنا يقل على حسنها جرباء تعدي وأجرب
إذا ما وردنا منهلاً صاح أهله علينا فما ننفك نرمى ونضرب
وددت وبيت الله أنك بكرة خجان وأني مصعب ثم نهرب

نكون بعيري ذي غنًى فيضيعنا فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

وقال: تمنيت لها ولنفسك الرق والطرد والمسخ، فأي مكروهٍ لم تمن لها ولنفسك! لقد أصابها منك قول القائل: معاداة عاقلٍ خير من مودة أحمق. قال؛ فجعل يختلج جسده كله. ثم أقبل عليه الأحوص فقال: إلي يا بن استها أخبرك بخبرك وتعرضك للشر وعجزك عنه وإهدافك لمن رماك. أخبرني عن قولك:

وقلن وقد يكذبن فيك تعيف وشؤم إذا ما لم تطع صاح ناعقه

وأعييتنا لا راضياً بكرامةٍ ولا تاركاً شكوى الذي أنت صادقه

فأدركت صفو الود منا فلمتنا وليس لنا ذنب فنحن موازقه

وألفيتنا سلماً فصدعت بيننا كما صدعت بين الأديم خوالقه

والله لو احتفل عليك هاجيك ما زاد على ما بؤت به على نفسك. قال: فخفق كما يخفق الطائر. ثم أقبل عليه النصيب فقال: أقبل علي يا زب الذباب! فقد تمنيت معرفة غائبٍ عندي علمه فيك حيث تقول:

وددت وما تغني الودادة أنني بما في ضمير الحاجبية عالم

فإن كان خيراً سرني وعلمته وإن كان شراً لم تلمني اللوائم

انظر في مرآتك واطلع في جيبك واعرف صورة وجهك، تعرف ما عندها لك . فاضطرب اضطراب العصفور، وقال القوم يضحكون. وجلست عنده؛ فلما هدأ شأوه قال لي: أرضيتك فيهم؟ فقلت له: أما في نفسك فنعم! فقد نحس يومك معهم، وقد بقيت أنا عليك. فما عذرك ولا عذر لك في قولك:

سقى دمنتين لم نجد لهما أهلاً بحقلٍ لكم يا عز قد رابنا حقلا

نجاء الثريا كل آخر ليلةٍ يجودهما جوداً ويتبعه وبلا

ثم قلت في آخرها:

وما حسبت ضمرية حدرية سوى التيس ذي القرنين أن لها بعلا

أهكذا يقول الناس ويحك! ثم تظن أن ذلك قد خفي و لم يعلم به أحد، فتسب الرجال وتعيبهم! فقال: وما أنت وهذا؟ وما علمك بمعنى ما أردت؟ فقلت: هذا عجب من ذاك. أتذكر امرأة تنسب بها في شعرك وتستغزر لها الغيث في أول شعرك، وتحمل عليها التيس في آخره! قال: فأطرق وذل وسكن. فعدت إلى أصحابي فأعلمتهم ما كان من خبره بعدهم. فقالوا: ما أنت بأهون حجارته التي رمي بها اليوم منا. قال فقلت لهم: إنه لم يترني فأطلبه بذحلٍ، ولكني نصحته لئلا يخل هذا الإخلال الشديد، ويركب هذه العروض التي ركب في الطعن على الأحرار والعيب لهم .

شدد والي مكة في الغناء، فخرج فتية إلى وادي محسر وبعثوا لابن سريج فغناهم: أخبرني أحمد بن عبد العزيز

الجوهري وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال حدثني ابن جامع عن السعيدي عن سهل بن بركة وكان يحمل عود ابن سريج قال:

كان على مكة نافع بن علقمة الكناني، فشدد في الغناء والمغنين والنبيذ، ونادى في المخنثين. فخرج فتية من قريش إلى بطنٍ محسرٍ وبعثوا برسولٍ لهم فأتاهم برواية من الشراب الطائفي. فلما شربوا وطربوا قالوا: لو كان معنا ابن سريج تم سرورنا. فقلت: هو علي لكم. فقال لي بعضهم: دونك تلك البغلة فاركبها وامض إليه. فأتيته فأخبرته بمكان القوم وطلبهم إياه. فقال لي: ويحك! وكيف لي بذاك مع شدة السلطان في الغناء وندائه فيه؟ فقلت له: أفتردهم؟ قال: لا والله! فكيف لي بالعود؟ فقلت له: أنا أحبؤه لك فشأنك. فركب وسترت العود وأردفني فلما كنا ببعض الطريق إذا أنا بنافع بن علقمة قد أقبل، فقال لي: يابن بركة هذا الأمير! فقلت: لا بأس عليك، أرسل عنان البغلة وامض ولا تخف، ففعل. فلما حاذيناه عرفني و لم يعرف ابن سريج، فقال لي يابن بركة: من هذا أمامك؟ فقلت: ومن ينبغي أن يكون! هذا ابن سريج. فتبسم ابن علقمة ثم تمثل:

فإن تنج منها يا أبان مسلماً ... فقد أفلت الحجاج خيل شبيب

ثم مضى ومضينا. فلما كنا قريباً من القوم نزلنا إلى شجرةٍ نستريح، فقلت له: غن مرتجلاً؛ فرفع صوته فخيل إلي أن الشجرة تنطق معه، فغنى: صوت:

كيف الثواء ببطن مكة بعد ما ... هم الذين تحب بالإنجاد

أم كيف قلبك إذ ثويت مخمراً ... سقماً خلافهم وكربك بادي

هل أنت إن ظعن الأحبة غادي ... أم قبل ذلك مدلج بسواد

الشعر للعرجي. وذكر إسحاق في مجردة أن الغناء فيه لابن عائشة ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى. وحكى حماد ابنه أن اللحن لابن سريج قال سهل: فقلت: أحسنت والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ولو أن كنانة كلها سمعتك لاستحسنتك فكيف بنافع بن علقمة! المغرور من غره نافع. ثم قلت: زدني وإن كان القوم متعلقةً قلوبهم بك. فغنى وتناول عوداً من الشجرة فأوقع به على الشجرة؛ فكان صوت الشجرة أحسن من خفق بطون الضأن على العيدان إذا أخذها قضبان الدفلى. قال: والصوت الذي غنى: صوت:

لا تجمعي هجراً علي وغربةً ... فالهجر في تلف الغريب سريع

من ذا فديتك يستطيع لحبه ... دفعاً إذا اشتملت عليه ضلوع

فقلت: بنفسي أنت والله من لا يمل ولا يكد، والله ما جهل من فهمك! اركب فدتك نفسي بنا. فقال: أمهلني كما أمهلتك اقض بعض شأني. فقلت: وهل عما تريد مدفع! فقام فصلى ركعتين، ثم ضرب بيده على الشجرة وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم قال: يا حبيبتي إذا شهدت بذاك الشيء

فاشهدي بهذا. ثم مضينا والقوم متشوقون. فلما دنونا أحست الدواب بالبغلة فصهلت، وشححت البغلة، وإذا الغريض يغنيهم لحنه:

من خيل حيٍ ما تزال مغيرةً سمعت على شرفٍ صهيل حصان

فبكى ابن سريج حتى ظننت أن نفسه قد خرجت، فقلت: ما يبكيك يا أبا يحيى؟ جعلت فداك لا يسوءك الله ولا يريك سوءاً ! قال: أبكاني هذا المخنث بحسن غنائه وشجا صوته؛ والله ما ينبغي لأحدٍ أن يغني وهذا الصبي حي . ثم نزل فاستراح وركب. فلما سار هنيهة اندفع الغريض فغناهم لحنه:

يا خليلي قد مللت ثوائي بالمصلى وقد شننت البقيعا

قال: ولصوته دوي في تلك الجبال. فقال ابن سريج: ويلك يابن بركة! أسمعت أحسن من هذا الغناء والشعر قط؟ قال: ونظروا إلينا فأقبلوا نشاوى يحبون أعطافهم، وجعلوا يقبلون وجه ابن سريج. فنزل فأقام عندهم ثلاثاً والغريض لا ينطق بحرف واحد ، وأخذوا في شرابهم وقالوا: يا حبيب النفس وشقيقها أعطها بعض مناها؛ فضرب بيده إلى جيبه فأخرج منه مضراباً، ثم أخذه بيده ووضع العود في حجره، فما رأيت يداً أحسن من يده، ولا خشبةً تخيلت إلي أنها جوهرة إلا هي، ثم ضرب فلقد سبح القوم جميعاً ثم غنى فكل قال: لبيك لبيك! فكان مما غنى فيه واللحن له هزج: صوت:

لبيك يا سيدتي لبيك ألفاً عددا
لبيك من ظالمةٍ أحببتها مجتهدا
قوموا إلى ملعبنا نحك الجواري الخردا
وضع يدٍ فوق يدٍ ترفعها يداً يدا

فكل قال: نفعل ذاك. فلقد رأيتنا نستبق أينا تقع يده على يده. ثم غنى: صوت:

ما هاج شوقك بالصرائم ربع أحال لأم عاصم
ربع تقادم عهده هاج المحب على التقادم
فيه النواعم والشبا ب الناعمون مع النواعم
من كل واضحة الجبي ن عيميةٍ ريا المعصم

ثم إنه غنى: صوت:

شجاني مغاني الحي وانشقت العصا وصاح غراب البين أنت مريض
ففاضت دموعي عند ذاك صبابةً وفيهن خود كالمهاة غضيض
ووليت الغناء محزون الفؤاد مروعاً كتيباً ودمعي في الرداء يفيض

الغناء لابن محرز خفيف ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر، وفيه خفيف ثقيلٍ آخر لابن جندب قال: فلقد رأيت جماعة طيرٍ وقعن بقربنا وما نحس قبل ذلك منها شيئاً؛ فقالت الجماعة: يا تمام السرور وكمال المجلس! لقد سعد من أخذ بحظه منك، وخاب من حرمك، يا حياة القلوب ونسيم النفوس جعلنا الله فداءك! غننا؛ فغنى واللحن له .

صوت:

يا هند إنك لو علم ت بعاذلين تتابعا

وهذا الصوت يأتي خبره مفرداً لأن فيه طولاً فبدرت من بينهم فقبلت بين عينيه، فتهافت القوم عليه يقبلونه؛ فلقد رأيتني وأنا أرفعهم عنه شفقةً عليه .

ما في الأشعار التي تناشدها عمر وأصحابه من أغان: وفي هذه الأشعار التي تناشدها كثير وعمر ونصيب والأحوص أغان. منها: صوت:

أبصرتها ليلةً ونسوتها يمشين بين المقام والحجر

ما إن طمعنا بها ولا طمعت حتى التقينا ليلاً على قدر

بيضاً حساناً خرائداً قطفاً يمشين هوناً كمشية البقر

الشعر لعمر. والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن الهشامي وحبشٍ. وذكر عمرو أن فيه لابن سريجٍ خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر. ولأبي سعيدٍ مولى فائد ثقيل أول، وقيل: إنه لسنان الكاتب. ومن هذه القصيدة أيضاً، وهذا أولها: صوت:

يا من لقلبٍ متيمٍ كمدٍ بهذي بخودٍ مريضة النظر

تمشي رويداً إذا مشت فضلاً وهي كمثل العسلوج مِ البسر

ما إن زال طرفي يحار إذ برزت حتى عرفت النقصان في بصري

غناه ابن محرز، ولحنه من خفيف ثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. ومنها: صوت:

قالت لتربٍ لها تحدثها لنفسدن الطواف في عمر

قالت تصدي له ليعرفنا ثم اغمزيه يا أخت في خفر

قالت لها قد غمزته فأبى ثم استطيرت تشتد في أثري

غناء يونس خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر عن حبشٍ. وقيل: إن فيه لعبد الله بن العباس لحناً جيداً .

ومنها ما لم يمض ذكره في الكتاب: صوت:

ألا ليتنا يا عز من غير بغضةٍ بعيرين ترعى في الخلاء ونعزب

كلانا به عر فمن يرنا يقل على حسنها جرباء تعدي وأجرب

إذا ما وردنا منهلاً صاح أهله علينا فما ننفك نرمى ونضرب

الغناء لإبراهيم، رمل بالوسطى عن حبشٍ .

فضلت عزة الأحوص في الشعر على كثير، فأنشدها فنقدته: أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيع قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة عن عوانة وعيسى بن يزيد: أن كثيراً دخل على عزة ذات يومٍ، فقالت له: ما ينبغي لنا أن نأذن لك في الجلوس. قال: و لم؟ قالت: لأني رأيت الأحوص ألين جانباً في شعره منك وأضرع خداً للنساء، وإنه لأشعر منك حين يقول:

يأيها اللائمي فيها لأصرمها أكثرت لو كان يغني منك إكثار

ارجع فلست مطاعاً إذ وشيت بها لا القلب سال ولا في حبها عار

وإني استرققت قوله:

وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى إذا لم يزر لا بد أن سيزور

وأعجبني قوله:

كم من دنيٍ لها قد صرت أتبعه ولو صحا القلب عنها كان لي تبعا

وزادني كلفاً بالحب أن منعت أحب شيءٍ إلى الإنسان ما منعا

وقوله أيضاً:

وما العيش إلا ما تلذ وتشتهي وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

فقال كثير: قد والله أجاد! فما الذي استجفيت من قولي؟ قالت: أخزاك الله! أما استحييت حين تقول:

يحاذرن مني غيرةً قد عرفنها لدي فما يضحكن إلا تبسما

فقال كثير:

وددت وبيت الله أنك بكرةً وأني مصعب ثم نهرب

كلانا به عر فمن يرنا يقل على حسنها جرباء تعدي وأجري

تكون لذي مالٍ كثيرٍ مغفلٍ فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

فقالت لي: ويحك! لقد أردت بي الشقاء الطويل، ومن المنى ما هو أعفى من هذا وأطيب .

أبيات من شعر أبي زبيد وبيان ألحانه: صوت:

قد كنت في منظرٍ ومستمعٍ عن نصر بهراء غير ذي فرس

لا ترة عندهم فتطلبها ولا هم نهزة لمختلس

بكف حران ثائرٍ بدم طلاب وترٍ في الموت منغمس

إما تقارش بك الرماح فلا أبكيك إلا للدلو والمرس

تذب عنه كف بها رمق طيراً عكوفاً كزور العرس

عما قليلٍ يصبحن مهجته فهن من والغٍ ومنتهس

الشعر لأبي زبيد الطائي. والغناء لابن محرز في الأول والثاني خفيف ثقيلٍ الأول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمر بن بانة أن في الأربعة الأول خفيفي ثقيلٍ كلاهما بالبنصر لمعبد وابن محرز، ووافقه الهشامي في لحن معبدٍ في الأول والثاني وذكر أنه بالوسطى. وفي كتاب ابن مسجحٍ عن حماد له، فيه لحن يقال إنه لابن محرز. ولابن سريج في الأول والخامس والسادس والسابع رمل بالوسطى عن عمرو. وذكر لنا حبش أن الرمل لمعبد وذكر إسحاق أنه لابن سريج أيضاً، وأوله:

تذب عنه كف بها رمق

وفيه لمالك في السادس والسابع خفيف صقيل آخر. وفيه لابن عائشة رمل. وفيه لحنينٍ ثاني ثقيل. هذه الحكايات الثلاث عن يونس، وطرائقها عن الهشامي. ولمخارقٍ في الرابع والأول خفيف رملٍ. ولمتيم في الأول والثاني خفيف رملٍ آخر. وذكر حبش أن لإبراهيم في الأول والثاني ثاني ثقيل بالوسطى، ولابن مسجحٍ خفيف ثقيل بالوسطى .

أخبار أبي زبيد ونسبه

اسم أبي زبيد ونسبه: هو حرملة بن المنذر، وقيل المنذر بن حرملة، والصحيح حرملة بن المنذر بن معد يكرب ابن حنظلة بن النعمان بن حية بن سعنة بن الحارث بن ربيعة بن مالك بن سكر بن هنئ بن عمرو بن الغوث بن طيء بن أددٍ بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان .

كان نصرانياً ومخضرماً: وكان أبو زبيدٍ نصرانياً وعلى دينه مات. وهو ممن أدرك الجاهلية والإسلام فعد في المخضرمين .

جعله ابن سلام في الطبقة الخامسة: وألحقه ابن سلام بالطبقة الخامسة من الإسلاميين، وهم العجير السلولي وذووه وقد مضى أكثر أخباره مع أخبار الوليد بن عقبة بن أبي معيط .

كان من زوار الملوك، وكان عثمان يقربه: أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي إجازةً قال: حدثني محمد بن سلام الجمحي قال حدثني أبو الغراف قال: كان أبو زبيدٍ الطائي من زوار الملوك وخاصةً ملوك العجم، وكان عالماً بسيرهم. وكان عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه يقربه على ذلك ويدني مجلسه، وكان نصرانياً. فحضر ذات يومٍ عثمان وعنده المهاجرون والأنصار ، فتذاكروا مآثر العرب وأشعارها .

استنشده عثمان فأنشده قصيدة فيها وصف الأسد: قال: فالتفت عثمان إلى أبي زبيد وقال: يا أخا تبع المسيح أسمعنا بعض قولك؛ فقد أنبئت أنك تجيد. فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

من مبلغ قومنا النائين إذ شحطوا أن الفؤاد إليهم شيق ولع

ووصف فيها الأسد. فقال عثمان رضي الله تعالى عنه: تالله تفتأ تذكر الأسد ما حييت. والله إني لأحسبك جباناً هداناً . قال: كلا يا أمير المؤمنين، ولكني رأيت منه منظراً وشهدت منه مشهداً لا يبرح ذكره يتجدد ويتردد في قلبي، ومعذور أنا يا أمير المؤمنين غير ملوم. فقال له عثمان رضي الله عنه: وأنى كان ذلك؟ قال: خرجت في صيابة أشرافٍ من أفناء قبائل العرب ذوي هيئةٍ وشارةٍ حسنةٍ، ترتمي بنا المهارى بأكسائها ، ونحن نريد الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشأم؛ فاخروط بنا السير في حمارة القيظ، حتى إذا عصبت الأفواه ، وذبلت الشفاه، وشالت المياه ، وأذكت الجوزاء المعزاء ، وذاب الصيهد ، وصر الجندب ، وضاف العصفور الضب وجاوره في حجره ، قال قائل: أيها الركب غوروا بنا في ضوج هذا الوادي، وإذا وادٍ قد بدا لنا كثير الدغل ، دائم الغلل ؛ شجراؤه مغنة، وأطياره مرنة . فحططنا رحالنا بأصول دوحاتٍ كنهبلاتٍ فأصبنا من فضلات الزاد وأتبعناها الماء البارد. لإغنا لنصف يومنا ومماطلته ، إذ صر أقصى الخيل أذنيه ، وفحص الرض بيديه. فوالله ما لبث أن جال، ثم حمحم فبال، ثم فعل فعله الفرس الذي يليه واحداً فواحداً، فتضعضعت الخيل، وتكعكعت الإبل، وتقهقرت البغال، فمن نافرٍ بشكاله ، وناهضٍ بعقاله؛ فعلمنا أن قد أتينا وأنه السبع، ففزع كل رجلٍ منا إلى سيفه فاستله من جربانه ، ثم وقفنا له رزدقاً أي صفاً وأقبل أبو الحارث من أجمته يتظالع في مشيته من نعته كأنه مجنوب ، أو في هجارٍ معصوب ؛ لصدره نحيط ، ولبلاعمه غطيط، ولطرفه وميض، ولأرساغه نقيض ؛ كأنما يخبط هشيماً، أو يطأ صريما ، وإذا هامة كالمجن ، وخد كالمسن ، وعينان سجراوان كأنهما سراجان يقدان وقصرة ربلة ، ولهزمة رهلة وكتد مغبط ، وزور مفرط ؛ وساعد مجدول، وعضد مفتول؛ وكف شثنة البراثن ، إلى مخالب كالمحاجن . فضرب بيده فأرهج ، وكشر فأفرج، عن أنيابٍ كالمعاول مصقولة، غير مفلولة، وفم أشدق كالغار الأخرق؛ ثم تمطى فأسرع بيديه، وحفز وركيه برجليه، حتى صار ظله مثليه؛ ثم أقعى فاقشعر ، ثم مثل فاكفهر ، ثم تجهم فازبأر . فلا وذو بيته في السماء ما اتقيناه إلا بأول أخٍ لنا من فزارة، كان ضخم الجزارة ، فوقصه ثم نفضه نفضةً فقضقض متنيه ، فجعل يلغ في دمه. فتذمرت أصحابي ، فبعد لأي ما استقدموا. فهجهجنا به، فكر مقشعراً بزبرته ، كأن به شيهماً حولياً ، فاختلج رجلاً أعجر ذا حوايا ، فنفضه نفضةً تزايلت منها مفاصله، ثم نهم ففرفر ، ثم زفر فبربر ، ثم زأر فجرجر ، ثم لحظ ، فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه، من عن شماله ويمينه، فأرعشت الأيدي، واصطكت الأرجل، وأطت الضلاع ، وارتجت الأسماع، وشخصت العيون، وتحققت الظنون، وانخزلت المتون. فقال له عثمان: اسكت قطع الله لسانك! فقد أرعبت قلوب المسلمين .

خوفه من الأسد: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسدٍ قال حدثني العمري قال حدثني

شعبة قال: قلت للطرماح بن حكيم: ما شأن أبي زبيدٍ وشأن الأسد؟ فقال: إنه لقيه بالنجف ، فلما رآه سلح من فرقه وقال مرة أخرى: فسلحه فكان بعد ذلك يصفه كما رأيت .

شعره في ضربة المكاء: أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبي عمن يثق به أن رجلاً من طيئٍ من بني حية نزل به رجل من بني الحارث بن ذهل بن شيبان يقال له المكاء ، فذبح له شاةً وسقاه الخمر، فلما سكر الطائي قال: هلم أفاخرك: أبنو حية أكرم أم بنو شيبان؟ فقال له الشيباني: حديث حسن ، ومنادمة كريمة أحب إلينا من المفاخرة، فقال الطائي: والله ما مد رجل قط يداً أطول من يدي. فقال الشيباني: والله لئن أعدتها لأخضبنها من كوعها. فرفع الطائي يده، فضربها الشيباني بسيفه فقطعها . فقال أبو زبيدٍ في ذلك:

خبرتنا الركبان أن قد فخرتم ... وفرحتم بضربة المكاء

ولعمري لعارها كان أدنى ... لكم من تقىً وحق وفاء

ظل ضيفاً أخوكم لأخينا ... في صبوح ونعمةٍ وشواء

ثم لما رآه رانت به الخم ... ر وأن لا يريبه باتقاء

لم يهب حرمة النديم وحقت ... يا لقومٍ للسوءة السوءاء

ما قاله في كلبه أكدر حين لقيه الأسد فقتله:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمي عبيد الله بن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: كان لأبي زبيدٍ كلب يقال له أكدر، وكان له سلاح يلبسه أياه، فكان لا يقوم له الأسد، فخرج ليلة قبل أن يلبسه سلاحه، فلقيه الأسد فقتله، ويقال: أخذه فأفلت منه، فقال عند ذلك أبو زبيد:

أحال أكدر مختالاً كعادته ... حتى إذا كان بين البئر والعطن

لاقى لد ثلل الأطواء داهيةً ... أسرت وأكدر تحت الليل في قرن

حطت به شيمة ورهاء تطرده ... حتى تناهى إلى الحولات في السنن

إلى مقابل خطو الساعدين له ... فوق السراة كذفرى الفالج القمن

رئبال غابٍ فلا قحم ولا ضرع ... كالبغل يحتطم العلجين في شطن

لامه قومه على كثرة وصفه الأسد مخافة أن تسبهم العرب فأجابهم: وهي قصيدة طويلة. فلامه العرب على كثرة وصفه للأسد، وقالوا له: قد خفنا أن تسبنا العرب بوصفك له. قال: لو رأيتم منه ما رأيت أو لقيكم ما لقي أكدر لما لمتموني. ثم أمسك عن وصفه فلم يصفه بعد ذلك في شعره حتى مات .

وصف النعمان بن المنذر وذكر ما حدث في مجلس له: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني أبو سعيدٍ السكري قال حدثني هارون بن مسلم ابن سعدان أبو القاسم قال حدثنا هشام ابن الكلبي قال: كان الأجلح

الكندي يحدث عن عمارة ابن قابوس قال: لقيت أبا زبيد الطائي فقلت له: يا أبا زبيد هل أتيت النعمان بن المنذر؟ قال: إي والله لقد أتيت وجالسته. قال قلت: صفه لي. فقال: كان أحمر أزرق أبرش قصيراً. فقلت له: بالله أخبرني أيسرك أنه سمع مقالتك هذه وأن لك حمر النعم؟ قال: لا والله ولا سودها؛ فقد رأيت ملوك حمير في ملكها، ورأيت ملوك غسان في ملكها، فما رأيت أحداً قط كان أشد عزاً منه. وكان ظهر الكوفة ينبت الشقائق، فحمى ذلك المكان، فنسب إليه فقيل شقائق النعمان .

فجلس ذات يوم هناك وجلسنا بين يديه كأن على رؤوسنا الطير، وكأنه باز. فقام رجل من الناس فقال له: أبيت اللعن! أعطني فإني محتاج. فتأمله طويلاً ثم أمر به فأدني حتى قعد بين يديه، ثم دعا بكنانةٍ فاستخرج منها مشاقص فجعل يجأها في وجهه حتى سمعنا قرع العظم، وخضبت لحيته وصدره بالدم، ثم أمر به فنحي. ومكثنا ملياً .

ثم نهض آخر فقال له: أبيت اللعن! أعطني. فتأمله ساعةً ثم قال: أعطوه ألف درهم، فأخذها وانطلق.

ثم التفت عن يمينه ويساره وخلفه، فقال: ما قولكم في رجلٍ أزرق أحمر يذبح على هذه الأكمة، أترون دمه سائلاً حتى يجري في هذا الوادي؟ فقلنا له: أنت أبيت اللعن أعلى برأيك عيناً. فدعا برجل على هذه الصفة فأمر به فذبح .

ثم قال: ألا تسألوني عما صنعت؟ فقلنا: ومن يسألك أبيت اللعن عن أمرك وما تصنع؟ فقال: أما الأول فإني خرجت مع أبي نتصيد، فمررت به وهو بفناء بابه وبين يديه عس من شراب أو لبن، فتناولته لأشرب منه، فثار إلي فهراق الإناء فملأ وجهي وصدري، فأعطيت الله عهداً لئن أمكنني منه لأخضبن لحيته وصدره من دم وجهه .

وأما الآخر فكانت له عندي يد كافأته بها، و لم أكن أثبته، فتأملته حتى عرفته .

وأما الذي ذبحته فإن لي عيناً لي بالشام كتب إلي: إن جبلة بن الأيهم قد بعث إليك برجل صفته كذا وكذا ليغتالك. فطلبته أياماً فلم أقدر عليه، حتى كان اليوم .

مات نديم له في غيبته فرثاه وصب الخمر على قبره: أخبرني الحسن بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: كان لأبي زبيدٍ نديم يشرب معه بالكوفة، فغاب أبو زبيد غيبةً، ثم رجع فأخبر بوفاته، فعدل إلى قبره قبل دخوله منزله، فوقف عليه ثم قال:

يا هاجري إذ جئت زائره ... ما كان من عاداتك الهجر

يا صاحب القبر السلام على ... من حال دون لقائه القبر

ثم انصرف. وكان بعد ذلك يجيء إلى قبره فيشرب عنده ويصب الشراب على قبره .

والأبيات التي فيها الغناء المذكور يقولها في غلامٍ له قتلته تغلب، وكان مجاوراً فيهم، فدل بهراء على عورتهم وقاتلهم معهم فقتل .

شعره في غلبة تغلب على بهراء وقتل غلامه: أخبرني بخبره أبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام. وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال:

كان أخوال أبي زبيد بني تغلب، وكان يقيم فيهم أكثر أيامه، وكان له غلام يرعى إبله، فغزت بهراء بني تغلب، فمروا بغلامه، فدفع إليهم إبل أبي زبيد وقال: انطلقوا أدلكم على عورة القوم وأقاتل معكم. ففعلوا، والتقوا، فهزمت بهراء وقتل الغلام، فقال أبو زبيد هذه القصيدة وهي:

هل كنت في منظرٍ ومستمع ... عن نصر بهراء غير ذي فرس

تسعى إلى فتية الأراقم واس ... ستعجلت قبل الجمان والقبس

في عارضٍ من جبال بهرائها ال ... أولى مرين الحروب عن درس

فبهرة من لقوا حسبتهم ... احلى وأشهى من بارد الدبس

لا ترة عندهم فتطلبها ... ولا هم نهزة لمختلس

جود كرام إذا هم ندبوا ... غير لئامٍ ضجرٍ ولا كسس

صمت عظام الحلوم إن قعدوا ... عن غير عي بهم ولا خرس

تقود أفراسهم نساؤهم ... يزجون أجمالهم مع الغلس

صادفت لما خرجت منطلقاً ... جهم المحيا كباسلٍ شرس

تخال في كفه مثقفةً ... تلمع فيها كشعلة القبس

بكف حران ثائرٍ بدمٍ ... طلاب وترٍ في الموت منغمس

إما تقارن بك الرماح فلا ... أبكيك إلا للدلو والمرس

حمدت أمري ولمت أمرك إذ ... أمسك جلز السنان بالنفس

وقد تصليت حر نارهم ... كما تصلى المقرور من قرس

تذب عنه كف بها رمق ... طيراً عكوفاً كزور العرس

عما قليلٍ علون جئته ... فهن من والغ ومنتهس

أخذ دية غلامه ثمن إبله من تغلب وقال شعراً: فلما فرغ أبو زبيد من قصيدته بعثت إليه بنو تغلب بدية غلامه وما ذهب من إبله، فقال في ذلك:

ألا أبلغ بني عمرٍو رسولا ... فإني في مودتكم نفيس

هكذا ذكر ابن سلام في خبره، والقصيدة لا تدل على أنها قيلت فيمن أحسن إليه وودى غلامه ورد عليه ماله.
وفي رواية ابن حبيب:

ألا أبلغ بني نصر بن عمرٍو

وقوله أيضاً فيها:

فما أنا بالضعيف فتظلموني ... ولا جافي اللقاء ولا خسيس
أفي حقٍ مواساتي أخاكم ... بمالي ثم يظلمني السريس

السريس: الضعيف الذي لا ولد له وهذا ليس من ذلك الجنس. ولعل ابن سلام وهم .
من المعمرين: وأبو زبيد أحد المعمرين، ذكر ابن الكلبي أنه عمر مائة وخمسين سنة .
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال: كان طول أبي زبيد ثلاثة عشر شبراً .
كان يدخل مكة متنكراً لجماله: أخبرني أحمد بن عبد العزيز وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا محمد بن عبد الله العبدي أبو بكرة قال حدثني أبو مسعرٍ الجشمي عن ابن الكلبي قال: كان أبو زبيد الطائي ممن إذا دخل مكة دخلها متنكراً لجماله .
منادمته الوليد بن عقبة بعد اعتزال الوليد علياً ومعاوية: وأخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم قال: لما صار الوليد بن عقبة إلى الرقة واعتزل علياً عليه السلام ومعاوية، صار أبو زبيد إليه، فكان ينادمه، وكان يحمل في كل أحدٍ إلى البيعة مع النصارى. فبينا هو يوم أحدٍ يشرب والنصارى حوله رفع بصره إلى السماء فنظر ثم رمى بالكأس من يده وقال:

إذا جعل المرء الذي كان حازماً ... يحل به حل الحوار ويحمل
فليس له في العيش خير يريده ... وتكفينه كيتاً أعف وأجمل

دفن مع الوليد بن عقبة بوصية منه: ومات فدفن هناك على البليخ . فلما حضرت الوليد بن عقبة الوفاة أوصى أن يدفن إلى جنب أبي زبيد. وقد قيل: إن أبا زبيد مات بعد الوليد؛ فأوصى أن يدفن إلى جنب الوليد .
قال ابن الكلبي في خبره الذي ذكره إسحاق عنه: هرب أبو زبيد من الإسلام فجاور بهراء فاستأجر منهم أجيراً لإبله فكان يقبله حلب الجمان والقيس ، وهما ناقتان كانتا له. فلما كان يوم حابس، وهو اليوم الذي التقت فيه بهراء وتغلب خرج أبي زبيد مع بهراء، فقتل وانهزمت بهراء، فمر أبو زبيد به وهو يجود بنفسه، فقال فيه هذه القصيدة .

أخبرني محمد بن يحيى ويحيى بن علي الأيوبي المدائني قالا حدثنا عقبة المطرفي قال: كنا في الحمام ومعي ابن السعدي وأنا أقرأ القرآن، فدخل سعد الرواسي فغنى:

قد كنت في منظر ومستمعٍ عن نصر بهراء غير ذي فرس

فقال ابن السعدي: اسكت اسكت! فقد جاء حديث يأكل الأحاديث .

أوصى له الوليد بن عقبة حين احتضر بالخمر ولحوم الخنازير: أخبرني عمي والحسن بن علي قالا حدثني العمري قال حدثني أحمد بن حاتم قال حدثني محمد بن عمرو الجماز قال حدثني أبو عبيدة عن يونس وأبي الخطاب النحوي: أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط أوصى لما احتضر لأبي زبيد بما يصلحه في فصحه وأعياده، من الخمر ولحوم الخنازير وما أشبه ذلك. فقال أهله وبنوه لأبي زبيد: قد علمت أنه لا يحل لنا هذا في ديننا، وإنما فعله إكراماً لك وتعظيماً لحقك، فقدره لنفسك ما شئت أن تعيش، وقوم ما أوصى به لك حتى نعطيك قيمته ولا تفضحنا وتفضح آباءنا بهذا، واحفظه واحفظنا فيه، ففعل أبو زبيد ذلك، وقبله منهم .

صوت:

هل تعرف الدار من عامين أو عام دار لهندٍ بجزع الحرج فالدام

تحنو لأطلائها عين ملمعة سفع الخدود بعيدات من الرامي

الحرج والدام: موضعان، ويروي مذ عامين. وهذا الأجود، وكلاهما روي. وعين: بقر. وأطلاؤها: أولادها، واحدها طلاً. ويروى: بعيدات من الذام، هو الذي يذم .

الحطيئة يمدح أبا موسى الأشعري حين توليته العراق: الشعر للحطيئة يمدح به أبا موسى الأشعري لما ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه العراق . والغناء لمالك، خفيف رملٍ مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر أن فيه لابن مجامع أيضاً صنعةً .

قال محمد بن حبيب: أتى الحطيئة أبا موسى يسأله أن يكتبه معه، فأخبره أن العدة قد تمت، فمدحه الحطيئة بهذه القصيدة التي ذكرتها، وأولها:

هل تعرف الدار من عامين أو عام دار الهند بجزع الحرج فالدام

وفيها يقول:

وجحفلٍ كسواد الليل منتجعٍ أرض العدو ببؤسٍ بعد إنعام

جمعت من عامرٍ فيه ومن أسدٍ ومن تميم ومن جاء ومن حام

حاء من مذحج، وحام من خثعم

وما رضيت لهم حتى رفدتهم من وائل رهط بسطامٍ بأصرام

وفيه الرماح وفيه كل سابغة جدلاء محكمةٍ من نسج سلام

يعني سليمان النبي

وكل أجرد كالسرحان أضمره مسح الأكف وسقى بعد إطعام

مستحقباتٍ رواياها جحافلها يسمو بها أشعري طرفه سام

الروايا: الإبل التي تحمل أثقالهم وأزوادهم، وتجنب الخيل إليها فتضع حجافلها على أعجاز الإبل

لا يزجر الطير إن مرت به سنحاً ولا يفيض على قدحٍ بأزلام

وقال المدائني: لما مدح الحطيئة أبا موسى رضي الله عنه بهذه القصيدة وصله أبو موسى وقد كان كتب من أراد وكملت العدة فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب يلومه، فكتب إليه: إني اشتريت منه عرضي، فكتب إليه: أحسنت. قال: وزاد فيه حماد الراوية أنه يعني نفسه أنشدها بلال بن أبي بردة و لم يكن عرفها فوصله .

أخبرني القاضي أبو خليفة إجازةً قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال: قدم حماد الراوية البصرة على بلال بن أبي بردة وهو عليها فقال له: ما أطرفتني شيئاً يا حماد! فعاد إليه فأنشده قول الحطيئة في أبي موسى، فقال له: ويحك! يمدح الحطيئة أبا موسى وأنا أروي شعره كله ولا أعلم بهذه؟ أذعها تذهب في الناس .

وكانت ولاية أبي موسى الكوفة بعد أن أخرج أهلها سعيد بن العاص عنها، وتحالفوا ألا يولوا عليها إلا من يريدون .

وجوه أهل الكوفة من القراء يختلفون إلى سعيد بن العاص واختلافهم في تفضيل السهل على الجبل وما ترتب على ذلك: أخبرني بالسبب في ذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة قال حدثنا المدائني عن أبي مخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق قال:

كان قوم من وجوه أهل الكوفة من القراء يختلفون إلى سعيد بن العاص ويسألونه، فتذاكروا يوماً السهل والجبل، فقال حسان بن محدوج: سهلنا خير من جبلنا: أكثر براً وشعيراً، فيه أنهار مطردة، ونخل باسقات، وقلت فاكهة ينبتها الجبل إلا والسهل ينبت مثلها. فقال له عبد الرحمن بن حبيش: صدقتم، وددت أنه للأمير وأن لكم أفضل منه. فقال الأشتر للأمير: تمن للأمير أفضل ولا تتقرب إليه بأموالنا، فقال: ما ضرك ذلك. والله لويشاء أن يكون له لكان. قال كذبت والله لو أراد ذلك ما قدر عليه. فقال سعيد: والله ما السواد إلا بستان لقريش، ما شئنا أخذنا منه، وما شئنا تركنا. فقال له الأشتر: أنت تقول هذا أصلحك الله وهذا من مركز رماحنا وفيئنا! ثم ضربوا عبد الرحمن بن حبيش حتى سقط .

قال المدائني فحدثني علي بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن الشعبي ومجالد بن حمزة بن بيض عن الشعبي قال: بيننا القراء عند سعيد بن العاص وهم يأكلون تمراً وزبداً إذ قال سعيد: السواد بستان قريش، فما شئنا أخذنا منه وما شئنا تركنا. فقال له عبد الرحمن بن حبيش وكان على شرطة سعيد: صدق الأمير. فوثب عليه القراء فضربوه، وقالوا له: يا عدو الله، يقول الباطل وتصدقه! فقال سعيد: اخرجوا من داري. فخرجوا، فلما أصبحوا

أتو المسجد فداروا على الحلق فقالوا: إن أميركم زعم أن السواد بستان له ولقومه وهو فيئنا ومركز رماحنا، فوالله ما على هذا بايعنا ولا عليه أسلمنا. فكتب سعيد إلى عثمان رضي الله عنه: إن قبلي قوماً يدعون القراء وهم السفهاء، وثبوا على صاحب شرطتي فضربوه واستخفوا بي. منهم عمرو بن زرارة، وكميل بن زياد، والأشتر وحرفوص بن هبيرة، وشريح بن أوفى، ويزيد بن المكفف، وزيد وصعصعة ابنا صوحان وجندب بن عبد الله. فكتب إليهم عثمان رضي الله عنه يأمرهم أن يخرجوا إلى الشام ويغروا مغازيهم. وكتب إلى سعيد: قد كفيتك الذي أردت فأقرئهم كتابي فإني أراهم لا يخالفون إن شاء الله، واتق الله جل وعز وأحسن السيرة. فأقرأهم الكتاب. فخرجوا إلى دمشق فأكرمهم معاوية وقال: إنكم قدمتم بلداً لا يعرف أهله إلا الطاعة فلا تجادلوهم فتدخلوا الشك قلوبهم. فقال له الأشتر: إن الله جل وعز قد أخذ على العلماء في علمهم ميثاقاً أن يبينوه للناس ولا يكتموه. فإن سألنا سائل عن شيء نعلمه لم نكتمه. فقال: قد خفت أن تكونوا مرصدين للفتنة، فاتقوا الله " ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات " فقال عمر بن زرارة: نحن الذين هدى الله. فأمر معاوية بحبسهم. فقال له زيد بن صوحان: إن الذين أشخصونا إليك لم يعجزوا عن حبسنا لو أرادوا. فأحسنوا جوارنا، وإن كنا ظالمين فنستغفر الله، وإن كنا مظلومين فنسأل الله العافية. فقال له معاوية: إني لأرى حبسك أمراً صالحاً، فإن أحببت أن آذن لك فترجع إلى مصرك وأكتب إلى أمير المؤمنين بإذنك فعلت. قال حسبي أن تأذن لي وتكتب إلى سعيد. فكتب إليه، فأذن له، فلما أراد زيد الشخوص كلمه في الأشتر وعمرو بن زرارة فأخرجهما. وأقام القوم بدمشق لا يرون أمراً يكرهونه؛ ثم أشخصهم معاوية إلى حمص، فكانوا بها، حتى أجمع أهل الكوفة على إخراج سعيد فكتبوا إليهم فقدموا .

قال أبو زيد قال المدائني حدثني الوقاصي عن الزهري: أن أهل الكوفة لما تقدموا على عثمان يشكون سعيداً قال لهم: أكتب إليه فأجمع بينكم وبينه. ففعل، فلم يحققوا عليه شيئاً إلا قوله: السواد بستان قريش، وأثنى عليه الآخرون عليه. فقال عثمان: أرى أصحابكم يسألون إقراره، و لم يثبتوا عليه إلا كلمةً واحدة، لم ينتهك بها لأحد حرمةً. ولا أرى عزله إلا أن تثبتوا عليه ما لا يحل لأحد تركه معه. فانصرفوا إلى مصركم. فرجع سعيد والفريقان معه، وتقدمهم علي بن الهيثم السدوسي حتى دخل رحبة المسجد فقال: يا أهل الكوفة إنا أتينا خليفتنا فشكونا إليه عاملنا، ونحن نرى أنه سيصرفه عنا، فرده إلينا وهو يزعم أن السواد بستان له. وأنا امرؤ منكم أرضى إذا رضيتم. فقالوا لا نرضى .

الأشتر يخطب محرضاً على عثمان:

وجاء الأشتر فصعد المنبر فخطب خطبة ذكر فيها النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وذكر عثمان رضي الله عنه فحرض عليه ثم قال: من كان يرى أن لله جل وعز حقاً فليصبح بالجرعة، ثم قال لكميل بن زياد: انطلق فأخرج ثابت بن قيس بن الخطيم، فأخرجه. واستعمل أهل الكوفة. أبا موسى الأشعري .

عثمان يخضع لقوة الرأي فيعزل سعيداً ويولي أبا موسى: أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا عفان قال حدثنا أبو محصنٍ قال حدثنا حصين بن عبد الرحمن قال حدثني جهيم قال: أنا شاهد للأمر، قالوا لعثمان: إنك استعملت أقاربك. قال: فليقم أهل كل مصر فليسلموا صاحبهم. فقام أهل الكوفة فقالوا: اعزل عنا سعيداً واستعمل علينا أبا موسى الأشعري. ففعل .

ثناء امرأة على سعد بن أبي وقاص: قال أبو زيدٍ: وكان سعيد قد أبغضه أهل الكوفة لأمور: منها أن عطاء النساء بالكوفة كان مائتين مائتين فحطه سعيد إلى مائة مائة. فقالت امرأة من أهل الكوفة تذم سعيداً وتثني على سعد بن أبي وقاص:

فليت أبا إسحاق كان أميرنا ... وليت سعيداً كان أول هالك

يخطط أشراف النساء ويتقي ... بأبائهن مرهفات النيازك

هدية سعيد بن العاص إلى علي بن أبي طالب: حدثني العباس بن علي بن العباس ومحمد بن جرير الطبري قالا حدثنا يحيى بن معين قال حدثنا أبو داود وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا شعبة بن عمرو بن مرة قال سمعت أبا وائل يحدث عن الحارث بن حبيش قال: بعثني سعيد بن العاص بهدايا إلى المدينة وبعثني إلى علي عليه السلام وكتب إليه: إني لم أبعث إلى أحد بأكثر مما بعثت به إليك إلا شيئاً في خزائن أمير المؤمنين. قال: فأتيت علياً فأخبرته، فقال: لشد ما تحظر بنو أمية تراث محمد صلى الله عليه وسلم. أما والله لئن وليتها لأنفضنها نفض القصاب لتراب الوذمة .

قال أبو جعفر: هذ غلط إنما هو لوذام التربة .

قال أبو زيد وحدثني عبد الله بن محمد بن حكيم الطائي عن السعدي عن أبيه قال: بعث سعيد ابن العاص مع ابن أبي عائشة مولاه بصلةٍ إلى علي بن أبي طالب عليه السلام. فقال: والله لا يزال غلام من غلمان بني أمية يبعث إلينا مما أفاء الله على رسول بمثل قوت الأرملة، والله لئن بقيت لأنفضها نفض القصاب لوذام التربة. هكذا في هذه الرواية .

رب وعدٍ منك لا أنساه لي ... أوجب الشكر وإن لم تفعلي

أقطع الدهر بظن حسنٍ ... وأجلي غمرةً ما تنجلي

كلما أملت يوماً صالحاً ... عرض المكروه لي في أملي

وأرى الأيام لا تدني الذي ... أرتجي منك وتدني أجلي

عروضه من الرمل؛ الشعر لمحمد بن أمية، والغناء لأبي حشيشة، رمل طنبوري وفيه لحن لحسين بن محرز ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن أبي عبد الله الهشامي .

أخبار محمد بن أمية وأخيه

علي بن أمية وما يغنى فيه من شعرهما:

نسب محمد بن أمية: سألت أحمد بن جعفرٍ جحظة عن نسبه قلت له: إن الناس يقولون ابن أمية وابن أبي أمية، فقال: هو محمد بن أمية بن أبي أمية .

منادمته إبراهيم بن المهدي: قال: وكان محمد كاتباً وشاعراً ظريفاً، وكان ينادم إبراهيم بن المهدي، وربما عاشر علي ابن هشام، إلا أن انقطاعه كان إلى إبراهيم، وربما كتب بين يديه. وكان حسن الخط والبيان. وكان أمية بن أبي أمية يكتب للمهدي على بيت المال. وكان إليه ختم الكتب بحضرته، وكان يأنس به لأدبه وفضله، ومكانه من ولائه، فزامله أربع دفعاتٍ حجها في ابتدائه ورجوعه .

قال جحظة: وحدثني بذلك أبو حشيشة .

إعجاب أبي العتاهية به في حضرة إبراهيم بن المهدي: وحدثني جحظة قال حدثني أبو حشيشة عن محمد بن علي بن أمية قال حدثني عمي محمد بن أمية قال:

كنت جالساً بين يدي إبراهيم بن المهدي، فدخل إليه أبو العتاهية وقد تنسك ولبس الصوف وترك قول الشعر إلا في الزهد، فرفعه إبراهيم وسر به، وأقبل له أبو العتاهية: أيها الأمير بلغني خبر فتًى في ناحيتك ومن مواليك يعرف بابن أمية يقول الشعر، وأنشدت له شعراً أعجبني، فما فعل؟ فضحك إبراهيم ثم قال: لعله أقرب الحاضرين مجلساً منك. فالتفت إلي فقال لي: أنت هو فديتك؟ فتشورت وخجلت وقلت له: أنا محمد بن أمية جعلت فداءك! وأما الشعر فإنما أنا شاب أعبث بالبيت والبيتين والثلاثة كما يعبث الشاب؛ فقال لي: فديتك، ذلك والله زمان الشعر وغبانه، وما قيل فيه فهو غرره وعيونه، وما قصر من الشعر وقيل في المعنى الذي تومئ إليه أبلغ وأملح. ومازال ينشطني ويؤنسني حتى أرى أني قد أنست به، ثم قال لإبراهيم بن المهدي: إن رأى الأمير أكرمه الله أن يأمره بإنشادي ما حضر من الشعر. فقال لي إبراهيم: بحياتي يا محمد أنشده. فأنشدته:

رب وعد منك لا أنساه لي أوجب الشكر وإن لم تفعلي

وذكر الأبيات الأربعة. قال: فبكى أبو العتاهية حتى جرت دموعه على لحيته وجعل يردد البيت الأخير منها وينتحب، وقام فخرج وهو يردده ويبكي حتى خرج إلى الباب .

هو وخداع جارية خال المعتصم وأشعاره فيها: أخبرني عمي قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قرقارة قال حدثني محمد بن علي بن أمية قال: كان عمي محمد بن أمية يهوى جاريةً مغنيةً يقال لها خداع كانت لبعض جواري خال المعتصم، فكان يدعوها، ويعاشره إخوانه إذا دعوه بها أتباعاً لمسرته. وأراد المعتصم الخروج والتأهب للغزو، وأمر الناس جميعاً بالخروج والتأهب، فدعاه بعض أخوانه قبل خروجهم بيوم، فلما أضحى النهار جاء من المطر أمر عظيم لم يقدر معه أحد أن يطلع رأسه من داره، فكاد محمد أن يموت غماً، فكتب إلى صديقه الذي دعاه وقد كان ركب إليه ثم رجع لشدة المطر ، و لم يقدر على لقائه:

تمادى القطر وانقطع السبيل من الإلفين إذ جرت السيول

على أني ركبت إليك شوقاً ... ووجه الأرض أودية تجول

وكان الشوق يقدمني دليلاً ... وللمشتاق معتزماً دليل

فلم أجد للسبيل إلى حبيبٍ ... أودعه وقد أفد الرحيل

وأرسلت الرسول فغاب عني ... فيالله ما فعل الرسول!

وقال في ذلك أيضاً:

مجلس يشفى به الوطر ... عاق عنه الغيم والمطر

رب خذ لي منهما فهما ... رحمة عمت ولي ضرر

ما على مولاي معتبة ... عذره بادٍ ومستتر

شغلت عيني بعبرتها ... واستمالت قلبي الفكر

قال: ثم بيعت خداع هذه فاشتراها بعض ولد المهدي وكان يترل شارع الميدان، فحجبت عنه وانقطع ما بينهما إلا مكاتبةً ومراسلةً .

قال محمد بن علي فأنشدني يوماً عمي محمد لنفسه فيها:

خطرت الهوى بذكر خداعٍ ... هجن شوقي لا دارسات الطلول

حجبت أن ترى فلست أراها ... وأرى أهلها بكل سبيل

وإذا جاءها الرسول رآها ... ليت عيني مكان عين الرسول

قد أتاك الرسول ينعت ما بي ... فاسمعي منه ما يقول وقولي

وقال فيها أيضاً:

بناحية الميدان درب لو أنني ... أسميه لم أرشد وإن كان مفسدي

أخاف على سكانه قول حاسدٍ ... يشير إليهم بالجفون وباليد

وصائف أبكار وعون نواطق ... بألسنةٍ تشفي جوى الهائم الصدي

يقاربن أهل الود بالقول في الهوى ... وما النجم من معروفهن بأبعد

يزدن أخا الدنيا مجوناً وفتنة ... ويشغفن قلب الناسك المتعبد

وليلة وافى النوم طيف سرى به ... إلي الهوى منهن بعد تجرد

فقاسمته الأشجان نصفين بيننا ... وأوردته من لوعة الحب موردي

ونلت الذي أملت بعد تمنع ... وعاهدته عهد امرئ متوكد

فلما افترقنا خاس بالعهد بيننا وأعرض إعراض العروس من الغد

فواندما ألا أكون ارتهنته لأخبره في حفظ عهدٍ وموعد

إعجاب أبي العتاهية بشعره:

أخبرني الحسن بن علي وعمي قالا حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني حذيفة بن محمد قال قال لي محمد بن أبي العتاهية: سمع أبي يوماً مخارقاً يغني:

أحبك حباً لو يفض يسيره على الخارق مات الخلق من شدة الحب

وأعلم أني بعد ذاك مقصر لأنك في أعلى المراتب من قلبي

فطرب ثم قال له: من يقول هذا يا أبا المهنا؟ قال: فتى من الكتاب يخدم الأمير إبراهيم بن المهدي. فقال: تعني محمد بن أمية؟ قال: نعم. قال أحسن والله، وما يزال يأتي بالشيء المليح يبدو له .

مزاحه مع مسلم بن الوليد: أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن أبي طاهرٍ قال حدثني أحمد بن أمية بن أبي أمية قال: لقي أخي محمد بن أمية مسلم بن الوليد وهو يمشي وطويلته مع بعض رواته، فسلم عليه ثم قال له: قد حضرني شيء؛ فقال: على أنه مزاح لا يغضب منه؛ قال: هاته ولو أنه شتم. فقال:

من رأى فيما خلا رجلاً تيهه يربي على جدته

يباهي راجلاً وله شاكري في قلنسيته

فسكت عنه مسلم و لم يجبه، وضحك منه محمد وافترقا .

مداعبة مسلم له حين نفق برذونه: قال: وكان لمحمد بن أمة برذون يركبه، فلقيه مسلم وهو راجل فقال: ما فعل برذونك؟ قال: نفق. قال: الحمد لله، فنجازيك إذاً على ما كان منك إلينا. ثم قال مسلم:

قل لابن مي لا تكن جازعاً لن يرجع البرذون بالليت

طامن أحشاؤك فقدانه وكنت فيه عالي الصوت

وكنت لا تزال عن ظهره ولو من الحش إلى البيت

ما مات من حتف ولكنه مات من الشوق إلى الموت

تعلقه بإحدى الجواري وما كان بينهما: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن علي ابن أمية قال حدثني حسين بن الضحاك قال: دخلت أنا ومحمد بن أمية مترل نخاس بالرقة أيام الرشيد وعنده جارية تغني فوقعت عينها على محمد، ووقعت عينه عليها، فقال لها: يا جارية، أتغنين هذا الصوت:

خبريني من الرسول إليك واجعليه من لا ينم عليك

وأشيري إلي من هو بالحـ ظ ليخفى على الذين لديك

وأقلي المزاح في المجلس اليو م فإن المزاح بين يديك

فقالت له: ما أعرفه، وأشارت إلى خادمٍ كان على رأسها واقفاً. فمكثا زماناً والخادم الرسول بينهما. قال: تغنى بشعر له عمرو الغزال فتطير إبراهيم بن المهدي وعلم من في المجلس بنكبة البرامكة: حدثني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني بعض من كان يختلط بالبرامكة قال: كنت عند إبراهيم بن المهدي، وقد اصطبحنا وعنده عمرو بن بانة، وعبيد الله بن أبي غسان، ومحمد بن عمرو الرومي، وعمرو الغزال، ونحن في أطيب ما كنا عليه إذ غنى عمرو الغزال، وكان إبراهيم بن المهدي يستثقله، إلا أنه كان يتخفف بين يديه ويقصده، ويبلغه عنه تقديم له وعصبية، فكان يحتمل ذاك منه، فاندفع عمرو الغزال، فتغنى في شعر محمد بن أمية:

ماتم لي يوم سرورٍ بمن أهواه مذ كنت إلى الليل

أغبط ما كنت بما نلته منه أتتني الرسل بالويل

لا والذي يعلم كل الذي أقول ذي العزة والطول

ما رمت مذ كنت لكم سخطةً بالغيب في فعل ولا قول

قال: فتطير إبراهيم، ووضع القدح من يده، وقال: أعوذ بالله من شر ما قلت. فوالله ما سكت وأخذنا نتلافى إبراهيم إذ أتى حاجبه يعدو فقال: مالك ؟ فقال: خرج الساعة مسرور من دار أمير المؤمنين حتى دخل إلى جعفر بن يحيى، فلم يلبث أن خرج ورأسه بين يديه وقبض على أبيه وإخوته . فقال إبراهيم: " إنا لله وإنا إليه راجعون " ارفع يا غلام ارفع. فرفع ما كان بين أيدينا، وتفرقنا فما رأيت عمراً بعدها في داره .

كان يستطيب الشراب عند هبوب الجنوب: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى بن بسخنر قال:

كنت عند إبراهيم بن المهدي بالرقة وقد عزمنا على الشراب ومعنا محمد بن أمية في يوم من حزيران، فلما هممنا بذلك هبت الجنوب، وتلطخت السماء بغيم ، وتكدر ذلك اليوم، فترك إبراهيم بن المهدي الشرب ولحقه صداع، وكان يناله ذلك مع هبوب الجنوب، فافترقنا؛ فقال لي محمد بن أمية: ما أحب إلي ما كرهتموه من الجنوب! فإن أنشدتك بيتين مليحين في معناهما تساعدني على الشرب اليوم؟ قلت: نعم. فأنشدني:

إن الجنوب إذا هبت وجدت لها طيباً يذكرني الفردوس إن نفحا

لما أتت بنسيم منك أعرفه شوقاً تنفست واستقبلتها فرحا

فانصرفت معه إلى مترله، وغنيت في هذين البيتين وشربنا عليهما بقية يومنا .

ما قاله في تفاحة أهدتها إليه خداع: وجدت في بعض الكتب بغير إسنادٍ: أهدت جارية يقال لها خداع إلى محمد بن أمية، وكان يهواها تفاحةً مفلجةً منقوشةً مطيبةً حسنةً، فكتب إليها محمد:

خداع أهديت لنا خدعةً تفاحة طيبة النشر

ما زلت أرجوك وأخشى الهوى معتصماً بالله والصبر

حتى أتتني منك في ساعةٍ زحزحت الأحزان عن صدري

حشوتها مسكا ونقشتها ونقش كفيك من النحر

سقياً لها تفاحة أهديت لو لم تكن من خدع الدهر

التقى بجارية يهواها وشعره في ذلك: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن جعفر اليقطيني قال: حدثني أبي جعفر بن علي بن يقطين قال: كنت أسيراً أنا ومحمد بن أمية في شارع الميدان، فاستقبلتنا جارية كان محمد يهواها ثم بيعت وهي راكبة، فكلمها، فأجابته بجواب أخفته فلم يفهمه، فأقبل علي وقد تغير لونه فقال:

يا جعفر بن علي وابن يقطين أليس دون الذي لاقيت يكفيني

هذا الذي لم تزل نفسي تخوفني منها فأين الذي كانت تمنيني

خاطرت إذ أقبلت نحوي وقلت لها تفديك نفسي فداءً غير ممنون

فخاطبتني بما اخفته فانصرفت نفسي بظنين مخشي ومأمون

تمثل المنتصر ببيت له: حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي قال حدثني أبي قال: كنت بين يدي المنتصر جالساً فجاءته رقعة لا أعلم ممن هي، فقرأها وتبسم ثم إنه أقبل علي وأنشد:

لطافة كاتبٍ وخشوع ضبٍ وفطنة شاعرٍ عند الجواب

ثم أقبل علي فقال: من يقول هذا يا يزيد؟ فقلت: محمد بن أمية يا أمير المؤمنين. فضحك وقال: كأنه والله يصف ما في هذه الرقعة .

عاتبه أخوه وابن قنبر لما لحقه من وله كالجنون لبيع جارية يحبها: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني حذيفة بن محمد قال: كنت أنا وابن قنبر عند محمد بن أمية بعقب بيع جاريةٍ كان يحبها وقد لحقه عليها وله كالجنون، فجعل ابن قنبرٍ وأخوه علي بن أمية يعاتبانه على ما يظهر منه، فأقبل بوجهه عليهما ثم قال:

لو كنت جربت الهوى يا بن قنبرٍ كوصفك إياه لألهاك عن عذلي

أنا وأخي الأدنى وأنت لها الفدا وإن لم تكونا في مودتها مثلي

أأن حجبت عني أجود لغيرها بودي وهل يغري المحب سوى البخل

أسر بأن قالوا تضن بودها عليك ومن ذا سر بالبخل من قبل

قال: فضحك ابن قنبر، وقال: إذا كان الأمر هكذا فكن أنت الفداء لها، وإن ساعدك أخوك فاتفقا على ذلك، وأما أنا فلست أنشط لأن أساعدك على هذا. وافترقنا .

قطع الصوم بينه وبين خداع فقال شعراً: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أنشدني محمد بن الحسن بن الحزور لمحمد بن أمية في جارية كان يهواها وقطع الصوم بينهما؛ فقال يخاطب محمد بن عثمان بن خريمٍ المري:

قفا فابكيا إن كنتما تجدان ... كوجدي وإن لم تبكيا فدعاني

ففي الدمع مما تضمر النفس راحة ... إذا لم أطق إظهاره بلساني

أغص بأسراري إذا ما لقيتها ... فأبهت مشدوهاً أعض بناني

فيابن خريم يا أخي دون إخوتي ... ومن هو لي مثلي بكل مكان

تأمل أحظي من خداع وحبها ... سوى خدع تذكي الهوى وأماني

وأصبح شهر الصوم قد خال بيننا ... فيا ليت شوالا أتى بزمان

شعر له فيها استحسنه ابن المعتز: أنشدني جعفر بن قدامة قال أنشدني عبد الله بن المعتز قال أنشدني أبو عبد الله الهشامي لمحمد بن أمية، وفيه غناء لمتيم، قال واستحسنه عبد الله: صوت:

عجباً عجبت لمذنبٍ متغضب ... لولا قبيح فعاله لم أعجب

أخداع، طال الفراش تقلبي ... وإليك طول تشوفي وتطربي

لهفي عليك وما يرد تلهفي ... قصرت يداي وعز وجه المطلب

الغناء لمتيم، فيه لحنان: رمل عن ابن المعتز، وخفيف رمل عن الهشامي. وهذا من شعر محمد فيها بعد أن بيعت.

قال: وغنتنا هزار هذا الصوت يومئذ .

أشعاره فيها إذ فقدها وحين وجدها: حدثني عمي قال حدثنا أحمد بن محمد الفيرزان قال حدثني شيبة بن هشام قال: دعانا محمد ابن أمية يوماً ووجه إلى جاريةٍ كان يحبها فدعاها، وبعث إلى مولاها يحدرها مع رسوله، فأبطأ الرسول حتى انتصف النهار ثم عاد وليست معه وقال: أخذوا مني الدراهم ثم ردوها علي، ورأيتهم مختلطين، ولهم قصة لم يعرفونيها، وقاولوا: ليست ها هنا فإن عادت بعثنا بها إليكم. فتنغص عليه يومه وتغير وجهه وتجمل لنا؛ ثم بكرنا من غد بأجمعنا إلى منزل مولاها فإذا هي قد بيعت، فوجم طويلاً ، وسار حتى إذا خلا لنا الطريق اندفع باكياً. فما أنسى حرقة بكائه وهو ينشدني:

تخطى إلي الدهر من بين من أرى ... وسوء مقاديرٍ لهن شؤون

فشتت شملي دون كل أخي هوىً ... وأقصدني بل كلهم سيبين

ومهما تكن من ضحكة بعد فقدها فإني وإن أظهرتها لحزين

سلام على أيامنا قبل هذه إذ الدار دار والسرور فنون

قال ومضت على ذلك مدة. ثم أخبرني أنه اجتاز بها، وهي تنظر من وراء شباك، فسلم عليها فأومأت بالسلام إليه ودخلت، فقال:

تطالعني على وجلٍ خداع من الشبك التي عملت حديدا

مطالعتي ففي بالله حتى أزود مقلتي نظراً جديدا

فقالت :إن سها الواشون عنا رجونا أن تعود وان نعودا

وأنشدني أيضاً في ذلك: صوت:

يا صاحب الشبك الذي اس تخفى مكانك غير خاف

أفما رأيت تلددي بفناء قصرك واختلافي

أو ما رحمت تخشعي وتلفتي بعد انصرافي

صوت:

إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلي وتخضبي

وأنا امرؤ إن يأخذوني عنوةً أقرن إلى سير الركاب وأجنب

ويكون مركبك القعود وحدجه وابن النعامة يوم ذلك مركبي

عروضه من الكامل. قال ابن العرابي في تفسير قوله:

وابن النعامة يوم ذلك مركبي

ابن النعامة: ظل الإنسان أو الفرس أو غيره. قال جرير:

إذ ظل يحسب كل شيءٍ فارسا وير نعامة ظله فيحول

يعني بنعامة ظله جسده. وقال أبو عمرو الشيباني: النعامة ما يلي الأصابع في مقدم الرجل. يقول: مركبي يومئذٍ رجلي. وقال الجاحظ: ذكر علماؤنا البصريون: أن النعامة اسم فرسه. يقول: إني أشد على ركابي السرج فإذا صار للفرس وهو الذي يسمى النعامة ظل وأنا مقرون إليه صار ظله تحتي فكنت راكباً له. وجعل ظلها ها هنا ابنها .

الشعر للحارث بن لوذان بن عوف بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة. وقال ابن سلام: لخزز لوذان. ومن الناس من ينسب هذا الشعر إلى عنترة، وذلك خطأ. وأحد من نسبه إليه إسحاق الموصلي. والغناء لعزة الميلاء. وأول لحنها:

لمن الديار عرفتها بالشربب ذهب الذين بها ولما تذهب

وبعده إن الرجال .

وطريقته من خفيف الثقيل الأول بالبنصر من روايتي حمادٍ وابن المكي. وفيه للهذيل خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي. وفيه لعريب خفيف رمل. وفيه لعزة المرزوقية لحن. وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات: هذا اللحن لريق، سلخت لحن ومخنث شهد الزفاف وقبله فجعلته لهذا، وهو لحن يشبه صنعة ابن سريج وصنعة حكم في محركاتهما، فمن هنا يغلط فيه ويظن أنه قديم الصنعة .

ابن أبي عتيق يعجب بغناء عزة الميلاء: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثت عن صالح بن حسان قال: كان ابن أبي عتيق معجباً بغناء عزة الميلاء كثير الزيارة لها، وكان يختار عليها قوله:

لمن الديار عرفتها بالشربب

فسألها يوماً زيارته فأجابته إلى ذلك ومضت نحوه، فقال لها بعد أن استقر بها المجلس: يا عزة، أحب أن تغنيني صوتي الذي أنا له عاشق. فغنته هذا الصوت، فطرب كل الطرب وسر غاية السرور .

جارية ابن أبي عتيق ومعابثة فتى لها: وكانت له جارية، وكان فتى من أهل المدينة كثيراً ما يعبث بها؛ فأعلمت ابن أبي عتيق بذلك؛ فقال لها: قولي له: وأنا أحبك؛ فإذا قال لك: وكيف لي بك؟ فقولي له: مولاي يخرج غداً إلى مال له، فإذا خرج أدخلتك المنزل. وجمع ابن أبي عتيق ناساً من أصحابه فأجلسهم في بيته ومعهم عزة الميلاء ، وأدخلت الجارية الرجل. وقال لعزة: غني فأعادت الصوت. وخرجت الجارية فمكثت ساعة ثم دخلت البيت كأنها تطلب حاجة، فقال لها: تعالي. فقالت: الآن آتيك. ثم عادت فدعاها ، فوثب فضرب بها الحجلة ، فوثب ابن أبي عتيق عليه هو وأصحابه، فقال لهم وهو غير مكترث: يا فساق ما يجلسكم ها هنا مع هذه المغنية!

فضحك ابن أبي عتيق من قوله وقال له: استر علينا ستر الله تعالى عليك. فقالت له عزة: يابن الصديق ، ما أظرف هذا لولا فسقه! فاستحيا الرجل فخرج، وبلغه أن ابن أبي عتيق قد آلى إن هو وقع في يده أن يصير به إلى السلطان. فأقبل يعبث بها كلما خرجت، فشكت ذلك إلى مولاها، فقال لها: أو لم يرتدع من العبث بك!

قالت: لا. قال: فهيئي الرحى وهيئي من الطعام طحين ليلةٍ إلى الغداة. فقالت: أفعل يا مولاي. فهيأت ذلك على ما أمرها به ثم قال لها: عديه الليلة فإذا جاء فقولي له: إن وظيفتي الليلة طحن هذا البر كله ثم اخرجي من البيت واتركيه. ففعلت، فلما دخل طحنت الجارية قليلاً، ثم قالت له: إن كفت الرحى فإن مولاي جاءٍ إلي أو بعض من وكله بي، فاطحن حتى نأمن أن يجيئنا أحد، ثم أصير إلى قضاء حاجتك. ففعل الفتى ومضت الجارية إلى مولاها وتركته. وقد أمر ابن أبي عتيق عدة من مولياته أن يتراوحن على سهر ليلتهن ويتفقدن أمر الطحين ويحثثن الفتى عليه كما أمسك؛ ففعلن، وجعلن ينادينه كلما كف: يا فلانة إن مولاك مستيقظ؛ والساعة يعلم أنك كففت عن الطحن، فيقوم إليك بالعصا كعادته مع من كانت نوبتها قبلك إذا هي نامت وكفت عن

الطحن. فلم يزل الفتى كلما سمع ذلك الكلام يجتهد في العمل والجارية تتعهد وتقول: قد استيقظ مولاي. والساعة ينام فأصير إلى ما تحب. فلم يزل الرجل يطحن حتى أصبح وفرغ من جميع القمح. فلما فرغ وعلمت الجارية أتته فقالت: قد أصبحت فانج بنفسك. فقال: أوقد فعلتها يا عدوة الله! فخرج تعباً نصباً فأعقبه ذلك مرضاً شديداً أشرف منه على الموت، وعاهد الله تعالى ألا يعود إلى كلامها، فلم تر منه بعد ذلك شيئاً ينكر .

صوت:

أجد اليوم اليوم جيرتك احتمالاً وحث حداتهم بهم عجالا

وفي الأظعان آنسة لعوب ترى قتلى بغير دمٍ حلالا

عروضه من الوافر. الشعر للمتوكل الليثي، والغناء لابن محرز ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن مسجح ثاني ثقيل آخر بالخنصر في مجرى البنصر عنه. وذكر حبش أن هذا اللحن لابن سريج، وفيه لإسحاق هزج .

نسب المتوكل الليثي وأخباره

نسبه: هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن مسافع بن وهب بن عمرو بن لقيط بن يعمر بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزارٍ. من شعراء الإسلام، وهو من أهل الكوفة. كان في عصر معاوية وابنه يزيد، ومدحهما. ويكنى أبا جهمة. وقد اجتمع مع الأخطل وناشده عند قبيصة بن والقٍ، ويقال عند عكرمة بن ربعي الذي يقال له الفياض، فقدمه الأخطل .

وهذه القصيدة التي أولها الغناء قصيدة هجا بها عكرمة بن ربعي وخبره معه يذكر بعد .

أخبرني بذلك الحسن بن علي عن أحمد بن سعيد الدمشقي عن الزبير بن بكار عن عمه .

تناشد هو والأخطل الشعر:

وأخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال: أخبرني هارون بن مسلم قال حدثني حفص بن عمر العمري عن لقيط بن بكير المحاربي قال: قدم الأخطل الكوفة فنزل على قبيصة بن والق، فقال المتوكل بن عبد الله الليثي لرجل من قومه: انطلق بنا إلى الأخطل نستنشده ونسمع من شعره. فأتياه فقالا: أنشدنا يا أبا مالك. فقال: إني لخائر يومي هذا. فقال له المتوكل: أنشدنا أيها الرجل، فوالله لا تنشدني قصيدة إلا أنشدتك مثلها أو أشعر منها من شعري. قال: ومن أنت؟ قال: أنا المتوكل . قال: أنشدني ويحك من شعرك! فأنشده:

للغانيات بذي المجاز رسوم فببطن مكة عهدهن قديم

فبمنحر البدن المقلد من منًى حلل تلوح كأنهن نجوم

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

والهم إن لم تمضه لسبيله داء تضمنه الضلوع مقيم

غنى في هذه الأبيات سائب خاثرٍ من رواية حمادٍ عن أبيه و لم يجنسه .

قال وأنشده أيضاً:

الشعر لب المرء يعرضه والقول مثل مواقع النبل

منها المقصر عن رميته ونزافذ يذهبن بالخصل

قال وأنشده أيضاً:

إننا معشر خلقنا صدوراً من يسوي الصدور بالأذناب

قال له الأخطل: ويحك يا متوكل ! لو نبحت الخمر في جوفك كنت أشعر الناس .

ما قاله في زوجته رهيمة حين طلبت الطلاق: قال الطوسي قال الأصمعي: كانت للمتوكل بن عبد الله الكناني امرأة يقال لها رهيمة ويقال أميمة وتكنى أم بكرٍ، فأقعدت، فسألته الطلاق، فقال: ليس هذا حين طلاق. فأبت عليه، فطلقها، ثم إنها برئت بعد الطلاق، فقال في ذلك:

طربت وشاقني يا ام بكرٍ دعاء حمامةٍ تدعو حماما

فبت وبات همي لي نجياً أعزى عنك قلباً مستهاما

إذا ذكرت لقلبك أم بكرٍ يبيت كأنما اغتبق المداما

خدلجة ترف غروب فيها وتكسو المتن ذا خصلٍ سخاما

أبى قلبي فما يهوى سواها وإن كانت مودتها غراما

ينام الليل كل خلي همٍ وتأبى العين مني أن تناما

أراعي التاليات من الثريا ودمع العين منحدر سجاما

على حين ارعويت وكان رأسي كأن على مفارقه ثغاما

سعى الواشون حتى أزعجوها ورث الحبل فانجذم انجذاما

فلست بزائلٍ ما دمت حياً مسراً من تذكرها هياما

ترجيها وقد شحطت نواها ومنتك المنى عاماً فعاما

خدلجة لها كفل وثير ينوء بها إذا قامت قياما

مخصرة ترى في الكشح منها على تثقيل أسفلها انهضاما

إذا ابتسمت تلألأ ضوء برق تهلل في الدجنة ثم داما
وإن قامت تأمل رائياها غمامة صيفٍ ولجت غماما
إذا تمشي تقول دبيب أيم تعرج ساعةً ثم استقاما
وإن جلست فدمية بيت عيدٍ تصان ولا ترى إلا لماما
فلو أشكو الذي أكشو إليها إلى حجرٍ لراجعني الكلاما
أحب دنوها وتحب نأيي وتعتام التنائي لي اعتياما
كأني من تذكر أم بكرٍ جريح أسنةٍ يشكو كلاما
تساقط أنفسا نفسي عليها إذا شحطت وتغتم اغتماما
غشيت لها منازل مقفراتٍ عفت إلا بالأياصر والثماما
ونؤيا قد تهدم جانباه ومبناها بذي سلم خياما
صليني واعلمي أني كريم وأن حلاوتي خلطت عراما
وأني ذو مجامحةٍ صليب خلقت لمن يماكسني لجاما
فلا وأبيك لا أنساك حتى تجاوب هامتي في القبر هاما

شعر آخر له في امرأته يمدح فيه حوشبا الشيباني: والقصيدة التي فيها الغناء المذكور في أول خبر المتوكل يقولها أيضاً في امرأته هذه ويمدح فيها حوشبا الشيباني، ويقول فيها:

إذا وعدتك معروفاً لوته وعجلت التجرم والمطالا
لها بشر نقي اللون صافٍ ومتن حط فاعتدل اعتدالا
إذا تمشى تأود جانباها وكاد الخصر ينخزل انخزالا
تنوء بها روادفها إذا ما وشاحاها على المتنين جالا
فإن تصبح أميمة قد تولت وعاد الوصل صرماً واعتلالا
فقد تدنو النوى بعد اغتراب بها وتفرق الحي الحلالا
تعبس لي أميمة بعد أنس فما أدري أسخطاً أم دلالا
أبيني لي فرب أخ مصافٍ رزئت وما أحب به بدالا
أصرم منك هذا أم دلال فقد عنى الدلال إذاً وطالا

أم استبدلت بي ومللت وصلي فيوحي لي به ودعي المحالا
فلا وأبيك ما أهوى خليلا أقاتله على وصلي قتالا
وكم من كاشح يا أم بكرٍ من البغضاء يأتكل ائتكالا
لبست على قناعٍ من أذاه ولولا الله كنت له نكالا

ومما يغنى به من هذه القصيدة قوله: صوت:

أنا الصقر الذي حدثت عنه عتاق الطير تندخل اندخالا
رأيت الغانيات صدفن لما رأين الشيب قد شمل القذالا
فلم يلووا إذا رحلوا ولكن تولت عيرهم بهم عجالا

غنى فيه عمر الوادي خفيف رمل عن الهشامي. وذكر حبش أن فيه لابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى، وأحسبه مضافاً إلى لحنه الذي في أول القصيدة .

هجاه معن بن حمل فترفع عنه ثم هجاه واعتذر: وقال الطوسي قال أبو عمرو الشيباني: هجا معن بن حمل بن جعونة بن وهب، أحد بني لقيط بن يعمر المتوكل بن عبد الله الليثي؛ وبلغ ذلك المتوكل، فترفع عن أن يجيبه، ومكث معن سنين يهجوه والمتوكل معرض عنه. ثم هجاه بعد ذلك وهجا قومه من بني الديل هجاءً قذعاً استحيا منه وندم، ثم قال المتوكل لقومه يعتذر ويمدح يزيد بن معاوية:

خليلي عوجا اليوم وانتظراني فإن الهوى والهم أم أبان
هي الشمس يدنو لي قريباً بعيدها أرى الشمس ما أسطيعها وتراني
نأت بعد قربٍ دارها وتبدلت بنا بدلا والدهر ذو حدثان
فهاج الهوى والشوق لي ذكر حرةٍ من المرجحنات الثقال حصان

غنى هذه الأبيات ابن محرز من كتاب يونس و لم يجنسه :

سيعلم قومي أنني كنت سورةً من المجد إن داعي المنون دعاني
ألا رب مسرورٍ بموتي لو أتى وآخر لو أنعى له لبكاني
خليلي ما لام امرأً مثل نفسه إذا هي لامت فاربعا ودعاني
ندمت على شتمي العشيرة بعدما تغنى بها غوري وحن يماني
قلبت لهم ظهر المجن وليتني رجعت بفضلٍ من يدي ولساني
على أنني لم أرم في الشعر مسلما ولم أهج من روى وهجاني

هم بطروا الحلم الذي من سجيتي فبدلت قومي شدةً بليان

ولو شئتم أولاد وهبٍ نزعتم ونحن جميع شملنا أخوان

نهيتم أخاكم عن هجائي وقد مضى له بعد حول كاملٍ سنتان

فلج ومناه رجال رأيتهم إذا قارنوني يكرهون قراني

وكنت امرأً يأبى لي الضيم أنني صروم إذا الأمر المهم عناني

وصول صروم لا أقول لمدبر هلم إذا ما اغتشني وعصاني

خليلي لو كنت امرأ بي سقطة تضعضعت أو زلت بي القدمان

أعيش على بغي العداة ورغمهم وآتي الذي أهوى على الشنآن

ولكنني ثبت المريرة حازم إذا صاح طلابي ملأت عناني

خليلي كم من كاشح قد رميته بقافيةٍ مشهورةٍ ورماني

فكان كذات الحيض لم تبق ماءها ولم تنق عنها غسلها لأوان

ثم إنه يقول فيها ليزيد بن معاوية:

أبا خالدٍ حنت إليك مطيتي على بعد منتاب وهول جنان

أبا خالد في الأرض نأي ومفسح لذي مرة يرمى به الرجوان

فكيف ينام الليل حر عطاؤه ثلاث لرأس الحول أو مائتان

تناهت قلوصي بعد إسآدي السرى إلى ملكٍ جزل العطاء هجان

ترى الناس أفواجاً ينوبون بابه لبكرٍ من الحاجات أو لعوان

معن أجابه مفتخراً: فأجابه معن بن حملٍ فقال:

ندمت كذاك العبد يندم بعدما غلبت وسار الشعر كل مكان

ولا قيت قرماً في أرومة ماجدٍ كريماً عزيزاً دائم الخطران

أنا الشاعر المعروف وجهي ونسبتي أعف وتحميني يدي ولساني

وأغلب من هاجيت عفواً وأنتمي إلى معشرٍ بيض الوجوه حسان

فهات إذاً يابن الأتان كصاحب ال ملوك أبي، أسيد كمهان!

فهات كزيدٍ أو كسيحان لا تجد لهم كفواً أو يبعث الثقلان

هو وعكرمة بن ربعي: أخبرني محمد بن الحسين بن دريد قال حدثنا العتبي عن العباس بن هشامٍ عن أبيه عن عوانة قال: أتى المتوكل الليثي عكرمة بن ربعي الذي يقال له الفياض، فامتدحه فحرمه، فقيل له: جاءك شاعر العرب فحرمته! فقال: ما عرفته. فأرسل إليه بأربعة آلاف درهم، فأبى أن يقبلها وقال: حرمني على رؤوس الناس ويبعث إلي سراً .

نسيبه بحسناء وهو يعاني الرمد وهجاؤه عكرمة: فبينا المتوكل بالحيرة وقد رمد رمداً شديداً، فمر به قس فقال: ما لك؟ قال: رمدت. قال: أنا اعالجك. قال: فافعل. فذره ، فبينا القس عنده وهو مذرور العين مستلقٍ على ظهره، يفكر في هجاء عكرمة وذلك غير مطردٍ له ولا القول في معناه إذا أتاه غلام له فقال: بالباب امرأة تدعوك. فمسح عينيه وخرج إليها، فسفرت عن وجهها فإذا الشمس طالعةً حسناً، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: أمية. قال: فممن أنت؟ فلم تخبره. قال: فما حاجتك؟ قالت: بلغني أنك شاعر فأحببت أن تنسب بي في شعرك. فقال: أسفري. ففعلت فكر طرفه في وجهها مصعداً ومصوباً، ثم تلثمت وولت عنه، فاطرد له القول الذي كان استصعب عليه في هجاء عكرمة وافتتحه بالنسيب فقال:

أجد اليوم جيرتك احتمالا وحث حداتهم بهم الجمالا

وفي الأظعان آنسة لعوب ترى قتلي بغير دمٍ حلالا

أمية يوم دير القس ضنت علينا أن تنولنا نوالا

أبيني لي فرب أخٍ مصافٍ رزئت وما أحب به بدالا

وقال فيها يهجو عكرمة:

أقلني يابن ربعي ثنائي وهبها مدحة ذهبت ضلالا

وهبها مدحة لم تغن شيئاً وقولاً عاد أكثره وبالا

وجدنا العز من أولاد بكرٍ إلى الذهلين يرجع والفعالا

أعكرم كنت كالمبتاع داراً رأى بيع الندامة فآستقالا

بنو شيبان أكرم آل بكرٍ وأمتنهم إذا عقدوا حبالا

رجال اعطيت أحلام عادٍ إذا نطقوا وأيديها الطوالا

وتيم الله حي حي صدقٍ ولكن الرحى تعلو الثفالا

صوت:

سقى دمنتين لم نجد لهما أهلا بحقلٍ لكم يا عز قد رابني حقلا

فيا عز إن واشٍ وشى بي عندكم فلا تكرميه أن تقولي له مهلا
كما نحن لو واشٍ وشى بك عندنا لقلنا تزحزح لا قريباً ولا سهلا
ألم يأن يا قلب أن أترك الجهلا وأن يحدث الشيب الملم لي العقلا
على حين صار الرأس مني كأنما علت فوقه ندافة العطب الغزلا

عروضه من الطويل. الدمن. آثار الديار، واحدها دمنة. والحقل: الأرض التي يزرع فيها. والعطب هو القطن . الشعر لكثير كله إلا البيت الأول فإنه انتحله، وهو الأفوه الأودي. والغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي في الثلاثة الأبيات الأول متوالية. وذكر حبش أنه لمعبد. وفي الرابع والخامس والثاني والثالث لحنين ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه ثقيل أول بالبنصر؛ ذكر ابن المكي أنه لمعبد، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكي .

نسب الأفوه الأودي وشيء من أخباره

نسبه:

الأفوه لقب، واسمه صلاءة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبه بن أود بن الصعب بن سعد العشيرة. وكان يقال لأبيه عمر بن مالك فارس الشوهاء؛ وفي ذلك يقول الأفوه:

أبي فارس الشوهاء عمرو بن مالكٍ غداة الوغى إذ مال بالجد عاثر

كان سيد قومه وقائدهم وشاعرهم: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا ابن أبي سعد عن علي بن الصباح عن هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال: كان الأفوه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية، وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم، وكانوا يصدرون عن رأيه. والعرب تعده من حكمائها. وتعد داليته:

معاشر ما بنوا مجداً لقومهم وإن بنى غيرهم ما أفسدوا عادوا

أبياته التي أخذ منها كثير بيتاً: من حكمة العرب وآدابها . فأما البيت الذي أخذه كثير من شعر الأفوه وأضافه إلى أبياته التي ذكرناها وفيها الغناء آنفاً فإنه من قصيدة يقول فيها:

نقاتل أقواماً فنسبي نساءهم ولم ير ذو عزٍ لنسوتنا حجلا
نقود ونأبى أن نقاد ولا نرى لقومٍ علينا في مكارمةٍ فضلا
وإنا بطاء المشي عند نسائنا كما قيدت بالصيف نجدية بزلا
نظل غيارى عند كل ستيرةٍ نقلب جيداً واضحاً وشوًى عبلا

وإنا لنعطي المال دون دمائنا ونأبى غما نستام دون دمٍ عقلا

سبب هذه الأبيات: قال أبو عمرو الشيباني: قال الأفوه الأودي هذه الأبيات يفخر بها على قومٍ من بني عامر، كانت بينه وبينهم دماء، فأدرك بثأره وزاد، وأعطاهم ديات من قتل فضلاً على قتلى قومه، فقبلوا وصالحوه .

بنو أود وبنو عامر: وقال أبو عمرو : أغارت بنو أود وقد جمعها الأفوه على بني عامر، فمرض الأفوه مرضاً شديداً، فخرج بدله زيد بن الحارث الأودي وأقام الأفوه حتى أفاق من وجعه، ومضى زيد بن الحارث حتى لقي بني عامر بتضارع ، وعليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب. فلما التقوا عرف بعضهم بعضاً، فقال لهم بنو عامر: ساندونا فما أصبنا كان بيننا وبينكم. فقالت بنو أود وقد أصابوا منهم رجلين: لا والله حتى نأخذ بطائلتنا . فقام أخو المقتول، وهو رجل من بني كعب بن أود فقال: يا بني أود، والله لتأخذن بطائلتي أو لأنتحين على سيفي. فاقتتلت أود وبنو عامر. فظفرت أود وأصابت مغنماً كثيراً. فقال الأفوه في ذلك: صوت:

ألا يا لهف لو شهدت قناتي قبائل عامرٍ يوم الصبيب

غداة تجمعت كعب إلينا حلائب بين أفناء الحروب

فلما أن رأونا في وغاها كآساد الغريفة والحجيب

تداعوا ثم مالوا عن ذراها كفعل الخامعات من الوجيب

وطاروا كالنعام ببطن قوٍ مواءلة على حذر الرقيب

صوت:

كان لم تري قبلي أسيراً مكبلاً ولا رجلاً يرمى به الرجوان

كأني جواد ضمه القيد بعدما جرى سابقاً في حلبةٍ ورهان

الشعر لرجل من لصوص بني تميم يعرف بأبي النشناش، والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالبنصر من روايتي علي بن يحيى والهشامي .

النشناش واعتراضه القوافل وهربه بعد الظفر به، وما كان بينه وبين اللهبي: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب قال: كان أبو النشناش من ملاص بني تميم، وكان يعترض القوافل في شذاذٍ من العرب بين طريق الحجاز والشام فيجتاحها. فظفر به بعض عمال مروان فحبسه وقيد مدة، ثم أمكنه الهرب في وقت غرة فهرب، فمر بغرابٍ على بانةٍ ينتف ريشه وينعب، فجزع من ذلك . ثم مر بحيٍ من لهبٍ فقال لهم: رجل كان في بلاءٍ وشر وحبسٍ وضيقٍ فنجا من ذلك، ثم نظر عن يمينه فلم ير شيئاً ونظر عن يساره فرأى غراباً على شجرة بانٍ ينتف ريشه وينعب. فقال له اللهبي: إن صدقت الطير يعاد إلى حبسه وقيده، ويطول ذلك به، ويقتل ويصلب. فقال له: بفيك الحجر . قال: لا بل بفيك. وأنشأ يقول:

وسائلةٍ أين ارتحالي وسائلٍ ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه !

مذاهبه أن الفجاج عريضة إذا ضن عنه بالنوال أقاربه

إذا المرء لم يسرح سواما ولم يرح سواما ولم يبسط له الوجه صاحبه
فللموت خير للفتى من قعوده عديماً ومن مولىً تعاف مشاربه
ودويةٍ قفرٍ يحار بها القطا سرت بأبي النشناش فيها ركائبه
ليدرك ثأراً أو ليكسب مغنماً ألا إن هذا الدهر تترى عجائبه
فلم أر مثل الفقر ضاجعه الفتى ولا كسواد الليل أخفق طالبه
فعش معذراً أو مت فإنني أرى الموت لا يبقى على من يطالبه
أصادرة حجاج كعبٍ ومالكٍ على كل فتلاء الذراعين محنق
أقام القناة الود بيني وبينه وفارقني عن شيمة لم ترنق

عروضه من الطويل. الصادر: المنصرف، وهو ضد الوارد، وأصله من ورود الماء والصدر عنه، ثم يقال لكل مقبلٍ إلى موضع ومنصرفٍ عنه. وكعب: من خزاعة. ومالكٌ: مالك بن النضر بن كنانة: وكان كثير ينتمي وينمي خزاعة إليهم. ومحنقٌ: ضامرة. والشيمة: الخلق والطبيعة. وترنق: تكدر. والرنق: الكدر .

الشعر لكثير عزة يرثي خندقاً الأسدي، والغناء للهذلي ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر من رواية إسحاق. وفي الثاني من البيتين ثم الأول لسياطٍ رمل بالبنصر عنه وعن الهشامي وعمرو. وفيهما لمعبد لحن ذكره يونس و لم سجنسه. وفي رواية حماد عن أبيه أن لحن الهذلي من الثقيل الأول، فإن كان ذلك كذلك فالثقيل الثاني لمعبد. وذكر أحمد بن عبيد أن الذي صح فيه ثقيل أول أو ثاني ثقيل .

أخبار كثير وخندق الأسدي

الذي من أجله قال هذا الشعر:

كانا يقولان بالرجعة: حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني محمد بن حبيب. وأخبرني وكيع قال حدثنا علي ابن محمد النوفلي عن أبيه. وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة عن ابن داحة، قالوا: كان خندق بن مرة الأسدي هكذا قال النوفلي. وغيره يقول: خندق بن بدر صديقاً لكثير، وكانا يقولان بالرجعة ، فاجتمعا بالموسم فتذاكرا التشيع. فقال خندق: لو وجدت من يضمن لي عيالي بعدي لوقفت بالموسم فذكرت فضل آل محمد صلى الله عليه وسلم، وظلم الناس لهم وغصبهم إياهم على حقهم، ودعوت إليهم وتبرأت من أبي بكر وعمر. فضمن كثير عياله، فقام ففعل ذلك وسب أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما وتبرأ منهما .

قال عمر بن شبة في خبره فقال: أيها الناس إنكم على غير حق، تركتم أهل بيت نبيكم، والحق لهم وهم الأئمة و لم يقل إنه سب أحداً فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه. ودفن خندق بقنوني . فقال إذ ذاك كثير يرثيه:

أصادرة حجاج كعبٍ ومالكٍ ... على كل عجلى ضامر البطن محنق
بمرثيةٍ فيها ثناء محبر ... لأزهر من أولاد مرة معرق
كأن أخاه في النوائب ملجأ ... إلى علمٍ من ركن قدس المنطق
ينال رجالاً نفعه وهو منهم ... بعيد كعيوق الثريا المعلق
تقول ابنة الضمري مالك شاحباً ... ولونك مصفر وإن لم تخلق
فقلت لها لا تعجبي، من يمت له ... أخ كأبي بدرٍ وجدك يشفق
وأمرٍ يهم الناس غب نتاجه ... كفيت وكربٍ بالدواهي مطرق
كشفت أبا بدرٍ إذا القوم أحجموا ... وعضت ملاقي أمرهم بالمخنق
وخصمٍ أبا بدر ألد أبته ... على مثل طعم الحنظل المتفلق
جزى الله خيرا خندقا من كافئٍ ... وصاحب صدقٍ ذي حفاظٍ ومصدق
أقام قناة الود بيني وبينه ... وفارقني عن شيمةٍ لم ترنق
حلفت على أن قد أجنتك حفرة ... ببطن قنوني لو نعيش فنلتقي
لألفيتني بالود بعدك دائماً ... على عهدنا إذ نحن لم نتفرق
إذا ما غدا يهتز للمجد والندى ... أشم كغصن البانة المتورق
وإني لجازٍ بالذي كان بيننا ... بني أسدٍ رهط ابن مرة خندق

كثير وإنكار الطفيل انتسابه إلى كنانة: أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة:

إن كثيراً لما انتمى إلى قريش وجرى بينه وبين الحزين الديلي من المواثبة والهجاء ما جرى بلغ ذلك الطفيل بن عامر بن واثلة وهو بالكوفة، فأنكر كثير وانتسابه إلى كنانة وتصييره خزاعة منهم، وما فعله الحزين. فحلف لئن رأى مثيراً ليضربنه بالسيف أو ليطعننه بالرمح، فكلمه فيه خندق الأسدي وكان صديقاً له ولكثير فوهبه له، واجتمع بمكة فجلسا مع ابن الحنفية. فقال طفيل: لولا خندق لوفيت لك بيميني. فقال يرثيه، وعنه كان أخذ مقالته:

ونال رجالاً نفعه وهو منهم ... بعيد كعيوق الثريا المعلق

وذكر باقي الأبيات .

نسيبه بعزة: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن إسماعيل قال حدثني حميد بن عبد الرحمن أحد بني عتوارة بن جدي قال: كان كثير قد سلطه الله ينسب بعزة بنت عبد الله، أحد بني حاجب بن عبد الله بن غفار، قال: وكان نسوانهم قد لقينها وهي سائرة في الجلاء ، في عام أصابت أهل تهامة فيه حطمة شديدة، وكانت عزة من أجمل النساء وآدبهن وأعقلهن ، ولا والله ما رأى لها وجهاً قط، إلا أنه استهيم بها قلبه لما ذكر له عنها. فلقيه رجال من الحي لما بلغهم ذلك عنه، فقالوا له: إنك قد شهرت نفسك وشهرتنا وشهرت صاحبتنا فاكفف نفسك. قال: فإني لا أذكرها بما تكرهون. فخرجوا جالين إلى مصر في أعوام الجلاء. فتبعهم على راحلته فزجروه، فأبى إلا أن يلحقهم بنفسه، فجلس له فتية من جدي، قال: وكان بنو ضمرة كلهم يهون عليهم نسيبه لما يعرفون من براءتها، إلا ما كان من بني جدي فإنهم كانوا صمعاً غيراً . فقعد له عون، أحد بني جدي في تسعة نفر على محالج ، فلما جاز بهم تحت الليل أخذوه، ثم عدلوا به عن الطريق إلى جيفة حمار كانوا يعرفونها من النهار، فأدخلوه فيها وربطوا يديه ورجليه، ثم أوثقوا بطن الحمار، فجعل يضطرب فيه ويستغيث، ومضوا عنه، فاجتاز به خندق الأسدي فسمع استغاثته وهو خندق بن بدر فعدل إلى الصوت حين سمعه، فوجد في الجيفة إنساناً، فسأله من هو وما خبره؟ فأخبره. فأطلقه وحمله وألحقه ببلاده. فقال كثير في ذلك قال الزبير أنشدنيها عمر بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي عبيدة معمر بن المثنى

أصادرة حجاج كعبٍ ومالكٍ ... على كل فتلاء الذراعين محنق

وذكر القصيدة كلها على ما مضت .

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤملي عن أبي عبيدة قال: خندق الأسدي هو الذي أدخل كثيراً في مذهب الخشبية .

كثير يرثي خندقاً حين قتل بعرفة: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن حبيب قال: لما قتل خندق الأسدي بعرفة رثاه كثير فقال:

شجا أظعان غاضرة الغوادي ... بغير مشورةٍ عرضاً فؤادي

أغاضر لو شهدت غداة بنتم ... حنو العائدات على وسادي

أويت لعاشقٍ لم تشكميه ... نوافذه تلذع بالزناد

ويوم الخيل قد سفرت وكفت ... رداء العصب رتل براد

الرتل: الثغر المستوي النبت

وعن نجلاء تدمع في بياضٍ ... إذا دمعت وتنظر في سواد

وعن متكاوسٍ في العقص جثلٍ ... أثيث النبت ذي عذرٍ جعاد

وغاضرة الغداة وإن نأتنا ... وأصبح دونها قطر البلاد

أحب ظعينةٍ وبنات نفسي ... إليها لو بللن بها صوادي

ومن دون الذي أملت وداً ... ولو طالبتها خرط القتاد

وقال الناصحون تحل منها ... بذل قبل شيمتها الجماد

تحل أصب. يقال: ما حليت من فلان بشيءٍ ولا تحليت منه بشيء، ومنه حلوان الكاهن والراقي وما أشبه ذلك

فقد وعدتك لو أقبلت وداً ... فلج بك التدلل في تعاد

فأسررت الندامة يوم نادى ... برد جمال غاضرة المنادي

تمادى البعد دونهم فأمست ... دموع العين لج بها التمادي

لقد منع الرقاد فبت ليلي ... تجافيني الهموم عن الوساد

عداني أن أزورك غير بغضٍ ... مقامك بين مصفحة شداد

وإني قائل إن لم أزره ... سقت ديم السواري والغوادي

محل أخي بني أسدٍ قنونى ... فما والى إلى برك الغماد

مقيم بالمجازة من قنونى ... وأهلك بالأجيفر والثماد

فلا تبعد فكل فتًى سيأتي ... عليه الموت يطرق أو يغادي

وكل ذخيرةٍ لابد يوماً ... ولو بقيت تصير إلى نفاد

يعز علي أن نغدو جميعاً ... وتصبح ثاوياً رهناً بواد

فلو فوديت من حدث المنايا ... وقيتك بالطريف وبالتلاد

في هذه القصيدة عدة أصوات هذه نسبتها قد جمعت .

صوت:

أغاضر لو شهدت غداة بنتم ... حنو العائدات على وسادي

رثيت لعاشقٍ لم تشكميه ... نوافذه تلذع بالزناد

عداني أن أزورك غير بغضٍ ... مقامك بين مصفحةٍ شداد

فلا تبعد فكل فتًى سيأتي ... عليه الموت يطرق أو يغادي

لمعبد في البيتين الأولين لحن من خفيف الثقيل الأول بالوسطى عن عمرو وابن المكي والهشامي. وفيهما لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وأحمد بن عبيد. وفيهما للغريض ثاني ثقيل عن ابن المكي. ومن الناس من ينسب لحن مالكٍ إلى معبد أيضاً. وفي الثالث والرابع لابن عائشة ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو وغيرهما. ويقال: إن لابن سريج وابن محرز وابن جامعٍ فيهما ألحاناً .

غاضرة هذه التي ذكرها كثير مولاة لآل مروان بن الحكم، وقد روي في ذكره إياها غير خبرٍ مختلف .

أم البنين وما كان بينها وبين وضاح وكثير: فأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال حدثني عبد الله بن أبي عبيدة قال: حجت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت لكثير ووضاح: انسبا بي. فأما وضاح فنسب بها، وأما كثير فنسب بجاريتها غاضرة حيث يقول:

شجا أظعان غاضرة الغوادي بغير مشورة عرضاً فؤادي

قال: وكانت زوجة الوليد بن عبد الملك، فقتل وضاحاً و لم يجد على كثيرٍ سبيلاً .

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهري عن محرز بن جعفر عن أبيه عن بديح قال: قدمت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان وهي عند الوليد بن عبد الملك حاجة، والوليد إذ ذاك خليفة. فأرسلت إلى كثير ووضاح أن انسبا بي ، فنسب وضاح بها ونسب كثير بجاريتها غاضرة في شعره الذي يقول فيه:

شجا أظعان غاضرة الغوادي

قال: وكان معها جوارٍ قد فتن الناس بالوضاءة .

لابن قيس الرقيات في أم البنين: قال بديح: فلقيت عبيد الله بن قيس الرقيات فقلت له: بمن نسبت من هذا القطين ؟ فقال لي:

ما تصنع بالشر إذا لم تك مجنونا

إذا قاسيت ثقل الشر حساك الأمرينا

وقد هجت بما قد قل ت أمراً كان مدفونا

قال بديح: ثم أخذ بيدي فخلا بي وقال لي: يا بديح، احفظ عني ما أقول لك فإنك موضع أمانة؛ وأنشدني:

أصحوت عن أم البني ن وذكرها وعنائها

وهجرتها هجر امرئٍ لم يقل حمل إخائها

من خيفة الأعداء أن يوهوا أديم صفائها

قرشية كالشمس أش رق نورها ببهائها

زادت على البيض الحسا ن بحسنها ونقائها

لما استكبرت للشبا ب وقنعت بردائها

لم تلتفت للداتها ومضت على غلوائها

عنى ابن عائشة في الثلاثة الأبيات الأول لحناً من الثقيل الأول عن الهشامي عن يحيى المكي. وفي الرابع وما بعده لحنين لحنان: أحدهما ثاني ثقيل بالبنصر، والآخر ثقيل بالبنصر عن ابنه وغيره. وغنى إبراهيم الموصلي في الأربعة الأول لحناً آخر من الثقيل الأول وهو اللحن الذي فيه استهلال. وذكر الهشامي أن الثقيل الثاني لابن محرز . قال: فقتل الوليد وضاحاً و لم يجد على كثير سبيلاً. قال: وحجت بعد ذلك وقد تقدم الوليد إليها وإلى من معها في الحجاب؛ فلقيني ابن قيس حيث خرجت و لم تكلم أحداً و لم يرها، فقال لي: يا بديح: صوت:

بان الخليط الذي به نثق واشتد دون المليحة القلق

من دون صفراء في مفاصلها لين وفي بعض بطشها خرق

إن ختمت جاز طين خاتمها كما تجوز العبدية العتق

غنى في هذه الأبيات مالك بن أبي السمح لحناً من الثقيل الأول بالبنصر، عن عمرو ويونس. وفيها لابن مسجح ويقال لابن محرز، وهو مما يشبه غناءهما جميعاً وينسب إليهما خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر. والصحيح أنه لابن مسجح. وفيها ثاني ثقيلٍ لابن محرز عن ابن المكي. وذكر حبش أن لسياطٍ فيها لحناً ماخورياً بالوسطى. وفي هذه الأبيات زيادة يغنى فيها و لم يذكرها الزبير في خبره، وهي:

إني لأخلي لها الفراش إذا قصع في حضن زوجه الحمق

عن غير بغضٍ لها لدي ول كن تلك مني سجية خلق

قال الزبير: أراد بقوله في هذه الأبيات:

إن ختمت جاز طين خاتمها

أنها كانت عند سلطان جائز الأمر. والعبدية هي الدنانير، نسبها إلى عبد الملك. ثم وصل ابن قيس الرقيات هذه الأبيات يعني الهائية بأبياتٍ يمدح بها عبد الملك فقال: صوت:

اسمع أمير المؤمني ن لمدحتي وثنائها

أنت ابن عائشة التي فضلت أروم نسائها

متعطف الأعياص حو ل سريرها وفنائها

ولدت أغر مباركاً كالبدر وسط سمائها

غناه ابن عائشة من رواية يونس و لم يجنسه. وهذا الشعر يقوله ابن قيس الرقيات في عبد الملك لا الوليد .

إصرار ابن قيس الرقيات على كلمة في شعره وما كان بينه وبين عبد الملك في ذلك: أخبرني الحسين وابن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه عن المدائني: أن عبد الملك لما وهب لابن جعفر جرم عبيد الله بن قيس وأمنه، ثم تواثب أهل الشام ليقتلوه، قال: يا أمير المؤمنين، أتفعل هذا بي وأنا الذي أقول:

اسمع أمير المؤمني ... ن لمدحتي وثنائها

أنت ابن معتلج البطا ... ح كديها وكدائها

ولبطن عائشة التي ... فضلت أروم نسائها

فلما أنشد هذا البيت قال له عبد الملك: قل ولنسل عائشة. قال لا بل ولبطن عائشة. حتى رد ذلك عليه ثلاث مرات وهو يأبى إلا ولبطن عائشة. فقال له عبد الملك: اسحنفر الآن. قال: وعائشة أم عبد الملك بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس. هذه رواية الزبير بن بكار .

وقد حدثنا به في خبر كثير مع غاضرة هذه بغير هذا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبي .

محاورة السائب بن حكيم لغاضرة و لم يكن قد عرفها: وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبي عبد الرحمن الأنصاري عن السائب بن حكيم السدوسي راوية كثير قال: والله إني لأسير يوماً مع كثير، حتى إذا كنا ببطن جدار جبلٍ من المدينة على أميال إذ أنا بامرأة في رحالة متنقبة، معها عبيد لها يسعون معها، فمرت جنابي فسلمت ثم قالت: ممن الرجل ؟ قلت: من أهل الحجاز. قالت: فهل تروي لكثير شيئاً؟ قلت: نعم. قالت: أما والله ما كان بالمدينة من شيء هو أحب إلي من أن أرى كثيراً وأسمع شعره، فهل تروي قصيدته:

أهاجك برق آخر الليل واصب

قلت: نعم. فأنشدتها إياها إلى آخرها. قالت: فهل تروي قوله:

كأنك لم تسمع ولم تر قبلها ... تفرق ألاف لهن حنين

قلت: نعم وأنشدتها. قالت: فهل تروي قوله أيضاً:

لعزة من أيام ذي الغصن شاقني

قلت: نعم وأنشدتها إلى آخرها. قالت: فهل تروي قوله أيضاً:

أأطلال سعدى باللوى تتعهد

قلت: نعم وأنشدتها حتى أتيت على قوله:

فلم أر مثل العين ضنت بمائها ... علي ولا مثلي على الدمع يحسد

قالت: قاتله الله! فهل قال مثل قول كثير أحد على الأرض. والله لأن أكون رأيت كثيراً، أو سمعت منه شعره أحب إلي من مائة ألف درهم. قال: فقلت: هو ذاك الراكب أمامك ، وأنا السائب راويته. قالت: حياك الله تعالى. ثم ركضت بغلتها حتى أدركته فقالت: أنت كثير؟ قال مالك ويلك! فقالت: أنت الذي تقول:

إذا حسرت عنه العمامة راعها جميل المحيا أغفلته الدواهن

والله ما رأيت عربياً قط أقبح ولا أحقر ولا ألام منك. قال: أنت والله أقبح مني وألأم. قالت له: أولست القائل:

تراهن إلا أن يؤدين نظرةً بمؤخر عينٍ أو يقلبن معصما

كواظم ما ينطقن إلا محورة رجيعة قولٍ بعد أن يتفهما

يحاذرن مني غيرةً قد عرفنها قديماً فما يضحكن إلا تبسما

لعن الله من يفرق منك. قال: بل لعنك الله. قالت: أولست الذي تقول:

إذا ضمرية عطست فنكها فإن عطاسها طرف الوداق

قال: من أنت؟ قالت: لا يضرك أن لم تعرفني ولا من أنا. قال: والله إني لأراك لئيمة الأصل والعشيرة. قالت: حياك الله يا أبا صخر! ما كان بالمدينة رجل أحب إلي وجهاً ولا لقاء منك. قال: ولا حياك الله، والله وما كان على الرض أحد أبغض إلي وجهاً منك. قالت: أتعرفني؟ قال: أعرف أنك لئيمة من اللئام. فتعرفت إليه فإذا هي غاضرة أم ولدٍ لبشر بن مروان. قال: وسايرها حتى سندنا في الجبل من قبل زرود . فقالت له: يا أبا صخر أضمن لك مائة ألف درهم عند بشر بن مروان إن قدمت عليه. قال: أفي سبك إياي أو سبي إياك تضمنين لي هذا؟ والله لا أخرج إلى العراق على هذه الحال! فلما قامت تودعه سفرت، فإذا هي أحسن من رأيت من أهل الدنيا وجهاً. فأمرت له بعشرة آلاف درهم، فبعد شدٍ ما قبلها، وأمرت لي بخمسة آلاف درهم. فلما ولوا قال: يا سائب أين نعني أنفسنا إلى عكرمة، انطلق بنا نأكل هذه حتى يأتينا الموت. قال: وذلك قوله لما فارقتنا:

شجا أظعان غاضرة الغوادي بغير مشيئةٍ عرضا فؤادي

وقد روى الزبير أيضاً في خبر هذه المرأة غير هذا، وخالف المعاني .

كثير وامرأة لقيها بقديد: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياشٍ السعدي قال: كان كثير يلقى حاج المدينة من قريش بقديد في كل سنة، فغفل عاماً من الأعوام عن يومهم الذي نزلوا فيه قديداً حتى ارتفع النهار، ثم ركب جملاً ثقالاً واستقبل الشمس في يوم صائف، فجاء قديداً وقد كل وتعب، فوجدهم قد راحوا. وتخلف فتى من قريش معه راحلته حتى يبرد . قال الفتى القرشي: فجلس كثير إلى جنبي و لم يسلم علي، فجاءت امرأة وسيمة جميلة، فجلست إلى خيمة من خيام قديد واستقبلت كثيراً فقالت: أأنت كثير؟ قال: نعم. قالت: ابن أبي جمعة؟ قال: نعم. قالت: الذي يقول:

لعزة أطلال أبت أن تكلما

قال: نعم. قالت: وأنت الذي تقول فيها:

وكنت إذا ما جئت أجللن مجلسي وظهرن مني هيبة لا تجهما

فقال: نعم. قالت: أعلى هذا الوجه هيبة؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فضجر وقال: من أنت؟ فلم تجبه بشيء، فسأل المولیات اللواتي في الخباء بقديد عنها، فلم يخبرنه شيئاً، فضجر واختلط. فلما سكن من شأوه قالت: أأنت الذي تقول:

متى تحسروا عني العمامة تبصروا جميل المحيا أغفلته الدواهن

أهذا الوجه جميل المحيا؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فاختلط وقال: والله ما عرفتك، ولو عرفتك لفعلت وفعلت. فسكتت، فلما سكن من شأوه قالت: أأنت الذي تقول:

يروق العيون الناظرات كأنه هرقلي وزنٍ أحمر التبر راجح

أهذا الوجه يروق العيون الناظرات؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين. فازداد ضجراً وغيظاً واختلاطاً وقال لها: قد عرفتك والله لأقطعنك وقومك بالهجاء. ثم قال فالتفت في أثره، ثم رجعت طرفي نحو المرأة فإذا هي قد ذهبت، فقلت لمولاة من مولياتها بقديد: لك الله علي إن أخبرتني من هذه المرأة لأطوين لك ثوبي هذين إذا قضيت حجي ثم أعطيكهما. فقالت: والله لو أعطيتني زنتهما ذهباً ما أخبرتك من هي؛ هذا كثير وهو مولاي قد سألني عنها فلم أخبره. قال الفتى القرشي: فرحت والله وبي أشد مما بكثير . قال سليمان: وكان كثير دميماً قليلاً أحمر أقيشر عظيم الهامة قبيحاً .

نسبة ما في هذه الأخبار من الشعر الذي يغنى به: صوت: منها:

أشاقك برق آخر الليل واصب تضمنه الجبا فالمسارب

كما أومضت بالعين ثم تبسمت خريع بدا منها جبين وحاجب

وهبت لليلى ماءه ونباته كما كل ذي ود لمن ود واهب

عروضه من الطويل. الواصب: الدائم، يقال وصب يصب وصوباً أي دام. قال الله سبحانه: " وله الدين واصباً " أي دائماً. ومنها: صوت:

لعزة من أيام ذي الغصن شاقني بضاحي قرار الروضتين رسوم

هي الدار وحشاً غير أن قد يحلها ويغني بها شخص علي كريم

فما برسوم الدار لو كنت عالماً ولا بالتلاع المقويات أهيم

سألت حكيماً أين شطت بها النوى فخبرني ما لا أحب حكيم

أجدوا فأما آل عزة غدوة فبانوا وأما واسط فمقيم

لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى بغى سقماً إني إذاً لسقيم

حكيم هذا هو أبو السائب بن حكيم راوية كثير. ذكر لنا اليزيدي عن ابن حبيب .

في هذه الأبيات لمعبد لحنان، أحدهما في الثلاثة الأول خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي وابن المكي وحبشٍ، وفي الثلاثة الأخر التي أولها:

سألت حكيماً أين شطت بها النوى

له أيضاً ثقيل أول بالبنصر عن يونس وحبشٍ. وذكر حبش خاصةً أن فيها لكردم خفيف ثقيل آخر، وفي الثالث والثاني لابن جامع رملٍ عن الهشامي. وقال أحمد بن عبيد: فيه ثلاثة ألحان: ثقيل أول وخفيفه، وخفيف رمل .

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا المؤملي أن ابن أبي عبيدة كان إذا أنشد قصيدة كثير:

لعزة من أيام ذي الغصن شاقني بضاحي قرار الروضتين رسوم

يتحازن حتى تقول: إنه يبكي .

تمثل الحزين الكناني بشعر لكثير: أخبرني الحرمي قال حدثنل الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن الضحاك بن عثمان قال: قال عروة بن أذينة: كان الحزين الكناني الشاعر صديقاً لأبي، وكان عشيراً له على النبيذ ، فكان كثيراً ما يأتيه، وكانت بالمدينة قينة يهواها الحزين ويكثر غشيانها، فبيعت وأخرجت عن المدينة، فأتى الحزين أبي، وهو كئيب حزين كاسمه، فقال له أبي: يا أبا حكيمٍ مالك؟ قال: أنا والله يا أبا عامر كما قال كثير:

لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى بغى سقماً إني إذاً لسقيم

سألت حكيماً أين شطت بها النوى فخبرني ما لا أحب حكيم

فقال له أبي: أنت مجنون إن أقمت على هذا .

قصيدة كثير في عزة لما أخرجت إلى مصر: وهذه القصيدة يقولها كثير في عزة لما أخرجت إلى مصر، وذلك قوله فيها:

ولست براءٍ نحو مصر سحابةً وإن بعدت إلا قعدت أشيم

فقد بوجد النكس الدني عن الهوى عزوفا ويصبو المرء وهو كريم

وقال خليلي مالها إذ لقيتها غداة الشبا فيها عليك وجوم

فقلت له إن المودة بيننا على غير فحشٍ والصفاء قديم

وإني وإن أعرضت عنها تجلداً ... على العهد فيما بيننا لمقيم
وإن زماناً فرق الدهر بيننا ... وبينكم في صرفه لمشوم
أفي الحق هذا أن قلبك سالم ... صحيح وقلبي في هواك سقيم
وأن بجسمي منك داءً مخامراً ... وجسمك موفور عليك سليم
لعمرك ما أنصفتني في مودتي ... ولكنني يا عز عنك حليم
فإما تريني اليوم أبدي جلادةً ... فإني لعمري تحت ذاك كليم
ولست ابنة الضمري منك بناقم ... ذنوب العدا إني إذا لظلوم
وإني لذو وجدٍ إذا عاد وصلها ... وإني على ربي إذا لكريم

ومنها: صوت:

لعزة أطلال أبت أن تكلما ... تهيج مغانيها الفؤاد المتيما
وكنت إذا ما جئت أجللن مجلسي ... وأظهرن مني هيبة لا تجهما
يحاذرن مني غيرةً قد عرفنها ... قديماً فما يضحكن إلا تبسما

عروضه من الطويل. غنى فيه مالك بن أبي السمح لحنين عن يونس. أحدهما ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق، وغيره ينسبه إلى معبد. والآخر ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حبشٍ وفيه لابن محرز خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو والهشامي. وغيره يقول: إنه لحن مالك. وفيه لابن سريج خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو والهشامي وعلي بن يحيى .

الرشيد ومسرور الخادم وما دار بينه وبين جعفر بن يحيى حين أمره بقتله: وأخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني من أثق به عن مسرور الخادم:

أن الرشيد لما أراد قتل جعفر بن يحيى لم يطلع عليه أحداً بتة . ودخل عليه جعفر في اليوم الذي قتله في ليلته فقال له: اذهب فتشاغل اليوم بمن تأنس به واصطبح فإني مصطبح مع الحرم. فمضى جعفر، وفعل الرشيد ذلك. و لم يزل بر الرشيد وزألطافه وتحفه وتحياته تتابع إليه لئلا يستوحش. فلما كان الليل دعاني فقال لي : اذهب فجئني الساعة برأس جعفر ابن يحيى، وضم إلي جماعة من الغلمان، فمضيت حتى هجمت عليه مترله. وإذا أبو زكار الأعمى يغنيه بقوله :

فلا تبعد فكل فتىً سيأتي ... عليه الموت يطرق أو يغادي

فقلت له: في هذا المعنى ومثله والله جئتك فأجب. فوثب وقال: ما الخبر يا أبا هشام جعلني الله فداءك! قلت: قد أمرت بأخذ رأسك. فاكب على رجلي فقبلها وقال: الله الله، راجع أمير المؤمنين في. فقلت: ما لي إلى ذلك

سبيل. قال: فأعهد؟ قلت: ذاك لك. فذهب يدخل إلى النساء فمنعته، وقلت: اعهد في موضعك. فدعا بدواة وكتب أحرفاً على دهشٍ ثم قال لي: يا أبا هشام بقيت واحدة. قلت: هاتها. قال: خذني معك إلى أمير المؤمنين حتى أخاطبه. قلت: ما لي إلى ذلك سبيل. قال: ويحك لا تقتلني بأمره على النبيذ. فقلت: هيهات ما شرب اليوم شيئاً. قال: فخذني واحبسني عندك في الدار، وعاوده في أمري. قلت: أفعل. فأخذته، فقال لي أبو زكار الأعمى: نشدتك الله إن قتلته إلا ألحقتني به. قلت له: يا هذا لقد اخترت غير مختار. قال: وكيف أعيش بعده وحياتي كانت معه وبه، وأغناني عمن سواه، فما أحب الحياة بعده، فمضيت بجعفر وجعلته في بيت وأقفلت عليه ووكلت به، ودخلت إلى الرشيد، فلما رآني قال: أين رأسه ويلك؟ فأخبرته بالخبر. فقال: يابن الفاعلة، والله لئن لم يجيئني برأسه الساعة لآخذن رأسك! فمضيت إليه فأخذت رأسه ووضعته بين يديه. ثم أخبرته خبره، وذكرت له خبر أبي زكار الأعمى، فلما كان بعد مدة أمرني بإحضاره، فأحضرته، فوصله وبره وأمر بالجراية عليه .

صوت: شعر في خولة غنى فيه:

قفا في دار خولة فاسألاها ... تقادم عهدها وهجرتماها

بمحلالٍ يفوح المسك منه ... إذا هبت بأبطحه صباها

أترعى حيث شاءت من حمانا ... وتمنعنا فلا ترعى حماها

عروضه من الوافر. الشعر لرجل من فزارة. والغناء ذكر حماد عن أبيه أنه لمعبد، وذكر عنه في موضع آخر أنه لابن مسجح. وطريقته من الثقيل الأول في مجرى الوسطى .

نسب منظور بن زبان: وهذا الشعر يقول الفزاري في خولة بنت منظور بن زبان بن سيار بن عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال بن سمي بن مازن بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان. وكان منظور بن زبان سيد قومه غير مدافع، أمه قهطم بنت هاشم بن حرملة وقد ولدت أيضاً زهير بن جذيمة فكان آخذاً بأطراف الشرف في قومه. وهو أحد من طال حمل أمه به .

سبب تسميته منظوراً وشعر أبيه في ذلك: قال الزبير بن بكار فيما أجاز لنا الحرمي بن أبي العلاء والطوسي روايته عنهما مما حدثا به عنه حدثتني مغيرة بنت أبي عدي. قال الزبير وقد حدثني هذا الحديث أيضاً إبراهيم بن زياد عن محمد بن طلحة، وحدثنيه أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة عن يحيى بن الحسن العلوي عن الزبير قالا جميعاً: حملت قهطم بنت هاشمٍ بمنظور بن زبان أربع سنين، فولدته وقد جمع فاه فسماه منظوراً لذلك يعني لطول ما انتظره وقال فيه على ما رواه محمد بن طلحة:

ما جئت حتى قيل ليس بوارد ... فسميت منظوراً وجئت على قدر

وإني لأرجو أن تكون كهاشمٍ ... وإني لأرجو أن تسود بني بدر

تزوج مليكة زوج أبيه ففرقع بينهما عمر فتبعتها نفسه وقال شعراً: ذكر الهيثم بن عدي عن ابن الكلبي وابن عياشٍ، وذكر بعضه الزبير بن بكار عن عمه عن مجالد: أن منظور بن زبان تزوج امرأة أبيه وهي مليكة بنت سنان بن أبي حارثة المري فولدت له هاشماً وعبد الجبار وخولة، و لم تزل معه إلى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكان يشرب الخمر أيضاً، فرفع أمره إلى عمر، فأحضره وسأله عما قيل، فاعترف به وقال: ما علمت أنها حرام . فحبسه إلى وقت صلاة العصر، ثم أحلفه أنه لم يعلم أن الله عز وجل حرم ما فعله. فحلف فيما ذكر أربعين يميناً. فخلى سبيله، وفرق بينه وبين امرأة أبيه وقال: لولا أنك حلفت لضربت عنقك .

قال ابن الكلبي في خبره: إن عمر قال له: أتنكح امرأة أبيك وهي أمك؟ أو ما علمت أن هذا نكاح المقت ! وفرق بينهما فتزجها محمد بن طلحة .

قال ابن الكلبي في خبره: فلما طلقها أسف عليها وقال فيها:

ألا لا أبالي اليوم ما صنع الدهر ... إذا منعت مني مليكة والخمر

فإن تك قد أمست بعيداً مزارها ... فحي ابنة المري ما طلع الفجر

لعمري ما كانت مليكة سوءةً ... ولا ضم في بيتٍ على مثلها ستر

وقال أيضاً:

لعمر أبي، دين يفرق بيننا ... وبينك قسراً إنه لعظيم

وقال حجر بن معاوية بن عيينة بن حصن بن حذيفة لمنظور:

لبئس ما خلف الآباء بعدهم ... في الأمهات عجان الكلب منظور

قد كنت تغمزها والشيخ حاضرها ... فالآن أنت بطول الغمز معذور

تزوجت ابنته خولة الحسن بن علي بعد موت زوجها: قال أبو الفرج الأصبهاني : أخطأ ابن الكلبي في هذا. وإنما طلحة بن عبيد الله الذي تزوجها؛ فأما محمد فإنه تزوج خولة بنت منظورٍ فولدت له إبراهيم بن محمد وكان أعرج، ثم قتل عنها يوم الجمل، فتزوجها الحسن بن علي عليهما السلام، فولدت له الحسن بن الحسن عليهما السلام .وكان إبراهيم بن محمد بن طلحة نازع بعض ولد الحسين بن علي بعض ما كان بينهم وبين بني الحسن من مال علي عليه السلام، فقال الحسيني لأمير المدينة: هذا الظالم الضالع الظالع يعني إبراهيم فقال له إبراهيم: والله إني لأبغضك. فقال له الحسيني: صادق، والله يحب الصادقين، وما يمنعك من ذلك وقد قتل أبي أباك، وناك عمي أمك؟ لا يكني فأمر بهما فأقيما من بين يدي الأمير .

لقي مليكة بعد فراقها فتعرض لها ولزوجها: رجع الخبر إلى رواية ابن الكلبي قال: فلما فرق عمر رضي الله عنه بينهما وتزوجت رآها منظور يوماً وهي تمشي في الطريق وكانت جميلة رائعة الحسن فقال: يا مليكة، لعن الله

ديناً فرق بيني وبينك! فلم تكلمه وجازت، وجاز بعدها زوجها؛ فقال له منظور: كيف رأيت أثر أيري في حر مليكة؟ قال: كما رأيت أثر أير أبيك فيه، فأفحمه. وبلغ عمر رضي الله عنه الخبر فطلبه ليعاقبه، فهرب منه .

رجع إلى زواج ابنته خولة بالحسن: وقال الزبير في حديثه: فتزوج محمد بن طلحة بن عبيد الله خولة بنت منظورٍ فولدت له إبراهيم وداود وأم القاسم بني محمد بن طلحة، ثم قتل عنها يوم الجمل، فخلف عليها الحسن ابن علي بن أبي طالب عليهما السلام، فولدت له الحسن بن الحسن رضي الله عنهما .

قال الزبير: وقال محمد بن الضحاك الحزامي عن أبيه: تزوج الحسن عليه السلام خولة بنت منظور، زوجه إياها عبد الله بن الزبير وكانت أختها تحته .

وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثني يحيى بن الحسن قال حدثني موسى بن عبيد الله بن الحسن قال: جعلت خولة أمرها إلى الحسن عليه السلام فتزوجها، فبلغ ذلك منظور بن زبان فقال: أمثلي يفتات عليه في ابنته! فقدم المدينة، فركز راية سوداء في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم يبق قيسي بالمدينة إلا دخل تحتها، فقيل لمنظور بن زبان: أين يذهب بك! تزوجها الحسن بن علي عليه السلام وليس مثله أحد. فلم يقبل. وبلغ الحسن عليه السلام ما فعل، فقال له: ها، شأنك بها. فأخذها وخرج بها. فلما كان بقباءٍ جعلت خولة تندمه وتقول: الحسن بن علي سيد شباب أهل الجنة. فقال: تلبثي ها هنا؛ فإن كانت للرجل فيك حاجة فسيلحقنا ها هنا. قال: فلحقه الحسن والحسين عليهما السلام وابن جعفر وابن عباس، فتزوجها الحسن، ورجع بها. قال الزبير: ففي ذلك يقول جفير العبسي:

إن الندى من بني ذبيان قد علموا ... والجود في آل منظور بن سيار

الماطرين بأيديهم ندىً ديما ... وكل غيثٍ من الوسمي مدرار

تزور جاراتهم وهناً فواضلهم ... وما فتاهم لها سراً بزوار

ترضى قريش بهم صهراً لأنفسهم ... وهم رضاً لبني أختٍ وأصهار

لما أسنت خولة بنته برزت للرجال وغناها معبد بشعر قيل فيها فطربت: أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني ابن أبي أيوب عن ابن عائشة المغني عن معبد:

أن خولة بنت المنظور كانت عند الحسن بن علي عليهما السلام، فلما أسنت مات عنها أو طلقها، فكشفت قناعها وبرزت للرجال. قال معبد: فأتيتها ذات يوم أطالبها بحاجةٍ، فغنيتها لحني في شعرٍ قاله فيها بعض بني فزارة، وكان خطبها فلم ينكحها أبوها:

قفا في دار خولة فاسألاها ... تقادم عهدها وهجرتماها

بمحلالٍ كأن المسك فيه ... إذا فاحت بأبطحه صباها

كأنك مزنة برقت بليلٍ ... لحرانٍ يضيء له سناها

فلم تمطر عليه وجاوزته وقد أشفى عليها أورجاها

وما يملا فؤادي فاعلميه سلو النفس عنك ولا غناها

وترعى حيث شاءت من حمانا وتمنعنا فلا نرعى حماها

قال : فطربت العجوز لذلك، وقالت: يا عبد ابن قطن، أنا والله يومئذ أحسن من النار الموقدة في الليلة القرة .

صوت:

لله در عصابةٍ صاحبتهم يوم الرصافة مثلهم لم يوجد

متقلدين صفائحاً هندية يتركن من ضربوا كأن لم يولد

وغدا الرجال الثائرون كأنما أبصارهم قطع الحديد الموقد

عروضه من الكامل. الشعر للجحاف السلمي ببني تغلب في يوم البشر. والغناء للأبجر ثقيل أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق .

خبر الجحاف ونسبه

وقصته يوم البشر:

نسبه: هو الجحاف بن حكيم بن عاصم بن قيس بن سباع بن خزاعي بن محاربي بن فالج بن ذكوان ابن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور .

قصته يوم البشر وسبب ذلك: وكان السبب في ذلك فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش قالا حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيبٍ عن ابن الأعرابي، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصرٍ المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة، وقد جمعت روايتهم. وأكثر اللفظ في الخبر لابن حبيب:

أن عمير بن الحباب لما قتلته بنو تغلب بالحشاك وهو إلى جانب الثرثار، وهو قريب من تكريت أتى تميم بن الحباب أخوه زفر بن الحارث فأخبره بمقتل عمير، وسأله الطلب له بثأره، فكره ذلك زفر، فسار تميم بن الحباب بمن تبعه من قيس، وتابعه على ذلك مسلم بن أبي ربيعة العقيلي. فلما توجهوا نحو بني تغلب لقيهم الهذيل في زراعة لهم؛ فقال: أين تريدون؟ فأخبروه بما كان من زفر، فقال: أمهلوني ألق الشيخ. فأقاموا ومضى الهزيل فأتى زفر؛ فقال: ما صنعت! والله لئن ظفر بهذه العصابة إنه لعار عليك، ولئن ظفروا إنه لأشد؛ قال زفر: فاحبس علي القوم؛ وقام زفر في أصحابه، فحرضهم، ثم شخص واستخلف عليهم أخاه أوساً، وسار حتى انتهى إلى الثرثار فدفنوا أصحابهم، ثم وجه زفر بن الحرث يزيد بن حمران في خيل، فأساء إلى بني فدوكس من تغلب، فقتل رجالهم واستباح أموالهم، فلم يبق في ذلك الجو غير امرأة واحدة يقال لها حميدة بنت امرئ القيس عاذت بابن

حمران فأعاذها. وبعث الهذيل إلى بني كعب بن زهير فقتل فيهم قتلاً ذريعاً. وبعث مسلم بن ربيعة إلى ناحية أخرى فأسرع في القتل. وبلغ ذلك بني تغلب واليمن، فارتحلوا يريدون عبور دجلة، فلحقهم زفر بالكحيل وهو نهر أسفل الموصل مع المغرب فاقتتلوا قتالاً شديداً، وترجل أصحاب زفر أجمعون، وبقي زفر على بغل له، فقتلوهم من ليلتهم، وبقروا ما وجدوا من النساء. وذكر أن من غرق في دجلة أكثر ممن قتل بالسيف، وأن الدم كان في دجلة قريباً من رمية سهم. فلم يزالوا يقتلون من وجدوا حتى أصبحوا؛ فذكر أن زفر دخل معهم دجلة وكانت فيه بحة، فجعل ينادي ولا يسمعه أصحابه، ففقدوا صوته وحبسوا أن يكون قتل، فتذامروا وقالوا: لئن قتل شيخنا لما صنعنا شيئاً، فاتبعوه فإذا هو في دجلة يصيح بالناس وتغلب قد رمت بأنفسها تعبر في الماء فخرج من الماء وأقام في موضعه. فهذه الوقعة الحرجية لأنهم أحرجوا فألقوا أنفسهم في الماء. ثم وجه يزيد بن حمران وتميم بن الحباب ومسلم بن ربيعة والهذيل بن زفر في أصحابه، وأمرهم ألا يلقوا أحداً إلا قتلوه، فانصرفوا من ليلتهم، وكل قد أصاب حاجته من القتل والمال، ثم مضى يستقبل الشمال في جماعة من أصحابه، حتى أتى رأس الأثيل، و لم يخل بالكحيل أحداً والكحيل على عشرة فراسخ من الموصل فيما بينها وبين الجنوب فصعد قبل رأس الأثيل، فوجد به عسكراً من اليمن وتغلب، فقاتلهم بقية ليلتهم، فهربت تغلب وصبرت اليمن. وهذه الليلة تسميها تغلب ليلة الهرير. ففي ذلك يقول زفر بن الحارث، وقد ذكر أنها لغيره:

ولما أن نعى الناعي عميراً ... حسبت سماءهم دهيت بليل

دهيت بليل، أي أظلمت نهاراً كأن ليلاً دهاها.

وكان النجم يطلع في قتامٍ ... وخاف الذل من يمن سهيل

وكنت قبيلها يا أم عمروٍ ... أرجل لمتي وأجر ذيلي

فلو نبش المقابر عن عمير ... فيخبر من بلاء أبي الهذيل

غداة يقارع الأبطال حتى ... جرى منهم دماً مرج الكحيل

قبيل ينهدون إلى قبيل ... تساقى الموت كيلاً بعد كيل

وفي ذلك يقول جرير يعير الأخطل:

أنسيت يومك بالجزيرة بعدما ... كانت عواقبه عليك وبالا!

حملت عليك حماة قيسٍ خيلها ... شعثاً عوابس تحمل الأبطالا

ما زلت تحسب كل شيء بعدهم ... خيلاً تكر عليكم ورجالا

زفر الرئيس أبو الهذيل أبادكم ... فسبى النساء وأحرز الأموالا

أغراه الأخطل بشعره بأخذ الثأر من تغلب ففعل وفر إلى الروم: فلما أن كانت سنة ثلاث وسبعين، وقتل عبد الله بن الزبير هدأت الفتنة واجتمع الناس على عبد الملك بن مروان، وتكافت قيس وتغلب عن المغازي بالشام والجزيرة، وظن كل واحد من الفريقين أن عنده فضلاً لصاحبه، وتكلم عبد الملك في ذلك و لم يحكم الصلح فيه، فبينا هم على تلك الحال إذ أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان وعنده وجوه قيس قوله:

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر ... بقتلى أصيبت من سليم وعامر!

أجحاف أن نهبط عليك فتلتقي ... عليك بحور طاميات الزواخر

تكن مثل أبداء الحباب الذي جرى ... به البحر تزهاه رياح الصراصر

فوثب الجحاف يجر مطرفه وما يعلم من الغضب، فقال عبد الملك للأخطل: ما أحسبك إلا وقد كسبت قومك شراً. فافتعل الجحاف عهداً من عبد الملك على صدقات بكرٍ وتغلب، وصحبه من قومه نحو من ألف فارسٍ، فثار بهم حتى بلغ الرصافة قال: وبينها وبين شط الفرات ليلة، وهي في قبلة الفرات ثم كشف لهم أمره، وأنشدهم شعر الأخطل، وقال لهم: إنما هي النار أو العار، فمن صبر فليقدم ومن كره فليرجع، قالوا: ما بأنفسنا عن نفسك رغبة، فأخبرهم بما يريد، فقالوا: نحن معك فيما كنت فيه من خيرٍ وشر، فارتحلوا فطرقوا صهين بعد رؤبة من الليل وهي في قبلة الرصافة وبينهما ميل ثم صبحوا عاجنة الرحوب في قبلة صهين والبشر وهو وادٍ لبني تغلب فأغاروا على بني تغلب ليلاً فقتلوهم، وبقروا من النساء من كانت حاملاً، ومن كانت غير حامل قتلوها. فقال عمر بن شبة في خبره: سمعت أبي يقول: صعد الجحاف الجبل فهو يوم البشر، ويقال له أيضاً يوم عاجنة الرحوب، يوم مخاشن، وهو جبل إلى جنب البشر، وهو مرج السلوطح لأنه بالرحوب وقتل في تلك الليلة ابناً للأخطل يقال له أبو غياثٍ، ففي ذلك يقول جرير له:

شربت الخمر بعد أبي غياثٍ ... فلا نعمت لك السوءات بالا

قال عمر بن شبة في خبره خاصة: ووقع الأخطل في أيديهم، وعليه عباءة دنسة، فسألوه فذكر أنه عبد من عبيدهم، فأطلقوه، فقال ابن صفار في ذلك:

لم تنج إلا بالتعبد نفسه ... لما تيقن أنهم قوم عدا

وتشابهت برق العباء عليهم ... فنجا ولو عرفوا عباءته هوى

وجعل ينادي: من كانت حاملاً فإلي، فصعدن إليه، فجعل يبقر بطونهن. ثم إن الجحاف هرب بعد فعله، وفرق عنه أصحابه ولحق بالروم، فلحق الجحاف عبيدة بن همامٍ التغلبي دون الدرب، فكر عليه الجحاف فهزمه، وهزم أصحابه وقتلهم، ومكث زمناً في الروم، وقال في ذلك:

فإن تطردوني تطردوني وقد مضى ... من الورد يوم في دماء الأراقم

لدن ذر قرن الشمس حتى تلبست ظلاماً بركض المقربات الصلادم

رجع بعد عفو عبد الملك عنه وتمثل بشعر الأخطل: حتى سكن غضب عبد الملك، وكلمته القيسية في أن يؤمنه، فلان وتلكأ، فقيل له: إنا والله لا نأمنه على المسلمين إن طال مقامه بالروم؛ فأمنه، فأقبل فلما قدم على عبد الملك لقيه الأخطل فقال له الجحاف:

أبا مالكٍ هل لمتني إذ حضضتني على القتل أم هل لامني لك لائمي

أبا مالكٍ إني أطعتك في التي حضضت عليها فعل حران حازم

فإن تدعني أخرى أجبك بمثلها وإني لطب بالوغى جد عالم

قال ابن حبيب: فزعموا أن الأخطل قال له: أراك والله شيخ سوءٍ. وقال فيه جرير:

فإنك والجحاف يوم تحضه أردت بذاك المكث والورد أعجل

بكى دوبل لا يرقئ الله دمعة ألا إنما يبكي من الذل دوبا

وما زالت القتلى تمور دماؤهم بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

فقال الأخطل: ما لجرير لعنه الله! والله ما سمتني أمي دوبلاً إلا وأنا صبي صغير ثم ذهب ذلك عني لما كبرت. وقال الأخطل:

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعةً إلى الله منها المشتكى والمعول

فسائل بني مروان ما بال ذمةٍ وحبلٍ ضعيفٍ لا يزال يوصل

فإلا تغيرها قريش بملكها يكن عن قريشٍ مستراد ومزحل

حمله الوليد دية قتلى البشر فاستطاع أن يأخذها من الحجاج:

فقال عبد الملك حين أنشده هذا: فإلى أين يابن النصرانية؟ قال: إلى النار قال: أولى لك لو قلت غيرها! قال: ورأى عبد الملك أنه إن تركهم على حالهم لم يحكم الأمر، فأمر الوليد بن عبد الملك، فحمل الدماء التي كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب، وضمن الجحاف قتلى البشر، وألزمه إياها عقوبةً له، فأدى الوليد الحمالات، ولم يكن عند الجحاف ما حمل، فلحق بالحجاج بالعراق يسأله ما حمل لأنه من هوازن، فسأل الإذن على الحجاج، فمنعه. فلقي أسماء بن خارجة؛ فعصب حاجته به فقال: إني لا أقدر لك على منفعةٍ، قد علم الأمير بمكانك وأبى أن يأذن لك؛ فقال: لا والله لا ألزمها غيرك أنجحت أو أكدت ، فلما بلغ ذلك الحجاج قال: ما له عندي شيء، فأبلغه ذلك؛ قال: وما عليك أن تكون أنت الذي توئسه فإنه قد أبى، فأذن له فلما رآه قال: أعهدتني خائناً لا أبا لك! قال: أنت سيد هوازن، وقد بدأنا بك، وأنت أمير العراقين ، وابن عظيم القريتين ، وعمالتك في كل سنة خمسمائة ألف درهم، وما بك بعدها حاجة إلى خيانةٍ ؛ فقال: أشهد أن الله تعالى وفقك، وأنك نظرت بنور الله،

فإذا صدقت فلك نصفها العام، فأعطاه وأدوا البقية .

تنسك وخرج إلى الحج في زي عجيب: قال ثم تأله الجحاف بعد ذلك، واستأذن في الحج، فأذن له، فخرج في المشيخة الذين شهدوا معه، قد لبسوا الصوف وأحرموا، وأبروا أنوفهم أي خزموها وجعلوا فيها البرى ، ومشوا إلى مكة فلما قدموا المدينة ومكة جعل الناس يخرجون فينظرون إليهم، ويعجبون منهم، قال: وسمع ابن عمر الجحاف وقد تعلق بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم اغفر لي وما أراك تفعل! فقال له ابن عمر: يا هذا، لو كنت الجحاف ما زدت على هذا القول، قال: فأنا الجحاف، فسكت. وسمعت محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو يقول ذلك؛ فقال: يا عبد الله، قنوطك من عفو الله أعظم من ذنبك! قال عمر بن شبة في خبره: كان مولد الجحاف بالبصرة .

دخل على عبد الملك بعد أن أمنه فأنشده شعراً: قال عبد الله بن إسحاق النحوي: كان الجحاف معي في الكتاب، قال أبو زيد في خبره أيضاً: ولما أمنه عبد الملك دخل عليه في جبة صوف، فلبث قائماً، فقال له عبد الملك: أنشدني بعض ما قلت في غزوتك هذه وفجرتك، فأنشده قوله:

صبرت سليم للطعان وعامر وإذا جزعنا لم نجد من يصبر

فقال له عبد الملك بن مروان: كذبت، ما أكثر من يصبر! ثم أنشده:

نحن الذين إذا علوا لم يفخروا يوم اللقا وإذا علوا لم يضجروا

فقال عبد الملك: صدقت، حدثني أبي عن أبي سفيان بن حرب أنكم كنتم كما وصفت يوم فتح مكة .

عود إلى قصة يوم البشر: حدثت عن الدمشقي عن الزبير بن بكار، وأخبرني وكيع عن عبد الله بن شبيب عن الزبير ابن بكارٍ عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عمرو بن عبد العزيز بن مروان: أنه حضر الجحاف عند عبد الملك بن مروان يوماً والأخطل حاضر في مجلسه ينشد:

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر بقتلى أصيبت من سليم وعامر

قال: فتقبض وجهه في وجه الأخطل. ثم إن الأخطل لما قال له ذلك قال له:

نعم سوف نبكيهم بكل مهندٍ ونبكي عميراً بالرماح الخواطر

ثم قال: ظننت أنك يابن النصرانية لم تكن تجترئ علي ولو رأيتني لك مأسوراً. وأوعده، فما برح الأخطل حتى حم، فقال له عبد الملك: أنا جارك منه؛ قال: هذا أجرتني منه يقظان، فمن يجيرني منه نائماً؟ قال: فجعل عبد الملك يضحك. قال: فأما قول الأخطل:

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر بقتلى أصيبت من سليم وعامر

فإنه يعني اليوم الذي قتلت فيه بنو تغلب عمير بن الحباب السلمي .

وكان السبب في ذلك فيما أخبرني به علي بن سليمان الأخفش قال حدثني أبو سعيد السكري عن محمد بن

حبيب عن أبي عبيدة عن الأعرابي عن المفضل:

أن قيساً وتغلب تحاشدوا لما كان بينهم من الوقائع منذ ابتداء الحرب بمرج راهطٍ، فكانوا يتغاورون . وكانت بنو مالك بن بكر جامعةً بالتوباذ وما حوله، وجلبت إليها طوائف تغلب وجميع بطونها، إلا أن بكر بن جشم لم تجتمع أحلافهم من النمر بن قاسط. وحشدت بكر فلم يأت الجمع منهم على قدر عددهم. وكانت تغلب بدواً بالجزيرة لا حاضرة لها إلا قليل بالكوفة، وكانت حاضرة الجزيرة لقيسٍ وقضاعة وأخلاط مضر، ففارقتهم قضاعة قبل حرب تغلب، وأرسلت تغلب إلى مهاجريها وهم بأذربيجان، فأتاهم شعيب بن مليل في ألفي فارس.

واستنصر عمير تميماً وأسداً فلم يأته منهم أحد؛ فقال:

أيا أخوينا من تميم هديتما ... ومن أسدٍ هل تسمعان المناديا

ألم تعلما مذ جاء بكر بن وائل ... وتغلب ألفافاً تهز العواليا

إلى قومكم قد تعلمون مكانهم ... وهم قرب أدنى حاضرين وباديا

وكان من حضر ذلك من وجوه بكر بن وائلٍ المجشر بن الحارث بن عامر بن مرة بن عبد الله بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، وكان من سادات شيبان بالجزيرة فأتاهم في جمع كثيرٍ من بني أبي ربيعة. وفي ذلك يقول تميم بن الحباب بعد يوم الحشاك:

فإن تحتجز بالماء بكر بن وائلٍ ... بنيعمنا فالدهر ذو متغير

فسوف نخيض الماء أو سوف نلتقي ... فنقتص من أبناء عم المجشر

وأتاهم زمام بن مالك بن الحصين من بني عمرو بن هاشم بن مرة في جمعٍ كبيرٍ فشهدوا يوم الثرثار، فقتل .

وكان فيمن أتاهم من العراق من بكر بن وائل عبيد الله بن زياد بن ظبيان، ورهصة بن النعمان بن سويد بن خالد من بني أسعد بن همام، فلذلك تحامل المصعب بن الزبير على أبان ابن زياد أخي عبيد الله بن زياد فقتله.

وفي هذا السبب كانت فرقة عبيد الله لمصعبٍ، وجمعت تغلب فأكثرت فلما أتى عميراً كثرة من أتى من بني تغلب وأبطأ عنه أصحابه قال يستبطئهم:

أناديهم وقد خذلت كلاب ... وحولي من ربيعة كالجبال

أقاتلهم بحي بني سليمٍ ... ويعصر كالمصاعيب النهال

فدًى لفوارس الثرثار قومي ... وما جمعت من أهلي ومالي

فإما أمس قد حانت وفاتي ... فقد فارقت أعصر غير قال

أبعد فوارس الثرثار أرجو ... ثراء المال أو عدد الرجال !

ثم زحف العسكران، فأتت قيس وتغلب الثرثار، بين رأس الأثيل والكحيل، فشاهدوا القتال يوم الخميس. وكان شعيب بن مليلٍ وثعلبه بن نياطٍ التغلبيان قدماً في ألفي فارس في الحديد، فعبروا على قرية يقال لها لبى على شاطئ دجلة بين تكريت وبين الموصل، ثم توجهوا إلى الثرثار، فنظر شعيب إلى دواخن قيس، فقال لثعلبة بن نياط: سر بنا إليهم، فقال له: الرأي أن نسير إلى جماعة قومنا فيكون مقاتلنا واحداً، فقال شعيب: والله لا تحدث تغلب أني نظرت إلى دواخنهم ثم انصرفت عنهم، فأرسل ناساً من أصحابه قدامه وعمير يقاتل بني تغلب. وذلك يوم الخميس، وعلى تغلب حنظلة بن هوبرٍ، أحد بني كنانة بن تميم، فجاء رجل من أصحاب عميرٍ إليه فأخبره أن طلائع شعيب قد أتته، وأنه قد عدل إليه، فقال عمير لأصحابه: أكفوني قتال ابن هوبرٍ، ومضى هو في جماعة من أصحابه، فأخذ الذين قدمهم شعيب، فقتلهم كلهم غير رجل من بني كعب بن زهير يقال له: قتب بن عبيد، فقال عمير: يا قتب، أخبرني ما وراءك؟ قال: قد أتاك شعيب بن مليل في أصحابه. وفارق ثعلبة بن نياط شعيباً، فمضى إلى حنظلة بن هوبرٍ، فقاتل معه القيسية، فقتل، فالتقى عمير وشعيب فاقتتلوا قتالاً شديداً، فما صليت العصر حتى قتل شعيب وأصحابه أجمعون، وقطعت رجل شعيب يومئذ، فجعل يقاتل القوم وهو يقول:

قد علمت قيس ونحن نعلم أن الفتى يفتك وهو أجذم

فلما قتل نزل أصحابه، فعقروا دوابهم، ثم قاتلوا حتى قتلوا، فلما رآه عمير قتيلاً قال: من سره أن ينظر إلى الأسد عقيراً فها هو ذا. وجعلت تغلب يومئذ ترتجز وتقاتل وهي تقول:

انعوا إياساً واندبوا مجاشعاً كلاهما كان كريماً فاجعا

ويه تغلب ضرباً ناقعا

وانصرف عمير إلى عسكره، وأبلغ بني تغلب مقتل شعيب، فحميت على القتال، وتذامرت على الصبر، فقال محصن بن حصين بن جنجور أحد الأبناء: مضيت أنا ومن أفلت من أصحاب شعيب بعد العصر، فأتينا راهباً في صومعته، فسألنا عن حالنا، فأخبرناه، فأمر تلميذاً له، فجاء بخرق فداوى جراحنا، وذلك غداةً يوم الجمعة. فلما كان آخر ذلك اليوم أتانا خبر مقتل عمير وأصحابه، وهرب من أفلت منهم .

صوت:

إن جنبي على الفراش لناب كتجافي الأسر فوق الظراب

من حديثٍ نمى إلي فما أط عم غمضاً ولا أسيغ شرابي

لشرحبيل إذ تعاوره الأر ماح في حال شدة وشباب

فارس يطعن الكماة جريء تحته قارح كلون الغراب

عروضه من الخفيف. الأسر: البعير الذي يكون به السرر، وهي قرحة تخرج في كركرته، لا يقدر أن يبرك إلا على موضع مستوٍ من الأرض، والظراب: النشوز والجبال الصغار، واحدها ظرب. والشعر لغلفاء، وهو معد يكرب بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي يرثي أخاه شرحبيل قتيل يوم الكلاب الأول، والغناء للغريض ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو .

وكان السبب في مقتله وقصة يوم الكلاب فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش قالا حدثنا أبو سعيد قال أخبرنا محمد بن حبيبٍ عن أبي عبيدة قال أخبرني إبراهيم بن سعدان عن أبيه عن أبي عبيدة قال أخبرني دماذ عن أبي عبيدة قال: كان من حديث الكلاب الأول أن قباذ ملك فارس لما ملك كان ضعيف الملك، فوثبت ربيعة على المنذر الأكبر بن ماء السماء وهو ذو القرنين بن النعمان بن الشقيقة فأخرجوه؛ وإنما سمي ذا القرنين لأنه كانت له ذؤابتان، فخرج هارباً منهم حتى مات في إيادٍ، وترك ابنه المنذر الأصغر فيهم وكان أذكى ولده فانطلقت ربيعة إلى كندة، فجاؤوا بالحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار، فملكوه على بكر بن وائلٍ، واحتشدوا له؛ فقاتلوا معه، فظهر على ما كانت العرب تسكن من أرض العراق، وأبى قباذ أن يمد المنذر بجيشٍ، فلما رأى ذلك المنذر كتب إلى الحارث بن عمروٍ: إني في غير قومي، وأنت أحق من ضمني، وأنا متحول إليك، فحوله إليه وزوجه ابنته هنداً. ففرق الحارث بنيه في قبائل العرب، فصار شرحبيل بن الحارث في بني بكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبني أسيد ، وطوائف من بني عمرو بن تميمٍ والرباب، وصار معد يكرب بن الحارث وهو غلفاء في قيس، وصار سلمة بن الحارث في بني تغلب والنمر بن قاسطٍ وسعد بن زيد مناة. فلما هلك الحارث تشتت أمر بنيه، وتفرقت كلمتهم ومشت الرجال بينهم، وكانت المغاورة بين الحياء الذين معهم، وتفاقم الأمر حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع؛ فسار شرحبيل ومن معه من بني تميم والقبائل، فنزلوا الكلاب وهو فيما بين الكوفة والبصرة على سبع ليالٍ من اليمامة وأقبل سلمة بن الحارث في تغلب والنمر ومن معه، وفي الصنائع وهم الذين يقال لهم بنو رقية، وهي أم لهم ينتسبون إليها. وكانوا يكونون مع الملوك يريدون الكلاب. وكان نصحاء شرحبيل وسلمة قد نهوهما عن الحرب والفساد والتحاسد، وحذروهما عثرات الحرب وسوء مغبتها، فلم يقبلا و لم يبرحا، وأبيا إلا التتابع واللجاجة في أمرهم، فقال امرؤ القيس بن حجر في ذلك:

أنى علي استتب لومكما ... ولم تلوما عمراً ولا عصما

كلا يمين الإله يجمعنا ... شيء وأخوالنا بني جشما

حتى تزور السباع ملحمةً ... كأنها من ثمود أو إرما

وكان أول من ورد كلاب من جمع سلمة سفيان بن مجاشع بن دارم، وكان نازلاً في بني تغلب مع إخوته لأمه، فقتلت بكر بن وائلٍ بنين له، فيهم مرة بن سفيان، قتله سالم بن كعب بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان؛ فقال سفيان وهو يرتجز:

الشيخ شيخ ثكلان ... والجوف جوف حران

والورد ورد عجلان أنعى مرة بن سفيان

وفي ذلك يقول الفرزدق:

شيوخ منهم عدس بن زيد وسفيان الذي ورد الكلابا

وأول من ورد الماء من بني تغلب رجل من بني عبد بن جشم يقال له النعمان بن قريع بن حارثة بن معاوية بن عبد بن جشم، وعبد يغوث بن دوسٍ، وهو عم الأخطل دوس والفدوكس أخوان على فرس له يقال له الحرون، وبه كان يعرف ثم ورد سلمة، بيني تغلب وسعد جماعة الناس، وعلى بني تغلب يومئذ السفاح واسمه سملة بن خالد بن كعب ابن زهير بن تميم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب وهو يقول:

إن الكلاب ماؤنا فخلوه وساجراً والله لن تحلوه

فاقتتل القوم قتالاً شديداً، وثبت بعضهم لبعض؛ حتى إذا كان في آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل، وانصرفت بنو سعد وألفافها عن بني تغلب، وصبر ابنا وائلٍ: بكر وتغلب ليس معهم غيرهم، حتى إذا غشيهم الليل نادى منادي سلمة: من أتى برأس شرحبيل فله مائة من الإبل، وكان شرحبيل نازلاً في بني حنظلة وعمر بن تميم، ففروا عنه، وعرف مكانه أبو حنش وهو عصم بن النعمان بن مالك بن غياث بن سعدٍ بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيبٍ فصمد نحوه، فلما انتهى إليه رآه جالساً وطوائف الناس يقاتلون حوله، فطعنه بالرمح، ثم نزل إليه فاحتز رأسه وألقاه إليه. ويقال إن بني حنظلة وبني عمرو بن تميم والرباب لما انهزموا خرج معهم شرحبيل، فلحقه ذو السنينة واسمه حبيب بن عتبة بن حبيب بن بعج بن عتبة بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر وكانت له سن زائدة فالتفت شرحبيل فضرب ذا السنينة على ركبته، فأطن رجله، وكان ذو السنينة أحا أبي حنشٍ لأمه، أمهما سلمى بنت عدي بن ربيعة بنت أخي كليبٍ ومهلهلٍ، فقال ذو السنينة: قتلني الرجل! فقال أبو حنش: قتلني الله إن لم أقتله، فحمل عليه، فلما غشيه قال: يا أبا حنش، أملكاً بسوقه؟ قال: إنه كان ملكي، فطعنه أبو حنش، فأصاب رادفة السرج، فورعت عنه، ثم تناوله فألقاه عن فرسه، ونزل إليه فاحتز رأسه، فبعث به إلى سلمة مع ابن عم له يقال له أبو أجأ بن كعب بن مالك بن غياث، فألقاه بين يديه؛ فقال له سلمة: لو كنت ألقيته إلقاء رفيقاً! فقال: ما صنع بي وهو حي أشد من هذا، وعرف أبو أجأ الندامة في وجهه والجزع على أخيه، فهرب وهرب أبو حنش فتحى عنه، فقال سعد يكرب أخو شرحبيل، وكان صاحب سلامةٍ معتزلاً عن جميع هذه الحروب:

ألا أبلغ أبا حنشٍ رسولاً فمالك لا تجيء إلى الثواب !

تعلم أن خير الناس طراً قتيل بين أحجار الكلاب

تداعت حوله جشم بن بكر وأسلمه جعاسيس الرباب

قتيل ما قتيلك يابن سلمى تضربه صديقك أو تحابي

فقال أبو حنش مجيباً له:

أحاذر أن أجيئكم فتحبو حباء أبيك يوم صنيبعات

فكانت غدرةً شنعاء تهفو تقلدها أبواك إلى الممات

ويقال: إن الشعر الأول لسلمة بن الحارث .

وقال معد يكرب المعروف بغلفاء يرثي أخاه شرحبيل بن الحارث:

إن جنبي عن الفراش لنابي كتجافي الأسر فوق الظراب

من حديثٍ نمى إلي فلا تر قأعيني ولا أسيغ شرابي

مرة كالذعاف أكتمها النا س على حر ملةٍ كالشهاب

من شرحبيل إذ تعاوره الأر ماح في حال لذة وشباب

يابن أمي ولو شهدتك إذ تد عو تميماً، وأنت غير مجاب

لتركت الحسام تجري ظباه من دماء الأعداء يوم الكلاب

ثم طاعنت من ورائك حتى تبلغ الرحب أو تبز ثيابي

يوم ثارت بنو تميم وولت خيلهم يتقين بالأذناب

ويحكم يا بني أسيد إني ويحكم ربكم ورب الرباب

أين معطيكم الجزيل وحابي كم على الفقر بالمئين الكباب

فارس يضرب الكتيبة بالسي ف على نحره كنضح الملاب

فارس يطعن الكماة جريء تحته قارح كلون الغراب

قال: ولما قتل شرحبيل قامت بنو سعد بن زياد مناة بن تميم دون عياله، فمنعوهم وحالوا بين الناس وبينهم، ودفعوا عنهم حتى ألحقوهم بقومهم ومأمنهم. ولي ذلك منهم عوف بن شجنة بن الحارث بن عطارد بن عوف بن سعد بن كعبٍ، وحشد له فيه رهطه ونهضوا معه، فأثنى عليهم في ذلك امرؤ القيس بن حجرٍ، ومدحهم به في شعره فقال:

ألا إن قوماً كنتم أمس دونهم عن استنقذوا جاراتكم آل غدران

عوير ومن مثل العوير ورهطه وأسعد في يوم الهزاهز صفوان

وهي قصيدة معروفة طويلة: صوت:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا

الشعر لعبد الله بن معاوية بن عبد الله الجعفري، يقوله للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس؛ هكذا ذكر مصعب الزبيري. وذكر مؤرج فيما أخبرنا به اليزيدي عن عمه أبي جعفر عن مؤرجٍ وهو الصحيح أن عبد الله بن معاوية قال هذا الشعر في صديقٍ له يقال له قصي بن ذكوان، وكان قد عتب عليه. وأول الشعر:

رأيات قصياً كان شيئاً ملفقاً فكشفه التمحيص حتى بدا ليا

فلا زاد ما بيني وبينك بعدما بلوتك في الحاجات إلا تنائيا

والغناء لبنان بن عمرون رمل بالوسطى. وفيه الثقيل الأول لعريب من رواية أبي العنبس وغيره .

خبر عبد الله بن معاوية ونسبه

نسبه: هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. وأم عبد الله بن جعفر وسائر بني جعفر أسماء بنت عميس بن معد بن تميم بن مالك ابن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن بشر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن أفتل، وهو خماعة بن خثعم بن أنمار. وأمها هند بنت عوفٍ، امرأة من جرش. هذه الجرشية أكرم الناس أحماء، أحماؤها: رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وجعفر وحمزة و العباس وأبو بكر رضي الله تعالى عنهم، وإنما صار رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحمائها أنه كان لها أربع بناتٍ: ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأم الفضل زوجة العباس وأم بنته، وسلمى زوجة حمزة بن عبد المطلب، بنات الحارث، وأسماء بنت عميسٍ أخته لأمهن، وكانت عند جعفر بن أبي طالب، ثم خلف عليها أبو بكر رضي الله تعالى عنه ثم خلف عليها علي بن أبي طالب عليه السلام. وولدت من جميعهم. وهن اللواتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهن: " إنهن مؤمنات " .

حدثني بذلك أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثني يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا هارون ابن محمد بن موسى الفروي قال: حدثنا داود بن عبد الله قال: حدثني عبد العزيز الدراوردي عن إبراهيم بن عقبة عن كريبٍ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الأخوات المؤمنات: ميمونة، وأم الفضل، وسلمى، وأسماء بنت عميسٍ أختهن لأمهن " .

حدثني أحمد قال حدثني يحيى قال حدثنا الحسن بن علي قال حدثني عبد الرزاق قال أخبرني يحيى بن العلاء البجلي عن عمه شعيب بن خالدٍ عن حنظلة بن سمرة بن المسيب عن أبيه عن جده عن ابن عباس قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم على فاطمة وعلي، عليهما السلام ليلة بنى بها فأبصر خيالاً من وراء الستر؛ فقال: " من هذا؟ " فقالت: أسماء؛ قال: " بنت عميس "؟ قالت: نعم، أنا التي أحرس بنتك يا رسول الله؛ فإن الفتاة ليلة

بنائها لا بد لها من امرأة تكون قريباً منها، إن عرضت لها حاجة أفضت بذلك إليها؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإني أسأل إلهي أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان " .

طائفة من أخبار عبد الله بن جعفر: أدرك رسول الله وروى عنه: وقد أدرك عبد الله بن جعفر رحمه الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه .

فمما روى عنه ما حدثنيه حامد بن محمد بن شعيب البلخي وأحمد بن محمد بن الجعد قالا حدثنا محمد بن بكار قال حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يأكل البطيخ بالرطب .

رآه النبي يلعب فداعبه:

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثنا يحيى بن الحسن قال حدثنا سلمة بن شبيب قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرني ابن يحيى وعثمان بن أبي سليمان قالا: مر النبي صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن جعفرٍ وهو يصنع شيئاً من طين من لعب الصبيان فقال: " ما تصنع بهذا "؟ قال: أبيعه، قال: " ما تصنع بثمنه "؟ قال: أشتري به رطباً فآكله؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم " اللهم بارك له في صفقة يمينه ". فكان يقال: ما اشترى شيئاً إلا ربح فيه .

تعرض له الحزين بالعقيق وطلب منه ثياباً: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب عن جدي عبد الله بن مصعب: أن الحزين قمر في العقيق في غداةٍ باردةٍ ثيابه، فمر به عبد الله بن جعفر وعليه مقطعات خزٍ، فاستعار الحزين من رجل ثوباً، ثم قام إليه فقال:

أقول له حين واجهته ... عليك السلام أبا جعفر

فقال: وعليك السلام؛ فقال:

فأنت المهذب من غالبٍ ... وفي البيت منها الذي تذكر

فقال: كذبت يا عدو الله؛ ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

فهذي ثيابي قد أخلقت ... وقد عضني زمن منكر

قال: هاك ثيابي، فأعطاه ثيابه .

قال الزبير قال عمي: أما البيت الثاني فحدثنيه عمي عن الفضل بن الربيع عن أبي، وما بقي فأنا سمعته من أبي .

تعرض له أعرابي هو على سفر عطاه راحلة بما عليها: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال أخبرنا يحيى بن الحسن قال: بلغني أن أعرابياً وقف على مروان بن عبد الحكم أيام الموسم بالمدينة فسأله، فقال: يا أعرابي، ما عندنا ما نصلك؛ ولكن عليك بابن جعفر. فأتى الأعرابي باب عبد الله بن جعفر فإذا ثقله قد سار نحو مكة، وراحلته بالباب عليها متاعها وسيف معلق، فخرج عبد الله من داره وأنشأ الأعرابي يقول:

أبو جعفرٍ من أهلِ بيت نبوة صلاتهم للمسليمن طهور

أبا جعفر إن الحجيج ترحلوا وليس لرحلي فاعلمن بعير

أبا جعفر ضن الأمير بماله وأنت على ما في يديك أمير

وأنت امرؤ من هاشم في صميمها إليك يصير المجد حيث تصير

فقال: يا أعرابي، سار الثقل فدونك الراحلة بما عليها، وإياك أن تخدع عن السيف فإني أخذته بألف دينار. فأنشأ الأعرابي يقول:

حباني عبد الله، نفسي فداؤه بأعيس موارٍ سباطٍ مشافزه

وأبيض من ماء الحديد كأنه شهاب بدا والليل داجٍ عساكره

وكل امرئ يرجو نوال ابن جعفر سيجري له باليمن والبشر طائره

فيا خير خلق الله نفساً ووالدا وأكرمه للجار حين يجاوره

سأثني بما أوليتني يابن جعفر وما شاكره عرفاً كمن هو كافره

ذكر له شاعر أنه كساه في المنام، فكساه جبة وشى: وحدثني أحمد بن يحيى عن رجلٍ قال حدثني شيخ من بني تميم بخراسان قال: جاء شاعر إلى عبد الله بن جعفر فأنشده:

رأيت أبا جعفر في المنام كساني من الخز دراعة

شكوت إلى صاحبي أمرها فقال ستؤتى بها الساعه

سيكسوها الماجد الجعفري ومن كفه الدهر نفاعه

ومن قال للجود لا تعدني فقال لك السمع والطاعه

فقال عبد الله لغلامه: ادفع إليه دراعتي الخز ثم قال له: كيف لو ترى جبتي المنسوجة بالذهب التي اشتريتها بثلثمائة دينارٍ! فقال له الشاعر: بأبي دعني اغفى إغفاءةً أخرى فلعلي أرى هذه الجبة في المنام، فضحك منه وقال: يا غلام ادفع إليه جبتي الوشى .

اعترض ابن دأبٍ على شعر الشماخ في مدحه بأنه دون شعره في عرابة: حدثنا أحمد قال قال يحيى قال ابن دأبٍ: وسمع قول الشماخ بن ضرارٍ الثعلبي في عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب رحمه الله:

إنك يابن جعفرٍ نعم الفتى ونعم مأوى طارقٍ إذا أتى

وجار ضيفٍ طرق الحي سرى صادف زادا وحديثاً يشتهى

إن الحديث طرف من القرى

فقال ابن دأب: العجب للشماخ يقول مثل هذا القول لابن جعفر ويقول لعرابة الأوسي:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

عبد الله بن جعفر كان أحق بهذا من عرابة .

جوده على أهل المدينة: قال يحيى بن الحسن وكان عبد الله بن الحسن يقول كان أهل المدينة يدانون بعضهم من بعض إلى أن يأتي عطاء عبد الله بن جعفر .

جوده على رجل جلب إلى المدينة سكراً كسد عليه: أخبرني أحمد قال حدثني يحيى قال: حدثني أبو عبيد قال حدثني يزيد بن هارون عن هشام عن ابن سيرين قال: جلب رجل إلى المدينة سكراً فكسد عليه فقيل له: لو أتيت ابن جعفر قبله منك وأعطاك الثمن، فأتى ابن جعفر فأخبره، فأمره بإحضاره وبسط له، ثم أمر به فنثر، فقال للناس: انتبهوا، فلما رأى الناس ينتبهون قال: جعلت فداءك! آخذ معهم؟ قال: نعم، فجعل الرجل يهيل في غرائره، ثم قال لعبد الله: أعطني الثمن فقال: وكم ثمن سكرك؟ قال: أربعة آلاف درهم، فأمر له بها .

أخبرنا أحمد قال حدثني يحيى بن علي، وحدثني ابن عبد العزيز قال حدثنا أبو محمد الباهلي حسن بن سعيد عن الأصمعي نحوه وزاد فيه، قال: فقال الرجل: ما يدري هذا وما يعقل أخذ أم أعطى! لأطلبنه بالثمن ثانية، فغدا عليه فقال: ثمن سكري، فأطرق عبد الله ملياً ثم قال: يا غلام، أعطه أربعة آلاف درهم؛ فأعطاه إياها، فقال الرجل قد قلت لكم: إن هذا الرجل لا يعقل أخذ أم أعطى! لأطلبنه بالثمن، فغدا عليه فقال: أصلحك الله! ثمن سكري، فأطرق عبد الله ملياً، ثم رفع رأسه إلى رجل، قال: إدفع إليه أربعة آلاف درهم، فلما ولى ليقبضها قال له ابن جعفر: يا أعرابي، هذه تمام اثني عشر ألف درهم، فانصرف الرجل وهو يعجب من فعله .

باعه رجل جملاً وأخذ ثمنه مراراً فمدحه: وأخبرني أبو الحسن الأسدي عن دماذ عن أبي عبيدة: أن أعرابياً باع راحلةً من عبد الله بن جعفر، ثم غدا عليه فاقتضى ثمنها فأمر له به، ثم عاود ثلاثاً، وذكر في الخبر مثل الذي قبله وزاد فيه: فقال فيه:

لا خير في المجتدى في الحين تسأله فاستمطروا من قريش خير مختدع

تخال فيه إذا حاورته بلهاً من جوده وهو وافي العقل والورع

وهذا الشعر يروى لابن قيس الرقيات .

وفاته عام الجحاف: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير قال حدثني مصعب بن عثمان قال: لما ولي عبد الملك الخلافة جفا عبد الله بن جعفر، فراح يوماً إلى الجمعة وهو يقول: اللهم إنك عودتني عادةً جريت عليها، فإن كان ذلك انقضى فاقبضني إليك، فتوفي في الجمعة الأخرى. قال يحيى: توفي عبد الله وهو ابن سبعين سنة في سنة ثمانين وهو عام الجحاف لسيلٍ كان بمكة جحف الحاج فذهب بالإبل عليها الحمولة، وكان الوالي على المدينة يومئذ أبان بن عثمان في خلافة عبد الملك بن مروان، وهو الذي صلى عليه .

وقف عمرو بن عثمان على قبره ورثاه: حدثني أحمد بن محمد قال أخبرنا يحيى قال حدثنا الحسين بن محمد قال أخبرني محمد بن مكرمٍ قال أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال أخبرني الأصمعي عن الجعفري قال: لما مات عبد الله بن جعفر شهده أهل المدينة كلهم، وإنما كان عبد الله بن جعفر مأوى المساكين وملجأ الضعفاء، فما تنظر إلى ذي حجاً إلى رأيته مستعبراً قد أظهر الهلع والجزع، فلما فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان فوقف على شفير القبر فقال: رحمك الله يابن جعفر! إن كنت لرحمك لواصلاً، ولآهل الشر لمبغضاً، ولأهل الريبة لقالياً، ولقد كنت فيما بيني وبينك كما قال الأعشى:

رعيت الذي كان بيني وبينكم من الود غيبتك المقابر

فرحمك الله! يوم ولدت ويوم كنت رجلاً ويوم مت ويوم تبعث حياً؛ والله لئن كانت هاشم أصيبت بك لقد عم قريشاً كلها هلكك، فما أظن أن يرى بعدك مثلك .

ووقف عمرو بن سعيد على قبره ورثاه: فقام عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق فقال: لا إله إلا الله الذي يرث الأرض ومن عليها وإليه ترجعون، ما كان أحلى العيش بك يابن جعفر! وما أسمج ما أصبح بعدك! والله لو كانت عيني دامعةً على أحد لدمعت عليك، كان والله حديثك غير مشوبٍ بكذبٍ، وودك غير ممزوج بكدرٍ .

نازع أحد ولد المغيرة عمرو بن سعيد على مدحه له فذمه وأسكته:

فوثب ابن المغيرة بن نوفلٍ و لم يثبت الأصمعي اسمه فقال: يا عمرو، بمن تعرض بمزج الود وشوب الحديث؟ أفبابني فاطمة؟ فهما والله خير منك ومنه، فقال: على رسلك يا لكع ! أردت أن أدخلك معهم؟ هيهات لست هناك، والله لو مت أنت ومات أبوك ما مدحت ولا ذممت، فتكلم بما شئت فلن تجد لك مجيباً؛ فما هو إلا أن سمعهما الناس يتكلمان حتى حجزوا بينهما وانصرفوا .

شعر ابن قيس الرقيات في علته التي مات فيها: قال يحيى وقال عبد الله بن قيس الرقيات في علة عبد الله بن جعفر التي مات فيها:

بات قلبي تشفه الأوجاع من هموم تجنها الأضلاع
من حديث سمعته منع النو م فقلبي مما سمعت يراع
إذ أتانا بما كرهنا أبو اللس لاس، كانت بنفسه الأوجاع
قال ما قال ثم راح سريعاً أدركت نفسه المنايا السراع
قال يشكو الصداع وهو ثقيل بك لا بالذي عنيت الصداع
ابن أسماء لا أبا لك تنعى أنه غير هالكٍ نفاع
هاشمياً بكفه من سجال ال مجد سجل يهون فيه القباع
نشر الناس كل ذلك منه شيمة المجد ليس فيه خداع

لم أجد بعدك الأخلاء إلا كثمادٍ به قذىً أو نقاع
بيته من بيوت عبد منافٍ مد أطنابه المكان اليفاع
منتهى الحمد والنبوة والمج د إذا قصر اللئام الوضاع
فستأتيك مدحة من كريم ناله من ندى سجالك باع

من هذا الشعر الذي قاله ابن قيسٍ في عبد الله بن جعفر بيتان يغنى فيهما، وهما: صوت:

قد أتانا بما كرهنا أبو اللس لاس كانت بنفسه الأوجاع
قال يشكو الصداع وهو ثقيل بك لا بالذي ذكرت الصداع

غناه عمرو بن بانة خفيف ثقيل، الأول بالوسطى على مذهب إسحاق. ويقال إن عمرو بن بانة صاغ هذا اللحن في هذا الشعر وغنى به الواثق يعقب علة نالته وصداعٍ تشكاه؛ قال: فاستحسنه وأمر له بعشرة آلاف درهم. وأم معاوية بن عبد الله بن جعفر أم ولد. وكان من رجالات قريش، ولم يكن في ولد عبد الله مثله .

بشروه وهو عند معاوية بولد فسماه باسمه: حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي عبد الرحمن القرشي: أن معاوية بن عبد الله بن جعفر ولد وأبوه عبد الله عند معاوية، فأتاه البشير بذلك وعرف معاوية الخبر فقال: سمه معاوية ولك مائة ألف درهم، ففعل، فأعطاه المال، وأعطاه عبد الله للذي بشره به. قال المدائني: وكان عبد الله بن جعفر لا يؤدب ولده، ويقول إن يرد الله جل وعز بهم يتأدبوا، فلم ينجب فيهم غير معاوية .

خبر ابن هرمة مع معاوية بن عبد الله بن جعفر: أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا حماد ابن إسحاق عن أبيه، قال هارون وحدثني محمد بن عبد الله بن موسى بن خالد بن الزبير بن العوام قال حدثني عمرو بن الحكم السعيدي وإبراهيم بن محمد ومحمد بن معن بن عنبسة قالوا: كان معاوية بن عبد الله بن جعفر قد عود ابن هرمة البر، فجاءه يوماً وقد ضاقت يده وأخذ خمسين ديناراً بدينٍ، فرفع إليه مع جاريته رقعةً فيها مديح له يسأله فيه أيضاً براً، فقال للجارية: قولي له: أيدينا ضيقة، وما عندنا شيء إلا شيء أخذناه بكلفةٍ، فرجعت جاريته بذلك، فأخذ الرقعة فكتب فيها:

فإني ومدحك غير المصي ب كالكلب ينبح ضوء القمر
مدحتك أرجو لديك الثواب فكنت كعاصر جنب الحجر

وبعث بالرقعة مع الجارية، فدفعتها إلى معاوية، فقال لها: ويحك قد علم بها أحد! قالت: لا والله إنما دفعها من يده إلى يدي؛ قال: فخذي هذه الدنانير فادفعيها إليه، فخرجت بها إليه، فقال: كلا، أليس زعم أنه لا يدفع إلي شيئاً ؟ كان ابنه معاوية صديقاً ليزيد بن معاوية فسمى ابنه باسمه: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب قال:

سمي عبد الله بن جعفر ابنه معاوية بن أبي سفيان. قال: وكان معاوية بن عبد الله بن جعفر صديقاً ليزيد بن معاوية خاصة، فسمى ابنه بيزيد بن معاوية .

وصيته لابنه معاوية عند وفاته: قال الزبير: وحدثني محمد بن إسحاق بن جعفر عن عمه محمد: أن عبد الله بن جعفر لما حضرته الوفاة دعا ابنه فترع شنفاً كان في أذنه وأوصى إليه وفي ولده من هو أسن منه وقال له: إني لم أزل أؤملك لها فلما توفى احتال بدين أبيه وخرج فطلب فيه حتى قضاه، وقسم أموال أبيه بين ولده، فلم يستأثر عليهم بدينار ولا درهم ولا غيرهما .

وأم عبد الله بن معاوية أم عون بنت عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. ويقال: بنت عياش بن ربيعة. وقد روى عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان معه يوم حنينٍ، وهو أحد من ثبت معه يومئذ .

بعض صفات عبد الله بن معاوية: وكان عبد الله من فتيان بني هاشم وجودائهم وشعرائهم، و لم يكن محمود المذهب في دينه، وكان يرمى بالزندقة ويستولي عليه من يعرف ويشهر أمره فيها، وكان قد خرج بالكوفة في آخر أيام مروان بن محمد، ثم انتقل عنها إلى نواحي الجبل ثم إلى خراسان، فأخذه أبو مسلم فقتله هناك .

مدح ابن هرمة لعبد الله بن جعفر: ويكنى عبد الله بن جعفر أبا معاوية، وله يقول ابن هرمة:

أحب مدحاً أبا معاوية الما ... جد لا تلقه حصوراً عيبا

بل كريماً يرتاح للمجد بسا ... ماً إذا هزه السؤال حيا

إن لي عنده وإن رغم الأع ... داء حظاً من نفسه وقفيا

قفيا: أثره، يقول: إن لي عنده لأثرة على غيري، وقال قوم آخرون: القفي: الكرامة

إن أمت تبق مدحتي وإخائي ... وثنائي من الحياة مليا

يأخذ السبق بالتقدم في الجر ... ي إذا ما الندى انتحاه عليا

ذو وفتاءٍ عند العدات وأوصا ... ه أبوه ألا يزال وفيا

فرعى عقدة الوصاة فأكرم ... بهما موصياً وهذا وصيا

يابن أسماء فاسق دلوى فقد أو ... ردتها منهلاً يثج رويا

يعني أمه أسماء، وهي أم عون بنت العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. وأول هذه القصيدة:

عاتب النفس والفؤاد الغويا ... في طلاب الصبا فلست صبيا

قال يحيى بن علي فيما أجازه لنا: أخبرني أبو أيوب المديني وأخبرناه وكيع عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن حماد بن إسحاق عن أبيه قالا: مدح ابن هرمة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فأتاه، فوجد الناس بعضهم على بعض على بابه. قال ابن هرمة: ورآني بعض خدمه فعرفني، فسألته عن الذين رأيتهم ببابه فقال: عامتهم غرماء

له، فقلت: ذاك شر. واستؤذن لي عليه فقلت: لم أعلم والله بهؤلاء الغرماء ببابك، قال: لا عليك أنشدني. قلت: أعيذك بالله. واستحييت أن أنشد، فأبى إلا أن أنشده قصيدتي التي أقول فيها:

حللت محل القلب من آل هاشم فعشك مأوى بيضها المتفلق

ولم تك بالمعزى إليها نصابه لصاقاً ولا ذا المركب المتعلق

فمن مثل عبد الله أو مثل جعفر ومثل أبيك الأريحي المرهق

فقال: من ها هنا من الغرماء؟ فقيل: فلان وفلان، فدعا باثنين منهم فسارهما وخرجا، وقال لي : اتبعهما. قال: فأعطياني مالاً كثيراً. قال يحيى: ومن مختار فيه منها قوله:

فإلا توات اليوم سلمى فربما شربنا بحوض اللهو غير المرنق

فدعها فقد أعذرت في ذكر وصلها وأجريت فيها شأو غربٍ ومشرق

ولكن لعبد الله فانطق بمدحه تجيرك من عسر الزمان المطبق

أخ قلت للأذنين لما مدحته هلموا وساري الليل مِ الآن فاطرق

شديد التأني في الأمور مجرب متى يعر أمر القوم يفر ويخلق

ترى الخبر يجري في أسرة وجهه كما لألأت في السيف جرية رونق

كريم إذا ما شاء عد له أبا له نسب فوق السماك المحلق

وأما لها فضل على كل حرة متى ما تسابق بابنها القوم تسبق

ومما يغنى فيه من قصيدة ابن هرمة اليائية التي مدح بها ابن معاوية قوله: صوت:

عجبت جارتي لشيبٍ علاني عمرك الله هل رأيت بديا

إنما يعذر الوليد ولا يع ذر من عاش في الزمان عتيا

غنى فيهما فليح رملاً بالبنصر من رواية عمرو بن بانة ومن رواية حبشٍ فيهما لابن محرزٍ خفيف ثقيل بالبنصر .

خروج عبد الله بن معاوية على بني أمية: حدثنا بالسبب في خروجه أحمد بن عبيد الله بن عمارٍ قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه وعمه عيسى، قال ابن عمار وأخبرنا أيضاً ببعض خبره أحمد بن أبي خيثمة عن مصعبٍ الزبيري، قال ابن عمار وأخبرني أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي اليقظان وشهاب بن عبد الله وغيرهما، قال ابن عمار وحدثني به سليمان بن أبي شيخ عمن ذكره. قال أبو الفرج الأصبهاني: ونسخت أنا أيضاً بعض خبره من كتاب محمد بن علي بن حمزة عن المدائني وغيره فجمعت معاني ما ذكروه في ذلك كراهة الإطالة: أن عبد الله بن معاوية قدم الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ومستميحاً له، فتزوج بالكوفة بنت الشرقي بن عبد المؤمن بن شبث بن ربعي الرياحي، فلما وقعت العصبية أخرجه أهل الكوفة على بني أمية،

وقالوا له: اخرج فأنت أحق بهذا الأمر من غيرك، واجتمعت له جماعة، فلم يشعر به عبد الله بن عمر إلا وقد خرج عليه. قال ابن عمارٍ في خبره: إنه إنما خرج في أيام يزيد بن الوليد، ظهر بالكوفة ودعا من آل محمد صلى الله عليه وسلم ولبس الصوف وأظهر سيمى الخير، فاجتمع إليه وبايعه بعض أهل الكوفة، و لم يبايعه كلهم وقالوا: ما فينا بقية قد قتل جمهورنا مع أهل هذا البيت، وأشاروا عليه بقصد فارس وبلاد المشرق فقبل ذلك، وجمع جموعاً من النواحي، وخرج معه عبد الله بن العباس التميمي. قال محمد بن علي بن حمزة عن سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عوانة: إن ابن معاوية قبل قصده المشرق ظهر بالكوفة ودعا إلى نفسه، وعلى الكوفة يومئذ عامل ليزيد الناقص يقال له عبد الله بن عمر، فخرج إلى ظهر الكوفة مما يلي الحرة، فقاتل ابن معاوية قتالاً شديداً. قال محمد بن علي بن حمزة عن المدائني عن عامر بن حفصٍ، وأخبرني به ابن عمار عن أحمد بن الحارث عن المدائني: أن ابن عمر هذا دس إلى رجل من أصحاب ابن معاوية من وعده عنه مواعيد على أن ينهزم عنه وينهزم الناس بهزيمته، فبلغ ذلك ابن معاوية، فذكره لأصحابه وقال: إذا انهزم ابن حمزة فلا يهولنكم، فلما التقوا انهزم ابن حمزة وانهزم الناس معه فلم يبق غير ابن معاوية، فجعل يقاتل وحده ويقول:

تفرقت الظباء على خداشٍ فما يدري خداش ما يصيد

ثم ولى وجهه منهزماً فنجا، وجعل يجمع من الأطراف والنواحي من أجابه، حتى صار في عدة، فغلب على ماه الكوفة وماه البصرة وهمذان وقم والري وقومس وأصبهان وفارس، وأقام هو بأصبهان. قال: وكان الذي أخذ له البيعة بفارس محارب بن موسى مولى بني يشكر، فدخل دار الإمارة بنعل ورداء واجتمع الناس إليه، فأخذهم بالبيعة؛ فقالوا: علام نبايع؟ فقال: على ما أحببتم وكرهتم، فبايعوا على ذلك .

وكتب عبد الله بن معاوية فيما ذكر محمد بن علي بن حمزة عن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الجعفري عن أبيه عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن جعفر بن الوليد مولى أبي هريرة ومحرز بن جعفر: أن عبد الله بن معاوية كتب إلى الأمصار يدعو إلى نفسه لا إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم، قال: واستعمل أخاه الحسن على إصطخر، وأخاه يزيد على شيراز، وأخاه علياً على كرمان، وأخاه صالحاً على قم ونواحيها، وقصدته بنو هاشم جميعاً منهم السفاح والمنصور وعيسى بن علي. وقال ابن أبي خيثمة عن مصعب: وقصده وجوه قريش من بني أمية وغيرهم، فممن قصده من بني أمية سليمان بن هشام بن عبد الملك وعمر بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان، فمن أراد منهم عملاً قلده، ومن أراد منهم صلة وصله .

وجه إليه مروان بن محمد جيشاً لمحاربته بقيادة ابن ضبارة:

فلم يزل مقيماً في هذه النواحي التي غلب عليها حت ولي مروان بن محمد الذي يقال له مروان الحمار، فوجه إليه عامر بن ضبارة في عسكر كثيف، فسار إليه حتى إذا قرب من أصبهان ندب له ابن معاوية أصحابه وحضهم على الخروج إليه، فلم يفعلوا ولا أجابوه، فخرج على دهشٍ هو وإخوته قاصدين لخراسان وقد ظهر أبو مسلم بها ونفى عنها نصر ابن سيار فلما صار في بعض الطريق نزل على رجل من التناء ذي مروءة ونعمة وجاهٍ ،

فسأله معونته، فقال له: من أنت من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أأنت إبراهيم الإمام الذي يدعى له بخراسان؟ قال: لا، قال فلا حاجة لي في نصرتك .

التجأ إلى أبي مسلم فحبسه: فخرج إلى أبي مسلم وطمع في نصرته، فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده، وجعل عليه عيناً يرفع إليه أخباره، فرفع إليه أنه يقول: ليس في الأرض أحمق منكم يا أهل خراسان في طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم إليه مقاليد أموركم من غير أن تراجعوه في شيء أو تسألوه عنه، والله ما رضيت الملائكة الحرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته في أمر آدم عليه السلام، فقالت: " أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء " حتى قال لهم: " إني أعلم ما لا تعلمون " .

كتابه إلى أبي مسلم وهو في حبسه: ثم كتب إليه عبد الله بن معاوية رسالته المشهورة التي يقول فيها: إلى أبي مسلم، من الأسير في يديه، بلا ذنب إليه ولا خلاف عليه. أما بعد فإنك مستودع ودائع، ومولى صنائع؛ وإن الودائع مرعية، وإن الصنائع عارية؛ فاذكر القصاص، واطلب الخلاص؛ ونبه للفكر قلبك، واتق الله ربك، وآثر ما يلقاك غداً على ما لا يلقاك أبداً، فإنك لاقٍ أما سلفت، وغير لاقٍ ما خلفت، وفقك الله لما ينجيك، وآتاك شكر ما يبليك .

قتله أبو مسلم ووجه برأسه إلى ابن ضبارة: قال: فلما قرأ كتابه رمى به. ثم قال: قد أفسد علينا أصحابنا وأهل طاعتنا وهو محبوس في أيدينا، فلو خرج وملك أمرنا لأهلكنا، ثم أمضى تدبيره في قتله. وقال آخرون: بل دس إليه سماً فمات منه، ووجه برأسه إلى ابن ضبارة فحمله إلى مروان، فأخبرني عمر بن عبد الله العتكي قال: حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى أن عبد العزيز بن عمران حدثه عن عبد الله بن الربيع عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة أنه حضر مروان يوم الزاب وهو يقاتل عبد الله بن علي، فسأل عنه فقيل له: هو الشاب المصفر الذي كان يسب عبد الله ابن معاوية يوم جيء برأسه إليك فقال: والله لقد هممت بقتله مراراً، كل ذلك يحال بيني وبينه، " وكان أمر الله قدراً مقدوراً " .

كانت الزنادقة من خاصته: حدثني أحمد بن عبد الله بن عمار قال حدثني النوفلي عن أبيه عن عمه قال: كان عمارة بن حمزة يرمى بالزندقة، فاستكتبه ابن معاوية، وكان له نديم يعرف بمطيع بن إياس، وكان زنديقاً مأبوناً، وكان له نديم آخر يعرف بالبقلي وإنما سمي بذلك لأنه كان يقول: الإنسان كالبقلة فإذا مات لم يرجع، فقتله المنصور لما أفضت الخلافة إليه. فكان هؤلاء الثلاثة خاصته، وكان له صاحب شرطة يقال له قيس، وكان دهرياً لا يؤمن بالله معروفاً بذلك، فكان يعس بالليل قلا يلقاه أحد إلا قتله، فدخل يوماً على ابن معاوية فلما رآه قال:

إن قيساً وإن تقنع شيباً ... لخبيث الهوى على شمطة

ابن تسعين منظراً ومشيباً ... وابن عشرٍ يعد في سقطه

وأقبل على مطيع فقال: أجز أنت، فقال:

وله شرطة إذا جنه اللي ... ل فعوذوا بالله من شرطه

قسوته: قال ابن عمار: أخبرني أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي يقظان وشباب بن عبد الله وغيرهما، قال ابن عمار وحدثني به سليمان بن أبي شيخ عمن ذكره: أن ابن معاوية كان يغضب على الرجل فيأمر بضربه بالسياط وهو يتحدث ويتغافل عنه حتى يموت تحت السياط، وأنه فعل ذلك برجل، فجعل يستغيث فلا يلتفت إليه، فناداه: يا زنديق، أنت الذي تزعم أنه يوحى إليك! فلم يلتفت إليه وضربه حتى مات .

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني النوفلي عن أبيه عن عمه عيسى قال:

كان ابن معاوية أقسى خلق الله قلباً، فغضب على غلام له وأنا جالس عنده في غرفة بأصبهان، فأمر بأن يرمى به منها إلى أسفل، ففعل ذلك به فتعلق بدرابزين كان على الغرفة، فأمر بقطع يده التي أمسكه بها، فقطعت ومر الغلام يهوي حتى بلغ إلى الأرض فمات .

بعض شعره: وكان مع هذه الأحوال من ظرفاء بني هاشم وشعرائهم، وهو الذي يقول:

ألا تزع القلب عن جهله ... وعما تؤنب من أجله!

فأبدل بعد الصبا حلمه ... وأقصر ذو العذل عن عذله

فلا تركبن الصنيع الذي ... تلوم أخاك على مثله

ولا يعجبنك قول امرئٍ ... يخالف ما قال في فعله

ولا تتبع الطرف ما لا تنال ... ولكن سل الله من فضله

فكم من مقلٍ ينال الغنى ... ويحمد في رزقه كله

أنشدنا هذا الشعر له ابن عمار عن أحمد بن خيثمة عن يحيى بن معين. وذكر محمد بن علي العلوي عن أحمد بن أبي خيثمة أن يحيى بن معين أنشده أيضاً لعبد الله بن معاوية:

إذا افتقرت نفسي قصرت افتقارها ... عليها فلم يظهر لها أبداً فقري

وإن تلقني في الدهر مندوحة الغنى ... يكن لأخلائي التوسع في اليسر

فلا العسر يزري بي إذا هو نالني ... ولا اليسر يوماً إن ظفرت به فخري

وهذا الشعر الذي عنى به أعني قوله:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة

يقوله ابن معاوية للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكان الحسين أيضاً سيء المذهب مطعوناً في دينه .

شعره في الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني إبراهيم بن يزيد الخشاب قال: كان ابن معاوية صديقاً للحسين بن عبد الله

بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكان حسين هذا وعبد الله بن معاوية يرميان بالزندقة. فقال الناس: إنما تصافيا على ذلك، ثم دخل بينهما شيء من الأشياء فتهاجرا من أجله، فقال عبد الله بن معاوية:

وإن حسيناً كان شيئاً ملففا فمحصه التكشيف حتى بدا ليا

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا

وله في الحسين أشعار كلها معاتبات، فمنها ما أخبرني به أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة. قال: أنشدني يحيى بن الحسن لعبد الله بن معاوية، يقوله في الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب:

قل لذي الود والصفاء حسينٍ أقدر الود بيننا قدره

ليس للدابغ المقرظ بد من عتاب الأديم ذي البشره

قال وقال له أيضاً:

إن ابن عمك وابن أمك معلم شاكي السلاح

يقص العدو وليس ير ضى حين يبطش بالجناح

لاتحسبن أذى ابن عمك شرب ألبان اللقاح

بل كالشجا تحت اللها ة إذا يسوغ بالقراح

فانظر لنفسك من يجي ك تحت أطراف الرماح

من لا يزال يسوءه بالغيب أن يلحاك لاحي

خبره مع جده عبد الحميد بن عبيد الله: أخبرني الحرمي والطوسي قالا حدثنا الزبير وحدثني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثنا يحيى ابن الحسن قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن يحيى: أن عبد الله بن معاوية مر بجده عبد الحميد في مزرعته بصرام وقد عطش فاستسقاه، فخاض له سويق لوزٍ فسقاه إياه، فقال عبد الله بن معاوية:

شربت طبرزذاً بغريض مزنٍ كذوب الثلج خالطه الرضاب

قال يحيى قال الزبير: الرضاب ماء المسك، ورضاب كل شيء: ماؤه. فقال عبد الحميد ابن عبيد الله يجيب عبد الله بن معاوية على قوله:

ما إن ماؤنا بغريض مزن ولكن الملاح بكم عذاب

وما إن بالطبرزذ طاب لكن بمسك لا به طاب الشراب

وأنت إذا وطئت تراب أرضٍ يطيب إذا مشيت بها التراب

لأن نداك يطفى المحل عنها وتحييها أياديك الرطاب

تغنى إبراهيم الموصلي في شعره:

قال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده إبراهيم الموصلي قال: بينا نحن عن الرشيد أنا وابن مجامع وعمرو والغزال إذ قال صاحب الستارة لابن جامع: تغن في شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله جعفر، قال: و لم يكن ابن مجامعٍ يغني في شيء منه، وفطنت لما أراد من شعره، وكنت قد تقدمت فيه، فأرتج على ابن جامع، فلما رأيت ما حل به اندفعت فغنيت: صوت:

يهيم بجملٍ وما إن يرى له من سبيل إلى جمله

كأن لم يكن عاشق قبله وقد عشق الناس من قبله

فمنهم من الحب أودى به ومنهم من أشفى على قتله

فإذا يد قد رفعت الستارة، فنظر إلي وقال: أحسنت والله! أعد، فأعدته فقال: أحسنت! حتى فعل ذلك ثلاث مراتٍ، ثم قال لصاحب الستارة كلاماً لم أفهمه، فدعا صاحب الستارة غلاماً فكلمه، فمر الغلام يسعى فإذا بدرة دنانير قد جاءت يحملها فراش، فوضعت تحت فخذي اليسرى وقيل لي: اجعلها تكأتك ، قال: فلما انصرفنا قال لي ابن جامع: هل كنت وضعت لهذا الشعر غناءً قبل هذا الوقت؟ فقلت: ما شعر قيل في الجاهلية ولا الإسلام يدخل فيه الغناء إلا وقد وضعت له لحناً خوفاً من أن يترل بي ما نزل بك. فلما كان المجلس الثاني وحضرنا قال صاحب الستارة: يابن جامع، تغن في شعر عبد الله بن معاوية، فوقع في مثل الذي وقع فيه بالأمس، قال إبراهيم: فلما رأيت ما حل به اندفعت فغنيت: صوت:

يا قوم كيف سواغ عي شٍ ليس تؤمن فاجعاته

ليست تزال مطلةً تغدو عليك منغصاته

الموت هول داخل يوماً على كره أناته

لابد للحذر النفو ر من أن تقنصه رماته

قد أمنح الود الخلي ل بغير ما شيء رزاته

وله أقيم قناة ودي ما استقامت لي قناته

قال: فأومأ إلي صاحب الستارة أن أمسك، ووضع يده على عينه كأنه يومئ إلي أنه يبكي، قال: فأمسكت ثم انصرفنا ، فقال لي ابن جامع: ما صب أمير المؤمنين على ابن جعفر؟ قلت: صبه الله عليه لبدرة الدنانير التي أخذتها. قال ثم حضر بعد ذلك، فلما اطمأن بنا مجلسنا قال ابن جامع بكلام خفي: اللهم أنسه ذكر ابن جعفر، قال فقلت: اللهم لا تستجب، فقال صاحب الستارة: يابن جامع تغن في شعر عبد الله بن معاوية، قال: فقال ابن

جامع: لو كان عندهم في عبد الله بن معاوية خير لطار مع أبيه و لم يقبل على الشعر، قال إبراهيم: فسمعنا ضحكة من وراء الستارة. قال إبراهيم فاندفعت أغني في شعره: صوت:

سلا ربة الخدر ما شأنها ومن أيما شأننا تعجب ؟
فلست بأول من فاته على إربه بعض ما يطلب
وكائن تعرض من خاطب فزوج غير التي يخطب
وأنكحها بعده غيره وكانت له قبلة تحجب
وكنا جديثاً صفيين لا نخاف الوشاة وما سببوا
فإن شطت الدار عنا بها فبانت وفي الناس مستعتب
وأصبح صدع الذي بيننا كصدع الزجاجة ما يشعب
وكالدر ليست له رجعة إلى الضرع من بعدما يحلب

غنى في البيتين الأولين إبراهيم الموصلي خفيف ثقيل الأول بالوسطى من رواية أحمد بن يحيى المكي ووجدتهما في بعض الكتب خفيف رملٍ غير منسوب. قال: فقال لي صاحب الستارة: أعد فأعدته، فأحسب أمير المؤمنين نظر إلى ابن جامع كاسف البال، فأمر له بمثل الذي أمر لي بالأمس، وجاؤوني ببدرة فوضعت تحت فخذي اليسرى أيضاً، وكان ابن جامع فيه حسد ما يستتر منه، فلما انصرفنا قال: اللهم أرحنا من ابن جعفر هذا، فما أشد بغضي له، لقد بغض إلي جده، فقلت: ويحك! تدري ما تقول! قال: فمن يدري ما يقول؟ إذاً لوددت أني لم أر إقباله عليك وعلى غنائك في شعر هذا البغيض ابن البغيضة، وأني تصدقت بها يعني البدرة .

وهذا الصوت الأخير يقول شعره عبد الله بن معاوية في زوجته أم زيد بنت زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام .

شمتت به امرأته حين خطب امرأة وتزوجها غيره فقال في ذلك شعراً: أخبرني الطوسي والحرمي قالا حدثنا الزبير بن بكار عن عمه قال:

خطب عبد الله بن معاوية ربيحة بنت محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن جعفر، وخطبها بكار بن عبد الملك بن مروان، فتزوجت بكاراً، فشمتت بعبد الله امرأته أم زيد بنت زيد بن علي بن الحسين، فقال في ذلك:

سلا ربة الخدر ما شأنها ومن أيما شأننا تعجب

فقال ابن خيثمة في خبره عن مصعب قال له: والله ما شمت ولكني نفست عليك، فقال لها: لا جرم! والله لا سؤتك أبداً ما حييت: صوت:

طاف الخيال من أم شيبة فاعترى والقوم من سنةٍ نشاوى بالكرى

طافت بخوصٍ كالقسي وفتيةٍ هجعوا قليلاً بعدما ملوا السرى

الشعر لأبي وجزة السعدي، والغناء لإسحاق، ثقيل أول بالبنصر .

أخبار أبي وجزة ونسبه

نسبه: اسمه يزيد بن عبيد فيما ذكره أصحاب الحديث. وذكر بعض النسابين أن اسمه يزيد بن أبي عبيد، وأنه كان له أخ يقال له عبيد، وانتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن لولائه فيهم .

دخل مع أبيه في بني سعد: وأصله من سليم من بني ضبيس بن هلال بن قدم بن ظفر بن الحارث بن بهثة بن سليم؛ ولكنه لحق أباه وهو صبي سباء في الجاهلية، فبيع بسوق ذي المجاز، فابتاعه رجل من بني سعد، وأستعبده، فلما كبر استعدى عمر رضي الله عنه وأعلمه قصته، فقال له: إنه لا سباء على عربي، وهذا الرجل قد أمتن عليك فإن شئت فأقم عنده، وإن شئت فالحق بقومك، فأقام في بني سعد وانتسب إليهم هو وولده .

كان بنو سعد أظآر رسول الله صلى الله عليه وسلم: وبنو سعد أظآر رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان مسترضعاً فيهم عند امرأةٍ يقال لهم حليمة، فلم يزل فيهم عليه السلام حتى يفع، ثم أخذه جده عبد المطلب منهم فرده إلى مكة، وجاءته حليمة بعد الهجرة، فأكرمها وبرها وبسط لها رداءه فجلست عليه. وبنو سعد تفتخر بذلك على سائر هوازن، وحقيق بكل مكرمةٍ وفخرٍ من اتصل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأدنى سبب أو وسيلةٍ .

آثر أبوه الانتساب إلى بني سعد دون قومه بني سليم: أخبرني بخبره الذي حكيت جملاً منه في نسبه وولائه أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي قال حدثنا محمد بن سلام الجمحي عن يونس. وأخبرني أبو خليفة فيما كتب به إلي عن محمد بن سلامٍ عن يونس وأخبرني به عمي عن الكراني عن الرياشي عن محمد بن سلام عن يونس وأخبرني علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيدٍ السكري عن يعقوب بن السكيت قالوا جميعاً سوى يعقوب .

كان عبيد أبو أبي وجزة السعدي عبداً بيع بسوق ذي المجاز في الجاهلية فابتاعه وهيب بن خالد بن عامر بن عمير بن ملان بن ناصرة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن، فأقام عنده زماناً يرعى إبله، ثم إن عبيداً ضرب ضرع ناقةٍ لمولاه فأدماه، فلطم وجهه، فخرج عبيد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مستعدياً فلما قدم عليه قال: يا أمير المؤمنين، أنا رجل من بني سليمٍ، ثم من بني ظفر أصابني سباء الجاهلية كما يصيب العرب بعضها من بعض، وأنا معروف النسب، وقد كان رجل من بني سعد ابتاعني، فأساء إلي وضرب وجهي، وقد بلغني أنه لا سباء في الإسلام، ولا رق على عربي في الإسلام. فما فرغ من كلامه حتى أتاه مولاه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على أثره، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا غلام ابتعته بذي المجاز، وقد كان يقوم في مالي، فأساء فضربته ضربة والله ما أعلمني ضربته غيرها قط، وإن الرجل ليضرب ابنه أشد منها فكيف بعبده، وأنا أشهدك أنه حر لوجه الله

تعالى، فقال عمر لعبيد: قد امتن عليك هذا الرجل، وقطع عنك مؤنه البينة، فإن أحببت فأقم معه، فله عليك منة، وإن أحببت فالحق بقومك، فأقام مع السعدي وانتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن، وتزوج زينب بنت عرفطة المزنية، فولدت له أبا وجزة وأخاه، وقال يعقوب: وأخاه عبيداً، وذكر أن أباهما كان يقال له أبو عبيدٍ، ووافق من ذكرت روايته في سائر الخبر، فلما بلغ ابناه طالباه بأن يلحق بأصله وينتمي إلى قومه من بني سليم، فقال: لا أفعل ولا ألحق بهم فيعيروني كل يوم ويدفعوني، وأترك قوماً يكرموني ويشرفوني، فوالله لئن ذهبت إلى بني ظفرٍ لا أرعى طمة ، ولا أراد جمة، إلا قالوا لي: يا عبد بني سعدٍ قال: وطمة: جبل لهم. فقال أبو وجزة في ذلك:

أنمى فأعقل في ضبيسٍ معقلاً ضخماً مناكبه تميم الهادي

والعقد في ملان غير مزلج بقوى متينات الحبال شداد

كان من التابعين وروى عن جماعة من أصحاب رسول الله: وكان أبو وجزة من التابعين، وقد روى عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، و لم يسند إليه حديثاً، ولكنه حدث عن أبيه عنه بحديث الاستسقاء، ونقل عنه جماعة من الرواة .

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع وعمي قالا حدثنا عبد الله بن شبيبٍ قال حدثني إبراهيم بن حمزة قال حدثني موسى بن شيبة قال: سمعت أبا وجزة السعدي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليس شعر حسان بن ثابت ولا كعب بن مالك ولا عبد الله بن رواحة شعراً، ولكنه حكمة " .

فأما خبر الاستسقاء الذي رواه عن أبيه عن عمرو فإن الحسن بن علي أخبرنا به قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثني عبد الله بن عمرو عن علي بن الصباح عن هشام بن محمدٍ عن أبيه عن أبي وجزة السعدي عن أبيه قال: شهدت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقد خرج بالناس ليستسقي عام الرمادة؛ فقام وقام الناس خلفه، فجعل يستغفر الله رافعاً صوته لا يزيد على ذلك؛ فقلت في نفسي: ما له لا يأخذ فيما جاء له؛ و لم أعلم أن الاستغفار هو الاستسقاء فما برحنا حتى نشأت سحابة وأظلتنا، فسقي الناس، وقلدتنا السماء قلدا، كل خمس عشرة ليلة، حتى رأيت الأرينة تأكلها صغار الإبل من وراء حقاق العرفط .

مات سنة ثلاثين ومائة: وأخبرني أبو الحسن الأسدي وهاشم بن محمد الخزاعي جميعاً عن الرياشي عن الأصمعي عن عبد الله بن عمر العمري عن أبي وجزة السعدي عن أبيه، وذكر الحديث مثله. وأخبرني به إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم بن قتيبة، واللفظ متقارب وزاد الرياشي في خبره: فقلت لأبي وجزة: ما حقاق العرفط؟ قال: نبات سنتين وثلاث. وزاد ابن قتيبة في خبره عليهم قال: ومات أبو وجزة سنة ثلاثين ومائة .

هو أحد من شبب بعجوزٍ حيث يقول:

يأيها الرجل الموكل بالصبا فيم ابن سبعين المعمر من دد؟

حتام أنت موكل بقديمةٍ أمست تجدد كاليماني الجيد

زان الجلال كمالها ورسا بها عقل وفاضلة وشيمة سيد

ضنت بنائلها عليك وأنتما غران في طلب الشباب الأغيد

فالآن ترجو أن تثيبك نائلاً هيهات !نائلها مكان الفرقد

روى صورة استسقاء عمر عن أبيه: وأخبرنا الحرمي بن أبي العلاء والطوسي جميعاً قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد ابن الحسن المخزومي عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن أبي وجزة السعدي عن أبيه قال: استسقى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فلما وقف على المنبر أخذ في الاستغفار، فقلت: ما أراه يعمل في حاجته! ثم قال في آخر كلامه: اللهم إني قد عجزت وما عندك أوسع لهم. ثم أخذ بيد العباس رضي الله تعالى عنه، ثم قال: وهذا عم نبيك، ونحن نتوسل إليك به. فلما أراد عمر رضي الله تعالى عنه أن يترل قلب رداءه، ثم نزل فتراءى الناس طرة في مغرب الشمس، فقالوا: ما هذا! ما رأينا قبل قزعة سحاب أربع سنين؟ قال: ثم سمعنا الرعد، ثم انتشر، ثم اضطرب، فكان المطر يقلدنا قلداً في كل خمس عشرة ليلة، حتى رأيت الأرينة خارجة من حقاق العرفط تأكلها صغار الإبل .

مدح بني الزبير وأكرموه: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن جدي قال: خرج أبو وجزة السعدي وأبو زيد الأسلمي يريدان المدينة، وقد امتدح أبو وجزة آل الزبير، امتدح أبو زيد إبراهيم بن هشام المخزومي، فقال له أبو وجزة: هل لك في أن أشاركك فيما أصيب من آل الزبير، وتشاركني فيما تصيب من إبراهيم؟ فقال: كلا والله، لرجائي في الأمير أعظم من رجائك في آل الزبير. فقدما المدينة، فأتى أبو زيد دار إبراهيم، فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجلب، فقال إبراهيم لبعض أصحابه: أخرج إلى هذا الأعرابي الجلف فاضربه وأخرجه، فأخرج وضرب. وأتى أبو وجيزة أصحابه فمدحهم وأنشدهم، فكتبوا له إلى مال لهم بالفرع أن يعطي منه ستين وسقاً من التمر، فقال أبو وجزة يمدحهم:

راحت قلوصي رواحاً وهي حامدة آل الزبير ولم تعدل بهم أحدا

راحت بستين وسقاً في حقيبتها ما حملت حملها الأدنى ولا السددا

ذاك القرى لا كأقوامٍ عهدتهم يقرون ضيفهم الملوية الجددا

يعني السياط .

قال أبو الفرج الأصفهاني: قول أبي وجزة:

راحت بستين وسقاً في حقيبتها

أنها حملت ستين وسقاً ولا تحمل ناقة ذلك ولا تطيقه ولا نصفه، وإنما عنى أنه انصرف عنهم وقد كتبوا له بستين سقاً فركب ناقته والكتاب معه بذلك قد حملته في حقيبتها، فكأنها حاملة بالكتاب ستين وسقاً، لا أنها أطاقت

حمل ذلك. وهذا ببيت معنى يسأل عنه .

وقال يعقوب بن السكيت فيما حكيناه من روايته التي ذكرها الأخفش لنا عن السكري في شعر أبي وجزة وأخباره: أحسن عمرو بن زيادة جواره فمدحه: كان أبو وجزة قد جاور مزينة، وانتجع بلادهم لصهره فيهم، فنزل على عمرو بن زياد بن سهيل بن مكدم بن عقيل بن عمرو بن مرة بن مازن بن عوف بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان، فأحسن عمرو جواره وأكرم مثواه، فقال أبو وجزة يمدحه:

لمن دمنة بالنعف عافٍ صعيدها ... تغير باقيها ومح جديدها

لسعدة من عام الهزيمة إذ بنا ... تصافٍ وإذ لما يرعنا صدودها

وإذ هي أما نفسها فأريبه ... للهوٍ، وأما عن صباً فتذودها

تصيد ألباب الرجال بدلها ... وشيمتها وحشية لا نصيدها

كباسقة الوسمي ساعة أسبلت ... تلألأ فيها البرق وابيض جيدها

الباسقة: التي فضلت غيرها من الغمام وطالت عليه، قال الله تبارك وتعالى: " والنخل باسقاتٍ " .

كبكرٍ تراني فرقدين بقفرة ... من الرمل أو فيحان لم يعس عودها

لعمرو الندى عمر بن آل مكدم ... كثير عليات الأمور جليدها

فتًى بين مسروجٍ وآل مكدمٍ ... وعمرو فتى عثمان طراً وسيدها

حليم إذا ما الجهل أفرط ذا النهي ... على أمره، حامي الحصاة شديدها

وما زال ينحو فعل من كان قبله ... من آبائه يجني العلا ويفيدها

فكم من خليلٍ قد وصلت وطارقٍ ... وقربت من أدماء وارٍ قصيدها

وذي كربةٍ فرجت كربة همه ... وقد ظل مستداً عليه وصيدها

تزوج زينب بنت عرفطة وقال فيها رجزاً فأجابته برجز مثله ك أخبرني عمي قال حدثني العنزي قال حدثنا محمد بن معاوية عن يعقوب بن سلام بن عبد الله ابن أبي مسروج قال: تزوج أبو وجزة السعدي زينب بنت عرفطة بن سهل بن مكدم المزنية فولدت له عبيداً وكانت قد عنست ، وكان أبو وجزة يبغضها، وإنما أقام عليها لشرفها، فقال لها ذات يوم:

أعطى عبيداً وعبيد مقنع ... من عرمسٍ محزمها جلنفع

ذات عساسٍ ما تكاد تشبع ... تجتلد الصحن وما إن تبضع

تمر في الدار ولا تورع ... كأنها فيهم شجاع أقرع

فقالت زينب أم وجزة تجيبه:

أعطى عبيداً من شييخ ذي عجر لا حسن الوجه ولا سمحٍ يسر
يشرب عس المذق في اليوم الخصر كأنما يقذف في ذات السعر
تقاذف السيل من الشعب المضر

قال في ابنه عبيد رجزاً فأجابه برجز أيضاً: قال: وقال وجزة لابنه عبيد:

يا راكب العنس كمرداة العلم أصلحك الله وأدنى ورحم
إن أنت أبلغت وأديت الكلم عنى عبيد بن يزيد لو علم
قد علم الأقوام أن سينتقم منك ومن أم تلقتك وعم
رب يجازي السيئات من ظلم أنذرتك الشدة من ليثٍ أضم
عادٍ أبي شبلين فرفارٍ لحم فارجع إلى أمك تفرشك ونم
إلىعجوز رأسها مثل الإرم واطعم فإن الله رزاق الطعم

فقال عبيد لأبيه:

دعها أبا وجزة واقعد في الغنم فسوف يكفيك غلام كالزلم
مشمر يرقل في نعلٍ خذم وفي قفاه لقمة من اللقم
قد ولهت ألافها غير لمم حتى تناهت في قفا جعدٍ أحم

هجاه أبو مزاحم وعيره بنسبه فرد عليه: قال يعقوب: وقال أبو المزاحم يهجو أبا وجزة ويعيره بنسبه:

دعتك سليم عبدها فأجبتها وسعد، وما ندري لآيهما العبد ؟

فأجابه أبو وجزة فقال :

أعيرتموني أن دعتني أخاهم سليم وأعطتني بأيمانها سعد
فكنت وسيطاً في سليم معاقداً لسعد، وسعد ما يحل لها عقد

مدح عبد الله بن الحسن وإخوته فأكرموه: أخبرني أبو جعفر أحمد بن محمد بن نصر الضبعي إجازةً قال حدثنا محمد بن مسعود الزرقي عن مسعود بن المفضل مولى آل حسن بن حسن قال: قدم أبو وجزة السعدي على عبد الله بن الحسن وإخوته سويقة ، وقد أصابت قومه سنة مجدبة، فأنشده قوله يمدحه:

أثني علي ابني رسول الله أفضل ما أثني به أحد يوماً على أحد
السيدين الكريمي كل منصرفٍ من والدين ومن صهر ومن ولد
ذرية بعضها من بعضها عمرت في أصل مجد رفيع السمك والعمد

ماذا بنى لهم من صالحٍ حسن وحسن وعلي وابتنوا لغد
فكرم الله ذاك البيت تكرمةً تبقى وتخلد فيه آخر الأبد
هم السدى والندى، ما في قناتهم إذا تعوجت العيدان من أود
مهذبون هجان أمهاتهم إذا نسبن زلال البارق البرد
بين الفواطم ماذا ثم من كرم إلى العواتك مجد غير منتقد
ما ينتهي المجد إلا في بني حسن وما لهم دونه من دار ملتحد

قال: فأمر له عبد الله بن الحسن وحسن وإبراهيم بمائةٍ وخمسين ديناراً وأوقروا له رواحله براً وتمراً، وكسوه ثوبين ثوبين .

فرض له عبد الملك بن يزيد السعدي عطاء في الجند وندبه لحرب أبي حمزة فقال في ذلك رجزاً: أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شنة قال حدثني أبو غسان والمدائني جميعاً: أن عبد الملك بن يزيد بن محمد بن عطية السعدي كان قد ندب لقتال أبي حمزة الأزدي الشاري لما جاء إلى المدينة فغلب عليها، قال: وبعث إليه مروان بن محمد بمال، ففرقه فيمن خف معه من قومه، فكان فيمن فرض له منهم أبو وجزة وابناه، فخرج معترضاً للعسكر على فرس، وهو يرتجز ويقول:

قل لأبي جمزة هيد هيد جئناك بالعادية الصنديد
بالبطل القرم أبي الوليد فارس قيسٍ نجدها المعدود
في خيل قيسٍ والكماة الصيد كالسيف قد سل من الغمود
محضٍ هجانٍ ماجد الجدود في الفرع من قيس وفي العمود
فدىً لعبد الملك الحميد مالي من الطارف والتليد
يوم تنادى الخيل بالصعيد كأنه في جنن الحديد
سيد مدل عز كل سيد

قال: وسار ابن عطية في قومه، ولحقت به جيوش أهل الشام، فلقي أبا حمزة في اثني عشر ألفاً، فقاتله يوماً إلى الليل حتى أصاب صناديد عسكره، فنادوه. يابن عطية، إن الله جل وعز قد جعل الليل سكناً، فاسكنوا حتى نسكن، فأبى وقاتلهم حتى قتلهم جميعاً .

كان منقطعاً لابن عطية مداحاً له: قال: وكان أبو وجزة منقطعاً إلى ابن عطية، يقوم بقوت عياله وكسوته ويعطيه ويفضل عليه، وكان أبو وجزة مداحاً له، وفيه يقول:

حن الفؤاد إلى سعدى ولم تثب فيم الكثير من التحنان والطرب

قالت سعاد أرى من شيبه عجباً مهلاً سعاد فما في الشيب من عجب

غنى في هذين البيتين إسحاق خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها من كتابه:

إما تريني كساني الدهر شيبته فإن ما مر منه عنك لم يغب

سقياً لسعدى على شيب ألم بنا وقبل ذلك حين الرأس لم يشب

كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت صوب الثريا بماء الكرم من حلب

وهي قصيدة طويلة يقول فيها:

أهدى قلاصاً عناجيجاً أضربها نص الوجيف وتقحيم من العقب

يقصدن سيد قيسٍ وابن سيدها والفارس العد منها غير ذي الكذب

محمد وأبوه وابنه صنعوا له صنائع من مجد ومن حسب

إني مدحتهم لما رأيت لهم فضلاً على غيرهم من سائر العرب

إلا تثبني به لا يجزني أحد ومن يثب إذا ما أنت لم تثب

والأبيات التي ذكرت فيها الغناء المذكور معه أمر أبي وجزة من قصيدة له مدح بها أيضاً عبد الملك بن عطية هذا.

ومما يختار منها قوله:

حتى إذا هجدوا ألم خيالها سراً، ألا بلمامه كان المنى

طرقت برياً روضةٍ من عالجٍ وسميةٍ عذبت وبيتها الندى

يا أم شيبة أي ساعة مطرقٍ نبهتنا، أين المدينة من بدا ؟

إني متى أقض اللبانة أجتهد عنق العتاق الناجيات على الوجى

حتى أزورك إن تيسر طائري وسلمت من ريب الحوادث والردى

وفيها يقول:

فلأمدحن بني عطية كلهم مدحاً يوافي في المواسم والقرى

الأكرمين أوائلاً وأواخرا والأحلمين إذا تخولجت الحبا

والمانعين من الهضمية جارهم والجامعين الراقعين لما وهى

والعاطفين على الضريك بفضلهم والسابقين إلى المكارم من سعى

وهي قصيدة طويلة يمدح فيها بني عطية جميعاً ويذكر وقعتهم بأبي حمزة الخارجي، ولا معنى للإطالة بذكرها .

مدح عبد الله بن الحسن فغضب ابن الزبير فصالحه بشعر مدحه فيه: أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال: كان أبو وجزة السعدي منقطعاً إلى آل الزبير، وكان عبد الله بن عروة بن الزبير خاصةً يفضل عليه ويقوم بأمره، فبلغه أن أبا وجزة أتى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فمدحه فوصله، فاطرحه ابن عروة، وأمسك يده عنه، فسأل عن سبب غضبه فأخبره به الأصم بن أرطأة، فلم يزل أبو وجزة يمدح آل الزبير، ولا يرجع له عبد الله بن عروة إلى ما كان عليه ولا يرضى عنه حتى قال فيه:

آل الزبير بنو حرة ... مروا بالسيوف صدوراً خنافا

سل الجرد عنهم وأيامها ... إذا امتعطوا المرهفات الخفافا

امتعطوا: سلوا، ومنه ذئب أمعط، منسل من شعره .

يموتون والقتل داء لهم ... ويصلون يوم السياف السيافا

إذا فرج القتل عن عيصهم ... أبى ذلك العيص إلا التفافا

مطاعيم تحمد أبياتهم ... إذا قنع الشاهقات الطخافا

وأجبن من صافرٍ كلبهم ... إذا قرعته حصاة أضافا

فلما أنشد ابن عروة هذه الأبيات رضى عنه وعاد له إلى ما كان عليه .

صوت من المائة المختارة:

ألا هل أسير المالكية مطلق ... فقد كاد لو لم يعفه الله يغلق

فلا هو مقتول، ففي القتل راحة ... ولا منعم يوماً عليه فمعتق

الشعر لعقيل بن علفة البيت الأول منه، والثاني لشبيب بن البرصاء، والغناء لأحمد بن المكي، خفيف ثقيل بالوسطى من كتابه، وفيه لدقاق رمل بالوسطى من كتاب عمرو بن بانة، وأوله:

سلا أم عمرو فيم أضحى أسيرها ... يفادى الأسارى حوله وهو موثق

وبعده البيت الثاني وهو:

فلا هو مقتول ففي القتل راحة ... ولا منعم يوماً عليه فمعتق

والبيتان على هذه الرواية لشبيب بن البرصاء .

أخبار عقيل بن علفة

نسبه: عقيل بن علفة بن الحارث بن معاوية بن ضباب بن جابر يربوع بن غيظ بن مرة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر، ويكنى أبا العملس وأبا الجرباء .

وأم عقيل بن علفة العوراء، وهي عمرة بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة. وأمها زينب بنت حصن بن حذيفة. هذا قول خالد بن كلثوم والمدائني. وقال ابن الأعرابي: كانت عمرة العوراء أم عقيل بن علفة والبرصاء أم شبيب ابن البرصاء أختين، وهما ابنتا الحارث بن عوف. واسم البرصاء قرصافة، أمها بنت نجبة ابن ربيعة بن رياح بن مالك بن شمخ .

كان يعتد بنسبه وكانت قريش ترغب في مصاهرته:

وعقيل شاعر مجيد مقل، من شعراء الدولة الأموية. وكان أعرج جافياً شديد الهوج والعجرفية والبذخ بنسبه في بني مرة، لا يرى أن له كفئاً. وهو في بيتٍ شرف في قومه من كلا طرفيه. وكانت قريش ترغب في مصاهرته. تزوج إليه خلفاؤها وأشرافها، منهم يزيد ابن عبد الملك، تزوج ابنته الجرباء، وكانت قبله عند ابن عم لعقيل يقال له مطيع بن قطعة ابن الحارث بن معاوية. وولدت ليزيد بنياً درج . وتزوج بنته عمرة سلمة بن عبد الله بن المغيرة، فولدت له يعقوب بن سلمة، وكان من أشراف قريش وجودائها. وتزوج أم عمرو بنته ثلاثة نفر من بني الحكم بن أبي العاص: يحيى والحارث وخالد .

خطب إليه والي المدينة إحدى بناته فأنكر عليه فضربه فقال شعراً: أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي عن المفضل قال: دخل عليه عقيل بن علفة على عثمان بن حيان وهو يومئذ على المدينة، فقال له عثمان: زوجني ابنتك، فقال: أبكرةً من إبلي تعني؟ فقال له عثمان: ويلك! أمجنون أنت! قال: أي شيء قلت لي؟ قال: قلت لك: زوجني ابنتك، فقال: أفعل إن كنت عنيت بكرةً من إبلي. فأمر به فوجئت عنقه. فخرج وهو يقول:

كنا بني غيظ الرجال فأصبحت ... بنو مالك غيظاً وصرنا كمالك

لحى الله دهراً ذعذع المال كله ... وسود أشباه الإماء العوارك

خطب إليه رجل من بني سلامان فكتفه وألقاه في قرية النمل: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: كان لعقيل ابن علفة جار من بني سلامان بن سعد، فخطب إليه ابنته، فغضب عقيل، وأخذ السلاماني فكتفه ، ودهن استه بشحم، وألقاه في قرية النمل، فأكلن خصييه حتى ورم جسده، ثم حله وقال: يخطب إلي عبد الملك فأرده، وتجترئ أنت علي !.

قال: ثم أجدبت مراعي بني مرة، فانتجع عقيل أرض جذام وقربهم عذرة. قال عقيل: فجاءني هني مثل البعرة، فخطب إلي ابنتي أم جعفر. فخرجت إلى أكمة قريبة من الحي، فجعلت أنبح كما ينبح الكلب، ثم تحملت وخرجت، فاتبعني جمع من حن بطن من عذرة فقالوا: اختر، إن شئت حبسناك، وإن شئت حدرناك وبعيرة من

رأس الجبل، فإن سبقتها خلينا عنك. فأرسلوا بعيرةً فسبقتها، فخلوا سبيلي، فقلت لهم: ما طمعتم بهذا من أحد! قالوا: أردنا أن نضع منك حيث رغبت عنا. فقلت فيهم:

لقد هزئت حن بنا وتلاعبت وما لعبت حن بذي حسب قبلي

رويداً بني حن تسيحوا وتأمنوا وتنتشر الأنعام في بلد سهل

والله لأموتن قبل أن أضع كرائمي إلا في الأكفاء .

خرج إلى الشام مع أولاده ثم عادوا منها فقال شعراً أجازه ابنه وابنته فرمى ابنه بسهم فعقره: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن الضحاك عن أبيه قال: وجدت في كتاب بخط الضحاك قال: خرج عقيل بن علفة وابناه: علفة وجثامة، وابنته الجرباء حتى أتوا بنتاً له ناكحاً في بني مروان بالشام فآمت . ثم إنهم قفلوا بها حتى كانوا ببعض الطريق، فقال عقيل بن علفة:

قضت وطراً من دير سعدٍ وطالما على عرض ناطحنه بالجماجم

إذا هبطت أرضاً يموت غرابها بها عطشاً أعطينهم بالخزائم

ثم قال: أنفذ يا علفة، فقال علفة:

فأصبحن بالموماة يحملن فتيةً نشاوى عن الإدلاج ميل العمائم

إذا علم غادرنه بتنوفة تذارعن بالأيدي لآخر طاسم

ثم قال أنفذي يا جرباء، فقالت: وأنا آمنة؟ قال: نعم. فقالت:

كأن الكرى سقاهم صرخديةً عقاراً تمشي في المطا والقوائم

فقال عقيل: شربتها ورب الكعبة! لولا الأمان لضربت بالسيف تحت قرطك، أما وجدت من الكلام غير هذا! فقال جثامة: وهل أساءت! إنما أجازت. وليس غيري وغيرك. فرماه عقيل بسهم فأصاب ساقه وأنفذ السهم ساقه والرحل، ثم شد على الجرباء فعقر ناقتها ثم حملها على ناقة جثامه وتركه عقيراً مع ناقة الجرباء. ثم قال: لولا أن تسبني بنو مرة ما ذقت الحياة. ثم خرج متوجهاً إلى أهله وقال: لئن أخبرت أهلك بشأن جثامة، أو قلت لهم إنه أصابه غير الطاعون لأقتلنك. فلما قدموا على أهل أبير وهم بنو القين ندم عقيل على فعله بجثامة، فقال لهم: هل لكم في جزور انكسرت؟ قالوا: نعم. قال: فالزموا أثر هذه الراحلة حتى تجدوا الجزور، فخرج القوم حتى انتهوا إلى جثامة فوجدوه قد أنزفه الدم، فاحتملوه وتقسموا الجزور، وأنزلوه عليهم، وعالجوه حتى برأ، وألحقوه بقومه.

ونسخت هذا الخبر من كتاب أبي عبد الله اليزيدي بخطه و لم أجده ذكر سماعه إياه من أحد قال: قرئ على علي

بن محمد المدائني عن الطرماح بن خليل بن أبرد، فذكر مثل ما ذكره الزبير منه وزاد فيه: أن القوم احتملوا جثامة ليلحقوه بقومه؛ حتى إذا كانوا قريباً منهم تغنى جثامة:

أيعذر لاهينا ويلحين في الصبا وما هن والفتيان إلا شقائق

فقال له القوم: إنما أفلت من الجراحة التي جرحك أبوك آنفاً، وقد عاودت ما يكرهه، فأمسك عن هذا ونحوه إذا لقيته لا يلحقك منه شر وعر . فقال: إنما هي خطرة خطرت، والراكب إذا سار تغنى .

أصابه القولنج فنعتت له الحقنة فأبى فقال ابنه شعراً في ذلك: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال: قدم عقيل بن علفة المدينة فنزل على ابن بته يعقوب بن سلمة المخزومي، فمرض وأصابه القولنج ، فنعتت له الحقنة فأبى. وقدم ابنه عليه فبلغه ذلك، فقال:

لقد سرني والله وقاك شرها نجاؤك منها حين جاء يقودها

كفى خزيةً ألا تزال مجبياً على شكوة توكى وفي استك عودها

شد على ابنه علفة بالسيف فحاد عنه فقال في ذلك شعراً: أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا علي بن محمد عن زيد بن عياش التغلبي والربيع بن ثميل قالا: غدا عقيل بن علفة على أفراس له عند بيوته فأطلقها ثم رجع، فإذا بنوه مع بناته وأمهم مجتمعون، فشد على عملس فحاد عنه، وتغنى علفة فقال:

قفي يابنة المري أسألك ما الذي تريدين فيما كنت منيتنا قبل

نخبرك إن لم تنجزي الوعد أننا ذوا خلة لم يبق بينهما وصل

فإن شئت كان الصرم ما هبت الصبا وإن شئت لا يفنى التكارم والبذل

فقال عقيل: يابن اللخناء ، متى منتك نفسك هذا! وشد عليه بالسيف وكان عملس أخاه لأمه فحال بينه وبينه، فشد على عملس بالسيف وترك علفة لا يلتفت إليه ، فرماه بسهم، فأصاب ركبته؛ فسقط عقلي وجعل يتمعك في دمه ويقول:

إن بني سربلوني بالدم من يلق أبطال الرجال يكلم

ومن يكن ذا أودٍ يقوم شنشنة أعرفها من أخزم

قال المدائني: شنشنة أعرفها من أخزم، مثل ضربه. وأخزم: فحل كان لرجل من العرب، وكان منجباً، فضرب في إبل رجلٍ آخر و لم يعلم صاحبه فرأى بعد ذلك من نسله جملاً فقال: شنشنة أعرفها من أخزم .

عاتبه عمر بن عبد العزيز في شأن بناته فأجابه: أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني سليمان المدائني قال حدثني مصعب بن عبد الله قال: قال عمر بن عبد العزيز لعقيل بن علفة: إنك تخرج إلى أقاصي البلاد وتدع

بناتك في الصحراء لا كالئ لهن، والناس ينسبونك إلى الغيرة، وتأبى أن تزوجهن إلا الأكفاء. قال: إني أستعين عليهن بخلتين تكلآنهن، وأستغني عن سواهما. قال: وما هما؟ قال: العري والجوع .

رماه ابنه عملس فأصاب ركبته، فغضب وخرج إلى الشام، وقال في ذلك شعراً: نسخت من كتاب محمد بن العباس اليزيدي: قال خالد بن كلثوم: لما رمى عملس بن عقيل أباه فأصاب ركبته غضب وأقسم ألا يساكن بنيه، فاحتمل وخرج إلى الشام، فلما استوى على ناقته المسماة بأطلال بكت ابنته جرباء وحنت ناقته، فقال:

ألم تريا أطلال حنت وشاقها تفرقنا يوم الحبيب على ظهر

وأسبل من جرباء دمع كأنه جمان أضاع السلك أجرته في سطر

لعمرك إني يوم أغذو عملسا لكالمتربي حتفه وهو لا يدري

وإني لأسقيه غبوقي وإنني لغرثان منهوك الذراعين والنحر

خرج ابنه علفة إلى الشام أيضاً وكتب إلى أبيه شعراً: قال: ومضى علفة أيضاً، فافتؤض بالشام وكتب إلى أبيه:

ألا أبلغا عني عقيلاً رسالةً فإنك من حربٍ علي كريم

أما تذكر الأيام إذ أنت واحد وإذ كل ذي قربى إليك ذميم

وإذ لا يقيك الناس شيئاً تخافه بأنفسهم إلا الذين تضيم

تناول شأو الأبعدين ولم يقم لشأوك بين الأقربين أديم

فأما إذا عضت بك الحرب عضةً فإنك معطوف عليك رحيم

وأما إذا آنست أمناً ورخوةً فإنك للقربى ألد ظلوم

فلما سمع عقيل هذه الأبيات رضي عنه، وبعث إليه فقدم عليه .

سب عمر بن عبد العزيز ابن أخته فعاتبه في ذلك: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن محمد بن سلام قال حدثني ابن جعدبة قال: عاتب عمر بن عبد العزيز رجلاً من قريش، أمه أخت عقيل بن علفة فقال له: قبحك الله! أشبهت خالك في الجفاء. فبلغت عقيلاً فجاء حتى دخل على عمر فقال له: ما وجدت لابن عمك شيئاً تعيره به إلا خؤولتي! فقبح الله شركما خالاً. فقال له صخير بن أبي جهم العدوي وأمه قرشية: آمين يا أمير المؤمنين. فقبح الله شركما خالا وأنا معكما أيضاً .

قرأ شيئاً من القرآن فأخطأ فاعترض عليه عمر فأجابه: فقال له عمر: إنك لأعرابي جلف جاف، أما لو كنت تقدمت إليك لأدبتك. والله لا أراك تقرأ من كتاب الله شيئاً، قال: بلى، إني لأقرأ، قال: فاقرأ. فقرأ: " إذا زلزلت الأرض زلزالها " حتى بلغ إلى آخرها فقرأ فمن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره ومن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره، فقال له

عمر: ألم أقل لك إنك لا تحسن أن تقرأ؟ قال: أو لم أقرأ؟ قال: لا، لأن الله جل وعز قدم الخير وأنك قدمت الشر. فقال عقيل:

خذا بطن هرشى أو قفاها فإنه كلا جانبي هرشى لهن طريق

فجعل القوم يضحكون من عجرفيته .

وروى هذا الخبر علي بن محمد المدائني، فذكر أنه كان بين عمر بن عبد العزيز وبين يعقوب بن سلمة وأخيه عبد الله كلام، فأغلظ يعقوب لعمر في الكلام فقال له عمر: اسكت فإنك ابن أعرابية جافية. فقال عقيل لعمر: لعن الله شر الثلاثة، مني ومنك ومنه! فغضب عمر، فقال له صخير بن أبي الجهم: آمين. فهو والله أيها الأمير شر الثلاثة. فقال عمر: والله إني لأراك لو سألته عن آية من كتاب الله ما قرأها. فقال: بلى والله إني لقارئ لآية وآيات فقال، فقال: فاقرأ، فقرأ: إنا بعثنا نوحاً إلى قومه، فقال له عمر: قد أعلمتك أنك لا تحسن. ليس هكذا قال الله، قال: فكيف قال؟ قال: " إنا أرسلنا نوحاً " فقال: وما الفرق بين أرسلنا وبعثنا!

خذا أنف هرشى أو قفاها فإنه كلا جانبي هرشى لهن طريق

دخل المسجد بخفين غليظين وجعل يضرب بهما فضحك الناس منه: أخبرني عبيد الله بن أحمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثني علي بن محمد المدائني عن عبد الله بن أسلم القرشي قال: قدم عقيل بن علفة المدينة، فدخل المسجد وعليه خفان غليظان، فجعل يضرب برجليه، فضحكوا منه فقال: ما يضحككم؟ فقال له يحيى بن الحكم وكانت ابنة عقيل تحته: يضحكون من خفيك وضربك برجليك وشدة جفائك، قال: لا، ولكن يضحكون من إمارتك؛ فإنها أعجب من خفي. فجعل يحيى يضحك .

خبره مع يحيى بن الحكم أمير المدينة وزواج ابنته: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال حدثني عمي عن عبد الله بن مصعب قاضي المدينة قال:

دخل عقيل بن علفة على يحيى بن الحكم، وهو يومئذ أمير المدينة. فقال له يحيى: أنكح ابن خالي يعني ابن أوفى فلانة ابنتك؟ فقال: إن ابن خالك ليرضى مني بدون ذلك، قال: وما هو؟ قال: أن أكف عنه سنن الخيل إذا غشيت سوامه . فقال يحيى لحرسيين بين يديه: أخرجاه، فأخرجاه، فلما ولى قال: أعيداه إلي، فأعاداه، فقال عقيل له: ما لك تكرني إكرار الناضح ؟ قال: أما والله إني لأكرك أعرج جافياً. فقال عقيل: كذلك قلت:

تعجبت إذ رأت رأسي تجلله من الروائع شيب ليس من كبر

ومن أديمٍ تولى بعد جدته والجفن يخلق فيه الصارم الذكر

فقال له يحيى: أنشدني قصيدتك هذه كلها. قال: ما انتهيت إلا إلى ما سمعت. فقال: أما والله إنك لتقول فتقصر، فقال: إنما يكفي من القلادة ما أحاط بالرقبة. فقال: فأنكحني أنا إحدى بناتك. قال: أما أنت فنعم. قال: أما والله لأملأنك مالاً وشرفاً. قال: أما الشرف فقد حملت ركائبي منه ما أطاقت، وكلفتها تجشم ما لم تطق، ولكن

عليك بهذا المال فإن فيه صلاح الأيم ورضا الأبي. فزوجه ثم خرج فهداها إليه، فلما قدمت عليه بعث إليها يحيى مولاةً له لتنظر إليها، فجاءتها فجعلت تغمز عضدها. فرفعت يدها، فدقت أنفها. فرجعت إلى يحيى وقالت: بعثتني إلى أعرابية مجنونةٍ صنعت بي ما ترى! فنهض إليها يحيى، فقال لها: ما لك؟ قالت: ما أردت أن بعثت إلي أمة تنظر إلي! ما أردت بما فعلت إلا أن يكون نظرك إلي قبل كل ناظر، فإن رأيت حسناً كنت قد سبقت إلى بهجته، وإن رأيت قبيحاً كنت أحق من ستره. فسر بقولها وحظيت عنده .

وذكر المدائني هذا الخبر مثله، إلا أنه قال فيه: فإن كان ما تراه حسناً كنت أول من رآه، وإن كان قبيحاً كنت أول من واراه .

زواج يزيد بن عبد الملك من ابنته الجرباء: أخبرني ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال: خطب يزيد بن عبد الملك إلى عقيل بن علفة ابنته الجرباء، فقال له عقيل: قد زوجتكها، على أن لا يزفها إليك إعلاجك ؛ أكون أنا الذي أجيء بها إليك .

قال: ذلك لك. فتزوجها، ومكثوا ما شاء الله. ثم دخل الحاجب على يزيد فقال له: بالباب أعرابي على بعيرٍ، معه امرأة في هودج قال: أراه والله عقيلاً. قال: فجاء بها حتى أناخ بعيرها على بابه، ثم أخذ بيدها فأذعنت، فدخل بها على الخليفة فقال له: إن أنتما ودن بينكما، فبارك الله لكما، وإن كرهت شيئاً فضع يدها في يدي كما وضعت يدها في يدك ثم برئت ذمتك. فحملت الجرباء بغلام ففرح به يزيد ونحله وأعطاه .

موت ابنته وامتناعه عن أخذ ميراثها: ثم مات الصبي، فورثت أمه منه الثلث، ثم ماتت فورثها زوجها وأبوها فكتب إليه: إن ابنك وابنتك هلكا، وقد حسبت ميراثك منهما فوجدته عشرة آلاف دينارٍ، فهلم فاقبضه. فقال: إن مصيبتي بابني وابنتي تشغلني عن المال وطلبه، فلا حاجة لي في ميراثهما، وقد رأيت عندك فرساً سبقت عليه الناس، فأعطينه أجعله فحلاً لخيلي. وأبى أن يأخذ المال، فبعث إليه يزيد بالفرس .

قال لرجل من قريش بالرفاء والبنين فأنكر عليه ذلك: أخبرنا عبيد الله بن محمد قال حدثنا الخراز عن المدائني عن إسحاق بن يحيى قال: رأيت رجلاً من قريش يقول له عقيل بن علفة: بالرفاء والبنين والطائر المحمود. فقلت له: يابن علفة؛ إنه يكره أن يقال هذا. فقال: يابن أخي، ما تريد إلى ما أحدث! إن هذا قول أخوالك في الجاهلية إلى اليوم لا يعرفون غيره. قال: فحدثت به الزهري فقال: إن عقيلاً كان من أجهل الناس. قال: وإنما قال لإسحاق بن يحيى بن طلحة: هذا قول أخوالك، لأن أم يحيى بن طلحة مرية .

خطب إليه رجل كثير المال مغموز في نسبه فقال فيه شعراً: قال المدائني وحدثني علي بن بشرٍ الجشمي قال قال الرميح: خطب إلى عقيلٍ رجل من بني مرة كثير المال، يغمز في نسبه، فقال:

لعمري لئن زوجت من أجل ماله ... هجينا لقد حبت إلي الدراهم

أأنكح عبداً بعد يحيى وخالدٍ ... أولئك أكفاني الرجال الأكارم

أبى لي أن أرضى الدنية أنني ... أمد عناناً لم تخنه الشكائم

خطب إليه رجل من بني مرة فطعن ناقته بالرمح فصرعته: نسخت من كتاب محمد بن العباس اليزيدي بخطه يأثره عن خالد بن كلثوم بغير إسناد متصل بينهما:

أن رجلاً من بني مرة يقال له داود أقبل على ناقةٍ له، فخطب إلى عقيل بن علفة بعض بناته، فنظر إليه عقيل وإن السيف لا يناله فطعن ناقته بالرمح فسقطت وصرعته، وشد عليه عقيل فهرب، وثار عقيل إلى ناقته فنحرها، وأطعمها قومه وقال:

ألم تقل يا صاحب القلوص ... داود الساج وذا القميص

كانت عليه الأرض حيص بيص ... حتى يلف عيصه بعيصي

وكنت بالشبان ذا تقميص

فقال داود فيه من أبيات:

أراه فتى جعل الحلال ببيته ... حراماً ويقري الضيف عضباً مهندا

فرت منه زوجته الأنمارية فردها إليه عامل فدك: وقال المدائني حدثني جوشن بن يزيد قال: لما تزوج عقيل بن علفة زوجته الأنمارية وقد كبر فرت منه، فلقيها جحاف. أحد بني قتال بن يربوع، فحملها إلى عامل فدك، وأصبح عقيل معها، فقال الأمير لعقيل: ما لهذه تستعدي عليك يا أبا الجرباء؟ فقال عقيل: كل ذكري، وذهب ذفري ، وتغايب نفري، فقال: خذ بيدها، فأخذها وانصرف، فولدت له بعد ذلك علفة الأصغر .

شعره يحرض بني سهم على بني جوشن: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: لما نشبت الحرب بين بني جوشن وبين بني سهم بن مرة رهط عقيل بن علفة المري، وهو من بني غيظ بن مرة بن سهم بن مرة إخوتهم فاقتتلوا في أمر يهودي حمارٍ كان جاراً لهم، فقتلته بنو جوشنٍ من غطفان، وكانوا متقاربي المنازل وكان عقيل بن علفة بالشام غائباً عنها، فكتب إلى بني سهم يحرضهم .

فإما هلكت ولم آتكم ... فأبلغ أماثل سهمٍ رسولا

بان التي سامكم قومكم ... لقد جعلوها عليكم عدولا

هوان الحياة وضيم الممات ... وكلاً أراه طعاماً وبيلا

فإن لم يكن غير أحداهما ... فسيروا إلى الموت سيراً جميلاً

ولا تقعدوا وبكم منة ... كفى بالحوادث للمرء غولا

قال: فلما وردت الأبيات عليهم تكفل بالحرب الحصين بن الحمام المري أحد بني سهم، وقال: إلي كتب وبي نوة، خاطب أماثل سهم وأنا من أماثلهم. فأبلى في تلك الحروب بلاءً شديداً. وقال الحصين بن الحمام في ذلك من قصيدة طويلة له:

يطأن من القتلى ومن قصد القنا خباراً فما ينهض إلا تقحما

عليهن فتيان كساهم محرق وكان إذا يكسو أجاد وأكرما

صفائح بصرى أخلصتها قيونها ومطرداً من نسج داود محكما

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما

نهب بنو جعفر إبلاً لجاره فردها إليه وقال شعراً في ذلك: وقال المدائني قال جراح بن عصام بن بجير: عدت بنو جعفر بن كلاب على جار لعقيل فأطردت إبله وضربوه، فغدا عقيل على جار لهم فضربه، وأخذ إبله فأطردها، فلم يردها حتى ردوا إبل جاره وقال في ذلك:

إن يشرق الكلبي فيكم بريقه بني جعفر يعجل لجاركم القتل

فلا تحسبوا الإسلام غير بعدكم رماح مواليكم فذاك بكم جهل

بني جعفر إن ترجعوا الحرب بيننا ندنكم كما كنا ندينكم قبل

بدأتم بجاري فانثنيت بجاركم وما منهما إلا له عندنا حبل

أسره بنو سلامان وأطلقه بنو القين: وذكر المدائني أيضاً: أن عقيلاً كان وحده في إبله، فمر به ناس من بني سلامان فأسروه، ومروا به في طريقه على ناس من بني القين، فانتزعوه منهم، وخلوا سبيله. فقال عقيل في ذلك:

أسعد هذيم إن سعداً أباكم أبى لا يوافي غاية القين من كلب

وجاء هذيم والركاب مناخة فقيل تأخر يا هذيم على العجب

فقال هذيم إن في العجب مركبي ومركب آبائي وفي عجبها حسبي

قال: وسعد هذيم هم عذرة وسلامان والحارث وضبة .

مات ابنه علفة بالشام فرثاه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أبو مسلم عن المدائني عن عبد الله الحميد بن أيوب بن محمد بن عميلة قال: مات علفة بن عقيل الأكبر بالشام، فنعاه مضرس بن سوادة لعقيل بأرض الجناب، فلم يصدقه وقال:

قبح الآله ولا أقبح غيره ثفر الحمار مضرس بن سواد

تنعى امرأ لم يعل أمك مثله كالسيف بين خضارمٍ أنجاد

ثم تحقق الخبر بعد ذلك، فقال يرثيه:

لعمري لقد جاءت قوافل خبرت بأمرٍ من الدنيا علي ثقيل

وقالوا ألا تبكي لمصرع فارس نعته جنود الشام غير ضئيل

فأقسمت ألا أبكي على هلك هالك أصاب سبيل الله خير سبيل

كأن المنايا تبتغي في خيارنا لها نسباً أو تهتدي بدليل

تحل المنايا حيث شاءت فإنها محللة بعد الفتى ابن عقيل

فتىً كان مولاه يحل بربوةٍ محل الموالي بعده بمسيل

حطم رجل من بني صرمة بيوته فأقبل ابنه عملس من الشام فانتقم له: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كان عقيل بن علفة قد أطرد بنيه، فتفرقوا في البلاد وبقي وحده. ثم إن رجلاً من بني صرمة، يقال له بجيل وكان كثير المال والماشية حطم بيوت عقيل بماشيته، و لم يكن قبل ذلك أحد يقرب من بيوت عقيل إلا لقي شراً. فطردت صافنة أمة له الماشية، فضربها بجيل بعصا كانت معه فشجها. فخرج إليه عقيل وحده وقد هرم يومئذ وكبرت سنه فزجره فضربه بجيل بعصاه، واحتقره، فجعل عقيل يصيح: يا علفة، يا عملس، يا فلان، يا فلان، بأسماء أولاده مستغيثاً بهم، وهو يحسبهم لهرمه أنهم معه. فقال له أرطأة بن سهية:

أكلت بنيك الضب حتى وجدت مرارة الكلأ الوبيل

ولو كان الألى غابوا شهودا منعت فناء بيتك من بجيل

وبلغ خبر عقيلٍ ابنه العملس وهو بالشام، فأقبل إلى أبيه حتى نزل إليه، ثم عمد إلى بجيل فضربه ضرباً مبرحاً، وعقر عدة من إبله وأوثقه بحبل، وجاء به يقوده حتى ألقاه بين يدي أبيه، ثم ركب راحلته، وعاد من وقته إلى الشام، لم يطعم لأبيه طعاماً، و لم يشرب شراباً .

خبر ابنه المقشعر مع أعرابي نزل: أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا ابن عائشة قال: نزل أعرابي على المقشعر بن عقيل بن علفة المري فشربا حتى سكرا وناما، فانتبه الأعرابي مروعاً في الليل وهو يهذي، فقال له المقتشعر: ما لك؟ قال: هذا ملك الموت يقبض روحي. فوثب ابن عقيل فقال: لا والله ولا كرامة ولا نعمة عينٍ له! أيقبض روحك وأنت ضيفي وجاري! فقال: بأبي أنتم وأمي! طال والله ما منعتم الضيم، وتلفف ونام .

تمت أخبار عقيل ولله الحمد والمنة .

قد مضت أخبار عقيلٍ فيما تقدم من الكتاب، ونذكرها هنا أخبار شبيب بن البرصاء ونسبه، لأن المغنين خلطوا بعض شعر ببعض شعر عقيل في الغناء الماضي ذكره، ونعيد ها هنا من الغناء ما شعره لشبيبٍ خاصةً وهو:

صوت من المائة المختارة:

سلا أم عمرو فيم أضحى أسيرها تفادى الأسارى حوله وهو موثق

فلا هو مقتول ففي القتل راحة ولا منعم يوماً عليه فمطلق

ويروي:

ولا هو ممنون عليه فمطلق

الشعر لشبيب بن البرصاء، والغناء لدقاق جارية يحيى بن الربيع. رمل بالوسطى عن عمرو. وذكر حبش أن فيه رملاً آخر لطويس .

أخبار شبيب بن البرصاء ونسبه

نسبه: هو شبيب بن يزيد بن جمرة، وقيل جبرة بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ ابن مرة بن سعد بن ذبيان. والبرصاء أمه، واسمها قرصافة بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة، وهو ابن خالة عقيل بن علفة، وأم عقيلٍ عمرة بنت حارثة بن عوف، ولقبت قرصافة البرصاء لبياضها، لا لأنها كان بها برص .

هاجى عقيل بن علفة: وشبيب شاعر فصيح إسلامي من شعراء الدولة الموية، بدوي لم يحضر إلا وافداً أو منتجعاً. وكان يهاجي عقيل بن علفة ويعاديه لشراسة كانت في عقيل وشر عظيم. وكلاهما كان شريفاً سيداً في قومه، في بيت شرفهم وسؤددهم. وكان شبيب أعور، أصاب عينه رجل من طيء في حرب كانت بينهم .

هاجى أرطأة بن سهية: أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم السجستاني عن أبي عبيدة قال: دخل أرطأة بن سهية على عبد الملك بن مروان وكان قد هاجى شبيب بن البرصاء فأنشده قوله فيه:

أبي كان خيراً من أبيك ولم يزل ... جنيباً لآبائي وأنت جنيب

فقال له عبد الملك: كذبت! ثم أنشده البيت الآخر فقال:

وما زلت خيراً منك مذ عض كارهاً ... برأسك عادي النجاد ركوب

فقال له عبد الملك: صدقت. وكان أرطأة أفضل من شبيبٍ نفساً، وكان شبيب أفضل من أرطأة بيتاً .

فاخره عقيل بن علفة فقال شعراً يهجوه: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال: فاخر عقيل بن علفة شبيب بن البرصاء فقال شبيب يهجوه، ويعير برجلٍ من طيء كان يأتي أمه عمرة بنت الحارث يقال له حيان، ويهجو غيظ بن مرة:

ألسنا بفرعٍ قد علمتم دعامةً ... ورابية تنشق عنها سيولها

وقد علمت سعد بن ذبيان أننا ... رحاها الذي تأوي إليها وجولها

إذا لم نسسكم في الأمور ولم نكن ... لحربٍ عوانٍ لاقح من يئولها

فلستم بأهدى في البلاد من التي ... تردد حيرى حين غاب دليلها

دعت جل يربوع عقيلا لحادثٍ ... من الأمر فاستخفى وأعيا عقيلها

فقلت له: هلا أجبت عشيرةً ... لطارق ليلٍ حين جاء رسولها!

وكائن لنا من ربوة لا تنالها مراقيك أو جرثومةٍ لا تطولها
فخرت بأيامٍ لغيرك فخرها وغرتها معروفة وحجولها
إذا الناس هابوا سوءةً عمدت لها بنو جابر شبانها وكهولها
فهلا بني سعد صبحت بغارةٍ مسومةٍ قد طار عنها نسيلها!
فتدرك وتراً عند الأم واترٍ وتدرك قتلى لم تتمم عقولها

افتخر عليه عقيل بمصاهرته للملوك فهجاه: وقال أبو عمرو: اجتمع عقيل بن علفة وشبيب بن البرصاء عند يحيى بن الحكم فتكلما في بعض الأمر، فاستطال عقيل على شبيب بالصهر الذي بينه وبين بني مروان وكان زوج ثلاثاً من بناته فيهم، فقال شبيب يهجوه:

ألا أبلغ أبا الجرباء عني بآيات التباغض والتقالي
فلا تذكر أباك العبد وافخر بأم لست مكرمها وخال
وهبها مهرةً لقحت ببغل فكان جنينها شر البغال
إذا طارت نفوسهم شعاعاً حمين المحصنات لدى الحجال
بطعنٍ تعثر الأبطال منه وضربٍ حيث تقتنص العوالي
أبى لي أن آبائي كرام بنوا لي فوق أشرافٍ طوال
بيوت المجد ثم نموت منها إلى علياء مشرقة القذال
تزل حجارة الرامين عنها وتقصر دونها نبل النضال
أبالحفاث شر الناس حياً وأعناق الأيور بني قتال
رفعت مسامياً لتنال مجداً فقد أصبحت منهم في سفال

قال أبو عمرو: بنو قتال إخوة بني يربوع رهط عقيل بن علفة وهم قوم فيهم جفاء، قال أبو عمرو: مات رجل منهم فلفه أخوه في عباءة له، وقال أحدهما للآخر: كيف تحمله؟ قال: كما تحمل القربة. فعمد إلى حبل فشد طرفه في عنقه وطرفه في ركبتيه وحمله على ظهره كما تحمل القربة، فلما صار به إلى الموضع الذي يريد دفنه فيه حفر له حفيرةً، وألقاه فيها، وهال عليه التراب حتى واراه. فلما انصرفا قال له: يا هناه ، أنسيت الحبل في عنق أخي ورجليه، وسيبقى مكتوفاً إلى يوم القيامة. قال: دعه يا هناه، فإن يرد الله به خيره يحلله .

خطب بنت يزيد بن هاشم فرده ثم قبله فأبى: وقال أبو عمرو: خطب شبيب بن البرصاء إلى يزيد بن هاشم بن حرملة المري ثم الصرمي ابنته، فقال: هي صغيرة، فقال شبيب: لا؛ ولكنك تبغي أن تردني، فقال له يزيد: ما أردت ذاك، ولكن أنظرني هذا العام، فإذا انصرم فعلي أن أزوجك. فرحل شبيب من عنده مغضباً، فلما مضى

قال ليزيد بعض أهله: والله ما أفلحت! خطب إليك شبيب سيد قومك فرددته! قال: هي صغيرة، قال: إن كانت صغيرة فستكبر عنده. فبعث إليه يزيد: ارجع فقد زوجتك، فإني أكره أن ترجع إلى أهلك وقد رددتك، فأبى شبيب أن يرجع وقال:

لعمري لقد أشرفت يوم عنيزةٍ ... على رغبةٍ لو شد نفسي مريرها
ولكن ضعف الأمر ألا تمره ... ولا خير في ذي مرةٍ لا يغيرها
تبين أدبار الأمور إذا مضت ... وتقبل أشباهاً عليك صدورها

ترجي النفوس الشيء لا تستطيعه ... وتخشى من الأشياء ما لا يضيرها
ألا إنما يكفي النفوس إذا اتقت ... تقى الله ما حاذرت فيجيرها
ولا خير في العيدان إلا صلابها ... ولا ناهضات الطير إلا صقورها
ومستنبحٍ يدعو وقد حال دونه ... من الليل سجفا ظلمةٍ وستورها
رفعت له ناري فلما اهتدى لها ... زجرت كلابي أن يهر عقورها
فبات وقد أسرى من الليل عقبةً ... بليلة صدقٍ غاب عنها شرورها
وقد علم الأضياف أن قراهم ... شواء المتالي عندنا وقديرها
إذا افتخرت سعد بن ذبيان لم يجد ... سوى ما بيننا ما يعد فخورها
وإني لتراك الضغينة قد بدا ... ثراها من المولى فلا أستثيرها
مخافة أن تجنى علي وإنما ... يهيج كبيرات الأمور صغيرها
إذا قيلت العوراء وليت سمعها ... سواي ولم أسمع بها ما دبيرها
وحاجة نفسٍ قد بلغت وحاجةٍ ... تركت إذا ما النفس شح ضميرها
حياءً وصبراً في المواطن إنني ... حي لدى أمثال تلك ستيرها
وأحبس في الحق الكريمة إنما ... يقوم بحق النائبات صبورها
أحابي بها الحي الذي لا تهمه ... وأحساب أمواتٍ تعد قبورها
ألم تر أنا نور قوم وإنما ... يبين في الظلماء للناس نورها

تمثل محمد بن مروان بشعره: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جشم العبدي قال: كانت بين بني كلب وقوم من قيس ديات، فمشى القوم إلى أبناء

أخواهم من بني أمية يستعينون بهم في الحمالة ، فحملها محمد بن مروان كلها عن الفريقين، ثم تمثل بقول شبيب ابن البرصاء:

ولقد وقفت النفس عن حاجاتها والنفس حاضرة الشعاع تطلع
وغرمت في الحسب الرفيع غرامةً يعيا بها الحصر الشحيح ويظلع
إني فتًى حر لقدري عارف أعطي به وعليه مما أمنع

نزل هو وأرطأة بن زفر وعويف القوافي على رجل من أشجع فلم يكرم ضيافتهم فهجوه: أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال. حدثنا إسحاق بن محمد النخعي قال. حدثني الحرمازي قال: نزل شبيب بن البرصاء وأرطأة بن زفر وعويف القوافي برجل من أشجع كثير المال يسمى علقمة، فأتاهم بشربة لبن ممذوقةٍ و لم يذبح لهم، فلما رأوا ذلك منه قاموا إلى رواحلهم فركبوها ثم قالوا: تعالوا حتى نهجو هذا الكلب. فقال شبيب:

أفي حدثان الدهر أم في قديمه تعلمت ألا تقري الضيف علقما ؟

وقال أرطأة:

لبثنا طويلاً ثم جاء بمذقةٍ كماء السلا في جانب القعب أثلما

وقال عويف:

فلما رأينا أنه شر منزلٍ رمينا بهن الليل حتى تخرما

عاد من سفر فعلم بموت جماعة من بني عمه فرثاهم: أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل عن القذاحمي قال: غاب شبيب بن البرصاء عن أهله غيبةً، ثم عاد بعد مدة، وقد مات جماعة من بني عمه، فقال شبيب يرثيهم:

تخرم الدهر إخواني وغادرني كما يغادر ثور الطارد الفئد
إني لباقٍ قليلاً ثم تابعهم ووارد منهل القوم الذي وردوا

هاجى رجلاً من غني فأعانه أرطأة بن سهية عليه: قال أبو عمرو: هاجى شبيب بن البرصاء رجلاً من غني، أو قال من باهلة، فأعانه أرطأة ابن سهية على شبيب، فقال شبيب:

لعمري لئن كانت سهية أوضعت بأرطأة في ركب الخيانة والغدر
فما كان بالطرف العتيق فيشترى لفحلته، ولا الجواد إذا يجري
أتنصر مني معشراً لست منهم وغيرك أولى بالحياطة والنصر !

ويروي: وقد كنت أولى بالحياطة، وهو أجود .

استعدى عليه رهط أرطاة عثمان بن حيان لهجائه إياهم فهدده ابن حيان بقطع لسانه:

وقال ابن عمرو: استعدى رهط أرطاة بن سهية على شبيب بن البرصاء إلى عثمان بن حيان المري وقالوا له: يعمنا بالهجاء ويشتم أعراضنا، فأمر بإشخاصه إليه فأشخص، ودخل إلى عثمان وقد أتى بثلاثة نفرٍ لصوصٍ قد أفسدوا في الأرض يقال لهم بهدل ومثغور وهيصم، فقتل بهدلاً وصلبه، وقطع مثغوراً والهيصم، ثم أقبل على شبيبٍ فقال: كم تسب أعراض قومك وتستطيل عليهم! اقسم قسماً حقاً لئن عاودت هجاءهم لأقطعن لسانك، فقال شبيب:

سجنت لساني يابن حيان بعدما ... تولى شبابي، إن عقدك محكم

وعيدك أبقى من لساني قذاذةً ... هيوباً، وصمتا بعد لا يتكلم

رأيتك تحلو لي إذا شئت لامرئٍ ... ومراً مراراً فيه صاب وعلقم

وكل طريدٍ هالك متحير ... كما هلك الحيران والليل مظلم

أصبت رجالاً بالذنوب فأصبحوا ... كما كان مثغور عليك وهيصم

خطاطيفك اللاتي تخطفن بهدلاً ... فأوفى به الأشراف جذع مقوم

يداك يدا خير وشرٍ فمنهما ... تضر وللأخرى نوال وأنعم

ذهب دعيج بن سيف بإبله فخرج في طلبها فرماه دعج فأصاب عينه: وقال أبو عمرو: استاق دعيج بن سيف بن جذيمة بن وهب الطائي ثم الجرمي إبل شبيب بن البرصاء فذهب بها، وخرج بنو البرصاء في الطلب، فلما واجهوا بني جرم قال شبيب: اغتنموا بني جرم، فقال أصحابه: لسنا طالبين إلا أهل القرحة ، فمضوا حتى أتوا دعيجاً وهو برأس الجبل، فناداه شبيب: يا دعيج، إن كانت الطراف حية فلك سائر الإبل، فقال: يا شبيب تبصر رأسها بين سائر الإبل، فنظر فأبصرها، فقال شبيب: شدوا عليه واصعدوا وراءه، فأبوا عليه، فحمل شبيب وحده، ورماه دعيج فأصاب عينه، فذهب بها وكان شبيب أعور ثم عمي بعد ما أسن، فانصرف وانصرف معه بنو عمه، وفاز دعيج بالأبل، فقال شبيب:

أمرت بني الرصاء يوم حزابةٍ ... بأمرٍ جميع لم تشتت مصادره

بشول ابن معروف وحسان بعدما ... جرى لي يمن قد بدا لي طائره

أيرجع حر دون جرم ولم يكن ... طعان ولا ضرب يذعذع عاسره؟

فأذهب عيني يوم سفح سفيرةٍ ... دعيج بن سيف، أعوزته معاذره

ولما رأيت الشول قد حال دونها ... من الهضب مغبر عنيف عمائره

وأعرض ركن من سفيرة يتقى ... بشم الذرا لا يعبد الله عامره

أخذت بني سيفٍ ومالك موقعٍ ... بما جرى مولاهم وجرت جرائره

ولو أن رجلي يوم فر ابن جوشنٍ علقن ابن ظبي أعوزته مغاوره

هجاه أرطاة بن سهية ونفاه عن بني عوف: أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن عاصم بن الحدثان قال: هجا أرطاة بن سهية بن البرصاء ونفاه عن بني عوف فقال:

فلو كنت عوفياً عميت وأسهلت كداك ولكن المريب مريب

قال: فعمي شبيب بن البرصاء بعد موت أرطاة بن سهية، فكان يقول: ليت ابن سهية حياً حتى يعلم أني عوفي، قال: والعمى شائع في بني عوف، إذا أسن الرجل منهم عمي، وقل من يفلت من ذلك منهم .

امتدح شعره عبد الملك بن مروان وفضله على الأخطل: وحدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال: أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان قوله:

بكر العواذل أذا يبتدرن ملامتي والعاذلون فكلهم يلحاني

في أن سبقت بشربة مقديةٍ صرفٍ مشعشعةٍ بماء شنان

فقال له عبد الملك: شبيب بن البرصاء أكرم منك وصفا لنفسه حيث يقول:

وإني لسهل الوجه مجلسي إذا أحزن القاذورة المتعبس

يضيء سنا جودي لمن يبتغي القرى وليل بخيل القوم ظلماء حندس

ألين لذي القربى مراراً وتلتوي بأعناقي أعدائي حبال تمرس

كان عبد الملك يتمثل بشعره في بذل النفس عند اللقاء ويعجب به: قال: وكان عبد الملك يتمثل بقول شبيبٍ في بذل النفس عند اللقاء ويعجب به:

دعاني حصن للفرار فساءني مواطن أن يثنى علي فأشتما

فقلت لحصنٍ نح نفسك إنما يذود الفتى عن حوضه أن يهدما

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياةً مثل أن أتقدما

سيكفيك أطراف الآسنة فارس إذا ريع نادى بالجواد وبالحمى

إذا المرء لم يغش المكاره أوشكت حبال الهوينى بالفتى أن تجذما

سبب مهاجاته عقيل بن علفة: نسخت من كتاب أبي عبد الله اليزيدي و لم أقرأه عليه، قال خالد بن كلثوم: كان الذي هاج الهجاء بين شبيب بن البرصاء وعقيل بن علفة أنه كان لبني تشبة جار من بني سلامان بن سعد، فبلغ عقيلاً عنه أنه يطوف في بني مرة يتحدث إلى النساء فامتلأ عليه غيظاً، فبينا هو يوماً جالس وعنده غلمان له وهو يجز إبلاً له على الماء ويسمها إذ طلع عليه السلاماني على راحلته، فوثب عليه وهو وغلمانه فضربوه ضرباً

مبرحاً، وعقر راحلته، وانصرف من عنده بشر، فلم يعد إلى ذلك الموضع، ولج الهجاء بينهما. وكان عقيل شرساً سيء الخلق غيوراً .

أخبار دقاق

تزوجت يحيى بن الربيع ثم بعده من القواد والكتاب فماتوا وورثتهم: كانت دقاق مغنية محسنة جميلة الوجه قد أخذت عن أكابر مغني الدولة العباسية، وكانت ليحيى بن الربيع، فولدت له أحمد ابنه، وعمر عمراً طويلاً وحدثنا عنه جحظة ونظراؤه من أصحابنا، وكان عالماً بأمر الغناء والمغنين، وكان يغني غناء ليس بمستطاب ولكنه صحيح. ومات يحيى بن الربيع فتزوجت بعده من القواد والكتاب بعدة، فماتوا وورثتهم .

هجاها عيسى بن زينب: فحدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب السرخسي قال: كانت دقاق أم ولد يحيى بن الربيع أحمد المعروف بابن دقاق مغنية محسنة متقنة الأداء والصنعة، وكانت قد انقطعت إلى حمدونة بنت الرشيد ثم إلى غضيض، وكانت مشهورة بالظرف والمجون والفتوة. قال أحمد بن الطيب: وعتقت دقاق فتزوجها بعد مولاها ثلاثة من القواد من وجوههم، فماتوا جميعاً، فقال عيسى بن زينب يهجوها:

قلت لما رأيت دار دقاق — حسنها قد أضر بالعشاق

حذروا الرابع الشقي دقاقا — لا يكونن نجمه في محاق

ألّه عن بضعها فإن دقاقا — شؤم حرها قد سار في الآفاق

لم تضاجع بعلاً فهب سليما — بل جريحاً وجرحه غير راقي

كتبت إلى حمدون تصف هنها فرد عليها: أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني الهدادي الشاعر قال حدثني أبو عبد الله بن حمدون وأخبرني جحظة عن ابن حمدون ورواية الكوكبي أتم قال: كتبت دقاق إلى أبي تصف هنها صفة أعجزه الجواب عنها، فقال له صديق له: ابعث إلى بعض المخنثين حتى يصف متاعك، فيكون جوابها، فأحضر بعضهم وأخبره الخبر، فقال: اكتب إليها: عندي القوق بوق ، الأصلع المزبوق ، الأقرع المفروق، المنتفخ العروق، يسد البثوق ، ويفتق الفتوق، ويرم الخروق، ويقضي الحقوق، أسد بين جملين، بغل بين حملين، منارة بين صخرتين، رأسه رأس كلب، وأصله مترس درب، إذا دخل حفر، وإذا خرج قشر، لو نطح الفيل كوره، ولو دخل البحر كدره، إذا رق الكلام، وتقاربت الأجسام، والتفت الساق بالساق، ولطخ باطنها بالبصاق، وقرع البيض بالذكور ، وجعلت الرماح تمور، بطعن الفقاح ، وشق الأحراح ، صبرنا فلم نجزع، وسلمنا طائعين فلم نخدع. قال: فقطعها .

مجلس بين ابنها وبين أبي الجاموس اليعقوبي: حدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب قال حدثني أحمد بن علي بن جعفر قال: حضرت مرة مجلساً وفيه ابن دقاق وفيه النصراني المعروف بأبي الجاموس اليعقوبي البزاز قرابة بلال قال: فعبث ابن دقاق بأبي الجاموس، فلما أكثر عليه قال: اسمعوا مني. ثم حلف بالحنيفية أنه لايكذب، وحدثنا

قال: مضيت وأنا غلام مع أستاذي إلى باب حمدونة بنت الرشيد، ومعنا بز نعرضه للبيع، فخرجت إلينا دقاق أم هذا تقاولنا في ثمن المتاع، وفي يدها مروحة على أحد وجهيها منقوش: الحر إلى أيرين أحوج من الأير إلى حرين، وعلى الوجه الآخر: كما أن الرحا إلى بغلين أحوج من البغل إلى رحوين، قال: فأسكته والله سكوتاً علمنا معه أنه لو خرس لكان الخرس أصون لعرضه مما جرى .

كان لها غلامان خلاسيان فرماها الناس بهما:

قال أحمد: وفي دقاق يقول عيسى بن زينب وكان لها غلامان خلاسيان يروحانها في الخيش، فتحدث الناس أنها قالت لواحد منهما أن ينيكها، فعجز فقالت له: نكني وأنت حر، فقال لها نيكيني أنت وبيعيني في الأعراب، فقال فيها عيسى بن زينب:

أحسن من غنى لنا أو شدا ... دقاق في خفضٍ من العيش

لها غلامان ينيكانها ... بعلة الترويح في الخيش

قال فيها إبراهيم بن المهدي شعراً: حدثني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال: كانت دقاق جارية يحيى بن الربيع تواصل جمعة كانوا يميلون إليها وتري كل واحد منهم أنها تهواه، وكانت أحسن أهل عصرها وجهاً، وأشأمهم على من رابطها وتزوجها، فقال فيها أبو إسحاق يعني أباه: صوت:

عدمتك يا صديقة كل خلقٍ ... أكل الناس ويحك تعشقينا ؟

فكيف إذا خالطت الغث منهم ... بلحم سمينهم لا تبشمينا

فيه خفيف رملٍ ينسب إلى إبراهيم بن المهدي وإلى ريق وإلى شارية .

قال فيها أبو موسى الأعمى شعراً: أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثنا أبو هفان قال: خرج يحيى بن الربيع مولى دقاق وكانت قد ولدت منه ابنه أحمد بن يحيى إلى بعض النواحي، وترك جاريته دقاق في داره فعملت بعده الأوابد ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً، وأشأمه على أزواجها ومواليها وربطائها، فقال أبو موسى الأعمى فيه:

قل ليحيى نعم صبرت على المو ... ت ولم تخش سهم ريب المنون

كيف قل لي أطلقت ويحك يا يح ... يى على الضعف منك حمل القرون !

ويح يحيى ما مر باست دقاق ... بعد ما غاب من سياط البطون

صوت من المائة المختارة:

تكاشرني كرهاً كأنك ناصح ... وعينك تبدي أن صدرك لي دوي

لسانك لي حلو وعينك علقم ... وشرك مبسوط وخيرك ملتوي

الشعر ليزيد بن الحكم الثقفي والغناء لإبراهيم ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لجهم العطار خفيف ثقيل عن الهاشمي .

نسب يزيد بن الحكم وأخباره

نسبه وبعض أخبار آبائه: هو يزيد بن الحكم بن عثمان بن أبي العاص صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كذلك وجدت نسبه في نسخة ابن الأعرابي وذكره غيره أنه يزيد بن الحكم بن أبي العاص، وأن عثمان عمه، وهذا هو القول الصحيح. وأبو العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله بن همام بن أبان بن يسار بن مالك بن حطيط بن جشم بن قسي وهو ثقيف .

روى جده عثمان الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: وعثمان جده أو عم أبيه أحد من أسلم من ثقيف يوم فتح الطائف هو وأبو بكرة، وشط عثمان بالبصرة منسوب إليه؛ كانت هناك أرض أقطعها وابتاعها وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث، وروى عنه الحسن بن أبي الحسن ومطرف بن عبد الله بن الشخير وغيرهما من التابعين .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا بشر بن موسى قال حدثنا الحميدي قال حدثنا سفيان، سمعه من محمد بن إسحاق، وسمعه محمد من سعيد بن أبي هند من مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: سمعت عثمان بن أبي العاص الثقفي يقول: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أم قومك واقدرهم بأضعفهم فإن منهم الضعيف والكبير وذا الحاجة ". قال الحميدي وحدثنا الفضيل بن عياض عن أشعث عن الحسن عن عثمان بن أبي العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اتخذوا مؤذناً ولا يأخذ على أذانه أجراً " .

مر به الفرزدق وهو ينشد شعراً فامتدحه: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا العلاء بن الفضل قال حدثني أبي قال: مر الفرزدق بيزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي وهو ينشد في المجلس شعراً فقال: من هذا الذي ينشد شعراً كأنه من أشعارنا؟ فقالوا: يزيد بن الحكم، فقال: نعم؛ أشهد بالله أن عمتي ولدته. وأم يزيد بكرة بنت الزبرقان بن بدر، وأمها هنيدة بنت صعصعة بن ناجية. وكانت بكرة أول عربية ركبت البحر فأخرج بها إلى الحكم وهو بتوج ، وكان الزبرقان يكنى أبا العباس، وكان له بنون العباس وعياش .

خبره مع الحجاج وقد ولاه كورة فارس: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثنا الحزامي قال:

دعا الحجاج بن يوسف بيزيد بن الحكم الثقفي، فولاه كورة فارس، ودفع إليه عهده بها، فلما دخل عليه ليودعه قال له الحجاج: أنشدني بعض شعرك، وإنما أراد أن ينشده مديحاً له؛ فأنشده قصيدةً يفخر فيها ويقول:

وأبي الذي سلب ابن كسرى رايةً بيضاء تخفق كالعقاب الطائر

فلما سمع الحجاج فخره نهض مغضباً، فخرج يزيد من غير أن يودعه، فقال الحجاج لحاجبه: ارتجع منه العهد، فإذا رده فقل له: أيهما خير لك: ما ورثك أبوك أم هذا؟ فرد على الحاجب العهد وقال: قل له:

ورثت جدي مجده وفعاله ... وورثت جدك أعنزاً بالطائف

خرج عن الحجاج مغضباً ولحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه: وخرج عنه مغضباً، فلحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه بقصيدته التي أولها:

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا ... إذا أقول صحا يعتاده عيدا

يقول فيها:

سميت باسم امرئ أشبهت شيمته ... عدلاً وفضلاً سليمان بن داودا

أحمد به في الورى الماضين من ملكٍ ... وأنت أصبحت في الباقين محمودا

لا يبرأ الناس من أن يحمدوا ملكاً ... أولاهم في الأمور الحلم والجودا

فقال له سليمان: وكم كان أجرى لك لعمالة فارس؟ قال: عشرين ألفاً. قال: فهي لك علي ما دمت حياً. وفي أول هذه القصيدة غناء نسبته: صوت:

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا ... إذا أقول صحا يعتاده عيدا

كأن أحور من غزلان ذي بقرٍ ... أهدى لها شبه العينين والجيدا

أجري على موعدٍ منها فتخلفني ... فلا أمل ولا نومني المواعيدا

كأنني يوم أمسي لا تكلمني ... ذو بغية يبتغي ما ليس موجودا

ومن الناس من ينسب هذه الأبيات إلى عمر بن أبي ربيعة وذلك خطأ .

عروضه من البسيط، والغناء للغريض، ثقيل أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق. وذكر عمر بن بانة أنه لمعبد ثقيل أول بالوسطى .

حديثه مع الحجاج وقد سمع شعره في رثاء ابنه عنبس: أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال أخبرنا ابن عياش عن أبيه قال: سمعت الحجاج واستوى جالساً ثم قال: صدق والله زهير بن أبي سلمى حيث يقول:

وما العفو إلا لامرئٍ ذي حفيظة ... متى يعف عن ذنب امرئ السوء يلجج

فقال له يزيد بن الحكم: أصلح الله الأمير، إني قد رثيت ابني عنبساً ببيت، إنه لشبيه بهذا. قال: وما هو؟ قال: قلت:

ويأمن ذو حلم العشيرة جهله ... عليه ويخشى جهله جهلاؤها

قال: فما منعك أن تقول مثل هذا لمحمد ابني ترثيه به؟ فقال: إن ابني والله كان أحب إلي من ابنك .

وهذه الأبيات من قصيدة أخبرني بها عمي عن الكراني عن الهيثم بن عدي. قال: كان ليزيد ابن الحكم ابن يقال له عنبس، فمات عليه جزعاً شديداً وقال يرثيه:

جزى الله عني عنبساً كل صالحٍ ... إذا كانت الأولاد سيئاً جزاؤها

هو ابني وأمسى أجره لي وعزني ... على نفسه رب إليه ولاؤها

جهول إذا جهل العشيرة يبتغى ... حليم ويرضى حلمه حلماؤها

وبعد هذا البيت المذكور في الخبر الأول .

فضله عبد الملك بن مروان على شاعر ثقيف في الجاهلية: أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن لقيطٍ قال قال عبد الملك بن مروان: كان شاعراً ثقيفٍ في الجاهلية خيراً من شاعرهم في الإسلام فقيل له: من يعني أمير المؤمنين؟ فقال لهم: أما شاعرهم في الإسلام فيزيد بن الحكم حيث يقول:

فما منك الشباب ولست منه ... إذا سألتك لحيتك الخضابا

عقائل من عقائل أهل نجدٍ ... ومكة لم يعقلن الركابا

ولم يطردن أبقع يوم ظعنٍ ... ولا كلباً طردن ولا غرابا

وقال شاعرهم في الجاهلية:

والشيب إن يظهر فإن وراءه ... عمراً يكون خلاله متنفس

لم ينتقص مني المشيب قلامةً ... ولما بقي مني ألب وأكيس

شعره ليزيد بن المهلب حين خلع يزيد بن عبد الملك: أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن لقيط قال قال يزيد بن الحكم الثقفي ليزيد بن المهلب حين خلع يزيد بن عبد الملك:

أبا خالد قد هجت حرباً مريرةً ... وقد شمرت حرب عوان فشمر

فقال يزيد بن المهلب: بالله أستعين، ثم أنشده، فلما بلغ قوله:

فإن بني مروان قد زال ملكهم ... فإن كنت لم تشعر بذلك فاشعر

فقال يزيد بن المهلب: ما شعرت بذلك، ثم أنشده فلما بلغ قوله:

فمت ماجداً أو عش كريماً فإن تمت ... وسيفك مشهور بكفك تعذر

فقال: هذا لا بد منه .

قال العمري: وحدثني الهيثم بن عدي عن ابن عياش أن يزيد بن المهلب إنما كتب إليه يزيد ابن الحكم بهذه الأبيات، فوقع إليه تحت البيت الأول: أستعين بالله. وتحت البيت الثاني: ما شعرت. وتحت البيت الثالث: أما

هذه فنعم .

مدح يزيد بن المهلب وهو في سجن الحجاج فأعطاه نجماً حل عليه: أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال حدثني الغلابي قال حدثني ابن عائشة قال: دخل يزيد بن الحكم على يزيد بن المهلب في سجن الحجاج وهو يعذب، وقد حل عليه نجم كان قد نجم عليه، وكانت نجومه في كل أسبوع ستة عشر ألف درهم فقال له:

أصبح في قيدك السماحة والجو ... د وفضل الصلاح والحسب

لا بطر إن تتابعت نعم ... وصابر في البلاء محتسب

بززت سبق الجياد في مهلٍ ... وقصرت دون سعيك العرب

قال: فالتفت يزيد بن المهلب إلى مولىً له، وقال له: أعطه نجم هذا الأسبوع، ونصبر على العذاب إلى السبت الآخر.

وقد رويت هذه الأبيات والقصة لحمزة بن بيضٍ مع يزيد .

روى ابنه العباس بعض شعره لجرير فأكرمه: أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني هارون بن مسلم قال حدثني عثمان ابن حفص قال حدثني عبد الواحد عريف ثقيفٍ بالبصرة: أن العباس بن يزيد بن الحكم الثقفي هرب من يوسف بن عمر إلى اليمامة، قال: فجلست في مسجدها وغشيني قوم من أهلها، قال: فوالله إني لكذلك إذا إنا بشيخ قد دخل يترجح في مشيته، فلما رآني أقبل إلي، فقال القوم: هذا جرير، فأتاني حتى جلس إلى جنبي، ثم قال لي: السلام عليك، ممن أنت؟ قلت: رجل من ثقيف، قال: أعرضت الأديم، ثم ممن؟ قلت : رجل من بني مالك، فقال: لا إله إلا الله! أمثلك يعرف بأهل بيته! فقلت: أنا رجل من ولد أبي العاصي، قال: ابن بشر؟ قلت: نعم. قال: أيهم أبوك؟ قلت: يزيد بن الحكم. قال: فمن الذي يقول:

فني الشباب وكل شيء فان ... وعلا لداتي شيبهم وعلاني

قلت: أبي، قال: فمن الذي يقول:

ألا لا مرحبا بفراق ليلى ... ولا بالشيب إذ طرد الشبابا

شباب بان محمودا وشيب ... ذميم لم نجد لهما اصطحابا

فما منك الشباب ولست منه ... إذا سألتك لحيتك الخضابا

قلت: أبي، قال: فمن الذي يقول:

تعالوا فعدوا يعلم الناس أينا ... لصاحبه في أول الدهر تابع

تزيد يربوع بكم في عدادها ... كما زيد في عرض الأديم الكارع

قال: قلت: غفر الله لك، كان أبي أصون لنفسه وعرضه من أن يدخل بينك وبيني ابن عمك، فقال: رحم الله أباك، فقد مضى لسبيله، ثم انصرف، فترلني بكبشين، فقال لي أهل اليمامة: ما نزل أحداً قبلك قط .

شعره في جارية مغنية كان يهواها وقد ارتحلت عنه: أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن إبراهيم الموصلي عن يزيد حوراء المغني قال: كان يزيد بن الحكم الثقفي يهوى جاريةً مغنية، وكانت غير مطاوعةٍ له، فكان يهيم بها، ثم قدم رجل من أهل الكوفة فاشتراها، فمرت بيزيد بن الحكم مع غلمة لمولاها وهي راحلة، فلما علم بذلك رفع صوته فقال:

يأيها النازح الشسوع ودائع القلب لا تضيع
أستودع الله من إليه قلبي على نأيه نزوع
إذا تذكرته استهلت شوقاً إلى وجهه الدموع

كتاب الجارية إليه: ومضت الجارية وغاب عنه خبرها مدة، فبينا هو جالس ذات يوم إذ وقف عليه كهل فقال له: أأنت يزيد بن الحكم؟ قال: نعم، فدفع إليه كتاباً مختوماً، ففضه فإذا كتابها إليه وفيه:

لئن كوى قلبك الشسوع فالقلب مني به صدوع
وبي ورب السماء فاعلم إليك يا سيدي نزوع
أعزز علينا بما تلاقي فينا وإن شفنا الولوع

فالنفس حرى عليك ولهى والعين عبرى لها دموع
فموتنا في يد التنائي وعيشنا القرب والرجوع
وحيثما كنت يا منايا فالقلب مني به خشوع
ثم عليك السلام مني ما كان من شمسها طلوع

قال: فبكى والله حتى رحمه من حضر، وقال لنا الكهل: ما قصته؟ فأخبرناه بما بينهما، فجعل يستغفر الله من حمله الكتاب إليه، وأحسب أن هذا الخبر مصنوع، ولكن هكذا أخبرنا به ابن أبي الأزهر .

شعر نسب إليه وإلى طرفة بن العبد: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال أنشدني أبو الزعراء رجل من بني قيس بن ثعلبة لطرفة بن العبد:

تكاشرني كرهاً كأنك ناصح وعينك تبدي أن صدرك لي جوي

قال: فعجبت من ذلك وأنشدته أبا عمرو بن العلاء وقلت له: أني كنت أرويه ليزيد بن الحكم الثقفي فأنشدنيه أبو الزعراء لطرفة بن العبد، فقال لي أبو عمرو: إن أبا الزعراء في سن يزيد بن الحكم، ويزيد مولد يجيد الشعر، وقد يجوز أن يكون أبو الزعراء صادقاً .

قال مؤلف هذا الكتاب: ما أظن أبا الزعراء صدق فيما حكاه، لأن العلماء من رواة الشعر رووها ليزيد بن

الحكم، وهذا أعرابي لا يحصل ما يقوله، ولو كان هذا الشعر مشكوكاً فيه أنه ليزيد بن الحكم وليس كذلك لكان معلوماً أنه ليس لطرفة، ولا موجوداً في شعره على سائر الروايات، ولا هو أيضاً مشبهاً لمذهب طرفة ونمطه، وهو بيزيد أشبه، وله في معناه عدة قصائد يعاتب فيها أخاه عبد ربه بن الحكم وابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاص. ومن قال إنه ليزيد بن الحكم بن عثمان قال إن عمه عبد الرحمن هو الذي عاتبه، وفيه يقول:

ومولى كذئب السوء لو يستطيعني ... أصاب دمي يوماً بغير قتيل

وأعرض عما ساءه وكأنما ... يقاد إلى ما ساءني بدليل

مجاملةً مني وإكرام غيره ... بلا حسنٍ منه ولا بجميل

ولو شئت لولا الحلم جدعت أنفه ... بإيعاب جدعٍ بادئٍ وعليل

حفاظاً على أحلام قوم رزئتهم ... رزانٍ يزينون الندى كهول

وقال في أخيه عبد ربه:

يسر الشحناء يضمرها ... حتى ورى من غمره الداء

حران ذو غصة جرعت غصته ... وقد تعرض دون الغصة الماء

حتى إذا ما أساغ الريق أنزلني ... منه كما ينزل الأعداء أعداء

أسعى فيكفر سعي ما سعيت له ... إني كذاك من الإخوان لقاء

وكم يدٍ ويدٍ لي عنده ويدٍ ... يعدهن تراتٍ وهي آلاء

فأما تمام القصيدة التي نسبت إلى طرفة فأنا أذكر منها مختارها ليعلم أن مرذول كلام طرفة فوقه:

تصافح من لاقيت لي ذا عداوةٍ ... صفاحاً وعني بين عينيك منزوي

أراك إذا لم أهو أمراً هويته ... ولست لما أهوى من الأمر بالهوي

أراك اجتويت الخير مني وأجتوي ... أذاك، فكل يجتوي قرب مجتوي

فليت كفافاً كان خيرك كله ... وشرك عني ما ارتوى الماء مرتوي

عدوك يخشى صولتي إن لقيته ... وأنت عدوي، ليس ذاك بمستوي

وكم موطنٍ لولاي صحت كما هوى ... بأجرامه من قلة النيق منهوي

إذا ما ابتنى المجد ابن عمك لم تعن ... وقلت ألا يا ليت بنيانه خوي

كأنك إن نال ابن عمك مغنما ... شجٍ أو عميد أو أخو غلة لوي

وما برحت نفس حسود حشيتها تذيبك حتى قيل هل أنت مكتوي
جمعت وفحشاً غيبةً ونميمةً ثلاث خصال لست عنهن نرعوي
ويدحو بك الداحي إلى كل سوءةٍ فيا شر من يدحو إلى شر مدحوي
بدا منك غش طالما قد كتمته كما كتمت داء ابنها أم مدوي

وهذا شعر إذا تأمله من له في العلم أدنى سهمٍ عرف أنه لا يدخل في مذهب طرفة ولا يقاربه .

صوت من المائة المختارة:

أبى القلب إلا أم عوفٍ وحبها عجوزاً، ومن يعشق عجوزاً يفند

كثوب يمانٍ قد تقادم عهده ورقعته ما شئت في العين واليد

الشعر لأبي الأسود الدؤلي والغناء لعلويه، ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة .

أخبار أبي الأسود الدؤلي ونسبه

نسبه: اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثة بن عدي بن الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، وهم إخوة قريش، لأن قريشاً مختلف في الموضع الذي افترقت فيه مع أبيها، فخصت بهذا الاسم دونهم، وأبعد من قال في ذلك مدى من زعم أن النضر بن كنانة منتهى نسب قريش، فأما النسابون منهم فيقولون إن من لم يلده فهر بن مالك بن النضر فليس قرشياً .

كان من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدثيهم: وكان أبو الأسود الدؤلي من وجوه التابعين وفقهاؤهم ومحدثيهم.

وقد روى عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، فأكثر وروى عن ابن عباس وغيره، واستعمله عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وكان من وجوه شيعة علي.

وذكر أبو عبيدة أنه أدرك أول الإسلام وشهد بدراً مع المسلمين . وما سمعت بذلك عن غيره .

وأخبرني عمي عن ابن أبي سعد عن محمد عبد الرحمن بن عبد الصمد السلمي عن أبي عبيدة مثله .

ولاه علي البصرة: واستعمله علي رضي الله عنه على البصرة بعد ابن عباس، وهو كان الأصل في بناء النحو وعقد أصوله .

كان أول من وضع النحو ورسم أصوله: أخبرنا أبو جعفر بن رستم الطبري النحوي بذلك عن أبي عثمان المازني عن أبي عمر الجرمي عن أبي الحسن الأخفش عن سيبويه عن الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي عن عنبسة الفيل وميمون الأقرن عن يحيى بن يعمر الليثي .

أن أبا الأسود الدؤلي دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت له: يا أبت ما أشدُّ الحر! رفعت أشد فظنها تسأله وتستفهم

منه: أي زمان الحر أشد؟ فقال لها: شهر ناجرٍ، يريد شهر صفر. الجاهلية كانت تسمى شهور السنة بهذه الأسماء . فقالت: يا أبت إنما أخبرتك و لم أسألك. فأتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم، وأوشك إن تطاول عليها زمان أن تضمحل، فقال له: وما ذلك؟ فأخبره خبر ابنته، فأمره فاشترى مصحفاً بدرهم، وأمل عليه: الكلام كله لا يخرج عن اسمٍ وفعلٍ وحرفٍ جاء لمعنى. وهذا القول أول كتاب سيبويه ، ثم رسم أصول النحو كلها، فنقلها النحويون وفرعوها. قال أبو الفرج الأصبهاني: هذا حفظته عن أبي جعفر وأنا حديث السن، فكتبته من حفظي، واللفظ يزيد وينقص وهذا معنى .

أمره زياد أن ينقط المصاحف فنقطها: أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني قال: أمر زياد أبا الأسود الدؤلي أن ينقط المصاحف، فنقطها ورسم من النحو رسوماً، ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليه في حدود العربية، ثم زاد بعده عنبسة بن معدان المهري، ثم جاء عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء فزادا فيه، ثم جاء الخليل بن أحمد الأزدي وكان صليبة فلحب الطريق . ونجم علي بن حمزة الكسائي مولى بني كاهلٍ من أسدٍ فرسم للكوفيين رسوماً هم الآن يعلمون عليها .

أخذ النحو عن علي بن أبي طالب: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال حدثنا التوزي والمهري قالا حدثنا كيسان بن المعروف الهجيمي أبو سليمان عن أبي سفيان بن العلاء عن جعفر بن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن أبيه قال: قيل لأبي الأسود: من أين لك هذا العلم؟ يعنون به النحو فقال: أخذت حدوده عن علي ابن أبي طالب عليه السلام .

خبره مع زياد في سبب وضع النحو: أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني عبيد الله بن محمد عن عبد الله بن شاكر العنبري عن يحيى بن آدم أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود قال:

أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي، جاء إلى زياد بالبصرة فقال له: أصلح الله الأمير، إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم، وتغيرت ألسنتهم، أفتأذن لي أن أضع لهم علماً يقيمون به كلامهم؟ قال: لا. قال: ثم جاء زياداً رجل فقال: مات أبانا وخلف بنون، فقال زياد مات أبانا وخلف بنون! ردوا علي أبا الأسود الدؤلي، فرد إليه، فقال: ضع للناس ما نهيتك عنه. فوضع لهم النحو. وقد روى هذا الحديث عن أبي بكر بن عياش يزيد بن مهران، فذكر أن هذه القصة كانت بين أبي الأسود وبين عبيد الله بن زياد .

أول باب وضعه في النحو باب التعجب: أخبرني أحمد بن العباس قال حدثنا العنزي عن أبي عثمان المازني عن الأخفش عن الخيل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبي إسحاق عن أبي حرب بن أبي الأسود قال: أول باب وضعه أبي من النحو باب التعجب .

كان معدوداً في طبقات من الناس وهو في كلها مقدم: وقال الجاحظ: أبو الأسود الدؤلي معدود في طبقات من الناس، وهو في كلها مقدم، مأثور عنه الفضل في جميعها؛ كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة والنحويين والحاضري الجواب والشيعة والبخلاء والصلع الأشراف والبخر

الأشراف .

حديثه عن عمر بن الخطاب: فما رواه من الحديث عن عمر مسنداً عن النبي صلى الله عليه وسلم، حدثنا حامد بن محمد ابن شعيب البلخي قال حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب قال حدثنا يونس بن محمد قال حدثنا داود بن أبي الفرات عن عبد الله بن أبي بريدة عن أبي الأسود الدؤلي قال: أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع فيها مرض فهم يموتون موتاً ذريعاً، فجلست إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فمرت به جنازة فأثني على صاحبها خير، فقال عمر رضي الله عنه: وجبت، ثم مر بأخرى فأثني على صاحبها بشر، فقال عمر: وجبت، فقال أبو الأسود: ما وجبت يا أمير المؤمنين؟ فقال: قلت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة " فقلنا: وثلاثة؟ قال " وثلاثة"، فقلنا: واثنان؟ قال " واثنان "، ثم لم نسأله عن الواحد .

حدثني حماد بن سعيد قال حدثنا أبو خيثمة قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي قتادة عن أبي الأسود الدؤلي قال: خطب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الناس يوم الجمعة فقال: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة حتى يأتي أمر الله جل وعز " .

حديثه عن علي بن أبي طالب: ومما رواه عن علي بن أبي طالب عليه السلام أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي قال حدثنا هناد بن السري قال حدثنا عبده بن سليمان عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن أبيه أبي الأسود الدؤلي عن علي كرم الله وجهه أنه قال في بول الجارية: يغسل، وفي بول الغلام: ينضح ما لم يأكلا الطعام .

تبع ابن عباس حين خرج من البصرة إلى المدينة ليرده فأبى: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا البغوي قال حدثنا علي بن الجعد قال حدثنا معلى ابن هلال عن الشعبي وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني جميعاً قالوا: لما خرج ابن عباس رضي الله عنهما إلى المدينة من البصرة تبعه أبو الأسود في قومه ليرده، فاعتصم عبد الله بأخواله من بني هلال فمنعوه، وكادت تكون بينهم حرب، فقال لهم بنو هلال: ننشدكم الله ألا تسفكوا بيننا دماء تبقى معها العداوة إلى آخر الأبد، وأمير المؤمنين أولى بابن عمه، فلا تدخلوا أنفسكم بينهما، فرجعت كنانة عنه، وكتب أبو الأسود إلى علي عليه السلام فأخبره بما جرى، فولاه البصرة .

كان كاتباً لابن عباس على البصرة: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي ووكيع وعمي قالوا جميعاً حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال حدثني خالد بن عبد الله قال حدثني أبو عبيدة معمر بن المثنى قال: كان أبو الأسود الدؤلي كاتباً لابن عباس على البصرة، وهو الذي يقول:

وإذا طلبت من الحوائج حاجةً ... فادع الإله وأحسن الأعمالا

فليعطينك ما أراد بقدرة ... فهو اللطيف لما أراد فعالا

إن العباد وشأنهم وأمورهم ... بيد الإله يقلب الأحوالا

فدع العباد ولا تكن بطلابهم لهجاً تضعضع للعباد سؤالا

كان يكثر الخروج والركوب في كبره وتعليله ذلك: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن محمد بن سلام قال: كان أبو الأسود الدؤلي قد أسن وكبر، وكان مع ذلك يركب إلى المسجد والسوق ويزور أصدقاءه، فقال له رجل: يا أبا الأسود، أراك تكثر الركوب وقد ضعفت عن الحركة وكبرت، ولو لزمت منزلك كان أودع لك. فقال له أبو الأسود: صدقت ولكن الركوب يشد أعضائي، وأسمع من أخبار الناس ما لا أسمعه في بيتي، وأستنشى الريح، وألقى إخواني، ولو جلست في بيتي لاغتم بي أهلي، وأنس بي الصبي، واجترأ علي الخادم، وكلمني من أهلي من يهاب كلامي، لإلفهم إياي، وجلوسهم عندي؛ حتى لعل العتر وأن تبول علي فلا يقول لها أحد: هس .

سأله بنو الديل المعاونة في دية رجل فأبى وعلل امتناعه: أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا أبو عكرمة قال: كان بين بني الدليل وبين بني ليث منازعة، فقتلت بنو الديل منهم رجلاً، ثم اصطلحوا بعد ذلك على أن يؤدوا ديته، فاجتمعوا إلى أبي الأسود يسألونه المعاونة على أدائها، وألح عليه غلام منهم ذو بيانٍ وعارضة، فقال له: يا أبا الأسود، أنت شيخ العشيرة وسيدهم، وما يمنعك من معاونتهم قلة ذات يدٍ ولا سؤددٍ ولا جود، فلما أكثر أقبل عليه أبو الأسود، ثم قال له: قد أكثرت يابن أخي فاسمع مني: إن الرجل والله ما يعطي إلا لإحدى خلالٍ: إما رجل أعطى ماله رجاء مكافأةٍ ممن يعطيه، أو رجل خاف على نفسه فوقاها بماله، أو رجل أراد وجه الله وما عنده في الدار الآخرة، أو رجل أحمق خدع عن ماله، ووالله ما أنتم إحدى هذه الطبقات، ولا جئتم في شيء من هذا، ولا عمك الرجل العاجز فينخدع لهؤلاء، ولما أفدتك إياه في عقلك خير لك من مال أبي الأسود لو وصل إلى بني الديل، قوموا إذا شئتم. فقاموا يبادرون الباب .

استهزأ به رجل فرد عليه فأفحمه وقال في ذلك شعراً: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كان طريق أبي الأسود الدؤلي إلى المسجد والسوق في بني تيم الله بن ثعلبة وكان فيهم رجل متفحش يكثر الاستهزاء بمن يمر به، فمر به أبو الأسود الدؤلي يوماً فقال لقومه: كأن وجه أبو الأسود وجه عجوزٍ راحت إلى أهلها بطلاقٍ، فضحك القوم، وأعرض عنهم أبو الأسود. ثم مر به مرة أخرى، فقال لهم: كأن غضون قفا أبي الأسود غضون الفقاح . فأقبل عليه أبو الأسود فقال له: هل تعرف فقحة أمك فيهن؟ فأفحمه، وضحك القوم منه، وقاموا إلى أبي الأسود، فاعتذروا إليه مما كان، ولم يعاوده الرجل بعد ذلك، وقال أبو الأسود بعد ذلك حين رجع إلى أهله:

وأهوج ملجاجٍ تصاممت قبله أن أسمعه وما بسمعي من باس

ولو شئت قد أعرضت حتى أصيبه على أنفه حدباء تعضل بالاسي

فإن لساني ليس أهون وقعةً وأصغر آثاراً من النحت بالفاس

وذي إحنةٍ لم يبدها غير أنه كذي الخبل تأبى نفسه غير وسواس
صفحت له صفحاً جميلاً كصفحه وعيني وما يدري عليه وأحراسي
وعندي له إن فار فوار صدره فما جبلي لا يعاوده الحاسي
وخبٍ لحوم الناس أكثر زاده كثير الخنا صعب المحالة هماس
تركت له لحمي وأبقيت لحمه لمن نابه من حاضر الجن والناس
فكر قليلاً ثم صد كأنما يعض بصم من صفا جبلٍ راسي

خبره مع أعرابي جاء يسأله: أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني قال: خرج أبو الأسود الدؤلي ومعه جماعة أصحابٍ له إلى الصيد، فجاءه أعرابي فقال له: السلام عليك. فقال له أبو الأسود: كلمة مقولة. قال: أدخل؟ قال: وراؤك أوسع لك. قال: إن الرمضاء قد أحرقت رجلي، قال: بل عليها أو ائت الجبل يفئ عليك. قال: هل عند شيء تطعمنيه؟ قال نأكل ونطعم العيال، فإن فضل شيء فأنت أحق به من الكلب، فقال الأعرابي: ما رأيت قط ألأم منك. قال أبو الأسود: بلى قد رأيت؛ ولكنك قد أنسيت .

خبره مع ابن أبي حمامة:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن المدائني بهذا الخبر فقال فيه: كان أبو الأسود جالساً في دهليزه وبين يديه رطب، فجاز به رجل من الأعراب يقال له ابن أبي الحمامة، فسلم ثم ذكر باقي الخبر، مثل الذي تقدمه، وزاد عليه فقال: أنا ابن أبي الحمامة. قال: كن ابن أبي طاووسة ، وانصرف. قال: أسألك بالله إلا أطعمتني مما تأكل، قال: فألقى إليه أبو الأسود ثلاث رطبات، فوقعت إحداهن في التراب، فأخذها يمسحها بثوبه، فقال له أبو الأسود: دعها فإن الذي تمسحها منه أنظف من الذي تمسحها به، فقال: إنما كرهت أن أدعها للشيطان، فقال له: لا والله ولا لجبريل وميكائيل تدعها .

خطب امرأة من عبد القيس فمنعها أهلها وزوجوها ابن عمها فقال أبو الأسود شعراً في ذلك: أخبرني محمد بن عمران الضبي الصيرفي قال حدثني الحسن بن عليل قال حدثنا محمد بن معاوية الأسدي قال ذكر الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال: خطب أبو الأسود الدؤلي امرأة من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد بن غنيم، فأسر أمرها إلى صديق له من الأزد يقال له الهيثم بن زياد، فحدث به ابن عم لها كان يخطبها وكان لها مال عند أهلها فمشى ابن عمها الخاطب لها إلى أهلها الذين مالها عندهم، فأخبرهم خبر أبي الأسود، وسألهم أن يمنعوها من نكاحه، ومن مالها الذي في أيديهم، ففعلوا ذلك، وضاروها حتى تزوجت بابن عمها، فقال أبو الأسود الدؤلي في ذلك:

لعمري لقد أفشيت يوماً فخانني إلى بعض من لم أخش سراً ممنعا
فمزقه مزق العمى وهو غافل ونادى بما أخفيت منه فأسمعا

فقلت ولم أفحش لعالك عاثراً وقد يعثر الساعي إذا كان مسرعا
ولست بجازيك الملامة إنني أرى العفو أدنى للرشاد وأوسعا
ولكن تعلم أنه عهد بيننا فبن غير مذموم ولكن مودعا
حديثاً أضعناه كلانا فلا أرى وأنت نجياً آخر الدهر أجمعا
وكنت إذا ضيعت سرك لم تجد سواك له إلا أشت وأضيعا

قال: وقال فيه:

أمنت امرأ في السر لم يك حازما ولكنه في النصح غير مريب
أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب
وكنت متى لم ترع سرك تلتبس قوارعه من مخطئ ومصيب
فما كل ذي نصح بمؤتيك نصحه وما كل مؤتٍ نصحه بلبيب
ولكن إذا ما استجمعا عند واحدٍ فحق له من طاعةٍ بنصيب

اشترى جارية حولاء فعابها أهله فمدحها في شعره: أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال: اشترى أبو الأسود جارية، فأعجبته وكانت حولاء فعابها أهله عنده بالحول، فقال في ذلك:

يعيبونها عندي ولا عيب عندها سوى أن في العينين بعض التأخر
فإن يك في العينين سوء فإنها مهفهفة الأعلى رداح المؤخر

تحاكم إليه ابنا عم وأحدهما صديق له فحكم على صديقه فقال في ذلك شعراً: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد الزدي قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال: كان لأبي الأسود الدؤلي صديق من بني تميم ثم من بني سعد يقال له مالك بن أصرم، وكانت بينه وبين ابن عمٍ له خصومة في دار له، وأنهما اجتمعا عند أبي الأسود فحكماه بينهما، فقال له خصم صديقه: إني بالذي بينك وبينه عارف، فلا يحملنك ها ذاك على أن تحيف علي في الحكم وكان صديق أبي الأسود ظالماً فقضى أبو الأسود على صديقه لخصمه بالحق، فقال له صديقه: والله ما بارك الله لي في صداقتك، ولا نفعني بعلمك وفقهك، ولقد قضيت علي بغير الحق، فقال أبو الأسود:

إذا كنت مظلوماً فلا تلف راضيا عن القوم حتى تأخذ النصف واغضب
وإن كنت أنت الظالم القوم فاطرح مقالتهم واشغب بهم كل مشغب
وقارب بذي جهل وباعد بعالم جلوبٍ عليك الحق من كل مجلب

فإن حدبوا فاقعس وإن هم تقاعسوا ليستمكنوا مما وراءك فاحدب

ولا تدعني للجور واصبر على التي بها كنت أقضي للبعيد على أبي

فإني امرؤ أخشى إلهي وأتقي معادي وقد جربت ما لم تجرب

كتب مستجدياً إلى نعيم بن مسعود فأجابه، وإلى الحصين فأبى الحر فرمى كتابه فقال في ذلك شعراً: كتب إلي أبو خليفة يذكر أن محمد بن سلام حدثه، وأخبرني محمد بن يحيى الصولي عن أبي ذكوان عن محمد بن سلام قال: وجه أبو الأسود الدؤلي إلى الحصين بن أبي الحر العنبري جد عبيد الله بن الحسن القاضي، وهو يلي بعض أعمال الخراج لزياد، وإلى نعيم بن مسعود النهشلي، وكان يلي مثل ذلك برسول، وكتب معه إليهما وأراد أن يبراه، ففعل ذلك نعيم بن مسعود، ورمى الحصين بن أبي الحر بكتاب أبي الأسود وراء ظهره، فعاد الرجل فأخبره، فقال أبو الأسود للحصين:

حسبت كتابي إذ أتاك تعرضاً لسيبك، لم يذهب رجائي هنالكا

وخبرني من كنت أرسلت أنما أخذت كتابي معرضاً بشمالكا

نظرت إلى عنوانه فنبذته كنبذك نعلاً أخلقت من نعالكا

نعيم بن مسعود أحق بما أتى وأنت بما تأتي حقيق بذلكا

يصيب وما يدري ويخطي وما درى وكيف يكون النوك إلا كذلكا

قال محمد بن سلام: فتقدم رجل إلى عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبي الحر وهو قاضي البصرة مع خصم له فخلط في قوله، فتمثل عبيد الله بقول أبي الأسود:

يصيب وما يدري ويخطي وما درى وكيف يكون النوك إلا كذلكا

فقال الرجل: إن رأى القاضي أن يدنيني منه لأقول شيئاً فعل. فقال له: ادن، فقال له: إن أحق الناس بستر هذا الشعر أنت، وقد علمت فيمن قيل، فتبسم عبيد الله وقال له: إني أرى فيك مصطنعاً فقم إلى منزلك، وقال لخصمه: رح إلي، فغرم له ما كان يطالب به .

أراد السفر إلى فارس في الشتاء فأبت عليه ابنته فقال في ذلك شعراً: أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن ابن عائشة قال: أراد أبو الأسود الدؤلي الخروج إلى فارس، فقالت له ابنته: يا أبت إنك قد كبرت، وهذا صميم الشتاء، فانتظر حتى ينصرم وتسلك الطريق آمناً، فإني أخشى عليك، فقال أبو الأسود:

إذا كنت معنياً بأمرٍ تريده فما للمضاء والتوكل من مثل

توكل وحمل أمرك الله إن ما تراد به آتيك فاقنع بذي الفضل

ولا تحسبن السير أقرب للردى ... من الخفض في دار المقامة والثمل
ولاتحسبيني يابنتي عز مذهبي ... بظنك، إن الظن يكذب ذا العقل
وإني ملاقٍ ما قضى الله فاصبري ... ولا تجعلي العلم المحقق كالجهل
وإنك لا تدرين: هل ما أخافه ... أبعدي يأتي في رحيلي أو قبلي ؟
وكم قد رأيت حاذراً متحفظا ... أصيب وألفته المنية في الأهل

خبره مع صديقه نسيب بن حميد وشعره في ذلك: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن إبراهيم العتكي قال حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال: كان لأبي الأسود صديق من بني سليم يقال له نسيب بن حميد، وكان ينشاه في منزله، ويتحدث إليه في المسجد، وكان كثيراً ما يحلف له أنه ليس بالبصرة أحد من قومه ولا من غيرهم آثر عنده منه، فرأى أبو الأسود يوماً معه مستقة مخملة أصبهانية من صوف، فقال له أبو الأسود: ما تصنع بهذه المستقة؟ فقال: أريد بيعها، فقال له أبو الأسود: انظر ما تبلغ فعرفنيه حتى أبعث به إليك، فإنها من حاجتي، قال: لا بل أكسوكها، فأبى أبو الأسود أن يقبلها إلا بثمنها، فبعث بها إلى السوق فقومت بمائتي درهم، فبعث إليه أبو الأسود بالدراهم، فردها وقال: لست أبيعها إلا بمائتين وخمسين درهماً، فقال أبو الأسود:

بعني نسيب ولا تثبني إنني ... لا أستثيب ولا أثيب الواهبا
إن العطية خير ما وجهتها ... وحسبتها حمداً وأجراً واجبا
ومن العطية ما يعود غرامةً ... وملامة تبقى ومناً كاذبا
وبلوت أخبار الرجال وفعلهم ... فملئت علماً منهم وتجاربا
فأخذت منهم ما رضيت بأخذه ... وتركت عمداً ما هنالك جانبا

فإذا وعدت الوعد كنت كغارمٍ ... ديناً أقر به وأحضر كاتبا
حتى أنفذه على ما قلته ... وكفى علي به لنفسي طالبا
وإذا فعلت فعلت غير محاسب ... وكفى بربك جازياً ومحاسبا
وإذا منعت منعت منعاً بينا ... وأرحت من طول العناء الراغبا
لا أشتري الحمد القليل بقاؤه ... يوماً بذم الدهر أجمع واصبا

ضرط في مجلس معاوية فطلب منه أن يسترها عليه، فوعده، ولكنه لم يفعل: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد الرازي ومحمد بن العباس اليزيدي وعمي قالوا حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: زعم أبو بكر الهذلي أن أبا الأسود الدؤلي كان يحدث معاوية يوماً فتحرك فضرط، فقال لمعاوية: استرها علي، فقال: نعم، فلما

خرج حدث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان ابن الحكم، فلما غدا عليه أبو الأسود قال عمرو: ما فعلت ضرطتك يا أبا الأسود بالأمس؟ قال: ذهبت كما تذهب الريح مقبلةً ومدبرةً، من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها، وكل أجوف ضروط، ثم أقبل على معاوية فقال: إن امرأ ضعفت أمانته ومروءته عن كتمان ضرطة لحقيق بألا يؤمن على أمور المسلمين .

تزوج امرأة برزة فخانته وأفشت سره، فطلقها وقال في ذلك شعراً: أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال: كان أبو الأسود يجلس إلى فناء امرأة بالبصرة فيتحدث إليها، وكانت برزة جميلة، فقالت له: يا أبا الأسود، هل لك في أن أتزوجك؟ فإني صناع الكف، حسنة التدبير، قانعة باليسور، قال: نعم، فجمعت أهلها فتزوجته، فوجد عندها خلاف ما قدره، وأسرعت في ماله، ومدت يدها إلى خيانته، وأفشت سره، فغدا على من كان حضر تزويجه إياها، فسالهم أن يجتمعوا عنده ففعلوا، فقال لهم:

أريت أمراً كنت لم أبله ... أتاني فقال اتخذني خليلا

فخاللته ثم أكرمته ... فلم أستفد من له فتيلا

وألفيته حين جربته ... كذوب الحديث سروقاً بخيلا

فذكرته ثم عاتبته ... عتاباً رفيقاً وقولاً جميلا

فألفيته غير مستعتبٍ ... ولا ذاكر الله إلا قليلا

ألست حقيقاً بتوديعه ... وإتباع ذلك صرماً طويلا ؟

فقالوا: بلى والله يا أبا الأسود! قال: تلك صاحبتكم، وقد طلقتها لكم، وأنا أحب أن أستر ما أنكرته من أمرها، فانصرفت معهم .

أنكر عليه معاوية بخره فرد عليه: حدثنا اليزيدي قال حدثنا البغوي قال حدثنا العمري قال: كان أبو الأسود أبخر، فسار معاوية يوماً بشيء فأصغى إليه ممسكاً بكمه على أنفه، فنحى أبو الأسود يده عن أنفه، وقال: لا والله لا تسود حتى تصبر على سرار المشايخ البخر .

عابه زياد عند علي فقال في ذلك شعراً: أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال: حدثنا محمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام استعمل أبا الأسود على البصرة، واستكتب زياد بن أبيه على الديوان والخراج، فجعل زياد يسبع أبا الأسود عند علي ويقع فيه ويغي عليه، فلما بلغ ذلك أبا الأسود عنه قال فيه:

رأيت زياداً ينتحيني بشره ... وأعرض عنه وهو بادٍ مقاتله

وكل امرئ، والله بالناس عالم ... له عادة قامت عليها شمائله

تعودها فيما مضى من شبابه كذلك يدعو كل أمرٍ أوائله
ويعجبه صفحي له وتجملي وذو الجهل يحذو الجهل من لا يعاجله
فقلت له دعني وشأني إننا كلانا عليه معمل هو عامله
فلولا الذي قد يرتجى من رجائه لجربت مني بعض ما أنت جاهله
لجربت أني أمنح الغي من غوى علي وأجزي ما جزى وأطاوله

وقال لزياد أيضاً في ذلك:

نبئت أن زياداً ظل يشتمني والقول يكتب عند الله والعمل
وقد لقيت زياداً ثم قلت له وقبل ذلك ما خبت به الرسل
حتام تسرقني في كل مجمعة عرضي، وأنت ما شئت منتقل

كل امرئ صائر يوماً لشيمته في كل منزلة يبلى بها الرجل

قال: فلما ادعى معاوية زياداً وولاه العراق كان أبو الأسود يأتيه فيسأله حوائجه، فربما قضاها وربما منعها لما يعلمه من رأيه وهواه في علي بن أبي طالب عليه السلام، وما كان بينهما في تلك الأيام وهما عاملان، فكان أبو الأسود يترضاه ويداريه ما استطاع ويقول في ذلك:

رأيت زياداً صد عني وجهه ولم يك مردوداً عن الخير سائله
ينفذ حاجات الرجال، وحاجتي كداء الجوى في جوفه لا يزايله
فلا أنا ناسٍ ما نسيت فآيس ولا أنا راءٍ ما رأيت ففاعله
وفي اليأس حزم للبيب وراحة من الأمر لا ينسى ولا للمرء نائله

أكرمه عبد الرحمن بن أبي بكرة وأفضل عليه فقال يمدحه: وقال المدائني: نظر عبد الرحمن بن أبي بكرة إلى أبي الأسود في حالٍ رثة فبعث إليه بدنانير وثياب، وسأله أن ينبسط إليه في حوائجه ويستمحنه إذا أضاق ، فقال أبو الأسود يمدحه:

أبو بحرٍ أمن الناس طراً علينا بعد حي أبي المغيره
لقد أبقى لنا الحدثان منه أخا ثقةٍ منافعه كثيره
قريب الخير سهلاً غير وعرٍ وبعض الخير تمنعه الوعوره
بصرت بأننا أصحاب حق ندل به وإخوان وجيره

وأهل مضيعةٍ فوجدت خيرا ... من الخلان فينا والعشيره
وإنك قد علمت وكل نفسٍ ... ترى صفحاتها ولها سريره
لذو قلبٍ بذي القربى رحيم ... وذو عين بما بلغت بصيره
لعمرك ما حباك الله نفساً ... بها جشع ولا نفساً شريره
ولكن أنت لا شرس غليظ ... ولا هشم تنازعه خئوره
كأنا إذا أتيناه نزلنا ... بجانب روضةٍ ريا مطيره

كان عبيد الله بن زياد يماطله في قضاء حاجاته فعاتبه في ذلك: قال المدائني: وكان أبو الأسود يدخل على عبيد الله بن زياد، فيشكو إليه أن عليه ديناً لا يجد إلى قضائه سبيلاً، فيقول له: إذا كان غد فارفع إلي حاجتك فإني أحب قضاءها، فيدخل إليه من غد، فيذكر له أمره ووعده فيتغافل عنه، ثم يعاوده فلا يصنع في أمره شيئاً، فقال فيه أبو الأسود:

دعاني أميري كي أفوه بحاجتي ... فقلت فما رد الجواب ولا استمع
فقمت ولم أحسس بشيء ولم أصن ... كلامي وخير القول ما صين أو نفع
وأجمعت يأساً لا لبانة بعده ... ولليأس أدنى للعفاف من الطمع

سأله رجل فمنعه فأنكر عليه فاحتج ببيت لحاتم: أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال حدثني ابن عائشة قال: سأل رجل أبا الأسود شيئاً فمنعه، فقال له: يا أبا الأسود ما أصبحت حاتمياً؟ قال: بلى قد أصبحت حاتمياً من حيث لا تدري، أليس حاتم الذي يقول:

أماوي إما مانع فمبين ... وإما عطاء لا ينهنهه الزجر

شعره في جار له كان يحسده ويذمه: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابن عائشة قال: كان لأبي الأسود جار يحسده وتبلغه عنه قوارص، فلما باع أبو الأسود داره في بني الديل وانتقل إلى هذيل، قال جار أبي الأسود لبعض جيرانه من هذيل: هل يسقيكم أبو الأسود من ألبان لقاحه؟ وكانت لا تزال عنده لقحه أو لقحتان، وكان جاره هذا يصيب من الشراب، فبلغ أبا الأسود قوله، فقال فيه:

إن امرأً نبئته من صديقنا ... يسائل هل أسقي من اللبن الجارا ؟
وإني لأسقي الجار في قعر بيته ... وأشرب ما لا إثم فيه ولا عارا
شراباً حلالاً يترك المرء صاحياً ... ولا يتولى يقلس الإثم والعارا

قصد صديقه حوثرة بن سليم فأعرض عنه فهجاه: أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني قال: كان لأبي الأسود صديق من بني قيس بن ثعلبة يقال له حوثرة بن سليم، فاستعمله

عبيد الله ابن زياد على جي وأصبهان، وكان أبو الأسود بفارس، فلما بلغه خبره أتاه فلم يجد عنده ما يقدره، وجفاه حوثرة؛ فقال فيه أبوالأسود وفارقه:

تروحت من رستاق جيٍ عشية ... وخلفت في رستاق جيٍ أخاً لكا
أخاً لك إن طال التنائي وجدته ... نسياً وإن طال التعاشر ملكا
ولو كنت سيفاً يعجب الناس حده ... وكنت له يوماً من الدهر فلكا
ولو كنت أهدى الناس ثم صحبته ... وطاوعته ضل الهوى وأضلكا
إذا جئته تبغي الهدى خالف الهدى ... وإن جرت عن باب الغواية دلكا

ساومه جار له في شراء لقحة وعابها فأبى عليه وقال في ذلك شعراً: قال المدائني: وكان لأبي الأسود جار، يقال له وثاق من خزاعة، وكان يحب اتخاذ اللقاح ويغالي بها ويصفها، فأتى أبا الأسود وعنده لقحة غزيرة يقال لها: الصفوف فقال له: يا أبا الأسود ما بلقحتك بأس لولا عيب كذا وكذا، فهل لك في بيعها؟ فقال أبو الأسود: على ما تذكر فيها من العيب؟ فقال: إني أغتفر ذلك لها لما أرجوه من غزارتها، فقال له أبو الأسود: بئست الخلتان فيك، الحرص والخداع، أنا لعيب مالي أشد اغتفاراً؛ وقال أبو الأسود فيه:

يريد وثاق ناقتي ويعيبها ... يخادعني عنها وثاق بن جابر
فقلت تعلم يا وثاق بأنها ... عليك حمىً أخرى الليالي الغوابر
بصرت بها كوماء حوساء جلدةً ... من المولیات الهام حد الظواهر
فحاولت خدعي والظنون كواذب ... وكم طامع في خدعتي غير ظافر

ساومه رجل من سدوس في لقحة له وعابها فأبى عليه بيعها وقال في ذلك شعراً: قال: وكانت له لقحة أخرى يقال لها الطيفاء، وكان يقول: ما ملكت مالاً قط أحب إلي منها، فأتاه فيها رجل من بني سدوس يقال له أوس بن عامر، فجعل يماكر أبا الأسود ويعيبها، فألفاه بها بصيراً وفيها منافساً، فبذل له فيها ثمناً وافياً، فأبى أن يبيعه وقال فيه:

أتاني في الطيفاء أوس بن عامر ... ليخدعني عنها بجن ضراسها
فسام قليلاً ناسئاً غير ناجز ... وأحصر نفساً وانتهى بمكاسها
فأقسم لو أعطيت ما سمت مثله ... وضعفاً له لما غدوت براسها
أغرك منها ان نحرت حوارها ... لجيران أم السكن يوم نفاسها
فولى ولم يطمع وفي النفس حاجة ... يرددها مردودةً بإياسها

جوابه لسائل ملحف: أخبرنا اليزيدي قال حدثنا عيسى عن ابن عائشة والأصمعي: أن رجلاً سأل أبا الأسود الدؤلي فرده فألح عليه، فقال له أبي الأسود: ليس للسائل الملحف مثل الرد الجامس. قال: يعني بالجامس الجامد . خطب امرأة من بني حنيفة فعارضه ابن عم لها فقال في ذلك شعراً: وقال المدائني: خطب أبو الأسود امرأة من بني حنيفة وكان قد رآها فأعجبته فأجابته إلى ذلك وأذنت له في الدخول إليها، فدخل دارها فخاطبها بما أراد، فلما خرج لقيه ابن عم لها قد كان خطبها على أخيه، فقال له: ما تصنع ها هنا؟ فأخبره بخطبته المرأة، فنهاه عن التعرض لها، ووضع عليها أرصاداً، فكان أبو الأسود ربما مر بهم واجتاز بقبيلتهم، فدسوا عليه رجلاً يوبخه في كل محفل يراه فيه، ففعل، وأتاه وهو في نادي قومه فقال له: يا أبا الأسود، أنت رجل شريف، ولك سن وخطر وعرض، ما أرضى لك أن تلم بفلانة، وليست لك بزوجةٍ ولا قرابةً، فإن أهلها قد أنكروا ذلك وتشكوه، فإما أن تتزوجها أو تضرب عنها، فقال له أبو الأسود:

لقد جد في سلمى الشكاة وللذي ... يقولون لو يبدو لك الرشد أرشد

يقولون لا تمذل بعرضك واصطنع ... معادك إن اليوم يتبعه غد

وإياك والقوم الغضاب فإنهم ... بكل طريق حولهم تترصد

تلام وتلحى كل يوم ولا ترى ... على اللوم إلا حولها تتردد!

أفادتكها العين الصموح وقد ترى ... لك العين ما لاتستطيع لك اليد

وقال أبو الأسود:

دعوا آل سلمى ظنتي وتعنتي ... وما زل مني، إن ما فات فائت

ولا تهلكوني بالملامة إنما ... نطقت قليلاً ثم إني لساكت

سأسكت حتى تحبسوني أنني ... من الجهد في مرضاكم متماوت

ألم يكفكم أن قد منعتم بيوتكم ... كما منع الغيل الأسود النواهت

تصيبون عرضي كل يوم كما علا ... نشيط بفأسٍ معدن البرم ناحت

جفاه ابن عامر لهواه في علي بن أبي طالب فقال في ذلك شعراً: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثني عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عدي عن مجالد ابن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال: كان ابن عباس يكرم أبا الأسود الدؤلي لما كان عاملاً لعلي بن أبي طالب عليه السلام على البصرة ويقضي حوائجه، فلما ولي ابن عامرٍ جفاه وأبعده ومنعه حوائجه لما كان يعلمه من هواه في علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال فيه أبو الأسود:

ذكرت ابن عباس بباب ابن عامر ... وما مر من عيشي ذكرت وما فضل

أميرين كان صاحبي كلاهما فكل جزاه الله عني بما أفعل

فإن كان شراً كان شراً جزاؤه وإن كان خيراً كان خيرا إذا عدل

كان لابنه صديق من باهله فكره صداقته له: أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الخزامي قال حدثنا محمد بن فليح بن سليمان عن موسى بن عقبة قال قال أبو الأسود الدؤلي لابنه أبي حرب وكان له صديق من باهله يكثر من زيارته فكان أبو الأسود يكرهه ويستريب منه:

أحبب إذا أحببت حباً مقاربا فإنك لا تدري متى أنت نازع

وأبغض إذا بغضت بغضاً مقاربا فإنك لا تدري متى أنت راجع

وكن معدناً للحلم واصفح عن الخنا فإنك راءٍ ما عملت وسامع

آذاه جار له فباع داره واشترى داراً في هذيل وقال في ذلك شعراً: وقال المدائني حدثني أبو بكر الهذلي قال: كان لأبي الأسود جار من بني حليس بن يعمر بن نفاثة بن عدي بن الديل، من رهطه دنيةً ومنزل أبي الأسود يومئذ في بني الديل فأولع جاره برميه بالحجارة كلما أمسى، فيؤذيه. فشكا أبوالأسود ذلك إلى قومه وغيرهم، فكلموه ولاموه، فكان ما اعتذر به إليهم أن قال: لست أرميه، وإنما يرميه الله لقطعه الرحم وسرعته في الظلم في بخله بماله، فقال أبو الأسود: والله ما أجاور رجلاً يقطع رحمي ويكذب على ربي. فباع داره واشترى داراً في هذيل، فقيل له: يا أبا الأسود، أبعت دارك! قال: لم أبع داري، ولكن بعت جاري، فأرسلها مثلاً وقال في ذلك:

رماني جاري ظالماً برمية فقلت له مهلاً فأنكر ما أتى

وقال الذي يرميك ربك جازياً بذنبك، والحوبات تعقب ما ترى

فقلت له لو أن ربي برمية رماني لما أخطأ إلهي ما رمى

جزى الله شراً كل من نال سوءة وينحل فيها ربه الشر والأذى

وقال فيه أيضاً:

لحى الله مولى السوء لا أنت راغب إليه ولا رامٍ به من تحاربه

وما قرب مولى السوء إلا كبعده بل البعد خير من عدو تصاقبه

وقال فيه أيضاً:

وإني لتثنيني عن الشتم والخنا وعن سب ذي القربى خلائق أربع

حياء وإسلام ولطف وأنني كريم، ومثلي قد يضر وينفع

فإن أعف يوماً عن ذنوب أتيتها فإن العصا كانت لمثلي تقرع

وشتان ما بين وبينك إنني على كل حال أستقيم وتظلع

قصته مع جار له آذاه، وشعره في ذلك: أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني الرياشي عن العتبي قال: كان لأبي الأسود جار في ظهر داره له باب إلى قبيلة أخرى، وكان بين دار أبي الأسود وبين داره باب مفتوح يخرج منه كل واحد منهما إلى قبيلة صاحبه إذا أرادها، وكان الرجل ابن عم أبي الأسود دنيةً، وكان شرساً سيء الخلق، فأراد سد ذلك الباب، فقال له قومه: لا تفعل فتضر بأبي الأسود وهو شيخ، وليس عليك في هذا الباب ضرر ولا مؤنة، فأبى إلا سده، ثم ندم على ذلك لأنه أضر به، فكان إذا أراد سلوك الطريق التي كان يسلكها منه بعد عليه، فعزم على فتحه، وبلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه وقال فيه: صوت:

بليت بصاحبٍ إن أدن شبرا يزدني في مباعدةٍ ذراعا
وإن أمدد له في الوصل ذرعي يزدني فوق قيس الذرع باعا
أبت نفسي له إلا اتباعا وتأبى نفسه إلا امتناعا

كلانا جاهد أدنو وينأى فذلك ما استطعت وما استطاعا

الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم ثقيل أول بالبنصر، وفيه لعريب خفيف رملٍ. ولعلويه لحن غير منسوب. قال: وقال أبو الأسود أيضاً في ذلك:

لنا جيرة سدوا المجازة بيننا فإن أذكروك السد فالسد أكيس
ومن خير ما ألصقت بالجار حائط تزل به سفع الخطاطيف أملس

وقال أيضاً في ذلك:

أخطأت حين صرمتني والمرء يعجز لا محاله
والعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقاله

نزل في بني قشير فآذوه فقال فيهم شعراً: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي عن ابن عائشة عن أبيه وأخبرني به محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم البزي قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي عن ابن عائشة و لم يقل عن أبيه قال: كان أبو السود الدؤلي نازلاً في بني قشير، وكانت بنو قشير عثمانية، وكانت امرأته أم عوف منهم، فكانوا يؤذونه ويسبونه وينالون من علي عليه السلام بحضرته ليغيظوه به، ويرمونه بالليل، فإذا أصبح قال لهم: يا بني قشير، أي جوارٍ هذا! فيقولون له: لم نرمك إنما رماك الله لسوء مذهبك وقبح دينك، فقال في ذلك:

يقول الأرذلون بنو قشير طوال الدهر لا تنسى عليا!

فقلت لهم: وكيف يكون تركي ... من الأعمال مفروضا عليا ؟
أحب محمداً حباً شديدا ... وعباساً وحمزة والوصيا
بني عم النبي وأقربيه ... أحب الناس كلهم إليا
فإن يك حبهم رشداً أصبه ... ولست بمخطئ إن كان غيا
هم أهل النصيحة غير شك ... وأهل مودتي ما دمت حيا
هوى أعطيت لما استدارت ... رحى الإسلام لم يعدل سويا
أحبهم لحب الله حتى ... أجيء إذا بعث على هويا
رأيت الله خالق كل شيءٍ ... هداهم واجتبى منهم نبيا
ولم يخصص بها أحداً سواهم ... هنيئاً ما اصطفاه لهم مريا

قال: فقالت له بنو قشير: شككت يا أبا في صاحبك حيث تقول:

فإن يك حبهم رشداً أصبه

فقال: أما سمعتم قول الله عز وجل: " وإنا أو إياكم هدىً أو في ضلالٍ مبين " أفترى الله عز وجل شك في نبيه! وقد روي أن معاوية قال هذه المقالة، فأجابه بهذا الجواب .

تحكم معاوية به فأجابه بشعره: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو عثمان الأشناندانى عن الأخفش عن أبي عمر الجرمي قال: دخل أبو الأسود الدؤلي على معاوية، فقال له: لقد أصبحت جميلاً يا أبا الأسود، فلو علقت تميمة تنفى عنك العين! فقال أبو الأسود:

أفنى الشباب الذي فارقت جدته ... كر الجديدين من آتٍ ومنطلق
لم يتركا لي في طول اختلافهما ... شيئاً تخاف عليه لذعة الحدق

خبره مع فتى دعاه أن يأكل معه فأتى على طعامه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحارث بن محمد قال قال حدثنا المدائني عن علي بن سليمان قال: كان أبو الأسود على باب داره دكان يجلس عليه، مرتفع عن الأرض على قدر صدر الرجل، فكان يوضع بين يديه خوان على قدر الدكان، فإذا مر به مار فدعاه إلى الأكل لم يجد موضعاً يجلس فيه، فمر به ذات يوم فتى فدعاه إلى الغداء، فأقبل فتناول الخوان فوضعه أسفل، ثم قال له: يا أبا الأسود، إن عزمت على الغداء فانزل، وجعل يأكل وأبو الأسود ينظر إليه مغتاظاً حتى أتى على الطعام، فقال له أبو الأسود: ما اسمك يا فتى؟ قال: لقمان الحكيم، قال: لقد أصاب أهلك حقيقة اسمك .

قال المدائني: وبلغني أن رجلاً دعاه أبو الأسود الدؤلي إلى طعامه وهو على هذا الدكان، فمد يده ليأكل، فشب به فرسه فسقط عنه فوقص .

كان أبو الجارود صديقاً له فلما ولى ولاية جفاه فقال فيه شعراً: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: كان أبو الجارود سالم بن سلمة بن نوفل الهذلي صديقاً لأبي الأسود، يهاديه الشعر، ويجيب كل واحدٍ منهما صاحبه، ويتعاشران ويتزاوران، فولي أبو الجارود ولاية، فجفا أبو الأسود وقطعه، و لم يبدأه بالمكاتبة ولا أجابه عنها، فقال فيه أبو الأسود:

أبلغ أبا الجارود عني رسالة ... يروح بها الغادي لربعك أو يغدو

فيخبرنا ما بال صرمك بعد ما ... رضيت وما غيرت من خلق بعد

أأن نلت خيراً سرني أن تناله ... تنكرت حتى قلت ذو لبدةٍ ورد ؟

فعيناك عيناه وصوتك صوته ... تمثله لي غير أنك لا تعدو

لئن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا ... لقد جعلت أشراط أوله تبدو

فإني إذا ما صاحب رث وصله ... وأعرض عني قل مني له الوجد

خبره مع الحارث بن خليد وشعره فيه: قال المدائني: كان لأبي الأسود صديق يقال له الحارث بن خليد، وكان في شرف من العطاء، فقال لأبي الأسود: ما يمنعك من طلب الديوان؟ فإن فيه غنىً وخيراً، فقال له أبو الأسود: قد أغناني الله عنه بالقناعة والتجمل، فقال: كلا، ولكنك تتركه إقامةً على محبة ابن أبي طالب وبغض هؤلاء القوم. وزاد الكلام بينهما، حأتى أغلظ له الحارث بن خليد، فهجره أبو الأسود، وندم الحارث على ما فرط منه، فسأل عشيرته أن تصلح بينهما، فأتوا أبا الأسود في ذلك وقالوا له: قد اعتذر إليك الحارث مما فرط منه وهو رجل حديد ، فقال أبو الأسود في ذلك:

لنا صاحب لا كليل اللسان ... فيصمت عنا و لا صارم

وشر الرجال على أهله ... وأصحابه الحمق العارم

وقال فيه:

إذا كان شيء بيننا قيل إنه ... حديد فخالف جهله وترفق

شننئت من الأصحاب من لست بارحاً ... أداماله دمل السقاء المخرق

كتب إلى الحصين كتاباً فتهاون به فقال فيه شعر: وقال المدائني: ولى عبيد الله بن زياد الحصين بن أبي الحر العنبري ميسان، فدامت ولايته إياها خمس سنين، فكتب إليه أبو الأسود كتاباً يتصدى فيه لرفده، فتهاون به و لم ينظر فيه، فرجع إليه رسوله فأخبره بفعله فقال فيه:

ألا أبلغا عني حصينا رسالةً ... فإنك قد قطعت أخرى خلالكا

فلو كنت إذ1 أصبحت للخرج عاملا ... بميسان تعطي من غير مالكا

سألتك أو عرضت بالود بيننا لقد كان حقاً واجباً بعض ذلكا
وخبرني من كنت أرسلت أنما أخذت كتابي معرضاً بشمالكا
نظرت إلى عنوانه ونبذته كنبذك نعلاً أخلقت من نعالكا
حسبت كتابي إذ أتاك تعرضاً لسيبك، لم يذهب رجائي هنالكا
يصيب وما يدري ويخطي وما درى وكيف يكون النوك إلا كذلكا

فبلغت أبيات أبي الأسود حصيناً، فغضب وقال: ما ظننت منزلة أبي الأسود بلغت ما يتعاطاه من مساءتنا وتوعدنا وتوبيخنا، فبلغ ذلك أبا الأسود فقال فيه:

أبلغ حصينا إذا جئته نصيحة ذي الرأي للمجتنيها
فلا تك مثل التي استخرجت بأظلافها مديةً أو بفيها
فقام إليها بها ذابح ومن تدع يوماً شعوب يجيها
فظلت بأوصالها قدرها تحش الوليدة أو تشتويها
وإن تأب نصحي ولا تنتهي ولم تر قولي بنصحٍ شبيها
أجرعك صابا وكان المرا ر والصاب قدماً شرابا كريها

خبره مع معاوية بن صعصعة وشعره في ذلك: وقال خالد بن كلثوم: كان معاوية بن صعصعة يلقى أبا الأسود كثيراً فيحادثه ويظهر له المودة، وكانت تبلغه عنه قوارص فيذكرها له فيجحدها أو يحلف أنه لم يفعل، ثم يعاود ذلك، فقال فيه أبو الأسود:

ولي صاحب قد رابني أو ظلمته كذلك ما الخصمان بر وفاجر
وإني امرؤ عندي وعمداً أقوله لآتي ما يأتي امرؤ وهو خابر
لسانان معسول عليه حلاوة وآخر مسموم عليه الشراشر
فقلت ولم أبخل عليه نصيحتي وللمرء ناهٍ لا يلام وزاجر
إذا أنت حاولت البراءة فاجتنب عواقب قول تعتريه المعاذر
فكم شاعرٍ أرداه أن قال قائل له في اعتراض القول إنك شاعر
عطفت عليه عطفة فتركته لما كان يرضى قبلها وهو حافر

بقافية حذاء سهلٍ رويها وللقول أبواب ترى ومحاضر

تعزى بها من نومه وهو ناعس إذ انتصف الليل المكل المسافر

إذا ما قضاها عاد فيها كأنه للذته سكران أو متساكر

شعره في عبد الله بن عامر وكان مكرماً له ثم جفاه لتشيعه: أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني العمري عن العتبي قال: كان عبد الله بن عامر مكرماً لأبي الأسود ثم جفاه لما كان عليه من التشيع فقال فيه أبو الأسود:

ألم تر ما بيني وبين ابن عامر من الود قد بالت عليه الثعالب

وأصبح باقي الود بيني وبينه كأن لم يكن، والدهر فيه عجائب

إذا المرء لم يحببك إلا تكرهاً بدا لك من أخلاقه ما يغالب

فللنأي خير من مقامٍ على أذى ولا خير فيما يستقل المعاتب

قصته مع زوجتيه القشيرية والقيسية وشعره في ذلك: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عبيد الله بن محمد قال حدثنا ابن النطاح قال ذكر الحرمازي عن رجل من بني الديل قال: كانت لأبي الأسود الدؤلي امرأة من بني قشير وامرأة من عبد القيس، فأسن وضعف عما يطيقه الشباب من أمر النساء، فأما القشيرية فكانت أقدمهما عنده وأسنهما، فكانت موافقة له صابرة عليه، وهي أم عوف القشيرية التي يقول فيها:

أبى القلب إلا أم عوف وحبها عجوزاً ومن يحب عجوزاً يفند

كسحق يمانٍ قد تقادم عهده ورقعته ما شئت في العين واليد

وأما الأخرى التي من عبد القيس فهي فاطمة بنت دعمي وكانت أشبهما وأجملهما فالتوت عليه لما أسن، وتنكرت له وساءت عشرتها، فقال فيها أبو الأسود:

تعاتبني عرسي على أن أطيعها قد كذبتها نفسها ما تمنيت

وظنت بأني كل ما رضيت به رضيت به، يا جهلها كيف ظنت !

وصاحبتها ما لو صحبت بمثله على ذعرها أروية لاطمأنت

وقد غرها مني على الشيب والبلى جنوني بها، جنت حيالي وحنت

يقال: جن وحن، وهو من التباع كما يقال: حسن بسن

ولا ذنب لي قد قلت في بدء أمرنا ولو علمت ما علمت ما تعنت

تشكى إلى جاراتها وبناتها إذا لم تجد ذنباً علينا تجنت

ألم تعلمي أني إذا خفت جفوة بمنزلةٍ أبعدت منها مطيتي

وأني إذا شقت علي حليلتي ذهلت ولم أحنن إذا هي حنت

وفيها يقول:

أفاطم مهلاً بعض هذا التعبس ... وإن كان منك الجد فالصرم موئسي
تشتم لي لما رأتني أحبها ... كذى نعمة لم يبدها غير أبؤس
فإن تنقضي العهد الذي كان بيننا ... وتلوى به في ودك المتحلس
فإني فلا يغررك مني تجملي ... لأسلى البعاد بالبعاد المكنس
وأعلم أن الأرض فيها منادح ... لمن كان لم تسدد عليه بمحبس
وكنت امرأً لا صحبة السوء أرتجي ... ولا أنا نوام بغير معرس

أرسل غلامه يشتري له جارية فأخذها لنفسه فقال شعراً في ذلك: وقال المدائني: كان لأبي الأسود الدؤلي مولى يقال له نافع ويكنى أبا الصباح، فذكرت لأبي الأسود جارية تباع، فركب فنظر إليها فأعجبته، فأرسل نافعاً يشتريها له فاشتراها لنفسه وغدر بأبي الأسود، فقال في ذلك:

إذا كنت تبغي للأمانة حاملاً ... فدع نافعاً وانظر لها من يطيقها
فإن الفتى خب كذوب وإنه ... له نفس سوء يحتويها صديقها
متى يخل يوماً وحده بأمانة ... تغل جميعاً أو يغل فريقها
على أنه أبقى الرجال سمانة ... كما كل مسمان الكلاب سروقها

خطبته في موت علي بن أبي طالب: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثني عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد المدائني عن أبي بكر الهذلي قال:

أتى أبا الأسود الدؤلي نعي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبيعة الحسن عليه السلام، فقام على المنبر فخطب الناس ونعى علياً عليه السلام فقال في خطبته: وإن رجلاً من أعداء الله المارقة عن دينه، اغتال أمير المؤمنين علياً كرم الله وجهه ومثواه في مسجد وهو خارج لتهجده في ليلة يرجى فيها مصادفة ليلة القدر فقتله، فيالله هو من قتيل! وأكرم به وبمقتله وروحه من روح عرجت إلى الله تعالى بالبر والتقى والإيمان والإحسان! لقد أطفأ منه نور الله في أرضه لا يبين بعده أبداً، وهدم ركناً من أركان الله تعالى لا يشاد مثله؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله نحتسب مصيبتنا بأمير المؤمنين، وعليه السلام ورحمة الله يوم ولد ويوم قتل ويوم يبعث حياً. ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه، ثم قال: وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه، وإني لأرجو أن يجبر الله عز وجل به ما وهى، ويسد به ما انثلم، ويجمع به الشمل، ويطفئ به نيران الفتنة، فبايعوه ترشدوا .

كتب إليه معاوية يدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة فقال شعراً يرثي فيه علي بن أبي طالب: فبايعت الشيعة كلها،

وتوقف ناس ممن كان يرى رأي العثمانية و لم يظهروا أنفسهم بذلك، وهربوا إلى معاوية، فكتب إليه معاوية ودس إليه يعلمه أن الحسن عليه السلام قد راسله في الصلح، ويدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة، ويعده ويمنيه؛ فقال أبو الأسود:

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فلا قرت عيون الشامتينا

أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طراً أجمعينا

قتلتم خير من ركب المطايا ... وخيسها ومن ركب السفينا

ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثاني والمئينا

إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت الدر راق الناظرينا

لقد علمت قريش حيث حلت ... بأنك خيرها حسباً ودينا

لزم ابنه المترل فحثه على العمل والسعي في طلب الرزق: أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي عن الهيثم بن عدي عن أبي عبيدة قال: كان أبو حرب بن أبي الأسود قد لزم مترل أبيه بالبصرة لا ينتجع أرضاً، ولا يطلب الرزق في تجارة ولا غيرها، فعاتبه أبوه على ذلك، فقال أبو حرب: إن كان لي رزق فسيأتيني، فقال له:

وما طلب المعيشة بالتمني ... ولكن ألق دلوك في الدلاء

تجئك بملئها يوماً ويوما ... تجئك بحمأة وقليل ماء

شعره في ابن مولاته لطيفة: قال المدائني: كانت لأبي الأسود مولاة يقال لها لطيفة، وكان لها عبد تاجر يقال له ملم فابتاعت له أمة وأنكحته إياها، فجاءت بغلام فسمته زيداً، فكانت تؤثره على كل أحد، وتجد به وجد الأم بولدها، وجعلته على ضيعتها، فقال فيه أبو الأسود، وقد مرضت لطيفة:

وزيد هالك هلك الحبارى ... إذا هلكت لطيفة أو ملم

تبنته فقال وأنت أمي ... فأنى بعدها لك زيد أم!

ترم متاعه وتزيد فيه ... وصاحبها لما يحوي مضم

ستلقى بعدها شراً وضرا ... وتقصى إن قربت فلا تضم

وتلقاك الملامة كل وجه ... سلكت وينتحي حاليك ذم

قال فماتت لطيفة من علتها تلك، وورثها أبو الأسود، فطرد زيداً عما كان يتولاه من ضيعتها، وطالبه بما خانه من مالها فارتجعه، فكان بعد ذلك ضائعاً مهاناً بالبصرة كما قال فيه وتوعده .

اشترى جارية للخدمة فتعرضت له فقال في ذلك شعراً: قال المدائني أيضاً: اشترى أبو الأسود أمة للخدمة،

فجعلت تتعرض منه للنكاح وتتطيب وتشتمل بثوبها، فدعاها أبو الأسود فقال لها: اشتريتك للعمل والخدمة، و لم أشترك للنكاح، فأقبلي على خدمتك، وقال فيها:

أصلاح إني لا أريدك للصبا فدعي التشمل حولنا وتبذلي

إني أريدك للعجين وللرحا ولحمل قربتنا وغلي المرجل

وإذا تروح ضيف أهلك أو غدا فخذي لآخر أهبة المستقبل

أهدى إليه المنذر بن الجارود ثياباً فقال شعراً يمدحه فيه:

أخبرنا الحسن بن الطيب الشجاعي قال حدثنا أبو عشانة عن ابن عباس قال: كان المنذر بن الجارود العبدي صديقاً لأبي الأسود الدؤلي تعجبه مجالسته وحديثه، وكان كل واحد منهما يغشي صاحبه؛ وكانت لأبي الأسود مقطعة من برود يكثر لبسها، فقال له المنذر: لقد أدمنت لبس هذه المقطعة، فقال له أبو الأسود: رب مملول لا يستطاع فراقه؛ فعلم المنذر أنه قد احتاج إلى كسوة فأهدى له ثياباً، فقال أبو الأسود يمدحه:

كساك ولم تستكسه فحمدته أخ لك يعطيك الجزيل وناصر

وإن أحق الناس إن كنت حامدا بحمدك من أعطاك والعرض وافر

أبيات أوصى فيها ابنه: أنشدني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن ابن حبيب لأبي الأسود يوصي ابنه، وفي هذه الأبيات غناء: صوت:

لا ترسلن رسالة مشهورة لا تستطيع إذا مضت إدراكها

أكرم صديق أبيك حيث لقيته واحب الكرامة من بدا فحباكها

لا تبدين نميمة حدثتها وتحفظن من الذي انباكها

اعتذر لزياد في شيء جرى بينهما فلم يقبل عذره فقال في ذلك شعراً: أخبرني محمد بن خلف بن مرزبان قال حدثنا أبو محمد المروزي عن القحذمي عن بعض الرواة أن أبا الأسود الدؤلي اعتذر إلى زياد في شيء جرى بينهما، فكأنه لم يقبل عذره فأنشأ يقول:

إنني مجرم وأنت أحق الن اس أن تقبل الغداة اعتذاري

فاعف عني فقد سفهت وأنت ال مرء تعفو عن الهنات الكبار

فتبسم زياد وقال: أما إذا كان هذا قولك فقد قبلت عذرك وعفوت عن ذنبك .

استشير في رجل أن يولى ولاية فقال شعراً: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن عيسى بن عمر قال: سئل أبو الأسود عن رجل، واستشير في أن يولى ولاية، فقال أبو الأسود: هو

ما علمته: أهيس أليس، ألد ملحس ، إن اعطى انتهر ، وإن سئل أزر . قال الأصمعي: الأهيس: الحاد، ويقال في المثل:

إحدى لياليك فهيسي هيسي

قال: ويقال ناقة ليساء: إذا كانت لا تبرح من المبرك. قال: وهو مما يوصف به الشجاع ، وأنشد في صفة ثور:

أليس عن حوبائه سخي

ضمن له كاتب بن عامر أن يقضي حاجة ثم نكث فقال شعراً في ذلك: أخبرني أحمد بن محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أحمد بن الأسود بن الهيثم الحنفي قال حدثنا أبو ملحم عن مؤرج السدوسي عن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار قال وكان من أفصح أهل زمانه قال: أوصى أبو الأسود الدؤلي كاتباً لعبد الله بن عامر بحاجةٍ له فضمن قضاءها ثم لم يصنع فيها شيئاً، فقال أبو الأسود:

لعمري لقد أوصيت أمس بحاجتي ... فتى غير ذي قصدٍ علي ولا رؤف

ولا عارفٍ ما كان بيني وبينه ... ومن خير ما أدلى به المرء ما عرف

وما كان ما أملت منه ففاتني ... بأول خيرٍ من أخي ثقةٍ صرف

جفاه أبو الجارود فقال فيه شعراً: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني محمد بن القاسم مولى بني هاشم قال حدثني أبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس قال حدثني بكر بن حبيب السهمي عن أبيه، وكان من جلساء أبي الأسود الدؤلي قال: كان أبو الجارود سالم بن سلمة بن نوفل الهذلي شاعراً، وكان صديقاً لأبي الأسود الدؤلي، فكان يهاديه الشعر، ثم تغير ما بينهما، فقال فيه أبو الأسود:

أبلغ أبا الأسود الجارود عني رسالة ... يروح بها الماشي ليلقاك أو يغدو

فيخبرنا ما بال صرمك بعد ما ... رضيت وما غيرت من خلق بعد

أأن نلت خيراً سرني حين نلته ... تنكرت حتى قلت ذو لبدة ورد ؟

فعيناك عيناه وصوتك صوته ... تمثله لي غير أنك لا تعدو

فإن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا ... وقد جعلت أسباب أوله تبدو

فإني إذا ما صاحب رث وصله ... وأعرض عني قلت بالأبعد الفقد

وفاته:

وكانت وفاة أبي الأسود فيما ذكره المدائني في الطاعون الجارف سنة تسع وستين وله خمس وثمانون سنة. قال المدائني: وقد قيل إنه مات قبل ذلك، وهو أشبه القولين بالصواب، لأنا لم نسمعه له في فتنة مسعود وأمر المختار

بذكر، وذكر مثل هذا القول بعينه. والشك فيه هل أدرك الطاعون الجارف أو لا، عن يحيى بن معين. أخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن المدائني ويحيى بن معين: صوت:

لعمرك أيها الرجل ... لأي الشكل تنتقل

أتهجر آل زينب أم ... تزورهم فتعتدل ؟

هم ركب لقوا ركبا ... كما قد تجمع السبل

فذلك دأبنا وبذا ... ك تجري بيننا الرسل

الشعر لأبي نفيس بن يعلى بن منية، والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى، وفيه لابن سريج رمل بالوسطى، ولجميلة خفيف رمل بالبنصر .

أخبار أبي نفيس ونسبه

نسبه: اسمه حيي بن يحيى بن يعلى بن منية، وقيل بل اسم أبي النفيس يحيى بن ثعلبة بن منية، ومنية أمه، ذكر ذلك الزبير بن بكار عن عمرو بن يحيى بن عبد الحميد. قال الزبير: وكان عمي يقول: اسمه ميمون بن يعلى؛ وأمه منية بنت غزوان أخت عتبة بن غزوان، وأبوه أمية بن عبدة بن همام بن جشم بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وجدت ذلك بخط أبي محلم النسابة، قال: ويقال لبني زيد بن مالك بنو العدوية، وهي فكيهة بنت تميم بن الدئل بن حسل بن عدي بن عبد مناة بن تميم، ولدت لمالك بن حنظلة زيداً وصدياً ويربوعاً، فهل يدعون بني العدوية .

بعض أخبار جده يعلى بن منية: وكان يعلى بن منية حليفاً لبني أمية وعديداً لهم، وبينه وبينهم صهر ومناسبة، وقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وسمع منه حديثاً كثيراً وروى عنه حديثاً كثيراً، وعمر بعده؛ وكان مع عائشة يوم الجمل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني عن أبي مخنف عن عبد الرحمن ابن عبيد عن أبي الكنود قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: منيت أو بليت بأطوع الناس في الناس عائشة، وبأدهى الناس طلحة، وبأشجع الناس الزبير، وبأكثر الناس مالاً يعلى بن منية، وبأجود قريش عبد الله بن عامر، فقام إليه رجل من الأنصار فقال: والله يا أمير المؤمنين لأنت أشجع من الزبير، وأدهى من طلحة، وأطوع فينا من عائشة، وأجود من ابن عامر، ولمال الله أكثر من مال يعلى بن منية، وليكونن كما قال الله عز وجل: " فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ". فسر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله، ثم قام إليه رجل آخر منهم فقال:

أما الزبير فأكفيكه ... وطلحة يكفيكه وحوحه

ويعلى بن منية عند القتال ... شديد التثاؤب والنحنحه

وعايش يكفيكها واعظ وعائش في الناس مستنصحه

فلا تجزعن فإن الأمور إذا ما أتيناك مستنجحه

وما يصلح الأمر إلا بنا كما يصلح الجبن بالإنفخه

قال: فسر علي عليه السلام بقوله، ودعا له وقال: بارك الله فيك. قال: فأما الزبير فناشده علي عليه السلام فرجع فقتله بنو تميم، وأما طلحة فناشده وحوحة، وكان صديقه وكان من القراء، فذهب لينصرف، فرماه رجل من عسكرهم فقتله .

فأما ما رواه النبي صلى الله عليه وسلم فكثير، ولكني أذكر منه طرفاً كما ذكرت لغيره .

روى يعلى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: أخبرني أحمد بن الجعد قال حدثني محمد بن عباد المكي قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو ابن دينار عن عطاء بن أبي رباح عن صفوان بن يعلى بن منية عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر: " ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك ". وقد روى يعلى عنه صلى الله عليه وسلم كثيراً اقتصرت منه على هذا لتعرف روايته عنه .

أقرض يعلى الزبير بن العوام يوم الجمل مالاً، فقضاه عنه ابنه عبد الله بعد مقتله:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم عن أبي مخنف قال: أقرض يعلى بن منية الزبير بن العوام حين خرج إلى البصرة في وقعة الجمل أربعين ألف دينار، فقضاها ابن الزبير بعد ذلك لأن أباه قتل يومئذ و لم يقضه إياها .

قال: ولما صاروا إلى البصرة تنازع طلحة والزبير في الصلاة، فاتفقا على أن يصلي ابن هذا يوماً وابن هذا يوماً، فقال شاعرهم في ذلك:

تبارى الغلامان إذ صليا وشح على الملك شيخاهما

ومالي وطلحة وابن الزبير وهذا بذي الجزع مولاهما

فأمهما اليوم غرتهما ويعلى بن منية دلاهما

رثى يعلى زوجه حين توفيت بتهامة: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن يحيى عن جده عبد الحميد قال: كان يعلى بن منية ويكنى أبا نفيس، وسمعت غير جدي يقول اسمه يحيى وهو من بني العدوية من بني تميم من بني حنظلة تزوج امرأة من بني مالك بن كنانة يقال لها زينب، ولهم حلف في بني غفارٍ، وهي من بنات طارق اللاتي يقلن:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

فتوفيت بتهامة فقال يرثيها:

يا رب رب الناس لما نحبوا وحين أفضوا من منىً وحصبوا

لا يسقين ملح وعليب والمسترد لا سقاة الكوكب

من أجل حماهن ماتت زينب

قال الزبير: وأنشدنيها عمي مصعب لأبي نفيس بن يعلى بن منية قال: واسمه ميمون، وكان عمي يقول: اسم أبي نفيس ميمون بن يعلى، وقال في الأبيات:

لا يسقين عنبب وعليب

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن يحيى عن جده غسان بن عبد الحميد قال: رأت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بنات طارق اللواتي يقلن:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

فقالت: أخطأ من يقول: الخيل أحسن من النساء .

قال: وقالت هند بنت عتبة لمشركي قريش يوم أحد:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

الدر في المخانق والمسك في المفارق

إن تقبلوا نعانق أو تدبروا نفارق

فراق غير وامق

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن يحيى بن عبد الملك الهديري قال: جلست ليلة وراء الضحاك بن عثمان الحزامي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا متقنع، فذكر الضحاك وأصحابه قول هند يوم أحد:

نحن بنات طارق

فقال: وما طارق؟ فقلت: النجم، فالتف الضحاك فقال: أبا زكريا، وكيف بذاك؟ فقلت: قال الله عز وجل: " والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب ". فقالت: إنما نحن بنات النجم، فقال: أحسنت .

صوت:

خليلي قوما في عطالة فآنظرا أناراً أرى من نحو يبرين أم برقا

فإن يك برقا فهو في مشمخرةٍ تغادر ماءً لا قليلا ولا طرقا

وإن تك نارا فهي نار بملتقىً من الريح تسفيهاً وتصفقها صفقا

ويروي: تزهاها وتعفقها عفقا

لأم عليٍ أوقدتها طماعةً لأوبة سفر أن تكون لهم وفقا

العشر لسويد بن كراع، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى عن يحيى المكي، وذكر غيره أنه لابن مسجح .

أخبار سويد بن كراع ونسبه

سويد بن كراع العكلي، أحد بني الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عكل. شاعر فارس مقدم من شعراء الدولة الأموية. وكان في آخر أيام جرير والفرزدق .

كان شاعراً محكماً، وكان رجل بني عكل وذا الرأي والتقدم فيهم: وذكر محمد بن سلام في كتاب الطبقات فيما أخبرنا عنه أبو خليفة قال: كان سويد بن كراع شاعراً محكماً، وكان رجل بني عكل وذا الرأي والتقدم فيهم، وعكل وضبة وعدي وتيم هم الرباب .

قال: وكان بعض بني عدي ضرب رجلاً من بني ضبة، ثم من بني السيد، وهم قوم نكد شرس ، وهم أخوال الفرزدق، فاجتمعوا حتى ألم أن يكون بينهم شر، فجاء رجل من بني عدي فأعطى يده رهينة لينظروا ما يصنع المضروب، فقال خالد بن علقمة بن الطيفان حليف بني عبد الله بن دارم:

أسالم إني لا إخالك سالما ... أتيت بني السيد الغواة الأشائما

أسالم إن أفلت من شر هذه ... فوائل فراراً إنما كنت حالما

أسالم ما أعطى ابن مامة مثلها ... ولا حاتم فيما بلا الناس حاتما

قال شعراً يرد به على خالد بن علقمة: فقال سويد بن كراع يجيبه عن ذلك:

أشاعر عبد الله إن كنت لائما ... فإني لما تأتي من الأمر لائم

تحضض أفناء الرباب سفاهةً ... وعرضك موفور وليلك نائم

وهل عجب أن تدرك السيد وترها ... وتصبر للحق السراة الأكارم

رأيتك لم تمنع طهية حكمها ... وأعطيت يربوعاً وأنفك راغم

وأنت امرؤ لا تقبل النصح طائعا ... ولكن متى تقهر فإنك رائم

ووجدت هذا الخبر في رواية أبي عمرو الشيباني أتم منه ها هنا وأوضح فذكرته؛ قال: كان بين السيد بن مالك، من ضبة، وبين بني عدي بن عبد مناة ترامٍ على خبراء بالصمان يقال لها ذات الزجاج، فرمي عمرو بن حشفة أخو بني شييم فمات، ورمت بنو السيد رجلاً منهم يقال له مدلج بن صخر العدوي فمكث أياماً لم يمت، فمر رجل من بني عدي يقال له معللٍ على بني السيد وهو لا يعلم الخبر، فأخذوه فشدوه وثاقاً فأفلت منهم، ومشى بينهم عصمة بن أبير التيمي سفيراً، فقال لسالم بن فلان العدوي: لو رهنتهم نسفك فإن مات مدلج كان رجل

برجلٍ، وإن لم يمت حملت دية صاحبهم، ففعل ذلك سالم على أن يكون عند أخثم بن حميري أخي بني شيبم من بني السيد، فكان عنده. ثم إن بني السيد لما أبطأ عليهم موت مدلج أتوا أخثم لينتزعوا منه سالماً ويقتلوه، ففوض عليه أخثم بيته ثم قال: يا آل أمي وكانت أمه من بني عبد مناة بن بكر فمنعه عبد مناة. ثم إن بني عبد السيد قالوا لأخثم: إلى كم تمنع هذا الرجل! أما الدية فوالله لا نقبلها أبداً. فجعل لهم أجلاً إن لم يمت مدلج فيه دفع إليهم سالماً فقتلوه به. فلما كان قبل ذلك الأجل بيوم مات مدلج، فقتلوا سالماً، فقال في ذلك خالد بن علقمة أخو بني عبد الله بن دارم، وهو ابن الطيفان:

أسالم ما منتك نفسك بعدما ... أتيت بني السيد الغواة الأشائما ؟

أسالم قد منتك نفسك أنما ... تكون ديات ثم ترجع سالما

كذبت ولكن ثائر متبسل ... يلقيك مصقول الحديدة صارما

أسالم ما أعطى ابن مامة مثلها ... ولا حاتم فيما بلا الناس حاتما

أسالم إن أفلت من شر هذه ... فوائل فرارا إنما كنت حالما

وقد أسلمت تيم عديا فأربعت ... ودلت لأسباب المنية سالما

فأجابه سويد بن كراع بالأبيات التي ذكرها ابن سلام، وزاد فيها أبو عمرو:

دعوتكم إلى أمر النواكة دارما ... فقد تركتكم والنوكة دارم

وكنت كذات البو شرمت استها ... فطابقت لما خرمتك الغمائم

فلو كنت مولى مسلت ما تجللت ... به ضبع في ملتقى القوم واحم

ولم يدرك المقتول إلا مجره ... وما أسأرت منه النسور القشاعم

عليك ابن عوف لا تدعه فإنما ... كفاك موالينا الذي جر سالم

أتذكر أقواماً كفوك شئونهم ... وشأنك إلا تركه متفاقم

قال: وقال سويد بن كراع في ذلك:

أرى آل يربوعٍ وأفناه مالكٍ ... أعضوك في الحرب الحديد المنقبا

هم رفعوا فأس اللجام فأدركت ... لهاتك حتى لم تدع لك مشربا

فإن عدت عادوا بالتي ليس فوقها ... من الشر إلا أن تبيت محجبا

وتصبح تدرى الكعكبية قاعدا ... وينتف من ليتيك ما كان أزغبا

تدرى: تمشط بالمدرى كما يفعل بالنساء والكعكبية: مشطة معروفة

فهل سألوا فينا سواء الذي لهم وهل نحن أعطينا سواه فتعجبا

ويروى:

فهل سألونا خصلة غير حقهم

وهو أجود .

استعدت بنو عبد الله سعيد بن عثمان عليه: قال: فاستعدت بنو عبد الله سعيد بن عثمان بن عفان على سويد بن كراع في هجائه إياهم، فطلبه ليضربه ويحبسه، فهرب منه، و لم يزل متوارياً حتى كلم فيه، فأمنه على ألا يعاود، فقال سويد بن كراع:

تقول ابنة العوفي ليلى ألا ترى إلى ابن كراعٍ لا يزال مفزعا

مخافة هذين الأميرين سهدت رقادي وغشتني بياضاً تفرعا

على غير جرم غير أن جار ظالم علي فجهزت القصيد المفرعا

وقد هابني الأقوام لما رميتهم بفاقرةٍ إن هم أن يتشجعا

أبيت بأبواب القوافي كأنما أصادي بها سرباً من الوحش نزعا

أكالئها حتى أعرس بعدما يكون سحير أو بعيد فأهجعا

فجشمني خوف ابن عثمان ردهاً ورعيتها صيفاً جديداً أو مربعا

نهاني ابن عثمان الإمام وقد مضت نوافذ لو تردي الصفا لتصدعا

عوارق ما يتركن لحماً بعظمه ولا عظم لحم دون أن يتمزعا

أحقاً هداك الله أن جار ظالم فأنكر مظلوم بأن يؤخذا معا

وأنت ابن حكام أقاموا وقوموا قروناً وأعطوا نائلاً غير أقطعا

انتجع بقومه أرض بني تميم: أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال: انتجع سويد بن كراع بقومه أرض بني تميم، فجاور بني قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، فأنزله بغيض بن عامر بن شماس بن لأي بن أنف الناقة بن قريع وأرعاه، ووصله وكساه. فلم يزل مقيماً فيهم حتى أحيا ، ثم ودعهم وأتى بغيضاً وهو في نادي قومه وقد مدحه فأنشده قوله .

قال حماد: ومن لا يعلم يروي هذه القصيدة للحطيئة لكثرة مدحه بغيضاً، وهي لسويد بن كراع:

ارتعت للزور إذ حيا وأرقني ولم يكن دانياً منا ولا صددا

ودونه سبسب تنضى المطي به حتى ترى العنس تلقي رحلها الأجدا

إذا ذكرت فاضت عبرتي دراً ... وكاد مكتوم قلبي يصدع الكبدا
وذاك مني هوى قد كان أضمره ... فلبي فما ازداد من نقص ولا نفدا
وقد أرانا وحال الناس صالحة ... نحتل مربوعةً أدمان أو بردى
ليت الشباب وذاك العصر راجعنا ... فلم نزل كالذي كنا به أبدا
أيام أعلم كم أعملت نحوكم ... من عرمسٍ عاقدٍ لم ترأمٍ الولدا
تصيخ عند السرى في البيد ساميةً ... سطعاء تنهض في ميتائها صعدا
كأن رحلي على حمشٍ قوائمه ... برمل عرنان أمسى طاويا وحدا
هاجت عليه من الجوزاء سارية ... وطفاء تحمل جوناً مردفاً نضدا
فألجأته إلى أرطأة عانكةٍ ... فيحاء ينهال منها ترب ما التبدا
تخال عطفيه من جول الرذاذ به ... منظماً بيدي داريةٍ فردا
حتى إذا ما انجلت عنه دجنته ... وكشف الصبح عنه الليل فاطردا
غدا كذي التاج حلته أساورة ... كأنما اجتاب في حر الضحى سندا

وهي طويلة اختصرتها، يقول فيها:

لا يبعد الله إذ ودعت أرضهم ... أخي بغيضاً ولكن غيره بعدا
لا يبعد الله من يعطي الجزيل ومن ... يحبو الخليل وما أكدى وما صلدا
ومن تلاقيه بالمعروف معترفا ... إذا اجرهد صفا المذموم أو صلدا
لاقيته مفضلا تندى أنامله ... إن يعطيك اليوم لا يمنعك ذاك غدا
تجيء عفواً إذا جاءت عطيته ... ولا تخالط ترنيقاً ولا زهدا
أولاه بالمفخر الأعلى وأعظمه ... خلقاً وأوسعه خيراً ومنتفدا
إذا تكلف أقوام صنائعه ... لاقوا ولم يظلموا من دونها صعدا
بحر إذا نكس الأقوام أو ضجروا ... لاقيت خير يديه دائماً رغدا
لا يحسب المدح خدعا حين تمدحه ... ولا يرى البخل منهاةً له أبدا
إني لرافده ودي ومنصرتي ... وحافظ غيبه إن غاب أو شهدا

صوت:

حنتني حانيات الدهر حتى كأني خاتل يدنو لصيد

قريب الخطو يحسب من رآني ولست مقيداً أني بقيد

عروضه من الوافر، الخاتل: الذي يتقتر للصيد وينحني حتى لا يرى. ويقال لكل من أراد خداع صيدٍ أو إنسانٍ: ختله، ورى أمره فلم يظهره. ومن رواه: كأني حابل فإنه يعني الذي ينصب حبالةً للصيد. الشعر لأبي الطمحان القيني. والغناء لإبراهيم ماخوري وهو خفيف الثقيل الثاني بالوسطى. وذكر ابن حبيب أن هذا الشعر للمسجاح بن سباع الضبي، فإن كان ذلك على ما قال فلأبي الطمحان مما يغنى فيه من شعره ولا يشك فيه أنه له قوله: صوت:

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

الغناء لعريب ثاني ثقيل وخفيف رمل، وذكر ابن المعتز أن خفيف الرمل لها، وأن الثقيل الثاني لغيرها.

الجزء الثالث عشر

أخبار أبي الطمحان القيني

اسمه ونسبه

أبو الطمحان اسمه حنظلة بن الشرقي ، أحد بني القين بن جسر بن شيع الله من قضاعة، وقد تقدم هذا النسب في عدة مواضع من الكتاب في أنساب شعرائهم.

إدراكه الجاهلية والإسلام

واتصاله بالزبير بن عبد المطلب

وكان أبو الطمحان شاعراً فارساً خارباً صعلوكاً. وهو من المخضرمين، أدرك الجاهلية والإسلام، فكان خبيث الدين فيهما كما يذكر. وكان تراباً للزبير بن عبد المطلب في الجاهلية وندیماً له. أخبرنا بذلك أبو الحسن الأسدي عن الرياشي عن أبي عبيدة.

ومما يدل على أنه قد أدرك الجاهلية ما ذكره ابن الكلبي عن أبيه قال : خرج قيسبة بن كلثوم السكوني، وكان ملكاً، يريد الحج - وكانت العرب تحج في الجاهلية فلا يعر ، بعضها لبعض - فمر ببني عامر بن عقيل، فوثبوا عليه فأسروه وأخذوا ماله وما كان معه، وألقوه في القد ، فمكث فيه ثلاث سنين، وشاع باليمن أن الجن استطارته. فبينا هو في يوم شديد البرد في بيت عجوزٍ منهم إذ قال لها :أتأذنين لي أن آتي الأكمة فأتشرق عليها فقد أضر بي القر؟! فقالت له نعم. كانت عليه جبة له حبرةٌ لم يترك عليه غيرها، فتمشى في أغلاله وقيوده حتى صعد الأكمة، ثم أقبل يضرب ببصره نحو اليمين، وتغشاه عبرةٌ فبكى، ثم رفع طرفه إلى السماء وقال: اللهم ساكن السماء فرج لي مما أصبحت فيه. فبينا هو كذلك إذ عرض له راكب يسير، فأشار إليه أن أقبل، فأقبل الراكب، فلما وقف عليه قال له: ما حاجتك يا هذا؟ قال: أين تريد؟ قال: أريد اليمن. قال: ومن أنت؟ قال أنا أبو الطمحان القيني، فاستعبر باكياً. فقال له أبو الطمحان: من أنت ؟ فإني أرى عليك سيما الخير ولباس الملوك، وأنت بدارٍ ليس فيها ملك. قال: أنا قيسبة بن كلثوم السكوني، خرجت عام كذا و كذا أريد الحج، فوثب عليَ هذا الحي فصنعوا بي ما ترى، وكشف عن أغلال و قيوده، فاستعبر أبو الطمحان، فقال له قيسبة: هل لك في مائة ناقة حمراء؟ قال: ما أحوجني إلى ذلك! قال: فأنخ، فأناخ. ثم قال له: أمعك سكين؟ قال نعم. قال: ارفع لي عن رحلك، فرفع له عن رحله حتى بدت خشبة مؤخره ، فكتب عليها قيسبة بالمسند ، وليس يكتب به غير أهل اليمن:

بلغا كندة الملوك جميعاً حيث سارت بالأكرمين الجمال
أن ردوا العين بالخميس عجالاً واصدروا عنه والروايا ثقال
هزئت جارتي وقالت عجيباً إذ رأتني في جيدي الأغلال
إن تريني عاري العظام أسيراً قد براني تضعضعٌ واختلال
فلقد أقدم الكتيبة بالسي ف علي السلاح والسربال

وكتب تحت الشعر إلى أخيه أن يدفع إلى أبي طمحان مائة ناقةٍ. ثم قال له :أقرىء هذا قومي، فإنهم سيعطونك مائة ناقةٍ حمراء. فخرج تسير به ناقته، حتى أتى حضرموت، فتشاغل بما ورد له ونسي أمر قيسبة حتى فرغ من حوائجه. ثم سمع نسوة من عجائز اليمن يتذاكرن قيسبة ويبكين، فذكر أمره، فأتى أخاه الجون بن كلثوم، وهو أخوه لأبيه وأمه، فقال له: يا هذا، إني أدلك على قيسبة وقد جعل لي مائة من الإبل. قال له: فهي لك. فكشف عن الرحل، فلما قرأه الجون أمر له بمائة ناقةٍ، ثم أتى قيس بن معد يكرب الكندي أبا الأشعث بن قيس، فقال له: يا هذا، إن أخي في بني عقيل أسير، فسر معي بقومك، فقال له: أتسير تحت لوائي حتى أطلب ثأرك وأنجدك، وإلا فامض راشداً. فقال له الجون: مسّ السماء أيسر من ذلك وأهون علي مما خبرته. وضجت السكون ثم فاءوا ورجعوا وقالوا له: وما عليك من هذا! هو ابن عمك ويطلب ذلك بثأرك! فأنعم له بذلك .

اجتماع السكون وكندة لإنقاذ قيسبة

وسار قيس وسار الجون معه تحت لوائه، وكندة والسكون معه، فهو أول يوم اجتمعت فيه السكون وكندة لقيس، وبه أدرك الشرف. فسار حتى أوقع بعامر بن عقيل فقتل منهم مقتلة عظيمة واستنقذ قيسبة. وقال في ذلك سلامة بن صبيح الكندي:

لا تشتمونا إذ جلبنا لكم ألفي كميتٍ كلها سلهبة
نحن أبلنا الخيل في أرضكم حتى ثأرنا منكم قيسبة
واعترضت من دونهم مذحجٌ فصادفوا من خيلنا مشغبة

اعتراف أبي الطمحان بأدنى ذنوبه

حدثنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال: بلغني أن أبا الطمحان القيني قيل له، وكان فاسقاً خارباً، ما أدنى ذنوبك؟ قال: ليلة الدير. قيل له: وما ليلة الدير؟ قال: نزلت بديرانية فأكلت عندها طفيشلاً بلحم خنزير، وشربت من خمرها، وزنيت بها، وسرقت كساءها ، ثم انصرفت عنها.

التجاؤه إلى بني فزارة

من جناية جناها وإقامته عندهم حتى هلك

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن عبد الله الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال: جنى أبو الطمحان القيني جنايةً وطلبه السلطان، فهرب من بلاده ولجأ إلى بني فزارة فنزل على رجل منهم يقال له: مالك بن سعد أحد بني شمخ؛ فآواه وأجاره وضرب عليه بيتاً وخلطه بنفسه. فأقام مدة، ثم تشوق يوماً إلى أهله وقد شرب ثمل منه، فقال لمالك: لولا أن يدي تقصر عن دية جنايتي لعدت إلى أهلي. فقال له: هذه إبلي فخذ دية جنايتك وأردد ما شئت. فلما أصبح ندم على ما قاله وكره مفارقة موضعه و لم يأمن على نفسه، فأتى مالكا فأنشده:

سأمدح مالكاً في كل ركبٍ ... لقيتهم وأترك كل رذل

فما أنا والبكارة أو مخاضٌ ... عظامٌ جلة سدسٌ وبزل

وقد عرفت كلابكم ثيابي ... كأني منكم ونسيت أهلي

نمت بك من بني شمخٍ زنادٌ ... لها ما شئت من فرعٍ وأصل

قال فقال مالك: مرحباً! فإنك حبيب ازداد حباً، إنما اشتقت إلى أهلك وذكرت أنه يحبسك عنهم ما تطالب به من عقلٍ أو ديةٍ، فبذلت لك ما بذلت، وهو لك على كل حال، فأقم في الرحب والسعة. فلم يزل مقيماً عندهم حتى هلك في دارهم.

قال أبو عمرو في هذه الرواية: وأخبرني أيضاً بمثله محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد، قال حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال :

شعره في الاعتذار لامرأته

من ركوبه الأهوال

عاتبت أبا الطمحان القيني امرأته في غاراته ومخاطرته بنفسه، وكان لصاً خارباً خبيثاً، وأكثرت لومه على ركوب الأهوال ومخاطرته بنفسه في مذاهبه، فقال لها:

لو كنت في ريمان تحرس بابه ... أراجيل أحبوشٍ وأغضف آلف

إذاً لأتتني حيث كنت منيتي ... يخب بها هادٍ بأمري قائف

فمن رهبةٍ آتي المتالف سادراً ... وأية أرض ليس فيها متالف

شعره في بجير بن أوس الطائي

وإطلاقه من الأسر

فأما البيت الذي ذكرت من شعره أن فيه لعريب صنعة وهو:

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم

فإنه من قصيدة له مدح بها بجير بن أوس بن حارثة بن لأمٍ الطائي، وكان أسيراً في يده. فلما مدحه بهذه القصيدة أطلقه وجزّ ناصيته، فمدحه بعد هذا بعدة قصائد. وأول هذه الأبيات:

إذا أقبل أي الناس خيرُ قبيلةً ... وأصبر يوماً لا توارى كواكبه

فإن بني لأم بن عمروٍ أرومةٌ ... علت فوق صعبٍ لا تنال مراقبه

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

لهم مجلس لا يحصرون عن الندى ... إذا مطلب المعروف أجدب راكبه

وأما خبر أسره والرقعة التي أسر فيها فإن علي بن سليمان الأخفش أخبرني بها عن أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي قال:

حرب جديلة والغوث الطائيين

كان أبو الطمحان القيني مجاوراً في جديلة من طيء، وكانت قد اقتتلت بينها وتحاربت الحرب التي يقال لها "حرب الفساد" وتحزبت حزبين: حزب جديلة وحزب الغوث، وكانت هذه الحرب بينهم أربعة أيام، ثلاثة منها للغوث ويومٌ لجديلة. فأما اليوم الذي كان لجدلة فهو "يوم ناصفة". وأما الثلاثة الأيام التي كانت للغوث فإنها "يوم قارات حوق" ويوم البيضة "ويوم عرنان" وهو آخرها وأشدها وكان للغوث، فانهزمت جديلة هزيمة "قبيحة"، وهربت فلحقت بكلب وحالفتهم وأقامت فيهم عشرين سنة.

شعره لما أسر في هذه الحرب وأسر أبو الطمحان في هذه الحرب: أسره رجلان من طيء واشتركا فيه، فاشتراه منهما بجير بن أوس بن حارثة لما بلغه قوله:

أرقت وآبتني الهموم الطوارق ... ولن يلق ما لاقيا قبلي عاشق

إليكم بني لأمٍ تخب هجائها ... بكل طريق صادفته شبارق

لكم نائل غمر وأحلام سادةٍ ... وألسنةٌ يوم الخطاب مسالق

ولم يدع داعٍ مثلكم لعظيمةٍ ... إذا وزمت بالساعدين السوارق

السوارق: الجوامع واحدها سارقة.

قال فابتاعه بجير من الطائيين بحكمهما، فجز ناصيته وأعتقه.

جواره في بني جديلة وقتل تيس له غلاماً منهم وشعره في ذلك أخبري الحسن بن علي قال: حدثنا أبو أيوب المدني قال حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري قال: كان أبو الطمحان القيني مجاوراً لبطن من طيء يقال لهم بنو جديلة، فنطح تيس له غلاماً منهم فقتله، فتعلقوا أبا الطمحان وأسروه حتى أدى ديته مائةً من الإبل . وجاءهم نزيله، وكان يدعى هشاماً، ليدفع عنه فلم يقبلوا قوله، فقال له أبو الطمحان:

أتاني هشامٌ يدفع الضيم جاهداً ... يقول ألا ماذا ترى وتقول

فقلت له قم يا لك الخير أدها ... مذللةُ إن العزيز ذليل

فإن يك دون القين أغبر شامخٌ ... فليس إلى اليقين الغداة سبيل

انتعاش المأمون ببيتين له

أخبري عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك، عن إسحاق قال: دخلت يوماً على المأمون فوجدته حائراً متفكراً غير نشيط، فأخذت أحدثه بملح الأحاديث وطرفها، أستميله لأن يضحك أو ينشط، فلم يفعل. وخطر ببالي بيتان فأنشدته إياهما، وهما:

ألا عللاني قبل نوح النوائح ... وقبل نشوز النفس بين الجوانح

وقبل غدٍ، يا لهف نفسي على غدٍ ... إذا راح أصحابي ولست برائح

فتنبه كالمتفزع ثم قال: من يقول هذا ويحك؟ قلت: أبو الطمحان القيني يا أمير المؤمنين. قال: صدق والله، أعدهما علي. فأعدتهما عليه حتى حفظهما. ثم دعا بالطعام فأكل، ودعا بالشراب فشرب. وأمر لي بعشرين ألف درهم.

استشهاد خالد بن يزيد ببيتين له

في ريبة اعتذر عنها الحسن لعبد الملك

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثني أحمد بن الحارث الخراز قال: حدثني المدائني قال: عاتب عبد الملك بن مروان الحسن بن الحسن عليهما السلام على شيء بلغه عنه من دعاء أهل العراق إياه إلى الخروج معهم على عبد الملك، فجعل يعتذر إليه ويحلف له. فقال له خالد بن يزيد بن معاوية: يا أمير المؤمنين، ألا تقبل عذر ابن عمك وتزيل عن قلبك ما قد أشربته إياه؟ أما سمعت قول أبي الطمحان القيني:

إذا كان في صدر ابن عمك إحنةٌ ... فلا تستثرها سوف يبدو دفينها

وإن حمأة المعروف أعطاك صفوها ... فخذ عفوه لا يلتبس بك طينها

خبره مع الزبير بن عبد المطلب

قال المدائني: ونزل أبو الطمحان على الزبير بن عبد المطلب بن هاشم، وكانت العرب تنزل عليه، فطال مقامه لديه، واستأذنه في الرجوع إلى أهله وشكا إليه شوقاً إليهم، فلم يأذن له. وسأله المقام، فأقام عنده مدة، ثم أتاه فقال له:

ألا حنت المرقال وائتب ربها تذكر أوطاناً وأذكر معشري
ولو عرفت صرف البيوع لسرها بمكة أن تبتاع حمضاً بإدخر
أسرك لو أنا بجنبي عنيزةٍ وحمضٍ وضمران الجناب وصعتر
إذا شاء راعيها استقى من وقيعةٍ كعين الغراب صفوها لم يكدر

فلم أنشده إياها أذن له فانصرف، وكان نديماً له.

صوت

لا يعتري شربنا اللحاء وقد توهب فينا القيان والحلل
وفتيةٍ كالسيوف نادمتهم لا حصرٌ فيهم ولا بخل

الشعر للأسود بن يعفر، والغناء لسليم، خفيف ثقيل أول بالبنصر.

أخبار الأسود ونسبه

نسبه ومنزلته في الشعر

الأسود بن يعفر" ويقال يعفر بضم الياء" ابن عبد الأسود بن جندل بن سهم بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن تميم. وأم الأسود بن يعفر رهم بنت العباب، من بني سهم بن عجل. شاعر متقدم فصيح، من شعراء الجاهلية، ليس بالمكثر. وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثامنة مع خداش بن زهير، والمخبل السعدي، والنمر بن تولبٍ العكلي، وهو من العشي ويقال العشو بالواو المعدودين في الشعراء. وقصيدته الدالة المشهورة:

نام الخلي وما أحس رقادي والهم مختصرٌ لدي وسادي

معدودةٌ من مختار أشعار العرب وحكمها، مفضلية مأثورةٌ.

توقف سوار شهادة دارمي يجهل الأسود بن يعفر أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي وأبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي قالا: حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال: تقدم رجل من أهل البصرة من بني دارم إلى سوار بن عبد الله ليقيم عنده شهادةً، فصادفه يتمثل قول الأسود بن يعفر :

ولقد علمت لو أن علمي نافعي أن السبيل سبيل ذي الأعواد

إن المنية والحتوف كلاهما يوفي المخارم يرميان سوادي

ماذا أؤمل بعد آل محرقٍ تركوا منازلهم وبعد إياد

أهل الخورنق والسدير وبارقٍ والقصر ذي الشرفات من سنداد

نزلوا بأنقرةٍ يفيض عليهم ماء الفرات يفيض من أطواد

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

ثم أقبل على الدارمي فقال له: أتروي هذا الشعر؟ قال: لا. قال: أفتعرف من يقوله؟ قال: لا. قال: رجل من قومك له هذه النباهة وقد قال مثل هذه الحكمة لا ترويها ولا تعرفه! يا مزاحم، أثبت شهادته عندك، فإني متوقفُ عن قبوله حتى أسأل عنه، فإني أظنه ضعيفاً.

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن الرياشي عن أبي عبيدة بمثله.

عشرة آلاف لمن يروي قصيدة نام الخلي... أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن ابي سعد قال حدثني الحكم بن موسى السلولي قال حدثني أبي قال: بينا نحن بالرافقة على باب الرشيد وقوفٌ، وما أفقد أحداً من وجوه العرب من أهل الشام والجزيرة والعراق، إذ خرج وصيفٌ كأنه درةٌ فقال، يا معشر الصحابة، إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: من كان منكم يروي قصيدة الأسود بن يعفر:

نام الخلي وما أحس رقادي والهم مختصرٌ لدي وسادي

فليدخل فلينشدها أمير المؤمنين وله عشرة آلاف درهمٍ. فنظر بعضنا إلى بعضٍ، و لم يكن فينا أحدٌ يرويها. قال: فكأنما سقطت والله البدرة عن قربوسي . قال الحكم: فأمرني أبي فرويت شعر الأسود بن يعفر من أجل هذا الحديث.

تمثل علي بشعره لما انتهى إلى مدائن كسرى أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثني أبي قال: حدثني عبد الله بن عبد الرحمن المدائني قال: حدثنا أبو أمية بن عمرو بن هشام الحراني قال: حدثنا محمد بن يزيد بن سنان قال: حدثني جدي سنان بن يزيد قال: كنت مع مولاي جرير بن سهم التميمي وهو يسير أمام علي بن أبي طالب عليه السلام ويقول:

يا فرسي سيري وأمي الشاما وخلفي الأخوال والأعماما

وقطعي الأجواز والأعلام وقاتلي من خالف الإماما

إني لأرجو إن لقينا العاما جمع بني أمية الطغاما

أن نقتل العاصي والهماما وأن نزيل من رجالٍ هاما

فلما انتهى إلى مدائن كسرى وقف عليٌّ عليه السلام ووقفنا، فتمثل مولاي قول الأسود بن يعفر:

جرت الرياح على مكان ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

فقال له عليٌ عليه السلام: فلم لم تقل كما قال جل وعز: "كم تركوا من جنات وعيون. وزروع ومقام كريم. ونعمة كانوا فيها فاكهين. كذلك وأورثناها قوماً آخرين" . ثم قال: يا ابن أخي، إن هؤلاء كفروا النعمة، فحلت بهم النقمة ، فإياكم وكفر النعمة فتحل بكم النقمة.

تمثل عمر بن عبد العزيز بشعره حين مر بقصر لآل جفنة أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: مر عمر بن عبد العزيز ومعه مزاحمٌ مولاه يوماً بقصرٍ من قصور ال جفنة، فتمثل مزاحمٌ بقول الأسود بن يعفر:

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشةٍ في ظل ملكٍ ثابت الأوتاد

فإذا النعيم وكل ما يلهى به يوماً يصير إلى بلىً ونفاد

فقال له عمر: هلا قرأت: "كم تركوا من جنات وعيونٍ" ، إلى قوله جل وعز: "كذلك وأورثناها قوماً آخرين" .

ما قاله في استنقاذ إبل له أخذها بكر بن وائل نسخت من كتاب محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل قال: كان الأسود بن يعفر مجاوراً في بني قيس بن ثعلبة ثم في بني مرة بن عباد بالقاعة ، فقامرهم فقمروه، حتى حصل عليه تسعة عشر بكراً، فقالت لهم أمه وهي رهم بنت العباب: يا قوم، أتسلبون ابن أخيكم ماله؟ قالوا: فماذا نصنع؟ قالت: احبسوا قداحه . فلما راح القوم قالوا له: أمسك . فدخل ليقامرهم فردوا قداحه. فقال: لا أقم بين قوم لا أضرب فيهم بقدح؛ فاحتمل قبل دخول الأشهر الحرم، فأخذت إبله طائفة من بكر بن وائل؛ فاستسعى الأسود بني مرة بن عباد وذكرهم الجوار وقال لهم:

يال عباد دعوة بعد هجمة فهل فيكم من قوة وزماع

فتسعوا لجار حل وسط بيوتكم غريب وجارات تركن جياع

وهي قصيدة طويلة، فلم يصنعوا شيئاً. فادعى جوار بني محلم بن ذهل بن شيبان، فقال:

قل لبني محلم يسيروا بذمة يسعى بها خفير

لا قدح بعد اليوم حتى توروا

ويروى إن لم توروا فسمعوا معه حتى استنقذوا إبله، فمدحهم بقصيدته التي أولها:

أجارتنا غضي من السير أوقفي إن كنت قد أزمعت بالبين فاصرفي
سائلك أو أخبرك عن ذي لبانة سقيم الفؤاد بالحسان مكلف

يقول فيها :

تداركني أسباب آل محلم وقد كدت أهوي بين نيقين نفنف
هم القوم يمسي جارهم في غضارة سوياً سليم اللحم لم يتحوف

فلما بلغتهم أبياته ساقوا إليه مثل إبله التي استنقذوها من أموالهم.

طلب طلحة أن يسعى له في إبله

قال المفضل: كان رجل من بني سعد بن عوف بن مالك بن حنظلة يقال له طلحة، جاراً لبني ربيعة بن عجل بن لجيم ، فأكلو إبله، فسأل في قومه حتى أتى الأسود بن يعفر يسأله أن يعطيه يسعى له في إبله. فقال له الأسود: لست جامعهما لك، ولكن أيهما شئت. قال: أختار أن تسعى لي بإبلي. فقال الأسود لأخواله من بني عجل:

يا جار طلحة هل ترد لبونه فتكون أدنى للوفاء وأكرما
تالله لو جاورتموه بأرضه حتى يفارقكم إذا ما أحرما

وهي قصيدة طويلة.

فبعث أخواله من بني عجل بإبل طلحة إلى الأسد بن يعفر فقالوا: أما إذا كنت شفيعه فخذها، وتول ردها لتحرز المكرمة عنده دون غيرك.

وقال ابن الأعرابي: قتل رجلان من بني سعد بن عجل يقال لهما وائل وسليط ابنا عبد الله، عما لخالد بن مالك بن ربعي النهشلي يقال له عامر بن ربعي، وكان خالد بن مالك عند النعمان حينئذ ومعه الأسود بن يعفر. فالتفت النعمان يوماً إلى خالد بن مالك فقال له: أي فارسين في العرب تعرف هما أثقل على الأقران وأخف على متون الخيل؟ فقال له: أبيت اللعن! أنت أعلم. فقال: خالاً ابن عمك الأسود بن يعفر وقاتلا عمك عامر بن ربعي يعني العجليين وائلاً وسليطاً فتغير لون خالد بن مالك. وإنما أراد النعمان أن يحثه على الطلب بثأر عمه. فوثب الأسود فقال: أبيت اللعن! عض بهن أمه من رأى حق أخواله فوق حق أعمامه. ثم التفت إلى خالد بن مالك فقال: يا بن عم، الخمر علي حرام حتى أثأر لك بعمك، قال وعلي مثل ذلك.

ونهضا يطلبان القوم، فجمعا جمعاً من بني نهشل بن دارم فأغارا بهم على كاظمة ، وأرسلا رجلاً من بني زيد بن نهشل بن دارم يقال له عبيد يتجسس لهم الخبر، فرجع إليهم فقال: جوف كاظمة ملآن من حجاج وتجار، وفيهم وائل وسليط متساندان في جيش. فركبت بنو نهشل حتى أتوهم، فنادوا: من كان حاجاً فليمض لحجه،

ومن كان تاجراً فليمض لتجارته. فلما خلص لهم وائل وسليط في جيشهما اقتتلوا، فقتل وائل وسليط، قتلهما هزان بن جندل بن نهشل، عادى بينهما . وادعى الأسود بن يعفر أنه قتل وائلاً. ثم عاد إلى النعمان فلما رآه تبسم وقال: وفي نذرك يا أسود؟ قال: نعم أبيت اللعن! ثم أقام عنده مدة ينادمه ويؤاكله.

ثم مرض مرضاً شديداً، فبعث النعمان إليه رسولاً يسأله عن خبره وهول ما به؛ فقال:

نفع قليل إذا نادى الصدى أصلاً ... وحان منه لبرد الماء تغريد

وودعوني فقالوا ساعة انطلقوا ... أودى فأودى الندى والحزم والجود

فما أبالي إذا ما مت ما صنعوا ... كل امرئ بسبيل الموت مرصود

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني يأثره عن أبيه، قال:

ما قاله في فرس أخذها ابنه جراح

من بني الحارث بن تيم الله واستولدها أمهاراً

كان أبو جعل أخو عمر بن حنظلة من البراجم قد جمع جمعاً من شذاذ أسد وتميم وغيرهم، فغزوا بني الحارث بن تيم الله بن ثعلبة، فنذروا بهم وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى فضوا جمعهم، فلحق رجل من بني الحارث بن تيم الله بن ثعلبة جماعة من بني نهشل فيهم جراح بن الأسود بن يعفر، والحر بن شمر بن هزان بن زهير بن جندل، ورافع بن صهيب بن حارثة بن جندل، وعمرٌو والحارث أبنا حرير بن سلمى بن جندل، فقال لهم الحارثي : هلم إلي طلقاء ؛ فقد أعجبني قتالكم سائر اليوم، وأنا خير لكم من العطش. قالوا نعم. فنزل ليجز نواصيهم. فنظر الجراح بن الأسود إلى فرس من خيلهم فإذا هي أجود فرس في الأرض، فوثب فركبها وركضها ونجا عليها. فقال الحارثي للذين بقوا معه: أتعرفون هذا؟ قالوا: نعم نحن لك عليه خفراء. فلما أتى جراح أباه أمره فهرب بها في بني سعد فابتطنها ثلاثة أبطن، وكان يقال لها: العصماء. فلما رجع النفر النهشليون إلى قومهم قالوا إنا خفراء فارس العصماء، فوالله لنأخذنها، فأوعدوه . وقال حرير ورافع: نحن الخفيران بها. وكان بنو جرول حلفاء بني سلمى بن جندل على بني حارثة بن جندل، فأعانه على ذلك التيحان بن بلج بن جرول بن نهشل. فقال الأسود بن يعفر يهجوه:

أتاني ولم أخشى الذي ابتعثا به ... خفيرا بني سلمى حرير ورافع

هم خيبوني يوم كل غنيمة ... وأهلكتهم لو أن ذلك نافع

فلا أنا معطيهم علي ظلامة ... ولا الحق معروفاً لهم أنا مانع

وإني لأقري الضيف وصى به أبي ... وجار أبي التيحاني ظمآن جائع

فقولا لتيحان ابن عاقرة استها ... أمجر فلاقي الغي أم أنت نازع

ولو أن تيحان بن بلج أطاعني لأرشدته وللأمور مطالع
وإن يك مدلولاً عليَّ فإنني أخو الحرب لا قحمٌ ولا متجاذع
ولكن تيحان ابن عاقرة استها له ذنب من أمره وتوابع

قال: فلما رأى الأسود أنهم لا يقلعون عن الفرس أو يردوها، أحلفهم عليها فحلفوا أنهم خفراء لها، فرد الفرس عليهم وامسك أمهارها، فردوا الفرس إلى صاحبها. ثم أظهر الأمهار بعد ذلك، فأوعدوه فيها أن يأخذوها. فقال الأسود:

أحقاً بني أبناء سلمى بن جندل وعيدكم إياي وسط المجالس
فهلاّ جعلتم نحوه من وعيدكم على رهط قعقاع ورهط ابن حابس
هم أوردوكم ضفة البحر طامياً وهم تركوكم بين خاز وناكس

رثاؤه مسروق بن المنذر النهشلي

وكان كثير البر به

وقال أبو عمرو: كان مسروق بن المنذر بن سلمى بن جندل بن نهشل سيداً جواداً، وكان مؤثراً للأسود بن يعفر، كثير الرفد له والبر به. فمات مسروق واقتسم أهله ماله، وبان فقده على الأسود بن يعفر فقال يرثيه:

أقول لما أتاني هلك سيدنا لا يبعد الله رب الناس مسروقا
من لا يشيعه عجز ولا بخل ولا يبيت لديه اللحم موشوقا
مردي حروب إذا ما الخيل ضرجها نضخ الدماء وقد كانت أفاريقا
والطاعن الطعنة النجلاء تحسبها شناً هزيماً يمج الماء مخروقا
وجفنة كنضيح البئر متأقة ترى جوانبها باللحم مفتوقا
يسرتها ليتامى أو لأرملة وكنت بالبأس المتروك محقوقا
يا لهف أمي إذ أودى وفارقني أودى ابن سلمى نقي العرض مرموقا

ما أجاب بنته وقد لامته على جوده

وقال أبو عمرو: عاتبت سلمى بنت الأسود بن يعفر أباها على إضاعته ماله فيما ينوب قومه من حمالة وما يمنحه فقراءهم ويعين به مستمنحهم، فقال لها:

وقالت لا أراك تليق شيئاً أتهلك ما جمعت وتستفيد

فقلت بحسبها يسر وعار ومرتحل إذا رحل الوفود

فلومي إذا بدا لك أو أفيقي فقبلك فاتني وهو الحميد

أبو العوراء لم أكمد عليه وقيس فاتني وأخي يزيد

مضوا لسبيلهم وبقيت وحدي وقد يغني رباعته الوحيد

فلولا الشامتون أخذت حقي وإن كانت بمطلبه كؤود

ويروى:

وإن كانت له عندي كؤود

ما قاله ابنه جراح

وكان ضئيلاً وضعيفاً

قال أبو عمرو: وكان الجراح بن الأسود في صباه ضئيلاً وضعيفاً، فنظر إليه الأسود وهو يصارع صبياً من الحي" وقد صرعه الصبي" والصبيان يهزءون منه، فقال:

سيجرح جراح وأعقل ضيمه إذا كان مخشيا من الضلع المبدي

فآباء جراحٍ ذؤابة دارمٍ وأخوال جراح سراة بني نهد

قال: وكانت أم الجراح أخيذةً، أخذها الأسود من بني نهد في غارةٍ أغارها عليهم.

ما قاله لما أسن وكف بصره

وقال أبو عمرو: لما أسن الأسود بن يعفر كف بصره، فكان يقاد إذا أراد مذهباً. وقال في ذلك:

قد كنت أهدي ولا أهدى فعلمني حسن المقادة أني أفقد البصرا

أمشي وأتبع جناباً ليهديني إن الجنيبة مما تجشم الغدرا

الجناب: الرجل الذي يقوده كما تقاد الجنيبة. الجشم: المشي ببطء. والغدر: مكان ليس مستوياً.

شعر لأخيه حطائط

وقد لامته أمه على جوده

وذكر محمد بن حبيب، عن ابن الإعرابي، عن المفضل: أن الأسود كان له أخٌ يقال له حطائط بن يعفر شاعر، وأن ابنه الجراح كان شاعراً أيضاً. قال: وأخوه حطائط الذي قال لأمهما رهم بنت العباب، وعاتبته على جوده فقال:

تقول ابنة العباب رهم حربتني ... حطائط لم تترك لنفسك مقعدا
إذا ما جمعنا صرمةً بعد هجمةٍ ... تكون علينا كابن أمك أسودا
فقلت ولم أعي الجواب: تأملي ... أكان هزالاً حتف زيد وأربدا
أريني جواداً مات هزلاً لعلني ... أرى ما ترين أو بخيلاً مخلدا
ذريني أكن للمال ربا ولا يكن ... لي المال ربا تحمدي غبه غدا
ذريني فلا أعيا بما حل ساحتي ... أسود فأكفي أو أطيع المسودا

ذريني يكن مالي لعرضي وقايةً ... يقي المال عرضي قبل أن يتبدد
أجارة أهلي بالقصيمة لا يكن ... علي ولم أظلم لسانك مبردا

صوت

أعاذلتي ألا لا تعذلينا ... أقلي اللوم إن لم تنفعينا
فقد أكثرت لو أغنيت شيئاً ... ولست بقابلٍ ما تأمرينا

الشعر لأرطاة بن سهية، والغناء لمحمد بن الأشعث، خفيف رملٍ بالبنصر، من نسخت عمرو بن بانة.

أخبار أرطاة ونسبه

نسبه من قبل أبويه

وبيان أن أمه كانت لضرار بن الأزور فصارت إلى زفر وهي حامل بأرطاة هو أرطاة بن زفر بن عبد الله بن مالك بن شداد بن عقفان بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان. وقد تقدم هذا النسب في عدة مواضع من هذا الكتاب. وسهية أمه؛ وهي بنت زامل بن مروان بن زهير بن ثعلبة بن حديج بن أبي جشم بن كعب بن عامر بن عوف، سبية من كلب، وكانت لضرار بن الأزور ثم صارت إلى زفر وهي حامل فجاءت بأرطاة من ضرار على فراش زفر؛ فلما ترعرع أرطاة جاء ضرار إلى الحارث بن عوف فقال له:

يا حارث افكك لي بني من زفر

ويروى: "يا حار أطلق لي"

في بعض من تطلق من أسرى مضر

إن أباه امرؤ سوء إن كفر

فأعطاه الحارث إياه وقال: انطلق بابنك، فأدركه نهشل بن حري بن غطفان فانتزعه ورده إلى زفر. وفي تصداق ذلك يقول أرطاة لبعض أولاد زفر:

فإذا خمصتم قلتم يا عمنا وإذا بطنتم قلتم ابن الأزور

قال: ولهذا غلبت أمه سهية على نسبه فنسب إليها. وضرار بن الأزور هذا قاتل مالك بن نويرة الذي يقول فيه أخوه متمم:

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت تحت البيوت، قتلت يا بن الأزور

منزلته في الشعر

وأرطاة شاعر فصيح، معدودٌ في طبقات الشعراء المعدودين من شعراء الإسلام في دولة بني أمية لم يسبقها و لم يتأخر عنها. وكان أمرأ صدق شريفاً في قومه جواداً.

إنشاده عبد الملك بعض ما ناقض به شبيب بن البرصاء أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان رفيع بن سلمة الملقب بدماذ، قال: حدثنا أبو عبيدة قال: دخل أرطاة بن سهية على عبد الملك بن مروان، فاستنشده شيئاً مما كان يناقض به شبيب بن البرصاء، فأنشده:

أبي كان خيراً من أبيك ولم يزل جنيباً لآبائي وأنت جنيب

فقال له عبد الملك بن مروان: كذبت، شبيبٌ خير منك أباً. ثم أنشده:

وما زلت خيراً منك مذ عض كارها برأسك عادي النجاد رسوب

معرفة عبد الملك مقادير الناس

فقال له عبد الملك: صدقت، أنت في نفسك خير من شبيب. فعجب من عبد الملك من حضر ومن معرفته مقادير الناس على بعدهم منه في بواديهم، وكان الأمر على ما قال: كان شبيب أشرف أباً من أرطاة، وكان أرطاة أشرف فعلاً ونفساً من شبيب.

ما قاله لعبد الملك وقد أسن

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عمرو بن بحر الجاحظ ودماذ أبو غسان، قالا جميعاً، قال أبو عبيدة: دخل أرطاة بن سهية على عبد الملك بن مروان، فقال له: كيف حالك يا أرطاة؟ وقد كان أسن فقال: ضعفت

أوصالي، وضاع مالي، وقل مني ما كنت أحب كثرته، وكثر مني ما كنت أحب قلته. قال: فكيف أنت في شعرك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أطرب ولا أغضب ولا أرغب ولا أرهب، وما يكون الشعر إلا من نتائج الأربع، وعلى أني القائل:

رأيت المرء تأكله الليالي ... كأكل الأرض ساقطة الحديد

وما تبغي المنية حين تأتي ... على نفس ابن آدم من مزيد

واعلم أنها ستكر حتى ... توفي نذرها بأبي الوليد

فارتاع عبد الملك ثم قال: بل توفي نذرها بك ويلك! مالي ولك؟ فقال: لا ترع يا أمير المؤمنين، فإنما عنيت نفسي وكان أرطاة يكنى أبا الوليد فسكن عبد الملك، ثم استعبر باكياً وقال: أما والله على ذلك لتلمن بي.

أخبرني به حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمرو بن شبة قال حدثني أبو غسان محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت، فذكر قريباً منه يزيد وينقص ولا يحيل معنى.

مدحه مروان لما أجتمع له أمر الخلافة

أخبرني عبد الملك بن مسلمة القرشي الهشامي بأنطاكية قال أخبرني أبي عن أهلنا أن أرطاة بن سهية دخل على مروان بن الحكم لما اجتمع له أمر الخلافة .

وفرغ من الحروب التي كان بها متشاغلاً. وصمد لإنفاذ الجيوش إلى ابن الزبير لمحاربته، فهنأه وكان خاصاً به وبأخيه يحيى بن الحكم، ثم أنشده :

تشكى قلوصي إلي الوجى ... تجر السرج وتبلي الخداما

تزور كريماً له عندها ... يدٌ لا تعد وتهدي السلاما

وقل ثواباً له أنها ... تجيد القوافي عاماً فعاما

وسادت معدا على رغمها ... قريشٌ وسدت قريشاً غلاما

جعلت على الأمر فيه صغاً ... فما زال غمزك حتى استقاما

لقيت الزحوف فقاتلتها ... فجردت فيهن عضباً حساما

تشق القوانس حتى تنا ... ل ما تحتها ثم تبري العظاما

نزعت على مهل سابقاً ... فما زادك النزع إلا تماما

فزاد لك الله سلطانه ... وزاد لك الخير منه فداما

فكساه مروان وأمر له بثلاثين ناقة وأوقرهن له برا وزبيباً وشعيراً.

هجاؤه شبيباً وقد وقع فيه عند يحيى

ابن الحكم

قال: وكان أرطاة يهاجي شبيب بن البرصاء، ولكل واحد منهما في صاحبه هجاء كثير، وكان كل واحد منهما ينفي صاحبه عن عشيرته في أشعاره، فأصلح بينهما يحيى بن الحكم، وكانت بنو مرة تألفه وتنتجعه لصهره فيهم. فلما افترقا سبعه شبيب عند يحيى بن الحكم؛ فقال أرطاة له:

رمتك فلم تشو الفؤاد جنوب ... وما كل من يرمي الفؤاد يصيب
وما زودتنا غير أن خلطت لنا ... أحاديث منها صادق وكذوب
ألا مبلغ فتيان قومي أنني ... هجاني ابن برصاء اليدين شبيب
وفي آل عوف من يهود قبيلة ... تشابه منها ناشئون وشيب
أبي كان خيراً من أبيك ولم يزل ... جنيباً لآبائي وأنت جنيب
وما زلت خيراً منك مذ عض كارهاً ... برأسك عادي النجاد رسوب
فما ذنبنا إن أم حمزة جاورت ... بيثرب أتياساً لهن نبيب
إن رجالاً بين سلعٍ وواقمٍ ... لأير أبيهم في أبيك نصيب
فلو كنت عوفياً عميت وأسهلت ... كداك ولكن المريب مريب

حرص العوفيين على العمى عند الكبر

فأخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي قال: لما قال هذا الشعر أرطاة في شبيب بن البرصاء كان كل شيخ من بني عوف يتمنى أن يعمى "وكان العمى شائعاً في بني عوف كما أسن منهم رجل عمي" فعمر أرطاة و لم يعم، فكان شبيب يعيره بذلك. ثم مات أرطاة وعمي شبيب، فكان يقول بعد ذلك: ليت أرطاة عاش حتى يراني أعمى فيعلم أنني عوفي.

ما كان له مع شبيب

وقد تمنى لقاءه في يوم قتال

ونسخت من كتاب ابن الأعرابي في شعر أرطاة قال: كان شبيب بن البرصاء يقول : وددت أني جمعني وابن الأمة أرطاة بن سهية يوم قتال فأشفي منه غيظي. فبلغ ذلك أرطأة فقال له:

إن تلقني لا ترى غيري بناظرة ... تنس السلاح وتعرف جهة الأسد
ماذا تظنك تغني في أخي رصد ... من أسد خفان جابي العين ذي لبد

جابي العين وجائب العين: شديد النظر

أبي ضراغمة غبر يعودها أكل الرجال متى يبدأ لها يعد
يا أيها المتمني أن يلاقيني إن تنأآتك أو إن تبغني تجد
نقص اللبانة من مر شرائعه صعب المقادة تخشاه فلا تعد
متى تردني لا تصدر لمصدرة فيها نجاة وغن أصدرك لا ترد
لا تحسبني كفقع القاع ينقره جان بإصبعه أو بيضة البلد
أنا ابن عقفان معروف له نسبي إلا بما شاركت أم على ولد
لاقى الملوك فأثأى في دمائهم ثم استقر بلا عقل ولاقود
من عصبة يطعنون الخيل ضاحية حتى تبدد كالمزءودة الشرد
ويمنعون نساء الحي إن علمت ويكشفون قتام الغارة العمد

أنا ابن صرمة إن تسال خيارهم أضرب برجلي في ساداتهم ويدي
وفي بني مالك أم وزاقرة لا يدفع المجد من قيس إلى أحد
ضربت فيهم بأعرافي كما ضربت عروق ناعمة في أبطح ثئد
جدي قضاعة معروف ويعرفني جبا رفيدة أهل السرو والعدد

خبر حبة لوجزة وما قال فيها أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن عبد الله الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال: كان أرطأة بن سهية يتحدث إلى امرأة من غني يقال لها وجزة، وكان يهواها ثم افترقا وحال الزمان بينهما وكبر أرطأة، ثم اجتمعت غني وبنومره في دار، فمر أرطأة بوجزة وقد هرمت وتغيرت محاسنها وافتقرت، فجلس إليها وتحدث معها وهي تشكو إليه أمرها، فلما أراد الانصراف أمر راعيه فجاء بعشرة من إبله فعقلها بفنائها وانصرف وقال:

مررت على حدثي برمان بعدما تقطع أقران الصبا والوسائل
فكنت كظبي مفلت ثم لم يزل به الحين حتى أعلقته الحبائل

أرطاة ينسب بوجزة

قال أبو الفرج الأصبهاني: وقد ذكر أرطأة بن سهية وجزة هذه، ونسب بها في مواضع شعره، فقال في قصيدة:

وداوية نازعتها الليل زائرا لوجزة تهديني النجوم الطوامس
أعوج بأصحابي عن القصد تعتلي بنا عرض كسريها المطي العرامس

فقد تركتني لا أعيج بمشرب فأروى ولا ألهو إلى من أجالس
ومن عجب الأيام أن كل منزل لوجزة من أكناف رمان دارس
وقد جاورت قصر العذيب فما يرى برمان إلا ساخط العيش بائس
طلاب بعيد اختلاف من النوى إذا ما أتى من دون وجزة قادس
لئن أنجح الواشون بيني وبينها وطال التنائي والنفوس النوافس
لقد طالما عشنا جميعاً وودنا جميع إذا ما يبتغي الأنس آنس
كذلك صرف الدهر ليس تبارك حبيباً ويبقى عمره المتقاعس

وقال ابن الأعرابي: كانت بين أرطأة بن سهية وبين رجل من بني أسد يقال له حيان مهاجاة، اعترض بينهما حباشة الأسدي فهجا أرطاة فقال فيه أرطأة:

أبلغ حباشة أني غير تاركه حتى أذله إذا كان ما كانا
الباعث القول يسديه ويلمحه كالمجتدي الثكل إذ حاورت حيانا
إن تدع خندف بغياً أو مكاثرة أدع القبائل من قيس بن عيلانا
قد نحبس الحق حتى ما يجاوزنا والحق يحسبنا في حيث يلقانا
نبني لآخرنا مجداً نشيده إنّا كذاك ورثنا المجد أولادنا

وقال ابن الأعرابي: وفد أرطأة بن سهية إلى الشام زائراً لعبد الملك بن مروان عام الجماعة، وقد هنأه بالظفر، ومدحه فأطال المقام عنده، وأرجف أعدائه بموته، فلما قدم وقد ملأ يديه بلغه ما كان منهم، فقال فيهم:

إذا ما طلعنا من ثنية لفلف فخبر رجالاً يكرهون إيابي
وخبرهم أني رجعت بغبطة أحدد أظافري ويصرف نابي
وإني ابن حرب لا تزال تهرني كلاب عدوي أو تهر كلابي

أرطاة وزميل يتلاحيان وقال أبو عمرو الشيباني: وقع بين زميل قاتل ابن دارة وبين أرطاة بن سهية لحاء؛ فتوعده زميل، وقال: إني لأحسبك ستجرع مثل كأس ابن دارة. فقال له أرطاة:

يا زمل إني إن أكن لك سائقا تركض برجليك النجاة وألحق
لا تحسبني كامرئ صادفته بمضيعة فخدشته بالمرفق
إني امرؤ أوفى إذا قارعتكم قصب الرهان وما أشأ أتعرق

فقال له زميل:

يا أرط إن تك فاعلاً ما قلته والمرء يستحيي إذا لم يصدق
فافعل كما فعل ابن دارة سالم ثم امش هونك سادراً لا تتق
وإذا جعلتك بين لحيي شابك الأ نياب فارعد ما بدا لك وابرق

أخبرني أبو الحسن الأسدي، قال: حدثنا الرياشي، قال: حدثنا الأصمعي قال: قال أرطاة بن سهية للربيع بن قعنب:

لقد رأيتك عرياناً ومؤتزراً فما عرفت أأنثى أنت أم ذكر؟

فقال له الربيع: لكن سهية قد عرفتني. فغلبه وانقطع أرطاة.

ابن سهيل يتزوج أم هشام ويأخذ عليها المواثيق عند وفاته ألا تتزوج بعده ولكنها تزوجت عمر بن عبد العزيز

أخبرني عمي، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حثنا قعنب بن المحرز عن الهيثم بن الربيع عن عمرو بن جبلة الباهلي قال: تزوج عبد الرحمن بن سهيل بن عمرو أم هشام بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب، وكانت من أجمل نساء قريش وكان يجد بها وجداً شديداً، فمرض مرضته التي هلك فيها، فجعل يديم النظر إليها وهي عند رأسه، فقالت له إنك لتنظر إلي نظر رجل له حاجة، قال: إي والله إن لي إليك حاجة لو ظفرت بها لهان علي ما أنا فيه. قالت: وما هي؟ قال: أخاف أن تتزوجي بعدي. قالت: فما يرضيك من ذلك؟ قال: أن توثقي لي بالإيمان المغلظة. فحلفت له بكل يمين سكنت إليها نفسه ثم هلك. فلما قضت عدتها خطبها عمر بن عبد العزيز وهو "أمير المدينة" فأرسلت إليه: ما أراك إلا وقد بلغك يميني، فأرسل إليها: لك مكان كل عبد وأمة عبدان وأمتان، ومكان كل علق علقان، ومكان كل شيء ضعفه. فتزوجته، فدخل عليها بطال بالمدينة، وقيل: بل كان رجلاً من مشيخة قريش مغفلاً، فلما رآها مع عمر جالسة قال:

تبدلت بعد الخيزران جريدة وبعد ثياب الخز أحلام نائم

فقال له عمر: جعلتني ويلك جريدة وأحلام نائم! فقالت أم هشام ليس كما قلت، ولكن كما قال أرطاة بن سهية:

وكائن ترى من ذات بث وعولة بكت شجوها بعد الحنين المرجع
فكانت كذات البو لما تعطفت على قطع من شلوه المتمزع
متى لا تجده تنصرف لطياتها من الأرض أو تعمد لإلف فتربع
عن الدهر فاصفح إنه غير معتب وفي غير من قدورات الأرض فاطمع

وهذه الأبيات من قصيدة يرثي بها ابنه عمراً.

أرطأة يقيم عند قبر ابنه حولاً

ويرق قومه بعد ذلك فيقمون عامهم ذلك

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثنا الحسن بن عليل، قال: حدثنا قعنب بن المحرز عن أبي عبيدة، قال: كان لأرطأة بن سهية ابن يقال له: عمرو، فمات، فجزع عليه أرطأة حتى كاد عقلة يذهب، فأقام على قبره، وضرب بيته عنده لا يفارقه حولاً. ثم إن الحي أراد الرحيل بعد حول لنجعة بغوها، فغدا على قبره، فجلس عنده حتى إذا حان الرواح ناداه: رح يا ابن سلمى معنا! فقال له قومه: ننشدك الله في نفسك وعقلك ودينك، كيف يروح معك من مات مذ حول؟ فقال: أنظروني الليلة إلى الغد. فأقاموا عليه، فلما أصبح ناداه: اغد يا ابن سلمى معنا، فلم يزل الناس يذكرونه الله ويناشدونه، فانتصى سيفه وعقر راحلته على قبره، وقال: والله لا أتبعكم فامضوا إن شئتم أو أقيموا. فرقوا له ورحموه، فأقاموا عامهم ذلك، وصبروا على مترلهم. وقال أرطأة يومئذ في ابنه عمرو يرثيه:

وقفت على قبر ابن سلمى فلم يكن ... وقوفي عليه غير مبكى ومجزع

هل أنت ابن سلمى إن نظرتك رائح ... مع الركب أو غادٍ غداة غدٍ معى

أأنسى ابن سلمى وهو لم يأت دونه ... من الدهر إلا بعض صيف ومربع

وقفت على جثمان عمرو فلم أجد ... سوى جدث عاف ببيداء بلقع

ضربت عمودى بانه سموا معا ... فخرت ولم أتبع قلوصي بدعدع

ولو أنها حادت عن الرمس نلتها ... ببادرة من سيف أشهب موقع

تركتك إن تحيي تكوسي وإن تنؤ ... على الجهد تخذلها توال فتصرع

فدع ذكر من قد حالت الأرض دونه ... وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع

أرطأة يناجي قبر ولده حولاً كاملاً وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن الحسين بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة، فذكر أن أرطأة كان يجيء إلى قبر ابنه عشيّا فيقول: هل أنت رائح معي يا ابن سلمى؟ ثم ينصرف فيغدو عليه ويقول له مثل ذلك حولاً، م تمثّل قول لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، قال: حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني قال: قال أرطأة بن سهية يوماً للربيع بن قعنب كالعابث به:

لقد رأيتك عرياناً ومؤتزراً ... فما دريت أأنثى أنت أم ذكر

فقال له الربيع:

لكن سهية تدري إذ أتيتكم على عريجاء لما احتلت الأزر

فغلبه الربيع، ولج الهجاء بينهما، فقال الربيع بن قعنب يهجو أرطأة:

وما عاشت بنو عقفان إلا بأحلام كأحلام الجواري

وما عقفان من غطفان إلا تلمُّس مظلم بالليل ساري

إذا نحرت بنو غيظ جزوراً دعوهم بالمراجل والشِّفار

طهاة اللحم حتى ينضجوه وطاهي اللحم في شغل وعار

فقال أرطأة يجيبه ويعيِّره بأن أمه من عبد القيس:

وهذا الفسو قد شاركت فيه فمن شاركت في أير الحمار

وأي الناس أخبث من من هبل فزاري وأخبث ريح دار

مسرف بن عقبة يطرد قومه ومعهم أرطاة

لما استرفدوه بعد التهنئة والمديح بفوزه على أهل الحرة

أخبرني عبد الله بن محمد اليزيدي، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، قال: حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي، قال: قدم مسرف بن عقبة المري المدينة، وأوقع بأهل الحرة، فأتاه قومه من بني مرة وفيهم أرطاة فهنئوه بالظفر واسترفدوه فطردهم ونهرهم، وقال أرطأة بن سهية ليمدحه فتجهمه بأقبح قول وطرده. وكان في جيش مسرف رجل من أهل الشام من عذرة، يقال له عمارة، قد كان رأى أرطاة عند معاوية بن أبي سفيان، وسمع شعره، وعرف إقبال معاوية عليه، ورفده له، فأومأ إلى أرطاة فأتاه، فقال له: لا يغررك ما بدا لك من الأمير، فإنه عليل ضجر، ولو قد صح واستقامت الأمور لزال عما رأيت من قوله وفعله، وأنا بك عارف، وقد رأيتك عند أمير المؤمنين - يعني معاوية - ولن تعدم مني ما تحب. ووصله وكساه وحمله على ناقة، فقال أرطأة يمدحه ويهجو مسرفاً:

لحا الله فودى مسرف وابن عمه وآثار نعلي مسرف حيث أثرا

مررت على ربعيهما فكأنني مررت بجبارين من سرو حميرا

ويروي: تضيَّفت جبَّارين

على أن ذا العليا عمارة لم أجد على البعد حسن العهد منه تغيَّرا

حباني ببرديه وعنس كأنما بنى فوق متنيها الوليدان قهقرا

أرطأة يسب من تطاولت على أمه

ويضربها فيلومه قومه

وقال أبو عمرو الشيباني: خاصمت امرأة من مرة سهية أم أرطأة بن سهية، وكانت من غيرهم أخيذة أخذها أبوه، فاستطالت عليها وسبتها، فخرج أرطاة إليها فسبها وضربها، فجاء قومه، ولاموه، وقالوا له مالك تدخل نفسك في خصومات النساء! فقال لهم:

يعيرني قومي المجاهل والخنا ... عليهم وقالوا أنت غير حليم

هل الجهل فيكم أن أعاقب بعدما ... تجوز سبِّي واستحل حريمي

إذا أنا لم أمنع عجوزي منكم ... فكانت كأخرى من النساء عقيم

وقد علمت أفناء مرة أننا ... إذا ما اجتدانا الشر كل حميم

حماة لأحساب العشيرة كلها ... إذا ذم يوم الروع كل مليم

وتمام الأبيات التي فيها الغناء، المذكورة قبل أخبار أرطأة بن سهيَّة، وذكرت في قوله في قتلى من قومه قُتلوا يوم بنات قين هو:

فلا وأبيك لا تنفك نبكي ... على قتلى هنالك ما بقينا

على قتلى هنالك أوجعتنا ... وأنستنا رجالاً آخرينا

سنبكي بالرماح إذا التقينا ... على إخواننا وعلى بنينا

بطعن ترعد الأحشاء منه ... يرد البيض والأبدان جونا

كأن الخيل إذ آنسن كلبا ... يرين وراءهم ما يبتغينا

صوت

عجبت لمسراها وأنّى تخلصت ... إليّ وباب السجن بالقفل مغلق

ألمت فحيت ثم قامت فودعت ... فلما تولت كادت النفس تزهق

الشعر لجعفر بن علبة الحارثي، والغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أن فيه خفيفاً ثقيلاً أول بالوسطى لابن سريج. وذكر حماد بن إسحاق أن فيه خفيف الثقيل للهذلي.

أخبار جعفر بن علبة الحارثي ونسبه

هو جعفر بن علبة بن ربيعة، بن عبد يغوث الشاعر أسير يوم الكلاب بن معاوية بن صلاءة بن المعقل بن كعب

بن الحارث بن كعب، ويكنى أبا عارم، وعارم ابن له قد ذكره في شعره. وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، شاعر مقل غزل فارس مذكور في قومه، وكان أبوه علبة بن ربيعة شاعراً أيضاً، وكان جعفر قتل رجلاً من بني عقيل: قيل: إنه قتله في شان أمة كانا يزورانها فتغايرا عليها. وقيل: بل في غارة عليهم. وقيل: بل كان يحدث نساءهم فنهوه فلم ينته، فرصدوه في طريقه إليهن فقاتلوه فقتل منهم رجلاً فاستعدوا عليه السلطان فأقاد منه. وأخباره في هذه الجهات كلها تذكر وتنسب إلى من رواها.

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثني الحسن بن عبد الرحمن الربعي، قال حدثنا أبو مالك اليماني، قال: شرب جعفر بن علبة الحارثي حتى سكر فأخذه السلطان فحسبه، فأنشأ يقول في حبسه:

لقد زعموا أني سكرت وربما ... يكون الفتى سكران وهو حليم

لعمرك ما بالسكر عار على الفتى ... ولكن عاراً أن يقال لئيم

وإن فتى دامت مواثيق عهده ... على دون ما لاقيته لكريم

قال: ثم حبس معه رجل من قومه من بني الحارث بن كعب في ذلك الحبس، وكان يقال له دوران ، فقال جعفر:

إذا باب دوران ترنم في الدجى ... وشد بأغلاق علينا وأقفال

وأظلم ليل قام علج بجلجل ... يدور به حتى الصباح بإعمال

وحراس سوء ما ينامون حوله ... فكيف لمظلوم بحيله محتال

ويصبر فيه ذو الشجاعة والندى ... على الذل للمأمور والعلج والوالي

جعفر بن علبة وعلي بن جعدب

يغيران على بني عقيل

فأما ما ذكر أن السبب في أخذ جعفر وقتله في غارة أغارها على بني عقيل، فإنني نسخت خبره في ذلك كتاب عمرو بن الشيباني يأثره عن أبيه، قال: خرج جعفر بن علبة وعلي بن جعدب الحارثي القناني والنضر بن مضارب المعاوي، فأغاروا على بن عقيل، وإن بني عقيل خرجوا في طلبهم وافترقوا عليهم في الطريق ووضعوا عليهم الأرصاد على المضايق، فكانوا كلما افلتوا من عصبة لقيتهم أخرى، حتى انتهوا إلى بلاد بني نهد فرجعت عنهم بنو عقيل، وقد كانوا قتلوا فيهم، ففي ذلك يقول جعفر:

ألا لا أبالي بعد يوم بسحبل ... إذا لم أعذب أن يجيء حماميا

تركت بأعلى سحبل ومضيقه ... مراق دم لا يبرح الدهر ثاويا

شفيت به غيظي وجرب موطني وكان سناء آخر الدهر باقيا

أرادوا ليثنوني فقلت تجنبوا طريقي فمالي حاجة من ورائيا

فدى لبني عم أجابوا لدعوتي شفوا من القرعاء عمي وخاليا

كأن بني القرعاء يوم لقيتهم فراخ القطا لاقين صقراً يمانيا

تركناهم صرعى كان ضجيجهم ضجيج دباري اليب لاقت مداويا

أقول وقد أجلت من اليوم عركة ليبك العقيليين من كان باكيا

فإن بقرى سحبل لأمارة ونضح دماء منهم ومحابيا

المحابي: آثارهم، حبوا من الضعف للجراح التي بهم

ولم اترك لي ريبة غير أنني وددت معاذاً كان فيمن أتانيا

أراد: وددت أن معاذاً كان أتاني معهم فأقتله .

شفيت غليلي من خشينة بعد ما كسوت الهذيل المشرفي اليمانيا

أحقاً عباد الله أن لست رئياً صحاري نجد والرياح الذواريا

ولا زائراً شم العرانين أنتمى إلى عامر يحللن رملاً معاليا

إذا ما أتيت الحارثيات فانعني لهن وخبرهن أن لا تلاقيا

وقود قلوصي بينهن فإنها ستبرد أكباداً وتبكي بواكياً

أوصيكم إن مت يوماً بعارم ليغني شيئاً أو يكون مكانيا

ويروى:

وعطل قلوحي في الركاب فإنها ستبرد أكباداً أو تبكي بواكيا

وهذا البيت بعينه يروي لمالك بن الريب في قصيدته المشهورة التي يرثي بها نفسه. وقال في ذلك جعفر أيضاً:

وسائلة عنا بغيب وسائل بمصدقنا في الحرب كيف نحاول

عشية قرى سحبل إذ تعطفت علينا السرايا والعدو المباسل

ففرج عنا الله مرحى عدونا وضرب ببيض المشرفية خابل

إذا ما قرى هام الرءوس اعترامها تعاورها منهم أكف وكاهل

إذا ما رصدنا مرصدا فرجت لنا بأيماننا بيض جلتها الصياقل

ولما أبو إلا المضي وقد رأوا بأن ليس منى خشية الموت ناكل
حلفت يميناً برةً لم أرد بها مقالة تسميع ولا قول باطل
ليختضمن الهندواني منهم معاقد يخشاها الطبيب المزاول
وقالوا لنا ثنتان لابد منهما صدور رماح أشرعت أو سلاسل
فقلنا لهم تلكم إذاً بعد كرة تغادر صرعى نهضها متخاذل
وقتلى نفوس في الحياة زهيدة إذا اشتجر الخطي والموت نازل
نراجعهم في قالة بدءوا بها كما راجع الخصم البذي المناقل
لهم صدر سيفي يوم بطحاء سحبل ولي منه ما ضمت عليه الأنامل

قال: فاستعدت عليهم بنو عقيل السري بن عبد الله الهاشمي عامل مكة لأبي جعفر، فأرسل إلى أبيه علبة بن ربيعة فأخذه بهم، وحبسه حتى دفعهم وسائر من كان معهم إليه، فأما النضر فاستقيد منه بجراحة ، وأما علي بن جعدب فأفلت من الحبس، وأما جعفر بن علبة فأقامت عليه بنو عقيل قسامة : أنه قتل صاحبهم فقتل به. هذه رواية أبي عمرو.

وذكر ابن الكلبي أن الذي هاج الحرب بين جعفر بن علبة وبني عقيل أن إياس بن يزيد الحارثي وإسماعيل بن أحمر العقيلي اجتمعا عند أمه لشعيب بن صامت الحارثي، وهي في إبل لمولاها في موضع يقال له صمعر من بلاد بلحارث ، فتحدثا عندها فمالت إلى العقيلي، فدخلتهما مؤاسفة حتى تخانقا بالعمائم، فانقطعت عمامة الحارثي وخنقه العقيلي حتى صرعه، ثم تفرقا. وجاء العقيليون إلى الحارثيين فحكموهم فوهبوا لهم، ثم بلغهم بيت قيل، وهو:

ألم تسال العبد الزيادي ما رأى بصمعر والعبد الزيادي قائم

فغضب إياس من ذلك فلقي هو ابن عمه النضر بن مضارب ذلك العقيلي، وهو إسماعيل بن أحمر، فشجه شجتين وخنقه، فصار الحارثيون إلى العقيليين فحكموهم فوهبوا لهم. ثم لقي العقيليون جعفر بن علبة الحارثي فأخذوه فضربوه وخنقوه وربطوه وقادوه طويلاً ثم أطلقوه. وبلغ ذلك إياس بن يزيد فقال يتوجع لجعفر:

أبا عارم كيف اغتررت ولم تكن تغر إذا ما كان أمر تحاذره
فلا صلح حتى يخفق السيف خفقة بكف فتى جرت عليه جرائره

ثم إن جعفر بن علبة تبعهم ومعه ابن أخيه جعدب، والنضر بن مضارب، وإياس بن يزيد، فلقوا المهدي بن عاصم وكعب بن محمد بحبر- وهو موضع بالقاعة - فضربوهما ضرباً مبرحاً، ثم انصرفوا فضلوا عن الطريق، فوجدوا العقليين وهم تسعة، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى خلى لهم العقيليون الطريق ثم مضوا حتى وجدوا من عقيل جمعا

آخر بسحبل فاقتتلوا منالاً شديداً، فقتل جعفر بن علبة رجلاً من عقيل يقال له خشينة، فاستعدى العقيليون إبراهيم بن هشام المخزومي عامل مكة، فرفع الحارثيين الأربعة من نجران حتى حبسهم بمكة، ثم أفلت منه رجل فخرج هارباً، فأحضرت عقيل قسامة: حلفوا أن جعفر قتل صاحبهم. فأقاده إبراهيم بن هشام. قال وقال جعفر بن علبة قبل أن يقتل وهو محبوس: عجبت لمسراها وأني تخلصت=إلي وباب السجن بالقفل مغلق

ألمت فحيت ثم قامت فودعت ... فلما تولت كادت النفس تزهق

فلا تحسبي أني تخشعت بعدكم ... لشيء ولا أني من الموت أفرق

وكيف وفي كفي حسام مذلق ... يعض بهامات الرجال ويعلق

ولا أن قلبي يزدهيه وعيدهم ... ولا أنني في بالمشي في القيد أخرق

ولكن عرتني من هواك صبابة ... كما كنت ألقى منك إذ أنا مطلق

فأما الهوى والود مني فطامح ... إليك وجثماني بمكة موثق

وقال جعفر بن علبة لأخيه يحرضه:

وقل لأبي عون إذا ما لقيته ... ومن دونه عرض الفلاة يحول

- في نسخة ابن الأعرابي:

.....إذا ما لقيته ... ودونه من عرض الفلاة محول

بالميم، وبشم الهاء في دونه بالرفع وتخفيفها، وهي لغتهم خاصة-

تعلم وعد الشك أني يشفني ... ثلاثة أحراس معاً وكبول

إذا رمت مشياً أو تبوأت مضجعاً ... يبيت لها فوق الكعاب صليل

ولو بك كانت لا بتعثت مطيتي ... يعود الحفا أخفافها وتجول

إلى العدل حتى يصدر الأمر مصدراً ... وتبرأ منكم قالة وعدول

ونسخت أيضاً خبره من كتاب للنضر بن حديد، فخالف هاتين الروايتين، وقال فيه: كان جعفر بن علبة يزور نساء من عقيل بن كعب، وكانوا متجاورين هم وبنو الحارث بن كعب، فأخذته عقيل، فكشفوا دبر قميصه، وربطوه إلى جمته، وضربوه بالسياط، وكتفوه، ثم أقبلوا به وأدبروا على النسوة اللاتي كان يتحدث إليهن على تلك الحال ليغيظوهن، ويفضحوه عندهن، فقال لهم: يا قوم، لا تفعلوا فإن هذا الفعل مثلة، وأنا أحلف لكم بما يثلج صدوركم ألا أزور بيوتكم أبداً، ولا ألجها. فلم يقبلوا منه. فقال لهم: فإن لم تفعلوا ذلك فحسبكم ما قد مضى، ومنوا علي بالكف عني فإني أعده نعمة لكم ويداً لا أكفرها أبداً، أو فاقتلوني وأريحوني، فأكون رجلاً آذى قوماً في دارهم فقتلوه. فلم يفعلوا، وجعلوا يكشفون عورته بين أيدي النساء، ويضربونه، ويغرون به

سفهاءهم حتى شفوا أنفسهم منه، ثم خلوا سبيله. فلم تمض إلا أيام قليلة حتى عاد جعفر ومعه صاحبان له، فدفع، راحلته حتى أولجها البيوت، ثم مضى. فلما كان في نقرة من الرمل أناخ هو وصاحباه، وكانت عقيل أقفى خلق الله لأثر، فتبعوه حتى انتهوا إليه وإلى صاحبيه، والعقيليون مغترون ليس مع أحد منهم عصا ولا سلاح، فوثب عليهم جعفر بن علبة وصاحباه بالسيوف فقتلوا منهم رجلاً وجرحوا آخر وافترقوا، فاستعدت عليهم عقيل السري ابن عبدالله الهاشمي عامل المنصور على مكة، فأحضرهم وحبسهم، فأقاد من الجارح، ودافع عن جعفر بن علبة- وكان يحب أن يدرأ عنه الحد لخؤولة أبي العباس السفاح في بني الحارث، ولأن أخت جعفر كانت تحت السري بن عبدالله، وكانت حظية عنده- إلى أن أقاموا علية قسامة: أنه قتل صاحبهم وتوعدوه بالخروج إلى أبي جعفر والتظلم إليه، فحينئذ دعا بجعفر فأقاد منه، وأفلت علي بن جعدب من السجن فهرب. قال وهو ابن أخي جعفر بن علبة. فلما أخرج جعفر للقود قال له غلام من قومه: أسقيك شربة من ماء بارد ؟ فقال له: اسكت لا أم لك، إني إذا لمهياف . وانقطع شسع نعله فوقف فأصلحه، فقال له رجل: أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه؟ فقال:

أشد قبال نعلي أن يراني عدوي للحوادث مستكينا

قال: وكان الذي ضرب عنق جعفر بن علبة نحبة بن كليب أخو المجنون، وهو أحد بني عامر بن عقيل، فقال في ذلك:

شفى النفس ما قال ابن علبة جعفر وقولي له اصبر ليس ينفعك الصبر
هوى رأسه من حيث كان كما هوى عقاب تدلى طالباً جانب الوكر
أبا عارم، فينا عرام وشدة وبسطة أيمان سواعدها شعر
هم ضربوا بالسيف هامة جعفر ولم ينجه بر عريض ولا بحر
وقدناه قود البكر قسراً وعنوة إلى القبر حتى ضم أثوابه القبر

وقال علبة يرثي ابنه جعفراً:

لعمرك إني يوم أسلمت جعفراً وأصحابه للموت لما أقاتل
لمتجنب حب المنايا وإنما يهيج المنايا كل حق وباطل
فراح بهم قوم ولا قوم عندهم مغللة أيديهم في السلاسل
ورب أخ لي غاب لو كان شاهداً رآه التباليون لي غير خاذل

وقال علبة أيضاً لامرأته أم جعفر قبل أن يقتل جعفر:

لعمرك إن الليل يا أم جعفر علي وإن عللتني لطويل

أحاذر أخباراً من القوم قد دنت ورجعة أنقاض لهن دليل

فأجابته فقالت:

أبا جعفر أسلمت للقوم جعفراً فمت كمداً أو عش وأنت ذليل

قال أبو عمرو في روايته: وذكر شداد بن إبراهيم أن بنتاً ليحيى بن زياد بن عبيد الله الحارثي حضرت الموسم في ذلك العام لما قتل فكفنته واستجادت له الكفن، وبكته وجميع من كان معها من جواريها، وجعلن يندبنه بأبياته التي قالها قبل قتله:

أحقاً عباد الله أن لست رائياً صحاري نجد والرياح الذواريا

وقدمت في صدر أخباره. وفي هذه القصيدة يقول جعفر:

وددت معاذاً كان فيمن أتانيا

فقال معاذ يجيبه عنها بعد قتله، ويخاطب أباه، ويعرض له أنه قتل ظلماً لأنهم أقاموا قسامة كاذبة عليه حين قتل، ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بعينه، إلا أن غيظهم على جعفر حملهم على أن ادعوا القتل عليه:

أبا جعفر سلب بنجران واحتسب أبا عارم والمسمنات العواليا

وقود قلوصا أتلف السيف ربها بغير دم في القوم إلا تماريا

إذا ذكرته معصر حارثية جرى دمع عينيها على الخد صافيا

فلا تحسبن الدين يا علب منسأ ولا الثائر الحران ينسى التقاضيا

سنقتل منكم بالقتيل ثلاثة ونغلي وإن كانت دماء غواليا

تمنيت أن تلقى معاذاً سفاهة ستلقى معاذاً والقضيب اليمانيا

ووجدت الأبيات القافية التي فيها الغناء في نسخة النضر بن حديد أتم مما ذكره أبو عمرو الشيباني. وأولها:

ألا هل إلى فتيان لهو ولذة سبيل وتهتاف الحمام المطوق

وشربة ماء من خدوراء بارد جرى تحت أظلال الأراك المسوق

وسيرى مع الفتيان كل عشية أبارى مطاياهم ببصهباء سيلق

إذا كحلت عن نابها مجَّ شدقها لغاما كمح البيضة المترقرق

وأصهب جوني كأن بغامه تبغم مطرود من الوحش مرهق

برى لحم دفيه وأدمى أظله أج تيابي الفيافي سملقا بعد سملق

وذكر بعده الأبيات الماضية. وهذا وهم من النضر، لأن تلك الأبيات مرفوعة القافية وهذه مخفوضة، فأتيت بكل واحدة منهما منفردة و لم أخلطهما لذلك.

علبة ينحر أولاد النوق لتصيح مع النسوة

بكاء على جعفر

أخبرني الحسين بن يحي المرداسي عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال: لما قتل جعفر بن علبة قام نساء الحي يبكين عليه، وقام أبوه إلى كل ناقة وشاه فنحر أولادها، وألقاها بين أيديها وقال: ابكين معنا على جعفر! فما زالت النوق ترغو والشاء تثغو والنساء يصحن ويبكين وهو يبكي معهن، فما رئى يوم كان أوجع وأحرق مأتماً في العرب من يومئذٍ.

صوت

عللاني إنما الدنيا علل	واسقياني عللا بعد نهل
أصحب الصاحب ما صاحبني	وأكف اللوم عنه والعذل

الشعر للعجير السلولي. والغناء لابن سريج ثقيل أول بالوسطى عن حبيش. وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكي.

أخبار العجير السلولي ونسبه

هو - فيما ذكر محمد بن سلام - العجير بن عبد الله بن عبيدة بن كعب بن عائشة بن الربيع بن ضبيط بن جابر بن عبد الله بن سلول. ونسخت نسبه من نسخة عبيد الله بن محمد اليزيدي عن ابن حبيب قال: هو العجير بن عبيد الله بن كعب عبيدة بن جابر بن عمر بن سلول بن مرة بن صعصعة، أخي عامر بن صعصعة، شاعر مقل إسلامي من شعراء الدولة الأموية. وجعله محمد بن سلام في طبقة أبي زبيد الطائي، وهي الخامسة من طبقات شعراء الإسلام.

أخبرني أبو خليفة في كتابه إلي قال: حدثنا محمد بن سلام الجمحي، قال: حدثنا أبو الغراف قال: كان العجير السلولي دل عبد الملك بن مروان على ماء يقال له مطلوب ، وكان لناس من خثعم، فأنشأ يقول:

لا نوم إلا غرار العين ساهرة	إن لم أروع بغيظ أهل مطلوب
أن تشتموني فقد بدلت أيكتكم	ذرق الدجاج بحفان اليعاقيب
وكنت أخبركم أن سوف يعمرها	بنو أمية وعداً غير مكذوب

قال: فركب رجل من خثعهم يقال أمية إلى عبد الملك حتى دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين، إنما أراد العجير أن يصل إليك وهو شويعر سآل . وحربه عليه. فكتب إلى عامله بأن يشد يدي العجير إلى عنقه ثم يبعثه في الحديد. فبلغ العجير الجبر فركب في الليل حتى أتى عبد الملك فقال له: يا أمير المؤمنين، أنا عندك فاحتبسني وابعث من يبصر الأرضين والضياع، فإن لم يكن الأمر على ما أخبرتك فلك دمي حل وبل، فبعث فاتخذ ذلك الماء، فهو اليوم من خيار ضياع بني أمية.

نافع الكناني يطلبه ليقيم الحد عليه

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيدي عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال: هجا العجير قوماً من بني حنيفة وشتمهم، فأقاموا عليه البينة عند نافع بن علقمة الكناني، فأمرهم بطلبه وإحضاره ليقيم عليه الحد وقال لهم: إن وجدتموه أنتم فأقيموا عليه الحد وليكن ذلك في ملأ يشهدون به لئلا يدعي عليكم تجاوز الحق. فهرب العجير منهم ليلاً حتى أتى نافع بن علقمة، فوقف له متنكراً حتى خرج من المسجد، ثم تعلق بثوبه وقال:

إليك سبقنا السوط والسجن، تحتنا ... حيال يسامين الظلال ولقح

إلى نافع لا نرتجي ما أصابنا ... تحوم علينا السانحات وتبرح

فإن أك مجلوداً فكن أنت جالدي ... وإن أك مذبوحاً فكن أنت تذبح

فسأله عن المطر وكيف كان أثره، فقال له:

يا نافع يا أكرم البريه ... والله لا أكذبك العشية

إنا لقينا سنة قسيَّه ... ثم مطرنا مطرة روية

فنبت البقل ولا رعية

- يعني أن المواشي هلكت قبل نبات البقل- فقال له: آنج بنفسك فإني سأرضي خصومك، ثم بعث إليهم فسألهم الصفح عن حقهم وضمن لهم أن لا يعاود هجاءهم.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمر بن إبراهيم السعدي عن عباس بن عبد الصمد السعدي قال: قال هشام بن عبد الملك للعجير السلولي: أصدقت فيما قلته لابن عمك؟ قال نعم يا أمير المؤمنين، إلا أني قلت:

فتى قد قد السيف لا متضائل ... ولا رهل لباته وبآدله

هذا البيت يروى لأخت يزيد بن الطثرية ترثيه به

جميل إذا استقبلته من أمامه ... وإن هو ولى أشعث الرأس جافله

طويل سطي الساعدين عذور على الحي حتى تستقل مراجله
ترى جارزيه يرعدان وناره عليها عداميل الهشيم وصامله
يجران ثنياً خيرها عظم جاره على عينه لم تعد عنها مشاغله
تركنا أبا الأضياف في كل شتوه بمر ومردى كل خصم يجادله
مقيماً سلبناه دريسي مفاضة وأبيض هندياً طوالاً إلا حمائله

فقال هشام: هلك والله الرجل.

ونسخت من كتاب ابن حبيب قال ابن الأعرابي: اصطحب العجير وشاعر من خزاعة إلى المدينة فقصد الخزاعي الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام، وقصد العجير رجلاً من بني عامر بن صعصعة كان قد نال سلطاناً، فأعطى الحسن بن الحسن الخزاعي وكساه و لم يعط العامري العجير شيئاً، فقال العجير:

يا ليتني يوم حزمت القلوص له يممتها هاشمياً غير ممذوق
محض النجار من البيت الذي جعلت فيه النبوة يجري غير مسبوق
لا يمسك الخير إلا ريث يسأله ولا يلاطم عند اللحم في السوق

فبلغت أبياته الحسن، فبعث إليه بصلة إلى محلة قومه وقال له: قد أتاك حظك وإن لم تتصد له.

العجير يشرب حتى ينتشي

فيأمر بنحر حمله ويقول شعراً

أخبرني أحمد بن أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا محمد بن الحسن بن دينار الأحوال قال: حدثني بعض الرواة أن العجير بن عبد الله السلولي مر بقوم يشربون فسقوه فلما انتشى قال: انحروا جملي وأطعمونا منه. فنحروا وجعلوا يطعمونه ويسقونه ويغنونه بشعر قال يومئذٍ، وهو:

عللاني إنما الدنيا علل واسقياني عللاً بعد نهل
وانشلا ما اغبر من قدريكما وأصبحاني أبعد الله الجمل
أصحب الصاحب ما صاحبني وأكف اللوم عنه والعذل
وإذا أتلف شيئاً لم أقل أبداً يا صاح ما كان فعل

قال: فلما صحا سأل عن جمله فقيل له: نحرته البارحة. فجعل يبكي ويصيح: واغربتاه! وهم يضحكون منه. ثم وهبوا له بعيراً فارتحله وانصرف إلى أهله.

ندمه على ذلك بعد صحوه وارتحاله على بعير وهب له أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: حج العجير السلولي فنظر إلى امرأته وكان قد حج بها معه وهي تلحظ فتى من بعد وتكلمه فقال فيها:

أيا رب لا تغفر لعثمة ذنبها ... وإن لم يعاقبها العجير فعاقب

أشارت وعقد الله بيني وبينها ... إلى راكب من دونه ألف راكب

حرام عليك الحج لا تقربنه ... إذا حان حج الملمسات التوائب

العجير يكل زواجه ابنته إلى خالها

ثم يطلقها من المولى بعد قدومه

وقال ابن الأعرابي: غاب العجير غيبة إلى الشآم، وجعل أمر ابنته إلى خالها، وأمره أن يزوجها بكفْ. فخطبها مولى لبني هلال كان ذا مال، فرغبت أمها فيه وأمرت خال الصبية الموصى إليه بأمرها أن يزوجها ففعل. فلاذت الجارية بأخيها الفرزدق بن العجير، وبرجال من قومها، وبابن عم لها يقال له قيل، فمنعوا جميعاً منها سوى ابن عمها القيل فإنه ساعد أمها على ما أردت، ومنع منها الفرزدق. فلما قدم العجير أخبر بما جرى ففسخ النكاح وخلع ابنته من المولى وقال:

ألا هل لبعجان الهلالي زاجر ... وبعجان مأدوم الطعام سمين

أليس أمير المؤمنين ابن عمها ... وبالحنو آساد لها وعرين

وعاذت بحقوى عامر وابن عامر ... ولله قد بتت علي يمين

تنالونها أو يخضب الأرض منكم ... دم خرّ عنه حاجب وجبين

وقال أيضاً في ذلك:

إذا ما أتيت الخاضبات أكفها ... عليهن مقصور الحجال المروق

فلا تدعون القيل إلا لمشرب ... رواء ولكن الشجاع الفرزدق

هو ابن لبيضاء الجبين نجيبة ... تلقت بطهر لم يجيء وهو أحمق

تداعى إليه أكرم الحي نسوة ... أطفن بكسري بيتها حين تطلق

فجاءت بعريان اليدين كأنه ... من الطير باز ينفض الطل أزرق

قول العجير في رفيق

وقال ابن الأعرابي: كان للعجير رفيق يقال له أصبح، وكانا يصيبان الطريق، وفيه يقول العجير:

ومنخرق عن منكبيه قميصه وعن ساعديه، للأخلاء وواصل

إذا طال بالقوم المطافى تنوفة وطول السرى ألفيته غير ناكل

دعوت وقد دب الكرى في عظامه وفي رأسه حتى جرى في المفاصل

كما دب صافي الخمر في مخ شارب يميل بعطفيه، عن اللب ذاهل

فلبى ليثنيني بثنيي لسانه ثقيلين من نوم غلوب الغياطل

فقلت له قم فارتحل ليس ها هنا سوى وقفة الساري مناخ لنازل

فقام اهتزاز الرمح يسرو قميصه ويحسر عن عاري الذراعيين ناحل

وقال ابن الأعرابي: كانت للعجير امرأة يقال لها أم خالد، فأسرع في ماله فأتلفه وكان جواداً، ثم جعل يدان حتى أثقل بالدين ومد يده إلى مالها، فمنعته منه وعاتبته على فعله، فقال في ذلك:

تقول وقد غالبتها أم خالد على مالها أغرقت دينا فأقصر

أبي القصر من يأوي إذا الليل جنني إلى ضوء ناري من فقير ومقتر

أيا موقدي ناري ارفعاها لعلها تشب لمقو آخر الليل مقفر

أمن راكب أمسى بظهر تنوفة أواريك أم من جاري المتنظر

ولا قدر دون الجار إلا ذميمة وهذا المقاسي ليلة ذات منكر

تكاد الصبا تبتزه من ثيابه على الرجل إلا من قميص ومئزر

وماذا علينا أن يخالس ضوءها كريم ثناه شاحب المتحسر

- المتحسر: ما انكشف وتجرد من جسمه-

فيخبر عما قليل ولو خلت له القدر لم نعجب ولم نتخبر

صوت

سلي الطارق المعتريا أم مالك إذا ما أتاني بين قدري ومجزري

أأبسط وجهي أنه أول القرى وأبذل معروفي له دون منكرى

فلا قصر حتى يفرح الغيث من أوى إلى جنب رحلي كل أشعث أغبر

أقي العرض بالمال التلاد وما عسى أخوك إذا ما ضيع العرض يشترى

يؤدي إلي النيل قنيان ماجد كريم ومالي سارحاً مال مقتر

- القنيان : ما اقتنى من المال. إنه لبذله القرى كأنه موسر، وإذا سرح ماله علم أنه مقتر -

إذا مت يوماً فاحضري أم خالد تراثك من طرف وسيف وأقدر

قال ابن حبيب: من الناس من يروي هذه الأبيات الأخيرة التي أولها:

سلي الطارق المعتر يا أم مالك

لعروة بن الورد، وهي للعجير.

العجير يفد على عبد الملك

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن هشام بن محمد قال: وفد العجير السلولي- وسلول بنو مرة بن صعصعة- على عبد الملك بن مروان، فأقام ببابه شهراً لا يصل إليه لشغل عرض لعبد الملك، ثم وصل فلما مثل بين يديه أنشد:

ألا تلك أم الهبرزي تبينت عظامي ومنها ناحل وكسير

وقالت تضاءلت الغداة ومن يكن فتى قبل عام الماء فهو كبير

فقلت لها إن العجير تقلبت به أبطن أبلينه وظهور

فمنهن إدلاجي على كل كوكب له من عماني النجوم نظير

وقرعي بكفي باب ملك كأنما به القوم يرجون الأذين نسور

ويوم تبارى ألسن القوم فيهم وللموت أرحاء بهن تدور

لو أن الجبال الصم يسمعن وقعها لعدن وقد بانت بهن فطور

فرحت جواداً والجواد مثابر على جريه، ذو علة ويسير

عطاء عبد الملك له لطول مقامه فقال له: يا عجير ما مدحت إلا نفسك، ولكنا نعطيك لطول مقامك. وأمر له بمائة من الإبل يعطاها من صدقات بني عامر، فكتب له بها.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا محمد بن سعد الكراني قال: حدثنا العمري عن العتبي قال: نظر أبي إلى فتى من بني العباس يسحب مطرف خز عليه وهو سكران- وكان فتى متهتكاً- فحرك رأسه ملياً ثم قال: لله در العجير السلولي حيث يقول:

وما لبس الناس من حلة جديد ولا خلقاً يرتدى

كمثل المروءة للابسين فدعني من المطرف المستدى

فليس بغير فضل الكريم خلوقة أثوابه والبلى

وليس يغير طبع اللئيم مطارف خز رقاق السدى
يجود الكريم على كل حال ويكبو اللئيم إذا ما جرى

قوله في ابنه الفرزدق

أخبرني عمي قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهروية قال: حدثني أبو القاسم اللهبي عن أبي عبيدة قال: كان العجير السلولي له ابن يقال له الفرزدق، وفيه يقول العجير:

ولقد وضعتك غير مترك من جابر في بيتها الضخم
واخترت أمك من نسائهم وأبوك كل عذور شهم
فلئن كذبت المنح من مائة فلتقبلن بسائغ وخم
إن الندى والفضل غايتنا ونجاتنا وطريق من يحمي

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: قال الحرمازي: وقف العجير السلولي لبعض الأمراء، وقد علق به غريم له من أهله فقال له:

أتيتك إن الباهلي يسوقني بدين ومطلوب الديون رقيق
ثلاثتنا إن يسر الله: فائر بأجر، ومعطى حقه، وعتيق

فأمر بقضاء دينه.

بنت عمه تختار العامري عليه

وقال ابن الأعرابي: كانت للعجير عم وكان يهواها وتهواه، فخطبها إلى أبيها فوعده وقاربه . ثم خطبها رجل من بني عامر موسر، فخيرها أبوها بينه وبين العجير، فختارت العامري ليساره، فقال العجير في ذلك:

ألما على دار لزينب قد أتى لها بلوى ذي المرخ صيف ومربع
وقولا لها قد طالما لم تكلمي وراعاك بالعين الفؤاد المروع
وقولا لها قال العجير وخصني إليك، وإرسال الخليلين ينفع
أأنت التي استودعتك السر فانتحى لي الخون مراح من القوم أفرغ

إذا مت كان الناس نصفين: شامت ومئن بما قد كنت أسدي وأصنع
ومستلحم قد صكه القوم صكة بعيد الموالي نيل ما كان يمنع

رددت له ما أفرط القتل بالضحى وبالأمس حتى اقتاله فهو أصلع

ولست بمولاه ولا بابن عمه ولكن متى ما أملك النفع أنفع

قال ابن الأعرابي: كان العجير يتحدث إلى امرأة من بني عامر يقال لها جمل فألفها وعلقها. ثم انتجع أهلها نواحي نصيبين، فتتبعتها نفسه، فسار إليهم فيهم مجاوراً ، ثم رأوه منازلاً ملازماً محادثة تلك المرأة فنهوه عنها وقالوا: قد رأينا أمرك فإما أن انقطعت عنها أو ارتحلت عنّا، أو فأذن بحرب . فقال: ما بيني وبينها ما ينكر، وإنما كنت أتحدث إليها كما يتحدث الرجل الكريم إلى المرأة الحرة الكريمة، فأما الريبة فحاش لله منها. ثم عاود محادثتها، فانتهبوا ماله وطردوه. فأتى محمد بن مروان بن الحكم وهو يومئذٍ يتولى الجزيرة لأخيه عبد الملك بن مروان، فأتاه مستعدياً على بني عامر وعلى الذي أخذ ماله خصوصية ، وهو رجل من بني كلاب يقال له ابن الحسام، وأنشده قوله:

عفا يافع من أهله فطلوب وأقفر لو كان الفؤاد يثوب

وقفت بها من بعد ما حل أهلها نصيبين والراقي الدموع طبيب

وقد لاح معروف القتير وقد بدت بك اليوم من ريب الزمان ندوب

وسالمت روحات المطي وأحمدت مناسم منها تشتكي وصلوب

وما القلب أم ما ذكره أم صبية أريكة منها مسكن فهروب

حصان الحميا حرة حال دونها حليل لها شاكي السلاح غضوب

شموس، دنو الفرقدين اقترابها، لغي مقاريف الرجال سبوب

أحقاً عباد الله أن لست ناظراً إلى وجهها إلا عليّ رقيب

عدتني العدا عنها بعيد تساعف وما أرتجي منها إليّ قريب

لقد أحسنت جمل لو أن تبيعها إذا ما أرادت أن تثيب يثيب

تصدين حتى يذهب اليأس بالمنى وحتى تكاد النفس عنك تطيب

- هذا البيت يروي لابن الدمينة، وهو بشعره أشبه، ولا يشاكل أيضاً هذا المعنى ولا هو من طريقه، لأنه تشكى في سائر الشعر قومها دونها، وهذا بيت يصف فيه الصد منها، ولكن هكذا هو في رواية ابن الأعرابي-

وأنت المنى لو كنت تستأنفيننا بخير ولكن معتفاك جديب

أيؤكل مالي وابن مروان شاهد ولم يقض لي وابن الحسام قريب

فتىً محض أطراف العروق مساور جبال العلا طلق اليدين وهوب

فأمر محمد بن مروان بإحضار ابن الحسام الكلابي فأحضر، فحبسه حتى رد مال العجير، وأمر العجير بالانصراف إلى حيه وترك النزول على المرأة أو في قومها. قال: وقال العجير فيها أيضاً:

هاتيك جمل بأرض لا يقربها ... إلا هبل من العيدي معتقد
ودونها معشر خزر عيونهم ... لو تخمد النار من حر لما خمدوا
عدوا علينا ذنوباً في زيارتها ... ليحجبوها وفي أخلاقهم نكد
وحال من دونها شكس خلائقه ... كأنه نمر في جلده الربد
فليس إلا عويل كلما ذكرت ... أو زفرة طالما أنّت بها الكبد
وتيمتني جمل فاستمر بها ... شحط من الدار لا أم ولا صدد
قالوا غداة استقلت: ما لمقلته ... أمن قذى هملت أم عارها رمد
فقلت لا بل غدت سلمى لطيتها ... فليتهم مثل وجدي بكرة وجدوا
إن كان وصلك أبلى الدهر جدته ... وكل شيء جديد هالك نفد
فقد أراني ووجدي إذ تفارقني ... يوماً كوجد عجوز درعها قدد
تبكي على بطل حمّت منيته ... وكان واتر أعداء به ابتردوا
وقد خلا زمن لو تصرمين له ... وصلي لأيقنت أني ميت كمد
أزمان تعجبني جمل واكتمه ... جملاً حياء، وما وجد كما أجد

فقد برئت على أني إذا ذكرت ... ينهل دمعي وتحيا غصة تلد
من عهد سلمى التي هام الفؤاد بها ... أزمان أزمان سلمى طفلة رؤد
قد قلت للكاشح المبدي عداوته ... قد طالما كان منك الغش والحسد
ألا تبين لي لا زلت تبغضني ... حتّام أنت إذا ما ساعفت ضمد

وصية عبد الملك لمؤدب ولده

أن يرويهم مثل قول العجير

وقال ابن حبيب: قال عبد الملك لمؤدب ولده: إذا رويتهم شعراً فلا تروهم إلا مثل قول العجير السلولي:

يبين الجار حين يبين عني ... ولم تأنس إلي كلاب جاري

وتظعن جارتي من جنب بيتي ولم تستر بستر من جداري
وتأمن أن أطالع حين آتي عليها وهي واضعة الخمار
كذلك هدي أبائي قديماً توارثه النجار عن النجار
فهديي هديهم وهم افتلوني كما افتلي العتيق من المهار

وقال ابن حبيب أيضاً: نزل العجير بقوم فأكرموه وأطعموه وسقوه، فلما سكر قام إلى جمله فعقرة، وأخرج كبده وجب سنامه، فجعل يشوى ويأكل ويطعم ويغني:

عللاني إنما الدنيا علل واسسقياني عللا بعد نهل
وانشلا لي اللحم من قدريكما واصبحاني أبعد الله الجمل

فلما أفاق سأل عن جمله فأخبر ما صنع به، فجعل يبكي ويصيح: واغربتاه! وهم يضحكون منه. ثم أعطوه جملاً وزودوه، فانصرف حتى لحق بقومه.

أخبرني عمي بهذا الخبر قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا الحكم بن موسى بن الحسين بن يزيد السلولي قال: حدثني أبي عن عمه فقال فيه: مر العجير بفتيان من قومه يشربون نبيذاً لهم فشرب معهم، وذكر باقي القصة نحواً مما ذكر ابن حبيب، و لم يقل فيها: - فلما أصبح جعل يبكي ويصيح: واغربتاه!- ولكنه قال: فلما أصبح ساق قومه إليه ألف بعير مكان بعيره.

سليمان ويأمر له بثلاثين ألفاً أخبرني عمي وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا الله بن أبي سعد قال: حدثني الحكم بن موسى بن الحسين السلولي قال: حدثني أبي عن عمه قال: عرض العجير لسليمان بن عبد الله في الطواف، وعلى العجير بردان يساويان مائة وخمسين ديناراً، فانقطع شسع نعله فأخذها بيده، ثم هتف بسليمان فقال:

ودليت دلوي في دلاء كثيرة إليك فكان الماء ريان معلما

فوقف سليمان ثم قال: الله دره ما أفصحه، والله ما رضي أن قال ريان حتى قال معلماً، والله إنه ليخيل إلي أنه العجير، وما رأيته قط إلا عند عبد الملك. فقيل له: هو العجير. فأرسل إليه: أن صر إلينا إذا حللنا. فصار إليه، فأمر له بثلاثين ألفاً وبصدقات قومه، فردها العجير عليهم ووهبها لهم.

رثاء العجير لابن عمه

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثني هرون بن موسى الفروي قال: كان ابن عم للعجير السلولي إذا سمع بأضياف عند العجير لم يدعهم حتى يأتي بجزور كوماء ، فيطعن في لبتها عند بيته، فيبيتون في شواء وقدير ، ثم مات قال العجير يرثيه:

تركنا أبا الأضياف في ليلة الصبا بمر ومردي كل خصم يجادله

وأرعيه سمعي كلما ذكر الأسى وفي الصدر مني لوعة ما تزايله

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى فأنت على من مات بعدك شاغله

هكذا ذكر هرون بن موسى في هذا الخبر، والبيت الثالث من هذه البيات للشمردل بن شريك لا يشك فيه، من قصيدة له طويلة. فيه غناء قد ذكرته في أخباره.

صوت

فتاة كأن رضاب العبير بفيها يعل به الزنجبيل

قتلت أباها على حبها فتبخل إن بخلت أو تنيل

الشعر لخزيمة بن نهد، والغناء لطويس. خفيف رمل بالبنصر عن يحيى المكي.

أخبار خزيمة بن نهد ونسبه

هو خزيمة بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. شاعر مقل من قدماء الشعراء في الجاهلية. وفاطمة التي عناها في شعره هذا: فاطمة بنت يذكر بن عترة بن أسد بن ربيعة بن نزار، كان يهواها فخطبها من أبيها فلم يزوجه إياها، فقتله غيلة. وإياها عني بقوله:

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا

خزيمة يشبب بفاطمة بنت يذكر بن عترة أخبرني بخبره محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا عبيد الله بن سعد الزبيري قال: حدثني عمي قال حدثني أبي - أظنه عن الزهري - قال: كان بدء تفرق بني إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام عن تهامة ونزوعهم عنها إلى الآفاق، وخروج من خرج منهم عن نسبه، انه كان أول من ظعن عنها وأخرج منها قضاعة بن معد. وكان سبب خروجهم أن خزيمة بن نهد بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة بن معد كان مشؤوماً فاسداً، متعرضاً للنساء، فعلق فاطمة بنت يذكر بن عترة- واسم يذكر عامر - فشبب بها وقال فيها:

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا

وحالت دون ذلك من همومي هموم تخرج الشجن الدفينا

أرى ابنة يذكر ظعنت، فحلت جنوب الحزن يا شحطا مبينا

مقتل يذكر بن عنزة

وإشعاله الشربين قضاعة ونزار

قال: فمكث زماناً، ثم إن خزيمة بن نهد قال ليذكر بن عنزة: احب أن تخرج معي حتى ناتي بقرظ. فخرجا جميعاً، فلما خلا خزيمة بن نهد بيذكر بن عنزة قتلة، فلما رجع - وليس هو معه- سأله عنه أهله، فقال: لست أدري، فارقني وما أدري أين سلك. فكان في ذلك شر بين قضاعة ونزار ابني معد، وتكلموا فيه فأكثروا، و لم يصح على خزيمة عندهم شيء يطالبون به، حتى قال خزيمة بن نهد:

فتاة كأن رضاب العبير بفيها يعل به الزنجبيل

قتلت أباها على حبها فتبخل إن بخلت أو تنيل

فلما قال هذين البيتين تثاور الحيان فاقتتلوا وصاروا أحزاباً، فكانت نزار بن معد وهي يومئذٍ تنتسب فتقول كنده بن جنادة بن معد. وحاء وهم يومئذٍ ينتمون فيقولون حاء بن عمرو بن أد بن أدد. وكانت قضاعة تنتسب إلى معد، وعك يومئذٍ تنتمي إلى عدنان فتقول: عك عدنان بن أد والأشعريون ينتمون إلى الأشعر بن أدد. وكانوا يتبدون من تهامة إلى الشأم، وكانت منازلهم بالصفاح، وكان مر وعسفان لربيعة بن نزار، وكانت قضاعة بين مكة والطائف، وكانت كندة تسكن من الغمر إلى ذات عرق، فهو إلى اليوم يسمى غمر كندة. وإياه يعني عمر بن أبي ربيعة بقوله:

إذا سلكت غمر ذي كندة مع الصبح قصد لها الفرقد

هنالك إما تعزى الهوى وإما على إثرهم تكمد

وكانت منازل حاء بن عمرو بن أدد، والأشعر بن أدد، وعك بن عدنان بن أدد، فيما بين جدة إلى البحر.

القارظان

قال: فيذكر بن عنزة أحد القارظين اللذين قال فيهما الهذلي:

وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوائل

والآخر من عنزة، يقال أبو رهم، خرج يجمع القرط فلم يرجع و لم يعرف له خبر.

انهزام قضاعة وقتل خزيمة بن نهد قال: فلما ظهرت نزار على أن خزيمة بن نهد قتل يذكر بن عنزة قاتلوا قضاعة أشد قتال، فهزمت قضاعة وقتل خزيمة بن نهد وخرجت قضاعة متفرقين، فسارت تيم اللات بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وفرقة من بني رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة، وفرقة من الأشعريين، نحو البحرين حتى وردوا هجر، وبها يومئذٍ قوم من النبط، فنزلت عليهم هذه البطون فأجلتهم، فقال في ذلك مالك بن زهير:

نزعنا من تهامة أي حي فلم تحفل بذاك بنو نزار

ولم أك من أنيسكم ولكن شرينا دار آنسة بدار

فلما نزلوا هجر قالوا للزقاء بنت زهير وكانت كاهنة ما تقولين يا زرقاء؟ قالت: " سعف وإهان، وتمر وألبان، خير من الهوان". ثم أنشأت تقول:

ودع تهامة لا وداع مخالق بذمامه لكن قلىً وملام

لا تنكري هجراً مقام غريبة لن تعدمي من ظاعنين تهام

فقالوا لها: فما ترين يا زرقاء؟ فقالت: مقام وتنوخ، ما ولد مولود وأنقفت فروخ ، إلى أن يجيء غراب أبقع، أصمع أنزع ، عليه خلخالاً ذهب، فطار فألهب . ونعق فنعب، يقع على النخلة السحوق ، بين الدور والطريق، فسيروا على وتيرة، ثم الحيرة!. فسميت تلك القبائل تنوخ لقول الزرقاء: "مقام وتنوخ". ولحق بهم قوم من الزرد فصاروا إلى الآن في تنوخ، ولحق سائر قضاعة موت ذريع، وخرجت فرقة من بني حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة يقال لهم: بنو تزيد، فنزلوا عبقر من أرض الجزيرة، فنسج نساؤهم الصوف وعملوا منه الزرابي ، فهي التي يقال لها العبقرية، وعملوا البرود التي يقال لها التزيدية . وأغارت عليهم الترك، فأصابتهم، وسبت منهم. فذلك قول عمرو بن مالك:

ألا لله ليل لم ننمه على ذات الخضاب مجنبينا

وليلتنا بآمد لم ننمها كليلتنا بميا فارقينا

بهراء تلحق بالبرك وتهزمهم

وأقبل الحارث بن قراد البهراني ليعيث في بني حلوان، فعرض له أباغ بن سليح صاحب العين فاقتتلا، فقتل أباغ، ومضت بهراء حتى لحقوا بالترك، فهزموهم واستنفذوا ما في أيديهم من بني تزيد. فقال الحارث بن قراد في ذلك:

كأن الدهر جمع في ليال ثلاث بتهن بشهرزور

صففنا للأعاجم من معد صفوفاً بالجزيرة كالسعير

سليح بن عمرو ونزولها ناحية فلسطين

وسارت سليح بن عمرو بن الحاف بن قضاعة يقودها الحدرجان بن سلمة حتى نزلوا ناحية فلسطين على بني أذينة بن السميدع من عاملة. وسارت أسلم بن الحاف وهي عذرة ونهد وحوتكة وجهينة والحارث بن سعد، حتى نزلوا من الحجر إلى وادي القرى، ونزلت تنوخ بالبحرين سنتين. ثم أقبل غراب في رجليه حلقتا ذهب وهم

في مجلسهم، فسقط على نخلة في الطريق، فينعق نعقات ثم طار، فذكروا قول الزرقاء، فارتحلوا حتى نزلوا الحيرة. فهم أول من اختطها : منهم مالك بن زهير. واجتمع إليهم لما ابتنوا بها المنازل ناس كثير من سقاط ، فأقاموا بها زماناً، ثم أغار عليهم سابور الأكبر، فقاتلوه فكان شعارهم يومئذٍ: يا آل عباد الله! فسموا العباد، وهزمهم سابور، فصار معظمهم ومن فيه نهوض إلى الحضر من الجزيرة يقودهم الضيزن بن معاوية بن معاوية التنوخي، فمضى حتى نزل الحضر وهو بناء بناه السطرون الجرمقاني، فأقاموا به، وأغارت حمير على بقية قضاعة، فخيروهم بين أن يقيموا على خراج يدفعونه إليهم أو يخرجوا عنهم، فخرجوا عنهم، فخرجوا - وهم كلب، وجرم والعلاف، وهم بنو زبان بن تغلب بن حلوان، وهو أول من عمل الرحال العلافية، - وعلاف لقب زبان- فلحقوا بالشام، فأغارت عليهم بنو كنانة بن خزيمة بعد ذلك بدهر، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وانهزموا فلحقوا بالسماوة، فهي منازلهم إلى اليوم.

صوت

إني امرؤ كفني ربي ونزهني عن الأمور التي في غبها وخم

وإنما أنا إنسان أعيش كما عاش الرجال وعاشت قبلي الأمم

الشعر للمغيرة بن حبناء، من قصيدة مدح بها المهلب بن أبي صفرة، والغناء لأبي العبيس بن حمدون، ثقيل أول بالبنصر، وهو من مشهور أغانيه وجيدها.

نسب المغيرة بن حبناء وأخباره

المغيرة بن حبناء بن عمرو بن ربيعة بن أسيد بن عوف بن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. وحبناء لقب غلب على أبيه واسمه جبير بن عمرو، ولقب بذلك لحبن كان أصابه. وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وأبوه حبناء بن عمرو شاعر، وأخوه صخر بن حبناء شاعر، وكان يهاجيه، ولهما قصائد يتناقضانها كثيرة، سأذكر منها طرفاً. وكان قد هاجى زياداً الأعجم فاكثر كل واحد منهما على صاحبه وأفحش، و لم يغلب أحد منهما صاحبه، كانا متكافئين في مهاجاتهما ينتصف كل واحد منهما من صاحبه.

مديحه لطلحة الطلحات

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: أخبرني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني الحسن بن جهور عن الحرمازي قال: قدم المغيرة بن حبناء عل طلحة الطلحات الخزاعي ثم المليحي، أحد بني مليح، فأنشده قوله فيه:

لقد كنت أسعى في هواك وأبتغي رضاك وأرجو منك ما لست لاقيا
وأبذل نفسي في مواطن غيرها أحب، وأعصي في هواك الأدانيا

حفاظاً وتمسيكاً لما كان بيننا لتجزيني مالا إخالك جازيا
رأيتك ما تنفك منك رغيبة تقصر دوني أو تحل ورائيا
أراني إذا استمطرت منك رعيبة لتمطرني عادت عجاجاً وسافياً
وأدليت دلوي في دلاء كثيرة فأبن ملاء غير دلوي كماهيا
ولست بلاق ذا حفاظٍ ونجدة من القوم حراً بالخسيسة راضياً
فإن تدن مني تدن منك مودتي وإن تنأ عني تلفني عنك نائيا

قال: فلما أنشده هذا الشعر، قال له: أما كنا أعطيناك شيئاً؟ قال: لا. فأمر طلحة خازنه فاخرج درجاً فيه حجارة ياقوت، فقال له: اختر حجرين من هذه الأحجار أو أربعين آلف درهم. فقال: ما كنت لأختار حجارة على أربعين ألف درهم! فأمر له بالمال. فلما قبضه سأله حجراً منها، فوهب له فباعه بعشرين ألف درهم. ثم مدحه، فقال:

أرى الناس قد ملوا الفعال ولا أرى بني خلف إلا رواء الموارد
إذا نفعوا عادوا لمن ينفعونه وكائن ترى من نافع غير عائد
إذا ما انجلت عنهم غمامة غمرة من الموت أجلت عن كرام مذاود
تسود غطاريف الملوك ملوكهم وما جدهم يعلو على كل ماجد

مديحة للمهلب بن أبي صفرة

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا محمد المهلبي عن رواة باهلة، أن المهلب بن أبي صفرة لما هزم قطري بن الفجاءة بابور جلس للناس، فدخل إليه وجوههم يهنئونه وقامت الخطباء فأثنت عليه ومدحته الشعراء، ثم قام بن حبناء في أخرياتهم فأنشده:

حال الشجا دون طعم العيش والسهر واعتاد عينك من إدمانها الدرر
واستحقبتك أمور كنت تكرهها لو كان ينفع منها النأي والحذر
وفي الموارد للأقوام تهلكه إذا الموارد لم يعلم لها صدر

ليس العزيز بمن تغشى محارمه ولا الكريم بمن يجفى ويحتقر

حتى انتهى إلى قوله:

أمسى العباد بشر لا عياث لهم إلا المهلب بعد الله والمطر
كلاهما طيب ترجى نوافله مبارك سيبه يرجى وينتظر
لا يجمدان عليهم عند جهدهم كلاهما نافع فيهم إذا افتقروا
هذا يذود ويحمي عن ذمارهم وذا يعيش به الأنعام والشجر
واستسلم الناس إذ حل العدو بهم فلا ربيعتهم ترجى ولا مضر
وأنت رأس لأهل الدين منتخب والرأس فيه يكون السمع والبصر
إن المهلب في الأيام فضله على منازل أقوام إذا ذكروا
حزم وجود و أيام له سلفت فيها يعد جسيم المر والخطر
ماضٍ على الهول ما ينفك مرتحلا أسباب معضلة يعيا بها البشر
سهل الخلائق يعفو عند قدرته منه الحياء ومن أخلاقه الخفر
شهاب حرب إذا حلت بساحته يخزي به الله أقواماً إذا غدروا
تزيده الحرب والهوال إن حضرت حزماً وعزماً ويجلو وجهه السفر
ما إن يزال على أرجاء مظلمة لولا يكفكفها عن مصرهم دمروا
سهل إليهم حليم عن مجاهلهم كأنما بينهم عثمان أو عمر
كهف يلوذون من ذل الحياة به إذا تكنفهم من هولها ضرر
أمن لخائفهم فيض لسائلهم ينتاب نائله البادون والحضر

فلما أتى على آخرها قال المهلب: هذا والله الشعر، لا ما نعلل به، وأمر له بعشرة آلاف درهم وفرس جواد، وزاده في عطائه خمسمائة درهم.

والقصيدة التي منها البيتان اللذان فيهما الغناء المذكور بذكره أخبار المغيرة، من قصيدة له مدح بها المهلب بن أبي صفرة أيضاً. وأولها:

أمن رسوم ديار هاجك القدم أقوت وأقفر منها الطف والعلم
وما يهيجك من أطلال منزلة عفى معالمها الأرواح والديم
بئس الخليفة من جار تضن به إذا اطربت أثافي القدر والحمم

دار التي كاد قلبي أن يحن بها ... إذا ألم به من ذكرها لمم
إذا تذكرها قلبي تضيفه ... هم تضيق به الأحشاء والكظم
والبين حين يروع القلب طائفة ... يبدي ويظهر منهم بعض ما كتموا
إني امرؤ كفني ربيي وأكرمني ... عن الأمور التي غبها وخم
وإنما أنا إنسان أعيش كما ... عاش الرجال وعاشت قبلي الأمم

سبب قوله قصيدة الصوت وهي قصيدة طويلة، وكان سبب قوله إياها أن المهلب كان أنفذ بعض بنيه في جيش لقتال الأزارقة، وقد شدت منهم طائفة تغير على نواحي الأهواز، وهو مقيم يومئذ بسابور، وكان فيهم المغيرة بن حبناء، فلما طال مقامه واستقر الجيش لحق بأهله، فألم بهم وأقام عندهم شهراً، ثم عاود وقد قفل الجبش إلى المهلب فقيل له: إن الكتاب خطوا على اسمه، وكتب إلى المهلب أنه عصى وفارق مكتبه بغير إذن، فمضى إلى المهلب، فلما لقيه أنشده هذه القصيدة واعتذر إليه فعذره، وأمر بإطلاق عطائه وإزالة العتب عنه، وفيها يقول يذكر قدومه إلى أهله بغير إذن:

ما عاقني عن قفول الجند إذ قفلوا ... عي بما صنعوا حولي ولا صمم
ولو أردت قفولاً ما تجهمني ... إذن الأمير ولا الكتاب إذ رقموا
إني ليعرفني راعي سريرهم ... والمحدجون إذا ما ابتلت الحزم
والطالبون إلى السلطان حاجتهم ... إذا جفا عنهم السلطان أو كزموا
فسوف تبلغك الأنباء إن سلمت ... لك الشواحج والأنفاس والأدم
إن المهلب إن أشتق لرؤيته ... أو امتدحه فإن الناس قد علموا
إن الكريم من الأقوام قد علموا ... أبو سعيد وإن عدت النعم
والقائل الفاعل الميمون طائره ... أبو سعيد وإن أعداؤه رغموا
كم قد شهدت كراماً من مواطنه ... ليست بغيب ولا تقوالهم زعموا
أيام أيام إذ عض الزمان بهم ... وإذ تمنى رجال أنهم هزموا
وإذ يقولون: ليت الله يهلكهم ... والله يعلم لو زلت بهم قدم
أيام سابور إذ ضاعت رباعتهم ... لولاه ما أوطنوا داراً ولا انتقموا
إذ ليس من الدنيا نصول به ... إلا المغافر والأبدان واللجم

وعاترات من الخطي محصدة نفضي بهن إليهم ثم ندعم

سبب التهاجي بينه و بين زياد الأعجم

هكذا ذكر عمرو بن أبي عمرو الشيباني في خبر هذه القصيدة، ونسخت من كتابه. وذكر أيضاً في هذا الكتاب أن سبب التهاجي بين زياد الأعجم والمغيرة بن حبناء، أن زياداً العجم والمغيرة بن حبناء وكعباً الأشقري، اجتمعوا عند المهلب وقد مدحوه، فأمر لهم بجوائز وفضل زياداً عليهم، ووهب له غلاماً فصيحاً ينشد شعره، لأن زياداً كان ألكن لا يفصح، فكان راويته ينشد عنه ما يقوله، فيتكلف له مؤونة ويجعل له سهماً في صلاته، فسأل المهلب يومئذٍ أن يهب له غلاماً كان له يعرفه زياد بالفصاحة والأدب، فوهبه له، فنفسوا عليه ما فضل به، فانتدب له المغيرة من بينهم، فقال للمهلب: أصلح الله الأمير، ما السبب في تفضيل الأمير زياداً علينا؟ فوالله ما يغني غناءنا في الحرب، ولا هو بأفضلنا شعباً، ولا أصدقنا وداً، ولا أشرفنا أباً، و أفصحنا لساناً! فقال له المهلب: أما إني والله ما جهلت شيئاً مما قلت، وإن الأمر فيكم عندي لمتساو، ولكن زياداً يكرم لسنه وشعره وموضعه من قومه، وكلكم كذلك عندي، وما فضلته بما ينفس به، وأنا أعوضكم بعد وهذا بما يزيد على ما فضلته به. فانصرف، وبلغ زياداً ما كان منه، فقال يهجوه:

أرى كل قوم ينسل اللؤم عندهم ولؤم بني حبناء ليس بناسل
يشب مع المولود مثل شبابه ويلقاه مولوداً بأبدي القوابل
ويرضعه من ثدي أم لئيمة ويخلق من ماء امرىء غير طائل
تعالوا فعدوا في الزمان الذي مضى وكل أناس مجدهم بالأوائل

لكم بفعال يعرف الناس فضله إذا ذكر الأملاء عند الفضائل
فغازيكم في الجيش الأم من غزا وقافلكم في الناس ألأم قافل
وما أنتم من مالك غير أنكم كمغرورة بالبو في ظل باطل
بنو مالك زهر الوجوه وأنتم تبين ضاحي لؤمكم في الجحافل

يعني برصاً كان بالمغيرة بن حبناء.

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال: حدثني المدائني قال: عير زياد الأعجم المغيرة بن حبناء في مجلس المهلب بالبرص، فقال له المغيرة إن عتاق الخيل لا تشينها الأوضاح ، ولا تعير بالغرر والحجول، وقد قال صاحبنا بلعاء بن قيس لرجل عيره بالبرص: "إنما أنا سيف الله جلاه واستله على أعدائه" فهل

تغني يا ابن العجماء غنائي، أو تقوم مقامي؟ ثم نشب الهجاء بينهما.

نسخت من نسخة ابن الأعرابي، قال: كان المغيرة بن حبناء يوماً يأكل مع المفضل بن المهلب، فقال له المفضل:

فلم أر مثل الحنظلي ولونه ... أكيل كرام أو جليس أمير

فرفع المغيرة وقام مغضباً، ثم قال له:

إني امرؤ حنظلي حين تنسبني ... لام العتيك و لا أخوالي العوق

- العوق من يشكر، وكانوا أخوال المفضل -

لا تحسبن بياضاً في منقصة ... إن اللهاميم في ألوانها بلق

وبلغ المهلب ما جرى، فتناول المفضل بلسانه وشتمه، وقال: أردت أن يتمضغ هذا أعراضنا، ما حملك على أن أسمعته ما كره بعد مواكلتك إياه؟ أما إن كنت تعافه فاجتنبه أو لا تؤذه. ثم بعث إليه بعشرة آلاف درهم، واستصفحه عن المفضل، واعتذر إليه عنه، فقبل رفده وعذره، وانقطع بعد ذلك عن مواكلة أحد منهم. رجع الخبر إلى سياقته مع زياد والمغيرة فقال المغيرة يجيب زياداً:

مناقضات زياد الأعجم والمغيرة بن حبناء

أزياد إنك والذي أنا عبده ... ما دون آدم من أب لك يعلم

فالحق بأرضك يا زياد ولا ترم ... مالا تطيق وأنت علج أعجم

أظننت لؤمك يا زياد يسده ... قوس سترت بها قفاك وأسهم

علج تعصب ثم راق بقوسه ... والعلج تعرفه إذا يتعمم

ألق العصابة يا زياد فإنما ... أخزاك ربي إذ غدوت ترنم

واعلم بأنك لست مني ناجياً ... إلا وأنت ربي ببظر أمك ملجم

تهجو الكرام وأنت ألام من مشى ... حسباً وأنت العلج حين تكلم

ولقد سألت بني نزار كلهم ... والعالمين من الكهول فأقسموا

بالله مالك في معد كلها ... حسب وإنك يا زياد موذم

فقال زياد يجيبه:

ألم تر أنني وترت قوسي ... لأبقع من كلاب بني تميم

عوى فرميته بسهام موت ... كذلك يرد ذو الحمق اللئيم

وكنت إذا عمزت قناة قوم ... كسرت كعوبها أو تستقيم

هم الحشو القليل لكل حي وهم تبع كزائدة الظليم

فلست بساقي هرماً ولما يمر على نواجذك القدوم

فحاول كيف تنجو من وقاعي فإنك بعد ثالثة رميم

سراتكم الكلاب البقع فيكم للؤمكم وليس لكم كريم

فقد قدمت عبودتكم ودمتم على الفحشاء والطبع اللئيم

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا المدائني قال: قال زياد الأعجم يهجو المغيرة بن حبناء:

عجبت لأبيض الخصيين عبد كأن عجانه الشعري العبور

فقيل له: يا أبا أمامة لقد شرفته إذ قلت فيه:

كأن عجانه الشعري العبور

ورفعت منه. فقال: سأزيده رفعة وشرفاً، ثم قال:

لا يبرح الدهر منهم خارىء أبداً إلا حسبت على باب استه القمرا

قال، وتقاولا في مجلس المهلب يوماً، فقال المغيرة لزياد:

أقول له وأنكر بعض شأني ألم تعرف رقاب بني تميم

فقال له زياد:

بلى فعرفتهن مقصرات جباه مذلة وسبال لوم

المغيرة يهجو زياداً بتحريض من ربيعة

نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني، قال: كانت ربيعة تقول لزياد الأعجم: يا زياد، أنت لساننا فاذبب عن أعراضنا بشعرك، فإن سيوفنا معك. فقال المغيرة بن حبناء فيه، وقد بلغه هذا القول من ربيعة له:

يقولون ذبب يا زياد ولم يكن ليوقظ في الحرب الملمة نائماً

ولو أنهم جاءوا به ذا حفيظة فيمنعهم أو ماجداً أو مراعما

ولكنهم جاءوا بأقلف قد مضت له حجج سبعون يصبح رازما

لئيماً ذميماً أعجمياً لسانه إذا نال دنا لم يبال المكارما

وما خلت عبد القيس إلا نفاية إذا ذكر الناس العلا والعظائما

إذا كنت للعبدي جاراً فلا تزل على حذر منه إذا كان طاعما

أناساً يعدون الفساء لجارهم إذا شبعوا عند الجباة الدراهما
من الفسو يقضون الحقوق عليهم ويعطون مولاهم إذا كان غارما
لهم زجل فيه إذا ما تجاوبوا سمعت زفيراً فيهم وهماهيما
لعمرك ما نجى ابن زروان إذ عوى ربيعة من يوم ذلك سالما
أظن الخبيث ابن الخبيثين أنني أسلم عرضي أو أهاب المقاوما
لعمرك لا تهدي ربيعة للحجا إذا جعلوا يستنصرون الأعاجما

عبد القيس تعتذر إلى المغيرة

قال: فجاءت عبد القيس إلى المغيرة، فقالوا: يا هذا، مالنا ولك، تعمنا بالهجاء لأن نبحك منا كلب، فقال وقلت، قد تبرأنا إليك منه، فإن هجاك فاهجه، وخل عنا ودعنا، وأنت وصاحبك أعلم، فليس منا له عليك ناصر. فقال:

لعمرك إني لابن زروان إذ عوى لمحتقر في دعوة الود زاهد
ومالك أصل يا زياد تعده ومالك في الأرض العريضة والد
ألم تر عبد القيس منك تبرأت فلاقيت ما لم يلق في الناس واحد
وما طاش سهمي عنك يوم تبرأت لكيز بن أفصى منك والجند حاشد
ولا غاب قرن الشمس حتى تحدثت بنفيك سكان القرى والمساجد

- رفع" المساجد"، لأنه جعل الفعل لها، كأنه قال: وأهل المساجد، كما قال الله عز وجل: "واسأل القرية". وتحدثت المساجد، وإنما يريد من يصلي فيها

فأصبحت علجاً من يزرك ومن يزر بناتك يعلم أنهن ولائد
وأصبحن قلفاً يغتزلن بأجرة حواليك لم تجرح بهن الحدائد
نفرن من الموسى وأقررن بالتي يقر عليها المقرفات الكواسد
بإصطخر لم يلبسن من طول فاقة جديداً ولا تلقى لهن الوسائد
وما أنت بالمنسوب في آل عامر ولا ولدتك المحصنات المواجد
ولا ربتك الحنظلية إذ غذت بينها ولا جيبت عليك القلائد
ولكن غذاك المشركون وزاحمت قفاك وخديك البظور العوارد

ولم أر مثلي يا زياد بعرضه وعرضك يستبان والسيف شاهد
ولو أنني غشيتك السيف لم يقل إذ مت إلا مات علج معاهد

المغيرة وجوائز المهلب

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو أيضاً، قال: رجع المغيرة بن حبناء إلى أهله وقد ملأ كفيه بجوائز المهلب وصلاته والفوائد منه، وكان أخوه صخر بن حبناء أصغر منه، فكان يأخذ على يده وينهاه عن الأمر ينكر مثله، ولا يزال يتعتب عليه في الشيء بعد الشيء مما ينكره عليه، فقال فيه صخر بن حبناء:

صخر والمغيرة يتلاحيان

لما تعتب المغيرة عليه

رأيتك لما نلت مالاً وعضنا زمان نرى في حد أنيابه شغبا
تجنى علي الدهر أني مذنب فأمسك ولا تجعل غناك لنا ذنبا

فقال المغيرة يجيبه:

لحا الله أنآنا عن الضيف بالقرى وأقصرنا عن عرض والده ذبا
وأجدرنا أن يدخل البيت باسته إذا القف دلي من مخارمه ركبا
أأنبأك الأفاك عني أنني أحرك عرضي إن لعبت به لعبا

أخت صخر تشكوه إلى المغيرة

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو، قال: جاءت أخت المغيرة بن حبناء إليه تشكو أخاها صخراً، وتذكر أنه أسرع في مالها وأتلفه، وإنها منعته شيئاً يسيراً بقي لها، فمد يده إليها وضربها، فقال له المغيرة معنفاً:

ألا من مبلغ صخر بن ليلى فإني قد أتاني من نثاكا
رسالة ناصح لك مستجيب إذا لم ترع حرمته رعاكا
وصول لو يراك وأنت رهن تباع، بماله يوماً فداكا
يرى خيراً إذا ما نلت خيرا ويشجي في الأمور بما شجاكا
فإنك لا ترى أسماء أختا ولا ترينني أبداً أخاكا
فإن تعنف بها أو لا تصلها فإن لأمها ولداً سواكا
يبر ويستجيب إذا دعته وإن عاصيته فيها عصاكا

وكنت أرى بها شرفاً وفضلاً ... على بعض الرجال وفوق ذاكا

جزاني الله منك وقد جزاني ... مني في معاتبنا جزاكا

وأعقب أصدق الخصمين قولاً ... وولى اللؤم أولانا بذاكا

فلا والله لو لم تعص أمري ... لكنت بمعزل عما هناكا

قال: فأجابه أخوه صخر بن حبناء فقال:

أتاني عن مغيرة ذرو قول ... تعمده فقلت له كذاكا

يعم به بني ليلى جميعاً ... فول هجاءهم رجلاً سواكا

فإن تك قد قطعت الوصل مني ... فهذا حين أخلفني مناكا

تمنيني إذا ما غبت عني ... وتخلفني مناي إذا أراكا

وتوليني ملامة أهل بيتي ... ولا تعطي الأقارب غير ذاكا

فإن تك أختنا عتبت علينا ... فلا تصرم لظنتها أخاكا

فإن لها إذا عتبت علينا ... رضاها صابرين لها بذاكا

وإن تك قد عتبت علي جهلاً ... فلا والله لا أبغي رضاكا

فقد أعلنت قولك إذا أتاني ... فاعلن من مقالي ما أتاكا

سيغني عنك صخراً رب صخر ... كما أغناك عن صخر غناكا

ويغنيني الذي أغناك عني ... ويكفيني الإله كما كفاكا

ألم ترني أجود لكم بمالي ... وأرمي بالنواقر من رماكا

وإني لا أقود إليك حرباً ... ولا أعصيك إن رجل عصاكا

ولكني وراءك شمري ... أحامي قد علمت على حماكا

وأدفع ألسن الأعداء عنكم ... ويعنيني العدو إذا عناكا

وقد كانت قريبة ذات حق ... عليك فلم تطالعها بذاكا

رأيت الخير يقصر منك دوني ... وتبلغني القوارص من أذاكا

حبناء بن عمرو ينتقل إلى نجران

وامرأته تلومه لما ضرب ابنه ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو أيضاً قال: كان حبناء بن عمرو وقد غضب على قومه في بعض الأمر، فانتقل إلى نجران، وحمل معه أهله وولده، فنظرت امرأته سلمى إلى غلام من أهل نجران يضرب ابنه المغيرة - وهو يومئذ غلام - فقالت لحبناء: قد كنت غنياً عن هذا الذل، وكان مقامك بالعراق في قومك أو في حي قريب من قومك أعز لك! فقال حبناء في ذلك:

تقول سليمى الحنظلية لابنها غلام بنجران الغداة غريب
رأت غلمة ثاروا إليه بأرضهم كما هر كلب الدار بين كليب
فقالت لقد أجرى أبوك لما ترى وأنت عزيز بالعراق مهيب

وقال أيضاً:

لعمرك ما تدري أشيء تريده يليك أم الشيء الذي لا تحاوله
متى ما يشأ مستقبس الشر يلقه سريعاً وتجمعه إليه أنامله

زياد الأعجم يهجو أسرة المغيرة

أخبرني عيسى بن الحسن الوراق، قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية، قال: حدثني أبو الشبل النضري، قال: كان المغيرة بن حبناء أبرص، وأخوه صخر أعور، وأخوه الآخر مجذوماً، وكان بأبيهم حبن، فلقب حبناء - واسمه جبير بن عمرو - فقال زياد الأعجم يهجوهم:

إن حبناء كان يدعي جبيراً فدعوه من لؤمه حبناء
ولد العور منه والبرص والجذ مى، ذو الداء ينتج الأدواء

زياد يمسك عن الهجاء

فيقال: إن هذه الأبيات كانت آخر ما تهاجيا به، لأن المغيرة قال - وقد بلغه هذا الشعر -: ما ذنبنا فيما ذكره، هذه أدواء ابتلانا الله عز وجل بها، وإني لأرجو أن يجمع الله هذه الأدواء كلها! فبلغ ذلك زياداً من قوله، وإنه لم يهجه بعقب هذه الأبيات، ولا أجابه بشيء، فأمسك عنه، وتكافأ.

إجادة المغيرة في تفضيل الأخ على أخيه

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه، وأخبرني به الحسن بن علي عن ابن مهروية عن أبيه عن الأصمعي، قال: لم يقل أحد في تفضيل أخ على أخيه وهما لأب وأم، مثل قول المغيرة بن حبناء لأخيه صخر:

أبوك أبي وأنت أخي ولكن تفاضلت الطبائع والظروف

وأمك حين تنسب أم صدق ولكن ابنها طبع سخيف

قال: وكان عبد الملك بن مروان إذا نظر إلى أخيه معاوية - وكان ضعيفاً - يتمثل بهذين البيتين.

قول الحجاج في يزيد بن المهلب

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني أحمد بن محمد بن جدان، قال: حدثني أحمد بن محمد بن مخلد المهلبي، قال: نظر الحجاج إلى يزيد بن المهلب يخطر في مشيته، فقال: لعن الله المغيرة بن حبناء حيث يقول:

جميل المحيا بختري إذا مشى وفي الدرع ضخم المنكبين شناق

فالتفت إليه يزيد، فقال إنه يقول فيها:

شديد القوى من أهل بيت إذا وهى من الدين فتق حملوا فأطاقوا

مراجيح في اللأواء إن نزلت بهم ميامين قد قادوا الجيوش وساقوا

مصرع ابن حبناء وكتابته اسمه على صدره

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: حدثني من حضر ابن حبناء لما قتل - وهو يجود بنفسه - فأخذ بيده من دمه - وكتب بيده على صدره:" قال المغيرة بن حبناء". ثم مات.

صوت

بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع

كيف ترجون سقاطي بعد ما جلل الرأس بياض وصلع

رب من أنضجت غيظاً صدره قد تمنى لي موتاً لم يطع

ويراني كالشجا في حلقه عسراً مخرجه ما ينتزع

ويحييني إذا لاقيته وإذا أمكن من لحمي رتع

وأبيت الليل ما أهجعه وبعيني إذا النجم طلع

الحبل ها هنا: الوصل، والحبل أيضاً: السبب يتعلق به الرجل من صاحبه، يقال: علقت من فلان بحبل، والحبل: العهد، والميثاق، والعقد يكون بين القوم، وهذه المعاني كلها تتعاقب ويقوم بعضها مقام بعض. والشجا: كل ما اغتص به من لقمة أو عظم أو غيرهما.

الشعر لسويد بن أبي كاهل اليشكري، والغناء لعلويه، ثاني ثقيل بالبنصر، عن عمرو بن بانة في الأول والثاني من الأبيات، وليونس الكاتب في الثالث والرابع والثاني ما خوري بالوسطى، عن علي بن يحيى، والهشامي. ولمالك فيها ثقيل بالبنصر، عن الهشامي أيضاً، ولابن سريج فيها خفيف ثقيل، عن علي بن يحيى.

أخبار سويد بن أبي كاهل ونسبه

سويد بن كاهل بن حارثة بن حسل بن مالك بن عبد سعد بن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر. وذكر خالد بن كلثوم أن اسم أبي كاهل شبيب، ويكنى سويد أبا سعد.

أنشدني وكيع عن حماد، عن أبيه، لسويد بن كاهل شاهداً بذلك:

أنا أبو سعد إذا الليل دجا دخلت في سربالة ثم النجا

طبقة سويد

وجعله محمد بن سلام في الطبقة السادسة، وقرنه بعنترة العبسي وطبقته.

وسويد شاعر متقدم من مخضرمي الجاهلية والإسلام، كذلك ذكر ابن حبيب. وكان أبوه أبو كاهل شاعراً، وهو الذي يقول:

كأن رحلي على صعقاء حادرة طياً قد ابتل من طل خوافيها

قول الأصمعي في عينية سويد

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا محمد بن إسحاق البغوي، قال: حدثنا أبو نصر صاحب الأصمعي أنه قرأ شعر سويد بن أبي كاهل على الأصمعي، فلما قرأ قصيدته:

بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع

فضلها الأصمعي، وقال: العرب تفضلها وتقدمها وتعدها من حكمها. ثم قال الأصمعي: حدثني عيسى بن عمر أنها كانت في الجاهلية تسمى: " اليتيمة " .

بين سويد وزياد الأعجم

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني محمد بن الهيثم بن عدي، قال: حدثنا عبد الله بن عباس، قال: قال زياد الأعجم يهجو بني يشكر:

إذا يشكري من ثوبك ثوبه فلا تذكرون الله حتى تطهرا

فلو أن من لؤم تموت قبيلة إذا لأمات اللؤم لا شك يشكرا

قال: فأتت بنو يشكر سويدي بن أبي كاهل ليهجو زياداً، فأبى عليهم، فقال زياد:

وأنبئتهم يستصرخون ابن كاهل وللؤم فيهم كاهل وسنام

فإن يأتنا يرجع سويد ووجهه عليه الخزايا غبرة وقتام

دعي إلى ذبيان طوراً، وتارة إلى يشكر ما في الجميع كرام

فقال لهم سويد: هذا ما طلبتم لي! وكان سويد مغلباً . وأما قوله:

دعي إلى ذبيان طوراً وتارة إلى يشكر.....

خبر أم سويد وسبب تسميته

فإن أم سويد بن أبي كاهل كانت امرأة من بني غبر، وكانت قبل أبي كاهل عند رجل من بني ذبيان بن قيس بن عيلان، فمات عنها، فتزوجها أبو كاهل، وكانت فيما يقال حاملاً، فاستلاط أبو كاهل ابنها لما ولدته ، وسماه سويداً، واستلحقه ، فكان إذا غضب على بني يشكر ادعى إلى بني ذبيان، وإذا رضي عنهم أقام على نسبه فيهم. وذكر علان الشعوبي، أنه ولد في بني ذبيان، وتزوجت أمه أبا كاهل - وهو غلام يفعة - فاستلحقه أبو كاهل وادعاه، فلحق به.

انتماء سويد إلى قيس

ولسويد بن أبي كاهل قصيدة ينتمي فيها إلى قيس، ويفتخر بذلك، وهي التي أولها:

أبى قلبه إلا عميرة إن دنت وإن حضرت دار العدا فهو حاضر

شموس حصان السرريا كأنها مربية مما تضمن حائر

ويقول فيها أيضاً:

أنا الغطفاني زين ذبيان فابعدوا فللزنج أدنى منكم ويحابر

أبت لي عبس أن أسام دنية وسعد وذبيان الهجان وعامر

وحي كرام سادة من هوازن لهم في الملمات الأنوف الفواخر

سويد يهجو بني شيبان لأخذ ماله

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا أحمد بن معتب الأودي عن الحرمازي ، أن سويد بن أبي كاهل جاور في بني شيبان، فأساءوا جواره، وأخذوا شيئاً من ماله غصباً، فانتقل عنهم وهجاهم فأكثر، وكان الذي ظلمه وأخذ ماله أحد بني محلم، فقال يهجوهم وإخوتهم بني أبي ربيعة:

حشر الإله مع القرود محلما وأبا ربيعة ألأم الأقوام

فلأهدين مع الرياح قصيدة مني مغلغلة إلى همام

الظاعنين على العمى قدامهم والنازلين بشر دار مقام

والواردين إذا المياه تقسمت نزح الركي وعاتم الأسدام

وقال يهجو بني شيبان:

لعمري لبئس الحي شيبان إن علا عنيزة يوم ذو أهابي أغبر

فلما التقوا بالمشرفية ذبذبت مولية أستاه شيبان تقطر

يعني يوم عنيزة، وكان لبني تغلب على بني شيبان، وفيه يقول مهلهل:

كأنا غدوة وبني أبينا بجنب عنيزة رحيا مدير

وقال أيضاً:

فأدوا إلى بهراء فيكم بناته وأبناءه إن القضاعي أحمر

يعير بني شيبان ببهراء كانت بهراء أغارت على بني شيبان، فأخذوا منهم نساء، واستاقوا نعما ، ثم إنهم اشتروا منهم النساء وردوهن ، فعيرهم سويد بأنهم رددن حبالى، فقال:

ظللن ينازعن العضاريط أزرها وشيبان وسط القطقطانة حضر

فمنا يزيد إذ تحدى جموعكم فلم تفرحوه ، المرزبان المسور

- يزيد: رجل من يشكر، برز يوم ذي قار إلى أسوار، وحمل على بني شيبان، فانكشفوا من بين يديه - فاعترضه اليشكري دونهم، فقتله، وعادت شيبان إلى موقفها، ففخر بذلك عليهم، فقال:

وأحجمتم حتى علاه بصارم حسام إذا مس الضريبة يبتر

ومنا الذي أوصى بثلث تراثه على كل ذي باع يقل ويكثر

ليالي قلتم يا ابن حلزة ارتحل فزابن لنا الأعداء واسمع وأبصر

فأدى إليكم رهنكم وسط وائل حباه بها ذو الباع عمرو بن منذر

يعني الحارث بن حلزة، لما خطبه دون بكر بن وائل حتى ارتجع رهائنهم. وقد ذكر خبره في ذلك في موضعه.
بنو شيبان تستعدي عامر بن مسعود على سويد وقيس تتعصب له قال: فاستعدت بنو شيبان عليه عامر بن مسعود الجمحي، وكان والي الكوفة، فدعا به، فتوعده، وأمره بالكف عنهم بعد أن كان قد أمر بحبسه، فتعصبت له قيس، وقامت بأمره حتى تخلصته، فقال في ذلك:

يكف لساني عامر وكأنما يكف لسناً فيه صاب وعلقم
أتترك أولاد البغايا وغيبتي وتحبسني عنهم ولا أتكلم
ألم تعلموا أني سويد وأنني إذا لم أجد مستأخراً أتقدم
حسبتم هجائي إذ بطنتم غنيمة علي دماء البدن إن لم تندموا

سويد وابن الغبري يتهاجيان

ثم يهربان لما طلبهما عبد الله بن عامر وعامل الصدقة يحبسها وبنو حمال يفكون ابن الغبري قال الحرمازي في خبره هذا: وهاجى سويد بن أبي كاهل حاضر بن سلمة الغبري، فطلبهما عبد الله بن عامر بن كريز، فهربا من البصرة، ثم هاجى الأعرج أخا بني حمال بن يشكر، فأخذهما صاحب الصدقة، وذلك في أيام ولاية عامر بن مسعود الجمحي الكوفة، فحبسهما، وأمر أن لا يخرجا من السجن حتى يؤديا مائة من الإبل، فخاف بنو حمال على صاحبهم ففكوه، وبقي سويد، فخذله بنو عبد سعد، وهم قومه، فسأل بني غبر، وكان قد هجاهم لما ناقض شاعرهم، فقال: ويخذل سويداً قومه

من سره النيك بغير مال فالغبريات على طحال
شواغر يلمعن للقفال

عبس وذبيان تستوهبه لمديحه لهم

وإطلاقه بغير فداء

فلما سأل بني غبر، قالوا له: يا سويد "ضيعت البكار بطحال" فأرسلوها مثلاً. أي إنك عممت جماعتنا بالهجاء في هذه الأرجوزة، فضاع منك ما قدرت أنا نفديك به من الإبل. فلم يزل محبوساً حتى استوهبته عبس وذبيان لمديحه لهم، وانتمائه إليهم، فأطلقوه بغير فداء.

صوت

أخضني المقام الغمر إن كان غرني سنا خلب أو زلت القدمان

أتتركني جدب المعيشة مقفرا وكفاك من ماء الندى تكفان

الشعر للعتابي، والغناء لمخارق، ثاني ثقيل بالوسطى، وقيل: إن فيه للواثق ثاني ثقيل آخر.

أخبار العتابي ونسبه

هو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود بن عمرو بن كلثوم الشاعر، وهو ابن مالك عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب. شاعر مترسل بليغ مطبوع، متصرف في فنون الشعر ومقدم. من شعراء الدولة العباسية، ومنصور النمري تلميذه وراويته، وكان منقطعاً إلى البرامكة، فوصفوه للرشيد، ووصلوه به، فبلغ عنده كل مبلغ، وعظمت فوائده منه، ثم فسدت الحال بينه وبين منصور وتباعدت. وأخبار ذلك تذكر في مواضعها.

وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني القاسم بن مهروية، قال: حدثني جعفر بن المفضل، عن رجل من ولد إبراهيم الحراني ، قال: كثر الشعراء بباب المأمون، فأوذن بهم، فقال لعلي بن صالح صاحب المصلى: أعرضهم، فمن كان منهم مجيداً فأوصله إلي، ومن كان غير مجيد فاصرفه. وصادف ذلك شغلاً من علي بن صالح كان يريد أن يتشاغل به عن أمر نفسه، فقام مغضباً، وقال: والله لأعمنهم بالحرمان، ثم جلس لهم، ودعا بهم فجعلوا يتغالبون على القرب منه، فقال لهم: على رسلكم فإن المدى أقرب من ذلك، هل فيكم من يحسن أن يقول كما قال أخوكم العتابي:

ماذا عسى مادح يثني عليك وقد نادك في الوحي تقديس وتطهير

فت الممادح إلا أن ألسننا مستنطقات بما تحوي الضمائير

قالوا: لا والله ما بنا أحد يحسن أن يقول مثل هذا، قال: فانصرفوا جميعاً

قيل في شعر العتابي تكلف

ونفاه آخرون

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أبو بكر أحمد بن سهل، قال: تذاكرنا شعر العتابي، فقال بعضنا: فيه تكلف، ونصره بعضنا، فقال شيخ حاضر: ويحكم أيقال إن شعره تكلفاً؟ وهو القائل:

رسل الضمير إليك تترى بالشوق ظالعة وحسرى

متزجيات ما يني ن على الوجى من بعد مسرى

ما جف للعينين بع دك يا قرير العين مجرى

فاسلم سلمت مبرأ من صبوتي أبداً معرى
إن الصبابة لم تدع مني سوى عظم مبرى
ومدامع عبرى على كبد عليك الدهر حرى

في هذين البيتين غناء أو يقال: إنه متكلف؟ وهو الذي يقول:

فلو كان للشكر شخص يبين إذا ما تأمله الناظر
لمثلته لك حتى تراه لتعلم أني امرؤ شاكر

رذاذ يضع لحناً

الغناء في هذين البيتين لأبي العبيس، ثقيل أول، ولرذاذ خفيف ثقيل. فحدثني أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النوبجي عن أبي الحسن علي بن العباس وغيره من أهله قالوا: لما صنع رذاذ لحنه في هذا الشعر:

فلو كان للشكر شخص يبين

أبو العبيس يسقط لحن رذاذ فتن به الناس، وكان هجيراهم زماناً ، حتى صنع أبو العبيس فيه الثقيل الأول، فأسقط لحن رذاذ وغلب عليه.

أخبرني إبراهيم بن أيوب، عن عبد الله بن مسلم، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش، عن محمد بن يزيد، قالوا جميعاً:

المأمون يكتب في إشخاص العتابي

كتب المأمون في إشخاص كلثوم بن عمرو العتابي، فلما دخل قال له: يا كلثوم، بلغتني وفاتك فساءتني، ثم بلغتني وفدتك فسرتني. فقال له العتابي: يا أمير المؤمنين، لو قسمت هاتان الكلمتان على أهل الأرض لوسعتاها فضلاً وإنعاماً، وقد خصصتني منهما بما لا يتسع له أمنية، ولا يبسط لسواه أمل، لأنه لا دين إلا بك، ولا دنيا معك. فقال له: سلني. فقال: يدك بالعطاء أطلق من لساني بالسؤال. فوصله صلات سنية، وبلغ به من التقديم والإكرام أعلى محل.

وذكر أحمد بن أبي طاهر عن عبد الله بن أبي سعد الكراني، أن عبد الله بن سعيد بن زرارة، حدثه عن محمد بن إبراهيم اليساري، قال: المأمون يداعب العتابي لما قدم العتابي مدينة السلام على المأمون، أذن له، فدخل عليه وعنده إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وكان العتابي شيخاً جليلاً نبيلاً، فسلم فرد عليه وأدناه، وقربه حتى قرب منه، فقبل يده: ثم أمره بالجلوس فجلس، وأقبل عليه يسائله عن حاله، وهو يجيبه بلسان ذلق طلق، فاستظرف

المأمون ذلك، وأقبل عليه بالمداعبة والمزاح، فظن الشيخ أنه استخف به، فقال: يا أمير المؤمنين: الإيناس قبل الإبساس .

إسحاق بن إبراهيم يعارض العتابي

فاشتبه على المأمون قوله، فنظر إلى إسحاق مستفهماً، فأومأ إليه، وغمزه على معناه حتى فهم، فقال: يا غلام، ألف دينار! فأتي بذاك، فوضعه بين يدي العتابي، وأخذوا في الحديث، وغمز المأمون إسحاق بن إبراهيم عليه، فجعل العتابي لا يأخذ في شيء إلا عارضه فيه إسحاق، فبقي العتابي متعجباً، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في سؤال هذا الشيخ عن اسمه؟ قال: نعم، سل. فقال لإسحاق: يا شيخ من أنت؟ وما اسمك؟ قال: أنا من الناس، واسمي كل بصل. فتبسم العتابي وقال: أما أنت فمعروف، وأما الاسم فمنكر. فقال إسحاق: ما أقل إنصافك، أتنكر أن يكون اسمي كل بصل؟ واسمك كل ثوم، وكل ثوم من الأسماء، أو ليس البصل أطيب من الثوم؟ فقال له العتابي: لله درك، ما أحجك ، أتأذن لي يا أمير المؤمنين في أن أصله بما وصلتني به؟ فقال له المأمون: بل ذلك موفر عليك ونأمر له بمثله.

مصادقة العتابي لإسحاق فقال له إسحاق: أما إذا أقررت بهذا، فتوهمني تحدني، فقال: ما أظنك إلا إسحاق الموصلي، الذي تناهى إلينا خبره، قال: أنا حيث ظننت. وأقبل عليه بالتحية والسلام، فقال المأمون، وقد طال الحديث بينهما: أما إذ قد اتفقتما على المودة، فانصرفا متنادمين. فانصرف العتابي إلى منزل إسحاق فأقام عنده.

إعجاب عبد الله بن طاهر بشعر العتابي

وذكر أحمد بن طاهر أيضاً أن مسعود بن عيسى العبدي، حدثه عن موسى بن عبد الله التميمي، قال: وفد إلى عبد الله بن طاهر جمع من الشعراء، فعلم أنهم على بابه، فقال لخادم له أديب: أخرج إلى القوم، وقل لهم: من كان منكم يقول كما قال العتابي للرشيد:

مستنبط عزمات القلب من فكر ما بينهن وبين الله معمور

فليدخل، وليعلم أني إن وجدته مقصراً عن ذلك حرمته، فمن وثق من نفسه أنه يقول مثل هذا فليقم. قال: فدخلوا جميعاً إلا أربعة نفر.

جوائز الرشيد للعتابي

أخبرني الحسن بن علي قال، حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية، قال: حدثنا عبد الله بن سعد إبراهيم بن الحدين، قال: وجد الرشيد على العتابي، فدخل سراً مع المتظلمين بغير إذن، فمثل بين يدي الرشيد، وقال له: يا

أمير المؤمنين، قد آذتني الناس لك ولنفسي فيك، وردني ابتلاؤهم إلى شكرك، وما مع تذكرك قناعة بغيرك، ولنعم الصائن لنفسي كنت، لو أعانني عليك الصبر. وفي ذلك أقول:

أخضني المقام الغمر إن كان غرني سنا خلب أو زلت القدمان

أتتركني جدب المعيشة مقتراً وكفاك من ماء الندى تكفان

وتجعلني سهم المطامع بعد ما بللت يميني بالندى ولساني

قال: فأعجب الرشيد قوله، وخرج عليه الخلع، وقد أمر له بجائزة، فما رأيت العتابي قط أبسط منه يومئذٍ.

بشار يحقد على إجادة العتابي

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني ابن مهروية، قال: حدثنا أحمد بن خلاد، قال: حدثني أبي، قال: جاء العتابي وهو حدث إلى بشار، فأنشده:

أيصدف عن أمامة أم يقيم وعهدك بالصبا عهد قديم

أقول لمستعار القلب عفى على عزماته السير العديم

أما يكفيك أن دموع عيني شآبيب يفيض بها الهموم

أشيم فلا أرد الطرف إلا على أرجائه ماء سجوم

قال: فمد بشار يده إليه: ثم قال له: أنت بصير؟ قال: نعم. قال: عجباً لبصير ابن زانية، أن يقول هذا الشعر. فخجل العتابي وقام عنه.

العتابي ويحيى بن خالد

أخبرني محمد بن يونس الأنباري الكاتب، قال: حدثني الحسن بن يحيى أبو الحمار عن إسحاق، قال: كلم العتابي يحيى بن خالد في حاجة بكلمات قليلة، فقال له يحيى: لقد ندر كلامك اليوم وقل. فقال له: وكيف لا يقل وقد تكنفني ذل المسألة، وحيرة الطلب، وخوف الرد؟! فقال: والله لئن قل كلامك لقد كثرت فوائده. وقضى حاجته.

سخرية العتابي من الناس

أخبرني الحسن بن علي، قال : حدثنا ابن مهروية، قال: حدثنا عثمان الوراق، قال: رأيت العتابي يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام، فقلت له: ويحك، أما تستحي؟ فقال لي: أرأيت لو كنا في دار فيها بقر، كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك؟ فقال :لا. قال: فاصبر حتى أعلمك انهم بقر. فقام فوعظ وقص ودعا، حتى كثر

الزحام عليه، ثم قال لهم: روى لنا غير واحد، أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار. فما بقي واحد إلا وأخرج لسانه يومئ به نحو أرنبة انفه، ويقدره حتى يبلغها أم لا. فلما تفرقوا، قال لي العتابي: ألم أخبرك أنهم بقر؟

إعجاب يحيى البرمكي بالعتابي

أخبرني الحسن حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أبو عصام محمد بن العباس، قال: قال يحيى بن خالد البرمكي لولده: إن قدرتم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو العتابي، فضلاً عن رسائله وشعلاه، فلن تروا أبداً مثله.

كتاب للعتابي

أخبرني أبي، قال: اخبرنا الحارث بن محمد عن المدائني، وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا الخراز عن ابن الأعرابي، قال: أنكر العتابي على صديق له شيئاً، فكتب إليه: " إما إن تقر بذنبك فيكون إقرارك حجة علينا في العفو عنك، وإلا فطب نفساً بالانتصاف منك، فإن الشاعر يقول:

أقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزنا عنه فإن جحود الذنب ذنبان ."

يحيى بن أكثم يستأذن المأمون للعتابي

أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا ابن مهروية، قال: حدثني عبد الواحد بن محمد، قال: وقف العتابي بباب المأمون يلتمس الوصول إليه، فصادف يحيى بن أكثم جالساً ينتظر الإذن، فقال له: إن رأيت - أعزك الله - أن تذكر أمري لأمير المؤمنين إذا دخلت فافعل. قال له: لست أعزك الله بحاجبه. قال: فإن لم تكن حاجباً فقد يفعل مثلك ما سألت، واعلم أن الله - عز وجل - جعل في كل شيء زكاة، جعل زكاة المال رفد المستعين، وزكاة الجاه إغاثة الملهوف. واعلم أن الله عز وجل مقبل عليك بالزيادة إن شكرت، أو التغيير إن كفرت، وإني لك اليوم أصلح منك لنفسك، لأني أدعوك إلى ازدياد نعمتك، وأنت تابى. فقال له يحيى: أفعل وكرامة. وخرج الإذن ليحيى، فلما دخل، لم يبدأ بشيء بعد السلام إلا إذا استأذن المأمون للعتابي، فأذن له.

كلمتان للعتابى

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهروية، قال: حدثني أبو الشبل، قال: قال العتابي لرجل اعتذر إليه: إني إن لم أقبل عذرك لكنت ألأم منك، وقد قبلت عذرك، فدم على لوم نفسك في جنايتك، نزد في قبول عذرك، والتجافي إن هفوتك.

قال: وقيل له لو تزوجت! فقال: إني وجدت مكابدة العفة أيسر علي من الاحتيال لمصلحة العيال.

تقدير المأمون للعتابي وإكرامه لما أسن

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهروية، قال: قال جعفر بن المفضل، قال لي أبي: رأيت العتابي جالساً بين يدي المأمون وقد أسن، فلما أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده، واعتمد الشيخ على المأمون، فما زال ينهضه رويداً رويداً حتى أقله فنهض، فعجبت من ذلك، وقلت لبعض الخدم: ما أسوأ أدب هذا الشيخ، فمن هو؟ قال: العتابي.

دعبل وابن مهروية يحسدانه ويحقدان عليه

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهروية، قال: حدثني بن الأشعث، قال: قال دعبل: ما حسدت أحداً قط على شعر كما حسدت العتابي على قوله:

هيبة الإخوان قاطعة ... لأخي الحاجات عن طلبه

فإذا ما هبت ذا أمل ... مات ما أملت من سببه

قال ابن مهروية: هذا سرقه العتابي من قول علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: " الهيبة مقرونة بالخيبة، والحياء مقرون بالحرمان، والفرصة تمر مر السحاب" حدثني محمد بن داود، عن أبي الأزهر، عن عيسى بن الحسن داود الجعفري عن أخيه عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، بذلك.

عبد الله بن طاهر يجيزه ثلاث مرات

وينعم عليه بخلعة سنية بعد إنشاده

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهرويه عن أبي الشبل. قال: دخل العتابي على عبد الله بن طاهر، فمثل بين يديه، وأنشده:

حسن ظني وحسن ما عود الل ... ه سواي منك الغداة أتى بي

أي شيء يكون أحسن من حس ... ن يقين حدا إليك ركابي

قال: فأمر له بجائزة، ثم دخل عليه من الغد، فأنشده:

ودك يكفينيك في حاجتي ... ورؤيتي كافية عن سؤال

وكيف أخشى الفقر ما عشت لي ... وإنما كفاك لي بيت مال

فأمر له بجائزة، ثم دخل في اليوم الثالث، فأنشده:

بهجات الثياب يخلقها الده ... ر وثوب الثناء غض جديد

فاكسني ما يبيد أصلحك الل ه فالله يكسوك ما لا يبيد

فأمر له بجائزة، وأنعم عليه بخلعة سنية.

العتابي وطوق ابن مالك

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبو دعامة، قال: قال طوق بن مالك للعتابي: أما ترى عشيرتك؟ - يعني بني تغلب - كيف تدل علي، وتتمرغ وتستطيل، وأنا أصبر عليهم؟! فقال العتابي: أيها الأمير، إن عشيرك من أحسن عشرتك ، وإن عمك من عمك خيره، وإن قريبك من قرب منك نفعه، وإن أخف الناس عندك أخفهم ثقلاً عليك، وأنا الذي أقول:

إني بلوت الناس في حالاتهم وخبرت ما وصلوا من الأسباب

فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً وإذا المودة أقرب من الأنساب

شكوى النمري للعتابي إلى طاهر بن الحسين وإصلاحه ما بينهما أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي، قال حدثنا الرياشي، قال: شكا منصور النمري العتابي إلى طاهر بن الحسين، فوجه طاهر إلى العتابي، فأحضره، وأخفى منصوراً في بيت قريب منهما، وسأل طاهر العتابي أن يصالحه، فشكا سوء فعله به، فسأله أن يصفح عنه، فقال: لا يستحق ذلك. فأمر منصوراً بالخروج، فخرج وقال للعتابي، لم لا أستحق هذا منك؟ فأنشأ العتابي يقول:

أصحبتك الفضل إذ لا أنت تعرفه حقاً ولا لك في استصحابه أرب

لم ترتبطك على وصلي محافظة ولا أعاذك مما اغتالك الأدب

ما من جميل ولا عرف نطقت به إلا إلي وإن أنكرت ينتسب

قال: فأصلح طاهر بينهما - وكان منصور من تعليم العتابي تخريجه - وأمر طاهر للعتابي بثلاثين ألف درهم.

أخبرني عمر عن عبد الله بن أبي سعد عن الحسين بن يحيى الفهري عن العباس بن أبي ربيعة السلمي، قال: شكا منصور النمري كلثوم بن عمرو العتابي إلى طاهر. ثم ذكر مثله.

العتابي يفضل العلم والأدب على المال

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب، قال: حدثني أبو هفان، قال: كان العتابي جالساً ذات يوم ينظر في كتاب، فمر به بعض جيرانه، فقال: أيش ينفع العلم والأدب من لا مال له؟ فأنشد العتابي يقول:

يا قاتل الله أقواماً إذا ثقفوا ذا اللب ينظر في الآداب والحكم

قالوا وليس بهم إلا نفاسته أنافع ذا من الإقتار والعدم

وليس يدرون أن الحظ ما حرموا لحاهم الله، من علم ومن فهم

قول العتابي في عزل طاهر بن علي

أخبرني علي بن صالح وعمي، قالا: حدثنا أحمد بن طاهر، قال: حدثنا أبو حيدرة الأسدي، قال: قال العتابي في عزل طاهر بن علي، وكان عدوه:

يا صاحباً متلونا متباينا فعلي وفعله
ما إن أحب له الردى ويسرني والله عزله
لم تعد فيما قلت لي وفعلت بي ما أنت أهله
كم شاغل بك عدويته وفارغ من أنت شغله

أخبرني أحمد بن الفرج، قال: حدثني أحمد بن عطاء الحراني عن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا عبد الله بن سعد، قال: حدثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد بن الفرج، قال:

مدحه جعفراً لما أمنه عند الرشيد

لما سعى منصور النمري بالعتابي إلى الرشيد اغتاظ علي، فطلبه، فستره جعفر بن يحيى عنه مدة، وجعل يستعطفه عليه، حتى استل ما في نفسه، وأمنه، فقال يمدح جعفر يحيى:

ما زلت في غمرات الموت مطرحا قد ضاق عني فسيح الأرض من حيلي
ولم تزل دائباً تسعى بلطفك لي حتى اختلست حياتي من يدي أجلي

عودة عبد الله طاهر له في مرضه

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن خلاد عن أبيه، قال: عاد عبد الله بن طاهر وإسحق بن إبراهيم بن مصعب، كلثوم بن عمرو العتابي، في علة اعتلها، فقال الناس: هذه خطرة خطرت! فبلغ ذلك العتابي، فكتب إلى عبد الله بن طاهر:

قالوا الزيارة خطرة خطرت ونجار برك ليس بالخطر
أبطل مقالتهم بثانية تستنفد المعروف من شكري

فلما بلغت أبياته عبد الله بن طاهر ضحك من قوله، وركب هو إسحاق بن إبراهيم، فعاداه مرة ثانية.

عبد الله بن هشام التغلبي يصله

بعد العتب والكتابة إليه

أخبرني الحسين بن القاسم الكواكبي، قال: حدثني أبو العيناء، قال: حدثني أبو العلاء المعمري، قال: عتب عبد الله بن هشام بن بسطام التغلبي على كلثوم بن عمرو التغلبي في شيء بلغه عنه، فكتب إليه: صوت

لقد سمتني الهجران حتى أذقتني ... عقوبات زلاتي وسوء مناقبي

فها أنا ساع في هواك وصابر ... على حد مصقول الغرارين قاضب

ومنصرف عما كرهت وجاعل ... رضاك مثالاً بين عيني وحاجبي

قال: فرضي عنه، ووصله صلة سنية.

الغناء في هذه الأبيات لسعيد مولى فائد، ثاني ثقيل بالبنصر، عن يحيى المكي، وذكر الهشامي أنه منحول يحيى، وذكر أحمد بن المكي في كتابه، أنه لأبي سعيد، وجعله في باب الثقيل الأول بالبنصر، ولعله على مذهب إبراهيم بن المهدي ومن قال بقوله.

من أخبار ربيعة في آمد أخبرني الحسين بن القاسم، قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن يونس السراج، قال: أخبرني الحسين بن داود الفزاري عن أبيه، قال: كان أخوان من فزارة يخفران قرية بين آمد وسميساط، يقال لها تل حوم، فطال مقامهما بها حتى أثريا، فحسدهما قوم من ربيعة، وقالوا: يخفران هذان الضياع في بلدنا! فجمعوا لهما جمعاً، وساروا إليهما، فقاتلوهما، فقتل أحدهما، وعلى الجزيرة يومئذٍ عبد الملك بن صالح الهاشمي، فشكا القيسي أمره إلى وجوه قيس، وعرفهم قتل ربيعة أخاه، وأخذهم ماله. فقالوا له: إذا جلس الأمير فادخل إليه. ففعل ذلك، ودخل على عبد الملك، وشكا ما لحقه، ثم قال له: وحسب الأمير أنهم لما قتلوا أخي وأخذوا مالي قال قائل منهم:

اشربا ما شربتما إن قيساً ... من قتيل وهالك وأسير

لا يحوزن أمرنا مضري ... بخفير ولا بغير خفير

فقال عبد الملك: أتندبني : إلى العصبية؟ وزبره ، فخرج الرجل مغموماً، فشكا ذلك إلى وجوه قيس، فقالوا: لا ترع، فوالله لقد قذفتها في سويداء قلبه، فعاوده. فعاوده في المجلس الآخر، فزبره، وقال له قوله الأول، فقال له: إني لم آتك أندبك للعصبية، وإنما جئتك مستعديا ، فقال له: حدثني كيف فعل القوم؟ فحدثه وانشده، فغضب فقال: كذب لعمري، ليحوزنها. ثم دعا بابي عصمة أحد قواده، فقال: اخرج فجرد السيف في ربيعة، فخرج وقتل منها مقتلة عظيمة، فقال كلثوم بن عمرو العتابي قصيدته التي أولها:

ماذا شجاك بحوارين من طلل ... ودمنة كشفت عنها الأعاصير

يقول فيها:

هذي يمينك في قرباك صائلة وصارم من سيوف الهند مشهور
إن كان منا ذوو إفك ومارقة وعصبة دينها العدوان والزور
فإن منا الذي لا يستحث إذا حث الجياد وضمنها المضامير
مستنبط عزمات القلب من فكر ما بينهن وبين الله معمور

يعني عبد الله بن هشام بن بسطام التغلبي، وكان قد أخذ قوادهم.

شعر العتابي يدفع القتل عن ربيعة فبلغت القصيدة عبد الملك، فأمر أبا عصمة بالكف عنهم، فلما قدم الرشيد الرافقة انشده عبد الملك القصيدة، فقال: لمن هذه؟ فقال: لرجل من بني عتاب يقال له كلثوم بن عمرو، فقال: وما يمنعه أن يكون ببابنا. فأمر بإشخاصه من رأس عين، فوافى الرشيد وعليه قميص غليظ، وفروة وخف، وعلى كتفه ملحفة جافية بغير سراويل، فلما رفع الخبر بقدومه أمر الرشيد بان تفرش له حجرة، وتقام له وظيفة، ففعلوا، فكانت المائدة إذا قدمت إليه أخذ منها رقاقة وملحاً وخلط الملح بالتراب فأكله بها، فإذا كانت وقت النوم نام على الأرض والخدم يتفقدونه، ويتعجبون من فعله.

الرشيد يأمر بطرده

وسأل الرشيد عنه، فأخبروه بأمره، فأمر بطرده.

يحيى العقيلي يشتري له دابة

توصله إلى راس عين وقد فضح سعيداً بأفعاله فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العقيلي وهو في منزله، فسلم عليه، وانتسب له، فرحب به، وقال له: ارتفع. فقال: لم آتك للجلوس، قال: فما حاجتك؟ قال: دابة أبلغ عليها إلى رأس عين، فقال: غلام أعطه الفرس الفلاني. فقال: لا حاجة لي في ذلك، ولكن تأمر أن تشتري لي دابة أتبلغ عليها. فقال لغلامه: امض معه فابتع له ما يريد. فمضى معه، فعدل به العتابي إلى سوق الحمير، فقال له: إنما أمرني أن ابتاع لك دابة. فقال له: إنه أرسلك معي، و لم يرسلني معك، فإن عملت ما أريد و إلا انصرف.
فمضى معه فاشترى حماراً بمائة وخمسين درهماً، وقال: ادفع إليه ثمنه، فدفع إليه، فركب الحمار عرياً بمرشحة عليه وبرذعة، وساقاه مكشوفتان، فقال له يحيى بن سعيد: فضحتني، امثلي يحمل مثلك على هذا؟ فضحك، وقال: ما رأيت قدرك يستوجب أكثر من ذلك. ومضى إلى رأس عين.

لوم زوجته له وما قال في ذلك

وكانت تحته امرأة من باهلة، وقالت: هذا منصور النمري قد أخذ الأموال فحلى نساءه، وبنى داره، واشترى ضياعاً، وأنت هنا كما ترى! فأنشأ يقول:

تلوم على ترك الغنى باهلية زوي الفقر عنها كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن في الثرا مقلدة أعناقها بالقلائد
أسرك إني نلت ما نال جعفر من العيش أو نال يحيى بن خالد
وإن أمير المؤمنين أغصني مغصهما بالمشرقات البوارد
رأيت رفيعات الأمور مشوبة بمستودعات في بطون الأساود
دعيني تجئني ميتتي مطمئنة ولم أتجشم هول تلك الموارد

وهذا الخبر فيه اضصراب، لأن القصيدة المذكورة التي أولها:

ماذا شجاك بحوارين من طلل

للعتابي في الرشيد، لا في عبد الملك، ولم يكن كما ذكره في أيام الرشيد متنقصاً منه. وله أخبار معه طويلة، وقد حدثني بخبره هذا لما استوهب رفع السيف عن ربيعة جماعة على غير هذه الرواية.

عتب الرشيد على العتابي

وقطعه الهبات فيتنصل بقصيدته هذه

أخبرني عمي قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني مسعود بن إسماعيل العدوي عن موسى بن عبد الله التميمي قال:

عتب الرشيد على العتابي أيام الوليد بن طريف، فقطع عنه أشياء كان عوده إياها، فاتاه متنصلاً بهذه القصيدة:

ماذا شجاك بحوارين من طلل ودمنة كشفت عنها الأعاصير
شجاك حتى ضمير القلب مشترك والعين إنسانها بالماء مغمور
في ناظري انقباض عن جفونهما وفي الجفون عن الآماق تقصير
لو كنت ترين ما شوقي إذا جعلت تنأى بنا وبك الأوطان والدور
علمت أن سرى ليلى ومطلعي من بيت نجران والغورين تغوير
إذا الركائب مخوف نواظرها كما تضمنت الدهن القوارير
نادتك أرحامنا اللاتي نمت بها كما تنادي جلاد الجلة الخور
مستنبط عزمات القلب من فكر ما بينهن وبين الله معمور
فت المدائح إلا أن أنفسنا مستنطقات بما تحوي الضمائير

ماذا عسى مادح يثني عليك وقد ... ناداك في الوحي تقديس وتطهير

فإن منا الذي لا يستحث إذا ... حث الجياد وحازتها المضامير

إن كان ذوو إفك ومارقة ... وعصبة دينها العدوان والزور

ومن عرائقه السفاح عندكم ... مجرب من بلاء الصدق مخبور

الآن قد بعدت في خطو طاعتكم ... خطاهم حيث يحتل الغشامير

الرشيد يرضى عن العتابي ويرد أرزاقه ويصله - يعني يزيد بن مزيد، وهشام بن عمر والتغلبي، وهو ولد سفيح بن السفاح- قال: فرضي عنه ورد أرزاقه ووصله.

صوت

تطاول ليلى لم أنمه تقلبا ... كأن فراشي حال من دونه الجمر

فإن تكن الأيام فرقن بيننا ... فقد بان مني تذكره العذر

الشعر للأبيرد الرياحي، والغناء لبابويه، ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، وفيه رمل نسبه يحيى المكي إلى ابن سريج. وقيل إنه منحول.

أخبار الأبيرد ونسبه

الأبيرد بن المعذر بن قيس بن عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. شاعر فصيح بدوي، من شعراء الإسلام وأول دولة بني أمية.

الأبيرد ليس مكثراً ولم يتكسب بشعره

وليس بمكثر، ولا ممن وفد إلى الخلفاء فمدحهم.

وقصيدته هذه التي فيها الغناء يرثي بها بريداً أخاه، وهي معدودة من مختار المراثي.

الأبيرد هوي امرأة فزوجت غيره

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: كان الرياحي يهوى امرأة من قومه ويحن بها حتى شهر ما بينهما، فحجبت عنه، وخطبها فأبوا أن يزوجوها إياه، ثم خطبها رجل من ولد حاجب بن زرارة، فزوجته، فقال الأبيرد في ذلك:

إذا ما أردت الحسن فانظر إلى التي ... تبغى لقيط قومه وتخيرا

لها بشر لو يدرج الذر فوقه لبان مكان الذر فأثرا
لعمري لقد أمكنت منا عدونا وأقررت للعادي فأخنى وأهجرا

الأبيرد و حارثة بن بدر

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب في كتابه إلي قال: حدثنا محمد بن سلام الجمحي قال: قدم الأبيرد الرياحي على حارثة بن بدر فقال: اكسني بردين ادخل بهما على الأمير - يعني عبيد الله بن زياد - وكساه ثوبين فلم يرضهما، فقال فيه:

أحارث أمسك فضل برديك إنما أجاع وأعرى الله من كنت كاسيا
وكنت إذا استمطرت منك سحابة لتمطرني عادت عجاجاً وسافيا
أحارث عاود شربك الخمر إنني أرى ابن زياد عنك اصبح لاهيا

فبلغت أبياته هذه حارثة فقال: قبحه الله: لقد شهد بما لم يعلم. وإنما ادع جوابه لما لا يعلم. هكذا ذكر محمد بن سلام.

حارثة يمنع عنه الكسوة أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا الأصمعي قال: هجا الأبيرد الرياحي حارثة بن بدر فقال:

أحارث راجع شربك إنني أرى ابن زياد عنك أصبح لاهيا
أرى فيك رأيا من أبيه وعمه وكان زياد ماقتاً لك فاليا

وذكر البيتين الآخرين اللذين ذكرهما محمد بن سلام، وقال في خبره هذا: فكان حارثة يكسوه في كل سنة بردين، فحبسهما عنه في تلك السنة، فقال حارثة بن بدر يجيبه:

فإن كنت عن بردي مستغنياً لقد أراك بأسمال الملابس كاسيا
وعشت زماناً أن أعينك كسوتي قنعت بأخلاق وأمسيت عاريا
وبردين من حوك العراق كسوتها على حاجة منها لأمك باديا

فقال الأبيرد يهجو حارثة بن بدر:

زعمت غدانة أن فيها سيداً ضخماً يواريه جناح الجندب
يرويه ما يروي الذباب وينتشي لؤماً ويسبعه ذراع الأرنب

وقال أيضاً لحارثة بن بدر:

ألا ليت حظي من غدانة أنها تكون كفافاً لا علي ولا ليا
أبى الله أن يهدي عدانة للهدى وأن لا تكون الدهر إلا مواليا
فلو أنني ألقى ابن بدر بموطن نعد به من أولينا المساعيا
تقاصر حتى يستقيد وبذه قروم تسامى من رياح تساميا
أيا فارط الحي الذي قد حشالكم من المجد أنهاء ملاء الخوابيا
وعمي الذي فك السميدع عنوة فلست بنعمي يا ابن عقرب جازيا
كلانا عني عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا
ألم ترنا إذ سقت قومك سائلا ذوي عدد للسائلين معاطيا
بني الردف حمالين كل عظيمة إذا طلعت والمترعين الجوابيا
وإنا لنعطي النصف من لو نضيمه أقر ولكنا نحب العوافيا

الردف الذي عناه ها هنا: جده عتاب بن هرمي بن رياح، كان ردف بن المنذر، إذا ركب ركب وراءه، وإذا جلس جلس عن يمينه، وإذا غزا كان له المرباع، وإذا شرب الملك سقي بكأسه بعده، وكان بعده ابنه قيس بن عتاب يردف النعمان. وهو جد الأبيرد أيضاً.

الأبيرد وسعد العجلي

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة قال: كانت بنو عجل قد جاورت بني رياح بن يربوع في سنة أصابت عجلاً، فكان الأبيرد يعاشر رجلاً منهم، يقال له سعد، ويجالسه، وكان قصده امرأة سعد هذا، فمالت إليه فومقته، وكان الأبيرد شاباً جميلاً ظريفاً طريراً، وكان سعد شيخاً هما ، فذهب بها كل مذهب حتى ظهر أمرهما وتحدث بهما، واتهم الأبيرد بها، فشكاه إلى قومه واستعذرهم منه ، فقالوا له: مالك تتحدث إلى امرأة الرجل؟ فقال: وما بأس بذلك ! وهل خلا عربي منه؟ قالوا: قد قيل فيكما ما لا قرار عليه، فاجتنب محادثتها، وإياك أن تعاودها. فقال الأبيرد: إن سعداً لا خير فيه لزوجته. قالوا: وكيف ذلك؟ قال: لأني رأيته يأتي فرسه البلقاء، ولا فضل فيه لامرأته، فهي تبغضه لفعله، وهو يتهمها لعجزه عنها. فضحكوا من قوله، وقالوا له: وما عليك من ذلك؟ دع الرجل وامرأته ولا تعاودها ولا تجلس إليها. فقال الأبيرد في ذلك:

ألم تر أن ابن المعذر قد صحا وودع ما يلحى عليه عواذله
غدا ذو خلاخيل علي يلومني وما لوم عذال عليه خلاخله
فدع عنك هذا الحلي إن كنت لائمي فإني امرؤ لا تزدهيني صلاصله

إذا خطرت عنس به شدنية بمطرد الأرواح ناء مناهله

تبين أقوام سفاهة رأيهم ترحل عنهم وهو عف منازله

لهم مجلس كالردن يجمع مجلساً لئاماً مساعيه كثيراً هتامله

تبرأت من سعد وخلة بيننا فلا هو معطيني ولا أنا سائله

متى تنتج البلقاء يا سعد أم متى تلقح من ذات الرباط حوائله

يحدث سعد أن زوجته زنت ويا سعد إن المرء تزني حلائله

فإن تسم عيناها إلي فقد رأت فتى كحسام أخلصته صياقله

فتى قد قد السيف لا متضائل ولا رهل لباته و أباجله

- وهذا البيت الأخير يروي للعجير السلوكي، ولأخت يزيد بن الطثرية- فاعترضه سلمان العجلي فهجاه وهجا بني رياح فقال:

لعمرك إنني وبني رياح لكالعاوي فصادف سهم رام

يسوقون ابن وجرة مزمئرا ليحميهم وليس لهم بحام

وكم من شاعر لبني تميم قصير الباع من نفر لئام

كسونا إذ تخرق ملبساه دواهي يبترين من العظام

وإن يذكر طعامهم بشر فإن طعامهم شر الطعام

شريج من مني أبي سواج وآخر خالص من حيض آم

وسوداء المغابن من رياح على الكردوس كالفأس الكهام

إذا ما مر بالقعقاع ركب دعتهم من ينيك على الطعام

تداولها غواة الناس حتى تؤوب وقد مضى ليل التمام

وقال الأبيرد أيضاً مجيباً له:

عوى سلمان من جو فلاقي أخو أهل اليمامة سهم رامي

عوى من جبنه وشقي عجل عواء الذئب مختلط الظلام

بنو عجل أذل من المطايا ومن لحم الجزور على الثمام

تحيا المسلمون إذا تلاقوا وعجل ما تحيا بالسلام

إذا عجليه ولدت غلاماً ... إلى عجل فقبح من غلام

يمص بثديها فرخ لئيم ... سلالة أعبد ورضيع آم

خبيث الريح ينشأ بالمخازي ... لئيم بين آباء لئام

أنا ابن الأكرمين بني تميم ... ذوي الآكال والهمم العظام

وكائن من رئيس قطرته ... عواملنا ومن ملك همام

وجيش قد ربعناه وقوم ... صبحناه بذي لجب لهام

وقال أيضاً الأبيرد محيباً له:

أخذنا بآفاق السماء فلم ندع ... لسلمان سلمان اليمامة منظرا

من القلح فساء ضروط يهره ... إذا الطير مرات على الدوح صرصرا

وأقلح عجلي كان بخطمه ... نواجذ خنزير إذا ما تكشر

يزل النوى عن ضرسه فيرده ... إلى عارض فيه القوادح أبخرا

إذا شرب العجلي نجس كأسه ... وظلت بكفي جأنب غير أزهر

شديد سواد الوجه تحسب وجهه ... من الدم بين الشاربين مقيراً

إذا ما حساها لم تزده سماحة ... ولكن أرته أن يصر ويحصرا

فلا يشربن في الحي عجل فإنه ... إذا شرب العجلي أخنى وأهجر

يقاسي نداماهم وتلقى أنوفهم ... من الجدع عند الكأس أمراً مذكرا

ولم تك في الإشراك عجل تذوقها ... ليالي يسبيها مقاول حميرا

وينفق فيها الحنظليون ما لهم ... إذا ما سعى منهم سفيه تجبرا

ولكنها هانت وحرم شربها ... فمالت بنو عجل لما كان أكفرا

لعمري لئن أزننتم أو صحوتم ... لبئس الندامى كنتم آل أبجرا

مجائل وعرادة يتفاخران بنحر الإبل

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال: حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني قال: كان مجائل بن مرة بن محكان السعدي وابن عم له يقال له: عرادة، وقد كان عرادة اشترى غنماً له فأهبها، وكانت مائة شاه، فاشترى

مرة بن محكان مائة من الإبل فأنحر بعضها وأنهب باقيها، وقال أبو عبيدة: أنهما تفاخرا، فغلبه مرة، فقال الأبيرد لعرادة:

شرى مائة فأنهبها جميعاً وبت تقسم الحذف النقادا

فبعث عبيد الله بن زياد فاخذ مرة بن محكان فحبسه وقيده، ووقع بعد ذلك من قومه لحاء، فكانت بينهم شجاج ثم تكافؤوا وتوافقوا على الديات فأبنيء مررة بن محكان وهو محبوس، فعرف ذلك فتحمل جميعها في ماله، فقال فيه الأبيرد:

لله عينا من رأى من مكبل كمرة إذ شدت عليه الأداهم

فأبلغ عبيد الله عني رسالة فإنك قاض بالحكومة عالم

فإن أنت عاقبت ابن محكان في الندى فعاقب هداك الله أعظم حاتم

تعاقب خرقاً أن يجود بماله سعى في ثأى من قومه متفاقم

كأن دماء القوم إذ علقت به على مكفهر من ثنايا المخارم

الأبيرد وابن عمه الأحوص

يحرضان رجلاً على سحيم بن وثيل الرياحي

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، قال: حدثنا عمي قال: أتى رجل الأبيرد الرياحي وابن عمه الأحوص، وهما من رهط ردف الملك من بني رياح، يطلب منهما قطراناً لإبله فقالا له: إن أنت بلغت سحيم بن وثيل الرياحي هذا الشعر أعطيناك قطراناً. فقال: قولا. فقالا اذهب فقل له:

فإن بداهتي وجراء حولي لذو شق على الحطم الحرون

قال: فلم أتاه وأنشد الشعر أخذ عصاه، وانحدر في الوادي، وجعل يقبل فيه ويدبر، ويهمهم بالشعر. ثم قال: اذهب فقل لهما:

فإن علالتي وجراء حولي لذو شق على الضرع الظنون

أنا ابن الغر من سلفي رياح كنصل السيف وضاح الجبين

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

وإن مكاننا من حميري مكان الليث من وسط العرين

وإن قناتنا مشط شطاها شديد مدها عنق القرين

قال الأصمعي: إذا مسست شيئاً خشناً فدخل في يدك قيل: مشظت يدي والشظا: ما تشظى منها

وإني لا يعود إلي قرني غداة الغب إلا في قرين
بذي لبد يصد الركب عنه ولا تؤتى فريسته لحين
غدرت البزل إذ هي صاولتني فما بالي وبال ابني لبون
وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت رأس الأربعين
أخو الخمسين مجتمع أشدي ونجذني مداورة الشؤون
سأحيا ما حييت وإن ظهري لذو سند إلى نضد أمين

قال: فأتياه فاعتذرا إليه، فقال: إن أحدكم لا يرى أن يصنع شيئاً حتى يقيس شعره بشعرنا، وحسبه بحسبنا، ويستطيف بنا استطافة الأرن . فقالا له: فهل إلى الترع من سبيل . فقال : إننا لم تبلغ أنسابنا.

قال اليزيدي: أبيات سحيم هذه من اختيارات الأصمعي.

قصيدة الصوت

والقصيدة التي رثى بها الأبيرد أخاه بريداً وفي أولها الغناء المذكور، من جيد الشعر، ومختار المراثي، المختار منها قوله:

تطاول ليلي لم أنمه تقلباً كأن فراشي حال من دونه الجمر
أراقب من ليل التمام نجومه لدن غاب قرن الشمس حتى بدا الفجر
تذكرت قرماً بان منا بنصره ونائله يا حبذا ذلك الذكر
فإن تكن الأيام فرقن بيننا فقد عذرتنا في صحابتنا العذر
وكنت أرى هجرا فراقك ساعةً ألا لا بل الموت التفرق والهجر
أحقاً عباد الله أن لست لاقيا بريداً طوال الدهر ما لألأ العفر
فتى إن هو استغنى تخرق في الغنى فإن قل مالاً لم يؤد متنه الفقر
وسامى جسيمات الأمور فنالها على العسر حتى أدرك العسر اليسر
ترى القوم في العزاء ينتظرونه إذا ضل رأي القوم أو حزب الأمر
فليتك كنت الحي في الناس باقيا وكنت أنا الميت الذي غيب القبر
فتى يشتري حسن الثناء بماله إذا السنة الشهباء قل بها القطر

كأن لم يصاحبنا بريدٌ بغبطة ... ولم يأتنا يوماً بأخباره السفر
لعمري لنعم المرء عالي نعيه ... لنا ابن عزيز بعد ما قصر العصر
تمضت به الأخبار حتى تغلغلت ... ولم تثنه الأطباع دوني ولا الجدر
ولما نعى الناعي بريداً تغولت ... بي الأرض فرط الحزن وانقطع الظهر
عساكر تغشى النفس حتى كأنني ... أخو سكرة طارت بهامته الخمر
إلى الله أشكو في بريد مصيبتي ... وبثي وأحزاناً تضمنها الصدر
وقد كنت أستعفي إلهي إذا شكا ... من الأجر لي فيه وإن سرني الأجر
وما زال في عيني بعد غشاوةٌ ... وسمعي عما كنت أسمعه وقر

على أنني أقنى الحياء واتقي ... شماتة أعداءٍ عيونهم خزر
فحياك عني الليل والصبح إذ بدا ... وهوج من الأرواح غدوتها شهر
سقى جدثاً لو أستطيع سقيته ... بأودٍ فرواه الروافد والقطر
ولا زال يرعى من بلاد ثوى بها ... نبات إذا صاب الربيع بها نضر
حلفت برب الرافعين أكفهم ... ورب الهدايا حيث حل بها النحر
ومجتمع الحجاج حيث توافقت ... رفاق من الآفاق تكبيرها جأر
يمين امرىءٍ آلى وليس بكاذب ... وما في يمين قالها صادق وزر
لئن كان أمس ابن المعذر قد ثوى ... بريد لنعم المرء غيبه القبر
هو الخلف المعروف والدين والتقى ... ومسعر حرب لا كهام ولا غمر
أقام فنادى أهله فتحملوا ... وصرمت الأسباب واختلط النجر
فتى كان يغلي اللحم نيئاً ولحمه ... رخيص لجاديه إذا تنزل القدر
فتى الحي والأضياف إن روحتهم ... بليل وزاد السفر إن أرمل السفر
إذا جارةٌ حلت لديه وفى بها ... فآبت ولم يهتك لجارته ستر
عفيف عن السوآت ما التبست به ... صليبٌ فما يلفى لعود به كسر
سلكت سبيل العالمين فما لهم ... وراء الذي لاقيت معدى ولا قصر

وكل امرىء يوماً سيلقى حمامه وإن نأت الدعوى وطال به العمر
وأبليت خيراً في الحياة وإنما ثوابك عندي اليوم أن ينطق الشعر

وقال يرثيه أيضاً، وهي قصيدة طويلة:

إذا ذكرت نفسي بريداً تحاملت إلي ولم أملك لعيني مدمعا
وذكرنيك الناس حين تحاملوا علي وأضحوا جلد أجرب مولعا
فلا يبعدنك الله خير أخي امرىءٍ فقد كنت طلاع النجاد سميدعا
وصولاً لذي القربى بعيداً عن الخنا إذا ارتادك الجادي من الناس أمرعا
أخو ثقة لا ينتحي القوم دونه إذا القوم حالوا أو رجا الناس مطمعا
ولا يركب الوجناء دون رفيقه إذا القوم أزجوهن حسرى وظلعا

صوت

يا زائرينا من الخيام حياكما الله بالسلام
يحزنني أن أطفتما بي ولم تنالا سوى الكلام
بورك هارون من إمام بطاعة الله ذي اعتصام
له إلى ذي الجلال قربى ليس لعدل ولا إمام

الشعر لمنصور النمري، والغناء لعبد الله بن طاهر، رمل، ذكر ذلك عبيد الله ابنه، ولم ينسبه إلى الأصابع التي بنى عليها، وفيه للرف خفيف رمل بالوسطى، عن عمرو بن بانة. وفيه ثقيل أول بالبنصر مجهول الأصابع. ذكر حبش أنه للرف أيضاً.

أخبار منصور النمري ونسبه

منصور بن الزبرقان سلمة - وقيل منصور بن سلمة بن الزبرقان - بن شريك بن مطعم الكبش الرخم، بن مالك بن سعد بن عامر بن سعد الضحيان بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وإنما سمي عامر الضحيان لأنه كان سيد قومه وحاكمهم، وكان يجلس لهم إذا أضحى النهار، فسمي الضحيان. وسمي جد منصور مطعم الكبش الرخم، لأنه أطعم ناسا نزلوا به ونحر لهم، ثم رفع رأسه فإذا رخم يحمن حول أضيافه، فأمر بأن يذبح لهم كبش ويرمى به بين أيديهم، ففعل ذلك فتزلن عليه، فمزقنه؛ فسمي مطعم الكبش الرخم. وفي ذلك يقول أبو نعيجة النمري يمدح رجلاً منهم:

أبوك زعيم بني قاسط وخالك ذو الكبش يقري الرخم

وكان منصور شاعراً من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي وروايته، وعنه أخذ، ومن بحره استقى، وبمذهبه تشبه، والعتابي وصفه للفضل بن يحيى بن خالد وقرضه عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه، ثم وصله بالرشيد. وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابي وحشة حتى تهاجرا وتناقضا، وسعى كل واحد منهما على هلاك صاحبه، وأخبار ذلك تذكر في مواضعها من أخبارهما - إن شاء الله تعالى - وكان النمري قد مدح الفضل بقصيدة وهو مقيم بالجزيرة، فأوصلها العتابي إليه، وأسترفده له، وسأله استصحابه، فأذن له في القدوم، فحظي عنده، وعرف مذهب الرشيد في الشعر، وإرادته أن يصل مدحه إياه بنفي الإمامة عن ولد علي بن أبي طالب - عليهم السلام - والطعن عليهم، وعلم مغزاه في ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروان بن أبي حفصة، وتفضيله أياه على الشعراء في الجوائز. فسلك مذهب مروان في ذلك، ونحا نحوه، ولم يصرح بالهجاء والسب كما كان يفعل مروان، ولكنه حام و لم يقع، وأومأ و لم يحقق، لأنه كان يتشيع، وكان مروان شديد العداوة لآل أبي طالب، وكان ينطق عن نية قوية يقصد بها طلب الدنيا فلا يبقي ولا يذر.

سؤاله أن يذكر عند الرشيد

أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد الكراني، وأخبرني به عمي قال: حدثنا عبد الله بن سعد حديث محمد بن جعفر النحوي أنه قال: حدثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جشم العبدي قال: حدثنا ثابت بن الحارث الجشمي قال: كان منصور النمري مصافياً للبرامكة، وكان مسكنه بالشأم، فكتب يسألهم أن يذكروه للرشيد ، فذكروه ووصفوه، فأحب أن يسمع كلامه، فأمرهم بإقدامه، فقدم ونزل عليهم، فأخبروا الرشيد بموضعه وأمرهم بإحضاره، وصادف دخوله إليه يوم نوبة مروان، على ما سمعه من بيانه، وكان مروان يقول قبل قدومه: هذا شامي وأنا حجازي، افتراه يكون أشعر مني، ودخله من ذلك ما يدخل مثله من الغم والحسد، واستنشد الرشيد منصوراً، فأنشده:

أمير المؤمنين إليك خضنا غمار الهول من بلد شطير

بخوص كالأهلة خافقات تلين على السرى وعلى الهجير

حملن إليك أحمالاً ثقالا ومثل الصخر والدر النثير

فقد وقف المديح بمنتهاه وغايته وصار إلى المصير

إلى من لا يشير إلى سواه إذا ذكر الندى كف المشير

فقال مروان: وددت والله أنه أخذ جائزتي وسكت.

وذكر في القصيدة يحيى بن عبد الله بن حسن فقال:

يذلل من رقاب بني علي ومن ليس بالمن الصغير

مننت على ابن عبد الله يحيى وكان من الحتوف على شفير

مروان ينشد الرشيد قال مروان: فما برحت حتى أمرني هارون أمير المؤمنين أن أنشده، وكان يتبسم في وقت ما كان ينشده النمري، ويأخذ على بطنه، وينظر إلى ما قال، فأنشدته:

موسى وهارون هما الذان في كتب الأخبار يوجدان

من ولد المهدي مهديان قدا عنانين على عنان

قد أطلق المهدي لي لساني وشد أزري ما به حباني

من اللجين ومن العقيان عيدية شاحطة الأثمان

لو خايلت دجلة بالألبان إذاً لقيل اشتبه النهران

النمري لا يحتفل بقول مروان قال: فوالله ما عاج النمري بذلك ولا احتفل به، فأومأ إلى هارون أن زده؛ فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها:

خلوا الطريق لمعشر عاداتهم حطم المناكب كل يوم زحام

ارضوا بما قسم الإله لكم به ودعوا وراثة كل أصيد حام

أني يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الأعمام

قال: فوالله ما عاج بشيء منها، وخرجت الجائزتان، فأعطى مروان مائة ألفٍ، وأعطى النمري سبعين ألفاً، وقال: أنت مزيدٌ في ولد علي.

قال: ولقد تخلص النمري إلى شيء ليس عليه فيه شيء، وهو قوله:

فإن شكروا فقد أنعمت فيهم وإلا فالندامة للكفور

وإن قالوا بنو بنتٍ فحقٌ وردوا ما يناسب للذكور

قال: فكان مروان يتأسف على هذا المعنى أن يكون قد سبقه إليه، وإلى قوله:

وما لبني بناتٍ من تراثٍ مع الأعمام في ورق الزبور

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثني الغنوي عن محمد بن محمد بن عبد الله بن آدم عن أبي معشرٍ العبدي، فذكر القصة قريباً مما ذكره محمد بن جعفر النحوي يزيد وينقص، والمعنى متقارب.

غضب هارون أن يشبه بالرسول أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان السلمي قال: حدثني أحمد بن سيار الشيباني الشاعر قال: كان هارون أمير المؤمنين يحتمل أن يمدح بما تمدح به الأنبياء فلا ينكر ذلك ولا يرده، حتى دخل عليه نفرٌ من الشعراء فيهم رجلٌ من ولد زهير بن أبي سلمى، فأفرط في مدحه حتى قال فيه:

فكأنه بعد الرسول رسول

فغضب هارون و لم ينتفع به أحد يومئذٍ، وحرم ذلك الشاعر فلم يعطه شيئاً، وأنشد منصورٌ النمري قصيدة مدحه بها وهجا آل علي وثلبهم، فضجر هارون وقال له: يا ابن اللخناء، أتظن أنك تتقرب إلي بهجاء قوم أبوهم أبي، ونسبهم نسبي، وأصلهم وفرعهم أصلي وفرعي؟! فقال: وما شهدنا إلا بما علمنا. فازداد غضبه، وأمر مسروراً فوجأ في عنقه وأخرج، ثم وصل إليه يوماً آخر بعد ذلك فأنشده:

بني حسنٍ ورهط بني حسينٍ ... عليكم بالسداد من الأمور

فقد ذقتم قراع بني أبيكم ... غداة الروع بالبيض الذكور

أحين شفوكمو من كل وترٍ ... وضموكم إلى كنف وثير

وجادوكم على ظمإٍ شديد ... سقيتم من نوالهم الغزيز

فما كان العقوق لهم جزاءً ... بفعلهم وآدى للثؤور

وإنك حين تبلغهم أذاةً ... وإن ظلموا لمحزون الضمير

فقال له: صدقت، وإلا فعلي وعلي، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

مروان ينشد الرشيد أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال: حدثني عبد الصمد بن المعذل قال: دخل مروان بن أبي حفصة وسلم الخاسر، ومنصور النمري على الرشيد، فأنشده مروان قصيدته التي يقول فيها:

أنى يكون وليس ذاك بكائن ... لبني البنات وراثة الأعمام

وأنشده سلم فقال:

حضر الرحيل وشدت الأحداج

وأنشده النميري قصيدته التي يقول فيها:

إن المكارم والمعروف أوديةٌ ... أحلك منها حيث تجتمع

الرشيد يميز شاعره الخاص عن سائر الشعراء فأمر لكل واحد منهم بمائة ألف درهم، فقال له يحيى بن خالدٍ: يا أمير المؤمنين، مروان شاعرك خاصة قد ألحقتهم به. قال: فليزد مروان عشرة آلاف.

أخبرني عمي قال: أخبرنا ابن أبي سعد قال: حدثني علي بن الحسن الشيباني قال: أخبرني أبو حاتمٍ الطائي، عن يحيى بن ضبيئة الطائي، عن الفضل قال: حضرت الرشيد وقد دخل منصور النمري عليه فأنشده:

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جزع ... إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع

بان الشباب وفاتتني بلذته ... صروف دهرٍ وأيامٍ لها خدع

ما كنت أوفي شبابي كنه غرته ... حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع

قال: فتحرك الرشيد لذلك ثم قال: أحسن والله، لا يتهنأ أحدٌ بعيش حتى يخطر في رداء الشباب.

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن سعدٍ قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن آدم العبدي عن أبي ثابت العبدي عن مروان بن أبي حفصة، قال: خرجنا مع الرشيد إلى بلاد الروم، فظفر الرشيد، وقد كاد أن يعطب، لولا الله عز وجل ثم يزيد بن مزيد. فقال لي وللنمري: أنشدا. فأنشدته قولي:

طرقتك زائرةً فحي خيالها ... غراء تخلط بالحياء دلالها

ووصفت الرجال من الأسرى كيف أسلموا نساءهم، والظفر الذي رزقه، فقال: عدوا قصيدته، فكانت مائة بيتٍ، فأمر لي بمائة ألف درهم، ثم قال للنمري: كيف رأيت فرسي فإني أنكرته؟ فقال النمري:

مضرٌ على فأس اللجام كأنه ... إذا ما اشتكت أيدي الجياد يطير

فظل على الصفصاف يومٌ تباشرت ... ضباعٌ وذؤبان به ونسور

فأقسم لا ينسى لك الله أجرها ... إذا قسمت بين العباد أجور

قال النمري: ثم قلت في نفسي: ما يمنعني من إذكاره بالجائزة؟ فقلت:

إذا الغيث أكدى واقشعرت نجومه ... فغيث أمير المؤمنين مطير

وما حل هارون الخليفة بلدةً ... فأخلفها غيثٌ وكاد يضير

فقال: أذكرتني. ورأيته متهللاً لذلك. قال: فألحقني بمروان وأمر لي بمائة ألف درهم.

البيدق ينشد قصيدة النمري

أخبرني عمي، قال: حدثني ابن أبي سعدٍ، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان، قال حدثني محمد الراوية المعروف بالبيدق - وكان قصيراً، فلقب بالبيدق لقصره، وكان ينشد هارون أشعار المحدثين - وكان أحسن خلق الله إنشاداً - قال: دخلت على الرشيد وعنده الفضل بن الربيع، ويزيد بن مزيد، وبين يديه خوان لطيف عليه جديان ورغفان سميد ودجاجتان، فقال لي: أنشدني، فأنشدته قصيدة النمري العينية، فلما بلغت إلى قوله:

أي امرىءٍ بات من هارون في سخط فليس بالصلوات الخمس ينتفع

إن المكارم والمعروف أودية أحلك الله منها حيث تتسع

إذا رفعت امرأً فالله يرفعه ومن وضعت من الأقوام متضع

نفسي فداؤك والأبطال معلمة يوم الوغى والمنايا بينها قرع

قال: فرمى بالخوان بين يديه وصاح، وقال: هذا والله أطيب من كل طعامٍ وكل شيءٍ، وبعث إليه بسبعة آلاف دينارٍ، فلم يعطني منها ما يرضيني، وشخص إلى رأس العين، فأغضبني وأحفظني، فأنشدت هارون قوله:

شاءٌ من الناس راتعٌ هامل يعللون النفوس بالباطل

فلما بلغت إلى قوله:

إلا مساعير يغضبون لها بسلة البيض والقنا الذابل

الرشيد يبعث بمن يقتل النمري في يوم وفاته

قال: أراه يحرض علي، ابعثوا إليه من يجيء برأسه. فكلمه فيه الفضل بن الربيع فلم يغن كلامه شيئاً، وتوجه إليه الرسول فوافاه في اليوم الذي مات فيه ودفن. قال: وكان إنشاد محمدٍ البيدق يطرب كما يطرب الغناء.

سبب غضب الرشيد على النمري

أخبرني عمي، قال: حدثنا ابن أبي سعد، قال: حدثنا علي بن الحسين الشيباني، قال: أخبرني منصور بن جهور، قال: سألت العتابي عن سبب غضب الرشيد عليه، فقال لي: استقبلت النمري يوماً من الأيام فرأيته مغموماً واجماً كئيباً، فقلت له: ما خبرك؟ فقال: تركت امرأتي تطلق، وقد عسر عليها ولادها، وهي يدي ورجلي، والقيمة بأمري وأمر مترلي. فقلت له: لم لا تكتب على فرجها هارون الرشيد؟ قال: ليكون ماذا؟ قال لتلد على المكان، قال: وكيف ذلك؟ قلت: لقولك:

إن أخلف الغيث لم تخلف مخايله أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتسع

فقال لي: يا كشخان، والله لئن تخلصت امرأتي لأذكرن قولك هذا للرشيد. فلما ولدت امرأته خبر الرشيد بما كان بيني وبينه، فغضب الرشيد لذلك وأمر بطلبي، فاستترت عند الفضل بن الربيع، فلم يزل يسأل في حتى أذن لي في الظهور، فلما دخلت عليه، قال لي: قد بلغني ما قلته للنمري، فاعتذرت إليه حتى قبل، ثم قلت: والله يا أمير المؤمنين ما حمله على التكذل علي إلا وقوفي على ميله إلى العلوية، فإن أراد أمير المؤمنين أن أنشده شعره في مديحهم فعلت. فقال: أنشدني. فأنشدته قوله:

شاءٌ من الناس راتع هامل يعللون النفوس بالباطل

حتى بلغت إلى قوله:

إلا مساعير يغضبون لها بسلة البيض والقنا الذابل

غضب الرشيد وطلبه نبش قبره فغضب من ذلك غضباً شديداً، وقال للفضل بن الربيع: أحضره الساعة. فبعث الفضل في ذلك، فوجده قد توفي، فأمر بنبشه ليحرقه، فلم يزل الفضل يلطف له حتى كف عنه.

الفضل بن الربيع يحمي النمري أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعدٍ قال: حدثنا يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، قال: حدثني بعض الزينبيين، قال: حبس الرشيد منصوراً النمري بسبب الرفض، فتخلصه الفضل بن الربيع، ثم بلغه شعره في آل علي عليه السلام، فقال للفضل: اطلبه. فستره الفضل عنده، وجعل الرشيد يلح في طلبه، حتى قال يوماً للفضل:

ويحك يا فضل تفوتني النمري؟ قال: يا سيدي، هو عندي قد حصلته. قال: فجئني. وكان الفضل قد أمره أن يطول شعره، ويكثر مباشرة الشمس ليشحب وتسوء حالته، ففعل، فلما أراد إدخاله عليه ألبسه فروة مقلوبة، وأدخله عليه، وقد عفا شعره، وساءت حالته، فلما رآه، قال: السيف! فقال الفضل: يا سيدي من هذا الكلب حتى تأمر بقتله بحضرتك؟ قال: أليس هو القائل:

إلا مساعير يغضبون لها بسلة البيض والقنا الذابل

فقال منصور: لا يا سيدي ما أنا قائلٌ هذا، ولقد كذب علي، ولكني القائل:

يا منزل الحي ذا المغاني انعم صباحاً على بلاكا

هارون يا خير من يرجى لم يطع الله من عصاكا

في خير دينٍ وخير دنيا من اتقى الله واتقاكا

فأمر بإطلاقه وتخلية سبيله، فقال منصورٌ يمدح الفضل بن الربيع:

رأيت الملك مذ آزر ت قد قامت محانيه

هو الأوحد في الفضل فما يعرف ثانيه

عفة النمري

أخبرني عمي، قال: حدثنا ابن أبي سعدٍ، قال: حدثني علي بن مسلم بن الهيثم الكوفي عن محمد بن أرتبيل، قال: اجتمع عند المأمون قبل خلافته، وذلك في أيام الرشيد، منصورٌ النمري والخزيمي والعباس بن زفر، وعنده جعفر بن يحيى، فحضر الغداء، فأتي المأمون بلونٍ من الطعام، فأكل منه فاستطابه، فأمر به فوضع بين يدي جعفر بن يحيى، فأصاب منه، ثم أمر به فوضع بين يدي العباس فأكل منه، ثم نحاه، فأكل منه بعده الخزيمي وغيره - و لم

يأكل منه النمري - وذلك بعين المأمون، فقال له: لم لم تأكل؟ فقال: لئن أكلت ما أبقى هؤلاء إني لنهمٌ. قال: فهل قلت في هذا شيئاً؟ قال: نعم، قلت:

لهفي أتطعمها قينسا وآكلها ... إني إذاً لدنيء النفس والخطر

ما كان جدي ولا كان الهمام أبي ... ليأكلا سؤر عباس ولا زفر

شتان من سؤر عباسس وفضلته ... وسؤر كلبٍ مغطى العين بالوبر

ما زال يلقم والطباخ يلحظه ... وقد رأى لقماً في الحلق كالعجز

نسبة هذه القصيدة إلى منصور بن بجرة أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وعمي، قالا: حدثنا الحسن بن عليلٍ العنزي، قال: اخبرني علقمة بن نصر بن واصلٍ النمري، قال: سمعت أشياخنا يقولون، إن منصور بن بجرة بن منصور بن صليل بن أشيم بن قطن بن سعد بن عامرٍ بن الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسطٍ، قال هذه القصيدة:

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع ... إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع

بان الشباب وفاتتني بشرته ... صروف دهرٍ وأيام لها خدع

ما كنت أول مسلوبٍ شبيبته ... مكسو شيبٍ فلا يذهب بك الجزع

منصور بن سلمة يستوهبها منه ويطلبه الرشيد ولكنه يرده فيستنجد بيزيد الشيباني فيدخله فسمعها منصور بن سلمى بن الزبرقان بن شريك بن مطعم الكبش الرخم بن مالك بن سعد بن عامر الضحيان فاستحسنها، فاستوهبها منه فوهبها له، وكان منصور بن بجرة هذا موسراً لا يتصدى لمدح ولا يفد إلى أحد ولا يتنجعه بالشعر، وكان هارون الرشيد قد جرد السيف في ربيعة، فوجه منصور بن سلمة هذه القصيدة إلى الرشيد، وكان رجلاً تقتحمه العين جداً، ويزدريه من رآه لدمامة خلقه فأمر الرشيد لما عرضت عليه بإحضار قائلها. قال منصور: فلما وصلت إليه عرفني الحاجب أنه لما عرضت عليه قرأها واختارها على جميع شعر الشعراء جميعاً، وأمره بإدخالي، فلما قربت من حاجبه الفضل بن الربيع ازدراني لدمامة خلقي، وكان قصيراً أزرق أحمر أعمش نحيفاً. قال: فردني، وأمر بإخراجي فأخرجت، فمر بي ذات يوم يزيد بن مزيدٍ الشيباني، فصحت به: يا أبا خالد، أنا رجلٌ من عشيرتك، وقد لحقني ضيم، وعذت بك. فوقف، فعرفته خبري، وسألته: أن يذكرني إذا مرت به رقعتي، ويتلطف في إيصالي، ففعل ذلك، فلما دخلت على أمير المؤمنين أنشدته هذه القصيدة:

أتسلو وقد بان الشباب المزايل

الرشيد يرفع السيف عن ربيعة فقال لي: غداً إن شاء الله آمر برفع السيف عن ربيعة وخرج يزيد يركض، فما جاءت العصر من الغد حتى رفع السيف عن ربيعة بنصيبين وما يليها، وأنشدته القصيدة، فلما صرت إلى هذا الموضع:

يجرد فينا السيف من بين مارقٍ وعانٍ بجودٌ كلهم متحامل

قالوا: فلما سمع الجلساء هذا البيت، قالوا: ذهب الأعرابي وافتضح، فلما قلت:

وقد علم العدوان والجور والخنا بأنك عيافٌ لهن مزايل

ولو علموا فينا بأمرك لم يكن ينال برياً بالأذى متناول

لنا منك أرحام ونعتد طاعةً وبأساً إذا اصطك القنا والقنابل

وما يحفظ الأنساب مثلك حافظٌ ولا يصل الأرحام مثلك واصل

جعلناك فامنعنا معاذاً ومفزعا لنا حين عضتنا الخطوب الجلائل

وأنت إذا عاذت بوجهك عوذ تطامن خوفٌ واستقرت بلابل

فقال الجلساء: أحسن والله الأعرابي يا أمير المؤمنين! فقال الرشيد: يرفع السيف عن ربيعة ويحسن إليهم.

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعدٍ، قال: حدثني علي بن الحسين بن عبيدٍ البكري قال: أخبرني أبو خالد الطائي عن الفضل، قال: كنا عند الرشيد وعنده الكسائي، فدخل إليه منصورٌ النمري، فقال له الرشيد: أنشدني. فأنشده قوله:

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع

فتحرك الرشيد، ثم أنشده حتى انتهى إلى قوله:

ما كنت أوفي شبابي كنه عزته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع

فطرب الرشيد، وقال: أحسنت والله، وصدقت، لا والله لا يتهنا أحد يعيش حتى يخطر في رداء الشباب! وأمر به بجائزة سنية.

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعدٍ، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان السلمي، قال: حدثني أحمد بن سنانٍ البيساني، وأخبرني عمي قال: أخبرنا ابن أبي سعدٍ، قال: حدثنا مسعود بن عيسى، عن موسى بن عبد الله التميمي: أن جماعة من الشعراء اجتمعوا ببغداد وفيهم منصور النمري، وكانوا على نبيذٍ، فأبى منصور أن يشرب معهم، فقالوا له: إنما تعاف الشرب لأنك رافضي، وتسمع وتصغي إلى الغناء، وليس تركك النبيذ من ورعٍ، فقال منصور:

خلا بين ندماني موضع مجلسي ولم يبق عندي للوصال نصيب

وردت على الساقي تفيض وربما رددت عليه الكأس وهي سليب

وأي امرىء لا يستهش إذا جرت عليه بنانٌ كفهن خضيب

الغناء لإبراهيم، خفيف ثقيل، مطلق في مجرى البنصر. ومن الناس من ينسبه إلى مخارق، هكذا في الخبر.

وقد حدثني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرد، قال: كتب كلثوم بن عمرو العتابي إلى منصور النمري قوله:

تقضت لباناتٌ ولاح مشيب ... وأشفى على شمس النهار غروب

وودعت إخوان الصبا وتصرمت ... غواية قلبٍ كان وهو طروب

وردت على الساقي تفيض وربما ... رددت عليه الكأس وهي سليب

ومما يهيج الشوق لي فيرده ... خفيفٌ على أيدي القيان صخوب

عطون به حتى جرى في أديمه ... أصابيغ في لباتهن وطيب

فأجابه النمري وقال:

أوحشة ندمانيك تبكي فربما ... تلاقيهما والحلم عنك عزوب

ترى خلفا من كل نيلٍ وثروةٍ ... سماع قيان عودهن قريب

يغنيك يا بنتي فتستصحب النهى ... وتحتازك الآفات حين أغيب

وإن امرأً أودى السماع بلبه ... لعريان من ثوب الفلاح سليب

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن آدم بن جشم العبدي أبو مسعر، قال: أتى النمري يزيد بن مزيد ويزيد يومئذٍ في إضاقة وعسرة، فقال: اسمع مني جعلت فداك. فأنشده قصيدةً له. يقول فيها:

لو لم يكن لبني شيبان من حسب ... سوى يزيد لفاتوا الناس في الحسب

تأوي المكارم من بكر إلى ملكٍ ... من آل شيبان يحويهن من كثب

أبٌ وعمٌ وأخوالٌ مناصبهم ... في منبت النبع لا في منبت الغرب

إن أبا خالد لما جرى وجرت ... خيل الندى أحرز الأولى من القصب

لما تلغبهن الجري قدمه ... عتقٌ مبينٌ ومحضٌ غير مؤتشب

إن الذين اغتزوا بالحر غرته ... كمغتزي الليث في عريسه الأشب

ضرباً دراكاً وشداتٍ على عنقٍ ... كان إيقاعها النيران في الحطب

لا تقربن يزيداً عند صولته ... لكن إذا ما احتبى للجود فاقترب

فقال يزيد: والله ما أصبح في بيت مالي شيء، ولكن انظر يا غلام كم عندك فهاته. فجاءه بمائة دينارٍ وحلف أنه لا يملك يومئذ غيرها.

وقد أخبرني عمي بهذا الخبر، قال: حدثني محمد بن علي بن حمزة العلوي، قال: حدثني عمي عن جدي، قال: قال لي منصور النمري، كنت واقفاً على جسر بغداد أنا وعبيد الله بن هشام بن عمرو التغلبي، وقد وخطني الشيب يومئذٍ، وعبيد الله شابٌ حديث السن، فإذا أنا بقصرية ظريفة قد وقفت، فجعلت أنظر إليهما وهي تنظر إلى عبيد الله بن هشام ثم انصرفت، وقلت فيها:

لما رأيت سوام الشيب منتشراً ... في لمتي وعبيد الله لم يشب

سللت سهمين من عينيك فانتضلا ... على سبيبة ذي الأذيال والطرب

كذا الغواني نرى منهن قاصدة ... إلى الفروع معراة عن الخشب

لا أنت أصبحت تعتدينا أرباً ... ولا وعيشك ما أصبحت من أربي

إحدى وخمسين قد أنضبت جدتها ... تحول بيني وبين اللهو واللعب

لا تحسبني وإن أغضيت عن بصري ... غفلت عنك ولا عن شأنك العجب

ثم عدلت عن ذلك فمدحت فيها يزيد بن مزيد فقلت:

لو لم يكن لبني شيبان من حسب ... سوى يزيد لفاقوا الناس بالحسب

لا تحسب الناس قد حابوا بني مطرٍ ... إذا أسلم الجود فيهم عاقد الطنب

الجود أخشن لمساً يا بني مطر ... من أن تبزكموه كف مستلب

ما أعرف الناس أن الجود مدفعةٌ ... للذم لكنه يأتي على النشب

قال: فأعطاني يزيد عشرة آلاف درهم.

حدثني عمي، قال: حدثني محمد بن عبد الله التميمي الحزنبل، قال: حدثني عمرو بن عثمان الموصلي، قال حدثني ابن أبي روق الهمداني، قال: قال لي منصور النمري: دخلت على الرشيد يوماً و لم أكن أعددت له مدحاً، فوجدته نشيطاً طيب النفس، فرمت شيئاً فما جاءني، ونظر إلي مستنطقاً، فقلت:

إذا اعتاص المديح عليك فامدح ... أمير المؤمنين تجد مقالا

وعذ بفنائه واجنح إليه ... تنل عرفاً ولم تذلل سؤالا

فناءٌ لا تزال به ركابٌ ... وضعن مدائحاص وحملن مالا

فقال: والله لئن قصرت القول لقد أطلت المعنى، وأمر لي بصلةٍ سنية.

طربت إلى الحي الذين تحملوا ... ببرقة أحواذ وأنت طروب

فبت أسقاها سلافاً مدامةً لها في عظام الشاربين دبيب

الشعر لعبد الله بن الحجاج الثعلبي، والغناء لعلويه، رمل بالوسطى، عن الهشامي، وفيه لسليم خفيف رملٍ، مطلقٌ في مجرى الوسطى.

نسب عبد الله بن الحجاج وأخباره

هو عبد الله بن الحجاج بن محصن بن جندب بن نصر بن عمرو بن عبد غنم بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر. ويكنى أبا الأقرع. شاعرٌ فاتكٌ شجاعٌ من معدودي فرسان مضر ذوي البأس والنجدة فيهم، وكان ممن خرج مع عمرو بن سعيدٍ على عبد الملك بن مروان، فلما قتل عبد الملك بن مروان عمراً خرج مع نجدة بن عامرٍ الحنفي ثم هرب، فلحق بعبد الله بن الزبير، فكان معه إلى أن قتل، ثم جاء إلى عبد الملك متنكراً، واحتال عليه حتى أمنه.

وأخباره تذكر في ذلك وغيره ها هنا أخبرني بخبره في تنقله من عسكرٍ إلى عسكر، ثم استئمانه، جماعةٌ من شيوخنا، فذكروه متفرقاً فابتدأت بأسانيدهم، وجمعت خبره من روايتهم.

فأخبرنا الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكارٍ، قال: حدثني اليزيدي أبو عبد الله محمد بن العباس، ببعضه، قال: حدثني سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثنا يحيى بن سعيدٍ الأموي، وأخبرنا محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن عليلٍ العنزي، قال: حدثنا محمد بن معاوية الأسدي، قال: حدثنا محمد بن كناسة، وأخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني علي بن مسلم بن الهيثم الكوفي عن محمد بن أرتبيل، ونسخت بعض هذه الأخبار من نسخة أبي العباس ثعلبٍ، والألفاظ تختلف في بعضها والمعاني قريبةٌ، قالوا: كان عبد الله بن الحجاج الثعلبي شجاعاً فاتكاً صعلوكاً من صعاليك العرب، وكان متسرعاً إلى الفتن، فكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد بن العاص، فلما ظفر به عبد الملك هرب إلى ابن الزبير، فكان معه حتى قتل، ثم اندس إلى عبد الملك فكلم فيه فأمنه.

هذه رواية ثعلب، وقال العنزي وابن سعد في روايتهما: لما قتل عبد الله بن الزبير، وكان عبد الله بن الحجاج من أصحابه وشيعته احتال حتى دخل على عبد الملك بن مروان وهو يطعم الناس، فدخل حجرةً، فقال له: مالك يا هذا لا تأكل؟ قال: لا أستحل أن آكل حتى تأذن لي. قال: إني قد أذنت للناس جميعاً. قال: لم أعلم فآكل بأمرك. قال: كل. فأكل، وعبد الملك ينظر إليه ويعجب من فعاله، فلما أكل الناس وجلس عبد الملك في مجلسه، وجلس خواصه بين يديه، وتفرق الناس، جاء عبد الله بن الحجاج فوقف بين يديه، ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له، فأنشده:

أبلغ أمير المؤمنين فإنني مما لقيت من الحوادث موجع

منع القرار فجئت نحوك هاربا جيش يجر ومقنبٌ يتلمع

فقال عبد الملك: وما خوفك لا أم لك، لولا أنك مريبٌ! فقال عبد الله:

إن البلاد علي وهي عريضةٌ وعرت مذاهبها وسد المطلع

فقال له عبد الملك: ذلك بما كسبت يداك، وما الله بظلامٍ للعبيد، فقال عبد الله:

كنا تنحلنا البصائر مرةً وإليك إذ عمي البصائر نرجع

إن الذي يعصيك منا بعدها من دينه وحياته متودع

آتي رضاك ولا أعود لمثلها وأطيع أمرك ما أمرت وأسمع

أعطي نصيحتي الخليفة ناخعا وخزامة الأنف المقود فأتبع

فقال له عبد الملك: هذا لا نقبله منك إلا بعد المعرفة بك وبذنبك؟ فإذا عرفت الحوبة قبلنا التوبة. فقال عبد الله:

ولقد وطئت بني سعيد وطأةً وابن الزبير فعرشه متضعضع

فقال عبد الملك: لله الحمد والمنة على ذلك. فقال عبد الله:

ما زلت تضرب منكباً عن منكبٍ تعلو ويسفل غيركم ما يرفع

ووطئتم في الحرب حتى أصبحوا حدثاً يكوس وغابراً يتجعجع

فحوى خلافتهم ولم يظلم بها القرم قرم بني قصي الأنزع

لا يستوي خاوي نجوم أفلٍ والبدر منبلجاً إذا ما يطلع

وضعت أمية واسطين لقومهم ووضعت وسطهم فنعم الموضع

بيتٌ أبو العاصي بناه بربوةٍ عالي المشارف عزه ما يدفع

فقال له عبد الملك: إن توريتك عن نفسك لتريبني، فأي الفسقة أنت؟ وماذا تريد؟ فقال:

حربت أصيبيتى يدٌ أرسلتها وإليك بعد معادها ما ترجع

وأرى الذي يرجو تراث محمدٍ أفلت نجومهم ونجمك يسطع

فقال عبد الملك: ذلك جزاء أعداء الله. فقال عبد الله بن الحجاج:

فانعش أصيبيتى الألاء كأنهم جحلٌ تدرج بالشربة جوع

فقال عبد الملك: لا أنعشهم الله، وأجاع أكبادهم، ولا أبقى وليداً من نسلهم، فإنهم نسل كافرٍ فاجرٍ لا يبالي ما صنع. فقال عبد الله:

مالٌ لهم مما يضن جمعته يوم القليب فحيز عنهم أجمع

فقال له عبد الملك: لعلك أخذته من غير حله، وأنفقته في غير حقه، وأرصدت به لمشاقة أولياء الله، وأعددته لمعاونة أعدائه، فنزعه منك إذ استظهرت به على معصية الله. فقال عبد الله:

أدنو لترحمني وتجبر فاقتي فأراك تدفعني فأين المدفع

فتبسم عبد الملك، وقال له: إلى النار، فمن أنت الآن؟ قال: أنا عبد الله بن الحجاج الثعلبي، وقد وطئت دارك وأكلت طعامك، وأنشدتك، فإن قتلتني بعد ذلك فأنت وما تراه، وأنت بما عليك في هذا عارف. ثم عاد إلى إنشاده فقال:

ضاقت ثياب الملبسين وفضلهم عني فألبسني فثوبك أوسع

فنبذ عبد الملك إليه رداءً كان على كتفه، وقال: البسه، لا لبست! فالتحف به، ثم قال له عبد الملك: أولى لك والله، لقد طاولتك طمعاً في أن يقوم بعض هؤلاء فيقتلك، فأبى الله ذلك، فلا تجاورني في بلدٍ، وانصرف آمناً، قم حيث شئت.

قال اليزيدي في خبره: قال عبد الله بن الحجاج: ما زلت أتعرف منه كل ما أكره حتى أنشدته قولي:

ضاقت ثياب الملبسين وفضلهم عني فألبسني فثوبك أوسع

فرمى عبد الملك مطرفه، وقال: البسه. فلبسته.

ثم قال: آكل يا أمير المؤمنين؟ قال: كل. فأكل حتى شبع، ثم قال: أمنت ورب الكعبة؟ فقال: كن من شئت إلا عبد الله بن الحجاج. قال: فأنا والله هو، وقد أكلت طعامك، ولبست ثيابك، فأي خوفٍ علي بعد ذلك؟ فأمضى له الأمان.

ونسخت عن كتاب أحمد بن يحيى ثعلب بن ابن الأعرابي، قال: كان عبد الله بن الحجاج قد خرج مع نجدة بن عامرٍ الحنفي الشاري، فلما انقضى أمره هرب، وضاقت عليه الأرض من شدة الطلب، فقال في ذلك:

رأيت بلاد الله وهي عريضةٌ على الخائف المطرود كفة حابل

تؤدي إليه أن كل ثنية تيممها ترمي إليه بقاتل

قال: ثم لجأ إلى أحيح بن خالد بن عقبة بن أبي معيطٍ، فسعى به إلى الوليد بن عبد الملك، فبعث إليه بالشرط، فأخذ من دار أحيح، فأتي به الوليد فحبسه، فقال وهو في الحبس:

أقول وذاك فرط الشوق مني لعيني إذ نأت ظمياء فيضي

فما للقلب صبرٌ يوم بانت وما للدمع يسفح من مغيض

كأن معتقاً من أذرعات بماء سحابة خصرٍ فضيض

بفيها إذ تخافتني حياءً بسرٍ لا تبوح به خفيض

يقول فيها:

فإن يعرض أبو العباس عني ويركب بي عروضاً عن عروض
ويجعل عرفه يوماً لغيري وبيغضني فإني من بغيض
فإني ذو غنًى وكريم قومٍ وفي الأكفاء ذو وجهٍ عريض
غلبت بني أبي العاصي سماحاً وفي الحرب المذكرة العضوض
خرجت عليهم في كل يومٍ خروج القدح من كف المفيض
فدًى لك من إذا ما جئت يوماً تلقاني بجامعة ربوض
على جنب الخوان وذاك لؤمٌ وبئست تحفة الشيخ المريض
كأني إذ فزعت إلى أحيحٍ فزعت إلى مقوقيةٍ بيوض
إوزة غيضةٍ لقحت كشافاً لقحقحها إذا درجت نقيض

قال: فدخل أحيحٌ على الوليد بن عبد الملك، فقال يا أمير المؤمنين: إن عبد الله بن الحجاج قد هجاك قال: بماذا؟ فأنشده قوله:

فإن يعرض أبو العباس عني ويركب بي عروضاً عن عروض
ويجعل عرفه يوماً لغيري وبيغضني فإني من بغيض

فقال الوليد: وأي هجاءٍ هذا! هو من بغيض إن أعرضت عنه، أو أقبلت عليه، أو أبغضته، ثم ماذا؟ فأنشده:

كأني إذ فزعت إلى أحيحٍ فزعت إلى مقوقيةٍ بيوض

فضحك الوليد، ثم قال: ما أراه هجا غيرك. فلما خرج من عنده أحيح أمر بتخلية سبيل عبد الله بن الحجاج، فأطلق. وكان الوليد إذا رأى أحيحاً ذكر قول عبد الله فيه فيضحك منه.

حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا خلاد بن يزيد الأرقط عن سالم بن قتيبة. وحدثني يعقوب بن القاسم الطلحي، قال: حدثني غير واحدٍ، منهم عبد الرحمن بن محمدٍ الطلحي، قال: حدثني أحمد بن معاوية، قال: سمعت أبا علقمة الثقفي يحدث. قال أبو زيدٍ: وفي حديث بعضهم ما ليس في حديث الآخر، وقد ألفت ذلك، قال:

كان كثير بن شهاب بن الحصين بن ذي الغصة بن يزيد بن شداد بن قنان بن سلمة بن وهب بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن كعب، على ثغر الري، ولاه إياه المغيرة بن شعبة إذ كان خليفة معاوية على الكوفة، وكان

عبد الله بن الحجاج معه، فأغار الناس على الديلم، فأصاب عبد الله بن الحجاج رجلاً منهم، فأخذ سلبه، فانتزعه منه كثير، وأمر بضربه، فضرب مائة سوطٍ، وحبس، فقال عبد الله في ذلك، وهو محبوس:

تسأل سلمى عن أبيها صحابه ... وقد علقته من كثيرٍ حبائل

فلا تسألي عني الرفاق فإنه ... بأبهر لا غازٍ ولا هو قافل

ألست ضربت الديلمي أمامهم ... فجدلته فيه سنانٌ وعامل

فمكث في الحبس مدةً، ثم أخلي سبيله، فقال:

سأترك ثغر الري ما كنت والياً ... عليه لأمر غالني وشجاني

فإن أنا لم أدرك بثأري وأثئر ... فلا تدعني للصيد من غطفان

تمنيتني يا بن الحصين سفاهةً ... ومالك بي يا بن الحصين يدان

فإني زعيمٌ أن أجلل عاجلاً ... بسيفي كفاحاً هامة ابن قنان

قال: فلما عزل كثيرٌ وقدم الكوفة كمن له عبد الله بن الحجاج في سوق التمارين - وذلك في خلافة معاوية وإمارة المغيرة بن شعبة على الكوفة - وكان كثير يخرج من منزله إلى القصر يحدث المغيرة، فخرج يوماً من داره إلى المغيرة يحدثه فأطال، وخرج من عنده ممسياً يريد داره، فضربه عبد الله بعمود حديدٍ على وجهه فهتم مقاديم أسنانه كلها، وقال في ذلك:

من مبلغٌ قيساً وخندف أنني ... ضربت كثيراً مضرب الظربان

فأقسم لا تنفك ضربة وجهه ... تذل وتخزي الدهر كل يمان

فإن تلقني تلق أمراً قد لقيته ... سريعاً إلى الهيجاء غير جبان

وتلق أمراً لم تلق أمك بره ... على سابح غوج اللبان حصان

وحولي من قيسٍ وخندف عصبةٌ ... كرامٌ على البأساء والحدثان

وإن تك للسنخ الذي غص بالحصى ... فإني لقرمٍ يا كثير هجان

أنا ابن بني قيس علي تعطفت ... بغيض بن ريثٍ بعد آل دجان

من مبلغ قيساً وخندف أنني ... أدركت مظلمتي من ابن شهاب

أدركته أجرى على محبوكةٍ ... سرح الجراء طويلة الأقراب

جرداء سرحوبٍ كأن هويها ... تعلو بجؤجئها هوي عقاب

خضت الظلام وقد بدت لي عورةٌ ... منه فأضربه على الأنياب

فتركته يكبو لفيه وأنفه ذهل الجنان مضرج الأثواب

هلا خشيت وأنت عادٍ ظالمٌ بقصور أبهر نصرتي وعقابي

إذ تستحل، وكان ذاك مجرماً، جلدي وتنزع ظالماً أثوابي

ما ضره والحر يطلب وتره بأشم لا رعشٍ ولا قبقاب

قال: فكتب ناس من اليمانية من أهل الكوفة إلى معاوية: إن سيدنا ضربه خسيسٌ من غطفان، فإن رأيت أن تقيدنا من أسماء بن خارجة. فلما قرأ معاوية الكتاب قال: ما رأيت كاليوم كتاب قوم أحمق من هؤلاء. وحبس عبد الله بن الحجاج، وكتب إليهم: "إن القود ممن لمن يجن محظورٌ ، والجاني محبوسٌ، حبسته فليقتص منه المجني عليه". فقال كثير بن شهابٍ: لا أستقيدها إلا من سيد مضر. فبلغ قوله معاوية فغضب وقال: أنا سيد مضر فليستقدها مني، وأمن عبد الله بن الحجاج، وأطلقه، وأبطل ما فعله بابن شهاب، فلم يقتص ولا أخذ له عقلاً. عفو كثير عن عبد الله بن الحجاج.

إن عبد الله بن الحجاج لما ضربه بالعمود، قال له: أنا عبد الله بن الحجاج صاحبك بالري، وقد قابلتك بما فعلت بي، ولم أكن لأكتمك نفسي، وأقسم بالله لئن طالبت فيها بقودٍ لأقتلنك. فقال له: أنا أقتص من مثلك، والله لا أرضى بالقصاص إلا من أسماء بن خارجة! وتكلمت اليمانية وتحارب الناس بالكوفة، فكتب معاوية إلى المغيرة: أن أحضر كثيراً وعبد الله بن الحجاج فلا يبرحان من مجلسك حتى يقتص كثير أو يعفو. فأحضرهما المغيرة، فقال قد عفوت؟ وذلك لخوفه من عبد الله بن الحجاج أن يغتاله. قال: وقال لي: يا أبا الأقيرع، والله لا نلتقي أنت ونحن جميعاً أهتمان، وقد عفوت عنك.

ونسخت من كتاب ثعلبٍ عن ابن الأعرابي، قال: كان لعبد الله بن الحجاج ابنان يقال لأحدهما: عوين، والثاني جندب، فمات جندب وعبد الله حيٌّ فدفنه بظهر الكوفة، فمر أخوه عوين بحراثٍ إلى جانب قبر جندب، فنهاه أن يقربه بفدانه، وحذره ذلك، فلما كان الغد وجده قد حرث جانبه، وقد نبشه وأضر به، فشد عليه فضربه بالسيف وعقر فدانه. وقال:

أقول لحراثي حريمي جنبا فدانيكما لا تحرثا قبر جندب

فإنكما إن تحرثاه تشردا ويذهب فدانٌ منكما كل مذهب

قال: فأخذ عوين، فاعتقله السجان، فضربه حتى شغله بنفسه، ثم هرب، فوفد أبوه إلى عبد الملك فاستوهب جرمه فوهبه، وأمر بألا يتعقب، فقال عبد الله بن الحجاج، يذكر ما كان من ابنه عوين:

لمثلك يا عوين فدتك نفسي نجا من كربةٍ إن كان ناجي

عرفتك من مصاصٍ السنخ لما تركت ابن العكامس في العجاج

قال: ولما وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد الملك بسبب ما كان من ابنه عوين مثل بين يديه، فأنشده:

يا بن أبي العاصي ويا خير فتى ... أنت النجيب والخيار المصطفى

أنت الذي لم تدع الأمر سدى ... حين كشفت الظلمات بالهدى

ما زلت إن نازٍ على الأمر انتزى ... قضيته إن القضاء قد مضى

كما أذقت ابن سعيدٍ إذ عصى ... وابن الزبير إذ تسمى وطغى

وأنت إن عد قديم وبنى ... من عبد شمس في الشماريخ العلى

جيبت قريشٌ عنكم جوب الرحى ... هل أنت عافٍ عن طريد قد غوى

أهوى على مهواة بئرٍ فهوى ... رمى به جولٌ إلى جول الرجا

فتجبر اليوم به شيخاً ذوى ... يعوي مع الذئب إذا الذئب عوى

وإن أراد النوم لم يقض الكرى ... من هول ما لاقى وأهوال الردى

يشكر ذاك ما نفت عينٌ قذى ... نفسي وآبائي لك اليوم الفدا

فأمر عبد الملك بتحمل ما يلزم ابنه من غرم وعقل، وأمنه.

ونسخت من كتاب ثعلبٍ عن ابن الأعرابي، قال: وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد العزيز بن مروان ومدحه، فأجزل صلته، وأمره بأن يقيم عنده ففعل، فلما طال مقامه اشتاق إلى الكوفة وإلى أهله، فاستأذن عبد العزيز فلم يأذن له، فخرج من عنده غاضباً، فكتب عبد العزيز إلى أخيه بشرٍ، أن يمنعه عطاءه، فمنعه، ورجع عبد الله لما أضر به ذلك إلى عبد العزيز، وقال يمدحه:

تركت ابن ليلى ضلةً وحريمه ... وعند ابن ليلى معقل ومعول

ألم يهدني أن المراغم واسعٌ ... وأن الديار بالمقيم تنقل

سأحكم أمري إن بدا لي رشده ... وأختار أهل الخير إن كنت أعقل

وأترك أوطاري وألحق بامرىءٍ ... تحلب كفاه الندى حين يسأل

أبت لك يا عبد العزيز مآثرٌ ... وجريٌ شأى جري الجياد وأول

أبي لك إذ أكدوا وقل عطاؤهم ... مواهب فياض ومجدٌ مؤثل

أبوك الذي ينميك مروان للعلى ... وسعد الفتى بالخال لا من يخول

فقال له عبد العزيز: أما إذ عرفت موضع خطئك، واعترفت به فقد صفحت عنك. وأمر بإطلاق عطائه، ووصله، وقال له: أقم ما شئت عندنا، أو انصرف مأذوناً لك إذا شئت.

ونسخت من كتابه أيضاً: كان عمر بن هبيرة بن معية بن سكينٍ قد ظلم عبد الله بن الحجاج حقاً له، واستعان عليه بقومه، فلقوه في بعلبك، فعاونوا عبد الله بن الحجاج عليه، وفرقوه بالسياط حتى انتزعوا حقه منه، فقال عبد الله في ذلك:

ألا أبلغ بني سعدٍ رسولاً ودونهم بسيطة فالمعاط
أميطوا عنكم ضرط ابن ضرطٍ فإن الخبث مثلهم يماط
ولي حقٌ فراطة أولينا قديماً والحقوق لها افتراط
فما زالت مباسطتي ومجدي وما زال التهايط والمياط
وجدي بالسياط عليك حتى تركت وفي ذناباك انبساط
متى ما تعترض يوماً لحقي تلاقك دونه سعرٌ سباط
من الحيين ثعلبة بن سعدٍ ومرة أخذ جمعهم اعتباط

تراهم في البيوت وهم كسالى وفي الهيجا إذا هيجوا نشاط

والقصيدة التي فيها الغناء بذكر أمر عبد الله بن الحجاج أولها:

نأتك ولم تخش الفراق جنوب وشطت نوى بالظاعنين شعوب
طربت إلى الحي الذين تحملوا ببرقة أحوازٍ وأنت طروب
فظلت كأني ساورتني مدامةٌ تمنى بها شكس الطباع أريب
تمر وتستحلي على ذاك شربها لوجه أخيها في الإناء قطوب
كميت إذا صبت وفي الكأس وردة لها في عظام الشاربين دبيب
تذكرت ذكرى من جنوب مصيبة وما لك من ذكرى جنوب نصيب
وأنى ترجي الوصل منها وقد نأت وتبخل بالموجود وهي قريب
فما فوق وجدي إذ نأت وجد واجدٍ من الناس لو كانت بذاك تثيب
برهرهةٌ خود كأن ثيابها على الشمس تبدو تارةً وتغيب

وهي قصيدةٌ طويلة.

ونسخت من كتاب ثعلبٍ عن ابن الأعرابي، قال: كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يعرفه آثار عبد الله بن

الحجاج، وبلاءه من محاربته، وأنه بلغه أنه أمنه، ويحرضه ويسأله أن يوفده إليه ليتولى قتله وبلغ ذلك عبد الله بن الحجاج، فجاء حتى وقف بين يدي عبد الملك، ثم أنشده:

أعوذ بثوبيك اللذين ارتداهما ... كريم الثنا من جيبه المسك ينفح

فإن كنت مأكولاً فكن أنت آكلي ... وإن كنت مذبوحاً فكن أنت تذبح

فقال عبد الملك: ما صنعت شيئاً. فقال عبد الله:

لأنت وخير الظافرين كرامهم ... عن المذنب الخاشي العقاب صفوح

ولو زلقت من قبل عفوك نعله ... ترامى به دحض المقام بريح

نمى بك إن خانت رجالاً عروقهم ... أرومٌ ودينٌ لم يخنك صحيح

وعرفٌ سرى لم يسر في الناس مثله ... وشأوٌ على شأو الرجال متوح

تداركني عفو ابن مروان بعدما ... جرى لي من بعد الحياة سنيح

رفعت مريحاً ناظري ولم أكد ... من الهم والكرب الشديد أريح

فكتب عبد الملك إلى الحجاج: إني قد عرفت من خبث عبدالله وفسقه ما لا يزيدني علماً به، إلا أنه اغتفلني متنكراً، فدخل داري، وتحرم بطعامي، واستكساني فكسوته ثوباً من ثيابي، وأعاذني فأعذته، وفي دون هذا ما حظر علي دمه، وعبد الله أقل وأذل من أن يوقع أمراً، أو ينكث عهداً في قتله خوفاً من شره، فإن شكر النعمة وأقام على الطاعة فلا سبيل عليه، وإن كفر ما أوتي وشاق الله ورسوله وأولياءه فالله بسيف البغي الذي قتل به نظراؤه ومن هو أشد بأساً وشكيمة منه، من الملحدين، فلا تعرض له ولا لأحدٍ من أهل بيته إلا بخيرٍ، والسلام.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني، قال: كانت في القريتين بركةٌ من ماء، وكان بها رجل من كلبٍ يقال له دعكنة لا يدخل البركة معه أحدٌ إلا غطه حتى يغلبه، فغط يومها فيها رجلاً من قيس بحضرة الوليد بن عبد الملك حتى خرج هارباً، فقال ابن هبيرة وهو جالس عليها يومئذٍ: اللهم اصبب علينا أبا الأقيرع عبد الله بن الحجاج. فكان أول رجل انحدرت به راحلته، فأناخها، ونزل، فقال ابن هبيرة للوليد: هذا أبو الأقيرع والله يا أمير المؤمنين، أيهما أخزى الله صاحبه به. فأمره الوليد أن ينحط عليه في البركة والكلبي فيها واقفٌ متعرضٌ للناس وقد صدوا عنه. فقال له: يا أمير المؤمنين إني أخاف أن يقتلني فلا يرضى قومي إلا بقتله، أو أقتله فلا ترضى قومه إلا بمثل ذلك، وأنا رجلٌ بدويٌّ ولست بصاحب مال. فقال دعنكة: يا أمير المؤمنين هو في حل وأنا في حل. فقال له الوليد: دونك. فتكأكأ ساعةً كالكاره حتى عزم عليه الوليد، فدخل البركة، فاعتنق الكلبي وهوى به إلى قعرها، ولزمه حتى وجد الموت، ثم خلى عنه، فلما علا غطه غطة ثانية، وقام عليه ثم أطلقه حتى تروح، ثم أعاده وأمسكه حتى مات، وخرج ابن الحجاج وبقي الكلبي،

فغضب الوليد وهم به، فكلمه يزيد وقال: أنت أكرهته، أفكان يمكن الكلبي من نفسه حتى يقتله؟ فكف عنه. فقال عبد الله بن الحجاج في ذلك:

نجاني الله فرداً لا شريك له ... بالقريتين ونفسٌ صلبة العود
وذمة من يزيدٍ حال جانبها ... دوني فأنجيت عفواً غير مجهود
لولا الإله وصبري في مغاطستي ... كان السليم وكنت الهالك المودي
يا حبذا عمل الشيطان من عمل ... إن كان من عمل الشيطان حبيها
لنظرةٌ من سليمى اليوم واحدةٌ ... أشهى إلي من الدنيا وما فيها

الشعر لناهض بن ثومه الكلابي، أنشدنيه هاشم بن محمدٍ الخزاعي، قال: أنشدنا الرياشي قال: أنشدنا ناهض بن ثومة أبو العطاف الكلابي هذين البيتين لنفسه. وأخبرني بمثل ذلك عمي من الكراني عن الرياشي، والغناء لأبي العبيس ابن حمدون ثقيلٌ أول ينشد بالوسطى.

أخبار ناهض بن ثومة ونسبه

هو ناهض بن ثومة بن نصيح بن نهيك بن إمام بن جهضم بن شهاب بن أنس بن ربيعة بن كعب بن بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. شاعر بدويٌّ فارس فصيح، من الشعراء في الدولة العباسية، وكان يقدم البصرة فيكتب عنه شعره، وتؤخذ عنه اللغة. روى عنه الرياشي، وأبو سراقة، ودماذ وغيرهم من رواة البصرة. وكان يهجوه رجلٌ من بني الحارث بن كعبٍ، يقال له: نافع بن أشعر الحارثي، فأثرى عليه ناهض فمما قاله في جواب قصيدةٍ هجا بها قبائل قيسٍ، قصيدة ناهضٍ التي أولها:

ألا يا أسلما يأيها الطللان ... وهل سالمٌ باقٍ على الحدثان
أبينا لنا حبيتما اليوم إننا ... مبينان عن ميلٍ بما تسلان
متى العهد من سلمى التي بتت القوى ... وأسماء إن العهد منذ زمان
ولا زال ينهل الغمام عليكما ... سبيل الربى من وابلٍ ودجان
فإن أنتما بينتما أو أجبتما ... فلا زلتما بالنبت ترتديان
وجر الحرير والفرند عليكما ... بأذيال رخصات الأكف هجان
نظرت ودوني قيد رمحين نظرةً ... بعينين إنساناهما غرقان
إلى ظعن بالعاقرين كأنها ... قرائن من دوح الكثيب ثمان
لسلمى وأسماء اللتين أكنتا ... بقلبي كنيني لوعةٍ وضمان

عسى يعقب الهجر الطويل تدانيا ... ويا رب هجرٍ معقبٍ بتداني

خليلي قد أكثرتما اللوم فاربعا ... كفاني ما بي لو تركت كفاني

إذا لم تصل سلمى وأسماء في الصبا ... بحبليهما حبلي فمن تصلان

فدع ذا ولكن قد عجبت لنافع ... ومعواه من نجران حيث عواني

عوى أسداً لا يزدهيه عواؤه ... مقيماً بلوذي يذبلٍ وذقان

لعمري لقد قال ابن أشعر نافعٌ ... مقالة موطوء الحريم مهان

أيزعم أن العامري لعفله ... بعاقبةٍ يمرى به الرجوان

ويذكر إن لاقاه زلة نعله ... فجيء للذي لم يستبن ببيان

كذبت ولكن بابن علبة جعفرٍ ... فدع ما تمنى زلت القدمان

أصيب فلم يعقل وطل فلم يقد ... فذاك الذي يخزى به الأبوان

وحق لمن كان ابن أشعر ثائراً ... به الطل حتى يحشر الثقلان

ذليلٌ ذليل الرهط أعمى يسومه ... بنو عامر ضيماً بكل مكان

فلم يبق إلا قوله بلسانه ... وما ضر قولٌ كاذبٌ بلسان

هجا نافعٌ كعباً ليدرك وتره ... ولم يهج كعبٌ نافعاً لأوان

ولم تعف من آثار كعبٍ بوجهه ... قوارع منها وضحٌ وقوان

وقد خضبوا وجه ابن علبة جعفرٍ ... خضاب نجيع لا خضاب دهان

فلم يهج كعباً نافعٌ بعد ضربةٍ ... بسيف ولم يطعنهم بسنان

فما لك مهجىً يا بن أشعر فاكتعم ... على حجر واصبر لكل هوان

إذا المرء لم ينهض فيثأر بعمه ... فليس يجلى العار بالهذيان

أبي قيس عيلانٍ وعمي خندفٌ ... ذوا البذخ عند الفجر والخطران

إذا ما تجمعنا وسارت حذاءنا ... ربيعة لم يعدل بنا أخوان

أليس نبي الله منا محمد ... وحمزة والعباس والعمران

ومنا ابن عباسٍ ومنا ابن عمه ... عليٌ إمامٌ الحق والحسنان

وعثمان والصديق منا وإننا لنعلم أن الحق ما يعدان

ومنا بنو العباس فضلاً فمن لكم هلموه أو لا ينطقن يمان

قال: فأنشد ناهضٌ هذه القصيدة أيوب بن سليمان بن علي بالبصرة، وعنده خالٌ له من الأنصار، فلما ختمها بهذا البيت قال الأنصاري: أخرسنا أخرسه الله! وكان جده نصيحٌ شاعراً، وهو الذي يقول:

ألا من لقلبٍ في الحجاز قسيمه ومنه بأكناف الحجاز قسيم

معاود شكوى أن نأت أم سالمٍ كما يشتكي جنح الظلام سليم

سليمٌ لصلٍّ أسلمته لما به رقًى قل عنه دفعها وتميم

فلم ترم الدار البريصاء فالصفا صفاها فخلاها فأين تريم

وقفت عليها بازلاً ناهجيةً إذا لم أزعها بالزمام تعوم

كنازاً من اللاتي كأن عظامها جبرن على كسرفهن عثوم

أخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا محمد بن القاسم قال: حدثني الفضل بن العباس الهاشمي من ولد قثم بن جعفر بن سليمان عن أبيه، قال:

كان ناهض بن ثومة الكلابي يفد على جدي قثم فيمدحه، ويصله جدي وغيره، وكان بدوياً جافياً كأنه من الوحش، وكان طيب الحديث، فحدثه يوماً: أنهم انتجعوا ناحية الشام، فقصد صديقاً له من ولد خالد بن يزيد بن معاوية كان يترل حلب، فإذا نزل نواحيها أتاه فمدحه، وكان براً به، قال: فمررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عبد الله الهلالي، فرأيت دوراً متباينة وخصاصاً قد ضم بعضها إلى بعض، وإذا بها ناسٌ كثير مقبلون ومدبرون، عليهم ثيابٌ تحكي ألوان الزهر، فقلت في نفسي: هذا أحد العيدين: الأضحى أو الفطر. ثم ثاب إلي ما عزب عن عقلي، فقلت: خرجت من أهلي في بادية البصرة في صفر، وقد مضى العيدان قبل ذلك، فما هذا الذي أرى؟ فبينا أنا واقفٌ متعجب أتاني رجل فأخذ بيدي، فأدخلني داراً قوراء، وأدخلني منها بيتاً قد نجد في وجهه فرش ومهدت، وعليها شابٌ ينال فروع شعره منكبيه، والناس حوله سماطان، فقلت في نفسي: هذا الأمير الذي حكي لنا جلوسه على الناس وجلوس الناس بين يديه، فقلت وأنا ماثل بين يديه: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته. فجذب رجلٌ يدي، وقال: اجلس فإن هذا ليس بأمير. قلت: فما هو؟ قال: عروس. فقلت: واثكل أماه، لرب عروسٍ رأيته بالبادية أهون على أهله من هن أمه. فلم أنشب أن دخل رجالٌ يحملون هنات مدورات، أما ما خف منها فيحمل حملاً، وأما ما كبر وثقل فيدحرج فوضع ذلك أمامنا، وتحلق القوم عليه حلقاً، ثم أتينا بخرقٍ بيضٍ فألقيت بين أيدينا، فظننتها ثياباً، وهممت أن أسأل القوم منها خرقاً أقطعها قميصاً، وذلك أني رأيت نسجاً متلاحماً لا يبين له سدًى ولا لحمة، فلما بسطه القوم بين أيديهم إذا هو يتمزق سريعاً، وإذا هو - فيما زعموا - صنفٌ من الخبز لا أعرفه، ثم أتينا بطعام كثيرٍ بين حلوٍ وحامضٍ، وحار وباردٍ، فأكثرت منه وأنا لا

أعلم ما في عقبه من التخم والبشم، ثم أتينا بشرابٍ أحمر في عساس، فقلت: لا حاجة لي فيه، فإني أخاف أن يقتلني. وكان إلى جانبي رجل ناصح لي أحسن الله جزاءه، فإنه كان ينصح لي من بين أهل المجلس، فقال: يا أعرابي إنك قد أكثرت من الطعام، وإن شربت الماء همى بطنك. فلما ذكر البطن تذكرت شيئاً أوصاني به أبي والأشياخ من أهلي، قالوا: لا تزال حياً ما كان بطنك شديداً فإذا اختلف فأوص. فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به، وجعلت أكثر منه فلا أمل شربه، فتداخلني من ذلك صلفٌ لا أعرفه من نفسي، وبكاءٌ لا أعرف سببه ولا عهد لي بمثله، واقتدارٌ على أمري أظن معه أني لو أردت نيل السقف لبلغته، ولو ساورت الأسد لقتلته، وجعلت ألتفت إلى الرجل الناصح لي فتحدثني نفسي بهتم أسنانه وهشم أنفه، وأهم أحياناً أن أقول له: يا ابن الزانية! فبنا نحن كذلك إذ هجم علينا شياطين أربعة، أحدهم قد علق في عنقه جعبة فارسية مشنجة الطرفين دقيقة الوسط، مشبوحة بالخيوط شبحاً منكراً، ثم بدر الثاني فاستخرج من كمه هنةً سوداء كفيشلة الحمار، فوضعها في فيه، وضرط ضراطاً لم أسمع - وبيت الله - أعجب منه، فاستتم بها أمرهم، ثم حرك أصابعه على أجحرةٍ فيها فأخرج منها أصواتاً ليس كما بدأ تشبه بالضراط ولكنه أتى منها لما حرك أصابعه بصوتٍ عجيبٍ متلائم متشاكل بعضه لبعض، كأنه، علم الله، ينطق. ثم بدا ثالث كزٌ، مقيت عليه قميص وسخ، معه مرآتان، فجعل يصفق بيديه إحداهما على الأخرى فخالطتا بصوتهما ما يفعله الرجلان، ثم بدا رابع عليه قميص مصون وسراويل مصونة وخفان أجذمان لا ساق لواحدٍ منهما، فجعل يقفز كأنه يثب على ظهور العقارب، ثم التبط به على الأرض، فقلت: معتوهٌ ورب الكعبة! ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي. ورأيت القوم يحذفونه بالدراهم حذفاً منكراً، ثم أرسل النساء إلينا: أن أمتعونا من لهوكم هذا. فبعثوا بهم، وجعلنا نسمع أصواتهن من بعدٍ، وكان معنا في البيت شابٌ لا آبه له، فعلت الأصوات بالثناء عليه والدعاء، فخرج فجاء بخشبةٍ عيناها في صدرها، فيها خيوطٌ أربعة، فاستخرج من خلالها عوداً فوضعه خلف أذنه، ثم عرك آذانها وحركها بخشبة في يده فنطقت - ورب الكعبة - وإذا هي أحسن قينةٍ رأيتها قط وغنى عليها، فأطربني حتى استخفني من مجلسي، فوثبت فجلست بين يديه، وقلت: بأبي أنت وأمي، ما هذه الدابة فلست أعرفها للأعراب وما أراها خلقت إلا قريباً. فقال: هذا البربط؟ فقلت بأبي أنت وأمي، فما

هذا الخيط الأسفل؟ قال: الزير. قلت: فالذي يليه؟ قال: المثنى. قلت: فالثالث؟ المثلث. قلت: فالأعلى؟ قال: البم. قلت: آمنت بالله أولاً، وبك ثانياً، وبالبرط ثالثاً، وبالبم رابعاً.

قال: فضحك أبي، والله، حتى سقط، وجعل ناهضٌ يعجب من ضحكه، ثم كان بعد ذلك يستعيده هذا الحديث، ويطرف به إخوانه فيعيده ويضحكون منه.

وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي، عن أبيه، قال: كان محمد بن خالد بن يزيد بن معاوية بحلب، فأتاه أعرابيٌ، فقال له: حدث أبا عبد الله - يعني الهيثم بن النخعي - بما رأيت في حاضر المسلمين. فحدثه بنحوٍ من هذا الحديث، ولم يسم الأعرابي باسمه، وما أجدره بأن يكون لم

يعرفه باسمه ونسبه أو لم يعرفه الذي حدث به النوفلي عنه.

نسخت من كتاب لعلي بن محمد الكوفي فيه شعر ناهض بن ثومة قال: كان رجلٌ من بني كعب قد تزوج امرأة من بني كلاب، فنزل فيهم ثم أنكر منها بعض ما ينكره الرجل من زوجته فطلقها، وأقام بموضعه في بني كلاب، وكان لا يزالون يتسخفون به ويظلمونه، وإن رجلاً منهم أورد إبله الماء فوردت إبل الكعبي عليها، فزاحمته، لكنها ألقته على ظهره فتكشف، فقام مغضباً بسيفه إلى إبل الكعبي، فعقر منها عدةً، وجلاها عن الحوض، ومضى الكعبي مستصرخاً بني كلاب على الرجل، فلم يصرخوه، فساق باقي إبله واحتمل بأهله حتى رجع إلى عشيرته، فشكا ما لقي من القوم واستصرخهم، فغضبوا له، وركبوا معه حتى أتوا حلة بني كلاب، فاستاقوا إبل الرجل الذي عقر لصاحبهم، ومضى الرجل فجمع عشيرته، وتداعت هي وكعبٌ للقتال، فتحاربوا في ذلك حرباً شديداً، وتمادى الشر بينهم، حتى تساعى حلماؤهم في القضية، فأصلحوها على أن يعقل القتلى والجرحى، وترد الإبل، وترسل من العاقر عدة الإبل التي عقرها للكعبي، فتراضوا بذلك واصطلحوا، وعادوا إلى الألفة، فقال في ذلك ناهض بن ثومة:

أمن طلل بأخطب أبدته ... نجاء الوبل والديم النضاح

ومر الدهر يوماً بعد يوم ... فما أبقى المساء ولا الصباح

فكل محلة عنيت بسلمى ... لريدات الرياح بها نواح

تطل على الجفون الحزن حتى ... دموع العين ناكزةٌ نزاح

وهي طويلةٌ يقول فيها:

هنيئاً للعدى سخطٌ ورغمٌ ... وللفرعين بينهما اصطلاح

وللعين الرقاد فقد أطالت ... مساهرةً وللقلب انتجاح

وقد قال العداة نرى كلاباً ... وكعباً بين صحلهما افتتاح

تداعوا للسلام وأمر نجح ... وخير الأمر ما فيه النجاح

ومدوا بينهم بحبال مجدٍ ... وثديٍ لا أجد ولا ضياح

ألم تر أن جمع القوم يحشى ... وأن حريم واحدهم مباح

وأن القدح حين يكون فردا ... فيهصر لا يكون له اقتداح

وإنك إن قبضت بها جميعاً ... أبت ما سمت واحدها القداح

أنا الخطار دون بني كلاب ... وكعبٍ إن أتيح لهم متاح

أنا الحامي لهم ولكل قرمٍ ... أخٌ حامٍ إذا جد النضاح

أنا الليث الذي لا يزدهيه ... عواء العاويات ولا النباح
سل الشعراء عني هل أقرت ... بقلبي أو عفت لهم الجراح
فما لكواهل الشعراء بدٌّ ... من القتب الذي فيه لحاح
ومن توريك راكبه عليهم ... وإن كرهوا الركوب وإن ألاحوا

ونسخت من هذا الكتاب الذي فيه شعره، أن وقعةً كانت بين بني نمير وبني كلاب بنواحي ديار مضر، وكانت لكلاب على بني نمير، وأن نميراً استغاثت ببني تميم، ولجأت إلى مالك بن زيدٍ سيد تميم يومئذٍ بديار مضر، فمنع تميماً من إنجادهم، وقال: ما كنا لنلقى بين قيس وخندف دماءً نحن عنها أغنياء، وأنتم وهم لنا أهلٌ وإخوة، فإن سعيتم في صلح عاونا، وإن كانت حمالة أعنا، فأما الدماء فلا مدخل لنا بينكم فيها. فقال ناهض بن ثومة في ذلك:

سلام الله يا مال بن زيد ... عليك وخير ما أهدى السلاما
تعلم أينا لكم صديق ... فلا تستعجلوا فينا الملاما
ولكنا وحي بني تميم ... عداةٌ لا نرى أبداً سلاما
وإن كنا تكافقنا قليلا ... كحرف السيف ينهار انهداما
وهيض العظم يصبح ذا انصداع ... وقد ظن الجهول به التئاما
فلن ننسى الشباب المرد منا ... ولا الشيب الجحاجح والكراما
ونوح نوائح منا ومنهم ... مآتم ما تجف لهم سجاما
فكيف يكون صلحٌ بعد هذا ... يرجي الجاهلون لهم تماما
ألا قل للقبائل من تميم ... وخص لمالكٍ فيها الكلاما
فزيدوا يا بني زيدٍ نميرا ... هوانا إنه يداني الفطاما
ولا تبقوا على الأعداء شيئاً ... أعز الله نصركم وداما
وجدت المجد في حيي تميم ... ورهط الهذلق الموفي الذماما
نجوم القوم ما زالوا هداةً ... وما زالوا لآبيهم زماما
هم الرأس المقدم من تميم ... وغاربها وأوفاها سناما
إذا ما غاب نجمٌ آب نجم ... أغر نرى لطلعته ابتساما

فهذي لابن ثومة فانسبوها إليه لا اختفاء ولا اكتتاما

وإن رغمت لذاك بنو نميرٍ فلا زالت أنوفهم رغاما

قال: يعني بالهذلق الهذلق بن بشير، أخا بني عتيبة بن الحارث بن شهاب، وابنيه علقمة وصباحاً.

قال: وكانت بنو كعب قد اعتزلت الفريقين فلم تصب كلاباً ولا نميراً، فلما ظفرت كلابٌ قال لهم ناهض:

ألا هل أتى كعباً على نأي دراهم وخذلانهم أنا سررنا بني كعب

بما لقيت منا نميرٌ وجمعها غداة أتينا في كتائبنا الغلب

فيا لك يوماً بالحمى لا نرى له شبيهاً وما في يوم شيبان من عتب

أقامت نمير بالحمى غير رغبة فكان الذي نالت نمير من النهب

رؤوسٌ وأوصالٌ يزايل بينها سباعٌ تدلت من أبانين والهضب

لنا وقعاتٌ في نمير تتابعت بضيمٍ على ضيم ونكبٍ على نكب

وقد علمت قيس بن عيلان كلها وللحرب أبناءٌ بأنا بنو الحرب

ألم ترهم طراً علينا تحزبوا وليس لنا إلا الرديني من حزب

وإنا لنقتاد الجياد على الوجى لأعدائنا من لا مدان ولا صقب

ففي أي فجٍّ ما ركزنا رماحنا مخوفٍ بنصب للعدا حين لا نصب

أخبرنا جعفر بن قدامة بن زيادٍ الكاتب، قال: حدثني أبو هفان، قال: حدثني غرير بن ناهض بن ثومة الكلابي، قال: كان شاعر من نمير يقال له: رأس الكبش، قد هاجى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير زماناً، وتناقضا الشعر بينهما مدة، فلما وقعت الحرب بيننا وبين بني نمير قال عمارة يحرض كعباً وكلاباً ابني ربيعة على بني نمير في هذه الحرب التي كانت بينهم، فقال:

رأيتكما يا بني ربيعة خرتما وعولتما والحرب ذات هرير

وصدقتما قول الفرزدق فيكما وكذبتما بالأمسر قول جرير

فإن أنتما لم تقذعا الخيل بالقنا فصيرا مع الأنباط حيث تصير

تسومكما بغيا نميرٌ هضيمةً ستنجد أخبارٌ بهم وتغور

قال: فارتحلت كلابٌ حين أتاها هذا الشعر، حتى أتوا نميراً وهم في هضبات يقال لهن وارداتٌ، فقتلوا واجتاحوا، وفضحوا نميراً، ثم انصرفوا، فقال ناهض بن ثومة يجيب عمارة عن قوله:

يحضضنا عمارة في نمير ليشغلهم بنا وبه أرابوا

ويزعم أننا حزنا وأنا لهم جار المقربة المصاب
سلوا عن نميراً هل وقعنا بنزوتها التي كانت تهاب
ألم تخضع لهم أسدٌ ودانت لهم سعد وضبة والرباب
ونحن نكرها شعثاً عليهم عليها الشيب منا والشباب
رغبنا عن دماء بني قريع إلى القلعين إنهما اللباب
صبحناهم بأرعن مكفهرٍّ يدف كأن رأيته العقاب
أجش من الصواهل ذي دوي تلوح البيض فيه والحراب
فأشعل حين حل بواردات وثار لنقعه ثم انصباب
صبحناهم بها شعث النواصي ولم يفتق من الصبح الحجاب
فلم تغمد سيوف الهند حتى تعيلت الحليلة والكعاب
أعرفت من سلمى رسوم ديار بالشط بين مخفقٍ وصحار
وكأنما أثر النعاج بجوها بمدافع الركبين ودع جواري
وسألتها عن أهلها فوجدتها عمياء جاهلةً عن الأخبار
فكأن عيني غرب أدهم داجنٍ متعود الإقبال والإدبار

الشعر للمخبل السعدي، والغناء لإبراهيم، هزجٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. قال الهشامي: فيه لإبراهيم ثقيلٌ أول، ولعنان بنت خوطٍ خفيف رمل.

أخبار المخبل ونسبه

قال ابن الكلبي: اسمه الربيع بن ربيعة، وقال ابن دأب: اسمه كعب بن ربيعة. وقال ابن حبيب وأبو عمرو: اسمه ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. شاعرٌ فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، ويكنى أبا يزيد. وإياه عنى الفرزدق بقوله:

وهب القصائد لي النوابغ إذ مضوا وأبو يزيد وذو القروح وجرول

ذو القروح: امرؤ القيس. وجرول: الحطيئة. وأبو يزيد: المخبل. وذكره ابن سلام فجعله في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء، وقرنه بخداش بن زهير، والأسود بن يعفر، وتميم بن مقبل. وهو من المقلين، وعمر في الجاهلية والإسلام عمراً كثيراً، وأحسبه مات في خلافة عمر أو عثمان رضي الله عنهما وهو شيخ كبير. وكان له ابن، فهاجر إلى الكوفة في أيام عمر فجزع عليه جزعاً شديداً، حتى بلغ خبره عمر، فرده عليه.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد. قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه، وأخبرني به هاشم بن محمد الخزاعي عن أبي غسان دماذ، عن ابن الأعرابي قال: هاجر شيبان بن المخبل السعدي، وخرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس، فجزع عليه المخبل جزعاً شديداً، وكان قد أسن وضعف، فافتقر إلى ابنه فافتقده، فلم يملك الصبر عنه، فكاد أن يغلب على عقله، فعمد إلى إبله وسائر ماله فعرضه ليبيعه ويلحق بابنه، وكان به ضنيناً، فمنعه علقمة بن هوذة بن مالك، وأعطاه مالاً وفرساً، وقال: أنا أكلم أمير المؤمنين عمر في رد ابنك، فإن فعل غنمت مالك. وأقمت في قومك، وإن أبى استنفقت ما أعطيتك ولحقت به، وخلفت إبلك لعيالك. ثم مضى إلى عمر - رضوان الله عنه - فأخبره خبر المخبل، وجزعه على ابنه، وأنشده قوله:

أيهلكني شيبان في كل ليلة ... لقلبي من خوف الفراق وجيب
أشيبان ما أدراك أن كل ليلة ... غبقتك فيها والغبوق حبيب
غبقتك عظماها سناماً أو انبرى ... برزقك براق المتون أريب
أشيبان إن تأبى الجيوش بحدهم ... يقاسون أياماً لهن حطوب
ولا هم إلا البز أو كل سابح ... عليه فتًى شاكي السلاح نجيب
يذودون جند الهرمزان كأنما ... يذودون أوراد الكلاب تلوب
فإن يك غصني أصبح اليوم ذاوياً ... وغصنك من ماء الشباب رطيب
فإني حنت ظهري خطوبٌ تتابعت ... فمشي ضعيفٌ في الرجال دبيب
إذا قال صحبي يا ربيع ألا ترى ... أرى الشخص كالشخصين وهو قريب
ويخبرني شيبان أن لمن يعقني ... تعق إذا فارقتني وتحوب
فلا تدخلن الدهر قبرك حويةً ... يقوم بها يوماً عليك حسيب

يعني بقوله حسيب الله عز ذكره.

قال: فلما أنشد عمر بن الخطاب هذه الأبيات بكى ورق له، فكتب إلى سعد يأمره أن يقفل شيبان بن المخبل ويرده على أبيه، فلما ورد الكتاب عليه أعلم شيبان ورده فسأله الإغضاء عنه، وقال: لا تحرمني الجهاد. فقال له: إنما عزمةٌ من عمر، ولا خير لك في عصياته وعقوق شيخك. فانصرف إليه، ولم يزل عنده حتى مات.

وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمارٍ والجوهري، قالا: حدثنا عمر بن شبة أن شيبان بن المخبل كان يرعى إبل أبيه، فلا يزال أبوه يقول: أحسن رعية إبلك يا بني، فيقول: أراحني الله من رعية إبلك، ثم فارق أباه وغزا مع أبي موسى، وانحدر إلى البصرة، وشهد فتح تستر، فقال: فذكر أبوه الأبيات، وزاد فيها قوله:

إذا قلت ترعى قال سوف تريحني من الرعي مذعان العشي خبوب

قال: أبو زيد وحدثناه عتاب بن زيادٍ: قال: حدثنا ابن المبارك، قال حدثنا مسعودٌ عن معن بن عبد الرحمن فذكر نحوه، و لم يقل: شيبان بن المخبل، ولكنه قال: انطلق رجلٌ إلى الشام، وذكر القصة والشعر.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عمي عبيد الله، عن ابن حبيب، قال: خطب المخبل السعدي إلى الزبرقان بن بدرٍ أخته خليدة، فمنعه إياها، ورده لشيء كان في عقله، وزوجها رجلاً من بني جشم بن عوفٍ، يقال له: مالك بن أمية ابن عبد القيس، من بني محارب.

فقتل رجلاً من بني نهشلٍ يقال له الجلاس بن مخربة بن جندل بن جابر بن نهشل اغتيالا، و لم يعلم به أحدٌ، ففقد و لم يعلم له خبر، فبينما جار الزبرقان الذي من عبد القيس قاتل الجلاس ليلةً يتحدث إذ غلط، فحدث هزالاً بقتله الرجل، وذلك قبل أن يتزوج هزالٌ إلى الزبرقان، فأتى هزال عبد عمرو بن ضمرة بن جابر بن نهشل فأخبره، فدعا هزالٌ قاتل الجلاس فأخرجه عن البيوت، ثم اعتوره هو وعبد عمرو فضرباه حتى قتلاه، ورجع هزالٌ إلى الحي وضرب عبد عمرو حتى لجأ إلى أخواله بني عطارد بن عوفٍ.

فقالت امرأة مالك بن مية المقتول:

أجيران ابن أمية خبروني أعينٌ لابن مية أم ضمار

تجلل خزيها عوف بن كعب فليس لنسلهم منها اعتذار

قال: فلما زوج الزبرقان أخته خليدة هزالاً بعد قتله جاره عيب عليه، وعير به، وهجاه المخبل، فقال:

لعمرك إن الزبرقان لدائم على الناس تعدو نوكه ومجاهله

أأنكحت هزالاً خليدة بعدما زعمت بظهر الغيب أنك قاتله

فأنكحته رهواً كأن عجانها مشق إهابٍ أوسع السلخ ناجله

يلاعبها فوق الفراش وجاركم بذي شبرمان لم تزيل مفاصله

قال: ولج الهجاء بين المخبل والزبرقان حتى تواقفا للمهاجاة واجتمع الناس عليهما فاجتمعا لذلك ذات يوم، وكان الزبرقان أسودهما، فابتدأ المخبل فأنشده قصيدته:

أنبئت أن الزبرقان يسبني سفهاً ويكره ذو الحرين خصالي

قال: وإنما سماه ذا الحرين لأنه كان مبدناً، فكان له ثديان عظيمان، فسبه بهما وشبههما بالحرين. ويقال: إنه إنما عيره بأخته وابنته، و لم يكن للمخبل ابن في الجاهلية، قال:

أفلا يفاخرني ليعلم أينا أدنى لأكرم سوددٍ وفعال

فلما بلغ إلى قوله:

وأبوك بدر كان مشترط الخصى وأبي الجواد ربيعة بن قتال

فلما أنشده هذا البيت، قال:

وأبوك بدرٌ كان مشترط الخصى وأبي.....

ثم انقطع عليه كلامه، إما بشرق أو انقطاع نفس، فما علم الناس ما يريد أن يقوله بعد قوله: وأبي. فسبقه الزبرقان قبل أن يتم ويبين، فقال: صدقت، وما في ذاك إن كان شيخانا قد اشتركا في صنعةٍ. فغلبه الزبرقان، وضحكوا من قوله وتفرقوا، وقد انقطع بالمخبل قوله.

أخبرنا اليزيدي، قال: حدثني عمي عن عبيد الله عن ابن حبيب، قال: كان زرارة بن المخبل يليط حوضه، فأتاه رجلٌ من بني علباء بن عوف، فقال له: صارعني، فقال له زرارة، إني عن صراعك لمشغولٌ، فجذب بحجزته وهو غافلٌ فسقط، فصاح به فتيان الحي: صرع زرارة وغلب. فأخذ زرارة حجراً، فأخذ به رأس العلباوي، فسأل المخبل بغيض بن عامر بن شماس أن يتحمل عن ابنه الدية، فتحملها وتخلصه، وكسا المخبل حلةً حسنةً، وأعطاه ناقة نجيبةً، فقال المخبل يمدحه:

لعمر أبيك لا ألقى ابن عمٍّ على الحدثان خيراً من بغيض

أقل ملامة وأعز نصراً إذا ما جئت بالأمر المريض

كساني حلةً وحباؤ بعنس أبس بها إذا اضطربت غروضي

غداة جنى بني على جرماً وكيف يداي بالحرب العضوض

فقد سد السبيل أو حميد كما سد المخاطبة ابن بيض

أبو حميد: بغيض بن عامرٍ. وأما قوله: كما سد المخاطبة ابن بيض، فإن ابن بيض: رجل من بقايا قوم عاد، كان تاجراً، وكان لقمان بن عادٍ يجيز له تجارته في كل سنة بأجرٍ معلوم، فأجازه سنة وسنتين، وعاد التاجر ولقمان غائبٌ، فأتى قومه فنزل فيهم، ولقمان في سفره، ثم حضرت التاجر الوفاة فخاف لقمان على بنيه وماله فقال لهم: إن لقمان صائر إليكم، وإني أخشاه إذا علم بموتي على مالي، فاجعلوا ماله قبلي في ثوبه، وضعوه في طريقه إليكم، فإن أخذه واقتصر عليه فهو حقه، فادفعوه إليه واتقوه، وإن تعداه رجوت أن يكفيكم الله إياه. ومات الرجل، وأتاهم لقمان وقد وضعوا حقه على طريقه، فقال: سد ابن بيضٍ الطريق، فأرسلها مثلاً، وانصرف وأخذ حقه. وقد ذكرت ذلك الشعراء، فقال بشامة بن عمروٍ:

كثوب ابن بيضٍ وقاهم به فسد على السالكين السبيلا

قال ابن حبيب: ولما حشدت بنو علباء للمطالبة لدم صاحبهم، حشدت بنو قريع مع بغيض لنصر المخبل، ومشت المشيخة في الأمر، وقالوا: هذا قتل خطأ، فلا تواقعوا الفتنة، واقبلوا الدية. فقبلوها وانصرفوا، فقال زرارة بن المخبل يفخر بذلك:

فاز المخالس لما أن جرى طلقاً أما حطيم بن علباء فقد غلبا
إني رميت بجلمود على حنق مني إليه فكانت رميةً غرباً
ليثاً إلي يشق الناس منفرجاً لحياه عنانةٌ لا يتقي الخشبا
فأورثتني قتيلاً إن لقيت وإن أفلت كانت سماع السوء والحربا

ثم أخذ بنو حازم جاراً لبني قشير، فأغار عليه المنتشر بن وهب الباهلي، فأخذ إبله، فسأل في بني تميم حتى انتهى إلى المخبل، فلما سأله قال له: إن شئت فاعترض إبلي فخذ خيرها ناقةً، وإن شئت سعيت لك في إبلك. فقال: بل إبلي. فقال المخبل:

إن قشيراً من لقاح ابن حازم كراحضة حيضاً وليست بطاهر
فلا يأكلها الباهلي وتقعدوا لدى غرضٍ أرميكم بالنواقر
أغرك أن قالوا لعزة شاعر فناك أباه من خفيرٍ وشاعر

فلما بلغهم قول المخبل سعوا بإبله، فردها عليهم حزن بن معاوية بن خفاجة بن عقيل، فقال المخبل في ذلك:

تدارك حزنٌ بالقنا آل عامر قفا حضنٍ والكر بالخيل أعسر
فإني بذا الجار الخفاجي واثقٌ وقلبي من الجار العبادي أوجر
إذا ما عقيليٌّ أقام بذمة شريكين فيها فالعبادي أوجر
لعمرك لقد خارت خفاجة عامراً كما خير بيتٌ بالعراق المشقر
وإنك لو تعطي العبادي مشقصاً لراشي كما راشى على الطبع أبخر

راشى من الرشوة أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعي، قال: حدثنا الرياشي، قال: حدثنا الأصمعي، قال: مر المخبل السعدي بخليدة بنت بدرٍ، أخت الزبرقان بن بدرٍ، بعد ما أسن وضعف بصره، فأنزلته وقربته وأكرمته، ووهبت له وليدة وقالت له إني آثرتك بها يأبا يزيد فاحتفظ بها. فقال: ومن أنت حتى أعرفك وأشكرك؟ قالت: لا عليك، قال: بلى والله أسألك. قالت: أنا بعض من هتكت بشعرك ظالماً، أنا خليدة بنت بدرٍ. فقال: واسوأتاه منك، فإني أستغفر الله عز وجل، وأستقيلك وأعتذر إليك. ثم قال:

لقد ضل حلمي في خليدة إنني سأعتب نفسي بعدها وأموت
فأقسم بالرحمن إني ظلمتها وجرت عليها والهجاء كذوب

والقصيدة التي فيها الغناء المذكور بشعر المخبل وأخباره يمدح بها علقمة بن هوذة ويذكر فعله به وما وهبه له من ماله، ويقول:

فجزى الإله سراة قومي نضرةً وسقاهم بمشارب الأبرار
قومٌ إذا خافوا عثار أخيهم لا يسلمون أخاهم لعثار
أمثال علقمة بن هوذة إذ سعى يخشى علي متالف الأبصار

أثنوا علي وأحسنوا وترافدوا لي بالمحاض البزل والأبكار
والشول يتبعها بنات لبونها شرقاً حناجرها من الجرجار

أخبرنا أبو زيد، عن عبد الرحمن، عن عمه، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي عبيد الله، عن ابن حبيب. وأخبرني عمي، قال: حدثنا الكراني، قال: حدثنا العمري، عن لقيطٍ قالوا: اجتمع الزبرقان بن بدر والمخبل السعدي وعبدة بن الطبيب وعمرو بن الأهتم قبل أن يسلموا، وبعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، فنحروا جزوراً، واشتروا خمراً ببعير، وجلسوا يشوون ويأكلون، فقال بعضهم: لو أن قوماً طاروا من جودة أشعارهم لطرنا. فتحاكموا إلى أول من يطلع عليهم، فطلع عليهم ربيعة بن حذار الأسدي، وقال اليزيدي: فجاءهم رجلٌ من بني يربوع يسأل عنهم، فدل عليهم وقد نزلوا بطن وادٍ وهم جلوس يشربون، فلما رأوه سرهم، وقالوا له: أخبرنا أينا أشعر؟ قال: أخاف أن تغضبوا، فآمنوه من ذلك، فقال: أما عمرو فشعره برودٌ يمنية تنشر وتطوى، وأما أنت يا زبرقان فكأنك رجل أتى جزوراً قد نحرت، فأخذ من أطايبها وخلطه بغير ذلك.
وقال لقيط في خبره، قال له ربيعة بن حذار: وأما أنت يا زبرقان فشعرك كلحم لم ينضج فيؤكل، و لم يترك نيئاً فينتفع به، وأما أنت يا مخبل فشعرك شهبٌ من نار الله يلقيها على من يشاء، وأما أنت يا عبدة فشعرك كمزادةٍ أحكم فليس يقطر منها شيء.
أخبرنا اليزيدي، عن عمه، عن ابن حبيب، قال: كان رجل من بني امرىء القيس يقال له روقٌ مجاوراً في بكر بن وائل باليمامة، فأغاروا على إبله وغدروا به، فأتى المخبل يستمنحه، فقال له: إن شئت فاختر خير ناقة في إبلي فخذها، وإن شئت سعيت لك. فقال: أن تسعى بي أحب إلي. فخرج المخبل فوقف على نادي قومه، ثم قال:

أدوا إلى روح بن حس ان بن حارثة بن منذر
كوماء مدفاةً كأ ن ضروعها حماء أجفر
تأبى إلى بصص تس ح المحض باللبن الفضنفر

فقالوا: نعم ونعمة. فجمعوا له بينهم الناقة والناقتين من رجلين حتى أعطوه بعدة إبله.
وقال ابن حبيب في هذه الرواية: كان رجل من بني ضبة.

اسل عن ليلى علاك المشيب وتصابي الشيخ شيءٌ عجيب

وإذا كان النسيب بسلمى لذ في سلمى وطاب النسيب
إنما شبهتها إذ تراءت وعليها من عيون رقيب
بطلوع الشمس في يوم دجنٍ بكرةً أو حان منها غروب
إنني فاعلم وإن عز أهلي بالسويداء الغداة غريب

الشعر لغيلان بن سلمة الثقفي، وجدت ذلك في جامع شعره بخط أبي سعيد السكري، والغناء لابن زرزورٍ الطائفي، خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى، عن يحيى المكي، وفيه ليونس الكاتب لحن ذكره في كتابه، ولم يجنسه.

أخبار غيلان ونسبه

غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي وهو ثقيف. وأمه سبيعة بيت عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أخت أمية بن شمس بن عبد مناف.

أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف، ولم يهاجر، وأسلم ابنه عامر قبله، وهاجر، ومات بالشام في طاعون عمواس وأبوه حيٌّ.

وغيلان شاعرٌ مقل، ليس بمعروف في الفحول.

وبنته بادية بنت غيلان التي قال هيتٌ المخنث لعمر بن أم سلمة أم المؤمنين، أو لأخيه سلمة: "إن فتح الله عليكم الطائف فسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهب لك بادية بنت غيلان، فإنها كحلاء، شموعٌ نجلاء، خمصانة هيفاء، إن مشت تثنت، وإن جلست تبنت، وإن تكلمت تغنت، تقبل بأربع وتدبر بثمانٍ، وبين فخذيها كالإناء المكفأ".

وغيلان فيما يقال أحد من قال من قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وآله: "لولا أنزل هذا القرآن على رجلٍ من القريتين".

قال ابن الكبي: حدثني أبي، قال: تزوج غيلان بن سلمة خالدة بنت أبي العاص، فولدت له عماراً وعامراً، فهاجر عمار إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلما بلغه خبره عمد خازنٌ كان لغيلان إلى مالٍ له فسرقه وأخرجه من حصنه فدفنه، وأخبر غيلان أن ابنه عماراً سرق ماله وهرب به، فأشاع ذلك غيلان وشكاه إلى الناس، وبلغ خبره عماراً فلم يعتذر إلى أبيه، ولم يذكر له براءته مما قيل له، فلما شاع ذلك جاءت أمه لبعض ثقيفٍ إلى غيلان، فقالت له: أي شيءٍ لي عليك إن دللتك على مالك؟ قال: ما شئت. قالت: تبتاعني وتعتقني؟ قال: ذلك لك. قالت: فاخرج معي. فخرج معها، فقالت: إني رأيت عبدك فلاناً قد احتفر ها هنا ليلة كذا وكذا ودفن شيئاً. وإنه لا يزال يعتاده ويراعيه، ويتفقده في اليوم مراتٍ، وما أراه إلا المال. فاحتفر الموضع فإذا هو بماله، فأخذه

وابتاع الأمة فأعتقها، وشاع الخبر في الناس حتى بلغ ابنه عماراً، فقال: والله لا يراني غيلان أبداً، ولا ينظر في وجهي. وقال:

حلفت لهم بما يقول محمدٌ ... وبالله إن الله ليس بغافل

برئت من المال الذي يدفنونه ... أبرىء نفسي أن ألط بباطل

ولو غير شيخي من معدٍّ يقوله ... تيممته بالسيف غير مواكل

وكيف انطلاقي بالسلاح إلى امرىءٍ ... تبشره بي يبتدرن قوابلي

فلما أسلم غيلان، خرج عامرٌ وعمارٌ مغاضبين له مع خالد بن الوليد، فتوفي عامر بعمواس، وكان فارس ثقيفٍ يومئذٍ، وهو صاحب شنوءة يوم تثليث، وهو قتل سيدهم جابر بن سنانٍ أخا دهنة، فقال غيلان يرثي عامراً:

عيني تجود بدمعها الهتان ... سحاً وتبكي فارس الفرسان

يا عام من للخيل لما أجحمت ... عن شدة مرهوبة وطعان

لو أستطيع جعلت مني عامراً ... بين الضلوع وكل حي فان

يا عين بكي ذا الحزامة عامراً ... للخيل يوم تواقف وطعان

وله بتثليثات شدة معلم ... منه وطعنة جابر بن سنان

فكأنه صافي الحديدة مخذمٌ ... مما يحير الفرس للباذان

نسخت من كتاب أبي سعيد السكري، قال: كان لغيلان بن سلمة جار من باهلة، وكانت له إبل يرعاها راعيه في الإبل مع إبل غيلان، فتخطى بعضها إلى أرضٍ لأبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب، فضرب أبو عقيل الراعي واستخف به، فشكا الباهلي ذلك إلى غيلان، فقال لأبي عقيل:

ألا من يرى رأى امرىءٍ ذي قرابة ... أبي صدره بالضغن إلا تطلعا

فسلمك أرجو لا العداوة إنما ... أبوك أبي وإنما صفقنا معا

وإن ابن عم المرء مثل سلاحه ... يقيه إذا لاقى الكمي المقنعا

فإن يكثر المولى فإنك حاسدٌ ... وإن يفتقر لا يلف عندك مطمعا

فهذا وعيدٌ وادخارٌ فإن تعد ... وجدك أعلم ما تسلفت أجمعا

ونسخت من كتابه، قال: لما أسن غيلان وكثرت أسفاره ملته زوجته، وتجنت عليه، وأنكر أخلاقها، فقال فيها:

يا رب مثلك في النساء غريرةٍ ... بيضاء قد صبحتها بطلاق

لم تدر ما تحت الضلوع وغرها ... مني تحمل عشرتي وخلاقي

ونسخت من كتابه: إن بني عامر بن ربيعة جمعوا جموعاً كثيرةً من أنفسهم وأحلافهم، ثم ساروا إلى ثقيفٍ بالطائف، وكانت بنو نصر بن معاوية أحلافاً لثقيف، فلما بلغ ثقيفاً مسير بني عامر استنجدوا بني نصر، فخرجت ثقيف إلى بني عامرٍ وعليهم يومئذٍ غيلان بن سلمة بن معتب، فلقوهم وقاتلتهم ثقيفٌ قتالاً شديداً، فانهزمت بنو عامر بن ربيعة ومن كان معهم، وظهرت عليهم ثقيفٌ، فأكثروا فيهم القتل، فقال غيلان في ذلك، ويذكر تخلف بني نصر عنهم:

ودع بذمٍّ إذا ما حان رحلتنا ... أهل الحظائر من عوفٍ ودهمانا

القائلين وقد حلت بساحتهم ... جسرٌ تحسحس عن أولاد هصانا

والقائلين وقد رابت وطابهم ... أسيف عوفٍ ترى أم سيف غيلانا

أغنو الموالي عنا لا أبالكم ... إنا سنعني صريح القوم من كانا

لا يمنع الخطر المظلوم قحمته ... حتى يرى بالعين من كانا

ونسخت من كتابه، قال: جمعت خثعم جموعاً من اليمن، وغزت ثقيفاً بالطائف، فخرج إليهم غيلان بن سلمة في ثقيف، فقاتلهم قتالاً شديداً، فهزمهم وقتل منهم مقتلةً عظيمة، وأسر عدةً منهم، ثم من عليهم وقال في ذلك:

ألا يا أخت خثعم خبرينا ... بأي بلاء قومٍ تفخرينا

جلبنا الخيل من أكناف وجٍّ ... وليثٍ نحوكم بالدارعينا

رأيناهن معملةً رواحا ... يقيتان الصباح ومعتدينا

فأمست مسي خامسةٍ جميعاً ... تضابع في القياد وقد وجينا

وقد نظرت طوالعكم إلينا ... بأعينهم وحققنا الظنونا

إلى رجراجةٍ في الدار تعشى ... إذا استنت عيون الناظرينا

تركن نساءكم في الدار نوحا ... يبكون البعولة والبنينا

جمعتم جمعكم فطلبتمونا ... فهل أنبئت حال الطالبينا

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ، قال: أخبرني محمد بن سعد الشامي، قال: حدثني أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو الثقفي، قال: خرجت مع كيسان بن أبي سليمان أسايره، فأنشدني شعر غيلان بن سلمة، ما أنشدني لغيره، حتى صدرنا عن الأبلة، ثم مر بالطف وهو يريد الطابق، فأنشدني له:

وليلة أرقت صحابك بالط ... ف وأخرى بجنب ذي حسم

فالجسر فالقصران فالنهر المرب ... د بين النخيل والأجم

معانق الواسط المقدم أو أدنو من الأرض غير مقتحم

أستعمل العنس بالقياد إلى ال آفاق أرجو نوافل الطعم

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال: حدثني عمر بن عبد العزيز بن أبي ثابت عن أبيه، قال: لما حضرت غيلان بن سلمة الوفاة، وكان قد أحصن عشراً من نساء العرب في الجاهلية، قال: "يا بني قد أحسنت خدمة أموالكم، وأمجدت أمهاتكم فلن تزالوا بخيرٍ ما غذوتم من كريم وغذا منكم، فعليكم ببيوتات العرب، فإنها معارج الكرم، وعليكم بكل رمكاء مكينةٍ ركينةٍ، أو بيضاء رزينة، في خدر بيت يتبع، أوجد يرتجى، وإياكم والقصيرة الرطلة، فإن أبغض الرجال إلي أن يقاتل عن إبلي أو يناضل عن حسبي، القصير الرطل". ثم أنشأ يقول:

وحرة قومٍ قد تنوق فعلها وزينها أقوامها فتزينت

رحلت إليها لا ترد وسيلتي وحملتها من قومها فتحملت

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن سعد الكراني، قال: كان غيلان بن سلمة الثقفي قد وفد إلى كسرى فقال له ذات يوم: يا غيلان، أي ولدك أحب إليك؟ قال: الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يبرأ، والغائب حتى يقدم. قال له: ما غذاؤك؟ قال: خبز البر. قال: قد عجبت من أن يكون لك هذا العقل وغذاؤك غذاء العرب، إنما البر جعل لك هذا العقل.

قال: الكراني، قال العمري: روى الهيثم بن عدي هذا الخبر أتم من هذه الرواية، و لم أسمعه منه. قال الهيثم: حدثني أبي، قال: خرج أبو سفيان بن حرب في جماعة من قريش وثقيف يريدون العراق بتجارة، فلما ساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفيان، فقال لهم: إنا من مسيرنا هذا لعلى خطر، ما قدومنا على ملك جبارٍ لم يأذن لنا في القدوم عليه، وليست بلاده لنا بمتجر؟ ولكن أيكم يذهب بالعير، فأن أصيب فنحن برآء من دمه، وإن غنم فله نصف الربح؟ فقال غيلان بن سلمة: دعوني إذاً فأنا لها. فدخل الوادي، فجعل يطوفه ويضرب فروع الشجر ويقول:

ولو رآني أبو غيلان إذ حسرت عني الأمور إلى أمرٍ له طبق

لقال رغبٌ ورهب يجمعان معاً حب الحياة وهول النفس والشفق

إما بقيت على مجدٍ ومكرمة أو أسوة لك فيمن يهلك الورق

ثم قال: أنا صاحبكم. ثم خرج في العير، وكان أبيض طويلاً جعداً ضخماً، فلما قدم بلاد كسرى، تخلق ولبس ثوبين أصفرين، وشهر أمره، وجلس بباب كسرى حتى أذن له، فدخل عليه وبينهما شباكٌ من ذهب، فخرج إليه الترجمان، وقال له: يقول لك الملك: من أدخلك بلادي بغير إذني؟ فقال: قل له: لست من أهل عداوةٍ لك، ولا أتيتك جاسوساً لضد من أضدادك، وإنما جئت بتجارةٍ تستمتع بها، فإن أردتها فهي لك، وإن لم تردها وأذنت في

بيعها لرعيتك بعتها، وإن لم تأذن في ذلك رددتها. قال: فإنه ليتكلم، إذ سمع صوت كسرى فسجد، فقال له الترجمان: يقول لك الملك: لم سجدت؟ فقال: سمعت صوتاً عالياً حيث لا ينبغي لأحدٍ أن يعلو صوته إجلالاً للملك، فعلمت أنه لم يقدم على رفع الصوت هناك غير الملك فسجدت إعظاماً له. قال: فاستحسن كسرى ما فعل، وأمر له بمرفقةٍ توضع تحته، فلما أتي بها رأى عليها صورة الملك، فوضعها على رأسه، فاستجهله كسرى واستحمقه، وقال للترجمان: قل له: إنما بعثنا إليك بهذه لتجلس عليها. قال: قد علمت، ولكني لما أتيت بها رأيت عليها صورة الملك، فلم يكن حق صورته على مثلي أن يجلس عليها، ولكن كان حقها التعظيم، فوضعتها على رأسي، لأنه أشرف أعضائي وأكرمها علي. فاستحسن فعله جداً، ثم قال له: ألك ولد؟ قال: نعم. قال: فأيهم أحب إليك؟ قال: الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يبرأ، والغائب حتى يؤوب. فقال كسرى: زه، ما أدخلك علي ودلك على هذا القول والفعل إلا حظك، فهذا فعل الحكماء وكلامهم، وأنت من قوم جفاةٍ لا حكمة فيهم، فما غذاؤك؟ قال: خبز البر. قال: هذا العقل من البر، لا من اللبن والتمر. ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها، وكساه وبعث معه من الفرس من بنى له أطماً بالطائف، فكان أول أطم بني بها.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمر بن أبي بكر الموصلي عن عبد الله بن مصعب عن أبيه قال: استشهد نافع بن سلمة الثقفي مع خالد بن الوليد بدومة الجندل، فجزع عليه غيلان وكثر بكاؤه، وقال يرثيه:

ما بال عيني لا تغمض ساعةً ... إلا اعترتني عبرةٌ تغشاني

أرعى نجوم الليل عند طلوعها ... وهناً وهن من الغروب دوان

يا نافعاً من للفوارس أحجمت ... عن فارس يعلو ذرى الأقران

فلو استطعت جعلت مني نافعاً ... بين اللهاة وبين عكد لساني

قال: وكثر بكاؤه عليه، فعوتب في ذلك، فقال: والله لا تسمح عيني بمائها فأصن به على نافع. فلما تطاول العهد انقطع ذلك من قوله، فقيل له فيه، فقال: بلي نافع، وبلي الجرع، وفي وفنيت الدموع، واللحاق به قريب

ألا عللاني قبل نوح الوادب ... وقبل بكاء المعولات القرائب

وقبل ثوائي في ترابٍ وجندلٍ ... وقبل نشوز النفس فوق الترائب

فإن تأتني الدنيا بيومي فجاءة ... تجدني وقد قضيت منها مآربي

الشعر لحاجز الأزدي، والغناء لنبيه هزج، بالبنصر، عن الهشامي.

أخبار حاجز ونسبه

هو حاجز بن عوف بن الحارث بن الأخثم بن عبد الله بن ذهل بن مالك بن سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران بن عوف بن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزد. وهو حليف لبني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، وفي ذلك يقول:

قومي سلامان إما كنت سائلةً ... وفي قريش كريم الحلف والحسب

إني متى أدع مخزوماً تري عنقاً ... لا يرعشون لضرب القوم من كثب

يدعى المغيرة في أولى عديدهم ... أولاد مرأسةٍ ليسوا من الذنب

وهو شاعر جاهلي مقل، ليس من مشهوري الشعراء، وهو أحد الصعاليك المغيرين على قبائل العرب، وممن كان يعدو على رجليه عدواً يستبق بن الخيل.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثني العباس بن هشام، عن أبيه، عن عوف بن الحارث الأزدي، أنه قال لابنه حاجز بن عوف: أخبرني يا بني بأشد عدوك. قال: نعم، أفزعتني خثعم فتروت نزواتٍ، ثم استفزتني الخيل واصطف لي ظبيان، فجعلت أهنههما بيدي عن الطريق، ومنعاني أن أتجاوزها في العدو لضيق الطريق حتى اتسع واتسعت بنا، فسبقتهما. فقال له: فهل جاراك أحدٌ في العدو؟ قال: ما رأيت أحداً جاراني إلا أطيلس أغبر من النقوم، فإنا عدونا معاً فلم أقدر على سبقه.

قال: النقوم بطن من الأزد من ولد ناقم، واسمه عامر بن حوالة بن الهنو بن الأزد.

نسخت أخبار حاجز من رواية أبي عمرو الشيباني من كتاب بخط المرهبي الكوكبي، قال: أغار عوف بن الحارث بن الأخثم على بني هلال بن عامر بن صعصعة في يوم داجٍ مظلمٍ، فقال لأصحابه: انزلوا حتى أعتبر لكم. فانطلق حتى أتى صرماً من بني هلال، وقد عصب على يد فرسه عصاباً ليظلع فيطمعوا فيه، فلما أشرف عليهم استرابوا به، فركبوا في طلبه، وانهزم من بين أيديهم، وطمعوا فيه، فهجم بهم على أصحابه بني سلامان، فأصيب يومئذٍ بنو هلال، وملأ القوم أيديهم من الغنائم، ففي ذلك يقول حاجز بن عوف:

صباحك واسلمى عنا أماماً ... تحية وامقٍ وعمي ظلاما

برهرهةٌ يحار الطرف فيها ... كحقة تاجر شدت ختاما

فإن تمس ابنة السهمي منا ... بعيداً لا تكلمنا كلاما

فإنك لا محالة أن تريني ... ولو أمست حبالكم رماما

بناجية القوائم عيسجورٍ ... تدارك نيها عاماً فعاما

سلي عني إذا اغبرت جمادي ... وكان طعام ضيفهم الثماما

ألسنا عصمة الأضياف حتى ... يضحى مالهم نفلاً تواما

أبى ربع الفوارس يوم داجٍ وعمي مالكٌ وضع السهاما

فلو صاحبتنا لرضيت منا إذا لم تغبق المائة الغلاما

يعني بقوله: وضع السهام، أن الحارث بن عبدالله بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صقعب بن دهمان بن نصر بن زهران، كان يأخذ من جميع الأزد إذا غنموا الربع، لأن الرياسة في الأزد كانت لقومه، وكان يقال لهم: الغطاريف وهم أسكنوا الأسد بلد السراة، وكانوا يأخذون للمقتول منهم ديتين ويعطون غيرهم دية واحدة إذا وجبت عليهم، فغزهم بنو فقيم بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فظفرت بهم، فاستغاثوا ببني سلامان، فأغاثوهم، حتى هزموا بني فقيم وأخذوا منهم الغنائم وسلبوهم، فأراد الحارث أن يأخذ الربع كما كان يفعل، فمنعه مالك بن ذهل بن مالك بن سلامان، وهو عم أبي حاجز، وقال: هيهات، ترك الربع غدوة فأرسلها مثلاً، فقال له الحارث: أتراك يا مالك تقدر أن تسود؟ فقال: هيهات، الأزد أمنع من ذاك. فقال: أعطني ولو جعباً، والجعب: البعر في لغتهم، لئلا تسمع العرب أنك منعتني. فقال مالك: فمن سماعها أفر، ومنعه الربيع، فقال حاجز في ذلك:

ألا زعمت أبناء يشكر أننا بربعهم باءوا هنالك ناضل

ستمنعنا منكم ومن سوء صنعكم صفائح بيضٌ أخلصتها الصياقل

وأسمر خطيٌّ إذا هز عاسلٌ بأيدي كماةٍ جربتها القبائل

وقال أبو عمرو: جمع حاجزٌ ناساً من فهم وعدران، فدلهم على خثعم، فأصابوا منهم غرة وغنموا ما شاءوا، فبلغ حاجزاً أنهم يتوعدونه ويرصدونه، فقال:

إني من إرعادكم وبروقكم وإيعادكم بالقتل صمٌّ مسامعي

وإني دليل غير مخفٍ دلالتي على ألف بيتٍ جدهم غير خاشع

ترى البيض يركضن المجاسد بالضحى كذا كل مشبوح الذراعين نازع

على أي شيء لا أبا لأبيكم تشيرون نحوي نحوكم بالأصابع

وقال أبو عمرو: أغارت خثعم على بني سلامان وفيهم عمرو بن معد يكرب، وقد استنجدت به خثعم على بني سلامان، فالتقوا واقتتلوا، فطعن عمرو بن معد يكرب حاجزاً فأنفذ فخذه، فصاح حاجز: يا آل الأزد! فندم عمرو وقال: خرجت غازياً وفجعت أهلي. وانصرف، فقال عزيل الخثعمي يذكر طعنة عمروٍ حاجزاً، فقال:

أعجز حاجزٌ منا وفيه مشلشلة كحاشية الإزار

فعز علي ما أعجزت مني وقد أقسمت لا يضربك ضار

فأجابه حاجز فقال:

إن تذكروا يوم القري فإنه بواءٌ بأيامٍ كثيرٍ عديدها
فنحن أبحنا بالشخيصة واهناً جهاراً فجئنا بالنساء نقودها
ويوم كراءٍ قد تدارك ركضنا بني مالكٍ والخيل صعرٌ خدودها
ويوم الأراكات اللواتي تأخرت سراة بني لهبان يدعة شريدها
ونحن صبحنا الحي يوم تنومةٍ بملمومة يهوى الشجاع وئيدها

ويوم شروم قد تركنا عصابة لدى جانب الطرفاء حمراً جلودها
فما رغمت حلفاً لأمرٍ يصيبها من الذل إلا نحن رغماً نزيدها

وقال أبو عمرو: بينما حاجز في بعض غزواته إذ أحاطت به خثعم، وكان معه بشير ابن أخيه، فقال له: يا بشير، ما تشير؟ قال: دعهم حتى يشربوا ويقفلوا ويمضوا ونمضي معهم فيظنونا بعضهم. ففعلا، وكانت في ساق حاجز شامةٌ، فنظرت إليها امرأةٌ من خثعم، فصاحت: يا آل خثعم، هذا حاجز. فطاروا يتبعونه، فقالت لهم عجوز كانت ساحرة: أكفيكم سلاحة أو عدوه. فقالوا: لا نريد أن تكفينا عدوه فإن معنا عوفاً وهو يعدو مثله، ولكن اكفينا سلاحه. فسحت لهم سلاحه وتبعه عوف بن الأغر بن همام بن الأسر بن عبد الحارث بن واهب بن مالك بن صعب بن غنم بن الفزع الخثعمي، حتى قاربه، فصاحت به خثعم: يا عوف ارم حاجزاً، فلم يقدم عليه، وجبن، فغضبوا وصاحوا: يا حاجز، لك الذمام، فاقتل عوفاً فإنه قد فضحنا. فنزع في قوسه ليرميه، فانقطع وتره، لأن المرأة الخثعمية كانت قد سحرت سلاحه، فأخذ قوس بشير ابن أخيه فنزع فيها فانكسرت، وهربا من القوم ففاتاهم ووجد حاجز بعيراً في طريقه فركبه فلم يسر في الطريق الذي يريده ونحا به نحو خثعم، فنزل حاجز عنه، فمر فنجا وقال في ذلك:

فدى لكما رجلي أمي وخالتي بسعيكما بين الصفا والأثائب
أوان سمعت القوم خلفي كأنهم حريق أباءٍ في الرياح الثواقب
سيوفهم تغشى الجبان ونبلهم يضيء لدى الأقوام نار الحباحب
فغير قتالي في المضيق أغاثني ولكن صريح العدو غير الأكاذب
نجوت نجاءً لا أبيك تبثه وينجو بشير نجو أزعر خاضب
وجدت بعيراً هاملاً فركبته فكادت تكون شر ركبة راكب

وقال أبو عمرو: اجتاز قوم حجاجٌ من الأزد ببني هلال بن عامر بن صعصعة، فعرفهم ضمرة بن ماعز سيد بني هلال، فقتلهم هو وقومه، وبلغ ذلك حاجزاً، فجمع جمعاً من قومه وأغار على بني هلال فقتل فيهم وسبى منهم، وقال في ذلك يخاطب ضمرة بن ماعز:

يا ضمر هل نلناكم بدمائنا ... أم هل حذونا نعلكم بمثال

نبكي لقتلى من فقيم قتلوا ... فاليوم تبكي صادقاً لهلال

ولقد شفاني أن رأيت نساءكم ... يبكين مردفة على الأكفال

يا ضمر إن الحرب أضحت بيننا ... لقحت على الدكاء بعد حيال

قال أبو عمرو: خرج حاجز في بعض أسفاره فلم يعد، ولا عرف له خبر، فكانوا يرون أنه مات عطشاً أو ضل، فقال أخته ترثيه:

أحيٌّ حاجزٌ أم ليس حياً ... فيسلك بين جندف والبهيم

ويشرب شربةً من ماء ترج ... فيصدر مشية السبع الكليم

أخبرني هاشم بن محمد، قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة، قال: كان حاجز الأزدي مع غاراته كثير الفرار، لقي عامراً فهرب منهم فنجا، وقال:

ألا هل أتى ذات القلائد فرتي ... عشية بين الجرف والبحر من بعر

عشية كادت عامرٌ يقتلونني ... لدى طرف السلماء راغية البكر

فما الظبي أخطت خلفة الصقر رجله ... وقد كاد يلقى الموت في خلفة الصقر

بمثلي غداة القوم بين مقنع ... وآخر كالسكران مرتكزٍ يفري

وفر من خثعم وتبعه المرقع الخثعمي ثم الأكلبي، ففاته حاجز، وقال في ذلك:

وكأنما تبع الفوارس أرنبا ... أو ظبي رابيةٍ خفافاً أشعبا

وكأنما طردوا بذي نمراته ... صدعا من الأروى أحس مكلبا

أعجزت منهم والأكف تنالني ... ومضت حياضهم وآبوا خيبا

أدعو شنوءة غثها وسمينها ... ودعا المرقع يوم ذلك أكلبا

وقال يخاطب عوض أمسى:

أبلغ أميمة عوض أمسى بزنا ... سلباً وما إن سرها ننكبا

لولا تقارب رأفة وعيونها ... حمشاً مصعداً ومصوبا

يا دار من ماوي بالسهب بنيت على خطب من الخطب
إذ لا ترى إلا مقاتلة وعجانساً يرقلن بالركب
ومدججاً يسعى بشكته محمرةً عيناه كالكلب

ومعاشراً صدأ الحديد بهم عبق الهناء مخاطم الجرب

الشعر للحارث بن الطفيل الدوسي، والغناء لمعبد، رمل بالبنصر، من رواية يحيى المكي، وفيه لابن سريج خفيف ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق، والله أعلم.

أخبار الحارث بن الطفيل ونسبه

هو الحارث بن الطفيل بن عمرو بن عبد الله بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عبد الله بن عدثان بن عبيد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، شاعرٌ فارسٌ، من مخضرمي شعراء الجاهلية والإسلام، وأبوه الطفيل بن عمروٍ شاعر أيضاً، وهو أول من وفد من دوس على النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلم وعاد إلى قومه، فدعاهم إلى الإسلام.

أخبرني عمي قال: حدثنا الحزنبل بن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه، واللفظ في الخبر له، والله أعلم.

وأخبرني به محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه: إن الطفيل بن عمرو بن عبد الله بن مالك الدوسي خرج حتى أتى مكة حاجاً، وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر إلى المدينة، وكان رجلاً يعصو - والعاصي البصير بالجراح، ولذلك يقال لولده: بنو العاصي - فأرسلته قريشٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: انظر لنا ما هذا الرجل، وما عنده؟ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام، فقال له: إني رجلٌ شاعر، فاسمع ما أقول: فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: هات. فقال:

لا وإله الناس نألم حربهم ولو حاربتنا منهبٌ وبنو فهم
ولما يكن يومٌ تزول نجومه تطير به الركبان ذو نبأٍ ضخم
أسلماً على خسف ولست بخالدٍ وما لي من واقٍ إذا جاءني حتمي
فلا سلم حتى تحفز الناس خيفةٌ ويصبح طيرٌ كانساتٍ على لحم

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأنا أقول فاستمع، ثم قال: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد". ثم قرأ: "قل أعوذ برب الفلق". ودعاه إلى الإسلام فأسلم، وعاد إلى قومه، فأتاهم في ليلةٍ مطيرةٍ ظلماء، حتى نزل بروق، وهي قرية عظيمةٌ لدوس فيها منبر، فلم يبصر أين يسلك، فأضاء له نور في طرف سوطه، فبهر الناس ذلك النور، وقالوا:

نار أحدثت على القدوم ثم على بروق، لا تطفأ. فعلقوا يأخذون بسوطه فيخرج النور من بين أصابعهم، فدعا أبويه إلى الإسلام فأسلم أبوه و لم تسلم أمه، ودعا قومه فلم يجبه إلا أبو هريرة، وكان هو وأهله في جبل يقال له ذو رمع، فلقيه بطريق يزحزح، وبلغنا أنه كان يزخف في العقبة من الظلمة ويقول:

يا طولها من ليلةٍ وعناءها على أنها من بلدة الكفر نجت

ثم أتى الطفيل بن عمرو النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو هريرة، فقال له: ما وراءك؟ فقال: بلادٌ حصينة وكفر شديد. فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: "اللهم اهد دوساً" ثلاث مراتٍ. قال أبو هريرة: فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم خفت أن يدعو على قومي فيهلكوا، فصحت: واقوماه! فلما دعا لهم سري عني، و لم يحب الطفيل أن يدعو لهم لخلافهم عليه، فقال له: لم أحب هذا منك يا رسول الله. فقال له: إن فيهم مثلك كثيراً. وكان جندب بن عمرو بن حممة بن عوف بن غوية بن سعد بن الحارث بن ذبيان بن عوف بن منهب بن دوس يقول في الجاهلية: إن للخلق خالقاً لا أعلم ما هو. فخرج حينئذٍ في خمسة وسبعين رجلاً حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وأسلموا. قال أبو هريرة: ما زلت ألوي الآجرة بيدي، ثم لويت على وسطي حتى كأني بجادٌ أسود، وكان جندب يقربهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً رجلاً، فيسلمون.
وهذه الأبيات التي فيها الغناء من قصيدةٍ للحارث بن الطفيل، قالها في حربٍ كانت بين دوس وبين بني الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحرث بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران.

وكان سبب ذلك فيما ذكر عن أبي عمرو الشيباني أن ضماد بن مسرح بن النعمان بن الجبار بن سعد بن الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحارث بن يشكر، سيد آل الحارث، كان يقول لقومه: أحذركم جرائر أحمقين من آل الحارث يبطلان رياستكم. وكان ضمادٌ يتعيف، وكان آل الحارث يسودون العشيرة كلها، فكانت دوسٌ أتباعاً لهم، وكان القتيل من آل الحارث تؤخذ له ديتان، ويعطون إذا لزمهم عقل قتيل من دوس ديةً واحدة، فقال غلامان من بني الحارث يوماً: ائتوا شيخ بني دوس وزعيمهم الذي ينتهون إلى أمره فلنقتله. فأتياه. فقالا: يا عم، إن لنا أمراً نريد أن تحكم بيننا فيه. فأخرجاه من مترله، فلما تنحيا به قال له أحدهما: يا عم، إن رجلي قد دخلت فيها شوكة، فأخرجها لي. فنكس الشيخ رأسه لينتزعها وضربه الآخر فقتله، فعمدت دوس إلى سيد بني الحارث، وكان نازلاً بقنونى فأقاموا له في غيضةٍ في الوادي، وسرحت إبله فأخذوا منها ناقة فأدخلوها الغيضة وعقلوها، فجعلت الناقة ترغو وتحن إلى الإبل، فنزل الشيخ إلى الغيضة ليعرف شأن الناقة، فوثبوا عليه فقتلوه، ثم أتوا أهله، وعرفت بنو الحارث الخبر، فجمعوا لدوس وغزوهم فنذروا بهم فقاتلوهم فتناصفوا، وظفرت بنو الحارث بغلمةٍ من دوس فقتلوهم، ثم إن دوساً اجتمع منهم تسعةٌ وسبعون رجلاً، فقالوا: من يكلمنا، من يمانينا حتى نغزو أهل ضماد؟ فكان ضماد قد أتى عكاظ، فأرادوا أن يخالفوه إلى أهله، فمروا برجل من دوسٍ وهو يتغنى:

فإن السلم زائدة نواها وإن نوى المحارب لا تروب

فقالوا: هذا لا يتبعكم، ولا ينفعكم أن تبعكم، أما تسمعون غناءه في السلم. فأتوا حممة بن عمرو، فقالوا: أرسل إلينا بعض ولدك. فقال: وأنا إن شئتم. وهو عاصب حاجبيه من الكبر، فأخرج معهم ولده جميعاً، وخرج معهم وقال لهم: تفرقوا فرقتين، فإذا عرف بعضكم وجوه بعض فأغيروا، وإياكم والغارة حتى تتفارقوا لا يقتل بعضكم بعضاً. ففعلوا، فلم يلتفتوا حتى قتلوا ذلك الحي من آل الحارث، وقتلوا إبنا لضماد، فلما قدم قطع أذني ناقته وذنبها، وصرخ في آل الحارث، فلم يزل يجمعهم سبع سنين ودوسٌ تجتمع بازائه، وهم مع ذلك يتغاورون ويتطرف بعضهم بعضاً، وكان ضماد قد قال لابن أخ له يكنى أبا سفيان لما أراد أن يأتي عكاظ: إن كنت تحرز أهلي، وإلا أقمت عليهم. فقال له: أنا حأحرزهم من مائة، فإن زادوا فلا. وكانت تحت ضمادٍ امرأةٌ من دوس، وهي أخت مربان بن سعد الدوسي الشاعر، فلما أغارت دوسٌ على بني الحارث قصدها أخوها، فلاذت به، وضمت فخذها على ابنها من ضمادٍ، وقالت: يا أخي اصرف عني القوم، فإني حائض لا يكشفوني. فنكزسية القوس في درعها، وقال: لست بحائض، ولكن في درعك سخلةٌ بكذا من آل الحارث، ثم أخرج الصبي فقتله، وقال في ذلك:

ألا هل أتى أم الحصين ولو نأت خلافتنا في أهله ابن مسرح

ونضرة تدعو بالفناء وطلقها ترائبه ينفحن من كل منفح

وفر أبو سفيان لما بدا لنا فرار جبانٍ لأمه الذل مقرح

قال: فلم يزالوا يتغاورون حتى كان يوم حضرة الوادي، فتحاشد الحيان، ثم أتتهم بنو الحارث ونزلوا لقتالهم، ووقف ضماد بن مسرح في رأس الجبل، وأتتهم دوس. وأنزل خالد بن ذي السبلة بناته هنداً وجندلة وفطيمة ونضرة، فبنين بيتاً، وجعلن يستقين الماء، ويحضضن. وكان الرجل إذا رجع فاراً أعطينه مكحلة ومجمراً، وقلن: معنا فانزل - إي أنك من النساء - وجعلت هندٌ بنت خالدٍ تحرضهم وترتجز وتقول:

من رجلٌ ينازل الكتيبة فذلكم تزني به الحبيبه

فلما التقوا رمى رجلٌ من دوس رجلاً من آل الحارث، فقال: خذها وأنا أبو الزبن، فقال ضماد وهو في رأس الجبل وبنو الحارث بحضرة الوادي: يا قوم زبنتم فارجعوا. ثم رجل آخر من دوس، فقال: خذها وأنا أبو ذكر. فقال ضماد: ذهب القوم بذكرها، فاقبلوا رأيي وانصرفوا. فقال: قد جبنت يا ضماد. ثم التقوا، فأبيدت بنو الحارث. هذه رواية أبي عمرو.

وأما الكلبي فإنه قال: كان عامر بن بكر بن يشكر يقال له الغطريف ويقال لبنيه الغطاريف، وكان لهم ديتان، ولسائر قومه دية، وكانت لهم على دوس إتاوةٌ يأخذونها كل سنة، حتى إن كان الرجل منهم ليأتي بيت الدوسي

فيضع سهمه أو نعله على الباب، ثم يدخل، فيجيء الدوسي، فإذا أبصر ذلك انصرف ورجع عن بيته، حتى أدرك عمرو بن حممة بن عمرو فقال لأبيه: ما هذا التطول الذي يتطول به إخواننا علينا؟ فقال: يا بني، إن هذا شيءٌ قد مضى عليه أوائلنا، فأعرض عن ذكره. فأعرض عن هذا الأمر، وإن رجلاً من دوس عرس بابنة عم له، فدخل عليها رجل من بني عامر بن يشكر، فجاء زوجها فدخل على اليشكري، ثم أتى عمرو بن حممة فأخبره بذلك، فجمع دوساً وقام فيهم، فحرضهم وقال: إلى كم تصبرون لهذا الذل، هذه بنو الحارث، تأتيكم الآن تقاتلكم، فاصبروا تعيشوا كراماً أو تموتوا كراما. فاستجابوا له، وأقبلت إليهم بنو الحارث فتنازلوا، واقتتلوا، فظفرت بهم دوس، وقتلتهم كيف شاءت، فقال رجل من دوس يومئذٍ:

قد علمت صفراء حرشاء الذيل ... شرابة المحض تروكٌ للقيل

ترخى فروعاً مثل أذناب الخيل ... أن بروقاً دونها كالويل

ودونها خرط القتاد بالليل

وقال الحارث بن الطفيل بن عمرو الدوسي في هذا اليوم، عن أبي عمرو:

يا دار من ماوي بالسهب ... بنيت على خطبٍ من الخطب

إذ لا ترى إلا مقاتلةً ... وعجانساً يرقلن بالركب

ومدججاً يسعى بشكته ... محمرةً عيناه كالكلب

ومعاشراً صدأ الحديد بهم ... عبق الهناء مخاطم الجرب

لما سمعت نزال قد دعيت ... أيقنت أنهم بنو كعب

كعب بن عمر لا لكعب بني ال ... عنقاء والتبيان في النسب

فرميت كبش القوم معتمداً ... فمضى وراشوه بذي كعب

شكو بحقويه القداح كما ... ناط المعرض أقدح القضب

فكأن مهري ظل منغمساً ... بشبا الأسنة مغرة الجأب

يا رب موضوعٍ رفعت ومر ... فوع وضعت بمنزل اللصب

وحليل غانية هتكت قرارها ... تحت الوغى بشديدة العضب

كانت على حب الحياة فقد ... أحللتها في منزل غرب

جانيك من يجني عليك وقد ... تعدى الصحاح مبارك الجرب

هذا البيت في الغناء في لحن ابن سريج، وليس هو في هذه القصيدة، ولا وجد في الرواية، وإنما ألحقناه بالقصيدة لأنه في الغناء كما تضيف المغنون شعراً إلى شعر، وإن لم يكن قائلهما واحداً إذا اختلف الروي والقافية.

صرفت هواك فانصرفا ... ولم تدع الذي سلفا
وبنت فلم أمت كلفا ... عليك ولم تمت أسفا
كلانا واجد في النا ... س ممن مله خلفا

الشعر لعبد الصمد بن المعذل، والغناء للقاسم بن زرزور، رملٌ بالوسطى، وفيه لعمر الميداني هزجٌ.

أخبار عبد الصمد بن المعذل ونسبه

عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم بن البختري بن المختار بن ذريح بن أوس بن همام بن ربيعة بن بشير بن حمران بن حدرجان بن عساس بن ليث بن حداد بن ظالم بن ذهل بن عجل بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزارٍ. وقيل: ربيعة بن ليث بن حمران. وجدت في كتابٍ بخط أحمد بن كامل: حدثني غيلان بن المعذل أخو عبد الصمد، قال: كان أبي يقول: أفصى أبو عبد القيس هو أفصى بن جديلة بن أسد، وأفصى جد بكر بن وائل هو أفصى بن دعمي. والنسابون يغلطون في قولهم عبد القيس بن أفصى بن دعمي. ويكنى عبد الصمد أبا القاسم، وأمه أم ولد يقال لها: الزرقاء. شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية، بصري المولد والمنشأ. وكان هجاء خبيث اللسان، شديد العارضة، وكان أخوه أحمد أيضاً شاعراً، إلا أنه كان عفيفاً، ذا مروءة ودين وتقدم في المعتزلة، وله جاه واسع في بلده وعند سلطانه، لا يقاربه عبد الصمد فيه، فكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه، وعبد الصمد أشعرهما، وكان أبو عبد الصمد المعذل وجده غيلان شاعرين، وقد روى عنهما شيء من الأخبار واللغة والحديث ليس بكثير، والمعذل بن غيلان هو الذي يقول:

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني ... أرى صالح الأعمال لا أستطيعها
أرى خلةً في إخوة وأقاربٍ ... وذي رحم ما كان مثلي يضيعها
فلو ساعدتني في المكارم قدرةٌ ... لفاض عليهم بالنوال ربيعها

أنشدنا ذلك له علي بن سليمان الأخفش، عن المبرد وأنشدناه محمد بن خلف بن المرزبان عن الربعي أيضاً. قالا: وهو القائل:

ولست بميالٍ إلى جانب الغنى ... إذا كانت العلياء في جانب الفقر
وإني لصبار على ما ينوبني ... وحسبك أن الله أثنى على الصبر

أخبرني محمد بن خلفٍ، قال: حدثنا النخعي وإسحاق، قال: هجا أبان اللاحقي المعذل بن غيلان فقال:

كنت أمشي مع المعذل يوماً ... ففسا فسوةً فكدت أطير

فتلفت هل أرى ظربانا ... من ورائي والأرض بي تستدير

فإذا ليس غيره وإذا إع ... صار ذاك الفساء منه يفور

فتعجبت ثم قلت لقد أع ... رف هذا فيما أرى خنزير

فأجابه المعذل فقال:

صحفت أمك إذ سم ... تك بالمهد أبانا

قد علمنا ما أرادت ... لم ترد إلا أتانا

صيرت باء مكان ال ... تاء والله عيانا

قطع الله وشيكا ... من مسميك اللسانا

أخبرني عمي قال: حدثنا المبرد قال: مر المعذل بن غيلان بعبد الله بن سوار العنبري القاضي، فاستنزله عبد الله، وكان من عادة المعذل أن ينزل عنده، فأبى، وأنشده:

أمن حق المودة أن نقضي ... ذمامكم ولا تقضوا ذماما

وقد قال الأديب مقال صدقٍ ... رآه الآخرون لهم إماما

إذا أكرمتكم وأهنتموني ... ولم أغضب لذلكم فذاما

قال: وانصرف، فبكر إليه عبد الله بن سوار، فقال له: رأيتك أبا عمرو مغضباً. فقال: أجل ماتت بنت أختي ولم تأتني. قال: ما علمت ذلك. قال: ذنبك أشد من عذرك، وما لي أنا أعرف خبر حقوقك، وأنت لا تعرف خبر حقوقي؟ فما زال عبد الله يعتذر إليه حتى رضي عنه.

حدثني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا ابن مهرويه عن الحمدوني، قال: كان شروين حسن الغناء والضرب، وكان من أراد أن يغنيه حتى يخرج من جلده جاء بجويرية سوداء فأمرها أن تطالعه، وتلوح له بخرقة حمراء، ليظنها امرأةً تطالعه، فكان حينئذٍ يغني أحسن ما يقدر عليه تصنعاً لذلك، فغضب عليه عبد الصمد في بعض الأمور، فقال يهجوه:

من حل شروين له منزلاً ... فلتنهه الأولى عن الثانيه

فليس يدعوه إلى بيته ... إلا فتًى في بيته زانيه

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أبو عمرو البصري، قال: قال عبد الصمد بن المعذل في رجلٍ زانٍ من أهل البصرة كانت له امرأةٌ تزني، فقال:

إن كنت قد صفرت أذن الفتى ... فطالما صفر آذانا

لا تعجبي إن كنت كشخنته فإنما كشخنت كشخانا

أخبرني جعفر بن قدامة بن زيادٍ الكاتب، قال: حدثنا سوار بن أبي شراعة، قال: كان بالبصرة رجلٌ يعرف بابن الجوهري، وكانت له جاريةٌ مغنيةٌ حسنة الغناء، وكان ابن الجوهري شيخا هماً قبيح الوجه، فتعشقت فتًى كاتباً كان يعاشره ويدعوه، وكان الفتى نظيفاً ظريفاً، فاجتمعت معه مراراً في منزله، وكان عبد الصمد يعاشره، فكان الفتى يكاتمه أمره، ويحلف له أنه لا يهواها، فدخلت عليهما ذات يومٍ بغتةً، فبقي الفتى باهتاً لا يتكلم، وتغر لونه وتخلج في كلامه، فقال عبد الصمد:

لسان الهوى ينطق ومشهده يصدق

لقد نم هذا الهوى عليك وما يشفق

إذا لم تكن عاشقا فقلبك لم يخفق

وما لك إما بدت تحار فلا تنطق

أشمسٌ تجلت لنا أم القمر المشرق

الغناء في هذه الأبيات لرذاذٍ، ويقال للقاسم بن زرزور، رملٌ مطلقٌ.

قال: ثم طال الأمر بنيهما، فهربت إليه جملةً، فقال عبد الصمد في ذلك:

إلى امرىءٍ حازم ركبت أي امرىء عاجزٍ تركت

فتنة ابن الجوهري لقد أظهرت نصحاً وقد أفكت

أكذبتها عزمةٌ ظهرت لا تبالي نفس من سفكت

ظفرت فيها بما هويت ونجت من قرب من فركت

ثم خدودٌ بعدها لطمت وجيوبٌ بعدها هتكت

وعيون لا يرقأن على حسن وجه فاتهن بكت

خرجت والليل معتكرٌ لم يهلها أيةً سلكت

وعيون الناس قد هجعت ودجى الظلماء قد حلكت

لم تخف وجداً بعاشقها حرمة الشهر الذي انتهت

ورأت لما سقت كمداً أنها في دينها نسكت

ملئت كفٌ بها ظفرت دون هذا الخلق ما ملكت

إي ملك إذا خلا وخلت فشكا أشجانه وشكت

تجتلي من وجهه ذهباً وهي يجلو فضةً فتكت

هكذا فعل الفتاة إذا هي في عشاقها محكت

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني بعض أصحابنا قال: نظر عبد الصمد بن المعذل إلى جارٍ له يخطر في مشيته خطرةً منكرة، وكان فقيراً رث الحال، فقال فيه:

يتمشى في ثوب عصبٍ من العز ى على عظم ساقه مسدول

دب في رأسه خمارٌ من الجو ع سرى خمرة الرحيق الشمول

فبكى شجوه وحن إلى الخ بز ونادى بزفرةٍ وعويل

من لقلبٍ متيم برغيفي ن ونفسٍ تاقت إلى طفشيل

ليس تسمو إلى الولائم نفسي جل قدر الأعراس عن تأميلي

هات لوناً وقل لتلك تغني لست أبكي لدارسات الطلول

أخبرنا سوار بن أبي شراعة، قال: كان بالبصرة طفيليٌ يكنى أبا سلمة، وكان إذا بلغه خبر وليمة لبس لبس القضاة، وأخذ ابنيه معه وعليهما القلانس الطوال، والطيالسة الرقاق، فيقدم ابنيه، فيدق الباب أحدهما ويقول: افتح يا غلام لأبي سلمة. ثم لا يلبث البواب حتى يتقدم لآخر، فيقول: افح ويلك فقد جاء أبو سلمة. ويتلوهم، فيدقون جميعاً الباب، ويقولون: بادر ويلك، فإن أبا سلمى واقف. فإن لم يكن عرفهم فتح لهم، وهاب منظرهم، وإن كانت معرفته إياهم قد سبقت لم يلتف إليهم، ومع كل واحد منهم فهرٌ مدور يسمونه كيسان، فينتظرون حتى يجيء بعض من دعي، فيفتح له الباب، فإذا فتح طرحوا الفهر في العتبة حيث يدور الباب، فلا يقدر البواب على غلقه، ويهجمون عليه فيدخلون. فأكل أبو سلمة يوماً على بعض الموائد لقمةً حارة من فالوذج، وبلعها لشدة حرارتها، فجمعت أحشاؤه فمات على المائدة، فقال عبد الصمد بن المعذل يرثيه:

أحزان نفسي عليها غير منصرمة وأدمعي من جفوني الدهر منسجمه

على صديقٍ ومولًى لي فجعت به ما إن له في جميع الصالحين لمه

كم جفنةٍ مثل جوف الحوض مترعةٍ كوماء جاء بها طباخها رذمه

قد كللتها شحومٌ من قليتها ومن سنام جزورٍ عبطةٍ سنمه

غيبت عنها فلم تعرف له خبراً لهفي عليك وويلي يا أبا سلمه

ولو تكون لها حياً لما بعدت يوماً عليك ولو في جاحمٍ حطمه

قد كنت أعلم أن الأكل يقتله لكنني كنت أخشى ذاك من تخمه

إذا تعمم في شبليه ثم غدا فإن حوزة من يأتيه مصطلمه

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال: حدثني أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه، قال: كان عبد الصمد بن المعذل يتعشق فتًى من المغنين، يقال له: أحمد، فغاضبه الفتى وهجره، فكتب إليه:

سل جزعي مذ صددت عن حالي هل خطر الصبر على بالي

لا غير الله سوء فعلك بي إن كنت أعتبت فيك عذالي

ولا ذممت البكا لي عليك ولا حمدت حسن السلو من سال

لو كنت أبغي سواك ما جهلت نفسي أن الصدود أعفى لي

لجحظة في هذه الأبيات رملٌ مطلق.

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني علي بن محمدٍ النوفلي، فقال: هجا عبد الصمد بن المعذل قينةً بالبصرة قال فيها:

تفتر عن مضحك السدري إن ضحكت كرف الأتان رأت إدلاء أعيار

يفوح ريح كنيفٍ من ترائبها سوداء حالكةٌ دهماء كالقار

قال: فكسدت والله تلك القينة بالبصرة، فلم تدع ولم تستتبع حتى أخرجت عنها.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا المبرد، قال: كتب عبد الصمد بن المعذل إلى بعض الأمراء رقعةً فلم يجبه عنها، لشيء كان بلغه عنه، فكتب إليه:

قد كتبتت الكتاب ثم مضى اليو م ولم أدر ما جواب الكتاب

ليت شعري عن الأمير لماذا لا يراني أهلاً لرد الجواب

لا تدعني وأنت رفعت حالي ذا انخفاضٍ بهجرتي واجتنابي

إن أكن مذنباً فعندي رجوعٌ وبلاءٌ بالعذر والإعتاب

وأنا الصادق الوفاء وذو العه د الوثيق المؤكد الأسباب

أخبرني الحرمي بن علي، قال: حدثني أبو الشبل، قال: كان بالبصرة رجلٌ من ولد المهلب بن أبي صفرة، يقال له: صبيانه، وكان له بستان سريٌّ في منزله، فكان يدعو الفتيات إليه، فلا يعطيهن شيئاً من الدراهم، ويقصر بهن على ما يحملنه من البستان معهن، مثل الرطب والبقول والرياحين، فقال فيه عبد الصمد قوله:

قومٌ زناةٌ مالهم دراهم جذرهم النمام والحماحم

أنذل من تجمعه المواسم خسوا وخست منهم المطاعم

فعدلهم إن قسته المظالم

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني سوار بن أبي شراعة، وأخبرنا به سوار أجازة، قال: حدثني أبي، قال: لما هجا الجماز عبد الصمد بن المعذل جاءني فقال لي: أنقذني منه. فقلت له: أمثلك يفرق من الجماز؟ فقال: نعم، لأنه لا يبالي بالهجاء ولا يفرق منه، ولا عرض له، وشعره ينفق على من لا يدري. فلم أزل حتى أصلحت بينهما بعد أن سار قوله فيه:

ابن المعذل من هو ومن أبوه المعذل

سألت وهبان عنه فقال بيضٌ محول

قال: وكان وهبان هذا رجلاً يبيع الحمام، فجمع جماعةً من أصحابه وجيرانه، وجعل يغشى المجالس، ويحلف أنه ما قال: إن عبد الصمد بيضٌ محول، ويسألهم أن يعتذروا إليه، فكان هذا منه قد صار بالبصرة طرفةً ونادرة، فجاءني عبد الصمد يستغيث منه، ويقول لي: ألم أقل لك إن آفتي منه عظيمةٌ، والله لدوران وهبان على الناس يحلف لهم: إنه ما قال: إني بيضٌ محول، أشد علي من هجائه لي. فبعثت إلى وهبان فأحضرته، وقلت له: يا هذا، قد علمنا ان الجماز قد كذل عليك، وعذرناك فنحب أن لا تتكلف العذر إلى الناس في أمرنا، فإنا قد عذرناك. فانصرف وقد لقي عبد الصمد بلاء.

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي صهر المبرد، قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال: قال لي أبو شراعة القيسي: بلغ أبا جعفر مضرطان أن عبد الصمد بن المعذل هجاه، واجتمعتا عند أبي وائلة السدوسي، فقال له مضرطان: بلغني أني هجوتني. فقال له عبد الصمد: من أنت حتى أهجوك؟ قال: هذا شرٌ من الهجاء. فوثب إلى عبد الصمد يضربه، فقال الحمدوي، وهو إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه جده، وهو الذي كان يقتل الزنادقة:

ألذ من صحبة القناني أو اقتراحٍ على قيان

لكز فتًى من بني لكيزٍ يهدى له أهون الهوان

أهوى له بازل خدبٌ يطحن قرنيه بالجران

فنال منه ثؤور قوم باليد طوراً وباللسان

وكان يفسو فصار حقًا يضرط من خوف مضرطان

قال: وبلغ عبد الصمد شعر الحمدوي، فقال: أنا له. ففزع الحمدوي منه، فقال:

ترحٌ طعنت به وهمٌ وارد إذ قيل إن ابن المعذل واجد

هيهات أن أجد السبيل إلى الكرى وابن المعذل من مزاحي حارد

فرضي عنه عبد الصمد

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا العتري، قال: حدثني إبراهيم بن عقبة اليشكري، قال: قال عبد الصمد بن المعذل، هجاني الجماز ببيتين سخيفين فسارا في أفواه الناس، حتى لم يبق خاصٌ ولا عامٌ إلا رواهما، وهما:

ابن المعذل من هو ... ومن أبوه المعذل

سألت وهبان عنه ... فقال بيضٌ محول

فقلت أنا فيه شعراً تركته يتحاجى فيه كل أحدٍ، فما رواه أحد ولا فكر فيه، وذلك لضعته، وهو قولي:

نسب الجماز مقصو ... ر إليه منتهاه

يتراءى نسب النا ... س فما يخفى سواه

يتحاجى في أبي الج ... ماز من هو كاتباه

ليس يدري من أبو الج ... ماز إلا من يراه

أخبرني الأخفش، قال: كان لعبد الصمد بستانٌ نظيف عامر، فأنشدنا لنفسه فيه:

إذا لم يزرني ندمانيه ... خلوت فنادمت بستانيه

فنادمته خضراً مؤنقاً ... يهيج لي ذكر أشجانيه

يقرب مفرحة المستلذ ... ويبعد همي وأحزانيه

أرى فيه مثل مداري الظباء ... تظل لأطلائها حانيه

ونور أقاح شتيت النبات ... كما ابتسمت عجباص غانيه

ونرجسه مثل عين الفتاة ... إلى وجه عاشقها رانيه

أخبرني جعفر بن قدامة بن زيادٍ الكاتب، قال: كان يزيد بن عبد الملك المسمعي يهوى جاريةً من جواري القيان، يقال لها: عليم، وكان يعاشر عبد الصمد، ويزيد يومئذٍ شابٌ حديث السن، وكان عبد الصمد يسميه ابني، ويسمي الجارية ابنتي، فباع الفتى بستاناً له في معقل، وضيعةً بالقندل، فاشترى الجارية بثمنها، فقال عبد الصمد:

بنيتي أصبحت عروساً ... تهدى من ابني إلى عروس

زفت إليه لخير وقتٍ ... فاجتمعا ليلة الخميس

يا معشر العاشقين أنتم بالمنزل الأرذل الخسيس
يزيد أضحى لكم رئيساً فاتبعوا منهج الرئيس
من رام بلاً لرأس أير ذلل نفساً بحل كيس

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني يزيد بن محمدٍ المهلبي، قال: بلغ عبد الصمد بن المعذل أن أبا قلابة الجرمي تدسس إلى الجماز لما بلغه تعرضه له، وهجاؤه إياه، فحمله على الزيادة في ذلك، ويضمن له أن ينصره ويعاضده، وقد كان عبد الصمد هجا أبا قلابة حتى أفحمه، فقال عبد الصمد فيهما:

يا من تركت بصخرة صماء هامته أميمه
إن الذي عاضدته أشبهته خلقاً وشيمه
وكفعل جدتك الحدي ثة فعل جدته القديمه
فتناصرا فابن اللئي مة ناصرٌ لابن الليئمة

حدثني جعفر بن قدامة، قال: حدثني أبو العيناء، قال: كان لعبد الصمد بن المعذل صديقٌ يعاشره ويأنس به، فتزوج إليه أمير البصرة، وكان من ولد سليمان بن علي، فنبل الرجل وعلا قدره، وولاه المتزوج إليه عملاً، فكتب إليه عبد الصمد:

أحلت عما عهدت من أدبك أم نلت ملكاً فتهت في كتبك
أم هل ترى أن في مناصفة الإخ وان نقصاً عليك في حسبك
أم كان ما كان منك عن غضبٍ فأي شيء أدناك من غضبك
إن جفاءً كتاب ذي ثقة يكون في صدره وأمتع بك
كيف بإنصافنا لديك وقد شاركت آل النبي في نسبك
قل للوفاء الذي تقدره نفسك عندي مللت من طلبك
أتعبت كفيك في مواصلتي حسبك ماذا كفيت من تعبك

فأجابه صديقه:

كيف يحول الإخاء يا أملي وكل خيرٍ أنال من نسبك
إن يك جهلٌ أتاك من قبلي فامنن بفضلٍ علي من أدبك
أنكرت شيئاً فلست فاعله ولا تراه يخط في كتبك

حدثني الأخفش، قال: حدثنا المبرد، قال: كان لعبد الصمد بن المعذل صديقٌ كثير الكذب، كان معروفاً بذلك، فوعده وعداً فأخلفه، ومطله به مطلاً طويلاً، فقال عبد الصمد:

لي صاحبٌ في حديثه البركة ... يزيد عند السكون والحركة

لو قال لا في قليل أحرفها ... لردها بالحروف مشتبكة

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني سوار بن أبي شراعة، قال: كان يحيى بن عبد السميع الهاشمي يعاشر عبد الصمد بن المعذل، ويجتمعان في دار رجلٍ من بني المنجاب له جاريةٌ مغنيةٌ، وكان ينزل رحبة المنجاب بالبصرة، ثم استبد بها الهاشمي دون عبد الصمد، فقال فيهم عبد الصمد:

قل ليحيى مللت من أحبابي ... فلينكهم ما شاء من أصحابي

قد تركنا تعشق المرد لما ... أن بلونا تنعم العزاب

وشنئنا المؤاجرين فملنا ... بعد خبرٍ إلى وصال القحاب

حبذا قينةٌ لأهل بني المن ... جاب حلت في رحبة المنجاب

صدقت إذ يقول لي خلق الأح ... راح ليس الفقاح للأزباب

حبذا تلك إذ تغنيك يا يح ... يى وتسقيك من ثنايا عذاب

ذكر القلب ذكرةً أم زيدٍ ... والمطايا بالسهب سهب الركاب

حبذا إذ ركبتها فتجافت ... تتشكى إليك عند الضراب

وتغنت وأنت تدفع فيها ... غير ذي خيفة لهم وارتقاب

إن جنبي عن الفراش لناب ... كتجافي الأسر فوق الظراب

ليت شعري هل أسمعن إذا ما ... زاح عني وساوس الكتاب

من فتاةٍ كأنها خوط بانٍ ... مج فيها النعيم ماء الشباب

إذ تغنيك خلف سجفٍ رقيق ... نعماتٍ تحبها بصواب

شف عنها محقق جنديٌ ... فهي كالشمس من خلال سحاب

رب شعرٍ قد قلته بتباهٍ ... ويغرى به ذوو الألباب

قد تركت الملحنين إذا ما ... ذكروه قاموا على الأذناب

قال: وشاعت الأبيات بالبصرة، فامتنع مولى الجارية من معاشرة الهاشمي، وقطعه بعد ذلك.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وأحمد بن يحيى بن علي بن يحيى، قال: حدثنا الحسن بن عليلٍ العنزي، قال:

حدثني أحمد بن صالح الهاشمي، قال: كان الحسين بن عبد الله بن العباس بن جعفر بن سلمان مائلاً إلى عبد الصمد بن المعذل، وكان عبد الصمد يهجو هشاماً الكرنباني، فجرى عن ابني هشام الكرنباني - وهو أبو وائلة وإبراهيم - وبين الحر بن عبد الله، لحاءٌ في أمر عبد الصمد، لأنهما ذكراه وسباه، فامتعض له الحسين وسبهما عنه، فرميا الحسين بابن المعذل، ونسباه إلى أن عبد الصمد يرتكب القبيح، وبلغ الحسين ذلك، فلقيهما في سكة المربد، فشد عليهما بسوطه وهو راكب، فضربهما ضرباً مبرحاً، وأفلت أبو وائلة، ووقع سبيب السوط في عين إبراهيم، فأثر فيها أثراً قبيحاً، فاستعان بمشيخةٍ من آل سليمان بن علي، وهرب أبو وائلة إلى الأمير علي بن عيسى وهو والي البصرة، فوجه معه بكاتبه ابن فراس إلى باب الحسين بن عبد الله، فطلبه وهرب حسين إلى المحدثة، فلما كان من الغد جاء حسينٌ إلى صالح إسحاق بن سليمان، وإلى ابن يحيى بن جعفر بن سليمان، ومشيخةٍ من آل سليمان، فصاروا معه إلى علي بن عيسى، وأقبل عبد الصمد بن المعذل لما رآهم، فدخل معهم لنصرة حسين، فكلموا علي بن عيسى في أمره وقام عبد الصمد، فقال: أصلح الله الأمير، هؤلاء أهلك، وأجلة أهل مصرك، تصدوا إليك في ابنهم وابن أخيهم، وهو وإن كان حدثاً لا ينبسط للحجة بحداثته، فإن ها هنا من يعبر عنه، وقد قلت أبياتاً، فإن رأى الأمير أن يأذن في إنشادها فعل. قال: قل. فأنشده عبد الصمد قوله:

يا ابن الخلائف وابن كل مباركٍ ... رأس الدعائم سابق الأغصان

إن العلوج على ابن عمك أصفقوا ... فأتوك عنه بأعظم البهتان

قرفوه عندك بالتعدي ظالما ... وهم ابتدوه بأعظم العدوان

شتموا له عرضا أغر مهذباً ... أعراضهم أولى بكل هوان

وسموا بأجسامٍ إليه مهينةٍ ... وصلت بألأم أذرع وبنان

خلقت لمد القلس لا لتناولٍ ... عرض الشريف ولا لمد عنان

لم يحفظوا قرباه منك فينتهوا ... إذ لم يهابوا حرمة السلطان

أيذل مظلوماً وجدك جده ... كيما يعز بذله علجان

وينال أقلف كربلاء بلاده ... ذل ابن عم خليفة الرحمن

إني أعيذك أن تنال بك التي ... تطغى العلوج بها على عدنان

فدعا عليٌ بن عيسى حسيناً، فضمه إليه، فقال: انصرف مع مشايخك. ودعا بهشام الكرنباني وابنيه، فعذلهم في أمره، ثم أصلح بينهم بعد ذلك.

أخبرني علي بن سليمان، قال: حدثنا محمد بن يزيد، قال: كان عبد الصمد بن المعذل يعاشر عبد الله بن المسيب ويألفه، فبلغه أن اغتابه يوماً وهو سكران، وعاب شيئاً أنشده من شعره، فقال فيه وكتب بها إليه:

عتبي عليك مقارن العذر ... قد زال عند حفيظتي صبري
لك شافعٌ مني إلي فما ... يقضي عليك بهفوةٍ فكري
لما أتاني ما نطقت به ... في السكر قلت جناية السكر
حاشا لعبد الله يذكرني ... مستعذباً بنقيصتي ذكري
إن عاب شعري أو تحيفه ... فليهنه ما عاب من شعري
يا ابن المسيب قد سبقت بما ... أصبحت مرتهناً به شكري
فمتى خمرت فأنت في سعةٍ ... ومتى هفوت فأنت في عذر
ترك العتاب إذا استحق أخٌ ... منك العتاب ذريعة الهجر

أخبرني الأخفش، قال: حدثنا المبرد، قال: دعا عبد الصمد بن المعدل شروين المغني، وكان محسناً متقدماً في صناعته، فتعالل عليه ومضى إلى غيره، فقال عبد الصمد، والله لأسمنه ميسماً لا يدعوه بعده أحدٌ بالبصرة إلا بعد أن يبذل عرضه وحريمه. فقال فيه:

من حل شروين له منزلا ... فلتنهه الأولى عن الثانية
فليس يدعوه إلى بيته ... إلا فتًى في بيته زانية

فتحاماه أهل البصرة حتى اضطر إلى أن خرج إلى بغداد وسر من رأى.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وأحمد بن العباس العسكري، قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثنا الفضل بن أبي جرزة، قال: كان أبو قلابة الجرمي وعبد الصمد بن المعذل وعبد الله بن محمد بن أبي عيينة المهلبي أرادوا المسير إلى بيت بحرٍ البكراوي، وكانت له جاريةٌ مغنية، يقال لها: جبلة، وكان أبو رهم إليها مائلاً يتعشقها، ثم اشتراها بعد ذلك فلما أرادوا الدخول إليها وافاهم أبو رهم، فأدخلوه وحده وحجبوهم، فانصرفوا إلى بستان ابن أبي عيينة، فقال أبو قلابة: لا بد أن نهجو أبا رهم. فقالوا: قل. فقال:

ألا قل لأبي رهمٍ ... سيهوى نعتك الوصف
كما حالفك الغي ... كذا جانب الظرف
أتانا أنه أهدى ... إلى بحرٍ من الشغف
حزيمات من الصير ... فهلا معه رغف
فنادوا اقسمي فينا ... فقد جاءكم اللطف

فقال له عبد الصمد: سخنت عينك أيشٍ هذا الشعر، بمثل هذا يهجى من يراد به الفضيحة. فقال أبو قلابة: هذا الذي حضرني، فقل أنت ما يحضرك. فقال: أفعله وأجود. فكان هذا سبب هجاء عبد الصمد أبا رهم، وأول قصيدةٍ هجاه بها قوله:

دعوا الإسلام وانتحلوا المجوسا ... وألقوا الريط واشتملوا القلوسا

بني العبد المقيم بنهر تيري ... لقد أنهضت طيركم نحوسا

حرامٌ أن يبيت لكم نزيلٌ ... فلا يمسي بأمكم عروسا

إذا ركد الظلام رأت عسيلاً ... يحث على نداماه الكؤسا

ويذكرهم أبو رهم بهجوٍ ... فيستدعي إلى الحرم النفوسا

ويخليهم هشامٌ بالغواني ... ويحمي الفضل بينهم الوطيسا

فتسمع في البيوت لهم هبيباً ... كما أهملت في الزرب التيوسا

لقد كان الزناة بلا رئيس ... فقد وجد الزناة بهم رئيسا

هم قبلوا الزناء وأنشؤوه ... وهم وسموا بجبهته حبيسا

لئن لم تنف دعوتهم سدوسٌ ... لقد أخزى الإله بهم سدوسا

وقال فيه:

لو جاد بالمال أبو رهم ... كجوده بالأخت والأم

أضحى وما يعرف مثلٌ له ... وقيل أسخى العرب والعجم

من بر بالحرمة إخوانه ... أحق أن يشكر بالشتم

وله فيه من قصيدة طويلة:

هو والله منصفٌ ... زوجه زوج زوجته

يقسم الأير عادلا ... بين حرها وفقحته

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا العتري، قال: حدثني أبو الفضل بن عبدان، قال: خرج عبد الصمد بن المعذل مع أهله إلى نزهة وقال:

قد نزلنا بروضةٍ وغديرٍ ... وهجرنا القصر المنيف المشيدا

بعريشٍ ترى من الزاد فيه ... زكرتي خمرةٍ وصقراً صيودا

وغريرين يطربان الندامى ... كلما قلت أبدياً وأعيدا

غنياني فغنياني بلحن سلس الرجع يصدع الجلمودا
لا ذعرت السوام في فلق ال صبح مغيراً ولا دعيت يزيدا
حي ذا الزور وانهه أن يعودا إن بالباب حارسين قعودا
من يزرنا يجد شوء حبارى وقديراً رخصاً وخمراً عتيدا
وكراماً معذلين وبيضاً خلعوا العذر يسحبون البرودا
لست عن ذا بمقصرٍ ما جزائي قربت لي كريمةٌ عنقودا

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرد، قال: نظر عبد الصمد بن المعذل إلى الأفشين بسر من رأى وهو غلامٌ أمرد، وكان من أحسن الناس، وهو واقفٌ على باب الخليفة مع أولاد القواد، فأنشدنا لنفسه فيه، قال:

أيها اللاحظي بطرفٍ كليل هل إلى الوصل بيننا من سبيل
علم الله أنني أتمنى زورةً منك عند وقت المقيل
بعد ما قد غدوت في القرطق الجو ن تهادى وفي الحسام الصقيل
وتكفيت في المواكب تختا ل عليها تميل كل مميل
وأطلت الوقوف منك ببا ب القصر تلهو بكل قال وقيل
وتحدثت في مطاردة الصي د بخبرٍ به ورأى أصيل
ثم نازعت في السنان وفي الرم ح وعلم بمرهفات النصول
وتكلمت في الطراد وفي الطع ن ووثبٍ على صعاب الخيول
فإذا ما تفرق القوم أقبل ت كريحانةٍ دنت لذبول
قد كساك الغبار منه رداءً فوق صدغ وجفن طرفٍ كحيل
وبدت وردة القسامة من خ دك في مشرقٍ نقي أسيل
ترشح المسك منه سالفة الظب ي وجيد الأدمانة العطبول
فأسوف الغبار ساعة ألقا ك برشف الخدين والتقبيل
وأحل القباء والسيف من خص رك رفقاً باللطف والتعليل
ثم تؤتى بما هويت من التش ريف عندي والبر والتبجيل
ثم أجلوك كالعروس على الشر ب تهادى في مجسد مصقول

ثم أسقيك بعد شربي من ري قك كأساً من الرحيق الشمول
وأغنيك إن هويت غناءً غير مستكرهٍ ولا مملول
لا يزال الخلخال فوق الحشايا مثل أثناء حيةٍ مقتول
فإذا ارتاحت النفوس اشتياقاً وتمنى الخليل قرب الخليل
كان ما كان بيننا لا أسمي ه ولكنه شفاء الغليل

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني الحسن بن عليل العنزي والمبرد وغيرهما، قالوا: كانت متيم جاريةً لبعض وجوه أهل البصرة، فعلقها عبد الصمد بن المعذل، وكانت لا تخرج إلا منتقبةً، فخرج عبد الصمد يوماً إلى نزهةٍ، وقدمت متيم إلى عبيد الله بن الحسن بن أبي الحر القاضي، فاحتاج إلى أن يشهد عليها، فأمرها بأن تسفر، فلما قدم عبد الصمد قيل له: لو رأيت متيم وقد أسفرها القاضي لرأيت شيئاً حسناً لم ير مثله. فقال عبد الصمد قوله:

ولما سرت عنها القناع متيمٌ تروح منها العنبري متيما
رأى ابن عبيد الله محكمٌ عليها لها طرفا عليه محكما
وكان قديماً كالح الوجه عابساً فلما رأى منها السفور تبسما
فإن يصب قلب العنبري فقبله صبا باليتامى قلب يحيى بن أكثما

فبلغ قوله يحيى بن أكثم، فكتب إليه: عليك لعنة الله، أي شيء أردت مني حتى أتاني شعرك من البصرة؟ فقال لرسوله: قل له: متيم أقعدتك على طريق القافية! أخبرني عمي، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثني عبد الله بن أحمد العبدي، قال: حدثني الأنيسي، قال:

كنت عند إسحاق بن إبراهيم وزاره أحمد بن المعذل، وكان خرج من البصرة على أن يغزو، فلما دخل على إسحاق بن إبراهيم أنشده:

أفضلت نعمي على قومٍ رعيت لهم حقاً قديماً من الود الذي درسا
وحرمة القصد بالأمال إنهم أتوا سواك فما لاقوا به أنسا
لأنت أكرم منه عند رفعته قولاً وفعلاً وأخلاقاً ومغترسا

فأمر له بخمسمائة دينارٍ، فقبضها ورجع إلى البصرة، وكان خرج عنها ليجاور في الثغر، وبلغ عبد الصمد خبره، فقال فيه:

يرى الغزاة بأن الله همته وإنما كان يغزو كيس إسحاق
فباع زهداً ثواباً لا نفاد له وابتاع عاجل رفد القوم بالباقي

فبلغ إسحاق بن إبراهيم قوله، فقال: قد مسنا أبو السم عبد الصمد بشيءٍ من هجائه. وبعث إليه بمائة دينار، فقال له موسى بن صالح: أبى الأمير إلا كرماً وظرفاً.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثنا الحسن بن عليلٍ، قال: حدثني الحسن الأسدي، قال: قدم أبو نبقة من البحرين وقد أهدى إلى قوم من أهل البصرة هداياه، ولم يهد إلى عبد الصمد شيئاً فكتب إليه:

أما كان في قسب اليمامة والتمر ... وفي أدم البحرين والنبق الصفر

ولا في مناديل قسمت طريفها ... وأهديتها حظٌ لنا يا أبا بكر

سرت نحو أقوامٍ فلا هنأتهم ... ولم ينتصف منها المقل ولا المثري

أأنت إلى طالوت ذي الوفر والغنى ... وآل أبي حرب ذوي النشب الدثر

ولم تأتني ولا الرياشي تمرةٌ ... غصصت بباقي ما ادخرت من التمر

ولم يعط منها النهشلي إداوةً ... تكون له في القيظ ذخراً مدى الدهر

أقول لفتيانٍ طويت لطيهم ... عرى البيد منشور المخافة والذعر

لئن حكم السدري بالعدل فيكم ... لما أنصف السدري في ثمر السدر

لئن لم تكن عيناك عذرك لم تكن ... لدينا بمحمودٍ ولا ظاهر العذر

أخبرنا الحسن بن عليلٍ، قال: حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي، قال: وقع بين أبي وبين عبد الصمد بن المعذل تباعدٌ، فهجاه ونسبه إلى الشؤم، وكان يقال ذلك في عبد الصمد، فقال فيه:

يقول ذوو التشؤم ما لقينا ... كما لقي ابن سهلٍ من يزيد

أتته منية المأمون لما ... أتاه يزيد من بلدٍ بعيد

فصير منه عسكره خلاءً ... وفرق عنه أفواج الجنود

فقلت لهم وكم مشؤوم قوم ... أباد لهم عديداً من عديد

رأيت ابن المعذل يال عمرو ... بشؤم كان أسرع في سعيد

فمنه موت جلة آل سلم ... ومنه قض آجام البريد

ولم ينزل بدارٍ ثم يمسي ... ولما يتسمع لطم الخدود

وكل مديح قومٍ قال فيهم ... فإن بعقبه يا عين جودي

إذا رجلٌ تسمع منه مدحاً ... تنسم منه رائحة الصعيد

فلو حصف الذين يبيح فيهم ... أثاروا منه رائحة الطريد

فليس العز يمنه منه شؤماً ولا عتباً بأبواب الحديد

حدثني الأخفش، قال: حدثنا المبرد، قال: مر أحمد بن المعذل بأخيه عبد الصمد وهو يخطر، فأنشأ يقول:

إن هذا يرى أرى أنه ابن المهلب

أنت والله معجبٌ ولنا غير معجب

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا أبي وغيره، وحدثني به بعض آل المعذل، قال: مر عبد الصمد بن المعذل بغلام يقال له: المغيرة، حسن الصوت حسن الوجه، وهو يقرأ ويقول القصائد، فأعجب به، وقال فيه:

أيها الرافع في المس جد بالصوت العقيره

قتلتني عينك النج لاء والقتل كبيره

أيها الحكام أنتم فاصلو حكم العشيره

أحلالاً ما بقلبي صنعت عينا مغيره

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا زكريا بن مهران بن يحيى، قال: جاءنا عبد الصمد بن المعذل إلى منزل محمد بن عمر الجرجرائي، فأنشدنا قصيدةً له في صفة الحمى، فقال لي محمد بن عمر: امض إلى منزل عبد الصمد حتى تكتبها. فمضيت إليه حتى كتبتها، وهي:

هجرت الصبا ايما هجره وعفت الغواني والخمره

طوتني عن وصلها سكره بكأس الضنا ايما سكره

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني عبد الله بن يزيد الكاتب، قال: جمع بين أبي تمام الطائي وبين عبد الصمد بن المعذل مجلسٌ، وكان عبد الصمد سريعاً في قول الشعر، وكان في أبي تمام إبطاء، فأخذ عبد الصمد القرطاس وكتب فيه:

أنت بين اثنتين تبرز للنا س وكلتاهما بوجهٍ مذال

لست تنفك طالباً لوصلٍ من حبيبٍ أو طالباً لنوال

أي ماء لحر وجهك يبقى بين ذل الهوى وذل السؤال

قال: فأخذ أبو تمامٍ القرطاس وخلا طويلاً، وجاء به وقد كتب فيه:

أفي تنظم قول الزور والفند وأنت أبرز من لا شيء في العدد

أشرجت قلبك من بغضي على حرق كأنها حركات أروح في الجسد

فقال له عبد الصمد: يا ماص بظر أمه، يا غث، أخبرني عن قولك أنزر من لا شيء، واخبرني عن قولك اشرحت قلبك، قلبي مفرشٌ أو عيبة أو حرجٌ فأشرحه، عليك لعنة الله فما رأيت أغث منك. فانقطع أبو تمامٍ انقطاعاً ما يرى أقبح منه، وقام فانصرف، وما راجعه بحرف.

قال أبو الفرج الأصبهاني: كان في ابن مهرويه تحاملٌ على أبي تمامٍ لا يضر أبا تمامٍ هذا منه، وما أقل ما يقدح مثل هذا في مثل أبي تمام.

أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعي، قال: حدثني العنزي، قال: كان عبد الصمد بن المعذل يستثقل رجلاً من ولد جعفر بن سليمان بن علي يعرف بالفراش، وكان له ابنٌ أثقل منه، وكانا يفطران عند المنذر بن عمرو - وكان يخلف بعض أمراء البصرة - وكان الفراش هذا يصلي به، ثم يجلس فيفطر وهو وابنه عنده، فلما مضى شهر رمضان انقطع ذلك عنهما، فقال عبد الصمد بن المعذل:

غدر الزمان وليته لم يغدر ... وحدا بشهر الصوم فطر المفطر

وثوت بقلبك يا محمد لوعةٌ ... تمري بوادر دمعك المتحدر

وتقسمتك صبابتان لبينه ... أسف المشوق وخلة المتفكر

فاستبق عينك واحش قلبك يأسه ... واقر السلام على خوان المنذر

سقياً لدهرك إذ تروح يومه ... والشمس في علياء لم تتهور

حتى تنيخ بكلكل متزاورٍ ... وتمد بلعوماً قموص الحنجر

وترود منك على الخوان أناملٌ ... تدع الخوان سراب قاعٍ مقفر

ويح الصحاف من ابن فراش إذا ... أنحى عليها كالهزبر الهيصر

ذو دربة طبٌ إذا لمعت له ... بشر الخوان بدا بحل المئزر

ود ابن فراش وفراشٌ معاً ... لو أن شهر الصوم مدة أشهر

يزرى على الإسلام قلة صبره ... وتراه يحمد عدة المتنصر

لا تهلكن على الصيام صبابةً ... سيعود شهرك قابلاً فاستبشر

لا در درك يا محمد من فتى ... شين المغيب وغير زين المحضر

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني محمد البصري وكان جاراً لعبد الصمد بن المعذل، قال: كان يزيد بن محمد المهلبي يعادي عبد الصمد ويهاجيه ويسابه، ويرمي كل واحد منهما صاحبه بالشؤم. وكان يزيد بالبصرة وأبوه يتولى نهر تيرى ونواحيها، فقال عبد الصمد يهجوه:

أبوك أمير قرية نهر تيرى ... ولست على نسائك بالأمير

وأرزاق العباد على آله لهم وعليك أرزاق الأيور

فكم من رزق ربك من فقيرٍ وما في أهل رزقك من فقير

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن، قال: حدثني أحمد بن منصور، قال: شرب علي بن عيسى بن جعفر وهو أمير البصرة الدهن، فدخل إليه عبد الصمد بن المعذل بعد خروجه عنه، فأنشده قوله:

بأيمن طائرٍ وأسر فال وأعلى رتبةٍ وأجل حال

شربت الدهن ثم خرجت عنه خروج المشرفي من الصقال

تكشف عنك ما عانيت عنه كما انكشف الغمام عن الهلال

وقد أهديت ريحاناً طريفا به حاجيت مستمعا سؤالي

وما هو غير ياءٍ بعد حاء وقد سبقا بميم قبل دال

وريحان الشباب يعيش يوماً وليس يموت ريحان المقال

ولم يك مؤثراً تفاح شمٍّ على تفاح أسماع الرجال

أخبرني جحظة، قال: حدثني ميمون بن مهران، قال: حدثني أحمد بن المغيرة العجلي، قال: كنت عند أبي سهل الإسكافي وعنده عبد الصمد بن المعذل، فرفع إليه رجلٌ رقعة، فقرأها فإذا فيها:

هذا الرحيل فهل في حاجتي نظر أو لا فاعلم ما آتي وما أذر

فدفعها إلى عبد الصمد، وقال: الجواب عليك. فكتب فيها:

النفس تسخو ولكن يمنع العسر والحر يعذر من بالعسر يعتذر

ثم قال عبد الصمد لعلي بن سهل: هذا الجواب قولاً، وعليك أعزك الله الجواب فعلاً، ونجح سعي الآمل حقٌ واجب على مثلك. فاستحيا وأمر للرجل بمائة دينار.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وعلي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد الأزدي، قال: كان لابن المعذل ابنٌ ثقيلٌ تياهٌ الذهاب بنفسه، وكان مبغضاً عند أهل البصرة، فمر يوماً بعمه عبد الصمد، فلما رآه قال لمن معه:

إن هذا يرى أرى أنه ابن المهلب

أنت والله معجبٌ ولنا غير معجب

قال: وقال فيه أيضاً:

لو كان يعطى المنى الأعمام في ابن أخٍ أصبحت في جوف قرقورٍ إلى الصين
قد كان هماً طويلاً لا يقام له لو كان رؤيتنا إياك في الحين
فكيف بالصبر إذ أصبحت أكثر في مجال أعيننا من رمل يبرين
يا أبغض الناس في عسر وميسرةٍ وأقذر الناس في دنيا وفي دين
لو شاء ربي لأضحى واهباً لأخي بمد تكلك أجراً غير ممنون
وكان خيراً له لو كان مؤتزرا في السالفات على غرمول عنين
وقائلٍ لي ما أضناك قلت له شخصٌ ترى وجهه عيني فيضنيني
إن القلوب لتطوى منك يا ابن أخي إذا رأتك على مثل السكاكين
أتتك العيس تنفخ في براها تكشف عن مناكبها القطوع
بأبيض من أمية مضرحيٍّ كأن جبينه سيفٌ صنيع

الشعر لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص، والغناء لابن المهربد، رمل بالبنصر عن الهشامي. والله أعلم.

أخبار عبد الرحمن ونسبه

هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وأمه أم أخيه مروان، آمنة بنت صفوان بن أمية بن محرث بن شق بن رقبة بن مخدج من بني كنانة. ويكنى عبد الرحمن أبا مطرف، شاعر إسلامي متوسط الحال في شعراء زمانه، وكان يهاجى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فيقاومه وينتصف كل واحدٍ منهما من صاحبه.

أخبرني محمد بن العباس العسكري قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، عن العمري، عن العتبي والهيثم بن عدي، عن صالح بن حسان.

وأخبرني به عمي عن الكراني، عن العمري، عن الهيثم، عن صالح بن حسانٍ قال: قدم عبد الرحمن بن الحكم على معاوية بن أبي سفيان، وقد عزل أخاه مروان عن الحجاز وولى سعيد بن العاص، وكان مروان وجه به وقال له: القه أمامي فعاتبه لي واستصلحه. وقال عمي في خبره: كان عبد الرحمن بدمشق، فلما بلغه خبر أخيه خرج إليه فتلقاه، وقال له: أقم حتى أدخل إلى الرجل، فإن كان عزلك عن موجدة دخلت إليه منفرداً. وإن كان عن غير موجدة دخلت إليه مع الناس. قال: فأقام مروان ومضى عبد الرحمن أمامه، فلما قدم عليه دخل إليه وهو يعشي الناس، فأنشأ يقول:

أتتك العيس تنفخ في براها تكشف عن مناكبها القطوع

بأبيض من أمية مضرحي كأن جبينه سيفٌ صنيع

فقال معاوية: أزائراً جئت أم مفاخراً أم مكاثراً؟ فقال: أي ذلك شئت. فقال له: ما أشاء من ذلك شيئاً، وأراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذي عن له، فقال: على أي الظهر أتيتنا؟ قال: على فرسي. قال: وما وصفته؟ قال: أجشٌ هزيم، يعرض بقول النجاشي له:

ونجى ابن حربٍ سابحٌ ذو علالة أجش هزيم والرماح دواني

إذا خلت أطراف الرماح تناله مرته به الساقان والقدمان

فغضب معاوية: وقال: أما إنه لا يركبه صاحبه في الظلم إلى الريب، ولا هو ممن يتسور على جاراته ولا يتوثب على كنائنه بعد هجعة الناس - وكان عبد الرحمن يتهم بذلك في امراة أخيه - فخجل عبد الرحمن وقال: يا أمير المؤمنين، وما حملك على عزل ابن عمك، ألجنايةٍ أوجبت سخطاً، أم لرأي رأيته، وتدبيرٍ استصلحته؟ قال: لتدبير استصلحته. قال: فلا بأس بذلك، وخرج من عنده فلقي أخاه مروان، فأخبره بما جرى بينه وبين معاوية، فاستشاط غيظاً، وقال لعبد الرحمن: قبحك الله، ما أضعفك، أعرضت للرجل بما أغضبه حتى إذا انتصف منك أحجمت عنه؟ ثم لبس حلته، وركب فرسه، وتقلد سيفه، ودخل على معاوية، فقال له حين رآه وتبين الغضب في وجهه: مرحباً بأبي عبد الملك، لقد زرتنا عند اشتياقٍ منا إليك. قال: لاها الله ما زرتك لذلك، ولا قدمت عليك فألفيتك إلا عاقاً قاطعاً، والله ما أنصفتنا ولا جزيتنا جزاءنا. لقد كانت السابقة من بني شمس لآل أبي العاص، والصهر برسول الله صلى الله عليه وسلم لهم، والخلافة فيهم، فوصلوكم يا بني حرب وشرفوكم، وولوكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم، حتى إذا وليتم وأفضى الأمر إليكم، أبيتم إلا أثرة وسوء صنيعة، وقبح قطيعة، فرويداً رويداً، قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيفاً وعشرين، وإنما هي أيامٌ قلائل حتى يكملوا أربعين ويعلم امرؤٌ أين يكون منهم حينئذٍ، ثم هم للجزاء بالحسنى وبالسوء بالمرصاد.

قال عمي في خبره: فقال له معاوية: عزلتك لثلاثٍ لو لم يكن منهن إلا واحدةٌ لأوجبت عزلك: إحداهن إني أمرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما، فلم تستطع أن تشتفي منه. والثانية كراهتك لأمر زياد. والثالثة أن ابنتي رملة استعدتك على زوجك عمرو بن عثمان فلم تعدها. فقال له مروان: أما ابن عامرٍ فإني لا أنتصر في سلطاني، ولكن إذا تساوت الأقدام علم أين موقعه. وأما كراهتي أمر زياد فإن سائر بني أمية كرهوه، ثم جعل الله لنا في ذلك الكره خيراً كثيراً. وأما استعداء رملة على عمرو فوالله إن لتأتي علي سنةٌ أو أكثر وعندي بنت عثمان فما أكشف لها ثوباً - يعرض بأن رملة إنما تستعدي عليه طلباً للنكاح - فقال له معاوية: يا ابن الوزغ، لست هناك. فقال له مروان: هو ذاك الآن، والله إني لأبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة، وقد كاد ولدي أن يكملوا العدة - يعني أربعين - ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع مني! فانخزل معاوية ثم قال:

فإن آك في شراركم قليلاً فإني في خياركم كثير

بغاث الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مقلاتٌ نزور

قال: فما فرغ مروان من كلامه حتى استخذى معاوية في يده وخضع له، وقال: لك العتبى، وأنا رادك إلى عملك. فوثب مروان وقال له: كلا والله وعيشك لا رأيتني عائداً إليه أبدا. وخرج، فقال الأحنف لمعاوية: ما رأيت لك قط سقطةً مثلها، ما هذا الخضوع لمروان؟ وأي شيء يكون منه ومن بني أبيه إذا بلغوا أربعين؟ وأي شيءٍ تخشاه منهم؟ فقال له: ادن مني أخبرك بذلك. فدنا منه، فقال له: إن الحكم بن أبي العاص كان أحد من وفد مع أختي أم حبيبة لما زفت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي تولى نقلها إليه، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحد النظر إليه، فلما خرج من عنده قيل له: يا رسول الله، لقد أحددت النظر إلى الحكم! فقال: ابن المخزومية ذلك رجلٌ إذا بلغ ولده ثلاثين - أو قال: أربعين - ملكوا الأمر بعدي. فوالله لقد تلقاها مروان من عينٍ صافية. فقال له الأحنف: لا يسمعن هذا أحدٌ منك، فإنك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك، وإن يقض الله عز وجل أمراً يكن. فقال له معاوية: فاكتمها علي يا أبا بحر إذاً، فقد لعمري صدقت ونصحت.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني يعقوب بن القاسم الطلحي، قال: حدثني ثمالٌ عن أيوب بن درباس بن دجاجة قال:

شخص مروان بن الحكم ومعه أخوه عبد الرحمن، إلى معاوية، ثم ذكر نحواً من الحديث الأول، و لم يذكر فيه مخاطبة معاوية في أمرهم للأحنف، وزاد فيه: فقال عبد الرحمن في ذلك:

أتقطر آفاق السماء له دماً إذا قيل الطرف أجرد سابح

فحتى متى لا نرفع الطرف ذلةً وحتى متى تعيا عليك المنادح

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعيد قال: حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه، قال: كان عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي عند يزيد بن معاوية، وقد بعث إليه عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي عليهما السلام فلما وضع بين يدي يزيد في الطشت بكى عبد الرحمن ثم قال:

أبلغ أمير المؤمنين فلا تكن كموتر أقواسٍ وليس لها نبل

لهامٌ بجنب الطف أدنى قرابةً من ابن زياد الوغد ذي لحسب الرذل

سمية أمسى نسلها عدد الحصى وبنت رسول الله ليس لها نسل

فصاح به يزيد: اسكت يا ابن الحمقاء، وما أنت وهذا؟! أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني هارون بن معروف قال: حدثنا بشر بن السري قال: حدثنا عمر بن سعيد عن أبي مليكة قال: رأيتهم - يعني بني أمية - يتتايعون نحو ابن عباس حين نفى ابن الزبير بني أمية عن الحجاز، فذهبت معهم وأنا

غلامٌ، فلقينا رجلاً خارجاً من عنده، فدخلنا عليه، فقال له عبيد بن عمير، ما لي أراك تذرف عيناك؟ فقال له: إن هذا - يعني عبد الرحمن بن الحكم - قال بيتاً أبكاني، وهو:

وما كنت أخشى أن ترى الذل نسوتي ... وعبد مناف لم تغلها الغوائل

فذكر قرابة بيننا وبين بني عمنا بني أمية، وإنا إنما كنا أهل بيتٍ واحد في الجاهلية، حتى جاء الإسلام فدخل الشيطان بيننا أيما دخل.

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري عن الهيثم قال: حدثني أخي عباسٌ: أن عبد الرحمن بن الحكم كان يولع بجاريةٍ لأخيه مروان يقال لها شنباء ويهيم بمحبتها، فبلغ ذلك مروان، فشتمه وتوعده وتحفظ منه في أمر الجارية وحجبها، فقال فيها عبد الرحمن:

لعمر أبي شنباء إني بذكرها ... وإن شحطت دار بها لحقيق

وإني لها، لا ينزع الله ما لها ... علي وإن لم ترعه لصديق

ولما ذكرت الوصل قالت وأعرضت ... متى أنت عن هذا الحديث مفيق

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا الخليل بن أسد عن العمري، ولم أسمعه من العمري، عن الهيثم بن عدي قال: لما ادعى معاوية زياداً قال عبد الرحمن بن الحكم في ذلك - والناس ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه إلى زياد، وذلك غلط - قال:

إلا أبلغ معاوية بن حربٍ ... مغلغلةً من الرجل الهجان

أتغضب أن يقال أبوك عفٌ ... وترضى أن يقال أبوك زان

فأشهد إن رحمك من زيادٍ ... كرحم الفيل من ولد الأتان

وأشهد أنها ولدت زياداً ... وصخرٌ من سمية غير داني

فبلغ ذلك معاوية بن حرب، فحلف ألا يرضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنه زياد، فخرج عبد الرحمن إلى زياد، فلما دخل عليه قال له: إيه يا عبد الرحمن، أنت القائل:

ألا أبلغ معاوية بن حربٍ ... مغلغلةً من الرجل الهجان

قال: لا أيها الأمير، ما هكذا قلت، ولكني قلت:

ألا من مبلغ عني زياداً ... مغلغلةً من الرجل الهجان

من ابن القرم قرم بني قصي ... أبي العاصي بن آمنة الحصان

حلفت برب مكة والمصلى ... وبالتوراة أحلف والقرآن

لأنت زيادةٌ في آل حرب ... أحب إلي من وسطى بناني

سررت بقربه وفرحت لما | أتاني الله منه بالبيان
وقلت له أخو ثقةٍ وعمٌّ | بعون الله في هذا الزمان
كذاك أراك والأهواء شتى | فما أدري بغيبٍ ما تراني

فرضي عنه زيادٌ، وكتب له بذلك إلى معاوية، فلما دخل عليه بالكتاب قال: أنشدني ما قلت لزياد. فانشده، فتبسم ثم قال: قبح الله زياداً، ما أجهله، والله لما قلت له أخيراً حيث تقول: لأنت زيادة في آل حرب شر من القول الأول، ولكنك خدعته فجازت خديعتك عليه.

هجاء عبد الرحمن لأخيه

الحارث حين استعفى من الغزو

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: استعمل معاوية بن أبي سفيان الحارث بن الحكم بن أبي العاصي على غزاة البحر، فنكص واستعفى، فوجه مكانه ابن أخيه عبد الملك بن مروان، فمضى وأبلى وحسن بلاؤه، فقال عبد الرحمن بن الحكم لأخيه الحارث:

شنئتك إذ رأيتك حوتكيا | قريب الخصيتين من التراب
كأنك قملة لقحت كشافاً | لبرغوث ببعرة أو صوأب
كفاك الغزو إذا أحجمت عنه | حديث السن مقتبل الشباب
فليتك حيضة ذهبت ضلالاً | وليتك عند منقطع السحاب

هجاؤه لمروان حين أعدي عليه الحناط

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: لطم عبد الرحمن بن الحكم مولى لأهل المدينة حناطاً، وأخوه مروان يومئذ وال لأهل المدينة، فاستعداه الحناط عليه، فأجلسه مروان بين يديه وقال له: الطمه - وهو أخو مروان لأبيه وأمه - فقال الحناط: والله ما أردت هذا، وإنما أردت أن أعلمه أن فوقه سلطاناً ينصرني عليه، وقد وهبتها لك. قال: لست أقبلها منك فخذ حقك. فقال: والله لا ألطمه، ولكني أهبها لك. فقال له مروان: إن كنت ترى أن ذلك يسخطني فوالله لا أسخط، فخذ حقك. فقال: قد وهبتها لك، ولست والله لاطمه. قال: لست والله قابلها، فإن وهبتها فهبها لمن لطمك، أو لله عز وعلا. فقال: قد وهبتها لله تعالى. فقال عبد الرحمن يهجو أخاه مروان:

كل ابن أم زائد غير ناقص | وأنت ابن أم ناقص غير زائد
وهبت نصيبي منك يا مرو كله | لعمرو وعثمان الطويل وخالد

رثاؤه لقتلى قريش يوم الجمل

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال: نظر عبد الرحمن بن الحكم إلى قتلى قريش يوم الجمل فبكى، وأنشأ يقول:

أيا عين جودي بدمع سرب — على فتية من خيار العرب

وما ضرهم، غير حين النقوس، — أي أميري قريش غلب

غضب معاوية عليه ثم عفوه عنه

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثني عمر بن شبة قال: حدثني المدائني عن شيخ من أهل مكة قال: عرض معاوية على عبد الرحمن بن الحم خيله، فمر به فرس فقال له: كيف تراه؟ فقال: هذا سابح. ثم عرض عليه آخر فقال: هذا ذو علالة. ثم مر به آخر فقال: وهذا أجش هزيم. فقال له معاوية: قد علمت ما أردت، إنما عرضت بقول النجاشي في:

ونجى ابن حرب سابح ذو علالة — أجش هزيم والرماح دوان

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا — كسيد الغضى باق على النسلان

أخرج عني فلا تساكني في بلد، فلقي عبد الرحمن أخاه مروان فشكا إليه معاوية، وقال له عبد الرحمن: وحتى متى نستذل ونضام؟ فقال له مروان: هذا عملك بنفسك. فأنشأ يقول:

أتقطر آفاق السماء لنا دماً — إذا قلت هذا الطرف أجرد سابح

فحتى متى لا نرفع الطرف ذلة — وحتى متى تعيا عليك المنادح

فدخل مروان على معاوية، فقال له مروان: حتى متى هذا الاستخفاف بآل أو أبي العاصي؟ أما والله إنك لتعلم قول النبي صلى الله عليه وسلم وآله فينا، ولقل ما بقي من الأجل فضحك معاوية وقال: لقد عفوت لك عنه يأبا عبد الملك. والله أعلم بالصواب صوت

قولا لنائل ما تقضين في رجل — يهوى هواك وما جنبته اجتنبا

يمسي معي جسدي والقلب عندكم — فما يعيش إذا ما قلبه ذهبا

الشعر لمسعدة بن البختري، والغناء لعبادل، ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه لعريب ثقيل أول آخر عن ابن المعتز، ولها فيه أيضاً خفيف رمل عنه.

أخبار مسعدة ونسبه

هو مسعدة بن البختري بن المغيرة بن أبي صفرة، بن أخي المهلب بن أبي صفرة. وقد مضى نسبه متقدماً في نسب يزيد بن محمد المهلبي وابن أبي عيينة وغيرهما.

وهذا الشعر يقوله في نائلة بنت عمر بن يزيد الأسيدي وكان يهواها.

تشبيب مسعدة بنائلة

أخبرني بخبره في ذلك أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثني عيسى بن إسماعيل تينة، عن القحذمي قال: كان مسعدة بن البختري بن المغيرة بن أبي صفرة، يشبب بنائلة بنت عمر بن يزيد الأسيدي أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم ، وكان أبوها سيداً شريفاً، وكان على شرط العراق من قبل الحجاج، وفيها يقول:

أنائل إنني سلم لأهلك فاقبلي سلمى

قال القحذمي: وأم نائلة هذه عاتكة بنت الفرات بن معاوية البكائي، وأمها الملاءة بنت زرارة بن أوفى الجرشية، وكان أبوها فقيهاً محدثاً من التابعين. وقد شبب الفرزدق بالملاءة وبعاتكة ابنتها.

عاتكة بنت الفرات وما قيل فيها قال عيسى: فحدثني محمد بن سلام قال: لا أعلم أن امرأة شبب بها وبأمها وجدها غير نائلة. فأما نائلة فقد ذكر ما قال فيها مسعدة، وأما عاتكة فإن يزيد بن المهلب تزوجها؛ فقتل عنها يوم العقر، وفيها يقول الفرزدق:

إذا ما المزونيات أصبحن حسرا وبكين أشلاء على غير نائل

فكم طالب بنت الملاءة إنها تذكر ريعان الشباب المزايل

ما قيل في أمها الملاءة وفي الملاءة أمها يقول الفرزدق:

كم للملاءة من طيف يؤرقني إذا تجرثم هادي الليل واعتكرا

قصة عاتكة بنت الملاءة أخبرني الحرمي بن العلاء قال: حدثني الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله قال: خرجت عاتكة بنت الملاءة إلى بعض بوادي البصرة فلقيت بدوياً معه سمن فقالت له: أتبيع هذا السمن؟ فقال: نعم. قالت: أرناه. ففتح نحياً فنظرت إلى ما فيه، ثم ناولته إياه وقالت: افتح آخر. ففتح آخر فنظرت إلى ما فيه ثم ناولته إياه، فلما شغلت يديه أمرت جواريها فجعلن يركلن في استه وجعلت تنادي: يا لثارات ذات النحيين! قصة ذات النحيين قال الزبير: تعني ما صنع بذات النحيين في الجاهلية؛ فإن رجلاً يقال له: خوات بن جبير رأى امرأة معها نحيا سمن فقال: أريني هذا. ففتحت له أحد النحيين، فنظر إليه ثم قال: أريني الآخر. ففتحته، ثم دفعه إليها، فلما شغل يديها وقع عليها، فلا تقدر على الامتناع خوفاً من أن يذهب السمن، فضربت العرب المثل بها، وقالت أشغل من ذات النحيين فأرادت عاتكة بنت الملاءة أن هذا لم يفعله أحد من النساء برجل كما يفعله الرجل بالمرأة غيرها، وأنها ثأرت للنساء ثأرهن من الرجال بما فعلته.

ما جرى بين الملاءة وعمر بن أبي ربيعة أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: حدثنا أبو هفان عن إسحاق

الموصلي عن الزبير والمسيبي ومحمد بن سلام وغيرهم من رجاله: أن الملاءة بنت زرارة لقيت عمر بن أبي ربيعة بمكة وحوله جماعة ينشدهم، فقالت لجارية: من هذا؟ قالت: عمر بن أبي بربيعة، المنتقل من مترله من ذات وداد إلى أخرى، الذي لم يدم على وصل، ولا لقوله فرع ولا أصل، أما والله لو كنت كبعض من يواصل لما رضيت منه بما ترضين، وما رأيت أدنا من نساء أهل الحجاز ولا أقر منهن بخسف، والله لأمة من إمائنا آنف منهن! فبلغ ذلك عمر عنها، فراسلها فراسلته، فقال:

حي المنازل قد عمرن خرابا ... بين الجرين وبين ركن كسابا
بالثني من ملكان غير رسمها ... مر السحاب المعقبات سحابا
وذيول معصفة الرياح تجرها ... دققاً فأصبحت العراص يبابا
ولقد أراها مرة مأهولة ... حسناً جناب محلها معشابا
دار التي قالت غداة لقيتها ... عند الجمار فما عييت جوابا
هذا الذي باع الصديق بغيره ... ويريد أن أرضى بذاك ثوابا
قلت اسمعي مني المقال ومن يطع ... بصديقه المتملق الكذابا
وتكن لديه حباله أنشوطة ... في غير شيء يقطع الأسبابا
إن كنت حاولت العتاب لتعلمي ... ما عندنا فلقد أطلت عتابا
أو كان ذلك للبعاد فإنه ... يكفيك ضربك دونك الجلبابا
وأرى بوجهك شرق نور بين ... وبوجه غيرك طخية وضبابا

صوت

أسعداني يا نخلتي حلوان ... وارثيا لي من ريب هذا الزمان
واعلما أن ريبه لم يزل يف ... رق بين الألاف والجيران

أسعداني وأيقنا أن نحساً ... سوف يلقاكما فتفترقان
ولعمري لو ذقتما ألم الفر ... قة أبكاكما كما أبكاني
كم رمتني به صروف الليالي ... من فراق الأحباب والخلان

الشعر لمطيع بن إياس، والغناء لحكم الوادي، هزج بالوسطى عن عمرو وإلهشامي.

أخبار مطيع بن إياس ونسبه

هومطيع بن إياس الكناني. ذكر الزبير بن بكار أنه من بني الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. وذكر إسحاق الموصلي عن سعيد بن سلم أنه من بني ليث بن بكر. والديل وليث أخوان لأب وأم، أمهما أم خارجة، واسمها عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قراد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وهي التي يضرب بها المثل فيقال: أسرع من نكاح أم خارجة. وقد ولدت عدة بطون من العرب حتى لو قال قائل: إنه لا يكاد يتخلص من ولادها كبير أحد منهم كان مقارباً. فمن ولدت الديل وليث والحارث وبنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، وغاضرة بن مالك بن مالك ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، والعنبر وأسيد والهجيم، بنو عمرو بن تميم، وخارجة بن يشكر وبه كانت تكنى ابن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقيا، وهو أبو المصطلق.

نكاح أم خارجة

قال النسابون: بلغ من سرعة نكاحها أن الخاطب كان يأتيها فيقول لها: خطب، فتقول له: نكح.
وزعموا أن بعض أزواجها طلقها فرحل بها ابن لها عن حيه إلى حيها، فلقيها راكب فلما تبينته قالت لابنها: هذا خاطب لي لا شك فيه، أفتراه يعجلني أن أنزل عن بعيري ؟ فجعل ابنها يسبها.
ولا أعلم أني وجدت نسب مطيع متصلاً إلى كنانة في رواية أحد إلا في حديث أنا ذاكره؛ فإن راويه ذكر أن أبا قرعة الكناني جد مطيع، فلا أعلم أهو جده الأدنى فأصل نسبه به، أم هو بعيد منه، فذكرت الخبر على حاله.

تشاحن ابن الزبير وجد مطيع

أخبرني به عيسى بن الحسن الوراق قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدثني العمري وأبو فراس عمي جميعاً، عن شراحيل بن فراس، أن أبا قرعة الكناني، واسمه سلمى بن نوفل قال: وهو جد مطيع بن إياس الشاعر كانت بينه وبين ابن الزبير قبل أن يلي مقارضه ، فدخل سلمى وابن الزبير يخطب الناس، وكان منه وجلاً، فرماه ابن الزبير ببصره حتى جلس، فلما انصرف من المجلس دعا حرسياً فقال: امض إلى موضع كذا وكذا من المسجد، فادع لي سلمى بن نوفل. فمضى فأتاه به، فقال له الزبير: إيها أيها الضب. إني لست بالضب ولكن الضب بالضمر من صخر. قال: إيهاً أيها الذيخ . قال: إن أحداً لم يبلغ سني وسنك إلا سمي ذيخاً .
قال: إنك لها هنا يا عاض بظر أمه. قال: أعيذك بالله أن يتحدث العرب أن الشيطان نطق على فيك بما تنطق به الأمة الفسلة، وايم الله ما ها هنا داد أريده على المجلس أحد إلا قد كانت أمه كذلك.

والد مطيع بن إياس

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه قال: كان إياس بن مسلم، أبو مطيع بن إياس شاعراً، وكان قد وفد إلى نصر بن سيار بخراسان فقال فيه:

إذا ما نعالي من خراسان أقبلت وجاوزت منها مخرماً ثم مخرما

ذكرت الذي أوليتني ونشرته فإن شئت فاجعلني لشكرك سلما

جد مطيع بن إياس

فأما نسب أبي قرعة هذا فإنه سلمى بن نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر بن نفاثة بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة. ذكر ذلك المدائني. وكان سلمى بن نوفل جواداً. وفيه يقول الشاعر:

يسود أقوام وليسوا بسادة بل السيد الميمون سلمى بن نوفل

رجع الخبر إلى سياقه نسب مطيع بن إياس وأخباره

صفة مطيع وذكر نشأته

وهو شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وليس من فحول الشعراء في تلك ، ولكنه كان ظريفاً خليعاً حلو العشرة، مليح النادرة، ماجناً متهماً في دينه بالزندقة، ويكنىأبا سلمى. ومولده ومنشؤه الكوفة، و أبوه من أهل فلسطين الذين أمد بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف في وقت قتاله ابن الزبير الأشعث، فأقام بالكوفة وتزوج بها، فولد له مطيع.

صلته بالولاة والخلفاء

أخبرني بذلك الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه، وكان منقطعاً إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ومتصرفاً بعده في دولتهم، ومع أوليائهم وعمالهم وأقاربهم لا يكسد عند أحد منهم، ثم انقطع في الدولة العباسية إلى جعفر بن أبي جعفر المنصور، فكان معه حتى مات، و لم أسمع له مع أحد منهم خبراً إلا حكاية بوفوده على سليمان بن علي، وأنه ولاه عملاً. وأحسبه مات في تلك الأيام.

رأي بعض الناس فيه

حدثني عمي الحسن بن محمد، قال: حدثني محمد بن سعد الكراني عن العمري عن العتبي عن أبيه قال: قدم البصرة علينا شيخ من أهل الكوفة لم أر قط أظرف لساناً ولا أحلى حديثاً منه، وكان يحدثني عن مطيع بن إياس، ويحيى بن زياد، وحماد الراوية، وظرفاء الكوفة، بأشياء من أعاجيبهم وطرفهم، فلم يكن يحدث عن أحد بأحسن مما كان يحدثني عن مطيع بن إياس، فقلت له: كنت والله أشتهي أن أرى مطيعاً، فقال: والله لو رأيته للقيت منه بلاء عظيماً. قال: قلت: وأي بلاء ألقاه من رجل أراه؟ قلت: كنت ترى رجلاً يصبر عن العاقل إذا رآه، ولا

يصحبه أحد إلا افتضح به.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب قال: سالت رجلاً من أهل الكوفة كان يصحب مطيع بن إياس عنه فقال: لا ترد أن تسألني عنه. قلت: و لم ذاك؟ قال: وما سؤالك إياي عن رجل كان إذا حضر ملكك ، وإذا غاب عنك شاقك، وإذا عرفت بصحبته فضحك.

إعجاب الوليد بن يزيد بمطيع

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني عبد الله بن عمرو قال: حدثني أبو توبة صالح بن محمد عن محمد جبير، عن عبد الله بن العباس الربيعي قال: حدثني إبراهيم بن المهدي قال: قال لي جعفر بن يحيى: ذكر حكم الوادي، أنه غنى الوليد بن يزيد ذات ليلة وهو غلام حديث السن، فقال:

إكليلها ألوان ووجهها فتان

وخالها فريد ليس لها جيران

إذا مشت تثنت كأنها ثعبان

فطرب حتى زحف عن مجلسه إلى، وقال: أعد فديتك بحياتي. فأعدته حتى صحل صوتي ، فقال لي: ويحك، من يقول هذا؟ فقلت: عبد لك يا أمير المؤمنين أرضاه لخدمتك. فقال: ومن هو فديتك؟ فقلت: مطيع بن إياس الكناني. فقال: وأين محله؟ قلت: الكوفة. فأمر أن يحمل إليه على البريد، فحمل إليه، فما أشعر يوماً إلا برسوله قد جاءني، فدخلت إليه ومطيع بن إياس واقف بين يديه، وفي يد الوليد طاس من ذهب يشرب به، فقال له: غن هذا الصوت يا وادي. فغنيته إياه، فشرب عليه، ثم قال لمطيع: من يقول هذا الشعر؟ قال: عبدك أنا يا أمير المؤمنين. فقال له: إدن مني. فدنا منه، فضمه الوليد وقبل فاه وبين عينيه، وقبل مطيع رجله والأرض بين يديه ، ثم أدناه منه حتى جلس أقرب المجالس إليه، ثم تم يومه فاصطبح أسبوعاً متوالي الأيام على هذا الصوت.

لحن هذا الصوت هزج مطلق في مجرى البنصر، والصنعة لحكم. وقد حدثني بخبره هذا مع الوليد جماعة غير هذه الرواية، و لم يذكروا فيها حضور مطيع.

حدثني به أحمد عبيد الله بن عمار قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال: بلغني عن حكم الوادي، وأخبرني الحسين بن يحيى، ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني أحمد بن يحيى المكي عن أمه عن حكم الوادي قال: وفدت على الوليد بن يزيد مع المغنين، فخرج يوماً إلينا وهو راكب على حمار، وعليه دارعة وشيء ؛ وبيده عقد جوهر، وبين يديه كيس فيه ألف دينار، فقال: من غناني فأطربني فله ما علي وما معي. فغنوه فلم يطرب فاندفعت وأنا يومئذ أصغرهم سناً فغنيته:

إكليلها ألوان ووجهها فتان

وخالها فريد ليس له جيران

إذا مشت تثنت كأنها ثعبان

فرمى إليه بما معه من المال والجوهر ، ثم دخل فلم يلبث أن خرج إلي رسوله بما عليه من الثياب والحمار الذي كان تحته.

صحبته لجماعة من الزنادقة

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: كان مطيع بن إياس، ويحيى بن زياد الحارثي، وابن المقفع ووالبة بن الحباب يتنادمون ولا يفترقون، ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمال ولا ملك، وكانوا جميعاً يرمون بالزندقة.

صلته بعبد الله بن معاوية

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه وعمومته، أن مطيع بن إياس وعمارة بن حمزة من بني هاشم، وكان مرميين بالزندقة، نزعا إلى عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب لما خرج في آخر دولة بني أمية، وأول ظهور الدولة العباسية بخراسان، وكان ظهر على نواح من الجبل: منها أصبهان وقم ونهاوند، فكان مطيع وعمارة ينادمانه ولا يفارقانه.

قال النوفلي: فحدثني إبراهيم بن يزيد بن الخشك قال: دخل مطيع بن إياس على عبد الله بن معاوية يوماً وغلام واقف على رأسه يذب عنه بمنديل و لم يكن في ذلك الوقت مذاب، إنما المذاب عباسية قال: وكان الغلام الذي يذب أمرد حسن الصورة، يروق عين الناظر، فلما نظر مطيع إلى الغلام كاد عقله يذهب، وجعل يكلم ابن معاوية يلجلج، فقال:

إني وما أعمل الحجيج له أخشى مطيع الهوى على فرج

أخشى عليه مغامساً مرساً ليس بذي رقبة ولا حرج

ما قاله هو وعمارة في صاحب شرطة ابن معاوية أخبرني أحمد بن عبيد الله قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي قال: حدثني أبي عن عمه عيسى قال: كان لابن معاوية صاحب شرطة يقال له: قيس بن عيلان العنسي النوفلي وعيلان اسم أبيه، وكان شيخاً كبيراً دهرياً لا يؤمن بالله ، وكان إذا عس لم يبق أحد إلا قتله، فأقبل يوماً فنظر إليه ابن معاوية ومعه عمارة بن حمزة ومطيع بن إياس، قال:

إن قيساً وإن تقنع شيباً لخبيث الهوى على شمطه

أجزيا عمارة. فقال:

ابن سبعين منظراً ومشيباً وابن عشر يعد في سقطه

فأقبل على مطيع فقال: أجز. فقال:

وله شرطةٌ إذا جنه اللي ل فعوذوا بالله من شرطه

قال النوفلي: وكان مطيعٌ فيما بلغني مأبوناً، فدخل عليه قومه فلاموه على فعله، وقالوا له: أنت في أدبك وشرفك وسؤددك وشرفك ترمى بهذه الفاحشة القذرة؟ فلو أقصرت عنها! فقال: جربوه أنتم ثم دعوا إن كنتم صادقين. فانصرفوا عنه. وقالوا: قبح الله فعلك وعذرك، وما استقبلتنا به.

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا حماد عن أخيه عن النضر بن جديد قال: أخبرني أبو عبد الملك المرواني قال: حدثني مطيع بن إياس قال: قال لي حماد عجردٍ: هل لك في أن أريك خشة صديقي، وهي المعروفة بظبية الوادي؟ قلت: نعم. قال: إنك إن قعدت عنها وخبثت عينك في النظر أفسدتها علي. فقلت: لا والله لا أتكلم بكلمةٍ تسوءك. ولأسرنك. فمضى وقال: والله لا أتكلم، لئن خالفت ما قلت لأخرجنك. قال: قلت: إن خالفتَ ما تكره فاصنع بي ما أحببت. قال: امض بنا. فأدخلني على أظرف خلق الله وأحسنهم وجهاً، فلما رأيتها أخذني الزمع وفطن لي: فقال: اسكن يا ابن الزانية. فسكنت قليلاً، فلحظتني ولحظتها أخرى، فغضب ووضع قلنسيته عن رأسه، وكانت صلعته حمراء كأنها است قردٍ، فلما وضعها وجدت للكلام موضعاً فقلت:

وار السوأة السوآ ء يا حماد عن خشه

عن الأترجة الغض ة والتفاحة الهشه

فالتفت إلي، وقال: فعلتها يا ابن الزانية؟ فقالت له: أحسن والله، ما بلغ صفتك بعد، فما تريد منه؟ فقال لها: يا زانية! فقالت له: الزانية أمك! وثاورته وثاورها، فشقت قميصه، وبصقت في وجهه، وقالت له: ما تصادقك وتدع مثل هذا إلا زانية! وخرجنا وقد لقي كلٌ بلاء، وقال لي: ألم أقل لك يا ابن الزانية: إنك ستفسد علي مجلسي. فأمسكت عن جوابه، وجعل يهجوني ويسبني، ويشكوني إلى أصحابنا، فقالوا لي: اهجه ودعنا وإياه. فقلت فيه:

ألا يا ظبية الوادي وذات الجسد الراد

وزين المصر والدار وزين الحي والنادي

وذات المبسم العذب وذات الميسم البادي

أما بالله تستحيي ن من خلة حماد

فحمادٌ فتًى ليس بذي عزٍّ فتتقادي

ولا مالٍ ولا عزٍّ ولا حظٍّ لمرتاد

فتوبي واتقي الله وبتي جبل جراد

فقد ميزت بالحسن عن الخلق بإفراد

وهذا البين قد حم فجودي منك بالزاد

في الأول والثاني والسابع والثامن من هذه الأبيات لحكم الوادي رملٌ.

قال: فأخذ أصحابنا رقاعاً فكتبوا الأبيات فيها، وألقوها في الطريق، وخرجت أنا فلم أدخل إليهم ذلك اليوم، فلما رآها وقرأها قال لهم: يا أولاد الزنا، فعلها ابن الزانية، وساعدتموه علي! قال: وأخذها حكمٌ الوادي فغنى فيها، فلم يبق بالكوفة سقاءٌ ولا طحان ولامكارٍ إلا غنى فيها، ثم غنيت مدةً وقدمت، فأتاني فما سلم علي حتى قال لي: يا ابن الزانية، ويلك أما رحمتني من قولك لها:

أما بالله تستحيي ن من خلة حماد

بالله قتلتني قتلك الله! والله ما كلمتني حتى الساعة. قال: قلت: اللهم أدم هجرها له وسوء آرائها فيه، وآسفه عليها، وأغره بها! فشتمني ساعةً. قال مطيع: ثم قلت له: قم بنا حتى أمضي بك فأريك أختي. قال مطيع، فمضينا فلما خرجت إلينا دعوت قيمةً لها فأسررت إليها في أن تصلح لنا طعاماً وشراباً، وعرفتها أن الذي معي حماد. فضحكت ثم أخذت صاحبتي في الغناء، وقد علمت بموضعه وعرفته، فكان أول صوت غنت:

أما بالله تستحيي ن من خلة حماد

فقال لها: يا زانية! وأقبل علي فقال لي: وأنت يا زاني يا ابن الزانية. وشاتمته صاحبتي ساعةً، ثم قامت فدخلت، وجعل يتغيظ علي فقلت: أنت ترى أني أمرتها أن تغني بما غنت؟ قال: أرى ذلك وأظنه ظناً، لا والله، ولكني أتيقنه! فحلفت له بالطلاق على بطلان ظنه، فقالت: وكيف هذا؟ فقلت: أراد أن يفسد هذا المجلس من أفسد ذلك المجلس. فقالت: قد والله فعل. وانصرفنا.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن رجلٍ من أصحابه قال: قال يحيى بن زيادٍ الحارثي لمطيع بن إياس: انطلق بنا إلى فلانة صديقتي، فإن بيني وبينها مغاضبة، لتصلح بيننا، وبئس المصلح أنت. فدخلا إليها فأقبلا يتعاتبان، ومطيعٌ ساكت، حتى إذا أكثر قال يحيى لمطيع، ما يسكتك، أسكت الله نأمتك؟ فقال لها مطيع:

أنت معتلة عليه وما زا ل مهيناً لنفسه في رضاك

فأعجب يحيى بما سمع، وهش له مطيع:

فدعيه وواصلي ابن إياسٍ جعلت نفسي الغداة فداك

فقام يحيى إليه بوسادة في البيت، فما زال يجلد بها رأسه ويقول: ألهذا جئت بك يا ابن الزانية! ومطيع يغوث حتى مل يحيى، والجارية تضحك منهما، ثم تركه وقد سدر.

حدثني الحسن بن عليٍّ الخفاف قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال: مرض حماد عجردٍ، فعاده أصدقاؤه جميعاً إلا مطيع بن إياس، وكان خاصةً به، فكتب إليه حماد:

كفاك عيادتي من كان يرجو ثواب الله في صلة المريض

فإن تحدث لك الأيام سقماً يحول جريضه دون القريض

يكن طول التأوه منك عندي بمنزلة الطنين من البعوضأم

أخبرني محمد بن أبي الأزهر عن حمادٍ عن أبيه قال: قدم مطيع بن إياس من سفر فقدم بالرغائب، فاجتمع هو وحماد عجردٍ بصديقته ظبية الوادي، وكان عجرد على الخروج مع محمد بن أبي العباس إلى البصرة، وكان مطيعٌ قد أعطى صاحبته من طرائف ما أفاد، فلما جلسوا يشربون غنت ظبية الوادي فقالت:

أظن خليلي غدوةً سيسير وربي على أن لا يسير قدير

فما فرغت من الصوت حتى غنت صاحبة مطيع:

ما أبالي إذا النوى قربتهم ودنونا من حل منهم وساروا

فجعل مطيعٌ يضحك وحماد يشتمها.

أظن خليلي غدوةً سيسير وربي على أن لا يسير قدير

عجبت لمن أمسى محباً ولم يكن له كفنٌ في بيته وسرير

غنى في هذين البيتين إبراهيم الموصلي، ولحنه ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر، وفيهما لحنٌ يمانٍ قديمٌ خفيف رملٍ بالوسطى.

حدثني الحسن قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني إبراهيم بن المدبر عن محمد بن عمر الجرجاني قال: كان لمطيع بن إياس صديقٌ يقال له: عمر بن سعيد، فعاتبه في أمر قينةٍ يقال لها مكنونة كان مطيعٌ يهواها حتى اشتهر بها، وقال له: إن قومك يشكونك ويقولون، إنك تفضحهم بشهرتك نفسك بهذه المرأة، وقد لحقهم العيب والعار من أجلها! فأنشأ مطيع يقول:

قد لامني في حبيبتي عمر واللوم في غير كنهه ضجر

قال أفق قلت لا قال بلى قد شاع في الناس عنكما الخبر

قلت قد شاع فاعتذاري مما ليس لي فيه عندهم عذر

عجزٌ لعمري وليس ينفعني فكف عني العتاب يا عمر
وارجع إليهم وقل لهم قد أبى وقال لي لا أفيق فانتحروا
أعشق وحدي فيؤخذون به كالترك تغزو فيقتل الخزر

أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني ابن أبي أحمد عن أبي العير الهاشمي قال: حدثني أبي أن مطيع بن إياس مر بيحيى بن زيادٍ، وحماد الراوية وهما يتحدثان، فقال لهما: فيم أنتما؟ قالا: في قذف المحصنات. قال: أو في الأرض محصنة فتقذفانها؟ حدثني عيسى بن الحسن الوراق قال: حدثني عمر بن عبد الملك الزيات. وحدثنيه الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدثني محمد بن هارون قال: أخبرني الفضل بن إياس الهذلي الكوفي أن المنصور كان يريد البيعة للمهدي، وكان ابنه جعفرٌ يعترض عليه في ذلك، فأمر بإحضارالناس فحضروا، وقامت الخطباء فتكلموا، وقالت الشعراء فأكثروا في وصف المهدي وفضائله، وفيهم مطيع بن إياس، فلما فرغ من كلامه في الخطباء وإنشاده في الشعراء قال للمنصور: يا أمير المؤمنين، حدثنا فلانٌ عن فلانٍ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المهدي منا محمد بن عبد الله وأمه من غيرنا، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً". وهذا العباس بن محمدٍ أخوك يشهد على ذلك. ثم أقبل على العباس، فقال له: أنشدك الله هل سمعت هذا؟ فقال: نعم. مخافةً من المنصور، فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهدي.

قال: ولما انقضى المجلس، وكان العباس بن محمد لم يأنس به، قال: أرأيتم هذا الزنديق إذ كذب على الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم حتى استشهدني على كذبه، فشهدت له خوفاً، وشهد كل من حضر علي بأني كاذب؟! وبلغ الخبر جعفر بن أبي جعفرٍ، وكان مطيعٌ منقطعاً إليه يخدمه، فخافه وطرده عن خدمته. قال: وكان جعفرٌ ماجناً، فلما بلغه قول مطيع هذا غاظه، وشقت عليه البيعة لمحمدٍ، فأخرج أيره ثم قال: إن كان أخي محمدٌ هو المهدي فهذا القائم من آل محمدٍ.

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: كان مطيع بن إياسٍ يخدم جعفر بن أبي جعفر المنصور وينادمه، فكره أبو جعفر ذلك، لما شهر به مطيعٌ في الناس وخشي أن يفسده، فدعا بمطيع وقال له: عزمت علي أن تفسد ابني علي وتعلمه زندقتك؟ فقال: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من أن تظن بي هذا، والله ما يسمع مني إلا ما إذا وعاه جمله وزينه ونبله! فقال: ما أرى ذلك ولا يسمع منك إلا ما يضره ويغره. فلما رأى مطيعٌ إلحاحه في أمره قال له: أتؤمنني يا أمير المؤمنين عن غضبك حتى أصدقك؟ قال: أنت آمن. قال: وأي مستصلح فيه؟ وأي نهايةٍ لم يبلغها في الفساد والضلال؟ قال: ويلك، بأي شيء؟ قال: يزعم أنه ليعشق امرأةً من الجن وهو مجتهدٌ في خطبتها، وجمع أصحاب العزائم عليها، وهم يغرونه ويعدونه بها ويمنونه، فوالله ما فيه فضلٌ لغير ذلك من جدٍّ ولا هزل ولا كفر إيمان. فقال له المنصور: ويلك، أتدري ما تقول؟ قال: الحق والله أقول. فسل عن ذلك، فقال له: عد إلى صحبته واجتهد أن تزيله عن هذا الأمر، ولا تعلمه أني علمت بذلك حتى أجتهد في أزالته عنه.

أخبرني عمي قال: حدثني الكراني عن ابن عائشة قال: كان مطيع بن إياس منقطعاً إلى جعفر بن أبي جعفر المنصور، فدخل أبوه المنصور عليه يوماً، فقال لمطيع: قد أفسدت ابني يا مطيع. فقال له مطيع: إنما نحن رعيتك فإذا أمرتنا بشيءٍ فعلنا.

قال: وخرج جعفرٌ من دار حرمه فقال لأبيه: ما حملك على أن دخلت داري بغير إذن؟ فقال له أبو جعفر: لعن الله من أشبهك، ولعنك! فقال: والله لأنا أشبه بك منك بأبيك - قال: وكان خليعاً - فقال: أريد أن أتزوج امرأةً من الجن! فأصابه لمم، فكان يصرع بين يدي أبيه والربيع واقف، فيقول له: يا ربيع، هذه قدرة الله.

وقال المدائني في خبره الذي ذكرته عن عيسى بن الحسين عن أحمد بن الحارث عنه: فأصاب جعفراً من كثرة ولعه بالمرأة التي ذكر أنه يتعشقها من الجن صرعٌ، فكان يصرع في اليوم مراتٍ حتى مات، فحزن عليه المنصور حزناً شديداً، ومشى في جنازته، فلما دفن وسوي قبره قال للربيع، أنشدني قول مطيع بن إياس في مرثية يحيى بن زياد. فأنشده:

يا أهلي ابكوا لقلبي القرح ... وللدموع الذوارف السفح

راحوا بيحيى ولو تطاوعني ال ... أقدار لم يبتكر ولم يرح

يا خير من يحسن البكاء له ال ... يوم ومن كان أمس للمدح

قال: فبكى المنصور، وقال: صاحب هذا القبر أحق بهذا الشعر.

أخبرني به عمي أيضاً عن الخزاز عن المدائني، فذكر مثله.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني يعقوب بن إسرائيل قال: حدثني المغيرة بن هشامٍ الربعي قال: سمعت ابن عائشة يقول: مر مطيع بن إياس بالرصافة، فنظر إلى جاريةٍ قد خرجت من قصر الرصافة كأنها الشمس حسناً وحواليها وصائف يرفعن أذيالها، فوقف ينظر إليها إلى أن غابت عنه، ثم التفت إلى رجلٍ كان معه وهو يقول:

لما خرجن من الرصا ... فة كالتماثيل الحسان

يحففن أحور كالغزا ... ل يميس في جدل العنان

قطعن قلبي حسرةً ... وتقسماً بين الأماني

ويلي على تلك الشما ... ئل واللطيف من المعاني

يا طول حر صبابتي ... بين الغواني والقيان

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني عبد الله بن أبي سعيد، عن ابن توبة صالح بن محمد، قال: حدثني بعض ولد منصور بن زياد عن أبيه قال: قال محمد بن الفضل بن السكوني: رحل مطيع بن إياسٍ إلى هشام بن عمرو وهو بالسند مستمحياً له، فلما رأته بنته قد صحح العزم على الرحيل بكت، فقال لها:

اسكتي قد حززت بالدمع قلبي طالما حز دمعكن القلوبا

ودعي أن تقطعي الآن قلبي وتريني في رحلتي تعذيبا

فعسى الله أن يدافع عني ريب ما تحذرين حتى أءوبا

ليس شيءٌ يشأوه ذو المعالي بعزيزٍ عليه فادعي المجيبا

أنا في قبضة الإله إذا ما كنت بعداً أو كنت منك قريبا

ووجدت هذه الأبيات في شعر مطيعٍ بغير رواية، فكان أولها:

ولقد قلت لابنتي وهي تكوي بانسكاب الدموع قلباً كئيبا

وبعده بقية الأبيات.

أخبرني الحسن بن علي الحفاف قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني علي بن محمدٍ النوفلي، عن صالح الأصم قال: كان مطيع بن إياسٍ مع إخوانٍ له على نبيذٍ، وعندهم قينةٌ تغنيهم، فأومأ إليها مطيعٌ بقبلةٍ، فقالت له: تراب! فقال مطيع:

إن قلبي قد تصابى بعد ما كان أنابا

ورماه الحب منه بسهامٍ فأصابا

قد دهاه شادن يل بس في الجيد سخابا

فهو بدرٌ في نقاب فإذا ألقى النقابا

قلت شمسٌ يوم دجنٍ حسرت عنها السحابا

ليتني منه على كش حين قد لانا وطابا

أحضر الناس بما أك رهه منه جوابا

فإذا قلت أنلني قبلةً قال ترابا

لحكم الوادي في هذه الأبيات هزجٌ بالنبصر، من رواية الهشامي.

أخبرنا أبو الحسن الأسدي قال: ذكر موسى بن صالح بن سنح بن عميرة أن مطيع بن إياس كان أحضر الناس جواباً ونادرة، وأنه ذات يوم كان جالساً يعدد بطون قريش ويذكر مآثرها ومفاخرها، فقيل له: فأين بنو كنانة؟ قال:

بفلسطين يسرعون الركوبا

أراد قول عبيد الله بن قيس الرقيات:

حلقٌ من بني كنانة حولي بفلسطين يسرعون الركوبا

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن العمري عن العتبي قال: كان أبو دهمان صديقاً لمطيع، وكان يظهر للناس تألهاً ومروءةً وسمتاً حسناً، وكان ربما دعا مطيعاً ليلةً من الليالي أن يصير إليه، ثم قطعه عنه شغل، فاشتغل وجاء مطيعٌ فلم يجده، فلما كان من الغد جلس مطيعٌ مع أصحابه، فأنشدهم فيه:

ويلي ممن جفاني وحبه قد براني

وطيفه يلقاني وشخصه غير دان

أغر كالبدر يعشى بحسنه العينان

جاري لا تعذلاني في حبه ودعاني

فرب يومٍ قصيرٍ في جوسق وجنان

بالراح فيه يحيا والقصف والريحان

وعندنا قينتان وجهاهما حسنان

عوداهما غردان كأنما ينطقان

وعندنا صاحبان للدهر لا يخضعان

فكنت أول حامٍ وأول السرعان

في فتيةٍ غير ميلٍ عند اختلاف الطعان

من كل خوفٍ مخيفٍ في السر والإعلان

حمال كل عظيم تضيق عند البدان

وإن ألح زمانٌ لم يستكن للزمان

فزال ذاك جميعاً وكل شيء فان

من عاذري من خليلٍ موافقٍ ملدان

مداهنٍ متوانٍ يكنى أبي دهمان

متى يعدك لقاء فالنجم والفرقدان

وليس يعتم إلا سكران مع سكران

يسقيه كل غلامٍ كأنه غصن بان

من خندريسٍ عقارٍ كحمرة الأرجوان

قال: فلقيه بعد ذلك أبو دهمان، فقال: عليك لعنة الله فضحتني، وهتفت بي، وأذعت سري، لا أكلمك أبداً، ولا أعاشرك ما بقيت، فما تفرق بين صديقك وعدوك.

أخبرني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجلي العطار بالكوفة، قال: حدثني علي بن عمروسٍ عن عمه علي بن القاسم قال: كنت آلف مطيع بن إياس، وكان جاري، وعنفني في عشرته جماعة، وقالوا لي: إنه زنديق. فأخبرته بذلك، فقال: وهل سمعت مني أو رأيت شيئاً يدل على ذلك، أو هل وجدتني أخل بالفرائض في صلاةٍ أو صومٍ؟ فقلت له: والله ما اتهمتك ولكني خبرتك بما قالوا. واستحييت منه. فعجل على السكر ذات يوم في منزله، فنمت عنده ومطرنا في جوف الليل وهو معي، فصاح بي مرتين أو ثلاثاً، فعلمت أنه يريد أن يصطبح، فكسلت أن أجيبه، فلما تيقن أني نائمٌ جعل يردد على نفسه بيتاً قاله، وهو قوله:

أصبحت جم بلابل الصدر عصراً أكاتمه إلى عصر

فقلت في نفسي: هذا يعمل شعراً في فن من الفنون. فأضاف إليه بيتاً ثانياً، وهو قوله:

إن بحت طل دمي وإن تركت وقدت علي توقد الجمر

فقلت في نفسي: ظفرت بمطيع. فتنحنحت، فقال لي: أما ترى هذا المطر وطيبه، أقعد بنا حتى نشرب أقداحاً. فاغتنمت ذلك، فلما شربنا أقداحاً قلت له: زعمت أنك زنديق. قال: وما الذي صحح عندك أني زنديق؟ قلت: قولك: إن بحت طل دمي وأنشدته البيتين، فقال لي: كيف حفظت البيتين و لم تحفظ الثالث؟ فقلت: والله ما سمعت منك ثالثاً. فقال: بلى قد قلت ثالثاً. قلت: فما هو؟ قال:

مما جناه علي أبي حسنٍ عمرٌ وصاحبه أبو بكر

وحدثني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني إبراهيم بن المدبر قال: حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال: جاء مطيع بن إياسٍ إلى إخوان له وكانوا على شراب، فدخل الغلام يستأذن له، فلما سمع صاحب البيت بذكره خرج مبادراً، فسمعه يقول:

أمسيت جم بلابل الصدر دهراً أزجيه إلى دهر

إن فهت طل دمي وإن كتمت وقدت علي توقد الجمر

فلما أحس مطيعٌ بأن صاحب البيت قد فتح له استدرك البيتين بثالث فقال:

مما جناه علي أبي حسن عمرٌ وصاحبه أبو بكر

وكان صاحب البيت يتشيع، فأكب على رأسه يقبله ويقول: جزاك الله يا أبا مسلم خيراً! وذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الكاتب: أن الرشيد أتي ببنت مطيع بن إياس في الزنادقة، فقرأت كتابهم واعترفت به، وقالت: هذا دينٌ علمنيه أبي، وتبت منه. فقبل توبتها وردها إلى أهلها.

قال أحمد: ولها نسلٌ بجبلٍ في قريةٍ يقال لها: الفراشية قد رأيتهم، ولا عقب لمطيع إلا منهم.
أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن ابن عائشة قال: كان مطيع بن إياس نازلاً بكرخ بغداد، وكان بها رجلٌ يقال له: الفهمي، مغن محسن، فدعاه مطيعٌ ودعا بجماعةٍ من إخوانه وكتب إلى يحيى بن زيادٍ يدعوه بهذه الأبيات. قال:

عندنا الفهمي مسرو ... رٌ وزمارٌ مجيد
ومعاذٌ وعياذٌ ... وعميرٌ وسعيد
وندامى يعملون ال ... لقز والقلز شديد
بعضهم ريحان بعض ... فهم مسكٌ وعود

قال: فأتاه يحيى، فأقام عنده وشرب معهم، وبلغت الأبيات المهدي، فضحك منها، وقال: تنايك القوم ورب الكعبة.
قال الكراني: القلز: المبادلة.
وجدت هذا الخبر بخط ابن مهرويه، عن إبراهيم بن المدبر عن محمد بن عمر الجريدي. فذكر أن مطيعاً اصطبح يوم عرفة وشرب يومه وليلته، واصطبح يوم الأضحى، وكتب إلى يحيى من الليل بهذه الأبيات:

قد شربنا ليلة الأض ... حى وسقينا يزيد
عندنا الفهمي مسرو ... رٌ وزمار مجيد
وسليمان فتانا ... فهو يبدي ويعيد
ومعاذٌ وعياذٌ ... وعمير وسعيد
وندامى كلهم يق ... لز والقلز شديد
بعضهم ريحان بعضٍ ... فهم مسكٌ وعود
غالت الأنحس عنهم ... وتلقتهم سعود
فترى القوم جلوساً ... والخنا عنهم بعيد
ومطيع بن إياس ... فهو بالقصف وليد
وعلى كر الجديدي ... ن وما حل جليد

ووجدت في كتاب بعقب هذا: وذكر محمد بن عمر الجرجاني أن عوف بن زياد كتب يوماً إلى مطيع: أنا اليوم نشيطٌ للشرب، فإن كنت فارغاً فسر إلي، وإن كان عندك نبيذٌ طيب، وغناءٌ جيد جئتك. فجاءته رقعته وعنده حمادٌ الراوية وحكمٌ الوادي، وقد دعوا غلاماً أمرد، فكتب إليه مطيع:

نعم لنا نبيذٌ ... وعندنا حماد

وخيرنا كثيرٌ ... والخير مستزاد

وكلنا من طربٍ ... يطير أو يكاد

وعندنا وادينا ... وهو لنا عماد

ولهونا لذيذٌ ... لم يلهه العباد

إن تشته فساداً ... فعندنا فساد

أو تشته غلاماً ... فعندنا زياد

ما إن به التواءٌ ... عنا ولا بعاد

قال: فلما قرأ الرقعة صار إليهم، فأتم به يومه معهم.

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو بكر العامري عن عنبسة القرشي الكريزي عن أبيه قال: مدح مطيع بن إياس الغمر بن يزيد بقصيدته التي يقول فيها:

لا تلح قلبك في شقائه ... ودع الميتم في بلائه

كفكف دموعك أن يفض ... ن بناظر غرقٍ بمائه

ودع النسيب وذكره ... فبحسب مثلك من عنائه

كم لذةٍ قد نلتها ... ونعيم عيشٍ في بهائه

بنوا عمٍ شبه الدمى ... والليل في ثنيي عمائه

واذكر فتًى بيمينه ... حتف الزمان لدى التوائه

وإذا أمية حصلت ... كان المهذب في انتمائه

وإذا الأمور تفاقمت ... عظماً فمصدرها برائه

وإذا أردت مديحه ... لم يكد قولك في بنائه

في وجهه علم الهدى ... والمجد في عطفي ردائه

وكأنما البدر المن ... ير مشبه به في ضيائه

فأمر له بعشرة آلاف درهم، فكانت أول قصيدة أخذ بها جائزة سنية، وحركته ورفعت من ذكره، ثم وصله بأخيه الوليد فكان من ندمائه.

أنشدني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه، لمطيع بن إياسٍ يستعطف يحيى بن زياد في هجرةٍ كانت بينهما وتباعد:

يا سمي النبي الذي خ ... ص به الله عبده زكريا

فدعاه الإله يحيى ولم يج ... عل له الله قبل ذاك سميا

كن بصب أمسى بحبك براً ... إن يحيى قد كان براً تقيا

وأنشدني له يرثي يحيى بعد وفاته:

قد مضى يحيى وغودرت فردا ... نصب ما سرعيون الأعادي

وأرى عيني مذ غاب يحيى ... بدلت من نومها بالسهاد

وسدته الكف مني تراباً ... ولقد أرثي له من وساد

بين جيران أقاموا صموتاً ... لا يحيرون جواب المنادي

أيها المزن الذي جاد حتى ... أعشبت منه متون البوادي

اسق قبراً فيه يحيى فإني ... لك بالشكر موافٍ مغاد

نسخت من نسخةٍ بخط هارون بن محمد بن عبد الملك قال:

لما بيعت جوهر التي كان مطيع بن إياس يشبب بها قال فيها وفيه غناء من خفيف الرمل أظنه لحكم:

صاح غراب البين بالبين ... فكدت أنقد بنصفين

قد صار لي خدنان من بعدهم ... همٌ وغمٌ شر خدنين

أفدي التي لم ألق من بعدها ... أنساً وكانت قرة العين

أصحبت أشكو فرقة البين ... لما رأت فرقتهم عيني

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا العباس بن ميمون بن طائع قال: حدثني ابن خرداذبة قال: خرج مطيع بن إياس، ويحيى بن زيادٍ حاجين، فقدما أثقالهما وقال أحدهما للآخر: هل لك في أن نمضي إلى زرارة فنقصف ليلتنا عنده، ثم نلحق أثقالنا؟ فما زال ذلك دأبهم حتى انصرف الناس من مكة. قال: فركبا بعيريهما وحلقا رؤسهما ودخلا مع الحجاج المنصرفين. وقال مطيعٌ في ذلك:

ألم ترني ويحيى قد حججنا ... وكان الحج من خير التجاره

خرجنا طالبي خيرٍ وبرٍّ ... فمال بنا الطريق إلى زراره

فعاد الناس قد غنموا وحجوا وأبنا موقرين من الخساره

وقد روي هذا الخبر لبشارٍ وغيره.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا الفضل بن محمدٍ اليزيدي عن إبراهيم الموصلي عن محمد بن الفضل قال: خرج جماعةٌ من الشعراء في أيام المنصور عن بغداد في طلب المعاش، فخرج يحيى بن زيادٍ إلى محمد بن العباس وكنت في صحابته، فمضى إلى البصرة، وخرج حماد عجردٍ إليها معه، وعاد حمادٌ الراوية إلى الكوفة، وأقام مطيعٌ بن إياس ببغداد وكان يهوى جاريةً يقال لها: ريم لبعض النخاسين وقال فيها:

لولا مكانك في مدينتهم لظعنت في صحبي الألى ظعنوا

أوطنت بغداداً بحبكم وبغيرها لولاكم الوطن

قال: وقال مطيعٌ في صبوح اصطبحه معها:

ويومٍ ببغداد نعمنا صباحه على وجه حوراء المدامع تطرب

ببيت ترى فيه الزجاج كأنه نجوم الدجى بين الندامى تغلب

يصرف ساقينا ويقطب تارةً فيا طيبها مقطوبةً حين يقطب

علينا سحيق الزعفران وفوقنا أكاليل فيها الياسمين المذهب

فما زلت أسقى بين صنجٍ ومزهرٍ من الراح حتى كادت الشمس تغرب

وفيها يقول:

أمسى مطيعٌ كلفا صبًّا حزيناً دنفا

حرٌ لمن يعشقه برقه معترفا

يا ريم فاشفي كبداً حرى وقلباً شغفا

ونوليني قبلةً واحدةً ثم كفى

قال وفيها يقول:

يا ريم قد أتلفت روحي فما منها معي إلا القليل الحقير

فأذنبي إن كنت لم تذنبي في ذنوباً إن ربي غفور

ماذا على أهلك لو جدت لي وزرتني يا ريم فيمن يزور

هل لك في أجرٍ تجازي به في عاشقٍ يرضيه منك اليسير

يقبل ما جدت به طائعاً وهو وإن قل لديه الكثير

لعمري من أنت له صاحبٌ ما غاب عنه في الحياة السرور

قال وفيها يقول:

يا ريم يا قاتلتي إن لم تجودي فعدي

بيضت بالمطل وإخلا فك وعدي كبدي

حالف عيني سهدي وما بها من رمد

يا ليتني في الأحد أبليت مني جسدي

لمن به من شقوتي أخذت حتفي بيدي

أنشدني علي بن سليمان الأخفش قال: أنشدني محمد بن الحسن بن الحرون عن ابن النطاح لمطيع بن إياس، يقوله في جوهر جارية بربر:

يا بأبي وجهك من بينهم فإنه أحسن ما أبصر

يا بأبي وجهك من رائع يشبهه البدر إذا يزهر

جاريةٌ أحسن من حليها والحلي فيه الدر والجوهر

وجرمها أطيب من طيبها والطيب فيه المسك والعنبر

جاءت بها بربر مكنونةً يا حبذا ما جلبت بربر

كأنما ريقتها قهوةٌ صب عليها باردٌ أسمر

أخبرني الحسين بن القاسم قال: حدثنا ابن أبي الدنيا قال: حدثني منصور بن بشر العمركي عن محمد بن الزبرقان قال: كان مطيع بن إياسٍ كثير العبث، فوقف على أبي العمير: رجلٍ من أصحاب المعلى الخادم، فجعل يعبث به ويمازحه إلى أن قال:

ألا أبلغ لديك أبا العمير أراني الله في استك نصف أير

فقال له أبو العمير: يا أبا سلمى، لوجدت لأحدٍ بالأير كله لجدت به إلى ما بيننا من الصداقة، ولكنك بحبك لا نريده كله إلا لك. فأفحمه، ولم يعاود العبث به.

قال: وكام مطيع يرمى بالأبنة.

قال: وسقط لمطيع حائط، فقال له بعض أصدقائه: احمد الله على السلامة! قال: احمد الله أنت الذي لم ترعك هدته، ولم يصبك غباره، ولم تعدم أجرة بنائه.

أخبرني إسماعيل بن يونس بن أبي اليسع الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: وفد مطيع بن إياسٍ إلى جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري وقد مدحه بقصيدته:

أمن آل ليلى عزمن البكورا ... ولم تلق ليلى فتشفي الضميرا
وقد كنت دهرك فيما خلا ... لليلى وجارات ليلى زءورا
ليالي أنت بها معجبٌ ... تهيم إليها وتعصي الأميرا
وإذ هي حوراء شبه الغزا ... ل تبصر في الطرف منها فتورا
تقول ابنتي إذ رأت حالتي ... وقربت للبين عنساً وكورا
إلى من أراك وقتك الحتو ... ف نفسي تجشمت هذا المسيرا
فقلت :إلى البجلي الذي ... يفك العناة ويغني الفقير
أخي العرف أشبه عند الندى ... وحمل المئين أباه جديرا
عشير الندى ليس يرضى الندى ... يد الدهر بعد جريرٍ عشيرا
إذا استكثر المجتدون القلي ... ل للمعتفين استقل الكثير
إذا عسر الخير في المجتدي ... ن كان لديه عتيداً يسيرا
وليس بمانع ذي حاجةٍ ... ولا خاذلٍ من أتى مستجيرا
فنفسي وقتك أبا خالدٍ ... إذا ما الكماة أغاروا النمورا
إلى ابن يزيد أبي خالدٍ ... أخي العرف أعملتها عيسجورا
لنلقى فواضل من كفه ... فصادفت منه نوالاً غزيرا
فإن يكن الشكر حسن الثنا ... ء بالعرف مني تجدني شكورا
بصيراً بما يستلذ الروا ... ة من محكم الشعر حتى يسيرا

فلما بلغ يزيد خبر قدومه دعا به ليلاً، و لم يعلم أحد بحضوره، ثم قال له: قد عرفت خبرك، وإني متعجل لك جائزتك ساعتي هذه، فإذا حضرت غداً فإني سأخاطبك مخاطبةً فيها جفاء، وأزودك نفقة طريقك وأصرفك، لئلا يبلغ أبا جعفر خبري فيهلكني. فأمر له بمائتي دينار، فلما أصبح أتاه، فاستأذنه في الإنشاد، فقال له: يا هذا لقد رميت بآمالك غير مرمى، وفي أي شيءٍ أنا حتى ينتجعني الشعراء؟ لقد أسأت إلي لأني لا أستطيع تبليغك محابك، ولا آمن سخطك وذمك. فقال له: تسمع ما قلت فإني أقبل ميسورك، وأبسط عذرك. فاستمع منه كالمتكلف المتكره، فلما فرغ قال لغلامه: يا غلام كم مبلغ ما بقي من نفقتنا؟ قال: ثلاثمائة درهم. قال: أعطه مائة درهم

لنفقة طريقه، ومائة درهمٍ ينصرف بها إلى أهله، واحتبس لنفقتنا مائة درهم. ففعل الغلام ذلك، وانصرف مطيعٌ عنه شاكراً، ولم يعرف أبو جعفر خبره.

أنشدني وكيع عن حماد بن إسحاق عن أمه، لمطيع بن إياسٍ، وفيه غناء:

واهاً لشخص رجوت نائله ... حتى انثنى لي بوده صلفا

لانت حواشيه لي وأطمعني ... حتى إذا قلت نلته انصرفا

قال: وأنشدني حماد أيضاً عن أبيه، لمطيع بن إياسٍ، وفيه غناءٌ أيضاً:

خليلي مخلفٌ أبداً ... يمنيني غداً فغدا

وبعد غدٍ وبعد غدٍ ... كذا لا ينقضي أبدا

له جمرٌ على كبدي ... إذا حركته وقدا

وليس بلابثٍ جمر ال ... غضى أن يحرق الكبدا

وفي هذه الأبيات لعريب هزج.

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال: حدثنا العتزي عن مسعود بن بشرٍ قال:

قال الوليد بن يزيد لمطيع بن إياسٍ: أي الأشياء أطيب عندك؟ قال: صهباء صافيه، تمزجها غانية، بماء غادية.

قال: صدقت.

أخبرني محمد بن خلف ين المرزبان قال: حدثني أبو عبد الله التميمي قال: حدثنا أحمد بن عبيدٍ. وأخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن العمري عن العتبي قال: سكر مطيع بن إياسٍ ليلةً، فعربد على يحيى بن زيادٍ عربدة قبيحة وقال له وقد حلف بالطلاق:

لا تحلفاً بطلاق من ... أمست حوافرها رقيقة

مهلاً فقد علم الأنا ... م بأنها كانت صديقة

فهجر يحيى وحلف ألا يكلمه أبداً، فكتب إليه مطيع:

إن تصلني فمثلك اليوم يرجى ... عفوه الذنب عن أخيه ووصله

ولئن كنت قد هممت بهجري ... للذي قد فعلت إني لأهله

وأحق الرجال أن يغفر الذن ... ب لإخوانه الموفر عقله

الكريم الذي له الحسب الثا ... قب في قومه ومن طاب أصله

ولئن كنت لا تصاحب إلا ... صاحبا لا تزل ما عاش نعله

لا تجده وإن جهدت وأنى ... بالذي لا يكاد يوجد مثله

إنما صاحبي الذي يغفر الذن ب ويكفيه من أخيه أقله
الذي يحفظ القديم من العه د وإن زل صاحبٌ قل عذله
ورعى ما مضى من العهد منه حين يؤذي من الجهالة جهله
ليس من يظهر المودة إفكاً وإذا قال خالف القول فعله
وصله للصديق يوماً فإن طا ل فيومان ثم ينبت حبله

قال: فصالحه يحيى وعاود عشرته.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدثنا أبو أيوب المدني قال: حدثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال: حدثني أبي عن رجلٍ من أهل الشأم قال: كنت يوماً نازلاً بدير كعب، قد قدمت من سفر، فإذا أنا برجلٍ قد نزل الدير معه ثقلٌ وآلةٌ وعيبة، فكان قريباً من موضعي، فدعا بطعام فأكل، ودعا الراهب فوهب له دينارين، وإذا بينه وبينه صداقةٌ، فأخرج له شراباً فجلس يشرب ويحدث الراهب، وأنا أراهما، إذ دخل الدير رجل فجلس معهما، فقطع حديثهما وثقل في مجلسه، وكان غث الحديث، فأطال. فجاءني بعض غلمان الرجل النازل فسألته عنه، فقال: هذا مطيع بن إياس. فلما قام الرجل وخرج كتب مطيعٌ على الحائط شيئاً، وجعل يشرب حتى سكر، فلما كان من غدٍ رحل، فجئت موضعه فإذا فيه مكتوب:

طربة ما طربت في دير كعب كدت أقضي من طربتي فيه نحبي
وتذكرت إخوتي وندامى ي فهاج البكاء تذكار صحبي
حين غابوا شتى وأصبحت فرداً ونأوا بين شرق أرضٍ وغرب
وهم ما هم فحسبي لا أب غي بديلاً بهم لعمرك حسبي
طلحة الخير منهم وأبو المن ذر خلي ومالكٌ ذاك تربى
أيها الداخل الثقيل علينا حين طاب الحديث لي ولصحبي
خف عنا فأنت أثقل والل ه علينا من فرسخي دير كعب
ومن الناس من يخف ومنهم كرحى البزر ركبت فوق قلبي

أخبرنا الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا عمر بن محمد قال: حدثنا الحسين بن إياس، ويحيى بن زيادٍ، وزاد العمل حتى حلف يحيى بن زياد على بطلان شيء كلمه به مما دار بينهما، فقال مطيع:

لا تحلفاً بطلاق من أمست حوافرها رقيقه
هيهات قد علم الأمي ر بأنها كانت صديقه

فغضب يحيى وحلف ألا يكلم مطيعاً أبداً، وكانا لا يكادان يفترقان في فرحٍ ولا حزنٍ، ولا شدةٍ ولا رخاء، فتباعد ما بين يحيى وبينه، وتجافيا مدة، فقال مطيعٌ في ذلك، وندم على ما فرط منه إلى يحيى، فكتب إليه بهذا الشعر، قال:

كنت ويحيى كيد واحدةٍ ... نرمي جميعاً وترانا معا
إن عضني الدهر فقد عضه ... يوجعنا ما بعضنا أوجعنا
أو نام نامت أعين أربعٌ ... منا وإن أسهر فلن يهجعا
يسرني الدهر إذا سره ... وإن رماه فلنا فجعا
حتى إذا ما الشيب في مفرقي ... لاح وفي عارضه أسرعا

سعى وشاةٌ فمشوا بيننا ... وكاد حبل الود أن يقطعا
فلم ألم يحيى على فعله ... ولم أقل مل ولا ضيعا
لكن أعداءً لنا لم يكن ... شيطانهم يرى بنا مطمعا
بينا كذا غاش على غرة ... فأوقد النيران مستجمعا
فلم يزل يوقدها دائباً ... حتى إذا ما اضطرمت أقلعا

أخبرنا الحسين بن يحيى المرداسي، عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني. وأخبرنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه. قال إسحاق في خبره: دخل على إخوانٍ يشربون وقال الأصمعي: دخل سراعة بين الزندبور على مطيع بن إياس ويحيى بن زياد، وعندهما قينةٌ تغنيهما، فسقوه أقداحاً وكان على الريق، فاشتد ذلك عليه، فقال مطيعٌ للقينة: غني سراعة. فقالت له: أي شيءٍ تختار؟ فقال: غني:

طبيبي داويتما ظاهراً ... فمن ذا يداوي جوًى باطنا

ففطن مطيعٌ لمعناه. فقال: إيك أكل؟ قال: نعم. فقدم إليه طعاماً فأكل ثم شرب معهم. والله أعلم.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني محمد بن هارون الأزرقي مولى بني هاشم أخي أبي عشانة قال: حدثني الفضل بن محمد بن الفضل الهاشمي عن أبيه قال: كان مطيع بن إياس يهوى ابن مولى لنا يقال له محمد بن سالم، فأخرجت أباه إلى ضيعةٍ لي بالري لينظر فيها، فأخرجه أبوه معه، ولم أكن عرفت خبر مطيع معه حتى أتاني، فأنشدني لنفسه:

أيا ويحه لا الصبر يملك قلبه ... فيصبر لما قيل سار محمد

فلا الحزن يفنيه ففي الموت راحةٌ فحتى متى في جهده يتجلد
قد اضحى صريعاً باديات عظامه سوى أن روحاً بينها تتردد
كئيباً يمني نفسه بلقائه على نأيه والله بالحزن يشهد
يقول لها صبراً عسى اليوم آئبٌ بإلفك أو جاءٍ بطلعته الغد
وكنت يداً كانت بها الدهر قوتي فأصبحت مضنى منذ فارقني يدي

في أخبار مطيع التي تقدم ذكرها آنفاً أغانٍ أغفلت عن نسبتها حتى انتهيت إلى هذا الموضع فنسبتها فيه:

طبيبي داويتما ظاهراً فمن ذا يداوي جوى باطنا
فقوما اكوياني ولا ترحما من الكي مستحصفاً راصنا
ومرا على منزل بالغميم فإني عهدت به شادنا
فتور القيام رخيم الكلا م كان فؤادي به راهنا

الشعر فيما ذكر عبد الله بن شبيبٍ عن الزبير بن بكار، لعمرو بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي، والغناء لمعبدٍ، ولحنه ثقيلٌ أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق وعمروٍ، وفيه لأبي العبيس بن حمدون ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر، وهو من صدور أغانيه ومختارها وما تشبه فيه بالأوائل. ولو قال قائل: إنه أحسن صنعةٍ له صدق.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه، أن غيلان بن خرشة الضبي دخل إلى قومٍ من إخوانه وعندهم قينة، فجلس معهم وهو لا يدري فيم هم، حتى غنت القينة:

طبيبي داويتما ظاهراً فمن ذا يداوي جوًى باطنا

وكان أعرابياً جافياً به لوثة، فغضب ووثب وهو يقول: السوط ورب غيلان يداوي ذلك الجوى! وخرج من عندهم.

وهذا الخبر مذكورٌ في أخبار معبدٍ من كتابي هذا وغيره، ولكن ذكره ها هنا حسن فذكرته.

أمسيت جم بلابل الصدر دهراً أزجيه إلى دهر
إن فهت طل دمي وإن كتمت وقدت علي توقد الجمر

الغناء لحكم الوادي، هزج بالبنصر عن حبشٍ الهشامي.

أخبرني ابن الحسين قال حدثنا حماد بن إسحاق عن صباح بن خاقان قال: دخلت علينا جوهر المغنية جارية بربر، وكانت محسنةً جميلة ظريفة، وعندنا مطيع بن إياسٍ وهو يلعب بالشطرنج، وأقبل عليها بنظره وحديثه، ثم قال:

ولقد قلت معلناً لسعيدٍ وجعفر

إن أتتني منيتي فدمي عند بربر

قتلتني بمنعها لي من وصل جوهر

قال: وجوهر تضحك منه.

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا عبد الله بن أبي سعيد عن أبي توبة قال:

بلغ مطيع بن إياس أن حماد عجرد عاب شعراً ليحيى بن زيادٍ قاله في منقذ بن بدرٍ الهلالي، فأجابه منقذٌ عنه بجوابٍ، فاستخفهما حماد عجرد، وطعن عليهما، فقال فيه مطيع:

أيها الشاعر الذي عاب يحيى ومنقذا

أنت لو كنت شاعراً لم تقل فيهما كذا

لست والله فاعلم ن لدي النقد جهبذا

تعدل الصبر بالرضى شائب الصفو بالقذى

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا عبد الله بن أبي توبة عن ابن أبي منيع الأحدب قال: كنت جالساً مع مطيع بن إياسٍ، فمرت بنا مكنونة جارية المروانية، وكان مطيعٌ وأصحابنا يألفونها، فلم تسلم، وعبث بها مطيع بن إياسٍ فشتمته، فالتفت إلي وأنشأ يقول:

فديت من مر بنا يوماً ولم يتكلم

وكان فيما خلا من ه كلما مر سلم

وإن رآني حيا بطرفه وتبسم

لقد تبدل فيما أظن والله أعلم

فليت شعري ماذا علي في الود ينقم

يا رب إنك تعلم أني بمكنون مغرم

وأنني في هواها ألقى الهوان وأعظم

يا لائمي في هواها احفظ لسانك تسلم

واعلم بأنك مهما أكرمت نفسك تكرم

إن الملول إذا ما مل الوصال تجرم

أو لا فما لي أجفى من غير ذنب وأحرم

مطيع يشبب بجوهر ثم يهجو

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان مطيع بن إياس يألف جواري بربر، ويهوى منهن جاريتها المسماة جوهر، وفيها يقول؛ ولحكم فيه غناء:

خافي اله يا بربر ... لقد أفسدت ذا العسكر

إذا ما أقبلت جوهر ... يفرح المسك والعنبر

وجوهر درة الغوا ... ص من يملكها يحبر

لها ثغرٌ حكى الدر ... وعينا رشإٍ أحور

في هذه الأبيات هزج لحكم الوادي. قال وفيها يقول:

أنت يا جوهر عندي جوهره ... في قياس الدرر المشتهره

أو كشمسٍ أشرقت في بيتها ... قذفت في كل قلب شرره

وكأني ذائقٌ من فمها ... كلما قبلت فاها سكره

وكأني حين أخلو معها ... فائز بالجنة المختضره

قال: فجاءها يوماً، فاحتجبت عنه فسأل عن خبرها، فعرف أن فتى من أهل الكوفة يقال له ابن الصحاف يهواها متخل معها، فقال مطيع يهجوها:

ناك والله جوهر الصحاف ... وعليها قميصها الأفواف

شام فيها أيراً له ذا ضلوع ... لم يشنه ضعفٌ ولا إخطاف

جد دفعاً فيها فقالت ترفق ... ما كذا يا فتى تناك الظراف

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هرون بن محمد بن عبد الملك قال: قال محمد بن صالح بن النطاح، أنشد المهدي قول مطيع بن إياسٍ:

خافي الله يا بربر ... لقد أفتنت ذا العسكر

بريح المسك والعنبر ... وظبي شادنٍ أحور

وجوهر درة الغوا ... من يملكها يحبر

أما والله يا جوهر ... لقد فقت على الجوهر

فلا والله ما المهد ... ي أولى منك بالمنبر

فإن شئت ففي كفي ... ك خلع ابن أبي جعفر

فقال المهدي: اللهم العنهما جميعاً، ويلكم! اجمعوا بين هذين قبل أن تخلعنا هذه القحبة. وجعل يضحك من قول مطيع. ووجدت أبيات مطيع الثلاثة التي هجا بها جوهر في رواية يحيى بن علي أتم من رواية إسحاق وهي بعد البيتين الأولين:

زعموها قالت وقد غاب فيها ... قائماً في قيامه استحصاف

وهو في جارة استها يتلظى ... يا فتى هكذا تناك الظراف

ناكها ضيفها وقبل فاها ... يا لقومي لقد طغى الأضياف

لم يزل يرهز الشهية حتى ... زال عنها قميصها والعطاف

وقال هارون بن محمدٍ في خبره: بيعت جوهر جارية بربر، فاشترتها امرأة هاشمية من ولد سليمان بن علي كانت تغني بالبصرة وأخرجتها، فقال مطيع فيها:

لا تبعدي يا جوهر ... عنا وإن شط المزار

ويلي لقد بعدت ديا ... رك سلمت تلك الديار

يشفى بريقتها السقا ... م كأن ريقتها العقار

بيضاء واضحه الجبي ... ن كأن غرتها نهار

القلب قلبي وهو عن ... د الهاشمية مستعار

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العتزي قال: حدثنا علي بن منصورٍ المؤدب أن صديقاً لمطيع دعاه إلى بستانٍ له بكلواذي، فمضى إليها، فلم يستطبها، فقال يهجوها:

بلدة تمطر التراب على النا ... س كما يمطر السماء الرذاذا

وإذا ما أعاذ ربي بلاداً ... من خرابٍ كبعض ما قد أعاذا

خربت عاجلاً ولا أمهلت يو ... ماً ولا كان أهلها كلواذي

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا طلحة بن عبد الله أبو إسحاق الطلحي قال حدثني عافية بن شبيب بن خاقان التميمي أبو معمر قال: كان لمطيع بن إياس معامل من تجار الكوفة، فطالت صحبته إياه وعشرته له حتى شرب النبيذ، وعاشر تلك الطبقة، وأفسدوا دينه، فكان إذا شرب يعمل كما يعملون، وقال كما يقولون، وإذا صحا تهيب ذلك وخافه، فمر يوماً بمطيع بن إياس وهو جالس على باب داره، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: شيعت صديقاً لي حج، ورجعت كما ترى ميتاً من ألم الحر والجوع والعطش. فدعا مطيع بغلامه وقال له: أي شيء عندك؟ فقال له: عندي من الفاكهة كذا، ومن البوارد والحار كذا، ومن الأشربة والثلج والرياحين كذا،

وقد رش الخيش وفرغ من الطعام. فقال له: كيف ترى هذا؟ فقال: هذا والله العيش وشبه الجنة. قال: أنت الشريك فيه على شريطة إن وفيت بها وإلا انصرفت. قال: وما هي؟ قال: تشتم الملائكة وتنزل. فنفر التاجر وقال: قبح الله عشرتكم قد فضحتموني وهتكتموني. ومضى فلم يبعد حتى لقيه حماد عجرد فقال له: ما لي أراك نافراً جزعاً؟ فحدثه حديثه. فقال: أساء مطيع - قبحه الله وأخطأ، وعندي والله ضعف ما وصف لك؛ فهل لك فيه؟ فقال: أجل ، بي والله إليه أعظم فاقة. قال: أنت الشريك فيه على أن تشتم الأنبياء فإنهم تعبدونا بكل أمر معنت متعب، ولا ذنب للملائكة فنشتمهم. فنفر التاجر وقال: أنت أيضاً فقبحك الله، لا أدخل! ومضى فاجتاز بيحيى بن زياد الحارثي فقال له: ما لي أراك يا أبا فلان مرتاعاً؟ فحدثه بقصته. فقال: قبحهما الله لقد كلفاك شططاً، وأنت تعلم أن مروءتي فوق مروءتهما، وعندي والله أضعاف ما عندهما، وأنت الشريك فيه على خصلة تنفعك ولا تضرك، وهي خلاف ما كلفاك إياه من الكفر. قال: ما هي؟ قال: تصلي ركعتين تطيل ركوعهما وسجودهما، وتصليهما وتجلس، فنأخذ في شأننا، فضجر التاجر وتأفف وقال: هذا شر من ذاك، أنا تعب ميت، تكلفني صلاة طويلة في غير بر ولا لإطاعة يكون ثمنها أكل سحت وشرب خمر وعشرة فجرة وسماع مغنيات قحاب. وسبه وسبهما ومضى مغضباً. فبعث خلفه غلاماً وأمره برده، فرده كرهاً، وقال: انزل الآن على ألا تصلي اليوم بتة. فشتمه أيضاً وقال: ولا هذا. فقال: انزل الآن كيف شئت وأنت ثقيل غير مساعد. فنزل عنده. ودعا يحيى مطيعاً وحماداً، فعبثا بالتاجر ساعة وشتماه، ثم قدم الطعام، فأكلوا وشربوا وصلى التاجر الظهر والعصر، فلما دبت الكأس فيه قال له مطيع: أيما أحب إليك: تشتم الملائكة أو تنصرف؟ فشتمهم. فقال له حماد: أيما أحب إليك: تشتم الأنبياء أو تنصرف؟ فشتمهم. فال له يحيى: أيما أحب إليك: تصلي ركعتين أو تنصرف؟ فقام فصلى الركعتين، ثم جلس فقالوا له: أيما أحب إليك: تترك باقي صلاتك اليوم أو تنصرف؟ قال: بل أتركها يا بني الزانية ولا أنصرف. فعمل كل ما أرادوه منه.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني قال:

رفع صاحب الخبر إلى المنصور أن مطيع بن إياس زنديق، وأنه يعاشر ابنه جعفراً وجماعة من أهل بيته، ويوشك أن يفسدوا أديانهم وينسبوا إلى مذهبه. فقال له المهدي: أنا به عارف، أما الزندقة فليس من أهلها، ولكنه خبيث الدين فاسق مستحل للمحارم. قال: فأحضره وانهه عن صحبة جعفر وسائر أهله. فأحضره المهدي وقال له: يا خبيث يا فاسق، قد أفسدت أخي ومن تصحبه من أهلي، والله لقد بلغني أنهم يتقادعون عليك، ولا يتم لهم سرور إلا بك، فقد غررتهم وشهرتهم في الناس، ولولا أني شهدت لك عند أمير المؤمنين بالبراءة مما نسبت إليه بالزندقة، لقد كان أمر بضرب عنقك. وقال للربيع: اضربه مائتي سوط واحبسه. قال: و لم يا سيدي؟ قال: لأنك سكير خمير قد أفسدت أهلي كلهم بصحبتك. فقال له: إن أذنت وسمعت احتججت. قال: قل. قال: أنا امرؤ شاعر، وشوقي إنما تنفق مع الملوك، وقد كسدت عندكم، وأنا في أيامكم مطرح، وقد رضيت فيها مع سعتها للناس جميعاً بالأكل على مائدة أخيك، لا يتبع ذلك عشيرة، وأصفيته على ذلك شكري وشعري، فإن كان ذلك

عائباً عندك تبت منه. فأطرق، ثم قال: قد رفع إلي صاحب الخبر أنك تتماجن على السؤال وتضحك منهم. قال: لا، والله ما ذلك من فعلي ولا شأني، ولا جرى مني قط إلا مرة؛ فإن سائلاً أعمى اعترضني وقد عبرت الجسر على بغلتي وظنني من الجند، فرفع عصاه في وجهي ثم صاح: اللهم سخر الخليفة لأن يعطي الجند أرزاقهم، فيشتروا من التجار المتعة، ويربح التجار عليهم فتكثر أموالهم، فتجب فيها الزكاة عليهم، فيصدقوا علي منها. فنفرت بقلبي من صياحه ورفعة عصاه في وجهي حتى كدت أسقط في الماء، فقلت: يا هذا ما رأيت أكثر فضولاً منك، سل الله أن يرزقك ولا تجعل هذه الحوالات والوسائط التي لا يحتاج إليها، فإن هذه المسائل فضول، فضحك الناس منه، ورفع علي في الخبر قولي له هذا. فضحك المهدي وقال: خلوه ولا يضرب ولا يحبس. فقال له: أدخل عليك لموجدة وأخرج عن رضى وتبرأ ساحتي من عضيهة وأنصرف بلا جائزة؟ قال: لا يجوز هذا، أعطوه مائتي دينار ولا يعلم بها الأمير، فيتجدد عنده ذنوبه.

قال: وكان المهدي يشكر له قيامه في الخطباء ووضعه الحديث لأبيه في أنه المهدي. فقال له: اخرج عن بغداد ودع صحبة جعفر حتى ينساك أمير المؤمنين غداً. فقال له: فأين أقصد؟ قال: أكتب لك إلى سليمان بن علي فيوليك عملاً ويحسن إليك. قال: قد رضيت. فوفد إلى سليمان بكتاب المهدي، فولاه الصدقة بالبصرة وكان عليها داود بن أبي هند، فعزله به.

حدثني محمد بن هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة عن ابن عائشة أن مطيع بن إياس قدم على سليمان بن علي بالبصرة ووليها على الصدقة داود بن أبي هند فعزله وولى عليها مطيعاً.

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة عن بعض البصريين قال: كان مالك بن أبي سعدة عن عم جابر الشطرنجي جميل الوجه حسن الجسم، وكان يعاشر حماد عجرد ومطيع بن إياس وشرب معهما فافسد بينهما وبينه وتباعد، فقال حماد عجرد يهجوه:

أتوب إلى الله من مالك ... صديقاً ومن صحبتي مالكا

فإن كنت صاحبته مرة ... فقد تبت يا رب من ذلكا

قال: وأنشدها مطيعاً، فقال له مطيع: سخنت عينك! هكذا تهجو الناس؟ قال: فكيف كنت أقول؟ قال: كنت تقول:

نظرة ما نظرتها ... يوم أبصرت مالكا

في ثياب معصفرا ... ت على الوجه باركا

تركتني ألوط من ... بعدما كنت ناسكا

نظرة ما نظرتها ... أو ردتني المهالكا

مطيع يشكو المنصور ويمدح أيام بني أمية

اخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال: كان مطيع بن إياس منقطعاً إلى جعفر بن المنصور، فطالت صحبته له بغير فائدة، فاجتمع يوماً مطيع وحماد عجرد ويحيى بن زياد، فتذكروا أيام بني أمية وسعتها ونضرتها وكثرة ما أفادوا فيها، وحسن مملكتهم وطيب دراهم بالشأم، وما هم فيه ببغداد من القحط في أيام المنصور، وشدة الحر، وخشونة العيش، وشكو الفقر فأكثروا، فقال مطيع بن إياس: قد قلت في ذلك شعراً فاسمعوا. قالوا: هات. فأنشدهم:

حبذا عيشنا الذي زال عنا ... حبذا ذاك حين لا حبذا ذا

أين هذا من ذاك سقياً لهذا ... ك ولسنا نقول سقيا لهذا

بلدة تمطر التراب على النا ... س كما يمطر السماء الرذاذا

خربت عاجلاً وأخرب ذو العر ... ش بأعمال أهلها كلواذي

أخبرني عيسى بن الحسين عن حماد عن أبيه قال: لما خرج حماد بن العباس إلى البصرة، عاشر جماعة من أهلها وأدبائها وشعرائها، فلم يجدهم كما يريد، و لم يستطب عشرتهم واستغلظ طبعهم، وكان هو ومطيع بن إياس وحماد الراوية ويحيى بن زياد كأنهم نفس واحدة، وكان أشدهم أنساً به مطيع إياس ، فقال حماد يتشوقه:

لست والله بناس ... لمطيع بن إياس

ذاك إنسان له فض ... ل على كل أناس

غرس الله له في ... كبدي أحلى غراس

فإذا ما الكاس دارت ... واحتساها من أحاسي

كان ذكرانا مطيعاً ... عندها ريحان كاسي

مطيع يصف ليالي قضاها في الكرخ

ويتشوق إلى يحيى بن زياد

حدثنا عيسى بن الحسين عن حماد عن أبيه قال: دعا مطيع بن إياس صديقاً له من أهل بغداد إلى بستان له بالكرخ، يقال له بستان صباح، فأقام معه ثلاثة أيام في فتيان من أهل الكرخ مرد وشبان، ومغنين ومغنيات، فكتب مطيع إلى يحيى بن زياد الحارثي يخبره بأمره ويتشوقه قال:

كم ليلة بالكرخ قد بتها ... جذلان في بستان صباح

في مجلس تنفح أرواحه ... يا طيبها من ريح أرواح

يدير كأساً فإذا ما دنت حفت بأكواب وأقداح

في فتية بيض بهاليل ما إن لهم في الناس من لاح

لم يهنني ذاك لفقد امرىء ابيض مثل البدر وضاح

كأنما يشرق من وجهه إذا بدا لي ضوء مصباح

قال: فلما قرأ يحيى هذه الأبيات قام من وقته، فركب إليهم، وحمل إليهم ما يصلحهم من طعام وشراب وفاكهة، فأقاموا فيه أياماً على قصفهم حتى ملوا، ثم انصرفوا.

روايته شعراً لفتى كوفي

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال: قال مطيع بن إياس: جلست أنا ويحيى بن زياد إلى فتى من أهل الكوفة كان ينسب إلى الصبوة ويكتم ذاك، ففاوضناه وأخذنا في أشعار العرب ووصفها البيد وما أشبه ذلك، فقال:

لأحسن من بيد يحار بها القطا ومن جبلي طيٍّ ووصفكما سلعا

تلاحظ عيني عاشقين كلاهما له مقلة في وجه صاحبه ترعى

المهدي يعاتب مطيع بن إياس

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبو المضاء قال: عاتب المهدي مطيع بن إياس في شيء بلغه عنه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن كان ما بلغك عني حقاً فما تغني المعاذير، وإن كان باطلاً فما تضر الأباطيل. فقبل عذره وقال: فإنا ندعك على حملتك ولا نكشفك. والله أعلم.

مطيع وأصحابه وجوهر المغنية

حدثني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال: اجتمع حماد الراوية ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد وحكم الوادي يوماً على شراب لهم في بستان بالكوفة، وذلك في زمن الربيع، ودعوا جوهر المغنية، وهي التي يقول فيها مطيع:

أنت يا جوهر عندي جوهره في قياس الدرر المشتهره

فشربوا تحت كرم معروش حتى سكروا، فقال مطيع في ذلك:

خرجنا نمتطي الزهرا ونجعل سقفنا الشجرا

ونشربها معتقة تخال بكأسها شررا

وجوهر عندنا تحكي بدارة وجهها القمرا
يزيدك وجهها حسناً إذا ما زدته نظرا
وجوهر قد رأيناها فلم نر مثلها بشر

غنى فيه حكم غناء خفيفاً، فلم يزالوا يشربون عليه بقية يومهم. وقد روي أن بعض هذا الشعر للمهدي وأنه قال منه واحداً، وأجازه بالباقي بعض االشعراء. وهذا أصح. لحن حكم في هذا الشعر خفيف رمل بالوسطى.

مطيع يهجو أباه

حدثنا محمد بن خلف وكيع قال حدثني حماد عن أبيه قال:
كان مطيع بن إياس عاقاً بأبيه شديد البغض له وكان يهجوه، فأقبل يوماً من بعد، ومطيع يشرب مع إخوان له، فلما رآه أقبل على أصحابه فقال:

هذا إياسٌ مقبلاً جاءت به إحدى الهنات
هوز فوه وأنفه كلمن في إحدى الصفات
كأن سعفص بطنه والثغر شين قريشات
لما رأيتك آتياً أيقنت أنك شرآت

مطيع يمدح معن بن زائدة

حدثني جعفر بن قدامه بن زياد الكاتب قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني قال:
مدح مطيع بن إياس معن بن زائدة بقصيدته التي أولها:

أهلاً وسهلاً بسيد العرب ذي الغرر الواضحات والنجب
فتى نزار وكهلها وأخي ال جود حوى غايتيه من كثب
قيل أتاكم أبو الوليد فقا ل الناس طرافي السهل والرحب
أبو العفاة الذي يلوذ به من كان ذا رغبة وذا رهب
جاء الذي تفرج الهموم به حين يلز الوضين بالحقب
جاء وجاء المضاء يقدمه رأي إذا هم غير مؤتشب
شهم إذا الحرب شب دائرها أعادها عودة على القطب
يطفىء نيرانها ويوقدها إذا خبت نارها بلا حطب

إلا بوقع المذكرات يشبه ... ن إذا ما انتضين بالشهب

لم أر قرناً له يبارزه ... إلا أراه كالصقر والخرب

ليث بخفان قد حمى أجماً ... فصار منها في منزل أشب

شبلاه قد أدبا به فهما ... شبهاه في جده وفي لعب

قد ومقا شكله وسيرته ... وأحكما منه أكرم الأدب

نعم الفتى تقرن الصعاب به ... عند تجاثي الخصوم للركب

ونعم ما ليلة الشتاء إذا اس ... تنبح كلب القرى فلم يجب

لا ونعم عنده مخالفة ... مثل اختلاف الصعود والصبب

يحصر من لا فلا يهم بها ... ومنه تضحي نعم على أرب

ترى له الحلم والنهى خلقاً ... في صولة مثل جاحم اللهب

سيف الإمامين ذاك وذا إذا ... قل بناة الوفاء والحسب

ذا هودة لا يخاف نبوتها ... ودينه لا يشاب بالريب

فلما سمعها معن قال له: إن شئت مدحناك كما مدحتنا وإن شئت أثبناك. فاستحيا مطيع من اختيار الثواب على المديح وهو محتاج إلى الثواب، فأنشأ يقول لمعن:

ثناء من أمير خير كسب ... لصاحب فاقة وأخى ثراء

ولكن الزمان برى عظامي ... وما مثل الدراهم من دواء

فضحك معن حتى استلقى وقال: لقد لطفت حتى تخلصت منها، صدقت، لعمري ما مثل الدراهم من دواء! وأمر له بثلاثين ألف درهم، وخلع عليه وحمله

مطيع وصديق له عربي

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني المهلبي عن أبيه عن إسحاق قال: كان لمطيع بن إياس صديق من العرب يجالسه، فضرط ذات يوم وهو عنده، فاستحيا وغاب عن المجلس، فتفقده مطيع وعرف سبب انقطاعه، فكتب إليه وقال:

أظهرت منك لنا هجراً ومقلية ... وغبت عنا ثلاثاً لست تغشانا

هون عليك فما في الناس ذو إبل ... إلا وأنيقه يشردن أحيانا

مجون مطيع وأصحابه في الصلاة

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني العباس بن ميمون طائع قال حدثنا بعض شيوخنا البصريين الظرفاء وقد ذكرنا مطيع بن إياس، فحدثنا عنه قال: اجتمع يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وجميع أصحابهم، فشربوا أياماً تباعاً، فقال لهم يحيى ليلة من الليالي وهم سكارى: ويحكم! ما صلينا منذ ثلاثة أيام فقوموا بنا حتى نصلي. فقالوا: نعم. فقام مطيع فأذن وأقام، ثم قالوا: من يتقدم؟ فتدافعوا ذلك، فقال مطيع للمغنية: تقدمي فصلي بنا. فتقدمت تصلي بهم عليها غلالة رقيقة مطيبة بلا سراويل، فلما سجدت بان فرجها، فوثب مطيع وهي ساجدة فكشف عنه وقبله وقطع صلاته، ثم قال:

ولما بدا فرجها جاثماً ... كرأس حليق ولم تعتمد

سجدت إليه وقبلته ... كما يفعل الساجد المجتهد

فقطعوا صلاتهم، وضحكوا وعادوا إلى شربهم

إعجاب المهدي بتهنئة مطيع

حدثني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن القاسم مولى موسى الهادي قال: كتب المهدي إلى أبي جعفر يسأله أن يوجه إليه بابنه موسى، فحمله إليه، فلما قدم عليه قامت الخطباء تهنئه، والشعراء تمدحه، فأكثروا حتى آذوه وأغضبوه، فقام مطيع بن إياس فقال:

أحمد الله إله ال ... خلق رب العالمينا

الذي جاء بموسى ... سالماً في سالمينا

الأمير ابن الأمير اب ... ن أمير المؤمنينا

فقال المهدي: لا حاجة بنا إلى قول بعد ما قاله مطيع. فأمسك الناس، وأمر له بصلة.

مطيع ينصح يحيى بن زياد

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب لأبي سعيد السكري بخطه. قال: حدثني ابن أبي فنن. أخبرني يحيى بن علي بن يحيى بهذا الخبر فيما أجاز لنا أن يرويه عنه عن أبي أيوب المدائني عن ابن أبي الدواهي، وخبر السكري أتم واللفظ له، قال: كان بالكوفة رجل يقال له أبو الأصبغ له قيان، وكان له ابن وضيء حسن الصورة يقال له الأصبغ ، لم يكن بالكوفة أحسن وجهاً منه، وكان يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وحماد عجرد وضرباؤهم يألفونه ويعشقونه ويطرفونه ، وكلهم كان يعشق ابنه أصبغ، حتى كان يوم نوروز وعزم أبو الأصبغ على أن

يصطبح مع يحيى بن زياد، وكان يحيى قد أهدى له من الليل جداء ودجاجاً وفاكهة وشراباً، فقال أبو الأصبع لجواريه: إن يحيى بن زياد يزورنا اليوم، فأعددن له كل ما يصلح لمثله. ووجه بغلمان له ثلاثة في حوائجه، و لم يبق بين يديه أحد، فبعث بابنه أصبغ إلى يحيى يدعوه ويسأله التعجيل، فلما جاءه استأذن له الغلام، فقال له يحيى: قل له يدخل، وتنح أنت وأغلق الباب ولا تدع الأصبغ يخرج إلا بإذني. ففعل الغلام ودخل الأصبغ، فأدى إليه رسالة أبيه، فلما فرغ راوده يحيى عن نفسه، فامتنع، فثاوره يحيى وعاركه حتى صرعه، ثم راﻟم حل تكته، فلم يقدر عليها، فقطعها وناكه، فلما فرغ أخرج من تحت مصلاه أربعين دينار، فأعطاه إياها، فأخذها، وقال له يحيى: امض فإني بالأثر. فخرج اصبغ من عنده، فوافاه مطيع بن إياس، فرآه يتبخر ويتطيب ويتزين، فقال له: كيف أصبحت؟ فلم يجبه، وشمخ بأنفه، وقطب حاجبيه، وتفخم؛ فقال له: ويحك مالك؟ نزل عليك الوحي؟ كلمتك الملائكة؟ بويع لك بالخلافة؟ وهو يومىء برأسه: لا لا، في كل كلامه، فقال له: كأنك قد نكت أصبغ بن أبي الأصبغ قال: إي والله الساعة نكته، وأنا اليوم في دعوة أبيه. فقال مطيع: فامرأته طالق إن فارقتك أو نقبل متاعك. فأبداه له يحيى حتى قبله، ثم قال له: كيف قدرت عليه؟ فقال يحيى ما جرى وحدثه بالحديث، وقام يمضي إلى منزل أبي الأصبغ، فتبعه مطيع، فقال له: ما تصنع معي والرجل لم يدعك؟ وإنما يريد الخلوة. فقال: أشيعك إلى بابه ونتحدث. فمضى معه، فدخل يحيى ورد الباب في وجه مطيع، فصبر ساعة، ثم دق الباب فاستأذن، فخرج إليه الرسول، وقال له: يقول لك أنا اليوم على شغل لا أتفرغ معه لك . فتعذر قال: فابعث إلي بدواة وقرطاس، فكتب إليه مطيع :

يا أبا الأصبغ لا زلت على	كل حال ناعما متبعا
لا تصيرنى في الود كمن	قطع التكة قطعاً شنعا
وأتى ما يشتهي لم يثنه	خيفة أو حفظ حق ضيعا
لو ترى الأصبغ ملقى تحته	مستكيناً خجلاً قد خضعا
وله دفع عليه عجل	شبق شاءك ما قد صنعا
فادع بالأصبغ واعلم حاله	سترى أمراً قبيحاً شنعا

قال فقال أبو الأصبغ ليحيى: فعلتها يا ابن الزانية؟ قال: لا والله. فضرب بيده إلى تكة ابنه، فرآها مقطوعة، وأيقن يحيى بالفضيحة، فتلكأ الغلام، فقال له يحيى: قد كان الذي كان، وسعى بي إليك مطيع ابن الزانية، وهذا ابني وهو والله أفره من ابنك، وأنا عربي ابن عربية وأنت نبطي ابن نبطية، فنك ابني عشر مرات مكان المرة التي نكت ابنك، فتكون قد ربحت الدنانير، وللواحد عشرة فضحك وضحك الجواري، وسكن غضب أبي الأصبغ، وقال لابنه: هات الدنانير يا بن الفاعلة. فرمى بها إليه، وقام خجلاً، وقال يحيى: والله لا أدخل مطيع الساعي ابن الزانية

فقال أبو الأصبغ وجواريه: والله ليدخلن، فقد نصحنا وغششتنا. فأدخلناه وجلس يشرب ومعهم يجيى يشتمهم بكل لسان، وهو يضحك، والله أعلم.

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا الكراني عن العمري عن العتبي قال: حضر مطيع بن إياس وشراعة بن الزندبوذ ويحيى بن زياد ووالبة بن الحباب وعبد الله بن العياش المنتوف وحماد عجرد، مجلساً لأميرٍ من أمراء الكوفة، فتكايدوا جميعاً عنده، ثم اجتمعوا على مطيع يكايدونه ويهجونه فغلبهم جميعاً، حتى قطعهم ثم هجاهم بهذين البيتين وهما.

وخمسةٍ قد أبانوا لي كيادهم ... وقد تلظى لهم ملقًى وطنجير

لو يقدرون على لحمي لمزقه ... قردٌ وكلبٌ وجرواه وخنزير

أخبرني وكيعٌ عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال: دخل صديق لمطيع بن إياس، فرأى غلاماً تحته ينيكه، وفوق مطيع غلام له يفعل كذلك، فهو كأنه في تخت، فقال له: ما هذا يا أبا سلمى؟ قال: هذه اللذة المضاعفة.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمادٍ عن أبيه قال: كان حمادٌ الراوية قد هجر مطيعاً لشيء بلغه عنه، وكان مطيع حلقياً، فأنشد شعراً ذات يوم وحماد حاضر، فقيل له: من يقول هذا يا أبا سلمى؟ قال: الحطيئة. قال حماد: نعم هذا شعر الحطيئة لما حضر الكوفة وصار بها حلقياً. يعرض حماد بأنه كذاب، وأنه حلقي، فأمسك مطيع عن الجواب وضحك.

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني محمد بن إسحاق البغوي قال حدثنا بن الأعرابي عن الفضل قال: جاء رجل إلى مطيع بن إياس فقال: قد جئتك خاطباً، قال: لمن؟ قال: لمودتك. قال: قد أنكحتكها وجعلت الصداق ألا تقبل في قول قائلٍ. ويقال إن الأبيات التي فيها الغناء المذكور بذكرها أخبار مطيع بن إياس يقولها في جارية له يقال لها جودانة كان باعها فندم، فذكر الجاحظ أن مطيعاً حلف أنها كانت تستلقي على ظهرها فيشخص كتفاها ومأكمتاها، فتدخرج تحتها الرمان فينفذ إلى الجانب الآخر. ويقال إنه قالها في امرأة من أبناء الدهاقين كان يهواها، وشعره يدل على صحة هذا القول، والقول الأول غلط.

أخبرني بخبره مع هذه الجارية أبو الحسن الأسدي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن سعيد بن سالمٍ قال: أخبرني مطيع بن إياس الليثي - وكان أبوه من أهل فلسطين من أصحاب الحجاج بن يوسف - أنه كان مع سلم بن قتيبة، فلما خرج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، كتب إليه المنصور يأمره باستخلاف رجلٍ على عمله والقدوم عليه في خاصته على البريد، قال مطيع: وكانت لي جارية يقال لها جودانة كنت أحبها، فأمرني سلم بالخروج معه، فاضطررت إلى بيع الجارية، فبعتها وندمت على ذلك بعد خروجي وتمنيت أن أكون أقمت، وتتبعتها نفسي، ونزلنا حلوان، فجلست على العقبة أنتظر ثقلي وعنان دابتي في يدي وأنا مستند إلى نخلة على العقبة وإلى جانبها نخلة أخرى، فتذكرت الجارية واشتقتها وقلت:

أسعداني يا نخلتي حلوان وابكيا لي من ريب هذا الزمان
واعلما أن ريبه لم يزل يف رق بين الألاف والجيران
ولعمري لو ذقتما ألم الفر قة قد أبكاكما الذي أبكاني
أسعداني وأيقنا أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقان
كم رمتني صروف هذي الليالي بفراق الأحباب والخلان
غير أني لم تلق نفسي كما لا قيت من فرقة ابنة الدهقان
جارة لي بالري تذهب همي ويسلي دنوها أحزاني
فجعتني الأيام أغبط ما كن ت بصدعٍ للبين غير مدان

وبرغمي أن أصبحت لا تراها ال عين مني وأصبحت لا تراني
إن نكن ودعت فقد تركت بي لهباً في الضمير ليس بوان
كحريق الضرام في قصب الغا ب زفته ريحان تختلفان
فعليك السلام مني ما سا غ سلاما عقلي وفاض لساني

هكذا ذكر أبو الحسن الأسدي في هذا الخبر وهو غلط.

نسخت خبر هذا من خط أبي أيوب المدائني عن حماد، و لم يقل عن أبيه عن سعيد بن سالم عن مطيع قال: كانت لي بالري جارية أيام مقامي بها مع سلم بن قتيبة، فكنت أتستر بها، وكنت أتعشق امرأةً من بنات الدهاقين كنت نازلاً إلى جنبها في دار لها، فلما خرجنا بعت الجارية وبقيت في نفسي علاقةٌ من المرأة التي كنت أهواها، فلما نزلنا عقبة حلوان جلست مستنداً إلى إحدى النخلتين اللتين على العقبة فقلت:

أسعداني يا نخلتي حلوان وارثيا لي من ريب هذا الزمان

وذكر الأبيات، فقال لي سلم: ويلك هذه الأبيات؟ أفي جاريتك؟ فاستحييت أن أصدقه فقلت: نعم. فكتب من وقته إلى خليفته أن يبتاعها لي، فلم ألبث أن ورد كتابه: إني وجدتها قد تداولها الرجال، فقد عزفت نفسي عنها، فأمر لي بخمسة آلاف درهم، ولا والله ما كان في نفسي منها شيء، ولو كنت أحبها لم أبال إذا رجعت إلي بمن تداولها، و لم أبال لوناكها أهل مني كلهم.

أخبرني عمي عن الحسن عن أحمد بن أبي طاهر عن عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن الفضل الهاشمي عن سلام الأبرش، قال: لما خرج الرشيد إلى طوس هاج به الدم بحلوان، فأشار عليه الطبيب أن يأكل جماراً، فأحضر دهقان حلوان وطلب منه جماراً، فأعلمه أن بلده ليس بها نخل، ولكن على العقبة نخلتان، فمر بقطع إحداهما،

فقطعت، فأتي الرشيد بجمارتها، فأكل منها وراح. فلما انتهى إلى العقبة نظر إلى إحدى النخلتين مقطوعة والأخرى قائمة، وإذا على القائمة مكتوب:

أسعداني يا نخلتي حلوان وابكيا لي من ريب هذا الزمان

أسعداني وأيقنا أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقان

فاغتم الرشيد، وقال: يعز علي أن أكون نحستكما، ولو كنت سمعت بهذا الشعر ما قطعت هذه النخلة ولو قتلني الدم.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارثي بن أبي أسامة قال حدثني محمد بن أبي محمد القيسي عن أبي سمير عبد الله بن أيوب قال: لما خرج المهدي فصار بعقبة حلوان استطاب الموضع فتغدى ودعا بحسنة فقال لها: أما ترين طيب هذا الموضع؟ غنيني بحياتي حتى أشرب ها هنا أقداحاً، فأخذت محكة كانت في يده وأوقعت على مخدة وغنته:

أيا نخلتي وادي بوانة حبذا إذا نام حراس النخيل جناكما

فقال: أحسنت، ولقد هممت بقطع هاتين النخلتين - يعني نخلتي حلوان - فمنعني منهما هذا الصوت. قالت له حسنة: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون النحس المفرق بينهما. فقال لها: وما ذاك؟ فأنشدته أبيات مطيع هذه.

فلما بلغت إلى قوله:

أسعداني وأيقنا أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقان

قال: أحسنت والله فيما قلت، إذ نبهتني على هذا، والله لا أقطعهما أبداً، ولأوكلن بهما من يحفظهما ويسقيهما ما حييت. ثم أمر بأن يفعل، فلم يزل في حياته على ما رسمه إلى أن مات.

أيا نخلتي وادي بوانة حبذا إذا نام حراس النخيل جناكما

فطيبكما أربى على النخل بهجةً وزاد على طول الفتاء فتاكما

يقال إن الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة، وفيه لعطردٍ رمل بالوسطى من روايته ورواية الهشامي.

أخبرني عمي عن أحمد بن طاهر عن الخراز عن المدائني أن المنصور اجتاز بنخلتي حلوان وكانت إحداهما على الطريق، فكانت تضيقه وتزحم الأثقال عليه، فأمر بقطعهما، فأنشد قول مطيع:

واعلما ما بقيتما أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقان

قال: لا والله ما كنت ذلك النحس الذي يفرق بينهما، وتركهما.

وذكر أحمد بن إبراهيم عن أبيه عن جده إسماعيل بن داود المهدي قال: قد أكثر الشعراء في نخلتي حلوان

ولهممت أن آمر بقطعهما. فبلغ قوله المنصور، فكتب إليه:

بلغني أنك هممت بقطع نخلتي حلوان، ولا فائدة لك في قطعهما، ولا ضرر عليك في بقائهما، فأنا أعيذك بالله أن تكون النحس الذي يلقاهما، فتفرق بينهما. يريد قول مطيع.

ومما قالت الشعراء في نخلتي حلوان قول حماد عجرد، وفيه غناء قد ذكرته في أخبار حماد:

جعل الله سدرتي قصر شيري ... ن فداءً لنخلتي حلوان

جئت مستسعداً فلم يسعداني ... ومطيعٌ بكت له النخلتان

وأنشدني جحظة ووكيعٌ عن حماد عن أبيه لبعض الشعراء و لم يسمه:

أيها العاذلان لا تعذلاني ... ودعاني من الملام دعاني

وابكيا لي فإنني مستحق ... منكما بالبكاء أن تسعداني

إنني منكما بذلك أولى ... من مطيع بنخلتي حلوان

فهما تجهلان ما كان يشكو ... من هواه وأنتما تعلمان

وقال فيهما أحمد بن إبراهيم الكاتب في قصيدة:

وكذاك الزمان ليس وإن أل ... ف يبقى عليه مؤتلفان

سلبت كفه الغري أخاه ... ثم ثنى بنخلتي حلوان

فكأن الغري قد كان فرداً ... وكأن لم تجاور النخلتان

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب الزبيري عن أبيه قال: جلس مطيع بن إياس في العلة التي مات فيها في قبة خضراء وهو على فرش خضر، فقال له الطبيب: أي شيء تشتهي اليوم؟ قال: أشتهي ألا أموت. قال: ومات في علته هذه، وذلك بعد ثلاثة أشهر مضت له من خلافة الهادي.

قال أبوالفرج: ما وجدت فيه غناء من شعر مطيع، قال:

أمر مدامةً صرفا ... كأن صبيبها ودج

كأن المسك نفحتها ... إذا بزلت لها أرج

فظل تخاله ملكا ... يصرفها ويمتزج

الغناء لإبراهيم، ثاني ثقيل بالخنصر والوسطى عن ابن المكي. وفيه لحن آخر لابن جامع. وهذه الطريقة بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

جدلت كجدل الخيزرا ... ن وثنيت فتثنت

وتيقنت أن الفؤا ... د يحبها فأدلت

الغناء لعبد الله بن عباس الربيعي خفيف رمل، وذكر حبش أنه لمقامة.

أيها المبتغي بلوى رشادي اله عني فما عليك فسادي

أنا خلو من الذي بي وما يع لم ما بي إلا القريح الفؤاد

الغناء ليونس رمل بالبنصر من كتابه ورواية الهشامي.

إلا إن أهل الدار قد ودعوا الدارا وقد كان أهل الدار في الدار أجوارا

يبكي على إثر الجميع فلا يرى سوى نفسه فيها من القوم ديارا

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة. وذكر ابن المكي أن فيه لابن سريج لحناً من الثقيل الأول بالبنصر.

انقضت أخبار مطيع ولله الحمد

في انقباضٌ وحشمةٌ فإذا صادفت أهل الوفاء والكرم

أرسلت نفسي على سجيتها وقلت ما قلت غير محتشم

الشعر لمحمد بن كناسة الأسدي، والغناء لقلم الصالحية، ثقيل أول بالوسطى. وذكر ابن خرداذبة أن فيه لإسماعيل بن صالح لحناً.

أخبار محمد بن كناسة ونسبه

هو محمد بن كناسة، واسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى بن عبيد الله بن خليفة بن زهير بن نضلة بن أنيف بن مازن بن صهبان - واسم صهبان كعب - بن دويبة بن أسامة بن نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، ويكنى أبا يحيى. شاعرٌ من شعراء الدولة العباسية، كوفي المولد والمنشأ، قد حمل عنه شيء من الحديث، وكان إبراهيم بن إدهم الزاهد خاله، وكان امرأ صالحاً لا يتصدى لمدح ولا لهجاء، وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير، وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر.

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال حدثني إبراهيم بن أبي عثمان قال حدثني مصعب الزبيري قال: قلت لمحمد بن كناسة الأسدي ونحن بباب أمير المؤمنين: أأنت الذي تقول في إبراهيم بن أدهم العابد:

رأيتك ما يغنيك ما دونه الغنى وقد كان يغنى دون ذاك ابن أدهما

وكان يرى الدنيا صغيراً عظيمها وكان لحق الله فيها معظما

وأكثر ما تلقاه في القوم صامتاً فإن قال بذ القائلين وأحكما

فقال محمد بن كناسة: أنا قلتها وقد تركت أجودها. فقال:

أهان الهوى حتى تجنبه الهوى كما اجتنب الجاني الدم الطالب الدما

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني علي بن مسرور العتكي قال حدثني أبي قال قال ابن كناسة: لقد كنت أتحدث بالحديث فلو لم يجد سامعه إلا القطن الذي على وجه أمه في القبر لتعلل عليه حتى يستخرجه ويهديه إلي، وأنا اليوم أتحدث بذلك الحديث فما أفرغ منه حتى أهيء له عذراً.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان إجازةً قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني عبيد الله بن يحيى بن فرقدٍ قال سمعت محمد بن كناسة يقول: كنت في طريق الكوفة، فإذا أنا بجويريةٍ تلعب بالكعاب كأنها قضيب بانٍ، فقلت لها: أنت أيضاً لو ضعت لقالوا ضاعت جارية، ولو قالوا ضاعت ظبية كانوا أصدق. فقالت: ويلي عليك يا شيخ! وأنت أيضاً تتكلم بهذا الكلام؟ فكسفت والله إلى بالي ثم تراجعت فقلت:

وإني لحلوٌ مخبري إن خبرتني ولكن يغطيني ولا ريب بي شيخ

فقالت لي وهي تلعب وتبسمت: فما أصنع بك أنا إذاً؟ فقلت: لا شيء. وانصرفت.

أخبرنا ابن المرزبان قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: سألت محمد بن كناسة عن قول الشاعر:

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا

فقال: يقول إذا صارت الجوزاء في الموضع الذي ترى فيه الثريا خفت تفرق الحي من مجمعهم، والثريا تطلع بالغداة في الصيف، والجوزاء تطلع بعد ذلك في أول القيظ.

أخبرني ابن المرزبان قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني صالح بن أحمد بن عباد قال: مر محمد بن كناسة في طريق بغداد، فنظر إلى مصلوب على جذعٍ، وكانت عنده امرأة يبغضها، وقد ثقل عليه مكانها، فقال يعنيها:

أيا جذع مصلوبٍ أتى دون صلبه ثلاثون حولاً كاملاً هل تبادل

فما أنت بالحمل الذي قد حملته بأضجر مني بالذي أنا حامل

أخبرني ابن المرزبان قال حدثنا عبد الله بن محمد. وأخبرني الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن محمد بن عمران عن عبيد بن حسن قال: رأى رجل محمد بن كناسة يحمل بيدة بطن شاة، فقال: هاته أحمله عنك. فقال: لا. ثم قال:

لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفعٍ إلى عياله

أخبرني وكيعٌ قال أخبرني ابن أبي الدنيا قال حدثنا محمد بن علي بن عثمان عن أبيه قال: كنت يوماً عند ابن كناسة، فقال لنا: أعرفكم شيئاً من فهم دنانير؟ يعني جاريته. قلنا: نعم. فكتب إليها: إنك أمةٌ ضعيفةٌ لكعاء، فإذا جاءك كتابي هذا فعجلي بجوابي. والسلام. فكتبت إليه: ساعني تهجينك إياي عند أبي الحسين، وإن من أعيا العي الجواب عما لا جواب له. والسلام.

أخبرني وكيعٌ قال أخبرني ابن أبي الدنيا قال كتب إلي الزبير بن بكار أخبرني علي بن عثمان الكلابي قال: جئت

يوماً إلى منزل محمد بن كناسة فلم أجده، ووجدت جاريته دنانير جالسة، فقالت لي: ما لك محزوناً يا أبا الحسين؟ فقلت: رجعت من دفن أخٍ لي من قريش، فسكتت ساعة ثم قالت:

بكيت على أخٍ لك من قريشٍ ... فأبكانا بكاؤك يا علي

فمات وما خبرناه ولكن ... طهارة صحبه الخبر الجلي

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال: أملق محمد بن كناسة فلامه قومه في القعود عن السلطان وانتجاعه الأشراف بأدبه وعلمه وشعره، فقال لهم مجيباً عن ذلك:

تؤنبني أن صنت عرضي عصابةٌ ... لها بين أطناب اللئام بصيص

يقولون لو غمضت لازددت رفعةً ... فقلت لهم إني إذن لحريص

أتكلم وجهي لا أبا لأبيكم ... مطامع عنها للكرام محيص

معاشي دوين القوت والعرض وافرٌ ... وبطني عن جدوى اللئام خميص

سألقى المنايا لم أخالط دنيةً ... ولم تسر بي في المخزيات قلوص

حدثنا الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال حدثني إسحاق الموصلي قال: أنشدني محمد بن كناسة لنفسه قال:

في انقباضٌ وحشمةٌ فإذا ... صادفت أهل الوفاء والكرم

أرسلت نفسي على سجيتها ... وقلت ما قلت غير محتشم

قال إسحاق فقلت لابن كناسة: وددت أنه نقص من عمري سنتان وأني كنت سبقتك إلى هذين البيتين فقلتهما.

حدثني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال حدثني محمد بن المقدام العجلي قال: كانت أم محمد بن كناسة امرأةً من بني عجل، وكان إبراهيم بن أدهم خاله أو ابن خاله، فحدثني ابن كناسة أن إبراهيم بن أدهم قدم الكوفة فوجهت أمه إليه بهديةً معه، فقبلها ووهب له ثوباً، ثم مات إبراهيم، فرثاه ابن كناسة فقال:

رأيتك ما يكفيك ما دونه الغنى ... وقد كان يكفي دون ذاك ابن أدهما

وكان يرى الدنيا قليلاً كثيرها ... فكان لأمر الله فيهما معظما

أمات الهوى حتى تجنبه الهوى ... كما اجتنب الجاني الدم الطالب الدما

وللحلم سلطانٌ على الجهل عنده ... فما يستطيع الجهل أن يترمرما

وأكثر ما تلقاه في القوم صامتاً وإن قال بذ القائلين وأحكما
يرى مستكيناً خاضعاً متواضعاً وليثاً إذا لاقى الكتيبة ضيغما
على الجدث الغربي من آل وائلٍ سلامٌ وبرٌ ما أبر وأكرما

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني زكريا بن مهران قال: عاتب محمد بن كناسة صديقٌ له شريفٌ كان ابن كناسة يزوره ويألفه على تأخره عنه، فقال ابن كناسة:

ضعفت عن الإخوان حتى جفوتهم على غير زهدٍ في الوفاء ولا الود
ولكن أيامي تخرمن منتي فما أبلغ الحاجات إلا على جهد

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال أنشدني ابن كناسة قال الضبي، وكان يحيى يستحسنها ويعجب بها:

ومن عجب الدنيا تبقيك للبلى وأنك فيها للبقاء مريد
وأي بني الأيام إلا وعنده من الدهر ذنبٌ طارفٌ وتليد
ومن يأمن الأيام أما انبياعها فخطر وأما فجعها فعتيد
إذا اعتادت النفس الرضاع من الهوى فإن فطام النفس عنه شديد

حدثني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال قال لي عبيد بن الحسن: قال لي ابن كناسة ذات يوم في زمن الربيع: اخرج بنا ننظر إلى الحيرة فإنها حسنة في هذا الوقت. فخرجت معه حتى بلغنا الخورنق، فلم يزل ينظر إلى البر وإلى رياض الحيرة وحمرة الشقائق، فأنشأ يقول:

الآن حين تزين الظهر ميثاؤه وبراقه العفر
بسط الربيع بها الرياض كما بسطت قطوع اليمنة الخمر
بريةٌ في البحر نابتة يجبى إليها البر والبحر
وجرى الفرات على مياسرها وجرى على أيمانها الزهر
وبدا الخورنق في مطالعها فردا يلوح كأنه الفجر
كانت منازل للملوك ولم يعلم بها لمملك قبر

قال: ثم قال يصف تلك البلاد:

سفلت عن برد أرضٍ زادها البرد عذابا
وعلت عن حر أخرى تلهب النار التهابا

مزجت حيناً ببردٍ فصفا العيش وطابا

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني إسحاق بن محمد الأسدي قال حدثني عبد الأعلى بن محمد بن كناسة قال: رآني أبي مع أحداث لم يرضهم، فقال لي:

ينبيك عن عيب الفتى ترك الصلاة أو الخدين

فإذا تهاون بالصلا ة فما له في الناس دين

ويزن ذو الحدث المري ب بما يزن به القرين

إن العفيف إذا تكن فه المريب هو الظنين

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن خلاد قال أخبرنا عباد بن الحسين بن عباد بن كناسة - قال: كان محمد بن كناسة عم أبيه - قال: كان يجيء إلى محمد بن كناسة رجل من عشيرته فيجالسه، وكان يكتب الحديث ويتفقه ويظهر أدباً ونسكاً، وظهر محمد بن كناسة منه على باطنٍ يخالف ظاهره، فما جاءه قال له:

ما من روى أدباً فلم يعمل به ويكف عن دفع الهوى بأديب

حتى يكون بما تعلم عاملاً من صالح فيكون غير معيب

ولقلما يغني إصابة قائل أفعاله أفعال غير مصيب

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن كناسة عن أبيه عن جده قال: أتيت امرأةً من بني أودٍ تكحلني من رمد كان أصابني، فكحلتني ثم قالت: اضطجع قليلاً حتى يدور الدواء في عينك. فاضطجعت ، ثم تمثلت قول الشاعر:

أمخترمي ريب المنون ولم أزر طيب بني أودٍ على النأي زينبا

فضحكت ثم قالت: أتدري فيمن قيل هذا الشعر؟ قلت: لا والله. فقالت: في والله قيل، وأنا زينب التي عناها، وأنا طبيب أود، أفتدري من الشاعر؟ قلت: لا. قالت: عمك أبو سماك الأسدي.

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني علي بن عثام الكلابي قال: كانت لابن كناسة جارية شاعرة مغنية، يقال لها دنانير، وكان له صديق يكنى أبا الشعثاء، وكان عفيفاً مزاحاً، فكان يدخل إلى ابن كناسة يسمع غناء جاريته ويعرض لها بأنه يهواها. فقالت فيه:

لأبي الشعثاء حبٌ باطنٌ ليس فيه نهضةٌ للمتهم

يا فؤادي فازدجر عنه ويا عبث الحب به فاقعد وقم

زارني منه كلامٌ صائبٌ ووسيلات المحبين الكلم

صائدٌ تأمنه غزلانه مثل ما تأمن غزلان الحرم

صل إن أحببت أن تعطى المنى يا أبا الشعثاء لله وصم

ثم ميعادك يوم الحشر في جنة الخلد إن الله رحم

حيث ألقاك فلاماً ناشئاً يافعاً قد كملت فيه النعم

أخبرني أحمد بن العباس العسكري المؤدب قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أحمد بن محمد الأسدي قال حدثني جدي موسى بن صالح قال: ماتت دنانير جارية بن كناسة، وكانت أديبةٌ شاعرة، فقال يرثيها بقوله:

الحمد لله لا شريك له يا ليت ما كان منك لم يكن

إن يكن القول قل فيك فما أفحمني غير شدة الحزن

قال أبو الفرج: وقد روى ابن كناسة حديثاً كثيراً، وروى عنه الثقات من المحدثين، فممن روى ابن كناسة عنه سليمان بن مهران الأعمش، وإسماعيل بن أبي خالد، وهشام بن عروة بن الزبير، ومسعر بن كدام، وعبد العزيز بن أبي داود، وعمر بن ذر الهمداني، وجعفر بن برقان، وسفيان الثوري، وفطر بن خليفة ونظراؤهم.

طائفة مما روي من الأحاديث أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن سعد العوفي قال حدثنا محمد بن كناسة قال حدثنا الأعمش عن شقيق بن سلمة عن أبي موسى الأشعري قال: قلت: يا رسول الله إن الرجل يحب القوم و لم يلحق بهم. قال: المرء مع من أحب أخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثنا محمد بن كناسة قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائنا خديجة". والله أعلم.

أخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثنا ابن كناسة قال حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن زر بن حبيش قال: كانت في أبي بن كعب شراسةً، فقلت له: يا أبا المنذر، اخفض جناحك يرحمك الله، وأخبرنا عن ليلة القدر. فقال: هي ليلة سبع وعشرين. وقد روى حديثاً كثيراً ذكرت منه هذه الأحاديث فقط، ليعلم صحة ما حكيته عنه، وليس استيعاب هذا الجنس مما يصلح ها هنا.

أخبار قلم الصالحية

كانت قلم الصالحية جاريةً مولدة صفراء حلوةً حسنة الغناء والضرب حاذقةً، قد أخذت عن إبراهيم وابنه إسحاق، ويحيى المكي، وزبير بن دحمان. وكانت لصالح بن عبد الوهاب أخي أحمد بن عبد الوهاب كاتب صالح بن الرشيد، وقيل: بل كانت لأبيه. وكانت لها صنعةٌ يسيرة نحو عشرين صوتاً، واشتراها الواثق بعشرة آلاف دينار.

فأخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثني رذاذ أبو الفضل رالمغني مولى المتوكل على الله، قال حدثني أحمد

بن الحسين بن هشام، قال: كانت قلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب إحدى المغنيات المحسنات المتقدمات، فغنى بين يدي الواثق لحن لها في شعر محمد بن كناسة، قال:

في انقباضٌ وحشمةٌ فإذا صادفت أهل الوفاء والكرم

أرسلت نفسي على سجيتها وقلت ما قلت غير محتشم

فسأل: لمن الصنعة فيه؟ فقيل: لقلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب. فبعث إلى محمد بن عبد الملك الزيات فأحضره. ويلك؟ من صالح بن عبد الوهاب هذا! فأخبره: قال: أين هو؟ قال: ابعث فأشخصه وأشخص معه جاريته. فقدما على الواثق، فدخلت عليه قلم، فأمرها بالجلوس والغناء، فغنت، فاستحسن غناءها وأمر بابتياعها. فقال صالح: أبيعها بمائة ألف دينارٍ وولاية مصر. فغضب الواثق من ذلك، ورد عليه. ثم غنى بعد ذلك زرزورٌ الكبير في مجلس الواثق صوتاً، الشعر فيه لأحمد بن عبد الوهاب أخي صالح، والغناء لقلم، وهو:

أبت دار الأحبة أن تبينا أجدك ما رأيت لها معينا

تقطع نفسه من حب ليلى نفوساً من أثبن ولا جزينا

فسأل: لمن الغناء؟ فقيل: لقلم جارية صالح، فبعثت إلى ابن الزيات: أشخص صالحاً ومعه قلم. فلما أشخصهما دخلت على الواثق، فأمرها أن تغنيه هذا الصوت، فغنته، فقال لها: الصنعة فيه لك؟ نعم يا أمير المؤمنين. قال: بارك الله عليك. وبعث إلى صالح فأحضر، فقال: أما إذا وقعت الرغبة فيها من أمير المؤمنين فما يجوز أن أملك شيئاً له فيه رغبة، وقد أهديتها إلى أمير المؤمنين، فإن من حقها علي إذا تناهيت في قضائه أن أصيرها ملكه، فبارك الله له فيها. فقال له الواثق: قد قبلتها. وأمر ابن الزيات أن يدفع إليه خمسة آلاف دينار، وسماها احتياطاً، فلم يعطه ابن الزيات المال ومطله به، فوجه صالح إلى قلم من أعلمها ذلك، فغنت الواثق وقد اصطبح صوتاً، فقال لها: بارك الله فيك وفيمن رباك. فقالت: يا سيدي وما نفع من رباني مني إلا التعب والغرم علي والخروج مني صفراً؟ قال: أو لم آمر له بخمسة آلاف دينار؟ قالت: بلى! ولكن ابن الزيات لم يعطه شيئاً. فدعا بخادم من خاصة الخدم ووقع إلى ابن الزيات بحمل الخمسة آلاف الدينار إليه، وخمسة آلاف دينار أخرى معها.

قال صالح: فصرت مع الخادم إليه بالكتاب، فقربني وقال: أما الخمسة الآلاف الأولى فخذها فقد حضرت، والخمسة الآلاف الأخرى أنا أدفعها إليك بعد جمعة. فقمت، ثم تناساني كأنه لم يعرفني، وكتبت أقتضيه، فبعث إلي: اكتب لي قبضاً بها وخذها بعد جمعة. فكرهت أن أكتب قبضاً بها فلا يحصل لي شيء، فاستترت وهو في منزل صديق لي، فلما بلغه استتاري خاف أن أشكوه إلى الواثق، فبعث إلي بالمال وأخذ كتابي بالقبض. ثم لقيني الخادم بعد ذلك فقال لي: أمرني أمير المؤمنين أن أصير إليك فأسألك، هل قبضت المال؟ قلت: نعم قد قبضته.

قال صالح: وابتعت بالمال ضيعة وتعلقت بها وجعلتها معاشي، وقعدت عن عمل السلطان فما تعرضت منه لشيء بعدها.

أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرني ابن إسحاق الخراساني. قال: وحدثني محمد بن مخارق قال: لما بويع الواثق بالخلافة دخل عليه علي بن الجهم فأنشده قوله:

قد فاز ذو الدنيا وذو الدين بدولة الواثق هارون
وعم بالإحسان من فعله فالناس في خفضٍ وفي لين
ما أكثر الداعي له بالبقا وأكثر التالي بآمين

وأنشده أيضاً قوله فيه:

وثقت بالملك الوا ثق بالله النفوس
ملكٌ يشقى به الما ل ولا يشقى الجليس
أسد تضحك عن شد اته الحرب العبوس
أنس السيف به واس توحش العلق النفيس
يا بني العباس يأبى ال له إلا أن تسوسوا

وتغنت قلم جارية صالح بن عبد الوهاب في هذين الشعرين، فسمع الواثق الشعرين واللحنين من غيرها فأراد شراءها، وأمر محمد بن عبد الملك الزيات بإحضار مولاها وإحضارها، واشتراها منه بعشرة آلاف دينار.

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى فأنت على من فات قبلك شاغله
سقى جدثاً أعراف غمرة دونه ببيشة ديمات الربيع ووابله
وما بي حب الأرض إلا جوارها صداه وقولٌ ظن أني قائله

الشعر للشمردل بن شريك من قصيدةٍ طويلةٍ مشهورةٍ يرثي بها أخاه، والغناء لعبد الله بن العباس الربيعي ثقيل أول بالوسطى، ابتداؤه نشيد، ولمقاسة بن ناصح فيه خفيف رمل بالوسطى جميعاً عن الهشامي، وذكر حبش أن خفيف الرمل لخزرج.

أخبار الشمردل ونسبه

الشمردل بن شريك بن عبد الملك بن رؤبة بن مكرم بن ضبارى بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع. وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، كان في أيام جرير والفرزدق.

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ واسمه رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال: كان الشمردل بن شريك شاعراً من شعراء بن تميم في عهد جرير والفرزدق، وقد خرج هو

وإخوته حكم ووائل وقدامة إلى خراسان مع وكيع بن أبي سود، فبعث وكيع أخاه وائلاً في بعث لحرب الترك، وبعث أخاه قدامة إلى فارس في بعث آخر، وبعث أخاه حكماً في بعث إلى سجستان، فقال له: الشمردل: إن رأيت أيها الأمير أن تنفذنا معاً في وجه واحد، فإنا إذا اجتمعنا تعاونا وتناصرنا وتناسبنا. فلم يفعل ما سأله، وأنفذهم إلى الوجوه التي أرادها، فقال الشمردل يهجوه، وكتب بها إلى أخيه حكم مع رجل من بني جشم بن أد بن طابخة:

إني إليك إذا كتبت قصيدة ... لم يأتني لجوابها مرجوع

أيضيعها الجشمي فيما بيننا ... أم هل إذا وصت إليك تضيع

ولقد علمت وأنت عني نازحٌ ... فيما أتى كبد الحمار وكيع

وبنو غدانة كان معروفاً لهم ... أن يهضموا ويضيمهم يربوع

وعمارة العبد المبين إنه ... واللؤم في بدن القميص جميع

قال أبو عبيدة: و لم ينشب أن جاءه نعي أخيه قدامة من فارس، قتله جيش لقوهم بها، ثم تلاه نعي أخيه وائل بعده بثلاثة أيام، فقال يرثيهما:

أعاذل كم من روعةٍ قد شهدتها ... وغصة حزن في فراق أخ جزل

إذا وقعت بين الحيازيم أسدفت ... علي الضحى حتى تنسيني أهلي

وما أنا إلا مثل من ضربت له ... أسى الدهر عن ابني أبٍ فارقا مثلي

أقول إذا عزيت نفسي بإخوة ... مضوا لاضعافٍ في الحياة ولا عزل

أبى الموت إلا فجع كل بني أب ... سيمسون شتى غير مجتمعي الشمل

سبيل حبيبي اللذين تبرضا ... دموعي حتى أسرع الحزن في عقلي

كأن لم نسر يوماً ونحن بغبطةٍ ... جميعاً وينزل عند رحليهما رحلي

فعيني إن أفضلتما بعد وائلٍ ... وصاحبه دمعاً فعودا على الفضل

خليلي من دون الأخلاء أصبحا ... رهيني وفاءٍ من وفاةٍ ومن قتل

فلا يبعدا للداعيين إليهما ... إذا اغبر آفاق السماء من المحل

فقد عدم الأضياف بعدهما القرى ... وأخمد نار الليل كل فتًى وغل

وكانا إذا أيدي الغضاب تحطمت ... لواغر صدر أو ضغائن من تبل

تحاجز أيدي جهل القوم عنهما ... إذا أتعب الحلم التترع بالجهل

كمستأسدي عريسةٍ لهما بها حمًى هابه من بالخزونة والسهل

ومنها الصوت الذي ذكرت أخباره بذكره.

قال أبو عبيدة: وقال يرثي أخاه وائلاً، وهي من مختار المراثي وجيد شعره:

لعمري لئن غالت أخي دار فرقةٍ وآب إلينا سيفه ورواحله
وحلت به أثقالها الأرض وانتهى بمثواه منها وهو عفٌ مآكله
لقد ضمنت جلد القوى كان يتقى به جانب الثغر المخوف زلازله
وصولٌ إذا استغنى وإن كان مقترا من المال لم يحف الصديق مسائله
محلٌ لأضياف الشتاء كأنما هم عنده أيتامه وأراملة
رخيص نضيج اللحم مغلٍ بنيئه إذا بردت عند الصلاء أناملة
أقول وقد رجمت عنه فأسرعت إلي بأخبار اليقين محاصله
إلى الله أشكو لا إلى الناس فقده ولوعة حزن أوجع القلب داخله

وتحقيق رؤيا في المنام رأيتها فكان أخي رمحاً ترفض عامله
سقى جدثاً أعراف غمرة دونه ببيشة ديمات الربيع ووابله
بمثوى غريبٍ ليس منا مزاره بدانٍ ولا ذو الود منا مواصله
إذا ما أتى يومٌ من الدهر دونه فحياك عنا شرقه وأصائله
سنا صبح إشراقٍ أضاء ومغربٌ من الشمس وافى جنح ليلٍ أوائله
تحية من أدى الرسالة حببت إليه ولم ترجع بشيءٍ رسائله
أبى الصبر أن العين بعدك لم يزل يخالط جفنيها قذىً لا يزايله
وكنت أعير الدمع قبلك من بكى فأنت على من مات بعدك شاغله
يذكرني هيف الجنوب ومنتهى مسير الصبا رمساً عليه جنادله
وهتافةٌ فوق الغصون تفجعت لفقد حمام أفردتها حبائله
من الورق بالأصياف نواحة الضحى إذا الغرقد التفت عليه غياطله
وسورة أيدي القوم إذا حلت الحبا حبا الشيب واستعوى أخا الحلم جاهله

فعيني إذ أبكاكما الدهر فابكيا لمن نصره قد بان منا ونائله
إذا استعبرت عوذ النساء وشمرت مآزر يوم ما توارى خلاخله
وأصبح بيت الهجر قد حال دونه وغال امرأ ما كان يخشى غوائله
وثقن به عند الحفيظة فارعوى إلى صوته جاراته وحلائله
إلى ذائد في الحرب لم يك خاملاً إذا عاذ بالسيف المجرد حامله
كما ذاد عن عريسة الغيل مخدر يخاف الردى ركبانه ورواحله
فما كنت ألفي لامرىء عند موطنٍ أخاً بأخي لو كان حياً أبادله
وكنت به أغشى القتال فعزني عليه من المقدار من لا أقاتله
لعمرك إن الموت منا لمولعٌ بمن كان يرجى نفعه ونوافله
فما البعد إلا أننا بعد صحبة كأن لم نبايت وائلاً ونقايله
سقى الضفرات الغيث ما دام ثاوياً بهن وجادت أهل شوكٍ مخايله
وما بي حب الأرض إلا جوارها صداه وقول ظن إني قائله

قال أبو عبيدة: ثم قتل أخوه حكم أيضاً في وجهه، وبرز بعض عشيرته إلى قاتله فقتله، وأتى أخاه الشمردل أيضاً نعيه فقال يرثيه:

يقولون احتسب حكماً وراحوا بأبيض لا أراه ولا يراني
وقبل فراقه أيقنت أني وكل ابني أبٍ متفارقان
أخٌ لي لو دعوت أجاب صوتي وكنت مجيبه أنى دعاني
فقد أفنى البكاء عليه دمعي ولو أني الفقيد إذاً بكاني
مضى لسبيله لم يعط ضيما ولم ترهب غوائله الأداني
قتلنا عنه قاتله وكنا نصول به لدى الحرب العوان
قتيلاً ليس مثل أخي إذا ما بدا الخفرات من هول الجنان
وكنت سنان رمحي من قناتي وليس الرمح إلا بالسنان
وكنت بنان كفي من يميني وكيف صلاحها بعد البنان
وكان يهابك الأعداء فينا ولا أخشى وراءك من رماني

فقد أبدوا ضغائنهم وشدوا إلي الطرف واغتمزوا لياني

فداك أخٌ نبا عنه غناه ومولًى لا تصول له يدان

حدثني هاشم بن محمد الخزاعي، قال حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة عن أبي عمرو وأبي سهيل قالا: وقف الفرزدق علىالشمردل وهو ينشد قصيدة له فمر فيها هذا البيت:

وما بين من لم يعط سمعاً وطاعة وبين تميم غير جز الحلاقم

فقال له الفرزدق: والله يا شمردل لتتركن لي هذا البيت، أو لتتركن لي عرضك. فقال: خذه لا بارك الله لك فيه. فادعاه وجدله في قصيدة ذكر فيها قتيبة بن مسلم التي أولها:

تحن بزوراء المدينة ناقتي حنين عجولٍ تبتغي البو رائم

حدثنا هاشم قال حدثنا غسان بن أبي عبيدة قال: رأى الشمردل فيما يرى النائم كأن سنان رمحه سقط، فعبره على بعض من يعبر الرؤيا، فأتاه نعي أخيه وائلٍ، فذلك قوله:

وتحقيق رؤيا في المنام رأيتها فكان أخي رمحاً ترفض عامله

حدثنا هاشم قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: كان الشمردل مغرماً بالشراب، وكان له نديما يعاشرانه في حانات الخمارين بخراسان، أحدهما يقال له ديكل من قومه، والآخر من بني شيبان يقال له قبيصة، فاجتمعوا يوماً على جزورٍ ونحروه وشربوا حتى سكروا، وانصرف قبيصة حافياً وترك نعله عندهم، وأنسيها من السكر، فقال الشمردل:

شربت ونادمت الملوك فلم أجد على الكأس نداماناً لها مثل ديكل

أقل مكاساً في جزور وإن غلت وأسرع إنضاجاً وإنزال مرجل

ترى البازل الكوماء فوق خوانه مفصلةً أعضاؤها لم تفصل

سقيناه بعد الري حتى كأنما يرى حين أمسى أبرقي ذات مأسل

عشية أنسينا قبيصة نعله فراح الفتى البكري غير منعل

حدثنا هاشم قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: مدح الشمردل بن شريك هلال بن أحوز المازني واستماحه، فوعده الرفد، ثم ردده زماناً طويلاً حتى ضجر، ثم أمر له بعشرين درهما فدفعها إليه وكيله غلة فردها، وقال يهجوه:

يقول هلالٌ كلما جئت زائراً ولا خير عند المازني أعاوده

ألا ليتني أمسي وبيني وبينه بعيد مناط الماء غبرٌ فدافده

غدا نصف حولٍ منه إن قال لي غدا وبعد غد منه كحول أراصده

ولو أنني خيرت بين غداته ... وبين برازي ديلميا أجالده
تعوضت من ساقي عشرين درهماً ... أتاني بها من غلة السوق ناقده
ولو قيل مثلا كنز قارون عنده ... وقيل التمس موعوده لا أعاوده
ومثلك منقوص اليدين رددته ... إلى محتدٍ قد كان حيناً يجاحده

حدثنا هاشم قال: حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة أن رجلاً من بني ضبة كان عدوا للشمردل، وكان نازلاً في بني دارم بن مالك، ثم خرج في البعث الذي بعث مع وكيع، فلما قتل إخوة الشمردل وماتوا، بلغه عن الضبي سرورٌ بذلك، وشماتةٌ بمصيبته فقال:

يأيها المبتغي شتمي لأشتمه ... إن كان أعمى فأني عنك غير عم
ما أرضعت مرضعٌ سخلا أعق بها ... في الناس لا عربٍ منها ولا عجم
من ابن حنكلةٍ كانت وإن عربت ... مذالة لقدور الناس والحرم
عوى ليكسبها شراً فقلت له ... من يكسب الشر ثديي أمه يلم
ومن تعرض شتمي يلق معطسه ... من النشوق الذي يشفى من اللمم
متى أجئك وتسمع ما عنيت به ... تطرق على قذع أو ترض بالسلم
أولا فحسبك رهطاً أن يفيدهم ... لا يغدرون ولا يوفون بالذمم
ليسوا كثعلبة المغبوط جارهم ... كأنه في ذرى ثهلان أو خيم
يشبهون قريشاً من تكلمهم ... وطول أنضية الأعناق والأمم
إذا غدا المسك يجري في مفارقهم ... راحوا كأنهم مرضى من الكرم
جزوا النواصي من عجلٍ وقد وطئوا ... بالخيل رهط أبي الصهباء والحطم
ويوم أفلتهن الحوفزان وقد ... شالت عليه أكف القوم بالجذم
إني وإن كنت لا أنسى مصابهم ... لم أدفع الموت عن زيقٍ ولا حكم
لا يبعداً فتياً جودٍ ومكرمة ... لدفع ضيمٍ وقتل الجوع والقرم
والبعد غالهما عني بمنزلةٍ ... فيها تفرق أحياءٍ ومخترم
وما بناءٌ وإن سدت دعائمه ... إلا سيصبح يوماً خاوي الدعم
لئن نجوت من الأحداث أو سلمت ... منهن نفسك لم تسلم من الهرم

حدثنا هاشم قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال:

كان عمر بن يزيد الأسيدي صديقاً للشمردل بن شريك، ومحسناً إليه كثير البر به والرفد له، فأتاه نعيه وهو بخراسان، فقال يرثيه:

لبس الصباح وأسلمته ليلة ... طالت كأن نجومها لا تبرح

من صولة يجتاح أخرى مثلها ... حتى ترى السدف القيام النوح

عطلن أيديهن ثم تفجعت ... ليل التمام بهن عبرى تصدح

وحليلةٍ رزئت وأختٌ وابنةٌ ... كالبدر تنظره عيونٌ لمح

لا يبعد ابن يزيد سيد قومه ... عند الحفاظ وحاجةٍ تستنجح

حامي الحقيقة لا تزال جياده ... تغدو مسومة بن وتروح

للحرب محتسب القتال مشمرٌ ... بالدرع مضطمر الحوامل سرح

ساد العراق وكان أول وافد ... تأتي الملوك به المهارى الطلح

يعطي الغلاء بكل مجد يشتري ... إن المغالي بالمكارم أربح

حدثنا هاشم قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: كان الشمردل صاحب قنص وصيد بالجوارح، وله في الصقر والكلب أراجيز كثيرة، وأنشدنا قوله:

قد أغتدى والصبح في حجانه ... والليل لم يأو إلى مآبه

وقد بدا أبلق من منجابه ... بتوجي صاد في شبابه

معاودٍ قد ذل في إصعابه ... قد خرق الضفار من جذابه

وعرف الصوت الذي يدعى به ... ولمعة الملمع في أثوابه

فقلت للقانص إذ أتى به ... قبل طلوع الآل أو سرابه

ويحك ما أبصر إذ رأى به ... من بطن ملحوبٍ إلى لبابه

قشعاً ترى التبت من جنابه ... فانقض كالجلمود إذ علا به

غضبان يوم قنيةٍ رمى به ... فهن يلقين من اغتصابه

تحت جديد الأرض أو ترابه ... من كل شحاج الضحى ضغابه

إذ لا يزال حربه يشقى به ... منتزع الفؤاد من حجابه

جاد وقد أنشب في إهابه ... مخالباً ينشبن في إنشابه

مثل مدى الجزار أو حرابه كأنما بالحلق من خضابه
عصفرة الفؤاد أو قضابه حوى ثمانين على حسابه
من خربٍ وخزرٍ يعلى به لفتيةٍ صيدهم يدعى به
واعدهم لمنزل بتنا به يطهى به الخربان أو يشوى به
فقام للطبخ ولاحتطابه أروع يهتاج إذا هجنا به

أخبرنا هاشم قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: كان ذئب قد لازم مرعى غنم للشمردل، فلا يزال يفرس منها الشاة بعد الشاة، فرصده ليلة حتى جاء لعادته، ثم رماه بسهم فقتله وقال فيه:

هل خبر السرحان إذ يستخبر عني وقد نام الصحاب السمر
لما رأيت الضأن منه تنفر نهضت وسنان وطار المئزر
وراع منها مرح مستهير كأنه إعصار ريح أغبر
فلم أزل أطرده ويعكر حتى إذا استيقنت ألا أعذر
وإن عقرى غنمي ستكثر طار بكفي وفؤادي أوجر
ثمت أهويت له لا أزجر سهماً فولى عنه وهو يعثر
وبت ليلي آمناً أكبر

أخبرنا أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال: قال الشمردل بن شريك وكان يستجيد هذه الأبيات ويستحسنها، ويقول: إنها لمن ظريف الكلام:

ثم استقل منعماتٌ كالدمى شمس العتاب قليلة الأحقاد
كذب المواعد ما يزال أخو الهوى منهن بين مودة وبعاد
حتى ينال حبالهن معلقا عقل الشريد وهن غير شراد
والحب يصلح بعد هجرٍ بيننا ويهيج معتبةً بغير بعاد
خليلي لا تستعجلا أن تزودا وإن تجمعا شملي وتنتظرا غدا
وإن تنظراني اليوم أقض لبانةً وتستوجبا منا علي وتحمدا

الشعر للحصين بن الحمام المري، والغناء لبذل الكبرى ثاني ثقيل بالبنصر، من روايتها ومن رواية الهشامي.

الجزء الرابع عشر

أخبار الحصين بن الحمام ونسبه

هو الحصين بن الحمام بن ربيعة بن مساب بن حرام بن واثلة، بن سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كان الحصين بن الحمام سيد بني سهم بن مرة، وكان خصيلة بن مرة وصرمة بن مرة وسهم بن مرة أمهم جميعاً حرقفة بنت مغنم بن عوف بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، فكانوا يداً واحدة على من سواهم، وكان حصين ذا رأيهم وقائدهم ورائدهم.

وكان يقال له: مانع الضيم.

وحدثني جماعة من أهل العلم أن ابنه أتى باب معاوية بن أبي سفيان فقال لآذنه: استأذن لي على أمير المؤمنين وقل: ابن مانع الضيم، فاستأذن له، فقال له معاوية: ويحك! لا يكون هذا إلا ابن عروة بن الورد العبسي، أو الحصين بن الحمام المري، أدخله. فلما دخل إليه قال له: ابن من أنت؟ قال: أنا ابن مانع الضيم الحصين بن الحمام، فقال: صدقت، ورفع مجلسه وقضى حوائجه.

أخبرني ابن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كان ناس من بطنٍ من قضاعة يقال لهم: بنو سلامان بن سعد بن زيد بن الحاف بن قضاعة. وبنو سلامان بن سعد إخوة عذرة بن سعد، وكانوا حلفاء لبني صرمة بن مرة ونزولاً فيهم. وكان الحرقة وهم بنو حميس بن عامر بن جهينة حلفاء لبني سهم بن مرة، وكانوا قوماً يرمون بالنبل رمياً سديداً، فسموا الحرقة لشدة قتالهم. وكانوا نزولاً في حلفائهم بني سهم بن مرة. وكان في بني صرمة يهوديٌ من أهل تيماء يقال له جهينة بن أبي حمل. وكان في بني سهم يهودي من أهل وادي القرى يقال له غصين بن حي، وكانا تاجرين في الخمر. وكان بنو جوشن - أهل بيت من عبد الله بن غطفان - جيراناً لبني صرمة، وكان يتشاءم بهم ففقدوا منهم رجلاً يقال لهم خصيلة كان يقطع الطريق وحده. وكانت أخته وإخوته يسألون الناس عنه، وينشدونه في كل مجلس وموسم. فجلس ذات يوم أخ لذلك المفقود الجوشني في بيت غصين بن حي جار بني سهم يبتاع خمراً، فبينما هو يشتري إذ مرت أخت المفقود تسأل عن أخيها خصيلة، فقال غصين:

تسائل عن أخيها كل ركبٍ ... وعند جهينة الخبر اليقين

فأرسلها مثلاً، يعني بجهينة نفسه. فحفظ الجوشني هذا البيت، ثم أتاه من الغد فقال له: نشدتك الله ودينك هل تعلم لأخي علماً؟ فقال له: لا وديني لا أعلم. فلما مضى أخو المفقود تمثل:

لعمرك ما ضلت ضلال ابن جوشنٍ حصاةٌ بليلٍ ألقيت وسط جندل

أراد أن تلك الحصاة يجوز أن توجد، وأن هذا لا يوجد أبداً فلما سمع الجوشني ذلك تركه، حتى إذا أمسى أتاه فقتله. وقال الجوشني:

طعنت وقد كاد الظلام يجنني غصين بن حي في جوار بني سهم

فأتي حصين بن الحمام فقيل له: إن جارك غصيناً اليهودي قد قتله ابن جوشن جار بني صرمة. فقال حصين: فاقتلوا اليهودي الذي في جوار بني صرمة، فأتوا جهينة بن أبي حمل فقتلوه. فشد بنو صرمة على ثلاثة من حميس بن عامر جيران بني سهم فقتلوهم. فقال حصين: اقتلوا من جيرانهم بني سلامان ثلاثة نفرٍ، ففعلوا. فاستعر الشر بينهم. قال: وكانت بنو صرمة أكثر من بني سهم رهط الحصين بكثير. فقال لهم الحصين: يا بني صرمة، قتلتم جارنا اليهودي فقتلنا به جاركم اليهودي، فقتلتم من جيراننا من قضاعة ثلاثة نفرٍ وقتلنا من جيرانكم بني سلامان ثلاثة نفر، وبيننا وبينكم رحم ماسة قريبة، فمروا جيرانكم من بني سلامان فيرتحلون عنكم، ونأمر جيراننا من قضاعة فيرتحلون عنا جميعاً، ثم هم أعلم. فأبى ذلك بنو صرمة، وقالوا: قد قتلتم جارنا ابن جوشن، فلا نفعل حتى نقتل مكانه رجلا من جيرانكم، فإنك تعلم أنكم أقل منا عدداً وأذل، وإنما بنا تعزون وتمنعون. فناشدهم الله والرحم فأبوا. وأقبلت الخضر من محارب، وكانوا في بني ثعلبة بن سعد، فقالوا: نشهد نهب بني سهم إذا انتهبوا فنصيب منهم. وخذلت غطفان كلها حصيناً، وكرهوا ما كان من منعه جيرانه من قضاعة. وصافهم حصينٌ الحرب وقاتلهم ومعه جيرانه، وأمرهم ألا يزيدوهم على النبل، وهزمهم الحصين، وكف يده بعد ما أكثر فيهم القتل. وأبى ذلك البطن من قضاعة أن يكفوا عن القوم حتى أثخنوا فيهم. وكان سنان بن أبي حارثة خذل الناس عنه لعداوته قضاعة، وأحب سنان أن يهب الحيان من قضاعة، وكان عيينة بن حصن وزبان بن سيار بن عمرو بن جابر ممن خذل عنه أيضاً. فأجلبت بنو ذبيان على بني سهم مع بني صرمة، وأجلبت محارب بن خصفة معهم.

فقال الحصين بن الحمام في ذلك من الأبيات:

ألا تقبلون النصف منا وأنتم بنو عمنا لا بل هامكم القطر

سنأبى كما تأبون حتى تلينكم صفائح بصرى والأسنة والأصر

أيؤكل مولانا ومولى ابن عمنا مقيمٌ ومنصورٌ كما نصرت جسر

فتلك التي لم يعلم الناس أنني خنعت لها حتى يغيبني القبر

فليتكم قد حال دون لقائكم سنون ثمانٍ بعدها حججٌ عشر

أجدي لا ألقاكم الدهر مرةً على موطنٍ إلا خدودكم صعر

إذا ما دعوا للبغي قاموا وأشرقت وجوههم والرشد وردٌ له نفر

فواعجبا حتى خصيلة أصبحت موالي عزٍّ لا تحل لها الخمر

قوله: موالي عز، يهزأ بهم. ولا تحل لهم الخمر، أراد فحرموا الخمر على أنفسهم كما يفعل العزيز، وليسوا هناك:

ألما كشفنا لأمة الذل عنكم تجردت لا برٌّ جميلٌ ولا شكر

فإن يك ظني صادقا تجز منكم جوازي الإله والخيانة والغدر

قال: فأقاموا على الحرب والنزول على حكمهم، وغاظتهم بنو ذبيان ومحارب بن خصفة. وكان رئيس محارب حميضة بن حرملة. ونكصت عن حصين قبيلتان من بني سهم وخانتاه، وهما عدوان وعبد عمرو بنا سهم، فسار حصين، وليس معه من بني سهم إلا بنو وائله بن سهم وحلفاؤهم وهم الحرقة، وكان فيهم العدد، فالتقوا بدارة موضوع، فظفر بهم الحصين وهزمهم وقتل منهم فأكثر. وقال الحصين بن الحمام في ذلك:

جزى الله أفناء العشيرة كلها بدارة موضوعٍ عقوقاً ومأثما

بني عمنا الأدنين منهم ورهطنا فزارة إذا رامت بنا الحرب معظما

ولما رأيت الود ليس بنافعي وإن كان يوماً ذا كواكب مظلما

صبرنا وكان الصبر منا سجيةً بأسيافنا يقطعن كفا ومعصما

نفلق هاماً من رجالٍ أعزةٍ علينا وهم كانوا أعق وأظلما

نطاردهم نستنقذ الجرد بالقنا ويستقذون السمهري المقوما

نستنقذ الجرد، أي نقتل الفارس فنأخذ فرسه. ويستنقذون السمهري وهو القنا الصلب، أي نطعنهم فتجرهم الرماح

لدن غدوةٍ حتى أتى الليل ما ترى من الخيل إلا خارجياً مسوما

وأجرد كالسرحان يضربه الندى ومحبوكةً كالسيد شقاء صلدما

يطأن من القتلى ومن قصد القنا خباراً فما يجرين إلا تقحما

عليهم فتيانٌ كساهم محرقٌ وكان إذا يكسو اجاد وأكرما

صفائح بصرى أخلصتها قيونها ومطرداً من نسج داود مبهما

جزى الله عنا عبد عمرو ملامةً وعدوان سهمٍ ما أذل وألاما

فلست بمبتاع الحياة بسبةٍ ولا مرتقٍ من خشية الموت سلما

وقال أبو عبيدة:

وقتل في تلك الحرب نعيم بن الحارث بن عباد بن حبيب بن وائلة بن سهل، قتلته بنو صرمة يوم دارة موضوع، وكان وادًا للحصين فقال يرثيه:

قتلنا خمسةً ورموا نعيما وكان القتل للفتيان زينا
لعمر الباكيات على نعيم لقد جلت رزيته علينا
فلا تبعد نعيم فكل حيٍّ سيلقى من صروف الدهر حينا

قال أبو عبيدة: ثم إن بني حميس كرهوا مجاورة بني سهم ففارقوهم ومضوا، فلحق بهم الحصين بن الحمام فردهم ولامهم على كفرهم نعمته وقتاله عشيرته عنهم، وقال في ذلك:

إن امرأً بعدي تبدل نصركم بنصر بني ذبيان حقًّا لخاسر
أولئك قومٌ لا يهان ثويهم إذا صرحت كحلٌ وهب الصنابر

وقال لهم أيضاً:

ألا أبلغ لديك أبا حميسٍ وعاقبة الملامة للمليم
فهل لكم إلى مولًى نصورٍ وخطبكم من الله العظيم
فإن دياركم بجنوب بسٍّ إلى ثقفٍ إلى ذات العظوم

بس: بناء بنته غطفان شبهوه بالكعبة. وكانوا يحجونه ويعظمونه ويسمونه حرماً، فغزاهم زهير بن جناب الكلبي فهدمه:

غذتكم في غداة الناس حجًّا غذاء الجائع الجدع اللئيم
فسيروا في البلاد وودعونا بقحط الغيث والكلإ الوخيم

قال أبو عبيدة: قال عمرو: زعموا أن المثلم بن رباح قتل رجلاً يقال له حباشة في جوار الحارث بن ظالم المري، فلحق المثلم بالحصين بن الحمام، فأجاره. فبلغ ذلك الحارث بن ظالم، فطلب الحصين بدم حباشة، فسأل في قومه وسأل في بني حميس جيرانه فقالوا: إنا لا نعقل بالإبل، ولكن إن شئت أعطيناك الغنم. فقال في ذلك وفي كفرهم نعمته:

خليلي لا تستعجلا أن تزودا وأن تجمعا شملي وتنتظرا غدا
فما لبثٌ يوماً بسائق مغنم ولا سرعةٌ يوماً بسابقةٍ غدا
وإن تنظراني اليوم أقض لبانةً وتستوجبا مناً علي وتحمدا

لعمرك إني يوم أغدو بصرمتي تناهى حميسٌ بادئين وعودا
وقد ظهرت منهم بوائق جمةٌ وأفرع مولاهم بنا ثم أصعدا
وما كان ذنبي فيهم غير أنني بسطت يداً فيهم وأتبعتها يدا
وأني أحامي من وراء حريمهم إذا ما المنادي بالمغيرة نددا
إذا الفوج لا يحميه إلا محافظٌ كريم المحيا ماجدٌ غير أجردا
فإن صرحت كحلٌ وهبت عريةٌ من الريح لم تترك لذي العرض مرفدا
صبرت على وطء الموالي وخطبهم إذ ضن ذو القربى عليهم وأجمدا

أخبرني ابن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كان البرج بن الجلاس الطائي خليلاً للحصين بن الحمام ونديماً له على الشراب، وفيه يقول البرج بن الجلاس:

وندمانٍ يزيد الكأس طيباً سقيت وقد تغورت النجوم
رفعت برأسه فكشفت عنه بمعرقةٍ ملامة من يلوم
ونشرب ما شربنا ثم نصحو وليس بجانبي خدي كلوم
ونجعل عبأها لبني جعيلٍ وليس إذا انتشوا فيهم حليم

كانت للبرج أخت يقال لها العفاطة، وكان البرج يشرب مع الحصين ذات يوم فسكر وانصرف إلى أخته فافتضها، وندم على ما صنع لما أفاق، وقال لقومه: أي رجل أنا فيكم؟ قالوا: فارسنا وأفضلنا وسيدنا. قال: فإنه إن علم بما صنعت أحد من العرب أو أخبرتم به أحداً ركبت رأسي فلم تروني أبداً، فلم يسمع بذلك أحد منهم. ثم أن أمةً لبعض طيىء وقعت إلى الحصين بن الحمام، فرأت عنده البرج الطائي يوماً وهما يشربان. فلما خرج من عنده قالت للحصين: إن نديمك هذا سكر عندك ففعل بأخته كيت وكيت، وأوشك أن يفعل ذلك بك كلما أتاك فسكر عندك. فزجرها الحصين وسبها، فأمسكت. ثم إن البرج بعد ذلك أغار على جيران الحصين بن الحمام من الحرقة فأخذ أموالهم، وأتى الصريخ الحصين بن الحمام، فتبع القوم، فأدركهم، فقال للبرج: ما صبك على جيراني يا برج؟ فقال له: وما أنت وهم هؤلاء من أهل اليمن وهم منا، وأنشأ يقول:

أنى لك الحرقات فيما بيننا عنزٌ بعيدٌ منك يا بن حمام
أقبلت تزجي ناقة متباطئا علطاً تزجيها بغير خطام

تزجي: تسوق، علطاً: لا خطام عليها ولا زمام، أي أتيت هكذا من العجلة فأجابه الحصين بن الحمام:

برجٌ يؤثمني ويكفر نعمتي صمي لما قال الكفيل صمام

مهلاً أبا زيدٍ فإنك إن تشأ أوردك عرض مناهلٍ أسدام
أوردك أقلبةً إذا حافلتها خوض القعود خبيئة الأخصام
أقبلت من أرض الحجاز بذمةٍ عطلا أسوقها بغير خطام
في إثر إخوانٍ لنا من طيىء ليسوا بأكفاء ولا بكرام
لا تحسبن أخا العفاطة أنني رجلٌ بخبرك ليس بالعلام
فاستنزلوك وقد بللت نطاقها عن بنت أمك والذيول دوامي

ثم ناصب الحصين بن الحمام البرج الحرب، فقتل من أصحابه البرج عدة وهزم، سائرهم واستنقذ ما في أيديهم، وأسر البرج، ثم عرف له حق ندامه وعشرته إياه فمن عليه وجز ناصيته وخلى سبيله. فلما عاد البرج إلى قومه وقد سبه الحصين بما فعل بأخته لامهم وقال:أشعتم ما فعلت بأختي وفضحتموني، ثم ركب رأسه وخرج من بين أظهرهم فلحق ببلاد الروم، فلم يعرف له خبر إلى الآن.

وقال ابن الكلبي: بل شرب الخمر صرفاً حتى قتلته.

أخبرني ابن دريد قال: حدثنا أبوحاتم عن أبي عبيدة قال: جمع الحصين بن الحمام جمعاً من بني عديٍّ ثم أغار على بني عقيل وبني كعب فأثخن فيهم واستاق نعماً كثيراً ونساء، فأصاب أسماء بنت عمرو سيد بني كعب فأطلقها ومن عليها، وقال في ذلك:

فدًى لبني عدي ركض ساقي وما جمعت من نعمٍ مراح
تركنا من نساء بني عقيلٍ أيامى تبتغي عقد النكاح
أرعيان الشوي وجدتمونا أم أصحاب الكريهة والنطاح
لقد علمت هوازن أن خيلي غداة النعف صادقة الصباح
عليها كل أروع هبرزيٍّ شديدٍ حده شاكي السلاح
فكر عليهم حتى التقينا بمصقولٍ عوارضها صباح
فأبنا بالنهاب وبالسبايا وبالبيض الخرائد واللقاح
وأعتقنا ابنة المري عمروٍ وقد خضنا عليها بالقداح

أخبرنا ابن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة أن الحصين بن الحمام أدرك الإسلام. قال: ويدل على ذلك قوله:

وقافيةٍ غير إنسيةٍ قرضت من الشعر أمثالها

شرودٍ تلمع بالخافقين إذا أنشدت قيل من قالها
وحيران لا يهتدي بالنهار من الظلع يتبع ضلالها
وداعٍ دعا دعوة المستغيث وكنت كمن كان لبى لها
إذا الموت كان شجاً بالحلوق وبادرت النفس أشغالها
صبرت ولم أك رعديدةً وللصبر في الروع أنجى لها
ويومٍ تسعر فيه الحروب لبست إلى الروع سربالها
مضعفة السرد عاديةً وعضب المضارب مفصالها
ومطرداً من ردينية أذود عن الورد أبطالها
فلم يبق من ذاك إلا التقى ونفسٌ تعالج آجالها

أمورٌ من الله فوق السماء مقادير تنزل أنزالها
أعوذ بربي من المخزيا ت يوم ترى النفس أعمالها
وخف الموازين بالكافرين وزلزلت الأرض زلزالها
ونادى منادٍ بأهل القبور فهبوا لتبرز أثقالها
وسعرت النار فيها العذاب وكان السلاسل أغلالها

حدثنا ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: مات حصين بن الحمام في بعض أسفاره، فسمع صائح في الليل يصيح لا يعرف في بلاد بني مرة:

ألا هلك الحلو الحلال الحلاحل ومن عقده حزمٌ وعزمٌ ونائل

الحلو: الجميل، والحلال: الذي لبس عليه في ماله عيب. والحلاحل: الشريف العاقل:

ومن خطبه فصلٌ إذا القوم أفحموا يصيب مرادي قوله من يحاول

المرادي: جمع مرادة، وهي صخرة تردى بها الصخور، أي تكسر قال: فلما سمع أخوه معية بن الحمام ذلك قال: هلك والله الحصين، ثم قال يرثيه:

إذا لاقيت جمعاً أو فئاماً فإني لا أرى كأبي يزيدا
أشد مهابةً وأعز ركناً وأصلب ساعة الضراء عواد
صفيي وابن أمي والمواسي إذا ما النفس شارفت الوريدا

كأن مصدراً يحبو ورائي إلى أشباله يبغي الأسودا

المصدر: العظيم الصدر، شبه أخاه بالأسد.

لأ أرق الله عيني من أرقت له ولا ملا مثل قلبي قلبه ترحا

يسرني سوء حالي في مسرته فكلما ازددت سقماً زادني فرحا

الشعر لمحمد بن يسير، والغناء لأحمد بن صدقة، رملٌ بالوسطى.

أخبار محمد بن يسير ونسبه

محمد بن يسير الرياشي، يقال إنه مولًى لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرياشي الأخباري الأديب، ويقال له إنه منهم صلبيةً. وبنو رياش يذكرون أنه من خثعم، ولهم بالبصرة خطة وهم معروفون بها، وكان محمد بن يسير هذا شاعراً ظريفاً من شعراء المحدثين، متقلل، لم يفارق البصرة، ولا وفد إلى خليفة ولا شريف منتجعاً، ولا تجاوز بلده، وصحبته طبقته، وكان ماجناً هجاء خبيثاً.

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني عي بن القاسم بن علي بن سليمان طارمة قال: بعث إلي محمد بن أيوب بن سليمان بن جعفر بن سليمان - وهو يتولى البصرة حينئذٍ - في ليلةٍ صبيحتها يوم سبتٍ، فدخلت إليه وقد بقي من الليل ثلثه أو أكثر. فقلت له: أنمت وانتبهت أم لم تنم بعد؟ فقال: قد قضيت حاجتي من النوم، وأريد أن أصطبح وأبتدىء الساعة بالشرب، وأصل ليلتي بيومي محتجباً عن الناس، وعندي محمد بن رباح، وقد وجهت إلى إبراهيم بن رياش، وحضرت أنت، فمن ترى أن يكون خامسنا؟ قلت: محمد بن يسير. فقال: والله ما عدوت ما في نفسي. فقال لي ابن رباح: اكتب إلى محمد بن يسير بيتين تدعوه فيهما وتصف له طيب هذا الوقت، وكان يوم غيم، والسماء تمطر مطراً غير شديد ولا متتابع، فكتب إليه ابن رباح:

يوم سبتٍ وشنبذٍ ورذاذٍ فعلام الجلوس يا بن يسير

قم بنا نأخذ المدامة م ن كف غزالٍ مضمخٍ بالعبير

في هذين البيتين لعباسٍ أخي بحرٍ ثقيل أول بالبنصر وبعث إليه بالرقعة، فإذا الغلمان قد جاءوا بالجواب. فقال لهم: بعثتكم لتجيئوني برجل فجئتموني برقعة! فقالوا: لم نلقه، وإنما كتب جوابها في منزله، ولم تأمرنا بالهجوم عيه فنهجم. فقرأها فإذا فيها:

أجيء على شرطٍ فإن كنت فاعلاً وإلا فإني راجعٌ لا أناظر

ليسرج لي البرذون في حال دلجتي وأنت بدلجاتي مع الصبح خابر

لأقضي حاجاتي إليه وأنثني إليك وحجامٌ إذا جئت حاضر

فيأخذ من شعري ويصلح لحيتي ومن بعد حمامٌ وطيبٌ وجامر
ودستيجةٌ من طيب الراح ضخمةٌ يرودنيها طائعاً لا يعاسر

فقال محمد بن أيوب: ما نقول؟ فقلت: إنك لا تقوى على مطاولته، ولكن اضمن له ما طلب، فكتب إليه: قد أغد لك - وحياتك - كل ما طلبت فلا تبطىء، فإذا به قد طلع علينا، فأمر محمد بن أيوب بإحضار المائدة. فلما أحضرت أمر محمد بن يسير فشد بحبل إلى أسطوانة من أساطين المجلس، وجلسنا نأكل بحذائه. فقال لنا: أي شيء يخلصني؟ قلنا: تجيب نفسك عما كتبت به أقبح جواب. فقال: كفوا عن الأكل إذاً ولا تستبقوني به فتشغلوا خاطري، ففعلنا ذلك وتوقفنا، فأنشأ يقول:

أيا عجبا من ذا التسري فإنه له نخوةٌ في نفسه وتكابر
يشارط لما زار حتى كأنه مغنٍّ مجيدٌ أو غلام مؤاجر
فلولا ذمامٌ كان بيني وبينه للطم بشارٌ قفاه وياسر

فقال محمد: حسبك، لم نرد هذا كله، ثم حله وجلس يأكل معنا، وتممنا يومنا.

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال: كان محمد بن يسير من شعراء أهل البصرة وأدبائهم، وهو من خثعم وكان من بخلاء الناس، وكان له في داره بستانٌ قدره أربعة طوابيق قلعها من داره، فغرس فيه أصل رمان وفسيلةً لطيفة، وزرع حواليه بقلاً، فأفلتت شاةٌ لجارٍ له يقال له: منيع، فأكلت البقل ومضغت الخوص، ودخلت إلى بيته فلم تجد فيه إلا القراطيس فيها شعره وأشياء من سماعاته، فأكلتها وخرجت، فعدا إلى الجيران في المسجد يشكو ما جرى عليه، وعاد فزرع البستان، وقال يهجو شاة منيع:

لي بستانٌ أنيقٌ زاهرٌ ناضر الخضرة ريان ترف
راسخ الأعراق ريان الثرى غدقٌ تربته ليست تجف
لمجاري الماء فيه سننٌ كيفما صرفته فيه انصرف
مشرق الأنوار مياد الندى منثنٍ في كل ريح منعطف
تملك الريح عليه أمره فإذا لم يؤنس الريح وقف
يكتسي في الشوق ثوبي يمنةٍ ومع الليل عليها يلتحف
ينطوي الليل عليه فإذا واجه الشرق تجلى وانكشف
صابرٌ ليس يبالي كثرةً جز بالمنجل أو منه نتف

كلما ألحف منه جانبٌ ... لم يتلبث منه تعجيل الخلف

لا ترى للكف فيه أثراً ... فيه بل ينمي على مس الأكف

فترى الأطباق لا تمهله ... صادراتٍ واردات تختلف

فيه للخارف من جيرانه ... كلما احتاج إليه مخترف

أقحوانٌ وبهارٌ مونقٌ ... وسوى ذلك من كل الطرف

وهو زهرٌ للندامى أصلاً ... برضا قاطفهم مما قطف

وهو في الأيدي يحيون به ... وعلى الآناف طوراً يستشف

أعفه يا رب من واحدةٍ ... ثم لا أحفل أنواع التلف

اكفه شاة منيعٍ وحدها ... يوم لا يصبح في البيت علف

اكفه ذات سعالٍ شهلةً ... متعت في شر عيش بالخرف

اكفه يا رب وقصاء الطلى ... ألحم الكتفين منها بالكتف

وكلوحٌ أبداً مفترةٌ ... لك عن هتمٍ كليلاتٍ رجف

ونئوس الأنف لا يرقا ولا ... أبداً تبصره إلا يكف

لم تزل أظلافها عافيةً ... لم يظلف أهلها منها ظلف

فترى في كل رجلٍ ويدٍ ... من بقاياهن فوق الأرض خف

تنسف الأرض إذا مرت به ... فلها إعصار تربٍ منتسف

ترهج الطرق على مجتازها ... بيدٍ في المشي والخطو القطف

في يديها طرقٌ مشيتها ... حلقة القوس وفي الرجل حنف

فإذا ما سعلت واحد ودبت ... جاوب البعر عليها فخصف

وأحص الشعر منها جلدها ... شنةٌ في جوف غارٍ منخسف

ذات قرنٍ وهي جماء ألا ... إن ذا الوصف كوصفٍ مختلف

وإذا تدنو إلى مستعسبٍ ... عافها نتناً إذا ما هو كرف

لا ترى تيساً عليها مقدماً ... رميت من كل تيس بالصلف

شوهة الخلقة ما أبصرها ... من جميع الناس إلا وحلف
ما رأى شاةً ولا يعلمها ... خلقت خلقتها فيما سلف
عجباً منها ومن تأليفها ... عجباً من خلقها كيف ائتلف
لو ينادون عليها عجباً ... كسبوا منها فلوساً ورغف
ليتها قد أفلتت في جفنةٍ ... من عجينٍ أو دقيق مجترف
فتلقت شفرةً من أهله ... قدر الإصبع شيئاً أو أشف
أحكمت كفا حكيم صنعها ... فأتت مجدولةً فيها رهف
أدمجت من كل وجه غير ما ... ألل الأقيان من حد الطرف
قابض الرونق فيها ماتعٌ ... يخطف الأبصار منها يستشف
لمحتها فاستخفت نحوها ... عجلاً ثم أحالت تنتسف
فتناهت بين أضعاف المعى ... وتبوت بين أثناء الشغف
أو رمتها قرحةٌ زادت لها ... ذوباناً كل يومٍ ونحف
كل يوم فيه يدنو يومها ... أو ترى واردةً حوض الدنف
بينما ذاك بها إذ أصبحت ... كحميتٍ مفعمٍ أو مثل جف
شاغراً عرقوبها قد أعتبت ... بطنةً من بعد إدمان الهيف
وغدا الصبية من جيرانها ... ليجروها إلى مأوى الجيف
فتراها بينهم مسحوبةً ... تجرف الترب بجنبٍ منحرف
فإذا صاروا إلى المأوى بها ... أعملوا الآجر فيها والخزف
ثم قالوا: ذا جزاءٌ للتي ... تأكل البستان منا والصحف
لا تلوموني فلو أبصرت ذا ... كله فيها إذن لم أنتصف

أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثنا عبد الله بن محمد بن يسير، وحدثني سوار بن أبي شراعة قال حدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال: هوي أبي قينةً من قيان أبي هاشم بالبصرة، فكتبت إليه أمي تعاتبه، فكتب إليها:

لا تذكري لوعةً إثري ولا جزعا ... ولا تقاسن بعدي الهم والهلعا

بل ائتسي تجدي إن ائتسيت أساً بمثل ما قد فجعت اليوم قد فجعا
ما تصنعين بعينٍ عنك قد طمحت إلى سواك وقلبٍ عنك قد نزعا
إن قلت قد كنت في خفضٍ وتكرمةٍ فقد صدقت ولكن ذاك قد نزعا
وأي شيءٍ من الدنيا سمعت به إلا إذا صار في غاياته انقطعا
ومن يطيق خليعاً عند صبوته أم من يقوم لمستورٍ إذا خلعا

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا عبد الله بن يسير أن أباه دعي إلى وليمة وحضرها مغنٍّ يقال له أبو النجم، فعبث بأبي وباغضه وأساء أدبه، فقال يهجوه:

نشت بأبي النجم المغني سحابةٌ عليه من الأيدي شآبيبها القفد
نشا نوءها بالنحس حتى تصرمت وغابت فلم يطلع لها كوكبٌ سعد
سقته بجادت فارتوى من سجالها ذو رأسه والوجه والجيد والخد
فلا زال يسقيه بها كل مجلس به فتيةٌ أمثالها الهزل والجد

أراد به يسقيانه.

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال وحدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال: كان لأبي صديق يقال له داود من أسمج الناس وجهاً وأقلهم أدباً، إلا أنه كان وافر المتاع، فكان القيان يواصلنه ويكثرن عنده، ويهدين إليه الفواكه والنبيذ والطيب، فيدعو بأبي فيعاشره. فهويته قنيةٌ من قيان البصرة، كانت من أحسن الناس وجهاً، فبعثت إلى داود برقعة طويلة جداً تعاتبه فيها وتستجفيه وتستزيره. فسأل أبي أن يجيبها عنه، فقال أبي: اكتب يا بني قبل أن أجيب عنها:

وابلائي من طول هذا الكتاب أسعدوني عليه يا أصحابي
أسعدوني على قراة كتابٍ طوله مثل طول يوم الحساب
إن فيه مني البلاء ملقًى ولغيري فيه الهوى والتصابي
وله الود والهوى وعلينا فيه للكاتبين رد الجواب
ثم ممن يا سيدي وإلى من منهضيم الحشا لعوب كعاب
وإلى من إن قلت فيه بعيب لم أحط في مقالتي بالصواب

لا يساوي على التأمل والتف تيش يوماً في الناس كف تراب

فقال عبد الله: وكان أبي إذا انصرف من مجلس فيه داود هذا أخذه معه، فيمشي قدامه، فإن كان في الطريق طين أو بئر أو أذًى لقي داود شره وحذره أبي. فمات داود. وانصرف أبي ذات ليلة وهو سكران، فعثر بدكان وتلوث بطين ودخل في رجله عظم ولقي عنتاً، فقال يرثي داود:

أقول والأرض قد غشى وجللها ثوب الدجى فهو فوق الأرض ممدود
وسد كل فروج الجو منطبقاً وكل فرجٍ به في الجو مسدود
وفي الوداع وفي الإبداء لي عنتٌ دون المسير وباب الدار مسدود
من لي بداود في ذي الحال يرشدني من لي بداود لهفي أين داود
لهفي على رجله ألا أقدمها قدام رجلي فتلقاها الجلاميد
إذا لا أزال إذا أقبلت ينكبني حرفٌ وجرفٌ ودكانٌ وأخدود
فإن تكن شوكةٌ كانت تحل به أو نكتةٌ في سواد الليل أو عود

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان الهاشمي قال: هجمت شاة منيع البقال على دار ابن يسير وهو غائب، وكانت له قراطيس فيها أشعار وآداب مجموعة، فأكلتها كلها، فقال في ذلك:

قل لبغاة الآداب ما صنعت منها إليكم فلا تضيعوها
وضمنوها صحف الدفاتر بال حبر وحسن الخطوط أوعوها
فإن عجزتم ولم يكن علفٌ تسيغه عندكم فبيعوها

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني ابن شبل البرجمي قال: كان محمد بن يسير يعاشر يوسف بن جعفر بن سليمان، وكان يوسف أشد خلق الله عربدةً، وكان يخاف لسان ابن يسير فلا يعربد عليه. ثم جرى بينهما ذات يوم كلام على النبيذ ولحاءٌ، فعربد يوسف عليه وشجه، فقال ابن يسير يهجوه:

لا تجلسن مع يوسفٍ في مجلسٍ أبداً ولم تحمل دم الأخوين
ريحانه بدم الشباب ملطخٌ وتحية الندمان لطم العين

أخبرني جعفربن قدامة قال حدثني الحسين بن يحيى المنجم قال حدثني أبو علي بن الخراساني قال: كان لمحمد بن يسير البصري بابان يدخل من أحدهما وهو الأكبر، ويدخل إليه إخوانه من الباب الآخر وهو الأصغر، ومن يستشرط من المرد. فجاء يوماً غلامٌ قد خرجت لحيته، كانت عادته أن يدخل من الباب الأصغر، فمر من ذلك الباب، فجعل يخاصم لدالته، وبلغ ابن يسير فكتب إليه:

قل لمن رام بجهلٍ مدخل الظبي الغرير

بعد أن علق في خ ... ديه مخلاة الشعير
ليته يدخل إن جا ... ء من الباب الكبير

وأخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال: كنا في مجلسٍ ومعنا محمد بن يسير وعمرو القصافي، وعندنا مغنية حسنة الوجه شهلة تغني غناءً حسناً، فكنا معها في أحسن يوم، وكان القصافي يعين في كل شيء يستحسنه ويحبه، فما برحنا من المجلس حتى عاها، فانصرفت محمومةً شاكية العين. فقال ابن يسير:

إن عمراً جنى بعينيه ذنباً ... قل مني فيه عليه الدعاء
عان عينا فعينه للتي عا ... ن فدًى وقل منه الفداء
شر عينٍ تعين أحسن عينٍ ... تحمل الأرض أو تظل السماء

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا القاسم بن الحسن قال: استعار ابن يسير من بعض الهاشميين من جيرانه حماراً كان له ليمضي عليه في حاجةٍ أرادها فأبى عليه، فمضى إليها ماشياً، وكتب إلى عمرو القصافي - وكان جاراً للهاشمي وصديقاً - يشكوه إليه ويخبره بخبره:

إن كنت لا عير لي يوماً يبلغني ... حاجي وأقضي عليه حق إخواني
وضن أهل العواري حين أسألهم ... من أهل ودي وخلصاني وجيراني
فإن رجلي عندي لا عدمتهما ... رجلا أخي ثقةٍ مذ كان جولاني
تبلغاني حاجاتي وإن بعدت ... وتدنياني مما ليس بالداني
كأن خلفي إذا ما جد جدهما ... إعصار عاصفةٍ مما تثيران

رجلاي لم تألما نكباً كأنهما ... قطًّا وقداً وإدماجاً مداكان
كأن ما بهما أخطوا إذا أرتهيا ... في سكةٍ من أي ذاك سما كان
إن تبعثا في دهاسٍ تبعثا رهجاً ... أوفى حزونٍ ذكا فيها شهابان
فالحمد لله يا عمرو الذي بهما ... عن العواري وعن ذا الناس أغناني

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن داود بن الجراح قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال: كنا في حلقة التوزي، فلما تقوضت أنشدنا محمد بن يسير لنفسه قوله:

جهد المقل إذا أعطاه مصطبراً ... ومكثرٌ من غنًى سيان في الجود

لا يعدم السائلون الخير أفعله ... إما نوالي وإما حسن مردود

فقلنا له: ما هذا التكارم! وقمنا إلى بيته فأكلنا من جلة تمرٍ كانت عنده أكثرها وحملنا بقيتها. فكتب إلى والي البصرة عمر بن حفص:

يا أبا حفصٍ بحرمتنا ... عن نفساً حين تنتهك

خذ لنا ثاراً بجلتنا ... فبك الأوتار تدرك

كهف كفي حين تطرحها ... بين أيدي القوم تبترك

زارنا زورٌ فلا سلموا ... وأصيبوا أيةً سلكوا

أكلوا حتى إذا شبعوا ... أخذوا الفضل الذي تركوا

قال: فبعث إلينا فأحضرنا فأغرمنا مائة درهم، وأخذ من كل واحدٍ منا جلة تمرٍ، ودفع ذلك إليه.

أخبرني الأخفش قال حدثنا أبو العيناء قال: كان بين محمد بن يسير وأحمد بن يوسف الكاتب شرٌ، فرجه أحمد يوماً بحماره تعرضاً لشره وعبثا به، فأخذ ابن يسير بأذن الحمار وقال له: قل لهذا الحمار الراكب فوقك لا يؤذي الناس، فضحك أحمد ونزل، فعانقه وصالحه.

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني محمد بن علي الشامي قال: طلب محمد بن يسير من ابن أبي عمرو المديني فراخاً من الحمام الهداء، فوعده أن يأخذها له من المثنى بن زهير، ثم نور عليه أي أعطاه فراخاً غير منسوبة دلسها عليه وأخذ المنسوبة لنفسه. فقال محمد بن يسير:

يا رب رب الرائحين عشيةً ... بالقوم بين منًى وبين ثبير

والواقفين على الجبال عشيةً ... والشمس جانحةٌ إلى التغوير

حتى إذا طفل العشي ووجهت ... شمس النهار وآذنت بغئور

رحلوا إلى خيفٍ نواحل ضمها ... طول السفار وبعد كل مسير

ابعث على طير المديني الذي ... قال المحال وجاءني بغرور

ابعث على عجلٍ إليها بعدما ... يأخذون زينتهن في التحسير

في كل ما وصفوا المراحل وابتدوا ... في المبتدين بهن والتكسير

ومضين عن دور الخريبة زلفةً ... دون القصور وحجرة الماخور

مع كل ريح تغتدي بهبوبها ... في الجو بين شواهن وصقور

من كل أكلف بات يدجن ليله ... فغدا بغدوة ساغبٍ ممطور

ضرمٍ يقلب طرفه متأنساً ... شيئا فكن له من التقدير

يأتي لهن ميامناً ومياسراً ... صكًّا بكل مزلقٍ ممكور

من طائرٍ متحيرٍ عن قصده ... أو ساقطٍ خلج الجناح كسير

لم ينج منه شريدهن فإن نجا ... شيءٌ فصار بجانبات الدور

لمشمرين عن السواعد حسرٍ ... عنها بكل رشيقة التوتير

سدد الأكف إلى المقاتل صيبٍ ... سمت الحتوف بجؤجؤ ونحور

ليس الذي تخطي يداه رميةً ... منهم بمعدودٍ ولا معذور

يتبوعون وتمتطي أيديهم ... في كل معطية الجذاب نتور

عطف السيات دوائراً في عطفها ... تعزى صناعتها إلى عصفور

ينفثن عن جذب الأكف ثواقباً ... متشابهات القد والتدوير

تجري بها مهج النفوس وإنها ... لنواصلٌ سلتٌ من التحبير

ما إن تقصر عن مدى متباعدٍ ... في الجو يحسر طرف كل بصير

حتى تراه مزملاً بدمائه ... فكأنه متضمخٌ بعبير

فيظل يومهم بعيشٍ ناصبٍ ... نصب المراجل معجلي التنوير

ويئوب ناجيهن بين مضرجٍ ... بدمٍ ومخلوبٍ إلى منسور

عاري الجناح من القوادم والقرا ... كاسٍ عليه مائر التامور

فيئوده متبهنسٌ في مشيه ... خطف المؤخر مشبع التصدير

ذو حلكه مثل الدجى أو غبثةٍ ... شغبٌ شديد الجد والتشمير

فيمر منها في البراري والقرى ... من كل أعصل كالسنان هصور

في حين تؤذيها المبايت موهناً ... أو بعد ذلك آخر التسحير

يختص كل سليل سابق غايةٍ ... محض النجار مجربٍ مخبور

عجل عليه بما دعوت له به ... أره بذاك عقوبة التنوير

حتى يقول جميع من هو شامتٌ ... هذي إجابة دعوة ابن يسير

فلألفينك عند حالي حسرةٍ وتأسفٍ وتلهفٍ وزفير
ولتلفين إذا رمتك بسهمها أيدي المصائب منك غير صبور

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال: خرجنا مع بعض ولد النوشجاني إلى قصرٍ له في بستانهم بالجعفرية، ومعنا محمد بن يسير، وكان ذلك القصر من القصور الموصوفة بالحسن، فإذا هو قد خرب واختل، فقال فيه محمد بن يسير:

ألا يا قصر قصر النوشجاني أرى بك بعد أهلك ما شجاني
فلو أعفى البلاء ديار قومٍ لفضلٍ منهم ولعظم شان
لما كانت ترى بك بيناتٍ تلوح عليك آثار الزمان

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا محمد بن أبي حرب قال أنشدنا يوماً محمد بن يسير في مجلس أبي محمد الزاهد صاحب الفضيل بن عياض لنفسه قال:

ويلٌ لمن لم يرحم الله ومن تكون النار مثواه
واغفلتا في كل يومٍ مضى يذكرني الموت وأنساه
من طال في الدنيا به عمره وعاش فالموت قصاراه
كأنه قد قيل في مجلسٍ قد كنت آتيه وأغشاه
محمد صار إلى ربه يرحمنا الله وإياه

قال: فأبكى والله جميع من حضر.

أخبرني الحسن بن علي وعمي قالا حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبو الشبل قلا: كان محمد بن يسير صديقاً لداود بن أحمد بن أبي داود كثير الغشيان له ففقده أهل أياماً وطلبوه فلم يجدوه، وكان مع أصحابٍ له قد خرجوا يتنزهون فجاءوا إلى داود بن أحمد يسألونه عنه، فقال لهم: اطلبوه في منزل حسن المغنية فإن وجدتموه وإلا فهو في حبس أبي شجاع صاحب شرطة خمار التركي. فلما كان بعد أيامٍ جاءه ابن يسير فقال له: إيه أيها القاضي، كيف دللت علي أهلي؟ قال: كما بلغك، وقد قلت في ذلك أبياتاً: قال: أو فعلت ذلك أيضاً؟ زدني من برك، هات، أيش قلت؟ فأنشده:

ومرسلةٍ توجه كل يومٍ إلي وما دعا للصبح داعي
تسائلني وقد فقدوه حتى أرادوا بعده قسم المتاع
إذا لم تلقه في بيت حسنٍ مقيماً للشراب وللسماع
ولم ير في طريقي بني سدوسٍ يخط الأرض منه بالكراع

يدق حزونها بالوجه طوراً وطوراً باليدين وبالذراع
فقد أعياك مطلبه وأمسى فلا تغلط حبيس أبي شجاع

قال: فجعل ابن يسير يضحك ويقول: أيها القاضي لو غيرك يقول لي هذا لعرف خبره. ثم لم يبرح ابن يسير حتى أعطاه داود مائتي درهم وخلع عليه خلعةً من ثيابه.

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني علي بن القاسم طارمة قال: كنت مع المعتصم لما غزا الروم، فجاء بعض سراياه بخبر عمه، فركب من فوره وسار أجد سيرٍ وأنا أسايره، فسمع منشداً يتمثل في عسكره:

إن الأمور إذا اسندت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
لا تياسن وإن طالت مطالبةٌ إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

فسر بذلك وطابت نفسه، ثم التفت إلي وقال لي: يا علي أتروي هذا الشعر؟ قلت: نعم. قال: من يقوله؟ قلت: محمد بن يسير. فتفاءل باسمه ونسبه. وقال: أمر محمود وسير سريع يعقب هذا الأمر. ثم قال: أنشدني الأبيات، فأنشدته قوله:

ماذا يكلفك الروحات والدلجا البر طوراً وطوراً تركب اللججا
كم من فتًى قصرت في الرزق خطوته ألفيته بسهام الرزق قد فلجا
لا تيأسن وإن طالت مطالبةٌ إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
إن الأمور إذا اسندت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا
فاطلب لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقاً عن غرة زلجا
ولا يغرنك صفوٌ أنت شاربه فربما كان بالتكدير ممتزجا
لا ينتج الناس إلا من لقاحهم يبدو لقاح الفتى يوماً إذا نتجا

أخبرني عيسى بن الحسين والحسن بن علي وعمي قالوا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبوالشبل قال: كنا عند قثم بن جعفر بن سليمان ذات يومٍ ومعنا محمد بن يسير ونحن على شرابٍ، فأمر أن نبخر ونطيب، فأقبلت وصيفةٌ له حسنة الوجه، فجعلت تبخرنا وتغلفنا بغاليةٍ كانت معه. فلما غلفت ابن يسير وبخرته التفت إلي - وكان إلى جانبي - فأنشدني:

يا باسطاً كفه نحوي يطيبني كفاك أطيب يا حبي من الطيب
كفاك يجري مكان الطيب طيبهما فلا تزدني عليها عند تطييبي

يا لائمي في هواها أنت لم ترها فأنت مغرًى بتأنيبي وتعذيبي

انظر إلى وجهها هل مثل صورتها في الناس وجهٌ مجلًى غير محجوب؟

فقلت له: اسكت ويلك! لا، تصفع والله وتخرج. فقال: والله لو وثقت بأن نصفع جميعاً لأنشدته الأبيات، ولكني أخشى أن أفرد بالصفع دونك.

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا الرياشي قال: كان محمد بن يسير جالساً في حلقتنا في مسجد البصرة، وإلى جانبنا حلقة قومٍ من أهل الجدل يتصايحون في المقالات والحجج فيها، فقال ابن يسير: اسمعوا ما قلت في هؤلاء، فأنشدنا قوله:

يا سائلي عن مقالة الشيع وعن صنوف الأهواء والبدع

دع عنك ذكر الأهواء ناحيةً فليس ممن شهدت ذو ورع

كل أناسٍ بديهم حسنٌ ثم يصيرون بعد للسمع

أكثر ما فيه أن يقال لهم لم يك في قوله بمنقطع

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني محمد بن علي الشامي قال: كان محمد بن يسير يصف نفسه بالذكاء والحفظ والاستغناء عن تدوين شيء يسمعه، من ذلك قوله:

إذا ما غدا الطلاب للعلم ما لهم من الحظ إلا ما يدون في الكتب

غدوت بتشمير وجدٍّ عليهم فمحبرتي أذني ودفترها قلبي

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني إبراهيم بن المدبر، قال: كان إبراهيم بن رياح إذا حزبه الأمر يقطعه بمثل قول محمد بن يسير:

تخطي النفوس مع العيا ن وقد تصيب مع المظنة

كم من مضيقٍ في الفضا ء ومخرجٍ بين الأسنة

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني الحسن بن أبي السري قال: مر ابن يسير بأبي عثمان المازني فجلس إليه ساعة، فرأى من في مجلسه يتعجبون من نعل كانت في رجله خلقٍ وسخةٍ مقطعة، فأخذ ورقةً وكتب فيها:

كم أرى ذا تعجبٍ من نعالي ورضائي منها بلبس البوالي

كل جرداء قد تكتفيها من أقطارها بسود النقال

لا تداني وليس تشبه في الخل قة إن أبرزت نعال الموالي

من يغال من الرجال بنعلٍ فسواي إذاً بهن يغالي

لو حذاهن للجمال فإني في سواهن زينتي وجمالي
في إخائي وفي وفائي ورأيي ولساني ومنطقي وفعالي
ما وقاني الحفا وبلغني الحا جة منها فإنني لا أبالي

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال:
دعا قثم بن جعفر بن سليمان أبي فشرب عنده، فلما سكر سرق منه ألواح آبنوس كانت تكون في كمه، فقال في ذلك:

عين بكي بعبرةٍ تسفاح وأقيمي مآتم الألواح
أوحشت حجزتي وردناي منها في بكوري وعند كل رواح
واذكريها إذا ذكرت بما قد كان فيها من مرفقٍ وصلاح
آبنوس دهماء حالكة اللو ن لبابٌ من اللطاف الملاح
ذات نفع خفيفة القدر والمح مل حلكوكة الذرا والنواحي
وسريعٌ جفوفها إن محاها عند مملٍ مستعجل القوم ماحي
هي كانت على علومي والآ داب والفقه عدتي وسلاحي
كنت أغدو بها على طلب العل م إذا ما غدوت كل صباح
هي كانت غذاء زوري إذا زا ر وري النديم يوم اصطباحي

يعني أنه يعمل فيها الشعر ويطلب لزواره المأكول والمشروب.

آب عسري وغاب يسري وجودي حين غابت وغاب عني سماحي

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا عبد الله بن أحمد قال: كان محمد بن يسير يعادي أحمد بن يوسف، فبلغه أنه يتعشق جاريةً سوداء مغنية، فقال ابن يسير يهجوه:

أقول لما رأيته كلفاً بكل سوداء نزرةٍ قذره
أهلٌ لعمري لما كلفت به عند الخنازير تتفق العذره

أخبرني وكيع قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا أبو العواذل قال: عوتب محمد بن يسير على حضور المجالس بغير ورق ولا محبرةٍ، وأنه لا يكتب ما يسمعه، فقال:

ما دخل الحمام من علمي فذاك ما فاز به سهمي
والعلم لا ينفعني جمعه إذا جرى الوهم على فهمي

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: كان محمد بن يسير يعاشر ولد جعفر بن سليمان، فأخذ منه قثم بن جعفرٍ ألواح آبنوس كان يكتب فيها بالليل، فقال ابن يسير في ذلك:

أبقت الألواح إذ أخذت ... حرقةً في القلب تضطرم

زانها فصان من صدفٍ ... واحمرار السير والقلم

وتولى أخذها قثمٌ ... لا تولى نفعها قثم

أخبرني الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: كان محمد بن يسير يعاشر بعض الهاشميين، ثم جفاه الهاشمي لملالٍ كان فيه فكتب إليه ابن يسير قوله:

قد كنت منقبضاً وأنت بسطتني ... حتى انبسطت إليك ثم قبضتني

أذكرتني خلق النفاق وكان لي ... خلقاً فقد أحسنت إذ أذكرتني

لو دام ودك وانبسطت إلى امرىءٍ ... في الود بعدك كنت أنت غررتني

فهلم نجتذب التذاكر بيننا ... ونعود بعد كأننا لم نفطن

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثنا مسعود بن يسير قال: شرب محمد بن يسير نبيذاً مع قومٍ فأسكروه، حتى خرج من عندهم وهو لا يعقل فأخذ رداءه وعثر في طريقه وأصاب وجهه آثار، فلما أفاق أنشأ يقول:

شاربت قوماً لم أطق شربهم ... يغرق في بحرهم بحري

لما تجارينا إلى غايةٍ ... قصر عن صبرهم صبري

خرجت من عندهم مثخناً ... تدفعني الجدر إلى الجدر

مقبح المشي كسير الخطا ... تقصر عند الجد عن سيري

فلست أنسى ما تجشمت من ... كدحٍ ومن جرحٍ ومن أثر

وشق ثوبٍ وتوى آخرٍ ... وسقطةٍ بان بها ظفري

حدثني عمي وجحظة عن أحمد بن الطيب قال: حدثنا بعض أصحابنا عن مسعو بن يسير، ثم ساق الخبر مثله سواءً.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو العيناء قال: اجتمع جعيفران الموسوس ومحمد بن يسير في بستان، فنظر إلى محمد بن يسير وقد انفرد ناحيةً للغائط، ثم قام عن شيء عظيم خرج منه، فقال جعيفران:

قد قلت لابن يسيرٍ ... لما رمى من عجانه

في الأرض تل سمادٍ ... علا على كثبانه

طوبى لصاحب أرضٍ خرئت في بستانه

قال: فجعل ابن يسير يشتم جعيفران ويقول: أي شيء أردت مني يا مجنون يا بن الزانية حتى صيرتني شهرةً بشعرك!

أخبرني جحظة قال: حدثني سوار بن أبي شراعة قال: حدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال: كان أبي مشغوفاً بالنبيذ مشتهراً بالشرب، وما بات قط إلا وهو سكران، وما نبذ قط نبيذاً، وإنما كان يشربه عند إخوانه ويستسقيه منهم، فأصبحنا بالبصرة يوماً على مطر هادٍّ، و لم تمكنه معه الحركة إلى قريبٍ من إخوانه ولا بعيد وكاد يجن لما فقد النبيذ. فكتب إلى والي البصرة وكان هاشمياً، وهو محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان قال:

كم في علاج نبيذ التمر لي تعبٌ الطبخ والدلك والمعصار والعكر

وإن عدلت إلى المطبوخ معتمداً رأيتني منه عند الناس أشتهر

نقل الدنان إلى الجيران يفضحني والقدر تتركني في القوم أعتذر

فصرت في البيت أستسقي وأطلبه من الصديق ورسلي فيه تبتدر

فمنهم باذلٌ سمحٌ بحاجتنا ومنهم كاذبٌ بالزور يعتذر

فسقني ري أيامٍ لتمنعني عمن سواك وتغنيني فقد خسروا

إن كان زقٌ فزقٌ أو فوافرةٌ من الدساتيج لا يزري بها الصفر

وإن تكن حاجتي ليست بحاضرةٍ وليس في البيت من آثارها أثر

فاستسق غيرك أو فاذكر له خبري إن اعتراك حياءٌ منه أو حصر

ما كان من ذلكم فليأتني عجلاً فإنني واقفٌ بالباب أنتظر

لا لي نبيذٌ ولا حرٌّ فيدعوني وقد حماني من تطفيلي المطر

قال: فضحك لما قرأها. وبعث إليه بزقٍّ نبيذٍ ومائتي درهم، وكتب إليه: اشرب النبيذ: وأنفق الدراهم إلى أن يمسك المطر ويتسع لك التطفيل، ومتى أعوزك مكانٌ فاجعلني فيئةً لك، والسلام.

أنت حديثي في النوم واليقظة أتعبت مما أهذي بك الحفظة

كم واعظٍ فيك لي وواعظةٍ لو كنت ممن تنهاه عنك عظه

الشعر لديك الجن الحمصي. والغناء لعريب، هزج، ذكر ذلك ذكاء وجه الرزة وقمريٌّ جميعاً، والله أعلم.

أخبار ديك الجين ونسبه

ديك الجن لقبٌ غلب عليه، واسمه عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن يزيد بن تميم. وكان جده تميم ممن أنعم الله عز وجل عليه بالإسلام من أهل مؤتة على يدي حبيب بن مسلمة الفهري، وكان شديد التشعب والعصبية على العرب، يقول: ما للعرب علينا فضل، جمعتنا وإياهم ولادة إبراهيم صلى الله عليه وسلم، وأسلمنا كما أسلموا، ومن قتل منهم رجلاً منا قتل به، و لم نجد الله عز وجل فضلهم علينا، إذ جمعنا الدين.

وهو شاعرٌ مجيدٌ يذهب مذهب أبي تمام والشاميين في شعره. من شعراء الدولة العباسية. وكان من ساكني حمص، و لم يبرح نواحي الشأم، ولا وفد إلى العراق ولا إلى غيره منتجعاً بشعره، ولا متصدياً لأحد. وكان يتشيع تشيعاً حسناً، وله مراثٍ كثيرةٌ في الحسين بن علي عليهما السلام منها قوله:

ياعين لا للقضا و لا الكتب　　بكا الرزايا سوى بكا الطرب

وهي مشهورة عند الخاص والعام، ويناح بها. وله عدة أشعار في هذا المعنى، وكانت له جاريةٌ يهواها، فاتهمها بغلامٍ له فقتلها، واستنفد شعره بعد ذلك في مراثيها.

قال أبو الفرج: ونسخت خبره في ذلك من كتاب محمد بن طاهر، أخبره بما فيه ابن أخ لديك الجن يقال له أبو وهب الحمصي قال: كان عمي خليعاً ماجناً معتكفاً على القصف واللهو، متلافاً لما ورث عن آبائه، واكتسب بشعره من أحمد وجعفر ابني علي الهاشميين، وكان له ابن عم يكنى أبا الطيب يعظه وينهاه عما يفعله، ويحول بينه وبين ما يؤثره ويركبه من لذاته وربما هجم عليه وعنده قومٌ من السفهاء والمجان وأهل الخلاعة، فيستخف بهم وبه. فلما كثر ذلك على عبد السلام قال فيه:

مولاتنا يا غلام مبتكره　　فباكر الكأس لي بلا نظره

غدت على اللهو والمجون على　　أن الفتاة الحيية الخفره

لحبها لا عدمتها حرقٌ　　مطويةٌ في الحشا ومنتشره

ما ذقت منها سوى مقبلها　　وضم تلك الفروع منحدره

وانتهرتني فمت من فرقٍ　　يا حسنها في الرضا ومنتهره

ثم انثنت سورة الخمار بنا　　خلال تلك الغدائر الخمره

وليلةٍ أشرفت بكلكلها　　علي كالطيسان معتجره

فتقت ديجورها إلى قمرٍ　　أثوابه بالعفاف مستتره

عج عبرات المدام نحوي من　　عشر وعشرين واثنتي عشره

قد ذكر الناس عن قيامهم ذكرى بعقلي ما أصبحت نكره
معرفتي بالصواب معرفةٌ غراء إما عرفتم النكره
يا عجبا من أبي الخبيث ومن سروحه في البقائر الدثره
يحمل رأساً تنبو المعاول عن صفحته والجلامد الوعره
لو البغال الكمت ارتقت سنداً فيه لمدت قوائماً خدره
ولا المجانيق فيه مغنيةٌ ألفٌ تسامى وألف منكدره
انظر إلى موضع المقص من ال هامة تلك الصفيحة العجره
فلو أخذتم لها المطارق حر انية صنعة اليد الخبره
إذاً لراحت أكف جلتهم كليلةً والأداة منكسره
كم طرباتٍ أفسدتهن وكم صفوة عيشٍ غادرتها كدره
وكم إذا ما رأوك يا ملك ال موت لهم من أناملٍ خصره
وكم لهم دعوة عليك وكم قذفة أم شنعاء مشتهره
كريمةٍ لؤمك استخف بها ونالها بالمثالب الأشره
قفوا على رحله تروا عجباً في الجهل يحكي طرائف البصره
يا كل منيٍ وكل طالعةٍ نحسٍ ويا كل ساعةٍ عسره
سبحان من يمسك السماء على ال أرض وفيها أخلاقك القذره

قال: وكان عبد السلام قد اشتهر بجاريةٍ نصرانيةٍ من أهل حمص هويها وتمادى به الأمر حتى غلبت عليه وذهبت به. فلما اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ليتزوج بها، فأجابته لعلمها برغبته فيها، وأسلمت على يده، فتزوجها، وكان اسمها ورداً، ففي ذلك يقول:

انظر إلى شمس القصور وبدرها وإلى خزاماها وبهجة زهرها
لم تبل عينك أبيضاً في أسودٍ جمع الجمال كوجهها في شعرها
وردية الوجنات يختبر اسمها من ريقها من لا يحيط بخبرها
وتمايلت فضحكت من أردافها عجباً ولكني بكيت لخصرها
تسقيك كأس مدامةٍ من كفها ورديةٍ ومدامة من ثغرها

قال: وكان قد أعسر واختلت حاله، فرحل إلى سلمية قاصداً لأحمد بن علي الهاشمي، فأقام عنده مدةً طويلة، وحمل ابن عمه بغضه إياه بعد مودته له وإشفاقه عليه بسبب هجائه له على أن أذاع على تلك المرأة التي تزوجها عبد السلام أنها تهوى غلاماً له، وقرر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه وإخوانه، وشاع ذلك الخبر حتى أتى عبد السلام، فكتب إلى أحمد بن علي شعراً يستأذنه في الرجوع إلى حمص ويعلمه ما بلغه من خبر المرأة من قصيدة أولها:

إن ريب الزمان طال انتكاثه ... كم رمتني بحادثٍ أحداثه

يقول فيها:

ظبي إنسٍ قلبي مقيل ضحاه ... وفؤادي بريره وكباثه

وفيها يقول:

خيفةً أن يخون عهدي وأن يض ... حي لغير حجوله ورعاثه

ومدح أحمد بعد هذا، وهي طويلة. فأذن له فعاد إلى حمص، وقدر ابن عمه وقت قدومه، فأرصد له قوماً يعلمونه بموافاته باب حمص. فلما وافاه خرج إليه مستقبلاً ومعنفاً على تمسكه بهذه المرأة بعدما شاع من ذكرها بالفساد، وأشار عليه بطلاقها، وأعلمه أنها قد أحدثت في مغيبه حادثةً لا يجمل به معها المقام عليها، ودس الرجل الذي رماها به، وقال له: إذا قدم عبد السلام ودخل منزله فقف على بابه كأنك لم تعلم بقدومه، وناد باسم ورد، فإذا قال: من أنت؟ فقل: أنا فلان. فلما نزل عبد السلام منزله وألقى ثيابه، سألها عن الخبر وأغلظ عليها، فأجابته جواب من لم يعرف من القصة شيئاً. فبينما هو في ذلك إذ قرع الرجل الباب فقال: من هذا؟ فقال: أنا فلان. فقال لها عبد السلام: يا زانية، زعمت أنك لا تعرفين من هذا الأمر شيئاً! ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتلها، وقال في ذلك:

ليتني لم أكن لعطفك نلت ... وإلى ذلك الوصال وصلت

فالذي مني اشتملت عليه ... ألعار ما قد عليه اشتملت

قال ذو الجهل قد حلمت ولا أع ... لم أني حلمت حتى جهلت

لاثمٌ لي بجهله ولماذا ... أنا وحدي أحببت ثم قتلت

سوف آسى طول الحياة وأبكي ... ك على ما فعلت لا ما فعلت

وقال فيها أيضاً:

لك نفسٌ مواتيه ... والمنايا معاديه

أيها القلب لا تعد ... لهوى البيض ثانيه

ليس برقٌ يكون أخ لب من برق غانيه
خنت سري ولم أخن ك فموتي علانية

قال: وبلغ السلطان الخبر فطلبه، فخرج إلى دمشق فأقام بها أياماً. وكتب أحمد بن علي إلى أمير دمشق أن يؤمنه، وتحمل عليه بإخوانه حتى يستوهبوا جنايته فقدم حمص وبلغه الخبر على حقيقته وصحته، واستيقنه فندم، ومكث شهراً لا يستفيق من البكاء ولا يطعم من الطعام إلا ما يقيم رمقه، وقال في ندمه على قتلها:

يا طلعةً طلع الحمام عليها وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما روى الهوى شفتي من شفتيها
قد بات سيفي في مجال وشاحها ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعليها وما وطىء الحصى شيءٌ أعز علي من نعليها
ما كان قتليها لأني لم أكن أبكي إذا سقط الذباب عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها وأنفت من نظر الحسود إليها

وهذه الأبيات تروى لغير ديك الجن.

أخبرني بها محمد بن زكريا الصحاف قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن منصور قال: كان من غطفان رجلٌ يقال له السليك بن مجمع، وكان من الفرسان، وكان مطلوباً في سائر القبائل بدماء قومٍ قتلهم، وكان يهوى ابنة عم له، وكان خطبها مدةً فمنعها أبوها، ثم زوجه إياها خوفاً منه، فدخل بها في دار أبيها ثم نقلها بعد أسبوع إلى عشيرته، فلقيه من بني فزارة ثلاثون فارساً كلهم يطلبه بذحلٍ، فحلقوا عليه، وقاتلهم وقتل منهم عدداً، وأثخن بالجراح آخرين، وأثخن هو حتى أيقن بالموت. فعاد إليها فقال: ما أسمح بك نفساً لهؤلاء، وإني أحب أن أقدمك قبلي. قالت: افعل، ولو لم تفعله أنت لفعلته أنا بعدك. فضربها بسيفه حتى قتلها، وأنشأ يقول:

يا طلعة طلع الحمام عليها

وذكر الأبيات المنسوبة إلى ديك الجن، ثم نزل إليها فتمرغ في دمها وتخضب به، ثم تقدم فقاتل حتى قتل. وبلغ قومه خبره، فحملوه وابنة عمه فدفنوهما. قال: وحفظت فزارة عنه هذه الأبيات فنقلوها. قال: وبلغني أن قومه أدركوه وبه رمق، فسمعوه يردد هذه الأبيات، فنقلوها وحفظوها عنه، وبقي عندهم يوماً ثم مات.

وقال ديك الجن في هذه المقتولة:

أشفقت أن يرد الزمان بغدره أو ابتلى بعد الوصال بهجره
قمرٌ أنا استخرجته من دجنه لبليتي وجلوته من خدره

فقتلته وله علي كرامةٌ ... ملء الحشى وله الفؤاد بأسره
عهدي به ميتاً كأحسن نائمٍ ... والحزن يسفح عبريت في نحره
لو كان يدري الميت ماذا بعده ... بالحي حل بكى له في قبره
غصصٌ تكاد تفيظ منها نفسه ... وتكاد تخرج قلبه من صدره

وقال فيها أيضاً:

أساكن حفرةٍ وقرار لحد ... مفارق خلةٍ من بعد عهد
أجبني إن قدرت على جوابي ... بحق الود كيف ظللت بعدي
وأين حللت بعد حلول قلبي ... وأحشائي وأضلاعي وكبدي
أما والله لو عاينت وجدي ... إذا استعبرت في الظلمات وحدي
وجد تنفسي وعلا زفيري ... وفاضت عبرتي في صحن خدي
إذاً لعلمت أني عن قريبٍ ... ستحفر حفرتي ويشق لحدي
ويعذلني السفيه على بكائي ... كأني مبتلًى بالحزن وحدي
يقول قتلتها سفهاً وجهلاً ... وتبكيها بكاءً ليس يجدي
كصياد الطيور له انتحابٌ ... عليها وهو يذبحها بحد

وقال فيها أيضاً:

ما لامرىء بيد الدهر الخئون يد ... ولا على جلد الدنيا له جلد
طوبى لأحباب أقوامٍ أصابهم ... من قبل أن عشقوا موتٌ فقد سعدوا
وحقهم إنه حقٌّ أضن به ... لأنفدن لهم دمعي كما نفدوا
يا دهر إنك مسقيٌ بكأسهم ... وواردٌ ذلك الحوض الذي وردوا
الخلق ماضون والأيام تتبعهم ... نفنى جميعاً ويبقى الواحد الصمد

وقال فيها:

أما آن للطيف أن يأتيا ... وأن يطرق الوطن الدانيا
وإني لأحسب ريب الزما ... ن يتركني جسداً باليا
سأشكر ذلك لا ناسياً ... جميل الصفاء ولا قاليا

وقد كنت أنشره ضاحكاً فقد صرت أنشره باكيا

وقال أيضاً:

قل لمن كان وجهه كضياء الش مس في حسنه وبدرٍ منير
كنت زين الأحياء إذ كنت فيهم ثم قد صرت زين أهل القبور
بأبي أنت في الحياة وفي المو ت وتحت الثرى ويوم النشور
خنتني في المغيب والخون نكرٌ وذميمٌ في سالفات الدهور
فشفاني سيفي وأسرع في ح ز التراقي قطعاً وحز النحور

قال أبو الفرج: ونسخت من هذا الكتاب قال: كان ديك الجن يهوى غلاماً من أهل حمص يقال له بكر، وفيه يقول وقد جلسا يوماً يتحدثنان إلى أن غاب القمر:

دع البدر فليغرب فأنت لنا بدر إذا ما تجلى من محاسنك الفجر
إذا ما انقضى سحر الذين ببابلٍ فطرفك لي سحرٌ وريقك لي خمر
ولو قيل لي قم فادع أحسن من ترى لصحت بأعلى الصوت يا بكر يا بكر

قال: وكان هذا الغلام يعرف ببكر بن دهمرد. قال: وكان شديد التمنع والتصون. فاحتال قومٌ من أهل حمص فأخرجوه إلى متنزه لهم يعرف بميماس، فأسكروه وفسقوا به جميعاً، وبلغ ديك الجن الخبر فقال فيه:

قل لهضيم الكشح مياس انتقض العهد من الناس
يا طلعة الآس التي لم تمد إلا أذلت قضب الآس
وثقت بالكأس وشرابها وحتف أمثالك في الكاس
وحال ميماس ويا بعدما بين مغيثيك وميماس
تقطيع أنفاسك في أثرهم وملكهم قطع أنفاسي
لا بأس مولاي على أنها نهاية المكروه والباس
هي الليالي ولها دولةٌ ووحشة من بعد إيناس
بينا أنافت وعلت بالفتى إذ قيل حطته على الراس
فاله ودع عنك أحاديثهم سيصبح الذاكر كالناسي

وقال فيه أيضاً:

يا بكر ما فعلت بك الأرطال يا دار ما فعلت بك الأيام

في الدار بعد بقيةٌ نستامها إذ ليس فيك بقيةٌ تستام
عرم الزمان على الديار برغمهم وعليك أيضاً للزمان عرام
شغل الزمان كراك في ديوانه فتفرغت لدواتك الأقلام

قال فيه أيضاً:

قولا لبكر بن دهمردٍ إذا اعتكرت عساكر الليل بين الطاس والجام
ألم أقل لك إن البغي مهلكةٌ والبغي والعجب إفسادٌ لأقوام
قد كنت تفرق من سهمٍ بغانيةٍ فصرت غير رميمٍ رقعة الرامي
وكنت تفزع من لمسٍ ومن قبلٍ فقد ذللت لإسراجٍ وإلجام
إن تدم فخذاك من ركضٍ فربتما أمسي وقلبي عليك الموجع الدامي

أخبرني أبو المعتصم عاصم بن محمد الشاعر بأنطاكية، وبها أنشدني قصيدة البحتري:

ملامك إنه عهدٌ قريب ورزءٌ ما انقضت منه الندوب

وأنشدني لديك الجن يعزي جعفر بن علي الهاشمي:

نغفل والأيام لا تغفل ولا لنا من زمنٍ موئل
والدهر لا يسلم من صرفه أعصم في القنة مستوعل
يتخذ الشعرى شعاراً له كأنما الأفق له منزل
كأنه بين شناظيرها بارقةٌ تكمن أو تمثل

ولا حبابٌ صلتان السرى أرقم لا يعرف ما يجهل
نضناض فيفاء يرى أنه بالرمل غانٍ وهو المرمل
يطلب من فاجئةٍ معقلاً وهو لما يطلب لا يعقل
والدهر لا يسلم من صرفه مسربلٌ بالسرد مستبسل
ولا عقنباة السلامى لها في كل أفقٍ علقٌ مهمل
فتخاء في الجو خداريةٌ كالغيم والغيم لها مثقل
آمن من كل لصرف الردى أنزلها من جوها منزل

والدهر لا يحجبه مانعٌ ... يحجبه العامل والمنصل

يصغي جديداه إلى حكمه ... ويفعل الدهر بما يفعل

كأنه من فرط عز به ... أشوش إذ أقبل أو أقبل

الأقبل: الذي في عينه قبلٌ، وهو دون الحول.

في حسب أوفى له جحفلٌ ... يقدمه من رأيه جحفل

بينا على ذلك إذ عرشت ... في عرشه داهيةٌ ضئبل

إن يك في العز له مشقصٌ ... ماضٍ فقد تاح له مقتل

جاد على قبرك من ميتٍ ... بالروح ربٌ لك لا يبخل

وحنت المزن على قبره ... بعارضٍ نجوته محفل

غيثٌ ترى الأرض على وبله ... تضحك إلا أنه يهمل

يصل والأرض تصلي له ... من صلواتٍ معه تسأل

أنت أبا العباس عباسها ... إذا استطار الحدث المعضل

وانت ينبوع أفانينها ... إذا هم في سنةٍ أمحلوا

وأنت علام غيوب النثا ... يوماً إذا نسأل أو نسأل

نحن نعزيك ومنك الهدى ... مستخرجٌ والنور مستقبل

نقول بالعقل وأنت الذي ... نأوي إليه وبه نعقل

نحن فداءٌ لك من أمةٍ ... والأرض والآخر والأول

إذا غفا عنك وأودى بها ... ذا الدهر فهو المحسن المجمل

قال أبو المعتصم: ثم مات جعفر بن علي الهاشمي، فرثاه ديك الجن فقال:

على هذه كانت تدور النوائب ... وفي كل جمع للذهاب مذاهب

نزلنا على حكم الزمان وأمره ... وهل يقبل النصف الألد المشاغب

وتضحك سن المرء والقلب موجعٌ ... ويرضى الفتى عن دهره وهو عاتب

ألا أيها الركبان والرد واجبٌ ... قفوا حدثونا ما تقول النوادب

إلى أي فتيان الندى قصد الردى ... وأيهم نابت حماه النوائب

فيا لأبي العباس كم رد راغبٌ ... لفقدك ملهوفاً وكم جب غارب

ويا لأبي العباس إن مناكباً ... تنوء بما حملها لنواكب

فيا قبره جد كل قبرٍ بجوده ... ففيك سماءٌ ثرةٌ وسحائب

فإنك لو تدري بما فيك من علاً ... علوت وباتت في ذراك الكواكب

أخاً كنت أبكيه دماً وهو نائمٌ ... حذاراً وتغمى مقلتي وهو غائب

فمات ولا صبري على الأجر واقفٌ ... ولا أنا في عمرٍ إلى الله راغب

أأسعى لأحظى فيك بالأجر إنه ... لسعيٌ إذن مني لدى الله خائب

وما الإثم إلا الصبر عنك وإنما ... عواقب حمدٍ أن تذم العواقب

يقولون :مقدارٌ على المرء واجبٌ ... فقلت :وإعوالٌ على المرء واجب

هو القلب لما حم يوم ابن أمه ... وهي جانبٌ منه وأسقم جانب

ترشفت أيامي وهن كوالحٌ ... عليك وغالبت الردى وهو غالب

ودافعت في صدر الزمان ونحره ... وأي يدٍ لي والزمان محارب

وقلت له: خل الجواد لقومه ... وهأنذا فازدد فإنا عصائب

فوالله إخلاصاً من القول صادقاً ... وإلا فحبي آل أحمد كاذب

لو ان يدي كانت شفاءك أو دمي ... دم القلب حتى يقضب القلب قاضب

لسلمت تسليم الرضا وتخذتها ... يداً للردى ما حج الله راكب

فتًى كان مثل السيف من حيث جئته ... لنائبةٍ نابتك فهو مضارب

فتًى همه حمدٌ على الدهر رابحٌ ... وإن غاب عنه ماله فهو عازب

شمائل إن يشهد فهن مشاهد ... عظامٌ وإن يرحل فهن كتائب

بكاك أخٌ لم تحوه بقرابةٍ ... بلى إن إخوان الصفاء أقارب

وأظلمت الدنيا التي كانت جارها ... كأنك للدنيا أخٌ ومناسب

يبرد نيران المصائب أنني ... أرى زمناً لم تبق فيه مصائب

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب محمد بن طاهر عن أبي طاهر: إن خطيب أهل حمص كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر ثلاث مرات في خطبته، وكان أهل حمص كلهم من اليمن، لم يكن فيهم من مضر إلا ثلاثة أبيات، فتعصبوا على الإمام وعزلوه، فقال ديك الجن:

سمعوا الصلاة على النبي توالى ... فتفرقوا شيعاً وقالوا لا لا
ثم استمر على الصلاة إمامهم ... فتحزبوا ورمى الرجال رجالا
يا آل حمص توقعوا من عارها ... خزياً يحل عليكم ووبالا
شاهت وجوهكم وجوهاً طالما ... رغمت معاطسها وساءت حالا
أيا بنة عبد الله وابنة مالكٍ ... ويا بنة ذي البردين والفرس بارد
إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له ... أكيلاً فإني لست آكله وحدي

عروضه من الطويل. الشعر لقيس بن عاصم المنقري، والغناء لعلويه، ثقيلٌ أول بالوسطى.

أخبار قيس بن عاصم ونسبه

هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس. واسم مقاعس الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. ويكنى أبا علي. وأمه أم أصعر بنت خليفة بن جرول بن منقر.

وهو شاعرٌ فارسٌ شجاعٌ حليمٌ كثير الغارات، مظفرٌ في غزاوته. أدرك الجاهلية والإسلام فساد فيهما. وهو أحد من وأد بناته في الجاهلية، وأسلم وحسن إسلامه، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه في حياته، وعمر بعده زماناً وروى عنه عدة أحاديث.

أخبرني عمي الحسن بن قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه قال: وفد قيس بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله بعض الأنصار عما يتحدث به عنه من الموءودات التي وأدهن من بناته، فأخبر أنه ما ولدت له بنتٌ قط إلا وأدها. ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، يحدثه فقال له: كنت أخاف سوء الأحدوثة والفضيحة في البنات، فما ولدت لي بنتٌ قط إلا وأدتها، وما رحمت منهن موءودةً قط إلا بنيةً لي ولدتها أمها وأنا في سفر، فدفعتها أمها إلى أخوالها فكانت فيهم، وقدمت فسألت عن الحمل، فأخبرتني المرأة أنها ولدت ولداً ميتاً. ومضت على ذلك سنون حتى كبرت الصبية ويفعت، فزارت أمها ذات يوم، فدخلت فرأيتها وقد ضفرت شعرها وجعلت في قرونها شيئاً من خلوق ونظمت عليها ودعاً، وألبستها قلادة جزعٍ، وجعلت في عنقها مخنقة بلح: فقلت، من هذه الصبية فقد أعجبني جمالها وكيسها؟ فبكت ثم قالت: هذه ابنتك، كنت خبرتك أني ولدت ولداً ميتاً، وجعلتها عند أخوالها حتى بلغت هذا المبلغ. فأمسكت عنها حتى اشتغلت عنها، ثم أخرجتها يوماً فحفرت لها حفيرةً فجعلتها فيها وهي تقول: يا أبت ما

تصنع بي؟ وجعلت أقذف عليها التراب وهي تقول: يا أبت أمغطي أنت بالتراب؟ أتاركي أنت وحدي ومنصرفٌ عني؟ وجعلت أقذف عليها التراب ذلك حتى واريتها، وانقطع صوتها، فما رحمت أحداً ممن واريته غيرها. فدمعت عينا النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: "إن هذه لقسوةٌ، وإن من لا يرحم لا يرحم" أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدثني عمي أبو فراس محمد بن فراس عن عمر بن أبي بكار عن شيخ من بني تميم عن أبي هريرة: أن قيس بن عاصمٍ دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حجره بعض بناته يشمها، فقال له: ما هذه السخلة تشمها؟ فقال: هذه ابنتي. فقال: والله لقد ولد لي بنون ووأدت بنيات ما شممت منهن أنثى ولا ذكراً قط. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فهل إلا أن يترع الله الرحمة من قلبك".! قال أحمد بن الهيثم قال عمي فحدثني عبد الله بن الأهتم:

أن سبب وأد قيسٍ بناته أن المشمرج اليشكري أغار على بني سعدٍ منهم نساءً واستاق أموالاً، وكان في النساء امرأةٌ، خالها قيس بن عاصم، وهي رميم بنت أحمر بن جندلٍ السعدي، وأمها أخت قيس. فرحل قيسٌ إليهم ويسألهم أن يهبوها له أو يفدوها، فوجد عمرو بن المشمرج قد اصطفاها لنفسه. فسأله فيها، فقال: قد جعلت أمرها إليها فإن اختارتك فخذها. فخيرت، فاختارت عمرو بن المشمرج. فانصرف قيس فوأد كل بنت، وجعل ذلك سنة في كل بنتٍ تولد له، واقتدت به العرب في ذلك، فكان كل سيد يولد له بنت يئدها خوفاً من الفضيحة.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي بن العباس بن هشام عن أبيه عن جده قال: تزوج قيس بن عاصم المنقري منفوسة بنت زيد الفوارس الضبي، وأتته في الليلة الثانية من بنائه بها بطعام، فقال: فأين أكيلي؟ فلم تعلم ما يريد، فأنشأ يقول:

أيا بنة عبد الله وابنة مالكٍ ... ويا بنة ذي البردين والفرس الورد

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له ... أكيلاً فإني لست آكله وحدي

أخاً طارقاً أو جار بيتٍ فإنني ... أخاف ملامات الأحاديث من بعدي

وإني لعبد الضيف من غير ذلةٍ ... وما بي إلا تلك من شيم العبد

قال: فأرسلت جاريةً لها مليحة فطلبت له أكيلاً، وأنشأت تقول له:

أبى المرء قيسٌ أن يذوق طعامه ... بغير أكيلٍ إنه لكريم

فبوركت حيًّا يا أخا الجود والندى ... وبوركت ميتاً قد حوتك رجوم

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: جاور رجلٌ من بني القين من قضاعة قيس بن عاصم، فأحسن جواره و لم ير منه إلا خيراً حتى فارقه، ثم نزل عند جوين الطائي أبي عامر بن جوين، فوثب عليه رجال من طيىء فقتلوه وأخذوا ماله، فقال العباس بن مرداس يهجوهم ويمدح قيساً:

لعمري لقد أوفى الجواد ابن عاصم ... وأحصن جاراً يوم يحدج بكره
أقام عزيزاً منتدى القوم عنده ... فلم ير سوءاتٍ ولم يخش غدره
أقام بسعدٍ يشرب الماء آمناً ... ويأكل وسطاها ويربض حجره
فإنك إذ بادلت قيس بن عاصمٍ ... جويناً لمختار المنازل شره
فأصبح يحدو رحله بمفازةٍ ... وماذا عدا جاراً كريماً وأسره
يظل بأرض الغدر يأكل عهده ... جوينٌ وشمخٌ خاربين بوجره
يذمان بالأزواد والزاد محرمٌ ... سروقان من عرق شروراً وفجره

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني دماذ عن أبي عبيدة قال: قال الأحنف: ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقري، فقيل له: وكيف ذلك يا أبا بحر.؟ فقال: قتل ابن أخ له ابناً له فأتى بابن أخيه مكتوفاً يقاد إليه، فقال: ذعرتم الفتى. ثم أقبل عليه فقال: يا بني، نقصت عددك، وأوهيت ركنك، وفتت في عضدك، وأشمت عدوك، وأسأت بقومك. خلوا سبيله، واحملوا إلى أم المقتول ديته، قال: فانصرف القاتل وما حل قيس حبوته، ولا تغير وجهه.

أخبرني عبيد الله الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن ابن جعدبة وأبي اليقظان قالا: وقد قيس بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: "هذا سيد أهل الوبر".

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي حاتم قال: جاور داريٌ كان يتجر في أرض العرب قيس بن عاصم، فشرب قيسٌ ليلةً حتى سكر، فربط الداري وأخذ ماله، وشرب من شرابه فازداد سكراً، وجعل من السكر يتطاول ويثاور النجوم ليبلغها وليتناول القمر، وقال:

وتاجرٍ فاجرٍ جاء الإله به ... كأن عثنونه أذناب أجمال

ثم قسم صدقة النبي صلى الله عليه وسلم في قومه وقال:

ألا أبلغا عني قريشاً رسالةً ... إذا ما أتتهم مهديات الودائع
حبوت بما صدقت في العام منقراً ... وأيأست منها كل أطلس طامع

قال: فلما فعل بالداري ما فعل وسكر، جعل ماله نهبى، فلم تزل امرأته تسكنه حتى نام. فلما أصبح أخبر بما كان منه، فآلى ألا يدخل الخمر بين أضلاعه أبداً.

أخبرني وكيعٌ قال حدثنا المدائني قال:

ولي قيس بن عاصم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات بني مقاعس والبطون كلها، وكان الزبرقان بن بدرٍ قد ولي صدقات عوف والأبناء. فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جمع كل واحد من قيس والزبرقان صدقات من ولي صدقته دس إليه الزبرقان من زين له المنع لما في يده وخدعه بذلك، وقال له: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد توفي، فهلم نجمع هذه الصدقة ونجعلها في قومنا، فإن استقام الأمر لأبي بكر وأودت العرب إليه الزكاة جمعنا له الثانية. ففرق قيس الإبل في قومه، فانطلق الزبرقان إلى أبي بكر بسبعمائة بعير فأداها إليه، وقال في ذلك:

وفيت بأذواد النبي محمدٍ وكنت امرأً لا أفسد الدين بالغدر

فلما عرف قيسٌ ما كاده به الزبرقان قال: لو عاهد الزبرقان أمه لغدر بها.

أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا الحارث بن أسامة قال حدثنا المدائني، وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ثعلبٌ على ابن الأعرابي قال: قيل لقيس بن عاصم: بماذا سدت؟ قال: ببذل الندى، وكف الأذى، ونصر الموالي.

أخبرني وكيعٌ قال حدثنا العمري عن الهيثم قال: كان قيس بن عاصم يقول لبنيه: إياكم والبغي، فما بغى قومٌ قط إلا قلوا وذلوا. فكان بعض بنيه يلطمه قومه أو غيرهم فينهى إخوته عن أن ينصروه.

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال حدثنا الحارث عن المدائني عن ابن جعدبة: أن قيس بن عاصم قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرحب به وأدناني، فقلت: يا رسول الله، المال الذي لا يكون علي فيه تبعةٌ ما ترى في إمساكه لضيفٍ إن طرقني، وعيالٍ إن كثروا علي؟ فقال: "نعم المال الأربعون، والأكثر الستون، وويلٌ لأصحاب المئين - ثلاثاً - إلا من أعطى من رسلها وأطرق فحلها، وأفقر ظهرها، ومنح غزيرتها، وأطعم القانع والمعتر".

فقلت له: يا رسول الله، ما أكرم هذه الأخلاق! إنه لا يحل بالوادي الذي أنا فيه من كثرتها. قال: "فكيف تصنع في الإطراق"؟ قلت: يغدو الناس، فمن شاء أن يأخذ برأس بعير ذهب به، قال: "فكيف تصنع في الإقفار"؟ فقلت إني لأفقر الناب المدبرة والضرع الصغيرة. قال: "فكيف تصنع في المنيحة"؟ قلت: إني لأمنح في السنة المائة. قال: "إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت".

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: قيس بن عاصم هو الذي حفز الحوفزان بن شريكٍ الشيباني، طعنه في استه في يوم جدود.

وكان من حديث ذلك اليوم أن الحارث بن شريك بن عمرو الصلب بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام كانت بينه وبين بني يربوع موادعةٌ، ثم هم بالغدر بهم، فجمع بني شيبان وبني ذهبٍ واللهازم: قيس بن ثعلبة وتيم الله بن ثعلبة وغيرهم، ثم غزا بني يربوع، فنذر به عتيبة بن الحارث بن شهاب بن شريكٍ، فنادى في قومه

بني جعفر بن ثعلبة من بني يربوع فوادعه وأغار الحارث بن شريكٍ على بني مقاعس وإخوتهم بني ربيع فلم يجيبوهم، فاستصرخوا بني منقرٍ فركبوا حتى لحقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون في يومٍ شديد الحر. فما شعر الحوفزان إلا بالأهتم بن سمي بن سنان بن خالد بن منقرٍ - واسم الأهتم سنان - وهو واقف على رأسه، فوثب الحوفزان إلى فرسه فركبه وقال للأهتم: من أنت؟ فانتسب له، وقال: هذه منقر قد أتتك. فقال الحوفزان: فأنا الحارث بن شريك! فنادى الأهتم: يا آل سعد! ونادى الحوفزان: يا آل وائل! وحمل كل واحد منهما على صاحبه، ولحقت بنو منقرٍ، فاقتتلوا أشد قتال وأبرحه، ونادت نساء بني ربيع: يا آل سعد! فاشتد قتال بني منقر لصياحهن، فهزمت بكر بن وائل، وخلوا من كان في أيديهم من بني مقاعس، وما كان في أيديهم من أموالهم، وتبعهتم بنو منقرٍ بين قتلٍ وأسرٍ، فأسر الأهتم حمران بن عبد عمرو، وقصد قيس بن عاصم الحوفزان، ولم يكن له همة غيره، والحارث على فرسٍ له قارحٍ يدعى الزبد، وقيس على مهرٍ، فخاف قيس أن يسبقه الحارث، فحفزه بالرمح في استه، فتحفز به الفرس فنجا، فسمي الحوفزان. وأطلق قيس أموال بني مقاعس وبني ربيع وسباياهم، وأخذ أموال بكر بن وائل وأساراهم.

وانتقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنةٍ فمات. وفي هذا اليوم يقول قيس بن عاصم:

جزى الله يربوعاً بأسوأ فعلها ... إذا ذكرت في النائبات أمورها

ويوم جدودٍ قد فضحتم ذماركم ... وسالمتم والخيل تدمى نحورها

ستخطم سعدٌ والرباب أنوفكم ... كما حز في أنف القضيب جريرها

وقال سوار بن حيان المنقري:

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنةٍ ... سقته نجيعاً من دم الجوف أشكلا

وحمران قسراً أنزلته رماحنا ... فعالج غلاً في ذراعيه مقفلا

قال: وأغار قيس بن عاصم أيضاً على اللهازم، فتبعه بنو كعب بن سعد بالبناح وثيتل، فتخوف أن يكره أصحابه لقاء بكر بن وائل، وقد كان يتناجون في ذلك، فقام ليلاً فشق مزادهم، لئلا يجدوا بداً من لقاء العدو، فلما فعل ذلك أذعنوا بلقائهم وصبروا له، فأغار عليهم، فكان أشهر يوم يوم ثيتل لبني سعد، وظفر قيسٌ بما شاء، وملا يديه من أموالهم وغنائمهم. وفي ذلك يقول ابنه علي بن قيس بن عاصم:

أنا ابن الذي شق المزاد وقد رأى ... بثيتل أحياء اللهازم حضرا

فصبحهم بالجيش قيس بن عاصمٍ ... وكان إذا ما أورد الأمر أصدرا

قال: وأغار قيسٌ أيضاً ببني سعد على عبد القيس، وكان رئيس بني سعدٍ يومئذٍ سنان بن خالد، وذلك بأرض البحرين، فأصابوا ما أرادوا، واحتالت عبد القيس في أن يفعل ببني تميم كما فعل بهم بالمشقر حين أغلق عليهم بابهم فامتنعوا، فقال في ذلك سوار بن حيان:

فيا لك من أيام صدقٍ أعدها ... كيوم جؤاثى والنباج وثيتلا

قال: وكان قيس بن عاصم رئيس بني سعد يوم الكلاب الثاني، فوقع بينه وبين الأهتم اختلاف في أمر عبد يغوث بن وقاص بن صلاءة الحارثي حين أسره عصمة بن أبير التيمي ودفعه إلى الأهتم، فرفع قيسٌ قوسه فضرب فم الأهتم بها فهتم أسنانه، فيومئذ سمي الأهتم.

أخبرنا هشام بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة، وأخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن عدي قال: جمع قيس بن عاصمٍ ولده حين حضرته الوفاة قال: يا بني، إذا مت فسودوا كباركم، ولا تسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم. وعليكم بإصلاح المال فإنه منبهةٌ للكريم، ويستغنى به عن اللئيم. وإذا مت فادفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها وأصوم. وإياكم والمسألة فإنها آخر مكاسب العبد، وإن امرأ لم يسأل إلا ترك مكسبه. وإذا دفنتموني فأخفوا قبري عن هذا الحي من بكر بن وائل، فقد كان بيننا خماشاتٌ في الجاهلية. ثم جمع ثمانين سهماً فربطها بوترٍ، ثم قال: اكسروها فلم يستطيعوا، ثم قال: فرقوا. ففرقوا. فقال: اكسروها سهما سهما، فسكروها. فقال: هكذا أنتم في الاجتماع وفي الفرقة. ثم قال:

إنما المجد ما بنى والد الصد ... ق وأحيا فعاله المولود

وتمام الفضل الشجاعة والحل ... م إذا زانه عفافٌ وجود

وثلاثون يا بني إذا ما ... جمعتهم في النائبات العهود

كثلاثين من قداحٌ إذا ما ... شدها للزمان قدحٌ شديد

لم تكسر وإن تفرقت الأس ... هم أودى بجمعها التبديد

وذوو الحلم والأكابر أولى ... أن يرى منكم لهم تسويد

وعليكم حفظ الأصاغر حتى ... يبلغ الحنث الأصغر المجهود

ثم مات، فقال عبدة بن الطبيب يرثيه:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحما

تحية من أوليته منك نعمةً ... إذا زار عن شحطٍ بلادك سلما

فما كان قيسٌ هلكه هلك واحدٍ ... ولكنه بنيان قومٍ تهدما

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: لما مات عبد الملك بن مروان اجتمع ولده حوله، فبكى هشامٌ حتى اختلفت أضلاعه، ثم قال: رحمك الله يا أمير المؤمنين! فأنت والله كما قال عبدة بن الطبيب:

وما كان قيسٌ هلكه هلك واحدٍ ولكنه بنيان قوم تهدما

فقال له الوليد: كذبت يا أحول يا مشئوم، لسنا كذلك، ولكنا كما قال الآخر:

إذا مقرمٌ منا ذرا حد نابه تخمط فينا ناب آخر مقرم

أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلابي عن أبيه قال:

كان بين قيس بن عاصم وعبدة بن الطبيب لحاءٌ، فهجره قيس بن عاصم، ثم حمل عبدة دماً في قومه، فخرج يسأل فيما تحمله، فجمع إبلاً، ومر به قيس بن عاصم وهو يسأل في تمام الدية، فقال: فيم يسأل عبدة؟ فأخبر، فساق إليه الدية كاملةً من ماله، وقال: قولوا له ليستمتع بما صار إليه، وليسق هذه إلى القوم. فقال عبدة: أما والله لولا أن يكون صلحي إياه بعقب هذا الفعل عاراً علي لصالحته، ولكني أنصرف إلى قومي ثم أعود فأصالحه. ومضى بالإبل ثم عاد، فوجد قيساً قد مات، فوقف على قبره وأنشأ يقول:

عليك سلام الله قيس بن عاصمٍ ورحمته ما شاء أن يترحما

الأبيات.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر عاصم بن الحدثان وهشام بن الكلبي عن أشياخهما: أن قيس بن عاصم المنقري سكر من الخمر ليلةً قبل أن يسلم، فغمز عكنة ابنته - أو قال أخته - فهربت منه. فلما صحا منها، فقيل له: أو ما علمت ما صنعت البارحة؟ قال: لا. فأخبروه بصنعه، فحرم الخمر على نفسه، وقال في ذلك:

وجدت الخمر جامحةً وفيها خصالٌ تفضح الرجل الكريما
فلا والله أشربها حياتي ولا أدعو لها أبداً نديما
ولا أعطي بها ثمناً حياتي ولا أشفى بها أبداً سقيما
فإن الخمر تفضح شاربيها وتجشمهم بها أمراً عظيما
إذا دارت حمياها تعلت طوالع تسفه الرجل الحليما

أخبرني محمد بن مزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال: قال الزبرقان: إن تاجراً ديافياً مر بحملٍ خمرٍ على قيس بن عاصم فنزل به، فقال قيس: اصبحني قدحاً، ففعل. ثم قال له: زدني، فقال له: أنا رجلٌ

تاجرٌ طالب ربح وخير، ولا أستطيع أن أسقيك بغير ثمن. فقام إليه قيس فربطه إلى دوحةٍ في داره حتى أصبح، فكلمته أخته في أمره، فلطمها وخمش وجهها - وزعموا أنه أرادها على نفسها - وجعل يقول:

وتاجرٍ فاجرٍ جاء الإله به كأن لحيته أذناب أجمال

فلما أصبح قال: من فعل هذا بضيفي؟ قالت له أخته: الذي صنع هذا بوجهي، أنت والله صنعته، وأخبرته بما فعل. فأعطى الله عهداً ألا يشرب الخمر أبداً. فهو أول عربي حرمها على نفسه في الجاهلية، وهو الذي يقول:

فوالله لا أحسو يد الدهر خمرةً ولا شربةً تزري بذي اللب والفخر

فكيف أذوق الخمر والخمر لم تزل بصاحبها حتى تكسع في الغدر

وصارت به الأمثال تضرب بعدما يكون عميد القوم في السر والجهر

ويبدرهم في كل أمرٍ ينوبهم ويعصمهم ما نابهم حادث الدهر

فيا شارب الصهباء دعها لأهلها ال غواة وسلم للحسيم من الأمر

فإنك لا تدري إذا ما شربتها وأكثرت منها ما تريش وما تبري

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن منصور قال أخبرني أبو جعفر المباركي قال أخبرني المدائني عن مسلمة بن محارب قال: قال الأحنف بن قيس: ذكرت بلاغة النساء عند زيادٍ، فحدثته أن قيس بن عاصم أسلم وعنده امرأةٌ من بني حنيفة، فأبى أهلها وأبوها أن يسلموا وخافوا إسلامها، فاجتمعوا إليها وأقسموا إنها إن أسلمت لم يكونوا معها في شيء ما بقيت. فطالبت قيساً بالفرقة، ففارقها، فلما احتملت لتلحق بأهلها قال لها قيسٌ: أما والله لقد صحبتني سارة، ولقد فارقتني غير عارة، لا صحبتك مملولة، ولا أخلاقك مذمومة، ولولا ما اخترت ما فرق بيننا إلا الموت، ولكن أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أحق أن يطاع. فقالت له: أنبئت بحسبك وفضلك، وأنت والله إن كنت للدائم المحبة، الكثير المودة، القليل اللائمة، المعجب الخلوة، البعيد النبوة. ولتعلمن أني لا أسكن بعدك إلى زوج. فقال قيس: ما فارقت نفسي شيئاً قط فتبعته كما تبعتها.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني أبو فراس قال: كان قيس بن عاصم يكنى أبا علي، وكان خاقان بن الأهتم إذا ذكره قال: بخ! من مثل أبي علي!

تطيف به كعب بن سعد كأنما يطيفون عماراً ببيتٍ محرم

وقال علان بن الحسن الشعوبي: بنو منقر قومٌ غدرٌ، يقال لهم الكودان، ويلقبون أيضاً أعراف البغال، وهم أسوأ خلق الله جواراً، يسمون الغدر كيسان، وفيهم بخلٌ شديد.

وأوصى قيس بن عاصم بنيه، فكان أكثر وصيته إياهم أن يحفظوا المال، والعرب لا تفعل ذلك وتراه قبيحاً.

وفيهم يقول الأخطل بن ربيعة بن النمر بن تولب:

يا منقر بن عبيدٍ إن لؤمكم مذ عهد آدم في الديوان مكتوب

للضيف حقٌ على من كان ذا كرمٍ والضيف في منقرٍ عريان مسلوب

وقال النمر بن تولب يذكر الغدر كيسان في قصيدة هجاهم بها:

إذا ما دعوا كيسان كانت كهولهم إلى الغدر أدنى من شبابهم المرد

قال: وهذا شائع في جميع بني سعد، إلا أنهم يتدافعونه إلى بني منقر، وبنو منقر يتدافعونه إلى بني سنان بني خالد بن منقر، وهو جد قيس بن عاصم.

وحكى ابن الكلبي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما افتتح مكة قدمت عليه وفود العرب، فكان فيمن قدم عليه قيس بن عاصم وعمرو بن الأهتم ابن عمه، فلما صارا عند النبي صلى الله عليه وسلم تسابا وتهاترا، فقال قيس لعمرو بن الأهتم: والله يا رسول الله ما هم منا، وإنهم لمن أهل الحيرة. فقال عمرو بن الأهتم: بل هو والله يا رسول الله من الروم وليس منا. ثم قال له:

ظللت مفترش الهلباء تشتمني عند الرسول فلم تصدق ولم تصب

الهلباء يعني استه، يعيره .بذلك، وبأن عانته وافية

إن تبغضونا فإن الروم أصلكم والروم لا تملك البغضاء للعرب

سدنا فسوددنا عودٌ وسوددكم مؤخرٌ عند أصل العجب والذنب

قال: وإنما نسبه إلى الروم لأنه كان أحمر. فيقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم نهاه عن هذا القول في قيسٍ، وقال: إن إسمعيل بن إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان أحمر. فأجابه قيس بن عاصم فقال:

ما في بني الأهتم من طائلٍ يرجى ولا خيرٍ له يصلحون

قل لبني الحيري مخصوصةً تظهر منهم بعض ما يكتمون

لولا دفاعي كنتم أعبداً مسكنها الحيرة فالسيلحون

جاءت بكم عفرة من أرضها حيريةً ليست كما تزعمون

في ظاهر الكف وفي بطنها وسمٌ من الداء الذي تكتمون

وذكر علان أن قيساً ارتد بعد النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام، وآمن بسجاح، وكان مؤذنها، وقال في ذلك:

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الله ذكرانا

قال: ثم لما تزوجت سجاح بمسيلمة الكذاب الحنفي وآمنت به آمن به قيسٌ معها. فلما غزا خالد بن الوليد اليمامة وقتل الله مسيلمة أخذ قيس بن عاصم أسيراً، فادعى عنده أن مسيلمة أخذ ابناً له، فجاء يطلبه. فأحلفه

خالد على ذلك، فحلف فخلى سبيله، ونجا منه بذلك.

قال: ومما يعيرون به أن عبادة بن مرثد بن عمرو بن مرثد أسر قيس بن عاصمٍ وسبى أمه وأختيه يوم أبرق الكبريت، ثم من عليهم فأطلقهم بغير فداء، فلم يثبه قيسٌ و لم يشكره على فعله بقولٍ يبلغه. فقال عبادة في ذلك:

على أبرق الكبريت قيس بن عاصمٍ ... أسرت وأطراف القنا قصدٌ حمر

متى يعلق السعدي منك بذمةٍ ... تجده إذا يلقى وشيمته الغدر

قال: وكان قيس بن عاصم يسمى في الجاهلية الكودن.

وكان زيد الخيل الطائي خرج عن قومه وجاور بني منقرٍ، فأغارت عليهم بنو عجلٍ وزيدٌ فيهم، فأعانهم وقاتل بني عجل قتالاً شديداً، وأبلى بلاءً حسناً، حتى انهزمت عجل، فكفر قيس فعله وقال: ما هزمهم غيري. فقال زيد الخيل يعيره ويكذبه في قصيدة طويلة:

ولست بوقافٍ إذا الخيل أجحمت ... ولست بكذابٍ كقيس بن عاصم

ومما روى قيس بن عاصم عن النبي صلى الله عليه وسلم: حدثنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي قال: حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب قال: حدثنا وكيع قال: حدثنا سفيان الثوري عن الأغر المنقري عن خليفة بن حصين بن قيس بن عاصم عن أبيه عن جده أنه أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فأمره النبي عليه السلام أن يغتسل بماء وسدرٍ.

وحدثنا حامد قال حدثنا أبو خثيمة قال حدثنا جريرٌ عن المغيرة عن أبيه شعبة عن التوءم قال:

سأل قيس بن عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف: فقال: "لا حلف في الإسلام، ولكن تمسكوا بحلف الجاهلية" أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا ابن عائشة قال: حدثني رجلٌ من الرباب قال: ذكر رجلٌ قيس بن عاصم عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لقد هممت أن آتيه فأفعل به وأصنع به، كأنه توعده. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم "إذاً تحول سعدٌ دونه بكراكرها".

قال: ولما مات قيسٌ رثاه مرداس بن عبدة بن منبه فقال:

وما كان قيسٌ هلكه هلك واحدٍ ... ولكنه بنيان قومٍ تهدما

خذ من العيش ما كفى ... ومن الدهر ما صفا

حسن الغدر في الأنا ... م كما استقبح الوفا

صل أخا الوصل إنه ... ليس بالهجر من خفا

عين من لا يريد وص ... لك تبدي لك الجفا

الشعر لمحمد بن حازم الباهلي، والغناء لابن القصار الطنبوري، رملٌ بالبنصر. أخبرني بذلك جحظة.

أخبار محمد بن حازم ونسبه

هو محمد بن حازم بن عمرو الباهلي. ويكنى أبا جعفر. وهو من ساكني بغداد مولده ومنشؤه البصرة. أخبرني بذلك ابن عمار أبو العباس عن محمد بن داود بن الجراح عن حسن بن فهم.

وهو من شعراء الدولة العباسية، شاعر مطبوع، إلا أنه كان كثير الهجاء للناس، فاطرح، و لم يمدح من الخلفاء إلا المأمون، ولا اتصل بواحد منهم، فيكون له نباهة طبقته. وكان ساقط الهمة، متقللاً جداً، يرضيه اليسير، ولا يتصدى لمدح ولا طلب.

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسدٍ قال: سمعت محمد بن حازم الباهلي في مترلنا يقول: بعث إلي فلانٌ الطاهري - وكنت قد هجوته فأفرطت - بألف دينارٍ وثياب، وقال: أما ما قد مضى فلا سبيل إلى رده، ولكن أحب ألا تزيد عليه شيئاً. فبعثت إليه بالألف الدينار والثياب، وكتبت:

لا ألبس النعماء من رجلٍ ... ألبسته عاراً على الدهر

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا أبو علي - وسقط اسمه من كتابي - قال قرأت في كتاب عمي: قال لي محمد بن حازم الباهلي: مر بي أحمد بن سعيد بن سالم وأنا على بابي فلم يسلم علي سلاماً أرضاه، فكتبت رقعةً وأتبعته بها، وهي:

وباهليٍّ من بني وائلٍ ... أفاد مالاً بعد إفلاس

قطب في وجهي خوف القرى ... تقطيب ضرغامٍ لدى الباس

وأظهر التيه فتايهته ... تيه امرىءٍ لم يشق بالناس

أعرته إعراض مستكبرٍ ... في موكب مر بكناس

أخبرني ابن عمار قال حدثني أبو علي قال: لقيت محمد بن حازم في الطريق فقلت له: يا أبا جعفر، كيف ما بينك وبين صديقك سعد بن مسعود اليوم وهو أبو إسحاق بن سعد، وكان يكتب للنوشجاني فأنشدني:

راجع بالعتبى فأعتبته ... وربما أعتبك المذنب

وإن في الدهر على صرفه ... بين الصديقين لمستعتب

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري وابن الوشاء جميعاً قالا حدثنا أحمد بن يحيى ثعلبٌ قال: قال ابن الأعرابي: أحسن ما قال المحدثون من شعراء هذا الزمان في مديح الشباب وذم الشيب:

لا حين صبرٍ فخل الدمع ينهمل ... فقد الشباب بيوم المرء متصل

سقياً ورعياً لأيام الشباب وإن ... لم يبق منه له رسمٌ ولا طلل

جر الزمان ذيولاً في مفارقه ... وللزمان على إحسانه علل

وربما جر أذيال الصبا مرحاً ... وبين برديه غصنٌ ناعمٌ خضل
يصبي الغواني ويزهاه بشرته ... شرخ الشباب وثوبٌ حالكٌ رجل
لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها ... من الشباب بيومٍ واحدٍ بدل
كفاك بالشيب عيباً عند غانيةٍ ... وبالشباب شفيعاً أيها الرجل
بان الشباب وولى عنك باطله ... فليس يحسن منك اللهو والغزل
أما الغواني فقد أعرضن عنك قلًى ... وكان إعراضهن الدل والخجل
أعرنك الهجر ما لاحت مطوقةٌ ... فلا وصالٌ ولا عهدٌ ولا رسل

ليت المنايا أصابتني بأسهمها ... فكن يبكين عهدي قبل أكتهل
عهد الشباب لقد أبقيت لي حزناً ... ماجد ذكرك إلا جد لي ثكل
إن الشباب إذا ما حل رائده ... في منهلٍ راد يقفو إثره أجل

قال ابن الوشاء خاصةً: وما أساء ولا قصر عن الأولى، حيث يقول في هذا المعنى:

أبكى الشباب لندمانٍ وغانيةٍ ... وللمغاني وللأطلال والكثب
وللصريح وللآجام في غلسٍ ... وللقنا السمر والهندية القضب
وللخيال الذي قد كان يطرقني ... وللندامى وللذات والطرب
يا صاحباً لم يدع فقدي له جلداً ... أضعت بعدك إن الدهر ذو عقب
وقد أكون وشعبانا معاً رجلاً ... يوم الكريهة فراجاً عن الكرب

أخبرني ابن عمار عن العتري قال: كان محمد بن حازم الباهلي مدح بعض بني حميد فلم يثبه وجعل يفتش شعره فيعيب فيه الشيء بعد الشيء، وبلغه ذلك فهجاه هجاءً كثيراً شنيعاً، منه قوله:

عدواك المكارم والكرام ... وخلك دون خلتك اللئام
ونفسك نفس كلبٍ عند زورٍ ... وعقبى زائر الكلب التدام
تهر على الجليس بلا احترامٍ ... لتحشمه إذا حضر الطعام
إذا ما كانت الهمم المعالي ... فهمك ما يكون به الملام
قبحت ولا سقاك الله غيثاً ... وجانبك التحية والسلام

قال: فبعثت إليه ابن حميد بمالٍ واعتذر إليه وسأله الكف، فلم يفعل، ورد المال عليه، وقال فيه:

موضع أسرارك المريب وحشو أثوابك العيوب
وتمنع الضيف فضل زادٍ ورحلك الواسع الخصيب
يا جامعاً مانعاً بخيلاً ليس له في العلا نصيب
أبالرشا يستمال مثلي؟ كلا ومن عنده الغيوب
لا أرتدي حلةً لمثنٍ بوجهه من يدي ندوب
وبين جنبيه لي كلومٌ داميةٌ ما لها طبيب
ما كنت في موضع الهدايا منك ولا شعبنا قريب
أني وقد نشت المكاوي عن سمةٍ شأنها عجيب
وسار بالذم فيك شعري وقيل لي محسنٌ مصيب
مالك مال اليتيم عندي ولا أرى أكله يطيب
حسبك من موجزٍ بليغ يبلغ ما يبلغ الخطيب

حدثني عمي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني علي بن الحسين الشيباني قال: بعث الحسن بن سهلٍ محمد بن حميد في وجهةٍ، وأمره بجباية مالٍ، وبحرب قوم من الشراة، فخان في المال وهرب من الحرب، فقال فيه محمد بن حازم الباهلي:

تشبه بالأسد الثعلب فغادره معنقاً يجنب
وحاول ما ليس في طبعه فأسلمه الناب والمخلب
فلم تغن عنه أباطيله وحاص فأحرزه المهرب
وكان مضيًّا على غدره فعيب والغادر الأخيب
أيا بن حميدٍ كفرت النعي م جهلاً ووسوسك المذهب
ومنتك نفسك ما لا يكون وبعض المنى خلبٌ يكذب
وما زلت تسعى على منعمٍ ببغيٍ وتنهى فلا تعتب
فأصبحت بالبغي مستبدلاً رشاداً وقد فات مستعتب

قال: وقال فيه لما شخص إلى حيث وجهه الحسن بن سهلٍ:

إذا استقلت بك الركاب فحيث لا درت السحاب
زالت سراعاً وزلت يجري ببينك الظبي والغراب

بحيث لا يرتجى إيابٌ وحيث لا يبلغ الكتاب
فقبل معروفك امتنانٌ ودون معروفك العذاب
وخير أخلاقك اللواتي تعاف أمثالها الكلاب

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني أبي قال: قال يحيى بن أكثم لمحمد بن حازم الباهلي: ما نعيب شعرك إلا أنك لا تطيل، فأنشأ يقول:

أبى لي أن أطيل الشعر قصدي إلى المعنى وعلمي بالصواب
وإيجازي بمختصرٍ قريبٍ حدفت به الفضول من الجواب
فأبعثهن أربعةً وخمساً مثقفةً بألفاظٍ عذاب

خوالد ما حدا ليلٌ نهاراً وما حسن الصبا بأخي الشباب
وهن إذا وسمت بهن قوماً كأطواق الحمائم في الرقاب
وهن إذا أقمت مسافراتٌ تهادتها الرواة مع الركاب

حدثني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال: كان بالأهواز رجلٌ يعرف بأبي ذؤيب من التتار، وكان مقصد الشعراء وأهل الأدب، فقصده محمد بن حازم، فدخل عليه يوماً وعليه ثيابٌ بذة، وهيئة رثة، و لم يعرفه نفسه، وصادفهم يتكلمون في شيء من معاني الشعر، وأبو ذؤيب يتكلم متحققاً بالعلم بذلك. فسأله محمد بن حازم - وقد دخل عليه يوماً - عن بيتٍ من شعر الطرماح جهله، فرد عليه جواباً محالاً كالمستصغر له وازدراه، فوثب عن مجلسه مغضباً. فلما خرج قيل له: ماذا صنعت بنفسك وفتحت عليها من الشر؟ أتدري لمن تعرضت؟ قال: ومن ذاك؟ قيل: محمد بن حازم الباهلي، أخبث الناس لساناً وأهجاهم. فوثب إليه حافياً حتى لحقه، فحلف له أنه لم يعرفه، واستقاله فأقاله، وحلف أنه لا يقبل له رفداً ولا يذكره بسوء مع ذلك أبداً، وكتب إليه بعد أن افترقا:

أخطا ورد علي غير جوابي وزرى علي وقال غير صواب
وسكنت من عجبٍ لذاك فزادني فيما كرهت بظنه المرتاب
وقضى علي بظاهرٍ من كسرةٍ لم يدر ما اشتملت عليه ثيابي
من عفةٍ وتكرمٍ وتحملٍ وتجلدٍ لمصيبةٍ وعقاب
وإذا الزمان جنى علي وجدتني عوداً لبعض صفائح الأقتاب
ولئن سألت ليخبرنك عالمٌ أني بحيث أحب من آداب

وإذا نبا بي منزلٌ خليته ... قفراً مجال ثعالبٍ وذئاب

وأكون مشترك الغنى متبدلاً ... فإذا افترقت قعدت عن أصحابي

لكنه رجعت عليه ندامةٌ ... لما نسبت وخاف مض عتابي

فأقلته لما أقر بذنبه ... ليس الكريم على الكريم بناب

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدثنا النوفلي قال: كان سعد بن مسعود القطربلي: أبو إسحاق بن سعد صديقاً لمحمد بن حازم الباهلي، فسأله حاجةً فرده عنها، فغضب محمد وانقطع عنه، فبعث إليه بألف درهم وترضاه، فردها وكتب إليه:

متسع الصدر مطيقٌ لما ... يحار فيه الحول القلب

راجع بالعتبى فأعتبته ... وربما أعتبك المذنب

أجل وفي الدهر على أنه ... موكل بالبين مستعتب

سقياً ورعياً لزمانٍ مضى ... عني وسهم الشامت الأخيب

قد جاءني منك مويلٌ فلم ... أعرض له والحر لا يكذب

أخذي مالاً منك بعد الذي ... أودعتنيه مركبٌ يصعب

أبيت أن أشرب عند الرضا ... والسخط إلا مشرباً يعذب

أعزني اليأس وأغنى فما ... أرجو سوى الله ولا أهرب

قارون عندي في الغنى معدمٌ ... وهمتي ما فوقها مذهب

فأي هاتين تراني بها ... أصبو إلى مالك أو أرغب؟

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي وعيسى بن الحسين الوراق، واللفظ له، قالا:حدثنا الخليل بن أسدٍ النوشجاني، قال، حدثنا حماد بن يحيى قال: حدثنا أحمد بن يحيى قال: آخر ما فارقت عليه محمد بن حازم أنه قال: لم يبق شيءٌ من اللذات إلا بيع السنانير. فقلت له: سخنت عينك! أيش لك في بيع السنانير من اللذات؟ قال: يعجبني أن تجيئني العجوز الرعناء، تخاصمني وتقول: هذا سنوري سرق مني، وأخاصمها وأشتمها وتشتمني، وأغيظها وأباغضها، ثم أنشدني:

صل خمرةً بخمارٍ ... وصل خماراً بخمر

وخذ بحظك منها ... زاداً إلى حيث تدري

قال: قلت: إلى أين ويحك؟ قال: إلى النار يا أحمق.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني الحسن بن ابي السري قال: كان إسحاق بن أحمد بن أبي نهيك آنساً بمحمد بن حازم الباهلي يدعوه ويعاشره مدة. فكتب إليه يستزيره ويعاتبه عتاباً أغضبه، وبلغه أنه غضب، فكتب إليه:

ما مستزيرك في ودٍّ رأى خللاً ... في موضع الأنس أهلاً منك للغضب

قد كنت توجب لي حقًّا وتعرف لي ... قدري وتحفظ مني حرمة الأدب

ثم انحرفت إلى الأخرى فأحشمني ... ما كان منك بلا جرمٍ ولا سبب

وإن أدنى الذي عندي مسامحةٌ ... في حاجتي بعد أن أعذرت في الطلب

فاختر فعندي من ثنتين واحدةٌ ... عذرٌ جميلٌ وشكرٌ ليس باللعب

فإن تجدد كما قد كنت تفعل ... .

حدثني محمد بن يونس الأنباري المعروف بمحصنة قال: حدثني ميمون بن هارون قال: قال محمد بن حازم الباهلي: عرضت لي حاجةٌ في عسكر أبي محمد الحسن بن سهلٍ، فأتيته، وقد كنت قلت في السفينة شعراً، فلما دخلت على محمد بن سعيد بن سالم انتسبت له، فعرفني، فقال: ما قلت فيه شيئاً؟ فقال له رجل كان معي: بلى، قد قال أبياتاً وهو في السفينة، فسألني أن أنشده، فأنشدته قولي:

وقالوا لو مدحت فتًى كريماً ... فقلت وكيف لي بفتًى كريمٍ؟

بلوت الناس مذ خمسين عاماً ... وحسبك بالمجرب من عليم

فما أحدٌ يعد ليوم خيرٍ ... ولا أحدٌ يعود ولا حميم

ويعجبني الفتى وأظن خيراً ... فأكشف منه عن رجل لئيم

تقيل بعضهم بعضاً فأضحوا ... بني أبوين قداً من أديم

فطاف الناس بالحسن بن سهلٍ ... طوافهم بزمزم والحطيم

وقالوا سيدٌ يعطي جزيلا ... ويكشف كربة الرجل الكظيم

فقلت مضى بذم القوم شعري ... وقد يؤتى البريء من السقيم

وما خبرٌ ترجمه ظنوني ... بأشفى من معاينة الحليم

فجئت وللأمور مبشراتٌ ... ولن يخفى الأغر من البهيم

فإن يك ما تنشر عنه حقًّا رجعت بأهبة الرجل المقيم
وإن يك غير ذاك حمدت ربي وزال الشك عن رجلٍ حكيم
وما الآمال تعطفني عليه ولكن الكريم أخو الكريم

قال: فلما أنشدته هذا الشعر، قال لي: بمثل هذا الشعر تلقى الأمير! والله لو كان نظيرك لما جاز أن تخاطبه بمثل هذا! فقلت: صدقت، فكذلك قلت، إنني لم أمدحه بعد، ولكنني سأمدحه مدحاً يشبه مثله. قال: فافعل، وأنزلني عنده ودخل إلى الحسن فأخبره بخبري وعجبه من جودة البيت الأخير فأعجبه، فأمر بإدخالي إليه بغير مدح، فأدخلت إليه. فأمرني أن أنشد هذا الشعر، فاستعفيته فلم يعفني، وقال: قد قنعنا منك بهذا القدر إذا لم تدخلنا في جملة من ذممت، وأرضيناك بالمكافأة الجميلة. فأنشدته إياه، فضحك وقال: ويحك! ما لك والناس تعمهم بالهجاء؟ حسبك الآن من هذا النمط وأبق عليهم. فقلت: وقد وهبتهم للأمير. قال: قد قبلت، وأنا أطالبك بالوفاء مطالبة من أهديت إليه هديةٌ فقبلها وأثاب عليها. ثم وصلني فأجزل وكساني. فقلت في ذلك وأنشدته:

وهبت القوم للحسن بن سهل فعوضني الجزيل من الثواب
وقال دع الهجاء وقل جميلاً فإن القصد أقرب للثواب
فقلت له: برئت إليك منهم فليتهم بمنقطع التراب
ولولا نعمة الحسنِ بن سهلٍ علي لسمتهم سوء العذاب
بشعرٍ يعجب الشعراء منه يشبه بالهجاء وبالعتاب
أكيدهم مكايدة الأعادي وأختلهم مخاتلة الذئاب
بلوت خيارهم فبلوت قوماً كهولهم أخس من الشباب
وما مسخوا كلاباً غير أني رأيت القوم أشباه الكلاب

قال: فضحك وقال: ويحك! الساعة ابتدأت بهجائهم وما أفلتوا منك بعد. فقلت: هذه بغيةٌ طفحت على قلبي، وأنا كافٌ عنهم ما أبقى الله الأمير.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن الحسن الشيباني قال: كان لمحمد بن حازمٍ الباهلي صديقٌ على طول الأيام، فنال مرتبةً من السلطان وعلا قدره، فجفا محمداً وتغير له، فقال في ذلك محمد بن حازم:

وصل الملوك إلى التعالي ووفا الملوك من المحال
مالي رأيتك لا تدو م على المودة للرجال
إن كان ذا أدبٍ وظر فٍ قلت ذاك أخو ضلال

أو كان ذا نسكٍ ودي ... نٍ قلت ذاك من الثقال

أو كان في وسطٍ من ال ... أمرين قلت يريغ مالي

فبمثل ذا تكلتك أمك ... تبتغي رتب المعالي؟

حدثني الحسن قال حدثني ابن مهرويه قال: حدثني الحسن بن علي الشيباني قال: كان محمد بن حازم الباهلي قد نسك وترك شرب النبيذ، فدخل يوماً على إبراهيم بن المهدي، فحادثه وناشده وأكل معه لما حضر الطعام، ثم جلسوا للشراب، فسأله إبراهيم أن يشرب، فأبى وأنشأ يقول:

أبعد خمسين أصبو؟ ... والشيب للجهل حرب

سنٌّ وشيبٌ وجهلٌ! ... أمرٌ لعمرك صعب

يا بن الإمام فهلا ... أيام عودي رطب!

وشيب رأسي قليلٌ ... ومنهل الحب عذب

وإذ سهامي صيابٌ ... ونصل سيفي عضب

وإذ شفاء الغواني ... مني حديثٌ وقرب

فالآن لما رأى بي ال ... عذال لي ما أحبوا

وأقصر الجهل مني ... وساعد الشيب لبٌّ

وآنس الرشد مني ... قومٌ أعاب وأصبو

آليت أشرب كأساً ... ما حج لله ركب

حدثني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني الحسن بن أبي السري قال: وعد النوشجاني محمد بن حازمٍ شيئاً سأله إياه ثم مطله، وعاتبه فلم ينتفع بذلك، واقتضاه، فأقام على مطله، فكتب إليه:

أبا بشرٍ تطاول بي العتاب ... وطال بي التردد والطلاب

ولم أترك من الأعذار شيئاً ... ألام به وإن كثر الخطاب

سألتك حاجةً فطويت كشحاً ... على رغمٍ وللدهر انقلاب

وسمتني الدنية مستخفًّا ... كما خزمت بآنفها الصعاب

كأنك كنت تطلبني بثأرٍ ... وفي هذا لك العجب العجاب

فإن تك حاجتي غلبت وأعيت ... فمعذورٌ وقد وجب الثواب

وإن يك وقتها شيب الغراب فلا قضيت ولا شاب الغراب

رجوتك حين قيل لي ابن كسرى وإنك سر ملكهم اللباب

فقد عجلت لي من ذاك وعداً وأقرب من تناوله السحاب

وكلٌّ سوف ينشر غير شكٍّ ويحلمه لطيته الكتاب

أخبرني الحسن قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني الحسن بن أبي السري قال: قصد محمد بن حازمٍ بعض ولد سعيد بن سالمٍ وقد ولي عملاً، واسترفده، فأطال مدته ولم يعطه شيئاً، وانصرف عنه وقال:

أللدنيا أعدك يا بن عمي فأعلم أم أعدك للحساب

إلى كم لا أراك تنيل حتى أهزك قد برئت من العتاب

وما تنفك من جمعٍ ووضعٍ كأنك لست توقن بالإياب

فشرك عن صديقك غير ناءٍ وخيرك عند منقطع التراب

أتيتك زائراً فأتيت كلباً فحظي من إخائك للكلاب

فبئس أخو العشيرة ما علمنا وأخبث صاحبٍ لأخي اغتراب

أيرحل عنك ضيفك غير راضٍ ورحلك واسعٌ خصب الجناب

فقد أصبحت من كرمٍ بعيداً ومن ضد المكارم في اللباب

وما بي حاجةٌ لجداك لكن أردك عن قبيحك للصواب

حدثني عمي قال: حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال: كنا عند المتوكل يوماً وقد غاضبته قبيحةٌ، فخرج إلينا فقال: من ينشدني منكم شعراً في معنى غضب قبيحةٍ علي، وحاجتي أن أخضع لها حتى ترضى؟ فقلت له: لقد أحسن محمد بن حازمٍ الباهلي يا أمير المؤمنين حيث يقول:

صفحت برغمي عنك صفح ضرورةٍ إليك وفي قلبي ندوبٌ من العتب

خضعت وما ذنبي إن الحب عزني فأغضب صفحاً عن معالجة الحب

وما زال بي فقرٌ إليك منازعٌ يذلل مني كل ممتنع صعب

إلى الله أشكو أن ودي محصلٌ وقلبي جميعاً عند مقتسم القلب

والغناء لعبيدة الطنبورية رملٌ بالوسطى قال: أحسنت وحياتي يا يزيد! وأمر بأن يغنى فيه، وأمر لي بألف دينار.

حدثني الحسن بن علي قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثنا علي بن خالد البرمكي قال:

سافر محمد بن حازم الباهلي سفراً، فمر بقومٍ من بني نميرٍ، فسلوا منه بعيراً له عليه ثقله، فقال يهجوهم:

نمير :أجبناً حيث يختلف القنا ولؤماً وبخلاً عند زادٍ ومزود
ومنع قرى الأضياف من غير علةٍ ولا عدمٍ إلا حذار التعود
وبغياً على الجار الغريب إذا طرا عليكم وختل الراكب المتفرد
على أنكم ترضون بالذل صاحباً وتعطون من لا حاكم الضيم عن يد
أما وأبي إنا لنعفو وإننا على ذاك أحياناً نجور ونعتدي
نكيد العدا بالحلم من غير ذلةٍ ونغشى الوغى بالصدق لا بالتوعد
نفى الضيم عنا أنفسٌ مضريةٌ صراحٌ وطعن الباسل المتمرد
وإنا لمن قيس بن عيلان في التي هي الغاية القصوى بعزٍّ وسودد
وإن لنا بالترك قبراً مباركاً وبالصين قبراً عز كل موحد
وما نابنا صرف الزمان بسيدٍ بكينا عليه أو يوافي بسيد
ولو أن قوماً يسلمون من الردى سلمنا ولكن المنايا بمرصد
أبى الله أن يهدي نميراً لرشدها ولا يرشد الإنسان إلا بمرشد

حدثني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن القاسم ورجلٌ من ولد البختكان من الأهوازيين. أن محمد بن حامد ولي بعض كور الأهواز في أيام المأمون، وأن محمد بن حازمٍ الباهلي قدم عليه زائراً ومدحه، فوصله وأحسن إليه، وكتب له إلى تستر بحنطةٍ وشعير، فمضى بكتابه، وأخذ ما كتب له به، وتزوج هناك امرأةً من الدهاقين، فزرع الحنطة والشعير في ضيعتها، وولى محمد بن حامدٍ رجلاً من أهل الكوفة الخراج بتستر، فوكل بغلة محمد بن حازمٍ، وطالبه بالخراج فأداه، فقال يهجوه:

زرعنا فلما سلم الله زرعنا وأوفى عليه منجلٌ بحصاد
بلينا بكوفيٍّ حليف مجاعةٍ أضر علينا من دباً وجراد
أتى مستعداً ما يكذب دونه ولج بإرغام له وبعاد
فطوراً بإلحاحٍ علي وغلظةٍ وطوراً بخبطٍ دائم وفساد
ولولا أبو العباس أعنى ابن حامدٍ لرحلته عن تسترٍ بسواد
فكفوا الأذى عن جاركم وتعلموا بأني لكم في العالمين منادي

فبعث محمد بن حامدٍ إلى عامله فصرفه عن الناحية، وقال له: عرضتني لما أكره، واحتمل خراج محمد بن حازم.

أخبرني محمد بن الحسين بن الكندي المؤدب قال: حدثنا الرياشي قال: سمعت الأصمعي يقول: قال هذا الباهلي محمد بن حازمٍ في وصف الشيب شيئاً حسناً، فقال له أبو محمد الباهلي: تعني قوله:

كفاك بالشيب ذنباً عند غانيةٍ ... وبالشباب شفيعاً أيها الرجل

فقال: إياه عنيت. فقال له الباهلي: ما سمعت لأحدٍ من المحدثين أحسن منه.

حدثني عمي قال: حدثنا حسين بن فهم قال: حدثني أبي قال: دخل محمد بن حازم على محمد بن زبيدة وهو أمير، فدعاه إلى أن يشرب معه، فامتنع وقال:

أبعد خمسين أصبو ... والشيب للجهل حرب

سنٌّ وشيبٌ وجهلٌ ... أمرٌ لعمرك صعب

يا بن الإمام فهلا ... أيام عودي رطب

وشيب رأسي قليلٌ ... ومنهل الحب عذب

وإذ شفاء الغواني ... مني حديثٌ وشرب

الآن حين رأى بي ... عواذلي ما أحبوا

آليت أشرب كأساً ... ما حج لله ركب

قال: فأعطاه محمد بن زبيدة ووصله.

أخبار ابن القصار ونسبه

اسمه فيما أخبرني به أبوالفضل بن برد الخيار، سليمان بن علي: وذكره جحظة في كتاب الطنبوريين، فتله في نفسه وأخلاقه ومدح صنعته، وقال: مما أحسن فيه قوله:

أرقت لبرقٍ لاح في فحمة الدجى ... فأذكرني الأحباب والمنزل الرحبا

قال: وهذا خفيف رمل مطلق. ومما أحسن فيه أيضاً:

تعالي نجدد عهد الصبا ... ونصفح للحب عما مضى

وهو خفيف رمل مطلق أيضاً:

وذكر أنه كان مع أبيه قصاراً، وتعلم الغناء فبرع فيه. ومن طيب ما ثلبه به جحظة وتنادر عليه به - وأراها مصنوعةً - أنه مر يوماً على أبيه، ومعه غلاماً يحمل قاطرميز نبيذ، وجوامرجة مذبوحة مسموطة، فقال: الحمد لله الذي أراني ابني قبل موتي يأكل لحم الجواميرات، ويشرب نبيذ القاطرميزات.

وحدث عن بعض جيرانه أن ابن القصار غنى له يوماً بحبلٍ ودلوٍ، وأن إسماعيل بن المتوكل وهب له مائتي أترجة كانت بين يديه، فباعها بثلاثة دنانير، وأنه يحمل بلبكيذة إلى دار السلطان، وله فيه خبزٌ وجبنٌ فيأكله ويحمل في البلبكيذ ما يوضع بين يديه في دار السلطان، فيدعو إخوانه عليه. وأكثر من ثلب الرجل مما لا فائدة فيه. ولو أراد قائل أن يقول فيه ما لا يبعد من هذه الأخلاق لوجد مقالاً واسعاً، ولكنه مما يقبح ذكره، سيما وقد لقيناه وعاشرناه. عفا الله عنا وعنه.

أخبرنا ذكاء وجه الرزة قال: كنا نجتمع مع جماعةٍ في الطنبوريين، ونشاهدهم في دور الملوك وبحضرة السلطان، فما شاهدت منهم أفضل من المسرور وعمر الميداني وابن القصار.

وحدثني قمرية البكتمرية قالت: كنت لرجلٍ من الكتاب يعرف بالبلوري، وكان شيخاً، وكانت ستي التي ربتني مولاته، وكانت مغنيةً شجية الصوت حسنة الغناء، وكانت تعشق ابن القصار، وكانت علامة مصيره إليها أن يجتاز في دجلة وهو يغني، فإن قدرت على لقائه أوصلته إليها، وإلا مضى. فأذكره وقد اجتاز بنا في ليلةٍ مقمرةٍ وهو يغني خفيف رملٍ قال:

أنا في يمنى يديها ... وهي في يسرى يديه

إن هذا لقضاءٌ ... فيه جورٌ يا أخيه

ويغني في آخره رده:

ويل ويلي يا أبيه

وكانت ستي واقفةً بين يدي مولاها، فما ملكت نفسها أن صاحت: أحسنت والله يا رجل! فتفضل وأعد، ففعل وشرب رطلاً وانصرف، وعلم أنه لا يقدر على الوصول إليها. وكان مولاها يعرف الخبر، فتغافل عنها لموضعها من قلبه، فلا أذكر أني سمعت قط أحسن من غنائه

باح بالوجد قلبك المستهام ... وجرت في عظامك الأسقام

يوم لا يملك البكاء أخو الشو ... ق فيشفى ولا يرد سلام

لم يقع إلي قائل هذا الشعر. والغناء لمعبد اليقطيني ثاني ثقيل بالبنصر عن أحمد بن المكي.

أخبار معبد

كان معبدٌ اليقطيني غلاماً مولداً خلاسياً من مولدي المدينة، اشتراه بعض ولد علي بن يقطين. وقد شدا بالمدينة، وأخذ الغناء عن جماعةٍ من أهلها، وعن جماعة أخرى من علية المغنين بالعراق في ذلك الوقت، مثل إسحاق وابن جامع وطبقتهما، ولم يكن فيما ذكر بطيب المسموع، ولا خدم أحداً من الخلفاء إلا الرشيد، ومات في أيامه، وكان أكثر انقطاعه إلى البرامكة.

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال: حدثني معبدٌ الصغير المغني مولى علي بن يقطين قال: كنت منقطعاً إلى البرامكة، آخذ منهم وألازمهم. فبينا أنا ذات يومٍ في منزلي إذا بابي يدق، فخرج غلامي ثم رجع إلي فقال: على الباب فتًى ظاهر المروءة يستأذن عليك، فأذنت له. فدخل علي شاب ما رأيت أحسن وجهاً منه، ولا أنظف ثوباً، ولا أجمل زياً منه، من رجلٍ دنفٍ عليه آثار السقم ظاهرة، فقال لي: إني أرجو لقاك منذ مدةٍ فلا أجد إليه سبيلاً، وإن لي حاجة. قلت: ما هي؟ فأخرج ثلثمائة دينار فوضعها بين يدي، ثم قال: أسألك أن تقبلها وتصنع في بيتين قلتهما لحناً تغنيني به. فقلت: هاتهما، فأنشدهما، وقال:

والله يا طرفي الجاني على بدني ... لتظفئن بدمعي لوعة الحزن

أو لأبوحن حتى يحجبوا سكني ... فلا أراه ولو أدرجت في كفني

والغناء فيه لمعبد اليقطيني ثقيل أول مطلقٌ في مجرى الوسطى قال: فصنعت فيهما لحناً ثم غنيته إياه، فأغمي عليه حتى أكظنته قد مات. ثم أفاق فقال: أعد فديتك! فناشدته الله في نفسه وقلت: أخشى أن تموت. فقال: هيهات! أنا أشقى من ذاك. وما زال يخضع لي ويتضرع لي حتى أعدته، فصعق صعقةً أشد من الأولى، حتى ظننت أن نفسه قد فاظت. فلما أفاق رددت الدنانير عليه ووضعتها بين يديه، وقلت: يا هذا خذ دنانيرك وانصرف عني، فقد قضيت حاجتك، وبلغت وطراً مما أردته، ولست أحب أن أشرك في دمك. فقال: يا هذا ! لا حاجة لي في الدنانير. فقلت: لا والله ولا بعشرة أضعافها إلا على ثلاث شرائط. قال: وما هن؟ قلت: أولها أن تقيم عندي وتتحرم بطعامي، والثانية أن تشرب أقداحاً من النبيذ تشد قلبك وتسكن ما بك، والثالثة أن تحدثني بقصتك. فقال: أفعل ما تريد. فأخذت الدنانير، ودعوت بطعامٍ فأصاب منه إصابة معذر، ثم دعوت بالنبيذ فشرب أقداحاً، وغنيته بشعرٍ غيره في معناه، وهو يشرب ويبكي. ثم قال: الشرط أعزك الله، فغنيته، فجعل يبكي أحر بكاء وينشج أشد نشيج، وينتحب. فلما رأيت ما به قد خف عما كان يلحقه، ورأيت النبيذ قد شد من قلبه، كررت عليه صوته مراراً، ثم قلت: حدثني حديثك. فقال: أنا رجلٌ من أهل المدينة خرجت متنزهاً في ظاهرها وقد سال العقيق، في فتية من أقراني وأخداني، فبصرنا بقيناتٍ قد خرجن لمثل ما خرجنا له، فجلسن حجرةً منا، وبصرت فيهن بفتاةٍ كأنها قضيبٌ قد طله الندى، تنظر بعينين ما ارتد طرفهما إلا بنفس من يلاحظهما. فأطلنا وأطلن، حتى تفرق الناس، وانصرفن وانصرفنا، وقد أبقت بقبي جرحاً بطيئاً اندماله. فعدت إلى منزلي وأنا وقيذٌ. وخرجت من الغد إلى العقيق، وليس به أحدٌ، فلم أر لها ولا لصواحباتها أثراً. ثم جعلت أتتبعها في طرق المدينة وأسواقها، فكأن الأرض أضمرتها، فلم أحس لها بعين ولا أثر، وسقمت حتى أيس مني أهلي. ودخلت ظئري فاستعلمتني حالي، وضمنت لي حالها والسعي فيما أحبه منها، فأخبرتها بقصتي، فقالت: لا بأس عليك! هذه أيام الربيع، وهي سنة خصبٍ وأنواء، وليس يبعد عنك المطر، وهذا العقيق، فتخرج حينئذٍ

وأخرج معك، فإن النسوة سيجئن. فإذا فعلن ورأيتها تبعتها حتى أعرف موضعها، ثم أصل بينك وبينها، وأسعى لك في تزويجها. فكأن نفسي اطمأنت إلى ذلك، ووثقت به وسكنت إليه، فقويت وطمعت وتراجعت نفسي، وجاء مطر بعقب ذلك، فأسال الوادي، وخرج الناس وخرجت مع أخواني إليه، فجلسنا مجلسنا الأول بعينه، فما كنا والنسوة إلا كفرسي رهانٍ. وأومأت إلى ظئري فجلست حجرةً منَّا ومنهن، وأقبلت على إخواني فقلت: لقد أحسن القائل حيث قال:

رمتني بسهم أقصد القلب وانثنت وقد غادرت جرحاً به وندوبا

فأقبلت على صواحباتها فقالت: أحسن والله القائل، وأحسن من أجابه حيث يقول:

بنا مثل ما تشكو فصبراً لعلنا نرى فرجاً يشفي السقام قريبا

فأمسكت عن الجواب خوفاً من أن يظهر مني ما يفضحني وإياها، وعرفت ما أرادت. ثم تفرق الناس وانصرفنا، وتبعتها ظئري حتى عرفت منزلها، وصارت إلي فأخذت بيدي ومضينا إليها. فلم تزل تتلطف حتى وصلت إليها. فتلاقينا وتداورنا على حال مخالسةٍ ومراقبة. وشاع حديثي وحديثها، وظهر ما بيني وبينها، فحجبها أهلها، وتشدد عليها أبوها. فما زلت أجتهد في لقائها فلا أقدر عليه. وشكوت إلى أبي - لشدة ما نالني - حالي، وسألته خطبتها لي. فمضى أبي ومشيخة أهلي إلى أبيها فخطبوها. فقال: لو كان بدأ بهذا قبل أن يفضحها ويشهرها لأسعفته بما التمس، ولكنه قد فضحها، فلم أكن لأحقق قول الناس فيها بتزويجه إياها، فانصرفت على يأسٍ منها ومن نفسي. قال معبد: فسألته أن يترل، مخبرني وصارت بيننا عشرةٌ. ثم جلس جعفر بن يحيى للشرب فأتيته، فكان أول صوتٍ غنيته صوتي في شعر الفتى، فطرب عليه طرباً شديداً، وقال: ويحك! إن لهذا الصوت حديثاً، فما هو؟ فحدثته، فأمر بإحضار الفتى، فأحضر من وقته، واستعاده الحديث، فأعاده عليه. فقال: هي في ذمتي حتى أزوجك إياها، فطابت نفسه، وأقام معنا ليلتنا حتى أصبح. وغدا جعفرٌ إلى الرشيد فحدثه الحديث، فعجب منه، وأمر بإحضارها جميعاً، فأحضرنا، وأمر بأن أغنيه الصوت فغنيته، وشرب عليه، وسمع حديث الفتى، فأمر من وقته بالكتاب إلى عامل الحجاز بإشخاص الرجل وابنته وجميع أهله إلى حضرته، فلم يمض إلا مسافة الطريق حتى أحضر. فأمر الرشيد بإيصاله إليه فأوصل، وخطب إليه الجارية للفتى، وأقسم عليه ألا يخالف أمره، فأجابه وزوجه إياها، وحمل إليه الرشيد ألف دينار لجهازها، وألف دينارٍ لنفقة طريقه، وأمر للفتى بألف دينارٍ، وأمر جعفرٌ لي وللفتى بألف دينار. وكان المدني بعد ذلك في جملة ندماء جعفر بن يحيى.

هل نفسك المستهامة السدمة سالبةٌ مرةً ومعتزمه

عن ذكر خودٍ قضى لها الملك ال خالق ألا تكنها ظلمه

الشعر لابن أبي الزوائد، والغناء لحكم رملٌ بالوسطى عن الهشامي.

أخبار ابن أبي الزوائد ونسبه

اسمه سليمان بن يحيى بن زيد بن معبد بن أيوب بن هلال بن عوف بن نضلة بن عصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور. ويقال له ابن أبي الزوائد أيضاً. شاعرٌ مقلٌ، من مخضرمي الدولتين، وكان يؤم الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرني بذلك محمد بن خلف وكيعٌ قال: حدثنا ابن أبي خيثمة عن بعض رجاله عن الأصمعي، وأخبرني وكيعٌ قال: حدثني طلحة بن عبد الله الطلحي قال: أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال: كان ابن أبي الزوائد يتعشق جاريةً سوداء مولاة الصهيبيين، وكان يختلف إليها وهي في النخل بحاجزة. فلما حان الجداد قال:

حجيج أمسى جداد حاجزةٍ ... فليت أن الجداد لم يحن

وشت بينٌ وكنت لي سكناً ... فيما مضى كان ليس بالسكن

قد كان لي منك ما أسر به ... وليت ما كان منك لم يكن

نعف في لهونا ويجمعنا ال ... مجلس بين العريش والجرن

يعجبنا اللهو والحديث ولا ... نخلط في لهونا هناً بهن

لو قد رحلت الحمار منكشفاً ... لم أرها بعدها ولم ترني

فقال له أبو محمد الجمحي: إن الشعراء يذكرون في شعرهم أنهم رحلوا الإبل والنجائب، وأنت تذكر أنك رحلت حماراً. فقال: ما قلت إلا حقاً، والله ما كان لي شيء أرحله غيره. قال: وقال فيها أيضاً:

يا ليت أن العرب استلحقوا ... ريم الصهيبيين ذاك الأجم

وكان منهم فتزوجته ... أو كنت من بعض رجال العجم

أخبرني وكيع قال: حدثني طلحة بن عبد الله بن الزبير بن بكار عن عمه قال: كان أبو عبيدة بن عبد الله بن ربيعة صديقاً لابن أبي الزوائد. ثم تباعد ما بينهما لشيء بلغ أبا عبيدة عنه، فهجره من أجله، فهجاه، فقال:

قطع الصفاء ولم أكن ... أهلاً لذاك أبو عبيده

لا تحسبنك عاقلاً ... فلأنت أحمق من حميده

حميدة: امرأة كانت بالمدينة رعناء يضرب بها المثل في الحمق.

حدثني عمي ووكيع قالا: حدثنا الكراني عن أبي غسان دماذ عن أبي عبيدة قال:

دخل ابن أبي الزوائد إلى حماد بن عمران الطليحي، وكان يلقب بعطعط، وكان له قيانٌ يسمعهن الناس عنده، فرآهن ابن الزوائد فقال فيهن:

أقول وقد صفت البظر لي: ... أللبظر أدخلني عطعط؟

فإني امرؤٌ لا أحب الزنا ... ولا يستفزني البربط

ولو بعضهن ابتغى صبوتي ... لخالط هامتها المخبط

لبئس فعال امرىءٍ قد قرا ... وهمت عوارضه تشمط

وما كنت مفترشاً جارتي ... وسيدها نائمٌ يضرط

أأفرغ في جارتي نطفةً ... حراماً كما يفرغ المسعط

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثني أبو هفان قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: حدثني المسيبي: أن ابن أبي الزوائد كانت عنده امرأةٌ أنصارية، فطال لبثها عنده حتى ملها وأبغضها، فقال يهجوها:

يا رمل أنت الغول بين رمال ... لم تظفري ببقًى ولا بجمال

يا رمل لو حدثت أنك سلفعٌ ... شوهاء كالسعلاة بين سعالي

ما جاء يطلبك الرسول بخطبةٍ ... مني ولا ضمت عليك حبالي

ولقد نهى عنك النصيح وقال لي ... لا تقرنن بذيةً بعيال

لما هززت مهندي وقذفته ... فيها وقد أرهفته بصقال

رجع المهند ما له من حيلةٍ ... وهناك تصعب حيلة المحتال

وكأنما أولجته في قلةٍ ... قد بردت للصوم أو بوقال

ورأيت وجهاً كاسفاً متغيراً ... وحراً أشق كمركن الغسال

ما كان أير الفيل بالغ قعره ... بتحاملٍ عنه ولا إدخال

ولقد طعنت مبالها بسلاحها ... فوجدت أخبث مسلح ومبال

قال: وقال لها وقد فخرت:

هلا سألت منازلاً بغرار ... عمن عهدت به من الأحرار

أين انتأوا ونحاهم صرف النوى ... عنا وصرف مقحمٍ مغيار

كره المقام وظن بي وبأهلها ... ظنًّا فكان بنا على إصرار

عدي رجالك واسمعي يا هذه ... عني مقالة عالمٍ مفخار

سأعد ساداتٍ لنا ومكارماً ... وأبوة ليست علي بعار

قيسٌ وخندف والداي كلاهما ... والعم بعد ربيعة بن نزار

من مثل فارسنا دريدٍ فارساً ... في كل يوم تعانقٍ وكرار
وبنو زيادٍ من لقومك مثلهم ... أو مثل عنترة الهزبر الضاري
والحي من سعدٍ ذؤابة قومهم ... والفخر منهم والسنام الواري
والمانعون من العدو ذمارهم ... والمدركون عدوهم بالثار
والناكحون بنات كل متوجٍ ... يوم الوغى غصباً بلا إمهار
وبنو سليم نكل من عاداهم ... وحيا العفاة ومعقل الفرار
ليسوا بأنكاس إذا حاستهم ال ... موت العداة وصمموا لمغار

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا الزبير بن بكار عن عمه قال: كان ابن أبي الزوائد وفد إلى بغداد في أيام المهدي، فاستوخمها، فقال يتشوق إلى المدينة ويخاطب أبا غسان محمد بن يحيى وكان معه نازلاً:

يا بن يحيى ماذا بدا لك ماذا ... أمقامٌ أم قد عزمت الخياذا
فالبراغيث قد تثور منها ... سامرٌ ما نلوذ منها ملاذا
فنحك الجلود طوراً فتدمى ... ونحك الصدور والأفخاذا
فسقى الله طيبة الوبل سحًّا ... وسقى الكرخ والصراة الرذاذا
بلدةٌ لا ترى بها العين يوماً ... شارباً للنبيذ أو نباذا
أو فتًى ماجناً يرى اللهو والبا ... طل مجداً أو صاحباً لواذا
هذه الذال فاسمعوها وهاتوا ... شاعراً قال في الروي على ذا
قالها شاعرٌ لو أن القوافي ... كن صخراً أطارهن جذاذا

قال الزبير: وأنشدني له أبو غسان محمد بن يحيى، وكان قد دخل إلى رجلين من أهل الحجاز يقال لأحدهما أبو الجواب، والآخر أبو أيوب، فسقياه نبيذاً على أنه طري لا يسكر، فأسكره، فقال:

سقاني شربةً فسكرت منها ... أبو الجواب صاحبي الخبيث
وعاونه أبو أيوب فيها ... ومن عاداته الخلق الخبيث
فلما أن تمشت في عظامي ... وهمت وثبتي منها تريث
علمت بأنني قد جئت أمراً ... تسوء به المقالة والحديث
فدعهم لا أبا لك واجتنبهم ... فإن خليطهم لهو اللويث

وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين المذكورين:

كالشمس في شرقها إذا سفرت عنها ومثل المهاة ملتثمه
ما صور الله حين صورها في سائر الناس مثلها نسمه
كل بلاد الإله جئت فما أبصرت شبهاً لها وقد علمه
أنثى من العالمين تشبهها عابسةً هكذا ومبتسمه
فتانة المقلتين مخطفة ال أحشاء منها البنان كالعنمه
إذا تعاطت شيئاً لتأخذه قلت غزالٌ يعطو إلى برمه
يا طيب فيها وطيب قبلتها والقرب منها في الليلة الشجمه
إن من اللذة التي بقيت غشيانك الخود من بني سلمه
لا تهجر الخود إن تغال بها بعد سلو وقبل ذاك فمه
آتي معداً لها الكلام فما أنطق من هيبةٍ ولا كلمه
أحب والله أن أزوركم وحدي كذا أو أزوركم بلمه
هذا الجمال الذي سمعت به سبحان ذي الكبرياء والعظمة
من أبصرت عينه لها شبهاً حل عليه العذاب والنقمه
يا هند يا هند نولي رجلاً وكيف تنويل من سفكت دمه
أو تدركي نفسه فقد هلكت أو ترحميه فمثلكم رحمه

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن جعفر بن قادمٍ مولى بني هاشم قال: حدثني عمي أحمد بن جعفر عن ابن دأب قال: خرجت أنا وأخي يحيى وابن أبي السعلاء ومعنا مصعب بن عبد الله النوفلي وثابتٌ والزبير ابنا حبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير وابن أبي الزوائد السعدي وابن أبي ذئب متنزهين إلى العقيق، وقد سأل يومئذٍ، إذا أتانا آتٍ ونحن جلوس، فسألناه عن الخبر بالمدينة؟ ورد كتاب أمير المؤمنين المنصور أن لا تتزوج منافيةٌ إلا منافيًّا. قال ابن أبي ذئب: إذن والله لا يخطب قرشيٌّ إلا من لا يحبها، ولا يرغب فيمن لا يرغب فيها ممن لا فضل له عليها، وكان غير حسن الرأي في بني هاشم. وتكلم ابنا حبيبٍ بمثل ذلك، وقال أحدهما. إن نسبنا من بني عبد مناف قد طال، فأدالنا الله منهم. قال: فغضب مصعبٌ النوفليٍ وكان أحول فازدادت عيناه انقلاباً، فقال: أما أنت يا بن أبي ذئب فو الله ما شرفتك جاهلية ولا رفعك إسلام، فيقع في بال أحد أنك عنيت بما جرى. وأما أنتما يا بني حبيبٍ فبغضكما لبني عبد مناف تالدٌ موروث، ولا يزال يتجدد كلما ذكرتم قتل الزبيرن وإنكم لمن طينتين مختلفتين: أما إحداهما فمن صفية، وهي الطينة الأبطحية السنية، تنزعان إليها إذا نافرتما، وتفخران بها إذا افتخرتما، والأخرى الطينة العوامية التي تعرفانها، ولو

شئت أن أقول لقلت، ولكن صفية تحجزني، فأحسنا الشكر لمن رفعكما، ولا تميلا عليه بمن وضعكما. فقالا له: مهلاً، فوالله لقد يمنا في الإسلام أفضل من قديمك، ولحظنا فيه بالزبير أفضل من حظك. فقال مصعبٌ: والله ما تفرخان في نسبكما إلا بعمتي، ولا تفضلان في دينكما إلا بابن عمي صلى الله عليه وسلم، فمفاخره لي دونكما. ثم تفرقوا، فقال ابن أبي الزوائد:

لعمركما يا بني خبيب بن ثابتٍ تجاوزتما في الفخر جهلاً مداكما
وأنكرتما فضل الذين بفضلهم سمت بين أيدي الأكرمين يداكما
فإنكما لم تعرفا إذ سموتما إلى العز من آل النبي أباكما
ولم تعرفا الفضل الذي قد فخرتما فليس من العوام حقًّا أتاكما
فلولا الكرام الغر من آل هاشمٍ فلا تجهلا لم تدفعا من رماكما
محبٌّ صد آلفه فليس لليله صبح

يقلبه على مضضٍ مواعد ما لها نجح
له في عينه غربٌ وفي أحشائه جرح
صحا عنه الذي يرجو زيارته وما يصحو

الشعر لأبي الأسد، والغناء لعلويه، هزجٌ بالوسطى وخفيف ثقيلٍ بالوسطى.

أخبار أبي الأسد ونسبه

اسمه، فيما ذكر لنا عيسى بن الحسين الوراق عن عيسى بن إسماعيل تينة عن القحذمي، نباته بن عبد الله الحماني. وذكر أبو هفان المهزمي أنه من بني شيبان. وهو شاعر مطبوع متوسط الشعر، من شعراء الدولة العباسية من أهل الدينور. وكان طبًّا مليح النوادر مزاحاً خبيث الهجاء، وكان صديقاً لعلويه المغني الأعسر، ينادمه ويواصل عشرته ويصله علويه بالأكابر، ويعرضه للمنافع، وله صنعةٌ في كثير من شعره.

فأخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن محمد الأبزاري قال: كان أبو الأسد الشاعر صديقاً لعلويه، وكان كثيراً ما يغني في شعره. فدعانا علويه ليلةً، ووعدته جارية لآل يحيى بن معاذ وكانت تأخذ عنه الغناء أن تزوره تلك الليلة، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً، وكان علويه يهيم بها، فانتظرناها حتى أيسنا منها احتباساً. فقال علويه لأبي الأسد: قل في هذا شعراً، فقال:

محبٌّ صد ألفه فليس لليله صبح

صحا عنه الذي يرجو زيارته وما يصحو

قال: فصنع علويه فيه لحناً من خفيف الثقيل هو الآن مشهورٌ في أيدي الناس، وغنانا فيه، فلم نزل نشرب عليه حتى أصبحنا. وصنع في تلك الليلة بحضرتنا فيه الرمل في شعر أبي وجزة السعدي:

قتلتني بغير ذنبٍ قتول وحلالٌ لها دمي المطلول

ما على قاتلٍ أصاب قتيلاً بدلالٍ ومقلتين سبيل

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبو هفان قال: كتب أبو الأسد وهو من بني حمان إلى موسى بن الضحاك:

لموسى أعبدٌ وأنا أخوه وصاحبه ومالي غير عبد

فلو شاء الإله وشاء موسى لآنس جانبي فرجٌ بسعد

قال: وفرجٌ غلامٌ كان لأبي الأسد، وسعدٌ غلام كان لموسى فبعث إليه موسى بسعد، وقاسمه بعده بقية غلمانه، فأخذ شطرهم وأعطاه شطرهم.

أخبرني محمد الخزاعي قال: حدثني العباس بن ميمون طائع قال: هجا أبو الأسد أحمد بن أبي داودٍ فقال:

أنت امرؤٌ غث الصنيعة رثها لا تحسن النقمى إلى أمثالي

نعماك لا تعدوك إلا في امرىءٍ في مسك مثلك من ذوي الأشكال

وإذا نضرت إلى صنيعك لم تجد أحداً سموت به إلى الإفضال

فاسلم بغير سلامةٍ ترجى لها إلا لسدك خلة الأنذال

قال: فأدى إليه سلامة وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عائشة هذه الأبيات عن أبي الأسد، فبعث إليه ببرد واستكفه، وبعث بابن عائشة إلى مظالم ما سبذان، وقال له: قد شركته في التوبيخ لنا فشركناك في الصفقة، فإن كنتما صادقين في دعواكما كنتما من الأنذال، وإن كنتما كاذبين فقد جريتما بالقبيح حسناً.

حدثني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن الحسن بن الحرون قال: كان سبب هجاء أبي الأسد أحمد بن أبي داودٍ أنه مدحه فلم يثبه، ووعده بالثواب ومطله، فكتب إليه:

ليتك إذ نبتني بواحدةٍ تقنعني منك آخر الأبد

تخلف ألا تبرني أبداً فإن فيها برداً على كبدي

اشف فؤادي مني فإن به مني جرحاً نكأته بيدي

إن كان رزقي إليك فارم به في ناظري حيةٍ على رصد

قد عشت دهراً وما أقدر أن أرضى بما قد رضيت من أحد

فكيف أخطأت لا أصبت ولا نهضت من عثرةٍ إلى سدد
لو كنت حراً كما زعمت وقد كددتني بالمطال لم أعد
صبرت لما أسأت بي فإذا عدت إلى مثلها فعد وعد
فإنني أهل ذاك في طمعي وفي خطائي سبيل معتمد
أبعدني الله حين يحملني حرصي على مثل ذا من الأود

الآن أيقنت بعد فعلك بي أني عبدٌ لأعبد قفد
فصرت من سوء ما رميت به أكنى أبا الكلب لا أبا الأسد

أخبرني علي بن الحسين بن عبد السميع المروزي قال: حدثني عيسى بن إسماعيل تينة عن القحذمي قال: كان أبو الأسد الشاعر واسمه نباته بن عبد الله الحماني منقطعاً إلى الفيض بن صالح وزير المهدي، وفيه يقول:

ولائمةٍ لامتك يا فيض في الندى فقلت لها لن يقدح اللوم في البحر
أرادت لتنهى الفيض عن عادة الندى ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر
مواقع جود الفيض في كل بلدةٍ مواقع ماء المزن في البلد القفر
كأن وفود الفيض لما تحملوا إلى الفيض لاقوا عنده ليلة القدر

وكان أبو الأسد قبله منقطعاً إلى أبي دلف مدة، فلما قدم عليه علي بن جبلة العكوك غلب عليه، وسقطت منزلة أبي الأسد عنده، فانقطع إلى الفيض بعد عزله عن الوزارة ولزومه منزله، وذلك في أيام الرشيد. وفيه يقول:

أتيت الفيض مشتكياً زماني فأعداني عليه جود فيض
وفاضت كفه بالبذل منه كما كف ابن عيسى ذات غيض

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني علي بن الحسن بن الأعرابي، قال: سأل أبو الأسد بعض الكتاب، وهو علي بن يحيى المنجم، حاجةً يسأل فيها بعض الوزراء، فلم يفعل. وبلغ حمدون بن إسماعيل الخبر، فسأل له فيها مبتدئاً ونجزها وأنفذها إليه.

فقال أبو الأسد يهجو الرجل الذي كان سأله الحاجة، ويمدح حمدون بن إسماعيل:

صنعٌ من الله أني كنت أعرفكم قبل اليسار وأنتم في التبابين
فما مضت سنةً حتى رأيتكم تمشون في القز والقوهي واللين
وفي المشاريق ما زالت نساؤكم يصحن تحت الدوالي بالوراشين

فصرن يرفلن في وشي العراق وفي ... طرائف الخز من دكنٍ وطاروني
أنسين قطع الحلاوي من معادنها ... وحملهن كشوثاً في الشقابين
حتى إذا أيسروا قالوا وقد كذبوا ... نحن الشهاريج أولاد الدهاقين
في است أم ساسان أيرى إن أقربكم ... وأير بغلٍ مشظٍّ في است شيرين
لو سيل أوضعهم قدراً وأنذلهم ... لقال من فخره إني ابن شوبين
وقال أقطعني كسرى وورثني ... فمن يفاخرني أم من يناويني
من ذا يخبر كسرى وهو في سقر ... دعوى النبيط وهم بيض الشياطين
وأنهم زعموا أن قد ولدتهم ... كما ادعى الضب إني نطفة النون
فكان ينحز جوف النار واحدةً ... تفري وتصدع خوفاً قلب قارون
أما تراهم وقد حطوا برادعهم ... عن أتنهم واستبدوا بالبراذين
وأفرجوا عن مشارات البقول إلى ... دور الملوك وأبواب السلاطين
تغلي على العرب من غيظٍ مراجلهم ... عداوةً لرسول الله في الدين
فقل لهم وهم أهلٌ لتزنيةٍ ... شر الخليقة يا بخر العثانين
ما الناس إلا نزارٌ في أرومتها ... وهاشمٌ سرجها الشم العرانين
والحي من سلفي قحطان إنهم ... يزرون بالنبط اللكن الملاعين
فما على ظهرها خلقٌ له حسبٌ ... مما يناسب كسرى غير حمدون
قرمٌ عليه شهنشاهيةٌ ونباً ... ينبيك عن كسروي الجد ميمون
وإن شككت ففي الإيوان صورته ... فانظر إلى حسب بادٍ ومخزون

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمد بن أبي طاهر.

أن أبا الأسد زار أبا دلف في الكرج، فحجب عنه أياماً، فقال يعاتبه وكتب بها إليه:

ليت شعري أضاقت الأرض عني ... أم بفج أنا الغداة طريد
أم أنا قانعٌ بأدنى معاشٍ ... همتي القوت والقليل الزهيد
مقولي قاطعٌ وسيفي حسامٌ ... ويدي حرةٌ وقلبي شديد
رب بابٍ أعز من بابك اليو ... م عليه عساكرٌ وجنود

قد ولجناه داخلين غدواً ورواحاً وأنت عنه مذود
فاكفف اليوم من حجابك إذ لس ت أميراً ولا خميساً تقود
واغترب في فدافد الصد إذ لس ت أسيراً ولا علي قيود
لا يقيم العزيز في بلد الهو ن ولا يكبت الأريب الجليد

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: أنشدني أبو هفان لأبي الأسد في صديق له يقال له بسطام كان براً به قال: وهذا من جيد شعره، وقد سرق البحتري معناه منه في شعر مدح به علي بن يحيى المنجم:

أعدو على مال بسطامٍ فأنهبه كما أشاء فلا تثنى إلي يدي
حتى كأني بسطامٌ بما احتكمت فيه يداي وبسطامٌ أبو الأسد

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: حدثني أبو هفان، وأخبرني به يحيى بن علي بن يحيى قال: حدثني أبو أيوب المدايني قال: حدثنا أبو هفان قال: حدثني أبو دعامة قال: لما مات إبراهيم الموصلي قيل لأبي الأسد - وكان صديقه - ألا ترثيه؟ فقال يرثيه:

تولى الموصلي فقد تولت بشاشات المزاهر والقيان
وأي ملاحةٍ بقيت فتبقى حياة الموصلي على الزمان
ستبكيه المزاهر والملاهي ويسعدهن عاتقة الدنان
وتبكيه الغوية إذ تولى ولا تبكيه تالية القران

فقيل له: ويحك فضحته وقد كان صديقك. فقال: هذه فضيحة عند من لا يعقل، أما من يعقل فلا. وبأي شيءٍ كنت أذكره وأثبه به؟ أبالفقه أم بالزهد أم بالقراءة؟ وهل يرثى إلا بهذا وشبهه! قال أبو الفرج: نسخت من كتاب لأحمد بن علي بن يحيى، أخبرني أبو الفضل الكاتب وهو ابن خالة أبي عمرو الطوسي قال: كنت مقيماً بالجبل فمر بي أبو الأسد الشاعر الشيباني، فأنزلته عندي أياماً، وسألته عن خبره فقال: صادفت شاهين بن عيسى ابن أخي أبي دلف، فما احتبسني ولا برني ولا عرض علي المقام عنده، وقد حضرني فيه أبيات فأكتبها، ثم أنشدني:

إني مررت بشاهينٍ وقد نفحت ريح العشي وبرد الثلج يؤذيني
فما وقى عرضه مني بكسوته لا بل ولا حسبٍ دانٍ ولا دين
إن لم يكن لبن الدايات غيره عن طبع آبائه الشم العرانين
فربما غاب بعلٌ عن حليلته فناكها بعض سواس البراذين

وما تحرك أيرٌ فامتلا شبقاً إلا تحرك عرقٌ في است شاهين

ثم قال: لأمزقنه كل ممزقٍ، ولأصيرن إلى أبي دلف فلأنشدنه. ومضى من فوره يريد أبا دلف، فلم يصل إليه، حتى بلغ أبا دلف الشعر، فشق عليه وغمه. وأتاه أبو الأسد فدخل عليه، فسأله عن قصته مع شاهين، فأخبره بها، فقال: هبه لي. قال قد فعلت. وأمر له بعشرة آلالف درهم، فأمسك عنه.

قال أبو الفرج: هذا البيت الأخير لبشار كان عرض له فقال:

وما تحرك أيرٌ فامتلا شبقاً إلا تحرك عرقٌ في است ....

ثم قال: في است من؟ ومر به تسنيم بن الحواري فسلم عليه، فقال: في است تسنيم والله. فقال له: أي شيء ويلك؟ فقال: لا تسل. فقال: قد سمعت ما أكره، فاذكر لي سببه. فأنشده البيت، فقال: ويلك! أي شيء حملك على هذا؟ قال: سلامك علي. لا سلم الله عليك ولا علي إن سلمت عليك بعدها، وبشار يضحك. وقد مضى هذا الخبر بإسناده في أخبار بشار.

وقد جمع معه كل ما يغنى في هذه القصيدة:

أجدك إن نعمٌ نأت أنت جازع قد اقتربت لو أن ذلك نافع

وحسبك من نأيٍ ثلاثة أشهر ومن حزنٍ أن شاق قلبك رابع

بكت عين من أبكاك ليس لك البكى ولا تتخالجك الأمور النوازع

فلا يسمعن سري وسرك ثالثٌ ألا كل سرٍّ جاوز اثنين شائع

وكيف يشيع السر مني ودونه حجابٌ ومن فوق الحجاب الأضالع

كأن فؤادي بين شقين من عصاً حذار وقوع البين والبين واقع

وقالت وعيناها تفيضان عبرةً بأهلي بين لي متى أنت راجع

فقلت لها بالله يدري مسافرٌ إذا أضمرته الأرض ما الله صانع

فشدت على فيها اللثام وأعرضت وأقبلن بالكحل السحيق المدامع

عروضه من الطويل. الشعر لقيس بن الحدادية، والغناء لإسحاق في الأول والثاني من الأبيات خفيف رملٍ بالوسطى، وفي الثالث وما بعده أربعة.

أخبار قيس بن الحدادية ونسبه

هو قيس بن منقذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر بن صالح بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة وهو خزاعة بن عمرو وهو مزيقياء بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، وهو رداء ويقال: رديني، وقد مضى نسبه متقدماً، والحدادية أمه، وهي امرأة من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، ثم من قبيلة منهم يقال لهم بنو حداد. شاعر من شعراء الجاهلية، وكان فاتكاً شجاعاً صعلوكاً خليعاً، خلعته خزاعة بسوق عكاظ وأشهدت على أنفسها بخلعها إياه، فلت تحتمل جريرةً له، ولا تطالب بجريرة يجرها أحدٌ عليه.

قال أبو الفرج: نسخت خبره من كتاب أبي عمرو الشيباني: لما خلعت خزاعة بن عمرو - وهو مزيقياء بن عامر، وهو ماء السماء بن الحارث - قيس بن الحدادية، كان أكثرهم قولاً في ذلك وسعيا لقوم منهم يقال لهم: بنو قمير بن حبشية بن سلول، فجمع لهم قيسٌ شذاذاً من العرب وفتاكاً من قومه، وأغار عليهم بهم، وقتل منهم رجلاً يقال لهم ابن عش، واستاق أموالهم، فلحقه رجل من قومه كان سيداً، وكان ضلعه مع قيس فيما جرى عليه من الخلع، يقال له ابن محرق، فأقسم عليه أنيرد ما استاقه، فقال: أما ما كان لي ولقومي فقد أبررت قسمك فيه، وأما ما اعتورته أيدي هذه الصعاليك فلا حيلة لي فيه، فرد سهمه وسهم عشيرته، وقال في ذلك:

فاقسم لولا أسهم ابن محرقٍ ... مع الله ما أكثرت عد الأقارب

تركت ابن عشٍّ يرفعون برأسه ... ينوء بساقٍ كعبها غير راتب

وأنهاهم خلعي على غير ميرةٍ ... من اللحم حتى غيبوا في الغوائب

وقال أبو عمرو: أغار أبو بردة بن هلال بن غويمر، أخو بني مالك بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن امرىء القيس على هوازن في بلادها، فلقي عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وبني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت بنو عامر وبنو نصر، وقتل أبو بردة قيس بن زهير أخا خداش بن زهير الشاعر، وسبى نسوةً من بني عامر: منهن صخرة بنت أسماء بن الضريبة النصري، وامرأتين منهم يقال لهما: بيقر وريًّا، ثم انصرفوا راجعين، فلما انتهوا إلى هرشى خنقت صخرة نفسها فماتت، وقسم أبو بردة السبي والنعم والأموال في كل من كان معه، وجعل فيه نصيباً لمن غاب عنها من قومه وفرقه فيهم.

ثم أغارت هوازن على بني ليث، فأصابوا حيًّا منهم يقال لهم: بنو الملوح بن يعمر بن عوف، ورعاءً لبني ضاطر بني حبشية، فقتلوا منهم رجلاً وسبوا منهم سبياً كثيراً واستاقوا أموالهم، فقال في ذلك مالك بن عوف النصري:

نحن جلبنا الخيل من بطن ليةٍ ... وجلدان جرداً منعلاتٍ ووقحا

فأصبحن قد جاوزن مراً وجحفةً ... وجاوزن من أكناف نخلة أبطحا

تلقطن ضيطاري خزاعة بعد ما ... أبرن بصحراء الغميم الملوحا

قتلناهم حتى تركنا شريدهم ... نساء وأيتاماً ورجلاً مسدحا

فإنك لو طالعتهم لحسبتهم بمنعرج الصفراء عتراً مذبحا

فلما صنعت هوازن ببني ضاطر ما صنعت، جمع قيس بن الحدادية قومه، فأغار على جموع هوازن، فأصاب سبياً ومالاً، وقتل يومئذٍ من بني قشير: أبا زيد وعروة وعامراً ومروحاً، وأصاب أبياتاً من كلاب خلوفاً، واستاق أموالهم وسبياً، ثم انصرف وهو يقول.

نحن جلبنا الخيل قبًّا بطونها تراها إلى الداعي المثوب جنحا
بكل خزاعيٍّ إذا الحرب شمرت تسربل فيها برده وتوشحا
قرعنا قشيرا في المحل عشيةً فلم يجدوا في واسع الأرض مسرحا
قتلنا أبا زيد وزيدا وعامرا وعروة أقصدنا بها ومروحا
وأبنا بإبل القوم تحدى ونسوةٍ يبكين شلواً أو أسيراً مجرحا
غداة سقينا أرضهم من دمائهم وأبنا بأدمٍ كن بالأمس وضحا
ورعنا كلاباً قبل ذاك بغارة فسقنا جلاداً في المبارك قرحا

لقد علمت أفناء بكر بن عامرٍ بأنا نذود الكاشح المتزحزحا
وأنا بلا مهرٍ سوى البيض والقنا نصيب بأفناء القبائل منكحا

وقال أبو عمرو: وزعموا أن قيس بن عيلان رغبت في البيت، وخزاعة يومئذٍ تليه، وطمعوا أن ينزعوه منهم، فساروا ومعهم قبائل من العرب ورأسوا عليهم عامر بن الظرب العدواني، فساروا إلى مكة في جمعٍ لهام، فخرجت إليهم خزاعة فاقتتلوا، فهزمت قيس، ونجا عامرٌ على فرس له جواد. فقال قيس بن الحدادية في ذلك:

لقد سمت نفسك يا بن الظرب وجشمتهم منزلاً قد صعب
وحملتهم مركباً باهظاً من العبء إذ سقتهم للشغب
بحرب خزاعة أهل العلا وأهل الثناء وأهل الحسب
هم المانعو البيت والذائدون عن الحرمات جميع العرب
نفوا جرهماً ونفوا بعدهم كنانة غصباً ببيض القضب
وسمر الرماح وجرد الجياد عليها فوارس صدقٍ نجب
وهم ألحقوا أسداً عنوةً بأحياء طيٍّ وحازوا السلب
خزاعة قومي فإن أفتخر بهم يزك معتصري والنسب

هم الرأس والناس من بعدهم ذنابى وما الرأس مثل الذنب
يواسى لدى المحل مولاهم وتكشف عنه غموم الكرب
فجارهم آمنٌ دهره بهم إن يضام وأن يغتصب
يلبون في الحرب خوف الهجاء ويبرون أعداءهم بالحرب
ولو لم ينجك من كيدهم أمين الفصوص شديد العصب
لزرت المنايا فلا تكفرن جوادك نعماه يا بن الظرب
فإن يلتقوك يزرك الحما م أو تنج ثانيةً بالهرب

قال أبو الفرج: هذه القصيدة مصنوعة، والشعر بين التوليد.

وقال أبو عمرو: أغارت هوازن على خزاعة وهم بالمحصب من منى، فأوقعوا ببطن منهم يقال لهم بنو العنقاء، وبقوم من بني ضاطر، فقتلوا منهم عبداً وعوفاً وأقرم وغبشان، فقال ابن الأحب العدواني يفخر بذلك:

غداة التقينا بالمحصب من منًى فلاقت بنو العنقاء إحدى العظائم
تركنا بها عوفاً وعبداً وأقرماً وغبشان سؤراً للنسور القشاعم

فأجابه قيس بن الحدادية، فقال يعيره أن فخر بيوم ليس لقومه:

فخرت بيوم لم يكن لك فخره أحاديث طسمٍ إنما أنت حالم
تفاخر قوماً أطردتك رماحهم أكعب بن عمرو هل يجاب البهائم
فلو شهدت أم الصبيين حملنا وركضهم لابيض منها المقادم
غداة توليتم وأدبر جمعكم وأبنا بأسراكم كأنا ضراغم

قال أبو عمرو: وكان ابن الحدادية أصاب دماً في قوم من خزاعة هو وناس من أهل بيته، فهربوا فنزلوا في فراس بن غنم، ثم لم يلبثوا أن أصابوا أيضاً منهم رجلاً، فهربوا فنزلوا في بجيلة على أسد بن كرز، فآواهم وأحسن إلى قيس وتحمل عنهم ما أصابوا في خزاعة وفي فراس، فقال قيس بن الحدادية يمدح أسد بن كرز:

لا تعذليني سلمى اليوم وانتظري أن يجمع الله شملاً طالما افترقا
إن شتت الدهر شملاً بين جيرتكم فطال في نعمةٍ يا سلم ما اتفقا
وقد حللنا بقسريٍّ أخي ثقةٍ كالبدر يجلو دجى الظلماء والأفقا
لا يجبر الناس شيئاً هاضه أسدٌ يوماً ولا يرتقون الدهر ما فتقا
كم من ثناءٍ عظيم قد تداركه وقد تفاقم فيه الأمر وانخرقا

قال أبو عمرو: وهذه الأبيات من رواية أصحابنا الكوفيين، وغيرهم يزعم أنها مصنوعة، صنعها حماد الراوية لخالد القسري في أيام ولايته، وأنشده إياها فوصله، والتوليد بين فيها جداً.

وقال أبو عمرو: غزا الضريس القشيري بني ضاطر في جماعة من قومه، فثبتوا له وقاتلوه حتى هزموه، وانصرف ولم يفز بشيء من أموالهم، فقال قيس بن الحدادية في ذلك:

فدىً لبني قيس وأفناء مالكٍ ... لدى الشسع من رجلي إلى الفرق صاعدا

غداة أتى قوم الضريس كأنهم ... قطا الكدر من ودان أصبح واردا

فلم أر جمعاً كان أكرم غالباً ... وأحمى غلاماً يوم ذلك أطردا

رميناهم بالحو والكمت والقنا ... وبيضٍ خفافٍ يختلين السواعدا

قال أبو عمرو: ولما خلعت خزاعة قيساً، تحول من قومه، ونزل عند بطنٍ من خزاعة، يقال لهم بنو عدي بن عمرو بن خالد، فآووه وأحسنوا إليه، وقال يمدحهم:

جزى الله خيراً عن خليع مطردٍ ... رجالاً حموه آل عمرو بن خالد

فليس كمن يغزو الصديق بنوكه ... وهمته في الغزو كسب المزاود

عليكم بعرصات الديار فإنني ... سواكم عديدٌ حين تبلى مشاهدي

ألا وذتم حتى إذا ما أمنتم ... تعاورتم سجعاً كسجع الهداهد

تجنى علي المازنان كلاهما ... فلا أنا بالمغصي ولا بالمساعد

وقد حدبت عمرو علي بعزها ... وأبنائها من كل أروع ماجد

مصاليت يوم الروع كسبهم العلا ... عظام مقيل الهام شعر السواعد

أولئك إخواني وجل عشيرتي ... وثروتهم والنصر غير المحارد

أخبرني أحمد بن سليمان الطوسي، والحرمي بن أبي العلاء قالا: حدثنا الزبير بن بكار قال: أخبرني عمي أن خزاعة أغارت على اليمامة، فلم يظفروا منها بشيء، فهزموا وأسر منهم أسرى، فلما كان أوان الحج، أخرجهم من أسرهم إلى مكة في الأشهر الحرم ليبتاعهم قومهم، فغدوا جميعاً إلى الخلصاء، وفيهم قيس بن الحدادية، فأخرجوهم وحملوهم، وجعلوهم في حظيرة ليحرقوهم، فمر بهم عدي بن نوفل، فاستجاروا به، فابتاعهم وأعتقهم، فقال قيس يمدحه:

دعوت عديًّا والكبول تكبني ... ألا يا عدي يا عدي بن نوفل

دعوت عدياً والمنايا شوارعٌ ... ألا يا عدي للأسير المكبل

فما البحر يجري بالسفين إذا غدا بأجود سيباً منه في كل محفل

تداركت أصحاب الحظيرة بعدما أصابهم منا حريق المحلل

وأتبعت بين المشعرين سقايةً لحجاج بيت الله أكرم منهل

قال أبو عمرو: وكان قيس بن الحدادية يهوى أم مالك بنت ذؤيب الخزاعي، وكانت بطون من خزاعة خرجوا جالين إلى مصر والشام لأنهم أجدبوا، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، رأوا البوارق خلفهم، وأدركهم من ذكر لهم كثرة الغيث والمطر وغزارته، فرجع عمرو بن عبد مناة في ناس كثير إلى أوطانهم، وتقدم قبيصة بن ذؤيب ومعه أخته أم مالك، واسمها نعم بنت ذؤيب، فمضى، فقال قيس بن الحدادية هذه القصيدة التي فيها الغناء المذكور:

أجدك إن نعمٌ نأت أنت جازع قد اقتربت لو أن ذلك نافع

قد اقتربت لو أن في قرب دارها نوالاً ولكن كل من ضن مانع

وقد جاورتنا في شهور كثيرة فما نولت والله راءٍ وسامع

فإن تلقين نعمى هديت فحيها وسل كيف ترعى بالمغيب الودائع

وظني بها حفظٌ لغيبي ورعيةٌ لما استرعيت والظن بالغيب واسع

وقلت لها في السر بيني وبينها على عجلٍ أيان من سار راجع

فقالت لقاءٌ بعد حول وحجةٍ وشحط النوى إلا الذي العهد قاطع

وقد يلقى بعد الشتات أولو النوى ويسترجع الحي السحاب اللوامع

وما إن خذولٌ نازعت حبل حابلٍ لتنجو إلا استسلمت وهي ظالع

بأحسن منها ذات يوم لقيتها لها نظرٌ نحوي كذي البت خاشع

رأيت لها ناراً تشب ودونها طويل القرا من رأس ذروة فارع

فقلت لأصحابي اصطلوا النار إنها قريبٌ فقالوا بل مكانك نافع

فيا لك من حادٍ حبوت مقيدا وأنحى على عرنين أنفك جادع

أغيظاً أرادت أن تخب حمالها لتفجع بالإظعان من أنت فاجع

فما نطفة بالطود أو بضرية بقية سيلٍ أحرزتها الوقائع

يطيف بها حران صادٍ ولا يرى إليها سبيلاً غير أن سيطالع

بأطيب من فيها إذا جئت طارقاً من الليل واخضلت عليك المضاجع

وحسبك من نأيٍ ثلاثة أشهر ومن حزنٍ أن زاد شوقك رابع
سعى بينهم واشٍ بأفلاق برمةٍ لتفجع بالأظعان من هو جازع
بكت من حديث بثه وأشاعه ورصفه واشٍ من القوم راصع
بكت عين من أبكاك لا يعرف البكا ولا تتخالجك الأمور النوازع
فلا يسمعن سري وسرك ثالثٌ ألا كل سر جاوز اثنين شائع
وكيف يشيع السر مني ودونه حجابٌ ومن فوق الحجاب الأضالع
وحبٌّ لهذا لربع يمضي أمامه قليل القلى منه جليلٌ ورادع
لهوت به حتى إذا خفت أهله وبين منه للحبيب المخادع
نزعت فما سري لأول سائل وذو السر ما لم يحفظ السر ماذع
وقد يحمد الله العزاء من الفتى وقد يجمع الأمر الشتيت الجوامع
ألا قد يسلى ذو الهوى عن حبيبه فيسلى وقد تردي المطي المطامع
وما راعني إلا المنادى ألا اظعنوا وإلا الرواغي غدوةً والقعاقع
فجئت كأني مستضيفٌ وسائل لأخبرها كل الذي أنا صانع
فقالت :تزحزح ما بنا كبر حاجةٍ إليك ولا منا لفقرك راقع
فما زلت تحت الستر حتى كأنني من الحر ذو طمرين في البحر كارع
فهزت إلي الرأس مني تعجبا وعضض مما قد فعلت الأصابع
فأيهما ما أتبعن فإنني حزين على إثر الذي أنا وادع
بكى من فراق الحي قيس بن منقذ وإذراء عيني مثله الدمع شائع
بأربعة تنهل لما تقدمت بهم طرق شتى وهن جوامع
وما خلت بين الحي حتى رأيتهم ببينونة السفلى وهبت سوافع
كأن فؤادي بين شقين من عصاً حذار وقوع البين والبين واقع
يحث بهم جادٍ سريعٌ نجاؤه ومعرى عن الساقين والثوب واسع
فقلت لها يا نعم حلي محلنا فإن الهوى يا نعم والعيش جامع
فقالت وعيناها تفيضان عبرةً بأهلي بين لي متى أنت راجع

فقلت لها تالله يدري مسافرٌ إذا أضمرته الأرض ما الله صانع
فشدت على فيه اللثام وأعرضت وأقبلن بالكحل السحيق المدامع
وإني لعهد الود راعٍ وإنني بوصلك ما لم يطوني الموت طامع

قال أبو عمرو: فأنشدت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله هذه القصيدة، فاستحسنتها وبحضرتها جماعة من الشعراء. فقالت: من قدر منكم أن يزيد فيها بيتاً واحداً يشبهها ويدخل في معناها فله حليتي هذه ، فلم يقدر أحد منهم على ذلك.

قال أبو عمرو: وقال قيس أيضاً يذكر بين الحي وتفرقهم وينسب بنعم:

سقى الله أطلالاً بنعمٍ ترادفت بهن النوى حتى حللن المطاليا
فإن كانت الأيام يا أم مالك تسليكم عني وترضي الأعاديا
فلا يأمنن بعدي امرؤ فجع لذةٍ من العيش أو فجع الخطوب العوافيا
وبدلت من جدواك يا أم مالكٍ طوارق هم يحتضرن وساديا
وأصبحت بعد الأنس لابس جبة أساقي الكماة الدارعين العواليا
فيوماي يومٌ في الحديد مسربلا ويوم مع البيض الأوانس لاهيا
فلا مدركاً حظاً لدى أم مالك ولا مستريحا في الحياة فقاضيا
خليلي إن دارت على أم مالك صروف الليالي فابعثا لي ناعيا
ولا تتركاني لا لخيرٍ معجل ولا لبقاءٍ تنظران بقائيا

وإن الذي أملت من أم مالك أشاب قذالي واستهام فؤاديا
فليت المنايا صبحتني غديةً بذبح ولم أسمع لبينٍ مناديا
نظرت ودوني يذبلٌ وعمايةٌ إلى آل نعمٍ منظرا متنائيا
شكوت إلى الرحمن بعد مزارها وما حملتني وانقطاع رجائيا
وقلت ولم أملك أعمرو بن عامر لحتفٍ بذات الرقمتين يرى ليا
وقد أيقنت نفسي عشية فارقوا بأسفل وادي الدوح أن لا تلاقيا
إذ ما طواك الدهر يا أم مالكٍ فشأن المنايا القاضيات وشانيا

قال أبو عمرو: وقد أدخل الناس أبياتاً من هذه القصيدة في شعر المجنون.

قال أبو عمرو: وكان من خبر مقتل قيس بن الحدادية أنه لقي جمعاً من مزينة يريدون الغارة على بعض من يجدونه منه غرة، فقالوا له: استأسر، فقال: وما ينفعكم مني إذا استأسرت وأنا خليع؟ والله لو أسرتموني ثم طلبتم بي من قومي عتراً جرباء جدماء ما أعطيتموها، فقالوا له: استأسر لا أم لك! فقال: نفسي علي أكرم من ذاك، وقاتلهم حتى قتل. وهو يرتجز ويقول:

أنا الذي تخلعه مواليه ... وكلهم بعد الصفاء قاليه

وكلهم يقسم لا يباليه ... أنا إذا الموت ينوب غاليه

مختلطٌ أسفله بعاليه ... قد يعلم الفتيان أني صاليه

إذا الحديد رفعت عواليه

وقيل: إنه كان يتحدث إلى امرأة من بني سليم، فأغاروا عليه وفيهم زوجها، فأفلت فنام في ظل وهو لا يخشى الطلب، فاتبعوه فوجدوه، فقاتلهم، فلم يزل يرتجز وهو يقاتلهم حتى قتل.

صرمتني ثم لا كلمتني أبداً ... إن كنت خنتك في حال من الحال

ولا اجترمت الذي فيه خيانتكم ... ولا جرت خطرةٌ منه على بالي

فسوغيني المنى كيما أعيش بها ... وأمسكي البذل ما أطلعت آمالي

أو عجلي تلفي إن كنت قاتلتي ... أو نوليني بإحسان وإجمال

الشعر لابن قنبر، والغناء ليزيد بن حوراء خفيف رمل بالبنصر عن عمرو بن بانة، وذكر إسحاق أنه لسليم ولم يذكر طريقته.

أخبار ابن قنبر ونسبه

هو الحكم بن محمد بن قنبر المازني مازن بني عمرو بن تميم، بصري شاعر ظريف من شعراء الدولة الهاشمية، وكان يهاجي مسلم بن الوليد الأنصاري مدة، ثم غلبه مسلم.

قال أبو الفرج: نسخت من كتاب جدي يحيى بن محمد بن ثوابة بخطه: حدثني الحسن بن سعيد قال: حدثني منصور بن جهور قال: لما تهاجى مسلم بن الوليد وابن قنبر، أمسك عنه مسلم بعد أن بسط عليه لسانه، فجاء مسلماً ابن عم له فقال: أيها الرجل، إنك عند الناس فوق هذا الرجل في عمود الشعر، وقد بعثت عليك لسانك ثم أمسكت عنه، فإما أن قاذعته، وإما أن سالمته، فقال له مسلم: إن لنا شيخاً وله مسجد يتهجد فيه، وله دعوات يدعوها، ونحن نسأله أن يجعل بعض دعواته في كفايتنا إياه، فأطرق الرجل ساعةً ثم قال:

غلب ابن قنبر واللئيم مغلب ... لما اتقيت هجاءه بدعاء

مازال يقذف بالهجاء ولذعه حتى اتقوه بدعوة الآباء

قال: فقال له مسلم: والله ما كان ابن قنبر ليبلغ مني هذا، فأمسك عني لسانك وتعرف خبره بعد، قال: فبعث الرجل والله عليه من لسان مسلم ما أسكته.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني محمد بن عبد الله العبدي القسري قال: رأيت مسلم بن الوليد والحكم بن قنبر في مسجد الرصافة في يوم جمعة، وكل واحد منهما بإزاء صاحبه، وكانا يتهاجيان، فبدأ مسلمٌ فأنشد قصيدته

أنا النار في أحجارها مستكنة فإن كنت ممن يقدح النار فاقدح

وتلاه ابن قنبر فأنشده قوله:

قد كدت تهوي وما قوسي بموترةٍ فكيف ظنك بي والقوس في الوتر

فوثب مسلم وتواخزا وتواثبا حتى حجز الناس بينهما فتفرقا، فقال رجل لمسلم - وكان يتعصب له - ويحك! أعجزت عن الرجل حتى واثبته؟ قال: أنا وإياه لكما قال الشاعر:

هنيئاً مريئاً أنت بالفحش أبصر

وكان ابن قنبر مستعلياً عليه مدة، ثم غلبه مسلم بعد ذلك، فمن مناقضتهما قول ابن قنبر:

ومن عجب الأشياء أن لمسلم إلي نزاعاً في الهجاء وما يدري

والله ما قيست علي جدوده لدي مفخر في الناس قوساً ولا شعري

ولابن قنبر قوله:

كيف أهجوك يا لئيمٌ بشعري أنت عندي فاعلم هجاء هجائي

يا دعي الأنصار بل عبدها النذ ل تعرضت لي لدرك الشقاء

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني أبو توبة، عن محمد بن جبير عن الحسين بن محرز المغني المديني قال: دخلت يوماً على المأمون في يوم نوبتي وهو ينشد:

فما أقصر اسم الحب يا ويح ذي الحب وأعظم بلواه على العاشق الصب

يمر به لفظ اللسان مشمرا ويغرق من ساقاه في لجج الكرب

فلما بصر بي قال: تعال يا حسين، فجئت، فأنشدني البيتين، ثم أعادهما علي حتى حفظتهما، ثم قال: اصنع فيهما لحناً، فإن أجدت سررتك، فخلوت وصنعت فيهما لحني المشهور، وعدت فغنيته إياه، فقال: أحسنت، وشرب عليه بقية يومه، وأمر لي بألف دينار، والشعر لحكم بن قنبر.

أخبرني محمد بن الأزهر قال: حدثني حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن محمد بن سلام قال: أنشدني ابن قنبر لنفسه:

ويلي على من أطار النوم وامتنعا وزاد قلبي على أوجاعه وجعا
ظبيٌ أغر ترى في وجهه سرجاً تعشي العيون إذا ما نوره سطعا
كأنما الشمس في أثوابه بزغت حسناً أو البدر في أردانه طلعا
فقد نسيت الكرى من طول ما عطلت منه الجفون وطارت مهجتي قطعا

قال ابن سلام: ثم قال ابن قنبر: لقيتني جوارٍ من جواري سليمان بن علي في الطريق الذي بين المربد وقصر أوس، فقلن لي: أنت الذي تقول:

ويلي على من أطار النوم وامتنعا

فقلت: نعم. فقلن: أمع هذا الوجه السمج تقول هذا؟ ثم جعلن يجذبني ويلهون بي حتى أخرجنني من ثيابي، فرجعت عارياً إلى منزلي. قال: وكان حسن اللباس.

أخبرني محمد بن الحسين الكندي مؤدبي قال: حدثني علي بن محمد النوفلي قال: حدثني عمي قال: دخل الحكم بن قنبر على عمي - وكان صديقاً له - فبش به ورفع مجلسه، وأظهر له الأنس والسرور، ثم قال: أنشدني أبياتك التي أقسمت فيها بما في قلبك. فأنشده:

وحق الذي في القلب منك فإنه عظيم لقد حصنت سرك في صدري
ولكنما أفشاه دمعي وربما أتى المرء ما يخشاه من حيث لا يدري
فهب لي ذنوب الدمع إني أظنه بما منه يبدو إنما يبتغي ضري
ولو يبتغي نفعي لخلى ضمائري يرد على أسرار مكنونها ستر.

فقال لي: يا بني اكتبها واحفظها، ففعلت وحفظتها يومئذٍ وأنا غلام.

أخبرني اليزيدي قال: أخبرني عمي عن ابن سلام، وأخبرني به أحمد بن ابن عباس العسكري عن القنبري عن محمد بن سلام قال: أنشدني ابن قنبر لنفسه قوله:

صرمتن ثم لا كلمتني أبداً إن كنت خنتك في حالٍ من الحال
ولا اجترمت الذي فيه خيانتكم ولا جرت خطرة منه على بالي

قال: فقلت له وأنا أضحك: يا هذا لقد بالغت في اليمين. فقال: هي عندي كذاك، وإن لم تكن عندك كما هي عندي. قال اليزيدي: قال عمي وهو الذي يقول وفيه غناء:

ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كملا
كل جزء من محاسنها كائنٌ في فضله مثلا
لو تمنت في ملاحتها لم تجد من نفسها بدلا

فيه لحنٌ لابن القصار رمل.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني ابن مهرويه قال: قال لي إبراهيم بن المدبر: أتعرف الذي يقول:

إن كنت لا ترهب ذمي لما ... تعرف من صفحي عن الجاهل

فاخش سكوتي فطناً منصتا ... فيك لتحسين خنا القائل

مقالة السوء إلى أهلها ... أسهل من منحدر سائل

ومن دعا الناس إلى ذمه ... ذموه بالحق وبالباطل

فقلت: هذه للعتابي، فقال: ما أنشدها إلا لابن قنبر، فقلت له: من شاء منهما فليقلها، فإنه سرقه من قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة:

وإن أنا لم آمر ولم أنه عنكما ... سكت له حتى يلج ويستشري

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبو مسلم يعني محمد بن الجهم قال: أطعم رجل من ولد عبد الله بن كريز صديقاً له ضيعة، فمكثت في يده مدة، ثم مات الكريزي، فطالب ابنه الرجل بالضيعة، فمنعه إياها، فاختصما إلى عبيد الله بن الحسن، فقيل له: ألا تستحي! تطالب بشيء إن كنت فيه كاذباً أثمت، وإن كنت صادقاً فإنما تريد أنت تنقض مكرمةً لأبيك، فقال له ابن الكريزي - وكان ساقطاً - الشحيح أعظم من الظالم أعزك الله، فقال له عبيد الله بن الحسن: هذا الجواب والله أعز من الخصومة ويحك، وهذا موضع هذا القول، اللهم اردد على قريش أخطارها، ثم أقبل علينا فقال: لله در الحكم بن قنبر حيث يقول:

إذا القرشي لم يشبه قريشاً ... بفعلهم الذي بذ الفعالا

فجرميٌّ له خلقٌ جميل ... لدى الأقوام أحسن منه حالا

أخبرني محمد بن الحسين الكندي قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثنا مسعود بن بشر قال: شكا العباس بن محمد إلى الرشيد أن ربيعة الرقي هجاه فقال له: قد سمعت ما كان مدحك به، وعرفت ثوابك إياه، وما قال في ذمك بعد ذلك، فما وجدته ظلمك به، ولله در ابن قنبر حيث قال:

ومن دعا الناس إلى ذمه ... ذموه بالحق وبالباطل

وبعد، فقد اشتريت عرضك منه، وأمرته بأن لا يعود لذمك تعريضاً ولا تصريحاً.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدثنا محمد بن سلام قال: مرض ابن قنبر فأتوه بخصيب الطبيب يعالجه، فقال له:

ولقد قلت لأهلي ... إذ أتوني بخصيب

ليس والله خصيبٌ ... للذي بي بطبيب

إنما يعرف دائي من به مثل الذي بي

قال: وكان خصيب عالماً بمرضه، فنظر إلى مائه فقال: زعم جالينوس أن صاحب هذه العلة إذا صار ماؤه هكذا لم يعش، فقيل له: إن جالينوس ربما أخطأ، فقال: ما كنت إلى خطئه أحوج مني إليه في هذا الوقت. قال: ومات من علته.

خليلي من سعد ألما فسلما على مريمٍ لا يبعد الله مريما

وقولا لها هذا الفراق عزمته فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

الشعر للأسود بن عمارة النوفلي، والغناء لدهمان ثاني ثقيل بالوسطى.

أخبار الأسود ونسبه

هو فيما أخبرني به الحرمي بن أبي العلاء والطوسي، عن الزبير بن بكار، عن عمه الأسود بن عمارة بن الوليد بن عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وكان الأسود شاعراً أيضاً.

قال الزبير فيما حدثنا به شيخانا المذكوران عنه: وحدثني عمي قال: كان عمارة بن الوليد النوفلي أبو الأسود بن عمارة شاعراً، وهو الذي يقول:

تلك هندٌ تصد للبين صداً أدلالاً أم هند تهجو جدا

أم لتنكا به قروح فؤادي أم أرادت قتلي ضراراً وعمدا

قد براني وشفني الوجد حتى صرت مما ألقى عظاماً وجلدا

أيها الناصح الأمين رسولا قل لهندٍ عني إذا جئت هندا

علم الله أن قد اوتيت مني غير من بذاك نصحا وودا

ما تقربت بالصفاء لأدنو منك إلا نأيت وازددت بعدا

الغناء لعبادل خفيف رمل بالبنصر في مجراها عن إسحاق، وفي كتاب حكم: الغناء له خفيف رمل، وفي كتاب يونس: فيه لحن ليونس غير مجنس، وفيه ليحيى المكي أو لابنه أحمد بن يحيى ثقيل أول: قال الزبير: قال عمي ومن لا يعلم: يروى هذا الشعر لعمارة بن الوليد النوفلي، قال: وكان الأسود يتولى بيت المال بالمدينة، وهو القائل:

خليلي من سعد ألما فسلما على مريم لا يبعد الله مريما

وقولا لها هذا الفراق عزمته فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

قال: وهو الذي يقول لمحمد بن عبيد الله بن كثير بن الصلت:

ذكرناك شرطياً فأصبحت قاضيا وصرت أميراً أبشري قحطان

أرى نزواتٍ بينهن تفاوت وللدهر أحداث وذا حدثان

أقيمي بني عمرو بن عوف أو اربعي لكل أناس دولة وزمان

قال: وإنما خاطب بني عمرو بن عوف ها هنا لأن الكثيري كان تزوج إليهم، وإنما قال: أبشري قحطان لأن كثير بن الصلت من كندة حليف لقريش.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن سليمان النوفلي أحد بني نوفل بن عبد مناف قال: كان أبي يتعشق جارية مولدة مغنية لامرأة من أهل المدينة، ويقال للجارية مريم، فغاب غيبة إلى الشأم، ثم قدم فنزل في طرف المدينة، وحمل متاعه على حمالين، وأقبل يريد منزله، وليس شيء أحب إليه من لقاء مريم، فبينا هو يمشي إذ هو بمولاة مريم قائمة على قارعتها، وعيناها تدمعان، فساءلها وساءلته، فقال للعجوز: ما هذه المصيبة التي أصبت بها؟ قالت: لم أصب بشيء إلا مبيعي مريم، قال: وممن بعتها؟ قالت: من رجل من أهل العراق، وهو على الخروج، وإنما ذهبت بها حتى ودعت أهلها، فهي تبكي من أجل ذلك، وأنا أبكي من أجل فراقها، قال: الساعة تخرج؟ قالت: نعم الساعة تخرج، فبقي متبلداً حائراً، ثم أرسل عينيه يبكي، وودع مريم وانصرف، وقال قصيدته التي أولها:

خليلي من سعد ألما فسلما على مريمٍ لا يبعد الله مريما

وقولا لها هذا الفراق عزمته فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

قال: وهي طويلة، وقد غنى بعض أهل الحجاز في هذين البيتين غناء زيانبياً. هكذا قال ابن عمار في خبره.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني أبو العباس أحمد بن مالك اليمامي، عن عبد الله بن محمد البواب قال: سألت الخيزران موسى الهادي أن يولي خاله الغطريف اليمن، فوعدها بذلك ودافعها به، ثم كتبت إليه يوماً رقعةً تتنجزه فيها أمره، فوجه إليها برسولها يقول: خيريه بين اليمن وطلاق ابنته، أو مقامي عليها ولا أوليه اليمن، فأيهما فاختار فعلته، فدخل الرسول إليها - و لم يكن فهم عنه ما قال - فأخبرها بغيره، ثم خرج إليه فقال: تقول لك: ولاية اليمن، فغضب وطلق ابنته وولاه اليمن، ودخل الرسول فأعلمه بذلك، فارتفع الصياح من داره، فقال: ما هذا؟ فقالوا: من دار بنت خالك، قال: أو لم تختر ذلك! قالوا: لا، ولكن الرسول لم يفهم ما قلت فأدى غيره، وعجلت بطلاقها، ثم ندم ودعا صالحاً صاحب المصلى وقال له: أقم على رأس كل رجل بحضرتي من الندماء رجلاً بسيف، فمن لم يطلق امرأته منهم فلتضرب عنقه، ففعل ذلك، و لم يبرح من حضرته أحد إلا وقد طلق امرأته، قال ابن البواب: وخرج الخدم إلي فأخبروني بذلك وعلى الباب رجل واقف متلفع بطيلسانه يراوح بين رجليه، فخطر ببالي:

خليلي من سعد ألما فسلما على مريم لا يبعد الله مريما

وقولا لها هذا الفراق عزمته فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

فأنشدته فيعلما بالياء، فقال لي: فنعلما بالنون، فقلت له: فما الفرق بينهما؟ فقال: إن المعاني تحسن الشعر وتفسده، وإنما قال: فنعلما ليعلم هو القصة، وليس به حاجة إلى أن يعلم الناس سره ، فقلت: أنا أعلم بالشعر منك، قال: فلمن هو؟ قلت: للأسود بن عمارة، قال: أو تعرفه؟ قلت: لا، قال: فأنا هو، فاعتذرت إليه من مراجعتي إياه، ثم عرفته خبر الخليفة فيما فعله، فقال: أحسن الله عزاءك، وانصرف وهو يقول: هذا أحق مترل بترك.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: كان محمد بن عبيد الله بن كثير بن الصلت على شرطة المدينة، ثم ولى القضاء، ثم ولاه أبو جعفر المدينة وعزل عبد الصمد بن علي، فقال الأسود بن عمارة:

ذكرتك شرطياً فأصبحت قاضيا فصرت أميراً أبشري قحطان

أرى نزواتٍ بينهن تفاوتٌ وللدهر أحداث وذا حدثان

أرى حدثاً ميطان منقطعٌ له ومنقطع من بعده ورقان

أقيمي بني عمرو بن عوف أو اربعي لكل أناس دولةٌ وزمان

هل لدهر قد مضى من معاد أو لهم داخلٍ من نفاد

أذكرتني عيشةً قد تولت هاتفاتٌ نحن في بطن وادي

هجن لي شوقاً وألهبن ناراً للهوى في مستقر الفؤاد

بأن أحبابي وغودرت فرداً نصب ما سر عيون الأعادي

الشعر لعلي بن الخليل، والغناء لمحمد الرف، ولحنه خفيف رمل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة.

أخبار علي بن الخليل

هو رجل من أهل الكوفة مولًى لمعن بن زائدة الشيباني، ويكنى أبا الحسن، وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس لا يكاد يفارقه، فاتهم بالزندقة، وأخذ مع صالح ثم أطلق لما انكشف أمره.

قال محمد بن داود بن الجراح: حدثني محمد بن الأزهر عن زياد بن الخطاب عن الرشيد، أنه جلس بالرافقة للمظالم، فدخل عليه علي بن الخليل وهو متوكىء على عصا، وعليه ثياب نظاف، وهو جميل الوجه حسن

الثياب، في يده قصة، فلما رآه أمر بأخذ قصته، فقال له يا أمير المؤمنين: أنا أحسن عبارة لها، فإن رأيت أن تأذن لي في قراءتها فعلت. قال: اقرأها، فاندفع ينشده فيها قصيدته:

يا خير من وخدت بأرحله ... نجب الركاب بمهمه جلس

فاستحسنها الرشيد وقال له: من أنت؟ قال: أنا علي بن الخليل الذي يقال فيه إنه زنديق، فضحك وقال له: أنت آمن، وأمر له بخمسة آلاف درهم، وخص به بعد ذلك وأكثر مدحه.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال: كان الرشيد قد أخذ صالح بن عبد القدوس وعلي بن الخليل في الزندقة وكان علي بن الخليل استأذن أبا نواس في الشعر فأنشده علي بن الخليل:

يا خير من وخدت بأرحله ... نجبٌ تخبٌّ بمهمهٍ جلس

تطوي السباسب في أزمتها ... طي التجار عمائم البرس

لما رأتك الشمس إذ طلعت ... كسفت بوجهك طلعة الشمس

خير البرية أنت كلهم ... في يومك الغادي وفي أمس

وكذاك لن تنفك خيرهم ... تمسي وتصبح فوق ما تمسي

لله ما هرون من ملك ... بر السريرة طاهر النفس

ملك عليه لربه نعمٌ ... تزداد جدتها على اللبس

تحكي خلافته ببهجتها ... أنق السرور صبيحة العرس

من عترةٍ طابت أرومتهم ... أهل العفاف ومنتهى القدس

نطقٍ إذا احتضرت مجالسهم ... وعن السفاهة والخنا خرس

إني إليك لجأت من هربٍ ... قد كان شردني ومن لبس

واخترت حكمك لا أجاوزه ... حتى أوسد في ثرى رمسي

لما استخرت الله في مهلٍ ... يممت نحوك رحلة العنس

كم قد قطعت إليك مدرعاً ... ليلاً بهيم اللون كالنقس

إن هاجني من هاجسٍ جزعٌ ... كان التوكل عنده ترسي

ما ذاك إلا أنني رجل ... أصبو إلى بقر من الإنس

بقرٍ أوانس لا قرون لها ... نجل العيون نواعمٍ لعس

ردع العبير على ترائبها ... يقبلن بالترحيب والخلس

وأشاهد الفتيان بينهم صفراء عند المزج كالورس
للماء في حافاتها حببٌ نظم كرقم صحائف الفرس
والله يعلم في بقيته ما إن أضعت إقامة الخمس

فأطلقه للرشيد، وقتل صالح بن عبد القدوس، واحتج عليه في أنه لا يقبل له توبة بقوله:

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه

وقال: إنما زعمت ألا تترك الزندقة ولا تحول عنها أبداً.

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني أحمد بن زهير بن حرب، قال: كان عافية بن يزيد يصحب ابن علاثة، فأدخله على المهدي، فاستقضاه معه بعسكر المهدي وكانت قصة يعقوب مع أبي عبيد الله كذلك، أدخله إلى المهدي ليعرض عليه، فغلب عليه، علي بن الخليل في ذلك:

عجباً لتصريف الأمو ر مسرةً وكراهيه
رثت ليعقوب بن دا ودٍ حبال معاويه
وعدت على ابن علاثة ال قاضي بوائق عافيه
أدخلته فعلا علي ك كذاك شؤم الناصية
وأخذت حتفك جاهداً بيمينك المتراخيه
يعقوب ينظر في الأمو ر وأنت تنظر ناحيه

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عمرو بن فراس الذهلي عن أبيه قال: قال لي محمد بن الجهم البرمكي: قال لي المأمون يوماً: يا محمد: أنشدني بيتاً من المديح جيداً فاخراً عربياً لمحدث حتى أوليك كورةً تختارها. قال قلت: قول علي بن الخليل:

فمع السماء فروع نبعتهم ومع الحضيض منابت الغرس
متهللين على أسرتهم ولدى الهياج مصاعب شمس

فقال: أحسنت، وقد وليتك الدينور، فأنشدني بيت هجاء على هذه الصفة حتى أوليك كورةً أخرى، فقلت: قول الذي يقول:

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لقبح المخبر

فقال: قد أحسنت، قد وليتك همذان، فأنشدني مرثيةً على هذا حتى أزيدك كورة أخرى، فقلت: قول الذي يقول:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر

فقال: وقد أحسنت، قد وليتك نهاوند، فأنشدني بيتاً من الغزل على هذا الشرط حتى أوليك كورة أخرى، فقلت: قول الذي يقول:

تعالي نجدد دارس العلم بيننا كلانا على طول الجفاء ملوم

فقال: قد أحسنت، قد جعلت الخيار إليك فاختر، فاخترت السوس من كور الأهواز، فولاني ذلك أجمع ووجهت إلى السوس بعض أهلي.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد، عن التوزي، قال: نزل أبو دلامة بدهقان يكنى أبا بشر، فسقاه شراباً أعجبه، فقال في ذلك:

سقاني أبو بشر من الراح شربةً لها لذةٌ ما ذقتا لشراب

وما طبخوها غير أن غلامهم سعى في نواحي كرمها بشهاب

قال: فأنشد علي بن الخليل هذين البيتين فقال: أحرقه العبد أحرقه الله.

أخبرني الحسن بن علي، وعمي الحسن بن محمد، قالا: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني محمد بن عمران الضبي عن علي بن يزيد قال: ولد ليزيد بن مزيد ابن، فأتاه علي بن الخليل فقال: اسمع أيها الأمير تهنئةً بالفارس الوارد، فتبسم وقال: هات، فأنشده:

يزيد يا بن الصيد من وائلٍ أهل الرياسات وأهل المعال

يا خير من أنجبه والد ليهنك الفارس ليث النزال

جاءت به غراء ميمونة والسعد يبدو في طلوع الهلال

عليه من معن ومن وائلٍ سيما تباشيرٍ وسيما جلال

والله يبقيه لنا سيدا مدافعاً عنا صروف الليال

حتى نراه قد علا منبرا وفاض في سؤاله بالنوال

وسد ثغراً فكفى شره وقارع الأبطال تحت العوال

كما كفانا ذاك آباؤه فيحتذي أفعالهم عن مثال

فأمر له عن كل بيت بألف دينار.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني ابن الأعرابي المنجم الشيباني، عن علي بن عمرو الأنصاري، قال: دخل علي بن الخليل على المهدي فقال له: يا علي، أنت على معاقرتك الخمر وشربك لها؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: وكيف ذاك؟ قال: تبت منها، قال: فأين قولك؟

أولعت نفسي بلذتها ما ترى عن ذاك إقصارا

وأين قولك:

إذا ما كنت شاربها فسرًّا ودع قول العواذل واللواحي

قال: هذا شيء قلته في شبابي، وأنا القائل بعد ذلك:

على اللذات والراح السلام تقضى العهد وانقطع الذمام

مضى عهد الصبا وخرجت منه كما من غمده خرج الحسام

وقرت على المشيب فليس مني وصال الغانيات ولا المدام

وولى اللهو والقينات عني كما ولى عن الصبح الظلام

حلبت الدهر أشطره فعندي لصرف الدهر محمودٌ وذام

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحرون، عن علي بن عبيدة الشيباني، قال: دخل علي بن الخليل ذات يوم إلى معن بن زائدة فحادثه وناشده، ثم قال له معن: هل لك في الطعام؟ قال: إذا نشط الأمير، فأتيا بالطعام، فأكلا، ثم قال: هل لك في الشراب؟ قال: إن سقيتني ما أريد شربت، وإن سقيتني من شرابك فلا حاجة لي فيه، فضحك ثم قال: قد عرفت الذي تريد، وأنا أسقيك منه، فأتي بشراب عتيق، فلما شرب منه وطابت نفسه أنشأ يقول:

يا صاح قد أنعمت إصباحي ببارد السلسال والراح

قد دارت الكأس برقراقةٍ حياة أبدانٍ وأرواح

تجري على أغيد ذي رونقٍ مهذب الأخلاق جحجاح

ليس بفحاش على صاحب ولا على الراح بفضاح

تسره الكأس إذا أقبلت بريح أترجٍّ وتفاح

يسعى بها أزهر في قرطق مقلد الجيد بأوضاح

كأنها الزهرة في كفه أو شعلة في ضوء مصباح

حدثنا علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: كان لعلي بن الخليل الكوفي صديق من الدهاقين يعاشره ويبره، فغاب عنه مدةً طويلة وعاد إلى الكوفة وقد أصاب مالاً ورفعةً، وقويت حاله، فادعى أنه من بني تميم، فجاءه علي بن الخليل فلم يأذن له، ولقيه فلم يسلم عليه، فقال يهجوه:

يروح بنسبة المولى ... ويصبح يدعي العربا
فلا هذا ولا هذا ... ك يدركه إذا طلبا
أتيناه بشبوطٍ ... ترى في ظهره حدبا
فقال أما لبخلك من ... طعامٍ يذهب السغبا
فصد لأخيك يربوعاً ... وضبًّا واترك اللعبا
فرشت له قريح المس ... ك والنسرين والغربا
فأمسك أنفه عنها ... وقام مولياً هربا
يشم الشيح والقيصو ... م كي يستوجب النسبا
وقام إليه ساقينا ... بكأسٍ تنظم الحببا
معتقةٍ مروقةٍ ... تسلي هم من شربا
فآلى لا يسلسلها ... وقال اصبب لنا حلبا
وقد أبصرته دهراً ... طويلاً يشتهي الأدبا
فصار تشبهاً بالقو ... م جلفاً جافياً جشبا
إذا ذكر البرير بكى ... وأبدى الشوق والطربا
وليس ضميره في القو ... م إلا التين والعنبا
جحدت أباك نسبته ... وأرجو أن تفيد أبا

قال علي بن سليمان: وأنشدني محمد بن يزيد وأحمد بن يحيى جميعاً لعلي بن الخليل في هذا الذكر، وذكر ثعلب أن إسحاق بن إبراهيم أنشد هذه الأبيات لعلي، قال:

يأيها الراغب عن أصله ... ما كنت في موضع تهجين
متى تعربت وكنت امرأً ... من الموالى صالح الدين
لو كنت إذ صرت إلى دعوة ... فزت من القوم بتمكين
لكف من وجدي ولكنني ... أراك بين الضب والنون
فلو تراه صارفاً أنفه ... من ريح خيريٍّ ونسرين
لقلت جلفٌ من بني دارمٍ ... حن إلى الشيح بيبرين

دعموص رمل زل عن صخرةٍ يعاف أرواح البساتين
تنبو عن الناعم أعطافه والخز والسنجاب واللين

أخبرني جحظة ومحمد بن مزيد جميعاً، قالا: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه قال: كان علي بن الخليل جالساً مع بعض ولد المنصور، وكان الفتى يهوى جارية لعتبة مولاة المهدي، فمرت به عتبة في موكبها والجارية معها، فوقفت عليه وسلمت، وسألت عن خبره، فلم يوفها حق الجواب، لشغل قلبه بالجارية، فلما انصرفت أقبل عليه علي بن الخليل، فقال له:

راقب بطرفك من تخا ف إذا نظرت إلى الخليل
فإذا أمنت لحاظهم فعليك بالنظر الجميل
إن العيون تدل بالن ظر المليح على الدخيل
إما على حبٍّ شدي دٍ أو على بغضٍ أصيل

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال: كان علي بن الخليل يصحب بعض ولد جعفر بن المنصور، فكتب إليه والبة بن الحباب يدعوه، ويسأله ألا يشتغل بالهاشمي يومه ذلك عنه، ويصف له طيب مجلسه وغناءً حصله وغلاماً دعاه، فكتب إليه علي بن الخليل:

أما ولحاظ جارية تذيب حشاشة المهج
وسحر جفونها المضني ك بين الفتر والدعج
مليحة كل شيء ما خلا من خلقها السمج
وحرمة دنك المبزو ل والصهباء منه تجي
كأن مجيئها في الكأ س حين تصب من ودج
لو انعرج الأنام إلى بشاشة مجلسٍ بهج
وكنت بجانب جدبٍ لكان إليك منعرجي

وصار إليه في إثر الرقعة.

أخبار محمد الزف

هو محمد بن عمرو مولى بني تميم، كوفي الأصل والمولد والمنشأ، والزف: لقب غلب عليه، وكان مغنياً ضارباً طيب المسموع، صالح الصنعة، مليح النادرة، أسرع خلق الله أخذاً للغناء، وأصحهم أداء له، وأذكاهم، إذا سمع

الصوت مرتين أو ثلاثاً أداه لا يكون بينه وبين من أخذه عنه فرق، وكان يتعصب على ابن جامع، ويميل إلى إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق، فكانا يرفعان منه، ويقدمانه ويجتلبان له الرفد والصلات من الخلفاء، وكانت فيه عربدة إذا سكر، فعربد بحضرة الرشيد مرة فأمر بإخراجه، ومنعه من الوصول إليه، وجفاه وتناساه، وأحسبه مات في خلافته أو في خلافة الأمين.

أخبرني بذلك ذكاء وجه الرزة عن محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل.

أخبرني ابن جعفر جحظة قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: غنى ابن جامع يوماً بحضرة الرشيد:

جسورٌ على هجري جبانٌ على وصلي ... كذوب غدا يستتبع الوعد بالمطل

مقدم رجل في الوصال مؤخر ... لأخرى يشوب الجد في ذاك بالهزل

يهم بنا حتى إذا قلت قد دنا ... وجاد ثني عطفاً ومال إلى البخل

يزيد امتناعاً كلما زدت صبوةً ... وأزداد حرصاً كلما ضن بالبذل

فأحسن فيه ما شاء وأجمل، فغمزت عليه محمداً الزف، وفطن لما أردت، واستحسنه الرشيد، وشرب عليه، واستعاده مرتين أو ثلاثاً، ثم قمت للصلاة وغمزت الزف وجاءني، وأومأت إلى مخارق وعلويه وعقيد فجاءوني، فأمرته بإعادة الصوت، فأعاده وأداه كأنه لم يزل يرويه، فلم يزل يكرره على الجماعة حتى غنوه ودار لهم، ثم عدت إلى المجلس، فلما انتهى الدور إلي بدأت فغنيته قبل كل شيء غنيته، فنظر إلي ابن جامع محدداً نظره، وأقبل علي الرشيد فقال: أكنت تروي هذا الصوت؟ فقلت: نعم يا سيدي. فقال ابن جامع: كذب والله، ما أخذه إلا مني الساعة. فقلت: هذا صوت أرويه قديماً، وما فيمن حضر أحد إلا وقد أخذه مني، وأقبلت عليه، فغناه علويه ثم عقيد ثم مخارق، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه وحلف بحياته وبطلاق امرأته أن اللحن صنعه منذ ثلاث ليال، ما سمع منه قبل ذلك الوقت، فأقبل علي فقال: بحياتي اصدقني عن القصدة، فصدقته، فجعل يضحك ويصفق ويقول: لكل شيء آفة، وآفة ابن جامعٍ الزف.

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل أول بالبنصر، والصنعة لابن جامع من رواية الهشامي وغيره.

قال أبو الفرج: وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد، عن حماد عن أبيه بخلاف هذه الرواية، فقال فيه قال: محمد الزف أروى خلق الله للغناء، وأسرعهم أخذاً لما سمعه منه، ليست عليه في ذلك كلفة، وإنما يسمع الصوت مرة واحدة وقد أخذه، وكنا معه في بلاء إذا حضر، فكان من غنى منا صوتاً فسأله عدو له أو صديق أن يلقيه عليه، فبخل ومنعه إياه، سأل محمداً الزف أن يأخذه، فما هو إلا أن يسمعه مرة واحدة حتى قد أخذه وألقاه على من سأله، فكان أبي يبره ويصله ويجديه من كل جائزة وفائدة تصل إليه، فكان غناؤه عنده حمى مصوناً لا يقربه، ولم يكن طيب المسموع، ولكنه كان أطيب الناس نادرةً، وأملحهم مجلساً، وكان مغرى بابن جامع خاصة من بين المغنين لبخله، فكان لا يفتح ابن جامع فاه بصوت إلا وضع عينه عليه، وأصغى سمعه إليه، حتى يحكيه، وكان في

ابن جامع بخل شديد لا يقدر معه على أن يسعفه ببر ورفد.

فغنى يوماً بحضرة الرشيد:

أرسلت تقرىء السلام الرباب ... في كتابٍ وقد أتانا الكتاب

فيه لو زرتنا لزرناك ليلاً ... بمنًى حيث تستقل الركاب

فأجبت الرباب قد زرت لكن ... لي منكم دون الحجاب حجاب

إنما دهرك العتاب وذمي ... ليس يبقي على المحب عتاب

ولحنه من الثقيل الأول، فأحسن فيه ما شاء، ونظرت إلى الزف فغمزته وقمت إلى الخلاء، فإذا هو قد جاءني، فقلت له: أي شيء عملت؟ فقال: قد فرغت لك منه، قلت: هاته، فرده علي ثلاث مرات، وأخذته وعدت إلى مجلسي، وغمزت عليه عقيداً ومخارقاً، فقاما، وتبعهما فألقاه عليهما، وابن جامع لا يعرف الخبر، فلما عاد إلى المجلس أومأت إليهما أسألهما عنه، فعرفاني أنهما قد أخذاه، فلما بلغ الدور إلي كان الصوت أول شيء غنيته، فحدد الرشيد نظره إلي، ومات ابن جامع وسقط في يده، فقال لي الرشيد: من أين لك هذا؟ قلت: أنا أرويه قديماً، وقد أخذه عني مخارق وعقيد، فقال: غنياه. فغنياه، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه ثم حلف بالطلاق ثلاثاً بأنه صنعه في ليلته الماضية، ما سبق إليه ابن جامع أحد، فنظر الرشيد إلي، فغمزته بعيني أنه صدق، وجد الرشيد في العبث به بقية يومه، ثم سألني بعد ذلك عن الخبر، فصدقته عنه وعن الزف، فجعل يضحك ويقول: لكل شيء آفة، وآفة ابن جامع الزف، قال حماد: وللزف صنعة يسيرة جيدة منها في الرمل الثاني:

لمن الظعائن سيرهن تزحف ... عوم السفين إذا تقاذف مجذف

مرت بذي حسمٍ كأن حمولها ... نخل بيثرب طلعها متزحف

فلئن أصابتني الحروب لربما ... أدعى إذا منع الرداف فأردف

فأثير غاراتٍ وأشهد مشهدا ... قلب الجبان به يطيش فيرجف

قال: ومن مشهور صنعته في هذه الطريقة:

إذا شئت غنتني بأجراع بيشةٍ ... أو النخل من تثليث أو من يلملما

مطوقةٌ طوقاً وليس بحليةٍ ... ولا ضرب صواغٍ بكفيه درهما

تبكي على فرخٍ لها ثم تغتدي ... مدلهةً تبغي له الدهر مطعما

تؤمل منه مؤنساً لانفرادها ... وتبكي عليه إن زقا أو ترنما

ومن صنعته في هذه الطريقة:

يا زائرينا من الخيام حياكما الله بالسلام

يحزنني أن أطعتماني ولم تنالا سوى الكلام

بورك هارون من إمامٍ بطاعة الله ذي اعتصام

له إلى ذي الجلال قربى ليس لعدل ولا إمام

وله في هذه الطريقة:

بان الحبيب فلاح الشيب في راسي وبت منفرداً وحدي بوسواس

ماذا لقيت فدتك النفس بعدكم من التبرم بالدنيا وبالناس

لو كان شيء يسلي النفس عن شجن سلت فؤادي عنكم لذة الكاس

بأبي ريمٌ رمى قل بي بألحاظٍ مراض

وحمى عيني أن تل تذ طيب الإغتماض

كلما رمت انبساطاً كف بسطي بانقباض

أو تعالى أملي في ه رماه انخفاض

فمتى ينتصف المظ لوم والظالم قاضي

الشعر لأبي الشبل البرجمي، والغناء لعثعث الأسود، خفيف ثقيل أول بالوسطى، وفيه لكثير رمل، ولبنان خفيف رمل.

أخبار أبي الشبل ونسبه

نسبه

أبو الشبل اسمه عاصم بن وهب من البراجم، مولده الكوفة، ونشأ وتأدب بالبصرة.

مجونه واتصاله بالمتوكل

أخبرني بذلك الحسن بن علي، عن ابن مهرويه، عن علي بن الحسن الأعرابي.

وقدم إلى سر من رأي في أيام المتوكل ومدحه، وكان طبا نادراً، كثير الغزل ماجنا، فنفق عند المتوكل بإيثاره العبث، وخدمه، وخص به، فأثرى وأفاد، فذكر لي عمي عن محمد بن المرزبان بن الفيرزان عن أبيه أنه لما مدحه بقوله:

أقبلي فالخير مقبل واتركي قول المعلل

وثقي بالنجح إذ أب بصرت وجه المتوكل

ملك ينصف يا ظا لمتي فيك ويعدل

فهو الغاية والمأ مول يرجوه المؤمل

أمر له بألف درهم لكل بيت، وكانت ثلاثين بيتاً، فانصرف بثلاثين ألف درهم.

الغناء في هذه الأبيات لأحمد المكي رمل بالبنصر.

أخبرني يحيى بن علي، عن أبي أيوب المديني، عن أحمد بن المكي قال: غنيت المتوكل صوتاً شعره لأبي الشبل البرجمي وهو:

أقبلي فالخير مقبل ودعي قول المعلل

فأمر لي بعشرين ألف درهم، فقلت: يا سيدي أسأل الله أن يبلغك الهنيدة، فسأل عنها الفتح فقال: يعني مائة سنة، فأمر لي بعشرة آلاف أخرى.

وحدثنيه الحسن بن علي عن هارون بن محمد الزيات، عن أحمد بن المكي مثله.

دعنه جاريته فقال شعراً حدثني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهروية قال: حدثني أبو الشبل عاصم بن وهب الشاعر، وهو القائل:

اقبلي فالخير مقبل ودعي قول المعلل

قال: كانت لي جارية اسمها سكر، فدخلت يوماً منزلي ولبست ثيابي لأمضي إلى دعوة دعيت إليها، فقالت: أقم اليوم في دعوتي أنا، فأقمت وقلت:

أنا في دعوة سكر والهوى ليس بمنكر

كيف صبري عن غزالٍ وجهه دلو مقير

فلما سمعت الأول ضحكت وسرت، فلما أنشدها البيت الثاني قامت إلى تضربني وتقول لي: هذا البيت الأخير الذي فيه "دلوٌ" لمالك ، لولا الفضول؛ فما زالت -يعلم الله- تضربني حتى غشي علي.

مدحه مالك بن طوق ثم ذمه

ذكر ابن المعتز أن أبا الأغر الأسدي حدثه قال: مدح أبو الشبل مالك بن طوق بمدح عجيب، وقدر منه ألف درهم، فبعث إليه صرة مختومة فيها مائة دينار، فظنها دراهم، فردها وكتب معها قوله:

فليت الذي جادت به كف مالكٍ ومالك مدسوسان في أست أم مالك

فكان إلى يوم القيامة في أستها فأيسر مفقودٍ وأيسر هالك

وكان مالك يومئذٍ أميراً على الأهواز، فلما قرأ الرقعة أمر بإحضاره، فأحضر، فقال له: يا هذا ظلمتنا واعتديت علينا، فقال: قد قدرت عندك ألف درهم فوصلتني بمائه درهم، فقال: افتحها، ففتحتها فإذا فيها مائة دينار، فقال: أقلني أيها الأمير. قال: قد أقلتك، ولك عندي كل ما تحب أبداً ما بقيت وقصدتني.

رثاؤه لطبيب

حدثنا الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: قال لي أبو الشبل البرجمي: كان في جيراني طبيب أحمق، فمات فرثيته فقلت:

قد بكاه بول المريض بدمعٍ ... واكفٍ فوق مقلتيه ذروف

ثم شقت جيوبهن القواري ... ر عليه ونحن نوح اللهيف

ياكساد الخيار شنبر والأق ... راص طراً ويا كساد السفوف

كنت تمشي مع القوي فإن جا ... ء ضعيفٌ لم تكترث بالضعيف

لهف نفس على صنوف رقاعا ... تٍ تولت منه وعقلٍ سخيف

عبثه بخالد بن الوليد

حدثنا الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا أبو الشبل قال: إن خالد بن يزيد بن هبيرة كان يشرب النبيذ، فكان يغشانا، وكانت له جارية صفراء مغنية يقال لها لهب، فكانت تغشانا معه، فكنت أعبث بهما كثيراً ويشتماني، فقام مولاها يوماً إلى الخابية يستقي نبيذاً، فإذا قميصه قد أنشق، فقلت فيه:

قالت له لهبٌ يوماً وجادلها ... بالشعر في باب فعلان ومفعول

أما القميص فقد أودى الزمان به ... فليت شعري ما حال السراويل؟

فبلغ الشعرأبا الجهم أحمد بن يوسف فقال:

حال السراويل حالٌ غير صالحة ... تحكي طرائقه نسج الغرابيل

وتحته حفرة قوراء واسعة ... تسيل فيها ميازيب الأحاليل

قال أبو الشبل: وكانت أم خالد هذا ضراطة، تضرط على صوت العيدان وغيرها في الإيقاع، فقلت فيه:

في الحي من لا عدمت خلته ... فتى إذا ما قطعته وصلا

له عجوز بالحبق أبصر من ... أبصرته ضارباً ومرتجلا

نادمتها مرة وكنت فتى ... ما زلت أهوى وأشتهي الغزلا

حتى إذا ما أمالها سكر يبعث في قلبها لها مثلا
اتكأت يسرة وقد حرقت أشرجها كي تقوم الرملا
فلم تزل بأستها تطارحني اسمع إلى من يسومني العللا

عرض شعره على المازني فذمه

حدثني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبو الشبل قال: لما عرض لي الشعر أتيت جاراً لي نحوياً وأنا يومئذ حديث السن أظنه قال إنه المازني فقلت له: إن رجلاً لم يكن من أهل الشعر ولا من أهل الرواية قد جاش صدره بشيء من الشعر، فكره أن يظهره حتى تسمعه. قال: هاته، وكنت قد قلت شعراً ليس بجيد، إنما هو قول مبتدىء، فأنشدته إياه، فقال: من العاض بظر أمه القائل لهذا؟ فقمت خجلاً، فقلت لأبي الشبل: فأي شيء قلت له أنت؟ قال: قلت في نفسي: أعضك الله بظر أمك وبهضك

بعض نوادره

أخبرني عمي عن محمد بن المرزبان بن الفيرزان قال: كنت أرىأبا الشبل كثيراً عند أبي، وكان إذا حضر أضحك الثكلى بنوادره، فقال له أبي يوماً: حدثنا ببعض نوادرك وطرائفك؛ قال: نعم، من طرائف أموري أن أبيني زنى بجارية سندية لبعض جيراني، فحبلت وولدت، وكانت قيمة الجارية عشرين ديناراً، فقال: يا أبت، الصبي والله أبني، فساومت به، فقيل لي: خمسون ديناراً، فقلت له: ويلك! كنت تخبرني الخبر وهي حبلى فأشتريها بعشرين ديناراً، ونربح الفضل بين الثمنين، وأمسكت عن المساومة بالصبي حتى اشتريته من القوم بما أرادوا. ثم أحبلها ثانياً فولدت له ابناً آخر، فجاءني يسألني أن أبتاعه، فقلت له: عليك لعنة الله، ما يحملك أن تحبل هذه؟ فقال: يا أبت لا أستحب العزل ، وأقبل على جماعة عندي يعجبهم مني، ويقول: شيخ كبير يأمرني بالعزل ويستحله! فقلت له: يا بن الزانية، تستحل الزنا وتتحرج من العزل! فضحكنا منه.

خبره مع خمار يهودي

وقلت له: وأي شيء أيضاً؟ قال: دخلت أنا ومحمود الوراق إلى حانة يهودي خمار، فأخرج إلينا منها شيئاً عجيباً، فظنناه خمراً بنت عشر، قد أنضجها الهجير فأخرج إلينا منها شيئاً عجيباً وشربنا، فقلت له: أشرب معنا، قال: لا أستحل شرب الخمر، فقال لي محمود: ويحك! رأيت أعجب مما نحن فيه. يهودي يتحرج من شرب الخمر، ونشربها ونحن مسلمون! فقلت له: أجل، والله لا نفلح أبداً، ولا يعبأ الله بنا، ثم شربنا حتى سكرنا، وقمنا في الليل فنكنا بنته وامرأته وأخته، وسرقنا ثيابه، وخرينا في نقيرات نبيذٍ له وانصرفنا.

هجاؤه هبة الله بن إبراهيم

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: أخبرنا عون بن محمد الكندي، قال: وقعت لأبي الشبل البرجمي إلى هبة الله بن إبراهيم بن المهدي حاجة فلم يقضها فهجاه، فقال:

صلف تندق منه الرقبة ومساوٍ لم تطقها الكتبة

كلما بادره ركبٌ بما يشتهيه منه نادى يا أبه

ليته كان التوى الفرج به لم يزد في هاشم هذي هبه

يعني غلاماً لهبة الله كان يسمى بدراً، وكان غالباً على أمره.

حدثني الصولي قال: حدثني القاسم بن إسماعيل قال: قال رأى أبو الشبل إبراهيم بن العباس يكتب، فأنشأ يقول:

ينظم اللؤلؤ المنثور منطقه وينظم الدر بالأقلام في الكتب

حدثنا الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبو الشبل البرجمي قال: حضرت مجلس عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وكان إلي محسناً، وعلي مفضلاً، فجرى ذكر البرامكة، فوصفهم الناس بالجود وقالوا في كرمهم وجوائزهم وصلاتهم فأكثروا، فقمت في وسط المجلس، فقلت لعبيد الله: أيها الوزير، إني قد حكمت في هذا الخطب حكماً نظمته في بيتي شعر لا يقدر أحد أن يرده علي، وإنما جعلته شعراً ليدور ويبقى، فيأذن الوزير في إنشادهما قال: قل، فرب صواب قد قلته، فقلت:

رأيت عبيد الله أفضل سوددا وأكرم من فضل ويحيى بن خالد

أولئك جادوا والزمان مساعد وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

فتهلل وجه عبيد الله وظهر السرور فيه، وقال: أفرطت أبا الشبل، ولا كل هذا، فقلت: والله ما حابيتك أيها الوزير و لا قلت إلا حقا، واتبعني القوم في وصفه وتقريظه، فما خرجت من مجلسه إلا وعلي الخلع، وتحتي دابة بسرجه ولجامه، وبين يدي خمسة آلاف درهم.

قصته مع جاريتين

حدثني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني علي بن الحسن الشيباني قال: حدثني أبو الشبل الشاعر قال: كنت أختلف إلى جاريتين من جواري النخاسين كانت تقولان الشعر، فأتيت إحداهما فتحدثت إليها، ثم أنشدتها بيتاً لأبي المستهل شاعر منصور بن المهدي في المعتصم:

أقام الإمام منار الهدى وأخرس ناقوس عموريه

ثم قلت لها: أجيزي؛ فقالت:

كساني الميلك جلابيبه ثياب علاها بسموريه

ثم دعت بطعام فأكلنا، وخرجت من عندها، فمضيت إلى الأخرى، فقالت: من أين ياأبا الشبل؟ فقلت: من عند فلانة، قالت: قد علمت أنك تبدأ بها وصدقت، كانت أجملهما فكنت ابدأ بها ثم قالت: أما الطعام فأعلم أنه لا حيلة لي في أن تأكله، لعلمي بأن تلك لا تدعك تنصرف أو تأكل. فقلت: أجل قالت: فهل لك في الشراب قلت: نعم، فأحضرته و أخذنا في الحديث، ثم قالت: فأخبرني ما دار بينكما؟ فأخبرتها، فقالت: هذه المسكينة كانت تجد البرد، وبيتها أيضاً هذا الذي جاءت به يحتاج إلى سمورية، أفلا قالت:

فأضحى به الدين مستبشراً وأضحت زنادهما واريه

فقلت: أنت والله أشعر منها في شعرها، وأنت والله في شعرك فوق أهل عصرك. والله أعلم.

شعره في الشيب

أخبرنا الحسن قال: حدثنا ابن مهروية قال: أنشدني أبو الشبل لنفسه:

عذيري من جواري الحي إذ يرغبن عن وصلي

رأين الشيب قد ألب سني أبهة الكهل

فأعرضن وقد كن إذا قيل أبو الشبل

تساعين فرقعن ال كوى بالأعين النجل

قال: وهذا سرقه من قول العتبي:

رأين الغواني الشيب لاح بمفرقي فأعرضن عني بالحدود النواضر

وكن إذا أبصرنني أو سمعني سعين فرقعن الكوى بالمحاجر

خبره مع حاتم بن الفرج

حدثني الحسن قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني أبو الشبل قال: كان حاتم بن الفرج يعاشرني ويدعوني، وكان أهتم، قال أبو الشبل: وأنا أهتم؛ وهكذا كان أبي وأهل بيتي، لا تكاد تبقى في أفواهم حاكة ، فقال أبو عمر أحمد بن المنجم:

لحاتم في بخله فطنة أدق حساً من خطا النمل

قد جعل الهتمان ضيفاً له فصار في أمن من الأكل

ليس على خبر امرىء ضيعة أكيله عصم أبو الشبل

ما قدر ما يحمله كفه إلى فم من سنه عطل
فحاتم الجود أخو طيىء مضى وهذا حاتم البخل

شعره في جارية سوداء يحبها

أخبرني بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو العيناء قال: كانت لأبي الشبل البرجمي جارية سوداء، وكان يحبها حباً شديداً، فعوتب فيها، فقال:

غدت بطول الملام عاذلة تلومني في السواد والدعج
ويحك كيف السلو عن غرر مفترقات الأرجاء، كالسبح
يحملن بين الأفخاذ أسنمة تحرق أوبارها من الوهج
لا عذب الله مسلماً بهم غيري ولا حان منهم فرجي
فإنني بالسواد مبتهج وكنت بالبيض غير مبتهج

حدثني عمي قال: حدثني أحمد بن الطيب قال: حدثني أبو هريرة البصري النحوي الضرير قال: كان أبو الشبل الشاعر البرجمي يعابث قينة لهاشم النحوي يقال لها خنساء، وكانت تقول الشعر، فعبث بها يوماً فأفرط حتى أغضبها، فقالت له: ليت شعري، بأي شيء تدل؟ أنا والله أشعر منك، لئن شئت لأهجونك حتى أفضحك، فأقبل، عليها وقال:

حسناء قد أفرطت علينا فليس منها لنا مجير
تاهت بأشعارها علينا كأنما ناكها جرير

قال: فخجلت حتى بان ذلك عليها وأمسكت عن جوابه.

شعره في ذم المطر

قال عمي: قال أحمد بن الطيب: حدثني أبو هريرة هذا قال: حدثني أبو الشبل أنها وعدته أن تزوره في يوم بعينه كان مولاها غائباً فيه، فلما حضر ذلك اليوم جاء مطر منعها من الوفاء بالموعد، قال: فقلت أذم المطر:

دع المواعيد لا تعرض لوجهتها إن المواعيد مقرون بها المطر
إن المواعيد والأعياد قد منيت منه بأنكد ما يمنى به بشر
أما الثياب فلا يغررك إن غسلت صحو شديد ولا شمس ولا قمر
وفي الشخوص له نوء وبارقة وإن تبيت فذاك الفالج الذكر

وإن هممت بأن تدعو مغنية فالغيث لا شك مقرون به السحر

حدثني عمي قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: كان لعبيد الله بن يحيى بن خاقان غلام يقال له نسيم، فأمره عبيد بقضاء حاجة كان أبو الشبل البرجمي سأله إياها، فأخرها نسيم، فشكاه إلى عبيد الله، فأمر عبيد الله غلاماً آخر فقضاها بين يديه، فقال أبو الشبل يهجو نسيماً:

قل لنسيم أنت في صورة خلقت من كلب وخنزيره
رعيت دهراً بعد أعفاجها في سلح مخمور ومخموره
حتى بدا رأسك من صدغها زانية بالفسق مشهوره
لا تقرب الماء إذا أجنبت ولا ترى أن تقرب النوره
ترى نبات الشعر حول أستها درابزيناً حول مقصوره

حدثني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثني ابن مهرويه قال: كان أبو الشبل يعاشر محمد بن حماد بن دلقيش، ثم تهاجرا بشيء أنكره عليه، فقال أبو الشبل فيه:

لابن حماد أياد عندنا ليست بدون
عنده جارية تشفي من الداء الدفين
ولها في رأس مولاها أكاليل قرون
ذات صدع حاتمي الفعل في كن مكين
لا يرى منع الذي يحوي ولو أم البنين

حدثني عمي قال: حدثني أحمد بن الطيب قال: حدثني أبو هريرة النحوي قال: كان أبو الشبل البرجمي قد اشترى كبشاً للأضحى، فجعل يعلفه ويسمنه، فأفلت يوماً على قنديل له كان يسرجه بين يديه، وسراج وقارورة للزيت، فنطحه فكسره، وانصب الزيت على ثيابه وكتبه وفراشه، فلما عاين ذلك ذبح الكبش قبل الأضحى، وقال يرثي سراجه:

يا عين بكي لفقد مسرجةٍ كانت عمود الضياء والنور
كانت إذا ما الظلام ألبسني من حندس الليل ثوب ديجور
شقت بنيرانها غياطله شقا دعا الليل بالدياجير
صينية الصين حين أبدعها مصور الحسن بالتصاوير

وقبل ذا بدعة أتيح لها ... من قبل الدهر قرن يعفور

وصكها صكة فما لبثت ... أن وردت عسكر المكاسير

وإن تولت فقد لها تركت ... ذكراً سيبقى على الأعاصير

من ذا رأيت الزمان ياسره ... فلم يشب يسره بتعسير

ومن أباح الزمان صفوته ... فلم يشب صفوه بتكدير

مسرجتي لو فديت ما بخلت ... عنك يد الجود بالدنانير

ليس لنا فيك ما نقدره ... لكنما الأمر بالمقادير

مسرجتي كم كشفت من ظلم ... جليت ظلماءها يتنوير

وكم غزال على يديك نجا ... من دق خصييه بالطوامير

من لي إذا ما النديم دب إلى ... الندمان في ظلمة الدياجير

وقام هذا يبوس ذاك، وذا ... يعنق هذا بغير تقدير

وأزدوج القوم في الظلام فما ... تسمع إلا الرشاء في البير

فما يصلون عند خلوتهم ... إلا صلاة بغير تطهير

أوحشت الدار من ضيائك وال ... بيت إلى مطبخ وتنور

إلى الرواقين فالمجالس فال ... مربد مذ غبت غير معمور

قلبي حزين عليك إذ بخلت ... عليك بالدمع عين تنمير

إن كان أودى بك الزمان فقد ... أبقيت منك الحديث في الدور

دع ذكرها واهج قرن ناطحها ... وأسرد أحاديثه بتفسير

كان حديثي أني اشتريت فما اش ... تريت كبشاً سليل خنزير

فلم أزل بالنوى أسمنه ... والتبن والقت والأثاجير

أبرد الماء في القلال له ... واتقي فيه كل محذور

تخدمه طول كل ليلتها ... خدمة عبد بالذل مأسور

وهي من التيه ما تكلمني ال ... فصيح إلا من بعد تفكير

شمس كأن الظلام ألبسها ... ثوباً من الزفت أو القير

من جلدها خفها وبرقعها ... حوراء في غير خلقة الحور

فلم يزل يغتذي السرور، وما ال ... محزون في عيشةٍ كمسرور

حتى عدا طوره، وحق لمن ... يكفر نعمى بقرب تغيير

فمد قرنيه نحو مسرجة ... تعد في صون كل مذخور

شد عليها بقرن ذي حنقٍ ... معودٍ للنطاح مشهور

وليس يقوى بروقه جبل ... صلد من الشمخ المذاكير

فكيف تقوى عليه مسرجة ... أرق من جوهر القوارير

تكسرت كسرة لها ألم ... وما صحيح الهوى كمكسور

فأدركته شعوب فأنشعبت ... بالروع والشلو غير مقتور

أديل منه فأدركته يد ... من المنايا بحد مطرور

يلتهب الموت في ظباه كما ... تلتهب النار في المساعير

ومزقته المدى فما تركت ... كف القرا منه غير تعسير

وأغتاله بعد كسرها قدر ... صيره نهزه السنانير

فمزقت لحمه براثنها ... وبذرته أشد تبذير

واختلسته الحداء خلساً مع ال ... غربان لم تزدجر لتكبير

وصار حظ الكلاب أعظمه ... تهشم أنحاءها بتكسير

كم كاسر نحوه وكاسرة ... سلاحها في شفا المناقير

وخامع نحوه وخامعة ... سلاحها في شبا الأظافير

قد جعلت حول شلوه عرساً ... بلا افتقار إلى مزامير

ولا مغن سوى هماهمها ... إذا تمطت لوارد العير

يا كبش ذق إذ كسرت مسرجتي ... لمدية الموت كأس تنحير

بغيت ظلماً والبغي مصرع من ... بغى على أهله بتغيير

أضحية ما أظن صاحبها ... في قسمه لحمها بمأجور

أخبرني الحسن بن علي الشيباني قال: دخلت على أبي الشبل يوماً فوجدت تحت مخدته ثلث قرطاس، فسرقته منه و لم يعلم بي، فلما كان بعد أيام جاءني فأنشدني لنفسه يرثي ذلك الثلث القرطاس.

فكر تعتري وحزن طويل ... وسقيم أنحى عليه النحول

ليس يبكي رسماً ولا طللا مح ... كما تندب الربا والطلول

إنما حزنه على ثلث كا ... ن لحاجاته فغالته غول

كان للسر والأمانة والكت ... مان إن باح بالحديث الرسول

كان مثل الوكيل في كل سوق ... إن تلكا أو مل يوماً وكيل

كان للهم إن تراكم في الصد ... ر فلم يشف من عليل غليل

لم يكن يبتغي الحجاب من الحجاب ... إن قيل ليس فيها دخول

إن شكا حاجباً تشدد في الإذ ... ن فللحاجب الشقي العويل

يرفع الخير عنه والرزق والكس ... وة فهو المطرود وهو الذليل

كان يثنى في جيب كل فتاة ... دونها خندق وسور طويل

يقف الناس وهو أول من يد ... خله القصر غادة عطبول

فإذا أبرزته باح به في ال ... قصر مسك وعنبر معلول

وله الحب والكرامة ممن ... بات صبا والشم والتقبيل

ليس كالكاتب الذي بأبي الخطاب يكنى قد شابه التطفيل

ذا كريم يدعى، وهذا طفيلي ... وهذا وذا جميعاً دليل

ذاك بالبشر والجماعة يلقى ... ولهذا الحجاب والتنكيل

لم يفد وفده الزمان على الأل ... سن منه عطف ولا تنويل

كان مع ذا عدل الشهادة مقبو ... لاً إذا عز شاهداً تعديل

وإذا ما التوى الهوى بالأليفي ... ن فلم يرع واصلاً موصول

فهو الحاكم الذي قوله بي ... ن الأليفين جائز مقبول

فلئن شتت الزمان به شم ... ل دواتي وحان منه رحيل

لقديماً ما شتت البين والأل ... فة من صاحب، فصبر جميل

لا تلمني على البكاء عليه إن فقد الخليل خطب جليل

قال: فرددته عليه، وكان اتهم به أبا الخطاب الذي هجاه في هذه القصيدة، فقال لي: ويلك، نحيت ووقع أبو الخطاب بلا ذنب، ولو عرفت أنك صاحبها لكان هذا لك، ولكنك قد سلمت.

أخبار عثعث

نسبه كان عثعث أسود مملوكاً لمحمد بن يحيى بن معاذ، ظهر له منه طبع وحسن أخذ وأداء، فعلمه الغناء، وخرجه وأدبه، فبرع في صناعته، ويكنىأبا دليجة وكان مأبوناً؛ والله أعلم.

أخبرني بذلك محمد بن العباس اليزيدي عن ميمون بن هارون قال: حدثني عثعث الأسود، قال: مخارق كناني بأبي دليجة، وكان السبب في ذلك أن أول صوت سمعني أغنيه:

أبا دليجة من توصي بأرملة أو من لأشعث ذي طمرين ممحال

فقال لي: أحسنت ياأبا دليجة، فقبلها وقبلت يده: أنا يا سيدي أبا المهنا؛ أتشرف بهذه الكنية إذا كانت نحلة منك. قال ميمون: وكان مخارق يشتهي غناؤه ويحزنه إذا سمعه.

ما وقع له في مجلس غناء قال أبو الفرج: نسخت من كتاب علي بن محمد بن نصر بخطه، حدثني يعني ابن حمدون قال: كنا يوماً مجتمعين في منزل أبي عيسى بن المتوكل، وقد عزمنا على الصبوح ومعنا جعفر بن المأمون، وسليمان بن وهب، وإبراهيم بن المدبر، وحضرت عريب وشارية وجواريهما، ونحن في أتم سرور، فغنت بدعة جارية عريب:

أعاذلتي أكثرت جهلاً من العذل على غير شيء من ملامي وفي عذلي

والصنعة لعريب؛ وغنت عرفان:

إذا رام قلبي هجرها حال دونه شفيعان من قلبي لها جدلان

والغناء لشارية، وكان أهل الظرف والمتعانون في ذلك الوقت صنفين: عريبية وشارية ، فمال كل حزب إلى من يتعصب له منهما من الاستحسان والطرب والاقتراح، وعريب وشارية ساكتتان لا تنطقان، وكل واحدة من جواريهما تغني صنعة ستها لا تتجاوزها، حتى غنت عرفان:

بأبي من زارني في منامي فدنا مني وفيه نفار

فأحسنت ما شاءت، وشربنا جميعاً، فلما أمسكت قالت عريب لشارية: يا أختي لمن هذا اللحن؟ قالت لي، كنت صنعته في حياة سيدي، تعني إبراهيم بن المهدي، وغنيته إياه فاستحسنه، وعرضه على إسحاق فاستحسنوه، فأسكتت عريب، ثم قالت لأبي عيسى: احب يا بني فديتك أن تبعث إلى عثعث فتجيئني به، فوجّه إليه، فحضر وجلس، فلما اطمأن وشرب وغنى، قالت له: ياأبا دليجة أو تذكر صوت زبير بن دحمان عندي وأنت حاضر،

فسألته أن يطرحه عليك؟ قال: وهل تنسى العذراءأبا عذرها ، نعم، والله إني لذاكره حتى كأننا أمس افترقنا عنه. قالت: فغنه، فاندفع فغنى الصوت الذي ادعته شارية حتى استوفاه وتضاحكت عريب، ثم قالت لجواريها: خذوا في الحق، ودعونا من الباطل، وغنوا الغناء القديم. فغنت بدعة وسائر جواري عريب، وخجلت شارية وأطرقت وظهر الانكسار فيها، و لم تنتفع هي يومئذ بنفسها، ولا أحد من جواريها ولا متعصبيها أيضا بأنفسهم.

قال: وحدثني يحيى بن حمدون قال: قال لي عثعث الأسود: دخلت يوماً على المتوكل هو مصطبح وابن المارقي يغنيه قوله:

أقاتلتي بالجيد والقد والخد وباللون في وجه أرق من الورد

وهو على البركة جالس، قد طرب واستعاده الصوت مراراً وأقبل عليه، فجلست ساعة ثم قمت لأبول، فصنعت هزجاً في شعر البحتري الذي يصف فيه البركة:

إذا النجوم تراءت في جوانبها ليلا حسبت سماء ركبت فيها

وإن علتها الصبا أبدت لها حبكا مثل الجواشن مصقولاً حواشيهم

وزادها زينة من بعد زينتها أن اسمه يوم يدعى من أساميها

فما سكت ابن المارقي سكوتاً مستوجباً حتى اندفعت أغني هذا الصوت، فاقبل علي وقال لي : أحسنت وحياتي، أعد، فأعدت، فشرب قدحاً، و لم يزل يستعيدنيه ويشرب حتى اتكأ، ثم قال للفتح: بحياتي ادفع إليه الساعة ألف دينار وخلعة تامة واحمله على شهري فاره بسرجه ولجامه، فانصرفت بذلك أجمع.

نسبه ما في هذه الأخبار من الغناء صوت

أعاذلتي أكثرت جهلاً من العذل على غير شيء من ملامي ولا عذلي

نأيت فلم يحدث لي الناس سلوةً ولم ألف طول النأي عن خلة يسلي

عروضه من الطويل، الشعر لجميل، والغناء لعريب، ثقيل أول بالبنصر، ومنها: صوت

إذا رام قلبي هجيرها حال دونه شفيعان من قلبي لها جدلان

إذا قلت لا، قالا بلى، ثم أصبحا جميعاً على الرأي الذي يريان

عروضه من الطويل، والناس ينسبون هذا الشعر إلى عروة بن حزام، وليس له.

الشعر لعليّ بن عمرو الأنصاري، رجل من أهل الأدب والرواية، كان بسرّ من رأى كالمنقطع إلى إبراهيم بن المهدي، والغناء لشارية، ثقيل أول بالوسطى، وقيل إنه من صنعة إبراهيم، ونحلها إياه، وفيه لعريب خفيف رمل بالبنصر.

ومنها: صوت

بأبي من زارني في منامي فدنا مني وفيه نفار
ليلة بعد طوع الثريا وليالي الصيف بتر قصار
قلت هلكي أم صلاحي فعطفاً دون هذا منك فيه الدمار
فدنا مني وأعطى وأرضى وشفى سقمي ولذّ المزار

لم يقع إلينا لمن الشعر، والغناء لزبير بن دحمان، ثقيل أول بالوسطى، وهو من جيّد صنعته وصدور أغانيه.

غناؤه في شعر أخبرني ابن عليّ قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا أحمد بن طيفور قال: كتب صديق لأحمد بن يوسف الكاتب في يوم دجن: يومنا يومٌ ظريف النواة، رقيق الحواشي، قد رعدت سماؤه وبرقت، وحنت وارجحنّت ، وأنت قطب السرور، ونظام الأمور، فلا تفردنا منك فنقلّ، ولا تنفرد عنا فنذلّ، فإن المرء بأخيه كثير، وبمساعدته جدير. قال: فصار أحمد بن يوسف إلى الرجل، وحضرهم عثعث بن الأسود، فقال أحمد: صوت

أرى غيماً يؤلّفه جنوب وأحسبه سيأتينا بهطل
فعين الرأي أن تأتي برطلٍ فتشربه وتدعو لي برطل
وتسقيه ندامانا جميعاً فينصرفون عنه بغير عقل
فيوم الغيم يوم الغم إن لم تبادر بالمدامة كل شغل
ولا تكره محرمها عليها فإني لا أراه لها بأهل

قال: وغنى فيه عثعث اللحن المشهور الذي يغنى به اليوم صوت

ترى الجند والأعراب يغشون بابه كما وردت ماء الكلاب هواملة
إذا ما أتوا أبوابه قال: مرحباً لجوا الدار حتى يقتل الجوع قاتله

عروضه من الطويل. الهوامل: التي لا رعاء لها، ولجوا: أدخلوا، يقال: ولج يلج ولجاً. وقوله: حتى يقتل الجوع قاتله: أي يطعمكم فيذهب جوعكم، جعل الشبع قاتلاً للجوع.

الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدي، والغناء لابن سريج، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق.

أخبار عبد الله الزبير ونسبه

نسبه عبد الله بن الزبير بن الأشم بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن منقذ بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة.

أخبرني بذلك أحمد عن الخراز عن أبن الأعرابي؛ وهو شاعر كوفي المنشأ والمنزل، من شعراء الدولة الأموية، وكان

من شيعة بني أمية وذوي الهوى فيهم والتعصب والنصرة على عدوهم، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أتي به أسيراً فمن عليه ووصله وأحسن إليه، فمدحه وأكثر، وانقطع إليه، فلم يزل معه حتى قتل مصعب ثم عمي عبد الله بن الزبير بعد ذلك، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان، ويكنى عبد الله أبا كثير، وهو القائل يعني نفسه:

فقالت :ما فعلتأبا كثير أصح الود أم أخلفت بعدي؟

وهو أحد الهجائين للناس، المرهوب شرهم.

خبره مع عبد الرحمن بن أم الحكم

قال ابن الأعرابي: كان عبد الرحمن بن أم الحكم على الكوفة من قبل خاله معاوية بن أبي سفيان، وكان ناس من بني علقمة بن قيس بن وهب بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن منقذ قتلوا رجلاً من بني الأشيم، من رهط عبد الله بن الزبير دنية ، فخرج عبد الرحمن بن أم الحكم وافداً إلى معاوية، ومعه ابن الزبير ورفيقان له من بني أسد، يقال لأحدهما أكل بن ربيعة من بني جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين، وعدي بن الحرث أحد بني العدان من بني نصر، فقال عبد الرحمن بن أم الحكم لابن الزبير: خذ من بني عمك ديتين لقتيلك، فأبى ابن الزبير، وكان ابن أم الحكم يميل إلى أهل القاتل، فغضب عليه عبد الرحمن ورده عن الوفد من منزل يقال له فياض، فخالف ابن الزبير الطريق إلى يزيد بن معاوية، فعاذ به، فأعاده وقام بأمره، وأمره يزيد بأن يهجو ابن أم الحكم، وكان يزيد يبغضه وينتقصه ويعيبه، فقال فيه أين الزبير قصيدة أولها قوله:

أبى الليل بالمران أن يتصرما كأني أسوم العين نوعاً محرما
ورد بثنييه كأن نجومه صوار تنتهي من إران فقوما
إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني أمص بنات الدر ثدياً مصرما
وسوق نساء يسلبون ثيابها يهادونها همدان رقا وخثعما
على أي شيء يا لؤي بن غالب تجيبون من أجرى علي وألجما
وهاتوا فقصوا آية تقرءونها أحلت بلادي أن تباح وتظلما
وإلا فأقصى الله بيني وبينكم وولى كثير اللؤم من كان ألأما
وقد شهدتنا من ثقيف رضاعة وغيب عنها الحوم قوام زمزما
بنو هاشم لو صادفوك تجدها مججت ولم تملك حيازيمك الدما
ستعلم إن زلت بك النعل زلة وكل أمرئ لاقي الذي كان قدما
بأنك قد ما طلت أنياب حية تزجي بعينيها شجاعاً وأرقما

وكم من عدو قد أراد مساءتي بغيب ولو لاقيته لتندما
وأنتم بني حام بن نوح أرى لكم شفاهاً كأذناب المشاجر ورما
فإن قلت خالي من قريش فلم أجد من الناس شراً من أبيك وألأما
صغيراً ضغا في خرقة فأمضه مربية حتى إذ أهم وأفطما
رأى جلدة من آل حام متينة ورأساً كأمثال الجريب مؤوما
وكنتم سقيطاً في ثقيف، مكانكم بني العبد، لا توفي دماؤكمودما

شعره حين عزل عبد الرحمن عن الكوفة قال ابن الأعرابي: ثم عزل ابن أم الحكم عن الكوفة، ووليها عبيد الله بن زياد، فقال ابن الزبير:

أبلغ عبيد الله عني فإنني رميت ابن عوذ إذ بدت لي مقاتله
على قفرة إذ هابه الوفد كلهم ولم أك أشوي القرن حين أناضله
وكان يماري من يزيد بوقعة فما زال حتى استدرجته حبائله
فتقصيه من ميراث حرب ورهطة وآل إلى ما ورثته أوائله
وأصبح لما أسلمته حبالهم ككلب القطار حل عنه جلاجله

ونسخت من كتاب جدي لأمي يحيى بن محمد بن ثوابة، قال يحيى بن حازم وحدثنا علي بن صالح صاحب المصلى عن القاسم بن معدان: أن عبد الرحمن بن أم الحكم غضب على عبد الله بن الزبير الأسدي لما يلغه أنه هجاه، فهدم داره، فأتى معاوية فشكاه إليه، فقال له: كم كانت قيمة دارك؟ فاستشهد أسماء بن خارجة ، وقال له: سله عنها؛ فسأله؛ فقال: ما أعرف يا أمير المؤمنين قيمتها، ولكنه بعث إلى البصرة بعشرة آلاف درهم للساج ،فأمر له معاوية بألف درهم، قال: وإنما شهد له أسماء كذلك ليرفده عند معاوية، و لم تكن داره إلا خصائص قصب.

وكان عبد الرحمن بن أم الحكم لما ولي الكوفة أساء بها السيرة، فقدم قادم من الكوفة إلى المدينة، فسألته امرأة عبد الرحمن عنه، فقال لها: تركته يسأل إلحافاً، وينفق إسرافاً، وكان محمقاً ، ولاه معاوية خاله عدة أعمال، فذمه أهلها وتظلموا منه، فعزله وأطرحه ، وقال له: يا بني، قد جهدت أن أنفقك وأنت تزداد كساداً .

وقالت له أخته أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب: يا أخي، زوج ابني بعض بناتك؛ فقال: ليس لهن بكفء؛ فقالت له: زوجني أبو سفيان أباه، وأبو سفيان خير منك؛ وأنا خير من بناتك، فقال لها: يا أخية، إنما فعل ذلك أبو سفيان لأنه كان حينئذ يشتهي الزبيب، وقد كثر الآن الزبيب عندنا، فلن نزوج إلا كفئاً خبره مع عمرو بن

عثمان بن عفان حدثنا الحسن بن الطيب البلخي قال: حدثني أبو غسان قال: بلغني أن أول من أخذ بعينه في الإسلام عمرو بن عثمان بن عفان، أتاه عبد الله بن الزبير الأسدي، فرأى عمرو تحت ثيابه ثوباً رثاً، فدعا وكيله وقال: اقترض لنا مالاً؛ فقال: هيهات! ما يعطينا التجار شيئاً. قال: فأربحهم ما شاءوا، فاقترض له ثمانية آلاف درهم، وثانياً عشرة آلاف، فوجه بها إليه مع تخت ثياب، فقال عبد الله بن الزبير في ذلك:

سأشكر عمراً إن تراخت منيتي أيادي لم تمنن وإن هي جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفي مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

مدحه أسماء بن خارجة أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازة قال: حدثني أحمد بن عرفة المؤدب قال: أخبرني أبو المصبح عادية بن المصبح السلولي قال: أخبرني أبي قال: كان عبد الله بن الزبير الأسدي قد مدح أسماء بن خارجة الفزاري فقال:

تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت نائله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

فاثابه أسماء ثواباً لم يرضه، فغضب وقال يهجوه:

بنت لكم هند بتلذيع بظرها دكاكين من جص عليها المجالس
فوالله لولا رهز هند ببظرها لعد أبوها في اللئام العوابس

فبلغ ذلك أسماء، فركب إليه، فاعتذر من فعله بضيقة شكاها، وأرضاه وجعل على نفسه وظيفة في كل سنة، واقتطعه جنتيه، فكان بعد ذلك يمدحه ويفضله. وكان أسماء يقول لبنيه: والله ما رأيت قط جصاً في بناء ولا غيره إلا ذكرت بظر أمكم هند فخجلت.

حبسه ابن أم الحكم وشعره أخبرني عمي عن ابن مهرويه، عن أبي مسلم، عن ابن الأعرابي قال: حبس ابن أم الحكم عبد الله بن الزبير وهو أمير في جناية وضعها عليه، وضربه ضرباً مبرحاً لهجائه إياه، فاستغاث بأسماء بن خارجة، فلم يزل يلطف في أمره، ويرضي خصومه ويشفع إلى ابن أم الحكم في أمره حتى يخلصه، فاطلق شفاعته، وكساه أسماء ووصله وجعل له ولعياله جراية دائمة من ماله، فقال فيه هذه القصيدة التي أولها الصوت المذكور بذكر أخبار ابن الزبير، يقول فيها:

ألم تر أن الجود أرسل فأنتقى حليف صفاء وأتلى لا يزايله
تخير أسماء بن حصن فبطنت بفعل العلا أيمانه وشمائله
ولا مجد إلا مجد أسماء فوقه ولا جرى إلا جري أسماء فاضله

ومحتمل ضغنا لأسماء لو جرى ... بسجلين من أسماء فارت اباجله
عوى يستجيش النابحات وإنما ... بأنيابه صم الصفا وجنادله
وأقصر عن مجراة أسماء سعيه ... حسيراً كما يلقي من الترب ناخله
وفضل أسماء بن حصن عليهم ... سماحة أسماء بن حصن ونائله
فمن مثل أسماء بن حصن إذا غدت ... شآبيبه أم أي شيء يعادله
وكنت إذا لاقيت منهم حطيطة ... لقيت أبا حسان تندى أصائله
تضيفه غسان يرجون سيبه ... وذو يمن أحبوشه ومقاوله
فتى لا يزال الدهر ما عاش مخصباً ... ولو كان المومأة تخدي رواحله
فأصبح :ما في الأرض خلق علمته ... من الناس إلا باع أسماء طائله
تراه إذا ما جئته متهللا ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله
ترى الجند والأعراب يغشون بابه ... كما وردت ماء الكلاب نواهله
إذا ما أتوا أبوابه قال: مرحبا ... لجو الباب حتى يقتل الجوع قاتله
ترى البازل البختي فوق خوانه ... مقطعة أعضاؤه ومفاصله

إذا ما أتوا أسماء كان هو الذي ... تحلب كفاه الندى وأنامله
تراهم كثيراً حين يغشون بابه ... فتسترهم جدرانه ومنازله

قال: فأعطاه أسماء حين أنشده هذه القصيدة ألفي درهم.

شعره بين يدي عبيد الله بن زياد أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا العباس بن ميمون طائع قال: حدثني أبو عدنان عن الهيثم بن عدي، عن ابن عياش، وقال ابن الأعرابي أيضاً: دخل عبد الله بن الزبير على عبيد الله بن زياد بالكوفة وعنده أسماء بن خارجة حين قدم ابن الزبير من الشأم، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

حنت قلوصي وهناً بعد هدأتها ... فهيجت مغرماً صبا على الطرب
حنت إلى خير من حث المطي له ... كالبدر بين أبي سفيان والعتب
تذكرت بقرى البلقاء نائله ... لقد تذكرته من نازح عزب
والله ما كان بي لولا زيارته ... وأن ألاقي أبا حسان من أرب
حنت لترجعني خلفي فقلت لها ... هذا أمامك فالقيه فتى العرب

لا يحسب الشر جاراً لا يفارقه ولا يعاقب عند الحلم بالغضب

من خير بيت علمناه وأكرمه كانت دماؤهم تشفى من الكلب

قال ابن الأعرابي: كانت العرب تقول : من أصابه الكلب والجنون لا يبرأ منه إلى أن يسقى من دم ملك فيقول: إنه من أولاد الملوك.

بقية أخبار عبد الله بن الزبير معاونة ابن زياد على قتل هانىء بن عروة أخبرني أحمد بن عيسى العجلي بالكوفة قال: حدثنا سليمان بن الربيع البرجمي قال: حدثنا مضر بن مزاحم، عن عمرو بن سعد، عن أبي مخنف، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود، وأخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا الحارث بن محمد قال: حدثنا ابن سعد عن الواقدي، وذكر بعض ذلك ابن الأعرابي في روايته عن المفضل، وقد دخل حديث بعضهم في حديث الآخرين، أن المختار بن أبي عبيد خطب الناس يوماً على المنبر فقال: لتنزلن نار من السماء، تسوقها ريح حالكة دهماء، حتى تحرق دار أسماء وآل أسماء وكان لأسماء بن خارجة بالكوفة ذكر قبيح عند الشيعة، يعدونه في قتلة الحسين عليه السلام، لما كان من معاونته عبيد الله بن زياد على هانىء بن عروة المرادي حتى قتل، وحركته في نصرته على مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وقد ذكر ذلك شاعرهم فقال:

أيركب أسماء الهماليج آمنا وقد طلبته مذحج بقتيل!

يعني بالقتيل هانىء بن عروة المرادي، وكان المختار يحتال ويدبر في قتله من غير أن يغضب قيساً فتنصره، فبلغ أسماء قول المختار فيه، فقال: أوقد سجع بي أبو إسحاق! لا قرار على زأر من الأسد ،وهرب إلى الشأم، فأمر المختار بطلبه ففاته، فأمر بهدم داره، فما تقدم عليها مضري بتة لموضع أسماء وجلالة قدره في قيس، فتولت ربيعة واليمن هدمها، وكانت بنو تيم الله وعبد القيس مع رجل من بني عجل كان على شرطة المختار ، فقال في ذلك عبد الله بن الزبير :

تأوب عين ابن الزبير سهودها وولى على ما قد عراها هجودها

كأن سواد العين أبطن نحله وعادها مما تذكر عيدها

محضرة من نحل جيحان صعبة لوى بجناحيها وليد يصيدها

من الليل وهنأ، أو شظية سنبل أذاعت به الأرواح يذرى حصيدها

إذا طرفت أذرت دموعاً كأنها نثير جمان بان عنها فريدها

وبت كأن الصدر فيه ذبالة شبا حرها القنديل ذاك وقودها

فقلت أناجي النفس بيني وبينها كذاك الليالي نحسها وسعودها

فلا تجزعي مما ألم فإنني أرى سنة لم يبق إلا شريدها

أتاني وعرض الشام بيني وبينها أحاديث والأنباء ينمي بعيدها
بأن أبا حسان تهدم داره لكيز سعت فساقها وعبيدها
جزت مضراً عني الجوازي بفعلها ولا أصبحت إلا بشر جدودها
فما خيركم؟ لا سيداً تنصرونه ولا خائفاً إن جاء يوماً طريدها
أخذلانه في كل يوم كريهة ومسألة ما إن ينادى وليدها

لأمكم الويلات أنى أتيتم جماعات أقوام كثير عديدها
فيا ليتكم من بعد خذلانكم له جوار على الأعناق منها عقودها
ألم تغضبوا تبا لكم إذ سطت بكم مجوس القرى في داركم ويهودها!
تركتم أبا حسان تهدم داره مشيدة أبوابها وحديدها
يهدمها العجلي فيكم بشرطة كما نب في شبل التيوس عتودها
لعمري لقد لف اليهودي ثوبه على غدرة شنعاء باق نشيدها
فلو كان من قحطان أسماء شمرت كتائب من قحطان صعر خدودها
ففي رجب أو غرة الشهر بعده تزوركم حمر المنايا وسودها
ثمانون ألفا دين عثمان دينهم كتائب فيها جبرئيل يقودها
فمن عاش منكم عاش عبداً ومن يمت ففي النار سقياه هناك صديدها

وقال ابن مهرويه: أخبرني به الحسن بن علي عنه، حدثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي: أن مصعب بن الزبير لما ولي العراق لأخيه هرب أسماء بن خارجة إلى الشام، وبها يومئذ عبد الملك بن مروان قد ولي الخلافة، وقتل عمرو بن سعيد، وكان أسماء أموي الهوى، فهدم مصعب بن الزبير داره وحرقها، فقال عبد الله بن الزبير في ذلك:

تأوب عين ابن الزبير سهودها

وذكر القصيدة بأسرها، وهذا الخبر أصح عندي من الأول، لآن الحسن بن علي حدثني قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي مصعب قال: لما ولي مصعب بن الزبير العراق، دخل إليه عبد الله بن الزبير الأسدي، فقال له: إيه يا بن الزبير، أنت القائل:

إلى رجب السبعين أو ذاك قبله تصبحكم حمر المنايا وسودها

ثمانون ألفاً نصر مروان دينهم كتائب فيها جبرئيل يقودها

فقال: أنا القائل لذلك، وإن الحقين ليأبى العذرة ، ولو قدرت على جحده لجحدته، فاصنع ما أنت صانع؛ فقال: أما إني ما أصنع بك إلا خيراً، أحسن إليك قوم فاحببتهم ووليتهم ومدحتهم، ثم أمر له بجائزة وكسوة، ورده إلى منزله مكرماً، فكان ابن الزبير بعد ذلك يمدحه ويشيده بذكره، فلما قتل مصعب بن الزبير اجتمع ابن الزبير وعبيد الله بن زياد بن ظبيان في مجلس، فعرف ابن الزبير خبره وكان عبيد الله هو الذي قتل مصعب بن الزبير فاستقبله بوجهه وقال له:

أبا مطر شلت يمين تفرعت بسيفك رأس ابن الحواري مصعب

فقال له ابن ظبيان: فكيف النجاة من ذلك؟ قال: لا نجاة، هيهات! سبق السيف العذل، قال: فكان ابن ظبيان بعد قتله مصعباً لا ينتفع بنفسه في نوم ولا يقظه، كان يهول عليه في منامه فلا ينام، حتى كل جسمه ونهك، فلم يزل كذلك حتى مات.

شعره عند عبيد الله بن زياد وقال ابن الأعرابي لما قدم ابن الزبير من الشأم إلى الكوفة دخل على عبيد الله بن زياد بكتاب من يزيد بن معاوية إليه يأمره بصيانته وإكرامه وقضاء دينه وحوائجه وإدرار عطائه، فأوصله إليه، ثم استاذنه في الإنشاد، فأذن له، فأنشده قصيدته التي أولها: صوت

أصرم بليلى حادث أم تجنب أم الحبل منها واهن متقضب

أم الود من ليلى كعهدي مكانه ولكن ليلى تستزيد وتعتب

غنى في هذين البيتين حنين ثاني ثقيل عن الهشامي.

ألم تعلمي يا ليل أني لين هضوم وأني عنبس حين أغضب

وأني متى أنفق من المال طارفاً فإني أرجو أن يثوب المثوب

أأن تلف المال التلاد بحقه تشمس ليلى عن كرمي وتقطب

عشية قالت والركاب مناخة بأكوارها مشدودة: أين تذهب؟

أفي كل مصر نازح لك حاجة كذلك ما أمر الفتى المتشعب

فوالله ما زالت تلبث ناقتي وتقسم حتى كادت الشمس تغرب

دعيني ما للموت عني دافع ولا للذي ولى من العيش مطلب

إليك عبيد الله تهوي ركابنا تعسف مجهول الفلاة وتدأب

وقد ضمرت حتى كأن عيونها نطاف فلاة ماؤها متصبب

فقلت لها: لا تشتكي الأين إنه أمامك قرم من أمية مصعب
إذا ذكروا فضل امرىء كان قبله ففضل عبيد الله أثرى وأطيب
وأنك لو يشفي بك القرح لم يعد وأنت على الأعداء ناب ومخلب
تصافى عبيد الله والمجد صفوة ال حليفين ما أرسى ثبير ويثرب
وأنت إلى الخيرات أول سابق فابشر، فقد أدركت ما كنت تطلب
أعني بسجل من سجالك نافع ففي كل يوم سرى لك محلب
فإنك لو إياي تطلب حاجة جرى لك أهل في المقال ومرحب

قال: فقال له عبيد الله وقد ضحك من هذا البيت الأخير: فإني لا أطلب إليك حاجة، كم السجل الذي يرويك؟ قال: نوالك أيها الأمير يكفيني، فأمر له بعشرة آلاف درهم.

شعره في صديقه قال ابن الأعرابي: كان نعيم بن دجانة بن شداد بن حذيفة بن بكر بن قيس بن منقذ بن طريف صديقاً لعبيد الله بن الزبير، ثم تغير عليه، وبلغه عنه قول قبيح فقال في ذلك:

ألا طرقت رويمة بعد هدء تخطى هول أنمار وأسد
تجوس رحالنا حتى أتتنا طروقاً بين أعراب وجند
فقالت :ما فعلت أبا كثير اصح الود أم أخلفت عهدي؟
كأن المسك ضم على الخزامى إلى أحشائها وقضيب رند
ألا من مبلغ عني نعيماً فسوف يجرب الإخوان بعدي
رأيتك كالشموس ترى قريباً وتمنع مسح ناصية وخد
فإني إن أقع بك لا أهلل كوقع السيف ذي الأثر الفرند
فأولى ثم أولى ثم أولى فهل للدر يحلب من مرد؟

رثاؤه لصديقه أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثني عيسى بن إسمعيل تينة، وأخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثني عيسى بن إسمعيل عن المدائني عن خالد بن سعيد عن أبيه قال: كان عبد الله بن الزبير صديقاً لعمرو بن الزبير بن العوام، فلما أقامه أخوه ليقتص منه بالغ كل ذي حقد عليه في ذلك، وتدسس فيه من يقترب إلى أخيه، وكان أخوه لا يسأل من ادعى عليه شيئاً بينةً، ولا يطالبه بحجة، وإنما يقبل قوله ثم يدخله إليه السجن ليقتص منه، فكانوا يضربونه والقيح ينتضح من ظهره وأكتافه على الأرض لشدة ما يمر به، ثم يضرب وهو على تلك الحال، ثم أمر بأن يرسل عليه الجعلان ، فكانت تدب عليه فتثقب لحمه، وهو مقيد مغلول يستغيث فلا يغاث، حتى مات على تلك الحال، فدخل الموكل به على أخيه عبد الله بن الزبير وفي يده قدح لبن يريد أن

يتسحر به وهو يبكي فقال له: مالك؟ أمات عمرو؟ قال: نعم، قال: أبعده الله، وشرب اللبن، ثم قال: لا تغسلوه ولا تكفنوه، وادفنوه في مقابر المشركين، فدفن فيها، فقال ابن الزبير الأسدي يرثيه ويؤنب أخاه بفعله، وكان له صديقاً وخلاً ونديماً:

أيا راكباً إما عرضت فبلغن ... كبير بني العوام إن قيل من تعني
ستعلم إن جالت بك الحرب جولة ... إذا فوق الرامون أسهم من تغني
فأصبحت الأرحام حين وليتها ... بكفيك أكراشاً تجر على دمن
عقدتم لعمرو عقدة وغدرتم ... بابيض كالمصباح في ليلة الدجن
وكبلته حولا يجود بنفسه ... تنوء به في ساقه حلق اللبن
فما قال عمرو إذ يجود بنفسه ... لضاربه حتى قضى نحبه: دعني
تحدث من لاقيت أنك عائذ ... وصرعت قتلى بين زمزم والركن
جعلتم لضرب الظهر منه عصيكم ... تراوحه، والأصبحية للبطن
تعذر منه الآن لما قتلته ... تفاوت أرجاء القليب من الشطن
فلم أر وفداً كان للغدر عاقداً ... كوفدك شدوا غير موف ولا مسني
وكنت كذات الفسق لم تدر ما حوت ... تخير حاليها أتسرق أم تزني
جزى الله عني خالداً شر ما جزى ... وعروة شراً، من خليل، ومن خدن
قتلتم أخاكم بالسياط سفاهة ... فيا لك للرأي المضلل والأفن

فلو أنكم أجهزتم إذ قتلتم! ... ولكن قتلتم بالسياط وبالسجن
وإني لأرجو أن أرى فيك ما ترى ... به من عقاب الله ما دونه يغني
قطعت من الأرحام ما كان واشجاً ... على الشيب، وابتعت المخافة بالأمن
وأصبحت تسعى قاسطاً بكتيبة ... تهدم ما حول الحطيم ولا تبني
فلا تجز عن من سنة قد سنتها ... فما للدماء الدهر تهرق من حقن

رثاؤه يعقوب بن طلحة أخبرني عمي قال: حدثني الخراز عن المدائني قال: قتل يعقوب بن طلحة يوم الحرة ، وكان يعقوب ابن خالة يزيد بن معاوية فقال يزيد: يا عجباً قاتلني كل أحد حتى ابن خالتي! قال: وكان الذي جاء بنعيه إلى الكوفة رجل يقال له الكروس، فقال ابن الزبير الأسدي يرثيه:

لعمرك ما هذا بعيش فيبتغى هنىء ولا موت يريح سريع
لعمري لقد جاء الكروس كاظماً على أمر سوء حين شاع فظيع
نعى أسرة يعقوب منهم فأقفرت منازلهم من رزمة فبقيع
وكلهم غيث إذا قحط الورى ويعقوب منهم للأنام ربيع

وقال ابن الأعرابي: كان على ابن الزبير دين لجماعة، فلازموه ومنعوه التصرف في حوائجه، وألح عليه غريم له من بني نهشل يقال له: ذئب، فقال ابن الزبير:

أحابس كيد الفيل عن بطن مكة وأنت على ما شئت جم الفواضل
أرحني من اللائي إذا حل على دينهم يمشون في الدارات مشي الأرامل
إذا دخلوا قالوا: السلام عليكم وغير السلام بالسلام يحاول
ألين إذا اشتد الغريم وألتوي إذا استد حتى يدرك الدين قابل
عرضت على زيد ليأخذ بعض ما يحاوله قبل اشتغال الشواغل
تثاءب حتى قلت: داسع نفسه وأخرج أنياباً له كالمعاول

دخوله المدينة مع عبد الرحمن بن الحكم وقال ابن الأعرابي: استجار ابن الزبير بمروان بن الحكم وعبد الله بن عامر لما هجا عبد الرحمن بن أم الحكم، فأجاراه وقاما بأمره، ودخل مع مروان إلى المدينة ، وقال في ذلك:

أجدي إلى مروان عدواً فقلصي وإلا فروحي واغتدي لابن عامر
إلى نفر حول النبي بيوتهم مكاريم للعافي رقاق المآزر
لهم سورة في المجد قد علمت لهم تذبذب باع المتعب المتقاصر
لهم عامر البطحاء من بطن مكة ورومة تسقي بالجمال القياسر

حبسه زفر فقال شعراً وقال ابن الأعرابي: عرض قوم من أهل المدراء لابن الزبير الأسدي في طريقه من الشام إلى الكوفة وقد نزل بقرقيسياء ، فاستعدوا عليه زفر بن الحارث الكلابي وقالوا: إنه أموي الهوى، وكانت قيس يومئذ زبيرية، وقرقيسياء وما وإلاها في يد ابن الزبير، فحبسه زفر أياما وقيده، وكان معه رفيق من بني أمية يقال له: أبو الحدراء، فرحل وتركه في حبسه أياماً، ثم تكلمت فيه جماعة من مضر، فأطلق، فقال في ذلك:

أغاد أبو الحدراء أم متروح؟ كذاك النوى مما تجد وتمزح
لعمري لقد كانت بلاد عريضة لي الروح فيها عنك والمتسرح
ولكنه يدنو البغيض ويبعد ال حبيب وينأى في المزار وينزح

ألا ليت شعري هل أتى أم واصل كبول أعضوها بساقي تجرح
إذا ما صرفت الكعب صاحت كأنها صريف خطا طيف بدلوين تمتح
تبغي أباها في الرفاق وتنثني وألوى به في لجة البحر تمسح
أمرتحل وفد العراق وغودرت تحن بأبواب المدينة صيدح
فإنك لا تدرين فيما أصابني أريثك أم تعجيل سيرك أنجح
أظن أبو الحدراء سجني تجارة ترجى وما كل التجارة تربح!

خبره مع الحجاج

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن عليل قال: حدثني محمد بن معاوية الأسدي قال: لما قدم الحجاج الكوفة والياً عليها صعد المنبر، فخطبهم فقال: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوىء الأخلاق، إن الشيطان قد باض وفرخ في صدوركم، ودب ودرج في حجوركم، فأنتم له دين، وهو لكم قرين، "ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً" ثم حثهم على اللحاق بالمهلب بن أبي صفرة، وأقسم ألا يجد منهم أحداً اسمه في جريدة المهلب بعد ثالثة بالكوفة إلا قتله، فجاء عمير بن ضابىء البرجمي فقال: أيها الأمير، إني شيخ لا فضل في، ولي ابن شاب جلد، فاقبله بدلاً مني، فقال له عنبسة بن سعيد بن العاص: أيها الأمير، هذا جاء إلى عثمان وهو مقتول، فرفسه وكسر ضلعين من أضلاعه، وهو يقول:

أين تركت ضابئاً يا نعثل

فقال له الحجاج: فهلا يومئذ بعثت بديلاً، يا حرسي ! اضرب عنقه، وسمع الحجاج ضوضاء، فقال: ما هذا؟ فقال: هذا البراجم جاءت لتنصر عميراً فيما ذكرت، فقال: أتحفوهم برأسه، فرموهم برأسه، فولوا هاربين، فازدحم الناس على الجسر للعبور إلى المهلب حتى غرق بعضهم ، فقال عبد الله بن الزبير الأسدي:

أقول لإبراهيم لما لقيته أرى الأمر أمسى واهياً متشعباً
تخير فإما أن تزور ابن ضابىء عميراً وإما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما ركوبك حوليا من الثلج أشبها
فأضحى ولو كنت خراسان دونه رآها مكان السوق أو هي أقربا

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني علي عثام الكلابي قال: دخل عبد الله بن الزبير الأسدي على مصعب بن الزبير بالكوفة لما وليها وقد مدحه، فاستأذنه الإنشاد، فلم يأذن له، وقال له: ألم تسقط السماء علينا وتمنعنا قطرها في مديحك لأسماء بن خارجة! ثم قال لبعض من حضر: أنشدها، فأنشده:

إذا مات ابن خارجة بن حصن فلا مطرت على الأرض السماء

ولا رجع الوفود بغنم جيش ... ولا حملت على الطهر النساء

ليوم منك خير من أناس ... كثير حولهم نعم وشاء

فبورك في بنيك وفي أبيهم ... إذا ذكروا ونحن لك الفداء

فالتفت إليه مصعب وقال له: اذهب إلى أسماء، فمالك عندنا شيء، فانصرف، وبلغ ذلك أسماء، فعوضه حتى أرضاه، ثم عوضه مصعب بعد ذلك، وخص به، وسمع مديحه، وأحسن عليه ثوابه.

مدحه لبشر بن مروان قال ابن الأعرابي: لما ولي بشر بن مروان الكوفة أدنى عبد الله بن الزبير الأسدي وبره وخصه بأنسه، لعلمه بهواه في بني أمية، فقال يمدحه:

ألم ترني والحمد لله أنني ... برئت وداواني بمعروفه بشر

رعى ما رعى مروان مني قبله ... فصحت له مني النصيحة والشكر

ففي كل عام عاشه الدهر صالحاً ... علي لرب العالمين له نذر

إذا ما أبو مروان خلى مكانه ... فلا تهنأ الدنيا ولا يرسل القطر

ولا يهنىء الناس الولادة بينهم ... ولا يبق فوق الأرض من أهلها شفر

فليس البحور بالتي تخبروننني ... ولكن أبو مروان بشر هو البحر

وقال فيه أيضا فذكر أمه قطبة بنت بشر بن مالك ملاعب الأسنة:

جاءت به عجز مقابلة ... ما هن من جرم ومن عكل

يابشر يا بن الجعفرية ما ... خلق الإله يديك للبخل

أنت ابن سادات لأجمعهم ... وفي بطن مكة عزة الأصل

بحر من الأعياص جدن به ... في مغرس للجود والفضل

متهلل تندى يداه إذا ... ضن السحاب بوابل سجل

خروجه مع الحجاج أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عباس قال: أخبرني مشيخة من بني أسد أن ابن الزبير الأسدي لما قفل من قتال الأزارقة صوب بعث إلى الري، قال: فكنت فيه، وخرج الحجاج إلى القنطرة يعني قنطرة الكوفة التي بزبارة ليعرض الجيش، فعرضهم، وجعل يسأل عن رجل رجل من هو؟ فمر به ابن الزبير، فسأله من هو؟ فأخبره، فقال أنت الذي تقول:

تخير فإما أن تزور ابن ضابىء ... عميراً، وإما أن تزور المهلبا

قال: بلى، أنا الذي أقول:

ألم تر أني قد أخذت جعيلة وكنت كمن قاد الجنيب فأسمحا

قال له الحجاج: ذلك خير لك، فقال:

وأوقدت الأعداء يا مي فأعلمي بكل شرى ناراً فلم أر مجمحاً

فقال له الحجاج: قد كان بعض ذلك، فقال:

ولا يعدم الداعي إلى الخير تابعاً ولا يعدم الداعي إلى الشر مجدحا

فقال له الحجاج: إن ذلك كذلك، فامض إلى بعثك، فمضى إلى بعثه فمات بالري.

مدح ابن أم الحكم فلم يعطه فهجاه أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي قال: لما ولي عبد الرحمن ابن أم الحكم الكوفة، مدحه عبد الله بن الزبير، فلم يثبه، وكان قدم في هيئة رثة، فلما اكتسب وأثرى بالكوفة تاه وتجبر، فقال ابن الزبير فيه:

تبقلت لما أن أتيت بلادكم وفي مصرنا أنت الهمام القلمس

ألست ببغل أمه عربية أبوك حمار أدبر الظهر ينخس

قال: وكان بنو أمية إذا رأوا عبد الرحمن يلقبونه البغل، وغلبت عليه حتى كان يشتم من ذكر بغلاً، يظنه يعرض به .

شعره في مقتل عبد الله بن الزبير أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن العمري عن العتبي قال: لما قتل عبد الله بن الزبير صلب الحجاج جسده، وبعث برأسه إلى عبد الملك، فجلس على سريره وأذن للناس فدخلوا عليه، فقام عبد الله بن الزبير الأسدي فاستأذنه في الكلام، فقال له: تكلم ولا تقل إلا خيراً، وتوخ الحق فيما تقوله، فأنشأ يقول:

مشى ابن الزبير القهقرى فتقدمت أمية حتى أحرزوا القصبات

وجئت المجلي يا بن مروان سابقاً أمام قريش تنفض العذرات

فلا زلت سباقاً إلى كل غاية من المجد نجاء من الغمرات

قال: فقال له: أحسنت فسل حاجتك: فقال له: أنت أعلى عيناً بها وأرحب صدراً يا أمير المؤمنين؛ فأمر له بعشرين ألف درهم وكسوة، ثم قال له: كيف قلت؟ فذهب بعيد هذه الأبيات، فقال: لا، ولكن أبياتك في المحل في وفي الحجاج التي قلتها: فأنشده: شعره في المحل وفي الحجاج

كأني بعبد الله يركب ردعه وفيه سنان زاعبي محرب

وقد فر عنه الملحدون وحلقت به وبمن آساه عنقاء مغرب

تولوا فخلوه فشال بشلوه طويل من الأجذاع عار مشذب

بكفي غلام من ثقيف نمت به قريش وذو المجد التليد معتب

فقال له عبد الملك: لا تقل غلام، ولكن همام، وكتب له إلى الحجاج بعشرة آلاف درهم أخرى؛ والله أعلم

هجاؤه عبد الله بن الزبير أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: خدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن الهيثم بن عدي، عن مجالد قال: قتل ابن الزبير من شيعة بني أمية قوماً بلغه أنهم يتجسسون لعبد الملك، فقال فيه عبد الله بن الزبير في ذلك يهجوه ويعيره بفعله:

أيها العائذ في مكة كم من دم أهرقته في غير دم

أيد عائذة معصمة ويد تقتل من حل الحرم!

مدحه بشر بن مروان قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصلي فيه إصلاحات بخطه، والكتاب بخط النضر بن حديد من أخبار عبد الله بن الزبير وشعره، قال: دخل عبد الله بن الزبير على بشر بن مروان وعليه ثياب كان بشر خلعها عليه، وكان قد بلغ بشراً عنه شيء يكرهه، فجفاه، فلما وصل إليه وقف بين يديه، وجعل يتأمل من حواليه من بني أمية، ويجيل بصره فيهم كالمتعجب من جمالهم وهيئتهم، فقال له بشر، إن نظرك يا بن الزبير ليدل أن وراءه قولاً؛ فقال: نعم؛ قال: قل؛ فقال:

كأن بني امية حول بشر نجوم وسطها قمر منير

هو الفرع المقدم من قريش إذا أخذت مآخذها الأمور

لقد عمت نوافله فأضحى غنيا من نوافله الفقير

جبرت مهيضنا وعدلت فينا فعاش البائش الكل الكسير

فأنت الغيث قد علمت قريش لنا، والواكف الجون المطير

قال: فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضي عنه، فقال ابن الزبير:

لبشر بن مروان على الناس نعمة تروح وتغدو لا يطاق ثوابها

به أمن الله النفوس من الردى وكانت بحال لا يقر ذبابها

دمغت ذوي الأضغان يا بشر عنوة بسيفك حتى ذل منها صعابها

وكنت لنا كهفاً وحصناً ومعقلاً إذا الفتنة الصماء طارت عقابها

وكم لك يا بشر بن مروان من يد مهذبة بيضاء راس ظرابها

وطدت لنا دين النبي محمد بحلمك إذا هرت سفاها كلابها

وسدت ابن مروان قريشاً وغيرها إذا السنة الشهباء قل سحابها

رأبت ثآنا واصطنعت أيادياً إلينا ونار الحرب ذاك شهابها

شعره لبشر بن مروان قال النضر بن حديد في كتابه هذا: ودخل عبد الله بن الزبير إلى بشر بن مروان متعرضاً له ويسمعه بيتاً من شعره فيه، فقال له بشر: أراك متعرضاً لأن أسمع منك وهل أبقى أسماء بن خارجة منك أو من شعرك أو من ودك شيئاً؟ لقد نزحت فيه بحرك يا بن الزبير؛ فقال: أصلح الله الأمير، إن أسماء بن خارجة كان للمدح أهلاً، وكانت له عندي أياد كثيرة، وكنت لمعروفه شاكراً، وأيادي الأمير عندي أجل، وأملي فيه أعظم، وإن كان قولي لا يحيط بها ففي فضل الأمير على أوليائه ما قبل به ميسورهم، وإن أذن لي في الإنشاد رجوت أن أوفق للصواب. فقال: هات، فقال:

تداركني بشر بن مروان بعدما تعاونت إلى شلوي الذئاب العواسل
غياث الضعاف المرملين وعصمة ال يتامى ومن تأوي إليه العباهل
قريع قريش والهمام الذي له أقرت بنو قحطان طرا ووائل
وقيس بن عيلان وخندف كلها أقرت وجن الأرض طرا وخابل
يداك ابن مروان يد تقتل العدا وفي يدك الأخرى غياث ونائل
إذا أمطرتنا منك يوماً سحابة روينا بما جادت علينا الأنامل
فلا زلت يابشر بن مروان سيداً يهل علينا منك طل ووابل
فأنت المصفى يا بن مروان والذي توافت إليه بالعطاء القبائل
يرجون فضل الله عند دعائكم إذا جمعتكم والحجيج المنازل
ولولا بنو مروان طاشت حلومنا وكنا فراشاً أحرقتها الشعائل

شعره في أمير المؤمنين فأمر له بجائزة وكساه خلعة، وقال له: إني أريد أن أوفدك على أمير المؤمنين، فتهيأ لذلك يا بن الزبير، قال: أنا فاعل أيها الأمير، قال: فماذا تقول له إذا وفدت عليه ولقيته إن شاء الله. فارتجل من وقته هذه القصيدة ثم قال:

أقول: أمير المؤمنين عصمتنا ببشر من الدهر الكثير الزلازل
وأطفأت عنا نار كل منافق بأبيض بهلول طويل الحمائل
نمته قروم من أمية للعلا إذا افتخر الأقوام وسط المحافل
هو القائد الميمون والعصمة التي أتى حقها فينا على كل باطل
أقام لنا الدين القويم بحلمه ورأي له فضل على كل قائل

أخوك أمير المؤمنين ومن به نجاد ونسقي صوب أسحم هاطل
إذا ما سألنا رفده هطلت لنا سحابة كفيه بجود ووابل
حليم على الجهال منا ورحمة على كل حاف من معد وناعل

فقال بشر لجلسائه: كيف تسمعون؟ هذا والله الشعر، وهذه القدرة عليه! فقال له حجار بن ابجر العجلي، وكان من أشراف أهل الكوفة، وكان عظيم المنزلة عند بشر: هذا أصلح الله الأمير أشعر الناس وأحضرهم قولاً إذا أراد، فقال محمد بن عمير بن عطارد وكان عدواً لحجار أيها الأمير، إنه لشاعر، وأشعر منه الذي يقول: شعر الفرزدق في بشر بن مروان

لبشر بن مروان على كل حالة من الدهر فضل في الرخاء وفي الجهد
قريع قريش والذي باع ماله ليكسب حمداً حين لا أحد يجدي
ينافس بشر في السماحة والندى ليحرز غايات المكارم بالحمد
فكم جبرت كفاك يا بشر من فتى ضريك، وكم عيلت قوماً على عمد

وصيرت ذا فقر غنياً، ومثرياً فقيراً، وكلا قد حذوت بلا وعد

خبره مع حجار بن أبجر فقال بشر: من يقول هذا؟ قال: الفرزدق، وكان بشر مغضباً عليه، فقال، أبعث إليه فأحضره، فقال له: هو غائب بالبصرة، وإنما قال هذه الأبيات وبعث بها لأنشدكها ولترضى عنه، فقال بشر: هيهات! لست راضياً عنه حتى يأتيني، فكتب محمد بن عمير إلى الفرزدق، فتهيأ للقدوم على بشر، ثم بلغه أن البصرة قد جمعت له مع الكوفة، فأمام وأنتظر قدومه، فقال عبد الله بن الزبير لمحمد بن عمير في مجلسه ذلك بحضرة بشر:

بني دارم هل تعرفون محمداً بدعوته فيكم إذا الأمر حققا
وساميتم قوماً كراماً بمجدكم وجاء سكيتا آخر القوم مخفقاً
فأصلك دهمان بن نصر فردهم ولا تك وغداً في تميم معلقاً
فإن تميماً لست منهم ولا لهم أخا يا بن دهمان فلا تك أحمقاً
ولولا أبو مروان لاقيت وابلا من السوط ينسيك الرحيق المعتقا
أحين علاك الشيب أصبحت عاهراً وقلت أسقني الصهباء صرفاً مروقاً
تركت شراب المسلمين ودينهم وصاحب وغداً من فزارة أزرقاً

نبيتان من شرب المدامة كالذي أتيح له حبل فأضحى مخنقا

فقال بشر: أقسمت عليك إلا كففت، فقال: أفعل أصلحك الله، والله لولا مكانك لأنفذت حضنيه بالحق وكف ابن الزبير وأحسن بشر جائزته وكسوته، وشمت حجار بن أبجر بمحمد بن عمير وكان عدوه وأقبلت بنو أسد على ابن الزبير فقالوا: عليك غضب الله، أشمت حجاراً بمحمد، والله لا نرضى عنك حتى تهجوه هجاء يرضى به محمد بن عمير عنك، أو لست تعلم أن الفرودق أشعر العرب؟ قال: بلى، ولكن محمداً ظلمني وتعرض لي، و لم أكن لأحلم عنه إذ فعل، فلم تزل به بنو أسد حتى هجا حجاراً، فقال:

سليل النصارى سدت عجلاً ولم تكن لذلك أهلاً أن تسود بني عجل

ولكنهم كانوا لئاماً فسدتهم ومثلك من ساد اللئام بلا عقل

وكيف بعجل إن دنا الفصح واغتدت عليك بنو عجل ومرجلكم يغلي

وعندك قسيس النصارى وصلبها وعانية صهباء مثل جنى النحل

قال: فلما بلغ حجاراً قوله شكاه إلى بشر بن مروان، فقال له بشر: هجوت حجاراً؟ فقال: لا والله أعز الله الأمير، ما هجوته، لكنه كذب علي، فأتاه ناس من بني عجل وتهددوه بالقتل، فقال فيهم:

تهددني عجل، وما خلت أنني خلاة لعجل والصليب لها بعل

وما خلتني والدهر فيه عجائب أعمر حتى قد تهددني عجل

وتوعدني بالقتل منهم عصابة وليس لهم في العز فرع ولا أصل

وعجل أسود في الرخاء، ثعالب إذا التقت الأبطال واختلف النبل

فإن تلقنا عجل هناك فما لنا ولا لهم م الموت منجى ولا وعل

منعه عبد الرحمن الخروج إلى الشام وقال النضر في كتابه: لما منع عبد الرحمن بن أم الحكم عبد الله بن الزبير الخروج إلى الشأم، وأراد حبسه، لجأ إلى سويد بن منجوف، واستجار به، فأخرجه مع بني شيبان في بلادهم، وأجازه عمل ابن أم الحكم، فقال يمدحه:

أليس ورائي إن بلاد تجهمت سويد بن منجوف وبكر بن وائل

حصون براها الله لم ير مثلها طوال أعاليها شداد الأسافل

هم أصبحوا كنزي الذي لست تاركاً ونبلي التي أعددتها للمناضل

حاجب بشر قال شعراً وقال أيضا في هذا الكتاب: جاء عبد الله بن الزبير يوماً إلى بشر بن مروان، فحجبه حاجبه، وجاء حجار بن أبجر فأذن له، وانصرف ابن الزبير يومئذ، ثم عاد بعد ذلك إلى بشر وهو جالس جلوساً، فدخل إليه، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

ألم تر أن الله أعطى فخصنا بأبيض قرم من أمية أزهرا
طلوع ثنايا المجد، سام بطرفه إذا سئل المعروف ليس بأوعرا
فلولا أبو مروان بشر لقد غدت ركابي في فيف من الأرض أغبرا

سراعاً إلى عبد العزيز دوائباً تخلل زيتونا بمصر وعرعرا
وحاربت في الإسلام بكر بن وائل كحرب كليب أو أمر وأمقرا
إذا قادت الإسلام بكر بن وائل فهب ذاك دينا قد تغير مهترا
بأي بلاء أم بأي نصيحة تقدم حجاراً أمامي ابن أبجرا
ومازلت مذ فارقت عثمان صادياً ومروان ملتاحاً عن الماء أزورا
ألا لتني قدمت والله قبلهم وأن أخي مروان كان المؤخرا
بهم جمع الشمل الشتيت، وأصلح ال إله، وداوى الصدع حتى تجبرا
قضى الله: لا ينفك منهم خليفة كريم يسوس الناس يركب منبرا

فاعتذر إليه بشر ووصله وحمله، وأنكر على حاجبه ما تشكاه، وأمر أن ياذن له عند إذنه لأخص أهله وأوليائه
شعر لأبيه وقال النضر في كتابه هذا: كان الزبير بن الأشيم أبو عبد الله بن الزبير شاعراً، وكان لعبد الله بن الزبير ابن يقال له الزبير شاعر، فأما ابوه الزبير بن ألشيم فهو الذي يقول:

ألا يا لقومي للرقاد المؤرق وللربع بعد الغبطة المتفرق
وهم الفتى بالأمر من دون نيله مراتب صعبات على كل مرتقي
ويوم بصحراء البديدين قلته بمنزلة النعمان وابن محرق
وذلك عيش قد مضي كان بعده أمور أشابت كل شأن ومفرق
وغير ما استنكرت يا ام واصل حوادث إلا تكسر العظم تعرق
فراق حبيب أو تغير حالة من الدهر أورام لشخصي مفوق
على أنني جلد صبور مرزأ وهل تترك أليام شيئاً لمشفق؟

شعر لابنه وأما ابنه الزبير بن عبد الله بن الزبير، فهو القائل يمدح محمد بن عيينة بن اسماء بن خارجة الفزاري:

قالت عبيدة موهناً اين أعتراك الهم أينه
هل تبلغن بك المنى ما كنت تأمل في عيينه

بدر له الشيم الكرا ... ئم كاملات فاعتلينه
والجوع يقتله الندى ... منه إذا قحط ترينه
فهناك يحمده الورى ... أخلاق غيركم اشتكينه

قال: وهو القائل في بعض بني عمه:

ومولى كداء البطن أو فوق دائه ... يزيد موالي الصدق خيراً وينقص
تلومت أرجو أن يثوب فيرعوي ... به الحلم حتى استيأس المتربص

هروبه إلى معاوية وقال النضر في كتابه هذا: لما هرب ابن الزبير من عبد الرحمن بن أم الحكم إلى معاوية، أحرق عبد الرحمن داره، فتظلم منه وقال: أحرق لي داراً قد قامت علي بمائة ألف درهم، فقال معاوية: ما أعلم بالكوفة داراً أنفق عليها هذا القدر، فمن يعرف صحة ما ادعيت؟ قال: هذا المنذر بن الجارود حاضر ويعلم ذلك، فقال معاوية للمنذر: ما عندك في هذا؟ قال: إني لم آبه لنفقته على داره ومبلغها، ولكني لما دخلت الكوفة وأردت الخروج عنها، أعطاني عشرين ألف درهم وسألني أن ابتاع له بها ساجاً من البصرة، ففعلت، فقال معاوية: إن داراً اشترى لها ساج بعشرين ألف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة ألف درهم! وأمر له بها، فلما خرجا أقبل معاوية على جلسائه، ثم قال لهم: أي الشيخين عندكم أكذب؟ والله إني لأعرف داره، وما هي إلا خصاص قصب، ولكنهم يقولون فنسمع، ويخادعوننا فننخدع، فجعلوا يعجبون منه.

مدحه إبراهيم بن الأشتر أخرجه الحسن بن علي ومحمد بن يحيى قالا: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي عن عبد الله بن الضحاك، عن الهيثم بن عدي قال: أتى عبد الله بن الزبير إبراهيم بن الأشتر النخعي فقال له: إني قد مدحتك بابيات فاسمعهن، فقال: إني لست أعطي الشعراء، فقال: اسمعها مني وترى رأيك، فقال: هات إذا، فأنشده قوله:

الله أعطاك المهابة والتقى ... وأحل بيتك في العديد الأكثر
وأقر عينك يوم وقعة خازر ... والخيل تعثر بالقنا المتكسر
وإني مدحتك إذ نبا بي منزلي ... وذممت إخوان الغنى من معشر
وعرفت أنك لا تخيب مدحتي ... ومتى أكن بسبيل خير أشكر
فهلم نحوي من يمينك نفحة ... إن الزمان ألح يابن الأشتر

فقال: كم ترجو أن أعطيك؟ فقال: ألف درهم أصلح بها أمر نفسي وعيالي، فأمر له بعشرين ألف درهم.

صوت

ما هاج شوقك من بكاء حمامة ... تدعو إلى فنن الأراك حماما

تدعو أخا فرخين صادف ضارياً ذا مخلبين من الصقور قطاما

إلا تذكرك الأوانس بعدما قطع المطي سباسباً وهياما

الشعر لثابت قطنة؛ وقيل إنه لكعب الأشقري، والصحيح أنه لثابت، والغناء ليحيى المكي، خفيف ثقيل أول بالبنصر، من رواية ابنه والهشامي أيضاً.

أخبار ثابت قطنة

نسبه هو ثابت بن كعب، وقيل ابن عبد الرحمن بن كعب، ويكنىأبا العلاء، أخو بني اسد بن الحارث بن العتيك ، وقيل: بل هو مولى لهم، ولقب قطنة لأن سهماً أصابه في إحدى عينيه فذهب بها في بعض حروب الترك، فكان يجعل عليها قطنة، وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية، وكان في صحابة يزيد بن المهلب، وكان يوليه أعمالاً من أعمال الثغور، فيحمد فيها مكانه لكفايته وشجاعته.

فأخبرني إبراهيم بن أيوب قال: حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: كان ثابت قطنة وقد ولي عملاً من أعمال خراسان، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام، فتعذر عليه وحصر، فقال: "سيجعل الله بعد عسر يسراً"، وبعد عي بياناً، وأنتم إلى أمير فعال، أحوج منكم إلى أمير قوال:

وإلا أكن فيكم خطيباً فإنني بسيفي إذا جد الوغى لخطيب

فبلغت كلماته خالد بن صفوان ويقال الأحنف بن قيس فقال : والله ما علا ذلك المنبر أخطب منه في كلماته هذه، ولو أن كلاماً استخفني، فأخرجني من بلادي إلى قائله استحساناً له، لأخرجتني هذه الكلمات إلى قائلها، وهذا الكلام بخالد بن صفوان أشبه منه بالأحنف.

صلاته الجمعة بالناس

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني أحمد بن زهير بن حرب، عن دعبل بن علي، قال: كان يزيد بن المهلب تقدم إلى ثابت قطنة في أن يصلي بالناس يوم الجمعة، فلما صعد المنبر و لم يطق الكلام، قال حاجب الفيل يهجوه:

أبا العلاء لقد لقيت معضلة يوم العروبة من كرب وتخنيق

أما القران فلم تخلق لمحكمه ولم تسدد من الدنيا لتوفيق

لما رمتك عيون الناس هبتهم فكدت تشرق لما قمت بالريق

تلوي اللسان وقد رمت الكلام به كما هوى زلق من شاهق النيق

خبر حاجب الفيل مع يزيد بن المهلب

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني علي بن الصباح قال: كان سبب هجاء حاجب بن ذبيان المازني وهو حاجب الفيل، والفيل لقب لقبه به ثابت قطنة وكعب الأشقري أن حاجباً دخل على يزيد بن المهلب، فلما مثل بين يديه أنشده:

إليك امتطيت العيس تسعين ليلة ... أرجي ندى كفيك يابن المهلب

وأنت امرؤ جادت سماء يمينه ... على كل حي بين شرق ومغرب

فجد لي بطرف أعوجي مشهر ... سليم الشظا عبل القوائم سلهب

سبوح طموح الطرف يستن مرجم ... أمر كإمرار الرشاء المشذب

طوى الضمر منه البطن يستن مرجم ... عقاب تدلت من شماريخ كبكب

تبادر جنح الليل فرحين أقوياء ... من الزاد في قفر من الرض مجدب

فلما رأت صيداً تدلت كأنها ... دلاة تهاوى مرقباً بعد مرقب

فشكت سواد القلب من ذئب قفرة ... طويل القرا عاري العظام معصب

وسابغة قد أتقن القين صنعها ... وأسمر خطي طويل محرب

وأبيض من ماء الحديد كأنه ... شهاب متى يلق الضريبة يقضب

وقل لي إذا ما شئت في حومة الوغى ... تقدم أو اركب حومة الموت أركب

فإني امرؤ من عصبة ما زينة ... نماني أب ضخم كريم المركب

قال: فأمر له يزيد بدرع وسيف ورمح وفرس، وقال له: قد عرفت ما شرطت لنا على نفسك؟ فقال: اصلح الله الأمير، حجتي بينة، وهي قول الله عز وجل: "والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون". فقال له ثابت قطنة: ما أعجب ما وفدت به من بلدك في تسعين ليلة! مدحت الأمير ببيتين، وسألته حوائجك في عشرة أبيات، وختمت شعرك ببيت تفخر عليه فيه، حتى إذا أعطاك ما أردت حدت عما شرطت له على نفسك فأكذبتها كأنك كنت تخدعه، فقال له يزيد: مه يا ثابت، فإنا لا نخدع، ولكنا نتخادع، وسوغه ما أعطاه، وأمر له بألفي درهم. ولج حاجب يهجو ثابتاً فقال فيه:

لا يعرف الناس منه غير قطنته ... وما سواها من الأنساب مجهول

خبره مع حاجب الفيل عند يزيد

قال: ودخل حاجب يوماً على يزيد بن المهلب، وعنده ثابت قطنة وكعب الأشقري وكانا لا يفارقان مجلسه فوقف بين يديه فقال له: تكلم يا حاجب، فقال: يأذن لي الأمير أن أنشده أبياتاً، قال: لا حتى تبدأ فتسأل حاجتك، قال: أيها الأمير، إنه ليس أحد ولو أطنب في وصفك موفيك حقك، ولكن المجتهد محسن، فلا تهجني بمعنى الإنشاد، وتأذن لي فيه، فإذا سمعت فجودك أوسع من مسألتي . فقال له يزيد: هات، فما زلت مجيداً محسناً مجملاً. فأنشده:

كم من كمي في الهياج تركته ... يهوي لفيه مجدلاً مقتولاً

جللت مفرق رأسه ذا رونق ... عضب المهزة صارماً مصقولا

قدت الجياد وأنت غر يافع ... حتى التهلت ولم تزل مأمولا

كم قد حربت وقد جبرت معاشر ... وكم امتننت وكم شفيت غليلا

فقال له يزيد: سل حاجتك، فقال: ما على الأمير بها خفاء، فقال: قل، قال: إذاً لا أقصر ولا أستعظم عظيماً أسأله الأمير أعزه الله مع عظم قدره، قال: أجل، فقل يفعل، فلست بما تصير إليه أغبط منا، قال: تحملني وتخدمني وتجزل جائزتي، فأمر له بخمسة تخوت ثياب وغلامين وجاريتين وفرس وبغل وبرذون وخمسة آلاف درهم، فقال حاجب:

شم الغيث وأنظرويك أين تبعجت ... كلاه تجدها في يد ابن المهلب

يداه يد يخزي بها الله من عصى ... وفي يده الأخرى حياة المعصب

قال: فحسده ثابت قطنة وقال: والله لو على قدر شعرك أعطاك لما خرجت بملء كفك نوى، ولكنك أعطاك على قدره، وقام مغضبا، وقال لحاجب يزيد بن المهلب: إنما فعل الأمير هذا ليضع منا بإجزاله العطية لمثل هذا، وإلا فلو أنا اجتهدنا في مديحه ما زادنا على هذا، وقال ثابت قطنة يهجو حاجباً حينئذ:

أحاجب لولا أن أصلك زيف ... وأنك مطبوع على اللؤم والكفر

وأني لو أكثرت فيك مقصر ... رميتك رمياً لا يبيد يد الدهر

فقل لي ولا تكذب فإني عالم ... بمثلك هل في مازن لك من ظهر؟

فإنك منهم غير شك ولم يكن ... أبوك من الغر الجحا جحة الزهر

أبوك ديافي وأمك حرة ... ولكنها لا شك وافية البظر

فلست بهاج ابن ذبيان إنني ... سأكرم نفسي عن سباب ذوي الهجر

هجاء حاجب له

فقال حاجب: والله لا أرضى بهجاء ثابت وحده، ولا بهجاء الأزد كلها، ولا أرضى حتى أهجو اليمن طرا؛ فقال يهجوهم:

دعوني وقحطاناً وقولوا لثابت ... تنح ولا تقرب مصاولة البزل

فللزنج خير حين تنسب والداً ... من أبناء قحطان العفاشلة الغزل

أناس إذا الهيجاء شبت رأيتهم ... أذل على وطء الهوان من النعل

نساؤهم فوضى لمن كان عاهراً ... وجيرانهم نهب الفوارس والرجل

شعره عن نفسه

أخبرني وكيع قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: وحدثني دعبل قال: بلغني أن ثابت قطنة قال هذا البيت في نفسه وخطر بباله يوماً فقال:

لا يعرف الناس منه غير قطنته ... وما سواها من الأنساب مجهول

وقال: هذا بيت سوف أهجى به أو بمعناه، وأنشده جماعة من أصحابه وأهل الرواية وقال: اشهدوا أني قائله، فقالوا: ويحك ما أردت إلا أن تهجو نفسك به، ولو بالغ عدوك ما زاد على هذا. فقال: لا بد من أن يقع على خاطر غيري، فأكون قد سبقته إليه، فقالوا له: أما هذا فشر قد تعجلته، ولعله لا يقع لغيرك، فلما هجاه به حاجب الفيل استشهدهم على أنه هو قائله، فشهدوا على ذلك، فقال يرد على حاجب:

هيهات ذلك بيت قد سبقت به ... فاطلب له ثانياً يا حاجب الفيل

أخبرني أحمد بن عثمان العسكري المؤدب قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثنا قعنب بن المحرز الباهلي عن أبي عبيدة قال: كان ثابت قطنة قد جالس قوماً من الشراة وقوماً من المرجئة كانوا يجتمعون فيتجادلون بخراسان، فمال إلى قول المرجئة وأحبه، فلما اجتمعوا بعد ذلك أنشدهم قصيدة قالها في الإرجاء:

يا هند إني أظن العيش قد نفذا ... ولا أرى المر إلا مدبرا نكدا

إني رهينة يوم لست سابقه ... إلا يكن يومنا هذا فقد أفدا

بايعت ربي بيعاً إن وفيت به ... جاورت قتلى كراماً جاوروا أحدا

يا هند فاستمعي لي إن سيرتنا ... أن نعبد الله لم نشرك به أحدا

نرجي الأمور إذا كانت مشبهة ... ونصدق القول فيمن جار أو عندا

المسلمون على الإسلام كلهم ... و المشركون أشتوا دينهم قددا

ولا أرى أن ذنباً بالغ أحداً ... م الناس شركا إذا ما وحدوا الصمدا

لانسفك الدم إلا أن يراد بنا ... سفك الدماء طريقاً واحداً جددا

من يتق الله في الدنيا فإن له ... أجر التقي إذا وفى الحساب غدا

وما قضى الله من أمر فليس له ... رد، وما يقض من شيء يكن رشدا

كل الخوارج مخط في مقالته ... ولو تعبد فيما قال واجتهدا

وأما علي وعثمان فإنهما ... عبدان لم يشركا بالله مذ عبدا

وكان بينهما شغب وقد شهدا ... شق العصا، وبعين الله ما شهدا

يجزي علي وعثمان بسعيهما ... ولست أدري بحق أية وردا

الله يعلم ماذا يحضران به ... وكل عبد سيلقى تاه منفردا

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب بخط المرهبي الكوفي في شعر ثابت قطنة؛ قال: لما ولي سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية خراسان بعد عزل عبد الرحمن بن نعيم، جلس يعرض الناس وعنده حميد الرؤاسي وعبادة المحاربي، فلما دعي بثابت قطنة تقدم، وكان تام السلاح، جواد الفرس، فارساً من الفرسان، فسأله عنه، فقيل: هذا ثابت قطنة، وهو أحد فرسان الثغور، فأمضاه وأجاز على اسمه، فلما انصرف قال له حميد وعبادة: هذا أصلحك الله الذي يقول:

إنا لضرابون في حمس الوغى ... رأس الخليفة إن أراد صدودا

فقال سعيد: علي به، فردوه وهو يريد قتله، فلما أتاه قال له: أنت القائل: إنا لضرابون في حمس الوغى قال: نعم، أنا القائل:

إنا لضرابون في حمس الوغى ... رأس المتوج إن إراد صدودا

عن طاعة الرحمن أو خلفائه ... إن رام إفسادا وكر عنودا

فقال له سعيد: أولى لك، لولا أنك خرجت منها لضربت عنقك، قال: وبلغ ثابتاً ما قاله حميد وعبادة، فأته عبادة معتذراً، فقال له : قد قبلت عذرك، ولم يأته حميد، فقال ثابت يهجو:

وما كان الجنيد ولا أخوه ... حميد من رءوس في المعالي

فإن يك دغفل أمسى رهيناً ... وزيد و المقيم إلى زوال

فنعدكم ابن بشر فاسألوه ... بمرو الروذ يصدق في المقال

ويخبر أنه عبد زنيم ... لئيم الجد من عم وخال

قال: واجتاز ثابت قطنة في بعض أسفاره بمدينة كان أميرها محمد بن مالك بن بدر المهداني ثم الخيواني ، وكان يغمز في نسبه، وخطب إلى قوم من كندة فردوه، فعرف خبر ثابت في نزوله، فلم يكرمه، ولا أمر له بقرى، ولا تفقده بنزل ولا غيره، فلما رحل عنه قال يهجوه ويعيره برد من خطب إليه:

لو أن بكيلا هم قومه ... وكان أبوه أبا العاقب
لأكرمنا إذا مررنا به ... كرامة ذي الحسب الثاقب
ولكن خيوان هم قومه ... فبئس هم القوم للصاحب
وانت سنيد بهم ملصق ... كما ألصقت رقعة الشاعب
وحسبك حسبك عند النثا ... بأفعال كندة من عائب
خطبت فجازوك لما خطبت ... جزاء يسار من الكاعب
كذبت فزيفت عقد النكاح ... لمتك بالنسب الكاذب
فلا تخطبن بعدها حرة ... فتثنى بوسم على الشارب

هجاؤه لقتيبة بن مسلم

قال أبو الفرج: ونسخت من هذا الكتاب قال: كان لثابت قطنة راوية يقال له النضر، فهجا ثابت قطنة قتيبة بن مسلم وقومه، وغيرهم بهزيمة انهزموها عن الترك، فقال:

توافت تميم في الطعان وعردت ... بهيلة لما عاينت معشراً غلبا
كماة كفاة يرهب الناس حدهم ... إذا ما مشوا في الحرب تحسبهم نكبا
تسامون كعباً في العلا وكلابها ... وهيهات أن تلقوا كلاباً ولا كعبا

قال: فأفشى عليه راويته ما قاله، فقال ثابت فيه وقد كان استكتمه هذه الأبيات:

يا ليت لي بأخي نضر أخا ثقة ... لا أرهب الشر منه غاب أم شهدا
اصبحت منك على أسباب مهلكة ... وزلة خائفاً منك الردى أبدا
ما كنت إلا كذئب السوء عارضه ... أخوه يدمى ففرى جلده قددا
أو كابن آدم خلى عن أخيه وقد ... أدمى حشاه ولم يبسط إليه يدا
أهم بالصرف أحياناً فيمنعني ... حيا ربيعة والعقد الذي عقدا

رثاؤه المفضل بن المهلب

ونسخت منه أيضا قال: لما قتل المفضل بن المهلب دخل ثابت قطنة على هند بنت المهلب، والناس حولها جلوس يعزونها، فأنشدها:

يا هند كيف بنصب بات يبكيني ... وعائر في سواد الليل يؤذيني

كأن ليلي والأصداء هاجدة ... ليل السليم، وأعيا من يداويني

لما حنى الدهر من قوسي وعذرني ... شيبي وقاسيت أمر الغلظ واللين

إذا ذكرت أبا غسان أرقني ... هم إذا عرس السارون يشجيني

كان المفضل عزا في ذوي يمن ... وعصمة وثمالا للمساكين

ما زلت بعدك في هم تجيش به ... نفسي وفي نصب قد كاد يبليني

إني تذكرت قتلى لو شهدتهم ... في حومة الموت لم يصلوا بها دوني

لا خير في العيش إن لم أجن بعدهم ... حرباً تبيء بهم قتلى فيشفوني

فقالت له هند: اجلس يا ثابت، فقد قضيت الحق، وما من المرثية بدٌّ، وكم من ميتة ميتٍ أشرف من حياة حيّ، وليست المصيبة في قتل ممن استشهد ذابّا عن دينه، مطيعاً لربه، وإنما المصيبة فيمن قلت بصيرته، وخمل ذكره بعد موته، وأرجو ألا يكون المفضل عند الله خاملاً، يقال: إنه ما عزي يومئذٍ بأحسن من كلامها.

رده على ابن الكواء

قال أبو الفرج: ونسخت من كتابه أيضا قال: كان ابن الكواء اليشكريّ مع الشراة والمهلب يحاربهم، وكان بعض بني أخيه شاعراً فهجا المهلب وعمّ الأزد بالهجاء، فقالت لثابت: أجبه فقال له ثابت:

كلُّ القبائل من بكرٍ نعدهم ... واليشكريون منهم ألأم العرب

أثرى لجيم وأثرى الحصن إذ قعدت ... بيشكرٍ أمه المعرورة النسب

نحاكم عن حياض المجد والدكم ... فما لكم في بني الرشاء من نسب

أنتم تحلون من بكرٍ اذا نسبوا ... مثل القراد حوالي عكوة الذنب

نبئت أن بني الكواء قد نبحوا ... فعل الكلاب تتلى الليث في الأشب

يكوي الأبيجر عبد الله شيخكم ... ونحن نبرى الذي يكوى من الكلب

كتابه إلى يزيد بن المهلب

ونسخت من كتابه أيضا قال:كتب ثابت قطنة إلى يزيد بن المهلب يحرضه:

إن امرأً حدبت ربيعة حوله ... والحي من يمن وهاب كئودا

لضعيف ما ضمت جوانح صدره ... إن لم يلف إلى الجنود جنودا

أيزيدكن في الحرب إذ هيجتها ... كأبيك لا رعشاً ولا رعديدا

شاورت أكرم من تناول ماجد ... فرأيت همك في الهموم بعيدا

ما كان في أبويك قادح هجنة ... فيكون زندك في الزناد صلودا

إنا لضرّابون في حمس الوغى ... رأس المتوج إن أراد صدودا

وقرٌ اذا كفر العجاج ترى لنا ... في كل معركة فوراس صيدا

ياليت أسرتك الذين تغيبوا ... كانوا ليومك بالعراق شهودا

وترى مواطنهم إذا اختلف القنا ... والمشرفية يلتظين وقودا

فقال يزيد لما قرأ كتابه:إن ثابتاً لغافل عما نحن فيه،ولعمري لأطيعنه،وسيرى ما يكون،فاكتبوا إليه بذلك.

أخبرني عمي قال:حدثنا الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي قال:أنشد مسلمة بن عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلب قول ثابت قطنة:

يا ليت أسرتك الذين تغيبوا ... كانو ليومك يا يزيد شهودا

فقال مسلمة:وأنا والله لوددت أنهم كانوا شهودا يومئذٍ،فسقيتهم بكأسه،قال:فكان مسلمة أحد من أجاب شعراً بكلام منثور فغلبه.

خطب امرأة فدفعه عنها جويبر بن سعيد

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال:حدثني عبيد الله بن أحمد بن محمد الكوفي قال:حدثني محمد القحذميّ عن سليمان بن ناصح الأسدي قال :خطب ثابت قطنة امرأةً كان يميل إليها،فجعل السفير بينه وبينها جويبر بن سعيد المحدث،فاندس فخطبها لنفسه،فتزوجها ودفع عنها ثابتاً،فقال ثابت حين بان له الأمر:

أفشي علي مقالة ما قلتها ... وسعى بامر كان غير سديد

إني دعوت الله حين ظلمتني ... ربي وليس لمن دعا ببعيد

أن لا تزال متيما بخريدةٍ ... تسبي الرجال بمقلتين وجيد

حتى إذا وجب الصداق تلبست ... لك جلد أغضف بارزٍ بصعيد

تدعو عليك الحاريات مبرة ... فترى الطلاق وأنت غير حميد

قال:فلقى جويبر كل ما دعا عليه ثابت به،ولحقه من المرأة كل شر وضر حتى طلقها بعد أن قبضت صداقها منه.

رثاؤه يزيد بن المهلب

أخبرني جعفر بن قدامة قال:حدثني حماد بن اسحاق عن أبيه قال:كان ثابت قطنة مع يزيد بن المهلب في يوم العقر ،فلما خذله أهل العراق وفروا عنه فقتل،قال ثابت قطنة يرثيه:

كل القبائل بايعوك على الذي ... تدعو إليه وتابعوك وساروا

حتى إذا حمس الوغى وجعلتهم ... نصب الأسنة أسلموك وطاروا

إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن ... عاراً عليك،وبعض قتل عار

هجاؤه لربيعة

قال أبو الفرج :ونسخت من كتاب المرهبي قال:كانت ربيعة لما حالفت اليمن وحشدت مع يزيد بن المهلب تنزل حواليه هي والأزد ،فاستبطأته ربيعة في بعض الأمر،فشغبت عليه حتى أرضاها فيه،فقال ثابت قطنة يهجوهم:

عصافير تنزو في الفساد،وفي الوغى ... إذا راعها روعٌ جماميح بروق

الجماميح:ما نبت على رؤوس القصب مجتمعاً،وواحده جماح،فإذا دق تطاير.وبروق:نبت ضعيف.

أألحلم عن ذبان بكر بن وائل ... ويعلق من نفسي الأذى كل معلق

ألم أك قد قلدتكم طوق خزية ... وأنكلت عنكم فيكم كل ملصق

لعمرك ما استخلفت بكراً ليشغبوا ... علي، وما في حلفكم من معلق

ضممتكم ضماً إلي وأنتم ... شتات كفقع القاعة المتفرق

فأنتم على الأدنى أسود خفية ... وأنتم على الأعداء خزان سملق

شعره لما منعه قتيبة بن مسلم

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو بكر العامري قال: قال القحذمي: دخل ثابت قطنة على بعض أمراء خراسان أظنه قتيبة بن مسلم فمدحه وسأله حاجة، فلم يقضها له، فخرج من بين يديه وقال لأصحابه: لكن يزيد بن المهلب لو سألته هذا أو أكثر منه لم يردني عنه، وأنشأ يقول:

أبا خالد لم يبق بعدك سوقة ... ولا ملك ممن يعين على الرفد

ولا فاعل يرجوا المقلون فضله ولا قائل ينكا العدو على حقد
لو أن المنايا سامحت ذا حفيظة لأكر منه أو عجن عنه على عمد

شعره في قومه

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: عتب ثابت قطنة على قومه من الأزد في حال استنصر عليها بعضهم فلم ينصره في ذلك:

تعففت عن شتم العشيرة إنني وجدت أبي قد عف عن شمتها قبلي
حليماً إذا ما الحلم كان مروءة وأجهل أحياناً إذا التمسوا جهلي

خبره مع أمية بن عبد الله بن خالد

أخبرني عمي قال: حدثني العتري عن مسعود بن بشر قال: كان ثابت قطنة بخراسان، فوليها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسد لعبد الملك بن مروان، فأقام بها مدة، ثم كتب إلى عبد الملك: "إن خراج خراسان لا يفي بمطبخي"، وكان أمية يحمق، فرفع ثابت قطنة إلى البريد رقعة وقال: أوصل هذه معك، فلما أتى عبد الملك أوصل إليه كتاب أمية، ثم نثل كنانته بين يديه فقرأ ما فيها، حتى انتهى إلى رقعة ثابت قطنة، فقرأها ثم عزله عن خراسان.

صوت

طربت وهاج لي ذاك ادكاراً بكش وقد أطلت به الحصارا
وكنت ألذ بعض العيش حتى كبرت وصار لي همي شعارا
رأيت الغانيات كرهن وصلي وأبدين الصريمة لي جهارا

الشعر لكعب الأشقري، ويقال إنه لثابت قطنة، والصحيح أنه لكعب، والغناء للهذلي، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمر بن بانة، وذكر في نسخته الثانية أن هذا اللحن لقفا النجار.

أخبار كعب الأشقري ونسبه

نسبه وبعض أخباره

هو كعب بن معدان الأشقري، والأشاقر : قبيلة من الأزد، وأمه من عبد القيس، شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان، من أصحاب المهلب والمذكورين في حروبه للأزارقة، وأوفده المهلب إلى الحجاج، وأوفده الحجاج إلى

عبد الملك.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدثنا أبي قال حدثنا وهب بن جرير قال: حدثنا أبي عن قتادة قال: سمعت الفرزدق يقول: شعراء الإسلام أربعة: أنا وجرير، والأخطل، وكعب الأشقري.

أخبرني وكيع قال: حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال:حدثنا أبي قال: حدثنا وهب بن جرير قال: حدثنا أبي عن المتلمس قال: قلت للفرزدق: ياأبا فراس، أشعرت أنه نبغ من عمان شاعر من الأزد يقال له كعب؟ فقال الفرزدق: إي والذي خلق الشعر

شعره للحجاج عن وقعة الأزارقة

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد، وأخبرني عمي، قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري عن العتبي واللفظ له وخبره أتم قال: أوفد المهلب بن أبي صفرة كعباً الأشقري ومعه مرة بن التليد الأزدي إلى الحجاج بخبر وقعة كانت له مع الأزارقة، فلما قدما عليه ودخلا داره بدر كعب بن معدان فأنشد الحجاج قوله:

يا حفص إني عداني عنكم السفر ... وقد سهرت فآذى عيني السهر

علقت يا كعب بعد الشيب غانية ... والشيب فيه عن الأهواء مزدجر

أممسك أنت منها بالذي ... عهدت أم حبلها إذ نأتك اليوم منبتر

ذكرت خوداً بأعلى الطف منزلها ... في غرفة دونها الأبواب والحجر

وقد تركت بشط الزابيين لها ... داراً بها يسعد البادون والحضر

واخترت داراً بها قوم أسر بهم ... ما زال فيهم لمن تختارهم خير

أبا سعيد فإني سرت منتجعاً ... وطالب الخير مرتاد ومنتظر

لولا المهلب ما زرنا بلادهم ... ما دامت الأرض فيها الماء والشجر

وما من الناس من حي علمتهم ... إلا يرى فيهم من سيبكم أثر

وهي قصيدة طويلة قد ذكرها الرواة في الخبر، فتركت ذكرها لطولها ، يقول فيها:

فما يجاوز باب الجسر من أحدٍ ... قد عضت الحرب أهل المصر فانجحروا

كنا نهون قبل اليوم شأنهم ... حتى تفاقم أمر كان يحتقر

لما وهنا وقد حلوا بساحتنا ... واستنفر الناس تارات فما نفروا

نادى امرؤٌ لا خلاف في عشيرته ... عنه وليس به عن مثلها قصر

حتى انتهى إلى قوله بعد وصفه وقائعهم مع المهلب في بلدٍ بلد،فقال:

خبوا كمينهم بالسفح إذ نزلوا بكازرون فما عزوا وما نصروا

باتت كتائبنا تردى مسومة حول المهلب حتى نور القمر

هناك ولوا خزايا بعد ما هزموا وحال دونهم الأنهار والجدر

تأبى علينا حزازات النفوس فما نبقي عليهم ولا يبقون إن قدروا

فضحك الحجاج وقال له:إنك لمنصف يا كعب،ثم قال الحجاج:أخطيب أنت أم شاعر؟فقال :شاعر وخطيب.فقال له: كيف كانت حالكم مع عدوكم؟قال:كنا إذا لقيناهم بعفونا وعفوهم،فعفوهم تأنيس منهم،فإذا لقيناهم بجهدنا وجهدهم طمعنا فيهم،قال:فكيف كان بنو المهلب؟قال:حماة للحريم نهاراً،وفرسانٌ بالليل أيقاظاً،قال:فأين السماع من العيان؟قال:السماع دون العيان،قال:صفهم رجلاً رجلاً،قال:المغيرة فارسهم وسيدهم، نار ذاكية،وصعدة عالية،وكفى بيزيد فارساً شجاعاً،ليث غاب،وبحر جم العباب،وجوادهم قبيصة،ليث المغار،وحامي الذمار،ولا يستحي الشجاع أن يفر من مدرك،فكيف لا يفر من الموت الحاضر،والأسد الخادر،وعبد الملك سم نافع،وسيف قاطع،وحبيب الموت الذعاف،إنما هو طود شامخ،وفخر باذخ،وأبو عيينة البطل الهمام،والسيف الحسام،وكفاك بالمفضل نجدة،ليث هدار،وبحر موار،ومحمد ليث غاب ،وحسام ضراب،قال:فأيهم أفضل؟قال:هم كالحلقة المفرغة لا يعرف طرفاها،قال :فكيف جماعة الناس؟قال:على أحسن حال،أدركوا ما رجوا،وأمنوا مما خافوا،وأرضاهم العدل،وأغناهم النفل،قال:فكيف رضاهم عن المهلب؟قال:أحسن رضا،وكيف لا يكونون كذلك وهم لا يعدمون منه رضا الوالد،ولا يعدم منهم بر الولد؟قال:فكيف فاتكم قطري؟قال:كدناه فتحول عن منزله وظن أنه قد كادنا ،قال:فهلا تبعتموه!قال:حال الليل بيننا وبينه،فكان التحرز-إلى أن يقع العيان،ويعلم امرؤٌ ما يصنع-أحزم،وكان الحد عندنا آثر من الفل،فقال له المهلب:كان أعلم بك حيث بعثك وأمر له بعشرة آلاف درهم،وحمله على فرس،وأوفده على عبد الملك بن مروان فأمر له بعشرة آلاف أخرى.

شعره في المهلب وولده

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال:حدثني أبو عمروبندار الكرجي قال:حدثنا أبو غسان التميمي عن أبي عبيدة قال:كان عبد الملك بن مروان يقول للشعراء:تشبهوني مرة بالأسد،ومرة بالبازي،ومرة بالصقر،ألا قلتم كما قال كعب الأشقري في المهلب وولده!

براك الله حين براك بحراً وفجّر منك أنهاراً غزارا

بنوك السابقون إلى المعالي إذا ما أعظم الناس الخطارا

كأنهم نجوم حول بدر دراري تكمل فاستدارا

ملوك ينزلون بكل ثغر إذا ما الهام يوم الروع طارا

رزان في الأمور ترى عليهم من الشيخ الشمائل والنجارا

نجوم يهتدى بهم إذا ما أخو الظلماء في الغمرات حارا

وهذه الأبيات من القصيدة التي أولها:

طربت وهاج لي ذاك ادكارا

التي فيها الغناء.

تهاجيه وزياد الأعجم

أخبرني محمد بن الحسين الكندي قال:حدثنا غسان بن ذكوان الأهوازي قال:ذكر العتبي أن زياداً الأعجم هاجى كعباً الأشقري،واتصل الهجاء بينهما،ثم غلبه زياد،وكان سبب ذلك أن شراً وقع بين الأزد وبين عبد القيس،وحرباً سكنها المهلب وأصلح بينهم،وتحمل ما أحدثه كل فريق على الآخر،وأدى دياته،فقال كعب يهجو عبد القيس:

إني وإن كنت فرع الأزد قد علموا أخزى إذا قيل عبد القيس أخوالي

فهم أبو مالك بالمجد شرفني ودنس العبد عبد القيس سربالي

قال:فبلغ قوله زيادا الأعجم فغضب وقال: يا عجباً للعبد بن العبد بن الحيتان والسرطان ، يقول هذا في عبد القيس، وهو يعلم موضعي فيهم! والله لأدعنه وقومه غرضاً لكل لسان، ثم قال يهجوه:

نبئت أشقر تهجونا فقلت لهم ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا

لا يكثرون وإن طالت حياتهم ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا

قوم من الحسب الأدنى بمنزلة كالفقع بالقاع لا أصل ولا ورق

إن الأشاقر قد أضحوا بمنزلة لو يرهنون بنعلي عبدنا غلقوا

قال: وقال فيه أيضا :

هل تسمع الأزد ما يقال لها في ساحة الدار أم بها صمم؟

اختتن القوم بعد ما هرموا واستعربوا ضلة وهم عجم

قال: فشكاه كعب إلى المهلب وأنشده هذين البيتين، وقال: والله ما عنى بهما غيرك، ولقد عم بالهجاء قومك، فقال المهلب: أنت أسمعتنا هذا وأطلقت لسانه فينا به، وقد كنت غنيا عن هجاء عبد القيس وفيهم مثل زياد، فاكفف عن ذكره، فإنك أنت بدأته، ثم دعا بزياد فعاتبه، فقال: أيها الأمير، اسمع ما قال في وفي قومي فإن كنت ظلمته فانتصر، وإلا فالحجة عليه، ولا حجة على امرىء انتصر لنفسه وحسبه وعشيرته، وأنشده قول كعب فيهم:

لعل عبيد القيس تحسب أنها ... كتغلب في يوم الحفيظة أو بكر

يضعضع عبد القيس في الناس منصب ... دنيء وأحساب جبرن على كسر

إذا شاع أمر الناس وأنشقت العصا ... فإن لكيزاً لا تريش ولا تبري

فقال المهلب: قد قلت له أيضاً، قال: لا والله ما انتصرت، ولولاك ما قصرت وأي انتصار في قولي له :

يأيها الجاهل الجاري ليدركني ... أقصر فإنك إن أدركت مصروع

يا كعب لاتك كالعنز التي بحثت ... عن حتفها وجناب الأرض مربوع

وقولي :

لئن نصبت لي الروقين معترضاً ... لأرمينك رمياً غير ترفيع

إن المآثر والأحساب أورثني ... منها المجاجيع ذكراً غير موضوع

هجاؤه عبد القيس

يعني مجاعة بن مرة الحنفي، ومجاعة بن عمرو بن عبد القيس، فأقسم عليهما المهلب أن يصطلحا، فاصطلحا وتكافا، ومما هجا كعب الأشقري عبد القيس به قوله:

ثوى عامين في الجيف اللواتي ... كطرحة على باب الفصيل

أحب إلي من ظل وكن ... لعبد القيس في أصل الفسيل

إذا ثار الفساء بهم تغنوا ... ألم تربع على الدمن المثول

تظل لها ضبابات علينا ... موانع من مبيت أو مقيل

هجاؤه ربيعة واليمن

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب للنضر بن حديد: كانت ربيعة واليمن متحالفة، فكان المهلب وابنه يزيد ينزلان هاتين القبيلتين في محلتهما، فقال كعب الأشقري ليزيد:

لا ترجون هنائياً لصالحة ... واجعلهم وهداداً أسوة الحمر
حيان مالهما في الأزد مأثرة ... غير النواكة والإفراط في الهذر
واجعل لكيزاً وراء الناس كلهم ... أهل الفساء وأهل النتن والقذر
قوم علينا ضباب من فسائهم ... حتى ترانا له ميداً من السكر
أبلغ يزيد بأنا ليس ينفعنا ... عيش رغيد ولا شيء من العطر
حتى تحل لكيزا فوق مدرجة ... من الرياح على الأحياء من مضر
ليأخذوا لنزار حظ سبتها ... كما أخذنا بحظ الحلف والصهر

شعره في المهلب أمام رسول الحجاج

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال: حدثنا أبي قال: كتب الحجاج بن يوسف إلى المهلب يأمره بمناجزة الأزارقة ويستبطئه ويضعفه، ويعجزه في تأخيره أمرهم ومطاولتهم ، فقال المهلب لرسوله: قل له: إنما البلاء أن الأمر إلى من يملكه لا إلى من يعرفه، فإن كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم على أن أدبرها كما أرى، فإن أمكنتني الفرصة انتهزتها، وإن لم تمكني توقفت ، فأنا أدبر ذلك بما يصلحه، وإن أردت مني أن أعمل وأنا حاضر برأيك وأنت غائب، فإن كان صواباً فلك، وإن كان خطأ فعلي، فابعث من رأيت مكاني، وكتب من فوره بذلك إلى عبد الملك، فكتب إليه عبد الملك: لا تعارض المهلب فيما يراه ولا تعجله، ودعه يدبر أمره، وقام الأشقري إلى المهلب فأنشده بحضرة رسول الحجاج:

إن ابن يوسف غره من غزوكم ... خفض المقام بجانب الأمصار
لو شاهد الصفين حين تلاقيا ... ضاقت عليه رحيبة الأقطار
من أرض سابور الجنود، وخيلنا ... مثل القداح بريتها بشفار
من كل خنذيذ يرى بلبانه ... وقع الظباة مع القنا الخطار
ورأى معاودة الرباع غنيمة ... أزمان كان محالف الإقتار

فدع الحروب لشيبها وشبابها ... وعليك كل خريدة معطار

فبلغت أبياته الحجاج، فكتب إلى المهلب يأمره بإشخاص كعب الأشقري إليه، فأعلم المهلب كعباً بذلك، وأوفده إلى عبد الملك من تحت ليلته، وكتب إليه يستوهبه منه، فقدم كعب على عبد الملك ، واستنشده فأعجبه ما سمع منه، فأوفده إلى الحجاج، وكتب إليه يقسم عليه أن يعفو عنه ويعرض عما بلغه من شعره، فلما وصل إليه ودخل

عليه قال: إيه يا كعب.

ورأى معاودة الرباع غنيمة فقال له: أيها الأمير، والله لقد وددت في بعض ما شاهدته في تلك الحروب وأزماتها، وما يوردناه المهلب من خطرها، أن أنجو منها وأكون حجاماً أو حائكاً، فقال له الحجاج: أولى لك، لولا قسم أمير المؤمنين لما نفعك ما أسمع، فالحق بصاحبك، ورده من وقته.

هروبه إلى عمان

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب النضر بن حديد: لما عزل يزيد بن المهلب عن خراسان ووليها قتيبة بن مسلم، مدحه كعب الأشقري، ونال من يزيد وثلبه، ثم بلغته ولاية يزيد على خراسان، فهرب إلى عمان على طريق الطبسين وقال:

وإني تارك مرواً ورائي ... إلى الطبسين معتام عمانا

لآوي معقلاً فيها وحرزاً ... فكنا أهل ثروتها زمانا

فأقام بعمان مدة ثم اجتواها ، وساءت حاله بها، فكتب إلى المهلب معتذراً:

بئس التبدل من مرو وساكنها ... أرض عمان وسكنى تحت أطواد

يضحي السحاب مطيراً دون منصفها ... كأن أجبالها علت بفرصاد

يا لهف نفسي على أمر خطلت به ... وما شفيت به غمري وأحقادي

أفنيت خمسين عاماً في مديحكم ... ثم اغتررت بقول الظالم العادي

أبلغ يزيد قرين الجنود مألكه ... بان كعباً أسير بين أصفاد

فإن عفوت فبيت الجود بيتكم ... والدهر طوران من غي وإرشاد

وإن مننت بصفح أو سمحت به ... نزعت نحوك أطنابي وأوتادي

وذكر المدائني أن يزيد بن المهلب حبسه ودس إليه ابن أخ له فقتله.

شعره في مقتل بني الأهتم

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب النضر أيضاً أن الحجاج كتب إلى يزيد بن المهلب يأمره بقتل بني الأهتم، فكتب إليه يزيد: إن بني الأهتم أصحاب مقال وليسوا بأصحاب فعال، فلا تقدر أن نحدث فيهم ضرراً ، وفي قتلهم عاروسبة؛ واستوهبهم منه ، فتغافل عنهم، ثم انضموا إلى المفضل بن المهلب، فكتب إليه الحجاج يأمره بقتلهم، فكتب إليه بمثل ما كتب به أخوه، فأعفاهم ، ثم ولي قتيبة بن مسلم، فخرجوا إليه والتقوا معه، وذكروا

بني المهلب فعابوهم، فقبلهم قتيبة واحتوى عليهم، فكانوا يغرون الجند عليه ويحملونهم على سوء الطاعة، فكتب يشكوهم إلى الحجاج، فكتب إليه يأمره بقتلهم، فقتلهم جميعاً، فقال كعب الأشقري في ذلك:

قل للأهاتم من يعود بفضله ... بعد المفضل والأغر يزيد

ردا صحائف حتفكم بمعاذر ... رجعت أشائم طيركم بسعود

ردا على الحجاج فيكم أمره ... فجزيتم غحسانه بجحود

فاليوم فاعتبروا فعال أخيكم ... إن القياس لجاهل ورشيد

شعره في عمرو بن عمير

قال أبو الفرج: ونسخت من كتابه أيضاً قال: ولى يزيد بن المهلب رجلاً من اليحمد يقال له عمرو بن عمير الزم، فلقيه كعب الأشقري فقال له: أنت شيخ من الأذد يوليك الزم. ويولي ربيعة الأعمال السنية، وأنشده:

لقد فازت ربيعة بالمعالي ... وفاز اليحمدي بعهد زم

فإن تك راضياً منهم بهذا ... فزادك ربنا غما بغم

إذا الأزدي وضح عارضاه ... وكانت أمه من حي جرم

فثم حماقة لا شك فيها ... مقابلة فمن خال وعم

فرد اليحمدي عهد يزيد عليه، فحلف لا يستعمله سنة، فلما أجحفت به المئونة قال لكعب:

لوكنت خليتني يا كعب متكئاً ... في دور زم لما أقفرت من علف

ومن نبيذ ومن لحم أعل به ... لكن شعرك أمر كان من حرفي

إن الشقي بمرو من أقام بها ... يقارع الشوق من بيع ومن حلف

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدثني الرياشي عن الأصمعي قال: قال كعب الأشقري يهجو زياداً الأعجم:

وأقلف صلى بعد ما ناك أمه ... يرى ذاك في دين المجوس حلالاً

فقال له زياد: يا بن النمامة أهي أخبرتك أني أقلف؟ فغلبه زياد.

والقصيدة التي أولها:

طربت وهاج لي ذاك ادكارا

شعر له فيه غناء

وفيه الغناء المذكور بذكره خبر كعب الأشقري، يمدح بها المهلب بن أبي صفرة ويذكر قتاله الأزارقة، وفيها يقول بعد الأبيات الأربعة التي فيها الغناء:

غرضن بمجلسي وكرهن وصلي ... أوان كسيت من شمط عذارا

زرين علي حين بدا مشيبي ... وصارت ساحتي للهم دارا

أتاني والحديث له نماء ... مقالة جائر أحفى وجارا

سلوا أهل الأباطح من قريش ... عن العز المؤبد اين صارا

ومن يحمي الثغور إذا استحرت ... حروب لا ينون لها غرارا

لقومي الأزد في الغمرات أمضى ... وأوفى ذمة وأعز جارا

هم قادوا الجياد على وجاها ... من الأمصار يقذفن المهارا

بكل مفازة وبكل سهب ... بسابس لا يرون لها منارا

إلى كرمان يحملن المنايا ... بكل ثنية يوقدن نارا

شوازب لم يصبن الثار حتى ... رددناها مكلمة مرارا

ويشجرن العوالي السمر حتى ... ترى فيها عن الأسل ازورارا

غداة تركن مصرع عبد رب ... يثرن عليه من رهج عصارا

ويوم الزحف بالأهواز ظلنا ... نروي منهم الأسل الحرارا

فقرت أعين كانت حديثاً ... ولم يك نومها إلا غرارا

صنائعنا الشوابغ والمذاكى ... ومن بالمصر يحتلب العشار

فهن يبحن كل حمى عزيز ... ويحمين الحقائق والذمارا

طوالات المتون يصن إلا ... إذا سار المهلب حيث سارا

فلولا الشيخ بالمصرين ينفي ... عدوهم لقد تركوا الديارا

ولكن قارع الأبطال حتى ... أصابوا الأمن واجتنبوا الفرارا

إذا وهنوا وحل بهم عظيم ... يدق العظم كان لهم جبارا

ومبهمة يحيد الناس عنها ... تشب الموت شد لها الإزارا

شهاب تنجلي الظلماء عنه ... يرى في كل مبهمة منارا

بل الرحمن جارك إذ وهنا بدفعك عن محارمنا اختيارا

براك الله حين براك بحراً وفجر منك أنهاراً غزارا

وقد مضت هذه الأبيات متقدمة فيما سلف من أخبار كعب وشعره.

شعره في المهلب وولده

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن سعد الكراني قال: حدثني العمري عن العتبي قال: قال عبد الملك بن مروان: يا معشر الشعراء، تشبهوننا بالأسد الأبخر، والجبل الوعر، والملح الأجاج؟ ألا قلتم كما قال كعب الأشقري في المهلب وولده:

لقد خاب أقوام سروا ظلم الدجى يؤمون عمراً ذا الشعير وذا البر

يؤمون من نال الغنى بعد شيبه وقاسي وليداً ما يقاسي ذوو الفقر

فقل للجيم حيا صميماً نفيتم بخيلكم بالرغم منه وبالصغر

فلو كنتم حياً صميماً نفيتم بخيلكم بالرغم منه وبالصغر

ولكنكم يا آل بكر بن وائل يسودكم من كان في المال ذا وفر

هو المانع الكلب النباح وضيفه خميص الحشا يرعى النجوم التي تسري

هجاؤه لأخيه وخبر ذلك

قال: وكان بين كعب وبين ابن أخيه هذا تباعد وعداوة، وكانت أمه سوداء فقال يهجوه:

إن السواد الذي سربلت تعرفه ميراث جدك عن آبائه النوب

أشبهت خالك خال اللؤم مؤتسياً بهديه سالكاً في شر أسلوب

مقتله

قال المدائني في خبره: وكان ابن أخي كعب هذا عدواً له يسعى عليه، فلما سأل مجزأة بن زياد بن المهلب أباه في كعب فخلاه، دس إليه زياد بن المهلب ابن أخيه الشاعر، وجعل له ملاً على قتله، فجاءه يوماً وهو نائم تحت شجرة، فضرب رأسه بفأس فقتله، وذلك في فتنة يزيد بن المهلب وهو بعمان يومئذ، وكان لكعب أخ غير أخيه الذي قتله ابنه، فلما قتل يزيد بن المهلب فرق مسلمة بن عبد الملك أعماله على عمال شتى فولي البصرة وعمان عبد الرحمن بن سليمان الكلبي، فاستخلف عبد الرحمن على عمان محمد بن جابر الراسبي، فأخبر أخو كعب

الباقي ابن أخيه الذي قتل كعباً، فقدمه إلى محمد بن جابر، وطلب القود منه بكعب، فقيل له: قتل أخوك بالأمس، وتقتل قاتله وهو ابن أخيك اليوم! وقد مضى أخوك وانقضى، فتبقى فرداً كقرن الأعضب ! فقال: نعم إن أخي كعباً كان سيدنا وعظيمنا ووجهنا، فقتله هذا، وليس فيه خير، ولا في بقائه عز، ولا هو خلف من كعب فأنا أقتله به، فلا خير في بقائه بعد كعب، فقدمه محمد بن جابر فضرب عنقه والله أعلم.

مدحه لقتيبة بن مسلم

أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أحمد بن الهيثم قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي ولقيط وغيرهما، قالوا: حاصر يزيد بن المهلب مدينة خوارزم في أيام ولايته، فلم يقدر على فتحها، واستصعب عليه، ثم عزل وولي قتيبة بن مسلم، فزحف إليها، فحاصرها ففتحها، فقال كعب الأشقري يمدحه ويهجو يزيد بن المهلب بقوله:

رمتك فيل بما فيها وما ظلمت ... من بعد ما رامها الفجفاجة الصلف

قيس صريح وبعض الناس يجمعهم ... قرى وريف ومنسوب ومقترف

منهم شناس ومرداذاء نعرفه ... وفسخراء، قبور حشوها القلف

لم يركبوا الخيل إلا بعدما هرموا ... فهم ثقال على أكتافها عنف

قال: الفيل الذي ذكره هو حصن خوارزم يقال له والكهندر: الحصن العتيق، والفجفاجة: الكثير الكلام. وشناس: اسم أبي صفرة، فغيره، وتسمى ظالماً، ومرداذاء: أبو أبي صفرة، وسموه بسراق لما تعربوا، وفسخراء: جده، وهم قوم من الخوز من أهل عمان، نزلوا الأزد، ثم ادعوا أنهم صليبة صرحاء منهم،

صوت

لأسماء رسم أصبح اليوم دارسا ... وقفت يوماً إلى الليل حابسا

فجئنا بهيت لا نرى غير منزل ... قليل به الآثار إلا الروامسا

يدورون بي في ظل كل كنيسة ... فينسونني قومي وأهوى الكنائسا

البيت الأول من الشعر للعباس بن مرداس السلمي، وبيت العباس مصراعه الثاني:

توهمت منه رحرحان فراكسا

وغيره يزيد بن معاوية فقال مكان هذا المصراع:

وقفت به يوماً إلى الليل حابسا

والبيت الثاني للعباس بن مرداس، والثالث ليزيد بن معاوية، ذكر بعض الرواة أنه قاله على هذا الترتيب وأمر بديحا أن يغني فيه، ففعل؛ و لم يأت ذلك من جهة يوثق بها، والصحيح أن الغناء لمالك، خفيف ثقيل بالبنصر عن الهشامي ويحيى المكي، وهذا صوت زعموا أن مالكاً صنعه على لحن سمعه من الرهبان.

أخبرني الحسن بن يحيى، عن حماد بن إسحاق، عن أحمد المكي، عن أبيه، عن سياط، أن مالكاً دخل مع الوليد بن يزيد ديراً، فسمع لحناً من بعض الرهبان، فاستحسنه، فصنع عليه.

ليس رسم على الدفين ببالي

فلما غناه الوليد قال له: الأول أحسن فعد إليه. اللحن الثاني الذي لمالك، ثقيل بالبنصر عن الهشامي وعمرو، وأوله:

در در الشباب والشعر الأس ... ود والضامرات تحت الرحال

والخناذيذ كالقداح من الشو ... حط يحملن شكة الأبطال

أخبار العباس بن مرداس ونسبه

نسبه

العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، ويكنىأبا الهيثم، وإياه يعني أخوه سراقة بقوله يرثيه:

أعين ألا أبكي أبا الهيثم ... وأذري الدموع ولا تسأمي

وهي أبيات تذكر في أخباره، وأمه الخنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشريد، وكان العباس فارساً شاعراً شديد العارضة والبيان، سيداً في قومه من كلا طرفيه، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أعطى المؤلفة قلوبهم فضل عليه عيينة بن حصن والأقرع بن حابس، فقام وأنشده شعراً قاله في ذلك، فأمر بلالاً فأعطاه حتى رضي، وخبره في ذلك يأتي بعد هذا الموضع؛ والله أعلم.

خبره مع صنم كان لهم

أخبرني محمد بن جرير الطبري قال: حدثنا محمد بن حميد قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق عن منصور بن المعتمر، عن قبيصة، عن عمرو والخزاعي عن العباس بن مرداس بن أبي عامر أنه قال: كان لأبي صنم اسمه ضمار ، فلما حضره الموت أوصاني به وبعبادته والقيام عليه، فعمدت إلى ذلك الصنم فجعلته في بيت،

وجعلت آتيه في كل يوم وليلة مرة، فلما ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت صوتاً في جوف الليل راعي، فوثبت إلى ضمار، فغذا الصوت في جوفه يقول:

قل للقبائل من سليم كلها ... هلك الأنيس وعاش أهل المسجد

إن الذي ورث النبوة والهدى ... بعد ابن مريم من قريش مهتدي

أودى الضمار وكان يعبد مرة ... قبل الكتاب إلى النبي محمد

قال: فكتمت الناس ذلك، فلم أحدث به أحداً حتى انقضت غزوة الأحزاب، فبينا أنا في إبلي في طرف العقيق وأنا نائم، إذ سمعت صوتاً شديداً، فرفعت رأسي فإذا أنا برجل على حيالي بعمامة يقول: إن النور الذي وقع بين الأثنين وليلة الثلاثاء، مع صاحب الناقة العضباء ، في ديار بني أخي العنقاء ، فأجابه طائف عن شماله لا أبصره فقال: بشر الجن وأجناسها، أن وضعت المطي أحلاسها ، وكفت السماء أحراسها، وأن يغص السوق أنفاسها ، قال: فوثبت مذعوراً وعرفت أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم مصطفى، فركبت فرسي وسرت حتى انتهيت إليه فبايعته وأسلمت، وانصرفت إلى ضمار فأحرقته بالنار.

خروجه إلى النبي وإسلامه

وقال أبو عبيدة: كانت تحت العباس بن مرداس حبيبة بنت الضحاك بن سفيان السلمي أحد بني رعل بن مالك، فخرج عباس حتى انتهى إلى إبله وهو يريد النبي صلى الله عليه وسلم، فبات بها، فلما أصبح دعا براعيه فأوصاه بإبله، وقال له: من سألك عني فحدثه أني لحقت بيثرب، ولا أحسبني إن شاء الله تعالى إلا آتياً محمداً وكائناً معه، فإني أرجو أن نكون برحمة من الله ونور، فإن كان خيراً لم أسبق إليه، وإن كان شراً نصرته لخئولته، على أني قد رأيت الفضل البين وكرامة الدنيا والآخرة في طاعته ومؤازرته، واتباعه ومبايعته، وإيثار أمره على جميع الأمور، فإن مناهج سبيله واضحة، وأعلام ما يجيء به من الحق نيرة، ولا أرى أحداً من العرب ينصب له إلا أعطي عليه الظفر والعلو، وأراني قد ألقيت علي محبة له، وأنا باذل نفسي دون نفسه أريد بذلك رضا إله السماء والأرض، قال: ثم سار نحو النبي صلى الله عليه وسلم، وانتهى الراعي نحو إبله، فأتى امرأته فأخبرها بالذي كان من أمره ومسيره إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقامت فقوضت بيتها، ولحقت بأهلها، فذلك حيث يقول عباس بن مرداس، حين أحرق ضماراً ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم:

لعمري إني يوم أجعل جاهداً ... ضماراً لرب العالمين مشاركا

وتركي رسول الله والأوس حوله ... أولئك أنصار له، ما أولئكا؟

كتاركِ سهل الأرض، والحزن يبتغي ... ليسلك في عيب الأمور المسالكا

فآمنت بالله الذي أنا عبده ... وخالفت من أمسى يريد الممالكا

ووجهت وجهي نحو مكة قاصداً وتابعت بين الأخشبين المباركا
نبي أتانا بعد عيسى بناطق من الحق فيه الفصل منه كذلكا
أميناً على الفرقان أول شافع وآخر مبعوث يجيب الملائكا
تلافى عرا الإسلام بعد انفصامها فأحكمها حتى أقام المناسكا
رأيت يا خير البرية كلها توسطت في القربى من المجد مالكا
سبقتهم بالمجد والجود والعلا وبالغاية القصوى تفوت السنابكا

فأنت المصفى من قريش إذا سمت غلاصمها تبغي القروم الفواركا

قال: فقدم عباس على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة حيث أراد المسير إلىمكة عام الفتح، فواعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قديداً ، وقال: القني أنت وقومك بقديد، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قديداً وهو ذاهب، لقيه عباس في ألف من بني سليم، ففي ذلك يقول عباس بن مرداس:

بلغ عباد الله أن محمداً رسول الإله راشد أين يمما
دعا قومه واستنصر الله ربه فأصبح قد وافى الإله وأنعما
عشية واعدنا قديداً محمداً يؤم بنا أمراً من الله محكما
حلفت يميناً برة لمحمد فأوفيته ألفاً من الخيل معلما
سرايا يراها الله وهو أميرها يؤم بها في الدين من كان أظلما
على الخيل مشدوداً علينا دروعنا وخيلاً كدفاع الأتي عرمرما
أطعناك حتى أسلم الناس كلهم وحتى صبحنا الخيل أهل يلملما

وهي قصيدة طويلة.

زوجته تؤنبه على إسلامه

قال: ولما عرف راعي العباس بن مرداس زوجته بنت الضحاك بن سفيان خبره وإسلامه قوضت بيتها، وارتحلت إلى قومها، وقالت تؤنبه:

ألم ينه عباس بن مرداس أنني رأيت الورى مخصوصة بالفجائع
أتاهم من النصار كل سميذع من القوم يحمي قومه في الوقائع

بكل شديد الوقع عضب، يقوده إلى الموت هام المقربات البرائع
لعمري لئن تابعت دين محمد وفارقت إخوان الصفا والصنائع
لبدلت تلك النفس ذلا بعزة غداة اختلاف المرهفات القواطع
وقوم هم الرأس المقدم في الوغى وأهل الحجا فينا وأهل الدسائع
سيوفهم عز الذليل وخيلهم سهام الأعادي في الأمور الفظائع

شعره حين فضل غيره عليه في الغنائم

فأخبرني أحمد بن محمد بن الجعد قال: حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال: حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، وأخبرني عمر بن إسمعيل بن أبي غيلان الثقفي قال: حدثنا داود بن عمرو الضبي قال: حدثنا محمد بن راشد عن ابن إسحاق، وحدثنيه محمد بن جرير قال: حدثنا محمد بن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق وقد دخل حديث بعضهم في حديث بعض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم غنائم هوزان ، فأكثر العطايا لأهل مكة، وأجزال القسم لهم ولغيرهم ممن خرج إلى حنين، حتى إنه كان يعطي الرجل الواحد مائة ناقة، والآخر ألف شاة، وزوى كثيراً من القسم عن أصحابه، فأعطى الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن والعباس بن مرداس عطايا فضل فيها عيينة والأقرع على العباس، فجاءه العباس فأنشده:

وكانت نهاباً تلافيتها بكري على المهر في الأجرع
وإيقاظي الحي أن يرقدوا إذا هجع القوم لم أهجع
فأصبح نهبي ونهب العبي د بين عيينة والأقرع
وقد كنت في الحرب ذا تدرإ فلم أعط شيئاً ولم أمنع
وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرىء منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فبلغ قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاه فقال له: أنت القائل: "أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينه"؟ فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لم يقل كذلك، ولا والله ما أنت بشاعر، ولا ينبغي لك الشعر، وما أنت براوية، قال: فكيف قال؟ فأنشده أبو بكر رضي الله عنه، فقال: هما سواء، لا يضرك بأيهما بدأت: بالأقرع أم بعيينة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقطعوا عني لسانه، وأمر بأن يعطوه من الشاء والنعم ما يرضيه ليمسك، فأعطي، قال: فوجدت الأنصار في أنفسها، وقالوا: نحن أصحاب موطن وشدة، فآثر

قومه علينا، وقسم قسماً لم يقسمه لنا، وما نراه فعل هذا إلا وهو يريد الإقامة بين أظهرهم، فلما بلغ قولهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم في منزلهم فجمعهم، وقال: من كان ها هنا من غير الأنصار فليرجع إلى أهله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر الأنصار، قد بلغتني مقالة قلتموها، وموجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله؟ قالوا: بلى. قال: ألم آتكم قليلاً فكثركم الله؟ قالوا: بلى. قال: ألم آتكم أعداءً فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى.

قال محمد بن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عيينة أنه قال: ألم آتكم وأنتم لا تركبون الخيل فركبتموها؟ قالوا: بلى. قال: أفلا تجيبون يا معشر الأنصار؟ قالوا: لله ولرسوله علينا المن والفضل، جئتنا يارسول الله ونحن في الظلمات، فأخرجنا الله بك إلى النور، وجئتنا يا رسول الله ونحن على شفا حفرة من النار، فأنقذنا الله، وجئتنا يا رسول الله ونحن أذلة قليلون فأعزنا الله بك، فرضينا الله رباً، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا. فقال صلى الله عليه وسلم: أما والله لو شئتم لأجبتموني بغير هذا، فقلتم: جئتنا طريداً فآويناك، ومخذولاً فنصرناك، وعائلاً فأغنيناك، ومكذباً فصدقناك، وقبلنا منك ما رده عليك الناس، لقد صدقتم. فقال الأنصار: لله ولرسوله علينا المن والفضل ، ثم بكوا حتى كثر بكاؤهم، وبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: يا معشر الأنصار وجدتم في أنفسكم في الغنائم أن آثرت بها ناساً أتألفهم على الإسلام ليسلموا، ووكلتكم إلى الإسلام، أو لا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ والذي نفس محمد بيده لو سلك الناس شعبا وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، ولولا الهجرة لكنت أمرأ من الأنصار، ثم بكى القوم ثانية حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا يا رسول الله بالله وبرسوله حظا وقسماً، وتفرق القوم راضين، وكانوا بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد اغتباطاً من المال.

وقال أبو عمرو الشيباني في هذا الخبر: أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من أشراف العرب عطايا يتألف بها قلوبهم وقومهم على الإسلام، فأعطى كل رجل من هؤلاء النفر وهم: أبو سفيان بن حرب، وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، والحرث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، وصفوان بن أمية، والعلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى كل واحد من مخرمة بن نوفل وعمير بن وهب أحد بني عامر بن لؤي وسعيد بن يربوع، ورجلاً من بني سهم دون ذلك ما بين الخمسين وأكثر وأقل، وأعطى العباس بن مرداس أبا عر، فتسخطها وقال الأبيات المذكورة، فأعطاه حتى رضي.

كتب عبد الملك لابن الزبير يتوعده

حدثنا وكيع قال:حدثنا الكراني قال:حدثنا عطاء بن مصعب،عن عاصم بن الحدثان قال:كتب عبد الملك بن مروان إلى عبد الله بن الزبير كتاباً يتوعده فيه وكتب فيه:

إني لعند الحرب تحمل شكتي إلى الروع جرداء السيالة ضامر

والشعر للعباس بن مرادس.فقال ابن الزبير :أبا لشعر يقوى عليّ؟والله لا أجيبه إلا بشعر هذا الرجل؛فكتب إليه:

إذا فرس العوالي لم يخالج همومي غير نصر واقتراب

وإنا والسوابح يوم جمع وما يتلو الرسول من الكتاب

هزمنا الجمع جمع بني قسي وحكت بركها ببني رئاب

هذه الأبيات من قصيدة يفخر فيها العباس برسول الله صلى الله عليه وسلم ونصره له،وفيها يقول:

بذي لجب رسول الله فيه كتيبته تعرض للضراب

ولو أدركن صرم بني هلالٍ لآم نساؤهم والنقع كابي

خبر قتل أخيه هريم

قال أبو عبيدة:وكان هريم بن مرادس مجاوراً في خزاعة في جوار رجل منهم يقال له عامر،فقتله رجل من خزاعة يقال له خويلد،وبلغ ذلك أخاه العباس بن مرادس،فقال يحض عامراً على الطلب بثأر جاره،فقال:

إذا كان باغٍ منك نال ظلامةً فإن شفاء البغي سيفك فافصل

ونبئت أن قد عوضوك أباعراً وذلك للجيران غزل بمغزل

فخذها فليست للغزيزبنصرةٍ وفيها متاع لا مرىء متدلل

وهذا البيت الأخير كتب به الوليد بن عقبة إلى معاوية لما دعاه علي عليه السلام إلى البيعة،وتحدث الناس أنه وعده أن يوليه الشأم إذا بايعه.قال:فلما بلغته هذه الأبيات آلى لا يصيب رأسه ولا جسده ماء بغسل حتى يثأرهريم،ثم إن أبا حليس النصري لقي خويلداً قاتل هريم فقتله،فقال بنو نصر:بؤ بدم فلان النصري-رجل كانت خزاعة قتلته-فقال أبو الحليس:لا،بل هو بؤ بدم هريم بن مرادس،وبلغ العباس،فقال يمدحه بقوله:

أتاني من الأنباء أن ابن مالك كفى ثائراً من قومه من تغببا

ويلقاك ما بين الخميس خويلدٌ أرى عجباً بل قتله كان أعجبا

فدى لك أمي إذ ظفرت بقتله وأقسم أبغي عنك أماً ولا أبا

فمثلك أدى نصرة القوم عنوةً ومثلك أعيا ذا السلاح المجربا

خروجه لحرب بني نصر

قال أبو عبيدة:أغارت بنو نصر بن معاوية على ناحية من أرض بني سليم،فبلغ ذلك العباس بن مرداس، فخرج إليهم في جمع من قومه، فقاتلهم حتى أكثر فيهم القتل، وظهرت عليهم بنو سليم، وأسروا ثلاثين رجلاً منهم، وأخذت بنو نصر فرساً للعباس عائرة يقال لها زرة ، فانطلق بها عطية بن سفيان النصري وهو يؤمئذ رئيس القوم فقال في ذلك العباس:

أبى قومنا إلا الفرار ومن تكن ... هوازن مولاه من الناس يظلم
أغار علينا جمعهم بين ظالم ... وبين ابن عم كاذب الود أيهم
كلاب وما تفعل كلاب فإنها ... وكعب سراة البيت ما لم تهدم
فإن كان هذا صنعكم فتجردوا ... لألفين منا حاسر وملأم
وحرب إذا المرء السمين تمرست ... بأعطافه بالسيف لم يترمرم
ولم أحتسب سفيان حتى لقيته ... على مأقط إذ بيننا عطر منشم
فقلت وقد صاح النساء خلالهم ... لخيلي شدي إنهم قوم لهذم
فما كان تهليل لدن أن رميتهم ... بزرة ركضاً حاسراً غير ملجم
إذا هي صدت نحرها عن رماحهم ... أقدمها حتى تنعل بالدم
ومازال منهم رائغ عن سبيلها ... وآخر يهوي لليدين وللفم
لدن غدوة حتى استبيحوا عشية ... وذلوا فكانوا لحمة المتلحم
فآبوا بها عرفاً وألقيت كلكلي ... على بطل شاكي السلاح مكلم
ولن يمنع الأقوام إلا مشايح ... يطارد في الأرض الفضاء ويرتمي

قال: ثم إن العباس بن مرداس جمع الأسارى من بني نصر وكانوا ثلاثين رجلاً فأطلقهم، وظن أنهم سيثيبونه بفعله، وأن سفيان سيرد عليه فرسه زرة، فلم يفعلوا، فقال في ذلك:

أزرة خير أم ثلاثون منكم ... طليقاً رددناه إليكم مسلما

قال: وجعل العباس يهجو بني نصر، فبلغه أن سفيان بن عبد يغوث يتوعده في ذلك، فلقيه عباس في المواسم، فقال له سفيان: والله لتنتهين أو لأصرمنك، فقال عباس:

أتوعدني بالصرم إن قلت اوفني ... فأوف وزد في الصرم لهزمة النتن

وقال العباس أيضا فيه:

ألا من مبلغ سفيان عني ... وظني أن سيلغه الرسول

ومولاه عطية أن قيلا خلا مني وأن قد بات قيل
سئمتم ربكم وكفرتموه وذلكم بأرضكم جميل
ألا توفي كما أوفى شبيب فحل له الولاية والشمول
أبوه كان خيركم وفاء وخيركم إذا حمد الجميل
ألام على الهجاء وكل يوم تلاقيني من الجيران غول
سأجعلها لأجمعكم شعارا وقد يمضي اللسان بما يقول

وهذه الأبيات من شعر العباس بن مرداس التي ذكرنا أخباره بذكرها، وفيه الغناء المنسوب من قصيدة قالها في غزاة غزاها بني زبيد باليمن.

حربه مع بني زبيد

قال أبو عمرو وأبو عبيدة: جمع العباس بن مرداس بن أبي عامر - وكان يقال للعباس: مقطع الأوتاد جمعا من بني سليم فيه من جميع بطونها، ثم خرج بهم حتى صبح بني زبيد بتثليث من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة، فقتل فيها عدداً كثيراً، وغنم حتى ملأ يديه، فقال في ذلك:

لأسماء رسم أصبح اليوم دارسا وقفت به يوماً إلى الليل حابسا

يقول فيها:

فدع ذا ولكن هل أتاك مقادنا لأعدائنا نزجي الثقال الكوادسا
سمونا لهم تسعاً وعشرين ليلة نجيز من الأعراض وحشاً بسابسا
فلم أر مثل الحي حياً مصبحا ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا
إذا ما شددنا شدة نصبوا لنا صدور المذاكى والرماح المداعسا
وأحصننا منهم فما يبلغوننا فوارس منا يحبسون المحابسا
وجرد كأن الأسد فوق متونها من القوم مرءوسا كميا ورائسا
وكنت أمام القوم أول ضارب وطاعنت إذ كان الطعان مخالسا
ولو مات منهم من جرحنا لأصبحت ضياع بأكناف الأراك عرائسا

فأجابه عمرو بن معد يكرب عن من هذه القصيدة بقصيدة أولها:

لمن طلل بالخيف أصبح دراسا تبدل آراما وعينا كوانسا

وهي طويلة، لم يكن في ذكرها مع أخبار العباس فائدة، وإنما ذكرت هذه الأبيات من قصيدة العباس لأن الغناء المذكور في أولها.

شعره في جلاء بني النضير

وجواب خوات له

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا أبو غزية عن فليح بن سليمان قال: قال العباس يذكر جلاء بني النضير ويبكيهم بقوله:

لو أن قطين الدار لم يتحملوا وجدت خلال الدار ملهى وملعبا

فإنك عمري هل رأيت ظعائنا سلكن على ركن الشظاة فميثنا

عليهن عين من ظباء تبالة أوانس يصبين الحليم المجربا

إذا جاء باغي الخير قلن بشاشة له بوجوه كالدنانير: مرحبا

وأهلاً فلا ممنوع خير طلبته ولا أنت تخشى عندنا أن تؤنبا

فلا تحسبني كنت مولى ابن مشكم سلام ولا مولى حيي بن أخطبا

فقال خوات بن جبير يجيب العباس:

اتبكي على قتلى يهود وقد ترى من الشجو لو تبكي أحق وأقربا

فهلا على قتلى ببطن أوارة بكيت وما تبكي من الشجو مغضبا

إذا السلم دارت في الصديق رددتها وفي اليدين صداداً وفي الحرب ثعلبا

وإنك لما أن كلفت بمدحة لمن كان ميناً مدحه وتكذبا

وجئت بأمر كنت أهلاً لمثله ولم تلف فيهم قائلاً لك مرحبا

فهلا إلى قوم ملوك مدحتهم بنوا من ذرا المجد المقدم منصبا

إلى معشر سادوا الملوك وكرموا ولم يلف فيهم طالب الحق مجدباً

أولئك أولى من يهود بمدحة تراهم وفيهم عزة المجد ترتبا

فقال عباس بن مرداس يجيبه:

هجوت صريح الكاهنين وفيكم لهم نعم كانت من الدهر ترتبا

أولئك أحرى إن بكيت عليهم وقومك لو أدوا من الحق موجبا
من الشكر إن الشكر خير مغبة وأوافق فعلا للذي كان أصوبا
فصرت كمن أمسى يقطع رأسه ليبلغ عزاً كان فيه مركبا
فبك بني هارون وأذكر فعالهم وقتلهم للجوع إذ كنت مسغبا

قال الزبير: فحدثني محمد بن الحسن عن محرز بن جعفر قال: التقى عباس بن مرداس وخوات بن خبير يوماً عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال خوات: يا عباس أأنت الذي رثيت اليهود، وقد كان منهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان! فقال عباس: إنهم كانوا أخلائي في الجاهلية، وكانوا أقواماً أنزل بهم فيكرمونني، ومثلي يشكر ما صنع إليه من الجميل، وكان بينهما قول حتى تجاذبا، فقال له خوات: أما والله لئن استقبلت غرب شبابي، وشبا أنيابي، وخشن جوابي، لتكرهن عتابي. فقال عباس: والله يا خوات، لئن استقبلت عني وفني وذكاء سني، لتفرن مني، إياي تتوعد يا خوات، يا عاني السوآت! والله لقد استقبلك اللؤم فردعك ، واستدبرك فكسعك ، وعلاك فوضعك، فما أنت بمهجوم عليك من ناحية إلا عن فضل لؤم؛ إياي ثكلتك أمك تروم؟ وعلي تقوم؟ والله ما نصبت سوقك، ولأظهرن عليك بعد؛ فقال عمر لهما: إما أن تسكتا وإما أن أوجعكما ضرباً، فصمتا وكفا، أخبرني بذلك علي بن نصر قال: حدثني الحسن بن محمد بن جرير، وحدثني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا عبد الرحمن بن الحسن عن أبيه مثل ذلك. وللعباس مع خوات مناقصات أخر في هذا المعنى، كرهت الإطالة بذكرها.

رثاه أخوه بشعر

قال أبو عبيدة: وكان العباس وسراقة وحزن وعمرو بنو مرداس كلهم من الخنساء بنت عمرو بن الشريد، وكلهم كان شاعراً، وعباس أشعرهم، وأشهرهم وأفرسهم وأسودهم، ومات في الإسلام، فقال أخوه سراقة يرثيه:

أعين ألا أبكي أبا الهيثم وأذري الدموع ولا تسأمي
وأثني عليه بآلائه بقول امرىء موجع مؤلم
فما كنت بائعه بامرىء أراه ببدو ولا موسم
أشد على رجل ظالم وأدهى لداهية ميثم

وقالت أخته عمرة ترثيه:

لتبك ابن مرداس على ما عراهم عشيرته إذ حم أمس زوالها

لدى الخصم إذ عند الأمير كفاهم فكان إليه فصلها وجدالها

ومعضلة للحاملين كفيتها إذا أنهلت هوج الرياح طلالها

وقد روى العباس بن مرداس عن النبي صلى الله عليه وسلم، ونقل عنه الحديث.

دعاء النبي عليه السلام لأمته

حدثنا الحسين بن الطيب الشجاعي البلخي بالكوفة قال: حدثنا أيوب بن محمد الطلحي قال: حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي قال: حدثنا عبد الله بن كنانة بن عباس بن مرداس السلمي أن أباه حدثه عن جده عباس بن مرداس أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لأمته عشية عرفة قال: فأجيب لهم بالمغفرة إلا ما كان من مظالم العباد بعضهم لبعض، قال: فإني آخذ للمظلوم من الظالم، قال: أي رب إن شئت أعطيت للمظلوم من الجنة، وغفرت للظالم، فلم يجب في حينه، فلما أصبح في المزدلفة أعاد الدعاء، فأجيب لهم بما سأل، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم أو تبسم، فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي! إن هذه لساعة ما كنت تضحك فيها أو تبسم، فقال: إن إبليس لما علم أن الله غفر لأمتي جعل يحثو التراب على رأسه، ويدعو بالويل والثبور، فضحكت من جزعه. تمت أخبار العباس .

صوت

أرجوك بعد أبي العباس إذ بانا يا أكرم الناس أعراقاً وعيدانا

أرجوك من بعده إذ بان سيدنا عنا ولولاك لاستسلمت إذ بانا

فأنت أكرم من يمشي على قدم وأنضر الناس عند المحل أغصانا

لو مج عود على قوم عصارته لمج عودك فينا المسك والبانا

الشعر لحماد عجرد، والغناء لحكم الوادي، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها.

أخبار حماد عجرد ونسبه

نسبه

هو حماد بن يحيى بن عمر بن كليب، ويكنىأبا عمر ، مولى بني عامر بن صعصعة وذكر ابن النطاح أنه مولى بني سراة، وذكر سليمان بن أبي شيخ عن صالح بن سليمان أنه مولى بني عقيل، وأصله ومنشؤه بالكوفة، وكان يبري النبل، وقيل: بل أبوه كان نبالاً، و لم يتكسب هو بصناعة غير الشعر.

وقال صالح بن سليمان: كان عم لحماد عجرد يقال له مؤنس بن كليب، وكانت له هيئة وابن عمه عمارة بن حمزة بن كليب انتقلوا عن الكوفة ونزلوا واسطاً، فكانوا بها، وحماد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، إلا أنه لم يشتهر في أيام بني أمية شهرته في أيام بني العباس، وكان خليعاً ماجناً، متهماً في دينه، مرمياً بالزندقة.
كان أبوه مولى لبني هند

وهجاء بشار له

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال: قال أبو دعامة: حدثني عاصم بن أفلح بن مالك بن أسماء قال: كان يحيى أبو حماد عجرد مولى لبني هند بنت أسماء بن خارجة، وكان وكيلاً لها في ضيعتها بالسواد ، فولدت هند من بشر بن مروان عبد الملك بن بشر، فجر عبد الملك ولاء موالي أمه فصاروا مواليه. قال: ولما كان والد حماد عجرد بالسواد في ضيعتها نبطه بشار لما هجاه بقوله:

وأشدد يديك بحماد أبي عمر فإنه نبطي من زنابير

قال: وإنما لقبه بعجرد عمرو بن سندي، مولى ثقيف لقوله فيه:

سبحت بغلة ركبت عليها عجباً منك خيبة للمسير
زعمت أنها تراه كبيراً حملها عجرد الزنا والفجور
إن دهراً ركبت فيه على بغ ل وأوقفته بباب الأمير
لجدير ألا نرى فيه خيراً لصغير منا ولا لكبير
ما أمرؤ ينتقيك يا عقده الكل ب لأسراره بجد بصير
لاولا مجلس أجنك للذات يا عجرد الخنا بستير

يعني بهذا القول محمد بن أبي العباس السفاح، وكان عجرد في ندمائه، فبلغ هذا الشعرأبا جعفر، فقال لمحمد: مالي ولعجرد يدخل عليك؟ لا يبلغني أنك أذنت له، فقال: وعجرد مأخوذ من المعجرد، وهو العريان في اللغة، يقال: تعجرد الرجل إذا تعرى فهو يتعجرد تعجرداً: وعجردت الرجل أعجرده عجردة إذا عريته.
الحمادون الثلاثة أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثنا عمر بن شبة، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، ونسخت من كتاب عبد الله بن المعتز، حدثني الثقفي عن إبراهيم بن عمر العامري قال: كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون: حماد عجرد وحماد الراوية، وحماد بن الزبرقان، يتنادمون على الشراب، ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة، وكانوا كأنهم نفس واحدة، يرمون بالزندقة جميعاً وأشهرهم بها حماد عجرد.
أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحي أبو خليفة إجازة عن التوزي : أن حماداً لقب بعجرد لأن أعرابياً مر به في يوم شديد البرد وهو عريان يلعب مع الصبيان فقال له: تعجردت يا غلام؛ فسمي عجرداً.

قال أبو خليفة: المتعجرد: المتعري؛ والعجرد أيضاً: الذهب.

سبب مهاجاة بشار أخبرني أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى، عن علي بن مهدي، عن عبد الله بن عطية، عن عباد بن الممزق، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة قال: كان السبب في مهاجاة حماد عجرد بشاراً أن حماداً كان نديماً لنافع بن عقبة، فسأله بشار تنجز حاجة له من نافع، فأبطأ عنها، فقال بشارفيه:

مواعيد حماد سماء مخيلة ... تكشف عن رعد ولكن ستبرق

إذا جئته يوماً أحال على غد ... كما وعد الكمون ما ليس يصدق

وفي نافع عني جفاء، وإنني ... لأطرق أحياناً، وذو اللب يطرق

وللنقرى قوم فلو كنت منهم ... دعيت ولكن دوني الباب مغلق

أبا عمر خلفت خلفك حاجتي ... وحاجة غيري بين عينيك تبرق

وما زلت أستأنيك حتى حسرتني ... بوعد كجاري الآل يخفى ويخفق

قال: فغضب حماد وأنشد نافعاً الشعر، فمنعه من صلة بشار، فقال بشار:

أبا عمر ما في طلابيك حاجة ... ولا في الذي منيتنا ثم أصحرا

وعدت فلم تصدق وقلت غداً غداً ... كما وعد الكمون شربا مؤخرا

كان من كبار الزنادقة

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني أبو إسحاق الطلحي قال: حدثني أبو سهبل قال: حدثني أبو نواس قال: كنت أتوهم أن حماد عجرد إنما رمي بالزندقة لجونه في شعره، حتى حبست في حبس الزنادقة، فإذا حماد عجرد إمام من أئمتهم، وإذا له شعر مزاوج بيتين بيتين يقرءون به في صلاتهم، قال: وكان له صاحب يقال له حريث على مذهبه، وله يقول بشار حين مات حماد عجرد على سبيل التعزية له:

بكى حريث فوقره بتعزية ... مات ابن نهيا وقد كانا شريكين

تفاوضا حين شابا في نسائهما ... وحللا كل شيء بين رجلين

أمسى حريث بما سدى له غيراً ... كراكب اثنين يرجو قوة اثنين

حتى إذا أخذا في غير وجههما ... تفرقا وهوى بين الطريقين

يعني أنه كان يقول بقول الثنوية في عبادة اثنين، فتفرقا وبقي بينهما حائراً، قال: وفي حماد يقول بشار أيضا وينسبه إلى أنه ابن نهيا

يا بن نهيا رأس علي ثقيل واحتمال الرؤوس خطب جليل

ادع غيري إلى عبادة الاثني ن فإني بواحد مشغول

يابن نهيا برئت منك إلى الل ه جهارا، وذاك مني قليل

قال: فأشاع حماد هذه الأبيات لبشار في الناس، وجعل فيها مكان "فإني بواحد مشغول": "فإني عن واحد مشغول" ليصحح عليه الزندقة والكفر بالله تعالى، فما زالت الأبيات تدور في أيدي الناس حتى انتهت إلى بشار، فاضطرب منها وتغير وجزع وقال: أشاط ابن الزانية بدمي ، والله ما قلت إلا فإني بواحد مشغول فغيرها حتى شهرني في الناس بما يهلكني

هجاء بشار له

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثني صالح بن سليمان الخثعمي قال: قيل لعبد الله بن ياسين : إن بشاراً المرعث هجا حماداً فنبطه، فقال عبد الله: قد رأيت جد حماد، وكان يسمى كليباً، وكانت صناعته صناعة لا يكون فيها نبطي، كان يبري النبال ويريشها، وكان يقال له: كليب النبال، مولى بني عامر بن صعصعة.

هجاء بشار له ولصديقه سليم أخبرني أحمد بن العباس العسكري المؤدب، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني أحمد بن خلاد قال: كان بشار صديقاً لسليم بن سالم مولى بني سعد، وكان المنصور أيام استتر بالبصرة نزل على سليم بن سالم، فولاه أبو جعفر حين أفضى المر إليه السوس وجنديسابور، فانضم إليه حماد عجرد، فأفسده على بشار، وكان له صديقاً، فقال بشار يهجوهما:

أمسى سليم بأرض السوس مرتفقاً في خزها بعد غربال وأمداد

ليس النعيم وإن كنا نزن به إلا نعيم سليم ثم حماد

نيكا وناكا ولم يشعر بذا أحد في غفلة من نبي الرحمة الهادي

فنشب الشر بين حماد وبشار دخل بينه وبين بشار رجل بصري أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، عن عمر بن شبة، عن أبي أيوب الزبالي ، قال: كان رجل من أهل البصرة يدخل بين حماد وبشار على اتفاق منهما ورضاً بأن ينقل إلى كل واحٍ منهما وعنه الشعر، فدخل يوماً إلى بشار فقال له: إيهٍ يا فلان، و ما قال ابن الزانية في ؟فأنشده:

إن تاه بشار عليكم فقد أمكنت بشاراً من التيه

فقال بشار: بأي شيء ويحك؟فقال:

وذاك إذ سميته بآسمه ولم يكن حر يسميه

فقال: سخنت عينه ، فبأي شيء كنت أعرف؟ إيهٍ، فقال:

فصار إنساناً بذكري له ما يبتغي من بعد ذكريه؟

فقال: ما صنع شيئاً، إيهٍ ويحك؟ فقال:

لم أهج بشاراً ولكنني هجوت نفسي بهجائيه

فقال: على هذا المعنى دار، وحوله حام ، إيهٍ أيضاً، وأي شيء قال؟ فأنشده:

أنت ابن برد مثل بر د في النذالة والرذاله

من كان مثل أبيك يا أعمى أبوه فلاأبا له

فقال: جود ابن الزانية، وتمام الأبيات الأول:

لم آت شيئاً قط فيما مضى ولست فيما عشت آتيه

أسوأ لي في الناس أحدوثة من خطأ أخطأته فيه

فاصبح اليوم بسبي له أعظم شأناً من مواليه

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة، عن خلاد الأرقط قال: أنشد بشاراً راويته قول عجرد فيه:

دعيت إلى برد وأنت لغيره فهبك ابن برد نكت أمك من برد؟

فقال بشار لراويته: ها هنا أحد؟ قال: لا، فقال: أحسن والله ما شاء ابن الزانية.

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني محمد بن يزيد المهلبي قال: حدثني محمد بن عبد الله بن أبي عيينة قال: قال حماد عجرد لما أنشد قول بشار فيه:

يابن نهيا رأس علي ثقيل واحتمال الرأسين أمر جليل

فادع غيري إلى عبادة ربي ن فإني بواحد مشغول

والله ما أبالي بهذا من قوله، وإنما يغيظني منه تجاهله بالزندقة، يوهم الناس إنه يظن أن الزنادقة تعبد رأساً ليظن الجهال أنه لا يعرفها، لأن هذا قول تقوله العامة لا حقيقة له، وهو والله أعلم بالزندقة من ماني .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وأحمد بن عبيد بن عمار وحبيب بن نصر المهلبي، قالوا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو أيوب الزبالي قال: قال بشار لراوية حماد: ما هجاني به اليوم حماد؟ فأنشده:

ألا من مبلغ عني الذي والده برد

فقال: صدق ابن الفاعلة، فما يكون؟فقال:

إذا ما نسب الناس فلا قبل ولا بعد

فقال: كذب ابن الفاعلة، وأين هذه العرصات من عقيل؟ فما يكون؟ فقال:

وأعمى قلطبان ما على قاذفه حد

فقال: كذب ابن الفاعلة، بل عليه ثمانون جلدة، هيه، فقال:

وأعمى يشبه القرد إذا ما عمي القرد

فقال: والله ما أخطأ ابن الزانية حين شبهني بقرد، حسبك حسبك، ثم صفق بيديه، وقال: ما حيلتي؟ يراني فيشبهني ولا أراه فأشبهه.

وقال: أخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ فذكر مثله، وقال فيه: لما قال حماد عجرد في بشار:

شبيه الوجه بالقرد إذا ما عمي القرد

بكى بشار، فقال له قائل: أتبكي من هجاء حماد؟ فقال: والله ما أبكي من هجائه ولكن أبكي لأنه يراني ولا أراه، فيصفني ولا أصفه، قال: وتمام هذه الأبيات:

ولو ينكه في صلد صفا لا نصدع الصلد

دني لم يرح يوماً إلى مجد ولم يغد

ولم يحضر مع الحضا ر في خير ولم يبد

ولم يخش له ذم ولم يرج له حمد

جرى بالنحس مذكان ولم يجر له سعد

هو الكلب إذا ما ما ت لم يوجد له فقد

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني خلاد الأرقط قال: أشاع بشار في الناس أن حماد عجرد كان ينشد شعراً ورجل بإزائه يقرأ القرآن وقد اجتمع الناس عليه، فقال حماد: علام اجتمعوا؟ فوالله لما أقول أحسن مما يقول.

قال: وكان بشار يقول: لماسمعت هذا من حماد مقته عليه.

هجاء بشار له أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: أخبرني أبو إسحاق الطلحي قال: حدثني أبو سهيل عبد الله بن ياسين أن بشاراً قال: في حماد عجرد وسهيل بن سالم، وكان سهيل من أشراف أهل البصرة، وكان من عمال المنصور، ثم قتله بعد ذلك بالعذاب، وكان حماد وسهيل نديمين:

ليس النعيم وإن كنا نزن به إلا نعيم سهيل ثم حماد

ناكا ونيكا إلا لاح شبيهما في غفلة عن نبي الرحمة الهادي

فهدين طوراً وفهادين آونة ما كان قبلهما فهد بفهاد

سبحانك الله لو شئت امتسختهما قردين فاعتلجا في بيت قراد

قال: يعني بقوله ما كان قبلهما فهد بفهاد أي لم يكن الفهد فهاداً، كما تقول: لم يكن زيد بظريف، و لم يكن زيد ظريفاً، قال ابن ياسين: وفيه يقول بشار أيضاً:

مالمت حماداً على فسقه يلومه الجاهل و المائق

وما هما من أيره واسته؟ ملكه إياهما الخالق

ما بات إلا فوقه فاسق ينيكه أو تحته فاسق

هجاؤه لبشار أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: أنشدني ابن أبي سعد لحماد عجرد في بشار قال وهو من أغلظ ما هجاه به عليه:

نهاره أخبث من ليله ويومه أخبث من أمسه

وليس بالمقلع عن غيه حتى يوارى في ثرى رمسه

قال: وكان أغلظ على بشار من ذلك كله وأوجعه له قوله فيه:

لو طليت جلدته عنبراً لأفسدت جلدته العنبرا

أو طليت مسكاً ذكياً إذا تحول المسك عليه خرا

قال ابن أبي سعد: وقد بالغ بشار في هجاء حماد، ولكن حكم الناس عليه لحماد بهذه الأبيات

اتصاله بالربيع

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني أحمد بن إسحاق قال: حدثني عثمان بن سفيان العطار قال: اتصل حماد عجرد بالربيع يؤدب ولده، فكتب إليه بشار رقعة، فأوصلت إلى الربيع، فطرده لما قرأها، وفيها مكتوب:

ياأبا الفضل لا تنم وقع الذئب في الغنم

إن حماد عجرد إن رأى غفلة هجم

بين فخذيه حربة في غلاف من الأدم

إن خلا البيت ساعة مجمج الميم بالقلم

فلما قرأها الربيع قال: صيرني حماد دريئة الشعراء، أخرجوا عني حماداً، فأخرج.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة، عن علي بن مهدي، عن عبد الله بن عطية، عن عباد بن الممزق أن حماد عجرد كان يؤدب ولد العباس بن محمد الهاشمي، فكتب إليه بشار بهذه الأبيات المذكورة، فقال العباس: مالي ولبشار؟ أخرجوا عني حماداً، فأخرج.

هجاؤه لبشار

أخبرني يحيى بن علي قال: حدثني محمد بن القاسم قال: حدثني عبد الله بن طاهر بن أبي أحمد الزبيري قال: لما أخرج العباس بن محمد حماداً عن خدمته، وانقطع عنه ما كان يصل إليه منه، أوجعه ذلك، فقال يهجو بشاراً:

لقد صار بشار بصيراً بدبره ... وناظره بين الأنام ضرير

له مقلة عمياء واست بصيرة ... إلى الأير من تحت الثياب تشير

على وده أن الحمير تنيكه ... وأن جميع العالمين حمير

قال أبو الفرج الأصبهاني: وقد فعل مثل هذا بعينه حماد عجرد بقطرب

شعره في قطرب

أخبرني عمي عن عبد الله بن المعتز قال: حدثني أبو حفص الأعمى المؤدب، عن الزبالي قال: اتخذ قطرب النحوي مؤدباً لبعض ولد المهدي، وكان حماد عجرد يطمع في أن يجعل هو مؤدبه، فلم يتم له ذلك، لتهتكه وشهرته في الناس بما قاله فيه بشار، فلما تمكن قطرب في موضعه صار حماد عجرد كالملقى على الرضف ، فجعل يقول ويقعد بقطرب في الناس، ثم أخذ رقعة فكتب فيها:

قل للإمام جزاك الله صالحة ... لا تجمع الدهر بين السخل والذيب

السخل غر وهم الذئب فرصته ... والذئب يعلم ما في السخل من طيب

فلما قرأ هذين البيتين قال: انظروا لا يكون هذا المؤدب لوطياً، ثم قال : انفوه عن الدار، فأخرج عنها، وجيء بمؤدب غيره، ووكل به تسعون خادماً يتناوبون، يحفظون الصبي، فخرج قطرب هارباً مما شهر به إلى عيسى بن إدريس العجلي بن أبي دلف فأقام معه بالكرج إلى أن مات.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني قال: لما قال حماد عجرد في بشار:

ويا أقبح من قرد ... إذا ما عمي القرد

قال بشار: لا إله إلا الله، قد والله كنت أخاف أن يأتي به، والله لقد وقع لي هذا البيت منذ أكثر من عشرين سنة، فما نطقت به خوفاً من أن يسمع فأهجى به، حتى وقع عليه النبطي ابن الزانية.

كان أبو حنيفة صديقاً له

قال أبو الفرج: نسخت من كتاب عبد الله بن المعتز، حدثني العجلي قال: حدثني أبو دهمان قال: كان أبو حنيفة الفقيه صديقاً لحماد عجرد، فنسك أبو حنيفة وطلب الفقه، فبلغ فيه ما بلغ، ورفض حماداً وبسط لسانه فيه، فجعل حماد يلاطفه حتى يكف عن ذكره، وأبو حنيفة يذكره، فكتب إليه حماد بهذه الأبيات:

إن كان نسكك لا يتم ... بغير شتمي وانتقاصي

أو لم تكن إلا به ... ترجو النجاة من القصاص

فاقعد وقم بي كيف شئ ... ت مع الأداني والأقاصي

فلطالما زكيتني ... وأنا المقيم على المعاصي

ايام تأخذها وتع ... طي في أباريق الرصاص

قال: فأمسك أبو حنيفة رحمة الله بعد ذلك عن ذكره خوفاً من لسانه.

كان يحيى بن زياد صديقاً له

وقد أخبرني بهذه الخبر محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن النضر بن حديد قال: كان حماد عجرد صديقاً ليحيى بن زياد، وكانا يتنادمان ويجتمعان على ما يجتمع عليه مثلهما، ثم إن يحيى بن زياد أظهر تورعاً وقراءة ونزوعاً عما كان عليه، وهجر حماداً وأشباهه، فكان إذا ذكر عنده ثلبه وذكر تهتكه ومجونه، فبلغ ذلك حماداً، فكتب إليه:

هل تذكرن دلجي إلي ... ك على المضمرة القلاص

أيام تعطيني وتأ ... خذ من اباريق الرصاص

إن كان نسك لا يتم ... بغير شتمي وانتقاضي

أو كنت لست بغير ذا ... ك تناك منزلة الخلاص

فعليك فاشتم آمناً ... كل الأمان من القصاص

واقعد وقم بي ما بدا ... لك في الأداني والأقاصي

فلطالما زكيتني ... وأنا المقيم على المعاصي

أيام أنت إذا ذكر ... ت مناضل عني مناصي

وأنا وأنت على ارتكا ... ب الموبقات من الحراص

وبنا مواطن ما ينا في البر آهلة العراص

فاتصل هذا الشعر بيحيى بن زياد، فنسب حماداً إلى الزندقة ورماه بالخروج عن الإسلام، فقال حماد فيه:

لا مؤمن يعرف إيمانه وليس يحيى بالفتى الكافر

منافق ظاهره ناسك مخالف الباطن للظاهر

شعره لصديق انقطع عن مجلسه

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا ابن أبي سعد، عن النضر بن عمرو قال: كان لحماد عجرد إخوان ينادمونه، فانقطع عنه الشراب، فقطعوه، فقال لبعضهم:

لست بغضبان ولكنني أعرف ما شأنك يا صاح

أأن فقدت الراح جانبتني ما كان حبيك على الراح

قد كنت من قبل وأنت الذي يعنيك إمسائي وإصباحي

وما أرى فعلك إلا وقد أفسدني من بعد إصلاحي

أنت من الناس وإن عبتهم دونكها مني بإفصاح

كان من ندماء الوليد بن يزيد

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثني ميمون بن هارون عن أبي محلم أن الوليد بن يزيد أمر شراعة بن الزندبوذ أن يسمي له جماعة ينادمهم من ظرفاء اهل الكوفة، فسمى له مطيع بن إياس وحماد عجرد والمطيعي المغني، فكتب في إشخاصهم إليه، فأشخصوا، فلم يزالوا في ندمائه إلى أن قتل، ثم عادوا إلى أوطانهم.

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثني حماد عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني قال: تزوج حماد عجرد امرأة، فدخلنا إليه صبيحة بنائه بها نهنئه ونسأله عن خبره، فقال لنا: كنت البارحة جالساً مع أصحابي أشرب، وأنا منتظر لامرأتي أن يؤتى بها، حتى قيل لي: قد دخلت، فقمت إليها فوالله ما لبثتها حتى افتضضتها، وكتبت من وقتي إلى أصحابي:

قد فتحت الحصن بعد امتناع بمشيح فاتح للقلاع

ظفرت كفي بتفريق شمل جاءنا تفريقه باجتماع

فغذا شعبي وشعب حبيبي إنما يلتام بعد انصداع

اجتماعه بوجوه البصرة

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري عن أبيه، وأخبرني الحسن بن علي عن القاسم بن محمد الأنباري، قال حدثنا الحسن بن عبد الرحمن عن أحمد بن الأسود بن الهيثم، عن إبراهيم بن محمد بن عبد الحميد، قال: اجتمع عمي سهم بن عبد الحميد وجماعة من وجوه أهل البصرة عند يحيى بن حميد الطويل، ومعهم حماد عجرد، وهو يومئذ هارب من محمد بن سليمان، ونازل على عقبة بن سلم وقد أمن، وحضر الغداء، فقيل له: سهم بن عبد الحميد يصلي الضحى، فانتظر، وأطال سهم الصلاة، فقال حماد:

ألا أيهذا القانت المجتهد ... صلاتك للرحمن أم لي تسجد؟

أما والذي نادى من الطور عبده ... لمن غير ما بر تقوم وتقعد

قيت الله إذ كنت والياً ... بصنعاء تبري من وليت وتجرد

ويشهد لي أني بذلك صادق ... حريث ويحيى لي بذلك يشهد

وعند أبي صفوان فيك شهادة ... وبكر، وبكر مسلم متهجد

فإن قلت زدني في الشهود فإنه ... سيشهد لي أيضا بذاك محمد

قال: فلما سمعها قطع الصلاة وجاء مبادراً، فقال له: قبحك الله يا زنديق، فعلت بي هذا كله لشرهك في تقديم أكل وتأخيره هاتوا طعامكم فأطعموه لا أطعمه الله تعالى، فقدمت المائدة

شعر للسكوني يعتذر إليه به

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى، عن أبيه، عن إسحاق الموصلي، عن محمد بن الفضل السكوني قال: لقيت حماد عجرد بواسط وهو يمشي وأنا راكب، فقلت له: انطلق بنا إلى المنزل، فإني الساعة فارغ لنتحدث، وحبست عليه الدابة، فقطعني شغل عرض لي لم أقدر على تركه، فمضيت وأنسيته، فلما بلغت المنزل خفت شره، فكتبت إليه:

أبا عمر أغفر هديت فإنني ... قد اذنبت ذنباً مخطئاً غير عامد

فلا تجدن فيه علي فإنني ... أقر بإجرامي ولست بعائد

وهبه لنا تفديك نفسي فإنني ... أرى نعمة إن كنت لست بواجد

وعد منك بالفضل الذي أنت أهله ... فإنك ذو فضل طريف وتالد

فكتب إلي مع رسولي:

محمد يابن الفضل يا ذا المحامد ... ويا بهجة النادي وزين المشاهد

حقك ما أذنبت منذ عرفتني ... على خطأ يوماً ولا عمد عامد

ولو كان، ما ألفيتني متسرعا إليك به يوماً تسرع واجد

أي لو كان لك ذنب ما صادفتني مسرعاً إليك بالمكافأة :

ولو كان ذو فضل يسمى لفضله بغير اسمه سميت أم القلائد

قال: فبينا رقعته في يدي وأنا أقرؤها إذ جاءني رسوله برقعة فيها:

قد غفرنا الذنب يا بن ال فضل والذنب عظيم

ومسيء أنت يا بن الأ فضل في ذاك مليم

حين تخشاني على الذن ب كما يخشى الليئم

ليس لي إن كان ماخف ت من الأمر حريم

أنا والله ولا أف خر للغيظ كظوم

ولأصحابي ولاء ربه بر رحيم

وبما يرضيهم عني ويرضيني عليم

مديحه لجلة من أبناء ملوك فارس

اخبرني يحيى بن علي، عن أبيه عن إسحاق قال: خرج حماد عجرد مع بعض الأمراء إلى فارس، وبها جلة من أبناء الملوك، فعاشر قوماً من رؤسائها، فأحمد معاشرتهم، وسر بمعرفتهم، فقال فيهم:

رب يوم بفساء ليس عندي بذميم

قد قرعت العيش فيه مع ندمان كريم

من بني صيهون في البي ت المعلى والصميم

في جنان بين أنها ر وتعريش كروم

نتعاطى قهوة تش خص يقظان الهموم

بنت عشر تترك المك ثر منها كالأميم

فبها دأباً أحيي ويحييني نديمي

في إناء كسروي مستخف للحليم

شربة تعدل منه شربتي أم حكيم

عندنا دهقانة حسانة ذات هميم

جمعت ما شئت من حس ... ن ومن دل رخيم
في اعتدال من قوام ... وصفاء من أديم
وبنان كالمداري ... وثنايا كالنجوم
لم أنل منها سوى غم ... زة كف أو شميم
غير أن أقرض منها ... عكنة الكشح الهضيم
وبلى ألطم منها ... خدها لطم رحيم
وبنفسي ذاك يا أس ... ود من خد لطيم

يعني الأسود بن خلف كاتب عيسى بن موسى.

حريث بن أبي الصلت يعيبه بالبخل

وشعر له في ذلك

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه عن أبي النضر قال: كان حريث بن أبي الصلت الحنفي صديقاً لحماد عجرد، وكان يعابثه بالشعر، ويعيبه بالبخل، وفيه يقول:

حريث أبو الفضل ذو خبرة ... بما يصلح المعد الفاسده
تخوف تخمة أضيافه ... فعودهم أكلة واحده

قوله في رجل حبق في مجلسه

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة، عن ابن عائشة قال: ضرط رجل في مجلس فيه حماد عجرد ومطيع بن إياس، فتجلد ، ثم ضرط أخرى متعمداً، ثم ثلث، ليظنوا أن ذلك كله تعمد، فقال له حماد: حسبك يا أخي فلو ضرطت ألفاً لعلم بأن المخلف الأول مفلت

شعر له في قريش حين صلى به

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ ثال: حدثني معاذ بن عيسى مولى بني تيم قال: كان سليمان بن الفرات على كسكر ، ولاه أبو جعفر المنصور، وكان قريش مولى صاحب المصلى بواسط في ضياع صالح وهو سندي فحدثني معاذ بن عيسى قال: كنا في دار قريش، فحضرت الصلاة، فتقدم قريش فصلى بنا وحماد عجرد إلى جنبي، فقال لي حماد حين سلم: اسمع ما قلت، وأنشدني:

قد لقيت العام جهداً | من هنات وهنات
من هموم تعتريني | وبلايا مطبقات
وجوى شيب رأسي | وحنى مني قناتي
وغدوي ورواحي | نحو سلم بن الفرات
وائتمامي بالقمارى | قريش في صلاتي

خبره مع غلام أمرد

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا أبو أيوب المديني عن مصعب الزبيري قال: حدثني أبو يعقوب الخريمي قال: كنت في مجلس فيه حماد عجرد، ومعنا غلام أمرد، فوضع حماد عينه عليه وعلى الموضع الذي ينام فيه، فلما كان الليل اختلفت مواضع نومنا، فقمت فنمت في موضع الغلام، قال: ودب حماد إلى يظنني الغلام، فلما أحسست به أخذت يده فوضعتها على عيني العوراء لأعلمه أني أبو يعقوب قال: فنتر يده ومضى في شأنه وهو يقول: "وفديناه بذبح عظيم".

شعره في جوهر

أخبرني عمي قال: حدثني مصعب قال: كان حماد عجرد ومطيع بن إياس يختلفان إلى جوهر جارية أبي عون نافع بن عون بن المقعد، وكان حماد يحبها ويجن بها، وفيها يقول:

إني لأهوى جوهراً | ويحب قلبي قلبها
وأحب من حبي لها | من ودها وأحبها
وأحب جارية لها | تخفي وتكتم ذنبها
وأحب جيراناً لها | وابن الخبيثة ربها

رثاؤه للأسود بن خلف

أخبرني عمي قال: حدثني محمد بن سعد الكراني قال: حدثني أبيض بن عمرو قال: كان حماد عجرد يعاشر الأسود بن خلف ولا يكادان يفترقان، فمات الأسود قبله، فقال يرثيه وفي هذا الشعر غناء: صوت

قلت لحنانة دلوح | تسح من وابل سفوح
جادت علينا لها رباب | بواكف هاطل نضوح

أمي الضريح الذي أسمي ثم استهلي على الضريح
على صدى أسود الموارى في اللحد والترب والصفيح
فأسقيه ريا وأوطنيه ثم اغتدي نحوه وروحي
اغدي بسيقاي فاصبحيه ثم اغبقيه مع الصبوح
ليس من العدل أن تشحي على امرىء ليس بالشحيح

الغناء ليونس الكاتب ذكره في كتابه ولم يجنسه.

هجا أبا عون مولى جوهر بشعر

أخبرني عمي قال: أنشدنا الكراني قال: أنشد مصعب لحماد عجرد يهجوأبا عون مولى جوهر، وكان يقين عليها، وكان حماد عجرد يميل إليها، فإذا جاءهم ثقل، ولم يمكن أحداً من أصدقائها أن يخلو بها، فيضر ذلك بأبي عون، فجاءه يوماً وعنده أصدقاء لجاريته، فحجبها عنه، فقال فيه:

إن أبا عون ولن يرعوي ما رقصت رمضاؤها جندبا
ليس يرى كسباً إذا لم يكن من كسب شفري جوهر طيبا
فسلط الله على ما حوى مئزرها الأفعى أو العقربا
ينسب بالكشخ ولا يشتهي بغير ذاك الإسم أن ينسبا

وقال فيه أيضاً:

إن تكن أغلقت دوني باباً فلقد فتحت للشكخ بابا

وقال فيه أيضاً:

قد تخرطمت علينا لأنا لم نكن نأتيك نبغي الصوابا
إنما تكرم من كان منا لسنان الحقوا منها قرابا

وقال فيه أيضاً:

يا نافع ابن الفاجرة يا سيد المؤاجرة
يا حلف كل داعر وزوج كل عاهره
ما أمة تملكها أو حرة بطاهره

تجارة أحدثتها في الكشخ غير بائره
لو دخلت عفيفة بيتك صارت فاجره
حتى متى ترتع في ال خسران يا بن الخاسره
تجمع في بيتك بي ن العرس والبرابره

وقال يهجوه:

أنت إنسان تسمى داره دار الزواني
قد جرى ذلك بالكر خ على كل لسان
لك في دار حر يز ني وفي دار حران

وقال فيه:

تفرح إن نيكت، وإن لم تنك بت حزين القلب مستعبرا
أسكرك القوم فساهلتهم وكنت سهلاً قبل أن تسكرا

وقال فيه:

قل للشقي الجد غير الأسعد أتحب أنك فقحه ابن المقعد؟
لو لم يجد شيئاً يسكنها به يوماً لسكنها بزت المسجد

وقال فيه:

أبا عون لقد صف ر زوارك أذنيكا؟
وعيناك ترى ذاك فأعمى الله عينيكا

هجا بشاراً ببيت من الشعر

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: لما قال حماد عجرد في بشار:

نسبت إلى برد وأنت لغيره وهبك لبرد نكت أمك من برد؟

قال بشار: تهيأ له علي في هذا البيت خمسة معان من الهجاء، قوله "نسبت إلى برد" معنى؛ ثم قوله: وأنت لغيره معنى آخر، ثم قوله: فهبك لبرد معنى ثالث، وقوله: نكت أمك شتم مفرد، واستخفاف مجدد، وهو معنى رابع، ثم ختمها بقوله: من برد؟ ولقد طلب جرير في هجائه للفرزدق تكثير المعاني، ونحا هذا النحو، فما تهيأ له أكثر من ثلاثة معان في بيت، وهو قوله:

لما وضعت على الفرزدق ميسمي وضغا البعيث جدعت أنف الأخطل

فلم يدرك أكثر من هذا.

هجاؤه له أيضاً أخبرني حبيب بن نصر قال: حدثنا عمر بن شبة قال: قال أبو عبيدة: ما زال بشار يهجو حماداً ولا يرفث في هجائه إياه حتى قال حماد:

من كان مثل أبيك يا أعمى أبوه فلاأبا له

أنت ابن برد مثل بر د في النذالة والرذالة

زحرتك من حجر استها في الحشن خارئة غزالة

من حيث يخرج جعر من تتة مدنسة مذالة

أعمى كست عينيه من وذح استها وكست قذاله

خنزيرة بظراء من تتة البداهة والعلاله

رسحاء خضراء المغا بن ريحها ريح الإهاله

عذراء حبلى يا لقو مي للمجانة والضلاله

مرقت فصارت قحبة بجعالة وبلا جعاله

ولقد أقلتك يا بن بر د فاجترأت فلا إقاله

فلما بلغت هذه الأبيات بشاراً أطرق طويلاً، ثم قال: جزى الله ابن نهيا خيراً، فقيل له: علام تجزيه الخير؟ أعلى ما تسمع؟ فقال: نعم، والله لقد كنت أرد على شيطاني أشياء من هجائه إبقاء على المودة، ولقد أطلق من لساني ما كان مقيداً عنه، وأهدفني عورة ممكنة منه، فلم يزل بعد ذلك يذكر أم حماد في هجائه إياه، ويذكر أباه أقبح ذكر، حتى ماتت أم حماد، فقال فيها يخاطب جاراً لحماد:

أبا حامد إن كنت تزني فأسعد وبك حراً ولت به أم عجرد

حراً كان للعزاب سهلاً ولم يكن أبياً على ذي الزوجة المتودد

أصيب زناة القوم لما توجهت به أم حماد إلى المضجع الردي

لقد كان للأدنى وللجار والعدا وللقاعد المعتر والمتزيد

راوية بشار ينشده شعراً لحماد

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم قال: قال يحيى بن الجون العبدي راوية بشار: أنشدت بشاراً يوماً قول حماد:

ألا قل لعبد الله إنك واحد ومثلك في هذا الزمان كثير
قطعت إخائي ظالماً وهجرتني وليس أخي من في الإخاء يجور
أديم لأهل الود ودي، وإنني لمن رام هجري ظالماً لهجور
ولو أن بعضي رابني لقطعته وإني بقطع الرائبين جدير
فلا تحسبن منحي لك الود خالصاً لعز ولا أني إليك فقير
ودونك حظي منك لست أريده طوال الليالي ما أقام ثبير

فقال بشار: ما قال حماد شعراً قط هو أشد علي من هذا، قلت: كيف ذاك ولم يهجك فيه؟ وقد هجاك في شعر كثير فلم تجزع. قال: لأن هذا شعر جيد ومثله يروى، وأنا أنفس عليه أن تقول شعراً جيداً.

إعجاب محمد بن النطاح بشعره

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني هارون بن علي بن يحيى المنجم قال: حدثني علي بن مهدي قال: حدثني محمد بن النطاح قال: كنت شديد الحب لشعر حماد عجرد، فأنشدت يوماً أخي بكر بن النطاح قوله في بشار:

أسأت في ردي على ابن استها إساءة لم تبق إحساناً
فصار إنساناً بذكري له ولم يكن من قبل إنسانا
قرعت سني ندماً سادما لو كان يغني ندمي الآنا
ياضيعة الشعر ويا سوءتا لي ولأزماني أزمانا
من بعد شتمي القرد لا والذي أنزل توارة وقرآنا
ما أحد من بعد شتمي له أنذل مني، كان من كانا

قال: فقال لي: لمن هذا الشعر؟ فقلت: لحماد عجرد في بشار، فأنشأ يتمثل بقول الشاعر:

ما يضر البحر أمسى زاخراً أن رمى فيه غلام بحجر

ثم قال: يا أخي، إنس هذا الشعر فنسيانه أزين بك، والخرس كان أستر على قائله.

هجاه بشار أكثر مما هجاه هو

أخبرني علي بن سليمان قال: حدثني هرون بن يحيى قال: حدثني علي بن مهدي قال: أجمع العلماء بالبصرة أنه ليس في هجاء حماد عجرد لبشار شيء جيد إلا أربعين بيتاً معدودة، ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيد، قال: وكل واحد منهما هو الذي هتك صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه، وكانا يجتمعان عليها، فسقط حماد عجرد وتمتك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه، وبقي بشار على حاله لم يسقط، وعرف مذهبه في الزندقة فقتل به.

مجاشع بن مسعدة يهجو حماداً

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي الفضل عن إسحاق الموصلي أن مجاشع بن مسعدة أخا عمرو بن مسعدة هجا حماد عجرد وهو صبي حينئذ ليرتفع بهجائه حماداً، فترك حماداً وشبب بأمه، فقال:

راعتك أم مجاشع ... بالصد بعد وصالها

واستبدلت بك والبلا ... ء عليك في استبدالها

جنية من بربر ... مشهورة بجمالها

فحرامها أشهى لنا ... ولها من استحلالها

فبلغ الشعر عمرو بن مسعدة، فبعث إلى حماد بصلة، وسأله الصفح عن أخيه، ونال أخاه بكل مكروه، وقال له: ثكلتك أمك، أتتعرض لحماد وهو يناقف بشاراً ويقاومه، والله لو قاومته لما كان لك في ذلك فخر، ولئن تعرضت له ليهتكنك وسائر أهلك، وليفضحنا فضيحة لا نغسلها أبداً عنا.

شعره في جارية

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن سعد الكراني قال: حدثني أبو علي بن عمار قال: كان حماد عجرد عند أبي عمرو بن العلاء، وكانت لأبي عمرو جارية يقال لها منيعة، وكانت رسحاء عظيمة البطن، وكانت تسخر بحماد، فقال حماد لأبي عمرو: أغن عني جاريتك فإنها حمقاء، وقد استغلقت لي، فنهاها أبو عمرو فلم تنته فقال لها حماد عجرد:

لو تأتى لك التحول حتى ... تجعلي خلفك اللطيف أماما

ويكون القدام ذو الخلقة الجز ... لة خلقاً مؤثلاً مستكاما

لإذاً كنت يا منيعة خير ... الناس خلفاً وخيرهم قداما

شعره في محمد بن طلحة

أخبرني عمي قال: حدثني الكراني قال: حدثني الحسن بن عمارة قال: نزل حماد عجرد على محمد بن طلحة، فأبطأ عليه بالطعام، فاشتد جوعه، فقال فيه حماد:

زرت أمرأ في بيته مرة ... له حياء وله خيرا

يكره أن يتخم أضيافه ... إن أذى التخمة محذور

ويشتهي أن يؤجروا عنده ... بالصوم والصالح مأجور

قال: فلما سمعها محمد قال له: عليك لعنة الله، أي شيء حملك على هجائي، وإنما انتظرت أن يفرغ لك من الطعام؟ قال: الجوع وحياتك حملني عليه، وإن زدت في الإبطاء زدت في القول، فمضى مبادراً حتى جاء بالمائدة.

رده على حفص بن أبي وزة

حين طعن على مرقش

أخبرني الحسين بن يحيى وعيسى بن الحسين ووكيع وابن أبي الأزهر قالوا: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان حفص بن أبي وزة صديقاً لحماد عجرد، وكان حفص مرمياً بالزندقة، وكان أعمش أفطس أغضف مقبح الوجه، فاجتمعوا يوماً على شراب، وجعلوا يتحدثون ويتناشدون، فأخذ حفص بن أبي وزة يطعن على مرقش ويعيب شعره ويلحنه، فقال له حماد:

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل ... وأنف كثيل العود عما تتبع

تتبع لحناً في كلام مرقش ... ووجهك مبني على اللحن أجمع

فأذناك إقواء وأنفك مكفأ ... وعيناك إيطاء فأنت المرقع

شعره في جبة لبعض الكتاب

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: ذكر أبو دعامة عن عاصم بن الحارث بن أفلح، قال: رأى حماد عجرد على بعض الكتاب جبة خز دكناء فكتب إليه:

إنني عاشق لجبتك الك ... ناء عشقاً قد هاج لي أطرابي،

فبحق الأمير إلا أتتني ... في سراج مقرونة بالجواب

ولك الله والأمانة أن أج ... علها أشهرا أمير ثيابي،

فوجه إليه بها. وقال للرسول: قل له وأي شيء لي من المنفعة في أن تجعلها أمير ثيابك؟ وأي شيء علي من الضرر في غير ذلك من فعلك، لو جعلت مكان هذا مدحاً لكان أحسن، ولكنك رذلت لنا شعرك فاحتملناك.

مرض فلم يعده مطيع بن إياس فقال

أخبرني أحمد بن العباس العسكري والحسن بن علي الخفاف، قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي عن علي بن منصور قال: مرض حماد عجرد فلم يعده مطيع بن إياس، فكتب إليه:

كفاك عيادتي من كان يرجو ... ثواب الله في صلة المريض

فإن تحدث لك الأيام سقماً ... يحول جريضه دون القريض

يكن طول التأوه منك عندي ... بمنزلة الطنين من البعوض

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن أبي سعد قال: زم أبو دعامة أن التيحان بن أبي التيحان قال: كنت عند حماد عجرد فأتاه والبة بن الحباب ، فقال له: ما صنعت في حاجتي؟ فقال: ما صنعت شيئاً، فدعا والبة بدواة وقرطاس وأملى علي:

عثمان ما كانت عدا ... تك بالعدات الكاذبه

فعلام ياذا المكرما ... ت وذا الغيوث الصائبه

أخرت وهي يسيرة ... في الرزء حاجة والبه؟

فأبوا أسامة حقه ... أحد الحقوق الواجبه

فاستحي من ترداده ... في حاجة متقاربه

ليست بكاذبة ، ولو ... والله كانت كاذبه

فقضيتها أحمدت غب ... قضائها في العاقبة

إني وما رأيي بعا ... دم عاتب أو عاتبه

لأرى لمثلك كلما ... نابت عليه نائبه

ألا يرد يد أمرىء ... بسطت إليه خائبه

قال: فلقيت والبة بعد ذلك فقلت له: ماصنعت؟ فقال: قضى حاجتي وزاد.

خبره مع المفضل بن بلال

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه عن الزبالي قال: بلغ حماد عجرد أن المفضل بن بلال أعان بشاراً عليه وقدمه وقرظه، فقالفيه.

عجباً للمفضل بن بلال ... ما له يأبا الزبير ومالي

عربي لا شك فيه ولا مر ... ية ما باله وبال الموالي

قال: وأبو الزبير هذا الذي خاطبه هو قبيس بن الزبير، وكان قبيس ويونس بن أبي فروة كاتب عيسى بن موسى صديقين له، وكانوا جميعاً زنادقة، وفي يونس يقول حماد عجرد وقد قدم من غيبة كان غابها:

كيف بعدي كنت يا يو ... نس لازلت بخير

وبغير الخير لازا ... ل قبيس بن الزبير

أنت مطبوع على ما ... شئت من خير ومير

وهو إنسان شبيه ... بكسير وعوير

رغمه أهون عند الناس ... من ضرطة عير

خبره مع سعاد الجارية

اخبرني علي بن سليمان الأخفش ووكيع قالا: حدثنا الفضل بن محمد اليزيدي قال: حدثني إسحاق الموصلي عن السكوني فقال: ذكر محمد بن سنان أن حماد عجرد حضر جارية مغنية يقال لها سعاد وكان مولاها ظريفاً ومعه مطيع بن إياس، فقال مطيع:

قبليني سعاد بالله قبله ... واسأليني لها فديتك نحله

فورب السماء لو قلت لي ... صل لوجهي جعلته الدهر قبله

فقالت لحماد: اكفنيه يا عم، فقال حماد:

إن لي صاحباً سواك وفيا ... لا ملولاً لنا كما أنت مله

لا يباع التقبيل بيعاً ولا يش ... رى فلا تجعل التعشق عله

فقال مطيع: يا حماد، هذا هجاء: وقد تعديت وتعرضت، ولم تأمرك بهذا؛ فقالت الجارية وكانت بارعة ظريفة أجل؛ ما أردنا هذا كله، فقال حماد:

أنا والله أشتهي مثلها من ... ك بنحل، والنحل في ذاك حله

فأجيبي وأنعمي وخذي البذ ... ل وأطفي بقبلة منك غله

فرضي مطيع ، وخجلت الجارية: وقالت اكفياني شركما اليوم، وخذا فيما جئتما له.

خبره مع غلام بعث به إليه مطيع

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا أبو أيوب المديني، عن مصعب الزبيري عن أبي يعقوب الخريمي قال: أهدى مطيع بن إياس إلى حماد عجرد غلاماً وكتب إليه: قد بعثت إليك بغلام تتعلم عليه كظم الغيظ.

شعر له ولمطيع في بنت دهقان

أخبرني وكيع قال: حدثنا أبو أيوب المديني قال: ذكر محمد بن سنان أن مطيع بن إياس خرج هو وحماد عجرد ويحيى بن زياد في سفر، فلما نزلوا في بعض القرى عرفوا، ففرغ لهم منزل، وأتوا بطعام وشراب وغناء، فبينا هم على حالهم يشربون في صحن الدار، إذ أشرفت بنت دهقان من سطح لها بوجه مشرق رائق، فقال مطيع لحماد: ما عندك؟ فقال حماد: خذ فيما شئت فقال مطيع:

ألا يا بأبي الناظ ... ر من بينهم نحوي

فقال حماد عجرد:

ألا يا ليت فوق الحق ... و منها لاصقاً حقوي

فقال مطيع:

وأن البضع يا حما ... د منها شوبك المروي

فقال يحيى بن زياد:

ويا سقياً لسطح أش ... رقت من بينهم حذوي

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه: أن حماد عجرد قال في جوهر جارية أبي عون: قال: وفيه غناء : صوت

إني أحبك فاعلمي ... إن لم تكوني تعلمينا

حباً أقل قليله ... كجميع حب العالمينا

شعره في وداع أبي خالد الأحول

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان حماد عجرد صديقاً لأبي خالد الأحول أبي أحمد بن أبي خالد، فأراد الخروج إلى واسط، وأراد وداع أبي خالد، فلما جاءه لذلك حجبه الغلام وقال له: هو مشغول في هذا الوقت، فكتب إليه يقول :

عليك السلام أبا خالد ... وما للوداع ذكرت السلاما

ولكن تحية مستطرب ... يحبك حب الغوي المداما

أردت الشخوص إلى واسط ... ولست أطيل هناك المقاما

فإن كنت مكتفياً بالكتا ب دون اللمام تركت اللماما
وإلا فأوص هداك الملي ك بوابكم بي وأوص الغلاما
فإن جئت أدخلت في الداخلي ن إما قعوداً وإما قياما
فإن لم أكن منك أهلاً لذاك فلا لوم لست أحب الملاما
لأني أذم إليك الأنا م أخزاهم الله طراً أناما
فإني وجدتهم كلهم يميتون حمداً ويحيون ذاما
سوى عصبة لست أعنيهم كرام فإني أحب الكراما
وأقلل عديدهم إن عددت فما أكثر الأرذلين اللئاما

ممازحته لمطيع بن إياس

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثني أبو أيوب المديني قال: قال ابن عبد الأعلى الشيباني: حضر حماد عجرد ومطيع بن إياس مجلس محمد بن خالد وهو أمير الكوفة لأبي العباس، فتمازحا، فقال حماد:

يا مطيع يا مطيع أنت إنسان رقيع
وعن الخير بطيء وإلى الشر سريع

فقال مطيع:

إن حماداً لئيم سفلة الأصل عديم
لا تراه الدهر إلا يهن العير يهيم

فقال له حماد: ويلك، أترميني بدائك، والله لولا كراهتي لتمادي الشر ولحاج الهجا لقلت لك قولاً يبقى، ولكني لا أفسد مودتك، ولا أكافئك إلا بالمديح، ثم قال:

كل شيء لي فداء لمطيع بن إياس
رجل مستملح في كل لين وشماس
عدل روحي بين جن بي وعيني براسي
غرس الله له في كبدي أحلى غراس
لست دهري لمطيع ب ن إياس ذا تناس
ذاك إنسان له فض ل على كل أناس

فإذا ما الكأس دارت واحتساها من أحاسي
كان ذكرانا مطيعاً عندها ريحان كاسي

هجاؤه عيسى بن عمرو

أخبرني أحمد بن العباس العسكري ومحمد بن عمران الصيرفي قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثنا التوزي قال: كان عيسى بن عمرو بن يزيد صديقاً لحماد عجرد ، وكان يواصله أيام خدمته للربيع، فلما طرده الربيع واختلت حاله جفاه عيسى، وإنما كان يصله لحوائج يسأل له الربيع فيها، فقال حماد عجرد فيه:

أوصل الناس إذا كانت له حاجة عيسى وأقضاهم لحق
ولعيسى إن أتى في حاجة ملق ينسى به كل ملق
فإن استغنى فما يعدله نخوة كسرى على بعض السوق
إن تكن كنت بعيسى واثقاً فبهذا الخلق من عيسى فثق

وله يهجوه أيضاً قال العنزي: وأنشدني بعض أصحابنا لحماد في عيسى بن عمر أيضاً:

كم من أخ لك لست تنكره ما دمت من دنياك في يسر
متصنع لك في مودته يلقاك بالترحيب والبشر
يطري الوفاء وذا الوفاء ويل حى الغدر مجتهداً وذا الغدر
فإذا عدا والدهر ذو غير دهر عليك عدا مع الدهر
فارفض بإجمال مودة من يقلي المقل ويعشق المثري
وعليك من حالاه واحدة في العسر إما كنت واليسر
لا تخلطنهم بغيرهم من يخلط العقيان بالصفر

هجا حشيشاً الكوفي

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال: حدثني ابن أبي فنن قال: حدثني العتابي، وأخبرني عمي عن أحمد بن أبي طاهر قال: قال العتابي: وحديث ابن طاهر أتم، قال: كان رجل من أهل الكوفة من الأشاعثة يقال له حشيش وكانت أمه حارثية، فمدحه حماد عجرد فلم يثبه، وتهاون به، فقال يهجوه:

يا لقومي للبلاء ومعاريض الشقاء
قسمت ألوية بي ن رجال ونساء

ظفرت أخت بني الحار ث منها بلواء

حادث في الأرض يرتا ع له أهل السماء

قال: فعرضت أسماء العمال على المنصور فكان فيها اسم حشيش، فقال: أهو الذي يقول فيه الشاعر:

يا لقومي للبلاء ومعاريض الشقاء؟

قالوا: نعم يا أمير المؤمنين؛ فقال: لو كان في هذا خير ما تعرض لهذا الشاعر، و لم يستعمله، قال: وقال حماد فيه أيضاً يخاطب سعيد بن الأسود ويعاتبه على صحبة حشيش وعشرته:

صرت بعدي يا سعيد من أخلاء حشيش

أتلوطت أم استخ لفت بعدي أن لأيش

حلقي استه أو سع من است بحيش

ثم بغاء علىذا أبلغ الناس لفيش

يا بني الأشعث ما عي شكم عندي بعيش

حين لا يوجد منكم غيره قائد جيش

قال: وكان بحيش هذا رجلاً من أهل البصرة لم يكن بينه وبين حماد شيء، فلما بلغه هذا الشعر وفد من البصرة إلى حماد قاصداً، وقال له: يا هذا، مالي ولك، وما ذنبي إليك؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا بحيش، أما وجدت أحداً أوسع دبراً مني يتمثل به؟ فضحك ثم قال: هذه بلية صبتها عليك القافية ، وأنت ظريف وليس يجري بعد هذا مثله.

هجا أبا عون

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحرون. قال: كان حماد عجرد يعاشرأبا عون جد ابن أبي عون العابد؛ وكان يتزل الكرخ، وكان عجرد إذا قدم بغداد زاره، فبلغ أبا عون أنه يحدث الناس أنه يهوى جارية يقال لها جوهر، فحجبه وجفاه واطرحه، فقال يهجوأبا عون:

أبا عون لحاك الل ه يا عرة إنساناً

فقد اصبحت في الناس إذا سميت كشخانا

بنيت اليوم في الكشح لأهل الكرخ بنيانا

وشرفت لهم في ذا لنا أبواباً وحيطانا

وألفيت على ذاك من الفساق أعوانا
ومجانا ولن تعد م من يمجن مجانا
فأخزى الله من كنت أخاه كان من كانا
ولا زلت ولا زال بأخلاقك خزيانا
وعريانا كما أصبح ت من دينك عريانا

وقال فيه أيضاً:

إن أبا عون ولا أقول فيه كذبا
غاو أتى مدينة فسن فيها عجبا
إخوانه قد جعلوا أم بنيه مركبا
واتخذوا جوهرة مبولة وملعبا
إن نكتها أرضيته أو لم تنكها غضبا
أحبهم إليه من أدخل فيها ذنبا
ومن إذا ما لم ينك جر إليها جلبا

هجاؤه غيلان جد عبد الصمد بن المعذل

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا اللابي عن مهدي بن سابق قال: استعمل محمد بن أبي العباس وهو يلي البصرة غيلان جد عبد الصمد بن المعذل على بعض أعشار البصرة، وظهر منه على خيانة، فعزله، وأخذ ما خانه فيه، فقال حماد عجرد يهجوه:

ظهر الأمير عليك يا غيلان إذ خنته إن الأمير معان
أمع الدمامة قد جمعت خيانة! قبح الدميم الفاجر الخوان

أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر عن أبي دعامة قال: أنشد بشار قول حماد عجرد في غلام كان يهواه يقال له أبو بشر: صوت

أخي كف عن لومي فإنك لا تدري بما فعل الحب المبرح في صدري
أخي أنت تلحاني وقلبك فارغ وقلبي مشغول الجوانح بالفكر
أخي إن دائي ليس عندي دواؤه ولكن دوائي عند قلب أبي بشر

دوائي ودائي عند من لو رأيته يقلب عينيه لأقصرت عن زجري

فأقسم لو أصبحت في لوعة الهوى لأقصرت عن لومي وأطنبت في عذري

ولكن بلائي منك أنك ناصح وأنك لا تدري بأنك لا تدري

فطرب بشار ثم قال: ويلكم، أحسن والله! من هذا؟ قالوا: حماد عجرد؛ قال: أوه، وكلتموني والله بقية يومي بها طويل، والله لا أطعم بقية يومي طعاماً ولأصوم غما بما يقول النبطي ابن الزانية مثل هذا.

في الأول والثاني، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه لحماد عجرد:

خليلي ر يفي أبدا يمنيني غداً فغدا

وبعد غد وبعد غد كذا لا ينقضي ابدا

له جمر على كبدي إذا حركته اتقدا

شعره في يحيى بن زياد

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا الزبالي قال: كان المهدي سأل أباه أن يولي يحيى بن زياد عملاً، فلم يجبه، وقال: هو خليع متخرق في النفقة ماجن، فقال: إنه قد تاب و أناب، وتضمن عنه ما يحب، فولاه بعض أعمال الأهواز، فقصده حماد عجرد إليها، وقال فيه:

فمن كان يسأل أين الفعال فعندي شفاء لذا الباحث

محل الندى وفعال النهى وبيت العلا في بني الحارث

حللن بيحيى فحالفنه حياء من الباعث الوارث

فلا تعدلن إلى غيره لعاجل أمر ولا رائث

فإن لديه بلا منة عطاء المرحل والماكث

قال: وقال فيه ايضاً:

يحيى امرؤ زينه ربه بفعله الأقدم والأحدث

إن قال لم يكذب، وإن ود لم يقطع، وإن عاهد لم ينكث

أصبح في أخلاقه كلها موكلا بالأسهل الأدمث

طبيعة منه عليها جرى في خلق ليس بمستحدث

ورثه ذاك أبوه فيا طيب نثا الوارث والمورث

فوصله يحيى بصلة سنية وحمله وكساه، واقام عنده مدة ثم انصرف.

شعره في عيسى بن عمرو

أخبرني عمي قال: حدثني الكراني عن النضر بن عمرو قال: ولي عيسى بن عمرو إمارة البصرة من قبل محمد بن أبي العباس السفاح لما خرج عنها عليلاً، فقال له حماد عجرد:

قل لعيسى الأمير عيسى بن عمرو ... ذي المساعي العظام في قحطان
والبناء العالي الذي طال حتى ... قصرت دونه يدا كل بان
يا بن عمرو عمرو المكارم والتق ... وى وعمرو الندى وعمرو الطعان
لك جار بالمصر لم يجعل الل ... ه له منك حرمة الجيران
لا يصلي ولا يصوم ولا يق ... رأ حرفاً من محكم القرآن
إنما معدن الزناة من السف ... لة في بيته ومأوى الزواني
وهو خدن الصبيان وهو ابن سبعي ... ن، فماذا يهوى من الصبيان؟
طهر المصر منه يأيها المو ... لى المسمى بالعدل والإحسان
وتقرب بذاك فيه إلى الل ... ه تفز منه فوز أهل الجنان
يابن برد إخسأ إليك فمثل ال ... كلب في الناس أنت لا الإنسان
ولعمري لأنت شر من الكل ... ب وأولى منه بكل هوان

هجا يقطيناً بشعر

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال: حدثني محمد بن صالح الجبلي قال: كان حماد عجرد قد مدح يقطيناً فلم يثبه، فقال يهجوه:

متى أرى فيما أرى دولة ... يعز فيها ناصر الدين
ميمونة مجدها ربها ... بصادق النية ميمون
ترد يقطيناً وأشياعه ... منها إلى أبزار يقطين

قال: وكان يقطين قبل ظهور الدولة العباسية بخراسان حائكاً.

قال: ومر يوماً بيونس بن فروة الذي كان الربيع يزعم أنه ابنه، فلم يهش له كما عوده، فقال يهجوه:

أما ابن فروة يونس فكأنه من كبره ابن للإمام القائم

وقال فيه:

ولقد رضيت بعصبة آخيتهم وإخاؤهم لك بالمعرة لازم

فعلمت حين جعلتهم لك دخلة أني لعرضي في إخائك ظالم

شعره في ولد لبشار

أخبرني عمي قال: حدثني المغيرة بن محمد المهلبي قال: حدثني أبو معاذ النميري أن بشاراً ولد له ابن، فلما ولد قال فيه حماد عجرد:

سائل أمامة يآبن بر د من أبو هذا الغلام؟

أمن الحلال أتت به أم من مقارفة الحرام

فلتخبرنك أنه بين العراقي والشآمي

والآخر الرومي والنبطي أيضا وابن حام

أجعلت عرسك شقوة غرضاً لأسهم كل رام

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني مسعود بن بشر قال: مر حماد عجرد بقصر شيرين، فاستظل من الحر بين سدرتين كانتا بإزاء القصر، وسمع إنساناً يغني في شعر مطيع بن إياس:

أسعداني يا نخلتي، حلوان وارثيا لي من ريب هذا الزمان

أسعداني وأيقنا أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقان

قال شعراً حين سمع بيتي مطيع فقال حماد عجرد:

جعل الله سدرتي قصر شيري ن فداء لنخلتي حلوان

جئت مستسعداً فلم يسعداني ومطيع بكت له النخلتان

استجازه محمد بن أبي العباس وعداً

أخبرني يحيى بن علي إجازة عن أبيه، عن إسحاق، عن محمد بن الفضل السكوني قال: كان محمد بن أبي العباس قد وعد حماد عجرد أن يحمله على بغل، ثم تشاغل عنه، فكتب إليه حماد:

طلبت البذل ممن خ لقت كفاه للبذل

ومن ينفي عن الممح ل بالجود أذى المحل

ألا يآبن أبي العبا س يا ذا النائل الجزل

أما تذكر يا مولا ي ميعادك في البغل؟

وذاك الرجس في الدار جليس لأبي سهل

يريك الحزم في الإخلا ف للميعاد والمطل

شعره في عثمان بن شيبة

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدثنا سليمان المديني قال: كان عثمان بن شيبة مبخلاً، وكان حماد عجرد يهجوه، فجاء رجل كان يقول الشعر إلى حماد فقال له:

أعني من غناك ببيت شعر على فقري لعثمان بن شيبة

فقال له حماد :

فإنك إن رضيت به خليلا ملأت يديك من فقر وخيبة

فقال له الرجل: جزاك الله خيراً، فقد عرفتني من أخلاقه ما قطعني عن مدحه، فصنت وجهي عنه.

هجاؤه مطيع بن إياس

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا ابن إسحاق عن أبيه قال: كان حماد عجرد يهوى غلاماً من أهل البصرة من موالي العتيك يقال له: أبو بشر الحلو ابن الحلال أحسبه من موالي المهلب وكان موصوفاً بالجمال، فاندس له مطيع بن إياس، ولم يزل يحتال عليه حتى وطئه، فغضب حماد عجرد من ذلك، ونشب بينهما بسببه هجاء، فقال فيه حماد:

يا مطيع النذل أنت ال يوم مخذول جهول

لا يغرنك غرور ذو أفانين ملول

ليس يحلو الفعل منه وهو يحلو ما يقول

ملذاني مع الري ح إذا مالت يميل

وجواد بالمواعي د وبالبذل بخيل

ليس يرضيه من الجع ل كثير أو قليل

ذاك ما اخترت خليلا بئس والله الخليل

إنما يكفيك أن يأ تيك في السر رسول
ساخراً منك يمني ك أماني تطول

وقال في مطيع أيضاً وقد لج الهجاء بينهما:

عجبت للمدعي في الناس منزلة وليس يصلح للدنيا وللدين
لو أبصروا فيك وجه الرأي ما تركوا حتى يشدوك كرهاً شد مجنون
ما نال قط مطيع فضل منزلة إلا بأن صرت أهجوه ويهجوني
ولو تركت مطيعاً لا أجاوبه لكان ما فيه م الآفات يكفيني
يختار قرب الفحول المرد معتمداً جهلاً ويترك قرب الخرد العين

مدحه وتعزيته داود بن إسماعيل

ابن علي بن عبد الله بن العباس

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة عن أبيه عن إسحاق قال: قال حماد عجرد في داود بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس يمدحه ويعزيه عن ابن مات له ويستجيزه:

إن أرجى الأنام عندي وأولا هم بمدحي ونصرتي داود
إن يعش لي أبو سليمان لا أح فل ما كادني به من يكيد
هدركني فقدي أباك فقد ش د بك اليوم ركني المهدود
قائل فاعل أبي وفي متلف مخلف مفيد مبيد
وفتى السن في كمال ابن خمسي ن دهاء وإربة بل يزيد
مخلط مزيل أريب أديب راتق فاتق قريب بعيد
وهو الذائد المدافع عني وعزيز ممنع من يذود

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني عبد الملك بن شيبان قال: ولى أبو جعفر المنصور محمد بن أبي العباس السفاح البصرة، فقدمها ومعه جماعة من الشعراء والمغنين منهم حماد عجرد، وحكم الوادي ودحمان، فكانوا ينادمونه ولا يفارقونه، وشرب الشراب وعاث ، فبلغ ذلك أبا جعفر فعزله، قال: وكان ابن أبي العباس كثير الطيب، يملأ لحيته بالغالية حتى تسيل على ثيابه فتسود، فلقبوه أبا الدبس ،وقال فيه بعض شعراء أهل البصرة:

صرنا من الربح إلى الوكس　　اذ ولي المصر أبو الدبس
ما شئت من لؤم على نفسه　　وجنسه من أكرم الجنس

كان ماجناً زنديقاً

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي قال: حدثني أبي قال: كان أبو جعفر المنصور يبغض محمد بن أبي العباس ويحب عيبه، فولاه البصرة بعقب مقتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فقدمها، وأصحبه المنصور قوماً يعاب بصحبتهم مجاناً زنادقة: منهم حماد عجرد، وحماد بن يحيى، ونظراء لهم، ليغض منه ويرتفع ابنه المهدي عند الناس، وكان محمد بن أبي العباس محمقاً، فكان يغلف لحيته إذا ركب بأواق من الغالي، فتسيل على ثيابه فيصير شهرة، فلقبه أهل البصرةأبا الدبس؛ قال ولما أقام بالبصرة مدة قال لأصحابه: قد عزمت على أن أعترض أهل البصرة بالسيف في يوم الجمعة، فأقتل كل من وجدت، لأنهم خرجوا مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فقالوا له: نعم، نحن نفعل ذلك، لما يعرفونه منه، ثم جاءوا إلى أمه سلمة بنت أيوب بن سلمة المخزومية فأعلموها بذلك، وقالوا: والله لئن هم بها ليقتلن ولنقتلن معه، فإنما نحن في أهل البصرة أكلة رأس، فخرجت إليه وكشفت عن ثدييها وأقسمت عليه بحقها حتى كف عما كان عزم عليه.

أدبه محمد بن أبي العباس

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال: حدثني أبي عن إسحاق الموصلي قال: كان حماد عجرد في ناحية محمد بن أبي العباس السفاح، وهو الذي أدبه، وكان محمد يهوى زينب بنت سليمان بن علي، وكان قد قدم البصرة أميراً عليها من قبل عمه أبي جعفر، فخطبها، فلم يزوجوه لشيء كان في عقله، وكان حماد وحكم الوادي ينادمانه، فقال محمد لحماد: قل فيها شعراً، فقال حماد فيها على لسان محمد بن أبي العباس، وغنى فيه حكم الوادي: صوت

زينب ما ذنبي وماذا الذي　　غضبتم منه ولم تغضبوا
والله ما أعرف لي عندكم　　ذنباً ففيم الهجر يا زينب؟
أن كنت قد أغضبتكم ضلة　　فاستعتبوني إنني أعتب
عودوا على جهلي بأحلامكم　　إني وإن لم أذنب المذنب

الغناء لحكم في هذه الأبيات خفيف ثقيل، القول بالوسطى عن عمرو والهشامي وفيه هزج يقال: إنه لخليد بن عبيد الوادي، ويقال لعريب.

نسيب ابن أبي العباس بزينب بنت سليمان

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا الحسين بن يحيى أبو الجمان الكاتب قال: حدثني عمرو بن بانة قال: كان لمحمد بن أبي العباس السفاح شعر في زينب وغنى فيه حكم الوادي: صوت

قولا لزينب لو رأي ... ت تشوفي لك واشترافي
وتلفتي كيما أرا ... ك وكان شخصك غير خاف
وشممت ريحك ساطعاً ... كالبيت جمر للطواف
فتركتني وكأنما ... قلبي يغرز بالأشافي

خطبته لها

أخبرني محمد بن يحيى أيضاً قال: حدثني الحارث بن أبي أسامة عن المدائني قال: خطب محمد بن أبي العباس زينب بنت سليمان، ثم ذكر مثل هذا الحديث سواء إلا أنه قال فيه: فقال محمد بن أبي العباس فيها، وذكر البيات كلها ونسبها إلى محمد و لم يذكر حماداً.

قال أبو الفرج مؤلف هذا الكتاب: هذا فيما أراه غلط من رواته، لما سمعوا ذكر زينب ولحن حكم، نسبوه إلى محمد بن أبي العباس، وقد ذكر هذا الشعر بعينه إسحاق الموصلي في كتابه، ونسبه إلى ابن رهيمة وهو من زيانب يونس الكاتب المشهورة، معروف ومنها فيه يقول:

فذكرت ذاك ليونس ... فذكرته لأخ مصاف

وذكر إسحاق أن لحن يونس فيه خفيف رمل بالبنصر في مجرى الخنصر، وأن لحن حكم من الثقيل الأول بالبنصر، قال محمد بن يحيى: ولمحمد بن أبي العباس في زينب أشعار كثيرة مما غنى فيها المغنون، منها: صوت

زينب ما لي عنك من صبر ... وليس لي منك سوى الهجر
وجهك والله وإن شفني ... أحسن من شمس ومن بدر
لو أبصر العاذل منك الذي ... ابصرته أسرع بالعذر

الغناء في هذه الأبيات لحكم خفيف رمل بالوسطى

غنى دحمان في شعر قيس بن الخطيم

وأخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا الغلابي قال: حدثني عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد قال: دخل دحمان المغني مولى بني مخزوم وهو المعروف بدحمان الأشقر على محمد بن أبي العباس وعنده حكم الوادي،

فأحضر محمد عشرة آلاف درهم وقال: من سبق منكما إلى صوت يطربني فهذه له؛ فابتدأ دحمان فغنى في شعر قيس بن الخطيم:

حوراء ممكورة منعمة كأنما شف وجهها ترف

فلم يهش له، فغنى حكم في شعر محمد في زينب:

زينب مالي عنك من صبر وليس لي منك سوى الهجر

قال: فطرب وضرب برجله وقال له: خذها، وأمر لدحمان بخمسة آلاف درهم، قال: ومن شعره فيها الذي غنى فيه حكم أيضاً: صوت

أحببت من لا ينصف ورجوت من لا يسعف

نسب تليد بيننا وودادنا مستطرف

بالله أحلف جاهداً ومصدق من يحلف

إني لأكتم حبها جهدي لما أتخوف

والحب ينطق إن سكت بما أجن ويعرف

الغناء في هذه الأبيات لحكم الوادي، ولحنه ثقيل أول

شعر لابن أبي العباس غنى فيه

فال: ومن شعر محمد فيها الذي غنى فيه حكم: صوت

أسعد الصب يا حكم وأعنه على الألم

وأدر في غنائه نغما تشبه النعم

أجميل بأن ترى نائما وهو لم ينم

لائمي في هواي زي نب أنصف ولا تلم

لبس الجسم حلة في هواها من السقم

غناه حكم، ولحنه هزج.

سكر حماد مع حكم الوادي عنده

وقد أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أبو أيوب المديني قال: قال بريه الهاشمي حدثني من حضر محمد بن أبي العباس وبين يديه حماد وحكم الوادي يغنيه، وندماؤه حضور، وهم يشربون حتى سكر وسكروا، فكان محمد

أول من أفاق منهم، فقام إلى جماعتهم ينبههم رجلاً رجلاً، فلم يجد فيهم فضلاً سوى حماد عجرد وحكم الوادي، فانتبها، وابتدءوا يشربون، فقال عجرد على لسانه، وغنى فيه حكم:

أسعد الصب يا حكم ... وأعنه على الألم

أجميل بأن ترى ... نائماً وهو لم ينم

هكذا ذكر هذا الخبر الحسن، و لم يزد على هذين البيتين شيئاً.

ابن أبي العباس يشبب بزينب

أخبرني محمد بن يحيى قال: أنشدني أبو خليفة وأبو ذكوان والغلابي لمحمد بن أبي العباس في زينب بنت سليمان بن علي:

يا قمر المربد قد هجت لي ... شوقا فما أنفك بالمربد

أراقب الفرقد من حبكم ... كأنني وكلت بالفرقد

أهيم ليلي ونهاري بكم ... كأنني منكم على موعد

علقتها ريا الشوى طفلة ... قريبة المولد من مولدي

جدي إذا ما نسبت جدها ... في الحسب الثاقب والمحتد

والله ما أنساك في خلوتي ... يا نور عيني ولا مشهدي

كان محمد نهاية في الشدة

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني الحارث بن أبي أسامة قال: حدثني المدائني قال: كان محمد بن أبي العباس نهاية في الشدة، فعاتبه يوماً المهدي، فغمز محمد ركابه، حتى انضغطت رجل المهدي في الركاب، ثم لم تخرج حتى رد محمد الركاب بيده، فأخرجها المهدي حينئذ.

حماد يمدح ابن أبي العباس

أخبرني محمد قال: حدثنا أبو ذكوان قال: حدثنا العتبي قال: كان محمد بن أبي العباس شديداً قوياً جواداً ممدحاً، وكان يلوي العمود ثم يلقيه إلى أخته ريطة فترده، وفيه يقول حماد عجرد:

أرجوك بعد أبي العباس إذ بانا ... يا أكرم الناس أعراقا وعيدانا

فأنت أكرم من يمشي على قدم ... وأنضر الناس عند المحل أغصانا

لو مج عود على قوم عصارته ... لمج عودك فينا المسك والبانا

خبر عزل ابن أبي العباس عن البصرة

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا الغلابي قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن قال: لما أراد محمد بن أبي العباس الخروج عن البصرة لما عزله المنصور عنها قال:

أيا وقفة البين ماذا شببت ... من النار في كبد المغرم !
رميت جوانحه إذ رميت ... بقوس مسددة الأسهم

وقفنا لزينب يوم الوداع ... على مثل جمر الغضى المضرم
فمن صرف دمع جرى للفراق ... لممتزج بعده بالدم

شبب حماد بزينب بنت سليمان

أخبرني محمد قال: حدثنا الفضل بن الحباب قال: حدثنا أبو عثمان المازني قال: قال حماد عجرد يشبب بزينب بنت سليمان على لسان محمد بن أبي العباس:

ألا من لقلب مستهام معذب ... بحب غزال في الحجال مربب
يراه فلا يسطيع رداً لطرفه ... إليه حذار الكاشح المترقب
ولولا مليك نافذ فيه حكمه ... لأدنى وصالاً ذاهباً كل مذهب
تغبرت خلف اللهو بعد صراوة ... فبحت بما ألقاه من حب زينب

قال: فبلغ الشعر محمد بن سليمان، فنذر دمه، و لم يقدر عليه لمكانه من محمد.

رثى حماد ابن أبي العباس بشعر

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن قال: مات محمد بن أبي العباس في أول سنة خمسين ومائة، فقال حماد يرثيه بقوله:

صرت للدهر خاشعاً مستكينا ... بعد ما كنت قد قهرت الدهورا
حين أودى الأمير ذاك الذي كن ... ت به حيث كنت أدعى أميرا
كنت إذ كان لي أجير به الده ... ر فقد صرت بعده مستجيرا
يا سمي النبي يابن أبي ... العباس حققت عندي المحذورا
سلبتني الهموم إذ سلبتني ... ك سروري فلست أرجو سرورا

ليتني مت حين موتك لا بل ... ليتني كنت قبلك المقبورا
أنت ظللتني الغمام بنعما ... ك ووطأت لي وطاءً وثيرا
لم تدع إذ مضيت فينا نظيرا ... مثل ما لم يدع أبوك نظيرا

خبر موت ابن أبي العباس

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا محمد بن سلام الجمحي قال: كان خصيب الطبيب نصرانياً نبيلاً، فسقى محمد بن أبي العباس شربة دواء وهو على البصرة، فمرض منها، وحمل إلى بغداد فمات بها، واتهم خصيب فحبس حتى مات، وسئل عن علته وما به فقال: قال جالينوس: إن مثل هذا لا يعيش صاحبه، فقيل: له إن جالينوس ربما أخطأ، فقال: ما كنت قط إلى خطئه أحوج مني اليوم، وفي خصيب يقول ابن قنبر:

ولقد قلت لأهلي ... إذ أتوني بخصيب
ليس والله خصيب ... للذي بي بطبيب
إنما يعرف ما بي ... من به مثل الذي بي

تنصله لأخي زينب بشعر

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس، قالوا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني عبد الله بن شيبان وابن داحة، وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال: حدثني أبي عن إسحاق قال: لما مات محمد بن أبي العباس طلب محمد بن سليمان حماد عجرد لما كان يقوله في أخته زينب من الشعر، فعلم أنه لا مقام له معه بالبصرة، فمضى فاستجار بقبر أبيه سليمان بن علي، وقال فيه:

من مقر بالذنب لم يوجب اللـ ... ـه عليه بسيء إقرارا
ليس إلا بفضل حلمك يعتد ... بلاء، وما يعد اعتذترا
يا بن بنت النبي أحمد لا أجـ ... ـعل إلا إليك منك الفرارا
غير أني جعلت قبر أبي ... أيوب لي من حوادث الدهر جارا
وحري من استجار بذاك الـ ... ـقبر أن يأمن الردى والعثارا
لم أجد لي من العباد مجيراً ... فاستجرت التراب والأحجارا
لست أعتاض منك في بغية ... العزة قحطان كلها ونزارا

فأنا اليوم جار من ليس في الأر ... ض مجير أعز منه جوارا
يا بن بيت النبي يا خير من ... حطت إليه الغوارب الأكوارا
إن أكن مذنبا فأنت ابن من كا ... ن لمن كان مذنبا غفارا
فاعف عني فقد قدرت وخير ال ... عفو ما قلت كن فكان اقتدارا
لو يطيل الأعمار جار لعز ... كان جاري يطول الأعمارا

اعتذر إلى محمد بن سليمان بشعر

أخبرني أحمد بن العباس العسكري ومحمد بن عمران الصيرفي قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني علي الصباح قال: كان محمد بن سليمان قد طلب حماد عجرد بسبب نسبيه بأخته زينب، و لم يكن يقدر عليه لمكانه من محمد بن أبي العباس، فلما هلك محمد جد ابن سليمان في طلبه، وخافه حماد خوفاً شديداً، فكتب إليه:

يا بن عم النبي وابن النبي ... لعلي إذا أنتمي وعلي
أنت بدر الدجى المضيء إذا أظ ... لم واسود كل بدر مضي
وحيا الناس في المحول إذا لم ... يجد غيث الربيع والوسمي
إن مولاك قد أساء ومن أع ... تب من ذنبه فغير مسي
ثم قد جاء تائبا فاقبل التو ... بة منه يا بن الوصي الرضي

هجاؤه محمد بن سليمان

قال ومضى إلى قبر أبيه سليمان بن علي فاستجار به، فبلغه ذلك، فقال: والله لأبلن قبر أبي من دمه، فهرب حماد إلى بغداد، فعاذ بجعفر بن المنصور، فأجاره، فقال: لا أرضي أو تهجو محمد بن سليمان، فقال يهجوه:

قل لوجه الخصي ذي العار إني ... سوف أهدي لزينب الأشعارا
قد لعمري فررت من شد الخو ... ف وأنكرت صاحبي نهارا
وظننت القبور تمنع جارا ... فاستجرت التراب والأحجارا
كنت عند استجارتي بأبي اي ... وب أبغي ضلالة وخسارا
لم يجرني ولم أجد فيه حظا ... أضرم الله ذلك القبر نارا

قال: وقال فيه:

له حزم برغوث وحلم مكاتب وغلمة سنور بليل تولول

وقال أيضا يهجوه وقال فيه يهجوه:

يا ابن سليمان يا محمد يا من يشتري المكرمات بالسمن

إن فخرت هاشم بمكرمة فخرت بالشحم منك والعكن

لؤمك باد لمن يراك إذا أقبلت في العارضين والذقن

ليتك إذ كنت ضيقا نكرا لم تدع من هاشم ولم تكن

جداك جدان لم تعب بهما لكنما العيب منك في البدن

قال: فبلغ هجاؤه محمد بن سليمان فقال: والله لا يفلتني أبداً، وإنما يزداد حتفاً بلسانه، ولا والله لا أعفو عنه ولا أتغافل أبدا.

وقد اختلف في وفاة حماد.

خبر مقتله

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو داحة وعبد الملك بن شيبان أن حماداً هرب من محمد بن سليمان فأقام بالأهواز مستتراً، وبلغ محمداً خبره، فأرسل مولى له إلى الأهواز، فلم يزل يطلبه حتى ظفر به فقتله غيلة.

شعر له وهو يحتضر وأخبرني أحمد بن العباس وأحمد بن يحيى ومحمد بن عمران قالوا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي عن أحمد بن خلاد أن حماداً نزل بالأهواز على سليم بن سالم فأقام عنده مدة مستتراً من محمد بن سليمان، ثم خرج من عنده يريد البصرة، فمر بشيرزاذان في طريقه، فمرض بها، فاضطر إلى المقام بها بسبب علته، فاشتد مرضه، فمات هناك ودفن على تلعة ، وكان بشار بلغه أن حماداً عليل لما به، ثم نعي إليه قبل موته، فقال بشار:

لو عاش حماد لهونا به لكنه صار إلى النار

فبلغ هذا البيت حماداً قبل أن يموت وهو في السياق ، فقال يرد عليه:

نبئت بشاراً نعاني ولل موت براني الخالق الباري

يالبتني مت ولم أهجه نعم ولو صرت إلى النار

وأي خزي هو أخزى من أن يقال لي يا سب بشار

قال: فلما قتل المهدي بشاراً بالبطيحة اتفق أن حمل إلى منزله ميتاً، فدفن مع حماد على تلك التلعة، فمر بهما أبو هشام الباهلي الشاعر البصري الذي كان يهاجي بشاراً، فوقف على قبريهما وقال:

قد تبع الأعمى قفا عجرد ... فأصبحا جارين في دار

قالت بقاع الأرض لا مرحبا ... بقرب حماد وبشار

تجاورا بعد تنائيهما ... ما أبغض الجار إلى الجار

صارا جميعاً في يدي مالك ... في النار والكافر في النار

صوت

هل قلبك اليوم عن شنباء منصرف ... وأنت ما عشت مجنون بها كلف

ما تذكر الدهر إلا صدعت كبداً ... جرى عليك وأذرت دمعة تكف

ذكر أبو عمرو الشيباني أن الشعر لحريث بن عتاب الطائي، وذكر عمرو بن بانة أنه لإسماعيل بن بشار النساء، والصحيح أنه لحريث، والغناء لغريض ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، وذكر الهشامي أنه لمالك.

أخبار حريث ونسبه

نسبه

حريث بن عناب "بالنون" بن مطر بن سلسلة بن كعب بن عوف بن عنين بن نائل بن أسودان، وهو نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وليس بمذكور من الشعراء، لأنه كان بدوياً مقلا غير متصد بالشعر للناس في مدح ولا هجاء، ولا يعدو شعره أمر ما يخصه.

يشبب بحبى بنت الأسود

أخبرني بنسبه وما أذكره من أخباره عمي عن الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني، عن أبيه، وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين الأولين قوله:

يدوم ودي لمن دامت مودته ... وأصرف النفس أحيانا فتنصرف

يا ويح كل محب خلة أبداً ... على الخيانة إن الخائن الظرف

كأنها ريشة في أرض بلقعة ... من حيثما واجهتها الريح تنصرف

ينسي الخليلين طول النأي بينهما وتلتقي طرف شتى فتأتلف

قال أبو عمرو، قال حريث هذه القصيدة في أمرأة يقال لها حبى بنت الأسود من بني بحتر بن عتود، وكان يهواها ويتحدث إليها، ثم خطبها، فوعده أهلها ان يزوجوه ووعدته ألا تجيب إلى تزويج إلا به، فخطبها رجل من بني ثعل وكان موسراً فمالت إليه وتركت حريثاً، وقد خيرت بينهما فاختارت الثعلي، فتزوجها، فطفق حريث يهجو قومها وقوم المتزوج بها من بني بحتر وبني ثعل، فقال يهجو بني ثعل:

بني ثعل أهل الخنا ما حديثكم لكم منطق غاو وللناس منطق

كأنكم معزى قواصع جرة من العي أو طير بخفان ينعق

ديافية قلف كأن خطيبهم سراة الضحى في سلحه يتمطق

قال أبو عمرو: و لم يزل حريث يهجو بني بحتر وبني ثعل من أجل حبى، فبينا هو ذات يوم بخيبر وقد نزل على رجل من قريش وهو جالس بفنائه ينشد الشعر الذي قاله يهجو به بني ثعل وبني بحتر ابني عتود، وبخيبر يومئذ رجل من بني جشم بن أبي حارثة بن جدي بن تدول بن بحتر يقال له أوفى بن حجر بن أسيد بن يحيى بن ثرملة بن ثرغل بن خيثم بن أبي حارثة عند بني أخت له من قريش ، فمر أوفى هذا بحريث بن عناب وهو ينشد شعراً هجا به بني بحتر، فسمعه أوفى ينشد قوله:

وإن أحق الناس طرا إهانة عتود يباريه فرير وثعلب

العتود: التيس الهرم. والفرير: ولد الظبية. ويباريه: يفعل فعله. فدنا نه أوفى وقال: إني رجل أصم لا أكاد أسمع، فتقرب إلي، فقال له: ومن أنت؟ فقال: أنا رجل من قيس، وأنا أهاجي هذا الحي من بني ثعل وبني بحتر، وأحب أن أروي ما قيل فيهم من الهجاء، فأدنوه منه، وكانت معه هراوة وقد اشتمل عليها، فلما تمكن من ابن عتاب جمع يديه بالهراوة ثم ضرب بها أنفه فحطمه، وسقط على وجهه ووثب القرشي على أوفى فأخذه، فوثب بنو أخته فانتزعوه من القرشي، وكاد أن يقع بينهم شر، وأفلت أوفى ودوري ابن عتاب حتى صلح واستوى أنفه، فقال أوفى في ذلك:

لاقى ابن عناب بخيبر ماجدا يزع اللئام وينصر الأحسابا

فضربته بهراوتي فتركته كالحلس منعفر الجبين مصابا

قال:ثم لحق أوفى بقومه، فلما كان بعد ذلك بمدة اهمه رجل من قريش بأنه سرق عبداً له وباعه بخيبر، فلم يزل القريشي يطلبه حتى أخذه وأقام عليه البينة، فحبس في سجن المدينة، وجعلت للقرشي يده، فبعث ابن عناب إلى عشيرته بني نبهان، فأبوا أن يعاونوه، وأقبل عرفاء بني بحتر إلى المدينة يريدون أن يؤدوا صدقات قومهم فيهم حصن وسلامة ابنا معرض، وسعد بن عمرو بن لأم، ومنصور بن الوليد بن حارثة، وجبار بن أنيف، فلقوا

القرشي وانتسبوا له، وقالوا: نحن نعطيك العوض من عبدك ونرضيك، و لم يزالوا به حتى قبل وخلى سبيله، فقال حريث يمدحهم ويهجو قومه الأدنين من بني نبهان:

لما رأيت العبد نبهان تاركي ... بلماعه فيها الحوادث تخطر
نصرت بمنصور وبابني معرض ... وسعد وجبار بل الله ينصر
وذو العرش أعطاني المودة منهم ... وثبت ساقي بعدما كدت أعثر

إذا ركب الناس الطريق رأيتهم ... لهم خابط أعمى وآخر مبصر
لكل بني عمرو بن غوث رباعه ... وخيرهم في الشر والخير بحتر

مر بنسوة فضحكن منه فقال شعراً

وقال أبو عمرو: مر ابن عناب بعدما أسن بنسوة من بني قليع وهو يتوكأ على عصاً فضحكن منه، فوقف عليهن وأنشأ يقول:

هزئت نساء بني قليع أن رأت ... خلق القميص على العصا يتركع
وجعلنني هزؤاً ولو يعرفنني ... لعلمن أني عند ضيمي أروع

خبر إغارته على قوم من بني أسد

قال أبو عمرو: وكان حريث بن عناب أغار على قوم من بني أسد فاستاق إبلاً لهم، فطلبه السلطان، فهرب من نواحي المدينة وخيبر إلى جبلين في بلاد طيىء يقال لهما: مرى والشموس حتى غزم عنه قومه ما طلب، ثم عاود وقال في ذلك:

إذا الدين أودى بالفساد فقل له ... يدعنا وركناً من معد نصادمه
ببيض خفاف مرهفلت قواطع ... لداود فيها أثره وخواتمه
وزرق كستها ريشها مضرحية ... أثيت خوافي ريشها وقوادمه
إذا ما خرجنا خرت الأكم ... سجداًلعز علا حيزومه وعلاجمه
إذا نحن سرنا بين شرق ومغرب ... تحرك يقظان التراب ونائمه
وتفزع منا الإنس والجن كلها ... ويشرب مهجور المياه وعائمه
ستمنع مرى والشموس أخاهما ... إذا حكم السلطان حكماً يضاجمه

يميل فيه. ويروى: يصاحمه، وقال أبو عمرو: يصاحمه: يزاحمه. والأصحم منه مأخوذ.

الجزء الخامس عشر

صوت

هل في آدكار الحبيب من حرج ... أم هل لهم الفؤاد من فرج
أم كيف أنسى رحيلنا حرما ... يوم حللنا بالنخل من أمج
يوم يقول الرسول قد أذنت ... فائت على غير رقبة فلج
أقبلت أسعى إلى رحالهم ... في نفحة من نسيمها الأرج

الشعر لجعفر بن الزبير ،والغناء للغريض، خفيف ثقيل أول، بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أنه لدحمان في هذه الطريقة والمجرى. وذكره يونس بغير طريقة وقال: فيه لحنان: لابن سريج والغريض. وذكر الهشامي أن لحن ابن سريج رمل بالوسطى.

أخبار جعفر بن الزبير ونسبه

جعفر بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. وأم جعفر بن الزبير زينب بنت بشر بن عبد عمرو، من بني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

أخبرني الطوسي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني مصعب بن عثمان قال: أخبرني جدك عبد الله بن مصعب عن أبي عثمان بن مصعب، عن شعيب بن جعفر بن الزبيرقال: فرض سليمان بن عبد الملك للناس في خلافته، وعرض الفرض. قال: وكان ابن حزم في ذلك محسناً يعلم الله، إنه كان يأمر الغلمان أن يتطاولوا على خفافهم ليرفعهم بذلك.

قال شعيب بن جعفر بن الزبير: فقال لي سليمان بن عبد الملك: من أنت؟ قلت: شعيب بن جعفر بن الزبير. فقال: ما فعل جعفر؟ فقال له عمر بن عبد العزيز: ياأمير المؤمنين على الكبر والعيال. فقال: قل له يحضر الباب فقال لجعفر، احضر الباب. فدعا المنذر بن عبيدة بن الزبير، فرفع معه رقعة وأرسله إلى عمر بن عبد العزيز، فيها قوله:

يا عمر بن عمر بن الخطاب ... إن وقوفي من وراء الأبواب
يعدل عندي حطم بعض الأنياب

قال: فلما قرأها عمر عذره عند سليمان، فأمر له سليمان بألف دينار في دينه، وألف دينار معونةً على عياله، وبرقيق من البيض والسودان، وكثير من طعام الجاري ، وأن يدان من الصدقة بألفي دينار. قال: فلما جاء ذلك

إلى أبي قال: أعطيته من غير مسألة؟ فقيل: نعم. قال: الحمد لله، ما أسخى هذا الفتى! ما كان أبوه سخياً ولا ابن سخي. ولكن هذا كأنه من آل حرب. ثم قال:

فما كنت ديانا فقد دنت إذا بدت صكوك أمير المؤمنين تدور

بوصل أولي الأرحام قبل سؤالهم وذلك أمر في الكرام كثير

قال بعض من روى هذا الخبر عن الزبير: الناس لاينظرون في عيب أنفسهم، وما كان لجعفر أن يعيب أحداً بالبخل؛ وما رئي في الناس أحد أبخل منهم أهل البيت ولامن عبد الله بن الزبير خاصة، وماكان فيهم جواد غير مصعب.

قال الزبير: حدثني عمي، قال: كان السلطان بالمدينة إذا جاء مال الصدقة أدان من أراد من قريش منه ، وكتب بذلك صكاً عليه، فيستعبدهم به، ويختلفون إليه، ويديرونه ، فإذا غضب على أحد منهم استخرج ذلك منه ، حتى كان هارون الرشيد، فكلمه عبد الله بن مصعب في صكوك بقيت من ذلك على غير واحد من قريش؛ فأمر بها فخرقت عنهم، فذلك قول ابن الزبير:

فما كنت دياناً فقد دنت إذ بدت صكوك أمير المؤمنين تدور

قال الزبير: وحدثني عمي مصعب قال: شهد جعفر بن الزبير مع أخيه عبد الله حربة، واستعمله عبد الله على المدينة، وقاتل يوم قتل عبد الله بن الزبير، حتى جمد الدم على يده؛ وفي ذلك يقول جعفر:

لعمرك إني يوم أجلت ركائبي لاطيب نفسا بالجلاد لدى الركن

ضنين بمن خلفي شحيح بطاعتي طراد رجال لامطاردة الحصن

-الحصن: جمع حصان، يقول: هذا طراد القتال لاطراد الخيل في الميادين-

غداة تحامتنا تجيب وغافق وهمدان تبكي من مطاردة الضبن

قال الزبير: وحدثني عمي مصعب بن عثمان؛ أن جعفر بن الزبير كانت بينه وبين أخيه عروة معاتبة، فقال في ذلك:

لا تلحيني يابن أمي فإنني عدو لمن عاديت ياعرو جاهد

وفارقت إخواني الذين تتابعوا وفارقت عبد الله والموت عاند

ولولا يمين لاأزال أبرها لقد جمعتنا بالفناء المقاعد

قال الزبير: انشدتني عمتي أسماء بنت مصعب بن ثابت، لجعفر بن الزبير، وأنشدنيه غيرها يرثي ابناً له :

أهاجك بين من حبيب قد احتمل نعم ففؤادي هائم العقل محتبل

وقالوا صحيرات اليمام وقدموا أوائلهم من آخر الليل في الثقل
مررن على ماء العشيرة والهوى على ملل يالهف نفسي على ملل
فتى السن كهل الحلم يهتز للندى أمر من الدفلى وأحلى من العسل

في هذه الأبيات خفيف رمل بالبنصر، نسبه يحيى المكي إلى ابن سريج، ونسبه الهشامي إلى الأبجر، قال: ويقال إنه لابن سهيل.

فأخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني-وخبره أتم-قال: اصطحب قوم في سفر، ومعهم رجل يغني، وشيخ عليه أثر النسك والعبادة، فكانوا يشتهون أن يغنيهم الفتى ويستحيون من الشيخ إلى أن بلغوا إلى صحيرات اليمام، فقال له المغني: أيها الشيخ إن علي يمينا أن أنشد شعرا إذا انتهيت إلى هذا الموضع، وإني أهابك وأستحي منك؛ فإن رأيت أن تأذن لي في إنشاده أو تتقدم حتى أوفي بيميني ثم نلحق بك فافعل. قال: وما علي من إنشادك؟! أنشد ما بدا لك. فاندفع يغني:

وقالوا صحيرات اليمام وقدموا أوائلهم من آخر الليل في الثقل
وردن على ماء العشيرة والهوى على ملل يالهف نفسي على ملل

فجعل الشيخ يبكي أحر بكاء وأشجاه، فقالوا له: مالك ياعم تبكي؟ فقال: لاجزيتم خيراً؛ هذا معكم طول هذا الطريق وأنتم تبخلون علي به اتفرج به ويقطع عني طريقي؛ وأتذكر أيام شبابي. فقالوا: لاوالله ماكان يمنعنا منه غير هيبتك. قال: فأنتم إذا معذورون. ثم أقبل عليه؛ فقال: عد فديتك إلى ماكنت عليه. فلم يزل يغنيهم طول سفرهم حتى افترقوا.

قال: الزبير: وأخبرني مصعب بن عثمان أن أم عروة بنت جعفر بن الزبير أنشدته لأبيها جعفر وكان يرقصها بذلك:

ياحبذا عروة في الدمالج أحب كل داخل وخارج

قال: وأخبرتني أن أخاها صالح بن جعفرغزا أرض الروم، فقال فيه جعفر:

قدراح يوم السبت حين راحوا مع الجمال والتقى صلاح
من كل حي نفر سماح بيض الوجوه عرب صحاح
وفزعوا وأخذ السلاح وهم إذا ما كره الشياح
مصاعب يكرهها الجراح

قال: الزبير: ولجعفر شعر كثير قد نحل عمر بن أبي ربيعة ودخل في شعره. فأما الأبيات التي ذكرت فيها الغناء

فمن الناس من يرويها لعمر بن أبي ربيعة، ومنهم من يرويها للأحوص وللعرجي؛ وقد أنشدنيها جماعة من أصحابنا لجعفر بن الزبير. وأخبرني بذلك الحرمي، والطوسي، وحبيب بن نصر المهلبي، وذكر الأبيات. وأخبرنيه عمي عن ابن أبي سعد عن سعيد بن عمرو عن أم عروة بنت جعفر مثله. قال ابن أبي سعد : قال الخزامي الناس يروونها للعرجي، وأم عروة أصدق.

أخبرني الطوسي قال حدثنا الزبيري قال:حدثني سعيد بن عمرو الزبيري قال: تزوج جعفر بن الزبير امرأةً من خزاعة وفيها يقول:

هل في ادكار الحبيب من حرج

الأبيات وزاد فيها بيتين وهما:

تسفر عن واضح إذا سفرت ليس بذي آمة ولا سمج

وسقط البيت الآخر من الأصل.

قال الزبير في رواية الطوسي: حدثني مصعب بن عثمان وعمي مصعب قالا: كان جماعة من قريش منتحين عن المدينة، فصدر عن المدينة بدوي فسألوه: هل كان لمدينة خبر؟ قال: نعم مات أبو الناس. قالوا: وأنى ذلك؟ قال: شهده أهل المدينة جميعاً؛ وبكي عليه من كل دار. فقال القوم: هذا جعفر بن الزبير، فجاءهم الخبر بعد أن جعفر بن الزبير مات.

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني إبراهيم بن معاوية عن أبي محمد الأنصاري، عن عروة بن هشام بن عروة عن أبيه؛ قال: أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني إبراهيم بن معاوية عن أبي محمد الأنصاري، عن عروة بن هشام بن عروة عن أبيه؛ قال: لما تزوج الحجاج وهو أمير المدينة بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أتى رجل سعيد بن المسيب فذكر له ذلك، فقال: إني لأرجو أن لايجمع الله بينهما، ولقد دعا داع بذلك فابتهل، وعسى الله ، فإن أباها لم يزوج إلا الدراهم. فلما بلغ ذلك عبد الملك بن مروان أبرد البريد إلى الحجاج، وكتب إليه يغلظ له ويقصر به، ويذكر تجاوزه قدره، ويقسم بالله لئن هو مسها ليقطعن أحب اعضائه إليه، ويأمره بتسويغ أبيها المهر ، وبتعجيل فراقها.

ففعل، فما بقي أحد فيه خير إلا سره ذلك.

وقال جعفر بن الزبير وكان شاعراً في هذه القصة:

وجدت أمير المؤمنين ابن يوسف حميا من الأمر الذي جئت تتكف

ونبئت أن قد قال لما نكحتها وجاءت به رسل تخب وتوجف

ستعلم أني قد أنفت لما جرى ومثلك منه عمرك الله يؤنف

ولولا انتكاس الدهر ما نال مثلها رجاؤك إذ لم يرج ذلك يوسف

أبنت المصفى ذي الجناحين تبتغي لقد رمت خطبا قدره ليس يوصف
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر

عروضه من الطويل. الشعر فيما ذكر ابن إسحاق صاحب المغازي لمضاض بن عمروالجرهمي. وقال غيره: بل هو لحارث بن عمر بن مضاض.

أخبرنا بذلك الجوهري عن عمر بن شبة عن أبي غسان محمد بن يحيى عن غسان بن عبد الحميد. وقال عبد العزيز بن عمران : هو عمر بن الحارث بن مضاض. والغناء ليحيى المكي، رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه لإبراهيم الموصلي ما خوري بالبنصر. وفيه لأهل مكة لحن قديم ذكره إبراهيم و لم يجنسه.

ذكر خبر مضاض بن عمرو

هو مضاض بن عمرو بن الحارث الجرهمي. وكان جده مضاض قد زوج ابنته رعلة، إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن، فولدت له إثنى عشر رجلاً أكبرهم قيذار ونابت. وكان أبوه إبراهيم عليه السلام أمره بذلك لأنه لما بنى مكة وأنزلها ابنه قدم عليه قدمة من قدماته، فسمع كلام العرب وقد كانت طائفة من جرهم نزلت هنالك مع إسماعيل، فأعجبته لغتهم واستحسنها فأمر إسماعيل عليه السلام أن يتزوج إليهم، فتزوج بنت مضاض بن عمرو، وكان سيدهم.

فأخبرنا محمد بن جرير، قال: حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق. وأخبرني محمد بن جعفر النحوي قال: حدثنا إسحاق بن أحمد الخزاعي قال حدثنا محمد بن عبد الله الأزرقي قال: حدثني جدي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن محمد بن إسحاق. ورواية إسحاق بن احمد أتم. وقد جمعتها:

أن نابت بن إسماعيل ولي البيت بعد أبيه ثم توفي،فولى مكانه جده لأمه مضاض بن عمرو الجرهمي، فضم ولد نابت بن إسماعيل إليه، ونزلت جرهم مع ملكهم مضاض بن عمرو بأعلى مكة، ونزلت قطوراء مع ملكهم السميدع أجياد، أسفل مكة . وكان هذان البطنان خرجا سيارةً من اليمين ، وكذلك كانوا لايخرجون إلا مع ملك يملكونه عليهم، فلما رأوا مكة رأوا بلداً طيباً، وماءً وشجراً، فنزلا ورضي كل واحد منهما بصاحبه و لم ينازعه، فكان مضاض يعشر من جاء مكة من أعلاها، وكان السميدع يعشر من جاءها من أسفلها ومن كداء لايدخل أحدهما على صاحبه في أمره، ثم إن جرهماً وقطوراء بغى كل واحد منهما على صاحبه، فتنافسوا في الملك حتى نشبت الحرب بينهم؛ وكانت ولاية البيت إلى مضاض دون السميدع، فخرج مضاض من بطن قعيقعان مع كتيبته في سلاح شاك يتقعقع-فيقال: ماسميت قعيقعان إلا بذلك-وخرج السميدع من شعب أجياد، في الخيل الجياد والرجال-ويقال: ماسميت أجياداً إلا بذلك- حتى التقوا بفاضح، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وفضحت قطوراء- ويقال: ماسمي فاضحاً إلا بذلك-ثم تداعى القوم إلى الصلح فساروا حتى نزلوا المطابخ شعباً بأعلى

مكة، وهو الذي يقال له الآن شعب بن عامر فاصطلحوا هناك، وسلموا الأمر إلى مضاض؛ فلما اجتمع له أمرمكة، وصار ملكها دون السميدع نحر للناس فطبخوا هناك الجزر، فأكلوا، وسمي ذلك الموضع المطابخ.
فيقال: إن هذا أول بغي بمكة، فقال مضاض بن عمر في تلك الحرب :

نحن قتلنا سيد الحي عنوة فأصبح منها وهو حيران موجع

- يعني أن الحي أصبح حيران موجعا-

وما كان يبغي أن يكون سواؤنا بها ملكاً حتى أتانا السميدع
فذاق وبالاً حين حاول ملكنا وحاول منا غصة تتجرع
ونحن عمرنا البيت كنا ولاته نضارب عنه من أتانا وندفع
وما كان يبغي ذاك في الناس غيرنا ولم يك حي قبلنا ثم يمنع
وكنا ملوكا في الدهور التي مضت ورثنا ملوكاً لاترام فتوضع

قال عثمان بن ساج في خبره: وحدثني بعض أهل العلم أن سيلاً جاء فدخل البيت فانهدم، فأعادته جرهم على بناء إبراهيم، بناه لهم رجل منهم يقال له أبو الجدرة وأسمه عمر الجارود، وسمي بنوه الجدرة. قال: ثم استخف جرهم بحق البيت، وارتكبوا فيه أموراً عظاماً، وأحدثوا فيه أحداثاً قبيحة، وكان للبيت خزانة، وهي بئر في بطنه، يلقى فيها الحلي والمتاع الذي يهدى له، وهو يومئذ لاسقف عليه، فتواعد عليه خمسة من جرهم أن يسرقوا كل مافيه، فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم واقتحم الخامس، فجعل الله عز وجل أعلاه أسفله، وسقط منكساً فهلك، وفر الأربعة الآخرون.
قالوا: ودخل إساف ونائلة البيت ففجرا فيه، فمسخهما الله حجرين، فأخرجا من البيت. وقيل إنه لم يفجر بها في البيت، ولكنه قبلها في البيت.
وذكر عثمان بن ساج عن أبي الزناد، أنه إساف بن سهيل، وأنها نائلة بنت عمرو بن ذئب. وقال غيره: إنها نائلة بنت ذئب. فأخرجا من الكعبة، ونصبا ليعتبر بهما من رآهما، ويزدجر الناس عن مثل ما راتكبا، فلما غلبت خزاعة على مكة ونسي حديثهما، وحولهما عمرو بن لحي بن كلاب بعد ذلك؛ فجعلهما تجاه الكعبة يذبح عندهما عند موضع زمزم.
قالوا: فلما كثر بغي جرهم بمكة قام فيهم مضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض فقال: يا قوم احذروا البغي، فإنه لا بقاء لأهله، وقد رأيتم من كان قبلكم من العماليق استخفوا بالحرم و لم يعظموه وتنازعوا بينهم واختلفوا، حتى سلطكم الله عليهم فاجتحتموهم فتفرقوا في البلاد، فلا تستخفوا بحق الحرم وحرمة بيت الله، ولا تظلموا من دخله وجاءه معظماً لحرماته، أو خائفاً، أو رغب في جواره، فإنكم إن فعلتم ذلكم تخوفت أن تخرجوا منه خرج ذل وصغار، حتى لا يقدر أحد منكم أن يصل إلى الحرم، ولا إلى زيارة البيت الذي هو لكم حرز وأمن، والطير

تأمن فيه.

فقال قائل منهم يقال له مجدع: ومن الذي يخرجنا منه؟ ألسنا أعز العرب وأكثرهم مالاً وسلاحاً؟فقال مضاض: إذا جاء الأمر بطل ما تذكرون؛ فقد رأيتم ما صنع الله بالعماليق! قالوا: وقد كانت العماليق بغت في الحرم، فسلط الله عز وجل عليهم الذر فأخرجهم منه، ثم رموا بالجدب من خلفهم حتى ردهم الله إلى مساقط رؤوسهم، ثم أرسل عليهم الطوفان- قال: والطوفان: الموت- قال: فلما رأى مضاض بن عمرو بغيهم ومقامهم عليه، عمد إلى كنوز الكعبة، وهي غزالان من ذهب، وأسياف قلعية ، فحفرلها ليلا في موضع زمزم ، ودفنها.

فبيناهم على ذلك إذ سارت القبائل من أهل مأرب، ومعهم طريقة الكاهنة، حين خافوا سيل العرم، وعليهم مزيقياء وهو عمرو بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الزد بين الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فقالت لهم طريقة لما قاربوا مكة:وحق ما أقول ، وما علمني ما أقول إلا الحكيم المحكم، رب جميع الأمم، من عرب وعجم. قالوا لها: ما شانك ياطريقة؟ قالت:خذوا البعير الشدقم ، فخضبوه بالدم، تكن لكم أرض جرهم، جيران بيته المحرم. فلما انتهوا إلى مكة وأهلها أرسل إليهم عمرو ابنه ثعلبة، فقال لهم: ياقوم، إنا قد خرجنا من بلادنا فلم نزل بلدةً إلا أفسح أهلها لنا،وتزحزحوا عنا، فنقيم معهم حتى نرسل رواداً فيرتادوا لنا بلدا يحملنا، فافسحوا لنا في بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح، نرسل روادنا إلى الشأم وإلى الشرق، فحيثما بلغنا أنه أمثل لحقنا به، وأرجوا أن يكون مقامنا معكم يسيراً، فأبت ذلك جرهم إباءً شديداً، واستكبروا في أنفسهم، وقالوا: لا والله؛ ما نحب أن تنزلوا فتضيفوا علينا مرابعنا ومواردنا، فارحلوا عنا حيث أحببتم، فلا حاجة لنا بجواركم. فأرسل إليهم: إنه لابد من المقام بهذا البلد حولاً، حتى ترجع إلي رسلي التي أرسلت، فإن أنزلتموني طوعاً نزلت وحمدتكم وآسيتكم في الرعي والماء، وإن أبيتم أقمت على كرهكم ثم لم ترتعوا معي إلا فضلاً ، و لم تشربوا إلا رنقا ، وإن قاتلتموني قاتلتكم، ثم إن ظهرت عليكم سبيت النساء وقتلت الرجال، و لم أترك منكم أحداً يترل الحرم أبداً! فأبت جرهم أن تنزله طوعاً وتعبت لقتاله ، فاقتتلوا ثلاثة أيام أفرغ عليهم فيها الصبر، ومنعوا النصر ، ثم انهزمت جرهم فلم يفلت منهم إلا الشريد. وكان مضاض بن عمرو قد اعتزل حربهم و لم يعنهم في ذلك، وقال: قد كنت أحذركم هذا. ثم رحل هو وولده وأهل بيته حتى نزلوا قنونى وما حوله، فبقايا جرهم به إلى اليوم ، وفني الباقون؛ أفناهم السيف في تلك الحروب.

قالوا: فلما حازت خزاعة أمر مكة وصاروا وأهلها جاءهم بنو إسماعيل وقد كانوا اعتزلو حرب جرهم وخزاعة، فلم يدخلوا في ذلك، فسألوهم السكنى معهم وحولهم فأذنوا لهم، فلما رأى ذلك مضاض بن عمرو بن الحارث وقد كان أصابه من الصبابة إلى مكة أمر عظيم، أرسل إلى خزاعة يستأذنها، ومت إليهم برأيه وتوريعه قومه عن القتال ، وسوء العشرة في الحرم، واعتزاله الحرب، فأبت خزاعة أن يقروهم ونفوهم عن الحرم كله، وقال عمرو بن لحي لقومه: من وجد منكم جرهميا قد قارب الحرم فدمه هدر ! فترعت إبل لمضاض بن عمرو بن الحارث بن

مضاض بن عمرو، من قنون تريد مكة، فخرج في طلبها حتى وجد أثرها قد دخلت مكة، فمضى على الجبال نحو أجياد، حتى ظهر على أبي قبيس يتبصر الإبل في بطن واديمكة، فأبصرالإبل تنحر وتؤكل ولا سبيل له إليها، فخاف إن هبط الوادي أن يقتل، فولى منصرفا إلى أهله وانشأ يقول:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
ولم يتربع واسطا فجنوبه إلى المنحنى من ذي الأراكة حاضر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجود العواثر
وأبدلنا ربي بها دار غربة بها الذئب يعوي والعدو المخامر
أقول إذا نام الخلي ولم أنم أذا العرش لايبعد سهيل وعامر
قد ابدلت منهم أوجها لاأريدها وحمير قد بدلتها واليحابر
فإن تمل الدنيا علينا بكلها ويصبح شر بيننا وتشاجر
فنحن ولاة البيت من بعد نابت نمشي به والخير إذ ذاك ظاهر

وأنكح جدي خير شخص علمته فأبناؤه منا ونحن الأصاهر
وأخرجنا منها المليك بقدرة كذلك ياللناس تجري المقادر
فصرنا أحاديثاً وكنا بغبطة كذلك عضتنا السنون الغوابر
وسحت دموع العين تبكي لبلدة بها حرم أمن وفيها المشاعر
وياليت شعري من بأجياد بعدنا أقام بمفضى سيله والظواهر
فبطن منى أمس كأن لم يكن به مضاض ومن حيى عدي عمائر
فهل فرج آت بشيء نحبه وهل جزع منجيك مما تحاذر

قالوا: وقال أيضاً:

ياأيها الحي سيروا إن قصركم أن تصبحوا ذات يوم لاتسيرونا
إنا كما أنتم كنا فغيرنا دهر بصرف كما صرنا تصيرونا
أزجوا المطي وأرخوا من أزمتها قبل الممات وقضوا ما تقضونا
قد مال دهر علينا ثم أهلكنا بالبغي فيه فقد صرنا أفانينا
كنا زماناً ملوك الناس قبلكم نأوي بلاداً حراماً كان مسكونا

قال الأزرقي: فحدثني محمد بن يحيى قال: حدثني عبد العزيز بن عمران قال: وخرج أبو سلمة بن عبد أسد المخزومي قبيل الإسلام في نفر من قريش يريدون اليمن فأصابهم عطش شديد ببعض الطريق، وأمسوا على غير الطريق، فتشاوروا جميعاً، فقال لهم أبو سلمة: إني أرى ناقتي تنازعني شقاً ؛ أفلا أرسلها وأتبعها؟ قالوا: فافعل. فأرسل ناقته وتبعها فأضحوا على ماء وحاضر ، فاستقوا وسقوا، فإنهم لعلى ذلك إذ أقبل إليهم رجل فقال: من القوم؟ قالوا: من قريش. فرجع إلى شجرة أمام الماء فتكلم عندها بشيء ثم رجع إلينا، فقال: أينطلق معي أحدكم إلى رجل ندعوه . قال أبو سلمة: فانطلقت معه فوقف بي تحت شجرة، فإذا وكر معلق فصوت: يا أبت! فزعزع شيخ رأسه ، فأجابه فقال: هذا الرجل. فقال لي: ممن الرجل؟ قلت: من قريش. قال: من أيها؟ قلت: من بني مخزوم بن يقظة. قال: من أيهم؟ قلت: أنا أبو سلمة بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة. قال: أيهات منك ! أنا ويقظة سن ، أتدري من يقول:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر

قلت: لا.قال: أنا قائلها، أنا عمروبن الحارث بن مضاض الجرهمي. أتدري لم سمى أجياد أجياداً؟ قلت:لا.قال: جادت بالدماء يوم التقينا نحن وقطوراء؛ أتدري لم سمي قبعقا،؟ قلت:لا. قال:لتقعقع السلاح علىظهورنا لما طلعنا عليهم منه.

أخبرني بهذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء؛قال حدثنا الزبيربن بكار قال: حدثني إبراهيم بن المنذرالحزامي؛ قال حدثنا عبد العزيز بن عمران؛ قال حدثني راشد بن حفص بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، قال: قال أبو سلمة بن عوف : وخرجت في نفر من قريش يريدون اليمن. وذكر الخبر مثل حديث الأزرقي. والله أعلم.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني محمد بن يحيى قال: حدثنا غسان بن عبد العزيز بن عبد الحميد أن ربيعة بن أمية بن خلف كان قد أدمن الشراب، وشرب في شهر رمضان، فضربه عمر رضي الله عنه وغربه إلى ذي المروة، فلم يزل بها حتى توفي واستخلف عثمان رضي الله عنه؛ فقيل له: قد توفي عمر واستخلف عثمان فلو دخلت المدينة ماردك أحد. قال:لا والله لاأدخل المدينة فتقول قريش قد غربه رجل من بني عدي بن كعب. فلحق بالروم وتنصر، فكان قيصر يحبوه ويكرمه، فأعقب بها.

قال غسان: حدثني أبي قال: قدم رسول يزيد بن معاوية على معاوية من بلاد الروم؛ فقال له معاوية: هل كان للناس خبر؟ قال: بينا نحن محاصرون مدينة كذا وكذا إذ سمعنا رجلا فصيح اللسان مشرفاً من بين شرفتين من شرف الحصن، وهو ينشد:

كأن لم يكن بن الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فقال معاوية: ويحك، ذاك الربيع بن أمية يتغنى بشعر عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال؛ حدثني إسحاق بن إبراهيم قال: قال لي أبي: مر بالدواب تسرج سحراً حتى نغدو إلى ابن جامع نستقبله بالياسرية بسحرة لا تأخذنا الشمس قال: فأمرت بذلك. وركبنا في السحر فأصبحنا دون الياسرية، وقد طلعت علينا الشمس. قال: فجئنا إلى ابن جامع وإذا به مختضب وعلى رأسه ولحيته خرق الخضاب، وغذا بقدر تطبخ في الشمس؛ فلما نظر إلينا رحب بنا، وقام إلينا فسلم علينا، ثم دعا الماء فغسل رأسه ولحيته، ثم دعا بالغداء فأتي بغدائه، فغرف لنا من تلك القدر التي في الشمس، فتقززت وبشعت من ذلك الطعام الذي طبخ، فأشار إلي أبي: بأن كل. فأكلنا حتى فرغنا من غدائنا، فلما غسلنا أيدينا نادى ابن جامع: يا غلام هات شرابنا! فأتي بنبيذ في زكرة قد كانت الزكرة في الشمس ، فكرهت ذلك، فأشار إلي أبي، أن لاتمتنع، ثم أتوا بقدح جيشاني ملء الكف، فصب النبيذ فيه وهويشبه ماء قد أغلي بالنار، ثم غنى ابن جامع فقال:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأزالنا صروف الليالي والجدود العواثر

ثم غنى للعرجي :

لو أن سلمى رأتنا لايراع لنا لما هبطنا جميعا أبطن السوق

وكشرنا وكبول القين تتكؤنا كالأسد تكثر عن أنيابها الروق

ثم تغنى:

أجرر في الجوامع كل يوم فيا لله مظلمتي وصبري

ثم أمر بالرحيل. وقد غنى هذه الثلاثة الأصوات. فقال لي أبي: يابني بشعت لما رأيت من طعام ابن جامع وشرابه؛ فعلي عتق ما أملك إن لم يكن شرب الدم مع هذا طيباً. ثم قال: أسمعت بني غناءً قط أحسن من هذا؟ فقلت: لا والله ما سمعت. قال: ثم خرج ابن جامع حتى نزل بباب أميرالمؤمنين الرشيد ليلاً، واجتمع المغنون على الباب، وخرج الرسول إليهم فأذن لهم؛ والرشيد خلف الستارة، فغنوا إلى السحر؛ فأعطاهم ألف دينار إلا ابن جامع فلم يعطه شيئاً، وانصرفوا متوجهين له، وعرضوا عليه جميعاً فلم يقبل، وانصرفوا، فلما كان في الليلة الثانية دعوا فغنوا ساعة، ثم كشفت الستارة، وغنى جامع صوتا عرض فيه بحاله وهو:

تقول أقم فينا فقيراً وما الذي ترى فيه ليلي أن أقيم فقيرا

ذريني أمت ياليل أو أكسب الغنى فإني أرى غير الغني حقيرا

يدفع في النادي ويرفض قوله وإن كان بالرأي السديد جديرا

ويلزم ما يجني سواه وإن يطف بذنب يكن منه الصغير كبيرا

قالوا: فأعجب الرشيد ذلك الشعر واللحن فيه، وأمال رأسه نحوه كالمستدعي له. وغناه أيضا:

لئن مصر فاتتني بما كنت أرتجي واخلفني منها الذي كنت آمل

فما كل ما يخشى الفتى نازل به ولا كل ما يرجو الفتى هو نائل

ووالله مافرطت في وجه حيلة ولكن ما قد قدر الله نازل

وقد يسلم الإنسان من حيث يتقي ويؤتى الفتى من أمنه وهو غافل

ثم أمر بالانصراف فانصرفوا، فلما بلغوا الستر صاح به الخادم: ياقرشي مكانك. فوقف مكانه فخرج إليه بخلع وسبعة آلاف دينار، وأمر إن شاء أن يقيم، وإن شاء أن ينصرف.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: ذكر الكلبي عن أبيه: أن الناس بيناهم في ليلة مقمررة في المسجد الحرام، إذ بصروا بشخص قد أقبل كأن قامته رمح، فهربوا من بين يديه وهابوه؛ فأقبل حتى طاف بالبيت الحرام سبعا ثم وقف فتمثل:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

قال: فأتاه رجل من أهل مكة؛ فوقف بعيداً منه ثم قال: سألتك بالذي خلقك أجني أنت أم إنسي ؟ فقال:بل إنسي، انا امرأة من جرهم، كنا سكان هذه الأرض وأهلها، فأزالناعنها هذا الزمان الذي يبلي كل جديد ويغيره ثم انصرفت خارجة عن المسجد حتى غابت عنهم، ورجعوا إلى مواضعهم.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني أبي عن جدي قال: قال لي يحيى بن خالد يوماً: أخبرك برؤيا رأيتها؟ قلت: خيراً رأيت. قال: رأيت كأني خرجت من داري راكباً، ثم التفت يميناً وشمالاً فلم أر معي أحداً، حتى صرت إلى الجسر، فإذا بصائح يصيح من ذلك الجانب:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فأجبته بقوله:

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر

فانصرفت إلى الرشيد فغنيته الصوت، وخبرته الخبر، فعجب منه. وما مضت الأيام حتى أوقع بهم

شافني الزائرات قصر نفيس مثقلات الأعجاز قب البطون

يتربعنه الربيع وينزل ن إذا صفن منزل الماجشون

يتربعنه: يترلنه في أيام الربيع. قال لمترل القوم في أيام الربيع: متربعهم. قال الشاعر:

أمن آل ليلى بالملا متربع كما لاح وشم في الذراع مرجع

والماجشون: رجل من أهل المدينة يروى عنه الحديث. والماجشون لقب به سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب- عليهم السلام-وهو اسم لون من الصبغ أصفر تخالطه حمرة، وكذلك كان لونه. ويقال: إنها ما لقبت أحداً قط بلقب إلا لصق به.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا مصعب الزبيري، قال: حدثني ابن الماجشون، قال: نظرت سكينة إلى أبي، فقالت: كأن هذا الرجل الماجشون-وهو صبغ أصفر تخالطه حمرة-فلقب بذلك.

قال عبد العزيز: ونظرت إلى رجل من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت فيه غلظة، فقالت: هذا الرجل في قريش كالشيرج في الأدهان! فكان ذلك الرجل يسمى: فلان شيرج حتى مات.

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لإبراهيم الموصلي. خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر، وفيه لبصبص جارية ابن نفيس التي قيل هذا الشعر فيها: رمل. وذكر حبش أن لها فيه أيضاً ثقيل أول بالوسطى.

ذكر أخبار بصبص جارية ابن نفيس

كانت بصبص هذه جارية مولدة من مولدات المدينة، حلوة الوجه، حسنة الغناء، قد أخذت عن الطبقة الأولى من المغنين، وكان يحيى بن نفيس مولاها-وقيل نفيس بن محمد، والأول أصح- صاحب قيان يغشاه الأشراف، ويسمعون غناء جواريه، وله في ذلك قصص نذكرها بعد، وكانت بصبص هذه أنفسهن وأشدهن تقدما.

وذكر ابن خرداذبه: ان المهدي اشتراها وهو ولي والعهد سراً من أبيه بسبعة عشر ألف دينار، فولدت منه علية بنت المهدي.

وذكر غيره أن ابن خرداذبة غلط في هذا، وأن الذي صح أن المهدي اشترى بهذه الجملة جاريةً غيرها، وولدت علية.

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات: ان ابن القداح حدثه قال: كانت مكنونة جارية المروانية-وليست من آل مروان بن الحكم؛ وهي زوجة الحسين بن عبد الله بن العباس-أحسن جارية بالمدينة وجها، وكانت رسحاء ، وكان بعض من يمازحها يعبث بها، ويصيح: طست طست ! وكانت حسنة الصدر والبطن، وكانت توضح بهما ، وتقول: ولكن هذا! فاشتريت للمهدي في حياة أبيه بمائة ألف درهم فغلبت عليه، حتى كانت الخيزران تقول: ما ملك أمةً أغلظ علي منها. واستتر أمرها على المنصور حتى مات. وولدت من المهدي علية بنت المهدي.

والذي قال ابن خرداذبه غير مردود إذا كان هذا صحيحاً.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن غرير بن طلحة قال: اتعد محمد بن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين، وعبد الله بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن مصعب الزبيري، وأبو بكر بن

محمد بن عثمان الربعي، ويحيى بن عقبة، أن يأتوا بصبص جارية ابن نفيس، فعجل محمد بن يحيى، وكان من أصحاب عيسى بن موسى، ليخرج إلى الكوفة، فقال عبد الله بن مصعب.

أرائح أنت أبا جعفر ... من قبل أن تسمع من بصبصا
هيهات أن تسمع منها إذا ... جاوزت العيس بك الأعوصا
فخذ عليها مجلسي لذة ... ومجلساً من قبل أن تشخصا
أحلف بالله يمينا ومن ... يحلف بالله فقد أخلصا
لو أنها تدعو إلى بيعة ... بايعتها ثم شققت العصا

قال: وفيها غناء لبصبص.

قال: فاشتراها أبو غسان مولى منيرة للمهدي بسبعة عشر ألف دينار.

قال حماد: وحدثني أبي عن الزبير أن عبد الله بن مصعب خاطب بهذا الشعر أبا جعفر المنصور لما حج فاجتاز بالمدينة منصرفاً من الحج، لاأبا جعفر محمد بن يحيى بن زيد.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي إجازة قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني محمد بن سلام قال: حدثني موسى بن مهران قال: كانت بالمدينة قينة لآل نفيس بن محمد يقال لها بصبص، وكان مولاها صاحب قصر نفيس الذي يقول فيه الشاعر:

شاقني الزائرات قصر نفيس ... مثقلات الأعجاز قب البطون

قال: وكان عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يأتيها، فيسمع منها، وكان يأتيها فتيان من قريش فيسمعون منها، فقال عبد الله بن مصعب حين قدم المنصور منصرفا من الحج ومر بالمدينة يذكر بصبص:

أراحل أنت أبا جعفر ... من قبل أن تسمع من بصبصا

وذكر الأبيات، فبلغت أبا جعفر، فغضب فدعا به؛ فقال: أما إنكم يا آل الزبير قديماً ما قادتكم النساء، وشققتم معهن العصا، حتى صرت أنت آخر الحمقى تبايع المغنيات؛ فدونكم يا آل الزبير هذا المرتع الوخيم.

قال: ثم بلغ أبا جعفر بعد ذلك أن عبد الله بن مصعب قد اصطبح مع بصبص وهي تغنيه بشعره:

إذا تمززت صراحيةً ... كثل ريح المسك أو أطيب
ثم تغنى لي بأهزاجه ... زيد أخو الأنصار أو أشعب
حسبت أني مالك جالس ... حفت به الأملاك والموكب
فلا أبالي وإله الورى ... أشرق العالم أم غربوا

الغناء لزيد الأنصاري، هزج مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي وغيره، وذكر غيره أنه لأشعب. فقال أبو جعفر: العالم لايبالون كيف أصبحت وكيف أمسيت.

ثم قال أبو جعفر: ولكن الذي يعجبني أن يحدو بي الحادي الليلة بشعر طريف العنبري، فهو آلف في سمعي من غناء بصبص، وأحرى أن يختاره أهل العقل. قال: فدعا فلاناً الحادي- قد ذكره وسقط اسمه-وكان إذا حدا وضعت الإبل رؤوسها لصوته وانقادت انقياداً عجيباً ، فسأله المنصور: ما بلغ من حسن حدائه؟ قال: تعطش الإبل ثلاثا أو قال خمسا وتدني من الماء، ثم أحدو فتتبع كلها صوتي، ولا تقرب الماء. فحفظ الشعر، وكان :

إني وإن كان ابن عمي كاشحا ... لمزاحم من دونه وورائه

وممدة نصري وإن كان أمراً ... متزحزحاً في أرضه وسمائه

وأكون مأوى سره وأصونه ... حتى يحق علي يوم أدائه

وإذا أتى من غيبه بطريفة ... لم أطلع: ماذا وراء خبائه

وإذا تحيفت الحوادث ماله ... قرنت صحيحتنا إلى جربائه

وإذا تريش في غناه وفرته ... وإذا تصعلك كنت من قرنائه

وإذا غدا يوماً ليركب مركباً ... صعباً قعدت له على سيسائه

فلما كان الليل حدا به الحادي بهذه الأبيات، فقال: هذا والله أحث على المروءة وأشبه باهل الأدب من غناءبصبص. قال: فحدا به ليلةً، فلما أصبح قال: ياربيع أعطه درهما. فقال له: يا أمير المؤمنين؛ حدوت بهشام بن عبد الملك، فأمر لي بعشرين ألف درهم وتأمر أنت بدرهم! قال: إنا لله! ذكرت مالم نحب أن تذكره؛ ووصفت ان رجلاً ظالماً أهذ مال الله من غير حله؛ وانفقه في غير حقه ياربيع، اشدد، يديك به حتى يرد المال. فبكى الحادي، وقال: يا أمير المؤمنين قد مضت لهذا السنون وقضيت به الديون، وتمزقته النفقات؛ ولا والذي أكرمك بالخلافة ما بقي عندي منه شيء. فلم يزل أهله وخاصته يسألونه حتى كف عنه، وشرط عليه أن يحدو به ذاهباً وراجعاً، ولا يأخذ منه شيئا.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي، قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني القاسم بن زيد المديني؛ قال: اجتمع ذات يوم عند بصبص جارية ابن نفيس عبد الله بن مصعب الزبيري ومحمد ابن عيسى الجعفري، في أشراف من أهل المدينة، فتذاكروا مزبداً المديني صاحب النوادر وبخله، فقالت بصبص: أنا اخذ لكم منه درهما.

فقال لها مولاها: أنت حرة لئن فعلت إن لم أشترلك مخنقة بمائة ألف دينار وإن لم أشترلك ثوب وشي بما شئت؛ وأجعل لك مجلساً بالعقيق أنحر لك فيه بدنة لم تقتب و لم تركب. فقالت:جيء به وارفع عني الغيرة.

فقال: أنت حرة أن لو رفع برجليك لأعنته على ذلك. فقال عبد الله بن مصعب: فصليت الغداة في مسجد

المدينة، فإذا أنا به، فقلت: أبا إسحاق، أما تحب أن ترى بصبص جارية ابن نفيس؟ فقال: امرأته طالق إن لم يكن الله ساخطاً علي فيها، وإن لم أكن أساله أن يرينيهامنذ سنة فما يفعل. فقلت له: اليوم إذا صليت العصر فوافني ههنا.

قال: امرأته طالق إن برحت من ههنا حتى تجيء صلاة العصر. قال: فتصرفت في حوائجي حتى كان العصر، ودخلت المسجد فوجدته فيه، فأخذت بيده وأتيتهم به، فأكلوا وشربوا، وتساكر القوم وتناوموا، فأقبلت بصبص على مزبد، فقالت: أبا إسحاق، كأن في نفسك تشتهي أن أغنيك الساعة:

لقد حثوا الجمال ليه ربوا منا فلم يئلو

فقال: زوجته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ! قال: فغنته ساعةً ثم مكثت ساعةً فقالت: أبا إسحاق كأن في نفسك تشتهي أن تقوم من مجلسك فتجلس إلى جانبي فتقرصني قرصات، وأغنيك.

قالت وقد أبثثتها وجدي فبحت به قد كنت قدماً تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولي فقلت لها غطى هواك وما ألقى على بصري

فقال: امرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام وما تكسب الأنفس غداً، وبأي أرض تموت! فغنته ثم قال: برح الخفاء ، أنا أعلم أنك تشتهي أن تقبلني شق التين وأغنيك هزجاً:

أنا أبصرت بالليل غلاماً حسن الدل

كغصن البان قد أص بح مسقيا من الطل

لم يذكر صانعه، وهو هزج على ماذكر.

فقال: أنت نبية مرسلة! فغنته ثم قالت: أبا إسحاق، أرأيت أسقط من هؤلاء! يدعونك ويخرجونني إليك ولايشترون ريحاناً بدرهم، أي أبا إسحاق؛ هلم درهما نشتري به ريحاناً! فوثب وصاح: واحرباه ، أي زانية ، أخطات استك الحفرة ، انقطع والله عنك الوحي الذي كان يوحى إليك! وعطعط القوم بها ، وعلموا أن حيلتها لم تنفذ عليه، ثم خرجوا فلم يعد إليها، وعاود القوم مجلسهم، فكان أكثر شغلعم فيه حيدث مزبد معها والضحك منه.

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات: أنشدني الزبير بن بكار، قال: أنشدني غرير بن طلحة لابن أبي الزوائد- وهو ابن ذي الزوائد- في بصبص:

بصبص أنت الشمس مزدانةً فإن تبذلت فأنت الهلال

سبحانك اللهم ما هكذا فيما مضى كان يكون الجمال

إذا دعت بالعود في مشهد وعاونت يمنى يديها الشمال

غنت غناءً يستفز الفتى حذقاً وزان الحذق منها الدلال

قال هارون: قال الزبير: وأنشدني غرير أيضاً لنفسه يهجو مولاها:

ياويح بصبص من يحيى لقد رزقت وجها قبيحاً وأنفاً من جعاميس

يمج من فيه في فيها إذا هجعت ريقاً خبيثاً كأرواح الكرابيس

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير قال حدثني عمي قال: هوي محمد بن عيسى الجعفري بصبص جارية ابن نفيس، فهام بها وطال ذلك عليه فقال لصديق له: لقد شغلتني هذه عن صنعتي وكل أمري، وقد وجدت مس السلو فاذهب بنا حتى أكاشفها بذلك فأستريح. فأتياها فلما غنت لهما قال لها محمدبن عيسى: أتغنين:

وكنت أحبكم فسلوت عنكم عليكم في دياركم السلام

فقالت: لاولكني أغني:

تحمل أهلها عنها فبانوا على آثار من ذهب العفاء

فاستحيا وازداد بها كلفاً، ولها عشقاً، فأطرق ساعةً ثم قال: أتغنين:

وأخضع بالعتبي إذا كنت مذنباً وإن أذنبت كنت الذي أتنصل

قالت: نعم وأغني أحسن منه:

فإن تقبلوا بالود نقبل بمثله وننزلكم منا بأقرب منزل

قال: فتقاطعا في بيتين، وتواصلا في بيتين. وفي هذه الأبيات الأربعة غناء كان محمد قريضي ، وذكاء، وغيرهما ممن شاهدنا من الحذاق يغنونه في الابتداءين لحنين من الثقيل الأول، وفي الجوابين لحنين من خفيف الثقيل، ولا أعرف صانعهما.

أخبرني عمي قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدثني أبو أيوب المديني عن مصعب قال: حضر أبو السائب المخزومي مجلساً في بصبص جارية يحيى بن نفيس، فغنت:

قلبي حبيس عليك موقوف والعين عبرى والدمع مذروف

والنفس في حسرة بغصتها قد شف أرجاءها التساويف

إن كنت بالحسن قد وصفت لنا فإنني بالهوى لموصوف

يا حسرتا حسرة أموت بها إن لم يكن لي لديك معروف

قال: فطرب أبو السائب ونعر ، وقال: لاعرف الله قدره إن لم أعرف لك معروفك. ثم أخذ قناعها عن رأسها وجعله على رأسه وجعل يلطم ويبكي، ويقول لها: بأبي والله أنت، إني لأرجو أن تكوني عند الله أفضل من

الشهداء، لما تولينا من السرور، وجعل يصيح، واغوثاه! يا لله لما يلقى العاشقون.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو بكر العامري قال حدثني عمرو بن عبد الله قال: حدثناالحسين بن يحيى عن عثمان بن محمد الليثي قال: كنت يوماً في مجلس ابن نفيس، فخرجت إلينا جاريته بصبص، وكان في القوم فتى يحبها، فسألته حاجة، فقام ليأتيها بها، فنسي أن يلبس نعله، ومشى حافيا؛ فقالت: يافلان،نسيت نعلك. فلبسها وقال: أنا والله كما قال الأول:

وحبك ينسيني عن الشيء في يدي ... ويشغلني عن كل شيء أحاوله

فأجابته فقالت:

وبي مثل ما تشكوه مني وإنني ... لاشفق من حب أراك تزاوله

يشتاق قلبي إلى مليكة لو ... أمست قريبا ممن يطالبها

ما أحسن الجيد من مليكة وال ... لبات إذ زانها ترائبها

ياليتني ليلةً إذا هجع ال ... ناس ونام الكلاب صاحبها

في ليلة لايرى بها أحد. ... يسعى علينا إلا كواكبها

الشعر لأحيحة بن الجلاح، والغناء لابن سريج. رمل بالخنصر في مجرى البنصر. وفيه لحن لمالك من رواية يونس.

ذكر أحيحة بن الجلاح

ونسبه وخبره والسبب الذي من أجله قال الشعر هو أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. ويكنى أحيحةأبا عمرو.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثني الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيزقال: ركب الوليد بن عبد الملك إلى المساجد، فأتى مشجد العصبة ، فلما صلى قال للأحوص: يا أحوص أين الزوراء التي قال فيها صاحبكم:

إني أقيم على الزوراء أعمرها ... إن الكريم على الإخوان ذو المال

لها ثلاث بئار في جوانبها ... في كلها عقب تسقى بأقبال

استغن او مت ولا يغررك ذو نشب ... من ابن عم ولا عم ولا خال

قال الزبير؛ العقب الذي في أول المال عند مدخل الماء، والطلب الذي في آخره . قال: فأشار له الأحوص إليها وقال: هاهي تلك، لو طولت لأشقرك هذا لجال عليها ، فقال الوليد: إن أبا عمرو كان يراه غنياً بها، فعجب الناس يومئذ لعناية الوليد بالعلم، حتى علم أن كنية أحيحة أبو عمرو.

وفي بعض هذا الشعر غناء، وهو:

استغن أو مت ولايغررك ذو نشب من ابن عم ولا عم ولا خال

يلوون مالهم عن حق أقربهم وعن عشيرتهم؛ والحق للوالي

غناه الهذلي رملا بالوسطى من رواية الهشامي وعمرو بن بانة وأما السبب في قول أحيحة هذا الشعر فإن أحمد بن عبيد المكتب ذكر أن محمد بن يزيد الكلبي حدثه، وحدثه أيضاً هشام بن محمد عن الشرقي بن القطامي قال هشام: وحدثني به أبي أيضاً.

قال: وحدثني رجل من قريش عن أبي عبيدة بن عمار بن ياسر، قال: وحدثني عبد الرحمن بن سليمان الأنصاري، قالوا جميعاً: أقبل تبع الأخير وهو أبو كرب بن حسان بن أسعد الحميري، من اليمين سائراً يريد المشرق كما كانت التبابعة تفعل، فمر بالمدينة فخلف بها ابناً له، ومضى حتى قدم الشأم ثم سار من الشأم حتى قدم العراق فنزل بالمشقر ، فقتل ابنه غيلة بالمدينة، فبلغه وهو بالمشقر مقتل ابنه، فكر راجعاً إلى المدينة وهو يقول:

ياذا معاهر ماتزال ترود رمد بعينك عادها أم عود

منع الرقاد فما أغمص ساعة نبط بيثرب آمنون قعود

لاتستقي بيديك إن لم تلقها حربا كأن أشاءها مجرود

ثم أقبل حتى دخل المدينة وهو مجمع على إخرابها وقطع نخلها، واستئصال أهلها، وسبي الذرية؛ فنزل بسفح أحد فاحتفر بها بئراً-فهي البئر التي يقال لها إلى اليوم بئرالملك-ثم أرسل إلى أشراف أهل المدينة ليأتوه فكان فيمن أرسل إليه زيد بن ضبيعة بن زيد بن عمرو بن عوف، وابن عمه زيد بن أمية بن زيد، وابن عمه زيد بن عبيد بن زيد -وكانوا يسمون الأزياد- وأحيحة بن الجلاح؛ فلما جاء رسوله قال الأزدياد: إنما أرسل إلينا ليملكنا على أهل يثرب. فقال أحيحة: والله ما دعاكم لخير! وقال:

ليت حظي من أبي كرب أن يرد خيره خبله

فذهبت مثلاً. وكان يقال: إن مع أحيحة تابعاً من الجن يعلمه الخبر لكثرة صوابه؛ لأنه كان لايظن شيئاً فيخبربه قومه إلا كان كما يقول. فخرجوا إليه، وخرج أحيحة ومعه قينة له، وخباء، فضرب الخباء وجعل فيه القينة والخمر، ثم خرج حتى استأذن على تبع، فأذن له، واجلسه معه على زربية تحته ، وتحدث معه وسأله عن أمواله بالمدينة؛ فجعل يخبره عنها، وجعل تبع كلما أخبره عن شيء منها يقول: كل ذلك على هذه الزربية. يريد بذلك تبع قتل أحيحة، ففطن أحيحة أنه يريد قتله فخرج من عنده فدخل خباءه، فشرب الخمر، وقرض أبياتاً، وأمر القينة أن تغنيه بها، وجعل تبع عليه حرسا، وكانت قينته تدعى مليكة فقال:

يشتاق قلبي إلى مليكة لو أمست قريباً ممن يطالبها

الأبيات. وزاد فيها مماليس فيه غناء:

لتبكني قينة ومزهرها ولتبكني قهرة وشاربها

ولتبكني ناقة اذا رحلت وغاب في سردح مناكبها

ولتبكني عصبة إذا جمعت لم يعلم الناس ما عواقبها

فلم تزل القينة تغنيه بذلك يومه وعامة ليلته ؛ فلما نام الحراس قال لها: إني ذاهب إلى أهلي فشدي عليك الخباء، فإذا جاء رسول الملك فقولي له: هو نائم؛ فإذا أبوا إلا أن يوقظوني فقولي: قد رجع إلى أهله وأرسلني إلى الملك برسالة. فإن ذهبوا بك إليه فقولي له: يقول لك أحيحة: اغدر بقينة أودع.ثم انطلق فتحصن في أطمه الضحيان، وأرسل تبع من جوف الليل إلى الأزياد فقتلهم على فقارة من فقار تلك الحرة. وأرسل إلى أحيحة ليقلته، فخرجت إليهم القينة، فقالت: هو راقد. فانصرفوا وترددوا عليها مراراً؛ كل ذلك تقول: هو راقد. ثم عادوا فقالوا: لتوقظنه أو لندخلن عليك. قالت: فإنه قد رجع إلى أهله، وأرسلني إلى الملك برسالة. فذهبوا بها إلى الملك، فلما دخلت عليه سألها عنه، فأخبرته خبره، وقالت: يقول لكاغدر بقينة أودع. فذهبت كلمة أحيحة هذه مثلاً؛ فجرد له كتيبة من خيله، ثم أرسلهم في طلبه فوجدوه قد تحصن في أطمه، فحاصروه ثلاثاً؛ يقاتلهم بالنهار ويرميهم بالنبل والحجارة، ويرمي إليهم بالليل بالتمر، فلما مضت الثلاث رجعوا إلى تبع فقالوا: بعثتنا إلى رجل يقاتلنا بالنهار، ويضيفنا بالليل! فتركه؛ وأمرهم أن يحرقوا نخله. وشبت الحرب بين أهل المدينة: أوسها وخزرجها ويهودها، وبين تبع، وتحصنوا في الآطام. فخرج رجل من أصحاب تبع حتى جاء بني عدي بن النجار؛ وهم متحصنون في أطمهم، الذي كان في قبلة مسجدهم، فدخل حديقة من حدائقهم، فرقي عذقا منها يجدها ، فاطلع إليه رجل من بني عدي بن النجار من الأطم يقال له أحمر أو صخر بن سليمان من بني سلمة، فنزل إليه فضربه بمنجل حتى قتله ثم ألقاه في بئر! وقال: جاءنا يجد نخلنا ، إنما النخل لمن أبره ظن فأرسلها مثلاً. فلما انتهى ذلك إلى تبع زاده حنقاً وجرد إلى بني النجار جريدة من خيله ؛ فقاتلهم بنو النجار ورئيسهم عمرو بن طلة أخو بني معاوية بن مالك بن النجار، وجاء بعض تلك الخيول إلى بني عدي وهم متحصنون في أطمهم الذي في قلبة مسجدهم، فراموا بني عدي بالنبل، فجعلت نبلهم تقع في جدار الأطم، فكان على أطمهم مثل الشعر من النبل، فسمي ذلك الأطم الأشعر-و لم تزل بقيا النبل فيه حتى جاء الله عزوجل بالإسلام- وجاء بعض جنوده إلى بني الحارث بن الخزرج، فجذموا نخلهم من أنصافها، فسميت تلك النخل جذمان ، وجدعوا هم فرساً لتبع، فكان تبع يقول: لقد صنع بي أهل يثرب شيئاً ما صنعه بي أحد؛ قتلوا ابني وصاحبي، وجدعوا فرسي! قالوا: فبينا تبع يريد إخراب المدينة، وقتل المقاتلة، وسبي الذرية، وقطع الأموال أتاه حبران من اليهود فقالا، أيها الملك انصرف عن هذه البلدة فإنها محفوظة، وإنا نجد اسمها كثيراً في كتابنا، وأنها مهاجر نبي من بني إسماعيل اسمه أحمد، يخرج من هذا الحرم من نحو البيت الذي بمكة، تكون داره وقراره، ويتبعه أكثر أهلها. فأعجبه ماسمع منهما، وكف عن

الذي أراد بالمدينة وأهلها، وصدق الحبرين بما حدثاه، وانصرف تبع عما كان أراد بها، وكف عن حربهم، وآمنهم حتى دخلوا عسكره، ودخل جنده المدينة؛ فقال عمرو بن مالك بن النجار، يذكر شأن تبع، ويمدح عمرو بن طلة:

أصحا أم انتحى ذكره ... أم قضى من لذة وطره
بعدما ولى الشباب وما ... ذكره الشباب أو عصره
إنها حرب يمانية ... مثلها آتى الفتى عبره
سائلي عمران أو أسدا ... إذا أتت تعدو مع الزهره
فيلق فيه أبوكرب ... سبع أبدانه ذفره
ثم قالوا من يؤم بنا ... أبنو عوف أم النجرة
يا بني النجار إن لنا ... فيكم ذحلاً وإن تره
فتلقتهم مسايفة ... مدها كالغبية النثره

-الغبية :السحابة التي فيها مطر وبرق برعد-.

فيهم عمرو بن طلة لا ... هم فامنح قومه عمره
سيد سامي الملوك ومن ... يدع عمرا لاتجذ قدره

وقال في ذلك رجل من اليهود:

تكلفني من تكاليفها ... نخيل الأساويف والمصنعة
نخيلاً حمتها بنو مالك ... جنود أبي كرب المقطعه

وقال أحيحة يرثي الأزياد الذين قتلهم تبع:

ألا يالهف نفسي أي لهف ... على أهل الفقارة أي لهف

مضوا قصد السبيل وخلفوني ... إلى خلف من الأبرام خلف
سدى لايكتفون ولا أراهم ... يطيعون أمراً إن كان يكفي

قالوا: فلما كف تبع عن أهل المدينة اختلطوا بعسكره فبايعوه وخالطوهم. ثم إن تبعاً استوبأ بئره التي حفرها ، وشكا بطنه عن مائها؛ فدخلت عليه امرأة من بني زريق يقال لها فكهة بنت زيد بن كلدة بن عامر بن زريق، وكانت ذات جلد وشرف في قومها، فشكا إليها وبأبئره، فانطلقت فأخذت قربا وحمارين حتى استقت له من

ماء رومة، فشربه فأعجبه، وقال: زيديني من هذا الماء. فكانت تختلف إليه في كل يوم بماء رومة، فلما حان رحيله دعاها، فقال لها: يا فكهة، إنه ليس معنا من الصفراء والبيضاء شيء ، ولكن لك ما تركنا من أزوادنا ومتاعنا. فلما خرج تبع نقلت ما تركوه من ازوادهم ومتاعهم؛ فيقال إنه لم تزل فكهة أكثر بني زريق مالاً حتى جاء الإسلام.

قال: وخرج تبع يريد اليمن ومعه الحبران اللذان نهياه عن المدينة، فقال حين شخص من منزله: هذه قباء الأرض. فسميت قباء . ومر بالجرف فقال؛ هذا جرف الأرض. فسمي الجرف؛ وهو أرفعها. ومر بالعرضة وتسمي السليل فقال: هذه عرضة الأرض. ثم انحدر في العقيق فقال: هذا عقيق الأرض. فسمي القيق. ثم خرج يسير حتى نزل البقيع، فنزل على غدير ماء يقال له براجم، فشرب منه شربة فدخلت في حلقه علقة فاشتكى منها. فقال فيما ذكر أبو مسكين قوله:

ولقد شربت على براجم شربة كادت بباقية الحياة تذيع

ثم مضى حتى إذا كان بحمدان جاءه نفر من هذيل فقالوا له: اجعل لنا جعلا وندلك على بيت مال فيه كنوز من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد والذهب والفضة ، ليست لأهله منعة ولا شرف. فجعل لهم على ذلك جعلا، فقالوا له: هو البيت الذي تحجه العرب بمكة. وأرادوا بذلك هلاكه. فتوجه نحوه فأخذته ظلمة منعته من السير،فدعا الحبرين فسألهما، فقالا: هذا لماأجمعت عليه في هذا البيت؛ والله مانعه منك، ولن تصل إليه،فاحذر أن يصيبك ما أصاب من انتهك حرمات الله؛ وإنما أراد القوم الذين أمروك به هلاكك؛ لأنه لم يرمه أحد قط بشر إلاأهلكه الله، فأكرمه وطف به، واحلق رأسك عنده، فترك الذي كان أجمع عليه، وأمر بالهذليين فقطع أيديهم وأرجلهم، ثم خرج يسير حتى أتى مكة فنزل بالشعب من الأبطح، وطاف بالبيت، وحلق رأسه،وكساه الخصف .

قال هشام: وحدثني ابن لجرير بن البجلي عن جعفر بن محمد عن أبيه. قال هشام: وحدثني أبي عن صالح عن ابن عباس قال: لما أقبل تبع يريد هدم البيت وصرف وجوه العرب إلى اليمن، بات صحيحا فأصبح وقد سالت عيناه على خديه، فبعث إلى السحرة والكهان والمنجمين، فقال: مالي، فوالله لقد بت ليلتي ما أجد شيئا، وقد صرت إلى ماترون. فقالوا: حدث نفسك بخير. ففعل فارتد بصيراً، وكسا البيت الخصف.

هذه رواية جعفر بن محمد عن أبيه. وفي رواية ابن عباس: فأتي في المنام فقيل له: أكسه أحسن من هذا. فكساه الوصائل-قال: وهي برود العصب ، سميت الوصائل لأنها كانت يوصل بعضها ببعض-قال: فأقام بمكة ستة أيام يطعم الطعام، وينحر في كل يوم ألف بعير، ثم سار إلى اليمن وهو يقول:

ونحرنا بالشعب ستةآلا ف ترى الناس نحوهن ورودا

وكسونا البيت الذي حرم الل ه ملاءً معضدا وبرودا؟

وأقمنا به من الشهر ستا وجعلنا له به إقليدا

ثم أبنا منه نؤم سهيلًا قد رفعنا لواءنا المعقودا

قال: وهود تبع وأهل اليمن بذينك الحبرين.

أخبرني محمد بن مزيد قال: أخبرني حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: حدثني أبو البختري عن أبي إسحاق، قال: أخبرني أيوب بن عبد الرحمن:

أن رجلاً من بني مازن بن النجار يقال له كعب بن عمرو، تزوج امرأةً من بني سالم بن عوف فكان يختلف إليها، فقعد له رهط من بني جحجبى بمرصد، فضربوه حتى قتلوه أو كادوا، فأدركه القوافل فاسنقذوه؛ فلما بلغ ذلك أخاه عاصم بن عمرو خرج وخرج معه بنو النجار وخرج أحيحة بن الجلاح ببني عمرو بن عوف، فالتقوا بالرحابة ، فاقتلوا قتالاً شديداً، فقتل أخا عاصم يومئذ أحيحة بن الجلاح، وكان يكنى أبا وحوحة، فأصابه في صحابه حين انهزموا، وطلب عاصم أحيحة حتى انتهى إلى البيوت، فأدركه عاصم عند باب داره فزجه بالرمح، ودخل أحيحة الباب، ووقع الرمح في الباب، ورجع عاصم وأصحابه فمكث أياماً. ثم إن عاصماً طلب أحيحة ليلاً ليقتله في داره، فبلغ ذلك أحيحة، وقيل له إن عاصماً قد رئي البارحة عند الضحيان والغابة -وهي أرض لأحيحة، والضحيان: أطم له-وكان أحيحة إذ ذاك سيد قومه من الأوس، وكان رجلاً صنعاً للمال ، شحيحاً عليه، يبيع بيع الربا بالمدينة، حتى كاد يحيط بأموالهم، وكان له تسع وتسعون بعيراً كلها ينضحعليها، وكان له بالجرف أصوار من نخل قل يوم يمر به إلا يطلع فيه، وكان له أطمان: أطم في قومه يقال له المستظل، وهو الذي تحصن فيه حين قاتل تبعاً أسعد أبا كرب الحميري، وأطمه الضحيان بالعصبة في أرضه التي يقال لها الغابة بناه بحجارة سود وبنى عليه نبرةً بيضاء مثل الفضة، ثم جعل عليها مثلها، يراها الراكب من مسيرة يوم أو نحوه، وكانت الآطام هي عزهم ومنعتهم وحصونهم التي يتحرزون فيها من عدوهم. ويزعمون أنه لما بناه أشرف هو غلام له، ثم قال: لقد بنيت حصناً حصيناً مابنى مثله رجل من العرب أمنع ولا أكرم، ولقد عرفت موضع حجر منه لو نزع لوقع جميعا! فقال غلامه: أنا أعرفه. فقال: فأرينه يابني. قال: هو هذا. وصرف إليه رأسه، فلما رأى أحيحة أنه قد عرفه دفعه من رأس الأطم فوقع على رأسه فمات، وإنما قتله إرادة ألا يرعف ذلك الحجر أحد. ولما بناه قال:

بنيت بعد مستظل ضاحياً بنيته بعصبة من ماليا

والسر مما يتبع القواصيا أخشى ركيبا أو رجيلا عاديا

وكان أحيحة إذا أمس جلس بحذاء حصنه الضحيان، ثم أرسل كلاباً له تنبح دونه على من يأتيه ممن لايعرف، حذراً أن يأتيه عدو يصيب منه غرة؛ فأقبل عاصم بن عمرو يريده في مجلسه ذلك ليقتله بأخيه، وقد أخذ معه تمراً، فلما نجته الكلاب حين دنا منه ألقى لها التمر فوقفت، فلما راها أحيحة قد سكنت حذر فقام فدخل حصنه، ورماه عاصم بسهم فأحرزه من الباب ، فوقع السهم بالباب، فلما سمع أحيحة وقع السهم صرخ في قومه، فخرج عاصم بن عمرو، فأعجزهم حتى أتى قومه. ثم إن أحيحة جمع لبني النجار، فاراد أن يغترهم

فواعدهم وقومه لذلك ، وكانت عن أحيحة سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش إحدى نساء بني عدي بن النجار، له منها عمرو بن أحيحة، وهي أم عبد المطلب بن هاشم، خلف عليها هاشم بعد أحيحة، وكانت امرأةً شريفة لا تنكح الرجال إلا وأمرها بيدها، إذا كرهت من رجل شيئاً تركته.

فزعم ابن إسحاق أنه حدثه أيوب بن عبد الرحمن ، وهو أحد رهطها، قال: حدثني شيخ منا أن أحيحة لما أجمع بالغارة علىقومها ومعها ابنها عمرو بن أحيحة، وهو يومئذ فطيم أو دون الفطيم، وهو مع أحيحة في حصنه عمدت إلى ابنها فربطته بخيط، حتى إذا أوجعت الصبي تركته فبات يبكي، وهي تحمله؛ وبات أحيحة معها ساهراً، يقول: ويحك مالابني؟ فتقول: والله ما أدري ماله. حتى إذا ذهب الليل أطلقت الخيط عن الصبي فنام وذكروا أنها ربطت رأس ذكره، فلما هدأ الصبي قالت: وارأساه! فقال: أحيحة: هذا والله مالقيت من سهر هذه الليلة. فبات يعصب لها رأسها ويقول: ليس بك بأس. حتى إذا لم يبق من الليل إلا أقله قالت له: قم فنم، فإني أجدني صالحة قد ذهب عني ماكنت أجده. وإنما فعلت به ذلك ليثقل رأسه، وليشتد نومه على طول السهر فلما نام قامت وأخذت حبلاً شديداً وأوثقته برأس الحصن، ثم تدلت منه وانطلقت إلى قومها، فأنذرهم وأخبرهم بالذي أجمع هو وقومه من ذلك، فحذر القوم وأعدوا واجتمعوا. فأقبل أحيحة في قومه فوجد القوم على حذرقد استعدوا، فلم يكن بينهم كبير قتال؛ ثم رجع أحيحة فرجعوا عنه،وقد فقدها أحيحة حين أصبح؛ فلما رأى القوم على حذر قال: هذا عمل سلمى! خدعتني حتى بلغت ما أرادت. وسماها قومها المتدلية؛ لتدليها من رأس الحصن. فقال في ذلك أحيحة وذكر ما صنعت به سلمى:

تفهم أيها الرجل الجهول ... ولا يذهب بك الرأي الوبيل
فإن الجهل محمله خفيف ... وإن الحلم محمله ثقيل

وفيها يقول:

لعمر أبيك ما يغني مقامي ... من الفتيان رائحة جهول
نؤوم ما يقلص مستقلاً ... على الغابات مضجعه ثقيل
إذا باتت أعصبها فنامت ... علي مكانها الحمى الشمول
لعل عصابها يبغيك حرباً ... ويأتيها بعورتك الدليل
وقد أعدت للحدثان عقلاً ... لوآن المرء تنفعه العقول

وقال فيها وفيما صنعت به:

أخلق الربع من سعاد فأمسى ... ربعه مخلقا كدرس الملاة
بالياً بعد حاضر ذي أنيس ... من سليمى إذ تغتدي كالمهاة

وهي قصيدة طويلة، يقال إن في هذين البيتين منها غناء.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه عن أبي مسكين: أن قيس بن زهير بن جذيمة أتى أحيحة بن الجلاح لما وقع الشر بينه وبين بني عامر؛ وخرج إلى المدينة ليتجهز، بعث إليهم حين قتل خالد بن جعفر زهير بن جذيمة، فقال قيس لأحيحة: يا أبا عمرو، نبئت أن عندك درعاً ليس بيثرب درع مثلها؛ فإن كانت فضلاً فبعنيها، أو فهبها لي. فقال: يا أخا بني عبس، ليس مثلي يبيع السلاح ولا يفضل عنه ، ولولا أني أكره أن أستليم إلى بني عامر لوهبتها لك، ولحملتك على سوابق خيلي، ولكن اشترها يا أبا أيوب ، فإن البيع مرتخص وغال. فأرسلها مثلاً. فقال له قيس: فما تكره من استلامتك إلى بني عامر؟ قال: كيف لا أكره ذلك وخالد بن جعفر الذي يقول:

إذا ما أردت العز في آل يثرب ... فناد بصوت يا أحيحة تمنع

رأيت أبا عمرو أحيحة جاره ... يبيت قرير العين غير مروع

ومن يأته من خائف ينس خوفه ... ومن ياته من جائع الجوف يشبع

فضائل كانت للجلاح قديمة ... وأكرم بفخر من خصالك الأربع

فقال قيس: وماعليك بعد ذلك من لوم. فلها عنه ثم عاوده فساومه، فغضب أحيحة وقال له: بت عندي. فبات عنده، فلما شرب تغنى أحيحة وقيس يسمع:

ألا يا قيس لاتسمن درعي ... فما مثلي يساوم بالدرع

فلولا خلة لأبي جوي ... وأني لست عنها بالنزوع

لأبت بمثلها عشر وطرف ... لحوق الإطل جياش تليع

ولكن سم ما أحببت فيها ... فليس بمنكر غبن البيوع

فما هبة الدروع أخا بغيض ... ولا الخيل السوابق بالبديع

وقال: فأمسك بعد ذلك عن مساومته: أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال: حدثني أخي أحمد بن علي عن عافية بن شبيب، قال: حدثني أبو جعفر الأسدي، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس الشيعي إجازة، عن عمر بن شبة عن إسحاق قال:

دعاني الفضل بن الربيع يوماً فأتيته، فإذا عنده شيخ حجازي حسن الوجه والهيئة، فقال لي: أتعرف هذا؟ قلت:لا.قال: هذا ابن أنيسة بنت معبد، فسله عما أحببت من غناء جده. فقلت: يا أخا أهل الحجاز، غناء جدك؟ قال:صوتا. ثم غناني:

ما أحسن الجيد من مليكة وال ... لبات إذ زانها ترائبها

قال: فغناه أحسن غناء في الأرض، و لم آخذه منه اتكالاً على قدرتي عليه. واضطرب الأمر على الفضل وصار إلى التغيب، وشخص الشيخ إلى المدينة، فبقيت أنشد الشعر وأسأل عنه مشايخ المغنين، وعجائز المغنيات، فلاأجد أحداً يعرفه، حتى قدمت البصرة، وكنت آتي جزيرتها في القيظ فأبيت بها ثم أبكر بالغداة إلى مترلي فإني لداخل يوماً إذا بامرأتين نبيلتين ، قد قدمنا فأخذتا بالجام حماري، فقلت لهما: مه! قال أبو زيد في خبره: فقالت إحداهما: كيف عشقك اليوم ل ما أحسن الجيد من مليكة وشغفك به، فقد بلغني أنك كنت تطلبه من كل أحد؟ وقد كنت رأيتك في مجلس الفضل وقد استخفك الطرب لهذا الصوت حتى صفقت. قال: فقلت لها: أشد والله ما كنت عشقاً له، وقد ألهبت بذكرك آياه في قلبي جمراً، ولقد طلبته ببغداد كلها فلم أجد أحداً يسمعنيه. قالت: أفتحب أن أغنيك إياه. قلت: نعم. فغنته والله أحسن مما سمعته قديما بصوت خافض، فترلت إليها فقبلت يديها ورجليها وقلت: جعلني الله فداك، لوشئت لصرت معي إلى مترلي. قالت: أصنع ماذا؟ قلت: أغنيك وتغنيني يومنا إلى الليل. قالت: أنت والله أطفس من أن تفعل ذاك، وإنما هو عرض، ولكني أغنيك حتى تأخذه. فقلت: بأبي أنت وأمي، وجعلني الله فداك من أنت؟ قالت: أنا وهبة جارية محمد بن عمران القروي، التي يقول فيها فروح الرفاء الطلحي:

يا وهب لم يبق لي شيء أسربه	إلاالجلوس فتسقيني وأسقيك
وتمزجين بريق منك لي قدحا	كأن فيه رضاب المسك من فيك
ياأطيب الناس ريقاً غير مختبر	إلا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا زورة في الدهر واحدة	ثني ولاتجعليها بيضه الديك
ما نلت منك سوى شيء أسر به	ولست أبصر شيئا من مساويك
قالت ملكت ولم تملك فقلت لها	ماكل مالكة تزري بمملوك

قال أبو زيد خاصة: قال إسحاق: وأنشدتنيه وغنتني فيه بصوت مليح قد صنعته فيه، ثم صارت إلي بعد ذلك، وكانت من أحسن الناس غناء، وأحسنهم رواية. فما كانت تفوق فيه من صنعتها سائر الناس صوتها، وهو:

لابد من سكرة على طرب	لعل روحاً يدال من كرب
فعاطنيها صفراء صافيةً	تضحك من لؤلؤ على ذهب

قال: ولها فيه عمل فاضل. ومن صنعتها قوله:

الكأس بعد الكأس قد	تصبي لك الرجل الحليما
وتقرب النسب البعي	د وتبسط الوجه الشتيما

قال: ومما برزت فيه من صنعتها:

هاتها سكريةً كشعاع ال شمس لاقرقفاً ولا خندريسا

في ربي يخلع الولي عليها ما يحيى به الحليس الجليسا

فلنوارها نسيم إذا ما حركته الرياح رد النفوسا

أمسى لسلامة الزرقاء في كبدي صدع مقيم طوال الدهر والأبد

لايستطيع صناع القوم يشعبه وكيف يشعب صدع الحب في الكبد

إلا بوصل التي من حبها انصدعت تلك الصدوع من أسقام والكمد

الشعر والغناء لمحمد بن الأشعث بن فجوة الكاتب الكوفي، أحمد بني زهرة من قريش. ولحنه من خفيف الثقيل الأول بلبنصر.

سلامة الزرقاء

وسلامة الزرقاء هذه جارية ابن رامين، وكانت إحدى القينات المحسنات.

ذكر خبرها وخبر محمد بن الأشعث

نسخت ذلك من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات ، ذكر أن أبا أيوب المديني حثه عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال: كان محمد بن الأشعث القرشي ثم الزهري كاتباً، وكان من فتيان أهل الكوفة وظرفائهم وأدبائهم، وكان يقول الشعر ويتغنى فيه. فمن ذلك قوله في زرقاء جارية ابن رامين، وكان يألفها:

أمسى لسلامة الزرقاء كبدي

وذكر الأبيات: شعر محمد بن الأشعث في سلامة:

قال: ومن شعره فيها يخاطب مولاها وقد كان حج وأخرج جواريه كلهن-هكذا ذكر أحمد بن إبراهيم. وهذا الشعر الثاني لإسماعيل بن عمار الأسدي، وقد ذكرت أخباره في موضع آخر.

أية حال يابن رامين حال المحبين المساكين

تركتهم موتى ولم يتلفوا قد جرعوا منك الأمرين

-ويروي: تركتهم موتى وما موتوا، وجدته بخط حماد .-

وسرت في ركب على طية ركبب تهام ويمانين

ياراعي الذود لقد رعتهم ويلك من روع المحبين

فرقت جمعاً لايرى مثلهم بين دروب الروم والصين

الغناء لمحمد بن الأشعث نشيد خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها، عن ابن المكي وغيره.

قال: ودخل ابن الأشعث يوماً على ابن رامين فخرجت إليه الزرقاء، فبينما هو يلقي عليها إذبصر بوصيفة من وصائفهم فأعجبته، فقال شعراً في وقته، وتغنى فيه، فأخذته منه الزرقاء، وهو قوله:

قل لأختي التي أحب رضاها　　أنت لي فاعلميه ركن شديد

إن لي حاجةً إليك فقولي:　　بين أذني وعاتقي ماتريد

يعني قولي: ماتريد في عنقي حتى أفعله. ففطنت الزرقاء للذي أراد، فوهبت له الوصيفة، فخرج بها.

الغناء فيه رمل بالوسطى. ذكر عمرو بن بانة أنه لابن سريج، وقد وهم في ذلك، بل الغناء لمحمد بن الأشعث لايشك فيه.

قال هارون: وحدثني حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: وحدثني أبو عبد الله الأسك أمير المغنين أن محمد بن الأشعث الزهري، وهشام بن محمد بن أبي عثمان السلمي، اجتمعا عند ابن رامين، وكان هشام قد أنفق في منزله مالاً عظيماً، وكان يقال لأبيه بسياردرم ، وتفسيره بالعربية: الكثير الدراهم، فقال محمد بن الأشعث: يا هشام قل ما تشاء. قال:

قل أختي التي أحب رضاها　　انت لي فاعلميه ركن شديد

وأشار بذلك إلى سلامة الزرقاء. قالت وقد سمعت: فقل. فقال:

إن لي حاجة إليك فقولي　　بين أذني وعاتقي ماتريد

ففطنت الزرقاء للذي أراد، فقالت: بين أذني وعاتقي ما تريد، فما هو؟ قال: وصيفتك هذه فإنها قد أعجبتني. قالت: هي لك. فأخذها فما رد ذلك ابن رامين ولا تكلم فيه.

وهذا الشعر والغناء فيه لمحمد بن الأشعث.

قال هارون: وحدثني أبو أيوب عن أحمد بن إبراهيم قال: ذكر عمرو بن نوفل بن أنس بن زيد التميمي ، أن محمد بن الأشعث كان ملازماً لابن رامين ولجاريته سلامة الزرقاء، فشهر بذلك ، وكان رجلاً قصافاً فلامه قومه في فعله فلم يحفل بمقالتهم وطال ذلك منه ومنهم، حتى رأى بعض ما كره في منزل ابن رامين، فمال إلى سحيقة جارية زريق بن منيح، مولى عيسى بن موسى. وكان زريق شيخاً سخياً كريماً نبيلاً يجتمع إليه أشراف الكوفة من كل حي، وكان الغالب على منزله رجلاً من ولد القاسم بن عبد الغفار العجلي، كغلبة محمد بن الأشعث على منزل ابن رامين، فتواصلا على ملازمة بيت زريق. ففي ذلك يقول محمد بن الأشعث:

يابن رامين بحت بالتصريح　　في هواي سحيقة ابن منيح

قينة عفة ومولى كريم　　ونديم من اللباب الصريح

ربعي مهذب أريحي　　يشتري الحمد بالفعال الربيح

نحن منه في كل ماتشتهي الأن فس من لذة وعيش نجيح
عند قرم من هاشم في ذراها وعناء من الغزال المليح
في سرور وفي نعيم مقيم قد أمنا من كل أمر قبيح
فاسل عنا كما سلوناك إني غير سال عن ذات نفس وروحي
حافظ منك كل ما كنت قد َض يعت مما عصيت فيه نصيحي
فالقلى ما حييت مني لك الده ر بود لمنيتي ممنوح
يابن رامين فالزمن مسجد الح ي وطول الصلاة والتسبيح

قال عمرو بن نوفل: فلم يدع ابن رامين شريفاً بالكوفة إلا تحمل به على ابن الأشعث وأن يرضى عنه، ويعاود زيارته، فلم يفعل، حتى تحمل عليه بالحجواني، وهو محمد بن بشربن حجوان الأسدي، وكان يومئذ على الكوفة، فكلمه فرضي عنه ورجع إلى زيارته، ولم يقطع منزل زريق. وقال في سحيقة:

سحيقة أنت واحدة القيان فمالك مشبه فيهن ثان

فضلت على القيان بفضل حذق فحزت على المدى قصب الرهان
سجدن لك القيان مكفرات كما سجد المجوس لمرزبان
ولا سيما إذا غنيت صوتا وحركت المثالث والمثاني
شربت الخمر حتى خلت أني أبو قابوس أو عبد المدان
فإعمال اليسار على الملاوي ومن يمناك ترجمة البيان

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان عن حماد عن أبيه قال: كان روح بن حاتم المهلبي كثير الغشيان لمنزل ابن رامين، وكان يختلف إلى الزرقاء جارية ابن رامين، وكان يهواها محمد بن جميل وتهواه، فقال لها: إن روح بن حاتم قد ثقل علينا. قالت: فما أصنع . قد غمر مولاي ببره! فقال: احتالي له. فبات عندهم روح ليلة، فأخذت سراويله وهو نائم فغسلته، فلما أصبح سأل عنه فقالت: غسلناه. ففطن أنه أحدث فيه فاحتيج إلى غسله، فاستحيا من ذلك وانقطع عنها، وخلا وجهها لابن جميل.

قال هارون: واخبرني حماد عن أبيه قال: ابن رامين اسمه عبد الملك بن رامين، مولى عبد الملك بن بشربن مروان. وجواريه سعدة، وربيحة، وسلامة الزرقاء. وفيهن يقول إسماعيل بن عمار الأسدي وأنشدناه الحرمي عن الزبير عن عمه، وروايته أتم:

هل من شفاء لقلب لج محزون صبا، وصب إلى ريم ابن رامين

إلى ربيحة إن الله فضلها ... بحسنها وسماع ذي أفانين

نعم شفاؤك منها أن تقول لها ... قتلتني يوم دير اللج فاحييني

أنت الطبيب لداء قد تلبس بي ... من الجوى فانفثي في في وارقيني

نفسي تأبى لكم إلا طواعية ... وأنت تحمين أنفاً أن تطيعيني

فتلك قسمة ضيزي قد سمعت بها ... وأنت تتلينها ما ذاك في الدين

ما عائذ الله لي إلف ولا وطن ... ولا ابن رامين، لولا ما يمنيني

يارب مالابن رامينن له بقر ... عين وليس لنا غير البراذين

لوشئت أعطيته مالاً على قدر ... يرضى به منك غير الخرد العين

لعائذ الله بيت مامررت به ... إلا وجئت على قلبي بسكين

ياسعدة القينة البيضاء، أنت لنا ... أنس لأنك في دار ابن رامين

لاتحسبن بياض الجص يؤنسني ... وأنت كنت كمثل الخزفي اللين

لولا ربيحة ما استأنست ما عمدت ... نفسي إليك ولو مثلت في طين

لم أنس صعدة والزرقاء يومهما ... باللج شرقية فوق الدكاكين

تغنيان ابن رامين ضحاءهما ... بالمسجحي وتشبيب المحبين

فما دعوت به من عيش مملكة ... ولم نعش يومنا عيش المساكين

أذاك أنعم أم يوم ظللت به ... منعم العيش في بستان سورين

يشوي لنا الشيخ سورين دواجنه ... بالجردناج وسحاج الشقابين

نسقي شراباً لعمران يعتقه ... يمسي الأصحاء منه كالمجانين

يعني عمران بن موسى بن طلحة بن عبد الله-

إذا ذكرنا صلاةً بعدما فرطت ... قمنا غليها بلا عقل ولا دين

نمشي إليها بطاءً لاحراك بنا ... كأن أرجلنا تقلعن من طين

نمشي وأرجلنا عوج مطارحها ... مشي الإوز التي تأتي من الصين

أو مشي عميان دبر لادليل لهم ... إلا العصي، إلى عيد السعانين

وقال فيه أيضاً:

لابن رامين خرد كمها الرم ل حسان وليس لي غير بغل

رب فضلته علي ولوشئ ت لفضلتني عليه بفضل

قال حماد: وأخبرني أبي قال: حدثني السكوني، أن جعفر بن سليمان اشترى ربيحة بمائة ألف درهم، واشترى صالح بن علي سعدة بتسعين ألف درهم، واشترى معن بن زائدة الزرقاء.

قال مؤلف هذا الكتاب: هذا خطأ، الزرقاء اشتراها جعفر بن سليمانه، ولعل معنا اشترى غيرها.

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني علي بن الحسن الشيباني، عن عبد الملك بن ثوبان قال: قال إسماعيل بن عمار: كنت أختلف إلى منزل ابن رامين فأسمع جاريتيه: الزرقاء وسعدة، وكانت سعدة أظرف من الزرقاء، فأعجبت بها وعلمت ذلك مني، وكانت سعدة كاتبة، فكتبت إليها أشكو ما ألقى بها، فوعدتني فكتبت إليها رقعة مع بعض خدمهم:

يارب إن ابن رامين له بقر عين وليس لنا غير البراذين

وذكر الأبيات الماضية. قال: فجاءني الخادم وقال: مازالت تقرأ رقعتك وتضحك من قولك:

فإن تجودي بذاك الشيء أحي به وإن بخلت به عني فزنيني

وكتبت إلي: حاشاك من أن أزنيك، ولكني أسير إليك فأغنيك وألهيك وأرضيك. وصارت إلي فأرضتني بعد ذلك.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، عن الحسين بن محمد الحراني، وأخبرني الجوهري عن علي بن محمد النوفلي عن أبيه: أن جعفر بن سليمان اشترى الزرقاء صاحبة ابن رامين بثمانين ألف درهم، وسترها عن أبيه- وأبوه يومئذ على البصرة في خلافة المنصور، وقد تحرك في تلك الأيام عبد الله بن علي-فهجم عليهما يوماً سليمان بن علي فأخفيا العود تحت السرير ودخل، فقال له: ويحك نحن على هذه الحال نتوقع الصيلم وأنت تشتري جاريةً بثمانين ألف درهم! وأظهر له غضباً عليه وتسخطاً لما فعل، فغمز خادماً كان على رأسه فأخرجها إلى سليمان، فأكبت على رأسه فقبلته، ودعت له، وكانت عاقلةً مقبولةً متكلمة، فأعجبه مارأى منها، وقام عنهما فلم يعد لمعاتبة ابنه بعد ذلك.

قال: ولما مضت لها مدة عند جعفر سألها يوماً: هل ظفر منك أحد ممن كان يهواك بخلوة أو قبلة؟ فخشيت أن يبلغه شيء كانت فعلته بحضرة جماعة أو يكون قد بلغه، فقالت: لاوالله إلا يزيد بن عون العبادي الصيرفي؛ فإنه قبلني قبلة وقذف في في لؤلؤة بعتها بثلاثين ألف درهم. فلم يزل جعفر يحتال له ويطلبه حتى وقع في يده، فضربه بالسياط حتى مات.

قال هارون: وحدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال. حدثني أبو عوف الدوسي، عن عبد الرحمن بن مقرن قال:

كتبت إلى ابن رامين أستأذنه في إتيانه، فكتب إلي: قد سبقك روح بن حاتم، فإن كنت لا تحتشم منه فرح. فرحت، فكنا كأننا فرسا رهلان، والتقينا فعانقني وقال لي: أنى تريد ؟ قلت: حيث أردت. قال: فالحمد الله. فدخلنا فخرجت الزرقاء في إزار ورداء قوهيين موردين، كأن الشمس طالعة من بين رأسها وكتفيها ،فغنتنا ساعة ثم جاء الخادم الذي يأذن لها ، وكان الإذن عليها دون مولاها، فقام دون الباب وهي تغني، حتى إذا قطعت نظرت إليه فقالت: من ؟ فقال: يزيد بن عون العبادي الصيرفي، الملقب الماجن، على الباب. فقالت: أدخله. فلما استقبلها كفر ثم أقعى بين يديها. قال: فوجدت والله له ورأيت أثر ذلك، وتنوقت تنوقا خلاف ما كانت تفعل بنا. فأدخل يده في ثوبه فأخرج لؤلؤتين وقال: انظري يا زرقاء جعلت فداك! ثم حلف أنه نقد فيهما بالأمس أربعين ألف درهم. فقالت: فما أصنع بذلك؟ قال: أردت أن تعلمي. فغنت صوتا ثم قالت: يا ماجن هبهما لي ويحك. قال: إن شئت والله فعلت: قالت: قد شئت. قال: واليمين التي حلفت بها لازمة لي إن أخذتها إلا بشفتيك من شفتي قال: فذهب روح يتسرع إليه، فقلت له: ألك في بيت القوم حاجة؟ قال: نعم. فقلت: إنما يتكسبون مما ترى. وقام ابن رامين فقال: ضع لي ياغلام ماء. ثم خرج عنا فقالت: هاتهما. فمشى على ركبتيه وكفيه وهما بين شفتيه. فقال:هاك. فلما ذهبت بشفتيها جعل يصد عنها يمينا وشمالاً ليستكثر منها، فغمزت جارية على رأسها فخرجت كأنها تيرد حاجة،ثم عطفت عليه، فلما دنا منها وذهب ليزوغ دفعت منكبيه وأمسكتهما حتى أخذت الزرقاء اللؤلؤتين بشفتيها من فمه، وشرح جبينها حياءً منا. ثم تجلدت علينا فأقبلت عليه فقالت له: المغبون في استه عود فقال: أما أنا فما أبالي، لايزال طيب هذه الرائحة في أنفي وفمي أبداً ماحييت.

قال هارون: وحدثني ابن النطاح عن المدائني، عن علي بن أبي سليمان، عن أبي عبد الله القرشي، عن أبي زاهر بن أبي الصباح، قال: أتيت منزل ابن رامين مع رجل من قريش، فأخرج الزرقاء، وسعدة، فقام القرشي ليبول وترك مطرفه ، فلبسته سعدة وخرجت، فرجع القرشي وعليها المطرف قد خاطته فصار درعاً ، فقالت: أرأيتم أسرع من هذا؟ صار المطرف درعاً! فقال القرشي: هو لك. قال: وعلي طيلسان مثنى، فأردت أن أبول فلففته وقمت، فقالت سعدة: دع طيلسانك. فقلت: لاأدعه، أخاف أن يتحول مطرفاً.

وحدثني قبيصة بن معاوية قال: قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: شربت زرقاء ابن رامين دواءً فأهدى لها ابن المقفع ألف دراجة على جمل قراسي .

قال هارون: وحدثني حماد عن أبيه: أن محمد بن جميل كان يتعشق الزرقاء، وكان أبو جميل يغدو كل يوم يسأل من يقدم عن ابنه محمد، إلى أن مر به صديق له يكنى أبا ياسر، فسأله عنه فقال له أبو ياسر: تركته أعظم الناس قدراً، يعامل الخليفة كل يوم في خراجه، فيحتاج إليه ولده، وصاحب شرطته، وصاحب حرسه، وخدمه. فقال

له: ياأخي: فكيف بهذه الجارية التي قد شهر بها؟ فقال له الرجل: لاتهتم بها، قد مازحه أمير المؤمنين فيها، وخاطبه بشعر قيل فيه. قال:وما هو؟ قال:

وابن جميل فاعلموا عاجلاً ... لابد موقوف على مسطبه

يوقف في زرقاء مشهورة ... تجيد ضرب العود والعرطبه

فقال جميل: والله مابي من هذا الأمر إلا أني أتخوف أن يكون قد شهر بها هذه الشهرة و لم ينكها.

قال هارون: وأحسب هذه القصة لزرقاء الزراد ، لا زرقاء ابن رامين.

قال هارون: وحدثني أبو أيوب قال: حدثني محمد بن سلام، قال: اجتمع عند ابن رامين معن بن زائدة، وروح بن حاتم، وابن المقفع، فلما تغنت الزرقاء وسعدة، بعث معن إليها بدرة فصبت بين يديها، فبعث روح إليها أخرى فصبت بين يديها، و لم يكن عند ابن المقفع دراهم فبعث فجاء بصك ضيعته وقال: هذه عهدة ضيعتي خذيها، فأما الدراهم فما عندي منها شيء.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا فضل اليزيدي قال: حدثني إسحاق الموصلي قال: قال سليمان الخشاب: دخلت منزل ابن رامين فرأيت الزرقاء جاريته وهي وصيفة، حين شال نهودها ثوبها عن صدرها، لها شارب كأنه خط بمسك، يلحظه الطرف ويقصر عنه الوصف، وابن الأشعث الكوفي يلقي عليها، والغناء له:

أية حال يا ابن رامين ... حال المحبين المساكين

تركتها موتى وما موتوا ... قد جرعوا منك الأمرين

وسرت في ركب على طية ... ركب تهام ويمانين

يا راعي الذود لقد رعتنا ... ويلك من روع المحبين

فرقت جمعاً لايرى مثلهم ... فجعتهم بالربرب العين

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني هارون بن محمد الزيات قال: قال أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل: كان ابن رامين مولى الزرقاء أجل مقين بالكوفة وأكبرهم، ورامين أبوه مولى بشر بن مروان.

قال هارون: فحدثني سليمان المديني قال: قال حماد بن إسحاق قال أبي: قال معاذ بن الطبيب: أتيت ابن رامين وعنده جواريه: الزرقاء وصواحباتها، وعندهن فتى حسن الوجه نظيف الثياب، عطر الريح، يلقى عليهن، فسألت عنه فقيل لي: هذا محمد بن الأشعث بن فجوة الزهري. فمضيت به إلى منزلي وسألته المقام ففعل، وأتيته بطعام وشراب وغنيته أصواتاً من غناء أهل الحجاز، فسألني أن ألقيها عليه، فقلت: نعم وكرامةً وحباً، على أن تلقي علي أصواتاً من صنعتك ألتذ بها، وأقطع طريقي بروايتها، وأطرف أهل بلدي بها، ففعلت وفعل، فكان مما أخذته عنه من صنعته:

صاح إني عاد لي ماذهبا ... من هوى هاج لقلبي طربا

أذكرتني الشوق سلامة أن لم أكن قضيت منها أربا

وإذا ما لام فيها لائم زاد في قلبي لحبي عجبا

من ذوات الدل لو دب على جلدها الذر لأبدى ندبا

الغناء لمحمد بن الأشعث، ثقيل أول عن الهشامي. وفيه ليونس خفيف ثقيل بالسبابة، في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر أحمد بن عبيد أن فيه لحناً من الثقيل الثاني لايدري لمن هو؟ قال: ومنها.

لذكر الحبيب النازح المتعتب طربت ومن يعرض له الشوق يطرب

لحنه رمل: وقال منها:

خليلي عوجا ساعةً ثم سلما على زينب سقياً ورعياً لزينب

لحنه رمل. وقال منها:

رحبت بلادك يا أمامه وسلمت ما سجعت حمامه

وسقى ديارك كلما حنت إلى الشقيا غمامه

إني وإن أقصيتني سفهاً أحب لك الكرامة

وأرى أمورك طاعةً مفروضةً حتى القيامه

لحنه خفيف رمل.قال: ومنها :

ما بالمغاني من أحد إلا حمامات فرد

أضحت خلاءً درساً للريح فيها مطرد

عهدي بها فيما مضى ينتابها بيض خرد

فاستبدلت وحشاً بهم والورق تدعو والصرد

لحنه هزج. قال: ومنها:

ليت من طير نومي رد في عيني المناما

أوشفى جسماً سقيماً زاده الهجر سقاما

نظرت عيني إليها نظرةً هاجت غراما

تركت قلبي حزيناً بهواها مستهاما

لحنه رمل.

قال ابن الطبيب: وأخذت منه مع هذه أصواتا كثيرة، ورأيت الناس بعد ذلك ينسبونها إلى قدماء المغنين.

مصير الزرقاء وبيحة إلى جعفر ومحمد بن سليمان: قال هارون: وحدثني حماد بن إسحاق عن ابيه قال: حدثني إسماعيل بن جعفر بن سليمان: أن الزرقاء صاحبة ابن رامين صارت إلى ابيه، وكان يقال لها أم عثمان. وأن ربيحة جارية ابن رامين صارت إلى محمد بن سليمان، وكانت حظية عنده. قال إسماعيل: فأتى سليمان بن علي ابنه جعفر فأخرج إليه الزرقاء، فقال لها سليمان: غنيني. قالت: اي شيء تحب؟ قال: غنيني:

إذا ما أم عبد الل ... ه لم تحلل بواديه

ولم تشف سقيماهي ... ج الحزن دواعيه

فقالت: فديتك، قدترك الناس هذا منذ زمان. ثم غنته إياه.

قال إسماعيل: قد مات سليمان منذ ثلاث وسبعين سنة، وينبغي أن يكون رأى الزرقاء قبل موته بسنتين أوثلاث.

قال: وقالت هي: قد ترك الناس هذا منذ زمان. فهذا من أقدم ما يكون من الغناء.

قال هارون: وقال شراعة بن الزندبود:

قالوا شراعة عنين فقلت لهم ... الله يعلم أني غير عنين

فإن ابيتم وقلتم مثل قولهم ... فأقحموني في دار ابن رامين

ثم انظروا كيف طعني عند معتركي ... في حر من كنت أرميها وترميني

فال هارون: وحدثني أبو أيوب المديني، عن احمد بن إبراهيم قال: قال بعض المدنيين: أتيت منزل ابن رامين، فوجدته عنده جارية قد رفع ثديها قميصا، لها شارب أخضر ممتد على شفتيتها امتدادالطراز، كانما خطت طرقها وحاجباها بقلم، لايخلقها في ضرب من ضروب حسنها وصف واصلا، فسألت عن اسمها فقيل: هذه الزرقاء.

نسبة الصوت الذي في الخبر

إذا ما أم عبد الل ... ه لم تحلل بواديه

ولم تشف سقيما ه ... يج الحزن دواعيه

غزال راعة القنا ... ص تحميه صواصيه

عرفت الربع بالإكلي ... ل عفته سوافيه

بجو ناعم الحوذا ... ، ملتف روابيه

وما ذكرى حبيباو ... قليلا ما أواتيه

كذي الخمر تمناها وقد أسرف ساقيه

ذكر الزبير بن بكار ان الشعر لعدي بن نوفلن وقيل إنه للنعمان بن بشير النصاري وذاك أصح.

وقد أخرجت أخبار النعمان فيه مفردة في موضع آخر، ذكرت القصيدة بأسرها. ورواها ابن الأعرابي وأبو عمرو الشيباني للنعمانن و لم يذكر انها لعدي غير الزبير بن بكار.

والغناء فيما ذكر عمرو بن بانة لمعبد، خفيف رمل بالوسطى. وذكر إسحاق أن فيه خفيف رمل بالسبابة في مجرى البنصر، يمان . وفيه للغريض ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي، في الأول والثاني والرابع والخامس.

نسب عدي بن نوفل وخبره

هو عدي بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي. وامه آمنة بنت جابر بن سفيان، اخت تأبط شرا.

وكان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه استعمله، أو عثمان بن عفان رضي الله عنه- فيما أخبرنا به الطوسي عن الزبير بن بكار-على حضرموت.

داره وما قيل فيها من الشعر:

قال الزبير: ودار عدي بن نوفل بين المسجد والسوق معروفة ، وفيها يقول إسماعيل بن يسارالنسائي :

إن ممشاك نحو دار عدي كان للقلب شقوة وفتونا

إذ تراءات على البلاط فلما واجهتها كالشمس تعشي العيونا

قال هارون قف فيا ليت أني كنت طاوعت ساعة هارونا

وقد قيل إن هذه البيات لعمر بن أبي ربيعة .

قال الزبير: كان تحت عدي بن نوفل أم عبد الله بنت أبي الختري بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى، فغاب مدة وكتب إليها أن تشخص إليه، فلم تفعل، فكتب إليها قوله:

إذا ما أم عبد الل ه لم تحلل بواديه

وذكر البيتين فقط، فقال لها أخوها الأسود بن أبي البختري، وهما لأب وأم، وأمها عاتكة بنت أميةبن الحارث بن أسد بن عبد العزى: قد بلغ الأمر هذا من ابن عمك. فاشخص إليه .

أعيني جودا ولا تجمدا ألا بكيان لصخر الندى

ألا تبكيان الجري الجميل ألا نبكيان الفتى السيدا

الشعر للخنساء بنت عمرو بن الشريد، ترثي أخاها صخرا، والغناء لإبراهيم الموصلي، ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر، عن إسحاق. وفيه لابن سريج خفيف رمل بالوسطى، عن عمرو، والهشامي، وحبش.

نسب الخنساء وخبرها

وخبر مقتل أخويها صخر ومعاوية هي الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر. واسمها تماضر.

والخنساء لقب غلب عليها ، وفيها يقول دريد بن الصمة، وكان خطبها فردته، وكان رآها تمنأ بعيرا:

حيوا تماضر وأربعوا صحبي وقفوا فإن وقوفكم حسبي

أخناس قد هام الفؤاد بكم وأصابه تبل من الحب

ما إن رأيت ولا سمعت به كاليوم طالي أينق جرب

متبذلا تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب

قال أبو عبيدة ومحمد بن سلام: لما خطبها دريد بعثت خادما لها وقالت: انظري إليه إذا بال، فإن كان بوله يخرق الأرض ويخد فيها ففيه بقية، وإن كان بوله يسبح على وجهها فلا بقية فيه. فرجعت إليها وأخبرتها، فقالت: لابقية في هذا. فأرسلت إليه: ما كنت لأدع بني عمي وهم مثل عوالي الرماح، وأتزوج شيخا! فقال:

وقاك الله يا ابنة آل عمرو من الفتيان أشباهي ونفسي

وقالت إنني شيخ كبير وما نبأتها أني ابن أمس

فلا تلدي ولا ينكحك مثلي إذا ما ليلة طرقتبنحس

تريد شرنبث القدمين شثنا يباشر بالعشية كل كرس

فقالت الخنساء تجيبه:

معاذ الله ينكحني حبركى يقال أبوه من جشم بن بكر

ولو أصبحت في جشم هديا إذا أصبحت في دنس وفقر

وهذا الشعر ترثي به أخاها صخرا وقتله زيد بن ثور الأسدي يوم ذي الأثل.

أخبرنا بالسبب في ذلك محمد بن الحسن بن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، وأضفت إليه رواية الأثرم عن أبي عبيدة قال: غزا صخر بن عمرو، وأنس بن عباس الرعلي في بني سليم، بني أسد بن خزيمة ،-قال أبو عبيدة: وزعم السلمي أن هذا اليوم يقال له يوم الكلاب ويم ذي الأثل-في بني عوف وبني خفاف، وكانا متساندين، وعلى بني خفاف صخر بن عمرو الشريدي، وعلى بني عوف أنس بن عباس. قال: فأصابوا في بني أسد بن خزيمة غنائم وسبيا، وأخذ صخر يومئذ بديلة امرأة . قال: وأصابت صخرا يومئذ طعنة، طعنه رجل يقال له ربيعة بن ثور، ويكنى أبا ثور، فأدخل جوفه حلقا من الدرع فاندمل عليه حتى شق عنه بعد سنين، وكان سبب

موته.

قال أبو عبيدة: وقال غيره: بل ورد هو وبلعاء بن قيس الكناني. قال: وكانا أجمل رجلين في العرب. قال: فشربا عند يهودي خمار كان بالمدينة. قال:فحسدهما لما رأى من جمالهما وهيأتهما، وقال: إني لآحسد العرب أن يكون فيهم مثل هذين! فسقاهما شربة جويا منها . قال: فمر بصخر طبيب بعد ما طال مرضه، فأراهما به،فقال: أشق عنك فتفيق. قال: فعمد إلى شفار فجعل يحميها قم يشق بها عنه، فلم ينشب أن مات.

قال أبو عبيدة: واما أبو بلال بن سهم فإنه قال: اكتسح صخر أموال بني أسد وسبى نساءهم، فأتاهم الصريح فتبعوه فتلاحقوا بذات الأثل، فاقتتلوا قتالا شديدا، فطعن ربيعة بن ثور السدي صخرا في جنبه، وفات القوم فلم يقعص وجوي منها، ومرض قريبا من حول، حتى مله اهله. قال: فسمع صخر امرأة وهي تسأل سلمى امرأة صخر: كيف بعلك؟ فقالت سلمى:لاحي فيرجى، ولاميت فينعى، لقينا منه الأمرين! قال: وزعم آخر أن التي قالت هذه المقالة بديلة الأسدية التي كان سباها من بني أسد فاتخذها لنفسه. فأنشد هذا البيت:

ألا تلكم عرسي بديلة أوجست فراقي وملت مضجعي ومكاني

وأما أبو بلال بن سهم فزعم أن صخرا حين سمع مقالة سلمى امرأته قال:

أرى أم صخر لاتمل عيادتي وملت سليمى مضجعي ومكاني

وما كنت أخشى أن أكون جنازة عليك ومن يغتر بالحدثان

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

لعمري لقد نبهت من كان نائما وأسمعت من كانت له أذنان

وللموت خير من حياة كأنها محلة يعسوب برأس سنان

وأي امرىء ساوى بأم حليلة فلا عاش إلا في شقا وهوان

فلما طال عليه البلاء وقد نتأت قطعة مثل اللبد في جنبه في موضع الطعنة، قالوا له: لو قطعتها لرجونا ان تبرأ. فقال: شأنكم. فأشفق عليه بعضهم فنهاهم، فأبى وقال: الموت أهون علي مما أنا فيه! فأحموا له شفرة ثم قطعوها فيئس من نفسه.

قال: وسمع صخر أخته الخنساء تقول: كيف كان صبره؟ فقال صخر في ذلك:

أجارتنا إن الخطوب تنوب على الناس، كل المخطئين تصيب

فإن تسأليني هل صبرت فإنني صبور على ريب الزمان صليب

كأني وقد أدنوا إلي شفارهم من الصبر دامي الصفحتين ركوب

أجارتنا لست الغداة بظاعن ولكن مقيم ما اقام عسيب

عن أبي عبيدة: عسيب: جبل بأرض بني سليم إلى جنب المدينة، فقبره هناك معلم.

وقال أبو عبيدة: فمات فدفن هناك، فقبره قريب من عسيب.

فقالت الخنساء ترثيه:

ألاما لعينك أم ما لها لقد أخضل الدمع سربالها

ابعد ابن عمرو من آل الشري د حلت به الأرض أثقالها

فإن تك مرة أودت به فقد كان يكثرتقتالها

سأحمل نفسي على خطة فإما عليها وإما لها

فإن تصبر النفس تلق السرور وإن تجزع النفس أشقى لها

غنى فيه ابن سريج خفيف رمل بالبنصر.

قال السلمي: ليست هذه في صخر، هذه إنما رثت بها معاوية اخاها، وبنو مرة قتلته. ولكنها قالت في صخر:

قذى بعينك أم بالعين عوار أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار

تبكي لصخر، هي العبرى وقد ثكلت ودونه من جديد الترب أستار

لابد من ميتة في صرفها غير والدهر في صرفه حول وأطوار

يا صخر وراد ماء قد تناذره أهل الموارد ما في ورده عار

مشى السبنتى إلى هيجاء معضلة له سلاحان أنياب وأظفار

فما عجول على بو تطيف به لها حنينان إصغار وإكبار

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار

لاتسمن الدهر في أرض وإن رتعت فإنما هي تحنان وتسجار

يوما بأوجد مني يوم فارقني صخر وللدهر إحلاء وإمرار

فإن صخرا لوالينا وسيدنا وإن صخرا إذا نشتو لنحار

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في راسه نار

-غنى في هذين البيتين الأولين ابن سريج، من رواية يونس-:

لم ترأه جارة يمشي بساحتها لربية حين يخلي بيته الجار

ولا تراه وما في البيت يأكله لكنه بارز بالصحن مهمار

مثل الرديني لم تنفد شبيبته كأنه تحت طي البرد أسوار

في جوف رمس مقيم قد تضمنه في رمسه مقمطرات وأحجار

طلق البدين بفعل الخير ذو فجر ضخم الدسيعة بالخيرات أمار

ورفقة حار هاديهم بمهلكة كأن ظلمتها في الطخية القار

عروضه ثان من البسيط.

العوار والعائر: وجع، وهو مثل الرمد. وذرفت: قطرت قطرا متتبعا لايبلغ أن يكون سيلا. والعبرى، يقال امرأة عبرى وعابر. والعبرة : سخنة العين . والوله : ما يصيب الرجل والمرأة من شدة الجزع على الولد. حول وأطور، أي تحول وتقلب وتصرف. قد تناذره، أي أنذر بعضهم بعضا هوله وصعوبته. ويروى: تبادره وقولها مافي ورده عار أرادت ما في ترك ورده عار، أي لايعير أحد إن عجز عنه من صعوبة ورده .

العجول: الثكول. والبو: أن ينحر ولد الناقةويؤخذ جلده فيحشى ويدنى من أمه فترأمه. إحلاء وإمرار، يقال: ماأحلى ولاأمر. أي ما أتى بحلوة ولامرة . والمعنى أن الدهر يأتي بالمشقة والمحبة . كأنه علم في رأسه نار أي إنه مشهور. والعلم: الجبل، وجمعه أعلام. كأنه تحت طي البردأسوار، أي من لطافة بطنه وهيفه شبيه أسوار من ذهب.والرديني: الرمح منسوب إلى ردينة: امرأة كانت تقوم الرماح. أي هو معصوب البدن ليسبمهيج منحل. وهذا كله من انفاخ الجلد والسمن والاسترخاء. وقال أبو عمرو: مقمطرات: صخور عظام.والأحجار صغار .ذو فجر: يتفجر بالمعروف. والدسيعة: العطاء. الطخية، من الطخاء، وهو الغيم الرقيق الذي يواري النجوم فيتحير الهادي .

وقالت الخنساء أيضا ترثي صخرا:

بكت عيني وعاودها قذاها بعوار فما تقضي كراها

على صخر وأي فتى كصخر إذا ما الناب لم ترأم طلاها

-الطلا:الولد،أي لم تعطف عليه من الجدب-

فتى الفتيان ما بلغوا مداها ولايكدي إذا بلغت كداها

لئن جزعت بنو عمرو عليه لقد رزئت بنو عمرو فتاها

-غنى في هذه الأبيات ابن جامع ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. وذكر حبش أن لهأيضافيه خفيف رمل بالبنصر-

ترى الشم الجحاجح من سليم وقد بلت مدامعها لحاها

-إذا وصف السيد بالشمم فإنه لايدنو لدناءة، ولايضع لها أنفه-

وخيل قد كففت بجول حيل فدارت بين كبشيها رحاها

-وجول خيل: جولان. ويقال: قطعة خيل تجول، أي تذهب وتجيء-

ترفع فضل سابغة دلاص على خيفانة خفق حشاها

وتسعى حين تشتجر العوالي بكأس الموت ساعة مصطلاها

محافظة ومحمية إذا ما نبا بالقوم من جزع لظاها

فتتركها قد اشتجرت بطعن تضمنه، إذا اختلفت، كلاها

هنالك لو نزلت بال صخر قرى الأضياف سخنا من ذراها

فمن للضيف إن هبت شمال مزعزعة يجاوبها صداها

وألجأ بردها الأشوال حدبا إلى الحجرات بارزة كلاها

أمطعمكم وحاملكم تركتهم لدى غبراء منهدم رجاها

ليبك عليك قومك للمعالي وللهيجاء إنك ما فتاها

وقد فوزت طلعة فاستراحت فليت الخيل فارسها يراها

وقال خفاف بن عمير يرثي صخرا ومعاوية ابني عمرو، ورجالا منهم أصيبوا:

تطاول همه ببراق سعر لذكراهم وأي أوان ذكر

كأن النار تخرجها ثيابي وتدخل بعد نوم الناس صدري

لباتت تضرب الأمثال عندي على ناب شريت بها وبكر

وتنسى من أفارق غير قال وأصبر عنهم من آل عمرو

وهل تدرين أن مارب خرق رزئتمبرأ بقصاص وتر

أخى ثقة إذا الضراء نابت وأهل حباء أضياف ونحر

كصخر للسرية غادروه بذرة أو معاوية بن عمرو

وميت بالجناب أثل عرشي كصخر أو كعمرو أو كبشر

وآخر بالنواصف من هدام فقد أودى ورب أبيك صبري

فلم أرمثلهم حيا لقاحا أقاموا بين قاصية وحجر

أشد على صروف الدهر إذا وآمرمنهم فيها بصبر

وأكرم، حين ضن الناس، خيما وأحمد شيمة ونشيل قدر
إذا الحسناء لم ترحض يديها ولم يقصر لها بصر بستر
قروا أضيافهم ربحا ببح تجيء يعبقري الودق سمر
رماح مثقف حملت نصالا يلحن كأنهن نجوم فجر
جلاها الصيقلون فأخلصوها مواضي كلها يفري ببتر
هم الأيسار إن قحطت جمادى بكل صبير سارية وقطر
يصدون المغيرة عن هواها بطعن يفلق الهامات شزر
تعلم أن خير الناس طرالولدانغداة الريح غبر
وأرملة ومعتر مسيف عديم المال، عجزة أم صخر

ومما رثت به الخنساء صخرا وغني فيه:

أعيني جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجريء الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العما د ساد عشيرته أمردا
إذا القوم مدوا بأيديهم إلى المجد مد إليه يدا
فنال الذي فوق لأيديهم من المجد ثم مضى مصعدا
يحمله القوم ما عالهم وإن كان أصغرهم مولدا
ترى المجد يهوي إلى بيته يرى أفضل المجد أن يحمدا
وإن ذكر المجد ألفيته تأزر بالمجد ثم ارتدى

ونذكر الآن ها هنا خبر مقتل معاوية بن عمرو أخيهما، إذكانت أخبارهما وأخبارها يدعوبعضها إلى بعض.

قال أبو عبيدة: حدثني أبو بلال بن سهم بن عباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور قال: غزامعاوية بن عمرو أخو خنساء، بني سعد بن ذبيان وبني فزارة، ومع خفاف بن عمير بن الحارث، وأمه ندبة سوداء، وإليها ينسب، فاعتوره هاشم ودريد ابنا حرملة المريان. قال ابن الكلبي: وحرملة هو حرملة بن الأسعر بن إياس بن مريطة بن ضمرة بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان.

قال أبو عبيدة فاستطرد له أحدهما ثم وقف، وشد عليه الآخر فقتله، فما تنادوا: قتل معاوية! قال خفاف: قتلني الله إن رمت حتى أثاربه! فشد على مالك بن حمار الشمخي، وكان سيد بني شمخ بن فزارة، فقتله -أقال: وهو مالك بن حمارين حزن بن عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال بن مازن بن فزارة -فقال خفاف في ذلك:

فإن تك خيلي قد أصيب صممها فعمدا على عين تيممت مالكا

يعني مالك بن حمار الشمخي.

قال أبو عبيدة: فأجمل أبو بلال الحديث.

قال: وأما غيره فذكر أن معاوية وافى عكاظ في موسم من مواسم العرب، فبينا هو يمشي بسوق عكاظ، إذ لقي أسماء المرية، وكانت جميلة، رغم انها كانت بغيا، فدعاها إلى نفسه فامتنعت عليه وقالت: أما علمت أني عند سيد العرب هاشم بن حرملة؟! فقال: أما والله لأقار عنه عنك. قالت: شأنك وشأنه. فرجعت إلى هاشم فأخبرته بما قال معاوية وما قالت له، فقال هاشم: فلعمري لا يريم أبياتنا حتى ننظر ما يكون من جهده. قال: فلما خرج الشهر الحرام وتراجع الناس عن عكاظ، خرج معاوية بن عمرو غازيا يريد بني مرة وبني فزارة، في فرسان أصحابه من بني سليم، حتى إذا كان بمكان يدعى الجوزة- والشك من أبي عبيدة-دومت عليه طير وسنح له ظبي، فتطير منهما ورجع في أصحابه، وبلغ ذلك هاشم بن حرملة فقال: ما منعه من الإقدام إلا الجبن! قال: فلما كانت السنة المقبلة غزاهم، حتى إذا كان في ذلك المكان سنح له ظبي وغراب فتطير فرجع، ومضى أصحابه وتخلف في تسعة عشر فارسا منهم لايريدون قتالا،إنما تخلف عن عظم الجيش راجعا إلى بلاده ، فوردوا ماء وإذا عليه بيت شعر، فصاحوابأهله فخرجت إليهم امرأة فقالوا ما أنت ممن أنت؟قالت: امرأة من جهينة، أحلاف لبني سهم بن مرة بن غطفان. فوردوا الماء يسقون، فانسلت فأتت هاشم بن حرملة، فأخبرته أنهم غير بعيد، وعرفته عددهم وقالت: لاأرى إلا معاوية في القوم. فقال: بالكاع، أمعاوية في تسعة عشر رجلا، شبهت أو أبطلت.

قالت: بل قلت الحق، ولئن شئت لأصفنهم لك رجلا رجلا. قال: هاتي.

قالت: رأيت فيهم شابا عظيم الجمة، جبهته قد خرجت من تحت مغفره، صبيح الوجه، عظيم البطن، على فرس غراء. قال: نعم هذه صفته. يعني معاوية وفرسه الشماء.

قالت: ورأيت رجلا شديد الأدمة شاعرا ينشدهم. قال: ذلك خفاف بن عمير.

قالت: ورأيت رجلا ليس يبرح وسطهم، إذا نادوه رفعوا أصواتهم. قال: ذلك عباس الأصم.

قالت:ورأيت رجلا طويلا يكنونه أبا حبيب، ورأيتهم أشد شيء له توفيرا. قال: ذاك نبيشة بن حبيب.

قالت: ورأيت شابا جميلا له وفرة حسنة. قال: ذاك العباس بن مرداس السلمي.

قالت: ورأيت شيخا له ضفيرتان، فسمعته يقول لمعاوية:بأبي أنت أطلت الوقوف! قال: ذاك عبد العزى زوج الخنساء أخت معاوية.

قال: فنادى هاشم في قومه وخرج، وزعم المري أنه لم يخرج إليهم إلا في مثل عدتهم من بني مرة.قال: فلم يشعر السلميون حتى طلعوا عليهم، فثاروا إليهم فلقوهم فقال لهم خفاف: لاتنازلوهم رجلا رجلا؛ فإن خيلهم تثبت للطراد وتحمل ثقل السلاح، وخيلكم قد أمنها الغزو وأصابها الحفا .

قال: فاقتلوا ساعة وانفرد هاشم ودريد ابنا حرملة المريان لمعاوية، فاستطرد له أحدهما فشد عليه معاوية وشغله، واغتره الآخر فطعنه فقتله. واختلفوا أيهما استطرد له وأيهما قتله، وكانت بالذي استطردله طعنة طعنه إياها معاوية. ويقال: هو هاشم. وقال آخرون: بل دريد أخو هاشم.

شعر خفاف في ذلك

قال: وشد خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد على مالك بن حمار سيد بني شمخ بن فزارة فقتله. وقال خفاف في ذلك وهو ابن ندبة، وهي أمة سوداء كانت سباها الحارث، بن الشريد حين أغار على بني الحارث بن كعب فوهبها لابنه عمير فولدت له خفافا . ويقال في ندبة إنها ابنة الشيطان بن بنان، من بني الحارث بن كعب فقال:

أقول له والرمح يأطر متنه — تأمل خفافا إنني أنا ذلكا
وقفت له جلوى وقد خام صحبتي — لأبني مجدا ولأثأرهالكا
لدن ذر قرن الشمس حين رأيتهم — سرعا على خيل تؤم المسالكا
فلما رأيت القوم لاود بينهم — شريجين شتى طالبا ومواشكا
تيممت كبش القوم حتى عرفته — وجانبت شبان الرجال الصعالكا
فجادت له يمنى يدي بطعنة — كست متنه من أسود اللون حالكا
أنا الفارس الحامي الحقيقة والذي — به أدرك الأبطال قدما كذلكا
فغن ينج منها هاشم فبطعنة — كسته نجيعا من دم الجوف صائكا

فحقق خفاف في شعره أن الذي طعن معاوية هو هاشم بن حرملة.

وقالت الخنساء ترثي أخاها معاوية:

ألا لا رأى في الناس مثل معاوية — إذا طرقت إحدى الليالي بداهية
بداهية يصغي الكلاب حسيسها — وتخرج من سر النجي علانية
ألا لا رأى كفارس الورد فارسا — إذا ما علته جرأة وغلابيه
وكان لزاز الحرب عند شبوبها — إذا شمرت عن ساقها وهي ذاكية

وقواد خيل نحو اخرى كانها ... سعال وعقبان عليها زبانيه

بلينا وما تبلى تعار وما ترى ... على حدث الأيام إلا كما هيه

فأقسمت لاينفك دمعي وعولتي ... عليك بحز ما دعا الله داعيه

وقالت الخنساء في كلمة اخرى ترثيه أيضا:

إلا ما لعينيك أم مالها ... لقد أخضل الدمع سربالها

أبعد ابن عمرو من آل الشري ... د حلت به الأرض أثقالها

وأقسمت آسى على هالك ... وأسأل نائحة مالها

سأحمل نفسي على آلة ... فإنا عليها وإما لها

نهين النفوس وهون النفو ... س يوم الكريهة أبقى لها

ورجراجة فوقها بيضها ... عليها المضاعف زفنا لها

ككر فئة الغيث ذات الصبي ... ر ترمي السحاب ويرمي لها

وقافية مثل حد السنا ... ن تبقى ويهلك من قالها

نطقت ابن عمرو فسهلتها ... ولم ينطق الناس أمثالها

فإن تك مرة أودت به ... فقد كان يكثر تقتالها

فزال الكواكب من فقده ... وجللت الشمس أجلالها

وداهية جرها جارم ... تبيل الحواصن أحبالها

كفاها ابن عمرو ولم يستعن ... ولو كان غيرك ادنى لها

وليس بأولى ولكنه ... سيكفي العشيرة ما عالها

بمعترك ضيق بينه ... تجر المنية اذيالها

وبيض منعت غداة الصبا ... ح تكشف للروع اذيالها

ومعملة سقتها قاعدا ... فأعلمت بالسيف أغفالها

وناجية كأتان الثمي ... ل غادرت بالخل أوصالها

إلى ملك لا إلى سوقة ... وذلك ما كان إعمالها

وتمنح خيلك أرض العدو وتنبذ بالغزو اطفالها

ونوح بعثت كمثلالإرا خ آنست العين أسبالها

التفسير عن أبي عبيدة: قوله حلت به الأر، قال بعضهم: حلت من الحلية أي زينت به الأرض موتاها، حين دفن بها. وقال بعضهم: حلت من حللت الشيء. والمعنى القت مراسيها، كانه ثقلا عليها. قال: اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى خبر، كما قال جرير:

أستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح

قال: جواب أبعد في آسى أي أبعد ابن عمرو آسى وأسأل نائحة مالها.

وقال أبو عبيدة: هذا البيت لمية بنت ضرار بن عمرو الضبية ترثي أخاها . قال أبو الحسن الأثرم: سمعتأبا عمرو الشيباني يقول: أمور الناس جارية على أذلالها، أي على مسالكها، واحدها ذل . آلة: حالة. تقول: فإما أن اموت وإما أن انجو. ولو قالت علىألة لم تنج؛ لأن الألة هي الحربة.

هممت بنفسن قال أبو عبيدة: هذا توعد. قال الأصمعي:"كل الهموم". قال الأثرم: كأنها أرادت أن تقتل نفسها .

أبو عبيدة؛ التكدس: التتابع، يتبع بعضها بعضا، أي يغزو ويجاهد في الغزو، كما تتوقل الوعول في الجبال، عن ابي عبدة. قال الأصمعي: التكدس: أن تحرك مناكبها إذا مشت وكانها تنصب إلى بين يديها، وإنما وصفتهابهذا. تقول: لاتسرع إلى الحرب، ولكن تمشي إليها رويدا. وهذا أثبت له من أن يلقاها وهو يركضز ويقالك جاء فلان يتكدس، وهي مشية من مشي الغلاظ القصارز وقال أبو زياد الكلابي: الكداس :عطاس الضأن.

قالالسلمي: التكدس: تكدس الأوعال، وهو القحم. والتكدس هو أن يومي بنفسه رميا شديدا في جريه.

نهين النفوس، تريد غداة الكريهة. وقولها:"أبقى لها"لأنها إذا تذامرت وغشيت القتال كان أسلم لها غ من الانهزام. كقول بشر بن أبي خازم:

ولا ينجى من الغمراتإلا براكاء القتال أو الفرار

قال بعضهم: أبقى لها في الذكر وحسن القول. والرجراجة: التي تتمخض من كثرها. وقال الأصمعي: الكرفئة، وجمعها كرفيء: قطع من السحاب بعضها فوق بعضز وقوله: ترمي السحاب أي تنضم إليه وتتصل به.ويرمي لها، أي ينضم إليها السحاب حتى يستوي. مثل حد السنان، لآنها ماضية. سهلتها: جئت بها سهلة. وجللت الشمس، أي كسفت الشمس وصار عليها مثل الجل. تبيل الحواصن، وهي الحوامل من النساء، اولادها من شدة الفزع. أي ما كان وليها ولادنا إليها، ولكنه يكفي القريب والبعيد. ما عالها ، قالأبو عمرو:عالها: غلبها. وقال أبو عبيدة: يقال إنه ليعولني ما عالك، أي يغمني ما مك. ويقال: افعل كذا وكذا ولا يعللك أن تاتي غيره، أي لا يعجزك. ويقال: قد يعولك ان تفعل كذا، أي قد دنا لك أن تفعل ذاك. وانشد:

ضربا كما تكدس الوعول يعول أن أنبطها يعول

أي قد دنا ذلك. ويقال: عال كذا وكذا منك، أي دنا منك. ويروى: "وليس بأدنى ولكنه". وقولها معملة : إبل. وقولها: قاعدا، اي على فرسك. قال النابغة:

قعودا على آل الوجيه ولا حق

والأغفال: مالاسمة عليها، واحدها غفل. والأتان: الصخرة. والثميل:بقية الماء في الصخرة. والخل: الطريق في الرمل. يقول: أعيت فتركتها هنالك. ويروى:

غادرت بالنخل أوصالها

قال الأصمعي: ناجية: سريهة. ويروى: إلى ملك وإلى شأيء. تقول: تقود خيلك إلى ملكأو عدو. ويروى: ما كان إكلالها. ماصلة . الإراخ: بقر الوحش. تقول: خرجت من بيوتهن كما خرجت هذه البقر من كنسها فرحا بالمطر. ومثله في الفرح بالمطر لابن الأحمر قوله:

مارية لؤلؤان اللون أوردها طل وبنس عنها فرقد خصر

أي قوى أنفسها المطر، لما رأته. ومثله:

ألاهلك امرؤ قامت عليه بجنب عنيزة البقي الهجود

أي لم يقرن في البيوت فتسترهن البيوت، بل هن ظواهر. وإنما شبه اجتماع هؤلاء النساءباجتماع العين وخروجهن للمطر. قال: وبقر الوحش تفرح بالمطر.

وقال دريد يرثي أخا الخنساء، لما قتلته بنو مرة:

ألا بكرت تلوم بغير قدر فقد أحفيتني ودخلت ستري

فإن لم تتركي عذلي سفاها تلمك علي نفسك أي عصر

أسرك أن يكون الدهر هذا علي بشره يغدوويسري

وألا ترزئي نفسا ومالا يضرك هلكه في طول عمري

فقد كذبتك نفسك فاكذبيها فإن جزع وإن إجمال صبر

وإن الرزء يوم وقفت أدعو فلم أسمع معاوية بن عمرو

رأيت مكانه فعرضت بذءا وأي مقيل رزء يا ابن بكر

إلى ارم وأحجار وصير وأغصان من السلمات سمر

-صير، الواحدة صيرة، وهي حظيرة الغنم. وقوله: وأغصان من السلمات، أي ألقيت على قبره-

وبنيان القبور اتى عليها طوال الدهر من سنة وشهر

ولو اسمعته لسرى حثيثا سريع السعي أو لأناك يجري

بشكة حازم لاعيب فيه إذا لبس الكماة جلود نمر

-أي كان الوانهم الوان النمور، سواد وبياض من السلاح. عن أبي عبيدة-

فإما تمس في جدث مقيما بمسهكة من الأرواح قفر

فعز علي هلكك يا ابن عمرو ومالي عنك من عزم وصبر

قال أبو الحسن الأثرم: فلما دخل الشهر الحرام-فيما ذكر أبو عبيدة عن أبي بلال بن سهم-من السنة المقبلة، خرج صخر بن عمرو حتى أتى بني مرة بن عوف بن ذبيان، فوقف على ابني حرملة، فإذا أحدهما به طعنة في عضده- قال: لم يسمه أبو بلال بن سهم. فأما خفاف بن عمير فزعم في كلمته تلك أن المطعون هاشم-فقال: أيكما قتل أخي معاوية؟ فسكتا فلم يحيرا إليه شيئا ، فقال الصحيح للجريح: مالك لاتجبه؟ فقال: وقفت لهفطعني هذه الطعنة في عضدي، وشد أخي عليه فقتله، فأينا قتلت أدركت ثأرك، إلا أنا لم نسلب أخاك. قال: فما فعلت فرسه الشماء؟ قال: هاهي تلك خذها. فردها عليه فأخذها ورجع، فلما أتى صخر قومه قالوا له: اهجهم. قال: إن ما بيننا أجل من القذع، ولو لم أكفف نفسي إلا رغبة عن الخنا لفعلت.

شعره في ذلك

وقال صخر في ذلك:

وعاذلة هبت بليل تلومني الألاتلوميني كفى اللوم مابيا

-قال: اراد تباكره باللوم، و لم يرد الليل نفسه، إنما أراد عجلتها عليه باللوم، كما قال النمر بن تولب العكلي:

بكرت باللوم تلحانا

وقال غيره: تلومه بالليل لشغله بالنهار عنها بفعل المكارم، والأضياف، والنظر في الحمالات وامور قومه، لأنه قوامهم -

تقول ألا تهجو فوارس هاشم ومالي إذ أهجوهم ثم ماليا

أبى الشتم أني قد أصابوا كريمتي وأن ليس إهداء الخنا من شماليا

أي شمائلي. ويروى: منفعاليا -

إذا ذكر الإخوان رقرقت عبرة وحييت رمسا عندلية ثاويا

إذا ما امرؤ أهدى لميت تحية فحياك رب الناس عني معاويا

وهون وجدي أنني لم أقل له كذبت ولم أبخل عليه بما ليا

فنعم الفتى ادى ابن صرمة بزه إذا الفحل اضحى أحدب الظهر عاريا

قال أبو عبيدةك ثم زاد فيها بيتا بعد ان اوقع بهم، فقال:

وذي إخوة قطعت أقران بينهم كما تركوني واحدا لاأخاليا

قال أبو عبيدة: فلما كان في العام المقبل غزاهم وهو على فرسه الشماء، فقال: إني أخاف أن يعرفوني ويعرفوا غرة الشماء، فيتاهبوا. قال: فحمم غرتها . قال: فلما أشرفت على أدنى الحي رأوها. فقالت فتاة منهم: هذه والله الشماء! فنظروا فقالوا: الشماء غراء وهذه بهيم! فلم يشعروا إلا والخيل دوائس ، فاقتتلوا فقتل صخر دريدا، وأصحاب بني مرة فقال:

ولقد قتلتكم ثناء موحدا وتركت مرة مثل أمس المدبر

قال الأثرم: مثنى وثناء لاينونان. قال ابن عنمة الضبي:

يباعون بالنغران مثنى وموحدا

لاينونان لأنهما مما صرف عن جهته، والوجه أن يقول: اثنتيت اثنتين. وكذلك ثلاث ورباع. قال صخرالغي :

منت لك أن تلاقيني المنايا احاد أحاد في الشهر الحلال

قال: ولا تجاوز العرب الرباع، غير أن الكميت قال

فلم يستريثوك حتى رميت فوق الرجال خصالا عشارا

ولقد دفعت إلى دريد بطعنة نجلاي تزغل مثل عط المنحر

تزغل: تخرج الدم قطعا قطعا. قال: والزغلة: الدفعة الواحدة من الدم والبول. قال:

فأزغلت في الحلق إزغالة

وقال صخر أيضا فيمن قتل من بني مرة:

قتلت الخالدين به وبشرا وعمرا يوم حوزة وابن بشر

ومن شمخ قتلت رجال صدق ومن بدر فقد أوفيت نذري

ومرة قد صبحناها المنايا فرؤينا الأسنة، غير فخر

ومن أفناء ثعلبة بن سعد قتلت وما أبيئهم بوتر

ولكنا نريد هلاك قوم فنقتلهم ونشربهم بكسر

وقال صخر أيضا:

ألا لاأرى مستعتب الدر معتبا ولا آخذ منه الرضا إن تغضبا

وذي إخوة قطعت أقران بينهم إذا ما النفوس صرن حسى ولغبا
أقول لرمس بين أجراع بيشة سقاك الغوادي الوابل المتحلبا
لنعم الفتى ادى ابن صرمة بزه إذا الفحل أمسى عاري الظهر أحدبا

قال أبو عبيدة: ثم إن هاشم بن حرملة خرج غازيا، فلما كان ببلاد جشم بن بكر بن هوازن نزل منزلا وأخذ صفنا وخلا لحاجته بين شجر، ورأى غفلته قيس بن الأصور الجشمي فتبعه وقال: هذا قاتل معاوية! لا وألت نفس إن وأل! فلما قعد على حاجته تقتر له بين الشجر ، حتى إذا كان خلفه أرسل إليه معبلة فقتله.

فقالت الخنساء في ذلك-قال ابن الكلبي: وهي الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن شريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم-:

فدى للفارس الجشمي نفسي وأفديه بمن لي من حميم
أفديه بجل بني سليم بظاعنهم بوالأنس المقيم
كما من هاشم أقررت عيني وكانت لاتنام ولاتنيم

قال أبو عبيدة: وكان هاشم بن حرملة بن صرمة بن مرة أسود العرب وأشدهم، وله يقول الشاعر:

أحيا أباه هاشم بن حرمله يوم الهباتين ويم اليعمله
يقتل ذا الذنب ومن لاذنب له إذ الملوك حوله مغربله
وسيفه للوالدات مثكله

حدثني علي بن سليمان الخفش قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال: حدثنا الكسروي عن الأصمعي قال: مررت بأعرابي وهو يخضد شجرة وقد اعجبته سماحتها، وهو يرتجز ويقول:

لوكنت إنسانا لكنت حاتما أو الغلام الجشمي هاشما

قلت: من هاشم هذا؟ قال: أولاتعرفه؟ قالت:لا.قال:هو الذي يقول:

وعاذلة هبت بليل تلومني كأني إذا انفقت مالي أضيمها
دعيني فإن الجود لن يتلف الفتى ولن يخلد النفس اللئيمة لومها
وتذكر أخلاق الفتى، وعظامه مفرقة في القبر باد رميمها
سلي كل قيس هل أباري خيارها ويعرض عني وغدها ولئيمها
وتذكر فتيانيتي وتكرمي إذا ذم فتيانيها وكريمها

قلت:لاأعرفه. قال:لاعرفت،هوالذي يقول فيه الشاعر:

أحيا أباه هاشم بن حرمله يقتل ذا الذنب ومن لاذنب له

ترى الملوك حوله مغربلة

تأبد الربع من سلمى بأحفار وأقفرت من سليمى دمنة الدار

وقد تحل بها سلمى تحدثني تساقط الحلي حاجاتي وأسراري

الشعر للأخطل، والغناء لهمر الوادي، هزج بالسبابة في مجرى الوسطي، وفيهما رمل بالبنصر يقال إنه لابن جامع ويقال إنه لغيره، وفيهما خفيف رمل بالوسطى، ذكر الهشامي أنه لحكم. وذكر حبش أن فيهما لإبراهيم خفيف ثقيل أول بالوسطى.

ومما يغني فيه من هذه القصيدة:

وشارب مربح بالكأس نادمني لابالحصور ولا فيها بسار

نازعته طيب الراح الشمول وقد صاح الدجاج وحانت وقعة الساري

لما أتوها بمصباح ومبزلهم سمت إليهم سمو البجل الضاري

الغناء في هذه الأبيات لابن سريج خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي. وذكر غيره أنها للدلال. ومنها:

قرد تغنيه ذبان الرياض كما غنى الغواة بصنج عند إسوار

كأنه من ندى القراص مغتمر بالورس أو خارج من بيت عطار

غناه ابن سريج، ولحنه من القدر الأوسط، من الثقيل الول، بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق وذكر الهشامي أن لملك فيه ثقيلا أولا. ووافقه يونس في نسبته إلى مالك، ولحكم في قوله:

فرد تغنيه دبان الرياض كما

وبعده قوله:

صهباء قد عنست من طول ما حبست في مخدع بين جنات وأنهار

خفيف ثقيل بالبنصر. ومنها:

لسكنتني قريش في ظلالهم ومولتني قريش بعد إقتار

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم عن النساء ولو باتت بأطهار

ليونس فيها لحن من كتابه و لم يجنسه.

وهذه القصيدة مدح بها الأخطل يزيد بن معاوية لما منع من قطع لسانه حين هجاالأنصار، وكان يزيد هوالذي أمره بهجائهم. فقيل: إن السبب في ذلك كان تشبب عبد الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية، وقيل بل حمي

لعبد الرحمن بن الحكم.

أخبرني الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو يحيى الزهري قال: حدثني ابن أبي زريق قال: شبب عبد الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية فقال:

رمل هل تذكرين يوم غزال ... إذ قطعنا مسيرنا بالتمني

إذ تقولين عمرك الله هل شي ... ء وإن جل سوف يسليك عني

أم هل اطمعت منكم بابن حسا ... ن كما قد أراك أطمعت مني

قال: قبلغ ذلك يزيد بن معاوية فغضب، فدخل على معاوية فقال: يا امير المؤمنين، ألا ترى إلى هذا العلج من اهل يثرب، يتهكم بأعراضنا ويشبب بنسائنا؟ قال: ومنهو؟ قال عبد الرحمن بن حسان، وأنشده ماقال، فقال: يايزيد ليست العقوبة من أحد أقبح منها من ذوي القدرة، ولكن امهل حتى يقدم وفد الأنصار ثم ذكرني. قال: فلما قدموا أذكره به ، فلما دخلوا عليه قال: ياعبد الرحمن، ألم يبلغني أنك تشبب برملة بنت أمير المؤمنين؟قال: بلى، ولوعلمت أن احد أشرف به شعري أشرف منها لذكرته. قال: وأين أنت عن أختها هند؟ قال: وإن لها لأختا؟ قال: نعم. قال: وإنما أراد معاوية أن يشبب بهما جميعا فيكذب نفسه. قال: فلم يرض يزيد ما كان من معاوية في ذلك: أن يشبب بهما جميعا، فأرسل إلى كعب بن جعيل فقال: اهج الأنصار. فقال: أفرق من أمير المؤمنين ؛ ولكن أدلك على الشاعر الكافر الماهر. قال: ومن هو؟ قال: الأخطل. قال: فدعا به فقال: اهج النصار. قال: أفرق من أمير المؤمنين! فقال: لاتخف شيئا؛ أنا لك بذلك. قال: فهجاهم فقال:

وإذا نسبت ابن الفريعة خلته ... كالجحش بين حمارة وحمار

لعن الإله من اليهود عصابة ... بالجزع بين صليصل وصرار

قوم إذا هدر العصير رأيتهم ... حمرا عيونهم من المصطار

خلوا المكارم لستم من اهلها ... وخذوا مساحيكم بني النجار

إن الفوارس يعلمون ظهوركم ... أولاد كل مقبح أكار

ذهب قريش بالمكارم والعلا ... واللؤم تحت عمائم النصار

فبلغ ذلك النعمان بن بشير فدخل على معاوية فحسر عن رأسه عمامته، وقال: ياأمير المؤمنين: أترى لؤما؟ قال: لابل أرى كرما وخيرا، ماذاك؟ قال: زعم الخطل ان اللؤم تحت عمائمنا. قال: أوفعل؟ قال: نعم. قال:لك لسانه. وكتب فيه أن يؤتى به. فلما أتي به سأل الرسول ليدخل إلى يزيد أولا، فأدخله عليه، فقال: هذا الذي كنت أخاف. قال: لاتخف شيئا. ودخل على معاوية فقال: علام أرسل إلي هذا الرجل وهو يرمي من وراء جمرتنا؟ قال: هجا الأنصار. قال: ومن زعم ذلك؟ قال النعمان بن بشير. قال: لاتقبل قوله عليه وهو يدعي لنفسه، ولكن تدعوه بالبينة، فإن ثبت شيئا أخذته به له. فدعاه بالبينة فلم يأت بها، فخلى سبيله، فقال الأخطل:

وإني غداة استعبرت أم مالك لراض منالسلطان أن يتهددا

ولولا يزيد ابنم الملوك وسعيه تجللت حدبارا من الشر أنكدا

فكم انقذتني من خطوب حباله وخرساء بو يرمى بها الفيل بلدا

ودافع عني يوج جلق غمرة وهما ينسيني السلاف المبردا

وبات نجيا في دمشق لحية إذا عم لم ينم السليم فاقصدا

قحافته طورا وطورا إذا رأى من الوجه إقبالا أح وأجهدا

واطفات عني نار نعمان بعدما أعد لمر فاجر وتجردا

ولما رأى النعمان دوني ابن حرة طوى الكشح إذ لم يستطعني وعردا

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا احمد بن الحارث الخراز قال: حدثنا المدائني عن أبي عبد الرحمن بن المبارك قال: شبب عبد الرحمن بن حسان باخت معاوية، فغضب يزيد فدخل على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين،اقتل عبد الرحمن بن حسان. قال: و لم؟ قال: شبب بعمتي. قال: وما قال؟ قال قال:

طال ليلي وبت كالمجزون ومللت الثواء في جيرون

قال معاوية: يابني وما علينا من طول ليله وحزنه أبعده الله؟ قال: إنه يقول:

فلذاك اغتربت بالشام حتى ظن أهلي مرجمات الظنون

قال: يابني وما علينا من ظن اهله؟ قال: إنه يقول:

هي زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون

قال:صدق يابني. قال: غنه يقول:

وإذا ما نسبتها لم تجدها في سناء من المكارم دون

قال: صدق يابني هي هكذا. قال: إنه يقول:

ثم خاصرتها إلى القبة الخض راء تمشي في مرمر مسنون

خاصرتها: اخذت بخصرها وأخذت بخصري. قال: ولا كل هذا يابني! ثم ضحك وقال: أنشدني ما قال أيضا. فانشده قوله:

قبة من مراجل نصبوها عند حد الشتاء في قبطون

عن يساري إذا دخلت من البا ب وإن كنت خارجا فيميني

تجعل الند والألوة والعو د صلاء لها على الكانون

وقباب قد أشرجت وبيوت نطقت بالريحان والزرجون

قال: يابني، ليس يجب القتل في هذا، والعقوبة دون القتل، ولكنا نكفه بالصلة له والتجاوز.

هي زهراء مثل لؤلؤة الغو اص ميزت من جوهر مكنون

وإذا ما نسبتها لم تجدها في سناء من المكارم دون

نسخت من كتاب ابن النطاح: وذكر ابن النطاح: وذكر الهيثم بن عدي عن ابن دأب قال: حدثنا شعيب بن صفوان أن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت كان يشبب بابنة معاوية، ويذكرها في شعره، فقال الناس لمعاوية: لو جعلته نكالا؟ فقال: لا،ولكن أداويه بغير ذلك. فأذن له وكان يدخل عليه في أخريات الناس، ثم أجلسه على سريره معه، وأقبل عليه بوجهه وحديثه ثم قال: ابنتي الأخرى عاتبة عليك. قال: في أي شيء؟ قالك في مدحتك أختها وتركك إياها. قال:فلها العتبى وكرامة، انا ذاكرها وممتدحها . فلما فعل وبلغ ذلك الناس قالوا: قد كنا نرى أن نسيب بن حسان بابنة معاوية لي،ء فإذا هو عن رأي معاوية وامره. وعلم من كان يعرف أن ليس له بنت أخرى، أنه إنما خدعه ليشبب بها، ولا أصل لها فيعلم الناس أنه كذب على الأولى لما ذكر الثانية.

وقد قيل في حمل يزيد بن معاوية الأخطل على هجاء النصار: إنه فعل ذلك تعصبا لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص بن أمية، أخي مروان بن الحكم في مهاجاته عبد الرحمن، وغضبا له، لما ساتعلاه ابن حسان في الهجاء.

خبرهما في التهاجي والسبب في ذلك

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري قال: حدثنا أبو غسان دماذ ، عن أبي عبيدة قال: أخبرني أبو الخطاب الأنصاري قال:

كان عبد الرحمن بن حسان خليلا لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص مخالطا له، فقيل له: إن ابن حسان يخلفك في أهلك. فراسل امرأة ابن حسان فأخبرت بذلك زوجها وقالت: أرسل إلي: إني أحبك حبا أراه قاتلي! فأرسل ابن حسان إلى امرأة ابن الحكم وكانت تواصله وقال للرسول: إذهب إليها وقل لها: إن امرأتي تزور أهليها اليوم فزوريني حتى نخلو. فزارته فقعد معها ساعة قم قال لها: قد والله جاءت امرأتي. فأدخلها بيتا إلى جنبه وأمر امراته فأرسلت إلى عبد الرحمن بن الحكم: إنك ذكرت حبك إياي وقد وقع ذلك في قلبي، وإن ابن حسان قد خرج اليوم إلى ضيعته فهلم فتهيأ ثن أقبل. فإنه لقاعد معها إذ قالت له: قد جاء ابن حسان فادخل هذا البيت فإنه لايشعر بك. فأدخلته البيت الذي فيه امرأته، فلما رآها أيقن بالسوأة ووقع الشر بينهما وهجا كل واحد منهما صاحبه.

قال أقبو عبيدة: هذه رواية أبي الخطاب الأنصاري، وأما قريش فإنهم يزعمون أن مرأة ابن حسان كانت تحب عبد الرحمن وتدعوه إلى نفسها فيأبى ذلك، حفظا لما بينه وبين زوجها، وبلغ ذلك ابن حسان فراسل امرأة ابن

الحكم حتى فضحها، وبلغ ذلك ابن الحكم وقيل له: إنك إذا أتيت ضيعتك أرسلت إلى ابن حسان فكان معها، فأمر ابن الحكم أهله فقال: عالجوا سفرة حتى أطالع مالي بمكان كذا وكذا. فخرج وبعثت امراته إلى ابن حسان فجاء كما كان يفعل، ورجع ابن الحكم حين ظن أن ابن حسان قد صار عندها، فاستفتح فقالت: ابن الحكم والله! وخبأته خلفها في بيت، ودخل عبد الرحمن فبعث إلى امرأة ابن حسان: غنه قد وقعت لك في قلبي مقة ، فأقبلي إلي الساعة، فتهيأت وأقبلت حتى دخلت عليه، فوضعت ثيابها وزوجها ينظر فقال لها: قد كنت أكثرت الإرسال إلي فما شأنك؟ قالت: إني والله هالكة من حبك. قال: وزوجها يسمع، وإنما أراد أن يعلمه أنها قد كانت ترسل إليه ويأبى عليها. وزعم انها هي التي قالت لابن الحكم إن ابن حسان يخلفك في أهلك. فلما فرغ من كلامه وأسمعه زوجها قال لها: قد جاءت امراتي. وأدخلها البيت الذي فيه ابن حسان، فلما جمعهما في مكان واحد خرج عنهما، فخرجا وطلق امرأته.

أخبرني ابن دريد قال: اخبرني الرياشي قال: حدثنا ابن بكير عن هشام بن الكلي عن خالد بن سعيد عن ابيه قال: رأيت مروان بن الحكم يطوف بالبيت ويقول: اللهم أذهب عني الشعر! وأخوه عبد الرحمن يقول: اللهم اني أسألك ما استعاد منه! فذهب الشعر عن مروان، وقاله عبد الرحمن.

وأما هشام بن الكلبي فإنه حدث عن خالد وإسحاق ابنى سعيد بن العاصي، أن سبب التهاجي بينهما آنهما خرجا إلى الصيد بأكلب لهما في غمارة مروان، فقال ابن الحكم لابن حسان:

ازجر كلابك انها قلطية ... بقع ومثل كلابكم لم تصطد

فرد عليه ابن حسان:

من كان ياكل من فريسة صيده ... فالتمر يغنينا عن المتصيد

إنا اناس ريقون وأمكمك ... كلابكم في الولغ والمتر

حزناكم للضب تحتر شونه ... والريف، نمنعكم بكل مهند

ثم رجعا إلى المدينة فجعلا يتقارضا، فقال عبد الرحمن بن الحكم في قصيدة:

ومثل أمك أم العبد قد ضربت ... عندي ولي بفناتي مزهر جرم

وانت عند ذناباهاتعاونها ... على القدور تحسى حائر البرم

فنقضها عبد الرحمن بن حسان عليه بقصيدته التي يقول فيها:

ياأيها الراكب المزجي مطيه ... إذا عرضت فسائل عن بني الحكم

القائلين إذا لاقوا عدوهم ... فروا فكروا على النسوان والنعم

كم من أمين نصيح الجيب قال لكم ... ألا نهيتم أخاكم يابني الحكم

عن رجل لابغيض في عشيرته ولا ذليل قصير الباع معتصم

وقال ابن حسان:

صار الذليل عزيزا والعزيزبه ذل وصار فروع الناس أذنابا

إني لملمس حتى يبين لكم فيكم متى كنتم للناس أربابا

فارقوا على ظلعكم ثم انظروا وسلوا عنا وعنكم قديم العلم نسابا

فسوف يضحك أو تعتاده ذكر يابؤس للدهر للإنسان ريابا

ولهما نقائض كثيرة لامعنى لذكر جميعها ههنا.

قال دماذ: وحدثني أبو عبيدة عن أبي الخطاب قال:

لما كثر التهاجي بينهما وأفحشا كتب معاوية يومئذ وهو الخليفة، إلى سعيد بن العاص وهوعامله على المدينة، أن يجلد كل واحد منهما مائة سوط. قال: وكان ابن حسان صديقا لسعيد، وما مدح أحدا قط غيره، فكره أن يضربه أو يضرب ابن عمه، فأمسك عنهما، ثم ولي مروان فلما قدم أخذ ابن حسان فضربه مائة سوط و لم يضرب أخاه، فكتب ابن حسان إلى النعمان بن بشير وهو بلشأم، وكان كبيرا مكينا عند معاوية:

ليت شعري أغائب أنت بالشا م خليلي أم راقد نعمان

أية ما يكن فقد يرجع الغا ثب يوما ويوقظ الوسنان

إن عمرا وعامرا أوينا وحراما قدما على العهد كانوا

أفهم ما نعوك أم قلة المتاب أم أنت عاتب غضبان

أم جفاءأم أعوزتك القراطي س أم أمري به عليك هوان

يوم أنبئت أن ساقي رضت واتاكم بذلك الركبان

ثم قالوا إن ابن عمك في بل وى أمور أتى بها الحدثان

فتئط الأرحام والود والصح بة فيما اتى به الحدثان

إنما الرمح فاعلمن قناة أو كبعض العيدان لولا السنان

وهي قصيدة طويلة-فدخل النعمان على معاوية فقال له: يا أمير المؤمنين، إنك أمرت سعيدا أن يضرب ابن حسان وابن الحكم مائة مائة فلم يفعل، ثم وليت مروان فضرب ابن حسان و لم يضرب أخاه. قال: فتريد ماذا؟ قال: أنت تكتب إليه بمثل ما كتبت إلى سعيد. فكتب إلى معاوية يعزم عليه أن يضرب أخاه مائة، وبعث إلى ابن حسان بحلة، فلما قدم الكتاب على مروان بعث إلى ابن حسان: إني مخرجك، وإنما أنا مثل والدك، وما كان ماكان مني إليك إلا على سبيل التأديب لك.واعتذر إليه، فقال حسان: مابدا له في هذا إلا لشيء قد جاءه. وأبى

أن يقب منه، فأبلغ الرسول ذلك مروان فوجهه إليه بالحلة فرمى بها في الحش . فقيل له: حلة أمير المؤمنين وترمي بها في الحش؟ قال: نعم وما أصنع بها! وجاءه قومه فاخبروه الخبر فقال: قد علمت أن لم يفعل ما فعل إلا لأمر قد حدث. قال الرسول لمروان: ما تصنع بهذا، قد أبى أن يعفو فهلم أخاك. فبعث مروان إلى الأنصار وطلب إليهم أن يطلبوا إليه أن يضربه خمسين فإنه ضعيف. فطلبوا إليه فأجابهم، فأخرجه فضربه خمسين، فلقي ابن حسان بعض من كان لايهوى ما ترك من ذلك، فقال له: أضربك مائة ويضربه خمسين، بئس ما صنعت إذ وهبتها له. قال: إنه عبد وإنما ضربه ما يضرب العبد نصف ما يضرب الحر! فحمل هذا الكلام حتى شاع بالمدينة وبلغ ابن الحكم فشق عليه، فاتى أخاه مروان فخبره الخبر وقال: فضحتني، لاحاجة لي فيما تركت فهلم فاقتص. فضرب ابن الحكم خمسين أخرى، فقال عبد الرحمن يهجو ابن الحكم:

دع ذا وعد قريض شعرك في امرىء ... يهذي ونشد شعره كالفاخر

عثمان عمكم ولستم مثله ... وبنو أمية منكم كالآمر

وبنو أبيه سخيفة أحلامهم ... فحش النفوس لدى الجليس الزائر

أحياؤهم عار على أمواتهم ... والميتون مسبة للغابر

هم ينظرون إذا مددت إليهم ... نظر التيوس إلى شفار الجازر

خزر العيون منكسي أذقانهم ... نظر الدليل إلى العزيز القاهر

فقال ابن الحكم:

لقد أبقى بنو مروان حزنا ... مبينا عاره لبني سواد

أطاف به صبيح من مشيد ... ونادى دعوة: يابني سعاد

لقد أسمعت لو ناديت حيا ... ولكن لاحياة لمن تنادي

قال أبو عبيدة: قاعتن أبو واسع أحد بني الاسعر من بني أسد بن خزيمة، لابن حسان دون ابن الحكم، فهجاه وعيره بضرب ابن المعطل أباه حسان على رأسه، وعيرهم بأكل الخصى، فقال:

إن ابن المعطل من شليم ... أذل قيادة رأسك بالخطام

عمدت إلى الخصى فأكلت منها ... لقد أخطأت فاكهة الطعام

وما للجار حين يحل فيكم ... لديكم يا بني النجار حام

يظل الجار مفترشا يديه ... مخافتكم لدى ملث الظلام

وينظر نظرة في مذروية ... وأخرى في استه والطرف سام

قال:فلما عم بني النجار بالهجاء ولا ذنب لهم دعوا الله عز وجل عليه، فخرج من المدينة يريد أهله فعرض له الأسد فقضقضه ، فقال ابن حسان في ذلك:

أبلغ بني الأسعر إن جئتم ما بال أبناء بني واسع

والليث يعلوه بأنيابه معتفراً في دمه الناقع

إذ تركوه وهو يدعوهم بالنسب الداني وبالشاسع

لايرفع الرحمن مصروعكم ولا يوهي قوة الصارع

فقالت له امرأته: مادعا أحد قبلك للأسد بخير قط. قال: ولا نصر أحدا كما نصرني.

وقال ابن الكلبي: كان الأخطل ومسكين الدرامي صديقين لابن الحكم، فاستعان بهما على ابن حسان، فهجاء الأخطل، وقال له مسكين: ما كنت لأهجوا أحدا أو أعذر إليه. فكتب إليه مسكين بقصيدته اللامية يدعوه إلى المفاخرة والمنافرة، فقال في أولها:

ألا إن الشباب ثياب لبس وما الأموال إلا كالظلال

فإن يبل الشباب فكل شيء سمعت به سوى الرحمن بال

وهي طويلة جدا، يفخر فيها بمآثر بني تميم. فأجابه ابن حسان فقال:

أتاني عنك يا مسكين قول بذلت النصف فيه غير آل

دعوت إلى التناضل غير فحم ولا غمر بطير لدى النضال

وهي أطول من قصيدة مسكين. ثم انقطع التناضل بينهما.

قال دماد: فحدثني أبو عبيدة قال: حدثني أبو حية النميري قال: الفرزدق قال: كنا في ضيافة معاوية، ومعنا كعب بن جعيل التغلبي، فحدثني أن يزيد بن معاوية قال له: إن ابن حسان فضح عبد الرحمن بن الحكم وغلبه، وفضحنا، فأهج الأنصار. قال: فقلت له: أرادي أنت في الشرك، أأهجو قوما نصروا رسول الله" وآله وآووه؟ ولكني أدلك على غلام منا نصراني لايبالي أن يهجوهم، كان لسانه لسان ثور.

قال: من هو؟ قالت: الأخطل. فدعاه وأمره بهجائهم، فقال: على أن تمنعني؟ قال: نعم.

قال أبو عبيدة: إن معاوية دس إلى كعب وأمره بهجائهم، فدله على الأخطل، فقال الأخطل قصيدته التي هجا فيها الأنصار، وقد مضت ومضى خبرها وخبر النعمان بن بشير.

وزاد أبو عبيدة عن روينا ذلك عنه: أن النعمان بن بشير رد على الخطل فقال :

أبلغ قبائل تغلب ابنة وائل من بالفرات وجانب الثرثار

فاللؤم بين أنوف تغلب بين كالرقم فوق ذراع كل حمار

قال: فخافه الأخطل أن يهجوه، فقال فيه:

عذرت بني الفريعة أن هجوني فما بالي وبال بني بشير

أفيحج من بني النجار شأن شديد القصرين من السحور

و لم يرد على هذين البيتين شيئا في ذكره.

قال أبو عبيدة في خبره أيضا: إن الأنصار لما استعدوا عليه معاوية قال لهم: لكم لسانه إلا أن يكون ابني يزيد قد أجاره. ودس إلى يزيد من وقته: إني قد قلت للقوم كيت وكيت فأجره. فأجاره، فقال يزيد بن معاوية في إجارته إياه:

دعا الأخطل الملهوف بالشر دعوة فأي مجيب كنت لما دعانيا

ففرج عنه مشهد القوم مشهدي وألسنة الواشين عنه لسانيا

كان لي ياشقير حبك حينا كاد يقضي علي لما التقينا

يعلم الله أنكم لو نأيتم أو قربتم أحب شيء إلينا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لحبابة جارية يزيد بن عبد الملك، ولحنها ثاني ثقيل بالوسطى، وجعلت مكان"ياشقير". وفي هذا الشعر للهذلي خفيف ثقيل أول مطلق بالوسطى. وزعم عمرو بن بانة أنه للأبجر. وقال الهشامي: لحن الأبجر ثقيل أول بالبنصر. وفيه للدارمي وابن فروخ خفيف ثقيل، ولحن الدارمي فيهما مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق.

أخبار حبابة

كانت حبابة مولدة من موالدات المدينة، لرجل من أهلها يعرف بابن رمانة، وقيل ابن مينا. وهو خرجها وأدبها. وقيل: كانت لآل لاحق المكيين. وكانت حلوة جميلة الوجه ظريفة حسنة الغناء، طيبة الصوت ضاربة بالعود. وأخذت الغناء عن ابن سريج، وابن محرز، ومالك، ومعيد، وعم جميلة وعزة الميلاء. وكانت تسمى العالية ، فسماها يزيد لما اشتراها حبابة. وقيل: إنما كانت لرجل يعرف بابن مينا.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال:حدثني حاتم بن قبصة قال:

وكانت حبابة لرجل يدعى ابن مينا، فأدخلت على يزيد بن عبد الملك في إزارٍله ذنبان، وبيدها دف ترمي به وتتلقاه، وتتغنى:

ماأحسن الجيد من مليكة واللبات إذ زانها ترائبها

ياليتني ليلة إذا هجع الناس ونام الكلاب صاحبها

في ليلة لايرى بها أحد يسعى علينا إلا كوكبها

ثم خرج بها مولاها إلى إفريقية، فلما كان بعد ماولى يزيد اشتراها.

وروى حماد عن أبيه عن المدائني عن جرير المديني، ورواه الزبير بن بكار عن إسماعيل بن أبي أويس عن أبيه قال: قال لي يزيد بن عبد الملك: ما تقر عيني بما اوتيت من الخلافة حتى أشتري سلامة جارية مصعب بن سهيل الزهري، وحبابة جارية لاحق المكية. فأرسل فاشتريتا له، فلما اجتمعنا عنده قال: أنا الآن كما قال القائل :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما فر عينا بالإياب المسافر

قال إسحاق: وحدثني أبو أيوب عن عباية قال: كانت حبابة لآل رمانة، ومنهم ابتيعت ليزيد.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني الزبير بن بكارقال: أخبرني محمد بن سلمة عن ابن مافنه عن شيخ من أهل ذي خشب قال: خرجنا نريد ذا خشب ونحن مشاة، فإذا قبة جارية، وإذا هي تغني:

سلكوا بطن محيص ثم ولوا راحيعينا

أورثوني حين ولوا طول حزن وانينا

قال: فسرنا معها حتى أتينا ذا خشب، فخرج رجل معها، فسألناه، وإذا هي حبابة جارية يزيد، فلما صارت إلى يزيد أخبرته بنا، فكتب إلى والي المدينة يعطي كل واحد منا ألف درهم ألف درهم.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني إسحاق عن المدائني. وروى هذا الخبر حماد بن إسحاق عن ابيه عن المدائني، وخبره أتم: أن حبابة كانت تسمى العالية، وكانت لرجل من الموالي بالمدينة، فقدم يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان فتزوج سعدة بنت عبد الله بن عثمان، على عشرين ألف دينار، وربيحة بنت محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر على مثل ذلك، واشترى العالية بأربعة آلاف دينار ، فبلغ ذلك سليمان فقال:لأحجرن عليه.

فبلغ يزيد قول سليمان فاستقال مولى حبابة ، ثم اشتراها بعد ذلك رجل من أهل إفريقية، فلما ولى يزيد اشترتها سعدة امرأته وعلمت أنه لابد طالبها ومشتريها، فلما حصلت عندها قالت له: هل بقي عليك من الدنياشيء لم تنله؟ فقال: نعم، العالية. فقالت: هذه هي، وهي لك. فسماها حبابة، وعظم قدر سعدة عنده. ويقال إنها أخذت عليها قبل أن تهبها له أن توطئ لابنها عنده في ولاية العهد وتحضرها ما تحب إذا حضرت .

وقيل إن أم الحجاج أم الوليد بن يزيد هي التي ابتاعتها له، وأخذت عليها ذلك، فوفت لها بذلك. هكذا ذكرالزبير فيما أخبرنا به الحسن بن علي عن هارون بن محمد، عنه عن عمه. قال: ومن زعم أن سعدة اشترتها فقد أخطأ.

قال المدائني: ثم خطب يزيد إلى أخيها خالد بنت أخ له، فقال: أما يكفيه أن سعدة عنده حتى يخطب إلى بنات أخي؟ وبلغ يزيد فغضب، فقدم عليه خالد يسترضيه، فبينا هو في فسطاطه إذ أتته جارية لحبابة في خدمها فقالت له: أم داود تقرأ عليك السلام وتقول لك: قد كلمت أمير المؤمنين فرضي عنك. فالتفت فقال: من أم داود؟ فأخبره من معه أنها حبابة، وذكر لد قدرها وكانها من يزيد. فرفع رأسه إلى الجارية فقال: قولي لها: إن الرضا عني بسبب لست به. فشكت ذاك إلى يزيد بغضب، وأرسل إلى خالد فلم يعلم بشيء حتى اتاه رسول حبابة به فيمن معه من الأعوان، فاقتلعوا فساطه وقلعوا اطنابه، حتى سقط عليه وعلى أصحابه، فقال: ويلكم ما هذا؟ قالوا: رسل حبابة، هذا ماصنعت بنفسك. فقال: مالها أخزاها الله، ما أشبه رضاها بغضبها! قال إسحاق: وحدثني محمد بن سلام عن يونس بن حبيب، إن يزيد بن عبد الملك اشترى حبابة، وكان اسمها العالية، بأربعة آلاف دينار، فلما خرج بها قال الحراث بن خالد فيها:

ظعن الأمير بأحسن الخلق ... وغدوا بلبك مطلع الشرق

مرت على قرن يقادبها ... تعدو امام براذن زرق

فظللت كالمقمور مهجته ... هذا الجنون وليس بالعشق

ياظبية عبق العبير بها ... عبق الدهان بجانب الحق

وغنته حبابة في الشعر، وبلغ يزيد فسألها عنه فأخبرته، فقال لها: غنيني به. فغنته بأجادت وأطربته، فقال إسحاق: ولعمري إنه من جيد غنائها.

قال أبو الفرج الأصبهاني: هذا غلط ممن رواه في ابيات الحارث بن خالد؛ لأنه قالها في عائشة بنت طلحة، لما تزوجها مصعب بن الزبير وخرج بها . وفي ابياته يقول:

في البيت ذي الحسب الرفيع ومن ... اهل التقى والبر والصدق

وقد شرح ذلك في اخبار عائشة بنت طلحة.

قال إسحاق: واخبرني الزبيري ان يزيد اشتراها وهو امير، فلما أراد الخروج بها قال الحارث بن خالد فيها:

قد سل جسمي وقد أودى به سقم ... من أجل حي جلواعن بلدة الحرم

يحن قلبي إليها حين أذكرها ... وما تذكرت شوقاً آب من أمم

إلا حينيناً إليها إنها رشأ ... كالشمس رود ثقال سهلة الشيم

فضلها الله رب الناس إذ خلقت ... على النساء من اهل الحزم والكم

وقال فيها الشعراء فأكثروا، وغنى في أشعارهم المغنون من اهل مكة والمدينة، وبلغ ذلك يزيد فاستشنعة، فقال: هذا قبل رحلتنا وقد هممنا، فكيف لو ارتحلنا؟! وتذكر القوم شدة الفراق، وبلغه أيضاً أن سليمان قد تكلم في

ذلك، فردها، و لم تزل في قلبه حتى ملك، فاشترتها سعدة امرأته العثمانية، ووهبتها له.

أخبرني ابن عمار قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال: حدثني أبو ذفافة المنهال بن عبد الملك، عن مروان بن بشر بن أبي سارة مولى الوليد بن يزيد، قال: أول ما ارتفعت به منزلة حبابة عن يزيد انه أقبل يوماً إلى البيت الذيهي فيه، فقام من وراء الستر فسمعها ترنم وتغني وتقول:

كان لي يايزيد حبك حينا كاد يقضى علي لما التقينا

-والشعر كان ياشقير -فرفع الستر فوجدها مضطجعة مقبلة على الجدار، فعلم أنها لم تعلم به و لم يكنذاك لمكانه، فألقى نفسه عليها وحركت منه.

قال المدائني: غلبت حبابة غعلى يزيد، وتبنى بها عمر بن هبيرة فعلت منزلته، حتى كان يدخل على يزيد في أي وقت شاء، وحسد ناس من بني أمية مسلمة بن عبد الملك على ولايته، وقدحوا فيه عند يزيد، وقالوا: إن مسلمة إن اقتطع الخراج لم يحسن ياأمير المؤمنين ان تفتشه أو تكشفه عن شيء، لسنه وحقه ، وقد علمت أن امير المؤمنين لم يدخل أحداً من اهل بيته في الخراج. فوقر ذلك في قلب يزيد ، وعزم على عزله، وعمل ابن هبيرة في ولاية العراق من قبل حبابة، فعلمت له في ذلك. وكان بين ابن هبيرة وبين القعقاع بن خالد عداوة، وكانا يتنازعان ويتحاسدان، فقيل للقعقاع لقد: نزل ابن هبيرة من امير المؤمنين منزلة، إنه لصاحب العراق غداً. فقال ومن يطيق ابن هبيرة؟! حبابة بالليل، وهداياه بالنهار، مع أنه وإن بلغ فإنه رمل من بني سكين . فلم تزل حبابة تعمل له حتى وليها.

حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: سمعت إسحاق بن إبراهيم يحدث بهذا الحديث، فحفظته و لم أحفظ إسناده. وحدثنا محمد بن خلف وكيع قال حدثني احمد بن زيهر قال: حدثنا مصعب الزبيري، عن مصعب بن عثمان. وقد جمعت روايتيهماقالا: أراد يزيد بن عبد الملك ان يشبه بعمر بن عبد العزيز وقال: بماذا صار عمر أزجى لربه جل وعز مني؟ فشق ذلك على حبابة؟فأرسلت إلى الأحوص.

هكذا في رواية وكيع، واما عمر بن شبة فإنه ذكر ان مسلمة أقبل على يزيد يلومه في الإلحاح على الغناءوالشرب، وقال له: إنك وليت بعقب عمر بن عبد العزيز وعدله، وقد تشاغلت بهذه الأمة عن النظر في الأمور، والوفود ببابك، وأصحاب الظلامات يصيحون، وأنت غافل عنهم. فقال: صدقت والله وأعتبه وهم يترك الشرب، و لم يدخل على حبابة أياماً، فدست حبابة إلى الحوص أن يقول أبياناً في ذلك وقالت له: إن ردته عن رأيه فلك ألف دينار. فدخل الأحوص إلى يزيد، فاستأذن في الإنشاد، فأذن له.

قال إسحاق في خبره: فقال الأحوص:

ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا فقد غلب المحزون أن يتجلدا

بكيت الصبا جهدي فمن شاء لامني ومن شاء آسى في البكاء وأسعدا

وإني وإن فندت في طلب الغنى لأعلم أني لست في الحب أوحدا

إذا أنت لم تعشق ولم تر ما الهوى فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا

فما العيش إلا ما تلد وتشتهي وإن لام فيه ذو الشنان وفتدا

الغناء لمعبد، خفيف ثقيل أول بالبنصر، وفيه رمل للغريض. ويقال إنه لحبابة.

قال : وكث جمعة لايرى حبابة ولا يدعو بها، فلما كان يوم الجمعة قالت لبعض جواريها: إذا خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة فأعلميني. فلما أراد الخروج أعلمتها، فتلقته والعود في يدها، فغنت البيت الأول، فغطى وجهه وقال: مه لاتفعلي. ثم غنت:

وما العيش إلا ما تلد وتشتهي

فعدل إليها وقال: صدقت والله، فقبح الله، فقبح الله من لامني فيك، ياغلام مر مسلمة أن يصلي بالناس. وأقام معها يشرب وتغنيه، وعاد إلى حاله .

وقال عمر بن شبة في حديثه: فقال يزيد: صدقت والله، فعلى مسلمة لعنة الله! وعاود ما كان فيه، ثم قال لها: من يقول هذا الشعر؟ قالت: الأحوص. فأحضره ثم أنشده قصيدة مدحه فيها، واولها قوله:

يا موقد النار بالعلياء من إضم اوقد فقد هجت شوقاً غير منصرم

وهي طويلة. فقال له يزيد: ارفع حوائجك. فكتب إليه في نحو من أربعين ألف درهم من دين وغيره، فامر له بها.

وقال مصعب في خبره: بل استأذن الحوص على يزيد، فاذن له، فاستاذن في الإنشاد، فقال: ليس هذا وقتك. فلم يزل به حتى أذن له. فأنشده البيات، فلما سمعها وثب حتى دخل حبابة وهو يتمثل:

وما العيش إلا ما تلد وتشتهي وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

فقالت له: ماردك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أبيات انشدنيها الحوص، فسلي ماشئت. قالت: الف دينار تعطيها الحوص. فاعطاه الف دينار.

يا موقد النار بالعلياء من إضم اوقد فقد هجت شوقاً غير منصرم

يا موقد النار اوقدها فإن لها سنا يهيج فؤاد العاشق السدم

الشعر لأحوص، والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أول بالوسطى، عن يونس وإسحاق وعمرو. وذكر حبش أن فيه خفيف ثقيل آخر لابن جامع.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني علي بن القاسم بن بشير قال: لما غلب يزيد بن عبد الملك اهله وأبى ان يسمع منهم كلموا مولى له خراسانياً ذا قدر عندهم، وكانت فيه لكنة، فأقبل على يزيد يعظه وينهاه عما قد ألح عليه من السماع للغناء والشراب، فقال له يزيد: فإني احضرك هذا المر الذي تنهى عنه،

فإن نهيتني عنه بعد ما تبلوه وتحضره انتهيتن وإني مخبر جوارى انك عم من عومتي، فإياك أن تتكلم فيعلمن اني كاذب، وانك لست بعمي. ثم ادخله عليهن فغنين، والشيخ يسمع ولا يقول شيئاً، حتى غنين:

وقد كنت آتيكم بعلة غيركم فأفنيت علاتي فكيف أقول

فطرب الشيخ وقال: لافيف، جعلني الله فداكن! يريد: لاكيف. فعلمن انه ليس عمه، وقمن إليه بعيد افهن ليضربنه بها، حتى حجز هن يزيد عنه. ثم قال له بعدما انقضى امرهن: ما تقول الان ادع هذا أم لا؟ قالك لاتدعه! أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني خالد بن يزيد بن بحر الخزاعي الأسلمي، عن محمد بن سلمة، عن أبيه عن حماد الرواية قال: كانت حبابة فائقة في الجمال والحسن، وكان يزيد لها عاشقاً، فقال لها يوماً: قد استخلفتك على ما ورد علي. ونصبت لذلك مولاي فلاناً فاستخلفيه لأقيم معك أياماً واستمع بك. قالت: فإني قد عزلتهز فغضب عليها وقال: قد استعملته وتعزلينه؟ وخرج من عندها مغضباً، فلما ارتفع النهار وطال عليه هجرها دعا خصياً له وقال: انطلق فانظر أي شيء تصنع حبابة؟ فانطلق الخادم ثم أتاه، فقال: رأيتها مؤتزرة بإزار خلوقي قد جعلت له ذنبين وهي تلعب بلعبها. فقال: ويحك احتل لها حتى تمر بها علي. فانطلق الخادم إليها فلاعبها ساعة، ثم استلب لعبة من لعبها وخرج، فجعلت تحضر في أثره، فمرت بيزيد فوثب وهو يقول: قد عزلته! وهي تقول: قد استعملته! فعزل مولاه وولاه وهو لا يدري. فمكث معها خالياً أياماً حتى دخل عليه أخوه مسلمة فلامه، وقال: ضيعت حوائج الناس واحتجت عنهم، أترى هذا مستقيماً لك؟! وهي تسمع مقالته، فغنت لما خرج:

ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا

فذكرت الأبيات. فطربو قال: قا تلك الله أبيت إلا أن ترديني إليك. وعاد إلى ما كان عليه.

أخبرني إسماعيل قال: حدثني عمي قال: حدثني إسحاق قال: حدثني الهيثم بن عدي، عن صالح بن حسان قال: قال مسلمة ليزيد: تركت الظهور وشهود الجمعة الجامعة، وقعدت في منزلك مع هذه الإماء! وبلغ ذلك حبابة وسلامة فقالتا للأحوص: قل في ذلك شعراً فقال:

وما العيش إلا ما تلد وتشتهي وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

بكيت الصبا جهدي فمن شاء لامني ومن شاء آسى في البكاء وأسعدا

وإني وإن اغرقت في طلب الصبا لأعلم اني لست في الحب اوحدا

إذا كنت عزهاة عن اللهو والصبا فكن حجزاً من يابس الصخر جلمدا

قال: فغنتنا يزيد فيه، فلما فرغتا ضرب بخيزرانته الأرض وقال: صدقتما صدقتما! فعلى مسلمة لعنة الله وعلى ما جاء به.

قال: وطرب يزيد فقال: هاتيا. فغنتاه من هذه القصيدة:

وعهدي بها صفراء رودا كأنما نضا عرق منها على اللون مجسدا
مهفهفة العلى وأسفل خلقها جرى لحمه ما دون أن يتخددا
من المدمجات اللحم جدلاً كانها عنان صناع مدمج الفتل محصدا
كأن ذكي المسك باد وقد بدت وريح خزامي طلة تنفح الندى

فطرب يزيد واخذ فيه من الشراب قدره الذي كان يطرب منه ويسره، ولم تره اظهر شيئاً مما كان يفعله عند طربه فغنتهك

ألا لا تلمه اليوم ان يتبلدا فقد غلب المحزون ان يتجلدا
نظرت رجاء بالموقر ان ارى أكاريس يحتلون خاخا فمنشدا
فأوفيت في نشز من الأرض يافع وقد تسعف الأيفاع من كان مقصدا

فلما غنته بهذا طرب طربه الذي تعهده، وجعل يدور ويصيح: الدخن بالنوى، والسمك في بيطار جنان . وشق حلته وقال لهاك أتأذنين ان أطير؟ قالت: وإلى من تدع الناس؟ قال: إليك .

قال: وغنته سلامة من هذه القصيدةك

فقلت الا ياليت أسماء أصقبت وهل قول ليت جامع ما تبددا
وإني لهواها وأهوى لقاءها كما يشتهي الصادي الشراب المبردا
علاقة حيب لج في سنن الصبا فأبلى وما يزداد إلا تجددا
سهوب وأعلام تخال سرابها إذا استن في القيظ الملاء المعضدا

قال: وغنته حبابة منها أيضاً:

كريم قريش حين ينسب والذي اقرت له بالملك كهلاً وامردا
وليس عطاء كان منه بمانع وإن جل من إضعاف أضعافه غدا
أهان تلاد المال في الحمد إنه إمام هدى يجري على ما تعودا
تردى بمجد من أبيه وأمه وقد اورثا بنيان مجد مشيدا

فقال لها يزيد: ويحك يا حبابة، ومن ومن قريش هذا؟ قالت: انت. قال: ومن يقول هذا الشعر؟ قالت: الأحوص يا امير المؤمنين. وقالت سلامة: فليسمع أمير المؤمنين باقي ثنائه عليه فيها. ثم اندفعت فغنته:

ولو كان بذل الجود والمال مخلدا من الناس غنساناً لكنت المخلدا
فأقسم لا أنفك ما عشت شاكرا لنعماك ما طار الحمام وغردا

أخبرني إسماعيل قال: حدثنا عمر بن شبة قال: علي بن الجعد قال: حدثني أبو يعقوب الخريمي، عن أبي بكر بن عياش: أن حبابة وسلامة اختلفتا في صوت معبد:

ألا حي الديار بسعد إني أحب لحسب فاطمة الديارا

فبعث يزيد إلى معبد فاتى به، فسأل: لم بعث إليه؟ فأخبر، فقال: لأيتهما المترلة عن امير المؤمنين؟ فقيل: لحبابة. فلما عرضتا عليه الصوت قضى لحبابة، فقالت سلامة: والله ما قضى إلا للمترلة، وإنه ليعلم أن الصواب ما غنيت، ولكن ائذن لي يا أمير المؤمنين في صلته لن له علي حقاً. قال: قد أذنت. فكان ما وصلته به أكثر من حبابةز

ألا حي الديار بسعد إني أحب لحب فاطمة الديارا

إذا ما حل اهلك يا سليمى بدارة صلصل شحطوا مزارا

الشعر لجرير، والغناء لابن محرز، خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر.

أخبرني احمد بن عبد العزيز لجوهري قالك حدثنا عمر بن شبة قال: نزل الفرزدق على الحوص حين قدم المدينة فقال له الحوص: ما تشتهي؟ قالك شراء وطلاء وغناء .

قال: ذلك لك. ومضى به إلى قينة بالمدينة فغنته:

ألا حي الديار بسعد إني أحب لحب فاطمة الديارا

أراد الظاعنون ليحزنوني فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

فقال الفرزدق: ما أرق أشعاركم يا اهل الحجاز واملحها! قال: أو ما تدري لمن هذا الشعر؟ فقال: لا واللهز قال: هو لجرير، يهجوك به. فقال: ويل ابن المراغة ما كان احوجه مع عفافه إلى صلابة شعري، واحوجني مع شهواتي إلى رقة شعره.

وقد روى صالح بن حسان ان الصوت الذي اختلفت فيه حبابة وسلامة هو:

وترى لها دلا إذا نطقت به تركت بنات فؤاده صعرا

ذكر ذلك حماد عن ابيه عن الهيثم بن عدي: أنهما اختلفتا في هذا الصوت بين يدي يزيد، فقال لهما: من أين جاء اختلافكما، والصوت لمعبد ومنه اخذتماه؟ فاقلت هذه: هكذا أخذته، وقالت الخرى: هكذا أخذته. فقال يزيد: قد اختلفتما ومعبد حي بعد؟ فكتب إلى عامله بالمدينة يامره بحمله غليه.

ثم ذكر باقي الخبر مثل ما ذكره أبو بكر بن عياش.

قال صالح بن حسان:فلما دخل معبد غليه لم يساله عن الصوت، ولكنه امره أن يغني، فغناه فقال:

فيا عز إن واش وشى بي عندكم فلا تكرميه أن تقولي له مهلا

فاستحسنه وطرب ثم قال: إن هاتين اختلفتا في صوت لك فاقض بينهما. فقال لحبابة: غني. فغنت، وقال لسلامة: غني فغنت، وقال: الصواب ما قالت حبابة. فقالت سلامة: والله يا ابن الفاعلة إنك لتعلم أن الصواب قا قلت، ولكنك سالت أيتهما آثر عند امير المؤمنين فقيل لك حبابة، فاتبعت هواه ورضاه! فضحك يزيد وطرب، واخذ وسادة فصيرها على رأسه، وقام يدور في الدار ويرقص ويصيح:السمك الطري اربعة أرطال، عند بيطار حبان جتى دار الدار كلها ثم رجع فجلس مجلسه وقال شعراً، وامر معبداً ان يغني فيه، فغنى فيه وهو:

أبلغ حبابة أسقى ربعها المطر ما للفؤاد سوى ذكراكم وطر

إن سار صحبي لم املك تذكركم او عرسوا فهموم النفس والسهر

فاستحسنه وطرب. هكذا ذكر إسحاق في الخبر. وغيره يذكر ان الصنعة فيه لحبابة، ويزعم ابن خرداذبه ان الصنعة فيه ليزيد. وليس كما ذكر، وإنما اراد ان يوالي بين الخلفاء في الصنعة، فذكره على غير تحصيل، والصحيح انه لمعبد.

قال معبد: فسر يزيد لما غنيته في هذين البيتين، وكساني ووصلني، ثم لما انصرم مجلسه انصرفت إلى مترلي الذي انزلته، فإذا ألطاف سلامة قد سبقت ألطاف حبابة، وبعثت إلي: إني قد عذرتك فيما فعلت، ولكن كان الحق أولى بك. فلم ازل في ألطافهما جميعاً جتى أذم لي يزيد، فرجعت إلى المدينة.

فيا عز إن واش وشى بي عندكم

ألم يأن لي ياقلب أن أترك الجهلا وان يحدث الشب الملم لي العقلا

على حين صار الرأس من كأنما علت فوقه نذافة العطب الغزلا

فيا عز إن واش بي عندكم فلا تكرميه أن تقولي له مهلا

كما لووش واش بودك عندنا لقنا تزحزح لا قريباً ولا سهلا

فأهلاً وسهً بالذي شد وصلنا ولا مرحباً بالقائل اصرم لها حبلا

الشعر لكثير، والغناء لحنين، ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر ابن المكي وعمرو والهشامي أنه لمعبد. وفيه ثاني ثقيل ينسب إلى ابن سريج، وليس بصحيح.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثني الزبير قال: حدثني ظبية قالت: أنشدت حبابة يوما يزيد بن عبد الملك:

لعمرك إنني لأحب سلعاً لرؤيتها ومن بجنوب سلع

ثم تنفست تنفساً شديداً فقال لها: مالك، أنت في ذمة أبي، لئن شئت لأنقلنه إليك حجراً حجراً. قال: وما أصنع به، ليس إياه أردت، إنما أردت صاحبه. وربما قالت: ساكنة.

لعمرك غنني لأحب سلعا لرؤيتها ومن بجنوب سلع

تقر بقربها عيني وإني لأخشى أن تكون تريد فجعي
حلفت برب مكة والهدايا وأيدي السابحات غداة جمع
لأنت على التنائي فاعلميه احب إلي من بصري وسمعي

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى، مما لايشك فيه من غنائه.

قال الزبير: وحدثني ظبية ان يزيد قال لحبابة وسلامة: أيتكما غنتني ما في نفسي فلها حكمها. فغنت سلامة فلم تصب ما في نفسه، وغنته حبابة:

خلق من بني كنانة حولي بفلسطين يسرعون الركوبا

فأصابت ما في نفسه فقال: احتكمي. فقالت: سلامة، تهبها لي ومالها. قال: اطلبي غيرها.فأبت، فقال:أنت أولى بها ومالها. فلقيت سلامة من ذلك أمراً عظيماً، فقالت لها حبابة: لاترين إلا خيراً! فجاء يزيد فسألها أن تبيعه إياها بحكمها، فقالت: أشهدك انها حرة، واخطبها إلي الان حتى ازوجك مولاتي.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني إسحاق عن المدائني بنحو هذه القصة. وقال فيها: فجزعت سلامة، فقالت لها: لاتجزعي فإنما ألاعبه.

حلق من بني كنانة حولي بفلسطين يسرعون الركوبا
هرئت أن رأت مشيبي عرسي لاتلومي ذوائبي أن تشيبا

الشعر لابن قيس الرقيات، والغناء لابن سريج، ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

قال حماد بن إسحاق : حدثني أبي عن المدائني، وايوب بن عباية قالا: كانت سلامة المتقدمة منهما في الغناء، وكانت حبابة تنظر إليها بتلك العين، فلما حظيت عند يزيد ترفعت عليها فقالت لها سلامة: ويحك أين تاديب الغناء وحق التعليم؟ انسيت قول جميلة لك: خذي أحكام ما أطارحك إياه من سلامة؟! فلن تزالي بخير ما بقيت لك وكان أمركما مؤتلفاً. قالت: صدقت يا خليلتي، والله لا عدت إلى شيء تكرهينه. فماعادت بعد ذلك لها إلى مكروه. وماتت حبابة وعاشة سلامة بعدها دهراً.

قال المدائني: فرأى يزيد يوماً حبابة جالسةً فقال: مالك؟ فقالت: أنتظر سلامة. قال: تحبين أن أهبها لك؟ قالت: لا والله، ما أحب أن تهب لي أختي.

قال المدائني: وكانت حبابة إذا غنت وطرب يزيد قال لها: اطير؟ فتقول له: فإلى من تدع الناس؟ فيقول إليك. والله تعالى أعلم.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أيوب بن عباية، أن البيذق النصاري القارئ كان يعرف حبابة ويدخل عليها بالحجاز، فلما صارت إلى يزيد بن عبد الملك وارتفع أمرها عنده، خرج إليها يتعرض

لمعروفها ويستميحها، فذكرته ليزيد واخبرته بحسن صوته. قال: فدعاني يزيد ليلة فدخلت عليه وهو على فرش مشرفة قد ذهب فيها إلى قريب من ثدييه، وإذا حبابة على فرش أخر مرتفعة، وهي تدونه، فسلمت فرد السلام، وقالت حبابة: يا أمير المؤمنين، هذا أبي. وأشارت إلي بالجلوس، فجلست وقالت لي حبابة: اقرأيا أبت. فقرأت فنظرت إلى دموعه تنحدر، ثم قالت: إيه ياأبت حدث أمير المؤمنين، وأشارت إلي أن غنه. فاندفعت في صوت ابن سريج:

من لصب مفند هائم القلب مقصد

فطرب والله يزيد فحذفني بمدهن فيه فصوص من ياقوت وزبرجد، فضرب صدري، فأشارت إلي حبابة: أن خذه. فأخذته فأدخلته كمي، فقال: يا حبابة ألا ترين ما صنع بنا أبوك، أخذ مدهننا فأدخله في كمه؟ فقالت: يا أمير المؤمنين ما أحوجه والله إليه! ثم خرجت من عنده فأمر لي بمائة دينار.

من لصب مفند هائم القلب مقصد

انت زودته الضنى بئس زاد المزود

ولو اني لا أرتجي ك لقد خف عودي

ثاويا تحت تربة رهن رمس بفدفد

غير أني أعلل الن فس باليوم أوغد

الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان. وذكر الزبير بن بكار انه لجعفر بن الزبير، والغناء لابن سريج، خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى.

وقال حماد: حدثني أبي عن مخلد بن خداش وغيره، أن حبابة غنت يزيد صوتاً لابن سريج، وهو قوله:

ما أحسن الجيد من مليكة وال لبات إذ زانها ترائبها

فطرب يزيد وقال: هل رأيت أحداً أطرب مني؟ قلت: نعم، ابن الطيار معاوية بن عبد الله بن جعفر، فكتب فيه إلى عبد الرحمن بن الضحاك فحمل إليه، فلما قدم أرسلت إليه حبابة: إنما بعث إليك لكذا وكذا- واخبرته- فإذا دخلت عليه فلا تظهرن طرباً حتى أغنيه الصوت الذي غنيته. فقال:سواة على كبر سني؟ فدعا به يزدي وهو على طنفسة خز، ووضع لمعاوية مثلها، فجاءوا بجامين فيهما مسك فوضعت إحداهما بين يدي يزيد والأخرى بين يدي معاوية، فقال: فلم أدر كيف أصنع. فقلت: انظر كيف يصنع فاصنع مثله. فكان يقلبه فيفوح ريحه وأفعل مثل ذلك، فدعا بحبابة فغنت، فلما غنت ذلك الصوت أخذ معاوية الوسادة فوضعها على رأسه وقام يدور وينادي: الدخن بالنوى يعني اللوبيا. قال: فامر له بصلات عدة دفعات إلى أن خرج، فكان مبلغها ثمانية آلاف دينار.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: اخبرني الزبير بن أبي بكر، عن ظبية: أن حبابة غنت يوماً بين يدي يزيد فطرب ثم قال لها: هل رأيت قط اطرب مني؟ قالت: نعم، مولاي الذي باعني. فغاظه ذلك فكتب في حمله مقيداً، فلما عرف خبره أمر بإدخاله إليه، فأدخل يرسف في قيده، وامرها فغنت بغتةً:

تشط غداً دار جيراننا ... وللدار بعد غد أبعد

فوثب حتى القى نفسه على الشمعة فأحرق لحيته، وجعل يصيح: الحريق يا أولاد الزنا! فضحك يزيد وقال: اعمري إن هذا لأطرب الناس! فأمر بحل قيوده، ووصله بألف دينار، ووصلته حبابة، ورده إلى المدينة.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثنا عمر بن شبة قال: قال إسحاق: كان يزيد بن عبد الملك قبل ان تفضي إليه الخلافة، تختلف إليه مغنية طاعنة في السن تدعى أم عوف، وكانت محسنة، فكان يختار عليها:

متى أجر خائفاً تسرح مطيته ... وإن أخف آمنا تنبوبه الدار

سيروا إلي وأرخوا من أعنتكم ... إني لكل امرئ من وتره جار

فذكرها يزيد يوماً لحبابة، وقد كانت أخذت عنها فلم تقدر أن تطعن عليها إلا بالسن، فغنت:

أبى القلب إلا أم عوف وحبها ... عجوزاً ومن يحيي عجوزاً يفند

فضحك وقال: لمن هذا الغناء؟ فقالت: لمالك. فكان إذا جلس معها للشرب يقول: غنيني صوت مالك في أم عوف.

أخبرني احمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني عمر بن شبة قال: حدثني عبد الله بن أحمد بن الحارث العدوي قال: حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال: حدثني أبو غانم الزدي قال: نزل يزيد بن عبد الملك ببيت رأس بالشام، ومعه حبابة فقال: زعموا انه لاتصفو لأحد عيشة يوماً إلى الليل إلا يكدرها شيء عليه، وسأجرب ذلك. ثم قال لمن معه: إذا كان غداً فلا تخبروني بيء ولا تأتوني بكتاب. وخلا هو وحبابة فأتيا بما يأكلان، فأكلت رمانة فشرقت بحبة منها فماتت، فأقام لايدفنها ثلاثاً حتى تغيرت وانتنت، وهو يشمها ويرشفها، فعاتبه على ذلك ذوو قرابته وصديقه ، وعابوا عليه ما يصنع، وقالوا: قد صارت جيفة بين يديك! حتى اذن لهم في غسلها ودفنها، وامر فأخرجت في نطع، وخرج معها لايتكلم حتى جلس على قبرها، فلما دفنت قال: أصبحت والله كما قال كثير:

فإن يسل عنك القلب أو يدع الصبا ... فبالبأس يسلو عنك لا بالتجلد

وكل خليل راعني فهو قائل ... من أجلك: هذا هامة اليوم أو غد

فما أقام إلا خمس عشرة ليلة حتى دفن إلى جنبها.

أخبرني أحمد قال: حدثني عمر قال: حدثني إسحاق الموصلي قال: حدثني الفضل بن الربيع عن، أبيه عن إبراهيم

بن جبلة بن مخرمة عن أبيه أن مسلمة بن عبد الملك قال: ماتت حبابة فجزع عليها يزيد، فجعلت أوسيه واعزيه، وهو ضارب بذقنه على صدره ما يكلمني حتى دفنها ورجع، فلما بلغ إلى بابه التفت إلي وقال:

فإن تسل عنك النفس أو تدع الصبا فباليأس تسلو عنك لابالتجلد

ثم دخل بيته فمكث أربعين يوماً ثم هلك.

قال: وجزع عليها في بعض أيامه فقال: انبشوها حتى أنظر غليها. فقيل: تصير حديثاً!! فرجع فلم ينبشها.

وقد روى المدائني أنه اشتاق غليها بعد ثلاثة أيام من دفنه إياها، فقال: لابد من أن تنبش. فنبشت وكشف له عن وجهها وقد تغير تغيراً قبيحا فقيل له: يا امير المؤمنين، اتق الله، ألا ترى كيف قد صارت؟ فقال: ما رأيتها قط أحسن منها اليوم، أخرجوها. فجاءه مسلمة ووجوه أهله، فلم يزالوابه حتى أزالوه عن ذلك ودفنوها، وانصرف فكمد كمداً شديداً حتى مات، فدفن إلى جانبها.

قال إسحاق: وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله الشفافي عن العباس بن محمد، ان يزيد بن عبد الملك أراد الصلاة على حبابة، فكلمه مسلمة في ان لايخرج وقال: أنا أكفيك الصلاة عليها. فتخلف يزيد ومضى مسلمة، حتى إذا مض الناس انصرف مسلمة وأمر من صلى عليها.

وروى الزبير، عن مصعب بن عثمان، عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال: خرجت مع ابي إلى الشأم في زمن يزيد بن عبد الملك، فلما ماتت حبابة وأخرجت لم يستطع يزيد الركوب من الجزع ولا المشي، فحمل على منبر على رقاب الرجال، فلما دفنت قال: لم أصل عليها، انبشوا عنها. فقال له مسلمة: نشدتك الله يا أمير المؤمنين، إنما هي أمة من الإماء، وقد واراها الثرى! فلم يأذن للناس بعد حبابة إلا مرة واحدة. قال: فوالله ما استتم دخول الناس حتى قال الحاجب: أجيزوا رحمكم الله. و لم ينشب يزيد أن مات كمداً.

أخبرني احمد بن عبد الله بن عمار قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني إسحاق قال حدثني ابن أبي الحويرث الثقفي، قال: لما ماتت حبابة جزع عليها يزيد جزعاً شديداً، فضم جويرية لها كانت تخدمها إليه، فكانت تحدثه وتؤنسه، فبينا هو يوماً يدور في قصره إذ قال لها: هذا الموضع الذي كنا فيه. فتمثلت:

كفى حزناً للهائم الصب أن يرى منازل من يهوى معطلة قفرا

فبكى حتى كاد يموت. ثم لم تزل تلك الجويرية معه يتذكر بها حبابة حتى مات.

أيدعونني شيخاً وقد عشت حقبةً وهن من الأزواج نحوي نوازع

وما شاب رأسي من سنين تابعت علي ولكن شيبته الوقائع

الشعر لأبي الطفيل صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والغناء لإبراهيم، خفيف ثقيلأول بالوسطى، عن عمرو وغيره.

أخبار أبي الطفيل ونسبه

هو عامر بن وائلة بن عبد الله بن عمير بن جابر بن حميس بن جدي بن يعد بن ليث بن بكربن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار.

وله صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ورواية عنه. وعمر بعده عمراً طويلا؛ وكان مع أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، وروى عنه أيضاً، وكان من وجوه سيعته، وله منه محل خاص يستغني بشهرته عن ذكره، ثم خرج طالباً بدم الحسين بن علي عليهما السلام، مع المختار بن أبي عبيد، وكان معه حتى قتل وأفلت هو، وعمر أيضاً بعد ذلك.

حدثني أحمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن يويف بن أسوار الجمحي بمكة، قال: حدثنا يزيد بن ابي حكيم قال: حدثني يزيد بن مليل، عن أبي الطفيل أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يطوف بالبيت الحرام على ناقته، ويستلم الركن بمحجنه.

أخبرناه محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا الرياشي قال: حدثنا أبو عاصم عن معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل بمثله، وزاد فيه: ثم يقبل المحجن.

حدثني أبو عبيد الله الصيرفي قال: حدثنا الفضل بن الحسن المصري قال: حدثنا أبو نعيم عن بسام الصيرفي عن ابي الطفيل قال: سمعت علياً عليه السلام يخطب فقال: سلوني قبل أن تفقدوني. فقام إليه ابن الكواء، فقال: ما "الذاريات ذروا"؟ قال: الرياح. قال"فالجاريات يسرا"؟ قال: السفن. قال: "فالحاملات وقراً"؟ قال: السحاب. قال"فالمقسمات أمراً"؟ قال: الملائكة. قال: فمن "الذين بدلوا نعمة الله كفراً"؟ قال: الأفجران من قريش: بنو امية وبنو مخزوم. قال: فما كان ذو القرنين، أنبياً أم ملكاً؟ قال: كان عبداً مؤمناً- أو قال صالحاً - أحب الله وأحبه، ضرب ضربةً على قرنه الأيمن فمات، ثم بعث وضرب ضربة على قرنع الأيسر فمات. وفيكم مثله.

وكتب إلي إسماعيل بن محمد المري الكوفي يذكر أن أبا نعيم حدثه بذلك عن بسام. وذكر مثله أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: بلغني أن بشر بن مروان حين كان على العراق قال لأنس بن زنيم: أنشدني أفضل شعر قالته كنانة. فانشده قصيدة أبي الطفيل:

أيدعونني شيخاً وقد عشت برهةً ... وهن من الزواج نحوي نوازع

فقال له بشر: صدقت هذا أشعر شعرائكم. قال: وقال له الحجاج أيضاً: أنشدني قول شاعركم: أيدعونني شيخاً فأنشده إياه فقال: قالتله الله منافقاً، ما اشعره! حدثني أحمد بن عيسى العجلي الكوفي، المعروف بابن أبي موسى، قال: حدثنا الحسين بن نصر بن مزاحم قال: حدثني أبي قال حدثني عمرو بن شمر عن جابر الجعفي قال: سمعت ابن حذيم الناجي يقول: لما استقام لمعاوية أمره لم يكن شيء أحب إليه من لقاء أبي الطفيل عامرو بن العاص ونفر معه، فقال لهم معاوية: اما تعرفون هذا؟ هذا خليل ابي الحسن. ثم قال: يا أبا الطفيل ما بلغ من حبك لعلي؟ قال حيب أم موسى لموسى. قال: فما بلغ من بكائك عليه؟ قال: بكاء العجوز الثكلى والشيخ الرقوب ، وإلى

الله أشكو التقصير.

قال معاوية: إن أصحابي هؤلاء لو سئلوا عني ما قالوا: إذاً والله ما نقول الباطل. قال لهم معاوية: لا والله ولا الحق تقولون. ثم قال معاوية: وهو الذي يقول:

إلى رجب السبعين تعترفونني ... مع السيف في حواء جم عديدها

رجوف كمتن الطود فيها معاشر ... كغلب السباع نمرها وأسودها

كهول وشبان وسادات معشر ... على الخيل فرسان قليل صدودها

كأن شعاع الشمس تحت لوائها ... إذا طلعت اعشى العيون حديدها

يمورون مور الريح إما ذهلتم ... وزالت باكفال الرجال لبودها

شعارهم سيما النبي، وراية ... بها انتقم الرحمن ممن بكيدها

تخطفهم إياكم عند ذكرهم ... كخطف ضواري الطير طيراً تصيدها

فقال معاوية لجلسائه: أعرفتموه؟ قالوا: نعم، هذا أفحش شاعر وألام جليس. فقال معاوية: يا أبا الطفيل أتعرفهم؟ فقال: ما أعرفهم بخير، ولا أبعدهم من شر. قال: وقام خزيمة الأسدي فأجابه فقال:

إلى رجب أو غرة الشهر بعده ... نصبحكم حمر المنايا وسودها

ثمانون الفاً دين عثمان دينهم ... كتائب فيها جبرئيل يقودها

فمن عاش منكم عاش عبداً ومن يمت ... ففي النار سقياه هناك صديدها

أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال: حدثنا أحمد بن الحارث قال: حدثنا المدائني عن أبي مخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق، قال: لما رجع محمد بن الحنيفة من الشام حبسه ابن الزبير في سجن عارم، فخرج إليه جيش من الكوفة عليهم أبو الطفيل عامر بن وائلة، حتى أتوا سجن عارم فكسروه وأخرجوه، فكتب ابن الزبير إلى أخيه مصعب: أن يسير نساء كل من خرج لذلك. فأخرج مصعب نساءهم وأخرج فيهن أم الطفيل امرأة أبي الطفيل، وابناً له صغيراً يقال له يحيى، فقال أبو الطفيل في ذلك:

إن يك سيرها مصعب ... فإني إلى مصعب مذنب

أقود الكتيبة مستلماً ... كاني أخو عرة أجرب

علي دلاص تخيرتها ... وفي الكف ذو رونق مقضب

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا محمد بن حميد الرازي قال: حدثنا سلمة بن الفضل عن فطربن خليفة قال: سمعت أبا الطفيل يقول: لم يبق من الشيعة غيري. ثم تمثل:

وخلفت سهماً في الكنانة وجداً ... سيرمى به أو يكسر السهم كاسره

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو عاصم قال: حدثني أبو عاصم قال: حدثني شيخ من بني تيم اللات قال: كان أبو الطفيل مع المختار في القصر، فرمى بنفسه قبلأن يؤخذ وقال:

ولما رأيت الباب قد حيل دونه تكسرت باسم الله فيمن تكسرا

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا احمد بن عبد الله بن شداد الشابي قال: حدثني المفضل بن غسان قال: حدثني عيسى بن واضح، عن سليم بن مسلم المكي، عن ابن جريج عن عطاء قال: دخل عبد اله بن صفوان على عبد الله بن الزبير، وهو يومئذ بمكة، فقال: أصبحت كما قال الشاعر :

فإن تصبك من الأيام جائحة لا أبك منك على دنيا ولا دين

قال: وما ذاك يا أعرج؟ قال: هذا عبد الله بن عباس يفقه الناس، وعبيد الله أخوه يطعم الناس، فما بقيالك؟ فأحفظه ذلك فأرسل صاحب شرطته عبد الله بن مطيع فقال له: انطلق إلى ابني عباس فقل لهما: أعمدتما إلى راية ترابية قد وضعها الله فنصبتماها، بددا عني جمعكما ومن ضوى إليكما من ضلال أهل العراق، وإلا فعلت وفعلت! فقال ابن عباس: قل لابن الزبير: يقول لك ابن عباس: ثكلتك أمك، والله ما يأتينا من الناس غير رجلين: طالب فقه أو طالب فضل، فأي هذين تمنع؟ فأنشأ أبو الطفيل عامر بن واثلة يقول:

لادر در الليالي كيف تضحكنا منها خطوب أعاجيب وتبكينا
ومثل ما تحدث الأيام من غير يا ابن الزبير عن الدنيا يسلينا
كنا نجيء ابن عباس فيقبسنا علماً ويكسبنا أجراً ويهدينا
ولا يزال عبيد الله مترعةً جفانه مطعما ضيفاً ومسكينا
فالبر والدين والدنيا بدارهما ننال منها الذي نبغي إذا شينا
إن النبي هو النور الذي كشفت به عمايات باقينا وماضينا
ورهطه عصمة في ديننا ولهم فضل علينا وحق واجب فينا
ولست فاعلمه أولى منهم رحماً يا ابن الزبير ولا أولى به دينا
ففيم تمنعهم عنا وتمنعنا منهم، وتؤذيهم فينا وتؤذينا
لن يؤتى الله من أخزى ببغضهم في الدين عزاً ولا في الأرض تمكينا

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني الزبير بن بكار قال: حدثني بعض أصحابنا: أن أبا الطفيل عامر بن واثلة دعي في مادبة، فغنت فيها قينة قوله يرثي ابنه:

خلى طفيل علي الهم وانشعبا وهد ذلك ركني هدة عجبا

فبكى حتى كاد يموت.

وقد أخبرني بهذا الخبر عمي عن طلحة بن عبد الله الطلحي، عن أحمد بن إبراهيم: أن أبا الطفيل دعي إلى وليمة فغنت قينة عندهم:

خلى علي طفيل الهم وانشعبا ... وهد ذلك ركني هدة عجبا

وابني سمية لا انساهما أبداً ... فيمن نسيت وكل كان لي وصبا

فجعل ينشج ويقول: هاه هاه طفيل! ويبكي حتى سقط على وجهه ميتاً.

وأخبرني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد عن ابيه بخبر أبي الطفيل هذا، فذكر مثل ما مضى، وزاد في الأبيات:

فاملك عزاءك إن رزء بليت به ... فلن يرد بكاء المرء ما ذهبا

وليس يشفي حزيناً من تذكره ... إلا البكاء إذا ما ناح وانتحبا

فإذ سلكت سبيلاً كنت سالكها ... ولا محالة ان يأتي الذي كتبا

فما لبطنك من ري ولا شبع ... ولا ظللت بباقي العيش مرتغبا

وقال حماد بن إسحاق حدثني ابي قال: حدثني أبو عبد الله الجمحي عن أبيه قال: بينا فتية من قريش بطن محسر يتذاكرون الأحاديث ويتناشدون الأشعار، إذا أقبل طويس وعليه قميص قوهي وحبرة قد ارتدى بها ، وهو يخطر في مشيته، فسلم ثم جلس، فقال له القوم: يا أبا عبد المنعم، لو غنيتنا؟ قال: نعم وكرامة اغتنيكم بشعر شيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام، وصاحب رايته، أدرك الجاهلية والإسلام، وكان سيد قومه وشاعرهم. قالوا: ومن ذاك يا أبا عبد المنعم فدتك أنفسنا؟ قال: ذلك أبو الطفيل عامر بن واثلة، ثم اندفع فغنى:

أيدعونني سيخاً وقد عشت حقبة ... وهن من الزواج نحوي نوازع

فطرب القوم وقالوا: ما سمعنا قط غناء أحسن من هذا.

وهذا الخبر يدل على ان فيه لحناً قديماً ولكنه ليس يعرف

لمن الدار اقفرت بمعان ... بين شاطي اليرموك فالصمان

فالقريات من بلاس فداري ... ا فسكاء فالقصور الدواني

ذاك مغنى لآل جفنة في الده ... ر وحق تصرف الأزمان

صلوات المسيح في ذلك الدي ... ر دعاء القسيس والرهبان

الشعر لحسان بن ثابت، والغناء لحنين بن لوع، خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى.
وهذا الصوت من صدور الغاني ومختارها، وكان إسحاق يقدمه ويفضله. ووجدت في بعض كتبه بخطة قال: الصيحة التي في لحن حنين:

لمن الدار أقفرت بمعان

أخرجت من الصدر، ثم من الحلق، قم من الأنف، ثم من الجبهة، ثم نبرت فأخرجت من القحف، ثم نونت مردودة إلى النف، ثم قطعت.
وفي هذه الأبيات وأبيات غيرها من القصيدة الحان لجماعة اشتركوا فيها، واختلف أيضاً مؤلفو الأغاني في ترتيبها ونسبة بعضها مع بعض إلى صاحبها الذي صنعها، فذكرت ها هنا على ذلك وشرح ما قالوه فيها. فمنها:

قد عفا جاسم إلى بيت رأس — فالحواني فجانب الجولان
فحمى جاسم فأبنية الص — فر مغنى قنابل وهجان
فالقريات من بلاس فداريا — فسكاء فالقصور الدواني
قد دنا الفصح فالولائد ينظم — ن سراعاً أكلة المرجان
يتبارين في الدعاء إلى الل — ه وكل الذعاء للشيطان
ذاك مغنى لآل جفنة في الده — ر وحق تصرف الزمان
صلوات المسيح في ذلك الدي — ر دعاء القسيس والرهبان
قد أراني هناك حق مكين — عند ذي التاج مقعدي ومكاني

ذكر عمرو بن بانة ان لابن محرز في الأول من هذه الأبيات والرابع خفيف ثقيل أول بالبنصر وذكر علي بن يحيى أن لابن سريج في الرابع والخامس رملا بالوسطى، وأن لمعبد فيهما وفيما بعدهما من الأبيات خفيف ثقيل، ولمحمد بن إسحاق بن برثع ثقيل أول في الرابع والثامن.
وذكر الهشامي ان في الأول لمالك خفيف ثقيل، وواقفه حبش. وذكر حبش أن لمعبد في الأول والثاني والرابع ثقيلاً أول بالبنصر.

أخبار حسان وجبلة بن الأيهم

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال حدثني هارون بن عبد الله الزهري قال: حدثني يوسف بن الماجشون عن أبيه قال: قال حسان بن ثابت: أتيت جبلة بن الأيهم الغساني وقد مدحته، فأذن لي فجلست بين يديه، وعن يمينه رجل له ضفيرتنان، وعن يساره رجل لا أعرفه، فقال: أتعرف هذين؟ فقلت: أما هذا فأعرفه، وهو النابغة ، وأما هذا فلا أعرفه. قال: فهو علقمة بن عبدة، فإن

شئت استنشدتهما وسمعت منهما، ثم إن شئت أن تنشد بعدهما أنشدت، وإن شئت أن تسكت سكت. قلت: فذاك. قال: فأنشده النابغة:

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

قال: فذهب نصفي. ثم قال لعلقمة: أنشد. فأنشد:

طحابك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

فذهب نصفي الآخر فقال لي: أنت أعلم، الآن إن شئت أن تنشد بعدهما أنشدت، وإن شئت أن تسكت سكت. فتشددت ثم قلت: لابل، أنشد. قال: هات. فأنشدته:

لله در عصابة نادمتها يوماً بجلق في الزمان الأول

أولاد جفنة عند قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

يسقون من ورد البريص عليهم كأساً تصفق بالرحيق السلسل

يغشون حتى ما تهر كلابهم لايسألون عن السواد المقبل

بيض الوجه كريمة أحسابهم شم النوف من الطراز الأول

فقال لي: انه، ادنه، لعمري ما أنت بدونهما. ثم أمر لي بثلثمائة دينار، وعشرة أقمصة لها جيب واحد، وقال: هذا لك عندنا في كل عام.

وقد ذكر ابو عمرو الشيباني هذه القصة لحسان ووصفها وقال: إنما فضله عمرو بن الحارث الأعرج، ومدحه بالقصيدة اللامية. واتى بالقصة اتم من هذه الرواية.

قال أبو عمرو: قال حسان بن ثابت: قدمت على عمرو بن الحارث فاعتاص الوصول علي غليه، فقلت للحاجب بعد مدة: إن أذنت لي عليه وإلا هجوت اليمن كلها ثم انقلبت عنكم. فأذن لي فدخلت عليه فوجدت عنده النابغة وهو جالس عن يمينه، وعلقمة بن عبدة وهو جالس عن يساره، فقال لي: يا ابن الفريعة، قد عرفت عيصك ونسبك في غسان فارجع فإني باعث إليك بصلة سنية، ولا أحتاج إلى الشعر، فإني أخاف عليك هذين السبعين: النابغة وعلقمة، أن يفضحاك، وفضيحتك فضيحتي، وانت والله لاتحسن أن تقول:

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب

فأبيت وقلت: لابد منه. فقال: ذاك إلى عميك. فقلت لهما: بحق الملك إلا قدمتماني عليكما. فقالا: قد فعلنا. فقال عمرو بن الحارث: هات يا ابن الفريعة. فأنشأت:

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الحواني فالبضيع فحومل

فقال: فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل عن موضعه سروراً حتى شاطر البيت وهو يقول: هذا وابيك الشعر، لا ماتعللآني به منذ اليوم! هذه والله البتارة التي قد بترت المدائح، أحسنت يا ابن الفريعة، هات له ياغلام ألف دينار مرجوحة وهي التي في كل دينار عشرة دنانير. فأعطيت ذلك ثم قال: لك علي في كل سنة مثلها.

ثم أقبل على النابغة فقال: قم يا زياد فهات الثناء المسجوع. فقام النابغة فقال: ألا انعم صباحاً أيها الملك المبارك، السماء غطاؤك، والأرض وطاؤك، ووالداي فداؤك، والعرب وقاؤك، والعجم حماؤك ، والحكماء جلساؤك، والمداره سمارك ، والمقاول إخوانك ، والعقل شعارك، والحلم دثارك، والسكينة مهادك، والوقار غشاؤك، والبروسادك، والصدق رداؤك، واليمن حذاؤك ، والسخاء ظهارتك، والحمية بطانتك، والعلاء علايتك ، وأكرم الأحياء أحياؤك ، واشرف الأجداد أجدادك، وخير الآباء آباؤك، وأفضل الأعمام اعمامك، وأسرى الأخوال أخوالك، واعف النساء حلائلك، وأفخر الشبان أبناؤك، وأطهر الأمهات أمهاتك، واعلى النيان بنيانك، واعذب المياه أمواهك، وافيح الدارات داراتك ، وأنزه الحدائق حدائقك ، وأرفع اللباس لباسك، قد حالف الإضريج عاتقيك ، ولاءم المسك مسكك وجاور العنبر ترائبك، وصاحب النعيم جسدك. العسجد آنيتك، واللجين صحافك، والعصب مناديلك ، والحواري طعامك ، والشهد إدامك، واللذات غذاؤك ، والخرطوم شرابك ، والأبكار مستراحك، والأشراف مناصفك ، والخير بفنائك، والشر بساحة اعدائك، والنصر منوط بلوائك، والخذلان مع ألوية حسادك، والبر فعلك. قد طحطح عدوكغضبك ، وهزم مغايبهم مشهدك ؛ وسار في الناس عدلك، وشسع بالنصر ذكرك وسكن قوارع الأعداء ظفرك. الذهب عطاؤك، والدواة رمزك ، والأوراق لحظك وإطراقك، وألف دينار مرجوحة إنماؤك .

أيفاخرك المنذر اللخمي، فوالله قفاك خير من وجهه، ولشمالك خير من يمينه، ولأخمصك خيرمن رأسه ، ولخطاؤك خير من صوابه ، ولصمتك خير من كلامه، ولأمك خير من أبيه، ولخدمك خير من قومه. فهب لي أسارى قومي، واسترهن بذلك شكري ؛ فإنك من أشراف قحطان، وأنا من سروات عدنان.

فرفع عمرو رأسه إلى جارية كانت قائمة على رأسه وقال: بمثل هذا فليثن على الملوك، ومثل ابن الفريعة فليمدحهم! وأطلق له أسرى قومه.

وذكر ابن الكلبي، هذه القصة نحو هذا وقال: فقال له عمرو: اجعل المفاضلة بيني وبين المنذر شعراً فإنه أسير . فقال:

ونبئت أن أبا منذر	يساميك للحدث الأكبر
قذالك أحسن من وجهه	وامك خير من المنذر
ويسراك أجود من كفه ال	يمين فقولا له أخر

وقد ذكر المدائني أن هذه الأبيات والسجع الذي قبلها لحسان، وهذا أصح.

قال أبو عمرو الشيباني: لما أسلم جبلة بن الأيهم الغساني وكان من ملوك آل جفنة، كتب إلى عمرو رضي الله عنه يستأذنه في القدوم عليه، فأذن له عمر فخرج غليه في خمسمائة من اهل بيته، من عك وغسان، حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عمر يعلمه بقدومه، فسر عمر رضوان الله عليه، وأمر الناس باستقباله، وبعث إليه بأنزال ، وامر جبلة مائتي رجل من أصحابه فلبسوا الديباج والحرير، وركبوا الخيول معقودة أذنابها، وألبسوها قلائد الذهب والفضة، ولبس جبلة تاجه وفيه قرطا مارية- وهي جدته- ودخل المدينة، فلم يبق بها بكر ولا عانس إلا تبرجت وخرجت تنظر إليه وإلى زيه، فلما انتهى إلى عمر رحب به والطفه وادنى مجلسه، ثم أراد عمر الحج فخرج معه جبلة، فبينا هو يطوف بالبيت وكان مشهوراً بالموسم، إذ وطىء إزاره رجل من بني فزارة فانحل، فرفع جبلة يده فهشم أنف الفزاري، فاستعدى عليه عمر رضوان الله عليه، فبعث إلى جبلة فأتاه فقال: ما هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، إنه تعمد حل إزاري، ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف! فقال له عمر: قد أقررت فإما أن رضي الرجل وإما أن قيده منك. قال جبلة: ماذا تصنع بي؟ قال: آمر بهشم أنفك كما فعلت. قال: وكيف ذاك ياأمير المؤمنين، وهو سوقة وأنا ملك؟ قال: إن الإسلام جمعك وإياه، فلست تفضله بشيء إلا بالتقى والعافية!! قال جبلة: قد ظننت يا أمير المؤمنين أني اكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية. قال عمر: دع عنك هذا فإنك إن لم ترضى الرجل أقدته منك. قال: إذا أتنصر. قال: إن تنصرت ضربت عنقك، لآنك قد أسلمت، فإن ارتددت قتلتك. فلما رأى جبلة الصدق من عمر قال: أنا ناظر في هذا ليلتي هذه. وقد اجتمع بباب عمر من حي هذا وحي هذا خلق كثير، حتى كادت تكون بينهم فتنة، فلما أمسوا أذن له عمر في الانصراف، حتى إذا نام الناس وهدءوا تحمل جبلة بخيله ورواحله إلى الشأم، فأصبحت مكة وهي منهم بلاقع، فلما انتهى إلى الشأم تحمل في خمسمائة رجل من قومه حتى أتى القسطنطينية، فدخل إلى هرقل، فتنصر هو وقومه، فسر هرقل بذلك جداً وظن أنه فتح من الفتوح عظيم، وأقطعه حيث شاء، وأجرى عليه من النزل ما شاء، وجعله من محدثيه وسماره. هكذا ذكر أبو عمرو.

وذكر ابن الكلبي أن الفزاري لما وطئ إزار جبلة لطم جبلة كما لطمه، فوثبت غسان فهشموا أنفه واتو به عمر، ثم ذكر باقي الخبر نحو ما ذكرناه.

وذكر الزبير بن بكار فيما أخبرنا به الحرمي بن أبي العلاء عنه أن محمد بن الضحاك حدثه عن أبيه: أن جبلة قدم على عمر رضي الله عنه في ألف من أهل بيته فأسلم. قال: وجرى بينه وبين رجل من أهل المدينة كلام، فسب المديني فرد عليه، فلطمه جبلة فلطمه المديني، فوثب عليه أصحابه فقال: دعوه حتى أسأل صاحبه وأنظر ما عنده. فجاء إلى عمر فأخبره فقال: إنك فعلت به فعلاً ففعل بك مثله. قال: أو ليس عندك من الأمر إلا ما أرى. قال: لافما الأمر عندك يا جبلة؟ قال: من سبنا ضربناه، ومن ضربنا قتلناه. قال: إنما أنزل القرآن بالقصاص. فغضب وخرج بمن معه ودخل أرض الروم فتنصر، ثم ندم وقال:

تنصرت الأشراف من عار لطمة

وذكر الأبيات، وزاد فيها بعد:

وميا ليت لي بالشأم أدنى معيشة أجالس قومي ذاهب السمع و البصر

أدين بما دانوا به من شريعة وقد يحبس العود الضجور على الدبر

وذكر باقي خبره فيما وجه به إلى حسان مثله، وزاد فيه: أن معاوية لما ولي بعث إليه فدعاه إلى الرجوع إلى الإسلام، ووعده إقطاع الغوطة بأسرها، فأبى و لم يقبل.

ثم إن عمر رضي الله عنه بدا له أن يكتب إلى هرقل يدعوه إلى الله جل وعز إلى الإسلام، ووجه إليه رجلاً من أصحابه، وهو جثامة بن مساحق الكناني، فلما انتهى إليه الرجل بكتاب عمر أجاب إلى كل شيء سوى الإسلام فلما أراد الرسول الانصراف قال له هرقل: هل رأيت ابن عمك هذا الذي جاءنا راغباً في ديننا؟ قال: لا. قال: فالقه. قال الرجل: فتوجهت إليه فلما انتهيت إلى بابه رأيت من البهجة والحسن والسرور ما لم أر بباب هرقل مثله، فلما أدخلت عليه إذا هو في بهو عظيم، وفيه من التصاوير مالا أحسن وصفه، وإذا هو جالس على سرير من قوارير، قوائمه أربعة أسد من ذهب، وإذا هو رجل أصهب سبال وعثنون، وقد امر بمجلسه فاستقبل به وجه الشمس، فما بين يديه من آنية الذهب والفضة يلوح، فما رأيت أحسن منه. فلما سلمت رد السلام ورحب بي، وألطفني ولامني على تركي النزول عنده، ثم أقعدني على شيء لم أثبته، فإذا هو كرسي من ذهب، فانحدرت عنه فقال: مالك؟ فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا. فقال جبلة أيضا مثل ثولي في النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكرته، وصلى عليه. ثم قال: يا هذا إنك إذا طهرت قلبك لم يضرك ما لبسته ولا ماجلست عليه. ثم سألني عن الناس وألحف في السؤال عن عمر، ثم جعل يفكر حتى رأيت الحزن في وجهه، فقلت: ما يمنعك من الرجوع إلى قومك والإسلام؟ قال: أبعد الذي قد كان؟ قلت: قد ارتد الأشعث بن قيس.
ومنعهم الزكاة وضربهم بالسيف ثم رجع إلى الإسلام. فتحدثنا مليا ثم أومأ إلى غلام على رأسه فولي يحضر، فما كان إلا هنيهة حتى أقبلت الأخونة يحملها الرجال فوضعت، وجيء بخوان من ذهب فوضع أمامي فاستعفيت منه، فوضع أمامي خوان خلنج وجامات قوارير ، وأديرت الخمر فاستعفيت منها، فلما فرغنا دعا بكأس من ذهب فشرب به خمساً عدداً. ثم أومأ إلى غلام فولي يحضر، فما شعرت إلا بعشر جوار يتكسرن في الحلي، فقعد خمس عن يمينه وخمس عن شماله، ثم سمعت وسوسة من ورائي، فإذا أنا بعشر أفضل من الأول عليهن الوشي والحلي، فقعد خمس عن يمينه وخمس عن شماله، وأقبلت جارية على رأسها طائر أبيض كأنه لؤلؤة، مؤدب، وفي يدها اليمنى جام فيه مسك وعنبر قد خلطا وانعم سحقهما، وفي اليسرى جام فيه ماء ورد، فألقت الطائر في ماء الورد، فتمعك بين جناحيه وظهر بطنه ، ثم اخرجته فألقته في جام المسك والعنبر، فتمعك فيها حتى لم يدع فيها شيئاً، ثم نفرته فطار فسقط على تاج جبلة، ثم رفرف ونفض ريشه فما بقي عليه شيء إلا سقط على رأس جبلة، ثم قال للجواري: أطربني. فخفقن بعيد انهن يغنين:

لله در عصابة نادمتها يوماً بجلق في الزمان الأول
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم النوف من الطراز الول
يغشون حتى ما تهر كلابهم لايسألون عن الواد المقبل

فاستهل واستبشر وطرب ثم قال: زدني. فاندفعن يغنين:

لمن الدار أقفرت بمعان بين شاطي اليرموك فالصمان
فحمى جاسم فأبنيه الصفر مغنى قنابل وهجان
فالقريات من بلاس فداريا فسكاء فالقصور الدواني
ذاك مغنى لآل جفنة في الد ار وحق تعاقب الأزمان
قد دنا الفصح فالولائد ينظم ن سراعاً أكلة المرجان
لم يعللن بالمغافير والصم غ ولانقف حنظل الشريان
قد أراني هناك حقا مكيناً عند ذي التاج مقعدي ومكاني

فقال: أتعرف هذه المنازل؟ قلت: لا. قال: هذه منازلنا في ملكنا بأكتاف دمشق، وهذا شعر ابن الفريعة حسان بن ثابت، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قلت: أما إنه مضرور البصر كبير السن. قال: يا جارية هاتي. فأتته بخمسمائة دينار وخمسة أثواب من الديباج، فقال: ادفع هذا إلى حسان وأقرئه مني السلام.

ثم أرادني على مثلها، فأبيت فبكى، ثم قال لجواريه: أبكينني. فوضعن عيدانهن وأنشأن يقلن:

تنصرت الأشراف من عار لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكفني فيها لجاج ونخوة وبعت بها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت أمي لم تلدني وليتني رجعت إلى القول الذي قال لي عمر

ويالينتي أرعى المخاض بقفرة وكنت أسيراً في ربيعة أو مضر
ويالليت لي بالشأم أدنى معيشة أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

ثم بكى وبكيت معه حتى رأيت دموعه تحول على لحيته كانها اللؤلؤ، ثم سلمت عليه وانصرفت، فلما قدمت على عمر سألني عن هرقل وجبلة، فقصصت عليه القصة من أولها غلى آخرها، فقال: أو رأيت جبلة يشرب الخمر؟ قلت: نعم. قال: أبعده الله، تعجل فانية اشتراها باقية، فلما ربحت تجارته، فهل سرح معك شيئاً؟ قلت: سرح إلى حسان خمسمائة دينار وخمسة أثواب ديباج. فقال: هاتها. وبعث إلى حسان فأقبل يقوده قائده حتى دنا

فسلم، وقال: يا أمير المؤمنين، إني لأجد لأرواح آل جفنة. فقال عمر رضي الله عنه: قد نزع الله تبارك وتعالى لك منه على رغم أنفه، وأتاك بمعونة. فانصرف عنه وهو يقول:

إن ابن جفنة من بقية معشر — لم يغذهم آباؤهم باللوم

لم ينسني بالشأم إذ هو ربها — كلا ولا متنصراً بالروم

يعطى الجزيل ولا يراه عنده — إلا كبعض عطية المذموم

وأتيته يوماً فقرب مجلسي — وسقىفرواني من الخرطوم

فقال له رجل مجلس عمر: أتذكر قوماً كانوا ملوكاً فأبادهم الله وأفناهم؟! فقال: ممن الرجل؟ قال: مزني. قال: أما والله لولا سوابق قومك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لطوقتك طوق الحمامة. وقال: ما كان خليلي ليخل بي، فما قال لك؟ قال: قال إن وجدته حيا فادفعها إليه، وإن ودته ميتاً فاطرح الثياب على قبره، وابتع بهذه الدنانير بدنا فانحرها على قبره. فقال حسان: ليتك وجدتني ميتاً ففعلت ذلك بي؟ أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير قال: قال لي عبد الرحمن بن عبد الله الزبيري: قال الرسول الذي بعث به إلى جبلة. ثم ذكر قصته مع الجارية التي جاءت بالجامين والطائر الذي تمعك فيهما، وذكر قول حسان:

إن ابن جفنة من بقية معشر

ولم يذكر غير ذلك. هكذا روى أبو عمرو في هذا الخبر.

وقد أخبرني به أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال: قال عبد الله بن سعدة الفزاري: وجهني معاوية إلى ملك الروم، فدخلت عليه، فإذا عنده رجل على سرير من ذهب دون مجلسه، فكلمني بالعربية فقلت: من أنت يا عبد الله؟ قال: أنا رجل غلب عليه الشقاء، أنا جبلة بن الأيهم، إذا صرت إلى مترلي فألقني. فلما انصرف وانصرفت أتيته في داره فألفيته على شرابه، وعنده قينتان تغنيانه بشعر حسان بن ثابت:

قد عفا جاسم إلى بيت رأس — فالحواني فجانب الجولان

وذكر الأبيات. فلما فرغتا من غنائهما أقبل علي ثم قال: ما فعل حسان بن ثابت؟ قلت: شيخ كبير قد عمي. فدعا بألف دينار فدفعها إلي، وأمرني أن أدفعها إليه ثم قال: أترى صاحبك يفي لي إن خرجت إليه؟ قال: قلت قل ما شئت أرعضه عليه. قال: يعطيني الثنية فإنها كانت منازلنا، وعشرين قرية من الغوطة منها داریاوسكاء، ويفرض لجماعتنا ويحسن جوائزنا. قال: قلت أبلغه. فلما قدمت على معاوية قال: وددت أنك أجبته إلى ما سأل فأجزته له. وكتب إليه معاوية يعطيه ذلك، فوجده قد مات.

قال: وقدمت المدينة فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقيت حسان فقلت: يا أبا الوليد، صديقك جبلة يقرأ عليك السلام. فقال: هات ما معك. قلت: وما علمك أن معي شيئاً، قال: ما أرسل إلي بالسلام قط إلا ومعه شيء. قال: فدفعت إليه المال.

أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال: حدثنا عبد الله بن مسلم قال: حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه، عن أهل المدينة قالوا: بعث جبلة إلى حسان بخمسمائة دينار وكسى وقال للرسول: إن وجدته قد مات فابسط هذه الثياب على قبره. فجاء فوجده حياً، فأخبره فقال: لوددت أنك وجدتني ميتاً.

تنصرت الأشراف من عار لطمة وكا كان فيها لو صبرت لهاضرر

الأبيات الخمسة.

الشعر لجبلة بن الأيهم، والغناء لعريب نصب خفيف، وبسيط رملي بالوسطى. ومنها:

إن ابن جفنة من بقية معشر لم يغذهم آباؤهم باللوم

الأبيات الأربعة الشعر لحسان بن ثابت، والغناء لعيرب، هزيج بالبنصر.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا عمر يوسف بن محمد قال: حدثني عمر إسماعيل بن أبي محمد قال: قال الواقدي: حدثني محمد بن صالح قال: كان حسان بن ثابت يغدو على جبلة بن الأيهم سنة ويقيم سنة في اهاه، فقال: لو وفدت على الحارث بن أبي شمر الغساني، فإن قرابة ورحماً بصاحبي، وهو أبذل الناس للمعروف، وقد يئس مني أن أفد عليه، لما يعرف من انقطاعي إلى جبلة.

قال: فخرجت في السنة التي كنت أقيم فيها بالمدينة، حتى قدمت على الحارث وقد هيأت له مديحاً، فقال: لي حاجبه، وكن لي ناصحاً: إن الملك قد سر بقدومك عليه، وهو لا يدعك حتى تذكر جبلة، فإياك أن تقع فيه فإنه إنما يختبرك، وإن رآك قد وقعت فيه زهد فيك؛ وإن رآك تذكر محاسنه ثقل عليه فلا تبتديء بذكره، وإن سألك عنه فلا تطنب في الثناء عليه ولا تعبه، امسح ذكره مسحاً، وجاوزه إلى غيره، فإن صاحبك- يعني جبلة- أشد إغضاء عن هذا من هذا ، أي أشد تغافلاً وأقل حفلاً به، وذلك أن صاحبك أعقل من هذا وأبين، وليس لهذا بيان، فإذا دخلت عليه فسوف يدعوك إلى الطعام، وهو رجل يثقل عليه أن يؤكل طعامه ولا يبالي الدرهم والدينار، ويثقل عليه أن يشرب شرابه أيضاً؛ فإذا وضع طعامه فلا تضع يدك حتى يدعوك، وإذا دعاك فأصب من طعامه بعض الإصابة. قال: فشكرت لحاجبه ما أمرني به.

قال: ثم دخلت عليه فسألني عن البلاد وعن الناس، وعن رجال يهود، وكيف ما بيننا من تلك الحروب. فكل ذلك أخبره حتى انتهى إلى ذكر جبلة، فقال: كيف تجد جبلة، فقد انقطعت إليه وتركتنا؟ فقلت: إن جبلة منك وانت منه. فلم أجر إلى مدح ولا عيب، وجاز ذلك إلى غيره ثم قال: الغداء. فأتى بالغداء ووضع الطعام، فوضع يده فأكل أكلاً شديداً، وإذا رجل جبار، فقال بعد ساعة: ادن فأصب من هذا .فدنوت فخططت تخطيطاً، فأتي بطعام كثير، ثم رفع الطعام وجاء وصفاء كثير عددهم، معهم الأباريق فيها ألوان الأشرابة. ومعهم مناديل اللين فقاموا على رؤوسنا، ودعا أصحاب برابط من الروم فأجلسهم وشرب فألهوه، وقام الساقي على رأسي فقال: اشرب. فأبيت حتى قال هو: اشرب. فشربت، فلما أخذ فينا الشراب أنشدته شعراً فأعجبه ولد به، فأقمت عنده

أياماً فقال لي حاجبه: إن له صديقاً هو أخف الناس عليه، وهو جاء، فإذا هو جاء جفاك وخلص به وقد ذكر قدومه، فاستأذنة قبل أن يقدم عليه، فإنه قبيح أن يجفوك بعد الأكرام، والإذن اليوم أحسن. قلت: ومن هو؟ قال: نابغة بني ذبيان. فقلت للحارث: إن رأى الملك أن يأذن لي في الانصراف إلى أهلي فعل. قال: قد أذنت لك وأمرت لك بخمسمائة دينار وكسى وحملان . فقبضتها وقدم النابغة وخرجت إلى اهلي.

ألاإن ليلى العامرية أصبحت — على النأي مني ذنب غيري تتقم
وما ذاك من شيء أكون اجتر منه — إليها فتجزبني به حيث أعلم
ولكن إنساناً إذا مل صاحباً — وحاول صوماً لم يزل يتجرم
وما زال بي ما يحدث النأي والذي — أعالج حتى كدت بالعيش أبرم
وما زال بي الكتمان حتى كأنني — برجع جواب السائلي عنك أعجم
لأسلم من قول الوشاة وتسلمي — سلمت وهل حي من الناس يسلم

عروضه من الطويل. الشعر لنصيب، ومن الناس من يروي الثلاثة الأبيات الأول للمجنون. والغناء لبديح مولىعبد الله بن جعفر رحمهماالله.

وفي الأبيات الأول منها ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي وحبش. وذكره حماد بن إسحاق و لم يجنسه. وفيه لابن سريج هزج خفيف بالبنصر في مجراها عن إسحاق في البيتين الأخيرين. وفيه لمعبد في البيتين الأولين خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

خبر بديح في هذا الصوت وغيره

بديح مولى عبد الله بن جعفر، وكان يقال له بديح المليح. وله صنعة يسيرة وإنما كان يغني أغاني غيره مثل سائب خاثر، ونشيط، وطويس، وهذه الطبقة. وقد روى بديح الحديث عن عبد الله بن جعفر.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا العباس بن محمد الدوري قال: حدثنا أبو عاصم النبيل عن جويرية بن أسماء، عن عيسى بن عمر بن موسى، عن بديح مولى عبد الله بن جعفر قال:

لما قدم يحيى بن الحكم المدينة دخل إليه عبد الله بن جعفر في جماعة فقال له يحيى: جئتني بأوباش من أوباش خبثة ؟ فقال عبد الله: سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وتسميها أنت خبثة ؟! أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: قال دواد بن جميل حدثني من سمع هذا الحديث من ابن العتبي يذكره عن أبيه قال: دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وهو يتأوه، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب وفنون الأسمار؟ قال: لست صاحب هزل، والجد مع علتي أحجى بي. قال: وما علتك يا أمير المؤمنين؟ قال: هاج بي عرق النسا في ليلتي هذه، فبلغ مني. قال: فإن بديحا مولاي أرقى الناس منه. فوجه إليه عبد الملك

فلما مضر الرسول سقط في يدي ابن جعفر وقال: كذبة قبيحة عند خليفة. فما كان باسرع من أن طلع بديح فقال: كيف رقيتك من عرق النسا. قال: أرقى الخلق يا أمير المؤمنين. قال: فسري عن عبد اللهللأن بديحاً كان صاحب فكاهة يعرف بها؛ فمد رجله فتفل عليها ورقاها مراراً، فقال عبد الملك: الله أكبر، وجدت والله خفا ، يا غلام ادع فلانة حتى تكتب الرقية، فإنا لا نأمن هيجها بالليل فلا نذعر بديحا. فلما جاءت الجارية قال بديح: يا أمير المؤمنين، أمراته الطلاق إن كتبتها حتى تجعل حبائي. فأمر له بأربعة آلاف درهم فلما صارالمال بين يديه قال: وامرأته الطلاق إن كتبتها أو يصير المال إلى مترلي. فأمر به فحمل إلى مترله، فلما أحرزه قال: ياأمير المؤمنين، امرأته الطلاق إن كنت قرأت على رجلك إلا أبيات نصيب:

ألا إن ليلى العامرية أصبحت على النأي مني ذنب غيري تنقم

وذكر الأبيات وزارد فيها:

وما زلت أستصفي لك الود أبتغي محاسنة حتى كأني مجرم

قال: ويلك ما تقول؟ قال امرأته الطلاق إن كان رقاك إلا بما قال: فاكتمها علي. قال: وكيف ذاك وقد سارت بها البرد إلى أخيك بمصر؟! فطفق عبد الملك ضاحكاً يفحص برجليه.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبه قال: حدثني الأصمعي عن المنتجع النبهاني، عن أبيه بهذا الخبر مثل الذي قبله. وزاد في الشعر:

فلا تصر ميني حين لالي مرجع ورائي ولا لي عنكم متقدم

وقال فيه: فسكن ما كان يجده عبد الملك، وأمر لبديح بأربعة آلاف درهم، فقال ابن جعفر لبديح: ما سمعت هذا الغناء منك مذ ملكتك! فقال: هذا من نتف سائب خاثر.

أخبرني إسماعيل قال حدثنا عمر قال حدثني القاسم بن محمد بن عباد عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن نافع- أراه نافع الخير مولى ابن جعفر- بهذا الخبر مثله، وزارد فيه أن بديحا رفع صوته يغنيه به لما قال له أن يكتب الرقية. وزاد فيه: فجعل عبد الملك يقول: مهلاً يابديح. فقال: إنما رقيتك كما علمت يا امير المؤمنين.

أخبرني إسماعيل قال حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو سلمة الغفاري عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال: كان ابن جعفر يحب أن يسمع عبد الملك غناء بديح، فدخل إليه يوماً فشكا إليه عبد الملك ركبته فقال له ابن جعفر: يا أمير المؤمنين، إن لي مولى كانت أمه بربرية، وكنت ترقى من هذه العلة، وقد أخذ ذلك عنها. قال: فادع به. فدعي بديح، فجعل يتفل على ركبة عبد الملك ويهمهم، ثم قال: قم يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك. فقام عبد الملك لايجد شيئاً، فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين مولاك لابد له من صلة. قال: حتى تكتب رقيته ثم أمر جاريةً له فكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم. فقال: ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم. قال: كيف تكون ويلك رقية ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: فاكتبيها على مافيها. فأملى عليها:

ديار سليمى بين عيقة فالمهدي سقيت، وإن لم تنطقي، سبل الرعد

ثم قال له ابن جعفر: لو سمعته منه. قال: أو يجيد؟ قال:نعم. قال: هات. فما برح والله حتى أفرغها في مسامعه.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال حدثني عمي عبيد الله قال: حدثني سليمان بن أبي شيخ قال:كنا عند أبي نعيم الفضل بن دكين فجاءه رجل فقال: يا أبا نعيم، إن الناس يزعمون أنك رافضي. قال: فأطرق ساعةً ثم رفع رأسه وهو يبكي وقال: يا هذا أصبحت فيكم كما قال نصيب:

وما زال بي الكتمان حتى كأنني نرجع جواب السائلي عنك أعجم

لأسلم من قول الوشاة وتسلمي سلمت وهل حي من الناس يسلم

ياغراب البين أسمعت فقل إنما تنطق شيئاً قد فعل

إن للخير وللشر مدى لكلا ذينك وقت وأجل

كل بؤس ونعيم زائل وبنات الدهر يلعبن بكل

والعطيات خساس بينهم وسواء قبر مثر ومقل

الشعر لعبد الله بن الزبعري السهمي، يقوله في غزاة أحد، وهو يومئذ مشرك. والغناء لابن سريج خفيف ثقيل أول بالبنصر، عن عمرو على مذهب إسحاق. وفيه لحن لابن مسجح من رواية حماد عن ابيه في كتاب ابن مسجح.

نسب ابن الزبعري وأخباره

وقصة غزوة أحد

هو عبد الله بن الزبعري بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن زار.

وهو أحد شعراء قريش المعدودين. وكان يهجو المسلمين ويحرض عليهم كفار قريش في شعره، ثم أسلم بعد ذلك فقبل النبي صلى الله عليه وسلم إسلامه وأمنه يوم الفتح.

وهذه الأبيات يقولها ابن الزبعري في غزوةأحد.

حدثنا بالخبر في ذلك محمد بن جرير الطبري قال حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال حدثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، ومحمد بن يحيى بن حيان ، وعاصم بن عمرو بن قتادة، والحصين بن عبد الرحمن بن عمروبن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا، كلهم قد حدث ببعض هذا الحديث، فقد اجتمع حديثهم كلهم فيما سقت من الحديث عن يوم احد. قالوا: لما أصيبت قريش، أو من قاله منهم يوم

بدر من كفار قريش، من أصحاب القليب، فرجع فلهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره، مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، في رجال من قريش، ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له في تلك العير من قريش تجارة، فقال أبو سفيان: يا معشر قريش، إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، لعلنا أن ندرك ثأراً ممن أصيب منا. فعلوا، فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة، وكل أولئك قد استغووا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي قد من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر، وكان في الأسارى فقال: يار رسول الله، إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها، فامنن علي صلى الله عليك فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم،فقال صفوان بن أمية: يا أباعزة، إنك امرؤ شاعر فاخرج معنا فأعنا بنفسك. فقال: إن محمداً قد من علي، فلا أريدأن أظاهر عليه. فقال: بلى فأعنا بنفسك، ولك الله إن رجعت أن أعينك، وإن أصبت أن جعل بناتك مع بناتي، يصيبهن ما أصابهن من عسر أو يسر. فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة، وخرج مسافع بن عبدة بن وهب بن حذافة بن جمح إلى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعا جبير بن مطعمغلاماً يقال له وحشي، وكان حبشياً ثقذف بحربة له قذف الحبشة، قلما يخطيء بها، فقال:اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت عم محمد بعمى طعيمة بن عدي فأنت عتيق. وخرجت قريش بحدها وأحابيشها ومن معها من بني كنانة وأهل تهامة، وخرجوا بالظعن التماس الحفيظة، ولئلا يفروا. وخرج أبو سفيان بن حرب وهو قائد الناس، معههند بنت عتبة بن ربيعة، وخرج عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة وخرج صفوان بن أمية بن خلف ببرزة-وقيل ببرة من قول أبي جعفر- بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية، وهي أم عبد الله بن صفوان. وخرج عمرو بن العاص ، وخرج طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الداربسلافة بنت سعد بن شهيل ، وهي أم بني طلحة: مسافع، والجلاس، وكلاب، قتلوا يومئذ وأبوهم. وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بني مالك بن حسل مع ابنها أبي عزة بن عمير، وهي أم مصعب بن عمير. وخرجت عمرة بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة.

وكانت هند بنت عتبة بين ربيعة إذا مرت بوحشي أو مربها قالت: إيه أبا دسمة اشتف . فنزلوا ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مما يلي المدينة، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلواحيث نزلوا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين: إني قد رأيت بقراً تذبح فأولتها خيراً، ورأيت في ذباب سيفي ثلما،ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة، وهي المدينة ، فإن رأيتم أت تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن هم دخلوا علينا فيها قاتلناهم.

ونزلت قريش مترلها من أحد يوم الأربعاء، فأقاموا به ذلك اليوم ويم الخميس ويموم الجمعة، وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الجمعة فأصبح بالشعب من أحد، فالتقوا يوم السبت للنصف من شوال. وكان رأي عبد الله بن أبي سول مع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم، يرى رأيه في ذلك: أن لايخرج إليهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج من المدينة، فقال رجال من المسامين، ممن أكرم الله جل ثناؤه بالشهادة يوم وأحد وغيرهم ممن فاته بدر وحضوره: يا رسول الله صلى الله عليك وسلم اخرج بنا إلى أعدائنا لايرون أنا جبنا عنهم وضعفنا. فقال عبد الله بن أبي بن سلول: يا رسول الله أقم بالمدينة، ولا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا، ولا يدخلها علينا إلا أصبنا منهم، فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا بشر مجلس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوق رؤوسهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا. فلم يزل برسول الله صلة الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حب لقاء العدو، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لأمته، وذلك يوم الجمعة، حين فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة. وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو، أحد بني النجار فصلى علية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج عليهم، وقد ندم الناس: وقالوا أستكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يكن ذلك لنا! فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فقالوا: يا رسول الله اسكرهناك و لم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك. فقال عليه السلام: ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل قال: فخرج رسول الله صلى الله عيه وسلم في ألف رجل من أصحابه، حتى إذا كانوا بالشرط، بين أحد والمدينة، انخزل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الناس، وقال أطاعهم فخرج وعصاني، والله ما ندري علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس. فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه، من أهل النفاق والريب، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أحد بني سلمة يقول: ياقوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوهم.فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكنا لانرى أنه يكون قتال. فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عز وجل عنكم.

وقال محمد بن عمر الواقدي: انخزل عبد الله بن أبي عن رسول الله صلى الله عيه وسلم من الشيخين بثثمائة، فبقي رسول الله صالى الله عليه وسلم في سبعمائة، وكان المشركون في ثلاثة آلاف، والخيل مائتا فارس، والظعن خمس عشرة امرأة.

قال: وكان في المشركين سبعمائة دارع، و لم يكن معهم من الخيل إلا فرسان: فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وفرس لأبي بردة بن نيار الحارثي. فادلج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشيخين حتى طلع الحمراء، وهما أطمان كان يهودي ويهودية أعميان يقومان عليهما فيتحدثان، فلذلك سميا الشيخين، وهما في طرف المدينة.

قال: وعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لمقاتلة بعد المعزب، فأجاز من أجاز، ورد من رد. قال: وكان فيمن

ردزيد بن ثابت، وأبو عمرو أسيد بن ظهير، والبراء بن عازب، وعرابة بن أوس. قال: وهو عرابة الذي قال فيه الشماخ:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

قال: ورد أبا سعيد الخدري، وأجاز سمرة بن جندب، ورافع بن خديج. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استصغر رافعاً، فقام على خفين له فيهما رقاع، وتطاول على أطراف أصابعه، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم أجازه.

قال محمد بن جرير: فحدثني الحاث قال: حدثنا ابن سعد قال: أخبرني محمد بن عمر قال: كانت أم سمرة تحت مري بن سنان بن ثعلبة . عم أبي سعيد الخدري، وكان ربيه ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد وعرض أصحابه فرد من استصغر، رد سمرة بن جندب، واجاز رافع بن خديج، فقال سمرة لربيبه مري بن سنان: أجاز رافعاً وردني وأنا أصرعه! فقال يا رسول الله: رددت ابني واجزت رافع بن خديج وابني يصرعه؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لرافع وسمرة: اصطرعا. فصرع سمرة رافعاً، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشهدها مع المسلمين، وكان دليل النبي صلى الله عليه وسلم أبو خيثمة الحارثي.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك في حرة بني حارثة، فذب فرس بذنبه فأصاب كلاب سيف فاسته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم-وكان يحب الفأل ولا يعتاف- لصاحب السيف: شم سيفك فإني أرى السيوف ستستل اليوم! ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه:"من رجل يخرج بنا على القوم من كثب من طريق لايمر بنا عليهم؟"، فقال أبوخيثمة، أخو بني حارثة بن الحارث: انا يا رسول الله. فقدمه فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم، حتى سلكبه في مال المربع بن قيظي، وكان رجلاً منا فقاً ضرير البصر، فلما سمع حس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين قام يحثي التراب في وجوههم ويقول: إن كنت رسول الله فلا أحل لك أن تدخل حائطي. قال: وقد ذكر لي أنه أخذ حفنة من تراب في يده قم قال: لو أني أعلم أني لا أصيب بها غيرك لضربت بها وجهك! فابتدره القوم ليقتلوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم"لاتفعلوا فهذا الأعمى البصر الأعمى القلب!" وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، فضربه بالقوس في رأسه فشجه، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه حتى نزل السعب من أحد في عدوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال: لا يقاتلن أحد أحداً حتى نأمره بالقتال. وقد سرحت قريش الظهر والكراع في زروع كانت بالصمعة من قناة للمسلمين، فقال رجل من المسلمين حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال: أترعى زروع بني قيلة

ولما نضارب! وتعبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في سبعمائة رجل، وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف، ومعهم مائتا فارس قد جنبوا خيولهم، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف، وهو يومئذ معلم بثياب بيض، والرماة خمسمون رجلاً، وقال: انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا، فأثبت بمكانك لا تؤتين من قبلك. وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين.

قال محمد بن جرير: فحدثنا هارون بن إسحاق قال: حدثنا مصعب بن المقدام قال: حدثنا أبو إسحاق عن البراء قال: لما كان يوم أحد ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين أجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالاً بإزاء الرماة، وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال لهم: لاتبرحوا مكانكم وإن رأيتمونا ظهرنا عليهم، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا.

فلما لقي القوم هزم المشركين، حتى رأيت النساء قد رفعن عن سوقهن وبدت خلاخيلهن فجعلوا يقولون: الغنيمة الغنيمة!! فقال عبد الله: مهلاً أما علمتم ما عهد إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأبو فانطلقوا، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأصيب من المسلمين سبعون رجلاً.

قال محمد بن جرير: حدثني محمد بن سعد قال: حدثني أبي قال: حدثني عمي قال: حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال:

أقبل أبو سفيان في ثلاث ليال خلون من شوال حتى نزل أحداً، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن في الناس فاجتمعوا، وأمر الزبير على الخيل، ومعه يومئذ المقداد الكندي، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية رجلاً من قريش يقال له مصعب بن عمير، وخرج حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه بالجيش، وبعث حمزة بين يديه. وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين، ومعه عكرمة بن أبي جهل، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير، وقال: استقبل خالد بن الوليد فكن بإزائه حتى أوذنك. وأمر بخيل أخرى فكانوا من جانب آخر، فقال: لاتبرحن حتى أوذنكم. وأقبل أبو سفيان يحمل الآت والعزى، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الزبير أن يحمل، فحمل على خالد بن الوليد فهزمه الله تعالى ومن معه، فقال جل وعز:"ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه" إلى قوله تبارك اسمه وتعالى"من بعدما أراكم ما تحبون" وإن الله تعالى وعد المؤمنين النصر وأنه معهم. وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ناساً من الناس فكانوا من ورائهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كونوا ها هنا، فردوا وجه من فرمنا وكونوا حرساً لنا من قبل ظهورنا. وإنه عليه السلام لما هزم القوم هو وأصحابه قال الذين كانوا جعلوا من ورائهم بعضهم لبعض-ورأوا النساء مصعدات في الجبل، ورأو الغنائم-: انطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدركوا الغنائم قبل أن تسبقوا إليها. وقالت طائفة أخرى: بل نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنثبت مكاننا. فقال ابن مسعود: ما شعرت أن أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يومئذ.

قال محمد بن جرير: حدثني محمد بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن الفضل قال حدثنا أسباط عن السدي قال: لما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد إلى المشركين أمر الرماة فقاموا بأصل الجبل في وجوه خيل المشركين وقال لهم:لاتبرحوا مكانكم إن رأيتم قد هزمناهم، فإنا لانزال غالبين ما ثبتم مكانكم. وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير. ثم إن طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام فقال: يا معاشر أصحاب محمد، إنكم تزعمون أن الله عز وجل تعجلنا بسيوفكم إلى النار، وتعجلكم بسيوفنا إلى الجنة، فهل منكم أحد يعجله الله بسيفي إلى الجنة، أو يعجلني بسيفه إلى النار؟ فقالم إليه علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله عز وجل بسيفي إلى النار، أو يعجلني بسيفك إلى الجنة! فضربه علي فقطع رجله فبدت عورته فقال: أنشدك الله والرحم يا ابن عم. فتركه فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال لعلي وأصحابه: ما منعك أن تجهز عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشدني حين انكشفت عورته، فاستحييت منه. ثم شد الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم، وحمل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فهزموا أبا سفيان، فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين حمل فرمته الرماة فانقمع ، فلما نظر الرماة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتبهونه بادروا الغنيمة فقال بعضهم: لانترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وانطلق عامتهم فلحقوا بالعسكر، فلما رأى خالد قلة الرماة صاح في خيله، ثم حمل فقتل الرماة، وحمل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل تبادروا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم.

رجع إلى حديث ابن إسحاق

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقالم إليه رجال، فأمسكه بينهم، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بني ساعدة فقال: وما حقه يارسول الله؟ قال: أن تضرب به في العدو حتى ينحني . فقال: أنا آخذه بحقه يا رسول الله. فأعطاه إياه. وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت، وكان إذا أعلم على رأسه بعصابة له حمراء علم الناس أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله أخذ عصابته تلك فعصب بها رأسه، ثم جعل يتبختر بين الصفين.

قال محمد بن إسحاق: حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن رجل من الأنصار من بني سلمة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دجانة يتبختر: إنها مشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن. وقد أرسل أبو سفيان رسولاً فقال: يا معشر الأوس والخزرج، خلوا بيننا وبين ابن عمنا ننصرف عنكم، فإنه لاحاجة بنا إلى قتالكم. فردوه بما يكره.
وعن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أن أبا عمرو بن صيفي بن النعمان بن مالك بن أمية، أحد

بني ضبيعة وقد خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه خمسون غلاماً من الأوس، منهم عثمان بن حنيف-وبعض الناس يقول: كانوا خمسة عشر- فكان يعد قريشاً أن لو قد لقي محمداً لم يختلف عليه منهم رجلان. فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عمر في الأحابيش وعبدان أهل مكة، فنادى: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر.

قالوا: فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق. وكان أبو عامر يسمى في الجاهلية الراهب، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق. فلما سمع ردهم عليه قال: لقد أصاب قومي بعدي شر! ثم قاتلهم قتالاً شديداً ثم راضخهم بالحجارة . وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال: يا بني عبد الدار، إنكم وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم، وغنما يؤتى الناس من قبل راياتهم، إذا زالت زالوا، فإما أن تكفونا لواءنا، وإما أن تخلوا بيننا وبينه فسنكفيكموه، فهموا به وتوعدوه وقالوا: نحن نسلم إليك لواءنا؟! ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع! وذلك الذي أراد أبو سفيان. فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللواتي معها، وأخذن الدفوف يضربن خلف الرجال، ويحرضنهم، فقالت هند فيما تقول:

إن تقبلوا نعانق ونفوس النمارق

أو تدبروا تفارق فراق غير وامق

وتقول:

إيهاً بني عبد الدار أيها حماة الأدبار

ضرباً بكل بتار

واقتل الناس حتى حميت الحرب، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس، وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب عليهما السلام في رجال من المسلمين، فأنزل الله نصره، وصدقهم وعده، فحسوهم بالسيف حتى كشفوهم، وكانت الهزيمة.

وعن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عن جده قال قال الزبير: والله لقد رأيتني أنظر إلى هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب، ما دون أخذهن قليل ولا كثير، إذا مالت الرماة إلى الكر حتى كشفنا القوم عنه يريدون النهب، وخلوا ظهورنا للخيل، فأتينا من ادبارنا وصرخ صارخ: ألا إن محمد قد قتل: فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء، حتى ما يدنو إليه أحد من القوم.

وعن محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم أن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية، فرفعته لقريش فلا ذوابها، وكان اللواء مع صواب غلام لبني أبي طلحة جشي، فكان آخر من أخذه منهم، فقاتل حتى قطعت يداه، فبرك عليه وأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه وهو يقول: اللهم قد أعذرت! فقال حسان بن ثابت في قطع يد صواب حين تقادفوا بالشعر:

فخرتم باللواء وشر فخر لواء حين رد إلى صواب
جعلتم فخركم فيها لعبد من الأم من وطي عفر التراب
ظننتم والسفيه له ظنون وما إن ذاك من أمر الصواب
بأن جلادنا يوم التقينا بمكة بيعكم حمر العياب
أقر العين إن عصبت يداه وما أن يعصبان على خضاب

قال محمد بن جرير: وحدثنا أبو كريب قال: حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا حبان بن علي عن محمد بن عبد الله بن أبي رافع، عن أبيه عن جده قال:

لما قتل أصحاب الأولوية يوم أحد-قتلهم علي بن أبي طالب عليه السلام- أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من مشركي قريش فقال لعلي: احمل عليهم. فحمل علي ففرق جمعهم، وقتل عمرو بن عبد الله بن الجمحي، ثم أبصر جماعةً من مشركي قريش فقال لعلي؛ احمل. فحمل علي ففرق جمعهم، وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤي، فقال جبريل عليه السلام: يار رسول الله إن هذه للمواساة . فقال رسول الله صالى الله عليه وسلم"هو مني وأنا منه"، فقال جبريل عليه السلام:وانا منكم! قال: فسمعوا صوتاً:

لاسيف إلا ذو الفقا ر ولا فتى إلا علي

فلما أتي المسلمون من خلفهم انكشفوا، وأصاب منهم المشركون، وكان المسلمون لما أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثاً: وثلث جريح، وثلث منهزم وقد جهدته الحرب حتى ما يدري ما يصنع. وأصيبت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم السفلى، وسقت شفته، وكلم في وجنته وجبهته في أصول شعره، وعلاه ابن قمئة بالسيف على شقه الأيمن، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص.

قال محمد بن جرير: وحدثنا ابن يسار قال حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن انس بن مالك قال: لما كان يوم أحد كسرت رباعية رسول الله صلى الله عله وسلم وشج، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: "كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم، وهو يدعوهم إلى الله تعالى!". فأنزل الله عز وجل: "ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم". الآية. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غشية القوم: من رجل يشري لي نفسه؟.

قال محمد: فحدثني ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق قال: حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن محمود بن عمرو بن يزيد بن السكن قال: فقام زياد بن السكن في نفر خمسة من الأنصار- وبعض الناس يقول: إنما هو عمارة بن زياد بن السكن- فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً ثم رجلا، يقتلون دونه حتى كان آخرهم زياد بن عمارة بن زياد بن السكن، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت من المسلمين فئة حتى أجهضوهم عنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أدنوه مني. فأدنوه منه فوسده

قدمه، فمات وخده على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وترس من دون النبي صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه، يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثرت فيه النبل. ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال سعد: فلقد رأيته يناولني ويقول: فداكأبي وأمي، حتى إنه ليناولني السهم ما فيه نصل فيقول: ارم به! وعن محمد بن إسحاق قال حدثني عاصم بن عمر بن قنادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها، فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده، واصيبت يومئذ عين قنادة حتى وقعت على وجنته.

وعن محمد بن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قنادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها بيده فكانت أحسن عينيه وأحدهما. وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه لؤلؤة حتى قتل، وكان الذي أصابه ابن قمئة الليثي وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجع إلى قريش فقال: قد قتلت محمداً! فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء علي بن طالب عليه السلام. وقاتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حتى قتل أرطاة بن شر حبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء، ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشاني، وكان يكنى أبا نيار، فقال له حمزة : هلم إلي يا ابن مقطعة البظور- وكانت أمه ختانة بمكة مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي- فلما التقيا ضربه حمزة عليه السلام فقتله، فقال وحشي غلام جبير بن مطعم: إني لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه ما يليق شيئاً يمر به ، مثل الجمل الأورق، إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى فقال له حمزة: هلم إلي يا ابن مقطعة البظور. فضربه فلما أخطأ رأسه، وهززت حربتي حتى إذا ما رضيت دفعتها عليه فوقعت عليه في لبته حتى خرجت من بين رجليه، وأقبل نحوي فغلب فوقع، فأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حربتي ثم تنحيت إلى العسكر، و لم يكن لي بشيء حاجة غيره. وقد قتل عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، أحد بني عمرو بن عوف، مسافع بن طلحة وأخاه كلاب بن طلحة، كلاهما يشعره سهما فيأتي أمهفيضع رأسه في حجرها فتقول: يا بني من أصابك؟ فيقول: سمعت رجلاً يقول حين رماني: خذها إليك وأنا ابن أبي الأقلح! فتقول: أقلحي؟! فنذرت لله إن الله أمكنها من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر. وكان عاصم قد عاهد الله عز وجل أن لايمس مشركاً ولا يمسه.

عن ابن إسحاق قال حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع، أخو بني عدي بن النجار قال: انتهى أنس بن النضر، عم أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم ههنا؟ فقالوا: قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم! قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا كراماً على مامات عليه. ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل. وبه سمي أنس بن مالك.

عن ابن إسحاق قال: حدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين

ضربة وطعنة، فما عرفته إلا أخته، عرفته بحسن بنانه.
عن ابن إسحاق قال: كان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الناس: قتل رسول الله -كما حدثني ابن شهاب الزهري- كعب بن مالك أخو بني سلمة. قال: عرفت عينيه تزهران تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، أبشروا، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم! فأشار إلي عليه السلام: أن أنصت. فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به، ونهض نحو الشعب معه أبو بكر بن أبي قحافة، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، والحارث بن الصمة، في رهط من المسلمين رضي الله عنهم أجمعين.

فلما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب، أدركه أبي خلف وهو يقول: يا محمد لانجوت إن نجوت!فقال القوم: يار سول الله أيعطف عليه رجل منا؟ فقال: دعوه. فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارثبن الصمة. قال: يقول بعض الناس فيما ذكر لي: فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتفض بها انتفاضةً تطايرنا عنه تطايرالشعراء من ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ بها عن فرسهمراراً . وكان أبي بن خلف- كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن صالح عن إبراهيم بن عبد الرحمنبن عوف-يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول: يامحمد، إن عندي العود اعلفه كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليه! فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى. فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في حلقه خدشاً غير كبير، فاحتقن الدمقال: قتلني والله محمد! قالوا: ذهب والله فؤادك، والله ما بك بأس. قال: إنه كان بمكة قال لي : أنا أقتلك، فوالله لو بصق علي لقتلني. فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة، فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلمإلى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درقته من المهراس ثم جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب منه وغسل عن وجهه الدم، وصب على رأسه وهو يقول:" اشتد غضب الله عز وجل على من دمى وجه نبيه".
قال محمد بن إسحاق: حدثني صالح بن كيسان عمن حدثه عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يقول: والله ماحرصت على قتل رجل قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص، وإن كان ما علمت لسيء الخلق مبغضاً في قومه، ولقد كفاني منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" اشتد غضب الله على من دمى وجه رسول الله"
قال حدثنا محمد بن إسحاق قال: حدثني صالح بن كيسان قال: خرجت هند والنسوة اللواتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدعن الآذان والآنف، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنفهم خدماً وقلائد ، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطها وحشيا غلام جبير بن مطعم، وبقرت عن كبد حمزة عليه السلام، فأخرجت كبده فلاكتها، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها، ثم علت على صخرة مشرفة فصاحت بأعلى صوتها بما قالت من الشعر حين ظفروا بما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال حدثني صالح بن كيسان أنه حدث أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال لحسان: يا ابن الفريعة، لو سمعت ما تقترل هند ورأيت أشرها قائمة على صخرة ترتجز بنا وتذكر ما صنعت بحمزة؟ قال له حسان: والله إني لأنظر إلى الحربة تهوي وإني على رأس فارع-يعني أطمه- فقلت: والله، إن هذه لسلاح ما هي بسلاح العرب، وكأنها إنما تهوي إلى حمزة ولا أدري، أسمعني بعض قولها أكفكموها. قال: فأنشده عمر بعض ما قالت، فقال حسان يهجو هنداً:

أشرت لكاع وكان عادتها ... لؤماً إذا أشرت من الكفر

لعن الإله وزوجها معها ... هند الهنود طويلة البظر

أخرجت مرقصة إلى أحد ... في القوم مقتبةً غلى بكر

بكر ثقال لاحراك به ... لاعن معاتبة ولا زجر

وعصاك استك تتقين بها ... دقي العجابة منك بالفهر

قرحت عجيزتها ومشرجها ... من دأبها نصا على الفتر

ظلت تداويها زميلتها ... بالماء تنضحه والسدر

أخرجت ثائرة مبادرةً ... بأبيك فاتك يوم ذي بدر

وبعمك المستوه في ردع ... واخيك منعفرين في الجفر

ونسيت فاحشة أتيت بها ... ياهند ويحك سيئة الذكر

فرجعت صاغرة بلا ترة ... منا ظفرت بها ولا نصر

زعم الولائد أنها ولدت ... ولداً صغيراً كان من عهر

قال محمد بن جرير: ثم إن أبا سفيان بن حرب أشرف على القوم فيما حدثنا هارون بن إسحاق قال:حدثنا مصعب بن المقدام قال حدثنا إسرائيل، وحدثنا ابن وكيع قال: حدثنا أبي عن إسرائيل قال حدثنا ابن إسحاق عن البراء قال:

ثم إن أبا سفيان أشرف علينا فقال: أفي القوم محمد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لاتجيبوه! مرتين، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاثا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:لاتجيبوه! . ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا، لو كانوا في الأحياء لأجابوا! فلم يملك عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفسه أن قال: كذبت ياعدوا الله، قد أبقى الله لك ما يخزيك. فقال: أعل هبل! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجيبوه. قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا الله أعلى وأجل قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجيبوه. قالوا ما تقول؟ قال: قولوا: ما نقول؟ قال: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم. قال أبوسفيان:

يوم بيوم بدر، والحرب سجال، أما إنكم ستجدون في القوم مثلاً لم أمر بها و لم تسؤني.
لما أجاب عمر رضي الله عنه أبا سفيان قال له أبو سفيانك هلم يا عمر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ايته فانظر ما شأنه؟ فجاءه فقال له سفيان: أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً؟ فقال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن. قال: أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر؛ لقول ابن قمئة لهم: إني قتلت محمداً. ثم نادى أبو سفيان فقال: إنه قد كان مثل والله ما رضيت ولا سخطت، ولا أمرت ولا نهيت، وقد كان الحليس بن زبان، أخو بني الحارث بن عبد مناة، وهو يومئذ سيد الأحابيش، قد مر بأبي سفيان بن حرب وهو يضرب في شدق حمزة عليه السلام وهو يقول: ذق عقق ! فقال الحليس: يا بني كنانة، هذا سيد قريش يصنع بابن عمه كما ترون لحما ! فقال اكتمها عليفإنها كانت زلة قال: فلما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى: ان موعدكم بدر، العام المقبل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله لرجل من أصحابه: قل: نعم، هي بيننا وبينك موعد.
خروج علي بن أبي طالب في أثر المشركين: ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون، فإن كانوا قد جبنوا متطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم ثم لأناجزنهم. قال علي: فخرجت في آثارهم أنظر ما يصنعون، فلما جنبوا الخيل وامتطوا الإبل توجهوا إلى مكة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي: أي ذلك كان فأخفه حتى يأتيني. قال علي: فلما رايتهم قد توجهوا إلى مكة أقبلت أصيح، ما أستطيع أن أكتم الذي أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما بي من الفرح، إذ رأيتهم انصرفوا إلى مكة عن المدينة،وفرغ الناس لقتلاهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم-كما حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعه المازني أخي بني النجار.
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع-وسعد أخو بني الحارث بن الخزرج-أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ " . فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يار رسول الله ما فعل. فنظر فوجده جريحاً في القتلى به رمق. قال: فقلت له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن انظر له افي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: فأنا في الأموات. أبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله خير ما جزى نبياً عن امته، وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم: إن سعد بن لاربيع يقول: لاعذر لكم عند الله جل وعز إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف. ثم لم أبرح حتى مات رحمه الله، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته.
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما بلغني، يلتمس حمزة بن عبد المطلب عليه السلام، فوجده ببطن الوادي قد يقر بطنه عن كبده، ومثل به فجدع أنفه وأذناه.

وعن ابن إسحاق قالك فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى بحمزة ما رأى: "لولا أن تحزن صفية أو تكون سنةً من بعدي لتركته حتى يكون في أجواف السباع ومواصل الطير، ولئن أنا أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم". فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على ما فعل بعمه قالوا: والله لئن أظهرنا الله عليهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط.

وعن محمد بن إسحاق قال: حدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس. قال ابن حميدة قال سلمة، وحدثني محمد بن إسحاق قال: فحدثنا الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن مقسم عن ابن عباس: أن الله عز وجل أنزل في ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين" إلى آخر السورة. فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر، ونهى عن المثلة.

قال ابن إسحاق فيما بلغني: خرجت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى حمزة وكان أخاها لأمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير: القها فأرجعها لاترى ما بأخيها. فلقيها الزبير فقال: يا أمه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر أن ترجعي. فقالت: و لم، فقد بلغني أنه مثل بأخي، وذلك في الله جل وعز قليل، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله تعالى؟ فلما جاء الزبير رسول الله صلى اله عليه وسلم فأخبره بذلك قال: خل سبيلها. فأتته فنظرت إليه وصلت عليه واسترجعت واستغفرت له، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به فدفن.

قال: حدثني محمد بن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد قال: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد، رجع حسيل بن جابر-وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان-وثابت بن وفش بن زعورا في الآطام مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: لا أبا لك ما تنتظر، فوالله إن بقي لواحد منا من عمره إلا ظمء حمار ، إنما نحن هامة اليوم أوغد ، أفلا تأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله يرزقنا شهادةً معه. فأخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس، و لم يعلم أحد بهما. فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما حسيل بن جابر اليمان فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه و لم يعرفوه، فقال حذيفة: أبي! قالوا: والله إن عرفناه وصدقوا. قال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه ، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزادته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً قال حدثني محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: كان فينا رجل أتي لاندري من أين هو، يقال له قزمان، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذكره:" إنه من أهل النار" فلما كان يوم أحد قاتل قتالاً شديداً فقتل هو وحده ثمانية من المشركين أو تسعة، وكان شهماً شجاعاً ذا بأس، فأثبتته الجراحة فاحتمل إلى دار بني ظفر، قال:فجعل رجال من المسلمين يقولون: والله لقد أبليت اليوم يا قزمان، فأبشر. قال:

بم أبشر؟ فوالله أن قاتلت إلا على حساب قومي، لولا ذلك ما قاتلت. فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته فقطع رواهشه فتزفه الدم فمات، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: إني رسول الله حقا.

وعن محمد بن إسحاق قال: حدثني حسين بن عبد الله عن عكرمة قال:

كان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال، فلما كان الغد من يوم أحد، وذلك يوم الأحد لست عشرة ليلة خلت من شوال، أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو، وأذن مؤذنه أن لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا بالأمس. فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري فقال: يارسول الله، إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع وقال لي: يا بني، إنه لاينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة بلا رجل فيهن، ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي، فتخلف على أخواتك. فتخلفت عليهن. فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه، وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهباً للعدو، وانهم خرجوا في طلبهم فيظنون أن بهم قوة، وان الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم.

عن محمد بن إسحاق: قال فحدثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان بن عفان، أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عبد الأشهل كان شهد أحداً. قال: فشهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا واخ لي، فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو قلت لأخي وقال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله ما لنا من دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل. فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت إيسر جرحاً منه، فكنت إذا غلب عليه حملته عقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهينا إلى حمراء الأسد، وهي من المدينة على ثمانية أميال، فأقام بها ثلاثاً: الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة.

قال ابن إسحاق عن عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أنه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي، وكان خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لايخفون عليه شيئاً كان بها، ومعبد يومئذ مشرك، فقال: يا محمد لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك، ولوددت أن الله قد أعفاك منهم. ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب بالروحاء ومن معه، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: أصبنا جد أصحابه وقادتهم وأشرافهم، ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم، لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم! فلما رأى أبو سفيان معبداً قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم، وندموا على ما صنعوا فيهم من الحنق عليكم، شيء لم أر مثله قط. قال: والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل. قال: فوالله لقد أجمعناالكرة لنستأصل شأفتهم . قال: فإني أنهاك عن ذلك، فوالله لقد

حملني ما رأيت على أن قلت فيه أبياتاً من شعر.

قال: وماذا قلت؟ قال قلت:

كادت تهد من الأصوات راحلتي ... إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل

فظلت عدواً أظن الأرض مائلة ... لما سموا برئيس غير مخذول

فقلت ويل بن حرب من لقائكم ... إذا تغطمطت البطحاء بالجيل

إني نذير لأهل السيل ضاحيةً ... لكل ذي إربه منهم ومعقول

من جيش أحمد لاوخش تنابلة ... وليس يوص ما أنذرت بالقيل

قال: فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه، ومر به ركب من عبد القيس فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قال: فلم؟ قالوا: نريد الميرة. قال: فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه، وأحمل لكم إبلكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم. قال: فإذا جئتموه فأخبروه أن قد أجمعنا السير إليهوإلى أصحابه، لنستأصل شأفتهم. فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، فقال رسول الله صلى عليه وسلم وأصحابه:" حسبنا الله ونعم الوكيل".

أمن ريحانة الداعي السميع ... يؤرقني وأصحابي هجوع

براني حب من لا أستطيع ... ومن هو للذي أهوى منوع

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

الشعر لعمرو بن معد يكرب الزبيدي، والغناء للهذلي، ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى، منرواية إسحاق. وفيه ثقيل أول على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة. وفيه لابن سريج رمل بالوسطى من رواية حماد عن أبيه.

ذكر عمرو بن معد يكرب وأخباره

هو عمرو بن معد يكرب بن عبد الله بن عمرو بن عصم بن عمرو بن زبيد، وهو منبه.

هكذا ذكر محمد بن سلام فيما أخبرنا به أبو خليفة عنه.

وذكر عمر بن شبة عن أبي عبيدة أنه عمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبد الله بن عمرو بن عصم بن زبيد بن منبه بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعب بن قحطان.

ويكنى أبا ثور، وأمه وأم أخيه عبد الله امرأة من جرم فيما ذكر، وهي معدودة من المنجبات.

أخبرنا محمد بن دريد قال: أخبرنا أو حاتم عن أبي عبيدة قال: عمرو بن معد يكرب فارس اليمن، وهومقدم على زيد الخيل في الشدة والبأس.

وروى علي بن محمد المدائني عن زيد بن قحيف الكلابي قال: سمعت أشياخنا يزعمون أن عمرو بن معد يكرب كان يقال له مائق بني زبيد، فبلغهم أن خثعم تريدهم، فتأهبوا لهم، وجمع معد يكرب بني زبيد، فدخل عمرو على أخته فقال: أشبعني إني غداً لكتيبة . قال: فجاء معد يكرب فأخبرته ابنته فقال: هذا المائق يقول ذاك؟ قالت: نعم. قال: فسليه ما يشبعه. فسألته فقال: فسليه ما يشبعه. فسألته فقال: فرق من ذرة، وعتر رباعية. قال: وكان الفرق يومئذ ثلاثة أصوع . فصنع له ذلك.

وذبح العتر وهيأ له الطعام. قال: فجلس عليه فسلته جميعاً. وأتتهم خثعم الصباح فلقوهم، وجاء عمرو فرمى بنفسه. ثم رفع رأسه فإذا لواء أبيه قائم، فوضع رأسه فإذا لواء أبيه قد زال، فقام كأنه سرحةمحرقة، فتلقى أباه وقد انهزموا فقال: انزل عنها، فاليوم ظلم . فقال له: إليك يا مائق! فقال له بنو زبيد: خله أيها الرجل وما يريد، فإن قتل كفيت مؤقته، وإن ظهر فهو لك. فألقى إليه سلاحه فركب، ثم رمى خثعم بنفسه حتى خرج من بين أظهرهم، ثم كر عليهم وفعل ذلك مراراً، وحملت عليهم بنو زبيد فانهزمت خثعم وقهروا، فقيل له يومئذ: فارس زبيد.

قال أبو عمرو الشيباني: كان من حديث عمرو بن معد يكرب بن ريعة بن عبد الله بز زبيد بن منبه بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك- وهو مذحج- بن أددين زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، أنه قال لقيس بن مكشوح المرادي، وهو ابن أخت عمرو، حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا قيس، إنك سيد قومك، وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز، يقال له نبي، فانطلق بنا حتى نعلم علمه، وبادرفروة لايغلبك على الأمر. فأبى قيس ذلك وسفه رأيه وعصاه، فركب عمرو متوجها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: خالفتني ياقيس! وقال عمرو في ذلك:

أمرتك يوم ذي صنعا ... ء أمراً بينا رشده

أمرتك باتقاء اللل ... ه تأتيه وتتعده

فكنت كذي الحمير غ ... رة من أيوه وتده

قال أبو عبيدة: حدثنا غير واحد من مذحج قالوا: قدم علينا وفد مذحج، مع فروة بن مسيك المرادي، على النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلموا وبعث فروة صدقات من أسلم منهم وقال له: ادع الناس وتألفهم، فإذاوجدت الغفلة فاهبلها واغز.

فال أبو عمرو الشيباني: وإنما رحل فروة مفارقاً لملوك كندة مباعداً لهم، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كانتقبل الإسلام بين مراد وهمدانوقعة أصابت فيها همدان من مراد حتى أثختوهم، في يوم يقال له يوم الرزم ،

وكان الذي قاد همدان إلى مراد الأجدع بن مالك بن حريم الساعر الهمداني بن مسروق بن الأجدع، ففضحهميومئذ وفي ذلك يقول فروة بن مسيك المرادي:

فإن نغلب فغلابون قدماً وإن نهزم فغير مهزمينا

فلما توجه فروة إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنشأ يقول:

لما رأيت ملوك كندة أعرضت كالرجل خان الرجل عرق نساها

يممت راحلتي أمام محمد أرجو فواضلها وحسن ثراها

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له فيما بلغنا: هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرزم ؟ قال: يا رسول الله، من ذا الذي يصيب قومه مثل الذي أصاب قومي ولا يسوءه. فقال له: أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً! واستعمله على مراد وزبيد ومذحج كلها.

قال أبو عبيدة: فلم يلبث عمرو أن ارتد عن الإسلام، فقال حين ارتد:

وجدنا ملك فروة شر ملك حمار ساف منخره بقذر

وإنك لو رأيت أبا عمر ملأت بديك من غدر وختر

قال أبو عبيدة: فلما ارتد عمرو مع من ارتد عن الإسلام من مذحج، استجاش فروة النبي صال الله عليه وسلم، فوجه إليهم خالد بن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد، وقال لهما: إذا اجتمعتم فعلي بن أبي طالب أميركم وهو على الناس. ووجه علياً عليه السلام فاجتمعوا بكسر من أرض اليمن، فاقتتلوا وقتل بعضهم ونجا بعض، فلم يزل جعفر وزبيد وأود بنو سعد العشيرة بعدها قليلة.

وفي هذا الوجه وقعت الصمصامة إلى آل سعيد، وكان سبب وقوعها إليهم أن ريحانة بنت معد يكرب سبيت يومئذ، ففداها خالد، وأثابه عمرو الصمصامة ، فصار إلى أخيه سعيد، فوجد سعيد جريحاً يوم عثمان بن عفان رضي الله عنه حين حصر وقد ذهب السيف والغمد، ثم وجد الغمد، فلما قام معاوية جاءه إعرابي بالسيف بغير غمد، وسعيد حاضر، فقال سعيد: هذا سيفي! فجحد الأعرابي مقالته، فقال سعيد: الدليل على أنه سيفي أن تبعث إلى غمده فتغمده فيكون كفافه. فبعث معاوية إلى الغمد فأتى به من منزل سعيد فإذا هو عليه، فأقر الأعرابي أنه أصابه يوم الدار، فأخذه سعيد منه وأثابه، فلم يزل عنده حتى أصعد المهدي من البصرة، فلما كان بواسط بعث إلى سعيد فيه، فقال: إنه للسبيل. فقال: خمسون سيفاً قاطعاً أغنى من سيف واحد. فأعطاهم خمسين ألف درهم وأخذه.

وذكر ابن النطاح أن المدائني حكى عن أبي اليقظان عن جويرية بن أسماء قال: أقبل النبي صلى الله عليه وسلم من غزاة تبوكيريد المدينة، فأدركه عمرو بن معد يكرب الزبيدي في رجال من زبيد، فتقدم عمرو ليلحق برسول الله

صلى الله عليه وسلم، فأمسك حت أوذن به، فلما تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير قال: حياك الله إلهك، أبيت اللعن! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنلعنة الله وملائكته والناس أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. فآمن بالله يؤمنك يوم الفزع الأكبر". فقال عمرو بن معد يكرب: وما الفزع الأكبر؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنه فزع ليس كما تحسب وتظن، إنه يصاح بالناس صيحة لايبقى حي إلا مات، إلا ماشاء الله من ذلك، ثم يصاح بالناس صيحة لايبقى ميت إلا نشر، ثم تلج تلك الأرض بدوي تنهد منه الأرض، وتخر منه الجبال، وتنشق السماء انشقاق القبطية الجديد ما شاء الله في ذلك، ثم تبرز النار فينظر إليها حمراء مظلمة قد صارلها لسان في السماء، ترمي بمثل رؤوس الجبال من شرر النار، فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه، وذكر ذنبه. أين أنت يا عمرو قال: إني أسمع أمراً عظيماً! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عمروأسلم تسلم. فأسلم وبايع لقومه على الإسلام، وذلك منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزاة تبوك، وكانتفي رجب من سنة تسع .

وقال أبو هارون السكسكي البصري: حدثني أبو عمرو المديني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا نظر إلى عمرو قال: الحمد لله الذي خلقنا وخلق عمراً تعجباً من عظم خلقه.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة عن خالد بن خداش عن أبي نميلة قال: أخبرني رميح عن أبيه قال: رأيت عمرو بن معد يكرب في خلافة معاوية شيخاً أعظم ما يكون من الرجال، أجش الصوت، إذا التفت التفت بجميع جسده. وهذا خطأ من الراوية.

والصحيح أنه مات في آخر خلافة عمر رضي الله عنه، ودفن بروذة بين قم والري. ومن الناس من يقول إنه قتل في وقعة نهاوند، قبره في ظاهرها موضع يعرف بقبد يشجان ، وانه دفن هناك يومئذ هو والنعمان بن مقرن.

وروى أيضاً من وجه ليس بالموثوق به، أنه أدرك خلافة عثمان رضي الله عنه، روى ذلك ابن النطاح عن مروان بن ضرار عن أبي إياس البصري، عن أبيه، عن جويرية الهذلي في حيث طويل قال:

رأيت عمرو بن معد يكرب وأنا في مسجد الكوفة في خلافة عثمان، حين وجهه إلى الري، كأنه يعير مهنوء.

وقال ابن الكلبي: حدثني أسعر، عن عمرو بن جرير الجعفي قال: سمعت خالد بن قطن يقول: خرج عمرو بن معد يكرب في خلافة عثمان رضي الله عنه إلى الري ودستبي ، فضربه الفالج في طريقه فمات بروذة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال: أخبرني خالد بن خداش قال حدثنا حماد بن زيد عن مجالد عن الشعبي: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرض لعمرو بن معد يكرب في ألفين، فقال له: يا أمير المؤمنين ألف ههنا وأومأ إلى شق بطنه الأيمن، وألف ههنا وأومأ إلى شق بطنه الأيسر- فما يكون ها هنا؟ وأومأ إلى وسط بطنه.

فضحك عمرو رضوان الله عليه وزاده خمسمائة.

قال علي بن محمد : قال أبو اليقظان: قال عمرو بن معد يكرب: لو سرت بظعية وحدي على مياه معد كلها

ماخفت أن أغلب عليها، ما لم يلقني حراها أو عبداها . فأما الحران فعامر بن الطفيل وعيبة بن الحارث بن شهاب، واما العبدان فأسود بني عبس، يعني عنترة والسليك بن السلكة، وكلهم قد لقيت. فأما عامر بن الطفيل فسريع الطعن على الصوت، و؟أما عتيبة فأول الخيل إذا غارت، وآخرها إذا آبت. وأما عنترة فقليل الكبوة شديد الكلب . وأما السليك فبعيد الغارة، كالليث الضاري. قالوا: فما تقول في العباس بن مرادس؟ قال: أقول فيه ما قال في:

إذا مات عمرو قلت للخيل أوطئوا زبيداً فقد أودى بنجدتها عمرو

وقام مغضباً وعلم أنهم أرادوا توبيخه بالعباس.

قال علي: وقال أبو اليقظان: أحسب في اللفظ غلطاً وأنه إنما قال: هجينا مضر؛ لأن عنترة استرق والعباس لم يسترق قط.

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أحمدبن جناب عن عيسى بن يونس، عن إسماعيل ،عن قيس :أن عمر رضي الله عنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص: إني قد أمددتك بألفي رجل عمرو بن معد يكرب، وطليحة بن خويلد-وهو طليحة الأسدي-فشاورهما في الحرب ولا توهما شيئاً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أحمد بن جناب قال حدثناعيسى بن يونس،عن إسماعيل، عن قيس قال: شهدت القادسية وكان سعد على الناس، فجاء رستم فجعل يمر بنا وعمرو بن معد يكرب الزبيدي يمر على الصفوف يحض الناس ويقول: يا معشر المهاجرين، كونوا أسداًا أغنى شأنه ، فإنماالفارسي تيسبعد أن يلقي نيزكه .

قال: وكان مع رستم أسوار لاتسقط له نشابة. فقال له: يا أبا ثور، اتق ذاك! فإنا لنقول له ذلك إذ رماه رميةً فأصاب فرسه، وحمل عليه عمرو فاعتنقه ثم ذبحه، وسلبه سواري ذهب كانا عليه، وقباء ديباج.

قال أبو زيد : فذكر أبو عبيدة أن عمراً حمل يومئذ على رجل فقتله ثم صاح: يا معشر بني زبيد، دونكم فإن القوم يموتون! وقال علي بن محمد المدائني: واخبرنا محمد بن الفضل وعبد ربه بن نافع، عن إسماعيل عن قيس بن أبي حازم قال: حضر عمرو الناس وهم يقاتلون، فرماه رجل من العجم بنشابة فوقعت في كتفه، وكانت عليه درع حصينة فلم تنفذ، وحمل على العلج فعانقه فسقطا إلى الأرض، فقتله عمرو وسلبه، ورجع بسلبه وهو يقول:

أنا أبو ثور وسيفي ذو النون أضربهم ضرب غلام مجنون

يال زبيد إنهم يموتون

قال أبو عبيدة: وقال في ذلك عمرو بن معد يكرب:

ألم بسلمى قبل أن تظعنا إن لنا من حبها ديدنا

قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس إلا أنا

شككت بالرمح حياز يمه والخيل تعدو زيما بيننا

عنى فيه الغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر. وفيه رمل بالبنصر يقال إنه امعبد. ويقال إنه من منحول يحيى المكي.

قال أبو عبيدة في رواية أبي ويد عمر بن شبة: شهد عمرو بن معد يكرب القادسية وهو ابن مائة وست سنين. وقال بعضهم: بل ابن مائة وعشر. وقال: ولما قتل العلج عبر نهر القادسية هو وقيس بن مكشوح المرادي، ومالك بن الحارث الأشتر.

قال: فحدثني يونس أن عمرو بن معد يكرب كان آخرهم، وكانت فرسه ضعيفة فطلب غيرها، فأتي بفرس فأخذ بعكوة ذنبه وأخلد به إلى الأرض، فأفعى الفرس فرده، وأتى بآخر ففعل به مثل ذلك فتحلحل و لم يقع فقال: هذا على كل حال أقوى من تلك، وقال لأصحابه: إني حامل وعايبر الجسر، فإن أسرعتم بمقدار جزر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي أقاتل به تلقاء وجهي، وقد عقر بي القوم وأنا قائم بينهم وقد قتلت وجردت. وإن أبطأتم وجدتموني قتيلاً بينهم وقد قتلت وجردت. ثم انغمس فحمل في القوم فقال بعضهم: يا بني زبيد، تدعون صاحبكمواللهٰ مانرى أن تدركوه حياً. فحملوا فانتهوا إليه وقد صرع عن فرسه، وقد اخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها، وإن الفارس ليضرب الفرس فما تقدر أن تتحرك من يده. فلما غشيناه رمى الأعجمي بنفسه وخلى فرسه، فركبه عمرو وقال: أنا أبو ثور، كدتم واللهٰ تفقدونني! قالوا: أين فرسك؟ قال رمي بنشابة فشب فصرعني وعار .

وروى هذا الخبر محمد بن عمر الواقدي عن ابن أبي سبرة عن أبي عيسى الخياط. ورواه علي بن محمد أيضاً عن مرة عن أبي إسماعيل الهمذاني عن طلحة بن مصرف. فذكرا مثل هذا.

قال الواقدي: وحدثني أسامة بن زيد، عن أبان بن صالح قال: قال عمرو بن معد يكرب يوم القادسية: ألزموا خراطيم الفيلة السيوف، فإنه ليس لها مقتل إلا خراطيمها. ثم شدعلى رستم وهو على الفيل فضرب فيله فجذم عرقوبيه فسقط، وحمل رستم على فرس وسقط من تحته خرج فيه أربعون ألف دينار، فحازه المسلمون، وسقط رستم بعد ذلك عن فرسه فقتله.

قال علي بن محمد المدائني: حدثني علي بن مجاهد عن ابن إسحاق قال: لما ضرب عمرو الفيل وسقط رستم، سقط على رستم خرج كان على ظهر الفيل فيه أربعونألف دينار،فمات رستم من ذلك، وانهزم المشركون.

وقال الواقدي: حدثني ابن أبي سبرة، عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة مولى آل الزبير قال:حدثنا نيار بن مكرم الأسلمي ، قال: شهدت القادسية فرأيت يوماً اشتد فيه القتال بيننا وبين الفرس، ورأيت رجلاً يفعل يومئذ بالعدو أفاعيل، يقاتلفارساً ثم يقتحم عن فرسه ويربط مقوده في حقوه فيقاتل، فقلت: من هذا جزاه اللهٰ خيراً؟

قالوا: هذا عمر بن معد يكرب.

أخبرني محمد ين الحسن بن دريد قال: أخبرنا السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبي، عن خالد بن سعيد، عن أبي محمد المرهبي قال: كان شيخ يجالس عبد الملك بن عمير، فسمعته يحدث قال: قد عيينة بن حصن الكوفة فأقام بها أياماً ثم قال: والله مالي بأبي ثور عهد منذ قدمنا هذا الغائط- يعني عمرو بن معد يكرب- أسرج لي يا غلام. فأسرج له فرساً أنثى من خيله، فلما قربها إليه قال له: ويحك أرأيتني ركبت أنثى في الجاهلية فأركبها في الإسلام؟ فأسرج له حصاناً فركبه، وأقبل إلى محلة بني زبيد فسأل عن محلة عمرو فأرشد إليها، فوقف ببابه ونادى: أي أبا ثور، اخرج إلينا. فخرج إليه مؤتزراً كأنما كسر وجبر، فقال: انعم صباحاً أيا مالك. فقال: أوليس قد أبدلنا الله تعالى بهذا: السلام عليكم؟ قال: دعنا مما لانعرف، انزل فإن عندي كبشاً ساحا . فنزل فعمد إلى الكبش فذبحه ثم كشط عنه وعضاه ، وألقاه في قدر جماع ، وطبخة حتى إذا أدرك جاء بجفنة عظيمة فثرد فيها فأكفأ القدر عليها، فقعدا فأكلاه، ثم قال له: أي الشراب أحب إليك: اللبن أم ماكنا نتنادم عليه في الجاهلية؟ قال: أوليس قد حرمها الله جل وعز علينا في الإسلام؟ قال: أنت أكبرسناً أم أنا؟ قال: أنت. قال: فأنت أقدم إسلاماً أما أنا؟ قال: أنت. قال: فإني قد قرأت مابين دفتي المصحف فوالله ما وجدت لها تحريماً إلا أنه قال: "فهل أنتم منتهون" فقلنا: لا. فسكت وسكتنا! فقال له: أنت أكبر سناً وأقدم إسلاماً. فجاءا فجلسا يتناشدان ويشربان، ويذكران أيام الجاهلية، حتى مسيا، فلما أراد عيينة الانصراف. قال عمرو: لئن تنصرف أبو ملك بغير حباء إنه لوصمة علي. فأمر بناقة له أرحبية كأنها جبيرة لجين ، فارتحلها وحمله عليها، ثم قال: يا غلام هات المزود. فجاء بمزود فيه أربعة ألاف درهم، فوضعها بين يديه، فقال: أما المال فوالله لاقبلته. قال: والله إنه لمن جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فلم يقبله عيينه وانصرف وهو يقول:

جزيت أبا ثور جزاء كرامة فنعم الفتى المزدار والمتضيف

قريت فأكرمت القرى وأفدتنا نخيلة علم لم يكن قط يعرف
وقلت :حلال أن تدير مدامة كلون انعقاق البرق والليل مسدف
وقدمت فيها حجة عربية ترد إلى الإنصاف من ليس ينصف
وأنت لنا والله ذي العرش قدوة إذا صدنا عن شربها المتكلف
تقول: أبو ثور أحل حرامها وقول أبي ثور أسد وأعرف

وقال علي بن محمد: حدثني عبد الله بن محمد الثقفي عن أبيه، والهذلي عن الشعبي قال: جاءت زيادة من عند عمر بعد القادسية فقال عمرو بن معد يكرب لطليحة: أما ترى أن هذه الزعانف تزاد ولا نزاد، انطلق بنا إلى هذا الرجل حتى نكلمه. فقال: هيهات، وكلا والله لا ألقاه في هذا أبداً ، فلقد لقيني في بعض فجاج مكة فقال:

ياطليحة، أقتلت عكاشة ؟! فتوعدني وعيداً ظننت أنه قالتلي، ولا آمنه. قال عمرو: لكني ألقاه. قال: أنت وذاك. فخرج إلى المدينة فقدم على عمر رضي الله عنه وهو يغدي الناس وقد جفن لعشرة عشرة، فأقعده عمر مع عشرة فأكلوا وتمضوا، و لم يقم عمرو، فأقعد معه تكملة عشرة فأكلوا ونهضوا و لم يقم عمرو، فأقعده مع عشرة حتىأكل مع ثلاثين ثم قام، فقال: يا أمير المؤمنين إنه كانت لي ما كل في الجاهلية منعني منها الإسلام، وقد صررت في بطن صرتين وتركت بينهما هواء فسده. قال: عليك حجارة من حجارة الحرة فسده به يا عمرو، إنه بلغني أنك تقول إن لي سيفاً يقال له الصمصامة، وعندي سيف أسميه المصمم، وإني إن وضعته بين أذنيك لم أرفعه حتى يخالط أضراسك.

وذكر ابن الكلبي ومحمد بن كناسة أن جبيلة بن سويد بن ربيعة بن رباب، لقي عمرو بن معد يكرب وهو يسوق ظعناً له فقال عمرو لأصحابه: قفوا حتى آتيكم بهذه الظعن. فقرب نحوه حتى إذا دنا منه قال: خل سبيل الظعن. قال: فلم إذا ولدتني؟ ثم شد على عمرو فطعنه فأذراه عن فرسه وأخذ فرسه، فرجع إلى أصحابه فقالوا: ما وراءك؟ قال: كأني رأيت منيتي في سنانه.

وبنو كنانة يذكرون أن ربيعة بين مكدم الفراسي، طعن عمرو بن معد يكرب فأذراه عن فرسه وأخذ فرسه. وأنه لقيه مرة أخرى فضربه فوقعت الضربة في قربوس السرج فقطعه حتى عض السيف بكاثبة الفرس، فسالمه عمرو وانصرف.

قال المدائني: حدثني مسلمة بن محارب، عن دواد بن أبي هند قال: حمل عمرو بن معد يكرب حمالة ، فأتى مجاشع بن سمعود يسأله فيها.

وقال خالد بن خداش: حدثني أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن قال: بلغني أن عمراً أتى مجاشع بن مسعود فقال له: أسألك حملان مثلي، وسلاح مثلي. قال: إن شئت أعطيتك ذاك من مالي. ثم أعطاه حكمه. وكان الأحنف أمر له بعشرين ألف درهم، وفرس جواد عتيق، وسيفصارم، وجارية نفيسة، فمر ببني حنظلة فقالوا له: يا أبا ثور، كيف رأيت صاحبك؟ فقال: لله بنو مجاشع ما أشد في الحرب لقاءها، واجزل في اللزبات عطاءها ، وأحسن في المكرمات ثناءها، لقد قاتلتها فما أقللتها ، وسألتها فما أبخلتها، وهاجيتها فما أفحمتها!!.

وقال أبو المنهال عيينة بن المنهال: سمعت أبي يحدث قال: جاء رجل وعمرو بن معد يكرب واقف بالكناسة على فرس له، فقال: لأنظرن ما بقي من قوة أبي ثور. فأدخل يده بين ساقيه وبين السرج، وفطن عمرو فضمها عليه وحرك فرسه، فجعل الرجل يعدو مع الفرس لايقدرأن ينزع يده، حتى إذا بلغ منه قال: يا ابن أخي، مالك؟ قال: يدي تحت ساقك! فخلى عنه، وقال: يا ابن أخي، إن في عمك لبقية!! وكان عمرو مع ما ذكرنا من محله مشهوراً بالكذب: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي المبرد و لم يتجاوزه.

وذكر ابن النطاح هذا الخبر بعينه عن محمد بن سلام، وخبر المبرد أتم قال: كانت الأشراف بالكوفة يخرجون إلى ظاهرها يتناشدون الأشعار، ويتحدثون ويتذكرون أيام الناس، فوقف عمرو إلى جانب خالدين الصقعب

النهدي، فأقبل عليه يحدثه ويقول: أغرت على بني نهد فخرجوا إلي مسترعفين بخالد بن الصقعب يقدمهم، فطعنته طعنة فوقع، وضربته بالصمصامة حتى فاضت نفسه ! فقال له الرجل: يا أبا ثور إن مقتولك الذي تحدثه. فقال: اللهم غفراً إنما أنت محدث فاسمع، إنما نتحدث بمثل هذا وأشباهه لنرهب هذه المعدية.

قال محمد بن سلام: وقال يونس: أبت العرب إلا ان عمراً كان يكذب. قال: وقلت لخلف الأحمر وكان مولى الأشعريين، وكان يتعصب لليمانية، أكان عمرو يكذب؟ قال: كان يكذب باللسان، ويصدق بالفعال.

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة : أن سعداً كتب إلى عمر ضي الله عنه يثني على عمرو بن معد يكرب، فسأله عمر عن سعد فقال: هولنا كالأب أعرابي في نمرته ، أسد في تامورته ، يقسم بالسوية، ويعدل في القضية، وينفرد في السرية، وينقل إلينا حقنا كما تنقل الذرة فقال عمر رضوان الله عليه: لشد ما تقارضتما الثناء .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارث عن ابن سعد عن الواقدي عن بكير بن مسمار عن زياد مولى سعد قال: سمعت سعداً يقول وبلغه أن عمرو بن معد يكرب وقع في الخمر، وأنه قد دله. فقال: لقد كان له موطن صالح يوم القادسية، عظيم الغناء، شديد النكاية للعدو. فقيل له: فقيس بن مكشوح؟ فقال: هذا أبذل لنفسه من قيس، وإن قيساً لشجاع.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة.

ونسخت هذا الخبر من رواية ابن الكلبي خاصة: حدثني أسعر بن عمرو بن جرير، عن خالد بن قطن قال: حدثني من شهد موت عمرو بن معد يكرب، والرواية قريبة، وحكايتا عمر بن شبة وابن قتيبة عن أنفسهما و لم يتجاوزاها، قالا: كانت مغازي العرب إذ ذاك الري ودستبى ، فخرج عمرو مع شباب من مذحج حتى نزل الخان الذي دون روذة، فتغدى القوم ثم ناموا، وقام كل رجل منهم لقضاء حاجته، وكان عمرو إذا أراد الحاجة لم يجترىء أحد أن يدعوه وإن أبطأ، فقالم الناس للرحيل وترحلوا إلا من كان في الخان الذي فيه عمرو، فلما أبطأ صحنا به: يا أبا ثور. فلم يجبنا وسمعنا علزا شديداً، ومراساً في الموضع الذي دخله، وقصدناه فإذا به محمرةعيناه، مائلاً شدقه مفلوجاً، فحملناه على فرس وأمرنا غلاماً شديد الذراع فارتدفه ليعدل ميله، فمات بروذة ودفن على قارعة الطريق.

فقالت امرأته الجعفية ترثيه:

لقد غادر الركب الذين تحملوا بروذة شخصاً لاضعيفاً و لا غمرا

فقل لزبيد بل لمذحج كلها فقدتم أبا ثور سنانكم عمرا

فإن تجزعوا لايغن ذلك عنكم ولكن سلوا الرحمن يعقبكم صبرا

والبيات العينية التي فيها الغناء، وبها افتتح ذكر عمرو ، يقولها في أخته ريحانة بنت معد يكرب لما سباهاالصمة بن بكر، وكان اغار على بني زبيد في قيس فاستاق أموالهم وسبى ريحانة، وانهزمت زبيد بين يديه، وتبعه عمرو

وأخوه عبد الله ابنا معد يكرب، ثم رجع عبد الله واتبعه عمرو.

فأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام أن عمراً اتبعه يناشده أن يخلي عنها، فلم يفعل، فلما يئس منها ولى وهي تناديه بأعلى صوتها: ياعمرو! فلم يقدر على انتزاعها، وقال:

أمن ريحانة الداعي السميع ... يؤرقني وأصحابي هجوع

سباها الصمة الجشمي غصباً ... كأن بياض غرتها صديع

وحالت دونها فرسان قيس ... نكشف عن سواعدها الذروع

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

وزاد الناس في هذا الشعر وغنى فيه:

وكيف أحب من لا أستطيع ... ومن هو للذي أهوى منوع

ومن قد لامني فيه صديقي ... وأهلي ثم كلا لاأطيع

ومن لو أظهر البغضاء نحوي ... أتانى قابض الموت السريع

فدى لهم معاً عمي وخالي ... وشرخ شبابهم إن لم يطيعوا

وقد أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد: قرأت على أبي: وأما قصة ريحانة فإن عمرو بن معد يكرب تزوج امرأة من مراد، وذهب مغيراً قبل أن يدخل بها، فلما قدمأخبر أنه قد ظهر بها وضح-وهو داء تحذره العرب- فطلقها وتزوجها رجل آخر من بني مازن بن ربيعة، وبلغ ذلكعمراً وأن الذي قيل فيها باطل، فأخذ يشب بها، فقال قصيدته وهي طويلة:

أمن ريحانة الداعي السميع ... يؤرقني وأصحابي هجوع

وكان عبد الله بن معد يكرب، اخو عمرو، رئيس بني زبيد، فجلس مع بني مازن في شرب منهم . فتغنى عنده حبشي عبد للمخزم، احد بني مازن، في امرأة من بني زبيد، فلطمه عبد الله وقال له: اما كفاك أن تشرب معنا حتى تشبب بالنساء؟ فنادى الحبشي: يا آل بني مازن! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه، وكان الحبشي عبداً للمخزم، فرئس عمرو مكان اخيه، وكان عمرو غزا هو وأبي المرادي فأصابوا غنائم، فادعى ابي أنه قد كان مسانداً، فأبى عمرو أن يعطيه شيئاً، وكره أبي أن يكون بينهما شر، لحداثة قتل أبيه، فأمسك عنه. وبلغ عمراً أنه توعده، فقال عمرو في ذلك قصيدة له أولها:

أعاذل شكتي بدني ورمحي ... وكل مقلص سلس القياد

أعاذل إنما أفنى شبابي ... وأقرح عاتقي ثقل النجاد

تمناني ليلقاني أبي وددت وأينما مني ودادي
ولو لاقيتني ومعي سلاحي تكشف شحم قلبك عن سواد
أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وتمام هذه الأبيات:

تمناني وسابغتي دلاص كان قتيرها حدق الجراد
وسيفي كان من عهد ابن صد تخيره الفتى من قوم عاد
ورمحي العنبري تخال فيه سناناً مثل مقباس الزناد
وعجلزة يزل اللبد عنها أمر سراتها حلق الجياد
إذا ضربت سمعت لها أزيزاً كوقع القطر في الأدم الجلاد
إذاً لوجدت خالك غير نكس ولا متعلما قتل الوحاد
يقلب للأمور شر نبثات بأظفار مغارزها حداد

لابن سريج في الأول والثاني ثاني ثقيل بالبنصر، ولابن محرز في السادس والخامس ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى، وفي الرابع والخامس والسادس لحن للهذلي من رواية يونس.

وهذا البيت الخامس كان علي بن أبي طالب عليه السلام إذا نظر إلى ابن ملجم تمثل به أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا حيان بن بشر قال عن حمزة الزيات قال: كان علي عليه السلام إذا نظر إلى ابن ملجم قال:

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

حدثني العباس بن علي بن العباس، ومحمد بن خلف وكيع قالا: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن عبيدة السلماني قال: كان علي بن أبي طالب إذا أعطى الناس فرأى ابن ملجم قال:

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

حدثني محمد بن الحسن الأشناني قال: حدثنا فطر بن خليفة عن ابي الطفيل عامر بن واثلة ، والأصبغ بن نباتة قال: قال علي عليه السلام: ما يحبس أشقاها ؟ والذي نفسي بيده لتخضبن هذه من هذا.

بايعه، ثم قال: ما يحبس أشقاها؟ فوالذي نفسي بيده لتخضبن هذه من هذا. ثم تمثل بهذين البيتين:

اشدد حيا زيمك للموت فإن الموت يأتيك
ولاتجزع من القتل إذا حل بواديك

رجع الخبر إلى سياقة خبر عمرو

قال: وجاءت بنو مازن إلى عمرو فقالوا: إن أخاك قتله رجل من سفيه وهو سكران، ونحن يدك وعضدك، فنسألك الرحم وإلا أخذت الدية ما أحببت! فهم عمرو بذلك. وقال:

إحدى يدي أصابتني ولم ترد

فبلغ ذلك أختاً لعمرو يقال لها كبشة، وكانت ناكحاً في بني الحارث بن كعب، فغضبت، فلما وافى الناس من الموسم قالت شعراً تعير عمراً:

أرسل عبد الله إذ حان يومه ... إلى قومه لاتعقلوا لهم دمي

ولا تأخذوا منهم إفالاً وأبكراً ... وأترك في بيت بصعدةمظلم

ودع عنك عمراً إن عمراً مسالم ... وهل بطن عمرو غير شبرلمطعم

فإن أنتم لم تقبلوا واتديتم ... فمشوا بآذان النعام المصلم

أيقتل عبد الله سيد قومه ... بنو مازن أن سب راعى المخزم

فقال عمرو قصيدة له عند ذلك يقول فيها:

أرقت وأمسيت لا أرقد ... وساورني الموجع الأسود

وبت لذكري بني مازن ... كأني مرتفق أرمد

فيه لحن من خفيف الثقيل الأول بالوسطى، نسبه يحيى المكي إلى ابن محرز، وذكر الهشامي أنه منحول.

ثم أكب على بني مازن وهم غارون فقتلهم، وقال في ذلك شعراً:

خذوا حققاً مخطمة صفايا ... وكيدي يا مخزم أن أكيدا

قتلتم سادتي وتركتموني ... على أكتافكم عبثاً جديدا

فمن يأبى من الأقوام نصرا ... ويتركنا فإنا لن نريدا

وأرادت بنو مازن أن ترد عليهم الدية لما آذنهم بحرب، فأبى عمرو، وكانت بنو مازن من اعداء مذحج، وكان عبد الله أخا كبشة لأبيها وأمها دون عمرو، وكان عمرو قد هم بالكف عنهم حين قتل من قتل منهم، فركبت كبشة في نساء من قومها وتركت عمراً أخاها وعيرته فأحمته، فأكب عليهم أيضاً بالقتل، فلما أكثر فيهم القتل تفرقوا، فلحقت بنو مازن بصاحبهم بتميم، ولحقت ناشرة بني أسد، وهم رهط الصقعب بن الصحصح، ولحقت فالج بسليم بن منصور. وفالج وناشرة ابنا أ نمار بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة، وأمهما هند بنت عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم. فقال كابية بن حرقوص بن مازن:

ياليلتي ما ليلتي بالبلدة ردت علي نجومها فارتدت
من كان أسرع في تفرق فالج فلبونه جربت معاً وأغدت
هلا كنا شرة الذي ضيعتم كالغصن في غلوائه المتنبت

وقال عمرو في ذلك:

تمنت مازن جهلاً خلاطي فذاقت مازن طعم الخلاط
أطلت فراطكم عاماً فعاماً ودين المذحجي إلى رفراط
أطلت فراطكم حتى إذا ما قتلت سراتكم كانت قطاط
غدرتم غدرة وغدرت أخرى فما إن بيننا أبداً يعاط

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد: قرأت على أبي قال المدائني: حدثني رجل من قريش قال: كنا عند فلان القرشي فجاءه رجل بجارة فعنته:

بالله ياظبي بني الحارث هل من وفى بالعهد كالناكث

وغنته أيضاً بغناء ابن سريج:

يا طول ليلي وبت لم أنم وسادى الهم مبطن سقمي

فأعجبته واستام مولاها، فاشتط عليه فأبى شراءها، وأعجبت الجارية بالفتى، فلما امتنع مولاها من البيعإلا بشطط قال القرشي: فلا حاجة لنا في جارتك. فلما قامت الجارية للانصراف رفعت صوتهاتغني وتقول:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ماتستطيع

قال: فقال الفتى القرشي: أفأنا لاأستطيع شراءك، والله لأشترينك بما بلغت.

قالت الجارية: فذاك أردت. قال القرشي: إذا لأجبتك. وابتاعها من ساعته. والله أعلم.

بالله ياظبي بني الحارث هل من وفى بالعهد كالناكث
لاتخدعني بالمنى باطلا وأنت بي تلعب كالعابث

عروضه من السريع، الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سريج، رمل بالبنصر، وفيه لسياط خفيف ثقيل أول بالوسطى، وفيه لإبراهيم الموصلي لحن من رواية بدل. ومنها:

يا طول ليلي وبت لم أنم وسادي الهم مبطن سقمي
إذ قمت ليلاً على البلاط فأب صرت ربيباً فليت لم أقم
فقلت عوجي تخبري خبراً وأنت منه كصاحب الحلم

قالت بل أخشى العيون إذ حضرت حولى وقلي مباشر الألم

عروضه من المنسرح . والشعر والغناء لابن سريج، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق.

مناظر محمد بن العباس الصولي وعلي بن الهيثم في حضرة المأمون وذكر محمد بن الفضل الهاشمي قال حدثنا أبي قال: كان المأمون قد أطلق لأصحابه الكلام والمناظرة في مجلسه، فناظر بين يديه محمد بن العباس الصولي علي بن الهيثم جونقاً في الإمامة، فتقلدها أحدهما ودفعها الآخر، فلجت المناظرة بينهما إلى أن نبط محمد عليا فقال له علي: إنما تكلمت بلسان غيرك، ولو كنت في غير هذا المجلس لسمعت أكثر مما قلت! فغضب المأمون وأنكر على محمد ما قاله وما كان منه من سوء الأدب بحضرته، ونهض عن فرشه ونهض الجلساء فخرجوا، وأراد محمد الآنصراف فمنعه علي بن صالح صاحب المصلى، وهو إذ ذاك يحجب المأمون، وقال: أفعلت ما فعلت بحضرة أمير المؤمنين ونهض على الحال التي رأيت، ثم تنصرف بغير إذن، اجلس حتى تعرف رأيه فيك. وامر بأن يجلس.

قال: ومكث المأمون ساعة فجلس على سريره، وأمر بالجلساء فردوا إليه، فدخل إليه علي بن صالح فعرفه ما كان من قول علي بن محمد في الانصراف، وما كان من منعه إياه، فقال: دعه ينصرف إلى لعنة الله. فانصرف، وقال المأمون لجلسائه: أتدرون لم دخلت إلى النساء في هذا الوقت؟ قالوا: لا.قال: إنه لما كان من امر هذاالجاهل ما كان لم آمن فلتات الغضب، وله بنا حرمة، فدخلت إلى النساء فعابثتهن حتى سكن غضبي.

قال: وما مضى محمد عن وجهه إلا إلى طاهر، فسأله الركوب إلى المأمون، وأن يستوهبه جرمه، فقال طاهر: ليس هذا من أوقاتي، وقد كتب إلي خليفتي في الدار انه قد دعا بالجلساء. فقال: أكره أن أبيت ليلة وأمير المؤمنين علي ساخط. فلم يزل به حتى ركب طاهر معه، فأذن له فدخل ومجير الخادم واقف على رأس المأمون، فلما بصر المأمون بطاهر أخذ منديلاً فمسح به عينيه مرتين أو ثلاثاً، إلى أن وصل إليه وحرك شفتيه بشيء أنكره طاهر، ثم دنا فسلم، فرد السلام وأمره بالجلوس فجلس في موضعه، فسأله عن مجيئه في غير وقته، فعرفهالخبر واستوهبه ذنب محمد، فوهبه له وانصرف؛ وعرف محمداً ذلك. ثم دعا بهارون بن خنعويه، وكان شيخاً خراسانيا داهية ثقة عنده، فذكر له فعل المأمون وقال له: الق كاتب مجير والطف له، واضمن له عشرةآلاف درهم على تعريفك ما قاله المأمون ففعل ذلك ولطف له، فعرفه أنه لما رأى طاهراً دمعت عيماه وترحم على محمد الأمين، ومسح دمعه بالمنديل، فلما عرف ذلك طاهر ركب من وقته إلى أحمد بن أبي خالد الأحول- وكان طاهرلا يركب إلى أحد من أصحاب المأمون، وكلهم يركب إليه-فقال له: جئتك لتوليني خراسان وتحتال لي فيها. وكان أحمد يتولى فض الخرائط بين يدي المامون، وغسان بن عباد يتولى إ ذاك خراسان، فقال له أحمد: هلا أقمت بمنزلك وبعثت إلي حتى أصير إليك ولا يشهر الخبر فيما تريده بما ليس من عادتك، لأن المأمون يعلم أنك لاتركب إلى أحد من اصحابه، وسيبلغه هذا فينكره، فاتصرف وأغض عن هذا الأمر وأمهلني مدة حتى أحتال لك. ولبث مدة، وزور ابن أبي خالد كتاباً عن غسان بن عباد إلى المأمون، يذكر فيه أنه عليل وانه لا يامن على نفسه، ويسأل أن

يستخلف غيره على خراسان، وجعله في خريطة وفضها بين يدي المأمون، في خرائط وردت عليه، فلما قرأ على المأمون الكتاب اغتم به وقال له: ما ترى؟ فقال: لعل هذه علة عارضة تزول، وسيرد بعد هذا غيره فيرى حينئذ أمير المؤمنين رأيه. ثم امسك أياماً وكتب كتاباً آخر ودسه في الخرائط، يذكر فيه انه تناهى في العلة إلى مالايرجو معه نفسه، فلما قرأه المأمون قلق وقال: يا أحمد، إنه لا مدفع لأمر خراسان فما ترى؟ فقال: هذا رأي إن أشرت فيه بما أرى فلم أصب لم أستقبله، وأمير المؤمنين أعلم بخدمه ومن يصلح بخراسان منهم. قال: فجعل المأمون يسمي رجالاً ويطعن أحمد على واحد واحد منهم، إلى أن قال: فما ترى في الأعور؟ قال: إن كان عند أحد قيام بهذا الأمر ونهوض فيه فعنده. فدعا به المامون فعقد له على خراسان، وأمره أن يعسكر، فعسكر بباب خراسان. ثم تعقب الرأي فعلم أنه قد أخطأ، فتوقف عن أمضائه وخشي أن يوحش طاهراً بنقضه، فمضى شهر تام وطاهر مقيم بمعسكره. ثم إن المأمون في السحر من ليلة أحد وثلاثين يوماً من عقده له، عقد اللواء لطاهر ظاهراً، وأمر بإحضار مخارق المغني، فأحضر وقد صلى المأمون الغداة مع طلوع الفجر، فقال: يا مخارق، أتغني.

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

وكيف تريد أن تدعى حكيماً ... وأنت لكل ماتهوى تبوع

قال: نعم.قال: هاته. فغماه فقال: ما صنعت شيئاً، فهل تعرف من يقوله أحسن مما تقوله؟ قال نعم، علويه الأعسر. فأمر بإحضاره فكأنه كان وراء الستر، فأمره أن يغنيه، فغناه واحتفل فقال : ما صنعت شيئاًأتعرف من يقوله أحسن مما تقوله؟ قال: نعم عمرو بن بانة شيخنا. فامر بإحضاره فدخل في مقدار دخول علويه، فأمر بأن يغنيه الصوت، فغناه فأحسن فقال: أحسنت ماشئت ، هكذا ينبغي أن يقال. ثم قال: يا غلام اسقني رطلاً واسق صاحبيه رطلاً رطلاً. ثم دعا له بعشرة آلاف درهم، وخلعة ثلاثة أثواب، ثم أمره بإعادته، فأعاده فرد القول الذي قاله، وأمر له بمثل ما أمر، حتى فعل ذلك عشراً، وحصل لعمرو مائة ألف درهم وثلاثون ثوباً، ودخل المؤذنون فأذنوه بالظهر، فعقد إصبعه الوسطى بإبهامه وقال: برق يمان، برق يمان. وكذلك كان يفعل إذا أراد أن ينصرف من بحضرته من الجلساء. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين، قد أنعمت علي واحسنت إلي، فإن رأيت أن تأذن لي في مقاسمة أخوى ما وصل إلي فقد حضراه؟ فقال: ما احسن ما استمحت لهما، بل نعطيهما نحن ولا نلحقهما بك. وأمر لكل واحد بمثل نصف جائزة عمرو، وبكر إلى طاهر فرحله، فلما ثنى عنان دابته منصرفاً دنا منه حميد الطوسي فقال: اطرح على ذنبه تراباً. فقال: اخسأ يا كلب! ونفذ طاهر لوجهه، وقدم غسان بن عباد فسأله عن علته وسببها، فحلف له أنه لم يكن عليلاً، ولا كتب بشيء في هذا. فعلم المأمون أن طاهراً احتال عليه بابن أبي خالد، وأمسك على ذلك. فلما كان بعد مدة من مقدم طاهر إلى خراسان قطع الدعاء للمأمون على المنبر يوم الجمعة، فقال له عون بن محاشع بن مسعدة صاحب البريد: لم تدع في هذه الجمعة لأمير المؤمنين؟ فقال: سهو وقع فلا تكتب به. وفعل مثل ذلك في الجمعة الثانية، وقال لعون: لاتكتب به، وفعله في الجمعة الثالثة فقال له

عون: إن كتب التجار لاتنقطع من بغداد، وإن اتصل هذا الخبر بأمير المؤمنين من غيرنا لم آمن أن يكون سبب زوال نعمتي. فقال: اكتب بما أحببت. فكتب إلى المأمون بالخبر، فلما وصل كتابه دعا بأحمد بن أبي خالد وقال: إنه لم يذهب علي احتيالك علي في أمر طاهر، وتمويهك له، وانا أعطى الله عهداً لئن لم تشخص حتى توافيني به كما أخرجته من قبضتي وتصلح ما أفسدته علي من أمر ملكي لأبيدن غضراءك فشخص أحمد وجعل يتلوم في الطريق ، ويقول لأصحاب البرد : اكتبوا بخبر علة أجدها. فلما وصل الري لقيته الأخبار ووافاه رسل طلحة بن طاهر بوفاة طاهر، فأغذ السير حتى قدم خراسان، فلقيه طلحة على حد غفله فقال له أحمد: لاتكلمين ولا تريني وجهك فإن أباك عرضني للعطب وزوال النعمة، مع احتيالي له وسعي كان في محبته. فقال له: أبي قد مضى لسبيله ولو ادركته لما خرج عن طاعتك، وأما أنا فأحلف لك بكل ما تسكن به نفسك وأبذل كل ما عندي من مال وغيره، فاضمن له عني حسن الطاعة، وضبط الناحية، والإخلاص في النصيحة. فكتب أحمد بخبره وخبر طاهر وخبر طلحة إلى المأمون، وأشار بتقليده، فأنفذ المأمون إليه اللواء والخلع والعهد، وانصرف أحمد إلى مدينة السلام.

أخبرني وكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد لالملك الزيات قال: حدثني حماد بن غسحاق عن ابيه قال: مدح ابن هرمة رجلاً من قريش فلم يثبه، فقال له ابن عم له: لا تفعل، فإنه شاعر مفوه. فلم يقبل منه، فقال فيه الن هرمة:

فهلا إذا عجزت عن المعالي ... وعما يفعل الرجل القريع

أخذت برأي عمرووحين ذكى ... وشب لناره الشرف الرفيع

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

ومما قاله عمرو بن معد يكرب في ريحانة أخته، وغني فيه، قوله:

هاج لك الشوق من ريحانة الطربا ... إذ فارقتك وأمست دارها غربا

ما زلت أحبس يوم البين راحلتي ... حتى استمروا وأذرت دمعها سربا

حتى ترفع بالحزان يركضها ... مثل المهاة مرته الريح فاضطربا

والغانيات يقتلن الرجال إذا ... ضرجن بالزعفران الريط والنقبا

من كل آنسة لم يغذها عدم ... ولا تشد لشيء صوتها صخبا

إن الغواني قد أهلكنني وأرى ... حبالهن ضعيفات القوى كذبا

غنى في هذا الشعر ابن سريج خفيف ثقيل من رواية حماد، وفيه رمل نسبه حبش إليه أيضاً.

وقال الأصمعي: هذا الشعر لسهل بن الحنظلية الغنوي ثم الضبيني ثم الجابري، وهو جابر بن ضبينة.

قال أبو الفرج الأصبهاني: وسهل بن الحنظلية أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلمن وقد روى عنه حديثاً كثيراً.

فذكر الأصمعي أن السبب في قوله هذا الشعر أنه اجتمع ناس من العرب بعكاظ، منهم قرة بن هبيرة القشيري، في سنين تتابعت على الناس، فتواعدوا وتوافقوا أن لا يتغوروا حتى يخصب الناس ثم قالوا: ابعثوا إلى المنتشر بن وهب الباهلي ثم الوائلي فليشهد أمرنا، ولنخله معنا. فأتاهم فأعلموه ما صنعوه، قال: فما يأكل قومي إلى ذاك؟ فقال له ابن جارم الضبي : إنك لهناك يا أخا باهلة؟ قال: أما أنا فالغسل والنساء علي حرام حتى آكل من قمع إبلك . فتفرقوا و لم يكن إلا ذلك. وقال ابن جارم للمنتشر عند قوله: استك أضيق من ذاك! فاغار المنتشر على ابن جارم، فلما رآه ابن جارم رمى بنفسه في وجار ضبع، وأطرد المنتشر إله ورعاءها، فقال سهل في ذلك:

هاج لك الشوق من ريحانة الطربا

في قصيدة طويلة له حسنة. وقال في ذلك أعشى باهلة:

فدى لك نفسي إذ تركت ابن جارم أجب السنام بعد ما كان مصعبا

وقال المخبل في ذلك:

إن قشيراً من لقاح ابن جارم كغاسلة حيضاً وليست بطاهر

وأنبأ تماني أن قرة آمن فناك أباه من مجير وخافر

فلا توكلوها الباهلي وتقعدوا لدى غرض أرميكم بالنواقر

إذا هي حلت بالذهاب وذي حسى وراحت خفاف الوطء حوس الخواطر

أخبرنا أحمد بن عمار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل، قال حدثني فعنب بن المحرز قال أخبرنا الهيثم بن عدي عن ابن عياش عن محمد بن المنتشر قال: أخبرني من شهد الأشعث بن قيس وعمرو بن معد يكربوقد تنازعا في شيء، فقال عمرو للأشعث: نحن قتلناأباك ونكنا أمك! فقال سعد: قوما أف لكما! فقال الأشعث لعمرو: والله لأضرطنك. فقال: كلا إنها عزوز موثقة .

قال جرير بن عبد الله البجلي: فأخذت بيد الأشعث فنترته فوقع على وجهه، ثم أخذت بيد عمرو فجذبته فما تحلحل والله، لكانما حركت أسطوانة القصر.

وقال أبو عبيدة: قدم عمرو بن معد يكرب والأجلح بن وقاص الفهمي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأتياه وبين يديه مال يوزن، فقال: متى قدمتما؟ قالا: يوم الخميس. قال: فما حبسكما؟ قالا: شغلنا بالمنول يوم قدمنا، ثم كانت الجمعة، ثم غدونا عليك اليوم. فلما فرغ من وزن المال نحاه، ثم أقبل عليهما فقال: هيه! فقالعمرو: يا أمير المؤمنين، هذا الأجلح بين وقاص، شديد المرة، بعيد الفرة، وشيك الكرة، والله ما رأيت مثله من الرجال صارعاً ومصروعاً، والله لكأنه لايموت! فقال عمر للأجاح بن وقاص، وأقبل عليه: هيه. قال: وانا

أعرف الغضب في وجهه، فقلت: يا أمير المؤمنين؛ الناس صالحون كثير نسلهم، دارة أرزاقهم، خصب نباتهم، أجرياء على عدوهم، جبان عدوهم عنهم، صالحون بصلاح إمامهم، والله ما رأينا ملك من تقدمك، فنستمتع الله بك.

فقال: ما منعك أن تقول في صاحبك مثل الذي قال فيك؟ منعني ما رأيت في وجهك. قال: قد أصبت أما لوقلت له مثل الذي قال لك لأوجعتكما عقوبة، فإن تركتك لنفسك فسوف أتركه لك، والله لوددت لو سلمت لكم حالكم هذه أبدا، اما إنه سيأتي عليك يوم تعضه وينهشك، وتمره وينبحك، ولست له يومئذ وليس لك، فإن لم يكن بعهدكم فما أقربه منكم .

قال أبو عبيدة: حدثنا يونس وأبو الخطاب قالا: لما كان يوم القادسية أصاب المسلمون أسلحة وتيجاناً ومناطق ورقابا فبلغت مالا عظيماً، فعزل سعد الخمس ثم فض البقية، فأصاب الفارس ستةآلاف، والرجل ألفان، فبقي مال دثر . فكتب إلى عمر رضي الله عنه بما فعل، فكتب إليه أن رد على المسلمين الخمس، واعط من لحق بك ممن لم يشهدالواقعة. ففعل فأجراهممجرى من شهد، وكتب إلى عمر بذلك، فكتب إليه أن فض ما بقي على حملة القرآن. فأتاه عمرو بن معدي يكربفقال: ما معك من كتاب الله تعالى؟ فقال: إني أسلمت باليمن، ثم غزوت فشغلت عنحفظ القرآن. قال:مالك في هذا المال نصيب.

قال: وأتاه بشر بن ربيعة الخثعمي، صاحل جبانة بشر فقال: مامعك من كتاب الله ؟ قال: بسم الله الرحمن الرحيم. فضحك القوم منه و لم يعطه شيئاً، فقال عمرو في ذلك:

إذا قتلنا و لا يبكي لنا أحد ... قالت قريش ألا تلك المقادير

نعطى السوية من طعن له نفذ ... و لا سوية إذ تعطى الدنانير

وقال بشر بن ربيعة:

أنخت بباب القادسية ناقتي ... وسعد بن وقاص علي أمير

وسعد أمير شره دون خيره ... وخير أمير بالعراق جرير

وعند أمير المؤمنين نوافل ... وعند المثنى فضة وحرير

تذكر هداك الله توقع سيوفنا ... بباب قديس والمكرعسير

عشية ود القوم لو أن بعضهم ... يعار جناحي طائر فيطير

إذا ما فرغنا من قراع كتيبة ... دلفنا لأخرى كالجبال تسير

ترى القوم فيها واجمين كأنهم ... جمال بأحمال لهن زفير

فكتب سعد إلى عمر رضي الله تعالى عنه بما قال لهما وما ردا عليه، وبالقصيدتين، فكتب أن أعطهماعلى بلائهما. فأعطى كل واحد منهما ألفي درهم.

قال: وحدثني أبو حفص السلمي قال: كتب عمر إلى سلمان بن ربيعة الباهلي : إن في جندك عمرو بن معد يكرب، وطلحة بن خويلد الأسدي، فإذا حضر الناس فأدنهما وشاورهما وابعثما في الطلائع، وإذا وضعت الحرب أوزارها فضعهما حيث وضعا أنفسهما. يعني بذلك ارتدادهما، وكان عمرو ارتد وطليحة تنبأ.

قال: وحدثنا أبو حفص السلمي قال: عرض سلمان بن ربيعة جنده بأرمينية، فجعل لا يقبل إلا عتيقاً، فمر به عمرو بن معد يكرب بفرس غليظ، فقال سلمان: هذا هجين: فقال عمرو: والهجين يعرف الجهين! فبلغ عمر رضى الله تعالى عنه قوله فكتب إليه: أما فإنك القاتل لأميرك ما قلت، وإنه بلغني أعندك سيفاً تسميه الصمصامة، وعندي سيف أسميه مصمما ، وأقسم لئن وضعته بين أذنيك لأقلنه حتى يبلغ قحفك ، وكتب إلى سلمان يلومه في حلمه عنه.

قال: وزعموا أن عمراً شهد فتح اليرموك، وفتح القادسية، وفتح نهاوند مع النعمان بن مقرن المزني، وكتب عمر إلى النعمان: إن في جندك رجلين: عمرو بن معد يكرب، وطليحة بن خويلد الأسدي من بني قعين، فأحضرهما الحرب وشاورهما في الأمر، ولا تولهما عملاً. والسلام.

خليلي هبا طالما قد رقدتما أجدكما الاتقضيان كراكما

سأبكيكما طول الحياة وما الذي يرد على ذي لوعة إن بكاكما

ويروي: ذي عولة.

الشعر لقس بن ساعدة الإيادي، فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي في خبر أنا ذاكره هاهنا.

وذكر يعقوب بن السكيت أنه لعيسى بن قدامة الأسدي .

وذكر العتبي أنه لرجل من بني عامر بن صعصعة، يقال له الحسن بن الحارث. والغناء لهاشم بن سليمان، ثقيل أول بالوسطى عن عمرو.

هو قس بن ساعدة بن عمرو - وقيل مكان عمرو شمر - بن عدي بن مالك بن أيدعان بن النمر بن واثلة بن الطمثان بن زيد مناة بن يقدم بن أفص بن دعمي بن إياد. خطب العرب وساعرها، وحليمها وحكيمها في عصره.

يقال: إنه أول من علا على شرف وخطب عليه. وأول من قال في كلامه: أما بعد، وأول من اتكأ عند خطبته على سيف أو عصا.

وأدركه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة، ورآه بعكاظ فكان يأثر عنه كلاماً سمعه منه، وسئل عنه فقال: يحشر أمه واحدة.

وقد سمعت خبره من جهات عدة، إلا أنه لم يحضرني وقت كتبت هذا الخبر غيره، وهو وإن لم يكن من أقواها على مذهب أهل الحديث إسناداً، فهو من اتمها.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أبو شعيب صالح بن عمران قال: حدثني عمر بن عبد الرحمن بن

حفص النسائي قال: حدثني عبد الله بن محمد قال: حدثني الحسن بن علد الله قال: حدثني محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس قال: لما قدم وفد إياد على النبي صالى الله عليه وسلم قال: ما فعل قس بن ساعدة؟ قالوا: مات يارسول الله. قال:" كاني أنظر إليه بوسق عكاظ على جمل له أورق وهويتكل بكلام عليه حلاوة ما أجدني أحفظه". فقال رجل من القوم: أنا أحفظه يا رسول الله قال: كيف سمعته يقول؟ قال سمعته يقول: أيها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. ليل داج، وسماء ذات أبراج، بحار تزخر، ونجوم تزهر ، وضوء وظلام، وبر وآثام، ومطعم ومشرب، وملبس ومركب. مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا. وإله قس بن ساعدة ما على وجه الأرض دين أفضل من دين قد أظلكم زمانه، وأدرككم أوانه، فطوبى لمن أدركه فاتبعه، وويل لمن خالفه. ثم أنشأ يقول:

في الذاهبين الأولي ... ن من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... يمضي الأصاغر والأكابر
أيقنت أني لامحا ... لة حيث صار القوم صائر

فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" يرحم الله قسا، إني لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة وحدة .
فقال رجل يا رسول الله: لقد رأيت من قس عجباً. قال: وما رأيت؟ قال: بينا أنا بجبل يال له سمعان في يوم شديد الحر، إذا أنا بقس بن ساعدة تحت ظل شجرة عند عين ماء، وعنده سباع، كلما زأر سبع منها على صاحبه ضربه بيده وقال: كف حتى يشرب الذي ورد قبلك. قال: ففرقت ، فقال: لاتخف. وإذا أنا بقبرين بينهما مسجد، فقلتله: ماهذا القبران؟ قال هذان قبرا أخوين كانا لي فماتا، فتخذت بينهما مسجداً أعبد الله جل وعز فيه حتى ألحق بهما. ثم ذكر أيامهما فبكى، ثم أنشأ يقول:

خليلي هبا طالما قد رقدتما ... أجدكما الانقضيان كراكما
ألم تعلما أني بسمعان مفرد ... ومالي فيه من حبيب سواكما
أقيم على قبريكما لست بارحاً ... طوال الليالي أو يجيب صداما
كأنكما والموت أقرب غاية ... بجسمي في قبريكما قد أتاكما
فلو جعلت نفس لنفس وقاية ... لجدت بنفسي أن تكون فداكما

فقال النبي صلى الله عليه وسلم:"يرحم الله قساً".
أما الحكاية عن يعقوب بن السكيت أن الشعر لعيسى بن قدامة الأسدي فأخبرني بها علي بن سليمان الأخفش، عن السكوني قال: قال يعقوب بن السكيت: قال عيسلى بن قدامة الأسدي، وكان قدم قاسان ، وكان له

نديمان فماتا، وكان يجيء فيجلس عند القبرين، وهما براوند ، في موضع يقال له خزاق، فيشرب ويصب على القبرين حتى يقضي وطره، ثم ينصرف وينشد وهو يشرب:

خليلي هبا طالما قدرقدتما أجدكما لاتقضيان كراكما
ألم تعلما مالي براوند هذه ولا بخزاق من نديم سوامكا
مقيم على قبريكما لست بارحا طوال الليالي أو يجيب صداكما
جرى الموت مجرى اللحم والعظم منكما كأن الذي يسقي العقار سقاكما
تحمل من يهوى القفول وغادروا أخالكما أشجاه ما قد شجاكما
فأي أخ يجفر أخاً بعد موته فلست الذي من بعد موت جفاكما
أصب على قبريكما من مدامة فإلا تذوقا أرو منها ثراكما
أناديكما كيما تجيبا وتنطقا وليس مجاباً صوته من دعاكما
أمن طول نوم لاتجيبان داعياً خليلي ما هذا الذي قد دهاكما
قضيت بأني لامحالة هالك وأني سعيروني الذي قد عراكما
سأبكيكما طول الحياة وما الذي يرد على ذي عولة إن بكاكما

وأخبرني ابن عمار أبو العباس أحمد بن عبيد الله بخبر هؤلاء، عن أحمد بن يحيى اللاذري قال: حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي قال: بلغني أن ثلاثة نفر من أهل الكوفة كانوا في الجيش الذي وجهه الحجاج إلى الديلم، وكانوا يتنادمون لايخالطون غيرهم، فإنهم لعلى ذلك إذ مات أحدهم فدفنه صاحباه، وكانا يشربان عند قبره،فإذا بلغه الكأس هراقاها على قبره وبكيا. ثم إن الثاني مات فدفنه الباقي إلى جانب صاحبه، وكان يجلس عند قبريهما فيشرب ويصب الكأس على الذي يليه ثم على الآخر وبكي، وقال فيهما:

نديمي هبا طالما قد رقدتما

وذكر بعض الأبيات التي تقدم ذكرها. وقال مكان براوند هذه: بقزوين، وسائر الخبر نحو ما ذكرناه. قال ابن عمار: فقبورهم هناك تعرف بقبور الندماء.

وذكرالعتبي عن أبيه أن الشعر للحزين بن الحارث، أحد بني عامر بن صعصعة، وكان أحد نديميه من بني أسد والآخر من بني حنيفة، فلما مات أحدهما كان يشرب ويصب على قبره ويقول.

لاتصرف هامة من كأسها واسقه الخمر وإن كان قبر
كان حراً فهوى فيمن هوى كل عود ذي شعوب ينكسر

قال: ثم مات الآخر فكان يشرب عند قبريهما وينشد:

خليلي هبا طالما قد رقدتما

الأبيات: قال: ثم قالت له كاهنة: إنك لاتموت حتى تنهشك حية في شجرة بوادي كذا وكذا. فورد ذلك الوادي في سفر له وسأل عنه فعرفه، وقد كان خط في أصل شجرة ، ومد رجله عليها، فنهشته حية فأنشأ يقول:

خليلي هذا حيث رمسي فعرجا ... علي فإني نازل فمعرس

لبست رداء العيش أحوى أجرهال ... عيشات حتى لم يكن فيه ملبس

تركت خبائي حيث أرسى عماده ... علي، وهذا مرمسي حيث أرمس

أحتفي الذي لابد أنك قاتلي ... هلم فما في غابر العيش منفس

أبعد نديمي اللذين بعاقل ... بكيتهما حولاً مدى أتوجس

ذكر هاشم بن سليمان وبعض أخباره

هوهاشم بن سليمان مولى بني أمية، ويكنى أبا العباس، وكان موسى الهادي يسميه أبا الغريض. وهو حسن الصنعة عزيزها، وفيه يقول الشاعر:

يا وحشتي بعدك ياهاشم ... غبت فشجوى بك لي دائم

اللهو واللذة ياهاشم ... مالم تكن حاضره مأتم

أخبرني علي بن عبد العزيز قال حدثنا عبيد الله بن عبيد الله بن خرداذبه قال: كان موسى الهادي يميل إلى هاشم بن سليمان ويمازحه، ويلقبه أبا الغريض.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد قال: بلغني أن هاشم بن سليمان دخل يوماً على موسى الهادي فغناه:

لويرسل الأزل الظبا ... ء ترود ليس لهن قائد

لتيممتك تدلها ... رياك للسبل الموارد

وإذا الرياح تنكرت ... نكبا هواجرها صوارد

فالناس سائلة إلي ... ك فصادرا تغني وواردا

الشعر لطريح بن إسماعيل الثقفي، يقوله في الوليد بن يزيد بن عبد الملك. والغناء لهاشم بن سليمان، خفيف ثقيل أول بالبنصر.

فطرب موسى، وكان بين يديه كانون كبير ضخم عليه فحم، فقال له: سلني ما شئت. قال: تملأ لي هذا الكانون. فأمر له بذلك، وفرغ الكانون فوسع ست بدور ، فدفعها إليه.

وقد أخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا عبد الله بي أبي سعد، عن أبي توبة، عن هاشم بن سليمان قال: أصبح موسى أمير المؤمنين يوماً وعنده جماعة منا، فقال: ياهاشم غنني:

أبهار قد هيجت لي أوجاعا

فإن أصبت مرادي فيه فلك حاجة مقضية. فغنيته فقال: قد أصبت واحسنت سل حاجتك. فقال: يا أمير المؤمنين تأمر أن يملأ هذا الكانون دراهم. قال: وبين يديه كانون عظيم، فأمر به فملئ فوسع ثلاثين ألف درهم، فلما حصلتها قال: يا ناقص الهمة، والله لو سألتني أن أملأه دنانير لفعلت. فقلت: أقلني يا أمير المؤمنين فقال: لاسبيل إلى ذلك فلم يسعدك الجد به.

أبهار قد هيجت لي أوجاعا ... وتركتني عبداً لكم مطواعا

بحديثك الحسن الذي لو كلمت ... وحش الفلاة به لجئن سراعا

وإذا مررت على البهار منضدا ... في الشوق هيج لي إليك نزاعا

والله لو علم البهار بأنها ... أضحت سمية لصار ذراعا

الغناء لهاشم، ثاني ثقيل بالبنصرعن عمرو، وفيه ثقيل أول بالبنصر، ينسب إلى إبراهيم الموصلي، وإلى يحيى المكي، وإلى إسحاق.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا: حدثنا عمر بن شبة قال حدثني بعض أصحابنا قال: كنا في منزل محمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس، وكان عالماً بالغناء والفقه جميعاً، وقد كان يحيى بن أكثم وصفه للمأمون بالفقه، ووصفه أحمد بن يوسف بالعلم بالغناء فقال المأمون: ما أعجب ما اجتمع فيه: العلم بالفقه، والغناء! فكتبت إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن يتحول إلينا وكان في جوارنا، وعندنا يومئذ محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان، وذكاء وصغير غلاما أحمد بن يوسف الكاتب، فكتب إلينا إسحاق: جعلت فداءكم، قد أخذت دواءً، فإذا خرجت منه حملت قدري وصرت إليكم. وكتب في أسفل كتابه:

أنا شماطيط الذي حدثت به ... متى أنبه للغداء أنتبه

ثم أدور حوله وأحتبه ... حتى يقال شره ولست به

ثم جاءنا ومعه بديح غلامه، فتغدينا وشربنا، فغنى ذكاء غلام أحمد بن يوسف:

أبهار قد هيجت لي أوجاعا

فسأله إسحاق أن يعيده فأعاده مراراً، ثم قال له: ممن أخذت هذا؟ فقال: من معاذ بن الطبيب. قال: والصنعة فيه له. فقال له إسحاق: أحب أن تلقيه على بديح. ففعل. فلما صليت العشاء انصرف ذكاء، وقعد أبو جعفر يشرب-يعني مولاه -وعنده قوم، وتخلف صغير فغنانا، فقال له إسحاق: أنت والله ياغلام ماخوري. وسكر محمد بن إسماعيل في آخر النهار فغنانا:

دعوني أغص إذا ما بدت وأملك طرفي فلا أنظر

فقال إسحاق لمحمد بن الحسن: آجرك الله في ابن عمك! أي قد سكر فأقدم على الغناء بحضرتي.

هبوني أغض إذا ما بدت وأملك طرفي فلا أنظر

فكيف احتيالي إذا ما الدموع نطقن فبحن بما أضمر

أيا من سروري به شقوة ومن صفو عيشي به أكدر

أمني تخاف انتشار الحديث وحظي في ستره أوفر

ولو لم أصنه لبقيا عليك نظرت لنفسي كما تنظر

الشعر للعباس بن الأحنف، والغناء للزبير بن دحمان، ثقيل أول بالوسطى عن عمرو في الأبيات الثلاثة الأول. وفيها لعمرو بن بانة ماخوري. وفي:

أيا من سروري به شقوة

لسليم هزج. وفيه ثاني ثقيل ينسب إلى حسين بن محرز، وإلى عباس منار.

هذا أوان الشد فاشتدي زيم قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعي إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم

عروضه من الرجز. الشعر لرشيد بن رميض العنزي يقوله في الحطم، وهو شريح بن ضبيعة، وأمه هند بنت حسان بن عمرو بن مرثد، والغناء ليزيد حوراء، خفيف ثقيل أول بالبنصر، وفيه خفيف رمل يقال إنه لأحمد المكي.

قال أبو عبيدة: كان شريح بن ضبيعة غزا اليمن في جموع جمعها من ربيعة، فغنم وسبى بعد حرب كانت بينه وبين كندة، أسر فيها فرعان بن مهدي بن معد يكرب عم الأشعث بن قيس، وأخذ على طريق مفازة فضل بهم دليلهم ثم هرب منهم ومات فرعان في أيديهم عطشا، وهلك منهم ناس كثير بالعطش. وجعل الحطم يسوق بأصحابه سوقاً عنيفاً . حتى نجوا ووردوا الماء. فقال فيه رشيد:

هذا أوان الشد فاشتدي زيم ليس براعي إبل ولا غنم

ولا بجزار على ظهر وضم نام الحداة وابن هند لم ينم

باتت بقاسيها غلام كالزلم خدلمج الساقين خفاق القدم

قد لفها الليل بسواق حطم

فلقب يومئذ الحطم لقول رشيدٍ هذا فيه.

وأدرك الحطم الإسلام فأسلم، ثم ارتد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدثنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا عبد الله بن سعد الزهري قال أخبرنا عمي يعقوب قال: أخبرني سيف قال: خرج العلاء بن الحضرمي نحو البحرين، وكان من حديث البحرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات ارتدوا ففاءت عبد القيس منهم، وأما بكر فتمت على ردتها. وكان الذي ثنى عبد القيس الجارود بن المعلى.

فذكر سيف عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن بن أبي الحسن قال: قدم الجارود بن المعلى على النبي صلى الله عليه وسلم مرتاداً، وقال: أسلم يا جارود. فقال: إن لي دنيا. فقال له النبي صالى الله عليه وسلم:" إن دينك يا جارود ليس بشيء، وليس بدين." فقال له الجارود: فإن أنا أسلمت فما كان من تبعة في الإسلام فعليك؟ قال: نعم . فأسام وأقام بالمدينة حتى فقه.

حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل عن أبي إسحاق قال: اجتمعت ربيعة بالبحيرن، فقالوا: ردوا الملك في آل المنذر، فملكوا المنذر بن النعمان بن المنذر، وكان يسمى الغرور، ثم أسلم بعد ذلك وقال: لست بالغرور ولكني المغرور.

حدثنا محمد بن جرير قال: حدثنا عبد الله بن سعد قال: أخبرني عمي قال أخبرنا سيف عن إسماعيل بن مسلم عن عمير بن فلان العبدي قال: لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الحطم بن ضبيعة، في بني قيس بن ثعلبة ومن اتبعه من بكر بن وائل على الردة، ومن تأشب إليه من غير المتدين ممن لم يزل كافراً، حتى نزل القطيف وهجر، واستغوى الخط و من كان بهما من الزط والسيابجة، وبعث بعثاً إلى دارين فأقاموا له ليجعل عبد القيس بينهم وبينه، وكانوا مخالفين له يمدون المنذر و المسلمين، وأرسل إلى الغرور بن سويد بن المنذر بن أخي النعمان بن المنذر، فقال له: اثبت فإني إن ظفرت ملكتك البحرين، حتى تكون كالنعمان بالحيرة. وبعث إلى رواثا وقيل إلى جؤاثا، فحاصهم وألح عليهم، فاشتد الحصار على المحصورين من المسلمين، وفيهم رجل من صالحي المسلمين يقال له عبد الله بن حذف، أحد بني أبي بكر بن كلاب، فاشتد عليه وعليهم الجوع حتى كادوا يهلكون، فقال عبد الله بن حذف:

ألا أبلغ أبا بكر رسولاً	وفتيان المدينة أجمعينا
فهل لكم إلى قوم كرام	قعود في جؤاثا محصرينا
كأن دماءهم في كل فج	شعاع الشمس يعشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن إنا	وجدنا النصر للمتوكلينا

حدثني محمد بن جرير قال كتب إلى السري بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر، عن الصقعب بن عطية بن بلال، عن سهم بن منجاب، عن منجاب ابن راشد قال:

بعث أبو بكر العلاء بن الحضرمي على قتال أهل الردة بالبحرين، فتلاحق به من لم يرتد من المسلمين ، وسلك

بنا الدهناء حتى إذا كنا في بحبوحتها أراد الله عز وجل أن يرينا آية، فنزل العلاء وأمر الناس بالنزول ، فنفرت الإبل في جوف الليل، فما بقي بعير ولا زاد ولا مزاد ولا بناء-يعني الخيم قبل أن يحطوا-فما علمت جمعاً هجم عليه من الغم ما هجم علينا، وأوصى بعضنا إلى بعض، ونادى منادي العلاء: اجتمعوا. فاجتمعنا إليه فقال: ما هذا الذي ظهر فيكم وغلب عليكم؟ فقال الناس: وكيف نلام ونحن إن بلغنا غداً لم تحم شمسه حتى نصير حديثاً. فقال: أيها الناس، لاتراعوا، أستم مسلمين؟ ألستم في سبيل الله؟ أستم أنصار الله؟ قالوا: بلى قال: فأبشروا، فوالله لايخذل الله تبارك وتعالى من كان في مثل حالكم. ونادى المنادي بصلاة الصبح حين طلع الفجر، فصلى بنا ومنا المتيمم ومنا من لم يزل على طهوره، فلما قضى صلاته جثا لركبتيه، وجثا الناس معه، فنصب في الدعاء ونصبوا فلمع لهم سراب فأقبل على الدعاء، ثم لمع لهم آخر كذلك فقال الرائد: ماء. فقام وقام الناس فمشينا حتى نزلنا عليه فشربنا واغتسلنا، فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل من كل وجه وأناخت إلينا، فقام كل رجل إلى ظهره فأخذه، فما فقدنا سلكا ، فأروياها العلل بعد النهل وتروحنا. وكان أبو هريرة رفيقي، فلما غبنا عن ذلك المكان قال لي: كيف علمك بموضع ذلك الماء؟ فقلت: أنا أهدى الناس بهذه البلاد. قال: فكر معي حتى تقيمني عليه. فكررت به فأنخت على ذلك المكان بعينه، فإذا هو لا غدير به، ولا أثر للماء، فقلت له: والله لولا أني لا أرى الغدير لأخبرتك أن هذا هو المكان، وما رأيت بهذا المكان ماء قبل ذلك . فنظر أبو هريرة فإذا إداوة مملوءة فقال: يا سهم، هذا والله المكان ولهذا رجعت ورجعت بك. وملأت إداوتي هذه ثم وضعتها على شفير الوادي فقلت: إن كان منا من المن وكانت آية عرفتها، وإن كان غياثاً عرفته. فإذا من من المن وحمدت الله جل وعز. ثم سرنا حتى نزلنا هجر فأرسل العلاء إلى الجارود ورجل آخر: أن انضما في عبد القيس حتى تنزلا على الحطم مما يليكما. وخرج هو فيمن معه وفيمن قد عليه حتى ينزل مما يلي هجر. وتجمع المسلمون كلهم إلى العلاء بن الحضرمي، ثم خندق المسلمون والمشركون فكانوا يتراوحون القتال ويرجعون إلى خندقهم، فكانوا كذلك شهراً. فبينا الناس ليلة كذلك إذسمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء شديدة، فكأنها ضوضاء هزيمة فقال العلاء: من يأتينا بخبر القوم؟ فقال عبد الله بن حذف: أنا آتيكم بخبر القوم-وكانت أمه عجيلة-فخرج حتى إذا دنا من خندقهم أخذوه فقالوا له: من أنت؟ فانتسب لهم وجعل ينادي يا أبجراه! فجاء أبجر بن بجير فعرفه فقال: ما شأنك؟ فقال لا أضيعن الليلة بين اللهازم، علام أقتل وحولي عساكر من عجل وتيم اللات وعنزة وقيس، أيتلاعب بي الحطم ونزاع القبائل وأنتم شهود! فتخلصه وقال: والله إني لأظنك بئس ابن الأخت لأخوالك الليلة.

قال: دعني من هذا وأطعمني، فقد مت جوعاً. فقرب إليه طعاماً فأكل. ثم قال: زودني واحملني وجوزني انطلق إلى طيبي. ويقول ذلك لرجل قد علب عليه الشراب، ففعل وحمله على بعير وزوده وجوزه. وخرج عبد الله حتى دخل عسكر المسلمين، فأخبرهم أن القوم سكارى، فخرج القوم عليهم حتى اقتحموا عسكرهم فوضعوا فيهم السيوف حيث شاءوا، واقتحمو الخندق هرابا، فمترد، وناج، ودهش، ومقتول، ومأسور. واستولى المسلمون

على مافي العسكر، و لم يفلت رجل إلا بما عليه. فاما أبجر فأفلت، وأما الحطم فإنه بعل ودهش وطار فؤاده ، فقام إلى فرسه والمسلمون خلالهم يجرسونهم ليركبه، فلما وضع رجله في الركاب انقطع، فمر به عفيف بن المنذر أحد بني عمرو بن تميم، والحطم يستغيث ويقول: ألا رجلك أعقلك. فأعطاه رجله يعقلها فنفحها فأطنها من الفخذ وتركه، فقال: أجهز علي. فقال: إني لأحب أن لاتموت حتى أمضك. وكان مع عفيف عدة من ولد أبيه فأصيبوا ليلتئذ، وجعل الحطم يقول ذلك لمن لا يعرفه حتى مر به قيس بن عاصم فقال له ذلك فعرفه، فمال عليه فقتله ، فلما رأى فخذه نادرة فال: واسوأتاه! لو عرفت الذي به لم أحركه. وخرج المسلمون، بعد ما أحرزوا الخندق، على القوم يطلبونهم، فاتبعوهم فلحق قيس بن عاصم أبجر، وكان فرس أبجر أقوى من فرس قيس، فلما خشي أن يفوته طعنه في العرقوب فقطع العصب وسلم النسا. فقال عفيف بن المنذر في ذلك:

فإن يرقأ العرقوب لا يرقأ النسا ... وما كل من تلقى بذلك عالم

ألم ترأنا قد فللنا حماتهم ... بأسرة عمرو والرباب الأكارم

وأسر عفيف بن المنذر، الغرور بن اخي النعمان بن المنذر، فلمته الرباب فيه وكان ابن أختهم وسالوه أن يجيره، فجاء به إلى العلاء قال: إني أجرته. قال: ومن هو؟ قال: الغرور. قال العلاء: انت غررت هؤلاء؟ قال: أيها الملك أني لست بالغرور، ولكني المغرور. قال: أسلم. فأسلم وبقي بهجر. وكان الغرور اسمه، ليس بلقب. وقل العفيف أيضاً المنذر بن سويد أخا الغرور لأمه، وكان له يومئذ بلاء عظيم فأصبح العلاء يقسم الأنفال، ونفل رجالاً من أهل البلاء قياباً، فكان فيمن نفل عفيف بن المنذر، وقيس بن عاصم، وثمامة بن أثال. فأما ثمامة فنفلثياباً فيها خميصة ذات أعلام ، وكان الحطم يباهي فيها. وباع الباقي، وهرب الفل إلى دارين فركبوا إليها السفن، فجمعهم الله عز وجل بها، وندب العلاء الناس إلى دارين، وخطبهم فقال: إن الله عز وجل قد جمع لكم أحزاب السيطان، وشذاذ الحرب في هذا اليوم ، وقد أراكم من آياته في البر لتعتبروا بها في البحر، فانهضوا إلى عدوكم ثم استعرضوا البحر إليهم، فإن الله جل وعز قد جمعهم به. فقالوا: نفعل ولا نهاب والله بعد الدهناء هولاً ما بقينا! فارتحل وارتحلوا حتى أتى ساحل البحر فاقتحموا على الخيل، هم والحمولة والإبل وابغال، الراكب والرجل ، ودعا ودعوا، وكان دعاؤه و دعائهم: با أرحم الراحمين، ياكريم يا حليم، يا صمد يا حي يا محيي الموتى، يا حي يا قيوم، لا إله إلا أنت يا ربنا فأجازوا ذلك الخليج بإذن الله، يمشون على مثل رملة ميثاء فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل، وبين الساحل ودارين مسيرة يوم وليلة لسفن البحر. ووصل المسلمون إليها فما تركوا من المشركين بها مخبراً ، وسبوا الذراري، واستاقوا الأموال، فبلغ من ذلك نفل الفارس من المسلمين ستة آلاف، والراجل ألفين. فلما فرغوا رجعوا عودهم على بدئهم، وفي ذلك يقول عفيف:

ألم تر أن الله ذلل بحره ... وأنزل بالكفار إحدى الجلائل

دعونا الذي شق البحار فجاءنا ... بأعجب من شق البحار الأوائل

وأقفل العلاء الناس إلا من أحب المقام، فاختار ثمامة بن أثال الذي نفله العلاء خميصة الحطم حين نزل على ماء لبني قيس بن ثعلبة، فلما رأوه عرفوا الخميصة فبعثوا أليه رجلاً فسألوه: أهو الذي قتل الحطم؟ فقال: لا، ولوددت أني قتلته. قال: فأني لك حلته؟ قال: نفلتها. قالوا: وهل ينفل إلا القاتل. قال: إنها لم تكن عليه إنما كانت في رحله. قالوا: كذبت. فقتلوه، وكان بهجر راهب فأسلم فقيل له: ما دعاك إلى الإسلام فقال: ثلاثة أشياء خشيت أن يمسخني الله بعدها إن انا لم افعل: فيض في الرمال، وتمهيد أثباج البحور، ودعاء سمعته في عسكرهم في الهواء من السحر. قالوا: وما هو؟ قال: " اللهم إنك أنت الرحمن الرحيم، لا إله غيرك، والبديع ليس قبلك شيء، والدائم غير الغافل، والحي الذي لايموت، وخالق مايرى ومالا يرى، وكل يوم أنت في شأن، وعلمت اللهم كل شيء بغير تعليم" . فعلمت أن القوم لم يعاونوا بالملائكة إلا وهم على امر الله جل وعز فلقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعون هذا من ذلك الهجري بعد.

يا خليلي من ملام دعاني وألما الغداة بالأظعان

لاتلوما في آل زينب إن ال قلب رهن بآل زينب عان

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء للغريض، خفيف رمل بالبنصر. وهذا الشعر يقوله في زينب بنت موسى، أخت قدامة بن موسى الجمحي.

أخبرني حرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة، قال: حدثني قدامة بن موسى قال: خرجت بأختي زينب بنت موسى إلى العمرة، فلما كنت بسرف لقيني عمر بن أبي ربيعة على فرس فسلم علي، فقلت: إني أراك متوجها يا أبا الخطاب؟ قال: ذكرت لي امرأة من قومي برزة الجمال ، فأردت الحديث معها. قلت: أما علمت أنها أختي؟ قال:لا والله. واستحيا وثنى عنق فرسه راجعاً إلى مكة.

أخبرني حرمي قال حدثني الزبير: قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري قال: نسب ابن أبي ربيعة بزينب بنت موسى الجمحي، أخت قدامة بن موسى، فقال:

يا خليلي من ملام دعاني

وذكر البيتين وبعدهما:

لم تدع للنساء عندي نصياً غير ما قلت مازحاً بلساني

فقال له ابن أبي عتيق: أما قلبك فمغيب عنا، وأما لسانك فشاهد عليك.

أخبرني الحرمي قال: حدثني الزبير قال: قال عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد العزيز الزهري: لما نسب عمر بن أبي ربيعة بزينب قال:

لم تدع لنساء عندي نصيباً غير ما قلت مازحاً بلساني

قال له ابن أبي عتيق: رضيت لهما بالمودة، وللنساء بالدهفشة .

قال: والدهفشة: التجميش والخديعة بالشيء اليسير.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير قال: أخبرني مثل ذلك عبد الملك بن عبد العزيز، عن يوسف بن الماجشون قال: فبلغ ذلك أبا وداعة السهمي فأنكره، فقيل لابن أبي عيتق: لأبو وداعة قد اعترض لعمر بن أبي ربيعة دون زينب بنت موسى الجمحي وقال: لا أقر له أن يذكر في الشعر امرأة من بينر هصيص. فقال ابن ابي عتيق: لا تلوموا أبا وداعة أن ينعظ من سمر قند على أهل عدن.

قال عبد الملك: وفيها يقول أيضاً عمر:

طال عن آل زينب الإعراض للتعزي وما بنا الإبغاض

ووليداً قد كان علقها القل ب إلى أن علا الرءوس البياض

حبلها عندنا متين وحبلي عندها واهن القوى أنقاض

غناه ابن محرز رمل بالبنصر عن حبش. وفيها يقول أيضاً:

أيها الكاشح المعير بالصر م ترحزح فما بها الهجران

لامطاع في آل زينب فارجع أو تكلم حتى يمل اللسان

فاجعل الليل موعداً حين يمسي ويعفي حديثنا الكتمان

كيف صبري عن بعض نفسي وهل يص بر عن بعض نفسه إنسان

ولقد أشهد المحدث عند ال قصر فيه تعفف وبيان

في زمان من المعيشة لذ قد مضى عصره وهذا زمان

عروضه من الخفيف، غناه ابن سريج، ولحنه رمل بالوسطى من نسخة عمرو بن بانة الثانية، ووافقته دنانير.

وذكر يونس أن فيه لابن محرز ولابن عباد الكاتب لحنين، و لم يجنسهما. وأول لحن عباد: لا مطاع في آل زينب، وأول لحن ابن محرز: ولقد أشهد المحدث.

قال: وفيها يقول أيضاً:

أحدث نفسي والأحاديث جمة وأكبر همي والأحاديث زينب

إذا طلعت شمس النهار ذكرتها وأحدث ذكراها إذا الشمس تغرب

ذكر حماد عن أبيه أن فيه للهذلي لحناً لم ينسبه.

يا نصب عيني لا أرى حيث التفت سواك شيا

إني لميت إن صدد ت وإن وصلت رجعت حيا

الشعر لعلي بن أديم الجعفي الكوفي، والغناء لعمرو بن بانة، رمل بالوسطى.

ذكر علي بن أديم وخبره

هو رجل من تجار أهل الكوفة كان يبيع البز، وكان متأدباً صالح الشعر، يهوى جارية يقال لها منهلة، واستهيم بها مدة ثم بيعت فمات أسفاً عليها. وله حديث طويل معها في كتاب مفرد مشهور، صنعه أهل الكوفة لهما، فيه ذكر قصصهما وقتاً وقتاً، وما قال فيها من الأشعار. وأمرهما متعالم عند العامة، وليس مما يصلح الإطالة به.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني محمد بن داود بن الجراح قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: قال دعبل بن علي: كان بالكوفة رجل يقال له علي بن أديم، وكان يهوى جاريةً لبعض أهلها، فتعاظم أمره وبيعت الجارية فمات جزعاً عليها، وبلغها خبره فماتت.

قال: وحدثني بعض أهل الكوفة أنه علقها وهي صبيةً تختلف إلى كتاب، فكان يجئ إلى ذلك المؤدب فيجلس عنده لينظر إليها، فلما أن بلغت باعها مواليها لبعض الهاشميين، فمات جزعاً عليها. قال: وأنشدني له أيضاً.

صاحوا الرحيل وحثني صحبي قالوا الرواح فطيروا لبي

واشتقت شوقاً كاد يقتلني والنفس مشرفة على نحب

لم يلق عند البين ذو كلف يوماً كما لاقيت من كرب

لا صبر لي عند الفراق على فقد الحبيب ولوعة الحب

الشعر لعلي بن أديم الكوفي الجعفي، والغناء لحكم الوادي. وذكر حبش أن لإبراهيم بن أبي الهيثم فيه لحناً . والله أعلم.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو بكر العمري قال: حدثني دعبل بن علي قال: كان بالكوفة رجل من بني أسد يقال له علي بن أديم، فهوي جارية لبعض نساء بني عبس، فباعتها لرجل من بني هاشم، فخرج بها عن الكوفة، فمات علي بن أديم جزعاً عليها بعد ثلاثة أيام من خروجها، وبلغها خبره فماتت بعده ، فعمل أهل الكوفة لهما أخباراً هي مشهورة عندهم.

حدثني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أبو بكر العمري قال حدثنا أبو صالح الأزدي قال: حدثنا محمد بن الحسين الكوفي قال: حدثنا محمد بن سماعة قال: آخر من مات من العشق علي بن أديم الجعفي، مر بمكتب في بني عبس بالكوفة، فرأى فيه جارية تسمى منهلة، عليها ثياب سواد، فاستهيم بها وأعجبته، وكلف بها وقال فيها:

إني لما يعتادني من حب لابسة السواد
في فتنة وبلية ما إن يطيقهما فؤادي
فبقيت لادنيا أصب ت وفاتني طلب المعاد

وسأل عنها فإذا لها مالكة عبسية، وكان ابن أديم خزازا ، فتحمل أبوه بجماعة من التجار على مولاها لتبيعها فأبت، وخرج إلى أم جعفر ورفع إليها قصته يسألها فيها المعونة على الجارية، فخرج له توقيع بما أحب، وأقام يتنجز تمام أمره. فينا هو ذات يوم على باب أم جعفر إذ خرجت امرأة من دارها فقالت: أين العاشق؟ فأشاروا إليه فقالت: انت عاشق وبينك وبين من تحب القناطر والجسور، والمياه والأنهار، مع مالا يؤمن من حدوث الحوادث، فكيف تصبر على هذا، إنك لجسور صبور! فخامر قلبه هذا القول وجزع، فبادر فاكترى بغلاً إلى الكوفة، على الدخول، فمات يوم دخول الكوفة.

هو عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد، مولى ثقيف. وكان أبوه صاحب ديوان ووجهاً من وجوه الكتاب، وينسب إلى أمه بانة بنت روح القحطبية . وكان مغنياً محسناً، وشاعراً صالح الشعر، وصنعته صنعة متوسطة، النادر منها ليس بالكثير ، وكان يقعده عن اللحاق بالمتقدم في الصنعة أنه كان مرتجلاً، والمرتجل من المحدثين لا يلحق الضراب. وعلى ذلك فما فيه مطعن، ولا يقصر جيد صنعته عن صنعة غيره من طبقته وإن كانت قليلة، وروايته أحسن رواية.

وكتابه في الأغاني أصل من الأصول، وكان يذهب مذهب إبراهيم بن المهدي في الغناء وتجنيسه، ويخالف إسحاق ويتعصب عليه تعصباً شديداً، ويواجهه بذلك وينصر إبراهيم بن المهدي عليه. وكان تياهاً معجباً شديد الذهاب بنفسه، وهو معدود في ندماء الخلفاء ومغنيهم، على ما كان به من الوضح. وفيه يقول الشاعر:

أقول لعمرو وقد مر بي فسلم تسلمية جافية
لئن فضلوك بفضل الغناء لقد فضل الله بالعافية

وقال ابن حمدون: كان عمرو حسن الحكاية لمن أخذ الغناء عنه، حتى كان من يسمعه لو توارى عن عينه عمرو ثم غنيى لم يشكك في أنه هو الذي أخذ عنه، لحسن حكايته، وكان محظوظاً ممن يعلمه، ما علم أحداً قط إلا خرج نادراً مبرزاً.

فأخبرني جحظة قال حدثني أبو العبيس بن حمدون قال: قال لي عمرو بن بانه: علمت عشرة غلمان كلهم تبينت فيهم الثقافة والحذق، وعلمت أنه يتقدم، احدهم أنت، وتمرة، وما تبينت قط من أحد خلاف ذلك فعلمته.

وقال محمد بن الحسن الكاتب: حدثني أبو حارثة الباهلي عن أخيه أبي معاوية قال: سمعت عمرو بن بانة يقول لإسحاق في كلام جرى بينهما: ليس مثلي يقاس بمثلك، لأنك تعلمت الغناء تكسباً، وتعلمته تطرباً، وكنت

أضرب لئلا أتعلمه، وكنت تضرب حتى تتعلمه.

وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال: اجتمع عمرو بن بانة والحسين بن الضحاك في منزل ابن شعوف، وكان له خادم يقال له مفحم ، وكان عمرو يتهم به، فلما أخذ فيه الشراب سأل عمرو الحسين بن الضحاك أن يقول في مفحم شعراً ليغني فيه، فقال الحسين:

وأبأبي مفحم لغرته ... قلت له إذا خلوت مكتتما

تحب بالله من يخصك بالح ... سب فما قال لا ولا نعما

الشعر للحسين بن الضحاك، والغناء لعمرو بن بانة، ثاني ثقيل بالبنصر.

قال: فغنى فيه عمرو. ولم يزل هذا الشعر غناءهم، وفيه طربهم، إلى أن تفرقوا. وأتاهم في عشيتهم إسحاق بن إبراهيم الموصلي فسألوا ابن شعوف أن لا يأذن له، فحجبه، وانصرف إسحاق بن إبراهيم الموصلي إلى منزله، فلما تفرقوا مر به الحسين بن الضحاك وهو سكران، فأخبره بجميع ما دار بينهما في مجلسهم، فكتب إسحاق إلى ابن شعوف:

يا ابن شعوف أما سمعت بما ... قد صار في الناس كلهم علما

أتاك عمرو فبات ليلته ... في كل ما يشتهى كما زعما

حتى إذا ما الظلام خالطه ... سرى دبيباً فجامع الخدما

ثمت لم يرضى أن يفوز بذا ... سراً ولكن أبدى الذي كتما

حتى تغنى لفرط صبرته ... صوتاً شفى من فؤاده السقما

وابأبي مفحم لغرته ... قلت له إذ خلوت مكتتما

تحب بالله من يخصك بال ... ود فما قال لا ولا نعما

فهجر ابن شعوف عمرو بن بانة مدةً وقطع عشرته.

وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي بهذا الخبر قال: حدثني ميمون بن الأزرق قال: كان لمحمد بن شعوف الهاشمي ثلاثة غلمان مغنين، ومنهم اثنان صقلبيان محبوبان: خاقان وحسين، وكان خاقان أحسن الناس غناء، وكان حسين يغني غناء متوسطاً، وهو مع ذلك أضرب الناس، وكان قليل الكلام جميل الأخلاق، أحسن الناس وجهاً وجسماً، وكان الغلام الثالث فحلاً يقال له حجاج، حسن الوجه رومي حسن الغناء، فتعشق عمرو بن بانة منهم المعروف بحسين وقال فيه:

وابأبي مفحم لغرته ... قلت له إذ خلوت مكتتما

تحب بالله من يخصك بال ... ود فما قال لا ولا نعما

و لم يذكر غير هذا.

وقال محمد بن الحسن: حدثني أبو الحسين العاصمي قال:

دخلت أنا وصديق لي على عمرو بن بانة في يوم صائف، فصاد فناه جالساً في ظل طويل ممتع ، فدعاني إلى مشاركته فيه، وجعل يغنينا يومه كله لحنه:

نقابك فاتن لاتفتنينا ونشرك طيب لاتحرمينا

وخاتمك اليماني غير شك ختمت به رقاب العالمينا

الغناء لعمرو بن بانة، هزج خفيف بالبنصر.

قال: فما طربت لغناء قط طربي له، ولا سمعت أشجى ولا أكثر نغماً، ولا أحسن من غنائه .

وأخبرني جحظة قال: حدثني أبو حشيشة قال: كنت يوماً عند عمرو بن بانة، فزاره خادم كان يحبه فأقام عنده، فطلب عمرو في الدنيا كلها من يضرب عليه فلم يجد أحداً، فقال له جعفر الطبال: إن أنا غنيتك اليوم على عود يضرب به عليك، أي شيء لي عندك؟ قال: مائة درهم ودستيجة نبيذ. وكان جعفر متقدماً نادراً طيباً، وكان نذل الهمة ، فقال: أسمعني مخرج صوتك. ففعل فسوى عليه طلبه كما يسوي الوتر، واتكأ عليه بركبته فأوقع عليه . و لم يزل عمرو يغني بقية يومه على غيقاعه لا ينكر من شيئاً حتى انقضى يومنا ودفع إليه ائة درهم، وأحضر الدستيجة فلم يكن له من يحملها فحملها جعفر على عنقه، وغطاها بطيلسانة وانصرفنا.

قال أبو حشيشة: فحدثت بهذا الحديث إسحاق بن عمرو بن بزيع، وكان صديق إبراهيم بن المهدي، فحدثني أن أبراهيم بن المهدي قال له: يا جعفر حذق فلانة جاريتي ضرب الطبل، ولك مائة دينار أعجل لك منها خمسين. قال: نعم. فعجلت له الخمسون وعلمها، فلما حذقت طالب إبراهيم بتتمة المائة فلم يعطه، فاستعدى عليه أحمد بن أبي دواد الحسني خليفته فأعداه، ووكل إبراهيم وكيلاً، فلما تقدم مع الوكيل إلى القاضي أراد الوكيل أن يكسر حجة جعفر فقال: أصلح اله القاضي، سله من أين له هذا الذي يدعي؟ وما سببه؟ فقال جعفر: أصلح الله القاضي أنا رجل طبال، وشارطني إبراهيم على مائة دينار على أن أحذق جاريته فلانة، وعجل لي بخمسين ديناراً ومنعني الباقي بعد أن رضي حذقها، فيحضر القاضي الجارية وطبلها، وأحضر أنا طبلي، وسمعنا القاضي، فإن كانت مثلي قضى لي عليه، وإلا حذقتها فيه حتى يرضى القاضي. فقال له القاضي: قم عليك وعليها لعنة الله، وعلى من يرضى بذلك منك ومنها. فأخذ الأعوان بيده فأقاموه.

وقال علي بن محمد الهشامي : حدثني جدي ابن حمدون قال: كنت عند عمرو بن بانة يوماً ففتح باب داره فإذا بخادم ابيض شيخ قد دخل يقود بغلاً له عليه مزادة، فلما رآه عمرو صرخ:لا إله إلا الله، ما أعجب أمرك يا دنيا! فقلت له: مالك؟ قال: ياأبا عبد الله ، هذا الخادم رزق غلام علوية المغني، الذي يقول فيه الحسين بن الضحاك الشاعر:

ياليت رزقاً كان من رزقي ياليته حظي من الخلق

قد صار إلى ما ترى. ثم غناني لحناً له في هذا الشعر، فما سمعت أحسن منه منذ خلقت.

ياليست رزقاً كان من رزقي ... ياليته حظي من الخلق

يا شادناً ملكته رقي ... فلست أرجو راحة العتق

الشعر للحسين بن الضحاك، والغناء لعمرو بن بانة، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى.

وقال علي بن محمد الهشامي: حدثني جدي-يعني ابن حمدون-قال: كنا عند المتوكل ومعنا عمرو بن بانة، في آخر يوم من شعبان فقال له عمرو: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداءك، تامر لي بمترل فإنه لا مترل لي يسعني. فأمر المتوكل عبيد الله بن يحيى بأن يبتاع له مترلاً يختاره. قال: وهجم الصوم وشغل عبيد الله، وانقطع عمرو عنا، فلما أهل شوال دعا بنا المتوكل فكان أول صوت غناه عمرو في شعر هذا:

ملاك ربي الأعياد تخلقها ... في طول عمر ياسيد الناس

دفعت عن منزل أمرت به ... فإنني عنه مباعد خاس

فمر بتسليمه إلي على ... رغم عدوي بحرمة الكاس

أعوذ بالله والخليفة أن ... يرجع ما قلته على راسي

لحن عمرو في هذا الموضع هزج بالبنصر.

فدعا المتوكل بعبيد الله بن يحيى فقال له: لم دافعت عمراً بابتياع المترل الذي كنت أمرتك بابتياعه؟ فاعتل بدخول الصوم وتشعب الأشغال. فتقدم إليه أن لا يؤخر ابتياع ذلك إليه، فابتاع له الدور التي في دور سر من رأى، بحضرة المعلى بن أيوب. وفيها توفي عمرو.

أخبرني محمد بن إبراهيم قريص قال: سمعت أحمد بن أبي العلاء يحدث أستاذي-يعني محمد بن دواد بن الجراح قال: جمع عبد الله بن طاهر بين المغنين وأراد أن يمتحنهم، وأخرج بدرة دراهم سبقاً لمن تقدم منهم وأحسن، فحضره مخارق، وعلويه، وعمرو بن بانة، ومحمد بن الحارث بن بسخنر، فغنى فلم يصنع شيئاً، وتبعه محمد بن الحارث فكانت هذه سبيله، وامتدت الأعين إلى مخارق وعمرو، فبدأ مخارق فغنى:

إني امرؤمن خيرهم ... عمي وخالي من جذام

فما فهنهه عمرو مع انقطاع نفسه حتى غنى:

يا ربع سلامة بالمنحنى ... بخيف سلع جادك الوابل

وكان إبراهيم بن المهدي حاضراً فبكى طرباً وقال: أحسنت والله واستحققت، فإن أعطيته وإلا فخذه من مالي، يا حبيبي عني أخذت هذا الصوت، وقد والله زدت علي فيه وأحسنت غاية الإحسان، ولا يزال صوتي عليك أبداً.فقال له عبد الله: من حكمت له بالسبق فقد حصل. وأمر له بالبدرة فحملت إلى عمرو.

ثم حدثنا بعد ذلك أن إسحاق لقي عمرو بن راشد الخناق فقال له: قد بلغني خبر المجلس الذي جمع عبد الله فيه المغنين يمتحنهم، ولو شاء لكان في راحة من ذلك. قلت: وكيف؟ قال: أما مخارق فأحسن القوم غناء إذا اتفق له أن يحسن، وقلما يتفق له ذلك. وأما محمد بن الحارث فأحسنهم شمائل، وأملحهم إشارة بأطراف وجهه في الغناء، وليس له غير ذلك. وأما عمرو بن بانة فأعلم القوم وأرقاهم. وأما علويه فمن أدخله ابن الزانية مع هؤلاء؟.

إني أمرؤمن خيرهم عمي وخالي من جذام
خود كضوء البدر أو أضوا لدى الليل التمام
يجري وشاحاها على نحر نقي كالرخام

والغناء لابن جامع، رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.

يا خليلي من بني شيبان أنا لا شك ميت فابكياني
إن روحي لم يبق منها سوى شي ويسير معلق بلساني

الشعر لأبي العتاهية، والغناء لإبراهيم، رمل بالوسطى عن عمرو والهشامي وإبراهيم.

وهذا الشعر يخاطب به أبو العتاهية عبد الله، وزائدة بن معن بن زائدة الشيباني، وكان صديقاً وخاصاً بهما.

ثم إن يزيد بن معن غضب لمولاة لهم يقال لها سعدى، وكان أبو العتاهية يشبب بها، فضربه مائة سوط، فهجاه وهجا إخوته، ثم أصلح بينهم مندل بن علي العبدي، وهو مولى أبي العتاهية، فعاد إلى ما كان عليه لهم.

فأخبرني وكيع قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه. وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه قالا: قول أبي العتاهية:

يا خليلي من بني شيبان

يخاطب به عبد الله ويزيد ابني معن بن زائدة، او قال عبد الله وزائدة.

أخبرني ابن عمار قال: حدثني زيد بن موسى بن حماد. وأخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني محمد بن سعيد. قال حدثني أبو سويد عبد القوي بن محمد بن أبي العتاهية قال: كان أبو العتاهية في حداثته يهوى امرأة من أهل الحيرة نائحة ، لها حسن وجمال ودمائه، وكان ممن يهواها أيضاً عبد الله بن معن بن زائدة أبو الفضل؛ وكانت مولاة لهم يقال لها سعدى، وكان أبو العتاهية مغرماً بالنساء فقال فيها:

ألا يا ذوات السحق في الغرب والشرق أفقن فإن النيك أشهى من السحق
أفقن فإن الخبز بالأدم يشتهى وليس يسوغ الخبز بالخبر في الحلق
أراكن ترقعن الخروق بمثلها وأي لبيب يرقع الخرق بالخرق

وهل يصلح المراس إلا بعوده إذا احتيج منه ذات يوم إلى الدق

قال وقال فيه أيضاً:

قلت لقلب إذ طوى وصل سعدى لهواه البعيدة الأنساب

أنت مقل الذي يفر من القط ر حذار الندى إلى الميزاب

قال محمد بن محمد في خبره: فغضب عبد الله بن معن لسعدى ، فضرب أبا العتاهية مائة فقال:

جلدتني بكفها بنت معن بن زائدة

جلدتني بكفها بأبي أنت جالده

جلدتني وبالغت ومائة غير واحده

اجلدي اجلدي اجلدي إنما أنت والده

بين عبد الله بن معن وأبي العتاهية أخبرني وكيع قال: حدثني أبو أيوب المديني قال:

احتال عبد الله بن معن فضرب أبا العتاهية ضرباً غير مبرح، إشفاقاً مما يغنى به، فقال:

اجلدي اجلدي اجلدي إنما أنت والده

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا الغلابي قال: حدثني مهدي قال: تهدد عبد الله بن معن أبا العتاهية وخوفه ونهاه أن يعرض لمولاته سعدى، فقال أبو العتاهية قوله:

ألا قل لابن معن والذي في الود قد حالا

لقد بلغت ماقال فما باليت ما قالا

ولو كان من الأسد لما راع ولا هالا

فصغ ماكنت حليت به سيفك خلخالا

فما تصنع بالسيف إذا لم تك قتالا

ولو مد إلى أذني ه كفيه لما نالا

قصير الطول والطول فلاشب ولا طالا

أرى قومك أبطالا وقد أصبحت بطالا

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسن بن علي الرازي قال حدثني أحمد بن أبي فنن قال: كنا عند ابن الأعرابي فذكر قول يحيى بن نوفل في عبد الملك بن عمير القاضي:

إذا كلمته ذات دل لحاجة فهم بأن يقضي تنحنح أو سعل

وأن عبد الملك بن سليمان بن عمير قال: تركني والله وإن السعلة لتعرض لي في الخلاء فاذكر قوله فأتركها. قال: فقلت له: هذا عبد الله بن معن بن زائدة يقول له أبو العتاهية:

فصغ ما كنت حليت ... به سيفك خلخالا

وما تصنع بالسيف ... إذا لم تك قتالا

قال: فقال عبد الله: ما لبست السيف قط فلمحني إنسان إلا قلت إنه يحفظ شعر أبي العتاهية في، فينظر إلي بسببه. فقال ابن الأعرابي: اعجبوا إليه لعنة الله يهجو مولاه ! وكان أبو العتاهية من موالي بني شيبان.

وقال محمد بن موسى في خبره: وقال أبو العتاهية يهجو عبد الله بن معن:

لاتكثرا يا صاحبي رحلي ... في شتم من أكثر من عذلي

سبحان من خص ابن معن بما ... أرى به من قلة العقل

قال ابن معن وجلا نفسه ... علي من الجلوة يا أهلي

أنا فتاة الحي من وائل ... في الشرف الباذخ والنبل

ما في بني شيبان أهل الحجى ... جارية واحدة مثلي

ياليتني أبصرت دلالة ... تدلني اليوم على فحل

والهفتا اليوم على أمرد ... يلصق مني القطرط بالحجل

أتيته يوماً فصافحته ... فقال دع كفي وخذ رجلي

يكنى أبا الفضل فيا من رأى ... جارية تكنى أبا الفضل

قد نقطت في خدها نقطةً ... مخافة العين من الكحل

إن زرتموها قال حجابها ... نحن عن الزوار في شغل

مولاتنا خالية عندها ... بعل ولا إذن على البعل

قولا لعبد الله لاتجهلن ... وأنت رأس النوك والجهل

أتجلد الناس وأنت امرؤ ... تجلد في الدبر وفي القبل

تبذل ما يمنع أهل الندى ... هذا لعمري منتهى البذل

ما ينبغي للناس أن ينسبوا ... من كان ذا جود إلى البخل

وقال في ضربه إياه:

ضربتني بكفها بنت معن ... أوجعت كفها وما أوجعتني

ولعمري لو لا أذى كفها إذ ضربتني بالسوط ما تركتني

أخبرني ابن عمار قال حدثني محمد بن موسى. وأخبرني محمد بن يحيى قال حدثني جبلة بن محمد قالا: لما اتصل هجاء أبي العتاهية بعبد الله بن معن غضب من ذلك أخوه يزيد بن معن، فهجاه أبو العتاهية فقال:

بني معن ويهدمه يزيد كذاك الله يفعل ما يريد

فمعن كان للحساد غما وهذا قد يسر به الحسود

يزيد يزيد في منع وبخل وينقص في النوال ولا يزيد

أخبرني محمد بن يحيى عن جبلة بن محمد قال حدثني أبي قال: لما هجا أبو العتاهية بني معن فمضوا إلى مندل وحيان ابني علي العتربين الفقيهين، وكانا من سادات أهل الكوفة، وهما من بني عمرو بن عمرو، بطن من يقدم بن عنزة ، فقالوا لهما: نحن بيت واحد وأهل ولا فرق بيننا ، وقد أتانا من مولاكم هذا مالو أتى من بعيد الولاء لوجب أن تردعاه. فأحضر أبا العتاهية و لم يكن يمكنه الخلاف عليهما، فأصلحا بينه وبين عبد الله ويزيد ابني معن، وضمنا عنه خلوص النية، وعنهما ألا يتتبعاه بسوء وكانا ممن لايمكن خلافهما، فرجعت الحال إلى المودة والصفاء، وجعل الناس يعذلون أبا العتاهية فيما فرط منه، ولامه آخرون على صلحه لهم، فقال:

ما لعذالي ومالي أمروني بالضلال

عذلوني في اغتفاري لابن معن واحتمالي

أنا منه كنت أكبى زندةً في كل حال

كل ما قد كان منه فلقبح من فعال

إنما كانت يميني صرمت جهلاً شمالي

ماله بل نفسه لي وله نفسي ومالي

قل لمن يعجب من حس ن رجوعي وانتقالي

قد رأينا ذا كثيراً جارياً بين الرجال

رب وصل بعد صد وقلى بعد وصال

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن موسى قال: كان أبو العباس زائدة بن معن صديقاً لأبي العتاهية، و لم يعن أخويه عليه، فمات فرثاه فقال:

حزنت لموت زائدة بن معن حقيق أن يطول عليه حزني

فتى الفتيان زائدة المصفى أبو العباس كا، أخي وخدني

فتى قومي وأي فتى توارت به الأكفان تحت ثرى ولبن
ألا ياقبر زائدة بن معن دعوتك كي تجيب فلم تجبني
سل الأيام عن أركان قومي أصبت بهن ركناً بعد ركن
فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهناً وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها
فإن خفيت كانت لعينيك قرةً وإن تبد يوماً لم يعممك عارها
من الخفرات البيض لم تر شقوةً وفي الحسب المكنون صاف نجارها

الشعر لكثير، والغناء لمعبد في الأول الثاني، ولحنه من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطىعن إسحاق.

وذكر عمرو بن بانة أنه لابن سريج. وللغريض في الرابع والثالث ثقيل أول بالبنصر عن عمرو وحبش.

وذكر الهشامي أن الأول والثاني رملاً لابن سريج بالوسطى.

ذكر عمرو وحبش أن فيه رملاً لابن جامع بالبنصر.

وفي الأبيات خفيف ثقيل يقال إنه لمعبد، ويقال إنه للغريض، وأحسبه للغريض.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة هكذا موقوفاً لم يتجاوز. وأخبرني أن كثير بن عبن الرحمن كان غالياً في التشيع. وأخبر عن قطام صاحبة ابن ملجم في قدمة قدمها الكوفة فأراد الدخول عليها ليوبخها، فقيل له: لاتردها فإن جواباً. فأبى وأتاها فوقف على بابها فقرعه فقالت: من هذا؟ فقال: كثير بن عبد الرحمن الشاعر. فقالت لبنات عم لها: تنحين حتى يدخل الرجل. فولجن البيت وأذنت له، فدخل وتنحت من بين يديه، فرآها وقد ولت فقال لها: أنت قطام؟ قالت: نعم. قال: صاحبة علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قالت: صاحبة عبد الرحمن بن ملجم. قال: أليس فيك قتل علي بن أبي طالب؟ قالت: بل مات بأجله. قال: أما والله لقد كنت أحب أن أراك، فلما رأيتك نبت عيني عنك، فما احلوليت في خلدي. قالت: والله إنك لقصير القامة، عظيم الهامة، قبيح المنظر، وإنك لكما قال الأول: تسمع بالمعبدي خير من أن تراه . فقال:

رأت رجلاً أودى السفار بوجهه فلم يبق إلا منظر وجناجن
فإن أك معروق العظام فإنني إذا وزن الأقوام بالقوم وازن
وإني لما استودعتني من أمانة إذا ضاعت الأسرار لسر دافن

فقالت: أنت لله أبوك كثير عزة؟ قال: نعم. قالت: الحمد لله الذي قصر بك فصرت لاتعرف إلا بامرأة! فقال: الأمر كذلك، فوالله لقد سار بها شعري وطار بها ذكري، وقرب من الخليفة مجلسي، وأنا لكما قلت:

فإن خفيف كان لعينك قرةً وإن تبد يوماً لم يعمك عارها

فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها وغرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا وقد أوقدت بالمندل اللدن نارها

فقالت: با لله ما رأيت شاعراً قط أنقص عقلاً منك، ولا أضعف وصفاً، أين أنت من سيدك امرىء القيس حيث يقول:

ألم تريا ني كلما جئت طارقا وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

فخرج وهو يقول:

الحق أبلج لايخيل سبيله والحق يعرفه ذوو الألباب

هاك فاشربها خليلي في مدى الليل الطويل

قهوةً في ظل كرم سبيت من نهر بيل

في لسان المرء منها مثل طعم الزنجبيل

قل لمن يلحاك فيها من فقيه أو نبيل

أنت دعها وارج أخرى من رحيق السلسبيل

تعطش اليوم وتسقى في غد نعت الظلول

الشعر لآدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، والغناء لإبراهيم الموصلي، هزج بالبنصر عن حبش. ولإبراهيم بن المهدي في الخامس والسادس والأول خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي. ولهاشم فيها ثاني ثقيل بالبنصر، وقيل لعبد الرحيم .

ذكر ادم بن عبد العزيز وأخباره

آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

وأمه أم عاصم بنت سفيان بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أيضاً.

وهو أحد من من عليه أبو العباس السفاح من بني أمية لما قتل من وجد منهم.

وكان آدم في أول أمره خليعاً ماجناً منهمكاً في الشراب، ثم نسك بعد ما عمر، ومات على طريقة محمود.

وأخبرني الحسين بن علي عن أحمد بن سعيد الدمشقي، عن الزبير بين بكار عن عمه: أن المهدي أنشد هذه الأبيات وعنى فيها بحضرته:

أنت دعها وارج أخرى من رحيق السلسبيل

فسئل عن قائلها فقيل آدم بن عبد العزيز بن عرو بن عبد العزيز، فدعا به فقال له: ويلك تزندقت؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ومتى رأيت قرشياً تزندق؟ والمحنة في هذا إليك ، ولكنه طرب غلبني، وشعر طفح على قلبي في حال الحداثة فنطقت به. فخلى سبيله.

قال: وكان المهدي يحبه ويكرمه، لظرفه وطيب نفسه.

وروي هذا الخبر عن مصعب الزبيري وإسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: كان آدم بن عبد العزيز يشرب الخمر ويفرط في المجون، وكان شاعراً، فأخذه المهدي فضربه ثلثمائة سوط على أن يقر بالزندقة، فقال: والله ما أشركت با لله طرفة عين، ومتى رأيت قرشياً تزندق؟ قال: فأين قولك:

اسقني واسق غصينا ... لا تبع بالنقد دينا

اسقنيها مزة الطعـ ... ـم تريك الشين زينا

في هذين البيتين لعمرو بن بانة ثاني ثقيل بالوسطى، ولإبراهيم هزج بالبنصر-.

قال: فقال لئن كنت ذاك فما هو مما يشهد على قاتله بالزندقة. قال: فأين قولك:

اسقني واسق خليلي ... في مدى الليل الطويل

قهوة صهباء صرفاً ... سبيت من نهر بيل

لونها أصفر صاف ... وهي كالمسك الفنيل

في لسان المرء منها ... مثل طعم الزنجبيل

ريحها ينفسح منها ... ساطعاً من رأس ميل

من ينل منها ثلاثاً ... ينس منهاج السبيل

فمتى ما نال خمساً ... تركته كالقتيل

ليس يدري حين ذاكم ... ما دبير من قبيل

إن سمعي عن كلام ال ... لائمي فيها الثقيل

لشديد الوفر، إني ... غير مطواع ذليل

قل لمن يلحاك فيها ... من فقيه أو نبيل

أنت دعها وارج أخرى ... من رحيق السلسبيل

نعطش اليوم ونسقى ... في غد نعت الطلول

فقال: كنت فتى من فتيان قريش، أشرب النبيذ وأقول ما قلت على سبيل المجون، والله ما كفرت با لله قط، ولا شككت فيه. فخلى سبيله ورق له.

قال مصعب: وهو الذي يقول:

اسقني يا معاوية سبعة أو ثمانية

اسقنيها وغنني قبل أخذ الزبانيه

اسقنيها مدامةً مزة الطعم صافية

ثم من لامنا علي-ها فذاك ابن زانيه فيه خفيف رمل بالبنصر ينسب إلى أحمد بن المكي، وإلى حكم الوادي.

قال: وآدم الذي يقول:

أقول وراعني إيوان كسرى برأس معان أو أدروسفان

وأبصرت البغال مربطات به من بعد أزمنة حسان

يعز على ابي ساسان كسرى بموقفكن في هذا المكان

شربت على تذكر عيش كسرى شراباً لونه كالزعفران

ورحت كأنني كسرى إذا ما علاه التاج يوم المهرجان

قال وهو الذي يقول:

أحبك حبين لي واحد وآخر انك أهل لذاك

فأما الذي هو حيب الطباع فشيء خصصت به عن سواك

وأما الذي هو حب الجمال فلست أرى ذاك حتى أراك

ولست أمن بهذا عليك لك المن في ذا وهذا وذاك

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثني عمي عن فليح بن سليمان قال: مررنا يوماً مع خالصة في موكبها، فوقفت على آدم بن عبد العزيز فقالت: يا أخي طلبت منا حاجةً فرفعناها لك إلى السيدة وأمرت بها وهي في الديوان، فساء ظنك بها فقعدت عن تنجزها. قال: فموه لها عذراً اعتذر به فوقفت عن الموكب حتى مضت، ثم قلت له: أخملت نفسك، والله ما أحسب أنه حبسك عنها إلا الشراب، أنت ترى الناس يركضون خلفها وهي ترف عليك لحاجتك . فقال: والله هو ذاك، إذا أصبحت فكل كسرةً ولو بملح، وافتح دنك فإن كان حامضاً دبغ معدتك، وإن كان حلواً خرطك ، وإن كان مدركاً فهو الذي أردت. قلت: لا بارك الله عليك. ومضيت، ثم أقلع بعد ذلك وتاب. فاستأذن يوماً على يعقوب بن الربيع وأنا عنده فقال يعقوب: ارفعوا الشراب فإن هذا

قد تاب وأحسبه يكره أن يراه. فرفع وأذن له، فلما دخل قال: "إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون". قال يعقوب: هو الذي وجدت، ولكننا ظننا أن يثقل عليك لتركك الشراب. قال: إي والله، إنه ليثقل علي ذاك. قال: فهل قلت في ذلك شيءاً منذ تركته؟ قال قتل:

ألا هل فتى عن شربها اليوم صابر ... ليجزيه يوماً بذلك قادر

شربت فلما قيل ليس ينازع ... نزعت وثوبي من أذى اللوم طاهر

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: حدثني أبو هفان عن إسحاق قال: كان مع المهدي رجل من أهل الموصل يقال له سليمان بن المختار، وكانت له لحية عظيمة، فذهب يوماً ليركب فوقعت لحيته تحت قدمه في الركاب فذهب عامتها، فقال آدم بن عبد العزيز قوله:

قد استوجب في الحكم ... سليمان بن مختار

بما طول من لحي ... ته جزا بمنشار

أو السيف أو الحلق ... أو التحريق بالنار

فقد صار بها أشه ... ر من رابة بيطار

فقال: ثم أنشدها عمر بن بزيغ المهدي فضحك، وسارت الأبيات، فقال أسيد بن أسيد، وكان وافر اللحية: ينبغي لأمير المؤمنين أن يكف هذا الماجن عن الناس. فبلغت آدم بن عبد العزيز فقال:

لحية تمت وطالت ... لأسيد بن أسيد

كشراع من عباء ... قطعت حبل الوريد

يعجب الناظر منها ... من قريب وبعيد

هي إن زادت قليلاً ... قطعت حبل الوريد

وقال: وكان المهدي يدني آدم ويحبه ويقربه، وهو الذي قال لعبد الله بن علي لما أمر بقتله في بني أمية بنهر أبي فطرس : إن أبي لم يكن كابائهم، وقد علمت مذهبه فيكم. فقال: صدقت، وأطلقه. وكان طيب النفس متصوفا، ومات على توبة ومذهب جميل.

ألا ياصاح للعجب ... دعوتك ثم لم تجب

إلى القينات والذا ... ت والصهباء والطرب

ومنهن التي تبلت ... فؤادك ثم لم تتب

الشعر ليزيد بن معاوية، يقوله للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. والغناء لسائب خاثر، خفيف رمل الوسطى عن حبش.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني المادائني قال: قدم سلم بن زياد على يزيد فنادمه، فقال له ليلةً: ألا أوليك خراسان؟ قال: بل وسجستان. فعقد له في ليلته فقال:

اسقني شربةً فرو عظامي ثم عد واسق مثلها ابن زياد

موضع السر والأمانة مني وعلى ثغر مغنمي وجعادي

قال: ولما رجع في خلافة أبيه جلس بالمدينة على شراب، فاستأذن عليه عبد الله بن العباس، والحسين بن علي، فأمر بشرابه فرفع وقيل له: إن ابن عباس إن وجد ريح شرابك عرفه. فحجبه وأذن للحسين، فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطيب فقال: لله در طيبك هذا ما أطيبه، وما كنت أحسب أحداً يتقدما في صنعة الطيب، فما هذا يا ابن معاوية؟ فقال: يا أبا عبد الله، هذا طيب يصنع لنا بلشأم. ثم دعا بقدح فشربه، ثم دعا بقدح آخر فقال: اسق أبا عبد الله ياغلام. فقال الحسين: عليك شرابك أيها المرء، لا عين عليك مني. فشرب وقال:

ألا يا صاح للعجب دعوتك ثم لم تجب

إلى القينات واللذا ت والصهباء والطرب

وباطية مكللة عليها سادة العرب

وفيهن التي تبلت فؤادك ثم لم تتب

فوثب الحسين عليه السلام وقال: بل فؤادك يا ابن معاوية!.

أأن نادى هديلاً يوم فلج مع الإشراق في فنن حمام

ظللت كأن دمعك در سلك وهي خيطاً وأسلمه النظام

تموت تشوقاً طوراً وتحيا وأنت جدير أنك مستهام

كأنك من تذكر أم عمرو وحبل وصالها خلق رمام

سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام

فإن يكن النكاح أحل انثى فإن نكاحها مطراً حرام

ولاغفر إلا له لمنكحيها ذنوبهم وإن صلوا أو ساموا

فطلقها فلست لها بكفء وإلا عض مفرقك الحسام

الشعر للأحوص، والغناء لمعبد من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجرى الوسطى. ولإبراهيم الموصلي في الأربعة الأبيات الأول ثاني ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني محمد بن ثابت بن إبراهيم بن خلاد الأنصاري قال: حدثني أبو

عبد الله بن سعد الأنصاري قال: قدم الأحواص البصرة فخطب إلى رجل من تميم ابنته، وذكر له نسبه، فقال: هات لي شاهداً واحداً يشهد أنك ابن حمي الدبر وأزوجك. فجاءه بمن شهد له على ذلك، فزوجه إياها، وشرطت عليه ألا يمنعها من أحد من أهلها، فخرج إلى المدينة وكانت أختها عند رجل من بني تميم قريباً من طريقهم، فقالت له: اعدل بي إلى أختي. ففعل، فذبحت لهم وأكرمتهم، وكانت من أحسن الناس، وكان زوجها في إبله، فقالت زوجة الأحوص له: أقم حتى يأتي. فلما أمسوا راح مع إبله ورعائه، وراحت غنمه فراح من ذلك أمر كثير . وكان يمسي مطراً، فلما رآه الأحوص ازدراه واقتحمته عينه، وكان قبيحاً دميماً ، فقالت له زوجته: قم إلى سلفك وسلم عليه. فقال وأشار إلى أخت زوجته بإصبعه:

سلام الله يامطر عليها ... وليس عليك يامطر السلام

وذكر الأبيات وأشار إلى مطر بإصبعه، فوثب إليه مطر وبنوه، وكاد الأمر يتفاقم حتى حجز بينهم .

قال الزبير: قال محمد بن ثابت: أبو عبد الله بن سعد الذي حدث بهذا الحديث، امه بنت الأحوص، وأمها التميمية أخت زوجة مطر.

وأخبرنا الحسين بن يحيى قال: حدثنا حماد عن أبيه، أن امرأة الأحوص التي تزوجها، إحدى بني سعد بن زيد مناه بن تيمم. وذكر باقي القصيدة، وهو قوله:

كأنك من تذكر أم عمرو ... وحبل وصالها خلق رمام

صريع مدامة علبت عليه ... تموت لها المفاصل والعظام

وأني من بلادك أم عمرو ... سقى داراً تحل بها الغمام

تحل النعف من أحد وأدنى ... مساكنها الشبيكة أو سنام

فلو لم ينكحوا إلا كفيا ... لكان كفيها الملك الهمام

أخبرني الحسين قال: قال حماد: قرأت على أبي: حدثنا ابن كناسة قال: مر بنا أشعب ونحن جماعة في المجلس، فأتى جار لنا صاحب جوار يقال له أبان بن سليمان، وعليه رداء خلق، قد بدا منه ظهره وبه آثار، فسلم علينا فرددنا عليه السلام، فلما مضى قال بعض القوم: مدني مجلود! فأراه سمعها أو سمعها رجل يمشي معه فأخبره، فلما انصرف وانتهى إلى المجلس قال:

سلام الله يا مطر عليها ... وليس عليك يا مطر السلام

فقلت للقوم: أنتم والله مطر.

ومثل ما جرى في هذا الخبر من قوله في المرأة، خبر له آخر شبيه به مع ابن حزم.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا محمد بن فضالة، عن جميع بن يعقوب قال: خطب أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم،

بنت عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر، إلى أخيها معمر بن عبد الله فزوجه إياها، فقال الأحوص أبياناً وقال لفتى من بني عمرو بن عرف: أنشدها معمر بن عبد الله في مجلسه ولك هذه الجبة. فقال الفتى: نعم. فجاءه وهو في مجلسه فقال:

يا معمر يا ابن زيد حين تنكحها وتستبد بأمر الغي والرشد

فقال: كان ذلك الرجل غائباً. فقال الفتى:

أما تذكرت صيفيا فتحفظه أو عاصماً أو قتيل الشعب من أحد

قال: ما فعلت ولا تذكرت. فقال الفتى:

أكنت تجهل حزماً حين تنكحها أم خفت،لا زلت فيها جائع الكبد

قال معمر: لم أجهل حزماً. فقال الفتى:

أبعد صهر بني الخطاب تجعلهم صهراً وبعد بني العوام من أسد

فقال معمر: قد كان ذلك. فقال الفتى:

هبها سليلة خيل غير مقرفة مظلومة حبست للعير في الجدد

قال: نعم أعانها الله وصبرها. فقال الفتى:

فكل ما نالنا من عار منكحها شوى إذا فارقته وهي لم تلد

قال: نعم إلى الله عز وجل في ذلك الرغبة.

قال الزبير: أما قوله صهر بني الخطاب فإن جميلة بنت أبي الأقلح كانت عند عمر بن الخطاب، فولدت له عاصم بن عمرو. وأما صهر بني العلوم فإن نهيسة بنت النعمان بن عبد الله بن أبي عقبة، كانت عند يحيى بن حمزة بن عبد الله بن الزبير، فولدت له أبا بكر ومحمداً.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير قال: حدثني مصعب قال: قال الهدير: كرهت أم جعفر أصواتاً من الغناء القديم، فأرسلت لها رسولاً يلقيها في البحر، ثم غنتها جارية بعد ذلك:

سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام

فقالت: هذا أرسلوا به رسولاً مفرداً إلى دهلك ليلقيه في البحر خاصة. قال: والذي حمل أم جعفر على هذا التطير على ابنها محمد بن الأمين من هذه الأصوات، أيام محاربته المأمون فمنها قوله:

كليب لعمري كان أكثر ناصراً وأيسر جرماً منك ضرج بالدم

ومنها قوله:

هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه

ومنها قوله:

رأيت زهيراً تحت كلكل خالد فأقبلت أسعى كالعجول أبادر

ومنها قوله:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشرأهون من بعض

مضى الحديث.

وكنا كند ماني جذيمة حقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلةً معاً

الشعر لمتمم بن نويرة، يرثي أخاه مالكاً. والغناء لسياط.

ذكر متمم وأخباره وخبر مالك ومقتله

هو متمم بن نويرة بن عمرو بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بنن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار. ويكنى متمم بن نوبرة أبا نهشل.

ويكنى أخوه مالك أبا المغوار. وكان مالك يقال له فارس ذي الخمار، قيل له ذلك بفرس كان عنده يقال له ذو الخمار، وفيه يقول وقد أحمده في بعض وقائعه:

جزاني دوائي ذو الحمار وصنعتي بما بات أطواء بني الأصاغر

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: كان مالك بن نويرة شريفاً فارساً، وكان فيه خيلاء وتقدم، وكان ذا لمة كبيرة، وكان يقال له الجفول .

وكان مالك قتل في الردة، قتله خالد بن الوليد بالبطاح في خلافة أبي بكر، وكان مقيماً بالبطاح، فلما تنبأت سجاح اتبعها ثم أظهر أنه مسلم، فضرب خالد عنقه صبراً، فطعن عليه في ذلك جماعة من الصحابة، منهم عمر بن الخطاب، وأبو قتادة الأنصاري، لأنه تزوج امرأة مالك بعده، وقد كان يقال إنه يهواها في الجاهلية واتهم لذلك أنه قتله مسلماً ليتزوج امرأته بعده.

حدثنا بالسبب في مقتل مالك بن نويرة محمد بن جرير الطبري قال:

كتب إلي السري بن يحيى، يذكر عن شعيب بن إبراهيم التيمي، عن سيف بن عمر، عن الصقعب بن عطية عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل عماله على بني تميم، فكان مالك بن نويرة عامله على بني يربوع. قال: ولما تنبأت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان وسارت من الجزيرة، راسلت مالك بن نويرة ودعته إلى الموادعة، فأجابها وقناها عن غزوها، وحملها على أحياء من بني تميم، فأجابته وقالت: نعم فسأنك بمن رأيت، وإنما أنا امرأة من بني يربوع، وإن كان ملك فهو ملككم. فلما تزوجها مسيلمة الكذاب ودخل بها

انصرفت إلى الجزيرة وصالحتهأن يحمل عليها النصف من غلات اليمامة، فارعوى حينئذ مالك بن نويرة وندم وتحير في أمره، فلحق بالبطاح، و لم يبق في بلاد بني حنظلة شيء يكره إلا ما بقي من أمر مالك بن نويرة ومن تأشب إليه بالبطاح، فهو على حاله متحير ما يدري ما يصنع.

وقال سيف: فحدثني سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد وعمرو بن شعيب قالا: لما أراد خالد بن الوليد المسير خرج من ظفر وقد استبرأ أسداً وغطفان وطيئاً ، فسار يريد البطاح دون الحزن، عليها مالك بن نويرة وقد تردد عليه أمره وقد ترددت الأنصار على خالد وتخلفت عنه، وقالوا: ما هذا بعهد الخليفة إلينا؛ فقد عهد إلينا إن نحن فرغنا من البراخة واستبرأنا بلاد القوم، أن يكتب إلينا بما نعمل. فقال خالد: إن يكن عهد إليكم هذا فقد عهد إلي أن أمضي، وأنا الأمير وإلي تنتهي الأخبار، ولو أنه لم يأتني له كتاب ولا أمر ثم رأيت فرصةً إن أعلمته بها فاتتني لم أعلمه حتى أنتهزها. وكذلك لو ابتلينا بأمر ليس منه عهد إلينا فيه لم ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا ونعمل به. وهذا مالك بن نويرة بحيالنا، وأنا قاصد له بمن معي من المهاجرين والتابعين لهم بإحسان، ولست أكرههم . ومضى خالد وبرمت الأنصار وتذامروا وقالوا: لئن أصاب القوم خيراً إنه لخير حرمتموه، ولئن أصابتهم مصيبة ليجتنبكم الناس. فأجمعوا على اللحاق بخالد، وجردوا إليه رسولاً، فأقام عليهم حتى لحقوا به، ثم سار حتى لحق البطاح فلم يجد به أحداً.

قال السري عن سعيب، عن سيف عن خزيمة بن شجرة العقفاني عن عثمان بن سويد، عن سويد بن المنعبة الرياحي قال: قدم خالد بن الوليد البطاح فلم يجد عليه أحداً، ووجد مالك بن نويرة قد فرقهم في أموالهم ونهاهم عن الاجتماع، فبعث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام ، فمن أجاب فسالموه ومن لم يجب وامتنع فاقتلوه. وكان فيما أوصاهم أبو بكر: إذا نزلتم منزلاً فأذنوا وأقيموا، فإن أذن القوم وأقاموا فكفوا عنهم، وإن لم يفعلوا فلا شيء إلا الغارة. ولا كلمة. فجادته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع، ومن بني عاصم ، وبيد، وعرين ، وجعفر، واختلفت السيرة فيهم، وفيهم أبو قنادة. وكان ممن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا. فلما اختلفوا فيهم أمر بحبسهم، في ليلة باردة لايقوم لها شيء، وجعلت تزدادبرداً، فأمر خالد منادياً فنادى: دافئوا أسراكم. وكان في لغة كنانة إذا قالوا: دافأنا الرجل وأدفئوه، فذلك معنى اقتلوه من الدفء. فظن القوم أنه يريد القتل فقتلوهم . فقتل ضرار بن الأزور مالكاً، فسمع خالد الواعية ، فخرج وقد فرغوا منهم فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه. وقد اختلف القوم فيهم فقال أبو قتادة: هذا عملك.

فزيره خالد فغضب ومضى حتى أتى أبا بكر، فغضب عليه أبو بكر حتى كلمه عمر بن الخطاب فيه، فلم يرضى إلا بأن يرجع إليه، فرجع إليه فلم يزل معه حتى قدم المدينة، وقد كان تزوج خالد أم تميم بنت المنهال وتركها لينقضي طهرها، وكانت العرب تكره النساء في الحرب وتعايره، فقال عمر لأبي بكر: إن في سيف خالدرهقاً، وحق عليه أن تقيده . وأكثر عليه في ذلك. وكان أبو بكر لايقيد من عماله ولا من زوعته ، فقال: هبه ياعمر تأول فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد. وودى مالكاً، وكتب إلى خالد أن يقدم عليه، ففعل وأخبره خبره فعذره.

وقبل منه، وعنفه بالتزوج الذي كانت العرب تعيب عليه من ذلك.

فذكر سيف عن هشام بن عروة عن ابيه قال: شهد قوم من السرية أنهم أذنوا وأقاموا وصلوا، وشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شيء فتلوا. وقدم أخوه متمم ينشد أبا بكر دمه ويطلب إليه في سبيهم، فكتب له برد السبي، وألح عليه عمر في خالد أن يعزله وقال: إن في سيفه لرهقاً! فقال له: لا ياعمر، لم أكن لأشيم سيفاً سله الله على الكافرين.

حدثنا محمد بن إسحاق قال: كتب إلى السري عن شعيب عن سيف عن خزيمة عن عثمان عن سويد قال: كان مالك من أكثر الناس شعراً، وإن أهل العسكر أثفوا القدور بروءسهم ، فما منها رأس إلا وصلت النار إلى بشرته، ما خلا مالكاً فإن القدر نضجت وما نضج رأسه من كثرة شعره،ووقى الشعر البشرة من حر النار أن تبلغ منه ذلك.

قال: وأنشد متمم عمر بن الخطاب، ذكر خمسه- يعني قوله:

لقد كفن المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان العشيات أروعا

فقال: أكذاك كان يا متمم؟ قال: أما ما أعني فنعم.

أخبرني اليزيدي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب. وحدثنيه أحمد بن الجعد قال: حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال: حدثنا محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب: أن مالك بن نويرة كان من أكثر الناس شعراً، وأن خالداً لما قتله أمر برأسه فجعل أثفية لقدر، فنضج ما فيها قبل أن تبلغ النار إلى شواته.

أخبرني محمد بن جرير قال: حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، عن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

أن أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه: أن إذا غشيتم داراً من دور الناس فسمعتم فيها أذاناً للصلاة فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم ماذا نقموا، وإذا لم تسمعوا، وإذا لم تسمعوا أذاناً فشنوا الغارة واقتلوا وحرقوا. فكان ممن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الأنصاري، واسمه الحارث بن ربعي أخو بني سلمة، وقد كانعاهد الله أنه لا يشهد حرباً بعدها أبداً. وكان يحدث أنهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل، فأخذ القوم السلاح. قال: فقلنا لهم: إنا المسلمون فقالوا: ونحن المسلمون. قلنا : فما بال السلاح معكم؟ فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح. ففعلوا ثم صلينا وصلوا. وكان خالد يعتذر في قتله أنه قال له وهو يراجعه: ما إخال صاحبكم-يعني النبي صلى الله عليه وسلم- إلا وقد كان يقول كذا وكذا. فقال خالد: أو ما تعده صاحباً؟! ثم قدمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه، فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطاب تكلم فيه عند أبي بكر رضي الله عنه، وقال: عدو الله عدا على امرئ مسلم فقتله، ثم نزا على امرأته.

وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء له، وعليه صدأ الحديد، معتجراً بعمامة قد غرز فيها أسهماً، فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها ثم قال: أقتلت أمرأً مسلماً ثم نزوتعلى امرأته، والله لأرجمك باحجارك ! ولا يكلمه خالد بن الوليد ولا يظن إلا أن رأى أبي بكر على مثل رأي غمر فيه، حتى دخل على أبي بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه، فعذره أبو بكر وتجاوز له عما كان في حربه تلك.

فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر، وعمر جالس في المسجد الحرام، فقال: هلم إلي يا ابن أم شملة . فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه، فلم يكلمه ودخل بيته. وكان الذي قتل مالك بن نويرة عبد بن الأزور الأسدي. ضرار قاتل مالك وقال محمد بن جرير: قال ابن الكلبي: الذي قتل مالك بن نويرة ضرار بن الأزور.

وهكذا روى أبو زيد عمر بن شبة عن أصحابه، وأبو خليفة عن محمد بن سلام قال: قدم مالك بن نويرة على النيب صالى الله عليه وسلم فيمن قدم من أمثاله من العرب، فولاه صدقات قومه بني يربوع، فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم اضطرب فيها فلم يحمد أمره، وفرق ما في يده من إبل الصدقة، فكلمه الأقرع بن حابس المجاشعي، والقعقاع بن معبد بن زرارة الدرامي فقال له: إن لهذا الأمر قائماً وطالباً، فلا تعجل بتفرقة ما في يدك. فقال:

أراني الله بالنعم المندى ببرقة رحرحان وقد أراني

تمشى يا بن عوذة في تميم وصاحبك الأقيرع تلحياني

حميت جميعها بالسيف صلتاً ولم ترعش يداي ولا بناني

يعني أم القعقاع، وهي معاذة بنت ضرار بن عمرو. وقال أيضاً:

وقلت خذوا أموالكم غير خائف ولا ناظر فيما يجيء من الغد

فإن قام بالأمر المخوف قائم منعنا وقلنا الدين دين محمد

قال ابن سلام : فمن لا يعذر خالداً يقول: إنه قال لخاد: ويهذا أمرك صاحبك- يعني النبي صلى الله عليه وسلم- وانه أراد بهذه القرشية. ومن يعذر خالداً يقول: إنه أراد انتفاء من النبوة، ويحتج بشعريه المذكورين آنفاً. ويذكر خالد أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجهه إلا ابن جلندى قال له: يا أبا سليمان، إن رأت عينك مالكاً فلا تزايله أو تقتله.

قال محمد بن سلام: وسمعني يوماً يونس وأنا أراد التميمية في خالد وأعذره، فقال لي: يا أباعبد الله، أما سمعت بساقي أن تميم؟ يعني زوجة مالك التي تزوجها خالد لما قتله-وكان يقال إنه لم ير أحسن من ساقيها. قال وأحسن ما سمعت من عذر خالد قول متمم بان أخاه لم يستشهد. ففيه دليل على غدر خالد.

أخبرنا اليزيدي قال: حدثنا الرياشي قال: حدثني محمد بن الحكم البجلي عن الأنصاري قال: صلى متمم بن نويرة مع أبي بكر الصبح، ثم أنشده قوله:

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت تحت الإزار قتلت يا ابن الأزور

أدعوته بالله ثم قتلته لو هو دعاك بذمة لم يغدر

فقال أبو بكر: والله ما دعوته ولا قتلته. فقال:

لايضمر الفحشاء تحت ردائه حلو شمائله عفيف المئزر

ولنعم حشو الدرع أنت وحاسراً ولنعم مأوى الطارق المتنور

قال: ثم بكى حتى سالت عينه، ثم انخرط على سية قوسه متكئاً . يعني مغشياً عليه.

أخبرني اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثني محمد بن صخر بن خلخلة قال: ذكر متمم بن نويرة أخاه في المدينة فقيل له: إنك لتذكر اخاك، فما كانت صفته، او صفه لنا؟ فقال: كان يركب الجمل الثفا في الليلة الباردة، يرتوي لأهله بين المزادتين المضرجتين ، عليه الشملة الفلوت ، يقود الفرس الجرور ، ثم يصبح ضاحكاً.

أخبرني اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن زهير، عن الزبير بن حبيب بن بدر الطائي وغيره: ان المنهال: رجلاً من بني يربوع، مر على أشلاء مالك بن نويرة لما قتله خالد، فأخذ ثوباً وكفنه فيه ودفنه، فقيه يقول متمم:

لعمري وما دهري بتأبين مالك ولا جزع مما أصاب فأوجعا

لقد كفن المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان العشيات أروعا

غناه عمرو بن أبي الكنات، ثقيل أول بالوسطى عن حبش.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا الحسن بن محمد البصري، قال: حدثنا الحسن بن إسماعيل القضاعي قال حدثني أحمد بن عمار العبدي ، وكان من العلم بموضع قال: حدثني أبي عن جدي قال: صليت مع عمر بن الخطاب الصبح، فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل قصير أعور متنكباً قوساً ، وبيده هرواة، فقال: من هذا؟ فقال: متمم بن نويرة. فاستنشده قوله في أخيه، فأنشده:

لعمري وما دهري بتأبين مالك ولا جزع مما أصاب فأوجعا

لقد كفن المنهال تحت ثيابه فتى غير مبطان العشيات أروعا

حتى بلغ إلى قوله:

وكنا كندماني جذيمة حقبةً من الدهر حتى قيل بن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلةً معاً

فقال عمر: هذا والله التابين، و لوددت أني أحسن الشعر فأرثي أخي زيداً بمثل ما رثيت به أخاك. فقال متمم: لو أن أخي مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته-وكان قتل باليمامة شهيداً، وأمير الجيش خالد بن الوليد- فقال عمر: ما عزاني أحد عن اخي بمثل ما عزاني به متمم.

قال: وكان عمر يقول: ما هبت الصبا من نحو اليمامة إلا خيل إلي أني أشم ريح أخي زيد .

قال: وقيل لمتمم: ما بلغ من وجدك على أخيك؟ فقال أصبت بإحدى عيني فما قطرت منها دمعة عشرين سنة، فلما قتل أخي استهلت فما ترقأ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو أحمد الزبير قال: حدثنا عبد الله بن لاحق، عن ابن أبي مليكة قال: مات عبد الرحمن بن أبي بكر بالحبشي خارج مكة ، فحمل فدفن بمكة، فقدمت عائشة فوقفت على قبره وقالت متمثلة:

وكنا كندماني جذيمة حقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً

أما والله لو حضرتك لدفنت حيث مت، ولو شهدتك مازرتك.

أخبرني إبراهيم بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن سملم بن قنيبة: أن متمم بن نويرة دخل على عمر بن الخطاب فقال له عمر: ما أرى في أصحابك مثلك. فقال: يا أمير المؤمنين أما والله إني مع ذلك لأركب الجمل الثفال، وأعتقل الرمح الشطون ، وألبس الشملة الفلوت. ولقد أسترني بنو تغلب في الجاهلية فبلغ ذلك أخي مالكاً فجاء ليفديني منهم ، فلما رآه القوم أعجبهم جماله، وحدثهم فأعجبهم حديثه، فأطلقوني له بغير فداء.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني النوقلي عن أبيه وأهله قالوا: لما أنشد بن نويرة عمر بن الخطاب قوله يرثي أخاه مالكاً:

وكنا كندماني جذيمة حقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلةً معاً

قال له عمر: هل كان مالك يحبك مثل محبتك إياه، أم هل كان مثلك؟ فقال: وأين أنا من مالك، وهل أبلغ مالكاً، والله يا أمير المؤمنين لقد أسرني حي من العرب فشدوني وثاقاً بالقد، وألقوني بفنائهم، فبلغه خبري فأقبل على رحلته حتى انتهى إلى القوم وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إلي أرعض عني، ونظر القوم إليه فعدل إليهم وعرفت ما أراد، فسلم عليهم وحادثهم وضاحكهم وأنشدهم، فوالله إن زال كذلك حتى ملأهم سروراً، وحضر غداؤهم فسأله ليتغدى معهم فنزل وأكل، ثم نظر إلي وقال: إنه لقبيح بنا أن نأكل ورجل ملقى بين أيدينا لا يأكل معنا! وأمسك يده عن الطعام. فلما رأى ذلك القوم نهضوا وصبوا الماء على قدى حتى لان وخلوني، ثم

جاءوا فأجلسوني معهم على الغداء، فلما أكلنا قال لهم: أما ترون تحرم هذا بنا وأكله معنا، إنه لقبيح بكم أن تردوه إلى القد، فخلوا سبيلي فكان كما وصفت. وما كذبت في شيء من صفته إلا أني وصفته خميص البطن، وكان ذا بطن.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن نصر العتيقي قال: حدثني محمد بن الحسن بن مسعود الزرقي، عن أبيه عن مروان بن موسى. ووجدت هذا الخبر أيضاً في كتاب محمد بن علي بن حمزة العلوي، عن علي بن محمد النوفلي عن أبيه: أن عمر بن الخطاب قال لمتمم بن نويرة: إنكم أهل بيت قد تفانيتم، فلو تزوجت عسى أن ترزق ولداً يكون فيه بقية منكم. فتزوج امرأة بالمدينة فلم ترضى أخلاقه لشدة حزنه على أخيه، وقلة حفله بها، فكانت تماظه وتؤذيه، فطلقها وقال:

أقول لهند حين لم أرض فعلها ... أهذا دلال الحب أم فعل فارك

أم الصرم ما تبغي، وكل مفارق ... يسير علينا فقده بعد مالك

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني أحمد بن معاوية، عن سلمويه بن أبي صالح ، عن عبد الله بن المبارك عن نعيم بن أبي عمرو الرازي قال: بينا طلحة والزبير يسيران بين مكة والمدينة إذ عرض لهما أعرابي، فوقفا ليمضي فوقف فتعجلا ليسبقاه فتعجل، فقالا: ما أثقلك يا أعرابي تعجلنا لنسبقك فتعجلت ، فوقفنا لتمضي فوقفت؟ فقال: لا إله إلا الله مفني أغدر الناس ، أغدر بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؟ هباني خفت الضلال فأحببت أن أستدل بكما؛ أو خفت الوحشة فأحببت أن أستأنس بكما. فقال طلحة: من أنت؟ قال: أنا متمم بن نويرة. فقال طلحة: واسوأتاه، لقد مللنا غير مملول.

هات بعض ما ذكرت في أخيك من البكاء. فزوجوه أم خالد، فبينا هو واضع رأسه على فخذها إذ بكى فقالت: لا إله إلا الله، أما تنسى أخاك. فأنشأ يقول:

أقول لها لما نهتني عن البكا ... أفي مالك تلحينني أم خالد

فإن كان إخواني أصيبوا وأخطأت ... بني أمك اليوم الحتوف الرواصد

فكل بني أم سيمون ليلةً ... ولم يبق من أعيانهم غير واحد

أما معنى قول متمم: وكنا كندماني جذيمة حقبة فإنه يعني نديمي جذيمة الأبرش الملك، وهو جذيمة بن مالك بن فهم بن دوس بن عدثان الأسدي .

وكان الخبر في ذلك ما اخبرنا به علي بن سليمان الأخفش، عن أبي سعيد السكري، عن محمد بن حبيب. وذكر ابن الكلبي عن أبيه والشرقي وغيره من الواة أن جذيمة الأبرش-وأصله من الأزد، وكان أول من ملك قضاعة

بالحيرة، وأول من حدا النعال، وأدلج من الملوك، ورفع له الشمع -قال يوماً لجلسائه: قد ذكر لي عن غلام من لخم، مقيم في أخواله من إياد، له ظرف ولب، فلو بعثت إليه يكون في ندماني، ووليته كأسي والقيام بمجلسي، وكان الرأي. فقالوا: الرأي ما رأى الملك، فليبعث إليه. ففعل فلما قدم فعل به ما أراد له، فمكث كذلك مدة كويلةً ثم أشرفت عليه يوماً رقاش ابنة الملك، أخت جذيمة، فلم تزل تراسله حتى اتصل بينهما، ثم قالت له: ياعدي، إذا سقيت القوم فامزج لهم واسق الملك صرفاً، فإذا أخذت منه الخمر فاخطبني إليه فإنه يزوجك، وأشهد القوم عليه إن هو فعل. ففعل الغلام ذلك فخطبها فزوجه، وانصرف الغلام بالخبر إليها فقالت: عرش بأهلك ففعل فلما أصبح غدا مضرجاً بالخلوق، فقال له جذيمة: ما هذه الآثار يا عدي؟ قال آثار العرس. قال: أي عرس؟ قال: عرس رقاس. قال: فنخر وأكب على الأرض، ورفع عدي جراميزه، فأسرع جذيمة في طلبه فلم يحسسه ، وقيل إنه قتله وكتب إلى أخته:

حَدّثيني رَقاشِ لاتَكذبيني ... أبحُرٌ زنيتِ أم بهجينِ

أم بعبدٍ فأنتِ أهلٌ لعبدٍ ... أم بذُونٍ فأنت أهلٌ لدونِ

قالت: بل زوجتني أمرأً عربياً. فنقلها جذيمة وحصنها في قصره، واشتملت على حمل فولدت منه غلاماً وسمته عمراً وربته، فلما ترعرع حلته وعطرته وألبسته كسوة مثله ، ثم أرته خاله فأعجب به، وألفيت عليه منه محبة ومودة، حتى إذا وصف خرج الغلمان خرج الغلمان يجتنون الكمأة في سنة قد أكمات، فخرج معهم، وقد خرج جذيمة فبسط له في روضة، فكان الغلمان إذا أصابوا الكمأة أكلوها، وإذا أصابها عمرو خبأها، ثم أقبلوا يتعادون وهو معهم يقدمهم ويقول:

هذا جنايَ وخياره فيه ... إذا كلُّ جانٍ يده إلى فيه

فالتزمه جذيمة وحباه وقرب من قبله، وحل منه بكل مكان. ثم إن الجن استطارته، فلم يزل جذيمة يرسل في الآفاق في طلبه فلم يسمع له بخبر، فكف عنه. ثم أقيل رجلان يقال لأحدهما عيقيل والآخر مالك، ابنا فالج، وهما يريدان الملك بهدية، فنزلا على ماء ومعهما قينة يقال لها أم عمرو، فنصبت قدراً وأصلحت طعاماً، فبينما هما يأكلان إذا أقبل رجل أشعث أغبر، قد طالت أظفاره وساءت حاله، حتى جلس مزجر الكلب، فمد يده فناولته شيئاً فأكاه، ثم مد يده فقالت: إن يعط العبد كراعاً يتسع ذراعاً فأرسلتها مثلاً. ثم ناولت صاحبيها من شرابها وأوكات دنها، فقال عمرو بن عدي:

صَددتِ الكأسَ عنا ام عمرو ... وكان المأس مَجراها اليمينا

وما شرُّ الثلاثة أمَّ عمرو ... بصاحبِك الذي لا تَصبَحينا

غناه معبد فيما ذكر عن إسحاق في كتابه الكبير. وقد زعم بعض الرواة أن هذا الشعر لعمرو بن معد يكرب .
وأخبرنا اليزيدي قال: حدثنا الخليل بن أسد التوشجاني قال: حدثنا حفص بن عمرو، عن الهيثم بن عدي، عن ابن عياش ، أن هذا الشعر لعمرو بن معد يكرب في ربيعة بن نصر اللخمي.

رجع الحديث إلى سياقه

فقال: الرجلان: ومن أنت؟ فقال: إن تنكراني أو تنكرا نيبي، فإنني عمرو وعدي أبي ، فقاما إليه فلثماه، وغسلا رأسه وقلما أظفاره، وقصرا من لمته، وألبساه من طرائف قيابهما وقالا: ما كنا لنهدي إلى الملك هدية أنفس عنده ولا هو عليها أحسن صفدا من ابن أخته، فقد رده الله عز وجل إليه. فخرجا حتى إذا دفعا إلى باب الملك بشراه به، فصرفه إلى أمه، فألبسته ثياباً من ثياب الملوك، وجعلت في عنقه طوقاً كانت تلبسه إيادوهو صغير، وأمرته بالدخول على خاله، فلما رآه قال: شب عمرو عن الطوق فأرسلها مثلاً. وقال للرجلين اللذين قدما به: احكما فلكما حكمكما. قالا: منادمتك مابقيت وبقينا. قال: ذلك لكما. فهما نديما جذيمة اللذان ذكرهما متمم، وضربت بهما الشعراء المثل. قال أبو خراش الهذلي:

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خليلا صفاء مالك وعقيل

قال ابن حبيب في خبره : وكان جذيمة من أفضل الملوك رأيا، وأبعدهم مغاراً، واشدهم نكاية، وهو أول من استجمع له الملك بأرض العراق، وكانت منازله مابين الأنبار وبقة وهيت وعين التمر، وأطراف البر والقطقطانة والحيرة فقصد في جموعه عمرو بن الظرب حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر العاملي، من عاملة العماليق ، فجمع عمرو جموعه ولقيه، فقتله جذيمة وفض جموعه، فتفلوا وملكوا عليهم ابنته الزباء، وكانت من أحزم الناس، فخافت أن تغزوها ملوك العرب فاتخذت لنفسها نفقاً في حصن كان لها على شاطئ الفرات، وسكرت الفرات في وقت قلة الماء، وبنت أزجا من الآجر والكلس، متصلا بذلك النفق، وجعلت نفقاً آخر في البرية متصلاً بمدينة لأختها، ثم أجرت الماء عليه، فكانت إذا خافت عدوا دخلت النفق. فلما اجتمع لها أمرها واستحكم ملكها أجمعت على غزو جذيمة ثائرة بأبيها، فقالت لها أختها وكانت ذات رأي وحزم: إنك إن غزوت جذيمة فإنه امرؤ له ما يصده، فإن ظفرت أصبت ثأرك، وإن ظفر بك فلا بقية لك، والحرب سجال، ولا تدرين كيف تكون ألك أم عليك، ولكن ابعثي إليك فأعلميه أنك قد رغبت في أن تتزوجيه وتجمعي ملكك إلى ملكه، وسليه أن يجيبك إلى ذلك، لأنهإن اغتر ففعل ظفرت به بلا مخاطرة. فكتبت الزباء في ذلك إلى جذيمة تقول له: إنها قد رغبت في صلة لدها ببلده، وإنها في ضعف من سلطانها، وقلة ضبط لمملكتها، وإنها لم تجد كفئاً غيره، وتسأله الإقبال عليها وجمع ملكها إلى ملكه. فلما وصل ذلك إليه استخفه وطمع فيه، فشاور أصحابه فكل صوب رأيه في قصدها وإجابتها، إلا قصير بن سعد بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن هلال بن نمارة بن لخم، فقال: هذا رأي فاتر، فإن

كانت صادقة فلتقبل إليك وإلا فلا تمكنها من نفسك فتقع في حبالها وقد وترتها في أبيها. فلم يوافق جذيمة ما قال وقال لهك أنت أمرؤ رأيك في الكن لا في الضح . ورحل فقال له قصير في طريقة: انصرف ودمك في وجهك. فقال جذيمة: ببقة قضي الأمر فأرسلها مثلاً. ومضى حتى إذا شارف مدينتها قال لقصير: ما الرأي؟ قال: ببقة تركت الرأي. قال: فما ظنك بالزباء؟ قال: القول وداف، والحزم عيرانة لا تخاف . واستقبله رسلها بالهدايا والألطاف فقال: يا قصير، كيف ترى؟ خطر يسير في خطب كبير ، وستلقاك الخيول، فإن سارت أمامك فالمرأة صادقة، وإن أخذت في جنبيك وأحاطت بك فالقوم غادرون. فلقيته الخيول فأحاطت به، فقال له قصير: اركب العصا فإنها لا تدرك ولا تسبق - يعني فرساً له كانت تجنب - قبل أن يحولوا بينك وبين جنودك. فلم يفعل، فجال قصير في ظهرها فمرت به تعدو في أول أصحاب جذيمة. ولما أحيط بجذيمة التفت فرأى قصيراً على فرسه العصا في أول القوم، فقال: لحازم من يجري العصا في أول القوم. فذكر أبو عبيدة والأصمعي أنها لم تكن تقف، حتى جرت ثلاثين ميلاً، ثم وقفت فبالت هناك فبني على ذلك الموضع برج يسمى العصا- وأخذ جذيمة فأدخل على الزباء فاستقبلته قد كشفت عن فرجها، فإذا هي قد ضفرت الشعر عليه، فقالت: يا جذيم أذات عروس ترى؟ قال: بل أرى متاع أمة لكعاء غير ذات خفر. ثم قال: بلغ المدى، وجف الثرى، وأمر غدر أرى. قالت: والله ما ذلك من عدم مواس ، ولا قلة أواس ، ولكنها شيمة ما أناس . ثم قالت لجواريها: خذن بعضد سيدكن. ففعلن ثم دعت بنطع فأجلسته عليه، وأمرت برواهشه فقطعت في طست من ذهب يسيل دمه فيه، وقالت له: يا جذيم لا يضعن من دمك شيء فإني أريده للخبل فقال ها: وما يحزنك من دم اضاعه أهله. وإنما كان بعض الكهان قال لها: إن نقط من دمه شيء في غير الطست أدرك بثأره. فلم يزل دمه يجري في الطست حتى ضعف، فتحرك فنقطت من دمه نقطة على أسطوانة رخام ومات.

قال: والعرب تتحدث في أن دماء الملوك شفاء من الخبل. قال المتلمس :

من الدارميين الذين دماؤهم شفاء من الداء المجنة والخبل

قال: وجمعت دمه في برنية وجعلته في خزانتها، ومضى قصير إلى عمرو بن عبد الحر التنوخي فقال اطلب بدم ابن عمك وإلا سبتك به العرب. فلم يحفل بذلك فخرج قصير إلى عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة فقال: هل لك في أن أصرف الجنود إليك على أن تطلب بثأر خالك؟ فجعل ذلك له، فأتى القادة والأعلام فقال لهم: أنتم القادة والرؤساء، وعندنا الأموال والكنوز. فانصرف إليه منهم بشر كثير، فالتقى بعمرو التنوخي فلما صافوا القتال تابعه التوخي ومالك بن عمرو بن عدي، فقال له قصير: انظر ما وعدتني في الزباء. فقال: وكيف وهي أمنع من عقاب الجو؟ فقال: أما إذا أبيت فإني جادع أنفي وأذني، ومحتال لقتالها، فأعني وخلاك ذم. فقال له عمرو: وأنت أبصر. فجدع قصير أنفه ثم انطلق حتى دخل على الزباء فقالت: من أنت؟ قال: انا قصير، لا ورب البشر ما كان على ظهر الأرض أحد أنصح لخدمته مني ولا أغش لك حتى جدع عمرو بن عدي أنفي وأذني،

فعرفت أني لن اكون مع احد أثقل عليه منك. فقالت: اي قصير نقبل ذلك منك، ونصر لك في بضاعتنا. وأعطته مالا للتجارة، فأتى بيت مال الحيرة فأخذ منه بأمر عدي ما ظن أنه يرضيها، وانصرف إليها به، فلما رأت ما جاء به فرحت وزادته، و لم يزل حتى أنست به فقال لها: إنه ليس من ملك ولا ملكة إلا وقد ينبغي له أن يتخذ نفقا يهرب إليه عند حدوث حادثة يخافها. فقالت: اما أني قد فعلت واتخذت نفقاً تحت سريري هذا، يخرج إلى نفق تحت سرير أختي. وأرته إياه، فأظهر لها سروراً بذلك، وخرج في تجارته كما كان يفعل، وعرف عمرو بن عدي ما فعله، فركب عمرو في ألفي دارع على ألف بعير في الجوالق حتى إذا صاروا إليها تقدم قصير يسبق الإبل ودخل على الزباء فقال لها: اصعدي في حائط مدينتك فانظري إلى مالك، وتقدمي إلى بوابك فلا يعرض لشيء من أعكامنا ، فإني قد جئت بمال صامت. وقد كانت امنته فلم تكن تتهمه ولا تخافه، فصعدت كما أمرها فلما نظرت إلى ثقل مشي الجمال قالت- وقيل مصنوع منسوب إليها-:

ما للجمال مشيها وئيدا ... أجندلاً يحملن أم حديداً

أم صرفناً بارداً شديدا ... أم الرجال جثما قعودا

فلما دخل آخر الجمال نخس البواب عكماً من الأعكام بمنخسة معه، فأصابت خاصرة رجل فضرط، فقال البواب: شر والله عكمتم به في الجوالقات . فثاروا بأهل المدينة ضرباً بالسيف، فانصرفت راجعة فاستقلها عمرو بن عدي فضربها فقتلها، وقيل بل مصت خاتمها وقالت: بيدي لا بيد عمرو، وخرجت المدينة وسبيت الذراري، وغنم عمرو كل شيء كان لها ولأبيها وأختها، وقال الشعراء في ذلك تذكر ما كان من قصير في مشورته على جذيمة، وفي حدعه انفه، فأكثروا. قال عدي بن زيد:

ألا يأيها المثري المرجى ... ألم تسمع بخطب الولينا

دعا بالبقة الأمراء يوما ... جذيمة ينتحي عصبا ثبينا

فطاوع أمرهم وعصى قصيراً ... وكان يقول لو سمع اليقينا

وهي طويلة. وقال المتلمس يذكر جدع قصير أنفه:

ومن حذر الأيام ما حز أنفه ... قصير وخاض الموت بالسيف بيهس

وفي هذا المعنى أشعار كثيرة يطول ذكرها.

وكان جذيمة الملك شاعراً، وإنما قيل له الوضاح لبرص كان به، وكان يعظم أن يسمى بذلك، فجعل مكانه الأبرش والوضاح. وهو الذي يقول:

والملك كان لذي نوا ... س حولة تردي يحابر

بالسابغات وبالقنا ... والبيض تبرق والمغافر

أزمان لا ملك يجي ... ر ولا ذمام لمن يجاور

أودى بهم غير الزما ن فمنجد منهم وغائر

وهو الذي يقول:

ربما أوفيت في علم ترفعن ثوبي شمالات

في شباب أنا رابئهم هم لذي العورة صمات

ليست شعري ما أطاف بهم نحن أدلجنا وهم باتوا

ثم ابنا غانمين وكم كرناس قبلنا ماتوا

فيه غناء يقال إنه ليمان، ويقال إنه لمعبد، و لم يصح.

في كفه خيزران ريحه عبق من كف أروع في عرنينه شمم

يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم

الشعر لحزين بن سليمان الديلي، والغناء لإسحاق، ثاني ثقيل بالبنصر عن حبش، وفيه لعريب رمل عمله على لحن ابن سريج.

أخبار الحزين ونسبه

ذكر الواقدي أنه من كنانة وأنه صليبة ، وأن الحزين لقب غلب عليه، وان اسمه عمرو بن وهيب بن مالك - ويكنى أبا الشعثاء - بن حريث بن جابر بن بحير - وهو راعي الشمس الأكبر - بن يعمر بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة.

أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة، عن الواقدي.

قال: وأما عمر بن شبة فإنه ذكر أن الحزين مولى، وانه الحزين بن سليمان، ويكنى سليمان أبا الشعثاء، ويكنى الحزين أبا الحكم. من شعراء الدولة الأموية حجازي مطبوع ليس من فحول طبقته. وكان هجاء خبيث اللسان ساقطاً، يرضيه اليسير، ويتكسب بالشر وهجاء الناس، وليس ممن خدم الخلفاء ولا انتجعهم بمدح، ولا كان يريم الحجاز حتى مات.

وهذا الشعر يقوله الحزين في عبد الله بن عبد الملك بن مروان. وكان عبد الله من فتيان بني أمية وظرفائهم، وكان حسن الوجه حسن المذهب، وأمه أم ولد. وزوجة عبد الله رملة بنت عبد الله - وعبد الله هذا هو عبد الحجر بن عبد المدان بن الديان بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن عمرو. وزوجته هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود بن مطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي - تزوجها لما كان يقال إنها ناتق في ولادها ، فمات عنها و لم تلد له، فخلفه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس على رملة فولدت له

محمداً وإبراهيم وموسى، وبنات.

أخبرني بذلك عمر بن عبد الله بن جميل العتكي، وأحمد بن عبد العزيز الجوهري، ويحيى بن علي بن يحيى، قالوا: حدثنا عمر بن شبة عن ابن رواحة وعغيره. وأخبرني به الطوسي والحرمي عن الزبير عن عمه.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثني الزبير قال: حدثني عمي أن عبد الله بن عبد الملك حج؛ فقال له أبوه: سيأتيك الحزين الشاعر بالمدينة، وهو ذرب اللسان، فإياك أن تحتجب عنه، وأرضه. وصفته أنه أشعر ذو بطن عظيم الأنف. فلما قدم عبد الله المدينة وصفه لحاجبه وقال له: إياك أن ترده. فلم يأت الحزين حتى قام فدخل لينام، فقال له الحاجب: قد ارتفع. فلما ولى ذكر ملحقه فقال: ارجع، فاستأذن له فأدخله، فلما صار بين يديه ورأى جماله وبهاءه، وفي يده قضيب خيزران، وقف ساكتاً، فأمهله عبد الله حتى ظن أنه قد أراح ثم قال له: السلام رحمك الله أولا. فقال: عليك السلاو وحيا الله وجهك أيها الأمير، إني قد كنت مدحتك بشعر، فلما دخلت عليك ورأيت جمالك وبهاءك أذهلني عنه فأنسيت ما كنت قلته، وقد قلت في مقامي هذا بيتين. فقال: ما هما؟ قال:

في كفه خيزران ريحها عبق ... من كف أروع في عرنينه شمم

يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم إلا حين تبتسم

فأجازه فقال: أخدمني أصلحك الله، فإنه لا خادم لي. فقال: اختر أحد هذين الغلامين، فأخذ أحدهما فقال له عبد الله: أعلينا ترذل ، خذ الأكبر.

والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أياته التي يمدح بها علي بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام، التي أولها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

وهو غلظ ممن رواه فيها. وليس هذان البيتان مما مدح به مثل علي بن الحسين عليهما السلام وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد.

حدثني محمد بن محمد بن سليمان الباغندي قال: حدثني محمد بن عمر العدني قال: حدثني سفيان بن عيينه عن الزهري قال: ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين.

حدثني محمد قال حدثنا يوسف بن موسى القطان قال: حدثنا جرير بن المغيرة قال: كان علي بن الحسين يبخل، فلما مات وجدوه يعول مائة أهل بيت بالمدينة.

حدثني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن معرس قال حدثنا محمد بن ميمون قال حدثنا سفيان عن ابن أبي حمزة الثمالي قال: كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره فيتصدق به ويقول: إن صدقة الليل تطفىء غضب الرب.

حدثني أبو عبد الله الصيرفي قال حدثنا الفضل بن الحسين المصري قال: حدثنا أحمد بن سليمان قال حدثنا ابن عائشة قال: حدثنا سعد بن عامر، عن جويرية بن أسماء، عن نافع قال: "قال علي بن الحسين: ما أكلت بقرابتي

من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط."

حدثنا الحسن بن علي قال: حدثني عبد الله بن احمد بن حنبل قال: حدثني إسحاق بن موسى الأنصاري قال: حدثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق قال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون ما يدرون من أين عيشهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به بالليل.

وأما الأبيات التي مدح بها الفرزدق علي بن الحسين وخبره فيها، فحدثني بها أحمد بن محمد بن الجعد، ومحمد بن يحيى قالا: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال: حدثنا ابن عائشة قال: حج هشام بن عبد الملك في خلافة الولي أخيه، ومعه رؤساء أهل الشام، فجهد أن يستلم الحجر فلم يقدر من ازدحام الناس، فنصب له منبر فجلس عليه ينظر إلى الناس، وأقبل علي بن الحسين وهو احسن الناس وجهاً، وأنظفهم ثوباً، وأطيبهم رائحة، فطاف بالبيت، فلما بلغ الحجر الأسود تنحى الناس كلهم وأخلوا له الحجر ليستلمه، هيبة وإجلالاً له، فغاظ ذلك هشاماً وبلغ منه، فقال رجل لهشام: من هذا أصلح الله الأمير؟ قال: لا أعرفه، وكان به عارفاً، ولكنه خاف أن يرغب فيه أهل الشام ويسمعوا منه. فقال الفرزدق وكان لذلك كله حاضراً: أنا أعرفه، فسلني يا شامي. قال: ومن هو؟ قال:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم

إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

فليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم

أي الخلائق ليست في رقابهم ... لأولية هذا أوله نعم

من يعرف الله يعرف أولية ذا ... فالدين من بيت هذا ناله الأمم

فحبسه هشام فقال الفرزدق:

أيحبسني بين المدينة والتي ... إليها قلوب الناس يهوي منيبها

يقلب أساً لم يكن رأس سيدٍ ... وعيناً له حولاء باد عيوبها

فبعث إليه هشام فأخرجه، ووجه إليه علي بن الحسين عشرة آلاف درهم وقال: اعذر أبا فراس، فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به. فردها وقال: ما قلت ما كان إلا لله، وما كنت لأرزأ عليه شيئاً. فقال له علي: قد رأى الله مكانك فشكرك، ولكنا أهل بيت إذا أنفذنا شيئاً ما نرجع فيه. فأقسم عليه فقبلها.

ومن الناس أيضاً من يروي هذه الأبيات لدواد بن سلم في قثم بن العباس، ومنهم من يرويها لخالد بن يزيد فيه؛ فهي في روايته:

كم صارخ بك من راج وراجيةٍ يرجوك ياقثم الخيرات يا قثم
أي العمائر ليست في رقابهم لأولية هذا أوله نعم
في كفه خيزران ريحها عبق من كف أروع في عرنينه شمم
يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم

وممن ذكر لنا ذلك الصولي عن الغلابي عن مهدي بن سابق، أن دواد بن سلم قال هذه الأبيات الأربعة سوى البيت الأول في شعره في علي بن الحسين عليه السلام.

وذكر الرياشي عن الأصمعي أن رجلاً من العرب يقال له دواد وقف لقثم فناداه وقال:

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
كم صارخ بك من راجٍ وراجيةٍ في الناس يا قثم الخيرات يا قثم

فأمر له بجائزة سنية.

والصحيح أنها للحزين في عبد الله بن عبد الملك. وقد غلط ابن عائشة في إدخاله البيتين في تلك الأبيات وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعاني متشابهة، تنبىء عن نفسها، وهي:

الله يعلم أن قد جبت ذا يمنٍ ثم العراقين لا يثنيني السأم
ثم الجزيرة أعلاها وأسفلها كذاك تسري على الأهوال بي القدم
ثم المواسم قد أو طنتها زمناً وحيث تحلق عند الجمرة اللمم
قالوا دمشق ينبيك الخبير بها ثم ائت مصر فثم النائل الغمم
لما وقفت عليها في الجموع ضحى وقد تعرضت الحجاب والخدم
حييته بسلام وهو مرتفق وضجة القوم عند الباب تزدحم

في كفه خيزران ريحها عبق من كف أروع، في عرنينه شمم
يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم
ترى رءوس بني مروان خاضعةً يمشون حول ركابيه وما ظلموا
إن هش هشواله واستبشروا جذلا وإن هم آنسوا إعراضه وجموا
كلتا يديه ربيع عند ذي خلفٍ بحريفيض وهادي عارض هزم

ومن الناس من يقول: إن الحزين قالها في عبد العزيز بن مروان، لذكره دمشق ومصر. وقد كان ثم عبد الله بن عبد الملك أيضاً في مصر، والحزين بها.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن يحيى أبو غسان عن عبد العزيز بن عمران الزهري قال: وفد الحزين على عبد الله بن عبد الملك، وفي الرقيق أخوان، فقال عبد الله للحزين. أي الرقيقأعجب إليك؟ قال: ليختر لي الأمير. قال عبد الله: قد رضيت لك هذا - لأحمدهما - فإني رايته حسن الصلاح. قال الحزين: لا حاجة لي به فأعطني أخاه. فأعطاه إياه. قال: والغلامان مزاحم مولى عمر بن العزيز، وتميم أبو محمد بن تميم، وهو الذي اختاره الحزين. قال: فقال في عبد الله يمدحه:

الله يعلم أن ذا يمن

وذكر القصيدة بطولها على هذا السبيل.

أخبرني وكيع عن محمد بن علي بن حمزة العلوي قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال: كان على المدينة طائف يقال له صفوان، مولى لآل مخرمة بن نوفل، فجاء الحزين الديلي إلى شيخ من أهل المدينة فاستعاره حماره، وذهب إلى العقيق فشرب، وأقبل على الحمار وقد سكر، فجاء به الحمار حتى وقف به على باب المسجد كما كان صاحبه عوده إياه، فمر به صفوان فأخذه فحبسه وحبس الحمار، فأصبح والحمار محبوس معه. فأنشأ يقول:

أيا أهل المدينة خبروني ... بأي جريرة حبس الحمار

فما للعير من جرم إليكم ... وما بالعير إن ظلم انتصار

فردوا الحمار على صاحبه، وضربوا الحزين الحد، فأقبل إلى مولى صفوان وهو في المسجد فقال:

نشدتك بالبيت الذي طيف حوله ... وزمزم والبيت الحرام المحجب

لزانيةٍ صفوان أم لعفيفةٍ ... لأعلم ما يتى وما أتجنب

فقال مولاه: هو لزانية. فخرج وهو ينادي: إن صفوان ابن الزانية! فتعلق به صفوان فقال: هذا مولاك يشهد أنك ابن زانية. فخلى عنه.

وقال محمد بن علي بن حمزة: وأخبرني الرياشي أن ابن عم للحزين استشاره في امرأة يتزوجها، فقال له: إن لها إخوةً مشائيم وقد ردوا عنها غير واحد، وأخشى أن يردوك فتطلق عليك ألسناً كانت عنك خرساً. فخطبها و لم يقبل منه فردوه، فقال الحزين:

نهيتك عن أمرٍ فلم تقبل النهى ... وحذرتك اليوم الغواة الأشائما

فصرت إلى ما لم أكن منه آمنا ... وأشمت أعدائي وأنطقت لائما

وما بهم من رغبةٍ عنك قل لهم ... فإن تسألوني تسألوا بي عالما

وأخبرني عيسى بن الحسن قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثني عمر بن سلام مولى عمر بن الجعاب : أن الحزين الديلي خرج مع ابن لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف، إلى منتزه لهم، فسكر الحزين وانصرف فبات في الطريق وسلب ثيابه، فأرسل إلى سهيل بخبره الخبر ويستمنحه فلم يمنحه، وبلغ الخبر سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان فأرسل إليه بجميع ما يحتاج إليه، وعوضه ثمن ثيابه، فقال الحزين في ذلك:

هلا سهيلاً أشبهت أو بعض أعما ... مك يا ذا الخلائق الشكسه

ضيعت ندمانك الكريم ولم تش ... فق عليه من ليلةٍ نحسه

ثم تعاللت إذ أتاك له ... صبحاً رسول بعلة طفسه

لكن سفيان لم يكن وكلاً ... لما أتتنا صلاته سلسه

سما به أروع ونفس فتى ... أروع ليست كنفسك الدنسة

حدثنا الصولي قال: حدثنا ثعلب قال حدثني عبد الله بن شبيب قال: مر الحزين الديلي على مجلس لبني كعب بن خزاعة وهو سكران، فضحكوا عليه، فوقف عليهم وقال:

لا بارك الله في كعب ومجلسهم ... ماذا تجمع من لؤم ومن ضرع

لا يدرسون كتاب الله بينهم ... ولا يصومون من حرص على الشبع

فوثب إليه مشايخهم فاعتذروا منه، وسألوه الكف وأن لا يزيد شيئاً على ما قاله، فأجابهم وانصرف أخبرني الحرمي قال: حدثنا عمرو بن أبي بكر المؤملي قال: حدثني عبد الله بن أبي عبيدة قال: كان الحزين قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين درهمين في كل شهر، منهم ابن أبي عتيق، فجاءه لأخذ درهميه وهو على حمار أعجف، قال: وكثير مع ابن أبي عتيق، فدعا ابن أبي عتيق للحزين بدرهمين فقال له الحزين: من هذا معك؟ قال: هذا أبو صخر كثير بن أبي جمعة. قال: وكان قصيراً دميماً، فقال له الحزين: أتأذن لي أن أهجوه ببيت؟ قال: لا لعمري لا آذن لك أن تهجو جليسي، ولكن أشتري عرضه منك بدرهمين آخرين. ودعا له بهما، فأصغى ثم قال: لا بد لي من هجائه ببيت. قال: أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين؟ ودعا له بهما فأخذهما وقال: ما أنا بتاركه حتى أهجوه. قال: أو أشتري منك بدرهمين آخرين؟ فقال له كثير: ائذن له، وما عسى أن يقول في؟ فأذن له ابن أبي عتيق فقال:

قصير القميص فاحش عند بيته ... يعض القراد باسته وهو قائم

فوثب كثير إليه فوكزه فسقط هو والحمار، وخلص ابن أبي عتيق بينهما وقال الكثير: قبحك الله أتأذن له وتبسط إليه يدك. قال كثير: وأنا ظننته يبلغ في هذا كله في بيت واحد!.

ولكثير مع الحزين أخبار أخر قد ذكرت في أخبار كثير.

أخبرني الحرمي قال: حدثني عمي عن الضحاك بن عثمان قال: حدثني ابن عروة بن أذينة قال: كان الحزين صديقاً لأبي وعشيراً على النبيذ، وكان كثيراً ما يأتيه، وكان بالمدينة قينة يهواها الحزين ويكثر غشيانها، فبيعت وأخرجت عن المدينة، فأتى الحزين أبي وهو كئيب حزين كاتمه، فقال له أبي: مالك يا أبا حكيم؟ قال: أنا والله يا أبا عامر كما قال كثير:

لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى ... بغى سقماً إني إذاً لسقيم

سألت حكيماً أين شطت بها النوى ... فخبرني ما لا أحب حكيم

فقال له أبي: أنت مجنون إن أقمت على هذا.

أخبرني أحمد بن سليمان الطوسي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني مصعب قال: مر الحزين على جعفر بن محمد بن عبد الله بن نوفل بن الحارث، وعليه أطمار، فقال له: يا ابن أبي الشعثاء، إلى أين أصبحت غادياً؟ قال: أمتع الله بك، نزل عبد الله بن عبد الملك الحرة يريد الحج، وقد كنت وفدت إليه بمصر فأحسن إلي. قال: أفما وجدت شيئاً تلبسه غير هذه الثياب؟ قال: قد استعرت من أهل المدينة فلم يعرني أحد منهم غير هذه الثياب. فدعا جعفر غلاماً فقال: ائتني بجبة صوف، وقميص ورداء. فجاء بذلك فقال: أبل وأخلق. فلما ولى الحزين قال جلساء جعفر له: ما صنعت؟! إنه يعمد إلى هذه الثياب التي كسوته إياها فبيعها، ويفسد بثمنها. قال: ما أبالي إذا مافأته بثيابه ما صنع بها. فسمع الحزين قولهم وما رد عليهم، ومضى حتى أتى عبد الله بن عبد الملك فأحسن إليه وكساه. فلما أصبح الحزين أتى جعفراً ومعه القوم الذين لاموه بالأمس وأنشدة:

وما زال ينمو جعفر بن محمد ... إلى المجد حتى عبهلته عواذله

وقلن له هل من طريف وتالد ... من المال إلا أنت في الحق باذله

يحاولنه عن شيمةٍ قد علمنها ... وفي نفسه أمر كريم يحاوله

ثم قال له: بأبي أنت وأمي، سمعت ما قالوا وما رددت عليهم.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه قال: صحب الحزين رجلاً من بني عامر بن لؤي يلقب أبا بعرة، وكان استعمل على سعايات فلم يصنع إليه خيراً ، وكان قد صحب قبله عمرو بن مساحق وسعد بن نوفل فأحمدهما ، فقال له:

صحبتك عاماً بعد سعد بن نوفل ... وعمرو فما أشبهت سعداً ولا عمراً

وجادا كما قصرت في طلب العلا ... فحزت به ذما وحازا به شكرا

قال: وأبو بعرة هذا هو الذي كان يعبث بجارية لابن أبي عتيق، فشكته إليه فقال لها: عديه فإذا جاءك فأدخليه إلي. ففعلت فأدخلته عليه، وهو وشيخ من نظراته جالسان في حجلة ، فلما رآهما قال: أقسم بالله ما اجتمعتما إلا على ريبة. فقال له ابن أبي عتيق استر علينا ستر الله عليك.

قال: وآل أبي بعرة هم موالي آل أبي سمير. قال: فلما ولي المهدي باعوا ولاءهم منه.

قال الزبير: وأنشدني عمي تمام الأبيات التي هجا بها أبا بعرة - وسماه لي فقال: وكان اسمه عيسى - وهي:

أولاك الجعاد البيض من آل مالك وأنتم بنوقين لحقتم به نزرا

- نصب نزار على الحال، كأنه قال: لحقتم به نزراً قليلاً من الرجال-

نسوق بيعورا أميراً كأنما نسوق به في كل مجمعة وبرا

فإن يكن البيعور ذم رفيقه قراه فقد كانت إمارته نكرا

ومتبع البيعور يرجو نواله فقد زاده البيعور في فقره فقرا

أخبرني الحرمي قال: حدثني الزبير قال: حدثني صالح، عن عامر بن صالح قال: مدح الحزين عمرو بن الزبير فلم يعطه شيئاً.

وأخبرني بهذا الخبر عمي تاما واللفظ له، ولم يذكر الزبير منه إلآ يسيراً، قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري قال: حدثني عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان قال: دخل الحزين على عمرو بن عمرو بن الزبير بن العوام منزله، فامتدحه وسأله حاجةً، فقال له: ليس إلى ما تطلب سبيل، ولا نقدر أن نملأ الناس معاذير، وما كل من سألنا حاجةً استحق أن نقضيها، ولرب مستحق لها قد منعناه حاجته. فقال الحزين: أفمن المستحقين أنا؟ قال: لا والله، وكيف تكون مستحقاً لشيء من الخير وأنت تشتم أعراض الناس وتهتك حريمهم، وترميهم بالمعضلات، إنما المستحق من كف أذاه، وبذل نداه، ووقم أعداه .

فقال له الحزين: افمن هؤلاء أنت؟ فقال له عمرو: أين تبعدني لا أم لك من هذه المنزلة وأفضل منها! فوثب الحزين من عنده وأنشأ يقول:

حلفت وما صبرت على يمينٍ ولو أدعى إلى أيمان صبر

برب الراقصان بشعث قوم يوافون الجمار لصبح عشر

لو أن اللؤم كان مع الثريا لكان حليفه عمرو بن عمرو

ولو أني عرفت بأن عمراً حليف اللؤم ماضيعت شعري

فقال العمري: وحدثني لقيط أن الحزين قال فيه أيضاً يهجوه ويمدح محمد بن مروان بن الحكم، وجاءه فشكا إليه عمراً، فوصله وأحسن إليه. قال:

إذا لم يكن للمرء فضل يزينه سوى ما ادعى يوماً فليس له فضل

وتلقى الفتى ضخماً جميلاً رواؤه يروعك في النادي وليس له عقل

وآخر تنبو العين عنه مهذب يجود إذا ما الضخم نهنه البخل
فيا راجياً عمرو بن عمرو وسيبه أتعرف عمراً أم أتاه بك الجهل
فإن كنت ذا جهل فقد يخطىء الفتى وإن كنت ذا حزم إذا حارت النبل
جهلت ابن عمرو فالتمس سيب غيره ودونك مرمى ليس في جده هزل
عليك ابن مروان الغر محمداً تجده كريماً لا يطيش له نبل

قال لقيط: فلما أنشد الحزين محمد بن مروان هذا الشعر أمر له بخمسة آلاف درهم، وقال له: اكفف يا أخا بني ليث عن عمرو بن عمرو ولك حكمك. فقال: لا والله ولا بحمر النعم وسودها، لو أعطيتها ما كففت عنه، لأنه ما علمت كثير الشر، قليل الخير، متسلط على صديقه، فظ على أهله. وخير ابن عمرو بالثريا معلق.

فقال له محمد بن مروان : هذا شعر. فقال: بعد ساعة يصير شعراً، ولو شئت لعجلته. ثم قال:

شر ابن عمرو حاضر لصديقه وخير ابن عمرو بالثريا مغلق
ووجه ابن عمرو باسر إن طلبته نوالاً إذا جاد الكريم الموفق
فبئس الفتى عمرو بن عمرو إذا غدت كتائب هيجاء المنية تبرق
فلا زال عمروللبلايا درية تباكره حتى يموت وتطرق
يهز هرير الكلب عمرو إذا رأى طعاماً فما ينفك يبكي ويشهق

قال: فزجوه محمد عنه، وقال له: أف لك، قد أكثرت الهجاء وأبلغت في الشتيمة.

قال العمري: وحدثني عطاء بن مصعب عن عبد الله بن الليث الليثي، قال: قال الحزين الديلي يهجو عمرو بن عمرو بن الزبير:

لعمرك ما عمرو بن عمرو بماجدٍ ولكنه كز اليدين بخيل
ينام عن التقوى ويوقظه الخنا فيخبط أثناء الظلام يجول
فلا خير في عمروو لجار ولا له ذمام ولكن للثام وصول

مواعيد عمرو ترهات ووجهه على كل ماقد قلت فيه دليل
جبان وفحاش لئيم مذمم واكذب خلق الله حين يقول
كلام ابن عمرو صوفة وسط بلقع وكف ابن عمرو في الرخاء تطول
وغن حزبته الحازبات تشنجت يداه ورمح في الهياج كليل

فبلغ شعره عمراً فقال: ما له لعنه الله ولعن من ولده، لقد هجاني بنية صادقة ولسان صنع ذلق، وما عداني إلى غيري. قال: فلقي الحزين عروة بن أذينة الليثي فأنشده هذه الأيات فقال له: ويحك، بعضها كان يكفيك، فقد بنيتها و لم تقم أودها، وداخلتها وجعلت معانيها في أكمتها. قال الحزين: ذلك والله أرغب للناس فيها. فقال له عروة: خير الناس من حلم عن الجهال، وما أراه إلا قد حلم عنك. فقال الحزين: حلم والله عني شاء أو أبى ، برغمه وصغره .

لقي شبان من ولد الزبير الحزين، فتناولوه بألسنتهم، وهموا بضربه، فحال بينهم وبينه ابن لمصعب بن الزبير ، فقال الحزين يهجوهم ويهجو جماعةً من بني أسد بن عبد العزى، سوى بني مصعب الذين منعوهم منه، قال:

لحا الله حيا من قريش تحالفوا ... على البخل بالمعروف والجود بالنكر

فصاروا لخلق الله في اللؤم غاية ... بهم تضرب الأمثال في النثر والشعر

فيا عمرو لو أشبهت عمراً ومصعبا ... حميدت ولكن أنت منقبض البشر

بني أسدٍ، سادت قريش بجودها ... معداً وسادتكم معد يد الدهر

تجود قريش بالندى ورضيتم ... بني أسد باللؤم والذل والغدر

أعمرو بن عمرو، لست ممن تعده ... قريش إذا ما كاثروا الناس بالفخر

أبت لك يا عمرو بن عمرو دناءة ... وخلق لئيم أن تريش وأن تبري

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني محمد بن الضحاكالحزامي قال: حدثني أبي قال: كان الحزين سفيهاً نذلاً يمدح بالترر إذا أعطيه، ويهجو على مثله إذا منع، فنزل بعاصم بن عمرو بن عثمان فلم يقره، فقال يهجوه بقوله:

سيروا فقد جن الظلام عليكم ... فباست الذي يرجو القى عند عاصم

ظللنا عليه وهو كالتيس طاعماً ... نشد على أكبادنا بالعمائم

ومالي من ذنب إليه علمته ... سوى أنني قد جئته غير صائم

فقيل له: إن عاصماً كثيراً ما تسمي به قريش. فقال: أما والله لأبيننه لهم فقال:

إليك ابن عثمان بن عفان عاصم ب ... ن عمرو وسرت عنسي فخاب سراها

فقد صادفت كز اليدين مبخلا ... جباناً إذا ما الحرب شب لظاها

بخيلاً بما في رحله غير أنه ... إذا ما خلت عرس الخليل أتاها

اخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن الضحاك عن ابيه قال: قال الحزين لهلال بن يحيى بن طلحة قوله:

هلال بن يحيى غزة لا خفا بها على الناس في عسر الزمان ولا اليسر
وسعد بن إبراهيم ظفر موسخ فهل يستريح الناس من وسخ الظفر

يعني سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وكان ولي قضاء المدينة من هشام بن عبد الملك، فلم يعط الحزين شيئاً فهجاه. وقال فيه أيضاً:

أتيت هلالاً أرتجي فضل سيبه فأفلتني مما أحب هلال
هلال بن يحيى غرة لا خفابها لكل أناس غرة وهلال
ألم تشهد الجونين والشعب ذا الصفا وكرات قيس يوم دير الجماجم
تحرض يا بن القين قيساً ليجعلوا لقومك يوماً مثل يوم الأراقم
بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عند الإمام فأرعشت يداك وقالوا محدث غير صارم

الشعر لجرير، والغناء لابن محرز، ثقيل أول بالبنصر.

وهذه الأ بيات يقولها جرير يهجو الفرزدق، ويعيره بضربةٍ ضربها بسيفه رجلاً من الروم، فحضره سليمان بن عبد الملك فلم يصنع شيئاً.

فحدثنا بخبره في ذلك محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثنا صالح بن سليمان، عن إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي، وكان شيخاً كبيراً، وكان من أصحاب عبد الملك بن مروان، ثم كان من أصحاب المنصور، قال: كنت حاضراً سليمان بن عبد الملك.

وأخبرنا علي بن سليمان الأخفش واليزيدي عن السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة، وعن قنادة عن أبي عبيدة في كتاب النقائض، عن رؤبة بن العجاج قال: حج سليمان بن عبد الملك ومعه الشعراء، وحججت معهم فمر بالمدينة منصرفاً فأتي بأسرى من الروم نحو من أربعمائة ، فقعد سليمان وعنده عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام، وعليه ثوبانمصران ، وهو أقربهم منه مجلساً، فأدنوا إليه بطريقهم وهو في جامعة ، فقال لعبد الله بن الحسن: قم فاضرب عنقه. فقام فما أعطاه أحد سيفاً حتى دفع إليه حرسي سيفاً كليلاً، فضربه فأبان عنقه وذراعه، واطن ساعده وبعض الغل. فقال له سليمان: اجلس فوالله ما ضربته بسيفك ولكن بحسبك .

وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوهوإلى الناس فيقتلونهم، حتى دفع إلى جرير رجلاً، فدست إليه بنو عبس سيفاً قاطعاً في قراب أبيض، فضربه فأبان رأسه، ودفع إلى الفرزدق أسيراً فدست إليه القيسية سيفاً كليلاً، فضرب به الأسير ضربات فلم يصنع شيئاً، فضحك سليمان وضحك الناس معه.

هذه رواية أبي عبيدة عن رؤبة.

وأما سليمان بن أبي شيخ فإنه ذكر في خبره أن سليمان لما دفع إليه الأسير دفع إليه سيفاً وقال له: اقتله به. فقال: لا بل أضربه بسيف مجاشع، واخترط سيفه فضربه به لم يغن شيئاً، فقال له سليمان: أما والله لقد بقي عليك عارها وسنارها! فقال جرير قصيدته التي يهجوه فيها، ومنها الصوت المذكور، وأولها قوله:

ألا حي ربع المنزل المتقادم وما حل مذ حلت به أم سالم

وهي طويلة. فقال الفرزدق:

فهل ضربة الرومي جاعلة لكم أباً عن كليب أو أباً مثل دارم
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع أحياناً مناط التمائم
ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

ذكر يونس أن في هذه الأبيات لحناً لابن محرز، ولم يجنسه.

وقال يعرض بسليمان ويعيره بنبو سيف ورقاء بن زهير العبسي عن خالد بن جعفر - وبتو عبس أخوال سليمان - قال:

فإن يك سيف خان أو قدر أتى بتعجيل نفس حتفها غير شاهد
فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع أحياناً مناط القلائد

وروي هذا الخبر عن عوانة بن الحكمن قال فيه: إن الفرزدق قال لسليمان: أيا أمير المؤمنين، هب لي هذا الأسير. فوهبه له فاعتقه، وقال الأبيات التي تقدم ذكرها، ثم أقبل على رواته وأصحابه فقال: كأني بابن المراغة وقد بلغه خبري فقال:

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابنه ظالم
ضربت به عند الإمام بأرعشت يداك وقالوا محدث غير صارم

قال: فما لبثنا غير مدة يسيرة حتى جاءتنا القصيدة وفيها هذان البيتان، فعجبنا من فطنة الفرزدق.

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا محمد بن عيسى بن حمزة العلوي، قال: حدثنا أبو عثمان المازني قال: زعم جهم بن خلف أن رؤية بن العجاج حدثه. فذكر هذه القصيدة وزاد فيها.

قال: واستوهب الفرزدق الأسير فوهبه له سليمان، فأعتقه وكساه، وقال قصيدته التي يقول فيها:

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

قال: وقال في ذلك:

تباشر يربوع بنبوة ضربةٍ ضربت بها بين الطلا والحراقد

ولو شئت قد السيف ما ين عنقه إلى علق بين الحجابين جامد
فإن ينب سيف أوتر اخت منية لميقات نفس حتفها غير شاهد
فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

قال: وقال في ذلك:

أيضحك الناس أن أضحكت سيدهم خليفة الله يستقى به المطر
فما نبا السيف عن جبن ولا دهش عند الإمام ولكن أحر القدر

ولو ضربت به عمراً مقلده لخر جثمانه ما فوقه شعر
وما يقدم نفساً قبل ميتتها جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر

فأما يوم الجونين الذي ذكره جرير، فهو اليوم الذي أغار فيه عتيبة بن الحارث بن شهاب على بني كلاب، وهو يوم الرغام .

أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدي، عن السكري عن ابن حبيب، ودماذ عن أبي عبيدة عن إبراهيم بن سعدان عن أبيه: أن عتيبة بن الحارث بن شهاب أغار في بني ثعلبة بن يربوع على طوائف من بني كلاب يوم الجونين فاطرد إبلهم، وكان أنس بن العباس الأسم، اخو بني رعلٍ من بني سليم، مجاوراً في بني كلاب، وكان بين بني ثعلبة بن يربوع وبين بني رعل عهد: لا يسفك دم ولا يؤكل مال. فلما سمع الكلابيون الدعوى: يال ثعلبة! يال عبيد! يال جعفر ! عرفوهم، قالوا لأنس بن العباس: قد عرفنا ما بين بني رعل وبني ثعلبة بن يربوع، فادركهم فاحسبهم علينا حتى نلحق. فخرج أنس في آثارهم حتى أدركهم، فلما دنا منهم قال عتيبة بن الحارث لأخيه حنظلة: أغن عنا هذا الفارس فاستقبله حنظلة فقال له أنس: إنما أنا أخوكم وعقيدكم، وكنت في هؤلاء القوم فأغرتم على إبلي فيما أغرتم عليه، وهو معكم. فرجع حنظلة إلى أخيه فأخبره الخبر فقال له: حياك الله، وهلم فوال إبلك ، أي اعزلها.

قال: والله ما أعرفها، وبنو أخي وأهل بيتي معي وقد أمرتهم بالركوب في أثري، وهم أعرف بها مني. فطلع فوارس بني كلاب فاستقبلهم حنظلة بن الحارث في فوارس فقال لهم أنس: إنما هم بني وبنو أخي . وإنما يربثهم لتلحق فوارس بني كلاب. فلحقوا فحمل الحوثره بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر على حنظلة فقتله ، وحمل لأم بن سلمة أخو بني ضبارى بن عبيد بن ثعلبة على الحوثرة هو وابن مزنة أخو بني عاصم بن عبيد، فأسراه ودفعاه إلى عتيبة فقتله صبراً، وهزم الكلابيون ومضى بنو ثعلبة بالإبل وفيها إبل أنس، فلم تقر أنساً نفسه حتى اتبعهم رجاء أن يصيب منهم غرة وهم يسيرون في شجراء . فتخلف عتيبة لقضاء حاجته، وامسك برأس فرسه فلم يشعر إلا بأنس قد مر في آثارهم، فتقدم حتى وثب عليه فأسره، فأتى به عتيبة أصحابه فقال بنو عبيدة: قد

عرفنا أن لأم بن سلمة وابن مزنة قد أسرا الحوثرة فدفعاه إليك فضربت عنقه؛ فأعقبهما في أنس بن عباس، فمنقتلته خير من أنس. فأبى عتيبة أن يفعل ذلك حتى افتدى أنس نفسه بمائتي بعير.

فقال العباس بن مرداس يعير عتيبة بن الحارث بفعله:

كثر الضجاج وما سمعت بغادر كعتيبة بن الحارث بن شهاب

جللت حنظلة المخانة والخنا ودنست آخر هذه الأحقاب

وأسرتم أنساً فما حاولتم بإسار جاركم بني الميقات

- الميقاب: التي تلد الحمقى. والوقب: الأحمق-.

باست التي ولدتك واست معاشر تركوك تمرسهم من الأحساب

فقال عتيبة بن الحارث:

غدرتم غدرة وغدرت أخرى فليس إلى توافينا سبيل

كأنكم غداة بني كلابتفاقد تم علي لكم دليل

قوله: تفاقدتم، دعاء عليهم أن يفقد بعضهم بعضاً.

وبالعفر دار من جميلة هيجت سوالف حب في فؤادك منصب

وكنت إذا ناءت بها غربة النوى شديد القوى لم تدرما قول مشغب

كريمة حر الوجه لم تدع هالكاً من القوم هلكا في غدٍ غي معقب

أسيلة مجرى الدمع خمصانة الحشا بروق الثنايا ذات خلق مشرعب

العفر : منازل لقيس بالعالية. سوالف: مواض. يقول: هيجت حبا قد كان ثم انقطع. ومنصب: ذو نصب. ونأت وناءت وبانت بمعنى واحد، أي بعدت. ومشغب عليك وخلاف في حبها. ويروى: مشعب أي متعدد يصرفك عنها. وقوله: لم تدع هالكاً أي لم تندب هالكاً هلك فلم يخلف غيره و لم يعقب. ومعنى ذلك أنها في عددٍ وقوم يخلف بعضهم بعضاً في المكارم، لا كمن إذا مات سيد قومها أو كريم منهم لم يقم أحد منهم مقامه. والمشرعب: الجسيم الطويل. والشرعبي: الطويل.

الشعر لطفيل الغنوي، والغناء لجميلة ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي. وذكره حماد عن أبيه لها و لم يجنسه.

وروى إسحاق عن ابيه عن سياط عن يونس أن هذا أحسن صوت صنعته جميلة.

نسب الطفيل الغنوي وأخباره

قال ابن الكبي: هو طفيل بن عوف بن كعب بن خلف بن ضبيس بن خليف بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن غنم بن غني بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان.

ووافقه ابن حبيب في النسب إلا في خلف بن ضبيس فإنه لم يذكر خلفاً وقال: هو طفيل بن عوف بن ضبيس.

قال أبو عبيدة: اسم غني عمرو ، واسم أعصر منبه، وإنما سمي أعصر لقوله:

قالت عميرة ما لرأسك بعدما ... فقد الشباب أتعى بلون منكر

أعمير إن أباك غير راسه ... مر الليالي واختلاف الأعصر

فسمي بذلك.

وطفيل شاعر جاهلي من الفحول المعدودين، ويكنى أبا قران، يقال إنه من أقدم شعراء قيس. وهو من أوصف العرب للخيل.

أخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك أبو دلف الخزاعي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب الأنصاري قال: قال لي عمي: إن رجلاً من العرب سمع الناس يتذاكرون الخيل ومعرفتها والبصر بها، فقال: كان يقال إن طفيلاً ركب الخيل ووليها لأهله، وإن أبا دواد الأيادي ملكها لنفسه ووليها لغيره، كان يليها للملوك، وان النابغة الجعدي لما أسلم الناس وآمنوا اجتمعوا وتحدثوا ووصفوا الخيل، فسمع ما قالوه فأضافه إلى ما كان سمع وعرف قبل ذلك في صفة الخيل. وكان هؤلاء نعات الخيل.

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عبد الرحمن، قال حدثني عمي قال: كان طفيل أكبر من النابغة: وليس في قيس فحل أقدم منه.

قال: وكان معاوية يقول: خلوا لي طفيلاً وقولوا ما شئتم في غيره من الشعراء.

أخبرني عبد الله بن مالك النحوي قال: حدثنا محمد بن حبيب قال: كان طفيل الغنوي يسمى طفيل الخيل لكثرة وصفه إياها.

أخبرني محمد بن الحسين الكندي خطيب مسجد القادسية، قال: حدثني الرياشي قال: حدثني الأصمعي قال: كان أهل الجاهلية يسمون طفيلاً الغنوي المحبر؛ لحسن وصفه الخيل .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن يزيد قال: قال أبو عبيدة: طفيل الغنوي، والنابغة الجعدي، وأبو دواد الإبادي، أعلم العرب بالخيل وأوصفهم لها.

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال: حدثنا العمري عن لقيط قال: قتيبة بن مسلم للأعرابي من غني قدم عليه من خراسان: أي بيت قالته العرب أعف؟ قال: قول طفيل الغنوي:

ولا أكون وكاء الزاد أحبسه ... لقد علمت بأن الزاد مأكول

قال: فأي بيت قالته العرب في الحرب أجود؟ قال: قول طفيل:

بحي إذا قيل اركبوا لم يقل لهم عوارير يخشون الردى أين نركب

قال: فأي بيت قالته العرب في الصبر أجود؟ قال: قول نافع بن خليفة الغنوي:

ومن خير ما فينا من الأ مر أننا متى ما نوافي موطن الصبر نصبر

قال: فقال قتيبة: ما تركت لأخوانك من بالهلة؟ قال: قول صاحبهم:

وإنا أناس ما تزال سوامنا تنور نيرآن العدو مناسمه

وليس لنا حي نضاف إليهم ولكن لنا عود شديد شكائمه

حرام وإن صليته ودهنته تأوده ما كان في السيف قائمه

وهذه القصيدة المذكورة فيها الغناء يقولها طفيل في وقعة أوقعها قومه بطيىء، وحرب كانت بينه وبينهم.

وذكر أبو عمرو الشيباني والطوسي فيما رواه عن الأصمعي وابي عبيدة: أن رجلاً من غني يقال له قيس الندامى ، وفد على بعض الملوك، وكان قيس شيداً جواداً، فلما حفل المجلس أقبل الملك على من حضره من وفود العرب فقال: لأضعن تاجي على أكرم رجل من العرب، فوضعه على رأس قيس وأعطاه ما شاء، ونادمه مدة، ثم أذن له في الانصراف إلى بلده، فلما قرب من بلاد طيىء خرجوا إليه وهم لا يعرفونه، فلقوه برمان فقتلوه، فلما علموا أنه قيس ندموا لأ ياديه كانت فيهم، فدفنوه وبنوا عليه بيتاً.

ثم إن طفيلاً جمع جموعاً من قيس فأغار على طيىء فاستاق من مواشيهم ما شاء، وقتل منهم قتلى كثيرة. وكانت هذه الوقعة بين القنان وشرقي سلمى ، فذلك قول طفيل في هذه القصيدة:

فذوقوا كما ذقنا غادة محجرٍ من الغيظ في أكبادنا والتحوب

فبالقتل قتل والسوام بمثله وبالشل شل الغائط المتصوب

أخبرني علي بن الحسن بن علي قال: حدثنا الحارث بن محمد، عن المدائني، عن سلمة بن محارب قال: لما مات محمد بن يوسف جزع عليه الحجاج جزعاً شديداً، ودخل الناس عليه يعزونه ويسلونه، وهو لا يسلو ولا يزداد إلا جزعاً وتفجعاً، وكان فيمن دخل عليه رجل كان الحجاج قتل ابنه يو الزاوية، فلما رأى جزعه وقة ثباته للمصيبة شمت به وسر لما ظهر له منه، وتمثل بقول طفيل:

فذوقوا كما ذقنا غداة محجرٍ من الغيظ في أكبادنا والتحوب

وفي هذه القصيدة يقول طفيل:

ترى العين ما تهوى وفيها زيادة من اليمن إذا تبدو وملهى لملعب

وبيت تهب الريح في حجراته بأرض فضاء بابه لم يحجب

سماوته أسمال بردٍ محبرٍ وصهوته من اتحمي معصب

أخبرني عيسى بن الحسين بن الوراق قال: حدثنا الرياشي عن العتبي عن أبيه قال: قال عبد الملك بن مروان لولده وأهله: أي بيت ضربته العرب على عصابة ووصفته أشرف جواء، وأهلاً وبناء؟ فقالوا فأكثروا، وتكلم من حضر فأطلوا، فقال عبد الملك: اكرم بيت وصفته العرب بيت طفيلٍ الذي يقول فيه:

وبيت تهب الريح في حجراته ... بأرض فضاء بابه لم يحجب

سماوته أسمال بردٍ محبرٍ ... وصهوته من أتحمي معصب

وأطنابه أرسان جردٍ كأنها ... صدور القنا من بادىء ومعقب

نصبت على قومٍ تدر رماحهم ... عروق الأعادي من غريرٍ وأشيب

وقال أبو عمرو الشيباني: كانت فزارة لقبت بني أبي بكر بن كلاب وجيرانهم من محارب، فأوقعت بهم وقعةً عظيمة، ثم ادركتهم عني فاستنقذتهم، فلما قتلت طيىء قيس الندامى، وقتلت بنو عبس هريم بن سنان بن عمرو بن يربوع بن طريف بن خرشةٍ بن عبيد بن سعد بن كعب بن جلان بن غنم بن غني، وكان فارسا حسيباً قد ساد ورأس، قتله ابن هدم العبسي طريد الملك، فقال له الملك ،: كيف قتلته؟ قال: حملت عليه في الكبة، وطعنته في السبة، حتى خرج الرمح من اللبة . وقتل أسماء بن واقد بن رفيد بن رياح بن يربوع بن ثعلبة بن سعد بن عوف بن كعب بن جلان، وهو من النجوم، وحصن بن يربوع بن طريف وأمهم جندع بنت عمرو بن الأغر بن مالك بن سعد بن عوف. فاستغاثت غني ببني أبي بكر وبني محارب فقعدوا عنهم، فقال طفيل في ذلك يمن عليهم بما كان منهم في نصرهم، ويرثي القتلى، قال:

تأوبني هم من الليل منصب ... رجاء من الأ خبار ما لا أكذب

تتابعن حتى لم تكن لي ريبة ... ولم يك عما خبروا متعقب

وكان هريم من سنان خليفةً ... وحصن ومن أسماء لما تغيبوا

ومن قيس الثاوي برمان بيته ... ويوم حقيل فا آخر معجب

أشم طويل الساعدين كأنه ... فنيق هجان في يديه مركب

وبالسهب ميمون النقيبة قوله ... لملتمس المعروف أهل ومرحب

كواكب دجنٍ كلما انقض كوكب ... بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب

الغناء لسليم أخي بابويه، ثاني ثقيل عن الهشامي. وهي قصيدة طويلة، وذكرت منها هذه الأبيات من أجل الغناء الذي فيها. ومن مختار مرثيته فيها قوله:

لعمري لقد خلى ابن جندع ثلمةً ... ومن أين إن لم يرأب الله ترأب

نداماي أمسوا قد تخليت عنهم ... فكيف ألد الخمر أم كيف أشرب

مضوا سلفاً قصد السبيل عليهم وصرف المنايا بالرجال تقلب

فديت من بات يغنيني وبت أسقيه ويسقيني

ثم اصطبحنا قهوة عتقت من عهد سابور وشيرين

الشعر والغناء لمحمد بن حمزة بن نصير وجه القرعة، ولحنه فيه رمل أول بالبنصر، لا نعرف له صنعة غيره.

نسب محمد بن حمزة بن نصير الوصيف

وأخباره

نسب محمد بن حمزة وتلقيبه وجه القرعة هو محمد بن حمزة بن نصير الوصيف مولى المنصور، ويكنى أبا جعفر، ويلقب وجه القرعة.

وهو أحد المغنين الحذاق الضراب الرواة. وقد أخذ عن إبراهيم الموصلي وطبقته، وكان حسن الأداء طيب الصوت، لا علة فيه، إلا أنه كان إذا غنى الهزج خاصةً خرج بسبب لا يعرف ، إلا لآفة تعرض للحس في جنسٍ من الأجناس فلا يصح له بتةً.

فذكر محمد بن الحسن الكاتب أن إسحاق بن محمد الهاشمي حدثه عن أبيه، أنه شهد إسحاق بن إبراهيم الموصلي عند عمه هارون بن عيسى، وعنده محمد بن الحسن بن مصعب، قال: فأتانا محمد بن حمزة وجه القرعة، فسر به عمي . وكان شرس الخلق أبي النفس، فكان إذا سئل الغناء أباه، فإذا أمسك عنه كان هو المبتدىء به، فأمسكنا عنه حتى طلب العود فأتي به فغنى، وقال:

مربي سرب ظباء رائحات من قباء

قال: وكان يحسنه ويجيده، فجعل إسحاق يشرب ويستعيده حتى شرب ثلاثة أرطال ثم قال: أحسنت يا غلام، هذا الغناء لي وانت تتقدمني فيه، ولا يخلق الغناء ما دام مثلك ينشأ فيه .

قال: وحدثني إسحاق الهاشمي عن أبيه قال: كنا في البستان المعروف ببستان خالص النصراني ببغداد،ومعنا محمد بن حمزة وجه القرعة، فيغنينا قوله:

يا دار أقفر رسمها بين المحصب والحجون

يا بشر إني فاعلمي والله مجتهداً يميني

فإذا برجل راكب على حمار يؤمنا وهو يصيح: أحسنت يا أبا جعفر، أحسنت والله! فقلنا: اصعد إلينا كائناً من كنت. فصعد وقال: لو منعتموني من الصعود لما امتنعت. ثم سفر اللثام عن وجهه فإذا هو مخارق، قال: يا أبا جعفر أعد علي صوتك. فأعاده فشرب رطلاً من شرابنا وقال: لو لا أني مدعو الخليفة لأ قمت عندكم

واستمعت هذا الغناء الذي هو أحسن من الزهر، غب المطر.

منها:

مر بي سرب ظباء رائحاتٍ من قباء

زمراً نحو المصلى يتمشين حذائي

فتجاسرت والقي ت سرابيل الحياء

وقديماً كان لهوي وقتوني بالنساء

الغناء لإسحاق مما لا يشك فيه من صنعته، ولحنه من ثقيلٍ أول مطلقٍ في مجرى الوسطى وذكر محمد بن أحمد المكي أنه لجده يحيى. وذكر حبش أن فيه لا بن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى.

يا بشر إني فاعلمي والله مجتهداً يميني

ما إن صرمت حبالكم فصلي حبالي أو ذريني

استبدلوا طلب الحجا زوسرة البلد الأمين

بحدائقٍ محفوفةٍ بالبيت من عنبٍ وتين

يا دار أقفر رسمها بين المحصب والحجون

أقوت وغير آيها طول التقادم والسنين

الشعر للحارث بن خالد، والغناء لابن جامع في الأربعة الأبيات الأول، رمل بالوسطى، ولا بن سريج في الخامس والسادس والأول والثاني ثقيل أول بالبنصر.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن مهرويه قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني الفضل بن المغني، عن محمد بن جبر قال: دخلنا على إسحاق بن إبراهيم الموصلي نعوده من علةٍ كان وجدها، فصادفنا عنده مخارفاً، وعلوية، وأحمد بن المكي وهم يتحدثون، فاتصل الحديث بينهم، وعرض إسحاق عليهم أن يقيموا عنده ليتفرج بهم، ويخرج إليهم ستارته يغنون من ورائها، ففعلوا وجاء محمد بن حمزة وجه القرعة على بقية ذلك فاحتبسه إسحاق معهم، ووضع النبيذ وغنوا، فغنى أو علوية صوتاً من الغناء القديم، فخالفه محمد فيه وفي صانعه، وطال مراؤهما في ذلك، وإسحاق ساكت، ثم تحاكما إليه فحكم لمحمدٍ وراجعه علوية، فقال له إسحاق: حسبك، فوالله ما فيكم أدرى بما يخرج من رأسه منه. ثم غنى أحمد بن يحيى المكي قوله:

قل للجمانة لا تعجل بإسراج

فقال محمد: هذا اللحن لمعبد ولا يعرف له هزج غيره. فقال أحمد: أما على ما شرط أبو محمد آنفاً من أنه ليس في الجماعة أدرى بما يخرج من رأسه منك فلا معارض لك. فقال له إسحاق: يا أبا جعفر، ما عنيتك والله فيما

قلت، ولكن قد قال إنه لا يعرف لمعبدٍ هزج غير هذا، وكلنا نعلم إنه لمعبد، فأكذبه أنت بهزج آخر له مما لا يشك فيه. فقال أحمد: ما أعرف.

قال محمد بن الحسن: وحدثني إسحاق الهاشمي عن أبيه:

أن محمداً دخل معه على إسحاق الموصلي مهنءاً له بالسلامة من علة كان فيها، فدعا بعود فأمر به إسحاق فدفع إلى محمد، فغنى أصواتاً للقدماء وأصواتاً لإبراهيم، وأصواتاً لإسحاق، في إيقاعات مختلفة، فوجه إسحاق خادماً بين يديه إلى جواري أبيه، فخرجن حتى سمعنه من وراء حجاب، ثم ودعه وانصرف، فقال إسحاق للجواري: ما عنكن في هذا الفتى؟ فقلن: ذكرنا و الله أباك فيما غناه. فقال: صدقتن. ثم أقبل علينا فقال: هو مغن محسن، ولكنه لا يصلح للمطارحة لكثرة زوائده، ومثله إذا طارح جسر الذي يأخذ عنه فلم ينتفع له، ولكنه ناهيك به من مغن مطرب.

قال إسحاق: وحدثت أنه صار إلى مخارقٍ عائداً، فصادف عنده المغنين جميعاً، فلما طلع تغامزوا عليه، فسلم على مخارقٍ وسأله به، فأقبل عليه مخارق ثم قال له: يا أبا جعفر، إن جواريك اللواتي في ملكي قد تركن الدرس من مدة، فأحب أن تدخل إليهن وتأخذ عليهن وتصلح من غنائهن. ثم صاح بالخدم فسعوا بين يديه إلى حجرة الجواري، ففعل ما سأله مخارق، ثم خرج فأعلمه أنه قد أتى ما احبه، والتفت إلى المغنين فقال: قد رأيت غمزكم، فهل فيكم أحد رضي أبو المهنا أعزه الله حذقه وأدبه وأمانته، ورضيه لحواريه غيري؟ ثم ولى فكأنما ألقمهم حجراً، فما أجابه أحد.

عفت الديار محلها فمقامها ... بمنى تأبد غولها فرجامها

فمدافع الريان عري رسمها ... خالقاً كما ضمن الوحي سلامها

فاقنع بما قسم الإ له فإنما ... قسم الخلائق بيننا علامها

عروضه من الكامل. عفت: درست. ومنى: موضع في بلاد بني عامر، وليس منى مكة. تأبد: توحش والغول والرجام: جبلان بالحمى. والريان: وادٍ. مدافعه: مجاري الماء فيه. وعري رسمها، اي ترك وارتحل عنه. يقول: عري من أهله. وسلامها: صخورها، واحدتها سلمة.

الشعر للبيد بن ربيعة العامري، والغناء لابن سريج، رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لابن محرز خفيف رملٍ أول بالوسطى عن حبش، وذكر الهشامي إن فيه رملاً آخر للهذلي في الثالث والأول.

نسب لبيد وأخباره

هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر.

وكان يقال لأ بيه ربيع المقترين لجوده وسخائه. وقتلته بنو أسد في الحرب التي كانت بينهم وبين قومهم وقومه.
وعمه أبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة، سمي بذلك لقول أوس بن حجر فيه:

فلا عب أطراف الأسنة عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع

وأم لبيد تامرة بنت زنباع العبسية، إحدى بنات جذيمة بن رواحة.
ولبيد أحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها والمخضرمين ممن أدرك الإسلام، وهو من أشراف الشعراء المجيدين الفرسان القاء المعمرين، يقال إنه عمر مائة وخمساً وأربعين سنة.
أخبرني بخبره في عمره أحمد بن عبد العزيزي الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة عن عبد الله بن محمد بن حكيم.
وأخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد، عن علي بن الصباح، عن ابن الكلبي، وعن علي بن المسور عن الأصمعي، وعن رجالٍ ذكرهم، منهم أبو اليقظان وابن دأب، وابن جعدبة، والوقاصي.
أن لبيد بن ربيعة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني كلاب بعد وفاة أخيه أربد وعامر بن الطفيل، فأسلم وهاجر وحسن إسلامه، ونزل الكوفة أيام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فأقام بها. ومات بها هناك في آخر خلافة معاوية، فكان عمره مائةً وخمساً وأربعين سنة، منها تسعون سنةً في الجاهلية، وبقيتها في الإسلام.
قال عمر بن شبة في خبره: فحدثني عبد الله بن محمد بن حكيم أن لبيداً قال حين بلغ سبعاً وسبعين سنة:

قامت تشكى إلي النفس مجهشةً وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا
فإن تزادي ثلاثاً تبلغي أملاً وفي الثلاث وفاء للثمانينا

فلما بلغ التسعين قال:

كأني وقد جاوزت عشرين حجةً خلعت بها عن منكبي ردائيا

فلما بلغ مائةً وعشراً قال:

أليس في مائةٍ قد عاشها رجل وفي تكامل عشرٍ بعدها عمر

فلما جاوزها قال:

ولقد سئمت من الحاة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

غلب الرجال وكان غير مغلبٍ دهر طويل دائم ممدود
يوماً أرى يأتي علي وليلة وكلاهما بعد المضاء يعود

وأراه يأتي مثل يوم لقيته لم ينتقص وضعفت وهو يزيد

أخبرني محمد بن دريد قال حدثنا أبو حاتم السجستاني قال حدثنا الأصمعي قال: وفد عامل بن مالكٍ ملاعب الأسنة، وكان يكنى أبا البراء، في رهطٍ من بني جعفر، ومعه لبيد بن ربيعة، ومالك بن جعفر، وعامر بن مالكٍ عم لبيد، على النعمان، فوجدوا عنده الربيع بن زيادٍ العبسي وأمه فاطمة بنت الخرشب، وكان الربيع نديماً للنعمان مع رجلٍ من تجار الشام يقال له زرجون بن توفيل ، وكان حريفاً للنعمان يبايعه ، وكان أديباً حسن الحديث والندام، فاستخفه النعمان، وكان إذا أراد أن يخلو على شرابه بعث إليه وإلى النطاسي: متطبب كان له، وإلى الربيع بن زياد فخلا بهم، فلما قدم الجعفريون كانوا يحضرون النعمان لحاجتهم، فإذا خرجوا من عنده خلا به الربيع فطعن فيهم وذكر معايبهم، وكانت بنو جعفر له أعداء ، فلم يزل بالنعمان حتى صده عنهم، فدخلوا عليه يوماً فرأوا منه جفاءً، وقد كان يكرمهم ويقربهم، فخرجوا غضاباً ولبيد متخلف في رحالهم يحفظ متاعهم، ويغدوا بإبلهم كل صباحٍ يرعاها، فأتاهم ذات ليلةٍ وهم يتذكرون أمر الربيع، فسألهم عنه فكتموه، فقال: والله لا حفظت لكم متاعاً، ولا سرحت لكم بعيراً أو تخبروني فيم أنتم؟ وكانت أم لبيدٍ يتيمةً في حجر الربيع، فقالوا: خالك قد غلبنا على الملك وصد عنا وجهه. فقال لبيد: هل تقدرون على أن تجمعوا بيني وبينه فأزجره عنكم بقول ممض لا يلتفت إليه النعمان أبداً؟ فقالوا: وهل عندك شيء؟ قال: نعم.

قالوا: فإنا نبلوك. قال: وما ذاك؟ قالوا: تشتم هذه البقلة - وقدامهم بقلة دقيقة القضبان، قليلة الورق، لاصقة بالأرض، تدعى التربة - فقال: هذه التربة التي لا تذكي ناراً ولا تؤهل داراً، ولا وتسر جاراً، عودها ضئيل، وفرعها كليل، وخيرها قليل، أقبح البقول مرعى، وأقصرها فرعاً، وأشدها شاسع، وآكلها جائع، والمقيم عليها قانع، فالقوا بي أخا عبس، أرده عنكم بتعس، وأتركه من أمره في لبس. قالوا: نصبح ونرى فيك رأينا فقال عامر: انظروا إلى غلامكم هذا - يعني لبيداً - فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء، إنما هو يتكلم بما جاء على لسانه، وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبه. فرمقوه فوجدوه وقد ركب رحلاً وهو يكدم وسطه حتى أصبح، فقالوا: أنت والله صاحبه. فعمدوا إليه فحلقوا رأسه وتركوا ذؤابته، وألبسوه حلة ثم غدا معهم وأدخلوه على النعمان، فوجدوه يتغدى ومعه الربيع بن زيادٍ، وهما يأكلان لا ثلث لهما، والدار والمجالس مملوءة من الوفود، فلما فرغ من الغداء أذن للجعفريين فدخلوا عليه، وقد كان أمرهم تقارب، فذكروا الذي قدموا له من حاجتهم، فاعترض الربيع بن زياد في كلامهم، فقال لبيد في ذلك:

أكل يومٍ هامتي مقزعه يا رب هيجاهي خير من دعه

نحن بني أم البنين الأربعة سيوف حزوجفان مترعه

نحن خيار عامر بن صعصعة الضاربون الهام تحت الخيضعة

والمطعمون الجفنة المدعدعه مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه

إن استه من برص ملمعه وإنه يدخل فيها إصبعه

يدخلها حتى يواري أشجعه كأنه يطلب شيئاً ضيعه

فرفع النعمان يده من الطعام وقال: خبثت والله علي طعامي يا غلام؛ وما رأيت كاليوم. فأقبل الربيع على النعمان فقال: كذب والله ابن الفاعلة ، ولقد فعلت بأمه كذا. فقال له لبيد: مثلك فعل ذلك بربيبة أهلة والقريبة من أهله، وإن أمي من نساءٍ لم يكن فواعل ما ذكرت. وقضى النعمان حوائج الجعفريين، ومضى من وقته وصرفهم، ومضى الربيع بن زياد إلى منزله من وقته، فبعث إليه النعمان بضعف ما كان يحبوه، وأمره بالا نصراف إلى أهله، فكتب إليه الربيع: إني قد عرفت أنه قد وقع في صدرك ما قال لبيد، وإني لست بارحاً حتى تبعث إلي من يجردني فيعلم من حضرك من الناس أني لست كما قال لبيد. فأرسل إليه: إنك لست صانعاً بانتفائك مما قال لبيد شيئاً، ولا قادراً على رد ما زلت به الألسن، فالحق بأهلك. فلحق بأهله ثم أرسل إلى النعمان بأبيات شعر قالها، وهي:

لئن رحلت جمال لا إلى سعةٍ ما مثلها سعة عرضاً ولا طولا

بحيث لو وردت لخم بأجمعها لم يعدلوا ريشةً من ريش سمويلا

ترعى الروائم أحرار البقول بها لا مثل رعيكم ملحاً وغسويلا

فاثبت بأرضك بعدي واخل متكئاً مع النطاسي طوراً وابن توفيلا

فأجابه النعمان بقوله:

شرد برحلك عني حيث شئت ولا تكثر علي ودع عنك الأباطيلا

فقد ذكرت بشيءٍ لست ناسيه ما جاورت مصر أهل الشام والنيلا

فما انتفاؤك منه بعد ما جزعت هوج المطي به نحو ابن سمويلا

قد قيل ذلك إن حقا وإن كذباً فما اعتذارك من قول إذا قيلا

فالحق بحيث رأيت الأرض واسعةً فانشر بها الطرف إن عرضاً وإن طولا

قال: وقال لبيد يهجو الربيع بن زياد - ويزعمون أنها مصنوعة. قال:

ربيع لا يسقك نحوي سائق فتطلب الأ ذحال والحقائق

ويعلم المعيا به والسابق ما أنت إن ضم عليك المازق

إلا كشيءٍ عاقه العوائق إنك حاسٍ حسوةً فذائق

لا بد أن يغمز منك العاتق غمزاً ترى أنك منه ذارق

إنك شيخ خائن منافق بالمخزيات ظاهر مطابق

كان يخفي بعض شعره ثم أظهره وكان لبيد يقول الشعر ويقول: لا تظهروه، حتى قال:

عفت الديار محلها فمقامها

وذكر ما صنع الربيع بن زياد، وضمرة بن ضمرة . ومن حضرهم من وجوه الناس، فقال لهم لبيد حينئذٍ: أظهروها.

قال الأصمعي في تفسير قوله: الخيضعة، أصله الخضعة بغير ياء، يعني الجلبة والأصوات، فزاد فيها الياء. وقال في قوله بالمخزيات ظاهر مطابق: يقال طابق الدابة، إذا وضع يديه ثم رفعهما فوضع مكانهما رجليه، وكذلك إذا كان يطأ في شوك. والمأزق: المضيق. والنازق: الخفيف.

نسخت من كتاب مروي عن أبي الحكم قال: حدثني العلاء بن عبد الله الموقع قال: اجتمع عند الوليد بن عقبة سماره وهو أمير الكوفة وفيهم لبيد، فسأل لبيداً عما كان بينه وبين الربيع بن زيادٍ عند النعمان، فقال له لبيد: هذا كان من أمر الجاهلية وقد جاء الله بالإسلام. فقال له: عزمت عليك - وكانوا يرون لعزمة الأمير حقا - فجعل يحدثهم، فحسده رجل من غني فقال: ما علمنا بهذا. قال: أجل يا أبن أخي، لم يدرك أبوك مثل ذلك، وكان أبوك ممن لم يشهد تلك المشاهد فيحدثك.

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني العمري قال: حدثني الهيثم عن ابن عياش عن محمد بن المنتشر قال: لم يسمع من لبيد فخره في الإسلام غير يوم واحد، فإنه كان في رحبة غني مستلقياً على ظهره قد سجى نفسه بثوبه، إذا أقبل شاب من غني فقال: قبح الله طفيلاً حيث يقول:

جزى الله عنا جعفراً حيث أشرفت بنا نعلنا في الواطين فزلت

أبوا أن يملونا ولو أن أمنا تلاقي الذي يلقون منا لملت

فذو المال موفور وكل معصبٍ إلى حجرات أدفأت وأظلت

وقالت هلموا الدار حتى تبينوا وتنجلي الغماء عما تجلت

ليت شعري ما الذي رأى من بني جعفرٍ حيث يقول هذا فيهم؟ قال: فكشف لبيد الثوب عن وجهه وقال: يا ابن أخي، إنك أدركت الناس وقد جعلت لهم شرطة يرعون بعضهم عن بعض، ودار رزق تخرج الخادم بجرابها فتأتي برزق أهلها، وبيت مال يأخذون منه أعطيتهم، ولو أدركت طفيلاً يوم يقول هذا لم تلمه. ثم استلقى وهو يقول: أستغفر الله. فلم يزل يقول: أستغفر الله؛ حتى قام.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد قال: قال مر لبيد بالكوفة على مجلس بني نهد وهو يتوكأ على محجن له فبعثوا إليه رسولاً يسأله عن أشعر العرب، فسأله فقال: الملك الضليل ذو القروح. فرجع فأخبرهم فقالوا: هذا امرؤ القيس. ثم رجع إليه فسأله: ثم من؟ فقال له: الغلام

المقتول من بني بكر. فرجع فأخبرهم فقالوا: هذا طرفة. ثم رجع فسأله ثم من؟ قال: ثم صاحب المحجن، يعنى نفسه أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو عبيدة قال:

لم يقل لبيد في الإسلام إلا سلام واحداً، وهو:

الحمد لله إذا لم ياتني أجلي حتى لبست من الإسلام سربالا

أخبرني أحمد قال: أخبرني عمي قال: حدثني محمد بن عباد بن حبيب المهلبي قال: حدثنا نصر بن دأب عن دواد بن أبي هند عن الشعبي قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة: أن استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوا في الإسلام. فأرسل إلى الأغلب الراجز العجلي، فقال له: أنشدني. فقال:

أرجزاً تريد أم قصيدا لقد طلبت هيناً موجودا

ثم أرسل إلى لبيدٍ فقال: أنشدني. فقال: إن شئت ما عفي عنه - يعني الجاهلية - فقال: لا، أنشدني ما قلت في الإسلام. فانطلق فكتب سورة البقرة في صحيفةٍ ثم أتى بها وقال: أيدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر. فكتب بذلك المغيرة إلى عمر، فنقص من عطاء الأغلب خمسمائةٍ وجعلها في عطاء لبيد، فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة، فكتب الأغلب: يا أمير المؤمنين أتنقص عطائي أن أطعتك؟! فرد عليه خمسمائة وأقر عطاء لبيد على ألفين وخمسمائة.

قال أبو زيد: وأراد معاوية أن ينقصه من عطائه لما ولي الخلافة، وقال: هذان الفودان- يعني الألفين - فما بال العلاوة؟ يعني الخمسمائة. فقال له لبيد: إنما أنا هامة اليوم أو غد، فأعرني اسمها ، فلعلي لا أقبضها أبداً فتبقى لك العلاوة والفودان . فرق له وترك عطاءه على حاله، فمات و لم يقبضه.

وقال عمر بن شبة في خبره الذي ذكره عن عبد الله بن محمد بن حكيم. وأخبرني به إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قالا: كان لبيد من جوداء العرب ، وكان قد آلى في الجاهلية أن لا تهب صبا إلآ أطعم، وكان له جفنتان يغدو بهما ويروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم، فهبت الصبا يوماً والوليد بن عقبة على الكوفة، فصعد الوليد المنبر فخطب الناس ثم قال: إن أخاكم لبيد بن ربيعة قد نذر في الجاهلية ألا تهب صباً إلا أطعم، وهذا يوم من أيامه، وقد هبت صباً فأعينوه، وأنا أول من فعل. ثم نزل عن المنبر فأرسل إليه بمائة بكرة، وكتب إليه بأبياتٍ قالها:

أرى الجزار يشحذ شفرتيه إذا هبت رياح أبي عقيل

أشم الأنف أصيد عامري طويل الباع كالسيف الصقيل

وفى ابن الجعفري بحلفتيه على العلات و المال القليل

بنحر الكوم إذ سحبت عليه ذيول صباً تجاوب بالأصيل

فلما بلغت أبياته لبيداً قال لآبنته: أجيبيه، فلعمري لقد عشت برهةً وما أعيا بجواب شاعر. فقالت ابنته:

إذا هبت رياح أبي عقيلٍ ... دعونا عند هبتها الوليدا

أشم الأنف أروع عبشميا ... أعان على مروءته لبيدا

بأمثال الهضاب كأن ركباً ... عليها من بني حام قعودا

أبا وهبٍ جزاك الله خيراً ... نحرناها فأطعمنا الثريدا

فعد إن الكريم له معاد ... وظني يا ابن أروى أن تعودا

فقال لها لبيد: أحسنت لولا أنك استطعمته. فقالت: إن الملوك لا يستحيا من مسألتهم. فقال: وأنت يا بنية في هذه أشعر.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال: حدثني القاسم بن يعلي عن المفضل الضبي قال: قدم الفرزدق فمر بمسجد بني أقيصر، وعليه رجل ينشد قول لبيد:

وجلا السيول عن الطلول كأنها ... زبر تجد متونها أقلامها

فسجد الفرزدق فقيل له: ما هذا يا أبا فراس؟ فقال: أنتم تعرفون سجدة القرآن، وأنا أعرف سجدة الشعر.

أخبرنا أحمد بن عبد الله بن عمار قال: حدثنا يعقوب الثقفي، وابن عياش، وسمعر بن كدام، كلهم عن عبد الملك بن عمير قال:

أخبرني من أرسله القراء الأشراف - قال الهيثم: فقلت لابن عياش: من القراء الأشراف؟ قال: سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجبة الفزاري ، وخالد بن عرفطة الزهري، ومسروق بن الأجدع الهمداني، وهانئ بن عروة المرادي - إلى ربيعة وهو في المسجد، وفي يده محجن فقلت: يا أبا عقيل، إخوانك يقرونك السلام ويقولون: أي العرب أشعر؟ قال: الملك الضليل ذو القروح. فردوني إليه وقالوا: ومن ذو القروح؟ قال: امرؤ القيس. فأعدوني إليه وقالوا: ثم من؟ قال: الغلام ابن ثمان عشرة سنة. فردوني إليه فقلت: ومن هو؟ فقال: طرفة. فردوني إليه فقلت: ثم من؟ قال: صاح المحجن حيث يقول:

إن تقوى ربنا خير نفل ... وبإذن الله ريثي وعجل

أحمد الله ولا ند له ... بيديه الخير ما شاء فعل

من هداه سبل الخير اهتدى ... ناعم البال ومن شاء أضل

يعني نفسه. ثم قال: أستغفر الله.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشعبي قال: حدثنا عمر بن شبة عن ابن البواب قال: جلس المعتصم يوماً للشراب، فعناه عض المغنين قوله:

وبنو العباس لا بأتون لا وعلى ألسنهم خفت نعم

زينت أحلامهم أحسابها وكذاك الحلم زين للكرم

فقال: ما أعرف هذا الشعر، فلمن هو؟ قيل: للبيد. فقال: وما للبيد وبني العباس؟ قال المغني: إينما قال:

وبنو الديان لا يأتون

فجعلته وبنو العباس. فاستحسن فعله ووصله.

وكان يعجب بشعر لبيد فقال: من منكم يروي قوله:

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع

فقال بعض الجلساء: أنا . فقال: أنشدنيها. فأنشد:

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الجبال بعدنا والمصانع

وقد كنت في أكناف جار مضنةٍ ففارقني جار بأريد نافع

فبكى المعتصم حتى جرت دموعه، وترحم على المأمون، وقال: هكذا كان رحمة الله عليه! ثم اندفع وهو ينشد باقيها ويقول:

فلا جزع إن فرق الدهر بيننا فكل امرىء يوماً له الدهر فاجع

وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلوها وبعد بلا قع

ويمضون أرسالاً ونخلف بعدهم كما ضم إحدى الراحتين الأصابع

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

وما البر إلا مضمرات من التقى وما المال إلا عاريات ودائع

أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الأصابع

أخبر أخبار القرون التي مضت أدب كأني كلما قمت راكع

فأصبحت مثل السيف أخلق جفنه تقادم عهد القين والنصل قاطع

فلا تبعدن إن المنية موعد علينا فدانٍ للطلوع وطالع

أعاذل ما يدريك إلا تظنياً إذا رحل الفتيان من هو راجع

أتجزع مما أحدث الدهر بالفتى وأي كريم لم تصبه القوارع

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع

قال: فعجبنا والله من حسن ألفاظه، وصحة إنشاده، وجودة اختياره.

أخبرني الحسين بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه. وحدثنا محمد بن جرير الطبري قال: حدثنا محمد بن حميد الرازي قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق قال : كان عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة، فتفكر يوماً في نفسه فقال: والله ما ينبغي لمسلمٍ أن يكون آمناً في جوار كافر ورسول الله صلى الله عليه وسلم خائف. فجاء إلى الوليد بن المغيرة فقال له: أحب أن تبرأ من جواري. قال: لعله رابك ريب. قال: لا، ولكن أحب أن تفعل. فقال: فاذهب بنا حتى أبرأ منك حيث أجرتك . فخرج معه إلى المسجد الحرام فلما وقف على جماعة قريش قال لهم: هذا ابن مظعونٍ قد كنت أجرته ثم سألني أن أبرأ منه، أكذاك يا عثمان؟ قال: نعم. قال: اشهدوا أني منه بريء.

قال: وجماعة يتحدثون من قريش معهم لبيد بن ربيعة ينشدهم، فجلس عثمان مع القوم فأنشدهم لبيد:

ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطل

فقال له عثمان: صدقت. فقال لبيد:

وكل نعيم لا محالة زائل

فقال عثمان: كذبت. فلم يدر القوم ما عنى. فأشار بعضهم إلى لبيد أن يعيد، فأعاد فصدقه في النصف الأول وكذبه في الآخر، لأن نعيم الجنة لا يزول. فقال لبيد: يا معشر قريش، ما كان مثل هذا يكون في مجالسكم. فقالم أبي بن خلف أو ابنه فلطم وجه عثمان، فقال له قائل: لقد كنت في منعةٍ من هذا بالأمس. فقال له: ما أحوج عيني هذه الصحيحة إلى أن يصيبها ما أصاب الأخرى في الله.

أخبرني محمد بن الزبان قال: حدثنا أحمد بن الهيثم قال: حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش قال: كتب عبد الملك إلى الحجاج يأمره بإشخاص الشعبي إليه، فأشخصه فألزمه ولده، وأمر بتخريجهم ومذاكرتهم، قال: فدعاني يوماً في علته التي مات فيها فغص بلقعةٍ وأنا بين يديه، فتساند طويلاً ثم قال: أصبحت كما قال الشاعر:

كأني وقد جاوزت سبعين حجة ... خلعت بها عني عذار لجام

إذا ما رآني الناس قالوا ألم يكن ... شديد محال البطش غير كهام

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى ... وكيف يمن يرمى وليس برام

ولو أنني أرمى بسهم رأيته ... ولكنني أرمي بغير سهام

فقال الشعبي: فقالت: إنا لله، استلم الرجل والله للموت! فقلت: أصلحك الله، ولكن مثلك ما قال لبيد:

باتت تشكى إلي الموت مجهشةً ... وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا

فإن تزادي ثلاثاً تبلغي أملاً وفي الثلاث وفاء للثمانينا

فعاش إلى أن بلغ تسعين سنة فقال :

كأني وقد جاوزت تسعين حجةً خلعت بها عن منكبي ردائيا

فعاش إلى أن بلغ مائة وعشر سنين فقال:

أليس في مائةٍ قد عاشها رجل وفي تكامل عشرٍ بعدها عمر

فعاش إلى أن بلغ مائةً وعشرين سنة فقال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

غلب الرجال وكان غير مغلبٍ دهر جديد دائم ممدود

يوم أرى يأتي عليه وليلة وكلاهما بعد المضاء يعود

ففرح وساتبشر وقال: ما أرى بأساً، وقد وجدت خفاً . وأمر لي بأربعة الآف درهم، فقبضتها وخرجت، فما بلغت الباب حتى سمعت الواعية عليه.

وغنى في هذه الأبيات التي أولها:

غلب الرجال وكا غير مغلبٍ

عمر الوادي خفيف رملٍ مطلقٍ بالوسطى عن عمرو.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا هارون بن مسلم عن العمري عن الهيثم بن عدي عن حمادٍ الراوية قال: نظر النابغة الذبياني إلى لبيد بن ربيعة وهو صبي، مع أعمامه على باب النعمان بن المنذر، فسأل عنه فنسب له، فقال له: يا غلام، إن عينيك لعينا شاعرٍ، أفتقرض من الشعر شيئاً؟ قال: نعم يا عم. قال: فأنشدني شيئاً مما قلته. فأنشده قوله:

ألم تربع على الدمن الخوالي

فقال له: يا غلام، أنت أشعر بني عامر، زدني يا بني. فأنشده:

طلل لخولة بالرسيس قديم

فضرب بيديه إلى جنبيه وقال: أذهب فأنت أشعر من قيس كلها، أو قال: هوزان كلها.

وأخبرني بهذا الخبر عمي قال: حدثنا العمري عن لقيط عن أبيه، وحماد الرواية عن عبد الله بن قتادة المحاربي قال: كنت مع النابغة بباب النعمان بن المنذر، فقال لي النابغة: هل رأيت لبيد بن ربيعة فيمن حضر؟ قلت: نعم قال: أيهم أشعر؟ قلت: الفتى الذي رأيت من حاله كيت وكيت. فقال: اجلس بنا حتى يخرج إلينا. قال: فجلسنا فلما خرج قال له النابغة: إلي يا ابن أخي. فأتاه فقال: إنشدني. فأنشده قوله:

ألم تلمم على الدمن الخوالي لسلمى بالمذانب فالقفال

فقال له النابغة: أنت أشعر بني عامر، زدني. فأنشده:

طلل لخولة بالرسيس قديم فبعاقلٍ فلأنعمين رسوم

فقال له: أنت أشعر هوازن، زدني. فأنشده قوله:

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

فقال له النابغة: اذهب فأنت أشعر العرب.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني عبد الله بن محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد، أن لبيداً لما حضرته الوفاة قال لابن أخيه و لم يكن له ولد ذكر: يا بني، إن أباك لم يمت ولكنه فني. فإذا طعموا فقل لهم فليحضروا جنازة أخيهم. ثم أنشد قوله:

وإذا دفنت أباك فاج عل فوقه خشباً وطنيا

وسقائفا صما روا سيها يسددن الغصونا

ليقين حر الوجه سف ساف التراب ولن يقينا

قال: وهذه الأبيات من قصيدةٍ طويلة.

وقد ذكر يونس أن لابن سريجٍ لحناً في أبياتٍ من قصيدة لبيدٍ هذه، و لم يجنسه.

أبني هل أبصرت أع مامي بني أم البنينا

وأبي الذي كان الأرا مل في الشتاء له قطينا

وأبا شريك والمنا زل في المضيق إذا لقينا

ما إن رأيت ولا سمع ت بمثلهم في العالمينا

فبقيت بعدهم وكن ت بطول صحبتهم ضنينا

دعني وما ملكت يمي ني إن سددت بها الشؤونا

وافعل بمالك ما بدا لك مستعاناً أو معينا

قال: وقال لابنتيه حين احتضر ، وفيه غناء:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

فإن حان يوماً أن يموت أبوكما فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر

وقولا هو المرء الذي لا حليفه أضاع، ولا خان الصديق ولا غدر

إلى الحولثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

في هذه الأبيات هزج خفيف مطلق في مجرى الوسطى. وذكر الهشامي إنه لإسحاق. وذكر أحمد بن يحيى أنه لإبراهيم.

قال: فكانت ابنتاه تلبسان ثيابهما في كل يوم، ثم تأتيان مجلس بني جعفر بن كلاب فترثيانه ولا تعولان، فأقاما على ذلك حولاً ثم انصرفتا.

سألناه الجزيل فما تأبى فأعطى فوق منيتنا وزادا

وأحسن ثم أحسن ثم عدنا فأحسن ثم عدت له فعادا

مراراً ما دنوت إليه إلا تبسم ضاحكاً وثنى الوسادا

الشعر لزياد الأعجم، والغناء لشارية، خفيف رمل بالبنصر مطلق.

أخبار زياد الأعجم ونسبه

زياد بن سليمان ، مولى عبد القيس، أحد بني عامر بن الحارث، ثم أحد بني مالك بن عامر الخارجية .

أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري. وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي، عن عمه عن ابن حبيب قال: هو زياد بن جابر بن عمرو، مولى عبد القيس. وكان يتزل إصطخر فغلبت العجمة على لسانه، فقيل له الأعجم.

وذكر ابن النطاح مثل ذلك في نسبه، وخالف في بلده، وذكر أن أصله ومولده ومنشأه بأصبهان ثم انتقل إلى خراسان، فلم يزل بها حتى مات.

وكان شاعراً جزل الشعر فصيح الألفاظ على لكنة لسانه، وجريه على لفظ أهل بلده.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن موسى قال: حدثت عن المدائني أن زياداً الأعجم دعا غلاماً له ليرسله في حاجة، فأبطأ فلما جاءه قال له: منذ لدن دأوتك إلى أن قلت لبى ما كنت تسنأ؟ يريد منذ لدن دعوتك إلى أن قلت لبيك ماذا كنت تصنع.

فهذه ألفاظه كما ترى في نهاية القبح واللكنة.

وهو الذي يقول يرثي المغيرة بن المهلب بقوله:

قل للقوافل والغزي إذا غزوا والباكرين وللمجد الرائح

إن المروءة والسماحة ضمنا قبراً بمرو على الطريق الواضح

فإذا مررت بقبره فاعقر به كوم الهجان وكل طرف سابح

وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخادمٍ وذبائح

يا من بمهوى الشمس من حي إلى ما بين مطلع قرنها المتنازح
مات المغيرة عد طول تعرض للموت بين أسنةٍ وصفائح
والقتل ليس إلى القتال ولا أرى حيا يؤخر للشفيق الناصح

وهي طويلة. وهذا من نادر الكلام، ونقي المعاني، ومختار القصيد، وهي معدودة من مراثي الشعراء في عصر زياد ومقدمها.

لابن جامع في الأبيات الأربعة الأول غناء أوله نشيد كله، ثم تعود الصنعة إلى الثاني والثالث في طريقة الهزج بالوسطى.

وقد أخبرني علي بن سليمان الأخفش، عن السكري عن محمد بن حبيب، أن من الناس من يروي هذه القصيدة لصلتان العبدي. وهذا قول شاذ، والصحيح أنها لزياد قد دونها الرواة، غير مدفوعٍ عنها.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال: حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال: رثى زياد الأعجم المغيرة بن المهلب فقال:

إن الشجاعة والسماحة ضمنا قبراً بمرو على الطريق الواضح
فإذا مررت بقبره فاعقر به كوم الهجان وكل طرفٍ سابح

فقال له يزيد بن المهلب: يا أبا أمامة، أفعقرت أنت عنده؟ قال: كنت على بنت الهمار . يريد الحمار.

أخبرني مالك بن محمد الشيباني قال: كنت حاضراً في مجلس أبي العباس، فقلت وقدقرىء عليه شعر زيادٍ الأعجم، فقرئت عليه قصيدته:

قل للقوافل والغزي إذا غزوا والباكرين وللمجد الرائح

قال: فقلت إنها من مختار الشعر، ولقد أنشدت لبعض المحدثين في نحو هذا المعنى أبياتاً حسنة. ثم أنشدنا:

أيها الناعيان من تنعيان وعلى من أراكما تبكيان
اندبا الماجد الكريم أبا إس حاق رب المعروف والإحسان
واذهبا بي إن لم يكن لكما عق ر إلى جنب قبره فاعقراني
وانضحا من دمي عليه فق كا ن دمي من نداه لو تعلمان

أخبرني وكيع قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي عن ابن عائشة عن أبيه قال: كان المهلب بن أبي صفرة بخراسان، فخرج إليه زياد الأعجم فمدحه، فأمر له بجائزة فأقام عنده أياماً. قال: فإنا ليعشيةٍ نشرب مع حبيب بن المهلب في دار له، وفيها حمامة، فقال زياد:

تغنى أنت في ذممي وعهدي وذمة والدي إن لم تطاري
وبيتك فاصلحيه ولا تخافي على صفرٍ مزغبة صغار
فإنك كلما غنيت صوتاً ذكرت أحبتي وذكرت داري
فإما يقتلوك طلبت ثاراً له نبأ لأنك في جواري

فقال حبيب: يا غلام، هات القوس. فقال له زياد: وما تصنع بها؟ قال: أرمي جارتك هذه. قال: والله لئن رميتها لاستعدين عليك الأمير. فأتى بالقوس فترع لها سهماً فقتلها، فوثب زياد فدخل على المهلب فحدثه الحديث وأنشده الشعر، فقال المهلب: علي بأبي بسطام، فأتي بحبيب فقال له: أعط أبا أمامة دية جارته ألف دينار. فقال: أطال الله بقاء الأمير، إنما كنت ألعب. قال: أعطه كما آمرك. فأنشأ زياد يقول:

فلله عينا من رأى كقضيةٍ قضى لي بها قرم العراق المهلب
رماها حبيب بن المهلب رميةً فأثبتها بالسهم والسهم يغرب
فألزمه عقل الفتيل ابن حرةٍ وقال حبيب: إنما كنت ألعب
فقال :زياد لا يروع جاره وجارة جاري مثل جلدي وأقرب

قال: فحمل حبيب إليه ألف دينار على كره منه، فإنه ليشرب مع حبيب يوماً إذا عربد عليه حبيب، وقد كان حبيب ضغن عليه مما جرى، فأمر بشق قباء ديباج كان عليه، فقام فقال:

لعمرك ما الديباج خرقت وحده ولكنما خرقت جلد المهلب

فبعث المهلب إلى حبيب فأحضره، وقال له: صدق زياد، ما خرقت إلا جلدي، تبعث هذا على أن يهجوني . ثم بعث إليه فأحضره، فأستل سخيمته من صدره وأمر له بمالٍ وصرفه.

وقد أخبرني وكيع بهذا الخبر أيضاً. قال أحمد بن الهيثم بن فراس، قال العمري عن الهيثم بن عدي قال: تهاجى قتادة بن مغرب اليشكري وزياد الأعجم بخراسان، وكان زياد يخرج وعليه قباء ديباج، تشبها بالأعجم، فمر به يزيد بن المهلب وهو على حاله تلك، فأمر به فقنع أسواطاً، ومزقت ثيابه وقال له: أبأهل الكفر والشرك تتشبه لا أم لك؟ فقال زياد:

لعمرك ما الديباج خرقت وحده ولكنما خرقت جلد المهلب

وذكر باقي الخبر مثله وقال فيه: فدعا به المهلب فقال له: يا أبا أمامة، قلت شيئاً آخر؟ قال: لا والله أيها الأمير. قال: فلا تقل. وأعتبه وكساه وحمله، وأمر له بعشرة آلاف درهم وقال له: اعذر ابن أخيك يا أبا أمامة، فإنه لم يعرفك.

وهذه الأبيات التي فيها الغناء يقولها زياد الأعجم في عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي.

أخبرني بخبره في ذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: أتى زياد العجم عمر بن عبيد الله بن معمرٍ بفارس، وقدم عليه عراك بن محمد الفقيه من مصر، فكان عراك يحدثه بحديث الفقهاء، فقال زياد:

يحدثنا أن القيامة قد أتت ... وجاء عراك يبتغي المال من مصر

فكم بين باب النوب إن كنت صادقاً ... وإيوان كسرى من فلاةٍ ومن قصر

وقال يمدح عمر بن عبيد الله:

سألناه الجزيل فما تأبى ... وأعطى فوق منيتنا وزادا

وذكر الأبيات الثلاثة.

نسخت من كتاب ابن أبي الدنيا: اخبرني محمد بن زياد، عن ابن عائشة. وأخبرني هاشم بن محمد قال: حدثني عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة، وخبر ابن أبي الدنيا أتم. قال: كان زياد الأعجم صديقاً لعمر بن عبيد الله بن معمر قبل أن يلي، فقال له عمر: يا أبا أمامة، لو قد وليت لتركتك لا تحتاج إلى لأحد أبداً. فلما ولي فارس قصده، فلما لقيه أنشأ يقول:

أبلغ أبا حفصٍ رسالة ناصح ... أنت من زياد مستبيناً كلامها

فإنك مثل الشمس لا ستر دونها ... فكيف أبا حفص علي ظلامها

فقال له عمر: لا يكون عليك ظلامها أبداً. فقال زياد:

لقد كنت أدعو الله في السر أن أرى ... أمور معد في يديك نظامها

فقال له: قد رأيت ذلك. فقال:

فلما أتاني ما أردت تباشرت ... بناتي وقلن العام لا شك عامها

قال: فهو عامهن إن شاء الله تعالى. فقال:

فإني وأرضا أنت فيها ابن معمرٍ ... كمكة لم يطرب لأرض حمامها

قال: فهي كذلك يا زياد. فقال:

إذا أخترت أرضاً للمقام رضيتها ... لنفسي ولم يثقل علي مقامها

وكنت أمني النفس منك ابن معمر ... أماني أرجو أن يتم تمامها

قال: قد أتمها الله عليك. فقال:

فلا أك كالمجري إلى رأس غايةٍ ... يرجى سماء لم يصبه غمامها

قال: لست كذلك فسل حاجتك. قال: نجيبة ورحالتها ، وفرس رائع وسائسه، وبدرة وحاملها، وجارية وخادمها، وتخت ثيابٍ ووصيف يحمله. فقال: قد امرنا لك بجميع ما سألت، وهو لك علينا في كل عام. فخرج من عنده حتى قدم على عبد الله بن الحشرج وهو يسابور، فأنزله وألطفه ، فقال في ذلك:

إن السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج

ملك أغر متوج ذو نائلٍ ... للمعتفين يمينه لم تشنج

يا خير من صعد المنابر بالتقى ... بعد النبي المصطفى المتحرج

لما أتيتك راجياً لنو الكم ... ألفيت باب نوالكم لم يرتج

فأمر له بعشرة آلاف درهم.

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيع، عن عبد الله بن محمد، عن عبيد الله بن الحسن بن عبد الرحمن بهذا الخبر فقال فيه: أتى زياد عبد الله بن عامر بن كريز. والخبر الأول أصح. وزاد في الشعر:

أخ لك لا تراه الدهر إلا ... على العلات بساماً جوادا

فقال له عمر: أحسنت يا أبا أمامة، ولك لكل بيتٍ ألف. قال: دعني أتمها مائة. قال: أما إنك لو كنت فعلت لفعلت، ولكن لك ما رزقت.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا ابن عائشة قال: حدثني أبي قال: لما خرج ابن أرسل عبد الملك إلى عمر بن عبيد الله بن معمر ليقدم عليه، فلما كان بضمير، وهي من الشأم، مات بالطاعون، فقام عبد الملك على قبره وقال: أما والله لقد علمت قريش أن قد فقدت اليوم ناباً من أنيابها. وقال جد خلاد بن أبي عمرو الأعمى، وكانوا موالي أبي عمرو بن أمية: أهو اليوم ناب لما مات، وكان أمس ضرساً كليلة؟! أما والله لوددت أن السماء وقعت على الأرض فلم يعش بينهما أحد بعده! وسمعها عبد الملك فتغافل عنها.

قال: وقال الفرزدق يرثيه:

يا أيها الناس لا تبكوا على أحدٍ ... بعد الذي بضمير وافق القدرا

كانت يداه لنا سيفاً نصول به ... على العدو وغيثاً ينبت الشجرا

أما قريش أبا حفصٍ فقد رزئت ... بالشام إذا فارقتك البأس والظفرا

من يقتل الجوع من بعد الشهيد ومن ... بالسيف يقتل كبش القوم إذ عكرا

إن النوائح لم يعددن في عمرٍ ... ما كان فيه إذا المولى به افتخرا

إذا عددن فعالاً أو له حسباً ... ويوم هيجاء يعشى بأسه البصرا

كم من جبانٍ إلى الهيجا دنوت له ... يوم اللقاء ولولا أنت ما صبرا

أخبرنا أحمد حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا عفان بن مسلم، قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: أخبرنا حميد عن سليمان بن قتة قال: بعث عمر بن عبد الله بن معمر إلى ابن عمر ، والقاسم بن محمد، بألف دينار، فأتيت عبد الله بن عمر وهو يغتسل في مستحم له، فأخرج يده فصببتها في يده، فقال: وصلت رحماً، وقد جاءتنا على حاجة. وأتيت القاسم فأبى أن يقبلها، فقالت لي امرأته: إن كان القاسم ابن عمه فأنا لا بنة عمه. فأعطيتها. قال: فكان عمر يبعث بهذه الثياب العمرية يقسمها بين أهل المدينة، فقال ابن عمر: جزى الله من اقتنى هذه الثياب بالمدينة خيراً. وقال لي عمر: لقد بلغني عن صاحبك شيء كرهته. قلت: وما ذاك؟ قال: يعطي المهاجرين ألفاً ألفاً، ويعطى الأنصار سبعمائة سبعمائة. فأخبرته فسوى بينهم .

أخبرنا أحمد قال حدثنا أبو زيد قال: كانت لرجل جارية يهواها، فاحتاج إلى بيعها، فابتاعها منه عمر بن عبيد الله بن معمر، فلما قبض ثمنها أنشأت تقول:

هنيئاً لك المال الذي قد قبضته ... ولم يق في كفي غير التحسر

فإني لحزنٍ من فراقك موجع ... أناجي به قلباً طويل التفكر

فقال: لا ترحلي. ثم قال:

ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن ... يفرقنا شيء سوى الموت فاعذري

عليك سلام لا زيارة بيننا ... ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

فقال: قد شئت، خذ الجارية وثمنها. فأخذها وانصرف.

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن زياد قال: حدثني ابن عائشة قال: استبطأ زياد الأعجم عمر بن عبيد الله بن معمر في زيارته إياه فقال:

أصابت علينا جودك العين يا عمر ... فنحن لها نبغي التمائم والنشر

أصابتك عين في سماحك صلبة ... ويا رب عينٍ صلبة تفلق الحجر

سنرقيك بالأشعار حتى تملها ... فإن لم تفق يوماً رقيناك بالسور

فبلغته الأبيات فأرضاه وسرحه.

أخبرني عمي قال: حدثني الكراني قال حدثني العمري قال: حدثني من سمع حماداً الراوية يقول: امتدح زياد العجم عباد بن الحصين الحبطي وكان على شرطة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الذي يقال له القباع، وطلب حاجة فلم يقضها، فقال زياد:

سألت أبا جهضمٍ حاجةً ... وكنت أراه قريباً يسيرا

فلو أنني خفت منه الخلا ... ف والمنع لي لم أسله نقيرا

وكيف الرجاء لما عنده وقد خالط البخل منه الضميرا

أقلني أبا جهضمٍ حاجتي فإني امرؤ كان ظني غرورا

أخبرني عمي قال: حدثني الكراني عن العمري، عن عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان قال: مر يزيد بن جناء الضبي بزياد الأعجم وهو ينشد شعراً قد هجا به قتادة بن مغرب، فأفحش فيه، فقال له يزيد بن حبناء: ألم يأن لك أن ترعوي وتترك تمزيق أعراض قومك، ويحك! حتى متى تتمادى في الضلال، كأنك بالموت قد صبحك أو مساك! فقال زياد فيه:

يحذرني الموت ابن حبناء والفتى إلى الموت يغدو جاهداً ويروح

وكل امرىءٍ لابد للموت صائر وإن عاش دهراً في البلاد يسيح

فقل ليزيد يا ابن حبناء لا تعظ أخاك وعظ نفساً فأنت جنوح

تركت التقى والدين دين محمدٍ لأهل التقى والمسلمين يلوح

وتابعت مراق العراقين سادراً وانت غليظ القصريين صحيح

فقال له يزيد بن عاصم الشني : قبحك الله أتهجو رجلاً وعظك وامرك بمعروف بمثل هذا الهجاء، هلا كففت إذ لم تقبل، أراه الله سيأتي على نفسك ثم لا تحبق فيك عتران ، اذهب ويحك فأته واعتذر إليه لعله يقبل عذرك.

فمشى إليه بجماعةٍ من عبد القيس فشفعوا إليه فيه، فقال: لا تثريب، لست واجداً عليه بعد يومي هذا.

أخبرني أحمد بن علي قال: سمعت جدي علي بن يحيى يحدث عن أبي الحسن عن رجل من جعفي قال: كنت جالساً عند المهلب إذ أقبل رجل طويل مضطرب، فلما رآه المهلب قال: اللهم إني أعوذ بك من شره! فجاء فقال: أصلح الله الأمير، اني قد مدحتك ببيت صفده مائة ألف درهم . فسكت المهلب، فاعاد القول فقال له: أنشده فأنشده:

فتى زاده السلطان في الخير رغبةً إذا غير السلطان كل خليل

فقال له المهلب: يا أبا أمامة، مائة ألف؟! فوالله ما هي عندنا ولكن ثلاثون ألفاً فيها عروض. وأمر له بها، فإذا هو زياد الأعجم.

أخبرني عمي قال: حدثني الكراني وأبو العيناء عن القحذمي قال: لقي الفرزدق زياداً الأعجم فقال له الفرزدق: لقد هممت أن أهجو عبد القيس، وأصف من فسوهم شيئاً. قال له زياد: كما أنت حتى أسمعك شيئاً. ثم قال: قل إن شئت أو أمسك. قال: هات. قال:

وما ترك الهاجون لي إن هجوته مصحا أراه في أديم الفرزدق

فإنا وما تهدي لنا إن هجوتنا لكالبحر مهما يلق في البحر يغرق

فقال له الفرزدق: حسبك هلم نتتارك . قال: ذلك إليك. وما عاوده بشيء.

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا العتبي عن العباس بن هشام عن أبيه قال: حدثني خراش ، وكان عالماً راوية لأبي، ولمؤرج ، ولجابر بن كلثوم، قال: أقبل الفرزدق وزياد ينشد الناس في المربد وقد اجتمعوا حوله، فقال: من هذا؟ قيل: الأعجم. فأقبل نحوه فقيل له: هذا الفرزدق قد أقبل عليك. فقام فتلقاه وحيا كل واحدٍ منهما صاحبه، فقال له الفرزدق: ما زالت تنازعني نفسي إلى هجاء عبد القيس منذ دهر. قال زياد: وما يدعوك إلى ذلك؟ قال: لأني رأيت الأشقري هجاكم فلم يصنع شيئاً، وأنا أشعر منه، وقد عرفت الذي هيج بينك وبينه. قال: وما هو؟ قال إنكم اجتمعتم في قبة عبد الله بن الحشرج بخراسان، فقلت له قد قلت شيئاً فمن قال مثله فهو أشعر مني، ومن لم يقل مثله ومد إلي عنقه فإني أشعر منه. فقال لك: وما قلت؟ فقلت: قلت:

وقافيةٍ حذاء بت أحوكها ... إذا ما سهيل في السماء تلالا

فقال لك الأشقري:

وأقلف صلى بعد ما ناك أمه ... يرى ذاك في دين المجوس حلالا

فأقبلت على من حضر فقلت: يا لأم كعبٍ أخزاها الله تعالى، ما أثمها حين تخبر ابنها بقلفتي! فضحك الناس وغلبت عليه في المجلس.

فقال له زياد: يا أبا فراس، هب لي نفسك ساعةً ولا تعجل حتى يأتيك رسولي بهديتي ثم ترى رأيك. وظن الفرزدق أنه سيهدي إليه شيئاً يستكفه به، فكتب إليه:

وما ترك الهاجون لي إن أردته ... مصحا أراه في أديم الفرزدق

وما تركوا لحماً يدقون عظمه ... لآكله ألقوه للمتعرق

سأحطم ما أبقوا له من عظامه ... فأنكت عظم الساق منه وأنتقي

فإنا وما تهدي لنا إن هجوتنا ... لكالبحر مهما يلق في البحر يغرق

فبعث إليه الفرزدق: لا أهجو قوماً أنت منهم أبداً.

قال أبو المنذر: زياد أهجى من كعبٍ الأشقري، وقد أوثر عليه في عدة قصائد. منها التي يقول فيها.

قبيلة خيرها شرها ... وأصدقها الكاذب الآثم

وضيفهم وسط أبياتهم ... وإن لم يكن صائماً صائم

وفيه يقول:

إذا عذب الله الرجال بشعرهم ... أمنت لكعبٍ أن يعذب بالشعر

وفيه يقول:

أتتك الأزد مصفرا لحاها تساقط من مناخرها الجواف

أخبرني وكيع قال: حدثني أحمد بن عمر بن بكير قال حدثنا الهيثم عن ابن عياش قال: دخل أبو قلابة الجرمي مسجد البصرة وإذا زياد الأعجم، فقال زياد: من هذا؟ قال: أبو قلابة الجرمي، فقام على رأسه فقال:

قم صاغراً ياكهل جرمٍ فإنما يقال لكهل الصدق قم غير صاغر

فإنك شيخ ميت ومورث قضاعة ميراث البسوس وقاشر

قضى الله خلق الناس صم خلقتم بقية خلق الله آخر آخر

فلم تسمعوا إلا بما كان قبلكم ولم تدركو إلا بدق الحوافر

فلو رد أهل الحق من مات منكم إلى حقه لم تدفنوا في المقابر

فقيل له: فأين كانوا يدفنون يا أبا أمامة؟ قال: في النواويس.

الجزء السادس عشر

أخبار شارية

قال أبو الفرج علي بن الحسين:

كانت شارية مولدة من موالدات البصرة، يقال إن أباها كان رجلاً من بني سامة بن لؤي المعروفين ببني ناجية ، وأنه حجدها، وكانت أمها أمة، فدخلت في الرق. وقيل بل سرقت فبيعت، فاشترتها امرأة من بني هاشم، فأدبتها، وعلمتها الغناء، ثم اشتراها إبراهيم بن المهدي، فأخذت غناءها كله أو أكثره عنه، وبذلك يحتج من يقدمها على عريب، ويقول: إن إبراهيم خرجها، وكان يأخذها بصحة الأداء لنفسه، وبمعرفة ما يأخذها به. و لم تكن هذه حال عريب، لأن المراكبي لم يكن يقارب إبراهيم في العلم، ولا يقاس به في بعضه ، فضلاً عن سائره.

أخبرني بخبرها محمد بن إبراهيم قريص : أن ابن المعتز دفع إليه كتابه الذي ألفه في أخبارها، وقال له أن يرويه عنه، فتسخت منه ما كان يصلح لهذا الكتاب على شرطي فيه، وأضفت إليه ما وجدته من أخبارها عن غيره في الكتب، وسمعته أنا عمن رويته عنه.

قال ابن المعتز: حدثني عيسى بن هارون المنصوري: أن شارية كانت لامرأة من الهاشميات بصرية، من ولد جعفر بن سليمان. فحملتها لتبيعها ببغداد، فعرضت على إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فأعطى بها ثلثمائة دينار، ثم استغلاها بذلك و لم يردها. فجيء بها إلى إبراهيم بن المهدي، فعرضت عليه، فساوم بها. فقالت له مولاتها: قد بذلتها لإسحاق بن إبراهيم بثلثمائة دينار، وأنت أيها الأمير، أعزك الله، بها أحق. فقال: زنوا لها ما قالت. فوزن لها، ثم دعا بقيمته، فقال: خذي هذه الجارية ولا ترينيها سنة، وقولي للجواري يطرحن عليها، فلما كان بعد سنة أخرجت إليه، فنظر إليها وسمعها. فأرسل إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي فدعاه، وأراه إياها، وأسمعه غناءها. وقال: هذه جارية تباع، فبكم تأخذها لنفسك؟ قال إسحاق: آخذها بثلاثة آلاف دينار، وهي رخيصة بها. قال له إبراهيم: أتعرفها؟ قال: لا. قال: هذه الجارية التي عرضتها عليك الهاشمية بثلثمائة دينار، فلم تقبل. فبقي إسحاق متحيراً، يعجب من حالها وما انقلبت إليه.

وقال ابن المعتز: حدثني الهشامي عن محمد بن راشد: أن شارية كانت مولدة البصرة، وكانت لها أم منكرة، تدعي أنها بنت محمد بن زبد، من بني سامة بن لؤي.

قال ابن المعتز: وحدثني غيره، أنها من بني زهرة.

قال الهشامي: فجيء بها إلى بغداد، وعرضت على إبراهيم بن المهدي، فأعجب بها إعجاباً شديداً، فلم يزل يعطي بها، حتى بلغت ثمانية آلاف درهم. فقال لي هبة الله بن إبراهيم بن المهدي: إنه لم يكن عند أبي درهم ولا دانق، فقال لي: ويحك! قد أعجبتني والله هذه الجارية إعجاباً شديداً، وليس عندنا شيء. فقلت له: نبيع ما نملكه حتى الخزف. ونجمع ثمنها. فقال لي: قد فكرت في شيء؛ اذهب إلى علي بن هشام، فأقرئه مني السلام، وقل له:

جعلني الله فداءك! قد عرضت علي جارية قد أخذت بمجامع قلبي، وليس عندي ثمنها، فأحب أن تفرضني عشرة آلاف درهم. فقلت له: إن ثمنها ثمانية آلاف درهم، فلم تكثر على الرجل بعشرة آلاف درهم؟ فقال: إذا اشتريناها بثمانية آلاف درهم، لا بد أن نكسوها، وقيم لها ما تحتاج إليه.

فصرت إلى علي بن هشام، فأبلغته الرسالة، فدعا بوكيل له، وقال له، ادفع إلى خادمه عشرين ألفاً، وقل له: أنا لا أصلك، ولكن هي لك حلال في الدنيا والآخرة . قال: فصرت إلى أبي بالدراهم، فلو طلعت عليه بالخلافة، لم تكن تعدل عنده تلك الدراهم.

وكانت أمها خبيثة، فكانت كلما لم يعط إبراهيم ابنتها ما تشتهي، ذهبت إلى عبد الوهاب بن علي، وذفعت إليه رقعة يرفعها إلى المعتصم، تسأله أن تأخذ ابنتها من إبراهيم.

قال ابن المعتز: وأخبرني عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد بن الخطيب، قال: ذكر يوسف بن إبراهيم المصري صاحب إبراهيم بن المهدي:

أن إبراهيم وجه به إلى عبد الوهاب بن علي، في حاجة كانت له، قال : فلقيته وانصرفت من عنده، فلم أخرج من دهليز عبد الوهاب حتى اسقبلتني امرأة. فلما نظرت في وجهي سترت وجهها. فأخبرني شاكري أن المرأة هي أم شارية، جارية إبراهيم. فبادرت إلى إبراهيم، وقلت له: أدرك، فإني رأيت أم شارية في دار عبد الوهاب، وهي من تعلم، وما يفجؤك إلا حيلة قد أوقعتها. فقال لي في جواب ذلك: أشهدك أن جاريتي شارية صدقة على ميمونة بنت إبراهيم بن المهدي، ثم أشهد أبنه هبة الله على مثل ذلك . وأمرني بالركوب إلى دار ابن أبي دواد، وإحضار من قدرت عليه من الشهود المعدلين عنده، فأحضرته أكثر من عشرين شاهداً. وأمر بإخراج شارية، فخرجت، فقال لها: اسفري، فجزعت من ذلك. فأعلمها أنه إنما أمرها بذلك لخير يريده بها، ففعلت.

فقال لها: تسمى. فقالت: أنا شارية أمنك. فقال لهم: تأملوا وجهها، ففعلوا. ثم قال: فإني أشهدكم أنها حرة لوجه الله تعالى، وأني قد تزوجتها، وأصدقتها عشرة آلاف درهم. يا شارية مولاة إبراهيم بن المهدي، أرضيت؟ قالت: نعم يا سيدي قد رضيت، والحمد لله على ما أنعم به علي. فأمرها بالدخول، وأطعم الشهود وطيبهم وأنصرفوا.

فما أحسبهم بلغوا دار بن أبي دواد، حتى دخل علينا عبد الوهاب بن علي، فأقرأ عمه سلام المعتصم، ثم قال له: يقول لك أمير المؤمنين: من المفترض علي طاعتك، وصيانتك عن كل ما يعرك ، إذا كنت عمي، وصنو أبي، وقد رفعت إلي امرأة من قريش قصة، ذكرت فيها أنها من بني زهرة صليبة ، وأنها أم شارية، وأحتجت بأنه لا تكون بنت أمراة من قريش أمة، فإن كانت هذه المرأة صادقة في أن شارية بنتها، وأنها من بني زهرة، فمن المحال أن تكون شارية أمة؛ والأشبه بك والأصلح إخراج شارية من دارك، وسترها عند من تثق به من أهلك، حتى نكشف ما قالت هذه المرأة؛ فإن ثبت ما قلته أمرت من جعلتها عنده بإطلاقها، وكان في ذلك الحظ لك في دينك ومروءتك؛ وإن لم يصح ذلك، أعيدت الجارية إلى مترلك، وقد زال عنك القول الذي لا يليق بك ولا

يحسن فقال له إبراهيم: فديتك يا أبا إبراهيم، هب شارية بنت زهرة بن كلاب، أتنكر على ابن عباس بن عبد المطلب أن يكون بعلاً لها؟ فقال عبد الوهاب: لا. فقال إبراهيم: فأبلغ أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه السلامة، وأخبره أن شارية حرة، وأني قد تزوجتها بشهادة جماعة من العدول.

وقد كان الشهود بعد منصرفهم من عند إبراهيم صاروا إلى بن أبي دواد. فشم منهم من رائحة الطيب ما أنكره، فسألهم عنه، فأعلموه أنهم حضروا عتق شارية، وتزوج إبراهيم إياها. فركب إلى المعتصم، فحدثه بالحديث معجباً له منه. فقال: ضل سعي عبد الوهاب. ودخل عبد الوهاب على المعتصم، فلما رآه يمشي في صحن الدار، سد المعتصم أنف نفسه، وقال: يا عبد الوهاب، أنا أشم رائحة صرف محرق، وأحسب أن عمي لم يقنعه ردك إلا وعلى أذنك صوفة حتى أحرقها، فشممت رائحتها منك. فقال: الأمر على ماظن أمير المؤمنين وأقبح.

ولما انصرف عبد الوهاب من عند إبراهيم، آبتاع إبراهيم منه بنته ميمونة شارية، بعشرة آلاف درهم، وستر ذلك عنها، فكان عتقه إياها وهي في ملك غيره، ثم أبتاعها من ميمونة، فحل له فرجها، فكان يطؤها على أنها أمته، وهي تتوهم أنه يطؤها على أنها حرة. فلما توفي طلبت مشاركة أم محمد بنت خالد زوجته في الثمن، فأظهرت خبرها. وسئلت ميمونة وهبة الله عن الخبر، فأخبرا به المعتصم. فأمر المعتصم بابتياعها من ميمونة، فابتيعت بخمسة آلاف وخمسماة دينار، فحولت إلى داره، فكانت في ملكه حتى توفي.

قال أبن المعتز: وقد قيل إن المعتصم أبتاعها بثلثمائة ألف درهم.

قال: وكان منصور بن محمد بن واضح يزعم أن إبراهيم أقترض ثمن شارية من ابنته، وملكها إبراهيم ولها سبع سنين، فرباها تربية الولد، حتى لقد ذكرت أنها كانت في حجره جالسة، وقد أعجب بصورت أخذته منه، إذا طمثت أول طمثها، فأحس بذلك، فدعا قيمة له، فأمرها بأن تأتيه بثوب خام، فلفه عليها، فقال: أحمليها، فقد أقشعرت، وأحسب برد الحش قد آذاها .

قال: وحدثت شارية أنها كانت معه في حراقة قد توسط بها دجلة، في ليلة مقمرة، وهي تغني إذ أندفعت فغنت:

لقد حثوا الجمال ليه ربوا منا فم يئلوا

فقام إليها، فأمسك فاها، وقال: أنت والله أحسن من الغريض وحهاً وغناء، فما يؤمنني عليك؟ أمسكي.

قال: وحدث حمدون بن إسماعيل: أنه دخل على إبراهيم يوماً، فقال له: أتحب أن أسمعك شيئاً لم تسمعه قط؟ قال: نعم. فقال: هاتوا شارية، فخرجت، فأمرها أن تغني لحن إسحاق:

هل بالديار التي حييتها أحد؟

قال حمدون: فغنتني شيئاً لم أسمع مثله قط، فقلت: لا والله يا سيدي ما سمعت هكذا. فقال: أتحب أن تسمعه أحسن من هذا؟ فقلت: لا يكون. فقال: بلى والله تقر بذاك. فقلت: على أسم الله. فغناه هو، فرأيت فضلاً عجيباً. فقلت: ما ظننت أن هذا يفضل ذاك هذا الفضل. قال: أفتحب أن تسمعه أحسن من هذا وذاك؟ فقلت:

هذا الذي لا يكون: فقال: بلى والله. فقلت: فهات. قال: بحياتي ياشارية، قوليه وأحيلي حلقك فيه. فسمعت والله فضلاً بيناً، فأكثرت التعجب. فقال لي: يا أبا جعفر، ما أهون هذا على السامع! تدري بالله كم مرة رددت عليها موضعاً في هذا الصوت؟ قلت: لا. قال: فقل وأكثر. قلت: مائة مرة قال: أصعد ما بدالك. قلت ثلثمائة. قال: أكثر والله من ألف مرة، حتى قالته كذا.

قال: وكانت ريق تقول: إن شارية كانت إذا أضطربت في صوت، فغاية ماعنده من عقوبتها، أنه يقيمها تغنيه على رجليها، فإن لم تبلغ الذي يريد، ضربت ريق .

قال: ويقال إن شارية لم تضرب بالعود إلا في أيام المتوكل، لما اتصل الشر بينها وبين عريب، فصارت تقعد بها عند الضرب، فضربت هي بعد ذلك.

قال ابن المعتز: وحدث محمد بن سهل بن عبد الكريم، المعروف بسهل الأحول، وكان قاضي الكتاب في زمانه، وكان يكتب لإبراهيم، وكان شيخاً ثقة، قال: أعطى المعتصم إبراهيم بشارية سبعين ألف دينار، فامتنع من بيعها. فعاتبته على ذلك، فلم يجبني بشيء. ثم دعاني بعد أيام، فدخلت وبين يديه مائدة لطيفة. فأحضره الغلام سفوداً فيه ثلاث فراريج، فرمى إلي بواحدة، فأكلتها وأكل اثنتين، ثم شرب رطلاً وسقانيه، ثم أتي بسفود آخر، ففعل كما فعل، وشرب كما شرب وسقاني. ثم ضرب ستراً كان إلى جانبه، فسمعت حركة العيدان، ثم قال: يا شارية تغنى. فسمعت شيئاً ذهب بعقلي. فقال: يا سهل، هذه التي عاتبتني في أن أبيعها بسبعين ألف دينار، لا والله، ولا هذه الساعة الواحدة بسبعين ألف دينار.

قال: وكانت شارية تقول: إن أباها من قريش، وإنها سرقت صغيرة، فبيعت بالبصرة من امرأة هاشمية وباعتها من إبراهيم بن المهدي. والله أعلم.

أخبرني عمي، قال: حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، قال: أمرني المعتز ذات يوم بالمقام عنده، فأقمت. فأمر فمدت الستارة، وخرج من كان يغني وفيهن شارية، و لم أكن سمعتها قبل ذلك. فاستحسنت ما سمعت منها، فقال لي أمير المؤمنين المعتز: يا عبد الله، كيف ما تسمع منها عندك ؟ فقلت: حظ العجب من هذا الغناء، أكثر من حظ الطرب. فاستحسن ذلك، وأخبرها به فاستحسنته.

قال ابن المعتز: واخبرني الهشامي، قال: قالت لي ريق: كنت ألعب أنا وشارية بالنرد بين يدي إبراهيم، وهو متكىء على مخدة ينظر إلينا، فجرى بيني وبين شارية مشاجرة في اللعب، فأغلظت لها في الكلام بعض الغلظة. فاستوى إبراهيم جالساً، وقال: أرك تستخفين بها، فوالله لا احد يخلفك غيرها. وأومأ إلى حلقه بيده .

قال: وحدثني الهشامي، قال: حدثني عمرو بن بانة، قال: حضرت يوماً مجلس المعتصم، وضربت الستارة وخرجت الجواري، وكنت إلى جانب مخارق، فغنت شارية، فأحسنت جداً. فقلت لمخارق: هذه الجارية في حسن الغناء عللى ما تسمع، ووجهها وجه حسن، فكيف لم يتحرم بها إبراهيم بن المهدي؟ فقال لي: أحد الحظوظ التي رفعت لهذا الخليفة منع إبراهيم بن المهدي من ذلك.

قال عبد الله بن المعتز: وحدثني أبو محمد الحسن بن يحيى أخو علي بن يحيى، عن ريق قالت: استزار المعتصم من إبراهيم بن المهدي جواريه، وكان في جفوة من السلطان تلك الأيام، فنالته ضيقة.

قالت: فتحمل ذهابنا إليه على ضعف، فحضرنا مجلس المعتصم ونحن في سراويلات مرقعة، فجعلنا نرى جواري المعتصم وما عليهن من الجوهر والثياب الفاخرة، فلم تستجمع إلينا أنفسنا حتى غنوا وغنينا، فطرب المعتصم على غنائنا، ورآنا أمثل من جواريه، فتحولت إلينا أنفسنا في التيه والصلف، وأمر لنا المعتصم بمائة ألف درهم.

قال: وحدثني أبو العبيس ، عن أبيه قال: كانت شارية أحسن الناس غناءً، منذ توفي المعتصم إلى آخر خلافة الواثق.

قال أبو العبيس: وحدثني ريق أن المعتصم أفتضها، وأنها كانت معها في تلك الليلة.

قال أبو العبيس: وحدثني طباع جارية الواثق: أن كان يسميها ستي. وكانت تعلم فريدة، فلم تبق في تعليمها غاية، إلى أن وقع بينهما شيء بحضرة الواثق، فحلفت أنها لا تنصحها ولا تنصح أحداً بعدها، فلم تكن تطرح بعد ذلك صوتاً إلا نقصت من نغمه. وكان المعتمد قد تعشق شرة جاريتها، وكانت أكمل الناس ملاحة وخفة روح، وعجز عن شرائها. فسأل أم المعتز أن تشتريها له، فاشترتها من شارية بعشرة آلاف دينار، وأهدتها إليه. ثم تزوجت بعد وفاة المعتمد بابن البقال المغني، وكان يتعشقها. فقال عبد الله بن المعتز، وكان يتعشقها:

أقول وقد ضاقت بأحزانها نفسي ... ألا رب تطليقٍ قريب من العرسِ

لئن صرت للبقال ياشر زوجة ... فلا عجب قد يريض الكلب في الشمس

وقال يعقوب بن بنان: كانت شارية خاصة بصالح بن وصيف. فلما بلغة رحيل موسى بن بغا من الجبل يريده، بسبب قتله المعتز، أودع شارية جوهره. فظهر لها جوهر كثير بعد ذلك. فلما أوقع موسى بصالح، استترت شارية عند هارون بن شعيب العكبري ، وكان أنظف خلق الله طعاماً، وأسراه مائدة، وأوسخه كل شيء بعدذلك؛ وكان له بسر من رأى منزل، فيه بستان كبير، وكانت شارية تسميه أبي، وتزوره إلى منزله. فتحمل معها كل شيء تحتاج إليه، حتى الحصير الذي تقعد عليه.

قال: وكانت شارية من أكرم الناس، عاشرها أبو الحسن علي بن الحسين عند هارون هذا، ثم أضاف في وقت، فاقترض منها على غير رهن، عشرة آلاف دينار، ومكثت عليه أكثر من سنة، ما أذكرته بها، ولا طالبته، حتى ردها ابتداء .

قال يعقوب بن بنان: وكان أهل سر من رأى متحازبين، فقوم مع شارية، وقوم مع عريب، لا يدخل أصحاب هذه مع هؤلاء، ولا أصحاب هذه في هؤلاء. فكان أبو الصقر إسماعيل بن بلبل عربياً، فدعا علي بن الحسين يوم جمعة أبا الصقر إسماعيل بن بلبل، وعنده عريب وجواريها. فاتصل الخبر بشارية، فبعثت بجواريها إلى علي بن

الحسين بعد يوم أو يومين، وامرت إحداهن، وما أدري من هي: مهرجان، أو مطرب، أو قمرية، إلا أنها إحدى الثلاثة، أن تغني قوله:

لا تعودن بعدها فترى كيف أصنع

فلما سمع علي الغناء ضحك، وقال: لست أعود.

قال: وكان المعتمد قد وثق بشارية، فلم يكن إلا طعامها. فمكثت دهراً من الدهور تعد له في كل يوم جونتين ، وكان طعامه منهما في أيام المتوكل.

قال ابن المعتز: وحدثني أحمد بن نعيم عن ريق، قالت: كان مولاي إبراهيم يسمي شارية بنتي، ويسميني أختي. حدثني جحظة، قال: كنت عند المعتمد يوماً، فغنته شارية بشعر مولاها إبراهيم بن المهدي ولحنه:

يا طول علة قلبي المعتاد إلف الكرام وصحبة الأمجاد

فقال لها: أحسنت والله. فقالت: هذا غنائي وأنا عارية، فكيف لو كنت كاسة؟ فأمر لها بألف ثوب من جميع أنواع الثياب الخاصية، فحمل ذلك إليها. فقال لي علي بن يحيى المنجم: اجعل انصرافك معي. ففعلت، فقال لي: هل بلغك أن خليفة أمر لمغنية بمثل ما أمر به أمير المؤمنين اليوم لشارية؟ قلت: لا . فأمر بإخراج سير الخلفاء، فأقبل بها الغلمان يحملونها في دفاتر عظام، فتصفحناها كلها؛ فلما وجدنا أحداً قبله فعل ذلك.

يا طول علة قلبي المعتاد إلف الكرام وصحبة الأمجاد

مازلت آلف كل قرم ماجدٍ متقدم الآباء والأجداد

الشعر لإبراهيم بن المهدي، والغناء لعلويه، خفيف رمل لشارية بالبنصر، و لم يقع إلينا فيه طريقة غير هذه.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثني عبد الله بن أبي سعيد، قال: حدثني محمد بن مالك الخزاعي، قال: حدثتني ملح العطارة، وكانت من احسن الناس غناء، وإنما سنيت العطارة لكثرة استعمالها العطر المطيب، قالت: غنت شارية يوماً بين يدي المتوكل وأنا واقفة مع الجواري:

بالله قولوا لي لمن ذا الرشا المثقل الردف الهضيم الحشا

أظرف ما كان إذا ما صحا وأملح الناس إذا ما انتشى

وقد بنى برج حمام له أرسل فيه طائراً مرعشا

يا ليتني كنت حماماً له أو باشقاً يفعل بي ما يشا

لو لبس الوهي من رقةٍ أرجعه القوهي أو خدشا

وهو هزج ، فطرب المتوكل، وقال لشارية: لمن هذا الغناء؟ فقالت: أخلته من دار المأمون، ولا أدري لمن هو. فقلت له أنا: أعلم لمن هو. فقال: لمن هو يا ملح؟ فقلت: أقوله لك سراً. قال: أنا في دار النساء، وليس يحضرني إلا حرمي، فقوليه. فقلت: الشعر والغناء جميعاً لخديجة بنت المأمون، قالته في خادم لأبيها كانت تهواه وغنت فيه هذا اللحن. فأطرق طويلاً، ثم قال: لا يسمع هذا منك أحد.

أحبك يا سلمى على غير ربية وما خير حب لا تعف سرائره
أحبك حباً لا أعنف بعده محباً، ولكني إذا ليم عاذره
وقد مات حبي أول الحب انقضى ولومت أضحى الحب قد مات آخره
ولما تناهى الحب في القلب وارداً أقام وسدت فيه عنه مصادره

الشعر للحسين بن مطير الأسدي والغناء لإسحق: هزج بالبنصر.

أخبار الحسين بن مطير ونسبه

هو الحسين بن مطير بن مكمل، مولى لبني أسد بن خزيمة، ثم لبني سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد. وكان جده مكمل عبداً، فاعتقه مولاه. وقيل بل كاتبه، فسعى في مكاتبته حتى أداها وآعتق. وهو من مخضرمي الدولتين: الأموية والعباسية، شاعر متقدم في القصيد والرجز، فصيح، قد مدح بني أمية وبني العباس.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن محمد بن داود بن الجراح، عن محمد بن الحسن بن الحرون: أنه كان من ساكني زبالة ، وكان زيه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية. وذلك بين في شعره.

ومما يدل على إدراكه دولة بني أمية، ومدحه إياهم، ما أخبرنا به يحيى بن علي بن يحيى إجازة، قال: أخبرني أبي، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن مرون بن أبي حفصة، قال: دخلت أنا وطريح بن إسماعيل الثقفي، والحسين بن مطير الأسدي، في عدة من الشعراء، على الوليد بن يزيد وهو في فرش قد غاب فيها ، وإذا رجل كلما أنشد ساعر شعراً، وقف الوليد على بيت بيت منه، وقال: هذا أخذه من موضع كذا وكذا، وهذا المعنى نقله من شعر فلان، حتى أتى على أكثر الشعراء. فقالت: من هذا؟ قالوا: هذا حماد الراوية. فلما وقفت بين يدي الوليد لأنشده، قلت: ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لحانة. فتهانف الشيخ، ثم قال: يا بن أخير، أنا رجل أكلم العامة، وأتكلم بكلامها، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً؟ فذهب عني الشعر كله، إلا شعر ابن مقبل فقلت: نعم، لابن مقبل. فأنشدته:

سل الدار من جنبي حبر فواهبٍ إلى ما رأى هضب القليب المضيح

ثم جزت. فقال: قف. ماذا يقول؟ فلم أدر ما يقول. فقال: يا بن أخير، أنا أعلم الناس بكلام العرب، يقال: تراءى الموضعان: إذا تقابلا.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، والحسن بن علي، ويحيى بن علي، قالوا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن علي، قال: حدثني أبي: أن الحسين بن مطير وفد على معن بن زائدة لما ولي اليمن وقد مدحه، فلما دخل عليه انشده:

أتيتك إذ لم يبق غيرك جابر ... ولا واهب يعطي اللها والرغائبا

فقال له معن: يا أخا بني أسد، ليس هذا يمدح، إنما المدح قول نهار بن توسعة أخي بني تيم الله بن ثعلبة، في مسمع بن مالك.

قلدته عرا الأمور نزار ... قبل أن تهلك السراة البحو

قال: وأول هذا الشعر:

اظعني من هراة قد مر فيها ... حجج مذ سكنتها وشهور

اظعني نحو مسمع تجديه ... نعم ذو المثنى ونعم المزور

سوف يكفيك إن نبت بك أرض ... بخراسان أو جفاك أمير

من بني الحسن عامل بن بريح ... لا قليل الندى ولا منزور

والذي يفزع الكماة إليه ... حين تدمى من الطعان النحور

فاصطنع يا بن مالك آل بكرٍ ... واجبر العظم إنه مكسور

فغدا إليه بأرجوزته التي مدحه بها، وأولها:

حديث ريا حبذا إدلالها

تسأل عن حالي وما سؤالها

عن امرىء قد شفه خيالها

وهيشفاء النفس لو تنا لها

سل سيوفاً محدثاً صقالها

صاب على أعدائه وبالها

وعند معن ذي الندى أمثالها

فاستحسنها وأجزل صلته.

أخبرني ابن عمار ويحيى بن علي، قالا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أبو المثنى أحمد بن يعقوب بن أخت أبي بكرٍ الأصم قال: كنا في مجلس الأصمعي، فأنشده رجل لدعبل بن علي:

أين الشباب وأية سلكا

فاستحسنا قوله :

لا تعجبي يا سلم من رجلٍ ضحك المشيب برأسه فبكى

فقال الأصمعي: هذا أخذه من قول الحسين بن مطير:

أين أهل القباب بالدهناء أين جيراننا على الأحساء

فارقونا والأرض ملبسة نو ر الأقاحي يجاد بالأنواء

كل يوم بأقحوان جديد تضحك الأرض من بكاء السماء

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى، قال: حدثني محمد بن القاسم الدينوري، قال: حدثني محمد بن عمران الضبي، قال: قال المهدي للمفضل الضبي: أسهرتني البارحة أبيات الحسين بن مطير الأسدي. قال: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: قوله:

وقد تغدر الدنيا فيضحي فقيرها غنياً ويغنى بعد بؤسٍ فقيرها

فلا تقرب الأمر الحرام فإنه حلاوته تفنى ويبقى مريرها

وكم قد رأينا من تغير عيشة وأخرى صفا بعد اكدرار غديرها

فقال له المفضل: مثل هذا فليسهرك يا أمير المؤمنين.

وقد أخبرني بهذا الخبر عمي رحمه الله أتم من هذا، قال: نسخت من كتاب المفضل بن سلمة: قال أبو عكرمة الضبي: قال المفضل الضبي: كنت يوماً جالساً على بابي وأنا محتاج إلى درهم، وعلي عشرة آلاف درهم ، إذ جاءني رسول المهدي، فقال: أجب أمير المؤمنين. فقالت: ما بعث إلي في هذا الوقت إلا لسعاية ساع. وتخوفته، لخروجي - كان - مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، فدخلت مترلي، فتطهرت وليست ثوبين نظيفين، وصرت إليه. فلما مثلت بين يديه سلمت ، فرد علي، وأمرني بالجلوس. فلما سكن جأشي، قال لي: يا مفضل، أي بيت قالته العرب أفخر؟ فتشككت ساعة، ثم قلت: بيت الخنساء. وكان مستلقياً فاستوى جالساً، ثم قال: وأي بيت هو؟ قلت قولها:

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فأومأ إلى إسحاق بن بزيع ، ثم قال: قد قلت له ذلك فأباه. فقلت: الصواب ما قاله أمير المؤمنين. ثم قال: حدثني يا مفضل. قلت: أي الحديث أعجب إلى أمير المؤمنين؟ قال: حديث النساء. حتى انتصف النهار، ثم قال لي: يا مفضل، أسهرني البارحة بيتا ابن مطير، وأنشد البيتين المذكورين في الخبر الاول. ثم قال: ألهذين ثالث يا مفضل؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. فقال: وما هو؟ فأنشدته قوله:

وكم قد رأينا من تغير عيشةٍ ... وأخرى صفا بعد ادرار غديرها

وكان المهدي رقيقاً فاستعبر، ثم قال: يا مفضل، كيف حالك؟ قلت: كيف يكون حال من هو مأخوذ بعشرة آلاف درهم؟ فأمر لي بثلاثين ألف درهم، وقال: اقض دينك، وأصلح شأنك، فقبضتها وانصرفت.

أخبرني يحيى بن علي، عن علي بن يحيى إجازة وحدثنا الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم عن عبد الله بن أبي سعد ، قال: حدثني إسحاق بن عيسى بن موسى بن مجمع، أحد بني سواربن الحارث الأسدي، قال: أخبرني جدي موسى بن مجمع، قال: قال الحسين بن مطير في المهدي قصيدته التي يقول فيها:

إليك أمير المؤمنين تعفت ... بنا البيد هوجاء النجاء خبوب

ولو لم يكن قدامها ما تقاذفت ... جبال بها مغبرة وسهوب

فتى هو من غير التخلق ماجد ... ومن غير تأديب الرجال أديب

علا خلقه خلق الرجال وخلقه ... إذ ضاق أخلاق الرجال رحيب

إذا شاهد الفؤاد سار أمامهم ... جريء على ما يتقون وثوب

وإن غاب عنهم شاهدتهم مهابةً ... بها يقهر الأعداء حين يغيب

يعف ويستحي إذا كان خالياً ... كما عف واستحيا بحيث رقيب

فلما أنشدها المهدي أمر له بسبعين ألف درهم وحصان جواد.

وكان الحسين من الثعلبية ، وتلك داره بها. قال ابن أبي سعد: وأرانيها الشيخ.

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد عن إسحق بن عيسى، قال: دخل الحسين بن مطير على المهدي، فأنشده قوله:

لو يعبد الناس يا مهدي أفضلهم ... ما كان في الناس إلا أنت معبود

أضحت يمينك من جودٍ مصورة ... لا بل يمينك منها صور الجود

لو أن من نوره مثقال خردلة ... في السود طرا إذن لا بيضت السود

فأمر له لكل بيت بألف درهم.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثني أبي، قال: خرج المهدي يوماً، فلقيه الحسين بن مطير، فأنشده قوله:

أضحت يمينك من جود مصورة لا بل يمينك منها صور الجود

فقال: كذبت يا فاسق، وهل تركت من شعرك موضعاً لأحد، بعد قولك في معن بن زائدة حيث تقول:

ألما بمعنٍ ثم قولا لقبره سقيت الغوادي مربعاً ثم مربعا

أخرجوه عني، فأخرجوه.

وتمام الأبيات:

أيا قبر معن كنت أول حفرةٍ من الأرض خطت للمكارم مضجعا

أيا قبر معنٍ كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا

بلى قد وسعت الجود ميت ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا

فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه ممرعا

أبى ذكر معن أن تموت فعاله وإن كان قد لاقى حماما ومصرعا

أخبرني أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني علي بن عبيد الكوفي قال: حدثني الحسين بن أبي الخصيب الكاتب عن أحمد بن يوسف الكاتب، قال: كنت أنا وعبد الله بن طاهر عند المأمون وهو مستلق على قفاه، فقال لعبد الله بن ظاهر: يا أبا العباس، من أشعر من قال الشعر في خلافة بني هاشم؟ قال: أمير المؤمنين أعلم بهذا وأعلى عيناً. فقال له: على ذلك فقل، وتكلم أنت أيضاً يا أحمد بن يوسف. فقال عبد الله بن طاهر: أشعرهم الذي يقول:

أيا قبر معن كنت أول خطة من الأرض خطت للمكارم مضجعا

فقال أحمد بن سوف: بل أشعرهم الذي يقول:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم

فقال: أبيت يا احمد إلا غزلاً! أين أنتم عن الذي يقول:

يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلي ولم أنم

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أبو خليفة عن التوزي، قال: قلت لأبي عبيدة: ما تقول في شعر الحسين بن مطير؟ فقال: والله لوددت أن الشعراء قاربته في قوله:

مخصرة الأوساط زانت عقودها بأحسن مما زينتها عقودها

فصفر تراقيها، وحمر أكفها وسود نواصيها، وبيض خدودها

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: أنشدنا محمد بن يزيد للحسين بن مطير، قال: كان سبب قوله هذه الأبيات أن والياً ولي المدينة، فدخل عليه الحسين بن مطير، فقيل له: هذا من أشعر الناس. فأراد أن يختبره، وقد كانت سحابة مكفهرة نشأت، وتتابع منها الرعد والبرق، وجاءت بمطر جود. فقال له: صف هذه السحابة. فقال:

مستضحك بلوامعٍ مستعبر بمدامعٍ لم تمرها الأقذاء

فله بلا حزن ولا بمسرة ضحك يراوح بينه وبكاء

كثرت لكثرة ودقه أطباؤه فإذا تحلب فاضت الأطباء

وكأن بارقه حريق تلتقي ريح عليه وعرفج وألاء

لو كان من لجج السواحل ماؤه لم يبق في لجج السواحل ماء

إذا ما أم عبد الل ه لم تحلل بواديه

ولم تمس قرياً هي ج الحزن دواعيه

غزال راعه القنا ً تحميه صياصيه

وما ذكرى حبيباًو قليل ما أواتيه

كذى الخمر تمناها وقد أنزف ساقيه

عرفت الربع بالإكلي ل عفته سوافيه

بجو ناعم الحوذا ن ملتف روابيه

الشعر مختلط، بعضه للنعمان بن بشير الأنصاري، وبعضه ليزيد بن معاوية، فالذي للنعمان بن بشير منه الثلاثة الأبيات الأول والبيت الخير، وباقيها ليزيد بن معاوية . ورواه من لا يوثق به وبروايته لنوفل بن أسد بن عبد العزى. فأما من ذكر أنه للنعمان بن بشير فأبو عمرو الشيباني؛ وجدت ذلك عنه في كتابه، وخالد بن كلثوم، نسخته من كتاب أبي سعيد السكري في مجموع شعر النعمان. وتمام الأبيات للنعمان بن بشير بعد الأربعة الأبيات التي نسبتها إليه، فإنها متوالية ، قال:

فبحت اليوم بالأمر ال لذي قد كنت تخفيه

فإن أكتمه يوماً فإني سوف أبديه

وما زلت أفديه وأدنيه وأرقيه
وأسعى في هواه أ بداً حتى ألا قيه
فبات الريم مني ح ذراً زلت مراقبة

والغناء لمعبد: خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وذكره إسحاق في خفيف الرمل بالسبابة في مجرى البنصر، و لم ينسبه إلى احد. وفيه للغريض ثقيل أول بالوسطى، عن الهشامي وحنين.

أخبار النعمان بن بشير ونسبه

هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج. وأمه عمرة بنت رواحة، وأخت عبد الله بن رواحة، والتي يقول فيها قيس بن الخطيم:

أجد بعمرة غنيانها فتهجر أم شاننا شانها
وعمرة من سروات النسا ء تنفح بالمسك أردانها

وله صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولأبيه بشير بن سعد. وكان جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه آخر، ليشهد معه غزوة له فيما قيل، فاستصغرهما فردهما.

وأبوه بشير بن سعد أول من قالم يوم السقيفة من الأنصار إلى أبي بكر رضي الله عنه فبايعه، ثم توالت الأنصار فبايعته. وشهد بشير بيعة العقبة وبدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها، واستشهد يوم عين التمر مع خالد بن الوليد.

وكان النعمان عثمانياً، وشهد مع معاوية صفين، و لم يكن معه من الأنصار غيره، وكان كريماً عليه، رفيعاً عنده وعند يزيد ابنه بعده، وعمر إلى خلافة مروان بن الحكم، وكان يتولى حمص. فلما بويع لمروان، دعا إلى ابن الزبير، وخالف على مروان، وذلك بعد قتل الضحاك بن قيس بمرج راهط. فلم يجبه أهل حمص إلى ذلك.

فهرب منهم، وتبعوه فأدركوه فقتلوه، وذلك في سنة خمس وستين.

ويقال إن النعمان بن بشير أول مولود ولد بالمدينة بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها. وقد قيل ذلك في عبد الله بن الزبير، إلا أن النعمان أول مولود ولد بعد مقدمه عليه السلام من النصار، روى ذلك عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم.

وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً.

حدثني أحمد بن محمد بن الجعد الوشاء. قال حدثني أبو بكر بن أبي شبية، قال: حدثنا عباد بن العوام، عن الحصين، عن الشعبي، قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: أعطاني أبي عطية، فقالت أمي عمرة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى رسول الله فقال: ابني من عمرة أعطيته عطية فأمرتني أن أشهدك.

فقال: أعطيت كل ولدك مثل هذا؟ قال: لا فقال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم.

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا محمد بن سعيد، قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، عن مجالد، عن الشعبي، قال:

أمر معاوية لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير في أعطيتهم، وعامله يومئذ على الكوفة وأرضها النعمان بن بشير، وكان عثمانياً، وكان يبغض أهل الكوفة لرأيهم في علي عليه السلام. فأبى النعمان أن ينفذها لهم. فكلموه وسألوه بالله، فأبى أن يفعل. وكان إذا خطب على المنبر أكثر قراءة القرآن. وكان يقول: لا ترون على منبركم هذا أحداً بعدي يقول: إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فصعد المنبر يوماً فقال: يا أهل الكوفة.

فصاحوا : ننشدك الله والزيادة. فقال: اسكتوا. فلما أكثروا قال: أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ قالوا: لا. قال: مثل الضبع والضب والثعلب: فإن الضبع والثعلب أتيا الضب في وجاره، فناداياه: أبا الحسل. فقال: سميعا دعوتما. قالا: أتيناك لتحكم بيننا. قال: في بيته يؤتى الحكم. قالت الضبع: إني حللت عيبتي. قال: فعل الحرة فعلت. قالت: فلقطت ثمرة. قال: طيباًلقطت. قالت: فأكلها الثعلب. قال: لنفسه نظر. قالت: فلطمته. قال: بجرمه. قالت: فلطمني. قال: حر انتصر. قالت: فاقض بيننا. قال: قد فعلت. قال: حدث امرأة حديثين، فإن أبت فعشرة .

فقال عبد الله بن همام السلولي:

زيادتنا نعمان لا تحبسنها	خف الله فينا والكتاب الذي تتلو
فإنك قد حملت منا أمانة	بما عجزت عنه الصلاخمة البزل
فلا يك باب الشر تحسن فتحه	وباب الندى والخيرات له قفل
وقد نلت سلطاناً عظيماً فلا يكن	لغيرك جمات الندى ولك البخل
وأنت امرؤ حلو اللسان بليغه	فما باله عند الزيادة لا يحلو
وقبلك قد كانوا علينا أئمة	يهمهم تقويمنا وهم عصل
إذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا	ولكن حسن القول خالفه الفعل
يذمون دنياهم وهم يرضعونها	أفاويق حتى ما يدر لهم ثعل
فيا معشر الأنصار إني أخوكم	وإني لمعروفٍ أنى منكم أهل
ومن أجل إيواء النبي ونصره	يحبكم قلبي وغيركم الأصل

فقال النعمان بن بشير: لا عليه ألا يتقرب ، فوالله لا أجيزها ولا أنفذها أبداً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا الأصمعي ، قال: حدثني شيخ قديم من اهل المدينة. وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي، قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو غسان، عن أبي

السائب المخزومي. وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسي عن حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: ذكر لي عن جعفر بن محرز الدوسي قال: دخل النعمان بن بشير المدينة في أيام يزيد بن معاوية وابن الزبير، فقال: والله لقد أخفقت أذناي من الغناء، فأسمعوني. فقيل له: لو وجهت إلى عزة الميلاء، فإنها من قد عرفت. فقال: إي ورب الكعبة، وإنها لمعن تزيد النفس طيباً، والعقل شحذاً. ابعثوا إليها عن رسالتي، فإن أبت صرت إليها. فقال له بعض القوم: إن النقلة تشتد عليها، لثقل بدنها، وما بالمدينة دابة تحملها. فقال النعمان بن بشير: وأين النجائب عليها الهوادج؟ فوجه إليها بنجب، فذكرت علة. فلما عاد الرسول إلى النعمان قال لجليسه: أنت كنت أخبر بها، قوموا بنا. فقام هو مع خواص أصحابه حتى طرقوها. فأذنت وأكرمت واعتذرت، فقبل النعمان عذرها، وقال لها: غني، فغنت:

أجد بعمرة غنيانها ... فتهجر أم شاننا شانها

وعمرة من سروات النسا ... ء تنفح بالمسك أردانها

قال: فأشير إليها أنها أمه، فأمسكت. فقال: غني، فوالله ما ذكرت إلا كرماً وطيباً، ولا تغني سائر اليوم غيره. فلم تزل تغنيه هذا اللحن فقط حتى انصرف.

قال إسحاق: فتذكروا هذا الحديث عند الهيثم بن عدي، فقال: ألا أزيدكم فيه طريفة؟ فقلنا: بلى، يا أبا عبد الرحمن. فقال: قال لقيط ونحن عند سعيد الزبيري ، قال عامر الشعبي: اشتاق النعمان بن بشير إلى الغناء، فصار إلى منزل عزة الميلاء، فلما انصرف إذا امرأة بالباب منتظرة له. فلما خرج شكت إليه كثرة غشيان زوجها إياها، فقال النعمان: لأقضين بينكما بقضية لا ترد علي، قد أحل الله له من النساء أربعاً: مثنى، وثلاث، ورباع، له مرتان بالنهار، ومرتان بالليل.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال حدثني عمي، عن العباس بن هشام ، عن أبيه؛ وأخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الكلبي . وأخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثني العمري عن الهيثم بن عدي، قالوا: خرج أعشى همدان إلى الشام في ولاية مروان بن الحكم، فلم ينل فيها حظاً؛ فجاء إلى النعمان بن بشير وهو عامل على حمص، فشكا إليه حاله. فكلم له النعمان اليمانية، وقال لهم: هذا شاعر اليمن ولسانها، واستماحهم له. فقالوا: نعم، يعطيه كل واحد منا دينارين من عطائه. فقال: أعطه ديناراً، واجعلوا ذلك معجلاً. فقالوا له: أعطه إياه من بيت المال، واحتسب ذلك على كل رجل من عطائه. ففعل النعمان ذلك، وكانوا عشرين ألفاً، فأعطاه عشرين ألف دينار، وارتجعا متهم عند العطاء. فقال الأعشى يمدح النعمان:

ولم أر للحاجات عند التماسها ... كنعمان نعمان الندى ابن بشير

إذا قال أوفى ما يقول ولم يكن ... كمدلٍ إلى الأقوام حبل غرور

متى أكفر النعمان لا ألف شاكراً ... وما خير من لا يقتدي بشكور

فلو لا أخو الأنصار كنت كنازل ثوى ماثوى لم ينقلب بنقير

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، وحبيب بن نصر المهلبي قالالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا يحيى الزبيري قال حدثني ابن أبي زريق، قال: شبب عبد الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية، فقال:

رمل هل تذكرين يوم غزال إذ قطعنا مسيرنا بالتمني

لإذ تقولين عمرك الله هل شيء وإن جل سوف يسليك عني

أم هل اطمعت منكم يا بن حسا ن كما قد أراك أطمعت مني

فبلغ ذلك يزيد بن معاوية، فغضب ودخل على معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، ألا ترى إلى هذا العلج من أهل يثرب، يتهكم بأعراضنا، ويشبب بنسائنا؟ فقال: ومن هو؟ قال: عبد الرحمن بن حسان. وأنشده ما قال. فقال: يا يزيد؛ ليس العقوبة من أحد أقبح منها بذوي القدرة، ولكن أمهل حتى يقدم وفد الأنصار، ثم أذكرني به. فلما قدموا أذكره به. فلما دخلوا، قال: يا عبد الرحمن، ألم يبلغني أنك شببت برملة بنت أمير المؤمنين؟ قال: بلى، ولو عملت أن أحداً أشرف لشعري منها لذكرته. فقال: فأين أنت عن اختها هند؟ قال: وإن لها لأختاً يقال لها هند؟ قال: نعم. وإنما أراد معاوية أن يشبب بهما جميعاً، فيكذب نفسه. قال: فلم يرضى يزيد ما كان من معاوية في ذلك، فأرسل إلى كعب بن الجعيل، فقال: اهج الأنصار. فقال: أفرق من أمير المؤمنين، ولكن أدلك على هذا الشاعر الكافر الماهر الأخطل. قال: فدعاه، فقال له: أهج الأنصار. فقال: أفرق من امير المؤمنين. قال: لا تخف شيئاً، أنا بذلك لك. فهجاهم، فقال:

وإذا نسبت ابن الفريعة خلته كالجحش بين حمارة وحمار

لعن الإله من اليهود عصابة بالجزع بين صليصل وصدار

قوم إذا هدر العصير رأيتهم حمرا عيونهم من المسطار

خلو المكارم لستم من أهلها وخذوا مساحيكم بني النجار

إن الفوارس يعرفون ظهوركم أولاد كل مقبح أكار

ذهبت قريش بالمكارم والعلا واللؤم تحت عمائم الأنصار

فبلغ ذلك النعمان بن بشير، فدخل على معاوية، فحسر عمامته عن رأسه، وقال: يا امير المؤمنين، أترى لؤماً؟ قال: بل أرى كرماً وخيراً. فما ذاك؟ قال: زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائم الأنصار. قال: أو فعل ذلك؟ قال: نعم. قال لك لسانه. وكتب فيه أن يؤتى به. فلما أتى به، سأل الرسول أن يدخله إلى يزيد أولاً، فأدخله عليه. فقال له: هذا الذي كنت أخاف. قال: لا تخف شيئاً. ودخل إلى معاوية، فقال: علام أرسل إلى هذا الرجل الذي يمدحنا، ويرمي من وراء جمرتنا ؟ قال: هجا الأنصار. قال: ومن زعم ذلك؟ قال: النعمان بن بشير. قال: لا

تقبل قوله عليه، وهو المدعى لنفسه، ولكن تدعوه بالبينة، فإن أثبت شيئاً أخذت به له. فدعاه بالبينة، فلم يأت بها، فخلى سبيله، فقال الأخطل:

وإني غداة استعبرت أم مالك ... لراض من السلطان أن يتهددا
ولولا يزيد ابن الملوك وسعيه ... تجللت حد بارا من الشر أنكدا

فكم أنقذتني من خطوب حباله ... وخرساء لو يرمى بها الفيل بلدا
ودافع عني يوم جلق غمرة ... وهما ينسيني الشراب المبردا
وبات نجيا في دمشق لحيةٍ ... إذاا هم لم ينم السليم وأقصدا
يخافته طوراً، وطوراً إذا رأى ... من الوجه إقبالاً ألح وأجهدا
أبا خالد دافعت عني عظيمة ... وأدركت لحمي قبل أن يتبددا
وأطفأت عني نار نعمان بعدما ... أغذ لأمر فاجر وتجردا
ولما رأى النعمان دوني ابن حرة ... طوى الكشح إذ لم يستطعني وعردا

لما أمر يزيد بن معاوية كعب بن الجعيل بهجاء الأنصار، قال له: أرادي أنت إلى الكفر بعد الإسلام؟ أأهجو قوماً آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه؟! قال: أما إذ كنت غير فاعل فأرشدني إلى من يفعل ذلك. قال: غلام منا خبيث الدين نصراني، فدله على الأخطل.

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن أبي الخطاب، قال: لما كثر الهجاء بين عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي، وتفاحشا، كتب معاوية إلى سعيد بن العاصي وهو عامله على المدينة، أن يجلد كل واحد منهما مئة سوط، وكان ابن حسان صديقاً لسعيد، وما مدح أحداً غيره قط، فكره أن يضربه أو يضرب ابن عمه، فأمسك عنهما. ثم ولي مروان. فلما قدم أخذ ابن حسان فضربه مئة سوط، ولم يضرب أخاه. فكتب ابن حسان إلى النعمان بن بشير وهو بالشام، وكان كبيراً أثيراً مكيناً عند معاوية:

ليت شعري أغائب ليس بالشا ... م خليلي أم راقد نعمان
أية ما يكن فقد يرجع الغا ... ئب يوماً ويوقظ الوسنان
إن عمراً وعامراً أبوينا ... وحراماً قدما على العهد كانوا
أفهم ما نعوك أم قلة الك ... تاب أم أنت عاتب غضبان
أم جفاء أم أعوزتك القراطي ... س أم امري به عليك هوان

يوم أنبئت أن ساقي رضت وأتتكم بذلك الركبان
ثم قالوا إن ابن عمك في بل وى أمور أتى بها الحدثان
فنسيت الأرحام والود والصح بة فيما أتت به الأزمان
إنما الرمح فاعلمن قناة أو كبعض العيدان لو لا السنان

وهي قصيدة طويلة. فدخل النعمان بن بشير على معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أمرت سعيداً بأن يضرب ابن حسان وابن الحكم مئة مئة، فلم يفعل، ثم وليت أخاه، فضرب ابن حسان و لم يضرب أخاه: قال. فتريد ماذا ؟ قال: أن تكتب إليه بمثل ما كتبت به إلى سعيد. فكتب معاوية إليه يعزم عليه أن يضرب أخاه مئة. فضربه خمسين، وبعث إلى ابن حسان بحلة، وسأله أن يعفو عن خمسين. ففعل، وقال لأهل المدينة: إنما ضربني حد الحر مئة، وضربه حد العبد خمسين. فشاعت هذه الكلمة حتى بلغت ابن الحكم. فجاء إلى أخيه فأخبره، وقال: لا حاجة لي فيما عفا عنه ابن حسان. فبعث إليه مروان: لا حاجة لنا فيما تركت، فهلم فاقتص من صاحبك. فحضر فضربه مروان خمسين أخرى.

أخبرني الحسن بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن الخحارث، قال: حدثنا المدائني، عن يعقوب بن دواد الثقفي ومعاوية بن محارب : أن معاوية تزوج امرأة من كلب، فقال لا مرأته ميسون أم يزيد بن معاوية: ادخلي فانظري إلى ابنة عمك هذه . فأتتها فنظرت إليها، ثم رجعت فقالت: ما رأيت مثلها، ولقد رأيت خالاً تحت سرتها ليوضعن تحت مكاهفي حجرها رأس زوجها. فنطير من ذلك، فطلقها، فتزوجها حبيب بن مسلمة، ثم طلقها، فتزوجها النعمان بن بشير، فلما قتل وضعوا رأسه في حجرها.

قالوا: وكان النعمان بن بشير لما قتل الضحاك بن قيس بمرج راهط، في خلافة مروان بن الحكم، أراد أن يهرب من حمص، وكان عاملاً عليها، فخالف ودعا لابن الزبير، فطلبه أهل حمص، فقتلوه واحتزوا رأسه. فقالت امرأته هذه الكلبية: ألقوا رأسه في حجري، فأنا أحق به. فألقوه في حجرها، فضمته إلى جسده، وكفنته ودفنته.

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، قال: حدثنا أبو عبيدة، فقال:

نظر معاوية إلى رجل في مجلسه، فراقه حسناً وشارة وجسماً، فاستنطقه فوجده سديداً. فقال له: ممن أنت؟ قال: ممن أنعم الله عليه بالإسلام، فاجعلني حيث شئت يا أمير المؤمنين. قال: عليك بهذه الأزد الطويلة العريضة، الكثر عددها، التي لا تمنع من دخل فيهم، ولا تبالي من خروج منهم. فغضب النعمان بن بشير، ووثب من بين يديه، وقال: أما والله أنك ما علمت لسيء المجالسة لجليسك، عاق بزورك ، قليل الرعاية لأهل الحرمة بك فأقسم عليه إلا جلس فجلس. فضحكه معاوية طويلاً، ثم قال له: إن قوماً أولهم غسان وآخرهم النصار، لكرام.

وسأله عن حوائجه، فقضاها حتى رضى.

نسخت من كتاب أبي سعيد السكري بخطه: أخبرنا ابن حبيب، قال: قال خالد بن كلثوم.

خرج النعمان بن بشير في ركب من قومه وهو يومئذ حديث السن، حتى نزلوا بأرض من الأردن يقال لها حفي

، وحاضرهما بنو القين. فأهدت لهم امرأة من بني القين يقال لها ليلى، هدية . فبينا القوم يتحدثون ويذكرون الشعراء، إذ قال بعضهم: يا نعمان هل قلت شعراً؟ قال: لا والله ما قلت، فقال شيخ من الحارث بن الخزرج يقال له ثابت بن سماك: لم تقل شعراً قط؟ قال: لا. قال: فأقسم عليك لتربطن إلى هذه الرحة، فلا تفارقها حتى يرتحل القوم، أو تقول شعراً. فقال عند ذلك، وهو أول شعر قاله:

يا خليلي ودعا دار ليلى ... ليس مثلي يحل دار الهوان

إن قينية تحل محبا ... وحفيراً فجنبتي ترفلان

لا تؤاتيك في المغيب إذا ما ... حال من دونها فروع قنان

إن ليلى ولو كلفت بليلى ... عاقها عنك عائق غيروان

قال: وضرب الدهر على ذلك، وأتى عليه زمن طويل. ثم أن ليلى القينية قدمت عليه بعد ذلك، وهو أمير على حمص، فلما رأها عرفها فأنشأ يقول:

فإن أناسا زرتهم ثم حرموا ... عليك دخول البيت غير كرام

واحسن صلتها، ورفدها طول مقامها، إلى أن رحلت عنه.

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن الحسن بن مسعود، عن أبيه، عن مشيخة من النصار، قال: حضرت وفود النصار باب معاوية بن أبي سفيان، فخرج إليهم حاجبه سعد أبو درة - وقد حجب بعده عبد الملك بن مروان- فقالوا له: استاذن للأنصار. فدخل إليه وعنده عمرو بن العاص، فاستأذن لهم. فقال لهم عمرو: ما هذا اللقب يا أمير المؤمنين؟ اردد القوم إلى أنسابهم. فقال معاوية: إني أخاف من ذلك الشنعة. فقال: هي كلمة تقولها، إن مضت عضتهم ونقصتهم، وإلا فهذا الاسم راجع إليهم. فقال له: اخرج فقل: من كان ههنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل. فقالها الحاجب، فدخل ولد عمرو بن عامر كلهم إلا الأنصار. فنظر معاوية إلى عمرو نظراً منكراً، فقال له: باعدت جداً. فقال: اخرج فقل: من كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل. فخرج فقالها، فلم يدخل أحد. فقال له معاوية: أخرج فقل: من كان ههنا من الأنصار فليدخل. فخرج فقالها، فدخلوا يقدمهم النعمان بن بشير وهو يقول:

يا سعد لا تعد الدعاء فما لنا ... نسب نجيب به سوى الأنصار

نسب تخيره الإله لقومنا ... أثقل به نسباً على الكفار

إن الذين ثووا ببدر منكم ... يوم القليب هم وقود النار

فقال معاوية لعمرو: قد كنا أغنياء عن هذا .

والنعمان بن بشير: هو من المعروفين في الشعر سلفاً وخلفاً، جده شالعر، وأبوه شاعر، وعمه شاعر، وهو شاعر،

وألاده وأولاد أولاده شعراء.

فأما جده سعد بن الحصين فهو القاتل.

إن كنت سائلة والحق معتبة فالأزد نسبتنا والماء غسان

شم الأنوف لهم عز ومكرمة كانت لهم من جبال الطود أركان

وعمه الحسين بن سعد أخو بشير بن سعد، القائل:

إذا لم أزل إلا لآكل أكلة فلا رفعت كفي إلي طعامي

فما أكلة إن نلتها بغنيمة ولا جوعة إن جعتها بغرام

وأبوه بشير بن سعد الذي يقول :

لعمرة بالبطحاء بين معرفٍ وبين المطاف مسكن ومحاضر

لعمري لحي بين دار مزاحم وبين الجثا لا يجشم السير حاضر

وحي حلال لا يروع سربهم لهم من وراء القاصيات زوافر

أحق بها من فتية وركائب يقطع عنها الليل عوج ضوامر

تقول وتذري الدمع عن حر وجهها لعلك نفسي قبل نفسك باكر

أباح لها بطريق فارس غائطا لها من ذرا الجولان بقل وزاهر

فقربتها للرحل وهي كأنها ظليم نعامٍ بالسماوة نافر

فأوردتها ماء فما شربت به سوى أنه قد بل منها المشافر

فباتت سراها ليلة ثم عرست بيثرب والأعراب بادٍ وحاضر

قال خالد بن كلثوم: ودخل النعمان بن بشير على معاوية لما هجا الخطل الأنصار، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

معاوي إلا تعطنا الحق تعترف لحى الزد مشدوداً عليها العمائم

أيشتمنا عبد الأراقم ضلة وماذا الذي تجدى عليك الأراقم

فمالي ثأر غير قطع لسانه فدونك من يرضيه عنك الدراهم

وأرع رويداً لا تسمتا دنية لعلك في غب الحوادث نادم

متى تلق منا عصبة خزرجية أو الأوس يوماً تخترمك المخارم

وتلقك خيل كالقطا مسبطرة سماطيط أرسال عليها الشكائم

يسومها العمران عمرو بن عامر وعمران حتى تستباح المحارم
ويبدو من الخود الغريرة حجلها وتبيض من هول السيوف المقادم
فتطلب شعب الصدع بعد انفتاقه فتعيا به فالآن والأمر سالم
وإلا فبزي لامة تبعيه مواريث آباني وأبيض صارم
وأجرد خوار العنان كأنه بدومة موشي الذراعين صائم
وأسمر خطي كن كعوبه نوى القسب فيها الهذمي ضبارم
فإن كنت لم تشهد ببدر وقيعة أذلت قريشاً والأنوف رواغم
فسائل بناحي لؤي بن غالب وأنت بما تخفي من الأمر عالم
ألم تبتدركم يوم بدر سيوفنا وليلك عما ناب قومك نائم
ضربناكم حتى تفرق جمعكم وطارت أكف منكم وجماجم
وعاذت على البيت الحرام عوانس وأنت على خوفٍ عليك تمائم
وعضت قريش بالأنامل بغضة ومن قبل ما عضت علينا الأباهم
فكنا لها في كل أمر تكيده مكان الشجا والأمر فيه تفاقم
فما إن رمى رام فأوهى صفاتنا ولا ضامنا يوماً من الدهر ضائم
وإني لأغضي عن أمور كثيرة سترقى بها يوماً إليك السلالم
أصانع فيها عبد شمس وانني لتلك التي في النفس مني أكاتم
فلا تشتمنا يا بن حرب فإنما ترقي إلى تلك الأمور الأشائم
فما أنت والأمر الذي لست أهله ولكن ولي الحق والأمر هاشم
إليهم يصير الأمر بعد شتاته فمن لك بالأمر الذي هو لازم
بهم شرع الله الهدى واهتدى بهم ومنهم له هادٍ إمام وخاتم

قال: فلما بلغت هذه الأبيات معاوية، أمر بدفع الأخطل إليه، ليقطع لسانه. فاستجار ببزيد بن معاوية، فمنع منه وأرضوا النعمان، حتى رضى وكف عنه.

وقال عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه: لما ضرب مروان بن الحكم عبد الرحمن بن حسان الحد، و لم يضرب أخاه، حين تهاجيا وتقاذفا، كب عبد الرحمن إلى النعمان بن بشير يشتكي ذلك إليه، فدخل إلى معاوية وأنشأ يقول:

يا بن أبي سفيان ما مثلنا جار عليه ملك أو امير
اذكر بنا مقدم أفراسنا بالحنو إذ أنت إلينا فقير
واذكر غداة الساعدي الذي آثركم بالأمر فيها بشير
واحذر عليهم مثل بدر فقد مر بكم يوم ببدر عسير
إن ابن حسان له ثائر فأعطه الحق تصح الصدور
ومثل أيام لنا شتتت ملكاً لكم أمرك فيها صغير
أما ترى الأزد وأشياعها نحوك خزراً كاظمات تزير

يطوف حولي منهم معشر إن صلت صالوا وهم لي نصير
يأبى لنا الضيم فلا يعتلي عز منيع وعديد كثير
وعنصر في حر جر ثومة عادية تنتقل عنها الصخور

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني أحمد بن الهيثم الفراسي، قال: حدثني العمري، عن الهيثم بن عدي قال: حضرت الأنصار باب معاوية ومعهم النعمان بن بشير، فخرج إليهم سعد أبو درة، وكان حاجب معاوية، ثم حجب عبد الملك بن مروان، فقال: استأذن لنا. فدخل، فقال لمعاوية: الأنصار بالباب. فقال له عمرو بن العاص: ما هذا اللقب الذي قد جعلوه نسباً؟ أردهم إلى نسبهم. فقال معاوية: إن علينا في ذلك شناعة. قال: وما في ذلك؟ إنما هي كلمة مكان كلمة، ولا مرد لها. فقال له معاوية: اخرج فناد من بالباب من ولد عمرو بن عامر فيدخل. فخرج فنادى بذلك، فدخل من كان هناك منهم سوى الأنصار. فقال له: أخرج فناد من كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل. فخرج فنادى ذلك، فوثب النعمان بن بشير، فأنشأ يقول:

يا سعد لا تعد الدعاء فما لنا نسب نجيب به سوى الأنصار
نسب تخيره الإله لقومنا أثقل به نسباً على الكفار
إن الذين ثووا ببدر منكم يوم القليب هم وقود النار

وقام مغضباً وانصرف. فبعث معاوية فرده، فترضاه وقضى حوائجه وحوائج من حضر معه من الأنصار.
ومن مختار شعر النعمان قوله، رواها خالد بن كلثوم، واخترت منها:

إذا ذكرت أم الحويرث أخضلت دموعي على السربال أربعة سكبا
كأني لما فرقت بيننا النوى أجاور في الأغلال تغلب أو كلبا

وكنا كماء العين والجفن لا ترى ... لواش بغى نقض الهوى بيننا إربا
فأمسى الوشاة غيروا ود بيننا ... فلا صلة ترعى لدي ولا قربى
جرى بيننا سعي الوشاة فأصبحت ... جنيت لها ذنبا ولم أذنب كأني
فإن تصرميني تصرمي بي واصلا لدي ... الود معراضا إذا ما التوى صعبا
عزفاً إذا خاف الهوان عن الهوى ... ويأبى فلا يعطي مودته غصبا
فإن أستطع أصبر وإن يغلب الهوى ... فمثل الذي لاقيت كلفني نصبا

واخترت هذه الأبيات من قصيدة أخرى، وأولها:

أهيج دمعك رسم الطلل ... عفا غير مطردٍ كالخلل
نعم فاستهل لعرفانه ... يسح ويهمى بفيض سبل
ديار الألوف وأترابها ... وأنت من الحب كالمخبل
ليالي تسبي قلوب الرجا ... ل تحت الخدور بحسن الغزل
من الناهضات بأعجازهن ... حين يقوم جزيل الكفل
كأن الرضاب وصوب السحا ... ب بات يشاب بذوب العسل
من الليل خالط أنيابها ... بعيد الكرى واختلاف العلل

أخذ هذا المعنى جميل منه، فقال:

وكأن طارقها على علل الكرى ... والنجم وهنا قد دنا لتغور
يشتم ريح مدامةٍ معلولة ... بسحيق مسك في ذكي العنبر

وفي هذه القصيدة يقول النعمان:

وأورع شرف حازم ... صروم وصولٍ حبال الخلل
كريم البلاء صبور اللقا ... ء وصافي الثناء قليل العذل
عظيم الرماد طويل العما ... د واري الزناد بعيد القفل
أقمت له ولأصحابه ... عمود السرى بذمولٍ رمل
مداخلةٍ سرحة جسرةٍ ... على الأين دوسرة كالجمل

ومن شعراء ولد النعمان بن بشير، ابنه عبد الله بن النعمان، وهو القائل:

ماذا رجاؤك غائبا من لا يسرك شاهدا
وإذا دنوت يزيده منك الدنو تباعدا

ومنهم عبد الخالق بن أبان بن النعمان بن بشير، شاعر مكثر، وهو القاتل في قصيدة طويلة:

وشاد أبونا الشيخ عمر بن عامر بأعلى ذرا العلياء ركنا نأثلا
وخط حياض المجد مترعة لنا ملاء فعل الصفو منها وأنهلا
وأشرع فيها الناس بعد، فما لهم من المجد إلا سؤره حين أفضلا

وفي غيرنا مجد من الناس كلهم فأما كمثل العشر من مجدنا فلا

وله أشعار كثيرة لم أحب الإطالة بذكرها.

ومنهم شبيب بن يزيد بن النعمان بن بشير، شاعر مكثر مجيد، وهو القاتل من قصيدة طويلة، يعاتب بني أمية عند اختلاف أمرهم في أيام الوليد بن يزيد وبعده، أولها:

يا قلب صبرا جميلا لا تمت حزنا قد كنت من أن ترى جلد القوى قمنا

يقول فيها:

بل أيها الراكب المزجي مطيته لقيت حيث توجهت الثنا الحسنا
أبلغ أمية أعلاها وأسفلها قولا ينفر عن نوامها الوسنا
إن الخلافة أمر كان يعظمه خيار أولكم قدما واولنا
فقد بقرتم بأيديكم بطونكم وقد وعظتم فما أحسنتم الأذنا
أغريتم بكم جهلا عدوكم في غير فائدة فاستو سقوا سننا
لما سفكتم بأيديكم دماءكم بغيا وغشيتم أبوابكم درنا

ومنهم إبراهيم بن بشير بن سعد، أخو النعمان، شاعر مكثر، وهو القاتل في قصيدة طويلة:

أشاقتك أظعان الحدوج البواكر كنخل النجير الشامخات المواقر
على كل فتلاء الذراعين جسرة وأعيس نضاخ المهد عذافر
نعم فاستدرت عبرة العين لوعة وما أنت عن ذكرى سليمى بصابر
ولم أر سلمى بعد إذ نحن جيرة من الدهر إلا وقفةً بالمشاعر
ألا رب ليل قد سريت سواده إلى ردح الأعجاز غر المحاجر

ليالي يدعوني الصبا فأجيبه أجر إزاري عاصيا أمر زاجري
وإذ لمتي مثل الجناح أثيثة أمشي الهوينى لا يروع طائري
فأصبحت قد ودعت كم بغيره مخافة ربي يوم تبلى سرائري

وبنت النعمان بن بشير، واسمها حميدة، كانت شاعرة ذات لسان وعارضة وشر، فكانت تهجو أزواجها. وكانت تحت الحارث بن خالد المخزومي، وقيل بل كانت تحت المهاجر بن عبد الله بن خالد، فقالت فيه:

كهول دمشق وشبانها أحب إلي من الجاليه
صماحهم كصماح التيو س أعيا على المسك والغاليه
وقمل يدب دبيب الجراد أكاريس أعيا على الفاليه

فطلقها. فتزوجها روح بن زنباع، فهجته، وقالت تخاطب أخاها الذي زوجها من روح، وتقول:

أضل الله حلمك من غلام متى كانت مناكحنا جذام
أترضى بالأكارع والذنابى وقد كنا يقر لنا السنام

وقالت تهجو روحاً.

بكى الخز من روح وأنكر جلده وعجت عجيجا من جذام المطارف
وقال العباء نحن كنا ثيابهم وأكسية كدرية وقطائف

فطلقها روح، وقال: سلط الله عليك بعلاً يشرب الخمر ويقيتها في حجرك. فتزوجت بعده الفيض بن أبي عقيل الثقفي، وكان يسكر ويقيء في حجرها. فكانت تقول: أجيبت في دعوة روح. وقالت في الفيض:

سميت فيضا وما شيء تفيض به إلا بسلحك بين الباب والدار
فتلك دعوة روح الخير أعرفها سقى الإله صداه الأوطف الساري

وقالت فيه:

وهل أنا إلا مهرة عربية سليلة أفراس تجللها بغل
فإن نتجت مهراً كريماً فبالحرى وإن كان إقراف فما أنجب الفحل

هكذا روى خالد بن كلثوم هذين البيتين لها، وغيره يرويهما لمالك بن أسماء لما تزوج الحجاج أخته هنداً. وهي القائلة لما تزوج الحجاج أختها أم أبان:

قد كنت أرجو بعض ما يرجو الراج أن تكحيه ملكا أو ذا تاج
إذا تذكرت نكاح الحجاج تضرم القلب بحزن وهاج

وفاضت العين بماء ثجاج لو كان نعمان قتيل الأعلاج

مستوي الشخص صحيح الأوداج ما نلت ما تلت بختل الدراج

فأخرجها الحجاج من العراق، وردها إلى الشأم.

نفرت قلوصي من حجارة حرةٍ بنيت على طلق اليدين وهوب

لا تنفري يا ناق منه فإنه شريب خمر مسعر لحروب

لا يبعدن ربيعة بن مكدم وسقى الغوادي قبره بذنوب

لولا السفار وبعد خرقٍ مهمهٍ لتركتها تجو على العرقوب

يقال إن الشعر لحسان بن ثابت الأنصاري، ويقال: إنه لضرار بن الخطاب الفهري.

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام، قال: الصحيح أن هذه الأبيات لعمرو بن شقيق، أحد بني فهر بن مالك. ومن الناس من يرويها لمكرز بن حفص بن الأحنف الفهري ، وعمرو بن شقيق أولى بها.

والغناء لمالك: خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

خبر مقتل ربيعة بن مكدم ونسبه

وهذا الشعر قيل في قتل ربيعة بن مكدم بن عامر بن حرثان بن جذيمة بن علقمة بن جذل الطعان بن فراس بن عثمان بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، أحد فرسان مضر المعدودين، وشجعانهم المشهورين، قتله نبيشة بن حبيب السلمى في يوم الكديد.

وكان السبب في ذلك فيما ذكره محمد بن الحسن بن دريد، إجازة عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة؛ ونسخته أيضاً من رواية الأصمعي وحماد صاحب أبي غسان دماذ والأثرم، فجمعتها ههنا.

قال أبو عبيدة: قال أبو عمرو بن العلاء: وقع تدارؤ بين نفر من بني سليم بن منصور وبين نفر من بني فراس بن مالك بن كنانة، فقتلت بنو فراس رجلين من بني سليم بن منصور، ثم إنهم ودوهما. ثم ضرب الدهر ضربانه، فخرج نبيشة بن حبيب السلمي غازياً، فلقى ظعنا من بني كنانة بالكديد، في نفر من قومه، وبصر بهم نفر من بني فراس بن مالك، فيهم عبد الله بن جذل الطعان بن فراس، والحارث بن مكدم أبو الفارعة، وقال بعضهم أبو الفرعة، أخو ربيعة بن مكدم، قال: وهو مجدور يومئذ يحمل في محفة، فلما رآهم أبو الفارعة، قال: هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءهم. فقال أخوه ربيعة بن مكدم: أنا أذهب حتى أعلم القوم، فآتيكم بخبرهم. فتوجه نحوهم، فلما ولى، قال بعض الظعن: هرب ربيعة. فقالت أخته أم عزة بنت مكدم: أين تنتهي نفرة الفتى؟ فعطف وقد سمع قول النساء، فقال:

لقد علمن أنني غير فرق لأطعنن طعنة وأعتنق

أعمل فيهم حين تحمر الحدق عضبا حساما وسنانا يأتلق

قال: ثم انطلق يعدو به فرسه، فحمل عليه بعض القوم، فاستطرد له في طريق الظعت. وانفرد به رجل من القوم، فقتله ربيعة. ثم رماه نبيشة أو طعنه، فلحق بالظعن يستدمي، حتى أتى إلى امه أم سيار، فقال: اجعلي على يدي عصابة وهو يرتجز ويقول:

شدي علي العصب أم سيار

لقد رزيت فارسا كالدينار

يطعن بالرمح أمام الأدبار

إنا بنو ثعلبة بن مالك مرزأ أخيارنا كذلك

من بين مقتول وبين هالك ولا يكون الرزء إلا ذلك

قال أبو عبيدة: وشدت أمه عليه عصابة. فاستسقاها ماء، فقالت: إنك إن شربت الماء مت، فكر على القوم. فكر راجعاً يشد على القوم ويذبهم، وتزفه الدم حتى اثخن، فقال للطعن: اوضعن ركابكن خلفي، حتى تنتهين إلى أدنى بيوت الحي، فإني لما بي، وسوف أقف دونكن لهم على العقبة، وأعتمد على رمحي، فلن يقدموا عليكن لمكاني. ففعلن ذلك، فنجو إلى مأمنهن.

قال أبو عبيدة: قال أبو عمرو بن العلاء: ولا نعلم قتيلاً ولا يمتاً حمى ظعائن غيره. قال: وإنه يومئذ لغلام له ذؤابة. قال: فاعتمد على رمحه، وهو واقف لهن على متن فرسه، حتى بلغن مأمنهن، وما تقدم القوم عليه.

فقال: نبيشة بن حبيب: إنه لمائل العنق، وما أظنه إلا قد مات. فأمر رجلاً من خزاعة كان معه أن يرمي فرسه. فرماها فقمصت وزالت، فمال عنها ينتاً. قال: ويقال بل الذي رمى فرسه نبيشة. فانصرفوا عنه، وقد فاتهم الظعن قال أبو عبيدة: ولحقوا يومئذ أبا الفرعة الحارث بن مكدم، فقتلوه، وألقوا على ربيعة أحجاراً.

فمر به رجل من بني الحارث بن فهر، فنفرت ناقته من تلك الأحجار التي أهيلت على ربيعة. فقال يرثيه ويعتذر أي يكون عقر ناقته على قبره، وحض على قتلته، وعير من فر وأسلمه من قومه:

نفرت قلوص من حجارة حرة بنيت على طلق اليدين وهوب

لاتنفري يا ناق منه فإنه سباء خمر مسعر لحروب

لولا السفار وبعد خرق مهمه لتركتها تحبو على العرقوب

فر الفوارس عن ربيعة بعدما نجاهم من غمة المكروب

يدعو علياً حين أسلم ظهره فلقد دعوت هناك غير مجيب

لله در بني علي إنهم لم يحمشوا غزواً كولغ الذيب

نعم الفتى أدى نبيشة بزه يوم الكديد، نبيشة بن حبيب

لا يبعدن ربيعة بن مكدم وسقى الغوادي قبره بذنوب

قال أبو عبيدة: ويقال إن الذي قال هذا الشعر هو ضرار بن الخطاب بن مرداس، أحد بني محارب بن فهر.

وقال آخر: هو حسان بن ثابت. وقال الأثرم: انشدني أبو عبيدة مرة أخرى هذا البيت:

وسقى الغوادي قبره بذنوب

واحتج به في قول الله عز وجل: " ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم" . فسألته لمن هذا البيت، فقال: لمكرز بن حفص بن الأحنف، أحد بني عامر بن لؤي، رجل من قريش الظواهر؛ و لم يسمه ههنا.

وقال عبد الله بن جذل الطعان واسمه بلعاء:

لأطلبن بربيعة بن مكدم حتى أنال عصية بن معيص

يقال إن عصية من بني سليم، وهو عصية بن معيص بن عامر بن لؤي

وتقاد كل طمرةٍ ممحوصةٍ ومقلص عبل الشوى ممحوص

وقال رجل من بني الحارث بن الخزرج من الأنصار يرثي ربيعة بن مكدم. وقال أبو عبيدة: زعم أبو الخطاب الأخفش أنه لحسان بن ثابت، يحض على قتلته.

و لأصرفن سوى حذيفة مدحتي لفتى الشتاء وفارس الأجراف

مأوى الضريك إذا الرياح تناوحت ضخم الدسيعة مخلفٍ متلاف

من لا يزال يكب كل ثقيلة كوماء غير مسائل منزاف

رحب المباءة والجناب موطأ مأوى لكل معتق يسواف

فسقى الغوادي قبك ابن مكدم من صوب كل مجلجل وكاف

أبلغ بني بكر وخص فوارسا لحقوا الملامة دون كل لحاف

أسلمتم جذل الطعان أخاكم بين الكديد وقلة الأعراف

الأعراف: رمل، قال الأثرم: الأعراف كل ما ارتفع، ومنه قول الله تعالى:" ونادى أصحاب الأعراف".

حتى هوى متزايلا أو صاله للحد بين جنادل وقفاف

لله در بني علي إن هم لم يثأروا عوفا وحي خفاف

قال الأثرم: وأنشدنا أبو عبيدة هذه القصيدة مرة لقيس بن الخطيم حين قتل قاتل أبيه، فقال:

تذكر ليلى حسنها وصفاءها

وقال ابن جذل الطعان في ذلك أيضاً:

ألا لله در بني فراس لقد أورثتم حزناً وجيعا

غداة ثوى ربيعة في مكر تمج عروقه علقاً نجيعا

فلن أنسى ربيعة إذ تع7الى بكاء الظعن تدعو يا ربيعا

وقال كعب بن زهير، وامه من بني أشجع بن عامر بن الليث بن بكر بن كنانة، يرثي ربيعة بن مكدم، ويحض على بني سليم، ويعير بني كنانة بالدماء التي أدوها إلى بني سليم، وهم لا يدركون قتلاهم عندهم بدرك قتل فيهم ولا دية:

بان الشباب وكل إلفٍ بائن ظعن الشباب مع الخليط الظاعن

قالت أميمة ما لجسمك شاحبا وأراك ذابث ولست بدائن

غضي ملا مك إن بي من لومكم داء أظن مما طلي أو فاتني

أبلغ كنانة غثها وسمينها الباذلين رباعها بالقاطن

أن المذلة أن تطل دماؤكم ودماء عوفٍ ضامن في العاهي

أموالكم عوض لهم بدمائهخم ودماؤكم كلف لهم بظعائن

طلبوا فأدرك وترهم مولاهم وأبت محاملكم إباء الحارن

شدوا المآزر فاثأ روابأخيكم إن الحفائظ نعم ربح الثامن

كيف الحياة ربيعة بن مكدم يغدى عليك بمزهر أو قائن

وهو التريكة بالعراء وحارث فقع القراقر بالمكان الواتن

كم غادروا لك من أرامل عيل جزر الضباع ومن ضريكٍ واكن

وقالت أم عمرو أخت ربيعة ترثي ربيعة:

ما بال عينيك منها الدمع مهراق سحا ولا عازب لا لا ولا راقي

أبكي على هالك أو دى وأورثني بعد التفرق حزناً بعده باقي

لو كان يرجع ميتاً وجد ذي رحمٍ أبقى أخي سالماً وجدي وإشفاقي

أو كان يفدى لكان الأهل كلهم وما أثمر من مال له واقي
لكن سهام المنايا من نصبن له لم ينجه طب ذي طب ولا راقي
فاذهب فلا يبعدنك الله من رجل لاقى الذي كل حي مثله لاقي
فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة وما سريت من الساري على ساقي
أبكى لذكرته عبرى مفجعة ما إن يجف لها من ذكره ماقي

وقال عبد الله يرثيه:

خلى علي ربيعة بن مكدم حزناً يكاد له الفؤاد يزول
فإذا ذكرت ربيعة بن مكدم ظلت لذكراه الدموع تسيل
نعم الفتى حيا وفارس بهمة يردي بشكته أقب ذعول
سقت الغوادي بالكديد رمة والناس إما هالك وقتيل
فإذا لقيت ربيعة بن مكدم فعلى ربيعة من نداه قبول
كيف العزاء ولا تزال خريدة تبكي ربيعة غادة عطبول
يأبى لي الله المذلة إنما يعطى المذلة عاجز تنبيل

وقال عبد الله أيضاً يرثيه:

نادى الظعائن يا ربيعة بعد ما لم يبق غير حشاشة وفواق
فأجابها والرمح في حيزومه أنفا بطعن كالشعيب دفاق
يا ريط إن ربيعة بن مكدم وربيع قومك آذنا بفراق
ولئن هلكت لرب فارس بهمة فرجت كربته وضيق خناق

وقال أيضاً يتوعد بني سليم:

ولست لحاضرٍ إن لم أزركم كتائب من كنانة كالصريم
على قب الأياطل مضمرات أضر بنيها علك الشكيم

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثني الطلحي، قال: أخبرني عبد الله بن إبراهيم الجمحى ومحمد بن الحسن بن زبالة في مجلس واحد، قالا: مر حسان بن ثابت بقبر ربيعة بن مكدم الكناني ، بثنية كعب، ويقال: بثنية غزال، فقلصت به راحلته، فقال :

نفرت قلوصي من حجارة حرة بنيت على طلق اليدين وهوب

لا تنفري يا ناق منه فإنه شريب خمر مسعر لحروب

لولا السفار وبعد خرق مهمه لتركتها تحبو على العرقوب

فبلغ شعره بني كنانة، فقالوا: والله لو عقرها لسقنا إليه ألف ناقة سود الحدق.

أخبرني محمد بن الحسين بن دريد، قال: حدثنا السجستاني، قال: حدثنا أبو عبيدة، قال: خرج دريد بن الصمة في فوارس من بني جشم، حتى إذا كانوا بوادٍ لبني كنانة يقال له الأخرم، وهو يريد الغارة على بني كنانة، رفع له رجل من ناحية الوادي معه ظعينة. فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه: صح به أن خل عن الظعينة وانج بنفسك، وهو لا يعرفه. فانتهى إليه الرجل، فصاح به، وألح عليه. فلما أتى ألقى الزمام وقال للظعينة:

سيري على رسلك سير الآمن سير رداح ذات جأش ساكن

إن انثنائي دون قرني شائني وابلي بلائي واخبري وعايني

ثم حمل على الفارس فقتله، وأخذ فرسه، فأعطاه الظعينة. فبعث دريد فارساً آخر، لينظر ما صنع صاحبه، فرآه صريعاً. فصاح به، فتصامم عنه، فظن أنه لم يسمعه. فغشيه، فألقى الزمام إليها، ثم حمل على الفارس، فطعنه فصرعه، وهو يقول:

خل سبيل الحرة المنيعه إنك لاقٍ دونها ربيعة

في كفه خطية مطيعه أو لا، فخذها طعنة سريعه

فالطعن مني في الوغى شريعه

فلما أبطأ على دريد بعث فارساً آخر لينظر ما صنعا؟ فانتهى إليهما، فرآهما صريعين، ونظر إليه يقود ظعينته، ويجرر رمحه. فقال له الفارس: خل عن الظعينة. فقال لها ربيعة: اقصدي قصد البيوت، ثم أقبل عليه فقال:

ماذا تريد من شتيم عابس ألم تر الفارس بع الفارس

أرداهما عامل رمح يابس؟

ثم طعنه فصرعه، وانكسر رمحه. فارتاب دريد، وظن أنهم قد أخذوا الظعينة،

سيري على رسلك سير الآمن سير رداح ذات جأش ساكن

إن انثنائي دون قرني شائني وابلي بلائي واخبري وعايني

ثم حمل على الفارس فقتله، وأخذ فرسه، فاعطاه الظعينة، فبعث دريد فارساً آخر، لينظر ما صنع صاحبه، فرآه صريعاً. فصاح به، فتصامم عنه، فظن أنه لم يسمعه. فغشيه، فألقى الزمام إليها، ثم حمل على الفارس، فطعنه فصرعه، وهو يقول:

خل سبيل الحرة المنيعة إنك لاقٍ دونها ربيعة

في كفه خطية مطيعه أو لا، فخذها طعنةً سريهه

فالطعن مني في الوغى شريعه

فلما أبطأ على دريد بعث فارساً آخر لينظر ما صنعا؟ فانتهى إليهما، فرآهما صريعين، ونظر إليه يقود ظعينته، ويجرر رمحه. فقال له الفارس: خل عن الظعينة. فقال لها ربيعة: أقصدي قصد البيوت، ثم أقبل عليه فقال:

ماذا تريد من شتيم عابس ألم تر الفارس بعد الفارس

أردهما عامل رمح يابس؟

ثم طعنه فصرعه، وانكسر رمحه. فارتاب دريد، وظن أنهم قد أخذوا الظعينة، وقتلوا الرجل. فلحق بهم، فوجد ربيعة لا رمح معه وقد دنا من الحي، ووجد القوم قد قتلوا. فقال دريد: أيها الفارس، إن مثلك لا يقتل، وإن الخيل ثائرة بأصحابها، ولا رأى معك رمحاً، وأراك حديث السن، فدونك هذا الرمح، فإني راجع إلى أصحابي، فمثبط عنك. فأتى دريد أصحابه، وقال: إن فارس الظعينة قد حماها، وقتل فوارسكم، وانتزع رمحي، ولا طمع لكم فيه.

فانصرف القوم. وقال دريد في ذلك:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله حامي الظعينة فارساً لم يقتل

أردى فوارس لم يكونوا نهزة ثم استمر كأنه لم يفعل

متهلل تبدو أسرة وجهه مثل الحسام جلته كف الصقيل

يزجي ظعينته ويسحب رمحه متوجهاً بمناه نحو المنزل

وترى الفوارس من مخافة رمحه مثل البغاث خشين وقع الأجدل

ياليت شعري من أبوه وامه ياصاح من يك مثله لم يجهل!

فقال ربيعة:

إن كان ينفعك اليقين فسائلي عني الظعينة يوم وادي الخرم

عل هي لأول من أتاها نهزة لولا طعان ربيعة بن مكدم

إذ قال لي أدنى الفوارس ميتة خل الظعينة طائعاً لا تندم

فصرفت راحلة الظعينة نحوه عمداً ليعلم بعض ما لم يعلم

وهتكت بالرمح الطويل إهابه فهوى صريعاً لليدين وللفم

ومنحت آخر بعده جياشة نجلاء فاغرة كشدق الأضجم
ولقد شفعتهما بآخر ثالث وأبى الفرار لي الغداة تكرمي

قال: فلم يلبث بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة بن مكدم، ان أغاروا على بني جشم رهط دريد، فقتلوا وأسروا وغنموا، وأسروا دريد بن الصمة، فأخفى نسبه. فبينا هو عندهم محبوس، إذ جاء نسوة يتهادين إليه. فصرخت امرأة منهن، فقالت: هلكتم وأهلكتم، ماذا جر علينا قومنا؟ هذا والله الذي أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة. ثم ألقت عليه ثوبها وقالت: يا آل فراس، أنا جارة له منكم، هذا صاحبنا يوم الوادي. فسألوه من هو؟ فقال: أنا دريد بن الصمة، فمن صاحبي؟ قالوا: ربيعة بن مكدم، قال: فما فعل؟ قالوا: قتله بنو سليم، قال: فمن الظعينة التي كانت معه؟ قالت المرأة: ريطة بنت جذل الطعان، وأنا هي، وأنا امرأته. فحبسه القوم، وآمروا أنفسهم، وقالوا: لا ينبغي أن تكفر نعمة دريد على صاحبنا. وقال بعضهم: والله لا يخرج من أيدينا إلا برضا المخارق الذذي أسره.

وانبعثت المرأة في الليل، فقالت:

سنجزي دريداً عن ربيعة نعمة وكل فتى يجزى بما كان قدما
فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه وإن كان شراً كان شراً مذمما
سنجزيه نعمى لم تكن بصغيرة بإعطائه الرمح السديد المقوما
فقد أدركت كفاه فينا جزاءه وأهل بأن يجزى الذي كان أنعما
فلا تكفروه حق نعماه فيكم ولا تركبوا تلك التي تملأ الفما
فو كان حياً لم يضق بثوابه دراعاً، غنياً كان أو كان معدوما
ففكوا دريداً من إسار مخارق ولا تجعلوا البؤس إلى الشر سلما

فأصبح القوم فتعاونوا بينهم، فأطلقوه، وكسته ريطة وجهزته، ولحق بقومه. ولم يزل كافاً عن غزو بني فراس حتى هلك.

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك، قال: حدثني محمد بن يعقوب بن أبي مريم العدوي البصري، قال: حدثني محمد بن عمر الأزدي، قال: حدثني أبو البلاد الغطفاني وقبيصة بن ميمون الصادري، قالا: سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن معد يكرب الزبيدي: من أشجع من رأيت؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين لأخبرنك عن أحيل الناس، وعن أشجع الناس، وعن أجبن الناس. فقال له عمر: هات. فقال: أربعتالمدينة، فخرجت كأحسن ما رأيت، وكانت لي فرس شمقمقة طويلة سريعة الإبقاء ، تمطق الشيخ بالمرق، فركبتها، ثم آليت لا ألقي أحداً إلا قتلته. فخرجت وعلي مقدى ، فإذا أنا بفتى بين غرضين

فقلت:له: خذ حذرك، فإني قاتلك. فقال: والله ما أنصفتني يا أبا ثو، أنا كما ترى أعزل أميل عوارة- والعوارة: الذي لا ترس معه- فأنظرني حتى آخذ نبلي. فقلت: وما غناؤها عنك؟ قال: أمتنع بها. قلت: خذها. قال: لا والله أو تعطيني من العهود ما يثلجني أنك لا تروعني حتى آخذها. فأثلجته، فقال: وإله قريش لا آخذها أبداً. فسلم والله مني وذهبت؛ فهذا أحيل الناس.

ثم مضيت حتى اشتمل علي الليل، فوالله إني لأسير في قمر زاهر ، كالنور الظاهر ، إذا بفتى على فرس يقود ظعينة، وهو يقول:

يا لدينا يا لدينا ليتنا يعدى علينا

ثم يبلى مالدينا

ثم يخرج حنظلةً من مخلاته، فيرمي بها في السماء، فلا تبلغ؟ الأرض حتى يظمها بمشقص من نبله. فصحت به: خذ حذرك ثكلتك أمك، فإني قاتلك. فمال عن فرسه فإذا هو في الأرض. فقلت: إن هذا إلا استخفاف. فدنوت منه، وصحت به: ويلك: ما أجهلك! فما تحلحل ولا زال عن موضعه، فشككت الرمح في إهابه، فإذا هو كأنه قد مات منذ سنة، فمضيت وتركته؛ فهذا أجبن الناس.

ثم مضيت فأصبحت بين دكادك هرشى إلى غزال ، فنظرت إلى أبيات، فعدلت إليها، فإذا فيها جوار ثلاث، كأنهن نجوم الثريا. فبكين حين رأينني، فقلت: ما يبكين؟ فقلن: لما ابتليتا به منك، ومن ورائنا أخت هي أجمل منا. فأشرفت من فدفد، فإذا لم أر شئاً قط أحسن من وجهه، وإذا بغلام يخصف نعله، عليه ذؤابة يسحبها. فلما نظر إلي وثب على الفرس مبادراً، ثم ركض، فسبقني إلى البيوت، فوجدهن قد ارتعن، فسمعته يقول لهن:

مهلاً نسياتس إذن لا ترتعن إن يمنع اليوم نساء تمنعن

أرخين أذيال المروط وارتعن

فلما دنوت منه، قال: أتطردني أم اطردك؟ قلت: أطردك. فركض وركضت في أثره، حتى إذا مكنت السنان في لفته- واللفتة أسفل من الكتف- اتكأت عليه، فإذا هو والله مع لبب فرسه، ثم استوى في سرجه. فقلت: أقلني. قال: اطرد. فتبعته حتى إذا ظننت أن السنان في ماضغيه اعتمدت عليه، فإذا هو والله قائم على الأرض، والسنان ماض زالج. واستوى على فرسه، فقلت: أقلني. قال: اطرد. فطردته، حتى إذا مكنت السنان في متنه، اتكأت عليه وأنا أظن قد فرغت منه، فمال في ظهر فرسه حتى نظرت إلى يديه في الأرض، ومضى السنان زالجاً. ثم استوى وقال: أبعد ثلاث؟ تريد ماذا؟ اطردني ثكلتك أمك. فوليت وأنا مرعوب منه. فلما غشيني ووجدت حسن السنان، التفت فإذا هو يطردني بالرمح بلا سنان، فكف عني واستزلني، فنزلت ونزل، فجز ناصيتي، وقال: أنطلق، فإني بك عن القتل. فكان ذلك والله يا أمير المؤمنين عندي أشد من الموت؛ فذاك أشجع من رأيت وسألت عن الفتى، فقيل: ربيعة بن مكدم الفراسي، من بني كنانة.

وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري هذا الخبر وفيه خلاف للأول. فقال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني محمد بن موسى الهذلي، قال: حدثني سكين بن محمد، قال:

دخل عمرو بن معد يكرب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له: يا أبا ثور، من أين أقبلت؟ قال: من عند سيد بنب مخزوم، أعظمها هامة، وأمدها قامة، وأقلها ملامة، وأفضلها حلماً، وأقدمها سلماً، وأجرئها مقدما. قال: ومن هو؟ قال: سيف الله وسيف رسوله ، قال: وأي شيء صنعت عنده؟ قال: أتيته زائراً، فدعا لي بكعب وقوس وثور . فقال عمر: وأبيك إن في هذا لشبعا. قال: لي أو لك يا أمير المؤمنين؟ قال: لي ولك. قال له: فوالله إني لآكل الجذعة، وأشرب التبن من اللبن رثيئةو صرفا، فلم تقول هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال له عمر: أي أحياء قومك خير؟ قال: مذحج، وكل قد كان فيه خير، شداد فوارسها، فوارس أبطالها، أهل الريا والرياح قال عمر: وأين سعد العشيرة؟ قال: هم أشدنا شريساً، وأكثرنا خميسا ، وأكرمنا رئيسا، وهم الأوفياء البررة، المساعير الفجرة. قال عمر: يا أبا ثور ألك علم بالسلاح؟ قال: على الخبير سقطت، سل عما بدا لك. قال: أخبرني على النبل. قال: منايا تخطىء وتصيب. قال: فأخبرني عن الرمح قال: أخوك وربما خانك. قال: فأخبرني عن الترس. قال: ذاك مجن وعليه تدور الدوائر. قال: أخبرني عن الدرع. قال: مشغلة للفارس، متعبة للراجل. قال: أخبرني عن السيف. قال: عنه قارعتك لأمك الهبل، قال: لا، بل لأمك. قال عمرو: بل لأمك، فرفع عمر الدرة، فضرب بها عمراً، وكان عمرو محتبياً، فانحلت حبوته، فاستوى قائماً، وأنشأ يقول:

أتضربني كأنك ذو رعين ... بخير معيشة أو ذو نواس

فكم ملك قديم قد رأينا ... وعز ظاهر الجبروت قاسي

فأضحى أهله بادوا وأضحى ... ينقل من أناس في أناس

قال: صدقت يا أبا ثور، وقد هدم ذلك كله الإسلام، أقسمت عليك لما جلست. فجلس. فقال له عمر: هل كععت من فارس قط ممن لقيت؟ قال: العم يا أمير المؤمنين، اني لم أستحل الكذب في الجاهلية، فكيف أستحله في الإسلام؟ ولقد قلت لجبهة من خيلي، خيل بني زبيد، أغيروا بنا على بني البكاء. فقالوا: بعيد علينا العفار. فقلت: فعلى بني مالك بن كنانة، قال: فأتينا على قوم سراة. فقال عمر: ما علمك بأنهم سراة. قال: رأيت مزواد خيلهم كثيرة، وقدوراً مثفاة ، وقباب أدم، فعرفت أن القوم سراة. فتركت خيلي حجرة ، وجلست في موضع أتسمع كلامهم، فإذا بجارية منهم قد خرجت من خيمتها، فجلست بين صواحب لها، ثم دعن وليدة من ولائدها، فقالت: اعي فلاناً. فدعت لها برجل من الحي، فقالت له: إن نفسي تحدثني أن خيلاً تغير على الحي، فكيف أنت إن زوجتك نفسي؟ فقال: أفعل وأصنع، وجعل يصف نفسه فيفرط. فقالت له: انصرف حتى أرى رأيي. وقالت لصواحباتها: ولا عند هذا هير أيضاً. ثن قالت للوليدة ادعي لي ربيعة بن مكدم. فدعته، فقالت له مثل قولها للرجلين، فقال لها: إن أعجز العجز وصف المرء نفسه، ولكني إذا لقيت أعذرت، وحسب المرء غناء أن يعذر. فقالت له: قد زوجتك نفسي، فاحضر غداً مجلس الحي، ليعملوا ذلك. فانصرف من عندها، وانتظرت

حتى ذهب الليل، ولاح الفجر، فخرجت من مكمني، وركبت فرسي، وقلت لخيلي: أغيري، فأغارت، وتركتها وقصدت نحو النسوة ومجلسهن، فكسفت عن خيمة المرأة، فإذا أنا بامرأة تامة الحسن. فلما ملأت بصرها مني، أهوت إلي درعها فشقته وقالت: واثكلآه؟ والله ما أبكي على مال ولا تلاد، ولكن على أخت من وراء هذا الوز ، تبقى بعدي في مثل هذا الغائط، فتهلك ضيعة، وأومأت بيدها إلى قوز رمل إلى جانبهم. فقلت:هذه غنيمة من وراء غنيمة. فدغت فرسي حتى أوفيت على الأيفاع، فإذا أنا برجل جلد نجد، أهلب أغلب، يخصف نعله، وإلى جنبه فرسه وسلاحه. فلما رآني رمى بنعله، ثم استوى على فرسه، وأخذ رمحه، ومضى و لم يحفل بي. فطفقت أشجره بالرمح خفقاً ، وأقول له: يا هذا استأسر . فمضى ما يحفل بي، حتى أشرف على الوادي. فلما رأى الخيل تحوي إبله استعبر باكياً، وانشأ يقول:

قد علمت إذ منحتني فاها أني سأحوي اليوم من حواها

بل ليت شعري اليوم من دهاها

فأجبته:

عمرو على طول الوجى دهاها بالخيل يحميها على وجاها

حتى إذا حل بها احتواها

فحمل علي وهو يقول:

أهون بنضر العيش في دار ندم أفيض دمعاً كلما فاض اسنجم

أنا ابن عبد الله محمود الشيم مؤتمن الغيب وفي بالذمم

أكرم من يمشي بساق وقدم كالليث إن هم بتقصام قصم

فحملت عليه وأنا أقول:

أنا ابن ذي التقليد في الشهر الأصم أنا ابن ذي الإكليل قتال البهم

من يلقني يود كما أودت إرم أتركه لحماً على ظهر وضم

وحمل علي وهويقول؟:

هذا حمى قد غاب عنه ذائده الموت ورد والأنام وارده

وحمل علي فضربني، فرغتوأخطأني، فوقع سيفه في قربوس السرج، فقطعه وما تحته، حتى هجم على مسح الفرس. ثم ثنى بضربة أخرى، فرغت وأخطأني، فوقع سيفه على مؤخر السرج فقطعه حتى وصل إلى فخذ الفرس، وصرت راجلاً. فقلت: ويحك! من أنت؟ فوالله ما ظننت أحداً من العرب يقدم علي إلا ثلاثة: الحارث

بن ظالم، للعجب والخيلاء؛ وعامر بن الطفيل للسن والتجربة؛ وربيعة بن مكدم للحداثة والغرة، فمن أنت ويلك؟ قال: بل الويل لك، فمن أنت؟ قلت: عمرو بن معد يكرب، قال: وأنا ربيعة بن مكدم. قلت: يا هذا، إني قد صرت راجلاً، فاختر مني إحدى ثلاث، إن شئت الجتلدنا بسفينا حتى يموت الأعجز، وإن شئت اصطرعنا، فأينا صرع صاحبه حكم فيه؛ وإن شئت سالمتك وسالمتني. قال: الصلح إذن إن كان لقومك فيك حاجة، وما بي أيضاً على قومي هوان. قلت: فذاك لك. وأخذت بيده، حتى أتيت أصحابي، وقد حازوا نعمه، فقلت: هل تعلمون أني كععت عن فارس قط من الابطال إذا لقيته؟ قالوا: نعيذك من ذاك. قال: قلت: فانظروا هذا النعم الذي حزتموه، فخذوه مني غداً في بني زبيد، فإنه نعم هذا الفتى، والله لا يوصل إلى شيء منه وأنا حي. فقالوا لحاك الله فارس قوم! أشقيتنا حتى إذا هجمنا على الغنيمة الباردة فثأتنا عنها. قال: قلت إنه لا بد لكم من ذلك، وأن تهبوها لي ولربيعة بن مكدم. فقالوا: وإنه لهو؟ قلت: نعم. فردوها وسالمته، فأمن حربي وامنت حربه حتى هلك.

وفي بعض هذه الأراجيز التي جرت بين عمرو بن مكدم غناء، نسبته، وقد جمع شعرهما معاً في لحن واحد، وهو:

أنا ابن ذي التقليد في الشهر الأصم — أنا ابن عبد الله قتال البهم

أكرم من يمشي بساق وقدم — من يلقني يود كما أودت إرم

أتركه لحماً على ظهر وضم — كالليث إن هم بتقصام قصم

مؤتمن الغيب وفي بالذمم

ذكر أحمد بن يحيى المكي: ان الغناء في هذا الشعر لحنين، خفيف ثقيل، بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وذكر الهشامي أنه لابن سرجيس الملقب بقراريط.

حدثني قمرية العمرية جارية عمرو بن بانة، أنها أخذت عن أحمد بن العلاء هذا اللحن، فقال لها: انظري أي صوت أخذت، فو الله لقدأخذته عن مخارق، فلما استوى لي قال لي مخارق: انظر أي صوت أخذت، فوالله لقد أخذته عن يحيى المكي، فلما غنيته الرشيد أطرابه، فوهب ليحيى عشرة آلاف درهم.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني محمد بن الحسن الأحول، عن الطرسوسي، عن ابن الأعرابي، قال: أجود بيت وصفت به الطعنة قول أهبان بن عادياء قاتل ربيعة بن مكدم، حيث يقول:

ولقد طعنت ربيعة بن مكدمٍ — يوم الكديد فخر غير موسد

في ناقع شرقت بما في جوفه — منه بأحمر كالعقيق المجسد

أدركت ما منيت نفسي خاليا — لله درك يا بنة التعمان!

إني لحلفك بالصليب مصدق — والصلب أصدق حلفة الرهبان

ولقد رددت على المغيرة ذهنه — إن الملوك بطيئة الإذعان

يا هند حسبك قد صدقت فأمسكي والصدق خير مقالة الإنسان

الشعر للمغيرة بن شعبة الثقفي، يقوله في هند بنت النعمان بن المنذر، وقد خطبها فردته. وخبره في ذلك وغيره يذكرها هنا إن شاء الله. والغناء لحنين، ثاني ثقيل بالبنصر، عن الهشامي وإبراهيم.

أخبار المغيرة بن شعبة ونسبه

هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي، وهو ثقيف. ويكنى أبا عبد الله. وكان يكنى أبا عيسى، فغيرها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكناه أبا عبد الله. وأمه أسماء بنت الأفقم بن أبي عمرو بن ظويلم بن جعيل بن عمرو بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن.

وكان المغيرة بن شعبة من دهاة العرب وحزمتها، وذوي الرأي منها، والحيل الثاقبة، وكان يقال له في الجاهلية والإسلام مغيرة الرأي، وكان يقال: ما اعتلج في صدر المغيرة أمران إلا اختار أحزمهما.

وصحب النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد معه الحديبية وما بعدها. وبعثه أبو بكر رضي الله عنه إلى أهل النجير . وشهد فتح اليمامة وفتوح الشام. وكان أعور، أصيبت عينه في يوم اليرموك، وشهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص. فلما أراد مراسلة رستم، لم يجد في العرب أدهى منه ولا أعقل، فبعث به إليه، وكان السفير بينهما حتى وقعت الحرب.

وولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عدة ولا يات، إحداها البصرة. ففتح وهو إليها ميسان ودست ميسان وأبر قباذ. وقاتل الفرس بالمرغاب فهزمهم، ونهض إلى من كان يسوق الأهواز، فقاتلهم وهزمهم، وفتحها . وانحازوا إلى نهر تيرى ومناذر الكبرى، فزحف إليهم، فقاتلهم وهزمهم وفتحها. وخرج إلى المشرق مع النعمان بن المقرن، وكان المغيرة على مسيرته، وكان عمر قد عهد: إن هلك النعمان، فالأمير حذيفة، فإن هلك حذيفة، فالأمير المغيرة بن شعبة.

ولما فتحت نهاوند، سار المغيرة في جيش إلى همذان ففتحها.

وولاه عمر رضي الله عنه بعد ذلك الكوفة، فقتل عمر وهو واليها. وولاه أيضاً إياها مهاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فكان عليها إلى أن مات بها.

وهو أول من وضع ديوان الإعطاء بالبصرة، ورتب الناس فيه. فاعطاهم على الديوان. ثم صار ذلك رسماً لهم بعد ذلك يحتذونه.

قال محمد بن سعد كاتب الواقدي: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني محمد بن سعيد الثقفي، وبعد الرحمن بن عبد العزيز وعبد الملك بن عيسى الثقفي وعبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى بن كعب، ومحمد بن يعقوب بن

عتبة، عن أبيه وغيرهم، قالوا: قال المغيرة بن شعبة: كنا قوماً من العرب منمسكين بديننا، ونحن سدنة اللات، فأراني لو رأيت قوماً قد أسلموا ما تبعتهم.

فأجمع نفر من بني مالك الوفود على المقوقس، وأهدوا له هدايا. فاجمعت الخروج معهم. فاستشرت عمي عروة بن مسعود، فنهاني، وقال لي: ليس معك من بني أبيك أحد. فأبين إلا الخروج، وخرجت معهم، وليس معهم أحد من الحلاف غيري، حتى دخلنا الإسكندرية، فإذا المقوقس في مجلس مطل على البحر. فركب قارباً حتى حاذيت مجلسه، فنظر إلي فأنكرني، وأمر من يسائلني ما أنا ؟ وما أريد؟ فسألني المأمور، فأخبرته بأمرنا، حتى حاذيت مجلسه، فنظر إلي فأنكرني، وأمر من يسائلني ما أنا ؟ وما أريد؟ فسألني المأمور، فأخبرته بأمرنا، وقدومنا عليه. فأمر بنا أن نترل في الكنيسة، وأجرى علينا ضيافة. ثم دعا بنا، فنظر إلى رأس بني مالك، فأدناه إليه، وأجلسه معه، ثم سأله: أكل القوم من بني مالك؟ فقال: نعم، إلا رجلاً واحداً من الأحلاف. فعرفه إياي، فكنت أهون القوم عليه. ووضعوا هداياهم بين يديه، فسر بها، وأمر بقبضها. وأمر لهم بجوائز، وفضل بعضهم على بعض، وقصر بي، فأعطاني شيئاً قليلاً لا ذكر له.

وخرجنا، فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم وهم مسرورون، و لم يعرض علي أحد منهم مواساة.

وخرجوا، وحملوا معهم خمراً، فكانوا يشربون منها وأشرب معهم، ونفسي تأبى أن تدعني معهم. وقلت: ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا وما حباهم به الملك، ويخبرون قومي بتقصيره بي، وازدرائه إياي. فأجمعت على قتلهم. فقلت: أنا أجد صداعاً، فوضعوا شرابهم ودعوني. فقلت: رأسي يصدع، ولكني أجلس وأسقيكم، فلم ينكروا شيئاً، وجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح. فلما دبت الكأس فيهم، اشتهوا الشراب، فجعلت أصرف لهم وأترع الكأس، فيشربون ولا يدرون. فأهمدتهم الكأس، حتى ناموا ما يعقلون. فوثبت إيهم، فقتلتهم جميعاً، وأخذت جميع ما كان معهم.

فقدمت على النبي صلى الله عليه وسلم، فوجدته جالساً في المسجد مع أصحابه، وعلى ثياب السفر، فسلمت بسلام الإسلام. فنظر إلي أبو بكر بن أبي قحافة، وكان بي عارفاً، فقال: ابن أخي عروة؟ قلت: نعم، جئت أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحمد لله هداك إلى الإسلام. فقال أبو بكر رضي الله عنه: أفمن مصر أقبلتم؟ قلت: نعم. قال: فما فعل المالكيون الذين كانوا معك؟ قلت: كان بيني وبينهم بعض ما يكون بين العرب ونحن على دين الشرك، فقتلتهم وأخذت أسلابهم، وجئت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخمسها، ويرى فيها رأيه، فانما هي غنيمة من مشركين وأنا مسلم مصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إسلامك فنقبله ، ولا نأخذ من أموالهم شيئاً، ولا نخمسها ، لأن هذا غدر، والغدر لا خير فيه. فأخذني ما قرب وما بعد، وقلت: يا رسول الله، إنما قتلتهم وأنا على دين قومي، ثم أسلمت حين دخلت عليك الساعة. قال: فإن الإسلام يجب ما كان قبله. وكان

قتل منهم ثلاثة عشر إنساناً. فبلغ ذلك ثقفياً بالطائف، فتداعو للقتال، ثم اصطلحوا على أن يحمل عمي عروة بن مسعود ثلاث عشرة دية.

قال المغيرة: وأقمت مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى اعتمر عمرة الحديبية، في ذي القعدة سنة ست من الهجرة، فكانتأول سفرة خرجت معه فيها، وكنت أكون مع أبي بكر، وألزم النبي صلى الله عليه وسلم فيمن يلزم.

وبعثت قريش عام الحديبة عروة بن مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأتاه يكلمه، وجعل يمس لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قائم على رأسه، مقنع في الحديد. فقلت لعروة، وهو يمس لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكفف يدك قبل الأ تصل إليك.

فقال عروة: يا محمد، من هذا؟ ما أفظه وأغلظه! فقال: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة. فقال عروة: يا عدو الله ما غسلت عني سوءتك إلا بالأمس، يا غدر.

أخبرني محمد بن خلف، قال: حدثني أحمد بن الهيثم الفراسي، قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، عن مجالد، عن الشعبي، قال: قال المغيرة بن شعبة: أول ما عرفني به العرب من الحزم والدهاء، أني كنت في ركب من قومي، في طريق لنا إلى الحيرة. فقالوالي: قد اشتهينا الخمر، وما معنا إلا درهم زائف. فقلت: هاتوه وهلموا زقين. فقالوا: وما يكفيك لدرهم زائف زق واحد؟ فقلت: أعطوني ما طلبت وخلاكم ذم، ففعلوا وهم يهزءون بي. فصببت في أحد الزقين شيئاً من ماء، ثم جئت إلى خمار، فقلت له: كل لي ملء هذا الزق. فملأه. فأخرجت الدرهم الزلف، فأعطيته إياه، فقال لي: ما هذا؟ ويحك! أمجنون أنت؟ فقلت: مالك؟ قال: إن ثمن هذا الزق عشرون درهماً جياداً، وهذا درهم زائف.

فقلت: أنا رجل بدوي، وظننت أن هذا يصلح كما ترى، فإن صلح، وإلا فخذ شرابك. فاكتال من ما كاله، وبقي في زقي من الشراب بقدر ما كان فيه من الماء، فأفرغته في الزق الآخر، وحملتهما على ظهري، وخرجت، وصببت في الزق الول ماء.

ودخلت إلى خمار آخر، فقلت: إني أريد ملء هذا الزق خمراً، فانظر إلى ما معي منه، فإن كان عندك مثله فأعطني. فنظر إليه، وإنما أردت ألا يستريب بي إذا رددت الخمر عليه. فلما رآه قال: عندي أجود منه. قلت: هات. فأخرج لي شراباً، فاكتلته في الزق الذي فيه الماء. ثم دفعت إليه الدرهم الزائف، فقال لي مثل قول صاحبه.

فقلت: خذ خمرك. فأخذ ما كان كاله لي، وهو يرى أني خلطته بالشراب الذي أريته إياه. وخرجت فجعلته مع الخمر الأول.

و لم أزل أفعل ذلك بكل خمار في الحيرة، حتى ملأت زقي الأول وبعض الآخر. ثم رجعت إلى أصحابي، فوضعت الزقين بين أيديهم، ورددت درهمهم. فقالوا لي: ويحك! أي شيء صنعت؟ فحدثتهم، فجعلوا يعجبون وشاع لي

الذكر في العرب بالدهاء حتى اليوم.

قال محمد بن سعد: أخبرنا محمد بن معاوية النيسابوري، قال: حدثنا دواد بن خالد، عن العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس، قال: أول من خضب بالسواد المغيرة بن شعبة. خرج على الناس وكان عهدهم به أبيض الشعر، فعجب الناس منه.

قال محمد: وأخبرني شهاب بن عباد، قال: حدثنا إبراهيم بن حميد الرواسي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن المغيرة بن شعبة، قال:

كنت جالساً عند أبي بكر، إذ عرض عليه فرس له رجل من الأنصار: احملني عليها. فقال أبو بكر: لأن أحمل عليها غلاماً قد ركب الخيل على غرلته ، أحب إلي من أن أحملك عليها. فقال له الأنصاري: أنا خير منك ومن أبيك. قال المغيرة: فغضبت لما قال ذلك لأبي بكر رضي الله عنه، فقمت إليه، فأخذت برأسه، فركبته، وسقط على أنفه، فكأنما كان عزالي مزادة. فتوعدني الأنصار أن يستقيدوا مني، فبلغ ذلك أبا بكر. فقام فقال: أما بعد. فقد بلغني عن رجال منكم زعموا أني مقيدهم من المغيرة. ووالله لأن أخرجهم من دارهم، أقرب إليهم من أن أقيدهم من وزعة الله الذين يزعون إليه.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي وحبيب بن نصر المهلبي، قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا محمد بن سلام المحي، قال: ركب المغيرة بن شعبة إلى هند بنت النعمان بن المنذر، وهي بدير هند ، منصرة عمياء، بنت تسعين سنة. فقالت له: من أنت؟ قال: أنا المغيرة بن شعبة. قالت: أنت عامل هذه المدرة؟ تعني الكوفة. قال: نعم. قالت: فما حاجتك؟ قال: جئتك خاطباً إليك نفسك. قالت: أما والله لو كنت جئت تبغي جمالاً أو ديناً أو حسباً لزوجناك، ولكنك أردت أن تجلس في موسم من مواسم العرب، فتقول: تزوجت بنت النعمان بن المنذر؛ وهذا والصليب أمر لا يكون أبداً، أو ما يكفيك فخراً أن تكون في ملك النعمان وبلاده، تدبرهما كما تريد! وبكت.

فقال لها: أي العرب كان أحب إلى أبيك. قالت: ربيعة. قال: فأين كان يجعل قيساً؟ قالت: ما كان يستعتبهم من طاعة . قال: فأين كان يجعل ثقفياً؟ قالت: رويداً لا تجعل. بينا أنا ذات يوم جالسة في خدر لي، إلى جنب أبي، إذ دخل عليه رجلان، أحدهما من هوازن، والآخر من بني مازن، كل واحد منهما يقول: إن ثقفياً منا، فأنشأ أبي يقول :

إن ثقيفاً لم يكن هوازنا ... ولم يناسب عامراً ومازنا

إلا قريباً فانشر المحاسنا

فخرج المغيرة وهو يقول:

أدركت ما منيت نفسي خاليا ... لله درك يا بنة النعمان!

وذكر الأبيات التي مضت، وذكرت الغناء فيها.

أخبرني محمد بن خلف، قال: أخبرنا الحارث بن محمد، قال أبو عبيدة: قال العلاء بن جرير العنبري: بينا حسان بن ثابت ذات يوم جالس بالخفيف من منى وهو يومئذ مكفوف، إذ زفر زفرة، ثم أنشأ يقول:

وكأن حافرها بكل خميلةٍ صاع بكيل به شحيح معدم

عاري الأشاجع من ثقيفٍ أصله عبد ويزعم أنه من يقدم

3ال: والمغيرة بن شعبة يسمع ما يقول، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم. فلما أتاه بها الرسول قال: من بعث بهذه؟ قال: المغيرة بن شعبة، سمع ما قلت. فقال: واسوءتاه! وقبلها.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي ، قال حدثنا محمد بن سلام الجمحي، قال: أحصن المغيرة بن شعبة إلى أن مات ثمانين امرأة، فيهن ثلاث بنات لأبي سفيان بن حرب، وفيهن حفصة بنت سعد بن أبي وقاص، وهي أم ابنة حمزة بن المغيرة، وعائشة بنت جرير بن عبد الله.

وقال: أبو اليقظان: صلى المغيرة بالناس سنة أربعين، في العام الذي قتل فيه علي بن أبي طالب عليه السلام.

فجعل يوم الأضحى يو عرفة، أظنه خاف أن يعزل، فبق ذلك. فقال الراجز:

سيري رويداً وابتغي المغيره كلفتها الإدلاج بالظهيره

ثال: وكان المغيرة مطلاقاً. فكان إذا اجتمع عنده أربع نسوة قال: إنكن لطويلات الأعناق، كريمات الأخلاق، ولكني رجل مطلاق، فاعتددن.

وكان يقول: النساء أربع، والرجال أربعة: رجل مذكر وامرأة مؤنثة، فهو قوام عليها؛ ورجل مؤنث وامرأة مذكرة، فهي قوامة عليه؛ ورجل مذكر وامرأة مذكرة، فهما كالوعلين ينتطحان؛ ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة، فهما لا يأتبان بخير، ولا يفلحان.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا الأصمعي قال: حدثنا أبو هلال عن مطير الوراق، قال: قال المغيرة بن شعبة: نكحت تسعاً وثمانين امرأة، أو قال: أكثر من ثمانين امرأة، فما أمسكت امرأة منهن على حب؛ أمسكها لولها، ولحسبها، ولكذا ولكذا.

قال أبو زيد: وبلغني أنهم ذكروا النساء عند المغيرة بن شعبة، فقال: أنا أعلمكم بهن: تزوجت ثلاثاً وتسعين امرأة، منهن سبعون بكراً، فوجدت اليمانية كثوبك: أخذت بجانبه فاتبعك بقيته؛ ووجدت الربعية أمتك: أمرتها فأطاعتك؛ ووجدت المضرية قرناً ساورته، فغلبته أو غلبك.

حدثنا ابن عمار قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو عاصم قال: رأى المغيرة امرأة له تخلل بعد صلاة الصبح، فطلقها. فقالت: علام طلقني ؟ قيل: رآك تخللين، فظن أنك أكلت. فقالت: أبعده الله! والله ما أتخلل إلا من السواك .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني موسى بن إسمعيل قال: حدثناحماد بن سلمة، عن زيد بن أسلم: أن رجلاً جاء فنادى يستأذن لأبي عيسى، على أمير المؤمنين. فقال عمر: أيكم أبو عيسى؟ قال المغيرة بن شعبة: أنا. فقال له عمر: هل لعيسى من أب؟ أما يكفيكم معاشر العرب أن تكتنوا بأبي عبد الله، وأبي عبدعبد الرحمن! فقال له رجل من القوم: أشهد أن النبي صلى الله عليه وسلم كناه بها. فقال له عمر: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأنا لا أدري ما يفعل بي فكناه أبا عبد الله.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة، قال: حدثني عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ، قال: كان الجمال بالكوفة ينتهي إلى أربعة نفر: المغيرة بن شعبة؛ وجرير بن عبد الله، والأشعث بن قيس، وحجر بن عدي، وكلهم كان أعور؛ فكان المغيرة والأشعث وجرير يوماً متواقفين بالكوفة بالكناسة، فطلع عليهم أعرابي. فقال لهم المغيرة: دعوني أحركه. قالوا: لا تفعل، فإن للأعراب جواباً يؤثر. قال: لا بد. قالوا: فأنت أعلم. قال له: يا أعرابي، هل تعرف المغيرة بن شعبة؟ قال: نعم أعرفه أعور زانيا. فوجم. ثم تجلد فقال: هل تعرف الأشعث بن قيس؟ قال: نعم، ذاك رجل لا يعرى قومه . قال: وكيف ذاك؟ قال: لأنه حائك ابن حائك.

قال: فهل تعرف جرير بن عبد الله؟ قال: وكيف لا أعرف رجلاً لولاه ما عرفت عشيرته. قالوا له: قبحك الله، فإنك شر جليس، فهل تحب أن نوقر لك بعيرك هذا مالا وتموت أكرم العرب؟ قال: فمن يبلغه أهلي إذن؟ فانصرفوا عنه وتركوه.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني أبو سعيد السكري، قال: حدثنا محمد بن أبي السري- واسم أبي السري سهل بن سلام الأزدي- قال: حدثني هشام بن محمد قال: أخبرنا عوانة بن الحكم، قال: خرج المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يومئذ، ومعه الهيثم بن الأسود النخعي، بعد غب مطر، يسير بظهر الكوفة والحوف، فلقي ابن لسان الحمرة، أحد بني تيم الله بن ثعلبة وهو لا يعرف المغيرة. فقال له المغيرة: من أين أقبلت يا أعرابي؟ قال: من السماوة. قال: فكيف تركت الأرض خلفك؟ قال: عريضة أريضة . قال: وكيف كان المطر؟ قال: عفى الأثر، وملأ الحفر. قال: ممن أنت؟ قال: من بكر بن وائل. قال: فكيف علمك بهم؟ قال: إن جهلتهم لم أعرف غيرهم. قال: فما تقول في بني شبيان؟قال: ساتنا وسادة غيرنا. قال: فما تقول في بني ذهل؟ قال: ساة نوكى. قال: فقيس بن ثعلبة؟ إن جاورتهم سرقوك، وإن ائتمنتهم خانوك: قال: فبنوتيم الله بن ثعلبة؟ قال: رعاء البقر ، وعراقيب الكلاب. قال: فما تقول في بني يشكر؟ قال: صريح تحسبه مولى." قال هشام: لأن في ألوانها حمرة". قال: فعجل؟ قال: أحلاس الخيل. قال: يطعمون الطعام، ويضربون الهام. قال: فعنزة! قال: لا تلتقي بهم الشفتان لؤما . قال: فضبيعة أضجم؟ قال: جدعاً وعقراً . قال: فأخبرني عن النساء. قال: النساء أربع: ربيع مربع، وجميع تجمع، وشيطان سمعمع، وغل لا يخلع . قال: فسر. قال: أما الربيع المربع فالتي إذا نظرت إليها سرتك، وإذا

أقسمت عليها أبرتك؛ وأما التي هي جميعتجمع، فالمرأة تتزوجها ولها نشب، فتجمع نشبك إلى نشبها؛ وأما الشيطان السمعمع، فالكالحة في وجهك إذا دخلت، والمولومة في أثرك إذا خرجت؛ وأما الغل الذي لا يخلع، فبنت عمك السوداء القصيرة، الفوهاء الدميمة، التي قد نثرت بطنها، إن طلقتها ضاع ولدك، وإن أمسكتها فعلى جده أنفك. فقال له المغيرة: بلأ أنفك. ثم قالله: ما تقول في أميرك المغيرة بن شعبة؟ قال: أعور زناء. فقال الهيثم: فض الله فاك! ويلك! هذا الأمير المغيرة.

فقال: إنها كلمة والله تقال. فانطلق به المغيرة إلى مترله، وعنده يومئذ أربع نسوة، وستون أو سبعون أمة. قال له ويحك! هل يزني الحر وعنده مثل هؤلاء؟ ثم قال لهن المغيرة: ارمين إليه بحلاكن. ففعلن، فخرج الأعرابي بملء كسائه ذهباً وفضة.

أخبرني عبيد الله بن محمد، قال: حدثنا الخراز، عن المدائني، عن أبي مخنف، وأخبرني أحمد بن عيسى العجلي قال: حدثنا الحسن بن نصر، قال: حدثني أبي نصر بن مزاحم قال: حدثنا عمر بن سعد ، عن أبي مخنف عن رجاله: أن المغيرة بن شعبة جاء إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال له: أكتب إلى معاوية فوله السام، ومره بأخذ البيعة لك، فإنك إن لم تفعل وأردت عزله حاربك. فقال علي عليه السلام. "ماكنت متخذ المفصلين عضدا". فانصرف المغيرة وتركه. فلما كان من غد جاءه، فقال: أني فكرت فيما أشرت به عليك أمس، فوجدته خطأ، ووجدت رأيك أصوب. فقال له علي: لم يخف علي ما أردت؛ قد نصحتني في الأولى، وغشيتني في الآخرة، ولكني والله لا آتي أمر اجد فيه فساداً لديني، طلباً لصلاح دنياي. فانصرف المغيرة.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني إبراهيم بن سعيد بن شاهين، قال: حدثني محمد بن يونس الشيرازي، قال: حدثني محمد بن غسان الضبي، قال: حدثني زاجر بن عبد الله الثقفي، مولى الحجاج بن يوسف، قال: كان بين المغيرة بن شعبة وبين مصقلة بن هبيرة الشيباني تنازع، فضرع له المغيرة، وتواضع في كلامه، حتى طمع فيه مصقلة. واستعلى عليه، فشتمه. فقدمه المغيرة إلى شريح، وهو القاضي يومئذ، فأقام عليه البينة، فضربه الحد. فآلى مصقلة ألا يقيم ببلدة فيها المغيرة بن شعبة ما دام حياً، وخرج إلى بني شيبان، فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة. ثم دخل الكوفة، فتلقاه قومه، وسلموا عليه. فما فرغ من التسليم حتى سألهم عن مقابر ثقيف، فأرشدوه إليها. فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة، فقال: ما هذا؟ قالوا: ظننا أنك تريد أن ترجم قبره. فقال: ألقوا ما في أيديكم. فألقوه، وانطلق حتى وقف على قبره، ثم قال: والله لقد كنت ما علمت نافعاً لصديقك، ضائراً لعدوك، ما مثلك إلا كما قال مهلهل في أخيه كليب:

إن تحت الأحجار حزماً وعزما ... وخصيماً ألد ذا معلاق

حية في الوجار أريد لا ين ... فع منه السليم نفث الراقي

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرزبان، عن أحمد بن القاسم، عن العمري، عن الهيثم بن عدي، عن مجالد، عن الشعبي: أن مصقلة قال له: والله إني لأعرف شبهي في عروة ابنك. فأشهد عليه بذلك، وجلده الحد. وذكر باقي الخبر مثل الذي قبله.

أخبرني محمد بن عبد الله الرازي، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني، عن مسلمة بن محارب، قال: قال رجل من قريش لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه: ألا تتزوج أم كلثوم بنت أبي بكر، فتحفظه بعد وفاته، وتخلفه في اهله. فقال: عمر: بلى، إني لأحب ذاك؛ فاذهب إلى عائشة، فاذكر لها ذلك، وعد إلي بجوابها. فمضى الرسول إلى عائشة، فأخبرها بما قال عمر، فأجابته إلى ذلك، وقالت له: حباً وكرامة . ودخل إليها بعقب ذلك المغيرة بن شعبة، فرآها مهمومة. فقال لها: مالك يا أم المؤمنين؟ فأخبرته برسالة عمر، وقالت: إن هذه جارية حدثة، وأردت لها ألين عيشاً من عمر. فقال لها: علي أن أكفيك. وخرج من عندها، فدخل على عمر، فقال: بالرفاء والبنين، قد بلغني ما أتيته من صلة أبي بكر في أهله، وخطبتك ام كلثوم. فقال: قد كان ذاك. قال: إلا أنك، يا أمير المؤمنين، رجل شديد الخلق على أهلك، وهذه صبية حديثة السن، فلا تزال تنكر عليها الشيء، فتضربها فتصيح: يا أبتاه! فيغمك ذلك، وتتألم له عائشة، ويذكرون أبا بكر، فيبكون عليه، فتجدد لهم المصيبة به، مع قرب عهدها في كل يوم. فقال له: متى كنت عند عائشة ، واصدقني؟ فقال: آنفاً. فقال عمر: أشهد أنهم كرهوني، فتضمنت لهم أن تصرفني عما طلبت، وقد أعفيتهم. فعاد إلى عائشة، فأخبرها بالخبر، وأمسك عمر من معاودتها.

حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عبيد الله بن عمار، قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال:حدثنا علي بن محمد بن سليمان الباقلاني، عن قتادة، عن غنيم بن قيس، قال:

كان المغيرة بن شعبة يختلف إلى امرأة من ثقيف يقال لها الرقطاء، فلقيه أبو بكرة، فقال له: أين تريد؟ قال: أزور آل فلان . فأخذ بتلابيبه، وقال: إن الأمير يزار ولا يزور.

وحدثنا بخبره لما شهد عليه الشهود عند عمر رضي الله عنه، أحمد بن عبيد الله بن عمار، وأحمد بن عبد العزيز، قالا: حدثنا عمر بن شبة، فرواه عن جماعة من رجاله، بحكايات متفرقة.

قال عمر بن شبة: حدثني أبو بكر العيلمي، قال: أخبرنا هشام، عن عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن، عن أبيه عن أبي بكرة.

قال عمر بن شبة: وحدثنا عمرو بن عاصم، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن يزيد، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة.

قال أبو زيد عمر بن شبة: وحدثنا علي بن محمد بن حباب بن موسى، عن مجالد، عن الشعبي.

قال: وحدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، قال: حدثنا عوف، عن قسامة بن زهير.

قال أبو زيد عمر بن شبة: قال الواقدي: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكرة، عن أبيه، عن مالك بن لأوس

بن الحدثان.

قال: وحدثني محمد بن الجهم، عن علي بن أبي هاشم، عن إسماعيل بن أبي عبلة، عن عبد العوزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك: أن المغيرة بن شعبة كان يخرج من دار غلإمارة وسط النهار، وكان أبو بكرة يلقاه فيقول له: أين يذهب الأمير؟ فيقول: آتي حاجة. فيقول له: حاجة ماذا؟ إن الأمير يزار ولا يزور.

قال: وكانت المرأة التي يأتيها جارة لأبي بكرة. قال: فبينا أبو بكرة في غرفة له مع أصحابه وأخويه نافع وزياد، ورجل آخر، يقال له شبل بن معيد، وكانت غرفة جارته تلك بحذاء غرفة أبي بكرة. فضربت الريح باب المرأة ففتحته. فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة ينكحها. فقال أبو بكرة: هذه بلية ابتليتم بها، فانظروا. فنظروا حتى أثبتوا. فنزل أبو بكرة فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة، فقال له: إنه قد كان من أمرك ما قد علمت، فاعزلنا. قال: وذهب ليصلي بالناس الظهر، فمنعه أبو بكرة، وقال له: لا والله لاتصلي بنا وقد فعلت ما فعلت. فقال الناس: دعوه فليصل، فإنه الأمير، واكتبوا بذلكم إلى عمر. فكتبوا إليه، فورد كتابه بأن يقدموا عليه جميعاً، المغيرة والشهود.

وقال المدائني في حديثه عن حباب بن موسى: وبعث عمر بأبي موسى الأشعري على البصرة. وعزم عليه ألا يضع كتابه من يده حتى يرحل المغيرة بن شعبة. قال: قال علي بن أبي هاشم في حديثه: إن أبا موسى قال لعمر لما أمره أن يرحله من وقته: أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين: تتركه يتجهز ثلاثاً، ثم يخرج. قال: فصلينا صلاة الغداة بظهر المربد، ودخلنا المسجد، فإذا هم يصلون: الرجال والنساء مختلطين. فدخل رجل على المغيرة، فقال له: إني رأيت أبا موسى في جاني المسجد، عليه برنس. فقال له المغيرة: ما جاء زائراً ولا تاجراً. فدخلنا عليه ومعه صحيفة ملء يده ، فلما رآنا قال: الأمير؟ فأعطاه أبو موسى الكتاب. فلما قرأه ذهب يتحرك عن سريره. فقال له أبو موسى: مكانك، تجهز ثلاثاً.

وقال الآخرون: إن أبا موسى أمره أن يرحل من وقته. فقال له المغيرة: لقد علمت ما وجهت فيه، فألا تقدمت فصليت. فقال له أبو موسى: ما أنا وأنت في هذا الأمر إلا سواء. فقال له المغيرة: فإني أحب أن أقيم ثلاثاً لأتجهز. فقال: قد عزم علي أمي المؤمنين ألا أضع عهدي من يدي إذا قراته عليك، حتى أرحلك إليه. قال: إن شئت شفعتني وأبررت قسم أمير المؤمنين. قال: وكيف؟ قال: تؤجلني إلى الظهر، وتمسك الكتاب في يدك. قالوا: فقد رئى أبو موسى يمشي مقبلاً ومدبراً، وإن الكتاب لفي يده معلقاً بخيط. فتجهز المغيرة، وبعث إلى أبي موسى بعقيلة، جارية عربية من سبي اليمامة، من بني حنيفة؛ ويقال إنها مولده الطائف، ومعها خادم لها. وسار المغيرة حين صلى الظهر، حتى قدم على عمر. وقال في حديث محمد بن عيد الله الأنصاري: فلما قدم على عمر. قال له: إنه قد شهد عليك بأمر إن كان حقاً لأن تكون مت قبل ذلك كا خيراً لك.

قال أبو زيد: وحدثني الحكم بن موسى، قال: حدثنا يحيى بن حمزة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن

عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري عن مصعب بن سعد: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جلس، ودعا المغيرة والشهود. فتقدم أبو بكرة. فقال له: أرأيته بين فخذيها، قال: نعم والله، لكأني أنظر إلى تشريم جدري بفخذيها. فقال له المغيرة: لقد ألطفت النظر. فقال له لم آل أن أثبت ما يخزيك الله به؟ فقال له عمر: لا والله حتى تشهد لقد رأيته يلج فيه كما يلج المرود في المكحلة.

فقال: نعم أشهد على ذلك. فقال له: اذهب عنك مغيرة، ذهب ربعك.

ثم دعا نافعاً فقال له: علام تشهد؟ قال: على مثل شهادة أبي بكرة. قال: لا، حتى تشهد أنه كان يلج فيه ولوج المرود في المكحلة. فقال: نعم حتى بلغ قذذه . فقال: اذهب عنك مغيرة، ذهب نصفك. ثم دعا الثالث، فقال: علام تشهد؟ فقال: على مثل شهادة صاحبي. فقال له علي بن أبي طالب عليه السلام: اذهب عنك مغيرة، ذهب ثلاثة أرباعك. قال: حتى مكث يبكي إلى المهاجرين، فبكوا. وبكى إلى أمهات المؤمنين، حتى بكين معه، وحتى لا يجالس هؤلاء الثلاثة أحد من اهل المدينة.

قال: ثم كتب إلى زياد، فقدم على عمر. فلما رآه جلس له في المسجد، واجتمع إليه رؤوس المهاجرين والأنصار. قال المغيرة: ومعي كلمة قد رفعتها لأكلم القوم. قال: فلما رآه عمر مقبلاً قال: إني لأرى رجلاً لن يخزي الله على لسانه رجلاً من المهاجرين.

قال أبو زيد: وحدثنا عفان، قال: حدثنا السري بن يحيى، قال: حدثنا عبد الكريم بن رشيد، عن أبي عثمان النهدي، قال: لما شهد عند عمر الشاهد الول على المغيرة، تغير لذلك لون عمر. ثم جاء آخر فشهد، فانكسر لذلك انكساراً شديداً. ثم جاء رجل شاب يخطر بين يديم، فرفع عمر رأسه إليه، وقال له: ما عنك يا سلح العقاب وصاح أبو عثمان صيحة تحكي صيحة عمر. قال عبد الكريم: لقد كدت أن يغشى علي.

وقال آخرون: قال المغيرة: فقمت إلى زياد، فقلت له: لا مخبأ لعطر بعد عروس. ثم قلت: يا زيد، اذكر الله، واذكر موقف يوم القيامة؛ فإن الله وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمي، إلا أن تتجاوز إلى ما لم تر ما رأيت، فلا يحملك شر منظر رأيته على ان تتجاوزه إلى مالن تر، فوالله لو كنت بين بطني وبطنها ما رأيت أين سلك ذكري منها. قال: فترنقت عيناه، واحمر وجهه، وقال: يا أمير المؤمنين، أما أن أحق ما حق القوم فليس ذلك عندي، ولكني رأيت مجلساً قبيحاً، وسمعت نفساً حثيثاً وانبهاراً، ورأيته متبطنها. فقال له: أرأيته يدخله كالميل في المكحلة. فقال: لا.

وقال غير هؤلاء: إن زياداً قال له: رأيته رافعاً برجليها، ورأيت خصيتيه تترددان بين فخذيها، ورأيت حفزاً شديداً، وسمعت نفساً عالياً. فقال له: أرأيته يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة؟ فقال: لا. فقال عمر: الله أكبر. قم إليهم فاضربهم. فقام أبي بكرة، فضربه ثمانين، وضرب الباقين، وأعجبه قول زياد، ودرأ عن المغيرة الرجم. فقال أبو بكرة بعد أن ضرب: فإني أشهد أن المغيرة فعل كذا وكذا. فهم عمر بضربه، فقال له علي عليه السلام: إن ضربته رجمت صاحبك. ونهاه عن ذلك.

قال: يعني أنه إن ضربه جعل شهادته بشهادتين، فوجب بذلك الرجم على المغيرة.

قال: واستتاب عمر أبا بكرة. فقال: إنما تستتيبني لتقبل شهادتي. قال:أجل. قال: لا أشهد بين اثنين ما بقيت في الدنيا. قال: فلما ضربوا الحد قال المغيرة: الله أكبر الحمد لله الذي أخزاكم. فقال له عمر: اسكت أخزى الله مكاناً رأوك فيه . قال: وأقام أبو بكرة على قوله، وكان يقول: والله ما أنسى رقط فخذيها. قال: وتاب الاثنان، فقبلت شهادتهما. قال: وكان أبو بكرة بعد ذلك إذا دعي إلى شهادة يقول: اطلب غيري، فإن زياداً قد أفسد علي شهادتي.

قال أبو زيد: وحدثني سليمان بن داود بن علي، قال: حدثني إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده، قال: لما ضرب أبو بكرة أمرت أمه بشاة فذبحت، وجعلت جلدها على ظهره. قال: فكان أبي يقول: ما ذاك إلا من ضرب شديد.

حدثنا ابن عمار والجوهري قالالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا علي بن محمد، عن يحيى بن زكريا، عن مجالد، عن الشعبي، قال:

كانت أم جميل بنت عمر، التي رمي بها المغيرة بن شعبة بالكوفة، تختلف إلى المغيرة في حوائجها، فيقضيها لها.

قال: ووافقت عمر بالموسم والمغيرة هناك، فقال له عمر: أتعرف هذه؟ قال: نعم؛ هذه أم كلثوم بنت علي .

فقال: له عمر: أتتجاهل علي؟ والله ما أظن أبا بكرة كذب عليك، وما رأيتك إلا خفت أن أرمى بحجارة من السماء.

حدثني أحمد بن الجعد، قال: حدثنا محمد بن عباد، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي جعفر، قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: لئن لم ينته المغيرة لأتبعنه أحجاره. وقال غيره: لئن أخذت المغيرة لأتبعنه أحجاره.

أخبرني ابن عمار والجوهري قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا المائني، قال: قال حسان بن ثابت يهجو المغيرة بن شعبة في هذه القصة:

لو ان اللؤم ينسب كان عبدا ... قبيح الوجه أعور من ثقيف

تركت الدين والإسلام لما ... بدت لك غدوة ذات النصيف

وراجعت الصبا وذكرت عهدا ... من القينات والغمر اللطيف

أخبرني الجوهري وابن عمار، قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا المدائني عن هبد الله بن سلم الفهري قال: لما شخص المغيرة إلى عمر، رأى في طريقه جارية فأعجبته، فخطبها إلى أبيها. فقال له: أنت على هذه الحال؟ قال: وما عليك؟ إن أعف، فهو الذي تريد؛ وإن أقتل ترثني. فزوجه.

قال أبو زيد: قال الواقدي. تزوجها بالرقم . وهي امرأة من بني مرة. فلما قدم بها على عمر، قال: إنك لفارغ القلب، طويل الشبق.

وقال محمد بن سعد: أخبرني محمد بن عبد الله الأسدي، قال: حدثنا مسعر، عن زياد بن علاقة، قال: سمعت جرير بن عبد الله حين مات المغيرة بن شعبة يقول: اسغفروا لأميركم هذا، فإنه كان يحب العافية .

قال: وكان المغيرة أصهب الشعر جداً، أكشف، يفرق رأسه قروناً أربعة، أقلص الشفتين، مهتوماً، ضخم الهامة، عبل الذراعين، بعيد ما بين المنكبين.

قال:وقال الواقدي، حدثني محمد بن موسى الثقفي، عن أبيه، قال: مات المغيرة بن شعبة بالكوفة سنة خمسين، في خلافة معاوية، وهو ابن سبعين سنة. وكان رجلاً طوالاً أعور، أصيبت عينه يوم اليرموك.

جنية ولها جن يعلمها ... رمى القوب بقوس ما لها وتر

إن كان ذا قدراً يعطيك نافلة ... منا ويحرمنا، ما أنصف القدر

الشعر لمحمد بن بشير الخارجي، والغناء لإبراهيم: هزج بالبنصر، عن الهشامي.

أخبار محمد بن بشير الخارجي ونسبه

هو محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن أسعد بن حبيب بن سنان بن عوف بن بكر بن يشكر بن عدوان الخارجي، من بني خارجة بن عوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر. ويقال لعدوان وفهم: ابنا جديلة، نسبا إلى أمهما جديلة بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، ويكنى محمد بن بشير أبا سليمان؛ شاعر فصيح حجازي مطبوع، من شعراء الدولة الأموية. وكان منقطعاً إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة القرشي، أحد بني أسد بن عبد العزى، وهو جد ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن، لأمهم هند بنت أبي عبيدة بن زمعة القرشي؛ ولدت لعبد الله محمداً وإبراهيم وموسى. وكانت لمحمد بن بشير فيه مدائح ومراثٍ مختارة، وهي عيون شعره، وكان يبدو في أكثر زمانه، ويقيم في بوادي المدينة، ولا يكاد يحضر مع الناس.

أخبرني بقطعة من أخباره الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثني مصعب الزبيري. قال أحمد: وحدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني سليمان بن عياش السعدي وعمي مصعب. وحدثني بقطعة أخرى منها عيسى بن الحسن الوراق، عن الزبير، عن سليمان بن عياش. وقد ذكرت كل ذلك في مواضعه.

قال ابن أبي خيثمة في روايته عن مصعب وعن الزبير، عن سليمان بن عياش: كان الخارجي، واسمه محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن سعد بن حبيب بن سنان بن عدي بن عوف بن بكر، شاعراً فصيحاً، ويكنى أبا سليمان. فقدم البصرة في طلب ميراث له بها، فخطب عائشة بنت يحيى بن يعمر الخارجية؛ من خارجة عدوان. فأبت أن تتزوجه إلا أن يقيم معها بالبصرة، ويترك الحجاز، ويكون أمرها في الفرقة إليها، فأبى أن يفعل، وقال في ذلك:

أرق الحزين وعاده سهده ... لطوارق الهم التي ترده

وذكرت من لانت له كبدي ... فأبى فليس تلين لي كبده

ونأى فليس بنازل بلدي أبدا، وليس بمصلحي بلده
فصدعت حين أبى مودته صدع الزجاجة دائم أبده
وعرفت أن الطير قد صدقت يوم الكدانة شر ما تعده
فاصبر فإن لكل ذي أجل يوماً يجيء فينقضي عدده
ماذا تعاتب من زمانك إذ ظعن الحبيب وحل بي كمده

قالا: وخاطب أباها يحيى بن يعمر في ذلك، فقال له: إنها امرأة برزة عاقلة، لا يفتات على مثلها بأمرها، وما عندها عنك من رغبة، ولكنها امرأة في خلقها شدة، ولها غيرة، وقد بلغني أن لك زوجتين، وما أراها تصبر على أن تكون ثالثة لهما؛ فانظر في امرك، وشاور فيه: فإما أن أقمت بالبصرة معها، فعفت لك عن صاحبتيك، إذ لا مجاورة بينهما وبينها ولا عشرة، وإن شئت فارقتهما وأخرجها معك. فصار إلى رحله مغموماً. وشاور ابن عم له يقال له وراد بن عمرو في ذلك، فقال له: إن في يحيى بن يعمر لرغبة، لثروته وكثرة ماله، وما ذكرته من جمال ابنته، وما نحب أن تفارق زوجتيك- وكانت إحداهما ابنة عمه، والأخرى من أشجع- فتقيم معها السنة بالبصرة، ونمضي نحن ، فإن رغبت فيها تمسكت بها، وأقمت بمكانك، وإن رغبت في العود إلى بلدك، كتبت إلينا فجئناك، حتى تنصرف معنا إلى بلدك.

ففكر ليله أجمع في ذلك، ثم غدا عازماً على الرجوع إلى الحجاز، وقال:

لئن أقمت بحيث الفيض في رجب حتى أهل به من قابلٍ رجبا
وراح في السفر وراد فهيجني إن الغريب إذا هيجته طربا
إن الغريب يهيج الحزن صبوته إذا المصاحب حياه وقد ركبا
قد قلت أمس لوارد وصاحبه عوجا على الخارجي اليوم واحتسبا
أبلغا أم سعد أن عانيها أعيا على شفعاء الناس فاجتنبا
لما رأيت نجي القوم قلت لهم هل يعدون نجي القوم ما كتبا
وقلت إني متى أجلب شفاعتكم أندم وإن أشق الغي ما اجتلبا
وإن مثلي متى يسمع مقالتكم ويعرف العين يندم قبل أن يجبا
إني وما كبر الحجاج تحملهم بزل المطايا بجنبي نخلةٍ عصبا
وما أهل به الداعي وما وقفت عليا ربيعة ترمى بالحصى الحصبا

جهداً لمن ظن أني سوف أظعنها ... عن ربع غانية أخرى لقد كذبا
أأبتغي الحسن في أخرى وأتركها ... فذاك حين تركت الدين والحسبا
وما انقضى الهم من سعدى وما علقت ... مني الجائل حتى رمتها حقبا
وما خلوت بها يوماً فتعجبني ... إلا غدا أكثر اليومين لي عجبا
بل أيها السائلي ماليس يدركه ... مهلاً فإنك قد كلفتني تعبا
كم من شفيع أتاني وهو يحسب لي ... حسباً فأقصره من دون ما حسبا
فإن يكن لهواها أو قرابتها ... حب قديم فما غابا ولا ذهبا
هما علي: فإن أرضيتها رضيا ... عني وإن غضبت في باطل غضبا
كائن ذهبت فرداني بكيدهما ... عما طلبت وجاءاها بما طلبا
وقد ذهبت فلم أصبح بمنزلة ... إلا أنازع من أسبابها سببا
ولمها خلةً لو كنت مسجحة ... أو كنت ترجع من عصريك ما ذهبا
أنت الظعينة لا ترمى برمتها ... ولا يفجعها ابن العم ما اصطحبا

اخبرني عيسى بن الحسن، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني سليمان بن عياش السعدي قال: قدم أعراب من بني سليم أقحمتهم السنة إلى الروحاء، فخطب إلى بعضهم رجل من الموالي من أهل الوحاء، فزوجه. فركب محمد بن بشير الخارجي إلى المدينة، ووليها يومئذٍ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة، فاستعداه الخارجي على المولى. فأرسل إبراهيم إليه وإلى النفر السلميين، وفرق بين المولى وزوجته، وضربه مائتي سوط، وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه. فقال محمد بن بشير في ذلك:

شهدت غداة خصم بني سليم ... وجوهاً من قضائك غير سود

قضيت بسنة وحكمت عدلا ... ولم ترث الحكومة من بعيد
إذا غمز القنا وجدت لعمري ... قناتك حين تغمز خير عود
إذا عض الثقاف بها اشمأزت ... أبي النفس بائنة الصعود
حمى حدبا لحوم بنات قوم ... وهم تحت التراب أبو الوليد
وفي المئتين للمولى نكال ... وفي سلب الحواجب والخدود
إذا كا فأتهم ببنات كسرى ... فهل يجد الموالي من مزيد

فأي الحق أنصف للموالي من اصهار العبيد إلى العبيد

حدثني عمي ، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني سليمان بن عياش، قال: كان للخارجي عبد، وكان يتلطف له ويخدمه، حتى أعتقه وأعطاه مالاً، فعمل به، وربح فيه. ثم احتاج الخارجي بعد ذلك إلى معونة أو قرض في نائبة لحقته، فبعث إلى مولاه في ذلك، وقد كان المولى أثرى واتسعت حاله، فحلف له أنه لا يملك شيئاً، فقال الخارجي في ذلك:

يسعى لك المولى ذليلاً مدقعا ويخذلك المولى إذا اشتد كاهله

فأمسك عليك العبد أول وهلةٍ ولا تنفلت من راحتيك حبائله

وقال أيضاً:

إذا افتقر المولى سعى لك جاهدا لترض وإن نال الغنى عنك أدبرا

حدثني عيسى بن الحسين ، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني سليمان بن عياش السعدي، قال: كان محمد بن بشير الخارجي بين زوجتين له، فوجه غنماً إلى سحابة وقعت برجفان،وهو جبل يطل على مضيق يليل، فشقت غيبتها عليه. فقال لزوجتيه: لو تحولتما إلى غنمنا.

فقالتا له: بل تذهب، فتطلع إليها، وتصرفها إلى موضع قريب، حتى نوافيك فيه. فمضى وزودتاه وطبين، وقالتا له: اجمع لنا اللبن، ووعدتاه موضعاً من رجفان، يقال له ذو القشع. فانطلق، فصرف غنمه إلى ذلك الموضع، ثم انتظرهما، فأبطأتا عليه. وخالفته سحابة إليهما، فأقامتا، وقالتا: يبلغ إلى غنمه ثم يأتينا. فجعل يصعد في الجبل وينزل يتبصرهما فلا يراهما. فبينما هو كذلك إذ أبصر امرأتين قد نزلنا ، فقال: أنزل فأتحدث إليهما، فإذا هو بامرأة مسنة، ومعها بنت لها شابة، فأعجبته، فقال لها: أتزوجينني ابنتك هذه؟ قالت: إن كنت كفؤاً. فانتسب لها، فقالت: أعرف النسب ولا أعرف الوجه، ولكن يأتي أبوها. فجاء أبوها فعرفه، فأخبرته امرأته بما طلب. فقال: نعم وزوجه إياها. فساق إليها قطعة من غنمه، ثم بنى بها، وانتظر، فلم ير زوجتيه تقدمان عليه، فارتحل إليهما بزوجته وبقية غنمه. فلما طلع عليهما وقف، فأخذ بيدها، ثم أنشأ يقول:

كأني موف للهلال عشية بأسفل ذات القشع منتظر القطر

وأنتن تلبسن الجديدة بعدما طردت بطي الوطبفي البلق والعفر

فكان الذي قلتن أعدد بضاعة لنناهد بيضاء الترائب والنحر

كأن سموط الدر منها معلق بجيداء في ضالٍ بوجرة أو سدر

تكون بلاغا ثم لست بمخبر إذا وديت لي ما وددتن من أمري

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثني مصعب، قال: حدثني أحمد بن زهير؛ وحثني الزبير بن بكار، قال: حدثني سليمان بن عياش، قالا: كان محمد بن بشير يتحدث إلى امرأة من مزنية، وكان قومها قد جاوروهم، ثم جاء الربيع، وأخصبت بلاد مزينة، فارتحلوا، فقال محمد بن بشير:

لو بينت لك قبل يوم فراقها ... أن التفرق من عشية أو غد
لشكوت إذ علق الفؤاد بهائم ... علقٍ حبائل هائم لم يعهد
وتبرجت لك فاستبتك بواضح ... صلت وأسود في النصيف معقد
بيضاء خالصة البياض كأنها ... قمر توسط ليل صيف مبرد
مرسومة بالحسن ذات حواسد ... إن الجمال مظنة للحسد
لم يطغها سرف الشباب ولم تضع ... عنها معاهدة النصيح المرشد
خود إذا كثر الكلام تعوذت ... بحمى الحياء وإن تكلم تقصد
وكأن طعم سلامفة مشمولةٍ ... تنصب في إثر السواك الأغيد
وترى مدانعها ترقرق مقلة ... حوراء ترغب عن سواد الإثمد

ماذا إذا برزت غداة رحيلها ... م الحسن تحت رقاق تلك الأبرد
ولدت بأسعد أنجم فمحلها ... ومسيرها أبدا بطلق الأسعد
لله يسعدها ويسقي دارها ... خضل الرباب سرى ولما يرعد

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثني الزبير قال: حدثني سليمان بن عياش، قال: صحب محمد بن بشير من قضاعة إلى مكة ، وكانت فيهم امرأة جميلة، فكان يسايرها ويحادثها. ثم خطبها إلى نفسها ، فقالت: لا سبيل إلى ذلك، لأنك لست لي بعشير ، ولا جاري في بلدي، ولا أنا ممن تطمعه رغبة عن بلده ووطنه. فلم يزل يحادثها ويسايرها حتى انفض الحج، ففرق بينهما نزوعهما إلى أوطانهما، فقال الخارجي في ذلك:

أستغفر الله ربي من مخدرة ... يوماً بدا لي منها الكشح والكتد
من رفقة صاحبونا في ندائهم ... كل حرام فما ذموا ولا حمدوا
حتى إذا البدن كانت في مناحرها ... يعلو المناسم منها مزبد جسد
وحلق القوم واعتموا عمائمهم ... واحتل كل حرام رأسه لبد

أقبلت أسألها ما بال رفقتها وما أبالي أغاب القوم أم شهدوا
فقربت لي واحلولت مقالتها وعوقتني وقالت بعض ما تجد
أني ينال حجازي بحاجته إحدى بني القين أدنى دارها برد

أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثنا سليمان بن عياش، قال: خطب محمد بن بشير امرأة من قومه، فقالت له: طلق امرأتك حتى أتزوجك. فأبى وانصرف عنها، وقال في ذلك:

أأطلب الحسن في أخرى وأتركها فذاك حين تركت الدين والحسبا
هي الظعينة لا يرمى برمتها ولا يفجعها ابن العم ما اصطحبا
فما خلوت بها يوما فتعجبني إلا غدا أكثر اليومين لي عجبا

حدثني عيى قال: حدثنا الزبير، قال: بلغني عن صالح بن قدمة بن إبراهيم أن محمد بن حاطب الجمحي، يروي شيئاً من أخبار الخارجي وأشعاره، فأرسلت إليه مولى من موالينا يقال له محمد بن يحيى، كان من الكتاب، وسألته أن يكتب لي ما عنده، فكان فيما كتب لنا، قال: زعم الخارجي، واسمه محمد بن بشير، وكنيته أبو سليمان، وهو رجل من عدوان، وكان يسكن الروحاء قال: بينا نحن بالروحاء في عام جدب قليل الأمطار، ومعنا سليمان بن الحصين وابن أخته ، وإذا بقطار ضخمكثير الثقل يهوي، قادم من المدينة، حتى نزلوا بجانب الروحاء الغربي، بيننا وبينهم الوادي، وإذا هم من الأنصار، وفيهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت.
فلبثنا أياماً، ثم إذا بسليمان بن الحصين يقول لي: أرسل إلي النساء يقلن: أما لكم في الحديث حاجة؟ فقلت لهن: فكيف برجا لكن؟ قلن: بلغنا أن لكم صاحباً يعرف بالخارجي، صاحب صيد، فإن أتاهم فحدثهم عن الصيد انطلقوا معه، وخلوتم فتحدثتم. قال: فقلت لسليمان: بئس لعمر الله ما أردت مني، أأذهب إلى القوم فأغرهم، وآثم وأتعب وتنالون أنتم حاجتكم دوني؟ ما هذا لي برأي.
قال لي سليمان: فأنظرني إذن، أرسل إلى النساء وأخبرهن بقولك. فأرسل إليهن فأخبرهن بما قلت. فقلن: قل له احتل لنا عليهم هذه المرة بما قلنا لك، وعلينا أن نحتال لك المرة الأخرى.
قال الخارجي: فخرجت حتى أتيت القوم فحدثتهم، وذكرت لهم الصيد، فطارت إليه أنفسهم. فخرجت بهم، وأخذت لهم كلاباً وشباكاً، وتزودنا لثلاث. وانطلقت أحدثهم وألهيهم، فحدثتهم بالصدق حتى نفد. ثم حدثتهم بما يشبه الصدق حتى نفذ . ثم صرحت لهم بمحض الكذب حتى مضت ثلاث، وجعلتلا أحدثهم حديثاً إلا قالوا: صدقت. وغبت بهم ثلاثاً ما أعلم أنا عاينا صيداً، فقلت في ذلك:

إني لأعجب مني كيف أفكههم أم كيف أخدع قوماً ما بهم حمق !
أظل في البيد أهيهم وأخبرهم أخبار قوم وما كانوا وما خلقوا
ولو صدقت لقلت القوم قد قدموا حين انطلقنا وآتي ساعة انطلقوا

أم كيف تحرم أيد لم تخن أحدا شيئاً وتظفر أيديهم وقد سرقوا
ونرتمي اليوم حتى لا يكون له شمس ويرمون حتى يبرق الأفق

يرمون أحور مخضوبا بغير دم دفعا وأنت وشاحا صيدك العلق
تسعى بكلبين تبغيه وصيدهم صيد يرجى قليلاً ثم يعتنق
ما زلت أحدوهم حتى جعلتهم في أصل محنية ما إن بها طرق
ولو تركتهم فيها لمزقهم شيخا مزينة إن قالا انعقوا نعقوا
إن كنتم أبداً جاري صديقكم والدهر مختلف ألوانه طرق
فمتعوني فإني لا أرى أحدا إلا له أجل في الموت مستبق

قال سليمان بن عياش: ومات سليمان بن الحصين هذا، وكان خليلاً للخارجي، مصافياً له، وصديقاًمخلصاً، فجزع عليه، وحزن حزناً شديداً، فقال يرثيه:

يأيها المتمني أن يكون فتىً مثل ابن ليلى لقد خلى لك السبلا
إن ترحل العيس كي تسعى مساعيه يشفق عليك وتعمل دون ما عملا
لو سرت في الناس أقصاهم وأقربهم في شقة الأرض حتى تحسر الإبلا
تبغي فتى فوق ظهر الأرض ما وجدوا مثل الذي غيبوا في بطنها رجلا
اعدد ثلاث خصال قد عرفن له هل سب من أحد أو سب أو بخلا

قال سليمان بن عياش:لما ات عبد العزيز بن مروان، ونعي إلى أخيه عبد الملك، تمثل بأبيات الخارجي هذه، وجعل يرددها وبكي.

أخبرني عيسى، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني عمي عن أبيه؛ قال: قال الرشيد يوماً لجلسائه: أنشدوني شعراً حسناً في امرأة خفرة كريمة، فأنشدوا فأكثروا وأنا ساكت، فقال لي: إيه بابن مصعب، أما أنك لو شئت لكفيتنا سائر اليوم؛ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، لقد أحسن محمد بن بشير الخارجي حيث يقول:

بيضاء خالصة البياض كأنها قمر توسط جنح ليلمبرد
موسومة بالحسن ذات حواسد إن الحسان مظنة للحسد
وترى مدامعها ترقرق مقلة حوراء ترغب عن سواد الإثمد
خود إذا كثر الكلام تعوذت بحمى الحياء وإن تكلم تقصد

لم يطغها شرف الشباب ولم تضع منها معاهدة النصيح المرشد
وتبرجت لك فاستبتك بواضح صلت وأسود في النصيف معقد
وكأن طعم سلافة مشمولة بالريق في أثر السواك الأغيد

فقال الرشيد: هذا والله الشعر، لا ما أنشد تمونيه سائر اليوم! ثم أمر مؤدب ابنيه محمد المين وعبد الله المأمون،فرواهما الأبيات.

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني سليمان بن عياش قال: كان محمد بن بشير الخارجي يتحدث إلى عبدة بنت حسان المتزنية، ويقيل عندها أحياناً، وربما بات عندها ضيفاً، لإعجابه بحديثها، فنهاها قومها عنه، وقالوا: ما مبيت رجل بامرأة أيم؟ فجاءها ذات يوم، فلم تدخله خباءها، وقالت له: قد نهاني قومي عنك، وكان قد أمس، فمنعته المبيت، وقالت: لا تبت عندنا ، فيظن بي وبك شر ، فانصرف وقال فيها:

ظللت لدى أطنابها وكأنني أسير معنى في مخلخله كبل
أخير إما جلسة عند دارها وإما مراح لا قريب ولا سهل
فإنك لو أكرمت ضيفك لم يعب عليك الذي تأتين حمو ولا بعل
وقد كان ينميها إلى ذروة العلا أب لا تخطاه المطية والرحل
فهل أنت إلا جنة عبقرية يخالط من خالطت من حبكم خبل
وهل أنت إلا نبعه كان أصلها نضاراً فلم يفضحك فرع ولا أصل
صددت أمرأ عن ظل بيتك ماله بواديك لو لا كم صديق ولا أهل

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني سليمان بن عياش، قال: خرج محمد وسليمان ابنا عبيد الله بن الحصين الأسلميان، حتى أتيا امرأة من الأنصار، من بني ساعدة فبرزت لهما، وتحدثا عندها، وقالا لها: هل لك في صاحب لنا ظريف شاعر؟ فقالت: من هو؟ قالا: محمد بن بشير الخارجي. قالت: لا حاجة بي إلى لقائه، ولا تجيئاني به معكما، فإنكما إن أتيتما به لم آذن لكما . فجاءا به معهما، وأخبراه بما قالت لهما، وأجلساه في بعض الطرق، وتقدما إليها، فخرجت إليهما، وجاءهما الخارجي بعد خروجها إليهما، فرحبا به، وسلما عليه، فقالت لهما: من هذا؟ قالا: هذا الخارجي الذي كنا نخبرك عنه. فقالت: والله ما أرى فيه من خير، وما أشبهه إلا بعبدنا أبي الجون. فاستحيا الخارجي، وجلس هنيهة، ثم قام من عندها وعلقها قلبه، فقال فيها:

ألا قد رابني ويريب غيري عشية حكمها حيف مريب

وأصبحت المودة عند ليلى ... منازل ليس لي فيها نصيب
ذهبت وقد بدا لي ذاك منها ... لأهجوها فيغلبني النسيب
وأنسى غيظ نفسي إن قلبي ... لمن واددت فيئته قريب
فلا قلب مصر كل ذنب ... ولا راض بغير رضا، غضوب
فدعها لست صاحبها وراجع ... حديثك إن شأنكما عجيب

قال: وبلغ الأشجعية زوجة محمد بن بشير ما قالته له الأنصارية، فعيرته بذلك، وكانت إذا أرادت غيظه كنته أبا الجون، فقال في ذلك:

وأيدي الهدايا ما رأيت معاتبا ... من الناس إلا الساعدية أجمل
وقد أخطأتني يوم بطحاء منعم ... لها كفف يصطاد فيها وأحبل
وقد قال أهلي خير كسب كسبته ... أبو الجون فاكسب مقلها حين ترحل
فإن بات إيضاعي بأمر مسرة ... لكن فما تسخطن في العيش أطول

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني سليمان بن عياش، قال: اجتمع محمد بن بشير الخارجي وسائب بن ذكوان راوية كثير بمكة، فوافقا نسوة من بني غفار يتحدثن، فجلسا إليهن، وتحدثنا معهن حتى تفرقن، وبقيت واحدة منهن تحدث الخارجي، وتستنشده شعره حتى أصبحوا؛ فقال لهم رجل مر بهم: أما تبرحون عن هذا الشعر وأنتم حرم، ولا تدعون إنشاده وقول الزور في المسجد! فقالت المرأة: كذبت لعمر الله، ما قول الشعر بزور، ولا السلام والحديث حرام على حرم ولا محل. فانصرف الرجل، وقال فيها الخارجي:

أما لك أن تزور وأنت خلو ... صحيح القلب أخت بني غفار؟
فما برحت تعيرك مقلتيها ... فتعطيك المنية في استتار
وتسهو في حديث القوم حتى ... يبين بعض ذلك ما توارى
فمت يا قلب ما بك من دفاع ... فينجيك الدفاع ولا فرار
فلم أر طالباً بدم كمثلي ... أود وحسن مطلوب بثار
إذا ذكروا بثأري قلت سقيا ... لثأري ذي الخواتم والسوار
وما عرفت دمي فتبوء منه ... برهن في حبالي أو ضمار
وقد زعم العواذل أن يومي ... ويومك بالمحصب ذي الجمار
من الإغباء ثم زعمت أن لا ... وقلت لدى التنازع والتمار

كذبتم ما السلام بقول زور وما اليوم الحرام بيوم ثار
ولا تسليمنا حرما بإثم ولا الحب الكريم لنا بعار
فإن لم نلقكم فسقى الغوادي بلادك والرويات السواري

قال سليمان: وفي هذه المرأة يقول الخارجي وقد رحلوا عن مكة، فودعها وتفرقوا:

يا أحسن الناس لولا أن نائلها قدما لمن يبتغي ميسورها عسر
وإنما دلها سحر تصيد به وإنما قلبهاللمشتكي حجر
هل تذكرين كما لمأنس عهدكم وقد يدوم لعهد الخلة الذكر
قولي وركبك قد مالت عمائمهم وقد سقاهم بكأس الشقوة السفر
يا ليت أني بأثوابي وراحلتي عبد لأهلك هذا العام مؤتجر
فقد أطلت اعلا لا دون حاجتنا بالحج أمس فهذا الحل والسفر
ما بال رأيك إذ عهدي وعهدكم إلفان ليس لنا في الود مزدجر

فكان حظك منها نظرةً طرفت إنسان عينك حتى ما بها نظر
أكنت أبخل من كانت مواعده دينال إلى أجلٍ يرجى وينتظر
وقد نظرت وما ألفيت من أحد يعتاده الشوق إلا بدؤه النظر
أبقت شجى لك لا ينسى وقادحة في أسود القلب لم يشعر بها أخر
جنية أولها جن يعلمها رمي القلوب بقوس مال ها وتر
تجلو بقادمتي ورقاء عن برد حمر المفاغر في أطرافها أشر
خود مبتلة ريا معاصمها قدر الثياب فلا طول ولا قصر
إذ مجاسدها اغتالت فواضلها منهاروادف فعمات ومؤتزر
إن هبت الريح حنت في وشائحها كما يجاذب عود القينة الوتر
بيضاء تعشو بها الأبصار إن برزت في الحج ليلة إحدى عشرة القمر
ألا رسول إذا بانت يبلغها عنا وإن لم تؤلف بيننا المرر
أنى بآية وجد قد ظفرت به مني ولم يك في وجدي بكم ظفر

قتيل يوم تلاقينا وأن دمي عنها وعمن أجارت من دمي هرد
تقضين في ولا أقضي عليك كما يقضي المليك على المملوك يقسر
إن كان ذا قدراً يعطيك نافلة منا ويحرمنا، ما أنصف القدر

أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني سليمان بن عياش، قال: كان الخارجي قدم البصرة، فتزوج بها امرأة من عدوان، كانت موسرة، فأقام عندها بالبصرة مدة، ثم توخم البصرة، فطالبها بأن ترحل معه إلى الحجاز، فقالت: ما أنا بتاركة مالي وضيعتي ههنا تذهب وتضيع، وأمضى معك إلى بلد الجدب والفقر والضيق، فإما أن أقمت ها هنا أو طلقتني. فطلقها وخرج إلى الحجاز، ثم ندم وتذكرها، فقال:

دامت لعينك عبرة وسجوم وثوت بقلبك زفرة وهموم
طيف لزينب ما يزال مؤرقي بعد الهدو فما يكاد يريم
وإذا تعرض في المنام خيالها نكأ الفؤاد خيالها المحلوم
أجعلت ذنبك ذنبه وظلمته عند التحاكم والمدل ظلوم
ولئن تجنبت الذنوب فإنه ذو الداء يعذر والصحيح يلوم
ولقد أراك غداة بنت وعهدكم في الوصل لا حرج ولا مذموم
أضحت تحكمك التجارب والنهي عنه، ويكلفه بك التحكيم
برأ الألى علقوا الحبائل قبله فنجوا وأصبح في الوثاق يهيم
ولقد أردت الصبر عنك فعاقني علق بقلبي من هواك قديم
ضعفت معاهد حبهن مع الصبا ومع الشباب فبن وهو مقيم
يبقى على حدث الزمان وريبه وعلى جفائك إنه لكريم
وجنيت حين صححت وهو بدائه شتان ذاك مصحح وسقيم
وأديته زمنا فعاذ بحلمه إن المحب عن الحبيب حليم
وأديته زمنا فعاذ بحمله إن المحب عن الحبيب حليم
وزعمت أنك تبخلين وشفه شوق إليك، وإن بخلت، أليم

غنى في هذه الأبيات الدرامي خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي؛ وفيه لعريب خفيف ثقيل مطلق، وهو الذي يغني الآن، ويتعارفه الناس.

أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني سليمان بن عياش السعدي، قال: كان الخارجي

منقطعاً إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة، وكان يكفيه مؤونته، ويفضل عليه، ويعطيه في كل سنة ما يكفيه ويغنيه، ويغني قومه وعياله، من البر والتمر والكسوة في الشتاء والصيف، ويقطعه القطعة بعد القطعة من إبله وغنمه، وكان منقطعاً إليه وإلى زيد بن الحسن، وابنه الحسن بن زيد، وكلهم به بر، وإليه محسن. فمات أبو عبيدة، وكان يترل الفرش من ملل، وكان الخارجي يترل الروحاء، فقال يرثيه:

ألا أيها الناعي ابن زينب غدوة ... نعيت الندى دارت عليه الدوائر

لعمري لقد أمسى قرى الضيف عاتما ... بذي الفرش لما غيبتك المقابر

إذا سوفوا نادوا صداك ودونه ... صفيح وخوار من الترب مائر

ينادون من أمسى تقطع دونه ... من البعد أنفاس الصدور الزوافر

فقومي اضربي عينيك ياهند لن ترى ... أباً مثله تسمو إليه المفاخر

قال: الزبير: فحدثني سليمان بن عياش، قال: كانت هند بنت أبي عبيدة عند الله بن حسن بن حسن، فلما مات أبوها جزعت عليه جزعاً شديداً، ووجدت وجداً عظيماً، فكلم عبد الله بن الحسن محمد بن بشير الخارجي ان يدخل إليها، فيعزيها ويليها عن أبيها، فدخل إليها معه. فلما نظر إليها صاح بأعلى صوته:

قومي اضربي عينيك يا هند لن تري ... أبا مثله تسمو إليه المفاخر

وكنت إذا فاخرت أسميت والدا ... يزين كما زان اليدين الأساور

فإن تعوليه يشف يوماً عويله ... غليلك أو يعذرك بالنوح عاذر

وتحزنك ليلات طوال وقد مضت ... بذي الفرش ليلات تسر قصائر

فلقاه رب يغفر الذنب رحمة ... إذ بليت يوم الحساب السرائر

إذا ما ابن زاد الركب لم يمس ليلة ... قفا صفرٍ لم يقرب الفرش زائر

لقد علم الأقوام أن بناته ... صوادق إذ يند بنه وقواصر

قال: فقامت هند، فصكت وجهها وعينيها، وصاحت بويلها وحرها، والخارجي يبكي معها، حتى لقيا جهدا، فقال له عبد الله بن الحسن: ألهذا دعوتك ويحك؟ فقال له: أفظننت أني أعزيها عن أبي عبيدة؟ والله ما يسليني عنه أحد؛ ولا لي عنه ولا عن فقده صبر، فكيف يسليها عنه من ليس يسلو بعده ! أخبرني عيسى، قال: حدثني الزبير، قال: حدثني سليمان بن عياش، قال: وعد رجل محمد بن بشير الخارجي بقلوص، فمطله، فقال فيه يذمه، ويمدح زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام:

لعلك والموعود حق وفاؤه ... بدا لك في تلك القلوص بداء

فإن الذي ألقى إذا قال قائل ... من الناس: هل أحسستها لعناء

يقول الذي بيدي الشمات وقوله ... علي وإشمات العدو سواء

دعوت وقد أخلفتني الوعد دعوة ... بزيد فلم يضلل هناك دعاء

بأبيض مثل البدر عظم حقه ... رجال من آل المصطفى ونساء

فبلغت الأبيات زيد بن الحسن، فبعث إليه يقلوص من خيار إبله، فقال يمدحه:

إذا نزل ابن المصطفى بطن تلعة ... نفس جدبها واخضر بالنبت عودها

وزيد ربيع الناس في كل شتوة ... إذا أخلفت أنواؤها ورعودها

حمول لأشناق الديات كأنه ... سراج الدجى إذ قارنته سعودها

أخبرني عيسى، قال: حدثني الزبير، قال: حدثني سليمان بن عياش، قال: نظر الخارجي إلى نعش سليمان بن الحصين وقد أخرج، فهتف بهم، فقال:

ألم تروا أن فتى سيداً ... راح على نعش بني مالك

لا أنفس العيش لمن بعده ... وانفس الهلك على الهالك

وقال فيه أيضاً:

ألا أيها الباكي أخاه وإنما ... تفرق يوم الفدفد الأخوان

أخي يوم أحجار الثمام بكيته ... ولو حم يومي قبله لبكاني

تداعت به أيامه فآختر منه ... وأبقين لي شجوا بكل زمان

فليت الذي ينعى سليمان غوة ... بكى عند قبري مثلها ونعاني

فلو قسمت في الجن وغلإنس لوعتي ... عليه بكى من حرها الثقلان

ولو كانت الأيام تطلب فدية ... إليه وصرف الدهر ما لأواني

أخبرني عيسى، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثنا سليمان بن عياش، قال: خرج محمد بن بشير يرمي من فوقها، فزلت قدمه عنها، فصاح حتى سقط على الأرض، وأحدث في ثيابه، فقال الخارجي في ذلك:

حرق يا صفاة في ذراك ... بالنار إن لم تمنعي أرواك

تعلمي أن بدذي الأراكأيتها الأورى ذوي عراك

قوماً أعدوا شبك الشباك ... يبغون ضبعا قتلت أباك

نعم ملوي الحيد المداك ... إذ صوت الجالب في أخراك

ولم يقل منتصحا: إياك بين مقاطيها ركبت فاك
فعدت والطعن على كلاك مثل الأضاحي بيد النساك
يرمي بالأكتاف على الأوراك كما أطحت العبد عن صفاك

أما السيالي فلن ينساك لو يرتميك الناس ما رماك

أخبرني عيسى، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثنا سليمان بن عياش، قال: كانت عند الخارجي بنت عم له، فهجاه بعض قرابتها، فأجابه الخارجي، فغضبت زوجته، وقالت: هجوت قرابتي. فقال الخارجي في ذلك:

أما ما أقول لهم فعابت علي وقد هجيت فما تعيب
فرمت وقد بدا لي ذاك منها لأهجوها فيمنعني النسيب
قلا ثلب بيصر كل ذنب ولا ارض بغير رضا، غضوب

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: وحدثني الزبير عن سليمان بن عياش، قالا: تزوج الخارجي جارية من بني ليث شابة، وقد أسن وأسنت زوجته العدوانية. فضربت دونه حجاباً، وتوارت عنه، ودعت نسوة من عشيرتها، فجلسن عندها، يلهون ويتغنين ويضربن بالدفوف، وعرف ذلك محمد فقال:

لئن عانس قد شاب ما بين قرنها إلى كعبها وأبيض عنها شبابها
صبت في طلاب اللهو يوماً وعلقت حجاباً لقد كانت يسيراً حجابها
لقد متعت بالعيش حتى تشعبت من اللهو إذا لا ينكر اللهو بابها
فبيني برغم ثم ظللي فربما ثرى الرغم منها حيث يثوي نقابها
لبيضاء لم تنسب لجد يعيبها هجانٍ ولم تنبح لئيماً كلابها
تأود في الممشى كأن قناعها على ظبية أدماء طاب شبابها
مهفهفة الأعطاف خفاقة الحشى جميل محياها قليلٍ عتابها
إذا ما دعت بابني نزار وقارعت ذوي المجد لم يردد عليها انتسابها

حدثنا الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي عن الضحاك بن عثمان، قال: لما ولي إبراهيم بن هشام الحريمين، دخل إليه محمد بن بشير الخارجي، وكان له قبل ذلك صديقاً. فاعرض عنه، ولم يظهر له بشاشة ولا أنساً. ثم عاوده فاستأذنه في الإنشاد، فأعرض عنه، وأخرجه الحاجب من داره، وكان إبراهيم بن هشام تياهاً، شديد الذهاب بنفسه، فوقف له يوم الجمعة على طريقه إلى المسجد، فلما حاذاه صاح به:

يابن الهشامين طرا حزت مجدهما وما تخونه نقض وإمرار

لا تشمتن بي الأعداء إنهم بيني وبينك سماع ونظار

وإن شكري إن ردوا بغيظهم في ذمة الله إعلان وإسرار

فاكرر بنائلك المحمود من سعة علي إنك بالمعروف كرار

فقال لحاجبه: قل له يرجع إلي إذا عدت. فرجع، فأدخله إليه، وقضى دينه، وكساه ووصله، وعاد إلى ما عهده منه.

أخبرني الحسن قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثني مصعب عن أبيه قال: عثر بعروة بن أذينة حماره عند ثنية العويقل ، فقال عروة:

ليت العويقل مسدود وأصبح من فوق الثنية فيه ردم يأجوج

فتستريح ذوو الحاجات من غلظ ويسلك السهل يمشي كل منتوج

فقال محمد بن بشير الخارجي يرد عليه:

سبحان ربك تب مما أتيت به ما يسدد الله يصبح وهو مرتوج

وهل يسد وللحجاج فيه إذا ما أصعدوا فيه تكبير وتلجيج

ما زال منذ أذل الله موطئه ومنذ آذن أن البيت محجوج

تهدي له الوفد وفد الله مطربة كأنه شطب بالقد منسوج

خل الطريق إليها إن زائرها والساكنين بها الشم الأباليج

لا يسدد الله نقباً كان يسلكه ال بيض البهاليل والعوج العناجيج

لو سده الله يوماً ثم عج له من يسلك النقب أمسى وهو مفروج

أخبرني الحسن قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا مصعب، قال: كان للخارجي أخ يقال له بشار بن بشير، وكان يجلس أعداءه، ويعاشر من يعلم أنه مباين له. وفيه يقول:

وإني قد نصحت فلم تصدق بنصحي واعتددت فما تبالي

وإني قد بدا لي أن نصحي لغيبك واعتدادي في ضلال

فكم هذا أذودك عن قطاعي كتذويد المحلاة النهال

فلا تبغ الذنوب علي واقصد لأمرك من قطاع أو وصال

فسوف أرى خلالك من تصافي إذا فارقتني وترى خلالي
وإن جزاء عهدك إذ تولى بأن أغضي وأسكت لا أبالي

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنا سليمان بن عياش، قال: كان الخارجي معجباً بزوجته سعدى، وكانت من أسوأ الناس خلقاً، وأشده على عشير ، فكان يلقى منه عنتاً. فغاضبها يوماً لقول آذته به، ةاعتزلها، وانتقل إلى زوجته الأخرى، فأقام عندها ثلاثاً. ثم اشتاق إلى سعدى، وتذكرها، وبدا له في الرجوع إلى بيتها، فتحول إليها، وقال:

أرني إذا غالبت بالصبر حبها أبى الصبر ما ألقى بسعدى فأغلب
وقد علمت عند التعاتب أننا إذا ظلمتنا أو ظلمنا سنعتب
وإني وإن لم أجن ذنباً سأبتغي رضاها وأعفو ذنبها حين تذنب
وإني وإن أنبت فيها يزيدني بها عجباً من كان فيها يؤنب

أخبرني عيسى قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا سليمان بن عياش قال: كان بشار بن بشير أخو محمد بن بشير يعاديه، ويجالس أعداءه . فقال الخارجي فيه:

كفاني الذي ضيعت مني وإنما يضيع الحقوق ظالماً من أضاعها
صنيعة من ولاك سوء صنيعها وولى سواك أحجرها واصطناعها
أبى لك كسب الخير رأي مقصر ونفس أضاق الله بالخير باعاها
إذا هي حثته على الخير مرةً عصاها وإن همت بشر أطاعها
فلولا رجال كاشحون يسرهم أذاك، وقربى لا أحب انقطاعها
إذاً بان زلت بك النعل زلةً فراق خلال لا تطيق ارتجاعها
وأني متى أحمل على ذاك أطلع عليك عيوباً لا أحب اطلاعها
فإن تك أحلام ترد إخاءنا علينا فمن هذا يرد سماعها
سأنهاك نهياً مجملاً وقصائدا نواصح تشفى من شئونٍ صاعها
ومن يجتلب نحوي القصائد يجتلب قراه ويتبع من يحب اتباعها
إذا ما الفتى ذو اللب حلت قصائد إليه فيخل للقوافي رباعها

أخبرني عيسى بن الوراق قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا سيمان بن عياش قال: لما دفن زيد بن حسن وانصرف الناس عن قبره، جاء محمد بن بشير إلى الحسن بن زيد، وعنده بنو هاشم ووجوه قريش يغرونه، فأخذ بعضادتي الباب، وقال:

أعيني جوداً بالدموع وأسعدا ... بني رحم ما كان زيد يهينها
ولا زيد إلا أن يجود بعبرة ... على القبر شاكي نكبة يستكينها
وما كنت تلقى وجه زيد ببلدة ... من الأرض إلا وجه زيد يزينها
لعمر أبي الناعي لعمت مصيبة ... على الناس واختصت قصيا رصينها
وأني لنا أمثال زيد وجده ... مبلغ آيات الهدى وأمينها
وكان حليفيه السماحة والندى ... فقد فارق الدنيا نداها ولينها
غدت غدوة ترمي لؤي بن غالب ... يجعد الثرى فوة امرىء ما يشينها
أغر بطاحي بكت من فراقه ... عكاظ فبطحاء الصفا فحجونها
فقل للتي يعلو على الناس صوتها ... ألا لا أعان الله من لا يعينها
وأرملةٍ تبكي وقد شق جيبها ... عليه فآبت وهي شعث قرونها
ولو فقهت ما يفقه الناس أصبحت ... خواشع أعلام الفلاة وعينها
نعاه لنا الناعي فظلنا كأننا ... نرى الأرض فيها آية حان حينها
وزالت بنا أقدامنا وقلبت ... ظهور روابيها بنا وبطونها
وآب ذوو الألباب منا كأنما ... يرون شمالا فارقتها يمينها
سقى الله سقيا رحمةٍ ترب حفرة ... مقيم على زيدٍ ثراها وطينها

قال: فما رؤي يوم كان أكثر باكياً من يومئذٍ .

أخبرني محمد بن المرزبان قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فاس قال: حدثني العمري عن لقيط، قال:

كان محمد بن بشير الخارجي من أهل المدينة، وكانت له بنت عم سرية جميلة، قد خطبها غير واحد من سروات قريش، فلم ترضه. فقال لأبيه: زوجنيها. فقال له: كيف أزوجكها وقد رد عمك عنها أشراف قريش فذهب إلى عمه فخطبها إليه، فوعده بذلك، وقرب منه. فمضى محمد إلى أبيه فأخبره، فقال له: ما أراه يفعل. ثم عاوده، فزوجه إياها. فغضب الجارية، وقالت له: خطبني إليك أشراف قريش فرددتهم، وزوجتني هذا الغلام الفقير؟ فقال لها: هو ابن عمك، وأولى الناس بك. فلما بنى لها جعلت تستخف به وتستخدمه، وتبعثه في غنمها مرة، وإلى نخلها أخرى. فلما رأى ذلك من فعلها قال شعراً، ثم خلا في بيت يترنم به ويسمعها. وهو:

تثاقلت أن كنت ابن عم نكحته فملت وقد يشفى ذوو الرأي بالعذل
فإنك إلا تتركي بعض ما أرى تنازعك أخرى كالقرينة في الحبل
تلزك ما اسطاعت إذا كان قسمها كقسمك حقا في التلاد وفي البعل
متى تحمليها منك يوما لحالة فتتبعها تحملك منها على مثل

قال: فصلحت، و لم ير منها بعد ما سمعت شيئاً يكرهه.

علام هجرت ولم تهجري ومثلك في الهجر لم يعذر
قطعت حبالك من شادنٍ أغن قطوف الخطا أحور

السعر لسديف مولى بني هاشم: والغناء لأبي العبيس بن حمدون. خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى.

ذكر سديف وأخباره

هو سديف بن ميمون مولى خزاعة. وكان سبب ادعائه ولاء بني هاشم أنه تزوج مولاه لآل أبي لهب، فادعى ولاءهم، ودخل في جملة مواليهم على الأيام. وقيل: بل أبوه هو كان المتزوج مولاة اللهبيين، فولدت منه سديفاً فلما يفع، وقال الشعر، وعرف بالبيان وحسن العارضة، ادعى الولاء في موالي أبيه، فغلبوا عليه.

وسديف شاعر مقل، من شعراء الحجاز، ومن مخضومي الدولتين، وكان شديد التعصب لبني هاشم، مظهراً لذلك في أيام بني أمية. فكان يخرج إلى أحجار صالإ في ظهر مكة، يقال لها صفي السباب، ويخرج مولى لبني أمية معه يقال له سباب ، فيتسابان ويتشاتمان، ويذكران المثالب والمعايب. ويخرج معهما من سفهاء الفريقين من يتعصب لهذا ولهذا. فلا يبرحون حتى تكون بينهم الجراح والشجاج، ويخرج السلطان إليهم فيفرقهم، ويعاقب الجناة. فلم تزل تلك العصبية بمكة حتى شاعت في العامة والسفلة. فكانوا صنفين، يقال لهما السديفية والسبابية، طول أيام بني أمية. ثم انقطع ذلك في أيام بني هاشم، وصارت العصبية بمكة في الحناطين والحرارين .

أخبرني عمر بن عبيد الله بن جميل العتكي، واحمد بن عبد العزيز الجوهري، قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني فليح بن إسماعيل قال: قال سديف قصيدة يذكر فيها أمر بني حسن بن حسن ، وأنشها المنصور بعد قتله لمحمد بن عبد الله بن حسن. فلما أتى على هذا البيت:

يا سوءتا للقوم لا كفوا ولا إذ حاربوا كانوا من الأحرار

فقال له المنصور: أتحضهم علي يا سديف؟ فقال: لا، ولكني أؤنبهم يا أمير المؤمنين.

وذكر ابن المعتز أن العوفي حدثه عن أحمد بن إبراهيم الرياحي قال: سلم سديف بن ميمون يوماً على رجل من بني عبد الدار. فقال له العبدري: من أنت يا هذا؟ قال: أنا رجل من قومك، أنا سديف بن ميمون. فقال له: والله ما في قومي سديف ولا ميمون. قال: صدقت. لا والله ما كان قط فيهم ميمون ولا مبارك.

لعمرك إنني لأحب دارا تكون بها سكينة والرباب

أحبهما وأبذل جل مالي وليس لعاتب عندي عتاب

الشعر للحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام. والغناء لابن سريج: رمل بالبنصر. وفيه للهذلي ثقيل أول بالسبابة، في مجرى الوسطى، عن إسحاق.

أخبار الحسين بن علي ونسبه

الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. وقد تكرر هذا النسب في عدة مواضع ممن هذا الكتاب. واسم أبي طالب: عبد مناف، واسم عبد المطلب: شيبة، واسم هاشم: عمرو. وأم علي بن أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف. وكانت أول هاشمية تزوجها هاشمي، وهي أم سائر ولد أبي طالب. وأم الحسين بن علي بن أبي طالب: فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأمها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي. وكانت خديجة تكنى أم هند، وكانت فاطمة تكنى أم أبيها ، ذكر ذلك قعنب بن محرز، قال: حدثنا أبو نعيم، عن حسين بن زيد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه. وكان علي بن أبي طالب سمى الحسن حرباً، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن . ثم ولد له الحسين فسماه حرباً، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسين.

حدثني بذلك أحمد بن الجعد ، قال: حدثنا عبد الرحمن بن صالح، قال: حدثنا يحيى بن عيسى قال: حدثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال: قال علي بن أبي طالب.

كنت رجلاً أحب الحرب، فلما ولد الحسن هممت أن أسميه حرباً، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن، فلما ولد الحسين هممت أن أسميه حرباً، فسماه رسول الله صلى الله عيه وسلم الحسين . ثم قال سميتهما باسمي ابني هارون: شبر وشبير .

وأخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي قال: حدثنا محمد بن يحيى الأحول قال: حدثنا خلاد المقرىء قال: حدثنا قيس بن الربيع بن أبي حصين، عن يحيى بن وثاب، عن ابن عمر، قال: كان على الحسن والحسين تعويذتان حشوهما من زغب جناح جبريل عليه السلام.

وهذا الشعر يقوله الحسين بن علي في امرأته الرباب بنت امرىء القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن كلب بن وبرة بن تغلب ابن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة، وأمها هند بنت الربيع بن مسعود بن معاذ بن حصين بن كعب بن عليم بن كلب؛ وفي ابنته منها سكينة بنت الحسين. واسم سكينة: أميمة، وقيل أمينة، وقيل آمنة، وسكينة لقب لقبت به.

قال مصعب فيما أخبرني به الطوسي عن زبير عنه: اسمها آمنة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس، قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو نعيم، عن عمر بن ثابت، عن مالك بن أعين، قال: سمعت سكينة بنت الحسين تقول عاتب عمي الحسن أبي في أمي، فقال:

لعمرك إنني لأحب دارا تكون بها سكينة والرباب

أحبهما وأبذل جل مالي وليس لعاتب عند عتاب

حدثنا محمد بن اليزيدي قال: حدثنا الخليل بن أسد قال: حدثنا العمري عن ابن الكلبي عن أبيه، قال: قال لي عبد الله بن الحسن بن الحسن: ما سم سكينة بنت الحسين؟ فقلت: سكينة. فقال: لا. اسمها آمنة .

وروي أن رجلاً سأل عبد الله بن الحسن عن اسم سكينة. فقال: أمينة ، فقال له:إن ابن الكلبي يقول اميمة. فقال: سل ابن الكلبي عن أمه؟ وسلني عن أمي. وقال المدائني: حدثني أبو إسحاق المالكي قال: سكينة لقب، واسمها آمنة. وهذا هو الصحيح.

حدثني أحمد بن سعيد ، قال: حدثنا يحيى بن الحسن العلوي قال: حدثنا شيخ من قريش، قال حدثنا أبو حذافة أو غيره، قال: أسلم أمرؤ القيس بن عدي على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فما صلى الله صلاة حتى ولاه عمر، وما أمسى حتى خطب إليه علي عليه السلام ابنته الرباب على ابنه الحسين، فزوجه إياها. فولدت له عبد الله وسكينة ولدي الحسين عليهما السلام. وفي سكينة وأمها يقول:

لعمرك إنني لأحب دارا تحل بها سكينة والرباب

وذكر البيت الآخر، وزاد على البيتين :

فلست لهم وإن غابوا مضيعا حياتي أو يغيبني التراب

ونسخت هذا الخبر من كتاب أبي عبد الرحمن الغلابي، وهو أتم قال: حدثنا علي بن صالح، عن علي بن مجاهد، عن أبي المثنى محمد بن السائب الكلبي، قال: أخبرنا عبد الله بن حسن بن حسن قال: حدثني خالي عبد الجبار بن منظور بن زبان بن سيار الفزاري؛ قال حدثني عوف بن خارجة المري، قال:

والله إني لعند عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته، إذا أقبل رجل أفحج أجلى أمعر ، يتخطى رقاب الناس، حتى قام بين يدي عمر. فحياة بتحية الخلافة، فقال له عمر: فمن أنت؟ قال: أنا امرؤ نصراني، أنا امرؤ القيس بن عدي الكلبي. قال: فلم يعرفه عمر . فقال له رجل من القوم: هذا صاحب بكر بن وائل، الذي أغار عليهم في الجاهلية يوم فلج. قال: فما تريد؟ قال: أريد الإسلام. فعرضه عليه عمر رضي الله عنه، فقبله. ثم دعا له برمح، فعقد له على من أسلم بالشام من قضاعة. فأدبر الشيخ واللواء يهتز على رأسه. قال عوف: فوالله ما رأيت رجلاً لم يصل لله ركعة قط أمر على جماعة من المسلمين قبله.

ونهض علي بن أبي طالب رضوان الله عليه من المجلس، ومعه ابناه الحسن والحسين عليهم السلام حتى أدركه، فأخذ بثيابه. فقال له: يا عم، أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره، وهذان

ابناي الحسن والحسين من ابنته، وقد رغبنا في صهرك فأنكحنا. فقال: قد أنكحنك يا علي المحياة بنت امرىء القيس، وأنكحنك يا حسن سلمى بنت امرىء القيس، وأنكحنك يا حين الرباب بنت امرىء القيس.

وقال هشام بن الكلبي: كانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن: فخطب بعد قتل الحسين عليه السلام فقالت: ما كنت لأتخذ حماً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال المدائني: حدثني أبو إسحاق المالكي، قال: قيل لسكينة واسمها آمنة، وسكينة لقب: أختك فاطمة ناسكة وأنت تمزحين كثيراً؟ فقالت: لأنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة-تعني فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم- وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام.

تعني آمنة بنت وهب، أم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرني عمي قال: حدثنا الكناني ، عن قعنب بن المحرز الباهلي، عن محمد بن الحكم، عن عوانة، قال: رثت الرباب بنت امرىء القيس أم سكينة بنت الحسين، زوجها الحسين عليه السلام حين قتل، فقالت:

إن الذي كان نوراً يستضاء به ... بكربلاء قتيل غير مدفون

سبط النبي جزاك الله صالحةً ... عنا، وجنبت خرسان الموازين

قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به ... وكنت تصحبنا بالرحم والدين

من لليتامى ومن للسائلين ومن ... يغني ويأوي إليه كل مسكين

والله لا أبتغي صهراً بصهركم ... حتى أغيب بين الرمل والطين

أخبرني الطوسي قال: حدثني الزبير عن همه قال: أخبرني إسماعيل بن بكار قال: حدثني أحمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسين العلوي ، عن الزبير عن عمه، قال: وأخبرني إسماعيل بن يعقوب عن عبد الله بن موسى قالا: كان الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب خطب إلى عمه الحسين، فقال له الحسين عليهم السلام: يا بن أخير، قد كنت أنتظر هذا منك، انطلق معي، فخرج به حتى أدخله منزله، فخبره في ابنتيه فاطمة وسكينة. فاختار فاطمة، فزوجه إياها. وكان ياقل: إن امرأة تختار على سكينة لمنقطعة القرين في الحسن. وقال عبد الله بن موسى في خبره: إن الحسين خيره، فاستحيا، فقال له: قد اخترت لك فاطمة، فهي أكثرهما شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثني يحيى بن الحسن العلوي قال: كتب إلي عباد بن يعقوب يخبرني عن جدي يحيى بن سلميان بن الحسين العلوي قال: كانت سكينة في مأتم فيه بنت لعثمان، فقالت بنت عثمان: أنا بنت الشهيد. فسكتت سكينة: فلما قال المؤذن. أشهد أم محمداً رسول الله، قالت سكينة: هذا أبي أو أبوك؟ فقالت العثمانية: لا جرم لا أفخر عليكم أبداً.

أخبرني أحمد بن محمد قال: حدثنا يحيى قال: حدثنا مروان بن موسى القروي قال: حدثنا بعض أصحابنا قال:

كانت سكينة تجيء في ستارة يوم الجمعة، فتقوم بإزاء ابن مطيرة، وهو خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم، إذا صعد المنبر، فإذا شتم علياً، شتمته هي وجواريها، فكان يأمر الحرس فيضربون جواريها.
أخبرني الطوسي عن الزبير عن عمه مصعب، قال: كانت سكينة عفيفة سلمة برزة من النساء، تجالس الأجلة من قريش، وتجتمع إليها الشعراء، وكانت ظريفة مزاحة.
أخبرني الطوسي قال: حدثنا الزبير عن عمه قال: حدثني معاوية بن بكر، قال: قالت سكينة: أدخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن موسى، عن أبي أبو المديني، عن مصعب، قال: كانت سكينة أحين الناس شعراً؛ فكانت تصفف جمتها تصفيفاً لم يرأحسن منه، حتى عرف ذلك. فكانت تلك الجمة تسمى السكسنية. وكان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلاً قد صفف جمته السكينية جلده وحلقه.
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار عن أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه عن أبي سفيان الحميري، قال: بعثت سكينة بنت الحسين عليهما السلام إلى حبيش بن دلجة بغالية، لأنه كان من أخوالها. فلما وصلت إليه قال: فأين كانت- حبيش بن دلجة- عن الصياح ؟ يقدر أن الصياح أرفع من الغالية.
قال محمد بن سلام كانت سكينة مزاحة، فلسعتها دبرة فولولت. فقالت لها أمها: مالك يا سيدتي وجزعت؟ فقالت لسعتني دبيرة، مثل الأبيرة، فأوجعتني قطيرة .
وقال هارون بن أبي عبيد الله، حدثني ضمرة، قال: أجلست سكينة شيخاً فارسياً على سلة بيض، وبعثت إلى سليمان بن يسار، كأنها تريد أن تسأله عن شيء. فجاءها إكراماً لها، فأمرت من أخرج إليه ذلك الشيخ جالساً على السلة فيها البيض. فولى يسبح.
قال: وبعثت سكينة إلى صاحب الشرطة بالمدينة: أنه دخل علينا شامي، فابعث إلينا بالشرط. فركب ومعه الشرط. فلما أتى إلى الباب، أمرت ففتح له، وأمرت جارية من جواريها فأخرجت إليه برغوثاً. فقال: ما هذا؟ قالت: هذا الشامي الذي شكوناه. فانصرفوا يضحكون.
أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال: حدثنا أحمد بن القاسم قال: حدثنا أبو هفان قال: حدثنا سيف بن إبراهيم صاحب إبراهيم بن المهدي قال: حدثني إبراهيم بن المهدي: أن الرشيد لما ولاه دمشق استوهبه صحبة دبية والغاضري وعبيدة بن وكم الوادي. فوهبهم له فأشخصهم معه.
قال: فكان فيما حدثني به عبيدة قال: قال إبراهيم: ركبت حمارة وهو عديلي، ونمت على ظهرها. فلما بلغنا ثنية العقاب، اشتد علي البرد، فاحتجت إلى الزيادة من الدثار. فدعوت بدواج سمور، فألقيته على ظهري، ودعوت بمن كان معي في سمري في تلك الليلة، وكانوا حولي. فقلت لابن أشعب: حدثني بأعجب ما تعلم من طمع أبيك. فقال: أعجب من طمع أبي طمع ابنه. فقلت: وما بلغ من طمعك؟ فقال: دعوت آنفاً لما اشتد عليك البرد

بدواج سمور، لتستدفىء به، فلم أشك أنك دعوت به لتجعله علي. فغلبني الضحك، وخلعت عليه الدواج. ثم قلت له: ما أحسب لك قرابة بالمدينة. فقالأ: اللهم غفرا، لي بالمدينة قرابات وأي قرابات. قلت: أيكونون عشرة؟ قال: وما عشرة؟ قلت: فعشرين؟ قال: اللهم غفرا، لا تذكر العشرات ولا المئين، وتجاوز ذكر الألوف إلى ما هو أكثر منها. قلت: ويحك! ليس بينك وبين أشعب أحد، فكيف يكون هذا؟ فقال: إن زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان تزوج سكينة بنت الحسين. فخف أبي على قلبها، فأحسنت إليه، وكانت عطاياها خلاف عطايا مولاه. فمال إليها بكليته.

قال: وحج سليمان بن عبد الملك وهو خليفة، فاتأذن زيد بن عمرو سكينة، وأعلمها أنها أول سنة حج فيها الخليفة، وأنه لا يمكنه التخلف عن الحج معه. وكانت لزيد ضيعة ياقل له العرج، وكان له فيها جوار. فأعلمته أنها لا تأذن له إلا أن يخرج أشعب معه، فيكون عيناً لها عليه، وما نعا له من العدول إلى العرج، ومن اتخاذ جارية لنفسه في بدأته ورجعته. فقنع بذلك، وأخرج أشعب معه. وكان له فرس كثير الأوضاح، حسن المنظر، يصونه عن الركوب إلا في مسايرة خليفة أو أمير أو يوم زينة؛ وله سرج يصونه، لا يركب به غير ذلك الفرس. وكان معه طيب لايتطيب به إلا في مثل ذلك اليوم الذي يركب فيه؛ وحلة موشية يصونها عن اللبس إلا في يوم يردي التجمل فيه بها.

فحج مع سليمان، وكانت له عنده حوائج كثير، فقضاها ووصله، وأجزل صلته. وانصرف سليمان من حجة، ولم يسلك طريق المدينة. وانصرف بن عثمان يريد المدينة، فنزل على ماء لبني عامر بن صعصة. ودعا أشعب، فأحضره وصرصرة فيها أربعمائة دينار، وأعلمه أنه ليس بينه وبين العرج إلا أميال؛ وأنه إن أذن له في المسير إليها، والمبيت بها عند جواريه، غلس إليه، فوافى وقت ارتحال الناس، ووهب له أربعمائة الدينار. فقبل يده ورجله، وأذن له في السير إلى حيث أحب، وحلف له أنه يحلف لسكينة بالأيمان المحرجة، أنه ما سارإلى العرج، ولا اتخذ جارية منذ فارق سكينة إلى أن رجع إليها. فدفع إليه مولاه الدنانير ومضى.

قال أبو إسحاق: قال ابن أشعب: حدثني أبي أنه لا يتوهم أن مولاه سار نصف ميل حتى رأى في الماء الذي كان عليه رحل زيد جاريتين عليهما قربتان. فألقتا القربتين، وألقتا قيا بهما عنهما، ورمتا بأنفسهما في الغدير، وعامتا فيه، ورأى من مجردهما ما أعجبه واستحسنه. فسألهما عند خروجهما من الماء عن نسبهما. فأعلمتاه أنهما من إماء نسوة خلوف، لبني عامر بن صعصعة، هن بالقرب من ذلك الغدير. فسألهما: هل سبيل إلى مولياتهما، لمحادثة شيخ حسن الخلق، طيب العشرة، كثير النوادر؟ فقالتا: وأنى لهن بمن هذه صفته؟ فقال لهما: أنا ذاك. فقالتا: انطلق معنا. فوثب إلى فرس زيد، فأسرجه بسرجه الذي كان يسرجه به ويركبه، ودعا بحلته التي كان يضن بها فلبسها، وأحضر السفط الذي كان فيه طيبه، فتطيب منه وركب الفرس، ومضى معهما حتى وافى الحي، فأقام في محادثة أهله إلى قرب وقت صلاة العصر. فأقبل في ذلك الوقت رجال الحي، وقد انصرفوا غانمين من غزائهم،

وأقبلت تمر به الرعلة بعد الرعلة، فيقفون به فيقولون: ممن الرجل؟ فينتسب في نسب زيد، فيقول كل من اجتاز به: مانرى به بأساً. وينصرفون عنه إلى قرب غروب الشمس، فأقبل شيخ فانٍ على حجر هرمة هزيل، ففعل مثل ما كان يفعل من اجتاز، فسأله مثلما يسألون عنه، فأخبره بمثل ما كان يخبر من تقدمه، فقال مثل قولهم.

قال ابن أشعب: قال أبي: ثم رأيت الشيخ قد وقف بعد قوله، فأوجست منه خيفة لأني رأيته قد جعل يده اليسرى تحت حاجبه، فرفعهما، ثم استدار ليرى وجهي. فركبت الفرس، فما استويت عليه حتى سمعته يقول: أقسم بالله ما هذا قرشي، وما هذا إلا وجه عبد. فركضت وركض خلفي، فرأى حجره مقصرة . فلما يئس من اللحاق بي، انتزع سهماً فرماني به، فوقع في مؤخرة السرج، فكسرها. ودخلتني من صوته روعة أحدثت لها في الحلة. ووافيت رحل مولاي، فغسلت الحلة ونشرتها، فلم يجف ليلاً. وغلس مولاي من العرج، فوافاني في وقت الرحيل، فرأى الحلة منشورة، ومؤخرة السرج مكسورة، والفرس قد أضر بها الركض، وسفط الطيب مكسور الختم . فسألني عن السبب، فصدقته. فقال لي: ويحك! أما كفاك ما صنعت بي حتى انتسبت في نسبي، فجعلتني عند أشرف قومي من العرب جماشا ، وسكت عني، فلم يقل لي: أحسنت ولا أسأت حتى وافينا المدينة، فلما وافاها سألته سكينة عن خبره. فقال لها: يا بنت رسول الله، وما سؤالك إياي و لم يزل ثقتك معي، وهو أمين علي، فسليه عن خبري يصدقك عنه. فسألتني، فأخبرتها أني لم أنكر عليه شيئاً، و لم أمكنه من ابتياع جارية، و لم أطلق له الاجتياز بالعرج. فاستحلفتني على ذلك، فلما حلفت لها بالأيمان المحرجة فيها طلاق أمك، وثب فوقف بين يديها، وقال: أي بنة عم، ويا بنت رسول الله، كذبك والله العلج، ولقد أخذ مني أربعمائة دينار، على أن أذن لي في المصير إلى العرج ؛ فأقمت بها يوماً وليلة، وغسلت بها عدة من جواري، وها أنا ذا تائب إلى اله مما كان مني، وقد جعلت توبتي هبتهن لك، وتقدمت في حملهن إليك، وهن موافيات المدينة في عشية اليوم، فبيعهن أو عتقهن إليك الأمر فيه، وأنت أعلم بما ترين في العبد السوء. فامرتني بإحضار أربعمائة دينار، فأحضرتها.

فأمرت بابتياع خشب بثلثمائة دينار، وأمرت بنشره، وليس عندي ولا عند أحد من اهل المدينة علم بما تريده فيه. ثم أمرت بأن يتخذ بيت كبير، وجعلت النفقة عليه في أجرة النجارين من المائة الدينار الباقية.

ثم أمرت بابتياع بيض وتبن وسرجين بما بقي من المائة الدينار بعد أجرة النجارين. ثم أدخلتني البيت، وفيه البيض والتبن والسرجين، وحلفت بحق جدها ألا اخرج من ذلك البيت حتى أحضن ذلك البيض كله إن أن يفقس، ففعلت ذلك، و لم أزل أحضنه حتى فقس كله. فخرج منه الألوف من الفراريج، وربيت في دار سكينة، فكانت تنسبهن إلي، وتقول بنات أشعب.

قال أبو إسحاق. قال لي: وبقي ذلك النسل في أيدي الناس إلى الآن، فكلهم إخواني وأهلي. قال: فضحكت والله حتى غلبت، وأمرت له بعشرة آلاف درهم، فحملت بحضرتي إليه.

أخبرني الطوسي والحرمي قالا: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي مصعب قال:

تزوجت سكينة بنت الحسين عليه السلام عد أواج، أولهم عبد الله بن الحسن بن علي، وهو ابن عمها وأبو

عذرتها، ومصعب بن الزبير، وعبد الله بن عثمان الحزامي، وزيد بن عمرو بن عثمان، والأصبغ بن عبد العزيز بن مروان، و لم يدخل بها، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، و لم يدخل بها.

قال مصعب ويحيى بن الحسن العلوي: إن عبد الله بن حسن زوجها كان يكنى أبا جعفر، وأمه بنت السليل بن عبد الله البجلي، أخي جرير بن عبد الله، قال: ثم خلفه عليها مصعب بن الزبير، زوجه إياها أخوها علي بن الحسين، ومهرها مصعب ألف ألف درهم.

قال مصعب: وحدثني مصعب بن عثمان: أن علي بن الحسين أخاها حملها إليه، فأعطاه أربعين ألف دينار.

قال مصعب: وحدثني معاوية بن بكر الباهلي قال: قالت سكينة: دخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة في الليلة القرة.

قال: فولدت من مصعب بنتاً، فقال لها: سميها زهراء . قالت: بل أسميها باس إحدى أمهاتي وسمتها الرباب . فلما قتل مصعب ولى أخوه عروة تركته، فزوجها يعني الرباب بنت مصعب ابنه عثمان بن عروة، فماتت وهي صغيرة، فورثها عثمان بن عروة عشرة آلاف دينار.

قال الزبير: فحدثني محمد بن سلام عن شعيب بن صخر ، عن أمه سعدة بنت عبد الله بت سالم، قالت: لقيت سكينة بين مكة ومنى، فقالت: قفي لي يابنة عبد الله، فوقفت. فكشفت عن بنتها من مصعب، فإذا هي قد أثقلتها بالحلي واللؤلؤ، فقالت: ما ألبستها إياه إلا لتفضحه.

قال الزبير: وحدثني عمي. عن الماجشون ، قال: قالت سكينة لعائشة بنت طلحة: أنا أجمل منك. وقالت عائشة: بل أنا أجمل منك. وقالت عائشة: بل أنا. فاختصمنا إلى عمر بن أبي ربيعة، فقال لأقضين بينكما؛ أما أنت يا سكينة فأملح منها، وأما أنت يا عائشة فأجمل منها. فقالت سكينة: قضيت لي والله. وكانت سكينة تسمي عائشة ذات الأذنين، وكانت عظيمة الأذنين.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني أحمد بن زيهر قال: حدثنا المدائني، قال: خطب سكينة بنت الحسين عليه السلام عبد الملك بن مروان. فقالت أمها: لا والله لا يتزوجها أبداً وقد قتل ابن أخي ، تعني مصعباً.

وأما محمد بن سلام الجمحي فإنه ذكر فيما أخبرني به أبو الحسن الأسدي عن الرياشي عنه: أن أبا عذرتها هو عندي عبد الله بن الحسن بن علي. ثم خلف عليها العثماني، ثم مصعب بن الزبير، ثم الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان. فقال فيه بعض المدنيين .

نكحت سكينة بالحساب ثلاثةً فإذا دخلت بها فأنت الرابع

قال: وكان يتولى مصر، فكتبت إليه: إن أرض مصر وخمة. فبنى لها مدينة تسمى مدينة الأصيغ. وبلغ عبد الملك تزوجه إياها، فنفس بها عليه. فكتب إليه. اختر مصر أو سكينة: فبعث إليها بطلاقها و لم يدخل بها، ومتعها بعشرين ألف دينار. ومروا بها في طريقها على مترل، فقالت: ما اسم هذا المترل؟ قالوا: جوف الحمار. قالت: ما كنت لأدخل جوف الحمار أبداً.

وذكر محمد بن سلام في هذا الخبر الذي رواه الرياشي عن سعيب بن صخر أن الحزامي عبد الله بن عثمان خلف الأصبغ عليها، وولدت منه بنتاً. وذكر عن أمه سعدة بنت عبد الله أن سكينة أرتها بنتها من الحزامي، وقد أثقلتها باللؤلؤ، وهي في قبة، فقالت: والله ما ألبستها إياه إلا لتفضحه. تريد أنها تفضح الحلي بحسنها، لأنها أحسن منه.
أخبرني ابن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن الهيثم بن عدي، عن صالح بن حسان وغيره: أن سكينة كانت عند عمرو بن حكيم بن حزام، ثم تزوجها بعده زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان، ثم تزوجها مصعب بن الزبير. فلما قتل مصعب، خطبها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فبعث إليه: أبلغ من حمقك أن تبعث إلى سكينة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تخطبها؟ فأمسك عن ذلك.

قال: ثم تنفست يوماً بنانة جارية سكينة وتندت، حتى كادت أضلاعها تتحطم. فقالت لها سكينة: مالك ويلك! قالت: أحب أن أرى في الدار جلبة. تعني العرس. فدعت مولى لها تثق به، فقالت له: اذهب إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فقل له: إن الذي كنا ندفعك عنه قد بدا لنا فيه؛ أنت من أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأحضر بيتك. قال: فجمع عدة من بني زهرة، وأفناء قريش من بني جمح وغيرهم، نحواً من سبعين رجلاً أو ثمانين. ثم أرسل إلى علي بن الحسين، والحسن بن الحسن، وغيرهم من بني هاشم. فلما أتاهم الخبر اجتمعوا، وقالوا: هذه السفيهة تريد أن تتزوج إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف. فتنادى بنو هاشم واجتمعوا، وقالوا: لا يخرجن أحد منك إلا ومعه عصا. فجاءوا وما بقي إلا الكلام. فقال: اضربوا بالعصي. فاضطربوا هم وبنو زهرة حتى تشاجوا، فشج بينهم يومئذٍ أكثر من مائة إنسان. ثم قالت بنو هاشم: أين هذه؟ قالوا: في هذا البيت. فدخلوا إليها، فقالوا: أبلغ هذا من صنعك؟ ثم جاءوا بكساء طاروقي ، فبسطوه ثم حملوها، وأخذوا بجوانبه- أو قال: بزاوياه الأربع- فالتفتت إلى بنانة فقالت: يا بنانة، أرأيت في الدار جلبة؟ قالت: إي والله إلا أنها شديدة.
وقال هارون بن الزيات: أخبرني أبو حذيفة عن مصعب، قال: كان أول أزواج سكينة عبد الله بن الحسن بن علي، قتل عنها و لم تلد له. وخلف عليها مصعب، فولدت له جارية . ثم خلف عليها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، فنشزت عليه، فطلقها ثم خلف عليها الأصبغ بن عبد العزيز فأصدقها صداقاً كثيراً. فقال الشاعر:

نكحت سكينة بالحساب ثلاثة ... فإذا دخلت بها فأنت الرابع
إن البقيع إذا تتابع زرعه ... خاب البقيع وخاب فيه الزارع

وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فغضب، وقال: أما تزوجنا أحسابنا حتى تزوجنا أموالنا! فطلقها. فطلقها فخلف عليها العثماني، وشرطت عليه ألا يطلقها ، ولا يمنعها شيئاً تريده، وأن يقيمها حيث خلتها أم منظور، ولا يخالفها في أمر تريده. فكانت تقول له: يا بن عثمان اخرج بنا إلى مكة. فإذا خرج بها فسارت يوماً أو يومين، قالت: ارجع بنا إلى المدينة. فإذا رجع يومه ذلك، قالت: اخرج بنا إلى مكة. فقال له سليمان بن عبد الملك:

أعلم أنك قد شرطت لها شروطاً لم تف بها، فطلقها. فطلقها. فخلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فكره ذلك أهلها، وخاصموه إلى هشام بن إسماعيل. فبعث إليها بخبرها. فجاء إبراهيم بن عبد الرحمن من حيث تسمع كلامه، فقال لها: جعلت فداءك، قد خيرتك فاختاريني. فقالت : قلت ماذا بأبي، تهزأ به. فعرف ذلك ، فانصرف وخيروها، فقالت: لا أريده.

قال: ومالت فصلى عليها شيبة بن نصاح .

وأما ابن الكلبي فذكر فيما أخبرنا به الجوهري، عن عمر بن شبة، عن عبد الله بن محمد بن حكيم، عنه: أن أول أزواجها الأصبغ، ومات و لم يرها، ثم زيد بن عمر العثماني، قال: وولدت له ابنة عثمان الذي يقال له قرين، ثم الحزامي، ثم خلف عليها مصعب، فولدت له جارية، ثم خلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف و لم يدخل بها.

قال عمر بن شبة: وحدثني محمد بن يحيى قال: تزوج مصعب سكينة وهو يومئذ بالبصرة، عامل أخيه عبد الله بن الزبير، وكان بين مصعب وبين أخيه رسول يقال له أبو اللاس، وهو الذي جاء بنعيه، فقال ابن قيس فيه:

قد أتانا بما كرهنا أبو السلا س كانت بنفسه الأوجاع

وفي هذا الشعر غناء قد ذكر في موضعه. وهذا غلط من محمد بن يحيى، ليست قصة أبي السلاس مع مصعب، وإنما هي مع ابن جعفر.

قال محمد بن يحيى: ولما تزوج مصعب سكينة على ألف ألف، كتب عبد الله بن همام على يد ابي السلاس إلى عبد الله بن الزبير:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة من ناصح لك لا يرد خداعا

بضع الفتاة بألف ألف كاملٍ وتبيت سادات الجنود جياعا

لو لأبي حفص أقول مقالتي وأبث ما أبثثتكم لا رتاعا

قال: وكان ابن الزبير قد أوصاه ألا يعطيه أحد كتاباً إلا جاء به، فلما أتاه بهذا الكتاب قال: صدق والله، لو يقول هذه المقالة لأبي حفص لارتاع من تزويج امرأة على ألف ألف درهم. ثم قال: إن مصعباً لما وليته البصرة أغمد سيفه، وسل أبره، وعزله عن البصرة، وأمره أن يجيء على ذات الجيش، وقال: إني لأرجو أن يخفف الله بك فيها. فبلغ عبد الملك بن مروان قول عبد الله في مصعب، فقال: لكن عبد الله والله أغمد سيفه وأبره وخيره.

قال ابن زيد أخبرني محمد بن يحيى عن ابن شهاب الزهري قال: ذكر أن زيد: بن عمرو بن عثمان العثماني خرج إلى مال مغاضياً لسكينة، وعمر بن عبد العزيز يومئذٍ والي المدينة، فأقام سبعة أشهر، فاستعدته سكينة على زيد، وذكرت غيبته مع ولائده سبعة أشهر، وأنها شرطت عليه أنه إن مس امرأة، أو حال بينها وبين شيء من ماله، أو

منعها مخرجاً ترديه، فهي خلية ، فبعث إليه عمر فأحضره وأمر ابن حزم أن ينظر بينهما.
قال: حدثني أبو بكر بن عبد الله، قال: بعثني عمر، وبعث معي محمد بن معقل بن يسار الأشجعي، إلى ابن حزم، وقال: اشهدا قضاءه، فدخلنا عليه وعنده زيد جالس، وفاطمة امرأة ابن حزم في الحجلة جالسة، وجاءت سكينة، فقال ابن حزم: أدخلوها وحدها. فقالت: والله لا أدخل إلا ومعي ولائدي، فأدخلن معها، فلما دخلت قال: يا جارية اثني لي هذه الوسادة. ففعلت، وجلست عليها، ولصق زيد بالسرير، حتى كان يدخل في جوفه خوفاً منها. فقال لها ابن حزم: يابنة الحسين، إن الله عز وجل يحب القصد في كل شيء، فقالت له: وما أنكرت مني، إني وإياك والله كالذي يرى الشعرة في عين صاحبه، ولا يرى الخسبة في عينه. فقال لها: أما والله لو كنت رجلاً لسطوت بك. فقالت له: يا بن فرتنى ألا تزال لتوعدني؟ وشتمته وشتمها. فلما بلغا ذلك قال ابن أبي الجهم العدوي: ما بهذا أمرنا، فأمض الحكم ولا تشاتم. فقالت لمولاة لها: من هذا؟ قالت: أبو بكر بن عبد الله بن أبي الجهم. فقالت: لا أراك ههنا وأنا أشتم بحضرتك. ثم هتفت برجال قريش، وحضت ابن أبي الجهم، وقالت: أما والله لو كان أصحاب الحرة أحياء لقتلوا هذا العبد اليهودي عند شتمه إياي، أي عدو الله، تشتمني وأبوك الخارج مع يهود صبابةً بدينهم لما أخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أريحاء، يا بن فرتنى. قال: وشتمها وشتمته.
قال: ثم أحضرنا زيداً، فكلمها وخضع لها، فقالت: ما أعرفني بك يا زيد، والله لا تراني أبداً، أتراك تمكث مع جواريك سبعة أشهر لا تقربهن؟ املأ غينك الآن مني، فإنك لا تراني بعد الليلة أبداً، وجعلت تردد هذا القول ومثله، فكلما تكلمت ترفث لا بن حزم وامرأته في الحجلة، وهو يقلق لسماع امرأته ذلك فيه. ثم حكم بينهما بأن سكينة إن جاءت ببينة على ما ادعته، وإلا فاليمين على زيد. فقامت وقالت لزيد، يا بن عثمان: تزود مني بنظرة، فإنك والله لا تراني بعد الليلة أبداً، وابن حزم صامت. ثم خرجنا وجئنا إلى عمر بن عبد العزيز وهو يتنظرنا في وسط الدار في ليلة شاتية، فسألنا عن الخبر، فأخبرناه، فجعل يضحك حتى أمسك بطنه، ثم دعا زيداً من غد فأحلفه ورد سكينة عليه.
وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثني الزبير بن بكار عن عمه قال: قالت سكينة لأم أشعب: سمعت للناس خيراً؟ قالت: لا، فبعثت إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فتزوجته، وبلغ ذلك بني هاشم فأنكروه، وحملوا العصي، وجاءوا فقاتلوا بني زهرة حتى كثر الشجاج، ثم فرق بينهم، وخيرت سكينة فأبت نكاح إبراهيم، ثم التفتت إلى أم أشعب وقالت: أترين الآن أنه كان للناس اليوم خبر؟ قالت: إي والله- بأبي أنت- وأي خبر .

قال هارون بن الزيات: وجدت في كتاب القاسم بن يوسف: حدثني الهيثم بن عدي، عن أشعب، قالال: تزيد بن عمرو بن عثمان بن عفان سكينة، وكان أبخل قرشي رأيته، فخرج حاجاً وخرجت سكينة معه، فلم تدع إوزة ولا دجاجة ولا خبيصاً ولا فاكهة إلا حملته معها، وأعطتني مائة دينار، وقالت : يا بن أم حميدة اخرج

معنا . فخرجت ومعنا طعام عللى خمسة أجمال، فلما أتينا السيالة نزلنا، وأمرت بالطعام أن يقدم، فلما جيء بالأطباق، أقبل أغيلمة من الأنصار يسلمون على زيد، فلما رآهم قال: أوه. خاصرتي. باسم الله، ارفعوا الطعام، وهاتوا الترياق والماء الحار، فأتي به فجعل يتوجرهما حتى انصرفوا، ورحلنا وقد هلكت جوعاً، فلم آكل إلا مما اشتريته من السويق فلما كان من الغد أصبحت وبي من الجوع ما لله أعلم به، ودعا بالطعام وأتي به. قال: فأمر بإسخانه، وجاءته مشيخة من قريش يسلمون عليه، فلما رآهم اعتل بالخاصرة، ودعا بالترياق والماء الحار، فتوجره ورفع الطعام، فلما ذهبوا أمر بإعادته، فأتي به وقد برد، فقال لي: يا أشعب، هل إلى إسخان هذا الجاج سبيل؟ فقلت له أخبرني عن دجاجك هذا؟ أمن آل فرعون، فهو يعرض على النار غدوا وعشيا.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، عن محمد بن الحكم، عن عوانة، قال: جاء قوم من أهل الكوفة يسلمون على سكينة فقالت لهم: الله يعلم أني أبغضكم: قتلتم جدي علياً، وأبي الحسين، وأخي علياً، وزوجي مصعباً، فبأي وجه تلقونني، أيتمتعوني صغيرة، وأملتموني كبيرة.

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن المدائني قال: بينما سكينة ذات ليلة تسير، إذ سمعت حادياً يحدو في الليل يقول:

لولا ثلاث هن عيش الدهر

فقالت لقائد قطارها. ألحق بنا هذا الرجل، حتى نسمع منه ما هذه الثلاث. فطال طلبه لذلك حتى أتعبها. فقالت لغلام لها: سر أنت حتى تسمع منه، فرجع إليها فقال: سمعته يقول:

الماء والنوم وأم عمرو

فقالت: قبحه الله! أتعبني منذ الليلة.

قال: وحدثني المدائني أن أشعب حج مع سكينة، فأمرت له بجمل قوي يحمل أثقاله، فأعطاه القيم جملاً ضعيفاً، فلما جاء إلى سكينة قالت له: أعطوك ما أردت؟ قال: عرسه الطلاق، لو انه حمل قتباً على الجمل لما حمله، فكيف يحمل محملاً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة، عن نعيم بن سالم بن علي النصاري، عن سفيان بن حرب، قال: رأيت سكينة بنت الحسين عليه السلام ترمي الجمار، فسقطت من يدها الحصاة السابعة، فرمت بخاتمها مكانها.

وقال هارون بن الزيات: حدثني أبو حذافة السهمي قال: أخبرني غير واحد، منهم محمد بن طلحة: أن سكينة ناقلت بمالها بالزوراء، إلى قصر يقال له البريدي بلزق الجماء، فلما سال العقيق، خرجت ومعها جواريها تمشي، حتى جاءت السيل، فجلست على جوفه، ومالت برجليها في السيل، ثم قالت: هذا في است المغبون . والله لهذه الساعة من هذا القصر خير من الزوراء. قال : وكان البريدي قصراً لا غلة له، وإنما يتنزه فيه، وكانت غلة الزوراء غلة وارة عظيمة .

وقال هارون: وحدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه، وعمه وغيرهما من مشايخ الهاشميين والطالبيين: أن سكينة بنت الحسين عليه السلام، خرجت بها سلعة في أسفل عينها، فكبرت حتى اخذت وجهها وعينها، وعظم شانها، وكان بدراقس منقطعاً إليها في خدمتها، فقالت له: ألا ترى ما قد وقعت فيه؟ فقال: لها أتصبرين على ما يمسك من الأ لم حتى أعالجك؟ قالت نعم. فاضجعها، وشق حلد وجهها حتى ظهرت السلعة، ثم كشط الجلد عنها أجمع، وسلخ اللحم من تحتها حتى ظهرت عروق السلعة، وكان منها شيء تحت الحدقة، فرفع الحدقة عنه، حتى جعلها ناحية، ثم سل عروق السلعة من تحتها. فاخرجها أجمع، ورد العين إلى موضعها، وعالجها وسكينة مضطجعة لا تتحرك ولا تئن، حتى فرغ مما أراد، فزال ذلك عنها، وبرئت منها، وبقي أثر تلك الجراحة في مؤخر عينها، فكان أحسن شيء في وجهها، وكان أحسن على وجهها من كل حلي وزينة، و لم يؤثر ذلك في نظرها، ولا في عينها.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: أخبرني عيسى بن إسماعيل، عن محمد بن سلام، عن جرير المذيني، عن المدائني. وأخبرني به محمد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن محمد بن سلام. وأخبرني به احمد بن عبد العزيز الجوهري، عن عمر بن شبة موقوفاً عليه، قالوا: اجتمع في ضيافة سكينة بنت الحسين عليه السلام، جرير والفرزدق وكثير وجميل ونصيب، فمكثوا أياماً، ثم أذنت لهم، فدخلوا عليها، فقعدت حيث تراهم ولا يرونها، وتسمع كلامهم، ثم أخرجت وصيفة لها وضيئة وقد روت الأشعار والأحاديث، فقالت: أيكم الفرزدق؟ فقال لها: هأنذا. فقالت: أنت القائل:

هما دلتاني من ثمانين قامةً ... كما انحط باز أقتم الريش كاسره

فلما اتوت رجلاي بالأرض قالتا ... أحي يرجى أم قتيل نحاذره

فقلت ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا ... وأقبلت في أعجاز ليلٍ أبادره

أبادر بوابين قد وكلا بنا ... وأحمر من ساج تبض مسامره

قال: نعم. قالت: فما دعاك إلى إفشاء سرها وسرك؟ هلا سترتها وسترت نفسك ؟ خذ هذه الألف، والحق بأهلك.

ثم دخلت على مولاتها وخرجت، فقالت: أبكم جرير؟ فقال لها: هأنذا. فقالت: أنت القائل:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... حين الزيارة فارجعي بسلام

تجرى السواك على أغر كأنه ... برد تحدر من متون غمام

لو كان عهدك كالذي حدثتنا ... لوصلت ذلك فكان غير رمام

إني أواصل من أردت وصاله ... بحبال لاصلف ولا لوام

قال: نعم. قالت أفلا أخذت بيدها، ورحبت بها، وقلت لها ما يقال لمثلها؟ أنت عفيف وفيك ضعف. خذ هذه الألف والحق بأهلك. ثم دخلت على مولاتها وخرجت، فقالت: أيكم كثير؟ فقال: هأنذا. فقالت: أنت القائل:

وأعجبني يا عز منك خلائق كرام إذا عد الخلائق أربع

دونك حتى يطمع الطالب الصبا ودفعك أسباب الهوى حين يطمع

وقطعك أسباب الكريم ووصلك ال لئيم وخلات المكارم ترفع

فوالله ما يدري كريم مماطل أينساك إذا باعدت أم يتضرع

قال: نعم. قالت: ملحت وشكلت. خذ هذه الثلاثة الآلاف، والحق بأهلك.

ثم دخلت إى مولاتها وخرجت فقالت: أيكم نصيب؟ قال: هأنذا. قالت:أأنت القائل:

ولولا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسي النشأ الصغار

بنفسي كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار

قال: نعم. قالت: ربيتنا صغاراً، ومدحتنا كباراً. خذ هذه الأربعة الآ لا ف، والحق بأهلك.

ثم دخلت على مولاتها وخرجت، فقالت: يا جميل، مولاتي تقرئك السلام، وتقول لك: والله مازلت مشتاقة لرؤيتك منذ سمعت قولك:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً بوادي القرى إني إذا لسعيد

لكل حديثٍ بينهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد

جعلت حديثنا بشاشة، وقتلانا شهداء، خذ هذه الأربعة الآ لا ف الدينار، والحق باهلك أخبرني ابن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد عن أبيه، عن أبي عبد الله الزبيري، قال: اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية نصيب وراوية الأحوص، فافتخر كل واحد منهم بصاحبه، وقال: صاحبي أشعر. فحكموا سكينة بنت الحسن بن علي عليهما السلام، لما يعرفونه من عقلها وبصرهابالشعر، فخرجوا يتقادون ، حتى استأذنوا عليها، فاذنت لهم، فذكروا لها الذي كان من أمرهم، فقالت لراوية جرير: أليس صاحبك الذي يقول:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعي بسلام

وأي ساعة أحلى للزيارة من الطروق، قبح الله صاحبك، وقبح شعره! ألا قال: فادخلي بسلام! ثم قالت لراوية كثير: أليس صاحبك الذي يقول:

يقر بعيني ما يقر بعينها وأحسن شيء ما به العين قرت

فليس شيء أقر لعينها من النكاح، أفيحب صاحبك أن ينكح؟ قبح الله صاحبك، وقبح شعره! ثم قالت لراوية جميل: أليس صاحبك الذي يقول:

فو تركت عقلي معب ما طلبتها ولكن طلابيها لما فات من عقلي

فما أرى بصاحبك من هوى، إنما يطلب عقله، قبح الله صاحبك وقبح شعره! ثم قالت لراوية نصيب: أليس صاحبك الذي يقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فيا حربا من ذا يهيم بها بعدي

فما أرى له همة إلا من يعشقها بعده! قبحه الله وقبح شعره! ألا قال:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

ثم قالت لراوية الأحوص: اليس صاحبك الذي يقول:

من عاشقين تواعدا وتراسلا ليلا إذا نجم الثريا حلقا

باتا بأنعم ليلة وألذها حتى إذا وضح الصباح تفرقا

قال: نعم، قالت: قبحه الله وقبح شعره! ألا قال: تعانقا.

قال إسحاق في خبره: فلم تثن على أحد منهم في ذلك اليوم، و لم تقدمه.

قال: وذكر لي الهيثم بن عدي مثل ذلك في جميعهم إلا جميلاً، فإنه خالف هذه الرواية، وقال: فقالت لراوية جميل: أليس صاحبك الذي يقول:

فيا ليتني أعمى أصم تقودني بثينة لا يخفى علي كلامها

قال: نعم. قالت: رحم الله صاحبك كان صادقاً في شعره، كان جميلاً كاسمه، فحكمت له.

وفي الأشعار المذكورة في الأخبار أغان تذكرها هنا نسبتها.

فمنها:

هما دلتاني من ثمانين قامةً كما انقض باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا أحي يرجى أم قتيل نحاذره

عروضه الطويل. الشعر للفرزدق، والغناء للحجي، رمل بالبنصر عن الهشامي وحبش .

وأخبرني: ابو خليفة في كتابه إلي قال: حدثنا محمد بن سلام عن يونس، وحدثنا به اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا محمد بن سلام عن يونس قال: كان للفرزدق غلامان، يقال لأحدهما وقاع، وللآخر زنقطة.

قال: ولوقاع يقول الفرزدق:

تغلغل وقاع إليها فأقبلت تخوض خداريا من الليل أخضر

لطيف إذا ما انغل أدرك ما ابتغى إذا هو للظبي المروع تقترا

وله يقول أيضاً:

فأبلغهن وحي القول عني ... وأدخل رأسه تحت القرام
أسيد ذو خريطةٍ نهارا ... من المتلقطي قرد القمام
فقلن له نواعدك الثريا ... وذاك إليه مجتمع الرجام
ثلاث واثنتان فهن خمس ... وسادسة تميل مع السنام
خرجن إلي لم يطمثن قبلي ... فهن أصح من بيض النعام
فبتن بجانبي مصرعاتٍ ... وبت أفض أغلاق الختام

في هذه الأبيات الثلاثة لا بن جامع، خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي، وفيها هزج بنمان بالوسطى عن عمرو بن بانة. وذكر حبش أن الهزج لفليح، وأن لحن ابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى.

أخبرني أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سلام، قال: قال الفرزدق وهو بالمدينة:

هما دلتاني من ثمانين قامةً ... كما انقض بازٍ أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا ... أحي يرجى أم قتيل نحاذره
فقلت ارفعوا الأسباب لا بفطنوا بنا ... ووليت في أعجاز ليل أبادره
أبادر بوابين قد وكلا بنا ... وأحمر من ساجٍ تبص مسامره
وأصبحت في القوم الجلوس وأصبحت ... معلقة دوني عليها دساكره

قال: فانكرت ذلك قريش عليه، وأزعجه مروان عن المدينة وهو واليها المعاوية، وأجله ثلاثة أيام، فقال:

يا مرو إن مطيتي محبوسة ... ترجو الحباء وربها لم ييأس
واتيتني بصحيفةٍ مختومةٍ ... أخشى علي بها حباء النقرس
ألق الصحيفة يا فرزدق لا تكن ... نكداء مثل صحيفة المتلمس

وقال في ذلك:

وأخرجني وأجلني ثلاثاً ... كما وعدت لملكها ثمود

وذكر ذلك جرير في مناقضة إياه، فقال:

وشبهت نفسك أشقى ثمود ... فقالوا ضللت ولم تهتد

يعني تاجيل مروان له ثلاثاً. وقال فيه أيضاً جرير:

تدليت تزني من ثمانين قامةً ... وقصرت عن باع العلا والمكارم

وهما قصيدتان.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق: انشدني أجود شعر قلته، فأنشده قوله:

عزفت بأعشاشٍ وما كدت تعزف وانكرت من حدراء ما كنت تعرف

فقال له: زدني. فأنشده قوله:

ثلاث واثنتان فهن خمس وسادسة تميل إلى الشمام

فقال له سليمان: ما أظنك إلا قد أحللت بنفسك العقوبة؛ أقررت بالزنا عندي وانا إمام، ولا بد لي من إقامة الحد عليك. قال: إن اخذت في بقول الله عز وجل لم تفعل. قال: وما قال الله عز وجل؟ قال: قال " والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم ترأنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون مالا يفعلون" . فضحك سليمان، وقال: تلافيتها ودرأت عن نفسك، وأمر له بجائزة سنية، وخلع عليه.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا أبو غسان دماذ؛ عن أبي عبيدة، قال: نزل الفرزدق هو ومن معه بقوم من العرب، فأنزلوه وأكرموه، وأحسنوا قراه، فلما كان في الليل دب إلى جارية منهم، فراودها عن نفسها، فصصاحت، فتبادر القوم إليها، فأخذوها من يده وأنبوه، فجعل يفكر واهتم، فقال له الرجل الذي نزل به: مالك؟ أتحب أن أزوجك من هذه الجارية. فقال لا، والله. ما ذلك بي، ولكني كأني يأبن المراغة قد بلغه هذا الخبر، فقال في:

وكنت إذا حللت بدار قوم رحلت بخزية وتركت عارا

فقال له الرجل: لعله لا يفطن لهذا. فقال: عسى أن يكون ذلك. قال: فوالله ما لبثوا أن مر بهم راكب ينشد هذاالبيت، فسألوه عنه، فأنشدهم قصيدة لجرير بعيره بذلك الفعل، وفيها هذا البيت بعينه.

ومنها:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعي بسلام

تجري السواك على أغر كأنه برد تحدر من متون غمام

هيهات منزلنا بجو سويقةٍ ممن يحل بواطن الآجام

إقر السلام على سعاد وقل لها لوما ترد رسولنا بسلام

الشعر لجرير. والغناء لابن سريج: ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن ابن المكي. وذكره إسحاق في هذه الطريقة أيضاً و لم ينسبه إلى أحد، وأظنه من منحول يحيى. وذكره عمرو بن بانة أيضاً لابن سريج في الثاني والرابع في هذه الطريقة، وذكر علي بن يحيى أن فيه لابن سريج ثقيل أول في الثاني والثالث، وأنكر ذلك حبش ،

وقال:هو بالوسطى. قال علي بن يحيى: ومن الناس من ينسبه إلى سياط. وذكر حبش أن فيه للهذلي خفيف ثقيل بالبنصر، وللغريض ثاني ثقيل بالوسطى. ومنها :

من عاشقين تراسلا وتواعدا بلقاً إذا نجم الثريا حلقا

بعثا أمامهما مخافة رقبة رصداً فمزق عنهما ما مزقا

باتا بأنعم ليلة وألذها حتى إذا وضح الصباح تفرقا

الشعر للأحوص. والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أول بالبنصر، عن يونس والهشامي.

رجع الحديث إلى أخبار سكينة

وروى أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني، عن أبي يعقوب الثقفي، عن عامرٍ الشعبي، وذكر أيضاً أبو عبيدة معمر بن المثنى: أن الفرزدق خرج حاجاً، فلما قضى حجه خرج إلى المدينة، فدخل على سكينة بنت الحسين عليه السلام مسلماً، فقالت له: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت. أشعر منك الذي يقول:

بنفسي من تجنبه عزيز علي ومن زيارته لمام

ومن أمسي وأصبح لا أراه ويطرقني إذا هجع النيام

قال: والله لئن أذنت لي لأسمعتك أحسن منه. قالت: أقيموه، فأخرج . ثم عاد إليها من الغد، فدخل عليها، فقالت: يافرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت. صاحبك أشعر منك حيث يقول:

لولا الحياء لعادني استعبار ولزرت قبركٍ والحبيب يزار

كانت إذا هجر الضجيع فراشها كتم الحديث وعفت الأسرار

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار

فقال: والله لئن أذنت لي لأسمعنك أحسن منه. فأمرت به فأخرج؛ ثم عاد إليها في اليوم الثالث، وحولها مولدات كأنهن التماثيل، فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن، فأعجب بها. فقالت: يافرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا. فقالت: كذبت صاحبك أشعر منك حيث يقول:

إن العيون التي في طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا

فقال: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن لي عليك حقاً عظيماً. ضربت إليك من مكة أريد التسليم عليك، فكان في دخولي إليك تكذيبي ومنعك إياي أن أسمعك ، وبي ما قد عيل معه صبري، وهذه المنايا تغدو

وتروح، ولعلي لا أفارق المدينة حتى أموت، فإن أنا من فمري أن أدرج في كفني، وأدفن في حر تلك الجارية، يعني الجارية التي أعجبته، فضحكت سكينة، وأمرت له بالجارية، فخرج بها آخذاً بريطتها، وأمرت الجواري أن يدفعن في أقفائهما، ثم قالت: يا فرزدق، أحسن صحبتها، فإني آثرتك بها على نفسي.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، وأحمد بن العزيز الجوهري، قالا: حدثنا علي بن محمد النوفلي قال: حدثني أبي عن أبيه وعمومته وجماعة من شيوخ بني هاشم: أنه لم يصل على أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إمام إلا سكينة بن الحسين عليه اللام، فغنها ماتت وعلى المدينة خالد بن عبد الملك، فأرسلوا إيه، فآذنوه بالجنازة، وذلك في أول النهار في حر شديد، فأرسل إليهم: لا تحدثوا حدثاً حتى أجيء فأصلي عليها، فوضع النعش في موضع المصلى على الجنائز، وجلسوا ينظرونه حتى جاءت الظهر، فأرسلوا إليه، فقال: لا تحدثوا فيها شيئاً حتى أجيء فجاءت العصر، ثم لم يزالوا ينتظرونه حتى صليت العشاء، كل ذلك يرسلون إليه، فلا يأذن لهم حتى صليت العتمة و لم يجيء، ومكث الناس جلوساً حتى غلبهم النعاس، فقاموا فأقبلوا يصلون عليها جمعاً جمعاً وينصرفون، فقال علي بن الحسين عليه السلام: من أعان بطيب رحمه الله! قال: وإنما أراد خالد بن عبد الملك، فيما ظن قوم، أن تنتن. قال: فأتي بالمجامر، فوضعت حول النعش، ونهض ابن أختها محمد بن عبد الله العثماني، فأتى عطاراً كان يعرف عنده عوداً، فاشتراه منه بأربعمائة دينار، ثم أتى به، فسجر حول السرير، حتى أصبح وقد فرغ منه، فلما صليت الصبح أرسل إليهم: صلوا عليها وادفنوها. فصلى عليها شيبة بن نصاح .

وذكر يحيى بن الحسين في خبره: أن عبد الله بن حسن ه الذي ابتاع لها العود بأربعمائة دينار.

وأنا الأخضر من يعرفني	أخضر الجلدة من بيت العرب
من يساجلني يساجل ماجدا	يملأ الدلو إلى عقد الكرب
إنما عبد مناف جوهر	زين الجوهر عبد المطلب
كل قوم صبيغة من فضة	وبنو عبد مناف من ذهب
نحن قوم قد بنى الله لنا	شرفاً فوق بيوتات العرب
بنبي الله وابني عمه	وبعباس بن عبد المطلب

الشعر للفضل بن العباس اللهبي، والغناء لمعبد، ثقيل أول بالبنصر، في الأول والثاني والثالث. ولابن محرز في الأول والثاني خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر. وذكر يونس أن فيهما لمعبد ومالك وأبن محرز وابن مسجح وابن سريج خمسة ألحان. وذكر الهشامي أن لحن ابن سريج رمل، ولحن مالك خفيف رمل، ولحن معبد خفيف ثقيل، ولحن ابن محرز ثقيل أول. وذكر ابن المكي أن الثقيل الأول المالك. وذكر عمرو بن بانة في كتابه الثاني أن لابن مسجح أو لابن محرز فيه خفيف رمل. وذكر الهشامي أن فيه رملاً آخر بالوسطى لأبي سعيد مولى فائد، ولأبي الحسن مولى سكينة، في الثالث والرابع، خفيف ثقيل . وذكر حبش أن لابن صاحب الوضوء الأول والثاني

ثاني ثقيل بالبنصر، ولابن سريج ثقيل أول بالبنصر. وذكر حماد عن أبيه: أن لابن عائشة فيهما لحناً، ووافقه ابن المكي. وذكر أنه خفيف رمل. قال: وقيل إنه لدحمان . وذكر ابن خرداذبه أن الخليدة المكية في الرابع والثالث خفيف رمل، وفي الخامس والسادس والأول رمل، يقال إنه لإبراهيم، ويقال إنه لإسحاق. والخامس والسادس من هذه الأبيات، وإن كان شعر الفضل بن العباس اللهبي، فليس من القصيدة التي فيها:

وأنا الأخضر من يعرفني

لكن من قصيدة له أولها:

شاب رأسي ولداتي لم تشب　　بعد لهو وشباب ولعب

شيب المفرق مني وبدا　　في حفافي لحيتي مثل العطب

في هذين البيتين لهاشم ونفيلة خفيف رمل بالوسطى، والقصيدة التي فيها:

وأنا الأخضر من يعرفني　　أخضر الجلدة من نسل العرب

أولها قوله:

طرب الشيخ ولا حين طرب　　وتصابي وصبا الشيخ عجب

أخبار الفضل بن العباس اللهبي ونسبه

الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. وكان أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم. وكان شديد الأدمة. لذلك قال:

أنا الأخضر من يعرفني

وهو هاشمي الأبوين؛ وامه بنت العباس بن عبد المطلب.

أخبرني بذلك محمد بن العباس اليزيدي، عن عمه عبيد الله، عن ابن حبيب. وإنما أتاه السواد من قبل أمه: جدته ، وكانت حبشية.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم زوج عتبة إحدى بناته. فلما بعثه الله تعالى نبياً، أقسمت عليه أم جميل أن يطلقها. فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد، أشهد من حضر أني قد كفرت بربك، وطلقت ابنتك. فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث الله عليه كلباً من كلابه يقتله. فبعث الله عز وجل عليه أسداً فافترسه .

أخبرني الحسن بن القاسم البجلي الكوفي قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن المعلى قال: حدثني الوليد بن وهب، عن أبي حمزة الثمالي، عن عكرمة قال: لما نزلت: " والنجم إذا هوى" ، قال عتبة للنبي صلى الله عليه وسلم: أنا أكفر

برب النجم إذا هوى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم أرسل عليه كلباً من كلابك. قال: فقال ابن عباس: فخرج إلى الشأم في ركب فيهم هبار بن الأسود، حتى إذا كانوا بوادي الغاضرة، وهي مسبعة، نزلوا ليلاً، فافترشوا صفاً واحداً، فقال عتبة: أتريدون أن تجعلوني حجرة؟ لا، والله، لا أبيت إلا وسطكم. فبات وسطهم. قال هبار: فما أنبهني إلا السبع يشم رؤوسهم رجلاً رجلاً، حتى انتهى إليه، فأنشب أنيابه في صدغيه، فصاح: أي قوم قتلني دعوة محمد ، فأمسكوه، فلم يلبث أن مات في أيديهم.

أخبرني الحسن بن الهيثم قال: حدثنا علي بن إبراهيم قال: حدثني الوليد بن وهب، عن أبي حمزة، عن هشام بن عروة، عن أبيه مثله. إلا أنه قال: عتبة: أنا بريء من الذي"دنا فتدلى". قال: وقال هبار: فضغمه الأسد ضغمة، فالتقت أنيابه عليه.

نسخت من كتاب أبن النطاح عن العهيثم بن عدي. وقد أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي في الكتاب الجوابات قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المائني، إلا أن رواية ابن النطاح أتم، واللفظ له، قال: مر الفضل اللبي بالأحوص وهوينشد، وقد اجتمع الناس عليه، فحسده، فقال له: يا أحوص إنك لشاعر، ولكنك لا تعرف الغريب، ولا تعرب. قال: لى، والله إني لأ بصر الناس بالغريب والإعراب، فأسألك ؟ قال: نعم قال:

ما ذات حبلٍ يراها الناس كلهم ... وسط الجحيم فلا تخفى على أحد

كل الحبال الناس من شعرٍ ... وحبلها وسط أهل النار من مسد

فقال له الفضل بن العباس:

ماذا أردت إلى شتمي ومنقصتي ... ماذا أردت إلى حمالة الحطب؟

أذكرت بنت قروم سادةٍ نجبٍ ... كانت حليلة شيخ ثاقب النسب

فانصرف عنه.

قال ابن النطاح: وحدثت أن الحزين الديلي مر بالفضل يوم جمعه، وعنده قوم ينشدهم، فقال له الحزين: أتنشد الشعر والناس يروحون إلى الصلاة؟ فقال الفضل: ويلك يا حزين! أتتعرض لي، كأنك لا تعرفني. قال: بلى والله، إني لأعرفك،، ويعرفك معي كل من قرأ سورة"تبت يدا أبي لهب" . وقال يهجوه:

إذا ما كنت مفتخراً بجد ... فعرج هن أبي لهبٍ قليلا

فقد أخزى الإ له أباك دهرا ... وقلد عرسه حبلاً طويلا

فأعرض عنه الفضل، وتكرم عن جوابه. وكان الحزين مغرى به وبهجائه.

حدثني الحسن بن علي قال: حدثنا القاسم بن محمد الأنباري قال: حدثنا أبو عكرمة عامر بن عمران، قال: دخل الفرزدق المدينة، فنظر إلى الفضل بن العباس بن عتبة ينشد:

من ساجلني يساجل ما جدا ... يملأ الدلو إلى عقد الكرب

فقال الفرزدق: من المنشد؟ فاخبر به، فقال: ما يساجلك إلا من عض بظر أمه.

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثنا محمد بن الحكم، قال: قدم الوليد بن عبد الملك حاجاً إلى مكة وهو خليفة، فدخل عليه الفضل بن العباس بن عتبة، فشكا إليه كثرة العيال، وسأله فأعطاه مالاً وإبلاً ورقيقاً. فلما مات الوليد ولي سليمان فحج، فأتاه فسأله، فلم يعطه شيئاً، فقال:

يا صاحب العيس التي رحلت ... محبوسة لعشية النفر

امرر على قبر الوليد فقل له ... صلى الإ له عليك من قبر

يا واصل الرحم التي قطعت ... وأصابها الجفوات في الدهر

إني وجدت الخل بعدك كاذباً ... فبرئت من كذبٍ ومن غدر

ولقد مرر بنسوةٍ يند بنه ... بيض السواعد من بني فهر

تبكي لسيدها الأجل وما ... يبكين من نابٍ ولا بكر

يبكينه ويقلن: سيدنا ... ضاع الخلافة آخر الدهر

ماذا لقيت، جزيت صالحة ... من جفوة الإ خوان لو تدري

أخبرني وكيع بهذا الخبر، قال: حدثني محمد بن علي بن حمزة قال: حدثنا أو غسان قال: أخبرنا أبو عبيدة عن عبد العزيز بن أبي ثابت، قال: كان الفضل بن العباس منقطعاً إلى الوليد بن عبد الملك، فلما مات الوليد جفاه سليمان وحرمه، فقال:

يا راكب العيس التي وقفت ... للنفر يوم صبيحة النحر

وذكر الأبيات. قال : وكان الوليد فرض له فريضة يعطاها كل سنة، فقال: يا أمير المؤمنين، بقي شارب الريح. قال: وما شارب الريح؟ قال: حماري، افرض له شيئاً. ففرض له خمسة دنانير، فأخذها و لم يكن يطعمه، فعمد رجل فكتب رقعة يذكر فيها قصة الحمار، وعلقها في عنقه ، وجاء بها إلى القاضي، فأضحك منه الناس.

حدثنا اليزيدي، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثني أبو الشكر مولى بن هاشم، كوفي ظريف، قال: كان الفضل بن العباس بخيلاً، فقدم علي بن عبد الله بن العباس حاجاً، فاتاه في منزله مسلماً عليه، فقال له: كيف أنت، وكيف حالك؟ قال: بخير، نحن في عافية. قال: فهل من حاجة؟ قال: لا والله، وإني لأشتهي هذا العنب، وقد أغلاه علينا هؤلاء العلوج. فغمز غلاماً له، فذهب فأتاه بسلة عظيمة من عنب، فجعل يغسل له عنقوداً عقوداً ويناوله، فكلما فعل ذلك قال: برتك رحم.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدثنا الزبير بن بكار عن عمه، قال: كان الفضل بن العباس بخيلاً، وكان ثقيل البدن، إذا أراد أن يمضي في حاجة استعار مركوباً، فطال ذلك عليه وعلى

أهل المدينة من فعله، فقال له بعض بني هاشم: انا أشتري لك حماراً تركبه، وتستغني عن العارية. ففعل، وبعث به إليه، فكان يستعير له سرجاً إذا أراد أن يركبه، فتواصى الناس بالأ يعيره أحد سرجاً. فلما طال عليه ذلك، اشترى سرجاً بخمسة دراهم، وقال:

ولما رأيت المال مألف أهله وصان ذوي الأخطار أن يتبذلوا

رجعت إلى مالي فأعتبت بعضه فأعتبني إن يكذلك أفعل

ثم قال للذي اشترى له الحمار: إني لا أطيق علفه، فإما أن تبعث إلي علفه وإلا رددته. فكان يبعث إليه بعلف كل ليلة وشعير، ولا يدع هو أيضاً أن يطلب من كل أحد يأنس به علفاً لحماره، فبعث به إليه، فيعلفه التبن دون الشعير، حتى هزل وعطب. فرفع الحزين الكناني إلى ابن حزم أو عبد العزيز بن عبد المطلب رقعة، وكتب في رأسها قصة حمار الفضل اللهبي، وذكر فيها أنه يركبه ويأخذ علفه وقضيمه من الناس، ويعلفه التبن، ويبيع الشعير، ويأخذ ثمنه، ويسأل أن ينصف منه. فضحك لما قرأ الرقعة، وقال: لئن كنت ما زحاً إني لأراك صادقاً. وأمر بتحويل حمار اللهبي إلى أصطبله، ليعلفه ويقضمه، فإذا أراد ركوبه دفع إليه.

أخبرني وكيع قال: حدثني محمد بن سعد الشامي، عن ابن عائشة، قال: كان الفضل اللهبي بغير سرج، فاستعار سرجا، فمطله الرجل، حتى خاف أن تفوته حاجته، فاشترى سرجاً ومضى لحاجته، وأنشأ يقول:

ولما رأيت المال مألف أهله

وذكر البيتين و لم يزد عليهما شيئاً.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن محمد النوفلي قال: كان أبي عن إسحاق بن عيسى وهو والي البصرة، وعنده وجوه أهل البصرة، وقد كانت فيهم بقية حسنة في ذلك الدهر، فأفاضوا في ذكر بني هاشم، وما أعطاهم الله من الفضل بنبيه صلى الله عليه وسلم، فمن منشد شعراً ومتحدث حديثاً، وذاكر فضيلة من فضائل بن هاشم. فقال أبي: قد جمع هذا الكلام الفضل بن العباس اللهبي في بيت قاله، ثم أنشد قوله:

ما بات قوم كرام يدعون يدا إلا لقومي عليهم منة ويد

نحن السنام الذي طالت شظيته فما يخالطه الأدواء والعمد

فمن صلى صلاتنا، وذبح ذبيحتنا، عرف أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم، بما هداه الله عز وجل إلى الإسلام به، ونحن قومه، فتلك منة لنا على الناس.

وفي هذين البتين غناء لابن محرز، هزج بالبنصر في رواية عمرو بن بانة. وقوله وطالت شظيته، الشظية: الشظى ، قال دريد بن الصمة.

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا أمين القوى نهد طويل المقلد

والعمد: داء يصيب البعير من مؤخر سنامه إلى عجزه، فلا يلبثه أو يقتله .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، وأحمد بن عبد العزيز الجوهري، قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران، قالا: أخبرني أحمد بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، قال: قدم الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، على عبد الملك بن مروان، فأنشده وعنده ابن لعبيد الله بن زياد، فقال الزيادي: والله ما أسمع شعراً، فلما كان العشي راح إليه الفضل، فوقف بين يديه، ثم قال: يا أمير المؤمنين:

أتيتك حالاً وابن عم عمةٍ ... ولم أك شعباً لاطه بك مشعب

فصل واشجات بيننا من قرابة ... ألا صلة الأرحام أبقى وأقرب

ولا تجعلني كامرىء ليس بينه ... وبينكم قربى ولا منتسب

أتحدب من دون العشيرة كلها ... فأنت على مولاك أحنى وأحدب

فقال الزيادي: هذا والله ياأمير المؤمنين، الشعر! فقال عبد الملك: النخس يكفيك البطيء . وجعل يضحك من استرسال الزيادي في يده ، وأحسن صلته.

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني النوفلي قال: حدثني عمي قال: لما قدم الفضل اللهبي على عبد الملك بن مروان أمر له بعشرة آلاف درهم، ثم حج الوليد فأمر له بمثلها.

فلما قدم الأحيحي على المهدي فمدحه، قال المهدي لم حضر: كم كان عبد الملك أعطى الفضل اللهبي لما مدحه، فما أعلم هاشمياً مدحه غيره؟ فقيل له: أعطاه عشرة آلاف درهم. قال: فكم أعطاه الوليد؟ قالوا: مثل عطية أبيه فأمر للأحيحي بثلاثين ألف درهم.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني أحمد بن معاوية، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي، قال: خرج علي بن عبد الله بن العباس بالفضل اللهبي إلى عبد الملك بن مروان بالام، فخرج عبد الملك يوماً رائحاً على نجيب له، ومعه بغلة تجنب، فحدا حادي عبد الملك به، فقال:

يأيها البكر الذي أراكا ... عليك سهل الأرض في ممشاكا

ويلك هل تعلم من علاكا ... إن ابن مروان على ذراكا

خليفة الله الذي امتطاكا ... لم يعل بكراً مثل من علاكا

فعارضه الفضل اللهبي، فحدا بعلي بن عبد الله بن عباس، فقال:

يأييها السائل عن علي ... سألت عن بدر لنا بدري

أغلب في العلياء غالبي ... ولين الشمسة هاشمي

جاء على بكر له مهري

فنظر عبد الملك إلى علي فقال: أهذا مجنون آل أبي لهب؟ قال: نعم. فلما أعطى قريشاً مر به اسمه فحرمه، وقال: يعطيه علي. هكذا رواية عمر بن شبة.

وأخبرني ابن عمار بهذا الخبر عن علي بن محمد بن النوفلي عن عمه: أن سليمان بن عبد الملك حج في خلافة الوليد، فجاء إلى زمزم فجلس عندها، ودخل الفضل اللهبي يستقي، فجعل يرتجز ويقول:

يأيها السائل عن علي ... سألت عن بدرٍ لنا بدري

مقدم في الخير أبطحي ... ولين الشيمة هاشمي

زمزمنا بوركت من ركي ... بوركت للساقي وللمسقي

فغضب سليمان، وهم بالفضل. فكفه عنه علي بن عبد الله، ثم أتاه بقدح فيه نبيذ من نبيذ السقاية، فأعطاه إياه، وسأله أن يشربه، فاخذه من يده كالمتعجب، ثم قال: نعم إنه يستحب، ووضعه في يده و لم يشربه. فلما ولي الخلافة وحج لقيه الفضل، فلم يعطه شيئاً.

نسخت من كتاب ابن النطاح، قال: ذكر أبو الحسن المدائني أن الحارث بن خالد المخزومي، كان يحسد الفضل اللهبي على شعره ويعاديه، لأن أبا لهب كان قامر جده العاصي بن هشام على ماله فقمره، ثم قامره على رقة فقمره ، فأسلمه قيناً، ثم بعث به بديلاً يوم بدر، فقتله علي بن أبي طالب عليه السلام، فكان إذا أنشد شيئاً من شعر ابن حمالة الحطب. فقال الفضل في ذلك:

ماذا تحاول من شتمي ومنقصتي ... ماذا تعير من حمالة الحطب

غراء سائلة في المجد غرتها ... كانت حليلة شيخ ثاقب النسب

إنا وإن رسول الله جاءبنا ... شيخ عظيم شئون الرأس والنشب

يالعن الله قوماً أنت سيدهم ... في جلدة بين أصل الثيل والذنب

أبا لقيون توافيني تفاخرني ... وتدعي المجد قد أفرطت في الكذب

وفي ثلاثة رهطٍ أنت رابعهم ... توعدني واسطاً جرثومة العب

في أسرة من قريش هم دعائمها ... تشفي دماؤهم للخيل والكلب

أما أبوك فعبد لست تنكره ... وكان ما لكه جدي أبو لهب

النبع عيداننا والمجد شيمتنا ... لسنا كقومك من مرخ ولا غرب

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي عبيد الله بن محمد، عن ابن حبيب، عن ابن الأعرابي قال: كان رجل من بني كنانة يقال له عقرب حناط قد داين الفضل اللهبي فمطله، ثم مر به الفضل وهو يبيع حنطة له، ويقول:

جاءت بها ضابطة التجار صافيه كقطع الأوتار

فقال الفضل:

قد تجرت عقرب في سوقنا ياعجبا للعقرب التاجره

قد صافت العقرب واستقينت أن مالها دنيا ولا آخره

فإن تعد عادة لما ساءها وكانت النعل لها حاضره

إن عدوا كيده في إسته لغير ذي كيدٍ ولا نائره

كل عدو يتقى مقبلا وعقرب تخشى من الدابره

كأنها إذ خرجت هودج شدت قواه رفعة باكره

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا دماذ أبو غسان، عن أبي عبيدة. ووجدته في بعض الكتب عن الرياشي عن زكويه العلائي عن ابن عائشة عن أبيه، والروايتان كالمتفقتين: أن عمر بن أبي ربيعة وفد على عبد الملك بن مروان، فأدخل عليه، فسأله عن نسبه، فانتسب، فقال له:

لا أنعم الله بقين عينا تحية السخط إذا التقينا

أأنت لا أم لك القائل:

نظرت إليها بالمحصب من منى ولي نظر لولا التحرج عارم

فقلت :أشمس أم مصابيح بيعةٍ بدت لك خلف السجف أم أنت حالم

بعيدة مهرى القرط إما لنوفل أبوها وإما عبد شمس وهاشم

الغناء لابن سريج: رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة، ومن رواية حماد بن إسحاق عن أبيه. ولمعبد فيه لحن من رواية إسحاق: ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر ، أوله:

بعيدة مهوى القرط إما النوفل

وفي لحن معبد خاصة قوله:

ومد عليها السجف يوم لقيتها على عجلٍ تباعها والخوادم

وتمام الشعر:

فلم أستطعها غير أن قد بدا لنا عشية راحت كفها والمعاصم

معاصم لم تضرب على الهم بالضحى عصاها، ووجه لم تلحه السمائم

نرجع إلى سياقة الخبر: ثم قال له عبد الملك: قالتلك الله! ما ألأمك! أما كنت لك في بنات العرب مندوحة عن بنات عمك! فقال عمر: بئست والله هذه التحية يا أمير المؤمنين لابن العم، على شحط الدار، ونأي المزار. فقال له عبد الملك: أراك مرتدعاً عن ذلك؟ فقال: إني إلى الله تعالى تائب. فقال عبد الملك: إذن يتوب الله عليك، وسيحسن جائزتك.

ولكن أخبرني عن منازعتك اللهبي في المسجد الجامع، فقد أتاني نبأ ذلك، وكنت أحب أن سمعه منك. قال عمر: نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا جالس في المسجد الحرام، في جماعة من قريش، إذ دخل علينا الفضل بن العباس بن عتبة، فسلم وجلس، ووافقني وأنا أتمثل بهذا البيت:

وأصبح بطن مكة مقشعرا كأن الأرض ليس بها هشام

فأقبل علي وقال: يا أخا بني مخزوم، والله إن بلدة تبحبح بها عبد المطلب، وبعث منها رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستقر بها بيت الله عز وجل، لحقيقة ألا تقشعر لهشام، وإن أشعر من هذا البيت وأصدق قول من يقول:

إنما عبد مناف جوهر زين الجوهر عبد المطلب

فأقبلت عليه فقلت: يا أخا بني هاشم، إن أشعر من صاحبك الذي يقول:

إن الدليل على الخيرات أجمعها أبناء مخزوم ، للخيرات مخزوم

فقال لي: أشعر والله من صاحبك الذي يقول:

جبريل أهدى لنا الخيرات أجمعها إذ أم هاشم لا أبناء مخزوم

فقلت في نفسي: غلبني والله. ثم حملني الطمع في انقطاعه علي، فخاطبته فقلت: بل أشعر منه الذي يقول:

أبناء مخزومٍ الحريق إذا حركته تارة ترى ضرما

يخرج منه الشرار مع لهبٍ من حاد عن حره فقد سلما

فو الله ما تعلثم أن أقبل علي بوجهه فقال: يا أخا بني مخزوم، أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول:

هاشم بحر إذا سما وطما أحمد حر الحريق واضطرما

واعلم وخير المقال أصدقه بأن من رام هاشما هشما

قال: فتمنيت والله يا أمير المؤمنين أن الأرض ساخت بي، ثم تجلدت عليه فقلت: يا أخا بني هشام، أشعر من صاحبك الذي يقول:

أبناء مخزوم أنجم طلعت للناس تجلو بنورها الظلما

نجود بالنيل قبل تسأله جوداً هنيئاً وتضرب البهما

فأقبل علي بأسرع من اللحظ ، ثم قال: أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول:

هاشم شمس بالسعد مطلعها إذا بدت أخفت النجوم معا

اختار منها ربي النبي فمن قارعها بعد أحمدٍ قرعا

فاسودت الدنيا في عيني ، وديربي، وانقطعت، فلم أحر جواباً. ثم قلت له: يا أخا بني هاشم، إن كنت تفخر علينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يسعنا مفاخرتك. فقال: كيف؟ لا أم لك، والله لو كان منك لفخرت به علي. فقلت: صدقت وأستغفر الله، إنه لموضع الفخار. وداخلني السرور لقطعه الكلام، ولئلا ينالني عوز عن إجابته فأفتضح. ثم إنه ابتأ بالمناقضة، فأفكر هنيهة، ثم قال: قد قلت فلم أجد بدا من الاستماع، فقلت: هات. فقال:

نحن الذين إذا سما لفخارهم ذو الفخر أقعده هناك القعدد

افخر بنا إن كنت يوماً فاخراً تلق الألى فخروا بفخرك أفردوا

قل يا بن مخزوم لكل مفاخرٍ منا المبارك ذو الرسالة أحمد

ماذا يقول ذوو الفخار هنا لكم هيهات ذلك هل ينال الفرقد

فحصرت واله وتبلدت، وقلت له: إن لك عندي جواباً فأنظرني. وأفكرت ملياً، ثم أنشأت أقول:

لا فخر إلا قد علاه محمد فإذا فخرت به فإني أشهد

أن قد فخرت وفقت كل مفاخرٍ وإليك في الشرف الرفيع المعمد

ولنا دعائم قد بناها أول في المكرمات جرى عليها المولد

من رامها حاشى النبي وأهله بالفخر غطمطه الخليج المزبد

دع ذا ورح لغناء خودٍ بضةٍ مما نطقت به وعنى معبد

مع فتية تندى بطون أكفهم جوداً إذا هر الزمان الأنكد

يتناولون سلافة عانيةً طابت لشاربها وطاب المقعد

فوالله يا أمير المؤمنين، لقد أجابني بجواب كان أشد علي من الشعر. قال لي: يا أخا بني مخزوم، أريك السها وتريني القمر-قال أبو عبد الله اليزيدي : أدلك على الأمر الغامض، وأنت لم تبلغ أن ترى الأمر الواضح. هذا مثل- أتخرج من المفاخرة إلى شرب الراح، وهي الخمر المحرمة؟ فقلت له: أما علمت أصلحك الله أن الله عز وجل يقول في الشعراء:"وأنهم يقولون مالا يفعلون" . فقال: صدقت، وقد استثنى الله قوماً منهم، فقال "إلا الذين آمنو وعملوا الصالحات" ، فإن كنت منهم فقد دخلت تحت الاستثناء، وقد استحققت العقوبة بدعائك إليها؛ وإن لم تكن منهم فالشرك بالله عليك أعظم من شرب الخمر. فقلت: أصلحك الله، لا أجد للمستخذي شيئاً

أصلح من السكوت. فضحك وقال: أستغفر الله. وقام عني.

قال: فضحك بعبد الملك حتى استلقى، وقال يا بن أبي ربيعة، أما علمت أن لبني عبد مناف ألسنة ل تطاق، ارفع حوائجك. قال: فرفعتها فقضاها، وأحسن جائزتي وصرفني .

واللفظ في هذا الخبر لمحمد بن العباس .

ذكر خبر من لم يمض له خبر ولا يأتي ممن ذكرت صنعته في هذا الخبر منهم خليدة المكية، وهي مولاة لابن شماس، كانت هي وعقيلة وربيحة يعرفن بالشماسيات، وقد أخذن الغناء عن ابن سريج ومعبد ومالك.

فأخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا: حدثنا الزبير بن بكار، عن عمه قال:

كانت لهشام بن عروة جفنية يصيب منها هو وبنوه ناحية ، وكان محمد بن هشام يصنع الطعام الرقيق، فيشير إليهم، فيمسكون عن الأكل، فيفطن هشام، فيقول: لقد حدث شيء، ثم يقوم محمد، فيتسلل القوم إله، وجاءت خليدة المكية، فصعدوا غرفة، فلما غنت إذا حفز ونفس، فإذا هو هشام قد طلع وهو ينشد:

يا قدمي ألحقاني بالقوم لا تعداني كسلاً بعد اليوم

فلما رآهم، قال: أحسبه قد جلس معهم. وقال الخليدة: غني. فغنت. فقال لها: أكتبي في صدرك"قل هو الله أحد والمعوذتين" لا تصيبك العين.

أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب، عن ابن خرداذبه قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن الفضل بن الربيع قال: مارأيت ابن جامع يضرب لقناء كا يطرب لغناء خليدة المكية، وكانت سوداء، وفيها يقول الشاعر:

فتنت كاتب الأمير رياحا يا لقوم خليدة المكية

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثنا عمر بن شبة، ونسخت هذا الخبر بعينه من كتاب جعفر بن قدامة بخطه، قال: حدثني عمر بن شبة قال: بلغني أن محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان أرسل إلى خليدة المكية أبا عون مولاه بخطبها عليه.

فاستأذن فأذنت له وعليها ثياب رقاق لا تسترها، ثم وثبت، فقالت: إنما ظننتك بعض سفهائك، ولكني أبس لك ثياب مثلك، ثم أخرج إليك. ففعلت. وقالت: قل. قال: أرسلني إليك مولاي، وهو من تعلمين بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين علي وعثمان، وهو ابن عم أمير المؤمنين، يخطبك. وقالت: قد نسبته فأبلغت، فاسمع نسبي أنا، بأبي أنت.

إن أبي بيع على غير عقد الإسلام ولا عهده، فعاش عبداً، ومات وفي رجله قيد، وفي عنقه سلسلة، وعلى الإباق والسرقة؛ وولدتني أمي على غير رشدة، وماتت وهي آبقة، فأنا من تعلم. فإن أراد صاحبك نكاحاً مباحاً، أو زناً صراحاً، فهلم إليه، فنحن له. فقال: إنه لا يدخل في الحرام. قالت: ولا ينبغي أن يستحس من الحلال. فأما نكاح اسر فلا. والله لا فعلته، ولا كنت عاراً على القيان. قال: فاتيت محمداً فأخبرته، فقال: ويلك! أتزوجها معلنا

وعندي بنت طلحة بن عبيد الله! لا. ولكن ارجع إليها، فقل لها تختلف إلي أردد بصري فيها، لعلي أسلو. فرجعت فأبلغتها الرسالة، فضحكت، وقالت: اما هذا فنعم. لسنا نمنعه منه.

رب ليلٍ ناعم أحييته ... في عفاف عند قباء الحشى

ونهار قد لهونا بالتي ... لا نرى شبهاً لها فيمن مشى

لطلوع الشمس حتى آذنت ... بغروب عن إبان العشا

لسليمى ما دعت قمرية ... بهديل فوق غصن من غضى

وعقارٍ قهوة باكرتها ... في ندامى كمصابيح الدجى

وجواد سابح أقحمته ... حومة الموت على زرق القنا

الشعر للمهاجر بن خالد بن الوليد، فيما ذكر الزبير بن بكار. وذكر أبو عمر الشيباني وخالد بن كلثوم: أنه لابنه خالد بن المحاجر. والغناء لابن محرز، ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق؛ وفيه لإبراهيم الموصلي لحنان، أحدهما هزج خفيف بالسبابة، في مجرى البنصر، عن إسحاق وابن المكي، والآخر رمل بالبنصر، عن عمرو وابن المكي والهشامي. وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر والبنصر، عن ابن المكي. قال: وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر، نشيد ، ووافقه عمرو الهشامي، وذكر عمرو في نسخته الأولى أنه لابن محرز، والمعمول عليه الرواية الثانية.

أخبار المهاجر بن خالد ونسبه

وأخبار ابنه خالد

المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. وكان الوليد بن المغيرة سيداً من سادات قريش، وجواداً من جوادئها . وكان يلقب بالوحيد. وامه صخرةبنت الحارث بن عبد الله بن عبد شمس، امرأة من بجيلة، ثم من قسر. ولما مات الوليد بن المغيرة أرخت قريش بوفاته مدة، لإعظامها إياه، حتى كان عام الفيل، فهلوه تاريخاً. هكذا ذكر ابن دأب.

وأما الزبير بن بكار فذكر عن عمرو بن أبي بكر المؤملي، أنها كانت تؤرخ بوفاة هشام بن المغيرة تسع سنين، إلى أن كانت السنة التي بنوا فيها الكعبة، فأرخوا بها.

ولخالد بن الوليد من الشهرة بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والغناء في حروبه المحل المشهور، ولقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله، وهاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل الفتح وبعد الحديبية هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة. فقال: النبي صلى الله عليه وسلم لما رآهم: رمتكم مكة بأفلاذ كبدها.

وشهد فتح مكة مع النبي صلى الله عليه وسلم؛ فكان أول من دخلها في مهاجرة العرب من أسفل مكة، وشهد يوم مؤته. فلما قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة، ورأى الا طاقة للمسلمين بالقوم، انحاز بهم، وحامى عليهم حتى سلموا، فلقبه يومئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم: سيف الله.

حدثنا بذلك أجمع الحرمي بن أبي العلاء والطوسي عن الزبير بن بكار.

وكان خالد يوم حنين في مقدمة رسول الله صلى اله عليه وسلم ومعه بنو سليم، فأصابته جراح كثيرة، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هزيمة المشركين، فنفث على جراحه، فاندلت ونهض. وله آثار في قتال أهل الردة، في أيام أبي بكر رضي الله عنه مشهورة، يطول ذكرها. وهو فتح الحيرة، بعث إليه أهلها عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة، فكلمه خالد، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من ورائي. قال: وأين تريد؟ قال: أمامي. قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل وامرأة.

قال: فأين أقصى أثرك؟ قال: منهى عمري. قال: أتعقل؟ قال: نعم، وأفيد. قال: ما هذه الحصون؟ قال: بنيناها نتقي بها السفيه حتى يردعه الحليم. قال: لأمر ما اختارك قومك، ما هذا في يدك؟ قال: سم ساعة. قال: وما تصنع به؟ قال: أردت أن أنظر ما تردني به: فإن بلغت ما فيه صلاح لقومي عدت إليهم، وإلا شربته، فقتلت نفسي، و لم أرجع إلى قومي بما يكرهون. فقال له خالد: أرنيه. فناوله إياه. فقال خالد باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم، ثم أكله، فتجللته غشية، ثم أفاق يمسح العرق عن وجهه.

فرجع ابن بقيلة إلى قومه، فأخبرهم بذلك، وقال: ما هؤلاء القوم إلا من الشياطين، وما لكم بهم طاقة، فصالحوعم هلى ما يريدون. ففعلوا.

أخبرني بذلك إبراهيم بن السري، عن يحيى التميمي، عن أبيه، عن شعيب بن سيف، وأخبرني به الحسن بن علي عن الحارث بن محمد عن محمد بن سعد، عن الواقدي.

وأمره أبو بكر على جنيع الجيوش التي بعثها إلى الشام لحرب الروم، وفيهم أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل، فرضوا به وبإمارته.

قالوا: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حلق رأسه ذات يوم، فأخذ خالد شعره، فجعله في قلنسوة له، فكان لا يلقى جيشاً وهي عليه إلا هزمه.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث، وحمل عنه. ورآه النبي صلى الله عليه وسلم متدلياً من هرشى فقال: نعم الرجل خالد بن الوليد.

أخبرنا بذلك الطوسي والحرمي قالا: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن محمد، عن عبد الواحد بن أبي عون، عن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك له.

قال الزبير: وحدثني محمد بن سلام، عن أبان بن عثمان قال: لما مات خالد بن الوليد لم تبق امرأة من بني المغيرة إلا وضعت لمتها على قبره، يعني حلقت رأسها، ووضعت شعرها على قبره.
قال ابن سلام: وقال يونس النحوي: إن عمر رضي الله عنه قال حينئذ: دعوا نساء بني المغيرة يبكين أبا سليمان، ويرقن من دموعهن سجلا أو سجلين، ما لم يكن نقع أو لقلقة قال: والنقع: مد الصوت بالنحيب. واللقلقة: حركة اللسان بالولولة ونحوها.
قال الزبير، فيما ذكره لي من رويت عنه: حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أشبه الناس بخالد بن الوليد، فخرج عمر سحراً، فلقيه شيخ، فقال له: مرحباً بك يا أبا سليمان، فنظر إليه عمر، فإذا هو علقمة بن علاثة، فرد عليه السلام. فقال له علقمة: عزلك عمر بن الخطاب؟ فقال له عمر: نعم. قال: ما شبع، لا أشبع الله بطنه! قال له عمر: فما عندك؟ قال: ما عندي إلا السمع والطاعة.

فلما أصبح عمر دعا بخالد، وحضره علقمة بن علاثة، فأقبل على خالد، فقال له: ماذا قال لك علقمة؟ قال: ما قال لي شيئاً. قال: اصدقني. فحلف خالد بالله ما لقيه، ولا قال له شيئاً. فقال له علقمة: حلا أبا سليمان. فتبسم عمر، فعلم خالد أن علقمة قد غلط، فنظر إليه، وفطن علقمة، فقال له: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين، فاعف عني، عفا الله عنك. فضحك عمر وأخبره الخبر.
أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن الحارث الخراز قال: حدثنا المدائني، عن شيخ من أهل الحجاز، عن زيد بن رافع مولى المهاجر بن خالد بن الوليد، وعن أبي ذئب ، عن أبي سهيل أو ابن سهيل: أن معاوية لما أراد أن يظهر العهد ليزيد، قال لأهل الشام: إن أمير المؤمنين قد كبرت سنة، ورق جلده، ودق عظمه، واقترب أجله، ويريد أن يستخلف عليكم، فمن ترون؟ فقالوا: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد. فسكت وأضمرها، ودرس ابن أثال الطبيب إليه، فسقاه سماً فمات. وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد خبره وهو بمكة، وكان أسوأ الناس رأياً في عمه، لأن أباه المهاجر كان مع علي السلام بصفين، وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية، وكان خالد بن المهاجر على رأي أبيه: هاشمي المذهب، ودخل مع بني هاشم الشعب، فاضطغن ذلك ابن الزبير عليه، فألقى عليه زق خمر، وصب بعضه على رأسه، وشنع عليه بأنه وجده ثملاً من الخمر، فضربه الحد. فلما قتل عمه عبد الرحمن مربه عروة بن الزبير، فقال له: يا خالد: أتدع ابن أثال ينقي أوصال عمك بالشأم وأنت بمكة مسبل إزارك، تجره وتخطر فيه متخايلاً؟ فحمي خالد، ودعا مولى له يدعى نافعاً، فأعلمه الخبر، وقال له: لا بد من قتل ابن أثال؛ وكان نافع جلداً شهماً.
فخرجا حتى قدما دمشق، وكان ابن أثال يمسي عند معاوية، فجلس له في مسجد دمشق إلى أسطوانة، وجلس غلامه إلى أخرى، حتى خرج. فقال خالد لنافع: إياك أن تعرض له أنت، فإني أضربه، ولكن احفظ ظهري، واكفني من ورائي، فإن رابك شيء يريدني من ورائي فشأنك. فلما حاذاه وثب عليه فقتله، وثار إليه من كان

معه. فصاح بهم نافع فانفرجوا، ومضى خالد ونافع، وتبعهما من كان معه، فلما غشوهما حملا عليهم، فتفرقوا، حتى دخل خالد ونافع زقاقاً ضيقاً، ففاتا القوم. وبلغ معاوية الخبر، فقال: هذا خالد بن المهاجر، اقبلوا الزقاق الذي دخل فيه. ففتش عليه، فأتي به. فقال: لا جزاك الله من زائر خيراً، قتلت طبيبي. قال: قتلت المأمور وبقي الآمر. فقال له: عليك لعنة الله لو كان تشهد مرة واحد لقتلتك به، أمعك نافع؟ قال: لا. قال: بلى والله ما اجترأت إلا به. ثم أمر بطلبه فوجد، فأتي به، فضربه مئة سوط. ولم يهج خالداً بشيء أكثر من أن حبسه، وألزم بني مخزوم دية ابن أثال، اثني عشر ألف درهم. أدخل بيت المال منها ستة آلاف درهم، وأخذ ستة آلاف درهم، ولم يزل ذلك يجري في دية المعاهد، حتى ولي عمر بن عبد العزيز، فأبطل الذي يأخذه السلطان لنفسه، وأثبت الذي يدخل بيت المال.

وخالد بن المهاجر الذي يقول:

يا صاح يا ذا الضامر العنس ... والرحل ذي الأنساع والحلس

سير النهار ولست تاركه ... وتجد سيراً كلما تمسي

في هذين البيتين وبيت ثالث لم أجده في شعر المهاجر، ولا أدري أهو له أم ألحقه به المغنون، لحنان: ثقيل أول، وخفيف ثقيل. ذكر يونس أن أحدهما لمالك، ولم يذكر طريقة لحنه، ووجدته في جامع غناء معبد، عن الهشامي. ويحيى المكي له فيه خفيف ثقيل. وهكذا ذكر علي بن يحيى أيضاً، ولعله رواه عن ابن المكي. وإن كان هذا لمعبد صحيحاً، فلحن مالك هو الثقيل الأول. وذكر حبش، وهو ممن لا يحصل قوله: أن لحن معبد ثقيل أول بالوسطى.

رجع الخبر إلى سياقة خبر خالد

خالد يحرض عروة بن الزبير على قتل بن جرموز قال: ولما حبس معاوية خالد بن المهاجر قال في الحبس:

إما خطاي تقاربت ... مشى المقيد في الحصار

فبما أمشي في الأبا ... طح يقتفي أثري إزاري

دع ذا ولكن هل ترى ... ناراً تشب بذي مرار

ما إن تشب لقرة ... للمصطلين ولا قتار

ما بال ليلك ليس ين ... قص طوله طول النهار

لتقاصر الأزمان أم ... غرض الأسير من الإسار؟

قال: فبلغت أبياته معاوية، فرق له وأطلقه. فرجع إلى مكة. فلما قدمها لقي عروة بن الزبير، فقال له: أما ابن

أثال فقد قتلته، وذاك ابن جرموز ينقي أوصال الزبير بالبصرة، فاقتله إن كنت ثائراً. فشكاه عروة إلى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فأقسم عليه أن يمسك عنه، ففعل.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني يعقوب بن نعيم قال: حدثني إسحاق بن محمد قال: حدثني عيسى بن محمد القحطبي قال: حدثني محمد بن الحارث بن يسخنر قال: غنى إبراهيم بن المهدي يوماً بحضرة المأمون وأنا حاضر:

يا صاح يا ذا الضامر العنس والرحل ذي الأقتاب والحلس

قال: وكانت لي جائزة قد خرجت، فقلت: تأمر سيدي يا أمير المؤمنين بإلقاء هذا الصوت علي مكان جائزتي، فهو أحب إلي منها؟ فقال له: يا عم، ألق هذا الصوت على محمد. فألقاه علي حتى إذا كدت أن أخذه قال: اذهب فأنت أحذق الناس به. فقلت: إنه لم يصلح لي بعد. قال: فاغد غداً علي. فغدوت عليه، فأعاده ملتوياً ، فقلت له: أيها الأمير، لك في الخلافة ما ليس لأحد؛ أنت ابن الخليفة، وأخو الخليفة، وعم الخليفة، تجود بالرغائب، وتبخل علي بصوت؟ فقال: ما أحمقك! إن المأمون لم يستبقني محبة لي، ولا صلة لرحمي، ولا ليرب المعروف عندي، ولكنه سمع من هذا الجرم ما لم يسمعه من غيره. قال: فاعلمت المأمون بمقالته. فقال: إنا لا نكدر على أبي إسحاق عفونا عنه، فدعه. فلما كانت أيام المعتصم نشط للصبوح يوماً، فقال: أحضروا عمي. فجاء في دراعة بغير طيلسان، فأعلمت المعتصم بخبر الصوت سراً، فقال: يا عم غنني: فغناه. فقال: ألقه على محمد، فقال: قد فعلت، وقد سبق مني قول الآ أعيده عليه. ثم كان يتجنب أن يغنيه حيث أحضر.

أقفر بعد الأحبة البلد فهو كان لم يكن به أحد

شجاك نؤي عفت معالمه وهامد في العراص ملتبد

أمك عنسية مهذبة طابت لها الأمهات والقصد

تدعى زهيرية إذا انتسبت حيث تلاقى الأنساب والعدد

الشعر لحمزة بن بيض، والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لا بن عباد ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي وعمرو وابن المكي.

أخبار حمزة بن بيض ونسبه

حمزة بن بيض الحنفي: شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، كوفي خليع ماجن، من فحول طبقته. وكان كالمنقطع إلى المهلب بن أبي صفرة وولده، ثم إلى أبان بن الوليد، وبلال بن أبي بردة. واكتسب بالشعر من هؤلاء مالاً عظيماً، و لم يدرك الدولة العباسية.

أخبرني عمي قال: حدثنا أبو هفان قال: أخبرني أبو محلم عن المفضل قال: أخذ حمزة بن بيض الحنفي بالشعر

ألف ألف درهم، من مال وحملان وثياب ورقيق غير ذلك.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أبو توبة، قال: قدم حمزة بن بيض على بلال بن أبي برده، فلما وصل إلى بابه قال لحاجبه: استأذن لحمزة بن بيض الحنفي، فدخل الغلام إلى بلال، فقال: حمزة لن بيض بالباب. وكان بلال كثير المزح معه، فقال: اخرج إليه فقل: حمزة بن بيض ابن من؟ فخرج الحاجب إليه، فقال له ذلك. فقال: ادخل فقل له: الذي جئت إليه إلى بنيان الحمام وأنت أمرد، تسأله أن يهب لك طائراً، فأدخلك وناكك، ووهب لك طائراً . فشتمه الحاجب. فقال له: ما أنت وذا؟ بعثك برسالة، فأخبره بالجواب. فدخل الحاجب وهو مغضب، فلما رأه بلال ضحك، وقال: ما قال لك قبحه الله؟ قال: ما كنت لأخبر الأمير بما قال:. فقال: يا هذا، أنت رسول فأد الجواب. قال: فأبى. فأقسم عليه حتى أخبره. فضحك حتى فحص برجله، وقال: قل له: قد عرفنا العلامة فادخل، فدخل فأكرمه، ورفعه، وسمع مديحه، واحسن صلته. قال: وأراد بقوله"ابن بيض ابن من؟" قول الشاعر فيه:

أنت ابن بيض لعمري لست أنكره ... وقد صدقت، ولكن من أبو بيض؟

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن الحسن الأحول، عن الأثرم، عن أبي عمرو، وأخبرني وكيع قال: حدثني عبيد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان، قال: حدثني أبو الحسن الشيباني قال: حدثني شعيب بن صفوان، قال: قدم حمزة بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب وعنده الكميت، فأنشده قوله فيه:

أتيناك في حاجة فاقضها ... وقل مرحبا يجب المرحب

ولا تكلنا إلى معشر ... متى يعدوا عدة يكذبوا

فإنك في الفرع من أسرة ... لهم خضع الشرق والمغرب

وفي أدبٍ منهم ما نشأت ... ونعم لعمرك ما أدبوا

بلغت لعشر مضت من سني ... ك ما يبلغ السيد الأشيب

فهمك فيها جسام الأمور ... وهم لداتك أن يلعبوا

وجدت فقلت ألا سائل ... فيعطى ولا راغب يرغب

فمنك العطية للسائلين ... وممن ينوبك أن يطلبوا

فأمر له بمئة ألف درهم، فقبضها. قال وكيع في خبره: وسأله عن حوائجه، فأخبره بها، فقضى جميعها. وقال أيضاً في خبرة: فحسده الكميت. فقال له: يا حمزة، أنت كمهدي التمر إلى هجر، قال: نعم، ولكن تمرنا أطيب من تمر هجر.

أخبرني علي بن سليمان قال: حدثني محمد بن يزيد النحوي، قال: قال الجاحظ: أصاب حمزة بن بيض حصر ، فدخل عليه قوم يعودونه وهو في كرب القولنج، إذ ضرط رجل منهم، فقال حمزة: من هذا المنعم عليه؟ أخبرني

الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهروية قال: قال علي بن الصباح: حدثني هشام بن محمد، عن الشرقي، قال: زعم هشام بن عروة أن عبد الحمن بن عنبسة مر فإذا هو بغلام أصبح الغلمان وأحسنهم، و لم يكن لعبد الرحمن ولد، فسأل عنه، فقيل له: يتيم من اهل الشام، قدم أبوه العراق في بعث فقتل، وبقي الغلام هاهنا فضمه ابن عنبسة إليه، وتبناه. فوقع الغلام فيما شاء من الدنيا، ومر يوماً على برذون ومعه خدم على ابن بيض،وحول ابن بيض عياله في يوم شات، وهم شعث غبر عراة، فقال ابن بيض: من هذا؟ فقيل: صدقة يتيم ابن عنبسة فقال:

يشعث صبياننا وما يتموا ... وانت صافي الأديم والحدقه

فليت صبياننا إذا يتموا ... يلقون ما قد لقيت يا صدقه

عوضك الله من أبيك ومن ... أمك في الشام بالعراق مقه

كفاك عبد الرحمن فقدهما ... فأنت في كسوة وفي نفقه

تظل في درمكٍ وفاكهة ... زولحم طير ماشئت أو مرقه

تأوي إلى حاضن وحاضنة ... زادا على والديك في الشفقه

فكل هينيئاً ما عاش ثم إذا ... مات فلغ في الدماء والسرقه

وخالف المسلمين قبلتهم ... وضل عنهم وخادن الفسقه

واشتر نهد التليل ذا خصلٍ ... لصوته في الصهيل صهصلقه

واقطع عليه الطريق تلف غدا ... رب دناني جمةٍ ورقه

فلما مات عبد الرحمن، اصابه ما قال ابن بيض أجمع: من الفساد والسرقة وصحبة اللصوص، ثم كان آخر ذلك أنه قطع الطريق، فأخذ وصلب.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني النوفلي عن أبيه. قال ابن عمار: واخبرني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثني أبي عن أبي شفيان الحميري قال: خرج حمزة بن بيض يرد سفراً، فاضطره الليل إلى قرية عامرة، كثيرة الأهل والمواشي، من الشاء والبقر، كثيرة الزرع، فلم يصنعوا به خيراً، فغدا عليهم، وقال:

لعن الإ له قرية يممتها ... فاضافني ليلاً إليها المغرب

الزارعين وليس لي زرع بها ... والحالبين وليس لي ما أحلب

فلعل ذاك الزرع يودي أهله ... ولعل ذاك الشاء يوماً يجرب

ولعل طاعوناً يصيب علوجها ... ويصيب ساكنها الزمان فتخرب

قال: فلم يمر بتلك القرية سنة حتى أصابها الطاعون، فأباد أهلها، وخرجت إلى اليوم، فمر بها ابن بيض، فقال: كلا، زعمت أني لا أعطى منيتي. قالوا: وأبيك لقد أعطيتها، فو كنت تمنيت الجنة كان خيراً لك. قال: أنا أعلم بنفسي، لا أتمنى ما لست له بأهل، ولكني أرجو رحمة ربي عز وجل.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن زكرياء الغلابي قال: قال ابن عائشة: خرج ابن بيض في سفر، فنزل بقوم، فلم يحسنوا ضيافته، وأتوه بخبز يابس، وأقوا لبغلته تبناً، فأعرض عنهم، وأقبل على بغلته، فقال:

أحسبيها ليلة أدلجتها ... فكلي إن شئت تبناً أو ذري

قد أتى ربك خبز يابس ... فتعزي معه واصطبري

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، قال: حدثنا المدائني، قال: قال حمزة بن بيض يوماً للفرزدق: أيما أحب إليك، تسبق الخير أو يسبقك؟ قال: لا أسبقه ولا يسبقني، ولكن نكون معاً. فأيما أحب إليك، وأن تدخل إلى بيتك، فتجدرجلاً قابضاً على حر امرأتك، أو تجد امرأتك قابضه على أيره؟ فقال: كلام لابد من جوابه، والبادي أظلم، بل أجدها قابضة على أيره، قد أغبته عن نفسها.

نسخت من كتاب أبي إسحاق الشايمي : قال ابن الأعرابي: وقع بين بين حنيفة بالكوفة، وبين بني تميم شر، حتى نشبت الحرب بينهم، فقال رجل لحمزة بن بيض: ألا تأتي هؤلاء القوم، فتدفعهم عن قومك، فإنك ذو بيان وعارضة؟ فقال:

ألا لا تلمني يا بن ماهان إنني ... أخاف على فخارتي أن تحطما

ولو أنني أبتاع في السوق مثلها ... وجدك ما باليت أن أتقدما

قال: وكان لابن بيض صديق عامل من عمال ابن هبيرة، فاستودع رجلاً نا سكاً ثلاثين ألف درهم، واسودع مثلها رجلاً نبيذياً، فأما الناسك فبنى بها داره، تزوج النساء، وأنفقها وجحده. واما النبيذي فأدى إليه الأمانة في ماله فقال حمزة بن بيض فيهما:

ألا لا يغرنك ذو سجدة ... يظل بها دائباً يخدع

كأن بجبتها جلبة يسبح طوراً ويسترجع

وما لتقى لزمت وجهه ... ولكن ليغتر مستودع

فلا تنفرن من أهل النبيذ ... وغن قيل يشرب لا يقلع

فعنك علم بما قد خبر ... ت إن كان علم بهم ينفع

ثلاثون ألفاً حواها السجود ... فليست إلى أهلها ترجع

بنى الدار من غيرما ماله وأصبح في بيته أربع

مهائر من غير مال حواه يقاتون أرزاقهم جوع

وأخبرني بهذا الخبر الحسين بن محمد بن زكريا الصحاف، قال: حدثنا قعنب بن المحرز، قال: حدثنا أبو عبيدة والأصمعي، وكيسان بن المعروف، فذكروا نحو هذا الخبر، إلا أنه حكى أن حمزة بن بيض هو الذي استودع الرجلين المال، وقال:

وأدى أخو الكأس ما عنده وما كنت في ردها أطمع

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن شبيب قال: حدثني أحمد بن محمد ب عن ابن داجة، قال: اختصم أبو الجون السحيمي وحمزة بن بيض، إلى المهاجر بن عبد الله الكلابي، وهو على اليمامة، فوثب عليه حمزة وقال:

غمضت في حاجة كانت تؤرقني لولا الذي قلت فيها قل تغميضي

فقال: وما الذي قلت لك؟ قال:

حلفت بالله لي أن سوف تنصفني فساغ في الحلق ربقي بعد تجريضي

قال :وأنا أحلف لأنصفك. قال:

سل هؤلاء إلى ماذا شهادتهم أم كيف أنت وأصحاب المعاريض

قال: أوجعهم ضرباً. فقال:

وسل سحيما إذا وافاك أجمعهم هل كان بالشر حوض قبل تحويضي

قال: فقضى له. فانشأ السحيمي يقول:

أنت ابن بيض لعمري لست انكره حقاً يقيناً، ولكن من أبو بيض؟

إن كنت أنبضت لي قوساً لنرميني فقد رميتك رمياً غير تنبيض

أو كنت خضخضت لي وطباً لتسقيني فقد سقيتك محضاً غير ممخوض

قال: فوجم حمزة وقطع به. فقيل له: ويلك! مالك لا تجيبه؟ قال: وبم أجيبه؟ والله لو قلت له: عبد المطلب بن هاشم أبو بيض ما نفعني ذلك، بعد قوله: ولكن من أبو بيض؟ وأخبرني بهذا الخبر ابن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة بمثله. وقال فيه: إن المخاصم له أبو الحويرث السحيمي.

أخبرني محمد بن دريد قال: أخبرنا السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، قال: دخل حمزة بن بيض على يزيد بن المهلب السجن، فأنشده:

أغلق دون السماح والجود والنجدة باب حديده أشب

ابن ثلاث وأربعين مضت لا ضرع واهن ولا نكب
لا بطر إن تتابعت نعم وصابر في البلاء محتسب
برزت سبق الجواد في مهل وقصرت دون سعيك العرب

فقال: والله يا حمزة لقد أسأت، إذ نوهت باسمي في غير وقت تنويه، ولا مترل لك، ثم رفع مقعداً تحته، فرمى إليه بخرقة مصرورة، وعليه صاحب خبر واقف، فقال: خذ هذا الدينار، فوالله ما أملك ذهباً غيره. فأخذه حمزة، وأراد أن يرده، فقال له سراً: خذه ولا تخدع عنه. فقال حمزة: فلما قال لي: لا تخدع عنه، قلت: والله ما هذا بدينار، فقال لي صاحب الخبر: ما أعطاك يزيد؟ فقلت: أعطاني ديناراً، فاردت أن أرده عليه، فاستحييت منه. فلما صرت إلى مترلي حللت الصرة، فإذا فص ياقوت أحمر، كأنه سقط زند، فقلت: والله لئن عرضت هذا بالعراق، ليعلمن أني أخذته من يزيد، فيؤخذ مني، فخرجت به إلى خراسان، فبعته من رجل يهودي بثلاثين ألاً، فلما قبضت المال وصار الفص في يده، قال لي: والله لو أبيت إلا خمسين ألف درهم، لأخذته منك، فكأنما قذف في قلبي جمرة، فلما رأى تغير وجهي قال: إني رجل تاجر، ولست أشك أني قد غممتك. قلت: إي والله قتلتني. فأخرج إلي مائة دينار، فقال: أنفق هذه في طريقك، لتتوفر عليك تلك.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد بن إسحاق: قرأت على أبي: دخل حمزة بن بيض على يزيد عن المهلب، وهو في حبس عمر بن عبد العزيز، فأنشده قوله فيه:

أصبح في قيدك السماحة والحامل للمعضلات والحسب
لا بطر إن تتابعت نعم وصابر في اللاء محتسب

فقال له: ويحك أتمدحني على هذه الحال؟ قال: نعم، لئن كنت هكذا لطالما أثبت على الثناء، فأحسنت الثواب والرفد، فهل بأس أن نسلفك الآن. قال: أما إذا جعلته سلفاً فاقنع بما حضر، إلى أن يمكن قضاء دينك. وأمر غلامه، فدفع إليه أربعة آلاف درهم، وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز، فقال: قاتله الله! يعطي في الباطل، ويمنع الحق، يعطي الشعراء، ويمنع الأمراء.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا عبد الأول بن مزيد، قال: حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال: أخبرني مخلد بن حمزة بن بيض قال: قدم أبي على يزيد المهلب وهو عند سليمان بن عبد الملك، فأدخله إليه، فانشده:

ساس الخلافة والداك كلاهما من بين سخطة ساخط او طائع
أبواك ثم أخوك أصبح ثالثا وعلى جبينك نور ملك الرابع
سريت خوف بني المهلب بعدما نظروا إليك بسم موتٍ ناقع

ليس الذي ولاك ربك منهم عند الإله وعندهم بالضائع

فأمر له بخمسين ألفاً.

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن عمرو قال: حدثني جعفر بن محمد العاصمي قال: حدثني عيينة بن المنهال قال: حدثني الهيثم بن عدي قال: حدثني أبوعو يعقوب الثقفي قال: قال لي حمزة بن بيض: لما وفد الكميت بن زيد إلى مخلد بن يزيد بن المهلب وهو يخلف أباه على خراسان، وكان واليها وله ثماني عشرة سنة، وقد مدحه بقصيدته التي أولها:

هلا سألت معالم الأطلال

وهي التي يقول فيها:

يمشين مشي قطا البطاح تأودا قب البطون رواجح الكفال

وقصيدته التي يقول فيها:

هلا سألت منازلا بالأبرق

أعطاه مئة ألف درهم، سوى العروض والحملان، فقدم الكوفة في هيئة لم ير ميلها، فقلت في نفسي: والله لأنا أولى من الكميت بما ناله من مخلد بن يزيد، وإني لحليفه وناصره في العصبية على الكميت، وعلى مضر جميعاً. فهيأت لمخلد مديحاً على روي قصيدتي الكميت وقافيتيهما، ثم شخصت إليه، فلما كان قبل خروجي إليه بيوم، أتتني جماعة من ربيعة في خمس ديات عليهم لمضر في البدو، فقالوا: إنك تأتي مخلداً وهو فتى العرب، ونحن نعلم أنك لا تؤثر على نفسك، ولكن إذا فرغ من أمرك، فاعلمه ممشانا إليك، وسمأتنا إياك كلامه، فنرجو أن تكون عند ظننا. فلما قدمت على مخلد خراسان أنزلني، وفرش لي، وأخدمني، وحملني، وكساني، وخلطني بنفسه، فكنت أسمر معه، فقال ليلة: أعليك دين يابن بيض؟ قلت: دعني من مسئلتك إياي عن الدين، إنك قد أعطيت الكميت عطية لست أرضى بأقل منها، وإلا لم أدخل الكوفة، ولم أعير بتقصيرك بي عنه. فضحك، ثم قال لي: بل أزيدك على ما أعطيت الكميت. فأمر لي بمئة ألف درهم، كما أعطي الكميت، وزادني عليه، وصنع بي في سائر الألطاف كما صنع به، فلما فرغت من حاجتي أتيته يوماً ومعي تذكرة بحاجة القوم في الديات، فلما جلس أنشدته:

أتيناك في حاجة فاقضها وقل مرحباً يجب المرحب

ولا تكلنا إلى معشر متى بعدوا عدة يكذبوا

فإنك في الفرع من أسرة لهم خضع الشرق والمغرب

وفي أدب منهم ما نشأت ونعم لعمرك ما أدبوا

لغت لعشرٍ مصت من سني ك ما يبلغ السيد الأشيب

فهمك فيها جسام الأمور وهم لذاتك أن يلعبوا

فقال:مرحباً بك وبحاجتك، فما هي؟ فأخرجت إليه رقعة القوم، وقلت: حمالات في ديات. فتبسم، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم. فقلت: أو غير ذلك أيها الأمير؟ قال: وما هو؟ قلت: أدل على قبر المهلب، حتى أشكو إليهقطيعة ولده. فتبسم، ثم قال: زده يا غلام عشرة آلاف أخرى، فأبيت، وقلت: بل أدل على قبر المهلب، فقال: زده يا غلام عشرة آلاف أخرى، فما زلت أكررها ويزيدني عشرة آلاف، حتى بلغت سبعين ألفاً. فخشيت والله أن يكون يلعب أو يهزأ بي، فقلت: وصلك الله أيها الأمير، وآجرك، وأحسن جزاءك. فقال مخلد: أما والله لو أقمت على كلامك، ثم أتى ذلك على خراج خراسان لأعطيتكه.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني النضر بن شميل، قال: دخلت على امير المؤمنين المأمون بمرو وعلي أطمار متر عبلة ؛ فقال لي: يا نضر، تدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب؟ فقلت: إن حر مرو لا يدفع إلا بمثل هذه الأخلاق، فقال: لا. ولكنك رجل متقشف. فتجارينا الحديث، فقال المأمون: حدثني هشيم بن بشير ، عن مجالد، عن الشعبي، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز. هكذا قال: سداد بالفتح.

فقلت: صدق، يا أمير المؤمنين. حدثني عوف الأعرابي عن الحسن، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها، كان في سداد من عوز وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً، وقال: السداد لحن يا نضر عندك؟ قلت نعم: هاهنا يا امير المؤمنين؛ وإنما هشيم لحن، وكان لحانة، فقال: ما الفرق بينهما؟ قلت: السداد: القصد في الدين والطريقة والسبل. ةالسداد: البلغة، وكل ما سددت به شيئاً فهو سداد. وقد قال العرجي:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

قال: فأطرق المامون ملياً، ثم قال: قبح الله من لا أدب له! ثم قال: أنشدني يا نضر أخلب بيت للعرب. قال: قلت: قول حمزة بن بيض يا امير المؤمنين:

تقول لي والعيون هاجعة: أقم علينا يوماً، فلم أقم

قالت: فأي الوجوه؟ قلت لها: لأي وجه إلا إلى الحكم؟

متى يقل حاجباً سرادقه: هذا ابن بيض بالباب، يبتسم

قد كنت أسلمت فيك مقتبلاً فهات إذ حل أعطني سلمي

فقال المأمون: لله درك، كأنما شق لك عن قلبي! فأنشدني أنصف بيت للعرب. قال: قلت: قول أبي عروبة المدني :

إني وإن كان ابن عمي عاتبا لمزاحم من خلفه ووراءه

ومفيده نصري وإن كنت أمرأ متزحزحا عن أرضه وسمائه
وأكون والي سره وأصونه حتى يحين علي وقت أدائه
وإذا الحوادث أجحفت بسوامه قرنت صحيحتنا إلى جربائه
وإذا دعا باسمي ليركب مركبا صعبا قعدت له على سيسائه
وإذا أتى من وجهه بطريفةٍ لم أطلع مما ورراء خبائه
وإذا ارتدى ثوباً جميلاً لم أقلك يا ليت أن علي حسن ردائه

فقال: احسنت يا نضر؛ أنشدني الآن أقنع بيت قالته العرب. فأنشدته قول ابن عبدلٍ الأسدي:

إني امرؤ لم أزل، وذاك من الل ه قديما، أعلم الأدبا
أقيم بالدار ما اطمأنت بي الدا ر وإن كنت مازحا طربا
لا أجتوي خلة الصديق ولا أتبع نفسي شيئاً إذا ذهبا
أطلب ما يطلب الكريم من الرزق بنفسي وأجمل الطلبا
وأحلب الثرة الصفي ولا أجهد أخلاف غيرها حلبا
إني رأيت الفتى الكريم إذا رغبته في صنيعة رغبا

و العبد لا يطلب العلاء ولا يعطيك شيئاً إلا إذا رهبا
مثل الحمار الموقع السوء لا يحسن مشيا إلا إذا ضربا
قد يرزق الخافض المقيم وما شد بعيس رحلاً ولا قتبا
ويحرم الرزق ذو المطية والر حل ومن لا يزال مغتربا
ولم أجد عدة الخلائق إلا الدين لما اعتبرت والحسبا

فقال: أحسنت يا نضر! وكتب لي إلى الحسن بن سهل بخمسين ألفاً، وأمر خادماً بإيصال رقعة، وتنجيز ما أمر به لي، فمضيت معه إليه، فلما قرأ التوقيع ضحك، وقال لي: يا نضر، أنت الملحن لأمير المؤمنين؟ قلت: لا، بل لهشيم. قال: فذاك إذن، وأطلق لي الخمسين ألف درهم، وأمر لي بثلاثين ألفاً.

أخبرني الحسين بن يحيى، قال: حدثنا حماد عن أبيه قال: بلغني أن حمزة بن بيض الحنفي كان يسامر عبد الملك بن بشر بن مروان، وكان عبد الملك يعبث به عبثاً شديداً، فوجه إليه ليلة برسول، وقال: خذه على أي حال وجدته عليها، ولا تدعه يغيرها، وحلفه على ذلك، وغلظ الأيمان عليه. فمضى الرسول، فهجم عليه، فوجده يريد أن

يدخل الخلاء، فقال: أجب الأمير. فقال: ويحك، إني أكلت طعاماً كثيراً، وشربت نبيذا حلواً، وقد أخذني بطني. قال: والله لا تفارقني أو امضي بك إليه، ولو سلحت في ثيابك. فجهد في الخلاص، فلم يقدر عليه، فمضى به إلى عبد الملك، فوجده قاعداً في طارمة له، وجارية جميلة كان يتحظاها جالسة بين يديه، تسجر الن في طارمنه، فجلس يحادثه وهو يعالج ما هو فيه.

قال: فعرضت لي ريح، فقلت: أسرحها واستريح، فلعل ريحها لا يتبين مع هذا البخور، فأطلقتها، فغلبت والله ريح الند وغمرته، فقال: ما هذا ياحمزة! قلت: علي عهد الله وميثاقه، وعلي المشي والهدي إن كنت فعلتها. وما هذا إلا عمل هذه الفاجرة. فغضب واحتفظ وخجلت الجارية، فما قدرت على الكلام، ثم جاءتني أخرى فسرحتها، وسطع واله ريحها. فقال: ما هذا ويلك! أنت والله الآفة. فقلت: امرأتي فلانة طالق ثلاثاً إن كنت فعلتها. قال: وهذه اليمين لا زمة لي إن كنت فعلتها، وما هو إلا عمل هذه الجارية، فقال: ويلك ما قصتك؟ قومي إلى الخلاء إن كنت تجدين حساً، فزاد خجلها وأطرقت. وطمعت فيها، فسرحت الثالثة، وسطع من ريحها ما لم يكن في الحساب، فغضب عبد الملك، حتى كاد يخرج من جله، ثم قال:خذ يا حمزة بيد الزانية، فقد وهبتها لك وامض فقد نغصت علي ليلتي.

فأخذ والله بيدها، وخرجت، فلقيني خادم له، فقال: ما تريد أن تصنع؟ قلت أمضي بهذه قال: لا تفعل، فوالله لئن فعلت ليبغضنك بغضاً لا تنتفع به بعدها أبداً، وهذه مئة دينار، فخذها ودع الجارية فإنه يتحظاها، وسندم على هبته إياها لك. قلت: والله لا نقصتك من خمس مئة دينار. فلم يزل يزايدني حتى بلغ مئتي دينار، و لم تطب نفسي أن أضيعها، فقلت: هاتها، فأعطانيها، وأخذها الخادم.

فلما كان بعد ثلاث دعاني عبد الملك، فلما قربت من داره لقيني الخادم، فقال: هل لك في مئة دينار وتقول ما لا يضرك، ولعله أن ينفعك؟ قلت: وما ذاك؟ قال: إذا دخلت إليه اعيت عنده الثلاث الفسوات، ونسبتها إلى نفسك، وتنفح عن الجارية ما قرفتها به. قلت: هاتها. فدفعها إلي، ودخلت على عبد الملك، فلما وقفت بين يديه قلت: ألي الأمان حتى اخبرك بخبر يسرك، وتضحك منه؟ قال: لك الأمان. قلت: أرأيت ليلة حضوري وما جرى؟ قال: نعم. فقلت: فعلي وعلي إن كان فسا تلك الفسوات غيري. فضحك حتى سقط على قفاه،. ثم قال: ويلك! فلم لم تخبرني؟ قلت: أردت بذلك خصالاً، منها أن قمت فقضيت حاجتي، وقد كان رسولك منعني منها، ومنها أني أخذت جاريتك، ومنها أن كا فأتك على أذاك لي بمثله. فقال: فأين الجارية؟ قلت: ما برحت من دارك ولا خرجت حتى سلمتها إى فلان الخادم، وأخذت مائتي دينار. فسر بذلك، وأمر لي بمئتي دينار أخرى، وقال: هذه لجميل فعلك بي، وتركك أخذ الجارية.

قال حمزة بن بيض: ودخلت إليه يوماً وكان له غلام لم ير الناس أنتن إبطاً منه، فقال لي: يا حمزة، سأبق غلامي حتى يفوح صنانكما، فأيكما كان صنانته أنتن، فله مئة دينار. فطمعت في المائة، ويئست منها لما أعلمه من نتن

إبط الغلام، فقلت: افعل . وتعادينا، فسبقني، فسلحت في يدي، ثم لطخت إبطي بالسلاح، وقد كان عبد الملك جعل بيننا حكماً يخبره بالقصة، فلما دنا الغلام منه فشمه، وثب، وقال هذا والله لا يساجله شيء .

فصحت به: لا تعجل بالحكم، مكانك. ثم دنوت منه، فألقمت أنفه إلطي حتى علمت أن قد خالط دماغه، وأنا ممسك رأسه تحت يدي. فصاح: الموت والله! هذا بالكنف أشبه منه بالآبط! فضحك عبد الملك، ثم قال: أفحكمت له؟ قال: نعم. فأخذت الدنانير.

أخبرني عمي قال: حدثني جعفر العاصمي قال: حدثنا عيينة بن المنهال، عن اليثم بن عدي، عن أبي يعقوب الثقفي، قال: قال حمزة بن بيض: دخلت يوماً على مخلد بن يزيد، فقلت:

أن المشارق والمغارب كلها ... تجبى وأنت أميرها وإمامها

فضحك ثم قال: مه؟ فقلت:

أعفيت قبل الصبح نوم مسهدٍ ... في ساعة ما كنت قبل أنامها

قال: ثم ماذا كان؟ قلت:

فرأيت أنك جدت لي بوصيفة ... موسومة حسنٍ علي قيامها

قال: قد فعلت. فقلت:

ويبدرة حملت إلي وبغلة ... سفواء ناجية يصل لجامها

قال: حقق الله رؤياك. ثم أمر لي بذلك كله، وما علم الله أني رأيت من ذلك شيئاً.

قال مؤلف هذا الكتاب: وقد روي هذا الخبر بعينه لا بن عبدلٍ الأسدي، وذكرته في أخباره.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا أبو حاتم، قال: حدثنا أبو حاتم، قال: حدثنا عمار بن عيقيل بن بلال بن جرير، قال: حج حمزة بن بيض الحنفي، فقال له ابن عم له: أحجج بي معك. فأخرجه معه، فحوقل عليه بعد نشاكه فقال ابن بيض فيه:

وذي سنةٍ لم يدر ما السير قبلها ... ولم يعنف خرقا من الأرض مجهلا

ولم يدر ما حل الحبال وعقدها ... إذ البرد لن تبرك لكفيه معملا

ولم يقر مأجوراً ولا حج حجة ... فيضرب سهماً أو بصاحب مكتلا

غدونا به كالبعل ينفض رأسه ... نشاطاً بناء الخبر حتى تفتلا

ترى المحمل المحسور ناء عرامه ... وباباً إذا أمسى من الشر مقفلا

وإن قلت ليلا: أين أنت لحاجةٍ ... أجاب بأن لبيك عشراً وأقبلا

يسوق مطي القوم طوراً وتارة ... يقود وإن شئنا حداً ثم جلجلا

فأجلته خمساً وقلت له: انتظر ... رويداً؛ وأجلنا المطي ليدبلا
فلما صدرنا عن زبالة وارتمت ... بنا العيس منها مقلا ثم منقلا
ترامت به المومأة حتى كانما ... يسف بمعسول الخزيرة حنظلا
وحتى نبا على مزود القوم ضرسه ... وعادى من الجهد الثريد المرعبلا
وحتى لو ان الليث ليث خفية ... يحاوله عن نفسه ما تحلحلا
وحتى لو ان الله أعطاه سؤله ... وقبل له: ما تشتهي؟ قال: محملا
فقلت له لما رأيت الذي به ... وقد خفت أن ينضى لدينا ويهزلا
أطعني وكل شيئاً، فقال معذرا ... من الجهد، أطعمني تراباً وجندلا
فللموت خير منك جاراً وصاحبا ... فدعني فلا لبيك ثم تجدلا
وقال: اقلني عثرتي وارع حرمتي ... وقد فر مني مرتين ليقفلا
فقلت له: لا والذي أنا أعبدها ... قبلك حتى تمسح الركن أو لا

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن سعد قال: حدثني إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي، قال: حدثني أبو عمر العمري، قال: حدثني عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان قال: قدم حمزة بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب، فوعده أن يصنع به خيراً، ثم شغل عنه، فاختلف إليه مراراً، قلم يصل إليه، وأبطأت عليه عدته، فقال ابن بيض:

أمخلد إن الله ما شاء يصنع ... يجود فيعطي من يشاء ويمنع
وإني قد أملت منك سحابة ... فحالت سراباً فوق بيداء تلمع
فأجمعت صرماً ثم قلت: لعله ... يثوب إلى أمر جميل فيرجع

فأيأسني من خير مخلد أنه ... على كل حال ليس لي فيه مطمع
يجود لأقوام يودون أنه ... من البغض والشنأن أمسى يقطع
ويبخل بالمعروف عمن يوده ... فو الله ما أدري به كيف أصنع؟
أأرمه فالصرم شر مغبة ... ونفسي إليه بالوصال تطلع
وشتان بيني في الوصال وبينه ... على كل حال أستقيم ويظلع
وقد كان دهراً واصلاً لي مودةً ... ويمنعني من صرف دهري أضرع

وأعقبني صرماً على غير إحنة ... ويخلا وقدما كان لي يتبرع

وغيره ما غير الناس قبله ... فنفسي بما يأتي به ليس تقنع

ثم كتبها في قرطاس وختمه، وبعث به مع رجل، فدفعه إلى غلامه، فدفعه الغلام إليه، فلما قرأه سأل الغلام: من صاحب الكتاب؟ قال: لا أعرفه. فادخل إليه الرجل، فقال: من أعطاك هذا الكتاب؟ ومن بعث به معك؟ قال: لا أدري، ولكن من صفته كذا وكذا، ووصف ابن بيض، فأمر به فضرب عشرين سوطاً على رأسه، وأمر له بخمس مئة درهم، وكساه، وقال: إنما ضربناك أدباً لك، لأنك حملت كتاباً لا تدري ما فيه، لمن لا تعرف، فإياك أن تعود لمثلها. قال الرجل: لا والله، أصلحك الله، لا أحمل كتاباً لم أعرف، ولا لمن لا أعرف. قال له مخلد: احذر، فليس كل أحد يصنع بك صنيعي؛ وبعث إلى ابن بيض، فقال له: أتعرف ما لحق صاحبك الرجل؟ قال: لا فحدثه مخلد بقصته، فقال ابن بيض: والله، أصلحك الله، لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين سوطاً مع الخمس مائة أبداً. فضحك مخلد، وأمر له بخمسة آلاف درهم، وخمسة أثواب، وقال: وأنت والله لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخواتك أبداً. قال: أجل والله، ولكن من لي بمثلك يعتبني إذا استعتبة، ويفعل بي مثل فعلك؟ ثم قال:

وأبيض بهلول إذا جئت داره ... كفاني وأعطاني الذي جئت أسأل

ويعتبني يوماً إذا كنت عاتبا ... وإن قلت، زدني: قال: حقا سأفعل

رتاه إذا ما جئة تطلب الندى ... كأنك تعطيه الذي جئت تسأل

فا لله أبناء المهلب فتيةً ... إذا لقحت حرب هوان تأكل

هم يصطلون الحرب والموت كانع ... بسمر القنا و المشرفية من عل

ترى الموت تحت الخافقات أمامهم ... إذا وردوا علو الرماح وأنهلوا

يجودون حتى يحسب الناس أنهم ... لجودهم نذر عليهم يحلل

غيوث لمن يرجو نداهم وجودهم ... سمام لأقوام ذعاف يثمل

وفى لي أبناء المهلب إنهم ... إذا سئلوا المعروف لم يتسعلوا

فذلك ميراث المهلب إنه ... كريم نماه للمكارم أول

جرى وجرت أباؤه فتحرزوا ... عن الذم في عبطاء لا تتوقل

فلما أنشده ابن بيض هذه الأبيات، أمر له بعشرة آلاف درهم، وعشرة أثواب، وقال: نزيدك ما زدتنا، ونضعف لك. فقال:

أمخلد لم تترك لنفسي بغيةً ... وزدت على ماكنت أرجو وآمل

فكنت كما قد قال معن فإنه بصير بما قد قال إذ يتمثل
وجدت كثير المال إذ ضن معدماً يذم ويلحاه الصديق المؤمل
وإن أحق الناس بالجود من رأى أباه جواداً للمكارم يجزل
ترب الذي قد كان قدم والد أغر إذا ما جئته يتهلل
وجدت يزيداً والمهلب برزا فقلت: فإني مثل ذلك أفعل
ففزت كما فازا وجاوزت غاية يقصر عنها السابق المتمهل
فأنت غياث لليتامى وعمة إليك جمال الطالبي الخير ترحل
أصاب الذي رجى نداك مخيلةً تصب عز اليها عليه وتهطل
ولم تلف إذ رجوا نوالك باخلا تضن على المعروف والمال يعقل
وموت الفتى خير له من حياته إذا كان ذا مال يضن ويبخلف

قال له مخلد: احتكم. فأعطاه عشرة آلاف دينار وجارية وغلاماً وبرذوناً.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، قال:

كان حمزة بن بيض شارعاً ظريفاً، فشاتم حماد بن الزبرقان، وكان من ظرفاء أهل الكوفة، وكلاهما صاحب شراب، وكان حماد يتهم بالزندقة، فمشى الرجال بينهما حتى اصطلحا، فدخلا يوماً على بعض ولاة الكوفة، فقال لابن بيض: أراك قد صالحت حماداً، فقال ابن بيض: نعم، أصلحك الله، على ألا آمره بالصلاة، ولا ينهاني عنها.

أخبرني محمد بن زكريا الصحاف قال: حدثنا قعنب بن المحرز الباهلي قال: حدثني الهيثم بن عدي قال: قدم حمزة بن بيض البصرة زائراً لبلال بن أبي بردة بن أبي موسى، وبينهما مودة منذ الصبا، فطال مقامه عنده، فشتاق إلى أهله وولده، فكتب إلى بلال

كلت رحالي وأعواني وأحراسي إلى الأمير وإدلاجي زإملاسي
إلى امرىء مشبع مجداً ومكرمة عادية فهو حالٍ منهما كاسي
فلست منك ولا مما مننت به من فضل ودك كالمرمي في راسي
إني وإياك والإخوان كلهم في العسر واليسر لو قيسوا بمقياس
وذاك مما ينوب الدهر من حدث كلورد في المثل المضروب والآس
يبيد هذا فيلبى بعد جدته غضا وآخره رهن بإيناس
وأنت لي دائم باقٍ بشاشته يهتز في عودلا عش ولا عاسي

فعجل له بلال صلته، وسرحه إلى الكوفة.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا إسحاق بن محمد النخعي قال: حدثنا أبو المعارك الضبي قال: حدثني أبو مسكين قال: دخل حمزة بن بيض على سليمان بن عبد الملك، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

رأيتك في المنام شننت خزا ... علي بنفسجاً وقضيت ديني

فصدق يا فدتك النفس رؤيا ... رأتها في المنام لديك عيني

فقال سليمان: يا غلام أدخله خزانة الكسوة، واشنن عليه كل ثوب خز بنفسجي فيها: فخرج كأنه مشجب . ثم قال له: كم دينك؟ قال: عشرة آلاف درهم. فأمر له بها.

من سره ضرب يرعبل بعضه ... بعضاً كمعمعة الأباء المحرق

فليأت مأسدة تسن سيوفها ... بين المذاد وبين جزع الخندق

ويروي: يمعمع بعضه بعضاً. والمعمعة: وتسن: اختلاف الأصوات وسدة زجلها. والمأسدة: الموضع الذي تجتمع فيه الأسد. وتسن: تحد. يقال: سيف مسنون. والمذاد: موضع بالمدينة. والخندق: يعني به الخندق الذي احتفره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حول المدينة. والشعر لكعب بن مالك الأنصاري. والغناء لابن محرز: خفيف رمل، بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى، عن إسحاق وعمرو.

أخبار كعب بن مالك الأنصاري ونسبه

هو كعب بن مالك بن أبي كعب. واسم أبي كعب: عمرو بن القين بن كعب بن سواد. وقيل: القين بن سواد "هكذا قال ابن الكلبي" بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن شاردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث.

وكان كعب بن مالك من شعراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المعدودين، وهو بدري عقبي. وأبوه مالك بن أبي كعب بن القين شارع، وله في حروب الأوس والخزرج، التي كانت بينهم قبل الإسلام آثار وذكر. وعمه قيس بن أبي كعب شهد بدراً، وهو شارع أيضاً، وهو الذي حالف جهينة على الأوس. وخبره في ذلك يذكر في موضعه، يعد أخبار كعب وأبيه.

ولكعب بن مالك أصل عريق ، وفرع طويل في الشعر: ابنه عبد الرحمن شاعر، وابن ابنه بشير بن عبد الرحمن شارع ، والزبير بين خارجة بن عبد الله بن كعب شاعر، ومعن بن عمرو بن عبد الله بن كعب شاعر، وعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب أبو الخطاب شارع، ومعن بن وهب بن كعب شارع، وكلهم مجيد مقدم.

وعمر كعب بن مالك، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً كثيراً، وكل بني كعي بن مالك قد روى عنه الحديث.

فما رواه ابن ابنه بشير عن أبيه عنه: حدثني أحمد بن الجعد قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا أحمد بن

عبد الملك قال: حدثنا عتاب بن سلمة عن إسحاق بن راشد عن الزهري قال: كان بشير بن عبد الرحمن بن كعب يحدث عن أبيه: أن كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: والذي نفسي بيده، لكأنما تنضحونهم بالنبل بما تقولون من الشعر.

ومما رواه عنه ابنه عبد الله: أخبرني أحمد بن الجعد قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا بكر بن عبد الرحمن قال: حدثنا عيسى بن المختار، عن ابن أبي ليلى، عن إسماعيل بن أمية، عن محمد بن مسلم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن ابيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي المغرب، ثم يرجع الناس إلى أهاليهم وهم يبصرون مواقع النبل حين يرمون.

ومما رواه ابنه محمد: أخبرني أحمد بن الجعد قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا محمد بن سابق قال: حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن أبي الزبير، عن محمد بن كعب، عن أبيه، أنه حدثه: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه وأوس بن الحدثان أيام التشريق، فنادى: إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وأيام منى أيام أكل وشرب.

ويقال: كان كعب بن مالك عثمانياً، وهو أحد من قعد عن علي بن أبي طالب عليه السلام، فلم يشهد معه حروبه، وخاطبه في أمر عثمان وقتلته خطاباً نذكره بعد هذا في أخباره، ثم اعتزله. وله مراث في عثمان بن عف6ان رحمه الله، وتحريض لأنصار على نصرته قبل قتله، وتأنيب لهم على خدلانه بعد ذلك، منها قوله:

فلو حلتم من دونه لم يزل لكم ... يد الدهر عز لا يبوخ ولا يسري
ولم تقعدوا والدار كاب دخانها ... يحرق فيها بالسعير وبالجمر
فلم أر يوماً كان أكثر ضيعةً ... وأقرب منه للغوابة والنكر

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال: كان كعب بن مالك الأنصاري أحد من عاون عثمان على المصريين، وشهر سلاحه، فلما ناشد عثمان الناس أن يغمدوا سيوفهم انصرف، و لم ير أن الأمر يخلص إليه، ولا يجري القوم إلى قتله؛ فلما قتل وقف كعب نب مالك على مجلس الأنصار، في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنشدهم:

من مبلغ الأنصار عني آيةً ... رسلا تقص عليهم التبيانا
أن قد فعلتم فعلة مذكورة ... كست الفضوح وأبدت الشانأنا
بقعودكم في دوركم وأميركم ... تخشى ضواحي داره النيرانا
بينا يرجي دفعكم عن داره ... ملثت حريقاً كابيا ودخانا
حتى إذا خلصوا إلى أبوابه ... دخلوا عليه صائماً عطشانا
يعلون قلته السيوف وأنتم ... متلبثون مكانكم رضوانا

الله يعلم أنني لم أرضه لكم صنيعاً يوم ذاك وشانا

يا لهف نفسي إذ يقول: ألا أرى نفراً من الأنصار لي أعوانا

والله لو شهد ابن قيس ثابت ومعاشر كانوا له إخوانا

يعني ثابت بن قيس بن شماس.

وأبو دجانة وابن أرقم ثابت وأخو المشاهد من بني عجلانا

أبو دجانة: سماك بن خرشة. وابن أرقم: ثابت البلوي. وأخو المشاهد من بني عجلان: معن بن عدي، عقبي.

ورفاعة العمري وابن معاذهم وأخو معاوي لم يخف خذلانا

رفاعة: ابن عبد المنذر العمري. وابن معاذ: سعد بن معاذ. وأخو معاوية: المنذر بن عمرو الساعدي، عقبى بدري.

قوم يرون الحق نصر أميرهم ويرون طاعة أمره إيمانا

إن يتركوا فوضى يروا في دينهم أمراً يضيق عنهم البلدانا

فليعلين الله كعب وليه وليجعلن عدوه الدلانا

إني رأيت محمدا إختاره صهراً وكان يعده خلصانا

محض الضرائب ماجداً أعرقه من خير خندق منصباً وكانا

عرفت له عليا معد كلها بعد النبي الملك والسلطانا

من معشر لا يغدرون بجارهم كانوا بمكة يرتعون زمانا

يعطون سائلهم يأمن جارهم فيهم ويردون الكماة طعانا

فلو انكم مع نصركم لنبكم يوم اللقاء نصرتم عثمانا!

أنسبتم عهد النبي إليكم ولقد ألظ ووكد الأيمانا

قال: فجعل القوم يبكون، وستغفرون الله عز وجل.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو عامر، عن ابن جريج، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال:

رجز راجز من قريش برسول الله صلى الله عليه وآله، فقال:

لم يغذها مد ولا نصيف ولا تميرات ولا تجيف

لكن غذاها اللبن الحريف والمخض والقارص من الصريف

قال: فاحتفظت الأنصار حيث ذكر المد والتمر، فقالوا لكعب بن مالك: انزل، فنزل، فقال:

لم يغذها مد ولا نصيف ... لكن غذاها الحنظل النقيف

ومذقة كطرة الخنيف ... تبيت بين الزرب والكنيف

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اركبا.

أخبرني الجوهري والمهلي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا هوذة بن خليفة قال: حدثنا عوف بن محمد، عن محمد بن سيرين، في حديث طويل قال: كان يهجوهم يعني قريشاً، ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة. وكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم، بالوقائع والأيام والمآثر، ويعيرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر، ونسبهم إليه، ويعلم أن ليس فيهم شيء شر من الكفر، فكانوا في ذلك الزمان أشد شيء عليهم قول حسان وكعب، وأهون شيء عليهم قول ابن رواحة، فلما أسلموا وفقهوا الإسلام، كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة.

أخبرني الجوهري والمهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا عبد الله بن بكرٍ السهمي قال: حدثني حاتم بن أبي صغيرة قال: حدثنا سماك بن حرب قال: أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل: إن سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يهجوك فقام ابن رواحة، فقال: يا رسول الله ائذن لي فيه. فقال له. أنت الذي تقول: فثبت الله؟ قال: نعم يا رسول الله، انا الذي أقول:

فثبت الله ما أعطاك من حسنٍ ... تثبيت موسى، ونصراً كالذي نصرا

فقال: وأنت فعل الله بك مثل ذلك. قال: فوثب كعب بن مالك فقال: يا رسول الله ، ائذن لي فيه. فقال: أنت الذي تقول: همت؟ قال: نعم يا رسول الله، أنا الذي أقول:

همت سخينة أن تغالب ربها ... وليغلبن مغالب الغلاب

فقال: أما إن الله لم ينسى لك ذلك.

أخبرني الجوهري والمهلي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا عبد الله بن يحيى مولى ثقيف قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد قال: حدثنا مجالد، عن الشعبي قال: لما انهزم المشركون يوم الأحزاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن المشركين لن يغزوكم بعد اليوم، ولكنكم تغزونهم، وتسمعون منهم أذى ويهجونكم، فمن يحمي أعراض المسلمين؟ فقام عبد الله بن رواحة، فقال: أنا فقال: إنك لحسن الشعر. ثم قام كعب فقال: أنا. فقال: وإنك لحسن الشعر.

أخبرني الجوهري والمهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني محمد بن منصور قال: حدثني سعيد بن عامر قال: حدثني جويرية بن أسماء قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أمرت عبد الله بن رواحة، فقال وأحسن، وأمرت حساناً فشفى واشتفى.

أخبرني الجوهري والمهلبي قالا: حدثنا عمر بن سبة قال: حدثني أحمد بن عيسى قال: حدثني عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث: أن يحيى بن سعيد حدثه عن عبد الله بن أنيس عن أمه، وهي بنت كعب بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على كعب وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينشد، فلما رآه انقبض، فقال: ما كنتم فيه؟ فقال كعب: كنت أنشد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فانشد، فأنشد، حتى أتى على قوله

مقاتلنا عن جذمنا كل فخمةٍ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقل عن جذمنا، ولكن قل: مقاتلنا عن ديننا.

قال أبو زيد: وحدثني سعيد بن عامر قال: حدثنا أبو عون عن ابن سيرين قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بباب كعب بن مالك، فخرج فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إيه، فأنشده ، ثم قال: إيه فأنشده، ثم قال: إيه فأنشده" ثلاث مرات". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لهذا أشد عليهم من مواقع النبل.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن منصور الربعي، وذكر أنه إسناد شآم، هكذا قال، قال ابن عمار في الخبر، وذكر حديثاً فيه طول، لحسان بن ثابت، والنعمان بن بشير، وكعب بن مالك، فذكرت ما كان لكعب فيه، قال:

لما بويع لعلي بن أبي طالب عليه السلام، بلغه عن حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير-وكانوا عثمانية- أنهم يقدمون بني أمية على بني هاشم، ويقولون: الشأم خير من المدينة. واتصل بهم أن ذلك قد بلغه، فدخلوا عليه، فقال له كعب بن مالك: يا أمير المؤمنين؛ أخبرنا عن عثمان: اقتل ظالماً، فنقول بقولك؟ أم قتل مظلوماً، فنقول بقولنا، وكلك إلى الشبهة فيه، فالعجب من تيقننا وشكك، وقد زعمت العرب أن عندك علم ما اختلفنا فيه، فهاته نعرفه، ثم قال:

كيف يديه ثم أغلق بابه ... وأيقن أن الله ليس يغافل

وقال لمن في داره: لا تقاتلوا ... عفا الله عن كل امرىء لم يقاتل

فكيف رأيت الله صب عليهم ال ... عداوة والبغضاء بعد التواصل

وكيف رأيت الخير أدبر عنهم ... وولى كإدبار النعام الجوافل

فقال لهم علي عليه السلام: لكم عندي ثلاثة أشياء: استأثر عثمان فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة. فقالوا: لا ترضى بهذا العرب، ولا تعذرنا به. فقال علي عليه السلام: أتردون علي بني ظهراني المسلمين، بلا بينة صادقة، ولا حجة واضحة؟ اخرجوا عني، ولا تجاوروني في بلد أنا فيه أبداً.

فخرجوا من يومهم، فساروا حتى أتوا معاوية، فقال لهم: لكم الولاية والكفاية. فأعطى حسان بن ثابت ألف دينار، وكعب بن مالك ألف دينار، وولى النعمان بن بشير حمص، ثم نقله إلى الكوفة بعد.

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمد بن الحارث، قال: حدثنا المدائني عن عبد الأعلى القرشي قال: قال معاوية يوماً لجلسائه: أخبروني بأشجع بيت وصف به رجل قومه. فقال له روح بن زنباع: قول كعب بن مالك:

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا قدماً ولحقها إذا لم تلحق

فقال له معاوية: صدقت.

وأما أبوه مالك بن أبي كعب، أبو كعب بن مالك، فإني أذكر قبل أخباره شيئاً مما يغنى فيه من شعره، فمن ذلك قوله:

لعمر أبيها لا تقول حليلتي: ألا فر عني مالك بن أبي كعب

وهم يضربون الكبش يبرق بيضه ترى حوله الأبطار في حلقٍ شهب

الشعر لمالك بن أبي كعب. والغناء لمالك، ثقيل أول بالبنصر، عن يونس والهشامي. وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى، جميعاً عن الهشامي. وزعم ابن المكي أن خفيف الثقيل هو لحن مالك.

وهذا الشعر يقوله مالك بن أبي كعب في حرب كانت بينه وبين رجل من بني ظفر، يقال له يزدع بن عدي. وكان السبب فيما ذكره جعفر العاصمي عن عيينة بن المنهال، ونسخته من كتاب أعطانيه علي بن سليمان الأخفش: أن رجلاً من طيء قدم يثربيإبل له يبعها، فنزل في جوار يزدع بن عدي أخي بني ظفر، فباع إبله، واقتضى أثمانها، وكان مالك بن أبي كعب بن القين أخو بني سلمة، اشترى منه جملاً، فجعله ناضحاً، فمطله مالك بن أبي كعب بثمن جمله، وحضر شخوص الطائي، فشكا ذلك إلى يزدع، فمشى معه إلى منزل مالك، ليكلمه أن يوفيه ثمن جمله، أو يرده عليه، فلم يجدا مالكاً في منزله، ووجدا الجمل باركاً بالفناء، فبعثه يزدع، وقال للطائي: انطلق بجملك، ثم خرجا مسرعين حتى دخلا في دار النبيت، فامنا، فارتحل الطائي بالجمل إلى بلاده، وبلغ مالكاً ما صنع يزدع، فكره أن ينشب بين قومه وبين النبيت حرب، فكف وقد أغضبه ذلك، وجعل يسفه يزدعاً في جراءته عليه وما صنع، فقال يزدع بن عدي في ذلك:

أمن شحط دار من لبابة تجزع وصرف النوى مما يشت ويجمع

وليس بها إلا ثلاث كأنها مسفعة أو قد علاهن أيدع

قد اقتربت لوكان في قرب دارها جداء ولكن قد تضن وتمنع

وكان لها بالمنحنى وجنوبه مصيف ومشتى قبل ذاك ومربع

أتاني وعيد الخزرجي كأنني ذليل له عند اليهودي مضرع

متى تلقني لا تلق نهزة واجد وتعلم أني في الهزاهز أروع

معي سمحة صفراء من فرع نبعةٍ ولين إذا مس الضريبة يقطع

ومطرد لدن إذا هزمتنه ... متين كخرص الذابلات وأهزع
فلا وإلهي لا يقول مجاوري: ... ألا إنني قد خانني اليوم برذع

وأحفظ جاري أن أخاتل عرسه ... ومولاي بالنكراء لا أتطلع
وأجعل مالي دون عرضي إنه ... على الوجد والإعدام عرض ممنع
وأصبر نفسي في الكريهة إنه ... لذي كل نفس مستقر ومصرع
وإني بحمد الله لا ثوب فاجر ... لبست ولا من خزيةٍ أتقنع

فأجابه مالك بن أبي كعب، فقال:

هل للفؤاد لدى سنباء تتويل ... أم لا نوال فإعراض وتحيل
إن النساء كأشجار نبتن معا ... منهن مر وبعض المر مأكول
إن النساء ولو صورن من ذهب ... فيهن من هفوات الجهل تخبيل

الغناء لسليم، هزج بالوسطى عن الهشامي وبذل.

إنك إن تنه إحداهن عن خلق ... فإنه واجب لا بد مفعول
ونعجةٍ من نعاج الرمل خاذلةٍ ... كأن مأقيها بالحسن مكحول
ودعتها في مقامي ثم قلت لها: ... حياك ربك إني عنك مشغول
وليلةٍ من جمادى قد شربت بها ... والزق بيني وبين الشرج معدول
ومرجحن على عمد دلفت به ... كأنه رجل في الصف مقتول
ولا أهاب إذا ما الحرب حرشهاال ... أبطال واضطربت فيها البهاليل
أمضي أمامهم والموت مكتنع ... قدماً إذا ما كبا فيها التنابيل
علي فضفاضة كالنهى سابغة ... وصارم مثل لون الملح مصقول
ولدنه في يدي صفراء تعلبها ... بعامل كشهاب النار موصول
إني من الخزرج الغر الذين هم ... أهل المكارم لا يلفى لهم جيل
في الحرب أنهك منهم للعدو إذا ... شبت وأعظم نبلاً إن هم سيلوا
أشبهت من والدي عزاً ومكرمةً ... ويرذع مدغم في الأوس مجهول

نبئته يدعي عزاً ويوعدني نوكاً وعندي له بالسيف تنكيل

قال: ثم إن مالك بن كعب خرج يوماً لبعض حاجته، فبينا هو يمشي وحده، إذ لقيه برذع ومعه رجلان من بني ظفر، فلما رأوا مالكاً أقبلوا نحوه، فبدرهم مالك إلى مكان من الحرة كثير الحجارة مشرف، فقام عليه، وأخذ في يده أحجاراً، وأقبلوا حتى دنوا منه، فشاتموه ورامو بالحجارة؛ وجعل مالك يلتفت إلى الكريق الذي جاء منه، كأنه يستبطيء ناساً، فلما رآه برذع وصاحباه يكثر الالتفات، ظنوا أنه ينتظر ناساً كانوا معه، وخشوا أن يأتوهم على تلك الحال، فانصرفوا عنه، فقال مالك بن أبي كعب في ذلك:

لعمر أبيها لا تقول حليلتي: ألا فر عني مالك بن أبي كعب
أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلا وأنجو إذا غم الجبان من الكرب
أبى لي أن أعطى الصغار ظلامةً جدودي زآبائي الكرام أولو السلب
هم يضربون الكبش يبرق بيضه ترى حوله الأبطال في حلق شهب
وهم أورثوني مجدهم وفعالهم فأقسم لا يزري بهم أبداً عقبي

ويروى: لا يخزيهم.

وأرعى لجاري ما حييت ذمامه وأعرف ما حق الرفيق على الصحب
ولا أسمع الندمان شيئاً يريبه إذا الكأس دارت بالمدام على الشرب
إذا ما اعترى بعض الندامى لحاجةٍ فقولي له: أهلاً وسهلاً وفي الرحب
إذا أنفذوا الزق الروي وصرعوا نشاوى فلم أنقع بقولهم: حسبي
بعثت إلى حانوتها فاستبأتها بغير مكاس في الوام ولا غصب
وقلت: اشربوا ريا هنيئاً فإنها كماء القليب في اليسارة والقرب
يطاف عليهم بالسديف وعندهم قيان يلهين المزاهر بالضرب
فإن يصبروا لي الدهر أصبرهم بها ويرحب لهم باعي ويغزر لهم شربي
وكان أبي في المحل يطعم ضيفه ويروي نداماه ويصبر في الحرب
ويمنع مولاه ويدرك تبله ولو كان ذاك التبل في مركب صعب
إذا ما منعت المال منكم لثروةٍ فلا يهنني مالي ولا ينم لي كسبي

وقد روي أن الشعر المنسوب إلى مالك بن أبي كعب، لرجل من مراد، يقال له مالك بن أبي كعب، وذكر له

خبر في ذلك.

أخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان. قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، عن عبد الله بن عباس، عن مجالد عن الشعبي، قال: كان رجل من مراد يكنى أبا كعب، وكان له ابن يدعى مالكاً، وبنت يقال لها طريفة، فزوج ابنه مالكاً امرأة من أرحب، فلم تزل معه حتى مات أبو كعب، فقالت الأرحبية لمالك: إني قد استقت إلى أهلي ووطني، ونحن هاهنا في جدب وضيق عيش، فلو ارتحلت بأهلك وبي، فنزلت على أهلي، لكان عيشنا أرغد، وشملنا أجمع؛ فأطاعها، وارتحل بها وبأمه وبأخته إلى بلاد أرحب، فمر بحي كان بينهم وبين أبيه ثأر، فعرفوا فرسه، فخرجوا إليه، وأحدقوا به، وقالوا له: استسلم وسلم الظعينة. فقال: أما وسيفي بيدي وفرسي تحتي فلا، وقاتلهم حتى صرع، فقال وهو يجود بنفسه:

لعمر أبيها لا تقول حليلتي ... ألا فر عني مالك بن أبي كعب

وذكر باقي الأبيات التي تقدم ذكرها قبل هذا الخبر.

قال مؤلف هذا الكتاب: وأحسب هذا الخبر مصنوعاً، وأن الصحيح هو الأول.

خيرت أمرين ضاع الحزم بينهما ... إما الضياع وإما فتنة عمم

فقد هممت مراراً أن أساجلهم ... كأس المنية لولا الله والرحم

الشعر لعيسى بن موسى الهاشمي، والغناء لمتيم الهاشمية، خفيف رمل، من روايتي ابن المعتز والهشامي.

أخبار عيسى بن موسى ونسبه

عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. وقد مضى في عدة مواضع من هذا الكتاب ما تجاوزه نسب هاشم إلى أقصى مدى الأنساب. وأمه وأم سائر إخوته وأخواته أم ولد.

وعيسى ممن ولد ونشأ بالحميمة من أرض الشام، وكان من فحول أهله وشجعانهم، وذوي النجدة والرأي والبأس والسودد منهم. وقبل أن أذكر أخباره، فإني أبدأ بالرواية في أن الشعر له، إذ كان الشعر ليس من شأنه، ولعل منكراً أن ينكر ذلك إذا قرأه.

أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلبي وعمي قالا: حدثنا عبد الله بن أبي سعد. ورأيت هذا الخبر بعد ذلك في بعض كتب ابن أبي سعد، فقابلت به ما رواياه؛ فوجدته موافقاً.

قال ابن أبي سعد: حدثني علي بن النطاح قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى قال: لما خلع أبو جعفر عيسى بن موسى، وبايع للمهدي، قال عيسى بن موسى:

خيرت أمرين ضاع الحزم بينهما ... إما صغار وإما فتنة عمم

وقد هممت مراراً أن أساقيهم كأس المنية لولا الله والرحم

ولو فعلت لزالت عنهم نعم بكفر أمثالها تستنزل النقم

هلى هذه الواية في الشعر، روى من ذكرت. وعلى ما صدرت من الخلاف في الألفاظ يغنى.

أنشدني طاهر بن عبد الله الهاشمي قال: أنشدني بريهة المنصوري هذه الأبيات، وحكى أن ناقداً خادم عيسى كان واقفاً بين يديه ليلة ظأتاه خبر المنصور وما دبره عليه من الخلع، قال: فجعل يتململ على فراشه ويهمهم، ثم جلس فأنشد هذه الأبيات، فعلمت أنه كان يهمهم بها، وسألت الله أن يلهمه العزاء والصبر على ما جرى، شفقة عليه.

قال ابن أبي سعد في الخبر الذي قدمت ذكره عنهم: وحدثني محمد بن يوسف الهاشمي قال: حدثني عبد الله بن عبد الرحم قال: حدثتني ملثم بنت عيسى قال: قال موسى بن علي بن عبد الله بن العباس: رأيت في المنام كأني دخلت بستاناً، فلم آخذ منه إلا عنقوداً واحداً، عليه من الحب المرصف ما الله به عليم، فولد له عيسى بن موسى، ثم ولد لعيس من قد رأيت.

قال ابن أبي سعد في خبره هذا: وحدثني علي بن مسلم الهاشمي قال: حدثني عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن مالك، مولى عيسى بن موسى، قال: حدثني أبي قال:

كنا مع عيسى بن موسى لما سكن الحيرة، فأرسل إلي ليلة من الليالي، فأخرجني من مترلي، فجئت إليه، فإذا هو جالس على كرسي، فقال لي: يا عبد الرحمن، لقد سمعت الليلة في داري شيئاً ما دخل سمعي قط إلا ليلةً بالحميمة والليلة، فانظر ما هو. فدخلت أستقري الصوت، فإذا هو في المطبخ، وإذا الطباخون قد اجتموا، وعندهم رجل من اهل الحيرة يغنيهم بالعود، فكسرت العود، واخرجت الرجل، وعدت إليه فأخبرته، فحلف لي أنه ما سمعه قط إلا تلك الليلة بالحميمة وليلته هذه.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي، قالا: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الله بن محمد بن المنذر عن صفية بنت الزبير بن هشام بن عروة عن أبيه قال: كان عيسى بن موسى إذا حج، يحج ناس كثير من أهل المدينة: يتعرضون لمعروفه فيصلهم؛ قالت: فمر أبي بأبي الشدائد الفرازي، وهو ينشد بالمصلى:

عصابة إن حج عيسى حجوا

وإن أقام بالعراق دجوا

قد لعقوا لعيقةً بفلجوا

فالقوم قوم حجهم موج

ما هكذا كان يكون الحج

قال: ثم لقي أبو الشدائد بعد ذلك أبي، فسلم عليه، فلم يردد عليه، فقال له: مالك يا أبا عبد الله لا ترد السلام علي؟ فقال: ألم أسمعك تهجو حاج بيت الله الحرام؟ فقال أبو الشدائد:

إني ورب الكعبة المبنية
والله ما هجوت من ذي نيه
ولا امرىء ذي رعةٍ نقيه
لكنني أرعي على البريه
من عصبةٍ أغلوا على الرعية
بغير أخلاق لهم سريه
آثار ربع قدما أعيا جواباً صمما
سحت عليه ديم بمائها فانهدما
كان لسعدى علما فصار وحشاً رمما
أيام سعدى سقم وهي تداوي السقما

الشعر للرقاشي، والغناء لابن المكي، رمل بالوسطى، عن عمرو بن بانه.

أخبار الرقاشي ونسبه

هو الفضل بن عبد الصمد مولى رقاش. وهو من ربيعة، وكان مطبوعاً سهل الشعر، نقي الكلام، وقد ناقض أبا نواس، وفيه يقول أبو نواس:

وجدنا الفضل أكرم من رقاشٍ لأن الفضل مولاه الرسول

أراد أبو نواس بهذا نفيه عن ولائه، لأنه كان أكرم ممن ينتمي إليه، وذهب أبو نواس إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم انا مولى من لا مولى له.

وذكر إبراهيم بن تميم، عن العلى بن حميد: أن الرقاشي كان ما العجم من اهل الري.

وقد مدح الرقاشي الرشيد وأجازه إلا انقطاعه كان إلى آل برمك، فأغنوه عن سواهم.

أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلبي قال: حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي قال: حدثني أبي، قال: كان الفضل الرقاشي منقطعاً إلى آل برمك، مستغنياً بهم عن يواهم، وكانوا يصولون به على الشعراء، ويروون أولادهم أشعاره، ويدونون القليل والكثير منها، قصباً له، وحفظاً لخدمته، وتنويهاً باسمه، وتحريكاً لنشاطه، فحفظ ذلك لهم، فلما نكبوا صار إليهم في حبسهم، فأقام معهم مدة أيامهم، ينشدهم ويسامرهم، حتى ماتوا، ثم رثاهم فأكثر ، ونشر

محاسنهم وجودهم ومآثرهم فأفرط، حتى نشر منها ما كان مطوياً، وأذاع منها ما مان مستوراً؛ وحرى على شاكلته بعدهم، وكان كالموقوف المديح على جميعهم، صغيرهم وكبيرهم. ثم انقطع إلى طاهر وخرج معه إلى خراسان، فلم يزل بها معه حتى مات.

وكان مع تقدمه في الشعر ماجناً خليعاً، متهاوناً بمروءته ودينه، وقصيدته التي يوصي فيها بالخلاعة والمجون مشهورة، سائرة في الناس، مبتذلة في أيدي الخاصة والعامة، وهي التي أولها

أوصى الرقاشي إلى إخوانه وصية المحمد في ندمانه

وقد رأيت هذه القصيدة بعينها بخط الجاحظ في شعر أبي نعامة، من جملة قصيدة له طويلة، يهجو فيها جماعة ويأتي في وسطها بقصيدة الرقاشي.

وقال عبد الله بن المعتز: حدثني أبن أي الخنساء، عن أبيه، قال: لما قال أو دلف:

ناوليني الرمح قد طا ل عن الحرب جمامي

مر لي شهران مذ لم أرم قوماً بسهامي

قال الرقاشي يعارضه:

جنبيني الدرع قد طا ل عن القصف جمامي

وأكسري المطرد والب يض وأثني بالحسام

واقذفي في لجة البح ر بقوسي وسهامي

وبترسي وبرمحي وبسرجي ولجامي

فبحسبي أن تريني بين فتيان كرام

سادةٍ نغدو مدي ن على حرب المدام

واصطفاق العود والنا يات في جوف الظلام

هزم أرواح دنانٍ لم ننلها باصطلام

نهزم الراح إذا ما هم قوم بالنهزام

ثم خل الضرب والطع ن لأجساد وهام

لشقي قال: قد طا ل عن الحرب جمامي

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن موسى، عن ابن النطاح، قال: توفي العباس بن محمد بن خالد بن برمك بالخلد، والرشيد بالرصافة، في يوم جمعة، فأخرجت جنازته مع العصر، وحضر الرشيد والأمين، وأخرجت

المضارب إلى مقابر البرامكة بباب البردان، وفرش للرشيد في مسجد هناك، وجاء الرشيد في الحلق با لأعلام والحراب، فصلى عليه، ووقف على قبره حتى دفن؛ فلما خرج يحيى ومحمد أخواه من القبر، قبلا يد الرشيد، وسألاه الا نصراف، فقال: لا، حتى يسوى عليه التراب، و لم يزل قائماً حتى فرغ من أمره، وعزاهما وأمرهما بالركوب، فقال الرقاشي يرثي العباس بن محمد بن خالد بن برمك:

أتحسبني باكرت بعدك لذة ... أبا الفضل أو رفعت عن عاتقٍ سترا

أو انتفعت عيناي بعد بنظرة ... أو ادنيت من كأس بمشمولة ثغرا

جفاني إذن يوماً إلى الليل مؤنسي ... وأضحت يميني من ذخائها صفرا

ولكنني استشعرت ثوب استكانة ... وبت كأن الموت يحفر لي قبرا

غنى في الأول والثاني من هذه الأبيات الرف، ثاني ثقيل بالبنصر، عن الهشامي وعبد الله بن موسى. وفيه ثقيل أول مجهول، أحسبه لبعض جواري البرامكة. وفيهما لإبراهيم بن المهدي خفيف رمل، عن عبد الله بن موسى.

ومن ذلك قوله في جعفر .

كم هاتفٍ بك من باكٍ وباكيةٍ ... يا طيب للضيف إذ تدعى وللجار

إن يعدم القطر كنت المزن بارقه ... لمع الدنانير لا ماخيل الساري

وقوله:

لعمرك ما بالموت عار على الفتى ... إذا لم تصبه في الحياة المعابر

وما أحد حي وإن كان سالما ... بأسلم ممن غيبته المقابر

ومن كان مما يحدث الدهر جازعا ... فلا بد يوماً أن يرى وهوصابر

وليس لذي عيش عن الموت مقصر ... ولبس على الأيام والدهر غابر

وكل سباب أو جديدٍ إلى البلى ... وكل امرىء يوماً إلى الله صائر

فلا يبعدنك الله عني جعفرا ... بروحي ولو دارت علي الدوائر

فآليت لا أنفك أبكيك ما دعت ... علي فننٍ ورقاء أو طار طائر

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أو غسان، عن عبد العزيز بن أبي ثابت، عن محمد بن عبد العزيز: أن الرقاشي الشاعر فني في حب البرامكة حتى خيف عليه.

اخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثني أبي عن أبي عكرمة، قال: وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن موسى، عن إسماعيل بن مجمع، عن أحمد بن الحارث، عن المدائني .

أنه لما دارت الدوائر على آل برمك، وأمر بقتل جعفر بن يحيى وصلب، اجتاز به الرقاشي الشاعر وهو على الجذع، فوقف يبكي أحر بكاء، ثم أنشأ يقول:

أما والله لولا خوف واشٍ ... وعين للخليفة لا تنام

لطفنا حول جذعك واستلمنا ... كما للناس بالحجر استلام

فما أبصرت قبلك يا بن يحيى ... حساماً قده السيف الحسام

على اللذات والدنيا جميعاً ... ودولة آل برمكٍ السلام

فكتب أصحاب الأخبار بذلك إلى الرشيد، فأحضره، فقال له: ما حملك على ما قلت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كا إلي محسناً، فلما رأيته على الحال التي هو عليها حركني إحسانه، فما ملكت نفسي حتى قلت الذي قلت. قال: وكم كان يجري عليك؟ قال: ألف دينار في كل سنة. قال: فإنا قد أضعفناها لك.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أو دلف، قال: حدثنا الرياشي قال:

كان الفضل الرقاشي يجلس إلى إخوان له يحادثهم، ويألفونه ويأنسون به، فتفرقوا في طلب المعاش، وترامت بهم الأسفار، فمر الرقاشي بمجلسهم الذي كانوا يجلسون فيه، فوقف فيه طويلاً، ثم استعبر وقال:

لولا التطير قلت غيركم ... ريب الزمان فخنتم عهدي

درست معالم كنت آلفها ... من بعدكم وتغيرت عندي

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي قال: حدثنا محمد بن القاسم قال: حدثني أبو هفان، عن يوسف بن الداية قال: كان أبو نواس والفضل الرقاشي جالسين، فجاءهما عمرو الوراق، فقال: رأيت جارية خرجت من دور آل سليمان بن علي، فما رأيت جارية أحسن منها، هيفاء بجلاء، زجاء دعجاء، كأنها خوط بان، أو جدل عنان، فخاطبتها فأجابتني بأحلى لفظ، وأحسن لسان، وأجمل خطاب. فقال الرقاشي: قد والله عشقتها، فقال أبو نواس: أو تعرفها؟ قال: لا والله، ولكن بالصفة، ثم أنشأ يقول:

صفات وظن أورثا القلب لوعةً ... تضرم في أحشاء قلب متيم

تمثلها نفسي لعيني فأنثني ... إليها بطرف الناظر المتوسم

يحملني حبي لها فوق طاقتي ... من الشوق دأب الحائر المتقسم

اخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد الحراني قال: قيل لابن دراج الطفيلي أتتطفل على الرؤوس؟ قال: وكيف لي بها؟ قيل: إن فلاناً قد استرياها، ودخلا بستان ابن بزيع، فخرج يحضر خوفاً من فوقهما، فوجدهما قد لوحا بالعظام فوقف عليها ينظر، ثم استعبر وتمثل قول الرقاشي:

آثار ربع قدما أعيا جوابي صمما

وابن دراج هذا يقال له عثمان، وهو مولى لكندة، وكان في زمن المأمون، وله شعر مليح، وأدب صالح، وأخبار طيبة، يجري ذكرها ههنا.

أخبار ابن دراج الطفيلي

أخبرني الجوهري عن ابن مهروية، عن أبيه قال: قيل لعثمان بن دراج: اتعرف بستان فلان؟ قال: إي والله، وإنه للجنة الحاضرة في الدنيا. قيل له: فلم لا تدخل إليه، فتأكل من ثماره، تحت أشجاره، وتسبح في أنهاره؟ قال: لأن فيه كلباً لا يتمضمض إلا بدماء عراقيب الرجال.

أخبرني الجوهري قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا عبد الرحيم بن احمد بن زيد الحراني قال: كان عثمان بن دراج يلزم سعيد بن عبد الكريم الخطابي، أحد ولد زيد بن الخطاب، فقال له: ويحك! إني أبخل بأدبك وعلمك، وأصونك وأضن بك عما أنت فيه من التطفيل، ولي وظيفة راتبة في كل يوم، فالزمني وكن مدعواً أصلح لك مما تفعل. فقال: رحمك الله أين يذهب بك؛ فأين لذة الجديد، وطيب التنقل كل يوم من مكان إلى مكان؟ وأين نيلك ووظيفتك من احتفال الأعراس؟ وأين ألوانك من ألوان الوليمة؟ قال: فأما إذ أبيت ذاك، فإذا ضاقت عليك المذاهب فإني فيئة لك. قال: أما هذا فنعم.

فبينا هو عنده ذات يوم إذ أتت الخطابي مولاة له، فقالت له: جعلت فداك. زوجت ابنتي من ابن عم لها، ومنزلي بين قوم طفيليين، لا آمنهم أن يهجموا علي، فيأكلوا ما صنعت، ويبقى من دعوت، فوجه معي بمن يمنعهم.

فقال: نعم، هذا أبو سعيد، قم معها يا أبا سعيد. فقال: مري بين يدي، وقام وهو يقول:

ضجت تميم أن تقتل عامر يوم النسار فأعتبوا بالصليم

قال: وقال الخطابي هذا لابن دراج: كيف تصنع بأهل العرس إذا لم يدخلوك؟ قال: أنوح على بابهم، فيتطيرون بذلك، فيدخلوني.

قال: وقال له رجل: ما هذه الصفرة في لونك؟ قال: من الفترة بين القصفين، ومن خوفي كل يوم من نفادالطعام قبل أن أشبع.

أخبرني أحمد قال: حدثنا ابن مهرويه، عن عبد الرحيم بن أحمد:

أن ابن دراج صار إلى باب علي بن زيد، أيام كان يكتي للعباس بن المأمون، فحجبه الحاجب، وقال: ليس هذا وقتك، قد رأيت القواد يحجبون، فكيف يؤذن لك أنت؟ قال: ليست سبيلي سبيلهم، لأنه يحب أن يراني، ويكره أن يراهم، فلم يأذن له. فبيناهما على ذلك إذ خرج علي بن زيد، فقال: ما منعك يا أبا سعيد أن تدخل؟ فقال: منعني هذا البغيض. فالتفت إلى الحاجب، فقال: بلغ بك بغضك أن تحجب هذا؟ ثم قال: يا أبا سعيد، ما أهديت إلي من النوادر؟ قال: مرت بي جنازة ومعي ابني، ومع الجنازة امرأة تبكيه تقول: بك يذهبون ألى بيت لا فرش

فيه ولا وطاء، ولا ضيافة ولا عطاء؛ ولا خبز فيه ولا ماء. فقال لي ابني: يا أبة إلى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنازة. فقلت له: وكيف ويلك! قال: لأن هذه صفة بيتنا. فضحك علي وقال: قد أمرت لك بثلاثة مئة درهم. قال: قد وفر الله عليك نصفها على أن أتغدى معك. قال: وكان عثمان مع تطفيله أشره الناس، فقال: هي عليك موفرة كلها، وتتغدى معنا.

وعثمان ابن دراج الذي يقول:

لذة التطفيل دومي وأقيمي لا تريمي

أنت تشفين غليلي وتسلين همومي

عود إلى الرقاشي: أخبرني محمد بن الحسن دريد قال: حدثنا العكلي قال: دخل الرقاشي على بعض أمراء الصدقة، فقال له: قد أصبح خضابك قانياً. قال: لأني أمسيت له معانيا.

قال: وكيف تفعله؟ قال: انعم الحناء عجناً، وأجعل ماء سخنا، وأروي شعري قبله دهنا، فإن با قنا ، وإن لم يفعل أغنى.

من لعين رأت خيالاً مطيفا واقفاً هكذا علينا وقوفا

طارقاً موهناً ألم فحيا ثم ولى فهاج قلباً ضعيفا

ليت نفسي وليت أنفس قومي يا يزيد الندى تقيك الحتوفا

عتكي مهلبي كريم حاتمي قد نال فرعاً منيفا

عروضه من الخفيف، والشعر لربيعة الرقي يمدح يزيد بن حاتم المهلبي، والغناء لعبد الرحيم الرف ، خفيف رملٍ بالوسطى، عن عمرو.

أخبار ربيعة الرقي ونسبه

هو ربيعة بن ثابت الأنصاري، ويكنى أبا شبابة. وقيل إنه كان يكنى أبا ثابت، وكان يترل الرقة، وبها مولده ومشؤه، فأشخصه المهدي إليه، فمدحه بعدة قصائد، وأثابه عليها ثواباً كثيراً، وهو من المكثرين المجيدين، وكان ضريراً، وإنما أخمل ذكره وأسقطه عن طبقته، بعده عن العراق، وتركه خدمة الخلفاء، ومخالطة الشعراء، وعلى ذلك فما عدم مفضلاً لشعره، مقدماً له.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا محمد بن دواد، عن ابن أبي خيثمة عن دعبل قال: قلت لمروان بن أبي حفصة: من أشعركم جماعة المحدثين يا أبا السمط؟. قال: أشعرنا أيرنا بيتاً. قلت: ومن هو؟ قال: ربيعة الرقي الذي يقول:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم

وهذا البيت من قصيدة له مدح بها يزيد بن حاتم المهلبي، وهجا يزيد بن أسيد السلمي، وبعد البيت الذي ذكره مروان:

يزيد سليم سالم المال والفتى أخو الأزد للأموال غير مسالم

فهم الفتى الأزدي إتلاف ماله وهم الفتى القيسي حجمع الدراهم

فلا يحسب التمتام أني هجوته ولكنني فضلت أهل المكارم

فيا بن أسيد لا تسام ابن حاتم فتقرع إن ساميته سن نادم

هو البحر إن كلفت نفسك خوضه تهالكت في موج له متلاطم

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أسيد بن خالد الأنصاري، قال: قلت لأبي زيد النحوي: إن الأصمعي قال: لا يقال: شتان ما بينهما، إنما يقال: شتان ما هما، وأنشد قول الأعشى:

شتان ما يومي على كورها

فقال: كذب الأصمعي، يقال: شتان ما هما، وشتان مابينهما، وأنشدني لربيعة الرقي، واحتج به:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم

وفي استشهاد مثل أبي زيد على دفع مثل قول الأصمعي بشعر ربيعة الرقي، كفاية له في تفضيله.

وذكره عبد الله بن المعتز فقال: كان ربيعة أشعر غزلاً من أبي نواس، لأن في غزل أبي نواس برداً كثيراً، وغزل هذا سليم سهل عذب.

نسخت من كتاب لعمي: حدثنا ابن أبي فنن قال: اشتهى جواري المهدي أن يسمعن ربيعة الرق، فوجه إليه المهدي من أخذه من مسجده بالرقة، وحمل على البريد حتى قدم به على المهدي، فأدخل عليه، فسمع ربيعة حساً من وراء الستر، فقال: إني أسمع حساً يا أمير المؤمنين، فقال: اسكت يا بن اللخناء، واستنشده ما أراد، فضحك وضحكن منه. قال: وكان فيه لين، وكذلك كان أبو العتاهية، ثم أجازه جائزة سنية، فقال له:

يا أمي المؤمنين الله سماك الأمينا

سرقوني من بلادي يا أمير المؤمنينا

سرقوني فاقض فيهم بجزاء السارقينا

قال: قد قضيت فيهم أن يردك إلى حيث أخذوك. ثم أمر به فحمل على البريد من ساعته إلى الرقة.

وفي يزيد بن حاتم يقول أيضاً:

يزيد الأزد إن يزيد قومي سميك لا يجود كما تجود
يقود جماعة وقود أخرى فترزق من تقود ومن يقود
فما تسعون يحقرها ثلاث يقيم حسابها رجل شديد
وكف شثنة جمعت لوجءٍ بأنكد من عطائك يا يزيد

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: امتدح ربيعة الرقي العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، بقصيدة لم يسبق إليها حسناً، وهي طويلة يقول فيها:

لو قيل للعباس يا بن محمدٍ قل: لا وأنت مخلد ما قالها
ما إن أعد من المكارم خصلة إلا وجدتك عمها أو خالها
وإذا الملوك تسايروا في بلدة كانوا كوكبها وكنت هلالها
إن المكارم لم تزل معقولة حتى حللت براحتيك عقالها

في البيت الأول والبيت الأخير خفيف رملٍ بالوسطى، يقال إنه لإبراهيم. ويقال إنه للحسين بن محرز.

قال: فبعث إليه بدينارين، وكان يقدر فيه ألفين، فلما نظر إلى الدينارين كاد يجن غيظاً، وقال للرسول: خذ الدينارين، فهما لك، على أن ترد الرقعة من حيث لا يدري العباس، ففعل الرسول ذلك، فأخذها ربيعة، وأمر من كتب في ظهرها:

مدحتك مدحة السيف المحلى لتجري في الكرام كما جريت
فهبها مدحةً ذهبت ضياعا كذبت عليك فيها وافتريت
فأنت المرء ليس له وفاء كأني إذ مدحتك قد رثيت

ثم دفعها إلى الرسول، وقال له ضعها في الموضع الذي أخذتهامنه. فردها الرسول في موضعها. فلما كان من الغد اخذها العباس، فنظر فيها، فلما قرأ الأبيات غضب، وقام من وقته، فركب إلى الرشيد، وكان أثيراً عنده، يبجله ويقدمه، وكان قد هم أن يخطب إليه ابنته، فرأى الكراهة في وجهه، فقال: ما سأنك؟ قال: هجاني ربيعة الرقي. فأحضر، فقال له الرشيد: يا ماص كذا وكذا من أمه، أتهجو عمي، وآثر الخلق عندي، لقد هممت أن أضرب عنقك. فقال: والله يا امير المؤمنين، لقد مدحته بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء، في أحد من الشعراء، في أحد من الخلفاء، ولقد بالغت في الثناء، وأكثرت في الوصف، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمره بإحضارها. فلما سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبه، وأحب أن ينظر في القصيدة، فأمر العباس بإحضار الرقعة، فتلكأ عليه العباس ساعة، فقال له الرشيد: شألتك بحق أمير المؤمنين إلا أمرت بإحضارها، فعلم العباس أنه قد اخطأ وغلط، فأمر بإحضارها فأحضرت، فأخذها الرشيد وإذا فيها القصيدة بعينها، فاستحسنها واستجادها، واعجب بها، وقال:

والله ما قال أحد مكن الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها، لقد صدق ربيعة وبر. ثم قال للعباس: كم أثبته عليها؟ فسكت العباس: وتغير لونه، وجرض بريقه، فقال ربيعة: أثابني عليها يا أمير المؤمنين بدينارين، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من الموجدة على العباس، فقال: بحياتي يا رقي، كم أثابك؟ قال: وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابني إلا بدينارين.

فغضب الرشيد غضباً شديداً، ونظر في وجه العباس بن محمد، وقال: سوءة لك ! أية حال قعدت بك عن إثابته أقلة مال؟ فو الله لقد مولتك جهدي؛ أم انقطاع المادة عنك؟ فوا لله ما انقطعت عنك، أم أصلك؟ فهو الأصل لا يدانيه شيء، أم نفسك؟ فلا ذنب لي، بل نفسك فعلت ذلك بك، حتى فضحت أباك وأجدادك، وفضحتني ونفسك.

فتكس العباس رأسه و لم ينطق. فقال الرشيد: يا غلام، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخلعة، واحمله على بغلة، فلما حمل المال بين يديه، وألبس الخلعة، قال له الرشيد: بحياتي يا رقي لا تذكره في شيء من شعرك تعريضاً ولا تصريحاً، وفتر الرشيد عما كان هم به أن يتزوج إليه، وظهر منه له بعد ذلك جفاء كثير واطراح.

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: حدثني أحمد بن أبي فنن الشاعر، قال: حدثني من لا أحصي من الجلساء أن ربيعة الرقي كان لا يزال يعبث بالعباس بن محمد بحضرة الرشيد، العبث الذي يبلغ منه، منذ جرى بينهما في مديحه إياه ما جرى، من حيث لا يتعلق عليه فيه بشيء، فجاء العباس يوماً إلى الرشيد ببرنية فيها غاليه، فوضعها بين يديه، ثم قال: هذه يا أمير المؤمنين غالية، صنعتها لك بيدي، اختير عنبرها من شحر عمان، ومسكها من مفاوز التبت، وبانها من قعر تهامة؛ فالفضائل كلها مجموعة فيها، والنعت يقصر عنها.

فاعترضه ربيعة، فقال: ما رأيت أعجب منك، ومن صفتك لهذه الغالية، عند من إليه كل موصوف يجلب، وفي سوقه ينفق، وبه إليه يتقرب، وما قدر غاليتك هذه، أعزك الله، حتى بلغ في وصفها ما بلغت، أأجريت بها إليه نهراً، ام حملت إليه منها وقراً ! إن تعظيمك هذا عند من تحيى إليه خزائن الأرض وأموالها من كل بلدة، وتذل لهيبته جبابرة الملوك المطيعة والخالفة، وتتحفه بطرف بلدانها، وبدائع ممالكها، حتى كأنك قد فقت به على كل ما عنده، أو أبدعت له ما لا يعرفه، أو خصصته بما لم يحوه ملكه، لا تخلو فيه من ضعف أو قصر همة. أنشدك الله يا أمير المؤمنين، إلا جعلت حظي من كل جائزة وفائدة توصلها إلي مدة سنتي هذه الغالية، حتى أتلقاها بحقها.

فقال: أدفعوها إليه، فدفعت إليه. فأدخل يده فيها، وأخرج ملئها، رحل سراويله، وأدخل يدع فطلى بها استه، وأخذ حفنة اخرى، وطلى بها ذكره وأنثييه، وأخرج حفنتين، فجعلهما تحت إبطيه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، مر غلامي أن يدخل إلي، فقال: ادخلوه إليه، وهو يضحك، فأدخلوه إليه فدفع إليه البرنية غير مختومة، وقال أذهب إلى جارتي فلانة بهذه البرنية، وقل لها: طيبي بها حرك واستك وإبطيك، حتى أحيء الساعة وأنيكك، فأخذها الغلام ومضى وضحك الرشيد حتى غشي عليه، وكاد العباس يموت غيظاً، ثم قام فانصرف، وأمر الرشيد لربيعة

بثلاثين ألف درهم .

وذكر علي بن الحسين بن عبد الأعلى، انه رأى قصيدة لربيعة الرقي مكتوبة في دور بساط من بسط السلطان قديم، وكان مبسوطاً في دار العامة بسر من رأى، فنسخها منه، وهي قوله:

وتزعم أني قد تبدلت خلةً سواها وهذا الباطل المتقول

لحا الله من باع الصديق بغيره فقالت نعم حاشاك إن كنت تفعل

ستصرم إنساناً إذا صرمتني يحبك فانظر بعده من تبدل

في هذه الثلاثة الأبيات لحن من الثقيل الأول، ينسب إلى إبراهيم الموصلي، وإلى إبراهيم بن المهدي، وفيه لعريب رمل من رواية ابن المعتز.

وكان سبب إغراق ربيعة في هجاء يزيد بن أسيد، انه زاره يستميحه، لقضاء دين كان عليه ، فلم يجد عنده ما أحب، وبلغ ذلك يزيد بن حاتم المهلبي، فطفل على قضاء دينه وبره، فاسفرغ بيعة جهده في مدحه، وله فيه عدة قصائد مختارة، يطول ذكرها، وقد كان أبو الشمقمق عارضه في قوله:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم

في قصيدة مدح بها يزيد بن مزيد، وسلخ بيت الرقي، بل نقله وقال:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى إذا عد في الناس المكارم والمجد

يزيد بني شيبان أكرم منهما وإن غضبت قيس بن عيلان والأزد

فتى لم تلده من رعين قبيلة ولا لخم تنميه ولم تنمه نهد

ولكن نمته الغر من آل وائلٍ وبرة تنميه ومن بعدها هند

ولم يسر في هذا المعنى شيء كما يار بيت ربيعة.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا محمد بن دواد بن الجراح قال: حدثنا محمد بن أبي الأزهر قال: عرض نخاس على أحمد بن يزيد بن أسيد الذي هجاه ربيعة جواري، فاختار جاريتين منهن، ثم قال للنخاس: أيتهما أحب إليك؟ قال: بينهما أعز الله الأمير كما قال الشاعر:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والغر ابن حات

فأمر بجر رجله وجواريه.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عبد الله بن شبيب قال: لما حج الرشيد لقيه قبل دخوله مكة رجلان من قريش، فانتسب له أحدهما، ثم قال: يا أمير المؤمنين، نهكتنا النوائب، وأجحفت بأموالنا المصائب، ولنا بك رحم أنت أولى من وصلها، وأمل أنت أحق من صدقه، فما بعدك مكلب، ولا عنك مذعب، ولا فوقك

مسئول، ولا مثلك مأمول. وتكلم الآخر، فلم يأت بشيء فوصلهما، وفضل الأول تفضيلاً كثيراً، ثم أقبل على الفضل بن الربيع فقال: يا فضل:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم

قال أحمد بن أبي طاهر: حدثني أبو دعامة علي بن زيد بن عطاء الملط قال: لما هجا ربيعة يزيد بن أسيد السلمي، وكان جليلاً عن المنصور والمهدي، وفضل عليه يزيد بن حاتم، قلت لربيعة: يا أبا شبابة، ما حملك على أن هجوت رجلاً من قومك، وفضلت عليه رجلاً من الأزد؟ فقال: أخبرك.

أملقت فلم يبق لي شيء إلا داري، فرهنتها على خمس مئة درهم، ورحلت إليه إلى ارمينية، فأعلمته ذلك ومدحته، وأقمت عنده حولاً، فوهب لي خمس مئة درهم، فتحملت وصرت بها إلى منزلي، فلم يبق معي كبير شيء، فنزلت في دار بكراء، فقلت: لو أتيت يزيد بن حاتم، ثم قلت: هذا ابن عمي فعل بي هذا الفعل، فكيف غيره؟ ثم حملت نفسي على أن أتيته، فاعلم بمكاني، فتركني شهراً حتى ضجرت، فأكريت نفسي من الحمالين، وكتبت بيتاً في رقعة وطرحتها في دهليزه، والبيت:

أراني ولا كفران لله راجعا يخفي حنينٍ من يزيد بن حاتم

فوقعت الرقعة في يد حاجبه، فأولها إليه من غير علمي ولا امري، فبعث خلفي، فلما دخلت عليه قال: هيه، أنشدني ما قلت. فتمنعت، فقال: والله لتنشدني، فأنشدته فقال: والل لا ترجع كذلك، ثم قال: انزعوا خفيه، فنزعا فحشاهما دنانير، وأمر لي بغلمان وجوار وكسا، أفلا ترى لي أن أمدح هذا وأهجو ذاك! قلت: بلى والله.

ثم قال: وسار شعري حتى بلغ المهدي فكان سبب دخولي إليه.

أخبرني الحسن بن علي الأدمي قال: حدثني محمد بن الحسن بن عباد بن الشهيد القرقيسياني قال: حدثني عمي عبد الله بن عباد: أن ربيعة بن ثابت الرقي الأسدي كان يلقب الغاوي، وكان يهوى جارية يقال لها عثمة، أمة لرجل من أهل قرقيسياء، يقال له ابن مرار، وكان بنو هاشم في سلطانهم قد ولوه مصر، فأصاب بها مالاً عظيماً، وبلغه خبر ربيعة مع جاريته، فأحضره، وعرض عليه أن يهبها له، فقال: لا تهبها لي، فإن كل مبذول مملول، وأكره أن يذهبحبها من قلبي؛ ولكن دعني أواصلها هكذا، فهو أحب إلي.

قال: وقال فيها:

اعتاد قلبك من حبيبك عيده شوق عراك فأنت عنه تذوده

والشوق قد غلب الفؤاد فقاده والشوق يغلب ذا الهوى فيقوده

في دار مرار غزال كنيسة عطر عليه خزوزه وبروده

ريم أغر كأنه من حسنه صنم يحج ببيعة معبوده

عيناه عينا جؤذر بصريمة وله من الظبي المريب جيده

ما ضر عثمة أن تلم بعاشق دنف الفؤاد متيم فتعوده

وتلده من ريقها فلربما نفع السقيم من السقام لدوده

وهي طويلة مده فيها بعض ولد يزيد بن المهلب.

أخبرني يحيى بن علي قال: حدثني أبي عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن أبي بشر الفزاري قال: لقى ربيعة الرقي معن بن زائدة في قدمه قدمها إلى العراق، فامتدحه بقصيدة، وأنشده إياها راويته، فلم يهش له معن، ولا رضي ربيعة لقائه إياه، وأثابه ثواباً نزراً، فرده ربيعة، وهجاه هجاء كثيراً، فمما هجاه به قوله:

معن يا معن يا بن زائدة الكل ب التي في الذراع لا في البنان

لا تفاخر إذا فخرت بآبا ئك وافخر بعمك الحو فزان

فهشام من وائل في مكانٍ أنت ترضى بدون ذاك المكان

ومتى كنت يا بن ظبية ترجو أن تثني على ابنة الغضبان

وهي حوراء كالمهاة هجان لهجانٍ وأنت غير هجان

وبنات السليل عند بن ظب ية، أف لكم بني شيبان

قيل :معن لنا فلما اختبرنا كان مرعى وليس كالسعدان

قال أبو بشر: ظبية التي عيره بها أمة كانت لبني نهار بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، لقيها عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك، وكانت راعية لأهلها، وهي في غنمها، فسرقها ووقع عليها، فولدت له زائدة بن عبد الله أبا معن بن رائدة، ودجاجة بنت عبد الله. قال: وبنت السليل التي عناها: امرأة من ولد الحوفزان.

أخبرني يحيى عن أبيه إسحاق عن أبي بشر الفزاري، قال: كان ربيعة الرقي يهوى جارية لرجل من اهل الكوفة، يقال لها عثمة، وكان أهلها ينزلون في جوار جعفي، فقال فيها في أبيات له:

جعفي جيرانها فقد عطرت جعفي من نشرها ورياها

فقال له رجل من جعفي: وأنا جار لها بيت بيت، والله ما شممت من دراهم ريحا طيبة قط. فتشمم ربيعة رائحته وقال: وما ذنبي إذا كنت أخشم ، والله إني لأجد ريحها وريح طيبها منك، وأنت لا تجده من نفسك.

أخبرني يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبي بشر قال: كنت حاضراً ربيعة الرقي يوماً وجاءته امرأة من منزل هذه الجارية، فقالت: تقول لك فلانة: إن بنت مولاي محمومة، فإن كانت تعرف عوذة تكتبها لها فافعل. فقال: أكتب لها يا أبا بسر هذه العوذة:

تفو تفو باسم إلهي الذي لا يعرض السقم لمن قد شفى

أعيذ مولاتي ومولاتها وانتها بوذة المصطفى

من شر ما يعرض عن علة في الصبح والليل إذا أشدفا

قال: فقلت له: يا أبا ثابت، لست أحسن أن أكتب: تفو تفو، فكيف أكتبها؟ قال: انضح المداد من رأس القلم في موضعين، حتى يكون كالنفث، وافع العوذة إليها، فإنها نافعة. ففعلت ودفعتها إليها، قلم تلبث أن جائنا الجارية وهي لا تتمالك ضحكاً. فقالت له: يا مجنون، ما فعلت بنا؟ كدنا والله نفتضخ بما صنعت. قال: فما أصنع بك؟ أشاعر أنا أم صاحب تعاويذ؟

ألا من بين الأخوي ن أمها هي الثكلى

تسائل من رأى ابنيها وتشفي فما تشفى

فلما استيأست رجعت بعبرة واله حرى

تتابع بين ولولة وبين مدامعٍ تترى

عروضه من الهزيج ، الشعر لجورية بنت خالد بن قارظ الكنانية، وتكنى أم حكيم، زوجة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، في ابنيها اللذين قتلهما بسر بن لؤي باليمن.

والغناء لا بن سريج، ولحنه من القدر الأوسط، من الثقيل الأول، بالخنصر في مجرى البنصر. وفيه لحنٍ الحيري، ثاني ثقيل عن الهشامي. وفيه لأبي سعيد مولى فائد، خفيف ثقيل الأول، مطلق في مجرى الوسطى.

خبر مقتل ابني عبيد الله بن العابس

ابن عبد المطلب

أخبرني بالسبب في ذلك محمد بن أحمد بن الطلاس قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال: حدثنا علي بن محمد المدائني، عن أبي مخنف، عن جويرية بن أسماء، والصقعب بن زهير، وأبي بكر الهذلي، عن أبي عمرو الوقاصي:

أن معاوية بن أبي سفيان بعث بسر بن أرطاة، أحد بني عامر بن لؤي، بعد تحكيم الحكمين، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ حي، وبعث معه جيشاً، ووجه برجل من غامد ضم إليه جيشاً آخر. ووجه الضحاك بن قيس الفهري في جيش آخر، وأمرهم أن يسيروا في البلاد، فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه، وأن يغيروا على سائر أعماله، ويقتلوا أصحابه، ولا يكفو أيديهم عن النساء والصبيان. فمضى بسر لذلك على وجهه، حتى انتهى إلى المدينة، فقتل بها ناساً من أصحاب علي عليه السلام، وأهل هواه، وهدم بها دوراً من دور القوم. ومضى إلى مكة، فقتل نفراً من آل أبي لهب، ثم أتى السراة، فقتل من بها من أصحابه. وأتى نجران، فقتل عبد الله بن عبد المدان الحارثي وابنه، وكانا من أصهار بني العباس، ثم أتى اليمن

وعليها عبيد الله بن العباس، عاملاً لعلي بن أبي طالب، وكانه غائباً، وقيل بل هرب لما بلغه خبر بسر، فلم يصادفه بسر، ووجد ابنين له صبيين، فأخذهما بسر لعنه الله، وذبحهما بيده، بمدية كانت معه، ثم اكفأ راجعاً إلى معاوية، وفعل مثل ذلك سائر من بعث به. فقصد الغامدي إلى الأنبار، فقتل ابن حسان البكري، وقتل رجالاً ونساء من الشيعة.

فحدثني العباس بن علي بن العباس النسائي قال: حدثنا محمد بن حسان الأزرق، قال: حدثنا شبابة بن سوار قال: حدثنا قيس بن الربيع، عن عمرو بن قيس، عن أبي صادق، قال: أغارت خيل لمعاوية على الأنبار، فقتلوا عاملاً لعلي عليه السلام، يقال له حسان بن حسان ، وقتلوا رجالاً كثراً ونساءً، فبلغ ذلك علي بن طالب صلوات الله عليه، فخرج حتى أتى المنبر، فرقيه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: إن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذلة وشمله البلاء، وديث بالصغار، وسيم الخسف. وقد قلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فإنه لم يغز قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم، وتركتم قولي وراءكم ظهيا، حتى شئت عليكم الغارات. هذا أخو غامد قد جاء الأنبار، فقتل عاملي عليها حسان بن حسان، وقتل رجالاً كثيراً ونساء. والله لقد بلغني أنه كانيأتي المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فيترع حجلها ورعائها ، ثم ينصرفون موفورين، و لم يكلم أحد منهم كلما، فلو أن امرأ مسالماً مات من دون هذا أسفاً، لم يكن عليه ملوماً، بل كان به جديراً، يا عجباً، عجباً بميت القلب، ويشعل الأحزان، من اجتماع هؤلاء القوم على ضلالتهم وباطلهم، وفشلكم عن حقكم، حتى صرتم غرضاً، ترمون ولا ترمون، وتغزون ةلا تغزون، ويعصى الله وترضون. إذا قلت لكم اغزوهم في الحر، قلتم هذه حمارة القيظ فأمهلنا، وإذا قلت لكم اغزوهم في البرد، قلتم هذا أوان قر وصر فأمهلنا، فإذا كنتم من الحر والبرد تفرون، فأنتم والله من السيف أشد فراراً . يا أشباه الرجال ولا رجال، ويا طغام الأحلام، وعقول ربات الحجال ، وددت والله أني لم أعرفكم، بل وددت أني لم أركم، معرفة والله جرعت بلاءً وندماً، وملأتم جوفي غيظاً بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له لالحرب. ويحهم! هل فيهم أشد مراساً لها مني؟ والله لقد دخلت فيها وأنا ابن عشرين، وأنا الآن قد نيفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع.

فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أنا كما قال الله تعالى:"لا أملك إلا نفسي وأخي" فمرنا بأمرك، فوالله لنطيعنك ولو حال بيننا وبينك جمر الغضى ، وشوك القتاد. قال: وأين تبلغان مما أريد؛ هذا أو نحوه، ثم نزل.

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي عبيد الله بن محمد قال: حدثني جعفر بتن بشير قال: حدثني صالح بن يزيد الخراساني، عن أبي مخنف، عن سليمان بن أبي راشد، عن أبن أبي الكنود عبد الرحمن بن عبيد قال: كتب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه علي بن أبي طالب عليه السلام:

أما بعد، فإن الله عز وجل جارك من كل سوء، وعاصمك من المكروه. وإني خرجت معتمراً، فلقيت عبد الله بن أبي سرح في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء، فقلت لهم، وعرفت المنكر في وجوههم: يا أبناء الطلقاء،

العداوة والله لنا منكم غير مستنكرة قديماً، تريدون بها إطفاء نور الله، وتغيير أمره، فأسمعني القوم وأسمعتهم. ثم قدمت مكة وأهلها يتحثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة، فاحتمل من أموال أهلها ما شاء، ثم انكفأ راجعاً، فأف لحياة في دهر جرأ هليك اضحاك. وما الضحاك؟ وهل هو إلا فقع بقرقرة ، وقد ظننت وبلغني أن نصارك قد خذلوك، فاكتب إلي يا بن أم برأيك، فإن كنت الموت تريد، تحملت إليك ببني أبيك وولد أخيك، فعشنا ما عشت، ومتنا معك، فوالله ما أحب أن أبقى بعدك فواقاً ، وأقسم بالله الأعز الأجل، أن عيشاً أعيشه في هذه الدنيا بعدك، لعيش غير هنيء ولا مريء ولا نجيع . والسلام.

فأجابه علي بن أبي طالب، عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد، كلأنا الله وإياك كلاءة من يخشاه بالغيب، إنه حميد مجيد، فقد قدم علي عبد الرحمن بن عبيد الأزدي بكتابك، تذكر فيه أنك لقيت ابن أبي سرح مقبلاً من قديد، في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء، وإن بني أبي سرح طال ما كاذ الله ورسوله وكتابه، وصد عن سبيله، وبغاها عوجاً، فدع بني أبي سرح عنك، ودع قريشاً وتركاضهم في الضلالة، وتجوالهم في الشقاق، فإن قريشاً قد أجمعت على حرب أخيك، إجماعها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقه، وجحدوا فضله، وبادوه لاعداوة، نونصبوا له الحرب، وجهدوا عليه كل الجهد، وساقوا إليه جيش الأمرين. اللهم فاجز عني قريشاً الجوازي، فقد قطعت رحمي، وتظاهرت علي، والحمد الله على كل حال.

وأما ما ذكرت من غارة الضحاك بن قيس على الحيرة، فهو أقل وأذل من أن يقرب الحيرة، ولكنه جاء في خيل جريدة، فلزم الظهر، وأخذ على السماوة، فمر بواقصة وشراف وما والى ذلك الصقع، فسرحت إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين، فلما بلغه ذلك جاز هارباً، فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن في السير، وقد طفلت الشمس للإياب، فاقتتلوا شيئاً كلا ولا ، فولى و لم يصبر، وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً، ونجا جريضا بعدما أخذ منه بالمخنق، فلأيا بلأى مانجا واما ما سألت عنه أن أكتب إليك فيه برأيي، فإن رأيي قتال المحلين حتى ألقى الله، لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة، ولا تفرقهم عني وحشة، لأني محق، والله مع الحق وأهله، وما أكره الموت على الحق، وما الخير كله إلا بعد الموت لمن مان محقا.

وأما عرضته علي من مسيرك إلي ببنيك وبني أبيك ، فلا حاجة لي في ذلك، فأقم راشداً مهدياً، فوالله ما أحب أن تهلكوا معي إن هلكت، ولا تحسبن ابن أبيك لو أسلمه الزمان والناس متضرعاً متخشعاً، ولكن أقول كما قال أخو بني سليم:

فإن تسأليني كيف أنت فإنني ... صبور على ريب الزمان صليب

يعز علي أن ترى بي كآبة ... فيشمت عادٍ أو يساء حبيب

والسلام.

رجع الخبر إلى سياقة مقتل الصبيين

ثم إن بس بن أرطاة كر راجعاً، وانتهى خبره إلى علي عليه السلام، أنه قتل عبد الرحمن وقثم ابني عبد الله بن العباس، فسرح حارثة بن قدامه السعدي في طلبه، وأمره أن يغد السير، فخرج مسرعاً، فلما وصل إلى المدينة، وانتهى إليه قتل علي بن أبي طالب عليه السلام، وبيعة الحسن رضي الله تعالى عنه، ركب في السلاح، ودعا أهل المدينة إلى البيعة للحسن، فامتنعوا، قال: والله لتبايعن ولو بأستاهكم. فلما رأى أهل المدينة الجد منه بايعوا للحسن، وك راجعاً إلى الكوفة، فأصاب أم حكيم بنت قارظ ولهى على انيها، فكانت لا تعقل ولا تصغي إلى قول من أعلمها أنهما قد قتلا، ولا تزال تطوف في المواسم، تنشد الناس ابنيها بهذه الأبيات:

يا من أحين بنيي اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يا من أحس بنيي اللذين هما سمعي وقلبي، فقلبي اليوم مختطف
يا من أحس بنيي اللذين هما مخ العظام فمخى اليوم مزدهف
نبئت بسراً وما صدقت ما زعموا من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا

أنحي على ودجى إبني مرهفةً مشحوذة وكذاك الإثم يقترف
حتى لقيت رجالاً من أرومته شم الأنوف لهم في قومهم شرف
فالآن لأعن بسراً حق لعنته هذا لعمر أبي بسرٍ هو السرف
من دل والهةً حرى مدلهة على صبيين ضلا إذ هوى السلف

الغناء لأبي سعيد مولى فائد، ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، وفيه خفيف ثقيل، يقال إنه له أيضاً. وفيه لعريب رمل نشيد.

قالوا: ولما بلغ علي بن أبي طالب عليه السلام قتل بسر الصبيين، جزع لذلك جزعاً شديداً، ودعا على بسر لعنه اله، فقال: اللهم اسلبه دينه، ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلبه علقله! فأصابه ذلك، وفقد عقله، فكان يهذي بالسيف ويطلبه، فيؤتي بسيف من خشب، ويجعل بين يديه زق منفوخ، فلا يزال يضربه حتى يسأم ، ثم مات لعنه الله.

ولما كانت الجماعة واستقر المر على معاوية، دخل عليه عبيد الله بن العباس وعنده بسر بن أرطاة، فقال له عبيد الله: أأنت قاتل الصبيين أيها الشيخ؟ قال بسر: نعم أنا قاتلهما. فقال عبيد الله: أما والله لوددت أن الأرض كانت أنبتتني عنك. فقال بسر: فقد أنبتتك الآن عندي. فقال عبيد الله: ألا سيف! فقال له بسر: هاك سيفي.فلما أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله، أخذه معاوية، ثم قال لبسر: أخزاك الله شيخاً قد كبرت وذهب عقلك، تعمد إلى رجل من بني هاشم قد وترته وقتلت ابنيه، تدفع إليه سيفك، إنك لغافل عن قلوب بني هاشم، والله لو تمكن منه لبأ بي قبلك. فقال عبيد الله: أجل، والله، ثم إذن لثنيت به.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: أخبرني محمد بن مسروق قال: قال الأصمعي: سمع رجل من أهل اليمن وقد قدم مكة امرأة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب تندب ابنيها اللذين قتلهما بسر بن أرطاة بقولها:

يا من أحس بنيي اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف

فرق لها، فاتصل ببسر حتى وثق به، ثم اختال لقتل ابنيه، فخرج بهما إلى وادي أوطاس، فقتلهما وهرب، وقال:

يا بسر بسر بني أرطاة ما طلعت شمس النهار ولا غابت على ناس
خيرٍ من الهاشميين الذين هم عين الهدى وسمام الأشوش القاسي
ماذا أردت إلى طفلي مدلهة بكي وتندب من أثكلت في الناس
إما قتلتهما ظلماً فقد شرقت في صاحبيك قناتي يوم أوطاسي
فاشرب بكأسهما ثكلاً كما شربت أم الطبيين أو ذاق ابن عباس
ألا فاسقياني من شرابكما الوردي وإن كنت قد أنفذت فاسترهنا بردي
سواري دملوجي وما ملكت يدي مباح لكم نهب فلا تقطعوا وردي

عروضه من الطويل. والشعر لأم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس. والغناء لإبراهيم الموصلي، رمل بالوسطى، من رواية عمرو بن بانة.

ذكر أم حكيم وأخبارها

قد مضى ذكر نسبها.

وأمها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وكانت عي وأمها من أجمل نساء قريش، فكانت قريش تقول لأم حكيم: الواصلة بنت الواصلة، وقيل: الموصلة بنت الموصلة، لأنهما وصلتا الجمال بالكمال.

وأم زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هاشم: سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبي خارجة بن عوف بن أبي حارثة بن لأم الطائي. وكانت سعدى بنت عوف عند عبد الله بن الوليد بن المغيرة، فولدت له سلمة وريطة. ثم توفي عنها، فخلف عليها طلحة بن عبيد الله، فولدت له يحيى وعيسى، ثم قتل عنها، فخطبها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فتكلم بنوها، فتكلم بنوها، وكرهوا أن تتزوج وقد صاروا رجالاً، فقالت: إنه قد بقي في رحم أمكم فضلة شريفة، لا بد من خروجها، فتزوجها. فولدت له المغيرة بن عبد الرحمن الفقيه، وزينب، وهي أم أم حكيم.

وكان المغيرة أحد أجواد قريش والمطعمين منهم، وقد قدم الكوفة على عبد الملك بن بشر بن مروان، وكان صديقه، وبها جماعة يطعمون الناس من قريش وغيرهم، فلما قدم تغيبوا، فلم يظهر أحد منهم حتى خرج، وبث المغيرة الجفان في السكك والقبائل يطعم الناس، فقال فيه شاعر من أهل الكوفة:

أتاك البحر طم على قريشٍ مغيري فقد راغ ابن بشر

قال مصعب الزبيري: هو - يعني المغيرة - مطعم الجيش بمنى، وهو إلى الآن يطعم عنه. قال: وكانت أخته زينب أحسن الناس وجهاً وقداً، وكأن أعلاها قضيب، وأسفلها كثيب، فكانت تسمى الموصلة. وسميت بنتها أم حكيم بذلك، لأنها أشبهتها.

أخبرني عمي قال: حدثني ابن أبي سعد قال: حدثني علي بن محمد بن يحيى الكناني عن أبيه قال: كانت زينب بنت عبد الرحمن من لين جسدها يقال لها الموصلة : قال مصعب: فتزوج زينب أبان بن مروان بن الحكم، فولدت له عبد العزيز بن أبان، ثم مات عنها، فخطبها يحيى بن الحكم وعبد الملك بن مروان، فمالوا إلى عبد الملك، فأرسل يحيى إلى المغيرة بن عبد الرحمن: كم الذي تأمل من عبد الملك؟ والله لا يزيدها على ألف دينار، ولا يزيدك على خمس مئة دينار، ولها عندي خمسون ألف دينار، ولك عندي عشرة آلاف دينار إن زوجتنيها، فزوجه إياها على ذلك. فغضب عليه عبد الملك. وقال: دخل علي في خطبتي. والله لا يخطب على منبر ما دمت حياً، ولا رأى مني ما يحب، فأسقطه. فقال يحيى: لا أبالي، كعكتان وزينب.

قال ابن أبي سعد: وأخبرت عن محمد بن إسحاق المسيبي قال: حدثني عبد الملك بن إبراهيم الطلحي: أنها لما خطبت قالت: لا أتزوج والله أبداً إلا من يغني أخي المغيرة. فأرسل إليها يحيى بن الحكم: أيغنيه خمسون ألف دينار؟ قالت: نعم. قال: فهي له، ولك مثلها. فقالت: ما بعد هذا شيء. أرسل إلى أهلك شيئاً من طيب، وشيئاً من كسوة.

قال: ويقال إن عبد الملك لما تزوجها يحيى قال: لقد تزوجت أفوه غليظ الشفتين. فقالت زينب: هو خير من أبي الذبان فماً، فما له يعيبه بفمه؟ وقال يحيى: قولوا له أقبح من فمي ما كرهت من فمك.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو غسان، عن عبد العزيز بن أبي ثابت، عن عمه محمد بن عبد العزيز: أن عبد الملك خطب زينب إلى المغيرة أخيها، وكتب إليه أن يلحق به، وكان بفلسطين أو بالأردن، فعرض له يحيى بن الحكم، فقال له: أين تريد؟ قال: أريد أمير المؤمنين. قال: وما تصنع به؟ فوالله لا يزيدك على ألف دينار يكرمك بها، وأربعة مئة دينار لزينب، ولك عندي ثلاثون ألف دينار، سوى صداق زينب. فقال المغيرة: أو تنقل إلي المال قبل عقد النكاح؟ قال: نعم، فنقل إليه المال. فتجهز المغيرة، وسير ثقله، ثم دخل على يحيى فزوجه، وخرج إلى المدينة، فجعل عبد الملك ينتظر المغيرة، فلما أبطأ عليه قيل له: يا أمير المؤمنين، إنه زوج يحيى بن الحكم زينب بنت عبد الرحمن، بثلاثين ألف دينار، وأعطاها إياها، ورجع إلى منزله. فغضب على يحيى، وخلعه عن ماله، وعزله عن عمله، فجعل يحيى يقول:

ألا لا أبالي اليوم ما فعل الدهر إذا بقيت لي كعكتان وزينب

قال: وكانت زينب تسمى الموصلة، من حسن جسدها، وكانت أم حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، تزوجها في حياة جده عبد الملك، ولما عقد النكاح بينهما، عقد في مجلس عبد الملك، وأمر بإدخال الشعراء ليهنئوهم بالعقد، ويقولوا في ذلك أشعاراً كثيرة يرويها الناس، فاختير منهم جرير وعدي بن الرقاع، فدخلا، وبدأ عدي لموضعه منهم، فقال:

قمر السماء وشمسها اجتمعا ... بالسعد ما غابا وما طلعا
ما وارت الأستار مثلهما ... من ذا رأى هذا ومن سمعا؟
دام السرور له بها ولها ... وتهنياً طول الحياة معا

وقال جرير:

جمع الأمير إليه أكرم حرة ... في كل ما حال من الأحوال
حكمية علت الروابي كلها ... بمفاخر الأعمام والأخوال
وإذا النساء تفاخرت ببعولة ... فخرتهم بالسيد المفضال
عبد العزيز ومن يكلف نفسه ... أخلاقه يلبث بأكسف بال
هنأتكم بمودة ونصيحة ... وصدقت في نفسي لكم ومقالي
فلتهنك النعم التي خولتها ... يا خير مأمول وأفضل وال

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم، ولعدي بن الرقاع بمثلها، وقضى لأهله ومواليه يومئذ مئة حاجة، وأمر لجميع من حضر من الحرس والكتاب بعشرة دنانير عشرة دنانير. فلم تزل أم حكيم عند عبد العزيز مدة، ثم تزوج ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، فملكته وأحبها، وذهبت بقلبه كل مذهب، فلم ترض منه إلا بطلاق أم حكيم، فطلقها، فتزوجها هشام بن عبد الملك، ثم مات عبد العزيز، فتزوج هشام ميمونة أيضاً، وكان شديد المحبة لأم حكيم، فطلق لها ميمونة، اقتصاصاً لها منها فيما فعلته بها في اجتماعهما عند عبد العزيز، وقال لها: هل أرضينك منها؟ فقالت: نعم. فولدت أم حكيم من هشام ابنه يزيد بن هشام، وكان من رجالات بني أمية، وكان أحد من يطعن على الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ويغري الناس به.

وكانت أم حكيم منهومة بالشراب، مدمنة عليه، لا تكاد تفارقه. وكأسها الذي كانت تشرب فيه مشهور عند الناس إلى اليوم، وهو في خزائن الخلفاء حتى الآن، وفيه يقول الوليد بن يزيد:

عللاني بعاتقات الكروم ... واسقياني بكأس أم حكيم
إنها تشرب المدامة صرفا ... في إناء من الزجاج عظيم

جنبوني أذاة كل لئيم إنه ما علمت شر نديم
ثم إن كان في الندامى كريم فأذيقوه مس بعض النعيم
ليت حظي من النساء سليمى إن سلماي جنتي ونعيمي
فدعوني من الملامة فيها إن من لامني لغير حليم

عروضه من الخفيف. غناء عمر الوادي من رواية يونس وفي رواية إسحاق: غناه العزيل أبو كامل: خفيف رمل بالسبابة في مجرى البنصر.

فيقال إن هذا الشعر بلغ هشاماً، فقال لأم حكيم: أتفعلين ما ذكره الوليد؟ أو تصدقه الفاسق في شيء، فتصدقه في هذا؟ قال: لا. قالت: فهو كبعض كذبه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: كان يزيد بن هشام هجا الوليد بن يزيد ين عبد الملك، فقال:

فحسب أبي العباس كأس وقينة وزق إذا دارت به في الذوائب
ومن جلساء الناس مثل ابن مالك ومثل ابن جزء والغلام ابن غالب

فقال الوليد يهجوه، ويعيره بشرب أمه الشراب:

إن كأس العجوز كأس وراء ليس كأس ككأس أم حكيم
إنها تشرب الرساطون صرفا في إناء من الزجاج عظيم
لو به يشرب البعير أو الف ل لظل في سكرة وغموم
ولدته سكرى فلم تحسن الطل ق فوافى لذلك غير حليم

وكان لهشام منها ابن يقال له مسلمة، ويكنى أبا شاكر، وكان هشام ينوه باسمه، وأراد أن يوليه العهد بعده، وولاه الحج، فحج بالناس، وفيه يقول عروة بن أذينة لما وفد على هشام وفرق في الحجاز على أهلها مالاً كثيراً، وأحبه الناس ومدحوه:

أتيتنا نمت بأرحامنا وجئنا بأمر أبي شاكر

وفيه يقول الوليد بن يزيد بن عبد الملك في حياة أبيه، وأشاع ذلك وغنى فيه، وأراد أن يعيره بذلك:

يأيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر
نشربها صرفاً وممزوجة بالسخن أحياناً وبالفاتر

فقال بعض شعراء أهل الحجاز يجيبه:

يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر

الواهب البزل بأرسانها ليس بزنديق و لا كافر

فذكر أحمد بن الحارث عن المدائني: أن هشاماً لما أراد أن يوليه العهد، كتب بذلك إلى خالد بن عبد الله القسري، فقال خالد: أنا بريء من خليفة يكنى أبا شاكر. فبلغ قوله هشاماً، فكان سبب إيقاعه به.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن موسى قمطر، عن إسماعيل بن مجمع قال: كنا نخرج ما في خزائن المأمون من الذهب والفضة، فتركي عنه، فكان فيما يزكى عنه، قائم كأس أم حكيم، وكان فيه من الذهب ثمانون مثقالاً. قال محمد بن موسى: سألت إسماعيل بن مجمع عن صفته، فقال: كأس كبير من زجاج أخضر، مقبضه من ذهب. هكذا ذكر إسماعيل.

وقد حدثني علي بن صالح بن الهيثم بمثله، قال: حدثنا إبراهيم بن أحمد المادرائي قال: لما أخرج المعتمد ما في الخزائن ليباع، في أيام ظهور الناجم بالبصرة، أخرج إلينا كأس أم حكيم، فكان كأساً مدوراً على هيئة القحف، يسع ثلاثة أرطال، فقوم بأربعة دراهم، فعجبنا من حصول مثله في الخزانة، مع خساسة قدره، فسألنا الخازن عنه. فقال: هذا كأس أم حكيم، فرددناه إلى الخزانة. ولعل الذهب الذي كان عليه أخذ منه حينئذ، ثم أخرج ليباع.

قال محمد بن موسى: وذكر لي عبيد الله بن محمد عن أبي الأغر، قال: كنا مع محمد بن الجنيد الختلي أيام الرشيد، فشرب ذات ليلة، فكان صوته:

عللاني بعاتقات الكروم واسقياني بكأس أم حكيم

فلم يزل يقترحه ويشرب عليه حتى السحر، فوافاه كتاب خليفته في دار الرشيد: إن الخليفة على الركوب. وكان محمد أحد أصحاب الرشيد، ومن يقدم دابته، فقال: ويحكم كيف أعمل والرشيد لا يقبل لي عذراً وأنا سكران. فقالوا: لا بد من الركوب، فركب على تلك الحال، فلما قدم إلى الرشيد دابته، قال له: يا محمد، ما هذه الحال التي أراك عليها؟ قال: لم أعلم برأي أمير المؤمنين في الركوب، فشربت ليلى أجمع. قال: فما كان صوتك؟ فأخبره.

فقال له: عد إلى مترلك، فلا فضل فيك، فرجع إلينا وخبرنا بما جرى، وقال: خذوا بنا في شأننا، فجلسنا على سطح، فلما متع النهار إذا خادم من خدم أمير المؤمنين قد أقبل إلينا على برذون، في يده شيء مغطى بمنديل، قد كاد ينال الأرض، فصعد إلينا، وقال لمحمد: أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: قد بعثنا إليك بكأس أم حكيم، لتشرب فيه، وبألف دينار تنفقها في صبوحك. فقام محمد، فأخذ الكأس من يد الخادم، وقبلها، وصب فيها ثلاثة أرطال، وشربها قائماً، وسقانا مثل ذلك، ووهب للخادم مئتي دينار، وغسل الكأس، وردها إلى موضعها، وجعل يفرق علينا تلك الدنانير، حتى بقي معه أقلها.

علقم ما أنت إلى عامر الناقض الأوتار والواتر

إن تسد الحوص فلم تعدهم وعامر ساد بني عامر
عهدي بها في الحي قد درعت صفراء مثل المهرة الضامر
قد حجم الثدي على صدرها في مشرق ذي بهجة ناضر
لو أسندت ميتاً إلى نحرها عاش ولم يحمل إلى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا يا عجبا للميت الناشر

عروضه من السريع. والشعر للأعشى: أعشى بني قيس بن ثعلبة، يمدح عامر بن الطفيل، ويهجو علقمة بن علاثة. والغناء لمعبد في الثالث وما بعده، خفيف ثقيل الأول بالبنصر. وفي الأبيات لحنين ثقيل أول مطلق، في مجرى البنصر، عن إسحاق. وفيها أيضاً لحن آخر ذكره في المجرد و لم يجنسه، و لم ينسبه إلى أحد.

سبب منافرة عامر وعلقمة

وخبر الأعشى وغيره معهما فيها

أخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد إجازة، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة.
ونسخت من روايات ابن الكلبي. عن أبيه، ومن رواية دماذ والأثرم عن أبي عبيدة والأصمعي، ومن رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل، ومن رواية أبي عمرو الشيباني عن أصحابه، فجمعت رواياتهم، ولكل امرئ منهم زيادة على صاحبه، ونقصان عنه، واللفظ مشترك في الروايات، إلا ما حكيته مفرداً.
قال ابن الكلبي: حدثني أبي ومحرز بن جعفر، وجعفر بن كلاب الجعفري، عن بشر بن عبد الله بن حبان بن سلمى بن مالك بن جعفر، عن أبيه، عن أشياخه وذكر بعضه أبو مسكين، قالوا: أول ما هاج النفار بين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر، وبين علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص.

وأم عامر: كبشة بنت عروة الرحال بن عتبة بن جعفر، وأمها أم الظباء بنت معاوية، فارس الهرار، ابن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة، وأمها خالدة بنت جعفر بن كلاب، وأمها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف. وأم أبيه الطفيل: أم البنين بنت ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة. فال أبو الحسن الأثرم: وكانت أم علقمة ليلى بنت أبي سفيان بن هلال بن النخع سبية، وأم أبيه ماوية بنت عبد الله بن الشيطان بن بكر بن عوف بن النخع مهيرة أن علقمة كان قاعداً ذات يوم يبول، فبصر به عامر، فقال: لم أر كاليوم عورة رجل أقبح. فقال علقمة: أما والله ما تثب على جاراتها، ولا تنازل كناتها، يعرض بعامر. فقال عامر: وما أنت والقروم! والله لفرس أبي حنوة أذكر من أبيك، ولفحل أبي غيهب أعظم ذكراً منك في نجد. قال: وكان فرسه فرساً جواداً، نجا عليه يوم بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، وكان فحله فحلا لبني حرملة بن الأشعر بن صرمة بن مرة بن عوف بن

سعد بن ذبيان.
قال الأثرم: وأخبرني رجل من جهينة بدمشق، قال: هو الأشعر بن صرمة.
قال: الأثرم: سمى صرمة غيهب لسواده.
قال ابن الكلبي: فاستعاره منهم يستطرقه، فغلبهم عليه، فقال علقمة: أما فرسكم فعارة، وأما فحلكم فغدرة. ولكن إن شئت نافرتك. فقال: قد شئت.
فقال عامر: والله لأنا أكرم منك حسباً، وأثبت منك نسباً، وأطول منك قصباً.
فقال علقمة: لأنا خير منك ليلاً ونهاراً.
فقال عامر: لأنا أحب إلى نسائك أن أصبح فيهن منك.
فقال علقمة: على ماذا تنافرني يا عامر؟ فقال عامر: أنافرك على أني أنحر منك للقاح، وخير منك في الصباح، وأطعم منك في السنة الشياح. فقال علقمة: أنت رجل تقاتل والناس يزعمون أني جبان، ولأن تلقى العدو وأنا أمامك، أعز لك من أن تلقاهم وأنا خلفك. وأنت جواد والناس يزعمون أني بخيل، ولست كذلك، ولكن أنافرك أني خير منك أثراً، وأحد منك بصراً، وأعز منك نفراً، وأسرح منك ذكراً.
فقال عامر: ليس لبني الأحوص فضل على بني مالك في العدد، وبصري ناقص، وبصرك صحيح، ولكني أنافرك على أني أنشر منك أمة، وأطول منك قمة، وأحسن منك لمة، وأجعد منك جمة، وأبعد منك همة.
قال علقمة: أنت رجل جسيم، وأنا رجل قضيف، وأنت جميل، وأنا قبيح، ولكني أنافرك بآبائي وأعمامي. فقال عامر: آباؤك أعمامي و لم أكن لأنافرك بهم، ولكني أنافرك أني خير منك عقباً، وأطعم منك جدباً.
قال علقمة: قد علمت أن لك عقباً في العشيرة، وقد أطعمت طيباً إذ سارت، ولكني أنافرك أني خير منك، وأولى بالخيرات منك، وقد أكثرنا المراجعة منذ اليوم.
قال: فخرجت أم عامر، وكانت تسمع كلامهما، فقالت: يا عامر، نافره أيكما أولى بالخيرات.
قال أبو المنذر: قال أبو مسكين: قال عامر في مراجعته: والله لأنا أركب منك في الحماة، وأقتل منك للكماة، وخير منك للمولى والمولاة.
فقال له علقمة: والله إني أعز منك. إني لبر وإنك لفاجر، وإني لوفي وإنك لغادر، ففيم تفاخرني يا عامر؟ فقال عامر: والله إني لأنزل منك للقفرة، وأنحر منك للبكرة، وأطعم منك للهبرة، وأطعن منك للثغرة. فقال علقمة: الله إنك لكليل البصر، نكد النظر، وثاب على جاراتك بالسحر.
فقال بنو خالد بن جعفر، وكانوا يداً مع بني الأحوص على بني مالك بن جعفر: لن تطيق عامراً، ولكن قل له: أنافرك بخيرنا وأقربنا إلى الخيرات، وخذ عليه بالكبر. فقال له علقمة هذا القول.
فقال عامر: عتر وتيس، وتيس وعتر، فذهبت مثلاً. نعم على مئة من الإبل، إلى مئة من الإبل يعطاها الحكم، أينا نفر عليه صاحبه أخرجها، ففعلوا ذاك، ووضعوا بها رهناً من أبنائهم، على يدي رجل من بني الوحيد، فسمي

الضمين إلى الساعة، وهو الكفيل.
قال: وخرج علقمة ومن معه من بني خالد، وخرج عامر فيمن معه من بني مالك، وقد أتى عامر بن الطفيل عمه عامر بن مالك، وهو أبو براء، فقال: يا عماه، أعني. فقال: يا بن أخي، سبني. فقال: لا أسبك وأنت عمي.
قال: فسب الأحوص. فقال عامر: ولا أسب والله الأحوص وهو عمي، فقال: فكيف إذن أعينك، ولكن دونك نعلي، فإني قد ربعت فيها أربعين مرباعاً، فاستعن بها في نفارك.

وجعلا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية، فلم يقل بينهما شيئاً، وكره ذلك لحالهما وحال عشيرتهما، وقال: أنتما كركبتي البعير الأدرم، تقعان بالأرض. قالا: فأينا اليمين؟ فقال: كلاكما اليمين. وأبى أن يقضي بينهما. فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام، فأبى أن يحكم بينهما، فوثب مروان بن سراقة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص بن جعفر، فقال:

يآل قريش بينوا الكلاما ... إنا رضينا منكم الأحكاما
فبينوا إن كنتم حكاما ... كان أبونا لهم إماما
وعبد عمر ومنع الفئاما ... في يوم فخر معلم إعلاما
ودعلج أقدمه إقداما ... لولا الذي أجشمهم إجشاما
لا تخذتهم مذحج نعاما

قال: فأبوا أن يقولوا بينهما شيئاً. وقد كانت العرب تحاكم إلى قريش، فأتيا عيينة بن حصن بن حذيفة، فأبى أن يقول بينهما شيئاً. فأتيا غيلان بن سلمة بن معتب الثقفي، فردهما إلى حرملة بن الأشعر المري، فردهما إلى هرم بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزاري، فانطلقا حتى نزلا به.
وقال بشر بن عبد الله بن حبان بن سلمى: إنهما ساقا الإبل معهما، حتى أشتت وأربعت، لا يأتيان أحداً إلا هاب أن يقضي بينهما، فقال هرم: لعمري لأحكمن بينكما، ثم لأفصلن، ثم لست أثق بواحد منكما، فأعطياني موثقاً أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول، وتسلما لما قضيت بينكما، وأمرهما بالانصراف، ووعدهما ذلك اليوم من قابل. فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل من قابل، خرجا إليه، فخرج علقمة ببني الأحوص، فلم يتخلف منهم أحد، معهم القباب والجزر والقدور، ينحرون في كل منزل ويطعمون، وجمع عامر بني مالك، فقال: إنما تخاطرون عن أحسابكم، فأجابوه وساروا معه، و لم ينهض أبو براء معهم، وقال لعامر: والله لا تطلع ثنية إلا وجدت الأحوص منيخاً بها، وكره أبو براء ما كان من أمرهما، فقال عامر فيما كره من منافرتهما، ودعاء عامر إياه أن يسير معه:

أأومر أن أسب أبا شريح ... ولا والله أفعل ما حييت
ولا أهدي إلى هرم لقاحا ... فيحيي بعد ذلك أو يميت

أكلف سعي لقمان بن عاد فيآل أبي شريح ما لقيت

قال: وأبو شريح: هو الأحوص. فكره كل واحد من البطنين ما كان بينهما. وقال عبد عمرو بن شريح بن الأحوص:

لحى الله وفدينا وما ارتحلا به من السوءة الباقي عليهم وبالها

ألا إنما بردى صفاق متينة أبى الضيم أعلاها وأثبت حالها

قال: فسار عامر وبنو عامر على الخيل مجنبي الإبل، وعليهم السلاح، فقال رجل من غني: يا عامر، ما صنعت؟ أخرجت بني مالك تنافر بني الأحوص ومعهم القباب والجزر، وليس معك شيء تطعمه الناس! ما أسوأ ما صنعت! فقال عامر لرجلين من بني عمه: أحصيا كل شيء مع علقمة من قبة أو قدر أو لقحة. ففعلا. فقال عامر: يا بني مالك، إنها المقارعة عن أحسابكم، فاشخصوا بمثل ما شخصوا به، ففعلوا وثار مع عامر لبيد بن ربيعة والأعشى، ومع علقمة الحطيئة وفتيان من بني الأحوص، منهم السندري بن يزيد بن شريح، ومروان بن سراقة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص، وهم يرتجزون، فقال لبيد:

يا هرماً وأنت أهل عدل إن نفر الأحوص يوماً قبلي

ليذهبن أهله بأهلي لا تجمعن شكلهم وشكلي

ونسل آبائهم ونسلي

وقال أيضاً:

إني امرؤ من مالك بن جعفر علقم قد نافرت غير منفر

نافرت سقباً من سقاب العرعر

فقال قحافة بن عوف بن الأحوص:

نهنه إليك الشعر يا لبيد واصدد فقد ينفعك الصدود

ساد أبونا قبل أن تسودوا سؤددكم مطرف زهيد

وقال أيضاً:

إني إذا ما نسي الحياء وضاع يوم المشهد اللواء

أنمى وقد حق لي النماء إلى ذكور ذكرها سناء

إذ لا تزال جلدة كوماء مبقورة لسقبها دعاء

لم ينهنا عن نحرها الصفاء لنا عليكم سورة ولاء

المجد والسؤدد والعطاء

أنتم هزلتم عامر بن مالك في شتوات مضر الهوالك

يا شر أحياء وشر هالك

قال: وأنشدها السندري يومئذ، ورفع صوته، فقيل: من هذا؟ فقال:

أنا لمن أنكر صوتي السندري أنا الفتى الجعد الطويل الجعفري

من ولد الأحوص أخوالي غني

فقال عامر: أجب يا لبيد. فرغب لبيد عن إجابته، وذلك لأن السندري كانت جدته أمة اسمها عيساء، فقال:

لما دعاني عامر لأسبهم أبيت وإن كان ابن عيساء ظالما

لكيما يكون السندري نديدتي وأشتم أعماماً عموماً عماعما

وأنشر من تحت القبور أبوة كراماً هم شدوا علي التمائما

لعبت على كتافهم وحجورهم وليداً وسموني مفيداً وعاصما

ألا أينا ما كان شراً لمالك فلا زال في الدنيا ملوماً ولائما

قال: ووثب الحطيئة، فقال:

ما يحبس الحكام بالفصل بعدما بدا سابق ذو غرة وحجول

وقال أيضاً:

يا عام قد كنت ذا باع ومكرمة لو أن مسعاة من جاريته أمم

جاريت قرماً أجاد الأحوصان به سمح اليدين وفي عرنينه شمم

لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه ولا يبيت على مال له قسم

هابت بنو مالك مجداً ومكرمة وغاية كان فيها الموت لو قدموا

وما أساءوا فراراً عن مجلحة لا كاهن يمتري فيها ولا حكم

قال: وأقام القوم عنده أياماً، وأرسل إلى عامر، فأتاه سراً، لا يعلم به علقمة فقال: يا عامر، قد كنت أرى لك رأياً، وأن فيك خيراً، وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك. أتنافر رجلاً لا تفخر أنت وقومك إلا بآبائه؟ فما الذي أنت به خير منه؟ قال عامر: أنشدك الله والرحم أن لا تفضل علي علقمة، فوالله لئن فعلت لا أفلح بعدها أبداً. هذه ناصيتي فاجززها. واحتكم في مالي، فإن كنت لا بد فاعلاً فسو بيني وبينه. قال: انصرف، فسوف أرى رأيي. فخرج عامر وهو لا يشك أنه ينفره عليه.

ثم أرسل إلى علقمة سراً، لا يعلم به عامر، فأتاه فقال: يا علقمة، والله إن كنت لأحسب فيك خيراً، وأن لك رأياً، وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك. أتفاخر رجلاً هو ابن عمك في النسب؟ وأبوه أبوك، وهو مع هذا أعظم قومك غناء، وأحمدهم لقاء؟ فما الذي أنت به خير منه؟ فقال له علقمة: أنشدك الله والرحم ألا تنفر علي عامراً. اجزز ناصيتي، واحتكم في مالي، وإن كنت لا بد أن تفعل فسو بيني وبينه. فقال: انصرف فسوف أرى رأيي. فخرج وهو لا يشك أنه سيفضل عليه عامراً.

قال أبي: وسمعت أن هرماً قال لعامر حين دعاه: يا عامر، كيف تفاضل علقمة؟ فقال عامر: و لم يا هرم؟ قال: لأنه أنجل منك عيناً في النساء، وكثر منك نفيراً عند ثورة الدعاء. قال عامر: هل غير هذا؟ قال: نعم. هو كثر منك نائلاً في الثراء، وأعظم منك حقيقة عند الدعاء. ثم قال لعلقمة: كيف تفاضل عامراً؟ قال: و لم يا هرم؟ قال: هو أنفد منك لساناً، وأمضى منك سناناً. قال علقمة: فهل غير هذا؟ قال: نعم. هو أقتل منك للكماة، وأفك منك للعناة.

قال: ثم إن هرماً أرسل إلى بنيه وبني أبيه: إني قائل غداً بين هذين الرجلين مقالة، فإذا فعلت فليطرد بعضكم عشر جزائر فلينحرها عن علقمة، ويطرد بعضكم عشر جزائر، فلينحزها عن عامر، وفرقوا بين الناس، لا تكون لهم جماعة.

وأصبح هرم، فجلس مجلسه، وأقبل الناس، وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا، فقام لبيد فقال:

يا هرم ابن الأكرمين منصبا ... إنك قد وليت حكماً معجبا

فاحكم وصوب رأس من تصوبا ... إن الذي يعلو علينا ترتبا

لخيرنا عما وأما وأبا ... وعامر خيرهما مركبا

وعامر أدنى لقيس نسبا

فقام هرم فقال: يا بني جعفر، قد تحاكمتما عندي، وأنتما كركبتي البعير الأدرم: تقعان إلى الأرض معاً، وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه، وكلاكما سيد كريم.

وعمد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجزر، فنحروها حيث أمرهم هرم عن علقمة عشراً، وعن عامراً عشراً، وفرقوا الناس، فلم يفضل هرم واحداً منهما على صاحبه، وكره أن يفعل وهماً ابنا عم، فيجلب بذلك عداوة، ويوقع بين الحيين شراً.

قال: وكان الأعشى حين رجع من عند قيس بن معد يكرب بما أعطاه طلب الجوار والخفرة من علقمة، فلم يكن عنده ما طلب، وأجاره وخفره عامر، حتى إذا أداه وماله إلى أهله قال:

علقم ما أنت إلى عامر ... الناقض الأوتار والواتر

ثم أتمها بعد النفار. فلما بلغ علقمة ما قال الأعشى، وأشاع في العرب أن هرماً قد فضل عامراً، توعد الأعشى، فقال الأعشى:

لعمري لئن أمسى من الحي شاخصاً

قال ابن الكلبي: حدثني أبي قال: فعاش هرم حتى أدرك سلطان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسأله عمر فقال: يا هرم، أفي الرجلين كنت مفضلاً لو فضلت؟ فقال: لو قلت ذاك يا أمير المؤمنين لعادت جذعة، ولبلغت شعاف هجر. فقال عمر: نعم مستودع السر ومسند الأمر إليه أنت يا هرم، مثل هذا فليسد العشيرة. وقال: إلى مثلك فليستبضع القوم أحكامهم.

قال مؤلف الكتاب: وقد أدرك علقمة بن علاثة الإسلام، فأسلم، ثم ارتد فيمن ارتد من العرب. فلما وجه أبو بكر خالد بن الوليد المخزومي إلى بني كلاب ليوقع بهم، وعلقمة يومئذ رئيسهم، هرب وأسلم، ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه، فأعلمه أنه قد نزع عما كان عليه، فقبل إسلامه وأمنه. هكذا ذكر المدائني. وأما سيف بن عمر فإنه روى عن الكوفيين غير ذلك.

حدثنا محمد بن جرير الطبري قال: حدثنا السري بن يحيى، قال: حدثنا شعيب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر، عن سهل بن يوسف، قال: كان علقمة بن علاثة على كلاب ومن لافها، وقد كان علقمة أسلم ثم ارتد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثم خرج بعد فتح الطائف، حتى لحق بالشام مرتداً، فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم أقبل مسرعاً، حتى عسكر في بني كعب، مقدماً رجلاً ومؤخراً أخرى، وبلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه، فبعث إليه سرية، وأمر عليها القعقاع بن عمرو، وقال: يا قعقاع، سر حتى تغير على علقمة بن علاشة، لعلك تأخذه لي أو تقتله. واعلم أن شفاء النفس الحوص، فاصنع ما عندك. فخرج في تلك السرية حتى أغار على الماء الذي عليه علقمة، وكان لا يبرح أن يكون على رحل، فسابقهم على فرسه مراكضة، وأسلم أهله وولده، واستبى القعقاع امرأة علقمة وبناته ونساءه ومن أقام من الرجال، فاتقوه بالإسلام، فقدم بهم على أبي بكر رضي الله عنه، فجحدت زوجته وولده أن يكونوا مالئوا علقمة على أمره، وكانوا مقيمين في الدار، ولم يكن بلغه عنهم غير ذلك. وقالوا لأبي بكر: ما ذنبنا نحن فيما صنع علقمة؟ فأرسلهم، ثم أسلم علقمة، فقبل ذلك منه.

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا عمرو بن عثمان قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما حدث أصحابه، وربما تركهم يتحدثون ويصغي إليهم ويتبسم، فبينا هم يوماً على ذلك يتذاكرون الشعر وأيام العرب، إذ سمع حسان بن ثابت ينشد هجاء أعشى بني قيس بن ثعلبة، علقمة بن علاثة، ومديحه عامر بن الطفيل:

علقم ما أنت إلى عامر ... الناقض الأوتار والواتر

إن تسد الحوص فلم تعدهم ... وعامر ساد بني عامر

ساد وألفى رهطه سادة وكابرا سادوك عن كابر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كف عن ذكره يا حسان، فإن أبا سفيان لما شعث مني عند هرقل، رد عليه علقمة، فقال حسان بن ثابت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، من نالتك يده فقد وجب علينا شكره.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال: حدثنا المدائني، عن أبي بكر الهذلي قال: لما أطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحطيئة من حبسه، قال له: يا أمير المؤمنين، اكتب لي كتاباً إلى علقمة بن علاثة، لأقصده به، فقد منعتني التكسب بشعري. فقال: لا أفعل. فقيل له: يا أمير المؤمنين، وما عليك من ذلك؟ إن علقمة ليس بعاملك، فتخشى أن تأثم، وإنما هو رجل من المسلمين، تشفع له إليه. فكتب له بما أراد، فمضى الحطيئة بالكتاب، فصادف علقمة قد مات والناس منصرفون عن قبره، فوقف عليه، ثم أنشد قوله:

لعمري لنعم المرء من آل جعفر بحوران أمسى أعلقته الحبائل

فإن تحي لا أملل حياتي وإن تمت فما في حياة بعد موتك طائل

وما كان بيني لو لقيتك سالما وبين الغنى إلا ليال قلائل

فقال له ابنه: يا حطيئة، كم ظننت أن علقمة يعطيك؟ قال: مئة ناقة. قال: فلك مئة ناقة يتبعها مئة من أولادها. فأعطاه إياها.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمر بن أبي بكر قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد والضحاك بن عثمان قالا: لما قدم علقمة بن علاثة المدينة، وكان قد ارتد عن الإسلام، وكان لخالد بن الوليد صديقاً، لقيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد في جوف الليل، وكان عمر يشبه بخالد، وذلك أن أمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فسلم عليه، وظن أنه خالد، فقال: أعزلك؟ قال: كان ذلك. قال: والله ما هو إلا نفاسة عليك، وحسد لك. فقال له عمر: فما عندك معونة على ذلك؟ قال: معاذ الله، إن لعمر علينا سمعاً وطاعة، وما نخرج إلى خلافه. فلما أصبح عمر رضي الله عنه أذن للناس، فدخل خالد وعلقمة، فجلس علقمة إلى جنب خالد، فالتفت عمر إلى علقمة فقال: إيه يا علقمة، أأنت القائل لخالد ما قلت؟ فالتفت علقمة إلى خالد، فقال: يا أبا سليمان، أفعلتها؟ قال: ويحك والله ما لقيتك قبل ما ترى، وإني لأراك لقيت الرجل. قال: أراه والله. ثم التفت إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، ما سمعت إلا خيراً. قال: أجل. فهل لك أو أوليك حوران؟ قال: نعم. فولاه إياها، فمات بها.

فقال الحطيئة يرثيه:

لعمري لنعم الحي من آل جعفر بحوران أمسى أقصدته الحبائل

لقد أقصدت جوداً ومجداً وسؤدداً وحلماً أصيلاً خالفته المجاهل

فإن تحي لا أملل حياتي وإن تمت فما في حياة بعد موتك طائل

وفي أول هذه القصيدة التي رثى بها الحطيئة علقمة غناء نسبته:

أرى العيس تخدي بين قوّ فضارج كما لاح في الصبح الأشاء الحوامل

فأتبعتهم عيني حتى تفرقت مع الليل عن ساق الفريد الجمائل

فلأيا قصرت الطرف عنهم بجسرة أمون إذا واكلتها لا تواكل

غنى في هذه الأبيات سائب خاثر ثاني ثقيل بالوسطى، من رواية حماد بن إسحاق والهشامي.

ليت شعري أفاح رائحة المس ك وما إن إحال بالخيف إنسي

حين غابت بنو أمية عنه والبهاليل من بني عبد شمس

خطباء على المنابر فرسا ن عليها وقالة غير خرس

إحال: أظن. خلت كذا وكذا، فأنا إخاله: إذا ظننته، وخال علي الشيء يخيل: إذا شككت فيه. وليت شعري: كلمة تقولها العرب عند الشيء تحب علمه، وتسأل عنه.

وأخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثني عمر بن شبه قال: سأل رجل أبا عبيدة: ما أصل ليت شعري؟ فقال: كأنه قال: ليتني شعرت بكذا وكذا، ليتني علمت حقيقته.

الشعر لأبي العباس الأعمى، والغناء لابن سريج، رمل بالبنصر في مجراها

أخبار أبي العباس الأعمى

هو السائب بن فروخ مولى بني ليث. وقيل إنه مولى بني الذيل، وهذا القول هو الصحيح.

ذكر محمد بن معاوية الأسدي، عن المدائني والواقدي: أن أبا العباس الأعمى الذي يروي عنه حبيب بن أبي ثابت، مولى جذيمة بن علي بن الديل بن بكر بن عبد مناة، وكان من شعراء بني أمية المعدودين، المقدمين في مدحهم والتشيع لهم، وانصباب الهوى إليهم، وهو الذي يقول في أبي الطفيل عامر بن واثلة، صاحب على بن أبي طالب عليه السلام:

لعمرك إنني وأبا طفيل لمختلفان، والله الشهيد

أرى عثمان مهتدياً ويأبى متابعتي وآبى ما يريد

أخبرني بذلك وكيع عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن أبيه، عن عبد الله بن أبي سعد.

وقد روى أبو العباس الأعمى عن صدر من الصحابة الحديث، وروى عنه عطاء، وعمرو بن دينار، وحبيب بن أبي ثابت. أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عطاء عن أبي العباس الأعمى الشاعر، عن عبد الله بن عمر، قال: إنما جمع مترل تدلج منه إذا شئت.

قال: حدثنا أحمد بن محمد بن دلان الخيشي، قال: حدثنا أحمد بن إسماعيل قال: حدثنا أبو ضمرة قال: حدثني أبو الحارث بن عبد الرحمن، عن أبي ذئب، عن أبي العباس، عن سعيد بن المسيب قال: قال علي بن أبي طالب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إسباغ الوضوء على المكاره، وإعمال الأقدام إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، يغسل الخطايا غسلاً.

حدثني: أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي قال: حدثنا أبو قلابة قال: حدثنا بشر بن عمر قال: حدثنا شعبة، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: سمعت أبا العباس السائب بن فروخ الأعمى الشاعر يحدث عن عبد الله بن عمر، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد، فقال: أحي والداك؟ قال: نعم. قال: فيهما فجاهد.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال: حدثنا الفضل بن عبد الله الخلنجي بجرجان قال: حدثني مسلم بن الوليد الأنصاري قال: سمعت يزيد بن مزيد يقول: سمعت هارون الرشيد يقول: سمعت المهدي يقول: سمعت المنصور يقول: خرجت أريد الشأم أيام مروان بن محمد، فصحبني في الطريق رجل ضرير، فسألته عن مقصده، فأخبرني أنه يريد مروان بشعر امتدحه به، فاستنشدته إياه، فأنشدني:

ليت شعري أفاح رائحة المس ... ك وما إن إخال بالخيف إنسي

حين غابت بنو أمية عنه ... والبهاليل من بني عبد شمس

خطباء على المنابر فرسا ... ن عليها وقالة غير خرس

لا يعابون صامتين وإن قا ... لوا أصابوا ولم يقولوا بلبس

بحلوم إذا الحلوم تقضت ... ووجوه مثل الدنانير ملس

ويروى مكان تقضت: اضمحلت. قال: فوالله ما فرغ من إنشاده حتى توهمت أن العمى قد أدركني، وافترقنا. فلما أفضت الخلافة إلي خرجت حاجاً، فنزلت أمشي بجبلي زرود، فبصرت بالضرير، ففرقت من كان معي، ثم دنوت منه فقلت: أتعرفني؟ قال: لا. فقلت: أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيام مروان. فقال: أوه:

آمت نساء بني أمية منهم ... وبناتهم بمضيعة أيتام

نامت جدودهم وأسقط نجمهم ... والنجم يسقط والجدود تنام

خلت المنابر والأسرة منهم ... فعليهم حتى الممات سلام

فقلت: وكم كان مروان أعطاك بأبي أنت؟ قال: أغناني أن أسأل أحداً بعده. فهممت بقتله، ثم ذكرت حق الاسترسال والصحبة، فأمسكت عنه، وغاب عن عيني، فبدا لي فيه، فأمرت بطلبه، فكأنما البيداء بادت به.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثني عمر بن شبة قال: قال أبو عبيدة: هوي أبو العباس الأعمى امرأة ذات بعل، فراسلها، فأعلمت زوجها، فقال: أطمعيه. فأطمعته. ثم قال: أرسلي إليه فليأتك. فأرسلت إليه،

فأتاها، وجلس زوجها إلى جانبها، فقال لها أبو العباس: إنك قد وصفت لنا وما نراك، فألمسينا. فأخذت يده، فوضعتها على أير زوجها، فنفر، وعلم أن قد كيد، فنهض من عندها، وقال:

علي ألية مادمت حيا ... أمسك طائعاً إلا بعود

ولا أهدي لأرض أنت فيها ... سلام الله إلا من بعيد

رجوت غنيمة فوضعت كفي ... على أيبر أشد من الحديد

فخير منك من لا خير فيه ... وخير من زيارتكم قعودي

وقرأت هذه الحكاية مروية عن الأصمعي غير مذكور راويها عنه. وزعم أن بشاراً صاحب القصة، وأنه كان له مجلس يسميه البردان، يجتمع إليه فيه النساء، فعشق هذه المرأة وقد سمع كلامها. ثم ذكر الخبر بطوله، وقال فيه: فلما وصل إليها أنشأ يقول:

مليكة قد وصفت لنا بحسن ... وإنا لا نراك فألمسينا

فأخذ زوجها يده، فوضعها على أيره.

ذكر إسحاق أن في البيتين الأولين والرابع من هذه الأبيات، لحنا من خفيف الثقيل، بالسبابة في مجرى الوسطى، ولم ينسبه إلى أحد. ووجدته في غناء عمرو بن بانة في هذه الطريقة منسوباً إليه، فلا أدري هو ذلك اللحن أو غيره.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أيوب بن عمر أبو سلمة قال: قال أبو العباس الأعمى، مولى بني الديل بن بكر، يحض بني أمية على عبد الله بن الزبير:

أبني أمية لا أرى لكم ... شبهاً إذا ما التفت الشيع

سعة وأحلاماً إذا نزعت ... أهل الحلوم فضرها النزع

وحفيظة في كل نائبة ... شهباء لا ينهى لها الربع

الله أعطاكم وإن رغمت ... من ذاك أنف معاشر رتعوا

أبني أمية غير أنكم ... والناس فيما أطمعوا طمعوا

أطمعتم فيكم عدوكم ... فسما بهم في ذاكم الطمع

فلو أنكم كنتم لقولكم ... مثل الذي كانوا لكم رجعوا

عما كرهتم أو لردهم ... حذر العقوبة إنها تزع

وله أشعار كثيرة في مدائح بني أمية، وهجاء آل الزبير، وأكثرها في هجاء عمرو بن الزبير، ليس ذكرها مما قصدنا له.

ونسخت من كتاب قعنب بن المحرز قال: حدثنا المدائني، عن جويرية بن أسماء: أن ابن الزبير رأى رجلاً من حلفاء بني أسد بن عبد العزى في حالة رثة، فكساه ثوبين، وأمر له ببر وتمر، فقال أبو العباس الأعمى في ذلك:

كست أسد إخوانها ولو أنني ... ببلدة إخواني إذاً لكسيت

فلم تر عيني مثل حي تحملوا ... إلى الشأم مظلومين منذ بريت

غنى في هذين البيتين دحمان ثقيل أول بالبنصر، من رواية ابن المكي، ورأيت في بعض الكتب لزرزور غلام المارقي فيهما صنعة أيضاً.

وقال محمد بن معاوية: حدثني المدائني قال: قدم البعيث المجاشعي مكة، وكان أبو العباس الأعمى الشاعر لا يكاد يفارقها، وكانت جوائز أمية تأتيه من الشام، وكانت قريش كلها تبره للسانه، وتقرباً إلى بني أمية ببره. قال: فصلى البعيث مع الناس، وسأل في حمالة كانت عليه، وكان سؤولاً ملحاً شديد الطمع، وكان الرجل من قريش يأتيه بالشيء يتحمله عنه، فيقول: لا أقبله إلا أن تجيء معي إلى الصراف حتى ينقده ويزنه، فإن لم يفعل ذمه وهجاه. فشكوه إلى أبي العباس الأعمى، فقال: قودوني إليه، ففعلوا. فلما عرف مجلسه رفع عصاه، فضرب بها رأسه، ثم قال له:

فهل أنت إلا ملصق في مجاشع ... نفاك جرير فاضطررت إلى نجد

نفاك جرير بالهجاء إلى نجد

ويروى:

تظل إذا أعطيت شيئاً سألته ... تطالب من أعطاك بالوزن والنقد

فلا تطمعن من بعد ذا في عطية ... وثق بقبيح المنع والدفع والرد

فلست بمبق في قريش خزاية ... تذم ولو أبعدت فيه مدى الجهد

قال فتضاحك به من حضر، واستحيا و لم يحر جواباً. فلما جن الليل عليه هرب من مكة.

وقال قعنب بن المحرز: حدثني المدائني قال: قال عبد الملك بن مروان لأبي العباس الأعمى مولى بني الديل: أنشدني مديحك مصعباً. فاستعفاه، فقال: يا أمير المؤمنين، إنما رثيته بذلك لأنه كان صديقي، وقد علمت أن هواي أموي. قال: صدقت، ولكن أنشدني ما قلته. فانشده:

يرحم الله مصعباً فلقد ما ... ت كريماً ورام أمراً جسيماً

فقال عبد الملك: أجل، لقد مات كريماً، ثم تمثل:

ولكنه رام التي لا يرومها من الناس إلا كل خرق معمم

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان. قال حدثني إسحاق بن محمد الأموي قال: لما حج عبد الملك بن مروان جلس للناس بمكة، فدخلوا إليه على مراتبهم، وقامت الشعراء والخطباء فتكلموا، ودخل أبو العباس الأعمى، فلما رآه عبد الملك قال: مرحباً مرحباً بك يا أبا العباس، أخبرني بخبر الملحد المحل حيث كسا أشياعه و لم يكسك، وأنشدني ما قلت في ذلك.

فأخبره بخبر ابن الزبير، وأنه كسا بني أسد وأحلافها و لم يكسه، وأنشده الأبيات. فقال عبد الملك: أقسم على كل من حضرني من بني أمية وأحلافهم ومواليهم، ثم على كل من حضرني من أوليائي وشيعتي على دعوتهم، إلا كسا أبا العباس.

فخلعت والله حلل الوشي والخز والقوهي، وجعلت ترمى عليه، حتى إذا غطته نهض فجلس فوق ما اجتمع منها وطرح عليه، قال: حتى رأيت في الدار من الثياب ما ستر عني عبد الملك وجلساءه، وأمر له عبد الملك بمئة ألف درهم.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي. قال: حدثني أبي وأهلي: أن عبد الله بن الزبير لما غلب على الحجاز، جعل يتتبع شيعة بني مروان، فينفيهم عن المدينة ومكة، حتى لم يبق بهما أحد منهم، ثم بلغه عن أبي العباس الأعمى الشاعر نبذ من كلام، وأنه يكاتب بني مروان بعوراته، ويمدح عبد الملك، وتجيئه جوائزه وصلاته، فدعا به، ثم أغلظ له، وهم به، ثم كلم فيه، وقيل له: رجل مضرور. فعفا عنه، ونفاه إلى الطائف، فأنشأ يقول يهجوه ويهجو آل الزبير:

بني أسد لا تذكروا الفخر إنكم متى تذكروه تكذبوا وتحمقوا

بعيدات بين خيركم لصديقكم وشركم يغدو عليه ويطرق

متى تسألوا فضلاً تضنوا وتبخلوا ونيرانكم بالشر فيها تحرق

إذا استبقت يوماً قريش خرجتم بني أسد سكتا وذو المجد يسبق

تجيئون خلف القوم سوداً وجوهكم إذا ما قريش للأضاميم أصفقوا

وما ذاك إلا أن للؤم طابعاً يلوح عليكم وسمه ليس يخلق

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثني عمي مصعب قال: قال عمر بن أبي ربيعة لأبي العباس الأعمى الشاعر مولى بني الديل بن بكر:

أفتني إن كنت ثقفاً شاعراً عن فتى أعرج أعمى مختلف

سيء السحنة كاب لونه مثل عود الخروع البالي القصف

فقال أبو العباس يرد عليه:

أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفتى وسيدنا لولا خلائق أربع

نكولك في الهيجا وتقوالك الخنا وشتمك للمولى وأنك تبع

قال الزبير: يقال رجل تبع نساء وتبع نساء: إذا كان كلفاً بهن. أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني عمي قال: حدثني المكيون: أن عمر بن أبي ربيعة كان يرامي جارية لأبي العباس الأعمى ببنادق الغالية، فبلغ ذلك أبا العباس، فقال لقائده: قفني على باب بني مخزوم، فإذا مر عمر بن أبي ربيعة، فضع يدي عليه، فلما مر عمر وضع يده عليه فأخذ بحجزته، وقال:

ألا من يشتري جاراً لئوماً بجار لا ينام ولا ينيم

ويلبس بالنهار ثياب ناس وشطر الليل شيطان رجيم

فنهضت إليه بنو مخزوم، فأمسكو فمه، وضمنوا له عن عمر أن لا يعاود ما يكرهه.

ألا حي من أجل الحبيب المغانبا لبسن البلى لما لبسن الليالیا

إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

الشعر لأبي حية النميري. والغناء لأحمد بن يحيى المكي، خفيف رمل بالبنصر، عن الهشامي.

أخبار أبي حية النميري ونسبه

أبو حية: الهيثم بن الربيع بن زرارة بن كثير بن جناب بن كعب بن مالك بن عامر بن نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار.

وكان يقال لمالك الأصقع. وقال قوم: إن الأصقع هو الأصم بن مالك بن جناب بن كعب.

وأبو حية شاعر مجيد مقدم، من مخضرمي الدولتين: الأموية والعباسية، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعاً، وكان فصيحاً مقصداً راجزاً، من ساكني البصرة، وكان أهوج جباناً بخيلاً كذاباً، معروفاً بذلك أجمع. وكان أبو عمرو بن العلاء يقدمه. وقيل إنه كان يصرع.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثني محمد بن سلام الجمحي. وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد. وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، قالوا: كان لأبي حية سيف يسميه لعاب المنية، ليس بينه وبين الخشبة فرق، وكان من أجبن الناس.

قال: فحدثني جار له قال: دخل ليلة إلى بيته كلب، فظنه لصاً، فأشرفت عليه وقد انتضى سيفه لعاب المنية، وهو واقف في وسط الدار وهو يقول: أيها المغتر بنا، والمجترئ علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك، خير قليل، وسيف صقيل، لعاب المنية الذي سمعت به، مشهورة ضربته، لا تخاف نبوته. اخرج بالعفو عنك، قبل أن أدخل بالعقوبة عليك. إني والله إن أدع قيساً إليك لا تقم لها، وما قيس؟ تملأ والله الفضاء خيلاً ورجلاً، سبحان الله! ما أكثرها

وأطيبها! فبينا هو كذلك إذ خرج الكلب، فقال: الحمد لله الذي مسخك كلباً، وكفاني حرباً.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني محمد بن علي بن حمزة قال: حدثني أبو عثمان المازني قال: حدثني سعيد بن مسعدة الأخفش قال: قال أبو حية النميري: أتدري ما يقول القدريون؟ قلت: لا. قال: يقولون: الله لا يكلف العباد ما لا يطيقون، ولا يسألهم ما لا يجدون، وصدق والله القدريون، ولكني لا أقول كما يقولون. قال محمد بن علي بن حمزة: وحدثني أبو عثمان قال: قال سلمة بن عياش لأبي حية النميري: أتدري ما يقول الناس؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون إني أشعر منك. قال: إنا لله! هلك والله الناس!

قال: وكان أبو حية النميري مجنوناً يصرع، وقد أدرك هشام بن عبد الملك.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي قال: سمعت عمي يقول: أبو حية في الشعراء كالرجل الربعة، لا يعد طويلاً ولا قصيراً.

قال: وسمعت أبا عمرو يقول: هو أشعر في عظم الشعر من الراعي.

أخبرني الحسن بن علي وعلي بن سليمان الأخفش، قالا: حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال: حدثني عبد الصمد بن المعذل. وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال: حدثنا عبد الله بن مسلم، قالوا: كان أبو حية النميري من أكذب الناس، فحدث يوماً أنه يخرج إلى الصحراء، فيدعو الغربان فتقع حوله، فيأخذ منها ما شاء. فقيل له: يا أبا حية، أرأيت إن أخرجناك إلى الصحراء فدعوتها فلم تأتك، فما نصنع بك؟ قال: أبعدها الله إذن! قال: وحدثنا يوماً قال: عن لي ظبي يوماً فرميته، فراغ عن سهمي، فعارضه السهم، ثم راغ، فعارضه السهم، فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الجبانات.

قال: وقال يوماً: رميت والله ظبية، فلما نفذ سهمي عن القوس، ذكرت بالظبية حبيبة لي، فعدوت خلف السهم، حتى قبضت على قذذه قبل أن يدركها.

وذكر يحيى بن علي عن الحسن بن عليل العنزي قال: قال الرياشي، عن الأصمعي قال: وفد أبو حية النميري على المنصور وقد امتدحه، وهجا بني حسن بقصيدته التي أولها:

عوجا نحي ديار الحي بالسند ... وهل بتلك الديار اليوم من أحد

يقول فيها:

أحين شيم فلم يترك لهم ترة ... سيف تقلده الرئبال ذو اللبد

سللتموه عليكم يا بني حسن ... ما إن لكم من فلاح آخر الأبد

قد أصبحت لبني العباس صافية ... لجدع آناف أهل البغي والحسد

وأصبحت كلهاة الليث في فمه ... ومن يحاول شيئاً في فم الأسد؟

فوصله أبو جعفر بشيء دون ما كان يؤمل، فاحتجن لعياله أكثره، وصار إلى الحيرة، فشرب عند خماره بها، فأعجبه الشرب، فكره إنفاد ما معه، وأحب أن يدوم له ما كان فيه، فسأل الخمارة أن تبيعه بنسيئة، وأعلمها أنه مدح الخليفة وجماعة من القواد، ففعلت وشرهت إلى فضل النسيئة، وكان لأبي حية أير كعنق الظليم، فأبرز لها عنه، فتدلهت، وكانت كلما سقته خطت في الحائط، فأنشأ أبو حية يقول:

إذا أسقيتني كوزاً بخط ... فخطي ما بدا لك في الجدار

فإن أعطيتني عيناً بدين ... فهاتي العين وانتظري ضماري

خرقت مقدماً من جنب ثوبي ... حيال مكان ذاك من الإزار

فقالت ويلها: رجل ويمشي ... بما يمشي به عجر الحمار

وقالت :ما تريد؟ فقلت: خيراً ... نسيئة ما علي إلى يساري

فصدت بعدما نظرت إليه ... وقد ألمحتها عنق الحوار

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قال: لقي ابن مناذر أبا حية، فقال له: أنشدني بعض شعرك. فأنشده:

ألا حي من أجل الحبيب المغانيا

فقال له ابن مناذر: وهذا شعر؟ فقال أبو حية: ما في شعري عيب هو شر من أنك تسمعه. ثم أنشده ابن مناذر شيئاً من شعره، فقال له أبو حية: قد عرفتك ما قصتك؟ وهذه القصيدة يفخر فيها أبو حية، ويذكر يوم النشاش، وهو يوم لبني نمير.

أخبار أحمد بن يحيى المكي

أحمد بن يحيى بن مروزق المكي، ويكنى أبا جعفر. وكان يلقب ظنيناً. وقد تقدم ذكر أبيه وأخباره. وهو أحد المحسنين المبرزين، الرواة للغناء، المحكمي الصنعة. وكان إسحاق يقدمه ويؤثره، ويشيد بذكره، ويجهر بتفضيله، وكتابه المجرد في الأغاني ونسبها أصل من الأصول المعمول عليها، وما أعرف كتاباً بعد كتاب إسحاق الذي ألفه لشبحا، يقارب كتابه، ولا يقاس به، وكان مع جودة غنائه وحسن صنعته، أحد الضراب الموصوفين المتقدمين. أخبرني عمي قال: حدثني أبو عبد الله الهشامي، عن محمد بن أحمد المكي: أن أباه جمع لمحمد بن عبد الله بن طاهر ديواناً للغناء ونسبه وجنسه، فكان محتوياً على أربعة عشر ألف صوت.

أخبرني جحظة قال: حدثني علي بن يحيى، ونسخت من بعض الكتب: حدثني محمد بن أحمد المكي قال: حدثني علي بن يحيى قال: قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصلي وقد جرى ذكر أحمد بن يحيى المكي: يا أبا محمد، لو كان

أبو جعفر أحمد بن يحيى المكي مملوكاً، كم كان يساوي؟ فقال: أخبرك عن ذلك.

أنصرفت ليلة من دار الواثق، فاجتزت بدار الحسن بن وهب، فدخلت إليه، فإذا أحمد عنده، فلما قام لصلاة العشاء الآخرة، قال لي الحسن بن وهب: كم يساوي أحمد لو كان مملوكاً؟ قلت: يساوي عشرين ألف دينار. قال: ثم رجع فغنى صوتاً، فقال لي الحسن بن وهب: يا أبا محمد، أضعفها. قال: ثم تغنى صوتاً آخر، فقلت للحسن: يا أبا علي أضعفها. ثم أردت الانصراف، فقلت لأحمد: غنني:

لو لا الحياء وأن الستر من خلقي ... إذن قعدت إليك الدهر لم أقم

أليس عندك شكر للتي جعلت ... ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم

الغناء فيه لمعبد، خفيف ثقيل أول في مجرى البنصر، عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أنه لمالك، وليس كما قال، لحن مالك ثقيل أول ذكره الهشامي ودنانير وغيرهما.

قال: فغناه أحمد بن يحيى المكي، فأحسن فيه كل الإحسان. فلما قمت للانصراف قلت للحسن: يا ألا علي، أضعف الجميع. فقال له أحمد: ما هذا الذي أسمعكما تقولانه، ولست أدري ما معناه. قال: نحن نبيعك ونشتريك منذ الليلة وأنت لا تدري.

وأخبرنا بهذا الخبر يحيى بن علي بن يحيى، عن أخيه أحمد بن علي، عن عافية بن شبيب، عن أبي حاتم، كان إسحاق عندنا في منزل أبي علي الحسن بن وهب، وعندنا ظنين بن المكي، وذكر الحديث مثله، وقال فيه: إنه قومه مئة ألف درهم، وذكر أن الصوت الذي غناه آخراً:

أمن دمن وخيم باليات ... وسفع كالحمائم جاثمات

أرقت لهن شطر الليل حتى ... طلعن من المناقب منجدات

وأن إسحاق لما سمعه قال: كم كنت قومته؟ قال: مئة ألف درهم. قال: أضعفوا القيمة. قيمته مئتا ألف درهم.

في هذين البيتين لحن من القدر الأوسط من الثقيل الأول، بالسبابة في مجرى الوسطى، ينسب إلى ابن مسجح، وإلى ابن محرز. وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى، عن عمرو. وللغريض خفيف ثقيل عن الهشامي.

أخبرني جحظة قال: حدثني محمد بن أحمد المكي قال: ناظر أبي بعض المغنين ذات ليلة بين يدي المعتصم، وطال تلاحيهما في الغناء، فقال أبي للمعتصم، يا أمير المؤمنين، من شاء منهم فليغن عشرة أصوات لا أعرف منها ثلاثة، وأنا أغني عشرة وعشرة وعشرة، لا يعرف أحد منهم صوتاً منها. فقال إسحاق: صدق يا أمير المؤمنين. واتبعه ابن بسخنر وعلويه، فقالا: صدق يا أمير المؤمنين إسحاق فيما يقوله. فأمر له بعشرين ألف درهم.

قال محمد: ثم عاد ذلك الرجل إلى مماظته يوماً، فقال له: قد دعوتك إلى النصفة، فلم تقبل، وأنا أدعوك وأبدأ بما دعوتك إليه، فاندفع فغنى عشرة أصوات، فلم يعرف أحد منهم منها صوتاً واحداً، كلها من الغناء القديم، والغناء اللاحق به من صنعة المكيين الحذاق الخاملي الذكر، فاستحسن المعتصم منها صوتاً، وأسكت المغنين له،

واستعاده مرات عدة، و لم يزل يشرب عليه سحابة يومه، وأمر ألا يراجع أحداً من المغنين كلاماً، ولا يعارضه أحد منهم، إذ كان قد أبر عليهم، وأوضح الحجة في انقطاعهم، وإدحاض حججهم.

كان الصوت الذي اختاره المعتصم عليه، وأمر له لما سمعه بألفي دينار:

لعن الله من يلوم محباً ولحى الله من يحب فيابى

رب إلفين أضمرا الحب دهرا فعفا الله عنهما حين تابا

الغناء ليحيى المكي رمل.

قال محمد، قال أبي: وكان المعتصم قد خلع علينا في ذلك اليوم مماطر لها شأن من ألوان شتى، فسألني عبد الوهاب بن علي أن أرد عليه هذا الصوت، وجعل لي ممطره، فغنته إياه، فلما خرجنا للانصراف إلى منازلنا، أمر غلمانه بدفع الممطر إلى غلماني، فسلموه إليهم.

أخبرني عبد الله بن الربيع، عن أبيه، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: سألني إسحاق بن إبراهيم الموصلي يوماً: من بقي من المغنين؟ قلت: وجه القرعة محمد بن عيسى، مولى عيسى بن جعفر. فقال: صالح كيس. ومن أيضاً؟ قلت: أحمد بن يحيى المكي. قال بخ بخ! ذاك المحسن المجمل الضارب المغني القائم بمجلسه، لا يحوج أهل المجلس إلى غيره. ومن بأبي أنت؟ قلت: ابن مقامرة. قال: لا والله ما سمعت بهذا قط. فمن مقامره هذه؟ زامرة أم نائحة أم مغنية؟ قلت: لا. ولكنها من الناس، وليست من أهل صناعته. قال: ومن أيضاً بأبي أنت؟ قلت: يحيى بن القاسم ابن أخي سلمة. قال: الذي كان له أخ يغني مرتجلاً؟ قلت: نعم. قال: لم يحسن ذاك ولا أبوه شيئاً قط، ولا أشك أن هذا كذلك، لأنهما مؤدباه.

وذكر ابن المكي عن أبيه قال: قال المعتصم يوماً لجلسائه ونحن عنده: خلعت اليوم على فتى شريف ظريف نظيف، حسن الوجه، شجاع القلب، ووليته المصيصة ونواحيها. فقلنا: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: خالد بن يزيد بن مزيد. فقال علونه: يا أحمد غن أمير المؤمنين صوتك في مدح خالد، فأمسكت عنه. فقال المعتصم: مالك لا تجيبه؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، ليس هو مما يغنى بحضرة الخليفة. فقال: ما من أن تغنيه بد. قال: فغنيته صنعة لي في هذا الشعر:

علم الناس خالد بن يزيد كل حلم وكل بأس وجود

فترى الناس هيبة حين يبدو من قيام وركع وسجود

فقال المعتصم: يا سمانة، خذ أحمد بإلقاء هذا الصوت على الجواري في غد، وأمر لي بعشرة آلاف درهم.

قال: وغنى أبي يوماً محمداً الأمين:

فعش عمر نوح في سرور وغبطة وفي خفض عيش ليس في طوله إثم

تساعدك الأقدار فيه وتنثني إليك وترعى فضلك العرب والعجم

فأمر له بخمس مئة دينار.

وتوفي أحمد بن يحيى المكي في خلافة المستعين في أولها. أخبرني بذلك جحظة البرمكي، عن محمد بن أحمد بن يحيى المكي: أن أباه توفي في هذا الوقت. انقضت أخباره.

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك ما يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي: ماذا لقيت من الهوى ولقينا؟

غادروا: تركوا. والوشل: الماء القليل. والمعين: الماء الصافي الجاري. وغيضن من عبراتهن: أي كففنها ومسحنها حتى تغيض.

الشعر لجرير، والغناء لإسحاق، رمل بالوسطى، عن عمرو. وهو من طريف أرمال إسحاق وعيونها. وفيه لابن سريج ثقيل أول بالبنصر، عن الهشامي وعمرو. وذكر علي بن يحيى أن فيه لابن سريج رملاً آخر. وذكر عيسى أن الثقيل الأول لإبراهيم، وأن فيه للهذلي ثاني ثقيل بالوسطى، ولإبراهيم أيضاً ماخوري بالبنصر. وقد أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ قال: حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة: أن هذين البيتين للمعلوط، وأن جريراً سرقهما منه، وأدخلهما في شعره.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي وغيره قالوا: غدا عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي على أبي السائب المخزومي في منزله، فلما خرج إليه أبو السائب أنشده قول جرير:

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك لا يزال معينا

البيتين. فحلف أبو السائب ألا يرد على أحد سلاماً، ولا يكلمه إلا بهذين البيتين، حتى يرجع إلى منزله. فخرجا، فلقيهما عبد العزيز بن المطلب وهو قاض، وكانا يدعيان القرينين لملازمتهما، فلما رآهما قال: كيف أصبح القرينان؟ فغمز أبو السائب بن جندب: أن أخبره بالقصة، وابن جندب يتغافل، فقال لابن جندب: ما لأبي السائب؟ فجعل أبو السائب يغمزه، أي أخبره بيميني. قال ابن جندب: أحمد الله إليك، ما زلت منكراً لفعله منذ خرجنا. فانصرف ابن المطلب إلى منزله والخصوم ينتظرونه، فصرفهم ودخل منزله مغتماً. فلما أتى أبو السائب منزله، وبزت يمينه، خرج إلى ابن جندب فقال: اذهب بنا إلى ابن المطلب، فإني أخاف أن يرد شهادتي. فاستأذنا عليه، فأذن لهما فقال له أبو السائب: قد علمت أعزك الله غرامي بالشعر، وإن هذا الضال جاءني حين خرجت من منزلي، فأنشدني بيتين، فحلفت ألا أرد على أحد سلاماً، ولا أكلمه إلا بهما. حتى أرجع إلى منزلي. فقال ابن المطلب: اللهم غفراً! ألا تترك المجون يا أبا السائب.

أخبرني: الحرمي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد المطلب بن عبد العزيز قال: أنشدت أبا السائب قول جرير:

غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقال: يا بن أخي، أتدري ما التغييض؟ قلت: لا. قال: هكذا، وأشار بأصبعه إلى جفنه، كأنه يأخذ الدمع ثم ينضحه.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا المدائني. وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، عن أحمد بن زهير، عن الزبير بن بكار قال: عن المدائني قال: شهد رجل عند قاض بشهادة، فقيل له: من يعرفك؟ قال: ابن أبي عتيق. فبعث إليه يسأله عنه. فقال: عدل رضا. فقيل له: أكنت تعرفه قبل اليوم؟ قال: لا. ولكني سمعته ينشد:

غيضن من عبراتهن وقلن لي: ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فعلمت أن هذا لا يرسخ إلا في قلب مؤمن، فشهدت له بالعدالة.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا محمد بن الحسن ومحمد بن الضحاك قالا: كان أبو السائب المخزومي واقفاً على رأس بئر، فأنشده ابن جندب:

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك لا يزال معينا

فرمى بنفسه في البئر بثيابه، فبعد لأي ما أخرجوه.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا محمد بن الحسن الزرقي قال: حدثنا العلاء بن عمرو الزبيري، من ولد عمرو بن الزبير، قال: حدثنا يحيى بن أبي قتيلة قال: حدثني إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي عليهم السلام، عن أشعب قال: جاءني فتية من قريش، فقالوا لي: نحب أن تسمع سالم بن عبد الله بن عمر صوتاً من الغناء، وتعلمنا ما يقول لك، وجعلوا لي في ذلك جعلاً. فدخلت عليه، فقلت: يا أبا عمروا، لي مجالسة وحرمة، ومودة وسن، وأنا مولع بالترنم. قال: وما الترنم؟ قلت: الغناء. قال: وفي أي وقت؟ قلت: في الخلوة، ومع الإخوان في الخارج. وأحب أن أسمعك، فإن كرهته أمسكت عنه. ثم غنيته، فقال: ما أرى بأساً. فخرجت إليهم، فأعلمتهم، فقالوا: وما غنيته؟ فقلت: غنيته:

قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال

قالوا: هذا بارد لا حركة فيه، ولسنا نرضى. فلما رأيت دفعهم أياي، وخفت ذهاب ما جعلوا لي، رجعت إليه، فقلت: يا أبا عمرو، آخر. قال: مالي ولك؟ و لم أملكه أمره حتى غنيت، فقال: ما أرى بأساً. فخرجت إليهم فأعلمتهم. قالوا: وما غنيته؟ قلت:

لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا وأخو الحرب من أطاق النزولا

قالوا: وليس هذا بشيء. فرجعت إليه، فقلت: آخر. فاستكفني، فلم أملكه القول حتى غنيته:

غيضن من عبراتهن وقلن لي: ماذا لقيت من الهوى ولقينا؟

فقال: مهلا مهلا. قلت: لا والله إلا بذاك الذي فيه تمر عجوة من صدقة عمر. فقال: هو لك. فخرجت عليهم به، وأنا أخطر. فقالوا: مه. فقلت: أطربت الشيخ حتى أعطاني هذا، وقال مرة أخرى: حتى فرض لي هذا. قال: ووالله ما فعل، وإنما كان فدية لأصمت، وأخذت منهم الجعل.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجم، قال: حدثت عن حماد بن إسحاق قال: حدثني علويه الأعسر قال: أتيت أباك في داره هذه يوماً وقد بنى إيوانها وسائرها خراب، فجلسنا على تل من تراب، فغناني لحنه في:

غيضن من عبراتهن وقلن لي: ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فسألته أن يعيده عليّ، ففعل. وأتانا رسول أبيه بطبق رطب، فقال للرسول: قل له: سأرسل إليك برطب أطيب من الرطب الذي بعثت به إلي، فأبلغه الرسول ذلك، فقال له: ومن عنده؟ فأخبره أنني عنده. فقال: ما أخلقه أن يكون قد أتانا بآبدة، ثم أتانا رسوله بعد ساعة فقال: ما آن لرطبكم أن يأتينا؟ فأرسلني إليه وقد أخذت الصوت، فغنيته إياه، فقال: أجاد والله. أألام على هذا وحبه، والله لو لم يكن بيني وبينه قرابة لأحببته، فكيف وهو ابني؟

ألست ترى يا ضب بالله أنني مصاحبة نحو المدينة أركبا

إذا قطعوا حزنا نخب ركابهم كما حركت ريح يراعاً مثقبا

عروضه من الطويل. والشعر لنائله بنت الفرافصة. والغناء لابن عائشة، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى.

ووجدت في كتاب بخط عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أنه مما نحله يحيى المكي لابن عائشة.

أخبار نائلة بنت الفرافصة ونسبها

هي نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو، وقيل: ابن عفر بن ثعلبة، وقيل: عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب الكلبية، زوجة عثمان بن عفان رضي الله عنه، تقوله لأخيها لما نقلها إلى عثمان.

أخبرني بخبره وخبرها أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد، عن أبيه قال: تزوج سعيد بن العاص وهو على الكوفة هند بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة، فبلغ ذلك عثمان، فكتب إليه.

بسم الله الرحمن الرحيم.

أما بعد، فإنه قد بلغني أنك تزوجت امرأة من كلب، فاكتب إلي بنسبها وجمالها.

فكتب إليه: أما بعد، فإن نسبها أنها بنت الفرافصة بن الأحرص. وجمالها أنها بيضاء مديدة القامة. فكتب إليه: إن

كانت لها أخت فزوجنيها.

فبعث سعيد إلى الفرافصة، يخطب إحدى بناته على عثمان. فأمر الفرافصة ابنه ضبا، فزوجها إياه. وكان ضب مسلماً، وكان الفرافصة نصرانياً، فلما أرادوا حملها إليه، قال لها أبوها: يا بنية، إنك تقدمين على نساء من نساء قريش، هن أقدر على الطيب منك، فاحفظي عني خصلتين، تكحلي، وتطيبي بالماء، حتى يكون ريحك ريح شن أصابه مطر.

فلما حملت كرهت الغربة، وحزنت لفراق أهلها، فأنشأت تقول:

ألست ترى يا ضب بالله أنني مصاحبة نحو المدينة أركبا

إذا قطعوا حزنا تخب ركابهم كما زعزعت ريح يراعاً مثقبا

لقد كان في أبناء حصن بن ضمضم لك الويل ما يغني الخباء المطنبا

فلما قدمت على عثمان رضي الله عنه، قعد على سريره، ووضع لها سريراً حياله، فجلست عليه، فوضع عثمان قلنسيته، فبدا الصلع، فقال: يا بنة الفرافصة، لا يهولنك ما ترين من صلعي، فإن وراءه ما تحبين. فسكتت. فقال: إما أن تقومي إلي، وإما أن أقوم إليك. فقالت: أما ما ذكرت من الصلع، فإني من نساء أحب بعولتهن إليهن السادة الصلع. وأما قولك: إما أن تقومي إلي، وإما أن أقوم إليك، فوالله ما تجشمت من جنبات السماوة أبعد مما بيني وبينك، بل أقوم إليك. فقامت، فجلست إلى جنبه، فمسح رأسها، ودعا لها بالبركة، ثم قال لها: اطرحي عنك رداءك، فطرحته، ثم قال لها: اطرحي خمارك، فطرحته، ثم قال لها: انزعي درعك، فنزعته، ثم قال: حلي إزارك. فقالت: ذاك إليك. فحل إزارها، فكانت من أحظى نسائه عنده.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا علي بن محمد بن عيسى بن يزيد، عن عبد الواحد بن عمير، عن أبي الجراح مولى أم حبيبة، قال: كنت مع عثمان رضي الله عنه في الدار، فما شعرت وقد خرج محمد بن أبي بكر، ونحن نقول: هم في الصلح، إذ أنا بالناس قد دخلوا من الخوخة، ونزلوا بأمراس الحبال من سور الدار، معهم السيوف، فرميت بسيفي، وجلست عليه، وسمعت صياحهم، فكأني أنظر إلى مصحف في يد عثمان، وإلى حمرة أديمه، فنشرت نائلة بنت الفرافصة شعرها، فقال لها عثمان: خذي خمارك، فلعمري لدخولهم علي أعظم من حرمة شعرك.

وأهوى رجل إليه رضي الله عنه بالسيف، فاتقته نائلة بيدها، فقطع إصبعين من أصابعها، ثم قتلوه، وخرجوا يكبرون، ومر بي محمد بن أبي بكر، فقال: مالك يا عبد أم حبيبة؟ ومضى فخرجت.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شمة قال: حدثنا عبد الله بن حكيم الطائي، عن خالد بن سعيد، عن أبيه قال: لما قتل عثمان رحمة الله عليه، قالت نائلة بنت الفرافصة:

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة قتيل التجيبي الذي جاء من مصر

ومالي لا أبكي وتبكي قرابتي وقد غيبت عنا فضول أبي عمرو

هكذا في هذه الرواية. وقد قيل إن هذين البيتين للوليد بن عقبة.

أخبرني أحمد قال: حدثني عمر قال: حدثنا علي بن محمد، عن أبي مخنف، عن نمير بن وعلة، عن الشعبي مسلمة بن محارب، عن حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية: أن نائلة بنت الفرافصة كتبت إلى معاية بن أبي سفيان، وبعثت بقميص عثمان مع النعمان بن بشير، أو عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة: من نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد، فإني أذكركم بالله الذي أنعم عليكم، وعلمكم الإسلام، وهداكم من الضلالة، وأنقذكم من الكفر، ونصركم على العدو، وأسبغ النعمة، وأنشدكم بالله، وأذكركم حقه وحق خليفته الذي لم تنصروه، وبعزمة الله عليكم، فإنه عز وجل يقول: "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله". وإن أمير المؤمنين بغي عليه، ولو لم يكن له عليكم حق ألا حق الولاية، ثم أتي إليه بما أتي، لحق على كل مسلم يرجو أيام الله أن ينصره، لقدمه في الإسلام، وحسن بلائه، وأنه أجاب داعي الله، وصدق كتابه، والله أعلم به إذ انتجبه، فأعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة.

وإني أقص عليكم خبره، لأني كنت مشاهدة أمره كله، حتى أفضي إليه: وإن أهل المدينة حصروه في داره، يحرسنه ليلهم ونهارهم. قيام على أبوابه بسلاحهم، يمنعونه كل شيء قدروا عليه، حتى منعوه الماء، يحضرونه الأذى، ويقولون له الإفك. فمكث هو ومن معه خمسين ليلة، وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر، وكان علي مع المحرضين من أهل المدينة، ولم يقاتل مع أمير المؤمنين، ولم ينصره، ولم يأمر بالعدل الذي أمر الله تبارك وتعالى به. فظلت تقاتل خزاعة وسعد بن بكر وهذيل، وطوائف من مزينة وجهينة، وأنباط يثرب، ولا أرى سائرهم، ولكني سميت لكم الذين كانوا أشد الناس عليه في أول أمره وآخره. ثم إنه رمي بالنبل والحجارة، فقتل ممن كان في الدار ثلاثة نفر، فأتوه يصرخون إليه، ليأذن لهم في القتال، فنهاهم عنه، وأمرهم أن يردوا عليهم نبلهم، فردوها إليهم، فلم يزدهم ذلك على القتال إلا جراءة، وفي الأمر إلا إغراء. ثم أحرقوا باب الدار، فجاءه ثلاثة نفر من أصحابه، فقالوا: إن في المسجد ناساً يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل، فاخرج إلى المسجد حتى يأتوك، فانطلق فجلس فيه ساعة، وأسلحة القوم مطلة عليه من كل ناحية، وما أرى أحداً يعدل، فدخل الدار، وقد كان نفر من قريش على عامتهم السلاح، فلبس درعه، وقال لأصحابه: لولا أنتم ما لبست درعاً، فوثب عليه القوم، فكلمهم ابن الزبير، وأخذ عليهم ميثاقاً في صحيفة، بعث بها إلى عثمان: إن عليكم عهد الله وميثاقه ألا تعروه بشيء، فكلموه وتحرجوا، فوضع السلاح، فلم يكن إلا وضعه، حتى دخل عليه القوم يقدمهم ابن أبي بكر، حتى أخذوا بلحيته، ودعوه باللقب. فقال: أنا عبد الله وخليفته، فضربوه على رأسه ثلاث ضربات، وطعنوه في صدره ثلاث طعنات، وضربوه على مقدم الجبين فوق الأنف ضربة أسرعت في

العظم، فسقطت عليه وقد أتخنوه وبه حياة، وهم يريدون قطع رأسه، ليذهبوا به، فأتتني بنت شيبة بن ربيعة، فألقت نفسها معي عليه، فوطئنا وطئاً شديداً، وعرينا من ثيابنا، وحرمة أمير المؤمنين أعظم. فقتلوه رحمة الله عليه في بيته، وعلى فراشه. وقد أرسلت إليكم بثوبه، وعليه دمه، وإنه والله لئن كان أثم من قتله، لما يسلم من خذله. فانظروا أين أنتم من الله جل وعز، فإنا نشكي ما مسنا إليه، ونستنصر وليه وصالح عباده. ورحمة الله على عثمان، ولعن الله من قتله، وصرعهم في الدنيا مصارع الخزي والمذلة، وشفى منهم الصدور.

فحلف رجال من أهل الشام ألا يطأوا النساء حتى يقتلوا قتلته، أو تذهب أرواحهم.

فيا راكباً إما عرضت فبلغن ... نداماي من نجران أن لا تلاقيا

أبا كرب والأيهمين كليهما ... وقيساً بأعلى حضرموت اليمانيا

وتضحك مني شيخة عبشمية ... كأن لم ترا قبلي أسيراً يمانيا

أقول وقد شدوا لساني بنسعة ... أمعشر تيم أطلقوا عن لسانيا

الشعر لعبد يغوث بن صلاءة الحارثي. والغناء لإسحاق، ثقيل أول.

أخبار عبد يغوث ونسبه

هو عبد يغوث بن صلاءة. وقيل: بل هو عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاءة وهو قول ابن الكلبي بن المغفل، واسم المغفل: ربيعة بن كعب الأرت بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

قال ابن الكلبي: قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح. قال: وكان يقال ليعرب: المرعف. وكان عبد يغوث بن صلاءة شاعراً من شعراء الجاهلية، فارساً سيداً لقومه من بني الحارث بن كعب، وهو كان قائدهم في يوم الكلاب الثاني، إلى بني تميم، وفي ذلك اليوم أسر فقتل. وعبد يغوث من أهل بيت شعرٍ معرق لهم في الجاهلية والإسلام، منهم اللجلاج الحارثي، وهو طفيل بن يزيد بن عبد يغوث بن صلاءة، وأخوه مسهر فارس شاعر، وهو الذي طعن عامر بن الطفيل في عينه يوم فيف الريح. ومنهم ممن أدرك الإسلام جعفر بن علبة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث بن الحارث بن معاوية بن صلاءة، وكان فارساً شاعراً صعلوكاً، أخذ في دم، فحبس بالمدينة، ثم قتل صبراً. وخبره يذكر منفرداً، لأن له شعراً فيه غناء.

والشعر المذكور في هذا الموضع لعبد يغوث بن صلاءة، يقوله في يوم الكلاب الثاني جمع فيه قومه وغزا بني تميم، فظفرت به بنو تميم، وأسروه وقتل يومئذٍ.

وكان من حديث هذا اليوم، فيما ذكر أبو عبيدة، عن أبي عمرو بن العلاء، وهشام بن الكلبي عن أبيه، والمفضل بن محمد الضبي، وإسحاق بن الجصاص عن العنبري، قالوا: لما أوقع كسرى ببني تميم يوم الصفا بالمشقر، فقتل

المقاتلة، وبقيت الأموال والذراري، بلغ ذلك مذحجاً، فمشى بعضهم إلى بعض، وقالوا: اغتنموا بني تميم، ثم بعثوا الرسل في قبائل اليمن وأحلافها من قضاعة، قالت مذحج للمأمور الحارثي، وهو كاهن: ما ترى؟ فقال لهم: لا تغزوا بني تميم، فإنهم يسيرون أغباباً، ويردون مياهاً جباباً، فتكون غنيمتكم تراباً. قال أبو عبيدة: فذكر أنه اجتمع من مذحج ولفها اثنا عشر ألفاً، وكان رئيس مذحج عبد يغوث بن صلاءة، ورئيس همدان يقال له مسرح، ورئيس كندة البراء بن قيس بن الحارث. فأقبلوا إلى تميم، فبلغ ذلك سعداً والرباب، فانطلق ناس من أشرافهم إلى أكثم بن صيفي، وهو قاضي العرب يومئذٍ، فاستشاروه، فقال لهم: أقلوا الخلاف على أمرائكم، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل، والمرء يعجز لا محالة. يا قوم تثبتوا، فإن أحزم الفريقين الركين، ورب عجلة تهب ريثا. واتزروا للحرب، وادرعوا الليل، فإنه أخفى للويل، ولا جماعة لمن اختلف.

فلما انصرفوا من عند أكثم تهيئوا، واستعدوا للحرب، وأقبل أهل اليمن، من بني الحارث من أشرافهم يزيد بن عبد المدان ويزيد بن مخرم، ويزيد بن الطيثم بن المأمور، ويزيد بن هوبر، حتى إذا كانوا بتيمن نزلوا قريباً من الكلاب، ورجل من بني زيد بن رياح بن يربوع، يقال له مشمت بن زنباع في إبل له، عند خال له من بني سعد، يقال له زهير بن بو، فلما أبصرهم المشمت قال لزهير: دونك الإبل، وتنح عن طريقهم، حتى آتي الحي فأنذرهم. قال: فركب المشمت ناقة، ثم سار حتى أتى سعداً والرباب وهم على الكلاب، فأنذرهم، فأعدوا للقوم، وصبحوهم، فأغاروا على النعم فطردوها، وجعل رجل من أهل اليمن، يرتجز ويقول:

في كل عام نعمٌ ننتابه ... على الكلاب غيباً أربابه

قال: فأجابه غلام من بني سعد كان في النعم، على فرس له، فقال:

عصا قليل سترى أربابه ... صلب القناة حازماً شبابه

على جيادٍ ضمر عيابه

قال: فأقبلت سعد والرباب، ورئيس الرباب النعمان بن جساس، ورئيس بني سعد قيس بن عاصم المنقري. قال أبو عبيدة: اجتمع العلماء على أن الرئيس كان يومئذٍ قيس بن عاصم. فقال ضبي حين دنا من القوم:

في كل عام نعمٌ تحوونه ... يلقحه قوم وتنتجونه

أربابه نوكى فلا يحمونه ... ولا يلاقون طعاناً دونه

أنعم الأبناء تحسبونه ... هيهات هيهات لما ترجونه

فقال ضمرة بن لبيد الحماسي: أنظروا إذا سقتم النعم، فإن أتتكم الخيل عصبا عصبا، وثبتت الأولى للأخرى، حتى تلحق، فإن أمر القوم هين. وإن لحق بكم القوم، فلم ينظروا إليكم حتى يردوا وجوه النعم، ولا ينتظر بعضهم بعضاً، فإن أمر القوم شديد. وتقدمت سعدٌ والرباب، فالتقوا في أوائل الناس، فلم يلتفتوا إليهم، واستقبلوا النعم من قبل وجوهها، فجعلوا يصرفونها بأرماحهم، واختلط القوم، فاقتتلوا قتالاً شديداً يومهم، حتى

إذا كان من آخر النهار قتل النعمان بن جساس، قتله رجل من أهل اليمن، كانت أمه من بني حنظلة، يقال له عبد الله بن كعب،

وهو الذي رماه، فقال للنعمان حين رماه: خذها وأنا ابن الحنظلية. فقال النعمان: ثكلتك أمك، رب حنظلية قد غاظتني. فذهبت مثلاً، وظن أهل اليمن أن بني تميم سيهدهم قتل النعمان، فلم يزدهم ذلك إلا جراءة عليهم، فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل، فباتوا يحرس بعضهم بعضاً، فلما أصبحوا غدوا على القتال، فنادى قيس بن عاصم: يال سعد، ونادى عبد يغوث: يال سعد. قيس بن عاصم يدعو سعد بن زيد مناة بن تميم، وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة. فلما سمع ذلك قيس نادى: يال كعب، فنادى عبد يغوث: يال كعب. قيس يدعو كعب بن سعد، وعبد يغوث يدعو كعب بن عمرو. فلما رأى ذلك قيس من صنيع عبد يغوث، قال: ما لهم أخزاهم الله ما ندعو بشعار إلا دعوا بمثله. فنادى قيس: يال مقاعس، يعني بني الحارث بن عمرو بن كعب، وكان يلقب مقاعساً، فلما سمع وعلة بن عبد الله الجرمي الصوت، وكان صاحب اللواء يومئذٍ، طرحه، وكان أول من انهزم من اليمن، وحملت عليهم بنو سعد والرباب، فهزموهم أفظع هزيمة، وجعل رجلٌ منهم يقول:

يا قوم لا يفلتكم اليزيدان مخرماً أعني به والديان

وجعل قيس بن عاصم ينادي: يال تميم: لا تقتلوا إلا فارساً، فإن الرجالة لكم. وجعل يرتجز ويقول:

لما تولوا عصبا شوازبا أقسمت لا أطعن إلا راكبا

إني وجدت الطعن فيهم صائبا

وجعل يأخذ الأسارى، فإذا أخذ أسيراً قال له: ممن أنت؟ فيقول: من بني زعبل، وهو زعبل بن كعب، أخو الحارث بن كعب، وهم أنذال، فكأن الأسارى يريدون بذلك رخص الفداء، فجعل قيس إذا أخذ أسيراً منهم، دفعه إلى من يليه من بني تميم، ويقول: أمسك حتى أصطاد لك زعبلة أخرى، فذهبت مثلاً. فما زالوا في آثارهم يقتلون ويأسرون، حتى أسر عبد يغوث، أسره فتى من بني عمير بن عبد شمس. وقتل يومئذٍ علقمة بن سباع القريعي، وهو فارس هبود، وهبود فرس عمرون الجعيد المرادي وكان علقمة قتل عمراً وأخذ فرسه من تحته، وأسر الأهتم، واسمه سنان بن سمي بن خالد بن منقر، ويومئذٍ سمي الأهتم رئيس كندة البراء بن قيس، وقتلت التيم الأوبر الحارثي، وآخر من بني الحارث يقال له معاوية، قتلهما النعمان بن جساس، وقتل يومئذٍ من أشرافهم خمسة، وقتلت بنو ضبة ضمرة بن لبيد الحماسي الكاهن، قتله قبيصة بن ضرار بن عمرو الضبي.

وأما عبد يغوث فانطلق به العبشمي إلى أهله، وكان العبشمي أهوج، فقالت له أمه ورأت عبد يغوث عظيماً جميلاً جسيماً: من أنت؟ قال: أنا سيد القوم. فضحكت، وقالت: قبحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الأهوج. فقال عبد يغوث:

وتضحك مني شيخةٌ عبشمية كأن لم ترا قبلي أسيراً يمانياً

ثم قال لها: أيتها الحرة، هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: أعطي ابنك مئة من الإبل وينطلق بي إلى الأهتم، فإني أتخوف أن تنتزعني سعد والرباب منه، فضمن له مئة من الإبل، وأرسل إلى بني الحارث، فوجهوا بها إليه، فقبضها العبشمي، فانطلق به إلى الأهتم، وأنشأ عبد يغوث يقول:

أأهتم يا خير البرية والدا ... ورهطاً إذا ما الناس عدوا المساعيا

تدارك أسيراً عانياً في بلادكم ... ولا تثقفني التيم ألقى الدواهيا

فمشت سعد والرباب فيه. فقالت الرباب: يا بني سعد، قتل فارسنا ولم يقتل لكم فارس مذكور، فدفعه الأهتم إليهم، فأخذه عصمة بن أبير التيمي، فانطلق به إلى منزله، فقال عبد يغوث: يا بني تيم، اقتلوني قتلة كريمة. فقال له عصمة: وما تلك القتلة؟ قال: اسقوني الخمر، ودعوني أنح على نفسي، فقال له عصمة: نعم. فسقاه الخمر، ثم قطع له عرقاً يقال له الأكحل، وتركه يترف، ومضى عنه عصمة، وترك مع ابنين له، فقالا: جمعت أهل اليمن وجئت لتصطلمنا، فكيف رأيت الله صنع بك؟ فقال عبد يغوث في ذلك:

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا ... فما لكما في اللوم نفعٌ ولا ليا

ألم تعلما أن الملامة نفعها ... قليل وما لومي أخي من شماليا

فيا راكباً إما عرضت فبلغن ... ندامي من نجران أن لا تلاقيا

أبا كربٍ والأيهمين كليهما ... وقيساً بأعلى حضرموت اليمانيا

جزى الله قومي بالكلاب ملامةً ... صريحهم والآخرين الموالياً

ولو شئت نجتني من الخيل نهدةٌ ... ترى خلفهما الحو الجياد تواليا

ولكنني أحمي ذمار أبيكم ... وكان الرماح يختطفن المحاميا

وتضحك مني شيخة عبشمية ... كأن لم ترا قلبي أسيراً يمانيا

وقد علمت عرسي مليكة أنني ... أنا الليث معدواً عليه وعاديا

أقول وقد شدوا لساني بنسعةٍ ... أمعشر تيم أطلقوا لي لسانيا

أمعشر تيم قد ملكتم فأسجحوا ... فإن أخاكم لم يكن من بوائيا

فإن تقتلوني تقتلوا بي سيداً ... وإن تطلقوني تحربوني بما ليا

أحقا عباد الله أن لست سامعاً ... نشيد الرعاء المعزبين المتاليا

وقد كنت نحار الجزور ومعمل ال ... مطي وأمضي حيث لا حي ماضيا

وأنحر للشرب الكرام مطيتي وأصدع بين القينتين ردائيا
وعادية سوم الجراد وزعتها بكفي وقد أنحوا إلي العواليا
كأني لم أركب جواداً ولم أقل لخيلي كري نفسي عن رجاليا
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل لأيسار صدق أعظموا ضوء ناريا

قال: فضحكت العبشمية، وهم آسروه. وذلك أنه لما أسروه شدوا لسانه بنسعة، لئلا يهجوهم، وأبوا إلا قتله، فقتلوه بالنعمان بن جساس. فقالت صفية بنت الخرع ترثي النعمان:

نطاقه هندوانيٌّ وجبته فضفاضة كأضاة النهي موضونه
لقد أخذنا شفاء النفس لو شفيت وما قتلنا به إلا أمراً دونه

وقال علقمة بن سباع لعمرو بن الجعيد:

لما رأيت الأمر مخلوجةً أكرهت فيه ذابلاً مارنا
قلت له: خذها فإني امرؤ يعرف رمحي الرجل الكاهنا

قوله: يعرف رمحي الرجل الكاهنا يريد: أن عمرو بن الجعيد كان كاهناً. وهو أحد بني عامر بن الديل بن شن بن أفصى بن عبد القيس، و لم يزل ذلك في ولده. ومنهم الرباب بن البراء، كان يتكهن، ثم طلب خلاف أهل الجاهلية، فصار على دين المسيح عليه السلام، فذكر أبو اليقظان أن الناس سمعوا في زمانه منادياً ينادي في الليل، وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم: خير أهل الأرض ربابٌ الشني، وبحيرا الراهب، وآخر لم يأت بعد. قال: وكان لا يموت أحد من ولد الرباب إلا رأوا على قبره طشا. ومن ولده مخربة، وهو أحد أجواد العرب، وإنما سمي مخربة لأن السلاح خربه، لكثرة لبسه إياه، وقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلم، فأرسله إلى ابن الجلندى العماني. وابنه المثنى بن مخربة أحد وجوه أصحاب المختار، وكان قد وجهه إلى البصرة ليأخذها، فحاربه عباد بن الحصين فهزمه، وكان ابنه بلج بن المثنى جواداً، وفيه يقول بعض شعراء عبد القيس:

ألا يا بلج بلج بني المثنى وأنت لكل مكرمة كفاء
ألومك طائعاً مادمت حيا علي إذن من الله العفاء
كفى قوماً مكارم ضيعوها وأحسن حين أبصرهم أساءوا

قال: فأما وعلة بن عبد الله الجرمي، فإنه لحقه رجل من بني سعد، فعقر به، فنزل، وجعل يحضر على رجليه، فلحق رجلاً من بني نهد يقال له سليط بن قتب، من بني رفاعة، فقال له لما لحقه: أردفني، فأبى، فطرحه، عن فرسه، وركب عليها، وأدركت الخيل النهدي فقتلوه، فقال وعلة في ذلك:

ولما سمعت الخيل تدعو مقاعساً علمت بأن اليوم أغبر فاجر

نجوت نجاءً ليس فيه وتيرة كأني عقاب دون تيمن كاسر

خداريةً صقعاء لبد ريشها بطخفة يومٌ ذو أهاضيب ماطر

وقد قلت للنهدي: هل أنت مردفي وكيف رداف الفل أمك عاثر

فإن أستطع لا تبتئس بي مقاعس ولا يرني باديهم والحواضر

فدى لكما رجليّ أمي وخالتي غداة الكلاب إذ تحز الحناجر

فمن كان يرجو في تميم هوادة فليست لجرم في تميم أواصر

وقالت نائحة عمرو بن الجعيد:

أشاب قذال الرأس مصرع سيد وفارس هبودٍ أشاب النواصيا

وقال محرز بن مكعبر الضبي:

فدى لقومي ما جمعت من نشب إذ ساقت الحرب أقواماً لأقوام

قد حدثت مذحج عنا وقد كذبت أن لا يورع عن نسواننا حام

دارت رحاهم قليلاً ثم واجههم ضرب يصبح منهم مسكن الهام

ساروا إلينا وهم صيد رؤوسهم فقد جعلنا لهم يوماً كأيام

ظلت ضباع مجيرات يعدنهم وألحموهن منهم أي إلحام

ظلت تدوس بني كعب بكلكلها وهم يوم بني نهد بإظلام

وقال أوس بن مغراء:

وفي يوم الكلاب إذ اعترتنا قبائل أقبلوا متناسبينا

قبائل مذحج اجتمعت وجرم وهمدان وكندة أجمعينا

وحمير ثم ساروا في لهام على جرد جميعاً قادرينا

فلما أن أتونا لم نكذب ولم نسألهم أن يمهلونا

قتلنا منهم قتلى وولى شريدهم شعاعاً هاربينا

وفاظت منهم فينا أسارى لدينا منهم متخشعينا

وقال ذو الرمة غيلان بن عقبة في ذلك:

وعمي الذي قاد الرباب جماعة وسعدهم الرأس الرئيس المؤمر

عشية أعطتنا أزمة أمرها ضرار بنو القرم الأغر ومنقر
وعبد يغوث تحجل الطير حوله قد احتز عرشيه الحسام المذكر

العرشان: عرقان في العنق:

عشية فر الحارثيون بعدما قضى نحبه في معرك الخيل هوبر
وقال أخو جرم ألا لا هوادة ولا وزر إلا النجاء المشمر
أبى الله إلا أننا آل خندف بنا يسمع الصوت الأنام ويبصر
إذا ما تمضرنا فلا ناس غيرنا ونضعف أحياناً ولا نتمضر

وقال أيضاً:

فما شهدت خيل امرئ القيس غارة بثهلان تحمي عن ثغور الحقائق
آثرنا به نقع الكلاب وأنتم تثيرون نقع الملتقى بالمعازق
أدرنا على جزم وأفناء مذحج رحى الموت فوق العاملات الخوافق
صدمناهم دون الأماني صدمة عماساً بأطواد طوال شواهق
إذا نطحت شهباء شهباء بينها شعاع القنا والمشرفي البوارق

وقال براء بن قيس الكندي:

قتلتنا تميم يوماً جديداً قتل عاد وذاك يوم الكلاب
يوم جئنا يسوقنا الحين سوقاً نحو قوم كأنهم أسد غاب
سرت في الأزد والمذاحج طراً بين صل وكاشر الأنياب
وبني كندة الملوك ولخم وجذام وحمير الأرباب
ومراد وخثعم وزبيد وبني الحارث الطوال الرغاب
وحشدنا الصميم نرجو نهابا فلقينا البوار دون النهاب
لقيتنا أسود سعد وسعد خلقت في الحروب سوط عذاب
تركوني مسهداً في وثاق أرقب النجم ما أسيغ شرابي
خائفاً للردى ولولا دفاعي بمئين عن مهجتي كالضباب
لسقيت الردى وكنت كقومي في ضريح مغيباً في التراب

تذرف الدمع بالعويل نسائي كنساء بكت قتيل الرباب

فلعيني على الألى فارقوني درر من دموعها بانسكاب

كيف أبغي الحياة بعد رجال قتلوا كالأسود قتل الكلاب

منهم الحارثي عبد يغوث ويزيد الفتيان وابن شهاب

في مئين نعدها ومئين بعد ألف منوا بقوم غضاب

برجال من العرانين شم أسد حرب ممحوضة الأنساب

قال وعلة بن عبد الله الجزمي:

عذلتني نهد فقلت لنهد حين حاست على الكلاب أخاها

يوم كنا عليهم طير ماء وتميم صقورها وبزاها

لا تلوموا على الفرار فسعد يال نهد يخافها من يراها

إنما همها الطعان إذا ما كره الطعن والضراب سواها

تركوا مذحجاً حديثاً مشاعاً مثل طسم وحمير وصداها

يال قحطان وادعوا حي سعد وابتغوا سلمها وفضل نداها

إن سعد السعود أسد غياض باسل بأسها شديد قواها

فضحت بالكلاب حار بن كعب وبنو كندة الملوك أباها

أسلموا للمنون عبد يغوث ولعض الكبول حولا يراها

بعد ألف سقوا المنية صرفا فأصابت في ذاك سعد مناها

ليت نهداً وجرمها ومراداً والمذاحيج ذو أناة نهاها

عن تميم فلم تكن فقع قاع تبتدرها ربابها ومناها

قل لبكر العراق تستر عمراً عمرو قيس فرأي عمرو قراها

عن تميم ولو غزتها لكانت مثل قحطان مستباحاً حماها

ما بال شمس أبي الخطاب قد حجبت أظن يا صاحبي الساعة اقتربت

أولا فما بال ريح كنت آنسها عادت علي بصر بعدما جنبت

أشكو إليك أبا الخطاب جارية غريرة بفؤادي اليوم قد لعبت

وأنت قيمها فانظر لعاشقها يا ليت قد قربت مني وما بعدت

عروضه من البسيط. الشعر والغناء لإبراهيم الموصلي رمل بالبنصر، عن الهشامي وعلي بن يحيى. وذكر محمد بن الحارث بن بسخنر أن فيه هزجاً بالبنصر لإبراهيم بن المهدي، وذكر عمرو بن بانة أنه لإبراهيم الموصلي أيضاً. وأبو الخطاب الذي عناه إبراهيم الموصلي في شعره هذا: رجل نخاس يعرف بقرين، مولى العباسة بنت المهدي، وكان إبراهيم يهوى جارية له، يقال لها خنث، وكانت من أجمل النساء وأكملهن، وكان لها خال فوق شفتها العليا، وكانت تعرف بذات الخال، ولإبراهيم ولغيره فيها أشعار كثيرة. نذكر منها كل ما كان فيه غناء بعد خبرها إن شاء الله.

أخبار ذات الخال

أخبرني بخبرها الحسين بن يحيى قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني أبي: أن جدي كان يتعشق جارية لقرين، المكنى بأبي الخطاب النخاس، وكان يقول فيها الشعر ويغني فيه، فشهرها بشعره وغنائه، وبلغ الرشيد خبرها، فاشتراها بسبعين ألف درهم. فقال لها ذات يوم: أسألك عن شيء، فإن صدقتني وإلا صدقني غيرك وكذبتك. قالت له: بل أصدقك. قال: هل كان بينك وبين إبراهيم الموصلي شيء قط، وأنا أحلفه أن يصدقني. قال: فتلكأت ساعة، ثم قالت: نعم، مرة واحدة. فأبغضها وقال يوماً في مجلسه: أيكم لا يبالي أن يكون كشخاناً، حتى أهب له ذات الخال. فبدر حمويه الوصيف، فقال: أنا. فوهبها له، وفيها يقول إبراهيم:

أتحسب ذات الخال راجية ربا وقد فتنت قلباً يهيم بها حبا

وما عذرها نفسي فداها ولم تدع على أعظمي لحماً ولم تبق لي لبّا

الشعر والغناء لإبراهيم، خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى.

وذكر أحمد بن أبي طاهر: أن الرشيد اشتراها بسبعين ألف درهم، وذكر قصة حمويه كما ذكرها حماد، وقال في خبره: فاشتاقها الرشيد يوماً بعد ما وهبها لحمويه، فقال له: ويلك يا حمويه، وهبنا لك الجارية على أن تسمع غناءها وحدك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، مر فيها بأمرك. قال: نحن عندك غداً. فمضى فاستعد لذلك، واستأجر لها من بعض الجوهريين بدنة وعقوداً ثمنها اثنا عشر ألف دينار. فأخرجها إلى الرشيد وهو عليها، فلما رآها أنكره. وقال: ويلك يا حمويه! ومن أين لك هذا وما وليتك عملاً تكسب فيه مثله، ولا وصل إليك مني هذا القدر! فصدقه عن أمره، فبعث الرشيد إلى أصحاب الجوهر فأحضرهم، واشترى الجوهر منهم، ووهبه لها، ثم حلف ألا تسأله يومه ذلك شيئاً إلا أعطاها، ولا حاجة إلا قضاها، فسألته أن يولي حمويه الحرب والخراج بفارس سبع سنين، ففعل ذلك، وكتب له عهده به، وشرط على ولي العهد بعده أن يتمها له إن لم تتم في حياته.

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني محمد بن عبد الله العاصمي قال: حدثني أحمد بن عبد الله طماس، عن

عبد الله وإبراهيم ابني العباس الصولي قالا:

كانت للرشيد جارية تعرف بذات الخال، فدعته يوماً، فوعدها أن يصير إليها، وخرج يريدها، فاعترضته جارية، فسألته أن يدخل إليها، فدخل وأقام عندها، فشق ذلك على ذات الخال، وقالت: والله لأطلبن له شيئاً أغيظه به، وكانت أحسن الناس وجهاً، ولها خال على خدها لم ير الناس أحن منه في موضعه، فدعت بمقراض، فقصت الخال الذي كان في خدها، وبلغ ذلك الرشيد، فشق عليه، وبلغ منه، فخرج من موضعه، وقال للفضل بن الربيع: انظر من بالباب من الشعراء، فقال: الساعة رأيت العباس بن الأحنف. فقال: أدخله. فأدخله، فعرفه الرشيد القصة وقال: اعمل في هذا شيئاً، على معنى رسمه له، فقال:

تخلصت ممن لم يكن ذا حفيظة ... وملت إلى من لا يغيره حال

فإن كان قطع الخال لما تطلعت ... إلى غيرها نفسي فقد ظلم الخال

غناه إبراهيم. فنهض الرشيد إلى ذات الخال مسرعاً مسترضيا لها، وجعل هذين البيتين سبباً، وأمر للعباس بألفي دينار، وأمر إبراهيم الموصلي فغناه في هذا الشعر.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني محمد بن الفضل قال: كان محمد بن موسى المنجم يعجبه التقسيم في الشعر، ويشغف بجيد الأشعار، فكان مما يعجبه قول نصيب:

أبا بعل ليلى كيف تجمع سلمها ... وحربي وفيما بيننا شبت الحرب

لها مثل ذنبي اليوم إن كنت مذنباً ... ولا ذنب لي إن كان ليس لها ذنب

عروضه من الطويل. والشعر لنصيب، ويروى للمجنون، ويروى لكعب بن مالك الخثعمي. والغناء لمالك، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو.

قال: وكان محمد بن موسى ينشد كثيراً للعباس بن الأحنف:

ألا ليت ذات الخال تلقى من الهوى ... عشير الذي ألقى فيلتئم الشعب

إذا رضيت لم يهنني ذلك الرضا ... لعلمي به أن سوف يتبعه العتب

وأبكي إذا ما أذنبت خوف صدها ... وأسألها مرضاتها ولها الذنب

وصالكم صرم وحبكم قلى ... وعطفكم صد وسلمكم حرب

ويقول: ما أحسن ما قسم، حتى جعل بإزاء كل شيء ضده، والله إن هذا لأحسن من تقسيمات إقليدس. الغناء في هذه الأبيات الأربعة لإبراهيم الموصلي، ثاني ثقيل بالوسطى، عن الهشامي.

وكانت ذات الخال إحدى الثلاث الجواري اللواتي كان الرشيد يهواهن، ويقول الشعر فيهن، وهن سحر، وضياء، وخنث، وفيهن يقول الرشيد:

إن سحراً وضياء وخنث ... هن سحر وضياء وخنث

أخذت سحر ولا ذنب لها ثلثي قلبي وترباها الثلث

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا أحمد بن محمد الأسدي قال: حدثنا احمد بن عبد الله بن علي بن سويد بن منجوف السدوسي قال: حدثني محمد بن إسماعيل بن صبيح قال: وجه الرشيد إلى جاريته سحر لتصير إليه، فاعتلت عليه ذلك اليوم بعلة، ثم جاءته من الغد، فقال الرشيد:

أيا من رد ودي أم س لا أعطيكه اليوما
ولا والله لا أعطي ك إلا الصد واللوما
وإن كان بقلبي من ك حب يمنع النوما
أيا من سمته الوصل فأغلى المهر والسوما

قال: وفيهن يقول، وقد قيل أن العباس بن الأحنف قالها على لسانه:

ملك الثلاث الآنسات عناني وحللن من قلبي بكل مكان
ما لي تطاوعني البرية كلها وأطيعهن وهن في عصياني
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى وبه عززن أعز من سلطاني

غنته عريب خفيف ثقيل الأول بالوسطى.

وروى أحمد بن أبي طاهر عن إسحاق قال: وجه الرشيد إلى ذات الخال ليلة وقد مضى شطر الليل، فحضرت، فأخرج إلي جارية كأنها المهاة، فأجلسها في حجره، ثم قال: غنني، فغنته:

جئن من الروم وقاليقلا يرفلن في المرط ولين الملا
مقرطقات بصنوف الحلى يا حبذا البيض وتلك الحلى

فاستحسنه وشرب عليه، ثم استؤذن للفضل بن الربيع، فأذن له، فلما دخل قال: ما وراءك في هذا الوقت؟ قال: كل خير يا أمير المؤمنين، ولكن حرى الساعة لي سبب لم يجز لي كتمانه أمير المؤمنين. قال: وما ذاك؟ قال: أخرج إلي في هذا الوقت ثلاث جوار لي: مكية، ومدينية، وعراقية. فقبضت المدينية على ذكري، فلما أنعظت وثبت المكية فقعدت عليه، فقالت لها المدينية: ما هذا التعدي؟ ألم تعلمي أن مالكاً حدثنا عن الزهري عن عبد الله بن ظالم، عن سعيد بن زيد: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أحيا أرضاً ميتة فهي له" فقالت الأخرى: أو لم تعلمي أن سفيان حدثنا، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الصيد لمن صاده لا لمن أثاره". فدفعتهما العراقية عنه، ووثبت عليه، وقالت: هدا لي، وفي يدي حتى تصطلحا. فضحك الرشيد، وأمره لحملهن إليه، ففعل، وحظين عنده، وفيهن يقول:

ملك الثلاث الآنسات عناني وحللن من قلبي بكل مكان

حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا الغلابي قال: حدثني مهدي بن سابق قال: حججنا مع الرشيد آخر حجة، فكان الناس يتناشدون له في جواريه:

ثلاث قد حللن حمى فؤادي ويعطين الرغائب من ودادي

نظمت قلوبهن بخيط قلبي فهن قرابتي حتى التنادي

لمن يك حل من قلب محلاً فهن مع النواظر والسواد

ومما قاله إبراهيم وغيره في ذات الخال وغنى فيه:

أذات الخال أقصيت محباً بكم صباً

فلا أنسى حياتي ما عبدت الدهر لي رباً

وقد قلت أنيليني فقالت أفرق الذنبا

الشعر والغناء لإبراهيم، هزج بالوسطى عن عمرو. ومنها:

أذات الخال قد طال بمن أسقمته الوجع

وليس إلى سواكم في ال لذي يلقى له فزع

أما يمنعك الإسلا م من قتلي ولا الورع

وما ينفك لي فيك هوى تغتره خدع

الشعر والغناء لإبراهيم، هزج بالوسطى، عن عمرو. ومنها:

ثعلب يا هذا الكثير العبث بالله لما قلت لي عن خنث

عن ظبية تميس في مشيتها أحسن من أبصرته في شعث

فقال :قالت قل له أنت امرؤ موكل فيما ترى بالعبث

والله لولا خصلة أرقبها لقل في الدنيا لما بي لبثي

الشعر لإبراهيم، وله فيه لحنان: أحدهما ثقيل الأول، عن أبي العنبس. والآخر هزج بالبنصر عن عمرو. وفيه لعريب ثقيل أول آخر. وذكر حبش أن فيه لابن جامع هزجاً آخر بالوسطى.

وذكر هارون بن الزيات أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه: أن ثعلباً هذا، كان مملوكاً لإبراهيم، فقال هذه الأبيات في خنث جارية جزء بن مغول الموصلي، وكانت مغنية محسنه، وخاطب ثعلباً فيها مستخبراً له.

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه: أنه قال في خنث جارية جزء بن مغول الموصلي، وخاطب في شعره غلاماً يقال له ثعلب، وكانت خنث مغنية محسنة، وكانت تعرف بذات الخال.

ثعلب يا هذا الكثير الخبث　　بالله إلا قلت لي عن خنث

وذكر الأبيات. قال: وقال له أيضاً:

أبد لذات الخال يا ثعلب　　قول امرئ في الحب لا يكذب

إني أقول الحق فاستيقني　　كل امرئ في حبه يلعب

الشعر والغناء لإبراهيم، له فيه لحنان: رمل وخفيف ثقيل، عن ابن المكي. ومنها:

جزى الله خيراً من كلفت بحبه　　وليس به إلا المموه من حبي

وقالوا :قلوب العاشقين رقيقة　　فما بال ذات الخال قاسية القلب؟

وقالوا لها هذا محبك معرضاً　　فقالت: أرى إعراضه أيسر الخطب

فما هو إلا نظرة بتبسم　　فتنشسب رجلاه ويسقط للجنب

ومنها:

إن لم يكن حب ذات الخال عناني　　إذن فحولت في مسك ابن زيدان

فإن هذي يمين ما حلفت بها　　إلا على الحق في سري وإعلاني

الشعر والغناء لإبراهيم، هزج بالبنصر. ومنها:

لقد أخلو بذات الخا　　ل والحراس قد هجعوا

فمن يبصر أبا الخطا　　ب يطلبها ويتبع

ألا لم تر محزونا　　تسنم صبره الجزع

وقارعني ففزت بها　　وحازتها لي القرع

غناه إبراهيم، من رواية بذل عنه، ولم تذكر طريقته.

قال علي بن محمد الهشامي: حدثني جدي، يعني ابن حمدون، قال: حدثني مخارق قال: كنت عند إبراهيم الموصلي ومعي ابن زيدان صاحب البرامكة، وإبراهيم يلاعبه بالشطرنج، فدخل علينا إسحاق، فقال له أبوه: ما أفدت اليوم؟ فقال: أعظم فائدة. سألني رجل ما أفخم كلمة في الفم؟ فقلت: لا إله إلا الله. فقال له أبوه إبراهيم: أخطأت. هلا قلت: دنيا ودينا. فأخذ ابن زيدان الشاه، فضرب به رأس إبراهيم، وقال له: يا زنديق، أتكفر بحضرتي؟ فأمر إبراهيم غلمانه فضربوا ابن زيدان ضرباً شديداً، فانصرف من ساعته إلى جعفر بن يحيى، فحدثه

بخبره. قال: وعلم إبراهيم أنه قد أخطأ وجنى، فركب إلى الفضل بن يحيى، فاستجار به، فاستوهبه الفضل من جعفر، فوهبه له، فانصرف وهو يقول:

إن لم يكن حب ذات الخال عناني إذا فحولت في مسك ابن زيدان

فإن هذي يمين ما حلفت بها إلا على الصدق في سري وإعلاني

قال: وله في هذين البيتين صنعة، وهي هزج. منها:

من يرحم محزونا بذات الخال مفتونا

أبى فيها فما يسلو وكل الناس يسلونا

فقد أودى به السقم وقد أصبح مجنونا

فإن دام على هذا ثوى في اللحد مدفونا

الشعر والغناء لإبراهيم، خفيف ثقيل، عن الهشامي. ومنها:

لذات الخال أرقني خيال بات يلثمني

بكى وجرى له دمع لما بالقلب من حزن

فلا أنساه أو أنسى إذا أدرجت في كفني

الشعر والغناء لإبراهيم، خفيف رمل بالوسطى، عن الهشامي. ومنها:

هل علمت اليوم يا عا صم يا خير خدين

أن ذات الخال تأتي ني على رغم قرين

لا تلمني إن ذات ال خال دنياي وديني

وإلى حفص خليلي ووزيري وأميني

بحت لا أكتمه شي ئاً من الداء الدفين

إن بي من حب ذات ال خال شيئاً كالجنون

فيه لإبراهيم هزج بالوسطى، عن ابن المكي. ومنها:

تقول ذات الخال لي :يا خلي البال

فقلت: حاشاك من أن يكون حالك حالي

أعرضت عني لما أوقعتني في الحبال

إن الخلي هو الغا فل الذي لا يبالي

لإبراهيم من كتابه عن حبش فيه لحن. وذكر ابن المكي أنه رمل. ومنها:

أما تعلم ذات الخا ... ل فوق الشفة العليا

بأني لست أهوى غي ... رها شيئاً من الدنيا

وأني عن جميع الن ... اس إلا عنهم أعمى

وأني لو سقيت الد ... هر من ريقك لا أروى

الشعر والغناء لإبراهيم، رمل بالوسطى، عن عمرو وابن المكي وغيرهما. وقد روى أما تعلم يا ذا الخال، وهذا هو الصحيح. ومنها:

يا ليت شعري كيف ذات الخال ... أم أين تحسب حالها من حالي

هل أنسين منها وضمت مرة ... رأسي إليها ثم قالت: مالي

ألزلة أقصيتني نفسي الفدا ... لك أم أطعت مقالة العذال

والله ما استحسنت شيئاً مونقا ... ألتذه إلا خطرت ببالي

الشعر والغناء لإبراهيم، وله فيه لحنان: هزج بالأصابع كلها، عن ابن المكي، وثقيل أول بالوسطى، عن حبش. ومنها:

يا ليت شعري والنساء غوادر ... خلف العدات وفاؤهن قليل

هل وصل ذات الخال يوماً عائد ... فتزول لوعاتي وحر غليلي

أم قد تناست عهدنا وأحالها ... عن ذاك ملك حال دون خليل

الشعر والغناء لإبراهيم من كتابه، ثقيل أول بالبنصر، عن إسحاق بن إبراهيم، وابن المكي والهشامي. انقضت أخبارها.

إن من غره النساء بشيء ... بعد هند لجاهل مغرور

حلوة القول واللسان ومر ... كل شيء أجن منها الضمير

كل أنثى وإن بدا لك منها ... آية الحب حبها خيتعور

الشعر لحجر بن عمرو آكل المرار. والغناء لحنين، ثاني ثقيل بالبنصر، عن الهشامي. وفيه لنبيه ثقيل أول بالوسطى، عن حبش. وفيه رمل له.

نسب حُجر بن عمرو

والسبب الذي من أجله قال هذا الشعر

هو حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع، واسمه عمرو بن ثور، وقيل: ابن معاوية بن ثور، وهو كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

أخبرني بخبره محمد بن الحسن بن دريد إجازة، قال: حدثني عمي، عن ابن الكلبيّ، عن أبيه، عن الشرقي بن القطامي قال: أقبل تّبع أيام سار إلى العراق، فنزل بأرض معدّ، فاستعمل عليهم حُجر بن عمرو، وهو آكل المرار، فلم يزل ملكاً حتى خرف، وله من الولد عمرو ومعاوية وهو الجون. ثم إن زياد بن الهبولة بن عمرو بن عوف بن ضجعم بن حماطة بن سعد بن سليح القضاعيّ، أغار عليه وهو ملك في ربيعة بن نزار، ومنزله بغمر ذي كندة، وكان قد غزا بربيعة البحرين. فبلغ زياداً غزاته، فأقبل حتى أغار في مملكة حجر، فأخذ مالاً كثيراً، وسبى امرأة حجر، وهي هند ابنة ظالم بن وهب، بن الحارث بن معاوية، وأخذ نسوة من نساء بكر بن وائل.

فلما بلغ حجراً وبكر بن وائل مغاره وما أخذ أقبلوا معه، ومعه يومئذ أشراف بكر بن وائل، منهم عوف بن محلِّم بن ذهل بن شيبان، وصليع بن عبد غنم بن ذهل بن شيبان، وسدوس بن شيبان بن ذهل، وضبيعة بن قيس بن ثعلبة، وعامر بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة. فتعجل عمرو بن معاوية وعوف بن محلِّم، قالا لحجر: إنا متعجِّلان إلى الرجل، لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا. فلقياه دون عين أباغ، فكلمه عوف بن محلم، وقال: يا خير الفتيان، اردد علي ما أخذته مني. فأعطاه إياه. وكلمة عمرو بن معاوية في فحل إبله، فقال: خذه، فأخذه عمرو؛ وكان قويا. فجعل الفحل يترع إلى الإبل، فاعتقله عمرو، فصرعه. فقال له ابن الهبولة: أما والله يا بني شيبان، لو كنتم تعتقلون الرجال كما تعتقلون الإبل لكنتم أنتم أنتم. فقال عمرو: أما والله لقد وهبت قليلاً، وشتمت جليلاً. ولقد جررت على نفسك شراً، ولتجدني عند ما ساءك. ثم ركض حتى صار إلى حجر، فأخبره الخبر.

فأقبل حجر في أصحابه، حتى إذا كان بمكان يقال له "الحفير"، بالبرّ، وهو دون عين أباغ، بعث سدوساً وصليعاً يتجسسان له الخبر، ويعلمان له علم العسكر. فخرجا حتى هجما على عسكره، وقد أوقد ناراً، ونادى منادٍ له: من جاء بحزمة من حطب فله قدرة من تمر. وكان ابن الهبولة قد أصاب في عسكر حجر تمراً كثيراً، فضرب قبابه، وأجَّج ناره، ونثر التمر بين يديه، فمن جاء بحطب أعطاه تمراً. فاحتطب سدوس وصليع، ثم أتيا به ابن الهبولة، فطرحاه بين يديه، فناولهما من التمر، وجلسا قريباً من القبة. فأما صليع فقال: هذه آية وعلم ما يريد، فانصرف إلى حجر، فأعلمه بعسكره، وأراه التمر. وأما سدوس فقال: لا أبرح حتى آتيه بأمر جليّ. فلما ذهب هزيع من الليل أقبل ناس من أصحابه يحرسونه، وقد تفرق أهل العسكر في كل ناحية، فضرب سدوس بيده إلى جليس له، فقال له: من أنت؟ مخافة أن يستنكر. فقال: أنا فلان ابن فلان. قال: نعم. ودنا سدوس من القبة،

فكان حيث يسمع الكلام، فدنا ابن الهبولة من هند امرأة حجر، فقبلها وداعبها، ثم قال لها فيما يقول: ما ظنك الآن بحجر لو علم بمكاني منك؟ قالت: ظني به والله أنه لن يدع طلبك حتى يطالع القصور الحمر، وكأني أنظر إليه في فوارس من بني شيبان يذمِّرهم ويدمِّرونه، وهو شديد الكلب، سريع الطلب، يزبد شدقاه كأنه بعير آكل مرار. فسمى حجر آكل المرار يومئذ. قال: فرفع يده فلطمها. ثم قال: ما قلت هذا إلا من عجبك به، وحبك له. فقالت: والله ما أبغضت ذا نسمة قط بغضي له، ولا رأيت رجلاً قط أحزم منه نائماً ومستيقظاً، إن كان لتنام عيناه وبعض أعضائه حيٌّ لا ينام، وكان إذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عُسّا مملوءاً لبناً، فبينا هو ذات ليلة نائم وأنا قريبة منه أنظر إليه، إذ أقبل أسود سالخ إلى رأسه، فنحى رأسه، فمال إلى يديه، وإحداهما مقبوضة، والأخرى مبسوطة، فأهوى إليها فقبضها، فمال إلى رجليه وقد قبض واحدة، وبسط الأخرى، فأهوى إليها، فقبضها، فمال إلى العسّ: شربه ثم مجه، فقلت: يستيقظ فيشرب فيموت، فأستريح منه. فانتبه من نومه، فقال: علي بالإناء، فناولته، فشمه فاضطربت يداه، حتى سقط الإناء فأهريق. وذلك كله باذن سدوس. فلما نامت الأحراس خرج يسري ليلته، حتى صبَّح حجراً. فقال:

أتاك المرجفون برجم غيب ... على دهش وجئتك باليقين

فمن يك قدأتاك بأمرلبس ... فقد آتي بأمر مستبين

ثم قص عليه جميع ماسمع.

فأسف ونادى في الناس: الرحيل. فساروا حتى انتهوا إلى عسكر ابن الهبولة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم أصحاب ابن الهبولة، وعرفه سدوس، فحمل عليه، فاعتنقه وصرعه فقتله. وبصر به عمرو بن معاوية، فشد عليه، فأخذ رأسه منه، وأخذ سدوس سلبه، وأخذ حجر هنداً فربطها بين فرسين، ثم ركضا بها حتى قطعاها قطعاً.

هذه رواية ابن الكلبي.

وأما أبو عبيدة فإنه ذكر أن ابن الهبولة لما غنم عسكر حجر، غنم مع ذلك زوجته هند بنت ظالم، وأم أناس بنت عوف بن محلم الشيباني، وهي أم الحارث بن حجر وهند بنت حجر، ولابنها الحارث ابن يقال له عمرو، وله يقول بشر بن أبي خازم:

فإلى ابن أم أناس أُعْمِل ناقتي ... عمرو فتنجح حاجتي أم ترجف

ملك إذا نزل الوفود ببابه ... غرفوا غوارب مزبد ما ينزف

قال: وبنتها هند هي التي تزوجها المنذر بن ماء السماء اللخميّ. قال: وكان ابن الهبولة بعد أن غنم يسوق ما معه من السبايا والنَّعم، ويتصيد في المسير، ولا يمرّ بوادٍ إلا أقام به يوماً أو يومين، حتى أتى على ضريَّة، فوجدها معشبة، فأعجبته، فأقام بها أياماً. وقالت له أم أناس: إني لأرى ذات ودك، وسوء درك، كأني قد نظرت إلى رجل أسود أدلم، كأن مشافره مشافر بعير آكل مرار قد أخذ برقبته، فسمى حجر آكل المرار بذلك. وذكر باقي

القصة نحو ما مضى.

وقال في خبر ابن الهبولة: إن سدوساً أسره، وإن عمرو بن معاوية لما رآه معه حسده، فطعنه فقتله: فغضب سدوس لذلك، وقال: قتلت أسيري وديته دية الملوك. وتحاكما إلى حجر، فحكم لسدوس على عمرو وقومه بدية ملك؛ وأعانهم في ذلك بماله. وقال سدوس في ذلك يعاتب بني شيبان:

مابعدكم عيش و لامعكم ... عيش لذي ألف و لاحسب

لو لا بنو ذهل وجمع بني ... قيس وما جمَّعت من نشب

ما سُمتُموني خطَّة غبناً ... وعلى ضريَّة رمتم غلبي

قال: وقد روي أن حجراً ليس بآكل المرار، وإنما أبوه الحارث آكل المرار. وروي أيضاً أنه إنما سمي آكل المرار لأن سدوساً لما أتاه بخبر ابن الهبولة ومداعبته لهند، وأن رأسه كان في حجرها، وحدثه بقولها وقوله، فجعل يسمع ذلك وهو يعبث بالمرار، وهو نبت شديد المرارة، وكان جالساً في موضع فيه منه شيء كثير، فجعل يأكل من ذلك المرار غضباً وهو يسمع من سدوس ولا يعلم أنه يأكله من شدة الغضب، حتى انتهى سدوس إلى آخر الحديث، فعلم حينئذ بذلك، ووجد طعمه، فسمي يومئذ آكل المرار.

قال ابن الكلبي: وقال حجر في هند:

لمن النار أوقدت بحفير ... لم تنم عند مصطل مقرور

أوقدتها إحدى الهنود وقالت ... أنت ذا موثق وثاق الأسير

إن من غرّه النساء بشيء ... بعد هند لجاهل مغرور

وبعده باقي الأبيات المذكورة متقدما وفيها الغناء.

طرب الفؤاد وعاودت أحزانه ... وتفرّقت فرقاً به أشجانه

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى ... برق تألق موهناً لمعانه

يبدو كحاشية الرداء ودونه ... صعب الذَّرى متمنِّع أركانه

فالنارما اشتملت عليه ضلوعه ... والماء ما جادت به أجفانه

الشعر لمحمد بن صالح العلوي. والغناء لرذاذ، ويقال إنه لبنان. خفيف ثقيل. وفيه ثقيل أول. يقال إنه لأبي العنبس، ويقال إنه للقاسم بن زرزور. وفيه لعمرو الميداني رمل طنبوري؛ وهو لحن مشهور.

أخبار محمد بن صالح العلويّ ونسبه

هو محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب. ويكنى أبا عبد الله، شاعر حجازي ظريف، صالح الشعر، من شعراء أهل بيته المتقدّمين. وكان جده موسى بن عبد الله أخا محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن الحجازيين الخارجين في أيام المنصور، أمهم جميعاً هند بنت أبي عبيدة.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء الطوسي قالا: حدثنا الزبير بن بكار، وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال: حدثنا يحيى بن الحسن العلوي. قال: حدثني الزبير بن بكار: أن هنداً حملت بموسى بن عبد الله ولها ستون سنة. قال: ولا تحمل لستين إلا قرشية، ولا تحمل لخمسين إلا عربية. قال: وكان موسى آدم شديد الأدمة، وله تقول أمه هند:

إنك أن تكون جوناً أنزعا ... أجدر أن تضرّهم وتنفعا

وتسلك العيش طريقاً مهيعا ... فرداً من الأصحاب أو مشيّعا

وكان موسى أستتر بعد قتل أخويه زماناً، ثم ظفر به أبو جعفر، فضربه بالسوط، وحبسه مدة، ثم عفا عنه وأطلقه. وله أخبار كثيرة ليس هذا موضعها.

وكان محمد بن صالح خرج على المتوكل مع من بيّض في تلك السنة، فظفر به وبجماعة من أهل بيته أبو الساج، فأخذهم وقيدهم، وقتل بعضهم، وأخرب سويقة، وهي مترل للحسنيين، ومن جملة صدقات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، وقعر بها نخلاً كثيراً، وحرق منازل لهم بها، وأثر فيهم وفيها أثاراً قبيحة، وحمل محمد بن صالح فيمن حمل منهم إلى سرّ من رأى، فحبس ثلاث سنين، ثم مدح المتوكل، فأنشده الفتح قصيدته بعد أن غنّي في شعره المذكور، فطرب، وسأل عن قائله فعرفه، وتلا ذلك إنشاد الفتح قصيدته، فأمر بإطلاقه.

وأخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال: أنكر موسى بن عبد الله بن موسى على ابن أخيه محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى، بعض ما ينكره العمومة على بني أخيهم، في شيء من أمور السلطان، وكان محمد بن صالح قد خرج بسويقة، فصار أبو الساج إلى سويقة، فأسلمه عمه موسى وبنوه بعد أن أعطاه أبو الساج الأمان، فطرح سلاحه، ونزل إليه فقيده، وحمله إلى سُرّ من رأى، فلم يزل محبوساً بها ثلاث سنين، ثم أطلق، وأقام بها إلى أن مات. وكان سبب موته أنه جُدِر، فمات في الجدريّ، وهو الذي يقول في الحبس:

طرب الفؤاد وعاودت أحزانه ... وتشعبت شعبا به أشجانه

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى ... برق تألّق مؤهنا لمعانه

يبدو كحاشية الرداء ودونه ... صعب الذّرا متمنع أركانه

فدنا لينظر كيف لاح فلم يطق ... نظراً إليه ورده سجانه

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه والماء ماسحّت به أجفانه
ثم استعاذ من القبيح وردَّه نحو العزاء عن الصّبا إيقانه
وبدا له أن الذي قد ناله ما كان قدّره له ديّانه
حتى اطمأن ضميره وكأنما هتك العلائق عامل وسنانه
يا قلب لا يذهب بحلمك باخل بالنّيل باذل تافه منّانه
يعد القضاء وليس ينجز موعداً ويكون قبل قضائه ليانه
خدل الشوى حسن القوام مخصّر عذب لماه طيّب أردانه
وأقنع بما قسم الإله فأمره ما لا يزال على الفتى إتيانه
والبؤس ماض ما يدوم كما مضى عصر النعيم وزال عنك أوانه

أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: كنت مع أبي عبد الله محمد بن صالح في منزل بعض إخواننا، فأقمنا إلى أن أنتصف الليل، وأنا أرى أنه يبيت، فإذا هو قد قام، فتقلد سيفه، وخرج، فأشفقت عليه من خروجه في ذلك الوقت، وسألته المقام والمبيت، وأعلمته خوفي عليه، فألتفت إليّ مبتسماً وقال:

إذا ما اشتملت السيف والليل لم أهل لشيء ولم تقرع فؤادي القوارع

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: مرّ محمد بن صالح بقبر لبعض ولد المتوكل، فرأى الجواري يلطمن عنده، فأنشدني لنفسه:

رأيت بسامرّا صبيحة جمعة عيوناً يروق الناظرين فتورها
تزور العظام الباليات لدى الثرى تجاوز عن تلك العظام غفورها
فلولا قضاء الله أن تعمر الثرى إلى أن ينادي يوم ينفخ صورها
لقلت عساها أن تعيش وأنها ستنشر من جراعيون تزورها
أسيلات مجرى الدامع إما تهللت شؤون المآقي ثم سح مطيرها
بوبل كأتوام الجمان يفيضه على نحرها أنفاسها وزفيرها
فيا رحمة ما قد رحمت بواكيها ثقالاً تواليها لطافاً خصورها

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني إبارهيم بن المدبر قال: جاءني محمد بن صالح الحسني، فسألني أن أخطب عليه بنت موسى بن أبي خالد الحري، أو أخته حمدونة ففعلت ذلك، وصرت إلى عيسى فسألته أن يجيبه، فأبى، وقال لي: لا أكذبك، والله ما أرده لأني لا أعرف أشرف وأشهر منه

لمن يصاهره، ولكني أخاف المتوكل وولده عبده على نعمتي ونفسي، فرجعت إليه، فأخبرته بذلك، فأضرب عن ذلك مدة، ثم عاودني بعد ذلك، وسألني معاودته ورفقت به، حتى أجاب فزوجه أخته، فأنشدني بعد ذلك:

خطب إلى عيسى بن موسى فردني ... فلله وإلى حرة وعليقها
لقد ردني عيسى ويعلم أنني ... سليل بنات المصطفى وعريقها
وإن لنا عبد الولادة نبعة ... نبي الإله صنوها وشقيقها
فلما أبى بخلاً بها وتمنعاً ... وصيرني ذا خلة لا يطيقها
سمي خليل الله وابن وليه ... وحمال أعباء العلا وطريقها
ويا نعمة لابن المدبر عندنا ... يجد على كر الزمان أنيقها

قال ابن مهرويه: قال لي إبراهيم بن المدبر فلما نقلت حمدونة إليه شغف بها، وكانت امرأة جميلة عاقلة، فأنشدني لنفسه فيها:

لعمر حمدونة إني بها ... لمغرم القلب طويل السقام
مجاوز للقدر في حبها ... مباين فيها لأهل الملام
مطرح للعذل ماضٍ على ... مخافة النفس وهول المقام
مشايعي قلب يخاف الخنا ... وصارم يقطع صم العظام
جشمني ذلك وجدي بها ... وفضلها بين النساء الوسام
ممكورة الساق رديْنيّة ... مع الشوى الخدل وحسن القوام
صامتة الحجل خفوق الحشا ... مائرة الساق ثقال القيام

ساجية الطرف نئوم الضحى ... منيرة الوجه كبرق الغمام
زينها الله وما شانها ... وأعطيت منيتها من تمام
تلك التي لولا غرامي بها ... كنت بسامرّا قليل المقام

هكذا روى ابن مهرويه عن ابن المدبر، في خبر محمد بن صالح وتزويجه حمدونة.

وحدثني عمي عن أبي جعفر بن الدّهقانة النديم قال: حدثني إبراهيم بن المدبر قال: جاءني يوما محمد بن صالح الحسني العلوي بعد أن أطلق من الحبس، فقال لي: إني أريد المقام عندك اليوم على خلوة، لأبثك من أمري شيئا لا يصلح أن يسمعه غيرنا. فقلت: أفعل. فصرفت من كان بحضرتي، وخلوت معه، وأمرت برد دابته، وأخذ

ثيابه؛ فلما اطمأن وأكلنا واضطجعنا، قال لي: أعلمك أني خرجت في سنة كذا وكذا ومعي أصحابي على القافلة الفلانية، فقاتلنا من كان فيها، فهزمناهم وملكنا القافلة، فبينا أنا أحوزها وأنيخ الجمال، إذ طلعت عليّ امرأة من العمارية، ما رأيت قط أحسن منها وجها، ولا أحلى منطقاً، فقالت: يا فتى، إن رأيت أن تدعو لي بالشريف المتولّي أمر هذا الجيش، فقلت: وقد رأيته وسمع كلامك. فقالت: سألتك بحق الله وحق رسوله صلى الله عليه وسلم أنت هو؟ فقلت: نعم وحق الله وحق رسوله إني لهو. فقالت: أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحرّي، ولأبي محل من سلطانه، ولنا نعمة، إن كنت ممن سمع بها فقد كفاك ما سمعت، وإن كنت لم تسمع بها فسل عنها غيري، ووالله لا استأثرت عنك بشيء أملكه، ولك بذلك عهد الله وميثاقه علي، وما أسألك إلا أن تصونني وتسترني، وهذه ألف دينار معي لنفقتي، فخذها حلالاً، وهذا حلي علي من خمس مئة دينار، فخذه وضمّني ما شئت بعده، آخذه لك من تجار المدينة أو مكة أو أهل الموسم، فليس منهم أحد يمنعني شيئاً أطلبه، وادفع عني، واحمني من أصحابك، ومن عار يلحقني. فوقع قولها من قلبي موقعاً عظيماً؛ فقلت لها: قد وهب الله لك مالك وجاهك وحالك، ووهب لك القافلة بجميع ما فيها. ثم خرجت فناديت في أصحابي، فاجتمعوا، فناديت فيهم: إني قد أجرت هذه القافلة وأهلها، وخفرتها وحميتها، ولها ذمة الله وذمة رسوله وذمتي، فمن أخذ منها خيطاً أو عقالاً فقد أذنته بحرب. فانصرفوا معي، وانصرفت.

فلما أخذت وحبست، بينا أنا ذات يوم في محبسي إذ جاءني السجّان وقال لي: إن بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك، وقد حظر عليّ أن يدخل عليك أحد، إلا أنهما أعطتاني دملج ذهب، وجعلتاه لي إن أوصلتهما إليك، وقد أذنت لهما، وهما في الدهليز، فاخرج إليهما إن شئت. ففكرت فيمن يجيئني في هذا البلد وأنا به غريب، لا أعرف أحداً، ثم قلت: لعلهما من ولد أبي أو بعض نساء أهلي، فخرجت إليهما، فإذا بصاحبتي، فلما رأتني بكت لما رأت من تغير خلقي، وثقل حديدي، فأقبلت عليها الأخرى فقالت: أهو هو؟ فقالت: إي والله، إنه لهو هو، ثم أقبلت علي فقالت: فداك أبي وأمي، والله لو استطعت أن أقيك مما أنت فيه بنفسي وأهلي لفعلت، وكنت بذلك مني حقيقاً، ووالله لا تركت المعاونة لك، والسعي في حاجتك، وخلاصك بكل حيلة ومال وشفاعة، وهذه دنانير وثياب وطيب، فاستعن بها على موضعك، ورسولي يأتيك في كل يوم بما يصلحك، حتى يفرّج الله عنك. ثم أخرجت إلي كسوة وطيباً ومائتي دينار، وكان رسولها يأتيني في كل يوم بطعام نظيف، وتواصل برّها بالسجان، فلا يمتنع من كل شيء أريده.

فمن الله بخلاصي، ثم راسلتها فخطبتها، فقالت: أما من جهتي فأنا لك متابعة مطيعة، والأمر إلى أبي، فأتيته، فخطبتها إليه، فردني، وقال: ما كنت لأحقق عليها ما قد شاع في الناس عنك في أمرها، وقد صيرها فضيحة، فقمت من عنده منكساً مستحياً، وقلت له في ذلك:

رموني وإياها بشنعاء هم بها ... أحق أدال الله منهم فعجّلا

بأمر تركناه وربِّ محمد ... عيانا فإما عفّة أو تجملا

فقلت له: إن عيسى صنيعة أخي، وهو لي مطيع، وأنا أكفيك أمره.

فلما كان من الغد لقيت عيسى في منزله، وقلت له: قد جئتك في حاجة لي؟ فقال: مقضية، ولو كنت استعملت ما أحبه لأمرتني فجئتك، وكان أسرّ إلي. فقلت له: قد جئتك خاطباً إليك ابنتك. فقال: هي لك أمة، وأنا لك عبد، وقد أجبتك. فقلت: إني خطبتها على من هو خير مني أباً

وأماً، وأشرف لك صهراً ومتّصلاً، محمد بن صالح العلوي. فقال لي: يا سيدي، هذا رجل قد لحقتنا بسببه ظنة، وقيلت فينا أقوال. فقلت: أفليست باطلة؟ قال: بلى، والحمد لله. قلت: فكأنها لم تقل، وإذا وقع النكاح زال كل قول وتشنيع، و لم أزل أرفق به حتى أجاب، وبعثت إلى محمد بن صالح فأحضرته، وما برحت حتى زوجته، وسقت الصداق عنه.

قال أبو الفرج الأصبهاني: وقد مدح محمد بن صالح إبراهيم بن المدبر مدائح كثيرة، لما أولاه من هذا الفعل، ولصداقة كانت بينهما، فمن جيد ما قاله فيه قوله:

أتخبر عنهم الدمن الدثور ... وقد ينبي إذا سئل الخبير

وكيف تبين الأنباء دارٌ ... تعاقبها الشمائل والدبور

يقول فيها في مدحه:

فهلا في الذي أولاك عرفا ... تسدي من مقالك ما تنير

ثناءٌ غير مختلق ومدحا ... مع الركبان يتجد أو يغور

أخ واساك في كلب الليالي ... وقد خذل الأقارب والنصير

حفاظاً حين أسلمك الموالي ... وضن بنفسه الرجل الصبور

فإن تشكر فقد أولى جميلاً ... وإن تكفر فإنك للكفور

وما في آل خاقان اعتصامٌ ... إذا ما عمم الخطب الكبير

لئام الناس إثراء وفقراً ... وأعجزهم إذا حمى القتير

قويم لايزوجهم كريمٌ ... ولا تسنى لنسوتهم مهور

وانما ذكر آل خاقان ههنا لأن عبيد الله بن يحيى قصر به وتحامل عليه، وكان يقول ما يكره، ويؤكد ما يوجب حبسه، وكا فيه وفي ولده نضب شديد.

ولمحمد بن صالح في آل المدبر مدائح كثيرة، لا معنى لذكرها في هذا الكتاب.

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال: حدثني عبد الله بن طالب الكاتب قال: كان محمد بن صالح

العلوي حلو اللسان، ظريفاً أديباً، فكان بسر من رأى مخالطاً لسراة الناس، ووجوه أهل البلد، وكان لا يكاد يفارق سعيد بن حميد، وكانا يتقارضان الأشعار، ويتكاتبان بها. وفي سعيد يقول محمد بن صالح العلوي:

أصاحب من صاحبت ثمت أنثني إليك أبا عثمان عطشان صاديا

أبى القلب أن يزوى بهم وهو حائمٌ إليك وإن كانوا الفروع العواليا

ولكن إذا جئناك لم نبغ مشرباً سواك وروينا العظام الصمواديا

قال عبد الله بن طالب: وكان بعض بني هاشم دعاه، فمض إليه، وكتب سعيد إليه يسأله المصير إليه، فأخبر بموضعه عند الهاشمي، فلما عاد عرف خبر سعيد وإرساله إليه، فكتب إليه بهذه الأبيات.

قال عبد الله: وشرب يوماً هو وسعيد بن حميد، فسكر محمد بن صالح قبله، فقام لينصرف، والتفت إلى سعيد وقال له:

لعمرك إنني لما افترقنا أخو ضن بخلصاني سعيد

تبقته المدام وأزعجتني إلى رحلي بتعجل الورود

قال: وتوفى محمد بن صالح بسر من رأى، وكان يجهد في أن يؤذن له في الرجوع إلى الحجاز، فلا يجاب إلىذلك، فقال سعيد يرثيه:

بأي يد أسطو على الدهر بعدما أبان يدي عضب الدنابين قاضب

وهاض جناحي حادث جل خطبه وسدت عن الصبر الجميل المذاهب

ومن عادة الأيام أن صروفها إذا سر منها جانب ساء جانب

لعمري لقد غال التجلد أننا فقدناك فقد الغيث والعام جادب

فما أعرف الأيام إلا ذميمة ولا الدهر إلا وهو بالثأر طالب

ولا لي من الإخوان إلا مكاشر فوجه له راض ووجه مغاضب

فقدت فتى قد كان للأرض زينة كما زينت وجه السماء الكواكب

لعمري لئن كان الردى بك فاتني وكل امرىء يوماً إلى الله ذاهب

لقد أخذت مني النوائب حكمها فما تركت حقاً علي النوائب

ولا تركتني أرهب الدهربعده لقد كل عني نابه والمخالب

سقى جدثا أمسى الكريم ابن صالح يحل به دان من المزن ساكب

إذا بشر الرواد بالغيث برقه مرته الصبا واستحلبته الجنائب

فغادر باقي الدهر تأثير صوبه ربيعاً زهت منه الربا والمذانب

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: حدثني المبرد قال: لم يزل محمد بن صالح محبوساً حتى توصل بنان له، بأن غنى بين يدي المتوكل في شعره:

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى برق تألق موهناً لمعانه

فاستحسن المتوكل الشعر واللحن، وسأل عن قائله، فأخبر به، وكلم في أمره، وأحسنت الجماعة رقده، وقام الفتح بأمره قياماً تاما. فأمر بإطلاقه من حبسه، على أن يكون عند الفتح وفي يده، حتى يقيم كفيلاً بنفسه ألا يبرح من سر من رأى، فأطلق، وأخذ عليه الفتح الأيمان الموثقة ألا يبرح من سر من رأى إلا بإذنه، ثم أطلقه.

ولمحمد بن صالح في المتوكل والمنتصر مدائح جياد كثيرة، منها قوله في المتوكل:

ألف التقى ووفى بنذر الناذر وأبى الوقوف على المحل الداثر

ولقد تهيج له الديار صبابة حيناً وتكلف بالخليط السائر

فرأى الهداية أن أناب وأنه قصر المديح على الإمام العاشر

يا بن الخلائف والذين بهديهم ظهر الوفاء وبان غدر الغادر

وابن الذين حووا تراث محمد دون الأقارب بالنصيب الوافر

نطق الكتاب لكم بذاك مصدقاً ومضت به سنن النبي الطاهر

ووصلت أسباب الخلافة بالهدى إذ نلتها وأنمت عين الساهر

أحييت سنة من مضى فتجددت وأبنت بدعة ذي الضلال الخاسر

فافخر بنفسك أو بجدك معلناً أو دع فقد جاوزت فخر الفاخر

ما للمكارم غيركم من أول بعد النبي وما لها من اخر

إني دعوتك فاستجبت لدعوتي والموت مني قيد شبر الشابر

فانتشتني من قعر موردة الردى أمنا ولم تسمع مقالة زاجر

وفككت أسري والبلاء موكل وجبرت كسراً ما له من جابر

وعطفت بالرحم التي ترجو بها قرب المحل من المليك القادر

وأنا أعوذ بفضل عفوك أن أرى غرضاً ببابك للملم الفاقر

أو أن أضيع بعدما أنقذتني من ريب مهلكة وجد عاثر

ولقد مننت فكنت غير مكدر ولقد نهضت بها نهوض الشاكر

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، ومحمد بن خلف وكيع قالا: حدثنا الفضل بن سعيد بن أبي حرب قال: حدثني أبو عبد الله الجهني قال: دخلت على محمد بن صالح الحسني في حبس المتوكل، فأنشدني لنفسه يهجو أبا الساج:

ألم يحزنك يا ذلفاء أني سكنت مساكن الأموات حيا

وأن حمائلي ونجاد سيفي علون مجدعا أشروسنيا

فقصرهن لما طلن حتى اس توين عليه لا أمسى سويا

أما والراقصات بذات عرق ترد البيت تحسبها قسيا

لو أمكنني غداتئذ جلاد لألفوني به سمحاً سخيا

قال ابن عمار: وأنشدني عبيد الله بن طاهر أبو محمد لمحمد بن صالح أيضاً:

نظرت ودوني ماء دجله موهناً بمطروفة الإنسان محسورة جداً

لتؤنس لي ناراً بليل توقدت وتالله ماكلفتها نظراً قصداً

فلو أنها منها لمقلت كأنني أرى النار قد أمست تضيء لناهنداً

تضيء لنا منها جبيناً ومحجراً ومبتسماً عذباً وذا غدر جعداً

انقضت أخباره.

ياعدياً لقلبك المهتاج أن عفا رسم منزل بالنباج

غيرته الصبا وكل ملث دائم الودق ذي أهاضيب داج

وحملنا غلامنا ثم قلنا هاجر العيس ليس منك بناج

فانتحى مثل ما انتحى بازدجن جوعته القناص للدراج

الشعر لأبي دواد الإيادي. والغناء لحنين، ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها، عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أنه لابن عائشة. وفيه لعريب هزج. وفيه ثقيل أول، ينسب إلى يزيد الحذاء، وإلى أحمد النصيبي.

ذكر أخبار أبي دواد الإيلدي ونسبه

هو فيما ذكر يعقوب بن السكيت: جارية بن الحجاج. وكان الحجاج يلقب حمران بن بحر بن عصام بن منبه بن حذاقة بن زهير بن إياد بن نزار بن معد. وقال ابن حبيب هو جارية بن الحجاج أحد بني برد بن دعمي بن إياد

بن نزار. شاعر قديم من شعراء الجاهلية، وكان وصافاً للخيل، وأكثر أشعاره في وصفها، وله في غير وصفها تصرف بين مدح وفخر وغير ذلك، إلا أن شعره في وصف الفرس كثر.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال: حدثني الهيثم بن عدي وابن الكلبي، عن أبيه، والشر قي: أن أبا دواد الإيادي مدح الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، فأعطاه عطاياً كثيرة، ثم مات ابن لأبي دواد وهو في جواره فوداه، فمدحه أبو دواد، فحلف له الحارث أنه لا يموت له ولد إلا وداه، ولا يذهب له مال إلا أخلفه، فضربت العرب المثل بجار أبي دواد، وفيه يقول قيس بن زهير:

أطوف ما أطوف ثم آوي ... إلى جار كجار أبي دواد

هذه رواية هؤلاء؛ وأبو عبيدة يخالف ذلك.

أخبرني ابن دريد قال: أخبرني أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال: جاور أبو دواد الإيادي كعب بن مامة الإيادي، فكان إذا هلك له بعير أو شاة أخلفها، وفيه يقول طرفة يمدح عمرو بن هند:

جارٌ كجار الحذاقي الذي انتصفا

وكان لأبي دواد ابن يقال له دواد شاعر، وهو الذي يقول يرثي أباه:

فبات فينا وأمسى تحت هائرة ... ما بعد يومك من ممسىً وإصباح

لا يدفع السقم إلا أن نفديه ... ولو ملكنا مسكنا السقم بالراح

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني علي بن الصباح قال: أخبرنا أبو المنذر، عن أبيه قال: تزوج أبو دواد امرأة من قومه، فولدت له دواداً ثم ماتت، ثم تزوج أخرى، فأولعت بدواد، وأمرت أباه أن يجفوه ويبعده، وكان يحبها، فلما أكثرت عليه قالت: أخرجه عني، فخرج به وقد أردفه خلفه، إلى أن انتهى إلى أرض جرداء ليس فيها شيء، فألقى سوطه متعمداً، وقال: أي دواد، انزل فناولني سوطي. فنزل، فدفع بعيره وناداه:

أدواد إن الأمر أصبح ما ترى ... فانظر دواد لأي أرض تعمد؟

فقال له دواد: على رسلك. فوقف له فناداه:

وبأي ظنك أن أقيم ببلدةٍ ... جرداء ليس بغيرها متلدد

فرجع إليه وقال له: أنت والله ابني حقاً، ثم رده إلى منزله، وطلق امرأته.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن أبي عمرو الشيباني قال: كانت لأبي دواد امرأة يقال لها أم حبتر، وفيها يقول:

في ثلاثين ذعذعتها حقوقٌ ... أصبحت أم حبتر تشكوني

زعمت لي بأنني أفسد الما ... ل وأزويه عن قضاء ديوني

املت أن أكون عبد المالي وتهنا بنافع المال دوني

وهي طويلة. قال: ولها يقول وقد عاتبته على سماحته بماله فلم يعتبها ، فصرمته:

حاولت حين صرمتني والمرء يعجز لا محاله

والدهر يلعب بالفتى والدهر أروغ من ثعاله

والمرء يكسب ماله والشح يورثه الكلاله

والعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقاله

والسكت خير للفتى فالحين من بعض المقاله

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال: حدثني أبي عن إسحاق، عن الأصمعي قال: ثلاثة كانوا يصفون الخيل، لا يقاربهم أحد: طفيل، وأبو دواد، والجعدي. فأما أبو دواد فإنه كان على خيل المنذر بن النعمان بن المنذر . وأما طفيل فإنه كان يركبها وهو أغرل إلى أن كبر. وأما الجعدي فإنه سمع ذكرها من أشعار الشعراء ، فأخذ عنهم.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثني أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال: دواد أوصف الناس للفرس في الجاهلية والإسلام، وبعده طفيل الغنوي والنابغة الجعدي.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن ابن الأعرابي قال: لم يصف أحد قط الخيل إلا احتاج إلى أبي دواد، ولا وصف الخمر إلا أحتاج إلى أوس بن حجر، ولا وصف أحد نعامة إلا احتاج إلى علقمة بن عبدة، ولا اعتذر أحد في شعره إلا أحتاج إلى النابغة الذبياني.

أخبرني عمي قال: حدثني جعفر بن محمد العاصمي قال: حدثنا عيينة بن المنهال قال: حدثنا شداد بن عبيد الله قال: حدثني عبيد الله بن الحر العنزي القاضي، عن أبي عرادة قال: كان علي صلوات الله عليه يفطر الناس في شهر رمضان، فإذا فرغ من العشاء تكلم، فأقل وأوجز، فأبلغ. فاختصم الناس ليلة حتى ارتفعت أصواتهم في أشعر الناس، فقال علي عليه السلام لأبي الأسود الدؤلي: قل يا أبا الأسود. فقال أبو الأسود، وكان يتعصب لأبي دواد الإيادي: أشعرهم الذي يقول:

ولقد أغتدي يدافع ركني أحوذيٌ ذو ميعة إضريج

مخلط مزيل مكرٌ مفرٌ منفح مطرح سبوحٌ خروج

سلهب شرجبٌ كأن رماحاً حملته وفي السراة دموج

وكان لأبي الأسود رأي في أبي دواد، فأقبل علي على الناس، فقال: كل شعرائكم محسن، ولو جمعهم زمان واحد، وغاية واحدة، ومذهب واحد في القول، لعلمنا أيهم أسبق إلى ذلك، وكلهم قد أصاب الذي أراد، وأحسن فيه، وإن يكن أحد فضلهم، فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر، فإنه كان أصحهم

بادرة، وأجودهم نادرة.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى، عن أبيه عن إسحاق، عن الأصمعي قال: كانت الرواة لا تروي شعر أبي دواد ولا عدي بن زيد، لمخالفتها مذاهب الشعراء، قال: وكان أبو داود على خيل المنذر بن ماء السماء فأكثر وصفه للخيل.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني ابن أبي الهيذام قال: اسم أبي دواد الإيادي جويرية بن الحجاج. وكانت له ناقة يقال لها الزباء، فكانت بنو إياد يتبركون بها. فلما أصابتهم السنة تفرقوا ثلاث فرق، فرقة سلكت في البحر فهلكت، وفرقة قصدت اليمن فسلمت، وفرقة قصدت أرض بكر بن وائل، فنزلوا على الحارث بن همّام.

وكان السبب في ذلك أنهم أرسلوا الزباء، وقالوا إنها ناقة ميمونة، فخلوها، فحيث توجهت فاتبعوها. وكذلك كانوا يفعلون إذا أرادوا نجعة. فخرجت تخوض العرب، حتى بركت بفناء الحارث بن همام، وكان أكرم الناس جواراً، وهو جار أبي دواد المضروب به المثل. فقال أبو دواد يمدح الحارث، ويذكر ناقته الزباء:

فإلى ابن همام بن مرة أصعدت ... ظعن الخليط بهم فقلّ زيالها

أنعمت نعمة ماجد ذي منة ... نصبت عليه من العلا أظلالها

وجعلنا دون الولي فأصبحت ... زباء منقطعا إليك عقالها

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثنا يحى بن سعيد قال: كانت إياد تفخر على العرب، تقول: منا أجود الناس كعب بن مامة، ومنا أشعر الناس أبو دواد، ومنا أنكح الناس ابن ألغز .

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال: حدثني القحذمي قال: كان ابن ألغز أَيِّرا، فكان إذا أنعظ احتكت الفصال بأيره، قال: وكان في إياد امرأة تستصغر أيور الرجال، فجامعها ابن ألغز، فقالت: يا معشر إياد، أبالرُّكب تجامعون النساء؟ قال: فضرب بيده على أليتها وقال: ما هذا؟ فقالت وهي لا تعقل ما تقول: هذا القمر. فضرب العرب بها المثل: "أريها استها وتريني القمر". وأنشد وقد كان الحجاج منع من لحوم البقر خوفاً من قلّة العمارة في السواد، فقيل فيه:

شكونا إليه خراب السواد ... فحرّم فينا لحوم البقر

فكنا كمن قال من قبلنا ... أريها استها وتريني القمر

أخبرني عمي عن الكراني، عن العمري، عن الهيثم بن عدي بنحوه.

وأخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن سعد الكراني قال: حدثني العمريّ عن لقيط قال: أخبرني التوزي عن أبي عبيدة قال: كان الحطيئة عند سعيد بن العاص ليلة، فتذاكروا الشعراء، وفضوا بعضهم على بعض وهو ساكت،

فقال له: يا أبا مليكة ما تقول؟ فقال: ما ذكرتم والله أشعر الشعراء، ولا أنشدتم أجود الشعر. فقالوا: فمن أشعر الناس؟ فقال الذي يقول:

لا أعدُّ الإقتار عدما ولكن فقد من قد رزئته الإعدام

والشعر لأبي دواد الإيادي. قالوا: ثم من؟ قال: ثم عبيد بن الأبرص. قالوا: ثم من؟ قال: كفاكم والله بي إذا أخذتني رغبة أو رهبة، ثم عويت في إثر القوافي عواء الفصيل في إثر أمه.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، قال: حدثني عمي، وأخبرنا أبو حاتم قال: أخبرنا الأصمعيّ، عن أبي عمرو بن العلاء، عن هجّاس بن مرير الإيادي، عن أبيه، وكان قد أدرك الجاهلية، قال: بينا أبو دواد وزوجته وابنه وابنته على ربوة، وإياد إذ ذاك بالسواد، إذ خرج ثور من أجمة، فقال أبو دواد:

وبدت له أذن توجّس حرّة وأحمّ وارد

وقوائم عوج لها من خلفها زمع زوائد

كمقاعد الرّقباء للضرباء أيديهم نواهد

ثم قال: أنفذي يا أم دواد، فقالت:

وبدت له أذن توجّس حرّة وأحمّ مولق

وقوائم عوج لها من خلفها زمع معلّق

كمقاعد الرقباء للضرباء أيديهم تألّق

ثم قال: أنفذ يا دواد. فقال:

وبدت له أذن توجس حرة وأحم مرهف

وقوائم عوج لها من خلفها زمع ملفّف

كمقاعد الرقباء للضرباء أيديهم تلقّف

ثم قال: أنفذي يا دوادة. قالت: وما أقول مع من أخطأ. قالوا: ومن أين أخطأناه؟ قالت: جعلتم له قرناً واحداً، وله قرنان. قالوا: فقولي. قالت:

وبدت له أذن توجّس حرّة وأحم مرهف

وقوائم عوج لها=من خلفها زمع ثمان

كمقاعد الرقباء للضّرباء أيديهم دوان

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرني عمي عن العباس بن هشام، عن أبيه قال: كان أبو دواد الإيادي الشاعر جاراً للمنذر بن ماء السماء. وإن أبا دواد نازع رجلاً بالحيرة من بهراء، يقال له رقبة بن عامر بن كعب بن عمرو، فقال له رقبة: صالحني وحالفني. فقال أبو دواد: فمن أين تعيش إياد إذاً، فوالله لولا ما تصيب من بهراء لهلكت، وانصرفا على تلك الحال.

ثم إن أبا دواد أخرج بنين له ثلاثة في تجارة إلى الشام، فبلغ ذلك رقبة البهراني، فبعث إلى قومه فأخبرهم بما قاله له أبو دواد عند المنذر، وأخبرهم أن القوم ولدُ أبي دواد، فخرجوا إلى الشام، فلقوهم فقتلوهم. وبعثوا برؤوسهم إلى رقبة، فلما أتته الرؤوس صنع طعاماً كثيراً، ثم أتى المنذر، فقال له: قد اصطنعت لك طعاماً كثيراً، فأنا أحب أن تتغدّى عندي، فأتاه المنذر وأبو دواد معه، فبينا الجفان ترفع وتوضع، إذ جاءته جفنة عليها بعض رؤوس بني أبي دواد، فوثب وقال: أبيت اللعن! إني جارك، وقد ترى ما صنع بي، وكان رقبة أيضا جاراً للمنذر. فوقع المنذر منهما في سوءة، وأمر برقبة فحبس، وقال لأبي دواد: أما يرضيك توجيهي بكتيبتي الشهباء والدوسر إليهم؟ قال: بلى. قال: قد فعلت. فوجه إليهم بالكتيبتين.

فلما بلغ ذلك رقبة قال لامرأته: ويحك! الحقي بقومك فأنذريهم. فعمدت إلى بعض إبل زوجها فركبته، ثم خرجت حتى أتت قومها، فلما قربت منهم تعرت من ثيابها، وصاحت وقالت: أنا النذير العريان. فأرسلتها مثلاً. فعرف القوم ما تريد، فصعدوا إلى أعالي الشأم، وأقبلت الكتيبتان فلم تصيبا منهم أحداً، فقال المنذر لأبي دواد: قد رأيت ما كان منهم، وأنا أدي كل ابن لك بمئتي بعير، فأمر له بست مئة بعير، فرضي بذلك، فقال فيه قيس بن زهير العبسي:

سأفعل ما بدا لي ثم آوي ... إلى جار كجار أبي دواد

وهذا شعر لأبي تمام فيه غناء:

وركب كأطراف الأسنة عرسوا ... على مثلها والليل داج غياهبه

لأمر عليهم أن تتم صدوره ... وليس عليهم أن تتم عواقبه

الشعر لأبي تمام الطائي. والغناء للقاسم بن زرزور، ثاني ثقيل بالوسطى في مجرى البنصر. وفيه لجعفر بن رفعة خفيف ثقيل.

أخبرني: إبراهيم بن القاسم بن زرزور عن أبيه، وحدثني المظفر بن كيغلغ عن القاسم أيضاً: أن المكتفي بالله أخرج إليهم هذين البيتين بالرقة في رقعة، وهو أمير، وأمر أن يصنع فيهما لحن. فصنع القاسم هذا اللحن، وصنع جعفر خفيف الثقيل.

أخبار أبي تمام ونسبه

أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، من نفس طيّىء صليبة . مولده ومنشؤه منبج، بقرية منها يقال لها جاسم. شاعر مطبوع، لطيف الفطنة، دقيق المعاني، غواص على ما يستصعب منها، ويعسر متناوله على غيره. وله مذهب في المطابق، هو كالسابق إليه جميع الشعراء، وإن كانوا قد فتحوه قبله، وقالوا القليل منه، فإن له فضل الإكثار فيه، والسلوك في جميع طرقه. والسليم من شعره النادر شيء لا يتعلق به أحد. وله أشياء متوسطة، ورديئة رذلة جداً. وفي عصرنا هذا من يتعصب له فيفرط، حتى يفضله على كل سالف وخالف، وأقوام يتعمدون الرديء من شعره فينشرونه، ويطوون محاسنه، ويستعملون القحة والمكابرة في ذلك، ليقول الجاهل بهم: إنهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزه إلا بأدب فاضل، وعلم ثاقب. وهذا مما يتكسب به كثير من أهل هذا الدهر، ويجعلونه وما جرى مجراه من ثلب الناس، وطلب معايبهم، سبباً للترفع، وطلباً للرياسة. وليست إساءة من أساء في القليل، وأحسن في الكثير، مسقطة إحسانه؛ ولو كثرت إساءته أيضا ثم أحسن، لم يقل له عند الإحسان أسأت، ولا عند الصواب أخطأت، والتوسط في كل شيء أجمل، والحق أحق أن يتبع.

وقد روي عن بعض الشعراء أن أبا تمام أنشده قصيدة له أحسن في جميعها، إلا في بيت واحد، فقال له: يا أبا تمام، لو ألقيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب. فقال له: أنا والله أعلم منه مثل ما تعلم، ولكن مثل شعر الرجل عنده مثل أولاده، فيهم الجميل والقبيح، والرشيد والساقط، وكلهم حلو في نفسه، فهو وإن أحب الفاضل، لم يبغض الناقص، وإن هوي بقاء المتقدم، لم يهو موت المتأخر.

واعتذاره بهذا ضدٌّ لما وصف به نفسه في مدحه الواثق، حيث يقول:

جاءتك من نظم اللسان قلادة ... سمطان فيها اللؤلؤ المكنون

أحذاكها صنع اللسان يمدّه ... جفرٌ إذانضب الكلام معين

ويسيء بالإحسان ظناً لا كمن ... هو بابنه وبشعره مفتون

فلو كان يسيء بالإساءة ظناً ولا يفتتن بشعره، كنا في غنّى عن الاعتذار له.

وقد فضل أبا تمام من الرؤساء والكبراء والشعراء، من لا يشق الطاعنون عليه غباره، ولا يدركون وإن جدوا آثاره، وما رأى الناس بعده إلى حيث انتهوا له في جيده نظيراً ولا شكلاً؟ ولولا أن الرواة قد أكثروا في الاحتجاج له وعليه، وأكثر متعصبوه الشرح لجيد شعره، وأفرط معادوه في التسطير لرديئه، والتنبيه على رذله ودنيئه، لذكرت منه طرفا، ولكن قد أتى من ذلك مالاً مزيد عليه.

أخبرني عمي قال: حدثني أبي قال: سمعت محمد بن عبد الملك الزيات يقول: أشعر الناس طرّاً الذي يقول:

وما أبالي وخير القول أصدقه ... حقنت لي ماء وجهي أو حقنت دمي

فأحببت أن أستثبت إبراهيم بن العباس ، وكان في نفسي أعلم من محمد وآدب، فجلست إليه، وكنت أجري عنده مجرى الولد، فقلت له: من أشعر أهل زماننا هذا؟ فقال: الذي يقول:

مطر أبوك أبو أهلّة وائل ملأ البسيطة عدة وعديدا

نسبٌ كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عمودا

ورثوا الأبوّة والحظوظ فأصبحوا جمعوا جدوداً في العلا وجدودا

فاتفقا على أن أبا تمام أشعر أهل زمانه.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، وعلي بن سليمان الأخفش قالا: حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال: قدم عمارة بن عقيل بغداد، فاجتمع الناس إليه، فكتبوا شعره وشعر أبيه، وعرضوا عليه الأشعار. فقال بعضهم: ها هنا شاعر يزعم قوم أنه أشعر الناس طرّاً، ويزعم غيرهم ضد ذلك. فقال: أنشدوني قوله. فأنشدوه:

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد وعاد قتاداً عندها كل مرقد

وأنقذها من غمرة الموت أنه صدود فراق لا صدود تعمد

فأجرى لها الإشفاق دمعاً مورداً من الدم يجري فوق خد مورّد

هي البدر يغنيها تودّد وجهها إلى كل من لاقت وإن لم تودّد

ثم قطع المنشد. فقال له عمارة: زدنا من هذا. فوصل نشيده وقال:

ولكنني لم أحو وفراً مجمّعاً ففزت به إلا بشمل مبدد

ولم تعطني الأيام نوما مسكنا ألد به إلا بنوم مشرد

فقال عمارة: لله دره! لقد تقدم في هذا المعنى من سبقه إليه، على كثرة القول فيه، حتى لقد حبب إلي الاغتراب، هيه. فأنشده:

وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

فقال عمارة: كمل والله، لئن كان الشعر بجودة اللفظ، وحسن المعاني، واطراد المراد، واتساق الكلام، فإن صاحبكم هذا أشعر الناس.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني محمد بن موسى بن حماد قال: سمعت علي بن الجهم يصف أبا تمام ويفضله، فقال له رجل: والله لو كان أبو تمام أخاك مازدت على مدحك هذا. فقال: إن لم يكن أخاً بالنسب، فإنه أخ بالأدب والمودة؛ أما سمعت ما خاطبني به حيث يقول:

إن يكد مطّرف الإخاء فإننا نغدو ونسري في إخاء تالد

أو يختلف ماء الوصال فماؤنا عذب تحدر من غمام واحد

أو يفترق نسب يؤلف بيننا أدب أقمناه مقام الوالد

أخبرني محمد قال: حدثني هارون بن عبد الله المهلبي قال: كنا في حلقة دعبل، فجرى ذكر أبي تمام، فقال دعبل: كان يتتبع معاني فيأخذها. فقال له رجل في مجلسه: وأي شيء من ذلك، أعزك الله؟ قال: قولي:

وإن امرأ أسدى إلي بشافع إليه ويرجو الشكر مني لأحمق

شفيعك فاشكر في الحوائج إنه يصونك عن مكروهها وهو يخلق

فقال الرجل: فكيف قال أبو تمام؟ فقال: قال:

فلقيت بين يديك حلو عطائه ولقيت بين يدي مر لسؤاله

وإذا امرؤ أسدى إليك صنيعة من جاهه فكأنها من ماله

فقال له الرجل: أحسن والله. فقال: كذبت قبحك الله. فقال: والله لئن كان أخذه منك، لقد أجاد، فصار أولى به منك. وإن كنت أخذته منه فما بلغت مبلغه. فغضب دعبل وانصرف.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني عبد الله بن محمد بن جرير قال: سمعت محمد بن حازم الباهلي يقدم أبا تمام ويفضله، ويقول: لو لم يقل إلا مرثيته التي أولها:

أصم بك الناعي وإن كان أسمعا

وقوله:

لو يقدرون مشوا على وجناتهم وجباههم فضلاً عن الأقدام

لكفتاه.

أخبرني عمي قال: حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: كان عمارة بن عقيل عندنا يوماً، فسمع مؤدباً كان لولد أخي يرويهم قصيدة أبي تمام:

الحق أبلج والسيوف عوار

فلما بلغ إلى قوله:

سود اللباس كأنما نسجت لهم أيدي السموم مدارعا من قار

بكروا وأسروا في متون ضوامر قيدت لهم من مربط النجار

لا يبرحون ومن رآهم خالهم أبداً على سفر من الأسفار

فقال عمارة: لله دره! ما يعتمد معنى إلا أصاب أحسنه، كأنه موقوف عليه.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني أبو ذكوان قال: قال لي إبراهيم بن العباس: ما اتكلت في مكاتبتي قط إلا على ما جاش به صدري، وجلبه خاطري، إلا أني قد استحسنت قول أبي تمام:

فإن باشر الإصحار فالبيض والقنا ... قراه وأحواض المنايا مناهله

وإن يبن حيطاناً عليه فإنما ... أولئك عقالاته لا معاقله

وإلا فأعلمه بأنك ساخط ... عليه، فإن الخوف لا شك قاتله

فأخذت هذا المعنى في بعض رسائلي، فقلت: "فصار ما كان يحرزهم يبرزهم، وكان كان يعقلهم يعتقلهم ".

قال: ثم قال لي إبراهيم: إن أبا تمام اخترم وما استمتع بخاطره، ولا نزح ركي فكره، حتى انقطع رشاء عمره.

أخبرني محمد قال: حدثني أبو الحسين بن السخي قال: حدثني الحسين بن عبد الله قال: سمعت عمي إبراهيم بن العباس يقول لأبي تمام، وقد أنشد شعراً له في المعتصم: يا أبا تمام، أمراء الكلام رعية لإحسانك.

أخبرني محمد قال: حدثني هارون بن عبد الله قال: قال لي محمد بن جابر الأزدي، وكان يتعصب لأبي تمام: أنشدت دعبل بن علي شعراً لأبي تمام و لم أعلمه أنه له، ثم قلت له: كيف تراه؟ قال: أحسن من عافية بعد يأس. فقلت: إنه لأبي تمام. فقال: لعله سرقه! أخبرني محمد قال: حدثني أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه قال: ما كان أحد من الشعراء يقدر على أن يأخذ درهماً بالشعر في حياة أبي تمام، فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه.

أخبرني عمي والحسن بن علي ومحمد بن يحيى وجماعة من أصحابنا، وأظن أيضاً جحظة حدثنا به، قالوا: حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: لما قدم أبو تمام إلى خراسان اجتمع الشعراء إليه، وسألوه أن ينشدهم، فقال: قد وعدني الأمير أن أنشده غداً، وستسمعوني . فلما دخل على عبد الله أنشده:

هن عوادي يوسف وصواحبه ... فعزماً فقدماً أدرك السؤل طالبه

فلما بلغ إلى قوله:

وقلقل نأي من خراسان جأشها ... فقلت اطمئني أنضر الروض عازبه

وركب كأطراف الأسنة عرسوا ... على مثلها والليل تسطو غياهبه

لأمر عليهم أن تتم صدوره ... وليس عليهم أن تتم عواقبه

فصاح الشعراء بالأمير أبي العباس: ما يستحق مثل هذا الشعر غير الأمير أعزه الله! وقال شاعر منهم يعرف بالرياحي: لي عند الأمير أعزه الله جائزة وعدني بها، وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير. فقال له: بل نضعفها لك، ونقوم له بما يجب له علينا. فلما فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار، فلقطها الغلمان، و لم يمس منها شيئا، فوجل عليه عبد الله وقال: يترفع عن بري، ويتهاون بما أكرمته به. فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك.

أخبرني أبو مسلم محمد بن بحر الكاتب وعمي، عن الحزنبل، عن سعيد بن جابر الكرخي، عن ابيه: أنه حضر أبا دلف القاسم بن عيسى وعنده أبو تمام الطائي، وقد أنشده قصيدته:

على مثلها من أربع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب

فلما بلغ إلى قوله:

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها وزادت على ما وطدت من مناقب

فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

محاسن من مجد متى تقرنوا بها محاسن أقوام تكن كالمعايب

فقال أبو دلف: يا معشر ربيعة، ما مدحتم بمثل هذا الشعر قط، فما عندكم لقائله؟ فبادروه بمطارفهم يرمون بها إليه. فقال أبو دلف: قد قبلها وأعاركم لبسها، وسأنوب عنكم في ثوابه. تمّم القصيدة يا أبا تمام. فتممها، فأمر له بخمسين ألف درهم، وقال: والله ما هي بإزاء استحقاقك وقدرك. فاعذرنا، فشكره وقام ليقبل يده، فحلف ألا يفعل، ثم قال له: أنشدني قولك في محمد بن حميد:

وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضرب واعتلت عليه القنا السّمر

وقد كان فوت الموت سهلاً فرده إليه الحفاظ المرّ والخلق الوعر

فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر

غدا غدوةً والحمد نسج ردائه فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر

كأن بني نبهان يوم مصابه نجوم سماء خرمن بينها البدر

يعزون عن ثاو يعزى به العلى ويبكى عليه البأس والجود والشعر

فأنشده إياها، فقال: والله لوددت أنها في. فقال: بل أفدي الأمير بنفسي وأهلي، وأكون المقدم، فقال: إنه لم يمت من رثي بهذا الشعر، أو مثله.

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني إسحاق بن يحيى الكاتب قال: قال الواثق لأحمد بن أبي دواد: بلغني أنك أعطيت أبا تمام الطائي في قصيدة مدحك بها ألف دينار. قال: لم أفعل ذلك يا أمير المؤمنين، ولكني أعطيته خمس مئة دينار رعاية للذي قاله للمعتصم:

فاشدد بهارون الخلافة إنه سكن لوحشتها ودار قرار

ولقد علمت بأن ذلك معصم ما كنت تتركه بغير سوار

فابتسم وقال: إنه لحقيق بذلك.

أخبرني علي بن سليمان قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال:

خرج أبو تمام إلى خالد بن يزيد بن مزيد وهو بأرمينية، فامتدحه، فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقة لسفره، وقال: تكون العشرة الآلات موفورة، فإن أردت الشخوص فاعجل، وإن أردت المقام عندنا فلك الحباء والبر. قال: بل أشخص. فودعه؟ ومضت أيام، وركب خالد يتصيد، فرآه تحت شجرة، وبين يديه زكرة فيها شراب، وغلام يغنيه بالطنبور. فقال: أبو تمام؟ قال: خادمك وعبدك. قال: ما فعل المال؟ فقال:

علمني جودك السماح فما ... أبقيت شيئاً لدي من صلتك
مامرشهرحتى سمحت به ... كأن لي قدرة كمقدرتك
تنفق في اليوم بالهبات وفي ال ... ساعة ما تجتنيه في سنتك
فلست أدري من أين تنفق لو ... لا أن ربي يمد في هبتك

فأمر له بعشرة أخرى، فأخذها وخرج.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا عون بن محمد الكندي قال: حدثنا محمد بن سعد أبو عبد الله الرقي، وكان يكتب للحسن بن رجاء؟ قال: قدم أبو تمام مادحا للحسن بن رجاء، فرأيت منه رجلاً عقله وعلمه فوق شعره، فاستنشده الحسن ونحن على نبيذ قصيدته اللامية التي امتدحه بها، فلما انتهى إلى قوله:

أنا من عرفت فإن عرتك جهالةً ... فأنا المقيم قيامة العذال
عادت له أيامه مسودة ... حتى توهم أنهن ليال

فقال الحسن: والله لا تسود عليك بعد اليوم. فلما قال:

لاتنكري عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حرب للمكان العالي
وتنظري حيث الركاب ينصها ... محيى القريض إلى مميت المال

فقام الحسن بن رجاء على رجليه، وقال: والله لا أتممتها إلا وأنا قائم. فقام أبو تمام لقيامه، وقال:

لما بلغنا ساحة الحسن انقضى ... عنا تملك دولة الإمحال
بسط الرجاء لنا برغم نوائب ... كثرت بهن مصارع الآمال
أغلى عذارى الشعر إن مهورها ... عند الكرام وإن رخصن غوال
ترد الظنون بنا على تصديقها ... ويحكم الآمال في الأموال
أضحى سمي أبيك فيك مصدقا ... بأجل فائدة وأيمن فال
ورأيتني فسألت نفسك سيبها ... لي ثم جدت وما انتظرت سؤالي
كالغيث ليس له أريد غمامه ... أولم يرد بد من التهطال

فتعانقا وجلسا. وقال له الحسن: ما أحسن ما جلوت هذه العروس! فقال: والله لو كانت من الحور العين لكان قيامك لها أوفى مهورها.

قال محمد بن سعد: وأقام شهرين، فأخذ على يدي عشرة آلاف درهم، وأخذ غير ذلك مما لم أعلم به؟ على بخل كان في الحسن بن رجاء.

أخبرني الصولي قال: حدثني عون بن محمد قال: شهدت دعبلاً عند الحسن بن رجاء وهو يضع من أبي تمام، فاعترضه عصابة الجرجرائي، فقال: يا أبا علي، اسمع مني ما قاله، فإن أنت رضيته فذاك؟ وإلا وافقتك على ما تذمه منه، وأعوذ بالله فيك من ألا ترضاه، ثم أنشده قوله:

أما إنه لولا الخليط المودع ... ومغنى عفا منه مصيف ومربع

فلما بلغ إلى قوله:

هو السيل إن واجهته انقدت طوعه ... وتقتاده من جانبيه فيتبع

ولم أر نفعاً عند من ليس ضائراً ... ولم أرضراً عند من ليس ينفع

معاد الورى بعد الممات وسيبه ... معاد لنا قبل الممات ومرجع

فقال له دعبل: لم ندفع فضل هذا الرجل، ولكنكم ترفعونه فوق قدره، وتقدمونه على من يتقدمه، وتنسبون إليه ما قد سرقه. فقال له عصابة: إحسانه صيرك له عائباً، وعليه عاتباً.

أخبرني الصولي قال: حدثنا الحسن بن وداع كاتب الحسن بن رجاء قال: حضرت أبا الحسين محمد بن الهيثم بالجبل وأبو تمام ينشده:

أسقى ديارهم أجش هزيم ... وغدت عليهم نضرة ونعيم

قال: فلما فرغ أمر له بألف دينار، وخلع عليه خلعة حسنة، وأقمنا عنده يومنا، فلما كان من غد كتب إليه أبو تمام:

قد كسانا من كسوة الصيف ... خرق مكتس من مكارم ومساع

حلةً سابرية ورداءً ... كسحا القيض أورداء الشجاع

كالسراب الرقراق في الحسن إلا ... أنه ليس مثله في الخداع

قصبيا تسترجف الريح متف ... ه بأمر من الهبوب مطاع

رجفانا كأنه الدهرمنه ... كبد الضب أوحشا المرتاع

لازما مايليه تحسبه جز ... ءاً من المتنتين والأضلاع

يطرد اليوم ذا الهجير ولو شب ... ه في حره بيوم الوداع

خلعةً من أغر أروع رحب الص ... در رحب الفؤاد رحب الذراع

سوف أكسوك مايعفي عليها ... من ثناء كالبرد برد الصناع

حسن هاتيك في العيون وهذا ... حسنه في القلوب والأسماع

فقال محمد بن الهيثم: ومن لا يعطي على هذا ملكه؟ والله لا بقي في داري ثوب إلا دفعته إلى أبي تمام، فأمر لى بكل ثوب كان يملكه في ذلك الوقت.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي الفضل قال: لما شخص أبو تمام إلى عبد الله بن طاهر وهو بخراسان، أقبل الشتاء وهو هناك، فاستثقل البلد، وقد كان عبد الله وجد عليه، وأبطأ بجائزته، لأنه نثر عليه ألف دينار فلم يمسسها بيده، ترفعاً عنها، فأغضبه وقال: يحتقر فعلي، ويترفع علي. فكان يبعث إليه بالشيء بعد الشيء كالقوت، فقال أبو تمام:

لم يبق للصيف لارسم ولاطلل ... ولا قشيب فيستكسى ولا سمل

عدل من الدمع أن يبكي المصيف كما ... يبكى الشباب، ويبكي اللهو والغزل

يمنى الزمان انقضى معروفها وغدت ... يسراه وفي لنا من بعدها بدل

فبلغت الأبيات أبا العميثل شاعر آل عبد الله بن طاهر، فأتى أبا تمام، واعتذر إليه لعبد الله بن طاهر، وعاتبه على ما عتب عليه من أجله، وتضمن له ما يحبه. ثم دخل إلى عبد الله، فقال: أيها الأمير، أتتهاون بمثل أبي تمام وتجفوه؟ فوالله لو لم يكن له ماله من النباهة في قدره، والإحسان في شعره، والشائع من ذكره، لكان الخوف من شره، والتوقي لذمه، يوجب على مثلك رعايته ومراقبته، فكيف وله بتزوعه إليك من الوطن، وفراقه السكن، وقد قصدك عاقداً بك أمله، معملاً إليك ركابه، متعباً فيك فكره وجسمه، وفي ذلك ما يلزمك قضاء حقه، حتى ينصرف راضياً، ولو لم يأت بفائدة، ولا سمع فيك منه ما سمع إلا قوله:

تقول في قومس صحبي وقد أخذت ... منا الشرى وخطا المهرية القود

أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا، ... فقلت كلاّ ولكن مطلع الجود

فقال له عبد الله: لقد نبهت فأحسنت، وشفعت فلطفت، وعاتبت فأوجعت، ولك ولأبي تمام العتبى، ادعه يا غلام. فدعاه، فنادمه يومه، وأمر له بألفي دينار، وما يحمله من الظهر، وخلع عليه خلعة تامة من ثيابه، وأمر ببذرقته إلى آخر عمله.

أخبرني جحظة قال: حدثني ميمون بن هارون قال: مر أبو تمام بمخنث يقول لآخر: جئتك أمس فاحتجبت عني، فقال له: السماء إذا احتجبت بالغيم رجي خيرها. فتبينت في وجه أبي تمام أنه قد أخذ المعنى، ليضمنه في شعره، فما لبثنا إلا أياماً حتى أنشدت قوله:

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملاً إن السماء ترجى حين تحتجب

أخبرني أبو العباس أحمد بن وصيف، وأبو عبد الله أحمد بن الحسن بن محمد الأصبهاني ابن عمي، قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال: كنا عند دعبل أنا والقاسم ، في سنة خمس وثلاثين ومئتين، بعد قدومه من الشأم، فذكرنا أبا تمام، فثلبه، وقال: هو سروق للشاعر. ثم قال لغلامه: يا ثقيف، هات تلك المخلاة. فجاء بمخلاة فيها دفاتر، فجعل يمرها على يده، حتى أخرج منها دفتراً، فقال: اقرءوا هذا. فنظرنا فيه، فإذا فيه: قال مكنف أبو سلمى، من ولد زهير بن أبي سلمى، وكان هجا ذفافة العنسي بأبيات منها:

إن الضراط به تصاعد جدكم فتعاظموا ضرطاً بني القعقاع

قال ثم مات ذفافة بعد ذلك، فرثاه فقال:

أبعد أبي العباس يستعذب الدهر فما بعده للدهر حسن ولا عذر

ألا أيها الناعي ذفافة والندى تعست وشلت من أناملك العشر

أتنعى لنا من قيس عيلان صخرة تفلق عنها من جبال العدا الصخر

إذا ما أبو العباس خلى مكانه فلا حملت أنثى ولانالها طهر

ولا أمطرت أرضاً سماء ولاجرت نجوم ولا لذت لشاربها الخمر

كأن بني القعقاع يوم مصابه نجوم سماء خرمن بينها البدر

توفيت الآمال يوم وفاته وأصبح في شغل عن السفر السفر

ثم قال: سرق أبو تمام أكثر هذه القصيدة، فأدخلها في قصيدته:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

أخبرني الصولي قال: حدثني محمد بن موسى قال: كان أبو تمام يعشق غلاماً خزرياً للحسن بن وهب، وكان الحسن يتعشق غلاماً رومياً لأبي تمام، فرآه أبو تمام يوماً يعبث بغلامه، فقال له: والله لئن أعنقت إلى الروم، لنركضن إلى الخزر. فقال له الحسن: لو شئت حكمتنا واحتكمت. فقال أبو تمام: أنا أشبهك بداود عليه السلام، وأشبه نفسي بخصمه، فقال الحسن: لو كان هذا منظوماً خفناه، فأما وهو منثور فلا، لأنه عارض لا حقيقة له، فقال أبو تمام:

أبا علي لصرف الدهر والغير وللحوادث والأيام والعبر

أذكرتني أمر داود وكنت فتىً مصرف القلب في الأهواء والفكر

أعندك الشمس لم يحظ المغيب بها وأنت مضطرب الأحشاء للقمر

إن أنت لم تترك السير الحثيث إلى جاذر الروم أعنقنا إلى الخزر

إن القطوب له مني محل هوىً يحل مني محل السمع والبصر

ورب أمنع منه جانباً وحمى أمسى وتكته مني على خطر

جردت فيه جنود العزم فانكشفت منه غيابتها عن نيكة هدر

سبحان من سبحته كل جارحة ما فيك من الأطمحان الأير والنظر

أنت المقيم فما تغدو رواحله وأيره أبداً منه على سفر

أخبرني الصولي قال: حدثني عبد الله بن الحسين قال: حدثني وهب بن سعيد قال: جاء دعبل إلى الحسن بن وهب في حاجة بعد موت أبي تمام، فقال له رجل في المجلس: يا أبا علي، أنت الذي تطعن على من يقول:

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدي ومحت كما محت وشائع من برد

وأنجدتم من بعد إتهام داركم فما دمع أنجدني على ساكني نجد

فصاح دعبل: أحسن والله وجعل يردد "فيا دمع أنجدني على ساكني نجد" ثم قال: رحمه الله، لو كان ترك لي شيئاً من شعره لقلت إنه أشعر الناس.

أخبرني علي بن سليمان ومحمد بن يحمى قالا: حدثنا محمد بن يزيد قال: مات لعبد الله بن طاهر ابنان صغيران في يوم واحد، فدخل عليه أبو تمام فأنشده:

ما زالت الأيام تخبر سائلا أن سوف تفجع مسهلا أوعاقلا

مجد تأوب طارقاً حتى إذا قلنا أقام الدهر أصبح راحلا

نجمان شاء الله ألايطلعا إلا أرتداد الطرف حتى يأفلا

إن الفجيعة بالرياض نواضراً لأجل منها بالرياض ذوابلا

لو ينسبان لكان هذا غاربا للمكرمات وكان هذا كاهلا

لهفي على تلك المخايل منهما لو أمهلت حى تكون شمائلا

لغدا سكونهما حجىً وصباهما حلماً وتلك الأريحية نائلا

إن الهلال إذا رأيت نموه أيقنت أن سيكون بدراً كاملا

شعر لأبي الشيص فيه غناه:

بالله قل ياطلل أهلك ماذا فعلوا

فإن قلبي حذر من أن يبينوا وجل

عروضه من الرجز. الشعر لأبي الشيص. والغناء لأحمد بن يحيى المكي. خفيف ثقيل بالوسطى من نسخة عمرو بن بانة الثانية. ومن رواية الهشامي.

أخبار أبي الشيص ونسبه

اسمه محمد بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل- وقيل: أبن بهيش- أبن خراش بن خالد بن عبد بن دعبل بن أنس بن خزيمة بن سلامان بن أسلم بن أفضى بن حارثة بن عمرو مزيقيا ابن عامر بن ثعلبة.
وكان أبو الشيص لقباً غلب عليه. وكنيته أبو جعفر، وهو ابن عم دعبل بن علي بن رزين لحا. وكان أبو الشيص من شعراء عصره، متوسط المحل فيهم، غير نبيه الذكر، لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع وأبي نواس، فخمل وأنقطع إلى عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعي، وكان أميراً على الزقة، فمدحه بأكثر شعره، فقلما يروى له في غيره. وكان عقبة جواداً فأغناه عن غيره.

ولأبي الشيص ابن يقال له عبد الله شاعر أيضاً، صالح الشعر، وكان منقطعاً إلى محمد بن طالب، فأخذ منه جامع شعر أبيه، ومن جهته خرج إلى الناس.
وعمي أبو الشيص في آخر عمره، وله مراث في عينيه قبل ذهابهما وبعده، نذكر منها مختارها مع أخباره.
وكان سريع الهاجس جداً، فيما ذكر عنه. فحكى عبد الله بن المعتز أن أبا خالد العامري قال له: من أخبرك أنه كان في الدنيا أشعر من أبي الشيص فكذبه. والله لكان الشعر عليه أهون من شرب الماء على العطشان. وكان من أوصف الناس للشراب، وأمدحهم للملوك.
وهكذا ذكر ابن المعتز، وليس توجد هذه الصفات كما ذكر في ديوان شعره، ولا هو بساقط، ولكن هذا سرف شديد.
أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن النضر بن عمر قال: قال لي أبو الشيص: لما مدحت عقبة بن جعفر بقصيدتي التي أولها:

تنكري صدي ولا أعراضي ... ليس المقل عن الزمان براض

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال: أنشدت إبراهيم بن المهدي أبيات أبي يعقوب الريمي التي يرثي بها عينه، يقول فيها:

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً ... فإن البعض من بعض قريب

فأنشدني لأبي الشيص يبكي عينيه:

يا نفس بكي بأدمع هتن ... وواكف كالجمان في سنن

على دليلي وقائدي ويدي ونور وجهي وسائس البدن

أبكي عليها بها مخافة أن تقرنني والظلام في قرن

وقال أبو هفان: حدثني دعبل أن امرأة لقيت أبا الشيص، فقالت: يا أبا الشيص: عميت بعدي. فقال: قبحك الله، دعوتني باللقب، وعيرتني بالضرر.

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثني أبي، عن أحمد بن عبيد قال: اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودعبل في مجلس، فقالوا: لينشد كل واحد منكم أجود ما قاله من الشعر. فاندفع رجل كان معهم فقال: اسمعوا مني أخبركم بما ينشد كل واحد منكم قبل أن ينشد. قالوا: هات فقال لمسلم: أما أنت يا أبا الوليد فكأني بك قد أنشدت:

إذا ما علت منا ذؤابة واحد وإن كان ذا حلم دعته إلى الجهل

هل العيش إلا أن تروح مع الصبا وتغدو صريع الكأس والأعين النجل

قال: وبهذا البيت لقب صريع الغواني، لقبه به الرشيد، فقال له مسلم: صدقت.

ثم أقبل على أبي نواس فقال له: كأني بك يا أبا علي قد أنشدت:

لا تبك ليلى ولا تطرب إلى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد

تسقيك من عينها خمراً ومن يدها خمراً فمالك من سكرين من بد

فقال له: صدقت.

ثم أقبل على دعبل فقال له: وأنت يا أبا علي، فكأني بك تشد قولك:

أين الشباب وأيةً سلكا لا أين يطلب ضل بل هلكا

لا تعجبي ياسلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

فقال: صدقت. ثم أقبل على أبي الشيص، فقال له: وأنت يا أبا جعفر، فكأني بك وقد أنشدت قولك:

لا تنكري صدي ولا إعراضي ليس المقل عن الزمان براض

فقال له: لا. ما هذا أردت أن أنشد، ولا هذا بأجود شيء قلته. قالوا: فأنشدنا ما بدا لك. فأنشدهم قوله:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخرعنه ولا متقدم

أجد الملامة في هواك لذيذةً حباً لذكرك فليلمني اللوم

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذكان حظي منك حظي منهم

وأهنتني فأهنت نفسي صاغراً ما من يهون عليك ممن يكرم

لعريب في هذا الشعر لحنان: ثقيل أول، ورمل.

قال: فقال أبو نواس، أحسنت والله وجودت، وحياتك لأسرقن هذا المعنى منك، ثم لأغلبنك عليه، فيشتهر ما أقول، ويموت ما قلت. قال: فسرق قوله:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخرعنه ولا متقدم

سرقاً خفياً، فقال في الخصيب:

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يسير الجود حيث يسير

فسار بيت أبي نواس، وسقط بيت أبي الشيص.

نسخت من كتاب جدي لأمي يحمى بن محمد بن ثوابة بخطه: حدثني الحسن بن سعد قال: حدثني رزين بن علي الخزاعي أخو دعبل قال:

كنا عند أبي نواس أنا ودعبل وأبو الشيص ومسلم بن الوليد الأنصاري، فقال أبو نواس لأبي الشيص: أنشدني قصيدتك المخزية. قال: وما هي؟ قال: الضادية. فما خطر بخلدي قولك:

ليس المقل عن الزمان براض

إلا أخزيتك استحساناً لها، فإن الأعشى كان إذا قال القصيدة عرضها على ابنته، وقد كان ثقفها وعلمها ما بلغت به استحقاق التحكيم والاختيار لجيد الكلام، ثم يقول لها: عدي لي المخزيات، فتعد قوله:

أغر أروع يستسقى الغمام به لو قارع الناس عن أحسابهم قرعا

وما أشبهها من شعره. قال أبو الشيص: لا أفعل. إنها ليست عندي عقد در مفصل، ولكني أكاثر بغيرها، ثم أنشده قوله:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخرعنه ولا متقدم

الأبيات المذكورة، فقال له أبو نواس: قد أردت صرفك عنها، فأبيت أن تخلى عن سلبك، أو تدرك في هربك قال: بل أقول في طلبي، فكيف رأيت هذا الطراز؟ قال: أرى نمطاً خسروانياً مذهباً حسناً، فكيف تركت:

في رداء من الصفيح صقيل وقميص من الحديد مذال

قال: تركته كما ترك مختار الدرتين إحداهما، بما سبق في ألحاظه، وزين في ناظره.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني أبي قال: حدثني من قال لأبي نواس: من أشعر طبقات المحدثين؟ قال: الذي يقول:

يطوف علينا بها أحور يداه من الكأس مخضوبتان

والشعر لأبي الشيص.

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال: حدثني الفضل بن موسى بن معروف الأصبهاني قال: حدثني أبي قال:

دخل أبو الشيص على أبي دلف وهو يلاعب خادماً له بالشطرنج، فقيل له: يا أبا الشيص، سل هذا الخادم أن يحل أزرار قميصه. فقال أبو الشيص: الأمير أعزه الله أحق بمسألته. قال: قد سألنه، فزعم أنه يخاف العين على صدره، فقل فيه شيئاً. فقال:

وشادن كالبدر يجلو الدجى ... في الفرق منه المسك مذرور

يحاذر العين على صدره ... فالجيب منه الدهر مزرور

فقال أبو دلف: وحياتي لقد أحسنت، وأمر له بخمسة آلاف درهم. فقال الخادم: قد والله أحسن كما قلت، ولكنك أنت ما أحسنت، فضحك، وأمر له بخمسة آلاف أخرى.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني علي بن سعد بن إياس الشيباني قال: تعشق أبو الشيص محمد بن رزين قينةً لرجل من أهل بغداد، فكان يختلف إليها، وينفق عليها في منزل الرجل، حتى أتلف مالاً كثيراً. فلما كف بصره، وأخفق، جعل إذا جاء إلى مولى الجارية حجبه، ومنعه من الدخول، فجاءني أبو الشيص، فشكا إلي وجده بالجارية، واستخفاف مولاها به، وسألني المضي معه إليه، فمضيت معه، فاستؤذن لنا عليه، فأذن، فدخلت أنا وأبو الشيص، فعاتبته في أمره، وعالمت عليه حقه، وخوفته من لسانه ومن إخوانه، فجعل له يوماً في الجمعة يزورها فيه، فكان يأكل في بيته، ويحمل معه نبيذه ونقله، فمضيت معه ذات يوم إليها، فلما وقفنا على بابهم، سمعنا صراخاً شديداً من الدار، فقال لي: ما لها تصرخ؟ أتراه قد مات لعنه الله.

فما زلنا ندق الباب حتى فتح لنا، فإذا هو قد حسر كميه وبيده سوط، وقال لنا: ادخلا، فدخلنا، وإنما حمله على الإذن لنا الفرق مني، فدخلنا وعاد الرجل إلى داخل يضربها، فاستمعنا عليه واطلعنا، فإذا هي مشدودة على سلم وهو يضربها أشد ضرب، وهي تصرخ، وهو يقول: وأنت أيضاً فاسرقي الخبز. فاندفع أبو الشيص على المكان يقول في ذلك:

يقول والسوط على كفه ... قد حرفي جلدتها حزا

وهي على السلم مشدودة ... وأنت أيضاً فاسرقي الخنزا

قال: وجعل أبو الشيص يرددهما، فسمعهما الرجل، فخرج إلينا مبادراً، وقال له: أنشدني البيتين اللذين قلتهما، فدافعه، فحلف أنه لا بد من إنشادهما، فأنشده إياهما، فقال لي: يا أبا الحسن، أنت كنت شفيع هذا، وقد أسعفتك بما تحب، فإن شاع هذان البيتان فضحتني، فقل له يقطع هذا، ولا يسمعهما، وله علي يومان في الجمعة. ففعلت ذلك، ووافقته عليه، فلم يزل يتردد إليه يومين في الجمعة حتى مات.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أحمد بن عبد الرحمن الكاتب، عن أبيه قال: كانت لأبي الشيص جارية سوداء اسمها تبر، وكان يتعشقها، وفيها يقول:

لم تتصفي ياسمية الذهب تتلف نفسي وأنت في لعب
يابنة عم المسك الذكي ومن لولاك لم يتخذ ولم يطب
ناسبك المسك في السواد وف ي الريح فأكرم بذاك من نسب

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي، عن عمه قال: كان أبو الشيص صديقاً لمحمد بن إسحاق بن سليمان الهاشمي، وهما حينئذ مملقان، فنال محمد بن إسحاق مرتبة عند سلطانه، واستغنى، فجفا أبا الشيص، وتغير له، فكتب إليه:

الحمد لله رب العالمين على قربي وبعدك مني يابن إسحاق
يا ليت شعري متى تجدي علي وقد أصبحت رب دنانير وأوراق
تجدي علي إذا ما قيل من راق والتفت الساق عند الموت بالساق
يوم لعمري تهم الناس أنفسهم وليس ينفع فيه رقية الراقي

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أبو العباس بن الفرات قال: كنت أسير مع عبيد الله بن سليمان، فاستقبله جعفر بن حفص على دابة هزيل، وخلفه غلام له، وشيخ على بغل له هرم، وما فيهم إلا نضو، فأقبل علي عبيد الله بن سليمان فقال: كأنهم والله صفة أبي الشيص حيث يقول:

أكل الوجيف لحومها ولحومهم فأتوك أنقاضاً على أنقاض

وقال عبد الله بن المعتز: حدثني أبو مالك عبد الله قال: قال لي عبد الله بن الأعمش: كان أبو الشيص عند عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعي يشرب، فلما ثمل نام عنده، ثم انتبه في بعض الليل، فذهب يدب إلى خادم له، فوجأه بسكين، فقال له: ويحك، قتلتني والله، وما أحب والله أن أفتضح أني قتلت في مثل هذا، ولا تفضح أنت بي، ولكن خذ دستيجة فاكسرها ولوثها بدمي، واجعل زجاجها في الجرح، فإذا سئلت عن خبري، فقل: إني سقطت في سكري على الدستيجة فانكسرت، فقتلتني، ومات من ساعته. ففعل الخادم ما أمره به، ودفن أبو الشيص، وجزع عقبة عليه جزعاً شديداً. فلما كان بعد أيام سكر الخادم، فصدق عقبة عن خبره، وأنه هو قتله، فلم يلبثه أن قام إليه بسيفه، فلم يزل يضربه حتى قتله.

مدح الكميت مخلد بن يزيد بن المهلب وفيه غناء:

هلا سألت معالم الأطلال والرسم بعد تقادم الأحوال
دمناً تهيج رسومها بعد البلى طرباً وكيف سؤال أعجم بال
يمشين مشي قطا البطاح تأودا قب البطون رواجح الأكفال
من كل آنسة الحديث حيية ليست بفاحشة ولامتفال

أقصى مذاهبها إذا لاقيتها في الشهربين أسرة وحجال

وتكون ريقتها إذا نبهتها كالشهد أوكسلافة الجريال

المتفال: المنتنة الريح. والجريال فيما قيل: اسم للون الخمر. وقيل: بل هو من أسمائها. والدليل على أنه لونها قول الأعشى:

وسلافة مما تعتق بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها

قال سماك بن حرب: حدثني يحنس بن متى الحيري راوية الأعشى: أنه سأله عن هذا البيت فقال: سلبتها لونها: شربتها حمراء، وبلتها بيضاء.

الشعر في هذا الغناء المذكور للكميت بن زيد، والغناء لابن سريج، ثقيل أول بالبنصر، عن عمرو بن بانة. وذكر المكي أنه لابن محرز. وفيه لعطرد خفيف ثقيل. وهذا الشعر من قصيدة للكميت، يمدح بها مخلد بن يزيد بن المهلب، يقول فيها:

قاد الجيوش لخمس عشرة حجة ولداته عن ذاك في أشغال

قعدت بهم هماتهم وسمت به همم الملوك وسورة الأبطال

فكأنماعاش المهلب بينهم بأغر قاس مثاله بمثال

في كفه قصبات كل مقلد يوم الرهان وفوزكل نصال

ومتى أزنك بمعشر وأزنهم بك ألف وزنك أرجح الأثقال

الجزء السابع عشر

ذكر الكميت ونسبه وخبره

نسبه

هو الكميت بن زيد بن خنيس بن مجالد بن وهيب بن عمرو بن سبيع. وقيل: الكميت بن زيد بن خنيس بن مجالد بن ذؤيبة بن قيس بن عمرو بن سبيع بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. شاعر مقدم، عالم بلغات العرب، خبير بأيامها، من شعراء مضر وألسنتها، والمتعصبين على القحطانية، المقارنين المقارعين لشعرائهم، العلماء بالمثالب والأيام، المفاخرين بها. وكان في أيام بني أمية، و لم يدرك الدولة العباسية، ومات قبلها.

تشيعه لبني هاشم

وكان معروفاً بالتشيع لبني هاشم، مشهوراً بذلك، وقصائده الهاشميات من جيد شعره ومختاره.
مناقضة دعبل وابن أبي عيينة لقصيدته المذهبة و لم تزل عصبيته للعدنانية ومهاجاته شعراء اليمن متصلة، والمناقضة بينه وبينهم شائعة في حياته وبعد وفاته، حتى ناقض دعبل وابن أبي عيينة قصيدته المذهبة بعد وفاته، وأجابهما أبو البلقاء البصري مولى بني هاشم عنها، وذلك يذكر في موضع آخر يصلح له من هذا الكتاب إن شاء الله .

كان معلم صبيان

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم، عن الأصمعي، عن خلف الأحمر: أنه رأى الكميت يعلم الصبيان في مسجد الكوفة.

مودته للطرماح مع اختلاف المذهب والعصبية

قال ابن قتيبة في خبره خاصة: وكانت بينه وبين الطرماح خلطة ومودة وصفاء لم يكن بين اثنين ، قال : فحدثني بعض أصحابه عن محمد بن سهل راوية الكميت، قال: أنشدت الكميت قول الطرماح:

إذا قبضت نفس الطرماح أخلقت عرا المجد واسترخى عنان القصائد

قال: إي والله وعنان الخطابة والرواية. قال: وهذه الأحوال بينهما على تفاوت المذاهب والعصبية والديانة؛ كان الكميت شيعياً عصبياً عدنانياً من شعراء مضر، متعصباً لأهل الكوفة، والطرماح خارجي صفري قحطاني عصبي

لقحطان، من شعراء اليمن، متعصب لأهل الشام، فقيل لهما: ففيم اتفقتما هذا الاتفاق مع اختلاف سائر الأهواء ؟ قالا: اتفقنا على بغض العامة.

علمه بأيام العرب وأشعارها

أخبرني عمي قال: حدثني محمد بن سعد الكراني، قال: حدثنا أبو عمر العمري، عن لقيط، قال: اجتمع الكميت بن زيد وحماد الراوية في مسجد الكوفة، فتذاكرا أشعار العرب وأيامها، فخالفه حماد في شيء ونازعه، فقال له الكميت: أتظن أنك أعلم مني بأيام العرب وأشعارها؟ قال: وما هو إلا الظن! هذا والله هو اليقين. فغضب الكميت ثم قال له: لكم شاعر بصير، يقال له عمرو ابن فلان، تروي؟ ولكم شاعر أعور أو أعمى اسمه فلان ابن عمرو، تروي؟ فقال حماد قولاً لما يحفظه: فجعل الكمي يذكر رجلاً رجلاً من صنف صنف، ويسأل حماداً: هل يعرفه؟ فإذا قال: لا، أنشده من شعره جزءاً منه حتى ضجرنا.

مساءلته حماداً عن شيء من الشعر

ثم قال له الكميت: فإني سائلك عن شيء من الشعر، فسأله عن قول الشاعر :

طرحوا أصحابهم في ورطة قذفك المقلة شطر المعترك

فلم يعلم حماد تفسيره، فسأله عن قول الآخر:

تدرينا بالقول حتى كأنما تدرين ولدانا تصيد الرهادنا

فأفحم حماد، فقال له: قد أجلتك إلى الجمعة الأخرى، فجاء حماد و لم يأت بتفسيرهما، وسأل الكميت أن يفسرهما له، فقال: المقلة: حصاة أو نواة من نوى المقل يحملها القوم معهم إذا سافروا، وتوضع في الإناء ويصب عليها الماء حتى يغمرها، فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماء. والشطر: النصيب: والمعترك: الموضع الذي يختصمون فيه في الماء، فيلقونها هناك عند الشر. وقوله: "تدرينا"، يعني النساء، أي ختلننا فرمينا. والرهادن: طير بمكة كالعصافير.

سبب حفيظة خالد القسري عليه

وكان خالد بن عبد الله القسري - فيما حدثني به عيسى بن الحسين الوراق، قال: أخبرنا أحمد بن الحارث الفزاري عن ابن الأعرابي، وذكره محمد بن أنس السلامي عن المستهل بن الكميت، وذكره ابن كناسة عن جماعة من بني أسد - وقد بلغه أن الكميت أنشد قصيدته التي يهجو فيها اليمن، وهي:

ألا حييت عنا يا مدينا

احتيال خالد لإثارة هشام عليه فأحفظته عليه، فروى جارية حسناء قصائده الهاشميات، وأعدها ليهديها إلى هشام، وكتب إليه بأخبار الكميت وهجائه بني أمية، وأنفذ إليه قصيدته التي يقول فيها:

فيا رب هل إلا بك النصر يبتغى ويا رب هل إلا عليك المعول!

حبسه وكتاب أبان بن الوليد إليه بطريقة هروبه وهي طويلة يرثي فيها زيد بن علي، وابنه الحسين بن زيد، ويمدح بني هاشم. فلما قرأها أكبرها وعظمت عليه، واستنكرها، وكتب إلى خالد يقسم عليه أن يقطع لسان الكميت ويده. فلم يشعر الكميت إلا والخيل محدقة بداره، فأخذ وحبس في المخيس ، وكان أبان بن الوليد عاملاً على واسط، وكان الكميت صديقه، فبعث إليه بغلام على بغل، وقال له: أنت حر إن لحقته، والبغل لك. وكتب إليه: قد بلغني ما صرت إليه، وهو القتل، إلا أن يدفع الله عز وجل، وارى لك أن تبعث إلى حبي - يعني زوجة الكميت وهي بنت نكيف بن عبد الواحد، وهي ممن يتشيع أيضاً - فإذا دخلت إليك تنقبت نقابها، ولبست ثيابها وخرجت، فإني أرجو إلا يؤبه لك.

فأرسل الكميت إلى أبي وضاح حبيب بن بديل وإلى فتيان من بني عمه من مالك بن سعيد، فدخل عليه حبيب فأخبره الخبر، وشاوره فيه، فسدد رأيه، ثم بعث إلى حبي امرأته، فقص عليها القصة، وقال لها: أي ابنة عم، إن الوالي لا يقدم عليك، ولا يسلمك قومك، ولو خفته عليك لما عرضتك له. فألبسته ثيابها وإزارها وخمرته ، وقالت له: أقبل وأدبر؛ ففعل، فقالت: ما أنكر منك شيئاً إلا يبساً في كتفك، فاخرج على اسم الله.

امرأته حبى مكانه في السجن وأخرجت معه جارية لها، فخرج وعلى باب السجن أبو وضاح، ومعه فتيان من أسد، فلم يؤبه له، ومشى والفتيان بين يديه إلى سكة شبيب بناحية الكناسة ، فمر بمجلس من مجالس بني تميم، فقال بعضهم: رجل ورب الكعبة. وأمر غلامه فاتبعه، فصاح به أبو الوضاح: يا كذا وكذا، لا أراك تتبع هذه المرأة منذ اليوم. وأومأ إليه بنعله، فولى العبد مدبراً، وأدخله أبو الوضاح منزله.

كشف أمره ولما طال على السجان الأمر نادى الكميت فلم يجبه، فدخل ليعرف خبره، فصاحت به المرأة: وراءك، لا أم لك! فشق ثوبه، ومضى صارخاً إلى باب خالد، فأخبره الخبر، فأحضر حبي فقال لها: يا عدوة الله، احتلت على أمير المؤمنين، وأخرجت عدوه، لأمثلن بك ولأصنعن ولأفعلن. فاجتمعت بنو أسد إليه، وقالوا: ما سبيلك على امرأة منا خدعت. فخافهم فخلى سبيلها.

خبرته بزجر الطير

قال: وسقط غراب على الحائط فنعب، فقال الكميت لأبي وضاح: إني لمأخوذ، وإن حائطك لساقط. فقال سبحان الله! هذا ما لا يكون إن شاء الله. فقال له: لابد من أن تحولني. فخرج به إلى بني علقمة - وكانوا يتشيعون - فأقام فيهم و لم يصبح حتى سقط الحائط الذي سقط عليه الغراب.

خروجه إلى الشام

قال ابن الأعرابي: قال المستهل: وأقام الكميت مدة متوارياً، حتى إذا أيقن أن الطلب قد خف عنه خرج ليلاً في جماعة من بني أسد، على خوف ووجل، وفيمن معه صاعد غلامه، قال: وأخذا الطريق على القطقطانة - وكان عالماً بالنجوم مهتدياً بها - فلما صار سحير صاح بنا: هوموا يا فتيان، فهومنا، وقام يصلي.

أطعم ذئباً فهداه الطريق قال المستهل: فرأيت شخصاً فتضعضعت له، فقال: مالك؟ قلت: أرى شيئاً مقبلاً، فنظر إليه فقال: هذا ذئب قد جاء يستطعمكم، فجاء الذئب فربض ناحية، فأطعمناه يد جزور، فتعرقها، ثم أهوينا له بإناء فيه ماء فشرب منه، وارتحلنا، فجعل الذئب يعوي، فقال الكميت: ما له ويله! ألم نطعمه ونسقه! وما أعرفني بما يريد! هو يعلمنا أنا لسنا على الطريق؛ تيامنوا يا فتيان، فتيامنا فسكن عواؤه.

تواريه وسعي رجالات قريش في خلاصه فلم نزل نسير حتى جئنا بالشام، فتوارى في بني أسد وبني تميم، وأرسل إلى أشراف قريش - وكان سيدهم يومئذ عنبسة بن سعيد بن العاص - فمشت رجالات قريش بعضها إلى بعض، وأتوا عنبسة، فقالوا: يا أبا خالد، هذه مكرمة قد أتاك الله بها، هذا الكميت بن زيد لسان مضر، وكان أمير المؤمنين كتب في قتله، فنجا حتى تخلص إليك وإلينا. قال: فمروه أن يعوذ بقبر معاوية بن هشام بدير حنيناء.

فمضى الكميت، فضرب فسطاطه عند قبره، ومضى عنبسة فأتى مسلمة بن هشام، فقال له: يا أبا شاكر، مكرمة أتيتك بها تبلغ الثريا إن اعتقدتها، فإن علمت أنك تفي بها وإلا كتمتها. قال: وما هي؟ فأخبره الخبر، وقال: إنه قد مدحكم عامة، وإياك خاصة بما لم يسمع بمثله. فقال: علي خلاصه.

مسلمة بن هشام يطلب الأمان له

فدخل على أبيه هشام وهو عند أمه في غير وقت دخول، فقال هشام: أجئت لحاجة؟ قال: نعم، قال: هي مقضية إلا أن يكون الكميت. فقال: ما أحب أن تستثني علي في حاجتي، وما أنا والكميت! فقالت أمه: والله لتقضين حاجته كائنة ما كانت. قال: قد قضيتها ولو أحاطت بما بين قطريها. قال: هي الكميت يا أمير المؤمنين، وهو آمن بأمان الله عز وجل وأماني، وهو شاعر مضر، وقد قال فينا قولاً لم يقل مثله، قال: قد أمنته، وأجزت أمانك له، فاجلس له مجلساً ينشدك فيه ما قال فينا.

هشام يعقد له مجلساً يسمع فيه مدائحه في بني أمية فعقد له، وعنده الأبرش الكلبي، فتكلم بخطبة ارتجلها ما سمع بمثلها قط، وامتدحه بقصيدته الرائية، ويقال إنه قالها ارتجالاً، وهي قوله:

قف بالديار وقوف زائر

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله:

ماذا عليك من الوقو ... ف بها وأنك غير صاغر

درجت عليها الغاديا ... ت الرائحات من الأعاصر

وفيها يقول:

فالآن صرت إلى أمية والأمور إلى المصاير

وجعل هشام يغمز مسلمة بقضيب في يده، فيقول: اسمع، اسمع.

ثم استأذنه في مرثية ابنه معاوية، فأذن له، فأنشده قوله :

سأبكيك للدنيا وللدين إنني رأيت يد المعروف بعدك شلت

فدامت عليك بالسلام تحية ملائكة الله الكرام وصلت

فبكى هشام بكاء شديداً، فوثب الحاجب فسكته.

ثم جاء الكميت إلى منزله آمناً، فحشدت له المضرية بالهدايا، وأمر له مسلمة بعشرين ألف درهم، وأمر له هشام بأربعين ألف درهم. وكتب إلى خالد بأمانه وأمان أهل بيته، وأنه لا سلطان له عليهم.

قال: وجمعت له بنو أمية بينها مالاً كثيراً. قال: و لم يجمع من قصيدته تلك يومئذ إلا ما حفظه الناس منها فألف.

وسئل عنها، فقال: ما أحفظ منها شيئاً؛ إنما هو كلام ارتجلته.

فقال: وودع هشاماً، وأنشده قوله فيه:

ذكر القلب إلفة المذكوراً

سبقه الشعراء إلى معنى في صفة الفرس

قال محمد بن كناسة: وكان الكميت يقول: سبقت الناس في هذه القصيدة من أهل الجاهلية والإسلام إلى معنى ما سبقت إليه في صفة الفرس حين أقول:

يبحث الترب عن كواسر في المش رب لا يجشم السقاة الصفيرا

هذه رواية ابن عمار. وقد روى فيه غير هذا.

رواية أخرى في سبب المنافرة بينه وبين خالد وقيل في سبب المنافرة بين خالد والكميت غير هذا، نسخته من كتاب محمد بن يحيى الخراز، قال: حدثني أحمد بن إبراهيم الحاسب، قال: حدثني عبد الرحمن بن داود بن أبي أمية البلخي، قال: كان حكيم بن عياش الأعور الكلبي ولعاً بهجاء مضر، فكانت شعراء مضر تهجوه ويجيبهم، وكان الكميت يقول: هو والله أشعر منكم. قالوا: فأجب الرجل. قال: إن خالد بن عبد الله القسري محسن إلي فلا أقدر أن أرد عليه، قالوا: فاسمع بأذنك ما يقول في بنات عمك وبنات خالك من الهجاء، وأنشدوه ذلك؛ فحمي الكميت لعشيرته، فقال المذهبة :

ألا حييت عنا يا مدينا

فأحسن فيها، وبلغ خالداً خبرها. فقال: لا أبالي ما لم يجر لعشيرتي ذكر، فأنشدوه قوله:

ومن عجب علي لعمر أم غذتك وغير هاتيا يمينا

تجاوزت المياه بلا دليل ... ولا علم تعسف مخطئينا
فإنك والتحول من معد ... كهيلة قبلنا والحالبينا
تخطت خيرهم حلباً ونسئاً ... إلى المولى المغادر هاربينا
كعنز السوء تنطح عالفيها ... وترميها عصي الذابحينا

فبلغ ذلك خالداً، فقال: فعلها! والله لأقتلنه. ثم اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن، وتخيرهن نهاية في حسن الوجوه والكمال والأدب، فرواهن الهاشميات، ودسهن مع نخاس إلى هشام بن عبد الملك، فاشتراهن جميعاً، فلما أنس بهن استنطقهن، فرأى فصاحة وأدباً، فاستقرأهن القرآن، فقرأن، واستنشدهن الشعر، فأنشدنه قصائد الكميت الهاشميات. فقال: ويلكن! من قائل هذا الشعر؟ قلن: الكميت بن زيد الأسدي. قال: وفي أي بلدٍ هو؟ قلن: في العراق، ثم بالكوفة. فكتب إلى خالد وهو عامله على العراق: ابعث إلي برأس الكميت بن زيد، فبعث خالد إلى الكميت في الليل، فأخذه وأودعه السجن. ولما كان من الغد أقرأ من حضره من مضر كتاب هشام، واعتذر إليهم من قتله، وآذنهم في إنفاذ الأمر فيه في غد، فقال لأبان بن الوليد البجلي - وكان صديقاً للكميت -: انظر ما ورد في صديقك. فقال: عز علي والله ما به، ثم قام أبان، فبعث إلى الكميت فأنذره، فوجه إلى امرأته. مسلمة بن هشام يجيره ويحتال في خلاصه ثم ذكر الخبر في خروجه ومقامها مكانه، كما ذكر من تقدمه. وقال فيه: فأتى مسلمة بن عبد الملك فاستجار به، فقال: إني أخشى ألا ينفعك جواري عنده، ولكن استجر بابنه مسلمة بن هشام. فقال: كن أنت السفير بيني وبينه في ذلك، ففعل مسلمة، وقال لابن أخيه: قد أتيتك بشرف الدهر، واعتقاد الصنيعة في مضر، وأخبره الخبر؛ فأجاره مسلمة بن هشام. وبلغ ذلك هشاماً فدعا به، ثم قال: أتجير على أمير المؤمنين بغير أمره؟! فقال: كلا، ولكني انتظرت سكون غضبه. قال: أحضرنيه الساعة، فإنه لا جوار لك. فقال مسلمة للكميت: يا أبا المستهل، إن أمير المؤمنين أمرني بإحضارك. قال: أتسلمني يا أبا شاكر؟ قال: كلا، ولكني أحتال لك، ثم قال له: إن معاوية بن هشام مات قريباً، وقد جزع عليه جزعاً شديداً، فإذا كان من الليل فاضرب رواقك على قبره، وأنا أبعث إليك بنيه يكونون معك في الرواق، فإذا دعا بك تقدمت إليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك، ويقولوا: هذا استجار بقبر أبينا، ونحن أحق من أجاره.

فأصبح هشام على عادته متطلعاً من قصره إلى القبر، فقال: من هذا؟ فقالوا: لعله مستجير بالقبر! فقال: يجار من كان إلا الكميت؛ فإنه لا جوار له. فقيل: فإنه الكميت، قال: يحضر أعنف إحضار. فلما دعي به ربط الصبيان ثيابهم بثيابه. فلما نظر هشام إليهم اغرورقت عيناه واستعبر، وهم يقولون: يا أمير المؤمنين، استجار بقبر أبينا، وقد مات، ومات حظه من الدنيا، فاجعله هبة له ولنا، ولا تفضحنا فيمن استجار به. فبكى هشام حتى انتحب، ثم أقبل على الكميت فقال له: يا كميت، أنت القائل:

وإلا تقولوا غيرها تتعرفوا نواصيها تردي بنا وهي شزب

خطبته بين يدي هشام وإنشاده بعض مدائحه في بني أمية فقال: لا، والله، ولا أتان من أتن الحجاز وحشية، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه، ثم قال: أما بعد فإني كنت أتدهدى في غمرة، وأعوم في بحر غواية، أخبئ علي خطلها، واستفزني وهلها ؛ فتحيرت في الضلالة، وتسكعت في الجهالة، مهرعاً عن الحق، جائراً عن القصد، أقول الباطل ضلالاً، وأفوه بالبهتان وبالاً، وهذا مقام العائذ مبصر الهدى، ورافض العمى فاغسل عني يا أمير المؤمنين الحوبة بالتوبة، واصفح عن الزلة، واعف عن الجرمة ، ثم قال:

كم قال قائلكم: لعا لك، عند عثرته لعاثر

وغفرتم لذوي الذنو ب من الأكابر والأصاغر

أبني أمية إنكم أهل الوسائل والأوامر

ثقتي لكل ملمة وعشيرتي دون العشائر

أنتم معادن للخلا فة كابراً من بعد كابر

بالتسعة المتتابعي ن خلائفاً وبخير عاشر

وإلى القيامة لا تزا ل لشافع منكم وواتر

ثم قطع الإنشاد وعاد إلى خطبته، فقال: إغضاء أمير المؤمنين وسماحته وصباحته، ومناط المنتجعين بحبله، من لا تحل حبوته لإساءة المذنبين، فضلاً عن استشاطة غضبه بجهل الجاهلين.

محاورة بينه وبين هشام في شعر قاله في بني أمية فقال له: ويلك يا كميت! من زين لك الغواية، ودلاك في العماية؟ قال: الذي أخرج أبانا من الجنة، وأنساه العهد، فلم يجد له عزماً. فقال: إيه! أنت القائل:

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوءها ويا حاطباً في غير حبلك تحطب

فقال: بل أنا القائل :

إلى آل بيت أبي مالك مناخ هو الأرحب الأسهل

نمت بأرحامنا الداخلا ت من حيث لا ينكر المدخل

ببرة والنضر والمالكي ن رهط هم الأنبل الأنبل

ويا بني خزيمة بدر السما ء والشمس مفتاح ما نأمل

وجدنا قريشاً قريش البطاح على ما بنى الأول الأول

بهم صلح الناس بعد الفساد وحيص من الفتق ما رعبلوا

قال له: وأنت القائل :

لا كعبد المليك أو كوليد أو سليمان بعد أو كهشام

من يمت لا يمت فقيداً ومن يح ي فلا ذو إل ولا ذو ذمام

ويلك يا كميت! جعلتنا ممن لا يرقب في مؤمن إلاً ولا ذمة، فقال: بل أنا القائل يا أمير المؤمنين :

فالآن صرت إلى أمي ة والأمور إلى المصاير

والآن صرت بها المصي ب كمهتد بالأمس حائر

يابن العقائل للعقا ئل والجحاجحة الأخاير

من عبد شمس والأكا بر من أمية فالأكابر

إن الخلافة والإلا ف برغم ذي حسد وواغر

دلفا من الشرف التلي د إليك بالرفد الموافر

فحللت معتلج البطا ح وحل غيرك بالظواهر

قال له: إيه، فأنت القائل :

فقل لبين أمية حيث حلوا وإن خفت المهند والقطيعا

أجاع الله من أشبعتموه وأشبع من بجوركم أجيعا

بمرضي السياسة هاشمي يكون حياً لأمته ربيعا

فقال: لا تثريب يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تمحو عني قولي الكاذب. قال: بماذا؟ قال: بقولي الصادق :

أورثته الحصان أم هشام حسباً ثاقباً ووجهاً نضيرا

وتعاطى به ابن عائشة البد ر فأمسى له رقيباً نظيرا

وكساه أبو الخلائف مروا ن سني المكارم المأثورا

لم تجهم له البطاح ولكن وجدتها له مغاراً ودورا

إعجاب هشام بشعره ورضاؤه عنه وكان هشام متكئاً فاستوى جالساً، وقال: هكذا فليكن الشعر - يقولها لسالم بن عبد الله بن عمر، وكان إلى جانبه - ثم قال: قد رضيت عنك يا كميت؛ فقبل يده، وقال: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تزيد في تشريفي، ولا تجعل لخالد علي إمارة! قال: قد فعلت. وكتب له بذلك، وأمر له بأربعين ألف درهم وثلاثين ثوباً هشامية. وكتب إلى خالد أن يخلي سبيل امرأته ويعطيها عشرين ألفاً وثلاثين ثوباً. ففعل ذلك.

خالد يضربه مائة سوط وله مع خالد أخبار بعد قدومه الكوفة بالعهد الذي كتب له، منها أنه مر به خالد يوماً، وقد تحدث الناس بعزله عن العراق، فلما جاز تمثل الكميت:

أراها وإن كانت تحب كأنها سحابة صيف عن قليل تقشع

فسمعه خالد، فرجع وقال: أما والله لا تنقشع حتى يغشاك منها شؤبوب برد. ثم أمر به فجرد، فضربه مائة سوط، ثم خلى عنه ومضى. هذه رواية ابن حبيب.

ينذر هشاماً بخالد وقد أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمار قال: حدثنا النوفلي علي بن محمد بن سليمان أبو الحسن، قال: حدثني أبي، قال: كان هشام بن عبد الملك قد اتهم خالد بن عبد الله - وكان يقال - إنه يريد خلعك - فوجد بباب هشام يوماً رقعة فيها شعر، فدخل بها على هشام فقرئت عليه، وهي :

تألق برق عندنا وتقابلت أثاف لقدر الحرب أخشى اقتبالها

فدونك قدر الحرب وهي مقرة لكفيك واجعل دون قدر جعالها

ولن تنتهي أو يبلغ الأمر حده فنلها برسل قبل ألا تنالها

فتجشم منها ما جشمت من التي بسوراء هرت نحو حالك حالها

تلاف أمور الناس قبل تفاقم بعقدة حزم لا تخاف انحلالها

فما أبرم الأقوام يوماً لحيلة من الأمر إلا قلدوك احتيالها

وقد تخبر الحرب العوان بسرها من لا يريد سؤالها وإن لم تبح

فأمر هشام أن يجمع له من بحضرته من الرواة، فجمعوا. فأمر بالأبيات فقرئت عليهم، فقال: شعر من تشبه هذه الأبيات؟ فأجمعوا جميعاً من ساعتهم أنه كلام الكميت بن زيد الأسدي، فقال هشام: نعم، هذا الكميت ينذرني بخالد بن عبد الله. ثم كتب إلى خالد يخبره، وكتب إليه بالأبيات، وخالد يومئذ بواسط.

هاشميته اللامية

فكتب خالد إلى واليه بالكوفة يأمره بأخذ الكميت وحبسه، وقال لأصحابه: إنه بلغني أن هذا يمدح بني هاشم ويهجو بني أمية، فأتوني من شعره هذا بشيء. فأتي بقصيدته اللامية التي أولها :

ألا هل عم في رأيه متأمل وهل مدبر بعد الإساءة مقبل !

فكتبها وأدرجها في كتاب إلى هشام، يقول: هذا شعر الكميت؛ فإن كان قد صدق في هذا فقد صدق في ذاك. فلما قرئت على هشام اغتاظ، فلما قال :

فيا ساسة هاتوا لنا من جوابكم ففيكم لعمري ذو الفانين مقول

اشتد غيظه. فكتب إلى خالد يأمره أن يقطع يدي الكميت ورجليه، ويضرب عنقه ويهدم داره، ويصلبه على ترابها.

ابن عنبسة ينذره ليتخلص من الحبس فلما قرأ خالد الكتاب كره أن يستفسد عشيرته، وأعلن الأمر رجاء أن يتخلص الكميت، فقال: لقد كتب إلي أمير المؤمنين، وإني لأكره أن أستفسد عشيرته، وسماه، فعرف عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد ما أراد، فأخرج غلاماً له مولداً ظريفاً، فأعطاه بغلة له شقراء فارهة من بغال الخليفة، وقال: إن أنت وردت الكوفة، فأنذرت الكميت لعله أن يتخلص من الحبس، فأنت حر لوجه الله، والبغلة لك، ولك علي بعد ذلك إكرامك والإحسان إليك.

فركب البغلة وسار بقية يومه وليلته من واسط إلى الكوفة فصبحها، فدخل الحبس متنكراً، فخبر الكميت بالقصة، فأرسل إلى امرأته وهي ابنة عمه يأمرها أن تجيئه ومعها ثياب من لباسها وخفان، ففعلت، فقال: ألبسيني لبسة النساء، ففعلت، ثم قالت له: أقبل، فأقبل، وأدبر، فأدبر. فقالت: ما أرى إلا يبساً في منكبيك، اذهب في حفظ الله.

فخرج فمر بالسجان، فظن أنه المرأة، فلم يعرض له فنجا، وأنشا يقول :

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل على الرغم من تلك النوابح والمشلي

علي ثياب الغانيات وتحتها عزيمة أمر أشبهت سلة النصل

وورد كتاب خالد على والي الكوفة يأمره فيه بما كتب به إليه هشام، فأرسل إلى الكميت ليؤتى به من الحبس فينفذ فيه أمر خالد، فدنا من باب البيت فكلمتهم المرأة، وخبرتهم أنها في البيت ، وأن الكميت قد خرج؛ فكتب بذلك إلى خالد فأجابه: حرة كريمة آست ابن عمها بنفسها، وأمر بتخليتها، فبلغ الخبر الأعور الكلبي بالشام، فقال قصيدته التي يرمي فيها امرأة الكميت بأهل الحبس، ويقول: أسودين وأحمرينا .

هجاؤه أحياء اليمن فهاج الكميت ذلك حتى قال:

ألا حييت عنا يا مدينا

وهي ثلاثمائة بيت لم يترك فيها حياً من أحياء اليمن إلا هجاهم. وتوارى، وطلب، فمضى إلى الشام، فقال شعره الذي يقول فيه:

قف بالديار وقوف زائر

في مسلمة بن عبد الملك، ويقول:

يا مسلم ابن أبي الولي د لميت إن شئت ناشر

اليوم صرت إلى أمي ة والأمور إلى المصاير

قال أبو الحسن: قال أبي: إنما أراد اليوم صرت إلى أمية والأمور إلى مصايرها؛ أي بني هاشم. وبذلك احتج ابنه المستهل على أبي العباس حين عيره بقول أبيه هذا الشعر.

فأذن له ليلاً، فسأله أن يجيره على هشام، فقال: إني قد أجرت على أمير المؤمنين فأخفر جواري، وقبيح برجل مثلي أن يخفر في كل يوم، ولكني أدلك فاستجر بمسلمة بن هشام وبأمه أم الحكم بنت يحيى بن الحكم؛ فإن أمير المؤمنين قد رشحه لولاية العهد.

فقال الكميت: بئس الرأي! أضيع دمي بين صبي وامرأة! فهل غير هذا؟ قال: نعم، مات معاوية ابن أمير المؤمنين وكان يحبه، وقد جعل أمير المؤمنين على نفسه أن يزور قبره في كل أسبوع يوماً - وسمى يوماً بعينه - وهو يزوره في ذلك اليوم، فامض فاضرب بناءك عند قبره، واستجر به، فإني سأحضر معه وأكلمه بأكثر من الجوار.

استجارته بقبر معاوية بن هشام

ففعل ذلك الكميت في اليوم الذي يأتيه فيه أبوه، فجاء هشام ومعه مسلمة، فنظر إلى البناء، فقال لبعض أعوانه: انظر ما هذا، فرجع فقال: الكميت بن زيد مستجير بقبر معاوية ابن أمير المؤمنين. فأمر بقتله، فكلمه مسلمة وقال: يا أمير المؤمنين، إن إخفار الأموات عار على الأحياء، فلم يزل يعظم عليه الأمر حتى أجاره.

خروج الجعفرية على خالد وهو يخطب وتحريفهم فحدثنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثنا حجر بن عبد الجبار، قال: خرجت الجعفرية على خالد بن عبد الله القسري وهو يخطب على المنبر وهو لا يعلم بهم، فخرجوا في التبابين ، ينادون: لبيك جعفر، لبيك جعفر! وعرف خالد خبرهم، وهو يخطب على المنبر، فدهش فلم يعلم ما يقول فزعاً، فقال: أطعموني ماء، ثم خرج الناس إليهم فأخذوا، فجعل يجيء بهم إلى المسجد ويؤخذ طن قصب فيطلى بالنفط، ويقال للرجل احتضنه، ويضرب حتى يفعل، ثم يحرق، فحرقهم جميعاً.

تعريضه بخالد فلما قدم يوسف بن عمر دخل عليه الكميت وقد مدحه بعد قتله زيد بن علي، فأنشده قوله فيه:

خرجت لهم تمشي البراح ولم تكن كمن حصنه فيه الرتاج المضبب

وما خالد يستطعم الماء فاغراً بعدلك والداعي إلى الموت ينعب

الجند يقتلونه تعصباً لخالد قال: والجند قيام على رأس يوسف بن عمر، وهم يمانية، فتعصبوا لخالد، فوضعوا ذباب سيوفهم في بطن الكميت، فوجئوه بها، وقالوا: أتنشد الأمير و لم تستأمره! فلم يزل يترفه الدم حتى مات.

اعتذاره لهشام من ذنبه وأخبرني عمي، قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحي عن محمد بن سلمة بن أرتبيل، قال: لما دخل الكميت بن زيد على هشام، سلم ثم قال: يا أمير المؤمنين، غائب آب، ومذنب تاب، محا بالإنابة ذنبه، وبالصدق كذبه، والتوبة تذهب الحوبة، ومثلك حلم عن ذي الجريمة، وصفح عن ذي الريبة.

فقال له هشام: ما الذي نجاك من القسري؟ قال: صدق النية في التوبة. قال: ومن سن لك الغي وأورطك فيه؟

قال: الذي أغوى آدم فنسي و لم يجد له عزماً، فإن رأيت يا أمير المؤمنين - فدتك نفسي - أن تأذن لي بمحو الباطل بالحق، بالاستماع لما قلته! فأنشده :

ذكر القلب إلفه المذكورا وتلافى من الشباب أخيرا

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثني أحمد بن بكير الأسدي، قال: حدثني محمد بن أنس، قال: حدثني محمد بن سهل الأسدي، قال: ابنه المستهل وعبد الصمد بن علي دخل المستهل بن الكميت على عبد الصمد بن علي، فقال له: من أنت؟ فأخبره؛ فقال: لا حياك الله ولا حيا أباك، هو الذي يقول:

فالآن صرت إلى أمي ة والأمور إلى المصاير

قال: فأطرقت استحياء مما قال، وعرفت البيت. قال: ثم قال لي: ارفع رأسك يا بني، فلئن كان قال هذا، فلقد قال:

بخاتمكم كرهاً تجوز أمورهم فلم أر غصبا مثله حين يغصب

قال: فسلى بعض ما كان بي، وحادثني ساعة، ثم قال: ما يعجبك من النساء يا مستهل؟ قلت:

غراء تسحب من قيام فرعها جثلاً يزينه سواد أسحم

فكأنها فيه نهار مشرق وكأنه ليل عليها مظلم

قال: يا بني؛ هذه لا تصاب إلا في الفردوس، وأمر له بجائزة.

شعره يصلح بين هشام وجاريته صدوف أخبرني عمي قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثني إبراهيم بن عبد الله الخصاف الطلحي، عن محمد بن أنس السلامي قال: كان هشام بن عبد الملك مشغوفاً بجارية له يقال لها صدوف مدنية اشتريت له بمال جزيل، فعتب عليها ذات يوم في شيء وهجرها، وحلف ألا يبدأها بكلام، فدخل عليه الكميت وهو مغموم بذلك، فقال: ما لي أراك مغموماً يا أمير المؤمنين، لا غمك الله! فأخبره هشام بالقصة، فأطرق الكميت ساعة ثم أنشأ يقول :

أعتبت أم عتبت عليك صدوف وعتاب مثلك مثلها تشريف

لا تقعدن تلوم نفسك دائباً فيها وأنت بحبها مشغوف

إن الصريمة لا يقوم بثقلها إلا القوي بها، وأنت ضعيف

فقال هشام: صدقت والله، ونهض من مجلسه، فدخل إليها، ونهضت إليه فاعتنقته. وانصرف الكميت، فبعث إليه هشام بألف دينار، وبعثت إليه بمثلها.

وفوده على يزيد بن عبد الملك قال الطلحي: أخبرني حبيش بن الكميت أخو المستهل بن الكميت بن زيد، قال:

وفد الكميت بن زيد على يزيد بن عبد الملك، فدخل عليه يوماً وقد اشتريت له سلامة القس، فأدخلها إليه والكميت حاضر فقال له: يا أبا المستهل؛ هذه جارية تباع، أفترى أن نبتاعها؟ قال: إي والله يا أمير المؤمنين؛ وما أرى أن لها مثلاً في الدنيا فلا تفوتنك، قال: فصفها لي في شعر حتى أقبل رأيك؛ فقال الكميت : شعره في سلامة القس

هي شمس النهار في الحسن إلا ... أنها فضلت بقتل الظراف

غضة بضة رخيم لعوب ... وعثة المتن شخته الأطراف

زانها دلها وثغر نقي ... وحديث مرتل غير جافي

خلقت فوق منية المتمني ... فاقبل النصح يا بن عبد مناف

فضحك يزيد، وقال: قد قبلنا نصحك يا أبا المستهل، وأمر له بجائزة سنية.

لقاؤه بالفرزدق وهو صبي

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: أخبرني إبراهيم بن أيوب، عن ابن قتيبة، قال: مر الفرزدق بالكميت وهو ينشد - والكميت يومئذ صبي - فقال له الفرزدق: يا غلام، أيسرك أني أبوك؟ فقال: لا، ولكن يسرني أن تكون أمي! فحصر الفرزدق، فأقبل على جلسائه وقال: ما مر بي مثل هذا قط.

إنشاده أبا عبد الله جعفر بن محمد أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني بن عقدة، قال: أخبرنا علي بن محمد الحسيني، قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عيسى الحمال، قال: حدثنا مصبح بن الهلقام، قال: حدثنا محمد بن سهل صاحب الكميت.

دخلت مع الكميت على أبي عبد الله جعفر بن محمد، فقال له: جعلت فداك! ألا أنشدك؟ قال: إنما أيام عظام، قال: إنما فيكم، قال: هات - وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقرب - فأنشده، فكثر البكاء حتى أتى على هذا البيت :

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم ... فيا آخراً سدى له الغي أول

فرفع أبو عبد الله يديه فقال: اللهم اغفر للكميت ما قدم وما أخر، وما أسر وما أعلن، وأعطه حتى يرضى.

إنشاده أبا جعفر محمد بن علي أخبرني حبيب بن نصر المهلبي، قال: حدثنا عمر بن شبة قال: قال محمد بن كناسة: حدثني صاعد مولى الكميت، قال: دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي فأنشده الكميت قصيدته التي أولها:

من لقلب متيم مستهام؟

فقال: اللهم اغفر للكميت، اللهم اغفر للكميت.

قبوله كسوة أبي جعفر ورده المال قال: ودخلنا يوماً على أبي جعفر محمد بن علي، فأعطانا ألف دينار وكسوة، فقال له الكميت: والله ما أحببتكم للدنيا، ولو أردت الدنيا لأتيت من هي في يديه، ولكني أحببتكم للآخرة؛ فأما الثياب التي أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتها، وأما المال فلا أقبله، فرده وقبل الثياب.

فاطمة بنت الحسين تحتفي به قال: ودخلنا على فاطمة بنت الحسين فقالت: هذا شاعرنا أهل البيت، وجاءت بقدح فيه سويق، فحركته بيدها وسقت الكميت، فشربه، ثم أمرت له بثلاثين ديناراً ومركب، فهملت عيناه، وقال: لا والله لا أقبلها؛ إني لم أحبكم للدنيا.

احتجاج بني أسد على المستهل بن الكميت ببيت لأبيه أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: أخبرني عمي، عن عبيد الله بن محمد بن حبيب، عن ابن كناسة، قال: لما جاءت المسودة سخروا بالمستهل بن الكميت، وحملوا عليه حملاً ثقيلاً، وضربوه، فمر ببني أسد، فقال: أترضون أن يفعل بي هذا الفعل؟ قالوا له: هؤلاء الذين يقول أبوك فيهم :

والمصيبون باب ما أخطأ النا س ومرسو قواعد الإسلام

قد أصابوا فيك، فلا نكذب أباك.

المستهل وأبو مسلم قال: ودخل المستهل على أبي مسلم، فقال له: أبوك الذي كفر بعد إسلامه، فقال: كيف وهو الذي يقول:

بخاتمكم كرهاً تجوز أمورهم فلم أر غصباً مثله حين يغصب

فأطرق أبو مسلم مستحيياً منه.

المستهل يشكو إلى أبي جعفر أخبرني عمي، قال: حدثنا محمد بن سعد الكراني، قال: حدثنا الحسن بن بشر السعدي، قال: أخذ العسس المستهل بن الكميت في أيام جعفر، وكان الأمر صعباً، فحبس، فكتب إلى أبي جعفر يشكو حاله، وكتب في آخر الرقعة:

لئن نحن خفنا في زمان عدوكم وخفناكم إن البلاء لراكد

فلما قرأها أبو جعفر قال: صدق المستهل، وأمر بتخليته.

خبر لدعبل في رؤياه النسبي حدثني علي بن محمد بن علي إمام مسجد الكوفة، قال: أخبرنا إسماعيل بن علي الخزاعي - ابن أخي دعبل - قال: حدثني عمي دعبل بن علي قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال لي: ما لك وللكميت بن زيد؟ فقلت: يا رسول الله، ما بيني وبينه إلا كما بين الشعراء، فقال: لا تفعل، أليس هو القائل:

فلا زلت فيهم حيث يتهمونني ولا زلت في أشياعهم أتقلب

فإن الله قد غفر له بهذا البيت. قال: فانتهيت عن الكميت بعدها.

خبر لسعد الأسدي في رؤياه النبي حدثني علي بن محمد، قال: حدثني إسماعيل بن علي، قال: حدثني إبراهيم بن سعد الأسدي، قال: سمعت أبي يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال: من أي الناس أنت؟ قلت: من العرب، قال: أعلم، فمن أي العرب؟ قلت: من بني أسد، قال: من أسد بن خزيمة؟ قلت: نعم، قال لي: أهلالي أنت؟ قلت: نعم، قال: أتعرف الكميت بن زيد؟ قلت: يا رسول الله، عمي ومن قبيلتي، قال: أتحفظ من شعره شيئاً؟ قلت: نعم، قال: أنشدني :

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب

قال: فأنشدته حتى بلغت إلى قوله :

فما لي إلا آل أحمد شيعة وما لي إلا مشعب الحق مشعب

فقال لي: إذا أصبحت فاقرأ عليه السلام، وقل له: قد غفر الله لك بهذه القصيدة.

نصر بن مزاحم يراه في نومه ينشد بين يدي النبي وجدت في كتاب بخط المرهبي الكوفي: حدثني سليمان بن الربيع بن هشام النهدي الخراز، قال: حدثني نصر بن مزاحم المنقري، أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وبين يديه رجل ينشده:

من لقلب متيم مستهام؟

قال: فسألت عنه، فقيل لي: هذا الكميت بن زيد الأسدي، قال: فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: جزاك الله خيراً! وأثنى عليه.

نقد الفرزدق شعره

أخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثني أحمد بن بكير الأسدي، قال: حدثني محمد بن أنس السلامي، قال: حدثني محمد بن سهل راوية الكميت، قال: جاء الكميت إلى الفرزدق لما قدم الكوفة، فقال له: إني قد قلت شيئاً فأسمعه مني يا أبا فراس. قال: هاته، فأنشده قوله :

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى وخير بني حواء والخير يطلب

فقال له: قد طربت إلى شيء ما طرب إليه أحد قبلك، فأما نحن فما نطرب، ولا طرب من كان قبلنا إلا إلى ما تركت أنت الطرب إليه.

يعرض شعره على الفرزدق قبل إذاعته أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا محمد بن علي النوفلي،

قال: سمعت أبي يقول: لما قال الكميت بن زيد الشعر كان أول ما قال الهاشميات، فسترها، ثم أتى الفرزدق بن غالب، فقال له: يا أبا فراس، إنك شيخ مضر وشاعرها، وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الأسدي. قال له: صدقت، أنت ابن أخي، فما حاجتك؟ قال: نفث على لساني فقلت شعراً، فأحببت أن أعرضه عليك؛ فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته، وإن كان قبيحاً أمرتني بستره، وكنت أولى من ستره علي. فقال له الفرزدق: أما عقلك فحسن، وإني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك، فأنشدني ما قلت، فأنشده:

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب

قال: فقال لي: فيم تطرب يابن أخي؟ فقال:

ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب

فقال: بلى يابن أخي، فالعب، فإنك في أوان اللعب، فقال:

ولم يلهني دار ولا رسم منزل ولم يتطربني بنان مخضب

فقال: ما يطربك يابن أخي؟ فقال:

ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مر أعضب؟

فقال: أجل، لا تتطير، فقال:

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى وخير بني حواء والخير يطلب

فقال: ومن هؤلاء؟ ويحك! فقال:

إلى النفر البيض الذين بحبهم إلى الله فيما نابني أتقرب

قال: أرحني ويحك! من هؤلاء؟ قال:

بني هاشم رهط النبي فإنني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب

خفضت لهم مني جناحي مودة إلى كنف عطفاه؛ أهل ومرحب

وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا محباً ، على أني أذم وأقصب

وأرمى وأرمي بالعداوة أهلها وإني لأوذى فيهم وأؤنب

فقال له الفرزدق: يابن أخي، أذع ثم أذع، فأنت والله أشعر من مضى، وأشعر من بقى.

معارضته قصيدة لذي الرمة

أخبرني الحسن، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثني أحمد بن بكير، قال: حدثني محمد بن أنس، قال: حدثني محمد بن سهل راوية الكميت عن الكميت، قال: لما قدم ذو الرمة أتيته فقلت له: إني قد قلت قصيدة عارضت بها قصيدتك:

ما بال عينك منها الماء ينسكب

فقال لي: وأي شيء قلت؟ قال: قلت:

هل أنت على طلب الأيفاع منقلب أم كيف يحسن من ذي الشيبة اللعب؟ !

حتى أنشدته إياها، فقال لي: ويحك! إنك لتقول قولاً ما يقدر إنسان أن يقول لك أصبت ولا أخطأت، وذلك أنك تصف الشيء فلا تجيء به، ولا تقع بعيداً منه، بل تقع قريباً. قلت له: أوتدري لم ذلك؟ قال: لا، قلت: لأنك تصف شيئاً رأيته بعينك، وأنا أصف شيئاً وصف لي، وليست المعاينة كالوصف. قال: فسكت .

علمه بالبادية عن وصف جدتيه أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثني إسماعيل بن عبد الله الطلحي، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل، عن حماد الراوية، قال: كانت للكميت جدتان أدركتا الجاهلية، فكانتا تصفان له البادية وأمورها وتخبرانه بأخبار الناس في الجاهلية، فإذا شك في شعر أو خبر عرضه عليهما فيخبرانه عنه، فمن هناك كان علمه.

أخبرني الحسن بن القاسم البجلي الكوفي، قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن المعلى، قال: حدثنا محمد بن فضيل - يعني الصيرفي - عن أبي بكر الحضرمي، قال: استأذنت للكميت على أبي جعفر محمد بن علي في أيام التشريق بمنى، فأذن له، فقال له الكميت: جعلت فداك! إني قلت فيكم شعراً أحب أن أنشدكه. فقال: يا كميت، اذكر الله في هذه الأيام المعلومات، وفي هذه الأيام المعدودات، فأعاد عليه الكميت القول، فرق له أبو جعفر فقال: هات، فأنشده قصيدته حتى بلغ :

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيا آخراً سدى له الغي أول

فرفع أبو جعفر يديه إلى السماء وقال: اللهم اغفر للكميت.

استئذانه أبا جعفر في مدح بني أمية أخبرني جعفر بن محمد بن مروان الغزال الكوفي، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أرطاة بن حبيب، عن فضيل الرسان، عن ورد بن زيد أخي الكميت، قال: أرسلني الكميت إلى أبي جعفر، فقلت له: إن الكميت أرسلني إليك، وقد صنع بنفسه ما صنع، فتأذن له أن يمدح بني أمية؟ قال: نعم، هو في حل فليقل ما شاء.

أخبرني محمد بن العباس، قال: أخبرني عمي عن عبيد الله بن محمد بن حبيب، عن ابن كناسة، قال: مات ورد أخو الكميت، فقيل للكميت: ألا ترثي أخاك؟ فقال: مرثيته ومرزيته عندي سواء، وإني لا أطيق أن أرثيه جزعاً عليه.

روايته للحديث

وقد روى الكميت بن زيد الحديث، وروي عنه.

أخبرني جعفر بن محمد بن عبيد بن عتبة في كتابه إلي، قال: حدثني الحسين بن محمد بن علي الأزدي، قال: حدثني الوليد بن صالح، قال: حدثني محمد بن سعيد بن عمير الصيداوي، عن أبيه، عن الكميت بن زيد، قال: حدثني عكرمة أن عبد الله بن عباس بعثه مع الحسين بن علي فجعل يهل حتى رمى جمرة العقبة، أو حين رمى جمرة العقبة، فسألته عن ذلك، فأخبرني أن أباه فعله، فحدثت به ابن عباس، فقال لي: لا أم لك! أتسالني عن شيء أخبرك به الحسين بن علي عن أبيه! والله إنها لسنة.

أخبرنا أبو الحسن بن سراج الجاحظ، قال: حدثنا مسروق بن عبد الرحمن أبو صالح، عن الحسن بن محمد بن أعين، عن حفص بن محمد الأسدي، قال: حدثنا الكميت بن زيد عن مذكور مولى زينب، عن زينب، قالت: دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا فضل ، قالت: فقلت بيدي هكذا - واستترت - قالت: فقال لي: إن الله عز وجل زوجنيك.

روايته للتفسير

حدثني أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، قال: حدثني أحمد بن سراج، قال: حدثني الحسن بن أيوب الخثعمي، قال: حدثنا فرات بن حبيب الأسدي قال: حدثني أبي حبيب بن أبي سليمان، قال: حدثني الكميت بن زيد، قال: سألت أبا جعفر عن قول الله عز وجل: "إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد" . قال: دخلت أنا وأبي إلى أبي سعيد الخدري، فسأله أبي عنها، فقال: معاد آخرته: الموت.

يعتذر إلى أبي جعفر محمد بن علي أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني إسحاق بن محمد بن أبان، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مهران، قال: حدثني ربعي بن عبد الله بن الجارود بن أبي سبرة، عن أبيه، قال: دخل الكميت بن زيد الأسدي على أبي جعفر محمد بن علي، فقال له: يا كميت! أنت القائل:

فالآن صرت إلى أمي ة والأمور إلى المصاير

قال: نعم، قد قلت، ولا والله ما أردت به إلا الدنيا، ولقد عرفت فضلكم، قال: أما أن قلت ذلك فإن التقية لتحل.

رأي معاذ الهراء في شعره أخبرني محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الحسن بن عبد الرحمن الربعي، قال: حدثنا أحمد بن بكير الأسدي قال: حدثنا محمد بن أنس السلامي الأسدي قال: سئل معاذ الهراء: من أشعر الناس؟ قال: أمن الجاهليين أم من الإسلاميين؟ قالوا: بل من الجاهليين. قال: امرؤ القيس، وزهير، وعبيد بن الأبرص. قالوا: فمن الإسلاميين؟ قال: الفرزدق، وجرير، والأخطل، والراعي. قال: فقيل له: يا أبا

محمد، ما رأيناك ذكرت الكميت فيمن ذكرت. قال: ذاك أشعر الأولين والآخرين.

لم يخرج مع زيد بن علي أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، قال: حدثنا العباس بن بكار، قال: حدثنا أبو بكر الهذلي، قال: لما خرج زيد بن علي كتب إلى الكميت: اخرج معنا يا أعيمش، ألست القائل :

ما أبالي إذا حفظت أبا القاسم فيكم ملامة اللوام

فكتب إليه الكميت:

تجود لكم نفسي بما دون وثبة تظل لها الغربان حولي تحجل

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عمي عن عبيد الله بن محمد بن حبيب، عن محمد بن كناسة، قال: لما أنشد هشام بن عبد الملك قول الكميت :

فبهم صرت للبعيد ابن عم واتهمت القريب أي اتهام

مبدياً صفحتي على الموقف المع لم، بالله قوتي واعتصامي

قال: استقتل المرائي.

مدحه خالد القسري قال: ودخل الكميت على خالد القسري، فأنشده قوله فيه :

لو قيل للجود: من حليفك؟ ما إن كان إلا إليك ينتسب

أنت أخوه وأنت صورته والرأس منه، وغيرك الذنب

أحرزت فضل النضال في مهل فكل يوم بكفك القصب

لو أن كعباً وحاتماً نشرا كانا جميعاً من بعض ما تهب

لا تخلف الوعد إن وعدت ولا أنت عن المعتفين تحتجب

ما دونك اليوم من نوال، ولا خلفك للراغبين منقلب

فأمر له بمائة ألف درهم.

المستهل وعيسى بن موسى قال: وحضر المستهل بن الكميت باب عيسى بن موسى - وكان يكرمه - فبلغه أنه قد غاب عليه الشراب، فاستخف به، وكان آخر من يدخل إلى عيسى بن موسى قوم يقال لهم الراشدون يؤذن لهم في القعود، فأدخل المستهل معهم، فقال:

ألم تر أني لما حضرت دعيت فكنت مع الراشدينا

ففزت بأحسن أسمائهم وأقبح منزلة الداخلينا

إنشاده مخلد بن يزيد بن المهلب أخبرني حبيب بن نصر المهلبي، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: دخل الكميت على مخلد بن يزيد بن المهلب، فأنشده :

قاد الجيوش لخمس عشرة حجة ولداته عن ذاك في أشغال

قعدت بهم هماتهم وسمت به همم الملوك وسورة الأبطال

قال: وقدام مخلد دراهم يقال لها الرويجة، فقال: خذ وقرك منها. فقال له: البغلة بالباب، وهي أجلد مني، فقال: خذ وقرها، فأخذ أربعة وعشرين ألف درهم، فقيل لأبيه في ذلك، فقال: لا أرد مكرمة فعلها ابني.

إذا قال أحب أن يحسن أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني أبو بكر الأموي، قال: حدثنا ابن فضيل، قال: سمعت ابن شبرمة، قال: قلت للكميت: إنك قلت في بني هاشم فأحسنت، وقلت في بني أمية أفضل، قال: إني إذا قلت أحببت أن أحسن.

طويل أصم لا يجيد الإنشاد أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن عمران الصيرفي، قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثنا محمد بن معاوية، عن ابن كناسة، قال: كان الكميت بن زيد طويلاً أصم، و لم يكن حسن الصوت ولا جيد الإنشاد، فكان إذا استنشد أمر ابنه المستهل فأنشد، وكان فصيحاً حسن الإنشاد .

سبب هجائه أهل اليمن

أخبرني عمي وابن عمار، قالا: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحي، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل: أن سبب هجاء الكميت أهل اليمن، أن شاعراً من أهل الشام يقال له حكيم بن عياش الكلبي كان يهجو علي بن أبي طالب وبني هاشم جميعاً، وكان منقطعاً إلى بني أمية، فانتدب له الكميت فهجاه وسبه، فأجابه ولج الهجاء بينهما، وكان الكميت يخاف أن يفتضح في شعره عن علي لما وقع بينه وبين هشام، وكان يظهر أن هجاءه إياه في العصبية التي بين عدنان وقحطان، فكان ولد إسماعيل بن الصباح بن الأشعث بن قيس وولد علقمة بن وائل الحضرمي يروون شعر الكلبي، فهجا أهل اليمن جميعاً إلا هذين، فإنه قال في آل علقمة:

ولولا آل علقمة اجتدعنا بقايا من أنوف مصلمينا

وقال في إسماعيل:

فإن لإسماعيل حقاً، وإننا له شاعبو الصدع المقارب للشعب

وكانت لآل علقمة عنده يد؛ لأن علقمة آواه ليلة خرج إلى الشام، وأم إسماعيل من بني أسد، فكف عنهما لذلك.

قال الطلحي: قال أبو سلمة: حدثني محمد بن سهل، قال: قال الكلبي:

ما سرني أن أمي من بني أسد وأن ربي نجاني من النار
وأنهم زوجوني من بناتهم وأن لي كل يوم ألف دينار

فأجابه الكميت:

يا كلب مالك أم من بني أسد معروفة فاحترق يا كلب بالنار
لكن أمك من قوم شننئت بهم قد قنعوك قناع الخزي والعار

قال: فقال له الكلبي:

لن يبرح اللؤم هذا الحي من أسد حتى يفرق بين السبت والأحد

قال محمد بن أنس: حدثني المستهل بن الكميت، قال: قلت لأبي: يا أبت، إنك هجوت الكلبي، فقلت:

ألا يا سلم يا تربي أفي أسماء من ترب؟

وغمزت عليه فيها، ففخرت ببني أمية، وأنت تشهد عليها بالكفر، فألا فخرت بعلي وبني هاشم الذين تتولاهم! فقال: يا بني، أنت تعلم انقطاع الكلبي إلى بني أمية، وهم أعداء علي، فلو ذكرت علياً لترك ذكري، وأقبل على هجائه، فأكون قد عرضت علياً له، ولا أجد له ناصراً من بني أمية، ففخرت عليه ببني أمية، وقلت: إن نقضها علي قتلوه، وإن أمسك عن ذكرهم قتلته غماً وغلبته؛ فكان كما قال، أمسك الكلبي عن جوابه، فغلب عليه، وأفحم الكلبي.

وفي أول هذه القصيدة غناء نسبته.

صوت

ألا يا سلم يا تربي أفي أسماء من ترب؟
ألا يا سلم حييت سلي عني وعن صحبي
ألا يا سلم غنينا وإن هيجتما حبي
على حادثة الأيا م لي نصباً من النصب

الغناء لابن سريج ثقيل أول بالبنصر عن عمرو.

يحاول إطلاق سراح أبان بن الوليد البجلي

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: أخبرني أبو سعيد السكري، عن محمد بن حبيب، عن إبراهيم بن عبد الله الطلحي، قال: قال محمد بن سلمة: كان الكميت مداحاً لأبان بن الوليد البجلي، وكان أبان له محباً وإليه محسناً، فمدح الكميت الحكم بن الصلت، وهو يومئذ يخلف يوسف بن عمر، بقصيدته التي أولها:

طربت وهاجك الشوق الحثيث

فلما أنشده إياها وفرغ، دعا الحكم بخازنه ليعطيه الجائزة، ثم دعا بأبان بن الوليد، فأدخل إليه وهو مكبل بالحديد، فطالبه بالمال، فالتفت الكميت فرآه، فدمعت عيناه، وأقبل على الحكم، فقال: أصلح الله الأمير! اجعل جائزتي لأبان، واحتسب بها له من هذا النجم. فقال له الحكم: قد فعلت، ردوه إلى السجن. فقال له أبان: يا أبا المستهل، ما حل علي شيء بعد. فقال الكميت للحكم: أبي تسخر أصلح الله الأمير! فقال الحكم: كذب، قد حل عليه المال، ولو لم يحل لاحتسبنا له مما يحل.

تعريضه بحوشب بن يزيد الشيباني

فقال له حوشب بن يزيد الشيباني - وكان خليفة الحكم -: أصلح الله الأمير، أتشفع حمار بني أسد في عبد بجيلة؟ فقال له الكميت: لئن قلت ذاك فوالله ما فررنا عن آبائنا حتى قتلوا، ولا نكحنا حلائل آبائنا بعد أن ماتوا - وكان يقال إن حوشباً فر عن أبيه في بعض الحروب، فقتل أبوه ونجا هو، ويقال: إنه وطىء جارية لأبيه بعد وفاته - فسكت حوشب مفحماً خجلاً، فقال له الحكم: ما كان تعرضك للسان الكميت!.

قال: وفي حوشب يقو الشاعر:

نجى حشاشته وأسلم شيخه لما رأى وقع الأسنة حوشب

ابنته ريا وفاطمة بنت أبان بن الوليد

قال الطلحي في هذا الخبر: وحدثني إبراهيم بن علي الأسدي قال: التقت ريا بنت الكميت بن زيد، وفاطمة بنت أبان بن الوليد بمكة، وهما حاجتان، فتساءلتا حتى تعارفتا، فدفعت بنت أبان إلى بنت الكميت خلخالي ذهب كانا عليها، فقالت لها بنت الكميت: جزاكم الله خيراً يا آل أبان، فما تتركون بركم بنا قديماً ولا حديثاً! فقالت لها بنت أبان: بل أنتم، فجزاكم الله خيراً؛ فإنا أعطيناكم ما يبيد ويفنى، وأعطيتمونا من المجد والشرف ما يبقى أبداً ولا يبيد، يتناشده الناس في المحافل فيحيي ميت الذكر، ويرفع بقية العقب.

مولده وموته ومبلغ شعره

أخبرني عمي وابن عمار، قالا: حدثنا يعقوب بن نعيم، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن زيد الخصاف الطليحي، قال: قال محمد بن سلمة بن أرتبيل: ولد الكميت أيام مقتل الحسين بن علي سنة ستين، ومات في سنة ست وعشرين ومائة، في خلافة مروان بن محمد، وكان مبلغ شعره حين مات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً.

وقال يعقوب بن إسرائيل في رواية عمي خاصة عنه: حدثت عن المستهل بن الكميت أنه قال: حضرت أبي عند

الموت وهو يجود بنفسه، ثم أفاق ففتح عينيه، ثم قال: اللهم آل محمد، اللهم آل محمد، اللهم آل محمد - ثلاثاً - ثم قال لي: يا بني؛ وددت أني لم أكن هجوت نساء بني كلب بهذا البيت:

مع العضروط والعسفاء ألقوا برادعهن غير محصنينا

وصيته لابنه في دفنه

فعممتهن قذفاً بالفجور، والله ما خرجت بليل قط إلا خشيت أن أرمى بنجوم السماء لذلك. ثم قال: يا بني؛ إنه بلغني في الروايات أنه يحفر بظهر الكوفة خندق يخرج فيه الموتى من قبورهم وينبشون منها، فيحولون إلى قبور غير قبورهم، فلا تدفني في الظهر، ولكن إذا مت فامض بي إلى موضع يقال له مكران، فادفني فيه. فدفن في ذلك الموضع وكان أول من دفن فيه، وهي مقبرة بني أسد إلى الساعة.

قال المستهل: ومات أبي في خلافة مروان بن محمد سنة ست وعشرين ومائة.

صوت

شعر لعمر بن أبي ربيعة

أستعين الذي بكفيه نفعي ورجائي على التي قتلتني

ولقد كنت قد عرفت وأبصر ت أموراً لو أنها نفعتني

قلت: إني أهوى شفا ما ألاقي من خطوب تتابعت فدحتني

عروضه من السريع ، يقال: إن الشعر لعمر، والغناء لابن سريج ثقيل أول بالوسطى، عن حماد عن أبيه، وفيه لحن للهذلي. وقيل: بل لحن ابن سريج للهذلي، ذكر ذلك حبش. وقيل: بل هو مما نسب من غناء ابن سريج إلى الهذلي.

خبر ابن سريج مع سكينة بنت الحسين

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن مصعب الزبيري، قال: حدثني شيخ من المكيين، ووجدت هذا الخبر أيضاً في بعض الكتب مروياً عن محمد بن سعد كاتب الواقدي، عن مصعب، عن شيخ من المكيين، والرواية عنهما متفقة، قال:

امتناعه من الغناء وقدومه المدينة للاستشفاء

كان ابن سريج قد أصابته الريح الخبيثة، وآلى يميناً ألا يغني، ونسك ولزم المسجد الحرام حتى عوفي. ثم خرج وفيه بقية من العلة، فأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وموضع مصلاه.

فلما قدم المدينة نزل على بعض إخوانه من أهل النسك والقراءة، فكان أهل الغناء يأتونه مسلمين عليه، فلا يأذن لهم في الجلوس والمحادثة، فأقام بالمدينة حولاً حتى لم يحس من علته بشيء، وأراد الشخوص إلى مكة.

سكينة ترغب في الاستماع منه

وبلغ ذلك سكينة بنت الحسين، فاغتمت اغتماماً شديداً، وضاق به ذرعها، وكان أشعب يخدمها، وكانت تأنس بمضاحكته ونوادره، وقالت لأشعب: ويلك! إن ابن سريج شاخص، وقد دخل المدينة منذ حول، و لم أسمع من غنائه قليلاً ولا كثيراً، ويعز ذلك علي، فكيف الحيلة في الاستماع منه، ولو صوتاً واحداً؟ فقال لها أشعب: جعلت فداك! وأنى لك بذلك والرجل اليوم زاهد ولا حيلة فيه؟ فارفعي طمعك، والحسي تورك تنفعك حلاوة فمك.

فأمرت بعض جواريها فوطئن بطنه حتى كادت أن تخرج أمعاؤه، وخنقنه حتى كادت نفسه أن تتلف، ثم أمرت به فسحب على وجهه حتى أخرج من الدار إخراجاً عنيفاً. فخرج على أسوأ الحالات، واعتم أشعب غماً شديداً، وندم على ممازحتها في وقت لم ينبغ له ذلك؛ فأتى منزل ابن سريج ليلاً فطرقه، فقيل: من هذا؟ فقال: أشعب، ففتحوا له، فرأى على وجهه ولحيته التراب، والدم سائلاً من أنفه وجبهته على لحيته، وثيابه ممزقة، وبطنه وصدره وحلقه قد عصرها الدوس والخنق، ومات الدم فيها، فنظر ابن سريج إلى منظر فظيع هاله وراعه، فقال له: ما هذا ويحك؟ فقص عليه القصة.

امتناعه من الذهاب إليها

فقال ابن سريج: إنا لله وإنا إليه راجعون! ماذا نزل بك؟ والحمد لله الذي سلم نفسك، لا تعودن إلى هذه أبداً.
قال أشعب: فديتك هي مولاتي ولابد لي منها، ولكن هل لك حيلة في أن تصير إليها وتغنيها؛ فيكون ذلك سبباً لرضاها عني؟ قال ابن سريج: كلا والله لا يكون ذلك أبداً بعد أن تركته.
قال أشعب: قد قطعت أملي ورفعت رزقي، وتركتني حيران بالمدينة، لا يقبلني أحد وهي ساخطة علي، فالله الله في، وأنا أنشدك الله إلا تحملت هذا الإثم في، فأبى عليه.

حيلة أشعب لإرغامه

فلما رأى أشعب أن عزم ابن سريج قد تم على الامتناع قال في نفسه: لا حيلة لي، وهذا خارج، وإن خرج هلكت، فصرخ صرخة آذن أهل المدينة لها، ونبه الجيران من رقادهم، وأقام الناس من فرشهم، ثم سكت، فلم يدر الناس ما القصة عند خفوت الصوت بعد أن قد راعهم.
فقال له ابن سريج: ويلك! ما هذا؟ قال: لئن لم تصر معي إليها لأصرخن صرخة أخرى لا يبقى بالمدينة أحد إلا

صار بالباب، ثم لأفتحنه ولأرينهم ما بي، ولأعلمنهم أنك أردت تفعل كذا وكذا بفلان - يعني غلاماً كان ابن سريج مشهوراً به - فمنعتك، وخلصت الغلام من يدك حتى فتح الباب ومضى؛ ففعلت بي هذا غيظاً وتأسفاً، وأنك إنما أظهرت النسك والقراءة لتظفر بحاجتك منه، وكان أهل مكة والمدينة يعلمون حاله معه. فقال ابن سريج: اغرب، أخزاك الله. قال أشعب: والله الذي لا إله إلا هو، وإلا فما أملك صدقة ، وامرأته طالق ثلاثاً، وهو نحير في مقام إبراهيم، والكعبة، وبيت النار، والقبر قبر أبي رغال إن أنت لم تنهض معي في ليلتي هذه لأفعلن.

قبوله الذهاب إلى منزل سكينة فلما رأى ابن سريج الجد منه قال لصاحبه: ويحك! أما ترى ما وقعن فيه؟! وكان صاحبه الذي نزل عنده ناسكاً؛ فقال: لا أدري ما أقول فيما نزل بنا من هذا الخبيث. وتذمم ابن سريج من الرجل صاحب المنزل فقال لأشعب: اخرج من منزل الرجل. فقال: رجلي مع رجلك، فخرجا.

فلما صارا في بعض الطريق قال ابن سريج لأشعب: امض عني. قال: والله لئن لم تفعل ما قلت لأصيحن الساعة حتى يجتمع الناس، ولأقولن: إنك أخذت مني سواراً من ذهب لسكينة على أن تجيئها فتغنيها سراً، وإنك كابرتني عليه وجحدتني، وفعلت بي هذا الفعل.

فوقع ابن سريج فيما لا حيلة له فيه. فقال: أمضي، لا بارك الله فيك. فمضى معه.

استعفاؤه وإباء سكينة فلما صار إلى باب سكينة قرع الباب، فقيل: من هذا؟ فقال: أشعب قد جاء بابن سريج، ففتح الباب لهما، ودخلا إلى حجرة خارجة عن دار سكينة، فجلسا ساعة، ثم أذن لهما فدخلا إلى سكينة، فقالت: يا عبيد، ما هذا الجفاء؟ قال: قد علمت بأبي أنت ما كان مني. قالت: أجل، فتحدثا ساعة، وقص عليها ما صنع به أشعب، فضحكت، وقالت: لقد أذهب ما كان في قلبي عليه، وأمرت لأشعب بعشرين ديناراً وكسوة. ثم قال لها ابن سريج: أتأذنين بأبي أنت؟ قالت: وأين؟ قال: المنزل، قالت: برئت من جدي إن برحت داري ثلاثاً، وبرئت من جدي إن أنت لم تغن إن خرجت من داري شهراً، وبرئت من جدي إن أقمت في داري شهراً إن لم أضربك لكل يوم تقيم فيه عشراً، وبرئت من جدي إن حنثت في يميني أو شفعت فيك أحداً.

فقال عبيد: واسخنة عيناه! واذهاب دنياه! ثم اندفع يغني:

أستعين الذي بكفيه نفعي ورجائي على التي قتلتني

دملج سكينة في يده الصوت المذكور آنفاً. فقالت له سكينة: فهل عندك يا عبيد من صبر؟ ثم أخرجت دملجاً من ذهب كان في عضدها وزنه أربعون مثقالاً، فرمت به إليه، ثم قالت: أقسمت عليك لما أدخلته في يدك، ففعل ذلك.

استدعاء عزة الميلاء

ثم قالت لأشعب: اذهب إلى عزة فاقرئها مني السلام، وأعلمها أن عبيداً عندنا، فلتأتنا متفضلة بالزيارة. فأتاها أشعب فأعلمها، فأسرعت المجيء، فتحدثوا باقي ليلتهم. ثم أمرت عبيداً وأشعب فخرجا فناما في حجرة مواليها.

مجلس غناء

فلما أصبحت هيئ لهم غداؤهم، وأذنت لابن سريج فدخل فتغذى قريباً منها مع أشعب ومواليها، وقعدت هي مع عزة وخاصة جواريها، فلما فرغوا من الغداء قالت: يا عز، إن رأيت أن تغنينا فافعلي. قالت: إي وعيشك. فتغنت لحنها في شعر عنترة العبسي :

حييت من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

إن كنت أزمعت الفراق فإنما زمت ركابكم بليل مظلم

فقال ابن سريج: أحسنت والله يا عزة! وأخرجت سكينة الدملج الآخر من يدها فرمته إلى عزة، وقالت: صيري هذا في يدك، ففعلت. ثم قالت لعبيد: هات غننا. فقال: حسبك ما سمعت البارحة. فقالت: لابد أن تغنينا في كل يوم لحناً. فلما رأى ابن سريج أنه لا يقدر على الامتناع مما تسأله غنى:

قالت: من أنت؟ على ذكر فقلت لها: أنا الذي ساقه للحين مقدار

قد حان منك فلا تبعد بك الداربين وفي البين للمتبول إضرار

ثم قالت لعزة في اليوم الثاني: غني، فغنت لحنها في شعر الحارث بن خالد - ولابن محرز فيه لحن -، ولحن عزة أحسنهما:

وقرت بها عيني، وقد كنت قبلها كثير البكاء مشفقاً من صدودها

وبشرة خود مثل تمثال بيعة تظل النصارى حوله يوم عيدها

قال ابن سريج: والله ما سمعت مثل هذا قط حسناً ولا طيباً.

ثم قالت لابن سريج: هات، فاندفع يغني:

أرقت فلم أنم طرباً وبت مسهداً نصبا

لطيف أحب خلق الل ه إنساناً وإن غضبا

فلم أردد مقالتها ولم أك عاتباً عتبا

ولكن صرمت حبلي فأمسى الحبل منقضبا

فقالت سكينة: قد علمت ما أردت بهذا، وقد شفعناك، و لم نردك. وإنما كانت يميني على ثلاثة أيام، فاذهب في حفظ الله وكلاءته.

ثم قالت لعزة: إذا شئت. ودعت لها بحلة، ولابن سريج بمثلها. فانصرفت عزة، وأقام ابن سريج حتى انقضت ليلته، وانصرف، فمضى من وجهه إلى مكة راجعاً.

أشعار وأصواتها

نسبة الأصوات التي في هذا الخبر

منها: صوت

حييت من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

الشعر لعنترة بن شداد العبسي، والغناء لعزة الميلاء، وقد كتب ذلك في أول هذه القصيدة وسائر ما يغني فيها.

ومنها:

أرقت فلم أنم طربا وبت مسهداً نصبا

لطيف أحب خلق الل ه إنساناً وإن غضبا

إلى نفسي، وأوجههم وإن أمسى قد احتجبا

وصرم حبلنا ظلماً لبلغة كاشح كذبا

عروضه من الوافر. الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سريج، ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر.

ومنها قوله: صوت

قد حان منك فلا تبعد بك الدار بين وفي البين للمتبول إضرار

قالت: من أنت؟ على ذكر فقلت لها: أنا الذي ساقني للحين مقدار

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سريج، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى.

ومنها الصوت الذي أوله:

وقرت بها عيني وقد كنت قبلها

أوله قوله: صوت

لبشرة أسرى الطيف والخبت دونها وما بيننا من حزن أرض وبيدها

وقرت بها عيني وقد كنت قبلها كثيراً بكائي مشفقاً من صدودها

وبشرة خود مثل تمثال بيعة تظل النصارى حولها يوم عيدها

الشعر للحارث بن خالد المخزومي، والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى.

وذكر إسحاق هذه الطريقة في هذا الصوت و لم ينسبها إلى أحد، ولابن محرز في هذه الأبيات ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى، وفيها لعزة الميلاء خفيف رمل.

الحارث بن خالد المخزومي وبشرة

وبشرة هذه - التي ذكرها الحارث بن خالد - أمة كانت لعائشة بنت طلحة، وكان الحارث يكنى عن ذكر عائشة بها، وله فيها أشعار كثيرة.

منها مما يغني فيه قوله: صوت

يا ربع بشرة بالجناب تكلم وابن لنا خبراً ولا تستعجم

مالي رايتك بعد أهلك موحشاً خلقاً كحوض الباقر المتهدم

تسقي الضجيع إذا النجوم تغورت طوع الضجيع وغاية المتوسم

قب البطون أوانس شبه الدمى يخلطن ذاك بعفة وتكرم

عروضه من الكامل، والشعر للحارث بن خالد، والغناء لمعبد، ولحنه من خفيف الرمل بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق.

وفيه أيضاً ثقيل أول بالوسطى على مذهب إسحاق في رواية عمرو، ومنها: صوت

يا ربع بشرة إن أضر بك البلى فلقد عهدتك آهلاً معمورا

عقب الرذاذ خلافه فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا

غناه ابن سريج، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى، عن إسحاق، وفيه لحن لمالك، وقيل: بل هو لابن محرز. وعروضه من الكامل.

وقوله: "عقب الرذاذ خلافه" يقول: جاء الرذاذ بعده، ومنه يقال: عقب لفلان غنى بعد فقر. وعقب الرجل أباه، إذا قام بعده مقامه. وعواقب الأمور مأخوذة منه، واحدتها عاقبة. والرذاذ: صغار المطر. وقوله خلافه: أي بعده. قال متمم بن نويرة:

وفقيد بني أم تداعوا فلم أكن خلافهم أن استكين وأضرعا

أي بعدهم. والشواطب: النساء اللواتي يشطبن لحاء السعف يعملن منه الحصر، ومنه السيف المشطب. والشطيبة: الشعبة من الشيء، ويقال: بعثنا إلى فلان شطيبة من خيلنا، أي قطعة.

مغنية وبيت شعر للحارث المخزومي

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال: كانت مغنية تختلف إلى صديق لها، فأتته يوماً فوجدته مريضاً لا حراك به، فدعت بالعود وغنت:

يا ربع بشرة إن أضربك البلى فلقد عهدتك آهلاً معمورا

ومما يغني به فيه من هذه الأبيات الرائية: صوت

أعرفت أطلال الرسوم تنكرت بعدي وغير آيهن دثورا

وتبدلت بعد الأنيس بأهلها عفر البواقر يرتعين وعورا

من كل مصبية الحديث ترى لها كفلاً كرابية الكثيب وثيرا

الأطلال: ما شخص من آثار الديار. الرسوم: البقايا من الديار، وهي دون الأطلال وأخفى منها. وتنكرت: تغيرت. والدائر: الدارس. والعفر: الظباء، واحدها أعفر. والوعور: المواضع التي لا أنيس فيها. والرابية: الأرض المشرفة، وهي دون الجبل. والكثيب: القطعة العالية المرتفعة من الرمل، جمعها كثب. والوثير: التام المرتفع، يقال: فراش وثير إذا كان مرتفعاً عن الأرض.

لإسحاق الموصلي في البيتين الأولين ثاني ثقيل بالبنصر، ولإبراهيم فيهما خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى، ولطويس فيهما خفيف ثقيل. وقيل: إنه ليس له. ولابن سريج في الثالث ثم الأول خفيف رمل، وقيل: بل هو لخليدة المكية. وفي البيت الأول والثاني لمالك رمل بالوسطى، وقيل: الرمل لطويس، وخفيف الثقل لمالك. ولمعبد في هذا الصوت لحنان: أحدهما ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى، والآخر خفيف ثقيل أول.

ومنها: صوت

يا دار حسرها البلى تحسيراً وسفت عليها الريح بعدك مورا

دق التراب بخيلها فمخيم بعراصها ومسير تسييرا

غنى في هذين البيتين ابن مسجح خفيف ثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى. وللغريض في: "أعرفت أطلال الرسوم" وما بعده ثقيل أول بالبنصر، وللغريض أيضاً ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى.

حسرها: أذهب معالمها، ومنه حسر الرجل عن ذراعه وعن رأسه إذا كشفهما. وحسر الصلع شعر الرأس، إذا حصة . والمور: التراب، والمخيم: المقيم.

ومنها صوت، أوله:

من كل مصبية الحديث ترى لها كفلاً كرابية الكثيب وثيرا

يفتن لا يألون كل مغفليملأنه بحديثهن سرورا

ومنها: صوت

دع ذا ولكن هل رأيت ظعائناً قربن أجمالاً لهن قحورا؟!

قربن كل مخيس متحمل بزلاً تشبه هامهن قبورا

القحور: واحدها قحر، وهو المسن. والمخيس: المحبوس للرحلة. والمتحمل: معتاد الحمل.

وفي هذه الأربعة الأبيات للغريض اللحن الذي ذكرناه. ولابن جامع في:

دع ذا ولكن هل رأيت ظعائنا

والذي بعده ثاني ثقيل بالوسطى.

ومنها: صوت

إن يمس حبلك بعد طول تواصل خلقاً ويصبح بيتكم مهجورا

فلقد أراني والجديد إلى بلى زمناً بوصلك راضياً مسرورا

جذلاً بمالي عندكم لا أبتغي للنفس بعدك خلة وعشيرا

كنت الهوى وأعز من وطىء الحصا عندي، وكنت بذاك منك جديرا

لإبراهيم الموصلي، ويحيى المكي في هذه الأبيات لحنان، كلاهما من الثقيل الثاني؛ فلحن إبراهيم بالوسطى، ولحن يحيى بالبنصر، ولإسحاق فيهما رمل. وقيل: إن لابن سريج فيهما أيضاً لحناً آخر.

مغنية تعبر عن حالها ببيتين من شعر الحارث أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال: حدثني رجل من أهل البصرة، قال: اشتريت جارية مغنية، فأقامت عندي زمناً وهويتني، وكرهت أن يراها أهلي، فعرضتها للبيع، فجزعت، وقالت: لقد اشتريتني وأنا لك كارهة، وإنك لتبيعني وأنا لذلك كارهة. فقال أخ لي: أرنيها، فقلت: هي عند فلانة، فانظر إليها، فأتاها فنظر إليها وأنا حاضر، فلما اعترضها وفرغ من ذلك غنت:

إن يمس حبلك بعد طول تواصل خلقاً ويصبح بيتكم مهجورا

فلقد أراني والجديد إلى بلى زمناً بوصلك راضياً مسرورا

ثم بكت، وضربت بالعود الأرض فكسرته، فخيرها بين أن أعتقها أو أبيعها ممن شاءت، فاختارت البيع، وطلبت موضعاً ترضاه حتى أصابته، فصيرها إليه.

أخبرني يحيى بن علي، قال: حدثني أبو أيوب المدائني، قال: حدثني إبراهيم بن علي بن هشام، قال: حدثتني جارية يقال لها طباع - جارية محمد بن سهل بن فرخند - قالت: غنيت إسحاق في لحنه:

أعرفت أطلال الرسول تنكرت بعدي

إسحاق ينكر على مخارق في أداء لحن له فأنكر علي في مقاطعة شيئاً، وقال: ممن أخذته؟ فقلت: من مخارق، فقال لي: تعثر الجواد بل هو كما أقول لك، ورده علي، فهو يقال كما يقول مخارق، وكما غيره إسحاق.

صوت

أخشى على أربد الحتوف ولا أرهب نوء السماك والأسد

فجعني الرعد والصواعق بال فارس يوم الكريهة النجد

يا عين هلا بكيت أربد إذ قمنا وقام الخصوم في كبد

إن يشغبوا لا يبال شغبهم أو يقصدوا في الخصام يقتصد

عروضه من المنسرح.

النجد: البطل ذو النجدة. وقال الأصمعي في النجد مثل ذلك. وقال: النجد - بكسر الجيم -: الذي قد عرق جداً. والكبد: الثبات والقيام.

الشعر للبيد بن ربيعة، والغناء للأبجر، رمل بالبنصر عن عمرو بن بانة. ولإبراهيم فيها رمل آخر بالوسطى في مجراها عن إسحاق، أوله الثالث والرابع ثم الأول والثاني، وذكرت بذل أن في الثالث والرابع لحناً لحنين بن محرز.

خبر لبيد في مرثية أخيه

نسب أربد

وقد تقدم من خبر لبيد ونسبه ما فيه كفاية. يرثي أخاه لأمه أربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر بن كلاب، وكانت أصابته صاعقة فأحرقته.

أخبرنا بالسبب في ذلك محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، عن عاصم، عن عمرو بن قتادة، قال: وفد بني عامر بن صعصعة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني عامر بن صعصعة، فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب، وكان هؤلاء الثلاثة رؤوس القوم وشياطينهم، فهم عامر بن الطفيل بالغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال له قومه: يا عامر؛ إن الناس قد أسلموا فأسلم، فقال: والله لقد كنت أليت ألا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي، فأتبع أنا عقب هذا الفتى من قريش!.

تآمر عمر وأربد على قتل رسول الله ثم قال لأربد: إذا أقبلنا على الرجل فإني شاغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعله أنت بالسيف.

محادة عامر لرسول الله فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له عامر: يا محمد، خالني قال: لا والله، حتى تؤمن بالله وحده. قال: يا محمد، خالني، وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره، فجعل أربد لا يحير شيئاً. فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال: يا محمد، خالني. قال: لا، والله، حتى تؤمن بالله وحده لا تشرك به. فلما أبى عليه رسول الله قال: أما والله لأملأنها عليك خيلاً حمراً، ورجالاً سمراً.

دعاء الرسول عليه

فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اكفني عامر بن الطفيل. فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لأربد: ويلك يا أربد! أين ما كنت أوصيتك به! والله ما كان على ظهر الأرض

رجل هو أخوف عندي على نفسي منك، وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً. قال: لا تعجل علي لا أبا لك! والله ما هممت بالذي أمرتني به من مرة إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك! أفأضربك بالسيف! فقال عامر:

بعث الرسول بما ترى فكأنما عمداً أشد على المقانب غارا

ولقد وردن بنا المدينة شزباً ولقد قتلن بجوها الأنصارا

إصابة عامر بالطاعون وموته قبل عودته وخرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر الطاعون في عنقه، فقتله الله، وإنه لفي بيت امرأة من بني سلول، فجعل يقول: يا بني عامر، أغدة كغدة البكر ، وموت في بيت امرأة من بني سلول! فمات.

صاعقة تحرق أربد ثم خرج أصحابه حين واروه حتى قدموا أرض بني عامر، فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا: ما وراءك يا أربد؟ فقال: لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فارميه بنبلي هذه حتى أقتله. فخرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومين معه جمل له يبيعه، فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما.

وفود لبيد إلى الرسول نسخت من كتاب يحيى بن حازم، قال: حدثنا علي بن صالح صاحب المصلى، قال: حدثنا ابن دأب، قال: كان أبو براء عامر بن مالك قد أصابته دبيلة ، فبعث لبيد بن ربيعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهدى له رواحل، فقدم بها لبيد، وأمره أن يستشفيه من وجعه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو قبلت من مشرك لقبلت منه، وتناول من الأرض مدرة فتفل عليها، ثم أعطاها لبيداً، وقال: دفها له بماء ثم اسقه إياه.

يقرأ القرآن ويكتب سورة الرحمن وأقام عندهم لبيد يقرأ القرآن وكتب منهم: "الرحمن. علم القرآن" فخرج بها، ولقيه أخوه أربد على ليلة من الحي، فقال له: انزل فنزل، فقال: يا أخي، أخبرني عن هذا الرجل؛ فإنه لم يأته رجل أوثق عندي فيه قولاً منك. فقال: يا أخي، ما رأيت مثله - وجعل يذكر صدقه وبره وحسن حديثه. فقال له: هل معك من قوله شيء؟ قال: نعم، فأخرجها له فقرأها عليه، فلما فرغ منها قال له أربد: لوددت أني ألقى الرحمن بتلك البرقة ، فإن لم أضربه بسيفي فعلي وعلي...

قال: ونشأت سحابة وقد خليا عن بعيريهما، فخرج أربد يريد البعيرين، حتى إذا كان عند تلك البرقة غشيته صاعقة فمات.

وقدم لبيد على أبي براء فأخبره خبر سول الله صلى الله عليه وسلم، وأمره، قال: فما فعل فيما استشفيته؟ قال: تالله ما رأيت منه شيئاً كان أضعف عندي من ذلك، وأخبره بالخبر. قال: فأين هي؟ قال: ها هي ذه معي. قال: هاتها، فأخرجها له فدافها، ثم شربها فبرأ.

رواية أخرى في وفوده على الرسول قال ابن دأب: فحدثني حنظلة بن قطرب بن إياد، أحد بني بكر بن كلاب، قال: لما أصاب عامر بن الطفيل ما أصابه، بعث بنو عامر لبيداً، وقالوا له: اقدم لنا على هذا الرجل فاعلم لنا

علمه. فقدم عليه، فأسلم، وأصابه وجع هناك شديد من حمى، فرجع إلى قومه بفضل تلك الحمى، وجاءهم بذكر البعث والجنة والنار، فقال سراقة بن عوف بن الأحوص:

لعمر لبيد إنه لابن أمه ... ولكن أبوه مسه قدم العهد

دفعناك في أرض الحجاز كأنما ... دفعناك فحلاً فوقه قزع اللبد

فعالجت حماه وداء ضلوعه ... وترنيق عيش مسه طرف الجهد

وجئت بدين الصابئين تشوبه ... بألواح نجد بعد عهدك من عهد!

وإن لنا داراً زعمت ومرجعاً ... وثم إياب القارظين وذي البرد

قال: فكان عمر يقول: وايم الله، إياب القارظين وذي البرد.

وفود عامر بن الطفيل على رسول الله أخبرني عبد العزيز بن أحمد عم أبي، وحبيب بن نصر المهلبي، وغيرهما، قالوا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثتني ظمياء بنت عبد العزيز بن مولة، قالت :

حدثني أبي، عن جدي مولة بن كثيف، أن عامر بن الطفيل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوسده وسادة، ثم قال: أسلم يا عامر. قال: على أن لي الوبر ولك المدر، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام عامر مغضباً فولى، وقال: لأملأنها عليك خيلاً جرداً، ورجالاً مرداً، ولأربطن بكل نخلة فرساً. فسألته عائشة: من هذا؟ فقال: هذا عامر بن الطفيل، والذي نفسي بيده لو أسلم فأسلمت بنو عامر معه لزاحموا قريشاً على منابرهم. قال: ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: يا قوم، إذا دعوت فأمنوا، فقال: اللهم اهد بني عامر، واشغل عني عامر بن الطفيل بما شئت، وكيف شئت، وأنى شئت.

موت عامر بن الطفيل

فخرج فأخذت غدة مثل غدة البكر، فجعل يثب ويترو في السماء ويقول: يا موت ابرز لي، ويقول: غدة مثل غدة البكر، وموت في بيت سلولية؟! ومات.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد إجازة، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، قال: أخبرني أسعد بن عمرو الجعفي، قال: أخبرني خالد بن قطن الحارثي، قال: لما مات عامر بن الطفيل خرجت امرأة من بني سلول كأنها نخلة حاسراً، وهي تقول:

أنعى عامر بن الطفيل وأبقى ... وهل يموت عامر من حقا؟

وما أرى عامراً مات حقا!

قال: فما رئي يوم أكثر باكياً وباكية، وخمش وجوه، وشق جيوب من ذلك اليوم.

بنو عامر تحمي قبر عامر بالأنصاب وقال أبو عبيدة عن الحرمازي، قال: لما مات عامر بن الطفيل بعد منصرفه

عن النبي صلى الله عليه وسلم، نصبت عليه بنو عامر أنصاباً ميلاً في ميل، حمى على قبره لا تنشر فيه ماشية، ولا يرعى، ولا يسلكه راكب ولا ماش. وكان جبار بن سلمى بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب غائباً، فلما قدم قال: ما هذه الأنصاب؟ قالوا: نصبناها حمى لقبر عامر بن الطفيل، فقال: ضيقتم على أبي علي، إن أبا علي بان من الناس بثلاث: كان لا يعطش حتى يعطش الجمل، وكان لا يضل حتى يضل النجم، وكان لا يجبن حتى يجبن السيل.

ثلاث خلال فضل عامر بهن الناس قال أبو عبيدة: وقدم عامر على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن بضع وثمانين سنة.

مراثي لبيد لأخيه

ومما رثى به لبيد أخاه أربد قوله :

ألا ذهب المحافظ والمحامي ودافع ضيمنا يوم الخصام

وأيقنت التفرق يوم قالوا: تقسم مال أربد بالسهام

وأربد فارس الهيجا إذا ما تقعرت المشاجر بالفئام

وهي طويلة يقول فيها:

فودع بالسلام أبا حزيز وقل وداع اربد بالسلام

قال: وكانت كنية أربد أبا حزاز، فصغره ضرورة.

وقال فيه أيضاً :

ما إن تعدى المنون من أحد لا والد مشفق ولا ولد

أخشى على أربد الحتوف ولا أرهب نوء السماك والأسد

فجعني الرعد والصواعق بال فارس يوم الكريهة النجد

الحارب الجابر الحريب إذا جاء نكيباً وإن يعد يعد

يعفو على الجهد والسؤال كما أنزل صوب الربيع ذي الرصد

لم تبلغ العين كل نهمتها ليلة تمسي الجياد كالقدد

كل بني حرة مصيرهم قل، وأن أكثرت من العدد

إن يغبطوا يهبطوا وإن أمروا يوماً يصيروا للهلك والنفد

يا عين هلا بكيت أربد إذ قمنا وقام الخصوم في كبد

يا عين هلا بكيت أربد إذ ألوت رياح الشتاء بالعضد
واصبحت لاقحاً مصرمة حين تقضت غوابر المدد
إن يشغبوا لا يبال شغبهم أو يقصدوا في الخصام يقتصد
حلو كريم، وفي حلاوته مر، لطيف الأحشاء والكبد

أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينشد شعراً له في رثاء أخيه أربد نسخت من كتاب ابن النطاح، عن المدائني، عن علي بن مجاهد، قال: أنشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه قول لبيد في أخيه أربد :

لعمري لئن كان المخبر صادقاً لقد رزئت في حادث الدهر جعفر
أخر لي، أما كل شيء سألته فيعطي، وأما كل ذنب فيغفر

فقال أبو بكر رضوان الله عليه: ذلك رسول الله، لا أربد بن قيس.

وقد رثاه بعد ذلك بقصائد يطول الخبر بذكرها.

ومما رثاه به، وفيه غناء، قوله : صوت

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الجبال بعدنا والمصانع
وقد كنت في أكناف دار مضنة ففارقني جار بأربد نافع
فلا جزع إن فرق الدهر بيننا فكل فتى يوماً به الدهر فاجع
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع
أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التي مضت أدب كأني كلما قمت راكع
فأصبحت مثل السيف أخلق جفنه تقادم عهد القين والنصل قاطع
فلا تبعدن إن المنية موعد علينا فدان للطلوع وطالع
أعاذل ما يدريك، إلا تظنياً إذا رحل السفار من هو راجع؟
أتجزع مما أحدث الدهر للفتى وأي كريم لم تصبه القوارع!

غنى في الأول والخامس والسادس والسابع حنين الحيري خفيف ثقيل أول بالبنصر، عن الهشامي وابن المكي وحماد، وفيها ثقيل أول بالوسطى، يقال إنه لحنين أيضاً، ويقال إنه لأحمد النصبي ، ويقال: إنه منحول.

ومما رثاه به قوله، وهي من مختار مراثيه :

طرب الفؤاد وليته لم يطرب وعناه ذكرى خلة لم تصقب
سفهاً، ولو أني أطعت عواذلي فيما يشرن به بسفح المذنب
لزجرت قلباً لا يريع لزاجر إن الغوي إذا نهي لم يعتب
فتعز عن هذا، وقل في غيره واذكر شمائل من أخيك المنجب
يا أربد الخير الكريم جدوده أفردتني أمشي بقرن أعضب
إن الرزية لا رزية مثلها فقدان كل أخ كضوء الكوكب
ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب
يتأكلون مغالة وخيانة ويعاب قائلهم وإن لم يشغب
ولقد أراني تارة من جعفر في مثل غيث الوابل المتحلب
من كل كهل كالسنان وسيد صعب المقادة كالفنيق المصعب
من معشر سنت لهم آباؤهم والعز قد يأتي بغير تطلب
فبرى عظامي بعد لحمي فقدهم والدهر إن عاتبت ليس بمعتب

حدثنا محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا أبو السائب سالم بن جنادة، قال: حدثنا وكيع، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أنها كانت تنشد بيت لبيد:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

ثم تقول: رحم الله لبيداً، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم!.

قال عروة: رحم الله عائشة، فكيف بها لو أدركت من نحن بين ظهرانيهم!.

قال هشام: رحم الله أبي، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم! وقال وكيع: رحم الله هشاماً، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم! قال أبو السائب: رحم الله وكيعاً، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم! قال أبو جعفر: رحم الله أبا السائب، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم!.

قال أبو الفرج الأصبهاني: ونحن نقول: الله المستعان، فالقصة أعظم من أن توصف!.

صوت

فإن كان حقاً ما زعمت أتيته إليك فقام النائحات على قبري
وإن كان ما بلغته كان باطلاً فلا مت حتى تسهري الليل من ذكري

عروضه من الطويل. والشعر للعباس بن الأحنف يقوله في فوز، وخبرهما يأتي ها هنا، والغناء لبذل، خفيف رمل بالبنصر، وفيه لبنان بن عمرو ثاني ثقيل بالبنصر، وفيه لحن لابن جامع من كتاب إبراهيم. وزعم أبو العباس أن لمعبد اليقطني فيه خفيف رمل، وذكر حبش أن لإبراهيم خفيف الرمل بالوسطى. وذكر علي بن يحيى المنجم أنه لعلية. وقيل: إن خفيف الرمل بالبنصر للقاسم بن زنقطة. والصحيح أنه لبذل.

ذكر خبر العباس وفوز

كانت جارية لمحمد بن منصور

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثنا محمد بن إسحاق الخراساني، قال: حدثنا محمد بن النضر، قال: كانت فوز جارية لمحمد بن منصور، وكان يلقب فتى العسكر، ثم اشتراها بعض شباب البرامكة فدبرها وحج بها. فلما قدمت قال العباس :

ألا قد قدمت فوز ... فقرت عين عباس

لمن بشرني البشرى ... على العينين والرأس

أيا ديباجة الحسن ... ويا رامشنة الآس

يلوموني على الحب ... وما بالحب من باس !

تشبهه في شعره بأبي العتاهية

أخبرني محمد، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن جعفر الأنباري - وهو أبو عاصم بن محمد الكاتب - قال: حدثني علي بن محمد النوفلي قال: كانت فوز لرجل جليل من أسباب السلطان، وكان العباس يتشبه في أشعاره وذكر فوز بما قاله أبو العتاهية في عتبة، فحج بها مولاها، فقال العباس :

يا رب رد علينا ... من كان أنساً وزينا

من لا تسر بعيش ... حتى يكون لدينا

يا من أتاح لقلبي ... هواه شؤماً وحينا

مازلت مذ غبت عني ... من أسخن الناس عينا

ما كان حجك عندي ... إلا بلاء علينا

فلما قدمت قالت:

ألا قد قدمت فوز فقرت عين عباس

وذكر الأبيات المتقدمة.

معابه بينه وبين الأصمعي

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه، أنه دخل على الفضل بن الربيع يوماً، والعباس بن الأحنف بين يديه، فقال العباس للفضل: دعني أعابث الأصمعي. قال: لا تفعل، فليس المزاح من شأنه. قال: إن رأى الأمير أن يفعل. قال: ذاك إليك. قال: فلما دخلت قال لي العباس: يا أبا سعيد من الذي يقول :

إذا أحببت أن تص نع شيئاً يعجب الناسا

فصورها ها هنا فوزاً وصور ثم عباسا

فإن لم يدنوا حتى ترى رأسيهما راسا

فكذبها بما قاست وكذبه بما قاسى

فقال لي ابن أبي السعلاء الشاعر: إنه أراد العبث بك، وهو نبطي، فأجبه على هذا. قال: فقلت له: لا أعرف هذا، ولكني أعرف الذي يقول:

إذا أحببت أن تبص ر شيئاً يعجب الخلقا

فصورها هنا زوراً وصور ههنا فلقا

فإن لم يدنوا حتى ترى خلقيهما خلقا

فكذبها بما لاقت وكذبه بما يلقى

فعرض بالعباس أنه نبطي، فضحك الفضل، فوجم العباس، فقال له الفضل: قد كنت نهيتك عنه، فلم تقبل.

فوز تجد صداعاً

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني محمد بن الفضل الهاشمي، قال: حدثني أبو توبة الحنفي، قال: وجه العباس بن الأحنف رسولاً إلى فوز، فعاد فأخبره أنها تجد صداعاً، وأنه رآها معصوبة الرأس؛ فقال العباس:

عصبت راسها فليت صداعاً قد شكته إلي كان براسي

ثم لا تشتكي، وكان لها الأج ر، وكنت السقام عنها أقاسي

ذاك حتى يقول لي من رآني: هكذا يفعل المحب المواسي

قال: فبرئت ثم نكست، فقال :

إن التي هامت بها النفس عاودها من عارض نكس
كانت إذا ما جاءها المبتلى أبرأه من كفها اللمس
وابأبي الوجه المليح الذي قد عشقته الجن والإنس
إن تكن الحمى أضرت به فربما تنكسف الشمس

فوز ساهرة ذاكرة له أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني أبو العباس الخلنجي، قال: حدثني أبو عبد كان الكاتب ، قال: حدثني أبو توبة الحنفي، قال: لما قاله العباس بن الأحنف :

أما والذي أبلى المحب وزادني بلاء، لقد أسرفت في الظلم والهجر
فإن كان حقاً مازعمت أتيته إليك، فقام النائحات على قبري
وإن كان عدواناً علي وباطلاً فلا مت حتى تسهري الليل من ذكري

بعثت إليه فوز: أظننا ظلمناك يا أبا الفضل، فاستجيب لك فينا! مازلت البارحة ساهرة ذاكرة لك.

في خلقه شدة

أخبرني جحظة البرمكي، قال: حدثني أبو عبد الله بن حمدون، عن أحمد بن إبراهيم، قال: حدثني محمد بن سلام، قال: كان في خلق العباس بن الأحنف شدة، فضرب غلاماً له، وحلف أنه يبيعه، فمضى الغلام إلى فوز فاستشفع بها عليه، فكتبت إليه فيه؛ فقال :

يا من أتانا بالشفاعات من عند من فيه لجاجاتي
إن كنت مولاك فإن التي قد شفعت فيك لمولاتي
إرسالها فيك إلينا لنا كرامة فوق الكرامات

ورضي عنه ووصله، وأعتقه.

اكتئابه من قولة فوز له: يا شيخ! أخبرني جحظة، قال: حدثنا أبو عبد الله بن حمدون، عن أبيه حمدون بن إسماعيل، عن أخيه إبراهيم بن إسماعيل، قال: جاءنا العباس بن الأحنف يوماً وهو كئيب، فنشطناه فأبى أن ينشط، فقلنا: ما دهاك؟ فقال: لقيتني فوز اليوم، فقالت لي: يا شيخ! وما قالت ذلك إلا من حادث ملال. فقلنا له: هون عليك؛ فإنها امرأة لا تثبت على حال، وما أرادت إلا العبث بك والمزاح معك. فقال: إني والله قد قلت أقبح مما قالت، ثم أنشدنا :

هزئت إذ رأت كئيباً معنى أقصدته الخطوب فهو حزين
هزئت بي ونلت ما شئت منها يا لقومي فأينا المغبون!

فقلت له: قد انتصفت وزدت.

يمن جارية فوز تزعم أنه راودها أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثنا علي بن الصباح، قال: حدثنا أبو ذكوان، قال: كانت لفوز جارية يقال لها يمن، وكانت تجيء إلى العباس برسالتها، فمضت إلى فوز، وقد طلبت من العباس شيئاً فمنعها إياه، وزعمت أنه أرادها ودعاها إلى نفسه، فغضبت فوز من ذلك، فكتب إليها :

لقد زعمت يمن بأني أردتها ... على نفسها، تبا لذلك من فعل

سلوا عن قميصي مثل شاهد يوسف ... فإن قميصي لم يكن قد من قبل

معاتبة فوز له في جفائه ورده عليها أخبرني محمد، قال: حدثنا أحمد بن إسماعيل، قال: حدثني سعيد بن حميد، قال: كانت فوز قد مالت إلى بعض أولاد الجند، وبلغ ذلك العباس، فتركها و لم ترض هي البديل بعد ذلك، فعادت إلى العباس، وكتبت إليه تعاتبه في جفائه؛ فكتب إليها:

كتبت تلوم وتستريب زيارتي ... وتقول لست لنا كعهد العاهد

فأجبتها ودموع عيني جمة ... تجري على الخدين غير جوامد !

يا فوز لم أهجركم لملالة ... مني ولا لمقال واش حاسد

لكنني جربتكم فوجدتكم ... لا تصبرون على طعام واحد

سرقته شعر أبي نواس وقد أنشدني علي بن سليمان الأخفش هذه الأبيات، وقال: سرقها من أبي نواس حيث يقول: صوت

ومظهرة لخلق الله ودا ... وتلقى بالتحية والسلام

أتيت فؤادها أشكو إليه ... فلم أخلص إليه من الزحام

فيا من ليس يكفيه محب ... ولا ألفاً محب كل عام

أظنك من بقية قوم موسى ... فهم لا يصبرون على طعام

غنت فيه عريب لحناً ذكره ابن المعتز، و لم يذكر طريقته.

ومما يغنى فيه من شعر العباس في فوز قوله: صوت

يا فوز ما ضر من يمسي وأنت له ... ألا يفوز بدنيا آل عباس

أبصرت شيباً بمولاها فواعجباً ... منه يراها ويبدو الشيب في الراس !

غناه سليم، رمل مطلق في مجرى الوسطى عن ابن المكي.

وأخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا محمد بن الفضل بن الأسود، قال: قرأت على أحمد بن أبي فنن شعر العباس بن الأحنف، وكان مشغوفاً به، فسمعته يقول: وددت أن أبياته التي يقول فيها:

يا فوز ما ضر من يمسي وأنت له

لي بكل شعري.

وفي بذل يقول عبد الله بن العباس الربيعي يخاطب عمراً في بذل بقوله: صوت

تسمع بحق الله يا عمرو من بذل فقد أحسنت والله واعتمدت قتلي

كأني أرى حبيك يرجح كلما تغنت لإعجابي وأفقد من عقلي

غناه عبد الله بن العباس الربيعي، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو، وغنى فيه عمرو بن بانة خفيف رمل بالبنصر عن حبش.

ذكر بذل وأخبارها

من مولدات المدينة ولها كتاب أغان

كانت بذل صفراء مولدة من مولدات المدينة، وربيت بالبصرة، وهي إحدى المحسنات المتقدمات، الموصوفات بكثرة الرواية، يقال: إنها كانت تغني ثلاثين ألف صوت. ولها كتاب في الأغاني منسوب الأصوات غير مجنس، يشتمل على اثني عشر ألف صوت، يقال: إنها عملته لعلي بن هشام. وكانت حلوة الوجه ظريفة، ضاربة متقدمة، وابتاعها جعفر بن موسى الهادي، فأخذها منه محمد الأمين، وأعطاه مالاً جزيلاً، فولدهما جميعاً يدعون ولاءها. فأخذت بذل عن أبي سعيد مولى فائد ودحمان وفليح وابن جامع وإبراهيم، وطبقتهم.

أروى خلق الله للغناء

وقرأت على جحظة، عن أبي حشيشة في كتابه الذي جمعه من أخباره وما شاهده، قال: كانت بذل من أحسن الناس غناء في دهرها، وكانت أستاذة كل محسن ومحسنة، وكانت صفراء مدنية، وكانت أروى خلق الله تعالى للغناء، و لم يكن لها معرفة.

احتيال الأمين في أخذها

وكانت لجعفر بن موسى الهادي، فوصفت لمحمد بن زبيدة، فبعث إلى جعفر يسأله أن يريه إياها، فأبى، فزاره محمد إلى منزله، فسمع شيئاً لم يسمع مثله، فقال لجعفر: يا أخي، بعني هذه الجارية. فقال: يا سيدي، مثلي لا يبيع جارية، قال: فهبها لي، قال: هي مدبرة . فاحتال عليه محمد حتى أسكره، وأمر ببذل فحملت معه إلى الحراقة، وانصرف بها.

فلما انتبه سأل عنها فأخبر بخبرها، فسكت، فبعث إليه محمد من الغد، فجاءه وبذل جالسة فلم يقل شيئاً. فلما

أراد جعفر أن ينصرف قال: أوقروا حراقة ابن عمي دراهم، فأوقرت.
قال: فحدثني عبد الله بن الحنيني - وكان أبوه على بيت مال جعفر بن موسى - أن مبلغ ذلك المال كان عشرين ألف ألف درهم.
قال: وبقيت بذل في دار محمد إلى أن قتل، ثم خرجت، فكان ولد جعفر وولد محمد يدعون ولاءها. فلما ماتت ورثها ولد عبد الله بن محمد بن زبيدة.
وهب لها الأمين من الجوهر ما لم يملك مثله أحد وقد روى محمد بن الحسن الكاتب هذا الخبر، عن ابن المكي، عن أبيه، وقال فيه: إن محمداً وهب لها من الجوهر شيئاً لم يملك أحد مثله، فسلم لها، فكانت تخرج منه الشيء بعد الشيء فتبيعه بالمال العظيم، فكان ذلك معتمدها مع ما يصل إليها من الخلفاء إلى أن ماتت وعندها منه بقية عظيمة.
إباؤها الزواج حتى موتها قال: ورغب إليها وجوه القواد والكتاب والهاشميين في التزويج، فأبت وأقامت على حالها حتى ماتت.
علي بن هشام في موكبه إليها قال أبو حشيشة في خبره: وكنت عند بذل يوماً وأنا غلام، وذلك في أيام المأمون ببغداد، وهي في طارمة لها تمشط، ثم خرجت إلى الباب، فرأيت الموكب، فظننت أن الخليفة يمر في ذلك الموضع، فرجعت إليها فقلت: يا ستي ؛ الخليفة يمر على بابك؟ فقالت: انظروا أي شيء هذا؟ إذ دخل بوابها فقال: علي بن هشام بالباب. فقالت: وما أصنع به! فقامت إليها وشيكة جاريتها - وكانت ترسلها إلى الخليفة وغيره في حوائجها - فأكبت على رجلها، وقالت: الله، الله! أتحجبين علي بن هشام! فدعت بمنديل فطرحته على رأسها و لم تقم إليه، فقال: إني جئتك بأمر سيدي أمير المؤمنين، وذلك أنه سألني عنك، فقلت: لم أرها منذ أيام. فقال: هي عليك غضبى، فبحياتي لا تدخل منزلك حتى تذهب إليها فتسترضيها.

تكتب اثني عشر ألف صوت

فقالت: إن كنت جئت بأمر الخليفة فأنا أقوم. فقامت فقبلت رأسه ويديه وقعد ساعة وانصرف، فساعة خرج قالت: يا وشيكة، هاتي دواة وقرطاساً، فجعلت تكتب فيه يومها وليلتها حتى كتبت اثني عشر ألف صوت - وفي بعض النسخ: "رؤوس سبعة آلاف صوت" - ثم كتبت إليه: يا علي بن هشام، تقول: قد استغنيت عن بذل بأربعة آلاف صوت أخذناها منها، وقد كتبت هذا وأنا ضجرة، فكيف لو فرغت لك قلبي كله! وختمت الكتاب، وقالت لها: امضي به إليه.
فما كان أسرع من جاء رسوله - خادم أسود يقال له مخارق - بالجواب يقول فيه: يا ستي، لا والله ما قلت الذي بلغك، ولقد كذب علي عندك؛ إنما قلت: لا ينبغي أن يكون في الدنيا غناء أكثر من أربعة آلاف صوت، وقد بعثت إلي بديوان لا أؤدي شكرك عليه أبداً. وبعث إليها عشرة آلاف درهم، وتخوتاً فيها خز ووشي وملح،

وتختاً مطبقاً فيه ألوان الطيب.

علي بن هشام يعاتبها في جفوة نالته منها أنشدني علي بن سليمان الأخفش لعلي بن هشام يعاتب بذلاً في جفوة نالته منها:

تغيرت بعدي والزمان مغير ... وخست بعهدي والملوك تخيس

وأظهرت لي هجراً وأخفيت بغضة ... وقربت وعداً واللسان عبوس

ومما شجاني أنني يوم زرتكم ... حجبت وأعدائي لديك جلوس

وفي دون ذا ما يستدل به الفتى ... على الغدر من أحبابه ويقيس

كفرت بدين الحب إن طرت بابكم ... غموس ما علمت وتلك يمين

فإن ذهبت نفسي عليكم تشوقاً ... فقد ذهبت للعاشقين نفوس

ولو كان نجمي في السعود وصلتم ... ولكن نجوم العاشقين نحوس

وأخبرني أبو العباس الهشامي المشك، عن أهله: أن علي بن هشام كان يهوى بذلاً ويكتم ذلك، وأنها هجرته مدة، فكتب إليها بهذه الأبيات.

تروي ثلاثين ألف صوت

وذكر محمد بن الحسن أن أبا حارثة حدثه عن أخيه أن معاوية قال: قالت لي بذل: كنت أروي ثلاثين ألف صوت، فلما تركت الدرس أنسيت نصفها، فذكرت قولها لزرزر الكبير، فقال: كذبت الزانية!.

تغني مائة صوت لم يعرفها ابن المهدي

قال: وحدثني أحمد بن محمد الفيزران ، عن بعض أصحابه - أن إبراهيم بن المهدي كان يعظمها ويتوافى لها، ثم تغير بعد ذلك استغناء عند نفسه عنها ، فصارت إليه، فدعا بعود فغنت - في طريقة واحدة وإيقاع واحد وأصبع واحدة - مائة صوت، لم يعرف إبراهيم منها صوتاً واحداً، ووضعت العود وانصرفت، فلم تدخل داره حتى طال طلبه لها وتضرعه إليها في الرجوع إليه.

تخجل إسحاق بن إبراهيم الموصلي لجهله أصوات أبيه وقال محمد بن الحسن، وذكر أحمد بن سعيد المالكي أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي خالف بذلاً في نسبة صوت غنته بحضرة المأمون، فأمسكت عنه ساعة، ثم غنت ثلاثة أصوات في الثقيل الثاني واحداً بعد واحد، وسألت إسحاق عن صانعها فلم يعرفه، فقالت للمأمون: يا أمير المؤمنين، هي والله لأبيه، أخذتها من فيه، فإذا كان هذا لا يعرف غناء أبيه فكيف يعرف غناء غيره! فاشتد ذلك

على إسحاق حتى رئي ذلك فيه.

أخبرني أبو الحسن الأسدي، قال: حدثني حماد بن إسحاق قال: غنت بذل يوماً بين يدي أبي:

إن تريني ناحل البدن فلطول الهم والحزن

كان ما أخشى بواحدتي ليته والله لم يكن

إسحاق يطرب ويشرب على غنائها فطرب أبي والله طرباً شديداً، وشرب رطلاً، وقال لها: أحسنت يا بنتي، والله لا تغنين صوتاً إلا شربت عليه رطلاً.

قال أبو الفرج: والغناء في هذا الشعر لبذل خفيف رمل بالوسطى.

في مجلس شراب المأمون وذكر أحمد بن أبي طاهر أن محمد بن علي بن طاهر بن الحسين حدثه أن المأمون كان يوماً قاعداً يشرب وبيده قدح إذ غنت بذل:

ألا لا أرى شيئاً ألذ من الوعد

فجعلته:

ألا لا أرى شيئاً ألذ من السحق

فوضع المأمون القدح من يده والتفت إليها، وقال: بلى يا بذل، النيك ألذ من السحق ، فتشورت وخافت غضبه، فأخذ قدحه، ثم قال: أتمي صوتك وزيدي فيه:

ومن غفلة الواشي إذا ما أتيتها ومن زورتي أبياتها خالياً وحدي

ومن صيحة في الملتقى ثم سكتة وكلتاهما عندي ألذ من الخلد

نسبة هذا الصوت

ألا لا أرى شيئاً ألذ من الوعد ومن أملي فيه وإن كان لا يجدي

الغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبنصر في رواية عمرو بن بانة.

صوت

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم عندها لم يجز مكبول

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول

الشعر لكعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، والغناء لابن محرز، ثاني ثقيل بالبنصر، عن عمرو بن بانة والهشامي.

أخبار كعب بن زهير

نسب أم كعب

كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، وقد تقدم خبر أبيه ونسبه. وأم كعب امرأة من بني عبد الله بن غطفان يقال لها كبشة بنت عمار بن عدي بن سحيم، وهي أم سائر أولاد زهير.

وهو من المخضرمين، ومن فحول الشعراء.

وسأله الحطيئة أن يقول شعراً يقدم فيه نفسه، ثم يثني به بعده، ففعل.

الحطيئة يسأله أن يذكره في شعره

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، قالا: أتى الحطيئة كعب بن زهير - وكان الحطيئة راوية زهير وآل زهير - فقال له: يا كعب، قد علمت روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي إليكم، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك! وقال أبو عبيدة في خبره: تبدأ بنفسك فيه وتثني بي؛ فإن الناس لأشعاركم أروى، وإليها أسرع، فقال كعب :

فمن للقوافي شانها من يحوكها ... إذا ما ثوى كعب وفوز جرول

يقول فلا تعيا بشيء يقوله ... ومن قائليها من يسيء ويعمل

كفيتك لا تلفى من الناس واحداً ... تنخل منها مثل ما يتنخل

يثقفها حتى تلين متونها ... فيقصر عنها كل ما يتمثل

يجيز نصف بيت عجز عنه النابغة أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي، قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن الصباح، عن هشام، عن إسحاق بن الجصاص، قال: قال زهير بيتاً ونصفاً ثم أكدى ، فمر به النابغة، فقال له: أبا أمامة، أجز، فقال: وما قلت؟ قال: قلت :

تزيد الأرض إما مت خفا ... وتحيا إن حييت بها ثقيلا

نزلت بمستقر العرض منها .

أجز، قال: فأكدى والله النابغة، وأقبل كعب بن زهير، وإنه لغلام، فقال أبوه: أجز يا بني، فقال: وما أجيز؟ فأنشده، فأجاز النصف بيت، فقال:

وتمنع جانبيها أن يزولا

فضمه زهير إليه، وقال: أشهد أنك ابني.

زهير ينهاه عن الشعر قبل أن يستحكم وقال ابن الأعرابي: قال حماد الراوية: تحرك كعب بن زهير وهو يتكلم بالشعر، فكان زهير ينهاه مخافة أن يكون لم يستحكم شعره، فيروى له ما لا خير فيه، فكان يضربه في ذلك، فكلما ضربه يزيد فيه فغلبه، فطال عليه ذلك، فأخذه فحبسه، فقال: والذي أحلف به لا تتكلم ببيت شعر إلا

ضربتك ضرباً ينكلك عن ذلك. فمكث محبوساً عدة أيام، ثم أخبر أنه يتكلم به، فدعاه فضربه ضرباً شديداً، ثم أطلقه وسرحه في همه وهو غليم صغير، فانطلق فرعى ثم راح عشية، وهو يرتجز:

كأنما أحدو ببهمي عيرا من القرى موقرة شعيرا

زهير يثيره ليعلم تمكنه من الشعر فخرج إليه زهير وهو غضبان، فدعا بناقته فكفلها بكسائه، ثم قعد عليها حتى انتهى إلى ابنه كعب، فأخذ بيده فأردفه خلفه، ثم خرج فضرب ناقته وهو يريد أن يبعث ابنه كعباً ويعلم ما عنده من الشعر، فقال زهير حين برز إلى الحي:

إني لتعديني على الحي جسرة تخب بوصال صروم وتعنق

ثم ضرب كعباً، وقال له: أجز يا لكع، فقال كعب:

كبنيانة القرئي موضع رحلها وآثار نسغيها من الدف أبلق

فقال زهير:

على لاحب مثل المجرة خلته إذا ما علا نشزاً من الأرض مهرق

أجز يا لكع، فقال كعب:

منير هداه ليله كنهاره جميع، إذا يعلو الحزونة أفرق

زهير يتعسفه ليعلم ما عنده قال: فتبدى زهير في نعت النعام، وترك الإبل، يتعسفه عمداً ليعلم ما عنده، قال:

وظل بوعساء الكثيب كأنه خباء على صقبي بوان مروق

صقبي عمودي، بوان: عمود من أعمدة البيت، فقال كعب:

تراخى به حب الضحاء وقد رأى سماوة قشراء الوظيفين عوهق

فقال زهير:

تحن إلى مثل الحبابير جثم لدى منتج من قيضها المتفلق

الحبابير: جمع حبارى ، وتجمع أيضاً حباريات، فقال كعب:

تحطم عنها قيضها عن خراطم وعن حدق كالنبخ لم يتفتق

الخراطم ها هنا: المناقير، والنبخ: الجدري، شبه أعين ولد النعامة به.

إذنه له في قول الشعر قال: فأخذ زهير بيد ابنه كعب، ثم قال له: قد أذنت لك في الشعر يا بني.

فلما نزل كعب وانتهى إلى أهله - وهو صغير يومئذ - قال :

أبيت فلا أهجو الصديق ومن يبع بعرض أبيه في المعاشر ينفق

قال: وهي أول قصيدة قالها.

خروجه وبجير إلى رسول الله

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي، قال: حدثني الحجاج بن ذي الرقيبة بن عبد الرحمن بن مضرب بن كعب بن زهير بن أبي سلمى، عن أبيه، عن جده قال:

خرج كعب وبجير ابنا زهير بن أبي سلمى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغا أبرق العزاف ، فقال كعب لبجير: الحق الرجل، وأنا مقيم ها هنا، فانظر ما يقول لك.

إسلام بجير

فقدم بجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسمع منه وأسلم، وبلغ ذلك كعباً، فقال :

ألا أبلغا عني بجيراً رسالة — على أي شيء عوتب غيرك دلكا

على خلق لم تلف أماً ولا أباً — عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا

قاك أبو بكر بكأس روية — فأنهلك المأمون منها وعلكا

إهدار الرسول دمه

ويروى "المأمور". قال: فبلغت أبياته هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهدر دمه، وقال: من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله.

بجير ينذره ويحثه على الإسلام فكتب إليه أخوه بجير يخبره، وقال له: ائته وما أراك بمفلت. وكتب إليه بعد ذلك يأمره أن يسلم ويقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول له: إن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل صلى الله عليه وسلم منه، وأسقط ما كان قبل ذلك. فأسلم كعب، وقال القصيدة التي اعتذر فيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول — متيم عندها لم يجز مكبول

إسلامه

قال: ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مجلسه من أصحابه مكان المائدة من القوم حلقة ثم حلقة ثم حلقة، وهو وسطهم، فيقبل على هؤلاء يحدثهم، ثم على هؤلاء، ثم على هؤلاء، فأقبل كعب حتى دخل المسجد فتخطى حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، الأمان. قال: ومن أنت؟ قال: كعب بن زهير. قال: أنت الذي يقول... كيف قال يا أبا بكر؟ فأنشده حتى بلغ إلى قوله:

سقاك أبو بكر بكأس روية وأنهلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مأمون والله. ثم أنشده - يعني كعباً -:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

قال عمر بن شبة: فحدثني الحزامي، قال: حدثني محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، وأخبرني بمثل ذلك أحمد بن الجعد، قال: حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي، قال: حدثنا محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، قال: أنشدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده، فلما بلغ إلى قوله :

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

في فتية من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا: زولوا

زالوا فما زال أنكاس ولا كشف عند اللقاء ولا خور معازيل

أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحلق أن يسمعوا شعر كعب بن زهير.

قال الحزامي: قال علي بن المديني: لم أسمع قط في خبر كعب بن زهير حديثاً قط أتم ولا أحسن من هذا، ولا أبالي ألا أسمع من خبره غير هذا.

رواية أخرى في إسلام بجير وكعب قال أبو زيد عمر بن شبة: ومما يروى من خبره أن زهيراً كان نظاراً متوقياً، وأنه رأى في منامه آتياً أتاه، فحمله إلى المساء حتى كاد يمسها بيده، ثم تركه فهوى إلى الأرض، فلما احتضر قص رؤياه على ولده، وقال: إني لا أشك أنه كائن من خبر السماء بعدي شيء، فإن كان فتمسكوا به وسارعوا إليه. فلما بعث النبي عليه السلام خرج إليه بجير بن زهير فأسلم، ثم رجع إلى بلاد قومه، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه بجير بالمدينة - وكان من خيار المسلمين - وشهد يوم الفتح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويوم خيبر ويوم حنين وقال في ذلك :

صبحناهم بألف من سليم وألف من بني عثمان واف

فرحنا والجياد تجول فيهم بأرماح مثقفة خفاف

وفي أكتافهم طعن وضرب ورشق بالمريشة اللطاف

ثم ذكر خبره وخبر أخيه كعب مثل ما ذكر الحزامي، وزاد في الأبيات التي كتب بها كعب إليه:

فخالفت أسباب الهدى وتبعته فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا؟

ثم قال في خبره أيضاً: إن كعباً نزل برجل من جهينة، فلما أصبح أتى النبي عليه السلام، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن أتيتك بكعب بن زهير مسلماً أتؤمنه؟ قال: نعم، قال: فأنا كعب بن زهير، فتواثبت الأنصار تقول: يا

رسول الله، ائذن لنا فيه. فقال: وكيف، وقد أتاني مسلماً! وكف عنه المهاجرون و لم يقولوا شيئاً، فأنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

حتى انتهى إلى قوله :

لا يقع الطعن إلا في نحورهم وما بهم من حياض الموت تهليل

هكذا في رواية عمر بن شبة، ورواية غيره: "تعليل".

فعند ذلك أومأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحلق حوله أن تسمع منه. قال: وعرض بالأنصار في قصيدته في عدة مواضع، منها قوله:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيدها إلا الأباطيل

وعرقوب: رجل من الأوس .

مدحه الأنصار

فلما سمع المهاجرون بذلك قالوا: ما مدحنا من هجا الأنصار، فأنكروا قوله، وعوتب على ذلك فقال :

من سره كرم الحياة فلا يزل في مقنب من صالحي الأنصار

الباذلين نفوسهم لنبيهم عند الهياج وسطوة الجبار

والناظرين بأعين محمرة كالجمر غير كليلة الإبصار

والضاربين الناس عن أديانهم بالمشرفي وبالقنا الخطار

يتطهرون يرونه نسكاً لهم بدماء من علقوا من الكفار

صدموا الكتيبة يوم بدر صدمة ذلت لوقعتها رقاب نزار

عرقوب المضروب به المثل

قال أبو زيد: الذي عناه كعب من الأوس كان وعد رجلاً ثمر نخلة، فلما أطلعت أتاه فقال: دعها حتى تلقح ، فلما لقحت قال: دعها حتى تزهي ، فلما أزهت أتاه فقال: دعها حتى ترطب، ثم أتاه فقال: دعها حتى تتمر، فلما أتمرت عدا عليها ليلاً فجدها، فضرب به في الخلف المثل، وذلك قول الشماخ :

وواعدني ما لا أحاول نفعه مواعيد عرقوب أخاه بيترب

وقال المتلمس لعمرو بن هند:

من كان خلف الوعد شيمته والغدر عرقوب له مثل

وما قالته الشعراء في ذكر عرقوب يكثر.

قال إبراهيم بن المنذر: حدثني معن بن عيسى، قال: حدثني الأوقص محمد بن عبد الرحمن المخزومي، قال: حدثني علي بن زيد أن كعب بن زهير أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه القصيدة في المسجدة الحرام، لا في مسجد المدينة.

قال إبراهيم: حدثني محمد بن الضحاك بن عثمان عن أبيه، قال: عنى كعب بن زهير بقوله:

في فتية من قريش قال قائلهم

عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

صوت

أبيني أفي يمنى يديك جعلتني فأفرح أم صيرتني في شمالك

أبيت كأني بين شقين من عصاً حذار الردى أو خيفة من زيالك

تعاللت كي اشجى وما بك علة تريدين قتلي، قد ظفرت بذلك

عروضه من الطويل، الشعر لابن الدمينة بعضه، وبعضه ألحقه المغنون به، وهو لغيره. والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى، وفيه لإبراهيم ثقيل أول بالبنصر.

أخبار ابن الدمينة ونسبه

نسبه

الدمينة أمه، وهي الدمينة بنت حذيفة السلولية، واسم ابن الدمينة عبد الله بن عبيد الله، أحد بني عامر بن تيم الله بن مبشر بن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن حلف بن أفتل وهو خثعم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك.

وقيل: إن أكلب هو ابن ربيعة بن نزار ليس ابن ربيعة بن عفرس، وإنهم حالفوا خثعم ونزلوا فيها فنسبوا إليهم.

ويكنى ابن الدمينة أبا السري.

وكان بلغه أن رجلاً من أخواله من سلول يأتي امرأته ليلاً فرصده حتى أتاها فقتله، ثم قتلها بعده، ثم اغتالته سلول بعد ذلك فقتلته.

أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا أبو سعيد السكري، عن محمد بن حبيب، عن أبي عبيدة

وابن الأعرابي، وأضفت إلى ذلك ما رواه الزبير بن بكار عن أصحابه، وما اتفقت الروايتان فيه، فإذا اختلفتا نسبت كل خبر إلى راويه.

سلولي يرمي بامرأته

قال الزبير: حدثني موهوب بن رشيد الكلابي، وإبراهيم بن سعد السلمي، وعمر بن إبراهيم السعدي، عن ميناس بن عبد الصمد، عن مصعب بن عمرو السلولي، أخي مزاحم بن عمرو، قالوا جميعاً: إن رجلاً من سلول يقال له مزاحم بن عمرو كان يرمى بامرأة ابن الدمينة، وكان اسمها حماء، قال السكري: كان اسمها حمادة، فكان يأتيها ويتحدث إليها حتى اشتهر ذلك، فمنعه ابن المدينة من إتيانها، واشتد عليها.

مزاحم يشهر به

فقال مزاحم يذكر ذلك - وهذا من رواية ابن حبيب، وهي أتم وأصح -:

يابن الدمينة والأخبار يرفعها ... وخد النجائب والمحقور يخفيها
يابن الدمينة إن تغضب لما فعلت ... فطال خزيك أو تغضب مواليها
أو تبغضوني فكم من طعنة نفذ ... يغذو خلال اختلاج الجوف غاذيها
جاهدت فيها لكم إني لكم أبداً ... أبغي معايبكم عمداً فآتيها
فذاك عندي لكم حتى تغيبني ... غبراء مظلمة هار نواحيها
أغشى نساء بني تيم إذا هجعت ... عني العيون ولا أبغي مقاريها
كم كاعب من بني تيم قعدت لها ... وعانس حين ذاق النوم حاميها
كقعدة الأعسر العلفوف منتحياً ... متينة من متون النبل ينحيها
وشهقة عند حس الماء تشهقها ... وقول ركبتها: قض ، حين تثنيها
علامة كية ما بين عانتها ... وبين سبتها لا شل كاويها
وتعدل الأير إن زاغت فتبعثه ... حتى يقيم برفق صدره فيها
بين الصفوقين في مستهدف ومد ... ذي حرة ذاق طعم الموت صاليها
ماذا ترى ابن عبيد الله في امرأة ... ليست بمحصنة عذراء حاويها
أيام أنت طريد لا تقاربها ... وصادف القوس في الغرات باريها

ترى عجوز بني تيم ملفعة شمطاً عوارضها رباً دواهيها
إذ تجعل الدفنس الورهاء عذرتها قشارة من أديم ثم تفريها
حتى يظل هدان القوم يحسبها بكراً وقبل هوى في الدار هاويها

يستدرج مزاحماً ويقتله قال الزبير عن رجاله، وابن حبيب عن ابن الأعرابي: لما بلغ ابن الدمينة شعر مزاحم أتى امرأته فقال لها: قد قال فيك هذا الرجل ما قال، وقد بلغك! قالت: والله ما أرى ذلك مني قط. قال: فمن أين له العلامات؟ قالت: وصفهن له النساء. قال: هيهات والله أن يكون ذلك كذلك. ثم أمسك مدة وصبر حتى ظن أن مزاحماً قد نسي القصة، ثم أعاد عليها القول، وأعادت الحلف أن ذلك مما وصفه له النساء. فقال لها: والله لئن لم تمكنين منه لأقتلنك. فعلمت أنه سيفعل ذلك، فبعثت إليه وواعدته ليلاً، وقعد له ابن الدمينة وصاحب له، فجاءها للموعد، فجعل يكلمها وهي مكانها فلم تكلمه، فقال لها: يا حماء، ما هذا الجفاء الليلة؟ قال: فتقول له هي بصوت ضعيف: ادخل، فدخل فأهوى بيده ليضعها عليها، فوضعها على ابن الدمينة، فوثب عليه هو وصاحبه، وقد جعل له حصى في ثوب، فضرب بها كبده حتى قتله، وأخرجه فطرحه ميتاً، فجاء أهله فاحتملوه، و لم يجدوا به أثر السلاح، فعلموا أن ابن الدمينة قتله.

يهجو سلولاً قال الزبير في حديثه: وقد قال ابن الدمينة في تحقيق ذلك :

قالوا :هجتك سلول اللؤم مخفية فاليوم أهجو سلولاً لا أخافيها
قالوا: هجاك سلولي، فقلت لهم: قد أنصف الصخرة الصماء راميها
رجالهم شر من يمشي ونسوتهم شر البرية واستٌ ذل حاميها
يحككن بالصخر أستاهاً بها نقب كما يحك نقاب الجرب طاليها

قال: وقال أيضاً يذكر دخول مزاحم ووضعه يده عليه:

لك الخير إن واعدت حماء فالقها نهاراً، ولا تدلج إذا الليل أظلما
فإنك لا تدري أبيضاء طفلة تعانق أم ليثاً من القوم قشعما
فلما سرى عن ساعدي ولحيتي وأيقن أني لست حماء جمجما

يقتل امرأته وصغيرة له منها

قالوا جميعاً: ثم أتى ابن الدمينة امرأته، فطرح على وجهها قطيفة، ثم جلس عليها حتى قتلها، فلما ماتت قال :

إذا قعدت على عرنين جارية فوق القطيفة فادعوا لي بحفار

فبكت بنية له منها، فضرب بها الأرض فقتلها، وقال متمثلاً: "لا تتخذن من كلب سوء جرواً ".

أخو المقتول يستعدي الوالي قال الزبير في خبره، عن عمه مصعب، عن حميد بن أنيف، قال: فخرج جناح أخو المقتول إلى أحمد بن إسماعيل فاستعداه على ابن الدمينة، فبعث إليه فحبسه.

أم المقتول تحضض أخويه على الثأر وقالوا جميعاً: قالت أم أبان والدة مزاحم بن عمرو المقتول، وهي من خثعم، ترثي ابنها، وتحضض مصعباً وجناحاً أخويه :

بأهلي ومالي، بل بجل عشيرتي ... قتيل بني تيم بغير سلاح

فهلا قتلتم بالسلاح ابن أختكم ... فتظهر فيه للشهود جراح

فلا تطعموا في الصلح ما دمت حية ... وما دام حياً مصعب وجناح

ألم تعلموا أن الدوائر بيننا ... تدور، وأن الطالبين شحاح

اشتداد الشر بين خثعم وبني سلول

قالوا: فلما طال حبسه، و لم يجد عليه أحمد بن إسماعيل سبيلاً ولا حجة خلاه، وقتلت بنو سلول رجلاً من خثعم مكان المقتول، وقتلت خثعم بعد ذلك نفراً من سلول. ولهم في ذلك قصص وأشعار كثيرة.

مقتله

قالوا: وأقبل ابن الدمينة حاجاً بعد مدة طويلة، فنزل بتبالة ، فعدا عليه مصعب أخو المقتول لما رآه، وقد كانت أمه حرضته عليه، وقالت: اقتل ابن الدمينة، فإنه قتل أخاك، وهجا قومك، وذم أختك، وقد كنت أعذرك قبل هذا، لأنك كنت صغيراً، وقد كبرت الآن. فلما أكثرت عليه خرج من عندها، وبصر بابن الدمينة واقفاً ينشد الناس، فغدا إلى جزار فأخذ شفرته، وعدا على ابن الدمينة، فجرحه جراحتين، فقيل: إنه مات لوقته. وقيل: بل سلم تلك الدفعة، ومر به مصعب بعد ذلك وهو في سوق العبلاء ينشد، فعلاه بسيفه حتى قتله، وعدا وتبعه الناس حتى اقتحم داراً وأغلقها على نفسه، فجاءه رجل من قومه فصاح به: يا مصعب، إن لم تضع يدك في يد السلطان قتلتك العامة فاخرج، فلما عرفه قال له: أنا في ذمتك حتى تسلمني إلى السلطان؟ قال: نعم، فخرج إليه ووضع يده في يده، فسلمه إلى السلطان، فقذفه في سجن تبالة.

يحرض قومه ويوبخهم

قال السكري في خبره: ومكث ابن الدمينة جريحاً ليلته، ومات في غد، فقال في تلك الليلة يحرض قومه ويوبخهم:

هتفت بأكلب ودعوت قيساً ... فلا خذلاً دعوت ولا قليلا

ثأرت مزاحماً وسررت قيساً ... وكنت لما هممت به فعولا

فلا تشلل يداك و لا تزالا تفيدان الغنائم و الجزيلا

فلو كان ابن عبد الله حيا لصبح في منازلها سلولا

مصعب السلولي يحرض قومه لإنقاذه قال: وبلغ مصعباً أن قوم ابن الدمينة يريدون أن يقتحوا عليه سجن تبالة فيقتلوه به غيلة؛ فقال يحرض قومه:

لقيت أبا السري وقد تكالا له حق العداوة في فؤادي

فكاد الغيظ يفرطني إليه بطعن دونه طعن السداد

إذا نبحت كلاب السجن حولي طمعت هشاشة و هفا فؤادي

طماعة أن يدق السجن قومي وخوفاً أن يبيتني الأعادي

فما ظني بقومي شر ظن و لا أن يسلموني في البلاد

وقد جدلت قاتلهم فأمسى يمج دم الوتين على الوساد

هروب مصعب السلولي إلى صنعاء فجاءت بنو عقيل إليه ليلاً، فكسروا السجن، وأخرجوه منه.

قال مصعب: فلما أفلت من السجن هرب إلى صنعاء، فقدم علينا وأبى بها يومئذ وال، فنزل على كاتب لأبي كان مولى لهم، فرأيته حينئذ و لم يكن جلداً من الرجال.

مما يغني به من شعره

ومما يغنى به من شعر ابن الدمينة قوله من قصيدة أولها :

اقمت على زمان يوماً وليلة لأنظر ما واشي أميمة صانع

فقصرك مني كل عام قصيدة تخب بها خوص المطي النزائع

وهذه القصيدة ذكر أحمد بن يحيى ثعلب أن عبد الله بن شبيب أنشده إياها، عن محمد بن عبد الله الكراني لابن الدمينة. والذي يغنى به منها قوله : صوت

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى ويجمعني والهم بالليل جامع

نهاري نهار الناس حتى إذا بدا لي الليل شاقتني إليك المضاجع

لقد ثبتت في القلب منك محبة كما ثبتت في الراحتين الأصابع

غناه إبراهيم رملاً بالوسطى، عن عمرو بن بانة.

يحب أميمة ويتزوجها

نسخت من كتاب أبي سعد، قال: حدثنا ابن أبي السري، عن هشام، قال: هوي ابن الدمينة امرأة من قومه يقال لها أميمة، فهام بها مدة، فلما وصلته تجنى عليها، وجعل ينقطع عنها، ثم زارها ذات يوم فتعاتبا طويلاً، ثم أقبلت عليه فقالت : صوت

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني ... وأشمت بي من كان فيك يلوم

وأبرزتني للناس ثم تركتني ... لهم غرضاً أرمى وأنت سليم

فلو أن قوماً لا يكلم الجسم قد بدا ... بجسمي من قول الوشاة كلوم

الشعر لأميمة: امرأة ابن الدمينة، والغناء لإبراهيم الموصلي خفيف رمل بالوسطى، عن عمرو والهشامي. وذكر حبش أن لإبراهيم أيضاً فيه لحناً من الثقيل الأول بالوسطى، وذكر حكم الوادي أن هذا اللحن ليعقوب الوادي، وفيه لعريب خفيف ثقيل.

قال: فأجابها ابن الدمينة، فقال :

وأنت التي قطعت قلبي حزازة ... ومزقت قرح القلب فهو كليم

وأنت التي كلفتني دلج السرى ... وجون القطا بالجلهتين جثوم

وأنت التي أحفظت قومي فكلهم ... بعيد الرضا داني الصدود كظيم

قال: ثم تزوجها بعد ذلك، وقتل وهي عنده.

قصة عاشقين

فأخبرني الحسين بن يحيى، قال: قال حماد بن إسحاق: حدثني أبي، قال: حدثنا سعيد بن سلم، عن أبي الحسن الينبعي، قال: بينا أنا وصديق لي من قريش نمشي بالبلاط ليلاً إذا بظل نسوة في القمر، فالتفتنا فإذا بجماعة نسوة، فسمعت واحدة منهن وهي تقول: أهو هو؟ فقالت الأخرى: نعم، والله إنه لهو هو. فدنت مني ثم قالت: يا كهل، قل لهذا الذي معك:

ليست لياليك في خاخ بعائدة ... كما عهدت ولا أيام ذي سلم

فقلت له: أجب، فقد سمعت. فقال: قد والله قطع بي، وأرتج علي، فأجب عني، فالتفت إليها ثم قلت:

فقلت لها: يا عز كل مصيبة ... إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

فقالت المرأة: أوه! ثم مضت ومضينا، حتى إذا كنا بمفرق طريقين مضى الفتى إلى منزله، ومضيت أنا إلى منزلي؛ فإذا أنا بجويرية تجذب ردائي، فالتفت إليها، فقالت: المرأة التي كلمتك تدعوك. فمضيت معها حتى دخلت داراً، ثم صرت إلى بيت فيه حصير، وثنيت لي وسادة فجلست عليها، ثم جاءت جارية بوسادة مثنية فطرحتها، وجاءت المرأة فجلست عليها، وقالت: أنت المجيب؟ قلت: نعم. قالت: ما كان أفظ جوابك وأغلظه! قلت: والله

ما حضرني غيره. فبكت، ثم قالت لي: والله ما خلق الله خلقاً أحب إلي من إنسان كان معك. قلت: أنا الضامن لك عنه ما تحبين. قالت: أو تفعل. قلت: نعم. فوعدتها أن آتيها به في الليلة القابلة. وانصرفت، فإذا الفتى ببابي، فقلت: ما جاء بك؟ قال: علمت أنها سترسل إليك، وسألت عنك فلم أجدك فعلمت أنك عندها، فجلست أنتظرك. فقتل: فقد كان كل ما ظننت، ووعدتها أن آتيها بك في الليلة القابلة. فمضى ثم أصبحنا فتهيأنا، ورحنا فإذا الجارية تنتظرنا، فمضت أمامنا، حتى دخلنا الدار، فإذا برائحة الطيب، وجاءت فجلست ملياً، ثم أقبلت عليه فعاتبته طويلاً، ثم قالت: صوت

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني ... وأشمت بي من كان فيك يلوم

وابرزتني للناس ثم تركتني ... لهم غرضاً أرمي وأنت سليم

فلو أن قولاً يكلم الجسم قد بدا ... بجسمي من قول الوشاة كلوم

ثم سكتت، فسكت الفتى هنيهة، ثم قال:

غدرت ولم أغدر وخنت ولم أخن ... وفي دون هذا للمحب عزاء

جزيتك ضعف الود ثم صرمتني ... فحبك في قلبي إليك أداء

فالتفتت إلي وقالت: ألا تسمع ما يقول؟ قد أخبرتك! قال: فغمزته فكف، ثم قالت : صوت

تجاهلت وصلي حين لجت عمايتي ... وهلا صرمت الحبل إذ أنا مبصر !

ولي من قوى الحبل الذي قطعته ... نصيب وإذ رايي جميع موفر

ولكنما آذنت بالصرم بغتة ... ولست على مثل الذي جئت أقدر

غنى في هذه الأبيات إبراهيم الموصلي ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، وذكر حبش أن فيها ثاني ثقيل بالبنصر.

قال: فقال الفتى مجيباً لها :

لقد جعلت نفسي وأنت اجترمته ... وكنت أحب الناس عنك تطيب

فبكت، ثم قالت: أو قد طابت نفسك! لا والله ما فيك خير بعدها، فعليك السلام. ثم قامت والتفتت إلي، وقالت: قد علمت أنك لا تفي بضمانك عنه، وانصرفنا.

العباس بن الأحنف ينشد شعراً له

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، قال: حدثني أبي، قال: كان العباس بن الأحنف إذا سمع شيئاً يستحسنه أطرفني به، وافعل مثل ذلك، فجاءني يوماًن فوقف بين البابين، وأنشد لابن الدمينة : صوت

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد فقد زادني مسراك وجداً على وجد
أإن هتفت ورقاء في رونق الضحى على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكي الحزين صبابة وذبت من الشوق المبرح والصد
بكيت كما يبكي الوليد، ولم تكن جزوعاً وأبديت الذي لم تكن تبدي
وقد زعموا أن المحب إذا دنا يمل وأن النأي يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا على أن قرب الدار خير من البعد

وزيد على ذلك بيت، وهو:

ولكن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذي ود

ثم ترنح ساعة، وترجح أخرى، ثم قال: أنطح العمود برأسي من حسن هذا! فقلت: لا، ارفق بنفسك.

الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم له فيه لحنان: أحدهما ماخوري بالبنصر أوله البيت الثاني، والآخر خفيف ثقيل بالوسطى أوله البيت الأول.

ابن هرمة وصديق له أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي، قال: حدثني أحمد بن سعيد عن ابن زبنج راوية ابن هرمة، قال: لقي ابن هرمة بعض أصدقائه بالبلاط، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من المسجد، قال: فأي شيء صنعت هناك؟ قال: كنت جالساً مع إبراهيم بن الوليد المخزومي، قال: فأي شيء قال لك؟ قال: أمرني أن أطلق امرأتي. قال: فأي شيء قلت له؟ قال: ما قلت له شيئاً. قال: فوالله ما قال لك ذلك إلا لأمر أظهرته عليه وكتمتنيه، أفرأيت إن أمرته بطلاق امرأته، أيطلقها؟ قال: لا، والله، قال: فابن الدمينة كان أنصف منك، كان يهوى امرأة من قومه، فأرسلت إليه: إن أهلي قد نهوني عن لقائك ومراسلتك، فأرسل إليها : صوت

أطعت الآمريك بقطع حبلي مريهم في أحبتهم بذاك
فإن هم طاوعوك فطاوعيهم وإن عاصوك فاعصي من عصاك
أما والراقصات بكل فج ومن صلى بنعمان الأراك
لقد أضمرت حبك في فؤادي وما أضمت حباً من سواك

في هذه الأبيات لإسحاق رمل، وفيها لشارية خفيف رمل بالوسطى، ولعريب خفيف ثقيل، ابتداؤه ينشد في الثالث والرابع ثم الثاني والأول، وفيه لمتيم خفيف رمل آخر.

رد عاشق على صاحبته ببيتين له وحدثني بعض أصدقائنا، عن أبي بكر بن دريد - ولم أسمعه منه - قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه، ووجدته أيضاً في بعض الكتب بغير هذا الإسناد عن الأصمعي،

فجمعت الحكايتين، قال: مررت بالكوفة، وإذا أنا بجارية تطلع من جدار إلى الطريق، وفتى واقف وظهره إلي، وهو يقول لها: أسهر فيك وتنامين عني، وتضحكين مني وأبكي، وتستريحين وأتعب، وأمحضك المودة وتمذقينها لي، وأصدقك وتنافقيني، ويأمرك عدوي بهجري فتطيعينه، ويأمرني نصيحي بذلك فأعصيه! ثم تنفس وأجهش باكياً. فقالت له: إن أهلي يمنعونني منك، وينهونني عنك؛ فكيف أصنع؟ فقال لها:

أطعت الآمريك بصرم حبلي ... مريهم في أحبتهم بذاك

فإن هم طاوعوك فطاوعيهم ... وإن عاصوك فاعصي من عصاك

ثم التفت فرآني، فقال يا فتى؛ ما تقول أنت فيما قلت؟ قلت له: والله لو عاش ابن أبي ليلى ما حكم إلا بمثل حكمك.

تمت أخبار ابن الدمينة

صوت

وإن الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمي لمختلف جدا

فما أحمل الحقد القديم عليهم ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

وليسوا إلى نصري سراعاً وإن هم ... دعوني إلى نصر أتيتهم شدا

إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

يعاتبني في الدين قومي وإنما ... تدينت في أشياء تكسبهم حمدا

عروضه من الطويل. الشعر للمقنع الكندي، والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه من روايته أيضاً لمالك خفيف رمل بالوسطى. وذكر علي بن يحيى أن لحن ابن سريج خفيف ثقيل. وذكر إبراهيم أن فيه لقفا النجار لم يذكر طريقته، وأظنه من خفيف الثقيل.

نسب المقنع الكندي وأخباره

سبب تلقيبه بالمقنع

المقنع لقب غلب عليه؛ لأنه كان أجمل الناس وجهاً، وكان إذا سفر اللثام عن وجهه أصابته العين.

قال الهيثم: كان المقنع أحسن الناس وجهاً، وأمدهم قامة، وأكملهم خلقاً، فكان إذا أسفر لقع - أي أصابته أعين الناس - فيمرض، ويلحقه عنت ؛ فكان لا يمشي إلا مقنعاً.

نسبه

واسمه محمد بن ظفر بن عمير بن أبي شمر بن فرعان بن قيس بن الأسود بن عبد الله بن الحارث الولادة - سمي بذلك لكثرة ولده - بن عمرو بن معاوية بن كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية، وكان له محل كبير، وشرف ومروءة وسؤدد في عشيرته.

قال الهيثم بن عدي: كان عمير جده سيد كندة، وكان عمه عمرو بن أبي شمر ينازع أباه الرياسة ويساجله فيها، فيقصر عنه.

أتلف ماله في عطاياه

ونشأ محمد بن عمير المقنع، فكان متخرقاً في عطاياه، سمح اليد بماله، لا يرد سائلاً عن شيء حتى أتلف كل ما خلفه أبوه من مال، فاستعلاه بنو عمه عمرو بن أبي شمر بأموالهم وجاههم.

بنو عمه لم يزوجوه أختهم لفقره ودينه وهوي بنت عمه عمرو فخطبها إلى إخوتها، فردوه وعيروه بتخرقه وفقره وما عليه من الدين؛ فقال هذه الأبيات المذكورة.

شاعر يفضل شعراً له تعريضاً ببخل خليفة وأخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني محمد بن زكريا الغلابي، عن العتبي، قال: حدثني أبو خالد من ولد أمية بن خلف، قال: قال عبد الملك بن مروان - وكان أول خليفة ظهر منه بخل -: أي الشعراء أفضل؟ فقال له: كثير بن هراسة، يعرض ببخل عبد الملك: أفضلهم المقنع الكندي حيث يقول:

إني أحرض أهل البخل كلهم ... لو كان ينفع أهل البخل تحريضي

ما قل مالي إلا زادني كرماً ... حتى يكون برزق الله تعويضي

والمال يرفع من لولا دراهمه ... أمسى يقلب فينا طرف مخفوض

لن تخرج البيض عفواً من أكفهم ... إلا على وجع منهم وتمريض

كأنها من جلود الباخلين بها ... عند النوائب تحذى بالمقاريض

فقال عبد الملك - وعرف ما أراد -: الله أصدق من المقنع حيث يقول: "والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا" .

صوت

يابن هشام يا علي الندى ... فدتك نفسي ووقتك الردى

نسيت عهدي أو تناسيتني لما عداني عنك صرف النوى

الشعر والغناء لإسحاق الموصلي رمل بالبنصر.

خبر لإسحاق وابن هشام

وهذا الشعر يقوله في علي بن هشام أيام كان إسحاق بالبصرة، وله إليه رسالة حسنة، هذا موضع ذكرها، أخبرنا بها علي بن يحيى المنجم، عن أبيه، ووقعت إلينا من عدة وجوه:

رسالته إلى علي بن هشام

أن إسحاق كتب إلى علي بن هشام: "جعلت فداك! بعث إلي أبو نصر مولاك بكتاب منك إلي يرتفع عن قدري، ويقصر عنه شكري، فلولا ما أعرف من معانيه لظننت أن الرسول غلط بي فيه، فما لنا ولك يا عبد الله، تدعنا حتى إذا أنسينا الدينا وأبغضناها، ورجونا السلامة من شرها، أفسدت قلوبنا وعلقت أنفسنا، فلا أنت تريدنا، ولا أنت تتركنا؛ فبأي شيء تستحل هذا! فأما ما ذكرته من شوقك إلي فلولا أنك حلفت عليه لقلت:

يا من شكا عبثاً إلينا شوقه شكوى المحب وليس بالمشتاق

لو كنت مشتاقاً إلي تريدني ما طبت نفساً ساعة بفراقي

وحفظتني حفظ الخليل خليله ووفيت لي بالعهد والميثاق

هيهات قد حدثت أمور بعدنا وشغلت باللذات عن إسحاق

وقد تركت - جعلت فداك - ما كرهت من العتاب في الشعر وغيره، وقلت أبياتاً لا أزال أخرج بها إلى ظهر المربد، واستقبل الشمال، وأتنسم أرواحكم فيها، ثم يكون ما الله أعلم به، وإن كنت تكرهها تركتها إن شاء الله:

ألا قد أرى أن الثواء قليل وأن ليس يبقى للخليل خليل

وإني وإن مكنت في العيش حقبة كذي سفر قد حان منه رحيل

فهل لي إلي أن تنظر العين مرة إلى ابن هشام في الحياة سبيل؟ !

فقد خفت أن ألقى المنايا بحسرة وفي النفس منه حاجة وغليل

وأما بعد، فإني أعلم أنك - وإن لم تسل عن حالي - تحب أن تعلمها وأن تأتيك عني سلامة؛ فأنا يوم كتبت إليك سالم البدن، مريض القلب.

وبعد: فأنا - جعلت فداك - في صنعة كتاب مليح ظريف، فيه تسمية القوم ونسبهم وبلادهم، وأسبابهم

وأزمنتهم، وما اختلفوا فيه من غنائهم، وبعض أحاديثهم، وأحاديث قيان الحجاز والكوفة والبصرة المعروفات والمذكورات، وما قيل فيهن من الأشعار، ولمن كن، وإلى من صرن، ومن كان يغشاهن، ومن كان يرخص في السماع من الفقهاء والأشراف، فأعلمني رايك فيما تشتهي لأعمل على قدر ذلك، إن شاء الله.

وقد بعثت إليك بأنموذج، فإن كان كما قال القائل: "قبح الله كل دن أوله دردي" ، لم نتجشم إتمامه، وربحنا العناء فيه، وإن كان كما قال العربي: "إن الجواد عينه فراره" أعلمتنا؛ فأتممناه مسرورين بحسن رأيك فيه، "إن شاء الله".

وهذا مما يدل على أن "كتاب الأغاني" المنسوب إلى إسحاق ليس له؛ وإنما ألف ما رواه حماد ابنه عنه من دواوين القدماء، غير مختلط بعضها ببعض.

وحشة بعد ألفة وكان إسحاق يألف علياً وأحمد ابني هشام وسائر أهلهما إلفاً شديداً، ثم وقعت بينهم نبوة ووحشة في أمر لم يقع إلينا لمعاً غير مشروحة، فهجاهم هجاء كثيراً وانفرجت الحال بينه وبينهم.

شعره في مصعب وصباح فأخبرني محمد بن خلف وكيع ويحيى بن علي بن يحيى وغيرهما، عن أبي أيوب سليمان المديني، عن مصعب، قال: قال لي أحمد بن هشام: أما تستحي أنت وصباح بن خاقان، وأنتما شيخان من مشايخ المروءة والعلم والأدب أن شبب بذكركما إسحاق في الشعر، وهو مغن مذكور، فيقول:

قد نهانا مصعب وصباح ... فعصينا مصعباً وصباحا

عذلاً ما عذلاً أم ملاماً ... فاسترحنا منهما فاستراحا

ويروى:

علما في العذل أم قد ألاما

ويروى:

عذلا عذلهما ثم أناما

فقلت: إن كان فعل فما قال إلا خيراً، إنما ذكر أنا نهيناه عن خمر شربها، وامرأة عشقها، وقد أشاد باسمك في الشعر بأشد من هذا، قال: وما هو؟ قلت: قوله: شعره في عيّ أحمد بن هشام

وصافية تغشى العيون رقيقة ... رهينة عام في الدنان وعام

أدرنا بها الكأس الروية موهناً ... من الليل حتى انجاب كل ظلام

فما ذر قرن الشمس حتى كأننا ... من العي نحكي أحمد بن هشام

قال: أو قد فعل العاض بظر أمه! قلت : إي والله لقد فعل.

إلى ها هنا رواية مصعب.

أحمد بن هشام يتوعده ووجدت هذا الخبر في غير روايته، وفيه زيادة قد ذكرتها، قال: فآلى أحمد بن هشام أن

يبلغ فيه كل مبلغ يقدر عليه، وأن يجتهد في اغتياله.

علي بن هشام يصلح بينه وبين أخيه محمد قال إسحاق: حضرت بدار الخليفة، وحضر علي بن هشام، فقال لي: أتهجو أخي وتذكره بما بلغني من القبيح؟ فقلت: أو يتعرض أخوك لي ويتوعدني! فوالله ما أبالي بما يكون منه؛ لأني أعلم أنه لا يقدر لي على ضر، والنفع فلا أريده منه، وأنا شاغر مغن، والله لأهجونه بما أفرى به جلده، وأهتك مروءته، ثم لأغنين في أقبح ما أقوله فيه غناء تسري به الركبان. فقال لي: أو تهب لي عرضه، وأصلح بينكما؟ فقلت: ذاك إليك. وإن فعلته فلك لا له. ففعل ذلك، وما فعلته به.

ابن عائشة يهجو مصعباً وصباحاً أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني محمد بن يزيد النحوي، قال: كان صباح بن خاقان المنقري نديماً لمصعب الزبيري، فقال عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن بن عائشة - وكان خليعاً من أهل البصرة -:

من يكن إبطه كآباط ذا الخل ... ق فإبطاي في عداد الفقاح

لي أبطان يرميان جليسي ... بشبيه السلاح بل بالسلاح

فكأني من نتن هذا وهذا ... جالس بين مصعب وصباح

ينشد الفضل بن الربيع أخبرني علي بن يحيى المنجم، قال: حدثني أبي، قال: حدثني إسحاق، قال: دخلت على الفضل بن الربيع يوماً، فقال: ما عندك؟ قلت: بيتان أرجو أن يكونا فيما يستطرف، وأنشدته:

سنغضي عن المكروه من كل ظالم ... ونصبر حتى يصنع الله بالفضل

فتنتصر الأحرار ممن يصيمها ... وتدرك أقصى ما تطالب من ذحل

قال: فدمعت عينه، وقال: من آذاك لعنه الله؟ فقلت: بنو هاشم، وأخبرته الخبر.

قال يحيى بن علي: و لم يذكر بأي شيء أخبره.

صوت

قد حصت البيضة رأسي فما ... أطعم نوماً غير تهجاع

أسعى على جل بني مالك ... كل امرىء في شأنه ساع

من يذق الحرب يجد طعمها ... مراً، وتتركه بجعجاع

لا نألم القتل ونجزي به الأع ... داء كيل الصاع بالصاع

الشعر لأبي قيس بن الأسلت، والغناء لإبراهيم، خفيف ثقيل أول. وقيل: بل هو لمعبد.

نسب أبي قيس بن الأسلت وأخباره

نسبه

أبو قيس لم يقع إلي اسمه غير ابن الأسلت ، والأسلت لقب أبيه ، واسمه عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عمارة بن مرة بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر.

وهو شاعر من شعراء الجاهلية، وكانت الأوس قد أسندت إليه حربها، وجعلته رئيساً عليها، فكفى وساد. وأسلم ابنه عقبة بن أبي قيس، واستشهد يوم القادسية.

وكان يزيد بن مرداس السلمي أخو عباس بن مرداس الشاعر قتل قيس بن أبي قيس بن الأسلت في بعض حروبهم، فطلبه بثأره هارون بن النعمان بن الأسلت، حتى تمكن من يزيد بن مرداس، فقتله بقيس بن أبي قيس، وهو ابن عمه.

ولقيس يقول أبوه أبو قيس بن الأسلت:

أقيس إن هلكت وأنت حي ... فلا تعدم مواصلة الفقير

وهذا الشعر الذي فيه الغناء يقوله أبو قيس في حرب بعاث .

رأي الأوس في حربها قال هشام بن الكلبي: كانت الأوس قد أسندوا أمرهم في يوم بعاث إلى أبي قيس بن الأسلت الوائلي ، فقام في حربهم وآثرها على كل أمر حتى شحب وتغير، ولبث أشهراً لا يقرب امرأة. ثم إنه جاء ليلة فدق على امرأته، وهي كبشة بنت ضمرة بن مالك بن عدي بن عمرو بن عوف، ففتحت له؛ فأهوى إليها بيده فدفعته، وأنكرته، فقال: أنا أبو قيس! فقالت: والله ما عرفتك حتى تكلمت. فقال في ذلك أبو قيس هذه القصيدة، وأولها :

قالت ولم تقصد لقيل الخنا: ... مهلاً فقد أبلغت أسماعي

استنكرت لوناً له شاحباً ... والحرب غول ذات أوجاع

من يذق الحرب الحرب يجد طعمها ... مراً وتتركه بجعجاع

يوم بعاث

يوم بعاث وسببه فأما السبب في هذا اليوم - وهو يوم بعاث - فيما أخبرني به محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا محمد بن حميد الرازي، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، وأضفت إليه ما ذكره ابن الكلبي عن أبيه، عن أبي صالح، عن أبي عبيدة، عن محمد بن عمار بن ياسر، وعن عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الله بن حنظلة الغسيل ابن أبي عامر الراهب: الأوس تطلب عون بني قريظة والنضير أن الأوس كانت استعانت ببني قريظة والنضير في حروبهم التي كانت بينهم وبين الخزرج، وبلغ ذلك الخزرج، فبعثت إليهم: إن الأوس فيما

بلغنا قد استعانت بكم علينا، ولن يعجزنا أن نستعين بأعدادكم وأكثر منكم من العرب، فإن ظفرنا بكم فذاك ما تكرهون، وإن ظفرتم لم ننم عن الطلب أبداً، فتصيروا إلى ما تكرهون، ويشغلكم من شأننا ما أنتم الآن منه خالون، وأسلم لكم من ذلك أن تدعونا وتخلوا بيننا وبين إخواننا.

الخزرج تحتفظ برهائن من قريظة والنضير فلما سمعوا ذلك علموا أنه الحق؛ فأرسلوا إلى الخزرج: إنه قد كان الذي بلغكم، والتمست الأوس نصرنا، وما كنا لننصرهم عليكم أبداً. فقالت لهم الخزرج: فإن كان ذلك فابعثوا إلينا برهائن تكون بين أيدينا. فبعثوا إليهم أربعين غلاماً منهم، ففرقهم الخزرج في دورهم فمكثوا بذلك مدة.

ثم إن عمرو بن النعمان البياضي قال لقومه بياضة: إن عامراً أنزلكم منزل سوء بين سبخة ومفازة، وإنه والله لا يمس رأسي غسل حتى أنزلكم منازل بني قريظة والنضير على عذب الماء وكريم النخل. ثم راسلهم: إما أن تخلوا بيننا وبين دياركم نسكنها، وإما أن نقتل رهنكم، فهموا أن يخرجوا من ديارهم، فقال لهم كعب بن أسد القرظي: يا قوم، امنعوا دياركم، وخلوه يقتل الرهن، والله ما هي إلا ليلة يصيب فيها أحدكم امرأته حتى يولد له غلام مثل أحد الرهن.

غدر عمرو بن النعمان بالرهن فاجتمع رأيهم على ذلك، فأرسلوا إلى عمرو بألا نسلم لكم دورنا، وانظروا الذي عاهدتمونا عليه في رهننا، فقوموا لنا به، فعدا عمرو بن النعمان على رهنهم هو ومن أطاعه من الخزرج، فقتلوهم وأبى عبد الله بن أُبيَ - وكان سيداً حليماً - وقال: هذا عقوق ومأثم وبغي؛ فلست معيناً عليه، ولا أحد من قومي أطاعني. وكان عنده في الرهن سليم بن أسد القرظي - وهو جد محمد بن كعب القرظي - فخلى عنه، وأطلق ناس من الخزرج نفراً فلحقوا بأهليهم، فناوشت الأوس الخزرج يوم قتل الرهن شيئاً من قتال غير كبير.

اجتماع قريظة والنضير على معاونة الأوس على الخزرج واجتمعت قريظة والنضير إلى كعب بن أسد، أخي بني عمرو بن قريظة، ثم توامروا أن يعينوا الأوس على الخزرج؛ فبعث إلى الأوس بذلك.

بنو قريظة والنضير يؤوون النبيت في دورهم ثم أجمعوا عليه، على أن ينزل كل أهل بيت من النبيت على بيت من قريظة والنضير، فنزلوا معهم في دورهم، وأرسلوا إلى النبيت يأمرونهم بإتيانهم، وتعاهدوا ألا يسلموهم أبداً، وأن يقاتلوا معهم حتى لا يبقى منهم أحد. فجاءهم النبيت فنزلوا مع قريظة والنضير في بيوتهم، ثم أرسلوا إلى سائر الأوس في الحرب والقيام معهم على الخزرج، فأجابوهم إلى ذلك. فاجتمع الملأ منهم، واستحكم أمرهم، وجدوا في حربهم، ودخلت معهم قبائل من أهل المدينة، منهم بنو ثعلبة - وهم من غسان - وبنو زعوراء، وهم من غسان.

مشاورة الخزرج عبد الله بن أُبيَ في حرب الأوس فلما سمعت بذلك الخزرج اجتمعوا، ثم خرجوا، وفيهم عمرو بن النعمان البياضي، وعمرو بن الجموح السلمي، حتى جاءوا عبد الله بن أُبيَ، وقالوا له: قد كان الذي بلغك من أمر الأوس وأمر قريظة والنضير واجتماعهم على حربنا، وإنا نرى أن نقاتلهم، فإن هزمناهم لم يحرز أحد

منهم معقله ولا ملجأه حتى لا يبقى منهم أحد.
فلما فرغوا من مقالتهم قال عبد الله بن أبي خطيباً وقال: إن هذا بغي منكم على قومكم وعقوق، ووالله ما أحب أن رجلاً من جراد لقيناهم.
تحذير عبد الله بن أُبيَ عاقبة الغدر وقد بلغني أنهم يقولون: هؤلاء قومنا منعونا الحياة أفيمنعوننا الموت! والله إني أرى قوماً لا ينتهون أو يهلكوا عامتكم، وإني لأخاف إن قاتلوكم أن ينصروا عليكم لبغيكم عليهم، فقاتلوا قومكم كما كنتم تقاتلونهم، فإذا ولوا فخلوا عنهم، فإذا هزموكم فدخلتم أدنى البيوت خلوا عنكم. فقال له عمرو بن النعمان: انتفخ والله سحرك يا أبا الحارث حين بلغك حلف الأوس قريظة والنضير! فقال عبد الله: والله لا حضرتكم أبداً، ولا أحد أطاعني أبداً، ولكأني أنظر إليك قتيلاً تحملك أربعة في عباءة .
توليه الخزرج عمرو بن النعمان أمر حربهم وتابع عبد الله بن أُبيَ رجال من الخزرج، منهم عمرو بن الجموح الحرامي. واجتمع كلام الخزرج على أن رأسوا عليهم عمرو بن النعمان البياضي، وولوه أمر حربهم، ولبثت الأوس والخزرج أربعين ليلة يتصنعون للحرب، ويجمع بعضهم لبعض، ويرسلون إلى حلفائهم من قبائل العرب.
حضير الكتائب يحرض الأوس على القتال فأرسلت الخزرج إلى جهينة وأشجع، فكان الذي ذهب إلى أشجع ثابت بن قيس بن شماس، فأجابوه، وأقبلوا إليهم، وأقبلت جهينة إليهم أيضاً. وأرست الأوس إلى مزينة، وذهب حضير الكتائب الأشهلي إلى أبي قيس بن الأسلت، فأمره أن يجمع له أوس الله، فجمعهم له أبو قيس، فقام حضير، فاعتمد على قوسه، وعليه نمرة تشف عن عورته، فحرضهم وأمرهم بالجد في حربهم، وذكر ما صنعت بهم الخزرج من إخراج النبيت وإذلال من تخلف من سائر الأوس، في كلام كثير.
استجابة الأوس لما أراده حضير
فجعل كلما ذكر ما صنعت بهم الخزرج وما ركبوه منهم يستشيط ويحمى، وتقلص خصيتاه، حتى تغيبا، فإذ كلموه بما يجب تدلتا حتى ترجعا إلى حالهما. فأجابته أوس الله بالذي يجب من النضرة والموازرة والجد في الحرب.
قال هشام: فحدثني عبد المجيد بن أبي عيسى، عن خير ، عن أشياخ من قومه: أن الأوس اجتمعت يومئذ إلى حضير بموضع يقال له الجباة ، فأجالوا الرأي، فقالت الأوس: إن ظفرنا بالخزرج لم نبق منهم أحداً و لم نقاتلهم كما كنا نقاتلهم. فقال حضير: يا معشر الأوس؛ ما سميتم الأوس إلا لأنكم تؤوسون الأمور الواسعة. ثم قال:

يا قوم قد أصبحتم دواراً لمعشر قد قتلوا الخيارا
يوشك أن يستأصلوا الديار

قال: ولما اجتمعت بالجباة طرحوا بين أيديهم تمراً، وجعلوا يأكلون وحضير الكتائب جالس، وعليه بردة له قد اشتمل بها الصماء ، وما يأكل معهم، ولا يدنو إلى التمر غضباً وحنقاً.
عقد الرياسة له فقال: يا قوم، اعقدوا لأبي قيس بن الأسلت. فقال لهم أبو قيس: لا أقبل ذلك؛ فإني لم أرأس

على قوم في حرب قط إلا هزموا وتشاءموا برياستي. وجعلوا ينظرون إلى حضير واعتزاله أكلهم واشتغاله بما هم فيه من أمر الحرب، وقد بدت خصيتاه من تحت البرد، فإذا رأى منهم ما يكره من الفتور والتخاذل تقلصتا غيظاً وغضباً، وإذا رأى منهم ما يحب من الجد والتشمير في الحرب عادتا لحالهما.

وأجابت إلى ذلك أوس مناة، وجدوا في الموازرة والمظاهرة. وقدمت مزينة على الأوس، فانطلق حضير وأبو عامر الراهب بن صيفي إلى أبي قيس بن الأسلت، فقالا: قد جاءتنا مزينة، واجتمع إلينا من أهل يثر ما لا قبل للخزرج به، فما الرأي إن نحن ظهرنا عليهم: الإنجاز أم البقية؟ فقال أبو قيس: بل البقية، فقال أبو عامر: والله لوددت أن مكانهم ثعلباً ضباحاً . فقال أبو قيس: اقتلوهم حتى يقولوا: بزا بزا - كلمة كانوا يقولونها إذا غلبوا - فتشاجروا في ذلك، وأقسم حضير ألا يشرب الخمر أو يظهر ويهدم مزاحماً أطم عبد الله بن أُبيَ.

حضير الكتائب يقسم على هدم مزاحم أطم عبد الله بن أُبيَ فلبثوا شهرين يعدون ويستعدون، ثم التقوا ببعاث، وتخلف من الأوس بنو حارثة بن الحارث، فبعثوا إلى الخزرج: إنا والله ما نريد قتالكم. فبعثوا إليهم أن ابعثوا إليها برهن منكم يكونون في أيدينا، فبعثوا إليهم اثني عشر رجلاً، منهم خديج، أبو رافع بن خديج.

وبعاث: من أموال بني قريظة، فيها مزرعة يقال لها قورى؛ فلذلك تدعى بعاث الحرب .

حشد القوات وحشد الحيان فلم يتخلف عنهم إلا من لا ذكر له. ولم يكونوا حشدوا قبل ذلك في يوم التقوا فيه، فلما رأت الأوس الخزرج أعظموهم، وقالوا لحضير: يا أبا أسيد، لو حاجزت القوم، وبعثت إلى من تخلف من حلفائك من مزينة! فطرح قوساً كانت في يده، ثم قال: أنتظر مزينة، وقد نظر إلي القوم ونظرت إليهم! الموت قبل ذلك.

فرار الأوس من المعركة ثم حمل وحملوا، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت الأوس حين وجدوا مس السلاح، فولوا مصعدين في حرة قورى نحو العريض ، وذلك وجه طريق نجد.

الخزرج يعيرون الأوس فنزل حضير، وصاحت بهم الخزرج: أين الفرار؟ ألا إن نجداً سنة - أي مجدب - يعيرونهم.

حضير يعقر نفسه ليثبت قومه فلما سمع حضير طعن بسنان رمحه فخذه، ونزل وصاح: واعقراه! والله لا أريم حتى أقتل، فإن شئتم يا معشر الأوس أن تسلموني فافعلوا.

فتعطفت عليه الأوس، وقام على رأسه غلامان من بني عبد الأشهل، يقال لهما: محمود ولبيد - ابنا خليفة بن ثعلبة - وهما يومئذ معرسان ذوا بطش، فجعلا يرتجزان ويقولان:

أي غلامي ملك ترانا في الحرب إذا دارت بنا رحانا

وعدد الناس لنا مكانا

مقتل عمرو بن النعمان فقاتلا حتى قتلا، وأقبل سهم حتى أصاب عمرو بن النعمان رأس الخزرج فقتله، لا يدرى من رمى به، إلا أن بني قريظة تزعم أنه سهم رجل يقال له أبو لبابة، فقتله.

فبينا عبد الله بن أُبيَ يتردد على بغلة له قريباً من بعاث، يتحسس أخبار القوم، إذ طلع عليه بعمرو بن النعمان ميتاً في عباءة، يحمله أربعة إلى داره. فلما رآه عبد الله بن أُبيَ قال: من هذا؟ قالوا: عمرو بن النعمان. قال: ذق وبال العقوق.

انهزام الخزرج

وانهزمت الخزرج، ووضعت الأوس فيهم السلاح، وصاح صائح: يا معشر الأوس، اسجحوا ولا تهلكوا إخوتكم فجوارهم خير من جوار الثعالب.

قريظة والنضير تسلبان الخزرج فتناهت الأوس، وكفت عن سلبهم بعد إثخان فيهم، وسلبتهم قريظة والنضير، وحملت الأوس حضيراً من الجراح التي به، وهم يرتجزون حوله ويقولون:

كتيبة زينها مولاها لا كهلها هدٌّ ولا فتاها

تحريق الأوس نخل الخزرج ودورهم وجعلت الأوس تحرق على الخزرج نخلها ودورها؛ فخرج سعد بن معاذ الأشهلي حتى وقف على باب بني سلمة، وأجارهم وأموالهم جزاء لهم بيوم الرعل وكان للخزرج على الأوس يوم يقال له يوم مغلس ومضرس. وكان سعد بن معاذ حمل يومئذ جريحاً إلى عمرو بن الجموح الحرامي، فمن عليه وأجاره وأخاه يوم رعل، وهو على الأوس، من القطع والحرق، فكافأه سعد بمثل ذلك في يوم بعاث.

وأقسم كعب بن أسد القرظي ليذلن عبد الله بن أبي، وليحلقن رأسه تحت مزاحم؛ فناداه كعب: انزل يا عدو الله. فقال له عبد الله: أنشدك الله وما خذلت عنكم. فسأل عما قال، فوجده حقاً، فرجع عنه.

العدول عن هدم أطم عبد الله بن أبي وأجمعت الأوس على أن تهدم مزاحماً أطم عبد الله بن أبي، وحلف حضير ليهدمنه، فكلم فيه، فأمرهم أن يريثوا فيه، فحفروا فيه كوة. وأفلت يومئذ الزبير بين إياس بن باطا ثابت بن قيس بن شماس أخا بني الحارث بن الخزرج، وهي النعمة التي كافأه بها ثابت في الإسلام يوم بني قريظة.

أبو قيس بن الأسلت لا يوافق على هدم دور الخزرج وخرج حضير الكتائب وأبو عامر الراهب حتى أتيا قيس بن الأسلت بعد الهزيمة، فقال له حضير: يا أبا قيس؛ إن رأيت أن تأتي الخزرج قصراً قصراً وداراً داراً، نقتل ونهدم، حتى لا يبقى منهم أحد! فقال أبو قيس: والله لا نفعل ذلك؛ فغضب حضير، وقال: ما سميتم الأوس إلا لأنكم تؤوسون الأمر أوساً. ولو ظفرت منا الخزرج بمثلها ما أقالوناها. ثم انصرف إلى الأوس، فأمرهم بالرجوع إلى ديارهم.

موت حضير من جروحه وكان حضير جرح يومئذ جراحة شديدة، فذهب به كليب بن صيفي بن عبد الأشهل إلى منزله في بني أمية بن زيد، فلبث عنده أياماً ثم مات من الجراحة التي كانت به، فقبره اليوم في بني أمية بن زيد.

يهودي أعمى يتتبع سير القتال وكان يهودي أعمى من بني قريظة يومئذ في أطم من آطامهم، فقال لابنة له: أشرفي على الأطم، فانظري ما فعل القوم، فأشرفت، فقالت: أسمع الصوت قد ارتفع في أعلى قورى، وأسمع قائلاً

يقول: اضربوا يا آل الخزرج. فقال: الدولة إذاً على الأوس، لا خير في البقاء. ثم قال: ماذا تسمعين؟ قالت: أسمع رجالاً يقولون: يا آل الأوس، ورجالاً يقولون: يا آل الخزرج. قال: الآن حمي القتال. ثم لبث ساعة، ثم قال: أشرفي فاسمعي، فأشرفت، فقالت: اسمع قوماً يقولون:

نحن بنو صخرة أصحاب الرعل

قال: تلك بنو عبد الأشهل، فظفرت والله الأوس - وصخرة أمهم بنت مرة بن ظفر أم بني عبد الأشهل - ثم وثب فرحاً نحو باب الأطم فضرب رأسه بحلق بابه ، وكان من حجارة فسقط فمات.

وكان أبو عامر قد حلف ليركزن رمحه في أصل مزاحم أطم عبد الله بن أبي، فخرجت جماعة من الأوس حتى أحاطوا به، وكانت تحت أبي عامر جميلة بنت عبد الله بن أبي، وهي أم حنظلة الغسيل بن أبي عامر، فأشرف عليهم عبد الله، فقال: إني والله ما رضيت هذا الأمر، ولا كان عن رأيي، وقد عرفتم كراهتي له، فانصرفوا عني، فقال أبو عامر: لا والله، لا أنصرف حتى أركز لوائي في أصل أطمك.

فلما رأى حنظلة أنه لا ينصرف، قال لهم: إن ابي شديد الوجد بي، فأشرفوا بي عليه، ثم قولوا: والله لئن لم تنصرف عنا لنرمين برأسه إليك. فقالوا ذلك له، فركز رمحه في أصل الأطم ليمينه ثم انصرف، فذلك قول قيس بن الخطيم :

صبحنا به الآطام حول مزاحم قوانس أولى بيضنا كالكواكب

أبو قيس بن الأسلت يأسر مخلد بن الصامت ثم يخلي سبيله وأسر أبو قيس بن الأسلت يومئذ مخلد بن الصامت الساعدي أبا مسلمة بن مخلد، اجتمع إليه ناس من قومه من مزينة ومن يهود، فقالوا: اقتله، فأبى، وخلى سبيله، وأنشأ يقول:

أسرت مخلداً فعفوت عنه وعند الله صالح ما أتيت

مزينة عنده ويهود قورى وقومي كل ذلكم كفيت

خفاف بن ندبة يرثي حضير الكتائب

وقال خفاف بن ندبة، يرثي حضير الكتائب - وكان نديمه وصديقه -:

لو أن المنايا حدن عن ذي مهابة لهبن حضيراً يوم أغلق واقما

أطاف به حتى إذا الليل جنه تبوا منه منزلاً متناعما

وقال أيضاً يرثيه:

أتاني حديث فكذبته وقيل :خليلك في المرمس

فيا عين بكي حضير الندى حضير الكتائب والمجلس

ويوم شديد أوار الحديد تقطع منه عرى الأنفس

صليت به وعليك الحدي د ما بين سلع إلى الأعرس

فأودى بنفسك يوم الوغى ونقى ثيابك لم تدنس

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني داود بن محمد بن جميل، عن ابن الأعرابي، قال: قال لي الهيثم بن عدي: كنا جلوساً عند صالح بن حسان، فقال لنا: وأخبرني عمي عن الكراني، عن النوشجاني، عن العمري، عن الهيثم بن عدي، قال: قال لناصالح بن حسان، وأخبرني به الأخفش عن المبرد، قال: قال لي صالح بن حسان: بيت خفر في امرأة خفرة شريفة أنشدوني بيتاً خفراً في امرأة خفرة شريفة، فقلنا: قول حاتم:

يضيء لنا البيت الظليل خصاصه إذا هي يوماً حاولت أن تبسما

فقال: هذه من الأصنام، أريد أحسن من هذا. قلنا: قول الأعشى :

كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لا ريث ولا عجل

فقال: هذه خراجة ولاجة كثيرة الاختلاف. قلنا: بيت ذي الرمة :

تنوء بأخراها فلأياً قيامها وتمشي الهوينا من قريب فتبهر

فقال: هذا ليس ما أردت، إنما وصف هذه بالسمن، وثقل البدن. فقلنا: ما عندنا شيء. فقال: قول أبي قيس بن الأسلت :

ويكرمها جاراتها فيزرنها وتعتل عن إتيانهن فتعذر

وليس لها أن تستهين بجارة ولكنها منهن تحيا وتخفر

أحسن بيت وصفت به الثريا ثم قال: أنشدوني أحسن بيت وصفت به الثريا. قلنا: بيت ابن الزبير الأسدي:

وقد لاح في القور الثريا كأنما به راية بيضاء تخفق للطعن

قال: أريد أحسن من هذا، قلنا: بيت امرىء القيس:

إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشا المفصل

قال: أريد أحسن من هذا. قلنا: بيت ابن الطثرية:

إذا ما الثريا في السماء كأنها جمان وهي من سلكه فتسرعا

قال: أريد أحسن من هذا. قلنا: ما عندنا شيء. قال: قول أبي قيس بن الأسلت:

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى كعنقود ملاحية حين نورا

أبو قبيس يحكم له بالتقدم في المعنيين السابقين قال: فحكم له عليهم في هذين المعنيين بالتقدم.

استشهاد عبد الملك بشعره في خطبته بعد مقتل مصعب بن الزبير أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا

الحسين بن أحمد بن طالب الديناري، قال: حدثني أبو عدنان، قال: حدثني الهيثم بن عدي، قال: حدثني الضحاك بن زميل السكسكي، قال: لما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير خطب الناس بالنخيلة، فقال في خطبته: أيها الناس، دعوا الأهواء المضلة، والآراء المشتتة، ولا تكلفونا أعمال المهاجرين وأنتم لا تعملون بها؛ فقد جاريتمونا إلى السيف، فرأيتم كيف صنع الله بكم، ولا أعرفنكم بعد الموعظة تزدادون جراءة؛ فإني لا أزداد بعدها إلا عقوبة، وما مثلي ومثلكم إلا كما قال أبو قيس بن الأسلت:

من يصل ناري بلا ذنب ولا ترةٍ ... يصل بنار كريم غير غدار
أنا النذير لكم مني مجاهرة ... كي لا ألام على نهي وإعذار
فإن عصيتم مقالي اليوم فاعترفوا ... أن سوف تلقون خزياً ظاهر العار
لتتركن أحاديثاً ملعنة ... عند المقيم وعند المدلج الساري
وصاحب الوتر ليس الدهر مدركه ... عندي وإني لطلاب لأوتار
أقيم عوجته إن كان ذا عوج ... كما يقوم قدح النبعة الباري

صوت

ترفع أيها القمر المنير ... لعلك أن ترى حجراً يسير
يسير إلى معاوية بن حرب ... ليقتله كما زعم الأمير
ألا يا حجر حجر بني عدي ... تلقتك السلامة والسرور

تنعمت الجبابر بعد حجر ... وطاب لها الخورنق والسدير

الشعر لامرأة من كندة ترثي حجر بن عدي صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والغناء لحكم الوادي رمل بالوسطى، وفيه لحنين هزج خفيف بالوسطى عن ابن المكي والهشامي.

خبر مقتل حجر بن عدي

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثنا محمد بن الحكم، قال: حدثنا أبو مخنف، قال: حدثنا خالد بن قطن، عن المجالد بن سعيد الهمداني، والصقعب بن زهير، وفضيل بن خديج ، والحسن بن عقبة المرادي، وقد اختصرت جملاً من ذلك يسيرة؛ تحرزاً من الإطالة:

استنكاره ذم علي بن أبي طالب ولعنه

أن المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة كان يقوم على المنبر فيذم علي بن أبي طالب وشيعته، وينال منهم، ويلعن قتلة عثمان، ويستغفر لعثمان ويزكيه، فيقوم حجر بن عدي فيقول: "يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم" ، وإني أشهد أن من تذمون أحق بالفضل ممن تطرون، ومن تزكون أحق بالذم ممن تعيبون.

المغيرة بن شعبة يحذره

فيقول له المغيرة: يا حجر، ويحك! اكفف من هذا، واتق غضبة السلطان وسطوته؛ فإنها كثيراً ما تقتل مثلك. ثم يكف عنه.

صرخة ثائرة منه

فلم يزل كذلك حتى كان المغيرة يوماً في آخر أيامه يخطب على المنبر، فنال من علي بن أبي طالب، ولعنه، ولعن شيعته، فوثب حجر فنعر نعرة أسمعت كل من كان في المسجد وخارجه. فقال له: إنك لا تدري أيها الإنسان بمن تولع، أو هرمت! مر لنا بأعطياتنا وأرزاقنا؛ فإنك قد حبستها عنا، و لم يكن ذلك لك ولا لمن كان قبلك، وقد أصبحت مولعاً بذم أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين.

استجابة لصرخة الثائر فقام معه أكثر من ثلاثين رجلاً يقولون: صدق والله حجر! مر لنا بأعطياتنا؛ فإنا لا ننتفع بقولك هذا، ولا يجدي علينا، وأكثروا في ذلك.

قوم المغيرة يلومونه في احتماله إياه فنزل المغيرة ودخل القصر، فاستأذن عليه قومه، ودخلوا ولاموه في احتماله حجراً، فقال لهم: إني قد قتلته. قالوا: وكيف ذلك؟ قال: إنه سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شبيهاً بما ترونه، فيأخذه عند أول وهلة فيقتله شر قتلة. إنه قد اقترب أجلي، وضعف عملي، وما أحب أن أبتدىء أهل هذا المصر بقتل خيارهم وسفك دمائهم، فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعز معاوية في الدنيا ويذل المغيرة في الآخرة، سيذكرونني لو قد حربوا العمال.

قال الحسن بن عقبة: فسمعت شيخاً من الحي يقول: قد والله جربناهم فوجدناه خيرهم.

زياد يذكره بصداقته ويحذره ما كان يفعل مع المغيرة قال: ثم هلك المغيرة سنة خمسين، فجمعت الكوفة والبصرة لزياد، فدخلها، ووجه إلى حجر فجاءه، وكان له قبل ذلك صديقاً، فقال له: قد بلغني ما كنت تفعله بالمغيرة فيحتمله منك؛ وإني والله لا أحتملك على مثل ذلك أبداً، أرأيت ما كنت تعرفني به من حب علي ووده، فإن الله قد سلخه من صدري فصيره بغضاً وعداوة، وما كنت تعرفني به من بغض معاوية وعداوته فإن الله قد سلخه من صدري وحوله حباً ومودة وإني أخوك الذي تعهد، إذا أتيتني وأنا جالس للناس فاجلس معي على مجلسي، وإذا أتيت و لم أجلس للناس فاجلس حتى أخرج إليك، ولك عندي في كل يوم حاجتان: حاجة غدوة، وحاجة عشية، إنك إن تستقم تسلم لك دنياك ودينك، وإن تأخذ يميناً وشمالاً تهلك نفسك وتشط عندي دمك، إني لا

أحب التنكيل قبل التقدمة، ولا آخذ بغير حجة، اللهم اشهد. فقال حجر: لن يرى الأمير مني إلا ما يحب، وقد نصح، وأنا قابل نصيحته.

ثم خرج من عنده، فكان يتقيه ويهابه، وكان زياد يدنيه ويكرمه ويفضله، والشيعة تختلف إلى حجر وتسمع منه.

زياد ينذره قبل خروجه إلى البصرة

وكان زياد يشتو بالبصرة، ويصيف بالكوفة، ويستخلف على البصرة سمرة بن جندب، وعلى الكوفة عمرو بن حريث، فقال له عمارة بن عقبة: إن الشيعة تختلف إلى حجر، وتسمع منه، ولا أراه عند خروجك إلا ثائراً، فدعاه زياد فحذره ووعظه. وخرج إلى البصرة، واستعمل عمرو بن حريث، فجعلت الشيعة تختلف إلى حجر، ويجيء حتى يجلس في المسجد فتجتمع إليه الشيعة، حتى يأخذوا ثلث المسجد أو نصفه، وتطيف بهم النظارة، ثم يمتلىء المسجد، ثم كثروا، وكثر لغطهم، وارتفعت أصواتهم بذم معاوية وشتمه ونقص زياد. وبلغ ذلك عمرو بن حريث، فصعد المنبر، واجتمع إليه أشراف أهل المصر فحثهم على الطاعة والجماعة. وحذرهم الخلاف؛ فوثب إليه عنق من أصحاب حجر يكبرون ويشتمون، حتى دنوا منه، فحصبوه وشتموه حتى نزل ودخل القصر، وأغلق عليه بابه، وكتب إلى زياد بالخبر، فلما أتاه أنشد يتمثل بقول كعب بن مالك:

فلما غدوا بالعرض قال سراتنا: علام إذا لم نمنع العرض نزرع

ما أنا بشيء إن لم أمنع الكوفة من حجر، وأدعه نكالاً لمن بعده، ويل أمك حجر! لقد سقط بك العشاء على سرحان .

عودة زياد إلى الكوفة ثم أقبل حتى أتى الكوفة، فدخل القصر، ثم خرج وعليه قباء سندس، ومطرف خز أخضر، وحجر جالس في المسجد، وحوله أصحابه ما كانوا. فصعد المنبر فخطب وحذر الناس، ثم قال لشداد بن الهيثم الهلالي أمير الشرط: اذهب فائتني بحجر، فذهب إليه فدعاه، فقال أصحابه: لا يأتيه ولا كرامة. فسبوا الشرط، فرجعوا إلى زياد فأخبروه، فقال: يا أشراف أهل الكوفة! أتشجون بيد وتأسون بأخرى ؟ أبدانكم عندي، وأهواؤكم مع هذه الهجاجة المذبوب . أنتم معي وإخوتكم وأبناؤكم وعشيرتكم مع حجر.

استعداء زياد أشراف الكوفة عليه فوثبوا إلى زياد فقالوا: معاذ الله أن يكون لنا فيما ها هنا رأي إلا طاعتك وطاعة أمير المؤمنين، وكل ما ظننت أن يكون فيه رضاك فمرنا به. قال: ليقم كل امرىء منكم إلى هذه الجماعة التي حول حجر، فليدع الرجل أخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته، حتى تقيموا عنه كل من استطعتم. ففعلوا، وجعلوا يقيمون عنه أصحابه حتى تفرق أكثرهم وبقي أقلهم.

أمر زياد بإحضاره فلما رأى زياد خفة أصحابه قال لصاحب شرطته: اذهب فائتني بحجر، فإن تبعك وإلا فمر من معك أن ينتزعوا غمد السيوف ، ثم يشدوا عليه حتى يأتوا به، ويضربوا من حال دونه.

أصحابه يمنعونه من الذهاب إلى زياد فلما أتاه شداد قال له: أجب الأمير، فقال أصحاب حجر: لا والله ولا نعمة عين، لا يجيبه. فقال لأصحابه: علي بعمد السيوف ، فاشتدوا إليها، فأقبلوا بها، فقال عمير بن زيد الكلبي

أبو العمرطة : إنه ليس معك رجل معه سيف غيري، فما يغني سيفي! قال: فما ترى؟ قال: قم من هذا المكان، فالحق بأهلك يمنعك قومك.

موت عمرو بن الحمق من ضربة عمود فقام زياد ينظر على المنبر إليهم فغشوا حجراً بالعمد، فضرب رجل من الحمراء يقال له: بكر بن عبيد رأس عمرو بن الحمق بعمود فوقع.

توارى حجر في منازل الأزد وأتاه أبو سفيان بن العويمر والعجلان بن ربيعة - وهما رجلان من الأزد - فحملاه، فأتيا به دار رجل من الأزد يقال له عبيد الله بن موعد ، فلم يزل بها متوارياً حتى خرج منها.

الثأر من ضارب عمرو بن الحمق قال أبو مخنف: فحدثني يوسف بن زياد، عن عبيد الله بن عوف ، قال: لما انصرفنا عن عروة باجميرى قبل قتل عبد الملك مصعباً بعام، فإذا أنا بالأحمري الذي ضرب عمرو بن الحمق يسايرني؛ ولا والله ما رأيته منذ ذلك اليوم، وما كنت أرى لو رأيته أن أعرفه، فلما رأيته ظننته هو هو، وذلك حين نظرنا إلى أبيات الكوفة، فكرهت أن أسأله: أنت ضارب عمرو بن الحمق، فيكابرني، فقلت له: ما رأيتك منذ اليوم الذي ضربت فيه رأس عمرو بن الحمق بالعمود في المسجد فصرعته حتى يومي، ولقد عرفتك الآن حين رأيتك.

فقال لي: لا تعدم بصرك، ما أثبت نظرك! كان ذلك أمر السلطان أما والله لقد بلغني أنه قد كان أمراً صالحاً، ولقد ندمت على تلك الضربة، فأستغفر الله.

فقلت له: الآن ترى، لا والله لا أفترق أنا وأنت حتى أضربك في رأسك مثل الضربة التي ضربتها عمرو بن الحمق وأموت أو تموت.

قال: فناشدني وسألني بالله. فأبيت عليه، ودعوت غلاماً يدعى رشيداً من سبي أصبهان معه قناة له صلبة، فأخذته منه ثم أحمل عليه ، فنزل عن دابته، فألحقه حين استوت قدماه على الأرض، فأصفق بها هامته، فخر لوجهه، وتركته ومضيت، فبرأ بعد ذلك، فلقيته مرتين من دهري، كل ذلك يقول لي: الله بيني وبينك. فأقول له: الله بينك وبين عمرو بن الحمق.

رجع الحديث إلى سياقه الأول أمر زياد بعض القبائل أن يأتوه به قال: فقال زياد - وهو على المنبر - لتقم همدان وتميم وهوازن وأبناء بغيض ومذحج وأسد وغطفان فليأتوا جبانة كندة، وليمضوا من ثم إلى حجر، فليأتوني به.

ثم كره أن تسير مضر مع اليمن، فيقع شغب واختلاف، أو تنشب الحمية فيما بينهم. فقال: لنقم تميم وهوازن وأبناء بغيض وأسد وغطفان، ولتمض مذحج وهمدان إلى جبانة كندة، ثم ليمضوا إلى حجر فليأتوني به، وليسر أهل اليمن حتى يترلوا جبانة الصيداويين ، وليمضوا إلى صاحبهم فليأتوني به.

فخرجت الأزد وخثعم والأنصار وقضاعة وخزاعة، فترلوا جبانة الصيداويين، و لم تخرج حضرموت مع اليمن لمكانهم من كندة.

عبد الرحمن بن مخنف يشير على أهل اليمن برأي قال أبو مخنف: فحدثني سعيد بن يحيى بن مخنف، عن محمد بن مخنف، قال: فإني لمع أهل اليمن وهم يتشاورون في أمر حجر، فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف: أنا مشير عليكم برأي، فإن قبلتموه رجوت أن تسلموا من اللائمة والإثم: أن تلبثوا قليلاً حتى تكفيكم عجلة في شباب مذحج وهمدان ما تكرهون أن يكون من مساءة قومكم في صاحبكم.

فأجمع رأيهم على ذلك، فلا والله ما كان إلا كلاً ولا حتى أتينا فقيل لنا: إن شباب مذحج وهمدان قد دخلوا، فأخذوا كل ما وجدوا في بني بجيلة.

حجر يشير على أصحابه أن ينصرفوا عنه قال: فمر أهل اليمن على نواحي دور كندة معذرين، فبلغ ذلك زياداً، فأثنى على مذحج وهمدان، وذم أهل اليمن. فلما انتهى حجر إلى داره ورأى قلة من معه قال لأصحابه: انصرفوا، فوالله ما لكم طاقة بمن اجتمع عليكم من قومكم، وما أحب أن أعرضكم للهلاك. فذهبوا لينصرفوا، فلحقتهم أوائل خيل مذحج وهمدان، فعطف عليهم عمير بن يزيد، وقيس بن يزيد، وعبيدة بن عمرو، وجماعة، فتقاتلوا معهم، فقاتلوا عنه ساعة فجرحوا، وأسر قيس بن يزيد، وأفلت سائر القوم، فقال لهم حجر: لا أبا لكم! تفرقوا لا تقتلوا؛ فإني آخذ في بعض هذه الطرق.

يدخل دار سليمان بن يزيد ثم يخرج منها إلى دور بني العنبر ثم أخذ نحو طريق بني حرب من كندة، حتى أتى دار رجل منهم يقال له سليمان بن يزيد، فدخل داره، وجاء القوم في طلبه، ثم انتهوا إلى تلك الدار، فأخذ سليمان بن يزيد سيفه، ثم ذهب ليخرج إليهم، فبكت بناته، فقال له حجر: ما تريد؟ لا أبا لك! فقال له: أريد والله أن ينصرفوا عنك؛ فإن فعلوا وإلا ضاربتهم بسيفي هذا ما ثبت قائمه في يدي دونك. فقال له حجر: بئس والله إذن ما دخلت به على بناتك! أما في دارك هذه حائط أقتحمه أو خوخة أخرج منها، عسى الله أن يسلمني منهم ويسلمك؛ فإن القوم إن لم يقدروا علي في دارك لم يضرك أمرهم. قال: بلى، هذه خوخة تخرجك إلى دور بني العنبر من كندة، فخرج معه فتية من الحي يقصون له الطريق، ويسلكون به الأزقة، حتى أفضى إلى النخع، فقال عند ذلك: انصرفوا، رحمكم الله.

يدخل دار عبد الله بن الحارث ثم يخرج منها إلى دار ربيعة بن ناجذ فانصرفوا عنه، وأقبل إلى دار عب الله بن الحارث أخي الأشتر، فدخلها، فإنه لكذلك قد ألقى له عبد الله الفرش، وبسط له البسط، وتلقاه ببسط الوجه وحسن البشر إذ أتي فقيل له: إن الشرط تسأل عنك في النخع وذلك أن أمة سوداء يقال لها أدماء لقيتهم فقالت لهم: من تطلبون؟ قالوا: نطلب حجراً، فقالت: هو ذا قد رأيته في النخع، فانصرفوا نحو النخع؛ فخرج متنكراً، وركب معه عبد الله ليلاً حتى أتى دار ربيعة بن ناجذ الأزدي، فنزل بها، فمكث يوماً وليلة.

زياد يأمر محمد بن الأشعث أن يأتيه بحجر

فلما أعجزهم أن يقدروا عليه دعا زياد محمد بن الأشعث فقال: أما والله لتأتيني بحجر أو لا أدع لك نخلة إلا قطعتها، ولا داراً إلا هدمتها، ثم لا تسلم مني بذلك حتى أقطعك إرباً إرباً. فقال له: امهلني أطلبه. قال: قد

أمهلتك ثلاثاً، فإن جئت به وإلا فاعدد نفسك من الهلكى. وأخرج محمد نحو السجن وهو منتقع اللون يتل تلاً عنيفاً . فقال حجر بن يزيد الكندي من بني مرة لزياد: ضمنيه وخل سبيله ليطلب صاحبه، فإنه مخلى سربه أحرى أن يقدر عليه منه إذا كان محبوساً. قال: أتضمنه لي؟ قال: نعم. قال: أما والله لئن حاص عنك لأوردنك شعوب، وإن كنت الآن علي كريماً. قال: إنه لا يفعل. فخلى سبيله.

ثم إن حجر بن يزيد كلمه في قيس بن يزيد، وقد أتي به أسيراً، فقال: ما عليه من بأس، قد عرفنا رأيه في عثمان رضي الله عنه، وبلاءه مع أمير المؤمنين بصفين، ثم أرسل إليه فأتي به، فقال: قد علمت أنك لم تقاتل مع حجر أنك ترى رأيه، ولكن قاتلت معه حمية، وقد غفرنا لك لما نعلمه من حسن رأيك، ولكن لا أدعك حتى تأتيني بأخيك عمير. قال: آتيك به إن شاء الله. قال: هات من يضمنه معك. قال: هذا حجر بن يزيد. قال حجر: نعم، على أن تؤمنه على ماله ودمه. قال: ذلك لك.

فانطلقا فأتيا به، فأمر به فأوقر حديداً، ثم أخذته الرجال ترفعه، حتى إذا بلغ سررها ألقوه، فوقع على الأرض، ثم رفعوه فألقوه، ففعل به ذلك مراراً، فقام إليه حجر بن يزيد، فقال: أو لم تؤمنه؟ قال: بلى، لست أهريق له دماً، ولا آخذ له مالاً. فقال: هذا يشفي به على الموت.

وقام كل من كان عنده من أهل اليمن، فكلموه فيه، فقال: أتضمنونه لي بنفسه متى أحدث حدثاً أتيتموني به؟ قالوا: نعم. فخلى سبيله.

يطلب من ابن الأشعث أن يسأل زياداً الأمان له حتى يأتي معاوية ومكث حجر في منزل ربيعة بن ناجذ يوماً وليلة، ثم بعث إلى ابن الأشعث غلاماً يدعى رشيداً من سبي أصبهان، فقال له: إنه قد بلغني ما استقبلك به هذا الجبار العنيد، فلا يهولنك شيء من أمره؛ فإني خارج إليك، فاجمع نفراً من قومك، وادخل عليه، واساله أن يؤمنني حتى يبعثني إلى معاوية، فيرى في رأيه.

زياد يأمر بحبسه فخرج محمد إلى حجر بن يزيد، وجرير بن عبد الله، وعبد الله أخي الأشتر، فدخلوا إلى زياد فطلبوا إليه فيما سأله حجر، فأجاب، فبعثوا إليه رسولاً يعلمونه بذلك. فأقبل حتى دخل على زياد، فقال له: مرحباً يا أبا عبد الرحمن، حرب في أيام الحرب، وحرب وقد سالم الناس! "على نفسها تجني براقش" ، فقال له: ما خلعت يداً على طاعة، ولا فارقت جماعة، وإني لعلى بيعتي. فقال: هيهات يا حجر، أتشج بيد وتأسو بأخرى، وتريد إذا أمكننا الله منك أن ترضى! هيهات والله! فقال : ألم تؤمنني حتى آتي معاوية، فيرى في رأيه. قال: بلى، انطلقوا به إلى السجن.

زياد يطلب رؤوس أصحاب حجر فلما مضي به قال: أما والله لولا أمانه ما برح حتى يلقط عصبه . فأخرج وعليه برنس في غداة باردة، فحبس عشر ليال، وزياد ما له عمل غير الطلب لرؤوس أصحاب حجر.

عمرو بن الحمق ورفاعة بن شداد يكمنان في جبل بالموصل فخرج عمرو بن الحمق، ورفاعة بن شداد حتى نزلا المدائن، ثم ارتحلا حتى أتيا الموصل، فأتيا جبلاً فكما فيه، وبلغ عامل ذلك الرستاق - وهو رجل من همدان يقال

له عبيد الله بن أبي بلتعة - خبرهما، فسار إليهما في الخيل، ومعه أهل البلد، فلما انتهى إليهما خرجا، فأما عمرو فكان بطنه قد استسقى ، فلم يكن عنده امتناع.

عمرو بن الحمق يقع أسيراً ورفاعة ينجو بنفسه وأما رفاعة فكان شاباً قوياً فوثب على فرس له جواد، وقال لعمرو: أقاتل عنك. قال: وما ينفعني أن تقتل؟ انج بنفسك، فحمل عليهم، فأفرجوا له حتى أخرجه فرسه، وخرجت الخيل في طلبه، وكان رامياً فلم يلحقه فارس إلا رماه، فجرحه أو عقره، فانصرفوا عنه؛ فأخذ عمرو بن الحمق، فسألوه: من أنت؟ فقال: من إن تركتموه كان أسلم لكم، وإن قتلتموه كان أضر عليكم، فسألوه فأبى أن يخبرهم، فبعثوا به إلى عبد الرحمن بن عثمان، وهو ابن أم الحكم، الثقفي، فلما رأى عمراً عرفه.

معاوية يأمر بقتل عمرو بن الحمق فكتب إلى معاوية بخبره. فكتب إليه معاوية: إنه زعم أنه طعن عثمان تسع طعنات، وإنه لا يتعدى عليه، فأطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان.

رأس ابن الحمق يحمل إلى معاوية

فأخرج فطعن تسع طعنات، فمات في الأولى منهن أو في الثانية، وبعث برأسه إلى معاوية؛ فكان رأسه أول رأس حمل في الإسلام.

زياد يطلب من صيفي بن فسيل أن يعلن علياً فيأبى وجد زياد في طلب أصحاب حجر وهم يهربون منه، ويأخذ من قدر عليه منهم، فجاء قيس بن عباد الشيباني إلى زياد، فقال له: إن امرأً منا يقال له صيفي بن فسيل ، من رؤوس أصحاب حجر، وهو أشد الناس عليك؛ فبعث إليه فأتي به، فقال له زياد: يا عدو الله، ما تقول في أبي تراب؟ فقال: ما أعرف أبا تراب، قال: ما أعرفك به! أما تعرف علي بن أبي طالب! قال: بلى، قال: فذاك أبو تراب، قال: كلا، فذاك أبو الحسن والحسين. فقال له صاحب الشرطة: أيقول لك الأمير هو أبو تراب وتقول أنت: لا! قال: أفإن كذب الأمير أردت أن أكذب وأشهد له بالباطل كما شهد! قال له زياد: وهذا أيضاً مع ذنبك، علي بالعصي فأتي بها، فقال: ما قولك في علي! قال: أحسن قول أنا قائله في عبد من عبيد الله أقوله في أمير المؤمنين. قال: اضربوا عاتقه بالعصي حتى يلصق بالأرض، فضرب حتى لصق بالأرض. ثم قال: أقلعوا عنه، ما قولك فيه؟ قال: والله لو شرحتني بالمدي والمواسي ما زلت عما سمعت. قال: لتلعننه أو لأضربن عنقك. قال: إذاً والله تضربها قبل ذلك، فأسعد وتشقى إن شاء الله، قال: أوقروه حديداً واطرحوه في السجن.

زياد يأمر رؤوس الأرباع أن يشهدوا على حجر وأصحابه وجمع زياد من أصحاب حجر بن عدي اثني عشر رجلاً في السجن، وبعث إلى رؤوس الأرباع فأشخصهم، فحضروا، وقال: اشهدوا على حجر بما رأيتموه، وهم عمرو بن حريث، وخالد بن عرفطة، وقيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة، وأبو بردة بن أبي موسى، فشهدوا أن حجراً جمع إليه الجموع، وأظهر شتم الخليفة، وعيب زياد، وأظهر عذر ابي تراب والترحم عليه، والبراءة من عدوه، وأهل حربه، وأن هؤلاء الذين معه رؤوس أصحابه، وعلى مثل رأيه.

فنظر زياد في الشهادة فقال: ما أظن هذه شهادة قاطعة، وأحب أن يكون الشهود أكثر من أربعة.

فكتب أبو بردة بن أبي موسى: "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبي موسى لله رب العالمين، شهد أن حجر بن عدي خلع الطاعة، وفارق الجماعة، ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب والفتنة، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة، وخلع أمير المؤمنين معاوية، وكفر بالله كفرة صلعاء".

فقال زياد: على مثل هذه الشهادة فاشهدوا، والله لأجهدن في قطع عنق الخائن الأحمق، فشهد رؤوس الأرباع الثلاثة الآخرون على مثل ذلك، ثم دعا الناس، فقال: اشهدوا على مثل ما شهد عليه رؤوس الأرباع.

فقام عثمان بن شرحبيل التيمي أول الناس، فقال: اكتبوا اسمي. فقال زياد: ابدءوا بقريش، ثم اكتبوا اسم من نعرفه ويعرفه أمير المؤمنين بالصحة والاستقامة. فشهد إسحاق وموسى وإسماعيل بنو طلحة بن عبيد الله، والمنذر بن الزبير، وعمارة بن عقبة، وعبد الرحمن بن هبار، وعمر بن سعد بن أبي وقاص، وشهد عنان ، ووائل بن حجر الحضرمي، وضرار بن هبيرة، وشداد بن المنذر أخو الحضين بن المنذر، وكان يدعى ابن بزيعة.

فكتب شداد بن بزيعة، فقال: أما لهذا أب ينسب إليه، ألغوا هذا من الشهود. فقيل له: إنه أخو الحضين بن المنذر، فقال: انسبوه إلى أبيه، فنسب، فبلغ ذلك شداداً، فقال: والهفاه على ابن الزانية؟ أو ليست أمه أعرف من أبيه؛ فوالله ما ينسب إلا إلى أمه سمية.

وشهد حجار بن ابجر العجلي، وعمرو بن الحجاج، ولبيد بن عطارد، ومحمد بن عمير بن عطارد، وأسماء بن خارجة، وشمر بن ذي الجوشن، وزحر بن قيس الجعفي، وشبث بن ربعي، وسماك بن مخرمة الأسدي صاحب مسجد سماك، ودعا المختار بن أبي عبيد ، وعروة بن المغيرة بن شعبة إلى الشهادة فراغا، وشهد سبعون رجلاً وائل بن حجر وكثير بن شهاب يذهبان إلى معاوية بكتاب زياد ومعهما جماعة من أصحاب حجر ودفع ذلك إلى وائل بن حجر، وكثير بن شهاب، وبعثهما عليهما وأمرهما أن يخرجوهم.

وكتب في الشهود شريح بن الحارث، وشريح بن هانىء. فأما شريح بن الحارث فقال: سألني عنه فقلت: أما إنه كان صواماً قواماً. وأما شريح بن هانىء فقال: بلغني أن شهادتي كتبت فأكذبته، ولمته.

وجاء وائل بن حجر وكثير بن شهاب فأخرجا القوم عشية، وسار معهم أصحاب الشرط حتى أخرجوهم، فلما انتهوا إلى جبانة عرزم نظر قبيصة بن ضبيعة العبسي إلى داره في جبانة عرزم، فإذا بناته مشرفات، فقال لوائل وكثير: أدنياني أوص أهلي، فأدنياه. فلما دنا منهن بكين، فسكت عنهن ساعة، ثم قال: اسكتن، فسكتن، فقال: اتقين الله واصبرن، فإني أرجو من ربي في وجهي هذا خيراً: إحدى الحسنيين؛ إما الشهادة فنعم سعادة، وإما الانصراف إليكن في عافية؛ فإن الذي كان يرزقكن ويكفيني مؤنتكن هو الله تبارك وتعالى وهو حي لا يموت، وأرجو ألا يضيعكن، وأن يحفظني فيكن. ثم انصرف، فجعل قومه يدعون له بالعافية.

وجاء شريح بن هانىء بكتاب، فقال: بلغوا هذا عني أمير المؤمنين، فتحمله وائل بن حجر.

ومضوا بهم حتى انتهوا إلى مرج عذراء ، فحبسوا به وهم على أميال من دمشق، وهم: حجر بن عدي الكندي،

والأرقم بن عبد الله الكندي، وشريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، وكريم بن عفيف الخثعمي، وعاصم بن عوف البجلي، وورقاء بن سمي البجلي ، وكدام بن حيان، وعبد الرحمن بن حسان العتريان، ومحرز بن شهاب المنقري، وعبد الله بن جؤية التميمي، وأتبعهم زياد برجلين، وهما عتبة بن الأخنس السعدي، وسعيد بن نمران الهمداني الناعطي، فكانوا أربعة عشر.

كتاب زياد إلى معاوية فبعث معاوية إلى وائل بن حجر وكثير، فأدخلهما، وفض كتابهما، وقرأه على أهل الشام: "بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله معاوية بن أبي سفيان أميرالمؤمنين، من زياد بن أبي سفيان.

أما بعد، فإن الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء فأداله من عدوه، وكفاه مؤونة من بغى عليه، إن طواغيت الترابية السابة رأسهم حجر بن عدي، خلعوا أمير المؤمنين، وفارقوا جماعة المسلمين، ونصبوا لنا حرباً فأطفأها الله عليهم، وأمكننا منهم، وقد دعوت خيار أهل المصر وأشرافهم وذوي النهى والدين، فشهدوا عليهم بما رأوا وعلموا، وقد بعثت إلى أمير المؤمنين، وكتبت شهادة صلحاء أهل المصر وخيارهم في أسفل كتابي هذا".

فلما قرأ الكتاب قال: ما ترون في هؤلاء؟ فقال يزيد بن أسد البجلي: أرى أن تفرقهم في قرى الشام، فتكفيكهم طواغيتها .

كتاب شريح بن هانىء إلى معاوية ودفع وائل كتاب شريح إليه، فقرأه وهو: "بسم الله الرحمن الرحيم.

لعبد الله معاوية أمير المؤمنين، من شريح بن هانىء.

أما بعد؛ فقد بلغني أن زياداً كتب إليك بشهادتي على حجر، وإن شهادتي على حجر أنه ممن يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، حرام المال والدم، فإن شئت فاقتله، وإن شئت فدعه".

معاوية يكتب إلى زياد بحيرته في أمر حجر وأصحابه، وزياد يرد عليه بطلب عقابهم فقرأ كتابه على وائل، وقال: ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم. فحبس القوم بعد هذا، وكتب إلى زياد: "فهمت ما اقتصصت من أمر حجر وأصحابه والشهادة عليهم، فأحياناً أرى أن أقتلهم أفضل، وأحياناً أرى أن العفو أفضل من قتلهم".

فكتب زياد إليه مع يزيد بن حجية التيمي: "قد عجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم مع شهادة أهل مصرهم عليهم، وهم أعلم بهم؛ فإن كانت لك حاجة في هذا المصر فلا تردن حجراً وأصحابه إليه.

حجر يطلب إبلاغ معاوية تمسكه ببيعته فمر يزيد بحجر وأصحابه فأخبرهم بما كت به زياد، فقال له حجر: أبلغ أمير المؤمنين أنا على بيعته لا نقيلها ولا نستقيلها، وإنما شهد علينا الأعداء والأظناء .

فقدم يزيد بن حجية على معاوية بالكتاب، وأخبره بقول حجر. فقال معاوية: زياد أصدق عندنا من حجر.

وكتب جرير بن عبد الله في أمر الرجلين اللذين من بجيلة، فوهبهما له وليزيد بن أسد، وطلب وائل بن حجر في الأرقم الكندي، فتركه، وطلب أبو الأعور في عتبة بن الأخنس فوهبه له، وطلب حمزة من مالك الهمداني في سعيد بن نمران فوهبه له، وطلب حبيب بن مسلمة في عبد الله بن جؤية التميمي فخلى سبيله.

فقام مالك بن هبيرة، فسأله في حجر فلم يشفعه؛ فغضب وجلس في بيته. وبعث معاوية هدبة بن فياض القضاعي والحصين بن عبد الله الكلابي، وآخر معهما يقال له أبو صريف البدري، فأتوهم عند المساء، فقال الخثعمي حين رأى الأعور: يقتل نصفنا وينجو نصفنا. فقال سعيد بن نمران: اللهم اجعلني ممن ينجو، وأنت عني راض. فقال عبد الرحمن بن حسان العنزي: اللهم اجعلني ممن يكرم بهوانهم وأنت عني راض، فطالما عرضت نفسي للقتل، فأبى الله إلا ما أراد.

رسول معاوية يطلب من أصحاب حجر لعن علي فيأبون فجاء رسول معاوية إليهم فإنه لمعهم إذ جاء رسول بتخلية ستة منهم وبقي ثمانية. فقال لهم رسول معاوية: إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي واللعن له، فإن فعلتم هذا تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم، وأمير المؤمنين يزعم أن دماءكم قد حلت بشهادة أهل مصركم عليكم، غير أنه قد عفا عن ذلك فابرءوا من هذا الرجل يخل سبيلكم. قالوا: لسنا فاعلين؛ فأمر بقيودهم فحلت، وأتي بأكفانهم فقاموا الليل كله يصلون. فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية: يا هؤلاء، قد رأيناكم البارحة أطلتم الصلاة، وأحسنتم الدعاء، فأخبرونا ما قولكم في عثمان، قالوا: هو أول من جار في الحكم، وعمل بغير الحق. فقالوا: أمير المؤمنين كان أعرف بكم. ثم قاموا إليهم وقالوا: تبرءون من هذا الرجل؟ قالوا: بل نتولاه.

فأخذ كل رجل منهم رجلاً يقتله، فوقع قبيصة في يدي أبي صريف البدري، فقال له قبيصة: إن الشر بين قومي وقومك أمين ، أي آمن فليقتلني غيرك، فقال: برتك رحم. فأخذ الحضرمي فقتله.

وقتل القضاعي صاحبه، ثم قال لهم حجر: دعوني أصلي ركعتين، فإني والله ما توضأت قط إلا صليت، فقالوا له: صل، فصلى ثم انصرف، فقال: والله ما صليت صلاة قط أقصر منها، ولولا أن يروا أن ما بي جزع من الموت لأحببت أن أستكثر منها، ثم قال: اللهم إنا نستعديك على أمتنا، فإن أهل الكوفة قد شهدوا علينا، وإن أهل الشام يقتلوننا، أما والله لئن قتلتمونا فإني أول فارس من المسلمين سلك في واديها، وأول رجل من المسلمين نبحته كلابها، فمشى إليه هدبة بن الفياض الأعور بالسيف، فأرعدت خصائله ، فقال: كلا، زعمت أنك لا تجزع من الموت، فإنا ندعك، فابرأ من صاحبك. فقال: ما لي لا أجزع، وأنا أرى قبراً محفوراً، وكفناً منشوراً، وسيفاً مشهوراً، وإني والله إن جزعت لا أقول ما يسخط الرب، فقتله.

أمر عبد الرحمن بن حسان وكريم بن عفيف مع معاوية وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستة نفر، فقال عبد الرحمن بن حسان وكريم بن عفيف : ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين، فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته. فبعثوا إلى معاوية فأخبروه، فبعث: ائتوني بهما. فالتفتا إلى حجر، فقال له العنزي: لا تبعد يا حجر، ولا يبعد مثواك؛ فنعم أخو الإسلام كنت، وقال الخثعمي نحو ذلك. ثم مضى بهما، فالتفت العنزي، فقال متمثلاً:

كفى بشفاة القبر بعداً لهالك وبالموت قطاعاً لحبل القرائن

فلما دخل عليه الخثعمي قال له: الله الله يا معاوية! إنك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة، ومسؤول عما أردت بقتلنا، وفيما سفكت دماءنا. فقال: ما تقول في علي؟ قال: أقولفيه قولك، أتبرأ من دين

علي الذي كان يدين الله به! وقام شمر بن عبد الله الخثعمي فاستوهبه، فقال: هو لك، غير أني حابسه شهراً، فحبسه، ثم أطلقه على ألا يدخل الكوفة ما دام له سلطان. فنزل الموصل، فكان ينتظر موت معاوية ليعود إلى الكوفة، فمات قبل معاوية بشهر.

وأقبل على عبد الرحمن بن حسان، فقال له: يا أخا ربيعة، ما تقول في علي؟ قال: أشهد أنه من الذاكرين الله كثيراً والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والعافين عن الناس. قال: فما تقول في عثمان؟ قال: هو أول من فتح أبواب الظلم، وأرتج أبواب الحق. قال: قتلت نفسك. قال: بل إياك قتلت، لا ربيعة بالوادي؛ يعني أنه ليس ثم أحد من قومه فيتكلم فيه.

فبعث به معاوية إلى زياد، وكتب إليه: إن هذا شر من بعثت به، فعاقبه بالعقوبة التي هو أهلها واقتله شر قتلة. فلما قدم به على زياد بعث به إلى قس الناطف ، فدفنه حياً.

قال أبو مخنف، عن رجاله: فكان من قتل منهم سبعة نفر: حجر بن عدي، وشريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، ومحرز بن شهاب المنقري، وكدام بن حيان العنزي وعاصم بن عوف البجلي، وورقاء بن سمي البجلي، وأرقم بن عبد الله الكندي، وعتبة بن الأخنس السعدي من هوازن، وسعيد بن نمران الهمذاني.

وبعث معاوية إلى مالك بن هبيرة لما غضب بسبب حجر مائة ألف درهم، فرضي.

قال أبو مخنف: فحدثني ابن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، قال: أدركت الناس يقولون: أول ذلك دخل الكوفة قتل حجر، ودعوة زياد، وقتل الحسين.

قال: وجعل معاوية يقول عند موته: أي يوم لي من ابن الأدبر طويل!.

عائشة تبعث عبد الرحمن بن الحارث إلى معاوية في أمر حجر وأصحابه قال أبو مخنف: وحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق من بني عامر بن لؤي أن عائشة بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية في حجر وأصحابه، فقدم عليه وقد قتلهم، فقال له: أين غاب عنك حلم أبي سفيان؟ فقال: حين غاب عني مثلك من حلماء قومي، وحملني ابن سمية فاحتملت.

قال: وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: لولا أنا لم نغير شيئاً قط إلا آلت بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيرنا قتل حجر، أما والله إن كان لمسلماً ما علمته حاجاً معتمراً.

رثاء حجر وقالت امرأة من كندة ترثي حجراً :

ترفع أيها القمر المنير ... لعلك أن ترى حجراً يسير

يسير إلى معاوية بن حرب ... ليقتله كما زعم الأمير

ألا يا ليت حجراً مات موتاً ... ولم ينحر كما نحر البعير

ترفعت الجبابر بعد حجر وطاب لها الخورنق والسدير
وأصبحت البلاد له محولاً كأن لم يحيها مزن مطير
ألا يا حجر حجر بني عدي تلقتك السلامة والسرور
أخاف عليك سطوة آل حرب وشيخاً في دمشق له زئير
يرى قتل الخيار عليه حقاً له من شر أمته وزير
فإن تهلك فكل زعيم قوم إلى هلك من الدنيا يصير

صوت

أحن إذا رأيت جمال سعدى وأبكي إن رايت لها قرينا
وقد أفد الرحيل فقل لسعدى: لعمرك خبري ما تأمرينا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، يقوله في سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف. والغناء لابن سريج، رمل بالوسطى، عن حبش. وقد قيل: إن عمر قال هذا البيت في بيت آخر في ليلى بنت الحارث بن عوف المري. وفيه أيضاً غناء، وهو: صوت

ألا يا ليل إن شفاء نفسي نوالك إن بخلت فزودينا
وقد أفد الرحيل وحان منا فراقك فانظري ما تأمرينا

غنى به الغريض ثقيلاً أول بالبنصر، عن عمرو وحبش، وفيه خفيف ثقيل يقال إنه أيضاً للغريض. ومن الناس من ينسبه إلى ابن سريج.

أخبار لعمر بن أبي ربيعة

سعدى بنت عبد الرحمن تبعث إليه تعظه

أخبرني حرمي، عن الزبير، عن طارق بن عبد الواحد، قال: قال عبد الرحمن المخزومي: كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسة في المسجد، فرأت عمر بن أبي ربيعة في الطواف، فأرسلت إليه: إذا قضيت طوافك فائتنا، فلما قضى طوفه أتاها فحادثها، وأنشدها، فقالت: ويحك يابن أبي ربيعة. ماتزال سادراً في حرم الله منتهكاً، تتناول بلسانك ربات الحجال من قريش؟! فقال: دعي هذا عنك، أما سمعت ما قلت فيك؟ قالت: وما قلت في؟ فأنشدها:

أحن إذا رأيت جمال سعدى وأبكي إن رأيت لها قرينا
أسعدى إن أهلك قد أجدوا رحيلاً فانظري ما تأمرينا

فقالت: آمرك بتقوى الله، وترك ما أنت عليه.

ابن أبي عتيق ينشد سعدى قول عمر

قال الزبير: وحدثني عبد الله بن مسلم، قال: أنشد عمر بن أبي ربيعة بن أبي عتيق قوله:

أحن إذا رأيت جمال سعدى

قال: فركب ابن أبي عتيق فأتى سعدى بالجناب من أرض بني فزارة. فأنشدها قول عمر، وقال لها: ما تأمرين؟ فقالت: آمره بتقوى الله يابن الصديق.

يستوقف ليلى بنت الحارث وينشدها

قال الزبير: وحدثني طارق بن عبد الواحد، عن أبي عبيدة، عن عبد الرحمن المخزومي، قال:
لقي عمر بن أبي ربيعة ليلى بنت الحارث بن عوف المري، وهو يسير على بغلة، فقال لها: قفي أسمعك بعض ما قلت فيك؟ فوقفت، فقال:

ألا يا ليل إن شفاء نفسي نوالك إن بخلت فنولينا

قال: فما بلغت أنها ردت عليه شيئاً، ومضت.
وقد روى هذا الخبر إبراهيم بن المنذر، عن محمد بن معن، فذكر أن ابن أبي عتيق إنما مضى إلى ليلى بنت الحارث بن عوف، فأنشدها هذا البيت، وهو الصحيح؛ لأن حلولها بالجناب من أرض فزارة أشبه بها منه بسعدى بنت عبد الرحمن بن عوف. ورواية الزبير فيما أروى وهم لاختلاط الشعرين في سعدى وليلى.

خبر آخر لسعدى معه

أخبرني حرمي، عن الزبير، عن محمد بن سلام، قال: كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسة في المسجد الحرام، فرأت عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت، فأرسلت إليه: إذا فرغت من طوافك، فائتنا، فأتاها، فقالت: ألا اراك يابن أبي ربيعة إلا سادراً في حرم الله! أما تخاف الله! ويحك إلى متى هذا السفه! قال: أي هذه، دعي عنك هذا من القول. أما سمعت ما قلت فيك؟ قالت: لا، فما قلت؟ فأنشدها قوله : صوت

قالت سعيدة والدموع ذوارفٌ منها على الخدين والجلباب
ليت المغيري الذي لم أجزه فيما أطال تصيدي وطلابي
كانت ترد لنا المنى أيامنا إذ لا نلام على هوى وتصابي
أسعيد ما ماء الفرات وطيبه مني على ظمأ وحب شراب

بألذ منك وإن نأيت وقلما يرعى النساء أمانة الغياب

عروضه من الكامل، غناه الهذلي رملاً بالوسطى، عن الهشامي، وغناه الغريض خفيف ثقيل بالوسطى، عن عمرو.

فقالت: أخزاك الله يا فاسق، ما علم الله أني قلت مما قلت حرفاً، ولكنك إنسان بهوت .

وهذا الشعر تغني فيه:

قالت سكينة والدموع ذوارف

وفي موضع:

أسعيد ما ماء الفرات وبرده

أسكين. وإنما غيره المغنون: ولفظ عمر ما ذكر فيه في الخبر.

إسحاق يغني الرشيد شعر عمر في سكينة

وقد أخبرني إسماعيل بن يونس، عن ابن شبة، عن إسحاق، قال: غنيت الرشيد يوماً بقوله:

قالت سكينة والدموع ذوارفٌ منها على الخدين والجلباب

فوضع القدح من يده وغضب غضباً شديداً، وقال: لعنه الله الفاسق، ولعنك معه. فسقط في يدي، وعرف ما بي، فسكن، ثم قال: ويحك! أتغنيني بأحاديث الفاسق ابن أبي ربيعة في بنت عمي، وبنت رسول الله صلى الله عليه وسلم! ألا تتحفظ في غنائك وتدري ما يخرج من رأسك! عد إلى غنائك الآن، وانظر بين يديك. فتركت هذا الصوت حتى أنسيته، فما سمعه مني أحد بعده. والله أعلم.

صوت

فلا زال قبر تبنى وجاسم عليه من الوسمي جود ووابل

فينبت حوذاناً وعوفاً منوراً سأتبعه من خير ما قال قائل

عروضه من الطويل، والشعر لحسان بن ثابت الأنصاري. وهذا القبر الذي ذكره حسان فيما يقال قبر الأيهم بن جبلة بن الأيهم الغساني. وقيل: إنه قبر الحارث بن مارية الجفني، وهو منهم أيضاً. والغناء لعزة الميلاء، خفيف ثقيل، أول بالوسطى، مما لا يشك فيه من غنائها. وقد نسبه قوم إلى ابن عائشة، وذلك خطأ.

أخبار عزة الميلاء

كانت عزة مولاة للأنصار، ومسكنها المدينة، وهي أقدم من غنى الغناء الموقع من النساء بالحجاز، وماتت قبل جميلة، وكانت من أجمل النساء وجهاً، وأحسنهن جسماً، وسميت الميلاء؛ لتمايلها في مشيها.

سبب تسميتها الميلاء

وقيل: بل كانت تلبس الملاء، وتشبه بالرجال، فسميت بذلك. وقيل: بل كانت مغرمة بالشراب، وكانت تقول: خذ ملئاً واردد فارغاً - ذكر ذلك حماد بن إسحاق، عن أبيه.
والصحيح أنها سميت الميلاء لميلها في مشيتها.

مكانتها في الموسيقى والغناء

قال إسحاق: ذكر لي ابن جامع، عن يونس الكاتب، عن معبد، قال: كانت عزة الميلاء ممن أحسن ضرباً بعود، وكانت مطبوعة على الغناء، لا يعيبها أداؤه ولا صنعته ولا تأليفه، وكانت تغني أغاني القيان من القدائم، مثل سيرين ، وزرنب، وخولة، والرباب، وسلمى، ورائقة، وكانت رائقة أستاذها. فلما قدم نشيط وسائب خاثر المدينة غنيا أغاني بالفارسية، فلقنت عزة عنهما نغماً، وألفت عليها ألحاناً عجيبة، فهي أول من فتن أهل المدينة بالغناء، وحرض نساءهم ورجالهم عليه.

رأي مشايخ أهل المدينة فيها

قال إسحاق: وقال الزبير: إنه وجد مشايخ أهل المدينة إذا ذكروا عزة قالوا: لله درها! ما كان أحسن غناءها، ومد صوتها، وأندى حلقها، وأحسن ضربها بالمزاهر والمعازف وسائر الملاهي، وأجمل وجهها، وأظرف لسانها، وأقرب مجلسها، وأكرم خلقها، وأسخى نفسها، وأحسن مساعدتها.
قال إسحاق: وحدثني أبي، عن سياط، عن معبد، عن جميلة، بمثل ذلك من القول فيها.
أخذ عنها ابن سريج وابن محرز قال إسحاق: وحدثني أبي، عن يونس، قال: كان ابن سريج في حداثة سنه يأتي المدينة، فيسمع من عزة ويتعلم غناءها، ويأخذ عنها، وكان بها معجباً، وكان إذا سئل: من أحسن الناس غناء؟ قال: مولاة الأنصار المفضلة على كل من غنى وضرب بالمعازف والعيدان من الرجال والنساء.
قال: وحدثني هشام بن المرية أن ابن محرز كان يقيم بمكة ثلاثة أشهر، ويأتي المدينة فيقيم بها ثلاثة أشهر من أجل عزة، وكان يأخذ عنها.
رأي طويس فيها قال إسحاق: وحدثني الجمحي، عن جرير المغني المديني، أن طويساً كان أكثر ما يأوي إلى منزل عزة الميلاء، وكان في جوارها، وكان إذا ذكرها يقول: هي سيدة من غنى من النساء، مع جمال بارع، وخلق فاضل وإسلام لا يشوبه دنس؛ تأمر بالخير وهي من أهله، وتنهى عن السوء وهي مجانبة له، فناهيك ما

كان أنبلها وأنبل مجلسها!.

ثم قال: كانت إذا جلست جلوساً عاماً فكأن الطير على رؤوس أهل مجلسها، من تكلم أو تحرك نقر رأسه.

قال ابن سلام: فما ظنك بمن يقول: فيه طويس هذا القول! ومن ذلك الذي سلم من طويس!.

سمعها معبد وقد أسنت فأعجب بها

قال إسحاق: وحدثني أبو عبد الله الأسلمي، عن معبد: أنه أتى عزة يوماً وهي عند جميلة وقد أسنت، وهي تغني على معرفة في شعر ابن الإطنابة، قال:

عللاني وعللا صاحبيا واسقياني من المروق ريا

قال: فما سمع السامعون قط بشيء أحسن من ذلك. قال معبد: هذا غناؤها، وقد أسنت، فكيف بها وهي شابة!.

ابن أبي ربيعة يغشى عليه حين سمعها

قال إسحاق: وذكر لي عن صالح بن حسان الأنصاري، قال: كانت عزة مولاة لنا، وكانت عفيفة جميلة، وكان عبد الله بن جعفر، وابن أبي عتيق، وعمر بن أبي ربيعة يغشونها في منزلها فتغنيهم. وغنت يوماً عمر بن أبي ربيعة لحناً لها في شيء من شعره، فشق ثيابه، وصاح صيحة عظيمة صعق معها، فلما أفاق قال له القوم: لغيرك الجهل يا أبا الخطاب! قال: إني سمعت والله ما لم أملك معه نفسي ولا عقلي.

وقال إسحاق: وحدثني أبو عبد الله الأسلمي المدني، قال: كان حسان بن ثابت معجباً بعزة الميلاء، وكان يقدمها على سائر قيان المدينة.

غنت شعراً لحسان بن ثابت فبكى

أخبرني حرمي، عن الزبير، عن محمد بن الحسن المخزومي، عن محرز بن جعفر، قال: ختن زيد بن ثابت الأنصاري بنته، فأولم؛ فاجتمع إليه المهاجرون والأنصار وعامة أهل المدينة، وحضر حسان بن ثابت وقد كف بصره يومئذ، وثقل سمعه، وكان يقول إذا دعي: أعرس أم عذار ؟ فحضر ووضع بين يديه خوان ليس عليه إلا عبد الرحمن ابنه، فكان يسأله: أطعام يد أم يدين؟ فلم يزل يأكل حتى جاءوا بالشواء، فقال: طعام يدين؛ فأمسك يده حتى إذا فرغ من الطعام ثنيت وسادة، وأقبلت الميلاء، وهي يومئذ شابة، فوضع في حجرها مزهر، فضربت به، ثم تغنت، فكان أول ما ابتدأت به شعر حسان، قال:

فلا زال قبر بين بصرى وجلق عليه من الوسمي جود ووابل

فطرب حسان، وجعلت عيناه تنضحان، وهو مصغ لها.

أخبرني ابن عبد العزيز الجوهري، عن ابن شبة، عن الأصمعي، عن أبي الزناد، قال: قلت لخارجة بن زيد: أكان

يكون هذا الغناء عندكم؟ قال: كان يكون في العرسات و لم يكن يشهد بما يشهد به اليوم من السعة.

وكان في إخواننا بني نبيط مأدبة، فدعينا، وثم قينة أو قينتان تنشدان شعر حسان بن ثابت، قال :

انظر خليلي بباب جلق هل تبصر دون البلقاء من أحد؟ ؟

قال: وحسان يبكي، وابنه يومىء إليهما أن زيداً؛ فإذا زادتا بكى حسان، فأعجبني ما يعجبه من أن تبكيا أباه، وقد كف بصر حسان بن ثابت يومئذ.

أخبرنا وكيع، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن الواقدي، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، قال: سمعت خارجة بن زيد يقول: دعينا إلى مأدبة في آل نبيط، قال خارجة: فحضرتها، وحسان بن ثابت قد حضرها، فجلسنا جميعاً على مائدة واحدة، وهو يومئذ قد ذهب بصره، ومعه ابنه عبد الرحمن، فكان إذا أتى طعام سأل ابنه: أطعام يد أم يدين؟ يعني باليد الثريد وباليدين الشواء؛ لأنه ينهش نهشاً، فإذا قال: طعام يدين أمسك يده. فلما فرغوا من الطعام أتوا بجاريتين: إحداهما رائقة والأخرى عزة، فجلستا وأخذتا مزهريهما، وضربتا ضرباً عجيباً، وغنتا بقول حسان:

انظر خليلي بباب جلق هل تبصر دون البلقاء من أحد

فأسمع حساناً يقول:

قد أراني بها سميعاً بصيراً

وعيناه تدمعان، فإذا سكنتا سكت عنه البكاء، وإذا غنتا بكى، فكنت أرى ابنه عبد الرحمن إذا سكتتا يشير إليهما أن تغنيا، فيبكي أبوه، فأقول: ما حاجته إلى إبكاء أبيه!.

قال الواقدي: فحدثت بهذا الحديث يعقوب بن محمد الظفري، فقال: سمعت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان يقول: لما انقلب حسان من مأدبة بني نبيط إلى منزله استلقى على فراشه، ووضع إحدى رجليه على الأخرى، وقال: لقد أذكرتني رائقة وصاحبتها أمراً ما سمعته أذناي بعيد ليالي جاهليتنا مع جبلة بن الأيهم! فقلت: يا أبا الوليد! أكان القيان يكن عند جبلة؟، فتبسم ثم جلس، فقال: لقد رأيت عشر قيان: خمس روميات يغنين بالرومية بالبرابط، وخمس يغنين غناء أهل الحيرة، وأهداهن إليه إياس بن قبيصة، وكان يفد إليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها، وكان إذا جلس للشرب فرش تحته الآس والياسمين وأصناف الرياحين، وضرب له العنبر والمسك في صحاف الفضة والذهب، وأتي بالمسك الصحيح في صحاف الفضة، وأوقد له العود المندى إن كان شاتياً، وإن كان صائفاً بطن بالثلج، وأتي هو وأصحابه بكساً صيفية يتفضل هو وأصحابه بها في الصيف، وفي الشتاء الفراء الفنك ، وما أشبهه، ولا والله ما جلست معه يوماً قط إلا خلع علي ثيابه التي عليه في ذلك اليوم، وعلى غيري من جلسائه، هذا مع حلم عمن جهل، وضحك وبذل من غير مسألة، مع حسن وجه وحسن حديث، ما رأيت منه خنى قط ولا عربدة، ونحن يومئذ على الشرك، فجاء الله بالإسلام فمحا بل كل كفر، وتركنا الخمر وما

كره، وأنتم اليوم مسلمون تشربون هذا النبيذ من التمر، والفضيخ من الزهر والرطب، فلا يشرب أحدكم ثلاثة أقداح حتى يصاحب صاحبته ويفارقها، وتضربون فيه كما تضرب غرائب الإبل فلا تنتهون!.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن أبي أيوب المديني، عن مصعب الزبيري، عن الضحاك، عن عثمان بن أبي الزناد، عن أبيه، عن خارجة بن زيد مثله، وزاد فيه: فلما فرغنا من الطعام ثقل علينا جلوس حسان، فأومأ ابنه إلى عزة الميلاء فغنت:

انظر خليلي بباب جلق هل ... تبصر دون البلقاء من أحد

فبكى حسان حتى سدر ، ثم قال: هذا عمل الفاسق، أما لقد كرهتم مجالستي، فقبح الله مجلسكم سائر اليوم، وقام فانصرف.

أخبرني حرمي، عن الزبير، عن عمه مصعب، قال: ذكر هشام بن عروة، عن أبيه: أنه دعي إلى مأدبة في زمن عثمان، ودعي حسان ومعه ابنه عبد الرحمن، ثم ذكر نحو ما ذكره عمر بن شبة عن الأصمعي في الحديث الأول، قال : نسبة هذا الصوت

انظر خليلي بباب جلق هل ... تؤنس دون البلقاء من أحد
أجمال شعثاً إن هبطن من ال ... محبس بين الكثبان فالسند
يملن حوراً حور المدامع في ال ... ريط وبيض الوجوه كالبرد
من دون بصرى ودونها جبل الثل ... ج عليه السحاب كالقرد
إني وأيدي المخيسات وما ... يقطعن من كل سربخ جدد
أهوى حديث الندمان في فل ... ق الصبح وصوت المسامر الغرد

تقول شعثاً بعد ما هبطت ... بصور حسنى من احتدى بلدي
لا أخدش الخدش بالحبيب ولا ... يخشى نديمي إذا انتشيت يدي

الشعر لحسان بن ثابت، والغناء لعزة الميلاء، رمل بالبنصر، وفيه خفيف ثقيل ينسب إلى ابن محرز، وإلى عزة الميلاء. وإلى الهذلي في:

تقول شعثاء بعد ما هبطت

وما بعده من الأبيات، ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيها لعبد الرحيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو.

نسب شعثاء التي شبب بها حسان بن ثابت وشعثاء هذه التي شبب بها حسان - فيما ذكر الواقدي ومصعب

الزبيري - امرأة من أسلم، تزوجها حسان، وولدت منه بنتاً يقال لها أم فراس تزوجها عبد الرحمن بن أم الحكم.
وذكر أبو عمرو الشيباني مثل ما ذكره في نسبهان ووصف أنه خطبها إلى قومها من أسلم فردوه، فقال يهجوهم :

لقد أتى عن بني الجرباء قولهم ودونهم قف جمدان فموضوع
قد علمت أسلم الأرذال أن لها جاراً سيقتله في داره الجوع
وأن سيمنعهم مما نووا حسب مقطوع لن يبلغ المجد والعلياء
وقد علوا زعموا عنى بأختهم وفي الذرا حسبي والمجد مرفوع
ويل أم شعثاء شيئاً تستغيث به إذا تجللها النعظ الأفاقيع
كأنه في صلاها وهي باركةٌ ذراع بكر من النياط منزوع

وكانت بنت رئيس اليهود

أخبرني حرمي، عن الزبير، عن إبراهيم بن المنذر، عن أبي القاسم بن أبي الزناد، عن أخيه عبد الرحمن، عن أبيه، عن خارجة بن زيد، قال: شعثاء هذه بنت عمرو، من بني ماسكة من يهود، وكانت مساكن بني ماسكة بناحية القف، وكان أبو شعثاء قد رأس اليهود التي تلي بيت الدراسة للتوراة، وكان ذا قدر فيهم، فقال حسان يذكر ذلك:

من شعر حسان في شعثاء

هل في تصابي الكريم من فند أم هل لمدى الأيام من نفد
تقول شعثاء: لو أفقت عن الكا س لألفيت مثري العدد
يأبى لي السيف واللسان وقو م لم يضاموا كبدة الأسد

وذكر باقي الأبيات التي فيها الغناء.
ومما قاله حسان بن ثابت في شعثاء، وغني به قوله :

ما هاج حسان رسوم المقام ومظعن الحي ومبنى الخيام
والنؤي قد هدم أعضاده تقادم العهد بوادي تهام
قد أدرك الواشون ما حاولوا والحبل من شعثاء رث رمام
جنية أرقني طيفها يذهب صبحاً ويرى في المنام

هل هي إلا ظبية مطفل مألفها السدر بنعفي برام
ترعى غزالاً فاتراً طرفه مقارب الخطو ضعيف البغام
كأن فاها ثغب بارد في رصف تحت ظلال الغمام
شج بصهباء لها سورة من بنت كرم عتقت في الخيام
تدب في الكأس دبيباً كما دب دبى وسط رفاق هيام
من خمر بيسان تخيرتها درياقة توشك فتر العظام
يسعى بها أحمر ذو برنس محتلق الذفرى شديد الحزام

يقول فيها :

قومي بنو النجار إذ أقبلت شهباء ترمي أهلها بالقتام
لا تخذل الجار ولا تسلم المول ى ولا تخصم يوم الخصام

الشعر لحسان، والغناء لمعبد، خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى في البيت الأول من الأبيات، والرابع والتاسع والحادي عشر. وذكر الهشامي أن فيه لحناً لابن سريج من الرمل بالوسطى.

وهذه الأبيات يقولها حسان في حرب كانت بينهم وبين الأوس، تعرف بحرب مزاحم، وهو حصن من حصونهم.

شعر لحسان في حرب بين الأوس والخزرج

أخبرني بخبره حرمي عن الزبير، عن عمه مصعب، قال: جمعت الأوس وحشدت بأحلافها، ورأسوا عليهم أبا قيس بن الأسلت يومئذ، فسار بهم حتى كان قريباً من مزاحم. وبلغ ذلك الخزرج، فخرجوا يومئذ وعليهم سعد بن عبادة؛ وذلك أن عبد الله بن أبي كان مريضاً أو متمارضاً، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقتلت بينهم قتلى كثيرة، وكان الطول يومئذ للأوس؛ فقال حسان في ذلك:

ما هاج حسان رسوم المقام ومظعن الحي ومبنى الخيام

وذكر الأبيات كلها.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن عمر بن القاسم بن الحسن، عن محمد بن سعد، عن الواقدي، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي، قال: قال رجل من أهل المدينة: ما ذكر بيت حسان بن ثابت :

أهوى حديث الندمان في فل ق الصبح وصوت المسامر الغرد

إلا عدت في الفتوة كما كنت. قال: وهذا البيت من قصيدته التي يقول فيها:

أنظر خليلي بباب جلق هل تؤنس البلقاء من أحد

وقد روى أيضاً في هذا الخبر غير الروايتين اللتين ذكرتهما.

عبد الرحمن يحتال لإبعاد أبيه عن مجلس أصحابه

أخبرني بذلك حرمي، عن الزبير، عن وهب بن جرير عن جويرية بن أسماء، عن عبد الوهاب بن يحيى، عن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن شيخ من قريش، قال: إني وفتية من قريش عند قينة من قيان المدينة، ومعنا عبد الرحمن بن حسان بن ثابت إذ استأذن حسان، فكرهنا دخوله، وشق ذلك علينا؛ فقال لنا عبد الرحمن: أيسركم ألا يجلس؟ قلنا: نعم. قال: فمروها إذا نظرت إليه أن ترفع عقيرتها وتغني:

أولاد جفنة عند قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

قال: فوالله لقد بكى حتى ظننا أنه سقطت نفسه، ثم قال: أفيكم الفاسق! لعمري لقد كرهتم مجلسي سائر اليوم، وقام فانصرف، والله تعالى أعلم.

نسبة هذا الصوت وسائر ما يغنى فيه من القصيدة التي هو منها.

صوت

أولاد جفنة عند قبر أبيهم قبر ابن مارية الجواد المفضل

يسقون من ورد البريص عليهم كأساً تصفق بالرحيق السلسل

البريص: موضع بدمشق.

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

ذكر حبش أن فيه لسيرين قينة حسان بن ثابت لحناً ثقيلاً أول ابتداؤه نشيد ، وفيه لعريب ثقيل أول لا يشك فيه.

ومما يغنى فيه من هذه القصيدة قوله : صوت

كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة أرخاهما للمفصل

بزجاجة رقصت بما في قعرها رقص القلوص براكب مستعجل

غناه إبراهيم الموصلي رملاً مطلقاً في مجرى الوسطى، عن إسحاق وعمرو وغيرهما، ويروى: "كلتاهما حلب العصير"، بجعل الفعل للعصير. ويروى للمفصل، بكسر الميم وفتح الصاد، وللمفصل، بفتح الميم وكسر الصاد، وهو اللسان.

أخبرنا بذل علي بن سليمان الأخفش، عن المبرد، حكاية عن أصحابه، عن الأصمعي.

رجع الحديث إلى أخبار عزة الميلاء

عبد الله بن جعفر وناسك بالمدينة قال إسحاق: حدثني مصعب الزبيري، عن محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة، عن أبيه، عن جده، قال: كان بالمدينة رجل ناسك من أهل العلم والفقه، وكان يغشى عبد الله بن جعفر، فسمع جارية مغنية لبعض النخاسين تغني:

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا

فاستهتر بها وهام، وترك ما كان عليه، حتى مشى إليه عطاء وطاووس فلاماه؛ فكان جوابه لهما أن تمثل بقول الشاعر:

يلومني فيك أقوام أجالسهم فما أبالي أطار اللوم أم وقعا

وبلغ عبد الله بن جعفر خبره، فبعث إلى النخاس، فاعترض الجارية، وسمع غناءها بهذا الصوت، وقال لها: ممن أخذته؟ قالت: من عزة الميلاء. فابتاعها بأربعين ألف درهم، ثم بعث إلى الرجل فسأله عن خبره، فأعلمه إياه وصدقه عنه، فقال له: أتحب أن تسمع هذا الصوت ممن أخذته عنه تلك الجارية؟ قال: نعم، فدعا بعزة وقال لها: غنيه إياه، فغنته؛ فصعق الرجل، وخر مغشياً عليه. فقال ابن جعفر: أثمنا فيه، الماء، الماء! فنضح على وجهه، فلما أفاق قال له: أكل هذا بلغ بك عشقها؟ قال: وما خفي عنك أكثر. قال: أفتحب أن تسمعه منها؟ قال: قد رأيت ما نالني حين سمعته من غيرها، وأنا لا أحبها، فكيف يكون حالي إن سمعته منها، وأنا لا أقدر على ملكها! قال: أفتعرفها إن رأيتها؟ قال: أو أعرف غيرها! فأمر بها فأخرجت، وقال: خذها فهي لك، والله ما نظرت إليها إلا عن عرض. فقبل الرجل يديه ورجليه، وقال: أنمت عيني، وأحييت نفسي، وتركتني أعيش بين قومي، ورددت إلي عقلي، ودعا له دعاء كثيراً. فقال: ما أرضى أن أعطيكها هكذا، يا غلام احمل معها مثل ثمنها لكيلا تهتم به ويهتم بها.

نسبة هذا الصوت

صوت

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا واحتلت الغور فالجدين فالفرعا

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

عروضه من البسيط، والشعر للأعشى، أعشى بني قيس بن ثعلبة.

الأصمعي ينحل الأعشى بيتاً من الشعر

وزعم الأصمعي أن البيت الثاني هو صنعه ونحله الأعشى.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، عن عمه، عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه، قال: ما نحلت أحداً من الشعراء شيئاً قط لم يقله إلا بيتاً واحداً نحلته الأعشى، وهو:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

الغناء لعزة الميلاء، خفيف ثقيل أول بالوسطى؛ وذكر عمرو بن بانة أنه لمعبد، وأنكر إسحاق ذلك ودفعه، وفيه للغريض ثقيل أول بالبنصر، وقيل: إنه لجميلة.

ابن جعفر يطلب ألا تمنع عزة من الغناء

قال إسحاق: وحدثني ابن سلام، عن ابن جعدبة، قال: كان ابن أبي عتيق معجباً بعزة الميلاء، فأتى يوماً عند عبد الله بن جعفر، فقال له: بأبي أنت وأمي! هل لك في عزة، فقد اشتقت إليها! قال: لا، أنا اليوم مشغول. فقال: بأبي أنت وأمي! إنها لا تنشط إلا بحضورك، فأقسمت عليك إلا ساعدتني وتركت شغلك، ففعل، فأتياها ورسول الأمير على بابها يقول لها: دعي الغناء، فقد ضج أهل المدينة منك، وذكروا أنك قد فتنت رجالهم ونساءهم. فقال له ابن جعفر: ارجع إلى صاحبك فقل له عني: أقسم عليك إلا ناديت في المدينة: أيما رجل فسد أو امرأة فتنت بسبب عزة إلا كشف نفسه بذلك لنعرفه، ويظهر لنا ولك أمره. فنادى الرسول بذلك، فما أظهر أحد نفسه. ودخل ابن جعفر إليها وابن أبي عتيق معه، فقال لها: لا يهولنك ما سمعت، وهاتي فغنينا، فغنته بشعر القطامي :

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل وإن بليت، وإن طالت بك الطيل

فاهتز ابن أبي عتيق طرباً، فقال عبد الله بن جعفر: ما أراني أدرك ركابك بعد أن سمعت هذا الصوت من عزة. وقد مضت نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني في مواضع أخر.

صوت

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسراً يندبنه قد قمن قبل تبلج الأسحار

عروضه من الكامل. قوله:

قد قمن قبل تبلج الأسحار

يعني أنهن يندبنه في ذلك الوقت؛ وإنما خصه بالندبة لأنه وقت الغارة. يقول: فهن يذكرنه حينئذ؛ لأنه من الأوقات التي ينهض فيها للحرب والغارات. قال الله تبارك وتعالى: "فالمغيرات صبحاً" . وأما قول الخنساء :

ذكرني طلوع الشمس صخراً وأذكره لكل غروب شمس

فإنما ذكرته عند طلوع الشمس للغارة، وعند غروبها للضيف.

الشعر للربيع بن زياد العبسي، والغناء لابن سريج، رمل بالخنصر في مجرى البنصر، عن إسحاق، والله أعلم.

ذكر نسب الربيع بن زياد

وبعض أخباره، وقصة هذا الشعر، والسبب الذي قتل من أجله

نسبه

هو الربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب بن هدم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار؟.

وأمه فاطمة بنت الخرشب، واسم الخرشب عمرو بن النضر بن حارثة بن طريف بن أنمار بن بغيض بن ريث بن غطفان، وهي إحدى المنجبات، كان يقال لبنيها الكملة، وهم: الربيع، وعمارة، وأنس.

أمه إحدى المنجبات

ولما سال معاوية علماء العرب عن البيوتات والمنجبات، وحظر عليهم أن يتجاوزوا في البيوتات ثلاثة، وفي المنجبات ثلاثاً، عدوا فاطمة بنت الخرشب فيمن عدوا، وقبلها حيية بنت رباح الغنوية أم الأحوص وخالد ومالك وربيعة بني جعفر بن كلاب، وماوية بنت عبد مناة بن مالك بن زيد بن عبد الله بن دارم بن عمرو بن تميم، وهي أم لقيط وحاجب وعلقمة بني زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم.

أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد، قال: حدثني محمد بن موسى اليزيدي، قال: حدثني محمد بن صالح بن النطاح، واللفظ له، وخبره أتم، وأخبرني به أبو الحسن الأسدي، قال: حدثنا محمد بن صالح بن النطاح، قال: ولدت فاطمة بنت الخرشب من زياد بن عبد الله العبسي سبعة؛ فعدت العرب المنجبين منهم ثلاثة، وهم خيارهم.

قال محمد بن موسى: قال محمد بن صالح: وحدثني موسى بن طلحة، والوليد بن هشام القحذمي بمثل ذلك،

قال: فمنهم: الربيع ويقال له الكامل، وعمارة وهو الوهاب، وأنس وهو أنس الفوارس وهو الواقعة، وقيس وهو البرد، والحارث وهو الحرون، ومالك وهو لاحق، وعمرو وهو الدارك.

سئلت أمه عن بنيها فلم تدر أيهم أفضل

قال محمد بن موسى: قال ابن النطاح: وحدثني أبو عثمان العمري : أن عبد الله بن جدعان لقي فاطمة بنت الخرشب وهي تطوف بالكعبة فقال لها: نشدتك برب هذه البنية، أي بنيك أفضل؟ قالت: الربيع، لا بل عمارة، لا بل أنس، ثكلتهم إن كنت أدري أيهم أفضل.

قال ابن النطاح: وحدثني أبو اليقظان سحيم بن حفص العجيفي، قال: حدثني أبو الخنساء، قال: سئلت فاطمة عن بنيها أيهم أفضل؟ فقالت: الربيع، لا بل عمارة، لا بل أنس، لا بل قيس، وعيشي ما أدري، أما والله ما حملت واحداً منهم تضعاً، ولا ولدته يتناً، ولا أرضعته غيلاً، ولا منعته قيلاً، ولا أبته على ماقة .

قال أبو اليقظان: أما قولها ما حملت واحداً منهم تضعاً، فتقول: لم أحمله في دبر الطهر وقبل الحيض. وقولها: ولا ولدته يتناً، وهو أن تخرج رجلاه قبل رأسه. ولا أرضعته غيلاً، أي ما أرضعته قبل أن أحلب ثديي. ولا منعته قيلاً، أي لم أمنعه اللبن عند القائلة. ولا أبته على ماقة، أي وهو يبكي.

أمه تصفه وتصف إخوته

قال ابن النطاح: وحدثني أبو اليقظان، قال: حدثني أبو صالح الأسدي قال: سئلت فاطمة بنت الخرشب عن بنيها، فوصفتهم، وقالت في عمارة: لا ينام ليلة يخاف، ولا يشبع ليلة يضاف. وقالت في الربيع: لا تعد مآثره ولا تخشى في الجهل بوادره. وقالت في أنس: إذا عزم أمضى، وإذا سئل أرضى، وإذا قدر أغضى. وقالت في الآخرين اشياء لم يحفظها أبو اليقظان.

حكمته وبعد نظره

وقال ابن النطاح: وحدثني القحذمي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني ابن عياش ، عن رجل من بني عبس، قال: ضاف فاطمة ضيف، فطرحت عليه شملة من خز وهي مسك كما هي، "فلما وجد رائحتها واعتم دنا منها، فصاحت به، فكف عنها، ثم إنه تحرك أيضاً فأرادها عن نفسها" ، فصاحت، فكف، ثم إنه لم يصبر فواثبها فبطشت به، فإذا هي من أشد الناس، فقبضت عليه ثم صاحت: يا قيس، فأتاها، فقالت: إن هذا أرادني عن نفسي، فما ترى فيه؟ فقال: أخي أكبر مني، فعليك به، فنادت: يا أنس، فأتاها، فقالت: إن هذا أرادني عن نفسي فما ترى فيه؟ فقال لها: أخي أكبر مني فسليه، فنادت: يا عمارة، فأتاها فذكرت ذلك له، فقال لها: السيف، وأراد قتله، فقالت له: يا بني، لو دعونا أخاك فهو أكبر منك، فدعت الربيع، فذكرت ذلك له، فقال: أفتطيعونني يا بني زياد؟ قالوا: نعم، قال: فلا تزنوا أمكم، ولا تقتلوا ضيفكم، وخلوه يذهب، فذهب.

شعر قيل في مدحه ومدح إخوته قال ابن النطاح: وقال بعض الشعراء يمدح بني زيادة من فاطمة، يقال: إنه قيس بن زهير، ويقال: حاتم طيىء :

بنو جنية ولدت سيوفاً قواطع كلهم ذكر صنيع

وجارتهم حصان لم تزنى وطاغمة الشتاء فما تجوع

شرى ودي ومكرمتي جميعاً طوال زمانه مني الربيع

وقال سلمة ابن الخرشب خالهم فيهم يخاطب قوماً منهم أرادوا حربه:

أتيتم إلينا ترجفون جماعة فأين أبو قيس وأين ربيع!

وذاك ابن أخت زانه ثوب خاله وأعمامه الأعمام وهو نزيع

رفيق بداء الحرب طب بصعبها إذا شئت رأي القوم فهو جميع

عطوف على المولى ثقيل على العدا أصم عن العوراء وهو سميع

وقال رجل من طيىء، ويقال له الربيع بن عمارة:

فإن تكن الحوادث أفظعتني فلم أر هالكاً كابني زياد

هما رمحان خطيان كانا من السمر المثقفة الجياد

تهاب الأرض أن يطأ عليها بمثلهما تسالم أو تعادي

أمه تقتل نفسها خوفا من العار

وقال الأثرم: حدثني أبو عمرو الشيباني، قال: أغار حمل بن بدر أخو حذيفة بن بدر الفزاري على بني عبس، فظفر بفاطمة بنت الخرشب أم الربيع بن زياد وأخوته راكبة على جمل لها، فقادها بجملها، فقالت له: أي رجل ، ضل حلمك! والله لئن أخذتني فصارت هذه الأكمة بي وبك التي أمامنا وراءنا لا يكون بينك وبين بني زياد صلح أبداً؛ لأن الناس يقولون في هذه الحال ما شاءوه، وحسبك من شر سماعه. قال: فإني أذهب بك حتى ترعي علي إبلي. فلما أيقنت أنه ذاهب بها رمت بنفسها على رأسها من البعير، فماتت خوفاً من أن يلحق بنيها عار فيها.

لبيد يحاول الإيقاع بينه وبين النعمان

وحدثني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عمي عبد الله بن محمد، قال: أخبرنا محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي، قال: وفد أبو براء ملاعب الأسنة - وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب - وإخوته طفيل ومعاوية

وعبيدة، ومعهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر، وهو غلام، على النعمان بن المنذر، فوجدوا عنده الربيع بن زياد العبسي، وكان الربيع ينادم النعمان مع رجل من أهل الشام تاجر، يقال له: سرجون بن نوفل، وكان حريفاً للنعمان - يعني سرجون - يبايعه، وكان أديباً حسن الحديث والمنادمة، فاستخفه النعمان، وكان إذا أراد أن يخلو على شرابه بعث إليه وإلى النطاسي - متطبب كان له - وإلى الربيع بن زياد، وكان يدعى الكامل.
فلما قدم الجعفريون كانوا يحضرون النعمان لحاجتهم، فإذا خلا الربيع بالنعمان طعن فيهم، وذكر معايبهم، ففعل ذلك بهم مراراً، وكانت بنو جعفر له أعداء، فصده عنهم، فدخلوا عليه يوماً فرأوا منه تغيراً وجفاء، وقد كان يكرمهم قبل ذلك ويقرب مجلسهم، فخرجوا من عنده غضاباً، ولبيد في رحالهم يحفظ أمتعتهم، ويغدو بإبلهم كل صباح، فيرعاها، فإذا أمسى انصرف بإبلهم، فأتاهم ذات ليلة فألفاهم يتذاكرون أمر الربيع، وما يلقون منه؛ فسالهم فكتموه، فقال لهم: والله لا أحفظ لكم متاعاً، ولا أسرح لكم بعيراً أو تخبروني.
وكانت أم لبيد امرأة من بني عبس، وكانت يتيمة في حجر الربيع، فقالوا: خالك قد غلبنا على الملك، وصد عنا وجهه، فقال لهم لبيد: هل تقدرون على أن تجمعوا بينه وبيني فأزجره عنكم بقول ممض، ثم لا يلتف النعمان إليه بعده أبداً. فقالوا: وهل عندك من ذلك شيء؟ قال: نعم، قالوا: فإنا نبلوك بشتم هذه البقلة - لبقلة قدامهم دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها بالأرض، تدعى التربة - فقال: هذه التربة التي لا تذكى ناراً، ولا تؤهل داراً، ولا تسر جاراً، عودها ضئيل، وفرعها كليل، وخيرها قليل، بلدها شاسع، ونبتها خاشع، وآكلها جائع، والمقيم عليها ضائع، أقصر البقول فرعاً، وأخبثها مرعى، وأشدها قلعاً، فتعساً لها وجدعاً، القوا بي أخا بني عبس، أرجعه عنكم بتعس ونكس، وأتركه من أمره في لبس.
فقالوا: نصبح فنرى فيك رأينا. فقال لهم عامر: انظروا غلامكم؛ فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء، وإنما يتكلم بما جاء على لسانه، ويهذي بما يهجس في خاطره، وإذا رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم. فرمقوه بأبصارهم، فوجدوه قد ركب رحلاً، فهو يكدم بأوسطه حتى أصبح.

فلما اصبحوا قالوا: أنت والله صاحبنا، فحلقوا رأسه، وتركوا ذؤابتين، وألبسوه حلة، ثم غدوا به معهم على النعمان، فوجدوه يتغذى ومعه الربيع وهما يأكلان، ليس معه غيره، والدار والمجالس مملوءة من الوفود.
فلما فرغ من الغداء أذن للجعفريين فدخلوا عليه، وقد كان تقارب أمرهم، فذكروا للنعمان الذي قدموا له من حاجتهم، فاعترض الربيع في كلامهم، فقام لبيد يرتجز، ويقول :

يا رب هيجاً هي خير من دعه	أكل يوم هامتي مقزعه
نحن بنو أم البنين الأربعه	ومن خيار عامر بن صعصعه
المطعمون الجفنة المدعدعه	والضاربون الهام تحت الخيضعه
يا واهب الخير الكثير من سعه	إليك جاوزنا بلاداً مسبعه

يخبر عن هذا خيبر فاسمعه لا تأكل معه أبيت اللعن مهلاً
إن استه من برص ملمعه وإنه يدخل فيها إصبعه
يدخلها حتى يواري أشجعه كأنما يطلب شيئاً أطعمه

فلما فرغ من إنشاده التفت النعمان إلى الربيع شزراً يرمقه، فقال: أكذا أنت؟ قال: لا، والله، لقد كذب علي ابن الحمق اللئيم. فقال النعمان: أف لهذا الغلام، لقد خبث علي طعامي. فقال: أبيت اللعن، أما إني قد فعلت بأمه. فقال لبيد: أنت لهذا الكلام أهل، وهي من نساء غير فعل ، وأنت المرء فعل هذا بيتيمة في حجره.

فأمر النعمان ببني جعفر فأخرجوا. وقام الربيع فانصرف إلى منزله، فبعث إليه النعمان بضعف ما كان يحبوه به، وأمره بالانصراف إلى أهله.

وكتب إليه الربيع: إني قد تخوفت أن يكون قد وقر في صدرك ما قاله لبيد، ولست برائم حتى تبعث من يجردني فيعلم من حضرك من الناس أني لست كما قال. فأرسل إليه: إنك لست صانعاً بانتفائك مما قال لبيد شيئاً، ولا قادراً على ما زلت به الألسن، فالحق بأهلك. فقال الربيع :

لئن رحلت جمالي إن لي سعة ما مثلها سعة عرضاً ولا طولا
بحيث لو وزنت لخم بأجمعها لم يعدلوا ريشة من ريش سمويلا
ترعى الروائم أحرار البقول بها لا مثل رعيكم ملحاً وغسويلا
فابرق بأرضك يا نعمان متكئاً مع النطاسي يوماً وابن توفيلا

فكتب إليه النعمان :

شرد برحلك عني حيث شئت ولا تكثر علي ودع عنك الأباطيلا
فقد ذكرت به والركب حامله ورداً يعلل أهل الشام والنيلا
فما انتفاؤك منه بعد ما جزعت هوج المطي به إبراق شمليلا
قد قيل ذلك إن حقاً وإن كذباً فما اعتذارك من شيء إذا قيلا
فالحق بحيث رأيت الأرض واسعة وانشر بها الطرف إن عرضاً وإن طولا

داحس والغبراء

وأما الشعر الذي فيه الغناء فإن الربيع بن زياد يقوله في مقتل مالك بن زهير. وكان قتله في بعض تلك الوقائع التي يعرف مبدؤها بداحس والغبراء.

حرب داحس والغبراء وكان السبب في ذلك، فيما أخبرني بن علي بن سليمان الأخفش، ومحمد بن العباس

اليزيدي، قالا: حدثنا أبو سعيد السكري، عن محمد بن حبيب وأبي غسان دماذ، عن أبي عبيدة، وإبراهيم بن سعدان، عن أبيه، قال: كان من حديث داحس أن أمه فرس كانت لقرواش بن عوف بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع يقال لها: جلوى، وكان أبوه يسمى ذا العقال، وكان لحوط بن أبي جابر بن أوس بن حميري بن رياح؛ وإنما سمي داحساً لأن بني يربوع احتملوا ذات يوم سائرين في نجعة، وكان ذو العقال مع ابنتي حوط بن أبي جابر بن أوس تجنبانه، فمرتا به على جلوى فرس قرواش وديقا ؛ فلما رآها الفرس ودى وصهل، فضحك شبان من الحي رأوه، فاستحيت الفتاتان فأرسلتاه فترا على جلوى، فوافق قبولها فأقصت ، ثم أخذه لهما بعض الحي، فلحق بهما حوط، وكان رجلاً شريراً سيىء الخلق، فلما نظر إلى عين الفرس قال: والله لقد نزا فرسي؛ فأخبراني ما شأنه، فأخبرتاه الخبر، فقال: يا آل رياح، لا والله لا أرضى ابداً حتى أخرج ماء فرسي، فقال له بنو ثعلبة: والله ما استكرهنا فرسك؛ إنما كان منفلتاً، فلم يزل الشر بينهما حتى عظم.

فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا: دونكم ماء فرسكم؛ فسطا عليها وأدخل يده في ماء وتراب، ثم أدخلها في رحمها حتى ظن أنه قد أخرج الماء، واشتملت الرحم على ما كان فيها، فنتجها قرواش مهراً، فسماه داحساً لذلك، وخرج كأنه أبوه ذو العقال. وفيه يقول جرير :

إن الجياد يبتن حول خبائنا من آل أعوج أو لذي العقال

وأعوج: فرس لبني هلال.

فلما تحرك المهر سام مع أمه وهو فلو يتبعها، وبنو ثعلبة سائرون، فرآه حوط فأخذه، فقالت بنو ثعلبة: يا بني رياح، ألم تفعلوا فيه أول مرة ما فعلتم ثم هذا الآن! فقالوا: هو فرسنا، ولن نترككم أو نقاتلكم عنه أو تدفعوه إلينا.

فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا: إذاً لا نقاتلكم عنه، أنتم أعز علينا، هو فداؤكم، ودفعوه إليهم.

فلما رأى ذلك بنو رياح قالوا: والله لقد ظلمنا إخوتنا مرتين، ولقد حلموا وكروموا، فأرسلوا به إليهم مع لقوحين.

فمكث عند قرواش ما شاء الله، وخرج أجود خيول العرب.

ثم إن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي أغار على بني يربوع، فلم يصب أحداً غير ابنتي قرواش بن عوف ومائة من الإبل لقرواش، وأصاب الحي وهم خلوف، و لم يشهد من رجالهم غير غلامين من بني أزنم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع، فجالا في متن الفرس مرتدفيه وهو مقيد بقيد من حديد فأعجلهما القوم عن حل قيده، واتبعهما القوم، فضبر بالغلامين ضبراً حتى نجوا به، ونادتهما إحدى الجاريتين: إن مفتاح القيد مدفون في مذود الفرس بمكان كذا وكذا، أي بجنب مذود، وهو مكان، أي لا تترلا عنه إلا في ذلك المكان، فسبقا إليه حتى أطلقاه ثم كرا راجعين.

فلما رأى ذلك قيس بن زهير رغب في الفرس، فقال لهما: لكما حكمكما، وادفعا إلي الفرس، فقالا: أو فاعل أنت؟ قال: نعم، فاستوثقا منه، على أن يرد ما أصاب من قليل وكثير، ثم يرجع عوده على بدئه ، ويطلق الفتاتين، ويخلي عن الإبل، وينصرف عنهم راجعاً. ففعل ذلك قيس، فدفعا إليه الفرس.

فلما رأى ذلك أصحاب قيس قالوا: لا نصالحك أبداً، أصبنا مائة من الإبل وامرأتين ، فعمدت إلى غنيمتنا فجعلتها في فرس لك تذهب به دوننا؛ فعظم في ذلك الشر حتى اشترى منهم غنيمتهم بمائة من الإبل.

فلما جاء قرواش قال للغلامين الأزنميين: أين فرسي؟ فأخبراه، فأبى أن يرضى إلا أن يدفع إليه فرسه، فعظم في ذلك الشر حتى تنافروا فيه، فقضي بينهم أن ترد الفتاتان والإبل إلى قيس بن زهير، ويرد عليه الفرس. فلما رأى ذلك قرواش رضي بعد شر، وانصرف قيس بن زهير، ومعه داحس، فمكث ما شاء الله.

وزعم بعضهم أن الرهان إنما هاجه بين قيس بتر هير وحذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بن لوذان بن عدي بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار - أن قيساً دخل على بعض الملوك وعنده قينة لحذيفة بن بدر تغنيه بقول امرىء القيس:

دار لهند والرباب وفرتني ولميس قبل حوادث الأيام

وهن - فيما يذكر - نسوة من بني عبس، فغضب قيس بن زهير، وشق رداءها، وشتمها؛ فغضب حذيفة، فبلغ ذلك قيساً، فأتاه يسترضيه، فوقف عليه، فجعل يكلمه وهو لا يعرفه من الغضب، وعنده أفراس له، فعابها، وقال: ما يرتبط مثلك مثل هذه يا أبا مسهر! فقال حذيفة: أتعيبها؟ قال: نعم، فتجاريا حتى تراهنا.

وقال بعض الرواة: إن الذي هاج الرهان أن رجلاً من بني عبد الله بن غطفان ثم أحد بني جوشن - وهم أهل بيت شؤم، أتى حذيفة زائراً - "ويقال إن الذي أتاه الورد العبسي أبو عروة بن الورد" - قال: فعرض عليه حذيفة خيله، فقال: ما أرى فيها جواداً مبراً، والمبر؛ الغالب، قال ذو الرمة :

أبر على الخصوم فليس خصم ولا خصمان يغلبه جدالا

فقال له حذيفة: فعند من الجواد المبر؟ فقال: عند قيس بن زهير فقال له: هل لك أن تراهنني عنه؟ قال: نعم، قد فعلت، فراهنه على ذكر من خيله وأنثى.

ثم إن العبدي أتى قيس بن زهير، وقال: إني قد راهنت عنك على فرسين من خيلك ذكر وأنثى وأوجبت الرهان.

فقال قيس: ما أبالي من راهنت غير حذيفة، فقال: ما راهنت غيره، فقال له قيس: إنك ما علمت لأنكد.

ثم ركب قيس حتى أتى حذيفة، فوقف عليه، فقال له: ما غدا بك! قال: غدوت لأواضعك الرهان، قال: بل غدوت لتغلقه، قال: ما أردت ذلك. فأبى حذيفة إلا الرهان، فقال قيس: أخيرك ثلاث خلال، فإن بدأت فاخترت قبلي فلي خلتان، ولك الأولى، وإن بدأت فاخترت قبلك فلك خلتان ولي الأولى.

قال حذيفة: فابدأ، قال قيس: الغاية من مائة غلوة - والغلوة: الرمية بالنشابة - قال حذيفة: فالمضمار أربعون ليلة، والمجرى: من ذات الإصاد .

ففعلا ووضعا السبق على يدي غلاق أو ابن غلاق، أحد بني ثعلبة بن سعد بن ثعلبة.

فأما بنو عبس فزعموا أنه أجرى الخطار والحنفاء. وزعمت بنو فزارة أنه أجرى قرزلاً والحنفاء، وأجرى قيس داحساً والغبراء.

ويزعم بعضهم أن الذي هاج الرهان أن رجلاً من بني المعتمر بن قطيعة بن عبس يقال له سراقة راهن شاباً من بني بدر - وقيس غائب - على اربع جزائر من خمسين غلوة، فلما جاء قيس كره ذلك، وقال له: لم ينته رهان قط إلا إلى شر. ثم أتى بني بدر، فسألهم المواضعة، فقالوا: لا، حتى نعرف سبقنا؛ فإن أخذنا فحقنا، وإن تركنا فحقنا.

فغضب قيس ومحك ، وقال: أما إذ فعلتم فأعظموا الخطر، وأبعدوا الغاية، قالوا: فذلك لك. فجعلوا الغاية من واردات إلى ذات الإصاد، وذلك مائة غلوة، والثنية فيما بينهما، وجعلوا القصبة في يدي رجل من بني ثعلبة بن سعد، يقال له حصين، ويقال: رجل من بني العشراء من بني فزارة، وهو ابن أخت لبني عبس، وملئوا البركة ماء، وجعلوا السابق أول الخيل يكرع فيها.

ثم إن حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المدى الذي أرسلن منه ينظران إلى الخيل كيف خروجها منه. فلما أرسلت عارضاها ، فقال حذيفة: خدعتك يا قيس، قال: ترك الخداع من أجرى من مائة؛ فأرسلها مثلاً.

ثم ركضا ساعة فجعلت خيل حذيفة تبر وخيل قيس تقصر، فقال حذيفة: سبقتك يا قيس، فقال: جري المذكيات غلاب ، فأرسلها مثلاً. ثم ركضا ساعة، فقال حذيفة: إنك لا تركض مركضاً، فأرسلها مثلاً. وقال: سبقت خيلك يا قيس، فقال قيس: رويداً يعلون الجدد، فأرسلها مثلاً.

قال: وقد جعل بنو فزارة كميناً بالثنية، فاستقبلوا داحساً فعرفوه فأمسكوه وهو السابق، و لم يعرفوا الغبراء وهي خلفه مصلية، حتى مضت الخيل واستهلت الثنية، ثم أرسلوه فتمطر في آثارها؛ أي أسرع، فجعل يبدرها فرساً فرساً حتى سبقها إلى الغاية مصلياً، وقد طرح الخيل غير الغبراء، ولو تباعدت الغاية لسبقها؛ فاستقبلها بنو فزارة فلطموها، ثم حلئوها عن البركة، ثم لطموا داحساً وقد جاءا متواليين. وكان الذي لطمه عمير بن نضلة، فجسأت يده؛ فسمي جاسئاً.

فجاء قيس وحذيفة في آخر الناس، وقد دفعتهم بنو فزارة عن سبقهم، ولطموا أفراسهم، و لم تطقهم بنو عبس يقاتلونهم، وإنما كان من شهد ذلك من بني عبس أبياتاً غير كثيرة، فقال قيس بن زهير: يا قوم، إنه لا يأتي قوم إلى قومهم شراً من الظلم، فأعطونا حقنا، فأبت بنو فزارة أن يعطوهم شيئاً - وكان الخطر عشرين من الإبل - فقالت بنو عبس: أعطونا بعض سبقنا، فأبوا، فقالوا: أعطونا جزوراً ننحرها نطعمها أهل الماء؛ فإنا نكره القالة في العرب. فقال رجل من بني فزارة: مائة جزور وجزور واحد سواء، والله ما كنا لنقر لكم بالسبق علينا، و لم

نسبق.
فقام رجل من بني مازن بن فزارة فقال: يا قوم، إن قيساً كان كارهاً لأول هذا الرهان، وقد أحسن في آخره، وإن الظلم لا ينتهي إلا إلى الشر؛ فأعطوه جزوراً من نعمكم، فأبوا، فقام إلى جزور من إبله فعقلها ليعطيها قيساً ويرضيه، فقام ابنه فقال: إنك لكثير الخطأ؛ أتريد أن تخالف قومك وتلحق بهم خزاية بما ليس عليهم؟ فأطلق الغلام عقالها، فلحقت بالنعم. فلما رأى ذلك قيس بن زهير احتمل عنهم هو ومن معه من بني عبس، فاتى على ذلك ما شاء الله.
ثم إن قيساً أغار عليهم، فلقي عوف بن بدر فقتله وأخذ إبله، فبلغ ذلك بني فزارة، فهموا بالقتال، وغضبوا فحمل الربيع بن زياد أحد بني عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس دية عوف بن بدر مائة عشراء متلية.
"العشراء:لا التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر من ملقحها. والمتالي: النتي نتج بعضها والباقي يتلوها في النتاج".
وأم عوف وأم حذيفة ابنة نضلة بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة.
واصطلح الناسن فمكثوا ما شاء الله.

ثم إن مالك بن زهير أتى امرأة يقال لها: مليكة بنت حارثة من بني عوذ بن فزارة، فابتنى بها باللقاطة قريباً من الحاجر، فبلغ ذلك حذيفة بن بدر، فدس له فرساناً على أفراس من مسان خيله، وقال: لا تنظروا مالكاً إن وجدتموه أن تقتلوه، والربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب العبسي مجاور حذيفة بن بدر، وكانت تحت الربيع بن زياد معاذة ابنة بدر، فانطلق القوم، فلقوا مالكاً فقتلوه، ثم انصرفوا عنه، فجاءوا عشية وقد جهدوا أفراسهم، فوقفوا على حذيفة ومعه الربيع بن زياد، فقال حذيفة: أقدرتم على حماركم! قالوا: نعم، وعقرناه.
فقال الربيع: ما رأيت كاليوم قط، أهلكت أفراسك من أجل حمار! فقال حذيفة لما أكثر عليه من الملامة، وهو يحسب أن الذي أصابوا حماراً: إنا لم نقتل حماراً، ولكنا قتلنا مالك بن زهير بعوف بن بدر. فقال الربيع: بئس لعمر الله القتيل قتلت ، أما والله إني لأظنه سيبلغ ما نكره .
الربيع يغضب لقتل مالك فتراجعا شيئاً من كلام ثم تفرقا، فقام الربيع يطأ الأرض وطأ شديداً، وأخذ يومئذ حمل بن بدر ذا النون، سيف مالك بن زهير.
قال أبو عبيدة: فزعموا أن حذيفة لما قام الربيع بن زياد أرسل إليه بمولدة له فقال لها: اذهبي إلى معاذة بنت بدر امرأة الربيع فانظري ما ترين الربيع يصنع. فانطلقت الجارية حتى دخلت البيت، فاندست بين الكفاء والنضد - والكفاء: شقة في آخر البيت، والنضد: متاع يجعل على حمار من خشب - فجاء الربيع فنفذ البيت حتى أتى فرسه فقبض بمعرفته، ثم مسح متنه حتى قبض بعكوة ذنبه - العكوة: أصل الذنب - ثم رجع إلى البيت ورمحه

مركوز بفنائه، فهزه هزاً شديداً، ثم ركزه كما كان، ثم قال لامرأته: اطرحي لي شيئاً، فطرحت له شيئاً، فاضطجع عليه، وكانت قد طهرت تلك الليلة، فدنت منه، فقال: إليك! قد حدث أمر، ثم تغنى، وقال : الربيع يرثي مالكاً

نام الخلي وما أغمض حار ... من سيىء النبأ الجليل الساري
من مثله تمسي النساء حواسراً ... وتقوم معولة مع الأسحار
من كان مسروراً بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسراً يندبنه ... يبكين قبل تبلج الأسحار
قد كن يخبأن الوجوه تستراً ... فاليوم حين بدون للنظار
يخمشن حرات الوجوه على امرىء ... سهل الخليقة طيب الأخبار
أفبعد مقتل مالك بن زهير ... ترجو النساء عواقب الأطهار
ما إن أرى في قتله لذوي الحجا ... إلا المطي تشد بالأكوار
ومجنبات ما يذقن عذوفة ... يقذفن بالمهرات والأمهار

العذوف والعدوف واحد، وهو ما أكلته.

ومساعراً صدأ الحديد عليهم ... فكأنما طلي الوجوه بقار
يا رب مسرور بمقتل مالك ... ولسوف نصرفه بشر محار

فرجعت المرأة فأخبرت حذيفة الخبر، فقال: هذا حين اجتمع أمر إخوتكم، ووقعت الحرب.

وقال الربيع لحذيفة وهو يومئذ جاره: سيري، فإني جاركم، فسيره ثلاث ليال، ومع الربيع فضلة من خمر، فلما سار الربيع دس حذيفة في أثره فوارس، فقال: اتبعوه، فإذا مضت ثلاث ليال فإن معه فضلة من خمر، فإن وجدتموه قد أهراقها فهو جاد وقد مضى، فانصرفوا، وإن لم تجدوه قد أراقها فاتبعوه؛ فإنكم تجدونه قد مال لأدنى منزل، فرتع وشرب فاقتلوه، فتبعوه فوجدوه قد شق الزق ومضى، فانصرفوا.

فلما أتى الربيع قومه، وقد كان بينه وبين قيس بن زهير شحناء؛ وذلك أن الربيع ساوم قيس بن زهير في درع كانت عنده، فلما نظرإليها وهو راكب وضعها بين يديه، ثم ركض بها فلم يردها على قيس، فعرض قيس لفاطمة ابنة الخرشب الأنمارية - من أنمار بن بغيض، وهي إحدى منجبات قيس، وهي أم الربيع - وهي تسير في ظعائن من عبس، فاقتاد جملها، يريد أن يرهنها بالدرع حتى يرد عليه، فقالت: ما رأيت كاليوم فعل رجل! أي قيس، ضل حلمك! أترجو أن تصطلح أنت وبنو زياد وقد أخذت أمهم! فذهبت بها يميناً وشمالاً! فقال الناس في

ذلك ما شاءوا! وحسبك من شر سماعه، فأرسلتها مثلاً. فعرف قيس بن زهير ما قالت له، فخلى سبيلها، وأطرد إبلاً لبني زياد، فقدم بها مكة، فباعها من عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي، وقال في ذلك قيس بن زهير :

ألم يبلغك والأنباء تنمي — بما لاقت لبون بني زياد
ومحبسها على القرشي تشرى — بأدراع وأسياف حداد
كما لاقيت من حمل بن بدر — وإخوته على ذات الإصاد
هم فخروا علي بغير فخر — وذادوا دون غايته جوادي
وكنت إذا منيت بخصم سوء — دلفت له بداهية ناد
بداهية تدق الصلب منه — فتقصم أو تجوب عن الفؤاد
وكنت إذا أتاني الدهر ربق — بداهية شددت لها نجادي

الربق: ما يتقلده.

ألم تعلم بنو الميقاب أنى — كريم غير منغلث الزناد

الوقب: الأحمق، والميقاب: التي تلد الحمقى، والمنغلث: الذي ليس بمنتقى.

أطوف ما أطوف ثم آوي — إلى جار كجار أبي داود

جاره: يعنيربيعة الخير بن قرط بن سلمة بن قشير، وجار أبي داود يقال له: الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، وكان أبو داود في جواره، فخرج صبيان الحي يلعبون في غدير، فغمس الصبيان ابن أبي داود فيه فقتلوه، فخرج الحارث فقال: لا يبقى صبي في الحي إلا غرق في الغدير أو يرضى أبو داود، فودي ابن أبي داود عشر ديات فرضي، وهو قول أبي داود:

إبلي الإبل لا يحوزها الرا — عون ومج الندى عليها المدام

قال أبو سعيد: حفظي: لا يحوزها الراعي ومج الندى.

إليك ربيعة الخير بن قرط — وهوباً للطريف وللتلاد
كفاني ما أخاف أبو هلال — ربيعة فانتهت عني الأعادي
تظل جياده يحدين حولي — بذات الرمث كالحدإ الغوادي
كأني إذ أنخت إلى ابن قرط — عقلت إلى يلملم أو نضاد

وقال أيضاً قيس بن زهير:

إن تك حرب فلم أجنها جنتها خيارهم أو هم
حذار الردى إذ رأوا خيلنا مقدمها سابح أدهم
عليه كمي وسرباله مضاعفة نسجها محكم
فإن شمرت لك عن ساقها فويهاً ربيع ولم يسأموا
نهيت ربيعاً فلم يزدجر كما انزجر الحارث الأضجم

قال أبو عبد الله: الحارث الأضجم: رجل من بين ضبيعة بن ربيعة بن نزار، وهو صاحب المرباع.

قال: فكانت تلك الشحناء بين بني زياد وبين بني زهير، فكان قيس يخاف خذلانهم إياه، فزعموا أن قيساً دس غلاماً له مولداً، فقال: انطلق كأنك تطلب إبلاً؛ فإنهم سيسألونك، فاذكر مقتل مالك، ثم احفظ ما يقولون: فأتاهم العبد، فسمع الربيع يتغنى بقوله:

أفبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الأطهار

فلما رجع العبد إلى قيس فأخبره بما سمع من الربيع بن زياد، عرف قيس أن قد غضب، فاجتمعت بنو عبس على قتال بني فزارة، فأرسلوا إليهم أن ردوا علينا إبلنا التي ودينا بها عوفاً أخا حذيفة بن بدر لأمه، فقال: لا أعطيكم دية ابن أمي، وإنما قتل صاحبكم حمل بن بدر، وهو ابن الأسدية، وأنتم وهو أعلم.

فزعم بعض الناس أنهم كانوا ودوا عوف بن بدر بمائة من الإبل متلية؛ أي قد دنا نتاجها، وأنه أتى على تلك الإبل أربع سنين، وأن حذيفة بن بدر أراد أن يردها بأعيانها، فقال له سنان بن خارجة المري: أتريد أن تلحق بنا خزاية فنعطيهم أكثر مما أعطونا، فتسبنا العرب بذلك؟ فأمسها حذيفة، وأبى بنو عبس أن يقبلوا إلا إبلهم بعينها فمكث القوم ما شاء الله أن يمكثوا.

جندب يقتل مالك بن بدر ثم إن مالك بن بدر خرج يطلب إبلاً له، فمر على بني رواحة، فرماه جندب - أحد بني رواحة - بسهم فقتله، فقالت ابنة مالك بن بدر في ذلك :

لله عيناً من رأى مثل مالك عقيرة قوم أن جرى فرسان
فليتهما لم يشربا قط قطرة وليتهما لم يرسلا لرهان
أحل به من جندب أمس نذره فأي قتيل كان في غطفان
إذا سجعت بالرقمتين حمامة أو الرس تبكي فارس الكتفان

فرس له كانت تسمى الكتفان.

الأسلع بن عبد الله بن ناشب يمشي في الصلح بين عبس وذبيان ثم إن الأسلع بن عبد الله بن ناشب بن زيد بن

هدم بن أد بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس مشى في الصلح، ورهن بني ذبيان ثلاثة من بنيه وأربعة من بني أخيه حتى يصطلحوا، جعلهم على يدي سبيع بن عمرو من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان. فمات سبيع وهم عنده. سبيع بن عمرو يوصي مالكاً ابنه فلما حضرته الوفاة قال لابنه مالك بن سبيع: إن عندك مكرمة لا تبيد إن أنت احتفظت بهؤلاء الأغيلمة، وكأني بك لو قد مت قد أتاك حذيفة خالك - وكانت أم مالك هذا ابنة بدر - فعصر عينيه، وقال: هلك سيدنا، ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم إليه فيقتلهم، فلا شرف بعدها فإن خفت ذلك فاذهب بهم إلى قومهم.

فلما ثقل جعل حذيفة يبكي ويقول: هلك سيدنا، فوقع ذلك له في قلب مالك.

مالك دفع الرهن إلى حذيفة فلما هلك سبيع أطاف بابنه مالك فأعظمه، ثم قال له: يا مالك، إني خالك، وإني أسن منك، فادفع إلي هؤلاء الصبيان ليكونوا عندي إلى أن ننظر في أمرنا. و لم يزل به حتى دفعهم إلى حذيفة باليعمرية، واليعمرية: ماء بواد من بطن نخل من الشربة لبني ثعلبة.

فلما دفع مالك إلى حذيفة الرهن جعل كل يوم يبرز غلاماً فينصبه غرضاً ويرمي بالنبل، ثم يقول: ناد أباك، فينادي أباه حتى يمزقه النبل، ويقول لواقد بن جنيدب: ناد أباك فجعل ينادي: يا عماه، خلافاً عليهم، ويكره أن يأبس أباه بذلك - والأبس: القهر والحمل على المكروه - وقال لابن جنيدب بن عمرو بن عبد الأسلع: ناد جنيبة وكان جنيبة لقب ابيه - فجعل ينادي: يا عمراه ، باسم أبيه حتى قتل. وقتل عتبة بن قيس بن زهير.

ثم إن بني فزارة اجتمعوا هم وبنو ثعلبة وبنو مرة، فالتقوا هم وبنو عبس، فقتلوا منهم مالك بن سبيع بن عمرو الثعلبي - قتله مروان بن زنباع العبسي - وعبد العزى بن حذار الثعلبي، والحارث بن بدر الفزاري، وهرم بن ضمضم المري - قتله ورد بن حابس العبسي، و لم يشهد ذلك اليوم حذيفة بن بدر، فقالت ناجية أخت هرم بن ضمضم المري :

يا لهف نفسي لهفة المفجوع ... ألا أرى هرماً على مودوع

من أجل سيدنا ومصرع جنبه ... علق الفؤاد بحنظل مجدوع

مودوع: فرسه.

بين ذبيان وعبس

ثم إن حذيفة بن بدر جمع وتأهب ، واجتمع معه بنو ذبيان بن بغيض فبلغ بني عبس أنهم قد ساروا إليهم، فقال قيس: أطيعوني، فوالله لئن لم تفعلوا لأتكئن على سيفي حتى يخرج من ظهري، قالوا: فإنا نطيعك، فأمرهم فسرحوا السوام والضعاف بليل وهو يريدون أن يظعنوا من مترلهم ذلك، ثم ارتحلوا في الصبح، وأصبحوا على ظهر العقبة، وقد مضى سوامهم وضعفاؤهم. فلما أصبحوا طلعت عليهم الخيل من الثنايا، فقال قيس: خذوا غير طريق المال؛ فإنه لا حاجة للقوم أن يقعوا في شوكتكم، ولا يريدون بكم في أنفسكم شراً من ذهاب أموالكم،

فأخذوا غير طريق المال.
فلما أدرك حذيفة الأثر ورآه قال: أبعدهم الله! وما خيرهم بعد ذهاب أموالهم! فاتبع المال.

وسارت ظعن بني عبس والمقاتلة من ورائهم، وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال. فلما أدركوه ردوه أوله على آخره، و لم يفلت منهم شيء، وجعل الرجل يطرد ما قدر عليه من الإبل، فيذهب بها. وتفرقوا، واشتد الحر، فقال قيس بن زهير: يا قوم، إن القوم قد فرق بينهم المغنم، فاعطفوا الخيل في آثارهم، فلم تشعر بنو ذبيان إلا والخيل دوائس ، فلم يقاتلهم كبير أحد، وجعل بنو ذبيان إنما همة الرجل في غنيمته أن يحوزها، ويمضي بها.
فوضعت بنو عبس فيهم السلاح حتى ناشدتهم بنو ذبيان البقية، و لم يكن لهم هم غير حذيفة، فأرسلوا خيلهم مجتهدين في أثره، وأرسلوا خيلاً تقص الناس ويسألونهم، حتى سقط خبر حذيفة من الجانب الأيسر على شداد بن معاوية العبسي، وعمرو بن ذهل بن مرة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة العبسي، وعمرو بن الأسلع، والحارث بن زهير، وقرواش بن هني بن أسيد بن جذيمة، وجنيدب.
وكان حذيفة قد استرخى حزام فرسه، فنزل عنه فوضع رجله على حجر مخافة أن يقتص أثره، ثم شد الحزام فوقع صدر قدمه على الأرض فعرفوه، وعرفوا حنف فرسه - والحنف: أن تقبل إحدى اليدين على الأخرى، وفي الناس أن تقبل إحدى الرجلين على الأخرى، وأن يطأ الرجل وحشيهما ، وجمع الأحنف حنف - فاتبعوه، ومضى حتى استغاث بجفر الهباءة وقد اشتد الحر، فرمى بنفسه، ومعه حمل بن بدر، وحنش بن عمرو، ووقعوا في الماء، وتمعكت دوابهم، وقد بعثوا ربيئة فجعل يطلع فينظر، فإذا لم ير شيئاً رجع، فنظر نظرة فقال: إني قد رأيت شخصاً كالنعامة أو كالطائر فوق القتادة من قبل مجيئنا. فقال حذيفة: هنا وهنا، هذا شداد على جروة، وجروة: فرس شداد، والمعنى دع ذكر شداد عن يمينك وعن شمالك، واذكر غيره لما كان يخاف من شداد.
فبينا هم يتكلمون إذا هم بشداد بن معاوية واقفاً عليهم، فحال بينهم وبين الخيل، ثم جاء عمرو بن الأسلع، ثم جاء قرواش حتى تتاموا خمسة، فحمل جنيدب على خيلهم فاطردها، وحمل عمرو بن الأسلع، فاقتحم هو وشداد عليهم في الجفر، فقال حذيفة: يا بني عبس! فأين العقول والأحلام! فضربه أخوه حمل بن بدر بين كتفيه، وقال: اتق مأثور القول بعد اليوم، فأرسلها مثلاً.
وقتل قرواش بن هني حذيفة، وقتل الحارث بن زهير حمل بن بدر وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير، وكان حمل أخذه من مالك بن زهير يوم قتله، فقال الحارث بن زهير في ذلك :

تركت على الهباءة غير فخر ... حذيفة حوله قصد العوالي
سيخبر عنهم حنش بن عمرو ... إذا لاقاهم وابنا بلال
ويخبرهم مكان النون مني ... وما أعطيته عرق الخلال

العرق: المكافأة، والخلال: المودة، يقول: لم يعطوني السيف عن مكافأة ومودة، ولكني قتلت وأخذت.

فأجابه حنش بن عمرو أخو بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان :

سيخبرك الحديث بن خبير ... يجاهرك العداوة غيرى آلي

بداءتها لقرواش وعمرو ... وأنت تجول جوبك في الشمال

الجوب: الترس، يقول: بداءة الأمر لقرواش وعمرو بن الأسلع، وهما اقتحما الجفر وقتلا من قتلا، وأنت ترسك في يدك يجول لم تغن شيئاً. ويقال: لك البداءة ولفلان العودة.

وقال قيس بن زهير :

تعلم أن خير الناس ميت ... على جفر الهباءة ما يريم

ولولا ظلمه مازلت أبكي ... عليه الدهر ما طلع النجوم

ولكن الفتى حمل بن بدر ... بغى، والبغي مرتعه وخيم

أظن الحلم دل علي قومي ... وقد يستجهل الرجل الحليم

فلا تغش المظالم لن تراه ... يمتع بالغنى الرجل الظلوم

ولا تعجل بأمرك واستدمه ... فما صلى عصاك كمستديم

ألاقي من رجال منكرات ... فأنكرها وما أنا بالغشوم

ولا يعيبك عرقوب بلأي ... إذا لم يعطك النصف الخصيم

ومارست الرجال ومارسوني ... فمعوج علي ومستقيم

قوله: فما صلى عصاك كمستديم، يقول: عليك بالتأني والرفق، وإياك والعجلة؛ فإن العجول لا يبرم أمراً أبداً، كما أن الذي يثقف العود إذا لم يجد تصليته على النار لم يستقم له.

وقال في ذلك شداد بن معاوية العبسي :

من يك سائلاً عني فإني ... وجروة لا نرود ولا نعار

مقربة النساء ولا تراها ... أمام الحي يتبعها المهار

لها في الصيف آصرة وجل ... وست من كرائمها غزار

آصرة: حشيش، وست: أي ست أينق تسقى لبنها.

ألا أبلغ بني العشراء عني ... علانية وما يغني السرار

قتلت سراتكم وحسلت منكم حسيلاً مثل ما حسل الوبار

حسالة الناس وحفالتهم ورعاعهم وخماهم وشرطهم وحثالتهم وخشارتهم وغثاؤهم واحد؛ وهم السفلة يقول: قتلت سراتكم وجعلتكم بعدهم حسالة، كما خلقت الوبار حسالة.

وكان ذلك اليوم يوم ذي حسأ، ويزعم بعض بني فزارة أن حذيفة كان أصاب يومئذ فيمن أصاب من بني عبس تماضر ابنة الشريد السلمية أم قيس فقتلها، وكانت في المال، وقال:

ولم أقتلكم سراً ولكن علانية وقد سطع الغبار

صوت

جاء البريد بقرطاس يخب به فأوجس القلب من قرطاسه فزعا

قلنا: لك الويل، ماذا في صحيفتكم؟ قال: الخليفة أمسى مثبتاً وجعا

عروضه من الكامل . الشعر ليزيد بن معاوية، والغناء لابن محرز، هزج بالوسطى عن عمرو.

وهذا الشعر يقوله يزيد في علة أبيه التي مات فيها، وكان يزيد يومئذ غازياً غزاة الصائفة.

خبر ليزيد بن معاوية

جيش معاوية يغزو الصائفة

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني السكري والمبرد، عن دماذ أبي غسان - واسمه رفيع بن سلمة - عن أبي عبيدة: أن معاوية وجه جيشاً إلى بلد الروم ليغزو الصائفة، فأصابهم جدري فمات أكثر المسلمين، وكان ابن يزيد مصطبحاً بدير مران مع زوجته أم كلثوم، فبلغه خبرهم، فقال :

إذا ارتفقت على الأنماط مصطبحاً بدير مران عندي أم كلثوم

فما أبالي بما لاقت جنودهم بالغذقذونة من حمى ومن موم

فبلغ شعره أباه، فقال: أجل ، والله ليلحقن بهم فليصيبنه ما أصابهم.

يزيد يضرب باب القسطنطينية

فخرج حتى لحق بهم، وغزا حتى بلغ القسطنطينية، فنظر إلى قبتين مبنيتين عليهما ثياب الديباج، فإذا كانت الحملة للمسلمين ارتفع من إحداهما أصوات الدفوف والطبول والمزامير، وإذا كانت الحملة للروم ارتفع من الأخرى، فسأل يزيد عنهما فقيل له: هذه بنت ملك الروم، وتلك بنت جبلة بن الأيهم، وكل واحدة منهما تظهر السرور بما تفعله عشيرتها، فقال: أما والله لأسرنها، ثم صف العسكر، وحمل حتى هزم الروم، فأحجرهم في

المدينة، وضرب باب القسطنطينية بعمود حديد كان في يده، فهشمه حتى انخرق، فضرب عليه لوح من ذهب، فهو عليه إلى اليوم.

نسخت من كتاب محمد بن موسى اليزيدي: حدثني العباس بن ميمون طابع ، قال: حدثني ابن عائشة، عن أبيه، وحدثني القحذمي: أن ميسون بنت بحدل الكلبية كانت تزين يزيد بن معاوية، وترجل جمته، قال: فإذا نظر إليه معاوية قال:

فإن مات لم تفلح مزينة بعده فنوطي عليه يا مزين التمائما

يزيد وعنبسة في حضرة معاوية وهو يحتضر

فلما احتضر معاوية حضره يزيد بن معاوية، وعنبسة بن أبي سفيان، فبكى يزيد إلى عنبسة، وقال:

لو فات شيء يرى لفات أبو حيان لا عاجز ولا وكل

الحول القلب الأريب ولن يدفع زوء المنية الحيل

فسمعهما معاوية بعد أن رددهما مراراً، فقال: يا بني، إن أخوف ما أخاف على نفسي شيء صنعته قبل ذلك، إني كنت أوضيء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكساني قميصاً، وأخذت شعراً من شعره، فإذا مت فكفني في قميصه، واجعل الشعر في منخري وأذني وفمي، وخل بيني وبين ربي، لعل ذلك ينفعني شيئاً.

قال العباس بن ميمون: فقلت للقحذمي: هذا غلط، والدليل على ذلك أن أبا عدنان حدثني - وها هو حي فاسأله - عن الهيثم بن عدي، عن ابن عياش، عن الشعبي: أن معاوية مات ويزيد بالصائفة، فأتاه البريد بنعيه، فأنشأ يقول:

جاء البريد بقرطاس يخب به فأوجس القلب من قرطاسه فزعا

قلنا: لك الويل، ماذا في صحيفتكم؟ قال: الخليفة أمسى مثبتاً وجعا

مادت بنا الأرض أو كادت تميد بنا كأن ما عز من أركانها انقلعا

من لم تزل نفسه توفي على وجل توشك مقادير تلك النفس أن تقعا

لما وردت وباب القصر منطبق لصوت رملة هد القلب فانصدعا

الضحاك بن قيس يتولى غسل معاوية ودفنه

وكان الذي تولى غسله ودفنه الضحاك بن قيس، فخطب الناس، فقال: إن ابن هند قد توفي، وهذه أكفانه على المنبر، ونحن مدرجوه فيها، ومخلون بينه وبين ربه، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة. ولو كان يزيد حاضراً لم يكن

للضحاك ولا غيره أن يفعل من هذا شيئاً.

قال العباس: فسكت القحذمي، وما رد علي شيئاً.

عبد الله بن الزبير يرثي معاوية

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثني الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي، عن جدي، عن هشام بن عروة، عن أبيه ، قال: صلى بنا عبد الله بن الزبير يوماً، ثم انفتل من الصلاة، فنشج ، وكان قد نعي له معاوية، ثم قال: رحم الله معاوية إن كنا لنخدعه فيتخادع لنا، وما ابن أنثى بأكرم منه، وإن كنا لنعرفه يتفارق لنا، وما الليث المحرب بأجرأ منه؛ كان والله كما قال بطحاء العذري:

ركوب المنابر وثابها ... معن بخطبته يجهر

تريع إليه عيون الكلام ... إذا حصر الهذر المهمر

كان والله كما قالت رقيقة، أو قال: بنمت رقيقة:

ألا ابكيه ألا ابكيه ... ألا كل الفتى فيه

والله لودي أنه بقي بقاء أبي قبيس، لا يتخون له عقل، ولا تنقص له قوة.

قال: فعرفنا أن الرجل قد استوجس .

ابن عباس يرثي معاوية أيضاً

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا ابن أبي سعد، قال: قال محمد بن إسحاق المسيبي: حدثني جماعة من أصحابنا: أن ابن عباس أتاه نعي معاوية وولاية يزيد، وهو يعشى أصحابه ويأكل معهم، وقد رفع إلى فيه لقمة، فالقاها وأطرق هنيهة ثم قال: جبل تدكدك، ثم مال بجميعه في البحر، واشتملت عليه الأبحر، لله در ابن هند! ما كان أجمل وجهه، وأكرم خلقه، وأعظم حلمه.

فقطع عليه الكلام رجل من أصحابه، وقال: أتقول هذا فيه؟ فقال: ويحك! إنك لا تدري من مضى عنك، ومن بقي عليك، وستعلم. ثم قطع الكلام.

صوت

إذا زينب زارها أهلها ... حشدت وأكرمت زوارها

وإن هي زارتهم زرتهم ... وإن لم أجد لي هوى دارها

فسلمي لمن سالمت زينب ... وحربي لمن أشعلت نارها

ومازلت أرعى لما عهدها ولم أتبع ساعة عارها

عروضه من المتقارب. الشعر لشريح القاضي في زوجته زينب بنت حدير التميمية، والغناء لعمرو بن بانة، ثاني ثقيل بالبنصر، عنه على مذهب إسحاق. وذكر إسحاق في كتاب "الأغاني" المنسوب إليه أنه لابن محرز.

ذكر شريح ونسبه وخبره

هو فيما أخبرني به الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا الحارث بن أبي أسامة، قال: حدثنا أبو سعيد، عن هشام بن السائب. وأخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني علي بن عبد الله بن معاوية بن ميسرة بن شريح، كلاهما اتفق في الرواية لنسبه:

نسبه

أنه شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع الكندي. قال هشام في خبره خاصة: وليس بالكوفة من بني الرائش غيرهم، وسائرهم من هجر وحضرموت.

وقد اختلف الرواة بعد هذا في نسبه؛ فقال بعضهم: شريح بن هانىء - وهذا غلط - ذاك شريح بن هانىء الحارثي، واعتل من قال هذا بخبر روي عن مجالد، عن الشعبي، أنه قرأ كتاباً من عمر إلى شريح: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى شريح بن هانىء. وقد يجوز أن يكون كتب عمر رضي الله عنه هذا الكتاب إلى شريح بن هانىء الحارثي، وقرأه الشعبي، وكلا هذين الرجلين معروف، والفرق بينهما النسب والقضاء؛ فإن شريح بن هانىء لم يقض، وشريح بن الحارث قد قضى لعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب. وقيل: شريح بن عبد الله، وشريح بن شراحيل، والصحيح ابن الحارث. وابنه أعلم به.

وقد أخبرنا وكيع، قال: حدثنا أحمد بن عمر بن بكير، قال: حدثني أبي عن الهيثم بن عدي، عن أبي ليلى: أن خاتم شريح كان نقشه شريح بن الحارث. وقيل: إنه من أولاد الفرس الذين قدموا اليمن مع سيف بن ذي يزن، وعداده في كندة، وقد روى عنه شيبة بذلك.

أخبرنا وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن محمد الحنفي، قال: حدثنا عبدان، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، قال: حدثنا سفيان الثوري، عن ابن أبي السفر، عن الشعبي، قال: جاء أعرابي إلى شريح، فقال: ممن أنت؟ قال: أنا من الذين أنعم الله عليهم، وعدادي في كندة.

قال وكيع: وقيل: إنما خرج إلى المدينة ثم إلى العراق؛ لأن أمه تزوجت بعد أبيه فاستحيا.

سنه

وقد اختلف أيضاً في سنه؛ فقيل: مائة وعشرون سنة، وقيل: مائة وعشر، وقيل: أقل من ذلك وأكثر.
فممن ذكر أنه عمر مائة وعشرين سنة أشعث بن سوار، روى ذلك يحيى بن معين، عن المحاربي، عن أشعث، وأبو سعيد الجعفي، روى ذلك عنه أبو إبراهيم الزهري. وممن قال أقل من ذلك أبو نعيم.
أخبرنا الحسن بن علي، عن الحارث، عن ابن سعد، عن أبي نعيم، قال: بلغ شريح مائة وثمانين سنة.

سنة وفاته

قال الحارث: وأخبرني ابن سعد، عن الواقدي، عن أبي سبرة، عن عيسى، عن الشعبي، قال: توفي شريح في سنة ثمانين، أو تسع وسبعين.
قال أبو سعيد : وقال إبراهيم: في سنة ست وسبعين. وقال أبو إبراهيم الزهري، عن أبي سعيد الجعفي: إن شريحاً مات في زمن عبد الملك بن مروان.
أخبرني وكيع، قال: حدثنا الكراني، عن سهل، عن الأصمعي، قال: ولد لشريح وهو ابن مائة سنة.
وروى إسماعيل بن أبان الوراق، عن علي بن صالح، قال: قيل لشريح: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت ابن ست ومائة، قضيت منها ستين سنة.

عمر يستقضيه

وأخبرني وكيع بخبر عمر حين استقصاه، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن أيوب، قال: حدثنا روح بن عبادة، قال: حدثنا شعبة، قال: سمعت سياراً قال: سمعت الشعبي يقول: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ من رجل فرساً على سوم، فحمل عليه رجلاً، فعطب الفرس، فقال عمر: اجعل بيني وبينك رجلاً، فقال له الرجل: اجعل بيني وبينك شريحاً العراقي. فقال: يا أمير المؤمنين! أخذته صحيحاً سليماً على سوم، فعليك أن ترده كما أخذته. قال: فأعجبه ما قال، وبعث به قاضياً، ثم قال: "ما وجدته في كتاب الله فلا تسأل عنه أحداً، وما لم تستبن في كتاب الله فالزم السنة، فإن لم يكن في السنة، فاجتهد رأيك".
أخبرني وكيع، قال: أخبرني عبد الله بن الحسن، عن النميري، عن حاتم بن قبيصة المهلبي، عن شيخ من كنانة، قال: قال عمر لشريح، حين استقضاه: "لا تشار ولا تضار، ولا تشتر ولا تبع". فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين:

إن القضاة إن أرادوا عدلاً ... وفصلوا بين الخصوم فصلا
وزحزحوا بالحكم منهم جهلاً ... كانوا كمثل الغيث صاب محلا

وله أخبار في قضايا كثيرة يطول ذكرها، وفيها ما لا يستغنى عن ذكره، منها محاكمة أمير المؤمنين علي إليه في الدرع.

قضي بين علي وبين يهودي

حدثني به عبد الله بن محمد بن إسحاق بن أخت داهر بن نوح بالأهواز، قال: حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام العجلي، قال: حدثني حكيم بن حزام، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، قال: عرف علي درعاً مع يهودي، فقال: يا يهودي، درعي سقطت مني يوم كذا وكذا، فقال اليهودي: ما أدري ما تقول! درعي وفي يدي، بيني وبينك قاضي المسلمين.

فانطلقا إلى شريح، فلما رآه شريح قام له عن مجلسه، فقال له علي: اجلس. فجلس شريح، ثم قال: إن خصمي لو كان مسلماً لجلست معه بين يديك، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تساؤوهم في المجلس، ولا تعودوا مرضاهم، ولا تشيعوا جنائزهم، واضطروهم إلى أضيق الطرق، وإن سبوكم فاضربوهم، وإن ضربوكم فاقتلوهم. ثم قال: درعي عرفتها مع هذا اليهودي.

فقال شريح لليهودي: ما تقول؟ قال: درعي وفي يدي.

قال شريح: صدقت والله يا أمير المؤمنين، إنها لدرعك كما قلت، ولكن لابد من شاهد؛ فدعا قنبراً فشهد له، ودعا الحسن بن علي، فشهد له، فقال: أما شهادة مولاك فقد قبلتها، وأما شهادة ابنك لك فلا. فقال علي: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

قال: اللهم نعم، قال: أفلا تجيز شهادة أحد سيدي شباب أهل الجنة! والله لتخرجن إلى بانقيا فلتقضين بين أهلها أربعين يوماً. ثم سلم الدرع إلى اليهودي.

فقال اليهودي: أمير المؤمنين مشى معي إلى قاضيه، فقضى عليه، فرضي به، صدقت إنها لدرعك، سقطت منك يوم كذا وكذا عن جمل أورق فالتقطتها، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقال علي: هذه الدرع لك، وهذه الفرس لك، وفرض له في تسعمائة، فلم يزل معه حتى قتل يوم صفين.

خبر زينب بنت حدير وتزويج شريح إياها

شريح يصح الشعبي بأن يتزوج من نساء بني تميم أخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا أحمد بن زهير بن حرب ، قال: حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع، قال: حدثنا ابن أبي زائدة، وأبو محمد رجل ثقة، قال: حدثنا مجالد، عن الشعبي، قال: قال لي شريح: يا شعبي، عليكم بنساء بني تميم، فإذا امرأة جالسة في سقيفة على وسادة وتجاهها جارية رؤد - يعني التي قد بلغت - ولها ذؤابة على ظهرها جالسة على وسادة، فاستسقيت، فقالت لي: أي الشرب أعجب إليك: النبيذ، أم اللبن، أم الماء؟ قلت: أي ذلك يتيسر عليكم، قالت: اسقوا الرجل لبناً؛ فإني أخاله غريباً.

فلما شربت نظرت إلى الجارية فأعجبتني، فقلت: من هذه؟ قالت: ابنتي، قالت: وممن؟ قالت: زينب بنت حدير، إحدى نساء بني تميم، ثم إحدى نساء بني حنظلة، ثم إحدى نساء بني طهية، قلت: أفارغة أم مشغولة؟ قالت: بل فارغة، قلت: أتزوجينيها؟ قالت: نعم إن كنت كفياً، ولها عم فاقصده.

فانصرفت فامتنعت من القائلة، فأرسلت إلى إخواني القراء الأشراف: مسروق بن الأجدع، والمسيب بن نجبة، وسليمان بن صرد الخزاعي، وخالد بن عرفطة العذري، وعروة بن المغيرة بن شعبة، وأبي بردة بن أبي موسى، فوافيت معهم صلاة العصر، فإذا عمها جالس، فقال: يا أبا أمية، حاجتك؟ قلت: إليك، قال: وما هي؟ قلت: ذكرت لي بنت أخيك زينب بنت حدير، قال: ما بها عنك رغبة، ولا بك عنها مقصر، وإنك لنهزة.

فتكلمت فحمد الله جل ذكره، وصليت على النبي صلى الله عليه وسلم، وذكرت حاجتي، فرد الرجل علي وزوجني، وبارك القوم لي، ثم نهضنا.

فما بلغت منزلي حتى ندمت، فقلت: تزوجت إلى أغلظ العرب وأجفاها فهممت بطلاقها، ثم قلت: أجمعها إلي، فإن رأيت ما أحب وإلا طلقتها.

فأقمت أياماً، ثم أقبل نساؤها يهادينها، فلما أجلست في البيت أخذت بناصيتها فبركت، وأخلى لي البيت، فقلت: يا هذه، إن من السنة إذا دخلت المرأة على الرجل أن يصلي ركعتين وتصلي ركعتين، ويسألا الله خير ليلتهما، ويتعوذا بالله من شرها. فقمت أصلي ثم التفت، فإذا هي خلفي فصليت، ثم التفت فإذا هي على فراشها، فممدت يدي، فقالت لي: على رسلك، فقلت: إحدى الدواهي منيت بها، فقالت: إن الحمد لله أحمده وأستعينه إني امرأة غريبة، ولا والله ما سرت مسيراً قط أشد علي منه، وأنت رجل غريب لا أعرف أخلاقك، فحدثني بما تحب فآتيه، وما تكره فأنزجر عنه. فقلت: الحمد لله وصلى الله على محمد، قدمت خير مقدم، قدمت على أهل دار زوجك سيد رجالهم، وأنت سيدة نسائهم، أحب كذا وأكره كذا.

قالت: أخبرني عن أختانك أتحب أن يزوروك؟ فقلت: إني رجل قاض، وما أحب أن تملوني.

أم زينب تسأله عن ابنتها فيثني عليها قال: فبت بأنعم ليلة، وأقمت عندها ثلاثاً، ثم خرجت إلى مجلس القضاء، فكنت لا أرى يوماً إلا هو أفضل من الذي قبله، حتى إذا كان عند رأس الحول دخلت منزلي، فإذا عجوز تأمر وتنهى، قلت: يا زينب، من هذه؟ فقالت: أمي فلانة. قلت: حياك الله بالسلام، قالت: أبا أمية كيف أنت وحالك؟ قلت: بخير أحمد الله، قالت: أبا أمية؛ كيف زوجك؟ قلت: كخير امرأة، قالت: إن المرأة لا ترى في حال أسوأ خلقاً منها في حالين: إذا حظيت عند زوجها، وإذا ولدت غلاماً؛ فإن رابك منها ريب فالسوط؛ فإن الرجال والله ما حازت إلى بيوتها شراً من الورهاء المتدللة.

قتل: أشهد أنها ابنتك، قد كفيتنا الرياضة، وأحسنت الأدب.

قال: فكانت في كل حول تأتينا فتذكر هذا، ثم تنصرف.

يعالج زينب من لسعة عقرب

قال شريح: فما غضبت عليها قط إلا مرة كنت لها ظالماً فيها؛ وذاك أني كنت أمام قومي فسمعت الإقامة، وقد ركعت ركعتي الفجر، فأبصرت عقرباً، فعجلت عن قتلها، فأكفأت عليها الإناء، فلما كنت عند الباب قلت: يا زينب لا تحركي الإناء حتى أجيء، فعجلت فحركت الإناء فضربتها العقرب، فجئت فإذا هي تلوى. فقتل: ما لك؟ قالت: لسعتني العقرب. فلو رأيتني يا شعبي وأنا أعرك أصبعها بالماء والملح، وأقرأ عليها لامعوذتين وفاتحة الكتاب.

كان له جار يضرب امرأته فقال ً

وكان لي يا شعبي جار يقال له ميسرة بن عرير من الحي، فكان لا يزال يضرب امرأته، فقلت:

رأيت رجالاً يضربون نساءهم فشلت يميني يوم أضرب زينبا

يا شعبي، فوددت أني قاسمتها عيشي.

ومما يغنى فيه من الأشعار التي قالها شريح في امرأته زينب:

رأيت رجالاً يضربون نساءهم فشلت يميني يوم أضرب زينبا
أأضربها في غير جرم أتت به إلي، فما عذري إذا كنت مذنبا !
فتاة تزين الحلي إن هي حليت كأن بفيها المسك خالط محلبا

والغناء ليونس الكاتب من كتابه غير مجنس.

صوت

أمن رسم دار مربع ومصيف لعينك من ماء الشؤون وكيف
تذكرت فيها الجهل حتى تبادرت دموعي وأصحابي علي وقوف

عروضه من مصرع الطويل. الشعر للحطيئة من قصيدة يمدح بها سعيد بن العاص لما ولى الكوفة لعثمان. والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو.

أخبار الحطيئة مع سعيد بن العاص

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد، عن أبيه، قال: لقيني إياس بن الحطيئة، فقال لي: يا أبا عثمان، مات أبي، وفي كسر بيته عشرون ألفاً أعطاه إياه أبوك، وقال فيه خمس قصائد، فذهب والله ما أعطيتمونا وبقي ما أعطيناكم، فقلت: صدقت والله.

شعره في مدح سعيد بن العاص

قال أبو زيد: فمما قال فيه قوله:

أمن رسم دار مربع ومصيف ... لعينك من ماء الشؤون وكيف

إليك سعيد الخير جبت مهامها ... يقابلني آل بها وتنوف

ولولا أصيل اللب غض شبابه ... كريم لأيام المنون عروف

إذا هم بالأعداء لم يثن همه ... كعاب عليها لؤلؤ وشنوف

حصان لها في البيت زي وبهجة ... ومشي كما تمشي القطاة قطوف

ولو شاء وارى الشمس من دون وجهه ... حجاب ومطوي السراة منيف

ينشد شعراً لأبي الإيادي وعبيد

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، وأحمد بن عبد العزيز الجوهري، قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم الطائي، عن خالد بن سعيد بن العاص، عن أبيه، قال: كان سعيد بن العاص في المدينة زمن معاوية، وكان يعشي الناس، فإذا فرغ من العشاء قال الآذن: أجيزوا إلا من كان من أهل سمره. قال: فدخل الحطيئة فتعشى مع الناس، ثم أقبل فقال الآذن: أجيزوا، حتى انتهى إلى الحطيئة، فقال: أجز، فأبى، فأعاد عليه فأبى، فلما رأى سعيد إباءه قال: دعه، وأخذ في الشعر والحطيئة مطرق لا ينطق، فقال الحطيئة: والله ما أصبتم جيد الشعر، ولا شاعر الشعراء. قال سعيد: من أشعر العرب يا هذا؟ فقال: الذي يقول:

لا أعد الإقتار عدماً ولكن ... فقد من قد رزئته الإعدام

من رجال من الأقارب بانوا ... من جذام هم الرؤوس الكرام

سلط الموت والمنون عليهم ... فلهم في صوى المقابر هام

وكذاكم سبيل كل أناس ... سوف حقا تبليهم الأيام

قال: ويحك! من يقول هذا الشعر؟ قال: أبو داود الإيادي، قال: أو ترويه؟ قال: نعم، قال: فأنشدنيه، فأنشده الشعر كله، قال: ومن الثاني؟ قال: الذي يقول :

أفلح بما شئت فقد يبلغ بالض ... عف وقد يخدع الأريب

قال: ومن يقول هذا؟ قال: عبيد، قال: أو ترويه؟ قال: نعم، فأنشدنيه، فأنشده، ثم قال له: ثم من؟ قال: والله لحسبك بي عند رهبة أو رغبة، إذا وضعت إحدى رجلي على الأخرى، ثم رفعت عقيرتي بالشعر، ثم عويت على

أثر القوافي عواء الفيصل الصادر عن الماء.

قال: ومن أنت؟ قال: الحطيئة، قال: ويحك! قد علمت تشوقنا إلى مجلسك، وأنت تكتمنا نفسك منذ الليلة! قال: نعم لمكان هذين الكلبين عندك، وكان عنده كعب بن جعيل، وأخوه. وكان عنده سويد بن مشنوء النهدي، حليف بني عدي بن جناب الكلبيين، فأنشده الحطيئة قوله :

ألست بجاعلي كابني جعيل هداك الله أو كابني جناب

أدب فلا اقدر أن تراني ودونك بالمدينة ألف باب

وأحبس بالعراء المحل بيتي ودونك عازب ضخم الذباب

العازب: الكلأ الذي لم يرع، وقد التف نبته.

فقال له سعيد: لعمر الله لأنت أشعر عندي منهم، فأنشدني، فأنشده :

سعيد وما يفعل سعيد فإنه نجيب فلاه في الرباط نجيب

سعيد فلا يغررك قلة لحمه تخدد عنه اللحم فهو صليب

ويروى: خفة لحمه.

إذا غاب عنا غاب عنا ربيعنا ونسقى الغمام الغر حين يؤوب

فنعم الفتى تعشو إلى ضوء ناره إذا الريح هبت والمكان جديب

فأمر له بعشرة آلاف درهم، ثم عاد فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

أمن رسم دار مربع ومصيف

يقول فيها:

إذا هم بالأعداء لم يئن عزمه كعاب عليها لؤلؤ وشنوف

فأعطاه عشر آلاف أخرى.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة بهذا الحديث نحو ما رواه خالد بن سعيد، وزاد فيه: فانتهى الشرط إلى الحطيئة فرأوه أعرابياً قبيح الوجه، كبير السن، سيىء الحال، رث الهيئة، فأرادوا أن يقيموه، فأبى أن يقوم، وحانت من سعيد التفاتة، فقال: دعوا الرجل، وباقي الخبر مثله.

خالد بن سعيد يأمر له بكسوة وحملان

قال أبو عبيدة في هذا الخبر: وأخبرني رجل من بني كنانة، قال: أقبل الحطيئة في ركب من بني عبس، حتى قدم المدينة، فأقام مدة، ثم قال له من في رفقته: إنا قد أرذينا وأخلينا، فلو تقدمت إلى رجل شريف من أهل هذه القرية فقرانا وحملنا. فأتى خالد بن سعيد بن العاص، فسأله فاعتذر إليه، وقال: ما عندي شيء فلم يعد عليه

الكلام، وخرج من عنده، فارتاب به خالد، فبعث يسأل عنه، فأخبر أنه الحطيئة، فرده. فأقبل الحطيئة، فقعد لا يتكلم، فأراد خالد أن يستفتحه الكلام، فقال: من أشعر الناس؟ فقال: الذي يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

فقال خالد لبعض جلسائه: هذه بعض عقاربه، وأمر بكسوة وحملان، فخرج بذلك من عنده.

صوت

حبذا ليلتي بتل بونى حين نسقى شرابنا ونغنى

إذ رأينا جوارياً عطرات وغناء وقرقفاً فنزلنا

ما لهم لا يبارك الله فيهم إذ يسألون: ويحنا ما فعلنا !

عروضه الضرب الأول من الخفيف. الشعر لمالك بن أسماء بن خارجة، والغناء لحنين، رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبار مالك بن أسماء بن خارجة ونسبه

نسبه

هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، وقد مضى هذا النسب في أخبار عويف القوافي، وقد مضت أخباره، وذكر هذا البيت من فزارة وشرفه فيها وسائر قصصه هناك.

الحجاج يتزوج أخته هنداً ويوليه أصبهان

ثم يأمر بحبسه لخيانة ظهرت عليه وكان الحجاج بن يوسف ولى مالك بن أسماء بعد أن تزوج أخته هنداً بأصبهان، بعد حبس طويل في خيانة ظهرت عليه، ثم خلاه بعد ذلك، وطالت أيامه بأصبهان، فظهرت عليه خيانة أخرى، فحبسه وناله بكل مكروه.

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن عيسى بن موسى، قال: حدثني هشام بن محمد الهلالي، قال:

اختلف الحجاج وهند بنت أسماء زوجته في وقعة بنات قين، فبعث إلى مالك بن أسماء بن خارجة ، فأخرجه من السجن، وكان محبوساً بمال عليه للحجاج، فسأله عن الحديث فحدثه به، ثم أقبل على هند فقال: قومي إلى أخيك، فقالت: لا أقوم إليه، وأنت ساخط عليه. فأقبل الحجاج عليه، فقال: إنك والله ما علمت للخائن أمانته، اللئيم حسبه، الزاني فرجه، فقال: إن أذن الأمير تكلمت، قال: قل، قال: أما قول الأمير الزاني فرجه، فوالله لأنا

أحقر عند الله عز وجل وأصغر في عين الأمير من أن يجب لله علي حد فلا يقيمه، وأما قوله: اللئيم حسبه، فوالله لو علم الأمير مكان رجل أشرف مني لم يصاهرني، وأما قوله: إني خؤون، فلقد ائتمنني فوفرت، فأخذني بما أخذني به، فبعت ما كان وراء ظهري، ولو ملكت الدنيا بأسرها لافتديت بها من مثل هذا الكلام.

قال: فنهض الحجاج، وقال: شأنك يا هند بأخيك.

قال مالك بن أسماء: فوثبت هند إلي فأكبت علي، ودعت بالجواري، ونزعت عني حديدي، وأمرت بي إلى الحمام، وكستني، وانصرفت.

فلبثت أياماً، ثم دخلت على الحجاج وبين يديه عهود، وفيها عهدي على أصبهان. قال: خذ هذا العهد، وامض إلى عملك، فأخذته ونهضت. قال: وهي ولايته التي عزله عنها، وبلغ به ما بلغ من الشر.

قال أبو زيد: ويقال إنه كان في الحبس في الدفعة الثانية مضيقاً عليه في كل أحواله، حتى كان يشاب له الماء الذي كان يشربه بالرماد والملح، فاشتاق الحجاج إلى حديثه يوماً، فأرسل إليه، فأحضر، فبينا هو يحدثه إذ استسقى ماء فأتي به، فلما نظر إليه الحجاج قال: لا، هات ماء السجن، فأتي به وقد خلط بالملح والرماد، فسقيه.

قال: ويقال: إنه هرب من الحبس ، فلم يزل متوارياً حتى مات الحجاج.

يكتب إليه أبيه أن يشفع له عند الحجاج

قال: وكتب إليه بعض أهله أن يمضي إلى الشام فيستجير ببعض بني أمية حتى يأمن، ثم يعود إلى مصره.

وقد كان خالد بن عتاب الرياحي فعل ذلك، واستجار بزفر بن الحارث الكلابي، فأجاره، فراجعه عبد الملك في أمره، ثم أجاره، فكتب مالك إلى أبيه يسأله أن يدخل إلى الحجاج ويسأله في أمره، فقال أسماء في ذلك:

أبني فزارة لا تعنوا شيخكم ... ما لي وما لزيارة الحجاج

شبهته شبهلاً غداة لقيته ... يلقي الرؤوس شواخب الأوداج

تجري الدماء على النطاع كأنها ... راح شمول غير ذات مزاج

لا تطلبوا حاجاً إليه فإنه ... بئس المؤمل في طلاب الحاج

يا ليت هنداً أصبحت مرموسة ... أو ليتها جلست عن الأزواج

خالد بن عتاب والحجاج يتسابان

قال أبو زيد: فأما خبر خالد بن عتاب الرياحي، فإن الحجاج كان استعمله على الري، وكانت أمه أم ولد، فكتب إليه الحجاج يلخن أمه، ويقول يابن اللخناء ، أنت الذي هربت عن أبيك حتى قتل، وقد كان حلف ألا يسب أحد أمه إلا أجابه كائناً من كان.

فكتب إليه خالد: كتبت إلي تلحنني، وتزعم أني فررت عن أبي حين قتل، ولعمري لقد فررت عنه، ولكن بعد أن قتل، وحين لم أجد لي مقاتلاً، ولكن أخبرني عنك يابن اللخناء المستفرمة بعجم زبيب الطائفن حين فررت أنت وأبوك يوم الحرة على جمل ثفال ، أيكما كان أمام صاحبه، فقرأ الحجاج الكتاب، وقال: صدق:

أنا الذي فررت يوم الحره ثم ثنيت كرة بفره

والشيخ لا يفر إلا مره

ثم طلبه، وهرب إلى الشام، وسلم بيت المال و لم يأخذ منه شيئاً.

خالد بن عتاب يستجير بروح بن زنباع فلا يجيره، ويجيره زفر بن الحارث وكتب الحجاج إلى عبد الملك بما كان منه، وقدم خالد الشام، فسأل عن خاصة عبد الملك، فقيل له: روح بن زنباع، فأتاه حين طلعت الشمس، فقال: إني جئتك مستجيراً، فقال: إنني قد أجرتك إلا أن تكون خالداً، قال: فإني خالد، فتغير وقال: أنشدك الله إلا خرجت عني؛ فإني لا آمن عبد الملك، فقال: أنظرني حتى تغرب الشمس. فجعل روح يراعيها حتى خرج خالد. فأتى زفر بن الحارث الكلابي فقال: إني جئتك مستجيراً، قال: قد أجرتك، قال: أنا خالد بن عتاب، قال: وإن كنت خالداً.

فلما أصبح دعا ابنين له فتهادى بينهما وقد أسن، فدخل على عبد الملك وقد أذن للناس، فلما رآه دعا له بكرسي، فجعل عند فراشه، فجلس، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إني قد أجرت عليك رجلاً، فأجره، قال: قد أجرته إلا أن يكون خالداً، قال: فهو خالد، قال: لا، ولا كرامة، فقال زفر لابنيه: أنهضاني.

فلما ولى قال: يا عبد الملك، أما والله لو كنت تعلم أن يدي تطيق حمل القناة ورأس الجواد لأجرت من أجرت، فضحك، وقال: يا أبا الهذيل، قد أجرناه، فلا أرينه. وأرسل إلى خالد بألفي درهم، فأخذها، ودفع إلى رسوله أربعة آلاف درهم.

رجع الخبر إلى حديث مالك بن أسماء

مالك وأخوه عيينة يعشقان جارية لأختهما هند

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: أخبرنا محمد بن يزيد النحوي، وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب، قال: حدثنا عبد الله بن مسلم، قالا: عشق مالك بن أسماء جارية لأخته هند، وعشقها أخوه عيينة بن أسماء بن خارجة، فاستعان بأخيها مالك، وهو لا يعلم ما يجد بها، يشكو إليها حبها، فقال مالك :

أعيين هلا إذ كلفت بها كنت استغثت بفارغ العقل

أرسلت تبغي الغوث من قبلي والمستغاث إليه في شغل

مالك يعشق جارية من بني أسد

قال ابن قتيبة خاصة: وهوي مالك بن أسماء جارية من بني أسد، وكانت تنزل داراً من قصب، وكانت دار مالك في بني أسد داراً سرية مبنية بالجص والآجر فقال:

يا ليت لي خصا يجاورها ... بدلاً بداري في بني أسد

الخص فيه تقر أعيننا ... خير من الآجر والكمد

ينشد عمر بن أبي ربيعة بعض شعره

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي ويعقوب بن عيسى، وأخبرني علي بن صالح بن الهيثم، قال: حدثنا أبو هفان عن إسحاق الموصلي، عن الزبير: أن عمر بن أبي ربيعة رأى مالك بن أسماء. قال أبو هفان في خبره: وهو يطوف بالبيت، وقد بهرالناس جماله وكماله، فأعجب عمر ما رأى منه، فسأل عنه فعرفه، فعانقه وسلم عليه وقال له: أنت أخي حقاً، فقال له مالك: ومن أنا ومن أنت؟ فقال: أما أنا فستعرفني، وأما أنت فالذي تقول:

إن لي عند كل نفحة بستا ... ن من الورد أو من الياسمينا

نظراً والتفاتة أترجى ... أن تكوني حللت فيما يلينا

غنت فيه علية بنت المهدي خفيف رمل بالوسطى.

وقال أبو هفان في حديثه: قال له عمر: مازلت أحبك منذ سمعت هذا الشعر لك، فقال له مالك: أنت عمر بن أبي ربيعة، قال: نعم. قال الزبير في خبره خاصة: وحدثني ابن أبي كناسة: أن عمر لما لقي مالكاً استنشده، فأنشده مالك شيئاً من شعره، فقال له عمر: ما أحسن شعرك لولا أسماء القرى التي تذكرها فيه، قال: مثل ماذا؟ قال: مثل قولك:

إن في الرفقة التي شيعتنا ... بجوير سما لزين الرفاق

ومثل قولك:

أشهدتنا أم كنت غائبة ... عن ليلتي بحديثة القسب

ومثل قولك:

حبذا ليلتي بتل بونى ... حين نسقى شرابنا ونغني

فقال له مالك: هي قرى البلد الذي أنا فيه، وهو مثل ما تذكره في شعرك من أرض بلادك، قال: مثل ماذا؟ قال: مثل قولك :

حي المنازل قد دثرن خراباً بين الجوين وبين ركن كسابا

ومثل قولك:

ما على الرسم بالبليين لو بي ن رجع السلام أولو أجابا

فأمسك عنه عمر بن أبي ربيعة.

ومالك بن أسماء الذي يقول :

وحديث ألذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا

منطق صائب وتلحن أحيا ناً وأحلى الحديث ما كان لحنا

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجم، قال:

حدثني أبي، قلت للجاحظ: إني قرأت في فصل من كتابك المسمى بكتاب البيان والتبيين : إنما يستحسن من النساء اللحن في الكلام، واستشهدت ببيتي مالك بن أسماء - يعني هذين البيتين - قال: هو كذاك، فقال: أما سمعت بخبر هند ابنة أسماء بن خارجة مع الحجاج حين لحنت في كلامها، فعاب ذلك عليها، فاحتجت ببيتي أخيها، فقال لها: إن أخاك أراد أن المرأة فطنة، فهي تلحن بالكلام إلى غير الظاهر بالمعنى لتستر معناه، وتورى عنه، وتفهمه من أرادت بالتعريض، كما قال الله عز وجل : "ولتعرفنهم في لحن القول" و لم يرد الخطأ من الكلام، والخطأ لا يستحسن من أحد. فوجم الجاحظ ساعة، ثم قال: لو سقط إلي هذا الخبر أولاً لما قلت ما تقدم، فقلت له: فأصلحه، فقال: الآن وقد سار به الكتاب في الآفاق، وهذا لا يصلح، أو كلاماً نحو ما ذكرنا، فإن أبا أحمد أخبرنا به على سبيل المذاكرة فحفظته عنه.

المتوكل يطلب أن يبتاع له تل بوني

أخبرني الحسين بن يحيى، وجعفر بن قدامة، قالا: قال حماد: حدثني أحمد بن داود السدي، قال: ورد علي كتاب أمير المؤمنين المتوكل، وأنا على سواد الكوفة: أن ابتع لي تل بونى بما بغت، فابتعتها له، فإذا قرية صغيرة على تل، قد خرب ما حواليها من الضياع، فابتعتها له بعشرة آلاف درهم، قال: فظننته حركه على طلبها أنه غني:

حبذا ليلتي بتل بونى

فسألت عن ذلك، فعرفت أن جاريته مكتومة غنته هذا الصوت.

قال حماد: ومكتومة هذه جارية أهداها أبي إليه لما ولى الخلافة، فإنه سأل عنه، فعرف أنه قد كف بصره، فكتب له بمائة ألف درهم، وأمر بإشخاصه إليه مركماً، فأشخص إليه، وأهدى إليه عدة جوار هذه فيهن.

الحجاج يعاتب مالكاً ويستتيبه وروى الهيثم بن عدي ابن عياش أن الحجاج دعا يوماً بمالك بن أسماء، فعاتبه عتاباً طويلاً، ثم قال له: أنت والله كما قال أخو بني جعدة :

إذا ما سوأة غراء ماتت أتيت بسوءة أخرى بهيم
وما تنفك ترحص كل يوم من السوآت كالطفل النهيم
أكل الدهر سعيك في تباب تناغي كل مومسة أثيم

فقال له: لست كما قال الجعدي، ولكني كما قلت:

لكل جواد عثرة يستقيلها وعثرة مثلي لا تقال مدى الدهر
فهبني يا حجاج أخطأت مرة وجرت عن المثلى وغنيت بالشعر
فهل لي إذا ما تبت عندك توبة تدارك ما قد فات في سالف العمر

فقال له الحجاج: بلى والله، لئن تبت لأقبلن توبتك ولأعفين على ما كان من ذنبك ومن لي بذلك يا مالك؟ قال له: لك الله به، قال: حسبي الله ونعم الوكيل، فانظر ما تقول، قال: الحق أصلحك الله لا يخفى على أحد.

مالك يعود إلى الشراب

قال: فترك مالك الشراب، ووفى بعهده وأظهر النسك، ثم طما به الشعر، وطال عليه ترك اللذات والشراب، فقال:

وندمان صدق قال لي بعد هدأة من الليل: قم نشرب، فقلت له: مهلا
فقال: أبخلاً يابن أسماء هاكها كميتاً كريم المسك تزدهف العقلا
فتابعته فيما أراد ولم أكن بخيلاً على الندمان أو شكساً وغلا
ولكنني جلد القوى أبذل الندى وأشرب ما أعطى ولا أقبل العذلا
ضحوك إذا ما دبت الكأس في الفتى وغيره سكر وإن أكثر الجهلا

قال: فبلغ الحجاج أن مالكاً قد راجع الشراب، فقال: لا يأتي مالك بخير سجيس الأوجس ، قاتل الله أيمن بن خريم حيث يقول:

إذا المرء وفى الأربعين ولم يكن له دون ما يأتي حجاب ولا ستر
فدعه وما يأتي ولا تعذلنه وإن مد أسباب الحياة له العمر

وأنشدنا علي بن سليمان الأخفش أبيات أيمن هذه الرائية، وقال: أخذ معناها من قول ابن عباس: إذا بلغ المرء أربعين سنة ولم يتب أخذ إبليس بناصيته، وقال: حبذا من لا يفلح أبداً. وأول الأبيات هذه:

وصهباء جرجانية لم يطف بها حنيف ولم تنغر بها ساعة قدر
ولم يشهد القس المهينم نارها طروفاً ولا صلى على طبخها حبر

أتاني بها يحيى وقد نمت نومة وقد غابت الجوزاء وانحدر النسر

فقلت :اصطبحها أو لغيري سقها فما أنا بعد الشيب ويحج والخمر !
إذا المرء وفى الأربعين ولم يكن له دون ما يأتي حجاب ولا ستر
فدعه ولا تنفس عليه الذي أتى ولو مد أسباب الحياة له العمر

صوت

تلك عرسي تروم هجري سفاهاً وجفتني فما توافي عناقي
زعمت أنها تواتي مع الما ل وأنى محالف إملاقي
وتناست رزية بدمشق أشخصت مهجتي فويق التراقي
يوم نلقى نعش ابن عروة مح مولاً بأيدي الرجال والأعناق
مستحثا به سباقاً إلى القب ر وما إن لحثهم من سباق
ثم وليت موجعاً قد شجاني قرب عهد بهم وبعد تلاق

عروضه من الخفيف . الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي يرثي محمد بن عروة بن الزبير. والغناء لدحمان، خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لابن محرز ثقيل أول بالبنصر عن حبش.

من أخبار عروة بن الزبير

غضبه لوقوع قوم في أخيه

عبد الله بمجلس عبد الملك بن مروان

أخبرنا الطوسي والحرمي بن أبي العلاء، قالا: حدثنا الزبير، قال: حدثنا مصعب بن عثمان، عن عامر بن صالح، عن هشام بن عروة، قال: قدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان، فدخل فأجلسه معه على السرير، فجاء قوم فوقعوا في عبد الله بن الزبير، فخرج عروة فقال للآذن: إن عبد الله بن الزبير ابن أمي وأمبي، فإذا أردتم أن تقعوا فيه فلا تأذنوا لي عليكم.

فذكر ذلك لعبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: قد أخبرني الآذن بما قلت، وإن أخاكم لم يكن قتلنا إياه لعداوة، ولكنه طلب أمراً وطلبناه فقتل دونه، وإن الشام قوم من أخلاقهم ألا يقتلوا أحداً إلا شتموه، فإذا أذنا لأحد قبل فقد جاء من يشتمه فلا تدخل، وإذا أنا لأحد وأنت جالس فانصرف.

قدومه على الوليد حين شلت رجله

ثم قدم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شلت رجله، فقيل له: اقطعها، قال: إني لأكره أن أقطع مني طابقاً، فارتفعت إلى الركبة، فقيل له: إنها إن وقعت في الركبة قتلتك، فقطعت، و لم يقبض وجهه. وقيل له قبل أن يقطعها: نسقيك دواء لا تجد معه ألماً، فقال: ما يسعني أن هذا الحائط وقاني أذاها.

مقتل ابنه محمد

قال الزبير: وحدثني مصعب بن عثمان بن عامر، عن صالح، عن هشام بن عروة، قال: سقط محمد بن عروة بن الزبير - وأمه بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية - من سطح في اصطبل دواب الوليد بن عبد الملك، فضربته بقوائمها حتى قتلته، فأتى عروة رجل يعزيه، فقال عروة: إن كنت تعزيني برجلي فقد احتسبتها، فقال: بل أعزيك بمحمد، قال: وما له؟ فخبره بشأنه؛ فقال :

وكنت إذا الأيام أحدثن نكبة أقول شوى ما لم يصبن صميمي

اللهم أخذت عضواً وتركت أعضاء، وأخذت ابناً وتركت أبناء، فإنك إن كنت أخذت لقد أبقيت، وإن كنت ابتليت لقد عافيت.

فلما قدم المدينة نزل قصره بالعقيق، فأتاه ابن المنكدر، وقال: كيف كنت؟ فقال: "لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا" .

عيسى بن طلحة يعزيه أكرم عزاء قال الزبير: وحدثني عبد الملك بن عبد العزيز، عن ابن الماجشون: أن عيسى بن طلحة جاء إلى عروة بن الزبير حين قدم من عند الوليد بن عبد الملك، وقد قطعت رجله، فقال عروة لبعض بنيه: اكشف لعمك عن رجلي ينظر إليها، ففعل، فقال له عيسى: إنا لله وإنا إليه راجعون، يا أبا عبد الله، ما أعددناك للصراع ولا للسباق، ولقد أبقى الله لنا منك ما كنا نحتاج إليه منك: رأيك وعلمك. فقال عروة: ما عزاني أحد عن رجلي مثلك.

الوليد بن عبد الملك يبعث إليه بمن هو أعظم بلاء منه قال الزبير: وحدثني مصعب بن عثمان، عن عامر بن صالح، عن هشام بن عروة:

أنه قدم على الوليد رجل من عبس ضرير محطوم الوجه، فسأله عن سبب ذلك، فقال: بت ليلة في بطن واد، ولا أعلم في الأرض عبسياً يزيد ماله على مالي، فطرقنا سيل، فذهب بما كان لي من أهل ومال وولد إلا صبياً مولوداً وبعيراً ضعيفاً، فند البعير والصبي معي، فوضعته، واتبعت البعير، فما جاوزت ابني قليلاً إلا ورأس الذئب في بطنه، فتركته، واتبعت البعير، فرمحني رمحة حطم بها وجهي، وأذهب عيني، فأصبحت لا ذا لامال ولا ذا ولد ولا ذا بصر.

فقال الوليد بن عبد الملك: اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم بلاء منه.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي، وعمر بن عبد العزيز بن أحمد ، ومحمد بن العباس اليزيدي، وجماعة أخبروني قالوا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي، عن جدي، عن هشام بن عروة قال: خرجت مع أبي عروة بن الزبير حاجاً، ومعنا أخي محمد بن عروة، وكان من أحسن الناس وجهاً، فلما كنا في بعض الطريق إذا نحن بعمر بن أبي ربيعة يكلم بعضنا، فقلنا: هذا أبو الخطاب لو سايرناه، فرآنا عروة، فقال: فيم أنتم؟ قلنا: هذا عمر بن أبي ربيعة، فضرب عروة إليه راحلته، فلما رآها عمر عدل إليه فسلم عليه، ثم قال: وأين زين المواكب؟ - يعني محمد بن عروة - فقال: قد تقدم، فعدل عن عروة واتبع محمداً، فقال له عروة: نحن أكفى لك وأولى أن تسايرنا، فقال: إني رجل موكل بالجمال أتبعه حيث كان، وضرب راحلته ومضى.

صوت

يا بني الصيداء ردوا فرسي ... إنما يفعل هذا بالذليل

عودوا مهري الذي عودته ... دلج الليل وإبطاء القتيل

واستباء الزق من حاناته ... شائل الرجلين معصوباً يميل

عروضه من ثاني الرمل.

بنو الصيداء: بطن من بني أسد. والدلج: السير في آخر الليل، يقال: دلج يدلج - مخففة - إذا سار من آخر الليل، وادلج يدلج، إذا سار الليل كله. واستباء الزق، أراد استباء الخمر فيه؛ أي ابتاعها من حاناتها. والحانات: جمع حانة، وهي الموضع الذي تباع فيه الخمر. وشائل الرجلين: رافعهما.

وروى الأصمعي وأبو عمرو:

أحمل الزق على منسجه ... فيظل الضيف نشواناً يميل

الشعر لزيد الخيل الطائي. والغناء لابن محرز، خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى، عن يحيى المكي. وذكره إسحاق في هذه الطريقة و لم ينسبه إلى أحد، وفيه لعاذل لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس، وذكر حبش أن فيه لنبيه لحناً من الثقيل الثاني بالوسطى.

أخبار زيد الخيل ونسبه

نسبه

هو زيد بن مهلهل بن يزيد بن منهب بن عبد رضا - ورضا: صنم كان لطيء - ابن محلس بن ثور بن عدي بن كنانة بن مالك بن نائل بن نبهان، - وهو أسود بن عمرو بن الغوث بن جلهمة - وهو طيء؛ سمي بذلك لأنه كان يطوى المناهل في غزواته - ابن أدد بن مذحج بن زيد بن يشجب الأصفر بن عريب بن مالك بن زيد بن

كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر، وهو هود النبي صلى الله عليه وسلم. كذا نسبه النسابون، والله أعلم.

وأم طيىء مدلة بنت ذي منحسان بن عريب بن الغوث بن زهير بن وائل بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومدلة هذه هي مذحج، وهو لقبها، وهي أم مالك بن أدد، وكانت مدلة عند أدد أيضاً، فولدت له الأشعر واسمه نبت، ومرة، ابني أدد. ومن الناس من يقول مذحج ظرب صغير اجتمعوا عليه، وليس بأم ولا أب، والله أعلم.

سماه النبي صلى الله عليه وسلم زيد الخير

وكان زيد الخيل فارساً مغواراً مظفراً شجاعاً بعيد الصيت في الجاهلية، وأدرك الإسلام ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولقيه وسر به وقرظه، وسماه زيد الخير.

شاعر فارس

وهو شاعر مقل مخضرم معدود في الشعراء والفرسان، وإنما كان يقول الشعر في غاراته ومفاخراته ومغازيه وأياديه عند من مر عليه وأحسن في قراه إليه .

سبب تسميته زيد الخيل

وإنما سمي زيد الخيل لكثرة خيله، وأنه لم يكن لأحد من قومه ولا لكثير من العرب إلا الفرس والفرسان، وكانت له خيل كثيرة، منها المسماة المعروفة التي ذكرها في شعره وهي ستة، وهي: الهطال، ولاكميت، والورد، وكامل، ودؤول ، ولاحق.

قال شعراً في خيله وفي الهطال يقول:

أقرب مربط الهطال إني أرى حرباً ستلقح عن حيال

وفي الورد يقول:

أبت عادة للورد أن يكره القنا وحاجة نفسي في نمير وعامر

وفي دؤول يقول:

فاقسم لا يفارقني دؤول أجول به إذا كثر الضراب

هذا ما حضرني من تسمية خيله في شعره، وقد ذكرها.

له ثلاثة بنين شعراء

وكان لزيد الخيل ثلاثة بنين كلهم يقول الشعر، وهم عروة، وحريث، ومهلهل. ومن الناس من ينكر أن يكون له من الولد إلا عروة وحريث.

وهذا الشعر الذي فيه الغناء يقوله في فرس من خيله ظلع في بعض غزواته بني أسد، فلم يتبع الخيل ووقف، فأخذته بنو الصيداء، فصلح عندهم واستقل.

وقيل: بل أغزى عليه بعض بني نبهان، فنكس عنه وأخذ. وقيل: إنه خلفه في بعض أحياء العرب ظالعاص ليستقل، فأغارت عليهم بنو أسد، فأخذوا الفرس فيما استاقوه لهم، فقال في ذلك زيد الخيل:

يا بني الصيداء ردوا فرسي ... إنما يفعل هذا بالذليل

لا تذيلوه فإني لم أكن ... يا بني الصيدا لمهري بالمذيل

عودوه كالذي عودته ... دلج الليل وإبطاء القتيل

أحمل الزق على منسجه ... فيظل الضيف نشواناص يميل

قال أبو عمرو الشيباني: وكان زيد الخيل ملحاً على بني أسد بغاراته، ثم على بني الصيداء منهم، ففيهم يقول :

ضجت بنو الصيداء من حربنا ... والحرب من يحلل بها يضجر

بتنا نرجي نحوهم ضمراً ... معروفة الأنساب من منسر

حتى صبحناهم بها غدوة ... نقتلهم قسراً على ضمر

يدعون بالويل وقد مسهم ... منا غداة الشعب ذي الهيشر

ضرب يزيل الهام ذو مصدق ... يعلو على البيضة والمغفر

الهيشر: شجر كثير الشوك تأكله الإبل.

نسخت من كتاب لأبي المحلم، قال: حدثني أضبط بن الملوح، قال لي أبي: أنشد حبيب بن خالد بن نضلة الفقعسي قول زيد الخيل:

عودوا مهري الذي عودته

فضحك ثم قال: قولوا له: إن عودناه ما عودته دفعناه إلى أول من يلقانا، وهربنا.

وفد على النبي في جماعة من طيىء

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازة، قال: حدثني علي بن حرب، قال: أنبأني هشام بن الكلبي أبو المنذر، قال: حدثني عباد بن عبد الله النبهاني عن أبيه عن جده، وأضفت إلى ذلك ما رواه أبو عمرو الشيباني، قالا: وفد زيد الخيل بن مهلهل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه وزر بن سدوس النبهاني، وقبيصة بن الأسود بن عامر بن جوين الجرمي ، ومالك بن جبير المغني، وقعين بن خليل الطريفي، في عدة من طيىء، فأناخوا ركابهم

بباب المسجد، ودخلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس، فلما رآهم قال: إني خير لكم من العزى، ومما حازت مناع من كل ضار غير يفاع، ومن الجبل الأسود الذي تعبدونه من دون الله عز وجل.
قال أبو المنذر: يعني بمناع : جبل طيىء.

إسلامه

فقام زيد، وكان من أجمل الرجال وأتمهم، وكان يركب الفرس المشرف ورجلاه تخطان الأرض كأنه على حمار، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله. قال: ومن أنت؟ قال: أنا زيد الخيل بن مهلهل. فقال رسول الله: بل أنت زيد الخير، وقال: الحمد لله الذي جاء بك من سهلك وجبلك، ورقق قلبك على الإسلام، يا زيد، ما وصف لي رجل قط فرأيته إلا كان دون ما وصف به إلا أنت؛ فإنك فوق ما قيل فيك.

أصابته الحمى ومات بها

فلما ولى قام النبي صلى الله عليه وسلم: أي رجل إن سلم من آطام المدينة! فأخذته الحمى، فأنشأ يقول:

أنخت بآطام المدينة أربعاً وخمساً يغني فوقها الليل طائر
شددت عليها رحلها وشليلها من الدرس والشعراء والبطن ضامر

فمكث سبعاً، ثم اشتدت الحمى به فخرج، فقال لأصحابه: جنبوني بلاد قيس؛ فقد كان بيننا حماسات في الجاهلية، ولا والله لا أقاتل مسلماً حتى ألقى الله. فنزل بماء لحي من طيىء يقال له فردة، واشتدت به الحمى، فأنشأ يقول:

أمرتحل صحبي المشارق غدوة وأترك في بيت بفردة منجد
سقى الله ما بين القفيل فطابة فما دون أرمام فما فوق منشد
هنالك لو أني مرضت لعادني عوائد من لم يشف منهن يجهد

فليت اللواتي عدنني لم يعدنني وليت اللواتي غبن عني عودي

قال: وكتب معه رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني نبهان بفيدك كتاباً مفرداً، وقال له: أنت زيد الخير، فمكث بالفردة سبعة أيام ثم مات. فأقام عليه قبيصة بن الأسود المناحة سبعاً، ثم بعث راحلته ورحله، وفيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما نظرت امرأته - وكانت على الشرك - إلى الراحلة ليس عليها زيد ضربتها بالنار وقالت:

ألا إنما زيد لكل عظيمة إذا أقبلت أوب الجراد رعالها

لقاهم فما طاشت يداه بضربهم ولا طعنهم حتى تولى سجالها

قال: فبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ضرب امرأة زيد الراحلة بالنار، واحتراق الكتاب، قال: بؤساً لبني نبهان.

وقال ابو عمرو الشيباني: لما وفد زيد الخيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل إليه، طرح له متكأ فأعظم أن يتكىء بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرد المتكأ، فأعاده عليه ثلاثاً، وعلمه دعوات كان يدعو بها فيعرف الإجابة، ويستسقى فيسقى، وقال: يا رسول الله، أعطني ثلاثمائة فارس أغير بهم على قصور الروم، فقال له: أي رجل أنت يا زيد! ولكن أم الكلبة تقتلك - يعني الحمى - فلم يلبث زيد بعد انصرافه إلا قليلاً حتى حم ومات.

قال أبو عمرو: وأسلموا جميعاً إلا وزر؛ فإنه قال لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم إني لأرى رجلاً ليملكن رقاب العرب، ووالله لا يملك رقبتي أبداً؛ فلحق بالشام، فتنصر وحلق رأسه، فمات على ذلك.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثني السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبي قال: أقبل زيد الخيل الطائي حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم، وكان زيد رجلاً جسيماً طويلاً جميلاً، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: من أنت؟ قال: أنا زيد الخيل. قال: بل أنت زيد الخير، أما إني لم أخبر عن رجل خبراً إلا وجدته دون ما أخبرت به عنه غيرك؛ إن فيك لخصلتين يحبهما الله عز وجل ورسوله، قال: وما هما يا رسول الله؟ قال: الأناة والحلم، فقال زيد: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

عمر يسأله عن طيىء وأصحاب مرابعها

قال: ودخل زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عمر رضي الله عنه، فقال عمر لزيد: أخبرنا يا أبا مكنف عن طيىء وملوكها نجدها وأصحاب مرابعها، فقال زيد: في كل يا عمر نجدة وبأس وسيادة، ولكل رجل من حيه مرباع، أما بنو حية فملوكنا وملوك غيرنا، وهم القداميس القادة، والحماة الذادة، والأنجاد السادة، أعظمنا خميساً ، وأكرمنا رئيساً، وأجملنا مجالس، وأنجدنا فوارس.

فقال له عمر رضي الله عنه: ما تركت لمن بقي من طيىء شيئاً، فقال: بلى والله؛ أما بنو ثعل وبنو نبهان وجرم ففوارس العدوة وطلاعو كل نجوة، ولا تحل حبوة، ولا تراع لهم ندوة، ولا تدرك لهم نبوة، عمود البلاد، وحية كل واد، وأهل الأسل الحداد، والخيل الجياد، والطارف والتلاد.

وأما بنو جديلة فأسهلنا قراراً، وأعظمنا أخطاراً، وأطلبنا للأوتار، وأحمانا للذمار، وأطعمنا للجار.

فقال له عمر: سم لنا هؤلاء الملوك، قال: نعم، منهم عفير المجير على الملوك، وعمرو المفاخر، ويزيد شارب الدماء، والغمر ذو الجود، ومجير الجراد، وسراج كل ظلام ولامة ، وملحم بن حنظلة؛ هؤلاء كلهم من بني حية.

وأما حاتم بن عبد الله الثعلي الجواد فلا يجاري، والسمح فلا يباري ، والليث الضرغامة، قراع كل هامة، جوده

في الناس علامة، لا يقر على ظلامة. فاعترض رجل من بني ثعل لما مدح زيد حاتماً، فقال: ومنا زيد بن مهلهل النبهاني رئيس قومه وسيد الشيب والشبان، وسم الفرسان، وآفة الأقران، والمهيب بكل مكان، أسرع إلى الإيمان، وآمن بالفرقان، رئيس قومه في الجاهلية وقائدهم إلى أعدائهم، على شحط المزار، وطموس الآثار، وفي الإسلام رائدنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومجيبه من غير تلعثم ولاتلبث.

ومنا زيد بن سدوس النبهاني عصمة الجيران، والغيث بكل أوان، ومضرم النيران، ومطعم الندمان، وفخر كل يمان.

ومنا الأسد الرهيص، سيد بني جديلة، ومدوخ كل قبيلة، قاتل عنترة فارس بني عبس، ومكشف كل لبس.

فقال عمر لزيد الخيل: لله درك يا أبا مكنف فلو لم يكن لطيء غيرك وغير عدي بن حاتم لقهرت بكما العرب.

قصته مع الشيباني

أخبرني ابن دريد، قال: أخبرني عمي، عن أبيه، عن ابن الكلبي، عن أبيه، قال: أخبرني شيخ من بني نبهان، قال: أصابت بني شيبان سنة ذهبت بالأموال، فخرج رجل منهم بعياله، حتى أنزلهم الحيرة، فقال لهم: كونوا قريباً من الملك يصبكن من خيره حتى أرجع إليكن، وآلى ألية لا يرجع حتى يكسبهن خيراً أو يموت. فتزود زاداً، ثم مشى يوماً إلى الليل، فإذا هو بمهر مقيد يدور حول خباء. فقال: هذا أول الغنيمة، فذهب يحله ويركبه، فنودي: خل عنه واغنم نفسك، فتركه، ومضى سبعة أيام حتى انتهى إلى عطن إبل مع تطويل الشمس، فإذا خباء عظيم وقبة من أدم، فقال في نفسه: ما لهذا الخباء بد من أهل، وما لهذه القبة بد من رب، وما لهذا العطن بد من إبل، فنظر في الخباء، فإذا شيخ كبير قد اختلفت ترقوتاه، كأنه نسر.

قال: فجلست خلفه، فلما وجبت الشمس إذا فارس قد أقبل لم أر فارساً قط أعظم منه ولا أجسم، على فرس مشرف ومعه أسودان يمشيان جنبيه، وإذا مائة من الإبل مع فحلها، فبرك الفحل، وبركت حوله، ونزل الفارس، فقال لأحد عبديه: احلب فلانة، ثم اسق الشيخ، فحلب في عس حتى ملأه، ووضعه بين يدي الشيخ وتنحى، فكرع منه الشيخ مرة أو مرتين، ثم نزع، فثرت إليه فشربته، فرجع إليه العبد. فقال: يا مولاي، قد أتى على آخره، ففرح بذلك، وقال: احلب فلانة، فحلبها، ثم وضع العس بين يدي الشيخ، فكرع منه واحدة، ثم نزع، فثرت إليه فشربت نصفه، وكرهن أن آتي على آخره، فأتهم ، فجاء العبد فأخذه وقال لمولاه: قد شرب وروي، فقال: دعه، ثم أمر بشاة فذبحت، وشوى للشيخ منها، ثم أكل هو وعبداه، فأمهلت حتى إذا ناموا وسمعت الغطيط ثرت إلى الفحل، فحللت عقاله وركبته، فاندفع بي وتبعته الإبل، فمشيت ليلتي حتى الصباح، فلما أصبحت نظرت فلم أر أحداً، فشللتها إذاً شلا عنيفاً حتى تعالى النهار، ثم التفت التفاتة فإذا أنا بشيء كأنه طائر، فما زال يدنو حتى تبينته، فإذا هو فارس على فرس، وإذا هو صاحبي بالأمس، فعقلت الفحل، ونثلت كنانتي،

ووقفت بينه وبين الإبل، فقال: احلل عقال الفحل، فقلت: كلا والله، لقد خلفت نسيات بالحيرة، وآليت إلية لا أرجع حتى أفيدهن خيراً أو أموت. قال: فإنك لميت، حل عقاله، لا أم لك! فقلت: ما هو إلا ما قلت لك، فقال: إنك لمغرور: انصب لي خطامه، واجعل فيه خمس عجر ففعلت، فقال: أين تريد أن أضع سهمي؟ فقلت: في هذا الموضع، فكأنما وضعه بيده، ثم أقبل يرمي حتى أصاب الخمسة بخمسة أسهم، فرددت نبلي، وحططت قوسي، ووقفت مستسلماً؛ فدنا مني وأخذ السيف والقوس، ثم قال: ارتدف خلفي، وعرف أني الرجل الذي شربت اللبن عنده، فقال: كيف ظنك بي؟ قلت: أسوأ الظن . قال: وكيف؟ قلت: لما لقيت من تعب ليلتك، وقد أظفرك الله بي، فقال: أترانا كنا نهيجك، وقد بت تنادم مهلهلاً؟ قلت: أزيد الخيل أنت؟ قال: نعم، أنا زيد الخيل، فقلت: كن خير آخذ، فقال: ليس عليك بأس.

فمضى إلى موضعه الذي كان فيه، ثم قال: أما لو كانت هذه الإبل لي لسلمتها إليك، ولكنها لبنت مهلهل، فأقم علي؛ فإني على شرف غارة.

فأقمت أياماً، ثم أغار على بني نمير بالملح، فأصاب مائة بعير، فقال: هذه أحب إليك أم تلك؟ قلت: هذه، قال: دونكها. وبعث معي خفراء من ماء إلى ماء، حتى وردوا بي الحيرة، فلقيني نبطي: فقال لي: يا أعرابي، أيسرك أن لك بإبلك بستاناً من هذه البساتين؟ قلت: وكيف ذاك؟ قال: هذا قرب مخرج نبي يخرج فيملك هذه الأرض، ويحول بين أربابها وبينها، حتى إن أحدهم ليبتاع البستان من هذه البساتين بثمن بعير.

قال: فاحتملت بأهلي حتى انتهيت إلى موضع الشيطين فبينما نحن في الشيطين على ماء لنا، وقد كان الحوفزان بن شريك أغار على بني تميم، فجاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا، وما مضت الأيام حتى شربت بثمن بعير من إبلي بستاناً بالحيرة. فقال في يوم الملح زيد الخيل:

ويوم الملح ملح بني نمير أصابتكم بأظفار وناب

يسأل النبي ما تصيده الكلاب من الوحش

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرني عمي عن ابن الكلبي، عن أبيه، والشرقي:

أن زيد الخيل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن في الحي رجلين لهما كلاب مضريات تصيد الوحش، أفنأكل مما أمسكته و لم تدرك ذكاته؟ فقال: "إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله عليه وكل مما أمسك"، أو كما قال عليه السلام.

حفيدته ليلى تنشد شعراً لأبيها

في يوم محجر أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه إسحاق، عن الهيثم بن عدي، عن حماد الراوية، عن ابن أبي ليلى، قال: أنشدتني ليلى بنت عروة بن زيد الخيل الطائي شعر أبيها في يوم محجر :

بني عامر هل تعرفون إذا غدا أبو مكنف قد شد عقد الدوابر

بجيش تضل البلق في حجراته ترى الأكم فيه سجداً للحوافر

وجمع كمثل الليل مرتجز الوغى كثير حواشيه سريع البوادر

قالت ليلى: فقلت لأبي: يا أبه، أشهدت ذلك اليوم مع أبيك؟ قال: إي والله يا بنية، لقد شهدته، قلت: كم كانت خيل أبيك هذه التي وصفت؟ قال: ثلاثة أفراس .

غزا بني عامر

نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني بخطه عن أبيه: أن زيد الخيل بن مهلهل جمع طيئاً وأخلاطاً لهم، وجموعاً من شذاذ العرب، فغزا بهم بني عامر ومن جاورهم من قبائل العرب من قيس، وسار إليهم فصبحهم من طلوع الشمس، فنذروا به وفزعوا إلى الخيل وركبوها، وكان أول من نذر بهم، فلقي جمعهم غني بن أعصر وإخوتهم: الحارث وهو الطفاوة، واسمه مالك بن سعد بن قيس بن عيلان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزمت بنو عامر، فاستحر القتل بغني، وفيهم يومئذ فرسان وشعراء، فملأت طيىء أيديهم من غنائمهم .

اسر الحطيئة وأطلقه

وأسر زيد الخيل يومئذ الحطيئة الشاعر، فجز ناصيته وأطلقه.

ثم إن غنيا تجمعت بعد ذلك مع لف من بني عامر فغزوا طيئاً في أرضهم، فغنموا وقتلوا وأدركوا ثأرهم منهم.

وقد كان زيد الخيل قال في وقعته لبني عامر قصيدته التي يقول فيها:

وخيبة من يخيب على غني وباهلة بن أعصر والكلاب

فلما أدركوا ثأرهم أجابه طفيل الغنوي، فقال:

سمونا بالجياد إلى أعادٍ مغورة بجد واعتصاب

نؤمهم على وعث وشحط بقود يطلعن من النقاب

وهي طويلة يقول فيها:

أخذنا بالمخطم من أتاهم من السود المزنمة الرغاب

وقتلنا سراتهم جهاراً وجئنا بالسبايا والنهاب

سبايا طيىء أبرزن قسراً وأبدلن القصور من الشعاب

سبايا طيىء من كل حي نما في الفرع منها والنصاب

وما كانت بناتهم سبيا ولا رغباً يعد من الرغاب
ولا كانت دماؤهم وفاء لنا فيما يعد من العقاب

عروة بن زيد الخيل

أخبرني الحسن بن يحيى، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: كان لزيد الخيل ابن يقال له عروة، وكان فارساً شاعراً، فشهد القادسية، فحسن فيها بلاؤه، وقال في ذلك يذكر حسن بلائه:

برزت لأهل القادسية معلماً وما كل من يغشى الكريهة يعلم
ويوم بأكناف النخيلة قبلها شهدت فلم أبرح أدمي وأكلم
وأقعصت منهم فارساً بعد فارس وما كال من يلقى الفوارس يسلم
ونجاني الله الأجل وجيرتي وسيف لأطراف المرازب مخذم
وأيقنت يوم الديلميين أنني متى ينصرف وجهي عن القوم يهزموا
فما رمت حتى مزقوا برماحهم ثيابي وحتى بل أخمصي الدم
محافظة إني امرؤ ذو حفيظة إذا لم أجد مستأخراً أتقدم

قال: وشهد مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه صفين، وعاش إلى إمارة معاوية، فأراده على البراءة من علي، فامتنع عليه، وقال:

يحاولني معاوية بن حرب وليس إلى الذي يهوى سبيل
على جحدي أبا حسن عليا وحظي من أبي حسن جليل

قال: وله أشعار كثيرة.

قتله رئيس تغلب

قال أبو عمرو: كان لتغلب رئيس يقال له الجرار، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم، وأبى الإسلام، وامتنع منه، فيقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليه زيد الخيل، وأمره بقتاله، فمضى زيد فقاتله فقتله لما أبى الإسلام، وقال في ذلك:

صبحت حي بني الجرار داهية ما إن لتغلب بعد اليوم جرار
نحوي النهاب ونحوي كل كأن نقبتها في الخد دينارأغار على بني عامر

جارية

قال مؤرج: خرج رجل من طيىء يقال له: ذؤاب بن عبد الله إلى صهر له من هوازن، فأصيب الرجل - وكان شريفاً ذا رياسة في حيه - فبلغ ذلك زيداً، فركب في نبهان ومن تبعه من ولد الغوث، وأغار على بني عامر، وجعل كلما أخذ أسيراً قال له: ألك علم بالطائي المقتول؟ فإن قال: نعم، قتله، وإن قال: لا، خلى سبيله ومن عليه. وأصاب رجالاً من بني الوحيد والضباب وبني نفيل. ثم رجع زيد إلى قومه، فقالوا: ما صنعت؟ فقال: ما أصبت بثأر ذؤاب، ولا يبوء به إلا عامر بن مالك ملاعب الأسنة، فأما ابن الطفيل فلا يبوء به، وأنشأ زيد يقول:

لا أرى بالقتيل قتيلاً ... عامريا يفي بقتل ذؤاب

ليس من لاعب الأسنة في الن ... قع وسمي ملاعباً بأراب

عامر ليس عامر بن طفيل ... لكن العمر رأس حي كلاب

ذاك إن ألقه أنال به الوت ... ر وقرت به عيون الصحاب

أو يفتني فقد سبقت بوتر ... مذحجي وجد قومي كأبي

قد تقنصت للضباب رجالاً ... وتكرمت عن دماء الضباب

وأصبنا من الوحيد رجالاً ... ونفيل فما أساغوا شرابي

فبلغ عامر بن الطفيل قول زيد الخيل وشعره، فأغضبه وقال مجيباً له:

قل لزيد قد كنت تؤثر بالحل ... م إذا سفهت حلوم الرجال

ليس هذا القتيل من سلف الح ... ي كلاع ويحصب وكلال

أو بني آكل المرار ولا صي ... د بني جفنة الملوك الطوال

وابن ماء السماء قد علم النا ... س ولا خير في مقالة غالي

إن في قتل عامر بن طفيل ... لبواء لطيىء الأجبال

إنني والذي يحج له النا ... س قليل في عامر الأمثال

يوم لا مال للمحارب في الحر ... ب سوى نصل أسمر عسال

ولجام في راس أجرد كالجذ ... ع طوال وأبيض قصال

ودلاص كالنهي ذات فضول ... ذاك في حلبة الحوادث مالي

ولعمي فضل الرياسة والس ... ن وجد على هوازن عالي

غير أني أولي هوازن في الحر ... ب بضرب المتوج المختال

وبطعن الكمي في حمس النق ع على متن هيكل جوال

أغار على بني مرة قال أبو عمرو الشيباني: لما بلغ زيد الخيل ما كان من الحارث بن ظالم وعمرو بن الإطنابة الخزرجي وهجائه إياه، غضب زيد لذلك، فأغار على بني مرة بن غضفان، فأسر الحارث بن ظالم وامرأته في غارته، ثم من عليهما، وقال يذكر ذلك:

ألا هل أتى غوثاً ورومان أننا صبحنا بني ذبيان إحدى العظائم

وسقنا نساء الحي مرة بالقنا وبالخيل تردي قد حوينا ابن ظالم

جنيباً لأعضاد النواجي يقدنه على تعب بين النواجي الرواسم

يقول :اقبلوا مني الفداء وأنعموا علي وجزوني مكان القوادم

قود مس حد الرمح قوارة استه فصارت كشدق الأعلم المتضاجم

وسائل بنا جار ابن عوف فقد رأى حليلته جالت عليها مقاسمي

تلاعب وحدان العضاريط بعدما جلاها بسهميه لقيط بن حازم

أغرك أن قيل ابن عوف ولا ارى عزيمك إلا واهياً في العزائم

غداة سبينا من خفاجة سبيها ومرت لهم منا نحوس الأشائم

فمن مبلغ عني الخزارج غارة على حي عوف موجفاً غير نائم

غارته على بني فزارة

وبني عبد الله بن غطفان

وقال أبو عمرو: أغار زيد على بني فزارة وبني عبد الله بن غطفان ورئيسهم يومئذ أبوضب، ومع زيد الخيل من بني نبهان بطنان يقال لهما: بنو نصر وبنو مالك، فأصاب وغنم، وساقوا الغنيمة، وانتهى إلى العلم، فاقتسموا النهاب، فقال لهم زيد: أعطوني حق الرياسة، فأعطاه بنو نصر، وأبى بنو مالك، فغضب زيد، وانحدر إلى بني نصر، فبينما بنو مالك يقتسمون إذ غشيتهم فزارة وغطفان، وهم حلفاء، فاستنقذوا ما بأيديهم. فلما رأى زيد ذلك شد على القوم فقتل رئيسهم أبا ضب، وأخذ ما في أيديهم، فدفعه إلى بني مالك، وكانوا نادوه يومئذ: يا زيداه أغثنا! فكر على القوم حتى استنفذ ما في أيديهم، ورده، وقال يذكر ذلك:

كررت على أبطال سعد ومالك ومن يدع الداعي إذا هو نددا

فلأياً كررت الورد حتى رأيتهم يكبون في الصحراء مثنى وموحدا
وحتى نبذتم بالصعيد رماحكم وقد ظهرت دعوى زنيم وأسعدا
فما زلت أرميهم بغرة وجهه وبالسيف حتى كل تحت وبلدا
إذا شك أطراف العوالي لبانه أقدمه حتى يرى الموت أسودا
علالتها بالأمس ما قد علمتم وعل الجواري بيننا أن تسهدا
لقد علمت نبهان أني حميتها وأني منعت السبي أن يتبددا
عشية غادرت ابن ضب كأنما هوى عن عقاب من شماريخ صنددا
بذي شطب أغشي الكتيبة سلهباً أقب كسر حان الظلام معودا

زيد وعامر بن الطفيل

قال أبو عمرو: وخرج زيد الخيل يطلب نعماً من بني بدر، وأغار عامر بن الطفيل على بني فزارة، فأخذ امرأة يقال لها هند، واستاق نعماً لهم، فقالت بنو بدر لزيد: ما كنا قط إلى نعمك أحوج منا اليوم، فتبعه زيد الخيل، وقد مضى، وعامر يقول: يا هند، ما ظنك بالقوم؟ فقالت: ظني بهم أنهم سيطلبونك، وليسوا نياماً عنك.

قال: فحطأ عجزها، ثم قال: لا تقول استها شيئاً، فذهبت مثلاً.

فأدركه زيد الخيل، فنظر إلى عامر فأنكره لعظمه وجماله، وغشيه زيد فبرز له عامر، فقال: يا عامر؛ خل سبيل الظعينة والنعم. فقال عامر: من أنت؟ قال: فزاري أنا. قال عامر: والله ما أنت من القلح أفواهاً. فقال زيد: خل عنها، قال: لا، والله أو تخبرني فاصدقني ، قال: أنا زيد الخيل، قال: صدقت؛ فما تريد من قتالي، فوالله لئن قتلتني لتطلبنك بنو عامر، ولتذهبن فزارة بالذكر. فقال له زيد: خل عنها، قال: تخلى عني وأدعك والظعينة والنعم؟ قال: فاستأسر، قال: أفعل، فجز ناصيته، وأخذ رمحه، وأخذ هنداً والنعم، فردها إلى بني بدر، وقال في ذلك:

إنا لنكثر في قيس وقائعنا وفي تميم وهذا الحي من أسد
وعامر بن طفيل قد نحوت له صدر القناة بماضي الحد مطرد
لما أحس بأن الورد مدركه وصارماً وربيط الجأش ذا لبد
نادى إلي بسلم بعد ما أخذت منه المنية بالحيزوم واللغد
ولو تصبر لي حتى أخالطه أسعرته طعنة تكتار بالزبد

قال: فانطلق عامر إلى قومه مجزوراً ، وأخبرهم الخبر، فغضبوا لذلك، وقالوا: لا ترأسنا أبداً، وتجهزوا ليغيروا على طيء، ورأسوا عليهم علقمة بن علاثة، فخرجوا ومعهم الحطيئة وكعب بن زهير.

أسر الحطيئة وكعب بن زهير ثم أطلقهما فبعث عامر إلى زيد الخيل دسيساً ينذره، فجمع زيد قومه، فلقيهم بالمضيق فقاتلهم، فأسر الحطيئة وكعب بن زهير وقوماً منهم، فحبسهم فلما طال عليهم الأسر قالوا: يا زيد، فادنا. قال: الأمر إلى عامر بن الطفيل، فأبوا ذلك عليه، فوهبهم لعامر إلا الحطيئة وكعباً، فأعطاه كعب فرسه الميت، وشكا الحطيئة الحاجة، فمن عليه، فقال زيد:

أقول لعبدي جرول إذ أسرته ... أثبني ولا يغررك أنك شاعر
أنا الفارس الحامي الحقيقة والذي ... له المكرمات واللهى والمآثر
وقومي رؤوس الناس والرأس قائد ... إذا الحرب شبتها الأكف المساعر
فلست إذا ما الموت حوذر ورده ... وأترع حوضاه وحمج ناظر
بوقافة يخشى الحتوف تهيباً ... يباعدني عنها من القب ضامر

ولكنني أغشى الحتوف بصعدتي ... مجاهرة إن الكريم يجاهر
وأروي سناني من دماء غزيرة ... على أهلها إذ لا ترجى الأياصر

شعر الحطيئة لزيد

فقال الحطيئة لزيد:

إن لم يكن مالي بآت فإنني ... سيأتي ثنائي زيداً بن مهلهل
فأعطيت منا الود يوم لقيتنا ... ومن آل بدر شدة لم تهلل
فما نلتنا غدراً ولكن صبحتنا ... غداة التقينا في المضيق بأخيل
تفادى حماة القوم من وقع رمحه ... تفادي ضعاف الطير من وقع أجدل

وقال فيه الحطيئة أيضاً :

وقعت بعبس ثم أنعمت فيهم ... ومن آل بدر قد أصبت الأخايرا
فإن يشكروا فالشكر أدنى إلى التقى ... وإن يكفروا لا ألف يا زيد كافرا
تركت المياه من تميم بلاقعاً ... بما قد ترى منهم حلولاً كراكرا
وحي سليم قد أثرت شريدهم ... وبالأمس ما قتلت يا زيد عامرا

فرضي عنه زيد ومن عليه لما قال هذا فيه، وعد ذلك ثواباً من الحطيئة وقبله.

امتناع الحطيئة عن هجائه

فلما رجع الحطيئة إلى قومه قام فيهم حامداً لزيد، شاكراً لنعمته، حتى أسرت طيىء بني بدر، فطلبت من فزارة وأفناء قيس إلى شعراء العرب أن يهجوا بني لأم وزيداً، فتحامتهم شعراء العرب، وامتنعت من هجائهم، فصاروا إلى الحطيئة فأبى عليهم، وقال: اطلبوا غيري فقد حقن دمي، وأطلقني بغير فداء؛ فلست بكافر نعمته أبداً، قالوا: فإنا نعطيك مائة ناقة، قال: والله لو جعلتموها ألفاً ما فعلت ذلك. وقال الحطيئة:

كيف الهجاء وما تنفك صالحة ... من آل لأم بظهر الغيب تأتينا

المنعمين أقام العز وسطهم ... بيض الوجوه وفي الهيجا مطاعينا

وقد أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: خرج بجير بن زهير والحطيئة ورجل من فزارة يتقنصون الوحش، فلقيهم زيد الخيل فأسرهم، فافتدى بجير نفسه بفرس كان لكعب أخيه، وكعب يومئذ مجاور في بني ملقط من طيىء، وشكا إليه الحطيئة الفاقة فأطلقه.

غزا فزارة مع بني نبهان

وقال أبو عمرو: غزت بنو نبهان فزارة وهم متساندون ومعهم زيد الخيل، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزمت فزارة، وساقت بنو نبهان الغنائم من النساء والصبيان. ثم إن فزارة حشدت واستعانت بأحياء من قيس، وفيهم رجل من سليم شديد البأس سيد يقال له: عباس بن انس الرعلي، كانت بنو سليم قد أرادوا عقد التاج على رأسه في الجاهلية، فحسده ابن عم له فلطم عينه، فخرج عباس من أعمال بني سليم في عدة من أهل بيته وقومه، فنزل في بني فزارة، وكان معهم يومئذ، و لم يكن لزيد المرباع حينئذ، وأدركت فزارة بني نبهان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فلما رأى زيد ما لقيت بنو نبهان: يا بني نبهان؛ أأحمل ولي المرباع؟ قالوا: نعم، فشد على بني سليم فهزمهم، وأخذ أم الأسود امرأة عباس بن أنس، ثم شد على فزارة والأخلاط فهزمهم، وقال في ذلك:

ألا ودعت جيرانها أم أسودا ... وضنت علي ذي حاجة أن يزودا

وأبغض أخلاق النساء أشده ... إلي فلا تولن أهلي تشددا

وسائل بني نبهان عنا وعندهم ... بلاء كحد السيف إذ قطع اليدا

دعوا مالكاً ثم اتصلنا بمالك ... فكل ذكا مصباحه فتوقدا

وبشر بن عمرو قد تركنا مجندلاً ... ينوء بخطار هناك ومعبدا

تمطت به قوداء ذات علالة ... إذا الصلدم الخنذيذ أعيا وبلدا

لقيناهم نستنقذ الخيل كالقنا ... ويستسلبون المسهري المقصدا

فيا رب قدر قد كفأنا وجفنة بذي الرمث إذ يدعون مثنى وموحدا

على أنني أثوي سناني وصعدتي زيداً أن يبوء ومعبدا بساقين

زيد وقيس بن عاصم

قال أبو عمرو: وقعت حرب بين أخلاط طيىء، فنهاهم زيد عن ذلك وكرهه فلم ينتهوا، فاعتزل وجاور بني تميم، ونزل على قيس بن عاصم، فغزت بنو تميم بكر بن وائل وعليهم قيس، وزيد معه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وزيد كاف. فلما رأى ما لقيت تميم ركب فرسه، وحمل على القوم، وجعل يدعو بالتميم، ويتكنى بكنية قيس إذا قتل رجلاً أو أذراه عن فرسه، أو هزم ناحية، حتى هزمت بكر، وظفرت تميم، فصارت فخراً لهم في العرب، وافتخر بها قيس.

فلما قدموا قال له زيد: أقسم لي يا قيس نصيبي، فقال: وأي نصيب؟ فوالله ما ولي القتال غيري وغير أصحابي، فقال زيد:

ألا هل أتاها والأحاديث جمة مغلغلة أنباء جيش اللهازم

فلست بوقاف إذا الخيل أحجمت ولست بكذاب كقيس بن عاصم

تخبر من لاقيت أن قد هزمتهم ولم تدر ما سيماهم والعمائم

بل الفارس الطائي فض جموعهم ومكة والبيت الذي عند هاشم

إذا ما دعوا عجلاً عجلنا عليهم بمأثورة تشفي صداع الجماجم

فبلغ المكشر بن حنظلة العجلي أحد بني سنان قول زيد، فخرج في ناس من عجل حتى أغار على بني نبهان، فأخذمن نعمهم ما شاء، وبلغ ذلك زيد الخيل، فخرج على فرسه في فوارس من نبهان، حتى اعترض القوم، فقال: ما لي ولك يا مكشر؟ فقال: قولك:

إذا ما دعوا عجلاً عجلنا عليهم

فقاتلهم زيد حتى استنقذ بعض ما كان في أيديهم، ورجع المكشر ببقية ما أصاب. فأغار زيد على بني تيم الله بن ثعلبة، فغنم وسبى، وقال في ذلك:

إذا عركت عجل بنا ذنب غيرنا عركنا بتيم اللات ذنب بني عجل

حريث بن زيد الخيل

وقال أبو عمرو: كان حريث بن زيد الخيل شاعراً، فبعث عمر بن الخطاب رجلاً من قريش يقال له أبو سفيان يستقرىء أهل البادية، فمن لم يقرأ شيئاً من القرآن عاقبه، فأقبل حتى نزل بمحلة بني نبهان، فاستقرأ ابن عم لزيد الخيل يقال له أوس بن خالد بن زيد بن منهب، فلم يقرأ شيئاً، فضربه، فمات.

فأقامت بنته أم أوس تندبه، وأقبل حريث بن زيد الخيل فأخبرته، فأخذ ارمح فشد على أبي سفيان فطعنه فقتله، وقتل ناساً من أصحابه، ثم هرب إلى الشام، وقال في ذلك:

ألا بكر الناعي بأوس بن خالد ... أخي الشتوة الغبراء والزمن المحل

فلا تجزعي يا أم أوس فإنه ... يلاقي المنمايا كل حاف وذي نعل

فإن يقتلوا أوساً عزيزاً فإنني ... تركت أبا سفيان ملتزم الرحل

ولولا الأسى ما عشت في الناس بعده ... ولكن إذا ما شئت جاوبني مثلي

أصبنا به من خيرة القوم سبعة ... كراماً ولم نأكل به حشف النخل

صوت

بشر الظبي والغراب بسعدى ... مرحباً بالذي يقول الغراب

اذهبي فاقرئي السلام عليهم ... ثم ردي جوابنا يا رباب

عروضه من الخفيف . الشعر لعبيد الله بن قيس الرقيات، والغناء لفند المخنث - مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص - خفيف رمل بالبنصر. وذكر حبش أن هذا اللحن ليحيى المكي، وليس ممن يحصل قوله.

خبر لابن قيس الرقيات

أخبرني بالسبب الي قال فيه ابن قيس هذا الشعر الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي الحارث الكاتب، مولى بني عامر بن لؤي، وأبو الحارث هذا هو الذي يقول فيه عمر بن أبي ربيعة :

يا أبا الحارث قلبي طائر ... فائتمر أمر رشيد مؤتمن

وقوفه إلى جانب عبد العزيز بن مروان

قال: حدثني عمرو بن عبد الرحمن بن عمرو بن سهل، قال: حدثني سليمان بن نوفل بن مساحق، عن أبيه، عن جده، قال: أراد عبد الملك بن مروان البيعة لابنه الوليد بعد عبد العزيز بن مروان، وكتب إلى عبد العزيز يسأله ذلك، فامتنع عليه، وكتب إليه يقول له: لي ابن ليس ابنك أحب إلي منه؛ فإن استطعت ألا يفرق بيننا الموت

وأنت لي قاطع فافعل. فرق له عبد الملك، وكف عن ذلك، فقال عبيد الله بن قيس في ذلك - وكان عند عبد العزيز -:

يخلفك البيض من بنيك كما ... يخلف عود النضار في شعبه
ليسوا من الخروع الضعاف ولا ... أشباه عيدانه ولا غربه

نحن على بيعة الرسول التي ... أعطيت في عجمه وفي عربه
نأتي إذا ما دعوت في الزغف الم ... سرود أبدانه وفي جنبه
نهدي رعيلاً أمام أرعن لا ... يعرف وجه البلقاء في لجبه

فقال عبد الملك: لقد دخل ابن قيس الرقيات مدخلاً ضيقاً، وتهدده وشتمه. وقال: أليس هو القائل:

كيف نومي على الفراش ولما ... تشمل الشام غارة شعواء
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي ... عن خدام العقيلة العذراء

هو القائل أيضاً:

على بيعة الإسلام بايعن مصعباً ... كراديس من خيل وجمعاص مباركا
تدارك أخرانا ويمضي أمامنا ... ويتبع ميمون النقيبة ناسكا
إذا فرغت أظفاره من كتيبة ... أمال على أخرى السيوف البواتكا

قال: فلما بلغ عبيد الله قول عبد الملك وشتمه إياه قال:

بشر الظبي والغراب بسعدى ... مرحباً بالذي يقول الغراب
قال لي: إن خير سعدي قريب ... قد أنى أن يكون منه اقتراب
قلت: أنى تكون سعدى قريباً ... وعليها الحصون والأبواب
حبذا الريم ذو الوشاحين والخص ... ر الذي لا يناله الأثواب
إن في القصر لو دخلت غزالاً ... مصفقاً موصداً عليه الحجاب
أرسلت أن فدتك نفسي فاحذر ... ها هنا شرطة عليك غضاب
أقسموا إن رأوك لا تطعم الما ... ء وهم حين يقدرون ذئاب
قلت :قد يغفل الرقيب ويغفي ... شرطة أو يحين منه انقلاب
أو عسى أن يوري الله أمراً ... ليس في غيبه علينا ارتقاب

اذهبي فاقرئي السلام عليها ثم ردي جوابنا يا رباب
حدثيها ما قد لقيت وقولي حق للعاشق الكريم ثواب
رجل أنت همه حين يمسي خامرته من أجلك الأوصاب
لا أشم الريحان إلا بعي ني كرماً إنما يشم الكلاب
رب زار علي لم ير مني عثرة وهو مومس كذاب
خادع الله حين جلله الشي ب فأضحى قد بان منه الشباب
يأمر الناس أن يبروا ويمسي وعليه من عيبه جلباب
لا تعبني فليس عندك علم لا تنامن أيها المغتاب
تختل الناس بالكتاب فهلا حين تغتابني نهاك الكتاب
لست بالمخبت التقي ولا المح ضيه من مقالتي الاحتساب
إنني والتي رمت بك كرهاً ساقطاً ملصقاً عليك التراب
لتذوقن غب رأيك فينا حين تبدو بعرضك الأنداب

قال الزبير: معنى قوله:

لا أشم الريحان إلا بعي ني كرماً إنما يشم الكلاب

يعرض بعبد الملك؛ لأنه كان متغير الفم يؤذيه رائحته، فكان في يده أبداً ريحان، أو تفاحة، أو طيب يشمه.

ما أحفظ عبد الملك عليه

أخبرني الحرمي، قال: حدثنا الزبير، عن عمه: أن ابن قيس قال في عبد العزيز بن مروان:

يلتفت الناس عند منبره إذا عمود البرية انهدما

يعني إذا مات عبد الملك؛ لأن العهد كان إليه بعده.

قال الزبير: فأخبرني مصعب بن عثمان، قال: لما بلغ عبد الملك هذا البيت أحفظه، وقال: بفيه الحجر، وحينئذ قال: لقد دخل ابن قيس مدخلاً ضيقاً.

الحجاج يبعث إلى عبد الملك بعمران

ابن عصام العنزي

أخبرني الحرمي، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني كثير بن جعفر، عن أبيه، قال: قال الحجاج يوماً لأهل ثقته من جلسائه: ما من أحد من بني أمية أشد نصباً لي من عبد العزيز بن مروان، وليس يوم من الأيام إلا وأنا أتخوف أن تأتيني منه قارعة، فهل من رجل تدلوني عليه، له لسان وشعر وجلد؟ قالوا: نعم، عمران بن عصام العنزي، فدعاه فأخلاه، ثم قال: اخرج بكتابي هذا إلى أميرالمؤمنين، فاقدح في قلبه من ابنه شيئاً في الولاية، فقال له عمران: دس أيها الأمير إلي دسا، فقال له الحجاج: "إن العوان لا تعلم الخمرة" .

فخرج بكتاب الحجاج، فلما دخل على عبد الملك دفع إليه الكتاب، وسأله عن الحجاج، وأمر العراق، فاندفع يقول:

أمير المؤمنين إليك أهدي ... على الشحط التحية والسلاما

أمير من بنيك يكن جوابي ... لهم أكرومة ولنا نظاما

فلو أن الوليد أطاع فيه ... جعلت له الإمامة والذماما

فكتب عبد الملك إلى عبد العزيز في ذلك. ثم ذكر من خبرهما في المكاتبة مثل الخبر الذي قبله، وقال فيه: فرق عبد الملك رقة شديدة، وقال: لا يكون إلى الصلة أسرع مني، فكف عن ذلك، وما لبث عبد العزيز إلا ستة أشهر حتى مات.

الحجاج يقتل ابن الأشعث وعمران بن عصام فلما كان زمان ابن الأشعث خرج عمران بن عصام معه على الحجاج، فأتى به حين قتل ابن الأشعث فقتله، فبلغ ذلك عبد الملك فقال: قطع الله يدي الحجاج! أقتله وهو الذي يقول:

وبعث4ت من ولد الأغر معتب ... صقراً يلوذ حمامه بالعوسج

وإذا طبخت بناره أنضجتها ... وإذا طبخت بغيرها لم تنضج

ذكر فند وأخباره

كان خليعاً متهتكاً

هو فند أبو زيد مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، ومنشؤه المدينة، وكان خليعاً متهتكاً ، يجمع بين الرجال والنساء في مترله، ولذلك يقول فيه ابن قيس الرقيات.

صوت

قل لفند يشيع الأظعانا ... طالما سر عيشنا وكفانا

صادرات عشية من قديد ... واردات من الضحى عسفانا

زودتنا رقية الأحزانا يوم جازت حمولها السكرانا

عروضه من الخفيف . غناه مالك بن أبي السمح من روايتي إسحاق وعمرو بن بانة. ولحنه من خفيف الثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى.

وقد اختلف في اسمه، فقيل: قند بالقاف، وفند بالفاء أصح. وبه يضر المثل في الإبطاء، فيقال: تعست العجلة.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال: كانت عائشة بنت سعد أرسلته ليجيئها بنار، فخرج لذلك، فلقي عيراً خارجاً إلى مصر، فخرج معهم، فلما كان بعد سنة رجع فأخذ ناراً، ودخل على عائشة وهو يعدو فسقط وقد قرب منها، فقال: تعست العجلة، فقال بعض الشعراء في رجل ذكر بمثل هذه الحال:

ما رأينا لعبيد مثلاً إذ بعثناه يجي بالمسله

غير فند بعثوه قابساً فثوى حولاً وسب العجله

أخبرني الحسين، قال: قال حماد: قرأت على أبي الهيثم بن عدي، قال: كان فند أبو زيد مولى لسعد بن أبي وقاص، فضربه سعد بن إبراهيم ضرباً مبرحاً، فحلفت عائشة بنت سعد أنها لا تكلمه أبداً أو يرضى عنه - وكانت خالته - فصار إليه سعد طاعة لخالته، فوجده وجعاً من ضربه، فسلم عليه فحول وجهه عنه إلى الحائط ولم يكلمه؛ فقال له: أبا زيد، إن خالتي حلفت إلا تكلمني حتى ترضى، ولست ببارح حتى ترضى عني. فقال: أما أنا فأشهد أنك مقيت سمج مبغض، وقد رضيت عنك على هذه الحال لتقوم عني، وتريحني من وجهك ومن النظر إليك.

فقام من عنده، فدخل على عائشة، وأخبرها بما قال له فند، فقالت: قد صدق، وأنت كذلك ورضيت عنه.

قال: وكان سعد مضطرب الخلق سمجاً.

أخبرني الحسن قال: قال حماد: قرأت على أبي بكر: وذكر عوانة أن معاوية كان يستعمل مروان بن الحكم على المدينة سنة، ويستعمل سعيد بن العاص سنة، فكانت ولاية مروان شديدة يهرب فيها أهل الدعارة والفسوق، وولاية سعيد لينة يرجعون إليها، فبينا مروان يأتي المسجد وفي يده عكازة له، وهو يومئذ معزول، إذا هو بفند يمشي بين يديه، فوكزه بالعكازة، وقال له: ويلك هيه:

قل لفند يشيع الأظعانا

أتشيع الأظعان للفساد - لا أم لك - إلى أهل الريبة! ستعلم ما يحل بك مني، فالتفت إليه فند، وقال: نعم، أنا ذلك وسبحان الله! ما أسمجك والياً ومعزولاً! فضحك مروان، وقال له: تمتع، إنما هي أيام قلائل ثم تعلم ما يمر بك مني.

صوت

حي الدويرة إذ نأت منا على عدوائها

لا بالفراق تنيلنا شيئاً ولا بلقائها

عروضه من الكامل الشعر لنبيه بن الحجاج السهمي، والغناء لابن سريج، رمل بالوسطى عن عمرو.

أخبار نبيه ونسبه

نسبه

هو نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب؛ وأمه وأم أخيه منبه أروى بنت عميلة بن السباق بن عبد الدار بن قصي.

قتل هو وأخوه يوم بدر مشركين

وكان نبيه بن الحجاج وأخوه من وجوه قريش وذوي النباهة فيهم، وقتلا جميعاً يوم بدر مشركين، ولهما يقول أعشى بني تميم - وهو ابن النباش بن زرارة، وكان أخوه أبو هالة بن النباش زوج خديجة أم المؤمنين في الجاهلية، ولها منه أولاد عقب إلى الآن - وكان الأعشى مداحاً لهم، وفيهم يقول، وهي قصيدة طويلة :

لله در بني الحجاج إذ ندبوا لا يشتكي فعلهم ضيف ولا جار

إن يكسبوا يطعموا من فضل كسبهم وأوفياء بعقد الجار أحرار

وفي نبيه يقول أيضاً :

إن نبيهاً أبا الرزام أفضلهم حلماً وأجودهم، والجود تفضيل

ليس لفعل نبيه إن مضى خلف ولا لقول أبي الرزام تبديل

ثقف كلقمان، عدل في حكومته سيف إذا قام وسط القوم مسلول

وإن بيت نبيه منهج فلج مخضر بالندى ما عاش مأهول

من لا يعر ولا يؤذي عشيرته ولا نداه عن المعتر معدول

وله أيضاً فيهما مراث قالها فيهما لما قتلا ببدر لم أستجز ذكرها؛ لأنهما قتلا مشركين محاربين الله ورسوله.

شعره في زوجتيه وقد سألتاه الطلاق

وكان نبيه من شعراء قريش، وهو القائل وقد سألته زوجتاه الطلاق، ذكر ذلك الزبير بن بكار :

تلك عرساي تنطقان بهجر وتقولان قول زور وهتر

تسألاني الطلاق أن رأتاني قل مالي، قد جئتماني بنكر

فلعلي أن يكثر المال عندي ويخلى من المغارم ظهري

ويرى أعبد لنا وجياد ومناصيف من ولائد عشر

ويكأن من يكن لن نشب يحب ب ومن يفتقر بعش عيش ضر

ويجنب يسر الأمور ولكن ذوي المال حضر كل يسر

شعر آخر له أخبرني الطوسي والحرمي، قالا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني علي بن صالح: أن عامر بن صالح أنشده لنبيه بن الحجاج:

قصر العدم بي ولو كنت ذا ما ل كثير لأجلب الناس حولي

ولقالوا :أنت الكريم علينا ولحطوا إلى هواي وميلي

ولكلت المعروف كيلاً هنيا يعجز الناس أن يكيلوا ككيلي

قال الزبير: قال علي بن صالح: وأنشدني عامر بن صالح لنبيه بن الحجاج أيضاً:

قالت سليمى إذ طرقت أزورها: لا أبتغي إلا امرأً ذات مال

لا أبتغي إلا امرأً ذا ثروة كيما يسد مفاقري وخلالي

فلأحرصن على اكتساب محبب ولأكسبن في عفة وجمال

أخبرني الطوسي والحرمي، قالا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي مصعب، قال: نزل نبيه بن الحجاج قديداً يريد الشام، فغيب بعض بني بكر ناقته، يريد أخذ الجعالة عليها منه، فقال نبيه في ذلك:

وردت قديداً فالتوى بذراعها ذؤبان بكر كل أطلس أفحج

رجل صديق ما بدت لك عينه فإذا تغيب فاحتفظ من دعلج

قال الزبير: الدعلج: الكلب والذئب، وكل مختلس من السباع فهو دعلج، ويقال لاختلاسه: الدعلجة، وأنشد :

باتت كلاب الحي تسري بيننا يأكلن دعلجة ويشبع من ثوى

يعني بالدعلجة السرقة.

قال الزبير: ولا عقب للحجاج أبي نبيه ومنبه إلا من ولد نبيه؛ فإن العقب من ولد أبي سلمة إبراهيم بن عبد الله بن عفيف بن نبيه، وفي ريطه بنت منبه؛ فإن عمرو بن العاص تزوجها فولدت له عبد الله بن عمرو .

انتزع امرأة من أبيها فلجأ إلى حلف الفضول

فخلصوها منه

وهذا الشعر الذي فيه الغناء يقوله في امرأة كان غلب أباها عليها، فاستغاث أبوها بالحلفاء من قريش، والحلف المعروف بحلف الفضول؛ فانتزعوها من نبيه وردوها إلى أبيها.

أخبرني الطوسي، قال حدثني الزبير بن بكار، قال: حدثني غير واحد من قريش، منهم عبد العزيز بن عمر العنبسي عن مغن ، واسمه عيينة بن عبد الله بن عنبسة:

أن رجلاً من خثعم قدم مكة تاجراً، ومعه ابنة له يقال لها القتول، أوضأ نساء العالمين وجهاً، فعلقها نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم، فلم يبرح حتى نقلها إليه، وغلب أباها عليها، فقيل لأبيها: عليك بحلف الفضول؛ فأتاهم فشكا ذلك إليهم، فأتوا نبيه بن الحجاج، فقالوا: أخرج ابنة هذا الرجل، وهو يومئذ متبد بناحية مكة وهي معه، فقال: لا أفعل، قالوا: فإنا من قد عرفت، فقال: يا قوم متعوني بها الليلة، فقالوا: قبحك الله، ما أجهلك! لا والله ولا شخب لقحة، وهي أوسع أحابيك من السائل، فأخرجها إليهم فأعطوها أباها، وركبوا، وركب معهم الخثعمي، فلذلك يقول نبيه بن الحجاج : شعره في ذلك:

راح صحبي ولم أحي القتولا ... لم أودعهم وداعاً جميلا

إذ أجد الفضول أن يمنعوها ... قد أراني ولا أخاف الفضولا

لا تخالي أني عشية راح الرك ... ب هنتم علي ألا أقولا

إنني والذي تحج له شمط ... إياد وهللوا تهليلا

لا تبرأت من قتيلة بالنا ... س وهل تبتغون إلا القتولا

لم أخبر عن الحديث ولا أب ... دأرس الحديث والتقبيلا

ومبيتاً بذي المجاز ثلاثاً ... ومتى كان حجنا تحليلا

لن أذيع الحديث عنها ولا أن ... قاد لو أبيت فيها فتيلا

أتلوى بها كما تتلوى ... حية الماء بالأباء طويلا

ثم عدواً عداء نخلة ما يد ... رك منهم أدنى رعيل رعيلا

وبنو غالب أولئك قومي ... ومتى يفزعوا تراهم قبيلا

وندامى بيض الوجوه كهول ... وشباب أسهرت ليلاً طويلا

غير هجم ولا لئام ولا تع ... رف منهم إلا فتى بهلولا

وفي ذلك يقول نبيه بن الحجاج :

حي الدوبيرة إذ نأت ... منا على عدوائها

لا بالفراق تنيلنا شيئاً ولا بلقائها
أخذت حشاشة قلبه ونأت فكيف بنائها
حلت تهامة خلة من بيتها ووطائها
ولها بمكة منزل من سهلها وحرائها
رفعوا المحلة فوقها واستعذبوا من مائها
تدعو شهاباً حولها وتعم في حلفائها
لولا الفضول وأنه لا أمن من عدوائها
لدنوت من أبياتها ولطفت حول خبائها
ولجئتها أمشي بلا هاد لدى ظلمائها
فشربت فضلة ريقها ولبت في أحشائها
فسلي بمكة تخبري أنا من أهل وفائها
قدماً وأفضل أهلها منا على أكفائها
نمشي بألوية الوغى ونموت في أودائها

حلف الفضول

سبب حلف الفضول أخبرنا به الطوسي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني أبو الحسن الأثرم، عن أبي عبيدة قال: كان سبب حلف الفضول أن رجلاً من أهل اليمن قدم مكة ببضاعة فاشتراها رجل من بني سهم، فلوى الرجل بحقه؛ فسأله متاعه فأبى عليه، فقام في الحجر، فقال:

يال قصي لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الدار والنفر
وأشعث محرم لم يقض حرمته بين المقام وبين الركن والحجر

وروى بعض الثقات تماماً لهذين البيتين، وهو:

أقائم من بني سهم بذمتهم أم ذاهب في ضلال مال معتمر
إن الحرام لمن تمت حرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

قال: وقال بعض العلماء: إن قيس بن شيبة السلمي باع متاعاً من أبي بن خف، فلواه وذهب بحقه، فاستجار برجل من بني جمح، فلم يقم بجواره، فقال:

يال قصي كيف هذا في الحرم وحرمة البيت وأعلاق الكرم

أظلم لا يمنع مني من ظلم

قال: وبلغ الخبر العباس بن مرداس السلمي، فقال:

إن كان جارك لم تنفعك ذمته وقد شربت بكأس الغل أنفاسا

فائت البيوت وكن من أهلها صددا لا تلف ناديهم فحشاً ولا باسا

وثم كن بفناء البيت معتصماً تلق ابن حرب وتلق المرء عباسا

قرمى قريش وحلا في ذؤابتها بالمجد والحزم ما حازا وما ساسا

ساقي الحجيج وهذا ياسر فلج والمجد يورث أخماساً وأسداسا

فقام العباس وأبو سفيان حتى ردا عليه. واجتمعت بطون قريش، فتحالفوا على رد الظلم بمكة، وألا يظلم رجل بمكة إلا منعوه، وأخذوا له بحقه، وكان حلفهم في دار ابن جدعان، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لقد شهدت حلفاً في دار ابن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به لأجبت".

فقال قوم من قريش: هذا والله فضل من الحلف؛ فسمى حلف الفضول.

قال: وقال آخرون: تحالفوا على مثل حلف تحالف عليه قوم من جرهم في هذا الأمر ألا يقروا ظلماً ببطن مكة إلا غيروه، وأسماؤهم الفضل بن شراعة، والفضل بن قضاعة، والفضل بن سماعة .

قال: وحدثني محمد بن فضالة، عن عبد الله بن سمعان، عن ابن شهاب، قال: كان شأن حلف الفضول أن بدء ذلك أن رجلاً من بني زبيد قدم مكة معتمراً في الجاهلية ومعه تجارة له، فاشتراها منه رجل من بني سهم، فأواها إلى بيته، ثم تغيب، فابتغى متاعه الزبيدي، فلم يقدر عليه، فجاء إلى بني سهم يستعديهم عليه، فأغلظوا عليه، فعرف أن لا سبيل إلى ماله؛ فطوف في قبائل قريش يستعين بهم، فتخاذلت القبائل عنه، فلما رأى ذلك أشرف على أبي قبيس حين أخذت قريش مجالسها في المسجد، ثم قال:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الدار والنفر

ومحرم شعث لم يقض عمرته يا إل فهر وبين الحجر والحجر

أقائم من بني سهم بخفرتهم فعادل أم ضلال مال معتم

الحلف ينعقد في دار عبد ابن جدعان ورسول الله معهم فلما نزل أعظمت قريش ذلك، فتكلموا فيه، فقال المطيبون: والله لئن قمنا في هذا ليغضبن الأحلاف، وقال الأحلاف: والله لئن تكلمنا في هذا ليغضبن المطيبون، وقال ناس من قريش: تعالوا فليكن حلفا فضولاً دون المطيبين ودون الأحلاف، فاجتمعوا في دار عبد الله بن

جدعان، وصنع لهم طعاماً يومئذ كثيراً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ معهم، قبل أن يوحي الله إليه، وهو ابن خمس وعشرين سنة. فاجتمعت بنو هاشم وأسد وزهرة وتيم، وكان الذي تعاقد عليه القوم: تحالفوا على ألا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد إلا كانوا معه، حتى يأخذوا له بحقه، ويؤدوا إليه مظلمته من أنفسهم ومن غيرهم، ثم مدوا إلى ماء من زمزم فجعلوه في جفنة، ثم بعثوا، به إلى البيت، فغسلت به أركانه، ثم أتوا به فشربوه.

النبي يشيد بحلف الفضول قال: فحدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلف الفضول، أما لو دعيت إليه اليوم لأجبت، وما أحب أن لي به حمر النعم، وأني نقضته".

قال: وحدثني عمر بن عبد العزيز العنبسي أن الذي اشترى من الزبيدي المتاع العاص بن وائل السهمي.

أهل الحلف وعلى أي شيء تحالفوا وقال: أهل حلف الفضول بنو هاشم، وبنو المطلب، وبنو أسد بن عبد العزى، وبنو زهرة، وبنو تيم، تحالفوا بينهم ألا يظلم بمكة أحد إلا كنا جميعاً مع المظلوم على الظالم، حتى نأخذ له مظلمته ممن ظلمه شريفاً أو وضيعاً، منا أو من غيرنا.

ثم انطلقوا إلى العاص بن وائل، ثم قالوا: والله لا نفارقك حتى تؤدي إليه حقه، فأعطى الرجل حقه، فمكثوا كذلك لا يظلم أحد حقه بمكة إلا أخذوه له. وكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول: لو أن رجلاً وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس، حتى أدخل في حلف الفضول. وليس عبد شمس في حلف الفضول.

وحدثني محمد بن حسن، عن محمد بن طلحة، عن موسى بن عبد الله بن إبراهيم، عن أبيه، وعن محمد بن فضالة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، وعن إبراهيم بن محمد، وعن أبي عبد الله بن الهاد:

أن بني هاشم وبني المطلب وبني أسد بن عبد العزى وتيم بن مرة اختلفوا على ألا يدعوا بمكة كلها، ولا في الأحابيش مظلوماً يدعوهم إلى نصرته إلا أنجدوه، حتى يرجوا عليه مظلمته، أو يبلوا في ذلك عذراً، أو على ألا يتركوا لأحد عند أحد فضلاً إلا أخذوه، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وبذلك سمي حلف الفضول - بالله الغالب أن اليد على الظالم حتى يأخذوا للمظلوم حقه ما بل بحر صوفة ، وعلى التأسي في المعاش.

قال محمد بن الحسن: قال محمد بن طلحة في حديثه، عن موسى بن محمد عن أبيه، وعن محمد بن فضالة، عن أبيه، قال: لم يكن بنو أسد بن عبد العزى في حلف الفضول، قال: وكان بعد عبد المطلب.

قال: وحدثني محمد بن الحسن، عن عيسى بن يزيد بن دأب، قال: أهل حلف الفضول: هاشم، وزهرة، وتيم.

قال: وقيل له: فهل لذلك شاهد من الشعر؟ قال: نعم، قال: أنشدني بعض أهل العلم قول بعض الشعراء:

تيم بن مرة إن سالت وهاشم ... وزهرة الخير في دار ابن جدعان

متحالفون على الندى ما غردت ... ورقاء في فنن من جزع كتمان

فقيل له: وأين كتمان؟ فقال: واد بنجران ؛ فجاء بيتين مضطربين مختلفي النصفين.
وحدثني أبو الحسن الأثرم، عن أبي عبيدة، قال: تداعى بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة بن كلاب وتيم بن مرة إلى حلف الفضول، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان، فتحالفوا عنده، وتعاقدوا ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها ولا من غيرهم إلا قاموا معه على من ظلمه حتى يردوا مظلمته. وشهد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحلف قبل أن يبعث، فهذا حلف الفضول.
قال: وحدثني إبراهيم بن حمزة عن جدي عبد الله بن مصعب، عن أبيه، قال: إنما سمي حلف الفضول لأنه كان في جرهم رجال يردون المظالم يقال لهم: فضيل وفضال وفضل ومفضل قال: فلذلك سمي حلف الفضول، تعاقدوا أن يردوا المظالم.
قال: فتحالفوا بالله الغالب لنأخذن للمظلوم من الظالم، وللمقهور من القاهر، وما بل بحر صوفة.
قال: وقال أبي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فشهدت حلفاً في دار عبد الله بن جدعان لم يزده الإسلام إلا شدة، ولهو أحب إلي من حمر النعم"، قال: وقال غيره: "لو دعيت إليه لأجبت".
رواية أخرى في سبب تسميته قال: وحدثني محمد بن حسن، عن نوفل بن عمارة عن إسحاق بن الفضل قال: إنما سمت قريش هذا الحلف حلف الفضول؛ لأن نفراً من جرهم يقال لهم: الفضل وفضال والفضيل، تحالفوا على مثل ما تحالفت عليه هذه القبائل.
قال: وحدثني رجل عن محمد بن حسن، عن محمد بن فضالة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لقد شهدت في دار ابن جدعان حلف الفضول، أما لو دعيت إليه لأجبت، وما أحب أني نقضته، وأن لي حمر النعم".
قال الزبير: وحدثين علي بن صالح عن جدي عبد الله بن مصعب، عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده، لقد شهدت في الجاهلية حلفاً - يعني حلف الفضول - أما لو دعيت إليه لأجبت، لهو أحب إلي من حمر النعم، لا يزيده الإسلام إلا شدة".
قال: وحدثني أبو الحسن الأثرم، عن أبي عبيدة، قال: حدثني رجل عن محمد بن يزيد الليثي، قال: سمعت طلحة بن عبد الله بن عوف الزبيري، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى إليه في الإسلام لأجبت".
قال: وحدثني محمد بن حسن، عن نصر بن مزاحم، عن معروف بن خربوذ، قال: تداعت بنو هاشم وبنو المطلب وأسد وتيم، فاختلفوا على ألا يدعوا بمكة كلها ولا في الأحابيش مظلوماً يدعوهم إلى نصرته إلا أنجدوه، حتى يردوا إليه مظلمته، أو يبلوا في ذلك عذراً. وكره ذلك سائر المطيبين والأحلاف من أمره ، وسموه حلف الفضول، عيباً له، وقالوا: هذا من فضول القوم، فسموه حلف الفضول.
قال: وحدثني محمد بن حسن، عن إبراهيم بن محمد، عن يزيد بن عبد الله بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، قال:

كان حلف الفضول بين بني هاشم وبني أسد وبني زهرة وبني تيم.
قال: فحدثني أبو خيثمة زهير بن حرب، قال: حدثني إسماعيل بن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري، عن محمد بن حبيب، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف، قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "شهدت مع عمومتي حلف المكيين، فما أحب أن لي حمر النعم وأني أنكثه".
قال: وحدثني محمد بن الحسن، عن محمد بن طلحة، عن عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي: أنه بلغه أن الذي بدأ بحلف الفضول من هذه القبائل أمر الغزال الذي سرق من الكعبة.
ابن جبير بن مطعم وعبد الملك حدثني محمد بن الحسن، قال: حدثنا محمد بن طلحة، عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبيه، قال: قدم ابن جبير بن مطعم على عبد الملك بن مروان، وكان من حلفاء قريش.
بنو عبد شمس وبنو نوفل لم يدخلاه فقال له عبد الملك: يا أبا سعيد، لم يكن بنو عبد شمس وأنتم - يعني بني نوفل - في حلف الفضول، قال: وأنتم أعلم يا أمير المؤمنين، قال: لتحدثني بالحق من ذلك، قال: لا والله يا أمير المؤمنين، لقد خرجنا نحن وأنتم منه، و لم تكن يدنا ويدكم إلا جميعاً في الجاهلية والإسلام.
الوليد بن عتبة ينصف الحسين بن علي قال: وحدثني محمد بن حسن، عن إبراهيم بن محمد بن يزيد بن عبد الله بن الهاد الليثي أن محمد بن الحارث التيمي أخبره: أنه كان بين الحسين بن علي وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان كلام - والوليد يومئذ أمير المدينة في زمن معاوية بن أبي سفيان - في مال كان بينهما بذي المروة ، فقال الحسين بن علي: استطال علي الوليد بن عتبة في حقي بسلطانه، فقلت: اقسم بالله لتنصفني في حقي أو لآخذن سيفي، ثم لأقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لأدعون بحلف الفضول، قال: فقال عبد الله بن الزبير - وكان عند الوليد لما قال الحسين ما قال -: وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفي ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعاً. فبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري، فقال مثل ذلك، فبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي، فقال مثل ذلك. فلما بلغ الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضي.
قال: وحدثني أبو الحسن الأثرم علي بن المغيرة، عن أبي عبيدة، قال: حدثني رجل عن يزيد بن عبد الله بن أسامة الليثي: أن محمد بن إبراهيم التيمي حدثه مثل حديث محمد بن حسن الذي قبل هذا.
الحسين ينازع معاوية في أرض له قال: وحدثني إبراهيم بن حمزة، عن جدي عبد الله بن مصعب، عن أبيه أن الحسين بن علي كان بينه وبين معاوية كلام في أرض له، فقال له الحسين: اختر خصلة من ثلاث خصال: إما أن تشتري مني حقي، وإما أن ترده علي، أو تجعل بيني وبينك ابن الزبير وابن عمر، والرابعة الصيلم، قال: وما الصيلم؟ قال: أن أهتف بحلف الفضول، قال: فلا حاجة لنا بالصيلم.

قال: فخرج وهو مغضب، فمر بعبد الله بن الزبير فأخبره، فقال: والله لئن لم ينصفني لأهتفن بحلف الفضول، فقال عبد الله بن الزبير: والله لئن هتفت به وأنا مضطجع لأقعدن أو قاعد لأقومن، ولئن هتفت به وأنا ماش لأسعين، ثم لينفدن روحي مع روحك، أو لينصفنك.

قال: فخرج عبد الله بن الزبير فدخل على معاوية فباعه منه، وخرج عبد الله فجاء إلى الحسين، فقال: أرسل فانتقد مالك، فقد بعته لك.

قال: وحدثني علي بن صالح، عن جدي عبد الله بن مصعب، عن أبيه، قال: خرج الحسين من عند معاوية، فلقي عبد الله بن الزبير، والحسين مغضب، فذكر الحسين أن معاوية ظلمه في حق له، فقال الحسين: أخيره في ثلاث خصال، والرابعة الصيلم: أن يجعلك أو ابن عمر بيني وبينه، أو يقر بحقي، ثم يسألني فأهبه له، أو يشتريه مني، فإن لم يفعل فوالذي نفسي بيده لأهتفن بحلف الفضول.

قال ابن الزبير: والذي نفسي بيده لئن هتفت به وأنا قاعد لأقومن أو قائم لأمشين، أو ماش لأشتدن، حتى تفنى روحي مع روحك أو ينصفك.

قال: ثم ذهب ابن الزبير إلى معاوية، فقال: لقيني الحسين فخيرك في ثلاث خصال، والرابعة الصيلم. قال معاوية: لا حاجة لنا بالصيلم؛ إنك لقيته مغضباً، فهات الثلاث، قال: تجعلني أو ابن عمر بينك وبينه، قال: فقد جعلتك بيني وبينه أو ابن عمر أو جعلتكما، قال: أو تقر له بحقه وتسأله إياه، قال: أنا أقر له بحقه وأسأله إياه، قال: أو تشتريه منه، قال: وأنا أشتريه منه، قال: فلما انتهى إلى الرابعة قال لمعاوية كما قال للحسين: إن دعاني إلى حلف الفضول لأجبته، فقال معاوية: لا حاجة لنا بهذا.

رجل من ثمالة يشكو حلف الفضول قال: وبلغني أن عبد الرحمن بن أبي بكرة والمسور بن مخرمة قالا للحسين بن علي مثل ما قال ابن الزبير، فبلغ ذلك معاوية وعنده جبير بن مطعم ، فقال له معاوية: يا أبا محمد، أكنا في حلف الفضول؟ قال: لا، قال: فكيف كان؟ قال: قدم رجل من ثمالة فباع سلعة له من أبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، فظلمه، وكان يسيء المخالطة فآتى الثمالي إلى أهل حلف الفضول فأخبرهم، فقالوا: اذهب فأخبره أنك أتيتنا، فإن أعطاك حقك وإلا فارجع إلينا، فأتاه فأخبره بما قال له أهل حلف الفضول، قال: فأخرج إليه ماله، وأعطاه إياه بعينه، وقال:

أيأخذني في بطن مكة ظالماً ... أبي ولا قومي لدي ولا صحبي

وناديت قومي صارخاً ليجيبني ... وكم دون قومي من فياف ومن سهب

ويأبى لكم حلف الفضول ظلامتي ... بني جمح والحق يؤخذ بالغصب

القيني يستصرخ عبد الله بن جدعان وقد روى إبراهيم بن المنذر الحزامي في أمر حلف الفضول غير ما رواه الزبير، قال إبراهيم: حدثني عبد العزيز بن عمران، قال: قدم أبو الطمحان القيني الشاعر، واسمه حنظلة بن

الشرقي، فاستجار عبد الله بن جدعان التيمي ومعه مال له من الإبل، فعدا عليه قوم من بني سهم فانتحروا ثلاثة من إبله، وبلغه ذلك فأتاهم بمثلها، فقال: أنتم لها ولأكثر منها أهل، فأخذوها فانتحروها، ثم أمسكوا عنه زماناً، ثم جلسوا على شراب لهم، فلما انتشوا غدوا على إبله فأساقوها كلها، فأتى عبد الله بن جدعان يستصرخه، فلم يكن فيه ولا في قومه قوة ببني سهم، فأمسك عنهم و لم ينصره، فقال أبو الطمحان :

ألا حنت المرقال واشتاق ربها ... تذكر أرماماً وأذكر معشري

ولو علمت صرف البيوع لسرها ... بمكة أن تبتاع حمضاً بإذخر

أجدبني الشرفي أن أخاهم ... متى يعتلق جاراً وإن عز يغدر

إذا قلت واف أدركته دروكه ... فيا موزع الجيران بالغي أقصر

ثم ارتحل عنهم.

لميس بن سعد يستجير بقريش من ظلم أبي بن خلف ووفد لميس بن سعد البارقي مكة، فاشترى منه أبي بن خلف سلعة، فظلمه إياها، فمشى في قريش فلم يجزه أحد، فقال:

أيظلمني مالي أبي سفاهة ... وبغياً ولا قومي لدي ولا صحبي

وناديت قومي بارقاً لتجيبني ... وكم دون قومي من فياف ومن سهب

رجل آخر من زبيد يستجير بقريش ثم قدم رجل من بني زبيد، فاشترى منه رجل من بين سهم يقال له: حذيفة سلعة، وظلمه حقه، فصعد الزبيدي على أبي قبيس، ثم نادى بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائي الحي والنفر

يا آل فهر لمظلوم ومضطهد ... بين المقام وبين الركن والحجر

إن الحرام لمن تمت حرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فأعظم الزبير بن عبد المطلب ذلك، وقال: يا قوم، إني والله لأخشى أن يصيبنا ما أصاب الأمم السالفة من ساكني مكة، فمشى إلى ابن جدعان، وهو يومئذ شيخ قريش، فقال له في ذلك، وأخبره بظلم بني سهم وبغيهم، وقد كان أصاب بني سهم أمران لا يشك أنهما للبغي: احتراق المقاييس منهم، وهم قيس ومقيس وعبد قيس بصاعقة، وأقبل منهم ركب من الشام، فنزلوا بماء يقال له القطيعة ، فصبوا فضلة خمر لهم في إناء، وشربوا ثم ناموا، وقد بقيت منهم بقية فكرع منها حية أسود، ثم تقيأ في الإناء، فهب القوم فشربوا منه، فماتوا عن آخرهم، فأذكره هذا ومثله، فتحالف بنو هاشم وبنو المطلب وبنو زهرة وبنو تيم: بالله الغالب ، إنا ليد واحدة على الظالم، حتى يرد الحق.

وخرج سائر قريش من هذا الحلف. إلا أن ابن الزبير ادعاه لبني أسد في الإسلام. قال: فأخبرني الواقدي وغيره أن محمد بن جبير بن مطعم دخل على عبد الملك بن مروان، فسأله عن حلف الفضول فقال: أما أنت وأنت يا

أمير المؤمنين فلسنا فيه، فقال: صدقت والله، إني لأعرفك بالصدق، قال: فإن ابن الزبير يدعيه، فقال: ذاك هو الباطل.

قال: وكان عتبة بن ربيعة يقول: لو أن رجلاً خرج عن قومه إلى غيرهم لكرم حلف لخرجت عن قومي إلى حلف الفضول.

أقوال أخرى في سبب تسمية الحلف

قال الواقدي: قد اختلف فيه، لم سمي حلف الفضول؛ فقيل: إنه سمي بذلك لأنهم قالوا: لا ندع لأحد عند أحد فضلاً إلا أخذناه منه، وقيل: بل سمع بهذا بعض من لم يدخل فيه، فقال: هذا فضول من الأمر.

وقال الواقدي: والصحيح أن قوما من جرهم يقال لهم فضل وفضالة وفضال ومفضل تحالفوا على مثل هذا في أيامهم، فلما تحالفت قريش هذا الحلف سموا بذلك.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

يا للرجال لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الدار والنفر

إن الحرام لمن تمت حرامته ولا حرام لثوبي لابس الغدر

غناه ابن عائشة، ثقيل أول بالبنصر، عن حبش.

يزيد أول من سن الملاهي في الإسلام أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا المدائني، عن ابن أبي سبرة، عن لقيط بن نصر المحاربي، قال: كان يزيد بن معاوية أول من سن الملاهي في الإسلام من الخلفاء، وآوى المغنين، وأظهر الفتك وشرب الخمر، وكان ينادم عليها سرجون النصراني مولاه والأخطل، وكان يأتيه من المغنين سائب خاثر فيقيم عنده، فيخلع عليه ويصله، فغناه يوماً:

يا للرجال لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الأهل والنفر

فاعترته أريحية، فرقص حتى سقط، ثم قال: اخلعوا عليه خلعا يغيب فيها حتى لا يرى منه شيء، فطرحت عليه الثياب والجباب والمطارف والخز حتى غاب فيها.

صوت

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في رأس غمدان داراً منك محلالا

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

عروضه من البسيط.
المرتفق: المتكىء على مرفقه. وغمدان: اسم قصر كان لسيف بن ذي يزن باليمن. والمحلال. الدار التي يحل فيها، أي يقيم فيها. وشيبا: معناه خلطا. والشوب: الخلط، يقال: شاب كذا بكذا إذا خلطهما.
الشعر لأمية بن أبي الصلت الثقفي ، وقيل: بل هو للنابغة الجعدي، وهذا خطأ من قائله؛ وإنما أدخل النابغة البيت الثاني من هذه الأبيات في قصيدة له على جهة التضمين. والغناء لسائب خاثر خفيف رمل بالوسطى، من رواية حماد عن أبيه، وفيه لطويس من كتاب يونس الكاتب غير مجنس .

نسب أمية بن أبي الصلت

وخبره في قوله هذا الشعر

نسبه

أبو الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عمرو بن عقدة بن عترة بن عوف بن قسي ، وهو ثقيف. شاعر من شعراء الجاهلية قديم. وهذا الشعر يقوله في سيف بن ذي يزن لما ظفر بالحبشة يهنيه بذلك ويمدحه.

سيف بن ذي يزن يستنجد كسرى

وكان السبب في قدوم الحبشة اليمن وغلبتهم عليها وخروج سيف بن ذي يزن إلى كسرى يستنجد عليهم أن ملكاً من ملوك اليمن يقال له: ذو نواس غزا أهل نجران، وكانوا نصارى، فحصرهم؛ ثم إنه ظفر بهم فخدد لهم الأخاديد، وعرضهم على اليهودية فامتنعوا من ذلك، فحرقهم بالنار، وحرق الإنجيل، وهدم بيعتهم، ثم انصرف إلى اليمن، وأفلت منه رجل يقال له دوس ذو ثعلبان على فرس، فركضه حتى أعجزهم في الرمل.

دوس ذو ثعلبان يستنجد قيصر

ومضى دوس إلى قيصر ملك الروم يستغيثه ويخبره بما صنع ذو نواس بنجران، ومن قتل من النصارى، وأنه خرب كنائسهم، وبقر النساء، وهدم الكنائس، فما فيها ناقوس يضرب به. فقال له قيصر: بعدت بلادي عن بلادكم، ولكن أبعث إلى قوم من أهل ديني، أهل مملكته قريب منكم فينصرونكم. قال دوس ذو ثعلبان؛ فذاك إذاً، قال قيصر: إن هذا الذي أصنعه بكم أذل للعرب أن يطأها سودان ليس ألوانهم على ألوانهم، ولا ألسنتهم على ألسنتهم، فقال الملك: أنظر لأهل دينه إنما هو خوله.
قيصر يكتب إلى ملك الحبشة بنصرة دوس فكتب إلى ملك الحبشة أن انصر هذا الرجل الذي جاء يستنصرني، واغضب للنصرانية، فأوطىء بلادهم الحبشة.
أرباط يخرج في جيش كبير إلى اليمن فخرج دوس ذو ثعلبان بكتاب قيصر إلى ملك الحبشة، فلما قرأ كتابه أمر

أرياط - وكان عظيماً من عظمائهم - أن يخرج معه فينصره. فخرج أرياط في سبعين ألفاً من الحبشة، وقود على جنده قواداً من رؤسائهم، وأقبل بفيله، وكان معه أبرهة بن الصباح. وكان في عهد ملك الحبشة إلى أرياط: إذا دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها، وخرب ثلث بلادها، وابعث إلي بثلث نسائها.

فخرج أرياط في الجنود فحملهم في السفن في البحر، وعبر بهم حتى ورد اليمن، وقد قدم مقدمات الحبشة، فرأى أهل اليمن جنداً كثيراً، فلما تلاحقوا قام أرياط في جنده خطيباً فقال: يا معشر الحبشة، قد علمتم أنكم لن ترجعوا إلى بلادكم أبداً، هذا البحر بين أيديكم إن دخلتموه غرقتم، وإن سلكتم البر هلكتم، واتخذتكم العرب عبيداً، وليس لكم إلا الصبر حتى تموتوا أو تقتلوا عدوكم.
انتصار أرياط على ذي نواس فجمع ذو نواس جمعاً كثيراً، ثم سار إليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً، فكانت الدولة للحبشة، فظفر أرياط، وقتل أصحاب ذي نواس، وانهزموا في كل وجه. فلما تخوف ذو نواس أن سيؤسر ركض فرسه، واستعرض به البحر، وقال: الموت بالبحر أحسن من إسار أسود، ثم أقحم فرسه لجة البحر، فمضى به فرسه، وكان آخر العهد به.
ثم خرج إليهم ذو جدن الهمذاني في قومه، فناوشهم، وتفرقت عنه همدان، فلما تخوف على نفسه قال: ما الأمر ما صنع ذو نواس، فأقحم فرسه البحر، فكان آخر العهد به.
ودخل أرياط اليمن، فقتل ثلثاً، وبعث ثلث السبي إلى ملك الحبشة، وخرب ثلثاً، وملك اليمن، وقتل أهلها، وهدم حصونها، وكانت تلك الحصون بنتها الشياطين في عهد سليمان لبلقيس، واسمها بلقمة، وكان مما خرب من حصونهم: سلحون، وبينون، وغمدان، حصوناً لم ير مثلها. فقال الحميري ، وهو بذكر ما دخل على حمير من الذل:

هونك أين ترد العين ما فاتا ... لا تهلكن أسفاً في إثر من فاتا
أبعد بينون لا عين ولا أثر ... وبعد سلحون يبني الناس أبياتا !

قال: فلما ظفر أرياط أخذ الأموال، وأظهر العطاء في أهل الشرف، فغضبت الحبشة حين أعطى أشرافهم، وترك أهل الفقر منهم، واستذلهم وأجاعهم وأعراهم وأتعبهم في العمل، وكلفهم ما لا يطيقون، فجزع من ذلك الفقراء، وشكا ذلك بعضهم إلى بعض، وقالوا: ما نرانا إلا أذلة أشقياء أينما كنا، إن كان قتال قدمنا في نحور العدو، وإن كان قتل قتلنا، وإن كان عمل فعلينا، والبلايا علينا، والعطايا لغيرنا، مع ما يقصينا ويجفونا.

أبرهة يحرض فقراء الحبشة على أرياط

فقال لهم عند ذلك رجل من الحبشة يقال له أبرهة من قواد أرياط: لو أن رجلاً غضب لغضبكم إذاً لأسلمتموه حتى يذبح كما تذبح الشاة. قالوا: لا والمسيح، ما كنا نسلمه أبداً، فواثقوه بالإنجيل ألا يسلموه حتى يموتوا عن

آخرهم.

فنادى مناديه فيهم، فاجتمعوا إليه فبلغ ذلك أرياط أن أصحم أبرهة جمع لك الجموع، ودعا الناس إلى قتالك.

قال: أو قد فعل ذلك أبرهة، وهو ممن لا بيت له في الحبشة! وغضب أرياط غضباً شديداً، وقال: هو أدنى من ذلك نفساً وبيتاً، هذا باطل.

قالوا: فأرسل إليه؛ فإن أتاك فهو باطل، وإن لم يأتك فاعلم أنه كما يقال، فأرسل إليه: أجب الملك أرياط. فجثا أبرهة على ركبتيه وخر لوجهه، وأخذ عوداً من الأرض فجعله في فيه، وقال للرسول: اذهب إلى الملك فأخبره بما رأيت مني، أنا أخلعه؟ أنا أشد تعظيماً له من ذلك! وأنا آتيه على أربع قوائم بحساب البهيمة.

فرجع الرسول إلى الملك فأخبره بالخبر، فقال: ألم أقل لكم؟ قالوا: الملك أعقل وأعلم منا.

فلما ولى الرسول من عند أبرهة وتوارى عنه صاح أبرهة في الفقراء من الحبشة، فاجتمعوا إليه معهم السلاح، والآلة التي كانوا يعملون بها ويهدمون بها مدن اليمن: المعاول والكرازين والمساحي، ثم صفوا صفاً، وصفوا خلفه آخر بإزائه. فلما أبطأ أبرهة على الملك وهو يرى أنه يأتيه على أربع قوائم كما قال، وأتى الرسول أرياط فأخبره بما صنع أبرهة، ركب في الملوك ومن تبعه من أتباعهم، فلبسوا السلاح وجاءوا بالفيلة، وكان معه سبعة فيلة، حتى إذا دنا بعضهم من بعض برز أبرهة بين الصفين، فنادى بأعلى صوته: يا معشر الحبشة، الله ربنا، والإنجيل كتابنا، وعيسى نبينا، والنجاشي ملكنا، علام يقتل بعضنا بعضاً في مذهب النصرانية؟ هذا رجل وأنا رجل فخلوا بيني وبينه، فإن قتلني عاد الملك إلى ما كان عليه من أثرة الأغنياء وإهلاك الفقراء، وإن قتلته سلمتم وعملت فيكم بالإنصاف بينكم ما بقيت.

فقال الملوك لأرياط: قد أخبرناك أنه صنع ما قد ترى، وقد أبيت إلا حسن الرأي فيه، وقد أنصفك. وكان أرياط قد عرف بالشجاعة والنجدة، وكان جميلاً، وكان أبرهة قصيراً دميماً قبيحاً منكر الجمة ، فاستحيا أرياط من الملوك أن يجبن، فبرز بين الصفين، ومشى أحدهما إلى صاحبه، وحمل عليه أرياط فضرب أبرهة ضربة وقع منها حاجباه وعامة أنفه، ووقع بين رجلي أرياط، فعمد أبرهة إلى عمامته فشد بها وجهه، فسكن الدم والتأم الجرح، وأخذ عوداً وجعله في فيه، وقال: أيها الملك، إنما أنا شاة فاصنع ما أردت، فقد أبصرت أمري. ففرح أرياط بما صنع، وكان أبرهة قد سم خنجراً، وجعله في بطن فخذه، كأنه خافية نسر.

أبرهة يقتل أرياط ويتولى ملك اليمن

فلما رأى أبرهة أن أرياط قد أفلت عنه، وهو ينظر يميناً وشمالاً؛ لئلا تراه ملوك الحبشة، استل خنجره فطعنه طعنة في فرج درعه فأثبته ، وخر أرياط على قفاه، وقعد أبرهة على صدره فأجهز عليه. فسمى أبرهة الأشرم بتلك الضربة التي شرمت وجهه وأنفه.

فملك أبرهة عشرين سنة، ثم ملك بعد أبرهة ابنه يسكوم، ثم أخوه مسروق بن أبرهة، وأمه ريحانة امرأة ذي يزن أم سيف بن ذي يزن الحميري.

سيف يسعى لتخليص اليمن من الحبشة

فلما طال على أهل اليمن البلاء مشوا إلى سيف بن ذي يزن الحميري، فكلموه في الخروج، وقالوا إنا نجد فيما روت حمير عن خبر لسطيح أنه يوشك أن هذا البلاء يفرج بيد رجل من أهل بيتك ابن ذي يزن، وقد رجونا أن ندرك بثأرنا، فأنعم لهم. فخرج إلى قيصر ملك الروم، فكلمه أن ينصره على الحبشة، فأبى، وقال: الحبشة على ديني ودين أهل مملكتي، وأنتم على دين يهود، فخرج من عنده يائساً.

النعمان يصحب سيفاً إلى كسرى

فخرج عامداً إلى كسرى، فانتهى إلى النعمان بن المنذر بالحيرة فدخل عليه، فأخبره بما لقي قومه من الحبشة، فقال: أقم؛ فإن لي على الملك كسرى إذناً في كل سنة، وقد حان ذلك.

فلما خرج أخرج معه سيف بن ذي يزن فأدخله على كسرى، فقال: غلبنا على بلادنا، وغلب الأحابيش علينا، وأنا أقرب إليك منهم، لأني أبيض وأنت أبيض، وهم سودان. فقال: بلادك بلاد بعيدة، ولا أبعث معك جيشاً في غير منفعة، ولا أمر أخافه على ملكي.

فلما أيأسه من النصر أمر له بعشرة آلاف درهم واف، وكساه كساً.

فلما خرج بها من باب كسرى نثرها على الصبيان والعبيد، فرأى ذلك أصحاب كسرى، فقالوا ذلك له؛ فأرسل إليه: لم صنعت بجائزة الملك؟ تنثرها للصبيان والناس؟ فقال سيف: وما أعطاني الملك! جبال أرضي ذهب وفضة، جئت إلى الملك ليمنعني من الظلم، و لم آته ليعطيني الدراهم، ولو أردت الدراهم كان ذلك في بلدي كثيراً.

فقال كسرى: أنظر في أمرك. فخرج سيف على طمع، وأقام عنده فجعل سيف كلما ركب كسرى عرض له، فجمع له كسرى مرازبنه، وقال: ما ترون في هذا العربي، وقد رأيته رجلاً جلداً؟ فقال قائل منهم: إن في السجون قوماً قد سجنهم الملك في موجدة عليهم، فلو بعثهم الملك معه فإن قتلوا استراح منهم، وإن ظفروا بما يريد هذا العربي فهو زيادة في ملك الملك. فقال كسرى: هذا الرأي.

كسرى يعين سيفاً بجيش يقوده وهرز

وأمر بهم كسرى فأحضروا فوجد ثمانمائة رجل، فولى أمرهم رجلاً معهم يقال له وهرز، وكان رامياً شجاعاً مع مكانة في الفرس، وجهزهم، وأعطاهم سلاحاً، وحملهم في البحر في ثماني سفن، فغرقت سفينتان، وبقي من بقي وهم ستمائة رجل؛ فأرسلوا إلى ساحل عدن، فلما ارسوا قال وهرز لسيف: ما عندك، فقد جئنا بلادك؟ فقال: ما شئت من رجل عربي وفرس عربي، ثم اجعل رجلي مع رجلك حتى نموت جميعاً أو نظرف جميعاً.

قال وهرز: أنصفت. فاستجلب سيف من استطاع من اليمن، ثم زحفوا إلى مسروق بن أبرهة، وقد سمع بهم مسروق وبتعيتهم، فجمع إليه جنده من الحبشة، وسار إليهم، والتقى العسكران، وجعلت أمداد اليمن تثوب إلى سيف، وبعث وهرز ابناً له كان معه على جريدة خيل، فقال: ناوشوهم القتال، حتى ننظر قتالهم، فناوشهم ابنه، وناوشوه شيئاً من قتال، ثم تورط ابنه في هلكة لم يستطع التخلص منها؛ فاشتملوا عليه فقتلوه، فازداد وهرز عليهم حنقاً. وسيء العرب، وفرحت الحبشة، فأظهروا الصليب، فوتر وهرز قوسه، وكان لا يقدر أن يوترها غيره.

وهرز يقتل مسروقاً

وقال وهرز والناس في صفوفهم: انظروا أين ترون ملكهم؟ قال سيف : أرى رجلاً قاعداً على فيل تاجه على رأسه، بين عينيه ياقوتة حمراء. قال: ذلك ملكهم. وقال وهرز: اتركوه. ثم وقف طويلاً، ثم قال: انظروا هل تحول؟ قالوا: قد تحول على فرس. قال: هذا منه اختلاط. ثم وقف طويلاً، وقال: انظروا هل تحول؟ قالوا: قد تحول على بغلة، فقال: ابنة الحمار، ذل الأسود وذل ملكه، ثم قال لأصحابه: نقتله في هذه الرمية، تأملوا النشابة، وأخذ النشابة وجعل فوقها في الوتر، ثم نزع فيها حتى ملأها، وكان أيداً ، ثم أرسلها فصحكت الياقوتة التي بين عيني ملكهم مسروق، فتغلغلت النشابة في رأسه حتى خرجت من قفاه، وحملت عليهم الفرس، فانهزمت الحبشة في كل وجه، وجعلت حمير تقتل من أدركوا منهم، وتجهز على جريحهم.

وهرز يدخل صنعاء ويملك اليمن

وأقبل وهرز يريد أن يدخل صنعاء، وكان موضعهم الذي التقوا فيه خارج صنعاء، وكان اسم صنعاء: أزال ، فلما قدمت الحبشة بنوها وأحكموها، فقالت: صنعة؛ فسميت صنعاء، وكانت صنعاء مدينة لها باب صغير يدخل منه، فلما دنا وهرز من باب المدينة رآه صغيراً، فقال: لا تدخل رايتي منكسة، اهدموا الباب، فهدم باب صنعاء، ودخل ناصباً رايته وسير بها بين يديه. فقال سيف بن ذي يزن: ذهب ملك حمير آخر الدهر، لا يرجع إليهم أبداً.

فملك وهرز اليمن، وقهر الحبشة، وكتب إلى كسرى يخبره: إني قد ملكت للملك اليمن، وهي أرض العرب القديمة التي تكون فيها ملوكهم، وبعث بجوهر، وعنبر، ومال، وعود، وزباد ، وهو جلود لها رائحة طيبة.

كسرى يأمر وهرز أن يملك سيفاً اليمن

فكتب كسرى يأمره أن يملك سيفاً، ويقدم وهرز إلى كسرى.
فخلف على اليمن سيفاً، فلحا خلا سيف باليمن وملكها عدا على الحبشة، فجعل يقتل رجالها ويبقر نساءها عما في بطونها، حتى أفناها إلا بقايا منها أهل ذلة وقلة، فاتخذهم خولاً، واتخذ منهم جمازين بحرابهم بين يديه.

الحبشة يغتالون سيفاً

فمكث كذلك غير كثير، وركب يوماً وتلك الحبشة معه، ومعهم حرابهم يسعون بها بين يديه، حتى إذا كان وسطاً منهم مالوا عليه بحرابهم فطعنوه بها حتى قتلوه.
وكان سيف قد آلى ألا يشرب الخمر، ولا يمس امرأة حتى يدرك ثأره من الحبشة، فجعلت له حلتان واسعتان فأتزر بواحدة، وارتدى الأخرى، وجلس على رأس غمدان يشرب، وبرت يمينه. وخرج بعد ذلك يتصيد فقتلته الحبشة.
وكان ملك أرياط عشرين سنة، وملك أبرهة ثلاثاً وعشرين سنة، وملك يكسوم تسع عشرة سنة، وملك مسروق اثنتي عشرة سنة، فهذه أربع وسبعون سنة.
وكان قدوم أهل فارس اليمن مع وهرز بعد الفجار بعشر سنين، وقبل بنيان قريش البيت بخمس سنين، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثلاثين سنة أو نحوها؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد بعد قدوم الفيل بخمس وخمسين ليلة.

وفود العرب تقدم على سيف لتهنئته بالنصر

ونسخت خبر مديحه سيفاً بهذا الشعر من كتاب عبد الأعلى بن حسان، قال: حدثنا الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وحدثني به محمد بن عمران المؤدب بإسناد لست أحفظ الاتصال بينه وبين الكلبي فيه، فاعتمدت هذه الرواية، قال: لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة، وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين أتته وفود العرب وأشرافها لتهنيه وتمدحه، وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه؛ فأتته وفود العرب من قريش، فأتوه بصنعاء، وهو على رأس قصر له يقال له: غمدان، فأخبره الآذن بمكانهم، فأذن لهم، فدخلوا عليه وهو على شرابه، وعلى رأس غلام واقف ينثر في مفرقه المسك، وعن يمينه ويساره الملوك والمقاول، وبين يديه أمية بن الصلت الثقفي ينشده قوله فيه هذه الأبيات :

أمية يمدح سيفاً والفرس

لا يطلب الثأر إلا كابن ذي يزن ... في البحر خيم للأعداء أحوالا
أتى هرقل وقد شالت نعامته ... فلم يجد عنده النصر الذي سالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرة ... من السنين يهين النفس والمالا

حتى أتى ببني الأحرار يقدمهم تخالهم فوق متن الأرض أجبالا
لله درهم من فتية صبروا ما إن رايت لهم في الناس أمثالا

بيض مرازبة غلب أساورة أسد تربت في الغيضات أشبالا
فالتط من المسك إذ شالت نعامتهم وأسبل اليوم في برديك إسبالا
واشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في رأس غمدان داراً منك محلالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيباً بماء فعادا بعد أبوالا

بنو الأحرار الذين عناهم أمية في شعره هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن، وهم إلى الآن يسمون بني الأحرار بصنعاء، ويسمون باليمن الأبناء، وبالكوفة الأحامرة؛ وبالبصرة الأساورة، وبالجزيرة الخضارمة، وبالشام الجراجمة.

عبد المطلب يهنىء سيفاً

وسيف يرحب به وبمن معه

فبدأ عبد المطلب فاستأذن في الكلام، فقال له سيف بن ذي يزن: إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك، فقد أذنا لك، فقال عبد المطلب: إن الله قد أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً، صعباً منيعاً، شامخاً باذخاً، وأنبتك منبتاً طابت أرومته، وعزت جرثومته، في أكرم موطن، وأطيب معدن؛ فأنت - أبيت اللعن - ملك العرب، وربيعها الذي به تخصب، وأنت أيها الملك رأس العرب الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد، فسلفك لنا خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف، فلم يحمل من أنت خلفه، ولن يهلك من أنت سلفه نحن أهل حرم الله وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي أهجنا؛ لكشفك الكرب الذي فدحنا، فنحن وفود التهنية لا وفود المرزية.

قال: وأيهم أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم، قال: ابن أختنا؟ قال: نعم. فأدناه حتى أجلسه إلى جنبه، ثم أقبل على القوم وعليه، فقال: مرحباً وأهلاً، وناقة ورحلاً، ومستناخاً سهلاً، وملكاً ربحلا ، يعطى عطاء جزلاً، قد سمع الملك مقالتكم، وعرف قرابتكم، وقبل وسيلتكم، وأنتم أهل الشرف والنباهة، ولكم الكرامة ما أقمتم، والحباء إذا ظعنتم.

سيف يسر اه أمارات ظهور النبي ثم استنهضوا إلى دار الضيافة والوفود، فأقاموا فيها شهراً لا يصلون إليه، ولا يؤذن لهم في الإنصراف، وأجرى لهم الأنزال . ثم انتبه لهم انتباهةً، فأرسل إلى عبد المطلب، فأدناه، وأخلى مجلسه، ثم قال: يا عبد المطلب، إني مفوض إليك من سر علمي أمراً لو يكون غيرك لم أبح به إليه، ولكني رأيتك

موضعه، فأطلعتك طلعه؛ فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه، فإن الله بالغ أمره.
إني أجد في الكتاب المكنون، والعلم المخزون، الذي اخترناه لأنفسنا، واحتجناه دون غيرنا، خبراً عظيماً، وخطراً جسيماً، فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاء للناس عامة، ولرهطك كافة، ولك خاصة.
قال عبد المطلب: مثلك أيها الملك من سر وبر، فما هو فداك أهل الوبر، زمراً بعد زمر؟ قال ابن ذي يزن: إذا ولد غلام بتهامة، بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة، إلى يوم القيامة.
قال عبد المطلب: أيها الملك، لقد أبت بخير ما آب بمثله وافد، ولولا هيبة الملك وإكرامه وإعظامه لسألته أن يزيدني في البشارة ما أزداد به سروراً. قال ابن ذي يزن: هذا حينه الذي يولد فيه، أو قد ولد؟ اسمه محمد صلى الله عليه وسلم، يموت أبوه وأمه، ويكلفه جده وعمه، قد ولدناه مراراً، والله باعثه جهاراً، وجاعل له منا أنصاراً، يعز بهم أولياءه، ويذل بهم أعداءه، يضرب بهم الناس عن عرض، ويستبيح بهم كرائم الأرض، يخمد النيران، ويدحر الشيطان، ويكسر الأوثان، ويعبد الرحمن، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله.
فقال عبد المطلب: أيها الملك، عز جدك، وعلا كعبك، ودام ملكك، وطال عمرك، فهل الملك مخبري بإفصاح، فقد أوضح لي بعض الإيضاح.
فقال ابن ذي يزن: والبيت ذي الحجب، والعلامات على النصب، إنك يا عبد المطلب، لجده غير الكذب.

فخر عبد المطلب ساجداً، فقال له: ارفع رأسك، ثلج صدرك، وعلا أمرك؛ فهل أحسست شيئاً مما ذكرته لك؟
فقال عبد المطلب: أيها الملك! كان لي ابن، وكنت به معجباً، وعليه رفيقاً، زوجته كريمة من كرائم قومي، اسمها آمنة بنت وهب؛ فجاءت بغلام سميته محمداً، مات أبوه وأمه؛ وكفلته أنا وعمه. قال: الأمر ما قلت لك؛ فاحتفظ بابنك، واحذر عليه من اليهود؛ فإنهم له أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً، واطو ما ذكرت لك عن هؤلاء الرهط الذين معك؛ فإني لا آمن أن تدخلهم النفاسة من أن تكون له الرياسة؛ فينصبون له الحبائل، ويطلبون له الغوائل، وهم فاعلون وأبناؤهم، وبطيء ما يجيبه قومه؛ وسيلقى منهم عنتاً، والله مبلج حجته؛ ومظهر دعوته، وناصر شيعته، ولولا أني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي؛ حتى أصير يثر دار ملكي؛ فإن أجد في الكتاب المكنون أن يثرب استحكام أمره، وأهل نصرته، وموضع قبره؛ ولولا أن أتوقى عليه الآفات، وأحذر عليه العاهات، لأعلنت على حداثة سنه أمره، ولكني صارف ذلك إليك من غير تقصير مني بمن معك.
يجزل العطاء لعبد المطلب وصحبه قال: ثم أمر لكل رجل بعشرة أعبد، وعشرة إماء، ومائة من الإبل وحلتين برود، وخمسة أرطال ذهباً، وعشرة أرطال فضة، وكرش مملوءة عنبراً، ثم أمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك.
وقال: يا عبد المطلب، إذا حال الحول فائتني. فمات ابن ذي يزن قبل أن يحول الحول.

وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول: يا معشر قريش، لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك، وإن كثر؛ فإنه إلى نفاد، ولكن ليغبطني بما بقي لي شرفه وذكره إلى يوم القيامة. فإذا قيل له: وما ذاك؟ قال: ستعلمون نبأ ما أقول، ولو بعد حين.

وفي ذلك يقول أمية بن عبد شمس :

جلبنا النصح تحمله المطايا إلى أكوار أجمال ونوق

مغلغلة مرافقها ثقالاً إلى صنعاء من فج عميق

تؤم بنا ابن ذي يزن ونهدي مخاليها إلى أمم الطريق

فلما وافقت صنعاء صارت بدار الملك والحسب العريق

المالكي يغني طاهراً بشعر أمية في سيف

أخبرني علي بن عبد العزيز، قال: حدثني عبد الله بن عبد الله بن خرداذبة، قال: كان أحمد بن سعيد بن قادم المعروف بالمالكي، أحد القواد مع طاهر بن الحسين بن عبد الله بن طاهر، فكان معه بالري، وكان مع محله من خدمة السلطان مغنياً حسن الغناء، وله صنعة، فحضر مجلس طاهر بن عبد الله، وهو متنزه بظاهر الري بموضع يعرف بشاذمهر، وقيل: بل حضره بقصره بالشاذياخ ، فغنى هذا الصوت:

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في رأس غمدان.....البيت

فقال ابن عباد الرازي في وقته من الشعر مثل ذلك المعنى، وصنع فيه، وغنى فيه أحمد بن سعيد لحناً من خفيف الرمل وهو : صوت

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً بالشاذياخ ودع غمدان لليمن

فأنت أولى بتاج الملك تلبسه من هوذة بن علي وابن ذي يزن

فطرب طاهر، فاستعاده مرات، وشرب عليه حتى سكر، وأسنى لأحمد بن سعيد الجائزة.

هوذة بن علي ويوم الصفقة

أما ذكره هوذة بن علي ولبسه التاج؛ فإن السبب في ذلك أن كسرى توج هوذة بن علي الحنفي، وضم إليه جيشاً من الأساورة، فأوقع ببني تميم يوم الصفقة .

يوم الصفقة أخبرني بالسبب في ذلك علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا أبو سعيد السكري، قال: حدثنا ابن حبيب ودماذ، عن أبي عبيدة، قال ابن حبيب: قال أبو سعيد: وأخبرنا إبراهيم بن سعدان، عن أبيه، عن أبي عبيدة، قال ابن حبيب: وأخبرني ابن الأعرابي، عن المفضل، قال أبو سعيد، قالوا جميعاً:

كان من حديث يوم الصفقة أن باذام عامل كسرى باليمن بعث إلى كسرى عيراً تحمل ثياباً من ثياب اليمن، ومسكاً وعنبراً، وخرجين فيهما مناطق محلاة، وخفراء تلك العير فيما يزعم بعض الناس بنو الجعيد المراديون. فساروا من اليمن لا يعرض لهم أحد، حتى إذا كان بحمض من بلاد بني حنظلة بن يربوع وغيرهم، أغاروا عليها فقتلوا من فيها من بني جعيد والأساورة، واقتسموها، وكان فيمن فعل ذلك ناجية بن عقال، وعتبة بن الحارث بن شهاب، وقعنب بن عتاب، وجزء بن سعد، وأبو مليل عبد الله بن الحارث، والنطف بن جبير، وأسيد بن جنادة، فبلغ ذلك الأساورة الذين بهجر مع كزارجر المكعبر، فساروا إلى بني حنظلة بن يربوع، فصادفوهم على حوض، فقاتلوهم قتالاً شديداً فهزمت الأساورة، وقتلوا قتلاً شديداً ذريعاً، ويومئذ أخذ النطف الخرجين اللذين يضرب بهما المثل .

فلما بلغ كسرى استشاط غضباً وأمر بالطعام فادخر بالمشقر ومدينة اليمامة، وقد أصابت الناس سنة شديدة، ثم قال: من دخلها من العرب فأميروه ما شاء .

فبلغ ذلك الناس، قال: وكان أعظم من أتاهم بنو سعد، فنادى منادي الأساورة: لا يدخلها عربي بسلاح، فأقيم بوابون على باب المشقر، فإذا جاء الرجل ليدخل قالوا: ضع سلاحك، وامتر، واخرج من الباب الآخر؛ فيذهب به إلى رأس الأساورة فيقتله، فيزعمون أن خيبري بن عبادة بن النوال بن مرة بن عبيد - وهو مقاعس - قال: يا بني تميم؛ ما بعد السلب إلا القتل، وأرى قوماً يدخلون ولا يخرجون، فانصرف منهم من انصرف من بقيتهم، فقتلوا بعضهم وتركوا بعضاً محتبسين عندهم. هذا حديث المفضل.

وأما ما وجد عن ابن الكلبي في كتاب حماد الراوية، فإن كسرى بعث إلى عامله باليمن بعير، وكان باذام على الجيش الذي بعثه كسرى إلى اليمن، وكانت العير تحمل نبعاً ، فكانت تبذرق من المدائن حتى تدفع إلى النعمان، ويبذرقها النعمان بخفراء من بني ربيعة ومضر حتى يدفعها إلى هوذة بن علي الحنفي، فيبذرقها حتى يخرجها من أرض بني حنيفة، ثم تدفع إلى سعد، وتجعل لهم جعالة، فتسير فيها، فيدفعونها إلى عمال باذام باليمن.

فلما بعث كسرى بهذه العير قال هوذة للأساورة: انظروا الذي تجعلونه لبني تميم فأعطونيه؛ فأنا أكفيكم أمرهم، وأسير فيها معكم، حتى تبلغوا مأمنكم، فخرج هوذة والأساورة والعير معهم من هجر، حتى إذا كانو ابنطاع بلغ بني سعد ما صنع هوذة، فساروا إليهم، وأخذوا ما كان معهم، واقتسموه وقتلوا عامة الأساورة، وسلبوهم، وأسروا هوذة بن علي، فاشترى هوذة نفسه بثلاثمائة بعير، فساروا معه إلى هجر، فأخذوا منه فداءه، ففي ذلك يقول شاعر بني سعد:

ومنا رئيس القوم ليلة أدلجوا بهوذة مقرون اليدين إلى النحر

وردنا به نخل اليمامة عانياً عليه وثاق القد والحلق السمر

فعمد هوذة عند ذلك إلى الأساورة الذين أطلقهم بنو سعد، وكانوا قد سلبوا، فكساهم وحملهم، ثم انطلق معهم إلى كسرى، وكان هوذة رجلاً جميلاً شجاعاً لبيباً، فدخل عليه فقص أمر بني تميم وما صنعوا، فدعا كسرى

بكأس من ذهب فسقاه فيها، وأعطاه إياها وكساه قباء ديباج منسوجاً بالذهب واللؤلؤ، وقلنسوة قيمتها ثلاثون ألف درهم، وهو قول الأعشى :

له أكاليل بالياقوت فصلها صواغها لا ترى عيباً ولا طبعا

وذكر أن كسرى سأل هوذة عن ماله ومعيشته فأخبره أنه في عيش رغد، وأنه يغزو المغازي المغازي فيصيب.
فقال له كسرى في ذلك: كم ولدك؟ قال: عشرة، قال: فأيهم أحب إليك؟ قال: غائبهم حتى يقدم، وصغيرهم حتى يكبر، ومريضهم حتى يبرأ. قال كسرى: الذي أخرج منك هذا العقل حملك على أن طلبت مني الوسيلة.
وقال كسرى لهوذة: رأيت هؤلاء الذين قتلوا أساورتي، وأخذوا مالي، أبينك وبينهم صلح؟.
قال هوذة: أيها الملك بيني وبينهم حساء الموت، وهم قتلوا أبي. فقال كسرى: قد أدركت ثأرك، فكيف لي بهم.
قال هوذة: إن أرضهم لا تطيقها أساورتك، وهم يمتنعون بها، ولكن احبس عنهم الميرة، فإذا فعلت ذلك بهم سنة أرسلت معي جنداً من أساورتك، فأقيم لهم السوق؛ فإنهم يأتونها، فتصيبهم عند ذلك خيلك.

ففعل كسرى ذلك، وحبس عنهم الأسواق في سنة مجدبة، ثم سرح إلى هوذة فأتاه، فقال: ائت هؤلاء فاشفني منهم، واشتف. وسرح معهم جوار بودار ورجلاً من أردشير خره. فقال لهوذة: سر مع رسولي هذا، فسار في ألف أسوار حتى نزلوا المشقر من أرض البحرين، هو حصن هجر.
وبعث هوذة إلى بني حنيفة فأتوه، فدنوا من حيطان المشقر، ثم نودي: إن كسرى قد بلغه الذي أصابكم في هذه السنة، وقد أمر لكم بميرة، فتعالوا، فامتاروا. فانصب عليهم الناس، وكان أعظم من أتاهم بنو سعد، فجعلوا إذا جاءوا إلى باب المشقر أدخلوا رجلاً رجلاً، حتى يذهب به إلى المكعبر فتضرب عنقه، وقد وضع سلاحه قبل أن يدخل، فيقال له: ادخل من هذا الباب واخرج من الباب الآخر، فإذا مر رجل من بني سعد بينه وبين هوذة إخاء، أو رجل يرجوه، قال للمكعبر: هذا من قومي فيخليه له.
فنظر خيبري بن عبادة إلى قومه يدخلون ولا يخرجون، وتؤخذ أسلحتهم، وجاء ليمتار، فلما رأى ما رأى قال: ويلكم! أين عقولكم! فوالله ما بعد السلب إلا القتل.
وتناول سيفاً من رجل من بني سعد يقال له مصاد، وعلى باب المشقر سلسلة ورجل من الأساورة قابض عليها، فضربها فقطعها ويد الأسوار، فانفتح الباب، فإذا الناس يقتلون، فثارت بنو تميم.
ويقال: إن الذي فعل هذا رجل من بني عبس يقال له: عبيد بن وهب، فلما علم هوذة أن القوم قد نذروا به أمر المكعبر فأطلق منهم مائة من خيارهم، وخرج هارباً من الباب الأول هو والأساورة، فتبعتهم بنو سعد والرباب، فقتل بعضهم، وأفلت من أفلت.

صوت

إذا سلكت حوران من رمل عالج فقولا لها: ليس الطريق هنالك

دعوا فلجات الشام قد حيل دونها بضرب كأفواه العشار الأوارك

عروضه من الطويل. الشعر لحسان بن ثابت، والغناء لابن محرز، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول، مطلق في مجرى البنصر.

وهذا الشعر يقوله حسان بن ثابت لقريش حين تركت الطريق الذي كانت تسلكه إلى الشام بعد غزوة بدر، واستأجرت فرات بن حيان العجلي دليلاً، فأخذ بهم غيرها، وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم الخبر، فأرسل زيد بن حارثة في سرية إلى العير فظفر بها، وأعجزه القوم.

ذكر الخبر في سرية زيد بن حارثة

أخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا الحارث بن أبي أسامة، قال: حدثنا محمد بن سعد، عن الواقدي، قال: كان سبب هذه الغزوة أن قريشاً قالت: قد عور علينا محمد متجرنا ، وهو على طريقنا. وقال أبو سفيان وصفوان بن أمية: إن أقمنا بمكة أكلنا رؤوس أموالنا. فقال زمعة بن الأسود: وأنا أدلكم على رجل يسلك بكم النجدة ، ولو سلكها مغمض العين لاهتدى. فقال صفوان: من هو؟ قال: فرات بن حيان العجلي، فاساجراه، فخرج بهم في الشتاء، فسلك بهم ذات عرق، ثم سلك بهم على غمرة، فانتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم خبر العير، فخرج وفيها مال كثير، وآنية من فضة حملها صفوان بن أمية.

فخرج زيد بن حارثة فاعترضها، فظفر بالعير، وأفلت أعيان القوم، وكان الخمس عشرين ألفاً، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم الأربعة الأخماس على السرية ، وأتى بفرات بن حيان العجلي أسيراً، فقيل له: إن أسلمت لم يقتلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم، فأرسله.

حدثنا محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق في خبر هذه السرية بمثل رواية الواقدي، وزاد فيها فيما رواه: إن قريشاً لما خافت طريقها إلى الشام أخذت على طريق العراق، وذكر أن الوقعة كانت على القردة : ماء من مياه نجد.

إبراهيم بن هشام يكتب بدعوة بني مخزوم

أخبرني حرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني يعقوب بن محمد الزهري، قال: كتب إبراهيم بن هشام إلى هشام بن عبد الملك: إن رأى أمير المؤمنين إذا فرغ من دعوة أعمامه بني عبد مناف أن يبدأ بدعوة أخواله بني مخزوم. فكتب: إن رضي بذلك آل الزبير فافعل. فلما فرغ من إعطاء بني عبد مناف نادى مناديه ببني مخزوم، فناداه عثمان بن عروة، وقال :

إذا هبطت حوران من أرض عالج فقولا لها: ليس الطريق هنالك

فأمر مناديه فنادى بني أسد بن عبد العزى، ثم مضى على الدعوة.

النبي يقطع فرات بن حيان أرضاً بالبحرين

أخبرني محمد بن عبد الله الحضرمي إجازة، قال: حدثنا ضرار بن صرد، قال: حدثنا علي بن هشام، عن عمار بن زريق، عن أبي إسحاق، عن عدي بن حاتم: أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بفرات بن حيان فقال: إني مسلم، فقال لعلي: إن منكم من أكله إلى إيمانه، منهم فرات بن حيان، وأقطعه أرضاً بالبحرين تعل ألفاً ومائتين.

حدثني أحمد بن يوسف بن سعيد، قال: حدثنا محمد عبيد الله بن عتبة، قال: حدثنا موسى بن زياد الزيات، قال: حدثنا عبد الرحمن بن سليمان الأشل ، عن زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، عن جارية بن مضرب، عن أمير المؤمنين علي، قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم بفرات بن حيان يوم الخندق، وكان عيناً للمشركين، فأمر بقتله، فقال: إني مسلم، فقال: إن منكم من أتألفه على الإسلام وأكله إلى إيمانه، منهم فرات بن حيان.

صوت

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه ... شكى الفقر أو لام الصديق فأكثرا

وصار على الأدنين كلا وأوشكت ... صلات ذوي القربى له أن تنكرا

فسر في بلاد الله والتمس الغنى ... تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

ولا ترض من عيش بدون ولا تنم ... وكيف ينام الليل من كان معسرا

عروضه من الطويل، الشعر لأبي عطاء السندي. والغناء لإبراهيم. خفيف ثقيل بالوسطى، من نسخة عمرو الثانية.

ذكر أبي عطاء السندي

أبو عطاء، اسمه أفلح بن يسار، مولى بني أسد، ثم مولى عنبر بن سماك بن حصين الأسدي، منشؤه الكوفة، وهو من مخضرمي الدولتين. مدح بني أمية وبني هاشم، وكان أبوه يسار سندياً أعجمياً لا يفصح. وكان في لسان أبي عطاء لكنة شديدة ولثغة، فكان لا يفصح . وكان له غلام فصيح سماه عطاء، وتكنى به، وقال: قد جعلتك ابني، وسميتك بكنيتي، فكان يرويه شعره، فإذا مدح من يجتديه أو ينتجعه أمره بإنشاده ما قاله . وكان ابن كناسة يذكر أنه كاتب مواليه، وأنهم لم يعتقوه.

يكاتب مواليه

أخبرني بذلك محمد بن مزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن ابن كناسة، قال: كثر مال أبي عطاء السندي بعد أن أعتق، فأعنته مواليه وطمعوا فيه، وادعوا رقه، فشكا ذلك إلى إخوانه، فقالوا له: كاتبهم ، فكاتبوه على أربعة آلاف، وسعى له أهل الأدب والشعر فيها فتركهم، وأتى الحر بن عبد الله القرشي، وهو حليف لقريش لا من أنفسهم، فقال فيه:

شعره في الحر بن عبد الله القرشي

أتيتك لا من قربة هي بيننا ... ولا نعمة قدمتها أستثيبها

ولكن مع الراجين أن كنت مورداً ... إليه بغاة الدين تهفو قلوبها

أغثني بسجل من نداك يكفني ... وقال الردى مرد الرجال وشيبها

تسمى ابن عبد الله حراً لوصفه ... وتلك العلا يعنى بها من يصيبها

فأعطاه أربعة آلاف درهم، فأداها في مكاتبته وعتق .

وشعره في سليمان بن سليم

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: كان أبو عطاء السندي يجمع بين لثغة ولكنة، وكان لا يكاد يفهم كلامه، فأتى سليمان بن سليم فأنشده:

أعوزتني الرواة يابن سليم ... وأبى أن يقيم شعري لساني

وغلى بالذي أجمجم صدري ... وجفاني بعجمتي سلطاني

وازدرتني العيون إذ كان لوني ... حالكاً مجتوى من الألوان

فضربت الأمور ظهراً لبطن ... كيف أحتال حيلة للساني!

وتمنيت أنني كنت بالش ... عر فإن البيان قد أعياني

فاعتمدني بالشكر يابن سليم ... في بلادي وسائر البلدان

ستوافيهم قصائد غر ... فيك سباقة لكل لسان

فقديماً جعلت شكري جزاء ... كل ذي نعمة بما أولاني

لم تزل تشتري المحامد قدماً ... بالربيح الغالي من الأثمان

فأمر له بوصيف بربري فصيح، فسماه عطاء، وتكنى به، ورواه شعره؛ فكان إذا أراد إنشاد مديح لمن يجتديه، أو مذاكرة لشعره أنشده.

هجاؤه مولاه عنبر بن سماك الأسدي

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا ثعلب، عن أبي العالية الحر بن مالك الشامي، قال: لما أثرى أبو عطاء أعنته مولاه عنبر بن سماك الأسدي، حتى ابتاع نفسه منه، فقال يهجوه:

إذا ما كنت متخذاً خليلاً ... فلا تثقن بكل أخي إخاء

وإن خيرت بينهم فألصق ... بأهل العقل منهم والحياء

فإن العقل ليس له إذا ما ... تذوكرت الفضائل من كفاء

وإن النوك للأحساب غول ... به تأوي إلى داء عياء

فلا تثقن من النوكى بشيء ... ولو كانوا بني ماء السماء

كعنبر الوثيق بناء بيت ... ولكن عقله مثل الهباء

وليس بقابل أدباً فدعه ... وكن منه بمنقطع الرجاء

كان من شعراء بني أمية ومداحهم

قال: وكان أبو عطاء من شعراء بني أمية ومداحهم والمنصبي الهوى إليهم، وأدرك دولة بني العباس فلم تكن له فيها نباهة، فهجاهم. وفي آخر أيام المنصور مات. وكان مع ذلك من أحسن الناس بديهة، وأشدهم عارضة وتقدماً، وشهد أبو عطاء حرب بني أمية وبني العباس فأبلى، وقتل غلامه عطاء مع ابن هبيرة، وانهزم هو، وقيل: بل كان أبو عطاء المقتول معه لا غلامه.

شعره في أبي زيد المري

وقد أعطاه فرسه فهرب به

أخبرني الحسن بن علي، عن أحمد بن الحارث، عن المدائني، قال: كان أبو عطاء يقاتل المسودة ، وقدامه رجل من بني مرة يكنى أبا يزيد، وقد عقر فرسه، فقال لأبي عطاء: أعطني فرسك حتى أقاتل عني وعنك، وقد كانا أيقنا بالهلاك، فأعطاه أبو عطاء فرسه، فركبه المري، ثم مضى وترك أبا عطاء، فقال أبو عطاء في ذلك:

لعمرك إنني وأبا يزيد ... لكالساعي إلى وضح السراب

رأيت مخيلة فطمعت فيها ... وفي الطمع المذلة للرقاب

فما أعياك من طلب ورزق ... كما يعييك في سرق الدواب

وأشهد أن مرة حي صدق ولكن لست منهم في النصاب

أخبرني الحسن، عن أحمد بن الحارث، عن المدائني: أن يحيى بن زياد الحارثي وحماداً الراوية كان بينهما وبين معلى بن هبيرة ما يكون مثله بين الشعراء والرواة من النفاسة، وكان معلى بن هبيرة يحب أن يطرح حماداً في لسان شاعر يهجوه.

أبو عطاء وحماد الراوية

قال حماد الراوية: فقال لي يوماً بحضرة يحيى بن زياد: أتقول لأبي عطاء السندي أن يقول في زج وجرادة ومسجد بني شيطان؟ قال: فقلت له: فما تجعله لي على ذلك؟ قال: بغلتي بسرجها ولجامها. قلت: فعدلها على يدي يحيى بن زياد، ففعل، وأخذت عليه موثقاً بالوفاء.

وجاء أبو عطاء السندي فجلس إلينا، وقال: مرهباً مرهباً، هياكم الله. فرحبت به، وعرضت عليه العشاء، فقال: لا هاجة لي به، فقال: أعندكم نبيذ؟ فأتيناه بنبيذ كان عندنا فشرب حتى احمرت عيناه، واسترخت علابيه ، ثم قلت: يا أبا عطاء، إن إنساناً طرح علينا أبياتاً فيها لغز، ولست أقدر على إجابته البتة، ومنذ أمس إلى الآن ما يستوي لي منها شيء، ففرج عني. قال: هات، فقلت:

أبن لي إن سئلت أبا عطاء يقيناً كيف علمك بالمعاني

فقال:

خبير عالم فاسأل تجدتي بها طبا وآيات المثاني

فقلت:

فما اسم حديدة في رأس رمح دوين الكعب ليست بالسنان؟

فقال أبو عطاء:

هو الزز الذي إن بات ضيفاً لصدرك لم تزل لك عولتان

قلت: فرج الله عنك، تعني الزج. وقلت:

فما صفراء تدعى أم عوف كأن رجيلتيها منجلان؟

فقال:

أردت زرادة وأزن زناً بأنك ما أردت سوى لساني

قلت: فرج الله عنك، وأطال بقاءك! تريد جرادة، وأظن ظناً. وقلت:

أتعرف مسجداً لبني تميم فويق الميل دون بني أبان؟

فقال:

بنو سيطان دون بني أبان كقرب أبيك من عبد المدان

قال حماد: فرأيت عينيه قد احمرتا، وعرفت الغضب في وجهه وتخوفته، فقلت: يا أبا عطاء، هذا مقام المستجير بك، ولك النصف مما أخذته، قال: فاصدقني، قال: فأخبرته. فقال لي: أولى لك! قد سلمت وسلم لك جعلك، خذه بورك لك فيه، ولا حاجة لي فيه. فأخذته، وانقلب يهجو معلى بن هبيرة.

مدح أبا جعفر فلم يثبه

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني: أن أبا عطاء مدح أبا جعفر فلم يثبه، فأظهر الانحراف عنه لعلمه بمذهبه في بني أمية، فعاوده بالمدح، فقال له: يا ماص كذا من أمه، ألست القائل في عدو الله الفاجر نصر بن سيار ترثيه:

فاضت دموعي على نصر وما ظلمت عين تفيض على نصر بن سيار

يا نصر من للقاء الحرب إن لقحت يا نصر بعدك أو للضيف والجار

الخندفي الذي يحمي حقيقته في كل يوم مخوف الشر والعار

والقائد الخيل قبا في أعنتها بالقوم حتى تلف القار بالقار

من كل أبيض كالمصباح من مضر يجلو بسنته الظلماء للساري

ماض على الهول مقدام إذا اعترضت سمر الرماح وولى كل فرار

إن قال قولاً وفى بالقول موعده إن الكناني واف غير غدار

هجاؤه أبا جعفر

والله لا أعطيك بعد هذا شيئاً أبداً. قال: فخرج من عنده، وقال عدة قصائد يذمه فيها منها:

فليت جور بني مروان عاد لنا وليت عدل بني العباس في النار

وقال أيضاً:

أليس الله يعلم أن قلبي يحب بني أمية ما استطاعا

وما بي أن يكونوا أهل عدل ولكني رأيت الأمر ضاعا

شعهر في ابن هبيرة حين لم يصله بشيء أخبرني الحسن، قال: حدثني الخراز ، عن المدائني، قال: كان أبو عطاء مع ابن هبيرة، وهو يبني مدينته التي على شاطىء الفرات، فأعطى ناساً كثيراً صلات و لم يعطه شيئاً، فقال:

قصائد حكتهن ليوم فخر رجعن إلى صفراً خاليات
رجعن وما افأن علي شيئاً سوى أني وعدت الترهات
أقام على الفرات يزيد حولاً فقال الناس: أيهما الفراتي !
فيا عجباً لبحر بات يسقي جميع الخلق لم يبلل لهاتي

شعره في مدح يزيد بن عمر بن هبيرة

فقال له يزيد بن عمر بن هبيرة: وكم يبل لهاتك يا أبا عطاء؟ قال: عشرة آلاف درهم، فأمر ابنه بدفعها إليه، ففعل، فقال يمدح ابنه:

أما أبوك فعين الجود تعرفه وأنت أشبه خلق الله بالجود
لولا يزيد ولولا قبله عمر ألقت إليك معد بالمقاليد
ما ينبت العود إلا في أرومته ولا يكون الجنى إلا من العود

وهب له نصر بن سيار جارية فقال في ذلك شعراً أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد، عن المدائني، قال: وهب نصر بن سيار لأبي عطاء جارية، فلما أصبح غدا على نصر، فقال: ما فعلت أنت وهي؟ فقال: وقد كان شيء مني منعني من بعض حاجتي - يعني النوم - فقال: وهل قلت في ذلك شعراً؟ قال: نعم، وأنشد:

إن النكاح وإن هرمت لصالح خلف لعينك من لذيذ المرقد

فقال نصر:

ذاك الشقاء فلا تظنن غيره ليس المشاهد مثل من لم يشهد

فقال: أصلحك الله، إني قد امتدحتك فائذن لي أن أنشدك، قال: إني لفي شغل، ولكن ائت تميماً، فأتاه فأنشده، فحمله على برذون أبلق، فقال له نصر من الغد: ما فعل بك تميم؟ فقال:

لئن كان أغلق باب الندى فقد فتح الباب بالأبلق

ثم أنشده قوله:

وهيكل يقال في جلاله تقصر أيدي الناس عن قذاله
جعلت أوصالي على أوصاله إنك حمال على أمثاله

لبس السواد وقال شعراً في ذلك أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني، قال: لما أمر أبو جعفر الناس بلبس السواد، لبسه أبو عطاء فقال:

كسيت ولم أكفر من الله نعمة سواداً إلى لوني ودنا ملهوجا

وبايعت كرهاً بيعة بعد بيعة مبهرجة إن كان أمر مبهرجا

يضيف بيتين من الشعر إلى بيتين بعث بهما إليه إبراهيم بن الأشتر أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد، عن المدائني، قال: بعث إبراهيم بن الأشتر إلى أبي عطاء ببيتين من شعر، وسأله أن يضيف إليهما بيتين من رويهما وقافيتهما، وهما:

وبلدة يزدهي الجنان طارقها قطعتها بكناز اللحم معتاطه

وهناً وقد حلق النسران أو كرباً وكانت الدلو بالجوزاء منتاطه

فقال أبو عطاء:

فانجاب عنها قميص الليل فابتكرت تسير كالفحل تحت الكور لطاطه

في أينق كلما حث الحداة لها بدت مناسمها هوجاء حطاطه

يهجو بغلة أبي دلامة

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد، عن المدائني، قال: كان سبب هجاء ابي دلامة بغلته أن أبا عطاء السندي هجاها، فخاف أبو دلامة أن تشتهر بذلك، وتعره، فباعها وهجاها بقصيدته المشهورة. قال: وأبيات أبي عطاء فيها:

أبغل أبي دلامة مت هزلاً عليه بالسخاء تعولينا

دواب الناس تقضم ملمخالي وأنت مهانة لا تقضمينا

سليه البيع واستعدي عليه فإنك إن تباعي تسمنينا

شعره في مدح نهيك بن معبد

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد، عن المدائني، قال: كان أبو عطاء منقطعاً في طريق مكة، وخباؤه مطروح، فمر به نهيك بن معبد العطاردي، فقال: لمن هذا الخباء الملقى؟ فقيل: لأبي عطاء السندي، فبعث غلماناً له، فضربوا له خباء، وبعث إليه بألطاف وكسوة، فقال: من صنع هذا؟ قالوا: نهيك بن معبد، فنادى بأعلى صوته يقول:

إذا كنت مرتاد الرجال لنفعهم فناد بصوت: يا نهيك بن معبد

فبعث إليه نهيك: لا، زدنا يا أبا عطاء.

فقال أبو عطاء: إنما أعطيناك على قدر ما أعطيتنا، فإن زدتنا زدناك، والله أعلم.

أنشده حماد بيتاً فلم يعجبه

فقال شعراً يصحح معناه

نسخت من كتاب ابن الطحان : قال الهيثم بن عدي: أخبرنا حماد الراوية، قال: أنشدت أبا عطاء السندي في أثناء حديث هذا البيت:

إذا كنت في حاجة مرسلاً فأرسل حكيماً ولا توصه

فقال أبو عطاء: بئس ما قال! فقلت: كيف تقول أنت؟ قال: أقول:

إذا أرسلت في أمر رسولاً فأفهمه وأرسله أديبا

وإن ضيعت ذاك فلا تلمه على أن لم يكن علم الغيوبا

شعره في مدح سليمان بن سليم

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيدي: قال الهيثم بن عدي، عن حماد بن سلمة الكلبي، قال: دخل أبو عطاء السندي على سليمان بن سليم بن بشار ، فقال له:

أعوزتني الرواة يابن سليم وأبى أن يقيم شعري لساني

وغلاً بالذي أجمجم صدري وشكاني من عجمتي شيطاني

وعدتني العيون أن كان لوني حالكاً مظلماً من الألوان

وضربت الأمور ظهراً لبطن كيف أحتال حيلة لبياني!

فتمنيت أنني كنت بالشع ر فصيحاً وبان بعض بناني

ثم أصبحت قد أنخت ركابي عند رحب الفناء والأعطان

فإلى من سواك يابن سليم أشتكي كربتي وما قد عناني

فاكفني ما يضيق عنه ذراعي بفصيح من صالحي الغلمان

يفهم الناس ما أقول من الشع ر فإن البيان قد أعياني

ثم خذني بالشكر يابن سليم حيث كانت داري من البلدان

فأمر له بوصيف فصيح كان حسن الإنشاد، فقال أبو عطاء أيضاً:

فأقبلوا نحوي معاً بالقنا وكلهم يسأل: ما شأني؟

فقلت :شأني كله أنني في تعب من لفظ جرداني

يابن سليم أنت لي عصمة ... من حديث أفزع جيراني

فقد رماني الدهر عن فقره ... بسهم فقر غير لغبان

صاد فؤادي بعد ما قد سلا ... فصرت كالمقتبل العاني

فانعش فدتك النفس مني ومن ... أطاعني من جل إخواني

وهب فدتك النفس لي طفلة ... يقمع حرها رأس شيطاني

فإن أيري قد عتا واعتدى ... وصار يبغي بغية الزاني

فالله ثم الله في قمعه ... من قبل أن أمنى بسلطان

يتركني أضحوكة بعد ما ... أضرب في سر وإعلان

فأمر له بجارية قندهارية فارهة، فقال:

أحصنني الله بكفي فتى ... مهذب من سر قحطان

من حمي أهل السدي والندى ... وعصمة الخائف والجاني

يا خير خلق الله أنت الذي ... أيأست من فسقي شيطاني

يغضب لخطأ راويته في شعر قاله

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي، عن أبيه، قال: كنت جالساً مع سليمان بن مجالد وعنده أبو عطاء السندي، إذ قام راوية أبي عطاء ينشد سليمان مديحاً لأبي عطاء، وأبو عطاء جالس لا يتكلم، إذ قال الراوية في إنشاده:

فما فضلت يمينك من يمين ... ولا فضلت شمالك عن شمال

هكذا بالرفع، فغضب أبو عطاء، وقال: ويلك فما مدهته إذاً، إنما هزوته، يريد فما مدحته إذاً إنما هجوته، ثم أنشده أبو عطاء:

فما فدلت يمينك من يمين ... ولا فدلت شمالك عن شمال

فكدت أضحك، ولم أجسر، لأني رأيت القوم جميعاً بهم ما بي وهم لا يضحكون؛ خوفاً منه.

ينشد نصر بن سيار فيأمر له بجائزة

حدثنا وكيع، قال: أخبرنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا سليمان بن منصور، قال: حدثني صالح بن سليمان، قال: وفد أبو عطاء السندي على نصر بن سيار فأنشده:

قالت تريكة بيتي وهي عاتبة: إن المقام على الإفلاس تعذيب
ما بال هم دخيل بات محتضراً رأس الفؤاد فنوم العين توجيب
إني دعاني إليك الخير من بلدي والخير عند ذوي الأحساب مطلوب

فأمر له بأربعين ألف درهم.

يغضب لأن ضيفه يرقب جاريته

أخبرني محمد بن خلف وكيع والحسن بن علي، قالا: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني سليمان بن أبي شيخ، عن صالح بن سليمان، قال: دخل إلى أبي عطاء السندي ضيف، فأتاه بطعام، فأكل، وأتاه بشراب وجلسا يشربان، فنظر أبو عطاء إلى رجل يلاحظ جاريته، فأنشأ يقول :

كل هنيئاً وما شربت مريئاً ثم قم صاغراً وأنت ذميم
لا أحب النديم يومض بالطر ف إذا ما خلا لعرس النديم

صوت

تجول خلاخيل النساء ولا أرى لرملة خلخالاً يجول ولا قلبا
أحب بني العوام طراً لحبها ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا
فإن تسلمي نسلم، وإن تنتصر تخط رجال بين أعينهم صلبا

عروضه من الطويل. الشعر لخالد بن يزيد بن معاوية يقوله في زوجته رملة بنت الزبير. والغناء ليحيى المكي، ثاني ثقيل أول بالوسطى، من رواية ابنه وأبي العبيس ، وفيه لعبيد الله بن أبي غسان رمل، وفيه لسعيد بن جابر خفيف رمل بالبنصر، عن حبش.

ذكر خالد ورملة

وأخبارهما وأنسابهما

نسبه

خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وكان من رجالا قريش سخاء وعارضة وفصاحة، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى بذلك عمره، وأسقط نفسه. وأم خالد بن يزيد أم هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.

كان عالماً شاعراً

أخبرني الطوسي وحرمي، قالا: حدثنا الزبير، قال: حدثني عمي مصعب، قال: كان خالد بن يزيد بن معاوية يوصف بالعلم، ويقول الشعر، وزعموا أنه هو الذي وضع خبر السفياني وكبره، وأراد أن يكون للناس فيه طمع حين غلبه مروان بن الحكم على الملك، وتزوج أمه أم هاشم، وهذا وهم من مصعب؛ فإن السفياني قد رواه غير واحد، وتتابعت فيه رواية الخاصة والعامة. وذكر خبر أمره أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، وغيره من أهل البيت.

حدثني أبو عبد الله الصيرفي، قال: حدثنا محمد بن علي بن خلف العطار، قال: حدثنا الحسن بن صالح، عن أبي الأسود، قال: حدثنا صالح بن أبي الأسود - يعني أباه - عن عبد الجبار بن العباس الهمداني، عن عمار الدهني، قال: قال أبو جعفر محمد بن علي: كم تعدون بقاء السفياني فيكم؟ قلت: حمل امرأة تسعة أشهر، قال: ما أعلمكم يا أهل الكوفة.

حدثني أبو عبد الله قال: حدثنا محمد بن علي، قال: حدثنا الحسن بن صالح، قال: حدثنا منصور بن الأسود، قال: أتيت جابراً الجعفي أنا والأسود أخي، فقلنا له: إنا قوم نضرب في هذه التجارات، وقد بلغنا أن الرايات قد قطع بها الفرات، فماذا تشير علينا؟ وماذا تأمرنا؟ قال: اذهبوا حيث شئتم من أرض الله تعالى، حتى إذا خرج السفياني فأقبلوا عودكم على بدئكم.

أمه تكتنى باسمه

أخبرني الطوسي وحرمي، قالا: حدثنا الزبير بن بكار، عن عمه، قال: لما ولدت أم هاشم خالد بن يزيد بن معاوية تركت كنيتها، واكتنت بخالد، وقال فيها يزيد بن معاوية:

وما نحن يوم استعبرت أم خالد بمرضى ذوي داء ولا بصحاح

ولها يقول، وقد قدم من المدينة، وقد تزوج أم مسكين بنت عمر بن عاصم بن عمر بن الخطاب فحملت إليه بالشام، فأعجب بها، وجفا أم خالد، ودخل عليها وهي تبكي، فقال :

مالك أم خالد تبكين من قدر حل بكم تضجين!

باعت على بيعك أم مسكين ميمونة من نسوة ميامين

حلت محلك الذي تحلين زارتك من يثرب في جوارين

في منزل كنت به تكونين

رملة تزوجت عثمان بن عبد الله

قبل زواجها من خالد

أخبرني الطوسي وحرمي، قالا: حدثنا الزبير بن بكار، عن عمه: أن رملة بنت الزبير كانت أخت مصعب بن الزبير لأمه ، كانت أمهما الرباب بنت أنيف بن عبيد بن مصاد بن كعب بن عليم بن عتاب بن ذهل من كلب، وإنما كانت قبل خالد بن يزيد عند عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، فولدت له عبد الله بن عثمان، وهو زوج سكينة بنت الحسين بن علي.

الحجاج يعاتب خالداً لخطبته رملة

فيرد عليه رداً عنيفاً

قال الزبير: فحدثني رجل، عن عمر بن عبد العزيز، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: لما قتل ابن الزبير حج خالد بن يزيد بن معاوية، فخطب رملة بنت الزبير بن العوام، فأرسل إليه الحجاج حاجبه عبيد الله بن موهب، وقال له: ما كنت أراك تخطب إلى آل الزبير حتى تشاورني، وكيف خطبت إلى قوم ليسوا لك بأكفاء! وكذلك قال جدك معاوية، وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة، ورموه بكل قبيحة، وشهدوا عليه وعلى جدك بالضلالة.

فنظر إليه خالد طويلاً، ثم قال له: لولا أنك رسول، والرسول لا يعاقب لقطعتك إرباً إرباً، ثم طرحتك على باب صاحبك، قل له: ما كنت أرى أن الأمور بلغت بك إلى أن أشاورك في خطبة النساء!.

وأما قولك لي: قارعوا أباك وشهدوا عليه بكل قبيح، فإنها قريش يقارع بعضها بعضاً، فإذا أقر الله عزل وجل الحق قراره، كان تقاطعهم وتراحمهم على قدر أحلامهم وفضلهم.

وأما قولك: إنهم ليسوا بأكفاء فقاتلك الله يا حجاج، ما أقل علمك بأنساب قريش! أيكون العوام كفؤاً لعبد المطلب بن هاشم بتزوجه صفية، وبتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد، ولا تراهم أهلاً لأبي سفيان! فرجع الحاجب إليه فأعلمه.

شعره في رملة

قال: وقال عمر بن شبة في خبره، قال خالد بن يزيد بن معاوية فيها :

أليس يزيد السير في كل ليلة وفي كل يوم من أحبتنا قربا

أحن إلى بنت الزبير وقد علت بنا العيس خرقاً من تهامة أو نقبا
إذا نزلت أرضاً تحبب أهلها إلينا وإن كانت منازلها حربا
وإن نزلت ماء وإن كان قبلها مليحاً وجدنا ماءه بارداً عذبا
تجول خلاخيل النساء ولا أرى لرملة خلخالاً يجول ولا قلبا
أقلوا علي اللوم فيها فإنني تخيرتها منهم زبيرية قلبا
أحب بني العوام طراً لحبها ومن حبها أحببت أخوالها كلبا

قال أبو زيد: وزادوا في الأبيات:

فإن تسلمي نسلم وإن تنتصري تخط رجال بين أعينهم صلبا

فقال له عبد الملك: تنصرت يا خالد، قال: وما ذاك؟ فأنشده هذا البيت، فقال له خالد: على من قاله ومن نحلنيه لعنة الله.

يثير غضب الحجاج فيعنفه

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني موسى بن سعيد بن سلم ، قال: قدم الحجاج على عبد الملك، فخر بخالد بن يزيد بن معاوية، ومعه بعض أهل الشام، فقال الشامي لخالد: من هذا؟ فقال خالد كالمستهزىء: هذا عمرو بن العاصي، فعدل إليه الحجاج، فقال: إني والله ما أنا بعمرو بن العاصي ولا ولدت عمراً ولا ولدني؛ ولكني ابن الغطاريف من ثقيف والعقائل من قريش، ولقد ضربت بسيفي هذا أكثر من مائة ألف، كلهم يشهد أنك وأباك من أهل النار، ثم لم أجد لذلك عندك أجراً ولا شكراً، وانصرف عنه، وهو يقول: عمرو بن العاصي، عمرو بن العاصي!.

محمد بن عمرو يتنقصه

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز ، قال: حدثنا المدائني، قال: حدثنا عبد الله بن مسلم القرشي، عن مطر مولى يزيد بن عبد الملك: أن محمد بن عمرو بن سعيد بن العاصي قدم الشام غازياً، فأتى عمته أمية بنت سعيد، وهي عند خالد بن يزيد بن معاوية، فدخل خالد فرآه، فقال: ما يقدم علينا أحد من أهل الحجاز إلا اختار المقام عندنا على المدينة، فظن محمد أنه يعرض به، فقال له: وما يمنعهم من ذلك، وقد قدم قوم من أهل المدينة على النواضح ، فنكحوا أمك وسلبوك ملكك، وفرغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب، وعمل الكيميا الذي لا تقدر عليه. انتهى.

أمه تقتل زوجها مروان بن الحكم

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال حدثنا الخراز عن المدائني، عن أبي أيوب القرشي، عن يزيد بن حصين بن نمير: أن مروان بن الحكم تزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية، فناظر خالداً يوماً وأراد أن يضع منه في شيء جرى بينهما، فقال له: يابن الرطبة، فقال له خالد: إنك لأمي مختبر ، وأنت بهذا أعلم. ثم أتى أمه فأخبرها، وقال: أنت صنعت بي هذا، فقالت له: دعه، فإنه لا يقولها لك بعد اليوم.

فدخل مروان عليها فقال لها: هل أخبرك خالد بشيء؟ فقالت: يا أمير المؤمنين! خالد أشد تعظيماً لك من أن يذكر لي خبراً جرى بينك وبينه.

فلما أمسى وضعت مرفقة على وجهه، وقعدت عليها هي وجواريها حتى مات.

وأراد عبد الملك قتلها، وبلغها ذلك، فقالت: أما إنه أشد عليك أن يعلم الناس أن أباك قتلته امرأة؛ فكف عنها.

رملة تشكو سكينة إلى عبد الملك

أخبرني محمد قال: حدثني الخراز، عن المدائني قال: وأخبرني الطوسي، عن الزبير، عن المدائني، عن جويرية قال: نشزت سكينة بنت الحسين بن علي على زوجها عبد الله بن عثمان - وأمه رملة بنت الزبير - فدخلت رملة على عبد الملك بن مروان، وهو عند خالد بن يزيد بن معاوية، فقالت: يا أمير المؤمنين، لولا أن يبتز أمرنا ما كانت لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا، سكينة بنت الحسين قد نشزت على ابني، قال: يا رملة، إنها سكينة، قالت: وإن كانت سكينة، فوالله لقد ولدنا خيرهم، ونكحنا خيرهم، وأنكحنا خيرهم، تعني بمن ولدوا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن نكحوا صفية بنت عبد المطلب، ومن أنكحوا النبي صلى الله عليه وسلم.

فقال: يا رملة، غرني منك عروة بن الزبير، فقالت: ما غرك، ولكن نصح لك؛ لأنك قتلت أخي مصعباً فلم يأمني عليك.

شعر خالد في بنت عبد الله بن جعفر

أخبرني الطوسي، قال: حدثني عمي مصعب، قال: تزوج خالد بن يزيد بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فقال فيها:

جاءت بها دهم البغال وشبهها ... مقنعة في جوف حدج مخدر

مقابلة بين النبي محمد ... وبين علي والحواري وجعفر

منافية جادت بخالص ودها ... لعبد منافي أغر مشهر

قال مصعب: ومن الناس من ينكر تزويجه إياها.

شديد بن شداد يعير عبد الملك بخالد

ومما يثبته قول شديد بن شداد بن عامر بن لقيط بن جابر بن وهيب بن ضباب بن حجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي لعبد الملك بن مروان هذا يعيره بخالد في تزويجه بنت الزبير وبنت عبد الله بن جعفر، قال:

لا يستوي الحبلان حبل تلبست قواه وحبل قد أمر شديد

عليك أمير المؤمنين بخالد ففي خالد عما تريد صدود

إذا ما نظرنا في مناكح خالد عرفنا الذي يهوى وحيث يريد

خالد يشكو الوليد إلى أبيه عبد الملك

أخبرنا الطوسي، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني مصعب بن عثمان، قال: دخل عبد الله بن يزيد بن معاوية على أخيه خالد، فقال: لقد هممت اليوم بقتل الوليد بن عبد الملك، فقال له خالد: بئس ما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين، قال: إنه لقي خيلي فنفرها، وتلعب بها، فشق ذلك على عبد الله، فنكس عبد الملك رأسه، وقرع الأرض بقضيب في يده، ثم رفع رأسه إليه، فقال: "إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون" ، فقال له خالد: "وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً" ، فقال له عبد الملك: أتكلمني فيه، وقد دخل علي لا يقيم لساناً لحناً، فقال له خالد: يا أمير المؤمنين، أفعلى الوليد تعول في اللحن؟ فقال عبد الملك: إن يكن الوليد لحاناً فأخوه سليمان، قال خالد: وإن يكن عبد الله لحاناً فأخوه خالد، قال الوليد لخالد: أتكلمني ولست في عير ولا نفير ! قال: ألا تسمع يا أمير المؤمنين ما يقول هذا؟ أنا والله ابن العير والنفير، سيد العير جدي أبو سفيان، وسيد النفير جدي عتبة بن ربيعة ، ولكن لو قلت: حبيلات - يعني حبلة العنب - وغنيمات والطائف لقلنا: صدقت، ورحم الله عثمان!.

هذا آخر الحديث. قال مؤلف هذا الكتاب: يعيره بأم مروان، وأنها من الطائف، ويعيره بالحكم، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرده إلى الطائف، وترحم على عثمان لرده إياه.

حماقة معاوية بن مروان حدثني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، عن إسحاق بن أيوب: أن معاوية بن مروان كان ضعيفاً، فقال له خالد بن يزيد: يا أبا المغيرة! ما الذي هونك على أخيك فلا يوليك ولاية ، قال: لو أردت لفعل، قال: كلا، قال: بلى والله، قال: فسله أن يوليك بيت لهيا ، قال: نعم.

فغدا على عبد الملك، فقال له معاوية: يا أمير المؤمنين! ألست أخاك؟ قال: بلى والله، إنك لأخي وشقيقي، قال: فولني بيت لهيا، قال: متى عهدك بخالد؟ قال: عشية أمس، قال: إياك أن تكلمه.

ودخل خالد فقال له: كيف أصبحت يا أبا المغيرة؟ قال: قد نهانا هذا عن كلامك، فغلب على عبد الملك الضحك، فقام وتفرق الناس.

قال: وأفلت لمعاوية هذا باز فصاح: أغلقوا أبواب المدينة لا يخرج، قال: وقال له رجل: أنت الشريف ابن أمير المؤمنين، وأخو أمير المؤمنين، وابن عم أمير المؤمنين عثمان، وأمك عائشة بنت معاوية، قال: فأنا إذاً مردد في بني اللخناء ترداداً .

خالد يتعصب لكلب على قيس

أخبرني الطوسي، عن الزبير، عن عمه، قال: كان خالد بن يزيد يتعصب لكلب على قيس في الحرب التي كانت بينهم؛ لأن كلباً أخوال أبيه يزيد، وأخوال زوجته، فقال شاعر قيس:

يا خالد بن أبي سفيان قد قرحت ... منا القلوب وضاق السهل والجبل

أأنت تأمر كلباً أن تقاتلنا ... جهلاً وتمنعهم منا إذا قتلوا

ها إن ذا لا يقر الطير ساكنة ... ولا تبرك من نكرائه الإبل

صوت

خمس دسسن إلي في لطف ... حور العيون نواعم زهر

فطرقتهن مع الجري وقد ... نام الرقيب وحلق النسر

عروضه من الكامل. الشعر للأحوص، والغناء لمعبد، رمل بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق.

خبر للأحوص

نسوة من أهل المدينة يعقدن له مجلساً

فيقول في ذلك شعراً

أخبرني حرمي بن أبي العلاء، قال: حدثني الزبير بن بكار، قال: أخبرني إبراهيم بن عبد الرحمن، قال: حدثني إسماعيل بن محمد المخزومي، قال: اجتمع نسوة عند امرأة من أهل المدينة فقلن: أرسلي إلى الأحوص، فإنا نحب أن نتحدث معه ونسمع من شعره، فقالت لهن: إذاً لا يزيدكن على أن يخرج إذا عرفكن، فيشهركن وينظم الشعر فيكن، فلم يزلن بها حتى أرسلت إليه رسولاً يذكر له أمرهن ولا يسميهن، ويقول له أن يأتيهن مخمر الرأس، ففعل، وتحدث معهن وأنشدهن. فلما أراد الخروج وضع يده في تور بين أيديهن فيه خلوق، فغطى رأسه، وخرج ووضع يده على الباب، ثم تفقد الموضع الذي كان فيه، فغدا إليه، وطاف حتى وجد أثر يده في الباب، فقال:

خمس دسسن إلي في لطف ... حور العيون نواعم زهر

فطرقتهن مع الجري وقد ... نام الرقيب وحلق النسر

مستبطناً للحي إذ قرعوا عضباً يلوح بمتنه أثر
فعكفن ليلتهن ناعمة ثم استفقن وقد بدا الفجر
بأشم معسول فكاهته غض الشباب رداؤه غمر
رزن بعيد الصوت مشتهر جيبت له جوب الرحى عمرو
قامت تخاصره لكلتها تمشي تأود غادة بكر
فتنازعا من دون نسوتها كلما يسر كأنه سحر
كل يرى أن الشباب له في كل غاية صبوة عذر
سيفانة أمر الشباب بها رقراقة لم يبلها الدهر
حتى إذا أبدى هواه لها وبدا هواها ما له ستر
سفرت وما سفرت لمعرفة وجهاً أغر كأنه البدر

قال إسماعيل بن محمد: فخرجت وأنا شاب ومعي شباب نريد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرنا حديث الأحوص وشعره، وقدامنا عجوز عليها بقايا من الجمال، فلما بلغنا المسجد وقفت علينا والتفتت إلينا، وقالت: يا فتيان، أنا والله إحدى الخمس، كذب ورب هذا القبر ولمنبر ما خلت معه واحدة منا، ولا راجعته دون نسوتها كلاماً.

رواية أخرى في سبب هذا الشعر

قال الزبير: وحدثني غير إبراهيم بن عبد الرحمن: أن نسوة من أهل المدينة نذرن مشياً إلى قباء وصلاة فيه، فخرجن ليلاً، فطال عليهن الليل فنمن، فجاءهن الأحوص متكئاً على عرجون بن طاب ، فتحدث معهن حتى أصبح، ثم انصرف وانصرفن، فقال قصيدته:

خمس دسسن إلي في لطف حور العيون نواعم زهر

وحدثني عمي، عن أبيه، قال: قال حبيب بن ثابت: صدرت إلى العقيق، فخلا لي الطريق، فأنشدت أبيات الأحوص هذه، وعجوز سوداء قاعدة ناحية تسمع ما أقول ولا أشعر بها، فقالت: كذب والله يا سيدي؛ إن سيفه ليلتئذ لعرجون ابن طاب يتحضر به، وإني لرسولهن إليه.

قال الزبير: وحدثني عمي، عن أبيه، عن الزبير بن حبيب، قال: كنت أنشد قول الأحوص:

خمس دسسن إلي في لطف

قال: فإذا نسوة فيهن عجوز سوداء، فأقبلن على العجوز، فقلن لها: لمن هذا الشعر؟ قالت: للأحوص، فقلت : للأحوص لعمري، فقالت لهن: أنا والله الجريء، خرج نسوة يصلين في مسجد قباء، ثم تحدثن في رحبة المسجد، في ليلة مقمرة، فقلن: لو كان عندنا الأحوص! فخرجت حتى أتيتهن به، وهو متخصر بعرجون ابن طاب، فتحدث معهن حتى دنا الصبح، فقلن له: لا تذكر خبرنا، ولا تذكر إليه خيراً، قال: قد فعلت، وأنشدهن تلك الساعة من الليلة تلك الأبيات، ثم استمرت بأفواه الناس تغني:

خمس دسسن إلي في لطف

الأبيات كلها، والله ما قامت عه امرأة ولا كان بينه وبين واحدة منهن سر .

صوت

يابنة الجودي قلبي كئيب — مستهام عندها ما ينيب

ولقد قالوا فقلت: دعوها — إن من تنهون عنه حبيب

إنما أبلى عظامي وجسمي — حبها، والحب شيء عجيب

عروضه من الرمل. الشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والغناء لمعبد، ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق، وفيه لمالك خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر، عن إسحاق، وفيه رمل بالسبابة في مجرى الوسطى، لم ينسبه إسحاق إلى أحد. وذكر أحمد بن يحيى المكي أنه لأبيه يحيى. والله أعلم.

ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر وخبره

وقصة بنت الجودي

نسبه

عبد الرحمن بن أبي بكر، واسم أبي بكر رضي الله عنه عبد الله - وكان اسمه في الجاهلية عتيقاً، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله - بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

وكان اسم عبد الرحمن عبد العزى، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن.

وأمه وأم عائشة أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة بن خزيمة.

هذا قول الزبير، وعمه.

وحكى إبراهيم بن موسى أنها بنت عويمر بن عتاب بن دهمان بن الحارث بن غنم.

وروى عن محمد بن عبد الرحمن المرواني أنها بنت عامر بن عويمر بن أذينة بن سبيع بن الحارث بن دهمان بن غنم بن مالك بن كنانة.

له صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم

ولعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم، و لم يهاجر مع أبيه صغراً عن ذلك، فبقي بمكانه؛ ثم خرج قبل الفتح مع فتية من قريش. وقيل: بل كان إسلامه في يوم الفتح وإسلام معاوية بن أبي سفيان في وقت واحد غير مدفوع. انتهى.

أخبرني الطوسي وحرمي بن أبي العلاء، قالا: حدثنا الزبير، قال: حدثني إبراهيم بن حمزة، عن سفيان بن عيينة، عن علي بن زيد بن جدعان: أن عبد الرحمن بن أبي بكر خرج في فتية من قريش مهاجراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل الفتح، قال: وأحسبه قال: إن معاوية كان معهم .

موقفه من أخذ البيعة ليزيد بن معاوية

قال الزبير: وحدثني عمي مصعب قال: وقف محكم اليمامة على ثلمة فحماها فلم يجز عليه أحد، فرماه عبد الرحمن بن أبي بكر فقتله - وكان أحد الرماة - فدخل المسلمون من تلك الثلمة، وهو المخاطب لمروان يوم دعا إلى بيعة يزيد، والقائل: إنما تريدون أن تجعلوها كسروية أو هرقلية، كلما هلك كسرى أو هرقل ملك كسرى أو هرقل، فقال مروان: أيها الناس، هذا الذي قال لوالديه: أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي، فصاحت به عائشة: ألعبد الرحمن تقول هذا؟ كذبت والله، ما هو به، ولو شئت أن أسمي من أنزلت فيه لسميته، ولكن أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك، وأنت في صلبه، فأنت فضض من لعنة الله.

حدثنا بذلك أحمد بن الجعد، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا وهب بن جرير، عن جويرية بن أسماء، وفي غير رواية: أن عائشة قالت له: يا مروان؛ أفينا تتأول القرآن، وإلينا تسوق اللعن؟ والله لأقومن يوم الجمعة بك مقاماً تود أني لم أقمه. فأرسل إليها بعد ذلك وترضاها واستعفاها، وحلف ألا يصلي بالناس أو تؤمنه، ففعلت.

شعره في ليلى بنت الجودي

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا محمد بن يحيى، قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران، عن عبد الله بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. وأخبرني الطوسي، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثنا محمد بن الضحاك، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن

أبيه، قال: استهيم عبد الرحمن بن أبي بكر بليلى بنت الجودي بن عدي بن عمرو بن أبي عمرو الغساني، فقال فيها :

تذكرت ليلى والسماوة دونها ... وما لابنة الجودي ليلى ومالیا

وأنى تعاطي قلبه حارثية ... تحل ببصرى أو تحل الجوابيا

وكيف يلاقيها، بلى، ولعلها ... إذا الناس حجوا قابلاً أن تلاقيا

قال أبو زيد: وقال فيها:

يابنة الجودي قلبي كئيب ... مستهام عندها ما ينيب

جاورت أخوالها حي عك ... فلعلك من فؤادي نصيب

وقد ذكرنا باقي الأبيات فيما تقدم.

قال الزبير في خبره: وكان قدم في تجارة، فرآها هناك على طنفسة حولها ولائد، فأعجبته.

وقال أبو زيد في خبره: فقال له عمر: ما لك ولها يا عبد الرحمن! فقال: والله ما رأيتها قط إلا ليلة في بيت المقدس في جوار ونساء يتهادين، فإذا عثرت إحداهن قالت: يابنة الجودي، فإذا حلفت إحداهن حلفت بابنة الجودي.

عمر يأمر بأن تكون له إذا فتحت دمشق

فكتب عمر إلى صاحب الثغر الذي هي به: إذا فتح الله عليكم دمشق فقد غنمت عبد الرحمن بن أبي بكر ليلى بنت الجودي. فلما فتح الله عليهم غنموه إياها.

قالت عائشة: فكنت أكلمه فيما يصنع بها، فيقول: يا أخية، دعيني، فوالله لكأني أرشف من ثناياها حب الرمان.

ثم ملها وهانت عليه، فكنت أكلمه فيما يسيء إليها كما كنت أكلمه في الإحسان إليها، فكان إحسانه أن ردها إلى أهلها.

يردها إلى أهلها قال الشيخ في خبره: فقالت له عائشة: يا عبد الرحمن لقد أحببت ليلى فأفرطت، وأبغضت ليلى فأفرطت، فإما أن تنصفها، وإما أن تجهزها إلى أهلها؛ فجهزها إلى أهلها.

ليلى بنت ملك دمشق

قال الزبير: وحدثني عبد الله بن نافع الصائغ: عن هشام بن عروة، عن أبيه: أن عمر بن الخطاب نفل عبد الرحمن بن أبي بكر بنت الجودي، حين فتح دمشق، وكانت بنت ملك دمشق.

روايتان أخريان في أمر عبد الرحمن مع ليلى

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا الصلت بن مسعود، قال: حدثنا محمد بن شيرويه، عن سليمان بن صالح، قال: قرأت على عبد الله بن المبارك، عن مصعب بن ثابت، عن عبد الله بن الزبير، عن عائشة بنت مصعب، عن عروة بن الزبير، قال: كانت ليلى بنت الجودي بنت ملك من ملوك الشام، فشبب بها عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان قد رآها فيما تقدم بالشام، فلما فتح الله عز وجل على المسلمين، وقتلوا أباها أصابوها، فقال المسلمون لأبي بكر: يا خليفة رسول الله! أعط هذه الجارية عبد الرحمن، فقد سلمناها له، قال أبو بكر: أكلكم على هذا؟ قالوا: نعم، فأعطاه إياها، وكان لها بساط في بلدها لا تذهب إلى الكنيف ولا إلى الحاجة إلا بسط لها، ورمي بين يديها برمانتين من ذهب تتلهى بهما في طريقها. فكان عبد الرحمن إذا خرج من عندها، ثم رجع إليها رأى في عينيها أثر البكاء، فيقول: ما يبكيك؟ اختاري خصالاً أيها شئت فعلت بك: إما أن أعتقك وأنكحك، فتقول: لا أشتهيه، وإن شئت رددتك على قومك، قالت: ولا أريد، وإن أحببت رددتك على المسلمين، قالت: لا أريد، قال: فأخبريني ما يبكيك؟ قالت: أبكي الملك من يوم البؤس.

أخبرني أحمد، قال: حدثني أبو زيد، قال: حدثني هارون بن إبراهيم بن معروف، قال: حدثني حمزة بن ربيعة، عن العلاء بن هارون، عن عبد الله بن عون ، عن يحيى بن يحيى الغساني: أن عبد الرحمن قدم على يعلى بن منبه، وهو على اليمن، فوجدها في السبي، فسأله أن يدفعها إليه.

شعر آخر له في ليلى

أخبرني أحمد، قال: حدثنا عمر، قال: كتب إلي محمد بن زياد بن عبيد الله يذكر أن عبد الرحمن قال فيها:

فإما تصبحي بعد اقتراب ... بسلع أو ثنيات الوداع

فلم ألفظك من شبع ولكن ... لأقضي حاجة النفس الشعاع

كأن جوانح الأضلاع مني ... بعيد النوم مبطنة اليراع

عائشة ترثيه

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري، قال: حدثنا عبد الله بن لاحق، عن أبي مليكة، قال: مات عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه بالحبشي - جبل من مكة على أميال - فحمل فدفن بمكة، فقدمت عائشة فوقفت على قبره، ثم قالت :

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكاً ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت، ولو شهدتك لزرتك .

صوت

أماوي إن المال غاد ورائح ... ويبقى من المال الأحاديث والذكر
وقد علم الأقوام لو أن حاتماً ... أراد ثراء المال أمسى له وفر
أماوي إن يصبح صداي بقفرة ... من الأرض لا ماء لدي ولا خمر
تري أن ما أنفقت لم يك ضائري ... وأن يدي مما بخلت به صفر

عروضه من الطويل.

الثراء: الكثرة في المال، وفي عدد القوم أيضاً. والوفر: الغنى، ووفور المال. والصدى ها هنا: كان أهل الجاهلية يذكرون أن طائراً يخرج من جسم الإنسان أو من رأسه، فإذا قتل أقبل يصوت على قبره، حتى يدرك بثأره. والصفر: الخالي. والصدى: العطش، والصدى: ما يجيب إذا صوت في المكان الخالي. وصدأ الحديد مهموز. الشعر لحاتم الطائي. والغناء لإسحاق، رمل بالسبابة في مجرى البنصر. وذكر الهشامي أن فيه ثقيلاً أول، ولمالك خفيفاً، وذكر حبش أن فيه لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى، وذكر عمرو بن بانة أن فيه لابن جامع خفيف رمل بالوسطى.

أخبار حاتم ونسبه

نسبه

ذكر ابن الأعرابي، عن المفضل ، والأثرم، عن أبي عمرو الشيباني، وابن الكلبي، عن أبيه والسكري، عن يعقوب بن السكيت: أنه حاتم بن عبد اللهب سعد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدي بن أخزم بن أبي أخزم، واسمه هزومة بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيىء.

وقال يعقوب بن السكيت: إنما سمي هزومة؛ لأنه شج أو شج؛ وإنما سمي طيىء طيئاً - واسمه جلهمة - لأنه أول من طوى المناهل ، وهو ابن أدد بن زيد بن يشحب بن يعرب بن قحطان. ويكنى حاتم أبا سفانة ، وأبا عدي؛ كني بذلك بابنته سفانة، وهي أكبر ولده، وبابنه عدي بن حاتم. وقد أدركت سفانة وعدي الإسلام فأسلما، وأتي بسفانة النبي صلى الله عليه وسلم في أسرى طيىء فمن عليها.

علي يروي خبر لقاء ابنته بالنبي

صلى الله عليه وسلم

أخبرني بذلك أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد، قال: حدثني سليمان بن الربيع بن هشام الكوفي - ووجدته في بعض نسخ الكوفيين: عن سليمان بن الربيع - أتم من هذا فنسخته وجمعتهما. قال: حدثنا عبد الحميد بن صالح الموصلي البرجمي، قال: حدثنا زكريا بن عبد الله بن يزيد الصهباني، عن أبيه، عن كميل بن زياد النخعي، عن علي، قال: يا سبحان الله! ما أزهد كثيراً من الناس في الخير! عجبت لرجل يجيئه أخوه في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كنا لا نرجو جنة، ولا نخاف ناراً، ولا ننتظر ثواباً، ولا نخشى عقاباً، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق؛ فإنها تدل على سبيل النجاة.

فقام رجل، فقال: فداك أبي وأمي يا أمير المؤمنين، أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، وما هو خير منه؛ لما أتينا بسبايا طيىء كانت في النساء جارية حماء حوراء العينين، لعساء لمياء عيطاء شماء الأنف، معتدلة القامة، درماء الكعبين، خدلجة الساقين، لفاء الفخذين، خميصة الخصر، ضامرة الكشحين، مصقولة المتنين.

فلما رأيتها أعجبت بها، فقلت: لأطلبنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجعلها من فيئي. فلما تكلمت أنسيت جمالها؛ لما سمعت من فصاحتها، فقالت: يا محمد، هلك الوالد، وغاب الوافد؛ فإن رأيت أن تخلي عني، فلا تشمت بي أحياء العرب؛ فإني بنت سيد قومي، كان أبي يفك العاني، ويحمي الذمار، ويقري الضيف ويشبع الجائع، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، و لم يرد طالب حاجة قط؛ أنا بنت حاتم طيىء.

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا جارية، هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه، خلوا عنها؛ فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق .

نسب أم حاتم

وأم حاتم عتبة بنت عفيف بن عمرو بن امرىء القيس بن عدي بن أخزم. وكانت في الجود بمنزلة حاتم، لا تدخر شيئاً ولا يسألها أحد شيئاً فتمنعه.

بلغ من سخائها أن حجر عليها إخوتها أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرنا الحرمازي ، عن العباسي بن هشام، عن أبيه، قال: كانت عتبة بنت عفيف، وهي أم حاتم ذات يسار، وكانت من أسخى الناس، وأقراهم للضيف، وكانت لا تليق شيئاً تملكه. فلما رأى إخوتها إتلافها حجروا عليها، ومنعوها مالها، فمكثت دهرا لا يدفع إليها شيء منه، حتى إذا ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة من إبلها، فجاءتها امرأةٌ من هوازن كانت تأتيها في كل سنة، فقالت لها: دونك هذه الصرمة فخذيها، فوالله لقد عضني من الجوع ما لا أمنع منه سائلاً أبداً، ثم أنشأت تقول : من شعرها وقد سألتها امرأة من هوازن

لعمري لقدماً عضني الجوع عضةً ... فآليت ألا أمنع الدهر جائعا

فقولا لهذه اللائمي اليوم: أعفني ... فإن أنت لم تفعل فعض الأصابعا

فماذا عساكم تقولوا لأختكم ... سوى عذلكم أو عذل من كان مانعا

وماذا ترون اليوم إلا طبيعةً فكيف بتركي يابن أم الطبائعا

سفانة ابنته من أجود نساء العرب

قال ابن الكلبي: وحدثني أبو مسكين قال: كانت سفانة بنت حاتم من أجود نساء العرب، وكان أبوها يعطيها الصرمة بعد الصرمة من إبله، فتنهبها وتعطيها الناس، فقال لها حاتم: يا بنية، إن القرنين إذا اجتمعا في المال أتلفاه، فإما أن أعطي وتمسكي، أو أمسك وتعطي؛ فإنه لا يبقى على هذا شيء.

شعره يشبه جوده

كان حاتم من شعراء العرب، وكان جواداً يشبه شعره جوده، ويصدق قوله فعله، وكان حيثما نزل عرف منزله، وكان مظفراً، إذا قاتل غلب، وإذا غنم أنهب، وإذا سئل وهب، وإذا ضرب بالقداح فاز، وإذا سابق سبق، وإذا أسر أطلق، وكان يقسم بالله ألا يقتل واحد أمه.

وكان إذا أهل الشهر الأصم الذي كانت مضر تعظمه في الجاهلية ينحر في كل يوم عشراً من الإبل، فأطعم الناس واجتمعوا إليه، فكان ممن يأتيه من الشعراء الحطيئة، وبشر بن أبي خازم.

فذكروا أن أم حاتم أوتيت وهي حبلى في المنام، فقيل لها: أغلام سمح يقال له: حاتم أحب إليك أم عشرة غلمة كالناس، ليوثٌ ساعة البأس، ليسوا بأوغال ولا أنكاس ، فقالت: بل حاتم، فولدت حاتماً.

لا يأكل إلا إذا وجد من يأكل معه

فلما ترعرع جعل يخرج طعامه، فإن وجد من يأكله معه أكل، وإن لم يجد طرحه. فلما رأى أبوه أنه يهلك طعامه قال: له الحق بالإبل، فخرج إليها، ووهب له جاريةً وفرساً وفلوها ، فلما أتى الإبل طفق يبغي الناس فلا يجدهم، ويأتي الطريق فلا يجد عليه أحداً.

عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم والنابغة الذبياني يمتدحونه فيهب لهم إبل جده كلها فبينا هو كذلك إذ بصر بركبٍ على الطريق، فأتاهم فقالوا: يا فتى هل من قرى؟ فقال: تسألوني عن القرى وقد ترون الإبل؟ وكان الذين بصر بهم عبيد بن الأبرص، وبشر بن خازم، والنابغة الذبياني؛ وكانوا يريدون النعمان، فنحر لهم ثلاثةً من الإبل، فقال عبيد: إنما أردنا بالقرى اللبن، وكانت تكفينا بكرة إذا كنت لابد متكلفاً لنا شيئاً، فقال حاتم: قد عرفت، ولكني رأيت وجوهاً مختلفة، وألواناً متفرقة، فظننت أن البلدان غير واحدة؛ فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه، فقالوا فيه أشعاراً امتدحوه بها، وذكروا فضله. فقال حاتم: أردت أن أحسن إليكم فكان لكم الفضل علي، وأنا أعاهد الله أن أضرب عراقيب إبلي عن آخرها أو تقدموا إليها فتقتسموها. ففعلوا، فأصاب

الرجل تسعة وتسعين بعيراً ، ومضوا على سفرهم إلى النعمان. وإن أبا حاتم سمع بما فعل، فأتاه، فقال له: أين الإبل؟ فقال: يا أبت؛ طوقتك بها طوق الجمامة مجد الدهر، وكرماً لا يزال الرجل يحمل بيت شعر أثنى به علينا عوضاً من إبلك.

فلما سمع أبوه ذلك قال: أبإبلي فعلت ذلك! قال: نعم، قال: والله لا أساكنك أبداً. فخرج أبوه بأهله، وترك حاتماً، ومعه جاريته وفرسه وفلوها، فقال يذكر تحول أبيه عنه :

وإني لعف الفقر مشترك الغنى ... وتارك شكلٍ لا يوافقه شكلي

وشكلي شكلٌ لا يقوم لمثله ... من الناس إلا كل ذي نيقة مثلي

وأجعل مالي دون عرضي جنةً ... لنفسي وأستغني بما كان من فضلي

وما ضرني أن سار سعد بأهله ... وأفردني في الدار ليس معي أهلي

سيكفي ابتنائي المجد سعد بن حشرج ... وأحمل عنكم كل ما ضاع من ثقل

ولي مع بذل المال في المجد صولةٌ ... إذا الحرب أبدت عن نواجذها العصل

وهذا شعر يدل على أن جده صاحب هذه القصة معه لا أنها قصة أبيه. وهكذا ذكر يعقوب بن السكيت، ووصف أن أبا حاتم هلك وحاتمٌ صغير، فكان في حجر جده سعد بن الحشرج، فلما فتح يده بالعطاء وأهب ماله ضيق عليه جده ورحل عنه بأهله، وخلفه في داره، فقال يعقوب خاصة: فبينا حاتم يوماً بعد أن أهب ماله وهو نائم إذ انتبه، وإذا حوله مائتا بعير أو نحوها تجول ويحطم بعضها بعضاً، فساقها إلى قومه، فقالوا: يا حاتم، أبق على نفسك فقد رزقت مالاً، ولا تعودن إلى ما كنت عليه من الإسراف، قال: فإنها نهبى بينكم، فانتهبت، فأنشأ حاتم يقول:

تداركني مجدي بسفح متالع ... فلا ييأسن ذو نومةٍ أن يغنما

قال: ولم يزل حاتم على حاله في إطعام الطعام وإنهاب ماله حتى مضى لسبيله.

حاتم وبنو لأم

قال ابن الأعرابي، ويعقوب بن السكيت، وسائر من ذكرنا من الرواة:

خرج الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، ومعه عطر يريد الحيرة ، وكان بالحيرة سوق يجتمع إليه الناس كل سنةٍ. وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعان بن ذهل بن رومان بن حبيب بن خارجة بن سعد بن قطنة بن طيء ربع الطريق طعمةً لهم؛ وذلك لأن بنت سعد بن حارثة بن لأم كانت عند النعمان، وكانوا أصهاره، فمر الحكم بن أبي العاصي بحاتم بن عبد الله، فسأله الجوار في أرض طيء حتى يصير إلى الحيرة، فأجاره، ثم أمر حاتم بجزور فنحرت، وطبخت أعضاء، فأكلوا، ومع

حاتم ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج وهو ابن عمه، فلما فرغوا من الطعام طيبهم الحكم من طيبة ذلك.
فمر حاتم بسعد بن حارثة بن لأم؛ وليس مع حاتم من بني أبيه غير ملحان، وحاتمٌ على راحلته، وفرسه تقاد، فأتاه بنو لأم فوضع حاتم سفرته وقال: اطعموا حياكم الله، فقالوا: من هؤلاء معك يا حاتم؟ قال: هؤلاء جيراني، قال له سعد: فأنت تجير علينا في بلادنا؟ قال له: أنا ابن عمكم وأحق من لم تخفروا ذمته، فقالوا: لست هناك. وأرادوا أن يفضحوه كما فضح عامر بن جوين قبله، فوثبوا إليه، فتناول سعد بن حارثة بن لأم حاتماً، فأهوى له حاتمٌ بالسيف فأطار أرنبة أنفه، ووقع الشر حتى تحاجزوا، فقال حاتم في ذلك :

وددت وبيت الله لو أن أنفه هواءٌ فما مت المخاط عن العظم
ولكنما لاقاه سيف ابن عمه فآب ومر السيف منه على الخطم

فقالوا لحاتم: بيننا وبينك سوق الحيرة فنماجدك ونضع الرهن، ففعلوا، ووضعوا تسعة أفراس هنا على يدي رجل من كلب يقال له: امرؤ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جناب، وهو جد سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، ووضع حاتم فرسه. حتى خرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة، وسمع بذلك إياس بن قبيصة الطائي، فخاف أن يعينهم النعمان بن المنذر يقويهم بماله وسلطانه؛ للصهر الذي بينهم وبينه، فجمع إياسٌ رهطه من بني حية، وقال: يا بني حية، إن هؤلاء القوم قد أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم في مجاده، أي مماجدته فقال رجل من بني حية : عندي مائة ناقةٍ سوداء ومائة ناقة حمراء أدماء، وقام آخر فقال: عندي عشرة حصن، على كل حصانٍ منها فارس مدجج لا يرى منه إلا عيناه. وقال حسان بن جبلة الخير: قد علمتم أن أبي قد مات وترك كلا كثيراً، فعلي كل خمر أو لحم أو طعام ما أقاموا في سوق الحيرة. ثم قام إياس فقال: علي مثل جميع ما أعطيتم كلكم.

قال: وحاتم لا يعلم بشيء مما فعلوا، وذهب حاتم إلى مالك بن جبار، ابن عم له بالحيرة كان كثير المال، فقال: يابن عم، أعني على مخايلتي . قال: والمخايلة المفاخرة، ثم أنشد :

يا مال إحدى خطوب الدهر قد طرقت يا مال ما أنتم عنها بزحزاح
يا مال جاءت حياض الموت واردةً من بين غمر فخضناه وضحضاح

فقال له مالك: ما كنت لأحرب نفسي ولا عيالي وأعطيك مالي.

فانصرف عنه، وقال مالك في ذلك قوله:

إنا بنو عمكم لا أن نباعلكم ولا نجاوركم إلا على ناح
وقد بلوتك إذ نلت الثراء فلم ألفك بالمال إلا غير مرتاح

قال أبو عمرو الشيباني في خبره: ثم أتى حاتم ابن عم له يقال له: وهم ابن عمرو، وكان حاتم يومئذ مصارماً له لا يكلمه، فقالت له امرأته: أي وهم، هذا والله أبو سفانة حاتم قد طلع، فقال: ما لنا ولحاتم! أثبتي النظر،

فقالت: ها هو، قال: ويحك هو لا يكلمني، فما جاء به إلي؟ فنزل حتى سلم عليه ورد سلامه وحياه، ثم قال له: ما جاء بك يا حاتم؟ قال: خاطرت على حسبك وحسبي، قال: في الرحب والسعة، هذا مالي - قال: وعدته يومئذ تسعمائة بعير - فخذها مائة مائة حتى تذهب الإبل أو تصيب ما تريد. فقالت امرأته: يا حاتم، أنت تخرجنا من مالنا، وتفضح صاحبنا - تعني زوجها - فقال: اذهبي عنك؛ فوالله ما كان الذي غمك ليردني عما قبلي. وقال حاتم :

إلا أبلغا وهم بن عمرو رسالةً ... فإنك أنت المرء بالخير أجدر

رأيتك أدنى الناس منا قرابةً ... وغيرك منهم كنت أحبو وأنصر

إذا ما أتى يومٌ يفرق بيننا ... بموتٍ فكن يا وهم ذو يتأخر

ذو في لغة طيىء : الذي.

قالوا: ثم قال إياس بن قبيصة: احملوني إلى الملك، وكان به نقرس، فحمل حتى أدخل عليه، فقال: أنعم صباحاً أبيت اللعن، فقال النعمان: وحياك إلهك، فقال إياس: أتمد أختانك بالمال والخيل، وجعلت بني ثعل في قعر الكنانة! أظن أختانك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جوين ، ولم يشعروا أن بني حية بالبلد؛ فإن شئت والله ناجزناك حتى يسفح الوادي دماً، فليحضروا مجادهم غداً بمجمع العرب.

فعرف النعمان الغضب في وجهه وكلامه، فقال له النعمان: يا أحلمنا لا تغضب؛ فإني سأكفيك.

وأرسل النعمان إلى سعد بن حارثة وإلى أصحابه: انظروا ابن عمكم حاتماً، فأرضوه، فوالله ما أنا بالذي أعطيكم مالي تبذرونه، وما أطيق بني حية.

فخرج بنو لأم إلى حاتم فقالوا له: أعرض عن هذا المجاد ندع أرش أنف ابن عمنا، قال: لا والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم، ويغلب مجادكم. فتركوا أرش أنف صاحبهم وأفراسهم، وقالوا: قبحها الله وأبعدها؛ فإنما هي مقارف ، فعمد إليها حاتم، وأطعمها الناس، وسقاهم الخمر، وقال حاتم في ذلك :

أبلغ بني لأم فإن خيولهم ... عقرى وإن مجادهم لم يمجد

ها إنما مطرت سماؤكم دماً ... ورفعت رأسك مثل رأس الأصيد

ليكون جيراني أكالاً بينكم ... نحلاً لكندي وسبي مزبد

وابن النجود إذا غدا متلاطماً ... وابن العذور ذي العجان الأبرد

ولثابت عيني جذ متماوت ... وللعمظ أوس قد عوى لمقلد

أبلغ بني ثعل بأني لم أكن ... أبداً لأفعلها طوال المسند

لاجئتهم فلا وأترك صحبتي نهباً ولم تغدر بقائمه يدي

وخرج حاتم في نفر من أصحابه في حاجة لهم، فسقطوا على عمرو بن أوس بن طريف بن المثنى بن عبد الله بن يشجب بن عبد ود في فضاءٍ من الأرض، فقال لهم أوس بن حارثة بن لأم: لا تعجلوا بقتله؛ فإن أصبحتم وقد أحدق الناس بكم استجرتموه، وإن لم تروا أحداً قتلتموه. فأصبحوا وقد أحدق الناس بكم استجرتموه، وإن لم تروا أحداً قتلتموه. فأصبحوا وقد أحدق الناس بهم، فاستجاروه فأجارهم، فقال حاتم :

عمرو بن أوس إذا أشياعه غضبوا فأحرزوه بلا غرمٍ ولا عار

إن بني عبد ود كلما وقعت إحدى الهنات أتوها غير أغمار

خبر لأبي الخيبري عند قبر حاتم

أخبرني أحمد بن محمد البزار الأطروش، عن علي بن حرب، عن هشام بن محمد، عن أبي مسكين بن جعفر بن المحرز بن الوليد، عن أبيه، قال: قال الوليد جده، وهو مولى لأبي هريرة: سمعت محرز بن أبي هريرة يتحدث، قال: كان رجل يقال له أبو الخيبري مر في نفرٍ من قومه بقبر حاتم، وحوله أنصاب متقابلات من حجارة كأنهن نساءٌ نوائح. قال: فنزلوا به، فبات أبو الخيبري ليلته كلها ينادي: أبا جعفر أقر أضيافك. قال: فيقال له: مهلاً؛ ما تكلم من رمةٍ بالية! فقال: إن طيئاً يزعمون أنه لم ينزل به أحدٌ إلا قراه.

قال: فلما كان من آخر الليل نام أبو الخيبري، حتى إذا كان في السحر وثب فجعل يصيح: وارحلتاه! فقال له أصحابه: ويلك! ما لك! قال: خرج والله حاتم بالسيف وأنا أنظر إليه حتى عقر ناقتي، قالوا: كذبت، قال: بلى، فنظروا إلى راحلته فإذا هي منخزلة لا تنبعث، فقالوا: قد والله قراك. فظلوا يأكلون من لحمها، ثم أردفوه، فانطلقوا فساروا ما شاء الله، ثم نظروا إلى راكب فإذا هو عدي بن حاتم راكباً قارناً جملاً أسود، فلحقهم، فقال: أيكم أبو الخيبري؟ فقالوا: هو هذا، فقال: جاءني أبي في النوم، فذكر لي شتمك إياه، وأنه قرى راحلتك لأصحابك ، وقد قال في ذلك أبياتاً، ورددها حتى حفظتها؛ وهي :

أبا خيبري وأنت امرؤٌ ظلوم العشيرة شتامها

فماذا أردت إلى رمة ببادية صخب هامها

تبغي أذاها وإعسارها وحولك غوث وأنعامها

وإنا لنطعم أضيافنا من الكوم بالسيف نعتامها

وقد أمرني أن أحملك على جمل فدونكه، فأخذه وركبه، وذهبوا .

حاتم يطلق قومه من أسر الحارث بن عمرو

أغارت طيىء على إبل للنعمان بن الحارث بن أبي شمر الجفني، ويقال: هو الحارث بن عمرو، رجل من بني جفنة، وقتلوا ابناً له. وكان الحارث إذا غضب حلف ليقتلن وليسبين الذراري، فحلف ليقتلن من بني الغوث أهل بيت على دمٍ واحد، فخرج يريد طيئاً، فاصاب من بني عدي بن أخزم سبعين رجلاً رأسهم وهم بن عمرو من رهط حاتم - وحاتمٌ يومئذ بالحيرة عند النعمان - فأصابتهم مقدمات خيله. فلما قدم حاتم الجبلين جعلت المرأة تأتيه بالصبي من ولدها فتقول: يا حاتم أسر أبو هذا. فلم يلبث إلا ليلة حتى سار إلى النعمان ومعه ملحان بن حارثة، وكان لا يسافر إلا وهو معه، فقال حاتم :

ألا إنني قد هاجني الليلة الذكر ... وما ذاك من حب النساء ولا الأشر
ولكنه مما أصاب عشيرتي ... وقومي بأقران حواليهم الصير

الأقران: الحبال. والصير: الحظائر، واحدها صيرة.

ليالي نمشي بين جو ومسطح ... نشاوى لنا من كل جزر
فيا ليت خبر الناس حياً وميتاً ... يقول لنا خيراً ويمضي الذي ائتمر
فإن كان شراً فالعزاء فإننا ... على وقعات الدهر من قبلها صبر
سقى الله رب الناس سحا وديمةً ... جنوب السراة من مآب إلى زغر
بلاد امرىء لا يعرف الذم بيته ... له المشرب الصافي ولا يطعم الكدر
تذكرت من وهم بن عمرٍو وجلادةً ... وجرأة مغزاه إذا صارخ بكر
فأبشر وقر العين منك فإنني ... أحيي كريماً لا ضعيفاً ولا حصر

فدخل حاتم على النعمان فأنشده، فأعجب به، واستوهبهم منه؛ فوهب له بني امرىء القيس بن عدي، ثم أنزله فأتي بالطعام والخمر، فقال له ملحان: أتشرب الخمر وقومك في الأغلال؟ قم إليه فسله إياهم، فدخل عليه فأنشده

إن امرأ القيس أضحت من صنيعكم ... وعبد شمس أبيت اللعن فاصطنعوا
إن عديا إذا ملكت جانبها ... من أمر غوثٍ على مرأى ومستمع
أتبع بني عبد شمس أمر صاحبهم ... أهلي فداؤك إن ضروا وإن نفعوا
لا تجعلنا أبيت اللعن ضاحية ... كمعشر صلموا الآذان أو جدعوا
أو كالجناح إذا سلت قوادمه ... صار الجناح لفضل الريش يتبع

فأطلق له بني عبد شمس بن عدي بن أخزم، وبقي قيس بن جحدر بن ثعلبة بن عبد رضي بن مالك بن ذبيان بن عمرو بن ربيعة بن جرول الأجئي ، وهو من لخم، وأمه من بني عدي، وهو جد الطرماح بن حكيم بن نفر بن قيس بن جحدر، فقال له النعمان: أفبقي أحد من أصحابك؟ فقال حاتم :

فككت عديا كلها من إسارها ... فأفضل وشفعني بقيس بن جحدر

أبوه أبي والأمهات أمهاتنا ... فأنعم فدتك اليوم نفسي ومعشري

فقال: هو لك يا حاتم، فقال حاتم :

أبلغ الحارث بن عمرو بأني ... حافظ الود مرصدٌ للثواب

ومجيبٌ دعاءه إن دعاني ... عجلاً واحداً وذا أصحاب

إنما بيننا وبينك فاعلم ... سير تسعٍ للعاجل المنتاب

فثلاثٌ من السراة إلى الحلة ... للخيل جاهداً والركاب

وثلاثٌ يوردن تيماء رهواً ... وثلاثٌ يقربن بالأعجاب

فإذا ما مررن في مسبطر ... فاجمح الخي مثل جمع الكعاب

اجمح: ارم بهم كما يرمى بالكعاب، ويقال: إذا انتصب لك أمر فقد جمح.

بينما ذاك أصبحت وهي عضدي ... من سبي مجموعةٍ ونهاب

عضدى: مكسورة الأعضاء.

ليت شعري متى أرى قبةً ذا ... ت قلاعٍ للحارث الحراب

بيفاعٍ وذاك منها محل ... فوق ملكٍ يدين بالأحساب

أيها الموعدي فإن لبوني ... بين حقل وبين هضب دباب

حيث لا أرهب الجراة وحولي ... ثعليون كالليوث الغضاب

وقال حاتم أيضاً :

لم تنسني إطلال ماويةٍ يأسي ... ولا الزمن الماضي الذي مثله ينسي

إذا غربت شمس النهار وردتها ... كما يرد الظمآن آتية الخمس

حاتم وماوية بنت عفزر

قال: وكنا عند معاوية ، فتذاكرنا ملوك العرب، حتى ذكرنا الزباء وابنة عفزر، فقال معاوية: إني لأحب أن أسمع

حديث ماوية وحاتم، وماوية بنت عفزر، فقال رجل من القوم: أفلا أحدثك يا أمير المؤمنين؟ فقال: بلى، فقال: إن ماوية بنت عفزر كانت ملكة، وكانت تتزوج من أرادت، وإنها بعثت غلماناً لها وأمرتهم أن يأتوها بأوسم من يجدونه بالحيرة، فجاءوها بحاتم، فقالت له: استقدم إلى الفراش، فقال: حتى أخبرك، وقعد على الباب، وقال: إني أنتظر صاحبين لي، فقالت: دونك أستدخل المحمر. فقال: استي لم تعود المحمر، فأرسلها مثلاً.

فارتابت منه، وسقته خمراً ليسكر، فجعل يهريقه بالباب فلا تراه تحت الليل، ثم قال: ما أنا بذائق قرى ولا قار حتى أنظر ما فعل صاحباي. فقالت: إنا سنرسل إليهما بقري، فقال حاتم: ليس بنافعي شيئاً أو آتيهما. قال: فأتاهما، فقال: أفتكونان عبدين لابنة عفزر، ترعيان غنمها أحب إليكما أم تقتلكما ؟ فقالا: كل شيء يشبه بعضه بعضاً، وبعض الشر أهون من بعض، فقال حاتم: الرحيل والنجاة. وقال يذكر ابنة عفزر، وأنه ليس بصاحب ريبة :

حننت إلى الأجبال أجبال طيىء ... وحنت قلوصي أن رأت سوط أحمرا

فقلت لها: إن الطريق أمامنا ... وإنا لمحيو ربعنا إن تيسرا

فيا راكبي عليا جديلة إنما ... تسامان ضيماً مستبيناص فتنظرا

فما نكراه غير أن ابن ملقط ... أراه وقد أعطى الظلامة أو جرا

وإني لمزج للمطي على الوجا ... وما أنا من خلانك ابنة عفزرا

وما زلت أسعى بين نابٍ ودارةٍ ... حصانين سيالين جوناً وأشقرا

لشعبٌ من الريان أملك بابه ... أنادي به آل الكبير وجعفرا

أحب إلي من خطيب رأيته ... إذا قلت معروفاً تبدل منكرا

تنادي إلى جاراتها: إن حاتماً ... أراه لعمري بعدنا قد تغيرا

تغيرت إني غير آتٍ لريبةٍ ... ولا قائلٍ يوماً لذي العرف منكرا

فلا تسأليني واسألي أي فارس ... إذا بادر القوم الكنيف المسترا

ولا تسأليني واسألي أي فارس ... إذا الخيل جالت في قناً قد تكسرا

فلا هي ما ترعى جميعاً عشارها ... ويصبح ضيفي ساهم الوجه أغبرا

متى ترني أمشي بسيفي وسطها ... تخفني وتضمر بينها أن تجزرا

وإني ليغشى أبعد الحي جفنتي ... إذا ورق الطلح الطوال تحسرا

فلا تسأليني واسألي به صحبتي ... إذا ما المطي بالفلاة تضورا

وإني لوهابٌ قطوعي وناقتي إذا ما انتشيت، والكميت المصدرا
وإني كأشلاء اللجام ولن تري أخا الحرب إلا ساهم الوجه أغبرا
أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا
وإني إذا ما الموت لم يك دونه قدى الشبر أحمى الأنف أن أتأخرا
متى تبغ وداً من جديلة تلقه مع الشنء منه باقياً متأثراً
فالإيفادونا جهاراً نلاقهم لأعدائنا رداءاً دليلاً ومنذرا
إذا حال دوني من سلامان رملةٌ وجدت توالي الوصل عندي أبترا

وذكروا أن حاتماً دعته نفسه إليها بعد انصرافه من عندها، فأتاها يخطبها فوجد عندها النابغة ورجلاً من الأنصار من النبيت ، فقالت لهم: انقلبوا إلى رحالكم، وليقل كل واحد منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه، فإني أتزوج أكرمكم وأشعركم.

فانصرفوا ونحر كل واحد منهم جزوراً، ولبست ماوية ثياباً لأمة لها وتبعتهم، فأتت النبيتي فاستطعمته من جزوره فأطعمها ثيل جمله فأخذته، ثم أتت نابغة بني ذبيان فاستطعمته فأطعمها ذنب جزوره فأخذته، ثم أتت حاتماً وقد نصب قدره فاستطعمته، فقال لها: قفي حتى أعطيك ما تنتفعين به إذا صار إليك، فانتظرت فأطعمها قطعاً من العجز والسنام، ومثلها من المخدش، وهو عند الحارك ، ثم انصرفت، وأرسل كل واحد منهم إليها ظهر جمله، وأهدى حاتم إلى جاراتها مثل ما أرسل إليها،لا و لم يكن يترك جاراته إلا بهدية. وصبحوها فاستنشدهم فانشدها النبيتي :

هلا سألت النبيتيين ما حسبي عند الشتاء إذا ما هبت الريح
ورد جازرهم حرفاً مصرمة في الرأس منها وفي الأصلاء تمليح
وقال رائدهم : سيان ما لهم مثلان مثلٌ لمن يرعى وتسريح
إذا اللقاح غدت ملقى أصرتها ولا كريم من الولدان مصبوح

فقالت له: لقد ذكرت مجهدة .

ثم استنشدت النابغة، فأنشدها يقول :

هلا سألت بني ذبيان ما حسبي إذا الدخان تغشى الأشمط البرما
وهبت الريح من تلقاء ذي أرل تزجي مع الليل من صرادها الصرما
إني أتمم أيساري وأمنحهم مثنى الأيادي وأكسو الجفنة الأدما

فلما أنشدها قالت: ما ينفك الناس بخير ما ائتدموا.

ثم قالت: يا أخا طيء أنشدني، فأنشدها :

أماوي قد طال التجنب والهجر ... وقد عذرتني في طلابكم العذر

أماوي إن المال غادٍ ورائح ... ويبقى من المال الأحاديث والذكر

أماوي إني لا أقول لسائلٍ ... إذا جاء يوماً: حل في مالنا النذر

أماوي إما مانعٌ فمبين ... وإما عطاءٌ لا ينهنهه الزجر

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

إذا أنا دلاني الذين أحبهم ... بملحودةٍ زلجٍ جوانبها غبر

وراحوا سراعاً ينفضون أكفهم ... يقولون :قد دمى أناملنا الحفر

أماوي إن يصبح صداي بقفرةٍ ... من الأرض لا ماء لدي ولا خمر

تري أن ما أنفقت لم يك ضرني ... وأن يدي مما بخلت به صفر

أماوي إني رب واحد أمه ... أخذت فلا قتلٌ عليه ولا أسر

وقد علم الأقوام لو أن حاتماً ... أراد ثراء المال كان له وفر

فإني لا آلو بمالي صنعيةً ... فأوله زادٌ وآخره ذخر

يفك به العاني ويؤكل طيباً ... وما إن تعرته القداح ولا الخمر

ولا أظلم ابن العم إن كان إخوتي ... شهوداً وقد أودى بإخوته الدهر

غنينا زماناً بالتصعلك والغنى ... وكلاً سقاناه بكأسهما العصر

فما زادنا بغياً على ذي قرابةٍ ... غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

وما ضر جاراً يابنة القوم فاعلمي ... يجاورني ألا يكون له ستر

بعيني عن جارات قومي غفلةٌ ... وفي السمع مني عن حديثهم وقر

فلما حاتم من إنشاده دعت بالغداء، وكانت قد أمرت إماءها أن يقدمن إلى كل رجل منهم ما كان أطعمها، فقدمن إليهم ما كانت أمرتهن أن يقدمنه إليهم، فنكس النبيتي رأسه والنابغة، فلما نظر حاتم إلى ذلك رمى بالذي قدم إليهما ، وأطعمهما مما قدم إليه، فتسللا لواذاً، وقالت: إن حاتماً أكرمكم وأشعركم.

فلما خرج النبيتي والنابغة قالت لحاتم: خل سبيل امرأتك، فأبى، فزودته وردته. فما انصرف دعته نفسه إليها، وماتت امرأته، فخطبها فتزوجته، فولدت عدياً.

إسلام عدي بن حاتم

وقد كان عدي أسلم وحسن إسلامه، فبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له، وقد سأله عدي: يا رسول الله، إن أبي كان يعطي ويحمل، ويوفي بالذمة، ويأمر بمكارم الأخلاق؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أباك خشبة من خشبات جهنم.

فكأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى الكآبة في وجهه، فقال له: يا عدي إن أباك وأبي وأبا إبراهيم في النار.

ماوية وحاتم وابن عمه مالك

وكانت ماوية عنده زماناً، وإن ابن عم لحاتم كان يقال له: مالك قال لها: ما تصنعين بحاتم؟ فوالله لئن وجد شيئاً ليتلفنه، وإن لم يجد ليتكلفن، وإن مات ليتركن ولده عيالاً على قومك، فقالت ماوية: صدقت، إنه كذلك.
وكان النساء - أو بعضهن - يطلقن الرجال في الجاهلية، وكان طلاقهن أنهن إن كن في بيتٍ من شعر حولن الخباء؛ فإن كان بابه قبل المشرق حولنه قبل المغرب، وإن كان بابه قبل اليمن حولنه قبل الشام؛ فإذا رأى ذلك الرجل علم أنها قد طلقته فلم يأتها. وإن ابن عم حاتم قال لماوية - وكانت أحسن نساء الناس -: طلقي حاتماً، وأنا أنكحك وأنا خير لك منه، وأكثر مالاً، وأنا أمسك عليك وعلى ولدك؛ فلم يزل بها حتى طلقت حاتماً، فأتاها حاتم وقد حولت باب الخباء، فقال: يا عدي، ما ترى أمك عدي عليها؟ قال: لا أدري، غير أنها قد غيرت باب الخباء، وكأنه لم يلحن لما قال، فدعاه فهبط به بطن وادٍ، وجاء قومٌ فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون، فتوافوا خمسين رجلاً، فضاقت بهم ماوية ذرعاً، وقالت لجاريتها: اذهبي إلى مالك فقولي له: إن أضيافاً لحاتم قد نزلوا بنا خمسين رجلاً فأرسل بنابٍ نقرهم ولبنٍ نغبقهم ، وقالت لجاريتها: انظري إلى جبينه وفمه فإن شافهك بالمعروف فاقبلي منه، وإن ضرب بلحيته على زوره، وأدخل يده في رأسه فاقفلي ودعيه، وإنها لما أتت مالكاً وجدته متوسداً وطباً من لبن وتحت بطنه آخر، فأيقظته فأدخل يده في رأسه وضرب بلحيته على زوره، فأبلغته من أرسلتها به ماوية، وقالت: إنما هي الليلة حتى يعلم الناس مكانه.
فقال لها: اقرئي عليها السلام، وقولي لها: هذا الذي أمرتك أن تطلقي حاتماً فيه، فما عندي من كبيرة قد تركت العمل، وما كنت لأنحر صفية غزيرة بشحم كلاها، وما عندي لبنٌ يكفي أضياف حاتم.
فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت منه، وما قال؛ فقالت: ائت حاتماً فقولي: إن أضيافك قد نزلوا الليلة بنا، و لم يعلموا بمكانك. فأرسل إلينا بنابٍ ننحرها ونقرهم وبلبن نسقهم؛ فإنما هي الليلة حتى يعرفوا مكانك.
فأتت الجارية حاتماً فصرخت به.
فقال حاتم: لبيك، قريباً دعوت. فقالت: إن ماوية تقرأ عليك السلام وتقول لك: إن أضيافك قد نزلوا بنا الليلة، فأرسل إليهم بناب ننحرها ولبنٍ نسقهم. فقال: نعم وأبي. ثم قام إلى الإبل فأطلق ثنيتين من عقاليهما، ثم صاح

بهما حتى أتى الخباء فضرب عراقيبهما، فطفقت ماوية تصيح وتقول: هذا الذي طلقتك فيه، تترك ولدك وليس لهم شيء، فقال حاتم :

هل الدهر إلا اليوم أو أمس أو غد ... كذاك الزمان بيننا يتردد

يرد علينا ليلةً بعد يومها ... فلا نحن ما نبقى ولا الدهر ينفد

لنا أجلٌ إما تناهى أمامه ... فنحن على آثاره نتورد

بنو ثعلٍ قومي فما أنا مدعٍ ... سواهم إلى قوم وما أنا مسند

بدرئهم أغشى دروء معاشرٍ ... ويحنف عني الأبلخ المتعمد

فمهلاً فداك اليوم أمي وخالتي ... فلا يأمرني بالدنية أسود

على حين أن ذكيت واشتد جانبي ... أسام التي أعييت إذ أنا أمرد

فهل تركت قبلي حضور مكانها! ... وهل من أتى ضيماً وخسفاً مخلد!

ومعتسفٍ بالرمح دون صحابه ... تعسفته بالسيف والقوم شهد

فخر على حر الجبين وذاده ... إلى الموت مطرور الوقيعة مذود

فما رمته حتى أزحت عويصه ... وحتى علاه حالك اللون أسود

فأقسمت لا أمشي على سر جارتي ... يد الدهر ما دام الحمام يغرد

ولا أشتري مالاً بغدرٍ علمته ... ألا كل مالٍ خالط الغدر أنكد

إذا كان بعض المال رباً لأهله ... فإني بحمد الله ما لي معبد

يفك به العاني ويؤكل طيباً ... ويعطى إذا ضن البخيل المصرد

إذا ما البخيل الخب أخمد ناره ... أقول لمن يصلى بناري: أوقدوا

توسع قليلاً أو يكن ثم حسبنا ... وموقدها البادي أعف وأحمد

كذاك أمور الناس راضٍ دنيةً ... وسامس إلى فرع العلا متورد

فمنهم جوادٌ قد تلفت حوله ... ومنهم لئيم دائم الطرف أقود

واعٍ دعاني دعوةً فأجبته ... وهل يدع الداعين إلا اليلندد

حاتم ونساء من عنتزة

أسرت عترة حاتماً، فجعل نساء عترة يدارئن بعيراً ليفصدنه فصعفن عنه، فقلن: يا حاتم، أفاصده أنت إن أطلقنا يديك؟ قال: نعم. فأطلقن إحدى يديه، فوجأ لبته فاستدمينه . ثم إن البعير عضد، أي لوى عنقه، أي خر، فقلن: ما صنعت؟ قال: هكذا فصادتي، فجرت مثلاً. قال: فلطمته إحداهن، فقال: ما أنتن نساء عترة بكرام، ولا ذوات أحلام. وإن امرأةً منهن يقال لها: عاجزة أعجبت به، فأطلقته؛ و لم ينقموا عليه ما فعل، فقال حاتم يذكر البعير الذي فصده :

كذلك فصدي إن سألت مطيتي دم الجوف إذ كل الفصاد وخيم

جوده وهو غلام

أقبل ركبٌ من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان، فلقوا حاتماً، فقالوا له: إنا تركنا قومنا يثنون عليك خيراً، وقد أرسلوا إليك رسولاً برسالة. قال: وما هي؟ فأنشده الأسديون شعراً لعبيد ولبشر يمدحانه، وأنشد القيسيون شعراً للنابغة، فلما أنشدوه قالوا: إنا نستحي أن نسألك شيئاً، وإن لنا لحاجة، قال: وما هي؟ قالوا: صاحب لنا قد أرجل ، فقال حاتم: خذوا فرسي هذه فاحملوا عليها صاحبكم. فأخذوها وربطت الجارية فلوها بثوبها، فأفلت، فاتبعته الجارية، فقال حاتم: ما تبعكم من شيء فهو لكم، فذهبوا بالفرس والفلو والجارية.
وإنهم وردوا على أبي حاتم، فعرف الفرس والفلو، فقال: ما هذا معكم؟ فقالوا: مررنا بغلامٍ كريمٍ فسألناه، فأعطى الجسيم.

رواية أخرى في خبر أبي الخيبري

قال: وكنا عند معاوية فتذاكرنا الجود، فقال رجل من القوم: أجود الناس حياً وميتاً حاتم، فقال معاوية: وكيف ذلك؛ فإن الرجل من قريش ليعطى في المجلس ما لم يملكه حاتم قط ولا قومه، فقال: أخبرك يا أمير المؤمنين، أن نفراً من بني أسد مروا بقبر حاتم، فقالوا: لنبخلنه ولنخبرن العرب أنا نزلنا بحاتم، فلم يقرنا، فجعلوا ينادون: يا حاتم ألا تقري أضيافك! وكان رئيس القوم رجل يقال له: أبا الخيبري، فإذا هو بصوتٍ ينادي في جوف الليل:

أبا خيبري وأنت امرؤٌ ظلوم العشيرة شتامها

إلى آخرها، فذهبوا ينظرون؛ فإذا ناقة أحدهم تكوس على ثلاثة أرجل عقيراً. قال: فعجب القوم من ذلك جميعاً.

حاتم وأوس بن سعد

وكان أوس بن سعد قال للنعمان بن المنذر: أنا أدخلك بين جبلي طيء حتى يدين لك أهلهما، فبلغ ذلك حاتماً، فقال :

ولقد بغى بخلاد أوسٌ قومه ذلاً وقد علمت بذلك سنبس

حاشا بني عمرو بن سنبس إنهم منعوا ذمار أبيهم أن يدنسوا
وتواعدوا ورد القرية غدوةً وحلفت بالله العزيز لنحبس
والله يعلم لو أتى بسلافهم طرف الجريض لظل يومٌ مشكس
كالنار والشمس التي قالت لها بيد اللويسم عالماً ما يلمس
لا تطعمن الماء إن أوردتهم لتمام ظمئكم ففوزوا واحلسوا
أو ذو الحصين وفارسٌ ذو مرة بكتيبةٍ من يدركوه يفرس
وموطأ الأكناف غير ملعن فيالحي مشاء إليه المجلس

شعره في مدح بني بدر

قال: وجاور في بني بدر زمن احتربت جديلة وثعل، وكان ذلك زمن الفساد، فقال يمدح بني بدر :

إن كنت كارهةً معيشتنا هاتي فحلي في بني بدر
جاورتهم زمن الفساد فنع م الحي في العوصاء واليسر
فسقيت بالماء النمير ولم ينظر إلي بأعين جزر
الضاربين لدى أعنتهمه والطاعنين وخيلهم تجري
الخالطين نحيتهم بنضارهم وذوي الغنى منهم بذي الفقر

يقيم مكان أسير في قيده ويطلقه

وزعموا أن حاتماً خرج في الشهر الحرام يطلب حاجةً، فلما كان بأرض عنزة ناداه أسير لهم: يا أبا سفانة؛ أكلني الإسار والقمل، قال: ويلك! والله ما أنا في بلاد قومي، وما معي شيء، وقد أسأت بي إذ نوهت باسمي، ومالك مترك. فساوم به العنزيين فاشتراه منهم، فقال: خلوا عنه وأنا أقيم مكانه في قيده حتى أؤدي فداءه، ففعلوا، فأتى بفدائه.

ماوية تتحدث عن كرمه

وحدث الهيثم بن عدي، عمن حدثه، عن ملحان ابن أخي ماوية امرأة حاتم، قال: قلت لماوية: يا عمة، حدثيني ببعض عجائب حاتم، فقالت: كل أمره عجب، فعن أية تسأل؟ قال: قلت: حدثيني ما شئت، قالت: أصابت الناس سنة، فأذهبت الخف والظلف، فإني وإياه ليلةً قد أسهرنا الجوع، قالت: فأخذ عدياً وأخذت سفانة،

وجعلنا نعللهما حتى ناما، ثم أقبل علي يحدثني ويعللني بالحديث كي أنام، فرققت له لما به من الجهد، فأمسكت عن كلامه لينام، فقال لي: أنمت؟ مراراً، فلم أجب، فسكت فنظر في فتق الخباء فإذا شيء قد أقبل، فرفع رأسه فإذا امرأةٌ، فقال: ما هذا؟ قالت: يا أبا سفانة؛ أتيتك نم عند صبيةٍ يتعاوون كالذئاب جوعاً، فقال: أحضريني صبيانك، فوالله لأشبعنهم. قالت: فقمت سريعاً فقلت: بماذا يا حاتم! فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلا بالتعليل فقال: والله لأشبعن صبيانك مع صبيانها.

فلما جاءت قام إلى فرسه فذبحها، ثم قدح ناراً ثم أججها، ثم دفع إليها شفرة، فقال: اشتوي وكلي، ثم قال: أيقظي صبيانك. قالت: فأيقظتهم ، ثم قال: والله إن هذا للؤمٌ، تأكلون وأهل الصرم حالهم مثل حالكم! فجعل يأتي الصرم بيتاً بيتاً فيقول: انهضوا عليكم بالنار. قال: فاجتمعوا حول تلك الفرس، وتقنع بكسائه فجلس ناحيةً، فما أصبحوا ومن الفرس على الأرض قليل ولا كثير إلا عظم وحافر، وإنه لأشد جوعاً منهم، وما ذاقه.

حاتم ومحرق

أتى حاتم ومحرقاً فقال له محرق: بايعني، فقال له: إن لي أخوين ورائي، فإن يأذنا لي أبايعك وإلا فلا، قال: فاذهب إليهما، فإن أطاعاك فأتني بهما، وإن أبيا فأذن بحرب. فلما خرج حاتم قال :

أتاني من الريان أمس رسالةٌ ... وعدوى وغي ما يقول مواسل

هما سألاني: ما فعلت؟ وإنني ... كذلك عما أحدثا أنا سائل

فقلت: ألا كيف الزمان عليكما؟ ... فقالا :بخير كل أرضك سائل

فقال محرق: ما أخواه؟ قال : طرفا الجبل، فقال: ومحلوفه لأجللن مواسلاً الريط مصبوغات بالزيت، ثم لأشعلنه بالنار. فقال رجل من الناس: جهل مرتقيً بين مداخل سبلات . فلما بلغ ذلك محرقاً قال: لأقدمن عليك قريتك . ثم إنه أتاه رجل، فقال له: إنك إن تقدم القرية تهلك. فانصرف و لم يقدم.

حاتم وأسير له

غزت فزارة طيئاً وعليهم حصين بن حذيفة، وخرجت طيىء في طلب القوم، فلحق حاتم رجلاً من بدر ، فطعنه ثم مضى، فقال: إن مر بك أحد فقل له: أنا أسير حاتم. فمر به أبو حنبل، فقال: من أنت؟ قال: أنا أسير حاتم. فقال له: إنه يقتلك، فإن زعمت لحاتم أو لمن سألك أني أسرتك، ثم صرت في يدي خليت سبيلك، فلما رجعوا قال حاتم: يا أبا حنبل خل سبيل أسيري، فقال أبو حنبل: أنا أسرته، فقال حاتم: قد رضيت بقوله، فقال: أسرني أبو حنبل، فقال حاتم :

إن أباك الجون لم يك غادراً ... ألا من بني بدر أتتك الغوائل

صوت

وهاجرةٍ من دون مية لم تقل قلوصي بها والجندب الجون يرمح

بتيهاء مقفارٍ يكاد ارتكاضها بآل الضحى والهجر بالطرف يمصح

- الهجر ها هنا مرفوع بفعله، كأنه قال: يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف، هو والهجر. ويمصح: يذهب بالطرف -:

كأن الفرند المحض معصوبةٌ به ذرا قورها ينقد عنها وينصح

إذا ارفض أطراف السياط وهللت جروم المهاري عد منهن صيدح

عروضه من الطويل.

الهاجرة: تكون وقت الزوال. والجندب: الجرادة. والجون: الأسود. والجون: الأبيض أيضاً: وهو من الأضداد. وقوله: يرمح، أي يتزو من شدة الحر لا يكاد يستقر على الأرض. والتيهاء من الأرض: التي يتاه فيها. والمقفار: التي لا أحد فيها ولا ساكن بها. ذكر ذلك أبو نصر عن الأصمعي. وارتكاضها؛ يعني ارتكاض هذه التيهاء، وهو نزوها بالآل، والآل: السراب. والهجر والهاجرة واحد. وقوله: الهجر بالطرف يمصح، رفع الهجر بفعله كأنه قال: يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف، هو والهجر. يمصح: يذهب بالطرف. والفرند: الحرير الأبيض. والمحض: الخالص. يقول: كأن هذا السراب حرير أبيض، وقد عصبت به ذرى قورها، وهي الجبال الصغار والواحدة قارة، فتارة يغطيها وتارة ينجاب عنها وينكشف، فكأنه إذا انكشف عنها ينقد عنها، وكأنه إذا غطاها ينصح عنها ؛ أي يخاط. ويقال : نصحت الثوب، إذا خطته، والناصح: الخياط، والنصاح: الخيط. وقوله: ارفض أطراف السياط، يعني أنها انفتحت أطرافها من طول السفر؛ وأصل الارفضاض التفرق. والجروم: الأبدان، واحدها جرم، بالكسر. وقوله: هللت جروم المطايا، يعني أنها صارت كالأهلة في الدقة . وصيدح: اسم ناقته. الشعر لذي الرمة، والغناء لإبراهيم الموصلي ماخوري بالوسطى.

الجزء الثامن عشر

ذكر ذي الرمة وخبره

نسبه

اسمه غيلان بن عقبة بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ملكان بن عدي بن عبد مناة بن أد طابخة بن إلياس بن مضر.

أقوال في سبب تلقيبه ذا الرمة

وقال ابن سلام: هو غيلان بن عقبة بن بهيش بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ملكان.

ويكنى أبا الحارث وذو الرمة لقب. يقال: لقبته به مية وكان اجتاز بخبائها وهي جالسة إلى جنب أمها فاستسقاها ماء قالت لها أمها: قومي فاسقيه. وقيل: بل خرق أدواته لما رآها وقال لها: اخرزي لي هذه فقالت: والله ما أحسن ذلك فإني لخرقاء. قال: والخرقاء التي لا تعمل بيدها شيئاً لكرامتها على قومها فقال لأمها: مريها أن تسقيني ماء فقالت لها: قومي يا خرقاء فاسقيه ماءً فقامت فأتته بماءٍ وكانت على كتفه رمة وهي قطعة من حبل فقالت: اشرب يا ذا الرمة فلقب بذلك.

وحكى ابن قتيبة أن هذه القصة جرت بينه وبين خرقاء العامرية.

وقال ابن حبيب: لقب ذا الرمة لقوله: أشعث باقي رمة التقليد وقيل: بل كان يصيبه في صغره فزعٌ فكتبت له تميمة فعلقها بحبل فلقب بذلك ذا الرمة.

ونسخت من كتاب محمد بن داود بن الجراح: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن محمد بن صالح العدوي عن أبيه وعن أشياخه وعدة من أهل البادية من بني عدي منهم زرعة بن أذبول وابنه سليمان وأبو قيس وتميم وغيرهم من علمائهم: أن أم ذي الرمة جاءت إلى الحصين بن عبدة بن نعيم العدوي وهو يقرىء الأعراب بالبادية احتساباً بما يقيم لهم صلاتهم فقالت له: يا أبا الخليل إن ابني هذا يروع بالليل فاكتب لي معاذةً أعلقها على عنقه فقال لها: ائتيني برق أكتب فيه قالت: فإن لم يكن فهل يستقيم في غير رق أن يكتب له قال: فجيئيني بجلد فأتته بقطعة جلد غليظ فكتب له معاذة فيه فعلقته في عنقه فمكث دهراً. ثم إنها مرت مع ابنها لبعض حوائجها بالحصين وهو جالس في ملأ من أصحابه ومواليه فدنت منه فسلمت عليه وقالت: يا أبا الخليل ألا تسمع قول غيلان وشعره قال: بلى. فتقدم فأنشده وكانت المعاذة مشدودةً على يساره في حبل أسود فقال الحصين: أحسن ذو الرمة فغلبت عليه.

كان له إخوة كلهم شعراء

وقال الأصمعي: أم ذي الرمة امرأة من بني أسد يقال لها ظبية وكان له إخوة لأبيه وأمه شعراء منهم مسعود وهو الذي يقول يرثي أخاه ذا الرمة ويذكر ليلى بنته:

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني ... وليلى كلانا موجعٌ مات وافده

ولمسعود يقول ذو الرمة: صوت

أقول لمسعود بجرعاء مالكٍ ... وقد هم دمعي أن تسح أوائله

ألا هل ترى الأظعان جاوزن مشرفاً ... من الرمل أو سالت بهن سلاسله

غنى فيه يحيى بن المكي ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو.

ومسعود الذي يقول يرثي أخاه أيضاً ذا الرمة ويرثي أوفى بن دلهم ابن عمه وأوفى هذا أحد من يروى عنه الحديث.

وقال هارون بن الزيات: أخبرني ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال: كان لذي الرمة إخوة ثلاثة : مسعود وجرفاس وهشام كلهم شعراء وكان الواحد منهم يقول الأبيات فيبني عليها ذو الرمة أبياتاً أخر فينشدها الناس فيغلب عليها لشهرته وتنسب إليه:

نعى الركب أوفى حين آبت ركابهم ... لعمري لقد جاءوا بشر فأوجعوا

نعوا باسق الأخلاق لا يخلفونه ... تكاد الجبال الصم منه تصدع

خوى المسجد المعمور بعد ابن دلهم ... فأضحى بأوفى قومه قد تضعضعوا

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده ... عزاءً وجفن العين ملآن مترع

ولم تنسني أوفى المصيبات بعده ... ولكن نكاء القرح بالقرح أوجع

وأخوه الآخر هشام وهو رباه وكان شاعراً. ولذي الرمة يقول:

أغيلان إن ترجع قوى الود بيننا ... فكل الذي ولى من العيش راجع

فكن مثل أقصى الناس عندي فإنني ... بطول التنائي من أخي السوء قانع

وقال ذو الرمة لهشام أخيه:

أغر هشاماً من أخيه ابن أمه ... قوادم ضأنٍ أقبلت وربيع

وهل تخلف الضأن الغزار أخا ... الندى إذا حل أمرٌ في الصدور فظيع

فأجابه هشام فقال:

إذا بان مالي من سوامك لم يكن إليك ورب العالمين رجوع
فأنت الفتى ما اهتز في الزهر الندى وأنت إذا اشتد الزمان منوع

ذو الرمة وأخوه مسعود وشعرهما في ظبية

سنحت لهما

وذكر المهلبي عن أبي كريمة النحوي قال: خرج ذو الرمة يسير مع أخيه مسعود بأرض الدهناء فسنحت لهما ظبيةٌ فقال ذو الرمة:

أقول لدهناويةٍ عوهجٍ جرت لنا بين أعلى برقةٍ بالصرائم
أيا ظبية الوعساء بني جلاجلٍ وبين النقا آأنت أم أم سالم!

وقال مسعود:

جعلت لها قرنين فوق قصاصها وظلفين مسودين تحت القوائم

وقال ذو الرمة:

هي الشبه لولا مذرواها وأذنها سواء ولولا مشقةٌ في القوائم

وكان طفيلياً

وكان ذو الرمة كثيراً ما يأتي الحضر فيقيم بالكوفة والبصرة وكان طفيلياً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثني الحسن بن علي قال: حدثني ابن سعيد الكندي قال: سمعت ابن عياش يقول: حدثني من رأى ذا الرمة طفيلياً يأتي العرسات.

بعض صفاته

نسخت من كتاب محمد بن داود بن الجراح: حدثني هارون بن الزيات قال: أخبرني محمد بن صالح العدوي قال: قال أبو زرعة بن أذبول: كان ذو الرمة مدور الوجه حسن الشعرة جعدها أقنى أنزع خفيف العارضين أكحل حسن الضحك مفوهاً إذا كلمك أبلغ الناس يضع لسانه حيث يشاء.

قال حماد بن إسحاق: حدثني إدريس بن سليمان بن يحيى بن أبي حصفة عن عمته عافية وغيرها من أهله: أنهم رأوا ذا الرمة باليمامة عند المهاجر بن عبد الله شيخاً أجناً سناطاً متساقطاً.

وقال هارون بن الزيات: حدثني علي بن أحمد الباهلي قال: حدثني ربيح النميري قال: اجتمع الناس مرةً وتحلقوا على ذي الرمة وهو ينشدهم فجاءت أمه فاطلعت من بينهم فإذا رجل قاعد وهو ذو الرمة. وكان دميماً شختاً

أجنأ فقالت أمه: استمعوا إلى شعره ولا تنظروا إلى وجهه. قال هارون: وأخبرني يعقوب بن السكيت عن أبي عدنان قال: أخبرني أسيد الغنوي قال: سمعت بباديتنا من قوم هضبوا في الحديث أن ذا الرمة كان ترعية وكان كناز اللحم مربوعا قصيراً وكان أنفه ليس بالحسن.

الفرزدق وجرير يحسدانه

أخبرني ابن عمار عن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه عن صالح بن سليمان قال: كان الفرزدق وجرير يحسدان ذا الرمة وأهل البادية يعجبهم شعره.

قال: وكان صالح بن سليمان روايةً لشعر ذي الرمة فأنشد يوماً قصيدةً له وأعرابي من بني عدي يسمع فقال: أشهد عنك - أي أنك - لفقيهٌ تحسن ما تتلوه وكان يحسبه قرآناً.

إعجاب الكميت بشعره

نسخت من كتاب محمد بن داود: وحدثني هارون بن الزيات عن محمد بن صالح العدوي قال: قال حماد الراوية: قال الكميت حين سمع قول ذي الرمة:

أعاذل قد أكثرت من قول قائلٍ وعيبٌ على ذي الود لوم العواذل

هذا والله ملهم وما علم بدوي بدقائق الفطنة وذخائر كنز العقل المعد لذوي الألباب! أحسن ثم أحسن.

قال محمد بن صالح: وحدثني محمد بن كناسة بذلك عن الكميت وقال: لما أنشده قوله في هذه القصيدة:

دعاني وما داعي الهوى من بلادها إذا ما نأت خرقاء عني بغافل

فقال الكميت: لله بلاد هذا الغلام! وما أحسن قوله! وما أجود وصفه! ولقد شفع البيت قال ابن كناسة: وقال لي حماد الراوية: ما أخر القوم ذكره إلا لحداثة سنه وأنهم حسدوه.

آراء قيلت في شعره

قال محمد بن صالح: وقال لي خالد بن كلثوم وأبو عمرو: قال أبو حزام وأبو المطرف: لم يكن أحد من القوم في زمانه أبلغ من ذي الرمة ولا أحسن جواباً كان كلامه أكثر من شعره.

وقال الأصمعي: ما أعلم أحداً من العشاق الحضريين وغيرهم شكا حبا أحسن من شكوى ذي الرمة مع عفةٍ وعقلٍ رصين.

قال: وقال أبو عبيدة: ذو الرمة يخبر فيحسن الخبر ثم يرد على نفسه الحجة من صاحبه فيحسن الرد ثم يعتذر فيحسن التخلص مع حسن إنصافٍ وعفاف في الحكم.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أبو أيوب المديني قال: حدثنا الفضل بن إسحاق الهاشمي عن مولى لجده قال: رأيت ذا الرمة بسوق المربد وقد عارضه رجلٌ يهزأ به فقال له: يا أعرابي أتشهد بما لم تر قال: نعم قال: بماذا قال: أشهد أن أباك ناك أمك.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي عبيد الله عن ابن حبيب عن عمارة بن عقيل قال: كان جرير عند بعض الخلفاء فسأله عن ذي الرمة فقال: أخذ من طريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه إليه أحد غيره.

أخبرني وكيع عن حماد بن إسحاق قال: قال حماد الراوية: قدم علينا ذو الرمة الكوفة فلم أر أفصح ولا أعلم بغريب منه.

نسخت من كتاب ابن النطاح: حدثني أبو عبيدة عن أبي عمرو قال: ختم الشعر بذي الرمة وختم الرجز برؤبة.

قال: فما تقول في هؤلاء الذين يقولون قال: كلٌ على غيرهم إن قالوا حسناً فقد سبقوا إليه وإن قالوا قبيحاً فمن عندهم.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن بعض أصحابه عن حماد الراوية قال: أحسن الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس وذو الرمة أحسن أهل الإسلام تشبيهاً.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن ابن حبيب عن عمارة بن عقيل: أن جريراً والفرزدق اتفقا عند خليفة من خلفاء بني أمية فسأل كل واحد منهما على انفراد عن ذي الرمة فكلاهما قال: أخذ من طريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه إليه غيره فقال الخليفة: أشهد لاتفاقكما فيه أنه أشعر منكما جميعاً.

أخبرني جحظة عن حماد بن إسحاق قال: حدثني أبي قال: أنشد الصقيل شعر ذي الرمة فاستحسنه وقال: ماله قاتله الله! ما كان إلا ربيقة هلا عاش قليلاً!.

وقال هارون بن محمد: أخبرني علي بن أحمد الباهلي قال: حدثني محمد بن إسحاق البلخي عن سفيان ابن عيينة عن ابن شبرمة قال: سمعت ذا الرمة يقول: إذا قلت: كأنه ثم لم أجد مخرجاً فقطع الله لساني.

قال هارون: وحدثني العباس بن ميمون طائع قال: قال الأصمعي: كان ذو الرمة أشعر الناس إذا شبه و لم يكن بالمفلق.

وحدثني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: كان لذي الرمة حظ في حسن التشبيه لم يكن لأحد من الإسلاميين كان علماؤنا يقولون: أحسن الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس وأحسن أهل الإسلام تشبيهاً ذو الرمة.

أخبرني محمد بن يزيد قال: حدثنا حماد عن أبيه عن أبي عقيل عمارة بن عقيل عن عمته أم القاسم ابنة بلال بن جرير عن جارية كانت لأم مي قالت: كنا نازلين بأسفل الدهناء وكان رهط ذي الرمة مجاورين لنا فجلست مية - وهي حينئذ فتاة حين نهد ثدياها أحسن من رأيته - تغسل ثياباً لها ولأمها في بيت منفرد وكان بيتاً رثاً قد أخلق ففيه خروق فلما فرغت ولبست ثيابها جاءت فجلست عند أمها فأقبل ذو الرمة حتى دخل إلينا ثم سلم ونشد ضالة وجلس ساعةً ثم خرج.

فقالت مية: إني لأرى هذا العدوي قد رآني منكشفة واطلع علي من حيث لا أدري فإن بني عدي أخبث قوم في الأرض فاذهبي فقصي أثره فخرجت فوجدته ما يثبت مقامه فقصصت أثره ثانية حتى رأيته وقد تردد أكثر من ثلاثين طرقة كل ذلك يدنو فيطلع إليها ثم يرجع على عقبيته ثم يعود فيطلع إليها فأخبرها بذلك ثم لم تنشب أن جاءنا شعره فيها من كل وجه ومكان.

رواية أخرى في ذلك وذكر علي بن سعيد بن بشر الرازي: أن هارون بن مسلم بن سعد حدثه عن حسين بن براق الأسدي عن عمارة بن ثقيف قال: حدثني ذو الرمة أن أول ما قاد المودة بينه وبين مية أنه خرج هو وأخوه وابن عمه في بغاء إبل لهم قال: بينا نحن نسير إذ وردنا على ماءٍ وقد أجهدنا العطش فعدلنا إلى حواء عظيم فقال لي أخي وابن عمي: ائت الحواء فاستسق لنا فأتيته وبين يديه في رواقه عجوزٌ جالسة. قال: فاستسقيت فالتفتت وراءها فقالت: يا مي اسقي هذا الغلام فدخلت عليها فإذا هي تنسج علقةً لها وهي تقول:

يا من يرى برقاً يمر حيناً زمزم رعداً وانتحى يمينا

كأن في حافاته حنيناً أو صوت خيل ضمرٍ يردينا

قال: ثم قامت تصب في شكوتي ماءً وعليها شوذب لها فلما انحطت على القربة رأيت مولى لم أر أحسن منه فلهوت بالنظر إليها وأقبلت تصب الماء في شكوتي والماء يذهب يميناً وشمالاً. قال: فأقبلت علي العجوز " وقالت: يا بني ألهتك مي عما بعثك أهلك له أما ترى الماء يذهب يميناً وشمالاً! " فقلت: أما والله ليطولن هيامي بها.

قال: وملأت شكوتي وأتيت أخي وابن عمي ولففت راسي فانتبذت ناحيةً وقد كانت مي قالت: لقد كلفك أهلك السفر على ما أرى من صغرك وحداثة سنك فأنشأت أقول:

قد سخرت أخت بني لبيد مني ومن سلمٍ ومن وليد

مثل ادراع اليلمق الجديد قال: وهي أول قصيدة قلتها ثم أتممتها: هل تعرف المنزل بالوحيد ثم مكثت أهيم بها في ديارها عشرين سنة.

ذو الرمة وزوج مي

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن النوفلي قال: سمعت أبي يقول: ضاف ذو الرمة زوج مي في ليلةٍ ظلماء وهو طامع في ألا يعرفه زوجها فيدخله بيته فيراها ويكلمها ففطن له الزوج وعرفه فلم يدخله وأخرج إليه قراه وتركه بالعراء وقد عرفته مية فلما كان في جوف الليل تغني غناء الركبان قال:

أراجعةٌ يا مي أيامنا الألى بذي الأثل أم لا ما لهن رجوع !

فغضب زوجها وقال: قومي فصيحي به: يابن الزانية وأي أيام كانت لي معك بذي الأثل! فقالت: يا سبحان الله ضيفٌ والشاعر يقول! فانتضى السيف وقال: والله لأضربنك به حتى آتي عليك أو تقولي فصاحت به كما أمرها زوجها فنهض على راحلته فركبها وانصرف قال شعراً في خرقاء يغيظ به ميا فمر بلفج في ركب وبعض أصحابه

يريد أن يرقع خفه فإذا هو بجوار خارجات من بيت يردن آخر وإذا خرقاء فيهن - وهي امرأةٌ من بني عامر - فإذا جاريةٌ حلوةٌ شهلاء فوقعت عين ذي الرمة عليها فقال لها: يا جارية أترقعين لهذا الرجل خفه فقالت تهزأ به: أنا خرقاء لا أحسن أن أعمل فسماها خرقاء وترك ذكر مي يريد أن يغيظ بذلك مياً. فقال فيها قصيدتين أو ثلاثاً ثم لم يلبث أن مات.

لقاءه بجرير والمهاجر بن عبد الله

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن الأصمعي عن عمارة بن عقيل قال: قال جرير: خرجت مع المهاجر بن عبد الله إلى حجةٍ فلقينا ذا الرمة فاستنشده المهاجر فأنشده:

ومن حاجتي لولا التنائي وربما منحت الهوى من ليس بالمتقارب
عطابيل بيضٌ من ربيعة عامر عذاب الثنايا مثقلات الحقائب
يقظن الحمى والرمل منهن محضر ويشربن ألبان الهجان النجائب

رأي لجرير في بيت قاله

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: أخبرنا أبو البيداء الرياحي قال: قال جرير: قاتل الله ذا الرمة حيث يقول:

ومنتزعٍ من بين نسعيه جرةً نشيج الشجا جاءت إلى ضرسه نزرا

أما والله لو قال: " ما بين جنبيه " لما كان عليه من سبيل.

جرير وأبو عمرو بن العلاء يصفان شعره

أخبرني الطوسي وحبيب المهلبي عن ابن شبة عن أبي غزالة عن هشام بن محمد الكلبي عن رجل من كندة قال: سئل جرير عن شعر ذي الرمة فقال: بعر ظباءٍ ونقط عروسٍ يضمحل عن قليل.
أخبرني أبو خليفة عن ابن سلام قال: كان أبو عمرو بن العلاء يقول: إنما شعر ذي الرمة نقط عروس يضمحل عن قليل وأبعار لها مشم في أول شمة ثم تعود إلى أرواح البعر.

الفرزدق يعجب بشعره ولا يعده من الفحول

قال أبو زيد بن شبة: قال أبو عبيدة:

إذا ارفض أطراف السياط وهللت جروم المطايا عذبتهن صيدح

فقال ذو الرمة: كيف تسمع يا أبا فراس قال: أسمع حسناً قال: فما لي لا أعد في الفحول من الشعراء قال: يمنعك من ذلك ويباعدك ذكرك الأبعار وبكاؤك الديار ثم قال:

ودويةٍ لو ذو الرميمة رامها لقصر عنها ذو الرميم وصيدح

قطعت إلى معروفها منكراتها إذا اشتد آل الأمعز المتوضح

وقال عمر بن شبة في هذا الخبر: فقام إليه ذو الرمة فقال: أنشدك الله أبا فراس أن تزيد عليهما شيئاً فقال: إنهما بيتان ولن أزيد عليهما شيئاً.

قال: وكان عمر بن شبة يقول عمن أخبره عن أبي عمرو: إنما شعره نقط عروس تضمحل عما قليل وأبعار ظباء لها مشم في أول شمها ثم تعود إلى أرواح الأبعار.

كان هواه مع الفرزدق على جرير

وكان هوى ذي الرمة مع الفرزدق على جرير وذلك لما كان بين جرير وابن لجأ التيمي وتيمٌ وعديٌ أخوان من الرباب وعكل أخوهم ولذلك يقول جرير لعكل:

فلا يضغمن الليث عكلاً بغرةٍ

وعكلٌ يشمون القريس المنيبا

الفريس ها هنا ابن لجأ

وكذلك يفعل السبع إذا ضغم شاةً ثم طرد عنها أو سبقته أقبلت

وقلت نضاحةً لبني عدي ثيابكم ونضح دم القتيل

يحذر عدياً ما لقي ابن لجأ.

الفرزدق ينتحل أبياتاً له أخبرني أبو خليفة عن ابن سلام أن أبا يحيى الضبي قال: قال ذو الرمة يوماً: لقد قلت أبياتاً إن لها لعروضاً وإن لها لمراداً ومعنى بعيداً. قال له الفرزدق: ما هي قال: قلت:

أحين أعاذت بي تميمٌ نساءها وجردت تجريد اليماني من الغمد

ومدت بضبعي الرباب ومالكٌ وعمرٌو وشالت من ورائي بنو سعد

ومن آل يربوعٍ زهاءٌ كأنه زها الليل محمود الكناية والرفد

فقال له الفرزدق: لا تعودن فيها فأنا أحق بها منك قال: والله لا أعود فيها ولا أنشدها أبداً إلا لك فهي قصيدة الفرزدق التي يقول فيها:

وكنا إذا القيسي نب عتوده ضربناه فوق الأنثيين على الكرد

- الأنثيان: الأذنان. والكرد: العنق -.

وروى هذا الخبر حماد عن أبيه عن أبي عبيدة عن الضحاك الفقيمي قال: بينا أنا بكاظمة وذو الرمة ينشد قصيدته التي يقول فيها: إذا راكبان قد تدليا من نقب كاظمة مقنعان فوقفا فلما فرغ ذو الرمة حسر الفرزدق عن وجهه وقال لراويته: يا عبيد اضمم إليك هذه الأبيات. قال له ذو الرمة: نشدتك الله يا أبا فراس! فقال له: أنا أحق بها منك وانتحل منها هذه الأربعة الأبيات.

المهاجاة بينه وبين هشام المرئي حدثنا محمد قال: حدثنا أبو الغراف قال: مر ذو الرمة بمنزلٍ لامرىء القيس بن زيد مناة يقال له: مرأة به نخل فلم يتزلوه و لم يقروه فقال :

نزلنا وقد طال النهار وأوقدت ... علينا حصى المعزاء شمسٌ تنالها

أنخنا فظللنا بأبراد يمنةٍ عتاقٍ ... وأسيافٍ قديم صقالها

فلما رآنا أهل مرأةً أغلقوا ... مخادع لم ترفع لخيرٍ ظلالها

وقد سميت باسم امرىء القيس قريةٌ ... كرامٌ صواديها لئامٌ رجالها

فلج الهجاء بين ذي الرمة وبين هشام المرئي فمر الفرزدق بذي الرمة وهو ينشد:

صوت

وأسقيه حتى كاد مما أبثه ... تكلمني أحجاره وملاعبه

غنى فيه إبراهيم ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر وسيأتي خبره بعد لئلا ينقطع هذا الخبر. فقال له الفرزدق: ألهاك البكاء في الديار والعبد يرتجز بك في المقابر يعني هشاماً.

وكان ذو الرمة مستعلياً هشاماً حتى لقي جريرٌ هشاماً فقال: غلبك العبد يعني ذا الرمة قال: فما أصنع يا أبا حرزة وأنا راجز وهو يقصد والرجز لا يقوم للقصيد في الهجاء ولو رفدتني فقال جرير - لتهمته ذا الرمة بالميل إلى الفرزدق -: قل له:

غضبت لرجلٍ من عدي تشمسوا ... وفي أي يومٍ لم تشمس رجالها

وفيم عدي عند تيمٍ من العلا ... وأيامنا اللاتي تعد فعالها

وضبة عمي يابن جل فلا ترم ... مساعي قومٍ ليس منك سجالها

يماشي عديا لؤمها لا تجنه من ... الناس ما مست عديا ظلالها

فقل لعدي تستعن بنسائها علي ... فقد أعيا عديا رجالها

إذا الرم قد قلدت قومك رمةً بطيئاً ... بأمر المطلقين انحلالها

قال أبو عبد الله: فحدثني أبو الغراف قال: لما بلغت الأبيات ذا الرمة قال: والله ما هذا بكلام هشام ولكنه ابن الأتان.

لما سمعها قال: هو والله ينتمي شعر حنظلي عذري وغلب هشام على ذي الرمة بها. نسخت من كتاب ابن النطاح: حدثني أبو عبيدة قال: حدثني فلان المرئي قال: أتانا جرير على حمار وأنا لا أعرفه فأتي بنبيذ فشرب فلما أخذ فيه قال: أين هشام فدعي فقال له: أنشدني ما قلت في ذي الرمة فأنشده فجعل كلما أنشده قصيدةً قال: لم تصنع شيئاً ثم قال له: قد دنا رواحي فاردد هذه الأبيات ومر شبانكم بروايتها وذكر الأبيات التي أولها قوله:

غضبت لرجل من تميم تشمسوا قال: فغلبه هشام بها فلما كان بعد ذلك لقي ذو الرمة جريراً فقال: تعصبت على خالك للمرئي. فقال جرير: حيث فعلت ماذا قال: حين تقول للمرئي كذا وكذا فقال جرير: لأنك ألهاك البكاء في دار مية حتى استقبحته محارمك.

قال: قول ذي الرمة: تعصبت على خالك أن النوار بنت جل أم حنظلة بن مالك وهي من رهط ذي الرمة وكذلك عنى جرير بقوله:

ولولا أن تقول بنو عدي ألم تك أم حنظلة النوار

أتتكم يا بني ملكان مني قصائد لا تعاورها البحار

فقال ذو الرمة: لا ولكن اتهمتني بالميل مع الفرزدق عليك قال: كذلك هو قال: فوالله ما فعلت وحلف له بما يرضيه قال: فأنشدني ما هجوت به المرئي فأنشده قوله:

نبت عيناك عن طللٍ بحزوى عفته الريح وامتضح القطارا

فأطال جداً فقال له جرير: ما صنعت شيئاً أفأرفدك قال: نعم قال: قل:

يعد الناسبون إلى تميم بيوت المجد أربعةً كبارا

يعدون الرباب وآل سعدٍ وعمراً ثم حنظلة الخيارا

ويهلك بينها المرئي لغواً كما ألغيت في الدية الحوارا

" ويروى: ويذهب بينها ".

فغلبه ذو الرمة بها.

قال: حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال: حدثني جماعة من أهل العلم أن ذا الرمة مر بالفرزدق فقال له: أنشدني أحدث ما قلت في المرئي فأنشده هذه الأبيات فأطرق الفرزدق ساعة ثم قال: أعد فأعاد فقال: كذبت وايم الله ما هذا لك ولقد قاله أشد لحيين منك وما هذا إلا شعر ابن الأتان.

فلما سمعها المئي جعل يلطم رأسه ويصرخ ويدعو بويله ويقول: قتلني جرير قتله الله! هذا فلما استعلى ذو الرمة

على هشام أتى هشامٌ وقومه جريراً فقالوا: يا أبا حزرة عادتك الحسنى فقال: هيهات ظلمت أخوالي قد أتاني ذو الرمة فاعتذر إلي وحلف فلست أعين عليهم.

فلما يئسوا من عنده أتوا لهذا المكاتب وقد طلع بمكاتبته فأعطوه عشرة أعتر وأعانوه على مكاتبته فقال أبياتاً في عيينة يفضل فيها بني امرىء القيس على بني عدي وهشاماً على ذي الرمة ومات ذو الرمة في تلك الأيام فقال الناس: غلبه هشام.

قال ابن النطاح: إنما مات ذو الرمة بعقب إرفاد جرير إياه على المرئي فقال الناس: غلبه و لم يغلبه إنما مات قبل الجواب.

يتحدث عن شعره أخبرني اليزيدي عن محمد بن الحسن الأحول عن بعض أصحابه عن الشبو بن قسيم العذري قال: سمعت ذا الرمة يقول: من شعري ما طاوعني فيه القول وساعدني ومنه ما أجهدت نفسي فيه ومنه ما جننت به جنوناً فأما ما طاوعني القول فيه فقولي: خليلي عوجاً من صدور الرواحل أأن توسمت من خرقاء منزلة أما ما جننت به جنوناً فقولي: ما بال عينك منها الدمع ينسكب جرير يتمنى أن ينسب إليه شعره أخبرني علي بن سليمان عن محمد بن يزيد عن عمارة بن عقيل قال: كان جرير يقول: ما أحببت أن ينسب إلي من شعر ذي الرمة إلا قوله: ما بال عينك منها الماء ينسكب فإن شيطانه كان له فيها ناصحاً.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قال حماد الراوية: ما تم ذو الرمة قصيدته التي يقول فيها: ما بال عينك منها الماء ينسكب حتى مات كان يزيد فيها منذ قالها حتى توفي.

ذو الرمة وخياط في سوق المربد أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبي عدنان قال: أخبرنا جابر بن عبد الله بن جامع بن بينا ذو الرمة ينشد بالمربد والناس مجتمعون إليه إذا هو بخياط يطالعه ويقول:

يا غيلان أأنت الذي تستنطق الدار ... واقفاً من الجهل هل كانت بكن حلول

فقام ذو الرمة وفكر زماناً ثم عاد فقعد في المربد ينشد فإذا الخياط قد وقف عليه ثم قال:

أأنت الذي شبهت عنزاً بقفرةٍ ... لها ذنبٌ فوق استها أم سالم

وقرنان إما يلزقا بك يتركا ... بجنبيك يا غيلان مثل المواسم

جعلت لها قرنين فوق شواتها ... ورابك منها مشقةٌ في القوائم

فقام ذو الرمة فذهب و لم ينشد بعدها في المربد حتى مات الخياط. قال: وأراد الخياط بقوله هذا قول ذي الرمة:

أقول لدهناويةٍ عوهجٍ جرت لنا ... بين أعلى برقةٍ في الصرائم

أيا ظبية الوعساء بين جلاجلٍ ... وبين النقا آأنت أم أم سالم

هي الشبه لولا مدرياها وأذنها ... سواء وإلا مشقةٌ في القوائم

فانتبه ذو الرمة لذلك فقال:

أقول بذي الأرطى عشية أرشقت إلى الركب أعناق الظباء الخواذل

لأدماء من آرام بين سويقةٍ وبين الجبال العفر ذات السلاسل

فعيناك عيناها وجيدك جيدها ولونك لولا أنها غير عاطل

في البيتين الأخيرين من هذه الأبيات رمل بالوسطى لإبراهيم.

رؤبة يعجز عن تفسير بيت قاله الراعي

فيفسره له ذو الرمة

أخبرني علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري عن يعقوب بن السكيت عن محمد بن سلام عن أبي الغراف قال: قال ذو الرمة لرؤبة: ما عنى الراعي بقوله:

أناخا بأسوأ الظن ثمت عرساً قليلاً وقد أبقى سهيلٌ فعردا

فجعل رؤبة يقول: هي كذا هي كذا لأشياء لا يقبلها ذو الرمة فقال له رؤبة: فمه ويحك! قال: هي الأرض بين المكلئة وبين المجدبة.

الوليد بن عبد الملك يسأل الفرزدق وجريراً عن ذي الرمة أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبي عدنان عن إبراهيم بن نافع: أن الفرزدق دخل على الوليد بن عبد الملك أو غيره فقال له: من أشعر الناس قال: أنا قال: أفتعلم أحداً أشعر منك قال: لا إلا غلاماً من بني عدي بن كعب يركب أعجاز الإبل وينعت الفلوات. ثم أتاه جرير فسأله فقال له مثل ذلك. ثم أتاه ذو الرمة فقال له: ويحك! أنت أشعر الناس قال: لا ولكن غلام من بني عقيل يقال له: مزاحم: يسكن الروضات يقول وحشياً من الشعر لا نقدر على أن نقول مثله.

كثيرة تقول شعراً في مي وتنحله ذا الرمة

قال: وكان ذو الرمة يتشبب بمي بنت طلبة بن قيس بن عاصم المنقري وكانت كثيرة أمةً ولدة لآل قيس بن عاصم وهي أم سهم بن بردة اللص الذي قتله سنان بن مخيس القشيري أيام محمد بن سليمان فقالت كثيرة:

على وجه مي مسحةٌ من ملاحةٍ وتحت الثياب الخزي لو كان باديا

ألم تر أن الماء يخبث طعمه ولو كان لون الماء في العين صافيا

ونحلتها ذا الرمة فامتعض من ذلك وحلف بجهد أيمانه ما قالها.

قال: وكيف أقول هذا وقد قطعت دهري وأفنيت شبابي أشبب بها وأمدحها ثم أقول هذا ثم اطلع على أن كثيرة قالتهما ونحلتهما إياه.

وقال هارون بن محمد: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله قال: حدثني هارون بن سعيد قال: حدثني أبو المسافر الفقعسي عن أبي بكر بن جبلة الفقعسي قال: وقف ذو الرمة في ركب معه على مية فسلموا عليها فقالت: وعليكم إلا ذا الرمة فأحفظه ذلك وغمه ما سمع منها بحضرة القوم فغضب وانصرف وهو يقول:

أيا مي قد أشمت بي ويحك العدا وقطعت حبلاً كان يا مي باقيا

فيا مي لا مرجوع للوصل بيننا ولكن هجراً بيننا وتقاليا

ألم تر أن الماء يخبث طعمه وإن كان لون الماء في العين صافيا

محمد بن الحجاج الأسيدي يلتقي بمية وهي عجوز

أخبرني الحسن بن علي الأدمي عن ابن مهرويه عن ابن النطاح عن محمد بن الحجاج الأسيدي من بني أسيد بن عمرو بن تميم قال: مررت على مية وقد أسنت فوقفت عليها وأنا يومئذ شاب فقلت: يا مية! ما أرى ذا الرمة قد ضيع فيك قوله حيث يقول: صوت

أما أنت عن ذكراك مية مقصر ولا أنت ناسي العهد منها فتذكر

قال: فضحكت وقالت: رأيتني يابن أخي وقد وليت وذهبت محاسني ويرحم الله غيلان فلقد قال هذا في وأنا أحسن من النار الموقدة في الليلة القرة في عين المقرور ولن تبرح حتى أقيم عندك عذره ثم صاحت: يا أسماء اخرجي فخرجت جاريةٌ كالمهاة ما رأيت مثلها فقالت: أما لمن شبب بهذه وهويها عذر فقلت: بلى فقالت: والله لقد كنت أزمان كنت مثلها أحسن منها ولو رأيتني يومئذ لازدريت هذه ازدراءك إياي اليوم انصرف راشداً.

في هذين البيتين لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى.

أبو سوار الغنوي يصف مية أخبرني أبو خليفة قال: قال محمد بن سلام: قال أبو سوار الغنوي: رأيت مية وإذا معها بنون لها صغار فقلت: صفها لي فقال: مسنونة الوجه طويلة الخد شماء الأنف عليها وسم جمال فقالت: ما القيت بأحدٍ من بني هؤلاء إلا في الإبل قلت: أفكانت تنشدك شيئاً مما قاله ذو الرمة فيها قال: نعم كانت تسح سحاً ما رأى أبوك مثله.

مية تنذر أن تنحر بدنة يوم تراه فأما ابن قتيبة فقال في خبره: مكثت مية زماناً لا ترى ذا الرمة وهي تسمع مع ذلك شعره فجعلت لله عليها أن تنحر بدنة يوم تراه فلما رأته رجلاً دميماً أسود وكانت من أجمل الناس قالت: واسوأتاه! وابؤساه واضيعة بدنتاه! فقال ذو الرمة:

على وجه مي مسحةٌ من ملاحة وتحت الثياب الشين لو كان باديا

قال: فكشفت ثوبها عن جسدها ثم قالت: أشيناً ترى لا أم لك! فقال:

ألم تر أن الماء يخبث طعمه وإن كان لون الماء أبيض صافيا

فقالت: أما ما تحت الثياب فقد رأيته وعلمت أن لا شين فيه و لم يبق إلا أن أقول لك: هلم حتى تذوق ما وراءه ووالله لا ذقت ذاك أبداً فقال:

فيا ضيعة الشعر الذي لج فانقضى بمي ولم أملك ضلال فؤاديا

قال: ثم صلح الأمر بينهما بعد ذلك فعاد لما كان عليه من حبها.

الجبيري وابنة مية يتذاكران شعراً لذي الرمة

وذكر محمد بن علي بن حفص الجبيري الحنفي - من ولد أبي جبيرة - أن النوار بنت عاصم المنقرية - وأمها مية صاحبة ذي الرمة - أخبرته وقد ذكر عندها ذا الرمة وأنشدها قوله في أمها:

هي البرء والأسقام والهم والمنى وموت الهوى في القلب مني المبرح

يربح أي يزيد الربح. هكذا ذكره الأصمعي.

إذا غير النأي المحبين لم أجد رسيس الهوى من حب مية يبرح

فلما سمعت قوله: غذا غير النأي المحبين...

قالت: قبحه الله هو الذي يقول أيضاً:

على وجه مي مسحةٌ من ملاحةٍ وتحت الثياب الشين لو كان باديا

فقلت لها: أكانت مية جدتك قالت: لا بل أمي فقلت لها: كم تعدين قالت: ستين سنة.

أخبرني الحسين بن يحيى قال حماد: قرأت على أبي عن محمد بن سلام قال: كانت مي صاحبة ذي الرمة من ولد طلبة بن قيس بن عاصم المنقري وكانت لها بنت عم من ولد قيس يقال لها: كثيرة أم سلهمة فقالت على لسان ذي الرمة: على وجه مي مسحةٌ من ملاحة الأبيات. فكان ذو الرمة إذا ذكر له ذلك يمتعض منه ويحلف أنه ما قالها قط.

أخبرني بهذا الخبر أبو خليفة عن محمد بن سلام عن أبي الغراف الضبي بمثله وقال فيه: أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب المهلبي عن ابن شبة عن المدائني عن سلمة عن محارب قال: كان ذو الرمة يقرأ ويكتب ويكتم ذلك فقيل له: كيف تقول: عزير ابن الله أو عزير بن الله فقال: أكثرهما حروفاً.

ذو الرمة يكتب

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قال: قال عيسى بن عمر: قال لي ذو الرمة: ارفع هذا الحرف فقلت له: أتكتب فقال بيده على فيه: اكتم علي فإنه عندنا عيب.

رؤبة يتهمه بسرقة شعره

أخبرني ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي عن محمد بن أبي بكر المخزومي قال: قال رؤبة: كما قلت شعراً سرقه ذو الرمة فقيل له: وما ذاك قال: قلت: حي الشهيق ميت الأنفاس فقال هو: حي الشهيق ميت الأوصال فقلت له: فقوله والله أجود من قولك وإن كان سرقه منك فقال: ذلك أغم لي.

يحدثنا عن منزلته من الراعي

أخبرني ابن عبد العزيز عن ابن شبة قال: قيل لذي الرمة: إنما أنت راوية الراعي. فقال: أما والله لئن قيل ذاك ما مثلي ومثله إلا شابٌ صحب شيخاً فسلك به طرقاً ثم فارقه فسلك الشاب بعده شعاباً وأودية لم يسلكها الشيخ قط.

لا يحسن الهجاء والمدح

أخبرني محمد بن أحمد بن الطلاس عن الخراز عن المدائني وأخبرني به إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم عن ابن أخي الأصمعي عن عمه دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال: إنما وضع من ذي الرمة أنه كان لا يحسن أن يهجو ولا يمدح وقد مدح بلال بن أبي بردة فقال:

رأيت الناس ينتجعون غيثاً ... فقلت لصيدح: انتجعي بلالا

أخبرني أبو خليفة عن ابن سلام قال: حدثني أبو الغراف قال: عاب الحكم بن عوانة الكلبي ذا الرمة في بعض قوله فقال فيه:

فلو كنت من كلبٍ صميماً هجوتكم ... جميعاً ولكن لا إخالك من كلب

ولكنما أخبرت أنك ملصقٌ كما ألصقت ... من غيرها ثلمة القعب

تدهدى فخرت ثلمةٌ من صميمه فكيف ... بأخرى بالغراء وبالشعب

ذو الرمة وبلال بن أبي بردة

يحتكمان إلى أبي عمرو بن العلاء في رواية شيء من شعر حاتم:

أخبرني أبو خليفة عن ابن سلام قال: وحدثني أبو الغراف قال: دخل ذو الرمة على بلال بن أبي بردة وكان بلال راويةً فصيحاً أديباً فأنشده بلال أبيات حاتم طيء قال:

لحا الله صعلوكاً مناه وهمه من العيش ... أن يلقى لبوساً ومطعما

يرى الخمس تعذيباً وإن نال شبعةً ... يبت قلبه من شدة الهم مبهما

هكذا أنشد بلال فقال ذو الرمة: يرى الخمص تعذيباً وإنما الخمس للإبل وإنما خمص البطن فمحك بلال - وكان محكاً - وقال: هكذا أنشدنيه رواه طيىء فرد عليه ذو الرمة فضحك ودخل أبو عمرو بن العلاء فقال له بلال: كيف تنشدهما وعرف أبو عمرو الذي به فقال: كلا الوجهين جائز فقال: أتأخذون عن ذي الرمة فقال: إنه لفصيح وإنا لنأخذ عنه بتمريضٍ.

وخرجا من عنده فقال ذو الرمة لأبي عمرو: والله لولا أني أعلم أنك حطبت في حبله وملت مع هواه لهجوتك هجاءً لا يقعد إليك اثنان بعده.

أجود شعره في رأي بلال بن جرير

نسخت من كتاب محمد بن داود بن الجراح: حدثني هارون بن محمد الزيات قال: حدثني حماد بن إسحاق عن عمارة بن عقيل قال: قيل لبلال بن جرير: أي شعر ذي الرمة أجود فقال: هل حبل خرقاء بعد اليوم مرموم إنها مدينة الشعر.

رأي لابن سلام في ذي الرمة

حدثنا أبو خليفة عن ابن سلام قال: كان ذو الرمة من جرير والفرزدق بمنزلة قتادة من الحسن وابن سيرين كان يروي عنهما ويروي جماعة من الكوفة يصنعون له أبياتاً أخبرني الجوهري قال: حدثنا ابن شبة عن ابن معاوية قال: قال حماد الراوية: قدم علينا ذو الرمة الكوفة فلم نر أحسن ولا أفصح ولا أعلم بغريبٍ منه فغم ذلك كثيراً من أهل المدينة فصنعوا له أبياتاً وهي قوله:

رأى جملاً يوماً ولم يك قبلها من ... الدهر يدري كيف خلق الأباعر

فقال: شظايا مع ظبايا ألا لنا ... وأجفل إجفال الظليم المبادر

فقلت له: لا ذهل ملكيل بعدما ... ملا نيفق التبان منه بعاذر

قال: فاستعادها مرتين أو ثلاثاً ثم قال: ما أحسب هذا من كلام العرب.

ذو الرمة وعنبسة النحوي أخبرني أبو الحسن الأسدي عن العباس بن ميمون طائع قال: حدثنا أبو عثمان المازني عن الأصمعي عن عنبسة النحوي قال: قلت لذي الرمة وسمعته ينشد ويقول:

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولين ... بالألباب ما تفعل الخمر

قال: فقلت له: فهلا قلت: فعولان فقال: لو قلت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر كان خيراً لك أي أنك أردت القدر وأراد ذو الرمة كونا فعولين بالألباب وأراد عنبسة: وعينان فعولان.

وروى هذا الخبر ابن الزيات عن محمد بن عبادة عن الأصمعي عن العلاء بن أسلم فذكر مثله.

يغير شعره لرأي قاله ابن شبرمة

وحكى أن إسحاق بن سويد المعارض له قال: وأخبرني الأخفش قال: حدثني محمد بن يزيد النحوي قال: حدثني عبد الصمد بن المعذل قال: حدثني أبي عن أبيه قال: قدم ذو الرمة الكوفة فوقف ينشد الناس بالكناسة قصيدته الحائية حتى أتى على قوله:

إذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح

فناداه ابن شبرمة: يا غيلان أراه قد برح. فشنق ناقته وجعل يتأخر بها ويفكر. ثم عاد فأنشد قوله: إذا غير النأي المحبين لم أجد قال: فلما انصرفت حدثت أبي فقال: أخطأ ابن شبرمة حين أنكر على ذي الرمة ما أنشد وأخطأ ذو الرمة حين غير شعره لقول ابن شبرمة إنما هذا مثل قول الله عز وجل: " ظلماتٌ بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها " وإنما معناه لم يرها و لم يكد.

بلال يأمر له بعشرة آلاف درهم

أخبرني الجوهري عن ابن شبرمة عن يحيى بن نجيم قال: قال رؤبة لبلال بن أبي بردة: علام تعطي ذا الرمة فوالله إنه ليعمد إلى مقاطعتنا فيصلها فيمدحك بها فقال: والله لو لم أعطه إلا على تأليفه لأعطيته وأمر له بعشرة آلاف درهم.

رجل بمربد البصرة يراجعه في شعر

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثنا عمر بن شبة حدثنا إسحاق الموصلي عن الأصمعي قال: قال رجل: رأيت ذا الرمة بمربد البصرة وعليه جماعة مجتمعة وهو قائم وعليه برد قيمته مائتا دينار وهو ينشد ودموعه تجري على لحيته: ما بال عينك منها الماء ينسكب فلما انتهى إلى قوله: قلت: يا أخا بني تميم ما هكذا قال عمك قال: وأي أعمامي يرحمك الله قلت: الراعي قال: وما قال قال: قلت: قوله:

ولا تعجل المرء قبل الورو ك وهي بركبته أبصر

وهي إذا قام في غرزها كمثل السفينة إذا توقر

ومصغية خدها بالزما م فالرأس منها له أصعر

حتى إذا ما استوى طبقت كما طبق المسحل الأغبر

قال: فأرتج عليه ساعة ثم قال: إنه نعت ناقة ملكٍ ونعت ناقة سوقةٍ. فخرج منها على رؤوس الناس.

روايات في سبب تشبيبه بخرقاء

فأما السبب بين ذي الرمة وخرقاء فقد اختلف فيه الرواة فقيل: إنه كان يهواها وقيل: بل كاد بها مية وقيل: بل كانت كحالة فداوت عينه فشبب بها.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن النوفلي عن أبيه: أن زوج مية أمرها أن تسب ذا الرمة غيرةً عليها فامتنعت فتوعدها بالقتل فسبته فغضب أخبرني حبيب بن نصر عن ابن شبة عن العتبي عن هارون بن عتبة قال: شبب ذو الرمة بخرقاء العامرية بغير هوى وإنما كانت كحالة فداوت عينه من رمد كان بها فزال فقال لها: ما تحبين حتى أعطيك فقالت: عشرة أبيات تشبب بي ليرغب الناس في إذا سمعوا أن في بقية للتشبيب ففعل.

كان الحاج يمرون بخرقاء

أخبرنا أبو خليفة عن ابن سلام قال: كان ذو الرمة شبب بخرقاء إحدى نساء بني عامر بن ربيعة وكانت تحل فلجاً ويمر بها الحاج فتقعد لهم وتحادثهم وتهاديهم وكانت تجلس معها فاطمة بنتها - فحدثني من رآهما - فلم تكن فاطمة مثلها وكانت تقول: أنا منسكٌ من مناسك الحج لقول ذي الرمة فيها:

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

خرقاء تسأل القحيف العقيلي أن يتشبب بها قال ابن سلام في خبره: وأرسلت خرقاء إلى القحيف العقيلي تسأله أن يشبب بها فقال: صوت

لقد أرسلت خرقاء نحوي جريها لتجعلني خرقاء فيمن أضلت

خرقاء تسقي ذا الرمة وهي لاتعرفه

حدثني حبيب بن نصر عن الزبير عن موهوب بن رشيد عمن حدثه قال: نزل ركب بأبي خرقاء العامرية فأمر لهم بلبن فسقوه وقصر عن شاب منهم فأعطته خرقاء صبوحها هي لا تعرفه فشربه ومضوا فركبوا فقال لها أبوها: أتعرفين الرجل الذي سقيت صبوحك قالت: لا والله قال: هو ذو الرمة القائل فيك الأقاويل فوضعت يدها على رأسها وقالت: واسوأتاه وابؤساه! ودخلت بيتها فما رآها أبوها ثلاثاً.

المفضل الضبي يزور خرقاء حدثني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال: قال الضبي: كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت فقال لي يوماً: هل لك إلى أن أريك خرقاء صاحبة ذي الرمة فقلت: إن فعلت فقد بررت. فتوجهنا جميعاً نريدها فعدل بي عن الطريق قدر ميل ثم أتينا أبيات شعر فاستفتح بيتاً ففتح له وخرجت امرأةٌ طويلة حسنة بها قوة فسلمت وجلست فتحدثنا ساعة ثم قالت لي: هل حججت قط قلت: غير مرة. قالت: فما منعك من زيارتي أما علمت أن منسك من مناسك الحج قلت: وكيف ذاك قالت:

أما سمعت تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

أخبرني وكيع عن أبي أيوب المدائني عن مصعب الزبيري قال: شبب ذو الرمة بخرقاء ولها ثمانون سنة.

رواية أخرى في لقاء ذي الرمة بخرقاء قال هارون بن الزيات: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم عن

محمد بن يعقوب عن أبيه قال: رأيت خرقاء بالبصرة وقد ذهبت أسنانها وإن في ديباجة وجهها لبقية فقلت: أخبريني عن السبب بينك وبين ذي الرمة فقالت: اجتاز بنا في ركبٍ ونحن عدة جوارٍ على بعض المياه فقال: أسفرن فسفرن غيري فقال: لئن لم تسفري لأفضحنك فسفرت فلم يزل يقول حتى أزيد ثم لم أره بعد ذلك.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني موهوب بن رشيد قال: حدثني جدي قال: كنت مع خرقاء ذي الرمة إذ نزل ببابها ركب من بني تميم فأمر لهم بلبن فسقوه وقصر اللبن عن شاب منهم فأمرت له خرقاء بغبوقها فلما أن رحل عنهم الركب قال لها أبوها: يا خرقاء أتعرفين من سقيت غبوقك اليوم قالت: لا والله ما أعرفه قال: ذاك ذو الرمة فوضعت يدها على رأسها وقالت: واسوأتاه! ودخلت خدرها.

قال الزبير: وحدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال: حدثنا أبو الشبل المعدي قال: كانت خرقاء البكائية أصبح من القبس وبقيت بقاءً طويلاً حتى شبب بها القحيف العقيلي.

خرقاء وصباح بن الهذيل أخبرنا أبو الحسن الأسدي عن أحمد بن سليمان عن أبي شيخ عن أبيه عن علي بن صالح بن سليمان عن صباح بن الهذيل أخي زفر بن الهذيل قال: خرجت أريد الحج فمررت بالمنزل الذي تنزله خرقاء فأتيتها فإذا امرأة جزلة عندها سماطان من الأعراب تحدثهم وتناشدهم فسلمت فردت ونسبتني فانتسبت لها وهي تنزلني حتى انتسبت إلى أبي فقالت: حسبك أكرمت ما شئت ما اسمك قلت: صباح قالت: وأبو من قلت: أبو المغلس قالت: أخذت أول الليل وآخره قال: فما كان لي همة إلا الذهاب عنها.

الحجاج الأسدي يزور خرقاء وتنشده شعراً لها في ذي الرمة

نسخت من كتاب محمد بن صالح بن النطاح: حدثني محمد بن الحجاج الأسدي التميمي - وما رأيت تميمياً أعلم منه - قال: حججت فلما صرت بمران منصرفاً فإذا أنا بغلام أشعث الذؤابة قد أورد غنيمات له فجئته فاستنشدته فقال لي: إليك عني فإني مشغول عنك. وألححت عليه فقال: أرشدك إلى ما بعض ما تحب انظر إلى ذلك البيت الذي يلقاك فإن فيه حاجتك هذا بيت خرقاء ذي الرمة فمضيت نحوه فطوحت بالسلام من بعيد فقالت: ادنه فدنوت فقالت: إنك لحضري فمن أنت قلت: من بني تميم - وأنه أحسب أنها لا معرفة لها بالناس - قالت: من أي تميم فأعلمتها فلم تزل تنزلني حتى انتسبت إلى أبي فقالت: الحجاج بن عمير بن يزيد قلت: نعم قالت: رحم الله أبا المثنى! قد كنا نرجو أن يكون خلفاً من عمير بن يزيد قلت: نعم فعاجلته المنية شاباً قالت: حياك الله يا بني وقربك من أين أقبلت قلت: من الحج. قالت: فما لك لم تمر بي وأنا أحد مناسك الحج إن حجك ناقص فأقم حتى تحج أو تكفر بعتق. قلت: وكيف ذلك قالت: أما سمعت قول غيلان عمك:

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

قال: وكانت وهي قاعدة بفناء البيت كأنها قائمةٌ من طولها بيضاء شهلاء فخمة الوجه. قال: فسألتها عن سنها فقالت: لا أدري إلا أني كنت أذكر شمر بن ذي الجوشن حين قتل الحسين مر بنا وأنا جاريةٌ ومعه كسوة

فقسمها في قومه قالت: وكان أبي قد أدرك الجاهلية وحمل فيها حمالات قال: ولما أنشدتني خرقاء بيت ذي الرمة فيها قلت: هيهات يا عمة قد ذهب ذلك منك قالت: لا تقل يا بني أما سمعت قول قحيف في:

وخرقاء لا تزداد إلا ملاحةً ولو عمرت تعمير نوح وجلت

ثم قالت: رحم الله ذا الرمة فقد كان رقيق البشرة عذب المنطق حسن الوصف مقارب الرصف عفيف الطرف فقلت لها: لقد أحسنت الوصف فقالت: هيهات أن يدركه وصفٌ رحمه الله ورحم من سماه اسمه.

فقلت: ومن سماه قالت: سيد بني عدي الحصين بن عبدة بن نعيم ثم أنشدتني لنفسها في ذي الرمة:

لقد أصبحت في فرعي معد مكان النجم في فلك السماء

إذا ذكرت محاسنه تدرت بحار الجود من نحو السماء

حصين شاد بإسمك غير شك فأنت غياث محلٍ بالفناء

إذا ضنت سحابة ماءٍ مزن تثج بحار جودك بارتواء

فقلت: أحسنت يا خرقاء فهل سمع ذلك منك ذو الرمة قالت: إي وربي قلت: فماذا قال قالت: قال: شكر الله لك يا خرقاء نعمةً ربيت شكرها من ذكرها فقالت: أثقلنا حقها ثم قالت: اللهم غفراً هذا في اللفظ ونحتاج إلى العمل.

مع رجل من بني النجار يمر ببيت خرقاء ويحادث ابنتها أخبرني جحظة عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن كناسة عن خيثم بن حجية العجلي قال: حدثني رجل من بني النجار قال: خرجت أمشي في ناحية البادية فمررت على فتاة قائمة على باب بيتٍ فقمت أكلمها فنادتني عجوز من ناحية الخباء: ما يقيمك على هذا الغزل النجدي فوالله ما تنال خيراً منه ولا ينفعك قال: وتقول هي: دعيه يا أماه يكن كما قال ذو الرمة:

وإن لم يكن إلا معرس ساعةٍ قليلاً فإني نافعٌ لي قليلها

فسألت عنهما فقيل لي: العجوز خرقاء ذي الرمة والفتاة بنتها.

ذو الرمة يموت وله أربعون سنة

وتوفي ذو الرمة في خلافة هشام بن عبد الملك وله أربعون سنة. وقد اختلفت الرواة في سبب وفاته.

روايات مختلفة عن وفاته أخبرني علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري عن يعقوب بن السكيت: أنه بلغ أربعين سنة وفيها توفي وهو خارج إلى هشام بن عبد الملك ودفن بحزوى وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره.

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: حدثني ابن أبي عدي قال: قال ذو الرمة: بلغت نصف الهرم وأنا ابن

أربعين سنة.

قال ابن سلام: وحدثني أبو الغراف أنه مات وهو يريد هشاماً وقال في طريقه في ذلك:

بلادٌ بها أهلون لست ابن أهلها وأخرى بها أهلون ليس بها أهل

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك: حدثني القاسم بن محمد الأسدي قال: حدثني جبر بن رياط قال: أنشد ذو الرمة الناس شعراً له وصف فيه الفلاة بالثعلبية فقال له حلبسٌ الأسدي: إنك لتنعت الفلاة نعتاً لا تكون منيتك إلا بها.

قال: وصدر ذو الرمة على أحد جفري بني تميم وهما على طريق الحاج من البصرة فلما أشرف على البصرة قال:

وإني لعاليها وإني لخائفٌ لما قال يوم الثعلبية حلبس

قال: ويقال: إن هذا آخر شعر قاله. فلما توسط الفلاة نزل عن راحلته فنفرت منه و لم تكن تنفر منه وعليها شرابه وطعامه فلما دنا منها نفرت حتى مات فيقال: إنه قال عند ذلك:

ألا أبلغ الفتيان عني رسالةً أهينوا المطايا هن أهل هوان

فقد تركتني صيدحٌ بمضلةٍ لساني ملتاثٌ من الطلوان

قال هارون: وأخبرني أحمد بن محمد الكلابي بهذه القصة وذكر أن ناقته وردت على أهله في مياههم فركبها أخوه وقص أثره حتى وجده ميتاً وعليه خلع الخليفة ووجد هذين البيتين مكتوبين على قوسه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن الرياشي عن الأصمعي عن أبي الوجيه قال: دخلت على ذي الرمة وهو يجود بنفسه فقلت له: كيف تجدك قال: أجدني والله أجد ما لا أجد أيام أزعم أني ما لم أجد حيث أقول:

كأني غداة الزرق يا مي مدنفٌ يجود بنفسٍ قد أحم حمامها

قال: وكان آخر ما قاله:

يا رب قد أشرفت نفسي وقد علمت علماً يقيناً لقد أحصيت آثاري

يا مخرج الروح من جسمي إذا احتضرت وفارج الكرب زحزحني عن النار

قال أبو الوجيه: وكانت منيته هذه في الجدري وفي ذلك يقول:

الم يأتها أني تلبست بعدها مفوفةً صواغها غير أخرق

نسخت من كتاب هارون بن الزيات: حديثني عبد الوهاب بن إبراهيم الأزدي قال: حدثني جهم بن مسعدة قال: حدثني محمد بن الحجاج الأسدي عن أبيه قال: وردت حجراً وذو الرمة به فاشتكى شكايته التي كانت منها منيته وكرهت أن أخرج حتى أعلم بما يكون في شكاته وكنت أتعهده وأعوده في اليوم واليومين فأتيته يوماً وقد ثقل فقلت: يا غيلان كيف تجدك فقال: أجدني والله يا أبا المثنى اليوم في الموت لا غداة أقول:

كأني غداة الزرق يا مي مدنفٌ يكيد بنفسٍ قد أحم حمامها

فأنا والله الغداة في ذلك لا تلك الغداة.

قال هارون بن الزيات: حدثني موسى بن عيسى الجعفري قال: أخبرني أبي قال: أخبرني رجل من بني تميم قال:

ألفت كلاب الحي حتى عرفنني ومدت نساج العنكبوت على رحلي

قال: ثم قال لمسعود أخيه: يا مسعود: قد أجدني تماثلت وخفت الأشياء عندنا واحتجنا إلى زيارة بني مروان فهل لك بنا فيهم فقال: نعم فأرسله إلى إبله يأتيه منها بلبن يتزوده وواعده مكاناً وركب ذو الرمة ناقته فقمصت به وكانت قد أعفيت من الركوب وانفجرت النوطة التي كانت به. قال: وبلغ موعد صاحبه وجهد وقال: أردنا شيئاً وأراد الله شيئاً وإن العلة التي كانت بي انفجرت. فأرسل إلى أهله فصلوا عليه ودفن برأس حزوى وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره.

قبره بالدهناء نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيدي: قال أبو عبيدة وذكر هارون بن الزيات عن محمد بن علي بن المغيرة عن أبيه عن أبي عبيدة عن المنتجع بن نبهان قال: لما احتضر ذو الرمة قال: إني لست ممن يدفن في الغموض والوهاد قالوا: فكيف نصنع بك ونحن في رمال الدهناء قال: فأين أنتم من كثبان حزوى - قال: وهما رملتان مشرفتان على ما حولهما من الرمال - قالوا: فكيف نحفر لك في الرمل وهو هائل قال: فأين الشجر والمدر والأعواد قال: فصلينا عليه في بطن الماء ثم حملنا له الشجر والمدر على الكباش وهي أقوى على الصعود في الرمل من الإبل. فجعلوا قبره هناك وزبروه بذلك الشجر والمدر ودلوه في قبره فأنت إذا عرفت موضع قبره رأيته قبل أن تدخل الدهناء وأنت بالدو على مسيرة ثلاث.

قال هارون: وحدثني محمد بن صالح العدوي قال: ذكر أبو عمرو المرادي: إن قبر ذي الرمة بأطراف عناق من وسط الدهناء مقابل الأواعس وهي أجبل شوارع يقابلن الصريمة صريمة النعام وهذا الموضع لبني سعد ويختلط معهم الرباب.

قال هارون: وحدثني هارون بن مسلم عن الزيادي عن العلاء بن برد قال: ما كان شيءٌ أحب إلى ذي الرمة إذا ورد ماء من أن يطوي ولا يسقي فأخبرني مخبر أنه مر بالجفر وقد جهده العطش قال: فسمعته يقول:

يا مخرج الروح من جسمي إذا احتضرت وفارج الكرب زحزحني عن النار

ثم قضى.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه عن عيسى بن عمر قال: كان ذو الرمة ينشد الشعر فإذا فرغ قال: والله لأكسعنك بشيء ليس في حسابك: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

أخبرني الحسن بن علي ووكيعٌ عن أبي أيوب قال: حدثني أبو معاوية الغلابي قال:

كان ذو الرمة حسن الصلاة حسن الخشوع فقيل له: ما أحسن صلاتك! فقال: إن العبد إذا قام بين يدي الله لحقيق أن يخشع.

أخوه مسعود يرثيه

نسخت من كتاب عبيد الله اليزيدي قال: حدثني عبد الرحمن عن عمه عن أبي عمرو بن العلاء قال: كان مسعود أخو ذي الرمة يمشي معي كثيراً إلى منزلي فقال لي يوماً وقد بلغ قريباً من منزلي: أنا الذي أقول في أخي ذي الرمة:

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني ... وليلى كلانا موجعٌ مات وافده

فقلت له: من ليلى فقال: بنت أخي ذي الرمة.

خبر إبراهيم في هذه الأصوات الماخورية

أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن ابن شبة عن إسحاق الموصلي عن أبيه قال: صنعت لحناً فأعجبني وجعلت أطلب له شعراً فعسر ذلك علي فأريت في المنام كأن رجلاً لقيني فقال لي: يا إبراهيم أو قد أعياك شعرٌ لغنائك هذا الذي تعجب به قلت: نعم. قال: فأين أنت من قول ذي الرمة:

ألا يا اسلمى يا دار مي على البلى ... ولا زال منهلاً بجر عائك القطر

قال: فانتهيت فرحاً بالشعر فدعوت من ضرب علي فغنيته فإذا هو أوفق ما خلق الله فلما عملت هذا الغناء في شعر ذي الرمة نبهت عليه وعلى شعره فصنعت فيه ألحاناً ماخورية منها :

أمنزلتي مي سلامٌ عليكما هل الأزمن ... اللائي مضين رواجع !

وغنيت بها الهادي فاستحسنها وكاد يطير فرحاً وأمر لكل صوت بألف دينار.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى ... ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

ولو لم تكوني غير شامٍ بقفرةٍ تجربها ... الأذيال صيفيةٌ كدر

عروضه من الطويل. وقوله: يا اسلمي ها هنا نداء كأنه قال: يا دار مي اسلمي ويا هذه اسلمي يدعو لها بالسلامة. ومثله قول الله عز وجل: " ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض " فسره أهل اللغة هكذا كأنه قال: يا قوم اسجدوا لله. ومي ترخيم مية إلا أنه أقامه ها هنا مقام الاسم الذي لم يرخم فنونه.

وقوله: على البلى أي اسلمي وإن كنت قد بليت. والمنهل: الجاري يقال: انهل المطر انهلالاً إذا سال. والجرعاء والأجرع من الرمل: الكثير الممتد. والشام: موضع يخالف لون الأرض وهو جمع واحدته شامة. والقفر: ما لم يكن فيه نبات ولا ماء تجر بها الأذيال صيفية يعني الرياح الصيفية الحارة. وأذيالها: مآخيرها التي تسفي التراب على وجه الأرض شبهها بذيل المرأة وعنى بها أوائلها. والكدر: التي فيها الغبرة من القتام والفجاج فهي تعفي الآثار وتدفنها. غناه إبراهيم الموصلي ماخورياً بالوسطى. ومنها: صوت

أمنزلتي مي سلامٌ عليكما هل الأزمن اللائي مضين رواجع!
وهل يرجع التسليم أو يكشف العمى ثلاث الأثافي والديار البلاقع !
توهمتها يوماً فقلت لصاحبي وليس لها إلا الظباء الخواضع
وموشيةٌ سحم الصياصي كأنها مجللةً حو عليها البراقع

عروضه من الطويل. غناه إبراهيم ماخورياً بالوسطى. والأزمن والأزمان جمع زمان. والعمى: الجهالة. والأثافي الثلاث هي الحجارة التي تنصب عليها القدر واحدها أثفية. والخواضع من الظباء: اللاتي قد طأطأت رؤوسها. والموشية: يعني البقر. والصياصي: القرون واحدها صيصية. والمجللة: التي كأن عليها جلالاً سوداً. والحوة: حمرة في سواد. ومما يغني فيه من هذه القصيدة قوله: صوت

قف العنس ننظر نظرةً في ديارها وهل ذاك من داء الصبابة نافع !
فقال: أما تغشى لمية منزلاً من الأرض إلا قلت: هل أنا رابع!
وقل لأطلالٍ لمي تحيةٌ تحيا بها أو أن ترش المدامع

العنس: الناقة. والرابع: المقيم. وقل لأطلال أي ما أقل لهذه الأطلال مما أفعله. وترش المدامع أي تكثر نضحها الدموع. غناه إبراهيم الموصلي ماخورياً.

وذكر ابن الزيات عن محمد بن صالح العذري عن الحرمازي قال: مر الفرزدق على ذي الرمة وهو ينشد: أمنزلتي مي سلام عليكما فلما فرغ قال له: يا أبا فراس كيف ترى قال: أراك شاعراً. قال: فما أقعدني عن غاية الشعراء قال: بكاؤك على الدمن ووصفك القطا وأبوال الإبل.

ذو الرمة وعصمة بن مالك يزوران مية

حدثني ابن عمار والجوهري وحبيب المهلبي عن ابن شبة عن إسحاق الموصلي عن مسعود بن قند قال: تذاكرنا ذا الرمة يوماً فقال عصمة بن مالك: إياي فاسألوا عنه قال: كان حلو العينين حسن النغمة إذا حدث لم تسأم حديثه وإذا أنشدك بربر وجش صوته جمعني وإياه مربع مرة فقال لي: هيا عصمة إن مية من منقر ومنقر أخبث حي وأقفاه لأثر وأثبته في نظر وأعلمه بشر وقد عرفوا آثار إبلي فهل عندك من ناقة نزدار عليها مية قلت:

إي والله عند الجؤذر بنت يمانية الجدلي قال: فعلي بها. فأتيته بها فركب وردفته فأتينا محلة مية والقوم خلوف والنساء في الرحال فلما رأين ذا الرمة اجتمعن إلى مي وأنخنا قريباً وأتيناهن فجلسنا إليهن فقالت ظريفة منهن: أنشدنا يا ذا الرمة. فقال لي: أنشدهن يا عصمة. فأنشدت قصيدته التي يقول فيه :

فاسبلت العينان والقلب كاتمٌ بمغرورقٍ نمت عليه سواكبه

بكاء فتى خاف الفراق ولم تجل جوائلها اسراره ومعاتبه

قالت الظريفة: فالآن فلتجل ثم أنشدت حتى أتيت على قوله:

وقد حلفت بالله مية ما الذي أحدثها إلا الذي أنا كاذبه

إذاً فرماني الله من حيث لا أرى ولا زال في ارضي عدو أحاربه

فقالت مية: ويحك يا ذا الرمة! خف الله وعواقبه. ثم أنشدت حتى أتيت على قوله:

إذا سرحت من حب مي سوارحٌ على القلب أبته جميعاً عوازبه

فقالت الظريفة: قتلته قتلك الله! فقالت مية: ما أصحه وهنيئاً له! فتنفس ذو الرمة تنفيسةً كاد حرها يطير بلحيتي ثم أنشدت حتى أتيت على قوله:

إذا نازعتك القول مية أو بدا لك الوجه منها أو نضا الدرع سالبه

فما شئت من خد أسيلٍ ومنطقٍ رخيمٍ ومن خلقٍ تعلل جادبه

فقالت الظريفة: فقد بدا لك الوجه وتنزع القول فمن لنا بأن ينضو الدرع سالبه فقالت لها مية: قاتلك الله! فماذا تأتين به! فتضاحكت الظريفة وقالت: إن لهذين لشأناً فقوموا بنا عنهما فقامت وقمن معها وقمت فخرجت وكنت قريباً حيث أراهما وأسمع ما ارتفع من كلاميهما فوالله ما رأيته تحرك من مكانه الذي خلفته فيه حتى ثاب أوائل الرجال فأتيته فقلت: انهض بنا فقد ثاب القوم فودعها فركب وردفته وانصرفنا.

ومنها: صوت

إذا هبت الأرواح من أي جانبٍ به أهل مي هاج قلبي هبوبها

هوى تذرف العينان منه وإنما هوى كل نفس حيث كان حبيبها

الغناء لإبراهيم ماخوري بالوسطى عن الهشامي.

صوت

إني تذكرني الزبير حمامةٌ تدعو بمجمع نخلتين هديلا

أفتى الندى وفتى الطعان قتلتم وفتى الرياح إذا تهب بليلا

لو كنت حراً يابن قين مجاشعٍ شيعت ضيفك فرسخاً أو ميلا

وفي أخرى: فرسخين وميلاً:

قالت قريشٌ: ما أذل مجاشعاً جاراً وأكرم ذا القتيل قتيلا !

الشعر لجرير يهجو الفرزدق ويعيره بقتل عشيرته الزبير بن العوام يوم الجمل والغناء للغريض ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو.

ذكر مقتل الزبير وخبره

الزبير وعلي بن أبي طالب

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز عن ابن شبة قالا: حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي عن قتادة قال: سار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من الزاوية يريد طلحة والزبير وعائشة وصاروا من الفرضة يريدونه فالتقوا عند قصر عبيد الله بن زياد يوم الخميس النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرسٍ وعليه سلاحه فقيل لعلي: هذا الزبير فقال: أما والله إنه أحرى الرجلين إن ذكر بالله أن يذكره وخرج طلحة وخرج علي غليهما فدنا منهما حتى اختلفت أعناق دوابهم فقال لهما: لعمري لقد أعددتما خيلاً ورجالاً إن كنتما أعددتما عند الله عذراً فاتقيا الله ولا تكونا " كالتي نقضت غزلها من بعد قوةٍ أنكاثاً " ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دماءكما فهل من حدثٍ أحل لكما دمي فقال له طلحة: ألبت الناس على عثمان فقال: يا طلحة أتطلبني بدم عثمان فلعن الله قتلة عثمان يا زبير أتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله في بني غنم فنظر إلي وضحك وضحكت إليه فقلت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه فقال: مه ليس بمزهو ولتقاتلنه وأنت له ظالم فقال: اللهم نعم ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا والله لا أقاتلك أبداً.

وانصرف علي إلى أصحابه وقال: أما الزبير فقد أعطى الله عهداً ألا يقاتلني.

قال: ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها: ما كنت في موطن مذ عقلت إلا وأنا أعرف فيه أمري غير موطني هذا قالت: وما تريد أن تصنع قال: أدعهم وأذهب فقال له ابنه عبد الله: أجمعت بين هذين الغارين حتى إذا حدد بعضهم لبعض اردت أن تذهب وتتركهم أخشيت رايات ابن أبي طالب وعلمت أنها تحملها فتيةٌ أنجاد. فأحفظه فقال: إني حلفت ألا أقاتله: قال: كفر عن يمينك وقاتله فدعا غلاماً له يدعى مكحولاً فأعتقه فقال عبد الرحمن بن سليمان التيمي:

لم ار كاليوم أخا إخوان أعجب من مكفر الأيمان

بالعتق في معصية الرحمن وقال بعض شعرائهم:

يعتق مكحولاً لصون دينه كفارةً لله عن يمينه

والنكث قد لاح على جبينه حدثني ابن عمار والجوهري قال: حدثنا ابن شبة عن علي بن محمد النوفلي عن الهذلي عن قتادة قال: وقف الزبير على مسجد بني مجاشع فسال عن عياض بن حماد فقال له النعمان بن زمام: هو بوادي السباع فمضى يريده.

حدثني ابن عمار والجوهري عن عمر قال: حدثني المدائني عن أبي مخنف عمن حدثه عن الشعبي قال: خرج النعمان مع الزبير حتى بلغ النجيب ثم رجع.

قال: وحدثنا عن مسلمة بن محارب عن عوف وعن أبي اليقظان قالا: مر الزبير ببني حماد فدعوه إلى أنفسهم فقال: اكفوني خيركم وشركم فوالله ما كفوه خيرهم وشرهم. ومضى ابن فرتنى إلى الأحنف وهو بعرق سويقه فقال: هذا الزبير قد مر فقال الأحنف: ما أصنع به! جمع بين غارين من المسلمين فقتل بعضهم بعضاً ثم مر يريد أن يلحق بأهله. فقام عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع بن كعب أحد بني عوف - ويقال نفيع بن عمير - فلحقوه بالعرق فقتل قبل أن ينتهي إلى عياض قتله عمرو بن جرموز.

حدثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجلي الكوفي وجعفر بن محمد بن الحسن العلوي الحسني والعباس بن علي بن العباس وأبو عبيد الصيرفي قالوا: حدثنا محمد بن علي بن خلف العطار قال: حدثنا عمرو بن عبد الغفار عن سفيان الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين قال: حدثني ابن عباس قال: قال لي علي: ائت الزبيرفقل له: يقول لك علي بن أبي طالب نشدتك الله ألست قد بايعتني طائعاً غير مكره. فما الذي أحدثت فاستحللت به قتالي وقال أحمد بن يحيى في حديثه: قل لهما: إن أخاكما يقرأ عليكما السلام ويقول: هل نقمتما علي جوراً في حكم أو استئثاراً بفيء فقالا: لا ولا واحدةً منهما ولكن الخوف وشدة الطمع.

وقال محمد بن خلف في خبره: فقال الزبير: مع الخوف شدة المطامع فأتيت علياً فأخبرته بما قال الزبير فدعا بالبغلة فركبها وركبت معه فدنوا حتى اختلفت أعناق دابتيهما فسمعت علياً يقول: نشدتك الله يا زبير أتعلم أني كنت أنا وأنت في سقيفة بني فلان تعالجني وأعالجك فمر بي - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - فقال: كأنك تحبه! فقلت: وما يمنعني! قال: أما إنه ليقاتلنك وهو لك ظالم. فقال الزبير: اللهم نعم ذكرتني ما نسيت وولى راجعاً. ونادى منادي علي: ألا لا تقاتلوا القوم حتى يستشهدوا منكم رجلاً فما لبث أن أتي برجل يتشحط في دمه فقال علي: اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد. وأمر الناس فشدوا عليهم وأمر الصراخ حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن أيوب المخزومي عن سعيد بن محمد الجرمي عن أبي الأحوص عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش ولا أحسبه إلا قال: كنت قاعداً عند علي فأتاه آتٍ فقال: هذا ابن جرموز قاتل الزبير بن العوام يستأذن على الباب قال: ليدخلن قاتل ابن صفية النار إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن لكل نبي حواري وإن حواري الزبير ".

أخبرني الطوسي وحرمي عن الزبير عن علي بن صالح عن سالم بن عبد الله بن عروة عن أبيه: أن عمراً أو عويمر بن جرموز قاتل الزبير أتى مصعباً حتى وضع يده في يده فقذفه في السجن وكتب إلى عبد الله بن الزبير يذكر له أمره فكتب إليه عبد الله: بئس ما صنعت أظننت أني أقتل أعرابياً من بني تميم بالزبير! خل سبيله فخلاه.

عاتكة ترثي الزبير

أخبرني الطوسي والحرمي عن الزبير عن عمه قال: قتل الزبير وهو ابن سبعٍ وستين سنة أو ست وستين سنة فقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ترثيه:

غدر ابن جرموزٍ بفارس بهمةٍ ... يوم اللقاء وكان غير معرد

شلت يمينك إن قتلت لمسلماً ... حلت عليك عقوبة المستشهد

إن الزبير لذو بلاءٍ صادقٍ ... سمحٌ سجيته كريم المشهد

كم غمرةٍ قد خاضها لم يثنه ... عنها طرادك يابن فقع القرد

فاذهب فما ظفرت يداك بمثله ... فيمن مضى ممن يروح ويغتدي

وكانت عاتكة قبل الزبير عند عمر وقبل عمر عند عبد الله بن أبي بكر.

عبد الله بن أبي بكر وعاتكة

أخبرني بخبرها محمد بن خلف وكيع عن أحمد بن عمرو بن بكر قال: حدثنا أبي قال: حدثنا الهيثم بن عدي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وأخبرنا وكيع قال: حدثني إسماعيل بن مجمع عن المدائني.

وأخبرني الطوسي والحرمي قالا: حدثنا الزبير عن عمه عن أبيه وأخبرني اليزيدي عن الخليل بن أسد عن عمرو بن سعيد عن الوليد بن هشام بن يحيى الغساني.

وأخبرني الجوهري عن ابن شبة قال: حدثنا محمد بن موسى الهذلي وكل واحد منهم يزيد في الرواية وينقص منها وقد جمعت رواياتهم قالوا: تزوج عبد الله بن أبي بكر الصديق عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت امرأة لها جمالٌ وكمالٌ وتمامٌ في عقلها ومنظرها وجزالة رأيها وكانت قد غلبته على رأيه فمر عليه أبو بكر أبوه وهو في علية يناغيها في يوم جمعة وأبو بكر متوجه إلى الجمعة ثم رجع وهو يناغيها فقال: يا عبد الله أجمعت قال: أو صلى الناس قال: نعم: قال: وقد كانت شغلته عن سوق وتجارة كان فيها - فقال له أبو بكر: قد شغلتك عاتكة عن المعاش والتجارة وقد ألهتك عن فرائض الصلاة طلقها فطلقها تطليقة وتحولت إلى ناحية فبينا أبو بكر يصلي على سطح له في الليل إذ سمعه وهو يقول:

أعاتك لا أنساك ما ذر شارقٌ وما ناح قمري الحمام المطوق
أعاتك قلبي كل يوم وليلة لديك بما تخفي النفوس معلق
لها خلقٌ جزلٌ ورأيٌ ومنطقٌ وخلقٌ مصونٌ في حياءٍ ومصدق
فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير شيء تطلق

فسمع أبو بكر قوله فأشرف عليه وقد رق له فقال: يا عبد الله راجع عاتكة فقال: أشهدك أني قد راجعتها. وأشرف على غلام له يقال له أيمن فقال له: يا أيمن أنت حر لوجه الله تعالى أشهدك أني قد راجعت عاتكة ثم خرج إليها يجري إلى مؤخر الدار وهو يقول:

كذلك أمر الله غادٍ ورائحٌ على الناس فيه ألفةٌ وتباين
وما زال قلبي للتفرق طائراً وقلبي لما قد قرب الله ساكن
ليهنك أني لا أرى فيك سخطةً وأنك قد تمت عليك المحاسن
فإنك ممن زين الله وجهه وليس لوجهٍ زانه الله شائن

قال: وأعطاها حديقةً له حين راجعها على ألا تتزوج بعده فلما مات من السهم الذي أصابه بالطائف أنشأت تقول:

فلله عيناً من رأى مثله فتى أكر وأحمى في الهياج وأصبرا
إذا شرعت فيه الأسنة خاضها إلى الموت حتى يرتك الرمح أحمرا
فأقسمت لا تنفك عيني سخينةً عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
مدى الدهر ما غنت حمامة أيكةٍ وما طرد الليل الصباح المنورا

عمر بن الخطاب وعاتكة

فخطبها عمر بن الخطاب فقالت: قد أعطاني حديقة على ألا أتزوج بعده قال: فاستفتي فاستفتت علي بن أبي طالب فقال: ردي الحديقة على أهله وتزوجي. فتزوجت عمر فسرح عمر إلى عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم علي بن ابي طالب - يعني دعاهم - لما بنى بها فقال له علي: إن لي إلى عاتكة حاجةً أريد أن أذكرها إياها فقل لها تستتر حتى أكلمها فقال لها عمر: استتري يا عاتكة فإن ابن أبي طالب يريد أن يكلمك فأخذت عليها مرطها فلم يظهر منها إلا ما بدا من براجمها فقال: يا عاتكة:

فأقسمت لا تنفك عيني سخينةً عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فقال له عمر: ما أردت إلى هذا فقال: وما أرادت إلى أن تقول ما لا تفعل وقد قال الله تعالى: " كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون " وهذا شيء كان في نفسي أحببت والله أن يخرج. فقال عمر: ما حسن الله فهو حسنٌ فما قتل عمر قالت ترثيه:

عين جودي بعبرةٍ ونحيب لا تملي على الإمام النجيب

فجعتنا المنون بالفارس المع لم يوم اليهاج والتلبيب

عصمة الله والمعين على الدهر غياث المنتاب والمحروب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب

وقالت ترثيه أيضاً: صوت

يا ليلةً حبست علي نجومها فسهرتها والشامتون هجود

قد كان يسهرني حذارك مرةً فاليوم حق لعيني التسهيد

أبكي أمير المؤمنين ودونه للزائرين صفائحٌ وصعيد

غنى فيه طويس خفيف رمل عن حماد والهشامي.

الزبير بن العوام وعاتكة

فلما انقضت عدتها خطبها الزبير بن العوام فتزوجها فلما ملكها قال: يا عاتكة لا تخرجي إلى المسجد وكانت امرأة عجزاء بادنة.. فقالت: يابن العوام أتريد أن أدع لغيرتك مصلى صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فيه قال: فإني لا أمنعك فلما سمع النداء لصلاة الصبح توضأ وخرج فقام لها في سقيفة بني ساعدة فلما مرت به ضرب بيده على عجيزتها فقالت: مالك قطع الله يدك! ورجعت فلما رجع من المسجد قال: يا عاتكة ما لي لم أرك في مصلاك قالت: يرحمك الله أبا عبد الله فسد الناس بعدك الصلاة اليوم في القيطون أفضل منها في البيت وفي البيت أفضل منها في الحجرة. فلما قتل عنها الزبير بوادي السباع رثته فقالت:

يا عمرو لو نبهته لوجدته لا طائشاً رعش اللسان ولا اليد

هبلتك أمك إن قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المتعمد

الحسين بن علي وعاتكة

فلما انقضت عدتها تزوجها الحسين بن علي فكانت أول من رفع خده من التراب وقالت ترثيه:

وحسيناً فلا نسيت حسيناً أقصدته أسنة الأعداء

غادروه بكربلاء صريعاً جادت المزن في ذرى كربلاء

ثم تأيمت بعده فكان عبد الله بن عمر يقول: من أراد الشهادة فليتزوج بعاتكة. ويقال: إن مروان خطبها بعد الحسين فامتنعت عليه وقالت: ما كنت لأتخذ حماً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا الخليل بن أسد قال: حدثني العمري قال: حدثنا أسامة بن زيد عن القاسم بن محمد قال: لم يزل السهم الذي أصاب عبد الله بن أبي بكر عند أبي بكر حتى قدم وفد ثقيف فأخرجه إليهم فقال: من يعرف هذا منكم فقال سعيد بن عبيد من بني علاج: هذا سهمي وأنا بريته وأنا رشته وأنا عقبته وأنا رميت به يوم الطائف فقال أبو بكر: فهذا السهم الذي قتل عبد الله والحمد لله الذي أكرمه بيدك و لم يهنك بيده.

طويس يغني شعراً لعاتكة

أخبرني اليزيدي عن الزبيرن عن أحمد بن عبيد الله بن عاصم بن المنذر بن الزبير قال: لما قتل الزبير وخلت عاتكة بنت زيد خطبها علي بن أبي طالب فقالت له: إني لأضن بك على القتل يابن عم رسول الله.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام قال: حدثني أبي قال: بينا فتية من قريش ببطن محس يتذاكرون الأحاديث ويتناشدون الأشعار إذ أقبل طويس وعليه قميص قوهي وحبرة قد ارتدى بها وهو يخطر في مشيته فسلم ثم جلس فقال له القوم: يا أبا عبد الله غننا شعراً مليحاً له حديث ظريف فغناهم بشعر عاتكة بنت زيد ترثي عمر بن الخطاب:

منع الرقاد فعاد عيني عيد مما تضمن قلبي المعمود

الأبيات. فقال القوم: لمن هذه الأبيات يا طويس قال لأجمل خلق الله وأشأمهم فقالوا: بأنفسنا أنت من هذه قال: هي والله من لا يجهل نسبها ولا يدفع شرفها تزوجت بابن خليفة نبي الله وثنت بخليفة خليفة نبي الله وثلثت بحواري نبي الله وربعت بابن بنت رسول الله وكلا قتلت.

قالوا جميعاً: جعلنا فداك إن أمر هذه لعجيب بآبائنا أنت من هذه قال: عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل.

فقالوا: نعم هي على ما وصفت قوموا بنا لا يدرك مجلسنا شؤمها. قال طويس: إن شؤمها قد مات معها قالوا: أنت والله أعلم منا.

صوت

يا دنانير قد تنكر عقلي وتحيرت بين وعدٍ ومطل

شغفي شافعي إليك وإلا فاقتليني إن كنت تهوين قتلي

الشعر والغناء لعقيد مولى صالح بن الرشد خفيف ثقيل وفيه لعريب رمل بالوسطى وهذا الشعر يقوله في دنانير مولاة البرامكة وكان خطبها فلم تجبه وقيل: بل قاله أحد اليزيدين ونحله إياه.

ذكر أخبار دنانير وأخبار عقيد

كانت مولاة ليحيى بن خالد البرمكي

كانت دنانير مولاة يحيى بن خالد البرمكي وكانت صفراء مولدة وكانت من أحسن الناس وجهاً وأظرفهن وأكملهن أدباً وأكثرهن رواية للغناء والشعر وكان الرشيد لشغفه بها يكثر مصيره إلى مولاها ويقيم عندها ويبرها ويفرط حتى شكته زبيدة إلى أهله وعمومته فعاتبوه على ذلك.

لها كتاب في الأغاني

ولها كتابٌ مجرد في الأغاني مشهور وكان اعتمادها في غناءها على ما أخذته من بذل وهي خرجتها وقد أخذت أيضاً عن الأكابر الذين أخذت بذل عنهم مثل: فليح وإبراهيم وابن جامع وإسحاق ونظرائهم.
أخبرني جحظه قال: حدثني المكي عن أبيه قال:
كنت أنا وابن جامع نعايي دنانير جارية البرامكة فكثيراً ما كانت تغلبنا.

عرضت على الموصلي صوتاً لها فأعجبه

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي عن ابن شبة قال: حدثني إسحاق الموصلي قال: قال لي أبي: قال لي يحيى بن خالد: إن ابنتك دنانير قد عملت صوتاً اختارته وأعجبت به فقلت لها: لا يشتد إعجابك حتى تعرضيه على شيخك فإن رضيه فارضيه لنفسك وإن كرهه فاكرهيه فامض حتى تعرضه عليك. قال: فقال لي أبي: فقلت له: أيها الوزير فكيف إعجابك أنت به فإنك والله ثاقب الفطنة صحيح التمييز قال: أكره أن أقول لك: أعجبني فيكون عندك غير معجب إذ كنت عندي رئيس صناعتك تعرف منها ما لا أعرف وتقف من لطائفها على ما لا أقف وأكره أن أقول لك: لا يعجبني وقد بلغ من قلبي مبلغاً محموداً وإنما يتم السرور به إذا صادف ذلك منك استجادةً وتصويباً. قال: فمضيت إليها وقد تقدم إلى خدمه يعلمهم أنه سيرسل بي إلى داره وقال لدنانير: إذا جاءك إبراهيم فاعرضي عليه الصوت الذي صنعته واستحسنته فإن قال لك: أصبت سررتني بذلك وإن كره فلا تعلميني. لئلا يزول سروري بما صنعت. قال إسحاق: قال أبي: فحضرت الباب فأدخلت وإذا الستارة قد نصبت فسلمت على الجارية من وراء الستارة فردت السلام وقالت: يا أبت أعرض عليك صوتاً قد تقدم لاشك إليك خبره وقد سمعت الوزير يقول: إن الناس يفتنون بغنائهم فيعجبهم منه ما لا يعجب غيرهم وكذلك يفتنون بأولادهم فيحسن في أعينهم منهم ما ليس يحس وقد صوت

نفسي أكنت عليك مدعياً أم حين أزمع بينهم خنت !

إن كنت مولعةً بذكرهم فعلى فراقهم ألا مت!

قال: فأعجبني والله غاية العجب واستخفني الطرب حتى قلت لها: أعيديه فأعادته وأنا أطلب لها فيه موضعاً أصلحه وأغيره عليها لتأخذه عني فلا والله ما قدرت على ذلك ثم قلت لها: أعيديه الثالثة فأعادته فإذا هو كالذهب المصفى فقلت: أحسنت يا بنية وأصبت وقد قطعت عليك بحسن إحسانك وجودة إصابتك أنك قائدةٌ للمعلمين إذ قد صرت تحسنين الاختيار وتجيدين الصنعة قال: ثم خرج فلقيه يحيى بن خالد فقال: كيف رأيت صنعة ابنتك دنانير قال: أعز الله الوزير والله ما يحسن كثيرٌ من حذاق المغنين مثل هذه الصنعة ولقد قلت لها: أعيديه وأعادته علي مرات كل ذلك أريد إعناتها لأجتلب لنفسي مدخلاً يؤخذ عني وينسب إلي فلا والله ما وجدته فقال لي يحيى: وصفك لها يقوم مقام تعليمك إياها وقد - والله - سررتني وسأسرك فوجه إلي بمال عظيم.

اشتراها يحيى بن خالد

وذكر محمد بن الحسن الكاتب قال: حدثني ابن المكي قال: كانت دنانير لرجل من أهل المدينة وكان خرجها وأدبها وكانت أروى الناس للغناء القديم وكانت صفراء صادقة الملاحة فلما رآها يحيى وقعت بقلبه فاشتراها.

الرشيد يعجب بها فتعلم أم جعفر

وتشكوه إلى عمومته

وكان الرشيد يسير إلى مترله فيسمعها حتى ألفها واشتد عجبه بها فوهب لها هبات سنيةً منها أنه وهب لها في ليلة عيد عقداً قيمته ثلاثون ألف دينار فرد عليه في مصادرة البرامكة بعد ذلك. وعلمت أم جعفر خبره فشكته إلى عمومته فصاروا جميعاً إليه فعاتبوه فقال: ما لي في هذه الجارية من أربٍ في نفسها وإنما أربى في غنائها فاسمعوها فإن استحقت أن يؤلف غناؤها وإلا فقولوا ما شئتم فأقاموا عنده ونقلهم إلى يحيى حتى سمعوها عنده فعذروه وعادوا إلى أم جعفر فأشاروا عليها ألا تلح في أمرها فقبلت ذلك وأهدت إلى الرشيد عشر جوارٍ منهن: ماردة أم المعتصم ومراجل أم المأمون وفاردة أم صالح.

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات: أخبرني محمد بن عبد الله الخزاعي قال: حدثني عباد البشري قال: مررت بمترل من منازل طريق مكة يقال له النباج فإذا كتاب على حائط في المترل فقرأته فإذا هو: النيك أربعة فالأول شهوة والثاني لذة والثالث شفاء والرابع داء وحرٌ إلى أيرين أحوج من أير إلى حرين وكتبت دنانير مولاة البرامكة بخطها.

أخبرني إسماعيل بن يونس عن ابن شبة: أن دنانير أخذت عن إبراهيم الموصلي حتى كانت تغني غناءه فتحكيه فيه حتى لا يكون بينهما فرق وكان إبراهيم يقول ليحيى: متى فقدتني ودنانير باقية فما فقدتني.

دنانير تصاب بالعلة الكلبية

قال: وأصابتها العلة الكلبية فكانت لا تصبر على الأكل ساعة واحدة فكان يحيى يتصدق عنها في كل يوم من شهر رمضان بألف دينار لأنها كانت لا تصومه وبقيت عند البرامكة مدة طويلة.

الرشيد يأمر بصفع دنانير حتى تغني

أخبرني ابن عمار وابن عبد العزيز وابن يونس عن ابن شبة عن إسحاق: وأخبرني جحظة عن أحمد بن الطيب: أن الرشيد دعا بدنانير البرمكية بعد قتله إياهم فأمرها أن تغني فقالت: يا أمير المؤمنين إني آليت ألا أغني بعد سيدي أبداً فغضب وأمر بصفعها فصفعت وأقيمت على رجليها وأعطيت العود وأخذته وهي تبكي أحر بكاء واندفعت فغنت: صوت

يا دار سلمى بنازح السند　　بين الثنايا ومسقط اللبد

لما رأيت الديار قد درست　　أيقنت أن النعيم لم يعد

الغناء للهذلي خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى وذكر علي بن يحيى المنجم وعمرو أنه لسياط في هذه الطريقة.

قال: فرق لها الرشيد وأمر بإطلاقها وانصرفت ثم التفت إلى إبراهيم بن المهدي فقال له: كيف رأيتها قال: رأيتها تختله برفق وتقهره بحذق.

خطبها عقيد فردته

وبقيت على حالها إلى أن ماتت

قال علي بن محمد الهشامي: حدثني أبو عبد الله بن حمدون أن عقيداً مولى صالح بن الرشيد خطب دنانير البرمكية وكان هويها وشغف بذكرها فردته واستشفع عليها مولاه صالح بن الرشيد وبذل والحسين بن محرز فلم تجبه وأقامت على الوفاء لمولاها فكتب إليها عقيد قوله:

يا دنانير قد تنكر عقلي　　وتحيرت بين وعد ومطل

شفعي شافعي إليك　　وإلا فاقتليني إن كنت تهوين قتلي

أنا بالله والأمير وما آمل من موعد الحسين وبذل
ما أحب الحياة يا حب إن لم يجمع الله عاجلاً بك شملي

فلم يعطفها ذلك على ما يحب و لم تزل على حالها إلى أن ماتت.

وكان عقيدٌ حسن الغناء والضرب قليل الصنعة ما سمعنا منه بكبير صنعة ولكنه كان بموضع من الحذق والتقدم.

قال محمد بن الحسين: حدثني أبو حارثة عن أخيه أبي معاوية قال: شهدت إسحاق يوماً وعقيدٌ يغنيه: صوت

هلا سألت ابنة العبسي ما حسبي عند الطعان إذا ما احمرت الحدق
وجالت الخيل بالأبطال عابسةً شعث النواصي عليها البيض تأتلق

الشعر يقال: إنه لعنترة و لم يصح له والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى. قال: فجعل إسحاق يستعيده ويشرب ويصفق حتى والى بين أربعة أرطال وسأله بعض من حضر: من أحسن الناس غناء قال: من سقاني أربعة أرطال.

أبو حفص الشطرنجي يقول فيها شعراً يغنيه ابن جامع وفي دنانير يقول أبو حفص الشطرنجي.

صوت

أشبهك المسك وأشبهته قائمةً في لونه قاعده
لاشك إذ لونكما واحدٌ أنكما من طينةٍ واحده

غناه ابن جامع هزجاً بالبنصر وقيل: إنه لأبي فارة.

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن علي بن محمد النوفلي عن مولاة بن جامع أن مولاها كان يهوى جارية صفراء. فقال فيها هذا الشعر وغنى فيه وأظن هذا وهماً لأنا لم نسمع لابن جامع بشعر قط ولعله غناه في شعر أبي حفص الشطرنجي. فظننته له.

ومما غناه عقيد في دنانير والشعر للموصلي إلا البيت الأول فليس له.

صوت

هذي دنانير تنساني فأذكرها وكيف تنسى محباً ليس ينساها !
والله والله لو كانت إذا برزت نفس المتيم في كفيه ألقاها

والشعر والغناء لعقيد ولحنه من الرمل المطلق في مجرى الوسطى وفيه هزج خفيف محدث.

المغنون والجواري يغنون بشعر عقيد فيها قال أحمد بن أبي طاهر: حدثني علي بن محمد قال: حدثني جابر بن مصعب عن مخارق قال: مرت بي ليلةٌ ما مر بي قط مثلها. جاءني رسول محمد الأمين وهو خليفة فأخذني وركض بي إليه ركضاً فحين وافيت أتي بإبراهيم بن المهدي على مثل حالي فنزلنا وإذا هو في صحن لم أر مثله قد ملىء شمعاً من شمع محمد الأمين الكبار وإذا به واقف ثم دخل في الكرح والدار مملوءة بالوصائف يغنين على

الطبول والسرنايات ومحمد في وسطهن يرتكض في الكرح فجاءنا رسوله فقال: قوماً في هذا الباب مما يلي الصحن فارفعا أصواتكما مع السرناي أين بلغ وإياكما أن أسمع في أصواتكما تقصيراً عنه قال: فأصغينا فإذا الجواري والمخنثون يزمرون ويضربون:

هذي دنانير تنساني وأذكرها ... وكيف تنسى محباً ليس ينساها!

قد أكمل الحسن في تركيب صورتها ... فارتج أسفلها واهتز أعلاها

قامت تمشي فليت الله صيرني ... ذاك التراب الذي مسته رجلاها

والله والله لو كانت إذا برزت ... نفس المتيم في كفيه ألقاها

فما زلنا نشق حلوقنا مع السرناي ونتبعه حذراً من أن نخرج عن طبقته أو نقتصر عنه إلى الغداة ومحمد يجول في الكرح ما يسأمه يدنو إلينا مرة في جولانه ويتباعد مرة وتحول الجواري بيننا وبينه حتى أصبحنا.

صوت

ألا طرقت أسماءُ لا حين مطرق ... وأنى إذا حلت بنجران نلتقي

بوج وما بالي بوج وبالها ومن يلق ... يوماً جدة الحب يخلق

عروضه من الطويل الشعر لخفاف بن ندبة والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالسباب في مجرى البنصر عن إسحاق أيضاً وذكر عمرو بن بانة أن فيه لحناً لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى وفيه لعلويه خفيف رمل بالوسطى وفيه للقاسم بن زرزور خفيف رمل آخر صحيح في غنائه وفيه لابن مسجح ثقيل اول عن إبراهيم ويحيى المكي والهشامي وفيه لمخارق رمل بالبنصر.

أخبار خفاف ونسبه

هو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار وندبة أمه وهي أمةٌ سوداء وكان خفاف أسود أيضاً وهو شاعر من شعراء الجاهلية وفارسٌ من فرسانهم وجعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من الفرسان مع مالك بن نويرة ومع ابني عمه صخر ومعاوية ابني عمرو بن الشريد ومالك بن حمار الشمخي.

أحد فرسان العرب وأغربتهم

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام قال: كان خفاف بن ندبة - وهي أمه - فارساً شجاعاً شاعراً وهو أحد أغربة العرب وكان هو ومعاوية بن الحارث بن الشريد أغار على بني ذبيان يوم حوزة فلما قتلوا معاوية بن عمرو قال خفاف: والله لا أريم اليوم أو أقيد به سيدهم فحمل على مالك بن حمار وهو يومئذ فارس بني فزارة وسيدهم فطعنه فقتله وقال:

فإن تك خيلي قد أصيب صميمها فعمداً على عيني تيممت مالكا
أقول له والرمح يأطر متنه :تأمل خفافاً إنني أنا ذلكا

قال ابن سلام: وهو الذي يقول:

يا هند يا أخت بني الصارد ما أنا بالباقي ولا الخالد
إن أمس لا أملك شيئاً فقد أملك أمر المنسر الحارد

في هذين البيتين لعبيد الله بن أبي غسان خفيف ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي.

ينال من العباس بن مرداس

والعباس يرد عليه

أخبرني عمي عن عبد الله بن سعد عن أحمد بن عمر عن عمر بن خالد بن عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن الحجاج السلمي قال: كان بدء ما كان بين خفاف بن ندبة والعباس بن مرداس أن خفافاً كان في ملأ من بني سليم فقال لهم: إن عباس بن مرداس يريد أن يبلغ فينا ما بلغ عباس بن أنس ويأبى ذلك عليه خصالٌ قعدن به فقال له فتى من رهط العباس: وما تلك الخصال يا خفاف قال: اتقاؤه بخيله عند الموت واستهانته بسبايا العرب وقتله الأسرى ومكالبته للصعاليك على الأسلاب ولقد طالت حياته حتى تمنينا موته فانطلق الفتى إلى العباس فأخبره الخبر فقال العباس: يابن أخي إن لم يكن كالأصم في فضله فلست كخفافٍ في جهله وقد مضى الأصم بما في أمس وخلفني بما في غدٍ فلما أمسى تغنى وقال:

خفافٌ ما تزال تجر ذيلاً إلى الأمر المفارق للرشاد
إذا ما عاينتك بنو سليمٍ ثنيت لهم بداهيةٍ ناد
وقد علم المعاشر من سليم بأني فيهم حسن الأيادي
فأورد يا خفاف فقد بليتم بني عوف بحية بطن وادي

قال: ثم أصبح فأتى خفافاً. وهو في ملأ من بني سليم فقال: قد بلغني مقالتك يا خفاف والله لا أشتم عرضك ولا أسب أباك وأمك ولكني رامٍ سوادك بما فيك وإنك لتعلم أني أحمي المصاف وأتكرم على السلب وأطلق الأسير وأصون السبية. وأما زعمك أني أتقي بخيلي الموت فهات من قومك رجلاً اتقيت به. وأما استهانتي بسبايا العرب

فإني أحذو القوم في نسائهم بفعالهم في نسائنا وأما قتلي الأسرى فإني قتلت الزبيدي بخالك إذ عجزت عن ثأرك. وأما مكالبتي الصعاليك على الأسلاب فوالله ما أتيت على مسلوب قط إلا لميت سالبه. وأما تمنيك موتي. فإن مت قبلك فأغن غنائي وإن سليماً لتعلم أني أخف عليهم مؤونة وأثقل على عدوهم وطأة منك وإنك لتعلم أني أبحت حمى بني زبيد وكسرت قرني الحارث وأطفأت جمرة خثعم وقلدت بني كنانة قلائد العار ثم انصرف. فقال خفافٌ أبياتاً لم يحفظ الشيخ منها إلا قوله:

ولم تقتل أسيرك من زبيد ... بخالي بل غدرت بمستفاد

فزندك في سليم شر زندٍ ... وزادك في سليم شر زاد

فأجابه العباس بقوله:

ألا من مبلغٌ عني خفافاً فإني ... لا أحاشي من خفاف

نكحت وليدةً ورضعت أخرى ... وكان أبوك تحمله قطاف

فلست لحاصنٍ إن لم نزرها تثير ... النقع من ظهر النعاف

سراعاً قد طواها الأين دهماً ... وكمتاً لونها كالورس صاف

ابن عم للعباس يحرضه على الحرب

قال: ثم كف العباس وخفاف حتى أتى ابن عم للعباس يكنى أبا عمرو بن بدر وكان غائباً فقال: يا عباس! ما نقول فيك خيراً إلا وهو باطل قال: وكيف ذلك ويحك! قال: أخبرني عنك أكل الذي أقررت به من خفاف في نفيه أباك وتهجينه عرضك ليأس من نصر قومك أو ضعف من نفسك قال: لا ولا واحدة منهما ولكني أحببت البقيا قال: فاسمع ما قلته قال: هات فأنشأ يقول:

أرى العباس ينفض مذرويه ... دهين الرأس تقليه النساء

وقد أزرى بوالده خفافٌ ... ويحسب مثله الداء العياء

فلا تهد السباب إلى خفاف ... فإن السب تحسنه الإماء

ولا تكذب وأهد إليه حرباً ... معجلةً فإن الحرب داء

أذل الله شر كما قبيلاً ... ولا سقت له رسماً سماء

العباس وخفاف يلتقيان ويقتتلان

قال العباس: قد آذنت خفافاً بحرب ثم أصبحا فالتقيا بقومهما فاقتتلوا قتالاً شديداً يوماً إلى الليل وكان الفضل للعباس على خفاف فركب إليه مالك بن عوف ودريد بن الصمة الجشمي في وجوه هوازن فقام دريد خطيباً فقال: يا معشر بني سليم إنه أعجلني إليكم صدرٌ وادٌ ورأيٌ جامع وقد ركب صاحباكم شر مطية وأوضعا إلى أصعب غاية فالآن قبل أن يندم

دريد ومالك بن عوف يحذرانهما عاقبة الحرب

فقام مالك بن عوف فقال: يا معشر بني سليم إنكم نزلتم متزلاً بعدت فيه هوازن وشبعت منكم فيه بنو تميم وصالت عليكم فيه بكر بن وائل ونالت فيه منكم بنو كنانة فانزعوا وفيكم بقية قبل أن تلقوا عدوكم بقرنٍ أعضب وكف جذماء قال: فلما أمسينا تغنى دريد بن الصمة فقال:

سليم بن منصور ألما تخبروا بما ... كان من حربي كليبٍ وداحس
وما كان في حرب اليحابر من دم ... مباحٍ وجذعٍ مؤلمٍ للمعاطس
وما كان في حربي سليم وقبلهم ... بحرب بعاثٍ من هلاك الفوارس
تسافهت الأحلام فيها جهالةً وأضرم ... فيها كل رطب ويابس
فكفوا خفافاً عن سفاهة رأيه وصاحبه ... العباس قبل الدهارس
وإلا فأنتم مثل من كان قبلكم ومن يعقل ... الأمثال غير الأكايس

وقال مالك بن عوف النضري:

سليم بن منصور دعوا الحرب ... إنما هي الهلك للأقصين أو للأقارب
تفرقت الأحياء منهم لجاجةً ... وهم بين مغلوبٍ ذليلٍ وغالب
فما لسليم ناصرٌ من هوازنٍ ... ولو نصروا لم تغن نصرةُ غائب

دريد بن الصمة يعاهدهما على الكف عن الحرب وتهادي الشعر من غير شتم قال: ثم أصبحنا فاجتمعت بنو سليم وجاء العباس وخفافٌ فقال لهما دريد بن الصمة ولمن حضر من قومهما: يا هؤلاء! إن أولكم كان خير أول وكل حي سلف خيرٌ من الخلف فكفوا صاحبيكم عن لجاج الحرب وتهاجي الشعر قال: فاستحيا العباس فقال: فإنا نكف عن الحرب ونتهادى الشعر قال: فقال دريد: فإن كنتما لابد فاعلين فاذكرا ما شئتما ودعا الشتم فإن الشتم طريق الحرب فانصرفا على ذلك. فقال العباس بن مرداس:

فأبلغ لديك بني مالكٍ ... فأنتم بأنبائنا أخبر
فأما النخيل فليست لنا نخيلٌ ... تسقى ولا تؤبر

ولكن جمعاً كجذل الحكا ك فيه المقنع والحسر

مغاوير تحمل أبطالنا إلى الموت ساهمةٌ ضمر

وأعددت للحرب خيفانةً تديم الجراء إذا تخطر

صنيعاً كقارورة الزعفرا ن مما تصان ولا تؤثر

أعباس إن استعار القصيد في غير معشره منكر

علام تناول ما لا تنال فتقطع نفسك أو تخسر

فإن الرهان إذا ما أريد فصاحبه الشامخ المخطر

تخاوص لم تستطع عدة كأنك من بغضنا أعور

فقصرك مأثورةٌ إن بقيت أصحو بهالك أو أسكر

لساني وسيفي معاً فانظرن إلى تلك أيهما تبدر

قال: فلما طال الأمر بينهما من الحرب والتهاجي قال عباس: إني والله ما رأيت لخفافٍ مثلاً إلا شبام بني زبيد فإنه كان يلقى من ابن عمه ثروان بن مرة من الشتم والأذى ما ألقى من خفاف فلما لج في شتمه تركه وما هو فيه فقال:

وهبت لثروان بن مرة نفسه وقد أمكنتني من ذؤابته يدي

وأحمل ما في اليوم من سوء رأيه رجاء التي يأتي بها الله في غد

فقال خفاف: إني والله ما وجدت لعباس مثلاً إلا ثروان بني زبيد فإنه كان يلقي من شبام ما ألقى من العباس من الأذى فقال ثروان:

رأيت شباماً لا يزال يعيبني فلله ما بالي وبال شبام!

فتقصر عني يا شبام بن مالكٍ وما عض سيفي شاتمي بحرام

فقال عباس: جزاك الله عني يا خفاف شراً فقد كنت أخف بني سليم من دمائها ظهراً وأخمصها بطناً فأصبحت العرب تعيرني بما كنت أعيب عليها من الاحتمال وأكل الأموال وصرت ثقيل الظهر من دمائها منفضح البطن من أموالها وأنشأ يقول:

ألم تر أني تركت الحروب وأني ندمت على ما مضى

ندامة زارٍ على نفسه لتلك التي عارها يتقى

فلم أوقد الحرب حتى رمى خفافٌ بأسهمه من رمى
فإن تعطف القوم أحلامهم فيرجع من ودهم ما نأى
فلست فقيراً إلى حربهم وما بي عن سلمهم من غنى

فقال خفاف:

أعباس إما كرهت الحروب فقد ذقت من عضها ما كفى
أألقحت حرباً لها شدة زماناً تسعرها باللظى
فلما ترقيت في غيها دحضت وزل بك المرتقى
فلا زلت تبكي على زلة وماذا يرد عليك البكا
وإن كنت تطمع في سلمنا فزوال ثبيراً وركني حرا

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني مسعود بن عيسى العبدي عن يحيى بن عبد الله بن الفضل الفزاري وكان علامة بأمر قيس قال: كان خفاف بن ندبة في جماعة من قومه فقال: إن عباس بن مرداس ليريد أن يبلغ فينا مبلغ عباس بن أنس وتأبى عليه خصالٌ قعدن به عن ذلك فقال فتىً من رهط عباس: ما تلك الخصال يا خفاف فقال: اتقاؤه بخيله عند الموت ومكالبة الصعاليك على الأسلاب وقتله الأسرى واستهانته بسبايا العرب وايم الله لقد طالت حياته حتى تمنينا موته فانطلق الفتى إلى العباس فحدثه الحديث فقال العباس: يابن أخي إلا أكن كالأصم في فضله فلست كخفافٍ في جهله وقد مضى الأصم بما في أمس وخلفني لما في غد فلما أمسى تغنى فقال:

خفاف أما تزال تجر ذيلاً إلى الأمر المقرب للفساد
وقد علم المعاشر من سليم بأني فيهم حسن الأيادي
وأني يوم جمع بني عطيفٍ حملت بحالك وهج المرادي
وأني لا أعير في سليم برد الخيل سالمة الهوادي
وأني في ملمة كل يوم أقي صحبي وفي خيلي تعادي
في القلب يقدح والحشا فالقلب مجروح النواحي

قال: صدقت والله قال: فما يمنعك عن منادمته يا أمير المؤمنين قال: يمنعني قوله:

قلت لساقينا على خلوةٍ أدن كذا رأسك من راسي
ونم على صدرك لي ساعةً إني امرؤٌ أنكح جلاسي

أفتريد أن نكون من جلاسه على هذه الشريطة!.

قال شعراً في أبي نواس

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازة: حدثني عبد الله بن مسلم بن قتيبة ووجدته في بعض الكتب عن ابن قتيبة وروايته أتم فجمعتهما قال: حدثني الدعلجي غلام أبي نواس قال: أنشدت يوماً بين يدي أبي نواس قوله:

يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلي ولم أنم

وكان قد سكر فقال: أخبرك بشيء على أن تكتمه قلت: نعم قال: أتدري من المغني بقوله: يا شقيق النفس من حكم قلت: لا قال: أنا والله المعني بذلك والشعر لوالبة بن الحباب قال: وما علم بذلك غيرك وأنت أعلم فما حدثت بهذا حتى مات.

قال: وقال الجاحظ: كان والبة بن الحباب ومطيع بن إياس ومنقذ بن عبد الرحمن الهلالي وحفص بن أبي وردة وابن المقفع ويونس بن أبي فروة وحماد بن عجرد وعلي بن الخليل وحماد بن أبي ليلى الراوية وابن الزبرقان وعمارة بن حمزة ويزيد بن الفيض وجميل بن محفوظ وبشار المرعث وأبان اللاحقي ندماء يجتمعون على الشراب وقول الشعر ولا يكادون يفترقون ويهجو بعضهم بعضاً هزلاً وعمداً وكلهم متهمٌ في دينه.

والبة وأبو العتاهية يتهاجيان

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال: حدثني محمد بن القاسم قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم بن محمد السالمي الكوفي التيمي قال: حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال: رأيت أبا العتاهية جاء إلى أبي فقال له: إن والبة بن الحباب قد هجاني ومن أنا منه أنا جرار مسكين وجعل يرفع من والبة ويضع من نفسه فأحب أن تكلمه أن يمسك عني. قال:

فكلم أبي والبة وعرفه أن أبا العتاهية جاءه وسأله ذلك فلم يقبل وجعل يشتم أبا العتاهية فتركه ثم جاء أبو العتاهية فسأله عما عمل في حاجته فأخبره بما رد عليه والبة فقال لأبي: لي الآن إليك حاجة قال: وما هي قال: لا تكلمني في أمره قال: قلت له: هذا أول ما يجب ذلك قال: فقال أبو العتاهية يهجوه:

أوالب أنت في العرب كمثل الشيص في الرطب
هلم إلى الموالي الصيد في سعةٍ وفي رحب
فأنت بنا لعمر الله أشبه منك بالعرب
غضبت عليك ثم رأيت وجهك فانجلى غضبي
لما ذكرتني من لون أجدادي ولون أبي

فقل ما شئت أقبله وإن أطنبت في الكذب
لقد أخبرت عنك وعن أبيك الخالص العربي
فقال العارفون به مصاصٌ غير مؤتشب
أتانا من بلاد الرو م معتجراً على قتب
خفيف الحاذ كالصمصا م أطلس غير ذي نشب
أوالب ما دهاك وأنت في الأعراب ذو نسب
فجئت أقيشر الخدين أزرق عارم الذنب
لقد أخطأت في شتمي فخبرني ألم أصب

وقال في والبة أيضاً:

نطقت بنو أسدٍ ولم تجهر وتكلمت خفياً ولم تظهر
وأما ورب البيت لو نطقت لتركتها وصباحها أغبر
أيروم شتمي منهم رجلٌ في وجهه عبرٌ لمن فكر
وابن الحباب صليبةً زعموا ومن المحال صليبةٌ أشقر
ما بال من آباؤه عرب الألوان يحسب من بني قيصر
أترون أهل البدو قد مسخوا شقراً أما هذا من المنكر

وقال: وأول هذه القصيدة:

صرح بما قد قلته واجهر لابن الحباب وقل ولا تحصر
ما لي رايت أباك أسود غر بيب القذال كأنه زرزر
وكأن وجهك حمرةً رئةٌ وكأن رأسك طائرٌ اصفر

قال: وبلغ الشعر والبة فجاء إلى أبي فقال: قد كلمتني في أبي العتاهية وقد رغبت في الصلح قال له أبي: هيهات إنه قد أكد علي إن لم تقبل ما طلب أن أخلي بينك وبينه وقد فعلت فقال له والبة: فما الرأي عندك فإنه فضحني قال: تنحدر إلى الكوفة فركب زورقاً ومضى من بغداد إلى الكوفة وأجود ما قاله والبة في أبي العتاهية قوله:

كان فينا يكنى أبا إسحاق وبها الركب سار في الآفاق
فتكنى معتوهنا بعتاهٍ يا لها كنيةً أتت باتفاق

خلق الله لحيةً لك لا تنفك معقودةً لدى الحلاق

وله فيه وهو ضعيف سخيف من شعره:

قل لابن بائعة القصار وابن الدوارق والجرار

تهوى عتيبة ظاهراً وهواك في أير الحمار

تهجو مواليك الألى فكوك من ذل الإسار

والبة وعلي بن ثابت

أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدثني ابن أبي فنن قال: كان والبة بن الحباب خليلاً لعلي بن ثابت وصديقاً ودوداً وفيه يقول:

وقاسماً نفسي فدت قاسماً من حدث الموت وريب الزمان

قال: ولما مات والبة رثاه فقال:

بكت البرية قاطبه جزعاً لمصرع والبه

قامت لموت أبي أسا مة في الرفاق النادبه

يقصد أبا بجير الأسدي بالأهواز ويلتقي بأبي نواس قال: وكان والبة أستاذ أبي نواس وعنه أخذ ومنه اقتبس قال: وكان والبة قد قصد أبا بجير الأسدي وهو يتولى للمنصور الأهواز فمدحه وأقام عنده فألفى أبا نواس هناك وهو أمرد فصحبه وكان حسن الوجه فلم يزل معه فيقال: إنه كشف ثوبه ليلةً فرأى حمرة أليتيه وبياضهما فقبلهما فضرط عليه أبو نواس فقال له: لم فعلت هذا ويلك قال: لئلا يضيع قول القائل: ما جزاء من يقبل الإست إلا ضرطة.

والبة وأبو سلهب الشاعر أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي الفضل قال: حدثني أبو سلهب الشاعر قال: كان والبة بن الحباب صديقي وكان ماجناً طبعاً خفيف الروح خبيث الدين وكنا ذات يوم

شربت وفاتكٌ مثلي جموحٌ بغمى بالكؤوس وبالبواطي

يعاطيني الزجاجة أريحي رخيم الدل بورك من معاطي

أقول له على طرب: ألطني ولو بمؤاجرٍ علجٍ نباطي

فما خير الشراب بغير فسقٍ يتابع بالزناء وباللواط

جعلت الحج في غمى وبنا وفي قطربلٍ أبداً رباطي

فقل للخمس آخر ملتقانا إذا ما كان ذاك على الصراط

يعني الصلوات.

قال: وحدثني أنه كان ليلة نائماً وأبو نواس غلامه إلى جانبه نائم إذ أتاه آت في منامه فقال له: أتدري من هذا النائم إلى جانبك قال: لا قال: هذا أشعر منك وأشعر من الجن والإنس أما والله لأفتتن بشعره الثقلين ولأغرين به أهل المشرق والمغرب قال: فعلمت أنه إبليس فقلت له: فما عندك قال: عصيت ربي في سجدة فأهلكني ولو أمرني أن أسجد له ألفاً لسجدت.

حكم الوادي يغني شعر والبة

أخبرني الحسين بن يحيى قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: قرأت على أبي عن أبيه أن حكم الوادي أخبره أنه دخل على محمد بن العباس يوماً بالبصرة وهو يتململ خماراً وبيده كأس وهو يجتهد في شربها فلا يطيقه وندماؤه بين يديه في أيديهم أقداحهم وكان يوم نيروز فقال لي: يا حكم غنني فإن أطربتني فلك كل ما أهدي إلي اليوم قال: وبين يديه من الهدايا أمر عظيم فاندفعت أغني في شعر والبة بن الحباب: صوت

قد قابلتنا الكؤوس ... ودابرتنا النحوس

واليوم هرٌ مزروز ... قد عظمته المجوس

لم نخطه في حسابٍ ... وذاك مما نسوس

فطرب واستعاده فأعدته ثلاث مرات فشمرت قدحه واستمر في شربه وأمر بحمل كان ما كان بين يديه إلي فكانت قيمته ثلاثين ألف درهم.

لحن حكم الوادي في هذا الشعر هزج بالبنصر عن الهشامي وإبراهيم وغيرهما.

صوت

لقد زاد الحياة إلي حبا ... بناتي إنهن من الضعاف

مخافة أن يذقن البؤس بعدي ... وأن يشربن رنقاً بعد صاف

وأن يرين إن كسي الجواري ... فيبدي الصر عن هزلٍ عجاف

ولولاهن قد سومت مهري ... وفي الرحمان للضعفاء كاف

الشعر لعمران بن حطان فيما ذكر أبو عمرو الشيباني وذكر المدائني أنه لعيسى الحبطي وكلاهما من الشراة والغناء لمحمد بن الأشعث الكوفي خفيف رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة.

أخبار عمران بن حطان ونسبه

نسبه

هو عمران بن حطان بن ظبيان بن لوذان بن عمرو بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكرة بن وائل.

من شعراء الشراة

وقال ابن الكلبي: هو عمران بن حطان بن ظبيان بن معاوية بن الحارث بن سدوس.
ويكنى أبا شهاب. شاعر فصيح من شعراء الشراة ودعاتهم والمقدمين في مذهبهم وكان من القعدة لأن عمره طال فضعف عن الحرب وحضورها فاقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه.

من رواة الحديث

كان قبل أن يفتن بالشراة مشتهراً بطلب العلم والحديث ثم بلي بذلك المذهب فضل وهلك لعنه الله وقد أدرك صدراً من الصحابة وروى عنهم وروى عنه أصحاب الحديث. فما روي عنه ما أخبرنا به محمد بن العباسي اليزيدي قال: حدثنا الرياشي قال: حدثنا أبو الوليد الطيالسي عن أبي عمرو بن العلاء عن أبي صالح بن سرح اليشكرين عن عمران بن حطان قال: كنت عند عائشة فتذاكروا القضاة فقالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يؤتى بالقاضي العدل فلا يزال به ما يرى من شدة الحساب حتى يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة ".
وكان أصله من البصرة فلما اشتهر بهذا المذهب طلبه الحجاج فهرب إلى الشام فطلبه عبد الملك فهرب إلى عمان وكان يتنقل إلى أن مات في تواريه.

تزوج امرأة من الشراة فأضلته

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثنا منيع بن أحمد السدوسي عن أبيه عن جده قال: كان عمران بن حطان من أهل السنة والعلم فتزوج امرأةً من الشراة من عشيرته وقال: أردها عن مذهبها إلى الحق فأضلته وذهبت به.
طلبه الحجاج فهرب منه إلى الشام وأخبرني بخبره في هربه من الحجاج عمر بن عبد الله بن جميل العتكي ومحمد بن العباس طلب الحجاج عمران بن حطان السدوسي وكان من قعدة الخوارج فكتب فيه إلى عماله وإلى عبد الملك.
وأخبرني بهذا الخبر أيضاً الحسن بن علي الخفاف ومحمد بن عمران الصيرفي قالا: حدثنا العنزي قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد الدارع قال: حدثنا أبو عبيدة معمر بن المثنى عن أخيه يزيد بن المثنى: أن عمران بن حطان خرج هارباً من الحجاج فطلبه وكتب فيه إلى عماله وإلى عبد الملك فهرب و لم يزل يتنقل في أحياء العرب وقال في ذلك:

حللنا في بني كعب بن عمرٍو وفي رعلٍ وعامر عوثبان

وفي جرمٍ وفي عمرو بن مر وفي زيدٍ وحي بني الغدان

عمران وروح بن زنباع ثم لحق بالشام فنزل بروح بن زنباع الجذامي فقال له روح: ممن أنت قال: من الأزد أزد السراة قال: وكان روح يسمر عند عبد الملك فقال له ليلة: يا أمير المؤمنين إن في أضيافنا رجلاً ما سمعت منك حديثاً قد إلا حدثني به وزاد فيما ليس عندي قال: ممن هو قال: من الأزد قال: إني لأسمعك تصف صفة عمران بن حطان لأنني سمعتك تذكر لغة نزارية وصلاةً وزهداً ورواية وحفظاً وهذه صفته فقال روح: وما أنا وعمران! أما بعد فإن رجلاً من أهل الشقاق والنفاق قد كان أفسد علي أهل العراق وحببهم بالشراة ثم إني طلبته فلما ضاق عليه عملي تحول إلى الشام فهو ينتقل في مدائنها وهو رجل ضربٌ طوالٌ أفوه أروق قال: قال روحٌ: هذه والله صفة الرجل الذي عندي. ثم أنشد عبد الملك يوماً قول عمران يمدح عبد الرحمن بن ملجم - لعنه الله - بقتله علي بن أبي طالب:

يا ضربةً من كريمٍ ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأفكر فيه ثم أحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

ثم قال عبد الملك: من يعرف منك قائلها فسكت القوم جميعاً فقال لروح: سل ضيفك عن قائلها قال: نعم أنا سائله وما أراه يخفى على ضيفي ولا سألته عن شيء قط فلم أجده إلا عالماً به. وراح روح إلى أضيافه فقال: إن أمير المؤمنين سألنا عن الذي يقول: يا ضربةً من كريمٍ ما أراد بها.....

ثم ذكر الشعر وسألهم عن قائله فلم يكن عند أحدٍ منهم علم فقال له عمران: هذا قول عمران بن حطان في ابن ملجم قاتل علي بن أبي طالب قال: فهل فيها غير هذين البيتين تفيدنيه قال: نعم:

لله در المرادي الذي سفكت كفاه مهجة شر الخلق إنسانا

فغدا روحٌ فأخبر عبد الملك فقال: من أخبرك بذلك فقال: ضيفي قال: أظنه عمران بن حطان فأعلمه أني قد أمرتك أن تأتيني به قال: أفعل فراح روحٌ إلى أضيافه فأقبل على عمران فقال له: إني ذكرتك لعبد الملك فأمرني أن آتيه بك قال: كنت أحب ذلك منك وما منعني من ذكره إلا الحياء منك وأنا متبعك فانطلق. فدخل روح على عبد الملك فقال له: أين صاحبك فقال: قال لي: أنا متبعك قال: أظنك والله سترجع فلا تجده فلما رجع روح إلى منزله إذا عمران قد مضى وإذا هو قد خلف رقعةً في كوةٍ عند فراشه وإذا فيها يقول:

يا روح كم من أخي مثوى نزلت به قد ظن ظنك من لخمٍ وغسان

حتى إذا خفته فارقت منزله من بعد ما قيل: عمران بن حطان

قد كنت ضيفك حولاً لا تروعني فيه الطوارق من إنسٍ ولا جان

حتى أردت بي العظمى فأوحشني ما أوحش الناس من خوف ابن مروان
فاعذر أخاك ابن زنباعٍ فإن له في الحادثات هناتٍ ذات ألوان
يوماً يمانٍ إذا لاقيت ذا يمنٍ وإن لقيت معدياً فعدناني
لو كنت مستغفراً يوماً لطاغيةٍ كنت المقدم في سري وإعلاني
لكن أبت ذاك آياتٌ مطهرةٌ عند التلاوة في طه وعمران

قال: ثم أتى عمران بن حطان الجزية فنزل بزفر بن الحارث الكلابي بقرقيسيا فجعل شباب بني عامر يتعجبون من صلاته وطولها وانتسب لزفر أوزاعياً فقدم على زفر رجلٌ من أهل الشام قد كان رأى عمران بن حطان بالشام عند روح بن زنباع فصافحه وسلم عليه فقال زفر للشامي: أتعرفه قال: نعم هذا شيخ من الأزد فقال له زفر: أزدي مرة وأوزاعي أخرى! إن كنت خائفاً آمناك وإن كنت عائلاً أغنيناك فقال: إن الله هو المغني وخرج من عنده وهو يقول:

إن التي أصبحت يعيا بها زفرٌ أعيت عياءً على روح بن زنباع
أمسى يسائلني حولاً لأخبره والناس من بين مخدوعٍ وخداع
حتى إذا انجذمت مني حبائله كف السؤال ولم يولع بإهلاعي
فاكفف كما كف روحٌ إنني رجلٌ إما صريحٌ وإما فقعة القاع
أما الصلاة فإني غير تاركها كل امرىءٍ للذي يعنى به ساعي
فاكفف لسانك عن هزي ومسألتي ماذا تريد إلى شيخٍ لأوزاع!
أكرم بروح بن زنباعٍ وأسرته قوماً دعا أوليهم للعلا داعي
جاورتهم سنةً فيما دعوت به عرضي صحيحٌ ونومي غير تهجاع

هروبه من الحجاج إلى روذ ميسان ووفاته بها ثم خرج فنزل بعمان بقوم يكثرون ذكر أبي بلال مرداس بن أدية ويثنون عليه ويذكرون فضله فأظهر فضله ويسر أمره عندهم وبلغ الحجاج مكانه فطلبه فهرب فنزل في روذميسان -

طسوج من طساسيج السواد إلى جانب الكوفة - فلم يزل به حتى مات وقد كان نازلاً هناك على رجل من الأزد فقال في ذلك:

نزلت بحمد الله في خير أسرةٍ أسر بما فيهم من الإنس والخفر
نزلت بقومٍ يجمع الله شملهم وما لهم عودٌ سوى المجد يعتصر

من الأزد إن الأزد أكرم أسرةٍ يمانيةٍ قربوا إذا نسب البشر

قال اليزيدي: الإنس بالكسر: الاستئناس. وقال الرياشي: أراد قربوا فخفف قال:

وأصبحت فيهم آمناً لا كمعشرٍ بدوني فقالوا من ربيعة أو مضر

أو الحي قحطان وتلك سفاهةٌ كما قال لي روحٌ وصاحبه زفر

وما منهم إلا يسر بنسبةٍ تقربني منهم وإن كان ذا نفر

فنحن بنو الإسلام والله واحدٌ وأولي عباد الله بالله من شكر

أخبرنا اليزيدي قال: حدثنا الرياشي قال: حدثنا الأصمعي عن المعتمر بن سليمان قال: كان عمران بن حطان رجلاً من أهل السنة فقدم عليه غلام من عمان كأنه نصل فقلبه عن مذهبه في مجلس واحد.

أخبرني اليزيدي قال: حدثنا الرياشي قال: حدثنا مسدد بن مسرهد قال: حدثنا بشر بن المفضل عن سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين وأخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثنا عمرو بن علي القلاس وعباس العنبري ومحمد بن عبد الله المخزومي قالوا: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن بشر بن المفضل عن سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال: تزوج عمران بن حطان امرأةً من الخوارج فقيل له فيها فقال: أردها عن مذهبها فذهبت هي به.

خارجي يتخلف عن الخروج ويتمثل بشعر لعمران نسخت عن بعض الكتب: حدثنا المدائني عن جويرية قال: كتب عيسى الحبطي إلى رجل منهم يقال له أبو خالد كان تخلف عن الخروج مع قطري أو غيره منهم:

أبا خالدٍ أنفر فلست بخالدٍ وما ترك الفرقان عذراً لقاعد

فكتب إليه: ما منعني عن الخروج إلا بناتي والحدب عليهن حين سمعت عمران بن حطان يقول:

لقد زاد الحياة إلي حبا بناتي إنهن من الضعاف

ولولا ذاك قد سومت مهري وفي الرحمن للضعفاء كاف

قال: فجلس عيسى يقرأ الأبيات ويبكي ويقول: صدق أخي إن في ذلك لعذراً له وإن في الرحمن للضعفاء كافياً.

الأخطل يرى أن عمران أشعر الشعراء

وقال هارون: أخذت من خط أبي عدنان: أخبرني أبو ثروان الخارجي قال: سمعت أشياخ الحي يقولون: اجتمعت الشعراء عند عبد الملك بن مروان فقال لهم: أبقي أحدٌ أشعر منكم قالوا: لا. فقال الأخطل: كذبوا يا أمير المؤمنين قد بقي من هو أشعر منهم قال: ومن هو قال عمران بن حطان قال: وكيف صار أشعر منهم قال: لأنه قال وهو صادق ففاقهم فكيف لو كذب كما كذبوا!.

الحجاج يتحصن من غزالة الحرورية وعمران يتهكم عليه أخبرنا الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه عن ابن

أبي سعد عن أحمد بن محمد بن علي بن حمزة الخراساني عن محمد بن يعقوب بن عبد الوهاب عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن القارىء عن الزهري عن أبيه: أن غزالة الحرورية لما دخلت على الحجاج هي وشبيب الكوفة تحصن منها وأغلق عليه قصره فكتب إليه عمران بن حطان وقد كان الحجاج لج في طلبه قال:

أسدٌ علي وفي الحروب نعامةٌ ... ربداء تجفل من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزالة في ... الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر

صدعت غزالة قلبه بفوارسٍ ... تركت مدابره كأمس الدابر

ثم لحق بالشام فنزل على روح بن زنباع.

عمران يصير حرورياً

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا محمد بن خالد أبو حرب قال: حدثنا محمد بن عباد المهلبي قال: حدثنا جرير بن حازم قال: كان عمران بن حطان أشد الناس خصومة للحرورية حتى لقيه أعرابي حروري فخاصمه قال جرير بن حازم: كان الفرزدق يقول: لقد أحسن بنا ابن حطان حيث لم يأخذ فيما أخذنا فيه ولو أخذ فيما أخذنا فيه لأسقطنا يعني لجودة شعره.

لا يقول أحد شعراً إلا نسب إليه لشهرته

نسخت من كتاب ابن سعد قال: أخبرني الحسن بن عليل العنزي قال: أخبرني أحمد بن عبد الله بن سويد بن منجوف السدوسي قال: أخبرني أحمد بن مؤرج عن أبيه قال: حدثني به تميمي بن سوادة وهو ابن أخت مؤرج قال: حدثني أبو العوام السدوسي قال: كان مالك المذموم رجلاً من بني عامر بن ذهل وكان من الخوارج وكان الحجاج يطلبه. قال أبو العوام: فدخلت عليه يوماً وهو في تواريه فأنشدني يقول:

ألم يأن لي يا قلب أن أترك الصبا ... وأن أزجر النفس اللجوج عن الهوى

وما عذر من يعمى وقد شاب رأسه ... ويبصر أبواب الضلالة والهدى

ولو قسم الذنب الذي قد أصبته ... على الناس خاف الناس كلهم الردى

فإن جن ليلٌ كنت بالليل نائماً ... وأصبح بطال العشيات والضحى

قال: فلما فرغ من إنشادها قال: سيغلبني عليها صاحبكم يعني عمران بن حطان فكان كذلك فما شاعت رواها الناس لعمران وكان لا يقول أحدٌ من الشعراء شعراً إلا نسب إليه لشهرته إلا من كان مثله في الشهرة مثل قطري وعمرو القنا وذويهما قال: ثم هرب إلى اليمامة من الحجاج فنزل بحجر فأتاه آل حكام الحنفيون فقال:

طيروني من البلاد وقالوا مالك النصف من بني حكام

ناق سيري قد جد حقا بنا السير وكوني جوالةً في الزمام

فمتى تعلقي يد الملك الأسود تستيقني بألا تضامي

قد أراني ولي من الحاكم الن صف بحد السنان أو بالحسام

قال: والملك الأسود إبراهيم بن عربي والي اليمامة لعبد الملك وكان ابن حكام على شرطته قال:

ومنينا بطمطمٍ حبشي حالك الوجنتين من آل حام

لا يبالي إذا تضلع خمراً أبحل رماك أم بحرام

قال العتري: فأخبرني محمد بن إدريس بن سليمان بن أبي حفصة عن أبيه قال: كان مالكٌ المذموم من أحسن الناس قراءة للقرآن فقرأ ذات ليلة فسمعت قراءته امرأةٌ من آل حكام فرمت بنفسها من فوق سطح كانت عليه فسمع الصوت أهلها فأتوه فضربوه ضربات فاستعدى عليهم إبراهيم بن عربي وكان عبد الله بن حكام على شرطته فلم يعده عليهم فهجاه بالأبيات الماضية وهجاه بقصيدة التي أولها:

دار سلمى بالجزع ذي الآطام خبرينا سقيت صوب الغمام

وهي طويلة ينسبونها أيضاً إلى عمران بن حطان.

الفرزدق يعترف بتفوقه ونبوغه

أخبرني أحمد بن الحسين الأصبهاني ابن عمي قال: حدثني أبو جعفر بن رستم الطبري النحوي قال: حدثنا أبو عثمان المازني قال: حدثنا عمرو بن مرة قال: مر عمران بن حطان على الفرزدق وهو ينشد والناس حوله فوقف عليه ثم قال:

أيها المادح العباد ليعطى إن لله ما بأيدي العباد

فاسأل الله ما طلبت إليهم وارج فضل المقسم العواد

لا تقل في الجواد ما ليس فيه وتسمي البخيل باسم الجواد

فقال الفرزدق: لولا أن الله عز وجل شغل عنا هذا برأيه للقينا منه شراً.

مسلمة بن عبد الملك يبكيه شعر لعمران

وقال هارون بن الزيات: أخبرني عبد الرحمن بن موسى الرقي قال: حدثنا أحمد بن محمد بن حميد بن سليمان بن حفص بن عبد الله بن أبي جهم بن حذيفة بن غانم العدوي قال: حدثنا يزيد بن مرة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى

عن عيسى بن يزيد بن بكر المدني قال: اجتمع عند مسلمة بن عبد الملك ناسٌ من سماه فيهم عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر فقال مسلمة: أي بيت قالته العرب أوعظ وأحكم فقال له عبد الله قوله:

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل ابعد

فقال مسلمة: إنا والله ما وظني شعرٌ قط كما وعظني شعر ابن حطان حيث يقول:

فيوشك يومٌ أن يقارن ليلةً يسوقان حتفاً راح نحوك أو غدا

فقال بعض من حضر: والله لقد سمعته أجل الموت ثم أفناه وما صنع هذا غيره فقال مسلمة: وكيف ذاك. قال:

لا يعجز الموت شيءٌ دون خالقه والموت فانٍ إذا ما ناله الأجل

وكل كربٍ أمام الموت متضعٌ للموت والموت فيما بعده جلل

فبكى مسلمة حتى اخضلت لحيته ثم قال: رددهما علي فردهما عليه حتى حفظهما.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثنا منيع بن أحمد بن تزوج عمران بن حطان حمزة بنت عمه ليردها عن مذهب الشراة فذهبت به إلى رأيهم فجعل يقول فيها الشعر فمما قال فيها:

يا حمز إني على ما كان من خلقي مثنٍ بخلات صدقٍ كلها فيك

الله يعلم أني لم أقل كذباً فيما علمت وأني لا أزكيك

امرأته تتهمه بالكذب فيرد اتهامها

أخبرني الحسن قال: حدثنا محمد بن موسى وحدثني بعض أصحابنا عن العمري عن الهيثم بن عدي: أن امرأة عمران بن حطان قالت له: ألم تزعم أنك لا تكذب في شعرك. قال: بلى قالت: أفرأيت قولك:

وكذاك مجزأة بن ثورٍ كان أشجع من أسامه

أيكون رجل أشجع من الأسد قال: نعم إن مجزأة بن ثور فتح مدينة كذا والأسد لا يقدر على فتح مدينة.

صوت

نديمي قد خف الشراب ولم أجد له سورةً في عظم رأسي ولا جلدي

نديمي هذي غبهم فاشربا بها ولا خير في شرب يكون على صرد

الشعر لعمار بن الوليد بن المغيرة المخزومي والغناء لابن سريج خفيف ثقيل.

أخبار عمارة بن الوليد ونسبه

نسبه

عمارة بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وهو أحد أزواد الركب ويقال له الوحيد وكان أزواد الركب لا يمر عليهم أحد إلا قروه وأحسنوا ضيافته وزودوه ما يحتاج إليه لسفره وكان عمارة بن الوليد فخوراً معناً متعرضاً لكل ذي عارضة من قريش فأخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن شبيب قال: حدثنا الزبير بن بكار عن الحزامي قال: مر عمارة بن الوليد بمسافر بن عمرو فوقف عليه وهو منتشٍ فقال:

خلق البيض الحسان لنا وجياد الريط والأزر
كابراً كنا أحق به حين صيغ الشمس والقمر

فأجابه مسافر بن عمرو بن أمية فقال:

أعمار بن الوليد لقد يذكر الشاعر من ذكره
هل أخو كأسٍ مخففها وموق صحبه سكره
خلق البيض الحسان لنا وجياد الريط والحبره
كابراً كنا أحق به كل حي تابعٌ أثره

يعود إلى الشراب بعد أن عاهد امرأته على تركه

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية: أن عمارة بن الوليد خطب امرأةً من قومه فقالت: لا أتزوجك أو تترك الشراب والزنا قال: أما الزنا فأتركه وأما الشراب فلا أتركه ولا أستطيع. ثم اشتد وجده بها فحلف ألا يشرب فتزوجها ومكث حيناً لا يشرب ثم إنه لبس ذات يوم حلته وركب ناقته وخرج يسير فمر بخمار وعنده شربٌ يشربون فدعوه فدخل عليهم وقد أنفدوا ما عندهم فقال للخمار: أطعمهم ويلك فقال: ليس عندي شيء فنحر لهم ناقته فأكلوا منها فقال: اسقهم و لم يكن معهم شيء يشربون به فسقاهم ببردته ومكثوا أياماً ذوات عدد ثم خرج فأتى أهله فلما رأته امرأته قالت له: ألم تحلف ألا تشرب ولامته فقال:

ولسنا بشربٍ أم عمرو إذا انتشوا ثياب الندامى عندهم كالغنائم
أسرك لما صرع القوم نشوةٌ أن اخرج منها سالماً غير غارم
خليا كأني لم أكن كنت فيهم وليس الخداع مرتضى في التنادم

ملاحاة بينه وبين عمرو بن العاص

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن محمد بن قادم مولى بني هاشم قال: حدثني عمي: أحمد بن جعفر عن ابن دأب قال: قدم رجل من تجار الروم بحلة من لباس قيصر على أهل مكة فأتى بها عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي فعرضها عليه بمائة حق من الإبل فاستغلاها فأتى بها عمرو بن العاص فقال له: هل أتيت بها أحداً قال: نعم عمارة بن الوليد فاستغلاها وقال: لن تعدم لها غوياً من بني سهم قال: قد أخذتها فاشتراها بمائة حق يعني مائة بعير ثم أقبل يخطر فيها حتى أتى بني مخزوم فناداه عمارة: أتبيع الحلة يا عمرو فغضب والتفت إلى عمارة فقال:

عليك بجز رأس أبيك إنا ... كفيناك المسهمة الرقاقا

زووها عنكم وغلت عليكم ... وأعطينا بها مائةً حقاقا

وقلتم: لا نطيق ثياب سهمٍ ... وكل سوف يلبس ما أطاقا

قال: فغضب عمارة وقلا: يا عمرو ما هذا التهور إنك لست بعتبة بن ربيعة ولا بأبي سفيان بن حرب ولا الوليد بن المغيرة ولا سهيل بن عمر ولا أبي بن خلف فقال عمرو: إلا أكن بعضهم فإن كل واحد منهم خير ما فيه في: من عتبة حلمه ومن أبي سفيان رأيه ومن سهيل جوده ومن أبي بن خلف نجدته وأما الوليد فوالله ما أحب أن في كل ما فيه من خير وشر ولكنك والله مالك عقل الوليد ولا بأس الحارث بن هشام وخالد بن الوليد ولا لسان أبي الحكم يعني أبا جهل. وانصرف فأمر عمارة بجزور فنحرت على طريق عمرو وأقبل عمرو فقال: لمن هذه الجزور قيل: لعمارة فقال له: أطعمنا منها يا عمارة فضحك منه ثم قال:

عليك بجزر أير أبيك إنا ... كفيناك المشاشة والعراقا

ومنسبة الأطايب من قريشٍ ... ولم تر كأسنا إلا دهاقا

ونلبس في الحوادث كل زغف وعند الأمن أبراداً رقاقا

فوقع الشر بينهم فقال عمر:

لعمر أبيك والأخبار تنمي ... لقد هيجتني يابن الوليد

فلا تعجل عمارة إن سهماً ... لمخزوم بن يقظة في العديد

فأجابه عمارة فقال:

ألا يا عمرو هل لك في قريشٍ ... أبٌ مثل المغيرة والوليد

وجد مثل عبد الله ينمي إلى ... عمرو بن مخزومٍ بعود

إذا ما عدت الأعواد نبعاً فمالي في الأباطح من نديد
وقد علمت سراة بني لؤي بأني غير مؤتشبٍ زهيد
وإني للمنابذ من قريشٍ شجاً في الحلق من دون الوريد
أحوط ذمارهم وأكف عنهم وأصبر في وغا اليوم الشديد
وأبذل ما يضن به رجالٌ وتطعمني المروءة في المزيد
وإنك من بني سهم بن عمروٍ مكان الردف من عجز القعود
وكان أبوك جزاراً... وكانت له فاس وقدرٌ من حديد

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن العمري عن أبي عوانة عن عبد الملك بن عمير أن عمر بن الخطاب قسم برود في المهاجرين.

عمر بن الخطاب يتمثل بشعره

قال العمري: هكذا ذكر أبو عوانة وقد حدثني الهيثم عن أبي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير قال: أخبرني من شهد ذلك: أن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي بعث إلى عمر بن الخطاب بحلل من اليمن فقال عمر: علي بالمحمدين فأتي بمحمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ومحمد بن طلحة بن عبدي الله ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن حاطب بن أبي بلتعة ومحمد بن حطاب أخي حاطب وكلهم سماه النبي صلى الله عليه وسلم محمداً فأقبلوا فاطلع محمد بن حطاب فيها فقال له عمر: يا شيبة معمر - يعني عما له قتل يوم بدر - اكفف وكان زيد بن ثابت الأنصاري عنده فقال له عمر: أعطهم حلة حلة فنظر إلى أفضلها وكانت أم أحدهم عنده فقال عمر: ما هذا فقال: هذه لفلان الذي هو ربيبه فقال عمر: اردده وتمثل بقول عمار بن الوليد:

أسرك لما صرع القوم نشوةٌ أن اخرج منها سالماً غير غارم
خليا كأني لم أكن كنت فيهم وليس الخداع مرتضى في التنادم

وقال أبو عوانة..... من تصافي التنادم.

ثم أمر بالبرود فغطيت بثوب ثم خلطها ثم قال: ليدخل كل امرىءٍ يده فليأخذ حلته وما

صوت

قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه
فاقبل من الدهر ما أتاك به من قر عيناً بعيشه نفعه

لكل هم من الهموم سعه والصبح والمسي لا فلاح معه

الشعر للأضبط بن قريع والغناء لأحمد بن يحيى المكي ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر من روايته وسمعناه يغني في طريقة خفيف رمل فسألت عنه ذكاء وجه الرزة فذكر أنه سمعه من محمد بن يحيى المكي في هذه الطريقة و لم يعرف صانعه ولا سأل عنه.

أخبار الأضبط ونسبه

كان الأضبط مفركاً

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني عبد الله بن طاهر قال: قال أبو محلم: أخبرني ضرار بن عيينة أحد بني عبد شمس قال: كان الأضبط بن قريع مفركاً وكان إذا لقي في الحرب تقدم أمام الصف ثم قال:

أنا الذي تفركه حلائله ألا فتى معشقٌ أنازله !

قال: فاجتمع نساؤه ذات ليلة يسمرن فتعاقدن على أن يصدقن الخبر عن فرك الأضبط فأجمعن أن ذلك لأنه بارد الكمرة فقالت لإحداهن خالتها: أتعجز إحداكن إذا كانت ليلته منها أن تسخن كمرته بشيء من دهن فلما سمع قولها صاح: يا آل عوف يا آل عوف فثار الناس وظنوا أنه قد أتي فقال: أوصيكم بأن تسخنوا الكمرة فإنه لا حظوة لبارد الكمرة فانصرفوا يضحكون وقالوا: تباً لك أهذا دعوتنا!.

شعره فيمن خالفوه

قال أبو محلم: كانت أم الأضبط عجيبة بنت دارم بن مالك بن حنظلة وخالته الطموح بنت دارم أم جشم وعبشمس ابني كعب بن سعد فحارب بنو الطموح قوماً من بني سعد فجعل الأضبط يدس إليهم الخليل والسلاح ولا يصرح بنصرهم خوفاً من أن يتحزب قومه حزبين معه وعليه وكان يشير عليهم بالرأي فإذا أبرمه نقضوه وخالفوا عليه وأوره مع ذلك أنهم على رأيه فقال في ذلك:

لكل هم من الهموم سعه والمسي والصبح لا فلاح معه

لا تحقرن الفقير علك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه

وصل حبال البعيد إن وصل الحبل وأقص القريب إن قطعه

قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه

ما بال من غيه مصيبك لا يملك شيئاً من أمره وزعه

حتى إذا ما انجلت غوايته أقبل يلحى وغيه فجعه

أذود عن نفسه ويخدعني يا قوم من عاذري من الخدعه

فاقبل من الدهر ما أتاك به من قر عيناً بعيشه نفعه

نشوز امرأته عليه وشعره في ذلك

كان الأضبط بن قريع قد تزوج امرأة على مال ووصيفة فنشزت عليه ففارقها و لم يعطها ما كان ضمن لها فلما احتملت أنشأ يقول:

ألم ترها بانت بغير وصيفةٍ إذا ما الغواني صاحبتها الوصائف

ولكنها بانت شموسٌ بزية منعمة الأخلاق حدباء شارف

لو أن رسول الله و سلم واقفاً عليها لرامت وصله وهو واقف

أبو عبيدة وخلف لا يعرفان إلا بيتاً وعجز بيت من قصيدة له أخبرنا وكيع قال: حدثنا ابن أبي سعيد قال: حدثنا الجماز قال: أنشدت أبا عبيدة وخلفاً الأحمر شعر الأضبط:

وصل حبال البعيد إن وصل الحبل وأقص القريب إن قطعه

فما عرفا منه إلا بيتاً وعجز بيت فالبيت الذي عرفاه: فاقبل من الدهر ما أتاك به.....

والعجز: يا قوم من عاذري من الخدعه والخدعة: قوم من بني سعد بن زيد مناة بن تميم.

صوت

وما أنا في أمري ولا في خصومتي بمهتضمٍ حقي ولا قارع سني

ولا مسلم مولاي عند جنايةٍ ولا خائفٍ مولاي من شر ما أجني

الشعر لأعشى بني ربيعة والغناء لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو.

أخبار الأعشى ونسبه

نسبه

الأعشى اسمه عبد الله بن خارجه بن حبيب بن قيس بن عمرو بن حارثة بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة الحصين بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بين جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار: شاعر إسلامي من ساكني الكوفة وكان مرواني المذهب شديد التعصب لبني أمية.

قدومه على عبد الملك

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا عمي محمد بن عبيد الله عن محمد بن حبيب وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن عمه العباس بن هشام عن أبيه قالا: قدم أعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك: ما الذي بقي منك قال: أنا الذي أقول:

وما أنا في أمري ولا في خصومتي بمهتضم حقي ولا قارع سني
ولا مسلمٍ مولاي عند جنايةٍ ولا خائفٍ مولاي من شر ما أجني
وفضلني في الشعر واللب أنني أقول على علمٍ وأعرف من أعني
فأصبحت إذ فضلت مروان وابنه على الناس قد فضلت خير أبٍ وابن

فقال عبد الملك: من يلومني على هذا وأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة تخوت ثياب وعشر فرائض من الإبل وأقطعه ألف جريب وقال له: امض إلى زيد الكاتب يكتب لك بها وأجرى له على ثلاثين عيلاً فأتى زيداً فقال له: ائتني غداً فأتاه فجعل يردده فقال له:

يا زيد يا فداك كل كاتب في الناس بين حاضرٍ وغائب
هل لك في حق عليك واجب في مثله يرغب كل راغب
وأنت عف طيب المكاسب مبرأ من عيب كل عائب
ولستإن كفيتني وصاحب طول غدو ورواحٍ دائب
وسدة الباب وعنف الحاجب من نعمةٍ أسديتها بخائب

فأبطأ عليه زيد فأتى سفيان بن الأبرد الكلبي فكلمه سفيان فأبطأ عليه فعاد إلى سفيان فقال له:

عد إذ بدأت أبا يحيى فأنت لها ولا تكن حين هاب الناس هيابا
واشفع شفاعة أنفٍ لم يكن ذنباً فإن من شفعاء الناس أذنابا

يحث عبد الملك على محاربة ابن الزبير

قال محمد بن حبيب: دخل أعشى بني أبي ربيعة على عبد الملك وهو يتردد في الخروج لمحاربة ابن الزبير ولا يجد فقال له: يا أمير المؤمنين ما لي أراك متلوماً ينهضك الحزم ويقعدك العزم وتهم بالإقدام وتجنح إلى الإحجام انقد لبصيرتك وأمض رأيك وتوجه إلى عدوك فجدك مقبل وجده مدبر وأصحابه له ماقتون ونحن لك محبون وكلمتهم مفترقة وكلمتنا عليك مجتمعة والله ما تؤتى من ضعف جنان ولا قلة أعوان ولا يثبطك عنه ناصح ولا يحرضك عليه غاش وقد قلت في ذلك أبياتاً فقال: هاتها فإنك تنطق بلسان ودود وقلب ناصح فقال:

آل الزبير من الخلافة كالتي عجل النتاج بحملها فأحالها

أو كالضعاف من الحمولة حملت ما لا تطيق فضيعت أحمالها
قوموا إليهم لا تناموا عنهم كم للغواة أطنتموا إمهالها
إن الخلافة فيكم لا فيهم مازلتم أركانها وثمالها
أمسوا على الخيرات قفلاً مغلقاً فانهض بيمنك فافتتح أقفالها

فضحك عبد الملك وقال: صدقت يا أبا عبد الله إن أبا خبيب لقفلٌ دون كل خير ولا نتأخر عن مناجزته إن شاء الله ونستعين الله عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل وأمر له بصلة سنية.

جفاء الحجاج ثم سر بكلامه

قال ابن حبيب: كان الحجاج قد جفا الأعشى واطرحه لحالة كانت عند بشر بن مروان فلما فرغ الحجاج من حرب الجماجم ذكر فتنة ابن الأشعث وجعل يوبخ أهل العراق ويؤنبهم فقال من حضر من أهل البصرة: إن الريب والفتنة بدآ من أهل الكوفة وهم أول من خلع الطاعة وجاهر بالمعصية فقال أهل الكوفة: لا بل أهل البصرة أول من أظهر المعصية مع جرير بن هميان السدوسي إذ جاء مخالفاً من السند. وأكثروا من ذلك فقام أعشى بني أبي ربيعة فقال: أصلح الله الأمير لا براءة من ذنب ولا ادعاء على الله في عصمة لأحد من المصرين قد والله اجتهدوا جميعاً في قتالك فأبى الله إلا نصرك ذلك أنهم جزعوا وصبرت وكفروا وشكرت وغفرت إذ قدرت فوسعهم عفو الله وعفوك فنجوا فلولا ذلك لبادوا وهلكوا فسر الحجاج بكلامه وقال له جميلاً وقال: تهيأ للوفادة إلى أمير المؤمنين حتى يسمع هذا منك شفاهاً انتهى.

اعتذاره للحجاج من رثائه ابن الجارود

أخبرني محم دبن خلف وكيع قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: بلغ الحجاج أن أعشى بني أبي ربيعة رثى عبد الله بن الجارود فغضب عليه فقال يعتذر إليه:

أبيت كأني من حذار ابن يوسفٍ طريد دمٍ ضاقت عليه المسالك
ولو غير حجاجٍ أراد ظلامتي حمتني من الضيم السيوف الفواتك
وفتيان صدقٍ من ربيعة قصرةً إذا اختلفت يوم اللقاء النيازك
يحامون عن أحسابهم بسيوفهم وأرماحهم واليوم أسود حالك

مدحه عبد الملك بن مروان

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدثني أحمد بن عبد الله بن علي بن سويد بن منجوف عن ابن مؤرج عن أبيه قال: دخل أعشى بني أبي ربيعة على عبد الملك بن مروان فأنشده قوله:

رأيتك أمس خير بني معد وأنت اليوم خيرٌ منك أمس

وأنت غداً تزيد الضعف ضعفاً كذاك تزيد سادة عبد شمس

فقال له: من أي بني أبي ربيعة أنت قال: فقلت له: من بني أمامة قال: فإن أمامة ولد رجلين: قيساً وحارثة فأحدهما نجم والآخر خمل. فمن أيهما أنت قال: قلت: أنا من ولد حارثة وهو الذي كانت بكر بن وائل توجته قال: فقام بمخصرة في يده فغمز بها في بطني ثم قال: يا أخا بني أبي ربيعة هموا و لم يفعلوا فإذا حدثتني فلا تكذبني فجعلت له عهداً ألا أحدث قرشياً بكذب أبداً.

مدحه أسماء بن خارجة

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن أبي سعد قال: حدثني أحمد بن الهيثم السلمي قال: حدثني أبو فراس محمد بن فراس عن الكبي قال: أتى أعشى بني أبي ربيعة أسماء بن خارجة فامتدحه فأعطاه وكساه فقال:

لأسماء بن خارجة بن حصن على عبء النوائب والغرامه

اقل تعللاً يوماً وبخلاً على السؤال من كعب بن مامه

ومصقلة الذي يبتاع بيعاً ربيحاً فوق ناجية بن سامه

قال الكلبي: جعل ناجية رجلاً وهي امرأة لضرورة الشعر.

مدحه سليمان بن عبد الملك

دخل أعشى بني أبي ربيعة على سليمان بن عبد الملك وهو ولي عهد فقال:

أتينا سليمان الأمير نزوره وكان أمرأً يحبى ويكرم زائره

إذا كنت في النجوى به متفرداً فلا الجود مخليه ولا البخل حاضره

كلا شافعي سؤاله من ضميره على البخل ناهيه وبالجود آمره

فأعطاه وأكرمه وأمر كل من كان بحضرته من قومه ومواليه بصلته فوصلوه فخرج وقد ملأ يديه.

صوت

نأتك أمامة إلا سؤالاً وإلا خيالاً يوافي خيالا

يوافي مع الليل ميعادها ويأبى مع الصبح إلا زيالا

فذلك يبذل من ودها ولو شهدت لم توات النوالا
فقد ريع قلبي إذ أعلنوا وقيل أجد الخليط احتمالا

الشعر لعمرو بن قميئة والغناء لحنين خفيف رمل بالوسطى من رواية أحمد بن يحيى المكي وذكر الهشامي وغيره أنه من منحول يحيى إلى حنين.

أخبار عمرو بن قميئة ونسبه

نسبه

هو فيما ذكر أبو عمرو الشيباني عن أبي برزة: عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.
قال ابن الكلبي: ليس من العرب من له ولدٌ كل واحد منهم قبيلة مفردة قائمة بنفسها غير ثعلبة بن عكابة فإنه ولد أربعةً كل واحد منهم قبيلة: شيبان بن ثعلبة وهو أبو قبيلة وقيس بن ثعلبة وهو أبو قبيلة وذهل بن ثعلبة وهو أبو قبيلة وتيم الله بن ثعلبة وهو أبو قبيلة.

وكان عمرو بن قميئة من قدماء الشعراء في الجاهلية ويقال: إنه أول من قال الشعر من نزار وهو أقدم من امرىء القيس ولقيه امرؤ القيس في آخر عمره فأخرجه معه إلى قيصر لما توجه إليه فمات معه في طريقه وسمته العرب عمراً الضائع لموته في غربة وفي غير أربٍ ولا مطلب.

بعض صفاته

نسخت خبره من روايتي أبي عمرو الشيباني ومؤرج وأخبرني ببعضه الحسن بن علي عن أبيه عن ابن أبي سعد عن ابن الكلبي فذكرت ذلك في مواضعه ونسبته إلى رواته قالوا جميعاً: كان عمرو بن قميئة شاعراً فحلاً متقدماً وكان شاباً جميلاً حسن الوجه مديد القامة حسن الشعر ومات أبوه وخلفه صغيراً فكفله عمه مرثد بن سعد وكانت سبابتا قدميه ووسطياهما ملتصقتين وكان عمه محباً له معجباً به رقيقاً عليه.

مراودة امرأة عمه له وامتناعه عليها

وأخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا أبوعمر العمري عن لقيط وذكر مثل ذلك سائر الرواة: أن مرثد بن سعد بن مالك عم عمرو بن قميئة كانت عنده امرأةٌ ذات جمال فهويت عمراً وشغفت به و لم تظهر له ذلك فغاب مرثد لبعض أمره - وقا لقيط في خبره: مضى يضرب بالقداح - فبعثت امرأته إلى عمرو تدعوه على لسان

عمه وقالت للرسول: ائتني به من وراء البيوت ففعل فلما دخل أنكر شأنها فوقف ساعة ثم راودته عن نفسه فقال: لقد جئت بأمر عظيم وما كان مثلي ليدعى لمثل هذا والله لو لم أمتنع من ذلك وفاءً لأمتنعن منه خوف الدناءة والذكر القبيح الشائع عني في العرب قالت: والله لتفعلن أو لأسوأنك قال: إلى المساءة تدعيني. ثم قام فخرج من عندها وخافت أن يخبر عمه بما جرى فأمرت بجفنة فكفئت على أثر عمرو فلما رجع عمه وجدها متغضبة فقال لها: ما لك قالت: إن رجلاً من قومك قريب القرابة جاء يستامني نفسي ويريد فراشك منذ خرجت قال: من هو قالت: أما أنا فلا أسميه ولكن قم فافتقد أثره تحت الجفنة فلما رأى الأثر عرفه.

هروبه من عمه إلى الحيرة قال مؤرج في خبره: فحدثني أبو برزة وعلقمة بن سعد وغيرهما من بني قيس بن ثعلبة قالوا: وكان لمرثد سيفٌ يسمى ذا الفقار فأتى ليضربه به فهرب فأتى الحيرة فكان عند اللخميين و لم يكن يقوى على بني مرثد لكثرتهم وقال لعمرو بن هند: إن القوم اطردوني فقال له: ما فعلوا إلا وقد أجرمت وأنا أفحص عن أمرك فإن كنت مجرماً ما رددتك إلى قومك فغضب وهم بهجائه وهجاء مرثد ثم أعرض عن ذلك ومدح عمه واعتذر إليه انتهى.

وأما أبو عمرو فإنه قال: لما سمع مرثد بذلك هجر عمراً وأعرض عنه و لم يعاقبه لموضعه من قلبه فقال عمرو يعتذر إلى عمه:

فما لبثي يوماً بسائق مغنمٍ ... ولا سرعتي يوماً بسائقة الردى

وإن تنظراني اليوم أقض لبانةً ... وتستوجبا مني علي وتحمدا

لعمرك ما نفسٌ بجد رشيدةٍ ... تؤامرني سوءاً لأصرم مرثدا

وإن ظهرت مني قوارص جمةٌ ... وأفرع من لومي مزاراً وأصعدا

على غير جرمٍ أن أكون جنيته ... سوى قول باغٍ كادني فتجهدا

لعمري لنعم المرء تدعو بخيله ... إذا ما المنادي في المقامة نددا

عظيم رماد القدر لا متعبسٌ ... ولا مؤيسٌ منها إذا هو أوقدا

وإن صرحت كحلٌ وهبت عريةٌ ... من الريح لم تترك من المال مرفدا

صبرت على وطء الموالي وخطبهم ... إذا ضن ذو القربي عليهم وأخمدا

يعني أخمد ناره بخلاً وروى: أجمداً المجمد: البخيل.

ولم يحم فرج الحي إلا محافظٌ ... كريم المحيا ماجدٌ غير أجردا

الأجرد: الجعد اليد البخيل.

حماد الراوية يرى أنه أشعر الناس

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي الفضل بن إسحاق عن الهيثم بن عدي قال: سأل رجلٌ حماداً الراوية بالبصرة وهو عند بلال بن أبي بردة: من أشعر الناس قال الذي يقول:

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى فما بال من يرمى وليس برام

قال: والشعر لعمرو بن قميئة.

بلوغه التسعين وقوله في ذلك

قال علي بن الصباح في خبره عن ابن الكلبي: وعمر ابن قميئة تسعين سنة فقال لما بلغها

كأني وقد جاوزت تسعين حجةً خلعت بها عني عنان لجامي
على الراحتين مرةً وعلى العصا أنوء ثلاثاً بعدهن قيامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى فما بال من يرمى وليس برام !
فلو أن ما أرمى بنبلٍ رميتها ولكنما أرمى بغير سهام
إذا ما رآني الناس قالوا: ألم يكن حديثاً جديد البري غير كهام!

وأهلكني تأميل يومٍ وليلةٍ وتأميل عامٍ بعد ذاك وعام

عبد الملك بن مروان يتمثل بشعر له

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد بن إسحاق: قرأت على أبي: حدثنا الهيثم بن عدي عن مجالد عن الشعبي قال: دخلت على عبد الملك بن مروان في علته التي مات فيها فقلت: كيف تجدك يا أمير المؤمنين فقال: أصبحت كما قال عمرو بن قميئة:

كأني وقد جاوزت تسعين حجةً خلعت بها عني عنان لجام
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يرمى وليس برام !
فلو أنها نبلٌ إذاً لاتقيتها ولكنما أرمى بغير سهام
وأهلكني تأميل يومٍ وليلةٍ وتأميل عامٍ بعد ذاك وعام

فقلت: لست كذلك يا أمير المؤمنين ولكنك كما قال لبيد:

قامت تشكى إلي الموت مجهشةً وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا
فإن تزادي ثلاثاً تبلغي أملاً وفي الثلاث وفاءٌ للثمانينا

كأني وقد جاوزت تسعين حجةً خلعت بها عن منكبي ردائيا

فعاش حتى بلغ عشراً ومائةً سنة فقال:

أليس في مائةٍ قد عاشها رجلٌ وفي تكامل عشرٍ بعدها عبر

فعاش والله حتى بلغ مائة وعشرين سنة فقال:

وغنيت سبتاً قبل مجرى داحسٍ لو كان للنفس اللجوج خلود

ويروى: " دهراً قبل مجرى داحس " فعاش حتى بلغ مائة وأربعين سنة فقال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

فتبسم عبد الملك وقال: لقد قويت من نفسي بقولك يا عامر وإني لأجد خفاً وما بي من بأس وأمر لي بصلة وقال لي: اجلس يا شعبي فحدثني ما بينك وبين الليل فجلست فحدثته حتى أمسيت وخرجت من عنده فما أصبحت حتى سمعت الواعية في داره.

خروجه مع امرىء القيس إلى قيصر

أخبرني عمي قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان السلمي عن إسحاق بن مرار الشيباني قال: نزل امرؤ القيس بن حجر ببكر بن وائل وضرب قبته وجلس إليه وجوه بكر بن وائل فقال لهم: هل فيكم أحد يقول الشعر فقالوا: ما فينا شاعر إلا شيخ قد خلا من عمره وكبر قال: فأتوني به فأتوه بعمرو بن قميئة وهو شيخ فأنشده فأعجب به فخرج به معه إلى قيصر وإياه عنى امرؤ القيس بقوله:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له: لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

وقال مؤرج في هذا الخبر: إن امرأ القيس قال لعمرو بن قميئة في سفره: ألا تركب إلى الصيد فقال عمرو:

شكوت إليه أنني ذو جلالةٍ وأني كبيرٌ ذو عيالٍ مجنب

فقال لنا: أهلاً وسهلاً ومرحباً إذا سركم لحمٌ من الوحش فاركبوا

صوت

يا آح من حر الهوى إنما يعرف حر الحب من جربا

أصبحت للحب أسيراً فقد صعدني الحب وقد صوبا

لا شك أني ميتٌ حسرةً إن لم أزر قبل غدٍ زينبا

تلك التي إن نلتها لم أبل من شرق الدهر أو غربا

الشعر للمؤمل بن جميل بن يحيى بن أبي حفصة بن عمرو بن مروان بن أبي حفصة والغناء لابن جامع رمل بالوسطى عن إبراهيم والهشامي.

أخبار المؤمل بن جميل

كان أبوه جميل يلقب قتيل الهوى

قد مضى نسب أبي حفصة في أخبار مروان وكان يحيى بن أبي حفصة يكنى أبا جميل.

والمؤمل بن جميل يكنى أبا جميل. وأم جميل أميرة بنت زياد بن هوذة بن شماس بن لؤي من بني أنف الناقة الذين يمدحهم الحطيئة.

وأم المؤمل شريفة بنت المذلق بن الوليد بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقري وكان جميل يلقب قتيل الهوى ولقب بذلك لقوله:

قلن: من ذا فقلت: هذا اليم اني قتيل الهوى أبو الخطاب

قلن: بالله أنت ذاك يقيناً لا تقل قول مازح لعاب

إن تكن أنت هو فأنت منانا خالياً كنت أو مع الأصحاب

أخبار له مع غلامه المطرز

أخبرني بذلك يحيى بن علي إجازة عن محمد بن إدريس بن سليمان عن أبيه وحكى أبو أحمد - رحمه الله - عن محمد بهذا الإسناد: أن أبا جميل اشترى غلاماً مدنياً مغنياً مجلوباً من مولدي السند على البراءة من كل عيب يقال له المطرز فدعا أصحاباً له ذات يوم ودعا شيخين من أهل اليمامة مغنيين يقال لأحدهما السائب وللآخر شعبة فلما أخذ القوم مجلسهم ومعهم المطرز اندفع الشيخان فغنيا فقال المطرز لأبي جميل مولاه: ويلك يا أبا جميل يابن الزانية أتدري ما فعلت ومن عندك فقال له: ويلك! أجننت! ما لك! قال: أما أنا فأشهد أنك تأمن مكر الله حين أدخلت مترلك هذين.

قال: وبعثه يوماً يدعو أصدقاء له فوجدهم عند رجل من أهل اليمامة يقال له بهلول وهو في بستان له فقال لهم: مولاي أبو جميل قد أرسلني أدعوكم وقد بلغتكم رسالته وإن شاورتموني أشرت عليكم فقالوا: أشر علينا قال: أرى ألا تذهبوا إليه فمجلسكم والله أنزه من مجلسه وأحسن فقالوا له: قد أطعناك قال: وأخرى قالوا: وما هي قال: تحلفون علي ألا أبرح ففعلوا فأقام عندهم.

وغضب عليه أبو جميل يوماً فبطحه يضربه وهو يقول: ويلك أبا جميل! اتق الله في الله الله في أمري أما علمت ويلك خبري قبل أن تشتريني! قال: وكان يبعثه إلى بئر لهم عذبة في بستان له يسقي منها لهم ماء فكان يستقيه ثم يصبه لجيران لهم في حيهم ثم يستقي مكانه من بئر لهم غليظة فإذا أنكر مولاه قال له: سل الغلمان إذا أتيت البستان: هل استقيت منه فيسألهم

انقطاعه إلى جعفر ثم عبد الله بن مالك

حدثنا يحيى بن محمد بن إدريس عن أبيه: أن يحيى بن أبي حفصة زوج ابنه جميلاً شريفة بنت المذلق بن الوليد بن طلبة بن قيس بن عاصم فولدت له المؤمل بن جميل وكان شاعراً ظريفاً غزلاً وكان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان بالمدينة ثم قدم العراق فكان مع عبد الله بن مالك وذكره للمهدي فحظي عنده وهو الذي يقول في شكاةٍ اشتكاها عبد الله بن مالك:

ظلت علي الأرض مظلمةً إذ قيل عبد الله قد وعكا

يا ليت ما بك بي وإن تلفت نفسي لذاك وقل ذاك لكا

وهو الذي يقول:

يا آح من حر الهوى إنما يعرف حر الحب من جربا

وذكر الأبيات التي تقدم ذكرها والغناء فيها.

صوت

إني وهبت لظالمي ظلمي وغفرت ذاك له على علم

مازال يظلمني وأرحمه حتى رثيت له من الظلم

الشعر لمساور الوراق والغناء لإبراهيم بن أبي العبيس ثاني ثقيل بالوسطى أخبرني بذلك ذكاء وغيره.

أخبار مساور ونسبه

نسبه

هو مساور بن سوار بن عبد الحميد من آل قيس بن عيلان بن مضر ويقال: إنه مولى خويلد بن عدوان كوفي قليل الشعر من أصحاب الحديث ورواته وقد روى عن صدر من التابعين وروى عنه وجوه أصحاب الحديث.

أخبرني علي بن طيفور بن غالب النسائي قال: حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب قال: حدثنا حماد بن أسامة

عن مساور الوراق قال: حدثني جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه قال: كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته يخطب وعليه عمامة سوداء قد أرخاها بين كتفيه.

خبره مع ابن أبي ليلى

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرني الأشناندانى عن الأصمعي قال: كان قوم يجلسون إلى ابن أبي ليلى فكتب قوماً منهم لعيسى بن موسى وأشار عليه أن يشغلهم ويصلهم فأتى مساورٌ الوراق فكلمه أن يجعله فيهم فلم يفعل فأنشأ يقول:

كثير العيال قليل السؤال عف مطاعمه معدم

يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة وقد حلق العام بالموسم

وأصبح والله في قومه وأمسى وليس بذي درهم

قال: فقال ابن أبي ليلى: لا حاجة لنا فيه فقال فيه مساورٌ أبياتاً قال أبو بكر بن دريد: كرهنا ذكرها صيانة لابن أبي ليلى.

هجا ابن أبي بدرة لعيبه شعراً للمرقش

أخبرني محمد قال: حدثني التوزي قال: كان مساورٌ الوراق وحماد عجرد وحفص بن أبي بردة مجتمعين فجعل حفص يعيب شعر المرقش الأكبر فأقبل عليه مساورٌ فقال:

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل وأنفٌ كثيل العود عما تتبع

تتبعت لحناً في كلام مرقشٍ ووجهك مبني على اللحن أجمع

فقام حفص من المجلس خجلاً وهاجره مدة.

وصيته لابنه

نسخت من كتاب عبيد الله اليزيدي بخطه: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: كان مساور الوراق من جديلة قيس ثم من عدوان مولى لهم فقال لابنه يوصيه:

شمر ثيابك واستعد لقائل واحكك جبينك للعهود بثوم

إن العهود صفت لكل مشمرٍ دبر الجبين مصفرٍ موسوم

أحسن وصاحب كل قارٍ ناسكٍ حسن التعهد للصلاة صؤوم

من ضرب حمادٍ هناك ومسعرٍ وسماكٍ العتكي وابن حكيم

وعليك بالغنوي فاجلس عنده حتى تصيب وديعةً ليتيم
تغنيك عن طلب البيوع نسيئةً وتكف عنك لسان كل غريم
وإذا دخلت على الربيع مسلماً فاخصص شبابة منك بالتسليم

ولاه عيسى بن موسى عملاً فانكسر عليه الخراج

قال: ففعل ما أوصاه به أبوه فلم يلبث مساورٌ أن ولاه عيسى بن موسى عملاً ودفع إليه عهده فانكسر عليه الخراج فدفع إلى بطين صاحب عذاب عيسى يستأديه فقال مساور:

وجدت دواهر البقال أهنى من الفرني والجدي السمين
فكن يا ذا المطيف بقاضيينا غداً من علم ذاك على يقين
وقل لهما إذا عرضا بعهدٍ :برئت إلى عرينه من عرين
فإنك طالما بهرجت فيها بمثل الخنفساء على الجنين

مر بمقبرة صديقه حميد الطوسي فقال

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال: مر مساور الوراق بمقبرة حميد الطوسي وكان له صديقاً فوقف عليها مستعبراً وأنشأ يقول:

أبا غانمٍ أما ذراك فواسعٌ وقبرك معمور الجوانب محكم
وما ينفع المقبور عمران قبره إذا كان فيه جسمه يتهدم

شعر له في أصحاب أبي حنيفة

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا الرياشي قال: حدثنا محمد بن الصباح عن سفيان بن عيينة ونسخت هذا الخبر أيضاً من بعض الكتب: أن حامد بن يحيى البلخي حدث عن سفيان بن عيينة وهذه الرواية أتم قال: لما سمع مساور الوراق لغط أصحاب أبي حنيفة وصياحهم أنشأ يقول:

قومٌ إذا اجتمعوا ضجوا كأنهم ثعالبٌ ضجت بين النواويس

فبلغ ذلك أبا حنيفة وأصحابه فشق عليهم وتوعدوه فقال أبياتاً ترضيهم وهي:

إذا ما الناس يوماً قايسونا بآبدةٍ من الفتيا ظريفه

أتيناهم بمقياسٍ ظريفٍ مصيبٍ من قياس أبي حنيفه

إذا سمع الفقيه بها وعاها وأثبتها بحبرٍ في صحيفه

فبلغ أبا حنيفة فرضي. قال مساورٌ: ثم دعينا إلى وليمة بالكوفة في يوم شديد الحر فدخلت فلم أجد لرجلي موضعاً من الزحام وإذا أبو حنيفة في صدر البيت فلما رآني قال: إلي يا مساور فجئت فإذا مكان واسع وقال لي: اجلس فجلست فقلت في نفسي: نفعتني أبياتي اليوم. قال: وكان إذا رآني بعد ذلك يقول لي: ها هنا ها هنا ويوسع لي إلى جنبه ويقول: إن هذا من أهل الأدب والفهم انتهى.

حفظ حقوق جيرانه وضيعوا حقه فهجاهم

أخبرني محمد بن الحسين بن دريد قال: حدثنا أبو المعمر عبد الأول بن مزيد أحد بني أنف الناقة قال: كان مساور الوراق لا يضيع حقاً لجارٍ له فماتت بنته فلم يشهدها من جيرانه إلا نفرٌ يسيرٌ فقال مساورٌ في ذلك:

تغيب عني كل جافٍ ضرورةً وكل طفيلي من القوم عاجز

سريع إذا يدعى ليوم وليمةٍ بطيءٍ إذا ما كان حمل الجنائز

أخبرني محمد بن الحسن قال: حدثنا عبد الأول قال: قدم جارٌ لمساور الوراق من سفر فجاءه يسلم عليه فقال: يا جارية هاتي لأبي القاسم غداء فجاءت برغيف فوضعته على الخوان فمد يده يأكل مع مساور وقال له: يا أبا القاسم كل من هذا الخبز فما أكلت خبزاً أطيب منه فقال مساورٌ في ذلك:

ما كنت أحسب أن الخبز فاكهةٌ حتى رأيتك يا وجه الطبرزين

كأن لحيته في وجهه ذنبٌ أو شعرةٌ فوق بظرٍ غير مختون

يعود أبا العيص الجرمي ويسمع منه شعراً في مرض موته أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: دخل مساورٌ الوراق على أبي العيص الجرمي يعوده وكان صديقه فكلمه فلم يجبه فبكى مساورٌ جزعاً عليه وأدنى رأسه منه يكلمه فقال أبو العيص:

سيوشك يومٌ أن يجيء وليلةٌ يسوقان حتفاً راح نحوك أو غدا

فتمسي صريعاً لا تجيب لدعوةٍ ولا تسمع الداعي وإن جد في الدعا

ثم لم يلبث أن مات رحمه الله.

صوت

تنامين عن ليلي وأسهره وحدي وأنهى جفوني أن تبثك ما عندي

فإن كنت ما تدرين ما قد فعلته بنا فانظري ماذا على قاتل العمد

الشعر لسعيد بن حميد الكاتب والغناء لعريب خفيف ثقيل مطلق بالسبابة في مجرى الوسطى.

أخبار سعيد بن حميد ونسبه

نسبه

سعيد بن حميد بن سعيد بن حميد بن بحر يكنى أبا عثمان من أولاد الدهاقين وأصله من النهروان الأوسط وكان هو يقول: إنه مولى بني سامة بن لؤي من أهل بغداد بها ولد ونشأ ثم كان ينتقل في السكنى بينه وبين سر من رأى.

كان كاتباً شاعراً

كاتبٌ شاعر مترسل حسن الكلام فصيح وكان أبوه وجهاً من وجوه المعتزلة فخالف أحمد بن أبي داود في بعض مذهبه فأغرى به المعتصم وقال: إنه شعوبي زنديق فحبسه مدة طويلة ثم بانت براءته له أو للواثق بعده فخلى سبيله وكان شاعراً أيضاً فكان يهجو أحمد بن أبي داود وأنشدنيها جماعةٌ من أصحابنا قال:

أبوه يهجو أحمد بن أبي دواد

لقد اصبحت تنسب في إيادٍ بأن يكنى أبوك أبا دواد

فلو كان اسمه عمرو بن معدي دعيت إلى زبيدٍ أو مراد

وإن تك قد أصبت طريف مالٍ فبخلك باليسير من التلاد

قوة حافظته

فذكر محمد بن موسى أن أبا يوسف بن الدقاق اللغوي أخبره أن حميد بن سعيد بن حميد دفع إليه ابنه سعيداً وهو صبي فقال له: امض به معك إلى مجلس ابن الأعرابي قال: فحضرناه ذات يوم فأنشدنا أرجوزةً لبعض العرب فاستحسنتها و لم تكن معنا محبرة نكتبها منها فلما انصرفنا قلت له: فائتنا هذه الأرجوزة فقال: لم تفتك أتحب أن أنشدكها قلت: نعم فأنشدنيها وهي نيف وعشرون بيتاً قد حفظها عنه وإنما سمعها مرة واحدة فلقيت أباه من غد فقال لي: كيف رأيت سعيداً قلت له: إنك أوصيتني به وأنا أسألك الآن أن توصيه بي فضحك وسألني عن الخبر فأعلمته فسر به.

خبره مع أبي العباس بن ثوابة

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال: حدثني ابن أبي المدور قال: دخل سعيد بن حميد يوماً على أبي العباس بن ثوابة وكان أبو العباس يعاتبه على الشغف بالغلمان المرد فرأى على رأسه غلاماً حسن الوجه عليه منطقةٌ وثياب حسان فقال له:

يا أبا أزعمت أنك لا تلوط فقل لنا هذا المقرطق قائماً ما يصنع !

شهدت ملاحته عليك بريبةٍ وعلى المريب شواهدٌ لا تدفع

فضحك أبو العباس وقال: خذه لا بورك لك فيه حتى نستريح من عتبك.

حيلة له مع غلام من أولاد الموالي

أخبرني عمي رحمه الله قال: قال لي محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات الكاتب: كان سعيد بن حميد يهوى غلاماً له من أولاد الموالي فغاب عنه مدة ثم جاءه مسلماً فقال له: غبت عني هذه المدة ثم تجيئني فلا تقيم عندي! فقال له: قد أمسينا فقال: تبيت قال: لا والله لا أقدر و لم يزل به حتى اتفقا على أنه إذا سمع أذان العتمة انصرف فقال له: قد رضيت.

ووضع النبيذ فجعل سعيد يحث السقي بالأرطال فلما قرب وقت العتمة أخذ رقعةً فكتب فيه إلى إمام المسجد وهو مؤذنه قوله:

قل لداعي الفراق أخر قليلاً قد قضينا حق الصلاة طويلا

أخر الوقت في الأذان وقدم بعدها الوقت بكرةً وأصيلا

ليس في ساعة تؤخرها وزرٌ فنحيا بها وتأتي جميلا

فلما قرأ المؤذن الرقعة ضحك وكتب إليه يحلف أنه لا يؤذن ليلته تلك العتمة وجعل الفتى ينتظر الأذان حتى أمسى وسمع صوت الحارث فعلم أنها حيلة وقعت عليه وبات في موضعه وقال سعيد في ذلك:

عرضت بالحب له وعرضا حتى طوى قلبي على جمر الغضى

وأظهرت نفسي عن الدهر الرضا ثم جفاني وتولى معرضا

لم ينقض الحب بلى صبري انقضى فداك من ذاق الكرى أو غمضا

حتى طرقت فنسيت ما مضى سألته حويجةً فأعرضا

وقال :لا قول مجيبٍ برضا فكان ما كان وكابرنا القضا

في هذه الأبيات هزج لأحمد بن صدقة أخبرني بذلك ذكاء وجه الرزة.

وجدت في بعض الكتب: حدثني أحمد بن سليمان بن وهب أنه كان في مجلس فيه سعيد بن حميد فلما سكروا قام سعيد قومة بعد العصر فلم نشعر إلا وقد أخذ ثيابه فلبسها وأخذ بعضدتي الباب وأنشأ يقول:

سلام عليكم حالت الراح بيننا وألوت بنا عن كل مرأىً ومسمع

فقام له أهل المجلس وقالوا: يا سيدنا اذهب في حفظ الله وفي ستره فانصرف وودعهم.

كتب لفضيل الشاعرة يعتذر إليها

حدثني محمد بن الطلاس أبو الطيب قال: حدثني عبد الله بن طالب الكاتب قال: قرأت رقعة بخط سعيد بن حميد إلى فضل الشاعرة يعتذر إليها من تغير ظنته به وفي آخرها:

تظنون أني قد تبدلت بعدكم بديلاً وبعض الظن إثمٌ ومنكر

إذا كان قلبي في يديك رهينةً فكيف بلا قلب أصافي وأهجر !

في هذين البيتين لابن القصار الطنبوري رمل وفيهما لمحمد قريض خفيف رمل.

خبره مع كعب جارية أبي عكل المقين

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال: حدثني أبو علي المادراني أنه كان في مجلس فيه كعب جارية أبي عكل المقين وكان بعض أهل المجلس يهواها قال: فدخل إلينا سعيد بن حميد فقام إليه أهل المجلس جميعاً سوى الجارية والفتى فأخذ سعدي الدواة فكتب رقعة وألقاها في حجرها فإذا فيها قوله:

ما على أحسن خل ق الله أن يحسن فعله

وبخيلٍ بالهوى لو كان يسلى عنه بخله

أكثر العاذل في حب ك لو ينفع عذله

فهو مشغولٌ بعذلي وفؤادي بكل شغله

أكثر الشكوى وأستع دي على من قل بذله

فوثبت الجارية فقبلت رأسه وجلست إلى جنبه فقال الرجل الذي كان يهواها: هذا والله كلام الشياطين ورقية الزنا وبهذا يتم الأمر أما أنا فإني أشهدكم لا قرأت اليوم في صلاتي غير هذه الأبيات لعلها تنفعني فضحك سعيد وقال: بحياتي قومي فارجعي إليه حتى تكون الأبيات قد نفعته قبل أن يقرأها في صلاته وسريني بذلك فقامت فرجعت إلى موضعها.

خبره مع جارية زارته على غير وعد

قال علي بن العباس: وحدثني أبو علي المارداني: أنه كان عنده يوماً فدخلت إليه جاريةٌ - كان يهواها - غفلةً على غير وعد فسر بذلك وقال لها: قد كنت على عتابك فأما الآن فلا فقالت: أما العتاب فلا طاقة لي به ووالله ما جئتك إلا عند غفلة البواب فقال سعيد في ذلك:

زارك زورٌ على ارتقاب مغتنماً غفلة الحجاب

كالشمس تبدو وقد طواها دونك سترٌ من السحاب

قد كان في النفس منك عتبٌ يدعو إلى شدة اجتناب

فملت بالعتب عن حبيبٍ يضعف عن موقف العتاب

والذنب منه وأنت تخشى في هجره صولة العقاب

عبد الله بن داود يستحسن شعراً له

أخبرني عمي قال: حدثني ابن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن داود قال: كان أبي يستحسن قول سعيد بن حميد:

تظنون أني قد تبدلت بعدكم بديلاً وبعض الظن إثمٌ ومنكر

غذا كان قلبي في يديك رهينةً فكيف بلا قلبٍ أصافي وأهجر !

ويقول: لئن عاش هذا الغلام ليكونن له في الشعر شأن.

في هذين البيتين غناء من خفيف الرمل وذكر قريض أنه له.

زارته فضل الشاعرة فجأة

أثناء ذهابها إلى القصر فقال في ذلك شعراً

أخبرني ابن أبي طلحة قال: حدثني إسحاق بن مسافر أنه كان عند سعيد بن حميد يوماً إذ دخلت عليه فضل الشاعرة على غفلة فوثب إليها وسلم عليها وسألها أن تقيم عنده فقالت: قد جاءني وحياتك رسولٌ من القصر فليس يمكنني الجلوس وكرهت أن أمر ببابك ولا أراك فقال سعيد من وقته على البديهة:

قربت ولا نرجو اللقاء ولا نرى لنا حيلة يدنيك منا احتيالها

فأصبحت كالشمس المنيرة ضوؤها قريبٌ ولكن أين منا منالها !

كظاعنةٍ ضنت بها غربة النوى علينا ولكن قد يلم خيالها

تقربها الآمال ثم تعوقها مماطلة الدنيا بها واعتلالها

ولكنها أمنيةٌ فلعلها يجود بها صرف النوى وانتقالها

تغاضب فضل وسعيد

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود قال: تغاضب سعيد بن حميد وفضل الشاعرة أياماً ثم كتب إليها:

ونجري على سنة العاشقين ونضمن عني وعنك الرضا

ويبذل هذا لهذا هواه ويصبر في حبه للقضا

ونخضع ذلاً خضوع العبيد لمولى عزيز إذا أعرضا

فإني مذ لج هذا العتاب كأني أبطنت جمر الغضى

فصارت إليه وصالحته.

في هذه الأبيات لهاشم بن سليمان ثقيل أول بالوسطى وفيها لابن القصار خفيف رمل.

رسول الحسن بن مخلد يدعوه فيقول

أخبرني ابن أبي طلحة قال: حدثنا أبو العباس بن أبي المدور قال: بات سعيد بن حميد عند أبي الفضل بن أحمد بن إسرائيل واصطبحا على غناءٍ حسن كان عندهما فجاءه رسول الحسن بن مخلد وقد أمر ألا يفارقه لأمرٍ مهم فقام فلبس ثيابه وأنشأ يقول:

يا ليلةً بات النحوس بعيدةً عنها على رغم الرقيب الراصد

تدع العوازل لا يقمن لحاجةٍ وتقوم بهجتها بعذر الحاسد

والدمع ينطق للضمير مصدقاً قول المقر مكذباً للجاحد

أبو العباس بن ثوابة يعاتبه فيجيبه

أخبرني ابن أبي طلحة قال: حدثني أبو العباس بن أبي المدور قال: كان سعيد بن حميد صديقاً لأبي العباس بن ثوابة فدعاه يوماً وجاءه رسول فضل الشاعرة يسأله المصير إليها فمضى معه وتأخر عن أبي العباس فكتب إليه رقعةً يعاتبه فيها معاتبة فيها بعض الغلظة فكتب إليه سعيد:

أقلل عتابك فالبقاء قليل والدهر يعدل تارةً ويميل

لم أبك من زمن ذممت صروفه إلا بكيت عليه حين يزول

ولكل نائبةٍ ألمت مدة ولكل حالٍ أقبلت تحويل

والمنتمون إلى الإخاء جماعةٌ إن حصلوا أفناهم التحصيل

ولعل أحداث الليالي والردى يوماً ستصدع بيننا وتحول

فلئن سبقت لتبكين بحسرة وليكثرن علي منك عويل

ولتفجعن بمخلصٍ لك وامقٍ حبل الوفاء بحبله موصول

ولئن سبقت ولا سبقت ليمضين من لا يشاكله لدي عليل

وأراك تكلف بالعتاب وودنا باقٍ عليه من الوفاء دليل

ود بدا لذوي الإحاء جميله وبدت عليه بهجةٌ وقبول

ولعل أيام الحياة قصيرةٌ فعلام يكثر عتبنا ويطول

مظلومة جارية الدقيقي تعاتبه فيرد عليها

أخبرني الطلحي قال: حدثني أبو علي بن أبي الرعد: أن سعيد بن حميد كان يهوى مظلومة جارية الدقيقي فبلغه أنها تواصل بعض أعدائه فهجرها مدة فكتبت إليه تعاتبه وتتشوقه فكتب إليها:

أمري وأمرك شيءٌ غير متفق والهجر أفضل من وصلٍ على ملق

لا أكذب الله ما نفسي بساليةٍ ولا خليقة أهل الغدر من خلقي

فإن وثقت بود كنت أبذله فعاودي سوء ظن بي ولا تثقي

اعتذر إلى هبة المغنية فقبلت رأسه

وذكر اليوسفي الكاتب أنه حضر سعيداً في مترل بعض إخوانه وعندهم هبة المغنية وكان سعيد يتعشقها ويهيم بها فغضبت عليه يوماً لبعض الكلام على النبيذ ودخلت بعد ذلك وهو في القوم فسلمت عليهم سواه فقالوا لها: أتهجرين أبا عثمان فقالت: أحب أن تسألوه ألا يكلمني فقال سعيد:

اليوم أيقنت أن الهجر متلفةٌ وأن صاحبه منه على خطر

كيف الحياة لمن أمسى على شرفٍ من المنية بين الخوف والحذر

يلوم عينيه أحياناً بذنبهما ويحمل الذنب أحياناً على القدر

تنأون عنه وينأى قلبه معكم فقلبه أبداً منه على سفر

فوثبت إليه وقبلت رأسه وقالت: لا أهجرك والله أبداً ما حييت.

غضبت عليه فضل فكتب إليها

أخبرني جحظة قال: حدثني ميمون بن هارون قال: غضبت فضل الشاعرة على سعيد بن حميد فكتب إليها:

يا أيها الظالم ما لي ولك أهكذا تهجر من واصلك!

لا تصرف الرحمة عن أهلها قد يعطف المولى على من ملك

تبارك الله فما أعلم الله بم ا ألقى وما أغفلك!

فراجعت وصله وصارت إليه جواباً للرقعة.

في هذه الأبيات لعريب ثاني ثقيل وهزج عن ابن المعتز وأخبرني ذكاء الرزة أن الثقيل الثاني لأحمد بن أبي العلاء.

فضل الشاعرة تشكو شدة شوقها إليه أخبرني الطوسي الطلحي قال: حدثنا محمد بن السري: أن سعيد بن حميد كان في مجلس الحسن بن مخلد إذ جاءه الغلام برقعة فضل الشاعرة تشكو فيها شدة شوقها فقرأها وضحك - فقال له الحسن بن مخلد: بحياتي عليك أقرئنيها فدفعها إليه فقرأها وضحك وقال له: قد وحياتي ملحت فأجب فكتب إليها:

يا واصف الشوق عندي من شواهده قلبٌ يهيم وعينٌ دمعها يكف

والنفس شاهدةٌ بالود عارفةٌ وأنفس الناس بالأهواء تأتلف

فكن على ثقةٍ مني وبينةٍ إني على ثقةٍ من كل ما تصف

عدلت فضل عنه إلى بنان بن عمرو فقال لما عشقت فضل الشاعرة بنان بن عمرو المغني وعدلت عن سعيد بن حميد إليه أسف عليها وأظهر تجلداً ثم قال فيها:

قالوا :تعز وقد بانوا فقلت لهم :بان العزاء على آثار من بانا

وكيف يملك سلواناً لحبهم من لم يطق للهوى ستراً وكتمانا!

كانت عزائم صبري أستعين بها صارت علي بحمد الله أعوانا

لا خير في الحب لا تبدو شواكله ولا ترى منه في العينين عنوانا

قال أبو الحسن جحظة: وغنى فيه بعض المحدثين لحناً حسناً وأظنه عنى نفسه.

كتب إلى أبي هفان يتبرأ

من طعن فيه نسب إليه ظلماً

أخبرني الطلحي قال: حدثني أبو عيسى الكاتب: أن أبا هفان بلغه عن سعيد بن حميد كلامٌ فيه جفاء وطعن على شعره فتوعده بالهجاء وكان الحاكي عن ذلك كاذباً فبلغ سعيداً ما جرى فكتب إلى أبي هفان:

أمسى يخوفني العبدي صولته وكيف آمن بأس الضيغم الهصر!

ولا أبارزه بالأمر يكرهه ولو أعنت بأنصار من الغير

له سهامٌ بلا ريشٍ ولا عقبٍ وقوسه أبداً عطلٌ من الوتر

وكيف آمن من نحري له غرضٌ وسهمه صائبٌ يخفى عن البصر !

عاتبته فضل الشاعرة فزارها وقال

فيها شعراً

أخبرني الطلحي قال: حدثني محمد بن السري: أنه سار إلى سعيد بن حميد وهو في دار الحسن بن مخلد في حاجة له قال: فإني عنده إذ جاءته رقعة فضل الشاعرة وفيها هذان البيتان: صوت

الصبر ينقص والسقام يزيد والدار دانيةٌ وأنت بعيد

أشكوك أم أشكو إليك فإنه لا يستطيع سواهما المجهود

أنا يا أبا عثمان في حال التلف ولم تعدني ولا سألت عن خبري.

فأخذ بيدي فمضينا إليها فسأل عن خبرها فقالت: هو ذا أموت وتستريح مني فأنشأ يقول:

لا مت قبلي بل أحيا وأنت معاً ولا أعيش إلى يوم تموتينا

حتى إذا قدر الرحمن ميتتنا وحان من أمرنا ما ليس يعدونا

متنا جميعاً كغصني بانةٍ ذبلا من بعد ما نضرا واستوسقا حينا

ثم السلام علينا في مضاجعنا حتى نعود إلى ميزان منشينا

أخبرني إبراهيم بن القاسم بن زرزور قال: قال لي أبي: كانت فضل الشاعرة تتعشق سعيد بن حميد مدة طويلة ثم تعشقت بناناً وعدلت عنه فقال فيها قصيدته الدالية التي يقول فيها: تنامين عن ليلي وأسهره وحدي فلم تتعطف عليه وبلغها بعد ذلك أنه قد عشق جارية من جواري القيان فكتبت إليه:

يا عالي السن سيىء الأدب شبت وأنت الغلام في الطرب

ويحك إن القيان كالشرك لم نصوب بين الغرور والعطب

لا تصدين للفقير ولا يطلبن إلا معادن الذهب

بينا تشكى هواك إذ عدلت عن زفرات الشكوى إلى الطلب

تلحظ هذا وذاك وذا لحظ محب وفعل مكتسب

عادته فضل في مرضه وأهدته هدايا كثيرة افتصد سعيد بن حميد فسألتني فضل الشاعرة وسألت عريب أن نمضي إليه ففعلنا وأهدت إليه هدايا فكان منها ألف جدي وحمل وألف دجاجة فائقة وألف طبق ريحان وفاكهة ومع ذلك طيبٌ كثير وشرابٌ وتحفٌ حسانٌ فكتب إليها سعيد: إن سروري لا يتم إلا بحضورك فجاءته في آخر النهار وجلسنا نشرب فاستأذن غلامه لبنان فأذن له فدخل إلينا وهو يومئذ شاب طرير حسن الوجه حسن الغناء نظيف الثياب شكلٌ فذهب بها كل مذهب وأقبلت عليه بحديثها ونظرها فتشمز سعيد واستطير غضباً وتبين بنان القصة فانصرف وأقبل عليها سعيد يعذلها ويؤنبها ساعة ثم أمسك فكتبت إليه:

يا من أطلت تفرسي في وجهه وتنفسي

أفديك من متدللٍ يزهى بقتل الأنفس

هبني أسأت وما أسأت بلى أقر أنا المسي

أحلفتني ألا أسارق نظرةً في مجلسي

فنظرت نظرة مخطىءٍ أتبعتها بتفرس

ونسيت أني قد حلفت فما عقوبة من نسي

فقام سعيد فقبل رأسها وقال: لا عقوبة عليه بل نحتمل هفوته ونتجافى عن إساءته وغنت عريب في هذا الشعر هزجاً فشربنا عليه بقية يومنا ثم افترقنا. وأثر بنان في قلبها وعلقت به فلم تزل حتى واصلته وقطعت سعيداً.

وجدت في بعض الكتب عن عبد الله بن المعتز قال: قال لي إبراهيم بن المهدي: كانت فضل الشاعرة من أحسن خلق الله خطاً وأفصحهم كلاماً وأبلغهم في مخاطبة وأثبتهم في محاورة فقلت يوماً لسعيد بن حميد: أظنك يا أبا عثمان تكتب لفضل رقاعها وتقيدها وتخرجها فقد أخذت نحوك في الكلام وسلكت سبيلك فقال لي وهو يضحك: ما أحيب ظنك ليتها تسلم مني ولا آخذ كلامها ورسائلها والله يا أخي لو أخذ أفاضل الكتاب وأماثلهم عنها لما استغنوا عن ذلك.

صوت

كل حي لاقي الحمام فمودي ما لحي مؤملٍ من خلود

لا تهاب المنون شيئاً ولا تب قي على والدٍ ولا مولود

الشعر لابن مناذر والغناء لبنان ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى من كتابه الذي جمع فيه صنعته وفيه لساجي جارية عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ثقيلٌ أول أيضاً على مذهب النوح ابتداؤه نشيد.

أخبار ابن مناذر ونسبه

نسبه وكنيته

هو محمد بن مناذر بني صبير بن يربوع ويكنى أبا جعفر وقيل: إنه كان يكنى أبا عبد الله.
ووجدت في بعض الكتب رواية عن ابن حبيب أنه كان يكنى أبا ذريح وقد كان له ابن يسمى ذريحاً فمات وهو صغير وإياه عنى بقوله:

كأنك للمنايا يا ذريح الله صوركا

فناط بوجهك الشعرى وبالإكليل قلدكا

ولعله اكتنى به قبل وفاته.
وقال الجاحظ: كان محمد بن مناذر مولى سليمان القهرمان وكان سليمان مولى عبيد الله بن أبي بكرة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكرة عبداً لثقيف ثم ادعى عبيد الله بن أبي بكرة أنه ثقفي وادعى سليمان القهرمان أنه تميمي وادعى ابن مناذر أنه صليبة من بني صبير بن يربوع فابن مناذر مولى مولى مولى وهو دعي مولى دعي وهذا ما لا يجتمع في غيره قط ممن عرفناه وبلغنا خبره.

ومحمد بن مناذر شاعر فصيح مقدم في العلم باللغة وإمام فيها وقد أخذ عنه أكابر أهلها وكان في أول أمره يتأله ثم عدل عن ذلك فهجا الناس وهتك وخلع وقذف أعراض أهل البصرة حتى نفي عنها إلى الحجاز فمات هناك.
وهذه الأبيات يرثي بها ابن مناذر عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي وكان عبد الوهاب محدثاً جليلاً وقد روى عنه وجوه المحدثين وكبراء الرواة وكان ابن مناذر يهوى عبد المجيد هذا. فكان في أيام حياته مستوراً متألهاً جميل الأمر فلما مات عبد المجيد حال عن جميع ما كان عليه وأخبارهما تذكر في مواضعهما.

فتنته بعبد المجيد بن عبد الوهاب

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال: كان ابن مناذر مولى صبير بن يربوع وكان إماماً في علم اللغة وكلام العرب وكان في أول أمره ناسكاً ملازماً للمسجد كثير النوافل جميل الأمر إلى أن فتن بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي فتهتك بعد ستره وفتك بعد نسكه ثم ترامى به الأمر بعد موت عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي إلى أن شتم الأعراض وأظهر البذاء وقذف المحصنات ووجبت عليه حدودٌ فهرب إلى مكة وبقي بها حتى مات.
وكان يجالس سفيان بن عيينة عن معاني حديث النبي صلى الله عليه وسلم فيخبره بها ويقول له: كذا وكذا مأخوذ من كذا فيقول سفيان: كلام العرب بعضه يأخذ برقاب بعض. قال: وأدرك المهدي ومدحه ومات في

أيام المأمون.

أخبرني علي بن سليمان قال: حدثني محمد بن يزيد وغيره: أن محمد بن مناذر كان إذا قيل له: ابن مناذر - بفتح الميم - يغضب ثم يقول: أمناذر الصغرى أم مناذر الكبرى وهما كورتان من كور الأهواز إنما هو مناذر على وزن مفاعل من ناذر فهو مناذر مثل ضارب فهو مضارب وقاتل فهو مقاتل.

وعظته المعتزلة فلم يتعظ ومنعوه دخول المسجد فنابذهم وهجاهم قال محمد بن يزيد: ولما عدل محمد بن مناذر عما كان عليه من النسك والتآله وعظته المعتزلة فلم يتعظ وأوعدته بالمكروه فلم يزدجر ومنعوه دخول المسجد فنابذهم وطعن عليهم وهجاهم وكان يأخذ المداد بالليل فيطرحه في مطاهرهم فإذا توضئوا به سود وجوههم وثيابهم وقال في توعد المعتزلة إياه:

أبلغ لديك بني تميم مألكاً عني وعرج في بني يربوع

أني أخٌ لكم بدار مضيعةٍ بومٌ وغربانٌ عليه وقوع

هبوا له فلقد أراه بنصركم يأوي إلى جبل أشم منيع

وإذا تحزبت القبائل كنتم ثقتي لكل ملمةٍ وفظيع

إن أنتم لم تثأروا لأخيكم حتى يباء بوتره المتبوع

فخذوا المغازل بالأكف وأيقنوا ما عشتم بمذلةٍ وخضوع

إن كنتم حدباً على أحسابكم سمعاً فقد أسمعت كل سميع

أين الصبيريون لم أر مثلهم في النائبات وأين رهط وكيع !

قال: ثم استحيا من قوله: أين الصبيريون لقلة عددهم فقال: أين الرياحيون.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني الحسن بن علي قال: حدثني مسعود بن بشر قال: قال لي ابن مناذر: ولع بي قومٌ من المعتزلة ففرقت منهم قال: وكان مولى صبير بن يربوع فقلت: بنو صبير نفسان ونصف فمن أدعو منهم فقلت: ليس إلا إخوتهم بنو رياح فقلت أبياتاً حرضتهم فيها وحضضت بنو رياح فقلت:

أين الرياحيون لم أر مثلهم في النائبات وأين رهط وكيع !

قال: فجاء خمسون شيخاً من بني رياح فطردوهم عني.

أخبرني علي بن سليمان قال: حدثني محمد بن يزيد قال: حدثنا الجاحظ عن مسعود بن بشر عن أبي عبيدة قال: ما زادت بنو صبير بن يربوع قط على سبعة نفر كلما ولد منهم مولود مات منهم ميت.

كان من أهل عدن

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني يعقوب بن نعيم قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال: حدثني أبو عثمان المازني قال: كان ابن مناذر من أهل عدن وإنما صار إلى البصرة في طلب الأدب لتوافر العلماء فيها فأقام فيها مدة ثم شغل بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي فتطاول أمره إلى أن خرج عنها وكان مقيماً بمكة فلما مات عبد المجيد نسك. وقوم يقولون: إنه كان دهرياً.

كره الناس إمامته بعد تهتكه فرد عليهم

وذكر أبو دعامة عن عطاء الملط قال: كان ابن مناذر يؤم الناس في المسجد الذي في قبيلته فلما أظهر ما أظهره من الخلاعة والمجون كرهوا أن يصلي بهم وأن يأتموا به فقالوا شعراً وذكروا ذلك فيه وهجوه وألقوا الرقعة في المحراب

نبئت قافيةً قيلت تناشدها قومٌ سأتر في أعراضهم ندبا

ناك الذين رووها أم قائلها وناك قائلها أم الذي كتبا

ثم رمى بها إليهم و لم يعد إلى الصلاة بهم.

أول لقاء له بأبي نواس

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثنا أبو الفضل بن عبدان بن أبي حرب الصفار قال: حدثني الفضل بن موسى مولى بني هاشم قال: دخل ابن مناذر المسجد الجامع بالبصرة فوقعت عينه على غلام مستند إلى سارية فخرج والتمس غلاماً ورقعة ودواةً فكتب أبياتاً مدحه بها وسأل الغلام الذي التمسه أن يوصل الرقعة إلى الفتى المستند إلى السارية فذهب بها إلى الغلام فلما قرأها قلبها وكتب على ظهرها يقول:

مثل امتداحك لي بلا ورقٍ مثل الجدار بني على خص

وألذ عندي من مديحك لي سود النعال ولين القمص

فلما قرأها ابن مناذر قام غليه فقال له: ويلك أأنت أبو نواس قال: نعم فسلم عليه وتعانقا وكان ذلك أول المودة بينهما.

خبره مع أبي العتاهية

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثني أبو حاتم قال: اجتمع أبو العتاهية ومحمد بن مناذر فقال له أبو العتاهية: يا أبا عبد الله كيف أنت في الشعر قال: أقول في الليلة إذا سنح القول لي واتسعت القوافي عشرة أبياتٍ

إلى خمسة عشر فقال له أبو العتاهية: لكني لو شئت أن أقول في الليلة ألف بيت لقلت فقال ابن مناذر: أجل والله إذا أردت أن أقول مثل قولك:

ألا يا عتبة الساعه أموت الساعة الساعه

قلت: ولكني لا أعود نفسي مثل هذا الكلام الساقط ولا أسمح لها به فخجل أبو العتاهية وقام يجر رجله.

أخبرني به الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني سهل بن محمد أبو حاتم وأحمد بن يعقوب بن المنير ابن أخت أبي بكر الأصم. قال ابن مهرويه: وحدثني به يحيى بن اجتمع أبو العتاهية وابن مناذر فاجتمع الناس إليهما وقالوا: هذان شيخا الشعراء فقال أبو العتاهية لابن مناذر: يا أبا عبد الله كم تقول في اليوم من الشعر وذكر باقي الخبر مثل المتقدم سواء.

مع خلف الأحمر

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا العباس بن ميمون طائع قال: سمعت الأصمعي يقول: حضرنا مأدبة ومعنا أبو محرز خلف الأحمر وحضرها ابن مناذر فقال لخلف الأحمر: يا أبا محرز إن يكن النابغة وامرؤ القيس وزهير قد ماتوا فهذه أشعارهم مخلدة فقس شعري إلى شعرهم واحكم فيها بالحق فغضب خلفٌ ثم أخذ صحفة مملوءة مرقاً فرمى بها عليه فملأه فقام ابن مناذر مغضباً وأظنه هجاه بعد ذلك.

الحكم بين شعره وشعر عدي بن زيد

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا خلاد الأرقط قال: لقيني ابن مناذر بمكة فأنشدني قصيدته: كل حي لاقي الحمام فمودي ثم قال لي: أقرىء ابا عبيدة السلام وقل له: يقول لك ابن مناذر اتق الله واحكم بين شعري وشعر عدي بن زيد ولا تقل ذلك جاهلي وهذا إسلامي وذاك قديم وهذا محدث فتحكم بين العصرين ولكن احكم بين الشعرين ودع العصبية قال: وكان ابن مناذر ينحو نحو عدي بن زيد في شعره ويميل إليه ويقدمه.

ينحو نحو عدي بن زيد في شعره أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني محمد بن عثمان الكزبري قال: أخبرني محمد بن الحجاج الجراداني قال: قلت لابن مناذر: من أشعر الناس قال: من كنت في شعره فقلت له: ومن ذاك فقال: عدي بن زيد وكان ينحو نحوه في شعره ويقدمه ويتخذه إماماً.

كان أبو عبد المجيد لا ينكر صحبة ابنه له

والأبيات التي فيها الغناء أول قصيدة لمحمد بن مناذر رثى بها عبد المجيد بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي وكان يهواه وكان عبد المجيد هذا فيما يقال من أحسن الناس وجهاً وأدبا ولباساً وأكملهم في كل حال وكان

على غاية المحبة لابن مناذر والمساعدة له والشغف به.

وكان يبلغ خبره أباه على جلالته وسنه وموضعه من العلم فلا ينكر ذلك لأنه لم تكن تبلغه عنه ريبة وكان ابن مناذر حينئذ حميد الأمر حسن المروءة عفيفاً.

فحدثني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن حدان قال: حدثني قدامة بن نوح قال: قيل لعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي: إن ابن مناذر قد أفسد ابنك وذكره في شرعه وشبب به فقال عبد الوهاب: أو لا يرضى ابني أن يصحبه مثل ابن مناذر ويذكره في شعره!.

خروجه إلى قبر أم عبد المجيد

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال: أم عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي الذي كان يشبب به ابن مناذر بانة بنت أبي العاصي وهي مولاة جنان التي يشبب بها أبو نواس قال: فحدثني من رأى محمد بن مناذر يوم ثالث بانة هذه وقد خرج جواريها إلى قبرها فخرج معهن نحو الجبانة بالبصرة قال: فقلت له: يا أبا عبد الله أين تريد فقال:

اليوم يوم الثلاثا ويوم ثالث بانه

اليوم تكثر فيه الظبا ء في الجبانه

قال أبو الحسن: ولدت بانة من عبد الوهاب بن عبد المجيد أولاده: عبد المجيد وأبا العاصي جفن عيني قد كاد يس قط من طول ما اختلج

وفؤادي من حر حب ك قد كاد أو نضج

خبريني فدتك نف سي وأهلي متى الفرج!

كان ميعادنا خرو ج زيادٍ فقد خرج

قال ابن عمار: قال لي النوفلي: في هذه الأبيات غناء حلو مليح لو سمعته لشربت عليه أربعة أرطال.

قال النوفلي: وكان لعبد الوهاب ابنٌ يقال له: محمد كان أسن ولده ويقال: إنه كان يتعشق بانة ابنة أبي العاصي هذه امرأة أبيه وإن زياد بن عبد الوهاب منه وكان أشبه الناس به.

حدثني ابن عمار قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبي قال: خرج ابن مناذر يوماً من صلاة التراويح وهو في المسجد بالبصرة وخرج عبد المجيد بن عبد الوهاب خلفه فلم يزل يحدثه إلى الصبح وهما قائمان إذا انصرف عبد المجيد شيعه ابن مناذر إلى منزله فإذا بلغه وانصرف محمد بن مناذر شيعه عبد المجيد لا يطيب أحدهما نفساً بفراق صاحبه حتى أصبحا. فقيل لعبد الوهاب بن عبد المجيد: ابن مناذر قد أفسد ابنك فقال: أو ما يرضى ابني أن يرضى بما يرضى به ابن مناذر.

وفي عبد المجيد يقول ابن مناذر يمدحه وهو من مختار ما قال فيه أنشدنيها علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن زيد من قصيدةٍ أولها:

شيب ريب الزمان رأسي لهفي على ريب ذا الزمان

يقدح في الصم من شرورى ويحدر الصم من أبان

يقول فيها يمدح عبد المجيد:

مني إلى الماجد المرجى عبد المجيد الفتى الهجان

خير ثقيفٍ أباً ونفساً إذا التقت حلقتا البطان

نفسي فداءٌ له وأهلي وكل ما تملك اليدان

كأن شمس الضحى وبدر الدجى عليه معلقان

نيطاً معاً فوق حاجبيه والبدر والشمس يضحكان

مشمرٌ همه المعالي ليس برث ولا بواني

بنى له عزةً ومجداً في أول الدهر بانيان

بانٍ تلقاه من ثقيفٍ ومن ذرا الأزد خير باني

فاسأله مما حوت يداه يهتز كالصارم اليماني

أخبرني عمي قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني أبو توبة صالح بن محمد قال: مرض عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي مرضاً شديداً بالبصرة وكان ابن مناذر ملازماً له يمرضه ويخدمه ويتولى أمره بنفسه لا يكله إلى أحد. فحدثني بعض أهلهم قال: حضرت يوماً عنده وقد أسخن له ماءٌ حارٌ ليشربه واشتد به الأمر فجعل يقول: آه! بصوت ضعيف فغمس ابن مناذر يده في الماء الحار وجعل يتأوه مع عبد المجيد ويده تحترق حتى كادت يده تسقط فجذبناها وأخرجناها من الماء وقلنا له: أمجنونٌ أنت! أي شيء هذا! أينتفع به ذاك! فقال: أساعده وهذا جهد من مقل ثم استقل من علته تلك وعوفي مدة طويلة ثم تردى من سطح فمات فجزع عليه جزعاً شديداً حتى كاد يفضل أهله وإخوته في البكاء والعويل وظهر منه من الجزع ما عجب الناس له ورثاه بعد ذلك بقصيدته المشهورة فرواها أهل البصرة ونيح بها على عبد المجيد وكان الناس يعجبون بها ويستحسنونها.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم النوشجاني قال: سمعت أبي يقول: حضرت سفيان بن عيينة يقول لابن مناذر: أنشدني ما قلت في عبد المجيد فأنشده قصيدته الطويلة الدالية.

قال سفيان: بارك الله فيك فلقد تفردت بمراثي أهل العراق.

فأخبرني عمي قال: حدثني أبو هفان قال: قال جماز: تزوج عبد المجيد امرأةً من أهله فأولم عليها شهراً يجتمع عنده في كل يوم وجوه أهل البصرة وأدباؤها وشعراؤها فصعد ذات يوم إلى السطح فرأى طنباً من أطناب الستارة قد انحل فأكب عليه ليشده فتردى على رأسه ومات من سقطته فما رأيت مصيبةً قط كانت أعظم منها

ولا أنكأ للقلوب.

طارح محمد بن عمر الخراز رثاءه في عبد المجيد وناحا عليه به بعد أن وضعا فيه لحناً أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني العباس بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان قال: حدثني محمد بن عمر الخراز قال: قال لي ابن مناذر: ويحك! ولست أرى نساء ثقيف ينحن على عبد المجيد نياحةً على استواء قلت: فما تحب قال: تخرج معي حتى أطارحك فطارحني القصيدة التي يقول فيها:

إن عبد المجيد يوم تولى هد ركناً ما كان بالمهدود

هد عبد المجيد ركني وقد كن ت بركنٍ أبوء منه شديد

قال: فما زلت حتى حفظتها ووعيتها ووضعنا فيها لحناً فلما كان في الليلة التي يناح بها على عبد المجيد فيها صلينا العشاء الآخرة في المسجد الجامع ثم خرجنا إلى دارهم وقد صعد النساء على السطح ينحن عليه فسكتن سكتةً لهن فاندفعنا أنا وهو ننوح عليه فلما سمعتنا أقبلن يلطمن ويصحن حتى كدن ينقلبن من السطح إلى أسفل من شدة تشرفهن علينا وإعجابهن بما سمعنه منا وأصبح أهل المسجد ليس لهم حديث غيرنا وشاع الخبر بالبصرة وتحدث به الناس حتى نقل من مجلس إلى مجلس.

أم عبد المجيد تبر قسمه وتصيح صياحاً يقال إنه أول ما قيل في الإسلام وأخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال لي: حدثني موسى بن حماد بن عبد الله القرشي قال: حدثني محمد بن النعمان بن جبلة الباهلي قال: لما قال ابن مناذر:

لأقيمن مأتماً كنجوم الليل زهراً يلطمن حر الخدود

موجعاتٍ يبكين للكبد الحرى عليه وللفؤاد العميد

قالت أم عبد المجيد: والله لأبرن قسمه فأقامت مع أخوات عبد المجيد وجواريه مأتماً عليه قامت تصيح عليه: واي ويه واي ويه فيقال: إنها أول من فعل ذلك وقاله في الإسلام.

رثاء له في عبد المجيد أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد عن محمد بن عامر النخعي قال: أنشدني محمد بن مناذر لنفسه يرثي عبد المجيد بن عبد الوهاب يقول:

يا عين حق لك البكا ء لحادث الرزء الجليل

فابكي على عبد المجي د وأعولي كل العويل

لا يبعد الله الفتى ال فياض ذا الباع الطويل

عجل الحمام به فودع نا وآذن بالرحيل

لهفي على الشعر المعف ر منك والخد الأسيل

كسفت لفقدك شمسنا والبدر آذن بالأفول

عرض قصيدته على أبي عبيدة فلم تعجبه

حدثني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثني النضر بن عمرو عن المازني قال: حدثنا حيان: أن ابن مناذر دفع قصيدته الدالية إليه وقال: اعرضها على أبي عبيدة فأتيته وهو على باب أبي عمرو بن العلاء فقرأت عليه منها خمسة أبيات فلم تعجبه وقال: دعني من هذا فإني قد تشاغلت بحفظ القرآن عنه وعن مثله قال: وكان أبو عبيدة يبغضه ويعاديه لأنه هجاه.

هبود وعبود

أخبرني محمد بن مزبد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: قال ابن مناذر: قلت: يقدح الدهر في شماريخ رضوى ثم مكثت حولاً لا أدري بم أتممه فسمعت قائلاً يقول: هبود قلت: وما هبود فقال لي: جبيل في بلادنا فقلت: ويحط الصخور من هبود قال إسحاق: وسمع أعرابي هذا البيت فقال: ما أجهل قائله بهبود! والله أنها لأكيمة ما توارى الخارىء فكيف يحط منها الصخور!.

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثني أبو حاتم قال: سمعت أبا مالك عمرو بن كركرة يقول:

يقدح الدهر في شماريخ رضوى ويحط الصخور من هبود

قلت له: هبود أي شيء هو فقال: جبل فقلت: سخنت عينك هبود والله بئر باليمامة ماؤها ملح لا يشرب منه شيء خلقه الله وقد والله خريت فيها مرات فلما كان بعد مدة وقفت عليه في مسجد البصرة وهو ينشدها فلما بلغ هذا البيت أنشدها: ويحط الصخور من عبود فقلت له: عبود أي شيء هو ذا فقال: جبل بالشام فلعلك يابن الزانية خريت عليه أيضاً فضحكت ثم قلت: لا ما خريت عليه ولا رأيته وانصرفت عنه وأنا أضحك.

أخبرني عمي قال: حدثني الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي قال: كان يحيى بن زياد يرمى بالزندقة وكان من أظرف الناس وأنظفهم فكان يقال: أظرف من الزنديق.

شعر له في محمد بن زياد

وكان الحاركي واسمه محمد بن زياد يظهر الزندقة تظارفاً فقال فيه ابن مناذر:

يابن زياد يا أبا جعفرٍ أظهرت ديناً غير ما تخفي

لست بزنديقٍ ولكنما أردت أن توسم بالظرف

وقال فيه أيضاً:

يا أبا جعفرٍ كأنك قد صر ت على أجردٍ طويل الجران

من مطايا ضوامرٍ ليس يصهل ن إذا ما ركبن يوم رهان

لم يذللن بالسروج و لا أق رح أشداقهن جذب العنان

قائماتٍ مسومات لدى الجس ر لأمثالكم من الفتيان

انصرف الناس عن حلقته

إلى حلقة عتبة النحوي فقال شعراً في ذلك

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة عن ابن عائشة قال: كان عتبة النحوي من أصحاب سيبويه وكان صاحب نحوٍ فهماً بما يشرحه ويفسره على مذاهب أصحابه وكان ابن مناذر يتعاطى ذلك ويجلس إليه قومٌ يأخذونه عنه فجلس عتبة قريباً من حلقته فتقوض الناس إليه وتركوا ابن مناذر فلما كان في يوم الجمعة الأخرى قام ابن مناذر من حلقته فوقف على عتبة ثم أنشأ يقول:

تجمعن للشقاء إلى عتبة الخسار

ما لي وما لعتب ة إذ يبتغي ضراري

قال: فقام عتبة إليه فناشده ألا يزيد ومنع من كان يجلس إلى ابن مناذر من حضور حلقته وجلس هو بعيداً من ابن مناذر بعد ذلك.

كان جاره ابن عمير يغري به المعتزلة فهجاه حدثني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال: كان لابن مناذر جارٌ يقال له ابن عمير من المعتزلة فكان يسعى بابن مناذر إليهم ويسبه ويذكره بالفسق ويغريهم به فقال يهجوه:

بنو عمير مجدهم دارهم وكل قوم فلهم مجد

كأنهم فقع بدويةٍ وليس لهم قبلٌ و لا بعد

بث عميرٌ لؤمه فيهم فكلهم من لؤمه جعد

وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن النوفلي بمثله وزاد فيه: وعبد الله بن عمير - أبو هؤلاء الذين هجاهم - أخو عبد الله بن عامر لأمه أمهما دجاجة بنت إسمايل بن الصلت السلمي.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا الخليل بن أسد قال: كان ابن مناذر من أحضر الناس جواباً قال له رجل: ما شأنك قال: عظم في أنفي.

قال: وسأله رجلٌ يوماً: ما الجرباء فأومأ بيده إلى الأرض قال: هذه يهزأ به وإنما الجرباء السماء.

خبره مع الخليل بن أحمد

أخبرني أحمد بن العباس العسكري المؤدب قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني جعفر بن محمد عن دماذ قال: دار بين الخليل بن أحمد وبين ابن مناذر كلام فقال له الخليل: إنما أنتم معشر الشعراء تبعٌ لي وأنا سكان السفينة إن قرظتكم ورضيت قولكم نفقتم وإلا كسدتم فقال ابن مناذر: والله لأقولن في الخليفة قصيدةً أمتدحه بها ولا أحتاج إليك فيها عنده ولا إلى غيرك.

يمدح الرشيد فيجيزه

فقال في الرشيد قصيدته التي أولها:

ما هيج الشوق من مطوقةٍ أوفت على بانةٍ تغنينا

ولو سألنا بحسن وجهك يا هارون صوب الغمام أسقينا

قال: وأراد أن يفد بها إلى الرشيد فلم يلبث أن قدم الرشيد البصرة حاجاً ليأخذ على طريق النباج # وكان الطريق قديماً فدخلها وعديله إبراهيم الحراني فتحمل عليه ابن مناذر بعثمان بن الحكم الثقفي وأبي بكر السلمي حتى أوصلاه إلى الرشيد فأنشده إياها فلما بلغ آخرها كان فيها بيت يفتخر فيه وهو:

قومي تميمٌ عند السماك لهم مجدٌ وعزٌ فما ينالونا

فلما أنشده هذا البيت تعصب عليه قومٌ من الجلساء فقال له بعضهم: يا جاهل أتفخر في قصيدةٍ مدحت بها أمير المؤمنين. وقال آخر: هذه حماقة بصرية فكفهم عنه الرشيد ووهب له عشرين ألف درهم.

الرشيد يستشهد بشعره ويبعث له بجائزة أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: حدثني سهيل السلمي: أن الرشيد استسقى في سنة قحط فسقي الناس فسر بذلك وقال: لله در ابن مناذر حيث يقول:

ولو سألنا بحسن وجهك يا هارون صوب الغمام أسقينا

وسأل عن خبره فأخبر أنه بالحجاز فبعث إليه بجائزة.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي عن محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا العنزي قال: حدثنا نصر بن علي الجهضمي قال: حدثني محمد بن عباد المهلبي قال: شهد بكر بن بكار عند عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن الحر العنزي بشهادة فتبسم ثم قال له: يا بكر ما لك ولابن مناذر حيث يقول:

أعوذ بالله من النار ومنك يا بكر بن بكار

فقال: أصلح الله القاضي ذاك رجل ماجنٌ خليع لا يبالي ما قال فقال له: صدقت وزاد تبسمه وقبل شهادته وقام بكر وقد تشور وخجل. قال العنزي: فحدثني أبو غسان دماذ قال: أنشدني ابن مناذر هذا الشعر الذي قاله في بكر بن بكار وهو:

أعوذ بالله من النار ومنك يا بكر بن بكار

يا رجلاً ما كان فيما مضى لآل حمران بزوار
ما منزلٌ أحدثته رابعاً معتزلاً عن عرصة الدار
ما تبرح الدهر على سوأةٍ تطرح حباً للخشنشار
يا معشر الأحداث يا ويحكم تعوذوا بالخالق الباري
من حربةٍ نيطت على حقوه يسعى بها كالبطل الشاري

قال ابن مهرويه في خبره: والخشنشار هو معاوية الزيادي المحدث ويكنى أبا الخضر وكان جميل الوجه.

وقال العتري في حديثه: حدثني إسحاق بن عبد الله الحمراني وقد سألته عن معنى هذا الشعر فقال: الخشنشار: غلامٌ أمرد جميل الوجه كان في محلتنا وهذا لقبه وكان بكر بن بكار يتعشقه فكان يجيء إلى أبي فيذاكره الحديث ويجالسه وينظر إلى الخشنشار.

قال العتري: حدثني عمر بن شبة قال: بلغني أن عبيد الله بن الحسن لقي ابن مناذر فقال له: ويحك ما أردت إلى بكر بن بكار ففضحته وقلت فيه قولاً لعلك لم تتحققه فبدأ ابن مناذر يحلف له بيمين ما سمعت قط أغلظ منها أن الذي قاله في بكر شيء يقوله معه كل من يعرف بكراً ويعرف الخشنشار ويجمع عليه ولا يخالفه فيه فانصرف عبيد الله مغموماً بذلك قد بان فيه فلما بعد عنا قلت لابن مناذر: برىء الله منك ويلك ما أكذبك! أكل من يعرف بكر بن بكار يقول فيه مثل قولك حتى حلفت بهذه اليمين فقال: سخنت عينيك فإذا كنت أعمى القلب أي شيء أصنع! أفتراني كنت أكذب نفسي عند القاضي إنما موهت عليه وحلفت له أن كل من يعرفها يقول مثل قولي وعنيت ما ابتدأت به من الشعر وهو قولي: أفتعرف أنت أحداً يعرفها أو يجهلهما إلا يقول كما قلت: أعوذ بالله من النار إنما موهت على القاضي وأردت تحقيق قولي عنده.

قال مؤلف هذا الكتاب: وبكر بن بكار رجلٌ محدث قد روى عن ورقاء عن ابن أبي نجيح تفسير مجاهد وروى حديثاً صالحاً.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا بكر بن بكار عن عبد الله بن المحرز عن قتادة عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " زينوا القرآن بأصواتكم ".

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني الأحوص بن الفضل البصري قال: حدثنا ابن معاوية الزيادي وأبوه الخشنشار الذي يقول فيه ابن مناذر: تطرح حبا للخشنشار قال: حدثني من لقي ابن مناذر بمكة فقال: ألا تشتاق إلى البصرة فقال له: أخبرني عن شمس الوزانين أعى حالها قال: نعم قال: وثيق بن يوسف الثقفي حي قال: نعم قال: فغسان بن الفضل الغلابي حي قال: نعم قال: لا والله لا دخلتها ما بقي فيها واحدٌ من الثلاثة. قال: وشمس الوزانين في طرف المربد بحضرة مسجد الأنصار في موضعٍ كان محمد بن عبد الوهاب

أخو عبد المجيد يعاديه أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عمر بن شبه قال: كان محمد بن عبد الوهاب الثقفي أخو عبد المجيد يعادي محمد بن مناذر بسبب ميله إلى أخيه عبد المجيد وكان ابن مناذر يهجوه ويسبه ويقطعه وكل واحد منهما يطلب لصاحبه المكروه ويسعى عليه فلقي محمد بن عبد الوهاب ابن مناذر في مسجد البصرة ومعه دفتر فيه كتاب العروض بدوائره و لم يكن محمد بن عبد الوهاب يعرف العروض فجعل يلحظ الكتاب ويقرؤه فلا يفهمه وابن مناذر متغافلٌ عن فعله ثم قال له: ما في كتابك هذا فخبأه في كمه وقال: وأي شيء عليك مما فيه فتعلق به ولببه فقال له ابن مناذر: يا أبا الصلت الله الله في دمي فطمع فيه وصاح يا زنديق في كمك الزندقة فاجتمع الناس إليه فأخرج الدفتر من كمه وأراهم إياه فعرفوا براءته مما قذفه به ووثبوا على محمد بن عبد الوهاب واستخفوا به وانصرف بخزيٍ وقال ابن مناذر يهجوه:

إذا أنت تعلقت بحبلٍ من أبي الصلت

تعلقت بحبلٍ وا هن القوة منبت

إذا ما بلغ المجد ذوو الأحساب بالمت

فلا تسمو إلى المجد فما أمرك بالثبت

و لا فرعك في العيدا ن عودٌ ناضر النبت

وما يبقي لكم يا قو م من أثلتكم نحتي

فها فاسمع قريضاً من رقيقٍ حسن النعت

يقول الحق إن قال و لا يرميك بالبهت

وفي نعتٍ لوجعاء قد استرخت من الفت

فعندي لك يا مأبو ن مثل الفالج البختي

عتلٌ يعمل الكوم من السبت إلى السبت

له فيشله إن أد خلت واسعة الخرت

وإلا فاطل وجعاء ك بالخضخاض والزفت

ألم يبلغك تسآلي لدى العلامة المرت

فقال الشيخ سرجوي ه: داء المرء من تحت

فخذ من ورق الدفلى وخذ من ورق القت

وخذ من جعر كيسانٍ ومن أظفار نسخت

قال: ونسخت: لقب أبي عبيدة وهو اسمٌ من أسماء اليهود لقب به تعريضاً بأن جده كان يهودياً وكان أبو عبيدة وسخاً طويل الأظفار أبداً والشعر وكان يغضب من هذا اللقب.

فأخبرني الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن علي بن محمد النوفلي قال: لما قال ابن مناذر هذه الأبيات:

إذا أنت تعلقت بحبل من أبي الصلت

تعلقت بحبل وا هن القوة منبت

وقال الشيخ سرجوي ه: داء المرء من تحت

فبلغ ذلك سرجويه فجاء إلى محمد بن عبد الوهاب فوقف عليه في مجلسه وعنده جماعة من أهله وإخوته وجيرانه فسلم عليه وكان أعجمياً لا يفصح ثم قال: " بركست كمن كفتم أن كسر مناذر كفت: داء المرء من تحت " فكاد القوم أن يفتضحوا من الضحك وصاح به محمد: اعزب قبحك الله فظن أنه لم يقبل عذره فأقبل يحلف له مجتهداً ما قال ذاك ومحمد يصيح به: ويلك اغرب عني وهو في الموت منه وكلما زاده من الصياح إليه زاده في العذر واجتهد في الأيمان وضحك الناس حتى غلبوا وقام محمد خجلاً فدخل منزله وتفرقوا.

قال أبو الحسن النوفلي: ثم مضى لذلك زمانٌ وهجا أبو نعامة أبا عبد الله عريسة الكاتب

روى شيخ تميمٍ خالدٌ أن هريسه

يدخل الأصلع ذا الخر جين في جوف الكنيسة

فلقي خالد بن الصباح هذا هريسة وكان يعاديه وأراد أن يخجله فحلف له مجتهداً أنه لم يقل فيه ما قاله أبو نعامة فقال هريسة: يا بارد! لم ترد أن تعتذر إنما أردت أن تتشبه بابن مناذر ومحمد بن عبد الوهاب وبأبي الشمقمق وأحمد بن المعذل ولست من هؤلاء في شيء.

شعر له في ضرير وأخرس جالسين عنده قرأت في بعض الكتب عن ابن أبي سعد قال: حدثني أبو الخطاب الحسن بن محمد عن محمد بن إسحاق البلخي قال: دخلت على ابن مناذر يوماً وعنده رجلٌ ضريرٌ جالسٌ عن يمينه ورجل بصيرٌ جالسٌ عن شماله ساكتٌ لا ينطق قال: فقلت له: ما خبرك فقال:

بين أعمى وأخرسٍ أخرس الل ه لسان الأعمى وأعمى البصيرا

قال: فوثبا فخرجا من عنده وهما يشتمانه.

خبره مع سفيان بن عيينة

ونسخت من كتاب ابن أبي الدنيا: حدثني أبو محمد التيمي قال: حدثني إبراهيم بن عبد الله عن الحسن بن علي قال: كنا عند باب سفيان بن عيينة وقد هرب منا وعنده الحسن بن علي التختاخ ورجلٌ من الحجبة ورجل من أصحاب الرشيد فدخل بهم وليس يأذن لنا فجاء ابن مناذر فقرب من الباب ثم رفع صوته فقال:

بعمرٍو وبالزهري والسلف الأولى بهم ثبتت رجلاك عند المقاوم

جعلت طوال الدهر يوماً لصالح ويوماً لصباح ويوماً لحاتم

وللحسن التختاخ يوماً ودونهم خصصت حسيناً دون أهل المواسم

نظرت وطال الفكر فيك فلم أجد رحاك جرت إلا لأخذ الدراهم

فخرج سفيان وفي يده عصاً وصاح: خذوا الفاسق فهرب ابن مناذر منه وأذن لنا فدخلنا.

رثاؤه سفيان بن عيينة أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبو بكر المؤدب قال: حدثني محمد بن قدامة قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول لابن مناذر: يا أبا عبد الله ما بقي أحدٌ أخافه غيرك وكأني بك

راحوا بسفيان على نعشه والعلم مكسوين أكفانا

إن الذي غودر بالمنحنى هد من الإسلام أركانا

لا يبعدنك الله من ميتٍ ورثنا علماً وأحزانا

سفيان بن عيينة يتكلم بكلام لابن مناذر أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال حدثني شيخ من أهل الكوفة يقال له عوام قال: سمعت سفيان بن عيينة وقد تكلم بكلام استحسن فسأله محمد بن مناذر أن يمليه عليه فتبسم سفيان وقالل ه: هذا كلام سمعتك تتكلم به فاستحسنته فكتبته عنك قال: وعل ذلك أحب أن تمليه علي فإني إذا رويته عنك كان أنفق له من أن أنسبه إلى نفسي.

قال عوام: وأنشدني ابن عائشة لابن مناذر يرثي سفيان بن عيينة بقوله:

يجني من الحكمة نوارها ما تشتهي الأنفس ألوانا

يا واحد الأمة في علمه لقيت من ذي العرش غفرانا

راحوا بسفيان على نعشه والعلم مكسوين أكفانا

أخبرني علي بن سليمان قال: حدثنا محمد بن يزيد عن محمد بن عامر الحنفي قال:

لما مات عبد المجيد بن عبد الوهاب خرج ابن مناذر إلى مكة وترك النسك وعاد للمجون والخلع وقال في هذا المعنى شعراً كثيراً حتى كان إذا مدح أو فخر لم يجعل افتتاح شعره ومباديه إلا المجون وحتى قال في مدحه للرشيد:

هل عندكم رخصةٌ عن الحسن الب صري في العشق وابن سيرينا !

إن سفاهاً بذي الجلالة والش يبة ألا يزال مفتونا

وقال أيضاً في هذا المعنى:

ألا يا قمر المسج د هل عندك تنويل!

شفائي منك إننولتنيشم وتقبيل

سلا كل فؤادٍ و فؤادي بك مشغول

لقد حملت من حبي ك ما لايحمل الفيل

خبره مع يونس النحوي

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثنا العباس بن الفضل الربعي قال: قال ابن مناذر ليونس النحوي يعرض به: أخبرني عن جبل أتنصرف أم لا وكان يونس من أهلها فقال له: قد عرفت ما أردت يابن الزانية. فانصرف ابن مناذر: فأعد شهوداً يشهدون عليه بذلك وصار إليه وسأله هل تنصرف جبل وعلم يونس ما أراد فقال له: الجواب ما سمعته أمس.

خبر زيارة حجاج الصواف له بمكة

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال: حدثني إسحاق بن عمرو السعدي قال: حدثني الحجاج الصواف. وأخبرني الحسن بن علي أيضاً قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني إسحاق بن محمد قال: حدثني أمية بن أبي مروان قال: حدثني حجاج الصواف الأعور قال: خرجت إلى مكة فكان خجيراي في الطريق ابن مناذر وكان لي إلفاً وخدناً وصديقاً فدخلت مكة فسألت عنه فقالوا: لا يبرح المسجد فدخلت المسجد فالتمسته فوجدته بفناء زمزم وعنده أصحاب الأخبار والشعراء يكتبون عنه فسلمت وأنا أقدر أن يكون عنده من الشوق إلي مثل ما عندي فرفع رأسه فرد السلام رداً ضعيفاً ثم رجع إلى القوم يحدثهم و لم يحفل بي فقلت في نفسي: أتراه ذهبت عنه معرفتي! فبينا أنا أفكر إذ طلع أبو الصلت بن عبد الوهاب الثقفي من باب بني شيبة داخلاً المسجد فرفع رأسه فنظر إليه ثم أقبل علي فقال: أتعرف هذا فقلت: نعم هذا الذي يقول فيه من قطع الله لسانه:

إذا أنت تعلقت بحبلٍ من أبي الصلت

تعلقت بحبل وا هن القوة منبت

قال: فتغافل عني وأقبل عليهم ساعة ثم أقبل علي فقال: من أي البلاد أنت قلت: من أهل البصرة قال: وأين تنزل منها قلت: بحضرة بني عائش الصوافين قال: أتعرف هناك ابن زانية يقال له: حجاج الصواف قلت: نعم تركته

ينيك أم ابن زانيةٍ يقال له: ابن مناذر فضحك وقام إلي فعانقني.
هجاؤه حجاج الصواف قال مؤلف هذا الكتاب: ولابن مناذر هجاءٌ في حجاج الصواف على سبيل العبث وهو قوله:

إن ادعاء الحجاج في العرب عند ثقيف من أعجب العجب
وهو ابن زانٍ لألف زانيةٍ وألف علجٍ معلهج النسب
ولو دعاه داعٍ فقال له :يا ألأم الناس كلهم أجب
ولو دعاه داعٍ فقال له :من المعلى في اللؤم قال: أبي
أبوه زانٍ والأم زانيةٌ بنت زناةٍ مهتوكة الحجب
تقول: عجل أدخل لنائكها اتركه في استي إن شئت أو ركبي
من ناكني فيهما فأوسعني رهزاً دراكاً أعطيته سلبي
هم حري النيك فابتغوا لحري أير حمارٍ أقضي به أربي
أحب أير الحمار وابأبي فيشة أير الحمار وابأبي
إذا رأته قالت: فديتك يا قرة عيني ومنتهى طلبي
إذا سمعت النهيق هاج حري شوقاً إليه وهاج لي طربي
يأخذني في أسافلي وحري مثل اضطرام الحريق في الحطب
شكت إلي نسوة فقلن لها وهي تنادي بالويل والحرب:
كفي قليلاً قالت: وكيف وبي في جوف صدعي كحكة الجرب
أرى أيور الرجال من عصبٍ ليت أيور الرجال من خشب

هجاء إسكاف بالبصرة فهرب منها

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني أحمد بن محمد الرازي أبو عبد الله قال: حدثني أبو بجير قال: كان ابن مناذر يجلس إلى إسكاف بالبصرة فلا يزال يهجوه بالأبيات فيصيح من ذلك ويقول له: أنا صديقك فاتق الله وأبق على الصداقة وابن مناذر يلح فقال الإسكاف: فإني أستعين الله عليك وأتعاطى الشعر فلما أصبح غدا عليه ابن مناذر كما كان يفعل فأخذ يعبث به ويهجوه فقال الإسكاف:

كثرت أبوته وقل عديده ورمى القضاء به فراش مناذر

عبد الصبيريين لم تك شاعراً كيف ادعيت اليوم نسبة شاعر !

فشاع هذان البيتان بالبصرة ورواهما أعداؤه وجعلوا يتناشدونهما إذا رأوه فخرج من البصرة إلى مكة وجاور بها فكان هذا سبب هربه من البصرة.

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن أبي حاتم قال: قال ابن مناذر: ما مر بي شيء قط أشد علي مما مر بي من قول أبي العسعاس في:

كثرت أبوته وقل عديده ورمى القضاء به فراش مناذر

انظر بكم صنف قد هجاني في هذا البيت قبحه الله ثم منعني من مكافأته أني لم أجد له نباهة فأغضها ولا شرفاً فأهدمه ولا قدراً فأضعه.

أخبرني عمي قال: حدثني الكراني قال: حدثني بشر بن دحية الزيادي أبو معاوية قال: سمعت ابن مناذر يقول: إن الشعر ليسهل علي حتى لو شئت ألا أتكلم إلا بشعر لفعلت. أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا العباس بن ميمون طايع قال: حدثني بعض أصحابنا قال: رأيت ابن مناذر بمكة وهو يتوكأ على رجل يمشي معه وينشد:

إذا ما كدت أشكوها إلى قلبي لها شفعا

ففرق بيننا دهرٌ يفرق بين ما اجتمعا

فقلت: إن هذا لا يشبه شعرك فقال: إن شعري برد بعدك.

ذم امرأة محمد بن عبد الوهاب الثقفي أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا أبو أيوب المديني قال: حدثنا بعض أصحابنا أن محمد بن عبد الوهاب الثقفي تزوج امرأةً من ثقيف يقال لها عمارة وكان ابن مناذر يعاديه فقال في ذلك:

لما رأيت القصف والشاره والبز ضاقت به الحاره

والآس والريحان يرمى به من فوق ذي الدارة والداره

قلت :لمن ذا قيل: أعجوبةٌ محمدٌ زوج عماره

ويحك فري واعصبي فاك لي فهذه أختك فراره

قال: فوالله ما لبثت عنده إلا مديدة حتى هربت وكانت لها أختٌ قبلها متزوجة إلى بعض أهل البصرة ففركته وهربت منه فكانوا يعجبون من موافقة فعلها قول ابن مناذر.

شعر له في أبي أمية خالد

قال أبو أيوب: وحدثت أن أبا أمية واسمه خالد - وهو الذي يقول فيه أبو نواس:

أيها المقبلان من حكمان كيف خلفتما أبا عثمان

وابا أمية المهذب والما جد والمرتجى لريب الزمان

- كان خطب امرأة من ثقيف ثم ولد عثمان بن أب العاصي فرد عنها وتصدى للقاضي أن يضمنه مالاً من أموال اليتامى فلم يجبه إلى ذلك و لم يثق به فقال فيه ابن مناذر:

أبا أمية لا تغضب علي فما جزاء ما كان فيما بيننا الغضب

إن كان ردك قومٌ عن فتاتهم ففي كثير من الخطاب قد رغبوا

قالوا :عليك ديورٌ ما تقوم بها في كل عام تستحدث الكتب

وقد تقحم من خمسين غايتها مع أنه ذو عيال بعد ما انشعبوا

أردت أموال أيتام تضمنها وما يضمن إلا من له نشب

بلغه عن ابن دأب قول قبيح فهجاه أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني أحمد بن زهير قال: سمعت إبراهيم بن المنذر الخزامي يقول: بلغ ابن مناذر عن ابن دأب قولٌ قبيحٌ قال: فدعاني وقال: اكتب:

فمن يبغ الوصاة فإن عندي وصاةً للكهول وللشباب

خذوا عن مالكٍ وعن ابن عونٍ ولا تروووا أحاديث ابن داب

ترى الغاوين يتبعون منها ملاهي من أحاديث كذاب

إذا التمست منافعها اضمحلت كما يرفض رقراق السحاب

قال: فرويت وافتضح بها ابن دأب. قال الخزامي: فلما قدمت العراق وجدتهم قد جعلوها: خذوا عن يونسٍ وعن ابن عون

رثاؤه الرشيد

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا أبو حاتم قال:

من كان يبكي للعلا ملكاً وللهمم الشريفه

فليبك هارون الخلي فة للخليفة والخليفه

هجاؤه خالد بن طليق

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن محمد بن سلام قال: كان محمد بن طليق وسائر بني طليق أصدقاء لابن مناذر فلما ولي المهدي الخلافة استقصى خالد بن طليق وعزل عبيد الله بن الحسن بن الحر فقال ابن مناذر يهجو خالداً مجوناً وخبثاً منه:

أصبح الحاكم يالن اس من آل طليق

جالساً يحكم في النا س بحكم الجاثليق

يدع القصد ويهوي في بنيات الطريق

يا أبا الهيثم ما كن ت لهذا بخليق

لا ولا كنت لما حمل لت منه بمطيق

حبله حبل غرورٍ عنده غير وثيق

قال ابن سلام: فقلت لابن مناذر: ويحك إذا بلغ إخوانك وأصدقاءك من آل طليق أنك هجوتهم ما يقولون لك وبأي شيء تعتذر إليهم فقال: لا يصدقون إذا بلغهم أني هجوتهم بذلك لأنهم يثقون بي.

مدح بني مخزوم لأنهم زاروه في مرضه

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني الحسن بن عليل عن مسعود بن بشر قال: حدثنا محمد بن مناذر قال: كنت بمكة فاشتكيت فلم يعدني من قريش غلا بنو مخزوم وحدهم فقلت أمدحهم:

جاءت قريشٌ تعودني زمراً فقد وعى أحرها لها الحفظه

ولم تعدني تيمٌ وإخوتها وزارني الغر من بني يقظه

لن يبرح العز منهم أبداً حتى تزول الجبال من قرظه

ابن عائشة يطلب سماع مرثيته في عبد المجيد

أخبرني الحسن عن ابن مهرويه عن إسحاق بن محمد النخعي قال:

عند ابن عائشة فقال لعبد الرحمن ابنه: أنشدني مرثية ابن مناذر عبد المجيد فجعل ينشدها لأقيمن مأتماً كنجوم الليل زهراً يخمشن حر الخدو

فقال ابن عائشة: هذا كلام لين كأنه من كلام المخنثين فلما أتى على هذا البيت:

كنت لي عصمةً وكنت سماءً بك تحيا أرضي ويخضر عودي

فقال: هذا بيتها ثم أنشد:

إن عبد المجيد يوم تولى هد ركناً ما كان بالمهدود

ما درى نعشه ولا حاملوه ما على النعش من عفاف وجود

وأرانا كالزرع يحصدنا الده ر فمن بين قائمٍ وحصيد

فقال ابن عائشة: أجعله زرعاً يحصدنا الله فليس هذا من كلام المسلمين ألا ترى إلى قوله: إنه يقول:

يحكم الله ما يشاء فيمضي ليس حكم الإله بالمردود

عاقبه الرشيد على رثائه البرامكة

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني محمد بن موسى ولم يتجاوزه بالإسناد.

ونسخت هذا الخبر من كتاب ابن أبي مريم الحاسب: حدثني ابن القداح وعبد الله بن إبراهيم حج الرشيد بعد إيقاعه بالبرامكة وحج معه الفضل بن الربيع وكنت مضيقاً مملقاً فهيأت فيه قولاً أجدت تنميقه وتنوقت فيه فدخلت إليه في يوم التروية وإذا هو يسأل عني ويطلبني فبدرني الفضل بن الربيع قبل أن أتكلم فقال: يا أمير المؤمنين هذا شاعر البرامكة ومادحهم وقد كان البشر ظهر لي في وجهه لما دخلت فتنكر وعبس في وجهي فقال الفضل: مره يا أميرالمؤمنين أن ينشدك قوله فيهم: أتانا بنو الأملاك من آل برمك فقال لي: أنشد فأبيت فتوعدني وأكرهني فأنشدته:

أتانا بنو الأملاك من آل برمكٍ فيا طيب أخبارٍ ويا حسن منظر

إذا وردوا بطحاء مكة أشرقت بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر

فتظلم بغدادٌ ويجلو لنا الدجى بمكة ما حجوا ثلاثة أقمر

فما صلحت إلا لجودٍ أكفهم وأرجلهم إلا لأعواد منبر

إذا راض يحيى الأمر ذلت صعابه وحسبك من راعٍ له ومدبر

ترى الناس إجلالاً له وكأنهم غرانيق ماءٍ تحت باز مصرصر

ثم أتبعت ذلك بأن قلت: كانوا أولياءك يا أمير المؤمنين أيام مدحتهم وفي طاعتك لم يلحقهم سخطك ولم تحلل بهم نقمتك ولم أكن في ذلك مبتدعاً ولا خلا أحدٌ من نظرائي من مدحهم وكانوا قوماً قد أظلني فضلهم وأغناني رفدهم فأثنيت بما أولوا فقال: يا غلام الطم وجهه فلطمت والله حتى سدرت وأظلم ما كان بيني وبين أهل المجلس ثم قال: اسحبوه على وجهه ثم قال: والله لأحرمنك ولا تركت أحداً يعطيك شيئاً في هذا العام فسحبت حتى أخرجت وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالاً في نفسي وحالي وما جرى علي ولا والله ما عندي ما يقيم يومئذ قوت عيالي لعيدهم فإذا بشاب قد وقف علي ثم قال: أعزز علي والله يا كبيرنا بما جرى عليك ودفع إلي صرةً

وقال: تبلغ بما في هذه فظننتها دراهم فإذا هي مائة دينار - قال الصولي في خبره: فإذا هي ثلاثمائة دينار - فقلت له: من أنت جعلني الله فداءك! قال: أنا أخوك أبو نواس فاستعن بهذه الدنانير واعذرني فقبلتها وقلت: وصلك الله يا أخي وأحسن جزاءك.

كافأه جعفر بن يحيى على القراءة بعد تركه الشعر أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا يحيى بن الحسن الربيعي قال: حدثنا أبو معاوية الغلابي قال: قال سفيان بن عيينة: كلمني ابن مناذر في أن أكلم له جعفر بن يحيى فكلمته له وقد كان ابن مناذر ترك الشعر فقال: إن أحب أن يعود إلى الشعر أعطيته خمسين ألفاً وإن أحب أن أعطيه على القراءة أعطيته عشرة آلاف فذكرت ذلك له فقال لي: خذ لي على القراءة فإني لا آخذ على الشعر وقد تركته.

أخبرني عمي عن الكراني عن الرياشي قال: قال العتبي: جاءت قصيدة لا يدرى من قائلها فقال ابن مناذر:

هذه الدهماء تجري فيكم أرسلت عمداً تجر الرسنا

قال يصف الألفة بين الرشيد وجعفر

قال الكراني: وحدثني الرياشي قال: سمعت خلف بن خليفة يقول: قال لي ابن مناذر: قال لي جعفر بن يحيى: قل في وفي الرشيد شعراً تصف فيه الألفة بيننا فقلت:

قد تقطع الرحم القريب وتكفر الن عمى ولا كتقارب القلبين

يدني الهوى هذا ويدني ذا الهوى فإذا هما نفسٌ ترى نفسين

قال مؤلف هذا الكتاب: هذا أخذه من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم نقلاً فإن ابن عيينة روى عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن الرحم تقطع وإن النعم تكفر ولن ترى مثل تقارب القلوب ".

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا العباس بن ميمون قال: حدثنا سليمان الشاذكوني قال: كنا عند سفيان بن عيينة فحدث عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله عز وجل: " قالوا سلاماً " قالوا سداداً فقال ابن مناذر وهو إلى جنبي: التنزيل أبين من التفسير.

خبره مع أبي حية النميري

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن أبي حاتم وعن العتبي عن أبي معبد قال: مر بنا أبو حية النميري ونحن عند ابن مناذر فقال لنا: علام اجتمعتم فقلنا: هذا شاعر المصر فقال له: أنشدني فأنشده ابن مناذر فلما فرغ قال له أبو حية: ألم أقل لك: أنشدني فقالوا له: أنشدنا أنت يا أبا حية فأنشدهم قوله:

ألا حي من أجل الحبيب المغانيا لبسن البلى مما لبسن الليالیا

إذا ما تقاضى المرء يومٌ وليلةٌ تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

فلما فرغ قال له ابن مناذر ما أرى في شعرك شيئاً يستحسن فقال له ما في شعري شيءٌ هجا خالد بن طليق وعيسى بن سليمان

أخبرني عمي قال: حدثني الكراني عن ابن عائشة قال: ولي خالد بن طليق القضاء بالبصرة وعيسى بن سليمان الإمارة بها فقال محمد بن مناذر يهجوهما بقوله:

الحمد لله على ما أرى خالدٌ القاضي وعيسى أمير

لكن عيسى نوكه ساعة ونوك هذا منجنونٌ يدور

وقال في شيرويه الزيادي وشيرويه لقب واسمه أحمد وسأله حاجةً فأبى أن يقضيها إلا على أن يمدحه:

يا سمي النبي بالعربيه وسمي الليوث بالفارسيه

إن غضبنا فأنت عبد ثقيفٍ أو رضينا فأنت عبد أميه

فغضب شيرويه وجعل يشتمه وشاع الشعر بالبصرة فكان بعد ذلك إذا قيل لشيرويه: ابن مناذر عليك غضبان أو عنك راض يشتم من يقول له ذلك.

أخبرني الحسن بن القاسم الكوكبي قال: حدثنا ابن أبي الدنيا قال: سمعت محمد بن قدامة سمعت سفيان بن عيينة يقول لمحمد بن مناذر: كأنك بي قد مت فرثيتني فلما مات قال ابن مناذر يرثيه:

إن الذي غودر بالمنحنى هد من الإسلام أركانا

راحوا بسفيان على نعشه والعلم مكسوين أكفانا

لا يبعدنك الله من هالكٍ ورثتنا علماً وأحزانا

يفسر كلماتٍ لعبد الله بن مروان

أخبرنا عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا عبد الله بن مروان بن معاوية الفزاري قال: حدثنا سفيان قال: سمعت أعرابيةً تقول: من يشتري مني الحزاة فقلت لها: وما الحزاة قالت: تشتريها النساء للطشة والخافية والإقلات. قال عبد الله بن مروان: فسألت ابن مناذر عن تفسير ذلك فقال: الطشة: وجع يصيب الصبيان في رؤوسهم كالزكام. والخافية: ما خفي من العلل المنسوبة إلى أذى الجن. والإقلات: قلة الولد. وأنشدني ابن مناذر بعقب ذلك:

بغاث الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مقلاتٌ نزور

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثني أبو حاتم قال: سمعت محمد بن مناذر يقول: العذراء: البتول والبتور والبتيل واحد وهي المنقطعة إلى ربها.

قال: وسأله - يعني 0 - أبو هريرة الصيرفي بحضرتي فقال: كيف تقول: أما لا أو إما لا فقال له مستهزئاً به: أما لا ثم التفت إلي فقال أسمعت أعجب من هذه المسألة!.

يجيب على سؤال لم يجب عنه أبو عبيدة أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني ان مهرويه قال: حدثني العباس بن الفضل الربعي قال: حدثنا التوزي قال: سألت أبا عبيدة عن اليوم الثاني من النحر: ما كانت العرب تسميه قال: ليس عندي من ذلك علم. فلقيت ابن مناذر بمكة فأخبرته بذلك فعجب وقال: أيسقط هذا عن مثل أبي عبيدة! هي أربعة أيام متواليات كلها على الراء: أولها يوم النحر والثاني يوم القر والثالث يوم النفر والرابع يوم الصدر. فحدثته - يعني أبا عبيدة - فكتبه عن ابن مناذر وقد روى ابن مناذر الحديث المسند ونقله عنه المحدثون.

بعض روايات له

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا الخليل بن أسد عن محمد بن مسعدة الدارع حدثني محمد بن مناذر الشاعر قال: حدثني سفيان الثوري عن الأغر عن وهب بن منبه قال: كان يقال: الحياء من الإيمان والمذى - مكسور الميم مقصور - من النفاق فقلت: إن الناس يقولون: المذاء فقال: هو كما أخبرتك فقلت له: وما المذا قال: اللين في أمر النساء ومنه درعٌ ماذي وعسلٌ ماذي.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد قال: حدثني حامد بن يحيى البلخي قال: حدثني محمد بن مناذر الشاعر قال: حدثني يحيى بن عبد الله بن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عبد الله قال: لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر إلى القتلى وهم مصرعون قال لأبي بكر: " لو أن أبا طالب حي لعلم أن أسيافنا قد أخذت بالأماثل " يعني قول أبي طالب:

كذبتم وبيت الله إن جد ما أرى لتلتبسن أسيافنا بالأماثل

أخبرني محمد بن خلف قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال: حدثنا ابن مناذر قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: قال علي: " ما قام بي من النساء إلا الحارقة أسماء ". قال ابن مناذر: الحارقة: التي أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي عن العباس بن عبد الواحد عن محمد بن عمرو عن محمد بن مناذر عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن أبي هريرة قال: جاء الشيطان إلى عيسى قال: ألست تزعم أنك صادق قال: بلى قال: فأوف على هذه الشاهقة فألق نفسك منها فقال: ويلك ألم يقل الله: يابن آدم لا تبلني بهلاكك فإني أفعل ما أشاء.

كتب رقعة فيها شعر لغلام في مسجد البصرة أخبرني عيسى بن الحسين الوراق عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: نظر محمد بن مناذر إلى غلام حسن الوجه في مسجد البصرة فكتب إليه بهذه الأبيات:

وجدت في الآثار في بعض ما حدثنا الأشياخ في المسند

مما روى الأعمش عن جابرٍ وعامر الشعبي والأسود

وما روى شعبة عن عاصمٍ وقاله حماد عن فرقد

وصيةً جاءت إلى كل ذي خد خلا من شعرٍ أسود

أن يقبلوا الراغب في وصلهم فاقبل فإني فيك لم أزهد

فلما قرأها الفتى ضحك وقلب الرقعة وكتب على ظهرها: لست شاعراً فأجيبك ولا فاتكاً فأساعدك وأنا أعوذ بالله ربك من شرك.

رواية أخرى في خبره مع أبي العتاهية أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن عليلي العترى قال: حدثنا محمد بن عبد الله العبدي: قال: حدثنا علي بن المبارك الأحمر قال: لقي أبو العتاهية ابن مناذر بمكة فجعل يمازحه ويضاحكه ثم دخل على الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين هذا ابن مناذر شاعر البصرة يقول قصيدة في سنة وأنا أقول في سنة مائتي قصيدة فقال الرشيد: أدخله إلي فأدخله إليه وقدر أنه يضعه عنده فدخل فسلم ودعا فقال: ما هذا الذي يحكيه عنك أبو العتاهية فقال ابن مناذر: وما ذاك يا أمير المؤمنين قا: زعم أنك تقول قصيدةً في سنة وأنه يقول كذا وكذا قصيدة في السنة فقال: يا أمير المؤمنين لو كنت أقول كما يقول:

ألا يا عتبة الساعه أموت الساعة الساعه

لقلت منه كثيراً ولكني الذي أقول:

إن عبد المجيد يوم تولى هد ركناً ما كان بالمهدود

فقال له الرشيد: هاتها فأنشدنيها فأنشده فقال الرشيد: ما كان ينبغي أن تكون هذه القصيدة إلا في خليفة أو ولي عهد ما لها عيبٌ إلا أنك قلتها في سوقة وأمر له بعشرة آلاف درهم فكاد أبو العتاهية يموت غماً وأسفاً.

سئل عنه يحيى بن معين فذمه أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا إبراهيم بن الجنيد قال: سألت يحيى بن معين عن محمد بن مناذر الشاعر فقال: لم يكن بثقةٍ ولا مأمون رجل سوء نفي من البصرة ووصفه بالمجون والخلاعة فقلت: إنما تكتب شعره وحكاياتٍ عن الخليل بن أحمد فقال: هذا نعم. وأما الحديث فلست أراه موضعاً له.

وفاته بعد أن كف بصره

أخبرني الحسن قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني علي بن محمد النوفلي قال: رأيت ابن مناذر في الحج سنة ثمانٍ وتسعين ومائة قد كف بصره تقوده جويرية حرة وهو واقف يشتري ماء قربة فرأيته وسخ الثوب والبدن فلما صرنا إلى البصرة أتتنا وفاته في تلك الأيام.

تذاكرنا ابن مناذر في حلقة يونس فقدح فيه أكثر أهل الحلقة حتى نسبوه إلى الزندقة فلما صرت في السقيفة التي في مقدم المسجد سمعت قراءة قريبة من حائط القبلة فدنون فإذا ابن مناذر قائمٌ يصلي فرجعت إلى الحلقة فقلت لأهلها: قلتم في الرجل ما قلتم وها هو قائمٌ يصلي حيث لا يراه إلا الله عز وجل.

خبره مع أبي خيرة

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي قال: حدثنا أحمد بن القاسم البرقي قال: حدثنا أحمد بن يعقوب قال: حدثني أحمد بن يحيى الهذلي التمار عن عبد الله بن عبد الصمد الضبي قال: كنا يوماً جلوساً في حلقة هبيرة بن جرير الضبي إذ أقبل محمد بن مناذر في برد قد كسته إياه بانة بنت أبي العاص فسلم علي وحدي و لم يعرف منهم أحداً ثم قام فجلس إلى أبي خيرة فخاطبه مخاطبة خفيفة وقام مغضباً فقال لي هبيرة: من هذا فقلت: محمد بن مناذر فقال:

ماذا قال لك ابن مناذر قال: سألني عن شيء وكنت مشغولاً عنه فقال: يا أبا خيرة إن العشائر تغبطنا لعلمك وما جعل الله عندك فنشدناك عر

أتدري من كان عندك آنفاً قال: لا قال: ابن مناذر وما تعرض لأعراض قومٍ قط إلا هتكها وهتكهم فإذا جاءك يسألك عن شيء فأجبه ولا تعتل عليه بالبول ولا تطلب منه شيئاً وكل ما أردت من جهته ففي مالي قال: أفعل. قال: وكان أبو خيرة إذا سأله إنسان عن شيء و لم يعطه شيئاً يعتل عليه بالبول. فما شعرنا من غد إلا بابن مناذر وقد أقبل فعلمنا أنه قصد أبا خيرة فأتيناه فلما رأى جمعنا استحيا منا وسلم علينا وتبسم ثم قال: يا أبا خيرة قد قلت شعراً وقبيحٌ بمثلي أن يسأل عنه فلا يدري ما فيه وإني ذكرت فيه إنساناً فشبهته بالأفار فأي شيء هو فاحمر وجه أبي خيرة واضطرب وقال: هو التيس الوثاب الذي يترو وقضيبه رخو فلا يصل فقال: جزيت خيراً ووثب وهو يضحك فقمنا إليه وقلنا: قد علمنا أنك عنيت هذا الشيخ فإن رأيت أن تهبه لنا فافعل فإنه شيخنا قال: والله ما عنيت غيره وقد وهبته لكم وكرامةً والله لا يسمع مني أحدٌ ما قلت فيه ولا أذكره إلا بخير أبداً وإن كان قد أساء العشرة أمس.

صوت

لا زلت تنشر أعياداً وتطويها تمضي بها لك أيامٌ وتمضيها

ولا تقضت بك الدنيا و لا برحت تطوي لك الدهر أياماً وتفنيها

الشعر لأشجع السلمي والغناء لإبراهيم الموصلي ثاني مطلق في مجرى البنصر وفيه لمحمد قريض لحن من الثقيل الأول وهو من مشهور غنائه ومختاره.

نسب أشجع وأخباره

نسبه

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي والحسن بن علي قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني علي بن الفضل السلمي قال: كان أشجع بن عمرو السلمي يكنى أبا الوليد من ولد الشريد بن مطرود السلمي تزوج أبوه امرأة من أهل اليمامة فشخص معها إلى بلدها فولدت له هناك أشجع ونشأ باليمامة ثم مات أبوه.

كان يعد من فحول الشعراء

فقدمت به أمه البصرة تطلب ميراث أبيه وكان له هناك مال فماتت بها وربي أشجع ونشأ بالبصرة فكان من لا يعرفه يدفع نسبه ثم كبر وقال الشعر وأجاد وعد في الفحول وكان الشعر يومئذ في ربيعة واليمن و لم يكن لقيس شاعر معدود فلما نجم أشجع وقال الشعر افتخرت به قيس وأثبتت نسبه وكان له أخوان: أحمد وحريث ابنا عمرو وكان أحمد شاعراً و لم يكن يقارب أشجع و لم يكن لحريث شعر ثم خرج أشجع إلى الرقة والرشيد بها فنزل على بني سليم فتقبلوه وأكرموه ومدح البرامكة وانقطع إلى جعفر خاصة وأصفاه مدحه فأعجب به ووصله إلى الرشيد ومدحه فأعجب به أيضاً فأثرى وحسنت حاله في أيامه وتقدم عنده.

شخص إلى الرقة لينشد الرشيد قصيدته

أخبرني محمد بن عمران قال: حدثني العنزي قال: حدثني صخر بن أسد السلمي قال: حدثني أبي أسد بن جديلة قال: حدثني أشجع السلمي قال: شخصت من البصرة إلى الرقة فوجدت الرشيد غازياً ونالتني خلة فخرجت حتى لقيته منصرفاً من الغزو وكنت قد اتصلت ببعض أهل داره فصاح صائحٌ ببابه: من كان هاهنا من الشعراء فليحضر يوم الخميس فحضرنا سبعة وأنا ثامنهم وأمرنا بالبكور في يوم الجمعة فبكرنا وأدخلنا وقدم واحدٌ منا ينشد على الأسنان وكنت أحدث القوم سناً وأرثهم حالاً فما بلغ إلي حتى كادت الصلاة أن تجب فقدمت والرشيد على كرسي وأصحاب الأعمدة بين يديه سماطان.

خاف وجوب الصلاة فبدأ إنشاد الرشيد بما جاء في قصيدته من مدح فقال لي: أنشدني فخفت أن أبتدىء من أول قصيدتي بالتشبيب فتجب الصلاة ويفوتني ما أردت فتركت التشبيب وأنشدته من موضع المديح في قصيدتي التي أولها:

تذكر عهد البيض وهو لها ترب وأيام يصبي الغانيات ولا يصبو

فابتدأت قولي في المديح:

إلى ملك يستغرق المال جوده مكارمه نثر ومعروفه سكب

وما زال هارون الرضا بن محمد له من مياه النصر مشربها العذب

متى تبلغ العيس المراسيل بابه بنا فهناك الرحب والمنزل الرحب

لقد جمعت فيك الظنون ولم يكن بغيرك ظن يستريح له القلب

جمعت ذوي الأهواء حتى كأنهم على منهجٍ بعد افتراقهم ركب

بثثت على الأعداء أبناء دربةٍ فلم يقهم منهم حصونٌ ولا درب

وما زلت ترميهم بهم متفرداً أنيساك حزم الرأي والصارم العضب

جهدت فلم أبلغ علاك بمدحةٍ وليس على من كان مجتهداً عتب

فضحك الرشيد وقال لي: خفت أن يفوت وقت الصلاة فينقطع المديح عليك فبدأت به وتركت التشبيب وأمرني بأن أنشده التشبيب فأنشدته إياه فأمر لكل واحد من الشعراء بعشرة أنشد الرشيد فقال هكذا تمدح الملوك

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أحمد بن سيار الجرجاني وكان راوية شاعراً مداحاً ليزيد بن مزيد قال: دخلت أنا وأشجع والتيمي وابن رزين الخراساني على الرشيد في قصر له بالرقة وكان قد ضرب أعناق قوم في تلك الساعة فجعلنا نتخلل الدماء حتى وصلنا إليه فأنشده أبو محمد التيمي قصيدة له يذكر فيها نقفور ووقعته ببلاد الروم فنثر عليه مثل الدر من جودة شعره وأنشده أشجع قوله:

قصرٌ عليه تحيةٌ وسلام ألقت عليه جمالها الأيام

قصرت سقوف المزن دون سقوفه فيه لأعلام الهدى أعلام

تثني على أيامك الأيام والشاهدان الحل والإحرام

نتك من ظل النبي وصية بةُ وشجت بها الأرحام

برقت سماؤك في العدو وأمطرت هاماً لها ظل السيوف غمام

وإذا سيوفك صافحت هام العدى طارت لهن عن الرؤوس الهام

وعلى عدوك يابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والإظلام

وأنشدته أنا قولي: زمنٌ بأعلى الرقمتين قصير حتى انتهيت إلى قولي:

لا تبعد الأيام إذ ورق الصبا خضلٌ وإذ غض الشباب نضير

فاستحسن هذا البيت ومضيت في القصيدة حتى أتممتها فوجه إلي الفضل بن الربيع: أنفذ إلي قصيدتك فإني أريد أن أنشدها الجواري من استحسانه إياها.

قال: وركب الرشيد يوماً قبةً وسعيد بن سالم معه في القبة فقال: أين محمد البيذق وكان رجلاً حسن الصوت ينشد الشعر فيطرب بحسن صوته اشد من إطراب الغناء فحضر فقال: أنشدني قصيدة الجرجاني فأنشده فقال: الشعر في ربيعة سائر اليوم فقال له سعيد بن سالم: يا أمير المؤمنين استنشده قصيدة أشجع بن عمرو فأبى فلم يزل

به حتى أجاب إلى استماعها فلما أنشده هذين البيتين: وعلى عدوك يابن عم محمد والذي بعده قال له سعيد بن سالم: والله يا أمير المؤمنين لو خرس بعد هذين لكان أشعر الناس.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبي قال: بلغني أن أشجع لما أنشد الرشيد هذين البيتين: وعلى عدوك يابن عم محمد والذي بعده طرب الرشيد وكان متكئاً فاستوى جالساً وقال: أحسن والله هكذا تمدح الملوك.

أخبرني أحمد بن إسحاق العسكري والحسن بن علي قالا: حدثنا أحمد بن سعيد بن سالم الباهلي عن أبيه قال: كنت عند الرشيد فدخل إليه أشجع ومنصورٌ النمري فأنشده أشجع قوله:

وعلى عدوك يابن عم محمدٍ رصدان ضوء الصبح والإظلام

فإذا تنبه رعنه وإذا غفا سلت عليه سيوفك الأحلام

فاستحسن ذلك الرشيد وأومأت إلى أشجع أن يقطع الشعر وعلمت أنه لا يأتي بمثلهما فلم يفعل ولما أنشده ما بعدهما فتر الرشيد وضرب بمحضرة كانت بيده الأرض واستنشد منصوراً النمري فأنشده قوله:

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جزع إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع

فمر والله في قصيدة قل ما تقول العرب مثلها فجعل الرشيد يضرب بمخصرته الأرض ويقول: الشعر في ربيعة سائر اليوم فلما خرجنا قلت لأشجع: غمزتك أن تقطع فلم تفعل ويلك! ولم تأت بشيء فهلا مت بعد البيتين أو خرست فكنت تكون أشعر الناس.

مدح جعفر بن يحيى

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني موسى بن عيسى قال: اشترى جعفر بن يحيى المرغاب من آل الرشيد بعشرين ألف ألف درهم ورده على أصحابه فقال أشجع السلمي يمدحه بذلك ويقول:

رد السباخ ندى يديه وأهلها منها بمنزلة السماك الأعزل

قد أيقنوا بذهابها وهلاكهم والدهر يوعدهم بيومٍ أعضل

فافتكها لهم وهم من دهرهم بين الجران وبين حد الكلكل

ما كان يرجى غيره لفكاكها يرجى الكريم لكل خطبٍ معضل

أنشد جعفر بن يحيى مديحاً له لوقته على وزن قصيدة لحميد بن ثور وقافيتها جلس جعفر بن يحيى بالصالحية يشرب على مستشرفٍ له فجاءه أعرابي من بني هلال فاشتكى واستماح بكلام فصيح ولفظ مثله يعطف

المسؤول فقال له جعفر بن يحيى: أتقول الشعر يا هلالي فقال: قد كنت أقوله وأنا حدث أتملح به ثم تركته لما صرت شيخاً قال: فأنشدنا لشاعركم حميد بن ثور فأنشده قوله:

لمن الديار بجانب الحمس كمحط ذي الحاجات بالنفس

حتى أتى على آخرها فاندفع أشجع فأنشده مديحاً له فيه قاله لوقته على وزنها وقافيتها فقال:

ذهبت مكارم جعفرٍ وفعاله في الناس مثل مذاهب الشمس

ملك تسوس له المعالي نفسه والعقل خير سياسة النفس

فإذا تراءته الملوك تراجعوا جهر الكلام بمنطقٍ همس

ساد البرامك جعفرٌ وهم الألى بعد الخلائف سادة الإنس

ما ضر من قصد ابن يحيى راغباً بالسعد حل به أم النحس طلب منه جعفر وصف مكانه شعراً فقال وأجاد فقال له جعفر: صف موضعنا هذا فقال:

مطلاتٌ على بطنٍ كسته أيادي الماء وشياً نسج غرس

إذا ما الطل أثر في ثراء تنفس نوره من غير نفس

فتغبقه السماء بصبغ ورسٍ وتصبحه بأكؤس عين شمس

فقال جعفر للأعرابي: كيف ترى صاحبنا يا هلالي فقال: أرى خاطره طوع لسانه وبيان الناس تحت بيانه وقد جعلت له ما تصلني به قال: بل نقرك يا أعرابي ونرضيه وأمر للأعرابي بمائة دينار ولأشجع بمائتين.

أنس بن أبي شيخ يعجب بشعره

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني أبو عامة قال: حدثني أشجع السلمي قال: كنت ذات يوم في مجلس بعض إخواني أتحدث وأنشد إذ دخل عليهم أنس بن أبي شيخ النصري صاحب جعفر بن يحيى فقام له جميع القوم غيري و لم أعرفه فأقوم له فنظر إلي وقال: من هذا الرجل قالوا: أشجع السلمي الشاعر قال: أنشدني بعض قولك فأنشدته. فقال: إنك لشاعر فما يمنعك من جعفر بن يحيى فقلت: ومن لي بجعفر بن يحيى فقال: أنا فقل أبياتاً ولا تطل فإنه يمل الإطالة فقلت: لست بصاحب إطالة فقلت أبياتاً على نحو ما رسم لي وصرت إلى أنس فقال: تقدمني إلى الباب فتقدمت فلم يلبث أن جاء فدخل وخرج أبو رمح الهمذاني حاجب جعفر بن يحيى فقال أشجع: فقمت فقال: ادخل فدخلت فاستنشدني فأنشدته أقول:

وترى الملوك إذا رأيتهم كل بعيد الصوت والجرس

فإذا بدا لهم ابن يحيى جعفرٌ رجعوا الكلام بمنطقٍ همس

ذهبت مكارم جعفر وفعاله في الناس مثل مذاهب الشمس

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم قال: وكان أشجع يحب الثياب وكان يكتري الخلعة كل يوم بدرهمين فيلبسها أياماً ثم يكتري غيرها فيفعل بها مثل ذلك قال: فابتعت أثواباً كثيرة بباب الكرخ فكسوت عيالي وعيال إخوتي حتى أنفقتها.

الفضل بن يحيى يهب له ضعف ما وهبه إياه جعفر ثم لقيت المبارك مؤدب الفضل بن يحيى بعد أيام فقال لي: أنشدني ما قلته في جعفر فأنشدته فقال: ما يمنعك من الفضل فقلت: ومن لي بالفضل فقال: أنا لك به فأدخلني عليه فأنشدته:

لقد أرهب الأعداء حتى كأنما على كل ثغرٍ بالمنية قائم

فقال لي: كم أعطاك جعفر فقلت: عشرة آلاف درهم فقال: أعطوه عشرين ألفاً.

جعفر بن يحيى يجري عليه في كل جمعة مائة دينار أخبرني علي بن صالح قال: حدثني أحمد بن أبي فنن قال: حدثني داود بن مهلهل قال: لما خرج جعفر بن يحيى ليصلح أمر الشام نزل في مضربه وأمر بإطعام الناس فقام أشجع فأنشده قوله:

فئتان باغيةٌ وطاغيةٌ جلت أمورهما عن الخطب

قد جاءكم بالخيل شازبةً ينقلن نحوكم رحى الحرب

لم يبق إلا أن تدور بكم قد قام هاديها على القطب

قال: فأمر له بصلة ليست بالسنية وقال له: دائم القليل خيرٌ من منقطع الكثير فقال له: ونزره أكثر من جزيل غيره فأمر له بمثلها قال: وكان يجري عليه في كل جمعة مائة دينار مدة مقامه ببابه.

إسحاق الموصلي ينشد له قصيدة في الخمر أمام الرشيد وجعفر بن يحيى أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال: حدثني الفضل بن محمد اليزيدي قال: حدثنا دخلت إلى الرشيد يوماً وهو يخاطب جعفر بن يحيى بشيءٍ لم أسمع ابتداءه وقد علا صوته فلما رآني مقبلاً قال لجعفر بن يحيى: أترضى بإسحاق قال جعفر: والله ما في علمه مطعن إن أنصف فقال لي: أي شيء تروي للشعراء المحدثين في الخمر أنشدني من أفضل ما عندك وأشده تقدماً فعلمت أنهما كانا يتماريان في تقديم أبي نواس فعدلت عنه إلى غيره لئلا أخالف أحدهما فقلت: لقد أحسن أشجع في قوله:

وقد طعنت الليل في أعجازه بالكأس بين غطارفٍ كالأنجم

يتمايلون على النعيم كأنهم قضبٌ من الهندي لم تتثلم

وسعى بها الظبي العزير يزيدها طيباً ويغشمها إذا لم تغشم

والليل منتقب بفضل ردائه قد كاد يحسر عن أغر أرثم

فإذا أدارتها الأكف رأيتها تثني الفصيح إلى لسان الأعجم

وعلى بنان مديرها عقيانةٌ من سكبها وعلى فضول المعصم

تغلي إذا ما الشعريان تلظيا صيفاً وتسكن في طلوع المرزم

ولقد فضضناها بخاتم ربها بكراً وليس البكر مثل الأيم

ولها سكونٌ في الإناء وخلفها شغبٌ يطوح بالكمي المعلم

الرشيد يفضل أبا نواس عليه في الخمر

فقال لي الرشيد: قد عرفت تعصبك على أبي نواس وإنك عدلت عنه متعمداً ولقد أحسن أشجع ولكنه لا يقول أبداً مثل قول أبي نواس:

يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلي ولم أنم

فقلت له: ما علمت ما كنت فيه يا أمير المؤمنين وإنما أنشدت ما حضرني فقال: حسبك قد سمعت الجواب.

قال الفضل: وكان في إسحاق تعصب على أبي نواس لشيء جرى بينهما.

الواثق يطرب لشعر أشجع ويستعيده

أخبرني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: اصطبح الواثق في يوم مطير واتصل شربه وشربنا معه حتى سقطنا لجنوبنا صرعى وهو معنا على حالنا فما حرك أحدٌ منا عن مضجعه وخدم الخاصة يطوفون علينا ويتفقدوننا وبذلك أمرهم وقال: لا تحركوا أحداً عن موضعه فكان هو أول من أفاق منا فقام وأمر بإنباهنا فأنبهنا فقمنا فتوضأنا وأصلحنا من شأننا وجئت إليه وهو جالس وفي يده كأس وهو يروم شربها والخمار يمنعه فقال لي: يا إسحاق أنشدني في هذا المعنى شيئاً فأنشدته قول أشجع السلمي:

ولقد طعنت الليل في أعجازه بالكأس بين غطارفٍ كالأنجم

يتمايلون عن النعيم كأنهم قضبٌ من الهندي لم تتثلم

وسعى بها الظبي الغرير يزيدها طيباً ويغشمها إذا لم تغشم

والليل منتقب بفضل ردائه قد كاد يحسر عن أغر أرثم

وإذا أدارتها الأكف رأيتها تثني الفصيح إلى لسان الأعجم

وعلى بنان مديرها عقيانةٌ من لونها وعلى فضول المعصم

تغلي إذا ما الشعريان تلظيا صيفاً وتسكن في طلوع المرزم

ولقد فضضناها بخاتم ربها بكراً وليس البكر مثل الأيم

ولها سكونٌ في الإناء وخلفها شغبٌ يطوح بالكمي المعلم

تعطي على الظلم الفتى بقيادها قسراً وتظلمه إذا لم يظلم

فطرب وقال: أحسن والله أشجع وأحسنت يا أبا محمد أعد بحياتي فأعدها وشرب كأسه وأمر لي بألف دينار.

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثنا أبو هفان قال: ذكر أبو دعامة أن أشجع دخل على الفضل بن الربيع وقد توفي ابنه العباس والناس يعزونه فعزاه فأحسن ثم استأذنه في إنشاد مرثية قالها فيه فأذن له فأنشده:

لا تبكين بعين غير جائدةٍ وكل ذي حزنٍ يبكي كما يجد

أي امرىءٍ كان عباسٌ لنائبةٍ إذا تقنع دون الوالد الولد

لم يدنه طمعٌ من دار مخزيةٍ ولم يعز له من نعمة بلد

قد كنت ذا جلدٍ في كل نائبةٍ فبان مني عليك الصبر والجلد

لما تسامت بك الآمال وابتهجت بك المروءة واعتدت بك العدد

ولم يكن لفتى في نفسه أملٌ إلا إليك به من أرضه يفد

وحين جئت أمام السابقين ولم يبلل عذارك ميدانٌ ولا أمد

وافاك يومٌ على نكراء مشتملٌ لم ينج من مثله عادٌ ولا لبد

فما تكشف إلا عن مولولةٍ حرى ومكتئبٍ أحشاؤه تقد

قال: فبكى الفضل وبكى الناس معه وما انصرفوا يومئذ يتذاكرون غير أبيات أشجع.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الحسن بن محمد بن طالب الديناري قال: حدثني علي بن الجهم قال: دخل أشجع على الرشيد وقد مات ابنٌ له والناس يعزونه فأنشده قوله:

نقصٌ من الدين ومن أهله نقص المنايا من بني هاشم

قدمتهفاصبر على فقده إلى أبيه وأبي القاسم

فقال الرشيد: ما عزاني اليوم أحدٌ أحسن من تعزية أشجع وأمر له بصلة.

أذن له جعفر بن يحيى بالوصول إليه وحده دون سائر الناس أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا العتري قال: حدثني عبد الرحمن بن النعمان السلمي قال: كنا بباب جعفر بن يحيى وهو عليل فقال لنا الحاجب: إنه إذن عليه فكتب إليه أشجع:

لما اشتكى جعفر بن يحيى فارقني النوم والقرار

ومر عيشي علي حتى كأنما طعمه المرار

خوفاً على جعفر بن يحيى لا حقق الخوف والحذار

إن يعفه الله لا نحاذر ما أحدث الليل والنهار

قال: فأوصل الحاجب رقعته ثم خرج فأمره بالوصول وحده وانصرف سائر الناس.

أخبرني الحسن قال: حدثنا العتزي قال: حدثني محمد بن الحسين عن عمرو بن علي: أن أشجع السلمي كتب إلى الرشيد وقد أبطأ عنه شيءٌ أمر له به:

أبلغ أمير المؤمنين رسالةً لها عنقٌ بين الرواة فسيح

بأن لسان الشعر ينطقه الندى ويخرسه الإبطاء وهو فصيح

فضحك الرشيد وقال له: لن يخرس لسان شعرك وأمر بتعجيل صلته.

مدح محمد بن منصور بشعر كان أحب مدائحه إليه أخبرني الحسن ومحمد بن يحيى الصولي قالا: حدثنا العتزي قال: حدثني أحمد بن محمد بن منصور بن زياد وكان يقال لأبيه فتى العسكر قال: أقبل أشجع إلى باب أبي فرأى ازدحام الناس عليه فقال:

على باب ابن منصور علاماتٌ من البذل

جماعات وحسب البا ب نبلاً كثرة الأهل

فبلغ ابي بيتاه هذان فقال: هما والله أحب مدائحه إلي.

هنأ جعفر بن يحيى بولاية خراسان أخبرني عمي والحسن بن علي قال: حدثنا الفضل بن محمد اليزيدي قال: حدثنا إسحاق بن لما ولى الرشيد جعفر بن يحيى خراسان جلس للناس فدخلوا عليه يهنئونه ثم دخل الشعراء فأنشدوه فقام أشجع آخرهم فاستأذن في الإنشاد فأذن له فأنشده قوله:

أتصبر للبين أم تجزع فإن الديار غداً بلقع

غداً يتفرق أهل الهوى ويكثر باكٍ ومسترجع

حتى انتهى إلى قوله:

ودويةٍ بين أقطارها مقاطيع أرضين لا تقطع

تجاوزتها فوق عيرانةٍ من الريح في سيرها أسرع

إلى جعفر نزعت رغبةٌ وأي فتى نحوه تنزع

فما دونه لامرىءٍ مطمعٌ ولا لامرىءٍ غيره مقنع

ولا يرفع الناس من حطه ولا يضعون الذي يرفع

يريد الملوك مدى جعفرٍ ولا يصنعون كما يصنع

وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفه أوسع

تلوذ الملوك بآرائه إذا نالها الحدث الأفظع

بديهته مثل تدبيره متى رمته فهو مستجمع

غدا في ظلال ندى جعفرٍ يجر ثياب الغنى أشجع

فقل لخراسان تحيا فقد أتاها ابن يحيى الفتى الأروع

فأقبل عليه جعفر بن يحيى ضاحكاً واستحسن شعره وجعل يخاطبه مخاطبة الأخ أخاه ثم أمر له بألف دينار.

يهون على جعفر بن يحيى عزله عن خراسان قال: ثم بدا للرشيد في ذلك التدبير فعزل جعفراً عن خراسان بعد أن أعطاه العهد والكتب وعقد له العقد وأمر ونهى فوجم لذلك جعفر فدخل عليه أشجع فأنشده يقول:

أمست خراسان تعزى بما أخطأها من جعفر المرتجى

كان الرشيد المعتلى أمره ولى عليها المشرق الأبلجا

ثم أراه رأيه أنه أمسى إليه منهم أحوجا

فكم به الرحمن من كربة في مدةٍ تقصر قد فرجا

فضحك جعفر ثم قال: لقد هونت علي العزل وقمت لأمير المؤمنين بالعذر فسلني ما شئت فقال: قد كفاني جودك ذلة السؤال فأمر له بألف دينار آخر.

يمدح محمد الأمين وهو ابن أربع سنين دخلت على محمد الأمين حين أجلس مجلس الأدب للتعليم وهو ابن أربع سنين وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم فأنشدته:

ملكٌ أبوه وأمه من نبعةٍ منها سراج الأمة الوهاج

شربت بمكة في ربا بطحائها ماء النبوة ليس فيه مزاج

يعني النبعة. قال: فأمرت له زبيدة بمائة ألف درهم قال: ولم يملك الخلافة أحدٌ أبوه وأمه من بني هاشم إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه ومحمد بن زبيدة.

يمدح إبراهيم بن عثمان بن نهيك أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى الصولي قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثنا المهزمي قال: لما ولي إبراهيم بن عثمان بن نهيك الشرطة دخل عليه أشجع فأنشده قوله فيه:

لمن المنازل مثل ظهر الأرقم قدمت وعهد أنيسها لم يقدم

فتكت بها سنتان تعتورانها بالمعصفات وكل أسحم مرزم

دمنٌ إذا استثبت عينك عهدها كرت إليك بنظرة المتوهم

ولقد طعنت الليل في أعجازه بالكأس بيد غطارفٍ كالأنجم

والليل مشتملٌ بفضل ردائه قد كاد يحسر عن أغر أرثم

لبني نهيكٍ طاعةٌ لو أنها زحمت بهضب متالعٍ لم تكلم

قومٌ إذا غمزوا قناة عدوهم حطموا جوانبها ببأسٍ محطم

في سيف إبراهيم خوفٌ واقعٌ لذوي النفاق وفيه أمن المسلم

ويبيت يكلأ والعيون هواجعٌ مال المضيع ومهجة المستسلم

ليلٌ يواصله بضوء نهاره يقظان ليس يذوق نوم النوم

شد الخطام بأنف كل مخالفٍ حتى استقام له الذي لم يخطم

لا يصلح السلطان إلا شدةٌ تغشى البريء بفضل ذنب المجرم

منعت مهابتك النفوس حديثها بالشيء تكرهه وإن لم تعلم

ونهجت في سبل السياسة مسلكاً ففهمت مذهبها الذي لم يفهم

فوصله وحمله وخلع عليه.

يراجع جعفر بن يحيى في تقليل عطائه فيزيده أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا الغلابي قال: حدثنا مهدي بن سابق قال: أعطى جعفر بن يحيى مروان بن أبي حفصة - وقد مدحه - ثلاثين ألف درهم وأعطى أبا البصير عشرين ألفاً وأعطى أشجع - وقد أنشده معهما - ثلاثة آلاف درهم وكان ذلك في أول اتصاله به فكتب إليه أشجع يقول:

أعطيت مروان الثلاثين التي دلت رعاثه

وأبا البصير وإنما أعطيتني منهم ثلاثه

ما خانني حوك القريض ولا اتهمت سوى الحداثه

فأمر له بعشرين ألف درهم أخرى.

العباس بن محمد ينشد الرشيد شعراً لأشجع ويدعيه لنفسه حدثني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري قال: حدثني أبو هفان قال: حدثني سعيد بن هريم وأبو دعامة قالا: كان انقطاع أشجع إلى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فقال الرشيد للعباس يوماً: يا عم إن الشعراء قد أكثروا في مدح محمد بسببي وبسبب أم جعفر ولم

يقل أحدٌ منهم في المأمون شيئاً وأنا أحب أن أقع على شاعر فطن ذكي يقول فيه فذكر العباس ذلك لأشجع وأمره أن يقول فيه فقال:

بيعة المأمون آخذةٌ بعنان الحق في أفقه

لن يفك المرء ربقتها أو يفك الدين من عنقه

وله من وجه والده صورةٌ تمت ومن خلقه

قال: فأتى بها العباس الرشيد وأنشده إياها فاستحسنها وسأله: لمن هي فقال: هي لي فقال: قد سررتني مرتين: بإصابتك ما في نفسي وبأنها لك وما كان لك فهو لي وأمر له بثلاثين ألف دينار فدفع إلى أشجع منها خمسة آلاف درهم وأخذ باقيها لنفسه.

يستعجل عطاء يحيى بن خالد ثم يمدحه أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال: وعد يحيى بن خالد أشجع السلمي وعداً فأخره عنه فقال له قوله:

رأيتك لا تستلذ المطال وتوفي إذا غدر الخائن

فماذا تؤخر من حاجتي وأنت لتعجيلها ضامن!

ألم تر أن احتباس النوال لمعروف صاحبه شائن !

فلم يتعجل ما أراد فكتب إليه:

رويدك إن عز الفقر أدنى إلي من الثراء مع الهوان

وماذا تبلغ الأيام مني بريب صروفها ومعي لساني

فبلغ قوله جعفراً فقال له: ويلك يا أشجع! هذا تهددٌ فلا تعد لمثله ثم كلم أباه فقضى حاجته فقال:

كفاني صروف الدهر يحيى بن خالد فأصبحت لا أرتاع للحدثان

كفانيكفاه الله كل ملمةٍ طلاب فلانٍ مرةً وفلان

فأصبحت في رغدٍ من العيش واسعٍ أقلب فيه ناظري ولساني

جعفر بن يحيى يوليه عملاً ثم يصرفه عنه أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا العتزي عن ابن النطاح قال: ولى جعفر بن يحيى أشجع عملاً فرفع إليه أهله رفائع كثيرة وتظلموا منه وشكوه فصرفه جعفر عنهم فلما رجع إليه من عمله مثل بين يديه ثم أنشأ يقول:

أمفسدةٌ سعاد علي ديني ولائمتي على طول الحنين

وما تدري سعاد إذا تخلت من الأشجان كيف أخو الشجون

تنام ولا أنام لطول حزني وأين أخو السرور من الحزين!

لقد راعتك عند قطين سعدى رواحل غادياتٌ بالقطين

كأن دموع عيني يوم بانوا عياناً سح مطردٍ معين
هم جازوا حجابك يابن يحيى فقالوا بالذي يهوون دوني
أطافوا بي لديك وغبت عنهم ولو أدنيتني لتجنبوني
وقد شهدت عيونهم فمالت علي وغيبت عنهم عيوني
ولما أن كتبت بما أرادوا تدرع كل ذي غمزٍ دفين
كففت عن المقاتل باديات وقد هيأت صخرة منجنون
ولو أرسلتها دمغت رجالاً وصالت في الأخشة والشؤون
وكنت إذا هززت حسام قولٍ قطعت بحجتي علق الوتين
لعل الدهر يطلق من لساني لهم يوماً ويبسط من يميني
فأقضي دينهم بوفاء قولٍ وأثقلهم لصدقي بالديون
وقد علموا جميعاً أن قولي قريب حين أدعوه يجيني
وكنت إذا هجوت رئيس قوم وسمت على الذؤابة والجبين
بخط مثل حرق النار باقٍ يلوح على الحواجب والعيون
أماثلةٌ بودك يابن يحيى رجالاتٌ ذوو ضغن كمين
يشيمون السيوف إذا رأوني فإن وليت سلت من جفون
علاموأنت تعلم نصح جنبيوأخذي منك بالسبب المتين
وعسفي كل مهمهةٍ خلاءٍ إليك بكل يعملةٍ أمون
وإحيائي الدجى لك بالقوافي أقيم صدورهن على المتون
تقرب منك أعدائي وأنأى ويجلس مجلسي من لايليني!
ولو عاتبت نفسك في مكاني إذاً لنزلت عندك باليمين
ولكن الشكوك نأين عني بودك والمصير إلى اليقين
فإن أنصفتني أحرقت منهم بنضج الكي أثباج البطون

أول ما نجم به أشجع اتصاله بجعفر بن المنصور أخبرني محمد بن يحيى الصولي والحسن بن علي قالا: حدثنا العنزي قال: حدثنا علي بن الفضل السلمي قال: أول ما نجم به أشجع أنه اتصل بجعفر المنصور وهو حدثٌ وصله به أحمد بن يزيد السلمي وابنه عوف فقال أشجع في جعفر بن المنصور قوله:

اذكروا حرمة العواتك منا يا بني هاشم بن عبد مناف

قد ولدناكم ثلاث ولاداتٍ خلطن الأشراف بالأشراف

إن أرماح بهثة بن سليم لعجاف الأطراف غير عجاف

ولأسيافهم فري غير لذ راجعٌ في مراجع الأكتاف

معشرٌ يطعمون من ذروة الشو ل ويسقون خمرة الأقحاف

يضربون الجبار في أخدعيه ويسقونه نقيع الذعاف

فشاع شعره وبلغ البصرة و لم يزل أمره يترقى إلى أن وصلته زبيدة بعد وفاة أبيها بزوجها هارون الرشيد فأسنى جوائزه وألحقه بالطبقة العليا من الشعراء.

الفضل بن الربيع يصله بالرشيد

أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن المرزبان قال: حدثني شيبة بن أحمد بن هشام قال: حدثني أحمد بن العباس الربيعي: أن الذي أوصل أشجع لسلمي إلى الرشيد جده الفضل بن الربيع وأنه أوصله له وقال له: هو أشعر شعراء أهل هذا الزمان وقد اقتطعته عنك البرامكة فأمره بإحضاره وإيصاله مع الشعراء ففعل فلما وصل إليه أنشده قوله:

قصرٌ عليه تحيةٌ وسلام نثرت عليه جمالها الأيام

قصرٌ سقوف المزن دون سقوفه فيه لأعلام الهدى أعلام

نشرت عليه الأرض كسوتها التي نسج الربيع وزخرف الإرهام

أنتك من ظل النبي وصيةٌ وقرابةٌ وشجت بها الأرحام

برقت سماؤك في العدو وأمطرت هاماً لها ظل السيوف غمام

وإذا سيوفك صافحت هام العدا طارت لهن عن الرؤوس الهام

أثنى على أيامك الأيام والشاهدان: الحل والإحرام

وعلى عدوك يابن عم محمدٍ رصدان: ضوء الصبح والإظلام

فإذا تنبه رعته وإذا غفا سلت عليه سيوفك الأحلام

قال: فاستحسنها الرشيد وأمر له بعشرين ألف درهم فمدح الفضل بن الربيع وشكر له إيصاله إياه إلى الرشيد فقال فيه قصيدته التي أولها:

غلب الرقاد على جفون المسهد وغرقت في سهرٍ وليلٍ سرمد
قد جد بي سهرٌ فلم أرقد له والنوم يلعب في جفون الرقد
ولطالما سهرت لحبي أعينٌ أهدى السهاد لها ولما أسهد
أيام أرعى في رياض بطالةٍ ورد الصبا منها الذي لم يورد
وخفيفة الأحشاء غير خفيفة مجدولة جدل العنان الأجرد
غضبت على أعطافها أردافها فالحرب بين إزارها والمجسد
خالفت فيه عاذلاً لي ناصحاً فرشدت حين عصيت قول المرشد
أأقيم محتملاً لضيم حوادثٍ مع همةٍ موصولة بالفرقد
وأرى مخايل ليس يخلف نوؤها للفضل إن رعدت وإن لم ترعد
للفضل أموالٌ أطاف بها الندى حتى جهدن وجوده لم يجهد
يابن الربيع حسرت شكري بالتي أوليتني في عود أمرك والبدي

أوصلتني ورفدتني وكلاهما شرفٌ فقأت به عيون الحسد
ووصفتني عند الخليفة غائباً وأذنت لي فشهدت أفخر مشهد
وكفيتني منن الرجال بنائل أغنى يدي عن أن تمد إلى يد

يسأل جعفر بن يحيى ابتياع غلام جميل فيجيبه أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا العتزي قال: حدثني صخر بن أحمد السلمي عن أبيه قال:

ت أنا وأشجع بالرقة جلوساً فمر بنا غلامٌ أمرد رومي جميل الوجه فكلمه أشجع وسأله ومضطرب الوشاح لمقلتيه علائق ما لوصلتها انقطاع

رض لي بنظرةٍ ذي دلالٍ يريع بمقلتيه ولا يراع
حاظٌ ليس تحجب عن قلوبٍ وأمرٌ في الذي يهوى مطاع
وسعي ضيقٌ عنه ومالي وضيق الأمر يتبعه اتساع
تعويلي على مال ابن يحيى إليه حسن شوقي والنزاع
قت بجعفرٍ في كل خطب فلا هلكٌ يخاف ولا ضياع

فأمر له بخمسة آلاف درهم وقال: اشتره بها فإن لم تكفك فازدد.

يذكر جاريته ريم في قصيدة رثى بها الرشيد أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث قال: كانت لأشجع جاريةٌ يقال لها: ريمٌ وكان يجد بها وجداً شديداً فكانت تحلف له إن بقيت بعده لم تعرض لغيره وكان يذكرها في شعره فمن ذلك قوله في قصيدته التي يرثي بها الرشيد:

وليس لأحزان النساء تطاولٌ ولكن أحزان الرجال تطول

فلا تبخلي بالدمع عني فإن من يضن بدمعٍ عن هوى لبخيل

فلا كنت ممن يتبع الريح طرفه دبوراً إذا هبت له وقبول

قال: وقال فيهما أيضاً:

إذا غمضت فوقي جفون حفيرةٍ من الأرض فابكيني بما كنت أصنع

تعزك عني عند ذلك سلوةٌ وأن ليس فيمن وارت الأرض مطمع

إذا لم تري شخصي وتغنك ثروتي ولم تسمعي مني ولا منك أسمع

فحينئذٍ تسلين عني وإن يكن بكاءٌ فأقصى ما تبكين أربع

قليلٌ ورب البيت يا ريم ما أرى فتاةً بمن ولى به الموت تقنع

بمن تدفعين الحادثات إذا رمى عليك بها عامٌ من الجدب يطلع

فحينئذ تدرين من قد رزيته إذا جعلت أركان بيتك تنزع

أحمد أخوه يجيبه بشعر ينسبه إلى جاريته ريم قال: فشكته ريم إلى أخيه أحمد بن عمرو فأجابه عنها بشعر نسبه إليها ومدح فيه الفضل أيضاً فاختير شعره على شعر أخيه وهو:

ذكرت فراقاً والفراق يصدع وأي حياةٍ بعد موتك تنفع!

إذا الزمن الغرار فرق بيننا فما لي في طيبٍ من العيش مطمع

ولا كان يومٌ يابن عمرٍو وليلةٌ يبدد فيها شملنا ويصدع

وألطم وجهاً كنت فيك أصونه وأخشع مما لم أكن منه أخشع

ولو أنني غيبت في اللحد لم تبل ولم تزل الراؤون لي تتوجع

وهل رجلٌ أبصرته متوجعاً على امرأةٍ أو عينه الدهر تدمع!

ولكن إذا ولت يقول لها: اذهبي فمثلك أخرى سوف أهوى وأتبع

ولو أبصرت عيناك ما بي لأبصرت صبابة قلب غيمها ليس يقشع

إلى الفضل فارحل بالمديح فإنه منيع الحمى معروفه ليس يمنع
وزره تزر حلماً وعلماً وسوداً وبأساً به أنف الحوادث يجدع
وأبدع إذا ما قلت في الفضل مدحةً كما الفضل في بذل المواهب يبدع
إذا ما حياض المجد قلت مياهها فحوض أبي العباس بالجود مترع
وإن سنةٌ ضنت بخصبٍ على الورى ففي جوده مرعى خصيبٌ ومشرع
وما بعدت أرضٌ بها الفضل نازلٌ ولا خاب من في نائل الفضل يطمع
فنعم المنادي الفضل عند ملمةٍ لدفع خطوبٍ مثلها ليس يدفع
إليك أبا العباس سارت نجائبٌ لها همٌ تسمو إليك وتنزع
بذكرك نحدوها إذا ما تأخرت فتمضي على هول المضي وتسرع
إليك أبا العباس أحمل مدحةً مطيتهاحتى توافيكأشجع
فزعت إلى جدواك فيها وإنما إلى مفزع الأملاك يلجأ ويفزع

قال: فأنشدها أشجع الفضل وحدثه بالقصة فوصل أخاه وجاريته ووصله.

وقال أحمد بن الحارث: فقيل لأحمد بن عمرو أخي أشجع: ما لك لا تمدح الملوك كما يمدحهم أخوك فقال: إن أخي بلاءٌ علي وإن كان فخراً لأني لا أمدح أحداً ممن يرضيه دون شعري ويثيب عليه بالكثير من الثواب إلا قال: أين هذا من قول أشجع فقد امتنعت من مدح أحد لذلك.

أحمد أخو أشجع يهجوه قال أحمد بن الحارث: وقال أحمد بن عمرو يهجو أخاه أشجع وقد كان أحمد مدح محمد بن جميل بشعر قال فيه فسأل أخاه أشجع إيصاله ودفع القصيدة إليه فتوانى عن ذلك فقال يهجوه - أخبرني بذلك أحمد بن محمد بن جميل -:

وسائلةٍ لي: ما أشجع فقلت: يضر ولا ينفع
قريبٌ من الشر واعٍ له أصم عن الخير ما يسمع
بطيءٌ عن الأمر أحظى به إلى كل ما ساءني مسرع
أسب بأني شقيقٌ له فأنفي به أبداً أجدع

الفضل بن يحيى يطرب لشعر أشجع ويكافىء منشده أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت على الفضل بن يحيى وقد بلغ الرشيد إطلاقه يحيى بن عبد الله بن حسن وقد كان أمره بقتله فلم يظهر له أنه بلغه إطلاقه فسأله عن خبره: هل قتلته فقال: لا فقال له: فأين هو قال: أطلقته قال: و لم قال: لأنه سألني بحق الله وبحق رسوله وقرابته منه ومنك وحلف لي أنه لا يحدث حدثاً وأنه يجيبني متى طلبته.

فأطرق ساعة ثم قال: امض بنفسك في طلبه حتى تجيئني به واخرج الساعة فخرج. قال: فدخلت عليه مهنئاً بالسلامة فقلت له: ما رأيت أثبت من جنانك ولا أصح من رأيك فيما جرى. وأنت والله كما قال أشجع:

بديهته وفكرته سواءٌ إذا ما نابه الخطب الكبير

وأحزم ما يكون الدهر رأياً إذا عي المشاور والمشير

وصدرٌ فيه للهم اتساعٌ إذا ضاقت بما تحوي الصدور

فقال الفضل: انظروا كم أخذ أشجع على هذه القصيدة فاحملوا إلى أبي محمد مثله. قال: يرثي صديقاً له من بغداد أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازة قال: حدثني محمد بن عجلان قال: حدثنا ابن خلاد عن حسين الجعفي قال: كان أشجع إذا قدم بغداد يترل على صديقٍ له من أهلها فقدمها مرة فوجده قد مات والنوح والبكاء في داره فجزع لذلك وبكى وأنشأ يقول:

ويحها هل درت على من تنوح أسقيمٌ فؤادها أم صحيح !

قمرٌ أطبقوا عليه ببغداد ضريحاً ماذا أجن الضريح!

رحم الله صاحبي ونديمي رحمةً تغتدي وأخرى تروح

وهذه القصيدة التي فيها الأبيات المذكورة والغناء فيها من قصيدة يمدح بها أشجع الرشيد ويهنئه بفتح هرقلة وقد مدحه بذلك وهنأه جماعةٌ من الشعراء وغني في جميعها فذكرت خبر فتح هرقلة لذكر ذلك.

سبب غزاة الرشيد هرقلة أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: كان من خبر غزاة الرشيد هرقلة أن الروم كانت قد ملكت امرأة لأنه لم يكن بقي في أهل زمانها من أهل بيتها - بيت المملكة - غيرها وكانت تكتب إلى المهدي والهادي والرشيد أول خلافته بالتعظيم والتبجيل وتدر عليه الهدايا حتى بلغ ابنٌ لها فحاز الملك دونها وعاث وأفسد وفاسد الرشيد فخافت على ملك الروم أن يذهب وعلى بلادهم أن تعطب لعلمها بالرشيد وخوفها من سطوته فاحتالت لابنها فسملت عينيه فبطل منه الملك وعاد إليها فاستنكر ذلك أهل المملكة وأبغضوها من أجله فخرج عليها نقفور وكان كاتبها فأعانوه وعضدوه وقام بأمر الملك وضبط أمر الروم فلما قوي على أمره وتمكن من ملكه كتب إلى الرشيد: كتاب نقفور إلى الرشيد " من نقفور ملك الروم إلى الرشيد ملك العرب أما بعد فإن هذه المرأة كانت وضعتك وأباك وأخاك موضع الملوك ووضعت نفسها موضع السوقة وإني واضعك بغير ذلك الموضع وعامل على تطرق بلادك والهجوم على أمصارك أو تؤدي إلي ما كانت المرأة تؤدي إليك والسلام ".

رد الرشيد عليه فلما ورد كتابه على الرشيد كتب إليه: " بسم الله الرحمن الرحيم - من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم أما بعد فقد فهمت كتابك وجوابك عندي ما تراه عياناً لا ما تسمعه ". ثم شخص من شهره ذلك يؤم بلاد الروم في جمع لم يسمع بمثله وقواد لا يجارون نجدةً ورأياً فلما بلغ ذلك نقفور

ضاقت عليه الأرض بما رحبت وشاور في أمره.

أبو العتاهية يذكر هزيمة نقفور ويمدح الرشيد وجد الرشيد يتوغل في بلاد الروم فيقتل ويغنم ويسبي ويخرب الحصون ويعفي الآثار حتى صار إلى طرق متضايقة دون قسطنطينية فلما بلغها وجدها وقد أمر نقفور بالشجر فقطع ورمي به في تلك الطرق وألقيت فيه النار فكان أول من لبس ثياب النفاطين محمد بن يزيد بن مزيد فخاضها ثم اتبعه الناس فبعث إليه نقفور بالهدايا وخضع له أشد الخضوع وأدى إليه الجزية عن رأسه فضلاً عن أصحابه فقال في ذلك أبو العتاهية:

إمام الهدى أصبحت بالدين مغنياً وأصبحت تسقي كل مستمطر ريا

لك اسمان شقا من رشادٍ ومن هدى فأنت الذي تدعى رشيداً ومهديا

إذا ما سخطت الشيء كان مسخطاً وإن ترض شيئاً كان في الناس مرضيا

بسطت لنا شرقاً وغرباً يد العلا فأوسعت شرقياً وأوسعت غربيا

ووشيت وجه الأرض بالجود والندى فأصبح وجه الأرض بالجود موشيا

قضى الله أن يبقى لهارون ملكه وكان قضاء الله في الخلق مقضيا

تجللت الدنيا لهارون ذي الرضا وأصبح نقفورٌ لهارون ذميا

شاعر من أهل جدة يعلم الرشيد بغدر نقفور فرجع الرشيد - لما أعطاه نقفور ما أعطاه - إلى الرقة فلما سقط الثلج وأمن نقفور أن يغزى اغتر بالمهلة ونقض ما بينه وبين الرشيد ورجع إلى حالته الأولى فلم يجتزىء يبى بن خالد - فضلاً عن غيره - على إخبار الرشيد بغدر نقفور فبذل هو وبنوه الأموال للشعراء على أن يقولوا أشعاراً في إعلام الرشيد بذلك فكلهم كع وأشفق إلا شاعراً من أهل جدة كان يكنى أبا محمد وكان مجيداً قوي النفس قوي الشعر وكان ذو اليمينين اختصه في أيام المأمون ورفع قدره جداً فإنه أخذ من يحيى وبنيه مائة ألف درهم ودخل على الرشيد فأنشده:

نقض الذي أعطاكه نقفور فعليه دائرة البوار تدور

أبشر أمير المؤمنين فإنه فتحٌ أتاك به الإله كبير

فلقد تباشرت الرعية أن أتى بالنقض عنه وافد وبشير

ورجت بيمنك أن تعجل غزوةً تشفي النفوس نكالها مذكور

أعطاك جزيته وطأطأ خذه حذر الصوارم والردى محذور

وصرفت في طول العساكر قافلاً عنه وجارك آمن مسرور

نقفور إنك حين تغدر أن نأى عنك الإمام لجاهلٌ مغرور
أظننت حين غدرت أنك مفلتٌ هبلتك أمك ما ظننت غرور
ألقاك حينك في زواخر بحره فطمت عليك من الإمام بحور
إن الإمام على اقتسارك قادرٌ قربت ديارك أو نأت بك دور
ليس الإمام وإن غفلنا غافلاً عما يسوس بحزمه ويدير
ملك تجرد للجهاد بنفسه فعدوه أبداً به مقهور
يا من يريد رضا الإله بسعيه والله لا يخفى عليه ضمير
لا نصح ينفع من يغش إمامه والنصح من نصحائه مشكور
نصح الإمام على الأنام فريضةٌ ولأهله كفارةٌ وطهور

فتح هرقلة قال: فلما أنشده قال الرشيد: أو قد فعل! وعلم أن الوزراء احتالوا في إعلامه ذلك فغزاه في بقية من الثلج فافتتح هرقلة في ذلك الوقت فقال أبو العتاهية في فتحه إياها:

ألا نادت هرقلة بالخراب من الملك الموفق للصواب
ورايات يحل النصر فيها تمر كأنها قطع السحاب
أمير المؤمنين ظفرت فاسلم وأبشر بالغنيمة والإياب

قال محمد: وجعل الرشيد قبل وصوله إلى هرقلة يفتح المدن والحصون ويخربها حتى أناخ على هرقلة وهي أوثق حصنٍ وأعزه جانباً وأمنعه ركناً فتحصن أهلها وكان بابها يطل على وادٍ ولها خندق يطيف بها فحدثني شيخ من مشايخ المطوعة وملازمي الثغور يقال له علي بن عبد الله قال: حدثني جماعة أن الرشيد لما حصر أهل هرقلة وغمهم وألح بالمجانيق والسهام والعرادات فتح الباب فاستشرف المسلمون لذلك فإذا برجل من أهلها كأكمل الرجال قد خرج في أكمل السلاح فنادى: قد طالت مواقعتكم إيانا فليبرز إلي منكم رجلان ثم لم يزل يزيد حتى بلغ عشرين رجلاً فلم يجبه أحد فدخل وأغلق باب الحصن وكان الرشيد نائماً فلم يعلم بخبره إلا بعد انصرافه فغضب ولام خدمه وغلمانه على تركهم إنباهه وتأسف لفوته فقيل له: إن امتناع الناس منه سيغويه ويطغيه وأحر به أن يخرج في غد فيطلب مثل ما طلب فطالت على الرشيد ليلته وأصبح كالمنتظر له ثم إذا هو بالباب قد فتح وخرج طالباً للمبارزة وذلك في يوم شديد الحر وجعل يدعو بأنه يثبت لعشرين منهم فقال الرشيد: من له فابتدره جلة القواد كهرثمة ويزيد بن مزيد وعبد الله بن مالك وخزيمة بن حازم وأخيه عبد الله وداود بن يزيد وأخيه فعزم على إخراج بعضهم فضجت المطوعة حتى سمع ضجيجهم فأذن لعشرين منهم فاستأذنوه في المشورة

فأذن لهم فقال قائلهم: يا أمير المؤمنين قوادك مشهورون بالبأس والنجدة وعلو الصوت ومداوسة الحروب ومتى خرج واحدٌ منهم فقتل هذا العلج لم يكبر ذلك وإن قتله العلج كانت وضيعة على العسكر عجيبة وثلمة لا تسد ونحن عامة لم يرتفع لأحد منا صوت إلا كما يصلح للعامة فإن رأى أمير المؤمنين أن يخلينا نختار رجلاً فنخرجه إليه فإن ظفر علم أهل الحصن أن أمير المؤمنين قد ظفر بأعزهم على يد رجل من العامة ومن أفناء الناس ليس ممن يوهن قتله ولا يؤثر وإن قتل الرجل فإنما استشهد رجلٌ و لم يؤثر ذهابه في العسكر و لم يثلمه وخرج إليه رجل بعده مثله حتى يقضي الله ما شاء قال الرشيد: قد استصوبت رأيكم هذا. فاختاروا رجلاً منهم يعرف بابن الجزري وكان معروفاً في الثغر بالبأس والنجدة فقال الرشيد: أتخرج قال: نعم وأستعين الله فقال: أعطوه فرساً ورمحاً وسيفاً وترساً فقال: يا أمير المؤمنين أنا بفرسي أوثق ورمحي بيدي أشد ولكني قد قبلت السيف والترس فلبس سلاحه واستدناه الرشيد فودعه واستتبعه الدعاء وخرج معه عشرون رجلاً من المطوعة فلما انقض في الوادي قال لهم العلج وهو يعدهم واحداً واحداً: إنما كان الشرط عشرين وقد زدتم رجلاً ولكن لابأس فنادوه: ليس يخرج إليك منا إلا رجلٌ واحد فلما فصل منهم ابن الجزري تأمله الرومي وقد أشرف أكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم والقرن حتى ظنوا أنه لم يبق في الحصن أحدٌ إلا أشرف فقال الرومي: أتصدقني عما أستخبرك قال: نعم فقال: أنت بالله ابن الجزري قال: اللهم نعم فكفر له ثم أخذ في شأنهما فاطعنا حتى طال الأمر بينهما وكاد الفرسان أن يقوما وليس يخدش واحدٌ منهما صاحبه ثم تحاجزا بشيء فزج كل واحد منهما برمحه وأصلت سيفه فتجالدا ملياً واشتد الحر عليهما وتبلد الفرسان وجعل ابن الجزري يضرب الرومي الضربة التي يرى أنه قد بلغ فيها فيتقيها الرومي وكان ترسه حديداً فيسمع لذلك صوت منكر ويضربه الرومي ضرب معذر لأن ترس ابن الجزري كان درقة فكان العلج يخاف أن يعض بالسيف فيعطب فلما يئس من وصول كل واحد منهما إلى صاحبه انهزم ابن الجزري فدخلت المسلمين كآبة لم يكتئبوا مثلها قط وعطعط المشركون اختيالاً وتطاولاً وإنما كانت هزيمته حيلةً منه فأتبعه العلج وتمكن منه ابن الجزري فرماه بوهق فوقع في عنقه وما أخطأه وركض فاستل عن فرسه ثم عطف عليه فما وصل إلى الأرض حياً حتى فارقه رأسه فكبر المسلمون أعلى تكبير وانخذل المشركون وبادروا الباب يغلقونه واتصل الخبر بالرشيد فصاح بالقواد: اجعلوا النار في المجانيق وارموها فليس عند القوم دفع ففعلوا وجعلوا الكتان والنفط على الحجارة وأضرموا فيها النار ورموا بها السور فكانت النار تلصق به وتأخذ الحجارة وقد تصدع فتهافتت فلما أحاطت بها النيران فتحوا الباب مستأمنين ومستقبلين فقال الشاعر المكي الذي كان ينزل جدة: صوت

هوت هرقلة لما أن رأت عجباً حوائما ترتمي بالنفط والنار

كأن نيراننا في جنب قلعتهم مصبغاتٌ على أرسان قصار

في هذين البيتين لابن جامع لحن من الثقيل الأول بالبنصر.

قال محمد بن يزيد: وهذا كلام ضعيف لين ولكن قدرة عظيم في ذلك الموضع والوقت وغنى فيه المغنون بعد ذلك. وأعظم الرشيد الجائزة للجدي والشاعر وصبت الأموال على ابن الجزري وقود فلم يقبل التقويد إلا بغير رزق ولا عوض وسأل أن يعفى ويترل بمكانه من الثغر فلم يزل به طول عمره.

ابن جامع يغني الرشيد بهرقلة أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا أحمد بن علي بن أبي نعيم المروزي قال: خرج الرشيد غازياً بلاد الروم فترل بهرقلة فدخل عليه ابن جامع فغناه: فنظر الرشيد إلى ماشية قد جيء بها فظن أن الطاغية قد أتاه فخرج يركض على فرس له وفي يده الرمح وتبعه الناس فلما تبين له أنها ماشية رجعوا فغناه ابن جامع: صوت

رأى في السما رهجاً فيمم نحوه يجر ردينياً وللرهج يستقري

تناولت أطراف البلاد بقدرةٍ كأنك فيها تقتفي أثر الخضر

الغناء لابن جامع ثاني ثقيل عن بذل وابن المكي.

أشجع يهنيء الرشيد بفتح هرقلة أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قال: حدثني الفضل بن محمد اليزيدي عن إسحاق الموصلي قال: لما انصرف الرشيد من غزاة هرقلة قدم الرقة في آخر شهر رمضان فلما عيد جلس للشعراء فدخلوا عليه وفيهم أشجع فبدرهم وأنشأ يقول:

لازلت تنشر أعياداً وتطويها تمضي بها لك أيام وتثنيها

مستقبلاً زينة الدنيا وبهجتها أيامنا لك لا تفنى وتفنيها

ولا تقضت بك الدنيا ولا برحت يطوي لك الدهر أياماً وتطويها

أمست هرقلة تهوي من جوانبها وناصر الله والإسلام يرميها

ملكتها وقتلت الناكثين بها بنصر من يملك الدنيا وما فيها

ما روعي الدين والدنيا على قدم بمثل هارون راعيه وراعيها

قال: فأمر له بألف دينار وقال: لا ينشدني أحدٌ بعده فقال أشجع: والله لآمره بألا ينشده أحدٌ بعدي أحب إلي من صلته.

حدثني أحمد بن وصيف ومحمد بن يحيى الصولي قالا: حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال: حدثني عبد الله بن عمرو الوراق قال: حدثني أحمد بن محمد بن منصور بن زياد عن أبيه قال: دخل أشجع على الرشيد ثاني يوم الفطر فأنشده: صوت

استقبل العيد بعمرٍ جديد مدت لك الأيام حبل الخلود

مصعداً في درجات العلا نجمك مقرونٌ بسعد السعود

واطو رداء الشمس ما أطلعت نوراً جديداً كل يوم جديد

تمضي لك الأيام ذا غبطة إذا أتى عيدٌ طوى عمر عيد

يصف فتح طبرستان ويمدح الرشيد أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال: حدثني أبو عبد الله النخعي قال: دخل أشجع على الرشيد فأنشده قوله:

أبت طبرستان غير الذي صدعت به بين أعضائها

ضممت مناكبها ضمةً رمتك بما بين أحشائها

سموت إليها بمثل السماء تدلى الصواعق في مائها

فلما نظرت إلى جرحها وضعت الدواء على دائها

فرشت الجهاد ظهور الجياد بأبنائه وبأبنائها

بنفسك ترميهم والخيول كرمي العقاب بأفلائها

نظرت برأيك لما همت دون الرجال وآرائها

قال: فأمر له بألف دينار.

يمدح الرشيد بعد قدومه من الحج وقد مطر الناس أخبرني محمد بن جعفر قال: حدثنا محمد بن موسى قال: حدثني أبو عمرو الباهلي البصري دخل أشجع بن عمرو السلمي على هارون الرشيد حين قدم من الحج وقد مطر الناس يوم قدومه فأنشده يقول:

إن يمن الإمام لما أتانا جلب الغيث من متون الغمام

فابتسام النبات في أثر الغيث بنواره كسرج الظلام

ملكٌ من مخافة الله مغضٍ وهو مغضى له من الإعظام

ألف الحج والجهاد فما ينفك من سفرتين في كل عام

سفرٍ للجهاد نحو عدو والمطايا لسفرة الإحرام

طلب الله فهو يسعى إليه بالمطايا وبالجياد السوامي

فيداه يدٌ بمكة تدعوه وأخرى في دعوة الإسلام

يذكر حفر نهر ويمدح الرشيد أخبرني محمد بن جعفر قال: حدثني محمد بن موسى بن حماد قال: أخبرني أبو عبد الله النخعي قال: أمر الرشيد بحفر نهر لبعض أهل السواد وقد كان خرب وبطل ما عليه فقال أشجع السلمي يمدحه:

أجرى الإمام الرشيد نهراً عاش بعمرانه الموات

ألقمه درة لقوحاً يرضع أخلافها النبات

حلم الرشيد حلماً مزعجاً ومات بعده فرثاه أشجع

أخبرني جحظة قال: حدثني ميمون بن هارون قال: رأى الرشيد فيما يرى النائم كأن امرأة وقفت عليه وأخذت كف تراب ثم قالت له: هذه تربتك عن قليل فأصبح فزعاً وقص رؤياه فقال له أصحابه: وما هذا قد يرى الناس أكثر مما رأيت وأغلظ ثم لا يضر. فركب وقال: والله إني لأرى الأمر قد قرب فبينا هو يسير إذ نظر إلى امرأة واقفة من وراء شباك حديد تنظر إليه فقال: هذه والله المرأة التي رأيتها ولو رأيتها بين ألف امرأةٍ ما خفيت علي ثم أمرها أن تأخذ كف تراب فتدفعه إليه فضربت بيدها إلى الأرض التي كانت عليها فأعطته منها كف تراب فبكى ثم قال: هذه والله التربة التي أريتها وهذه المرأة بعينها. ثم مات بعد مدة فدفن في ذلك الموضع بعينه اشتري له ودفن فيه وأتى نعيه بغداد فقال أشجع يرثيه:

غربت بالمشرق الشم س فقل للعين تدمع

ما رأينا قط شمساً غربت من حيق تطلع

يتغزل في جارية حرب الثقفي ويذمه أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن موسى قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: كان حرب بن عمرو الثقفي نخاساً وكانت له جارية مغنية وكان الشعراء والكتاب وأهل الأدب ببغداد يختلفون إليها يسمعونها وينفقون في مترله النفقات الواسعة ويبرونه ويهدون إليه فقال أشجع:

جاريةٌ تهتز أردافها مشبعة الخلخال والقلب

أشكو الذي لاقيت من حبها وبغض مولاها إلى الرب

من بغض مولاها ومن حبها سقمت بين البغض والحب

فاختلجا في الصدر حتى استوى أمرهما فاقتسما قلبي

تعجل الله شفائي بها وعجل السقم إلى حرب

قال مؤلف هذا الكتاب: فأخذ هذا المعنى بعض المحدثين من أهل عصرنا فقال في مغنية تعرف بالشاة:

بحب الشاة ذبت ضنى وطال لزوجها مقتي

فلو أني ملكتهما لأسعد في الهوى بختي

يهنىء يحيى بن خالد بسلامته من المرض أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثني صالح بن سليمان قال: اعتل يحيى بن خالدٍ ثم عوفي فدخل الناس يهنئونه بالسلامة ودخل أشجع فأنشده:

لقد قرعت شكاة ابن علي قلوب معاشرٍ كانوا صحاحا

فإن يدفع لنا الرحمن عنه صروف الدهر والأجل المتاحا

فقد أمسى صلاح أبي علي لأهل الدين والدنيا صلاحا

إذا ما الموت أخطأه فلسنا نبالي الموت حيث غدا وراحا

قال: فما أذن يومئذ لأحد سواه في الإنشاء لاختصاص البرامكة إياه.

يعود علي بن شبرمة في مرضه أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا محمد بن عمران الضبي قال: سمعت محمد بن أبي مالك الغنوي يقول: دخل أشجع السلمي على علي بن شبرمة يعوده فأنشأ يقول:

إذا مرض القاضي مرضنا بأسرنا وإن صح لم يسمع لنا بمريض

فأصبحت لما اعتل يوماًكطائرٍسما بجناحٍ للنهوض مهيض

منعه حاجب أبان بن الوليد من الدخول عليه فهجاه أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني محمد بن عمران قال: سمعت محمد بن أبي مالك يقول: جاء أشجع ليدخل على أبان بن الوليد البجلي فمنعه حاجبه وانتهره غلمانه فقال فيه:

ألا أيها المشلي علي كلابهوليغير أن لم اشلهنكلاب

رويدك لا تعجل علي فقد جرى بخزيك ظبيٌ أعضبٌ وغراب

علام تسد الباب والسر قد فشا وقد كنت محجوباً ومالك باب

فلو كنت ممن يشرب الخمر سادراً إذاً لم يكن دوني عليك حجاب

ولكنه يمضي لي الحول كاملاً وما لي إلا الأبيضين شراب

من الماء أو من شخبٍ دهماء ثرةٍ لها حالبٌ لا يشتكي وحلاب

مر بقبري الوليد بن عقبة وأبي زبيد الطائي فقال شعراً أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: حدثني ميمون بن هارون قال: حدثنا علي بن الجهم قال: حدثني ابن أشجع السلمي قال: لما مر أبي وعماي أحمد ويزيد - وقد شربوا حتى انتشوا - بقبر الوليد بن عقبة وإلى جانبه قبر أبي زبيد الطائي - وكان نصرانياً - والقبران مختلفان

كل واحدٍ منهما متوجه إلى قبله ملته وكان أبو زبيد أوصى لما احتضر أن يدفن إلى جنب الوليد بالبليخ قال: فوقفوا على القبرين وجعلوا يتحدثون بأخبارهما ويتذاكرون أحاديثهما فأنشأ أبي يقول:

مررت على عظام أبي زبيدٍ وقد لاحت ببلقعةٍ صلود

وكان له الوليد نديم صدقٍ فنادم قبره قبر الوليد

أنيسا ألفةٍ ذهبت فأمست عظامهما تآنس بالصعيد

وما أدري بمن تبدا المنايا بأحمد أو بأشجع أو يزيد

قال: فماتوا والله كما رتبهم في الشعر أولهم أحمد ثم أشجع ثم يزيد.

صوت

حي ذا الزور وانهه أن يعودا إن بالباب حارسين قعودا

من أساوير ما ينون قياماً وخلاخيل تذهل المولودا

لا ذعرت السوام في فلق الص بح مغيراً ولا دعيت يزيدا

يوم أعطي مخافة الموت ضيماً والمنايا يرصدنني أن أحيدا

الشعر ليزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري والغناء لسياط خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر أحمد بن المكي أنه لأبيه يحيى وذكر الهشامي أنه لفليح. قال: ومن هذا الصوت سرق لحن: تلك عرسي تلومني في التصابي

أخبار ابن مفرغ ونسبه

نسبه وسبب تلقيب جده مفرغاً

هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ ولقب جده مفرغاً لأنه راهن على سقاء لبن أن يشربه كله فشربه كله حتى فرغه فلقب مفرغاً ويكنى أبا عثمان وهو من حمير فيما يزعم أهله وذكر ابن الكلبي وأبو عبيدة أن مفرغاً كان شعاباً بتبالة فادعى أنه من حمير. وقال علي بن محمد النوفلي: ليس أحدٌ بالبصرة من حمير إلا آل الحجاج بن ناب الحميري وبيتاً آخر ذكره ودفع بيت ابن مفرغ.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: أخبرني أحمد بن الهيثم القرشي قال: أخبرني العمري عن لقيط بن بكر المحاربي قال: هو يزيد بن ربيعة ابن مفرغ الحميري حليف قريش ثم حليف آل خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس. قال العمري: وكان ابن المكي يقول: كان مفرغ عبداً للضحاك بن عبد عوف الهلالي فأنعم

عليه.

قال محمد بن خلف: أخبرني محمد بن عبد الرحمن الأسدي عن محمد بن رزين قال: قال كان ربيعة ابن مفرغ شعاباً بالمدينة وكان ينسب إلى حمير وإنما سمي مفرغاً لتفريغه العس وكان شاعراً غزلاً محسناً والسيد من ولده.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو العيناء قال: سئل الأصمعي عن شعر تبع وقصته ومن وضعهام فقال: ابن مفرغ وذلك أن يزيد بن معاوية لما سيره إلى الشام وتخلصه من عباد بن زياد أنزله الجزيرة وكان مقيماً برأس عين وزعم أنه من حمير ووضع سيرة تبع وأشعاره وكان النمر بن قاسط يدعي أنه منهم.

وقال الهيثم بن عدي: هو يزيد بن زياد بن ربيعة ابن مفرغ اليحصبي من حمير يحصب بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

أخبرني بخبره جماعة من مشايخنا منهم أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن عمر بن شبة ومحمد بن خلف بن المرزبان عن جماعة من أصحابه وأحمد بن عبد العزيز الجوهري عن علي بن محمد النوفلي عن أبيه فما اتفقت رواياتهم من خبره جمعتها في ذكره وما اختلفت أفردت كل منفرد منهم بروايته.

ووصيته سعيد بن عثمان

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن مسلمة بن محارب وأخبرني الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال: قرأت على محمد بن الحسن بن دريد عن ابن الأعرابي وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أحمد بن الهيثم قال: حدثنا العمري عن لقيظ بن بكير قالوا جميعاً: لما ولي سعيد بن عثمان بن عفان خراسان استصحب يزيد بن ربيعة بن مفرغ واجتهد به أن يصحبه فأبى عليه وصحب عباد بن زياد فقال له سعيد بن عثمان: أما إذ أبيت أن تصحبني وآثرت عباداً فاحفظ ما أوصيك به إن عباداً رجل لئيم فإياك والدالة عليه وإن دعاك إليها من نفسه فإنها خدعة منه لك عن نفسك وأقلل زيارته فإنه طرفٌ ملول ولا تفاخره وإن فاخرك فإنه لا يحتمل لك ما كنت أحتمله. ثم دعا سعيد بمال فدفعه إلى ابن مفرغ وقال: استعن به على سفرك فإن صلح لك مكانك من عباد وإلا فمكانك عندي ممهدٌ فائتني ثم سار سعيد إلى خراسان وتخلف ابن مفرغ عنه وخرج معه عباد.

قال ابن دريد في خبره عن مسلمة بن محارب: فلما بلغ عبيد الله بن زياد صحبة ابن مفرغ أخاه عباداً شق عليه فلما سار أخوه عبادٌ شيعه وشيع الناس معه وجعلوا يودعونه ويودع الخارجون مع عباد عبيد الله بن زياد فلما أراد عبيد الله أن يودع أخاه دعا ابن مفرغ فقال له:

إنك سألت عباداً أن تصحبه وأجابك إلى ذلك وقد شق علي فقال له ابن مفرغ: و لم أصلحك الله قال: لأن الشاعر لا يقنعه من الناس ما يقنع بعضهم من بعض لأنه يظن فيجعل الظن يقيناً ولا يعذر في موضع العذر وإن

عباداً يقدم على أرض حرب فيشتغل بحروبه وخراجه عنك فلا تعذره أنت وتكسبنا شراً وعاراً فقال له: لست كما ظن الأمير وإن لمعروفه عندي لشكراً كثيراً وإن عندي - إن أغفل أمري - عذراً ممهداً قال: لا ولكن تضمن لي إن أبطأ عنك ما تحبه إلا تعجل عليه حتى تكتب إلي قال: نعم قال: امض إذاً على الطائر الميمون: قال: فقدم عبادٌ خراسان واشتغل بحربه وخراجه فاستبطأه ابن مفرغ و لم يكتب إلى عبيد الله بن زياد يشكوه كما ضمن له ولكنه بسط لسانه فذمه وهجاه.

يهجو عباداً ببيت من الشعر

وكان عبادٌ عظيم اللحية كأنها جوالق فسار يزيد بن مفرغ يوماً مع عباد فدخلت الريح فنفشتها فضحك ابن مفرغ وقال لرجل من لخم كان إلى جنبه قوله:

ألا ليت اللحى كانت حشيشاً فنعلفها خيول المسلمينا

فسعى به اللخمي إلى عباد فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال: لا يجمل بي عقوبته في هذه الساعة مع الصحبة لي وما أؤخرها إلا لأشفي نفسي منه لأنه كان يقوم فيشتم أبي في عدة مواطن وبلغ الخبر ابن مفرغ فقال: إني لأجد ريح الموت من عباد.

يطلب من عباد الإذن في الرجوع ثم دخل عليه فقال له: أيها الأمير إني كنت مع سعيد بن عثمان وقد بلغك رأيه في ورأيت جميل أثره علي وإني اخترتك عليه فلم أحظ منك بطائل وأريد أن تأذن لي في الرجوع فلا حاجة لي في صحبتك فقال له: أما اختيارك إياي فإني اخترتك كما اخترتني واستصحبتك حين سألتني وقد أعجلتني عن بلوغ محبتي فيك وقد طلبت الإذن لترجع إلى قومك فتفضحني فيهم وأنت على الإذن قادر بعد أن أقضي حقك فأقام. وبلغ عباداً أنه يسبه ويذكره وينال من عرضه وأجرى عباد الخيل فجاء سابقاً فقال ابن مفرغ: سبق عبادٌ وصلت لحيته وطلب عليه العلل ودس إلى قوم كان لهم عليه دين فأمرهم أن يقدموه إليه ففعلوا فحبسه وأضر به فبعث إليه أن بعني الأراكة وبرداً وكانت الأراكة قينةً لابن مفرغ. وبردٌ غلامه رباهما وكان شديد الضن بهما فبعث إليه ابن مفرغ مع الرسول: أيبيع المرء نفسه أو ولده فأضر به عباد حتى أخذهما منه. هذه رواية مسلمة.

وأما لقيط وعمر بن شبة فإنهما ذكرا أنه باعهما عليه فاشتراهما رجل من أهل خراسان. قال لقيط: فلما دخلا منزله قال له برد وكان داهيةً أريباً: أتدري ما اشتريت قال: نعم اشتريتك وهذه الجارية. قال: لا والله ما اشتريت إلا العار والدمار والفضيحة أبداً ما حييت فجزع الرجل وقال له: كيف ذلك ويلك! قال: نحن ليزيد بن ربيعة بن مفرغ والله ما أصاره إلى هذه الحال إلا لسانه وشره أفتراه يهجو ابن زياد - وهو أمير خراسان وأخوه أمير العراقين وعمه الخليفة - في أن استبطأه ويمسك عنك وقد ابتعتني وابتعت هذه الجارية وهي نفسه التي بين جنبيه والله ما أرى أحداً أدخل بيته أشأم على نفسه وأهله مما أدخلته منزلك فقال: فاشهد أنك وإياها له

فإن شئتما أن تمضيا إليه فامضيا على أني أخاف على نفسي إن بلغ ذلك ابن زياد وإن شئتما أن تكونا له عندي فافعلا قال: فاكتب إليه بذلك. فكتب الرجل إلى ابن مفرغ في الحبس بما فعله فكتب إليه يشكر فعله وسأله أن يكونا عنده حتى يفرج الله عنه.

قال: وقال عباد لحاجبه: ما أرى هذا - يعني ابن مفرغ - يبالي بالمقام في الحبس فبع فرسه وسلاحه وأثاثه واقسم ثمنها بين غرمائه ففعل ذلك وقسم الثمن بينهم وبقيت عليه بقيةٌ حبسه بها. فقال ابن مفرغ يذكر غلامه برداً وجاريته الأراكة وبيعهما:

شريت برداً ولو ملكت صفقته لما تطلبت في بيع له رشدا

لولا الدعي ولولا ما تعرض لي من الحوادث ما فارقته أبدا

يا برد ما مسنا برد أضر بنا من قبل هذا ولا بعنا له ولدا

ا الأراك فكانت من محارمنا عيشاً لذيذاً وكانت جنة رغدا

كانت لنا جنة كنا نعيش بها نغنى بها إن خشينا الأزل والنكدا

يا ليتني قبل ما ناب الزمان به أهلي لقيت على عدوانه الأسدا

قد خاننا زمن لم نخش عثرته من يأمن اليوم أم من ذا يعيش غدا !

لامتني النفس في برد فقلت لها لا تهلكي إثر بردٍ هكذا كمدا

كم من نعيمٍ أصبنا من لذاذته قلنا له إذ تولى ليته خلدا

خروجه من السجن وهروبه إلى البصرة قالوا: وعلم ابن مفرغ أنه إن أقام على ذم عباد وهجائه وهو في محبسه زاد نفسه شراً فكان يقول للناس إذا سألوه عن حسبه ما سببه: رجل أدبه أميره ليقوم من أوده أو يكف من غربه وهذا لعمري خيرٌ من جر الأمير ذيله على مداهنة لصاحبه فلما بلغ عباداً قوله رق له وأخرجه من السجن فهرب حتى أتى البصرة ثم خرج منها إلى الشام وجعل يتنقل في مدنها هارباً ويهجو زياداً وولده.

وقال المدائني في خبره: لما بلغ عباد بن زياد أن ابن مفرغ قال: سبق عباد وصلت لحيته

هجاء فيه ينشده ابنه في مجلس عباد

دعا ابنه والمجلس حافلٌ فقال له: أنشدني هجاء أبيك الذي هجي به فقال: أيها الأمير ما كلف أحدٌ قط ما كلفتني فأمر غلاماً له أعجمياً وقال له: قم على رأسه فإن أنشد ما أمرته به وإلا فصب السوط على رأسه أبداً أو ينشده فأنشده أبياتاً هجي بها أبوه أولها:

قبح الإله ولا يقبح غيره وجه الحمار ربيعة بن مفرغ

وجعل عباد يتضاحك به فخرج ابن ابن مفرغ من عنده وهو يقول: والله لا يذهب شتم أصرمت حبلك من أمامه من بعد أيام برامه

فالريح تبكي شجوها والبرق يضحك في الغمامه

لهفي على الأمر الذي كانت عواقبه ندامه

تركي سعيداً ذا الندى والبيت ترفعه الدعامه

فتحت سمرقندٌ له وبنى بعرصتها خيامه

وتبعت عبد بني علا ج تلك أشراط القيامه!

جاءت به حبشيةٌ سكاء تحسبها نعامه

وشريت برداً ليتني من بعد برد كنت هامه

أو بومةً تدعو صدىً بين المشقر واليمامه

فالهول يركبه الفتى حذر المخازي والسآمه

والعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامه

قال: ثم لج في هجاء بني زياد حتى تغنى أهل البصرة في أشعاره فطلبه عبيد الله طلباً شديداً حتى كاد يؤخذ فلحق بالشام.

واختلفت الرواة فيمن رده إلى ابن زياد فقال بعضهم: معاوية وقال بعضهم: يزيد والصحيح أنه يزيد لأن عباد بن زياد إنما ولي سجستان في أيام يزيد. وقال بعضهم: بل الذي ولاه معاوية وهو الذي ولى سعيد بن عثمان خراسان.

معاتبة معاوية لجعله البيعة ليزيد

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي وعبيد الله بن محمد الرازي قالا: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: دخل سعيد بن عثمان على معاوية بن أبي سفيان فقال: علام جعلت يزيد ولي عهدك دوني فوالله لأبي خير من أبيه وأمي خير من أمه وأنا خير منه وقد وليناك فما عزلناك وبنا نلت ما نلت فقال له معاوية: أما قولك: إن أباك خير من أبيه فقد صدقت لعمر الله إن عثمان لخير مني وأما قولك: إن أمك خير من أمه فحسب المرأة أن تكون في بيت قومها وأن يرضاها بعلها وأن ينجب ولدها. وأما قولك: إنك خيرٌ من يزيد فوالله يا بني ما يسرني أن لي بيزيد ملء الغوطة مثلك. وأما قولك: إنكم وليتموني فما عزلتموني فما وليتموني وإنما ولأني من هو خير منكم عمر فأقررتموني وما كنت بئس الوالي لكم لقد قمت بثأركم وقتلت قتلة أبيكم وجعلت الأمر فيكم وأغنيت فقيركم ورفعت الوضيع منكم فكلمه يزيد في أمره فولاه

رجع الحديث إلى سياقه أخبار ابن مفرغ

ينتقل في قرى الشام هاجياً بني زياد قالوا: فلم يزل ينتقل في قرى الشام ونواحيها ويهجو بني زياد وأشعاره فيهم ترد البصرة وتنتشر وتبلغهم فكتب عبيد الله بن زياد إلى معاوية وقال الآخرون: إنه كتب إلى يزيد وهو الصحيح يقول له: إن ابن مفرغ هجا زياداً وبنى زياد بما هتكه في قبره وفضح بنيه طول الدهر وتعدى ذلك إلى أبي سفيان فقذفه بالزنا وسب ولده فهرب من خراسان إلى البصرة وطلبته حتى لفظته الأرض فلجأ إلى الشام يتمضغ لحومنا بها ويهتك أعراضنا وقد بعثت إليك بما هجانا به لتنتصف لنا منه. ثم بعث بجميع ما قاله ابن مفرغ فيهم.

فأمر يزيد بطلبه فجعل ينتقل من بلد إلى بلد فإذا شاع خبره انتقل حتى لفظته الشام فأتى البصرة ونزل على الأحنف بن قيس فالتجأ به واستجار فقال له الأحنف: إني لا أجير على ابن سمية فأعزل وإنما يجير الرجل على عشيرته فأما على سلطانه فلا فإن شئت أجرتك من بني سعد وشعرائهم فلا يريبك أحد منهم فقال له ابن مفرغ: بأستاه بني سعد وما عساهم أن يقولوا في هذا ما لا حاجة لي فيه.

ثم أتى خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فاستجار به فأبى أن يجيره فأتى عمر بن عبيد الله بن معمر فوعده وأتى طلحة فوعده وأتى المنذر بن الجارود العبدي فأجاره وكانت بحرية بنت المنذر تحت عبيد الله.

المنذر بن الجارود العبدي يجيره وكان المنذر من أكرم الناس عليه فاغتر بذلك وأدل بموضعه منه وطلبه عبيد الله وقد بلغه وروده البصرة فقيل له: أجاره المنذر بن الجارود فبعث عبيد الله إلى المنذر فأتاه فلما دخل عليه بعث عبيد الله بالشرط فكبسوا داره وأتوه بابن مفرغ فلم يشعر المنذر إلا بابن مفرغ قد أقيم على رأسه فقام المنذر إلى عبيد الله فكلمه فيه فقال: أذكرك الله - أيها الأمير - أن تخفر جواري فإني قد أجرته فقال عبيد الله: يا منذر ليمدحن أباك وليمدحنك ولقد هجاني وهجا أبي ثم تجيره علي لا ها الله لا يكون ذلك أبداً ولا أغفرها له فغضب المنذر فقال له: لعلك تدل بكريمتك عندي إن شئت والله لأبيننها بتطليق البتة فخرج المنذر من عنده وأقبل عبيد الله على ابن مفرغ فقال له: بئسما صحبت به عباداً. قال: بئسما صحبني به عباد اخترته على سعيد وأنفقت على صحبته كل ما أفدته وكل ما أملكه وظننت أنه لا يخلو من عقل زياد وحلم معاوية وسماحة قريش فعدل عن ظني كله. ثم عاملين بكل قبيح وتناولني بكل مكروه من حبس وغرم وشتم وضرب فكنت كمن شام برقاً خلباً في سحاب جهام فأراق ماءه طمعاً فيه فمات عطشاً وما هربت من أخيك إلا لما خفت من أن يجري في إلى ما يندم عليه وقد صرت الآن في يدك فشأنك فاصنع بي ما أحببت فأمر بحبسه.

عبيد الله يستأذن يزيد بن معاوية في قتله وكتب إلى يزيد بن معاوية يسأله أن يأذن له في قتله فكتب إليه: إياك وقتله ولكن عاقبه بما ينكله ويشد سلطانك ولا تبلغ نفسه فإن له عشيرةً هي جندي وبطانتي ولا ترضى بقتله مني ولا تقنع إلا بالقود منك فاحذر ذلك واعلم أنه الجد منهم ومني وأنك مرتهن بنفسه ولك في دون تلفها مندوحةٌ تشفي من الغيظ. فورد الكتاب على عبيد الله بن زياد فأمر بابن مفرغ فسقي نبيذاً حلواً قد خلط معه الشبرم

فأسهل بطنه وطيف به وهو في تلك الحال وقرن بهرة وخترة فجعل يسلح والصبيان يتبعونه ويقولون له بالفارسية: أين جلست فيقول: آبست نبيذ است - عصارات زبيست - سمية روسبيد است: وجعل كلما جر الخنزيرة ضجت فجعل يقول:

ضجت سمية لمالزها قرني لا تجزعي إن شر الشيمة الجزع

فجعل يطاف به في أسواق البصرة والصبيان خلفه يصيحون به وألح عليه ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط فعرف ابن زياد ذلك فقيل: إنه لما به لا نأمن أن يموت فأمر به أن يغسل ففعلوا ذلك به فلما اغتسل قال:

يغسل الماء ما فعلت وقولي راسخٌ منك في العظام البوالي

عبد الله يرده إلى الحبس فرده عبيد الله إلى الحبس وأمر أن يسلم محجماً وقدموا له علوجاً وأمر بأن يحجمهم فكان يأخذ المشارط فيقطع بها رقابهم فيتوارون منه فتركه ورده إلى محبسه وقامت الشرط على رأسه تصب عليه السياط ويقولون له: احجمهم فقال:

وما كنت حجاماً ولكني أحلني بمنزلة الحجام نأيي عن الأهل

عباد بن زياد يجمع ما هجاه به ويرسله إلى معاوية وقال عمر بن شبة في خبره: جمع عباد بن زياد كل شيء هجاه بن ابن مفرغ وكتب به إلى أخيه عبيد الله وهو يومئذ وافدٌ على معاوية فكان فيما كتب إليه قوله:

إذا أودى معاوية بن حربٍ فبشر شعب قعبك بانصداع

فأشهد أن أمك لم تباشر أبا سفيان واضعة القناع

وقوله:

ألا ابلغ معاوية بن حرب مغلغلةً من الرجل اليماني

أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زاني

فأشهد أن رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الأتان

وأشهد أنها ولدت زياداً وصخرٌ من سمية غير داني

فدخل عبيد الله بن زياد على معاوية فأنشده هذه الأشعار واستأذنه في قتله فلم يأذن له وقال: أدبه أدباً وجيعاً منكلاً ولا تتجاوز ذلك إلى القتل وذكر باقي الحديث كما ذكره من تقدم.

قالوا جميعاً: وقال ابن مفرغ يذكر جوار المنذر بن الجارود إياه وأمانه:

تركت قريشاً أن أجاور فيهم وجاورت عبد القيس أهل المشقر

أناسٌ أجارونا فكان جوارهم أعاصير من قسو العراق المبذر

فأصبح جاري من خزيمة قائماً ولا يمنع الجيران غير المشمر

يذكر ما فعله ابن زياد ويستشير قومه وقال أيضاً في ذلك:

ولم تكلم قريشٌ في حليفهم إذ غاب ناصره بالشام واحتضروا

والله يعلم ما تخفي النفوس وما سرى أمية أو ما قال لي عمر

وقال لي خالدٌ قولاً قنعت به لو كنت أعلم أنى يطلع القمر

لو أنني شهدتني حميرٌ غضبت دوني فكان لهم فيما رأوا عبر

أو كنت جار بني هندٍ تداركني عوف بن نعمان أو عمران أو مطر

وقال أيضاً يذكر ذلك وما فعل به ابن زياد:

دار سلمى بالخبث ذي الأطلال كيف نوم الأسير في الأغلال

أين مني السلام من بعد نأي فارجعي لي تحيتي وسؤالي

أين مني نجائبي وجيادي وغزالي سقى الإله غزالي

أين لا أين جنتي وسلاحي ومطايا سيرتها لارتحالي

هدم الدهر عرشنا فتداعى قبلينا إذ كل عيش بالي

إذ دعانا زواله فأجبنا كل دنيا ونعمةٍ لزوال

أم قضينا حاجاتنا فإلى الموت مصير الملوك والأقيال

لا وصومي لربنا وزكاتي وصلاتي أدعو بها وابتهالي

أيها المالك المرهب بالقتل بلغت النكال كل النكال

فاخش ناراً تشوي الوجوه يوماً يقذف الناس بالدواهي الثقال

قد تعديت في القصاص وأدركت ذحولاً لمعشر أقتال

وكسرت السن الصحيحة مني لا تذلن فمنكرٌ إذلالي

وقرنتم مع الخنازير هرا ويميني مغلولة وشمالي

وكلاباً ينهشنني من ورائي عجب الناس ما لهن ومالي!

وأطلتم مع العقوبة سجناً فكم السجن أو متى إرسالي!

يغسل الماء ما صنعت وقولي راسخٌ منك في العظام البوالي

لو قبلت الفداء أو رمت مالي قلت: خذه فداء نفسي مالي

لو بغيري من معشري لعب الده ر لما ذم نصرتي واحتيالي

كم بكاني من صاحب وخليل حافظ الغيب حامد للخصال

ليت أني كنت الحليف للخم وجذامٍ أو طيىء الأجمال

بدلاً من عصابة من قريش أسلموني للخصم عند النضال

البهاليل من بني عبد شمس فضلوا الناس بالعلا والفعال

منعوا البيت بيت مكة ذا الحج ر إذ الطير عكفٌ في الظلال

والبهاليل خالدٌ وسعيد شمس دجنٍ ووضحٌ كالهلال

في الأرومات والذرى من بني العي ص قرومٌ إذا تعد المعالي

كنت منهم ما حرموا فحرامٌ لم يراموا وحلهم من حلال

وذوو المجد من خزاعة كانوا أهل ودي في الخصب والإمحال

خذلوني وهم لذاك دعوني ليس حامي الذمار بالخذال

لا تدعني فداك أهلي ومالي إن حبليك من متين الجبال

حسرتا إذ أطعت أمر غواتي وعصيت النصيح ضل ضلالي

يهجو عباداً ويذكر سعيد بن عثمان وقال يهجو عباد بن زياد ويذكر سعيد بن عثمان:

أيها الشاتم جهلاً سعيداً وسعيدٌ في الحوادث ناب

ما أبوكم مشبهاً لأبيه فاسألوا الناس بذاكم تجابوا

ساد عبادٌ وملك جيشاً سبحت من ذاك صم صلاب

إن عاماً صرت فيه أميراً تملك الناس لعامٌ عجاب

قال: واتصل هجاؤه زياداً وولده وهو في الحبس فرده عبيد الله إلى أخيه عباد بسجستان ووكل به رجالاً ووجههم معه وكان لما هرب من عباد يهجوه ويكتب كل ما هجاه به على حيطان الخانات وأمر عبيد الله الموكلين به أن يأخذوه بمحو ما كتبه على الحيطان بأظافيره وأمرهم ألا يتركوه يصلي إلا إلى قبلة الناصرى إلى المشرق فكانوا إذا دخلوا بعض الخانات التي نزلها فرأوا فيها شيئاً مما كتبه من الهجاء أخذوه بأن يمحوه بأظافره فكان يفعل ذلك ويحكه حتى ذهبت أظافره فكان يمحوه بعظام أصابعه ودمه حتى سلموه إلى عباد فحبسه وضيق عليه. قال عمر بن شبة في خبره: فقال ابن مفرغ:

سرت تحت أقطاع من الليل زينب سلامٌ عليكم هل لما فات مطلب !

ويروى: ألا طرقتنا آخر الليل زينب

أصاب عذابي اللون فاللون شاحبٌ كما الرأس من هول المنية أشيب

قرنت بخنزير وهر وكلبةٍ زماناً وشان الجلد ضربٌ مشذب

وجرعتها صهباء من غير لذة تصعد في الجثمان ثم تصوب

وأطعمت ما إن لا يحل لآكلٍ وصليت شرقاً بيت مكة مغرب

فلو أن لحمي إذ هوى لعبت به كرام الملوك أو أسودٌ وأذؤب

لهون وجدي أو لزادت بصيرتي ولكنما أودت بلحمي أكلب

أعباد ما للوم عنك محولٌ ولا لك أم في قريش ولا أب

سينصرني من ليس تنفع عنده رقاك وقرمٌ من أمية مصعب

وقل لعبيد الله: ما لك والدٌ بحق ولا يدري امرؤ كيف تنسب!

في أول هذا الشعر غناء نسبته.

صوت

ألا طرقتنا آخر الليل زينب سلامٌ عليكم هل لما فات مطلب !

وقالت :تجنبنا ولا تقربننا فكيف وأنتم حاجتي أتجنب!

الغناء لسياط ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي.

استثارته قومه ببيتين يقرآن على المصلين بجامع دمشق وقالوا جميعاً: فلما طال مقام ابن مفرغ في السجن استأجر رسولاً إلى دمشق وقال له: إذا كان يوم الجمعة فقف على درج جامع دمشق ثم اقرأ هذين البيتين بأرفع ما يمكنك من صوتك وكتبهما في رقعة وهما:

أضحى دعي زيادٍ فقع قرقرةٍ يا للعجائبيلهو بابن ذي يزن !

ففعل الرسول ما أمره به فحميت اليمانية وغضبوا له ودخلوا على معاوية فسألوه فيه فدفعهم عنه فقاموا غضاباً وعرف معاوية ذلك في وجوههم فردهم ووهبه لهم ووجه رجلاً من بني أسد يقال له خمخام - ويقال: جهثام - بريداً إلى عباد وكتب له عهداً وأمره بأن يبدأ بالحبس فيخرج ابن مفرغ منه ويطلقه قبل أن يعلم عباد فيم قدم فيغتاله ففعل ذلك به فلما خرج من الحبس قربت إليه بغلة من بغال البريد فركبها فلما استوى على ظهرها قال:

عدس ما لعبادٍ عليك إمارةٌ نجوت وهذا تحملين طليق

فإن الذي نجى من الكرب بعد ما تلاحم في دربٍ عليك مضيق

أتاك بخمخامٍ فأنجاك فالحقي بأهلك لا تحبس عليك طريق

لعمري قد أنجاك من هوة الردى إمامٌ وحبلٌ للأنام وثيق

سأشكر ما أوليت من حسن نعمة ومثلي بشكر المنعمين حقيق

معاوية يعفو عنه قال عمر بن شبة في خبره ووافقه لقيط بن بكير: فلما أدخل على معاوية بكى وقال: ركب مني ما لم يركب من مسلم قط على غير حدث في الإسلام ولا خلع يدٍ من طاعةٍ ولا جرم

ألا أبلغ معاوية بن حربٍ مغلغلةً من الرجل اليماني

أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زان !

فأشهد أن رحمك من زيادٍ كرحم الفيل من ولد الأتان

وأشهد أنها ولدت زياداً وصخرٌ من سمية غير دان

فقال: لا والذي عظم حقك يا أمير المؤمنين ما قلته ولقد بلغني أن عبد الرحمن بن الحكم قاله ونسبه إلي. قال: أفلم تقل:

شهدت بأن أمك لم تباشر أبا سفيان واضعة القناع

ولكن كان أمرٌ فيه لبسٌ على وجلٍ شديدٍ وارتياع

أو لست القائل:

إن زياداً ونافعاً وأبا بكرة عندي من أعجب العجب

إن رجالاً ثلاثةً خلقوا في رحم أنثى ما كلهم لأب

ذا قرشي كما يقول وذا مولى وهذا بزعمه عربي

في أشعار كثيرة قلتها في هجاء زياد وبنيه اذهب فقد عفوت عن جرمك ولو أيانا تعامل لم يكن شيء مما كان فاسكن أي أرضٍ شئت. فاختار الموصل فنزلها ثم ارتاح إلى البصرة فقدمها فدخل على عبيد الله بن زياد واعتذر إليه وسأله الصفح والأمان فأمنه وأقام بها مدة ثم دخل عليه بعد أن أمنه فقال: اصلح الله الأمير إني قد ظننت أن نفسك لا تطيب لي بخير أبداً ولي أعداء لا آمن سعيهم علي بالباطل وقد رأيت أن أتباعد فقال له: إلى أين شئت فقال: كرمان فكتب له إلى شريك بن الأعور وهو عليها بجائزة وقطيعة وكسوة فشخص فأقام بها حتى هرب عبيد الله من البصرة فعاد إليها. هذه رواية عمر بن شبة.

رواية أخرى في سبب إنقاذه من ابني زياد وقال محمد بن خلف في روايته عن أحمد بن الهيثم عن المدائني وعن العمري عن لقيط: أن ابن مفرغ لما طال حبسه وبلاؤه ركب طلحة الطلحات إلى الحجاز ولقي قريشاً - وكان ابن مفرغ حليفاً لبني أمية - فقال لهم طلحة: يا معشر قريش إن أخاكم وحليفكم ابن مفرغ قد ابتلي بهذه الأعبد من بني زياد وهو عديدكم وحليفكم ورجلٌ منكم ووالله ما أحب أن يجري الله عافيته على يدي دونكم

ولا أفوز بالمكرمة في أمره وتخلوا منها فانهضوا معي بجماعتكم إلى يزيد بن معاوية فإن أهل اليمن قد تحركوا بالشام فركب خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وأمية بن عبد الله أخوه وعمر بن عبيد الله بن معمر ووجوه خزاعة وكنانة وخرجوا إلى يزيد فبينا هم يسيرون ذات ليلة إذ سمعوا راكباً يتغنى في سواد الليل بقول ابن مفرغ ويقول:

واتباعي أخا الضراعة واللؤ م لنقصٌ وفوت شأوٍ بعيد

قلت والليل مطبقٌ بعراه :ليتني مت قبل ترك سعيد

ليتني مت قبل تركي أخا النج دة والحزم والفعال السديد

عبشمي أبوه عبد مناف فاز منها بتاجها المعقود

ثم جودٌ لو قيل: هل من مزيد قلت للسائلين: ما من مزيد

قل لقومي لدى الأباطح من آل لؤي بن غالبٍ ذي الجود:

سامني بعدكم دعي زيادٍ خطة الغادر اللئيم الزهيد

كان ما كان في الأراكة واجت ب ببرد سنام عيسى وجيدي

أوغل العبد في العقوبة والشت م وأودى بطارفي وتليدي

فارحلوا في حليفكم وأخيكم نحو غوث المستصرخين يزيد

فاطلبوا النصف من دعي زيادٍ وسلوني بما ادعيت شهودي

قال: فدعا القوم بالراكب فقالوا له: ما هذا الذي سمعناه منك تغني به فقال: هذا قول رجل والله إن أمره لعجب رجل ضائعٌ بين قريش واليمن وهو رجل بالناس قالوا: ومن هو قال:

مفرغ قالوا: والله ما رحلنا إلا فيه وانتسبوا له فضحك وقال: أفلا أسمعكم من قوله لعمري لو كان الأسير ابن معمرٍ وصاحبه أو شكله ابن أ

أنهم نالوا أمية أرقلت براكبها الوجناء نحو يزيد

ت عذراً في لؤي بن غالب وأتلفت فيهم طارفي وتليدي

لم يغيرها الإمام بحقها عدلت إلى شم شوامخ صيد

ت فيهم دعوةً يمنيةً كما كان آبائي دعوا وجدودي

عت حتى أبلغ الجهد عنهم دفاع امرىءٍ في الخير غير زهيد

لم تكونوا عند ظني بنصركم فليس لها غير الأغر سعيد

ي وأهلي ذاك حياً وميتاً نضارٌ وعود المرء أكرم عود

من مقامٍ في قريش كفيته ويومٍ يشيب الكاعبات شديد

سمٍ تحاماه لؤي بن غالبٍ شببت له ناري فهاب وقودي

رٍ كثيرٍ قد أفأت عليكم وأنتم رقودٌ أو شبيهُ رقود

قال: فاسترجع القوم لقوله وقالوا: والله لا نغسل رؤوسنا في العرب إن لم نغسلها بفكه. فأغذ القوم السير حتى قدموا الشام.

وفد اليمانية يذهب إلى يزيد بن معاوية وبعث ابن مفرغ رجلاً من بني الحارث بن كعب فقام على سور حمص فنادى بأعلى صوته الحصين ابن نمير - وكان والي حمص - بهذه الأبيات وكان عظيم الجبهة:

أبلغ لديك بني قحطان قاطبةً عضت بأير أبيها سادة اليمن

أمس دعي زيادٍ فقع قرقرةٍ يا للعجائب يلهو بابن ذي يزن!

والحميري طريحٌ وسط مزبلةٍ هذا لعمركم غبنٌ من الغبن

والأجبه ابن نمير فوق مفرشه يدنو إلى أحور العينين ذي غنن

قوموا فقولوا: أمير المؤمنين لنا حق عليك ومن ليس كالمنن

فاكفف دعي زيادٍ عن أكارمنا ماذا يريد على الأحقاد والإحن

فاجتمعت اليمانية إلى حصين فعيروه بما قاله ابن مفرغ فقال الحصين: ليس لي رأيٌ دون يزيد بن أسد ومخرمة بن شرحبيل فأرسل إليهما فاجتمعوا في منزل الحصين فقال لهما الحصين: اسمعا ما أهدى إلي شاعركم وقاله لكم في أخيكم - يعني نفسه - وأنشدهم فقال يزيد بن أسد: قد جئتكم بأعظم من هذا وهو قوله:

وما كنت حجاماً ولكن أحلني بمنزلة الحجام نأيي عن الأصل

فقال الحصين: والله لقد أساء إلينا أمير المؤمنين في صاحبنا مرتين إحداهما أنه هرب إليه فلم يجره وأخرى أنه أمر بعذابه غير مراقب لنا فيه وقال يزيد بن أسد: إني لأظن أن طاعتنا ستفسد ويمحوها ما فعل بابن مفرغ ولقد تطلع من نفسي شيء للموت أحب إلي منه. وقال مخرمةٌ بن شرحبيل: أيها الرجلان اعقلا فإنه لا معاوية لكما واعرفا أن صاحبكما لا تقدح فيه الغلظة فاقصدا التضرع فركب القوم إلى دمشق وقدموا على يزيد بن معاوية وقد سبقهم الرجل فنادى بذلك الشعر يوم الجمعة على درج مسجد دمشق فثارت اليمانية وتكلموا ومشى بعضهم إلى بعض وقدم وفد القرشيين في أمره مع طلحة الطلحات فسبقوا القرشيين ودخلوا على يزيد بن معاوية فتكلم الحصين بن نمير فذكر بلاءه وبلاء قومه وطاعتهم وقال: يا أمير المؤمنين إن الذي أتاه ابن زياد إلى صاحبنا لا قرار عليه وقد سامنا عبيد الله وعبادٌ خطة خسف وقلدانا قلادة عار فأنصف كريمنا من صاحبه فوالله

لئن قدرنا لنعفون ولئن ظلمنا لننتصرن. وقال يزيد بن أسد: يا أمير المؤمنين إنا لو رضينا بمثلة ابن زياد بصاحبن وعظيم ما انتهك منه لم يرض الله عز ذكره بذلك ولئن تقربنا إليك بما يسخط الله ليباعدننا الله منك وإن يمانيتك قد نفرت لصاحبها نفرةً طار غرابها وما أدري متى يقع وكل نائرةٍ تقدح في الملك وإن صغرت لم يؤمن أن تكبر وإطفاؤها خيرٌ من إضرامها لا سيما إذا كانت في أنفٍ ل يجدع ويد لا تقطع فأنصفنا من ابني زياد.

وقال مخرمة بن شرحبيل: وكان متألهاً عظيما لطاعة في أهل اليمن: إنه لا يد تحجزك عن هواك ولو مثلت بأخينا وتوليت ذلك منه بنفسك لم يقم فيه قائم و لم يعاتبك فيه معاتب ولكن ابني زياد استخفانا بما يثقل عليك من حقنا وتهاونا بما تكرمه منا وأنت بيننا وبين الله ونحن بينك وبين الناس فأنصفنا من صاحبيك ولينفعنا بلاؤنا عندك.

فقال يزيد: إن صاحبكم أتى عظيماً نفى زياداً من أبي سفيان ونفى عباداً وعبيد الله من زياد وقلدهم طوق الحمامة وما شجعه على ذلك إلا نسبه فيكم وحلفه في قريش فأما إذ بلغ الأمر ما أرى وأشفى بكم على ما أشفى فهو لكم وعلي رضاكم.

وفد القرشيين يقابل يزيد بن معاوية قال: وانتهى القرشيون إلى الحاجب فاستأذن لهم وقال لليمانيين: قد أتتكم برى الذهب من أهل العراق فدخلوا وسلموا والغضب يتبين في وجوههم فظن يزيد الظنون وقال لهم: ما لكم انفتق فتقٌ أو حدث حدثٌ فيكم قالوا: لا فسكن.

فقال طلحة الطلحات: يا أمير المؤمنين أما كفى العرب ما لقيت من زياد حتى استعملت عليها ولده يستكثرون لك أحقادها ويبغضونك إليها إن عبيد الله وأخاه أتيا إلى ابن مفرغ ما قد بلغك فأنصفنا منهما إنصافاً تعلم العرب أن لنا منك خلفاً من أبيك فوالله لقد خبأ لك فعلهما خبثاً عند أهل اليمن لا تحمده لك ولا تحمده لنفسك.

وتكلم خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فقال: يا أمير المؤمنين إن زياداً ربي في شر حجر ونشأ في أخبث نشء فأثبتم نصابه في قريش وحملتموه على رقاب الناس فوثب ابناه على أخينا وحليفنا وحليفك ففعلا به الأفاعيل التي بلغتك وقد غضبت له قريش والحجاز ويمن الشام ممن لا أحب والله لك غضبه فأنصفنا من ابني زياد.

وتكلم أخوه أمية بنحو ما تكلم أخوه وقال: والله يا أمير المؤمنين لا أحط رحلي ولا أخلع ثياب سفري أو تنصفنا من ابني زياد أو تعلم العرب أنك قد قطعت أرحامنا ووصلت ابني زياد بقطعنا وحكمت بغير الحق لهما علينا.

وقال ابن معمر: يا أمير المؤمنين إن ابن مفرغ طالما ناضل عن عرضك وعرض أبيك وأعراض قومك ورمى عن حمرة أهلك وقد أتى بنو زياد فيه ما لو كان معاوية حياً لم يرض به وهذا رجل له شرفٌ في قومه وقد نفروا له نفرة لها ما بعدها فأعتبهم وأنصف الرجل ولا تؤثر مرضاة ابني زيادٍ على مرضاة الله عز وجل.

فقال يزيد: مرحباً بكم وأهلاً والله لو أصابه خالدٌ ابني بما ذكرتم لأنصفته منه ولو رحلتم في جميع ما تحيط به العراق لوهبته لكم وما عندي إلا إنصاف المظلوم ولكن صاحبكم أسرف على القوم. وكتب يزيد ببناء داره ورد ماله وتخلية سبيله وألا إمرة لأحد من بني زياد عليه وقال: لولا أن في القود بعدما جرى منه فساداً في الملك لأقدته من عباد.

وسرح يزيد رجلاً من حمير يقال له خمخام وكتب معه إلى عباد بن زياد: نفسك نفسك وأن تسقط من ابن مفرغ شعرةٌ فأقيدك والله به ولا سلطان لك ولا لأخيك ولا لأحدٍ غيري عليه فجاء خمخامٌ حتى انتزعه جهاراً من الحبس بمحضر الناس وأخرجه.

دخوله على يزيد وما دار بينهما قالوا: فلما دخل على يزيد قال له: يا أمير المؤمنين اختر مني خصلةً من ثلاث خصال في كلها لي فرج إما أن تقيدني من ابن زياد وإما أن تخلي بيني وبينه وإما أن تقدمني فتضرب عنقي.

فقال له يزيد: قبح الله ما اخترته وخيرتنيه أما القود من ابن زياد فما كنت لأقيدك من عامل كان عليك ظلمته وشتمت عرضه وعرضي معه وأما التخلية بينك وبينه فلا ولا كرامة ما كنت لأخلي بينك وبين أهلي تقطع أعراضهم وأما ضرب عنقك فما كنت لأضرب عنق مسلم من غير أن يستحق ذلك ولكني أفعل ما هو خير لك مما اخترته لنفسك أعطيك ديتك فإنهم قد عرضوك للقتل واكفف عن ولد زياد فلا يبلغني أنك ذكرتهم وانزل أي البلاد شئت وأمر له بعشرة آلاف درهم.

اعتذاره لعبيد الله بن زياد فخرج حتى أتى الموصل وأقام بها ما شاء الله ثم خرج ذات يوم يتصيد فلقي دهقاناً على حمار له فقال: من أين أقبلت قال: من العراق قال: من أيها قال: من البصرة ثم من الأهواز قال: فما فعل المسرقان قال: على حاله قال: أفتعرف أناهيد بنت أعنق قال: نعم قال: ما فعلت قال: على أحسن ما عهدت. قال: فضرب برذونه وسار حتى أتى الأهواز و لم يعلم أهله ولا غيرهم بمسيره.

ثم أتى عبيد الله بن زياد فدخل عليه واعتذر إليه وسأله الأمان فأمنه ثم سأله أن يكتب له إلى شريك بن الأعور فكتب له ووصله.

عودته إلى البصرة وهجاؤه بني زياد وخرج فأقام بكرمان حتى غلب ابن الزبير على العراق وهرب ابن زياد وكان أهل البصرة قد أجمعوا على قتله فخرج عن البصرة هارباً فعاد ابن مفرغ إلى البصرة وعاود هجاء بني زياد فقال يذكر هرب عبيد الله وتركه أمه بقوله:

أسلمت أمك والرماح تنوشها يا ليتني لك ليلة الإفزاع

إذ تستغيث وما لنفسك مانعٌ عبدٌ تردده بدار ضياع

هلا عجوزك إذ تمد بثديها وتصيح ألا تنزعن قناعي

أنقذت من أيدي العلوج كأنها ربداء مجفلةٌ ببطن القاع

فركبت رأسك ثم قلت: أرى العدا كثروا وأخلف موعدي أشياعي

فانجي بنفسك وابتغي نفقاً فما لي طاقةٌ بك والسلام وداعي

ليس الكريم بمن يخلف أمه وفتاته في المنزل الجعجاع

حذر المنية والرماح تنوشه لم يرم دون نسائه بكراع

متأبطاً سيفاً عليه يلمقٌ مثل الحمار أثرته بيفاع

لا خير في هذرٍ يهز لسانه بكلامه والقلب غير شجاع

لابن الزبير غداة يذمر منذراً أولى بغاية كل يوم وقاع

وأحق بالصبر الجميل من امرىءٍ كز أنامله قصير الباع

جعد اليدين عن السماحة والندى وعن الضريبة فاحش مناع

كم يا عبيد الله عندك من دمٍ يسعى ليدركه بقتلك ساع

اذكر حسيناً وابن عروة هانئاً وابني عقيلٍ فارس المرباع

وقال أيضاً يذكر هربه:

أقر بعيني أنه عق أمهه دعته فولاها استه وهو يهرب

وقال :عليك الصبر كوني سبيةً كما كنت أو موتي فذلك أقرب

وقد هتفت هندٌ: بماذا أمرتني أبن لي وحدثني إلى أين أذهب

فقال :اقصدي للأزد في عرصاتها وبكرٍ فما إن عنهم متجنب

أخاف تميماً والمسالح دونها ونيران أعدائي علي تلهب

وولى وماء العين يغسل وجهها كأن لم يكن والدهر بالناس قلب

بما قدمت كفاك لا لك مهربٌ إلى أي قوم والدماء تصبب

فكم من كريمٍ قد جررت جريرةً عليه فمقبورٌ وعانٍ يعذب

ومن حرةٍ زهراء قامت بسحرةٍ تبكي قتيلاً أو صدى يتأوب

فصبراً عبيد بن العبيد فإنما يقاسي الأمور المستعد المجرب

وذق كالذي قد ذاق منك معاشرٌ لعبت بهم إذ أنت بالناس تلعب

فلو كنت حراً أو حفظت وصيةً عطفت على هندٍ وهندٌ تسحب

وقلت لأم العبد أمك: إنني وإن كثر الأعداء حامٍ مذبب

ولكن أبى قلبٌ أطيرت بناته وعرقٌ لكم في آل ميسان يضرب

وقال في ذلك أيضاً:

ألا أبلغ عبيد الله عني عبيد اللؤم عبد بني علاج

علي لكم قلائد باقياتٌ يثرن عليكم نقع العجاج

تدعيت الخضارم من قريشٍ فما في الدين بعدك من حجاج

أبن لي هل بيثرب زند وردٍ قرى آبائك النبط العجاج!

وقال فيه أيضاً:

عبيد الله بني علاج كذاك نسبته وكذاك كانا

أعبد الحارث الكندي ألا جعلت لإست أمك ديدبانا

فتستر عورةً كانت قديماً وتمنع أمك النبط البطانا

وقال يهجو عبيد الله وعباداً أنشدناه جماعة منهم هاشم بن محمد الخزاعي عن دماذ عن أبي عبيدة وهذا من قصيدة له طويلة أولها:

جرت أم الظباء ببين ليلى وكل وصال حبلٍ لانقطاع

وما لاقيت من أيام بؤس ولا أمرٍ يضيق به ذراعي

ولم تك شيمتي عجزاً ولؤماً ولم أك بالمضلل في المساعي

سوى يوم الهجين ومن يصاحب لئام الناس يغض على القذاع

حلفت برب مكة لو سلاحي بكفي إذ تنازعني متاعي

لباشر أم رأسك مشرفي كذاك دواؤنا وجع الصداع

أفي أحسابنا تزري علينا هبلت وأنت زائدة الكراع

تبغيت الذنوب علي جهلاً جنوناً ما جننت ابن اللكاع

فما أسفي على تركي سعيداً وإسحاق بن طلحة واتباعي

ثنايا الوبر عبد بني علاج عبيدة فقع قرقرة بقاع

إذا ما رايةٌ رفعت لمجد وودع أهلها خير الوداع

فأير في است أمك من أمير كذاك يقال للحمق اليراع

ولا بلت سماؤك من أميرٍ فبئس معرس الركب الجياع

ألم تر إذ تحالف حلف حربٍ عليك غدوت من سقط المتاع

وكدت تموت أن صاح ابن آوى ومثلك مات من صوت السباع

إذا أودى معاوية بن حربٍ فبشر شعب قعبك بانصداع

فأشهد أن أمك لم تباشر أبا سفيان واضعة القناع

ولكن كان أمراً فيه لبسٌ على عجلٍ شديدٍ وارتياع

قال: وكان عباد في بعض حروبه ذات ليلة نائماً في عسكره فصاحت بنات آوى فثارت الكلاب إليها ونفر بعض الدواب ففزع عباد وظنها كبسةً من العدو فركب فرسه ودهش فقال: افتحوا سيفي فعيره بذلك ابن مفرغ.

ومما قاله ابن مفرغ في هجاء بني زياد وغني فيه: صوت

كم بالدروب وأرض الهند من قدمٍ ومن جماجم قتلى ما هم قبروا

ومن سرابيل أبطالٍ مضرجةٍ ساروا إلى الموت ما خاموا ولا ذعروا

بقندهار ومن تحتم منيته بقندهار يرجم دونه الخبر

غنى في هذه الأبيات ابن جامع:

أجد أهلك لا يأتيهم خبرٌ منا ولا منهم عينٌ ولا أثر

ولم تكلم قريش في حليفهم إذ غاب أنصاره بالشام واحتضروا

رهط الأغر شراحيل بن ذي كلع ورهط ذي فائشٍ ما فوقهم بشر

قولا لطلحة ما أغنت صحيفتكم وهل لجارك إذ أوردته صدر!

فمن لنا بشقيقٍ أو بأسرته ومن لنا ببني ذهلٍ إذا خطروا!

هم الذين سموا والخيل عابسةٌ والناس عند زياد كلهم حذر

لولاهم كان سلامٌ بمنزلتي أولى لهم ثم أولى بعد ما ظفروا

أخبرني محمد بن خلف عن أبي بكر العامري عن إسحاق بن محمد عن القحذمي قال: هجا سلامٌ الرافعي مقاتل بن مسمع فقال فيه:

ابى لك يا ذا المجد أن مقاتلاً زنى واستحل الفارسي المشعشعا

في أبيات هجاه بها فحبسه مقاتل بالعربة فركب شقيق بن ثور في جماعة من بني ذهل إلى الحبس فأخرجه فضرب به ابن مفرغ المثل في الشعر الماضي.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو عبد الله اليماني قال: حدثنا الأصمعي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال: قال لي عبيد الله بن زياد: ما هجيت بشيءٍ أشد علي من قول ابن مفرغ:

فكر ففي ذاك إن فكرت معتبرٌ هل نلت مكرمةً إلا بتأمير !

وروى اليزيدي في روايته عن الأحول: قال أبو عبيدة: كان زياد يزعم أن أمه سمية بنت الأعور من بني عبد شمس بن زيد مناة بن تميم فقال ابن مفرغ يرد ذلك عليه:

فأقسم ما زيادٌ من قريشٍ ولا كانت سمية من تميم

ولكن نسل عبدٍ من بغي عريق الأصل في النسب اللئيم

يتابع هجاء ابن زياد ويرميه بالأبنة أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا أبو غسان دماذ قال: أنشدني أبو عبيدة لابن مفرغ يهجو ابن زياد ويرميه بالأبنة:

أبلغ قريشاً قضها وقضيضها أهل السماحة والحلوم الراجحه

أني ابتليت بحيةٍ ساورته بيدٍ لعمري لم تكن لي رابحه

صفق المبخل صفقةً ملعونةً جرت عليه من البلايا فادحه

شتان من بطحاء مكة داره وبنو المضاف إلى السباخ المالحه

جعدت أنامله ولام نجاره وبذاك تخبرنا الظباء السانحه

فإذا أمية صلصلت أحسابها فبنو زياد في الكلاب النابحه

لم يبق أيرٌ أسودٌ أو أبيضٌ إلا له استك في الخلاء مصافحه

مقتل عبيد الله وشعر ابن مفرغ فيه

وأخبرني إبراهيم بن السري بن يحيى قال: حدثني أبي عن شعيب عن سيف قال: لما قتل عبيد الله بن زياد يوم الزاب قتله أصحاب المختار بن أبي عبيد ويقال: إن إبراهيم بن الأشتر حمل على كتيبته فانهزموا ولقي عبيد الله فضربه فقتله وجاءه إلى أصحابه فقال: إني ضربت رجلاً فقددته نصفين فشرقت يداه وغربت رجلاه وفاح منه المسك وأظنه ابن مرجانة وأومأ لهم إلى موضعه فجاءوا إليه وفتشوا عليه فوجدوه كما ذكر وإذا هو ابن زياد فقال ابن مفرغ يهجوه:

إن الذي عاش ختاراً بذمته وعاش عبداً قتيل الله بالزاب

العبد للعبد لا أصلٌ ولا طرفٌ ألوت به ذات أظفار وأنياب

إن المنايا إذا ما زرن طاغيةً هتكن عنه ستوراً بين أبواب

هلا جموع نزار إذا لقيتهم كنت امرأً من نزارٍ غير مرتاب

لا أنت زاحمت عن ملكٍ فتمنعه ولا مددت إلى قوم بأسباب

لا يترك الله أنفاً تعطسون بها بني العبيد شهوداً غير غياب

أقول بعداً وسحقاً عند مصرعه لابن الخبيثة وابن الكودن الكابي

الحسين بن علي يتمثل بالبيتين الأخيرين والقصيدة المذكورة بها غناء فيه منها وقال:

حي ذا الزور وانهه أن يعودا إن بالباب حارسين قعودا

من أساوير ما ينون قياماً وخلاخيل تذهل المولودا

وطماطيم من مشايخ جونٍ ألبسوني مع الصباح قيودا

أي بلوى معيشة قد بلونا فنعمنا وما رجونا خلودا

ودهورٍ لقينا موجعاتٍ وزمان يكسر الجلمودا

فصبرنا على مواطن ضيقٍ وخطوبٍ تصير البيض سودا

ظل فيها النصيح يرسل سراً لا تهالن إن سمعت الوعيدا

أفإنسٌ ما هكذا صبر إنسٍ أم من الجن أم خلقت حديدا

لا ذعرت السوام في فلق الصب ح مغيراً ولا دعيت يزيدا

يوم أعطي مخافة الموت ضيماً والمنايا يرصدنني أن أحيدا

وتمثل الحسين بن علي بهذين البيتين لما خرج من المدينة إلى مكة عند بيعة يزيد:

لا ذعرت السوام في فلق الصب ح مغيراً ولا دعيت يزيدا

يوم أعطي مخافة الموت ضيماً والمنايا يرصدنني أن أحيدا

حدثني أحمد بن عيسى أبو موسى العجلي العطار بالكوفة قال: حدثني الحسين بن نصر بن مزاحم المنقري قال: حدثني أبي قال: حدثنا عمر بن سعد عن أبي مخنف قال: حدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن أبي سعيد المقبري قال: والله لرأيت حسيناً وهو يمشي بين رجلين يعتمد على هذا مرة وعلى هذا مرة حتى دخل المسجد وهو يقول: لا ذعرت السوام.... البيتين.

قال: فقلت عند ذلك إنه لا يلبث إلا قليلاً حتى يخرج فما لبث أن خرج فلحق بمكة فلما خرج من المدينة قال: " فخرج منها خائفاً يترقب قال: رب نجني من القوم الظالمين ". ولما توجه نحو مكة قال: " ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ".

مروان بن الحكم يعطيه ويكسوه

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال: لما قدم ابن مفرغ إلى معاوية مع حمحام الذي وجهه غليه فانتزعه من عباد بن زياد نزل على مروان بن الحكم وهو يومئذ عند معاوية فأعطاه وكساه وقام بأمره واسترفد له كل من قدر عليه من بني أبي العاص بن أمية فقال ابن مفرغ يمدحه من قصيدته:

وأقمتم سوق الثناء ولم تكن سوق الثناء تقام في الأسواق

فكأنما جعل الإله إليكم قبض النفوس وقسمة الأرزاق

كان يهوى أناهيد بنت الأعنق أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: كان ابن مفرغ يهوى أناهيد بنت الأعنق وكان الأعنق دهقاناً من الأهواز له ما بين الأهواز وسرق ومناذر والسوس وكان لها أخوات يقال لهن أسماء والجمانة وأخرى قد سقط عن دماذ فكان يذكرهن جميعاً في شعره فمن ذلك قوله في صاحبته أناهيد من أبيات:

سيري أناهيد بالعيرين آمنةً قد سلم الله من قوم بهم طبع

لا بارك الله فيهم معشراً جبناً ولا سقى دارهم قطراً ولا ربعوا

لا تأمنن حزامياً نزلت به قوم لديهم تناهى اللؤم والصرع

جاور بني خلفٍ تحمد جوارهم الأعظمين دفاعاً كلما دفعوا

والمطعمين إذا ما شتوةٌ أزمت فالناس شتى إلى أبوابهم شرع

هم خير قومهم إن حدثوا صدقوا أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

المانعين من المخزاة جارهم والرافعين من الأدنين ما صنعوا

انزل بطلحة يوماً إن منزله سهل المباءة بالعلياء مرتفع

وفي اسماء أختها يقول:

تعلق من أسماء ما قد تعلقا ومثل الذي لاقى من الحب أرقا

وحسبك من اسماء نأيٌ وأنها إذا ذكرت هاجت فؤاداً معلقا

سقى هزم الإرعاد منبجس العرى منازلها بالمسرقان فسرقا

وتستر لازالت خصيباً جنابها إلى مدفع السلان من بطن دورقا

إلى الكوثج الأعلى إلى رامهرمزٍ إلى قريات الشيح من فوق سفسقا

رامهرمز: بلد من أعمال الأهواز معروف.

بلاد بنات الفارسية إنها سقتنا على لوحٍ شراباً معتقا

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي وأخبرنا هاشم بن محمد قال: حدثنا دماذ أبو غسان عن أبي عبيدة قالا: لما فصل ابن مفرغ من عند معاوية نزل بالموصل على أقواله من آل ذي العشراء من حمير قال الهيثم في روايته: فزوجوه امرأةً منهم - و لم يذكر ذلك أبو عبيدة - فلما كان اليوم الذي يكون البناء في ليلته خرج يتصيد ومعه غلامه برد فإذا هو بدهقان على حمار يبيع عطراً وأدهاناً.

فقال له ابن مفرغ: من اين أقبلت قال: من الأهواز قال: ويحك! كيف خلفت المسرقان وبرد مائه قال: على حاله قال: ما فعلت دهقانة يقال لها أناهيد بنت أعنق قال: أصديقة ابن مفرغ قال: نعم قال: ما تجف جفونها من البكاء عليه فقال لغلامه: أي برد أما تسمع قال:

بلى قال: هو بالرحمن كافرٌ إن لم يكن هذا وجهي إليها فقال له برد: أكرمك القوم وقاموا دونك وزوجوك كريمتهم ثم تصنع هذا بهم وتقدم على ابن زياد بعد خلاصك منه من غير أمره ولا عهد منه ولا عقد! أبق أيها الرجل على نفسك وأقم بموضعك وابن بأهلك وانظر في أمرك فإن جد عزمك كنت حينئذ وما تختاره. قال: دع ذاك عنك هو بالرحمن كافر إن عدل عن الأهواز ولا عرج على شيء غيرها ومضى لوجهه من غير أن يعلم أهله وقال قصيدته:

سما برق الجمانة فاستطارا لعل البرق ذاك يحور نارا

ديارٌ للجمانة مقفراتٌ بلين وهجن للقلب اذكارا

فلم أملك دموع العين مني ولا النفس التي جاشت مرارا

بسرق فالقرى من صهرتاجٍ فدير الراهب الطلل القفارا

فقلت لصاحبي: عرج قليلاً نذاكر شوقنا الدرس البوارا

بآية ما غدوا وهم جميعٌ فكاد الصب ينتحر انتحارا

فقال :بكوا لفقدك منذ حينٍ زماناً ثم إن الحي سارا

بدجلة فاستمر بهم سفينٌ يشق صدورها اللجج الغمارا

كأن لم أغن في العرصات منها ولم أذعر بقاعتها صوارا

ولم أسمع غناءً من خليل وصوت مقرطقٍ خلع العذارا

قال: فقدم البصرة فذكر لعبيد الله بن زياد مقدمه فلم يعرض له وأرسل إليه أن أقم آمناً فأقام بالبصرة أشهراً يختلف من البصرة إلى الأهواز فيزور أناهيد ويقيم عندها.

ثم أتى عبيد الله بن زياد فقال له: إني امرؤٌ لي أعداء ولست آمن بعضهم أن يقول شيئاً على لساني يحفظ الأمير علي وأحب أن يأذن لي أن أتنحى عنه فقال له: حل حيث شئت فخرج حتى قدم على شريك بن الأعور الحارثي وهو يومئذ عامل عبيد الله بن زياد على فارس ذهب إلى عبيد الله بن أبي بكر فأعطاه وأكرمه أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثني محمد بن الحكم عن عوانة: أن عبيد الله بن أبي بكرة كتب إلى يزيد بن مفرغ: إني قد توجهت إلى سجستان فالحق بي فلعلك إن قدمت علي ألا تندم ولا يذم رأيك. فتجهز ابن مفرغ وخرج حتى قدم سجستان ممسياً فدخل عليه فشغله بالحديث وأمر له بمنزل وفرش وخدم وجعل يطاوله حتى علم انه قد استتم له ما أمر له به ثم صرفه إلى المنزل الذي قد هيىء له ثم دعا به في اليوم الثاني فقال له: يابن مفرغ إنك قد تجشمت إلي شقة بعيدة واتسع لك الأمل فرحلت إلي لأقضي عنك دينك ولأغنيك عن الناس وقلت: أبو حاتم بسجستان فمن لي بالغنى بعده! فقال: والله ما أخطأت أيها الأمير ما كان في نفسي فقال عبيد الله: أما والله لأفعلن ولأقلن لبثك عندي ولأحسنن صلتك وأمر له بمائة ألف درهم ومائة وصيفة ومائة بجية وأمر له بما ينفقه إلى أن يبلغ بلده سوى المائة ألف وبمن يكفيه الخدمة من غلمانه وأعوانه وقال له: إن من خفة السفر ألا تهتم بخف ولا حافرٍ وكان مقامه عنده سبعة أيام.

ثم ارتحل وشيعه عبيد الله إلى قرية على أربعة فراسخ يقال لها: زالق ثم قال له: يابن مفرغ إنه ينبغي للمودع أن ينصرف وللمتكلم أن يسكت وأنا من قد عرفت فأبق على الأمل وحسن ظنك بي ورجائك في وإذا بدا لك أن تعود فعد والسلام.

قال: وسار ابن مفرغ حتى أتى رامهرمز فنزل بقرية أبجر فنزلت عليه بنت الأبجر فقالت: يابن مفرغ لمن هذا المال قال: لابنة أعنق دهقانة الأهواز وإذا رسولها في القافلة بكتابها: إنك لو كنت على العهد الأول لتعجلت إلي و لم تساير ثقلك ولكن قد علمت أن المال الذي أعطاكه عبيد الله قد شغلك عني قال: فأعطى رسولها مالاً على أن يقول فيه خيراً وقد قال لابنة أبجر في جواب قولها له:

حباني عبيد الله يابنة أبجرٍ بهذا وهذا للجمانة أجمع

يقر بعيني أن أراها وأهلها بأفضل حالٍ ذاك مرأى ومسمع

وخبرتها قالت: لقد حال بعدنا فقد جعلت نفسي إليها تطلع

وقلت لها لما أتاني رسولها وأي رسولٍ لا يضر وينفع

أحبك ما دامت بنجد وشيجةٌ وما رفعت يوماً إلى الله إصبع

وإني مليءٌ يا جمانة بالهوى وصدق الهوى إن كان ذلك يقنع

قال: فلما انتهت رسل عبيد الله بن أبي بكرة معه إلى الأهواز قالوا له: قد بلغنا حيث أمرنا يمدح عبيد الله بن أبي بكرة وأقام بالأهواز ودعا ندماء كانوا له من فتيان العرب فلم يبق ظريفٌ ولا مغن إلا أتاه واستماحه جماعةٌ قصدوه من أهل البصرة والكوفة والشام فأعطاهم و لم يفارق أناهيد ومعه شيء من المال وجعل القوم يسألونه عن عبيد الله بن أبي بكرة وكيف هو وأخلاقه فقال:

يسائلني أهل العراق عن الندى فقلت: عبيد الله حلف المكارم

فتى حاتمي في سجستان رحله وحسبك جوداً أن يكون كحاتم

سما لينال المكرمات فنالها بشدة ضرغام وبذل الدراهم

وحلم إذا ما سورة الحقد أطلقت حبا القوم عند الفادح المتفاقم

وإن له في كل حي صنيعةً يحدثها الركبان أهل المواسم

دعاني إليه جوده ووفاؤه ومن دون مسراه عداة الأعاجم

فلم أبق إلا جمعةً في جواره ويومين حلا من ألية آثم

إلى أن دعاني زانه الله بالعلا فأنبت ريشي من صميم القوادم

وقال: إذا ما شئت يابن مفرغ فعد عودةً ليست كأضغاث حالم

فقلت له لا يبعد الله داره :أعود إذا ما جئتكم غير حاشم

فأصبح لا يرجو العراق وأهله سواه لنفع أو لدفع العظائم

وإن عبيد الله هنأ رفده سراحاً وأعطى رفده غير غانم

يخدع عمه في أناهيد وقال الهيثم في خبره: كان عمرو بن مفرغ عم يزيد بن ربيعة بن مفرغ رجلاً له جاه وقدر عند السلطان وكان ذا مال وثروة وذا دين وفضل وصلاح فكان يعنف ابن أخيه في أمر أناهيد عشيقته ويعذله ويعيره بها فلما أكثر عليه أتاه يوماً فقال له: يا عم جعلت فداك إن لي بالأهواز حاجةً ولي على قوم بها نحوٌ من ثلاثين ألف درهم قد خفت أن تتوى علي فإن رأيت أن تتجشم العناء معي إليها حتى تطالب لي بحقي وتعينني بجاهك على غرمائي. وكان عمرو بن مفرغ قد استخلفه ابن عباس عليها إذ كان عامل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه على البصرة وكان عامل الأهواز - حين سأل ابن مفرغ عمه أن يخرج معه - ميمون بن عامر أخو بني قيس بن ثعلبة الذي يقال لدراهمه اليوم الميمونية. فلم يزل ابن مفرغ بعمه حتى أجابه إلى الخروج فاستأجر سفينة وتوجه إلى الأهواز وكتب إلى أناهيد أن تهيئي وتزيني بأحسن زينتك واخرجي إلي مع جواريك

فإني موافيك ومنزلها يومئذ بين سرق ورامهرمز.
فلما نزلوا منزلها خرجت إليهم. وجلست معهم في هيئتها وزيها وحليها وآلتها فلما رآها عمه قال له: قبحك الله! أفهلا إذ فعلت ما فعلت كنت علقت مثل هذه! فقال: يا عم أو قد عجبتك فقال: ومن لا تعجبه هذه قال: ألجد هكذا منك قال: نعم والله قال: فإنها والله هذه بعينها فقال: يا خبيث إنما أشخصتني لهذا يا غلام ارحل بنا.
فانصرف عمه إلى البصرة وأقام هو معها و لم يزل يتردد كذلك حتى مات في الطاعون في أيام مصعب بن الزبير.
لزوم غرمائه له لديون ركبته واحتياله لقضائها أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا القحذمي قال: لزم يزيد بن مفرغ غرماؤه بدين فقال لهم: انطلقوا نجلس على باب الأمير عسى أن يخرج الأشراف من عنده فيروني فيقضوا عني فانطلقوا به فكان أول من خرج إما عمر بن عبيد الله بن معمر وإما طلحة الطلحات فلما رآه قال: أبا عثمان ما أقعدك ها هنا قال: غرمائي هؤلاء لزموني بدين لهم علي قال: وكم هو قال: سبعون ألفاً قال: علي منها عشرة آلاف درهم.
ثم خرج الآخر على الأثر فسأله ما سأل صاحبه فقال: هل خرج أحدٌ قبلي قالوا: نعم فلان قال: فما صنع قالوا: ضمن عشرة آلاف درهم قال: فعلي مثلها.
قال: ثم جعل الناس يخرجون فمنهم من يضمن الألف إلى أكثر من ذاك حتى ضمنوا أربعين ألفاً.
وكان يأمل عبيد الله بن أبي بكرة فلم يخرج حتى غربت الشمس فخرج مبادراً فلم يره حتى كاد يبلغ بيته فقيل له: إنك مررت بابن مفرغ ملزوماً وقد مر به الأشراف فضمنوا عنه فقال: واسوأتاه! إني أخاف أن يظن أني تغافلت عنه فكر راجعاً فوجده قاعداً فقال له: أبا عثمان ما يجلسك ها هنا قال: غرمائي هؤلاء يلزمونني قال: كم عليك قال: سبعون ألفاً قال: وكم ضمن عنك قال: أربعون ألفاً قال: فاستمتع بها وعلي دينك أجمع فقال فيه يخاطب نفسه:

لو شئت لم تغني ولم تتصبي عشت بأسباب أبي حاتم

عشت بأسباب الجواد الذي لا يختم الأموال بالخاتم
من كف بهلولٍ له عدةٌ ما إن لمن عاداه من عاصم
المطعم الناس إذ حاردت نكباؤها في الزمن العارم
والفاصل الخطة يوم اللجا للأمر عند الكربة اللازم
جاورته حيناً فأحمدته أثني وما الحامد كاللائم
أذقته الموت على غرةٍ بأبيض ذي رونقٍ صارم

بديح يغني شعراً لابن مفرغ فيصله ويكسوه أخبرني عمي قال: حدثني أبو أيوب المديني قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: قدم بديح الكوفة فغنى بها دهراً وأصاب مالاً كثيراً ثم خرج إلى البصرة ثم أتى الأهواز ثم عاد إلى البصرة فصحب ابن مفرغ في سفينة حتى إذا كان في نهر معقل تغنى وهو لا يعرف ابن مفرغ بقوله:

سما برق الجمانة فاستطارا لعل البرق ذاك يعود نارا

فطرب ابن مفرغ وقال: يا ملاح كر بنا إلى الأهواز فكر وهو يغنيه ثم كر راجعاً إلى البصرة وكروا معه وهو يعيد هذا الصوت. قال: ووصل ابن مفرغ بديحاً وكساه.

صوت

رضيت الهوى إذ حل بي متخيراً نديماً وما غيري له من ينادمه

أعاطيه كأس الصبر بيني وبينه يقاسمنيها مرةً وأقاسمه

يقال: إن الشعر لبشار والغناء للزبير بن دحمان هزج بالوسطى عن الهشامي وأحمد بن المكي.

أخبار الزبير بن دحمان

قدم على الرشيد والمغنون حزبان

قد مضت أخبار أبيه ونسبه وولاؤه في متقدم الكتاب وكان الزبير أحد المحسنين المتقنين الرواة الضراب المتقدمين في الصنعة وقدم على الرشيد من الحجاز وكان المغنون في أيامه حزبين: أحدهما في حزب إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق والآخر في حزب ابن جامع وابن المهدي وكان إبراهيم بن المهدي أوكد أسباب هذا التحزب والتعصب لما كان بينه وبين إسحاق وكان الزبير بن دحمان في حزب إسحاق وأخوه عبيد الله في حزب إبراهيم المهدي.

يغني الرشيد فيفضل أخاه

فأخبرني محمد بن مزيد قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: لما قدم الزبير بن دحمان على الرشيد من الحجاز قدم رجلٌ ما شئت من رجل عقلاً ونبلاً وديناً وأدباً وسكوناً ووقاراً وكان أبوه قبله كذلك وقدم معه أخوه عبيد الله فما وصلا إلى الرشيد وجلسا معنا تخيلت في الزبير الفضل فقلت لأبي: يا أبت أخلق بالزبير أن يكون أفضل من أخيه فقال: هذا لا يجيء بالظن والتخيل والجواد إنما يمتحن في الميدان فقلت له: فالجواد عينه فراره فضحك وقال: ننظر في فراستك فلما غنيا بان فضل الزبير وتقدمه فاصطفاه أبي واصطفيته لأنفسنا وقرظناه ووصفناه وصار في حيزنا.

الرشيد يستعيده صوتاً ثلاث مرات

وغنى الرشيد غناء كثيراً من غناء المتقدمين فأجاد وأحسن وسأله الرشيد أن يغنيه شيئاً من صنعته فالتوى بعض الالتواء وقال: قد سمع أمير المؤمنين غناء الحذاق من المتقدمين وغناء من بحضرته من خدمه ومن وفد عليه من الحجازيين وما عسى أن يأتي من صنعتي فأقسم عليه أن يغنيه شيئاً من صنعته وجد به في ذلك فكان أول صوتٍ غناه منها:

ارحلا صاحبي حان الرحيل وابكياني فليس تبكي الطلول

قد تولى النهار وانقضت الشمس يميناً وحان منها أفول

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل.

قال: فسمعت والله صنعة حسنة متقنة لا مطعن عليها فطرب الرشيد واستعاده هذا الصوت ثلاث مرات وأمر له بثلاثين ألف درهم ولأخيه بعشرين ألف درهم. ثم لم يزل زبيرٌ معنا كواحد منا وانحاز عبيد الله إلى جنبة إبراهيم المهدي فكان معه. قال حماد: فقلت لأبي: كيف كانت صنعة عبيد الله قال: أنا أجمل لك القول لو كان زبير مملوكاً لاشتريته بعشرين ألف دينار ولو كان عبيد الله مملوكاً ما طابت نفسي على أن أشتريه بأكثر من عشرين ديناراً فقلت أجبتني بما يكفيني.

يغني الرشيد بشعر مدحه به

حدثني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم قال: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي ومحمد بن الحارث بن بسختر: أن الرشيد كتب في إشخاص الزبير بن دحمان إلى مدينة السلام فوافاها واتفق قدومه في وقت خروج الرشيد إلى الري لمحاربة بندار هرمز أصبهبد طبرستان فأقام الزبير بمدينة السلام إلى أن دخل الرشيد فلما قدم دخل عليه بالخيزرانة وهو المومضع الذي يعرف بالشماسية فغناه في أول غنائه صوتاً في شعر قاله هو أيضاً في الرشيد مدحه به وذكرلا خروجه إلى طبرستان وهو: صوت

ألا إن حزب الله ليس بمعجز وأنصاره في منعة المتحرز

إذا الراية السوداء راحت أو اغتدت إلى هاربٍ منها فليس بمعجز

لطاعت لهارون العداة لدى الوغا وكبر للإسلام بندار هرمز

لم أجد هذا الصوت منسوباً في شيئ من الكتب إلا في كتاب بذل وهو فيه غير محنس.

وذكر إبراهيم بن المهدي أن الشعر للزبير بن دحمان وهذا خطأ الشعر لأبي العتاهية وهو موجود في شعره من قصيدة طويلة مدح بها الرشيد.

قال أبو إسحاق: فاستحسن الرشيد الشعر والغناء وأمر له بألف دينار فدفعت إليه ومكث ساعة ثم غنى صوتاً ثانياً وهو: صوت

وأحور كالغصن يشفي السقام ويحكي الغزال إذا مارنا

شربت المدام على وجهه وعاطيته الكأس حتى انثنى

وقلت مديحاً أرجي به من الأجر حظا ونيل الغنى

وأعني بذاك الإمام الذي به الله أعطى العباد المنى

لحن هذا الصوت ثاني ثقيل مطلق.

قال: فما فرغ من الصوت حتى أمر له بألف دينار آخر فقبضه وخف على قلبه واستظرفه

يغني الرشيد بشعر يزيد ندمه على البرامكة

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني أبو توبة عن القطراني عن محمد بن حبيب قال: كان الرشيد بعد قتله البرامكة شديد الأسف عليهم والتندم على ما فعله بهم ففطن لذلك الزبير بن دحمان فكان يغنيه في هذا المعنى ويحركه فغناه يوماً والشعر لامرأة من بني أسد:

من للخصوم إذا جد الخصام بهم يوم النزال ومن للضمر القود

وموقفٍ قد كفيت الناطقين به في مجمع من نواصي الناس مشهود

فرجته بلسان غير ملتبسٍ عند الحفاظ وقولٍ غير مردود

فقال له الرشيد: أعد فأعاد فقال له: ويحك! كأن قائل هذا الشعر يصف به يحيى بن خالد وجعفر بن يحيى وبكى حتى جرت دموعه ووصل الزبير صلةً سنية.

إسحاق يفضل الزبير على أبيه وأخيه في الغناء

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد قال: كان أبي يقول: ما كان دحمان يساوي على الغناء أربعمائة درهم وأشبه خلق الله به غناء ابنه عبيد الله وكان يفضل الزبير بن دحمان على أبيه وأخيه تفضيلاً بعيداً. وفي الزبير يقول إسحاق وله فيه غناء وهو:

أسعد بدمعك يا أبا العوام صبا صريع هوى ونضو سقام

ذكر الأحبة فاستجن وهاجه للشوق نوح حمامةٍ وحمام

لم يبد ما في الصدر إلا أنه حيا العراق وأهل بسلام

ودعاه داعٍ للهوى فأجابه شوقاً عليه وقاده بزمام

الشعر والغناء لإسحاق ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وهذا الشعر قاله إسحاق وهو بالرقة مع الرشيد يتشوق إلى العراق.

إسحاق يغني الرشيد بالرقة

شعراً يحن فيه إلى بغداد

أخبرني عمي قال: حدثني علي بن محمد بن نصر قال: حدثني جدي حمدون بن إسماعيل قال: قال لي إسحاق: كنا مع الرشيد بالرقة وخرج يوماً إلى ظهرها يصيد وكنت في موكبه أساير الزبير بن دحمان فذكرني بغداد وطيبها وأهلي وإخواني وحرمي فتشوقت لذلك شوقاً شديداً وعرض لي همٌ وفكرٌ حتى أبكاني فقال لي الزبير: ما لك يا أبا محمد فشكوت إليه ما عرض لي وقلت:

أسعد بدمعك يا أبا العوام صباً صريع هوى ونضو سقام

وذكر باقي الأبيات وعلمت أن الخبر سينمي إلى الرشيد فصنعت في الأبيات لحناً فلما جلس الرشيد للشرب ابتدأت فغنيته إياه فقال لي: تشوقت والله يا إسحاق وشوقت وبلغت ما أردت وأمر لي بثلاثين ألف درهم وللزبير بعشرين ألفاً ورحل إلى بغداد بعد أيام.

الفضل بن الربيع يغضب من إسحاق أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال: أخبرني أبي قال: قال لي إسحاق وأخبرني به الحسن بن علي قال: حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد حدثني محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال: جاءني الزبير بن دحمان ذات يوم مسلماً فاحتسبته فقال: قد أمرني الفضل بن الربيع بأن أصير إليه فقلت:

أقم يا أبا العوام ويحك نشرب ونلهو مع اللاهين يوماً ونطرب

قال: فأقام عندي فشربنا باقي يومنا ثم سار الزبيرإلى الفضل فسأله عن سبب تأخره عنه فحدثه بالحديث وأنشده الشعر فغضب وحول وجهه عني وأمر عوناً حاجبه ألا يدخلني اليوم ولا يستأذن عليه ولا يوصل لي رقعة إليه قال: فقلت:

حرامٌ علي الكأس ما دمت غضباناً وما لم يعد عني رضاك كما كانا

فأحسن فإني قد أسأت ولم تزل تعودني عند الإساءة إحسانا

قال: وأنشدته إياهما فضحك ورضي عني وعاد إلى ما كان عليه.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه بهذا الخبر فذكر نحو ما ذكره الآخران وزاد فيه: وقلت في عون حاجبه:

عون يا عون ليس مثلك عون أنت لي عدةٌ إذا كان كون

لك عندي والله إن رضي الفضل غلامٌ يرضيك أو برذون

فأتى عونٌ الفضل بالشعرين جميعاً فلما قرأهما ضحك وقال له: ويلك إنما عرض لك بقوله: " غلامٌ يرضيك " بالسوأة فقال: قد وعدني ما سمعت فإن شئت أن تحرمنيه فأنت أعلم فأمره أن يرسل إلي وأتاني رسوله فصرت إليه ورضي عني.

إسحاق والزبير يحكمان حبشياً في غنائهما أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: حدثني إسحاق قال: كان عندي الزبير بن دحمان يوماً فغنيت لحن أبي:

أشاقك من أرض العراق طلول تحمل منها جيرةٌ وحمول !

فقال لي الزبير: أنت الأستاذ وابن الأستاذ السيد وقد أخذت عن أبيك هذا الصوت وأنا أغنيه أحسن فقلت له: والله إني لا أحب أن يكون ذلك كذلك فغضب. وقال: فأنا والله أحسن غناء منك. وتلاحينا طويلاً فقلت له: هلم نخرج إلى صحراء الرقة فيكون أكلنا وشربنا هناك ونرضى في الحكم بأول من يطلع علينا قال: أفعل.

فأخرجنا طعامنا وشرابنا وجلسنا نشرب على الفرات فاقبل حبشي يحفر الأرض بالبال فقلت له: أترضى بهذا قال: نعم فدعوناه فأطعمناه وسقيناه وبدرني الزبير بالغناء فغنى الصوت فطرب الحبشي وحرك رأسه حتى طمع الزبير في ثم أخذت العود فغنيته فتأملني الحبشي ساعة ثم صاح وأي شيطان هو! ومد بها صوته فما أذكر أني ضحكت مثل ضحكي يومئذ وانخزل الزبير.

نسبة هذا الصوت شعر لأبي العتاهية يمدح به الفضل بن الربيع وفيه غناء

أشاقك من أرض العراق طلول تحمل منها جيرة وحمول !

وكيف ألد العيش بعد معاشر بهم كنت عند النائبات أصول!

الشعر لأبي العتاهية والغناء لإبراهيم ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن أحمد بن المكي وفيه للحسين بن محرز ثقيل أول بالوسطى.

وهذان البيتان من قصيدة مدح بها أبو العتاهية الفضل بن الربيع قال: أنشدنيها عبد الله بن الربيع الربيعي قال: أنشدنيها أبو سويد عبد القوي بن محمد بن أبي العتاهية لجده يمدح الفضل بن الربيع وإنما ذكرت ذلك ها هنا لأن من الناس من ينسبهما إلى غيره فذكرت الأبيات الأول وفيها يقول في مدح الفضل بن الربيع:

قبائل من أقصى وأدنى تجمعت فهن على آل الربيع كلول

تمر ركاب السفر تثني عليهم عليها من الخير الكثير حمول

إليك أبا العباس حنت بأهلها مغانٍ وحنت ألسنٌ وعقول

وأنت جبين الملك بل أنت سمعه وأنت لسان الملك حين تقول

وللملك ميزانٌ يدك تقيمه يزول مع الإحسان حيث يزول

حدثني الصولي قال: حدثني المغيرة بن محمد المهلبي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني رجل من ثقيف قال: غضب الرشيد على أم جعفر ثم ترضاها فأبت أن ترضى عنه فأرق ليلته ثم قال: افرشوا لي على دجلة ففعلوا فقعد ينظر إلى الماء وقد رأى زيادةً عجيبة فسمع غناء في هذا الشعر: صوت

جرى السيل فاستبكاني السيل إذ جرى وفاضت له من مقلتي غروب

وما ذاك إلا حين خبرت أنه يمر بوادٍ أنت منه قريب

يكون أجاجاً ماؤه فإذا انتهى إليكم تلقى طيبكم فيطيب

فيا ساكني شرقي دجلة كلكم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

الشعر للعباس بن الأحنف والغناء للزبير بن دحمان خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي.

فسأل عن الناحية التي فيها الغناء فقيل دار ابن المسيب فبعث إليه أن ابعث بالمغني فإذا هو الزبير بن دحمان فسأله عن الشعر فقال هو للعباس بن الأحنف فأحضر واستنشده فأنشده إياه وجعل الزبير يغنيه وعباس ينشده وهو يستعيدهما حتى أصبح وقام فدخل إلى أم جعفر فسألت عن سبب دخوله فعرفته فوجهت إلى العباس بألف دينار وإلى الزبير بألفالرشيد يفضل لحنه على عشرين لحناً

صنعها زملاؤه

أخبرني عمي قال: حدثني علي بن محمد عن جده حمدون قال: تشوق الرشيد بغداد وهو بالرقة فانحدر إليها وأقام بها مدة وخلف هناك بعض جواريه وكانت حظية له فيهن خلفها لمغاضبةٍ كانت بينه وبينها فتشوقها تشوقاً شديداً وقال فيها: صوت

سلامٌ على النازح المغترب تحية صب به مكتئب

غزالٌ مراتعه بالبليخ إلى دير زكى فجسر الخشب

أيا من أعان على نفسه بتخليفه طائعاً من أحب

سأستر والستر من شيمتي هوى من أحب لمن لا أحب

وجمع المغنين فحضر إبراهيم الموصلي وابن جامع وفليح وزبير بن دحمان والمعلى بن طريف وحسين بن محرز وسليم بن سلام ويحيى المكي وابنه وإسحاق وأبو زكار الأعمى وأعطاهم الشعر وقال: ليعمل كل واحد منكم

فيه لحناً. قال: فلقد عملوا فيه عشرين لحناً فما أعجب منها إلا بلحن الزبير وحده أعجب به إعجاباً شديداً وأجازه خاصة دون الجماعة بجائزة سنية.

غنى إبراهيم في هذه الأبيات ولحنه ماخوري بالوسطى ولفليح فيها ثاني ثقيل بالوسطى ولابن جامع رمل بالبنصر ولابن المكي ثقيل أول بالوسطى وللزبير بن دحمان خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر وللمعلى خفيف رمل بالوسطى ولإسحاق رمل بالوسطى وللحسين بن محرز هزج بالوسطى.

صوت

يا ناعش الجد إذا الجد عثر وجابر العظم إذا العظم انكسر

أنت ربيعي والربيع ينتظر وخير أنواء الربيع ما بكر

الشعر للعماني الراجز والغناء لشارية خفيف رمل من كتاب ابن المعتز وروايته.

نسب العماني وخبره

نسبه

اسمه محمد بن ذؤيب بن محجن بن قدامة بن بلهية الحنظلي ثم الدارمي صلبية وقيل له: العماني وهو بصري لأنه كان شديد صفرة اللون وليس هو ولا أبوه من أهل عمان وكان شاعراً راجزاً متوسطاً من شعراء الدولة العباسية ليس من نظراء الشعراء الذين شاهدهم في عصره مثل أشجع وسلم ومروان ولكنه كان لطيفاً داهياً مقبولاً فأفاد بشعره أموالاً جليلة.

يدخل على الرشيد وينشده فيجزل صلته

أخبرني ابن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن جبر بن رياط الأسدي: أن عبد الملك بن صالح أدخل العماني على الرشيد فأنشده:

يا ناعش الجد إذا الجد عثر وجابر العظم إذا العظم انكسر

أنت ربيعي والربيع ينتظر وخير أنواء الربيع ما بكر

فقال له الرشيد: إذاً يبكر عليك ربيعنا يا فضل أعطه خمسة آلاف دينار وخمسين ثوباً.

قال إسحاق: قال جبر: لما دخل الرشيد الرقة استقبله العماني فلما بصر به ناداه:

من أرض بغداد تؤم المغربا طابت لنا ريح الجنوب والصبا

ونزل الغيث لنا حتى ربا ما كان من نشزٍ وما تصوبا

فمرحباً ومرحباً ومرحباً فقال له الرشيد: وبك مرحباً يا عماني وأهلاً وأجزل صلته.

ينشد الرشيد أرجوزة طويلة

أثناء قعوده للبيعة لابنه محمد

أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد المعروف بابن الصيدلاني قال: حدثنا محمد بن موسى عن حماد قال: قال العتبي: لما وجه الفضل بن يحيى الوفد من خراسان إلى الرشيد يحضونه على البيعة لابنه محمد قعد لهم الرشيد وتكلم القوم على مراتبهم وأظهروا السرور بما دعاهم إليه من البيعة لابنه وكان فيمن حضر محمد بن ذؤيب العماني فقام بين صفوف القواد ثم أنشأ يقول:

لما أتانا خبرٌ مشهر أغر لا يخفى على من يبصر

جاء به الكوفي والمبصر والراكب المنجد والمغور

وللرجال: حسبكم لا تكثروا فاز بها محمد فأقصروا

قد كان هذا قبل هذا يذكر في كتب العلم التي تسطر

فقل لمن كان قديماً يتجر :قد نشر العدل فبيعوا واشتروا

وشرقوا وغربوا وبشروا فقد كفى الله الذي يستقدر

بمنه أفعال ما قد يحذر والسيف عنا مغمدٌ ما يشهر

وقلد الأمر الأغر الأزهر نوء السماكين الذي يستمطر

بوجهه إن كان عام أغبر سرت به أسرةٌ ومنبر

وابتهج الناس به واستبشروا وهللوا لربهم وكبروا

شكراً ومن حقهم أن يشكروا إذ ثبتت أوتاد ملك يعمر

من هاشم في حيث طاب العنصر وطاح من كان عليها يزفر

إن بني العباس لم يقصروا إذ نهضوا لملكهم فشمروا

وعقدوا ونزعوا وأمروا ودبروا فأحكموا ما دبروا

وأوردوا بالحزم ثم أصدروا والحزم رأيٌ مثله لا ينكر

إذا الرجال في الرجال خيروا يا أيها الخليفة المطهر

ما الناس إلا غنم تنشر إن لم تداركهم براع يخطر

على قواصي طرقها ويستر ويمنع الذئب فلا ينفر

فامنن علينا بيدٍ لا تكفر مشهورةٍ ما دام زيتٌ يعصر

وانظر لنا وخل من لا ينظر واجسر كما كان أبوك يجسر

لا خير في مجمجمٍ لا يظهر ولا كتاب بيعةٍ لا ينشر

وقد تربصت فليس تعذر فليت شعري ما الذي تنتظر!

أأنت قائمٌ به أم تسخر ما لك في محمدٍ لا تعذر!

وليت شعري والحديث يؤثر أترقد الليل ونحن نسهر!

خوفاً على أمورنا ونضجر والله والله الذي يستغفر

لأن يموت معشرٌ ومعشر خيرٌ لنا من فتنةٍ تسعر

يهلك فيها دينهم ويوزروا وقد وفى القوم الذين انتصروا

لصاحب الروم وذاك أصغر منه وهذا البحر لا يكدر

وذاكم العلج وهذا الجوهر ينمي به محمدٌ وجعفر

والخلفاء والنبي الأكبر ونبعةٌ من هاشمٍ وعنصر

منا ذوي العسرة حتى يوسروا أن الرجال إن ولوها آثروا

ذوي القرابات بها واستأثروا بها وضل أمرهم واستكبروا

والملك لا رحم له فيأصر ذا رحمٍ والناس قد تغيروا

فأحكم الأمر وأنت تقدر فمثل هذا الأمر لا يؤخر

فلما فرغ من أرجوزته قال له الرشيد: أبشر يا عماني بولاية محمد العهد فقال: إي والله يا أمير المؤمنين بشرى الأرض المجدبة بالغيث والمرأة النزور بالولد والمريض المدنف بالبرء قال: و لم ذاك قال: لأنه نسيج وحده وحامي مجده وموري زنده. قال: فما لك في عبد الله قال: مرعى ولا كالسعدان فتبسم الرشيد وقال: قاتله الله من أعرابي ما أعرفه بمواضع الرغبة وأسرعه إلى أهل البذل والعائدة وأبعده من أهل الحزم والعزم والذين لا يستمنح ما لديهم بالثناء أما والله إني لأعرف في عبد الله حزم المنصور ونسك المهدي وعز نفس الهادي ولو أشاء أن أنسبه إلى الرابعة لنسبته إليها.

يرشح القاسم لولاية العهد في أرجوزة

ينشدها للرشيد

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا علي بن الحسن الشيباني وأخبرني به محمد بن جعفر عن محمد بن موسى عن حماد عن أبي محمد المطبخي عن علي بن الحسن الشيباني قال: أخبرني أبو خالد الطائي عن جبير بن ضبينة الطائي قال: أخبرني الفضل قال: حضرت الرشيد يوماً وجلس للشعراء فدخل عليه الفضل بن الربيع وخلفه العماني فأدناه الرشيد واستنشده فأنشده أرجوزةً له فيه حتى انتهى إلى هذا الموضع:

قل للإمام المقتدى بأمه :ما قاسمٌ دون مدى ابن أمه

وقد رضيناه فقم فسمه قال: فتبسم الرشيد ثم قال: ويحك! أما رضيت أن أوليه العهد وأنا جالس حتى أقوم على رجلي! فقال له العماني: ما أردت يا أمير المؤمنين قيامك على رجليك إنما أردت قيام العزم قال: فإنا قد وليناه العهد وأمر بالقاسم أن يحضر. ومر العماني في أرجوته يهدر حتى أتى على آخرها وأقبل القاسم فأومأ إليه الرشيد فجلس مع أخويه فقال له: يا قاسم عليك جائزة هذا الشيخ فقد سألنا أن نوليك العهد وقد فعلنا فقال: حكمك يا أمير المؤمنين فقال: وما أنا وهذا! بل حكمك وأمر له الرشيد بجائزة وأمر له القاسم بجائزة أخرى مفردة.

أخبرني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: دخل محمد بن ذؤيب العماني على أبي الحر التميمي بالبصرة فأطعمه وسقاه وجلله بكساء فقال فيه:

إن أبا الحر لعين الحر يدفع عنا سبرات القر

باللحم والشحم وخبز البر ونطفة مكنونة في الجر

يشربها أشياخنا في السر حتى نرى حديثنا كالدر

ويمدح عبد الملك بن صالح فيثيبه

أخبرني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد عن أبيه قال: قصد العماني عبد الملك بن صالح الهاشمي متوسلاً به إلى الرشيد في الوصول إليه مع الشعراء ومدح عبد الملك بقصيدته التي يقول فيها:

نمته العرانين من هاشمٍ إلى النسب الأوضح الأصرح

إلى نبعةٍ فرعها في السماء ومغرسها سرة الأبطح

فأدخله عبد الملك إلى الرشيد بالرقة فأنشده:

من أرض بغداد تؤم المغربا طابت لنا ريح الجنوب والصبا

ونزل الغيث لنا حتى ربا ما كان من نشزٍ وما تصوبا

فمرحباً ومرحباً ومرحباً فأعطاه خمسة آلاف دينار وخمسين ثوباً.

يصف طعاماً قدمه له محمد بن سليمان أخبرني عمي والحسين بن القاسم الكوكبي قالا: حدثنا عبد الله بن أبي

سعد قال: حدثنا إسحاق بن عبد الله الأزدي عن محمد بن عبد الله العامري القرشي عن العماني الشاعر: أنه تغدى مع محمد بن سليمان بن علي فكان أول ما قدم إليهم فرنيةً في لبن عليها سكر ثم تتابع الطعام فقال له: قل فيما أكلت شعراً تصفه فقال:

جاءوا بفرنى لهم ملبون بات يسقى خالص السمون
مصومعٍ أكوم ذي غصون قد حشيت بالسكر المطحون
ولونوا ما شئت من تلوين من بارد الطعام والسخين

ومن شراسيف ومن طردين ومن هلامٍ ومصوصٍ جون
ومن إوز فائقٍ سمين ومن دجاجٍ قيت بالعجين
وبالخبيص الرطب واللوزين وفكهوا بعنبٍ وتين
والرطب الأزاذ والهيرون محمد يا سيد البنين
وبكر بنت المصطفى الأمين الصادق المبارك الميمون
وابن ولاة البيت والحجون اسمع لنعتٍ غير ذي تغنين
يخرج من فن إلى فنون إن الحديث فيك ذو شجون

سبب تسميته العماني

أخبرنا الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أحمد بن أبي كامل قال: حدثني أبو هاشم القيني قال: كان محمد بن ذؤيب العماني الراجز من أهل البصرة ويكنى أبا عبد الله وإنما قيل له العماني لأنه أقبل يوماً وقد خرج من علة ووجهه أصفر فقال له بعض أصحابنا: يا أبا عبد الله قد خرجت من هذه العلة كأنك جمل عماني قال: وكانت جمال عمان تحمل الورس من اليمن إلى عمان فتصفر قال: وهو من بني تميم ثم من بني فقيم.

يمدح عيسى بن موسى فيصله

قال: فقدم على عيسى بن موسى فلما وصل إليه أنشده مديحاً له وفد إليه به فاستحسنه ووصله واقتطعه إليه وخصه وجعله في جلسائه فقال العماني فيه:

ما كنت أدري ما رخاء العيش ولا لبست الوشي بعد الخيش

حتى تمدحت فتى قريش عيسى وعيسى عند وقت الهيش

حين يخف غيره للطيش زين المقيمين وعز الجيش

راش جناحي وفوق الريش

ينشد الرشيد قصيدة أثناء حصاره هرقلة

يذكر فيها بغداد

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني أحمد بن علي بن أبي نعيم قال: حدثنا موسى بن صبيح المروزي قال: خرج الرشيد غازياً بلاد الروم فنزل بهرقلة ونصب الحرب عليها فدخل عليه العماني وهو يذكر بغداد وطيبها وما فيه أهلها من النعمة فأنشده العماني قصيدة له في هذا المعنى يذكر فيها طيب العيش ببغداد وسعة النعم وكثرة اللذات يقول فيها:

وبعبيطٍ ليس بالملهوج فدق دق الكودني الديرج

حتى ملا أعفاج بطنٍ نفج وقال للقينة: صبي وامزجي

قال: فوهب له على القصيدة ثلاثين ألف درهم.

ابن جامع يغني شعراً في ضرب هرقلة ثم دخل إليه ابن جامع وقد أمر الرشيد أن يوضع الكبريت والنفط الأبيض على الحجارة وتلف بالمشاقة وتوقد فيها النار ثم توضع في كفة المنجنيق ويرمى بها السور ففعلوا ذلك وكانت النار تثبت في السور وتصدعه حتى طلبوا الأمان حينئذ فغناه ابن جامع وقال:

هوت هرقلة لما أن رأت عجباً حوائماً ترتمي بالنفط والنار

كأن نيراننا في جنب قلعتهم مصبغاتٌ على أرسان قصار

فأمر له بثلاثين ألف درهم أخرى.

يرتجل شعراً في فرس للمهدي فيجيزه

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني أبو هفان قال: حدثني أحمد بن سليمان قال: قال يزيد بن عقال: كنا وقوفاً والمهدي قد أجرى الخيل فسبقها فرسٌ له يقال له الغضبان فطلب الشعراء فلم يحضر أحدٌ منهم إلا أبو دلامة فقال له: قلده يا زند فلم يفهم ما أراد فقلده عمامته فقال له المهدي: يابن اللخناء أنا أكثر عمائم منك إنما أردت أن تقلده شعراً ثم قال: يا لهفي على العماني فلم يتكلم بها حتى أقبل العماني فقيل له: ها هو ذا قد أقبل الساعة يا أمير المؤمنين فقال: قدموه فقدموه فقال: قلد فرسي هذا فقال غير متوقف:

قد غضب الغضبان إذ جد الغضب وجاء يحمي حسباً فوق الحسب

من إرث عباس بن عبد المطلب وجاءت الخيل به تشكو التعب

له عليها ما لكم على العرب فقال له المهدي: أحسنت والله وأمر له بعشرة آلاف درهم.

صوت

لقد علمت وما الإسراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى له فيعنيني تطلبه ولو قعدت أتاني لا يعنيني

الشعر لعروة بن أذينة والغناء لمخارق ثقيل أول بالبنصر عن عمرو.

أخبار عروة بن أذينة ونسبه

نسبه

هو عروة بن أذينة وأذينة لقبه واسمه يحيى بن مالك بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن زحل بن يعمر وهو الشداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. وسمي يعمر بالشداخ لأنه تحمل ديات قتلى كانت بين قريش وخزاعة وقال: قد شدخت هذه الدماء تحت قدمي فسمي الشداخ.

قال ابن الكلبي: الشداخ بضم الشين.

شاعر وفقيه ومحدث

ويكنى عروة بن أذينة أبا عامر وهو شاعر غزل مقدم من شعراء أهل المدينة وهو معدودٌ في الفقهاء والمحدثين روى عنه مالك بن أنس وعبيد الله بن عمر العدوي. أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن عمر بن شبة وروى جده مالك بن الحارث عن علي بن أبي طالب.روى قصة عن جده مالك

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن موسى قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن خرج مع علي بن أبي طالب رجلٌ من قومي كان مصطلماً فخرجت في أثره وخشيت انقراض أهل بيته فأردت أن أستأذن له من علي فأدركت علياً بالبصرة وقد هزم الناس ودخل البصرة فجئته فقال: مرحباً بك يابن الفقيمة أبدا لك فينا بداءٌ قلت: والله إن نصرتك لحقٌ وإني لعلى ما عهدت أحب العزلة ثم ذاكرته أمر ابن عمي ذلك فلم يبعد عنه فكنت آتيه أتحدث إليه. فركب يوماً يطوف وركبت معه فإني لأسير إلى جانبه إذ مررنا بقبر طلحة فنظر إليه نظراً شديداً ثم أقبل علي فقال: أمسى والله أبو محمد بهذا المكان غريباً ثم تمثل:

وما تدري وإن أزمعت أمراً بأي الأرض يدركك المقيل

والله إني لأكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب. قال: فوقع العراقيون يشتمون طلحة وسكت علي وسكت حتى إذا فرغوا أقبل علي عليَّ فقال: إيه يابن الفقيمة والله إنه وإن قالوا ما سمعت لكما قال أخو جعفي:

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

ثم أردت أن أكلمه بشيءٍ فقلت: يا أميرالمؤمنين فقال: وما منعك أن تقول: يا أبا الحسن! فقلت: أبيت فقال: والله إنها لأحبهما إلي ولولا الحمقى لوددت أني خنقت بحبل حتى أموت قبل أن يفعل عثمان ما فعل وما أعتذر من قيامٍ بحق ولكن العافية مما ترى كانت خيراً.

حدثنا محمد خلف وكيع والحسن بن علي الخفاف قالا: حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن يزيد عن عروة بن أذينة قال: قدمت مع أبي مكة يوم احترقت الكعبة فرأيت الخشب وقد خلصت إليه النار ورأيت الكعبة متجردة من الحريق ورأيت الركن قد اسود وتصدع من ثلاثة أمكنة فقلت: ما أصاب الكعبة فأشاروا إلى رجل من أصحاب ابن الزبير فقالوا: هذا احترقت بسببه أخذ قبساً في رأس رمح فطيرت الريح منه شيئاً فضربت أستار الكعبة فيما بين اليماني إلى الأسود.

وفد على هشام فذكره بشعره في القناعة

ولامه ثم ندم فأرسل إليه جائزة

حدثني محمد بن جرير الطبري وحفظته وأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالوا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني عمر بن محروس الوراق بن أقيصر السلمي قال: حدثنا يحيى بن عروة بن أذينة قال: أتى أبي وجماعةٌ من الشعراء هشام بن عبد الملك فنسبهم فلما عرف أبي قال له: أنت القائل:

أسعى له فيعنيني تطلبه ولو جلست أتاني لا يعنيني

هذان البيتان فقط ذكرهما المهلبي والجوهري وذكر محمد بن جرير في خبره الأبيات كلها:

وأن حظ امرىءٍ غيري سيبلغه لابد لابد أن يحتازه دوني

لا خير في طمع يدني لمنقصةٍ وغفة من قوام العيش تكفيني

لا أركب الأمر تزري بي عواقبه ولا يعاب به عرضي ولا ديني

كم من فقيرٍ غني النفس تعرفه ومن غني فقير النفس مسكين

ومن عدو رماني لو قصدت له لم يأخذ النصف مني حين يرميني

ومن أخٍ لي طوى كشحاً فقلت له :إن انطواءك عني سوف يطويني

إني لأنطق فيما كان من أربي وأكثر الصمت فيما ليس يعنيني

لا أبتغي وصل من يبغي مفارقتي ولا ألين لمن لا يشتهي ليني

فقال له ابن أذينة: نعم أنا قائلها قال: أفلا قعدت في بيتك حتى يأتيك رزقك!.

وغفل عنه هشامٌ فخرج من وقته وركب راحلته ومضى منصرفاً ثم افتقده هشامٌ فعرف خبره فأتبعه بجائزة وقال للرسول: قل له: أردت تكذبنا وتصدق نفسك. فمضى الرسول فلحقه وقد نزل على ماء يتغدى عليه فأبلغه رسالته ودفع الجائزة. فقال: قل له: صدقني ربي قال يحيى بن عروة: وفرض له فريضتين فكنت أنا في إحداهما.

أخبرنا وكيع قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدثني الزبير بن بكار قال: حدثني أبو غزية قال: حدثني أنس بن حبيب قال: خرج ابن أذينة إلى هشام بن عبد الملك في قوم من أهل المدينة وفدوا عليه وكان ابنه مسلمة بن هشام سنة حج أذن لهم في الوفود عليه فلما دخلوا على هشام انتسبوا له وسلموا عليه فقال: ما جاء بك يابن أذينة فقال:

أتينا نمت بأرحامنا وجئنا بإذن أبي شاكر

فإن الذي سار معروفه بنجدٍ وغار مع الغائر

إلى خير خندف في ملكها لبادٍ من الناس أو حاضر

فقال له هشام: ما أراك إلا قد أكذبت نفسك حيث تقول:

لقد علمت وما الإسراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى له فيعنيني تطلبه ولو جلست أتاني لا يعنيني

فقال له ابن أذينة: ما أكذبت نفسي يا أمير المؤمنين ولكني صدقتها وهذا من ذاك. ثم خرج من عنده فركب راحلته إلى المدينة فلما أمر لهم هشامٌ بجوائزهم فقده فقال: أين ابن أدينة فقالوا: غضب من تقريعك له يا أمير المؤمنين فانصرف راجعاً إلى المدينة فبعث إليه هشام بجائزته.

مر بغنمه وراعيه نائم فضربه وقال شعراً أخبرنا وكيع قال: حدثنا هارون بن محمد قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي عن عروة بن عبيد الله قال: كان عروة بن أذينة نازلاً مع أبي في قصر عروة بالعقيق وخرج أبي يوماً يمشي وأنا معه وابن أذينة ونظر إلى غنم كانت له في يدي راعٍ يقال له كعب وهي مهملة وكعب نائم حجرة فجعل ابن أذينة يترو حوله وهو يضربه ويقول:

لو يعلم الذئب بنوم كعب إذاً لأمسى عندنا ذا ذنب

أضربه ولا يقول حسبي لابد عند ضيعةٍ من ضرب

غنى ابن عائشة بشعره

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي وإسماعيل بن يونس الشيعي قالوا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو غسان محمد بن يحيى عن بعض أصحابه قال: مر ابن عائشة المغني بعروة بن أذينة فقال له: قل لي أبياتاً هزجاً أغني فيها فقال له: اجلس فجلس فقال: صوت

سليمى أجمعت بيناً فأين تقولها أينا!

وقد قالت لأترابٍ لها زهرٍ تلاقينا:

تعالين فقد طاب لنا العيش تعالينا

وغاب البرم اللي لة والعين فلا عينا

فأقبلن إليها مس رعاتٍ يتهادينا

إلى مثل مهاة الرم ل تكسو المجلس الزينا

تمنين مناهن فكنا ما تمنينا

قال أبو غسان: فحدثت أن ابن عائشة رواها ثم ضحك لما سمع قوله:

تمنين مناهن فكنا ما تمنينا

ثم قال: يا أبا عامر تمنيتك لما أقبل بخرك وأدبر ذكرك.

قال عمر بن شبة: قال أبو غسان: فحدثني حماد الحسيني قال: ذكر ابن أذينة عند عمر بن عبد العزيز فقال: نعم الرجل أبو عامر على أنه الذي يقول:

وقد قالت لأترابٍ لها زهرٍ تلاقينا

وأخبرني بهذا الخبر وكيع قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن الزبير عن محمد بن يحيى عن إسحاق بن إبراهيم عن قسطاس قال: مر ابن عائشة بابن أذينة ثم ذكر الخبر مثل الذي قبله.

اعتراض سكينة على ادعائه العفة

مع شعر قاله

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي والحرمي بن أبي العلاء قالا: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني أبو معاوية عبد الجبار بن سعيد المساحقي وأخبرنا بن وكيع قال: حدثنا أبو أيوب المديني عن الحارث بن محمد العوفي قال: وقفت سكينة بنت الحسين بن علي على عروة بن أذينة في موكبها ومعها جواريها فقالت: يا أبا عامر أنت الذي تزعم أن لك مروءة وأن غزلك من وراء عفة وأنك تقي قال: نعم صوت

قالت وأبثتها وجدي فبحت به :قد كنت عندي تحب السر فاستتر

ألست تبصر من حولي فقلت لها :غطى هواك وما ألقى على بصري

قال لها: بلى قالت: هن حرائر إن كان هذا خرج من قلبٍ سليم أو قالت: من قلبٍ صحيح.

في هذين البيتين لعلوية رمل بالبنصر وفيهما لإسحاق هزج بالوسطى وفيهما لمخارق ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي وعمرو بن بانة وذكر حبش أن الثقيل الأول لمعبد اليقطيني.

تمثل المتوكل للمنتصر بشعره

وذكر علي بن محمد بن نصر البسامي أن خاله أبا عبد الله بن حمدون بن إسماعيل قال: كنت جالساً بين يدي المتوكل وبين يديه المنتصر فأحضر المعتز وهو صبي صغير فلعب فأفرط في اللعب والمنتصر يرمقه كالمنكر لفعله فنظر إليه المتوكل عدة دفعات ثم التفت إلى المنتصر فقال: يا محمد:

قالت وأبثثتها وجدي فبحت به :قد كنت عندي تحب الستر فاستتر

قال: فاعتذر إليه المنتصر عذراً قبله وهو مقطب معرض. قال: وكان المنتصر أشد خلق الله بغضاً للمعتز وطعناً عليه. ولقد دخلت إليه يوماً ودخل إليه أبو خالد المهلبي بعد قتل المتوكل وإفضاء الخلافة إليه ومع المهلبي درع كأنها فضة فقال: يا أمير المؤمنين هذه درع المهلب فأخذها وقام فلبسها ورأى المعتز وعليه وشيءٌ مثقل وما أشبه ذلك فتمثل ببيت جرير:

لبست سلاحي والفرزدق لعبةٌ عليه وشاحا كرجٍ وجلاجله

اعترضت امرأة على شعر قاله

أخبرني وكيع قال: حدثني هارون بن محمد قال: حدثني عبد الله بن شعيب الزبيري قال: حدثني عبد العزيز بن أبي سلمة قال: مرت امرأةٌ بابن أذينة وهو بفناء داره فقالت له: أأنت ابن أذينة قال: نعم قالت: أأنت الذي يقول الناس إنك امرؤٌ صالح وأنت الذي تقول:

إذا وجدت أوار الحب في كبدي عمدت نحو سقاء القوم أبترد

هبني بردت ببرد الماء ظاهره فمن لحر على الأحشاء يتقد!

أبو السالب المخزومي يطلب إنشاده شعراً قاله عروة أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي عن عروة بن عبد الله وأخبرنا به وكيعٌ عن هارون بن الزيات عن الزبيري عن عمه عن عروة بن عبد الله وذكره حماد عن أبيه عن الزبيري عن عروة هذا قال: كان عروة بن أذينة في دار أبي بالعقيق فسمعه ينشد: صوت

إن التي زعمت فؤادك ملها جعلت هواك كما جعلت هوى لها

فيك الذي زعمت بها وكلاكما يبدي لصاحبه الصبابة كلها

ويبيت بين جوانحي حب لها لو كان تحت فراشها لأقلها

ولعمرها لو كان حبك فوقها يوماً وقد ضحيت إذاً لأظلها

وإذا وجدت لها وساوس سلوةٍ شفع الفؤاد إلى الضمير فسلها

بيضاء باكرها النعيم فصاغها بلباقةٍ فأدقها وأجلها

لما عرضت مسلماً لي حاجةٌ أرجو معونتها وأخشى دلها

منعت تحيتها فقلت لصاحبي :ما كان أكثرها لنا وأقلها

فدنا فقال: لعلها معذورةٌ من أجل رقبتها فقلت: لعلها

قال: فأتاني أبو السائب المخزومي وأنا في داري بالعقيق فقلت له بعد الترحيب: هل بدت لك حاجة فقال: نعم أبيات لعروة بن أذينة بلغني أنك سمعتها منه فقلت له: وأية أبيات فقال: وهل يخفى القمر قوله: إن التي زعمت فؤادك ملها فأنشدته إياها فلما بلغت إلى قوله: " فقلت: لعلها ". قال: أحسن والله هذا والله الدائم العهد الصادق الصبابة لا الذي يقول:

إن كان أهلك يمنعونك رغبةً عني فأهلي بي أضن وأرغب

اذهب لا صحبك الله ولا وسع عليك - يعني قائل هذا البيت - لقد عدا الأعرابي طوره وإني لأرجو أن يغفر الله لصاحبك - يعني عروة - لحسن ظنه بها وطلبه العذر لها. قال: فعرضت عليه الطعام فقال: لا والله ما كنت لآكل بهذه الأبيات طعاماً إلى الليل وانصرف.

ذكر ما في هذا الخبر من الغناء

في الشعر المذكور فيه لعروة في البيت الأول والرابع من الأبيات خفيف رمل بالوسطى نسبه ابن المكي إلى ابن مسجح وقيل: إنه من منحوله إليه وفيهما وفي البيت الثالث من شعر ابن أذينة

ويبيت بين جوانحي حب لها لو كان تحت فراشها لأقلها

رأي لأبي السائب في شعر قاله

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا عمر بن أبي بكر المؤملي قال: أخبرنا عبد الله بن أبي عبيدة قال: قلت: لأبي السائب المخزومي: ما أحسن عروة بن أذينة حيث يقول: صوت

لبثوا ثلاث منى بمنزل غبطةٍ وهم على غرض لعمرك ما هم

متجاورين بغير دار إقامةٍ لو قد أجد رحيلهم لم يندموا

ولهن بالبيت العتيق لبانةٌ والبيت يعرفهن لو يتكلم

لو كان حياً قبلهن ظعائناً حيا الحطيم وجوههن وزمزم

وكأنهن وقد حسرن لواغباً بيضٌ بأكناف الحطيم مركم

في هذه الأبيات الثلاثة لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو.

قال: فقال: لا والله ما أحسن ولا أجمل ولكنه أهجر وأخطل في صفتهن بهذه الصفة ثم لا صوت

تفرق أهواء الحجيج على منى وصدعهم شعب النوى صبح أربع

فريقان :منهم سالكٌ بطن نخلة وآخر منهم سالك بطن تضرع

- في هذين البيتين للدلال ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي وحبش -.

فلم أر داراً مثلها غبطةٍ وملقى إذا التف الحجيج بمجمع

أقل مقيماً راضياً بمكانه وأكثر جاراً ظاعناً لم يودع

انظر إليه كيف تقدمت شهادته علمه وكبا لسانه ببيانه وهل يغتبط عاقل بمقام لا يرضى به ولكن مكرهٌ أخوك لا بطل والعرجي كان أوفى بالعهد منهما وأولى بالصواب حيت تعرض لها نافرةً من منى فقال لها عاتباً مستكيناً:

عوجي علي فسلمي جبر فيم الصدود وأنتم سفر !

ما نلتقي إلا ثلاث منى حتى يفرق بيننا النفر

في هذين البيتين غناء قد تقدمت نسبته في أخبار ابن جامع في أول الكتاب.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني جعفر بن موسى اللهبي قال: كان عبد الملك بن مروان إذا قدم مكة أذن للقرشيين في السلام عليه فإذا أراد الخروج لم يأذن لأحد منهم وقال: أكذبنا إذاً قول الملحى - يعني كثيراً - حيث يقول:

تفرق أهواءالحجيج على منى وصدعهم شعب النوى صبح أربع

وذكر الأبيات الأربعة.

خالد صامة يغني شعره بين يدي الوليد

أخبرنا علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: حدث الزبيري عن خالد صامة وكان أحد المغنين قال: قدمت على الوليد بن يزيد فدخلت إليه وهو في مجلس ناهيك به وهو على سرير وبين يديه معبد ومالك وابن عائشة وأبو كامل فجعلوا يغنون حتى بلغت النوبة إلي فغنيته: صوت

سرى همي وهم المرء يسري وغار النجم إلا قيس فتر

أراقب في المجرة كل نجمٍ تعرض للمجرة كيف يجري

لهم ما أزال له مديماً كأن القلب أضرم حر جمر

فقال لي الوليد: أعد يا صام ففعلت فقال لي: من يقول هذا الشعر قلت: عروة بن أذينة يرثي أخاه بكراً. فقال لي: وأي العيش لا يصفو بعده هذا العيش والله الذي نحن فيه على رغم أنفه والله لقد تحجر واسعاً.

لابن سريج في هذه الأبيات ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو ابن المكي وغيرهما وفيها رمل ينسب إلى ابن عباد الكاتب وإلى حاجب الحزور وإلى مسكين بن صدقة.

حدثنا الأخفش عن محمد بن يزيد قال: قال الزبيري: حدثت أن سكينة بنت الحسين أنشدت هذا الشعر فقالت: من بكر هذا أليس هو الأسود الدحداح الذي كان يمر بنا قالوا: نعم فقالت: لقد طاب كل شيء بعده حتى الخبز والزيت.

اعترض ابن أبي عتيق على شعره

في رثاء أخيه فخاصمه

وأخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي قال: لقي ابن أبي عتيق عروة بن أذينة فأنشده قوله: حتى فرغ منها ثم أنشده: سرى همي وهم المرء يسري حتى بلغ إلى قوله: وأي العيش يصلح بعد بكر! فقال له ابن أبي عتيق: كل العيش والله يصلح بعده حتى الخبز والزيت. فغضب عروة من قوله وقام عن مجلسه وحلف ألا يكلمه أبداً فماتا متهاجرين.

ذكر مخارق وأخباره

نسبه

هو مخارق بن يحيى بن ناووس الجزار مولى الرشيد بل ناووس لقب أبيه يحيى ويكنى أبا المهنأ كناه الرشيد بذلك. وكان قبله لعاتكة بنت شهدة وهي من المغنيات المحسنات المتقدمات في الضرب ذكر ذلك مخارقٌ واعترف به. ونشأ بالمدينة وقيل: بل كان منشؤه بالكوفة.

بان طيب صوته فعلمته مولاته الغناء

وكان أبوه جزاراً مملوكاً وكان مخارق وهو صبي ينادي على ما يبيعه أبوه من اللحم فلما بان طيب صوته علمته مولاته من الغناء ثم أرادت بيعه فاشتراه إبراهيم الموصلي منها وأهداه للفضل بن يحيى فأخذه الرشيد منه ثم أعتقه.

اشتراه إبراهيم الموصلي ثم وهبه الفضل

ابن يحيى ثم صار إلى الرشيد

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد: حدثني زكريا مولاهم وأخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن زكريا مولاهم قال: قدمت مولاة مخارق به من الكوفة فنزلت المخرم وصار إبراهيم إلى جدي الأصبغ بن سنان المقين وسيرين بن طرخان النخاس فقالا له: إن ها هنا امرأةً من أهل الكوفة قد قدمت ومعها غلام يتغنى فأحب أن تنفعها فيه قال: فوجهني مع مولاته لأحمله فوجدته متمرغاً في رمل الجزيرة التي بإزاء المخرم وهو يلعب فحملته خلفي وأتيت به إبراهيم فتغنى بين يديه فقال لها:

كم أمللك فيه قالت: عشرة آلاف درهم قال: قد أخذته بها وهو خيرٌ منها. فقالت: والله ما تطيب نفسي أن أمتنع من عشرين ألف درهم بكبدٍ رطبة فهل لك في خصلة تعطيني به ثلاثين ألف درهم ولا أستقيلك بعدها فقال: قد فعلت وهو خير منها فصفقت على يده وبايعته وأمر بالمال فأحضر وأمر بثلاثة آلاف درهم فزيدت عليه وقال: تكون هذه لهدية تهدينها أو كسوة تكتسينها ولا تثلمين المال.

وراح إلى الفضل بن يحيى فقال له: ما خبر غلامٍ بلغني أنك اشتريت قال: هو ما بلغك قال: فأرنيه فأحضره فلما تغنى بين يدي الفضل قال له: ما أرى فيه الذي رأيت قال: أنت تريد أن يكون في الغناء مثلي في ساعة واحدة و لم يكن مثله في الدنيا ولا يكون أبداً. فقال: بكم تبيعه فقال: اشتريته بثلاثة وثلاثين ألف درهم وهو حر لوجه الله تعالى إن بعته إلا بثلاثة وثلاثين ألف دينار فغضب الفضل وقال: إنما أردت أن تمنعنيه أو تجعله سبباً لأن تأخذ مني ثلاثةً وثلاثين ألف دينار فقال له: أنا أصنع بك خصلة أبيعك نصفه بنصف هذا المال وأكون شريكك في نصفه وأعلمه فإن أعجبك إذا علمته أتممت لي باقي المال. وإلا بعته بعد ذلك وكان الربح بيني وبينك. فقال له الفضل: إنما أردت أن تأخذ مني المال الذي قدمت ذكره فلما لم تقدر على ذلك أردت أن تأخذ نصفه.

وغضب فقال له إبراهيم: فأنا أهبه لك على أنه يساوي ثلاثةً وثلاثين آلف دينار قال: قد قبلته قال: قد وهبته لك وغدا إبراهيم على الرشيد فقال له: يا إبراهيم ما غلامٌ بلغني أنك وهبته للفضل قال: فقلت: غلام يا أمير المؤمنين لم تملك العرب ولا العجم مثله ولا يكون مثله أبداً قال: فوجه إلى الفضل فأمره بإحضاره فوجه به إليه فتغنى بين يديه فقال لي: كم يساوي قال: قلت: يساوي خراج مصر وضياعها.

فقال لي: ويلك أتدري ما تقول! مبلغ هذا المال كذا وكذا فقلت: وما مقدار هذا المال في شيء لم يملك أحدٌ مثله قط! قال: فالتفت إلى مسرور الكبير وقال: قد عرفت يميني ألا أسأل أحداً من البرامكة شيئاً بعد فنفنة فقال

مسرور فأنا أمضي إلى الفضل فأستوهبه منه فإذا وهبه لي وكان عبدي فهو عبدك فقال له: شأنك. فمضى مسرور إلى الفضل فقال له: قد عرفتم ما وقعتم فيه من أمر فنفنة وإن منعتموه هذا الغلام قامت القيامة واستوهبه منه فوهبه له فبلغ ما رأيت. فكان علوية إذا غضب على مخارق يقول له - حيث يقول: أنا مولى أمير المؤمنين - متى كنت كذلك إنما أنت عبد الفضل بن يحيى أو مولى مسرور.

سبب تلقيب أبيه بناووس

أخبرني ابن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان مخارق بن ناووس الجزار وإنما لقب بناووس لأنه بايع رجلاً أنه يمضي إلى ناووس الكوفة فيطبخ فيه قدراً بالليل حتى تنضج فطرح رهنه بذلك فدس الرجل الذي راهنه رجلاً فألقى في نفسه في الناووس بين الموتى فلما فرغ من الطبيخ مد الرجل يده من بين الموتى وقال له: أطعمني فغرف ملء المغرفة من المرقة فصبها في يد الرجل فأحرقها وضربها بالمغرفة وقال له:

اصبر حتى نطعم الأحياء أولاً ثم نتفرغ للموتى فلقب بناووس لذلك فنشأ ابنه مخارق وكان ينادي عليه إذا باع الجزور فخرج له صوتٌ عجيب فاشتراه أبي وأهداه للرشيد فأمره بتعليمهغنى لرشيد بعد ابن جامع ففاقه

وكان يقف بين يدي الرشيد مع الغلمان لا يجلس ويغني وهو واقف فغنى ابن جامع ذات يوم بين يدي الرشيد:

كأن نيراننا في جنب قلعتهم مصبغاتٌ على أرسان قصار

هوت هرقلة لما أن رأت عجباً حوائماً ترتمي بالنفط والنار

فطرب الرشيد واستعاده عدة مرات وهو شعر مدح به الرشيد في فتح هرقلة وأقبل يومئذ على ابن جامع دون غيره فغمز مخارقٌ إبراهيم بعينه وتقدمه إلى الخلاء فلما جاءه قال له: ما لي أراك منكسراً قال: أما ترى إقبال أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت فقال:

قد والله أخذته فقال له: ويحك إنه الرشيد وابن جامع من تعلم ولا يمكن معارضته إلا بما يزيد على غنائه وإلا فهو الموت وقال: دعني وخلاك ذم وعرفه أني أغني به فإن أحسنت فإليك ينسب وإن أسأت فإلي يعود. فقال للرشيد: يا أمير المؤمنين أراك متعجباً من هذا الصوت بغير ما يستحقه وأكثر مما يستوجبه فقال: لقد أحسن ابن جامع ما شاء قال: أو لابن جامع هو قال: نعم كذا ذكر قال له: فإن عبدك مخارقاً يغنيه فنظر إلى مخارق فقال: نعم يا أمير المؤمنين فقال: هاته فغناه وتحفظ فيه فأتى بالعجائب فطرب الرشيد حتى كاد يطير فرحاً وشرب ثم أقبل على ابن جامع فقال له: ويلك ما هذا! فابتدأ يحلف له بالطلاق وكل محرجةٍ أنه لم يسمع ذلك الصوت قط إلا منه ولا صنعه غيره وأنها حيلةٌ جرت عليه فأقبل على إبراهيم وقال: أصدقني بحياتي فصدقه عن قصة مخارق فقال له: أكذلك هو يا مخارق قال: نعم يا مولاي فقال: اجلس إذن مع أصحابك فقد تجاوزت مرتبة من يقوم وأعتقه ووصله بثلاثة آلاف دينار وأقطعه ضيعةً ومترلاً.

كان سبب عتقه لحناً غناه أمام الرشيد

أخبرني محمد بن خلف وكيع وحدثني محمد بن خلف بن المرزبان قال وكيع: حدثني هارون بن مخارق وقال ابن المرزبان: ذكر هارون بن مخارق قال: كان أبي إذا غنى هذا الصوت:

يا ربع سلمى لقد هيجت لي طرباً زدت الفؤاد على علاته وصبا

ربعٌ تبدل ممن كان يسكنه عفر الظباء وظلماناً به عصبا

يبكي ويقول: أنا مولى هذا الصوت فقلت له: وكيف ذاك يا أبت فقال: غنيته مولاي الرشيد فبكى وشرب عليه رطلاً ثم قال: أحسنت يا مخارق فسلني حاجتك فقلت: أن تعتقني يا أمير المؤمنين أعتقك الله من النار فقال: أنت حرٌ لوجه الله فأعد الصوت فأعدته فبكى وقال: سل حاجتك فقلت: يا أمير المؤمنين تأمر لي بمنزل وفرش وخادم قال: ذلك لك أعد الصوت فأعدته فبكى وقال: سل حاجتك فقبلت الأرض بين يديه وقلت: حاجتي أن يطيل الله بقاءك ويديم عزك ويجعلني من كل سوءٍ فداءك فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي.

المأمون يسأل إسحاق عنه وعن ابن المهدي

وذكر محمد بن الحسن الكاتب أن أبان بن سعيد حدثه: أن المأمون سأل إسحاق عن إبراهيم بن المهدي وخارق فقال: يا أمير المؤمنين إذا تغنى إبراهيم بن المهدي بعلمه فضل مخارقاً وإذا تغنى مخارق بطبعه وفضل صوته فضل إبراهيم فقال له: صدقت.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا المبرد بهذا الخبر فقال: حدثني بعض حاشية السلطان: أن إبراهيم الموصلي غنى الرشيد يوماً هذا الصوت فأعجب به وطرب له واستعاده مراراً فقال له: فكيف و سمعته من عبدك مخارق فإنه أخذه عني وهو يفضل فيه الخلق جميعاً ويفضلني فدعا بمخارق فأمره أن يغنيه وذكر باقي الخبر مثل الذي تقدم.

كناه الرشيد أبا المهنأ لإحسانه في الغناء

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن محمد النخعي عن الحسين بن الضحاك عن مخارق: أن الرشيد قال يوماً للمغنين وهو مصطبح من منكم يغني: يا ربع سلمى لقد هيجت لي طرباً فقمت فقلت: أنا يا أمير المؤمنين فقال: هاته فغنيته فطرب وشرب ثم قال: علي بهرثمة بن أعين فقلت في نفسي: ما يريد منه فجاءوا بهرثمة فأدخل إليه وهو يجر سيفه فقال له: يا هرثمة مخارق الشاري الذي قتلناه بناحية الموصل ما كانت كنيته فقال: أبو المهنأ فقال: انصرف فانصرف ثم أقبل علي وقال: قد كنيتك أبا المهنأ لإحسانك وأمر لي بمائة ألف درهم فانصرفت بها وبالكنية.

الواثق يعذر غلمانه تركوا قصره لسماعه

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني علي بن محمد بن نصر البسامي قال: حدثني خالي أبو عبد الله بن حمدون قال: رحنا إلى الواثق وأمه عليلة فلما صلى المغرب دخل إلى أمه وأمر بألا نبرح وكان في الصحن حصرٌ غير مفروشة. فقال لي مخارق: امض بنا حتى نفرش حصيراً من هذه الحصر فنجلس على بعضه ونتكىء على المدرج منه وكانت ليلةً مقمرةً فمضينا ففرشنا بعض تلك الحصر واستلقينا وتحدثنا وأبطأ الواثق عند أمه فاندفع مخارق فغنى:

أيا بيت ليلى إن ليلى عربيةٌ براذان لا خالٌ لديها ولا ابن عم

فاجتمع علينا الغلمان وخرج الواثق فصاح: يا غلام فلم يجبه أحدٌ ومشى من المجلس إلى أن توسط الدار فلما رأيته بادرت إليه فقال لي: ويلك هل حدث في داري شيء فقلت: لا يا سيدي فقال: فما لي أصيح فلا أجاب! فقلت: مخارق يغني والغلمان قد اجتمعوا عليه فليس فيهم فضلٌ لسماع غير ما يسمعونه منه فقال: عذرٌ والله لهم يابن حمدون وأي عذر! ثم جلس وجلسنا بين يديه إلى السحر.

الموصلي يعرف جودة طبعه فيخصه بالتعليم

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك أن مخارقاً كان ينادي على اللحم الذي يبيعه أبوه فيسمع له صوتٌ عجيب فاشترته عاتكة بنت شهدة وعلمته شيئاً من الغناء ليس بالكثير ثم باعته من آل الزبير فأخذه منهم الرشيد وسلمه إلى إبراهيم الموصلي فأخذ عنه وكان إبراهيم يقدمه ويؤثره ويخصه بالتعليم لما تبينه منه ومن جودة طبعه.

كان عبداً لعاتكة بنت شهدة الحاذقة بالغناء

أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب قال: حدثني ابن خرداذبه قال: كان مخارق بن يحيى بن ناووس الجزار وكان عبداً لعاتكة بنت شهدة وكانت عاتكة أحذق الناس بالغناء وكان ابن جامع يلوذ منها بالترجيع الكثير فتقول له: أين يذهب بك هلم إلى معظم الغناء ودعني من جنونك قال: فحدثني من حضرهما أن عاتكة أفرطت يوماً في الرد على ابن جامع بحضرة الرشيد فقال لها: أي أم العباس أنا - يشهد الله - أحب أن تحتك شعرتي بشعرتك فقالت له: اسكت قطع الله لسانك ولم تعاود بعد ذلك أذيته قال: وكانت شهدة أم عاتكة نائحة. هكذا ذكر ابن خرداذبه وليس الأمر في ذلك كما ذكره.

ابن داود يغني بلحن لشهدة فيفوق المغنين

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا الغلابي قال: حدثني علي بن محمد النوفلي عن عبد الله بن العباس الربيعي أنه كان هو وابن جامع وإبراهيم الموصلي وإسماعيل بن علي عند الرشيد ومعهم محمد بن داود بن علي فغنى المغنون جميعاً ثم اندفع محمد بن داود فغناه: صوت

أم الوليد سلمتني حلمي وقتلتني فتحللي إثمي

بالله يا أم الوليد أما تخشين في عواقب الظلم!

وتركتني أبغي الطبيب وما لطبيبنا بالداء من علم

قال: فاستحسنه الرشيد وكل من حضر وطربوا له فسأله الرشيد: عمن أخذته فقال: أخذته عن شهدة جارية الوليد بن يزيد قال عبد الله بن العباس وهي أم عاتكة بنت شهدة.

الأبيات المذكورة التي فيها الغناء لعبيد الله بن قيس الرقيات وتمامها:

لله درك في ابن عمك قد زودته سقماً على سقم

في وجهها ماء الشباب ولم تقبل بمكروهٍ ولا جهم

والغناء فيه لابن محرز لحنان كلاهما له أحدهما ثقيل الأول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق والآخر خفيف ثقيل الأول بالبنصر عن عمرو بن بانة وفيه لمالك ثاني ثقيل عنالواثق يوزان بين جماعة من المغنين

ويذكر أثر غناء مخارق

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال أبي: قال الواثق أمير المؤمنين: خطأ مخارق كصواب علوية وخطأ إسحاق كصواب مخارق وما غناني مخارق قط إلا قدرت أنه من قلبي خلق ولا غناني إسحاق إلا ظننت أنه قد زيد في ملكي ملكٌ آخر.

قال: وكان يقول: أتريدون أن تنظروا فضل مخارق على جميع أصحابه: انظروا إلى هؤلاء الغلمان الذين يقفون في السماط. فكانوا يتفقدونهم وهم وقوف فكلهم يسمع الغناء من المغنين جميعاً وهو واقف مكانه ضابط لنفسه فإذا تغنى مخارق خرجوا عن صورهم فتحركت أرجلهم ومناكبهم وبانت أسباب الطرب فيهم وازدحموا على الحبل الذي يقفون من ورائه.

يستوقف الناس بحسن صوته في الأذان

قال هارون: وحدثت أنه خرج مرة إلى باب الكناسة بمدينة السلام والناس يرتحلون للخروج إلى مكة فنظر غليهم واجتماعهم وازدحامهم فقال لأصحابه الذين خرجوا معه: قد جاء في الخبر أن ابن سريج كان يتغنى في أيام الحج والناس بمنى فيستوقفهم بغنائه وسأستوقف لكم هؤلاء الناس وأستلهيهم جميعاً لتعلموا أنه لم يكن

ليفضلني إلا بصنعته دون صوته ثم اندفع يؤذن فاستوقف أولئك الخلق واستلهاهم حتى جعلت المحامل يغشى بعضها بعضاً وهو كالأعمى عنها لما خامر قلبه من الطرب لحسن ما يسمع.

أبو العتاهية يعجب بغنائه إعجاباً شديداً

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: حدثني ابن أخت الحاركي وأبو سعيد الرامهرمزي وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد الأزدي عن أحمد بن عيسى الجلودي عن محمد بن سعيد الترمذي - وكان إسحاق إذا ذكر محمداً وصفه بحسن الصوت ثم قال: قد أفلتنا منه فلو كان يغني لتقدمنا جميعاً بصوته - قالوا: جاء أبو العتاهية إلى باب مخارق فطرقه واستفتح فإذا مخارق قد خرج إليه فقال له أبو العتاهية: يا حسان هذا الإقليم يا حكيم أرض بابل اصبب في أذني شيئاً يفرح به قلبي وتنعم به نفسي فقال: انزلوا فنزلنا فغنانا قال محمد بن سعيد: فكدت أسعى على وجهي طرباً. قال: وجعل أبو العتاهية يبكي ثم قال له: يا دواء المجانين لقد رققت حتى كدت أحسوك فلو كان الغناء طعاماً لكان غناؤك أدماً ولو كان شراباً لكان ماء الحياة.

أبو العتاهية يشتهي سماعه عند موته

نسخت من كتاب ابن أبي الدنيا حدثني بعض خدم السلطان قال: قال رجل لأبي العتاهية وقد حضرته الوفاة: هل في نفسك شيءٌ تشتهيه قال: أن يحضر مخارق الساعة فيغنيني:

سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي ويحدث بعدي للخليل خليل

إذا ما انقضت عني من الدهر مدتي فإن غناء الباكيات قليل

سأل أبا العتاهية عن شعره

في تبخيل الناس

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن علي بن حمزة العلوي قال: حدثنا علي بن الحسين بن الأعرابي قال: لقي مخارقٌ أبا العتاهية فقال له: يا أبا إسحاق أأنت القائل: قال له: نعم. قال: بخلت الناس جميعاً. قال: فاصرف بطرفك يا أبا المهنأ فانظر فإنك لن ترى إلا بخيلاً وإلا فأكذبني بجواد واحد فالتفت مخارقٌ يميناً وشمالاً ثم أقبل عليه فقال: صدقت يا أبا إسحاق فقال له أبو العتاهية: فديتك لو كنت مما يشرب لذررت على الماء وشربت.

غنى بين قبرين فترك الناس أعمالهم

والتفوا حوله

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني بعض آل نوبخت قال: كان أبي وعبد الله بن أبي سهل وجماعةٌ من آل نوبخت وغيرهم وقوفاً بكناسة الدواب في الجانب الغربي من بغداد يتحثون فإنهم لكذلك إذ أقبل مخارق على حمار أسود وعليه قميص رقيق ورداءٌ مسهم قال: فيمن كنتم فأخبروه فقال: دعوني من وسواسكم هذا أي شيء لي عليكم إن رميت بنفسي بين قبرين من هذه القبور وغطيت وجهي وغنيت صوتاً فلم يبق أحدٌ بهذه الكناسة ولا في الطريق من مشترٍ ولا بائعٍ ولا صادر ولا وارد إلا ترك عمله وقرب مني واتبع صوتي فقال له عبد الله: إني لأحب أن أرى هذا فقل ما شئت فقال: فرسك الأشقر الذي طلبته منك فمنعتنيه قال: هو لك إن فعلت ما قلت ثم دخلها ورمى بنفسه بين قبرين وتغطى بردائه ثم اندفع يغني فغنى في شعر أبي العتاهية:

نادت بوشك رحيلك الأيام أفلست تسمع أم بك استصمام !

قال: فرأيت الناس يتقوضون إلى المقبرة أرسالاً من بين راكب وراجل وصاحب شول وصاحب جدي ومار بالطريق حتى لم يبق بالطريق أحد ثم قال لنا من تحت ردائه: هل بقي أحد قلنا: لا وقد وجب الرهن فقام فركب حماره وعاد الناس إلى صنائعهم فقال لعبد الله: أحضر الفرس فقال: على أن تقيم اليوم عندي قال: نعم فانصرفنا معهما وسلم الفرس إليه وبره وأحسن إليه وأحسن رفده.

نسبة هذا الصوت صوت

نادت بوشك رحيلك الأيام أفلست تسمع أم بك استصمام!

ومض أمامك من رأيت وأنت لل باقين حتى يلحقوك إمام

ما لي أراك كأن عينك لاترى عبراً تمر كأنهن سهام

تمضي الخطوب وأنت منتبهٌ لها فإذا مضت فكأنها أحلام

الشعر لأبي العتاهية والغناء لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى وفيه لمخارق هزج بالوسطى كلاهما عن عمرو وفيه رمل يقال: إنه لعلوية ويقال: إنه لمخارق عن الهشامي.

بكى أبو العتاهية حين سمع لحنه

أخبرني جحظة قال: ذكر ابن المكي المرتجل عن أبيه: أن أبا العتاهية دخل يوماً إلى صديق له وعنده جارية تغني فقال: يا أبا إسحاق إن هذه الجارية تغني صوتاً حسناً في شعر لك أفتنشط إلى سماعه قال: هاتيه فغنته لحناً لعمرو بن بانة في قوله: نادت بوشك رحيلك الأيام فعبس وبسر وقال: لا جزى الله خيراً من صنع هذه الصنعة في شعري قال: فإنما تغني فيه لحناً لمخارق قال: فلتغنه فغنته فأعجبه وطرب حتى بكى ثم قال: جزا الله هذا عني خيراً وقام فانصرف.

وقد روى هذا الخبر هارون بن الزيات عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن غزوان: أنه كان وعبيد الله بن أبي غسان وأبو العتاهية ومحمد بن عمر الرومي عند ابن مريم ومعهم مغنية نادت بوشك رحيلك الأيام فلم يستحسنه أبو العتاهية ثم غنى فيه لحناً لإبراهيم بن المهدي فأطربه وقال: جزى الله عني هذا خيراً.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: بلغني أن المتوكل دخل إلى جارية من جواريه وهي تغني: صوت

أمن قطر الندى نظم ت ثغرك أم من البرد!

وريقك من سلاف الكر م أم من صفوة الشهد!

أيا من قد جرى مني كمجرى الروح في الجسد

ضميرك شاهدي فيما أقاسيه من الكمد

والغناء لمخارق رمل فقال لها: ويحك لمن هذا الغناء فقالت: أخذته من مخارق قال: فألقيه على الجواري جميعاً ففعلت فلما أخذته عنها أمر بإخراجهن إليه ودعا بالنبيذ وأمر بألا يغنيه غيره ثلاثة أيام متوالية وكان ذلك بعد وفاة مخارق.

أدخل أبا المضاء الأسدي بيته وسقاه وغناه وكساه فقال فيه شعراً سألت أبا المضا الأسدي أن ينشدني فقال: أنشدك من شعري شيئاً قلته لرجل لقيته على الجسر ببغداد فأعجبه مني ما يرى من دماثتي وأقبلت أحدثه وهو ينصت لي وأنشده وهو يحسن الإصغاء إلى إنشادي ويحدثني فيحسن الحديث حتى بلغنا منزله فأدخلني فغداني ثم لم يرم حتى كساني وسقاني فروائي ثم أسمعني والله شيئاً ما طار في مسامعي شيءٌ قط أحسن منه فلما خرجت سألت عنه فقال لي غلمانه: هذا أبو المهنأ مخارق فقلت فيه:

أعاد الله يوم أبي المهنأ علينا إنه يوم نضير

تغيب نحسه عنا وأرخى علينا وابلٌ جودٌ مطير

فلما أن رأيت القطر فوقي وأقداحاً يحث بها المدير

وأسعدنا بصوتٍ لو وعاه ولي العهد خف به السرير

تذكرت الحبيب وأهل نجدٍ وروضاً نبته غض نضير قال: فقلت له: و لم ذكرت نجداً مع ما كنت فيه وكان ينبغي لك أن تنساه قال: كلا إن المرء إذا كان فيما يحب تذكر أهله قلت: فما غناك قال: غنائي:

وما روضةٌ جاد الربيع بهطله عليها فرواها ورقت غصونها

وهبت عليه الريح حتى تبسمت وحتى بدت فوق الغصون عيونها

وقد أنطقته والشمال جريةٌ على عقد ما تلقي عليها يمينها

قال: فلم يزل يردده علي حتى قضيت وطري من لذتي وحفظته عنه.

غنى لإبراهيم الموصلي فنشج أحر نشيج

أخبرني جحظة قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت على جدك إبراهيم وهو جالسٌ بين بابين له ومخارقٌ بين يديه يغنيه:

يا ربع بشرة إن أضربك البلى فلقد رأيتك آهلاً معمورا

قال: واللحن الذي كان يغنيه لمالك وفيه عدة ألحان مشتركة فرأيت دموع أبي تجري على خديه من أربعة أماكن وهو ينشج أحر نشيج فلما رآني قال: ياإسحاق هذا والله صاحب اللواء غداً إن مات أبوك.

رأى رؤيا فسرها إبراهيم الموصلي

بأن إبليس قد عقد له لواء صنعة الغناء

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني هارون بن مخارق عن أبيه قال: رأيت وأنا حدثٌ كأن شيخاً جالساً على سرير في روضة حسنة قد دعاني فقال لي: غنني يا مخارق فقلت: أصوتاً تقترحه أم ما حضر فقال: ما حضر فغنيته بصنعتي في: صوت

دعي القلب لا يزدد خبالاً مع الذي به منك أو داوي جواه المكتما

وليس بتزويق اللسان وصوغه ولكنه قد خالط اللحم والدما

ولحن مخارق فيه ثقيلٌ أول وفيه لابن سريج رمل.

قال: فقال لي: أحسنت يا مخارق ثم أخذ وتراً من أوتار العود فلفه على المضراب ودفعه إلي فجعل المضراب يطول ويغلظ والوتر ينتشر ويعرض حتى صار المضراب كالرمح والوتر كالعذبة عليه وصار في يدي علماً ثم انتبهت فحدثت برؤياي إبراهيم الموصلي فقال لي: الشيخ بلا شك إبليس وقد عقد لك لواء صنعتك فأنت ما حييت رئيس أهلها.

قال مؤلف هذا الكتاب: وأظن أن الشاعر الذي مدح مخارقاً إنما عنى هذه الرؤيا بقوله:

لقد عقد الشيخ غر آدماً وأخرجه من جنةٍ وحدائق

لواءي فنونٍ للقريض وللغنا وأقسم لا يعطيهما غير حاذق

وذكر محمد بن الحسن الكاتب أن هارون بن مخارق حدثه فقال:

كان الواثق شديد الشغف بأبي وكان قد اقتطعه عنا وأمر له بحجرة في قصره وجعل له يوماً في الأسبوع لنوبته في

منزله وكان جواريه يختلفن لذلك اليوم قال: فانصرف إلينا مرة في نوبته فصلى الغداة مع الفجر على أسرة في صحن الدار في يوم صائفٍ وجلس يسبح فما راعنا إلا خدمٌ بيضٌ قد دخلوا فسلموا عليه وقالوا: إن أمير المؤمنين قد دعا بنا في هذه الساعة فأعدنا عليه الصوت الذي طرحته علينا فلم يرضه من أحدٍ منا وأمرنا بالمصير إليك لنصححه عليك قال: فأمر غلمانه فطرحوا لهم عدة كراسي فجلسوا عليها ثم قال لهم: ردوا الصوت فردوه فلم يرضه من أحدٍ منهم فدعا بجاريته عميم فردته عليهم فلم يرضه منها قال: فتحول إليهم ثم اندفع فرد الصوت على الخدم فخرج الوصائف من حجر جواريه حتى وقفن حوالي الأسرة ودخل غلامٌ من غلمانه وكان يستقي الماء فهجم على الصحن بدلوه وجاءت جارية على كتفها جرة من جرار المزملات حتى وقفت بالقرب منه قال: وسبقتني عيناي فما كففت دموعها حتى فاضت.

ثم قطع الصوت حين استوفاه فرجع الوصائف الأصاغر سعياً إلى حجر الجواري وخرج الغلام السقاء يشتد إلى بغلة ورجعت الجارية الحاملة الجرة المزملة شداً إلى الموضع الذي خرجت منه فتبسم أبي وقال: ما شأنك يا هارون فقلت: يا أبت جعلني الله فداءك ما ملكت عيني قال: وأبوك أيضاً لم يملك عينه.

نام في بيت ابن المهدي وهو يغني

ثم انتبه وأكمل الغناء

وذكر هارون بن الزيات عن أصحابه قال: جمع إبراهيم بن المهدي المغنين ذات يوم في منزله فأقاموا فلما دخلوا في الليل ثمل مخارق وسكر سكراً شديداً فسألوه أن يغني صوتاً فغنى هذا البيت من شعر عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

قال: ساروا وأمعنوا واستقلوا وبرغمي لو استطعت سبيلا

فانتهى منه إلى قوله: واستقلوا. وانثنى نائماً فقال إبراهيم بن المهدي: مهدوه ولا تزعجوه فمهدوه ونام حتى مضى أكثر الليل ثم استقل من نومه فانتبه وهو يغني تمام البيت: وبرغمي لو استطعت سبيلا وهو تمام البيت من حيث قطعه وسكت عليه من صوته.

قال: فجعل إبراهيم يتعجب منه ويعجب منه من حضره من جودة طبعه وذكائه وصحة محمد بن الحسن بن مصعب يسأل إسحاق عنه وعن إبراهيم بن المهدي: أيهما أحذق غناء حدثنا يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: قال محمد بن الحسن بن مصعب: قلت لإسحاق يوماً: أسألك بالله إلا صدقتني في مخارق وإبراهيم بن المهدي أيهما أحذق وأحسن غناء فقال لي إسحاق: أجادٌ أنت والله ما تقاربا قط والدليل على فضل مخارق عليه أن إبراهيم لا يؤدي صوتاً قديماً ثقيلاً جيداً أبداً ولا يستوفيه وإنما يغني الأهزاج والغناء الخفيف وأما الذي فيه عمل شديد فلا يصيبه.

طلب منه سعيد بن سم الغناء

في شعر ضعيف

أخبرني يحيى قال: حدثنا أبو أيوب المديني قال: حدثني بعض ولد سعيد بن سلم قال: دخل مخارقٌ على سعيد بن سلم فسأله حاجة فلما خرج قيل له: أما تعرف هذا هذا مخارق فقال ويحكم! دخل و لم نعرفه وخرج و لم نعرفه فردوه فقال له: دخلت علينا و لم نعرفك فلما عرفناك أحببنا إلا تخرج حتى نسمعك فقال له: أي شيء تشتهي أن أسمعك فقال:

يا ريح ما تصنعين بالدمن كم لك من محو منظرٍ حسن !

فغناه مخارق فلما خرج قال لبعض بنيه: أبوكم هذا نكس يتشهى على مثلي: يا ريح ما تصنعين بالدمن أخبرنا يحيى بن علي قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني عمي محمد قال: سمعت أبي يقول وقد غنى مخارق: نعم الفسيلة غرس إبليس في الأرض.

جاريته تغني صوتاً له بحضرته فتحسن

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن محمد قال: سمع محمد بن سعيد القارىء مهدية جارية يعقوب بن الساحر تغني صوتاً لمخارق بحضرته وقد كانت أخذته عنه وهو:

ما لقلبي يزداد في اللهو غياً والليالي قد أنضجتني كيا

سهلت بعدك الحوادث حتى لست أخشى ولا أحاذر شيئا

فأحسنت فيه ما شاءت وانصرف محمد بن سعيد وقرأ على لحنه: " يا يحيى خذ الكتاب بقوة ".

قصة رجل حلف بالطلاق أن يسمعه ثلاث مرات حدثني عمي قال: حدثنا عبد الله قال: حدثني محمد قال: كنت عند مخارق أنا وهارون بن أحمد بن هشام فلعب مع هارون بالنرد فقمره مخارق مائتي رطل باقلاً طرياً فقال مخارق: وأنتم عندي أطعمكم من لحم جزور من الصناعة يعني من صناعة أبيه يحيى بن ناووس الجزار.

قال: ومر بهارون بن أحمد فصيلٌ ينادى عليه فاشتراه بأربعة دنانير ووجه به إلى مخارق وقال: يكون ما تطعمنا من هذا الفصيل فاجتمعنا وطبخ مخارق بيده جزوريةً وعمل من سنامه وكبده ولحمه غضائر شويت في التنور وعمل من لحمه لوناً يشبه الهريسة بشعير مقشر في نهاية الطيب فأكلنا وجلسنا نشرب فإذا نحن بامرأة تصيح من الشط: يا أبا المهنأ الله الله في حلف زوجي علي بالطلاق أن يسمع غناءك ويشرب عليه فقال: اذهبي وجيئي به فجاء فجلس فقال له: ما حملك على ما صنعت فقال له: يا سيدي كنت سمعت صوتاً من صنعتك فطربت عليه حتى استخفني الطرب فحلفت أن أسمعه منك ثقة بإيجابك حق زوجتي صوت

بكرت علي فهيجت وجدا هوج الرياح وأذكرت نجدا

أتحن من شوق إذا ذكرت نجدٌ وأنت تركتها عمدا

الشعر لحسين بن مطير والغناء لمخارق ثقيل أول وفيه لإسحاق ثقيل أول آخر فغناه إياه رطلاً وأمره بالانصراف ونهاه أن يعاود وخرج. فما لبثنا أن عادت المرأة تصرخ: الله الله في يا أبا المهنأ قد أعاد زوجي المشؤون اليمين أنك تغنيه صوتاً آخر فقال لها: أحضريه فأحضرته أيضاً فقال له: ويلك ما لي ولك! أي شيء قصتك! فقال له: يا سيدي أنا رجل طروب وكنت قد سمعت صوتاً لك آخر فاستفزني الطرب إلى أن حلفت بالطلاق ثلاثاً أني أسمعه منك قال: وما هو قال لحنك:

أبلغ سلامة أن البين قد أفدا وأن صحبك عنها رائحون غدا

هذا الفراق يقينا إن صبرت له أو لا فإنك منها ميتٌ كمدا

لا شك أن الذي بي سوف يهلكني إن كان أهلك حب قبله أحدا

فغناه إياه مخارق وسقاه رطلاً وقال له: احذر ويلك أن تعاود فانصرف. و لم تلبث أن عاودت الصياح تصرخ: يا سيدي قد عاود اليمين ثلاثة الله الله في وفي أولادي قال: هاتيه فأحضرته فقال لها: انصرفي أنت فإن هذا كلما انصرف حلف وعاد فدعيه يقيم يومه كله فتركته وانصرفت فقال له مخارق: ما قصتك أيضاً قال: قد عرفتك يا سيدي أنني رجل طروبٌ وكنت سمعت صوتاً من صنعتك فاستخفني الطرب له فحلفت أني أسمعه منك قال: وما هو قال:

ألف الظبي بعادي ونفى الهم رقادي

وعدا الهجر على الوص ل بأسيافٍ حداد

قل لمن زيف ودي :لست أهلاً لوادي

قال: فغناه إياه وسقاه رطلاً ثم قال: يا غلام مقارع فجيء بها فأمر به فبطح وأمر بضربه فضرب خمسين مقرعة وهو يستغيث فلا يكلمه ثم قال له: احلف بالطلاق أنك لا تذكرني أبداً وإلا كان هذا دأبك إلى الليل فحلف بالطلاق ثلاثاً على ما أمره به ثم أقيم فأخرج عن الدار فجعلنا نضحك بقية يومنا من حمقه.

أشرف من بيته على القبوروغنى باكياً أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا أحمد بن محمد قال: حدثني إسحاق بن عمر بن بزيع قال: أتيت مخارقاً ذات يوم ومعي زرزورٌ الكبير لنقيم عنده فوجدته قد أخرج رأسه من جناح له وهو مشرف على المقابر يغني هذا البيت ويبكي: أين الملوك التي كانت مسلطة قال: فاستحسنا ما سمعناه منه استحسان من لم يسمع قط غناءً غيره فقال لنا: انصرفوا فليس في فضلٌ اليوم بعد ما رأيتم. قال محمد: وكان والله مخارق ممن لو تنفس لأطرب من يسمعه استماع نفسه.

سمعت الظباء غناءه فوقفت

بالقرب منه مصغية

وذكر محمد بن الحسن الكاتب أن محمد بن أحمد بن يحيى المكي حدثه عن أبيه قال: خرج مخارق مع بعض إخوانه إلى بعض المتنزهات فنظر إلى قوس مذهبة مع أحد من خرج معه فسأله إياها فكأن المسؤول ضن بها. قال: وسنحت ظباء بالقرب منه فقال لصاحب القوس: أرأيت إن تغنيت صوتاً فعطفت عليك به خدود هذه الظباء أتدفع إلي هذه القوس قال: نعم فاندفع يغني.

ماذا تقول الظباء أفرقةٌ أم لقاء!

أم عهدها بسليمى وفي البيان شفاء !

مرت بنا سانحاتٍ وقد دنا الإمساء

فما أحارت جواباً وطال فيها العناء

في هذه الأبيات ليحيى المكي ثقيل أول بالوسطى.

قال: فعطفت الظباء راجعةً إليه حتى وقفت بالقرب منه مستشرفةً تنظر إليه مصغية تسمع صوته فعجب من حضر من رجوعها ووقوفها وناوله الرجل القوس فأخذها وقطع الغناء فعاودت الظباء نفارها ومضت راجعةً على سننها.

غنى وسط دجلة فتسابق الناس لسماعه

قال ابن المكي: وحدثني رجلٌ من أهل البصرة كان يألف مخارقاً ويصحبه قال:

كنت معه مرة في طيار ليلاً وهو سكران فلما توسط دجلة اندفع بأعلى صوته فغنى فما بقي أحدٌ في الطيار من ملاح ولا غلام ولا خادم إلا بكى من رقة صوته ورأيت الشمع والسرج من جانبي دجلة في صحون القصور والدور يتساعون بين يدي أهلها يستمعون غناءه.

حدثني الصولي قال: حدثني محمد بن عبد الله التميمي الحزنبل قال: كنا في مجلس ابن الأعرابي إذ أقبل رجلٌ من ولد سعيد بن سلم كان يلزم ابن الأعرابي وان يحبه ويأنس به فقال له: ما أخرك عني فاعتذر بأشياء منها أنه قال: كنت مع مخارق عند بعض بني الرشيد فوهب له مائة ألف درهم على صوت غناه إياه فاستكثر ابن الأعرابي ذلك واستهوله وعجب منه وقال له: بأي شيء غناه قال: غناه بشعر العباس بن الأحنف: صوت

بكت عيني لأنواع من الحزن وأوجاع

وإني كل يوم عن دكم يحظى بي الساعي

فقال ابن الأعرابي: أما الغناء فما أدري ما هو ولكن هذا والله كلام قريب مليح.
لحن مخارق في هذين البيتين ثقيل أول من جامع صنعته وفيهما لإبراهيم الموصلي ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة. وذكر حبش أن فيهما لإبراهيم بن المهدي لحناً ماخورياً.

نصح ابن المهدي شارية بألا تتشبه به

في تزايده وإلا هلكت

غنت شارية يوماً بحضرة أبي صوتاً فأحد النظر إليها وصبر حتى قطعت نفسها ثم قال لها: أمسكي فأمسكت فقال لها: قد عرفت إلى أي شيء ذهبت أردت أن تتشبهي بمخارق في تزايده قالت: نعم يا سيدي.
قال: إياك ثم إياك أن تعودي فإن مخارقاً خلقه الله وحده في طبعه وصوته ونفسه يتصرف في ذلك أجمع كيف أحب ولا يلحقه في ذلك أحد وقد أراد غيرك أن يتشبه به في هذه الحال فهلك وافتضح و لم يلحقه فلا أسمعنك تتعرضين لمثل هذا بعد وقتك هذا

غلمان المعتصم يتركونه لسماع مخارق

أخبرني عمي قال: حدثني علي بن محمد بن نصر البسامي قال: حدثني خالي أبو عبد الله عن أبيه قال: كنا بين يدي المعتصم ذات ليلة نشرب إلى أن سكرنا جميعاً فقام فنام وتوسدنا بأيدينا ونمنا في مواضعنا ثم انتبه فصاح فلم يجبه أحد وسمعنا صياحه فتبادرنا نسأل عن الغلمان فإذا مخارق قد انتبه قبلنا فخرج إلى الشط يتنسم الهواء واندفع يغني فتلاحق به الغلمان جميعاً فجئت إلى المعتصم فأخبرته وقلت: مخارق على الشط يغني والغلمان قد اجتمعوا عليه فليس فيهم فضلٌ لشيء غير استماعه فقال لي: يابن حمدون عذرٌ والله وأي عذر! ثم جلس وجلسنا بين يديه إلى السحر.

المأمون يسأل إسحاق عن غناء مخارق

وإبراهيم بن المهدي

وذكر محمد بن الحسن الكاتب أن أبان بن سعيد حدثه: أن المأمون سأل إسحاق بن إبراهيم المهدي ومخارق فقال: يا أمير المؤمنين إذا تغنى إبراهيم بعلمه فضل مخارقاً وإذا تغنى مخارقٌ بطبعه وفضل صوته فضل إبراهيم فقال له: صدقت.
غنى الأمين فخلع عليه جبة ثم ندم

حين رآها عليه

نسخت من كتاب هارون بن الزيات: حدثني هارون بن مخارق عن أبيه قال: دعاني محمدٌ الأمين يوماً وقد اصطبح فاقترح علي:

استقبلت ورق الريحان تقطفه وعنبر الهند والوردية الجددا

ألست تعرفني في الحي جاريةً ولم أخنك ولم ترفع إلي يدا

فغنيته إياه فطرب طرباً شديداً وشرب عليه ثلاثة أرطال ولاءً وأمر لي بألف دينار وخلع علي جبة وشي كانت عليه مذهبة ودراعةً مثلها وعمامة مثلها تكاد تعشي البصر من كثرة الذهب فلما لبست ذلك ورآه علي ندم وكن كثيراً ما يفعل ذلك فقال لبعض الخدم: قل للطباخ يأتينا بمصلية معقودة الساعة فأتى بها فقال لي: كل معي وكنت أعرف الناس بمذهبه وبكراهته لذلك فامتنعت. فحلف أن آكل معه فحين أدخلت يدي في الغضارة رفع يده ثم قال: أف نغصتها علي والله وقذرتها عندي بإدخالك يدك فيها ثم رفس القصعة رفسةً فإذا هي في حجري وودكها يسيل على الخلعة حتى نفذ إلى جلدي فقمت مبادراً فنزعتها وبعثت بها إلى منزلي وغيرت ثيابي وعدت وأنا مغمومٌ منها وهو يضحك فلما رجعت إلى منزلي جمعت كل صانع حاذق فجهدوا في إخراج ذلك الأثر منها فلم يخرج و لم أنتفع بها حتى أحرقتها فأخذت ذهبها وضرب الدهر بعد ذلك ضرباته.

يؤاكل المأمون ويغنيه فيعبس في وجهه ثم يدعوه ثانية ويكافئه ثم دعاني المأمون يوماً فدخلت إليه وهو جالس وبين يديه مائدةٌ عليها رغيفان ودجاجتان فقال لي: تعال فكل فامتنعت فقال لي: تعال ويلك فساعدني. فجلست فأكلت معه حتى أقول

التماس العذر لما ظلمتني وحملتني ذنباً وما كنت مذنبا

فقلت: نعم يا سيدي قال: غنه فغنيته فعبس في وجهي ثم قال: قبحك الله أهكذا يغنى هذا! ثم أقبل على علوية فقال: أتغنيه قال: نعم يا سيدي قال: غنه فغناه فوالله ما قاربني فيه فقال: أحسنت والله وشرب رطلاً وأمر له بعشرة آلاف درهم واستعاده ثلاثاً وشرب عليه ثلاثة أرطال يعطيه مع كل عشرة آلاف درهم ثم خذف بإصبعه وقال: برقٌ يمانٍ وكان إذا أراد قطع الشراب فعل ذلك وقمنا فعلمت من أين أتيت.

فلما كان بعد أيام دعاني فدخلت إليه وهو جالس في ذلك الموضع بعينه يأكل هناك فقال لي: تعال ويلك فساعدني فقلت: الطلاق لي لازم إن فعلت فضحك ثم قال: ويلك أتراني بخيلاً على الطعام! لا والله ولكنني أردت أن أؤدبك إن السادة لا ينبغي لعبيدها أن تؤاكلها أفهمت فقلت: نعم قال: فتعال الآن فكل على الأمان فقلت: أكون إذاً أول من أضاع تأديبك إياه واستحق العقوبة من قريب فضحك حتى استغرب ثم أمر لي بألف دينار ومضيت إلى حجرتي المرسومة لي للخدمة وأتيت هناك بطعام فأكلت ووضع النبيذ ودعاني وبعلوية فلما جلسنا قال له: يا علي أتغني:

ألم تقولي: نعم قالت: أرى وهماً مني وهل يؤخذ الإنسان بالوهم !

فقال: نعم يا سيدي فقال: هاته فغناه فعبس في وجهه وبسر وقال: قبحك الله أتغني هذا هكذا! ثم أقبل علي فقال: أتغنيه يا مخارق فقلت: نعم يا سيدي وعلمت أنه أراد أن يستقيد لي من علوية ويرفع مني وإلا فما أتى علوية بما يعاب فيه فغنيته فطرب وشرب رطلاً وأمر لي بعشرة آلاف درهم وفعل ذلك ثلاث مرات كما فعل به.

ثم أمر بالانصراف فانصرفنا وما عاودت بعد ذلك مؤاكلة خليفة إلى وقتنا هذا.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء صوت

استقبلت ورق الريحان تقطفه وعنبر الهند والوردية الجددا

ألست تعرفني في الحي جاريةً ولم أخنك ولم تمدد إلي يدا

الشعر - فيما يقال - لعمر بن أبي ربيعة والغناء للغريض خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وأصله يماني وفيه لابن جامع هزج.

صوت

أقول التماس العذر لما ظلمتني وحملتني ذنباً وما كنت مذنبا

هبيني أمرأً إما بريئاً ظلمته وإما مسيئاً قد أناب وأعتبا

صوت

ألم تقولي: نعم قالت: أرى وهماً مني وهل يؤخذ الإنسان بالوهم !

قولي :نعم إن " لا " إن قلتقاتلتيماذا تريدين من قتلي بغير دم!

الغناء لسياط خفيف رمل بالبنصر عن عمرو و لم يقع إلي لمن الشعر.

يتنافس هو وعلوية في غناء صوت فيسبق علوية قال هارون: وحدثني أبو معاوية الباهلي قال: حضرت علوية ومخارقاً مجتمعين في مجلس فغنى علوية صوتاً فأحسن فيه وأجاده فأعاده مخارق وبرز عليه وزاد فرده عليوة وتعمل فيه واجتهد فزاد على مخارق فجثا مخارق على ركبتيه وغناه وصاح فيه حتى اهتز منكباه فما ظننا إلا أن الأرض قد زلزلت بنا وغلب والله ما سمعنا على عقولنا ونظرت إلى لون علوية وقد امتقع وطار دمه فلما فرغ مخارق توقعنا أن يغني علوية فما فعل ولا غنى بقية يومه. قال: وكان مخارق إذا صاح قطع أصحاب النايات.

سأله الأمين أن يغنيه أصواتاً فلم يحسن فأرسله إلى إسحاق ليعلمه أخبرني وسواسة بن الموصلي وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال: حدثنا حماد بن قال لي مخارق: دعاني يوماً محمد المخلوع فدخلت عليه وعنده إبراهيم بن المهدي فقال: غنني يا مخارق فغنيته أصواتاً عديدة فلم يطرب لها وقال: هذا كله معاد فغنني: قد أزمعت للبين هندٌ زيالها فقلت: لا والله ما أحسنه فقال: غنني: لا والذي نحرت له البدن فقلت: لا والله ما أحسنه فقال: غنني: يا دار سعدى سقى أطلالك الديما فقلت: لا والله لا أحسنه فغضب وقال: ويلك! أسألك عن ثلاثة أصوات فلا

تحسن منها واحداً! فقال له إبراهيم بن المهدي: وما ذنبه إسحاق أستاذه وعليه يعتمد وهو يضايقه في صوت يعلمه إياه فقلت: قد والله صدق ما يعطيني شيئاً ولا يعلمنيه قال: فما دواؤه فقد والله أعياني فقال له إبراهيم: توكل به من يصب على رأسه العذاب حتى يعلمه مائة صوت قال: أما بعد فبعيد ولكن اذهب إليه عني فمره أن يعلمك هذه الثلاثة الأصوات فإن فعل وإلا فصب السوط على رأسه حتى يعلمك.

يذهب إلى إسحاق ليعلمه فيكله إلى جارية له فدخلت إلى إسحاق فجلست بغير أمره وسلمت سلاماً منكراً. ثم أقبلت عليه فقلت:

يأمرك أمير المؤمنين أن تعلمني كذا وكذا قال: ما أحسنه فقلت: إني أنفذ فيك ما أمرني به فقال: تنفذ في ما أمرت به ألا تستحي ويحك مني ومن تربيتي إياك! قلت: فلا بد من أن تعلمني ما أمرك به أمير المؤمنين قال: فإني لست أحسنه ولكن فلانة تحسنه هاتوها. فجاءت وجعلت تطارحني حتى أخذت الأصوات الثلاثة وجعل كل من جاء يومئذ لا يحجبه ليروني وجاريته تطارحني.

فلما أخذت الأصوات رجعت إلى محمد وأخبرته الخبر وحضر إسحاق فغنيته إياها فطرب وجعل إبراهيم بن المهدي يقول: أحسن والله أحسن والله فلما فرغت قال إسحاق: لا والله ما أحسن ولا أصاب هو ولا إبراهيم في استحسانه ولقد جهدت الجارية جهدها أن يأخذه عنها لفم يتوجه له ثم اندفع فغناها فكأني والله كنت ألعب عندما سمعت.

ثم أقبل على إبراهيم بن المهدي فقال له: كم أقول لك: ليس هذا من علمك ولا مما تحسنه وأنت تكابر وتدخل نفسك فيما لا تحسنه! فقال: ألا تراه يا أمير المؤمنين يصيرني مغنياً! فقال له إسحاق: و لم تجحد ذلك! أو أسررت إلي منه شيئاً لم تظهره للناس وتعلمهم إياه! ومتى صرت تأنف من هذا وأنت تتبجح به! فليتك تحسنه والله ما تفرق بين الخطأ والصواب فيه وإن شئت الآن ألقيت عليك ثلاثين مسألة من أي علم شئت فإن أجبت واحدة منهن وإلا علمت أنك متكلف. فقال: يا أمير المؤمنين يستقبلني بهذا بين يديك! قال: وما هذا مما لا أستقبلك به فقال له محمد: نعم اختر ما شئت حتى نسألك عنه فقال: إنما يفعل هذا الصبيان وانكسر حتى رحمته فقلت لمحمد: يا أمير المؤمنين لعلك ترى مع هذا القول أنه لا يحسن بلى والله إنه ليحسن كل شيء ما يقدر أحدٌ أن يقول هذا غيري وإنه ليتقدم كثيراً من الناس في كل شيء فجعل محمد يضحك وهو يقول تشجه بيدٍ وتدهنه بيد وتجرحه بيد وتأسوه بيد!.

نسبة هذه الأصوات صوت

لقد أزمعت للبين هندٌ زيالها وزموا ... إلى أرض العراق جمالها

فما ظبيةٌ أدماء واضحة القرا ... تنص إلى برد الظلال غزالها

تحت بقرنيها برير أراكةٍ وتعطو ... بظلفيها إذا الغصن طالها

بأحسن منها مقلةً ومقلداً وجيداً ... إذا دنت تنوط شكالها

الشعر لكثير والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وفيه لابن سريج في الثالث والثاني ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ولإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن عمرو في الثاني ثم في الثالث وفي كتاب حكمٍ: لحكم فيه خفيف ثقيل وعن حبش لطويس فيه رمل بالوسطى وذكر أيضاً أن لحن معبد ثاني ثقيل.

صوت

يا دار سعدى سقى أطلالك الديما ... مسقي الروايا وإن هيجت لي سقما

دارٌ خلت وعفت منها معالمها ... إلا الثمام وإلا النؤي والحمما

الغناء لقفا النجار ثقيل أول بالوسطى عن عمرو والهشامي وإبراهيم.

صوت

لا والذي نحرت له البدن ... وله بمكة قبل الركن

ما زلت يا سكني أخا أرقٍ ... متكنفاً بي الهم والحزن

أخشى عليك وبعضه شفقٌ ... أن يفتنوك وأنت مفتتن

الغناء لابن سريج رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر الهشامي أنه لسليمان الوادي أوله فيه لحن ونسبه إبراهيم إلى ابن عباد و لم يجنسه.

أخبرني عمي: حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال: حدثني عبد الوهاب المؤذن قال: انحدرنا مع المعتصم من السن ونحن في حراقته وحضر وقت الأذان فأذنت فلما فرغت من الأذان اندفع مخارق بعدي فأذن وهو جاثٍ على ركبتيه فتمنيت والله أن دجلة أهرقت لي فغرقت فيها.

غضب عليه المعتصم ثم صالحه وأعاده إلى مرتبته أخبرني عمي قال: حدثني عبد الله بن عبد الله بن حمدون قال: حدثني أبي قال: غضب المعتصم على مخارق فأمر به أن يجعل في المؤذنين ويلزمهم ففعل ذلك وأمهل حتى علم أن المعتصم يشرب وأذنت العصر فدخل هو إلى الستر حيث يقف المؤذن للسلام ثم رفع صوته جهده وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمك الله فبكى حتى جرت دموعه وبكى كل من حضره ثم قال: أدخلوه إلي ثم أقبل علينا وقال: سمعتم هكذا قط! هذا الشيطان لا يترك أحداً يغضب عليه فأمر به فأدخل إليه فقبل الأرض بين يديه فدعاه المعتصم إليه وأعطاه يده فقبلها وأمره بإحضار عوده فأحضر فأعاده إلى مرتبته.

إسحاق الموصلي يبدي رأيه في علوية ومخارق وجدت في بعض الكتب عن علي بن محمد البسامي عن جده حمدون بن إسماعيل قال: غنى علوية يوماً بين يدي إسحاق الموصلي:

هجرتك إشفاقاً عليك من الأذى ... وخوف الأعادي واتقاء النمائم

فقال له إسحاق: أحسنت يا أبا الحسن أحسنت واستعاده ثلاثاً وشرب فقال له علوية: يا أستاذ أين أنا الآن من صاحبي - يعني مخارقاً - مع قولك هذا لي فقال: لا ترد أن تعرف هذا قال: بي والله إلى معرفته أعظم الحاجة

فقال: إذا غنيتما ملكا اختاره عليك وأعطاه الجائزة دونك فضجر علوية وقال لإسحاق: أف من رضاك وغضبك!.

نسبة هذا الصوت صوت

هجرتك إشفاقاً عليك من الأذى وخوف الأعادي وإتقاء النمائم

وإني وذاك الهجر لو تعلمينه كسالية عن طفلها وهي رائم

الشعر لهلال بن عمرو الأسدي والغناء لعلوية ثقيل أول بالوسطى عن عمرو.

رأي الخريمي في علوية ومخارق

وقال الجاحظ: قال أبو يعقوب الخريمي: ما رأيت كثلاثة رجال كانوا يأكلون الناس أكلاً حتى إذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الرصاص على النار: كان هشام بن الكلبي علامةً نسابةً ورواية للمثالب عيابة فإذا رأى الهيثم بن عدي ذاب كما يذوب الرصاص وكان علي بن الهيثم جونقاً مفقعاً نياً صاحب تقعر يستولي على كل كلام لا يحفل بخطيب ولا شاعر فإذا رأى موسى الضبي ذاب كما يذوب الرصاص وكان علوية واحد الناس في الغناء روايةً وحكاية ودراية وصنعة وجودة ضربٍ وأضرابٍ وحسن خلق فإذا رأى مخارقاً ذاب كما يذوب الرصاص على النار.

حج سنة حجت أم جعفر بسبب جاريتها

أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب عن ابن خرداذبه قال: هوي مخارقٌ جارية لأم جعفر فحج في السنة التي حجت فيها أم جعفر بسبب الجارية فقال أحمد بن هشام فيه:

يحج الناس من بر وتقوى وحج أبي المهنا للتصابي

وهب المعتصم دار مخارق ليونازة خليفة الأفشين فقال عيسى ابن زينب شعراً في ذلك قال: وكان المعتصم قد وهب دار مخارق لما قدم بغداد ليونازة خليفة الأفشين فقال عيسى ابن زينب في ذلك:

يا دار غير رسمها يونازه وبقي مخارق قاعداً في فازه

أم جعفر تهب له جاريتها بهار أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة وحدثني محمد بن يحيى الصولي قال: وجدت بخط عبد الله بن الحسين: حدثني الحسن بن إبراهيم بن رياح قالا: كان مخارق يهوى جارية لأم جعفر يقال لها بهار ويستر ذلك عن أم جعفر حتى بلغها ذلك فأقصته ومنعته من المرور ببابها وكان بها كلفاً. قال الصولي في خبره: فلما علم أن الخبر قد بلغ أم جعفر قطعها وتجافاها إجلالاً لأم جعفر وطمعاً في السلو عنها وضاق ذرعه بذلك فبينا هو ذات ليلة في زلالٍ وقد انصرف من دار المأمون وأم جعفر تشرب على دجلة إذ حاذى دارها فرأى الشمع يزهر فيها فلما صار بمسمعٍ منها ومرأى اندفع فغنى: صوت

إن تمنعوني ممري قرب دارهم فسوف أنظر من بعد إلى الدار

سيما الهوى شهرت حتى عرفت بها أني محب وما بالحب من عار

ما ضر جيرانكم والله يصلحهم لولا شقائيإقبالي وإدباري

لا يقدرون على منعي ولو جهد وا إذا مررت وتسليمي بإضماري

فقالت أم جعفر: مخارقٌ والله ردوه فصاحوا بملاحه: قدم فقدم وأمره الخدم بالصعود فصعد وأمرت له أم جعفر بكرسي وصينية فيها نبيذ فشرب وخلعت عليه وأمرت الجواري فغنين ثم ضربن عليه فغنى فكان أول ما غنى: صوت

أغيب عنك بود ما يغيره نأي المحل ولا صرفٌ من الزمن

فإن أعش فلعل الدهر يجمعنا وإن أمت فقتيل الهم والحزن

قد حسن الله في عيني ما صنعت حتى أرى حسناً ما ليس بالحسن

الشعر للعباس بن الأحنف والغناء لمخارق رمل.

قال: فاندفعت بهار فغنت كأنها تباينه وإنما أجابته عن مغنى ما عرض لها به:

تعتل بالشغل عنا ما تلم بنا والشغل للقلب ليس الشغل للبدن

ففطنت أم جعفر أنها خاطبته في نفسها فضحكت وقالت: ما سمعنا بأملح مما صنعتما وقال إسماعيل بن يونس في خبره: ووهبتها له.

غنى المأمون حين قدم مكة أحدث صوت صنعه وقال هارون بن الزيات: حدثني هارون بن مخارق عن أبيه: أن المأمون سأله لما قدم مكة عن أحدث صوت صنعه فغناه: صوت

أقبلت تحصب الجمار وأقبلت لرمي الجمار من عرفات

ليتني كنت في الجمار أنا المح صوب من كف زينبٍ حصيات

الشعر للنميري والغناء لمخارق خفيف رمل بالبنصر قال: فضحك ثم قال: لعمري إن هذا لأحدث ما صنعت ولقد قنعت بيسير وما أظن بهار كانت تبخل عليك بأن تحصبك بحصاة كما تحصب الجمار. واستعاده الصوت مرات.

غنى بشعر للمأمون في جارية له فابكاه أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني هارون بن مخارق قال: حدثني أبي قال: كنا عند المأمون يوماً فجاءه الخادم الحرمي فأسر إليه شيئاً فوثب فدخل معه ثم أبطأ علينا ساعة وعاود

وعينه تذرف فقال لنا: دخلت الساعة إلى جارية لي كنت أتحظاها فوجدتها في الموت فسلمت عليها فلم تستطع رد السلام إلا إيماءً بإصبعها فقلت هذين البيتين:

فما اسطعت توديعاً له بسوى البكا وذلك جهد المستهام المعذب

ثم قال: إن فيها يا مخارق ففعلت فما استعادني ذلك الغناء قط إلا بكى.

حج رجل معه وغناه فوهب له حجته

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازةً قال: حدثني أحمد بن أبي العلاء قال: حدثني أبي قال: حج رجل مع مخارق فلما قضيا الحج وعادا قال له الرجل في بعض طريقه: بحقي عليك غنني صوتاً فغناه:

رحلنا فشرقنا وراحوا فغربوا ففاضت لروعات الفراق عيون

فرفع الرجل يده إلى السماء وقال: اللهم إني أشهدك أني قد وهبت حجتي له.

وفاته

وتوفي مخارق في أول خلافة المتوكل وقيل: بل في آخر خلافة الواثق وذكر ابن خرداذبه أن سبب وفاته أنه كان أكل قنبيطية باردةً فقتلته من فوره.

صوت

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة تروي مشاشي بعد موتي عروقها

ولا تدفنني بالفلاة فإنني أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

عروضه من الطويل ويروى: إذا رحت مدفوناً فلست أذوقها الشعر لأبي محجن الثقفي والغناء لإبراهيم الموصلي ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وفيه لحنين لحنٌ ذكره إبراهيم ولم يجنسه.

الجزء التاسع عشر

ذكر أبي محجن ونسبه

نسبه

أبو محجن عبد الله بن حبيب بن عمر بن عمير بن عوف بن عقدة بن عترة بن عوف بن قسي وهو ثقيف، وقد مضى نسبه في عدة مواضع.
وأبو محجن من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، وهو شاعر فارس شجاع معدود في أولي البأس والنجدة، وكان من المعاقرين للخمر المحدودين في شربها.

نفاه عمر بجزيرة حضوضي مع ابن جهراء

ففر منه.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن الحسن الأحول، عن ابن الأعرابي، عن المفضل، قال: لما كثر شرب أبي محجن الخمر، وأقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليه الحد مراراً وهو لا ينتهي، نفاه إلى جزيرة في البحر يقال لها حضوضى ، وبعث معه حرسياً يقال له ابن جهراء، فهرب منه على ساحل البحر، ولحق بسعد بن أبي وقاص، وقال في ذلك يذكر هربه من ابن جهراء:

الحمد لله نجاني وخلصني ... من ابن جهراء والبوصي قد حبسا
من يجشم البحر والبوصي مركبه ... إلى حضوضى فبئس المركب التمسا
أبلغ لديك أبا حفص مغلغلة ... عبد الإله إذا ما غار أو جلسا
أني أكر على الأولى إذا فزعوا ... يوماً وأحبس تحت الراية الفرسا
أغشى الهياج وتغشاني مضاعفة ... من الحديد إذا ما بعضهم خنسا

أحب الشموس الأنصارية فشكاه زوجها لعمر

هذه رواية ابن الأعرابي عن المفضل، قال ابن الأعرابي: وحدثني ابن دأب بسبب نفي عمر إياه، فذكر أن أبا محجن هوي امرأة من الأنصار يقال لها شموس، فحاول النظر إليها بكل حيلة، فلم يقدر عليها، فآجر نفسه من عامل يعمل في حائط إلى جانب منزلها، فأشرف من كوة في البستان، فرآها فأنشأ يقول:

وقد نظرت إلى الشموس ودونها ... حرج من الرحمن غير قليل

قد كنت أحسبني كأغنى واحد ورد المدينة عن زراعة فول

رجع إلى حديث فراره من ابن جهراء

فاستعدى زوجها عليه عمر بن الخطاب، فنفاه إلى حضوضى، وبعث معه رجلاً يقال له ابن جهراء قد كان أبو بكر رضي الله عنه يستعين به، قال له عمر: لا تدع أبا محجن يخرج معه سيفاً، فعمد أبو محجن إلى سيفه فجعل نصله في غرارة وجعل جفنة في غرارة أخرى، فيهما دقيق له.

فلما انتهى به إلى الساحل وقرب البوصي اشترى أبو محجن شاة وقال لابن جهراء: هلم نتغد ووثب إلى الغرارة كأنه يخرج منها دقيقاً فأخذ السيف، فلما رآه ابن جهراء والسيف في يده خرج يعدو حتى ركب بعيره راجعاً إلى عمر، فأخبر الخبر.

قاتل العجم يوم أرماث

بعد أطلقته امرأة سعد بن أبي وقاص

وأقبل أبو محجن إلى سعد بن أبي وقاص وهو يقاتل العجم يوم القادسية، وبلغ عمر خبره، فكتب إلى سعد بحبسه، فلما كان يوم أرماث ؛ والتحم القتال سأل أبو محجن امرأة سعد أن تعطيه فرس سعد وتحل قيده ليقاتل المشركين، فإن استشهد فلا تبعة عليه، وإن سلم عاد حتى يضع رجله في القيد، فأعطته الفرس، وخلت سبيله، وعاهدها على الوفاء، فقاتل فأبلى بلاء حسناً إلى الليل، ثم عاد إلى حبسه.

حدثني بهذا الحديث عمي عن الخزاز، عن المدائني، عن إبراهيم بن حكيم، عن عاصم بن عروة: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه غرب رجلاً من ثقيف وهو أبو محجن، وكان يدمن الخمر وأمر ابن جهراء النصري ورجلاً آخر أن يحملاه في البحر، وذكر الخبر مثل الذي قبله، وزاد فيه: وقال أبو محجن أيضاً:

صاحبا سوء صحبتهما صاحباني يوم ارتحل

ويقولان :ارتحل معنا فأنادي : إنني ثمل

إنني باكرت مترعة مزة راووقها خضل

الغناء في البيتين الأخيرين لنشو خفيف رمل وأوله:

ويقولان اصطبح معنا

قال الأصبهاني: وهذه القصة كانت لأبي محجن في يوم من أيام حرب القادسية يقال له: يوم أرماث، وكانت أيامها المشهورة يوم أغواث ويوم أرماث ويوم الكتائب وخبرها يطول جداً؛ وليس في كلها كان لأبي محجن

خبر، وإنما ذكرنا ها هنا خبره، فذكرنا منها مان كان اتصاله بخبر أبي محجن.

حدثنا بذلك محمد بن جرير الطبري، قال: كتب إلي السري بن يحيى؛ ذكر عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن طلحة وزياد وابن مخراق، عن رجل من طيء قال: لما كان يوم الكتائب اقتتل المسلمون والفرس منذ أصبحوا إلى أن انتصف النهار، فلما غابت الشمس تزاحف الناس فاقتتلوا حتى انتصف الليل؛ وهذه الليلة التي كان في صبيحتها يوم أرماث، وقد كان المسلمون يوم أغواث أشرفوا على الظفر وقتلوا عامة أعلام الفرس، وجالت خيلهم في القلب، فلولا أن رجلهم ثبتوا حتى كرت الخيل لكان رئيسهم قد أخذ؛ لأنه كان يترل عن فرسه؛ ويجلس على سريره، ويأمر الناس بالقتال؛ قالوا: فلما انتصف الليل تحاجز الناس، وبات المسلمون ينتمون منذ لدن أمسوا.

وسمع ذلك سعد فاستلقى لينام، وقال لبعض من عنده: إن تم الناس على الانتماء فلا توقظني فإنهم أقوياء على عدوهم؛ وإن سكتوا وسكت العدو فلا تنبهني فإنهم على السواء؛ وإن سمعت العدو ينتمون وهؤلاء سكوت فأنبهني فإن انتماء العدو من السوء.

قالوا: ولما اشتد القتال في تلك الليلة، وكان أبو محجن قد حبسه سعد بكتاب عمر، وقيده فهو في القصر، صعد أبو محجن إلى سعد يستغفيه ويستقيله، فزبره ورده، فترل فأتى سلمى بنت أبي حفصة فقال: يا بنت آل حفصة، هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: تخلين عني وتعيرينني البلقاء، فلله علي إن سلمني الله أن أرجع إلى حضرتك حتى تضعي رجلي في قيدي. فقالت: وما أنا وذاك؟ فرجع يرسف في قيوده ويقول:

كفى حزناً أن تردي الخيل بالقنا ... وأترك مشدوداً علي وثاقيا

إذا قمت عناني الحديد وغلقت ... مصاريع من دوني تصم المناديا

وقد كنت ذا مال كثيرة وإخوة ... فقد تركوني واحداً لا أخا ليا

وقد شف جسمي أنني كل شارق ... أعالج كبلاً مصمتاً قد برانيا

فلله دري يوم أترك موثقاً ... وتذهل عني أسرتي ورجاليا

حبسياً عن الحرب العوان وقد بدت ... وإعمال غيري يوم ذاك العواليا

ولله عهد لا أخيس بعهده ... لئن فرجت ألا أزور الحوانيا

فقالت له سلمى: إني قد استخرت الله ورضيت بعهدك، فأطلقته وقالت: أما الفرس فلا أعيرها، ورجعت إلى بيتها، فاقتادها أبو محجن وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق، فركبها ذم دب عليها، حتى إذا كان بحيال الميمنة، وأضاء النهار، وتصاف الناس، كبر، ثم حمل على ميسرة القوم فلعب برمحه وسلاحه بين الصفين، ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب فبدر أمام الناس، فحمل على القوم فلعب بين الصفين برمحه وسلاحه، وكان

يقصف الناس ليلتئذ قصفاً منكراً؛ فعجب الناس منه وهم لا يعرفونه و لم يروه بالأمس، فقال بعض القوم: هذا من أوائل أصحاب هشام بن عتبة أو هشام بنفسه. وقال قوم: إن كان الخضر يشهد الحروب فهو صاحب البلقاء. وقال آخرون: لولا أن الملائكة لا تباشر القتال ظاهراً لقلنا هذا ملاك بيننا؛ وجعل سعد يقول -وهو مشرف ينظر إليه-: الطعن طعن أبي محجن، والضبر ضبر البلقاء . ولولا محبس أبي محجن لقلت: هذا أبو محجن وهذه البلقاء، فلم يزل يقاتل حتى انتصف الليل، فتحاجز أهل العسكرين وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر، ووضع عن نفسه ودابته، وأعاد رجليه في القيد، وأنشأ يقول:

لقد علمت ثقيف غير فخر ... بأنا نحن أكرمهم سيوفا

وأكثرهم دروعاً سابغات ... وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا

وأنا رفدهم في كل يوم ... فإن جحدوا فسل بهم عريفا

وليلة قادس لم يشعروا بي ... ولم أكره بمخرجي الزحوفا

فإن أحبس فقد عرفوا بلائي ... وإن أطلق أجرعهم حتوفا

فقالت له سلمى: يا أبا محجن؛ في أي شيء حبسك هذا الرجل؟ فقال: أما والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته، ولكني كنت صاحب شراب في الجاهلية وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني فينفثه أحياناً، فحبسني لأني قلت:

إذا مت فادفني إلى أصل كرمة ... تروي عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفنني في الفلاة فإنني ... أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

ليروى بخمر الحص لحمي فإنني ... أسير لها من بعد ما قد أسوقها

سعد بن أبي وقاص يعلم خبر إطلاقه وصدق قتاله فيفرج عنه قال: وكانت سلمى قد رأت في المسلمين جولة، وسعد بن أبي وقاص في القصر لعلة كانت به، لم يقدر معها على حضور الحرب، وكانت قبله عند المثنى بن حارثة الشيباني! فلما قتل خلف عليها سعد، فلما رأت شدة البأس صاحت: وامثنياه ولا مثنى لي اليوم، فلطمها سعد، فقالت: أف لك، أجبناً وغيرة؟ وكانت مغاضبة لسعد عشية أرماث وليلة الهدأة وليلة السواد، حتى إذا أصبحت أتته وصالحته، وأخبرته خبر أبي محجن، فدعا به وأطلقه وقال: اذهب فلست مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله، قال: لا جرم، والله إن لا أجبت لساني إلى صفة قبيح أبداً.

خرج مع سعد لحرب الأعاجم أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، وحبيب بن نصر المهلبي، قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا محمد بن حاتم، قال: حدثنا محمد بن حازم، قال: حدثنا عمرو بن المهاجر، عن إبراهيم بن محمد بن سعد، عن أبيه، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن الحسن بن دينار مولى بني هاشم، عن ابن الأعرابي عن المفضل، وروايته أتم، قالوا: كان أبو محجن الثقفي فيمن خرج مع سعد بن أبي

وقاص لحرب الأعاجم فكان سعد يؤتى به شارباً فيتهدده فيقول له: لست تاركها إلا لله عز وجل؛ فأما لقولك فلا. قالوا: فأتي به يوم القادسية وقد شرب الخمر؛ فأمر به إلى القيد، وكانت بسعد جراحة فلم يخرج يومئذ إلى الناس؛ فاستعمل على الخيل خالد بن عرفطة، فلما التقى الناس قال أبو محجن:

كفى حزناً أن تردي الخيل بالقنا وأترك مشدوداً علي وثاقيا

يقسم على ألا يشرب الخمر بعد أن عفا عنه سعد وذكر والأبيات وسائر خبره مثل ما ذكره محمد بن جرير، وزاد فيه: فجاءت زبراء امرأة سعد -هكذا قال: والصحيح أنها سلمى- فأخبرت سعداً بخبره؛ فقال سعد: أما والله لا أضرب اليوم رجلاً أبلى الله المسلمين على يده ما أبلاهم، فخلى سبيله، فقال أبو محجن: قد كنت أشربها إذ كان الحد يقام علي وأطهر منها، فأما إذ بهرجتني فلا والله لا أشربها أبداً. وقال ابن الأعرابي في خبره: وقال أبو محجن في ذلك:

إن كانت الخمر قد عزت وقد منعت وحال من دونها الإسلام والحرج

فقد أباكرها صرفاً وأمزجها رياً وأطرب أحياناً وأمتزج

وقد تقوم على رأسي منعمة خود إذا رفعت في صوتها غنج

ترفع الصوت أحياناً وتخفضه كما يطم ذباب الروضة الهزج

يرد على امرأة ظنت أنه فر من المعركة أخبرني الجوهري والمهلبي قال: حدثنا عمر بن شبة وقال: لما انصرف أبو محجن ليعود إلى محبسه رأته امرأة فظنته منهزماً؛ فأنشأت تعيره بفراره:

من فارس كره الطعان يعيرني رمحاً إذا نزلوا بمن الصفر

فقال لها أبو محجن:

إن الكرام على الجياد مبيتهم فدعي الرماح لأهلها وتعطري

يرثي أبا عبيد بعد أن قتله الفيل

وذكر السري، عن شعيب، عن سيف في خبره، ووافقته رواية ابن الأعرابي عن المفضل: أن الناس لما التقوا مع العجم يوم قس الناطف، كان مع الأعاجم فيل يكر عليهم؛ فلا تقوم له الخيل؛ فقال أبو عبيد بن مسعود: هل له مقتل؟ فقيل له: نعم؛ خرطومه إلا أنه لا يفلت منه من ضرب؛ قال: فأنا أهب نفسي لله، وكمن له حتى إذا أقبل وثب إليه فضرب خرطومه بالسيف؛ فرمى به، ثم شد عليه الفيل فقتله، ثم استدار فطحن الأعاجم وانهزموا، فقال أبو محجن الثقفي يرثي أبا عبيد:

أنى تسدت نحونا أم يوسف ومن دون مسراها فياف مجاهل

إلى فتية بالطف نيلت سراتهم وغودر أفراس لهم ورواحل

وأضحى أبو جبر خلاء بيوته وقد كان يغشاها الضعاف الأرامل
وأضحى بنو عمرو لدى الجسر منهم إلى جانب الأبيات جود ونائل
وما لمت نفسي فيهم غير أنها لها أجل لم يأتها وهو عاجل
وما رمت حتى خرقوا بسلاحهم إهابي وجادت بالدماء الأباجل
وحتى رأيت مهرتي مزوئرة من النبل يدمى نحرها والشواكل
وما رحت حتى كنت آخر رائح وصرع حولي الصالحون الأماثل
مررت على الأنصار وسط رحالهم فقلت :ألا هل منكم اليوم قافل؟
وقربت رواحاً وكوراً ونمرقاً وغودر في أليس بكر ووائل
ألا لعن الله الذين يسرهم رداي وما يدرون ما الله فاعل

يقسم أن لا يشرب الخمر أبداً

قال الأخفش في روايته، عن الأحول، عن ابن الأعرابي، عن المفضل: قال أبو محجن في تركه الخمر:

رأيت الخمر صالحة وفيها مناقب تهلك الرجل الحليما
فلا والله أشربها حياتي ولا أسقي باه أبداً نديما

معاوية وابن أبي محجن

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن سعد الكراني قال: حدثنا العمري، عن لقيط، عن الهيثم بن عدي. وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قالوا: دخل ابن أبي محجن على معاوية، فقال له: أليس أبوك الذي يقول:

إذا مت فادفني إلى أصل كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فإنني أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

فقال ابن أبي محجن: لو شئت لذكرت ما هو أحسن من هذا من شعره؛ قال: وما ذاك؟ قال: قوله:

لا تسألي الناس عن مالي وكثرته وسائلي الناس ما فعلي وما خلقي
أعطي السنان غداة الروع حصته وعامل الرمح أرويه من العلق
وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض وأحفظ السر فيه ضربة العنق

عف المطالب عما لست نائله وإن ظلرمت شديد الحق والحنق

وقد أجود وما لي بذي فنع وقد أكر وراء المحجر البرق

والقوم أعلم أني من سراتهم إذا سما بصر الرعديدة الشفق

قد يعسر المرء حيناً وهو ذو كرم وقد يثوب سوام العاجز الحمق

سيكثر المال يوماً بعد قلته ويكتسي العود بن اليبس بالورق

فقال معاوية: لئن كنا أسأنا لك القول لنحسنن لك الصفد ، ثم أجزل جائزته وقال: إذا ولدت النساء فلتلد ملك!.

عمر بن الخطاب يحده وجماعة

من أصحابه في شربهم الخمر

أخبرني الحسن بن علي وعيسى بن الحسين الوراق، قالا: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني صالح بن عبد الرحمن الهاشمي، عن العمري، عن العتبي، قال: أيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجماعة فيهم أبو محجن الثقفي وقد شربوا الخمر، فقال: أشربتم الخمر بعد أن حرمها الله ورسوله، فقالوا: ما حرمها الله ولا رسوله؛ إن الله تعالى يقول: "ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات" ؛ فقال عمر لأصحابه: ما ترون فيهم؟ فاختلفوا فيهم فبعث إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فشاوره؛ فقال علي: إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغي أن يستحلوا الميتة والدم ولحم الخنزير؛ فسكتوا، فقال عمر لعلي: ما ترى فيهم؟ قال: أرى إن كانوا شربوها مستحلين لها أن يقتلوا، وإن كانوا شربوها وهم يؤمنين أنها حرام أن يحدوا، فسألهم؛ فقال: والله ما شككنا في أنها حرام، ولكنا قدرها أن لنا نجاة فيما قلناه، فجعل يحدهم رجلاً رجلاً، وهم يخرجون حتى انتهى إلى أبي محجن، فلما جلده أنشأ يقول:

ألم تر أن الدهر يعثر بالفتى ولا يستطيع المرء صرف المقادر

صبرت فلم أجزع ولم أك كائعاً لحادث دهر في الحكومة جائر

وإني لذو صبر وقد مات إخوتي ولست عن الصهباء يوماً بصابر

رماها أمير المؤمنين بحتفها فخلانها يبكون حول المعاصر

فلما سمع عمر قوله:

ولست عن الصهباء يوماً بصابر

قال: قد أبديت ما في نفسك ولأزيدنك عقوبة لإصرارك على شرب الخمر؛ فقال له علي عليه السلام: ما ذلك لك، وما يجوز أن تعاقب رجلاً قال: لأفعلن وهو لم يفعل، وقد قال الله في سورة الشعراء: "وأنهم يقولون ما لا يفعلون" ، فقال عمر: قد استثنى الله منهم قوماً فقال: "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات" . فقال علي عليه السلام: أفهؤلاء عندك منهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يشرب العبد الخمر حين يشربها وهو مؤمن".

قبره في أذربيجان نبتت عليه كرمة

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس، قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، قال: أخبرني من مر بقبر أبي محجن الثقفي في نواحي أذربيجان -أو قال في نواحي جرجان- فرأيت قبره وقد نبتت عليه ثلاثة أصول كرم قد طالت وأثمرت وهي معروشة، وعلى قبره مكتوب: هذا قبر أبي محجن الثقفي، فوقفت طويلاً أتعجب مما اتفق له حتى صار كأمنية بلغها حيث يقول:

إذا مت فادفني إلى أصل كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها

صوت

ألا يا لقومي لا أرى النجم طالعاً ولا الشمس إلا حاجبي بيميني
معزيتي خلف القفا بعمودها فجل نكيري أن أقول ذريني
أمين على أسرارهن وقد أرى أكون على الأسرار غير أمين
فللموت خير من حداج موطأ مع الظعن لا يأتي المحل لحين

عروضه من الطويل؛ والمعزية: امرأة تكون مع الشيخ الخرف تكلؤه. وقوله: أمين على أسرارهن.

أي أن النساء صرن يتحدثن بين يدي بأسرارهن، ويفعلن ما كن قبل ذلك يرهبني فيه؛ لأني لا أضرهن. والحداج والحذج: مركب من مراكب النساء.

الشعر لزهير بن جناب الكلبي، والغناء لأهل مكة، ولحنه من خفيف الثقيل الأول بالوسطى عن الهشامي وحبش، وفيه لحنين ثاني ثقيل بالوسطى.

أخبار زهير بن جناب ونسبه

نسبه

زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.

شاعر جاهلي،وهو أحد المعمرين، وكان سيد بني كلب وقائدهم في حروبهم، وكان شجاعا مظفرا ميمون النقيبة في غزواته، وهو أحد من مل عمره فشرب الخمر صرفا حتى قتلته.

و لم يوجد شاعر في الجاهلية والإسلام ولد من الشعراء أكثر ممن ولد زهير، وسأذكر أسماءهم وشيئا من شعرهم بعقب ذكر خبره إن شاء الله تعالى.

سبب غزوه غطفان

قال ابن الأعرابي: كان سبب غزوة زهير بن جناب غطفان أن بني بغيض حين خرجوا من تهامة ساروا بأجمعهم، فتعرضت لهم صداء وهي قبيلة من مذحج، فقاتلوهم وبنو بغيض سائرون بأهليهم ونسائهم وأموالهم، فقاتلوا عن حريمهم فظهروا على صداء فأوجعوا فيهم ونكأوا ، وعزت بنو بغيض بذلك وأثرت وأصابت غنائم؛ فلما رأوا ذلك قالوا: أما والله لنتخذن حرما مثل حرم مكة لا يقتل صيده، ولا يعضد شجره، ولا يهاج عائذه ، فوليت ذلك بنو مرة بن عوف.

ثم كان القائم على أمر الحرم وبناء حائطه رياح بن ظالم، ففعلوا ذلك وهم على ماء لهم يقال له بس وبلغ فعلهم وما أجمعوا عليه زهير بن جناب وهو يومئذ سيد بني كلب؛ فقال: والله لايكون ذلك أبدا وأنا حي، ولا أحلي غطفان تتخذ حرما أبدا.

قبل فارسهم الأسير ورد نساءهم وقال شعرا في ذلك.

فنادى في قومه فاجتمعوا إليه فقام فيهم، فذكر حال غطفان وما بلغه عنها؛ وأن أكرم مأثرة يعتقدها هو وقومه أن يمنعوهم من ذلك وحولوا بينهم، فأجابوه، واستمد بني القين من جشم فأبعوا أن يغزوا معه، فسار في قومه حتى غزا غطفان؛ فقاتلهم فظفر بهم زهير وأصاب حاجته فيهم، وأخذ فارسا منهم أسيرا في حرمهم الذي بنوه، فقال لبعض أصحابه: اضرب رقبته، فقال، إنه بسل فقال زهير: وأبيك ما بسل علي بحرام.

ثم قام إليه فضرب عنقه وعطل ذلك الحرم؛ ثم من على غطفان ورد النساء واستاق الأموال؛ وقال زهير في ذلك:

ولم تصبر لنا غطفان لما ... تلاقينا وأحرزت النساء

فلولا الفضل منا ما رجعتم ... إلى عذراء شيمتها الحياة

وكم غادرتم بطلا كميا ... لدى الهيجاء كان له غناء

فدونكم ديونا فاطلبوها ... وأوتارا ودونكم اللقاء

فإنا حيث لانخفي عليكم ... ليوث حين يحتضر اللواء

فخلى بعدها غطفان بسا ... وما غطفان والأرض الفضاء!
فقد أضحى لحي بني جناب ... فضاء الأرض والماء الرواء
ويصدق طعننا في كل يوم ... وعند الطعن يختبر اللقاء
نفينا نخوة الأعداء عنا ... بأرماح أسنتها ظماء
ولولا صبرنا يوم التقينا ... لقينا مثل ما لقيت صداء
غداة تعرضوا لبني بغيض ... وصدق الطعن للنوكى شفاء
وقد هربت حذار الموت قين ... على آثار من ذهب العفاء
وقد كنا رجونا أن يمدوا ... فأخلفنا من أخوتنا الرجاء
وألهى القين عن نصر الموالي ... حلاب النيب والمرعى الضراء

طعنه ابن زيابة وظن أنه مات فحمل إلى قومه وعوفي وقال أبو عمرو الشيباني: كان أبرهة حين طلع نجدا أتاه زهير بن جناب، فأكرمه أبرهة وفضله على من أتاه من العرب، ثم أمره على ابني وائل: تغلب وبكر، فوليهم حتى أصابتهم سنة شديدة، فاشتد عليهم ما يطلب منهم زهير، فأقام بهم زهير في الجدب، ومنعهم من النجعة حتى يؤدوا ما عليهم، فكادت مواشيهم تهلك. فلما رأى ذلك ابن زيابه-أحد بني تيم الله بن ثعلبة، وكان رجلا فاتكا-بيت زهيرا وكان نائما في قبة له من أدم، فدخل فألفى زهيرا نائما، وكان رجلا عظيم البطن، فاعتمد التيمي بالسيف على بطن زهير حتى أخرجه من ظهره مارقا بين الصفاق، ولمت أعفاج بطنه ، وظن التيمي أنه قد قتله، وعلم زهير أنه قد سلم، فتخوف أن يتحرك فيجهز عليه، فسكت. وانصرف ابن زيابة إلى قومه، فقال لهم: قد-والله-قتلت زهيرا وكفيتكموه، فسرهم ذلك. ولما علم زهير أنه لم يقدم عليه إلا عن ملأمن قومه بكر وتغلب- وإنما مع زهير نفر من قومه بمنزلة الشرط-أمر زهير قومه فغيبوه بين عمودين في ثياب ثم أتوا القوم فقالوا لهم: إنكم قد فعلتم بصاحبنا ما فعلتم، فأذنوا لنا في دفنه، ففعلوا.

شعر ابن زيابة في نبو سيفه عنه فحملوا زهيرا ملفوفا في عمودين والثياب عليه، حتى إذا بعدوا عن القوم أخرجوه فلففوه في ثيابه، ثم حفروا حفيرة وعمقوا، ودفنوا فيها العمودين، ثم ساروا ومعهم زهير، فلما بلغ زهير أرض قومه جمع لبكر وتغلب الجموع، وباغهم أن زهيرا حي، فقال ابن زيابة:

طعنة ما طعنت في غبش اللي ... ل زهيرا وقد توافى الخصوم

حين تجبي له المواسم بكر ... أين بكر، وأين منها الحلوم!
خانني السيف إذ طعنت زهيرا ... وهو سيف مضلل مشؤوم

غزا بكرا وتغلب وشعره في ذلك

قال: وجمع زهير بني كلب ومن تجمع له من شذاذ العرب والقبائل ، ومن أطاعه من أهل اليمن، فغزا بكرا وتغلب ابني وائل، وهم على ماء يقال له الحبي ، وقد كانوا نذروا به، فقاتلهم قتالا شديدا، ثم انهزمت بكر وأسلمت بني تغلب، فقاتلت شيئا من قتال ثم انهزمت، وأسر كليب ومهلهل ابنا ربيعة، واستيقت الأموال، وقتلت كلب في تغلب قتلى كثيرة، وأسروا جماعة من فرسانهم ووجوههم، وقال زهير بن جناب في ذلك:

تبا لتغلب أن تساق نساؤهم ... سوق الإماء إلى المواسم عطلا

لحقت أوائل خيلنا سرعانهم ... حتى أسرن على الحبي مهلهلا

إنامهلهلما تطيش رماحنا ... أيام تنقف في يديك الحنظلا

ولت حماتك هاربين من الوغى ... وبقيت في حلق الحديد مكبلا

فلئن قهرت لقد أسرتك عنوة ... ولئن قتلت لقد تكون مؤملا

وقال أيضا يعير بني تغلب بهذه الواقعة في قصيدة أولها:

حي دارا تغيرت بالجناب ... اقفرت من كواعب أتراب

يقول فيها:

أين أين الفرار من حذر المو ... ت وإذ يتقون بالأسلاب!

إذ أسرنا مهلهلا وأخاه ... وابن عمرو في القد وابن شهاب

وسبينا من تغلب كل بيضا ... ء رقود الضحى برود الرضاب

يوم يدعو مهلهل بالبكر ... ها أهذي حفيظة الأحساب!

ويحكم ويحكم أبيح حمامكم ... يا بني تغلب أما من ضراب!

وهم هاربون في كل فج ... كشريد النعام فوق الروابي

واستدارت رحى المنايا عليهم ... بليوث من عامر وجناب

طحنتهم أرحاؤها بطحون ... ذات ظفر حديدة الأنياب

فهم بين هارب ليس يألو ... وقتيل معفر في التراب

فضل العز عزنا حين نسمو ... مثل فضل السماء فوق السحاب

وفد مع أخيه حارثة أحد ملوك غسان

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا عمي، عن ابن الكلبي، عن أبيه، قال: وفد زهير بن جناب وأخوه حارثة على بعض ملوك غسان، فلما دخلا عليه حدثاه وأنشداه، فأعجب بهما ونادمهما، فقال يوماً لهما: إن أمي عليلة شديدة العلة، وقد أعياني دواؤها، فهل تعرفان لها دواء؟ فقال حارثة: كميرة حارة -وكانت فيه لوثة- فقال الملك: أي شيء قلت؟ فقال له زهير: كميئة حارة تطعمها، فوثب الملك -وقد فهم الأولى والآخرة- يريهما أنه يأمر بإصلاح الكمأة لها، وحلم عن مقالة. وقال حارثة لزهير: يا زهير اقلب ما شئت ينقلب، فأرسلها مثلاً.

ذهب عقله آخره عمره فكان يخرج فيرد

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن الغيث الباهلي عن أبيه، قال: كان من حديث زهير بن جناب الكلبي أنه كان قد بلغ عمراً طويلاً حتى ذهب عقله، وكان يخرج تائهاً لا يدري أين يذهب، فتلحقه المرأة من أهله والصبي، فترده وتقول له: إن أخاف عليك الذئب أن يأكلك، فأين تذهب؟ فذهب يوماً من أيامه، ولحقته ابنة له فردته، فرجع معها وهو يهدج كأنه رأل ، وراحت عليهم سماء في الصيف فعلتهم منها بغشة ثم أردفها غيث، فنظر وسمع له الشيخ زجلاً منكراً. فقال: ما هذا يا بنية؟ فقالت: عارض هائل إن أصابنا دون أهلنا هلكنا، فقال: انعتيه لي، فقالت: أراه منبطحاً مسلنطحاً ، قد ضاق ذرعاً وركب ردعاً ، ذا هيدب يطير، وهماهم وزفير، ينهض نهض الطير الكسير، عليه مثل شباريق الساج، في ظلمة الليل الداج، يتضاحك مثل شعل النيران، تهرب منه الطير، وتوائل منه الحشرة. قال: أي بنية، وائلي منه إلى عصر قبل أن لا عين ولا أثر.

كان يدعى الكاهن لصحة رأيه

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثني أحمد بن عبيد، عن ابن الكلبي، عن أبيه، عن مشيخة من الكلبيين قالوا:

عاش زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله ومائتي سنة أوقع فيها مائتي وقعة في العرب، و لم تجتمع قضاعة إلا عليه وعلى حن بن زيد العذري، و لم يكن في اليمن أشجع ولا أخطب ولا أوجه عند الملوك من زهير. وكان يدعى الكاهن، لصحة رأيه.

عمر حتى مل عمره، وشعره في ذلك

قال هشام: ذكر حماد الراوية أن زهيراً عاش أربعمائة وخمسين سنة، قال: وقال الشرقي بن القطامي: عاش زهير أربعمائة سنة، فرأته ابنة له فقالت لابن ابنها: خذ بيد جدك، فقال له: من أنت؟ فقال: فلان بن فلان بن فلانة، فأنشأ يقول:

أبني إن أهلك فقد ... أورثتكم مجداً بنيه
وتركتكم أبناء سا ... دات زنادكم وريه
ولكل ما نال الفتى ... قد نلته إلا التحيه
والموت خير للفتى ... فليلكهن وبه بقيه
من أن يرى الشيخ البجا ... ل وقد تهادى بالعشيه
ولقد شهدت النار للأس ... لاف توقد في طميه
ولقد رحلت البازل ال ... كوماء ليس لها وليه
وخطبت خطبة ماجد ... غير الضعيف ولا العييه
ولقد غدوت بمشرف ال ... قطرين لم يغمز شظيه
فأصبت من بقر الجنا ... ب ضحى ومن حمر القفيه

قال ابن الكلبي: وقال زهير في كبره أيضاً:

ألا يا لقومي لا أرى النجم طالعاً ... ولا الشمس إلا حاجبي بيميني
معزبتي عند القفا بعمودها ... فأقصى نكيري أن أقول ذريني
أمين على أسرارهن وقد أرى ... أكون على الأسرار غير أمين
فللموت خير من حداج موطأ ... على الظعن لا يأتي المحل لحين

قال: وقال زهير أيضاً في كبره:

إن تنسني الأيام إلا جلالة ... أمت حين لا تأسى علي العوائد
فيأذى بي الأدنى ويشمت بي العد ... ويأمن كيدي الكاشحون الأباعد

قال: وقال زهير أيضاً:

لقد عمرت حتى لا أبالي ... احتفي في صباحي أم مسائي
وحق لمن أتت مائتان عاماً ... عليه أن يمل من الثواء
شهدت الموقدين على خزازى ... وبالسلان جمعاً ذا زهاء
ونادمت الملوك من آل عمرو ... وبعدهم بني ماء السماء

خالفه ابن أخيه فشرب الخمر

قال ابن الكلب: وكان زهير إذا قال: ألا إن الحي طاعن، ظعنت قضاعة؛ وإذا قال: ألا أن الحي مقيم، نزلوا وأقاموا. فلما أن أسن نصب ابن أخيه عبد الله بن عليم للرياسة في كلب، وطمع أن يكون كعمه وتجتمع قضاعة كلها عليه، فقال زهير يوماً: ألا إن الحي ظاعن، فقال عبد الله: ألا إن الحي مقيم، فقال زهير: ألا إن الحي مقيم، فقال عبد الله: ألا إن الحي ظاعن، فقال زهير: من هذا المخالف علي منذ اليوم؟ فقالوا: ابن أخيك عبد الله بن عليم، فقال: أعدى الناس للمرء ابن أخيه إلا أنه لا يدع قاتل عمه أو يقتله. ثم أنشأ يقول:

وكيف بمن لا أستطيع فراقه ... ومن هو إن لم تجمع الدار آلف !

أمير شقاق إن أقم لا يقم معي ... ويرحل، وإن أرحل يقم ويخالف

ثم شرب الخمر صرفاً حتى مات.

قال: وممن شرب الخمر صرفاً حتى مات عمرو بن كلثون التغلبي، وأبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة.

قال هشام : عاش هبل بن عبد الله جد زهير بن جناب ستمائة سنة وسبعين، وهو القائل:

يا رب يوم قد غني فيه هبل ... له نوال ودرور وجذل

كأنه في العز عوف أو حجل

قال: عوف وحجل: قبيلتان من كلب.

كان نازلاً مع الجلاح بن عوف

فأنذرته فخالفه الجلاح فرحل هو وقال شعراً.

وقال أبو عمر الشيباني: كان الجلاح بن عوف السحمي قد وطأ لزهير بن جناب وأنزله معه، فلم يزل في جناحه حتى كثر ماله وولده، وكانت أخت زهير متزوجة في بني القين بن جسر، فجاء رسولها إلى زهير ومعه برد فيه صرار رمل وشوكة قتاد، فقال زهير لأصحابه: أتتكم شوكة شديدة، وعدد كثير فاحتملوا، فقال له الجلاح: أنحتمل لقول امرأة! والله لا نفعل، فقال زهير:

أما الجلاح فإنني فارقته ... لا عن قلى ولقد تشط بنا النوى

فلئن ظعنت لأصبحن مخيماً ... ولئن أقمت لأظعنن على هوى

قال: فأقام الجلاح، وظعن زهير، وصبحهم فقتل عامة قوم الجلاح وذهبوا بماله.

قال: واسم الجلاح عامر بن عوف بن بكر بن عامر بن عوف بن عذرة.

اجتمع مع عشيرته فقصده الجيش

فهزمهم وقتل رئيساً منهم

ومضى زهير لوجهه حتى اجتمع مع عشيرته من بني جناب، وبلغ الجيش خبره فقصدوه، فحاربهم وثبت لهم فهزمهم وقتل رئيساً منهم، فانصرفوا عنه خائبين، فقال زهير:

أمن آل سلمى ذا الخيال المؤرق ... وقد يمق الطيف الغريب المشوق
وأنى اهتدت سلمى لوجه محلنا ... وما دونها من مهمه الأرض يخفق
فلم تر إلا هاجعاً عند حرة ... على ظهرها كور عتيق ونمرق
ولما رأتني والطليح تبسمت ... كما انهل أعلى عارض يتألق
فحييت عنا زودينا تحية ... لعل بها العاني من الكبل يطلق
فردت سلاماً ثم ولت بحاجة ... ونحن لعمري يابنة الخير أشوق
فيا طيب ما ريا ويا حسن منظر ... لهوت به لو أن رؤياك تصدق
ويوم أثالى قد عرفت رسومها ... فعجنا إليها والدموع ترقرق
وكادت تبين القول لما سألتها ... وتخبرني لو كانت الدار تنطق
فيا دار سلمى هجت للعين عبرة ... فماء الهوى يرفض أو يترقرق

وقال زهير في هذه القصيدة يذكر خلا الجلاح عليه:

أيا قومنا إن تقبلوا فانتهوا ... وإلا فأنياب من الحرب تحرق
فجاءوا إلى رجراجة مكفهرة ... يكاد المدير نحوها الطرف يصعق
سيوف وأرماح بأيدي أعزة ... وموضونة مما أفاد محرق
فما برحوا حتى تركنا رئيسهم ... وقد مار فيه المضرحي المذلق
وكائن ترى من ماجد وابن ماجد ... له طعنة نجلاء للوجه يشهق

وقال زهير في ذلك أيضاً:

سائل أميمة عني هل وفيت لها ... أم هل منعت من المخزاة جيرانا
لا يمنع الضيف إلا ماجد بطل ... إن الكريم كريم أينما كانا
لما أبى جيرتي إلا مصممة ... تكسو الوجوه من المخزاة ألوانا
لمنا عليهم بورد لا كفاء له ... يفلقن بالبيض تحت النقع أبدانا
إذا ارجحنوا علونا هامهم قدماً ... كأنما نختلي بالهام خطبانا

كم من كريم هوى للوجه منعفراً قد اكتسى ثوبه في النقع ألوانا
ومن عميد تناهى بعد عثرته تبدو ندامته للقوم خزيانا

كل أولاده شعراء وهذه نماذج من شعرهم

وأما الشعراء من ولد زهير: فمنهم مصاد بن أسعد بن جنادة بن صهبان بن امرئ القيس بن زهير بن جناب، وهو القائل:

تمنيت أن تلقى لقاح ابن محرز وقبلك شامتها العيون النواظ
ممنحة في الأقربين مناخة وللضيف فيها والصديق معاقر
فهلا بني عيناء عاينت جمعهم بحالة إذا سدت عليك المصادر

ومنهم حريث بن عامر بن الحارث ابن امرئ القيس بن زهير بن جناب، وهو القائل:

أرى قومي بني قطن أرادوا بألا يتركوا بيدي مالا
فإن لم أجزهم غيظاص بغيظ وأوردهم على عجل شلالا
فليت التغلبية لم تلدني ولا أغنت بما ولدت قبالا

ومنهم الحزنبل بن سلامة بن زهير بن صهبان بن امرئ القيس بن زهير بن جناب، وهو القائل:

عبثت بمنخرق القميص كأنه وضح الهلال على الخمور معذل
يا سلم ويحك والخليل معاتب أزمعت أن تصلي سواء وتبخلي
لما رأيت بعارضي ولمتي غير المشيب على الشباب المبدل
صرمت حبل فتى يهش إلى الندى لو تطلبين نداه لم يتعلل
إنا لنصبر عند معترك الوغى ونبذ مكرمة الكريم المفضل

ومنهم غرير بن أبي جابر بن زهير بن جناب، وهو القائل:

أبلغ أبا عمرو وأن ت علي ذو النعم الجزيله
أنا منعنا أن تذل بلادكم وبنو جديله
وطرقتهم ليلا أخ برهم بهم ومعي وصيله
فصدقتهم خيري فطا روا في بلادهم الطويله

ومنهم عرفجة بن جنادة بن أبي النعمان بن زهير بن جناب، وهو القائل:

عفا أبرق العزاف من أم جابر فمنعرج الوادي عفا فحفير

فروض ثوير عن يمين روية كأن لم تربعه أوانس حور

رقاق الثنايا والوجوه، كأنها ظباء الفلا في لحظهن فتور

ومنهم المسيب بن رفل بن حارثة بن جناب بن قيس بن امرئ القيس بن أبي جابر بن زهير بن جناب، وهو القائل:

قتلنا يزيد بن المهلب بعدما تمنيتم أن يغلب الحق باطله

وما كان منكم في العراق منافق عن الدين إلا من قضاعة قاتله

تجلله قحل بأبيض صارم حسام جلا عن شفرتيه صياقله

يعني بالفحل ابن عياش بن شمر بن أبي سراحيل بن غرير بن أبي جابر بن زهير بن جناب، وهو الذي قتل يزيد بن المهلب.

ومن بني زهير شعراء كثير، ذكت منهم الفحول دون غيرهم.

صوت

تدعى الشوق إن نأت وتجنى إذا دنت

سرني لو صبرت عن ها فتجزى بما جنت

إن سلمى لو اتقت ربها في أنجزت

زرعت في الحشا الهوى وسقته حتى نبت

الشعر لمسلم بن الوليد، والغناء لعريب خفيف ثقيل. وقيل: إنه لأبي العبيس بن حمدون. وذكر الهشامي أن لإسحاق في: إن سلمى... وما بعده من الثقيل الأول بالبنصر.

نسب مسلم بن الوليد وأخباره

نسبه

وهو مسلم بن الوليد، أبوه الوليد مولى الأنصار ثم مولى أبي أمامة أسعد بن زرارة الخزرجي.

كان يلقب صريع الغواني

يلقب صريع الغواني، شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية، منشؤه ومولده الكوفة.
وهو -فيما زعموا- أول من قال الشعر المعروف بالبديع، هو لقب هذا الجنس البديع واللطيف . وتبعه فيه جماعة، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي فإنه جعل شعره كله مذهباً واحداً فيه. ومسلم كان متقناً متصرفاً في شعره.
أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: قال أبو العباس محمد بن يزيد: كان مسلم شاعراً حسن النمط، جيد القول في الشراب ، وكثير من الرواة يقرنه بأبي نواس في هذا المعنى. وهو أول من عقد هذه المعاني الظريفة واستخرجها.

اتهم بأنه أول من أفسد الشعر

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: سمعت أبي، يقول: أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد، جاء بهذا الذي سماه الناس البديع، ثم جاء الطائي بعده فتفنن فيه .

كان منقطعاً إلى يزيد بن يزيد

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم الدينوري، قال: كان مسلم بن الوليد وأخوه سليمان منقطعين إلى يزيد بن مزيد ومحمد بن منصور بن زياد، ثم الفضل بن سهل بعد ذلك. وقلد الفضل مسلماً المظالم بجرجان فمات بها.
أخبرني علي بن سليمان، قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: كان السبب في قول مسلم:

تدعي الشوق إن نأت وتجنى إذا دنت

غازل جارية منزلها في مهب الشمال

من منزله، ولم يكن يهواها

أنه علق جارية ذات ذكر وشرف ، وكان منزلها في مهب الشمال من منزله، وفي ذلك يقول: صوت

أحب الريح ما هبت شمالاً وأحسدها إذا هبت جنوبا
أهابك أن أبوح بذات نفسي وأفرق إن سألتك أن أخيبا
وأهجر صاحبي حب التجني عليه إذا تجنت الذنوبا
كأني حين أغضي عن سواكم أخاف لكم على عيني رقيبا

غنى عبد الله بن العباس الربيعي في هذه الأبيات هزجاً بالبنصر عن الهشامي.

كان يحب جاريته محبة شديدة

قال: وكانت له جارية يرسلها إليها ويبثها سره، وتعود إليه بأخبارها ورسائلها؛ فطال ذلك بينهما؛ حتى أحبتها الجارية التي علقها مسلم ومالت إليها، وكلتاهما في نهاية الحسن والكمال.

وكان مسلم يحب جاريته هذه محبة شديدة، و لم يكن يهوى تلك، إنما كان يريد الغزل والمجون والمراسلة، وأن يشيع له حديث بهواها، وكان يرى ذلك من الملاحة والظرف والأدب، فلما رأى مودة تلك لجاريته هجر جاريته مظهراً لذلك، وقطعها عن الذهاب إلى تلك، وذلك قوله:

وأهجر صاحبي حب التجني عليه إذا تجنيت الذنوبا

وراسلها مع غير جاريته الأولى، وذلك قوله:

تدعى الشوق إن نأت وتجنى إذا دنت

واعدتنا وأخلفت ثم ساءت فأحسنت

سرني لو صبرت عن ها فتجزى بما جنت

إن سلمى لو اتقت ربها في أنجزت

زرعت في الحشا الهوى وسقته حتى نبت

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن يزيد، قالا: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: لقي مسلم بن الوليد أبا نواس فقال له: ما أعرف لك بيتاً إلا فيه سقط، قال: فما تحفظ من ذلك؟ قال: قل أنت ما شئت حتى أريك سقطه فيه، فأنشده:

ذكر الصبوح سحيرة فارتاحا وأمله ديك الصباح صياحا

فقال له مسلم: فلم أمله وهو الذي أذكره وبه ارتاح؟ فقال أبو نواس: فأنشدني شيئاً من شعرك ليس فيه خلل، فأنشده مسلم:

عاصى الشباب فراح غير مفند وأقام بين عزيمة وتجلد

فقال له أبو نوس: قد جعلته رائحاً مقيماً في حال واحدة وبيت واحد. فتشاغبا وتسابا ساعة، وكلا البيتين صحيح المعنى.

ذكر أمام المأمون شعره فأعجبه

أخبرني جعفر بن قدامة قال: قال لي محمد بن عبد الله بن مسلم: حدثني أبي، قال: اجتمع أصحاب المأمون عنده يوماً، فأفاضوا في ذكر الشعر والشعراء، فقال له بعضهم: أين أنت يا أمير المؤمنين عن مسلم بن الوليد؟ قال: حيث يقول ماذا؟ قال: حيث يقول وقد رثى رجلاً:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر

وحيث مدح رجلاً بالشجاعة فقال:

يجود بالنفس إذ ضن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وهجا رجلاً بقبح الوجه والأخلاق فقال:

قبحت مناظره فحين خبرته حسنت مناظره لقبح المخبر

وتغازل فقال:

هوى يجد وحبيب يلعب أنت لقى بينهما معذب

فقال المأمون: هذا أشعر من خضتم اليوم في ذكره.

الرشيد ينبه يزيد من مزيد إلى ما قاله فيه مسلم من مدح

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي والحسن بن علي الخفاف، قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثني قعنب بن المحرز، وابن النطاح، عن القحذمي، قال: قال يزيد بن مزيد: أرسل إلي الرشيد يوماً في وقت لا يرسل فيه إلى مثلي فأتيته لابساً سلاحي، مستعداً لأمر إن إراده، فلما رآني ضحك إلي ثم قال: يا يزيد خبرني من الذي يقول فيك:

تراه في الأمن في درع مضاعفة لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

صافي العيان طموح العين همته فك العناة وأسر الفاتك الخطل

لله من هاشم في أرضه جبل وأنت وابنك ركنا ذلك الجبل

فقلت: لا أعرفه يا أمير المؤمنين. قال: سوءة لك من سيد قوم يمدح بمثل هذا الشعر ولا تعرف قائله، وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله، وهو مسلم بن الوليد. فانصرفت به ووصلته ووليته.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، والحسن بن علي الخفاف، قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثني أبو عبد الله أحمد بن محمد بن سليمان الحنفي ذو الهدمين، قال: حدثني أبي، قال: دخل يزيد بن مزيد على الرشيد فقال له: يا يزيد، من الذي يقول فيك:

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ولا يمسح عينيه من الكحل

قد عود الطير عادات وثقن بها فهن يتبعنه في كل مرتحل

يزيد بن مزيد يسمع مدحه فيه

ويأمر له بجائزة

فقال: لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين. فقال له هارون: أيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قائله! فخرج من عنده خجلاً، فلما صار إلى منزله دعا حاجبه فقال له: من بالباب من الشعراء؟ قال: مسلم بن الوليد، فقال: وكيف حجبته عني فلم تعلمني بمكانه؟ قال: أخبرته أنك مضيق ، وأنه ليس في يديك شيء تعطيه إياه، وسألته الإمساك والمقام أياماً إلى أن تتسع. قال: فأنكر ذلك عليه وقال: أدخله إلي. فأدخله إليه، فأنشده قوله:

أجررت حبل خليع في الصبا غزل وشمرت همم العذال في عذلي

رد البكار على العين الطموح هوى مفرق بين توديع ومرتحل

أما كفى البين أن أرمى بأسهمه حتى رماني بلحظ الأعين النجل!

مما جنت لي وإن كانت منى صدقت صبابة خلس التسليم بالمقل

فقال له: قد أمرنا لك بخمسين ألف درهم، فاقبضها واعذر. فخرج الحاجب فقال لمسلم: قد أمرني أن أرهن ضيعة من ضياعه على مائة ألف درهم، خمسون ألفاً لك وخمسون ألفاً لنفقته. وأعطاه إياها، وكتب صاحب الخبر بذلك إلى الرشيد، فأمر ليزيد بمائتي ألف درهم وقال: اقض الخمسين التي أخذها الشاعر وزده مثلها. وخذ مائة ألف لنفقتك. فافتك ضيعته، وأعطى مسلماً خمسين ألفاً أخرى.

يزوره صديق فيبيع خفيه ليقدم له طعاماً

أخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني علي بن عبيد الكوفي، وعلي بن الحسن كلاهما، قال: أخبرني علي بن عمرو، قال: حدثني مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني قال: كنت يوماً جالساً في دكان خياط بإزاء منزلي، إذ رأيت طارقاً ببابي، فقمت إليه فإذا هو صديق لي من أهل الكوفة قد قدم من قم، فسررت به، وكأن إنساناً لطم وجهي، لأنه لم يكن عندي درهم واحد أنفقه عليه، فقمت فسلمت عليه، وأدخلته منزلي، وأخذت خفين كانا لي أتجمل بهما، فدفعتهما إلى جاريتي، وكتبت معهما رقعة إلى بعض معارفي في السوق، أسأله أن يبيع الخفين ويشتري لي لحماً وخبزاً بشيء سميته. فمضت الجارية وعادت إلي وقد اشترى لها ما قد حددته له، وقد باع الخفين بتسعة دراهم، فكأنها إنما جاءت بخفين جديدين.

فقعدت أنا وضيفي نطبخ، وسألت جاراً لي أن يسقينا قارورة نبيذ، فوجه بها إلي، وأمرت الجارية بأن تغلق باب الدار مخافة طارق يجيء فيشركنا فيما نحن فيه، ليبقى لي وله ما نأكله إلى أن ينصرف.

يصل إليه رسول يزيد بن مزيد ويدفع إليه عشرة آلاف درهم فإنا لجاسان نطبخ حتى طرق الباب طارق، فقلت لجاريتي: انظري من هذا. فنظرت من شق الباب فإذا رجل عليه سواد وشاشية ومنطقة وعه شاكري، فخبرتني بموضعه فأنكرت أمره ، ثم رجعت إلى نفسي فقلت: لست بصاحب دعارة، ولا للسلطان علي سبيل. ففتحت الباب وخرجت إليه، فنزل عن دابته وقال: أأنت مسلم بن الوليد؟ قلت: نعم. فقال: كيف لي بمعرفتك؟ قلت: الذي دلك على منزلي يصحح لك معرفتي. فقال لغلامه: امض إلى الخياط فسله عنه. فمضى فسأله عني فقال: نعم هو مسلم بن الوليد. فأخرج إلي كتاباً من خفه، وقال: هذا كتاب الأمير يزيد بن مزيد إلي، يأمرني ألا أفضه إلا عند لقائك، فإذا فيه: إذا لقيت مسلم بن الوليد فادفع إليه هذه العشرة آلاف درهم، التي أنفذتها تكون له في منزله، وادفع ثلاثة آلاف درهم نفقة ليتحمل بها إلينا. فأخذت الثلاثة والعشرة، ودخلت إلى منزلي والرجل معي، فأكلنا ذلك الطعام، وازددت فيه وفي الشراب، واشتريت فاكهة، واتسعت ووهبت لضيفي من الدراهم ما يهدي به هدية لعياله.

يذهب إلى يزيد وينشده قصيدة في مدحه وأخذت في الجهاز، ثم ما زلت معه حتى صرنا إلى الرقة إلى باب يزيد، فدخل الرجل وإذا هو أحد حجابه، فوجده في الحمام، فخرج إلي فجلس معي قليلاً، خبر الحاجب بأنه قد خرج من الحمام، فأدخلني إليه، وإذا هو على كرسي جالس، وعلى رأسه وصيفة بيدها غلاف مرآة، ومشط يسرح لحيته، فقال لي: يا مسلم، ما الذي بطأ بك عنا؟ فقلت: أيها الأمير، قلة ذات اليد. قال: فأنشدني. فأنشدته قصيدتي التي مدحته فيها:

أجررت حبل خليع في الصبا غزل ... وشمرت همم العذال في عذلي

فلما صرت إلى قولي:

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ... ولا يمسح عينيه من الكحل

يقص عليه سبب دعوته له

وضع المرآة في غلافها، وقال للجارية: انصرفي، فقد حرم علينا مسلم الطيب. فلما فرغت من القصيدة قال لي: يا مسلم، أتدري ما الذي حداني إلى أن وجهت إليك؟ فقلت: لا والله ما أدري. قال: كنت عند الرشيد منذ ليال أغمز رجليه، إذ قال لي: يا يزيد، من القائل فيك:

سل الخليفة سيفاً من بني مطر ... يمضي فيخرتم الأجساد والهاما

كالدهر لا ينثني عما يهم به ... قد أوسع الناس إنعاماً وإرغاما

فقلت: لا والله ما أدري. فقال الرشيد: يا سبحان الله! أنت مقيم على أعرابيتك، يقال فيك مثل هذا الشعر ولا تدري من قائله! فسألت عن قائله، فأخبرت أنك أنت هو، فقم حتى أدخلك على أمير المؤمنين.

يدخل على الرشيد ويمدحه فيأمر له بجائزة

ثم قام فدخل على الرشيد، فما علمت حتى خرج علي الإذن فأذن لي، فدخلت على الرشيد، فأنشدته ما لي فيه من الشعر، فأمر لي بمائتي ألف درهم، فلما انصرف إلى يزيد أمر لي بمائة وتسعين ألفاً، وقال: لا يجوز لي أن أعطيك مثل ما أعطاك أمير المؤمنين. وأقطعني إقطاعات تبلغ غلتها مائتي ألف درهم.

يهجو يزيد فيدعوه الرشيد ويحذره

قال مسلم: ثم أفضت بي الأمور بعد ذلك إلى أن أغضبني فهجوته، فشكاني إلى الرشيد، فدعاني وقال: أتبيعني عرض يزيد؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين. فقال لي: فكم؟ فقلت: برغيف خبز. فغضب حتى خفته على نفسي، وقال: قد كنت على أن أشتريه منك بمال جسيم، ولست أفعل ولا كرامة، فقد علمت إحسانه إليك، وأنا نفي من أبي، ووالله ثم والله لئن بلغني أنك هجوته لأنزعن لسانك من بين فكيك، فأمسكت عنه بعد ذلك، وما ذكرته بخير ولا شر.

البيدق يصله بيزيد بن مزيد

ويسمعه شعره فيأمر له بجائزة

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن معرويه، قال: حدثني محمد بن عبد الله اليعقوبي، قال: حدثني البيدق الراوية -وكان من أهل نصيبين- قال: دخلت دار يزيد بن مزيد يوماً وفيها الخلق، وإذا فتى شاب جالس في أفناء الناس، و لم يكن يزيد عرفه بعد، وإذا هو مسلم بن الوليد، فقال لي: ما في نفسي أن أقول شعراً أبداً، فقلت: و لم؟ قال: لأني قد مدحت هذا الرجل بشعر ما مدح بمثله قط، ولست أجد من يوصله، فقلت له: أنشدني بعضه، فأنشدني منه:

موف على مهج في يوم ذي رهج ... كأنه أجل يسعى إلى أمل

يقري السيوف نفوس الناكثين به ... ويجعل الروس تيجان القنا الذبل

لا يعبق الطيب خديه ومقرفه ... ولا يمسح عينيه من الكحل

إذا انتضى سيفه كانت مسالكه ... مسالك الموت في الأجسام والقلل

وإن خلت بحديث النفس فكرته ... عاش الرجاء ومات الخوف من وجل

كالليث إن هجته فالموت راحته لا يستريح إلى الأيام والدول

لله من هاشم في أرضه جبل وأنت وابنك ركنا ذلك الجبل

صدقت ظني وصدقت الظنون به وحط جودك عقد الرحل عن جملي

قال: فأخذت منها بيتين، ثم قلت له: أنشدني أيضاً ما لك فيه، فأنشدني قصدية أخرى ابتداؤها:

طيف الخيال حمدنا منك إلماما داويت سقماً وقد هيجت أسقاما

يقول فيها:

كالدهر لا ينثني عما يهم به قد أوسع الناس إنعاماً وإرغاما

قال: فأنشدت هذه الأبيات يزيد بن مزيد، فأمر له بخمسمائة درهم. ثم ذكرته بالرقة فقلت له: هذا الشاعر الذي قد مدحك فأحسن، تقتصر به على خمسمائة درهم! فبعث إليه بخمسمائة درهم أخرى، قال: فقال لي مسلم: جاءتني وقد رهنت طيلساني على رؤوس الإخوان ، فوقعت مني أحسن موقع.

يزيد يغسل عنه الطيب لئلا يكذب قوله أخبرني محمد بن عمران، قال: حدثنا العتري، عن محمد بن بدر العجلي، عن إبراهيم بن سالم، عن أبي فرعون مولى يزيد بن مزيد قال: ركب يزيد يوماً إلى الرشيد فتغلف بغالية ، ثم لم يلبث أن عاد فدعا بطست فغسل الغالية، وقال: كرهت أن أكذب قول مسلم بن الوليد:

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ولا يمسح عينيه من الحكل

يشير على يزيد بإحراق كتاب وصله أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أبو توبة، قال:

كان مسلم بن الوليد جالساص بين يدي يزيد بن مزيد فأتاه كتاب فيه مهم له، فقرأه سراً ووضعه، ثم أعاد قراءته ووضعه، ثم أراد القيام، فقال له مسلم بن الوليد:

الحزم تحريقه إن كنت ذا حذر وإنما الحزم سوء الظن بالناس

لقد أتاك وقد أدى أمانته فاجعل صيانته في بطن أرماس

قال: فضحك يزيد وقال: صدقت لعمري. وخرق الكتاب، وأمر بإحراقه.

انقطع إلى محمد بعد موت أبيه ثم هجره حدثني عمي وجحظة، قالا: حدثنا علي بن الحسين بن عبد الأعلى، قال: حدثني أبو محلم، وحدثني عمي، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أبو توبة، قال: كان مسلم بن الوليد صديقاً ليزيد بن مزيد ومداحاً له، فلما مات انقطع إلى ابنه محمد بن يزيد، ومدحه كما مدح أباه، فلم يصنع إليه خيراً، و لم يرضه ما فعله به، فهجره وانقطع عنه، فكتب إليه يستحفيه ويومه على انقطاعه عنه، ويذكره حقوق أبيه عليه، فكتب إليه مسلم:

لبست عزاء عن لقاء محمد وأعرضت عنه منصفاً وودودا
وقلت لنفس قادها الشوق نحوه فعوضها حب اللقاء صدودا
هبيه امرأً قد كان أصفاك وده فمات وإلا فاحسبيه يزيدا
لعمري لقد ولى فلم الق بعده وفاء لذي عهد يعد حميدا

مات يزيد ببرذعة فرثاه مسلم أخبرني محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثني أحمد بن محمد بن أبي سعد، قال: أهديت إلى يزيد بن مزيد جارية وهو يأكل، فلما رفع الطعام من بين يديه وطئها فلم يترل عنها، إلا ميتاً، وهو ببرذعة ، فدفن في مقابر برذعة، وكان مسلم معه في صحابته فقال يرثيه:

قبر ببرذعة استسر ضريحه خطراً تقاصر دونه الأخطار
أبقى الزمان على ربعية بعده حزناً كعمر الدهر ليس يعار
سلكت بك العبر السبيل إلى العلا حتى إذا بلغوا المدى بك حاروا

ويروى:

حتى إذا سبق الردى بك حاروا

-هكذا أنشده الأخفش:

نفضت بك الأحلاس نفض إقامة واسترجعت روادها الأمصار
فاذهب كما ذهبت غوادي مزنة أثنى عليها السهل والأوعار

قصة راويته الذي أرسله إلى المهلبي

نسخت من كتاب جدي يحيى بن محمد بن ثوابة: حدثني الحسن بن سعيد، عن أبيه، قال: كان داود بن يزيد بن حاتم المهلبي يجلس للشعراء في السنة مجلساً واحداً فيقصدونه لذلك اليوم وينشدونه، فوجه إليه مسلم بن الوليد راويته بشعره الذي يقول فيه:

جعلته حيث ترتاب الرياح به وتحسد الطير فيه أضبع البيد

فقدم عليه يوم جلوسه للشعراء، ولحقه بعقب خروجهم عنه، فتقدم إلى الحاجب وحسر لثامه عن وجهه ثم قال له: استأذن لي على الأمير. قال: ومن أنت؟ قال: شاعر. قال: قد انصرف وقتك، وانصرف الشعراء، وهو على القيام. فقال له: ويحك، قد وفدت على الأمير بشعر ما قالت العرب مثله. قال: وكان مع الحاجب أدب يفهم به ما يسمع، فقال: هات حتى أسمع، فإن كان الأمر كما ذكرت أوصلتك إليه. فأنشده بعض القصيدة، فسمع شيئاً يقصر الوصف عنه، فدخل على داود فقال له: قد قدم على الأمير شاعر بشعر ما قيل فيه مثله، فقال: أدخل

قائله. فأدخله، فلما مثل بين يديه سلم وقال: قدمت على الأمير -أعزه الله- بمدح يسمعه فيعلم به تقدمي على غيري ممن امتدحه. فقال: هات. فلما افتتح القصيدة وقال:

لا تدع بي الشوق إني غير معمود نهى النهى عن هوى البيض الرعاديد

استوى جالساً وأطرق، حتى أتي الرجل على آخر الشعر، ثم رفع رأسه إليه ثم قال: أهذا شعرك؟ قال: نعم أعز الله الأمير، قال: في كم قلته يا فتى؟ قال: في أربعة أشهر، أبقاك الله، قال: لو قلته في ثمانية أشهر لكنت محسناً، وقد اهتمتك لجودة شعرك وخمول ذكرك، فإن كنت قائل هذا الشعر فقد أنظرتك أربعة أشهر في مثله، وأمرت بالإجراء عليك، فإن جئتنا بمثل هذا الشعر وهبت لك مائة ألف درهم وإلا حرمتك. فقال: أو الإقالة، أعز الله الأمير. قال: أقلتك، قال: الشعر لمسلم بن الوليد، وأنا راويته والوافد عليك بشعره. فقال: أنا ابن حاتم ، إنك لما افتتحت شعره فقلت:

لا تدع بي الشوق إني غير معمود

سمعت كلام مسلم يناديني فأجبت نداءه واستويت جالساً. ثم قال: يا غلام، أعطه عشرة آلاف درهم، واحمل الساعة إلى مسلم مائة ألف درهم.

أنشد الفضل شعراً فولاه بريد جرجان

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني مسعود بن عيسى العبدي، قال: أخبرني موسى بن عبد الله التميمي، قال: دخل مسلم بن الوليد الأنصاري على الفضل بن سهل لينشده شعراً، فقال له: أيها الكهل، إني أجلك عن الشعر فسل حاجتك، قال: بل تستتم اليد عندي بأن تسمع، فأنشده:

دموعها من حذار البين تنسكب وقلبها مغرم من حرها يجب
جد الرحيل به عنها ففارقها لبينه اللهو واللذات والطرب
يهوى المسير إلى مرو ويحزنه فراقها فهو ذو نفسين يرتقب

فقال له الفضل: إن لأجلك عن الشعر، قال: فأغنني بما أحببت من عملك؛ فولاه البريد بجرجان.

قال بيتاً من الشعر أخذ معناه من التوراة

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني الحسين بن أبي السري. وأخبرني بهذه الأخبار محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني إبراهيم بن محمد الوراق، عن الحسين بن أبي السري، قال: قيل لمسلم بن الوليد: أي شعرك أحب إليك؟ قال: إن في شعري لبيتاً أخذت معناه من التوراة، وهو قولي:

دلت علي عيبها الدنيا وصدقها ما استرجع الدهر مما كان أعطاني

قذف في البحر بدفتر فيه شعره فقل شعره

قال الحسين: وحدثني جماعة من أهل جرجان أن راوية مسلم جاء إليه بعد أن تاب ليعرض عليه شعره، فتغافله مسلم، ثم أخذ منه الدفتر الذي في يده، فقذف به في البحر، فلهذا قل شعره، فليس في أيدي الناس منه إلا ما كان بالعراق، وما كان في أيدي الممدوحين من مدائحهم.

كان يكره لقب صريع الغواني

قال الحسين: وحدثني الحسين بن دعبل، قال: قال أبي لمسلم: ما معنى ذلك:

لا تدع بي الشوق إني غير معمود

قال: لا تدعني صريع الغواني فلست كذلك؛ وكان يلقب هذا اللقب وكان له كارهاً.

عتب عليه عيسى بن داود ثم رضي عنه أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: عتب عيسى بن داود على مسلم بن الوليد فهجره، وكان غليه محسناً، فكتب إليه مسلم:

شكرتك للنعمى فلما رميتني بصدك تأديباً شكرتك في الهجر

فعندي للتأديب شكر وللندى وإن شئت كان العفو أدعى إلى الشكر

إذا ما اتقاك المستليم بعذره فعفوك خير من ملام على عذر

قال: فرضي عنه وعاد له إلى حاله.

كان بخيلاً أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: حدثني محمد بن الأشعث، قال: حدثني دعبل بن علي، قال: كان مسلم بن الوليد من أبخل الناس، فرأيته يوماً وقد استقبل الرضا عن غلام له بعد موجدة، فقال له: قد رضيت عنك وأمرت لك بدرهم.

يذمه دعبل عند الفضل بن سهل فيهجوه أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: حدثني محمد بن عمرو بن سعيد قال: خرج دعبل إلى خراسان لما بلغه حظوة مسلم بن الوليد عند الفضل بن سهل. فصار إلى مرو، وكتب إلى الفصل بن سهل:

لا تعبأن بابن الوليد فإنه يرميك بعد ثلاثة بمدل

إن الملول وإن تقادم عهده كانت مودته كفيء ظلال

قال: فدفع الفضل إلى مسلم الرقعة وقال له: انظر يا أبا الوليد إلى رقعة دعبل فيك، فلما قرأها قال له: هل عرفت لقب دعبل وهو غلام أمرد وهو يفسق به؟ قال: لا، قال: كان يلقب بمياس، ثم كتب له:

مياس قل لي: أين أنت من الورى لا أنت معلوم ولا مجهول!

أما الهجاء فدق عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل

فاذهب فأنت طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنت ذليل

ما جرى بينه وبين دعبل بسبب جارية أخبرني محمد بن الحسين الكندي الكوفي مؤدبي، قال: حدثني أزهر بن محمد، قال: حدثني الحسين بن دعبل، قال سمعت أبي يقول: بينا أنا بباب الكرخ إذ مرت بي جارية لم ار أحسن منها وجهاً ولا قداً تتثنى في مشيها وتنظر في أعطافها، فقلت متعرضاً لها:

دموع عيني بها انبساط ونوم عيني به انقباض

فأجابتني بسرعة فقالت:

فهل لمولاي عطف قلب وللذي في الحشا انقراض

فأجابتني غير متوقفة فقالت:

إن كنت تعوى الوداد منا فالود في ديننا قراض

قال: فما دخل أذني كلام قط أحلى من كلامها، ولا رأيت أنضر وجهاً منها، فعدلت بها عن ذلك الشعر وقلت:

أترى الزمان يسرنا بتلاق ويضم مشتاقاً إلى مشتاق

فأجابتني بسرعة فقالت:

ما للزمان وللتحكم بيننا أنت الزمان فسرنا بتلاق

قال: فمضيت أمامها أؤم بها دار مسلم بن الوليد وهي تتبعني، فصرت إلى منزله، فصادفته على عسرة، فدفع إلي منديلاً وقال: اذهب فبعه، وخذ لنا ما نحتاج إليه وعد؛ فمضيت مسرعاً. فلما رجعت وجدت مسلما قد خلا بها في سرداب. فلما أحس بي وثب إلي وقال: عرفك الله يا أبا علي جميل ما فعلت. ولقاك ثوابه، وجعله أحسن حسنة لك، فغاظني قوله وطنزه ، وجعلت أفكر أي شيء أعمل به، فقال: بحياتي يا أبا علي أخبرني من الذي يقول:

بت في درعها وبات رفيقي جنب القلب طاهر الأطراف

فقلت:

من له في حر أمه ألف قرن قد أنافت على علو مناف!

وجعلت أشتمه وأثب عليه، فقال لي: يا أحمق، منزلي دخلت، ومنديلي بعت، ودراهمي أنفقت، على من تحرد أنت؟ واي شيء سبب حردك يا قواد؟ فقلت له: مهما كذبت علي فيه من شيء فما كذبت في الحمق والقيادة.

هجاؤه ثلاثة كانوا يصلونه

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني ابن مهرويه والعتزي، عن محمد بن عبد الله العبدي، قال: هجا مسلم بن الوليد سعيد بن سلم ويزيد بن مزيد وخزيمة بن خازم فقال:

ديونك لا يقضى الزمان غريمها ... وبخلك بخل الباهلي سعيد

سعيد بن سلم أبخل الناس كلهم ... وما قومه من بخله ببعيد

يزيد له فضل ولكن مزيداً ... تدارك فينا بخله بيزيد

خزيمة لا عيب له غير أنه ... لمطبخه قفل وباب حديد

هجاؤه سعيد بن سلم أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة، قال: حدثنا الأصمعي، قال: قال لي سعيد بن سل: قدمت علي امرأة من باهلة من اليمامة، فمدحتني بأبيات، ما تم سروري بها حتى نغصنيها مسلم بن الوليد بهجاء بلغني أنه هجاني به، فقلت: ما الأبيات التي مدحت به؟ فأنشدني:

قتيبة قيس ساد قيساً وسلمها ... فلما تولى ساد قيسا سعيدها

وسيد قيس سيد الناس كلها ... وإن مات من رغم وذل حسودها

هم رفعوا كفيك بالمجد والعلا ... ومن يرفع الأبناء إلا جدودها

إذا مد للعليا سعيد يمينه ... ثنت كفه عنها أكفاً تريدها

قال الأصمعي: فقلت له: فبأي شيء نغصها عليك مسلم؟ فضحك وقال: كلفتني شططاً، ثم أنشد:

وأحببت من حبها الباخلين ... حتى ومقت ابن سلم سعيدا

إذا سيل عرفاً كسا وجهه ... ثياباً من النقع صفراً وسودا

يغار على المال فعل الجوا ... د وتأبى خلائقه أن يجودا

يهجو بعض الكتاب لأنه لم يعجبه شعره أخبرني عمي، قال: حدثنا الكراني، قال: حدثني النوشجاني الخليل بن أسد، قال: حدثني علي بن عمرو، قال: وقف بعض الكتاب على مسلم بن الوليد وهو ينشد شعراً له في محفل، فأطال ثم انصرف، وقال لرجل كان معه: ما أدري أي شيء أعجب الخليفة والخاصة من شعر هذا؟ فوالله ما سمعت منه طائلاً، فقال مسلم: ردوا علي الرجل، فرد إليه، فأقبل عليه ثم قال:

أما الهجاء فدق عرضك دونه ... والمدح عنك كما علمت جليل

فاذهب فأنت طليق عرضك إنه ... عرض عززت به وأنت ذليل

كان أستاذاً لدعبل ثم تخاصما و لم يلتقيا أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني إبراهيم بن محمد الوراق، قال: حدثني الحسين بن أبي السري، قال: كان مسلم بن الوليد أستاذ دعبل وعنه أخذ، ومن بحره

استقى. وحدثني دعبل أنه كان لا يزال يقول الشعر فيعرضه على مسلم، فيقول له: إياك أن يكون أول ما يظهر لك ساقطاً فتعرف به، ثم لو قلت كل شيء جيداً كان الأول أشهر عنك، وكنت أبداً لا تزال تعير به، حتى قلت:

أين الشباب وأية سلكا

فلما سمع هذه قال لي: أظهر الآن شعرك كيف شئت.

قال الحسن: وحدثني أبو تمام الطائي قال: ما زال دعبل متعصباً لمسلم، مائلاً إليه، معترفاً بأستاذيته حتى ورد عليه جرجان، فجفاه مسلم، وهجره دعبل، فكتب إليه:

أبا مخلد كنا عقيدي مودة ... هوانا وقلبانا جميعاً معاً معا

أحوطك بالغيب الذي أنت حائطي ... وأجزع إشفاعاً بأن تتوجعا

فصيرتني بعد انتكاثك متهماً ... لنفسي عليها أرهب الخلق أجمعا

غششت الهوى حتى تداعت أصوله ... بنا وابتذلت الوصل حتى تقطعا

وأنزلت من بين الجوانح والحشا ... ذخيرة ود طال ما قد تمنعا

فلا تلحيني ليس لي فيك مطمع ... تخرقت حتى لم أجد لك مرقعا

فهبك يميني استأكلت فقطعتها ... وجشمت قلبي صبره فتشجعا

قال: ثم تهاجرا بعد ذلك، فما التقيا حتى ماتا.

محمد بن أبي أمية يمزح معه أخبرني عمي، قال: حدثنا أحمد بن أبي طاهر، قال: أخبرني أحمد بن أبي أمية، قال: لقي أخي محمد بن أبي أمية مسلم بن الوليد وهو يتثنى ، ورواته مع بعض أصحابه ، فسلم عليه، ثم قال له: قد حضرني شيء. فقال: هاته، قال: على أنه مزاح ولا تغضب، قال: هاته ولو كان شتماً، فأنشدته:

من رأى فيما خلا رجلاً تيهه أربى على جدته

يتمشى راجلاً وله شاكري في قلنسيته

فسكت عنه مسلم و لم يجبه، وضحك ابن أبي أمية وافترقا لقي محمد بن أبي أمية بعد موت برذونه فرد عليه مزاحه قال: وكان لمحمد برذون يركبه فنفق، فلقيه مسلم وهو رجال، فقال: ما فعل برذونك؟ قال: نفق، قال: فنجازيك إذاً على ما أسلفتناه، ثم أنشده:

قل لابن مي لا تكن جازعاً ... لن يرجع البرذون بالليث

طامن أحشاءك فقدانه ... وكنت فيه عالي الصوت

وكنت لا تنزل عن ظهره ... ولو من الحش إلى البيت

ما مات من سقم ولكنه مات من الشوق إلى الموت

أبو تمام يحفظ شعره وشعر أبي نواس

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: حدثني أحمد بن سعيد الحريري أن أبا تمام حلف ألا يصلي حتى يحفظ شعر مسلم وأبي نواس، فمكث شهرين كذلك حتى حفظ شعرهما. قال: ودخلت عليه فرأيت شعرهما بين يديه، فقلت له: ما هذا؟ فقال: اللات والعزى وأنا أعبدهما من دون الله.

اجتمع مع أبي نواس فتناشدا شعرهما أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني سمعان بن عبد الصمد، قال: حدثني دعبل بن علي، قال: كان أبو نواس يسألني أن أجمع بينه وبين مسلم بن الوليد؛ وكان مسلم يسألني أن أجمع بينه وبين أبي نواس، وكان أبو نواس إذا حضر تخلف مسلم، وإذا حضر مسلم تخلف أبو نواس، إلى أن اجتمعا، فأنشده أبو نواس:

أجارة بيتينا أبوك غيرو وميسور ما يرجى لديك عسير

وأنشده مسلم:

لله من هاشم في أرضه جبل وأنت وابنك ركنا ذلك الجبل

فقالت لأبي نواس: كيف رأيت مسلما؟ فقال: هو أشعر الناس بعدي. وسألت مسلماً وقلت: كيف رأيت أبا نواس؟ فقال: هو أشعر الناس وأنا بعده.

أمر له ذو الرياستين بمال عظيم بعد أن أنشده شعراً شكا في حاله أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني إبراهيم بن عبد الخالق الأنصاري من ولد النعمان بن بشير، قا: حدثني مسلم بن الوليد، قال: وجه إلي ذو الرياستين، فحملت إليه، فقال: أنشدني قولك:

بالغمر من زينب أطلال مرت بها بعدك أحوال

فأنشدته إياها حتى انتهيت إلى قولي:

وقائل ليست له همة كلاً ولكن ليس لي مال
وهيمة المقتر أمنية هم مع الدهر وأشغال
لا جدة أنهض عزمي بها والناس سؤال وبخال
فاقعد مع الدهر إلى دولة ترفع فيها حالك الحال

قال: فلما أنشدته هذا البيت قال: هذه والله الدولة التي ترفع حالك . وأمر لي بمال عظيم وقلدني -أو قال قبلني- جوز جرجان .

هجا معن بن زائدة ويزيد بن مزيد فهدده الرشيد حدثني جحظة، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال:

كان مسلم بن الوليد قد انحرف عن معن بن زائدة بعد مدحه إياه، لشيء أوحشه منه، فسأله يزيد بن مزيد أن يهبه له، فوعده و لم يفعل، فتركه يزيد خوفاً منه، فهجاه هجاء كثيراً، حتى حلف له الرشيد إن عاود هجاءه قطع لسانه، فمن ذلك قوله فيه:

يا معن إنك لم تزل في خزية ... حتى لففت أباك في الأكفان

فاشكر بلاء الموت عندك إنه ... أودى بلؤم الحي من شيبان

قال: وهجا أيضاً يزيد بن مزيد بعد مدحه إياه فقال:

أيزيد يا مغرور ألأم من مشى ... ترجو الفلاح وأنت نطفة مزيد

إن كنت تنكر منطقي فاصرخ به ... يوم العروبة عند باب المسجد

في من يزيد فإن أصبت بمزيد ... فلسا فهاك على مخاطرة يدي

هكذا روى جحظة في هذا الخبر، والشعران جميعاً في يزيد بن مزيد، فالأول منهما أوله:

أيزيد إنك لم تزل في خزية

وهكذا هو في شعر مسلم. و لم يلق مسلم معن بن زائدة، ولا له فيه مدح ولا هجاء.

رثاؤه يزيد بن مزيد

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن جشم، قال: كان يزيد بن مزيد قد سأل مسلم بن الوليد عما يكفيه ويكفي عياله، فأخبره فجعله جراية له، ثم قال: ليس هذا مما تحاسب به بدلاً من جائزة أو ثواب مديح. فكان يبعث به إليه في كل سنة، فلما مات رثاه مسلم فقال:

أحقاً أنه أودى يزيد ... تبين أيها الناعي المشيد!

أتدري من نعيت وكيف دارت ... به شفتاك دار بها الصعيد

أحامي المجد والإسلام أودى ... فما للأرض ويحك لا تميد!

تأمل هل ترى الإسلام مالت ... دعائمه وهل شاب الوليد

وهل شيمت سيوف بني نزار ... وهل وضعت عن الخيل اللبود

وهل تسقي البلاد عشار مزن ... بدرتها وهل يخضر عود

أما هدت لمصرعه نزار ... بلى وتقوض المجد المشيد

وحل ضريحه إذ حل فيه ... طريف المجد والحسب التليد

أما والله ما تنفك عيني ... عليك بدمعها أبداً تجود

وإن تجمد دموع لئيم قوم فليس لدمع ذي حسب جمود

أبعد يزيد تختزن البواكي دموعاً أو تصان لها خدود

لتبكك قبة الإسلام لما وهت أطنابها ووهى العمود

ويبكك شاعر لم يبق دهر له نشباً وقد كسد القصيد

فإن يهلك يزيد فكل حي فريس للمنية أو طريد

هكذا في الخبر، والقصيدة للتيمي.

مدح الفضل بن سهل

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا الهشامي، قال: حدثني عبد الله بن عمرو، قال: حدثني موسى بن عبد الله التميمي، قال: دخل مسلم بن الوليد على الفضل بن سهل، فأنشده قوله فيه:

لو نطق الناس أو أنبوا بعلمهم ونبهت عن معالي دهرك الكتب

لم يبلغوا منك أدنى ما تمت به إذا تفاخرت الأملاك وانتسبوا

فأمر له عن كي بيت من هذه القصيدة بألف درهم.

رثاؤه الفضل بن سهل ثم قتل الفضل فقال يرثيه:

ذهلت فلم أنقع غليلاً بعبرة وأكبرت أن ألقى بيومك ناعيا

فلما بدا لي أنه لاعج الأسى وأن ليس إلا الدمع للحزن شافيا

أقمت لك الأحواح ترتد بينها مآتم تندبن الندى والمعاليا

وما كان منعى الفضل منعاة واحد ولكن منعى الفضل كان مناعيا

أللبأس أو للجود أم لمقاوم من الملك يزحمن الجبال الرواسيا !

عفت بعدك الأيام لا بل تبدلت وكن كأعياد فعدن مباكيا

فلم أر إلا قبل يومك ضاحكاً ولم أر إلا بعد يومك باكيا

عابه ابن الأحنف في مجلس فهجاه

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: حدثنا محمد بن عجلان، قال: حدثان يعقوب بن السكيت، قال: أخبرني محمد بن المهنأ، قال:

كان العباس بن الأحنف مع إخوان له على شراب، فذكروا مسلم بن الوليد، فقال بعضهم: صريع الغواني، فقال العباس: ذاك ينبغي أن يسمى صريع الغيلان لا صريع الغواني، وبلغ ذلك مسلماً فقال يهجوه:

بنو حنيفة لا يرضى الدعي بهم ... فاترك حنيفة واطلب غيرها نسبا

فاذهب فأنت طليق الحلم مرتهن ... بسورة الجهل ما لم أملك الغضبا

اذهب إلى عرب ترضى بنسبتهم ... إني أرى لك خلقاً يشبه العربا

منيت وقد جد الجراء بنا ... بغاية منعتك الفوت والطلبا

ينصرف عن هجاء خزيمة بن خازم ويتمسك بهجاء سعيد بن سلم أخبرني محمد بن يزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن جده، قال: قلت لمسلم بن الوليد: ويحك! أما استحييت من الناس حين تهجو خزيمة بن خازم، ولا استحييت منا ونحن إخوانك، وقد علمت أنا نتولاه وهو من تعرف فضلاً وجوداً؟ فضحك، وقال لي: يا أبا إسحاق، لغيرك الجهل، أما تعلم أن الهجاء آخذ بضبع الشاعر وأجدى عليه من المديح المضرع؟ وما ظلمت مع ذلك منهم أحداً، ما مضى فلا سبيل إلى رده، ولكن قد وهبت لك عرض خزيمة بعد هذا. قال: ثم أنشدني قوله في سعيد بن سلم:

ديونك لا يقضى الزمان غريمها ... وبخلك بخل الباهلي سعيد

سعيد بن سلم أبخل الناس كلهم ... وما قومه من بخله ببعيد

فقلت له: وسعيد بن سلم صديقي أيضاً، فهبه لي، فقال: إن أقبلت على ما يعنيك، وإلا رجعت فيما وهبت لك من خزيمة، فأمسكت عنه راضياً بالكفاف.

مدح محمد بن يزيد بن مزيد ثم انصرف عنه أخبرني حبيب بن نصر المهلبي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني عبد الله بن محمد بن موسى بن عمر بن حمزة بن بزيع، قال: حدثني عبد الله بن الحسن اللهبي، قال: كان مسلم بن الوليد مداحاً ليزيد بن مزيد، وكان يؤثره ويقدمه ويجزل صلته، فلما مات وفد على ابنه محمد، فمدحه وعزاه عن أبيه، وأقام ببابه فلم ير منه ما يحب، فانصرف عنه وقال فيه:

لبست عزاء عن لقاء محمد ... وأعرضت عنه منصفاً وودودا

وقلت لنفس قادها الشوق نحوه ... فعوضها منه اللقاء صدودا

هبيه امرأ قد كان أصفاك وده ... ومات وإلا فاحسبيه يزيدا

لعمري لقد ولى فلم ألق بعده ... وفاء لذي عهد يعد حميدا

مدح الفضل بن يحيى فأجزل له العطاء ووهبه جارية أعجبته بعد أن قال فيها شعراً أخبرني حبيب بن نصر، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود، قال: دخل مسلم بن الوليد يوماً

على الفضل بن يحيى، وقد كان أتاه خبر مسيره، فجلس للشعراء فمدحوه وأثابهم، ونظر في حوائج الناس فقضاها وتفرق الناس عنه، وجلس للشرب، ومسلم غير حاضر لذلك، وإنما بلغه حين انقضى المجلس، فجاءه فأدخل إليه فاستأذن في الإنشاد، فأذن له، فأنشده قوله فيه:

أتتك المطايا تهتدي بمطية ... عليها فتى كالنصل مؤنسه النصل

يقول فيها:

وردت رواق الفضل آمل فضله ... فحط الثناء الجزل نائله الجزل

فتى ترتعي الآمال مزنة جوده ... إذا كان مرعاها الأماني والمطل

تساقط يمناه الندى وشماله الردى ... وعيون القول منطقه الفصل

ألح على الأيام يفري خطوبها ... على منهج ألفى أباه به قبل

أناف به العلياء يحيى وخالد ... فليس له مثل ولا لهما مثل

فروع أصابت مغرساً متمكناً ... وأصلاً فطابت حيث وجهها الأصل

بكف أبي العباس يستمطر الغنى ... وتستنزل النعمى ويسترعف النصل

قال: فطرب الفضل طرباً شديداً، وأمر بأن تعد الأبيات، فعد فكانت ثمانين بيتاً فأمر له بثمانين ألف درهم، وقال: لولا أنها أكثر ما وصل به الشعراء لزدتك، ولكن شأو لا يمكنني أن أتجاوزه- يعني أن الرشيد رسمه لمروان بن أبي حفصة- وأمره بالجلوس معه والمقام عنده لمنادمته، فأقام عنده، وشرب معه، وكان على رأس الفضل وصيفة تسقيه كأنها لؤلؤة، فلمح الفضل مسلماً ينظر إليها، فقال: قد -وحياتي يا أبا الوليد- أعجبتك، فقل فيها أبياتاً حتى أهبها لك، فقال:

إن كنت تسقين غير الراح فاسقني ... كأساً ألذ بها من فيك تشفيني

عيناك راحي، وريحاني حديثك لي ... ولون حديك لون الورد يكفيني

إذا نهاني عن شرب الطلا حرج ... فخمر عينيك يغنيني ويجزيني

لولا علامات شيب لو أتت وعظت ... لقد صحوت ولكن سوف تأتيني

أرضي الشباب فإن أهلك فعن قدر ... وإن بقيت فإن الشيب يشقيني

فقال له: خذها بورك لك فيها، وأمر بتوجيهها مع بعض خدمها إليه.

ماتت زوجته فجزع عليها وتنسك

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أحمد ابن إبراهيم، قال: كانت لمسلم بن الوليد زوجة من أهله، كانت تكفيه أمره وتسره فيما تليه له منه، فماتت فجزع عليها جزعاً شديداً، وتنسك مدة طويلة، وعزم على ملازمة ذلك، فأقسم عليه بعض إخوانه ذات يوم أن يزوره ففعل، فأكلوا وقدموا الشراب، فامتنع منه مسلم وأباه، وأنشأ يقول:

بكاء وكأس، كيف يتفقان؟ سبيلاهما في القلب مختلفان
دعاني وإفراط البكاء فإنني أرى اليوم فيه غير ما تريان
غدت والثرى أولى بها من وليها إلى منزل ناء لعينك دان
فلا حزن حتى تذرف العين ماءها وتعترف الأحشاء للخفقان
وكيف يدفع اليأس للوجد بعدها وسهماهما في القلب يعتلجان!

هاجاه ابن قنبر فأمسك عنه بعد أن بسط لسانه فيه أخبرني حبيب بن نصر، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني علي بن الصباح، قال: حدثني مالك بن إبراهيم، قال: كان مسلم بن الوليد يهاجي الحكم بن قنبر المازني، فغلب عليه ابن قنبر مدة وأخرسه، ثم اثاب مسلم بعد أن انخزل وأفحم، فهتك ابن قنبر حتى كف عن مناقضته، فكان يهرب منه، فإذا لقيه مسلم قبض عليه وهجاه وأنشده ما قال فيه فيمسك عن إجابته؛ ثم جاءه ابن قنبر إلى منزله واعتذر إليه مما سلف، وتحمل عليه بأهله وسأله الإمساك فوعده بذلك، فقال فيه:

حلم ابن قنبر حين أقصر جهله هل كان يحلم شاعر عن شاعر؟
ما أنت بالحكم الذي سميته غالتك حلمك هفوة من قاهر
لولا اعتذارك لارتمى بك زاخر مرح العباب يفوت طرف الناظر
لا ترتعن لحمي لسانك بعدها إني أخاف عليك شفرة جازر
واستغنم العفو الذي أوتيته لا تأمنن عقوبة من قادر

مسلم وابن قنبر يتهاجيان في مسجد الرصافة أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن أبو بكر العبدي، قال: رأيت مسلم بن الوليد وابن قنبر في مسجد الرصافة في يوم جمعة، وكل واحد منهما بإزاء صاحبه، وكانا يتهاجيان، فبدأ مسلم فقال:

أنا النار في أحجارها مستكنة فغن كنت ممن يقدح النار فاقدح

فأجابه ابن قنبر فقال:

قد كنت تهوي وما قوسي بموترة فكيف ظنك بي والقوس في الوتر

قال: فوثب إليه مسلم وتواخزا وتواثبا، وحجز الناس بينهما فتفرقا.

لامه رجل من الأنصار على انخزاله أمام ابن قنبر فعاد إلى هجائه أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني علي بن عبيد الكوفي، قال: حدثني علي بن عمروس الأنصاري، قال: جاء رجل من الأنصار ثم من الخزرج إلى مسلم بن الوليد فقال له: ويلك ما لنا ولك، قد فضحتنا وأخزيتنا، تعرضت لابن قنبر فهاجيته، حتى إذا أمكنته من أعراضنا انخزلت عنه وأرعيته لحومنا، فلا أنت سكت ووسعك ما وسع غيرك، ولا أنت لما انتصرت أنصفت. فقال له مسلم: فما أصنع؟ فأنا أصبر عليه، فإن كف وإلا تحملت عليه بإخوانه، فإن كف وإلا وكلته إلى بغيه، ولنا شيخ يصوم الدهر ويقوم الليل، فإن أقام على ما هو عليه سألته أن يسهر له ليلة يدعو عليه فيها فإنها تهلكه، فقال له الأنصاري: سخنت عينك! أو بهذا تنتصف ممن هجاك؟ ثم قال له:

قد لاذ من خوف ابن قنبر مسلم ... بدعاء والده مع الأسحار

ورأيت شر وعيده أن يشتكي ... ما قد عراه إلى أخ أو جار

ثكلتك أمك قد هتكت حريمنا ... وفضحت أسرتنا بني النجار

عممت خزرجنا ومعشر أوسنا ... خزياً جنيت به على الأنصار

فعليك من مولى وناصر أسرة ... وعشيرة غضب الإله الباري

قال: فكاد مسلم أن يموت غماً وبكاءً وقال له: أنت شر علي من ابن قنبر. ثم أثاب وحمي، فهتك ابن قنبر ومزقه حتى تركه، وتحمل عليه بابنه وأهله حتى أعفاه من المهاجاة.

رجع الحديث عما وقع بين وبين ابن قنبر ونسخت هذا الخبر من كتاب جدي يحيى بن محمد بن ثوابة بخطه، قال: حدثني الحسن بن سعيد، قال: حدثني منصور بن جمهور قال: لما هجا ابن قنبر مسلم بن الوليد أمسك بعد أن أشلى عليه لسانه قال: فجاءه عم له فقال له: يا هذا الرجل، إنك عند الناس فوق ابن قنبر في عمود الشعمر، وقد بعث عليك لسانه ثم أمسكت عنه، فإما أن قارعته أو سالمته. فقال له مسلم: إن لنا شيخاً وله مسجد يتهجد فيه، وله بين ذلك دعوات يدعو بهن، ونحن نسأله أن يجعله من بعض دعواته، فإنا نكفاه، فأطرق الرجل ساعة ثم قال:

غلب ابن قنبر واللئيم مغلب ... لما اتقيت هجاءه بدعاء

ما زال يقذف بالهجاء ولذعه ... حتى اتقوه بدعوة الآباء!

قال: فقال له مسلم: والله ما كان ابن قنبر يبلغ مني هذا كله، فأمسك لسانك عني، وتعرف خبره بعد هذا. قال: فبعث -والله- عليه من لسان مسلم ما أسكته، هكذا جاء في الأخبار.

وقد حدثني بخبر مناقضته ابن قنبر جماعة ذكروا قصائدهما جميعاً، فوجدت في الشعر الفضل لابن قنبر عليه، لأن

له عدة قصائد لا نقائض لها، يذكر فيها تعريده عن الجواب، وقصائد يذكر فيها أن مسلماً فخر على قريش وعلى النبي صلى الله عليه وسلم ورماه بأشيء تبيح دمه، فكف مسلم عن مناقضته خوفاً منها، وجحد أشياء كان قالها فيه.

فمن أخبرني بذلك هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن الوليد مولى الأنصار، وكان عالماً بشعر مسلم بن الوليد وأخباره، قال: سبب المهاجاة بينه وبين ابن قنبر كان سبب المهاجاة بين مسلم بن الوليد والحكم بن قنبر أن الطرماح بن حكيم قد كان هجا بني تميم بقصيدته التي يقول فيها:

لا عز نصر امرئ أضحى له فرس ... على تميم يريد النصر من أحد

إذا دعا بشعار الأزد نفرهم ... كما ينفر صوت الليث بالنقد

لوحان ورد تميم ثم قيل لهم: ... حوض الرسول عليه الأزد لم ترد

أو أنزل الله وحياً أن يعذبها ... إن لم تعد لقتال الأزد، لم تعد

وهي قصيدة طويلة، وكان الفرزدق أجاب الطرماح عنها، ثم إن ابن قنبر المازني قال بعد خبر طويل يرد على الطرماح:

يا عاوياً هاج ليثاً بالعواء له ... شثن البراثن ورد اللون ذا لبد

أي الموارد هابت جم غمرته ... بنو تميم على حال فلم ترد

ألم ترد يوم قندابيل معلمة ... بالخيل تضبر نحو الأزد كالأسد

بفتية لم تنازعها فتطبعها ... بلؤمها طيء ثدياً ولم تلد

خاضت إلى الأزد بحراً ذا غوارب من ... سمر طوال وبحراً من قناً قصد

فأوردتها مناياها بمرهفة ... ملس المضارب لم تفلل ولم تكد

وهي قصيدة طويلة. وقد كان الطرماح قال أيضاً:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ... ولو سلكت طرق المكارم ضلت

أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى ... عظام المخازي عن تميم تجلت

وقد كان الفرزدق أيضاً أجابه عنها، وقال ابن قنبر ينقضها:

لعمرك ما ضلت تميم ولا جرت ... على إثر أشياخ عن المجد ضلت

ولا جبنت بل أقدمت يوم كسرت ... لها الأزد أغماد السيوف وسلت

بغائط قندابيل والموت خائض ... عليها بآجال لها قد أظلت

فما رحت تسقى كؤوس حمامها إذا نهلت كروا عليها فعلت
إلى أنا أبدتهم تميم وأكذبت أماني للشيطان عنها اضمحلت
وحان فراق منهم كل خدلة مفارقة بعلاً به قد تملت

وهي أيضاً طويل قال: فبلغ مسلم بن الوليد هجاء ابن قنبر للأزد وطيء ورده على الطرماح بعد موته. فغضب من ذلك. وقال: ما المعنى في مناقضة رجل ميت وإثارة الشر بذكر القبائل، لا سيما وقد أجابه الفرزدق عن قوله؟ فأبى ابن قنبر إلا تمادياً في مناقضته، فقال مسلم قصيدته التي أولها:

آيات أطلال برامة درس هجن الصبابة إذا ذكرت معرسي
أوحت إلى درر الدموع فأسبلت واستفهمتها غير أن لم تنبس

يقو فيها يصف الخمر:

صفراء من حلب الكروم كسوتها بيضاء من حلب الغيوم البجس
طارت ولاوذها الحباب فحاكها فكأن حليتها جني النرجس

ويقول فيها يصف السيوف:

وتفارق الأغماد تبدو تارة حمراً وتخفى تارة في الأرؤس
حرب يكون وقودها أبناءها لقحت على عقر ولما تنفس
من هارب ركب النجاء ومقعص جثمت منيته على المتنفس
غصبته أطراف الأسنة نفسه فثوى فريسة ولغ أو نهس
إن كنت نازلة اليفاع فنكبي دار الرباب وخزرجي أو أوسي
وتجنبي الجعراء إن سيوفهم حدث وإن قناتهم لم تضرس
عل طيء الأجبال شاكرة امرئ ذاد القوافي عن حماها مدرس
أحمي أبا نفر عظام حفيرة درست وباقي غرسها لم يدرس
كافأت نعمتها بضعف بلائها ثم انفردت بمنصب لم يدنس
وإذا افتخرت عددت سعي مآثر قصرت على الإغضاء طرف الأشوس
رفعت بنو النجار حلفي فيهم ثم انفردت فأفسحوا عن مجلسي
فاعقل لسانك عن شتائم قومنا لا يعلقنك خادر من مأنس

أخلفت فخرك من أبيك وجئتني بأب جديد بعد طول تلمس

أخذت عليه المحكمات طريقها فغدا يهاجي أعظماً في مرمس

قال: فلم يجبه ابن قنبر عن هذه بشيء، ثم التقيا فتعاتبا، واعتذر كل واحد منهما إلى صاحبه، فقال مسلم يهجوه:

حلم ابن قنبر حين قصر شعره هل كان يحلم شاعر عن شاعر

يهجو قريشاً ويفخر بالأنصار

وقد مضت هذه الأبيات متقدماً. قال: ومكث ابن قنبر حيناً لا يجيبه عن هذا ولا عن غيره بشيء طلباً للكفاف، ثم هجا مسلماً قريشاً وفخر بالأنصار فقال:

قل لمن تاه إذ بنا عز جهلاً ليس بالتيه يفخر الأحرار

فتناهوا وأقصروا فلقد جا رت عن القصد فيكم الأنصار

أيكم حاط ذا جوار بعز قبل أن تحتويه منا الدار

أو رجا أن يفوت قوماً بوتر لم تزل تمتطيهم الأوتار

لم يكن ذاك فيكم فدعوا الفخر بما لا يسوغ فيه افتخار

ونزاراً ففاخروا تفضلوهم ودعوا من له عبيداً نزار

فبنا عز منكم الذل والد هر عليكم بريبة كرار

حاذروا دولة الزمان عليكم إنه بين أهله أطوار

فتردوا ونحن للحالة الأو لى وللأوحد الأذل الصغار

فاخرتنا لما بسطنا لها الفخر قريش وفخرها مستعار

ذكرت عزها وما كان فيها قبل أن يستجيرنا مستجار

إنما كان عزها في جبال ترتقيها كما ترقى الوبار

أيها الفاخرون بالعز، والعز لقوم سواهم والفخار

أخبرونا من الأعز أألمن صور حتى اعتلى أم الأنصار؟

فلنا العز قبل عز قريش وقريش تلك الدهور تجار

ابن قنبر يجيبه قال: فانبرى له ابن قنبر يجيبه فقال:

ألا أمثل أمير المؤمنين بمسلم ... وأفلق به الأحشاء من كل مجرم
ولا ترجعن عن قتله باستتابة ... فما هو عن شتم النبي بمحرم
ولا عن مساواة له ولقومه ... قريش بأصداء لعاد وجرهم
ويفخر بالأنصار جهلاً على الذي ... بنصرته فازوا بحظ ومغنم
وسموا به الأنصار لا عز قائل ... أراد قريشاً بالمقال المذمم

ومنهم رسول الله أزكى من انتمى ... إلى نسب زاك ومجد مقدم
وما كانت الأنصار قبل اعتصامها ... بنصر قريش في المحل المعظم
ولا بالألى يعلون أقدار قومهم ... صداء وخولان ولخم وسلهم
ولكنهم بالله عاذوا ونصرهم ... قريشاً ومن يستعصم الله يعصم
فعزوا وقد كانوا وفطيون فيهم ... من الذل في باب من العز مبهم
يسومهم الفطيون ما لا يسامه ... كريم ومن لا ينكر الظلم يظلم
وإن قريشاً بالمآثر فضلت ... على الخلق طراً من فصيح وأعجم
فما بال هذا العلج ضل ضلاله ... يمد إليهم كف أجذم أعسم
يسامي قريشاً مسلم وهم هم ... بمولى بماني وبيت مهدم
إذا قام فيه غيرهم لم يكن له ... مقام بن من لؤم مبنى ومدعم
جعاسيس أشبه القرود لو أنهم ... يباعون ما ابتيعوا جميعاً بدرهم
وما مسلم من هؤلاء ولا ألى ... ولكنه من نسل علج ملكم
تولى زماناص غيرهم ثمت ادعى ... إليهم فلم يكرم ولم يتكرم
فإن يك منهم بالنضير ولفهم ... مواليه لا من يدعي بالتزعم
وإنه تدعه الأنصار مولى أسمهم ... بقافية تستكره الجلد بالدم
عقاباً لهم في إفكهم وادعائهم ... لأقلف منقوش الذراع موشم
فلا تدعوه وانتفوا منه تسلموا ... بنفيكموه من مقام ومأثم
وإلا فغضوا الطرف وانتظروا الردى ... إذا اختلفت فيكم صوادر أسهمي

ولم تجدوا منها مجناً بجنكم إذا ذلعت من كل فج ومعلم
وأنتم بنو أذناب من أنتم له ولستم بأبناء السنام المقدم
ولا ببني الرأس الرفيع محله فيسمو بكم مولى مسام وينتمي
فكيف رضيتم أن يسامى نبيكم بيتكم الرث القصير المهدم
سأحطم من سامى النبي تطاولاً عليه وأكوي منتماه بميسم
أيعدل بيت يثربي بكعبة ثوتها قريش في المكان المحرم
قريش خيار الله والله خصهم بذلك فاقعس أيها العلج وارغم
ومن يدعي منه الولاء مؤخراً إذا قيل للجاري إلى المجد أقوم

قال: وكان مسلم قال هذه القصيدة في قريش وكتمها، فوقعت إلى ابن قنبر، وأجابه عنها، واستعلى عليه وهتكه، وأغرى به السلطان، فلم يكن عند مسلم في هذا جواب من الانتفاء منها، ونسبتها إلى ابن قنبر، والادعاء عليه أنه ألصقها به ونسبها إليه، ليعرضه للسلطان، وخافه فقال ينتفي من هذه القصيدة ويهجو تميماً:

قصيدته في هجاء تميم

دعوت أمير المؤمنين ولم تكن هناك، ولكن من يخف يتجسم
وإنك إذ تدعو الخليفة ناصراً لكالمترقي في السماء بسلم
كذاك الصدى تدعو من حيث لا ترى وإن تتوهمه تمت في التوهم
هجوب قريشاً عامداً ونحلتني رويدك يظهر ما تقول فيعلم
إذا كان مثلي في قبيلتي فإنه على ابني لؤي قصرة غير متهم
سيكشفك التعديل عما قرفتني به فتأخر عارفاً أو تقدم
فإن قريشاً لا تغير ودها ولا يستمال عهدها بالتزعم
مضى سلف منهم وصلى بعقبهم لنا سلف في الأول المتقدم
جروا فجرينا سابقين بسبقهم كما اتبعت كف نواشر معصم
وإن الذي يسعى ليقطع بيننا كملتمس اليربوع في جحر أرقم
أضلك قدع الآبدات طريقها فأصبحت من عميائها في تهيم
وخانتك عند الجري لما اتبعتها تميم فحاولت العلا بالتقحم

فأصبحت ترميني بسهمي وتتقى يدي بيدي، أصليت نارك فاضرم

ابن قنبر يهجوه

قال: ثم هجاه ابن قنبر بقصيدة أولها:

قل لعبد النضير مسلم الوغد الدني اللئيم شيخ النصاب

اخس يا كلب إذ نبحث فإني لست ممت يجيب نبح الكلاب

أفأرضى ومنصبي منصب العز وبيتي في ذروة الأحساب

أن أحط الرفيع من سمك بيتي بمهاجاة أوشب الأوشاب

من إذا سيل: من أبوه؟ بدامنه حياء يحميه رجع الجواب

وإذا قيل حين يقبل: من أنت ومن تعتزيه في الأنساب

قلت: هاجي ابن قنبر، فتسربلت بذكري فخراً لدى النساب ابن قنبر يتابع هجاءه وهي قصيدة طويلة، فلم يجبه مسلم عنها بشيء، فقال فيه ابن قنبر أيضاً:

لست أنفيك إن سواي نفاكا عن أبيك الذي له منتماكا

ولما أنفيك يا بن وليد من أب إن ذكرته أخزاكا

ولو أني طلبت ألأم منه لم أجده إن لم تكن أنت ذاكا

لو سواه أباك كان جعلنا ه إن الناس طاوعونا أباكا

حاك دهراً بغير حذق لبرد وتحوك الأشعار أنت كذاكا

وهي طويلة، فلم يجبه مسلم عنها بشيء، فقال ابن قنبر أيضاً يهجوه:

فخر العبد عبد قن اليهود بضعيف من فخره مردود

فاخر الغر من قريش بإخوا ن خنازير من يثرب والقرود

يتولى بني النضير ويدعو بهم الفخر من مكان بعيد

وبني الأوس والخزرج أل الذ ل في سالف الزمان التليد

إذ رضوا بافتضاض فطيون منهم كل بكر ريا الروادف رود

وبنو عمها شهود لما يف عل فطيون قبحوا من شهود

خلف باب الفطيون والبغل منهم لا بذي غيره ولا بنجيد

فإذا ما قضى اليهودي منها نحبه قنعوا بخزي جديد

قال: فلما أفحش في هذه القصيدة وفي عدة قصائد قالها، ومسلم لا يجيبه، مشى إليه قوم من مشيخة الأنصار، واستعانوا بمشيخة من قراء تميم وذوي العلم والفضل منهم، فمشوا معهم إليه وقالوا له: ألا تستحي من أن تهجو من لا يجيبك؟ أنت بدأت الرجل فأجابك، ثم عدت فكف، وتجاوزت ذلك إلى ذكر أعراض الأنصار التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحميها ويذب عنها ويصونها، لغير حال أحلت لك ذلك منهم، فما زالوا يعظونه ويقولون له كل قول حتى أمسك عن المناقضة لمسلم، فانقطعت.

صوت

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتهم شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

يحكي أفاعيله في كل نائبة الغيث والليث والصمصامة الذكر

الشعر لمحمد بن وهيب، والغناء لعلويه ثقيل أولى بالوسطى، وفيه لإبراهيم بن المهدي ثقيل أول آخر عن الهشامي.

أخبار محمد بن وهيب

شعراء الدولة العباسية

محمد بن وهيب الحميري صليبة شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية، وأصله من البصرة ، وله أشعار كثيرة يذكرها فيها ويتشوقها، ويصف إبطانه إياها ومنشأه بها.

مدح الحسن بن رجاء ثم المأمون

وكان يستمنح الناس بشعره، ويتكسب بالمديح، ثم توسل إلى الحسن بن سهل بالحسن بن رجاء بن أبي الضحاك ومدحه، فأوصله إليه وسمع شعره فأعجب به واقتطعه إليه، وأوصله إلى المأمون حتى مدحه وشفع له فأسنى جائزته، ثم لم يزل منقطعاً إليه حتى مات. وكان يتشيع، وله مراث في أهل البيت.

منزلته

هو متوسط من شعراء طبقته، وفي شعره أشياء نادرة فاضلة، وأشياء متكلفة .

المعتصم يسمع مديحه ويجيزه دون غيره أخبرنا محمد خلف وكيع، قال: زعم أبو محلم، وأخبرني عمي، عن علي بن الحسين بن عبد الأعلى، عن أبي محلم، قال: اجتمع الشعراء على باب المعتصم فبعث إليهم محمد بن عبد الملك الزيات أن أمير المؤمنين يقول لكم: من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول النمري في الرشيد:

خليفة الله إن الجود أودية أحلك الله منها حيث تجتمع

من لم يكن بأمين الله معتصماً فليس بالصلوات الخمس ينتفع
إن أخلف القطر لم تخلف مخايله أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع

فليدخل وإلا فلينصرف، فقام محمد بن وهيب فقال: فينا من يقول مثله، قال: وأي شيء قلت؟ فقال:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتهم شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر
تحي أفاعيله في كل نائبة الغيث والليث والصمصامة الذكر

فأمر بإدخاله وأحسن جائزته.

رجع الحديث عن صلته بالحسن بن رجاء

أخبرني عمي، قال: حدثان عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن محمد بن مروان بن موسى قال: حدثني محمد بن وهيب الشاعر قال: لما تولى الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك الجبل قلت فيه شعراً وأنشدته أصحابنا دعبل بن علي وأبا سعد المخزومي، وأبا تمام الطائي، فاستحسنوا الشعر وقالوا: هذا لعمري من الأشعار التي تلقى بها الملوك، فخرجت إلى الجبل فلما صرت إلى همذان أخبره الحاجب بمكاني فأذن لي فأنشدته الشعر فاستحسن منه قولي:

أجارتنا إن التعفف بالياس وصبراً على استدرار دنيا بإبساس
حريان ألا يقذفا بمذلة كريماً وأل يحوجاه إلى الناس
أجارتنا إن القداح كواذب وأكثر أسباب النجاح مع الياس

فأمر حاجبه بإضافتي فأقمت بحضرته كلما دخلت إليه لم أنصرف إلا بحملان أو خلعة أو جائزة حتى انصرم الصيف فقال لي: يا محمد إن الشتاء عندنا علج فأعد يوماً للوداع. فقلت: خدمة الأمير أحب غلي، فلما كاد الشتاء أن يشتد قال لي: هذا أوان الوداع، فأنشدني الثلاثة الأبيات فقد فهمت الشعر كله، فلما أنشدته:

أجارتنا إن القداح كواذب وأكثر أسباب النجاح مع الياس

قال: صدقت، ثم قال: عدوا أبيات القصيدة فأعطوه لكل بيت ألف درهم، فعدت فكانت اثنين وسبعين بيتاً، فأمر لي باثنين وسبعين ألف درهم، وكان فيما أنشدته في مقامي واستحسنه قولي: صوت

دماء المحبين لا تعقل أما في الهوى حكم يعدل!
تعبدني حور الغانيات ودان الشباب له الأخطل
ونظرة عين تعللتها غراراً كما ينظر الأحول

مقسمة بين وجه الحبيب وطرف الرقيب متى يغفل

في هذه الأبيات هزج طنبوري سمعته من جحظة فذكر أنه يراه للمسدود و لم يحقق صانعه.

قال الأصبهاني: وهذه الأبيات له في المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي.

قال محمد بن وهيب: وأهدي إلى الحسن بن رجاء غلام فأعجب به فكتب إليه:

ليهنك الزائر الجديد جرى به الطائر السعيد

جاء مشوق إلى مشوق فذا ودود وذا ودود

يوم نعيم ويوم لهو خصصت فيه بما تريد

إلف مشوق أتاه ألف فمستفاد ومستفيد

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار بهذا الحديث، عن يعقوب بن إسرائيلي قرقارة، عن محمد بن مروان بن موسى، عن محمد بن وهيب، فذكر مثل الذي قبله وزاد فيه، فلم يزل يستعيدني:

أجارتنا إن القداح كواذب وأكثر أسباب النجاح مع الياس

وأنا أعيده عليه، فانصرفت من عنده بأكثر مما كنت أؤمل.

دخل على أبي دلف فأعظمه لإعجابه بشعره حدثني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب، قال: حدثني أبو هفان، قال: حدثني خالي، قال: كنت عند أبي دلف القاسم بن عيسى، فدخل عليه محمد بن وعيب الشاعر فأعظمه جداً، فلما انصرف قال له أخوه معقل: يا أخي، قد فعلت بهذا ما لم يستحقه، ما هو في بيت من الشرف، ولا في كمال من الأدب، ولا بموضع من السلطان، فقال: بلى يا أخي، إنه لحقيق بذلك، أو لا يستحقه وهو القائل: صوت

يدل على أنني عاشق من الدمع مستشهد ناطق

ولي مالك أنا عبد له مقر بأني له وامق

إذا ما سموت إلى وصله تعرض لي دونه عائق

وحاربني فيه ريب الزمان كأن الزمان له عاشق

في هذه الأبيات رمل طنبوري أظنه لجحظة.

هنا المطلب بعد عودته من الحج فوصله

بصلة كبيرة

حدثني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك، قال:
لما قدم المطلب بن عبد الله بن مالك من الحج لقيه محمد بن وهيب مستقبلاً مع من تلقاه، ودخل إليه مهنئاً بالسلامة بعد استقراره، وعاد إليه في الثالثة فأنشده قصيدة طويلة مدحه بها، يقول فيها:

وما زلت أسترعي لك الله غائباً ... وأظهر إشفاقاً عليك وأكتم
وأعلم أن الجود ما غبت غائب ... وأن الندى في حيث كنت مخيم
إلى أن زجرت الطير سعداً سوانحاً ... وحم لقاء بالسعود ومقدم
وظل يناجيني بمدحك خاطر ... وليلي ممدود الرواقين أدهم
وقال :طواه الحج فاخشع لفقده ... ولا عيش حتى يستهل المحرم
سيفخر ما ضم الحطيم وزمزم ... بمطلب لو أنه يتكلم
وما خلقت إلا من الجود كفه ... على أنها والبأس خدنان توأم
أعدت إلى أكناف محكم بهجة ... خزاعية كانت تجل وتعظم
ليالي سمار الحجون إلى الصفا ... خزاعة إذ خلت لها البيت جرهم
ولو نطقت بطحاؤها وحجونها ... وخيف مني والمأزمان وزمزم
إذاً لدعت أجزاء جسمك كلها ... تنافس في أقسامه لو تحكم
ولو رد مخلوق إلى بدء خلقه ... إذاً كنت جسماً بينهن تقسم
سما بك منها كل خيف أبطح ... نما بك منه الجوهر المتقدم
وحن إليك الركن حتى كأنه ... وقد جئته خل عليك مسلم

قال: فوصله صلة سنية وأهدى إليه هدية حسنة من طرف ما قدم به وحمله، والله أعلم.

مدح الحسن بن سهل فأطربه

ولم يقصد غيره إلى أن مات

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني الحسن بن الحسن بن رجاء، عن أبيه وأهله، قالوا: كان محمد بن وهيب الحميري لما قدم المأمون من خراسان مضاعاً مطرحاً، إنما يتصدى للعامة وأوساط الكتاب والقواد بالمديح ويسترفدهم فيحظى باليسير، فلما هدأت الأمور واستقرت واستوسقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوماً منفرداً بأهله وخاصته وذوي مودته ومن يقرب من أنسه، فتوسل إليه محمد بن وهيب بأبي حتى أوصله مع الشعراء، فلما انتهى إليه القول استأذن في الإنشاد فأذن له، فأنشده قصيدته التي أولها:

ودائع أسرار طوتها السرائر وباحت بمكتوماتهن النواظر
ملكت بها طي الضمير وتحته شبا لوعة عضب الغرارين باتر
فأعجم عنها ناطق وهو معرب وأعربت العجم الجفون العواطر
ألم تغذني السراء في ريق الهوى غريراً بما تجني علي الدوائر
تسالمني الأيام في عنفوانه ويكلؤني طرف من الدهر ناظر

حتى انتهى إلى قوله:

إلى الحسن الباني العلا يممت بنا عوالي المنى حيث الحيا المتظاهر
إلى الأمل المبسوط والأجل الذي بأعدائه تكبوا الجدود العواثر
ومن أنبعت عين المكارم كفه يقوم مقام القطر والروض داثر
تعصب تاج الملك في عنفوانه وأطت بع عصر الشباب المنابر
تعظمه الأوهام قبل عيانه ويصدر عنه الطرف والطرف حاسر
به تجتدى النعمى وتستدرك المنى وتستكمل الحسنى وترعى الأواصر
أصات بنا داعي نوالك مؤذناً فجوادك إلا أنه لا يحاور
قسمت صروف الدهر بأساً ونائلاً فمالك موتور وسيفك واتر
ولما رأى الله الخلافة قد وهت دعائمها والله بالأمر خابر
بنى بك أركاناً عليك محيطة فأنت لها دون الحوادث ساتر
وأرعن فيه للسوابغ جنة وسقف سماء أنشأته الحوافر

يعني أن على الدروع من الغبار ما قد غشيها فصار كالجنة لها.

لها فلك فيه الأسنة أنجم ونقع المنايا مستطير وثائر
أجزت قضاء الموت في مهج العدا ضحى فاستباحتها المنايا الغوادر
لك اللحظات الكالئات قواصداً بنعمى وبالبأساء وهي شوازر
ولم لم تكن إلا بنفسك فاخراً لما انتسبت إلا إليك المفاخر

قال: فطرب أبو محمد حتى نزل عن سريره إلى الأرض وقال: أحسنت والله وأجملت، ولو لم تقل قط ولا تقول

في باقي دهرك غير هذا لما احتجت إلى القول، وأمر له بخمسة آلاف دينار فأحضر واقتطعه إلى نفسه، فلم يزل في جنبته أيام ولايته وبعد ذلك إلى أن مات ما تصدى لغيره.

تردد على علي بن هشام فهجاه

هجاء موجعا

حدثني أحمد بن جعفر جحظة، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: كان محمد بن وهيب الحميري الشاعر قد مدح علي بن هشام وتردد غليه وإلى بابه دفعات، فحجبه ولقيه يوماً، فعرض له في طريقه وسلم عليه، فلم يرفع إليه طرفه، وكان فيه تيه شديد، فكتب إليه رقعة يعاتبه فيها، فلما وصلت إليه خرقها وقال: أي شيء يريد هذا الثقيل السيئ الأدب؟ فقيل له ذلك فانصرف مغضباً وقال: والله ما أردت ماله وإنما أردت التوسل بجاهه سيغني الله عز وجل عنه، أما والله ليذمن مغبة فعله. وقال يهجوه:

أزرت بجود علي خيفة العدم ... فصد منهزماً عن شأو ذي الهمم

لو كان من فارس في بيت مكرمة ... أو كان من ولد الأملاك في العجم

أو كان أوله أهل البطاح أو الر ... كب الملبون إهلالاً إلى الحرم

أيام تتخذ الأصنام آلهة ... فلا ترى عاكفاً إلا على صنم

لشجعته على فعل الملوك لهم ... طبائع لم ترعها خيفة العدم

لو تند كفاك من بذل النوال كما ... لم يند سيفك مذ قلدته بدم

كنت امرأ رفعته فتنة فعلا ... أيامها غادراً بالعهد والذمم

حتى إذا انكشفت عنا عمايتها ... ورتب الناس بالأحساب والقدم

مات التخلق وارتدتك مرتجعاً ... طبيعة نذلة الأخلاق والشيم

كذاك من كان لا رأساً ولا ذنباً ... كز اليدين حديث العهد بالنعم

هيهات ليس بحمال الديات ولا ... معطي الجزيل ولا المرهوب ذي النقم

قال: فحدثني بني هاشم أن هذه الأبيات لما بلغت علي بن هشام ندم على ما كان منه، وجزع لها وقال: لعن الله اللجاج فإنه شر خلق تخلقه الناس، ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام فقال: الله يعلم أني لا أدخل على الخليفة وعلي السيف إلا وأنا مستح منه، أذكر قول ابن وهيب في:

لم تند كفاك من بذل النوال كما ... لم يند سيفك مذ قلدته بدم

حدثني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: من سمع ابن الأعرابي، يقول: أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وهيب:

لم تند كفاك من بذل النوال كما لم يند سيفك مذ قلدته بدم

تعرض لأعرابية فأجابته جواباً مسكتاً

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني محمد بن مرزوق البصري، قال: حدثني محمد بن وهيب قال: جلست بالبصرة إلى عطار فإذا أعرابية سوداء قد جاءت فاشترت من العطار خلوقاً فقلت له: تجدها اشترت لابنتها وما ابنتها إلا خنفساء، فالتفتت إلي متضاحكة، ثم قالت: لا والله، لكن مهاة جيداء ، إن قامت فقناة، وإن قعدت فحصاة، وإن مشت فقطاه، أسفلها كثيب، وأعلاها قضيب، لا كفتياتكم اللواتي تسمونهن بالفتوت ، ثم انصرفت وهي تقول:

إن الفتوت للفتاة مضرطه يكربها في البطن حتى تثلطه

فلا أعلمني ذكرتها إلا أضحكني ذكرها.

تردد على مجلس يزيد بن هارون ثم تركه حدثني عيسى بن الحسين الوراق، قال: حدثنا أبو هفان، قال: كان محمد بن وهيب يتردد إلى مجلس يزيد بن هارون، فلزمه عدة مجالس يملي فيها كلها فضائل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، لا يذكر شيئاً من فضائل علي عليه السلام، فقال فيه ابن وهيب:

آتي يزيد بن هارون أدالجه في كل يوم ومالي وابن هارون
فليت لي بيزيد حين أشهده راحاً وقصفاً وندماناً يسليني
أغدو إلى عصبة صمت مسامعهم عن الهدى بين زنديق ومأفون
لا يذكرون علياً في مشاهدهم ولا بنيه بني البيض الميامين
الله يعلم أني لا أحبهم كما هم بيقين لا يحبوني
ويستطيعون عن ذكرى أبا حسن وفضله قطعوني بالسكاكين

ولست أترك تفضيلي له أبداً حتى الممات على رغم الملاعين

مذهبه من شعره

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني إسحاق بن محمد الكوفي، قال: حدثني محمد بن القاسم بن يوسف. وأخبرني به الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن القاسم، قال: حدثني إسحاق، عن محمد بن القاسم بن

يوسف قال: كان محمد بن وهيب يأتي أبي فقال له أبي يوماً: إنك تأتينا وقد عرفت مذاهبنا فنحب أن تعرفنا مذهبك فنوافقك أو نخالفك، فقال له: في غد أبين لك أمري ومذهبي، فلما كان من غد كتب إليه:

أيها السائل قد بينت إن كنت ذكيا

أحمد الله كثيراً بأياديه عليا

شاهداً أن لا إله غيره ما دمت حيا

وعلى أحمد بالصد ق رسولاً ونبيا

ومنحت الود قربا ه ووالیت الوصيا

وأتاني خبر مطرح لم يك شيا

أن على غير اجتماع عقدوا الأمر بديا

فوقفت القوم تيماً وعديا وأميا

غير شتام ولكني توليت عليا

اعتزازه بشعره

حدثني جحظة، قال: حدثني علي بن يحيى المنجم، قال: بلغ محمد بن وهيب أن دعبل بن علي قال: أنا ابن قولي :

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

وأن أبا تمام قال: أنا ابن قولي :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

فقال محمد بن وهيب: وأنا بن قولي :

ما لمن تمت محاسنه أن يعادي طرف من رمقا

لك أن تبدي لنا حسناً ولنا أن نعمل الحدقا

قال أبو الفرج الأصبهاني : وهذا من جيد شعره ونادره، وأول هذه الأبيات قوله:

نم فقد وكلت بي الأرقا لاهياً تغري بمن عشقا

إنما أبقيت من جسدي شبحاً غير الذي خلقا

كنت كالنقصان في قمر ماحقاً منه الذي اتسقا

وفتى ناداك من كثب أسعرت أحشاؤه حرقا
غرقت في الدمع مقلته فدعا إنسانها الغرقا
نما عاقبت ناظره أن أعاد اللحظ مسترقا
ما لمن تمت محاسنه أن يعادي طرف من رمقا
لك أن تبدي لنا حسناً ولنا أن نعمل الحدقا
قدحت كفاك زند هوى في سواد القلب فاحترقا

وصف غلمان أحمد بن هشام فوهبه غلاماً فمدحه حدثني عمي، قال: حدثني أبو عبد الله الهشامي، عن أبيه، قال:

دخل محمد بن وهيب على أحمد بن هشام يوماً وقد مدحه، فرأى بين يديه غلماناً روقة مرداً وخدماً بيضاً فرهاً في نهاية الحسن والكمال والنظافة، فدهش لما رأى وبقي متبلداً لا ينطق حرفاً، فضحك أحمد منه وقال له: ما لك؟ ويحك! تكلم بما تريد، فقال:

قد كانت الأصنام وهي قديمة كسرت وجدعهن إبراهيم
ولديك أصنام سلمن من الأذى وصفت لهن غضارة ونعيم
وبنا إلى صنم نلوذ بركنه فقر وأنت إذا هززت كريم

فقال له: اختر من شئت، فاختار واحداً منهم، فأعطاه إياه، فقال يمدحه:

فضلت مكارمه على الأقوام وعلا فحاز مكارم الأيام
وعلته أبهة الجلال كأنه قمر بدا لك من خلال غمام
إن الأمير على البرية كلها بعد الخليفة أحمد بن هشام

الحسن بن سهل يصله بالمأمون

وأخبرني جعفر بن قدامة في خبره الذي ذكرته آنفاً عنه، عن الحسن بنالحسن رن رجاء، عن أبيه، قال: لما قدم المأمون، لقيه أبو محمد الحسن بن سهل، فدخلاً جميعاً، فعارضهما ابن وهيب وقال:

اليوم جددت النعماء والمنن فالحمد لله حل العقدة الزمن
اليوم أظهرت الدنيا محاسنها للناس لما التقى المأمون والحسن

قال: فلما جلسا سأله المأمون عنه فقال: هذا رجل من حمير، شاعر مطبوع، اتصل بي متوسلاً إلى أمير المؤمنين وطالباً الوصول مع نظرائه، فأمر المأمون بإيصاله مع الشعراء، فلما وقف بين يديه، وأذن له في الإنشاد، أنشده قوله:

طللان طال عليهما الأمد ... دثراً فلا علم ولا نضد
لبسا البلى فكأنما وجدا ... بعد الأحبة مثل ما أجد
حييتما طللين، حالهما ... بعد الأحبة غير ما عهدوا
إما طواك سلو غانية ... فهواك لا ملل ولا فند
إن كنت صادقة الهوى فردي ... في الحب منهلي الذي أرد
أدمي هرقت وأنت آمنة ... أم ليس لي عقل ولا قود ؟
إن كنت فت وخانني سبب ... فلربما يخطئ مجتهد

حتى انتهى إلى قوله في مدح المأمون:

يا خير منتسب لمكرمة ... في المجد حيث تبحبح العدد
في كل أنملة لراحته ... نوء يسح وعارض حشد
وإذا القنا رعفت أسنته ... علقماً وصم كعوبها قصد
فكأن ضوء جبينه قمر ... وكأنه في صولة أسد
وكأنه روح تدبرنا ... حركاته وكأننا جسد

المأمون يستشير فيه الحسن بن سهل ثم يلحقه بجوائز مروان بن أبي حفصة فاستحسنها المأمون وقال لأبي محمد: احتكم له، فقال: أمير المؤمنين أولى بالحكم، ولكن إن أذن لي في المسألة سألت له، فأما الحكم فلا، فقال: سل، فقال: يلحقه بجوائز مروان بن أبي حفصة، فقال: ذلك والله أردت، وأمر بأن تعد أبيات قصيدته ويعطى لكل بيت ألف درهم، فعدت فكانت خمسين، فأعطي خمسين ألف درهم.

من مدائحه للمأمون قال الأصبهاني: وله في المأمون والحسن بن سهل خاصة مدائح شريفة نادرة، من عيونها قوله في المأمون في قصيدة أولها:

العذر أن أنصفت متضح ... وشهيد حبك أدمع سفح
فضحت ضميرك عن ودائعه ... إن الجفون نواطق فصح
وإذا تكلمت العيون على ... إعجامها فالسر مفتضح

ربما أبيت معانقي قمر ... للحسن فيه مخايل تضح
نشر الجمال على محاسنه ... بدعاً وأذهب همه الفرح
يختال في حلل الشباب به ... مرح وداؤك أنه مرح
ما زال يلثمني مراشفه ... ويعلني الإبريق والقدح
حتى استرد الليل خلعته ... ونشا خلال سواده وضح
وبدا الصباح كأن غرته ... وجه الخليفة حين يمتدح

يقول فيها:

نشرت بك الدنيا محاسنها ... وتزينت بصفاتك المدح
وكأن ما قد غاب عنك له ... بإزاء طرفك عارضاً شبح
وإذا سلمت فكل حادثة ... جلل فلا بؤس ولا ترح

مدح المطلب بن عبد الله فوصله وأقام عنده مدة أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثني أهلنا: أن محمد بن وهيب قصد المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي -عم أبي- وقد ولي الموصل وكان له صديقاً حفياً، وكان كثير الرفد له والثواب على مدائحه، فأنشده قوله فيه: صوت

دماء المحبين لا تعقل ... أما في الهوى حاكم يعدل
تعبدي حور الغانيات ... ودان الشباب له الأخطل
ونظرة عين تلافيتها ... غراراً كما ينظر الأحول
مقسمة بين وجه الحبيب وطرف الرقيب متى يغفل
أذم على غربات النوى ... إليك السلو ولا أذهل
وقالوا عزاؤك بعد الفراق ... إذا حم مكروهه أجمل
أقيدي دماً سفكته العيون ... بإيماض كحلاء لا تكحل
فكل سهامك لي مقصد ... وكل مواقعها مقتل
سلام على المنزل المستحيل ... وإن ضن بالمنطق المنزل
وعضب الضريبة يلقى الخطوب ... بجد عن الدهر لا ينكل
تغلغل شرقاً إلى مغرب ... فلما تبدت له الموصل
ثوى حيث لا يستمال الأريب ... ولا يؤلف اللقن الحول

لدى ملك قابلته السعود وجانبه الأنجم الأفل
لأيامه سطوات الزمان وإنعامه حين لا موئل
سما ما لك بك للباهرات وأوحدك المربأ الأطول
وليس بعيداً بأن تحتذي مذاهب آسادها الأشبل

قال: فوصله وأحسن جائزته وأقام عنده مدة، ثم استأذنه في الإنصراف فلم يأذن له، وزاد في ضيافته وجراياته وجدد له صلة، فأقام عنده برهة أخرى، ثم دخل عليه فأنشده:

ألا هل إلى ظل العقيق وأهله إلى قصر أوس فالحزير معاد؟
وهل لي بأكناف المصلى فسفحه إلى السور مغدى ناعم ومراد؟
فلم تنسني نهر الأبلة نية ولا عرصات المربدين بعاد
هنالك لا تبني الكواعب خيمة ولا تتهادى كلثم وسعاد
أجدي لا ألقى النوى مطمئنة ولا يزدهيني مضجع ومهاد

فقال له: أبيت إلا الوطن والتزاع إليه! ثم أمر له بعشرة آلاف درهم، وأوقر له زورقاً من طرف الموصل وأذن له.

المأمون يتمثل من شعره

حدثني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني أبو عبد الله الماقطاني، عن علي بن الحسين بن عبد الأعلى، عن سعيد بن وهيب، قال: كان المأمون كثيراً ما يتمثل إذا كربه الأمر:

ألا ربما ضاق الفضاء بأهله وأمكن من بين الأسنة مخرج

قصيدته في ابن عباد وزير المأمون حين أبعده قال الأصبهاني: وهذا الشعر لمحمد بن وهيب يقوله في ابن عباد وزير المأمون، وكان له صديقاً، فلما ولي الوزارة اطرحه لانقطاعه إلى الحسن بن سهل فقال فيه قصيدة أولها:

تكلم بالوحي البنان المخضب ولله شكوى معجم كيف يعرب؟
أإيماء أطراف البنان ووجهها أباتا له كيف الضمير المغيب؟
وقد كان حسن الظن أنجب مرة فأحمد عقبى أمره المتعقب
فلما تدبرت الظنون مراقباً تقلب حاليها إذا هي تكذب
بدأت بإحسان فلما شكرته تنكرت لي حتى كأني مذنب
وكل فتى يلقي الخطوب بعزمه له مذهب عمن له عنه مذهب

وهل يصرع الحب الكريم وقلبه ... عليم بما يأتي وما يتجنب
تأنيت حتى أوضح العلم أنني ... مع الدهر يوماً مصعد ومصوب
وألحقت أعجاز الأمور صدورها ... وقومها غمز القداح المقلب
وأيقنت أن اليأس للعرض صائن ... وأن سوف أغضي للقذى حين أرغب
أغادرتني بين الظنون مميزاً ... شواكل أمر بينهن مجرب
يقربني من كنت أصفيك دونه ... بودي وتنأى بي فلا أتقرب
فلله حظي منك كيف أضاعه ... سلوك عني والأمور تقلب
أبعدك أستسقي بوارق مزنة ... وإن جاد هطل من المزن هيدب
إذا ما رأيت البرق أغضيت دونه ... وقلت إذا ما لاح: ذا البرق خلب
وإن سنحت لي فرصة لم أسامها ... وأعرضت عنها خوف ما أترقب
تأدبت عن حسن الرجاء فلن أرى ... أعود له إن الزمان مؤدب

وقال له أيضاً:

هل الهم إلا كربة تتفرج ... لها معقب تحدى إليه وتزعج
وما الدهر إلا عائد مثل سالف ... وما العيش إلا جدة ثم تنهج
وكيف أشيم البرق والبرق خلب ... ويطمعني ريعانه المتبلج
وكيف أديم الصبر لا بي ضراعة ... ولا الرزق مجظور ولا أنا محرج؟
ألا ربما كان التصبر ذلة ... وأدنى إلى الحال التي هي أسمج
وهل يحمل الهم الفتى وهو ضامن ... سرى الليل رحال العشيات مدلج
ولا صبر ما أعدى على الدهر مطلب ... وأمكن إدلاج وأصحر منهج
ألا ربما ضاق الفضاء بأهله ... وأمكن من بين الأسنة مخرج
وقد يركب الخطب الذي هو قاتل ... إذا لم يكن إلا عليه معرج

مدح الأفشين فأجازه المعتصم حدثني بعض أصحابنا عن أحمد بن أبي كامل قال: كان محمد بن وهيب تياهاً شديد الذهاب بنفسه، فملا قدم الأفشين -وقد قتل بابك- مدحه بقصيدته التي أولها:

طلول ومغانيها ... تناجيها وتبكيها

يقول فيها:

بعثت الخيل، والخير عقيد في نواصيها

وهي من جيد شعره، فأنشدناها ثم قال: ما لها عيب سوى أنها لا أخت لها.

قال: وأمر المعتصم للشعراء الذين مدحوا الأفشين بثلاثمائة ألف درهم جرت تفرقتها على يد ابن أبي داود، فأعطى منها محمد بن وهيب ثلاثين ألفاً، وأعطى أبا تمام عشرة آلاف درهم. قال ابن أبي كامل: فقلت لعلي بن يحيى المنجم: ألا تعجب من هذا الحظ؟ يعطى أبو تمام عشرة آلاف وابن وهيب ثلاثين ألفاً، وبينهما كما بين السماء والأرض. فقال: لذلك علة لا تعرفها؛ كان ابن وهيب مؤدب الفتح بن خاقان، فلذلك وصل إلى هذه الحال.

يذكر الدنيا ويصل حاله وهو عليل

أخبرني محمد بن يحيى الصولي. قال: حدثني أبو زكوان، قال: حدثني من دخل إلى محمد بن وهيب يعوده وهو عليل قال: فسألته عن خبره فتشكى ما به ثم قال:

نفوس المنايا بالنفوس تشعب وكل له من مذهب الموت مذهب

نراع لذكر الموت ساعة ذكره وتعترض الدنيا فنلهو ونلعب

وآجالنا في كل يوم وليلة إلينا على غراتنا تتقرب

أأيقن أن الشيب ينعى حياته مدر لأخلاف الخطيئة مذنب

يقين كأن الشك أغلب أمره عليه وعرفان إلى الجهل ينسب

وقد ذمت الدنيا إلي نعيمها وخاطبني إعجامها وهو معرب

ولكنني منها خلقت لغيرها وما كنت منه فهو عندي محبب

ابن أبي فنن وأبو يوسف يطعنان عليه فيرد عليهما من ينصفه أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أحمد بن أبي كامل، قال: كنا في مجلس ومعنا أبو يوسف الكندي وأحمد بن أبي فنن، فتذاكرنا شعر محمد بن وهيب فطعن عليه ابن أبي فنن وقال: هو متكلف حسود، إذا أنشد شعراً لنفسه قرظه ووصفه في نصف يوم وشكا أنه مظلوم منحوس الحظ وأنه لا تقصر به عن مراتب القدماء حال، فإذا أنشد شعر غيره حسده، وإن كان على نبيذ عربد عليه، وإن كان صاحياً عاداه واعتقد فيه كل مكروه. فقلت له: كلاكما لي صديق، وما أمتنع من وصفكما جميعاً بالتقدم وحسن الشعر، فأخبرني عما أسألك عنه إخبار منصف، أو يعد متكلفاً من يقول:

أبى لي إغضاء الجفون على القذى يقيني أن لا عسر إلا مفرج

ألا ربما ضاق الفضاء بأهله وأمكن من بين الأسنة مخرج؟

أو يعد متكلفاً من يقول:

رأت وضحاً من مفرق الرأس راعها شريحين مبيض به وبهيم؟

فأمسك ابن أبي فنن، واندفع الكندي فقال: كان ابن وهيب ثنوياً. فقلت له: من أين علمت ذاك؟ أكلمك على مذهب الثنوية قط؟ قال: لا، ولكني استدللت من شعره على مذهبه، فقلت: حيث يقول ماذا؟ فقال: حيث يقول:

طللان طال عليهما الأمد

وحيث يقول:

تفتر عن سمطين من ذهب

إلى غير ذلك مما يستعمله في شعره من ذكر الاثنين.

فشغلني والله الضحك عن جوابه. وقلت له: يا أبا يوسف، مثلك لا ينبغي أن يتكلم فيما لم ينفذ فيه علمه.

يستنجز محمد بن عبد الملك الزيات حاجته أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ، عن أبيه، قال: سأل محمد بن وهيب محمد بن عبد الملك الزيات حاجة فأبطأ فيها، فوقف عليه ثم قال له:

طبع الكريم على وفائه وعلى التفضل في إخائه

تغني عنايته الصديق عن التعرض لاقتضائه

حسب الكريم حياؤه فكل الكريم إلى حيائه

فقال له: حسبك فقد بلغت إلى ما أحببت ، والحاجة تسبقك إلى منزلك. ووفى له بذلك.

صوت

وددت على ما كان من سرف الهوى وغي الأماني أن ما شئت يفعل

فترجع أيام تقضت ولذة تولت، وهل يثنى من الدهر أول!

الشعر لمزاحم العقيلي والغناء لمقاسة بن ناصح، خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي. قال الهشامي: لأحمد بن يحيى المكي رمل.

أخبار مزاحم ونسبه

نسبه

هو مزاحم بن عمرو بن الحارث بن مصرف بن الأعلم بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.

وقيل: مزاحم بن عمرو بن مرة بن الحارث بن مصرف بن الأعلم، وهذا القول عندي أقرب إلى الصواب.

بدوي شاعر فصيح إسلامي، صاحب قصيدة ورجز، كان في زمن جرير والفرزدق. وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه.

بيتان له تمنى جرير أنهما له

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني الفضل بن محمد اليزيدي، عن إسحاق الموصلي، قال: قال لي عمارة بن عقيل: كان جرير يقول: ما من بيتين كنت أحب أن أكون سبقت إليهما غير بيتين من قول مزاحم العقيلي:

وددت على ما كان من سرف الهوى وغي الأماني أن ما شئت يفعل

فترجع أيام مضين ولذة تولت وهل يثنى من العيش أول!

قال المفضل: قال إسحاق: سرف الهوى: خطؤه، ومثله قول جرير:

أعطوا هنيدة تحدوها ثمانية ما في عطائهم من ولا سرف

أراد أنهم يحفظون مواضع الصنائع، لا أنه وصفهم بالاقتصاد والتوسط في الجود.

إسحاق يعجب بشعره

قال إسحاق: وواعدني زياد الأعرابي موضعاً من المسجد، فطلبته فيه فلم أجده، فقلت له بعد ذلك: طلبتك لموعدك فلم أجدك. فقال: أين طلبتني؟ فقلت: في موضع كذا وكذا، فقال: هناك والله سرفتك، أي أخطأتك.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر، قال: أنشدني حماد عن أبيه لمزاحم العقيلي قال -وكان يستجيدها ويستحسنها-:

لصفراء في قلبي من الحب شعبة حمى لم تبحه الغانيات صميم

بها حل بيت الحب ثم ابتنى بها فبانت بيوت الحي وهو مقيم

بكت دارهم من نأيهم فتهللت دموعي فأي الجازعين ألوم!

أمستعبراً يبكي من الحزن والجوى أم آخر يبكي شجوه فيهيم؟

تضمنه من حب صفراء بعدما سلا هيضات الحب فهو كليم

ومن يتهيض حبهن فؤاده يمت أو يعش ما عاش وهو سقيم
كحران صاد ذيد عن برد مشرب وعن بللات الريق فهو يحوم

منعه عمه من زواجه بابنته لفقره

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا أبو سعيد السكري، قال: أخبرنا محمد بن حبيب، عن ابن أبي الدنيا العقيلي -قال ابن حبيب: وهو صاحب الكسائي وأصحابنا- قال: كان مزاحم العقيلي خطب ابنة عم له دنية فمنعه أهلها لإملاقه وقلة ماله، وانتظروا بها رجلاً موسراً في قومها كان يذكرها و لم يحقق، وهو يومئذ غائب. فبلغ ذلك مزاحماً من فعلهم، فقال لعمه: يا عم، أتقطع رحمي وتختار علي غيري لفضل أباعر تحوزها وطفيف من الحظ تحظى به! وقد علمت أني أقرب إليك من خاطبها الذي تريده، وأفصح منه لساناً، وأجود كفاً، وأمنع جانباً، وأغنى عن العشيرة! فقال له: لا عليك فإنها إليك صائرة، وإنما أعلل أمها بهذا، ثم يكون أمرها لك، فوثق به.

تزوجت ابنة عمه في غيابه فقال وأقاموا مدة، ثم ارتحلوا ومزاحم غائب، وعاد الرجل الخاطب لها فذاكروه أمرها، فرغب فيها، فأنكحوه إياها، فبلغ ذلك مزاحماً فأنشأ يقول:

نزلت بمفضى سيل حرسين والضحى يسيل بأطراف المخارم آلها
بمسقية الأجفان أنفد دمعها مقاربة الألاف ثم زيالها
فلما نهاها اليأس أن تؤنس الحمى حمى البئر جلى عبرة العين جالها
أيا ليل إن تشحط بك الدار غربة سوانا ويعيي النفس فيك احتيالها
فكم ثم كم من عبرة قد رددتها سريع على جيب القميص انهلالها
خليلي هل من حيلة تعلمانها يقرب من ليلى إلينا احتيالها
فإن بأعلى الأخشبين أراكة عدتني عنها الحرب دان ظلالها
وفي فرعها لو تستطاع جنابها جنى يجتنيه المجتني لو ينالها
هنيئاً لليلى مهجة ظفرت بها وتزويج ليلى حين حان ارتحالها
فقد حبسوها محبس البدن وابتغى بها الربح أقوام تساخف مالها
فإن مع الركب الذين تحملوا غمامة صيف زعزعتها شمالها

سجنه ثم هربه

وقال محمد بن حبيب في خبره، قال ابن الأعرابي:

وقع بين مزاحم العقيلي وبين رجل من بني جعدة لحاء في ماء فتشاتما وتضاربا بعصيهما، فشجه مزاحم شجة أمته ، فاستعدت بنو جعدة على مزاحم فحبس حبساً طويلاً، ثم هرب من السجن، فمكث في قومه مدة، وعزل ذلك الوالي وولى غيره، فسأله ابن عم لمزاحم يقال له مغلس أن يكتب أماناً لمزاحم، فكتبه له، وجاء مغلس والأمان معه، فنفر مزاحم وظنها خيلة من السلطان، فهرب وقال في ذلك:

أتاني بقرطاس الأمير مغلس ... فأفزع قرطاس الأمير فؤاديا

فقلت له: لا مرحباً بك مرسلاً ... إلي ولا لي من أميرك داعيا

أليست جبال القهر قعساً مكانها ... وعروى وأجبال الوحاف كما هيا؟

أخاف ذنوبي أن تعد ببابه ... وما قد أزل الكاشحون أماميا

ولا أستريم عقبة الأمر بعدما ... تورط في بهماء كعبي وساقيا

هوى امرأة من قومه وتزوجت غيره أخبرني محمد بن مزيد، وأحمد بن جعفر جحظة، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: كان مزاحم العقيلي يهوى امرأة من قومه يقال لها مية، فتزوجت رجلاً كان أقرب إليها من مزاحم، فمر عليها بعد أن دخل بها زوجها، فوقف عليها ثم قال:

أيا شفتي مي أما من شريعة ... من الموت إلا أنتما توردانيا!

ويا شفتي مي أمالي إليكما ... سبيل وهذا الموت قد حل دانيا!

ويا شفتي مي أما تبذلان لي ... بشيء وإن أعطيت أهلي ومالیا !

فقالت: أعزز علي يا بن عم بأن تسأل ما لا سبيل إليه، وهذا أمر قد حيل دونه، فاله عنه. فانصرف.

جرير يتمنى أن يكون له بعض شعره

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي، قال: حدثني عمارة بن عقيل قال: قال لي أبي: قال عبد الملك بن مروان لجرير: يا أبا حزرة، هل تحب أن يكون لك بشيء من شعر غيرك؟ قال: لا، ما أحب ذلك، إلا أن غلاماً يتزل الروضات من بلاد بني عقيل يقال له مزاحم العقيلي، يقول حسناً من الشعر لا يقدر أحد أن يقول مثله، كنت أحب أن يكون لي بعض شعره مقايضة ببعض شعري.

هوى امرأة من قومه يقال لها ليلى وتزوجت من غيره أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثني عمي، عن العباس بن هشام، عن أبيه، قال: كان مزاحم العقيلي يهوى امرأة من قومه يقال لها ليلى، فغاب غيبة عن بلاده، ثم عاد وقد زوجت، فقال في ذلك:

أتاني بظهر الغيب أن قد تزوجت ... فظلت بي الأرض الفضاء تدور

وزايلني لبي وقد كان حاضراً وكاد جناني عند ذاك يطير
فقلت وقد أيقنت أن ليس بيننا تلاق وعيني بالدموع تمور
أيا سرعة الأخبار حين تزوجت فهل يأتيني بالطلاق بشير
ولست بمحص حب ليلى لسائل من الناس إلا أن أقول كثير

صوت

لها في سواد القلب تسعة أسهم وللناس طراً من هواي عشير

قال ابن الكلبي: ومن الناس من يزعم أن ليلى هذه التي يهواها مزاحم العقيلي هي التي كان يهواها المجنون، وأنهما اجتمعا هو ومزاحم في حبها.

هوى امرأة أخرى من قشير وتزوجت بغيره قال الأصبهاني: وقد أخبرني بشرح هذا الخبر الحسن بن علي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعدة، عن علي بن الصباح، عن ابن الكلبي، قال: كان مزاحم بن مرة العقيلي يهوى امرأة من قشير يقال لها ليلى بنت موازر، ويتحدث إليها مدة حتى شاع أمرهما، وتحدثت جواري الحي به، فنهاه أهلها عنها، وكانوا متجاورين، وشكوه إلى الأشياخ من قومه فنهوه واشتدوا عليه، فكان يتفلت إليها في أوقات الغفلات، فيتحدثان ويتشاكيان، ثم انتجعت بنو قشير في ربيع لهم ناحية غير تلك قد نضرها غيث وأخصبها، فبعد عليه خبرها واشتاقها، فكان يسأل عنها كل وارد، ويرسل إليها بالسلام مع كل صادر، حتى ورد عليه يوماً راكب من قومها، فسأله عنها فأخبره أنها خطبت فزوجت، فوجم طويلاً ثم أجهش باكياً وقال:

أتاني بظهر الغيب أن قد تزوجت فظلت بي الأرض الفضاء تدور

وذكر الأبيات الماضية.

وقد أنشدني هذه القصيدة لمزاحم ابن أبي الأزهر، عن حماد عن أبيه، فأتى بهذه الأبيات وزاد فيها:

وتنشر نفسي بعد موتي بذكرها مراراً فموت مرة ونشور
عجبت لربي عجة ما ملكتها وربي بذي الشوق الحزين بصير
ليرحم ما ألقى ويعلم أنني له بالذي يسدي إلي شكور
لئن كان يهدى برد أنيابها العلا لأحوج مني إنني لفقير

الفرزدق وجرير وذو الرمة يفضلونه على أنفسهم

حدثني عمي، قال: حدثني أبو أيوب المديني، قال: قال أبو عدنان: أخبرنا تميم بن رافع قال: حدثت أن الفرزدق دخل على عبد الملك بن مروان -أو بعض بنيه- فقال له: يا فرزدق، أتعرف أحداً أشعر منك؟ قال: لا، إلا غلاماً من بني عقيل، يركب أعجاز الإبل وينعت الفلوات فيجيد، ثم جاءه جرير فسأله عن مثل ما سأل عنه

الفرزدق فأجابه بجوابه، فلم يلبث أن جاءه ذو الرمة فقال له: أنت أشعر الناس؟ قال: لا، ولكن غلام من بني عقيل يقال له مزاحم يسكن الروضات. يقول وحشياً من الشعر لا يقدر على مثله، فقال: فأنشدني بعض ما تحفظ من ذلك، فأنشده قوله:

خليلي عوجا بي على الدار نسأل متى عهدها بالظاعن المترحل
فعجت وعاجوا فوق بيداء مورت بها الريح جولان التراب المنخل

حتى أتى على آخرها ثم قال: ما أعرف أحداً يقول قولاً يواصل هذا.

صوت

أكذب طرفي عنك في كل ما أرى وأسمع أذني منك ما ليس تسمع
فلا كبدي تبلى ولا لك رحمة ولا عنك إقصار ولا فيك مطمع
لقيت أموراً فيك لم ألق مثلها وأعظم منها فيك ما أتوقع
فلا تسأليني في هواك زيادة فأيسره يجزي وأدناه يقنع

الشعر لبكر بن النطاح، والغناء لحسين بن محرز ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي.

أخبار بكر بن النطاح ونسبه

اسمه ونسبه

بكر بن النطاح الحنفي . يكنى أبا وائل، هكذا أخبرنا وكيع عن عبد الله بن شبيب، وذكر غيره أن عجلي من بني سعد بن عجل، واحتج من ذكر أنه عجلي بقوله:

فإن يك جد القوم فهر بن مالك فجدي عجل قرم بكر بن وائل

وأنكر ذلك من زعم أنه حنفي وقال: بل قال:

فجدي لجيم قرم بكر بن وائل

وعجل بن لجيم وحنيفة بن لجيم أخوان.

وكان بكر بن النطاح صعلوكاً يصيب الطريق، ثم أقصر عن ذلك، فجعله أبو دلف من الجند، وجعل له رزقاً سلطانياً، وكان شجاعاً بطلاً فارساً شاعراً حسن الشعر والتصرف فيه، كثير الوصف لنفسه بالشجاعة والإقدام.

قصته مع أبي دلف

فأخبرني الحسن بن علي ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أبي، قال: قال بكر بن النطاح الحنفي قصيدته التي يقول فيها:

هنيئاً لإخواني ببغداد عيدهم وعيدي بحلوان قراع الكتائب

وأنشدها أبا دلف فقال له: إنك لتكثر الوصف لنفسك بالشجاعة، وما رأيت لذلك عندك أثراً قط، ولا فيك، فقال له: أيها الأمير وأي غناء يكون عند الرجل الحاسر الأعزل؟ فقال: أعطوه فرساً وسيفاً وترساً ودرعاً ورمحاً، فأعطوه ذلك أجمع، فأخذه وركب الفرس وخرج على وجهه، فلقيه مال لأبي دلف يحمل من بعض ضياعه، فأخذه وخرج جماعة من غلمانه فمانعوه عنه، فجرحهم جميعاً وقطعهم وانهزموا. وسار بالمال، فلم ينزل إلا على عشرين فرسخاً، فلما اتصل خبره بأبي دلف قال: نحن جنينا على أنفسنا، وقد كنا أغنياء عن إهاجة أبي وائل، ثم كتب إليه بالأمان، وسوغه المال، وكتب إليه: صر إلينا فلا ذنب لك، لأنا نحن كنا سبب فعلك بتحريكنا إياك وتحريضنا؛ فرجع و لم يزل معه يمتدحه، حتى مات.

قصته مع الرشيد ويزيد بن مزيد

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثني الحسن بن إسماعيل، عن ابن الحفصي، قال: قال يزيد بن مزيد: وجه إلي الرشيد في وقت يرتاب فيه البريء، فلما مثلت بين يديه قال: يا يزيد، من الذي يقول:

ومن يفتقر منا يعش بحسامه ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

فقلت له: والذي شرفك وأكرمك بالخلافة ما أعرفه، قال: فمن الذي يقول:

وإن يك جد القوم فهر بن مالك فجدي لجيم قرم بكر بن وائل

قلت: لا والذي أكرمك وشرفك يا أمير المؤمنين ما أعرفه، قال: والذي كرمني وشرفني إنك لتعرفه، أتظن يا يزيد أني إذا أوطأتك بساطي وشرفتك بصنيعتي أني أحتملك على هذا؟ أو تظن أني لا أراعي أمورك وأتقصاها، وتحسب أنه يخفى علي شيء منها؟ والله إن عيوني لعليك في خلواتك ومشاهدك، هذا جلف من أجلاف ربيعة عدا طوره وألحق قريشاً بربيعة فأتني به. فانصرفت وسألت عن قائل الشعر، فقيل لي: هو بكر بن النطاح، وكان أحد أصحابي، فدعوته وأعلمته ما كان من الرشيد، فأمرت له بألفي درهم، وأسقطت اسمه من الديوان، وأمرته ألا يظهر ما دام الرشيد حياً، فما ظهر حتى مات الرشيد، فلما مات ظهر، فألحق اسمه وزدت في عطائه .

شعره في جارية تدعى رامشنة

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني محمد بن حمزة العلوي، قال: حدثني أبو غسان دماذ، قال: حضرت بكر بن النطاح الحنفي في منزل بعض الحنفيين، وكانت للحنفي جارية يقال لها رامشنة، فقال فيها بكر بن النطاح:

حيتك بالرامشن رامشنة ... أحسن من رامشنة الآس

جارية لم يقتسم بعضها ... ولم تبت في بيت نخاس

أفسدت إنساناً على أهله ... لا مفسد الناس على الناس

وقال فيها:

أكذب طرفي عنك والطرف صادق ... وأسمع أذني منك ما ليس تسمع

ولم أسكن الأرض التي تسكنينها ... لكي لا يقولوا صابر ليس يجزع

فلا كبدي تبلى ولا لك رحمة ... ولا عنك إقصار ولا فيك مطمع

لقيت أموراً فيك لم الق مثلها ... وأعظم منها منك ما أتوقع

فال تسأليني في هواك زيادة ... فأيسره يجزي وأدناه يقنع

المأمون يعجب بشعره وينقد سلوكه

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، عن علي بن الصباح -وأظنه مرسلاً وأن بينه وبينه ابن أبي سعد أو غيره، لأنه لم يسمع من علي بن الصباح- قال: حدثني أبو الحسين الراوية، قال لي المأمون: أنشدني أشجع بيت وأعفه وأكرمه من شعر المحدثين، فأنشدته:

ومن يفتقر منا يعش بحسامه ... ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

وإنا لنلهو بالسيوف كما لهت ... عروس بعقد أو سخاب قرنفل

فقال: ويحك! من يقول هذا؟ فقلت: بكر بن النطاح، فقال: أحسن والله، ولكنه قد كذب في قوله، فما باله يسأل أبا دلف ويمتدحه وينتجعه! هلا أكل خبزه بسيفه كما قال!.

مدح أبا دلف فأعطاه جائزة أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أبو الحسن الكسكري ، قال: بلغني أنا أبا دلف لحق أكراداً قطعوا الطريق في عمله، وقد أردف منهم فارس رفيقاً له خلفه، فطعنهما جميعاً فأنفذهما، فتحدث الناس بأنه نظم بطعنة واحدة فارسين على فرس، فلما قدم من وجهه دخل إليه بكر بن النطاح فأنشده: صوت

قالوا :وينظم فارسين بطعنة ... يوم اللقاء ولا يراه جليلا

لا تعجبوا فلو أن طول قناته ميل إذا نظم الفوارس ميلا

قال: فأمر له أبو دلف بعشرة آلاف درهم، فقال بكر فيه:

له راحة لو أن معشار جودها على البر كان البر أندى من البحر

ولو أن خلق الله في جسم فارس وبارزه كان الخلي من العمر

أبا دلف بوركت في كل بلدة كما بوركت في شهرها ليلة القدر

عشق غلاماً نصرانياً وقال فيه شعراً أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، وعيسى بن الحسين، قالا: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثني أبو زائدة، قال: كان بكر بن النطاح الحنفي يتعشق غلاماً نصرانياً ويجن به، وفيه يقول:

يا من إذا درس الإنجيل كان له قلب التقي عن القرآن منصرفا

إني رأيتك في نومي تعانقني كما تعانق لام الكاتب الألفا

رده أبو دلف فغضب عليه وانصرف عنه أخبرني محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثني الحسن بن عبد الرحمن الربعي ، قال:

كان بكر بن النطاح يأتي أبا دلف في كل سنة، فيقول له: إلى جنب أرضي أرض تباع وليس يحضرني ثمنها، فيأمر له بخمسة آلاف درهم ويعطيه ألفاً لنفقته ، فجاءه في بعض السنين فقال له مثل ذلك، فقال له أبو دلف: ما تفنى هذه الأرضون التي إليها جانب ضيعتك ! فغضب وانصرف عنه، وقال:

يا نفس لا تجزعي من التلف فإن في الله أعظم الخلف

إن تقنعي باليسير تغتبطي ويغنك الله عن أبي دلف

رده قرة بن محرز فغضب عليه وانصرف عنه كذلك قال: وكان بكر بن النطاح يأتي قرة بن محرز الحنفي بكرمان فيعطيه عشرة آلاف درهم، ويجري عليه في كل شهر يقيم عند ألف درهم، فاجتاز به قرة يوماً وهو ملازم في السوق وغرماؤه يطالبونه بدين، فقال له: ويحك! أما يكفيك ما أعطيك حتى تستدين وتلازم في السوق! فغضب عليه وانصرف عنه وأنشأ يقول:

ألا يا قر لا تك سامريا فتترك من يزورك في جهاد

أتعجب أن رأيت علي ديناً وقد أودى الطريف مع التلاد

ملأت يدي من الدنيا مراراً فما طمع العواذل في اقتصادي

ولا وجبت علي زكاة مال وهل تجب الزكاة على جواد!

مدح أبا دلف ببيتين فأعطاه جائزة أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: كنت يوماً عند علي بن هشام، وعنده جماعة فيهم عمارة بن عقيل، فحدثته أن بكر بن النطاح دخل إلى أبي دلف وأنا عنده، قال لي أبو دلف: يا أبا محمد أنشدني مديحاً فاخراً تستطرفه، فبدر إليه بكر وقال: أنا أنشدك أيها الأمير بيتين قلتهما فيك في طريقي هذا إليك وأحكمك، فقال: هات، فإن شهد لك أبو محمد رضينا، فأنشده:

إذا كان الشتاء فأنت شمس ... وإن حضر المصيف فأنت ظل

وما تدري إذا أعطيت مالاً ... أتكثر في سماحك أم تقل

فقلت له: أحسن والله ما شاء ووجبت مكافأته، فقال: أما إذ رضيت فأعطوه عشرة آلاف درهم، فحملت إليه، وانصرفت إلى منزلي، فإذا أنا بعشرين ألفاً قد سبقت إلي، وجه بها أبو دلف، قال: فقال عمارة لعلي بن هشام: فقد قلت أنا في قريب من هذه القصة:

ولا عيب فيهم غير أن أكفهم ... لأموالهم مثل السنين الحواطم

وأنهم لا يورثون بذيهم ... وإن ورثوا خيراً كنوز الدراهم

رثى معقل بن عيسى أخبرني عمي، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أبو توبة، قال: كان معقل بن عيسى صديقاً لبكر بن النطاح، وكان بكر فاتكاً صعلوكاً، فكان لا يزال قد أحدث حادثة في عمل أبي دلف، أو جنى جناية، فيهم به فيقوم دونه معقل حتى يتخلصه، فمات معقل فقال بكر بن النطاح يرثيه بقوله:

وحدث عنه بعض من قال إنه ... رأت عينه فيما ترى عين حالم

كأن الذي يبكي على قبر معقل ... ولم يره يبكي على قبر حاتم

ولا قبر كعب إذ يجود بنفسه ... ولا قبر حلف الجود قيس بن عاصم

فأيقنت أن الله فضل معقلاً ... على كل مذكور بفضل المكارم

هجاه عباد بن الممزق لبخله أخبرني عمي، قال: حدثنا الكراني، قال: حدثني العمري، قال: كان بكر بن النطاح الحنفي أبو وائل بخيلاً، فدخل عليه عباد بن الممزق يوماً، فقدم إليه خبزاً يابساً قليلاً بلا أدم، ورفعه من بين يديه قبل أن يشبع، فقال عباد يهجوه:

من يشتري مني أبا وائل ... بكر بن نطاح بفلسين؟

كأنما الآكل من خبزه ... يأكله من شحمة العين

قال: وكان عباد هذا هجاءً ملعوناً، وهو القائل:

أنا الممزق أعراض اللئام كما ... كان الممزق أعراض اللئام أبي

مدح مالك بن طوق ثم هجاه أخبرني عمي، قال: حدثنا أبو هفان، قال: كان بكر بن النطاح قصد مالك بن طوق فمدحه، فلم يرض ثوابه، فخرج من عنده وقال يهجوه:

فليت جدا مالك كله ... وما يرتجى منه من مطلب

أصبت بأضعاف أضعافه ... ولم أنتجعه ولم أرغب

أسأت اختياري منك الثواب ... لي الذنب جهلا ولم تذنب

وكتبها في رقعة وبعث بها إليه، فلما قرأها وجه جماعة من أصحابه في طلبه، وقال لهم: الويل لكم إن فاتكم بكر بن النطاح.

اعتذر إليه وأعطاه فمدحه ولا بد أن تنكفئوا على أثره ولو صار إلى الجبل، فلحقوه فردوه غليه، فلما دخل داره ونظر إليه قام فتلقاه وقال: يا أخي، عجلت علينا وما كنا نقتصر بك على ما سلف وإنما بعثنا إليك بنفقة، وعولنا بك على ما يتلوها، واعتذر كل واحد منهما إلى صاحبه، ثم أعطاه حتى أرضاه، فقال بكر بن النطاح يمدحه:

أقول لمرتاد ندى غير مالك ... كفى بذل هذا الخلق بعض عداته

فتى جاد بالأموال في كل جانب ... وأنهبها في عوده وبداته

فلو خذلت أمواله بذل كفه ... لقاسم من يرجوه شطر حياته

ولو لم يجد في العمر قسمة ماله ... وجاز له الإعطاء من حسناته

لجاد بها من غير كفر بربه ... وشاركهم في صومه وصلاته

فوصله صلة ثانية لهذه الأبيات، وانصرف عنه راضياً.

هكذا ذكر أبو هفان في خبره وأحسبه غلطاً، لأن أكثر مدائح بكر بن النطاح في مالك بن علي الخزاعي -وكان يتولى طريق خراسان- وصار إليه بكر بن النطاح بعد وفاة أبي دلف ومدحه، فأحسن تقبله وجعله في جنده، وأسنى له الرزق، فكان معه، إلى أن قتله الشراة بحلوان، فرثاه بكر بعدة قصائد هي من غرر شعره وعيونه.

كان مع مالك الخزاعي يوم أن قتل فرثاه فحدثني عمي، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، عن أبي وائلة السدوسي، قال: عاثت الشراة بالجبل عيثاً شديداً، وقتلوا الرجال والنساء والصبيان، فخرج إليهم مالك بن علي الخزاعي وقد وردوا حلوان، فقاتلهم قتالاً شديداً فهزمهم عنها، وما زال يتبعهم حتى بلغ بهم قرية يقال لها: حدان ، فقاتلوه عندها قتالاً شديداً، وثبت الفريقان إلى الليل حتى حجز بينهم، وأصابت مالكاً ضربة على رأسه أثبتته ، وعلم أنه ميت، فأمر برده إلى حلوان، فما بلغها حتى مات، فدفن على باب حلوان، وبنيت لقبره قبة على قارعة الطريق، وكان معه بكر بن النطاح يومئذ، أبلى بلاء حسناً، وقال بكر يرثيه:

يا عين جودي بالدموع السجام على الأمير اليمني الهمام
على فتى الدنيا وصنديدها وفارس الدين وسيف الإمام
لا تدخري الدمع على هالك أيتم إذ أودى جميع الأنام
طاب ثرى حلوان إذ ضمنت عظامه، سقياً لها من عظام
أغلقت الخيرات أبوابها وامتنعت بعدك يا بن الكرام
وأصبحت خيلك بعد الوجا والغزو تشكو منك طول الجمام
ارحل بنا نقرب إلى مالك كيما نحيي قبره بالسلام
كان لأهل الأرض في كفه غنى عن البحر وصوب الغمام
وكان في الصبح كشمس الضحى وكان في الليل كبدر الظلام
وسائل يعجب من موته وقد رآه وهو صعب المرام
قلت له عهدي به معلماً يضربهم عند ارتفاع القتام
والحرب من طاولها لم يكد يفلت من وقع صقيل حسام
لم ينظر الدهر لنا إذ عدا على ربيع الناس في كل عام
لن يستقيلوا أبداً فقده ما هيج الشجو دعاء الحمام

قال: وقال أيضاً يرثيه:

أي امرئ خضب الخوارج ثوبه بدم عشية راح من حلوان
يا حفرة ضمت محاسن مالك ما فيك من كرم ومن إحسان
لهفي على البطل المعرض خده وجبينه لأسنة الفرسان
خرق الكتيبة معلماً متكنباً والمرهفات عليه كالنيران
ذهب بشاشة كل شيء بعده فالأرض موحشة بلا عمران
هدم الشراة غداة مصرع مالك شرف العلا ومكارم البنيان
قتلوا فتى العرب الذي كانت به تقوى على اللزبات في الأزمان
حرموا معداً ما لديه وأوقعوا عصبية في قلب كل يماني
تركوه في رهج العجاج كأنه أسد يصول بساعد وبنان

هوت الجدود عن السعود لفقده وتمسكت بالنحس والدبران
لا يبعدن أخو خزاعة إذ ثوى مستشهداً في طاعة الرحمن

عز الغواة به وذلت أمة محبوة بحقائق الإيمان
وبكاء مصحفه وصدر قناتته والمسلمون ودولة السلطان
وغدت تعقر خيله وتقسمت أدراعه وسوابغ الأبدان
أفتحمد الدنيا وقد ذهبت بمن كان المجير لنا من الحدثان !

تشوقه بغداد وهو بالجبل

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: أنشدني أبو غسان دماذ لبكر بن النطاح يتشوق بغداد وهو بالجبل يومئذ:

نسيم المدام وبرد السحر هما هيجا الشوق حتى ظهر
تقول :اجتنب دارنا بالنهار وزرنا إذا غاب ضوء القمر
فإن لنا حرساً إن رأوك ندمت وأعطوا عليك الظفر
وكم صنع الله من مرة عليهم وقد أمروا بالحذر
سقى الله بغداد من بلدة وساكن بغداد صوب المطر
ونبئت أن جواري القصو ر صيرن ذكري حديث السمر
ألا رب سائلة بالعرا ق عني وأخرى تطيل الذكر
تقول :عهدنا أبا وائل كظبي الفلاة المليح الحور
ليالي كنت أزور القيان كأن ثيابي بهار الشجر

هوى جارية من القيان وقال فيها شعراً حدثني جعفر بن قدامة، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: كان بكر بن النطاح يهوى جارية من جواري القيان وتهواه، وكانت لبعض الهاشميين، يقال لها درة، وهو يذكرها في شعره كثيراً، وكان يجتمع معها في منزل رجل من الجند من أصحاب أبي دلف يقال له: الفرز، فسعى به إلى مولاها، وأعلمه أنه قد أفسدها وواطأها على أن تهرب معه إلى الجبل، فمنعه من لقائها وحجبه عنها، إلى أن خرج إلى الكرج مع أبي دلف، فقال بكر بن النطاح في ذلك:

أهل دار بين الرصافة والجسر أطالوا غيظي بطول الصدود
عذبوني ببعدهم ابتلوا قلبي بحزنين : طارف وتليد

ما تهب الشمال إلا تنفست وقال الفؤاد للعين: جودي

قل عنهم صبري ولم يرحموني فتحيرت كالطريد الشريد

وكلتني الأيام فيك إلى نفسي فأعييت وانتهى مجهود

وقال فيها أيضاً وفيه غناء من الرمل الطنبوري:

العين تبدي الحب والبغضا وتظهر الإبرام والنقضا

درة ما أنصفتني في الهوى ولا رحمت الجسد المنضى

مرت بنا في قرطق أخضر يعشق منها بعضها بعضا

غضبى ولا والله يا أهلها لا أشرب البارد أو ترضى

كيف أطاعتكم بهجري وقد جعلت خدي لها أرضا!

وقال فيها أيضاً وفيه رمل طنبوري:

صدرت فأمسى لقاؤها حلماً واستبدل الطرف بالدموع دما

وسلطت حبها على كبدي فأبدلتني بصحة سقما

وصرت فرداً أبكي لفرقتها وأقرع السن بعدها ندما

شق عليها قول الوشاة لها: أصبحت في أمر ذا الفتى علما

لولا شقائي وما بليت به من هجرها ما استثرت ما اكتتما

كم من حاجة في الكتاب بحت بها أبكيت منها القرطاس والقلما

وقال فيها أيضاً، وفيه رمل لأبي الحسن أحمد بن جعفر جحظة

بعدت عني فتغيرت لي وليس عندي لك تغيير

فجددي ما رث من وصلنا وكل ذنب لك مغفور

أطيب النفس بكتمان ما سارت به من غدرك العير

وعدك يا سيدتي غرني منك ومن يعشق مغرور

يحزنني علمي بنفسي إذا قال خليلي أنت مهجور

يا ليت من زين هذا لها جارت لنا فيه المقادير

ساقي الندامى سقها صاحبي فإنني ويحك معذور

أأشرب الخمر على هجرها إني إذا بالهجر مسرور!

وفيها يقول وقد خرج مع أبي دلف

إلى أصبهان:

يا ظبية السيب التي أحببتها ومنحتها لطفي ولين جناحي

عيناي باكيتان بعدك للذي أودعت قلبي من ندوب جراح

سقياً لأحمد من أخ ولقاسم فقدا غدوي لاهياً ورواحي

وترددي من بيت فرز آمناً من قرب كل مخالف وملاحي

أيام تغبطني الملوك ولا أرى أحداً له كتدللي ومراحي

تصف القيان إذا خلون مجانتي ويصفن للشرب الكرام سماحي

ومما يغنى فيه من شعر بكر بن النطاح في هذه الجارية قوله: صوت

هل يبتلي أحد بمثل بليتي أم ليس لي في العالمين ضريب؟

قالت عنان وأبصرتني شاحباً: يا بكر مالك قد علاك شحوب؟

فأجبتها :يا أخت لم يلق الذي لاقيت إلا المبتلى أيوب

قد كنت أسمع بالهوى فأظنه شيئاً يلذ لأهله ويطيب

حتى ابتليت بحلوه وبمره فالحلو منه للقلوب مذيب

والمر يعجز منطقي عن وصفه للمر وصف يا عنان عجيب

فأنا الشقي بحلوه وبمره وأنا المعنى الهائم المكروب

يا در حالفك الجمال فما له في وجه إنسان سواك نصيب

كل الوجوه تشابهت وبهرتها حسناً فوجهك في الوجوه غريب

والشمس يغرب في الحجاب ضياؤها عنا ويشرق وجهك المحجوب

ومما يغنى فيه من شعره فيها أيضاً

غضب الحبيب علي في حبي له نفسي الفداء لمذنب غضبان

ما لي بما ذكر الرسول يدان بل | إن تم رأيك ذا خلعت عناني
يا من يتوق إلى حبيب مذنب | طاوعته فجزاك بالعصيان
هلا انتحرت فكنت أول هالك | إن لم تكن لك بالصدور يدان
كنا وكنتم كالبنان وكفها | فالكف مفردة بغير بنان
خلق السرور لمعشر خلقوا له | وخلقت للعبرات والأحزان

صوت

ليت شعري أأول الهرج هذا | أم زمان من فتنة غير هرج
إن يعش مصعب فنحن بخير | قد أتانا من عيشنا ما نرجي
ملك يطعم الطعام ويسقي | لبن البخت في عساس الخلنج
جلب الخيل من تهامة حتى | بلغت خيله قصور زرنج
حيث لم تأت قبله خيل ذي | الأكتاف يوجفن بين قف ومرج

عروضه من الخفيف. الشعر لعبيد الله بن قيس الرقيات، والغناء ليونس الكاتب ماخوري بالبنصر، وفيه لمالك ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

مقتل مصعب بن الزبير

خرج لمحاربة عبد الملك بن مروان

وهذا الشعر يقوله عبيد الله بن قيس لمصعب بن الزبير لما حشد للخروج عن الكوفة لمحاربة عبد الملك بن مروان.

استشارة عبد الملك في المسير إلى العراق

وكان السبب في ذلك، فيما أجاز لنا الحرمي بن أبي العلاء روايته عنه، عن الزبير بن بكار، عن المدائني، قال: لما كانت سنة اثنتين وسبعين، استشار عبد الملك بن مروان عبد الرحمن بن الحكم في المسير إلى العراق ومناجزة مصعب، فقال: يا أمير المؤمنين، قد واليت بين عامين تغزو فيهما وقد خسرت خيلك ورجالك، وعامك هذا عام حارد فأرح نفسك ورجلك ثم ترى رأيك. فقال: إني أبادر ثلاثة أشياء، وهي أن الشام أرض بها المال قليل فأخاف أن ينفذ ما عندي، وأشراف أهل العراق قد كاتبوني يدعونني إلى أنفسهم، وثلاثة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كبروا ونفدت أعمارهم، وأنا أبادر بهم الموت أحب أن يحضروا معي.

ثم دعا يحيى بن الحكم -وكان يقول: من أراد أمراً فليشاور يحيى بن الحكم فإذا أشار عليه بأمر فليعمل بخلافه. فقال: ما ترى في المسير إلى العراق؟ قال: أرى أن ترضى بالشام وتقيم بها وتدع مصعباً بالعراق، فلعن الله العراق! فضحك عبد الملك.

ودعا عبد الله بن خالد بن أسيد فشاوره، فقال: يا أمير المؤمنين قد غزوت مرة فنصرك الله، ثم غزوت ثانية فزادك الله بها عزاً، فأقام عامك هذا.

فقال لمحمد بن مروان: ما ترى؟ قال: أرجو أن ينصرك الله أقمت أم غزوت، فشمر فإن الله ناصرك. فأمر الناس فاستعدوا للمسير، فلما أجمع عليه قالت عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجته: يا أمير المؤمنين، وجه الجنود وأقم، فليس الرأي أن يباشر الخليفة الحرب بنفسه، فقال: لو وجهت أهل الشام كلهم فعلم مصعب أني لست معهم لهلك الجيش كله، ثم تمثل:

ومستخبر عنا يريد بنا الردى ومستخبرات والعيون سواكب

ثم قدم محمد بن مروان ومعه عبد الله بن خالد بن أسيد وبشر بن مروان، ونادى مناديه: إن أمير المؤمنين قد استعمل عليكم سيد الناس محمد بن مروان، وبلغ مصعب بن الزبير مسير عبد الملك، فأراد الخروج فأبى عليه أهل البصرة وقالوا: عدونا مطل علينا -يعنون الخوارج- فأرسل إليهم بالمهلب وهو بالموصل، وكان عامله عليها، فولاه قتال الخوارج، وخرج مصعب فقال بعض الشعراء:

أكل عام لك باجميرا تغزو بنا ولا تفيد خيرا

القتال بينه وبين عبد الملك

قال: وكان مصعب كثيراً ما يخرج إلى باجميرا يريد الشام ثم رجع، فأقبل عبد الملك حتى نزل الأخنونية ونزل مصعب بمسكن إلى جنب أوانا وخندق خندقاً ثم تحول ونزل دير الجاثليق وهو بمسكن، وبين العسكرين ثلاثة فراسخ -ويقال فرسخان- فقدم عبد الملك محمداً وبشراً أخويه وكل واحد منهما على جيش والأمير محمد، وقدم مصعب إبراهيم بن الأشتر، ثم كتب عبد الملك إلى أشراف أهل الكوفة والبصرة، يدعوهم إلى نفسه ويمينهم، فأجابوه وشرطوا عليه شروطاً، وسألوه ولايات، وسأله ولاية أصبهان أربعون رجلاً منهم، فقال عبد الملك لمن حضره: ويحكم! ما أصبهان هذه! تعجباً ممن يطلبها ، وكتب إلى إبراهيم بن الأشتر: لك ولاية ما سقى الفرات إن تبعتني، فجاء إبراهيم بالكتاب إلى مصعب فقال: هذا كتاب عبد الملك، و لم يخصصني بهذا دون غيري من نظرائي، ثم قال: فأطعني فيهم، قال: أصنع ماذا؟ قال: تدعوهم فتضرب أعناقهم. قال: أقتلهم على ظن ظننته! قال: فأوقرهم حديداً وابعث بهم إلى أرض المدائن حتى تنقضي الحرب، قال: إذاً تفسد قلوب عشائرهم، ويقول الناس: عبث مصعب بأصحابه. قال: فإن لم تفعل فلا تمدني بهم فإنهم كالمومسة تريد كل يوم خليلاً، وهم

يريدون كل يوم أميراً.

أرسل عبد الملك إلى مصعب رجلاً يدعوه إلى أن يجعل الأمر شورى في الخلافة، فأبى مصعب، فقدم عبد الملك أخاه محمداً ثم قال: اللهم انصر محمداً -ثلاثاً- ثم قال: اللهم انصر أصلحنا وخيرنا لهذه الأمة. قال: وقدم مصعب إبراهيم بن الأشتر، فالتقت المقدمتان وبين عسكر مصعب وعسكر بن الأشتر فرسخ، ودنا عبد الملك حتى قرب من عسكر محمد، فتناوشوا، فقتل رجل على مقدمة محمد يقال له فراس، وقتل صاحب لواء بشر وكان يقال له أسيد، فأرسل محمد إلى عبد الملك أن بشراً قد ضيع لواءه. فصرف عبد الملك الأمر كله إلى محمد، وكف الناس وتواقفوا، وجعل أصحاب ابن الأشتر يهمون بالحرب ومحمد بن مروان يكف أصحابه، فأرسل عبد الملك إلى محمد: ناجزهم، فأبى، فأوفد إليه رسولاً آخر وشتمه، فأمر محمد رجلاً فقال له: قف خلفي في ناس من أصحابك فلا تدعن أحداً يأتيني من قبل عبد الملك، وكان قد دبر تدبيراً سديداً في تأخير المناجزة إلى وقت رآه، فكره أن يفسد عبد الملك تدبيره عليه، فوجه إليه عبد الملك عبد الله بن خالد بن أسيد، فلما رأوه أرسلوه إلى محمد بن مروان: هذا عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال: ردوه بأشد مما رددتم من جاء قبله، فملا قرب المساء أمر محمد بن مروان أصحابه بالحرب، وقال: حركوهم قليلاً، فتايج الناس، ووجه مصعب عتاب بن ورقاء الرياحي يعجز إبراهيم، فقال له: قد قلت له: لا تمدني بأحد من أهل العراق فلم يقبل، واقتتلوا، وأرسل إبراهيم بن الأشتر إلى أصحابه -بحضرة الرسول ليرى خلاف أهل العراق عليه في رأيه- ألا تنصرفوا عن الحرب عن ينصرف أهل الشام عنكم، فقالوا: و لم لا ننصرف؟ فانصرفوا وانهزم الناس حتى أتوا مصعباً. وصبر إبراهيم بن الأشتر فقاتل حتى قتل، فلما أصبحوا أمر محمد بن مروان رجلاً فقال: انطلق إلى عسكر مصعب فانظر كيف تراهم بعد قتل ابن الأشتر، قال: لا أعرف موضع عسكرهم، فقال له إبراهيم بن عدي الكناني: انطلق فإذا رأيت النخل فاجعله منك موضع سيفك، فمضى الرجل حتى أتى عسكر مصعب، ثم رجع إلى محمد فقال: رأيتهم منكسرين. وأصبح معصب فدنا منه، ودنا محمد بن مروان حتى التقوا، فترك قوم من أصحاب مصعب مصعباً وأتوا محمد بن مروان، فدنا إلى مصعب ثم ناداه: فداك أبي وأمي، إن القوم خاذلوك ولك الأمان، فأبى قبول ذلك، فدعا محمد بن مروان ابنه عيسى بن مصعب، فقال له أبوه: انظر ما يريد محمد، فدنا منه فقال له: إني لكم ناصح؛ إن القوم خاذلوكم ولك ولأبيك الأمان، وناشده. فرجع إلى بيته فأخبره، فقال: إني أظن القوم سيفون، فإن أحببت أن تأتيهم فأتهم، فقال: والله لا تتحدث نساء قريش أني خذلتك ورغبت بنفسي عنك، قال: فتقدم حتى أحتسبك، فتقدم وتقدم ناس معه فقتل وقتلوا، وترك أهل العراق مصعباً حتى بقي في سبعة. وجاء رجل من أهل الشام ليحتز رأس عيسى، فشد عليه مصعب فقتله، ثم شد على الناس فانفرجوا، ثم رجع فقعد على مرفقة ديباج، ثم جعل يقوم عنها ويحمل على أهل الشام فيفرجون عنه، ثم يرجع فيقعد على المرفقة، حتى فعل ذلك مراراً، وأتاه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فدعاه إلى المبارزة، فقال له: اعزب يا كلب، وشد عليه مصعب فضربه على البيضة فهشمها

وجرحه، فرجع عبيد الله فعصب رأسه، وجاء ابن أبي فروة كاتب مصعب فقال له: جعلت فداك، قد تركك القوم وعندي خيل مضمرة فاركبها وانج بنفسك، فدفع في صدره وقال: ليس أخوك بالعبد.

مقتل مصعب

ورجع ابن ظبيان إلى مصعب، فحمل عليه، وزرق زائدة بن قدامة مصعباً ونادى: يا لقارات المختار! فصرعه، وقال عبيد الله لغلام له : احتز رأسه، فحمله إلى عبد الملك، فيقال: إنه لما وضعه بين يديه سجد. قال ابن ظبيان: فهمت والله أن أقتله فأكون أفتك العرب، قتلت ملكين من قريش في يوم واحد، ثم وجدت نفس تنازعني إلى الحياة فأمسكت.

قال: وقال يزيد بن الرقاع العاملي أخو عدي بن الرقاع وكان شاعر أهل الشام:

نحن قتلنا ابن الحواري مصعباً أخا أسد والمذحجي اليمانيا

يعني ابن الأشتر، قال:

ومرت عقاب الموت منا بمسلم فأهوت له ظفراً فأصبح ثاويا

قال الزبير: ويروى هذا الشعر للبعيث اليشكري، ومسلم الذي عناه هو مسلم بن عمرو الباهلي.

مقتل مسلم بن عمرو الباهلي

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثنا محمد بن الحكم، عن عوانة، قال: كان مسلم بن عمرو الباهلي على ميسرة إبراهيم بن الأشتر، فطعن وسقط فارتث ، فلما قتل مصعب أرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية أن يطلب له الأمان من عبد الملك، فأرسل غليه: ما تصنع بالأمان وأنت الموت؟ قال: ليسلم لي مالي ويأمن ولدي. قال: فحمل على سرير فأدخل على عبد الملك بن مروان، فقال عبد الملك لأهل الشام: هذا أكفر الناس لمعروف، ويحك أكفرت معروف يزيد بن معاوية عندك؟ فقال له خالد: تؤمنه يا أمير المؤمنين، فأمنه، ثم حمل فلم يبرح الصحن حتى مات، فقال الشاعر:

نحن قتلنا ابن الحواري مصعباً أخا أسد والمذحجي اليمانيا

حدثنا محمد بن العباس، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، قال: قال رجل لعبيد الله بن زياد بن ظبيان: بماذا تحتج عند الله عز وجل من قتلك لمصعب؟ قال: إن تركت أحتج رجوت أن أكون أخطب من صعصعة بن صوحان.

مصعب وسكينة بنت الحسين

وقال مصعب الزبيري في خبره: قال الماجشون: فلما كان يوم قتل مصعب دخل على سكينة بنت الحسين عليهما السلام فنزع عنه ثيابه، ولبس غلالة وتوشح بثوب، وأخذ سيفه، فعلمت سيكنة أنلا لا يريد أن يرجع فصاحت من خلفه: واحزناه عليك يا مصعب، فالتفت إليها وقد كانت تخفى ما في قلبها منه، أوكل هذا لي في قلبك! فقالت: إي والله، وما كنت أخفي أكثر، فقال: لو كنت أعلم أن هذا كله لي عندك لكانت لي ولك حال، ثم خرج و لم يرجع.

قال مصعب: وحدثني مصعب بن عثمان: أن مصعب بن الزبير لما قدمت عليه سكينة أعطى أخاها علي بن الحسين عليهم السلام -وهو كان حملها إليه- أربعين ألف دينار.

قال مصعب: وحدثني معاوية بن بكر الباهلي قال: قالت سكينة: دخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة. قال: وكانت قد ولدت منه بنتاً، فقال لها: سميها زبراء، فقالت: بل أسميها باسم بعض أمهاتي، فسمتها الرباب.

قال: فحدثني محمد بن سلام، عن شعيب بن صخر، عن أمه سعدة بنت عبد الله بن سالم، قالت: لقيت سكينة بنت الحسين بين مكة ومنى فقالت: قفي يا بنت عبد الله، ثم كشفت عن ابنتها فإذا هي قد أثقلتها باللؤلؤ. فقالت: والله ما ألبستها إياه إلا لتفضحه، قال: فلما قتل مصعب ولي أمر ماله عروة بن الزبير، فزوج ابنه عثمان بن عروة ابنة أخيه من سكينة وهي صغيرة فماتت قبل أن تبلغ، فورث عثمان بن عروة منها عشرة آلاف دينار.

قال: ولما دخلت سكينة الكوفة بعد قتل مصعب خطبها عبد الملك فقالت: والله لا يتزوجني بعده قاتله أبداً.

وتزوجت عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، ودخلت بينها وبينه رملة بنت الزبير أخت مصعب حتى تزوجها خوفاً من أن تصير إلى عبد الملك، فولدت منه ابناً فسمته عثمان -وهو الذي يلقب بقرين- وربيحة ابني عبد الله بن عثمان، فتزوج ربيحة العباس بن الوليد بن عبد الملك.

عبيد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعباً

ثم مات عبد الله بن عثمان عنها فتزوجها زيد بن عمر بن عثمان بن عفان، فقال عبيد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعباً: صوت

إن الزرية يوم مسكن و المصيبة و الفجيعه

يا بن الحواري الذي — لم يعده يوم الوقيعه

غدرت به مضر العرا — ق و أمكنت منه ربيعه

تالله لو كانت له — بالدير يوم الدير شيعه

لو وجدتموه حين يد — لج لا يعرس بالمضيعه

غناه يونس الكاتب من كتابه، ولحنه خفيف رمل بالوسطى، وفيه لموسى شهوات خفيف رمل بالبنصر عن حبش، وقيل: بل هو هذا اللحن، وغلط من نسبه إلى موسى.

وقال عدي بن الرفاع العاملي يذكر مقتله:

لعمري لقد أصحرت خلينا بأكناف دجلة للمصعب
يهزون كل طويل القنا ة معتدل النصل والثعلب
فداؤك أمي وأبناؤها وإن شئت زدت عليهم أبي
وما قلتها رهبة إنما يحل العقاب على المذنب
إذا شئت دافعت مستقتلاً أزاحم كالجمل الأجرب
فمن يك منا يبت آمناً ومن يك من غيرنا يهرب

غناه معبد من رواية إسحاق ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى.

ابن قيس يرثي مصعباً

وقال ابن قيس يرثي مصعباً:

لقد أورث المصرين خزياً وذلة قتيل بدير الجاثليق مقيم
فما قاتلت في الله بكر بن وائل ولا صبرت عند اللقاء تميم
ولكنه رام القيام ولم يكن لها مضري يوم ذاك كريم

مصعب يسأل عن قتل الحسين

قال الزبير: وكان مصعب لما قدم الكوفة يسأل عن الحسين بن علي عليهما السلام وعن قتله، فجعل عروة بن المغيرة يحدثه عن ذلك، فقال متمثلاً بقول سليمان بن قتة:

فإن الألى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

قال عروة: فعلمت أن مصعباً لا يفر أبداً.

الحجاج يتأسى بموقف مصعب

قال الزبير: وقال أبو الحكم بن خلاد بن قرة السدوسي: حدثني أبي، قال: لما كان يوم السبخة حين عسكر الحجاج بإزاء شبيب الشاري قال له الناس: لو تنحيت أيها الأمير عن هذه السبخة؟ فقال لهم: ما تنحوني - والله- إله أنتن، وهل ترك مصعب لكريم مفراً؟ ثم تمثل قول الكلحبة:

إذا المرء لم يغش المكارة أوشكت حبال الهوينى بالفتى أن تقطعا

خطبة عبد الله بعد مقتل مصعب

قال الزبير: وحدثني المدائني، عن عوانة والشرقي بن القطامي، عن أبي جناب، قال: حدثني شيخ من أهل مكة، قال: لما أتى عبد الله بن الزبير قتل مصعب أضرب عن ذكره أياماً حتى تحدثت به إماء مكة في الطريق، ثم صعد المنبر فجلس عليه ملياً لا يتكلم، فنظرت إليه والكآبة على وجهه، وجبينه يرشح عرقاً، فقلت لآخر إلى جنبي: ما له لا يتكلم؟ أتراه يهاب المنطق؟ فوالله إنه لخطيب، فما تراه يهاب؟ قال: أراه يريد أن يذكر قتل مصعب سيد العرب فهو يفظع لذكره، وغير ملوم فقال: الحمد لله الذي له الخلق والأمر ومالك الدنيا والآخرة، يعز من يشاء ويذل من يشاء، ألا إنه لم يذل والله من كان الحق معه وإن كان مفرداً ضعيفاً، و لم يعز من كان الباطل معه، وإن كان في العدة والعدد والكثرة، ثم قال: إنه قد أتانا خبر من العراق بلد الغدر والشقاق فساءنا وسرنا، أتانا أن مصعباً قتل رحمة الله عليه ومغفرته، فأما الذي أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه عند المصيبة، ثم يرعوي من بعد ذو الرأي والدين إلى جميل الصبر. وأما الذي سرنا منه فإنا قد علمنا أن قتله شهادة له وأن الله عز وجل جاعل لنا وله ذلك خيرة إن شاء الله تعالى. إن أهل العراق أسلموه وباعوه بأقل ثمن كانوا يأخذونه منه وأخسره، أسلموه إسلام النعم المخطم فقتل، ولئن قتل أبوه وعمه وأخوه وكانوا الخيار الصالحين، إنا والله ما نموت حتف أنوفنا، ما نموت إلا قتلاً، قعصاً بين قصد الرماح وتحت ظلال السيوف وليس كما يموت بنو مروان، والله ما قتل رجل منهم في جاهلية ولا إسلام قط، وإنما الدنيا عارية من الملك القهار، الذي لا يزول سلطانه، ولا يبيد ملكه، فإن تقبل الدنيا علي لا آخذها أخذ الأشر البطر، وإن تدبر عني لا أبك عليها بكاء الخرف المهتر. ثم نزل.

رجل من بني أسد يرثي مصعباً

وقال رجل من بني أسد بن عبد العزى يرثي مصعباً:

لعمرك إن الموت منا لمولع بكل فتى رحب الذراع أريب

فإن يك أمسى مصعب نال حتفه لقد كان صلب العود غير هيوب

جميل المحيا يوهن القرن غربه وإن عضه دهر فغير رهوب

أتاه حمام الموت وسط جنوده فطاروا شلالاً واستقى بذنوب

ولو صبروا نالوا حباً وكرامة ولكنهم ولو بغير قلوب

كان مصعب أشجع الناس

قال: وقال عبد الملك يوماً لجلسائه: من أشجع الناس؟ فأكثروا في هذا المعنى، فقال: أشجع الناس مصعب بن الزبير، جمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وأمة الحميد بنت عبد الله بن عاصم، وولي العراقين، ثم زحف إلى الحرب، فبذلت له الأمان والحباء والولاية والعفو عما خلص في يده، فأبى قبول ذلك، وطرح كل ما كان مشغوفاً به وأهله وراء ظهره، وأقبل بسيفه قرماً يقاتل وما بقي معه إلا سبعة نفر حتى قتل كريماً.

ابن قيس الرقيات يمدح مصعباً أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال:

لما ولي مصعب بن الزبير العراق أقر عبد العزيز بن عبد الله بن عامر على سجستان وأمده بخيل، فقال ابن قيس الرقيات:

ليت شعري أأول الهرج هذا أم زمان من فتنة غير هرج؟

إن يعش مصعب فنحن بخير قد أتانا من عيشنا ما نرجي

أعطي النصر والمهابة في الأعداء حتى أتوه من كل فج

حيث لم تأت قبله خيل ذي الأكتاف يوجفن بين قف ومرج

ملك يطعم الطعام ويسقى لبن البخت في عساس الخلنج

قال الزبير: حدثني عمي مصعب: أن عبيد الله بن قيس كان عند عبد الملك، فأقبل غلمان له معهم عساس خلنج فيها لبن البخت، فقال عبد الملك: يا بن قيس، أين هذا من عساس مصعب التي تقول فيها:

ملك يطعم الطعام ويسقي لبن البخت في عساس الخلنج؟

فقال: لا أين يا أمير المؤمنين، لو طرحت عساسك هذه في عس من عساس مصعب لوسعها وتغلغلت في جوفه، فضحك عبد الملك ثم قال: قاتلك الله يا بن قيس، فإنك تأبى إلا كرماً ووفاء.

قصة يونس الكاتب والوليد بن يزيد حدثني عمي، قال: حدثني أحمد بن الطيب، قال: قال لي أحمد ابن إبراهيم بن إسماعيل بن داود: خرج يونس الكاتب من المدينة يريد الشام بتجارة، فبلغ الوليد بن يزيد مكانه فأتته رسله وهو في الخان، وذلك في خلافة هشام، والوليد يومئذ أمير، فقالوا له: أجب الأمير، قال: فذهبت معهم، فأدخلوني عليه ولا أدري من هو إلا أنه حسن الوجه نبيل، فسلمت عليه، فأمرني بالجلوس فجلست، ودعا بالشراب والجواري، فكنا يومنا وليلتنا في أمر عجيب، وغنيته فأعجبه غنائي، وكان مما أعجبه:

ليت شعري أأول الهرج هذا أم زمان من فتنة غير هرج؟

فلم يزل يستعيده إلى الصبح، ثم اصطبح عليه ثلاثة أيام، فقلت: أيها الأمير، أنا رجل تاجر قدمت هذا البلد في تجارة لي، وقد ضاعت، فقال: تخرج غداً غدوة وقد ربحت أكثر من تجارتك. وتمم شربه، فلما أردت الانصراف لحقني غلام من غلمانه بثلاثة آلاف دينار، فأخذتها ومضيت، فلما أفضت الخلافة إليه أتيته، فلم أزل مقيماً عنده حتى قتل.

قال أحمد بن الطيب -وذكر مصعب الزبيري- أن يونس قال: كنت أشرب مع أصحاب لي فأردت أن أبول، فقمت وجلست أبول على كثيب رمل، فخطر ببالي قول ابن قيس:

ليت شعري أأول الهرج هذا

فغنيت فيه لحناً استحسنته وجاء عجباً من العجب، فألقيته على جاريتي عاتكة، ورددته حتى أخذته، وشاع لي في الناس ، فكان أول صوت شاع لي وارتفع به قدري وقرنت بالفحول من المغنين، وعاشرت الخلفاء من أجله، وأكسبني مالاً جليلاً.

صوت

ألا ناد جيراننا يقصدوا — فنقضى اللبانة أو نعهد

كأن على كبدي جمرة — حذاراً من البين ما تبرد

الشعر لكثير، والغناء لأشعب المعروف بالطمع ، ثاني ثقيل بالوسطى، وفي البيت الثاني لابن جامع لحن من الثقيل الأول بالبنصر عن حبش.

ذكر أشعب وأخباره

نسبه

هو أشعب بن جبير، واسمه شعيب، وكنيته أبو العلاء، كان يقال لأمه: أم الخلندج، وقيل: بل أم جميل، وهي مولاة أسماء بنت أبي بكر واسمها حميدة . وكان أبوه خرج مع المختار بن أبي عبيدة ، وأسره مصعب فضرب عنقه صبراً، وقال: تخرج علي وأنت مولاي؟ ونشأ أشعب بالمدينة في دور آل أبي طالب، وتولت تربيته وكفلته عائشة بنت عثمان بن عفان.

وحكي عنه أنه حكى عن أمه أنها كانت تغري بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وأنها زنت فحلقت وطيف بها، وكانت تنادي على نفسها: من رآني فلا يزنين ، فقالت لها امرأة كانت تطلع عليها: يا فاعلة، نهانا الله عز وجل عنه فعصيناه، أو نطيعك وأنت مجلودة محلوقة راكبة على جمل!.

أمه كانت مستظرفة من زوجات النبي

وذكر رضوان بن أحمد الصيدلاني فيما أجاز لي روايته عنه، عن يوسف بن الداية، عن إبراهيم بن المهدي: أن عبيدة بن أشعث أخبره -وقد سأله عن أولهم وأصلهم- أن أباه وجده كانا مولييي عثمان، وأن أمه كانت مولاة لأبي سفيان بن حرب، وأن ميمونة أم المؤمنين أخذتها معها لما تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم، فكانت تدخل إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فيستظرفنها، ثم إنها فارقت ذلك وصارت تنقل أحاديث بعضهن إلى بعض وتغري بينهن، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليها فماتت.

وذكروا أنه كان مع عثمان -رضي الله عنه- في الدار، فلما حصر جرد مماليكه السيوف ليقاتلوا، فقال لهم عثمان: من أغمد سيفه فهو حر، قال أشعب: فلما وقعت والله في أذني كنت أول من أغمد سيفه، فأعتقت.

سن أشعب

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني إسحاق الموصلي، قال: حدثني الفضل بن الربيع، قال: كان أشعب عند أبي سنة أربع وخمسين ومائة، ثم خرج إلى المدينة فلم يلبث أن جاء نعيه. وهو أشعب بن جبير، وكان أبوه مولى لآل الزبير، فخرج مع المختار، فقتله مصعب صبراً مع من قتل.
أخبرني الجوهري، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا أحمد بن إسماعيل اليزيدي، قال: حدثني التوزي، عن الأصمعي، قال: قال أشعث: نشأت أنا وأبو الزناد في حجر عائشة بنت عثمان، فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا هذه المنزلة.
أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنا عبيد الله بن الحسن والي المأمون على المدينة، قال: حدثني محمد بن عثمان بن عفان قال: قلت لأشعب: لي إليك حاجة، فحلف بالطلاق لابنة وردان : لا سألته حاجة إلا قضاها، فقلت له: أخبرني عن سنك، فاشتد ذلك عليه حتى ظننت أنه سيطلق، فقلت له: على رسلك، وحلفت له إني لا أذكر سنه ما دام حياً، فقال لي: أما إذ فعلت فقد هونت علي، أنا والله حيث حصر جدك عثمان بن عفان، أسعى في الدار ألتقط السهام، قال الزبير : وأدركه أبي.
أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني محمد بن عبد الله اليعقوبي، عن الهيثم بن عدي، قال: قال أشعب: كنت ألتقط السهام من دار عثمان يوم حوصر، وكنت في شبيبتي ألحق الحمر الوحشية عدواً.

أمه يطاف بها بعد أن بغت

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا عبد الرحمن بن الجهم أبو مسلم وأحمد بن إسماعيل، قالا: أخبرنا المدائني، قال: كان أشعب الطامع -واسمه شعيب- مولى لآل الزبير من قبل أبيه، وكانت

أمه مولاة لعائشة بنت عثمان بن عفان؛ وكانت بغت فضربت وحلقت وطيف بها وهي تنادي: من رآني فلا يزنين، فأشرفت عليها امرأة فقالت: يا فاعلة، نهانا الله عز وجل عن الزنا فعصيناه، ولسنا ندعه لقولك وأنت محلوقة مضروبة يطاف بك.

أخبرني أحمد، قال: حدثنا أحمد بن مهرويه، قال: كتب إلي ابن أبي خيثمة يخبرني أن مصعب بن عبد الله أخبره، قال: اسم أشعب شعيب، ويكنى أبا العلاء، ولكن الناس قالوا أشعب فبقيت عليه، وهو شعيب بن جبير مولى آل الزبير، وهم يزعمون اليوم أنهم من العرب، فزعم أشعب أن أمه كانت تغري بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورحمهم، وامرأة أشعب بنت وردان، ووردان الذي بنى قبر النبي صلى الله عليه وسلم حين بنى عمر بن عبد العزيز المسجد.

كان أشعب حسن الصوت بالقرآن

أخبرني أحمد قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: وكتب إلي ابن أبي خيثمة يخبرني أن مصعب بن عبد الله أخبره، قال: كان أشعب من القراء للقرآن، وكان قد نسك وغزا، وكان حسن الصوت بالقرآن، وربما صلى بهم القيام.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد القاسم، قال: حدثني أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، قال: كان أشعب مع ملاحته ونوادره يغني أصواتاً فيجيدها، وفيه يقول عبد الله بن مصعب الزبيري: صوت

إذا تمززت صراحية ... كمثل ريح المسك أو أطيب

ثم تغنى لي بأهزاجه ... زيد أخو الأنصار أو أشعب

حسبت أني ملك جالس ... حفت به الأملاك والموكب

وما أبالي وإله الورى ... أشرق العالم أم غربوا

غنى في هذه الأبيات زيد الأنصاري خفيف رمل بالبنصر.

وقد روى أشعب الحديث عن جماعة من الصحابة: أخبرني عمي، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد أن الربيع بن ثعلب حدثهم، قال: حدثني أبو البحتري: حدثني أشعب، عن عبد الله بن جعفر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لو دعيت إلى ذراع لأجبت، ولو أهدي إلي كراع لقبلت".

أشعب وسالم بن عبد الله

قال ابن أبي سعد، وروي عن محمد بن عباد بن موسى، عن عتاب بن إبراهيم ، عن أشعب الطامع -قال عتاب: وإنما حملت هذا الحديث عنه لأنه عليه- قال: دخلت إلى سالم بن عبد الله بستاناً له فأشرف علي وقال: يا

أشعب، ويلك لا تسأل، فإني سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ليأتين أقوام يوم القيامة ما في وجوههم مزعة لحم ، قد أخلقوها بالمسألة".

ويروى عن يزيد بن موهب الرملي ، عن عثمان بن محمد، عن أشعب، عن عبد الله بن جعفر: أن النبي صلى الله عليه وسلم تختم في يمينه.

أخبرني أحمد، قال: حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني الأصمعي، عن أشعب، قال: استنشدني ابن لسالم بن عبد الله بن عمر غناء الركبان بحضرة أبيه سالم فأنشدته، ورأس أبيه سالم في بت فلم ينكر ذلك.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أبو مسلم، عن عبد الرحمن بن الحكم ، عن المدائني، قال: دفعت عائشة بنت عثمان في البزازين فقالت له بعد حول: أوجهت لشيء؟ قال: نعم، تعلمت نصف العمل وبقي نصفه، قالت: وما تعلمت؟ قال: تعلمت النشر وبقي الطي.

أشعب يدعو الله أن يذهب عنه الحرص

ثم يستقيل ربه

قال المدائني: وقال أشعب: تعلقت بأستار الكعبة فقلت: اللهم أذهب عني الحرص والطلب إلى الناس، فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحد شيئاً، فجئت إلى أمي فقال: ما لك قد جئت خائباً؟ فأخبرتها، فقالت: لا والله لا تدخل حتى ترجع فتستقيل ربك، فرجعت فقلت: يا رب أقلني، ثم رجعت، فلم أمر بمجلس لقريش وغيرهم إلا أعطوني ووهب لي غلام، فجئت إلى أمي بحمار موقر من كل شيء، فقالت: ما هذا الغلام؟ فخفت أن أخبرها بالقصة فتموت فرحاً، فقلت: وهبوا لي، قالت: أي شيء؟ قلت: غين، قالت: أي شيء غين؟ قلت: لام، قالت: وأي شيء لام؟ قلت: ألف، قالت: وأي شيء ألف؟ قلت: ميم، قالت: وأي شيء ميم؟ قلت: غلام. فغشي عليها. ولو لم أقطع الحروف لماتت الفاسقة فرحاً.

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني العباس بن ميمون، قال: سمعت الأصمعي، يقول: سمعت أشعب يقول : سمعت الناس يموجون في أمر عثمان. قال الأصمعي: ثم أدرك المهدي.

صفته

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق بن سعيد الربيع ، قال: حدثني عند بن حمدان الأرقمي المخزومي، قال: أخبرني أبي، قال: كان أشعب أزرق أحول أكشف أقرع . قال: وسمعت الأرقمي يقول: كان أشعب يقول: كنت أسقي الماء في فتنة عثمان بن عفان. والله أعلم.

أشعب والدينار

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا عيسى بن موسى، قال: حدثنا الأصمعي، قال: أصاب أشعب ديناراً بالمدينة، فاشترى به قطيفة، ثم خرج إلى قباء يعرفها، ثم أقبل علي فيما أحسب -شك أبو يحيى- فقال: أتراها تعرف.

قال أحمد: وحدثناه أبو محمد بن سعد، قال: حدثني أحمد بن معاوية بن بكر، قال: حدثني الواقدي، قال: كنت مع أشعب نريد المصلى، فوجد ديناراً، فقال لي: يا بن واقد، قلت: ما تشاء؟ قال: وجدت ديناراً فما أصنع به؟ قال: قلت: عرفه، قال: أم العلاء إذا طالق، قال: قلت: فما تصنع به إذاً؟ قال: أشتري به قطيفة أعرفها.

قال: وحدثني محمد بن القاسم، قال: وحدثنيه محمد بن عثمان الكريزي، عن الأصمعي: أن أشعب وجد ديناراً فتخرج من أخذه دون أن يعرفه، فاشترى به قطيفة، ثم قام على باب المسجد الجامع فقال: من يتعرف الوبدة ؟

أخبرني أحمد الجوهري، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: سألت العتري، فقال: الوبد من كل شيء: الخلق؛ وبد الثوب وومد إذا أخلق.

أشعب يطرب الناس بغنائه

أخبرنا أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا عيسى بن موسى، قال: حدثنا الأصمعي، قال: رأيت أشعب يغني وكأنه صوته صوت بلبل.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن عبد الله في رفقة فيها ألف محمل، وكان ثم قاص يقص عليهم، فجئت فأخذت في أغنية من الرقيق، فتركوه وأقبلوا إلي، فجاء يشكوني إلى سالم فقال: إن هذا صرف وجوه الناس عني، قال: وأتيت سالماً -وأحسبه قال- والقاسم، فسألتهما بوجه الله العظيم، فأعطياني، وكانا يبغضانني أو أحدهما يبغضني في الله، قال: قلنا: لا تجعل هذا في الحديث، قال: بلى.

حدثنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: وحدثناه قعنب بن محرز الباهلي، قال: أخبرنا الأصمعي، عن أشعب، قال: قدم علينا قاص كوفي يقص في رفقته، وفيها ألف بعير، فخرجنا وأحرمنا من الشجرة بالتلبية، فأقبل الناس إلي وتركوه. قال: ابن أم حميد، فجاء إلي عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، فقال: إن مولاك هذا قد ضيق علي معيشتي.

أشعب وزياد بن عبد الله الحارثي

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجهم، عن المدائني، قال: تغدى أشعب مع زياد بن عبد الله الحارثي، فجاءوا بمضيرة ، فقال أشعب لخباز: ضعها بين يدي، فوضعها بين يديه، فقال زياد: من يصلي بأهل السجن؟ قال: ليس لهم إمام، قال: أدخلوا أشعب يصلي بهم، قال أشعب: أو غير ذلك أصلح الله الأمير؟ قال: وما هو؟ قال: أحلف ألا آكل مضيرة أبداً.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: قعنب بن المحرز، قال: حدثنا الأصمعي، قال: ولى المنصور زياد بن عبد الله الحارثي مكة والمدينة، قال أشعب: فلقيته بالجحفة فسلمت عليه، قال: فحضر الغداء، وأهدي إليه جدي فطبخه مضيرة، وحشيت القبة قال: فأكلت أكلاً أتملح به، وأنا أعرف صاحبي، ثم أتي بالقبة، فشققتها، فصاح الطباخ: إنا لله! شق القبة، قال: فانقطعت، فلما فرغت قال: يا أشعب! هذا رمضان قد حضر، ولا بد أن تصلي بأهل السجن، قلت: والله ما أحفظ من كتاب الله إلا ما أقيم به صلاتي، قال: لا بد منه، قال: قلت: أو لا آكل جدياً مضيرة؟ قال: وما أصنع به وهو في بطنك؟ قال: قلت: الطريق بعيد أريد أن أرجع إلى المدينة، قال: يا غلام، هات ريشة ذنب ديك -قال أشعب: والجحفة أطول بلاد الله ريشة ذنب ديك- قال: فأدخلت في حلقي فتقيأت ما أكلت، ثم قال لي: ما رأيك؟ قال: قلت: لا أقيم ببلدة يصاح فيها: شق القبة، قال: لك وظيفة على السلطان وأكره أن أكسرها عليك، فقل ولا تشطط قال: قلت: نصف درهم كراء حمار يبلغني المدينة، قال: أنصفت وأعطانيه.

من طرائف أشعب

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرني أبو مسلم، عن المدائني، قال: أتي أشعب بفالوذجة عند بعض الولادة، فأكل منها، فقيل له: كيف تراها يا أشعب؟ قال: امرأته طالق إن لم تكن عملت قبل أن يوحي الله عز وجل إلى النحل.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثنا عبد الله بن شعيب الزبيري ، عن عمه. قال أبو بكر: وحدثني ابن أبي سعد، قال: حدثني عبد الله بن شعيب وهو أتم من هذا وأكثر كلاماً، قال: جاء أشعب إلى أبي بكر بن يحيى من آل الزبير، فشكا إليه، فأمر له بصاع من تمر، وكانت حال أشعب رثة، فقال له أبو بكر بن يحيى: ويحك يا أشعب! أنت في سنك وشهرتك تجيء في هذه الحال فتضع نفسك فتعطى مثل هذا؟ اذهب فادخل الحمام فاخضب لحيتك، قال أشعب: ففعلت، ثم جئته فألبسني ثياب صوف له وقال: اذهب الآن فاطلب، قال: فذهبت إلى هشام بن الوليد صاحب البغلة من آل أبي ربيعة، وكان رجلاً شريفاً موسراً، فشكا إليه فأمر له بعشرين ديناراً، فقبضها أشعب وخرج إلى المسجد، وطفق كلما جلس في حلقة يقول: أبو بكر بن يحيى، جزاه الله عني خيراً، أعرف الناس بمسألة، فعل بي وفعل، فيقص قصته، فبلغ ذلك أبا بكر فقال: يا عدو نفسه! فضحتني في الناس، أفكان هذا جزائي!.

أخبرنا أحمد، قال: قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرني محمد بن الحسين بن عبد الحميد، قال: حدثني شيخ أنه نظر إلى أشعب بموضع يقال له الفرع يبكي وقد خضب بالحناء، فقالوا: يا شيخ ما يبكيك؟ قال: لغربة هذا الجناح، وكان على دار واحدة ليس بالفرع غيره.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: أخبرني محمد بن الحسين، قال: حدثني أبي، قال:

نظرت إلى أشعب يسلم على رسول الله "صلى الله عليه وسلم قال: وهو يدعو ويتضرع، قال: فأدمت نظري إليه، فكلما أدمت النظر إليه كلح وبث أصابعه في يده بحذائي حتى هربت فسألت عنه فقالوا: هذا أشعب.
أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم بن عجلان الفهري، قال: إن أشعب مر برش قد رش من الليل في بعض نواحي المدينة فقال: كأن هذا الرش كساء برنكاني فلما توسطه قال: أظنني والله قد صدقت، وجلس يلمس الأرض.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا بعض المدنيين، قال: كان لأشعب خرق في بابه، فينام ويخرج يده من الخرق ويطمع أن يجيء إنسان فيطرح في يده شيئاً؛ من الطمع.
أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري، قال: صلى أشعب يوماً إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان، وكان مروان عظيم الخلق والعجيزة، فأفلتت منه ريح عند نهوضه، لها صوت، فانصرف أشعب من الصلاة، فوهم الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح، فلما انصرف مروان إلى منزله جاءه أشعب فقال له: الدية، فقال: دية ماذا؟ فقال: دية الضرطة التي تحملتها عنك، والله وإلا شهرتك، فلم يدعه حتى أخذ منه شيئاً صالحاً.
أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني إبراهيم بن الجنيد، قال: حدثني سوار بن عبد الله ، قال: حدثني مهدي بن سليمان المنقري مولى لهم، عن أشعب، قال: دخلت على القاسم بن محمد وكان يبغضني في الله وأحبه فيه، فقال: ما أدخلك علي؟ اخرج عني، فقلت: أسألك بالله لما جددت عذقاً، قال: يا غلام، جد له عذقاً، فإنه سأل بمسألة لا يفلح من ردها أبداً.
أخبرنا أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا الرياشي، قال: حدثني أبو سلمة أيوب بن عمر، عن المحرزي، وهو أيوب بن عباية أبو سليمان، قال: كان لأشعب علي في كل سنة دينار، قال: فأتاني يوماً ببطحان فقال: عجل لي ذلك الدينار، ثم قال: لقد رأيتني أخرج من بيتي فلا أرجع شهراً مما آخذ من هذا وهذا وهذا.

بين أشعب وابنه

أخبرنا أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني علي بن محمد النوفلي، قال: سمعت أبي يحكي عن بعض المدنيين، قال: كبر أشعب فمله الناس وبرد عندهم، ونشأ ابنه فتغنى وبكى وأندر ، فاشتهى الناس ذلك، فأخصب وأجدب أبوه، فدعاه يوماً وجلس هو وعجوزه، وجاء ابنه وامرأته فقال له: بلغني أنك قد تغنيت وأندرت وحظيت ، وأن الناس قد مالوا إليك فهلم حتى أحايرك ، قال: نعم، فتغنى أشعب فإذا هو قد انقطع وأرعد، وتغنى ابنه فإذا هو حسن الصوت مطرب، وانكسر أشعب ثم أندر فكان الأمر كذلك، ثم خطبا فكان

الأمر كذلك، فاحترق أشعب فقام فألقي ثيابه، ثم قال: نعم، فمن أين لك مثل خلقي؟ من لك بمثل حديثي؟ قال: وانكسر الفتق، فنعرت العجوز ومن معها.

حديثه عن وفاة بنت الحسين بن علي

أخبرني أحمد، قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد، قال: حدثني علي بن الحسين بن هارون، قال: حدثني محمد بن عباد بن موسى، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن جعفر بن سليمان وكان جارنا هنا، قال: دخلت على جعفر بن سليمان وعند أشعب يحدثه قال:

كانت بنت حسين بن علي عند عائشة بنت عثمان تربيها حتى صارت امرأة، وحج الخليفة فلم يبق في المدينة خلق من قريش إلا وافى الخليفة إلا من لا يصلح لشيء، فماتت بنت حسين بن علي، فأرسلت عائشة إلى محمد بن عمرو بن حزم وهو والي المدينة، وكان عفيفاً حديداً عظيم اللحية، له جارية موكلة بلحيته إذا ائتزر لا يأتزر عليها، وكان إذا جلس للناس جمعها ثم أدخلها تحت فخذه. فأرسلت عائشة: يا أخي قد ترى ما دخل علي من الصيبة بابنتي، وغيبة أهلي وأهلها، وأنت الوالي، فأما ما يكفي النساء من النساء فأنا أكفيكه بيدي وعيني، وأما ما يكفي الرجال من الرجال فاكفنيه، مر بالأسواق أن ترفع، وأمر بتجويد عمل نعشها، ولا يحملها إلا الفقهاء الألباء من قريش بالوقار والسكينة، وقم على قبرها ولا يدخله إلا قرابتها من ذوي الحجا والفضل، فأتى ابن حزم رسولها حين تغدى ودخل ليقيل، فدخل عليه فأبلغه رسالتها، فقال ابن حزم لرسولها: أقرئ ابنة المظلوم السلام وأخبرها أني قد سمعت الواعية وأردت الركوب إليها فأمسكت عن الركوب حتى أبرد، ثم أصلي، ثم أنفذ كل ما أمرت به. وأمر حاجبه وصاحب شرطته برفع الأسواق، ودعا الحرس وقال: خذوا السياط حتى تحولوا بين الناس وبين النعش إلا ذوي قرابتها بالسكينة والوقار، ثم نام وانتبه وأسرج له، واجتمع كل من كان بالمدينة، وأتى باب عائشة حين أخرج النعش، فلما رأى الناس النعش التقفوه، فلم يملك ابن حزم ولا الحرس منه شيئاً، وجعل ابن حزم يركض خلف النعش ويصيح بالناس من السفلة والغوغاء: اربعوا أي ارفقوا فلم يسمعوا، حتى بلغ بالنعش القبر، فصلى عليها، ثم وقف على القبر فنادى: من ها هنا من قريش؟ فلم يحضره إلا مروان بن أبان بن عثمان، وكان رجلاً عظيم البطن بادناً لا يستطيع أن يثني من بطنه، سخيف العقل، فطلع وعليه سبعة قمص، كأنها درج، بعضها اقصر من بعض ورداء عدني يثمن ألف درهم، فسلم وقال له ابن حزم: أنت لعمري قريبها، ولكن القبر ضيق لا يسعك، فقال: أصلح الله الأمير إنما تضيق الأخلاق. قال ابن حزم: إنا لله، ما ظننت أن هذا هكذا كما أرى، فأمر أربعة فأخذوا بضبعه حتى أدخلوه في القبر، ثم أتى خراء الزنج، وهو عثمان بن عمرو بن عثمان فقال: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله، ثم قال: واسيدتاه وابنت أختاه! فقال ابن حزم: تالله لقد كان يبلغني عن هذا أنه مخنث، فلم أكن أرى أنه بلغ هذا كله، دلوه فإنه عورة هو والله أحق بالدفن منها، فلما أدخلا قال مروان لخراء الزنج: تنح إليك شيئاً فقال له خراء الزنج: الحمد لله رب العالمين، جاء الكلب

الإنسي يطرد الكلب الوحشي، فقال لهما ابن حزم: اسكتا قبحكما الله وعليكما اللعنة، أيكما الإنسي من الوحشي، والله لئن لم تسكتا لآمرن بكما تدفنان، ثم جاء خال للجارية من الحاطبيين وهو ناقة من مرض لو أخذ بعوضة لم يضبطها فقال: أنا خالها وأمي سودة وأمها حفصة، ثم رمى بنفسه في القبر، فأصاب ترقوة خراء الزنج فصاح: أوه ألح الله الأمير دق والله عرقوبي، فقال ابن حزم: دق الله عرقوبك، وترقوتك اسكت ويلك، ثم أقبل على أصحابه فقال: ويحكم إني خبرت أن الجارية بادن، ومروان لا يقدر أن ينثني من بطنه، وخراء الزنج مخنث لا يعقل سنة ولا دفناً، وهذا الحاطبي لو أخذ عصفوراً لم يضبطه لضعفه، فمن يدفن هذه الجارية؟ والله ما أمرتني بهذا بنت المظلوم، فقال له جلساؤه: لا والله ما بالمدينة خلق من قريش، ولو كان في هؤلاء خير لما بقوا، فقال: من هاهنا من مواليهم؟ فإذا أبو هانئ الأعمى وهو ظئر لها، فقال ابن حزم: من أنت رحمك الله؟ فادفن هؤلاء الأحياء، حتى يدلى عليك الموتى ثم أقبل على أصحابه فقال: إنا لله -وهذا أيضاً أعمى لا يبصر، فنادوا: من ها هنا من مواليهم فإذا برجل يزيدي يقال له أبو موسى قد جاء، فقال له ابن حزم: من أنت أيضاً؟ قال: أنا أبو موسى صالمين، وأنا بن السميط سميطين والسعيد سعيدين، والحمد لله رب العالمين، فقال ابن حزم: والله العظيم لتكونن لهم خامساً، رحمك الله يا بنت رسول الله، فما اجتمع على جيفة خنزير ولا كلب ما اجتمع على جثتك فإنا لله وإنا إليه راجعون، وأظنه سقط رجل آخر .

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني اليعقوبي محمد بن عبد الله، قال: حدثني أبو بكر الزلال الزبيري، قال: حدثني من رأى أشعب وقد علق رأس كلبه وهو يضربه ويقول له: تنبح الهدية وتبصبص للضيف.

أرضع أشعب جدياً لبن زوجته

أخبرنا أحمد، قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن محمد الزبيري أبو الطاهر، قال: حدثني يحيى بن محمد بن أبي قتيلة، قال: إذا أشعب جدياً بلبن زوجته وغيرها حتى بلغ الغاية، قال: ومن مبالغته في ذلك أن قال لزوجته: أي ابنة وردان، إن أحب أن ترضعيه لبنك. قال: ففعلت، قال: ثم جاء به إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد فقال: بالله إنه لابني، قد رضع بلبن زوجتي وقد حبوتك به، و لم أر أحداً يستأهله سواك، قال: فنظر إسماعيل إلى فتنة من الفتن فأمر به فذبح وسمط، فأقبل عليه أشعب، فقال: المكافأة، فقال: ما عندي والله اليوم شيء، ونحن من تعرف، وذلك غير فائت لك، فلما يئس منه قام من عنده فدخل على أبيه جعفر بن محمد، ثم اندفع يشهق حتى التقت أضلاعه، ثم قال: أخلني، قال: ما معنا أحد يسمع لا عين عليك، قال: وثب ابنك إسماعيل على ابني فذبحه وأنا أنظر إليه، قال: فارتاع جعفر وصاح: ويلك! وفيم؟ وتريد ماذا؟ قال: أما ما أريد فوالله ما لي إسماعيل حيلة ولا يسمع هذا سامع أبداً بعدك. فجزاه خيراً وأدخله منزله، وأخرج إليه مائتي دينار وقال له: خذ هذه ولك عندما ما تحب، قال: وخرج إلى إسماعيل لا يبصر ما يطأ عليه، فإذا به مترسل في مجلسه،

فلما رأى وجه أبيه نكره، وقام إليه، فقال: يا إسماعيل أو فعلتها بأشعب؟ قتلت ولده، قال: فاستضحك وقال: جاءني بجدي من صفته كذا، وخبره الخبر، فأخبره أبوه ما كان منه وصار إليه. قال: فكان جعفر يقول لأشعب: رعبتني رعبك الله فيقول: روعة ابنك والله إياي في الجدي أكبر من روعتك أنت في المائتي دينار.

حزن أشعب لوفاة خالد بن عبد الله

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن إسحاق المسيبي ، قال: حدثني عمير بن عبد الله بن أبي بكر بن سليمان بن أبي خيثمة -قال: وعمير لقب واسمه عبد الرحمن- عن أشعب، قال: أتيت خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ليلة أسأله، فقال لي: أنت على طريقة لا أعطي على مثلها، قلت: بلى جعلت فداءك، فقال: قم فإن قدر شيء فسيكون، قال: فقمت، فإني لفي بعض سكك المدينة، قال: كم عيالك؟ فأخبرته قال: قد أمرت أن أجري عليك وعلى عيالك ما كنت حياً، قال: من أمرك؟ قال: لا أخبرك ما كانت هذه فوق هذه، يريد السماء، وأشار إليها قال: قلت: إن هذا معروف يشكر، قال: الذي أمرني لم يرد شكرك، وهو يتمنى ألا يصل مثلك. قال: فمكثت آخذ ذلك إلى أن توفي خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، قال: فشهدته قريش وحفل له الناس قال: فشهدته فلقيني ذلك الرجل فقال: يا أشعب انتف رأسك ولحيتك، هذا والله صاحبك الذي كان يجري عليك ما كنت أعطيك، وكان والله يتنمى مباعدة مثلك، قال: فحمله والله الكرم إذ سألته أن فعل بك ما فعل، قال عمير: قال أشعب: فعملت بنفسي والله حينئذ ما حل وحرم.

أشعب في المسجد

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: كان أشعب يوماً في المسجد يدعو وقد قبض وجهه فصيره كالصبرة المجموعة، فرآه عامر بن عبد الله بن الزبير فحصبه وناداه: يا أشعب، إذا تناجى ربك فناجه بوجه طلق، قال: فأرخى لحيه حتى وقع على زوره، قال: فأعرض عنه عامر وقال: ولا كل هذا.

جزء أشعب لحيته

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني الزبير، قال: حدثني مصعب، قال: جز أشعب لحيته فبعث إليه نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير: ألم أقل لك إن البطال أملح ما يكون إذا طالت لحيته فلا تجزز لحيتك.

طرائف من طمعه وبخله

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا أبو الحسن المدائني، قال: وقف أشعب على امرأة تعمل طبق خوص فقال: لتكبريه فقالت: لم؟ أتريد أن تشتريه؟ قال: لا، ولكن عسى أن يشتريه إنسان فيهدي إلي فيه ، فيكون كبيراً خير من أن يكون صغيراً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أحمد بن يحيى قال: أخبرنا المدائني، قال: قالت صديقة أشعب لأشعب: هب لي خاتمك أذكرك به، قال: اذكريني أني منعتك إياه؛ فهو أحب إلي.

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: أخبرنا أبو مسلم قال: أخبرنا المدائني، قال: قال أشعب مرة للصبيان: هذا عمرو بن عثمان يقسم مالاً، فمضوا، فلما أبطؤوا عنه اتبعهم؛ يحسب أن الأمر قد صار حقاً كما قال.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا المدائني، قال: دعا زياد بن عبد الله أشعب فتغدى معه، فضرب بيده إلى جدي بين يديه، وكان زياد أحد البخلاء بالطعام، فغاظه ذلك، فقال لخدمه: أخبروني عن أهل السجن ألهم إمام يصلي بهم؟ وكان أشعب من القراء لكتاب الله تعالى، قالوا: لا، قال: فأدخلوا أشعب فصيروه إماماً لهم، قال أشعب: أو غير ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أحلف لك -أصلحك الله- ألا أذوق جدياً أبداً، فخلاه.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال: رأيت أشعب بالمدينة يقلب مالاً كثيراً فقلت له: ويحك ما هذا الحرص! ولعلك أن تكون أيسر ممن تطلب من ، قال: إن قد مهرب في هذه المسألة، فأنا أكره أن أدعها فتنفلت مني.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال: قيل لأشعب: ما بلغ من طمعك؟ قال: ما رأيت اثنين يتساران قط إلا كنت أراهما يأمران لي بشيء.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال: قال أشعب لأمه: رأيتك في النوم مطلية بعسل وأنا مطلي بعذرة، فقالت: يا فاسق هذا عملك الخبيث كساكه الله عز وجل، قال: إن في الرؤيا شيئاً آخر، قالت: ما هو؟ قال: رأيتني ألطعك وأنت تلطعيني ، قالت: لعنك الله يا فاسق.

أخبرنا أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال: كان أشعب يتحدث إلى امرأة بالمدينة حتى عرف ذلك، فقالت لها جاراتها يوماً: لو سألته شيئاً فإنه موسر، فلما جاء قالت: إن جاراتي ليقلن لي: ما يصلك بشيء، فخرج نافراً من منزلها، فلم يقربها شهرين، ثم إنه جاء ذات يوم فجلس على الباب، فأخرجت إليه قدحاً ملآن ماءً، فقالت: اشرب هذا من الفزع، فقال: اشربيه أنت من الطمع.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم وأحمد بن يحيى -واللفظ لأحمد- قال: أخبرنا المدائني عن جهم بن خلف، قال: حدثني رجل قال: قلت لأشعب: لو تحدثت عندي

العشية؟ فقال: أكره أن يجيء ثقيل، قال: قلت: ليس غيرك وغيري، قال: فإذا صليت الظهر فأنا عندك، فضلى وجاء، فلما وضعت الجارية الطعام إذا بصديق لي يدق الباب، فقال: ألا ترى قد صرت إلى ما أكره؟ قال: قلت: إن عندي فيه عشر خصال، قال: فما هي؟ قال: أولها أنه لا يأكل ولا يشرب، قال: التسع الخصال لك، أدخله. قال أبو مسلم :إن كرهت واحدة منها لم أدخله.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال: دخل أشعب يوماً على الحسين بن علي وعند أعرابي قبيح المنظر مختلف الخلقة، فسبح أشعب حين رآه، وقال للحسين عليه السلام: بأبي أنت وأمي، أتأذن لي أن أسلح عليه؟ فقال الأعرابي: ما شئت، ومع الأعرابي قوس وكنانة، ففوق له سهماً وقال: والله لئن فعلت لتكونن آخر سلحة سلحتها، قال أشعب للحسين: جعلت فداءك، قد أخذني القولنج .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال: ذكر أشعب بالمدينة رجلاً قبيح الاسم، فقيل له: يا أبا العلاء، أتعرف فلاناً؟ قال: ليس هذا من الأسماء التي عرضت على آدم.

وجدت في بعض الكتب، عن أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائني، قال: توضأ أشعب فغسل رجله اليسرى وترك اليمنى فقيل له: لم تركت غسل اليمنى؟ قال: لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أمتي غر محجلون من آثار الوضوء، وأنا أحب أن أكون أغر محلاً مطلق اليمنى".

وأخبرت بهذا الإسناد قال:

سمع أشعب حبي المدينية تقول: اللهم لا تمتني حتى تغفر لي ذنوبي، فقال لها: يا فاسقة أنت لم تسألي الله المغفرة إنما سألته عمر الأبد، يريد أنه لا يغفر لها أبداً.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا المدائني، عن فليح بن سليمان، قال: ساوم أشعب رجلاً بقوس عربية فقال الرجل: لا أنقصها عن دينار، قال أشعب: أعتق ما أملك لو أنها إذا رمي بها طائر في جو السماء وقع مشوياً بين رغيفين ما أخذتها بدينار.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال: أهدى رجل من بني عامر بن لؤي إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر بن محمد فالوذجة، وأشعب حاضر، قال: كل يا أشعب، فلما أكل منها قال: كيف تجدها يا أشعب؟ قال: أنا بريء من الله ورسوله إن لم تكن عملت قبل أن يوحي الله عز وجل إلى النحل، أي ليس فيها من الحلاوة شيء.

أخبرنا أحمد قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال: سأل سالم بن عبد الله أشعب عن طعمه، قال: قلت لصبياني مرة: هذا سالم قد فتح باب صدقة عمر ، فانطلقوا يعطكم تمراً، فمضوا، فلما أبطؤوا ظننت أن الأمر كما قلت فاتبعتهم.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرني المدائني، قال: بينا أشعب يوماً يتغدى إذ دخلت جارة له، ومع أشهب امرأته تأكل، فدعاها لتتغدى، فجاءت الجارة فأخذت العرقوب بما عليه -قال: وأهل المدينة يسمونه عرقوب رب البيت- قال: فقام أشعب فخرج ثم عاد فدق الباب، فقالت له امرأته: يا سخين العين ما لك! قال: أدخل؟ قالت: أتستأذن أنت، وأنت رب البيت؟ قال: لو كنت رب البيت ما كانت العرقوب بين يدي هذه.

أشعب يبكي نفسه

أخبرني بعض أصحابنا، قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني مصعب، قال: قال لي ابن كليب: حدثت مرة أشعب بملحة فبكى، فقلت: ما يبكيك؟ قال: أنا بمنزلة شجرة الموز إذا نشأت ابنتها قطعت، وقد نشأت أنت في موالي وأنا الآن أموت، فإنما أبكي على نفسي.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: كان أشعب الطمع يغني وله أصوات قد حكيت عنه، وكان ابنه عبيدة يغنيها، فمن أصواته هذه:

أروني من يقوم لكم مقامي ... إذا ما الأمر جل عن الخطاب

إلى من تفزعون إذا حثوتم ... بأيديكم علي من التراب

أشعب وسكينة بنت الحسين أخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنا شعيب بن عبيدة بن أشعب، عن أبيه، عن جده، قال:

كانت سكينة بنت الحسين بن علي عليهم السلام عند زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان قال: وقد كانت أحلفته ألا يمنعها سفراً ولا مدخلاً ولا مخرجاً فقالت: اخرج بنا إلى حمران من ناحية عسفان، فخرج بها فأقامت، ثم قالت له: اذهب بنا نعتمر، فدخل بها مكة، فأتاني آت، فقال: تقول لك ديباجة الحرم -وهي امرأة من ولد عتاب بن أسيد-: لك عشرون ديناراً إن جئتني بزيد بن عمرو الليلة في الأبطح، قال أشعب: وأنا أعرف سكينة وأعلم ما هي، ثم غلب علي طباع السوء والشره، فقلت لزيد فيما بيني وبينه: إن ديباجة الحرم أرسلت إلي بكيت وكيت، فقال: عدها الله بالأبطح ، فأرسلت إليها فواعدتها الأبطح وإذا الديباجة قد افترشت بساطاً في الأبطح وطرحت النمارق، ووضعت حشايا وعليها أنماط، فجلست عليها، فلما طلع زيد قامت إليه، فتلقته وسلمت عليه، ثم رجعت إلى مجلسها، فلم ننشب أن سمعنا شحيج بلغة سكينة، فلما استبانها زيد قام فأخذ بركابها، واختبأت ناحية، فقامت الديباجة إلى سكينة فتلقتها وقبلت بين عينيها، وأجلستها على الفراش، وجلست هي على بعض النمارق، فقالت سكينة: أشعب والله صاحب هذا الأمر، ولست لأبي إن لم يأت يصيح صياح الهرة لن يقوم لي بشيء أبداً، فطلعت على أربع أصيح صياح الهرة ، ثم دعت جارية معه مجمر كبير فحفنت منه وأكثرت، وصبت في حجر الديباجة، وحفنت لمن معها فصبته في حجورهن وركبت وركب زيد

وأنا معهم، فلما صارت إلى منزلها قالت لي: يا أشعب أفعلتها؟ قلت: جعلت فداءك، إنما جعلت لي عشرين ديناراً، وقد عرفت طمعي وشرهي، والله لو جعلت لي العشرين ديناراً على قتل أبوي لقتلتهما، قال: فأمرت بالرحيل إلى الطائف، فأقامت بالطائف وحوطت من ورائها بحيطان ومنعت زيداً أن يدخل عليها. قال: ثم قالت لي يوماً: قد أثمنا في زيد وفعلنا ما لا يحل لنا، ثم أمرت بالرحيل إلى المدينة، وأذنت لزيد فجاءها.

قال الزبير: وحدثني عبد الله بن محمد بن أبي سلمة قال: جاء أشعب إلى مجلس أصحابنا فجلس فيه، فمرت جارية لأحدهم بحزمة عراجين من صدقة عمر، فقال له أشعب: فديتك، أنا محتاج إلى حطب فمر لي بهذه الحزمة، قال: لا، ولكن أعطيك نصفها على أن تحدثني بحديث ديباجة الحرم، فكشف أشعب ثوبه عن استه واستوفز وجعل يخنس ويقول: إن لهذا زماناً ، وجعلت خصيتاه تخطان الأرض، ثم قال: أعطاني والله فلان في حديث ديباجة الحرم عشرين ديناراً، وأعطاني فلان كذا ، وأعطاني فلان كذا، حتى عد أموالاً، وأنت الآن تطلبها مني بنصف حزمة عراجين! ثم قام فانصرف.

وفي ديباجة الحرم يقول عمر بن أبي ربيعة: صوت

ذهبت ولم تلمم بديباجة الحرم ... وقد كنت منها في عناء وفي سقم

جننت بها لما سمعت بذكرها ... وقد كنت مجنوناً بجاراتها القدم

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما لهوي ... فكن حجراً بالحزن من حرة أصم

غناه مالك بن أبي السمح من رواية يونس عن حبيش .

قال الزبير: وحدثني شعيب بن عبيدة، عن أبيه، قال: دخل رجل من قريش على سكينة بنت الحسين عليهما السلام، قال: فإذا أنا بأشعب متفحج جالس تحت السرير، فلما رآني جعل يقرقر مثل الدجاجة فجعلت أنظر إليه وأعجب، فقالت: ما لك تنظر إلى هذا؟ قلت: إنه لعجب، قالت: إنه لخبيث، قد أفسد علينا أمورنا بغباوته، فحضنته بيض دجاج، ثم أقسمت أنه لا يقوم عنه حتى ينفق . وهذا الخبر عندنا مشروح، ولكن هذا ما سمعناه، ونسخته على الشرح من أخبار إبراهيم بن المهدي التي رواها عنه يوسف بن إبراهيم، وقد ذكر في أخبار سكينة.

وروى عن أحمد بن الحسن البزاز: وجدت بخط ابن الوشاء، عن أبي الوشاء، عن الكديمي، عن أبي عاصم قال: قيل لأشعب الطامع: أرأيت أحداً قط أطمع منك، قال: نعم كلباً يتبعني أربعة أميال على مضغ العلك .

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، وعمي عبد العزيز بن أحمد ، وحبيب بن نصر المهلبي، قالوا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني مصعب، عن عثمان بن المنذر، عن عبد الله بن أبي بشر بن عثمان بن المغيرة، قال: سمعت جلبة شديدة مقبلة من البلاط، وأسرعت فإذا جماعة مقبلة، وإذا امرأة قد فرعتهم طولاً، وإذا أشعب بين أيديهم بكفه دف وهو يغني به ويرقص ويحرف استه ويحركها ويقول:

ألا حي التي خجرت ... قبيل الصبح فاختمرت

يقال بعينها رمد ولا والله ما رمدت

فإذا تجاوز في الرقص الجماعة رجع إليهم حتى يخالطهم ويستقبل المرأة فيغني في وجهها وهي تبسم وتقول: حسبك الآن، فسألت عنها، فقالوا: هذه جارية صريم المغنية استلحقها صريم عند موته، واعترف بأنها بنته، فحاكمت ورثته إلى السطان، فقامت لها البينة فألحقها به وأعطاها الميراث منه، وكانت أحسن خلق الله غناءً، كان يضرب بها المثل في الحجاز فيقال: أحسن من غناء الصريمية.

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا الدمشقي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: وحدثني أبي، قال: اجتازت جنازة الصريمية بأشعب وهو جالس في قوم من قريش فبكى عليها ثم قال: ذهب اليوم الغناء كله، وعلى أنها الزانية كانت -لا رحمها الله- شر خلق الله، فقيل: يا أشعب ليس بين بكائك عليها ولعنك إياها فصل في كلامك، قال: نعم، كنا نجيئها الفاجرة بكبش، فيطبخ لنا في دارها ثم لا تعشينا -يشهد الله- إلا بسلق.

أشعب والغاضري

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا مصعب: بلغ أشعب أن الغاضري قد أخذ في مثل مذهبه ونوادره، وأن جماعة قد استطابوه، فرقبه حتى علم أنه في مجلس من مجالس قريش يحادثهم ويضحكهم فصار إليه، ثم قال له: قد بلغني أنك قد نحوت نحوي وشغلت عني من كان يألفني فإن كنت مثلي فافعل كما أفعل، ثم غضن وجهه وعرضه وشنجه حتى صار عرضه أكثر من كوله، وصار في هيئة لم يعرفه أحد بها، ثم أرسل وجهه وقال له: افعل هكذا وطول وجهه حتى كاد ذقنه يجوز صدره، وصار كأنه وجه الناظر في سيفه، ثم نزع ثيابه وتحادب فصار في ظهره حدبة كسنام البعير، وصار طوله مقدار شبر أو أكثر، ثم نزع سراويله وجعل يمد جلد خصييه حتى حك بهما الأرض، ثم خلاهما من يده ومشى وجعل يخنس وهما يخطان الأرض، ثم قام فتطاول وتمدد وتمطى حتى صار أطول ما يكون من الرجال، فضحك والله القوم حتى أغمي عليهم وقطع الغاضري فما تلكم بنادرة، ولا زاد على أن يقول: يا أبا العلاء لا أعاود ما تكره، إنما أنا تلميذك وخريجك، ثم انصرف أشعب وتركه.

من أخلاق أمه

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني، قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم، عن إبراهيم بن المهدي، عن عبيدة بن أشعب، عن أبيه: أنه كان مولده في سنة تسع من الهجرة، وأنا أباه كان من مماليك عثمان، وأن أمه كانت تنقل كلام أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بعضهن إلى بعض، فتلقي بينهن الشر، فتأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فدعا الله عز وجل عليها فأماتها، وعمر ابنها أشعب حتى هلك في أيام المهدي.

كان من المعتزلة

وكان في أشعب خلال، منها أنه كان أطيب أهل زمانه عشرة وأكثرهم نادرة، ومنها: أنه كان أحسن الناس أداء لغناء سمعه، ومنها: أنه أقوم أهل دهره بحجج المعتزلة وكان امرأ منهم.

أشعب وعبد الله بن عمر

قال إبراهيم بن المهدي فحدثني عبيدة بن أشعب، عن أبيه، قال: بلغني أن عبد الله بن عمر كان في مال له يتصدق بثمرته، فركبت ناضحاً ووافيته في ماله، فقلت: يا بن أمير المؤمنين ويا بن الفارق أوقر لي بعيري هذا تمراً، فقال لي: أمن المهاجرين أنت؟ قلت: اللهم لا، قال: فمن الأنصار أنت؟ فقلت: اللهم لا، قال: أفمن التابعين بإحسان؟ فقلت: أرجو، فقال: إلى أن يحقق رجاؤك، قال: أفمن أبناء السبيل أنت؟ قلت: لا، قال: فعلام أوقر لك بعيرك تمراً؟ قلت: لأني سائل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أتاك سائل على فرس فلا ترده"، فقال: لو شئنا أن نقول لك: إنه قال: لو أتاك على فرس، و لم يقل أتاك على ناضح بعير لقلنا، ولكني أمسك عن ذلك لاستغنائي عنه؛ لأني قلت لأبي عمر بن الخطاب: إذا أتاني سائل على فرس يسألني أعطيته؟ فقال: إني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألتني عنه، فقال لي: نعم إذا لم تصب راجلاً ونحن أيها الرجل نصيب رجال فعلام أعطيك وأنت على بعير؟ فقلت له: بحق أبيك الفاروق، وبحق الله عز وجل، وبحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوقرته لي تمراً، فقال لي عبد الله: أنا موقره لك تمراً، ووحق الله ووحق رسوله لئن عاودت استحلافي لا أبررت لك قسمك، ولو أنك اقتصرت على استحلافي بحق أبي علي في تمرة أعطيكها لما أنفدت قسمك، لأني سمعت أبي يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تشد الرحال إلى مسجد لرجاء الثواب إلا إلى المسجد الحرام ومسجدي بيثرب، ولا يبر امرؤ قسم مستحلفه إلا أن يستحلفه بحق الله وحق رسوله، ثم قال للسودان في تلك الحال : أوقروا له بعيره تمراً، قال: ولما أخذ السودان في حشو الغرائر قلت: إن السودان أهل الطرب، وإن أطربتهم أجادوا حشو غرائري، فقلت: يا بن الفاروق، أتأذن لي في الغناء فأغنيك؟ فقال لي: أنت وذلك ، فاندفعت في النصب ، فقال لي: هذا الغناء الذي لم نزل نعرفه. ثم غنيته صوتاً آخر لطويس المغني وهو:

خليلي ما أخفي من الحب ناطق ودمعي بما قلت الغداة شهيد

فقال لي عبد الله: يا هناه، لقد حدث في هذا المعنى ما لم نكن نعرفه، قال: ثم غنيته لابن سريج:

يا عين جودي بالدموع السفاح وابكي على قتلى قريش البطاح

فقال: يا أشعب، ويحك، هذا يحيق الفؤاد -أراد: يحرق الفؤاد، لأنه كان ألثغ لا يبين بالراء ولا باللام. قال أشعب: وكان بعد ذلك لا يرائي إلا استعادني هذا الصوت.

من نوادره

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي، قال: لقي أشعب صديق لأبيه فقال له: ويحك يا أشعب، كان أبوك ألحى وأنت أنط فإلى من خرجت؟ قال: إلى أمي.

من حيله

أخبرني الحسن بن علي: قال: أخبرنا أحمد بن أبي خيثمة، قال: حدثنا مصعب بن عبد الله، عن مصعب بن عثمان، قال:

لقي أشعب سالم بن عبد الله بن عمر فقال: يا أشعب، هل لك في هريس قد أعد لنا؟ قال: نعم، بأبي أنت وأمي. قال: فصر إلي، فمضى إلى منزله، فقالت له امرأته: قد وجه إليك عبد الله بن عمرو بن عثمان يدعوك. قال: ويحك، إن لسالم بن عبد الله هريسة قد دعاني إليها، وعبد الله بن عمرو في يدي متى شئت، وسالم إنما دعوته للناس فلتة، وليس لي بد من المضي إليه. قالت: إذاً يغضب عبد الله، قال: آكل عنده، ثم أصير إلى عبد الله. فجاء إلى سالم وجعل يأكل أكل متعالل فقال له: كل يا أشعب وابعث ما فضل عنك إلى منزلك، قال: ذاك أردت بأبي أنت وأمي، فقال: يا غلام، احمل هذا إلى منزله، فحمله ومضى معه فجاء به امرأته فقالت له: ثكلتك أمك، قد حلف عبد الله أن لا يكلمك شهراً، قال: دعيني وإياه، هاتي شيئاً من الزعفران، فأعطته ودخل الحمام يمسح وجهه ويديه وجلس في الحمام حتى صفره، ثم خرج متكئاً على عصا يرعد، حتى أتى دار عبد الله بن عمرو، فلما رآه حاجبه قال: ويحك، بلغت بك العلة ما أرى؟ ودخل وأعلم صاحبه فأذن له، فلما دخل عليه إذا سالم بن عبد الله عنده، فجعل يزيد في الرعدة ويقارب الخطو، فجلس وما يقدر أن يستقل، فقال عبد الله: ظلمناك يا أشعب في غضبنا عليك، فقال له سالم: ما لك ويلك! ألم تكن عندي آنفاً وأكلت هريسة؟ فقال له: وأي أكل ترى بي؟ قال: ويلك! ألم أقل لك كيت وكيت وتقل لي كيت وكيت؟ قال له: شبه لك، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، والله إني لأظن الشيطان يتشبه بك. ويلك! أجاد أنت؟ قال: علي وعلي إن كنت خرجت منذ شهر . فقال له عبد الله: اعزب ويحك أتبهته، لا أم لك! قال: ما قلت إلا حقاً، قال: بحياتي اصدقني وأنت آمن من غضبي، قال: لا وحياتك لا صدق. ثم حدثه بالقصة فضحك حتى استلقى على قفاه.

ابنه يذكر بعض طرائف أبيه

أخبرني رضوان بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم، عن إبراهيم بن المهدي: أن الرشيد لما ولاه دمشق بعث إليه عبد الله بن أشعب، وكان يقدم عليه من الحجاز إذا أراد أن يطرب.

قال إبراهيم: وكان يحدثني من حديث أبيه بالطرائف: عادلته يوماً وأنا خارج من دمشق في قبة على بغل لألهو بحديثه، فأصابنا في الطريق برد شديد فدعوت بدواج سمور لألبسه، فأتيت به فلما لبسته أقبلت على ابن أشعب

فقلت: حدثني بشيء من طمع أبيك. فقال لي: ما لك ولأبي، ها أنا إذا دعوت بالدواج فما شككت والله في أنك إنما جئت به لي، فضحكت من قوله، ودعوت بغيره فلبسته وأعطيته إياه، ثم قلت له: ألأبيك ولد غيرك؟ فقال: كثير، فقلت: عشرة؟ قال: أكثر، قلت: فخمسون؟ قال: أكثر كثير، قلت: مائة؟ قال: دع المئين وخذ الألوف، فقلت: ويلك! أي شيء تقول؟ أشعب أبوك ليس بينك وبينه أب، فكيف يكون له ألوف من الولد؟ فضحك ثم قال: لي في هذا خبر ظريف، فقلت له: حدثني به، فقال: كان أبي منقطعاً إلى سكينة بنت الحسين، وكانت متزوجة بزيد بن عمرو بن عثمان بن عفان وكانت محبة له، فكان لا يستقر معها، تقول له: أريد الحج فيخرج معها، فإذا أفضوا إلى مكة تقول: أريد الرجوع إلى المدينة، فإذا عاد إلى المدينة، قالت: أريد العمرة، فهو معها في سفر لا ينقضي. قال عبد الله: فحدثني أبي قال:

كانت قد حلفته بما لا كفارة له ألا يتزوج عليها ولا يتسرى ولا يلم بنسائه وجواريه إلا بإذنها، وحج الخليفة في سنة من السنين فقال لها: قد حج الخليفة ولا بد لي من لقائه، قالت: فاحلف بأنك لا تدخل الطائف، ولا تلم بجواريك على وجه ولا سبب، فحلف لها بما رضيت به من الإيمان على ذلك، ثم قالت له: احلف بالطلاق، فقال: لا أفعل، ولكن ابعثي معي بثقتك، فدعتني وأعطتني ثلاثين ديناراً وقالت لي: اخرج معه، وحلفتني بطلاق بنت وردان زوجتي ألا أطلق له الخروج إلى الطائف بوجه ولا سبب، لحلفت لها بما أثلج صدرها، فأذنت له فخرج وخرجت معه. فلما حاذينا الطائف قال لي: يا أشعب، أنت تعرفني وتعرف صنائعي عندك، وهذه ثلاثمائة دينار، خذها بارك الله لك فيها وأذن لي ألم بجواري، فلما سمعتها ذهب عقلي ثم قلت: يا سيدي، هي سكينة، فالله الله في. فقال: أو تعلم سكينة الغيب! فلم يزل بي حتى أخذتها وأذنت له، فمضى وبات عند جواريه. فلما أصبحنا رأيت أبيات قوم من العرب قريبة منا، فلبست حلة وشيء كانت لزيد قيمتها ألف دينار، وركبت فرسه وجئت إلى النساء فسلمت فردون، ونسبني نسب زيد، فحادثني وأنسن بي. وأقبل رجال الحي، وكلما جاء رجل سأل عن نسبي فخبر به هابني وسلم علي وعظمني وانصرف، إلى أن أقبل شيخ كبير منكر مبطون، فلما خبر بي وبنسبي شال حاجبيه عن عينيه، ثم نظر إلي وقال: وأبي ما هذه خلقة قرشي ولا شمائله، وما هو إلا عبد لهم ناد، وعلمت أنه يريد شراً، فركبت الفرس ثم مضيت، ولحقني فرماني بسهم فما أخطأ قربوس السرج، وما شككت أنه يلحقني بآخر يتقلني فسلحت -يعلم الله- في ثيابي فلوثها ونفذ إلى الحلة فصيرها شهرة ، وأتيت رحل زيد بن عمرو فجلست أغسل الحلة وأجففها، وأقبل زيد بن عمرو، فرأى ما لحق الحلة والسرج، فقال لي: ما القصة؟ ويلك! فقلت: يا سيدي الصدق أنجى، وحدثته الحديث فاغتاظ ثم قال لي: ألم يكفك أن تلبس حلتي وتصنع بها ما صنعت وتركب فرسي وتجلس إلى النساء حتى انتسبت بنسبي وفضحتني، وجعلتني عند العرب ولاجاً جماشاً ، وجرى عليك ذل نسب إلي، أنا نفي من أبي ومنسوب إلى أبيك إن لم أسؤك وأبلغ في ذلك. ثم لقي الخليفة وعاد ودخلنا إلى سكينة، فسألته عن خبره كله فخبرها حتى انتهى إلى ذكر جواريه، فقالت: إيه وما كان من خبرك في طريقك؟ هل مضيت إلى جواريك بالطائف؟ فقال لها: لا أدري، سلي ثقتك. فدعتني

فسألتني، وبدأت فحلفت لها بكل يمين محرجة أنه ما مر بالطائف ولا دخلها ولا فارقني، فقال لها: اليمين التي حلف بها لازمة لي إن لم أكن دخلت الطائف وبت عند جواري وغسلتهن جميعاً، وأخذ مني ثلاثمائة دينار، وفعل كذا وكذا، وحدثها الحديث كله وأراها الحلة والسرج، فقالت لي: أفعلها يا أشعب! أنا نفية من أبي إن أنفقتها إلا فيما يسوءك، ثم أمرت بكبس منزلي وإحضارها الدنانير فأحضرت، فاشترت بها خشباً وبيضاً وسرجيناً، وعملت من الخشب بيتاً فحبستني فيه وحلف ألا أخرج منه ولا أفارقه حتى أحضن البيض كله إلى أن ينقب، فمكثت أربعين يوماً أحضن لها البيض حتى نقب، وخرج منه فراريج كثيرة فربتهن وتناسلن فكن بالمدينة يسمين بنات أشعب ونسل أشعب، فهؤلاء إلى الآن بالمدينة نسل يزيد على الألوف، كلهن أهلي وأقاربي.

قال إبراهيم: فضحكت والله من قوله ضحكاً ما أذكر أني ضحكت مثله قط ووصلته، و لم يزل عندي زماناً حتى خرج إلى المدينة وبلغني أنه مات هناك .

يتسور البستان طلباً للطعام أخبرني أحمد، قال: حدثنا مصعب بن عبد الله بن عثمان، قال: قال رجل لأشعب: إن سالم بن عبد الله قد مضى إلى بستان فلان و معه طعام كثير، فبادر حتى لحقه فأعلق الغلام الباب دونه، فتسور عليه، فصاح به سالم: بناتي ويلك بناتي، فناداه أشعب: "لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد" ، فأمر بالطعام فأخرج إليه منه ما كفاه.

يقوقئ مثل الدجاجة

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن سعيد، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي، قال: بعثت سكينة إلى أبي الزناد فجاءها تستفتيه في شيء، فاطلع أشعب عليه من بيت وجعل يقوقئ مثل ما تقوقئ الدجاجة، قال: فسبح أبو الزناد وقال: ما هذا؟ فضحكت وقالت : إن هذا الخبيث أفسد علينا بعض أمرنا، فحلفت أن يحضن بيضا في هذا البيت و لا يفارقه حتى ينقب، فجعل أبو الزناد يعجب من فعلها.

وقد أخبرني محمد بن جعفر النحوي بخبر سكينة الطويل على غير هذه الرواية،وهو قريب منها، وقد ذكرته في أخبار سكينة بنت الحسين مفردا عن أخبار أشعب هذه في أخبارها مع زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان.

عبد يسلح في يده أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة، قال: حدثنا مصعب، قال: حدثني بعض المدنيين، قال: كان لأشعب حرق في بابه، فكان ينام ثم يخرج يده من الخرق يطمع في أن يجيء إنسان يطرح في يده شيئا من شدة الطمع، فبعث إليه بعض من كان يعبث به من مجان آل الزبير بعبد له فسلح في يده، فلم يعد بعدها إلى أن يخرج يده.

وأخبرني به الجوهري، عن ابن مهرويه، عن محمد بن الحسن، عن مصعب، عن بعض المدنيين فذكر نحوه و لم يذكر ما فعل به الماجن.

أشعب وسالم بن عبد الله بن عمر أخبرني أحمد بن بد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن محمد الزبيري أبو طاهر، قال: حدثنا يحيى بن محمد بن أبي قتيلة، قال: حدثني إسماعيل بن جعفر

بن محمد الأعرج أن أشعب حدثه، قال: جاءني فتية من قريش فقالوا: إنا نحب أن تسمع سالم بن عبد الله بن عمر صوتا من الغناء وتعلمنا ما يقول لك، وجعلوا لي على ذلك جعلا فتنني ، فدخلت على سالم فقلت: يا أبا عمر، إن لي مجالسة وحرمة ومودة وسنا، وأنا مولع بالترنم، قال: وما الترنم؟ قلت: الغناء، قال: في أي وقت؟ قلت: في الخلوة ومع الإخوان في المتره، فأحب أن أسمعك، فإن كرهته أمسكت عنه، وغنيته فقال: ما أرى بأسا، فخرجت فأعلمتهم، قالوا: وأي شيء غنيته؟ قلت: غنيته:

قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيالي

فقالوا: هذا بارد ولا حركة فيه، ولسنا نرضى، فلما رأيت دفعهم إياي وخفت ذهاب ما جعلوه لي رجعت فقلت: يا أبا عمر، آخر، فقال: ما لي ولك؟ فلم أملكه كلامه حتى غنيت، فقال: ما أرى بأسا، فخرجت إليهم فأعلمتهم فقالوا: وأي شيء غنيته؟ فقلت غنيته قوله:

لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا وأخو الحرب من أطاق النزالا

فقالوا: ليس هذا بشيء، فرجعت إليه فقال: مه، قلت: وآخر، فلم أملكه أمره حتى غنيت:

غيضن من عبراتهن وقلن لي: ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقال: نهلا نهلا ، فقلت: لا والله إلا بذاك السداك، وفيه تمر عجوة من صدقة عمر فقال: هو لك، فخرجت به عليهم وأنا أخطر فقالوا: مه، فقلت: غنيت الشيخ:

غيضن من عبراتهن وقلن لي .....

فطرب وفرض لي فأعطاني هذا، وكذبتهم، والله ما أعطانيه إلا استكفافا حتى صمت، قال ابن أبي سعد: السداك: الزبيل الكبير. وفرض لي أي نقطني، يعني ما يهبه الناس للمغني ويسمونه النقط.

كانت له ألحان مطربة وشهد له معبد حدثني الجوهري، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني قعنب بن المحرز، عن الأصمعي، قال: حدثني جعفر بن سليمان، قال: قدم أشعب أيام أبي جعفر، فأطاف به فتيان بني هاشم وسألوه أن يغنيهم فغنى فإذا ألحانه مطربة وحلقه على حاله، فقال له جعفر بن المنصور: لمن هذا الشعر والغناء:

لمن طلل بذات الجيش أمسى دارسا خلقا؟

فقال له: أخذت الغناء عن معبد، وهو للدلال، ولقد كنت آخذ اللحن عن معبد فإذا سئل عنه قال: عليكم بأشعب فإنه أحسن تأدية له مني.

أشعب يلازم جريرا ويغنيه في شعره أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن عبد الله بن مصعب، قال:

قدم جرير المدينة، فاجتمع إليه الناس يستنشدونه ويسألونه عن شعره، فينشدهم ويأخذون عنه وينصرفون، ولزمه

أشعب من بينهم فلم يفارقه، فقال له جرير: أراك أطولهم جلوسا وأكثرهم سؤالا، وإني لأظنك ألأمهم حسبا، فقال له: يا أبا حزرة، أنا والله أنفعهم لك، قال: وكيف ذلك؟قال: أنا آخذ شعرك فأحسنه وأجوده، قال: كيف تحسنه وتجوده؟ قال: فاندفع فغناه في شعره والغناء لابن سريج: صوت

يا أخت ناجية السلام عليكم قبل الرحيل وقبل لوم العدل

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

قال: فطرب جرير حتى بكى وجعل يزحف إليه حتى لصقت ركبته بركبته وقال: أشهد أنك تحسنه وتجوده، فأعطاه من شعره ما أراد، ووصله بدنانير وكسوة.

حدثني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني أبي، قال: قال الهيثم بن عدي: لقيت أشعب فقلت له: كيف ترى أهل زمانك هذا؟ قال: يسألون عن أحاديث الملوك ويعطون إعطاء العبيد.

أشعب وأم عمر بنت مروان

حدثني أحم، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا مصعب، قال: حجت أم عمر بنت مروان فاستحجبت أشعب وقالت له: أنت أعرف الناس بأهل المدينة، فأذن لهم على مراتبهم، وجلست لهم ملياً، ثم قامت فدخلت القائلة، فجاء طويس فقال لأشعب: استأذن لي على أم عمر، فقال: ما زالت جالسة وقد دخلت، فقال له: يا أشعب ملكت يومين فلم تفت بعرتين و لم تقطع شعرتين، فدق أشعب الباب ودخل إليها، فقال لها: أنشدك الله يا بنة مروان، هذا طويس بالباب فل ا تتعرضي للسانه ولا تعرضيني، فأذنت له، فلما دخل إليها قال لها: والله لئن كان بابك غلقاً لقد كان باب أبيك فلقاً ، ثم أخرج دفه ونقر به وغنى:

ما تمنعني يقظي فقد تؤتينه في النوم غير مصر محسوب

كان المنى بلقائها فلقيتها فلهوت من لهو امرئ مكذوب

قالت: أيهما أحب إليك العاجل أم الآجل؟ فقال: عاجل وآجل، فأمرت له بكسوة.

أخبرني الجوهري، قال: حدثني ابن مهرويه، عن أبي مسلم، عن المدائني، قال: حدث رجل من أهل المدينة أشعب بحديث أعجبه فقال له: في حديثك هذا شيء، قال: وما هو؟ قال: تقليبه على الرأس.

أشعب والوليد بن يزيد

أخبرني الجوهري، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: حدثنا المدائني، قال: بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعدما طلق امرأته سعدة فقال له: يا أشعب، لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلغ رسالتي

سعدة، فقال له: أحضر المال حتى أنظر إليه، فأحضر الوليد بدرة فوضعها أشعب على عنقه، ثم قال: هات رسالتك يا أمير المؤمنين، قال: قل لها: يقول لك:

أسعدة هل إليك لنا سبيل وهل حتى القيامة من تلاقي؟ !

بلى، ولعل دهراً أن يواتي بموت من حليلك أو طلاق

فأصبح شامتاً وتقر عيني ويجمع شملنا بعد افتراق

قال: فأتى أشعب الباب، فأخبرت بمكانه، فأمرت ففرشت لها فرش وجلست فأذنت له، فدخل وأنشدها ما أمره، فقالت لخدمها: خذوا الفاسق، فقال: يا سيدتي إنها بعشرة آلاف درهم، قالت: والله لأقتلنك أو تبلغه كما بلغتني، قال: وما تعيين لي؟ قالت: بساطي الذي تحتي، قال: قومي عنه، فقالت فطواه ثم قال: هاتي رسالتك جعلت فداءك، قالت: قل له:

أتبكي على لبنى وأنت تركتها فقد ذهبت لبنى فما أنت صانع؟ !

فأقبل أشعب فدخل على الوليد فأنشده البيت، فقال: أوه! قتلتني والله، ما تراني صانعاً بك يا بن الزانية؟ اختر إما أن أدليك منكساً في بئر، أو أرمي بك من فوق القصر منكساً، أو أضرب رأسك عمودي هذا ضربة، فقال: ما كنت فاعلاً بي شيئاً من ذلك، قال: و لم؟ قال: لأنك لم تكن لتعذب رأساً فيه عينان قد نظرتا إلى سعدة فقال: صدقت يا بن الزانية، اخرج عني.

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد، عن حماد، عن أبيه، عن الهيثم بن عدي، أن سعدة لما أنشدها أشعب قوله:

أسعدة هل إليك لنا سبيل وهل حتى القيامة من تلاقي؟ !

قالت: لا والله لا يكون ذلك أبداً، فلما أنشدها:

بلى ولعل دهراً أن يواتي بموت من حليلك أو طلاق

قالت: كلا إن شاء الله، بل يفعل الله ذلك به، فلما أنشدها:

فأصبح شامتاً وتقر عيني ويجمع شملنا بعد افتراق

قالت: بل تكون الشماتة به، وذكر باقي الخبر مثل حديث الجوهري، عن ابن مهرويه.

أخبرني عمي، قال: حدثنا محمد بن سعيد الكراني، قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، قال: كتب الوليد بن يزيد في إشخاص أشعب من الحجاز إليه وحمله على البريد، فحمل إليه، فلما دخل أمر بأن يلبس تباناً ويجعل فيه ذنب قرد، ويشد في رجليه أجراس، وفي عنقه جلاجل، ففعل به ذلك، فدخل وهو عجب من العجب، فلما رآه ضحك منه وكشف عن أيره، قال أشعب: فنظرت إليه كأنه ناي مدهون، فقال لي: أسجد للأصم ويلك، يعني أيره، فسجدت، ثم رفعت رأسي وسجدت أخرى، فقال: ما هذا؟ فقلت: الأولى للأصم، والثانية لخصيتيك، فضحك وأمر بنزع ما كان ألبسنيه ووصلني، و لم أزل من ندمائه حتى قتل.

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: قال رجل لأشعب إنه أهدي إلى زياد بن عبد الله الحارثي قبة أدم قيمتها عشرة آلاف درهم فقال: امرأته الطلاق لو أنها قبة الإسلام ما ساوت ألف درهم. فقيل له: إن معها جبة وشي حشوها قز قيمتها عشرون ألف دينار، فقال: أمه زانية لو أن حشوها زغب أجنحة الملائكة ما ساورت عشرين ديناراً.

أشعب ورجل من ولد عامر بن لؤي أخبرني عمي، قال: حدثني أبو أيوب المدائني، قال: حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري، عن أبيه، قال: حدثني أشعب، قال: ولي المدينة رجل من ولد عامر بن لؤي، وكان أبخل الناس وأنكدهم ، وأغراه الله بي يطلبني في ليه ونهاره، فإن هربت منه هجم على مترلي بالشرط، وإن كنت في موضع بعث إلى من أكون معه أو عنده يطلبني منه، فيطالبني بأن أحدثه وأضحكه، ثم لا أسكت ولا ينام ، ولا يطعمني ولا يعطيني شيئاً، فلقيت منه جهداً عظيماً وبلاء شديدا، وحضر الحج، فقال لي: يا أشعب، كن معي، فقلت: بأبي أنت وأمي، أنا عليل، وليست لي نية في الحج. فقال: عليه وعليه، وقال: إن الكعبة بيت النار، لئن لم تخرج معي لأودعنك الحبس حتى أقدم، فخرجت معه مكرهاً، فلما نزلنا المترل أظهر أنه صائم ونام حتى تشاغلت، ثم أكل ما سفرته، وأمر غلامه أن يطعمني رغيفين بملح، فجئت وعندي أنه صائم، و لم أزل أنتظر المغرب أتوقع إفطاره، فلما صليت المغرب قلت لغلامه: ما ينتظر بالأكل؟ قال: قد أكل منذ زمان، قلت: أو لم يكن صائماً؟ قال: لا، قلت: أفأطوي أنا؟ قال: قد أعد لك ما تأكله فكل، وأخرج إلي الرغيفين والملح فأكلتهما وبت ميتاً جوعاً، وأصبحت فسرنا حتى نزلنا المترل، فقال لغلامه: ابتع لنا لحماً بدرهم، فابتاعه، فقال: كبب لي قطعاً، ففعل، فأكله ونصب القدر، فلما اغبرت قال: اغرف لي منها قطعاً، ففعل، فأكلها، ثم قال: اطرح فيها دقة وأطعمني منها، ففعل، ثم قال: ألق توابلها وأطعمني منها، ففعل؛ وأنا جالس أنظر إليه لا يدعوني، فلما استوفى اللحم كله قال: يا غلام، أطعم أشعب، ورمي إلى برغيفين، فجئت إلى القدر وإذا ليس فيها غلا مرق وعظام، فأكلت الرغيفين، وأخرج له جراباً فيه فاكهة يابسة، فأخذ منها حفنة فأكلها، وبقي في كفه كف لوز بقشره، و لم يكن له فيه حيلة، فرمى به إلي وقال: كل هذا يا أشعب، فذهبت أكسر واحدة منها فإذا بضرسي قد انكسرت منه قطعة فسقطت بين يدي، وتباعدت أطلب حجراً أكسره به، فوجدته، فضربت له لوزة فطفرت - يعلم الله- مقدار رمية حجر، وعدوت في طلبها، فبينما أنا في ذلك إذ أقبل بنو مصعب -يعني ابن ثابت وإخوانه- يلبون بتلك الحلوق الجهورية، فصحت بهم: الغوث الغوث العياذ بالله وبكم يا آل الزبير، الحقوني أدركوني، فركضوا إلي، فلما رأوني قالوا: أشعب، ما لك ويلك! قلت: خذوني معكم تخلصوني من الموت، فحملوني معهم، فجعلت أرفرف بيدي كما يفعل الفرخ إذا طلب الزق من أبويه، فقالوا: ما لك ويلك! قلت: ليس هذا وقت الحديث، زقوني مما معكم، فقد مت ضراً وجوعاً منذ ثلاث، قال: فأطعموني حتى تراجعت نفسي، وحملوني معهم في محمل، ثم قالوا: أخبرنا بقصتك، فحدثتهم وأريتهم ضرسي المكسورة، فجعلوا يضحكون ويصفقون وقالوا: ويلك! من أين وقعت على هذا؟ هذا من أبخل خلق الله وأدنئهم نفساً، فحلفت

بالطلاق أني لا أدخل المدينة ما دام بها سلطان، فلم أدخلها حتى عزل.

أشعب يسقط الغاضري

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني، قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم، قال: حدثنا إبراهيم بن المهدي، قال: حدثني عبيدة بن أشعب، قال: كان الغاضري مندر أهل المدينة ومضحكهم قبل أبي، فأسقطه أبي واطرح، وكان الغاضري حسن الوجه ماد القامة غبلاً فخماً، وكان أبي قصيراً دميماً قليل اللحم؛ إلا أنه كان يتضرم ويتوقد ذكاء وحدة وخفة روح، وكان الغاضري يحسده إلا أنهما متساويان، وكان الغاضري لقيطاً منبوذاً لا يعرف له أب، فمر يوماً -ومعه فتية من قريش- بأبي في المسجد وقد تأذى بثيابه فنزعها، وتجرد وجلس عرياناً، فقال لهم الغاضري: أنشدتكم الله هل رأيتم أعجب من هذه الخلقة! يريد خلقة أبي، فقال له أبي: إن خلقتي لعجيبة، وأعجب منها أنه زقني اثنان فصراً نضواً ، وزقك واحد فصرت بختياً ، قال: وأهل المدينة يسمون المهلوس من الفراخ النضو والمسرول البختي، فغضب الغاضري عند ذلك وشتمه، فسقط واستبرد، وترك النوادر بعد ذلك، وغلب أبي على أهل المدينة واستطابوه، وكان هذا سببه.

أشعب وزياد بن عبد الله الحارثي أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: كان زياد بن عبد الله الحارثي أبخل خلق الله، فأولم وليمة لطهر بعض أولاده، وكان الناس يحضرون ويقدم الطعام فلا يأكلون منه إلا تعللاً وتشعثاً لعلمهم به، فقدم فيما قدم جدي مشوي فلم يعرض له أحد، وجعل يردده على المائدة ثلاثة أيام والناس يجتنبونه إلى أن انقضت الوليمة، فأصغى أشعب إلى بعض من كان هناك فقال: امرأته الطلاق إن لم يكن هذا الجدي بعد أن ذبح وشوي أطوال عمراً وأمد حياة منه قبل أن يذبح، فضحك الرجل، وسمعها زياد فتغافل.

غضبت سكينة عليه فأمرت بحلق لحيته أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك، عن إسحاق، قال: حدثني إبراهيم بن المهدي، عن عبيدة بن أشعب، قال: غضبت سكينة على أبي في شيء خالفها فيه فحلفت لتحلقن لحيته، ودعت بالحجام فقالت له: احلق لحيته، فقال له الحجام: انفخ شدقيك حتى أتمكن منك، فقال له: يا بن البطراء، أمرتك أن تحلق لحيتي أو تعلمني الزمر! خبرني عن امرأتك إذا أردت أن تحلق حرها تنفخ أشداقه! فغضب الحجام وحلف ألا يحلق لحيته وانصرف، وبلغ سكينة الخبر وما جرى بينهما فضحكت وعفت عنه.

بين زياد بن عبد الله الحارثي وكاتبه أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أبو العيناء، عن الأصمعي، قال: أهدى كاتب لزياد بن عبد الله الحارثي إليه طعاماً، فأتي به وقد تغدى فغضب وقال: ما أصنع به وقد أكلت؟ ادعوا أهل الصفة يأكلونه، فبعث إليهم وسأل كاتبه: فيم دعا أهل الصفة؟ فعرف، فقال الكاتب: عرفوه أن في السلال أخبصة وحلواء ودجاجاص وفراخاً، فأخبر بذلك، فأمر بكشفها، فلما رآها أمر برفعها فرفعت، وجاء أهل الصفة فأعلم، فقال: اضربوهم عشرين عشرين درة، واحبسوهم فإنهم يفسون في مسجد رسول الله

صلى الله عليهم وسلم ويؤذون المصلين، فكلم فيهم، فقال: حلفوهم ألا يعاودوا وأطلقوهم.
أشعب وأبان بن عثمان والأعرابي أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا ابن زبالة، قال: حدثنا ابن زبنج راوية بن هرمة، عن أبيه، قال:
كان أبان بن عثمان من أهزل الناس وأعبثهم ، وبلغ من عبثه أنه كان يجيء بالليل إلى منزل رجل في أعلى المدينة له لقب يغضب منه فيقول له: أنا فلان فلان، ثم يهتف بلقبه، فيشتمه اقبح شتم وأبان يضحك. فبينما نحن ذات يوم عنده وعنده أشعب إذ أقبل أعرابي ومعه جمل له، والأعرابي أشق أزرق أزعر غضوب يتلظى كأنه أفعى، ويتبين الشر في وجهه ما يدنو منه أحد إلا شتمه ونهره، فقال أشعب لأبان: هذا والله من البادية ادعوه، فدعي وقيل له: إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك، فأتاه فسلم عليه، فسأله أبان عن نسبه فانتسب له، فقال: حياك الله يا خالي، حبيب ازداد حباً، فجلس، فقال له: إني في طلب جمل مثل جملك هذا منذ زمان فلم أجده كما أشتهي بهذه الصفة، وهذه القامة، واللون، والصدر، والورك، والأخفاف، فالحم لله الذي جعل ظفري به من عند من أحبه، أتبيعه؟ فقال: نعم أيها الأمير، فقال: فإني قد بذلت لك به مائة دينار -وكان الجمل يساوي عشرة دنانير- فطمع الأعرابي وسر وانتفخ، وبان السرور والطمع في وجهه، فأقبل أبان على أشعب ثم قال له: ويلك يا أشعب! إن خالي هذا من أهلك وأقاربك -يعني في الطمع- فأوسع له مما عندك. فقال له: نعم بأبي أنت وزيادة، فقال له أبان: يا خالي، إنما زدتك في الثمن على بصيرة وإنما الجمل يساوي ستين ديناراً، ولكن بذلت لك مائة لقلة النفذ عندنا، وإني أعطيك به عروضاً تساوي مائة، فزاد طمع الأعرابي وقال: قد قبلت ذلك أيها الأمير، فأسر إلي أشعب، فأخرج شيئاً مغطى فقال له: أخرج ما جئت به، فأخرج جرد عمامة خز خلق تساوي أربعة دراهم، فقال له: قومها يا أشعب، فقال له: عمامة الأمير تعرف به، ويشهد فيها الأعياد والجمع ويلقى فيها الخلفاء؛ خمسون ديناراً. فقال: ضعها بين يديه: وقال لابن زبنج، أثبت قيمتها. فكتب ذلك، ووضعت العمامة بين يدي الأعرابي، فكاد يدخل بعضه في بعض غيظاً، و لم يقدر على الكلام، ثم قال: هات قلنسوتي، فأخرج قلنسوة طويلة خلقة قد علاها الوسخ والدهن وتخرقت، تساوي نصف درهم، فقال: قوم، فقال: قلنسوة الأمر تعلو هامته ويصلي فيها الصلوات الخمس، ويجلس للحكم؛ ثلاثون ديناراً. قال: أثبت، فأثبت ذلك، ووضعت القلنسوة بين يدي الأعرابي، فتربد وجهه وجحظت عيناه وهم بالوثوب، ثم تماسك وهو متقليل.
ثم قال لأشعب: هات ما عندك، فأخرج خفين خلقين قد نقبا وتقشرا وتفتقا، فقال له: قوم، فقال: خفا الأمير، يطأ بهما الروضة، ويعلو بهما منبر النبي صلى الله عليه وسلم؛ أربعون ديناراً. فقال: ضعها بين يديه فوضعهما. ثم قال للأعرابي: اضمم إليك متاعك، وقال لبعض الأعوان: اذهب فخذ الجمل، وقال لآخر: امض مع الأعرابي فاقبض منه ما بقي لنا عليه من ثمن المتاع وهو عشرون ديناراً، فوثب الأعرابي فأخذ القماش فرب به وجوه القوم لا يألو في شدة الرمي به، ثم قال له: أتدري أصلحك الله من أي شيء أموت؟ قال: لا، قال: لم أدرك أباك عثمان فأشترك والله في دمه إذ ولد مثلك، ثم نهض مثل المجنون حتى أخذ برأس بعيره، وضحك أبان حتى سقط

وضحك كل من كان معه. وكان الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعب يقول له: هلم إلي بابن الخبيثة حتى أكافئك على تقويمك المتاع يوم قوم، فيهرب أشعب منه.

يخشى أن تحسده العجوز على خفة موته أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني، قال: حدثني شيخ من أهل المدينة قال: كانت بالمدينة عجوز شديدة العين، لا تنظر إلى شيء تستحسنه إلا عانته ، فدخلت على أشعب وهو في الموت، وهو يقول لبنته: يا بنية، إذا مت فلا تندبيني والناس يسمعونك، فتقولين: وا أبتاه أندبك للصوم والصلوات، وا أبتاه أندبك للفقه والقراءة، فيكذبك الناس ويلعنوني. والتفت أشعب فرأى المرأة، فغطى وجهه بكمه وقال لها: يا فلانة بالله إن كنت استحسنت شيئاً مما أنا فيه فصلي على النبي صلى الله عليه وسلم لا تهلكيني. فغضبت المرأة وقالت: سخنت عينك ، في أي شيء أنت مما يستحسن! أنت في آخر رمق! قال: قد علمت ولكن قلت لئلا تكون قد استحسنت خفة الموت علي وسهولة النزع، فيشتد ما أنا فيه. وخرجت من عنده وهي تشتمه، وضحك كل من كان حوله من كلامه، ثم مات.

أمثلة من طرائف وطمعه أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثنا أبو أيوب المديني، عن مصعب، قال:

لا عب أشعب رجلاً بالنرد، فأشرف على أن يقمره إلا بضرب دويكين، ووقع الفصان في يد ملاعبه، فأصابه زمع وجزع، فضرب يكين وضرط مع الضربة فقال له أشعب: امرأته طالق إن لم أحسب لك الضرطة بنقطة حتى يصير لك اليكان دوويك وتقمر . وسلم له القمر بسبب الضرطة.

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثني أبو أيوب، عن حماد، عن ابن إسحاق، عن أبيه، قال: قال رجل لأشعب: كان أبوك ألحى وأنت أثط فإلى من خرجت؟ قال: إلى أمي، فمر الرجل وهو يعجب من جوابه، وكان رجلاً صالحاً.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثني الرياشي، قال: سمعت أبا عاصم النبيل يقول: رأيت أشعب وسأله رجل: ما بلغ من طمعك؟ قال: ما زفت عروس بالمدينة إلى زوجها قط إلا فتحت بابي، رجاء أن تهدى إلي.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، عن عمه، قال: تظلمت امرأة أشعب منه إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم وقالت: لا يدعني أهدأ من كثرة الجماع، فقال له أشعب، أتراني أعلف ولا أركب، لتكف ضرسها لأكف أيري.

قال: وشكا خال لأشعب غليه امرأته وأنها تخونه في ماله، فقال له: فديتك لا تأمنن قحبة، ولو أنها أمك، فانصرف عنه وهو يشتمه.

أخبرني عمي، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني قعنب بن المحرز، عن الأصمعي، عن جعفر بن سليمان، قال: قدم علينا أشعب أيام جعفر، فأطاف به فتيان بني هاشم، وسألوه أن يغني فغناهم فإذا ألحانه مطربة وحلقه على حاله، فسألوه: لمن هذا اللحن:

فقال: للدلال، وأخذته عن معبد، ولقد كنت آخذ عنه الصوت، فإذا سئل عنه قال: عليكم بأشعب فإنه أحسن أداء له مني.

الحسن بن الحسن بن علي يعبث به أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: ذكر الزبير بن بكار، عن شعيب بن عبيد بن أشعب، عن أبيه، قال: كان الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام يعبث بأبي أشد عبث، وربما أراه في عبثه أنه قد ثمل وأنه يعربد عليه، ثم يخرج إليه بسيف مسلول ويريه أنه يريد قتله، فيجري بينهما في ذلك كل مستمع، فهجره أبي مدة طويلة، ثم لقيه يوماً فقال له: يا أشعب، هجرتني وقطعتني ونسيت عهدي، فقال له: بأبي أنت وأمي، لو كنت تعربد بغير السيف ما هجرتك، ولكن ليس مع السيف لعب، فقال له: فأنا أعفيك من هذا فلا تراه مني أبداً، وهذه عشرة دنانير، ولك حماري الذي تحت أحملك عليه، وصر إلى ولك الشرط ألا ترى في داري سيفاً، قال: لا والله أو تخرج كل سيف في دارك قبل أن نأكل قال: ذلك لك، قال: فجاءه أبي، ووفى له بما قال من الهبة وإخراج السيوف، وخلف عنده سيفاً في الدار، فلما توسط الأمر قام إلى البيت فأخرج السيف مشهوراً، ثم قال: يا أشعب إنما أخرجت هذا السيف لخير أريده بك، قال: بأبي أنت وأمي، وأي خير يكون مع السيف؟ ألست تذكر الشرط بيننا؟ قال له: فاسمع ما أقول لك، لست أضربك به، ولا يلحقك منه شيء تكرهه، وإنما أريد أن أضجعك وأجلس على صدرك، ثم آخذ جلدة حلقك بإصبعي من غير أن أقبض على عصب ولا ودج ولا مقتل، فأحزها بالسيف، ثم أقوم عن صدرك وأعطيك عشرين ديناراً، فقال: نشدتك الله يا بن رسول الله ألا تفعل بي هذا! وجعل يصرخ ويبكي ويستغيث، والحسن لا يزيده على الحلف له أنه لا يقتله، ولا يتجاوز به أن يحز جلده فقط، ويتوعده مع ذلك بأنه إن لم يفعله طائعاً فعله كارهاً، حتى إذا طال الخطب بينهما، واكتفى الحسن من المزح معه، أراه أنه يتغافل عنه، وقال له: أنت لا تفعل هذا طائعاً، ولكن أجيء بحبل فأكتفك به، ومضى كأنه يجيء بحبل، فهرب أشعب وتسور حائطاً بينه وبين عبد الله بن حسن أخيه فسقط إلى داره، فانفكت رجله وأغمي عليه، فخرج عبد الله فزعاً، فسأله عن قصته، فأخبره، فضحك منه وأمر له بعشرين ديناراً، وأقام في منزله يعالجه ويعوله إلى أن صلحت حال. قال: وما رآه الحسن بن الحسن بعدها.

وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي، قال:

دعا حسن بن حسن بن علي عليهم السلام أشعب، فأقام عنده، فقال لأشعب يوماً: أنا أشتهي كبد هذه الشاة -لشاة عند عزيزة عليه فارهة- فقال له أشعب: بأبي أنت وأمي أعطنيها وأنا أذبح لك أسمن شاة بالمدينة، فقال: أخبرك أني أشتهي كبد هذه وتقول لي: أسمن شاة بالمدينة، اذبح يا غلام، فذبحها وشوى له من كبدها وأطايبها، فأكل. ثم قال لأشعب من الغد: يا أشعب أنا أشتهي كبد نجيبي هذا -لنجيب كان عند ثمنه ألوف الدراهم- فقال له أشعب: يا سيدي في ثمن هذا والله غناي، فأعطنيه وأنا والله أطعمك من كبد كل جزور بالمدينة، فقال:

أخبرك أني أشتهي من كبد هذا وتطعمني من غيره! يا غلام انحر، فنحر النجيب وشوى كبده فأكلا، فلما كان اليوم الثالث قال له: يا أشعب، أنا والله أشتهي أن آكل من كبدك، فقال له: سبحان الله أتأكل من أكباد الناس! قال: قد أخبرتك، فوثب أشعب فرمى بنفسه من درجة عالية فاكسرت رجله، فقيل له: ويلك أظننت أنه يذبحك؟ فقال: والله لو أن كبدي وجميع أكباد العالمين جميعاً اشتهاها لأكلها. وإنما فعل حسن بالشاة والنجيب ما فعل توطئة للعبث بأشعب.

تمت أخباره

صوت

ألمت خناس و إلمامها أحاديث نفس و أحلامها

يمانية من بني مالك تطاول في المجد أعمامها

الشعر لعويف القوافي الفزاري والغناء للهذلي رمل بالوسطى، عن عمرو، وذكر حماد بن إسحاق، عن أبيه أن فيه لحناً لجميلة و لم يذكر طريقته، وفيه لأبي العبيس بن حمدون خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى.

أخبار عويف ونسبه

نسبه

هو عويف بن معاوية بن عقبة بن حصن، وقيل: ابن عقبة بن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جؤية بن لودان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار.

بيوتات العرب المشهورة بالشرف ثلاثة

قال أبو عبيدة: حدثني أبو عمرو بن العلاء أن العرب كانت تعد البيوتات المشهورة بالكبر والشرف من القبائل بعد بيت هاشم بن عبد مناف في قريش ثلاثة بيوت، ومنهم من يقول أربعة، أولها بيت آل حذيفة بن بدر الفزاري بيت قيس، وبيت آل زرارة بن عدس الدارميين بيت تميم، وبيت آل ذي الجدين بن عبد الله بن همام بيت شيبان، وبيت بني الديان من بني الحارث بن كعب بيت اليمن.

وأما كندة فلا يعدو من أهل البيوتات، إنما كانوا ملوكاً.

كسرى يسأل النعمان عن شرف القبيلة

وقال ابن الكلبي: قال كسرى للنعمان: هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة؟ قال: نعم. قال: بأي شيء؟ قال: من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء، ثم اتصل ذلك بكمال الرابع، والبيت من قبيلته فيه، قال: فاطلب لي ذلك، فطلبه فلم يصبه إلا في آل حذيفة بن بدر بيت قيس بن عيلان، وآل حاجب بن زارة بيت تميم، وآل ذي الجدين بيت شيبان، وآل الأشعث بن قيس بيت كندة. قال: فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائرهم، فأقعد لهم الحكام العدول، فأقبل من كل قوم منهم شاعرهم، وقال لهم: ليتكلم كل رجل منكم بمآثر قومه وفعالهم، وليقل شاعرهم فيصدق، فقام حذيفة بن بدر -وكان أسن القوم وأجرأهم مقدماً- فقال: لقد علمت معد أن منا الشرف الأقدم، والعز الأعظم، ومأثرة الصنيع الأكرم، فقال من حوله: و لم ذاك يا أخا فزارة؟ فقال: ألسنا الدعائم التي لا ترام، والعز الذي لا يضام! قيل له: صدقت، ثم قام شاعرهم فقال:

فزارة بيت العز والعز فيهم ... فزارة قيس حسب قيس نضالها
لا العزة القعساء والحسب الذي ... بناه لقيس في القديم رجالها
فمن ذا إذا مد الأكف إلى العلا ... يمد بأخرى مثلها فينالها
فهيهات قد أعيا القرون التي مضت ... مآثر قيس مجدها وفعالها
وهل أحد إن مد يوماً بكفه ... إلى الشمس في مجرى النجوم ينالها !
وإن يصلحوا يصلح لذاك جميعنا ... وإن يفسدوا يفسد على الناس حالها

ثم قام الأشعث بن قيس -وإنما أذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقرابته بالنعمان- فقال: لقد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر، وقديم زحفها الأكبر، وأنا غياث للزبات . فقالوا: لم يا أخا كندة؟ قال: لأنا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفيائه، وتقلدنا منكبه الأعظم، وتوسطنا بحبوحة الأكرم، ثم قام شاعرهم فقال:

إذا قست أبيات الرجال ببيتنا ... وجدت له فضلاً على من يفاخر
فمن قال: كلاً أو أتانا بخطة ... ينافرنا يوماً فنحن نخاطر
تعالوا فعدوا يعلم الناس أينا ... له الفضل فيما أورثته الأكابر

ثم قام بسطام بن قيس فقال: لقد علمت ربيعة أنا بناة بيتها الذي لا يزول، ومغرس عزها الذي لا ينقل، قالوا: و لم يا أخا شيبان؟ قال: لأنا أدركهم للثأر، وأقتلهم للملك الجبار، وأقولهم للحق، وألدهم للخصم، ثم قام شاعرهم فقال:

لعمري لبسطام أحق بفضلها ... وأولى ببيت العز عز القبائل
فسائل أبيت اللعن عن عز قومنا ... إذا جد يوم الفخر كل مناضل

ألسنا أعز الناس قوماً وأسرة وأضربهم للكبش بين القبائل
فيخبرك الأقوام عنها فإنها وقائع ليست نهزة للقبائل
وقائع عز كلها ربعية تذل لهم فيها رقاب المحافل
إذا ذكرت لم ينكر الناس فضلها وعاذ بها من شرها كل قائل
وإنا ملوك الناس في كل بلدة إذا نزلت بالناس إحدى الزلازل

ثم قام حاجب بن زرارة فقال: لقد علمت معد أنا فرع دعامتها، وقادة زحفها، فقالوا له: بم ذاك يا أخا بني تميم؟ قال: لأنا أكثر الناس إذا نسبنا عدداً ، وأنجبهم ولداً، وأنا أعطاهم للجزيل، وأحملهم للثقيل، ثم قام شاعرهم فقال:

لقد علمت أبناء خندف أننا لنا العز قدماً في الخطوب الأوائل
وأنا هجان أهل مجد وثروة وعز قديم ليس بالمتضائل
فكم فيهم من سيد وابن سيد أغر نجيب ذي فعال ونائل
فسائلأبيت اللعنعنا فإننا دعائم هذا الناس عند الجلائل

ثم قام قيس بن عاصم فقال: لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم في المكرمات دعائم، وأثبتهم في النائبات مقاوم، قالوا: و لم ذاك يا أخا بني سعد؟ قال: لأنا أمنعهم للجار، وأدركهم للثأر، وأنا لا ننكل إذا حملنا، ولا نرام إذا حللنا، ثم قام شاعرهم فقال:

لقد علمت قيس وخندف كلها وجل تميم والجموع التي ترى
بأنا عماد في الأمور وأننا لنا الشرف الضخم المركب في الندى
وأنا ليوث الناس في كل مأزق إذا اجتز بالبيض الجماجم والطلى
وأنا إذا داع دعانا لنجدة أجبنا سراعا في العلا ثم من دعا
فمن ذا ليوم الفخر يعدل عاصما وقيسا إذا مد الأكف إلى العلا
فهيهات قد أعيا الجميع فعالهم وفاتوا بيوم الفخر مسعاة من سعى

فلما سمع كسرى ذلك منهم قال : ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه، فأثنى حباءهم.

سبب تسميته عويف القوافي

وإنما قيل لعويف: عويف القوافي لبيت قاله، نسخت خبره في ذلك من كتاب محمد بن الحسن بن دريد و لم أسمعه منه. قال: أخبرنا السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبي، قال: أقبل عويف القوافي-وهو عويف بن

معاوية بن عقبة بن حصن بن حذيفة الفزاري، وإنما قيل له عويف القوافي، كما حدثني عمار بن أبان بن سعيد بن عيينة، ببيت قاله:

سأكذب من قد كان يزعم أنني إذا قلت قولا لا أجيد القوافيا

قال: فوقف على جرير بن عبد الله البجلي وهو في مجلسه فقال:

أصب على بجيلة من شقاها هجائي حين أدركني المشيب

فقال له جرير: ألا أشتري منك أعراض بجيلة؟ قال: بلى، قال: بكم؟ قال: بألف درهم وبرذون، فأمر له بما طلب فقال:

لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفتى وبئست القبيلة

نسخت من كتاب أبي سعيد السكري في كتاب ""من قال بيتا فلقب به"" قال: أخبرني محمد بن حبيب قال: وإنما قيل لعويف: عويف القوافي لقوله، وقد كان بعض الشعراء عيره بأنه لا يجيد الشعر، فقال أبياتا منها:

سأكذب من قد كان يزعم أنني إذا قلت شعرا لا أجيد القوافيا

فسمي عويف القوافي.

قصته مع عبد الملك بن مروان

أخبرنا محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني أحمد بن إسحاق، عن أبيه، قال: حدثني عزيز بن طلحة بن عبد الله بن عثمان بن الأرقم المخزومي، قال: حدثني غير واحد من مشيخة قريش، قالوا: لم يكن رجل من ولاة أولاد عبد الملك بن مروان كان أنفس على قومه، ولا أحسد لهم من الوليد بن عبد الملك. فأذن يوما للناس فدخلوا عليه؛ وأذن للشعراء، فكان أول من بدر بين يديه عويف القوافي الفزاري، فاستأذنه في الإنشاد فقال: ما بقيت لي بعدما قلت لأخي بني زهرة!قال: وما قلت له مع ما قلت لأمير المؤمنين؟قال: ألست الذي تقول:

يا طلح أنت أخو الندى وحليفه إن الندى من بعد طلحة ماتا

إن الفعال إليك أطلق رحله فبحيث بت من المنازل باتا

أو لست الذي تقول:

إذا ما جاء يومك يا بن عوف فلا مطرت على الأرض السماء

ولا سار البشير بغنم جيش ولا حملت على الطهر النساء

تساقى الناس بعدك يا بن عوف ذريع الموت ليس له شفاء

ألم تقم علينا الساعة يوم قامت عليه؟ لا والله لا أسمع منك شيئا، ولا أنفعك بنافعة أبدا، أخرجوه عني.
قصته مع طلحة أخي بني زهرة فلما أخرج قال له القرشيون والشاميون: وما الذي أعطاك طلحة حين استخرج هذا منك؟ قال: أما والله لقد أعطاني غيره أكثر من عطيته، ولكن لا والله ما أعطاني أحد قط أحلى في قلبي ولا أبقى شكرا ولا أجدر ألا أنساها ما عرفت الصلات من عطيته، قالوا: وما أعطاك؟ قال: قدمت المدينة ومعي بضيعة لي لا تبلغ عشرة دنانير، أريد أن أبتاع قعودا من قعدان الصدقة، فإذا برجل في صحن السوق على طنفسة قد طرحت له، وإذا الناس حوله، وإذا بين يديه إبل معلوفة له، فظننت أنه عامل السوق، فسلمت عليه، فأثبتني وجهلته، فقلت: أي رحمك الله، هل أنت معيني ببصرك على قعود من هذه القعدان تبتاعه لي؟ فقال: نعم، أو معك ثمنه؟ فقلت: نعم، فأهوى بيده إلي فأعطيته بضيعتي، فرفع طنفسته وألقاها تحتها، ومكث طويلا، ثم قمت إليه فقلت: أي رحمك الله، انظر في حاجتي فقال: ما منعني منك إلا النسيان، أمعك حبل؟ قلت: نعم قال: هكذا أفرجوا، فأفرجوا عنه حتى استقبل الإبل التي بين يديه، فقال: اقرن هذه وهذه وهذه، فما برحت حتى أمر لي بثلاثين بكرة أدنى بكرة منها-ولا دنية فيها-خير من بضاعتي. ثم رفع طنفسته فقال: وشأنك ببضاعتك فاستعن بها على من ترجع إليه، فقلت: أي رحمك الله، أتدري ما تقول! فما بقي عنده إلا من همزني وشتمني، ثم بعث معي نفرا فأطردوها حتى أطلعوها من رأس الثنية، فوالله لا أنساه ما دمت حيا أبدا.
وهذا الصوت المذكور تمثل به إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن علي يوم مقتله.
حدثني ابن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني ميسرة بن سيار أبو محمد، قال: حدثني إبراهيم بن علي الرافقي، عن المفضل الضبي، وحدثنا يحيى بن علي بن يحيى المنجم، وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني عبد الملك بن سليمان، عن علي بن الحسن، عن المفضل الضبي؛ورواية ابن عمار أتم من هذه الرواية .
ونسخت هذا الخبر أيضا من بعض الكتب عن أبي حاتم السجستاني، عن أبي عثمان اليقطري ، عن أبيه عن المفضل، وهو أتم الروايات، وأكثر اللفظ له قال: قال المفضل: خرجت مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن بح حسن، فلما صار بالمربد، وقف على رأس سليمان بن علي فأخرج إليه صبيان من ولده، فضمهم إليه وقال: هؤلاء والله منا ونحن منهم، إلا أن آباءهم فعلوا بنا وصنعوا، وذكر كلاما يعتد عليهم فيه بالإساءة، ثم توجه لوجهه وتمثل:

مهلا بني عمنا ظلامتنا ... إن بنا سورة من القلق
لمثلكم نحمل السيوف و لا ... تغمز أحسابنا من الدقق
إني لإنمي إذا انتميت إلى ... عز عزيز ومعشر صدق

بيض سباط كأن أعينهم تكحل يوم الهياج بالعلق

فقلت: ما أفحل هذه الأبيات، فلمن هي؟ قال: لضرار بن الخطاب الفهري، قالها يوم الخندق، وتمثل بها علي بن أبي طالب عليه السلام يوم صفين، والحسين بن علي يوم قتل، وزيد بن علي عليهم السلام، ولحق القوم، ثم مضى إلى باخمرى ، فلما قرب منها أتاه نعي أخيه محمد، فتمثل:

نبئت أن بني ربيعة أجمعوا أمرا خلالهم لتقبل خالدا

إن يقتلوني لا تصب أرماحهم ثأري ويسعى القوم سعيا جاهدا

أرمي الطريق وإن صددت بضيقة وأنازل البطل الكمي الجاحدا

فقلت: لمن هذه الأبيات؟ فقال: للأحوص بن جعفر بن كلاب، تمثل بها يوم شعب جبلة، وهو اليوم الذي لقيت فيه قيس تميما، قال: وأقبلت عساكر أبي جعفر، فقتل من أصحابه وقتل من القوم، وكاد أن يكون الظفر له .

قال ابن عمار في حديثه: قال المفضل: فقال لي: حركني بشيء، فأنشدته هذه الأبيات:

ألا أيها الناهي فزارة بعدما أجدت بسير إنما أنت حالم

أبى كل حر أن يبيت بوتره ويمنع منه النوم إذا أنت نائم

أقول لفتيان العشي: تروحوا على الجرد في أفواههن الشكائم

قفوا وقفة من يحي لا يخز بعدها ومن يخترم لا تتبعه اللوائم

وهل أنت إن باعدت نفسك منهم لتسلم فيما بعد ذلك سالم

فقال لي: أعد، فتنبهت، وندمت، فقلت: أو غير ذلك؟ فقال: لا، أعدها، فأعدتها، فتمطى في ركابيه حتى خلته قد قطعهما، ثم خمل فكان آخر العهد به.

هذه رواية ابن عمار، وفي الرواية الأخرى : فحمل فطعن رجلا، وطعنه آخر، فقلت: أتباشر الحرب بنفسك والعسكر منوط بك؟ فقال: إليك يا أخا بني ضبة، كأن عويفا أخا بني فزارة نظر في يومنا هذا حيث يقول:

ألمت خناس وإلمامها أحاديث نفس وأحلامها

يمانية من بني مالك تطاول في المجد أعمامها

وإن لنا أصل جرثومة ترد الحوادث أيامها

ترد الكتيبة مغلولة بها أفنها وبها آمها

قال: وجاءه السهم العائر فشغله عني.

اعترض عمر بن عبد العزيز وأسمعه شعرا أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثني محمد بن معاوية الأسدي، قال: حدثني أصحابنا الأسديون، عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري،

قال: حضرت مع عمر بن عبد العزيز جنازة، فلما انصرف انصرفت معه، وعليه عمامة قد سدلها من خلفه، فما علمت به حتى اعترضه رجل على بعير فصاح به:

أجبني أبا حفص لقيت محمدا على حوضه مستبشرا وراكا

فقال له عمر: لبيك، ووقف الناس معه، ثم قال له: فمه، فقال:

فأنت امرؤ كلتا يديك مفيدة شمالك خير من يمين سواكا

قال: ثم مه، فقال:

بلغت مدى المجرين قبلك إذ جروا ولم يبلغ المجرون بعد مداكا

فجداك لا جدين أكرم منهما هناك تناهى المجد ثم هناكا

فقال له عمر: ألا أرك شاعرا! ما لك عندي من حق، قال: لا، ولكني سائل وابن سبيل وذو سهمة فالتفت عمر إلى قهرمانه فقال: أعطه فضل نفقتي، قال: وإذا هو عويف القوافي الفزاري.

هجا بني مرة

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة، قال: لما كان يوم ابن جرح، وافتتلت بنو مرة وبنو حن بن عذرة، قال عويف القوافي لبني مرة يهجوهم ويوبخهم بتركهم نصرهم:

كنا لكم يا مر أما حفية وكنتم لنا يا مر بوا مجلدا

وكنتم لنا سيفا وكنا وعاءه إذا نحن خفنا أن يكل فيغمدا

عقيل بن علفة يجيبه بقصيدة فأجابه عقيل بن علفة بقصيدته التي أولها:

أماوي إن الركب مرتحل غدا وحق ثوي نازل أن يزودا

يقول فيها يخاطب عويفا:

إذا قلت: قد سامحت سهما ومازنا أبى النسب الداني وكفرهم اليدا

وقد أسلموا أستاههم لقبيلة قضاعية يدعون حنا وأصيدا

فما كنت أما بل جعلتك لي أخا وقد كنت في الناس الطريد المشردا

عويف استها قد رمت ويلك مجدنا قديما فلم تعد الحمار المقيدا

ولو أنني يوم ابن جرح لقيتهم لجردت في الأعداء عضبا مهندا

وأبيات عويف هذه يقولها يوم مرج راهط؛ وهي الحرب التي كانت بين قيس وكلب.0 يوم مرج راهط أخبرني بالسبب فيه أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: أخبرني سليمان بن أيوب بن أعين أبو أيوب المديني ، قال: حدثنا المدائني، قال: كان بدء حرب قيس وكلب في فتنة ابن الزبير ما كان من وقعة مرج راهط، وكان من قصة المرج أن مروان بن الحكم بن أبي العاص قدم بعد هلاك يزيد بن معاوية والناس يموجون، وكان سعيد بن بحدل الكلبي على قنرسين، فوثب عليه زفر بن الحارث فأخرجه منها وبايع لابن الزبير، فلما قعد زفرعلى المنبر، قال: الحمد لله الذي أقعدني مقعد الغادر الفاجر، وحصر، فضحك الناس من قوله، وكان النعمان بن بشير على حمص، فبايع لابن الزبير. وكان حسان بن بحدل على فلسطين والأردن، فاستعمل على فلسطين روح بن زنباع الجذامي، ونزل هو الأردن فوثب نابل بن قيس الجذامي على روح بن زنباع، فأخرجه من فلسطين وبايع لابن الزبير.

موقف الضحاك بن قيس القهري وكان الضحاك بن قيس القهري عاملاً ليزيد بن معاوية على دمشق حتى هلك، فجعل يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، إذ جاءته اليمانية وشيعة بني أمية أخبرهم أنه أموي، وإذا جاءته القيسية أخبرهم أنه يدعو إلى ابن الزبير، فلما قدم مروان قال له الضحاك: هل لك أن تقدم على ابن الزبير ببيعة أهل الشام؟ قال: نعم، وخرج من عنده، فلقيه عمرو بن سعيد بن العاص، ومالك بن هبيرة، وحصين بن نمير الكنديان، وعبيد الله بن زياد، فسألوه عما أخبره به الضحاك، فأخبرهم، فقالوا له: أنت شيخ بني أمية، وأنت عم الخليفة، هلم نبايعك. فلما فشا ذلك أرسل الضحاك إلى بني أمية يعتذر إليهم، ويذكر حسن بلائهم عنده، وأنه لم يرد شيئاً يكرهونه، فاجتمع مروان بن الحكم، وعمرو بن سعيد بن العاص، وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية وقال لهم: اكتبوا إلى حسان بن بحدل فليسر من الأردن حتى يترل الجابية، ونسير من ها هنا حتى نلقاه، فيستخلف رجلاً ترضونه، فكتبوا إلى حسان، فأقبل في أهل الأردن، وسار الضحاك بن قيس وبنو أمية في أهل دمشق، فلما استقلت الرايات من جهة دمشق، قالت القيسية للضحاك: دعوتنا لبيعة ابن الزبير، وهو رجل هذه الأمة، فلما تابعناك خرجت تابعاً لهذا الأعرابي من كلب تبايع لابن أخته تابعاً له، قال: فتقولون ماذا؟ قالوا: نقول: أن تنصرف وتظهر بيعة ابن الزبير ونظهرها معك، فأجابهم إلى ذلك، وسار حتى نزل مرج راهط، وأقبل حسان حتى لقي مروان بن الحكم، فسار حتى دخل دمشق، فأتته اليمانية تشكر بلاء بني أمية، فساروا مع مروان حتى نزلوا المرج على الضحاك، وهم نحو سبعة آلاف، والضحاك في نحو من ثلاثين ألفاً، فلقوا الضحاك، فقتل الضحاك، وقتل معه أشراف من قيس، فأقبل زفر هارباً من وجهه ذاك حتى دخل قرقيسيا، وأقام عمير بن الحباب شيئاً على طاعة بني مروان، ثم أقبل حتى دخل قرقيسيا على زفر فأقام معه، وذلك بعد يوم خازر حين قتل عبيد الله بن زياد.

ما قيل في يوم المرج وأقبل زفر يبكي قتلى المرج يقول:

لعمري لقد أبقت وقيعة راهط لمروان صدعاً بيننا متنائيا

أتذهب كلب لم تنلها رماحنا ... ويترك قتلى راهط هي ما هيا!

فقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

أبعد ابن صقر وابن عمرو تتابعا ... ومصرع همام أمنى الأمانيا!

فقال ابن المخلاة الكلبي يجيبه:

لعمري لقد أبقت وقيعة راهط ... على زفر داء من الداء باقيا

تبكي على قتلى سليم وعامر ... وذبيان مغروراً وتبكى البواكيا

وقال ابن المخلاة في يوم المرج:

ويوم ترى الرايات فيه كأنها ... حوائم طير مستدير وواقع

مضى أربع بعد اللقاء وأربع ... وبالمرج باق من دم القوم ناقع

طعنا زياداً في استه وهو مدبر ... وثور أصابته السيوف القواطع

ونجى حبيشاً ملهب ذو علالة ... وقد جذ من يمنى يديه الأصابع

وقد شهد الصفين عمرو بن محرز ... فضاق عليه المرج والمرج واسع

وقال رجل من بني عذرة:

سائل بني مروان أهل العج ... رهط النبي وولاة الحج

عنا وعن قيس غداة المرج ... إذ يثقفون ثقفاً بنج

تسديس أطراف القنا المعوج ... إذا أخلف الضحاك ما يرجي

مذ تركوا من بعد طول هرج ... لحم ابن قيس للضباع العرج

وقال جواس بن القعطل الكلابي في يوم المرج:

هم قتلوا براهط جد قيس ... سليما والقبائل من كلاب

وهم قتلوا بني بدر وعبساً ... وألصق حر وجهك بالتراب

تذكرت الذحول فلن تقصى ... ذحولك أو تساق إلى الحساب

إذا سارت قبائل من جناب ... وعوف أشحنوا شم الهضاب

وقد حاربتنا فوجدت حرباً ... تغصك حين تشرب بالشراب

فأقبل عمير يخطر، فخرج من قرقيسيا يتطرف بوادي كلب، فيغير عليها وعلى من أصاب من قضاعة وأهل اليمن، ويخص كلباً ومعشر تغلب ، قبل أن تقع الحرب بين قيس وتغلب، فعل أهل البادية ينتصفون من أهل القرار كلهم. فلما رأت كلب ما لقي أصحابهم، وأنهم لا يمتنعون من خيل الحاضرة، اجتمعوا إلى حميد بن حريث بن بحدل، فسار بهم حتى نزل تدمر، وبه بنو نمير، وقد كان بين النميريين خاصة وبين الكلبيين الذي بتدمر عقد مع ابن بخدل بن بعاج الكلبي، فأرسلت بنو نمير رسلاً إلى حميد يناشدونه الحرمة، فوثب عليهم ابن بعاج الكلبي فذبحهم، وأرسلوا إليهم: إنا قد قطعنا الذي بينا وبينكم، فالحقوا بما يسعكم من الأرض، فالتقوا فقتل ابن بعاج وظفر بالنميريين فقتلوا قتلاً ذريعاً وأسروا ، فقال راعي الإبل في قتل ابن بعاج و لم يذكر غيره من الكلبيين:

تجيء ابن بعاج نسور كأنها ... مجالس تبغي بيعة عند تاجر
تطيف بكلبي عليه جدية ... طويل القرا يقذفنه في الحناجر
يقول له من كان يعلم علمه ... كذاك انتقام الله من كل فاجر

وقد كان زفر بن الحارث لما أغار عمير بن الحباب على الكلبيين قال يعيرهم بقوله:

يا كلب قد كلب الزمان عليكم ... وأصابكم مني عذاب مرسل
إن السماوة لا سماوة فالحقي ... بمنابت الزيتون وابنيبحدل
وبأرض عك والسواحل إنها ... أرض تذوب باللقاح وتهزل

حميد بن بحدل يغير على بوادي قيس

فجمع لهم حميد بن الحريث بن بحدل، ثم خرج يريد الغارة على بوادي قيس، فانتهى إلى ماء لبني تغلب، فإذا النساء والصبيان يبكون، فقالت لهم النساء -وهن يحسبنهم قيساً-: ويحكم، ما ردكم إلينا، فقد فعلتم بنا بالأمس ما فعلتم! فقالت لهم كلب: وما لكم؟ قالوا: أغار علينا بالأمس عمير بن الحباب، فقتل رجالنا، واستاق أموالنا، و لم يشككن أن الخيل خيل قيس وأن عميراً عاد إليهن، فقال بعض كلب لحميد: ما تريد من نسوة قد أغير عليهن وحربن، وصبية يتامى، وتدع عميراً. فاتبعوه، فبينا هم يسيرون إذ أخذوا رجلاً ربيئة للقوم. فسألوه فقال لهم: هذا الجيش ها هنا والأموال، وقد خرج عمير في فوارس يريد الغارة على أهل بيت من بني زهير بن جناب، أخبر عنهم مخبر، فأقام حميد حتى جن عليه الليل، ثم بيت القوم بياتاً. وقال حميد لأصحابه: شعاركم: نحن عباد الله حقاً. فأصابوا عامة ذلك العسكر، ونجا فيمن نجا رجل عريان قذف ثوبه وجلس على فرس عري، فلما انتهى إلى عمير، قال عمير: قد كنت أسمع بالنذير العريان فلم أره، فهو هذا، ويلك ما لك! قال: لا أدري غير أنه لقينا قوم فقتلوا من قتلوا وأخذوا العسكر، فقال: أفتعرفهم؟ قال: لا، فقصد عمير القوم وقال لأصحابه: إن كانت الأعاريب فسيسارعون إلينا إذا رأونا، وإن كانت خيول أهل الشام فستقف. وأقبل عمير، فقال حميد لأصحابه:

لا يتحركن منكم أحد، وانصبوا القنا، فحمل عمير حملة لم تحركهم، ثم حمل فلم يتحركوا، فنادى مراراً: ويحكم من أنتم؟! فلم يتكلموا، فنادى عمير أصحابه: ويلكم خيل بني بحدل والأمانة، وانصرف على حاميته، فحمل عليه فوارس من كلب يطلبونه، ولحقه مولى لكلب يقال له شقرون، فاطعنا، فجرح عمير وهرب حتى دخل قرقيسيا إلى زفر، ورجع حميد إلى من ظفر به من الأسرى والقتلى، فقطع سبالهم وأنفهم، فجعلها في خيط، ثم ذهب بها إلى الشام، وقال قائل: بل بعث بها إلى عمير وقال: كيف ترى؟ أوقعي أم وقعك؟ فقال في ذلك سنان بن جابر الجهني:

لقد طار في الآفاق أن ابن بحدل ... حميداً شفى كلباً فقرت عيونها
وعرف قيساً بالهوان ولم تكن ... لتنزع إلا عند أمر يهينها
فقلت له: قيس بن عيلان إنه ... سريع إذا ما عضت الحرب لبنها
سما بالعتاق الجرد من مرج راهط ... وتدمر ينوي بذلها لا يصونها
فكان لها عرض السماوة ليلة ... سواء عليها سهلها وحزونها
فمن يحتمل في شأن كلب ضغينة ... علينا إذا ما حان في الحرب حينها
فإنا وكلباً كاليدين متى تضع ... شمالك في شيء تعنها يمينها
لقد تركت قتلى حميد بن بحدل ... كثيراً ضواحيها قليلاً دفينها
وقيسية قد طلقتها رماحنا ... تلفت كالصيداء أودى جنينها

وقال سنان أيضاً في هذا الأمر بعدما أوقع ببني فزارة:

يا أخت قيس سلي عنا علانية ... كي تخبري من بيان العلم تبيانا
إنا ذوو حسب مال ومكرمة ... يوم الفخار وخير الناس فرسانا
منا ابن مرة عمرو قد سمعت به ... غيث الأرامل لا يردين ما كانا
والبحدلي الذي أردت فوارسه ... قيساً غداة اللوى من رمل عدنانا
فغادرت حلبساً منها بمعترك ... والجعد منعرفاً لم يكس أكفانا
كائن تركنا غداة العاه من جزر ... للطير منهم ومن ثكلى وثكلانا
ومن غوان تبكي لا حميم لها ... بالعاه تدعو بني عم وإخوانا

فلما انتهى الخبر إلى عبد الملك بن مروان، وعبد الله ومصعب يومئذ حيان، وعند عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل وعبد الله بن مسعدة بن حكم الفزاري، وجيء بالطعام، فقال عبد الملك لابن مسعدة: ادن، فقال ابن

مسعدة: لا والله، لقد أوقع حميد بسليم وعامر وقعة لا ينفعني بعدها طعام حتى يكون لها غير، فقال له حسان: أجزعت أن كان بيني وبينكم في الحاضرة على الطاعة والمعصية، فأصبنا منكم يوم المرج، وأغار أهل قرقيسيا بالحاضرة على البادية بغير ذنب؟ فلما رأى حميد ذلك طلب بثأر قومه، فأصاب بعض ما أصابهم، فجزعت من ذلك، وبلغ حميداً قول ابن مسعدة فقال: والله لأشغلنه بمن هو أقرب إليه من سليم وعامر.

ذكر في شعره إيقاع حميد ببني فزارة فخرج حميد في نحو من مائتي فارس، ومعه رجلان من كلب ودليلان، حتى انتهى إلى بني فزارة أهل العمود لخمس عشرة مضت من شهر رمضان، فقال: بعثني عبد الملك بن مروان مصدقاً: فابعثوا إلى كل من يطيق أن يلقانا، ففعلوا، فقتلهم أو من استطاع منهم، وأخذ أموالهم، فبلغ قتلاهم نحواً من مائة ونيف، فقال عويف القوافي:

منا الله أن ألقى حميد بن بحدل ... بمنزلة فيها إلى النصف معلما
لكيما نعاطيه ونبلو بيننا ... سريجية يعجمن في الهام معجما
ألا ليت أني صادفتني منيتي ... ولم أر قتلى العام يا أم أسلما
ولم أر قتلى لم تدع لي بعدها ... يدين فما أرجوا من العيش أجذما
وأقسم ما ليث بخفان خادر ... بأشجع من جعد جنانا ومقدما

يعني الجعد بن عمران بن عيينة وقتل يومئذ.

أسماء بن خارجة يشكو حميداً إلى عبد الملك فلما رجع عبد الملك من الكوفة وقتل مصعب، لحقه أسماء بن خارجة بالنخيلة، فكلمه فيما أتى حميد به إلى أهل العمود من فزارة، وقال: حدثنا أنه مصدقك وعاملك، فأجبناك وبك عذنا، فعليك وفي ذمتك ما على الحر في ذمته، فأقدنا من قضاعي سكير، فأبى عبد الملك وقال: انظر في ذلك وأستشير وحميد يجحد وليست لهم بينة، فوداهم الف وألف ومائتي ألف، وقال: إني حاسبها في أعطيات قضاعة، فقال في ذلك عمرو بن مخلاة الكلبي.

صوت

خذوها يا بني ذبيان عقلاً ... على الأجياد واعتقدوا الخداما
دراهم من بني مروان بيضا ... ينجمها لكم عاماً فعاما
وأيقن أنه يوم طويل ... على قيس يذيقهم السماما
ومختب أمام القوم يسعى ... كسرحان التنوفة حين ساما
رأى شخصاً على بلد بعيد ... فكبر حين أبصره وقاما

وأقبل يسأل البشرى إلينا فقال :رأيت إنساً أو نعاما
وقال لخيله سيري حميد فإن لكل ذي أجل حماما
فما لاقيت من سجح وبدر ومرة فاتركي حطباً حطاما
بكل مقلص عبل شواه يدق بوقع نابيه اللجاما
وكل طمرة مرطى سبوح إذا ما شد فارسها الحزاما
وقائلة على دهش وحزن وقد بلت مدامعها اللثاما
كأن بني فزارة لم يكونوا ولم يرعوا بأرضهم الثماما
ولم أر حاضراً منهم بشاء ولا من يملك النعم الركاما

فزارة تنتقم من قيس قال: فلما أخذوا الدية انطلقت فزارة فاشترت خيلاً وسلاحاً، ثم استتبعت سائر قبائل قيس، ثم أغارت على ماء يدعى بانت قين، يجمع بطوناً كلب كثيرة وأكثر من عليه بنو عبد ود وبنو عليم بن جناب، وعلى قيس يومئذ سعيد بن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، وحلحلة بن قيس بن الأشيم بن يسار أحد بني العشراء ، فلما أغاروا نادوا بني عليم: إنا لا نطلبكم بشيء، وإنما نطلب بني عبد ود بما صنع الدليلان اللذان حملا حميداً، وهما المأمور ورجل آخر اسمه أبو أيوب، فقتل من العبديين تسعة عشر رجلاً، ثم مالوا على العليميين فقتلوا منهم خمسين رجلاً، وساقوا أموالاً.

موقف عبد الملك بن مروان وعرضه الدية

فبلغ الخبر عبد الملك، فأمهل حتى إذا ولي الحجاج العراق كتب إليه يبعث إليه سعيد بن عيينة وحلحلة بن قيس ومعهما نفر من الحرس، فلما قدم بهما عليه قذفهما في السجن وقال لكلب: والله لئن قتلتم رجلاً لأهريقين داماءكم، فقدم عليه من بني عبد ود عياض ومعاوية ابنا ورد، ونعمان بن سويد أبوه ابن مالك يومئذ أشرف من قتل يوم بنات قين، وكان شيخ بني عبد ود، فقال له النعمان: دماءنا يا أمير المؤمنين، فقال له عبد الملك: إنما قتل منكم الصبي الصغير والشيخ الفاني، فقال النعمان: قتل منا والله من لو كان أخلاً لأبيك لاختير عليك في الخلافة، فغضب عبد الملك غضباً شديداً، فقال له معاوية وعياض: يا أمير المؤمنين، شيخ كبير موتور.

فأعرض عنه عبد الملك وعرض الدية، وجعل خالد بن يزيد بن معاوية ومن ولدته كلب يقولون: القتل، ومن كانت أمه قيسية من بني أمية يقولون: لا، بل الدية كما فعل بالقوم، حتى ارتفع الكلام بينهم بالمقصورة، فأخرجهم عبد الملك ودفع حلحلة إلى بعض بني عبد ود، ودفع سعيد بن عيينة إلى بعض بني عليم، وأقبل عليهما عبد الملك فقال: ألم تأتياني تستعدياني فأعديتكما وأعطيتكما الدية، ثم انطلقتما فأخفرتما ذمتي وصنعتما ما

صنعتما، فكلمه سعيد بكلام يستعطفه به ويرققه، فضرب حلحلة صدره وقال: أترى خضوعك لابن الزرقاء نافعك عنده، فغضب عبد الملك وقال: اصبر حلحلة، فقال له: أصبر من عود بجنبيه جلب فقتلا وشق ذلك على قيس، وأعظمه أهل البادية منهم والحاضرة، فقال في ذلك علي بن الغدير الغنوي:

لحلحلة القتيل ولابن بدر ... وأهل دمشق أنجبة تبين

فبعد اليوم أيام طوال ... وبعد خمود فتنتكم فتون

وكل صنيعة رصد ليوم ... تحل به لصاحبها الزبون

خليفة أمة قسرت عليه ... تخمط واستخف بمن يدين

فقد أتيا حميد ابن المنايا ... وكل فتى ستشعبه المنون

وقال رجل من بني عبد ود:

نحن قتلنا سيديهم بشيخنا ... سويد فما كانا وفاء به دما

وقال حلحلة وهو السجن

لعمري لئن شيخا فزارة أسلما ... لقد خزيت قيس وما ظفرت كلب

وقال أرطاة بن سهية يحرض قيساً:

أيقتل شيخنا ويرى حميد ... رخي البال منتشياً خمورا

فإن دمنا بذاك وطال عمر ... بنا وبكم ولم نسمع نكيرا

فناكت أمها قيس جهاراً ... وعضت بعدها مضر الأيوار

وقال عميرة بنت حسان الكلبية تفخر بفعل حميد في قيس:

سمت كلب إلى قيس بجمع ... يهد مناكب الأكم الصعاب

بذي لجب يدق الأرض حتى ... تضايق من دعا بهلا وهاب

نفين إلى الجزيرة فل قيس ... إلى بق بها وإلى ذناب

وألفينا هجين بني سليم ... يفدي المهر من حب الإياب

فلولا عدوة المهر المفدى ... لأبت وأنت منخرق الإهاب

ونجاه حثيث الركض منا ... أصيلانا ولون الوجه كابي

وآض كأنه يطلى بورس ... ودق هوي كاسرة عقاب

حمدت الله إذ لقى سليماً ... على دهمان صقر بني جناب

تركن الروق من فتيات قيس أيامى قد يئسن من الخضاب
فهن إذا ذكرن حميد كلب نعقن برنة بعد انتحاب
متى تذكر فتى كلب حميداً تر القيسي يشرق بالشراب

مدح عيينة بن أسماء رغم تطليقه أخته

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرني عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه، قال: أنشدني رجل من بني فزارة لعويف القوافي -وهو عويف بن معاوية بن عقبة بن حصن بن حذيفة الفزاري- وكانت أخته عند عيينة بن أسماء بن خارجة فطقلها، فكان عويف مراغماً لعيينة وقال: الحرة لا تطلق بغير ما بأس، فلما حبس الحجاج عيينة وقيده قال عويف:

منع الرقاد فما يحس رقاد خبر أتاك ونامت العواد
خبر أتاني عن عيينة موجع ولمثله تتصدع الأكباد
بلغ النفوس بلاؤها فكأننا موتى وفينا الروح والأجساد
ساء الأقارب يوم ذاك فأصبحوا بهجين قد سروا به الحساد
يرجون عثرة جدنا ولو أنهم لا يدفعون بنا المكاره بادوا
لما أتاني عن عيينة أنه عان تظاهر فوقه الأقياد
نخلت له نفسي النصيحة إنه عند الشدائد تذهب الأحقاد
وذكت أي فتى يسد مكانه بالرفد حين تقاصر الأرفاد
أم من يعين لنا كرائم ماله ولنا إذا عدنا إليه معاد
لو كان من حضن تضاءل ركنه أو من نضاد

مدح عبد الرحمن ابن مروان وهو صغير

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: قال العتبي:
سأل عويف القوافي في حمالة، فمر به عبد الرحمن بن محمد بن مروان وهو حديث السن، فقال له: لا تسأل أحداً وصر إلي أكفك، فأتاه فاحتملها جمعاء له، فقال عويف يمدحه:

غلام رماه الله بالخير يافعاً له سيمياء لا تشق على البصر
كأن الثريا علقت في جبينه وفي حده الشعرى وفي جيده القمر

ولما رأى المجد استعيرت ثيابه ... تردى رداء واسع الذيل واتزر
إذا قيلت العوراء أغضى كأنه ... ذليل بلا ذل ولو شاء لانتصر
رآني فآساني ولو صد لم ألم ... على حين لا باد يرجى ولا حضر

قال أبو زيد: هذه الأبيات لابن عنقاء الفزاري، يقولها في ابن أخ له، كان قوم من العرب أغاروا على نعم ابن عنقاء، فاستقوها، حتى لم يبق لها منها شيء، فأتى ابن أخيه فقال له: يا بن أخي، إنه قد نزل بعمك ما ترى، فهل من حلوبة؟ قال: نعم يا عم، يروح المال وأبلغ مرادك، فلما راح ماله قاسمه إياه وأعطاه شطره، فقال ابن عنقاء:

رآني على ما بي عميلة فاشتكى ... إلى ماله حالي أسر كما جهر

وذكر بعد هذا البيت باقي الأبيات. قال أبو زيد: وإنما تمثلها عويف.

رثى سليمان بن عبد الملك ومدح عمر بن عبد العزيز أخبرني محمد بن خلف وكيع، والحسن بن علي قالا: حدثنا الغلابي، قال: حدثنا محمد بن عبيد الله، عن عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان، قال: لما مات سليمان بن عبد الملك وولي عمر بن عبد العزيز الخلافة، وفد إليه عويف القوافي وقال شعراً رثى به سليمان ومدح عمر فيه، فلما دخل إليه أنشده:

لاح سحاب فرأينا برقه ... ثم تدانى فسمعنا صعقه
وراحت الريح تزجي بلقه ... ودهمه ثم تزجي ورقه
ذاك سقى قبراً فروى ودقه ... قبر امرئ عظم ربي حقه
قبر سليمان الذي من عقه ... وجحد الخير الذي قد بقه
في المسلمين جله ودقه ... فارق في الجحود منه صدقه
قد ابتلى الله بخير خلقه ... ألقى إلى خير قريش وسقه
يا عمر الخير الملقى وفقه ... سميت بالفاروق فافرق فرقه
وارزق عيال المسلمين رزقه ... واقصد إلى الجود ولا توقه
بحرك عذب الماء ما أعقه ... ريك فالمحروم من لم يسقه

فقال له عمر: لسنا من الشعر في شيء، ومالك في بيت المال حق، فألح عويف يسأله فقال: يا مزاحم، انظر فيما بقي من أرزاقنا فشاطره إياه، ولنصبر على الضيق إلى وقت العطاء، فقال له عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الملك: بل توفر يا أمير المؤمنين وعلي رضا الرجل، فقال: ما أولاك بذلك، فأخذ بيده وانصرف به إلى منزله، وأعطاه حتى رضى.

صوت

صفرا يطويها الضجيع لصلبها طي الحمالة لين مثناها
نعم الضجيع إذا النجوم تغورت بالغور أولاها على أخراها
عذب مقبلها وثير ردفها عبل شواها طيب مجناها
يا دار صهباء التي لا أنتهي عن حبها أبداً ولا أنساها

الشعر لعبد الله بن جحش الصعاليك، والغناء فيه لعلي بن هشام ثقيل أول بالوسطى من كتاب أحمد بن المكي.

أخبار عبد الله بن جحش

طلاق صهباء من ابن عمها

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني محمد بن يحيى أبو غسان، عن غسان بن عبد الحميد قال: كان بالمدينة امرأة يقال لها: صهباء من أحسن الناس وجهاً، وكانت من هذيل، فتزوجها ابن عم لها، فمكث حيناً معها لا يقدر عليها من شدة ارتتاقها، فأبضغته وطالبته بالطلاق، فطلقها. ثم أصاب الناس مطر شديد في الخريف، فسال العقيق سيلاً عظيماً، وخرج أهل المدينة، وخرجت صهباء معهم، فصادفت عبد الله بن جحش وأصحابه في نزهة، فرآها وافترقا.

يهيم بصهباء ويتقدم لخطبتها

ثم مضت إلى أقصى الوادي فاستنقعت في الماء وقد تفرق الناس وخفوا، فاجتاز بها ابن جحش فرآها فتهالك عليها وهام بها، وكان بالمدينة امرأة تدل على النساء يقال لها: قطنة، كانت تداخل القرشيات وغيرهن، فلقيها ابن جحش فقال لها: اخطبي علي صهباء، فقالت: قد خطبها عيسى بن طلحة بن عبيد الله وأجابوه، ولا اراهم يخارونك عليه، فشتمها ابن جحش وقال لها: كل مملوك له فهو حر، لئن لم تحتالي فيها حتى أتزوجها لأضربنك ضرب بالسيف -وكان مقداماً جسوراً- فرقت منه فدخلت على صهباء وأهلها، فتحدثت معهم، ثم ذكرت ابن عمها، فقالت لعمة صهباء: ما باله فارقها، فأخبرتها خبرها، وقالت: لم يقدر عليها وعجز عنها. فقالت لها: وأسمعت صهباء-: إن هذا ليعتري كثيراً من الرجال فلا ينبغي أن تتقدموا في أمرها إلا على من تختبرونه، وأما والله لو كان ابن جحش لصهباء لثقبها ثقب اللؤلؤ ولو رنقت بحجر، ثم خرجت من عندهم.
زواجه بصهباء فأرسلت إليها صهباء: مري ابن جحش فليخطبني، فلقيته قطنة فأخبرته الخبر، فمضى فخطبها،

فأنعمت له وأبى أهلها إلا عيسى بن طلحة، وأبت هي إلا ابن جحش، فتزوجته ودخل بها وافتضها، وأحب كل واحد منهما صاحبه فقال فيها:

نعم الضجيع إذا النجوم تغورت ... بالغور أولاها على أخراها

عذب مقبلها وثير ردفها ... عبل شواها طيب مجناها

صراء يطويها الضجيع لجنبها ... طي الحمالة لين متناها

لو يستطيع ضجيعها لأجنها ... في الجوب حب نسيمها ونشاها

يا دار صهباء التي لا أنتهي ... عن ذكرها أبداً ولا أنساها

كان عبد الملك بن مروان معجباً بشعره

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد بن الفرج، قال: حدثني محمد بن عبد الله، قال: كان عبد الملك بن مروان معجباً بشعر عبد الله بن جحش، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه، فورد كتابه وقد توفي، فقال إخوانه لابنه: طرده عبد الملك لتضييعه أدب أبيه لو شخصت إلى أمير المؤمنين عن إذنه لأبيك لعله كان ينفعك، ففعل، فبينا هو في طريقه إذ ضاع منه كتاب الإذن، فهم بالرجوع، ثم مضى لوجهه، فلما قدم على عبد الملك سأله عن أبيه فأخبره بوفاته، ثم سأله عن كتابه فأخبره بضياعه، فقال له: أنشدي قول أبيك: صوت

هل يبلغنها السلام أربعة ... مني وإن يفعلوا فقد نفعوا

على مصكين من جمالهم ... وعنتريسين فيهما سطع

قرب جيراننا جمالهم ... صبحاً فأضحوا بها قد انتجعوا

ما كنت أدري بوشك بينهم ... حتى رأيت الحداة قد طلعوا

قد كاد قلبي والعين تبصرهمل ... لما تولى بالقوم ينصدع

ساروا وخلفت بعدهم دنفاً ... أليس بالله بئس ما صنعوا!

قال: لا والله يا أمير المؤمنين ما أرويه، قال: لا عليك، فأنشدني قول أبيك: صوت

أجد اليوم جيرتك الغيارا ... رواحاً أم أرادوه ابتكارا

بعينك كان ذاك وإن يبينوا ... يزدك البين صدعاً مستطارا

بلى أبقت من الجيران عندي ... أناساً ما أوافقهم كثارا

وماذا كثرة الجيران تغني ... إذا ما بان من أهوى فسارا

قال: لا والله ما أرويه يا أمير المؤمنين، قال: ولا عليك، فأنشدني قول أبيك:

دار لصهباء التي لا ينثني عن ذكرها قلبي ولا أنساها
صفراء يطويها الضجيع لصلبها طي الحمالة لين متناها
لو يستطيع ضجيعها لأجنها في القلب شهوة ريحها ونشاها

قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ما أرويه، وإن صهباء هذه لأمي، قال: ولا عليك، قد يبغض الرجل أن يشبب بأمه، ولكن إذا نسب بها غير أبيه، فأف لك! ورحم الله أباك، فقد ضيعت أدبه وعققته؛ إذ لم ترو شعره. اخرج فلا شيء عندنا.

صوت

أماطت كساء الخز عن حر وجهها وأدنت على الخدين برداً مهلهلا
من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ولكن يقتلن البرء المغفلا

رأتني خضيب الرأس شمرت مئزري وقد عهدتني أسود الرأس مسبلا
خطوا إلى اللذات أجررت مئزري كإجرارك الحبل الجواد المحجلا
صريع الهوى لا يبرح الحب قائدي بشر فلم أعدل عن الشر معدلا
لدى الجمرة القصوى فريعت وهللت ومن ريع في حج من الناس هللا

الشعر للعرجي، والغناء لعبد الله بن العباس الربيعي ثقيل أول في الأول والثاني والخامس والسادس من هذه الأبيات، وهو من جيد الغناء وفاخر الصنعة، ويقال: أنه أول شعر صنعه، ولعزاز المكي في الثالث وما بعده ثاني ثقيل، عن يحيى المكي وغيره، وفيه خفيف ثقيل ينسب إلى معبد وإلى ابن سريج وإلى الغريض، وفيه لإبراهيم لحن من كتابه غير مجنس، وأنا ذاكر ها هنا أخباراً لهذا الشعر من أخبار العرجي؛ إذ كان أكثر أخباره قد مضى سوى هذه.

بعض أخبار للعرجي

امرأة تتمثل بشعره

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا إسماعيل بن مجمع، عن المدائني، عن عبد الله بن سليم، قال: قال عبد الله بن عمر العمري: خرجت حاجاً فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام رفثت فيه، فأدنيت ناقتي منها، ثم قلت لها:

يا أمة الله، ألست حاجة! أما تخافين الله! فسفرت عن وجه يبهر الشمس حسناً، ثم قالت: تأمل يا عمي، فإني ممن عنى العرجي بقوله:

من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلا

قال: فقلت لها: فإني أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار. قال: وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال: أما والله لو كان من بعض بغضاء أهل العراق لقال لها: اعزبي قبحك الله، ولكنه ظرف عباد الحجاز.

وقد رويت هذه الحكاية عن أبي حازم بن دينار.

أخبرني به وكيع، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا مصعب الزبيري، قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي الحسن وقد روى عنه ابن أبي ذئب، قال: بينا أبو حازم يرمي الجمار إذ هو بامرأة متشعبذة -يعني حاسرة-فقال لها: أيتها المرأة استتري، فقالت: إني والله من اللواتي قال فيهن الشاعر قوله:

من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلا

وترمي بعينيها القلوب ولا ترى لها رمية لم تصم منهن مقتلا

فقال أبو حازم لأصحابه: ادعوا الله لهذه الصورة الحسنة ألا يعذبها بالنار.

وأبو حازم هذا هو أبو حازم بن دينار من وجوه التابعين، قد روى عن سهل بن سعد وأبي هريرة، وروى عنه مالك وابن ذئب ونظراؤهما.

حدثني عمي، قال: حدثني الكراني، قال: حدثني العمري، عن العتبي، عن الحكم بن صخر، قال: انصرف من منى فسمعت زفناً من بعض المحامل، ثم ترنمت جارية فتغنت:

من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلا

فقلت لها: أهذا مكان هذا يرحمك الله! فقالت: نعم وإياك أن تكونه.

أخبار عبد الله بن العباس الربيعي

نسبه

عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع، والربيع -على ما يدعيه أهله- ابن يونس بن أبي فروة، وقيل: إنه ليس ابنه، وآل أبي فروة يدفعون ذلك ويزعمون أنه لقيط، وجد منبوذاً، فكفله يونس بن أبي فروة ورباه، فلما خدم المنصور ادعى عليه ، وأخباره مذكورة مع أخبار ابنه الفضل في شعر يغنى به من شعر الفضل وهو:

كنت صباً وقلبي اليوم سالي

ويكنى عبد الله بن العباس أبا العباس.

كان شاعراً مطبوعاً ومغنياً جيد الصنعة

وكان شاعراً مطبوعاً، ومغنياً محسناً جيد الصنعة نادرها، حسن الرواية، حلو الشعر ظريفه، ليس من الشعر الجيد الجزل ولا من المرذول، ولكنه شعر مطبوع ظريف مليح المذهب، من أشعار المترفين وأولاد النعم.

حدثني أبو القاسم الشيربابكي -وكان نديماً لجدي يحيى بن محمد- عن يحيى بن حازم، قال: حدثني عبد الله بن العباس الربيعي، قال:

دخل محمد بن عبد الملك الزيات على الواثق وأنا بين يديه أغنيه، وقد استعادني صوتاً فاستحسنته، فقال له محمد بن عبد الملك: هذا والله يا أمير المؤمنين أولى الناس بإقبالك عليه واستحسانك له واصطناعك إياه، فقال: أجل، هذا مولاي وابن مولاي وابن موالي لا يعرفون غير ذلك، فقال له: ليس كل مولى -يا أمير المؤمنين- بولي لمواليه، ولا كل مولى متجمل بولائه، يجمع ما جمع عبد الله من ظرف وأدب وصحة عقل وجودة شعر، فقال الحسن له: صدقت يا محمد. فلما كان من الغد جئت محمد بن عبد الملك شاكراً لمحضره ، فقلت له في أضعاف كلامي: وأفرط الوزير -أعزه الله- في وصفي وتقريظي بكل شيء حتى وصفني بجودة الشعر وليس ذلك عندي، وإنما أعبث بالبيتين والثلاثة، ولو كان عندي أيضاً شيء بعد ذلك لصغر عن أن يصفه الوزير، ومحله في هذا الباب المحل الرفيع المشهور، فقال: والله يا أخي، لو عرفت مقدار شعرك وقولك:

يا شادناً رام إذ مر في السعانين قتلي

يقول لي: كيف أصبحت كيف يصبح مثلي !

لما قلت هذا القول، والله لو لم يكن لك شعر في عمرك كله إلا قولك: "كيف يصبح مثلي" لكنت شاعراً مجيداً.

حدثني جحظة، قال: حدثني أحمد بن الطيب، قال: حدثني حماد بن إسحاق، قال: سمعت عبد الله بن العباس الربيعي يقول: أنا أول من غنى بالكنكلة في الإسلام ووضعت هذا الصوت عليها:

أتاني يؤامرني في الصبو ح ليلاً فقلت له: غادها

سبب تعلمه الغناء

حدثني جعفر بن قدامة، قال: حدثنا علي بن يحيى المنجم، قال: حدثني عبد الله بن العباس الربيعي، قال: كان سبب دخولي في الغناء وتعلمي إياه أني كنت أهوى جارية لعمتي رقية بنت الفضل بن الربيع، فكنت لا أقدر على ملازمتها والجلوس معها خوفاً من أن يظهر ما لها عندي فيكون ذلك سبب منعي منها، فأظهرت لعمتي أنني أشتهي أن أتعلم الغناء ويكون ذلك في ستر عن جدي، وكان جدي وعمتي في حال من الرقة علي والمحبة لي لا نهاية وراءها، لأن أبي توفي في حياة جدي الفضل، فقالت: يا بني، وما دعاك إلى ذلك؟ فقلت: شهوة غلبت على قلبي إن منعت منها مت غماً، وكان لي في الغناء طبع قوي، فقالت لي: أنت أعلم وما تختاره، والله ما أحب منعك من شيء، وإني لكارهة أن تحذق ذلك وتشهر به فتسقط ويفتضح أبوك وجدك، فقلت: لا تخافي ذلك، فإنما آخذ منه مقدار ما ألهو به، ولازمت الجارية لمحبتي إياها بعلة الغناء، فكنت آخذ عنها وعن صواحباتها حتى

تقدمت الجماعة حذقاً، وأقررن لي بذلك، وبلغت ما كنت أريد من أمر الجارية، وصرت ألازم مجلس جدي فكان يسر بذلك ويظنه تقرباً مني إليه، وإنما كان وكدي فيه أخذ الغناء، فلم يكن يمر لإسحاق ولا لابن جامع ولا للزبير بين دحمان ولا لغيرهم صوت إلا أخذته، فكنت سريع الأخذ، وإنما كنت أسمعه مرتين أو ثلاثاً، وقد صح لي وأحسست من نفسي قوة في الصناعة، فصنعت أول صوت صنعته في شعر العرجي:

أماطت كساء الخز عن حر وجهها وأدنت على الخدين برداً مهلهلاً

ثم صنعت في:

أقفر من بعد خلة سرف فالمنحنى فالعقيق فالجرف

وعرضتها على الجارية التي كنت أهواها وسألتها عما عندها فيهما، فقالت: لا يجوز أن يكون في الصنعة شيء فوق هذا، وكان جواري الحارث بن بسخنر وجواري ابنه محمد يدخلن إلى دارنا فيطرحن على جواري عمتي وجواري جدي ويأخذن أيضاً مني ما ليس عندهن من غناء دارنا، فسمعتني ألقي هذين الصوتين على الجارية، فأخذهما مني وسألن الجارية عنهما، فأخبرتهن أنهما من صنعتي، فسألنها أن تصححهما لهن، ففعلت فأخذهما عنها، ثم اشتهر حتى غني الرشيد بهما يوماً، فاستظرفهما وسأل إسحاق: هل تعرفهما؟ فقال: لا، وإنهما لمن حسن الصنعة وجيدها ومتقنها، ثم سأل الجارية عنهما فتوقفت خوفاً من عمتي وحذراً أن يبلغ جدي أنها ذكرتني، فانتهرها الرشيد، فأخبرته بالقصة.

جده ينفي معرفته بأنه يغني

فوجه من وقته فدعا بجدي، فلما أحضره قال له: يا فضل، يكون لك ابن يغني ثم يبلغ في الغناء المبلغ الذي يمكنه معه أن يصنع صوتين يستحسنهما إسحاق وسائر المغنين ويتداولهما جواري القيان ولا تعلمني بذلك؟ كأنك رفعت قدره عن خدمتي في هذا الشأن! فقال له جدي: وحق ولائك يا أمير المؤمنين ونعمتك، وإلا فأنا نفي منهما بري من بيعتك وعلي العهد والميثاق والعتق والطلاق، إن كنت علمت بشيء م هذا قط إلا منك الساعة، فمن هذا من ولدي؟ قال: عبد الله بن العباس هو، فأحضرنيه الساعة. فجاء جدي وهو يكاد أن ينشق غيظاً، فدعاني، فلما خرجت إليه شتمني وقال: يا كلب، بلغ من أمرك ومقدارك أن تجسر على أن تتعلم الغناء بغير إذني، ثم زاد ذلك حتى صنعت، و لم تقنع بهذا حتى ألقيت صنعتك على الجواري في داري، ثم تجاوزتهن إلى جواري الحارث بن بسخنر، فاشتهرت وبلغ أمرك أمير المؤمنين، فتنكر لي ولامني وفضحت آبائك في قبورهم، وسقطت الأبد إلا من المغنين وطبقة الخنياكرين . فبكيت غماً بما جرى، وعلمت أنه قد صدق، فرحمني وضمني إليه وقال: قد صارت الآن مصيبتي في أبيك مصيبتين: إحداهما به وقد مضى وفات، والأخرى بك وهي موصولة بحياتي، ومصيبة باقية العار علي وعلى أهلي بعدي، وبكى وقال: عز علي يا بني أن أراك أبداً ما بقيت على غير

ما أحب، وليست لي في هذا الأمر حيلة، لأنه أمر قد خرج عن يدي، ثم قال: جئني بعود حتى أسمعك وأنظر كيف أنت، فإن كنت تصلح للخدمة في هذه الفضيحة، وإلا جئته بك منفرداً وعرفته خبرك واستعفيته لك، فأتيته بعود وغنيته غناء قديماً، فقال: لا، بل غني صوتيك اللذين صنعتهما، فغنيته إياهما فاستحسنهما وبكى، ثم قال: بطلت والله يا بني وخاب أملي فيك، فواحزني عليك وعلى أبيك! فقلت له: يا سيدي، ليتني مت من قبل ما أنكرته أو خرست، وما لي حيلة ولكني وحياتك يا سيدي، وإلا فعلي عهد الله وميثاقه والعتق والطلاق وكل يمين يحلف بها حالف لازمة لي، لا غنيت أبداً إلا لخليفة أو ولي عهد، فقال: قد أحسنت فيما نبهت عليه من هذا.

غنى أمام الرشيد فطرب وكافأه

ثم ركب وأمرني، فأحضرت فوقفت بين يدي الرشيد وأنا أرعد فاستدناني حتى صرت أقرب الجماعة إليه ومازحني وأقبل علي وسكن مني، وأمر جدي بالانصراف وأمر الجماعة فحدثوني ، وسقيت أقداحاً وغنى المغنون جميعاً، فأومأ إلي إسحاق الموصلي بعينه أن أبدأ فغن إذا بلغت النوبة إليك قبل أن تؤمر بذلك، ليكون ذلك أصلح وأجود بك، فلما جاءت النوبة إلي أخذت عوداً ممن كان إلى جنبي وقمت قائماً واستأذنت في الغناء، فضحك الرشيد وقال: عن جالساً، فجلست وغنيت لحني الأول فطرب واستعاده ثلاث مرات، وشرب عليه ثلاثة أنصاف، ثم غنيت الثاني، فكانت هذه حاله، وسكر، فدعا بمسرور فقال له: احمل الساعة مع عبد الله عشرة آلاف دينار وثلاثين ثوباً من فاخر ثيابي، وعيبة مملوءة طيباً، فحمل ذلك أجمع معي.

المعتصم يأمره بالتكفير عن يمينه

والغناء لأصحابه جميعاً

قال عبد الله: و لم أزل كلما أراد ولي عهد أن يعلم من الخليفة بعد الخليفة الوالي أهو أم غيره دعاني فأمرني بأن أغني، فأعرفه بيميني، فيستأذن الخليفة في ذلك، فإن أذن لي في الغناء عنده عرف أنه ولي عهد، وإلا عرف أنه غير حتى كان آخرهم الواثق، فدعاني في أيام المعتصم وسأله أن يأذن لي في الغناء، فأذن لي، ثم دعاني من الغد فقال: ما كان غناؤك إلا سبباً لظهور سري وسر الخلفاء قبلي، ولقد هممت أن آمر بضرب رقبتك. لا يبلغني أنك امتنعت من الغناء عند أحد، فوالله لئن بلغني لأقتلنك، فأعتق من كنت تملكه يوم حلفت، وطلق من كان يوجد عندك من الحرائر، واستبدل بهن وعلي العوض من ذلك، وأرحنا من يمينك هذه المشؤومة، فقمت وأنا لا أعقل خوفاً منه، فأعتقت جميع من كان بقي عندي من مماليكي، الذي حلفت يومئذ وهم في ملكي، وتصدقت بجملة، واستفتيت في يميني أبا يوسف القاضي حتى خرجت منها، وغنيت بعد ذلك إخواني جميعاً حتى اشتهر أمري،

وبلغ المعتصم خبري، فتخلصت منه، ثم غضب علي الواثق لشيء أنكره، وولي الخلافة وهو ساخط علي فكتبت إليه:

اذكر أمير المؤمنين وسائلي أيام أرهب سطوة السيف

أدعو إلهي أن أراك خليفة بين المقام ومسجد الخيف

فدعاني ورضي عني.

حدثني سليمان بن أبي شيخ قال:

دخلت على العباس بن الفضل بن الربيع ذات يوم وهو مختلط مغتاظ وابنه عبد الله عنده، فقلت له: ما لك أمتع الله بك؟ قال: لا يفلح والله ابني عبد الله أبداً. فظننته قد جنى جناية، وجعلت أعتذر إليه له، فقال: ذنبه أعظم من ذلك وأشنع، فقلت: وما ذنبه؟ قال: جاءني بعض غلماني فحدثني أنه رآه بقطربل يشرب نبيذ الداذي بغير غناء، فهل هذا فعل من يفلح؟ فقلت له وأنا أضحك: سهلت علي القصة، قال: لا تقل ذاك فإن هذا من ضعة النفس وسقوط الهمة، فكنت إذا رأيت عبد الله بعد ذلك في جملة المغنين، وشاهدت تبذله في هذه الحال وانخفاضه عن مراتب أهله تذكرت قول أبيه فيه.

صنع غناء في شعر لأبي العتاهية

قال: وسمعته يوماً يغني بصنعته في شعر أبي العتاهية:

أنا عبد لها مقر وما يملك غيرها من الناس رقا

ناصح مشفق وإن كنت ما أر زق منها والحمد لله عتقا

ليتني مت فاسترحت فإني أبداً ما حييت منها ملقى

لحن عبد الله بن العباس في هذا الشعر رمل.

إسحاق الموصلي يصنع له لحناً من شعره أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني علي بن يحيى وأحمد بن حمدون، عن أبيه. وأخبرني جحظة، عن أبي عبد الله الهاشمي، إن إسحاق الموصلي دخل يوماً إلى الفضل بن الربيع وابن ابنه عبد الله بن العباس في حجره قد أخرج إليه وله نحو السنتين، وأبوه العباس واقف بين يديه، فقال إسحاق للوقت:

مد لك الله الحياة مداً حتى يكون ابنك هذا جدا

مؤزراً بمجده مردى ثم يفدى مثل ما تفدى

أشبه منك سنة وخداً وشيماً محموداً ومجدا

كأنه أنت إذا تبدى

قال: فاستحسن الفضل الأبيات وصنع فيها إسحاق لحنه المشهور، وقال جحظة في خبره عن الهاشمي، وهو رمل ظريف من حسن الأرمال ومختارها، فأمر له الفضل بثلاثين ألف درهم.

أصبح العباس بن الفضل مهموماً فنشطه الشعر والشراب أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني عبد الله بن عمر، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك، قال: حدثني بعض ندماء الفضل بن الربيع قال: كنا عند الفضل بن الربيع في يوم دجن، والسماء ترش وهو أحسن يوم وأطيبه، وكان العباس يومئذ قد أصبح مهموماً، فجهدنا أن ينشط، فلم تكن لنا في ذلك حيلة، فبينا نحن كذلك إذ دخل عليه بعض الشعراء، إما الرقاشي وإما غيره من طبقته، فسلم وأخذ بعضادتي الباب ثم قال:

ألا أنعم صباحاً يا أبا الفضل واربع ... على مربع القطربلي المشعشع

وعلل نداماك العطاش بقهوة ... لها مصرع في القوم غير مروع

فإنك لاق كلما شئت ليلة ... ويوماً يغصان الجفون بأدمع

قال: فبكى العباس وقال: صدقت والله، إن الإنسان ليلقى ذلك متى يشاء، ثم دعا بالطعام فأكل، ثم دعا بالشراب فشرب ونشط، ومر لنا يوم حسن طيب.

وسط أحمد بن المرزبان المنتصر حدثني عمي، قال: حدثني أحمد بن المرزبان، قال: جاءني عبد الله بن العباس في خلافة المنتصر وقد سألني عرض رقعة عليه، فأعلم أني نائم، وقد كنت شربت بالليل شرباً كثيراً، فصليت الغداة ونمت، فلما انتبهت إذا رقعة عند رأسي وفيها مكتوب:

أنا بالباب واقف منذ أصبحت ... على السرج ممسك بعناني

وبعين البواب كل الذي بي ... ويراني كأنه لا يراني

فأمرت بإدخاله، فدخل، فعرفته خبري واعتذرت إليه وعرضت رقعته على المنتصر وكلمته حتى قضى حاجته.

غناؤه مع إسحاق اخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، قال: دعا عبد الله بن العباس الربيعي يوما أبي، وسأله أن يبكر إليه ففعل ، فلما دخل بادر إليه عبد الله بن العباس ملتقيا وفي يده العود وغناه:

قم نصطبح يفديك كل مبخل ... عاب الصبوح لحبه للمال

من قهوة صفراء صرف مزة ... قد عتقت في الدن مذ أحوال

قال: وقدم الطعام فأكلنا واصطبحنا، واقترح أبي هذا الصوت عليه بقية يومه.

يناشد الشعر مع إسحاق بعد أن غنى قال: وأتيته في داره بالمطيرة عائدا، فوجدته في عافية، فجلسنا نتحدث فأنشدته لذي الرمة:

إذا ما امرؤ حاولن أن يقتتلنه ... بلا إحنة بين النفوس ولا ذحل

تبسمن عن نور الأقاحي في الثرى وفترن عن أبصار مكحولة نجل
وكشفن عن أجياد غزلان رملة هجان فكان القتل أو شبهة القتل
وإنا لنرضى حين نشكو بخلوة إليهن حاجات النفوس بلا بذل
وما الفقر أزرى عندهن بوصلنا ولكن جرت أخلاقهن على البخل

قال: فأنشدني هو:

أنى اهتدت لمناخنا جمل ومن الكرى لعيوننا كحل
طرقت أخا سفر وناجية خرقاء عرفني بها الرحل
في مهمه هجع الدليل به وتعللت بصريفها البزل
فكأن أحدث من ألم به درجت على آثاره النمل

قال إسحاق: فقال لي عبد الله بن العباس: كل ما يملك في سبيل الله إن فارقتك و لم نصطبح على هذين الشعرين، وأنشدك وتنشدني، ففعلنا ذلك وما غنينا ولا غنينا.

اصطبح مع خادم صالح بن عجيف على زنا بنت الخس أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: لقيت عبد الله بن العباس يوماً في الطريق فقلت له: ما كان خبرك أمس؟ فقال: اصطبحت، فقلت: على ماذا ومع من؟ فقال: مع خادم صالح بن عجيف، وأنت به عارف، وبخبري معه ومحبتي له عالم، فاصطبحنا على زنا بنت الخس لما حملت من زناً، وقد سئلت: ممن حملت؟ فقالت:

أشم كغصن البان جعد مرجل شغفت به لو كان شيئاً مدانيا
ثكلت أبي إن كنت ذقت كريقه سلافاً ولا عذباً من الماء صافيا
وأقسم لو خيرت بين فراقه وبين ابي لاخترت أن لا أبا ليا
فإن لم أوسد ساعدي بعد هجعة غلاماً هلالياً فشلت بنانيا

فقلت له: أقمت على لواط وشربت على زنا، والله ما سبقك إلى هذا أحد.

طلب من فائز غلام محمد بن راشد الغناء وهم يشربون أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: أخبرني ميمون بن هارون، قال: كان محمد بن راشد الخناق عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع على القاطول في أيام المعتصم، وكان لمحمد بن راشد غلام يقال له: فائز، يغني غناءً حسناً، فأظلتهم سحابة وهم يشربون، فقال عبد الله بن العباس:

محمد قد جادت علينا بمائها سحابة مزن برقها يتهلل

ونحن من القاطول في متربع ومنزلنا فيه المنابت مبقل
فمر فائزاً يشدو إذا ما سقيتني أعن ظعن الحي الألى كنت تسأل
ولا تسقني إلا حلالاً فإنني أعاف من الأشياء ما لا يحلل

قال: فأمر محمد بن راشد غلامه فائزاً، فغناه بهذا الصوت، وشرب عليه حتى سكر.

قال: وكان أبو أحمد بن الرشيد قد عشق فائزاً، فاشتراه من محمد بن راشد بثلاثمائة ألف درهم، فبلغ ذلك المأمون، فأمر بأن يضرب محمد بن راشد ألف سوط، ثم سئل فيه فكف عنه، وارتجع منه نصف المال، وطالبه بأكثر فوجده قد أنفقته وقضى دينه، ثم حجر على أبي أحمد بن الرشيد، فلم يزل محجوراً عليه طوال أيام المأمون؛ وكان أمر بماله مردوداً إلى مخلد بن أبان.

شرب الخمر في رمضان إلى الفجر

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: أخبرني ابن الجرجاني ، قال: اتفق يوم النيروز في شهر رمضان، فشرب عبد الله بن العباس بن الفضل في تلك الليلة إلى أن بدا الفجر أن يطلع، وقال في ذلك وغنى فيه قوله:

اسقني صفراء صافية ليلة النيروز والأحد
حرم الصوم اصطباحكما فتزود شربها لغد

صنع لحناً للواثق وغناه في يوم نيروز فلم يستعد غيره أخبرني عمي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني غبراهيم بن المدبر، قال: قال لي محمد بن الفضل الجرجاني: أنشدت عبد الله بن العباس الربيعي للمعلى الطائي:

باكر صبوحك صبحة النيروز واشرب بكأس مترع وبكوز
ضحك الربيع إليك عن نواره آس ونسرين ومر ماحوز

فاستعادنيهما فأعدتهما عليه، وسألني أن أمليهما، وصنع فيهما لحناً غنى به الواثق في يوم نيروز، فلم يستعد غيره يومئذ، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

تأثر من شعر لجميل إلى أن بكى أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني علي بن يحيى، قال:

أنشدني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع لجميل، وأنشدنيه وهو يبكي ودموعه تنحدر على لحيته.

صوت

فما لك لما خبر الناس أنني غدرت بظهر الغيب لم تسليني
فأحلف بتاً أو أجيء بشاهد من الناس عدل إنهم ظلموني

قال: وله فيه صنعة من خفيف الثقيل وخفيف الرمل.

كان مصطبحاً دهره

ويقول الشعر في الصبوح

أخبرني عمي، قال: حدثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدثنا نافذ مولانا، قال: كان عبد الله بن العباس صديقاً لأبيك، وكان يعاشره، كثيراً وكان عبد الله بن العباس مصطبحاً دهره يفوته ذلك إلا في يوم جمعة أصوم شعر رمضان، وكان يكثر المدح للصبوح ويقول الشعر فيه، ويغني فيما يقوله، قال عبيد الله: فأنشدني نافذ مولانا وغيره من اصحابنا في ذلك، منهم حماد بن إسحاق: صوت

ومستطيل على الصهباء باكرها في فتية باصطباح الراح حذاق

فكل شيء رآه خاله قدحاً وكل شخص رآه خاله الساقي

قال: ولحنه فيه خفيف رمل ثقيل. قال حماد: وكان أبي يستجيد هذا الصوت من صنعته ، ويستحسن شعره ويعجب من قوله:

فكل شيء رآه خاله قدحاً وكل شخص رآه خاله الساقي

ويعجب من قوله:

ومستطيل على الصهباء باكرها

ويقول: وأي شيء تحته من المعاني الظريفة!.

قال: وسمعه أبي يغنيه فقال له: كأنك والله يا عبد الله خطيب يخطب على المنبر، قال عبد الله بن محمد: فأنشدني حماد له في الصبوح:

لا تعذلن في صبوحي فالعيش شرب الصبوح

ما عاب مصطبحاً ق ط غير وغد شحيح

قال عمي: قال عبيد الله: دخل يوماً عبد الله بن العباس الربيعي على أبي مسلماً، فلما استقر به المجلس وتحادثا ساعة قال له: أنشدني شيئاً من شعرك، فقال: إنما أعبث ولست ممن يقدم عليك بإنشاد شعره، فقال: أتقول هذا وأنت القائل:

يا شادناً رام إذ مر في الشعانين قتلي

تقول لي: كيف أصبحت؟ كيف يصبح مثلي !

أنت والله أعزك الله أغزل الناس وأرقهم شعراً، ولو لم تقل غير هذا البيت الواحد لكفاك ولكنت شاعراً.

كتب شعراً في ليلة مقمرة

وصنع فيه لحناً

أخبرني عمي والحسين بن القاسم الكوكبي، قالا: حدثنا أحمد بن أبي الطاهر، قال: حدثني أحمد بن الحسين الهشامي أبو عبد الله، قال: حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال: كنت جالساً على دجلة في ليلة من الليالي، وأخذت دواة وقرطاساً وكتبت شعراً حضرني وقلته في ذلك الوقت: صوت

أخلفك الدهر ما تنظره ... فاصبر فذا جل أمر ذا القدر

لعلنا أن نديل من زمن ... فرقنا والزمان ذو غير

قال: ثم أرتج علي فلمأدر ما أقول حتى يئتس من أن يجيئني شيء، فالتفت فرأيت القمر وكانت ليلة تتمته فقلت:

فانظر إلى البدر فهو يشبهه ... إن كان قد ضن عنك بالنظر

ثم صنعت فيه لحناً من الثقيل الثاني. قال أبو عبد الله الهشامي: وهو والله صوت حسن.

وصف البرق وصنع فيه لحناً غناه للواثق أخبرني جحظة عن ابن حمدون، وأخبرني الكوكبي، عن علي بن محمد بن نصر، عن خالد بن حمدون، قال: كنا عند الواثق في يوم دجن، فلاح برق واستطار، فقال: لو في هذا شيء ، فبدرهم عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع، فقال هذين البيتين:

أعني على لامع بارق ... خفي كلمحك بالحاجب

كأن تألقه في السماء ... يدا كاتب أو يدا حاسب

وصنع فيه لحناً شرب فيه الواثق بقية يومه، واستحسن شعره ومعناه وصنعته، ووصل عبد الله بصلة سنية.

صنع لحناً في شعر الحسين بن الضحاك وغناه حدثني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن محمد بن مروان، قال: حدثني الحسين بن الضحاك، قال: كنت عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع، وهو مصطبح، وخادم له قائم يسقيه فقال لي: يا أبا علي، قد استحسنت سقي هذا الخادم، فإن حضرك شيء في قصتنا هذه فقل، فقلت:

أحيت صبوحي فكاهة اللاهي ... وطاب يومي بقرب أشباهي

فاستثر اللهو من مكامنه ... من قبل يوم منغص ناهي

بابنة كرم من كف منتطق ... مؤتزر بالمجون تياه

يسقيك من طرفه ومن يده ... سقي لطيف مجرب داهي

طاساً وكاساً كأن شاربها ... حيران بين الذكور والساهي

فاستحسنه عبد الله، وغنى فيه لحناً مليحاً، وشربنا عليه بقية يومنا.

قصته مع جارية نصرانية أحبها أخبرني عمي، قال: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن المرزبان بن الفيرزن ، قال: حدثني شيبة بن هشام، قال: كان عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قد علق جارية نصرانية قد رآها في بعض أعياد النصارى، فكان لا يفارق البيع في أعيادهم شغفاً بها، فخرج في عيد ماسرجيس فظفر بها في بستان إلى جانب البيعة، وقد كان قبل ذلك يراسلها ويعرفها حبه لها، فلا تقدر على مواصلته ولا على لقائه إلا على الطريق، فلما ظفر بها التوت عليه وأبت بعض الإباء، ثم ظهرت له وجلست معه، وأكلوا وشربوا، وأقام معها ومع نسوة كن معها أسبوعاً، ثم انصرفت في يوم خميس، فقال عبد الله بن العباس في ذلك وغنى فيه:

رب صهباء من شراب المجوس ... قهوة بابلية خندريس

قد تجليتها بناي وعود ... قبل ضرب الشماس بالناقوس

وغزال مكحل ذي دلال ... ساحر الطرف سامري عروس

قد خلونا بطيبه نجتليه ... يوم سبت إلى صباح خميس

يتثنى بحسن جيد غزال ... وصليت مفضض آبنوسي

كم لثمت الصليب في الجيد منها ... كهلال مكلل بشموس

تطير من الغراب واستبشر بالهدهد أخبرني عمي، قال: حدثني أحمد بن المرزبان، عن شيبة بن هشام، قال: كان عبد الله بن العباس يوماً جالساً ينتظر هذه النصرانية التي كان يهواها، وقد وعدته بالزيارة، فهو جالس ينتظرها ويتفقدها إذ سقط غراب على برادة داره فنعب مرة واحدة ثم طار، فتطير عبد الله من ذلك و لم يزل ينتظرها يومه فلم يراها، فأرسل رسوله عشاء يسأل عنها، فعرف أنها قد انحدرت مع أبيها إلى بغداد، فتنغص عليه يومه، وتفرق من كان عنده، ومكث مدة لا يعرف لها خبراً. فبينا هو جالس ذات يوم مع أصحابه، إذ سقط هدهد على برادته، فصاح ثلاثة أصوات وطار، فقال عبد الله بن العباس: وأي شيء أبقى الغراب للهدهد علينا؟ وهل ترك لنا أحد يؤذينا بفراقه؟ وتطير من ذلك، فما فرغ من كلامه حتى دخل رسولها يعلمه أنها قد قدمت منذ ثلاثة أيام، وأنها قد جاءته زائرة على إثر رسولها، فقال في ذلك من وقته:

سقاك الله يا هدهد وسميا من القطر

كما بشرت بالوصل ... وما أنذرت بالهجر

فكم ذا لك من بشرى ... أتتني منك في ستر

كما جاءت سليمان ... فأوفت منه بالنذر

ولا زال غراب البين في قفاعة الأسر

كما صرح بالبين وما كنت به أدري

ولحنه في هذا الشعر هزج.

غني للمتوكل لحناً لم يعجبه فذكره بألحان له سابقة حدثني عمي، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: قال إسحاق بن إبراهيم بن مصعب: قال لي عبد الله بن العباس الربيعي: لما صنعت لحني في شعري:

ألا أصبحاني يوم السعانين من قهوة عتقت بكركين

عند أناس قلبي بهم كلف وإن تولوا دينا سوى ديني

قد زين الملك جعفر وحكى جود أبيه وبأس هارون

وأمن الخائف البريء كما أخاف أهل الإلحاد في الدين

دعاني المتوكل فلما جلست في مجلس المنادمة غنيت هذا الصوت فقال لي: يا عبد الله، إين غناؤك في هذا الشعر في أيامي هذه من غنائك في:

أماطت كساء الخز عن حر وجهها وأدنت على الخدين برداً مهلهلا

ومن غنائك في:

أفقر من بعد حلة سرف فالمنحنى فالعقيق فالجرف

ومن سائر صنعتك المتقدمة التي استفرغت محاسنك فيها، فقلت له: يا أمير المؤمنين، إني كنت أتغنى في هذه الأصوات ولي شبابا وطرب وعشق، ولو رد علي لغنيت مثل ذلك الغناء، فأمر بجائزة واستحسن قولي.

غنى للمنتصر بشعر لم يطلبه منه فلم يصله بشيء حدثني عمي، قال: حدثنا أحمد بن المرزبان، قال: حدثني أبي، قال:

ذكر المنتصر يوماً عبد الله بن العباس وهو في قراح النرجس مصطبح، فأحضره وقال له: يا عبد الله، اصنع لحناً في شعري الفلاني، وغنني به، وكان عبد الله حلف لا يغني في شعره، فأطرق ملياً، ثم غنى في شعر قاله للوقت وهو:

يا طيب يومي في قراح النرجس في مجلس ما مثله من مجلس!

تسقى مشعشعة كأن شعاعها نار تشب لبائس مستقبس

قال: فجهد أبي بالمنتصر يوماً واحتال عليه بكل حيلة أن يصله بشيء فلم يفعل.

غنى للمتوكل فأطربه وأمر له بجائزة حدثني عمي، قال: حدثني أحمد بن المرزبان، قال: حدثني أبي، قال: غضبت قبيحة على المتوكل وهاجرته، فجلس ودخل الجلساء والمغنون، وكان فيهم عبد الله بن العباس الربيعي، وكان قد عرف الخبر، فقال هذا الشعر وغنى فيه:

لست مني ولست منك فدعني وامض عني مصاحباً بسلام
لم تجد علة تجنى بها الذنب فصارت تعتل بالأحلام
فإذا ما شكوت ما بي قالت: قد رأينا خلاف ذا في المنام

قال: فطرب المتوكل وأمر له بعشرين ألف درهم وقال له: إن في حياتك يا عبد الله لأنساً وجمالاً وبقاء للمروءة والظرف.

غني بشعر للسليك أخبرني عمي، قال: حدثني أحمد بن المرزبان، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عبد الله بن العباس الربيعي، قال: كنت في بعض العساكر فأصابتنا السماء حتى تأذينا، فضربت لي قبة تركية، وطرح لي فيها سريران، فخطر بقلبي قول السليك: صوت

قرب النخام واعجل يا غلام واطرح السرج عليه واللجام
أبلغ الفتيان أنى خائض غمرة الضرب فمن شاء أقام

فغنيت فيه لحني المعروف، وغدونا فدخلت مدينة، فإذا أنا برجل يغني به والله ما سبقني إليه أحد ولا سمعه مني أحد، فما أدري من الرجل، ولا من أين كان له، وما أرى إلا أن الجن أوقعته في لسانه!.

غنى لمحمد بن الجهم فاحتمل خراجه في سنة حدثني عمي، قال: حدثني أحمد بن المرزبان، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عبد الله بن العباس الربيعي، قال: كنت عند محمد بن الجهم البرمكي بالأهواز، وكانت ضيعتي في يده، فغنيته في يوم مهرجان وقد دعانا للشرب: صوت

المهرجان ويوم الاثنين يوم سرور قد حف بالزين
ينقل من وغرة المصيف إلى برد شتاء ما بين فصلين
محمد يا بن الجهم ومن بنى للمجد بيتاً من خير بيتين
عش ألف نيروز ومهرج فرحاً في طيب عيش وقرة العين

قال: فسر بذلك واحتمل خراجي في تلك السنة، وكان مبلغه ثلاثين ألف درهم.

عشق جارية عند أبي عيسى بن الرشيد

فوجه بها معه إلى منزله

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني ابن أبي سعد، قال: حدثني أبو توبة القطراني، عن محمد بن حسين ، قال: كنا عند أبي عيسى بن الرشيد في زمن الربيع ومعنا مخارق، وعلوية، وعبد الله بن العباس الربيعي، ومحمد بن الحارث بن بسخنر ، ونحن مصطحبون في طارمة مضروبة على بستانه،

وقد تفتح فيه ورد وياسمين وشقائق، والسماء متغيمة غيماً مطبقاً، وقد بدأت ترش رشاً ساكباً ، فنحن في أكمل نشاط وأحسن يوم إذ خرجت قيمة دار أبي عيسى فقالت: يا سيدي، قد جاءت عساليج، فقال: لتخرج إلينا، فليس بحضرتنا من تحتشمه، فخرجت إلينا جارية شكلة حلوة، حسنة العقل والهيئة والأدب، في يدها عود. فسلمت، فأمرها أبو عيسى بالجلوس فجلست، وغنى القوم حتى انتهى الدور إليها، وظننا أنها لا تصنع شيئاً وخفنا أن تهابنا فتحصر، فغنت غناء حسناً مطرباً متقناً، و لم تدع أحداً ممن حضر إلا غنت صوتاً من صنعته وأدته على غاية الإحكام، فطربنا واستحسنا غناءها وخاطبناها بالاستحسان، وألح عبد الله بن العباس من بيننا بالاقتراح عليها والمزاح معها والنظر إليها، فقال له أبو عيسى: عشقتها وحياتي يا عبد الله، قال: لا والله يا سيدي وحياتك مع عشقتها، ولكني استحسنت كل ما شاهدت منها من منظر وشكل وعقل وعشرة وغناء، فقال له أبو عيسى: فهذا والله هو العشق وسببه، ورب جد جره اللعب. وشربنا، فلما غلب النبيذ على عبد الله غنى أهزاجاً قديمة وحديثة، وغنى فيما غنى بينهما هزجاً في شعر قاله فيها لوقته، فما فطن له إلا أبو عيسى وهو: صوت

نطق السكر بسري فبدا	كم يرى المكتوم يخفى لا يضح
سحر عينيك إذا ما رنتا	لم يدع ذا صبوة أو يفتضح
ملكت قلباً فأمسى غلقاً	عندها صبا بها لم يسترح
بجمال وغناء حسن	جل عن أين ينتقيه المقترح
أورث القلب هموماً ولقد	كنت مسروراً بمرآه فرح
ولكم مغتبق هما وقد	بكر اللهو بكور المصطبح

-الغناء لعبد الله بن العباس هزج- فقال له أبو عيسى: فعلتها والله يا عبد الله، وطار طرباً ، وشرب على الصوت وقال له: صح والله قولي لك في عساليج. وأنت تكابرني حتى فضحك السكر. فجحد، وقال: هذا غناء كنت أرويه، فحلف أبو عيسى أنه ما قاله ولا غناه إلا في يومه، وقال له: احلف بحياتي أن الأمير ليس هو كذلك، فلم يفعل، فقال له أبو عيسى: والله لو كانت لي لوهبتها لك، ولكنها لآل يحيى بن معاذ، والله لئن باعوها لأملكنك إياها ولو بكل ما أملك، وحياتي لتنصرفن قبلك إلى مترلك، ثم دعا بحافظتها وخادم من خحدمه، فوجه بها معهما إلى مترله. والتوى عبد الله قليلاً وتجلد، وجاحدنا أمره ثم انصرف.

اشترت عمته عساليج ثم وهبتها له واتصل الأمر بينهما بعد ذلك، فاشترتها عمته رقية بنت الفضل بن الربيع من آل يحيى بن معاذ، وكانت عندهم حتى ماتت.

فحدثني جعفر بن قدامة بن زياد عن بعض شيوخه -سقط عني اسمه- قال: قالت بذل الكبيرة لعبد الله بن العباس: قد بلغني أنك عشقت جارية يقال لها عساليج فاعرضها علي، فإما أن عذرتك وإما أن عذلتك، فوجه

إليها فحضرت، وقال لبذل: هذه هي يا ستي فانظري واسمعي، ثم مريني بما شئت أطعك، فأقبلت عليه عساليج وقالت: يا عبد الله أتشاور في؟ فوالله ما شاروت لما صاحبتك، فنعرت بذل وصاحت: إيه، أحسنت والله يا صبية، ولو لم تحسني شيئاً ولا كانت فيك خصلة تحمد لوجب أن تعشقي لهذه الكلمة، أحسنت والله، ثم قالت لعبد الله: ما ضيعت ، احتفظ بصاحبتك.

غني الواثق في يوم نيروز فأمر له بجائزة حدثني عمي، قال: حدثني محمد بن المرزبان، عن أبيه، عن عبد الله بن العباس، قال: دعانا الواثق في يوم نوروز، فلم دخلت عليه غنيته في شعر قلته وصنعت فيه لحناً وهو:

هي للنيروز جاما ومداماً وندامى

يحمدون الله والوا ثق هارون الإمام

ما رأى كسرى أنوشر وإن مثل العام عاما

نرجساً غضاً ووردا وبهاراً وخزامى

قال: فطرب واستحسن الغناء، وشرب عليه حتى سكر، وأمر بثلاثين ألف درهم.

حدثني عمي، قال: حدثني أحمد بن المرزبان، قال: حدثني شيبة بن هشام قال: ألقت متيم على جوارينا هذا اللحن وزعمت أنها أخذته من عبد الله بن العباس والصنعة له: صوت

اخذت عدوة فسقى الإله عدوتي

وفديتها بأقاربي وبأسرتي وبجيرتي

جدلت كجدل الخيزرا ن وثنيت فتثنت

واستيقنت أن الفؤا د يحبها فأدلت

عشق مصابيح وقال فيها شعراً قال: ثم حدثتنا متيم أن عبد الله بن العباس كان يتعشق مصابيح جارية الأحدب المقين ، وأنه قال هذا الشعر فيها، وغنى فيه هذا اللحن بحضرتها، فأخذته عنه. هكذا ذكر شيبة بن هشام من أمر مصابيح، وهي مشهورة من جواري آل يحيى بن معاذ، ولعلها كانت لهذا المقين قبل أن يملكها آل يحيى، وقبل أن تصل إلى رقية بنت الفضل بن الربيع.

وحدثنا أيضاً عمي، قال: حدثنا أحمد بن المرزبان، عن شيبة ابن هشام، قال: كان عبد الله بن العباس يتعشق جارية الأحدب المقين -و لم يسمها في هذا الخبر- فغاضبها في شيء بلغه عنها، ثم رام بعد ذلك أن يترضاها فأبت، وكتب إليها رقعة يحلف لها على بطلان ما أنكرته، ويدعو الله على من ظلم، فلم تجبه عن شيء مما كتب به، ووقعت تحت دعائه: آمين، و لم تجب عن شيء مما تضمنته الرقعة بغير ذلك، فكتب إليها:

أما سروري بالكتا ب فليس يفنى ما بقينا

وأتى الكتاب وفيه لي آمين رب العالمينا

قال: وزارته في ليلة من ليالي شهر رمضان وأقامت عنده ساعة، ثم انصرفت وأبت أن تبيت وتقيم ليلتها عنده، فقال هذا الشعر وغنى فيه هزجاً وهو مشهور من أغانيه وهو: صوت

ما ين لهم أمسى يؤرقني حتى مضى شطر ليلة الجهني

عني ولم أدر أنها حضرت كذاك من كان حزنه حزني

إني سقيم موله دنف أسقمني حسن وجهك الحسن

جودي له بالشفاء منيته لا تهجري هائماً عليك ضني

قال: وليلة الجهني ليلة تسع عشرة من شهر رمضان، قال رجل من جهينة: إنه رأى فيها ليلة القدر فيما يرى النائم فسميت ليلة الجهني.

غني في دار محمد بن حماد أخبرني عمي، قال: حدثنا أحمد بن المرزبان، قال: حدثني شيبة بن هشام، قال: دعانا محمد بن حماد بن دنقش وكان له ستارة في نهاية الوصف، وحضر معنا عبد الله بن العباس، فقال عبد الله وغنى فيه:

دع عنك لومي فإني غير منقاد إلى الملام وإن أحببت إرشادي

فلست أعرف لي يوماً سررت به كمثل يومي في دار ابن حماد

غنى الواثق بشعر ذكرت فيه أعياد النصارى فخشي أن يتنصر أخبرني يحيى بن علي بن يحيى، قال: حدثني أبو أيوب المديني، قال: حدثني ابن المكي، عن عبد الله بن العباس، قال: لما صنعت لحني في شعري:

يا ليلة ليس لها صبح وموعداً ليس له نجح

من شادن مر على وعده المي لاد والسلاق والذبح

-هذه أعياد النصارى- غنيته الواثق فقال: ويلكم، أدركوا هذا لا يتنصر، وتمام هذا الشعر:

وفي السعانين لو أني به وكان أقصى الموعد الفصح

فالله أستعدي على ظالم لم يغن عنه الجود والشح

نسخت من كتاب أبي سعيد السكري: قال أبو العتاهية: وفيه لعبد الله بن العباس غناء حسن:

أنا عبد لها مقر وما يملك لي غيرها من الناس رقا

ناصح مشفق وإن كنت ما أر زق منها والحمد الله عتقا

ومن الحين والشقاء تعلقت

إن شكوت الذي لقيت إليه صدعني وقال: بعداً وسحقا

حكى حاله في غناء بحضرة حمدون بن إسماعيل أخبرني عمي، حدثني علي بن محمد بن نصر، عن جده حمدون بن إسماعيل، قال: دخلت يوماً إلى عبد الله بن العباس الربيعي، وخادم له يسقيه، وبيده عوده، وهو يغني هذا الصوت:

إذا اصطبحت ثلاثاً وكان عودي نديمي
والكأس تغرب ضحكاً من كف ظبي رخيم
فما علي طريق لطارقات الهموم

قال: فما رأيت أحسن مما حكى حاله في غنائه، ولا سمعت أحسن مما غنى.

عشق غلام حزام خادم المعتصم أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني دوسر الخراساني قال: اشترى حزام خادم المعتصر خادماً نظيفاً، كان عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع يتعشقه، فسأله هبته له أو بيعه منه فأبى، فقال عبد الله أبياتاً وصنع فهيا غناء، وهي قوله:

يوم سبت فصرفا لي المداما واسقياني لعلني أنا أناما
شرد النوم حب ظبي غرير ما أراه يرى الحرام حراما
اشتراه يوماً بعلفة يوم أصبحت عنده الدواب صياما

فاتصلت الأبيات وخبرها بحزام، فخشي أن تشتهر ويسمعها المعتصم فيأتي عليه؛ فبعث بالغلام إلى عبد الله، وسألن عن يمسك عن الأبيات، ففعل.

إبراهيم الموصلي يغني أمام الرشيد لحناً من صنعته فيرسل إليه ويلازمه حدثني الصولي، قال: حدثني الحسين بن يحيى، قال: قلت لعبد الله بن العباس: إنه بلغني لك خبر مع الرشيد أو ما شهرت بالغناء، فحدثني به، قال: نعم أول صوت صنعته:

أتاني يؤامرني في الصبو ح ليلاً فقلت له: غادها

فلما تأتى لي وضربت عليه بالكنكلة؛ عرضته على جارية لنا يقال لها راحة، فاستحسنته وأخذته عني، وكانت تختلف إلى إبراهيم الموصلي، فسمعها يوماً تغنيه وتناغي به جارية من جواريه، فاستعادها إياه وأعادته عليه، فقال لها: فمن هذا؟ فقالت: صوت قديم، فقال لها: كذبت، لو كان قديماً لعرفته، وما زال يداريها ويتغاضب عليها حتى اعترفت له بأنه من صنعتي، فعجب من ذلك، ثم غناه يوماً بحضرة الرشيد، فقال له: لمن هذا اللحن يا إبراهيم؟ فأمسك على الجواب وخشي أن يكذبه فينمي الخبر إليه من غيره، وخاف من جدي أن يصدقه، فقال له: ما لك لا تجيبني؟ فقال: لا يمكنني يا أمير المؤمنين، فاستراب بالقصة، ثم قال: والله، وتربة المهدي لئن لم

تصدقني لأعاقبنك عقوبة موجعة، وتوهم أنه لعلية أو لبعض حرمه فاستطير غضباً، فلما رأى إبراهيم الجد منه صدقه فيما بينه وبينه سراً، فدعا لوقته الفضل بن الربيع ثم قال له: أيصنع ولدك غناء ويرويه الناس ولا تعرفني؟ فجزع وحلف بحياته وبيعته أنه ما عرف ذلك قط، ولا سمع به إلا في وقته ذلك، فقال له: ابن ابنك عبد الله بن العباس أحضرنيه الساعة، فقال: أنا أمضي وأمتحنه، فإن كان يصلح للخدمة أحضرته، وإلا كان أمير المؤمنين أولى من ستر عورتنا، فقال: لا بد من إحضاره. فجاء جدي فأحضرني وتغيظ علي، فاعتذرت وحلفت له أن هذا شيء ما تعمدته، وإنما غنيت لنفسي، وما أدري من أين خرج، فأمر بإحضار عود فأحضر، وأمرني فغنيته الصوت، فقال: قد عظمت مصيبتي فيك يا بني، فحلفت له بالطلاق والعتاق ألا أقبل على الغناء رفداً أبداً، ولا أغني إلا خليفة أو ولي عهد، ومن لعله أن يكون حاضراً مجالسهم، فطابت نفسه. فأحضرني ، فغنيت الرشيد الصوت فطرب وشرب عليه أقداحاً، وأمرني بالملازمة مع الجلساء، وجعل لي نوبة، وأمر بحمل عشرة آلاف دينار إلى جدي، وأمره أن يبتاع ضيعة لي بها، فابتاع لي ضيعتي بالأهواز، و لم أزل ملازماً للرشيد حتى خرج إلى خراسان، وتأخرت عنه وفرق الموت بيننا.

اقترض الواثق مالاً ليعطيه له

قال ابن المرزبان: فكان عبد الله بن العباس سبباً لمعرفة أولياء العهود برأي الخلفاء فيهم، فكان منهم الواثق، فإنه أحب أن يعرف: هل يوليه المعتصم العهد بعده أم لا، فقال له عبد الله: أنا أدلك على وجه تعرف به ذلك، فقال: ما هو؟ فقال: تسأل أمير المؤمنين أن يأذن للجلساء والمغنين أن يصيروا إليك، فإذا فعل ذلك فاخلع عليهم وعلي معهم، فإني لا أقبل خلعتك لليمين التي علي؛ ألا أقبل رفداً إلا من خليفة أو ولي عهد. فقعد الواثق ذات يوم وبعث إلى المعتصم وسأله الإذن إلى الجلساء ، فأذن لهم، فقال عبد الله بن العباس: قد علم أمير المؤمنين يميني، فقال له: امض إليه فإنك لا تحنث، فمضى إليه وأخبره الخبر فلم يصدقه، وظن أنه يطيب نفسه، فخلع عليه وعلى الجماعة، فلم يقبل عبد الله خلعته، وكتب إلى المعتصم يشكوه، فبعث إليه: اقبل الخلعة، فإنه ولي عهدي، ونمى إليه الخبر أن هذا كان حيلة من عبد الله، فنذر دمه، ثم عفا عنه.

وسر الواثق بما جرى، وأمر إبراهيم بن رياح، فاقترض له ثلثمائة ألف درهم، ففرقها على الجلساء، ثم عرف غضب المعتصم على عبد الله بن العباس واطراحه إياه، فاطرحه هو أيضاً. فلما ولي الخلافة استمر على جفائه، فقال عبد الله:

ما لي جفيت وكنت لا أجفى ... أيام أرهب سطوة السيف

أدعو إلهي أن أراك خليفة ... بين المقام ومسجد الخيف

ودس من غناه الواثق، فلما سمعه سأل عنه، فعرف قائله، فتذمم ودعا عبد الله فبسطه ونادمه إلى أن مات.

وذكر العتابي عن ابن الكلبي أن الواثق كان يشتهي على عبد الله بن العباس:

أيها العاذل جهلاً تلوم قبل أن ينجاب عنه الصريم

وأنه غناه يوماً فأمر بأن يخلع عليه خلعة، فلم يقبلها ليمينه، فشكاه إلى المعتصم، فكاتبه في الوقت، فكتب إليهمع مسرور سمانة: اقبل خلع هارون فإنك لا تحنث، فقبلها وعرف الواثق أنه ولي عهد.

خرج يوم الشعانين ليرى محبوبته النصرانية حدثني عمي، قال: حدثني أحمد بن المرزبان، قال: حدثني شيبة بن هشام، قال:

كان عبد الله بن العباس يهوى جارية نصرانية لم يكن يصل إليها ولا يراها إلا إذا خرجت إلى البيعة، فخرجنا يوماً معه إلى السعانين، فوقف حتى إذا جاءت فرآها، ثم أنشدنا لنفسه، وغنى فيه بعد ذلك:

إن كنت ذا طب فداويني ولا تلم فاللوم يغريني

يا نظرة أبقت جوى قائلاً من شادن يوم السعانين

ونظرة من ربرب عين خرجن في أحسن تزيين

خرجن يمشين إلى نزهة عواتقاً بين البساتين

مزنرات بهماييننا والعيش ما تحت الهمايين

لحن عبد الله بن العباس في هذا الشعر هزج.

شرب ليلة الشك في رمضان في نيروز

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا محمد بن عمر الجرجاني، ومحمد بن حماد كاتب راشد، قالا: كتب عبد الله بن العباس الربيعي في يوم نيروز -واتفق في يوم الشك بين شهري رمضان وشعبان- إلى محمد بن الحارث بن بسخنر يقول:

اسقني صفراء صافية ليلة النيروز والأحد

حرم الصوم اصطباحكما فتزود شربها لغد

وأتنا أو فادعنا عجلاً نشترك في عيشة رغد

قال: فجاءه محمد بن الحارث بن بسخنر فشربا ليلتهما.

صنع لحناً من شعره للواثق فأمر بجائزة

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى، قال: حدثنا أبو أيوب المديني، قال: حدثنا أحمد بن المي، قال: حدثنا عبد الله بن العباس الربيعي، قال: جمع الواثق يوماً المغنين ليصطبح، فقال: بحياتي إلا صنعت لي هزجاً حتى أدخل وأخرج إليكم الساعة، ودخل إلى جواريه، فقلت هذه الأبيات وغنيت فيها هزجاً قبل أن يخرج، وهي: صوت

بأبي زور أتاني بالغلس قمت إجلالاً له حتى جلس
فتعانقا جميعاً ساعة كادت الأرواح فيها تختلس
قلت :يا سؤلي ويا بدر الدجى في ظلام الليل ما خفت العس !
قال :قد خفت ولكن الهوى آخذ بالروح مني والنفس
زارني يخطر في مشيته حوله من نور خديه قبس

قال: فلما خرج من دار الحرم قال لي: يا عبد الله، ما صنعت؟ فغنيته، فشرب حتى سكر، وأمر لي بخمسة آلاف درهم، وأمرني بطرحه على الجواري، فطرحته عليهن.

صنع لحناً جميلاً من شعر يوسف بن الصقيل أخبرني يحيى بن علي بن يحيى، قال: حدثنا أبو أيوب المديني، عن حماد، قال: من مليح صنعة عبد الله بن العباس الربيعي، والشعر ليوسف بن الصيقل، ولحنه هزج: صوت

أبعد المواثيق لي وبعد السؤال الحفي
وبعد اليمين التي حلفت على المصحف
تركت الهوى بيننا كضوء سراج طفي
فليتك إذا لم تفي بوعدك لم تخلفي

غنى للواثق لحناً من شعر الأحوص فأعطاه ألف دينار حدثني الصولي، قال: حدثني يزيد بن محمد المهلبي، قال: كان الواثق قد غضبت على فريدة لكلام أخفته إياه فأغضبته، وعرفنا ذلك وجلس في تلك الأيام للصبوح، فغناه عبد الله بن العباس: صوت

لا تأمني الصرم مني أن تري كلفي وإن مضى لصفاء الود أعصار
ما سمي القلب إلا من تقلبه والرأي يصرف والأهواء أطوار
كم من ذي مقة قبلي وقبلكم خانوا فأضحوا إلى الهجران قد صاروا

فاستعاده الواثق مراراً، وشرب عليه وأعجب به، وأمر لعبد الله بألف دينار وخلع عليه.

الشعر للأحوص، والغناء لعبد الله بن العباس هزج بالوسطى عن عمرو.

فضله المتوكل على سائر المغنين

وأخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع، قال: غنيت المتوكل ذات يوم:

أحب إلينا منك دلاً وما يرى له عند فعلي من ثواب ولا أجر

فطرب وقال: أحسنت والله يا عبد الله، أما والله لو رآك الناس كلهم كما أراك لما ذكروا مغنياً سواك أبداً.

أشار بذكره ابن الزيات عند المعتصم

نسخت من كتاب لأبي العباس بن ثوابة بخطه: حدثني أحمد بن إسماعيل بن حاتم، قال: قال لي عبد الله بن العباس الربيعي:

دخلت على المعتصم أودعه وأنا أريد الحج، فقبلت يده وودعته، فقال: يا عبد الله إن فيك لخصالاً تعجبني كثر الله في موالي مثلك، فقبلت رجله والأرض بين يديه، وأحسن محمد بن عبد الملك الزيات محضري وقال له: إن له يا أمير المؤمنين، أدباً حسناً وشعراً جيداً، فلما خرجت قلت له: أيها الوزير، ما شعري أنا في الشعر تستحسنه وتشيد بذكره بي يدي الخليفة! فقال: دعنا منك، تنتفي من الشعر وأنت الذي تقول:

يا شادناً مر إذ را ... م في السعانين قتلي

يقول لي: كيف أصبح ... ت، كيف يصبح مثلي !

أحسنت والله في هذا، ولو لم تقل غير هذا لكنت شاعراً.

طلب من سوار بن عبد الله القاضي أن يصنع له لحناً من شعر قاله أخبرني عمي، قال: حدثنا أحمد بن المرزبان، قال: قال أبي: قال عبد الله بن العباس الربيعي: لقيني سوار بن عبد الله القاضي -وهو سوار الأصغر- فأصغى إلي وقال: إن لي إليك حاجة فأتني في خفي، فجئته، فقال: لي إليك حاجة قد أنست بك فيها، لأنك لي كالولد، فإن شرطت لي كتمانها أفضيت بها إليك، فقلت: ذلك للقاضي علي شرط واجب، فقال: إني قلت أبياتاً في جارية لي أميل إليها وقد قلتني وهجرتني: وأحببت أن تصنع فيها لحناً وتسمعنيه، وإن أظهرته وغنيته بعد ألا يعلم أحد أنه شعري، فلست أبالي، أتفعل ذلك؟ قلت: نعم حباً وكرامة، فأنشدني: صوت

سلبت عظامي لحمها فتركتها ... عواري في أجلادها تتكسر

وأخليت منها محها فكأنها ... أنابيب في أجوافها الريح تصفر

إذا سمعت باسم الفراق ترعدت ... مفاصلها من هول ما تتحذر

خذي بيدي ثم اكشفي الثوب فانظري ... بلى جسدي لكنني أتستر

وليس الذي يجري من العين ماؤها ... ولكنها روح تذوب فتقطر

-اللحن الذي صنعه عبد الله بن العباس في هذا الشعر ثقيل أول- قال عبد الله: فصنعت فيه لحناً، ثم عرفته خبره في رقعة كتبتها إليه، وسألته وعداً يعدني به للمصير إليه، فكتب إلي: نظرت في القصة فوجدت هذا لا يصلح ولا ينكتم علي حضورك وسماعي إياك، وأسأل الله أن يسرك ويقيك. فغنيت الصوت ظهر حتى تغنى به الناس،

فلقيني سوار يوماً فقال لي: يا بن أخلي، قد شاع أمرك في ذلك الباب حتى سمعناه من بعد كأنا لم نعرف القصة فيه، وجعلنا جميعاً نضحك.

صنع لحناً جيداً في شفاء بشر

خادم بن عجيف

كان بشر خادم صالح بن عجيف عليلاً ثم برئ، فدخل إلى عبد الله بن العباس، فلما رآه قام فتلقاه وأجلسه إلى جانبه، وشرب سروراً بعافيته، وصنع لحناً من الثقيل الأول وهو من جيد صنعته: صوت

مولاي ليس لعيش لست حاضره ... قدر ولا قيمة عندي ولا ثمن

ولا فقدت من الدنيا ولذتها ... شيئاً إذا كان عندي وجهك الحسن

غنى الواثق بعد شفائه لحناً فأجازه

حدثني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، قال: حدثنا عبد الله بن العباس الربيعي، قال: جمعنا الواثق يوماً بعقب علة غليظة كان فيها، فعوفي وصح جسمه، فدخلت إليه مع المغنين وعودي في يدي، فلما وقعت عيني عليه من بعيد، وصرت بحيث يسمع صوتي، ضرب وغنيت في شعر قلته في طريقي إليه، وصنعت فيه لحناً وهو: صوت

اسلم وعمرك الإله لأمة ... بك أصبحت قهرت ذوي الإلحاد

لو تستطيع وقتك كل أذية ... بالنفس والأموال والأولاد

فضحك وسر وقال: أحسنت يا عبد الله وسررتني، وتيمنت بابتدائك، ادن مني، فدنوت منه حتى كنت أقرب المغنين إليه، ثم استعادني الصوت، فأعدته ثلاث مرات، وشرب عليه ثلاث أقداح، وأمر لي بعشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه.

فاجأته محبوبته النصرانية بالوداع فقال

حدثني الصولي، قال: حدثني عون بن محمد الكندي، قال: كان عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع يهوى جارية نصرانية، فجاءته يوماً تودعه، فأعلمته أن أباها يردي الانحدار إلى بغداد والمضي بها معه، فقال في ذلك وغنى فيه: صوت

أفدي التي قلت لها ... والبين منا قد دنا:

فقدك قد أنحل جسمي وأذاب البدنا

قالت: فماذا حيلتي كذاك قد ذبت أنا!

باليأس بعدي فاقتنع قلت :إذاً قل الغنا

طلب من علي بن عيسى تأجيل الصوم

ومباشرة الشرب فأجابه

حدثني الصولي، قال: حدثني عون بن محمد، قال: حدثني علي بن عيسى بن جعفر الهاشمي، قال: دخل علي عبد الله بن العباس في يوم النصف من شعبان، وهو يوم سبت، وقد عزمت على الصوم، فأخذ بعضادتي باب مجلسي، ثم قال: يا أميري:

تصبح في السبت غير نشوان وقد مضى عنك نصف شعبان !

فقلت: قد عزمت على الصوم، فقال: أفعليك وزر إن أفطرت اليوم -لمكاني وسررتني بمساعدتك لي- وصمت غداً، وتصدقت مكان إفطارك؟ فقلت: أفعل، فدعوت بالطعام فأكلت، وبالنبيذ فشربنا، وأصبح من غد عندي، فاصطبح وساعدته، فلما كان اليوم الثالث انتبهت سحراً وقد قال هذا الشعر وغنى فيه:

شعبان لم يبق منه إلا ثلاث وعشر

فباكر الراح صرفاً لا يسبقنك فجر

فإن يفتك صطباح فلا يفوتنك سكر

ولا تناد فتى وقت شربه الدهر عصر

قال: فأطربني واصطبحت معه في اليوم الثالث، فلما كان من آخر النهار سكر وانصرف، وما شربنا يومنا كله إلا على هذا الصوت.

دخل على المتوكل آخر شعبان وطلب الشراب

فأجابه

حدثن عمي، قال: حدثني ابن دهقانة النديم، قال: دخل عبد الله بن العباس إلى المتوكل في آخر شعبان فأنشده:

عللاني نعمتما بمدام واسقياني من قبل شهر الصيام

حرم الله في الصيام التصابي فتركناه طاعة للإمام

أظهر العدل فاستنار به الدين وأحيا شرائع الإسلام

فأمر المتوكل بالطعام فأحضر، وبالنديم وبالجلساء فأتي بذلك، فاصطبح وغناه عبد الله في هذه الأبيات، فأمر له بعشرة آلاف درهم.

حرم المرابين من مائة ألف دينار

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا يزيد بن محمد المهلبي، قال: حدثني عبد الله بن العباس قال: كنت مقيماً بسر من رأى وقد ركبني دين ثقيل أكثره عينة ورباً، فقلت في المتوكل:

اسقياني سحراً بالكبره ... ما قضى الله ففيه الخيره
أكرم الله الإمام المرتضى ... وأطال الله فينا عمره
إن أكن أقعدت عنه هكذا ... قدر الله رضنا قدره
سره الله وأبقاه لنا ... ألف عام وكفانا الفجره

وبعثت بالأبيات إليه، وكنت مسروراً من الغرماء، فقال لعبيد الله بن يحيى: وقع إليه: من هؤلاء الفجرة الذين استكفيت الله شرهم؟ فقلت: المعينون الذين قد ركبني إليهم أكثر مما أخذت منهم من الدين بالربا، فأمر عبيد الله أن يقضي ديني، وأن يحتسب لهم رؤوس أموالهم، ويسقط الفضل، وينادي بذلك في سر من رأى حتى لا يقضي أحد أحداً إلا رأس ماله، وسقط عن وعن الناس من الأرباح زهاء مائة ألف دينار كانت أبياتي هذه سببها.

عتب على إخوانه لأنهم لم يعودوه في مرضه فجاءوه معتذرين حدثني الصولي، قال: حدثني غون بن محمد الكندي، قال: حدثني أبي، قال: مرض عبد الله بن العباس بسر من رأى في قدمة قدمها غليها، فتأخر عنه من كان يثق به، فكتب إليهم:

ألا قل لمن بالجانبين بأنني ... مريض عداني عن زيارتهم ما بي
فلو بهم بعض الذي لي لزرتهم ... وحاش لهم من طول سقمي وأوصابي
وإن أقشعت عني سحابة علتي ... تطاول عتبي إن تأخر إعتابي

قال: فما بقي أحد من إخوانه إلا جاءه عائداً معتذراً.

غنى عند علوية بشعر في النصرانية

التي كان يهواها

أخبرني عمي، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن محمد بن موسى، قال: سمعت عبد الله بن العباس يغني ونحن مجتمعون عند علوية بشعر في النصرانية التي كان يهواها والصنعة له: صوت

إن في القلب من الظبي كلوم ... فدع اللوم فإن اللوم لوم

حبذا يوم السعانين وما نلت فيه من نعيم لو يدوم

إن يكن أعظمت أن همت به فالذي تركب من عذلي عظيم

لم أكن أول من سن الهوى فدع اللوم فذا داء قديم

الغناء لعبد الله هزج بالوسطى.

علم وصيفته هيلانة الغناء

حدثني أبو بكر الربيعي، قال: حدثتني عمتي -وكانت ربيت في دار عمها عبد الله بن العباس- قالت: كان عبد الله لا يفارق الصبوح أبداً إلا في يوم جمعة، أو شهر رمضان، وإذا حج. وكانت له وصيفة يقال لها: هيلانة قد رباها وعلمها الغناء، فأذكره يوماً وقد اصطبح، وأنا في حجره جالسة والقدح في يده اليمنى، وهو يلقي على الصبية صوتاً أوله:

صدع البين الفؤادا إذ به الصائح نادي

فهو يردده، ويومئ بجميع أعضائه إليها يفهمها نغمه، ويوقع بيده على كتفي مرة وعلى فخذي أخرى، وهو لا يدري حتى أوجعني، فبكيت وقلت: قد أوجعتني مما تضربني وهيلانة لا تأخذ الصوت وتضربني أنا، فضحك حتى استلقى واستملح قولي، فوهب لي ثوب قصب أصفر، وثلاثة دنانير جدداً، فما أنسى فرحي بذلك وقيامي به إلى أمي، وأنا أعدوا إليها وأضحك فرحاً به.

نسبة هذا الصوت صوت

صدع البين الفؤادا إذ به الصائح نادى

بينما الأحباب مجمو عون إذ صاروا فرادى

فأتى بعض بلاداً وأتى بعض بلادا

كلما قلت: تناهى حدثان الدهر عادا

صوت

حضر الرحيل وشدت الأحداج وغدا بهن مشمر مزعاج

للسوق نيران قدحن بقلبه حتى استمر به الهوى المجاج

أزعج هواك إلى الذين تحبهم إن المحب يسوقه الإزعاج

لن يدنينك للحبيب ووصله إلا السرى والبازل الهجهاج

الشعر لسلم الخاسر، والغناء لهاشم بن سليمان ثقيل أول بالوسطى.

أخبار سلم الخاسر ونسبه

نسبه، ومقدرته الشعرية

سلم بن عمرو مولى بني تيم بن مرة، ثم مولى أبي بكر الصديق، رضوان الله عليه، بصري، شاعر مطبوع متصرف في فنون الشعر، من شعراء الدولة العباسية. وهو راوية بشار بن برد وتلميذه، وعنه أخذ، ومن بحره اغترف، وعلى مذهبه ونمطه قال الشعر.

سبب تلقيبه سلم الخاسر

ولقب سلم بالخاسر -فيما يقال- لأنه ورث من أبيه مصحفاً، فباعه واشترى بثمنه طنبوراً. وقيل: بل خلف له أبوه مالاً، فأنفقه على الأدب والشعر، فقال له بعض أهله: إنك لخاسر الصفقة، فلقب بذلك.

صداقته للموصلي وأبي العتاهية

وانقطاعه للبرامكة

وكان صديقاً لإبراهيم الموصلي، ولأبي العتاهية خاصة من الشعراء والمغنين، ثم فسد ما بينه وبين أبي العتاهية. وكان سلم منقطعاً إلى البرامكة، وإلى الفضل بن يحيى خصوصاً من بينهم. وفيه يقول أبو العتاهية:

إنما الفضل لسلم وحده ليس فيه لسوى سلم درك

من قول أبي العتاهية له

وكان هذا أحد الأسباب في فساد ما بينه وبين أبي العتاهية. ولسلم يقول أبو العتاهية وقد حج مع عتبة :

والله والله ما أبالي متى ما مت يا سلم بعد ذا السفر

أليس قد طفت حيث طافت وقبلت الذي قبلت من الحجر

وله يقول أبو العتاهية وقد حبس إبراهيم الموصلي:

سلم يا سلم ليس دونك سر حبس الموصلي فالعيش مر

ما استطاب اللذات مذ سكن المطبق رأس اللذات والله، حر

ترك الموصل من خلق الل ه جميعاً وعيشهم مقشعر

يرد مصحفاً ويأخذ مكانه دفاتر شعر

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني علي بن الحسن الواسطي، قال: حدثني أبو عمرو سعيد بن الحسن الباهلي الشاعر، قال: لما مات عمرو أبو سلم الخاسر اقتسموا ميراثه، فوقع في قسط سلم مصحف، فرده وأخذ مكانه دفاتر شعر كانت عند أبيه، فلقب الخاسر بذلك.

أجازه المهدي أو الرشيد بمائة ألف

درهم ليكذب تلقيبه بالخاسر

أخبرني الحسن، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني محمد بن عمر الجرجاني، قال: ورث سلم الخاسر أباه مأئة ألف درهم، فأنفقها على الأدب، وبقي لاشيء عنده، فلقبه الجيران ومن يعرفه بسلم الخاسر، وقالوا: أنفق ماله على ما لا ينفعه. ثم مدح المهدي، أو الرشيد -وقد كان بلغه اللقب الذي لقب به- فأمر له بمائة ألف درهم، وقال له: كذب بهذا المال جيرانك، فجاءهم بها، وقال لهم: هذه المائة الألف التي أنفقتها وربحت الأدب، فأنا سلم الرابح، لا سلم الخاسر.

ورث مصحفا فباعه واشبرى طنبورا

فلقب الخاسر

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني علي بن محمد النوفلي، عن أبيه، قال: إنما لقب الخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحفا فباعه، واشترى بثمنه طنبورا.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عمر الفضل، قال: قال لي الجماز: سلم الخاسر خالي لحا ، فسألته: لم لقب الخاسر؟ فضحك، ثم قال: إنه قد كان نسك مدة يسيرة، ثم رجع إلى أقبح ما كان عليه، وباع مصحفا له ورثه عن أبيه-وكان لجده قبله-واشترى بثمنه طنبورا.فشاع خبره وافتضح، فكان يقال له: ويلك! هل فعل أحد ما فعلت؟ فقال: لم أجد شيئا أتوسل به إلى إبليس هو أقر لعينه من هذا.

أخبرني عمي، قال: أنبأنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن صالح المؤدب، وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى إجازة، قال: حدثني أبي، عن أحمد بن صالح، قال: قال بشار بن برد: صوت

لا خير في العيش إن دمنا كذا أبدا ... لا نلتقي وسبيل الملتقى نهج

قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم ... ما في التلاقي ولا في غيره حرج

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

قال: فقال سلم الخاسر أبياتا، ثم أخذ معنى هذا البيت، فسلخه، وجعله في قوله:

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

سبب غضب بشار عليه ثم رضاه عنه

فبلغ بيته بشارا، فغضب واستشاط، وحلف ألا يدخل إليه، ولا يفيده ولا ينفعه ما دام حيا. قاسبشفع إليه بكل صديق له، وكل من يثقل عليه رده، فكلموه فيه، فقال: أدخلوه إلي، فأدخلوه إليه فاستدناه، ثم قال: إيه يا سلم، من الذي يقول:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

قال: أنت يا أبا معاذ، قد جعلني الله فداءك! قال: فمن الذي يقول:

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور؟

قال: تلميذك، وخريجك، وعبدك يا أبا معاذ، فاجتذبه إليه، وقنعه بمخصرة كانت في يده ثلاثا، وهو يقول: لا أعود يا أبا معاذ إلى ما تنكره، ولا آتي شيئا تذمه، إنما أنا عبدك، وتلميذك، وصنيعتك، وهو يقول له: يا فاسق! أتجيء إلى معنى قد سهرت له عيني، وتعب فيه فكري وسبقت الناس إليه، فتسرقه، ثم تختصره لفظا تقربه به، لتزري علي، وتذهب ببيتي؟ وهو يحلف له ألا يعود، والجماعة يسألونه. فبعد لأي وجهد ما شفعهم فيه، وكف عن ضربه، ثم رجع له، ورضي عنه.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال: أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور، قال: حدثني عبد الوهاب بن مرار، قال: حدثني أبو معاذ النميري رواية بشار، قال: قد كان بشار قال قصيدة فيها هذا البيت:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

قال: فقلت له يا أبا معاذ! قد سلم الخاسر بيتا، هو أحسن وأخف على الألسن من بيتك هذا، قال: وما هو؟ فقلت:

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

فقال بشار: ذهب والله بيتنا، أما والله لوددت أنه ينتمي في غير ولاء أبي بكر -رضي الله عنه- وأني مغرم ألف دينار محبة مني لهتك عرضه وأعراض مواليه! قال: فقلت له: ما أخرج هذا القول منك إلا عم. قال: أجل، فو الله لا طعمت اليوم طعاما، ولا صمت.

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني محمد بن إسحاق بن محمد النخعي ، قال: قال أبو معاذ النميري: قال بشار قصيدة، وقال فيها:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فعرفته أن سلما قد قال:

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

فلما سمع بشار هذا البيت قال: سار والله بيت سلم، وحمل بيتنا! قال: وكان كذلك، لهج الناس ببيت سلم، و لم ينشد بيت بشار أحد.

شعره في قصر صالح بن المنصور

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثني الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثني أبو مالك محمد بن موسى اليماني، قال: لما بنى صالح بن المنصور قصره بدجلة قال فيه سلم الخاسر:

يا صالح الجود الذي مجده أفسد مجد الناس بالجود

بنيت قصرا مشرفا عاليا بطائري سعد ومسعود

كأنما يرفع بنيانه جن سليمان بن داود

لا زلت مسرورا به سالما على اختلاف البيض والسود

يعني الأيام والليالي-، فأمر له صالح بألف درهم.

ينشد عمر بن العلاء قصيدة لبشار فيه،

ثم ينشده لنفسه

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني بعض آل ولد حمدون بن إسماعيل -وكان ينادم المتوكل-عن أبيه، قال: كان سلم الخاسر من غلمان بشار، فلما قال بشار قصيدته الميمية في عمر بن العلاء -وهي التي يقول فيها:

إذا نبهتك صعاب الأمور فنبه لها عمرا ثم نم

فتى لا يبيت على دمنة ولايشرب الماء إلا بدم

بعث بها مع سلم الخاسر إلى عمر بن العلاء، فوافاه فأنشده إياها، فأمر لبشار بمائة ألف درهم. فقال له سلم: إن خادمك-يعني نفسه- قد قال في طريقه فيك قصيدة، قال: فإنك لهناك ؟ قال: تسمع، ثم تحكم، ثم قال: هات، فأنشده: صوت

قد عزني الداء فما لي دواء مم ألاقي من حسان النساء

قلب صحيح كنت أسطو به أصبح من سلمى بداء عياء
أنفاسها مسك وفي طرفها سحر ومالي غيرها من دواء
وعدتني وعدا فأوفي به هل تصلح الخمرة إلا بماء؟

ويقول فيها:

كم كربة قد مسني ضرها ناديت فيها عمر بن العلاء

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم، فكانت أول عطية سنية وصلت إليه.

صداقته لعاصم بن عتبة ومدحه إياه

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: وجدت في كتاب بخط الفضل بن مروان: وكان عاصم بن عتبة الغساني جد أبي السمراء الذي كان مع عبد الله بن طاهر صديقا لسلم الخاسر، كثير البر به، والملاطفة له، وفيه يقول سلم:

الجود في قحطان ما بقيت غسان
اسلم ولا أبالي ما فعل الإخوان
ما ضر مرتجيه ما فعل الزمان
من غاله مخوف فعاصم أمان

وكانت سبعين بيتا، فأعطاه عاصم سبعين ألف درهم، وكان مبلغ ما وصل إلى سلم من عاصم خمسمائة ألف درهم، فلما حضرته الوفاة دعا عاصما فقال له: إني ميت ولا ورثة لي، وإن مالي مأخوذ، فأنت أحق به، فدفع إليه خمسمائة ألف درهم، و لم يكن لسلم وارث. قال: وكان عاصم هذا جوادا.

ابن مزيد يحسد عاصما على شعره فيه

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن طهمان، قال: أخبرني القاسم بن موسى بن مزيد.

أن يزيد بن مزيد قال: ما حسدت أحدا قط على شعر مدح به إلا عاصم بن عتبة الغساني، فإني حسدته على قول سلم الخاسر فيه:

لعاصم سماء عارضها تهتان
أمطارها اللجين والدر والعقيان

وناره تنادي إذ خبت النيران
الجود في قحطان ما بقيت غسان
اسلم ولا أبالي ما فعل الإخوان
صلت له المعالي والسيف والسنان

كان يقدم أبا العتاهية على بشار

ثم فسد ما بينهما

أخبرني أحمد بن علي، عن ابن مهرويه، عن الغريبي، عن محمد بن عمر الجرجاني، قال: كان سلم تلميذ بشار، إلا أنه كان تباعد ما بينهما، فكان سلم يقدم أبا العتاهية، ويقول: هو أشعر الجن والإنس، إلى أن قال أبو العتاهية يخاطب سلما:

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تصير إليك عفوا أليس مصير ذاك إلى زوال

قال: وبلغ الرشيد هذا الشعر فاستحسنه، وقال: لعمري إن الحرص لمفسدة لأمر الدين والدنيا، وما فتشت عن حريص قط مغيبه إلا انكشف لي عما أذمه. وبلغ ذلك سلما، فغضب على أبي العتاهية، وقال: ويلي على الجرار ابن الفاعلة الزنديق! زعم أني حريص، وقد كتر البدور وهو يطلب وأنا في ثوبي هذين، لا أملك غيرهما. وانحرف عن أبي العتاهية بعد ذلك.

رده على أبي العتاهية

حين اتهمه بالحرص في شعر له

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: أخبرني محمد بن أسماعيل السدوسي، قال: حدثني جعفر العاصمي، وأخبرني عمي، عن أحمد بن أبي طاهر، عن القاسم بن الحسن، عن زكريا بن يحيى المدائني، عن علي بن المبارك القضاعي، عن سلم الخاسر.

أن أبا العتاهية لما قال هذا الشعر فيه كتب إليه:

ما أقبح التزهيد من واعظ يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيده صادقا أضحى وأمسى بيته المسجد
ورفض الدنيا ولم يلقها ولم يكن يسعى ويسترفد

يخاف أن تنفذ أرزاقه والرزق عند الله لا ينفد

الرزق مقسوم على من ترى يناله الأبيض والأسود

كل يوفى رزقه كاملاً من كف عن جهد ومن يجهد

ابن أخته ينتصر له من أبي العتاهية أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أبو العسكر المسمعي، وهو محمد بن سليمان، قال: حدثني العباس بن عبد الله بن سنان بن عبد الملك بن مسمع، قال: كنا عند قثم بن جعفر بن سليمان، وهو يومئذ أمير البصرة، وعنده أبو العتاهية ينشده شعره في الزهد، فقال لي: قثم: يا عباس! اطلب لي الجماز الساعة حيث كان فجئني به، ولك سبق ، فطلبته؛ فوجدته جالساً ناحية عند ركن دار جعفر بن سليمان، فقلت له: أجب الأمير، فقام معي حتى أتى قثم فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهية ينشده، ثم قام إليه الجماز فواجهه، وأنشد قول سلم الخاسر فيه:

ما أقبح التزهيد من واعظ يزهد الناس ولا يزهد

لو كان في تزهيده صادقاً أضحى وأمسى بيته المسجد

وذكر الأبيات كلها، فقال أبو العتاهية: من هذا أعز الله الأمير؟ قال: هذا الجمازا، وهو ابن أخت سلم الخاسر، انتصر لخاله منك حيث قلت له:

تعالى الله يا سلم بن عمرو إذل الحرص أعتاق الرجال

قال: فقال أبو العتاهية للجماز: يا بن أخي، إني لم أذهب في شعري الأول حيث ذلك خالك؛ ولا أردت أن أهتف به، ولا ذهبت أيضاً في حضوري وإنشادي حيث ذهبت من الحرص على الرزق، والله يغفر لكما! ثم قام فانصرف.

مبلغ ما وصل إليه من الرشيد والبرامكة

أخبرني عمي، عن أحمد بن أبي طاهر، عن أبي هفان، قال: وصل إلى سلم الخاسر من آل برمك خاصة سوى ما وصل إليه من غيرهم عشرون ألف دينار، ووصل إليه من الرشيد مثلها.

يطلب إلى أبي محمد اليزيدي أن يهجوه فيفعل فيندم أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عماي عبيد الله والفضل؛ عن أبيهما، عن أبي محمد اليزيدي: أنه حضر مجلس عيسى بن عمر، وحضر سلم الخاسر، فقال له: يا أبا محمد، اهجني على روي قصيدة امرئ القيس:

رب رام من بني ثعل مخرج كفيه في ستره

قال: فقلت له: ما دعاك إلى هذا؟ قال: كذا أريد. فقلت له: يا هذا أنا وأنت أغنى الناس عما تستدعيه من الشر فلتسعك العافية، فقال: إنك لتحتجز مني لغاية الاحتجاز، وأراد أن يوهم عيسى أني مفحم عيي لا أقدر على ذلك، فقال لي عيسى: أسألك يا أبا محمد بحقي عليك إلا فعلت. فقلت:

رب مغموم بعاقبة ... غمط النعمة من أشره

وامرئ طالبت سلامته ... فرماه الدهر من غيره

بسهام غير مشوية ... نقصت منه قوى مرره

وكذاك الدهر منقلب ... بالفتى حالين من عصره

يخلط العسر بميسرة ... ويسار المرء في عسره

عق سلم أمه صغراً ... وأبا سلم على كبره

كلي يوم خلفه رجل ... رامح يسعى على أثره

يولج الغرمول سبته ... كولوج الضب في جحره

قال: فاغتم سلم وندم، وقال: هكذا تكون عاقبة البغي والتعرض للشر، فضحك عيسى، وقال له: قد جهد الرجل أن تدعه، وصيانته ودينه فأبيت إلا أن يدخلك في حر أمك.

ترفهه وتخشن مروان بن أبي حفصة أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني علي بن محمد النوفلي، قال: سمعت أبي يقول:

كان المهدي يعطي مروان وسلماً الخاسر عطية واحدة، فكان سلم يأتي باب المهدي على البرذون الفاره، قيمته عشرة آلاف درهم، بسرج ولجام مفضضين، ولباسه الخز والوشي، وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ورائحة المسك والطيب والغالية تفوح منه، ويجيء مروان بن أبي حفصة عليه فرو كبل وقميص كرابيس وعمامة كرابيس وخفا كبل وكساء غليظ، وهو منتن الرائحة. وكان لا يأكل اللحم حتى يقرم إليه بخلاً، فإذا قرم أرسل غلامه، فاشترى له رأساً فأكله. فقال له قائل: أراك لا تأكل إلا الرأس! قال: نعم، أعرف سعره، فآمن خيانة الغلام، ولا أشتري لحماً فيطبخه فيأكل منه، والرأس آكل منه ألواناً: آكل منه عينيه لوناً، ومن غلصمته لوناً، ومن دماغه لوناً.

ابتلاؤه بالكيمياء ثم انصرافه عنها

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا يحيى بن الحسن الربيعي، قال: أخبرني أبي، قال: كان سلم الخاسر قد بلي بالكيمياء فكان يذهب بكل شيء له باطلاً، فلما أراد الله -عز وجل- أن يصنع له عرف أن بباب الشام صاحب كيمياء عجيباً، وأنه لا يصل إليه أحد إلا ليلاً، فسأل عنه

فدلوه عليه.

قال: فدخلت إليه إلى موضع معور ، فدققت الباب فخرج إلي، فقال: من أنت عافاك الله؟ فقلت: رجل معجب بهذا العلم. قال: فلا تشهرني، فإني رجل مستور، إنما أعمل للقوت. قال: قلت: لأني لا أشهرك، إنما أقتبس منك، قال: فاكتم ذلك. قال: وبين يديه كوز شبه صغير. فقال لي: اقلع عروته، فقلعتها. فقال: اسبكها في البوطقة، فسبكتها، فأخرج شيئاً من تحت مصلاه، فقال: ذره عليه، ففعلت. فقال: أفرغه، فأفرغته. فقال: دعه معك، فإذا أصبحت فاخرج، فبعه وعد إلي، فأخرجته إلى باب الشام، فبعت المثقال بأحد وعشرين درهماً، ورجعت إليه فأخبرته. فقال: اطلب الآن ما شئت. قلت: تفيدني. قال: بخمسمائة درهم على أن لا تعلمه أحداً، فأعطيته، وكتب لي صفة، فامتحنتها، فإذا هي باطلة. فعدت إليه، فقيل لي: قد تحول، وإذا عروة الكوز المشبه من ذهب مركبة عليه، والكوز شبه. ولذلك كان يدخل إليه من يطلبه ليلاً، ليخفى عليه، فانصرفت، وعلمت أن الله -عز وجل- أراد بي خيراً، وأن هذا كله باطل.

يرثي البانوكة بنت المهدي أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثنا العتري، قال: حدثني أبو مالك اليماني، قال: حدثني أبو كعب، قال: لما ماتت البانوكة بنت المهدي رثاها سلم الخاسر بقوله:

أودى ببانوكة ريب الزمان ... مؤنسة المهدي والخيزران

لم تنطو الأرض على مثلها ... مولودن حن لها الوالدان

بانوك يا بنت إمام الهدى ... أصبحت من زينة أهل الجنان

بكت لك الأرض وسكانها ... في كل أفق بين إنس وجان

كان يهاجي والبة بن الحباب أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: حدثني علي بن الحسن الشيباني، قال: حدثني أبو المستهل الأسدي، وهو عبد الله بن تميم بن حمزة، قال: كان سلم الخاسر يهاجي والبة بن الحباب، فأرسلني إليه وقال: قل له:

يا والب بن الحباب يا حلقي ... لست من أهل الزناء فانطلق

دخل فيه الغرسول تولجه ... مثل ولوج المفتاح في الغلق

قال: فأتيت والبة فقلت له ذلك، فقال لي: قل له: يا بن الزانية، سل عنك ريعان التميمي -يعني أنه ناكه- قال: وكان ريعان لوطياً آفة من الآفات، وكان علامة ظريفاً.

قال: فحدثني جعفر بن قدامة عن محمد العجلي، عن أحمد بن معاوية الباهلي، قال: سمعت ريعان يقول: نكت الهيثم بن عدي، فمن ترونه يفلت مني بعده؟ يعتذر إلى المهدي من مدحه لبعض العلويين وأخبرني أحمد بن العباس العسكري، قال: حدثنا العتري، قال: حدثني أبو مالك محمد بن موسى اليماني، قال: كان سلم الخاسر مدح بعض العلويين، فبلغ ذلك المهدي، فتوعده وهم به، فقال سلم فيه:

إني أتتني على المهدي معتبة تكاد من خوفها الأخشاء تضطرب
اسمع فداك بنو حواء كلهم وقد يجور برأس الكاذب الكذب
فقد حلفت يميناً غير كاذبة يوم المغيبة لم يقطع لها سبب
ألا يحالف مدحي غيركم أبداً ولو تلاقى علي الغرض والحقب

ولو ملكت عنان الريح أصرفها في كل ناحية ما فاتها الطلب
مولاك لا تشمت أعاديه فما وراءك لي ذكر ولا نسب

فعفا عنه.

كان لا يحسن المدح ويحسن الرثاء وأخبرني أحمد بن العباس ، وأحمد بن عبيد الله بن عمار، قالا: حدثنا العتري، قال: حدثني العباس بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان، قال: حدثني موسى بن عبد الله بن شهاب المسمعي، قال: سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى يقول: كان سلم الخاسر لا يحسن أن يمدح، ولكنه كان يحسن أن يرثي ويسأل.

يعد الرثاء في حياة من يعنيه رثاؤهم أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد القاسم بن مهرويه، قال: حدثني علي بن الحسن الشيباني، قال: حدثني أبو المستهل، قال: دخلت يوماً على سلم الخاسر، وإذا بين يديه قراطيس فيها أشعار يرثي ببعضها أم جعفر، وببعضها جارية غير مسماة، وببعضها أقواماً لم يموتوا، وأم جعفر يومئذ باقية. فقلت له: ويحك! ما هذا؟ فقال: تحدث الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها، ويستعجلوننا ، ولا يحمل بنا أن نقول غير الجيد، فنعد لهم هذا قبل كونه، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلناه فيه قديماً، على أنه قيل في الوقت.

إعجاب المأمون ببيت: تعالى الله يا سلم أخبرني محمد بن مزيد وعيسى بن الحسين، قالا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: قال عبد الله بن الحسن الكاتب: أنشد المأمون قول أبي العتاهية:

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال

فقال المأمون: صدق لعمر الله، إن الحرص لمفسدة للدين والمروءة، والله ما رأيت من رجل قط حرصاً ولا شرهاً، فرأيت فيه مصطنعاً. فبلغ ذلك سلماً الخاسر، فقال: ويلي على ابن الفاعلة بياع الخزف، كتر البدور بمثل ذلك الشعر المفكك الغث، ثم تزهد بعد أن استغنى، وهو دائباً يهتف بي، ينسبني إلى الحرص، وأنا لا أملك إلا ثوبي هذين.

يسكت أبا الشمقمق عن هجائه بخمسة دنانير

أخبرني عمي والحسن بن علي، قالا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا زكريا بن مهران قال: طالب أبو الشمقمق سلماً الخاسر بأن يهب له شيئاً، وقد خرجت لسلم جائزة، فلم يفعل، فقال أبو الشمقمق يهجوه:

يا أم سلم هداك الله زورينا كيما ننيكك فرداً أو تنيكينا

ما إن ذكرتك إلا هاج لي شبق ومثل ذكراك أم السلم يشجينا

قال: فجاءه سلم فأعطاه خمسة دنانير، وقال: أحب أن تعفيني من استزارتك أمي وتأخذ هذه الدنانير فتنفقها.

من شعره حين ولى يعقوب بن داود بعد أبي عبيد الله أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، قال: حدثني محمد بن القاسم بن الربيع عن أبيه، قال: دخل الربيع على المدهي وأبو عبيد الله جالس يعرض كتباً، فقال له أبو عبيد الله: مر هذا أن يتنحى -يعني الربيع- فقال له المهدي: تنح، فقال: لا أفعل. فقال: كأنك تراني بالعين الأولى! فقال: لا، بل أراك بالعين التي أنت بها. قال: فلم لا تتنحى إذ أمرتك؟ فقال له: أنت ركن الإسلام، وقد قتلت ابن هذا، فلا آمن أن يكون معه حديدة يغتالك بها، فقام المهدي مذعوراً، وأمر بتفتيشه، فوجدوا بين جوربه وخفه سكيناً، فردت الأمور كلها إلى الربيع، وعزل أبو عبيد الله، وولي يعقوب بن داود، فقال سلم الخاسر فيه:

يعقوب ينظر في الأمو ر وأنت تنظر ناحيه

أدخلته فعلا عليك كذاك شؤم الناصيه

قال: وكان بلغ المهدي من جهة الربيع أن أبي عبيد الله زنديق، فقال له المهدي: هذا حسد منك. فقال: افحص عن هذا، فإن كنت مبطلاً بلغت مني الذي يلزم من كذلك. فأتى بابن عبيد الله، فقرره تقريراً خفياً، فأقر بذلك، فاستتابه، فأبى أن يتوب، فقال لأبيه: اقتله، فقال: لا تطيب نفسي بذلك. فقتله وصلبه على باب أبي عبيد الله. قال: وكان أبي عبيد الله هذا من أحمق الناس: وهب له المهدي وصيفة، ثم سأله بعد ذلك عنها، فقال: ما وضعت بيني وبين الأرض حشية قط أوطأ منها حاشا سامع ، فقال المهدي لأبيه: أتراه يعنيني، أو يعنيك؟ قال: بل يعني أمه الزانية، لا يكنى.

شعره في الفضل حين أخذ البيعة للمهدي

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني يحيى بن الحسن، قال: حدثني أبي، قال: كنت أنا والربيع نسير قريباً من محمل المنصور حين قال للربيع: رأيت كأن الكعبة تصدعت، وكأن رجلاً جاء بحبل أسود فشددها، فقال له الربيع: من الرجل؟ فلم يجبه، حتى إذا اعتل قال للربيع: أنت الرجل الذي رأيته في نومي شدد الكعبة! فأي شيء تعمل بعدي؟ قال: ما كنت أعمل في حياتك، فكان من أمره في أخذ البيعة للمهدي ما كان، فقال سلم الخاسر في الفضل بن الربيع:

يا بن الذي جبر الإسلام يوم وهي واستنفذ الناس من عمياء صيخود

قالت قريش غداة أنهاض ملكهم: أين الربيع وأعطوا بالمقاليد

فقام بالأمر مئناس بوحدته ماضي العزيمة ضراب القماحيد

إن الأمور إذا ضاقت مسالكها حلت يد الفضل منها كل معقود

إن الربيع وإن الفضل قد بنيا رواق مجد على العباس ممدود

قال: فوهب له الفضل خمسة آلاف دينار.

شعره حين عقدت البيعة للأمين

أخبرني عمي، قال: حدثنا أبو هفان، قال: حدثني سعيد أبو هريم وأبو دعامة، قالا: لما قال سلم الخاسر في الرشيد حين عقد البيعة لابنه محمد الأمين:

قد بايع الثقلان في مهد الهدى لمحمد بن زبيدة ابنه جفر

وليته عهد الأنام وأمرهم فدمغت بالمعروف رأس المنكر

أعطته زبيدة مائة ألف درهم.

المهدي يأمر له بخمسمائة ألف درهم لقصيدته فيه أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا عبد الله بن عمرو، قال: حدثني أحمد بن محمد بن علي الخراساني ، عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، عن أبيه، قال: قال سلم الخاسر في المهدي قصديته التي يقول فيها:

له شيمة عند بذل العطا ء لا يعرف الناس مقدارها

ومهدي أمتنا والذي حماها وأدرك أوتارها

فأمر له المهدي بخمسمائة ألف درهم.

طلب إلى الرشيد أن يفضله في الجائزة على مروان بن أبي حفصة فأجابه أخبرنا وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن سليمان، قال: حدثنا منصور بن أبي مزاحم، قال: شهدت المهدي وقد أمر لمروان بن أبي حفصة بأربعين ألف درهم، وفرض على اهل بيته وجلسائه ثلاثين ألف درهم. وأمر الرشيد بعد ذلك لما ولى الخلافة لسلم الخاسر - وقد مدحه- بسبعين ألف درهم، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن أكثر ما أعطى المهدي مروان سبعون ألف درهم، فزدني وفضلني عليه، ففعل ذلك، وأعطاه تتمة ثمانين ألف درهم، فقال سلم: فخره على مروان بجائزته ورد مروان عليه

ألا قل لمروان أتتك رسالة لها نبأ لا ينثني عن لقائكا

حباني أمير المؤمنين بنفحة مشهرة قد طأطأت من حبائكا
ثمانين الفاً حزت من صلب ماله ولم يك قسماً من أولى وأولائكا

فأجابه مروان فقال:

أسلم بن عمرو قد تعاطيت غاية تقصر عنها بعد طول عنائكا
فأقسم لولا ابن الربيع ورفده لما ابتلت الدلو التي في رشائكا
وما نلت مذ صورت إلا عطية تقوم بها مصرورة في ردائكا

مات عن غير وارث فوهب الرشيد تركته

حدثني وسواسة بن الموصلي، وهو محمد بن أحمد بن غسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثني حماد، عن أبيه قال: استوهب أبي من الرشيد تركة سلم الخاسر، وكان قد مات عن غير وارث، فوهبها له قبل أن يتسلمها صاحب المواريث، فحصل منها خمسين ألف دينار.

أخبرني عمي، قال: حدثني أبو هفان، عن سعيد بن هريم وأبي دعامة أنه رفع إلى الرشيد أن سلما الخاسر قد توفي، وخلف مما أخذه منه خاصة ومن زبيدة ألف ألف وخمسمائة ألف درهم سوى ما خلفه من عقار وغيره مما اعتقده قديماً، فقبضه الرشيد. وتظلم إليه مواليه من آل أبي بكر الصديق، رضوان الله عليهم، فقال: هذا خادمي ونديمي، والذي خلفه من مالي، فأنا أحق به، فلم يعطهم إلا شيئاً يسيراً من قديم أملاكه.

رثاؤه معن بن زائدة ومالكاً وشهاباً ابني عبد الملك بن مسمع

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل، عن القحذمي، قال: كان مالك وشهاب ابنا عبد الملك بن مسمع ومعن بن زائدة متواخين، لا كادون يفترقون. وكان سلم الخاسر ينادمهم ويمدحهم، ويفضلون عليه ولا يحوجونه إلى غيرهم، فتوفي مالك ثم أخوه ثم معن في مدة متقاربة، فقال سلم يرثيهم:

عين جودي بعبرة تهتان وانذبي من أصاب ريب الزمان
وإذا ما بكيت قوماً كراماً فعلى مالك أبي غسان
أين معن أبو الوليد ومن كا ن غياثاً للهالك الحيران
طرقتك المنون لا واهي الحبل ولا عاقداً بحلف يمان
وشهاب وأين مثل شهاب عند بذل الندى وحر الطعان
رب خرق رزئته من بني قيس وخرق رزئت من شيبان
در در الأيام ماذا أجنت منهم في لفائف الكتان!

ذاك معن ثوى ببست رهيناً وشهاب ثوى بأرض عمان

وهما ما هما لبذل العطايا وللف الأقران بالأقران

يسبقان المنون طعناً وضرباً ويفكان كل كبل وعان

أمر له الرشيد بمائة ألف درهم في قصيدة أنشده إياها أخبرني وكيع، قال: حدثني يزيد بن محمد المهلبي، قال: حدثني عبد الصمد بن المعذل، قال: لما أنشد سلم الخاسر الرشيد قصيدته فيه:

حضر الرحيل وشدت الأحداج

أمر له بمائة ألف درهم.

من شعره في الفضل بن يحيى وجائزته عليه حدثني جحظة قال: حدثني ميمون بن هارون قال: دخل سلم الخاسر على الفضل بن يحيى في يوم نيروز والهدايا بين يديه، فأنشده:

أمن ربع تسائله وقد أقوت منازله

بقلبي من هوى الأطلا ل حب ما يزايله

رويدكم عن المشغو ف إن الحب قاتله

بلابل صدره تسري وقد نامت عواذله

أحق الناس بالتفصيل من ترجى فواضله

رأيت مكارم الأخلا ق ما ضمت حمائله

فلست أرى فتي في النا س إلا الفضل فاضله

يقول لسانه خيراً فتفعله أنامله

ومهما يرج من خير فإن الفضل فاعله

وكان إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق حاضرين، فقال لإبراهيم: كيف ترى وتسمع؟ قال: أحسن مرئي ومسموع، وفضل الأمير أكثر منه. فقال: خذوا جميع ما أهدي إلي اليوم فاقتسموه بينكم أثلاثاً إلا ذلك التمثال، فإني أريد أن أهديه اليوم إلى دنانير، ثم قال: لا، والله، ما هكذا تفعل الأحرار، يقوم وندفع إليهم ثمنه، ثم نهديه. فقوم بألف دينار، فحملها إلى القوم من بيت ماله، واقتسموا جميع الهدايا بينهم.

شعر له يعده معن بن زائدة أحسن ما مدح به أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثني عيسى بن إسماعيل تينة، قال: حدثني القحذمي، قال: قيل لمعن بن زائدة: ما أحسن ما مدحت به من الشعر عندك؟ قال: قول سلم الخاسر:

أبلغ الفتيان مألكة أن خير الود ما نفعا

أن قرما من بني مطر أتلفت كفاه ما جمعا

كلما عدنا لنائله عاد في معروفه جذعا

شعر له في الفضل بن يحيى وقد أشار برأي أخذ به أخبرني عمي، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أبو توبة، وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، عن أبي توبة، قال: حدث في أيام الرشيد أمر فاحتاج فيه إلى الرأي، فأشكل، وكان الفضل بن يحيى غائباً، فورد في ذلك الوقت، فأخبروه بالقصة، فأشار بالرأي في وقته، وأنفذ الأمر على مشورته، فحمد ما جرى فيه، فدخل عليه سلم الخاسر فأنشده:

بديهته وفكرته سواء إذا ما نابه الخطب الكبير

وأحزم ما يكون الدهر رأياً إذا عي المشاور والمشير

فأمر له بعشرة آلاف درهم.

اشترى سكوت أبي الشمقمق عن هجائه أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني أبو العيناء، قال: حدثني الجماز أن أبا الشمقمق جاء إلى سلم الخاسر يستميحه فمنعه، فقال له: اسمع إذاً ما قلته، وأنشده:

حدثوني أن سلما يشتكي جارة أيره

فهو لا يحسد شيئاً غير أير في است غيره

وإذا سرك يوماً يا خليلي نيل خيره

قم فمر راهبك الأصلع يقرع باب ديره

فضحك سلم، وأعطاه خمسة دنانير، وقال له: أحب -جعلت فداءك- أن تصرف راهبك الأصلع عن باب ديرنا.

أنشد الرشيد فتطير وأمر بإخراجه أخبرنا الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أحمد بن أبي كامل، قال: حدثني أبو دعامة، قال: دخل سلم الخاسر على الرشيد، فأنشده:

حي الأحبة بالسلام

فقال الرشيد:

حياهم الله بالسلام

فقال:

على وداع أم مقام

فقال الرشيد: حياهم الله على أي ذلك كان، فأنشده:

لم يبق منك ومنهم غير الجلود على العظام

فقال له الرشيد: بل منك، وأمر بإخراجه، وتطير منه، ومن قوله، فلم يسمع منه باقي الشعر ولا أثابه بشيء.

شعره في الهادي حين بويع له أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: أتت وفاة المهدي إلى موسى الهادي، وهو بجرجان، فبويع له هناك، فدخل عليه سلم الخاسر مع المهنئين، فنأه بخلافة الله، ثم أنشده:

لما أتت خير بني هاشم خلافة الله بجرجان

شمر للحزم سرابيله برأي لا غمر ولا وان

لم يدخل الشورى على رأيه والحزم لا يمضيه رأيان

يقر بأستاذية بشار له

أخبرني الحسن بن علي وعمي، قالا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني صالح بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: دخل سلم الخاسر على الرشيد، وعنده العباس بن محمد وجعفر بن يحيى، فأنشده قوله فيه:

حضر الرحل وشدت الأحداج

فلما انتهى إلى قوله:

إن المنايا في السيوف كوامن حتى يهيجها فتى هياج

فقال الرشيد: كان ذلك معن بن زائدة، فقال: صدق أمير المؤمنين، ثم أنشد حتى انتهى إلى قوله:

ومدجج يغشى المضيق بسيفه حتى يكون بسيفه الإفراج

فقال الرشيد: ذلك يزيد بن مزيد، فقال: صدق أمير المؤمنين، فاغتاظ جعفر بن يحيى، وكان يزيد بن مزيد عدواً للبرامكة، مصافياً للفضل بن الربيع، فلما انتهى إلى قوله:

نزلت نجوم الليل فوق رؤوسهم ولكل قوم كوكب وهاج

قال له جعفر بن يحيى: من قلة الشعر حتى تمدح أمير المؤمنين بشعر قيل في غيره! هذا لبشار في فلان التميمي، فقال الرشيد: ما تقول يا سلم؟ قال: صدق يا سيدي، وهل أنا إلا جزء من محاسن بشار، وهل أنطلق إلا بفضل منطقه! وحياتك يا سيدي إني لأروي له تسعة آلاف بيت ما يعرف أحد غيري منها شيئاً، فضحك الرشيد، وقال: ما أحسن الصدق! امض في شعرك، وأمر له بمائة ألف درهم، ثم قال للفضل بن الربيع: هل قال أحد غير سلم في طيناً المنازل شيئاً؟ -وكان الرشيد قد انصرف من الحج، وطوى المنازل.

وصفه هو والنمري على الرشيد للمنازل فوصف ذلك سلم - فقال الفضل: نعم يا أمير المؤمنين، النمري، فأمر سلماً أن يثبت قائماً حتى يفرغ النمري من إنشاده، فأنشده النميري، قوله:

تخرق سربال الشباب مع البرد وحالت لنا أم الوليد عن العهد

فقال الرشيد للعباس بن محمد: أيهما أشعر عندك يا عم؟ قال: كلاهما شاعر، ولو كان الكلام يستفحل لجودته حتى يؤخذ منه نسل لاستفحلت كلام النمري، فأمر له بمائة الف درهم أخرى.

رثاه أشجع السلمي أخبرني عمي، قال: أنشدني أحمد بن أبي طاهر لأشجع السلمي يرثي سلماً الخاسر ومات سلم قبله:

يا سلم إن أصبحت في حفرة موسداً تراباً وأحجارا

فرب بيت حسن قلته خلفته في الناس تيارا

قلدته ربا وسيرته فكان فخراً منك أو عارا

لو نطق الشعر بكى بعده عليه إعلاناً وإسرارا

صوت

يا ويح من لعب الهوى بحياته فأماته من قبل حين مماته

من ذا كذا كان الشقي بشادن هاروت بين لسانه ولهاته

وحياة من أهوى فإني لم أكن يوماً لأحلف كاذباً بحياته

لأخالفن عواذلي في لذتي ولأسعدن أخي على لذاته

الشعر لبعض شعراء الحجازيين و لم يقع إلينا اسمه، والغناء لأبي صدقة رمل بالبنصر .

أخبار أبي صدقة

اسمه وولاؤه

اسمه مسكين بن صدقة من أهل المدينة، مولى لقريش. وكان مليح الغناء، طيب الصوت، كثير الرواية، صالح الصنعة؛ من أكثر الناس نادرة، وأخفهم روحاً، وأشدهم طمعاً، وألحهم في مسألة. وكان له ابن يقال له: صدقة يغني، وليس من المعدودين، وابن ابنه أحمد بن صدقة الطنبوري -أحد المحسنين من الطنبوريين، وله صنعة جيدة، وكان أشبه الناس بجده في المزح والنوادر. وأخباره تذكر بعد أخبار جده. وأبو صدقة من المغنين الذين أقدمهم هارون الرشيد من الحجاز في أيامه.

يذكر أسباب كثرة سؤاله

أخبرني علي بن عبد العزيز، عن عبيد الله بن عبد الله، قال: قيل لأبي صدقة ما اكثر سؤالك، وأشد إلحاحك! فقال: وما يمنعني من ذلك، واسمي مسكين، وكنيتي أبو صدقة، وامرأتي فاقة، وابني صدقة!.

يتغنى مع مغني الرشيد

فيشتد طرب الرشيد لغنائه

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني، قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي أن الرشيد قال للحارث بن بسخنر: قد اشتهيت أن أرى ندمائي ومن يحضر مجلسي من المغنين جميعاً في مجلس واحد، يأكلون ويشربون، ويتبذلون منبسطين على غير هيبة ولا حتشام، بل يفعلون ما يفعلون في منازلهم وعند نظرائهم، وهذا لا يتم إلا بأن أكون بحيث لا يرونني، عن غير علم منهم برؤيتي إياهم. فأعد لي مكاناً أجلس فيه أنا وعمي سليمان وأخوتي: إبراهيم بن المهدي، وعيسى بن جعفر ، وجعفر بن يحيى. فإنا مغلسون عليك غداة غد، واستزر أنت محمد بن خالد بن برمك، وخالداً أخا مهرويه، والخضر بن جبريل، وجميع المغنين، وأجلسهم بحيث لا نراهم ولا يروننا، وابسط الجميع، وأظهر برهم، واخلع عليهم، ولا تدع من الإكرام شيئاً إلا فعلته بهم. ففعل ذلك الحارث، وقدم إليهم الطعام فأكلوا، والرشيد ينظر إليهم، ثم دعا لهم بالنبيذ، فشربوا، وأحضرت الخلع، وكان ذلك اليوم شديد البرد، فخلع على ابن جامع جبة خز طاروني مبطنة بسمور صيني، وخلع على إبراهيم الموصلي جبة وشي كوفي مرتفع مبطنه بفنك ، وخلع على أبي دراعة ملحم خراساني محشوة بقز، ثم تغنى ابن جامع، وتغنى بهذه إبراهيم، وتلاهما أبو صدقة فغنى لابن سريج:

ومن أجل ذات الخال أعملت ناقتي أكلفها سير الكلال مع الظلع

فأجاده، واستعاده الحارث ثلاثاً وهو يعيده. فقال له الحارث: أحسنت والله يا أبا صدقة! قال له: هذا غنائي وقد قرصني البرد، فكيف تراه -فديتك- كان يكون لو كان تحت دراعتي هذه شعيرات؟ يعني الوبر، والرشيد يسمع ذلك فضحك، فامر بأن يخلع عليه دراعة ملحم مبطنة بفنك، ففعلوا، ثم تغنى الجماعة، وغنى أبو صدقة لمعبد:

بأن الخليط على بزل مخيسة هدل المشافر أدنى سيرها الرمل

ثم تغنى بعده لمعبد أيضاً:

بان الخليط ولو طووعت ما بانا وقطعو من حبال الوصل أقرانا

فأقام فيهما جميعاً القيامة، فطرب الرشيد حتى كاد أن يخرج إلى المجلس طرباً فقال له الحارث: أحسنت والله يا أبا صدقة -فديتك- وأجملت، فقال أبو صدقة: فكيف ترى -فديتك- الحال تكون لو كانت على هذه الدراعة

نقيطات؟ يعني الوشم، فحضك الرشيد حتى ظهر ضحكه، وعلموا بموضعه، وعرف علمهم بذلك فأمر بإدخالهم غليه، وأمر بأن يخلع على أبي صدقة دراعة أخرى مبطنة، فخلعت عليه.

صادره الحسن بن سليمان على جعل

يأخذه ويكف عن السؤال فلم يف له

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: سأل الحسن بن سليمان أخو عبيد الله بن سليمان الطفيلي الفضل وجعفراً ابني يحيى أن يقيما عند يوماً، فأجاباه ، فواعد عدة من المغنين، فيهم أبو صدقة المدني، فقال لأبي صدقة: إنك تبرم بكثرة السؤال: فصادرني على شيء أدفعه إليك ولا تسأل شيئاً غيره، فصادره على شيء أعطاه إياه. فلما جلسوا وغنوا أعجبوا بغناء أبي صدقة، واقترحوا عليه أصواتاً من غناء ابن سريج ومعبد وابن محرز وغيرهم، فغناهم، ثم غنى -والصنعة له رمل:

يا ويح من لعب الهوى بحياته ... فأماته من قبل حين مماته

من ذا كذا كان الشقي بشهادن ... هارون بين لسانه ولهاته

وذكر الأبيات الأربعة المتقدم ذكرها، قال: فأجاد وأحسن ما شاء، وطرب جعفر، فقال له: أحسنت وحياتي، وكان عليه دواج خز مبطن بسمور جيد، فلما قال له ذلك شرهت نفسه وعاد إلى طبعه، فقال: لو أحسنت ما كان هذا الدواج عليك، ولتخلعنه علي، فألقاه عليه، ثم غنى أصواتاً من القديم والحديث، وغنى بعدها من صناعته في الرمل:

لم يطل العهد فتنساني ... ولم أغب عنك فتتاعني

بدلت بي غيري وباهتني ... ولم تكن صاحب بهتان

لا وثقت نفسي بإنسان ... بعدك في سر وإعلان

أعطيتني ما شئت من موثق ... منك ومن عهد وأيمان

فقال له الفضل: أحسنت وحياتي! فقال: لو أحسنت لخلعت علي جبة تكون شكلاً لهذا الدواج، فنزع جبته وخلعها عليه، وسكروا وانصرفوا. فوثب الحسن بن سليمان، فقال له: قد وافقتك على ما أرضاك، ودفعته إليك على ألا تسأل أحداً شيئاً، فلم تف، وقد أخذت مالك! والله لا تركت عليك شيئاً مما أخذته، ثم انتزعه منه كرهاً وصرفه، فشكاه أبو صدقة إلى الفضل وجعفر، فضحكا منه، وأخلفا عليه ما ارتجعه الطفيلي منه من خلعهما.

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الغناء صوت

بان الخليط على بزل مخيسة هدل المشافر أدنى سيرها الرمل

من كل أعيس نضاح القفا قطم ينفي الزمام إذا ما حنت الإبل

الغناء لابن عائشة، خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو الهشامي، وقال الهشامي خاصة: فيه لابن محرز هزج، ولإسحاق ثقيل أول، ووافقه ابن المكي. وما وجدت لمعبد فيه صنعة في شيء من الروايات، إلا في المذكور. وأما:

بان الخليط ولو طووعت ما بانا

فقد مضى في المائة المختارة، ونسب هناك وذكرت أخباره.

يذكر للرشيد أسباب إلحاحه في المسألة

أخبرني رضوان بن أحمد، قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم، قال: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي، قال: كان أبو صدقة أسأل خلق الله وألحهم، فقال له الرشيد: ويلك ما أكثر سؤالك! فقال: وما يمنعني من ذلك، واسمي مسكين، وكنيتي أبو صدقة، واسم ابني صدقة، وكانت أمي تلقب فاقة، واسم أبي صدقة، فمن أحق مني بهذا؟ كثرة عبث الرشيد معه وكان الرشيد يعبث به عبثاً شديداً، فقال ذات يوم لمسرور: قل لابن جامع وإبراهيم الموصلي وزبير بن دحمان وزلزل وبرصوصاً وبن ابي مريم المديني: إذا رأيتموني قد طابت نفسي، فليسألني كل واحد منهم حاجة، مقدارها مقدار صلته. وذكر لكل واحد منهم مقدار ذلك، وأمرهم أن يكتموا أمرهم عن أبي صدقة، فقال لهم مسرور ما أمره به، ثم أذن لأبي صدقة قبل إذنه لهم، فلما جلس قال له: يا أبا صدقة، قد أضجرتني بكثرة مسألتك، وأنا في هذا اليوم ضجر، وقد أحببت أن أتفرج وأفرح، ولست آمن أن تنغص علي مجلس بمسألتك، فإما أن أعفيتني من أن تسألني اليوم حاجة وإلا فانصرف. فقال له: يا سيدي لست أسألك في هذا اليوم، ولا إلى شهر حاجة، فقال له الرشيد: أما إذا شرطت لي هذا على نفسك، فقد اشتريت منك حوائجك بخمسمائة دينار، وها هي ذو فخذها هنيئاً معجلة، فإن سألتني شيئاً فعدها في هذا اليوم، فلا لوم علي إن لم أصلك سنة بشيء. فقال له: نعم، وسنتين. فقال له الرشيد: زدني في الوثيقة، فقال: قد جعلت أمر أم صدقة في يدك، فطلقها متى شئت، إن شئت واحدة، وإن شئت ألفاً إن سألتك في يومي هذا حاجة. وأشهد الله ومن حضر على ذلك، فدفع إليه المال، ثم أذن للجلساء والمغنين فحضروا، وشرب القوم.

فلما طابت نفس الرشيد قال له ابن جامع: يا أمير المؤمنين، قد نلت منك ما لم تبلغه أمنيتي، وكثر إحسانك إلي حتى كبت أعدائي وقتلتهم. وليست لي بمكة دار تشبه حالي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بمال أبني به داراً، وأفرشها بباقيه لأفقأ عيون أعدائي وأزهق نفوسهم- فعل، فقال: وكم قدرت لذلك؟ قال: أربعة آلاف دينار، فأمر له بها. ثم قام إبراهيم الموصلي فقال له: قد ظهرت نعمتك علي وعلى أكابر ولدي، وفي أصاغرهم من قد

بلغ، وأريد تزويجه، ومن أصاغرهم من أحتاج إلى أن أطهره، ومنهم صغار أحتاج إلى أن أتخذ لهم خدماً، فإن رأى أمير المؤمنين أن يحسن معونتي على ذلك فعل، فأمر له بمثل ما أمر لابن جامع، وجعل كل واحد منهم يقوم فيقول من الثناء ما يحضره، ويسأل حاجة على قدر جائزته، وأبو صدقة ينظر إليهم وإلى الأموال تفرق يميناً وشمالاً، فوثب على رجليه قائماً، وقال للرشيد: يا سيدي، أقلني، أقال الله عثرتك! فقال له الرشيد: لا أفعل، فجعل يستحلفه ويضطرب4 ويلح، والرشيد يضحك ويقول: ما إلى ذلك سبيل، الشرط أملك.

فلما عيل صبره أخذ الدنانير فرمى بها بين يدي الرشيد، وقال له: هاكها قد رددتها عليك وزدتك فرج أم صدقة فطلقها إن شئت واحدة، وإن شئت ألفاً. وإن لم تلحقني بجوائز القوم فألحقني بجائزة هذا البارد بن الباردة عمرو الغزل ، وكانت صلته ألف دينار. فضحك الرشيد حتى استلقى، ثم رد عليه الخمسمائة الدينار، وأمر له بألف دينار معها. وكان ذلك أكثر ما أخذه منه مذ يوم خدمه إلى أن مات، فانصرف يومئذ بألف وخمسمائة دينار.

عبث جعفر بن يحيى والرشيد به أخبرني رضوان بن أحمد، قال: حدثني يوسف بن إبراهيم، قال: حدثني أبو إسحاق، قال: مطرنا ونحن مع الرشيد بالرقة مطراً مع الفجر، واتصل إلى غد ذلك اليوم، وعرفنا خبر الرشيد، وأنه مقيم عند أم ولده المسماة بسحر، فتشاغلنا في منازلنا. فلما كان من غد جاءنا رسول الرشيد، فحضرنا جميعاً، وأقبل يسأل واحداً واحداً عن يومه الماضي: ما صنع فيه فيخبره، إلى أن انتهى إلى جعفر بن يحيى، فسأله عن خبره، فقال: كان عندي أبو زكار الأعمى وأبو صدقة، فكان أبو زكار كلما غنى صوتاً لم يفرغ منه حتى يأخذه أبو صدقة، فإذا انتهى الدور إليه أعاده، وحكى أبا زكار فيه وفي شمائله وحركاته، ويفطن أبو زكار لذلك فيجن ويموت غيظاً، ويشتم أبا صدقة كل شتم حتى يضجر، وهو لا يجيبه ولا يدع العبث به، وأنا أضحك من ذلك إلى أن توسطنا الشراب وسئمنا من العبث به، فقلت له: دع هذا وغن غناءك، فغنى رملاً ذكر أنه من صنعته، طربت له -والله يا أمير المؤمنين- طرباً ما أذكر أني طربت مثله منذ حين، وهو: صوت

فتنتني بقاحم اللون جعد ... وبثغر كأنه نظم در

وبوجه كأنه طلعة البد ... ر وعين في طرفها نفث سحر

فقلت له: أحسنت والله يا أبا صدقة، فلم أسكت عن هذه الكلمة حتى قال لي: إني قد بنيت داراً حتى أنفقت عليها حريبتي ، وما أعددت لها فرشاً، فافرشها لي، نجد الله لك في الجنة ألف قصر. فتغافلت عنه، وعاود الغناء، فتعمدت أن قلت له: أحسنت، ليعاود مسألتي وأتغافل عنه، فسألني وتغافلت، فقال لي: يا سيدي هذا التغافل متى حدث لك؟ سألتك بالله، وبحق أبيك عليك إلا أجبتني عن كلامي ولو بشتم! فأقبلت عليه وقلت له: أنت والله بغيض، اسكت يا بغيض، واكفف عن هذه المسألة الملحة، فوثب بين يدي، وظننت أنه خرج لحاجة، وإذا هو قد نزع ثيابه وتجرد منها خوفاً من أن تبتل، ووقف تحت السماء، لا يواريه منها شيء والمطر يأخذه، ورفع رأسه، وقال: يا رب أنت تعلم أني مله، ولست نائحاً، وعبدك هذا الذي رفعته وأحوجتني إلى خدمته يقول لي: أحسنت، لا يقول لي: أسأت، وأنا منذ جلست أقول له: بنيت، لم أقل: هدمت، فيحلف بك جرأة عليك أني

بغيض، فاحكم بيني وبينه يا سيدي، فأنت خير الحاكمين.

فغلبني الضحك، وأمرت به فتنحى، وجهدت به أن يغني، فامتنع حتى حلفت له بحياتك يا أمير المؤمنين أني أفرش له داره، وخدعته فلم أسم له ما أفرشها به، فقال الرشيد: طيب والله! الآن تم لنا به اللهو، وهو ذا أدعو به، فإذا رآك فسوف يقتضيك الفرش، لأنك حلفت له بحياتي، فهو يتنجز ذلك بحضرتي ليكون أوثق له، فقل له: أنا أفرشها لك بالبواري ، وحاكمه إلي. ثم دعا به فأحضر، فما استقر في مجلسه حتى قال لجعفر بن يحيى: الفرش الذي حلفت لي بحياة أمير المؤمنين أنك تفرش به داري، تقدم فيه، فقال له جعفر: اختر، إن شئت فرشتها لك بالبواري، وإن شئت بالبردي من الحصر، فضج واضطرب.

فقال له الرشيد: وكيف كانت القصة؟ فأخبره، فقال له: أخطأت يا أبا صدقة، إذ لم تسم النوع ولا حددت القيمة، فإذا فرشها لك بالبواري أو بالبردي أو بما دون ذلك فقد وفى يمينه، وإنما خدعك، و لم تفطن له أنت، ولا توثقت، وضيعت حقك. فسكت، وقال: نوفر البردي والبواري عليه أيضاً، أعزه الله. وغنى المغنين حتى انتهى إليه الدور، فأخذ يغني غناء الملاحين والبنائين والسقائين وما جرى مجراه من الغناء، فقال له الرشيد: أيش هذا الغناء ويلك! قال: من فرشت داره بالبواري والبرى فهذا الغناء كثير منه، وكثير أيضاً لمن هذه صلته، فضحك الرشيد وطرب وصفق، ثم له بألف دينار من ماله وقال له: افرش دارك من هذه، فقال: وحياتك لا آخذها يا سيدي أو تحكم لي على جعفر بما وعدني، وإلا مت والله أسفاً لفوات ما حصل في طمعي ووعدت به، فحكم له على جعفر بخمسمائة دينار، فقبلها جعفر، وأمر له بها.

قصة وصوله إلى السلطان

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: كان سبب وصول أبي صدقة إلى السلطان أن أبي لما حج مر بالمدينة، فاحتاج إلى قطع ثياب، فالتمس خياطاً حاذقاً، فدل على أبي صدقة، ووصف به بالحذق في الخياطة والحذق في الغناء، وخفة الروح، فأحضره فقطع له ما أراد وخاطه، وسمع غناءه فأعجبه؛ وسأله عن حاله، فشكا إليه الفقر، فخلف لعياله نفقة سابغة لسنة، ثم أخذه معه وخلطه بالسلطان.

قال حماد: فقال أبو صدقة يوماً لأبي: قد اقتصرت بي على صنعة أبي إسحاق أبيك، رحمه الله عندي، وأنت لا، رب ذلك بشيء، فقال له: هذه الصينية الفضة التي بين يدي لك إذا انصرفت، فشكره وسر بذلك، و لم يزل يغنيه بقية يومه، فلما أخذ النبيذ فيه قام قومة ليبول، فدعا أبي بصينية رصاص فحول قنينته وقدحه فيها، ورفع الصينية الفضة، فلما أراد أبو صدقة الانصراف شد أبي الصينية في منديل، ودفعها إلى غلامه، وقال له: بت الليلة عندي واصطبح غداً، واردد دابتك. فقال: إني إذاً لأحمق، أدفع إلى غلامي صينية فضة، فيأخذها ويطمع فيها أو يبيعها، ويركب الدابة ويهرب، ولكني أبيت عندك، فإذا انصرفت غداً أخذتها معي، وبات وأصبح عندنا

مصطبحاً، فلما كان وقت انصرافه أخذها ومضى، فلم يلبث من غد أن جاءنا والصينية معه، فإذا هو قد وجه بها لتباع، فعرفوه أنها رصاص، فلما رآه أبي من بعيد ضحك، وعرف القصة، وتماسك، فقالله أبو صدقة: نعم الخلافة خلفت أباك، وما أحسن ما فعلت بي! قال: وأي شيء فعلت بك؟ قال: أعطيتني صينية رصاص، فقال له أبي: سخنت عينك! سخرت امرأتك بك، وأنا من أين لي صينية رصاص؟ فتشكك ساعة، ثم قال: أظم والله أن ذلك كذلك، فقام. فقال له أبي: إلى أين؟ قال: أضع والله عليها السوط فأضربها به حتى ترد الصينية، فلما رأى أبي الجد منه قال له: اجلس يا أبا صدقة، فإنما مزحت معك، وأمر له بوزنها دراهم.

صوت

إن من يملك رقي مالك دق الرقاب

لم يكن يا أحسن العا لم هذا في حسابي

الشعر لفضل الشاعرة، والغناء لعريب خفيف ثقيل بالوسطى، عن ابن المعتز .

أخبار فضل الشاعرة

نشأتها وصفاتها

كانت فضل جارية مولدة من مولدات البصرة، وكانت أمها من مولدات اليمامة. بها ولدت، ونشأت في دار رجل من عبد القيس، وباعها بعد أن أدبها وخرجها، فاشتريت وأهديت إلى المتوكل. وكانت هي تزعم أن الذي باعها أخوها، وأنا أباها وطئ أمها فولدتها منه، فأدبها وخرجها معترفاً بها، وأن بنيه من غير أمها تواطئوا على بيعها وجحدها، و لم تكن تعرف بعد أن أعتقت إلا بفضل العبدية. وكانت حسنة الوجه والجسم والقوام، أديبة فصيحة سريعة البديهة، مطبوعة في قول الشعر. و لم يكن في نساء زمانها أشعر منها.

كانت تجلس لرجال ويجيبها الشعراء

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: كانت فضل الشاعرة لرجل من النخاسين، بالكرخ يقال له: حسنويه، فاشتراها محمد بن الفرج أخو عمر بن الفرج الرخجي، وأهداها إلى المتوكل، فكانت تجلس للرجال، ويأتيها الشعراء، فألقى عليها أبو دلف القاسم بن عيسى:

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم أشهى المطي إلي ما لم يركب

كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب

فقالت فضل مجيبة له:

إن المطية لا يلد ركوبها ... ما لم تذلل بالزمام وتركب

والدري ليس بنافع أصحابه ... حتى يؤلف للنظام بمثقب

شعرها في المتوكل حين دخلت عليه

حدثني عمي ومحمد بن خلف، قالا: حدثنا أبو العيناء، قال: لما دخلت فضل الشاعرة على المتوكل يوم أهديت إليه قال لها: أشاعرة أنت؟ قالت: كذا زعم من باعني واشتراني، فضحك وقال: أنشدينا شيئاً من شعرك فأنشدته:

استقبل الملك إمام الهدى ... عام ثلاث وثلاثينا

-تعني سنة ثلاث وثلاثين من سني الهجرة-:

خلافة أفضت إلى جعفر ... وهو ابن سبع بعد عشرينا

إنا لنرجو يا إمام الهدى ... أن تملك الناس ثمانينا

لا قدس الله امرأ لم يقل ... عند دعائي لك: آمينا

شعرها على لسان المعتمد في جارية

حدثني عمي، قال: حدثني أبو عبد الله أحمد بن حمدون، قال: عرضت على المعتمد جارية تباع في خلافة المتوكل، وهو يومئذ حديث السن، فاشتط مولاها في السوم، فلم يشترها، وخرج بها إلى ابن الأغلب، فبيعت هناك. فلما ولي المعتمد الخلافة سأل عن خبرها، وقد ذكرها فأعلم أنها بيعت وأولدها مولاها، فقال لفضل الشاعرة: قولي فيها شيئاً، فقالت:

علم الجمال تركتني ... في الحب أشهر من علم

ونصبتني يا منيتي ... غرض المظنة والتهم

فارقتني بعد الدنو فصرت عندي كالحلم

فو أن نفسي فارقت ... جسمي لفقدك لم تلم

ما كان ضرك لو وصلت فخف عن قلبي الألم

برسالة تهدينها ... أو زورة تحت الظلم

أو لا فطيفي في المنا ... م فلا اقل من اللمم

شعر لها تجيب به

عن شعر في الشوق إليها

حدثني محمد بن العباس اليزيدي، قال: كتب بعض أهلنا إلى فضل الشاعرة:

أصبحت فرداً هائم العقل إلى غزال حسن الشكل

أضنى فؤادي طول عهدي به وبعده مني ومن وصلي

منية نفسي في هوى فضل أن يجمع الله بها شملي

أهواك يا فضل هوى خالصاً فما لقلبي عنك من شغل

قال: فأجابته: صوت

الصبر ينقص والسقام يزيد والدار دانية وأنت بعيد

أشكوك أم أشكو إليك فإنه لا يستطيع سواهما المجهود

إني أعوذ بحرمتي بك في الهوى من أن يطاع لديك في حسود

في هذه الأبيات رمل طنبوري. وأظنه لجحظة.

شعر آخر تبادل فيه شوقاً بشوق

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني الحسن بن عيسى الكوفي، قال: حدثنا أبو دهمان، وأخبرني أيضاً به عبد الله بن نصر المروزي، قالا: كانت فضل الشاعرة من أحسن الناس وجهاً وخلقاً وخلقاً وأرقهم شعراً، فكتب إليها بعض من كان يجمعه وإياها مجلس الخليفة، ولا تطلعه على حبها له:

ألا ليت شعري فيك هل تذكريني فذكراك في الدنيا إلي حبيب

وهل لي نصيب في فؤادك ثابت كما لك في الفؤاد نصيب

ولست بموصول فأحيا بزورة ولا النفس عند اليأس عنك تطيب

قال: فكتبت إليه:

نعم وإلهي إنني بك صبة فهل أنت يا من لا عدمت مثيب؟

لمن أنت منه في الفؤاد مصور وفي العين نصب العين حين تغيب

فثق بوداد أنت مظهر مثله على أن بي سقماً وأنت طبيب

تجيز بيتاً أنشده المتوكل

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني يحيى بن علي بن يحيى المنجم، قال: حدثني الفضل بن العباس الهاشمي، قال: حدثتني بنان الشاعرة، قالت : اتكأ المتوكل على يدي ويد فضل الشاعرة، وجعل يمشي بيننا، ثم قال: أجيزا لي قول الشاعر:

تعلمت أسباب الرضا خوف عتبها وعلمها حبي لها كيف تغضب

فقالت له فضل:

تصد وأدنو بالمودة جاهداً وتبعد عني بالوصال وأقرب

فقلت أنا:

وعندي لها العتبى على كل حالة فما منه لي بد ولا عنه مذهب

تجيب ببيت عن بيت ألقي عليها

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: ألقى بعض أصحابنا على فضل الشاعرة:

ومستفتح باب البلاء بنظرة تزود منها قلبه حسرة الدهر

فقالت:

فوالله ما يدري أتدري بما جنت على قلبه أو أهلكته وما تدري؟

ارتجالها شعراً تجيز به بيتاً

أخبرني محمد بن خلف ، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: ألقيت أنا على فضل الشاعرة:

علم الجمال تركتني بهواك أشهر من علم

فقالت على البديهة:

وأبحتني يا سيدي سقماً يجل عن السقم

وتركتني غرضاً فديتك للعواذل والتهم

صلة المحب حبيبه الله يعلمه كرم

أخبرني محمد بن خلف، قال: حدثني محمد بن الوليد، قال: سمعت علي بن الجهم يقول: كنت يوماً عند فضل الشاعرة، فلحظتها لحظة استرابت بها، فقالت:

يا رب رام حسن تعرضه يرمي ولا يشعر أني غرضه

فقلت:

أي فتى لحظك ليس يمرضه وأي عقد محكم لا ينقضه!

فضحكت، وقالت: خذ في غير هذا الحديث.

تتشوق إلى حبيب

حدثني عمي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني إبراهيم بن المدبر، قال: كتبت فضل الشاعرة إلى سعيد بن حميد أيام كانت بينهما محبة وتواصل:

وعيشك لو صرحت باسمك في الهوى لأقصرت عن أشياء في الهزل والجد

ولكنني أبدي لهذا مودتي وذاك، وأخلو فيك بالبث والوجد

مخافة أن يغري بنا قول كاشح عدوا فيسعى بالوصال إلى الصد

فكتب إليها سعيد:

تنامين عن ليل وأسهره وحدي وأنهى جفوني أن تبثك ما عندي

فإن كنت لا تدرين ما قد فعلته بنا فانظري ماذا على قاتل العمد؟

قال عمي: هكذا ذكر ابن مهرويه.

وحدثني به علي بن الحسين بن عبد الأعلى، فذكر أن بيتي سعيد كانا الابتداء، وأن أبيات فضل كانت الجواب. وذكر لهما خبراً في عتاب عاتبها به، و لم أحفظه، وإنما سمعته يذكره، ثم أخرج إلي كتاباً بعد ذلك فيه أخبار عن علي بن الحسين، فوجدت هذا الخبر فيه، فقرأته عليه.

قال علي بن الحسين بن عبد الأعلى: حضر سعيد بن حميد مجلساً حضرته فضل الشاعرة وبنان، وكان سعيد يهواها، وتظهر له هوى، ويتهمها مع ذلك ببنان، فرأى فيها إقبالاً شديداً على بنان، فغضب وانصرف، فكتبت إليه فضل بالأبيات الأول، وأجابها بالبيتين الآخرين، فاتفقت رواية ابن مهرويه وعلي بن الحسين في هذا الخبر.

تعتذر من حجب زائرين عنها دون علمها

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أبو يوسف بن الدقاق الضرير، قال: صرت أنا وأبو منصور الباخرزي إلى منزل فضل الشاعرة فحجبنا عنها وانصرفنا، وما علمت بنا، ثم بلغها مجيئنا وانصرافنا فكرهت ذلك وغمها، فكتبت إلينا تعتذر:

وما كنت أخشى أن تروا لي زلة ... ولكن أمر الله ما عنه مذهب

أعوذ بحسن الصفح منكم وقبلنا ... بصفح وعفو ما تعوذ مذنب

فكتب إليها أبو منصور الباخرزي:

لئن أهديت عتباك لي ولإخوتي ... فمثلك يا فضل الفضائل يعتب

إذا اعتذر الجاني محا العذر ذنبه ... وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

شعراه للمتوكل وقد يئست من إيقاظه لموعد بينهما حدثني علي بن هارون بن علي بن يحيى المنجم، قال: حدثني عمي عن جدي، قال: قال لي المتوكل يوماً -وفضل واقفة بين يديه: يا علي، كان بيني وبين فضل موعد، فشربت شرباً فيه فضل، فسكرت ونمت، وجاءتني للموعد، فحركتني بكل ما ينتبه به النائم من قرص وتحريك وغمز وكلام، فلم أنتبه. فلما علمت أنه لا حيلة لها في كتبت رقعة ووضعتها على مخدتي، فانتبهت فقرأتها، فإذا فيها:

قد بدا شبهك يا مو ... لاي يحدو بالظلام

قم بنا نقض لبانا ... ت التزام والتثام

قبل أن تفضحنا عو ... دة أرواح النيام

تهاجي جارية هشام المكفوف أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: كانت فضل الشاعرة تهاجي خنساء جارية هشام المكفوف، وكانت شاعرة، وكان أبو شبل عاصم بن وهب يعاون فضلاً عليها، ويهجوها مع فضل. وكان القصيدي والحفصي يعينان خنساء على فضل وأبي شبل، فقال أبو شبل على لسان فضل:

خنساء طيري بجناحين ... أصبحت معشوقة نذلين

من كان يهوى عاشقاً واحداً ... فأنت تهوين عشيقين

هذا القصيدي وهذا الفتى ... الحفصي قد زاراك فردين

نعمت من هذا وهذا كما ... ينعم خنزير بحشين

فقالت خنساء تجيبها:

ماذا مقال لك يا فضل بل ... مقال خنزيرين فردين

يكنى أبا الشبل ولو أبصرت عيناه شبلاً راث كرين

وقالت فضل في خنساء:

إن خنساء لا جعلت فداها اشتراها الكسار من مولاها

ولها نكهة يقول محاذيها أهذا حديثها أم فساها !

وقالت خنساء في فضل وأبي شبل:

تقول له فضل إذا ما تخوفت ركوب قبيح الذل في طلب الوصل

حر أم فتى لم يلق في الحب ذلة فقلت لها لا بل حر أم أبي الشبل

وقالت خنساء تهجو أبا شبل:

ما ينقضي فكري وطول تعجبي من نعجة تكنى أبا الشبل

لعب الفحول بسفلها وعجانها فتمردت كتمرد الفحل

لما اكتنيت بما اكتنيت به وتسمت النقصان بالفضل

كادت بنا الدنيا تميد ضحى ونرى السماء تذوب كالمهل

قال: فغضب أبو شبل لذلك، ولم يجبها، وقال يهجو مولاها هشاماً:

نعم مأوى العزاب بيت هشام حين يرمي اللئام باغي اللئام

من أراد السرور عند حبيب لينال السرور تحت الظلام

فهشام نهاره ودجى الليل سواء نفسي فداء هشام

ذاك حر دواته ليس تخلو أبداً من تخرق الأقلام

زارت سعيد بن حميد فأعجلها طلب الخليفة حدثني عمي، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: زارت فضل الشاعرة سعيد بن حميد ليلة على موعد مسبق بينهما، فلما حصلت عنده جاءتها جاريتها مبادرة تعلمها أن رسول الخليفة قد جاء يطلبها، فقامت مبادرة فمضت، فلما كان من غد كتب إليها سعيد:

ضن الزمان بها فلما نلتها ورد الفراق فكان أقبح وارد

والدمع ينطق للضمير مصدقاً قول المقر مكذباً للجاحد

ترثي المنتصر وتبكيه

حدثني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن أبي الدنيا، قال: حدثني ميسرة بن محمد، قال: حدثني عبيد بن محمد، قال: قلت لفضل الشاعرة: ماذا نزل بكم البارحة؟ -قال: وذلك في صبيحة قتل المنتصر المتوكل - فقالت وهي تكبي:

إن الزمان بذحل كان يطلبنا ما كان أغفلنا عنه وأسهانا!

مالي وللدهر قد أصبحت همته مالي وللدهر ما للدهر لا كانا !

شعرها في حضرة المتوكل يوم نيروز

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني محمد بن الفضل، قال: حدثني أبو هفان، قال: حدثني أحمد بن أبي فنن، قال:

خرجت قبيحة إلى المتوكل يوم نيروز وبيدها كأس بلور بشراب صاف، فقال لها: ما هذا فديتك؟ قالت: هديتي لك في هذا اليوم، عرفك الله بركته! فأخذه من يدها، وإذا على خدها: جعفر، مكتوباً بالمسك، فشرب الكأس وقبل خدها، وكانت فضل الشاعرة واقفة على رأسه فقالت: صوت

وكاتبة بالمسك في الخد جعفراً بنفسي سواد المسك من حيث أثرا

لئن أثرت بالمسك سطراً بخدها لقد أودعت قلبي من الحزن أسطرا

فيا من مناها في السريرة جعفر سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا

الغناء لعريب، خفيف رمل. قال: وأمر عريب فغنت فيه. وقالت فضل في ذلك أيضاً:

سلافة كالقمر الباهر في قدح كالكوكب الزاهر

يديرها خشف كبدر الدجى فوق قضيب أهيف ناضر

على فتى أروع من هاشم مثل الحسام المرهف الباتر

وقد رويت الأبيات الأول لمحبوبة شاعرة المتوكل، ولها أخبار وأشعار كثيرة قد ذكرت بعضها في موضع آخر من هذا الكتاب.

تتشوق إلى سعيد بن حميد

أخبرني محمد بن خلف، قال: أخبرني أبو الفضل المروروذي، قال: كتبت فضل الشاعر إلى سعيد بن حميد:

بثثت هواك في بدني وروحي فألف فيهما طمعاً بياس

فأجابها سعيد في رقعتها:

كفانا الله شر اليأس إني لبغض اليأس أبغض كل آسي

بين بنان وسعيد بن حميد حدثني عمي، قال: حدثني ابن أبي المدور الوراق، قال: كنت عند سعيد بن حميد، وكان قد ابتدأ ما بينه وبين فضل الشاعرة يتشعب، وقد بلغه ميلها إلى بنان وهو بين المصدق والمكذب بذلك، فأقبل على صديق له فقال: أصبحت والله من أمر فضل في غرور، أخادع نفسي بتكذيب العيان، وأمنيها ما قد حيل دونه. والله إن إرسالي إليها بعدما قد لاح من تغيرها لذل، وإن عدولي عنها وفي أمرها شبه لعجز، وإن تبصري عنها لمن دواعي التلف، ولله در محمد بن أمية حيث يقول:

يا ليت شعري ما يكون جوابي أما الرسول فقد مضى بكتابي

وتعجلت نفسي الظنون وأشعرت طمع الحريص وخيفة المرتاب

وتروعني حركات كل محرك والباب يقرعه وليس ببابي

كم نحو باب الدار لي من وثبة أرجو الرسول بمطمع كذاب

والويل لي من بعد هذا كله إن كان ما أخشاه رد جوابي

تعتذر إلى بنان فلا يقبل عذرها حدثن جحظة، قال: حدثني علي بن يحيى المنجم، قال: غضب بنان على فضل الشاعرة في أمر أنكره عليها، فاعتذرت إليه، فلم يقبل معذرتها، فأنشدتني لنفسها في ذلك:

يا فضل صبراً إنها ميتة يجرعها الكاذب والصادق

ظن بنان أنني خنته روحي إذاً من بدني طالق

تجيز بيتاً لعلي بن الجهم طلب إجازته

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أبو العباس المروزي، قال: قال المتوكل لعلي ابن الجهم: قل بيتاً، وطالب فضل الشاعر بأن تجيزه، فقال علي: أجيزي يا فضل:

لاذ بها يشتكي إليها فلم يجد عندها ملاذا

قال: فأطرقت هنيهة ثم قالت:

فلم يزل ضارعاً إليها تهطل أجفانه رذاذا

فعاتبوه فزاد عشقاً فمات وجدا فكان ماذا؟

فطرب المتوكل، وقال: أحسنت وحياتي يا فضل، وأمر لها بمائتي دينار، وأمر عريب فغنت في الأبيات.

قال مؤلف هذا الكتاب : أعرف في هذه الأبيات هزجاً لا أدري أهو هذا اللحن، أم غيره؟ ولم أره في أغاني عريب، ولعله شذ عنها.

صوت

أمامة لا أراك الل ... ه ذل معيشة أبدا

ألا تستصلحين فتى ... وقاك السوء قد فسدا

غلام كان أهلك مر ... ة يدعونه ولدا

الشعر لعبد الله بن محمد بن سالم الخياط، والغناء للرطاب الجدي، ثاني ثقيل، بالوسطى عن عمرو، وفيه ليحيى المكي ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى عن إسحاق وأحمد بن المكي.

وذكر عبد الله بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام عن قلم الصالحية أنها أخذت اللحن المنسوب إلى الرطاب عن تينة، وسألته عن صانعه فأخبرها أنه له.

الجزء العشرون

نسب ابن الخياط وأخباره

نسبه وولاؤه

هو عبد الله بن محمد بن سالم بن يونس بن سالم. ذكر الزبير بن بكار أنه مولى لقريش، وذكر غيره أنه مولى لهذيل.

أوصافه

وهو شاعر ظريف، ماجن خليع، هجاء خبيث، مخضرم من شعراء الدولة الأموية والعباسية. وكان منقطعا إلى آل زبير بن العوام مداحا لهم، وقدم على المهدي مع عبد الله بن مصعب فأوصله إليه، وتوصل له إلى أن سمع شعره وأحسن صلته.

يمدح المهدي فيجيزه

ثم يمدحه فيضعف جائزته:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني يونس بن عبد الله بن سالم الخياط قال: دخل أبي على المهدي فمدحه، فأمر له بخمسين ألف درهم، فقال يمدحه:

أخذت بكفي كفه أبتغي الغنى ... ولم أدر أن الجود من كفه يعدى

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى ... أدت وأعداني فأتلفت ما عندي

قال: فبلغ المهدي خبره، فأضعف جائزته، وأمر بحملها إليه إلى منزله.

قال الزبير بن بكار: سرق ابن الخياط هذا المعنى من ابن هرمة.

كان من الهجائين

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة، قال: حدثني مصعب بن عبد الله قال: سمعت أبي يقول: لم يبرح هذه الثنية قط أحد يقذف أعراض الناس ويهجوهم، قلت: مثل من؟ قال: الحزين الكناني، والحكم بن عكرمة الدؤلي، وعبد الله بن يونس الخياط، وابنه يونس، وأبو الشدائد.

عقوق ابنه يونس له

أخبرني محمد بن مزيد قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: كان يونس بن الخياط عاقا لأبيه، فقال أبوه فيه:

يونس قلبي عليك يلتهف ... والعين عبرى دموعها تكف

تلحفني كسوة العقوق فلا ... برحت منها ما عشت تلتحف

أمرت بالخفض للجناح وبالر ... فق فأمسى يعوقك الأنف

وتلك والله من زبانية ... إن سلطوا في عذابهم عنفوا

فأجابه ابنه يونس، فقال:

أصبح شيخي يزري به الخرف ... ما إن له حرمة ولا نصف

صفاتنا في العقوق واحدة ... ما خلتنا في العقوق نختلف

لحفته سالفا أباك فقد ... أصبحت مني كذاك تلتحف

يهجو رجلا شيد دارا وكان يعرفه بالضعة

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني طلحة بن عبد الله قال: حدثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال: مر ابن الخياط بدار رجل كان يعرفه قبل ذلك بالضعة وخساسة الحال، وقد شيد بابها وطرمح بناءها، فقال:

أطله فما طول البناء بنافع ... إذا كان فرع الوالدين قصيرا

يهجو موسى بن طلحة فلا يكترث لهجائه فيناشده أن يكتم عليه: أخبرني وكيع قال: أخبرني إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن صالح قال: أخبرني العامري قال: هجا ابن الخياط موسى بن طلحة بن بلال التيمي، فقال:

عجب الناس للعجيب المحال ... حاض موسى بن طلحة بن بلال

زعموه يحيض في كل شهر ... ويرى صفرة لكل هلال

قال: فلقيه موسى، فقال: يا هذا، وأي شيء عليك؟ نعم حضت، وحملت، وولدت وأرضعت. فقال له ابن الخياط: أنشدك الله ألا يسمع هذا منك أحد فيجترئ على شعري الناس، فلا يكون شيئا، ولن يبلغك عني ما تكره بعد هذا، فتكافا.

شعره في جارية القتيلي

أخبرني الحرمي قال: حدثني الزبير قال: حدثني مصعب بن عثمان قال: ما رأيت بريق صلع الأشراف في سوق الرقيق أكثر منها يوم رحب القتيلة جارية إبراهيم بن أبي قتيلة، وكان يعشقها، وبيعت في دين عليه، فبلغت خمسمائة دينار فقال المغيرة بن عبد الله لابن أبي قتيلة: ويحك! اعتقها فتقوم عليك، فتتزوجها، ففعل. فرفع ذلك إلى أبي عمران - وهو القاضي يومئذ- فقال: أخطأ الذي أشار عليه في الحكومة. أما نحن في الحكومة فقد عرفنا أن قد بلغت خمسمائة دينار، فاذهبوا فقوموها، فإن بلغت القيمة أكثر من هذا ألزمناه، وإلا فخذوا منه خمسمائة دينار، فاستحسن هذا الرأي، وليس عليه الناس قبلنا، فقال ابن الخياط يذكر ذلك من أمر ابن قتيلة وما كان من أمر جاريته:

يا معشر العشاق من لم يكن ... مثل القتيلي فلا يعشق
لما رأى السوام قد أحدقوا ... وصيح في المغرب والمشرق

واجتمع الناس على درة ... نظيرها في الخلق لم يخلق
وأبدت الأموال أعناقها ... وطاحت العسرة للمملق
قلب فيه الرأي في نفسه ... يدير ما يأتي وما يتقي
أعتقها والنفس في شدقها ... للمعتق المن على المعتق
وقال للحاكم في أمرها ... إن افترقنا فمتى نلتقي؟

وأخبرني بهذا الخبر وكيع قال: قال الزبير بن بكار، وذكر مثل ما ذكره الحرمي، وزاد فيه: فكان فيهم -يعني فيمن حضر- لابتياعها موسى بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي، والقاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر، وغيرهم. قال: فرأيتهم قياما في الشمس يتزايدون فيها. وقال في خبره: ابن أبي قتيلة بالتاء.

يسأل سائل عنه ابنه يونس فيمضي به إليه فيستنشده شعره في العصبية: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني يونس بن عبد الله بن سالم الخياط قال: كنت ذات عشية في مسجد رسول الله" وقت العصر في أيام الحاج، فإذا أنا برجل جميل عليه مقطعات خز، وإذا معه جماعة. فوقف إلى جانبي فصلى ركعتين، ثم أقبل علي -وكان ذلك من أسباب الرزق- فقال: يا فتى، أتعرف عبد الله ابن سالم الخياط؟ فقلت: نعم. فلما صلينا قال: امض بنا إليه، فمضيت به ، فاستخرجت له أبي من منزله، فقال الرجل: بلغني أنك قلت شعرا في أمر العصبية، فقال له أبي: ومن أنت بأبي أنت وأمي؟ فقال: أنا خزيم بن أبي الهيذام، فقال له أبي: نعم قد قلته، وأنشده:

اسقياني من صرف هذي المدام ... ودعاني وأقصر من ملامي
واشربا حيث شئتما إن قيسا ... قد علا عزها فروع الأنام

ليس والله بالشآم يمان فيه روح ولا بغير الشآم

يطعم النوم حين تكتحل الأعين بالنوم عند وقت المنام

حذرا من سيوف ضرغامة عا د على الهول باسل مقدام

من بني مرة الأطايب يكنى عند دسر الرماح بالهيذام

ابنه يونس ينافسه ليحرمه جائزة

قال: فأشرع الفتى يده إليه بشيء وجزاه خيرا. قال يونس: فبادرت فأخذت بيد المري وقلت له: لا تعجل فإني قد قلت شعرا أجود من شعره. قال أبي: ويلك يا يونس يا عاض بظر أمه! تحرمني؟ فقلت: دع هذا عنك، فوالله لا تجوع امرأتي وتشبع امرأتك، فقلت ليونس: ومن كانت امرأة أبيك يومئذ؟ فقال: أمي، وجمعت والله عقوقهما . فقال لي المري أنشد فأنشدته:

اسقياني يا صاحبي اسقياني ودعاني من الملام دعاني

اسقياني هديتما من كميت بننت عشر مشمولة أسقياني

فض عنها ختامها إذ سباها واضح الخد من بني عدنان

نتحايا بالكأس أربعة في الد ور هذان ناعمان وذان

ذا لهذا ريحانة مثل هذا ك لهذا من طيب الريحان

فنهضنا لموعد كان منا إذ سمعنا تجارب البكمان

فنعمنا حولين بهرا وعشنا بين دف ومسمع ودنان

ثم هجنا للحرب إذ شبت الحر ب ففزنا فيها بسبق الرهان

إن قيسا في كل شرق وغرب خارج سهمها على السهمان

منع الله ضيمنا بأبي الهي ذام حلف السماح والإحسان

واليمانون يفخرون أما يد رون أن النبي غير يمان

قال: فقال الفتى لأبي: قد وجب علينا من حقه ما وجب علينا من حقك يا شيخ؛ واستظرف ما جرى بيني وبين أبي، وقسم الدنانير بيننا، وكانت خمسين دينارا.

ابنه يعصر حلقه

فيعترف لمنقذه بأن عق أباه من قبله:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال: حدثني الزبير قال: مر رجل بيونس بن عبد الله بن الخياط -وهو يعصر حلق أبيه وكان عاقا به- فقال له: ويلك أتفعل هذا بأبيك؟ وخلصه من يده، ثم أقبل على الأب يعزيه ويسكن منه، فقال له الأب: يا أخي لا تلمه، واعلم أنه ابني حقا. والله لقد خنقت أبي في هذا الموضع الذي خنقني فيه. فانصرف عنه الرجل وهو يضحك.

يشكو حاله إلى محمد بن سعيد

فيأمر له بمعونة فيمدحه:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن عمه عيسى قال: شكا عبد الله بن يونس الخياط إلى محمد بن سعيد بن المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب حاله وضيقا قد ناله، فأمر له بدنانير وكسوة وتمر، فقال يمدحه:

يا بن سعيد يا عقيد الندى	يا بارع الفضل على المفضل
حللت في الذروة من هاشم	وفي يفاع من بني نوفل
فطاب في الفرعين هذا وذا	ما اعتم من منصبك الأطول
قد قلت للدهر وقد نالني	بالناب والمخلب والكلكل
قد عذت من ضرك مستعصما	بها شمي ماجد نوفلي
فقال لي أهلا وسهلا معا	فزت ولم يمنع ولم يبخل
الدهر شقان فشق له	لين وشق خشن المنزل
وأخشن الشقين عني نفي	وشقه الألين ما عاش لي
فقل لهذا الدهر ما عاش لا	تبق ولا ترع ولا تأتلي

يأخذه والى الحجاز بالصلاة

فيحاول أن يعفيه منها:

أخبرني محمد بن مزيد قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: أخذ أبي -لما ولي الحجاز عبد الله بن يونس الخياط- بأن يصلي الصلوات الخمس مع الجماعة في مسجد رسول الله "، فجاءني هو ومحمد بن الضحاك وجعفر بن الحسين اللهبي، فوقف بين يدي، ثم أنشدني:

قل للأمير يا كريم الجنس	يا خير من بالغور أو بالجلس

وعدتي لولدي ونفسي شغلتني بالصلوات الخمس

فقلت له: ويلك! أتريد أن أستعفيه لك من الصلاة؟ والله ما يعفيك، وإن ذلك ليبعثه على اللجاج في أمرك، ثم يضرك عنده. فمضى وقال: نصبر إذن حتى يفرج الله تعالى.

شعره في صديق كان يدعوه للشرب

أخبرني محمد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا يونس بن الخياط قال: كان لأبي صديق، وكان يدعوه ليشرب معه، فإذا سكر خلع عليه قميصه، فإذا صحا من غد بعث إليه فأخذه منه فقال أبي فيه:

كاني قميصا مرتين إذا انتشى وينزعه مني إذا كان صاحيا

فلي فرحة في سكره بقميصه وروعاته في الصحو حصت شواتيا

فياليت حظي من سروري وروعتي تكون كفافا لا علي ولا ليا

ابنه يعقه، وابن ابنه يعق أباه: أخبرنا وكيع قال حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود الزرقي قال: قال يونس بن عبد الله الخياط لأبيه، وكان عاقا به:

ما زال بي ما زال بي طعن أبي في النسب

حتى تريبت وحت ى ساء ظني بأبي

قال: ونشأ ليونس ابن يقال له: دحيم، فكان أعق الناس به، فقال يونس فيه:

جلا دحيم عماية الريب والشك مني والطعن في النسب

ما زال بي الظن والتشكك حت ى عقني مثل ما عققت أبي

ابنه ينشد سعيد ابن عمرو نسيبا فيقر بعجزه عن مثله: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني يونس بن الخياط قال: أنشدت سعيد بن عمرو الزبيري:

لو فاح ريح حبيبة من حبها فاحت رياح حبيبتي من ريحي

قال: فقال لي سعيد بن عمرو: والله إني لأقول النسيب، فلا أقدر على مثل هذا فقلت له: ومن أين تقدر على مثل هذا يا أبا عثمان؟ لا تقدر والله على مثله حتى يسوء الثناء عليك.

يؤثر ابنه بالفريضة: أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال حدثني يونس بن الخياط قال: لما أعطى المهدي المغيرة بن حبيب ألف فريضة يضعها حيث شاء جاءه أبي عبد الله ابن سالم، وقال له:

ألف تدور على يد لممدح ما سوق مادحه لديه بكاسد

الظن مني لو فرضت لواحد في الأعجمين خصصتني بالواحد

قال: فقال له المغيرة: أيهما أحب إليك: أأفرض لك أم لابنك يونس؟ فقال له: أنا شيخ كبير، هامة اليوم أو غد، افرض لابني يونس، ففرض لي في خمسين دينارا، فلما خرجت الأعطية الثلاثة في زمن الرشيد على يدي بكار بن عبد الله قال لي خليفته أيوب بن أبي سمير -وهما يعرضان أهل ديوان العطاء-: أنت من هذيل ونراك قد صرت من آل الزبير فنردك إلى فرائض هذيل خمسة دينارا. فقال لهما بكار: إنما جعلتما لتتبعا ولا تبتدعا، أمضياه، فأعطياني مائة وخمسين دينارا.

ابنه يهجو هشام بن عبد الله حين ولي القضاء ليغض عنه: أخبرني محمد لن خلف وكيع قال: حدثني محمد بن الحسن بن مسعود الزرقي قال: حدثني ابن أبي قباحة الزهري قال: لما عزل ابن عمران -وهو عبد الله بن محمد بن عمران التيمي- عن القضاء، واستعمل هشام بن عبد الله بن عكرمة المخزومي، جزع ابن عمران من ذلك، فقال بعض أصحابه ليونس بن عبد الله الخياط: اهج هشاما بما يغض منه، فقال:

كم تغنى لي هشام ذلك الجلف الطويل

بعد وهن وهو في المج لس سكران يميل

هل إلى نار بسلع آخر الدهر سبيل

قلت للندمان لما دارت الراح الشمول

بأبي مال هشام فكما مال فميلوا

قال: وشهرها في الناس، وبلغ ذلك هشاما: لعنه الله؛ إن كان لكاذبا فقال ابن أبي قباحة: فقلت لابن الخياط كذبت، وأما والله إنه لأمر من ذلك.

ابنه يطعن في نسبه بحضرة أبيه وأصحاب له: أخبرنا وكيع قال: حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال: قال يونس بن عبد الله بن الخياط: جئت يوما إلى أبي وهو جالس وعنده أصحاب له؛ فوقفت عليهم لأغيظه، وقلت: ألا أنشدكم شعرا قلته بالأمس؟ قالوا: بلى، فأنشدتهم:

يا سائلي من أنا أو من يناسبني أنا الذي ماله أصل ولا نسب

الكلب يختال فخرا حين يبصرني والكلب أكرم مني حين ينتسب

لو قال لي الناس طرا أنت الأمنا ما وهم الناس في ذاكم ولا كذبوا

قال: فوثب إلي ليضربني، وعدوت من بين يديه، فجعل يشتمني وأصحابه يضحكون.

شعر ابنه وقد جلد في الشراب: أخبرني وكيع قال: حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود: أن مالك بن أنس جلد يونس بن عبد الله بن سالم الخياط حدا في الشراب. قال: وولي ابن سعيد القضاء بالمدينة، فقال يونس فيه:

بكتني الناس لأن جلدت وسط الرحبه

وأنني أزني وقد غنيت في المجتسبه

أعزف فيهم بعصا مالك المقتضبه

فقلت لما أكثروا علي فيم الجلبه؟

ذا ابن سعيد قد قضى وحالنا مقتربه

لا بل له التفضيل فيما لم أنل والغلبه

بحسن صوت مطرب وزوجة مغتصبه

ابن الخياط يستزير الزبير ابن بكار

في مرض موته ليجدد له عهدا:

أخبرني الحرمي ابن أبي العلاء ووكيع، قال الحرمي قال الزبير، وقال وكيع قال الزبير بن بكار: أرسل إلي ابن الخياط يقول: إني عليل منذ كذا وكذا، ومترلي على طريقك إذا صدرت إلى الثنية ، وأنا أحب أن أجدد بك عهدا، قال: فجعلته على طريقي، فوجدته على فرش مضربة ، وحوله وسائد، وهو مسجى فكشف ابنه الثوب عن وجهه، وقال له: فديتك، هذا أبو عبد الله. فقال له: أجلسني، فأجلسه وأسنده إلى صدره، فجعل يقول بنفس منقطع: بأبي أنت وأمي! أموت منذ بضع عشرة ليلة ما دخل علي قرشي غيرك وغير الزبير بن هشام وإبراهيم بن المنذر ومحمد بن عبد الله البكري، ولا والله ما أعلم أحدا أحب قريشا كحبي. قال زبير: وذكر رجلا كان بيني وبينه خلاف فقال: لو كنت شابا لفعلت بأمه كذا وكذا، لا يكنى. ثم قال:

والله لو عادت بني مصعب حليلتي قلت لها: بيني

أو ولدي عن حبهم قصروا ضغطتهم بالرغم والهون

أو نظرت عيني خلافا لهم فقأتها عمدا بسكين

ثم أقبل على ابنه، فقال: يا بني أقول لك في أبي عبد الله ما قال ابن هرمة لابنه في الحسن بن يزيد:

الله جار عتي دعوة شفقا من الزمان وشر الأقرب الوالي

من كل أحيد عنه لا يقربه وسط النجي ولا في المجلس الخالي

يموت في غد اليوم الذي زاره فيه الزبير: قال الزبير: حدثني محمد بن عبد الله البكري: أنه دخل إليه بعدي في اليوم الذي مات فيه، قال: فقال لي: يا أبا عبد الله، أنا أجود بنفسي منذ كذا وكذا ولا تخرج، ما هكذا كانت نفس عبيد ولا لبيد ولا الحطيئة، ما هي إلا نفس كلب؛ قال: فخرجت فما أبعدت حتى سمعت الواعية عليه.

صوت

بأبي مالك عني	مائل الطرف كليلا !
وأرى برك نزرا	وتحفيك قليلا
وتسميني عدوا	وأسميك خليلا
أتعلمت سلوا	أم تبدلت بديلا؟
أحمد الله فما أغ	نى الرجا فيك فتيلا

الشعر لعلي بن جبلة، والغناء لزرزور غلام المارقي، خفيف رمل بالبنصر من روايتي الهشامي وعبد الله بن موسى. وفيه لعريب هزج، وفيه ثقيل أول من جيد الغناء. ينسب إليها وإلى علويه، وهو بغنائها أشبه منه بغناء علويه.

أخبار علي بن جبلة

نسبه ولقبه

هو علي بن جبلة بن عبد الله الأبناوي ، ويكنى أبا الحسن، ويلقب بالعكوك، من أبناء الشيعة الخراسانية من أهل بغداد، وبها نشأ، وولد بالحربية من الجانب الغربي، وكان ضريرا، فذكر عطاء الملط أنه كان أكمه، وهو الذي يولد ضريرا، وزعم أنه عمي بعد أن نشأ.

استنفذ شعره في مدح أبي دلف وحميد

وهو شاعر مطبوع، عذب اللفظ جزله، لطيف العاني، مداح حسن التصرف. واستنفذ شعره في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي، وأبي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دلف خاصة حتى فضل من أجله ربيعة على مضر، وجاوز الحد في ذلك. فيقال: إن المأمون طلبه حتى ظفر به، فسل لسانه من قفاه، ويقال: بل هرب، و لم يزل متواريا منه حتى مات و لم يقدر عليه؛ وهذا هو الصحيح من القولين، والآخر شاذ.

نشأته وتربيته

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي قال: حدثني الحسين بن عبد الله بن جبلة بن علي بن جبلة قال: كان لجدي أولاد، وكان علي أصغرهم، وكان الشيخ يرق عليه، فجدر، فذهبت إحدى عينه في الجدري، ثم نشأ فأسلم في الكتاب، فحذق بعض ما يحذقه الصبيان، فحمل على دابة ونثر عليه اللوز، فوقعت على عينيه

الصحيحة لوزة فذهبت، فقال الشيخ لولده: أنتم لكم أرزاق من السلطان، فإن أعنتموني على هذا الصبي، وإلا صرفت بعض أرزاقكم إليه. فقلنا: وما تريد؟ قال: تختلفون به إلى مجالس الأدب.

يقصد أبا دلف فيتهم بانتحال القصيدة

فيطلب أن يمتحن:

قال: فكنا نأتي به مجالس العلم ونتشاغل نحن بما يلعب به الصبيان، فما أتى عليه الحول حتى برع، وحتى كان العالم إذا رآه قال لمن حوله: أوسعوا للبغوي وكان ذكيا مطبوعا، فقال الشعر، وبلغه أن الناس يقصدون أبا دلف لجوده وما كان يعطي الشعراء، فقصده -وكان يسمى العكوك- فامتدحه بقصيدته التي أولها:

ذاد ورد الغي عن صدره وارعوى واللهو من وطره

يقول فيه في مدحه:

يا دواء الأرض أن فسدت ومديل اليسر من عسره

كل من في الأرض من عرب بين باديه إلى حضره

مستعير منك مكرمة يكتسبها يوم مفتخره

إنما الدنيا أبو دلف بين مبداه ومحتضره

فإذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

فلما وصل إلى أبي دلف -وعنده من الشعراء وهم لا يعرفونه- استرابوه بها، فقال له قائده: إنهم قد اتهموك وظنوا أن الشعر لغيرك، فقال: أيها الأمير، إن المحنة تزيل هذا، قال: صدقت فامتحنوه.

القصيدة التي امتحن بها في وصف فرس أبي دلف: فقالوا له: صف فرس الأمير، وقد أجلناك ثلاثاً، قال: فاجعلوا معي رجلاً تثقون به يكتب ما أقول، فجعلوا معه رجلاً، فقال هذه القصيدة في ليلته، وهي:

ريعت لمنشور على مفرقه ذم لها عهد الصبا حين انتسب

أهداب شيب جدد في رأسه مكروهة الجدة أنضاء العقب

أشرقن في أسود أزريني به كان دجاه لهوى البيض سبب

واعتقن أيام الغواني والصبا عن ميت مطلبه حي الأدب

لم يزدجر مرعويا حين ارعوى لكن يد لم تتصل بمطلب

لم أر كالشيب وقاراً يجتوى وكالشباب الغض ظلا يستلب

فنازل لم يبتهج بقربه وذاهب أبقى جوى حين ذهب
كان الشباب لمة أزهى بها وصاحبا حراً عزيز المطحب
إذ أنا أجري سادراً في غيه لا أعتب الدهر إذا الدهر
أبعد شأو اللهو في إجرائه وأقصد الخود وراء المحتجب
وأذعر الربرب عن أطفاله بأعوجي دلفي المنتسب
تحسبه من مرح العز به مستنفراً بروعة أو ملتهب
مرتهج يرتج من اقطاره كالماء جالت فيه ريح فاضطرب
تحسبه أقعد في استقباله حتى إذا استدبرته قلت أكب
وهو على إرهاقه وطيه يقصر عنه المحزمان واللبب
تقول فيه حنب إذا انثنى وهو كمتن القدح ما فيه حنب
يخطو على عوج تناهبن الثرى لم يتواكل عن شظى ولا عصب
تحسبها ناتئة إذا خطب كأنها واطئة على الركب
شتا وقاظ برهتيه عندنا لم يؤت من بر به ولا حدب
يصان عصري حره وقره وتقصر الخور عليه بالحلب
حتى إذا تمت له أعضاؤه لم تنحبس واحدة على عتب
رمنا به الصيد فرادينا به أوابد الوحش فأجدى واكتسب
مجذم الجري يبارى ظله ويعرق الأحقب في شوط الخبب
إذا تظنينا به صدقنا وإن تظنى فوته العير كذب
لا يبلغ الجهد به راكبه ويبلغ الريح به حيث طلب
ثم انقضى ذاك كأن لم يعنه وكل بقيا فإلى يوم عطب
وخلف الدهر على أبنائه بالقدح فيهم وارتجاع ما وهب
فحمل الدهر ابن عيسى قاسماً ينهض به أبلج فراج الكرب
كرونق السيف انبلاجاً بالندى وكغراريه على أهل الريب
ما وسنت عين رأت طلعته فاستيقظت بنوبة من النوب

لولا ابن عيسى القرم كنا هملا ... لو يؤتثل مجد ولم يرع حسب
ولم يقم في يوم بأس وندى ... ولا تلاقى سبب إلى سبب
تكاد تبدى الأرض ما تضمره ... إذا تداعت خيله هلا وهب
ويستهل أملا وخيفة ... جانبها إذا استهل أو قطب
وهو وإن كان ابن فرعي وائل ... فبمساعيه يوافى في الحسب
وبعلاه وعلا آبائه ... تحوى غداة السبق أخطار القصب
يا زهر الدنيا ويا باب الندى ... وما مجير الرعب من يوم الرهب
لولاك ما كان سدى ولا ندى ... ولا قريش عرفت ولا العرب
خذها إليك من ملئ بالثنا ... لكنه غير ملئ بالنشب
فاثو في الأرض أو استفزز بها ... أنت عليها الرأس والناس الذنب

شهادة الشعراء بأنه صاحب مدح أبي دلف قال: فلما غدا عليه بالقصيدة وأنشده إياها استحسنها من حضر، وقالوا: نشهد أن قائل هذه قائل تلك، فأعطاه ثلاثين ألف درهم. وقد قيل: إن أبا دلف أعطاه مائة ألف درهم، ولكن أراها في دفعات؛ لأنه قصده مراراً كثيرة، ومدحه بعدة قصائد.

المأمون يستنشد بعض جلسائه قصيدته في أبي دلف أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثني محمد بن موسى بن حماد قال: حدثني أحمد بن أبي فنن قال: قال عبد الله بن مالك:

قال المأمون يوماً لبعض جلسائه: أقسم على منضر حضر ممن يحفظ قصيدة علي بن جبلة الأعمى في القاسم بن عيسى إلا أنشدنيها، فقال له بعض جلسائه: قد أقسم أمير المؤمنين، ولا بد من إبرار قسمه، وما أحفظها، ولكنها مكتوبة عندي. قال: قم فجئني بها، فمضى وأتاه بها، فأنشده إياها وهي:

ذاد ورد الغي عن صدره ... وارعوى واللهو من وطره
وأبت إلا البكاء له ... ضحكات الشيب في شعره
ندمي أن الشباب مضى ... لم أبلغه مدى أشره
وانقضت أيامه سلما ... لم أجد حولا على غيره
حسرت عني بشاشته ... وذودي المحمود من ثمره
ودم أهدرت من رشا ... لم يرد عقلا على هدره
فأتت دون الصبا هنة ... فليت فوقي على وتره

جارتا ليس الشباب لمن ... راح محنياً على كبره
ذهبت أشياء كنت لها ... صارها حلمي إلى صوره
دع جدا قحطان أو مضر ... في يمانيه وفي مضره
وامتدح من وائل رجلا ... عصر الآفاق في عصره
المنايا في مناقبه ... والعطايا في ذرا حجره
ملك تندى أنامله ... كانبلاج النوء من مطره
مستهل عن مواهبه ... كابتسام الروض عن زهره
جبل عزت مناكبه ... أمنت عدنان في ثغره
إنما الدنيا أبو دلف ... بين مبداه ومحتضره
فإذا ولى أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره
لست أدري ما أقول له ... غير أن الأرض في خفره
كل من في الأرض من عرب ... بي باديه إلى حضره
مستعير منك مكرمة ... يكتسيها يوم مفتخره

يقول فيها:

وزخرف في صواهله ... كصياح الحشر في أثره
قدته والموت مكتمن ... في مذاكيه ومشتجره
فرمت جيلويه منه يد ... طوت المنشور من نظره
زرته والخيل عابسة ... تحمل البؤس على عقره
خارجات تحت رايتها ... كخروج الطير من وكره
وعلى النعمان عجت به ... عوجة ذادته عن صدره
غمط النعمان صفوتها ... فرددت الصفو في كدره
ولقرقور أدرت رحا ... لم تكن ترتد في فكره
قد تأنيت البقاء له ... فأبى المحترم من قدره
وطغى حتى رفعت له ... خطة شنعاء من ذكره

قال: فغضب المأمون واغتاظ، وقال: لست لأبي إن لم أقطع لسانه أو أسفك دمه.
أنشد أبا دلف مدحته بعد أن قتل قرقوراً قال ابن أبي فنن: وهذه القصيدة قالها علي بن جبلة وقصد بها أبا دلف بعد قتله الصعلوك المعروف بقرقور، وكان من أشد الناس بأساً وأعظمهم. فكان يقطع هو وغلمانه على القوافل وعلى القرى، وأبو دلف يجتهد في أمره فلا يقدر عليه. فبينا أبو دلف خرج ذات يوم يتصيد وقد أمعن في طلب الصيد وحده إذا بقرقور قد طلع عليه وهو راكب فرساً يشق الأرض بجريه، فأيقن أبو دلف بالهلاك، وخاف أن يولي عنه فيهلك، فحمل عليه وصاح: يا فتيان! يمنة يمنة -يوهمه أن معه خيلاً قد كمنها له- فخافه قرقور وعطف على يساره هارباً، ولحقه أبو دلف فوضع رمحه بين كتفيه فأخرجه من صدره، ونزل فاحتز رأسه، وحمله على رمحه حتى أدخله الكرج.
قال: فحدثني من رأى رمح قرقور وقد أدخل بين يديه يحمله أربعة نفر. فلما أنشده علي بن جبلة هذه القصيدة استحسنها وسر بها وأمر له بمائة ألف درهم.

اتساع شهرة قصيدته فيه

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد الأزدي قال: أخبرني إبراهيم بن خلف قال: بينا أبو دلف يسير مع أخيه معقل -وهما إذا ذاك بالعراق- إذ مر بامرأتين تتماشيان، فقالت إحداهما لصاحبتها: هذا أبو دلف، قالت: ومن أبو دلف؟ قالت: الذي يقول فيه الشاعر:

إنما الدنيا أبو دلف ... بين باديه ومحتضره
فإذا ولى أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره

قال: فاستعبر أبو دلف حتى جرى دمعه. قال له مقعل: مالك يا أخي تبكي؟ قال: لأني لم أقض حق علي بن جبلة.
قال: أو لم تعطه مائة ألف درهم لهذه القصيدة؟ قال: والله يا أخي ما في قلبي حسرة تقارب حسرتي على اني أكن أعطيته مائة ألف دينار. والله لو فعلت لما كنت قاضياً حقه.

شدة إعجاب أبي تمام ببيت من بائيته

حدثني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني عبد الله ابن محمد بن جرير قال: أنشدت أبا تمام قصيدة علي بن جبلة البائية، فلما بلغت إلى قوله:

ورد البيض والبيض ... إلى الأغماد والحجب

اهتز أبو تمام من فرقه إلى قدمه، ثم قال: أحسن، والله لوددت أن لي هذا البيت بثلاث قصائد من شعري يتخيرها وينتخبها مكانه.

طلب أن ينشد المأمون مدحاً فيه ثم يختار الإقالة فراراً من شروط المأمون أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدثني أبو نزار الضبي الشاعر قال: قال لي علي بن جبلة قلت لحميد بن عبد الحميد الطوسي: يا أبا غانم، إني قد مدحت أمير المؤمنين بمدح لا يحسن مثله أحد من أهل الأرض، فاذكرني له. قال: فأنشدني، فأنشدته. قال: أشهد أنك صادق، ما يحسن أحد أن يقول هكذا. وأخذ المديح فأدخله إلى المأمون، فقال له: يا حميد، الجواب في هذا واضح، إن شاء عفونا عنه وجعلنا ذلك ثواباً لمديحه، وإن شاء جمعنا بين شعره فيك وفي أبي دلف وبين شعره فينا، فإن كان الذي قاله فيكما أجود ضربنا ظهره، وأطلنا حبسه، وإن كان الذي قاله أجود أعطيناه لكل بيت ألف درهم، وإن شاء أقلناه فقلت له: يا سيدي ومن أنا ومن أبو دلف حتى يمدحنا بأجود مديحك! فقال: ليس هذا الكلام من الجواب في شيء، فاعرض ما قلت لك على الرجل. فقال: أفعل. قال علي بن جبلة: فقال لي حميد: ما ترى؟ فقلت: الإقالة أحب إلي، فأخبر المأمون بذلك. فقال: هو أعلم، ثم قال لي حميد: يا أبا الحسن أي شيء يعني من مدائحك لي ولأبي دلف؟ فقلت: قولي فيك:

لولا حميد لم يكن ... حسب يعد ولا نسب

يا واحد العرب الذي عزت بعزته العرب

وقولي في أبي دلف:

إنما الدنيا أبو دلف ... بين باديه ومحتضره

فإذا ولى أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره

قال: فأطرق حميد ثم قال: لقد انتقد عليك أمير المؤمنين فأجاد، وأمر لي بعشرة آلاف درهم وخلعة وفرس وخادم. وبلغ ذلك أبا دلف فأضعف لي العطية، وكان ذلك في ستر منهما، ما علم به أحد خوفاً من المأمون حتى حدثتك به يا أبا نزرا.

يمسك عن زيارة أبي دلف حياء

لكثرة بره به

أخبرني علي بن سليمان قال: حدثني محمد بن يزيد، قال: حدثني علي بن القاسم قال: قال لي علي بن جبلة: زرت أبا دلف، فكنت لا أدخل إليه إلا تلقاني ببره وأفرط، فلما أكثر قعدت عنه حياء منه، فبعث إلي بمعقل أخيه، فأتاني فقال لي: يقول لك الأمير: لم هجرتنا؟ لعلك استبطأت بعض ما كان مني، فإن كان الأمر كذلك

فإني زائد فيما كنت أفعله حتى ترضى، فدعوت من كبت لي، وأمللت عليه هذه الأبيات، ثم دفعتها إلى معقل، وسألته أن يوصلها، وهي:

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمة ... وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر

ولكنني لما أتيتك زائرا ... فأفرطت في بري عجزت عن الشكر

فهأنا لا آتيك إلا مسلما ... أزورك في الشهرين يوما وفي الشهر

فإن زدتني برا تزايدت جفوة ... ولم تلقني طول الحياة إلى الحشر

قال: فلما سمعها معقل استحسنها جدا، وقال: جودت والله، أما أن الأمير ليعجب بمثل هذه الأبيات، فلما أوصلها إلى أبي دلف قال: ولله دره! ما أشعره، وما أرق معانيه! ثم دعا بدواة فكتب إلي:

ألا رب ضيف طارق قد بسطته ... وآنستة قبل الضيافة بالبشر

أتاني يرجيني فما حال دونه ... ودون القرى من نائلي عنده ستري

وجدت له فضلا علي بقصده ... إلي وبرا يستحق به شكري

فلم أعد أن أدنيته وابتدأته ... ببشر وإكرام وبر على بر

وزودته مالا قليل بقاؤه ... وزودني مدحا يدوم على الدهر

ثم وجه بهذه الأبيات مع وصيف يحمل كيسا فيه ألف دينار، فذلك حيث قلت له:

إنما الدنيا أبو دلف ... بين باديه ومحتضره

يقصد عبد الله بن طاهر ليمدحه، فيرده لغلوه في مدح أبي دلف:

أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدثني أحمد بن القاسم قال: حدثني نادر مولانا: أن علي بن جبلة خرج إلى عبد الله بن طاهر وإلى خراسان، وقد امتدحه، فلما وصل إليه قال له: ألست القائل

إنما الدنيا أبو دلف ... بين باديه ومحتضره

فإذا ولى أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره

قال: بلى، قال: فما الذي جاء بك إلينا، وعدل بك عن الدنيا التي زعمت؟ ارجع من حيث جئت، فارتحل، ومر بأبي دلف وأعلمه الخبر، فأعطاه حتى أرضاه. قال نادر فرأيته عند مولاي القاسم بن يوسف، وقد سأله عن خبره فقال:

أبو دلف إن تلقه تلق ماجدا ... جوادا كريما راجح الحلم سيدا

أبو دلف الخيرات أنداهم يدا وأبسط معروفا وأكرم محتدا

تراث أبيه عن أبيه وجده وكل امرئ يجري على ما تعودا

ولست بشاك غيره لنقيصة ولكنما الممدوح من كان أمجدا

يصف قصر حميد الطوسي ويمدحه

قال ومؤلف هذا الكتاب : والأبيات التي فيها الغناء المذكورة بذكرها أخبار أبي الحسن علي بن جبلة من قصيدة له مدح بها حميد الطوسي، ووصف قصره على دجلة وقال فيها بعد الأبيات التي فيها الغناء:

ليس لي ذنب سوى أن ي أسميك خليلا

وأناديك عزيزا وتناديني ذليلا

أنا أهواك وحالي ك صروما ووصولا

ثق بود ليس يفنى وبعهد لن يحولا

جعل الله حميدا لبني الدنيا كفيلا

ملك لم يجعل الله له فيهم عديلا

فأقاموا في ذراه مطمئنين حلولا

لا ترى فيهم مقلا يسأل المثرى فضولا

جاد بالأموال حتى علم الجود البخيلا

وبنى الفخر على الفخ ر بناء مستطيلا

صار للخائف أمنا وعلى الجود دليلا

يرثي حميدا الطوسي ولما مات حميد الطوسي رثاه بقصيدته العينية المشهورة، وهي من نادر الشعر وبديعه، وفي أولها غناء من الثقيل الأول، يقال: إنه لأبي العبيس، ويقال: إنه للقاسم ابن زرزور:

أللدهر تبكي أم على الدهر تجزع؟ وما صاحب الأيام إلا مفجع

ولو سهلت عنك الأسا كان في الأسا عزاء معز للبيب ومقنع

تعز بما عزيت غيرك إنها سهام المنايا حائمات ووقع

أصبنا بيوم في حميد لو أنه أصاب عروش الدهر ظلت تضعضع

وأدبنا ما أدب الناس قبلنا ولكنه لم يبق للصبر موضع

ألم تر للأيام كيف تصرمت ... به وبه كانت تذاد وتدفع
وكيف التقى مثوى من الأرض ضيق ... على جبل كانت به الأرض تمنع
ولما انقضت أيامه انقضت العلا ... وأضحى به أنف الندى وهو أجدع
وراح عدو الدين جذلان ينتحي ... أماني كانت في حشاه تقطع
وكان حميد معقلا ركعت به ... قواعد ما كانت على الضيم تركع
وكنت أراه كالرزايا رزئتها ... ولم أدر أن الخلق يبكيه أجمع
حمام رماه من مواضع أمنه ... حمام كذاك الخطب بالخطب يقدع
وليس بغرو أن تصيب منية ... حمى أختها أو أن يذل الممنع
لقد أدركت فينا المنايا بثارها ... وحلت بخطب وهيه ليس يرقع
نعاء حميد للسرايا إذا عدت ... تذاد بأطراف الرماح وتوزع
وللمرهق المكروب ضاقت بأمره ... فلم يدر في حوماتها كيف يصنع؟
وللبيض خلتها البعول ولم يدع ... لها غيره داعى الصباح المفزع
كأن حميدا لم يقد جيش عسكر ... إلى عسكر أشياعه لا تروع

ولم يبعث الخيل المغيرة بالضحا ... مراحا ولي يرجع بها وهي ظلع
رواجع يحملن النهاب ولم تكن ... كتائبه إلا على النهب ترجع
هوى جبل الدنيا المنيع وغيثها ... المريع وحاميها الكمي المشيع
وسيف أمير المؤمنين ورمحه ... ومفتاح باب الخطب والخطب أفظع
فأقنعه من ملكه ورباعه ... ونائله قفر من الأرض بلقع
على أي شجو تشتكي النفس بعده ... إلى شجوه أو يذخر الدمع مدمع
ألم تر أن الشمس حال ضياؤها ... عليه وأضحى لونها وهو أسفع
وأوحشت الدنيا وأودى بهاؤها ... وأجدب مرعاها الذي كان يمرع
وقد كانت الدنيا به مطمئنة ... فقد جعلت أوتادها تتقلع
بكى فقده روح الحياة كما بكى ... نداه الندى وابن السبيل المدفع

وفارقت البيض الخدور وأبرزت عواطل حسرى بعده لا تقنع
وأيقظ أجفانا وكان لها الكرى ونامت عيون لم تكن قبل تهجع
ولكنه مقدار يوم ثوى به لكل امرئ منه نهال ومشرع
وقد رأب الله الملا بمحمد وبالأصل ينمي فرعه المتفرع
أغر على أسيافه ورماحه تقسم أنفال الخميس وتجمع
حوى عن أبيه بذل راحته الندى وطعن الكلى والزاعبية شرع

وإنما ذكرت هذه القصيدة على طولها لجودتها وكثرة نادرتها، وقد أخذ البحتري أكثر معانيها فسلخه، وجعله في قصيدته اللتين رثى بهما أبا سعيد الثغري:

انظر إلى العلياء كيف تضام

و:

بأي أسى تثنى الدموع الهوامل

وقد أخذ الطائي أيضاً بعض معانيها، ولولا كراهية الإطالة لشرحت المواضع المأخوذة. وإذا تأمل ذلك منتقد بصير عرفه.

بلغ في مدح حميد الطوسي ما لم يبلغه في مدح غيره أخبرني عمي قال: حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال: حدثني أبو وائلة قال: قال رجل لعلي بن جبلة: ما بلغت في مديح أحد ما بلغته في مديحك حميداً الطوسي. فقال: وكيف لا أفعل وأدنى ما وصل إلي منه أني أهديت له قصيدة في يوم نيروز فسر بها، وأمر أن يحمل إلي كل ما أهدى له، فحمل إلي ما قيمته مائتا ألف درهم، وأهديت له قصيدة في يوم عيد فبعث إلي بمثل ذلك.

يصف جيشاً ركب فيه حميد قال أبو وائلة. وقد كان حميد ركب يوم عيد في جيش عظيم لم ير مثله، فقال علي بن جبلة يصف ذلك:

غدا بأمير المؤمنين ويمنه أبو غانم غدو الندى والسحائب
وضاقت فجاج الأرض عن كل موكب أحاط به مستعليا للمواكب
كأن سمو النقع والبيض فوقهم سماوة ليل فرنت بالكواكب
فكان لأهل العيد عيد بنسكهم وكان حميد عيدهم بالمواهب
ولولا حميد لم تبلج عن الندى يمين ولم يدرك غنى كسب كاسب
ولو ملك الدنيا لما كان سائل ولا اعتام فيها صاحب فضل صاحب
له ضحكة تستغرق المال بالندى على عبسة تشجى القنا بالترائب

ذهبت بأيام العلا فارداً بها وصرمت عن مسعاك شأو المطالب

وعدلت ميل الأرض حتى تعدلت فلم ينأ منها جانب فوق جانب

بلغت بأدنى الحزم أبعد قطرها كأنك منها شاهد كل غائب

قصيدة أهادها إليه يوم نيروز قال: والتي أهداها له يوم النيروز قصيدته التي فيها:

حميد يا قاسم الدنيا بنائله وسيفه بين أهل النكث والدين

أنت الزمان الذي يجري تصرفه على الأنام بتشديد وتليين

لو لم تكن كانت الأيام قد فنيت والمكرمات ومات المجد مذ حين

صورك الله من مجد ومن كرم وصور الناس من ماء ومن طين

نسخت من كتاب بخط محمد بن العباس اليزيدي:

يدخل على أبي دلف فيستنشده

قال أحمد بن إسماعيل الخصيب الكاتب: دخل علي بن جبلة يوماً إلى أبي دلف فقال له: هات يا علي ما معك. فقال: إنه قليل. فقال هاته، فكم من قليل أجود من كثير فأنشده:

الله أجرى من الأرزاق أكثرها على يديك فشكراً يا أبا دلف

أعطى أبو دلف والريح عاصفة حتى إذا وقفت أعطى ولم يقف

يستنشده أبو دلف فيتطير مما أنشده قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم، فلما كان بعد مدة دخل إليه، فقال له: هات ما معك فأنشده:

من ملك الموت إلى قاسم رسالة في بطن قرطاس

يا فارس الفرسان يوم الوغى مرني بمن شئت من الناس

قال: فأمر له بألفي درهم، وكان قد تطير من ابتدائه في هذا الشعر، فقال: ليست هذه من عطاياك أيها الأمير، فقال: بلغ بها هذا المقدار ارتياعنا من تحملك رسالة ملك الموت إلينا.

يهجو الهيثم بن عدي إجابة لطلب الخزيمي

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن عليل العنزي قال: حدثني محمد بن عبد الله قال: حدثني علي بن جبلة العكوك المروزي قال: جاءني أبو يعقوب الخزيمي فقال لي: إن لي إليك حاجة. قلت: وما هي؟ قال:

تهجو لي الهيثم بن عدي. فقلت: وما لك أنت لا تهجوه وأنت شاعر؟ فقال: قد فعلت، فما جاءني شيء كما أريد. فقلت له: فقلت له: كيف أهجو رجلاً لم يتقدم إلي منه إساءة، ولا له إلي جرم يحفظني؟ فقال: تقرضني، فإني ملي بالقضاء، قلت: نعم، فأمهلني اليوم فمضى، وغدوت عليه فأنشدته:

للهيثم بن عدي نسبة جمعت ... آباءه فأراحتنا من العدد

أعدد عدياً فلو مد البقاء له ... ما عمر الناس لم ينقص ولم يزد

نفسي نداء بني عبد المدان وقد ... تلوه للوجه واستعلوه بالعمد

حتى أزالوه كرهاً عن كريمتهم ... وعرفوه بدل أين أصل عدي؟

يا بن الخبيثة من أهجو فأفضحه ... إذا هجوت وما تنمى إلى أحد؟

هجاؤه الهيثم مزق بينه وبين زوجه قال: وكان الهيثم قد تزوج إلى بني الحارث بن كعب، فركب محمد بن زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي، أخو يحيى بن زياد، ومعه جماعة من أصحابه الحارثيين إلى الرشيد، فسألوه أن يفرق بينهما. فقال الرشيد: أليس هو الذي يقول فيه الشاعر:

إذا نسبت عديا في بني ثعل ... فقدم الدال قبل العين في النسب

قالوا: بلى يا أمير المؤمنين. قال فهذا الشعر من قاله؟ قالوا: هو لرجل من أهل الكوفة من بني شيبان يقال له: ذهل بن ثعلبة فأمر الرشيد داود بن يزيد أن يفرق بينهما، فأخذوه داراً وضربوه بالعصي حتى طلقها.

يشخص إلى عبد الله بن طاهر ويمدحه: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن الحسن بن الخصيب قال: شخص علي بن جبلة إلى عبد الله بن طاهر والي خراسان -وقد مدحه فأجزل صلته- واستأذنه في الرجوع، فسأله أن يقيم عنده، وكان بره يتصل عنده، فلما طال مقامه اشتاق إلى أهله، فدخل إليه فأنشده: ينشد عبد الله بن طاهر شعراً يطلب به أن يأذن له في الرحيل:

راعه الشيب إذ نزل ... وكفاه من العذل

وانقضت مدة الصبا ... فانقضى اللهو والغزل

قد لعمري دملته ... بخضاب فما أندمل

فابك للشيب إذ بدا ... لا على الربع والطل

وصل الله للأمير عر الملك فاتصل

ملك عزمه الزما ... ن وأفعاله الدول

كسروي بمجده ... يضرب الضارب المثل

وإلى ظل عزه ... يلجأ الخائف الوجل

كل خلق سوى الإما م لإنعامه خول

ليته حين جاد لي بالغنى جاد بالقفل

قال: فضحك وقال: أبيت إلا أن توحشنا. وأجزل صلته، وأذن له.

ينشد حميداً الطوسي شعراً في أول رمضان: أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثني أبو وائلة السدوسي، قال: دخل علي بن جبلة العكوك على حميد الطوسي في أول يوم من شهر رمضان، فأنشده:

جعل الله مدخل الصوم فوزا لحميد ومتعه في البقاء

فهو شهر الربيع للقراء وفراق الندمان والصهباء

وأنا الضامن الملي لمن عا قرها مفطرا بطول الظماء

وكأني أرى الندامى على الخسف يرجون صبحهم بالمساء

قد طوى بعضهم زيارة بعض واستعاضوا مصاحفاً بالغناء

يقول فيها:

بحميد وأين مثل حميد فخرت طيء على الأحياء

جوده أظهر السماحة في الأر ض وأغنى المقوي عن الإقواء

ملك يأمل العباد نداه مثل ما يأملون قطر السماء

صاغه الله مطعم الناس في الأر ض وصاغ الحساب للإسقاء

ينشد حميداً الطوسي شعراً ثاني شوال: قال: فأمر له بخمسة آلاف درهم، وقال: استعن بهذه على نفقة صومك. ثم دخل إليه ثاني شوال، فأنشده:

عللاني بصفو ما في الدنن واتركا ما بقوله العاذلان

واسبقا فاجع المنيه بالعيش فكل على الجديدين فإني

عللاني بشربة تذهب الهم وتنفي طوارق الأحزان

وانفثا في مسامع سدها الصو م رقى الموصلي أو دحمان

قد أتانا شوال فاقتبل العيش وأعدى قسرا على رمضان

نعم عون الفتى على نوب الدهر سماع القيان والعيان

وكئوس تجري بماء كروم ومطي الكئوس أيدي القيان
من عقار تميت كل احتشام وتسر الندمان بالندمان
فاشرب ألراح واعص من لام فيها إنها نعم عدة الفتيان
واصطحب الدهر بارتحال وحل لا تخف ما يجره الحادثان
حسب مستظهر على الدهر ركناً بحميد ردءا من الحدثان
ملك يقتني المكارم كنزا وتراه من أكرم الفتيان
خلقت راحتاه للجود وألبا س وأمواله لشكر اللسان
ملكته على العباد معد وأقرت له بنو قحطان
أريحي الندى جميل المحيا يداه والسماح معتقدان
وجهه مشرق إلى معتفيه ويداه بالغيث تنفجران
جعل الدهر بين يوميه قسمين بعرف جزل وحر طعان
فإذا سار بالخميس لحرب كل عن نص جريه الخافقان
وإذا ما هززته لنوال ضاق عن رحب صدر الأفقان
غيث جدب إذا أقام ربيع يتغشى بالسيب كل مكان
يا أبا غانم بقيت على الدهر وخلدت ما جرى العصران
ما نبالي إذا عدت المنايا من أصابت بكلكل وجران
قد جعلنا إليك بعث المطايا هربا من زماننا الخوان
وحملنا الحاجات فوق عتاق ضامنات حوائج الركبان
ليس جود وراء جودك ينتا ب ولا يعتفي لغيرك عاني

فأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: تلك كانت للصوم، فخففت وخففنا، وهذه للفطر، فقد زدتنا وزدناك.

أحب جارية وأحبته على قبح وجهه

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمد بن الطيب السرخسي قال: حدثنا ابن أخي علي بن جبلة العكوك -قال أحمد: وكان علي جارنا بالربض هو وأهله، وكان أعمى وبه وضح. وكان يهوى جارية أديبة ظريفة شاعرة وكانت تحبه هي أيضاً على قبح وجهه وما به من الوضح، حدثني بذلك عمرو بن بحر الجاحظ.

قال عمرو: وحدثني العكوك أن هذه الجارية زارته يوماً وأمكنته من نفسها حتى افتضها. قال، وذلك عنيت في قولي:

ودم أهدرت من رشا لم يرد عقلا على هدره

وهي القصيدة التي مدح بها أبا دلف، يعني بالدم: دم البضع .

يستأذن على حميد الطوسي فيمتنع، ثم يأذن له فيمدحه: قال: ثم قصدت حميداً بقصيدتي التي مدحته بها، فلما استؤذن لي عليه أبى أن يأذن لي، وقال: قولوا له: أي شيء أبقيت لي بعد قولك في أبي دلف:

إنما الدنيا أبو دلف بين مبداه ومحتضره

فإذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

فقلت للحاجب: قل لله: الذي قلت فيك أحسن من هذا، فإن وصلتني سمعته، فأمر بإيصالي، فأنشدت قولي فيه:

إنما الدنيا حميد وأياديه الجسام

فإذا ولى حميد فعلى الدنيا السلام

فأمر بمائتي دينار، فنثرها في حجر عشيقتي، ثم جئته بقصيدتي التي أقول فيها:

دجلة تسقي وأبو غانم يطعم من تسقي من الناس

فأمر لي بمائتي دينار.

شعره حين غضبت عليه التي أحبها حدثني عمي قال: حدثني أحمد بن الطيب قال: حدثني ابن أخي علي بن جبلة أيضاً: أن عمه عليا كان يهوى جارية، وهي هذه القينة، وكانت له مساعدة، ثم غضبت عليه، وأعرضت عنه، فقال فيها:

تسيء ولا تستنكر السوء إنها تدل بما تتلوه عندي وتعرف

فمن أين ما استعطفتها لم ترق لي ومن أين ما جربت صبري يضعف

ينشد لنفسه أقبح ما قيل في ترك الضيافة

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدثنا عمر بن شبة قال: تذاكرنا يوماً أقبح ما هجي به الناس في ترك الضيافة وإضاعة الضيف، فأنشدنا علي بن جبلة لنفسه:

أقاموا الديدبان على يفاع وقالوا لا تنم للديدبان

فإن آنست شخصاً من بعيد فصفق بالبنان على البنان

تراهم خشية الأضياف خرساً ... ويأتون الصلاة بلا أذان

يمدح حميداً الطوسي فيعطيه ألف دينار كان أمر بالتصدق بها: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبي قال: حدثني وهب بن سعيد المروزي، كاتب حميد الطوسي، قال: جئت حميداً في أول يوم من شهر رمضان، فدفع إلي كيساً فيه ألف دينار، وقال: تصدقوا بهذه. وجاءه ابنه أصرم فسلم عليه ودعا له، ثم قال له: خادمك علي بن جبلة بالباب، فقال: وما أصنع به؟ جئتني به يا بني تقابلني بوجهه في أول يوم من هذا الشهر. فقال: إنه يجيد فيك القول. قال: فأنشدني بيتاً مما تستجيد له: فأنشده قوله:

حيدي حياد فإن غزوة جيشه ... ضمنت لجائلة السباع عيالها

فقال: أحسن. ائذنوا له، فدخل فسلم، ثم أنشد قوله:

إن أبا غانم حميدا ... غيث على المعتفين هامي

صوره الله سيف حتف ... وباب رزق على الأنام

يا مانع الأرض بالعوالي ... والنعم الجمة العظام

ليس من السوء في معاذ ... من لم يكن منك في ذمام

وما تعمدت فيك وصفاً ... إلا تقدمته أمامي

فقد تناهت بك المعالي ... وانقطعت مدة الكلام

أجد شهراً وأبل شهراً ... واسلم على الدهر ألف عام

قال: فالتفت إلي حميد، وقال: أعطه ذلك الألف الدينار حتى يخرج للصدقة غيره.

يستشفع بحميد الطوسي إلى أبي دلف وكان غضب عليه: حدثني عمي قال: حدثني يعقوب بن إسرائيل قال: حدثني أبو سهيل عن سالم مولى حميد الطوسي قال: جاء علي بن جبلة إلى حميد الطوسي مستشفعاً به إلى أبي دلف -وقد كان غضب عليه وجفاه- فكرب معه إلى أبي دلف شافعاً، وسأله في أمره، فأجابه واتصل الحديث بينهما وعلي بن جبلة محجوب، فأقبل على رجل إلى جانبه وقال: اكتب ما أقول لك، فكتب:

لا تتركي بباب الدار مطرحا ... فالحر ليس عن الأحرار يحتجب

هبنا بلا شافع جئنا ولا سبب ... ألست أنت إلى معروفك السبب؟

قال: فأمر بإيصاله إليه، ورضي عنه ووصله.

يخشاه المخزومي أن ينشد شعراً

في حضرته:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أحمد بن مروان قال: حدثني أبو سعيد المخزومي قال: دخلت على حميد الطوسي، فأنشدته قصيدة مدحته بها وبين يديه رجل ضرير، فجعل لا يمر ببيت إلا قال: أحسن قاتله الله! أحسن ويحه! أحسن لله أبوه! أحسن أيها الأمير. فأمر لي حميد ببدرة، فلما خرجت قام غلي البوابون، فقلت: كم أنتم؟ عرفوني أولاً من هذا المكفوف الذي رأيته بين يدي الأمير؟ فقالوا: علي بن جبلة العكوك فارفضضت عرقاً. ولو علمت أنه علي بن جبلة لما جسرت على الإنشاد بين يديه.

لا يأذن له المأمون في مدحه إلا بشرط، فيختار الإقالة:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح قال: كلم حميد الطوسي المأمون في أن يدخل عليه علي بن جبلة، فيسمع منه مديحاً مدحه به، فقال: وأي شيء يقوله في بعد قوله في أبي دلف:

إنما الدنيا أبو دلف ... بين مغزاه ومحتضره

فإذا ولى أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره

وبعد قوله فيك:

يا واحد العرب الذي ... عزت بعزته العرب

أحسن أحواله أن يقول في مثل ما قاله في أبي دلف، فيجعلني نظيراً له. هذا إن قدر على ذلك و لم يقصر عنه، فخيروه بين أن أسمع منه، فإن كان مدحه إياي أفضل من مدحه أبا دلف وصلته، وإلا ضربت عنقه أو قطعت لسانه، وبين أن أقيله وأعفيه من هذا وذا. فخيروه بذلك، فاختار الإقالة.

يمدح حميد الطوسي بخير من مدحه أبا دلف: ثم مدح حميداً الطوسي، فقال له: وما عساك أن تقول في بعد ما قلته في أبي دلف، فقال: قد قلت فيك خيراً من ذلك. قال: هات، فأنشده:

دجلة تسقي وأبو غانم ... يطعم من تسقي من الناس

الناس جسم وإمام الهدى ... رأس وأنت العين في الراس

فقال له حميد: قد أجدت، ولكن ليس هذا مثل ذلك، ووصله.

يرثي حميداً الطوسي: قال أحمد بن عبيد، ثم مات حميد الطوسي، فرثاه علي بن جبلة، فلقيته، فقلت له: أنشدني مرثيتك حميداً، فأنشدني:

نعاء حميداً للسرايا إذا غدت ... تذاد بأطراف الرماح وتوزع

حتى أتى على آخرها.

لا يبلغ شأو الخزيمي في رثاه أبي الهيذام: فقلت له: ما ذهب على النحو الذي نحوته يا أبا الحسن، وقد قاربته وما بلغته. فقال: وما هو؟ فقلت: أردت قول الخزيمي في مرثيته أبا الهيذام:

وأعددته ذخراً لكل ملمة وسهم المنايا بالذخائر مولع

فقال: صدقت والله، أما والله لقد نحوته وأنا لا أطمع في اللحاق به، لا والله ولا امرؤ القيس لو طلبه وأراده ما كان يطمع أن يقاربه في هذه القصيدة.

هربه من المأمون

وقد طلبه لتفضيله أبا دلف عليه وعلى آله:

أخبرني عمي، قال: حدثنا أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثني ابن أبي حرب الزعفراني، قال: لما بلغ المأمون قول علي بن جبلة لأبي دلف:

كل من في الأرض من عرب بين باديه إلى حضره

مستعير منك مكرمة يكتسيها يوم مفتخره

غضب من ذلك، وقال: اطلبوه حيث كان، فطلب فلم يقدر عليه، وذلك أنه كان بالجبل، فلما اتصل به الخبر هرب إلى الجزيرة، وقد كانوا كتبوا إلى الآفاق في طلبه، فهرب من الجزيرة أيضاً، وتوسط الشام فظفروا به، فأخذوه، وحملوه إلى المأمون، فلما صار إليه قال له: يا بن اللخناء ، أنت القائل للقاسم بن عيسى:

كل من في الأرض من عرب بين باديه إلى حضره

مستعير منك مكرمة يكتسيها يوم مفتخره

جعلتنا ممن يستعير المكارم منه! فقال له: يا أمير المؤمنين، أنتم أهل بيت لا يقاس بكم أحد، لأن الله جل وعز فضلكم على خلقه، واختاركم لنفسه. وإنما عنيت بقولي في القاسم أشكال القاسم وأقرانه، فقال: والله ما استثنيت أحداً عن الكل، سلوا لسانه من قفاه.

أمر المأمون أن يسل لسانه لكفره

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن موسى قال: وحدثني أحمد بن أبي فنن: أن المأمون لما أدخل عليه علي بن جبلة قال له: إني لست أستحل دمك لتفضيلك أبا دلف على العرب كلها وإدخالك في ذلك قريشاً- وهم آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعترته- ولكني أستحله بقولك في شعرك وكفرك حيث تقول القول الذي أشركت فيه:

أنت الذي تنزل الأيام منزلها وتنقل الدهر من حال إلى حال

وما مددت مدى طرف إلى أحد إلا قضيت بأرزاق وآجال

كذبت يا ماص بظر أمه، ما يقدر على ذلك أحد إلا الله -عز وجل- الملك الواحد القهار. سلوا لسانه من قفاه.

صوت

لا بد من سكرة على طرب　　لعل روحاً يدال من كرب

-ويروى:

لعل روحاً يديل من كرب

-وهو أصوب:

فعاطنيها صهباء صافية　　تضحك من لؤلؤ على ذهب

خليفة الله أنت منتخب　　لخير أم من هاشم وأب

اكرم بأصلين أنت فرعهما　　من الإمام المنصور في النسب

الشعر للتيمي، والغناء لسليم بن سلام، خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو، وفيها لنظم العمياء خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي.

أخبار التيمي ونسبه

اسمه وولاؤه وصفته

هو عبد الله بن أيوب، ويكنى أبا محمد مولى بني تميم ثم مولى بني سليم. ذكر ذلك ابن النطاح، وكان له أخ يقال له أبو التيحان، وكلاهما كان شاعراً، وهما من أهل الكوفة، وهما من شعراء الدولة العباسية. أحد الخلعاء المجان الوصافين للخمر، وكان صديقاً لإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق، ونديماً لهما، ثم اتصل بالبرامكة ومدحهم، واتصل بيزيد بن مزيد فلم يزل منقطعاً إليه حتى مات يزيد.

أكثر شعره في وصف الخمر

واستنفد شعره أو أكثره في وصفه الخمر، وهو الذي يقول:

شربت من الخمر يوم الخميس　　بالكاس والطاس والقنقل

فما زالت الكأس تغتالنا　　وتذهب بالأول الأول

إلى أن توافت صلاة العشا　　ونحن من السكر لم نعقل

فمن كان يعرف حق الخميس　　وحق المدام فلا يجهل

وما إن جرت بيننا مزحة　　تهيج مراء على السلسل

وهو القائل:

ولن أنتهي عن طيب الراح أو يرى بوادي عظامي في ضريحي لاحد

أضعت شبابي في الشراب تلذذا وكنت امرأ غير الشباب أكابد

رواية أخرى في ولائه: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني أبو العيناء عن محمد بن عمر، قال: أبو محمد التيمي اسمه عبد الله بن أيوب مولى بني تميم.

يرثي ابنا له: حبان: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار عن محمد بن الجراح قال: قال دعبل: كان للتيمي أبي محمد ابن يقال له حبان، ومات وهو حديث السن، فجزع عليه، وقال يرثيه: صوت

أودى بجبان ما لم يترك الناس فامنح فؤادك من أحبابك الياسا

لما رمته المنايا إذ قصدن له أصبن مني سواد القلب والراسا

وإذ يقول لي العواد إذ حضروا لا تأس أبشر أبا حبان لا تاسى

فبت أرعى نجوم الليل مكتئباً إخال سنته في الليل قرطاسا

غنى في الأول والرابع من هذه الأبيات حكم الوادي، ولحنه رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وأول هذه القصيدة:

يا دير هند لقد أصبحت لي أنسا وما عهدتك لي يا دير مئناسا

وهي مشهورة من شعره.

يجيز بيتاً لإسحاق عجز عن إتمامه: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: قلت:

وصف الصد لمن أهوى فصد

ثم أجبلت ، فمكثت عدة ليال لا يستوى لي تمامه. فدخل علي التيمي فرآني مفكراً، فقال لي: ما قصتك؟ فأخبرته، فقال:

وبدا يمزح بالهجر فجد

ثم أتممتها، فقلت:

ما له يعدل عني وجهه وهو لا يعدله عندي أحد؟

وخرجت إلى مدح الفضل بن الربيع، فقلت:

وقد أرادوا غيرة الفضل وهل تطلب الغرة في خيس الأسد

ملك ندفع ما نخشى به وبه يصلح منا ما فسد

يفعل الناس إذا ما وعدوا وإذا ما فعل الفضل وعد

-لإسحاق في هذا الشعر صنعة، ونسبتها: صوت

وصف الصد لمن نهوى فصد وبدا يمزح بالهجر فجد

ما له يعدل عني وجهه وهو لا يعد له عندي أحد؟

الشعر والغناء لإسحاق، خفيف رمل بالبنصر، وله فيه أيضاً ثقيل أول، وفيه لزكريا بن يحيى بن معاذ هزج بالبنصر عن الهشامي وغيره. قال الهشامي: وقيل إن الهزج لإسحاق، وخفيف الرمل لزكريا.

اشترك هو وإسحاق في البيتين السابقين: أخبرني جحظة عن علي بن يحيى المنجم عن إسحاق قال: اشتركت أنا وأبو محمد التيمي في هذا الشعر:

وصف الصد لمن نهوى فصد .

وذكر البيتين.

يطلب الرشيد إنشاد مرثيته في يزيد بن مزيد: أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان قال: حدثني محمد الراوية الذي يقال له البيذق وكان يقرأ شعر المحدثين على الرشيد - قال:

قال لي الرشيد يوماً: أنشدني مرثية مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة التي يقول فيها:

كأن الشمس يوم أصيب معن من الإظلام ملبسة جلالا

هو الجبل الذي كانت معد تهد من العدو به الجبالا

أقمنا باليمامة بعد معن مقاماً لا نريد به زيالا

وقلنا أين نذهب بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالا

قال: فأنشدته إياها، ثم قال لي، أنشدني قصيدة أبي موسى التيمي في مرثية يزيد بن مزيد، فهي والله أحب إلي من هذه، فأنشدته:

أحق أنه أودى يزيد تبين أيها الناعي المشيد

أتدري من نعيت وكيف فاهت به شفتاك، كان بك الصعيد

أحامي المجد والإسلام أودى فما للأرض ويحك لا تميد!

تأمل هل ترى الإسلام مالت دعائمه وهل شاب الوليد!

وهل شيمت سيوف بني نزار وهل وضعت على الخيل اللبود !

وهل تسقي البلاد عشار مزن بدرتها وهل يخضر عود!

أما هدت لمصرعه نزار | بلى وتقوض المجد المشيد
وحل ضريحه إذ حل فيه | طريف المجد والحسب التليد
أما والله ما تنفك عيني | عليك بدمعها أبداً تجود
فإن تجمد دموع لئيم قوم | فليس لدمع ذي حسب جمود
أبعد يزيد تختزن البواكي | دموعاً أو تصان لها خدود؟
لتبكيك قبة الإسلام لما | وهت أطنابها ووهي العمو
ويبكيك شاعر لم يبق دهر | له نشبا وقد كسد القصيد
فمن يدعو الإمام لكل خطب | ينوب وكل معضلة تئود؟
ومن يحمي الخميس إذا تعايا | بحيلة نفسه البطل النجيد؟
فإن يهلك يزيد فكل حي | فريس للمنية أو طريد
ألم تعجب له أن المنايا | فتكن به وهن له جنود؟
قصدن له وهن يحدن عنه | إذا ما الحرب شب لها وقود
لقد عوى ربيعة أن يوماً | عليها مثل يومك لا يعود

قال: فبكى هارون الرشيد بكاء اتسع فيه حتى لو كانت بين يديه سكرجة لملأها من دموعه.

يجيز شعراً للأمين: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا محمد بن عمر قال: خرج كوثر خادم محمد الأمين ليرى الحرب، فأصابته رجمة في وجهه، فجلس يبكي، فوجه محمد من جاءه به، وجعل يمسح الدم عن وجهه، وقال:

ضربوا قرة عيني | ومن أجلي ضربوه
أخذ الله لقلبي | من أناس أحرقوه

قال: وأراد زيادة في الأبيات فلم يواته، فقال للفضل بن الربيع: من ها هنا من الشعراء، فاقل: الساعة رأيت عبد الله بن أيوب التيمي، فقال: علي به. فلما أدخل أنشده محمد هذين البيتين، وقال: أجزهما، فقال:

ما لمن أهوى شبيه | فبه الدنيا تتيه
وصله حلو ولكن | هجره مر كريه
من رأى الناس له الفض | ل عليهم حسدوه
مثل ما قد حسد القا | ئم بالملك أخوه

فقال محمد: أحسنت، هذا والله خير مما أوردناه، بحياتي عليك يا عباسي إلا نظرت، إن جاء على الظهر ملأت أحمال ظهره دراهم، وإن كان جاء في زورق ملأته. فأوقرت له ثلاثة أبغل دراهم.

يلجأ إلى الفضل بن سهل ليوصله إلى المأمون، فيمدحه، ويعفو المأمون عنه: قال محمد بن يحيى: فحدثني الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني محمد بن إدريس قال: لما قتل محمد الأمين خرج إلى أبو محمد التيمي إلى المأمون وامتدحه، فلم يأذن له، فصار إلى الفضل بن سهل ولجأ إليه وامتدحه، فأوصله إلى المأمون. فلما سلم عليه قال له المأمون: إيه يا تيمي:

مثل ما قد حسد القا ... ئم بالملك أخوه

فقال التيمي: بل أنا الذي أقول يا أمير المؤمنين:

نصر المأمون عبد الل ... ه لما ظلموه

نقضوا العهد الذي كا ... نوا قديماً أكدوه

لم يعامله أخوه ... بالذي أوصى أبوه

ثم أنشده قصيدة له امتدحه بها أولها:

جزعت ابن تيم أن أتاك مشيب ... وبان الشباب والشباب حبيب

قال: فلما أنشده إياها وفرغ منها قال: قد وهبتك لله -عز وجل- ولأخي العباسي- يعني الفضل بن سهل- وأمرت لك بعشرة آلاف درهم.

ينشد الأمين أبياتاً فيأمر له بمائتي ألف درهم: أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني عون بن محمد الكندي قال: حدثني عباد ابن محمد الكاتب عن أبي محمد التيمي الشاعر قال: أنشدت الأمين محمد أول ما ولي الخلافة قولي:

لا بد من سكرة على طرب ... لعل روحاً يديل من كرب

الأبيات المذكورة في الغناء. قال: فأمر لي بمائتي ألف درهم، صالحوني منها على مائة ألف درهم.

يدخل على الأمين فيتمنى أنه يكون له مثل مدح أنشده إياه، فيمدحه بقصيدة: وأخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني محمد بن يحيى المنجم قال: وحدثني حسين بن الضحاك قال: قال لي أبو محمد التيمي: دخلت على محمد الأمين أول ما ولي الخلافة، فقال: يا تيمي، وددت أنه قيل في مثل قول طريح بن إسماعيل في الوليد بن يزيد:

طوبى لفرعيك من هنا وهنا ... طوبي لأعراقك التي تشج

فإني والله أحق بذلك منه، فقلت: أنا أقول ذلك يا أمير المؤمنين، ثم دخلت إليه من غد فأنشدته قصيدتي:

لا بد من سكرة على طرب ... لعل روحا يديل من كرب

حتى انتهيت إلى قولي:

أكرم بفرعين يجريان به إلى الإمام المنصور في النسب

فتبسم، ثم قال لي: يا تيمي قد أحسنت، ولكنه كما قيل: مرعى ولا كالسعدان، ثم التفت إلى الفضل بن الربيع فقال: بحياتي أو قر له زورقه مالاً، فقال: نعم يا سيدي. فلما خرجت طالبت الفضل بذلك، فقال: أنت مجنون؟ من أين لنا ما يملأ زورقك؟ ثم صالحني على مائة ألف درهم.

يمدح الفضل بن يحيى فيأمر له بخمسة آلاف درهم: أخبرني وكيع قال: حدثني ابن إسحاق قال: حدثني أبي قال: كنت على باب الفضل بن يحيى، فأتاني التيمي الشاعر بقصيدة في قرطاس، وسألني أن أوصلها إلى الفضل، فنظرت فيها ثم خرقت القرطاس، فغضب أبو محمد وقال لي: أما كفاك أن استخففت بحاجتي؟ منعتني أن أدفعها إلى غيرك. فقلت له: أنا خير لك من القرطاس، ثم دخلت إلى الفضل، فلما تحدثنا قلت له: معي هدية وصاحبها بالباب؛ وأنشدته، فقال: كيف حفظتها؟ قلت: الساعة دفعها إلي على الباب، فحفظتها. فقال: دع ذا الآن. فقلت له: فأدخله، فأدخل، فسأله عن القصة فأخبره. فقال: أنشدني شيئاً من شعرك ففعل، وجعلت أردد أبياته، وجعلت أشيعها بالاستحسان، ثم خرج التيمي فقلت: خذ في حاجة الرجل، فقال: أما إذ عنيت به فقد أمرت له بخمسة آلاف درهم. فقلت له: أما غذ أقللتها فعجلها، فأمر بها فأحضرت. فقلت له: أليس لإعناتك إياي ثمن؟ قال: نعم. قلت فهاته. قال: لا أبلغ بك في الإعنات ما بلغت بالشاعر في المديح. فقلت: فهات ما شئت، فأمر بثلاثة آلاف درهم، فضممتها إلى الخمسة الآلاف، ووجهت بها غليه.

يسكر هو وأخوه وابن عم له، وينظم في ذلك شعراً بعد انصرافهم: وذكر أحمد بن طاهر عن أبي هفان عن إسحاق قال: كان التيمي وأخوه أبو التيحان وابن عم له يقال له: قبيصة يشرون في حانة حتى سكروا وانصرفوا من غد، فقال التيمي يذكر ذلك ويتشوق مثله: صوت

هل إلى سكرة بناحية الحـ يرة شنعاء يا قبيص سبيل

وأبو التيحان في كفه القر رعة والرأس فوقه إكليل

وعرار كأنه بيذق الشطرنج يفتن فيه قال وقيل

الشعر للتيمي والغناء لمحمد بن الأشعث، رمل بالوسطى.

يشتري ضيعة بجائزة له من الأمين: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أبو العيناء عن أبي العالية، قال: أمر محمد الأمين لعبد الله بن أيوب بجائزة عشرة آلاف دينار ثواباً عن بعض مدائحه، فاشترى بها ضيعة بالبصرة، وقال عبد ابتياعه إياها:

إن اشتريت بما وهبت ليه أرضاً أمون بها قرابتيه

فبحسن وجهك حين أسأل قل يا بن الربيع احمل إليه ميه

فغني بها الأمين، فقال للفضل: بحياتي يا عباسي، احمل إليه مائة ألف، فدعا به فأعطاه خمسين ألفاً، وقال له: الخمسون الأخر علي إذا اتسعت أيدينا.

يعشق جارية، ويسأل ثمنها فيعطيه المأمون إياه فيشتريها:

أخبرني الحسن، قال: حدثني أبو العيناء، عن أبي العالية قال: عشق التيمي جارية لبعض الخاسين، فشكا وجده بها إلى أبي عيسى بن الرشيد، فقال أبو عيسى للمأمون: يا أمير المؤمنين، إن التيمي يجد بجارية لبعض النخاسين، وقد كتب إلي بيتين يسألني فيهما ثمنها، فقال: وهما هما؟ فقال:

يا أبا عيسى إليك المشتكى ... وأخو الصبر إذا عيل شكا

ليس لي صبر على فقدانها ... وأعاف المشرب المشتركا

قال: فأمر له بثلاثين ألف درهم فاشتراها بها .

يمدح الفضل بن الربيع يوم عيد فيعطيه عشرة آلاف درهم: أخبرني الحسن، قال: حدثني أبو العيناء عن أبي العالية قال: دخل التيمي إلى الفضل بن الربيع في يوم عيد فأنشده:

ألا إنما آل الربيع ربيع ... وغيث حياً للمرملين مريع

إذا ما بدا آل الربيع رأيتهم ... لهم درج فوق العباد رفيع

فأمر به بعشرة آلاف درهم.

يمدح الفضل بن يحيى بثلاثة ابيات فيعطيه ثلاثة آلاف درهم: أخبرني عيسى بن الحسن قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: مدح أبو محمد التيمي بن يحيى بثلاثة أبيات ودفعها إلى إسحاق الموصلي، فعرضها على الفضل بن يحيى، فأمر له بثلاثة آلاف درهم، والأبيات:

لعمرك ما الأشراف في كل بلدة ... وإن عظموا للفضل إلا صنائع

ترى عظماء الناس للفضل خشعا ... إذا ما بدا والفضل لله خاشع

تواضع لما زاده الله رفعة ... وكل جليل عنده متواضع

يسمع كتاباً للحجاج إلى قتيبة بن مسلم فينظم شعراً يضمنه معناه: أخبرني جحظة قال: حدثني علي بن يحيى المنجم قال: حدثني إسحاق الموصلي عن محمد بن سلام قال: كتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم: إني قد نظرت في سني، فإذا أنا ابن ثلاث وخمسين سنة، وأنا وأنت لدة عام. وإن امرأ قد سار إلى منهل خمسين سنة لقريب أن يرده، والسلام.

فسمع هذا أبو محمد التيمي مني فقال:

إذا ذهب القرن الذي أنت فيهم ... وخلفت في قرن فأنت غريب

وإن امرأ قد سار خمسين حجة ... إلى منل من ورده لقريب

يجيزه المأمون على مدح له في الأمين يذكر فيه الخمر: حدثني عمي قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثني أبو دعامة علي بن يزيد قال: حدثني التيمي أبو محمد قال: دخلت على الحسن بن سهل، فأنشدته مديحاً في المأمون ومديحاً فيه، وعنده طاهر بن الحسين، فقال له طاهر: هذا والله أيها الأمير الذي يقول في محمد المخلوع:

لا بد من سكرة على طرب ... لعل روحاً يديل من كرب

خليفة الله خير منتخب ... لخير أم من هاشم وأب

خلافة الله قد توارثها ... آباؤه في سوالف الكتب

فهي له دونكم مورنة ... عن خاتم الأنبياء في الحقب

يا بن الذرا من ذوائب الشرف ال ... أقدم أنتم دعائم العرب

فقال الحسن: عرض والله ابن اللخناء بأمير المؤمنين، والله لأعلمنه. وقام إلى المأمون فأخبره، فقال المأمون: وما عليه من ذلك، رجل أمل رجلاً فمدحه، والله لقد أحسن بنا، وأساء إليه إذ لم يتقرب إليه إلا بشرب الخمر، ثم دعاني فخلع علي وحملني، وأمر لي بخمسة آلاف درهم.

ينشد أول شعر عرف به ووصل به إلى الخليفة: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبو الشبل البرجمي عن أبيه قال: قال لي أبو محمد التيمي: أول شعر عرفت به فشاع فيه ذكري ووصلت به إلى الخليفة قولي: صوت

طاف طيف في المنام ... بمحب مستهام

زورة أبقت سقاما ... وشفت بعض السقام

لم يكن ما كان فيها ... من حرام بحرام

لم تكن إلا فواقا ... وهي في ليل التمام

الغناء لإسحاق فقال: فصنع فيها إسحاق لحناً وغنى به الرشيد، فسأله عن قائل الشعر، فقال له: صديق لي شاعر ظريف، يعرف بالتيمي، فطلبت وأمرت بالحضور، فسألت عن السبب الذي دعيت له فعرفته، فأتممت الشعر وجعلته قصيدة مدحت بها هارون. ودخلت إليه فأنشدته إياها، فأمر لي بثلاثين ألف درهم، وصرت في جملة من يدخل إليه بنوبة وأمر أن يدون شعري.

يجتاز بإسحاق الموصلي فيدعوه إلى طعام وشراب: أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني عمي طياب بن إبراهيم الموصلي قال: حدثني أبو محمد التيمي الشاعر قال: اجتزت يوماً باخيك إسحاق فقال: ادخل حتى أطعمك طعاماً صرفاً، وأسقيك شراباً صرفاً وأغنيك غناء صرفاً، فدخلت إليه، فأطعمني لحماً مكبباً، وشواء حاراً وبارداً مبزراً، وأسقاني شراباً عتيقاً صرفاً، وغناني وحده مرتجلاً:

ولو أن أنفاسي أصابت بحرها حديداً إذاً كان الحديد يذوب
ولو أن عيني أطلق من وكائها لما كان في عام الجدوب جدوب
ولو أن سلمى تطلع الشمس دونها وأمسي وراء الشمس حين تغيب
لحدثت نسي أن تريع بها النوى وقلت لقلبي إنها لقريب

فلم تزل تلك حالي حتى حملت من بيته سكران .

يستأذن عمرو بن مسعدة في الإنشاد فيجعل الإذن لإسحاق الموصلي فيأذن: أخبرني جحظة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت يوماً على مروة بن مسعدة، فإذا أبو محمد التيمي واقف بين يديه يستأذنه في الإنشاد، فقال: ذاك إلى أبي محمد -يعنيني- وكان على التيمي عاتباً، فكره أن يمنعه لعلمه بما بيننا من المودة، فقلت له: أنشد إذ جعل الأمر لي، فأرجو أن يجعل أمر الجائزة أيضاً إلي. فتبسم عمرو، وأنشده التيمي:

يا أبا الفضل كيف تغفل عني أم تخلى عند الشدائد مني؟
أنسيت الإخاء والعهد والود حديثاً ما كان ذلك ظني
أنا من قد بلوت في سالف الدهر مضت ضرتي ولم تفن سني
فاصطنعني لما ينوب به الدهر فإني أجوز في كل فن
أنا ليث على عدوك سلم لك في الحرب فابتذلني وصلني
أنا سيف يوم الوغى وسنان ومجن إن لم تثق بمجن
أنا طب في الرأي في موضع الرأ ي معين على الخصيم المعن
وأمين على الودائع والسر إذا ما هويت أن تأتمني

قال: فأقبل علي عمرو وهو يضحك، وقال: أتعلم هذا الغناء منك أم كان يعلمه قديماً؟ فقلت له: لم يكذب، أعزك الله. فقال: أفي هذا وحده أو في الجميع؟ فقلت: أما في هذا فأنا أحق كذبة، والله أعلم بالباقي. ثم أنشده:

وإذا ما أردت حجا فرحا ل دليل إن نام كل ضفن

فقال له: إذا عزمنا على الحج امتحناك في هذا، فإني أراك تصلح له، ثم أنشده:

ولبيب على مقال أبي العب اس إني أرى به مس جن

فقال: ما أراه أبعد، فقال:

وهو الناصح الشفيق ولكن خاف هيج الزمان فازور عني
وظريف عند المزاح خفيف في الملاهي وفي الصبا متثن

كيف باعدت أو جفوت صديقاً لا ملولا، لا لا ولا متجن
صرت بعد الإكرام والأنس أرضى منك بالترهات ما لم تهني
لم تخني ولم أخنك ولا والل ه ربي لا خنت من لم يخني
إن أكن تبت أو هجرت الملاهي وسلافا يجنها بطن دن
فحديثي كالدر فصل باليا قوت يجري في جيد ظبي أغن

فأمر له بخمسة آلاف درهم، فقال له: هذا شيء تطوعت به، فأين موضع حكمي؟ فقال: مثلها، فانصرف بعشرة آلاف درهم.

يمر بخمار بالحيرة وقد أسن، فينشد شعراً في شربه عنده: أخبرني عمي قال: حدثني محمد بن الحسن بن مسعود قال: حدثني علي بن عمرو قال: مر التيمي بالحيرة على خمار كان يألفه، وقد أسن التيمي وأرعش، وترك النبيذ. فقال له الخمار: ويحك! أبلغ بك الأمر إلى ما أرى؟ فقال: نعم والله، لولا ذلك لأكثرت عندك. ثم أنشأ يقول: صوت

هل إلى سكرة بناحية الحيرة يوماً قبل الممات سيبل؟
وأبو التيحان في كفه القر عة والرأس فوق الإكليل

وعرار كأنه بيذق الشط رنج يفتن فيه قال وقيل

في هذه الأبيات لمحمد بن الأشعث رمل بالوسطى عن الهشامي.

يهوى غلاماً ويشغل الغلام عنه بهوى جارية فينظم في هذا شعراً: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل قال: كان أبو محمد التيمي يهوى غلاماً، وكان الغلام يهوى جارية من جواري القيان، فكان بها مشغولاً عنه، وكانت القينة تهوى الغلام أيضاً فلا تفارقه، فقال التيمي:

ويلي على أغيد ممكور وساحر ليس بمسحرو
تؤثره الحور علينا كما نؤثره نحن على الحور
علق من علق فيه هوى منتظم الألفة مغمور
وكل من تهواه في أمره مقلب صفقة مقمور

يمدح الأمين فيأمر بملئ زورقه دراهم: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن أبي سعد قال: حدثني أحمد بن محمد الفارسي قال: حدثنا غسان بن عبد الله عن أبي محمد التيمي قال: لما أنشدت الأمين قولي فيه:

خليفة الله خير منتخب لخير أم من هاشم وأب

أكرم بعرقين يجريان به إلى الإمام المنصور في النسب

طرب، ثم قال للفضل بن الربيع: بحياتي أوقر له زورقه دراهم، فقال: نعم يا سيدي: فلما خرجنا طالبته بذلك، فقال: أمجنون أنت؟ من أين لنا ما يملأ زورقك؟ ثم صالحني على مائة ألف درهم، فقبضتها.

يقول شعراً ينهي فيه عن الخضوع لغير الله: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي، قال: حدثني محمد بن عبد الله المدني قال: حدثني عبد الله بن أحمد التيمي ابن أخت أبي محمد التيمي الشاعر، قال: أنشدني خالي لنفسه قوله:

لا تخضعن لمخلوق على طمع فإن ذاك مضر منك بالدين

وارغب إلى الله مما في خزائنه فإنما هو بين الكاف والنون

أما ترى كل من ترجو وتأمله من الخلائق مسكين ابن مسكين

صوت

ألم تر أنني أفنيت عمري بمطلبها ومطلبها عسير؟

فلما لم أجد سبباً إليها يقربني وأعيتني الأمور

حججت وقلت قد حجت جنان فجيمعني وإياها المسير

الشعر لأبي نواس، والغناء للزبير بن دحمان، رمل بالوسطى من رواية أحمد بن المكي وبذل، وغناني محمد بن إبراهيم قريض الجرحي -رحمه الله- فيه لحناً من خفيف الثقيل، فسألته عن صانعه فلم يعرف.

أخبار أبي نواس وجنان خاصة

إذ كانت أخباره قد أفردت خاصة صفات جنان وصدق أبي نواس في حبها: كانت جنان هذه جارية آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي المحدث الذي كان ابن مناذر يصحب ابنه عبد المجيد، ورثاه بعد وفاته، وقد مضت أخبارهما.

وكانت حلوة جميلة المنظر أديبة، ويقال: إن أبا نواس لم يصدق ي حبه امرأة غيرها.

حجت جنان فحج معها أبو نواس: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني إسحاق بن محمد عن أبي هفان عن أصحاب أبي نواس قالوا: كانت جنان جارية حسناء أديبة عاقلة ظريفة، تعرف الأخبار، وتروي الأشعار قال اليؤيؤ: خاصة، وكانت لبعض الثقفيين بالبصرة، فرآها أبو نواس فاستحلاها، وقال فيها أشعاراً كثيرة، فقلت له يوماً: إن جنان قد عزمت على الحج، فكان هذا سبب حجه، وقال: أما والله -لا يفوتني المسير معها والحج عامي هذا إن أقامت على عزيمتها، فظننته عابثاً مازحاً، فسبقها والله إلى الخروج بعد أن علم أنها خارجة، وما كان نوع الحج، ولا أحدث عزمه له إلا خروجها، وقال وقد حج وعاد:

ألم تر أنني أفنيت عمري بمطلبها ومطلبها عسير؟
فلما لم أجد سبباً إليها يقربني وأعيتني الأمور
حججت وقلت قد حجت جنان فيجمعني وإياها المسير

قال اليؤيؤ: فحدثني من شهده لما حج مع جنان وقد أحرم، فلما جنه الليل جعل يلبي بشعر ويحدو ويطرب، فغنى به كل من سمعه، وهو قوله:

إلهنا ما أعدلك! مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك والليل لما أن حلك
والسابحات في الفلك على مجاري المنسلك
ما خاب عبد أملك أنت له حيث سلك

لولاك يا رب هلك كل نبي وملك
وكل من أهل لك سبح أو لبى فلك
يا مخطئاً ما أغفلك! عجل وبادر أجلك
واختم بخير عملك لبيك إن الملك لك
والحمد والنعمة لك والعز لا شريك لك

من شعره فيها: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: كانت جنان التي يذكرها أبو نواس جارية لآل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، وفيها يقول:

جفن عيني قد كاد يقط من طول ما اختلج
وفؤادي من حر حبك والهجر قد نضج
خبريني فدتك نف سي وأهلي: متى الفرج؟
كان ميعادنا خرو ج زياد فقد خرج
أنت من قتل عائذ بك في أضيق الحرج

تشهد عرساً فيراها فيرتجل فيها شعراً: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثن إسحاق بن محمد النخعي قال: حدثني الجماز قال ابن عمار: وحدثني به قليب بن عيسى قال: كانت جنان قد شهدت عرساً في جوار أبو نواس، فانصرفت منه وهو جالس معنا، فرآها فأنشدنا بديها قوله:

شهدت جلوة العروس جنان ... فاستمالت بحسنها النظارة

حسبوها العروس حين رأوها ... فإليها دون العروس الإشارة

قال أهل العروس حين رأوها ... ما دهانا بها سواك عمارة

قال: وعمارة زوج عبد الرحمن الثقفي، وهي مولاة جنان.

تغضب من كلام له فيرسل معتذراً فلا تحسن الرد فينظم شعراً: أخبرني محمد بن يحيى الصولي ومحمد بن خلف قالا: حدثنا يزيد بن محمد المهلبي عن محمد بن عمر قال: غضبت جنان من كلام كلمها به أبو نواس، فأرسل يعتذر إليها، فقالت للرسول: قل له: لا برح الهجران ربعك، ولا بلغت أملك من أحببتك، فرجع إليه، فسأله عن جوابها، فلم يخبره فقال:

فديتك فيم عتبك من كلام ... نطقت به على وجه جميل؟

وقولك للرسول عليك غيري ... فليس إلى التواصل من سبيل

فقد جاء الرسول له انكسار ... وحال ما عليها من قبول

ولو ردت جنان مرد خير ... تبين ذاك في وجه الرسول

يعاتبها حتى يستميلها: قال أبو خالد يزيد بن محمد: وكان أبو نواس صادقاً في محبة جنان من بين من كان ينسب به من النساء ويداعبه، ورأيت أصحابنا جميعاً يصححون ذاك عنه، وكان لها محباً، و لم تكن تبحه، فمما عابتها به حتى استمالها بصحة حبة لها فصارت تحبه بعد نبوها عنه قوله:

جنان إن جدت يا مناي بما ... آمل لم تقطر السماء دما

و إن تمادي و لا تماديت ... فيمنعك أصبح بقفرة رمما

علقت من لو أتى على أنفس ... الماضين و الغابرين ما ندما

لو نظرت عينه إلى حجر ... ولد فيه فتورها سقما

يسأل امرأة عنها فتخبره أنها رحمته فيقول في ذلك شعراً: أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال: حدثني محمد بن القاسم عن أبي هفان عن الجماز، وأخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني عون بن محمد، قال: حدثني الجماز قال: كنت عند أبي نواس جالساً إذ مرت بنا امرأة ممن يداخل الثقفيين، فسألها عن جنان وألحف في المسألة واستقصى، فأخبرته خبرها وقالت : قد سمعتها تقول لصاحبة لها من غير أن تعلم أن أسمع: ويحك! قد

آذاني هذا الفتى، وأبرمني، وأحرج صدري، وضيق علي الطرق بحدة نظره وتهتكه؛ فقد لهج قلبي بذكره والفكر فيه من كثرة فعله لذلك حتى رحمته، ثم التفتت فأمسكت عن الكلام؛ فسر أبو نواس بذلك، فلما قامت المرأة أنشأ يقول:

يا ذا الذي عن جنان ظل يخبرنا ... بالله قل وأعد يا طيب الخبر

قال اشتكتك وقالت ما ابتليت به ... أراه من حيثما أقبلت في أثري

ويعمل الطرف نحوي إن مررت به ... حتى ليخجلني من حدة النظر

وإن وقفت له كيما يكلمني ... في الموضع الخلو لم ينطق من الحصر

ما زال يفعل بي هذا ويدمنه ... حتى لقد صار من همي ومن وطري

يمر به القاضي وهو يكلم امرأة فينصحه فيقول في ذلك شعراً:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن محمد النوفلي وأحمد بن سليمان بن أبي شيخ قالا: قال ابن عائشة: وأخبرني الحسن بن علي وابن عمار عن الغلابي عن ابن عائشة: قال ابن عمار: وحدثت به عن الجماز، وذكره لي محمد بن داود الجراح عن إسحاق النخعي عن أحمد بن عمير: أن محمد بن حفص بن عمر التميمي -وهو أبو ابن عائشة- انصرف من المسجد وهو يتولى القضاء، فرأى أبا نواس قد خلا بامرأة يكلمها.

وقال أحمد بن عمير في خبره: وكانت المرأة قد جاءته برسالة جنان جارية عمارة امرأة عبد الوهاب بن عبد المجيد، فمر به عمر بن عثمان التيمي وهو قاضي البصرة- هكذا ذكر أحمد بن عمير وحده- وذكر الباقون جميعاً أنه محمد بن حفص.

قال الجماز: وكانت عليه ثياب بياض، وعلى رأسه قلنسوة مضربة فقال له: اتق الله، قال: إنها حرمتي، قال: فصنها عن هذا الموضع. وانصرف عنه، فكتب إليه أبو نواس: صوت

إن التي أبصرتها ... بكراً أكلمها رسول

أدت إلي رسالة ... كادت لها نفسي تسيل

من ساحر العينين ... يجذب خصره ردف ثقيل

متقلد قوس الصبا ... يرمي وليس له رسيل

فلو أن أذنك بيننا ... حتى تسمع ما تقول

لرأيت ما استقبحت من ... أمري هو الأمر الجميل

في هذه الأبيات لجنان من الرمل وخفيفه، كلاهما لأبي العبيس بن حمدون.

قال بن عمير: ثم وجه بها فألقيت في الرقاع بين يدي القاضي فلما رآها ضحك وقال إن كانت رسولاً فلا بأس.

قال ابن عائشة في خبره: برقعة فيها هذه الأبيات، وقال لي: ادفعها إلى أبيك، فأوصلتها إليه، ووضعتها بين يديه، فلما قرأها ضحك، وقال: قل له: إني لا أتعرض للشعراء.

من شعره يسأل عنها وهي في حكمان: حدثني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: كان أبو عثمان أخا مولى جنان، وكان مولاها أبو مية زوج عمارة وهي مولاتها، وكانت له بحكمان ضيعة كان يتزلها هو وابن عم له يقال له: أبو مية، فقال أبو نواس فيه قوله:

أسأل القادمين من حكمان ... كيف خلفتما أبا عثمان

وأبا مية المهذب والما ... جد والمرتجى لريب الزمان؟

فيقولان لي: جنان كما سرك ... في حالها فسل عن جنان

ما لهم لا يبارك الله فيهم ... كيف لم يغن عندهم كتماني؟

لم يكن يعشق ولا كانت جنان موضع عشق ولكنه العبث: فأخبرني ابن عمار قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني محمد بن عبد الملك بن مروان الكاتب قالا: كنت جالساً بسر من رأى في شارع أبي أحمد، فأنشدني قول أبي نواس:

أسأل المقبلين من حكمان ... كيف خلفتما أبا عثمان؟

وإلى جانبي شيخ جالس فضحك، فقلت له: لقد ضحكت من أمر، فقال: أجل، أنا أبو عثمان الذي قال أبو نواس فيه شعراً، وأبو مية ابن عمي، وجنان جارية أخي، ولم تكن في موضع عشق، ولا كان مذهب أبي نواس النساء، ولكنه عبث خرج منه.

سبقه النابغة الجعدي إلى التكنية في شعره بغير اسم صاحبته: أخبرني علي بن سليمان قال: قال لي أبو العباس محمد ين يزيد: قال النابغة الجعدي:

أكني بغير اسمها وقد علم ... الله خفيات كل مكتتم

وهو سبق الناس إلى هذا المعنى، وأخذوه جميعاً منه، وأحسن من أخذه أبو نواس حيث يقول:

أسأل القادمين من حكمان ... كيف خلفتما أبا عثمان؟

فيقولان لي: جنان كما سر ... ك في حالها فسل عن جنان

ما لهم لا يبارك الله فيهم ... كيف لم يغن عندهم كتماني !

شعره وقد حضرت مأتماً في البصرة: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: أنشدني أحمد بن محمد بن صدقة الأنباري لأبي نواس يذكر مأتماً بالبصرة، وحضرته جنان:

يا منسي المأتم أشجانه ... لما أتاهم في المعزينا

سرت قناع الوشي عن صورة ألبسها الله التحاسينا

فاستفتنتهن بتمثالها فهن للتكليف يبكينا

حق لذاك الوجه أن يزدهي عن حزنه من كان محزونا

شعره وقد اشرف عليها فرآها تلط في مأتم: أخبرني عمي قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي، قال: حدثنا عبد الملك بن عمر ابن أبان النخعي، وكان صديقاً لأبي نواس:

أن أبا نواس أشرف من دار على منزل عبد الوهاب الثقفي، وقد مات بعض أهله وعندهم مأتم، وجنان واقفة مع النساء تلطم وجهها وفي يدها خضاب، فقال:

يا قمراً أبرزه مأتم يندب شجواً بين أتراب

يبكي فيذري الدر من عينه ويلطم الورد بعناب

لا تبك ميتاً حل في حفرة وابك قتيلاً لك بالباب

أبرزه المأتم لي كارهاً برغم دايات وحجاب

لا زال موتاً دأب أحبابه ولا تزل رؤيته دابي

استحسان ابن عيينة لشعره ذاك: فحدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني محمد بن القاسم، حدثني محمد ابن عائشة قال: قال لي سفيان بن عيينة: لقد أحسن بصريكم هذا أبو نواس حيث يقول - وشدد الواو وفتح النون:

يا قمراً أبصرت في مأتم يندب شجواً بين أتراب

يبكي فيذري الدر من عينه ويلطم الورد بعناب

قال: وجعل يعجب من قوله: ويلطم الورد بعناب.

ابن أبي عيينة ينشد بيتاً من شعره ذاك ويكرر إعجابه ببراعته: وأخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن محمد قال: حدثني حسين ابن الضحاك قال: أنشد ابن عيينة قول أبي نواس:

يبكي فيذري الدر من عينه ويلطم الورد بعناب

فعجبت منه، وقال: آمنت بالذي خلقه.

روي أن شعره ذاك كان في غير جنان: وقد قيل: إن أبا نواس قال هذا الشعر في غير جنان.

أخبرني بذلك الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني بعض الصيارف بالكرخ، وسماه، قال: كان حارس درب عو يقال له: المبارك، وكان يلبس ثياباً نظيفة سرية، ويركب حماراً، فيطوف عليه السوق بالليل ويكربه بالنهار، فإذا رآه من لا يعرفه ظن أنه من بعض التجار، وكان يصل إليه في كل شهر من

السوق ما يسعه ويفضل عنه، وكانت له بنت من أجمل النساء، فمات مبارك وحضره الناس، فلما أخرجت خرجت بنته هذه حاسرة بين يديه، فقال أبو نواس فيها:

يا قمراً أبرزه مأتم ... يندب شجواً بين أتراب

وذكر الأبيات كلها.

طلبت قطع صلته بها أياماً ففعل: أخبرني محمد بن جعفر قال: حدثني أحمد بن القاسم عن أبي هفان عن الجماز واليؤيؤ وأصحاب أبي نواس أن جنان وجهت إليه: فاقطع زيارتك عني أياماً لينقطع بعض القالة، ففعل وكتب إليها:

إنا اهتجرنا للناس إذ فطنوا ... وبيننا حين نلتقي حسن

ندافع الأمر وهو مقتبل ... فشب حتى عليه قد مرنوا

فليس يقذي عيناً معاينة ... له وما إن تمجه أذن

ويح ثقيف ماذا يضرهم ... أن كان لي في ديارهم سكن

أريب ما بيننا الحديث فإن ... زدنا فزيدوا وما لذا ثمن

يكتب إليها من بغداد شعراً: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني ابن أبي سعد قال: بلغني أن أبا نواس كتاب إلى جنان من بغداد:

كفى حزناً ألا أرى وجه حيلة ... أزور بها الأحباب في حكمان

وأقسم لولا أن تنال معاشر ... جناناً بما لا أشتهي لجنان

لأصبحت منها داني الدار لاصقاً ... ولكن ما أخشى فديت عداني

فواحزنا حزنا يؤدي إلى الردى ... فأصبح مأثوراً بكل لسان

أراني انقضت أيام وصلي منكم ... وآذن فيكم بالوداع زماني

شعره وقد شتمته وتنقصته حين ذكر عشقه لها: أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه عن يحيى بن محمد عن الخريمي قال: بلغ أبو نواس أن امرأة ذكرت لجنان عشقه لها، فشتمته جنان وتنقصته وذكرته أقبح الذكر، فقال:

وا بأبي من إذا ذكرت له ... وطول وجدي به تنقصني

لو سألوه عن وجه حجته ... في سبه لي لقال: يعشقني

نعم إلى الحشر والتناد نعم ... أعشقه أو ألف في كفني

أصيح جهراً لا أستتر به ... عنفني فيه من يعنفني:

يا معشر الناس فاسمعوه وعوا: أن جنانا صديقة الحسن

شعره إليها وقد رآها في المنام بعد أن هجرته:

فبلغها ذلك، فهجرته، وأطالت هجره، فرآها ليلة في منامه وأنها قد صالحته، فكتب إليها:

إذا التقى في النوم طيفانا عاد لنا الوصل كما كانا

يا قرة العين فيما بالنا نشقى ويلتذ خيالانا

لو شئت إذ أحسنت لي في الكرى أتممت إحسانك يقظانا

يا عاشقين اصطلحا في الكرى وأصبحا :غضبى وغضبانا

كذلك الأحلام غدارة وربما تصدق أحيانا

الغناء في هذه الأبيات لابن جامع، ثقيل أول بالوسطى عن عمرو.

يهجرها حين جبهته بما يكره، ويراها في المنام تصالحه، فينظم شعراً: وقال الخريمي: ورآها يوماً في ديار ثقيف فجبهته بما كره، فغضب وهجرها مدة، فأرسلت إليه رسولاً تصالحه فرده، و لم يصالحها، ورآها في النوم تطلب صلحه، فقال:

دست له طيفها كيما تصالحه في النوم حين تأبى الصلح يقظانا

فلم يجد عند طيفي طيفها فرجاً ولا رثى لتشكيه ولا لانا

حسبت أن خيالي لا يكون لما أكون من أجله غضبان غضبانا

جنان لا تسأليني الصلح سرعة ذا فلم يكن هيناً منك الذي كانا

من شعره فيها: وأنشدني علي بن سليمان الأخفش لأبي نواس في جنان:

أما يفنى حديثك عن جنان ولا تبقي على هذا اللسان!

أكل الدهر قلت لها وقالت فكم هذا أما هذا بقان!

جعلت الناس كلهم سواء إذا حدثت عنها في البيان

عدوك كالصديق وذا كهذا سواء، والأباعد كالأداني

إذا حدثت عن شأن توالت عجائبه أتيتهم بشان

فلو موهت عنها باسم أخرى علمنا إذ كنيت من أنت حان؟

شعره وقد بيعت وسافر بها مولاها: أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني يحيى بن محمد السلمي، قال: حدثني أبو عكرمة الضبي: أن رجلاً قدم البصرة فاشترى جنان من مواليها، ورحل بها، فقال أبو نواس في ذلك:

أما الديار فقلما لبثوا بها بين استياق العيس والركبان
وضعوا سياط السوق في أعناقها حتى اطلعن بهم على الأوطان

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثني محمد بن سعد الكراني قال: حدثني أبو عثمان الأشناندابي قال: كتب أبو نواس إلى جنان:

أكثري المحو في كتابك وامحيه إذا ما محوته باللسان
وأمري بالمحاء بين ثنايا ك العذاب المفلجات الحسان
إنني كلما مررت بسطر فيه محو لطعته بلساني
تلك تقبيلة لكم من بعيد أهديت لي وما برحت مكاني

صوت

تجني علينا آل مكتوبة الذنبا وكانوا لنا سلما فأضحوا لنا حربا
يقولون عز القلب بعد ذهابه فقلت ألا طوباي لو أن لي قلبا

عروضه من الطويل. الشعر لابن أبي عيينة، والغناء لسليمان أخي جحظة، رمل بالوسطى عن عمر بن بانة.

ابن أبي عيينة وأخباره

اسمه وكنيته ونسبه: أبو عيينة -فيما أخبرنا به علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد- اسمه وكنيته أبو المنهال، قال: وكل من يدعى أبا عيينة من آل المهلب فأبو عيينة اسمه وكنيته أبو المنهال، وكل من يدعى أبا رهم من بني سدوس فكنيته أبو محمد.

وابن أبي عيينة هو محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة. وقال أبو خالد الأسلمي: هو أبو عيينة المنجاب بن أبي عيينة، وهو الذي كان يهجو ابن عمه خالداً.

واسم أبي صفرة ظالم بن سراق، وقيل: غالب بن إسراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأسد بن عمران بن الوضاح بن عمرو بن مزيقياء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن الراكب بن الأزد.

هذا النسب الذي عليه آل المهلب، وذكر غيرهم أن أصلهم من عجم عمان وأنهم تولوا الإزد، فلما سار المهلب وشرف وعلا ذكره استلحقوه. وممن ذكر ذلك الهيثم بن عدي وأبو عبيدة وابن مزروع وابن الكلبي وسائر من جمع كتاباً في المثالب وهجتهم به الشعراء فأكثرت.

أبو صفرة ليس عربياً:

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: أخبرني الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني أبو عدب الله أحمد بن محمد بن حميد بن سليمان العدوي قال: أخبرني الهيثم بن عدي، عن عبد الله بن عياش الهمداني قال: وفد ابن الجلندي في الأزد، أزد عمان ومواليهم وأحلافهم، فكان فيمن وفد منهم أبو صفرة، وكان يلقب بذلك، لأنه كان يصفر لحيته، فدخل على عمر مع ابن الجلندي ولحيته مخضوبة مصفرة، فقال عمر لابن الجلندي: أكل من معك عربي؟ قال: لا، فينا العربي وفينا غير ذلك، فالتفت عمر -رحمه الله- إلى أبي صفرة، فقال له: أعربي أنت؟ قال: لا، أنا ممن من الله عليه بالإسلام.

أبو صفرة يختن وهو شيخ أشمط: قال: وقدم الحكم بن أبي العاصي الثقفي أخو عثمان بأعلاج من شهرك في خلافة عمر قد أسلموا، فأمر عمر عثمان بن أبي العاصي أن يختنهم، وقد كان أبو صفرة حاضراً فقال: ما لهؤلاء يطهرون ليصلوا! قال: إنهم يختنون.

قال: إنا والله هكذا مثلهم، قال: فسمع ذلك عثمان بن أبي العاصي، فأمر بأي صفرة فأجلس على جفنة فختن وإنه لشيخ أشمط فكان بها من قال: لسنا نشك في أن زوجته كذلك، فأحضرت وهي عجوز أدماء، فأمر بها القابلة فنظرت إليها وكشفتها، وإذا هي غير مختونة، وذلك منها قد أحشف ، فأمر بها فخفضت.

وقال في ذلك زياد الأعجم، وقد غضب على المهلب:

نحن قطعنا من أبي صفرة ... قلفته كي يدخل البصره

لما رأى عثمان غرمولة ... أتن على قلفته الشفره

من عمل كتاب المثالب: وليس هذا من الأقوال المعول عليها، لأن أصل المثالب زياد لعنه الله، فإنه لما ادعي إلى أبي سفيان، وعلم أن العرب لا تقر له بذلك مع علمها بنسبه ومع سوء آثاره فيهم، عمل كتاب المثالب، فألصق بالعرب كلها كل عيب وعار، وحق باطل، ثم بنى على الهيثم بن عدي -وكان دعياً- فأراد أن يعر أهل البيوتات تشفياً منهم، وفعل ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى، وكان أصله يهودياً، أسلم جده على يدي بعض آل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فانتمى إلى ولاء بني تميم فجدد كتاب زياد وزاد فيه، ثم نشأ غيلان الشعوبي لعنه الله، وكان زنديقاً ثنوياً لا يشك فيه، عرف في حياته بعض مذهبه، وكان يوري عنه في عوراته للإسلام بالتشعب والعصبية، ثم انكشف أمره بعد وفاته، فأبدع كتاباً عمله لطاهر بن الحسين، وكان شديد التشعب والعصبية، خارجاً عن الإسلام بأفاعيله، فبدأ فيه بمثالب بني هاشم وذكر مناكحهم وأمهاتهم وصنائعهم، وبدأ منهم بالطيب الطاهر، رسول الله صلى الله عليه وسلم فغمصه وذكره، ثم والى بين أهل بيته الأذكياء النجباء عليهم السلام، ثم ببطون قريش على الولاء، ثم بسائر العرب، فألصق بهم كل كذب وزور، ووضع عليهم كل خبر باطل، وأعطاه على ذلك مائتي ألف درهم فيما بلغني.

وإنما جر هذا القول، ذكر المهلب وما قيل فيه، وأني ذكرته فلم أجد بداً من ذكر ما روي فيه؛ وفيما مر عن أهل النسب، ثم قلت ما عندي.

يقرأ كتاب المثالب على عبد الملك، فيأمر بإحراقه: أخبرني حبيب بن نصر قال: أخبرني عمر بن شبة قال: حدثني محمد بن يحيى أبو عثمان عن أبيه قال: دخل بعض الناس على عبد الملك بن مروان فقال له: هل عندك كتاب زياد في المثالب؟ فتلكأ، فقال له: لا بأس عليك، وبحقي إلا جئتني به. فمضى فجاء به، فقال له: اقرأ علي، فقرأه وجعل عبد الملك يتغيظ ويعجب مما فيه من الأباطيل، ثم تمثل قول الشاعر:

وأجرأ من رأيت يظهر غيب على عيب الرجال أولو العيوب

ثم أمر بالكتاب فأحرق .

رجع الخبر إلى سياقه أخبار ابن أبي عيينة.

أنفد أكثر شعره في هجاء ابن عمه "خالد": وهو شاعر مطبوع ظريف غزل هجاء. وأنفد أكثر أشعاره في هجاء ابن عمه خالد. وأخبارهما تذكر على أثر هذا الكلام وما يصلح تصدير أخباره به. وكان من شعراء الدولة العباسية من ساكني البصرة.

حدثني عمي والصولي قالا: حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي قال: حدثني أبي قال: أبو عيينة اسمه كنيته، وهو ابن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة.

كان أبوه يتولى الري للمنصور: وأخبرني محمد بن عرمان الصيرفي قال: حدثني العتري قال: حدثني أبو خالد الأسلمي قال:

أبو عيينة الشاعر هو أبو عيينة بن النمجاب بن أبي عيينة بن المهلب، وكان محمد بن أبي عيينة أبو أبي عيينة الشاعر يتولى الري لأبي جعفر المنصور، ثم قبض عليه وحبسه وغرمه.

حبس المنصور أباه: وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال: قال وهب بن جرير: رأيت في منامي كأن قائلاً يقول لي:

ما يلقى أبو حرب تعالى الله من كرب

فلم ألبث أن أخذ المنصور أما حرب محمد بن أبي عيينة المهلبي فحبسه، وكان ولاه الري فأقام بها سنين.

كان يحب امرأة نبيلة ويكنى عنها خوف أهلها: أخبرني عيسى بن الحسين الوراق ومحمد بن يحيى الصولي وعمي قالوا: حدثنا الحزنبل الأصبهاني قال: حدثني الفيض بن مخلد مولى أبي عيينة بن المهلب قال: كان أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة يهوى فاطمة بنت عمر بن حفص الملقب هزار مرد، وكانت امرأة نبيلة شريفة، وكان يخاف أهلها أن يذكرها تصريحاً، ويرهب زوجها عيسى بن سليمان، فكان يقول الشعر في جارية لها يقال لها: دنيا، وكانت قيمة دارها، ووالية أمورها كلها. وأنشدنا لابن أبي عيينة فيها، ويكنى باسم دنيا هذه:

ما لقلبي أرق من كل قلب ولحبي أشد من كل حب!

ولدنيا على جنوني بدنيا أشتهي قربها وتكره قربي

نزلت بي بلية من هواها والبلايا تكون من كل ضرب
قل لدنيا إن لم تجبك لما بي رطبة من دموع من عيني كتبي
فعلام انتهرت بالله رسلي وتهددتم بحبس وضرب
أي ذنب أذنبته ليت شعري كان هذا جزاءه أي ذنب؟

أخبرني علي بن سليمان قال حدثني محمد بن يزيد قال: كان أبو عيينة من أطبع الناس وأقربهم مأخذاً، من غير أدب موصوف ولا رواية كثيرة، وكان يقرب البعيد، ويحذف الفضول، ويقل التكلف. وكان أصغر من أخيه عبد الله ومات قبله.

وقيل لعبد الله: أنت أشعر أم أخوك؟ فقال: لو كان له علمي لكان أشعر مني، وكان يتعشق فاطمة بنت عمر بن حفص هزار مرد التي تزوجها علي بن سليمان، ويسر عشقها، ويلقبها بدنيا كتماناً لأمرها . وكانت امرأة جليلة نبيلة سرية من النساء، وكان أبوها من أشد الفرسان وشجعانهم، فذكر عيسى بن جعفر أن عيسى بن موسى قال للمهلب بن المغيرة بن المهلب: أكان يزيد بن خالد أشجع أم عمر بن حفص هزار مرد؟ فقال المهلب: لم أشهد من يزيد ما شهدته من عمر بن حفص، وذلك أني رأيته يركب في طلب حمار وحشي حتى إذا حازاه جمع جراميزه وقفز، فصار على ظهره، فقمص الحمار، وجعل عمر بن حفص يحز معرفته إما بسيف وإما بسكين معه حتى قتله.

كان جندياً، ولم يكن يهوى فاطمة بل جارية لها: قال محمد بن يزيد: وحدثت عن محمد بن المهلب أنه أنكر أن يكون أبو عيينة يهوى فاطمة، وقال: إنما كان جندياً في عداد الشطار ، وكانت فاطمة من أنبل النساء وأسراهن، وإنما كان يتعشق جارية لها، وهذه الأبيات التي فيها الغناء من قصيدة له جيدة مشهورة من شعره، يقولها في فاطمة هذه أو جاريتها، ويكنى عنها بدنيا، فمما اختير منها قوله:

وقالوا تجنبنا فقلت أبعد ما غلبتم على قلبي بسلطانكم غصبا!
غضاب وقد ملوا وقوفي ببابهم ولكن دنيا لا ملولا ولا غضبى
وقد أرسلت في السر أني برية ولم تر لي فيما ترى منهم ذنبا
وقالت لك العتبى وعندي لك الرضا وما إن لهم عندي رضاء ولا عتبى
ونبئتها تلهوا إذا اشتد شوقها بشعري كما تلهي المغنية الشربا
فأحببتها حباً يقر بعينها وحبي إذا أحببت لا يشبه الحبا
فيا حسرتا نغصت قرب ديارها فلا زلفة منها أرجى ولا قربا
لقد شمت الأعداء أن حيل بينها وبيني ألا للشامتين بنا العقبى

ومما قاله فيها وغني فيه: صوت

ضيعت عهد فتى لعهدك حافظ ... في حفظه عجب وفي تضييعك
ونأيت عنه فما له من حيلة ... إلا الوقوف إلى أوان رجوعك
متخشعاً يذري عليك دموعه ... أسفاً ويعجب من جمود دموعك
إن تقتليه وتذهب بفؤاده ... فبحسن وجهك لا بحسن صنيعك

عروضه من الكامل، الغناء في هذه الأبيات من الثقيل الأول بالوسطى. ذكر عمرو بن بانة أنه له، وذكر الهشامي أنه لمحمد بن الحارث بن بسخنر، وذكر عبد الله بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام أنه لإبراهيم الموصلي.

فذكر العتابي ومحمد بن الحسن جميعاً، أن محمد بن أحمد بن يحيى المكي حدثهما قال: حدثني عمرو بن بانة قال: ركبت يوماً إلى دار صالح بن الرشيد، فاجتزت بمحمد بن جعفر بن موسى الهادي -وكان معاقراً للصبوح- فألفيته في ذلك اليوم خالياً منه، فسألته عن السبب في تعطيله إياه، فقال: نيران علي غضبي -يعني جارية لبعض النخاسين ببغداد- وكانت إحدى المحسنات، وكانت بارعة الجمال ظريفة اللسان، وكان قد أفرط في حبها حتى عرف به، فقلت له: فما تحب؟ قال: تجعل طريقك على مولاها فإنه يستخرجها إليك، فإذا فعل دفعت رقعتي هذه إليها- ودفع إلي رقعة فيها:

ضيعت عهد فتى لعهدك حافظ ... في حفظه عجب وفي تضييعك
إن سمته أن تذهبي بفؤاده ... فبحسن وجهك لا بحسن صنيعك

فقلت له: نعم، أنا أتحمل هذه الرسالة وكرامة، على ما فيها، حفظاً لروحك عليك، فإني لا آمن أن يتمادى بك هذا الأمر. فأخذت الرقعة وجعلت طريقي على منزل النخاس، فبعثت إلى الجارية: اخرجي، فخرجت، فدفعت إليها الرقعة، وأخبرتها بخبري فضحكت، ورجعت إلى الموضع الذي أقبلت منه فجلست جلسة خفيفة، ثم إذا بها قد وافتني ومعها الرقعة، فيها: صوت

وما زلت تعصيني وتغري بي الردى ... وتهجرني حتى مرنت على الهجر
وتقطع أسبابي وتنسى مودتي ... فكيف ترى يا مالكي في الهوى صبري !
فأصبحت لا أدري أيأساً تصبري ... على الهجر أم جد البصيرة لا أدري

غنى في هذه الأبيات عمر بن بانة، ولحنه ثقيل أول بالبنصر، ولمقاسة بن ناصح فيها ثقيل آخر بالوسطى.

لحن عمرو في الأول والثالث بغير نشيد.

قال: فأخذت الرقعة منها وأوصلتها إليه، وصرت إلى منزلي، فصنعت في بيتي محمد بن جعفر لحناً وفي أبياتها لحناً، ثم صرت إلى الأمير صالح بن الرشيد، فعرفته ما كان من خبري، وغنيته الصوتين، فأمر بإسراج دوابه فأسرجت،

وركب فركبت معه إلى النخاس مولى نيران، فما برحنا حتى اشتراها منه بثلاثة آلاف دينار، وحملها إلى دار محمد بن جعفر فوهبها له، فأقمنا يومنا عنده.

أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال: دخلت على الواثق يوماً وهو خليفة ورباب في حجره جالسة، وهي صبية، وهو يقلي عليها قوله:

ضيعت عهد فتى لعهدك حافظ في حفظه عجب وفي وتضييعك

وهي تغنيه ويردده عليها، فما سمعت غناء قط أحسن من غنائهما جميعاً، وما زال يردده عليها حتى حفظته.

رجع الخبر إلى حديث أبي عيينة شعر لأخيه في فاطمة محبوبته: أخبرني علي بن سليمان قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: قال عبد الله بن محمد بن أبي عيينة أخو أبي عيينة في فاطمة -بنت عمر بن حفص لما تزوجها عيسى بن سليمان بن علي، وكان عيسى مبخلا ، وكانت له محابس يحبس فيها البياح ويبيعه، وكانت له ضيعة تعرف بدالية عيسى يبيع منها البقول والرياحين، وكان أول من جمع السماد بالبصرة وباعه، فقال فيه أبو الشمقمق:

إذا رزق العباد فإن عيسى له رزق من استاه العباد

فلما تزوج عيسى فاطمة بنت عمر بن حفص قال عبد الله بن محمد بن أبي عيينة في ذلك:

أفاطم قد زوجت عيسى فأبشري لديه بذل عاجل غير آجل
فإنك قد زوجت عن غير خبرة فتى من بني العباس ليس بعاقل
فإن قلت من رهط النبي فإنه وإن كان حر الأصل عبد الشمائل
وقد قال فيه جعفر ومحمد أقاويل حتى قالها كل قائل
وما قلت ما قالا لأنك أختنا وفي البيت منا والذرا والكواهل
لعمري لقد أثبته في نصابه بأن صرت منه في محل الحلائل
إذا ما بنو العباس يوماً تنازعوا عرا المجد واختاروا كرام الخصائل
رأيت أبا العباس يسمو بنفسه إلى بيع بياحاته والمباقل

قال مؤلف هذا الكتاب: وكان عبد الله، أخو أبي عيينة شاعراً، وكان يقدم على أخيه، فأخبرني جحظة قال: حدثني علي بن يحيى المنجم، قال: قال إسحاق الموصلي: شعر عبد الله بن أبي عيينة أحب إلي من شعر أبيه وأخيه. قال: وكان عبد الله صديقا لإسحاق.

يصرح أخوه بذكر فاطمة وأنه يعنيها: قال محمد بن يزيد: ومما قاله في فاطمة وصرح بذكر القرابة بينهما، وحقق على نفسه أنه يعنيها قوله:

دعوتك بالقرابة والجوار دعاء مصرح بادي السرار

لأني عنك مشغول بنفسي ومحترق عليك بغير نار

وأنت توقرين وليس عندي على نار الصبابة من وقار

فأنت لأن ما بك دون ما بي تدارين العدو ولا أداري

ولو والله تشتاقين شوقي جمحت إلى مخالعة العذار

ألا يا وهب فيم فضحت دنيا وبحت بسرها بين الجواري

أما والراقصات بكل واد غواد نحو مكة أو سواري

لقد فضلتك دنيا في فؤادي كفضل يدي اليمين على اليسار

فقولي ما بدا لك أن تقولي فإني لا ألومك أن تضاري

من ظريف شعره فيها: قال وقال فيها، وهو من ظريف أشعاره:

رق قلبي لك يا نور عيني وأبى قلبك لي أن يرقا

فأراك الله موتى فإني لست أرضى أن تموتي وأبقى

أنا من وجد بدنياي منها ومن العذال فيها ملقى

صوت

زعموا أني صديق لدنيا ليت ذا الباطل قد صار حقا

في هذا البيت ثم الذي قبله، ثم الأول لإبراهيم لحن ماخوري بالوسطى عن الهشامي.

قال: وقال فيها أيضاً في هذا الوزن، وفيه غناء محدث رمل طنبوري:

عيشها حلو وعيشك مر ليس مسرور كمن لا يسر

كمد في الحب تسخن فيه عينه أكثر مما تقر

قلت للائم فيها اله عنها لا يقع بيني وبينك شر

أتراني مقصراً عن هواها كل مملوك إذاً لي حر

وقال فيها أيضاً، وأنشدناه الأخفش عن المبرد، وأنشدناه محمد بن العباس اليزيدي قال :

أنشدني عمي عبيد الله لأبي عيينة:

حين قالت دنيا علام نهارا زرت؟ هلا انتظرت وقت المساء !

إن تكن معجباً برأيك لا تف ... رق فاستحي يا قليل الحياء

ذاك إذ روحها وروحي مزاجا ... ن كأصفى خمر بأعذب ماء

معنى له يأخذه البحتري: قال محمد بن يزيد: وقد أخذ هذا المعنى غيره منه و لم يسمه، وهو البحتري، فقال: صوت

جعلت حبك من قلبي بمنزلة ... هي المصافاة بين الماء والراح

تهتز مثل اهتزاز الغصن حركه ... مرور غيث من الوسمي سحاح

الغناء في هذين البيتين لرذاذ ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر.

من شعره الذي يكنى فيه عن فاطمة: ومما قاله أبو عيينة في فاطمة هذه، وكنى فيه بدنيا قوله: صوت

ألم تنه قلبك أن يعشقا ... ومالك والعشق لولا الشقا

أمن بعد شربك كأس النهى ... وشمك ريحان أهل التقى

عشقت فأصبحت في العالم ... ين أشهر من فرس أبلقا

أدنياي من غمر بحر الهوى ... خذي بيدي قبل أن أغرقا

أنا ابن المهلب ما مثله ... لو أن إلى الخلد لي مرتقى

غنى فيه أبو العبيس بن حمدون، ولحنه ثاني ثقيل مطلق، وفيه لعريب ثقيل أول، رواه أبو العبيس عنها.

قصيدة يذكر فيها دنيا ويفخر بمآثر المهلب: وهذه قصيدة طويلة يذكر فيها دنيا ويفخر بعقب النسيب بأبيه، ويذكر مآثر المهلب بالعراق، ولكن مما قاله في دنيا منها قوله:

أدنياي من غمر بحر الهوى ... خذي بيدي قبل أن أغرقا

أنا لك عبد فكوني كمن ... إذا سره عبده أعتقا

ألم أخدع الناس عن وصلها ... وقد يخدع العاقل الأحمقا

بلى فسبقتهم إنني ... أحب إلى الخير أن أسبقا

ويوم الجنازة إذ أرسلت ... على رقعة أن جز الخندقا

وعج ثم فانظر لنا مجلسا ... برفق وإياك أن تخرقا

فجئنا كغصنين من بانة ... قريني خدنين قد أورقا

فقالت لأخت لها استنشديه ... من شعره المحكم المنتقى

فقلت أمرت بكتمانه وحذرت إن شاع أن يسرقا

فقالت بعيشك قولي له تمنع لعلك أن تتفقا

من شعره في دنيا وقد أفحش فيه: ومن مشهور قوله في دنيا وهو مما تهتك فيه وصرح وأفحش وهي من جيد قوله قصيدته التي يقول فيها:

أنا الفارغ المشغول والشوق آفتي فلا تسألوني عن فارغي وعن شغلي

عجبت لترك الحب دنيا خلية وإعراضه عنها وإقباله قبلي

وما بالها لما كتبت تهاونت بكتبي وقد أرسلت فانتهزت رسلي

وقد جلفت ألا تخط بكفها إلى قابل خطا غلي ولا تملي

أبخلا عليها كل ذا وقطيعة قضيت لدينا بالقطيعة والبخل

سلوا قلب دنيا كيف أطلقه الهوى فقد كان في غل وثيق وفي كبل

فإن جحدت فاذكر لها قصر معبد بمنصف ما بين الأبلة والحبل

وملعبنا في النهر والماء زاخر قرينين كالغصنين فرعين في أصل

ومن حولنا الريحان غضا وفوقنا ظلال من الكرم المعرش والنخل

إذا شئت مالت بي إليها كأنني إلى غصن بان دعصين من رمل

ليالي ألقاني الهوى فاستضفتها فكانت ثناياها بلا حشمة نزلي

وكم لذة لي في هواها وشهوة وركضي إليها راكباً وعلى رجل

وفي مأتم المهدي زاحمت ركنها بركني وقد وطنت نفسي على القتل

وبتنا على خوف أسكن قلبها بيسراي واليمنى على قائم النصل

فيا طيب طعم العيش إذ هي جارة وإذ نفسها وإذ أهلها أهلي

وإذ هي لا تعتل عني برقبة ولا خوف عين من وشاة ولا بعل

فقد عفت الآثار بيني وبينها وقد أوحشت مني إلى دارها سبلي

ولما بلوت الحب بعد فراقها قضيت على أم المحبين بالثكل

وأصبحت معزولاً وقد كنت والياً وشتان ما بين الولاية والعزل

من شعره فيها، وقد وصف فيه قصراً: صوت ومما قاله فيها وفيه غناء:

ألا في سبيل الله ما جل بي منك وصبرك عني حين لا صبر لي عنك
وتركك جسمي بعد أخذك مهجتي ضئيلاً كان من قبل ذا تركي
فهل حاكم في الحب يحكم بيننا فيأخذ لي حقي وينصفني منك

لسليم في هذه الأبيات هزج مطلق في مجرى الوسطى، وفي هذه القصيدة يقول يصف قصراً كانوا فيه، وهي من عجيب شعره:

لقد كنت يوم القصر مما ظننت بي بريئاً كما أن بريء من الشرك
يذكرني الفردوس طوراً فأرعوي وطوراً يواتيني إلى القصف والفتك
بغرس كأبكار الجواري وتربة كأن ثراها ماء ورد على مسك
وسرب من الغزلان يرتعن حوله كما استل منظوم من الدر من سلك
وورقاء تحكى الموصلي إذا غدت بتغريدها أحبب بها وبمن تحكي
فيا طيب ذاك القصر قصراً ومنزلاً بأفيح سهل غير وعر ولا ضنك
كأن قصور القوم ينظرن حوله إلى ملك موف على منبر الملك
يدل عليها مستطيلا بظله فيضحك منها وهي مطرقة تبكي

يعده الفضل بن الربيع أشعر زمانه: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن عمرو الأنصاري، قال: سمعت الأصمعي يذكر أن الفضل بن الربيع قال لجلسائه: من أشعر أهل عصرنا؟ فقالوا فأكثروا، فقال الفضل بن الربيع: أشعر أهل زماننا الذي يقول في قصر عيسى بن جعفر بالخريبة -يعني أبا عيينة:

زر وادي القصر نعم القصر والوادي وحبذا أهله من حاضر بادي
ترفا قراقيره والعيس واقفة والضب والنون والملاح والحادي

يحذر سعيد بن عباد عاقبة زواج له:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن مجمع قال: تزوج سعيد بن عباد بن حبيب بن المهلب بنت سفيان بن معاوية بن المهلب -وقد كان تزوجها قبله رجلان فدفنتهما، فكتب إليه أبو عيينة:

رأيت أثاثها فرغبت فيه وكم نصب لغيرك بالأثاث
إلى دار المنون فجزتهم تحثهم بأربعة حثاث
فصير أمرها بيدي أبيها وعيشك من حبالك بالثلاث
وإلا فالسلام عليك مني سأبدأ من غد لك بالمراثي

يعاتب إسحاق لتأخره عن دعوة إلى مجلس: أخبرني محمد بن مزيد الصولي قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: كان علي بن هشام قد دعاني وداعا أبا عيينة وتأخرت عنه حتى اصطبحنا شديداً، وتشاغلت برجل كان عندي من الأعراب، وكان فصيحاً لأكتب عنه، وكان عنده ؟ بعض من يعاديني -قال حماد: كأنه يومئ بهذا القول إلى إبراهيم بن المهدي- فسأل أبا عيينة أن يعاتبني بشعر ينسبني فيه إلى الخلف فكتب إلي:

يا مليئاً بالوعد والخلف والمط ... ل بطيئاً عن دعوة الأصحاب

لهجاً بالأعراب إن لدنيا ... بعض من تشتهي من الأعراب

قد عرفنا الذي شغلت به عنا ... وإن كان غير ما في الكتاب

قال: فكتبت إلى الذي حمل أبا عيينة على هذا -يعني إبراهيم بن المهدي:

قد فهمت الكتاب أصلحك الله ... وعندي إليك رد الجواب

ولعمري ما تنصفون ولا كا ... ن الذي جاء منكم في حسابي

لست آتيك فاعلمن ولا لي ... فيك حظ من بعد هذا الكتاب

ينسب إليه شعر وجد منقوشاً على حجر: أخبرني عيسى بن الحسين الوراقي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني إبراهيم بن إسحاق العمري قال: حدثنا أبو هاشم الإسكندراني، عن ابن لهيعة قال: حفر حفر في بعض أفنية مكة، فوجد فيه حجر عليه منقوش:

ما لا يكون فلا يكون بحيلة ... أبداً وما هو كائن فيكون

سيكون هو كائن في وقته ... وأخو الجهالة متعب محزون

يسعى القوي فلا ينال بسعيه ... حظا ويحظى عاجز ومهين

قال ابن أبي سعد: هكذا في الحديث، وقد أنشدني هذه الأبيات جماعة لأبي عيينة.

هو عند الفضل بن الربيع أشعر من أبي النواس: حدثني عمي قال، حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك، قال: حدثني علي بن عمروس الأنصاري عن الأصمعي قال: قال لي الفضل بن الربيع: يا أصمعي، من أشعر أهل زمانك؟ فقلت: أبو نواس قال: حيث يقول ماذا؟ قلت: حيث يقول:

أما ترى الشمس حلت الحملا ... وقام وزن الزمان فاعتدلا

فقال: والله إنه لذهن فطن، وأشعر عندي منه أبو عيينة .

شعره في دنيا حين زوجت: حدثني عمي، قال: حدثني فضل اليزيدي: عن إسحاق أنه أنشده لأبي عيينة في دنيا التي كان يشبب بها، وقد زوجت وبلغه أنها تهدى إلى زوجها، وكان إسحاق يستحسن هذا الشعر ويستجيده:

أرى عهدها كالورد ليس بدائم ... ولا خير فيمن لا يدوم له عهد

وعهدي لها كالآس حسنا وبهجة ... له نضرة تبقى إذا ما انقضى الورد
فما وجد العذري إذ طال وجده ... بعفراء حتى سل مهجته الوجد
كوجدي غداة البين عند التفاتها ... وقد شف عنها دون أترابها البرد
فقلت لأصحابي هي الشمس ضوءها ... قريب ولكن في تناولها بعد
وإني لمن تهدي إليه لحاسد ... جرى طائري نحسا وطائره سعد

أخوه يهجو عيسى بن سليمان وقد تزوج فاطمة محبوبته: أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن يزيد المليي قال: سألت أبي عن دنيا التي ذكرها أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة في شعره، وقلت: إن قوماً يقولون: إنها كانت أمة لبعض مغني البصرة، فقال: لا يا بني، هي فاطمة بنت عمر بن حفص هزار مرد بن عثمان بن قبيصة أخي المهلب، وكان عيسى بن سليمان بن علي أخو جعفر ابن سليمان تزوجها، وهجاه عبد الله بن محمد بن أبي عيينة، أخو أبي عيينة فقال:

أفاطم قد زوجت عيسى فأبشري ... لديه بذل عاجل غير آجل
فإنك قد زوجت عن غير خبرة ... فتى من بني العباس ليس بعاقل

وذكر باقي الأبيات، وقد مضت متقدماً.

يصرح بنسبه الجامع له ولفاطمة: قال أحمد بن يزيد: ثم أنشدني أبي لأبي عيينة يصرح بنسبه الجامع له ولفاطمة من أبيات له:

ولأنت إن مت المصابة بي ... فتجنبني قتلي بلا وتر
فلئن هلكت لتلطمن جزعا ... خديك قائمة على قبري

من شعره الذي يكنى فيه بدنيا: قال أحمد: وأنشدني أبي أيضاً في تصديق ذلك، وأنه كان يكنى بدنيا عن غيرها:

ما لدنيا تجفوك والذنب منها ... إن هذا منها لخب ومكر
عرفت ذنبها إلي فقالت ... ابدءوا القوم بالصياح يفروا
قد أمرت الفؤاد بالصبر عنها ... غير أن ليس مع الحب أمر
وكتمت اسمها حذاراً من النا ... س ومن شرهم وفي الناس شر
ويقولون بح لنا باسم دنيا ... واسم دنيا سر على الناس ذخر
ثم قالوا ليعلموا ذات نفسي ... أعوان دنياك أم هي بكر

فتنفست ثم قلت أبكر شب يا أخوتي عن الطوق عمرو

شعر له ينصح فيه بترك الإلحاح: أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني أبو خالد الأسلمي قال: كان ابن أبي عيينة المهلبي صديقي، وهو أبو عيينة بن المنجاب بن أبي عيينة، فجاءه رجل من جيرانه كان يستثقله، فسأله حاجة فقضاها، ثم سأله أخرى فوعده بها، ثم سأله ثالثة فقال:

خفف على إخوانك المؤنا إن شئت أن تبقى لهم سكنا

لا تلحقن إذا سألت ففي ال إلحاف إجحاف بهم وعنا

فقال الرجل وانصرف.

يطلب عزل أمير البصرة فلا يجاب ويمنح صلة عوضاً: أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد، قال: حدثني المبرد قال: وفد ابن أبي عيينة إلى طاهر بن الحسين يسأله أن يعزل أمير البصرة، وكان من قبله فدافعه، وعرض عليه عوضاً خطيراً من حاجته، ووعده أن يستصلح له ذلك الأمير ويزيله عما كرهه، فأبى عزله وأجزل صلته، فقال ابن أبي عيينة فيه:

يا ذا اليمينين قد أوقرتني مننا تترى هي الغاية القصوى من المنن

ولست أستطيع من شكر أجيء به إلا استطاعة ذي روح وذي بدن

لو كنت أعرف فوق الكشر منزل أوفى من الشكر عند الله في الثمن

أخلصتها لك من قلبي مهذبة حذواً على مثل ما أوليت من حسن

أسا والي البصرة جواره فطلب عزله فأجيب إلى طلبه: أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثني أبي عنه أبي عكرمة عامر بن عمران، وأخبرني به عمي عن أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه قال: كان إسماعيل بن سليمان والياً على البصرة خليفة لطاهر بن الحسين، فأساء مجاورة ابن أبي عيينة حتى تباعد بينهما وقبح، وأظهر إسماعيل تنقصه وعيبه، فخرج إلى طاهر ليشكو إسماعيل، ويسعى في عزله عن البصرة، فبعد ذلك عليه بعض البعد، وسافر طاهر بن الحسين إلى وجه أمر بالخروج إليه، فصحبه ابن أبي عيينة في سفره، فتذمم من ذلك، وأمر بإيصاله إليه، فلما دخل ابن أبي عيينة إليه سأله عن حوائجه وأدناه، وأمره برفعها فأنشده:

من أوحشته البلاد لم يقم فيها ومن آنسته لم يرم

ومن يبت والهموم قادحة في صدره بالزناد لم ينم

ومن ير النقص من مواطئه يزل عن النقص موطئ القدم

والقرب ممن ينأى بجانبه صدع على الشعب غير ملتئم

ورب أمر يعيا اللبيب به يظل منه في حيرة الظلم

صبر عليه كظم على مضض وتركه من مواقع الندم

يا ذا اليمينين لم أزرك ولم آتك من خلة ومن عدم

إني من الله في مراح غنى ومغتدى واسع وفي نعم

زارتك بي همة منازعة إلى العلا من كرائم الهمم

وإنني للجميل محتمل في القدر من منصبي ومن شيمي

وقد تعلقت منك بالذمم الكبرى التي لا تخيب في الذمم

فإن أنل بغيتي فأنت لها في الحق حق الرجاء والرحم

وإن يعق عائق فلست على جميل رأي عندي بمتهم

في قدر الله ما أحمله تعويق امرئ في اللوح والقلم

لم يضق الصبر والفجاج على حر كريم بالصبر معتصم

ماض كحد السنان في طرف العامل أو حد مصلت خذم

إذا ابتلاه الزمان كشفه عن ثوب حرية وعن كرم

ما ساء ظني إلا بواحدة في الصدر محصورة عن الكلم

ليهن قوم جزت المدى بهم ولم تقصر فيهم ولم تلم

وليس كل الدلاء راجعة بالنصف من ملئها إلى الوذم

ترجع بالحماة القليلة أحياناً ورنق الصبابة الأمم

ما تنبت الأرض كل زهرتها ولا تعم السماء بالديم

ما في نقص عن كل منزلة شريفة والأمور بالقسم

فأجابه طاهر:

من تستضفه الهموم لم ينم إلا كنوم المريض ذي السقم

ولا يزال قلبه يكابد ما تولد فيه الهموم من ألم

وقد سمعت الذي هتفت به وما بأذني عنك من صمم

وقد علمنا أن لست تصحبنا لفاقة فيك لا ولا عدم

إلا لحق وحرمة وعلى ... مثلك رعي الحقوق والحرم
أنت امرء لا تزول عن كرم ... إلا إلى مثله من الكرم
وأنت من أسرة جحاجحة ... فازوا بحسن الفعال والشيم
فما ترم من جسيم منزلة ... فالحكم فيه إليك فاحتكم
إن كنت مستسقياً سماحتنا ... منا تجدك اليدان بالديم
إنا أناس لنا صنائعنا ... في العرب معروفة وفي العجم
مغتنمو كسب كل محمدة ... والكسب للحمد غير مغتنم

فاحتكم عليه أبو عيينة في عزل إسماعيل بن جعفر عن البصرة، فعزله عنها وأمر له بمائة ألف درهم.

شعره في والي البصرة بعد عزله: فقال أبو عيينة في عزله إسماعيل بن جعفر عن إمارة البصرة:

لا تعدم العزل يا أبا الحسن ... ولا هزالاً في دولة السمن
ولا انتقالاً من دار عافية ... إلى ديار البلاء والمحن
أنا الذي إن كفرت نعمته ... أذاب ما في جنبيك من عكن

يهجو نزاراً، فيرد عليه ابن زعبل: حدثني عيسى بن الحسين قال: حدثني محمد بن عبد الله الحزنبل الأصبهاني قال: كان ابن أبي عيينة قد هجا نزاراً بقصيدة له مضهورة، وفضل عليها قحطان، فقال ابن زعبل يهجوه ويرد عليه، واسمه عمرو بن زعبل:

بني أبي عيينة ما ... نطقت به من اللغط؟
على ما أنت ملتحف ... من الأوجاع في الوسط
لما في الدبر من نغل ... وما في العرض من سقط
أتتنا الخمس والمائتا ... ن بالنعماء والغبط
أمير من هلال مس ... تطيل الباع منبسط
شريف ليس بالمدخو ... ل في عرض ولا رهط
أظنك من يديه وا ... قعاً لا شك في ورط
ووالى الخرج فياض ال ... يدين بنائل سبط
له نعم حباك بها ... فلم تحفظ لم تحط
وقاض من أمير المؤ ... منين يقوم بالقسط

يسرك أن من آ ... ل قحطان على شحط
وأنك إن ذكرت يقا ... ل شيخ فاسق الشمط
أعبد من عبيد عما ... ن عاب مناقب السبط
وتهجو الغر من مضر ... كفى هذا من الشطط
تيمم في مقيرة ... مسيراً غير مغتبط
مجوفة مزينة ... بودع لاح كالرقط
بنوك تجرها بالقل ... س مؤتزرين بالفو
متى غمسوا مراديهم ... لجد السير تحتلط
وأنت بموضع السكا ... ن يمسكه بلا غلط
عليك عباءة مشكو ... كة بالشوك لم تخط
فطيب ريح بلدتنا ... فرارك خيفة الشرط
وأنك قد عرفت بكث ... رة التخليط والغلط
ترى الخسران إن لم تز ... ن في يوم ولم تلط

طلبه المأمون لهجائه نزاراً ففر إلى عمان:

قال: وكان ابن أبي عيينة لما هجا نزاراً بلغ شعره المأمون، فنذر دمه، فهرب من البصرة وركب البحر إلى عمان، فلم يزل بها متواريا في نواحي الأزد حتى مات المأمون.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني ابن مهرويه عن أبيه بقصة ابن أبي زعبل، فذكر نحو الخبر المتقدم.

يشبب بوهبة ثم يعدل دنيا: حدثني عمي قال: حدثني أحمد بن يزيد المهلبي؛ قال: حدثني أبي قال: كان ابن أبي عيينة يشبب بوهبة جارية القروي، وهي التي يقول فيها فروج الزنى قوله:

يا وهب لم يبق لي شيء أسر به ... إلا الجلوس فتسقيني وأسقيك

ثم عدل عن التشبيب بها إلى دنيا، وذكرهما جميعاً في شعره فقال:

أرسلت وهبة لما رأتني ... بعد سقم من هواها مفيقا :
أتغيرت كأن لم تكن لي ... قبل أن تعرف دنيا صديقا
قد لعمري كان ذاك ولكن ... قطعت دنيا عليك الطريقا

شعر له يدل على أنه كان يكنى بدنيا عن فاطمة: أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن يزيد عن أبيه قال: لما ولي عمر بن حفص هزار مرد بالبصرة -قال ابن أبي عيينة في ذلك وفي دنيا يكنى بها عن فاطمة بنت عمر بن حفص صاحبته:

هنيئاً لدنيا هنيئاً لها قدوم أبيها على البصره
على أنها أظهرت نخوة وقالت لي الملك والقدره
فيا نور عيني كذا عاجلاً علي تطاولت بالإمره

قال: وهذا دليل على أنه كان يكنى عن فاطمة بدنيا، لا أنه كان يهوى جاريتها دنيا.

قال أحمد بن يزيد: وفيها يقول أيضاً:

يا حسنها يوم قالت لي مودعة لا تنس ما قلت، من فيها إلى أذني
كأنني لم أصل دنيا علانية ولم أزر أهل دنيا زورة الختن
جسمي معي غير أن الروح عندكم فالروح في وطن والجسم في وطن
فليعجب الناس مني أن لي جسداً لا روح فيه ولي روح بلا بدن

وفي هذه الأبيات هزج طنبوري محدث.

يرثي أخاه داود وقد مات في طريقه إليه: أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن يزيد عن أبيه قال: ورد على ابن أبي عيينة كتاب من بعض أهله بأن أخاه داود خرج إليه ببريد ، فمات بهمذان، فقال ابن أبي عيينة عند ذلك يرثيه:

أنائحة الحمام قفي فنوحي على داود رهنا في ضريح
لدى الأجيال من همذان راحت به الأيام للموت المريح
ولم يشهد جنازته البواكي فتبكيه بمنهل سفوح
وكوني مثله إذ كان حيا جواداً بالغبوق وبالصبوح
أنائحة الحمام فلا تشحي عليه فليس بالرجل الشحيح
ولا بمثمر مالاً لدنيا ولا فيها بمغمار طموح
يبيع كثير ما فيها بباق ثمين من عواقبه ربيح
ومن آل المهلب في لباب لباب الخالص المحض الصريح
همو أبناء آخرة ودنيا وأهداف المراثي والمديح

يقدم إلى الكوفة فيحب قينة فيها: أخبرني عمي، قال: حدثنا أحمد بن يزيد عن أبيه قال: قدم أبو عيينة إلى الكوفة في بعض حوائجه، فعاشره جماعة من وجوه أهلها، وأقام بها مدة، وألف فيها قينة كان يعاشرها وأحبها حباً شديداً، فقال فيها:

لعمري لقد أعطيت بالكوفة المنى ... وفوق المنى بالغانيات النواعم

ونادمت أخت الشمس حسناً فوافقت ... هواي ومثلي مثلها فلينادم

وأنشدتها شعري بدنيا فعربدت ... وقال :ملول عهده غير دائم

فقلت لها يا ظبية الكوفة اغفري ... فقد تبت مما قلت توبة نادم

فقالت قد استوجبت منا عقوبة ... ولكن سنرعى فيك روح ابن حاتم

شعره في بستان له وضيعة: قال أحمد بن يزيد، قال لي أبي: كان لابن أبي عيينة بستان وضيعة في بعض قطائع المهلب بالبصرة، فأوطنها وصيرها مترله، وأقام بها، وفيها يقول:

يا جنة فاقت الجنان فما ... تبلغها قيمة ولا ثمن

ألفتها فاتخذتها وطناً ... إن فؤادي لأهلها وطن

زوج حيتانها الضباب بها ... فهذه كنة وذا ختن

فانظر وفكر فيما نطقت به ... إن الأريب المفكر الفطن

من سفن كالنعام مقبلة ... ومن نعام كأنها سفن

ينشد الموصلي من شعره: أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا الزبير بن بكار وقال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي، أن أبا عيينة أنشده لنفسه: صوت

لا يكن منك ما بدا لي بعيني ... ك من اللحظ حيلة واختداعا

إن يكن في الفؤاد شيء وإلا ... فدعيني لا تقتليني ضياعا

فلعلي إذا قربت تباعد ... ت وأظهرت جفوة وامتناعا

حين نفسي لا تستطيع لما قد ... وقعت فيه من هواها ارتجاعا

في هذه الأبيات رمل مطلق محدث.

كان أخوه عبد الله شاعراً وله شعر في عتاب خالد البرمكي: أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن يزيد قال: حدثني أبي قال: كان عبد الله بن محمد بن أبي عيينة أخو أبي عيينة شاعراً، وهو القائل يعاتب محمد بن يحيى بن خالد البرمكي بأبيات رائية أولها:

اسلم وإن كان فيك عني قبض لكفيك وازورار
تلحظني عابساً قطوبا كأنما بي إليك ثار
لو كان أمر عتبت فيه يجوز منه لي اعتذار
أو كنت سآلة حريصا لحان مني لك الفرار
أو كنت نذلاً عديم عقل لا منصب لي ولا نجار
أولم أكن حاملاً بنفسي ما تحمل الأنفس الكبار
وأنني من خيار قومي وكل أهلي فتى خيار
عذرت إن نالني جفاء منك وإن نالني ضرار
لكن ذنبي إليك أني قحطان لي الجد لا نزار
عليك مني السلام، هذا أوان ينأى بي المزار
ما كنت إلا كلحم ميت دعا إلى أكله اضطرار
راحت على الناس لابن يحيى محمد ديمة غزار
ولم يكن ما أنلت منه بقدر ما ينجلي الغبار
قد أصبح الناس في زمان أعلامه السفلة الشرار
يستأخر السابق المذكى فيه ويستقدم الحمار
وليس للمرء ما تمنى يوماً وما إن له اختيار
ما قدر الله فهو آت وفي مقاديره الخيار

يهجو قبيصة بن روح المهلبي، ويمدح داود بن عمه: أخبرني عمي قال: حدثنا أبو هفان، قال: كان ابن أبي عيينة قد قصد ربيعة بين قبيصة بن روح بن حاتم المعلبي واستماحه، فلم يجد عنده ما قدر فيه، فانصرف مغاضباً، فوجه إليه داود ابن مزيد بن حاتم بن قبيصة، وبلغ ما أحبه ورضيه من بره، ومعونته، فقال يمدحه ويهجو قبيصة:

أقبيص لست وإن جهدت بمدرك سعي ابن عمك ذي العلا داود
شتان بينك يا قبيص وبينه إن المذمم ليس كالمحمود
أختار داود بناء محامد واخترت أكل شبارق وثريد
قد كان مجد أبيك لو أحببته روح أبى خلف كمجد يزيد

لكن جرى داود جري مبرز فحوى المدى وجريت جري بليد
داود محمود وأنت مذمم عجباً لذاك وأنتما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد نصفاً وسائره لحش يهود
فالحش أنت له وذاك لمسجد كم بين موضع مسلح وسجود
هذا جزاؤك يا قبيص لأنه جادت يداه وأنت قفل حديد

يدعوه حذيفة مولى جعفر بن سليمان إلى مجلس فيقول في ذلك شعراً: حدثني جعفر بن قدامة قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني أبي قال: كانت لأبي حذيفة مولى جعفر بن سليمان جارية مغنية يقال لها: بستان، فبلغه أن أبا عيينة بن محمد بن عيينة ذكر لبعض إخوانه محبته لها ولاستماع غنائها فدعاه، وسأله أن يطرح الحشمة بينه وبينه، فأجابه إلى ذلك، وقال لما سكر وانصرف من عنده في ذلك:

ألم ترني على كسلي وفتري أجبت أبا حذيفة إذ دعاني
وكنت إذا دعيت إلى سماع أجبت ولم يكن مني تواني
كأنا من بشاشتنا ظللنا بيوم ليس من هذا الزمان

يهجو عيسى بن موسى لأنه لم يعطه سماداً لضيعته: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بالقاسم بن مهرويه قال: حدثني محمد بن عمثان قال: كانت لعيسى بن موسى ضيعة إلى جانب ضيعة ابن أبي عيينة بالبصرة، وكان له إلى جانب ضيعته سماد كثير، فسأله أن يعطيه بعضه ليعمر ابن أبي عيينة به ضيعته، فلم يفعل فقال فيه:

رأيت الناس همه المعالي وعيسى همه جمع السماد
ورزق العالمين بكف ربي وعيسى رزقه في است العباد

هكذا ذكره ابن مهرويه، وهذا بيت فاسد، وإنما هو:

إذا رزق العباد فإن عيسى له رزق من استاه العباد

أخباره مع ابن عمه خالد وسبب هجائه إياه: ولابن أبي عيينة مع ابن عمه خالد أخبار جمة أذكرها هاهنا والسبب الذي حمله على هجائه: أخبرني علي بن سليمان الأخفش ببعضها، عن محمد بن يزيد المبرد، وببعضها عن أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه، وقد جمعت روايتهما فيما اتفقا عليه، ونسبت كل ما انفرد به أحدهما أو خالف فيه غليه، وذكرت في فصول ذلك وخلاله ما لم يأتيا به مما كتبته عن الرواة، قالا جميعاً: ولي خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب جرحان، فسأل يزيد بن حاتم أبا عيينة أن يصحبه ويخرج معه، ووعده الإحسان والولاية، وأوسع له المواعيد. وكان أبو عيينة جندياً، فجرد اسمه في جريدته، وأخرج رزقه معه، فلما

حصل لجرجان أعطاه رزقه لشهر واحد، واقتصر على ذلك، وتشاغل عنه وجفاه، فبلغه أنه قد هجاه وطعن عليه، وبسط لسانه فيه، وذكره بكل قبيح عند أهل عمله ووجوه رعيته، فلم يقدر على معاقبته، لموضع أبيه وسنه ومحله في أهله، فدعا به، وقال له: إنه قد بلغني أنك تريد أن تهرب فإما أن أقمت لي كفيلاً برزقك أو رددته، فأتاه بكفيل فأعنته، و لم يقبله، و لم يزل يردده حتى ضجر، فجاءه بما قبض من الرزق فأخذه.

من هجائه لابن عمه: ولج أبو عيينة في هجائه وأكثر فيه حتى فضحه، فقال في هذا عن أحمد بن يزيد المهلبي:

دنيا دعوتك مسرعاً فأجيبي ... وبما اصطفيتك في الهوى فأثيبي

دومي أدم لك بالصفاء على النوى ... إني بعهدك واثق فثقي بي

ومن الدليل على اشتياقي عبرتي ... ومشيب رأسي قبل حين مشيبي

أبكي إليك إذا الحمامة طربت ... يا حسن ذاك إلي من تطريب

تبكي على فنن الغصون حزينة ... حزن الحبيبة من فراق حبيب

وأنا الغريب فلا ألام على البكا ... إن البكا حسن بكل غريب

أفلا ينادى للقفول برحلة ... تشفى جوى من أنفس وقلوب

ما لي اصطفيت على التعسف خالداً ... والله ما أنا بعدها بأريب

تباً لصحبة خالد من صحبة ... ولخالد بن يزيد من مصحوب

يا خالد بن قبيصة هيجت بي ... حرباً فدونك فاصطبر لحروبي

لما رأيت ضمير غشك قد بدا ... وأبيت غير تجهم وقطوب

وعرفت منك خلائقا جربتها ... ظهرت فضائحها على التجريب

خليت عنك مفارقا لك عن قلى ... ووهبت للشيطان منك نصيبي

فلئن نظرت إلى الرصافة مرة ... نظراً يفرج كربة المكروب

لأمزقنك قائماً أو قاعداً ... ولأروين عليك كل عجيب

ولتأتين أباك فيك قصائد ... حبرتها بتشكر مقلوب

ولينشدن بها الإمام قصيدة ... ولتشتمن وأنت غير مهيب

ولأوذينك مثلما آذيتني ... ولأشلين على نعاجك ذيبي

يهجو ابن عمه وقد كتب إليه أخوه بسلامته وسلامة أهل بتيه: قال أحمد بن يزيد في خبره: حدثني أبي قال: أعرس داود بن محمد بن أبي عيينة أخو أبي عيينة بالبصرة، وأخوه غائب يومئذ مع ابن عمه خالد بجرجان، فكتب داود إلى أخيه يخبره بسلامته وسلامة أهل بيته، وبخبر نقله أهله إليه، فقال أبو عيينة في ذلك:

ألا ما لعينك متعلة ... ومنا لدموعك منهله

وكيف بجرجان صبر امرئ ... وحيد بها غير ذي خله

وأطول بليلك أطول به ... إذا عسكر القوم بالأثله

وراعك من خيله حائر ... من القوم ليست له قبله

يسوقك نحوهم مكرهاً ... وداود بالمصر في غفله

وما مدنف بين عواده ... ينادي وفي سمعه ثقله

بأوجع مني إذا قيل لي: ... تأهب إلى الري بالرحله

ومالي وللري لولا الشقا ... ء إن كنت عنها فلي عزله

أكلف أجبالها شاتيا ... على فرس أو على بغله

وأهون من ذاك لو سهلوه ... ركوب القراقير في دجله

تروح إلينا بها طربة ... رواح الندامى إلى دله

أخالد خذ من يدي لطمة ... تغيظ من قدمي ركله

جمعت خصال الردى جملة ... وبعت خصال الندى جمله

فمالك في الخير من خلة ... وكم لك في الشر من خله

ولما تناضل أهلا العلا ... نضلت فأذعنت للنضله

فما لك في المجد يا خالد ... مقرطسة لا ولا خصله

وأسرعت في هدم ما قد بنى ... أبوك وأشياخه قبله

وكانت من النبع عيدانهم ... نضاراً وعودك من أثله

فيا عجباً نبعة أنبتت ... خلافاً وريحانة بقله

ثيابك للعبد مطوية ... وعرضك للشم والبذله

أجعت بنيك وأعريتهم ... ولم تؤت في ذاك من قله

إذا ما دعينا لقبض العطاء وهيأت كيسك للغله

وجلة تمر تغادي بها فتأتي على آخر الجله

وتقصي بنيك وهم بالعرا ء نزلهم الملح والمله

ولو كان خبز وتمر لديك لما طمعوا منك في فضله

وتصبح تقلس عن تخمة كأن جشاءك عن فجله

إذا الحي راعهم رائع فأوهن من غادة طفله

وليث يصول على قرنه إذا ما دعيت إلى أكله

فلله درك عند الخوا ن من فارس صادق الحمله

وإن جاءك الناس في حاجة تفكرت يومين في العله

وتلقاهم أبداً كالحاً كأن قد عضضت على بصله

فهذا نصيبي من خالد لكم هنة بتة بتله

وإني لصحبته مبغض ولا خير في صحبة السفله

ينشد مسلم بن الوليد من هجائه في ابن عمه: حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي قال: حدثني أبو الحسن بن المنجم قال: رأيت مسلم بن الوليد الأنصاري يوماً عند أبي، ثم خرج من عنده، فلقيه ابن أبي عيينة، فسلم عليه وتحفى به، ثم قال له: ما خبرك مع خالد؟ قال: الخبر الذي تعرفه، ثم أنشده قوله فيه:

يا حفص عاط أخاط عاطه كأساً تهيج من نشاطه

قال: ومسلم يتبسم من هجائه إياه حتى مر فيها كلها، ثم ختمها بقوله:

وإذا تطاولت ولت الرؤ وس فغط رأسك ثم طاطه

فقال مسلم: مه، إن لله! هتكته والله وأخزيته، وإنما كنت أظن أنك تمزح وتهزل إلى آخر قولك حتى ختمته بالجد القبيح، وأفرطت فيما خرجت به إليه، ثم مضى وهو يقول: فضحته والله، هتكته والله!.

يستنشده دعبل من هجائه لابن عمه فينشده: أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن يزيد قال: حدثني أبي قال: لقي دعبل أبا عيينة فقال له: أنشدني قولك في ابن عمك فأنشده:

يا حفص عاط أخاك عاطه كأساً تهيج من نشاطه

صرفاً يعود لوقعها كالظبي أطلق من رباطه

صباً طرت عنه الهمو م نعيمه بعد انبساطه

فبكى وحق له البكا لشقائه بعد اغتباطه
جزع المخنث خالد لما وقعت على قماطه
فانظر إلى نزواته من منطقي وإلى اختلاطه
دعني وإيا خالد فلأقطعن عرى نياطه

إني وجدت كلامه فبه مشابه من ضراطه
رجل يعد لك الوعي د إذا وطئت على بساطه
وإذا انتظرت غداءه فخف البوادر من سياطه
يا خال صد المجد عن ك فلن تجوز على صراطه
وعريت من حلل الندى عري اليتيم ومن رياطه
فإذا تطاولت الرؤو س فغط رأسك ثم طاطه

قال له دعبل: أغرقت والله في النزع وأسرفت، وهتكت ابن عمك وقتلته وغضضت منه، وإنما استنشدتك وأنا أظن أنك قلت كما يقول الناس قولاً متوسطاً، ولو علمت أنك بلغت به هذا كله لما استنشدتك .

أخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي وعمي قالا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني الحسين بن السري قال: لقي دعبل أبا عيينة فقال له: أنشدني بعض ما قلت في ابن عمك، ثم ذكر الخبر مثل ما ذكره أحمد بن يزيد، وقال فيه: إنما ظننت أنك قلت فيه قولاً أبقيت معه عليه بعض الإبقاء، ولو علمت أنك بلغت به هذا كله وأغرقت هذا الإغراق ما استنشدتك، وجعل يعيد "فغط رأسك ثم طاطه"، ويقول: قتله الله! من مختار هجائه في خالد: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن يزيد قال: ومن مختار ما قاله في خالد قوله:

قل لدنيا بالله لا تقطعينا واذكرينا في بعض ما تذكرينا
لا تخوني بالغيب عهد صديق لم تخافيه ساعة أن يخونا
واذكري عيشنا وإذ نفض الريح علينا الخيري والياسمينا
إذ جعلنا الشاه سفرام فراشاً من أذى الأرض والظلال غصونا
حفظ الله إخوتي حيث كانوا من بلاد سارين أم مدلجينا
فتية نازحون عن كل عيب وهم في المكارم الأولونا
وهم الأكثرون يعلم ذاك الناس، والأطيبون للأطيبينا

أزعجتني الأقدار عنهم وقد كنت بقربي منهم شحيحاً ضنينا
وتبدلت خالداً لعنة الله عليه ولعنة اللاعنينا
رجل يقهر اليتيم ولا يؤ تى زكاة وينهر المسكينا
ويصون الثياب والعرض بال ويرائي ويمنع الماعونا
نزع الله منه صالح ما أعطاه آمين عاجلاً آمنا
فلعمر المبادرين إلى مكة وفداً غادين أو رائحينا
إن أضياف خالد وبنيه ليجوعون فوق ما يشبعونا
وتراهم من غير نسك يصومو ن ومن غير علة يحتمونا
يا بني خالد دعوه وفروا كم على الجوع ويحكم تصبرونا

من مشهور هجائه في خالد: قال محمد بن يزيد: ومن مشهور شعره في قصيدته التي أولها:

ألا خبروا إن كان عندكم خبر أنقفل أن نثوي على الهم والضجر؟
نفى النوم عن عيني تعرض رحلة بها الهم واستولى بها بعده السهر
فإن أشك من ليلي بجرجان طوله لقد كنت أشكو فيه بالبصرة القصر
فيا حبذا بطن الخرير وظهره ويا حسن واديه إذا ماؤه زخر
ويا حبذا نهر الأبلة منظراً إذا مد في إبانه النهر أو جزر
وفتيان صدق همهم طلب العلا وسيماهم التحجيل في الجد والغرر
لعمري لقد فارقتهم غير طائع ولا طيب نفساً بذاك ولا مقر
وقائلة ماذا نأى بك عنهم فقلت لها لا علم لي فسلي القدر
فيا سفراً أودي بلهوى ولذتي ونغصني عيشي عدمتك من سفر
دعوني وإيا خالد بعد ساعة سيحمله شعري على الأبلق الأغر
كأني بصدق القول لما لقيته وأعلمته ما فيه ألقمته الحجر
دنيء به عن كل خير بلادة لكل قبيح عن ذراعيه قد حسر
له منظر يعمي العيون سماجة وإن يختبر يوماً فيا سوء مختبر
أبوك لنا غيث يعاش بوبله وأنت جراد لبس يبقي ولا يذر

له اثر في المكرمات يسرنا وأنت تعفي دائماً ذلك الأثر

لقد قنعت قحطان خزياً بخالد فهل لك فيه يخزك الله يا مضر

قول الرشيد وقد أنشد بيتاً في هجاء خالد: أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثني الزبير بن بكار قال: حدثني عمي قال: أنشد الرشيد قول بن أبي عيينة:

لقد قنعت قطحان خزياً بخالد فهل لك فيه يخزك الله يا مضر

فقال الرشيد: بل يوقرون ويشكرون.

يجمع هجاء رجل ومدح أبيه في بيت: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: قال لنا أبو العباس محمد بن يزيد: لم يجتمع لأحد من الحدثين في بيت واحد هجاء رجل ومديح أبيه كما اجتمع لابن عيينة في قوله:

أبوك لنا غيث نعيش بوبله وأنت جراد ليس يبقى ولا يذر

من جيد هجائه في خالد أيضاً:

على إخوتي مني السلام تحية تحية مثن بالأخوة حامد

وقل لهم بعد التحية أنتم بنفسي ومالي من طريف وتالد

وعز عليهم أن أقيم ببلدة أخا سقم فيها قليل العوائد

لئن ساءهم ما كان من فعل خالد لقد سرهم ما قد فعلت بخالد

وقد علموا أن ليس مني بمفلت ولا يومه المسكين مني بواحد

أخالد لا زالت من الله لعنة عليك وإن كنت ابن عمي وقائدي

أخالد كانت صحبتيك ضلالة عصيت بها ربي وخالفت والدي

وأرسل يبقي الصلح لما تكنفت عوارض جنبيه سياط القصائد

فأرسلت بعد الشر أني مسالم إلى غير ما لا تشتهي غير عائد

هو أهجى المحدثين في عصره: أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: زعم القحذمي أن الرشيد قال للفضل بن الربيع: من أهجى المحدثين عندك يا فضل في عصرنا هذا؟ قال: الذي يقول في ابن عمه:

لو كان ينقص يزدا د إذاً نال السماء

خالد لولا أبوه كان والكلب سواء

أنا ما عشت عليه أسوأ الناس ثناء

إن من كان مسيئاً لحقيق أن يساء

فقال الرشيد: هذا ابن أبي عيينة، ولعمري لقد صدقت.

يقرأ الهادي قصيدة أرسلها إليه فيرده من جيش خالد: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبي قال: كان ابن أبي عيينة مع ابن عمه خالد بجرجان، فأساء به وجفاه، وكان لابن أبي عيينة صديقان من جند خالد من أهل البصرة، أحدهما مهلبي والآخر مولى للأزد، وكلهم شاعر ظريف، فكانوا يمدحون السراة من أهل جرجان فيصيبون منهم ما يقوتهم. وولى موسى الهادي الخلافة فكتب ابن عيينة إلى من كان في خدمة الخلفاء من أهله بهذه القصيدة:

كيف صبري ومنزلي جرجان والعراق البلاد والأوطان؟

نحن فيها ثلاثة حلفاء وندامى على الهوى إخوان

نتساقى الهوى ونطرب للذكر كما تطرب النشاوي القيان

وإذا ما بكى الحمام بكينا لبكاه كأننا صبيان

يا زماني الماضي ببغداد عد لي طالما قد سررتني يا زمان

يا زماني المسيء أحسن فقدما كان عندي من فعلك الإحسان

ما يريد العذال مني أما يترك أيضاً بغمه الإنسان؟

ويقولون أملك هواك وأقصر قلت مالي على الهوى سلطان

أيها الكاتم الحديث وقد طا ل به الأمر وانتهى الكتمان

قد لعمري عرضت حيناً فبين ليس بعد التعريض إلا البيان

واتخذ خالداً عدواً مبيناً ما تعادى الإنسان والشيطان

واله عنه فما يضرك منه عض كلب ليست له أسنان

ولعمري لولا أبوه لنالته بسوء مني يد ولسان

قل لفتياننا المقيمين بالبا ب ثقوا النجاح يا فتيان

لا تخافوا الزمان قد قام موسى فلكم من ردى الزمان أمان

أولم تأته الخلافة طوعاً طاعة ليس بعدها عصيان؟

فهي منقادة لموسى وفيها عن سواء تقاعس وحران

قل لموسى يا ملك الملك طوعاً بقياد وفي يديك العنان

أنت بحر لنا ورأيك فينا خير رأي لنا سلطان

فاكفنا خالداً فقد سامنا الخسف رماه لحتفه الرحمن

كم إلى كم يغضى على الذل منه وإلى كم يكون هذا الهوان؟

قال: فلما قرأ هذه القصيدة موسى الهادي أمر له بصلة، وأعطاه ما فات من رزقه، وأقفله من جيش خالد إليه.

صوت

أين محل الحي يا وادي؟ خبر سقاك الرائح الغادي

مستصحب للحرب خيفانة مثل عقاب السرحة العادي

بين خدور الظعن محجوبة حدا بقلبي معها الحادي

وأسمرا في رأسه أزرق مثل لسان الحية الصادي

الشعر لدعبل بن علي الخزاعي، والغناء لأحمد بن يحيى المكي، خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن أبي عبد الله الهشامي.

أخبار دعبل بن علي ونسبه

نسبه وكنيته: هو دعبل بن علي بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل بن خداش بن عبد بن دعبل بن أنس بن خزيمة بن سلامان بن أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمر بن عامر بن مزيقيا ، ويكنى أبا علي.

شاعريته: شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان، لم يسلم عليه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهة، أحسن إليه أو لم يحسن، ولا أفلت منه كبير أحد.

يناقض "الكميت" في مذهبته فيناقضه المخزومي: وكان شديد التعصب على النزارية للقحطانية، وقال قصيدة يرد فيها على الكميت بن زيد، ويناقضه في قصيدته المذهبة التي هجا بها قبائل اليمن.

ألا حييت عنا يا مرينا

فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، فنهاه عن ذكر الكميت بسوء .

وناقضه أبو سعد المخزومي في قصيدته وهجاه، وتطاول الشر بينهما، فخافت بنو مخزوم لسان دعبل وأن يعمهم بالهجاء، فنفوا أبا سعد عن نسبهم، وأشهدوا بذلك على أنفسهم.

تيشعه ومكافأة علي بن موسى الرضا له: وكان دعبل من الشيعة المشهورين بالميل إلى علي صلوات الله عليه، وقصديته:

مدارس آيات خلت من تلاوة

من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في أهل البيت، عليهم السلام، وقصد بها أبا الحسن علي بن موسى الرضا، عليه السلام، بخراسان، فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه، وخلع عليه خلعة من ثيابه، فأعطاه بها أهل قم ثلاثين ألف درهم، لم يبعها، فقطعوا عليه الطريق فأخذوها، فقال لهم: إنها إنما تراد الله عز وجل، وهي محرمة عليكم، فدفعوا إليه ثلاثين ألف درهم، فحلف ألا يبيعها أو يعطوه بعضها ليكون في كفنه، فأعطوه فردكم، فكان في أكفانه.

وكتبت قصيدته: "مدارس آيات" فيما يقال على ثوب، وأحرم فيه، وأمر أن يكون في أكفانه. ولم يزل مرهوب اللسان وخائفاً من هجائه للخلفاء، فهو دهره كله هارب متوار.

حدثني إبراهيم بن أيوب قال: حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال:

رأيت دعبل بن علي وسمعته يقول:

أنا أحمل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة، لست أجد أحداً يصلبني عليها.

إبراهيم بن المهدي يحرض المأمون عليه: حدثني عمي قال: حدثنا ميمون بن هارون قال: قال إبراهيم بن المهدي للمأمون قولاً في دعبل يحرضه عليه، فضحك المأمون، وقال: إنما تحرضني عليه لقوله فيك:

يا معشر الأجناد لا تقطنوا وارضوا بما كان ولا تسخطوا

فسوف تعطون حنينية يلتذها الأمرد والأشمط

والمعبديات لقوادكم لا تدخل الكيس ولا تربط

وهكذا يرزق قواده خليفة مصحفه البربط

فقال له إبراهيم: فقد والله هجاك أنت يا أمير المؤمنين، فقال: دع هذا عنك فقد عفوت عنه في هجائه إياي لقوله هذا، وضحك. ثم دخل أبو عباد، فلما رآه المأمون من بعد قال لإبراهيم: دعبل يجسر على أبي عباد بالهجاء ويحجم عن أحد؟ فقال له: وكأن أبا عباد أبسط يداً منك يا أمير المؤمنين؟ قال لا، ولكنه حديد جاهل لا يؤمن، وأنا أحلم وأصفح. والله ما رأيت أبا عباد مقبلاً إلا أضحكني قول دعبل فيه:

أولى الأمور بضيعة وفساد أمر يدبره أبو عباد

وكأنه من دير هزقل مفلت حرد يجر سلاسل الأقياد

ما قاله أبوه من الشعر:

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبي قال: أخبرني دعبل بن علي قال: قال لي أبي علي بن رزين: ما قلت شيئاً من الشعر قط إلا هذه الأبيات:

خليلي ماذا أرتجي من غد امرئ طوى الكشح عني اليوم وهو مكين

وإن امرأ قد ضن منه بمنطق يسد به فقر امرئ لضنين

وبيتين آخرين وهما:

أقول لما رأيت الموت يطلبني يا ليتني درهم في كيس مياح

فيا له درهاً طالت صيانته لا هالك ضيعة يوماً ولا ضاح

اسمه واشتقاق دعبل: أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الكاتب قال: حدثني أبو هفان قال: قال لي دعبل قال لي أبو زيد الأنصاري: مم اشتق دعبل؟ قلت: لا أدري، قال: الدعبل: الناقة التي معها ولدها.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثني العنزي قال: حدثني محمد بن أيوب قال: دعبل اسمه محمد وكنيته أبو جعفر، ودعبل: لقب لقب به.

وحدثني بعض شيوخنا عن أبي عمرو الشيباني قال: الدعبل: البعير المسن.

أحد اثنين ختم بهما الشعر: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: سمعت حذيفة بن الطائي يقول: الدعبل: الشيء القديم. قال ابن مهرويه: سمعت أبي يقول: ختم الشعر بدعبل، قال: وقال أبي: كان أبو محلم يقول: ختم الشعر بعمارة بن عقيل.

رده الكميت وضع قدره: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: سمعت أبي يقول: لم يزل دعبل عند الناس جليل القدر حتى رد على الكميت بن زيد:

ألا حييت عنا يا مرينا

فكان ذلك مما وضعه. قال: وقال: فيه أبو سعد المخزومي:

وأعجب ما سمعنا أو رأينا هجاء قاله حي لميت

وهذا دعبل كلف معنى بتسطير الأهاجي في الكميت

وما يهجو الكميت وقد طواه الر دى إلا ابن زانية بزيت

من ظن أن كلمة دعبل شتم: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن زيد قال: حدثني دعبل قال: كنت جالساً مع بعض أصحابنا ذات يوم، فلما قمت سأل رجل لم يعرفني -أصحابنا عني، فقالوا: هذا دعبل، فقال: قولوا في جليسكم خيراً، كأنه ظن اللقب شتماً.

يصيح في أذن مصرع: دعبل، فيفيق: أخبرني علي بن سليمان قال: حدثني محمد بن يزيد قال: حدثني دعبل قال: صرع مجنون مرة فصحت في أذنه: دعبل، ثلاث مرات، فأفاق.

وأخبرني بهذين الخبرين الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن محمد بن يزيد عن دعبل -وزاد فيه: قال دعبل: وصرع مرة مجنون بحضرتي فصحت به: دعبل، ثلاث مرات فأفاق من جنونه.

سبب خروجه من الكوفة: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي أبو أحمد قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال:

حدثني علي بن عمرو بن شيبان قال: حدثني أبو خالد الخزاعي الأسلمي، قال العتزي: وقد كتبت عن أبي خالد أشياء كثيرة و لم أكتب عنه هذا الخبر، قال: كان سبب خروج دعبل بن علي من الكوفة أنه كان يتشطر ويصحب الشطار، فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين العشاء والعتمة، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة، وكان يروح كل ليلة بكيسه إلى منزله، فلما طلع مقبلاً إليهما وثبا إليه فجرحاه، وأخذا ما في كمه، فإذا هي ثلاث رمانات في خرقة، و لم يكن كيسه ليلتئذ معه، ومات الرجل مكانه، واستتر دعبل وصاحبه، وجد أوليا الرجل في طلبهما، وجد السلطان في ذلك، فطال على دعبل الاستتار، فاضطر إلى أن هرب من الكوفة. قال أبو خالد: فما دخلها حتى كتبت إليه أعلمه أنه لم يبق من أولياء الرجل أحد.

يشرح أسباب هجائه الناس: أخبرني محمد بن عمران قال: حدثني أبو خالد الخزاعي الأسلمي قال:

قلت لدعبل: ويحك! قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد ووترت الناس جميعاً، فأنت دهرك كله شريد طريد هارب خائف، فلو كففت عن هذا وصرفت هذا الشر عن نفسك! فقال: ويحك؟ إن تأملت ما تقول، فوجدت أكثر الناس لا ينتفع بهم إلا على الرهبة، ولا يبالي بالشاعر وإن كان مجيداً إذا لم يخف شره، ولمن يتقيك على عرضه أكثر ممن يرغب إليك في تشريفه. وعيوب الناس أكثر من محاسنهم، وليس كل من شرفته شرف، ولا كل من وصفته بالجود والمجد والشجاعة و لم يكن ذلك فيه انتفع بقول، فإذا رآك قد اوجعت عرض غيره وفضحته - اتقاك على نفسه وخاف من مثل ما جرى على الآخر. ويحك، يا أبا خالد إن الهجاء المقذع آخذ بضبع الشاعر من المديح المضرع. فضحكت من قوله، وقلت: هذا والله مقال من لا يموت حتف أنفه.

البيت الذي عرف به: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني الحمدوي الشاعر قال: سمعت دعبل بن علي يقول: أنا ابن قولي:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

وسمعت أبا تمام يقول: أنا ابن قولي:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

قال الحمدوي: وأنا ابن قولي في الطيلسان:

طال ترداده إلى الرقو حتى لو بعثناه وحده لتهدي

قال الحمدوي: معنى قولنا: أنا ابن قولي، أي أني به عرفت.

يسرق بيتاً ويتفوق فيه على صاحبه: أخبرني علي بن صالح قال: حدثني أبو هفان قال: قال مسلم بن الوليد:

مستعير يبكي على دمنة ورأسه يضحك فيه المشيب

فسرقه دعبل، فقال:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكرى

فجاء به أجود من قول مسلم، فصار أحق به منه.

قال أبو هفان: فأنشدت يوماً بعض البصريين الحمقى قول دعبل:

ضحك المشيب برأسه فبكى

فجاءني بعد أيام، فقال: قد قلت أحسن من البيت الذي قاله دعبل: فقلت له: وأي شيئ قلت؟ فتمنع ساعة، ثم قال: قلت:

قهقه في رأسك القتير

أخبرني بهذه الحكاية الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن أبي هفان، قال: ذكر نحوه، وزاد فيه ابن مهرويه وحدثني الحمدوي قال: سمع رجل قول المأمون:

قبلته من بعيد فاعتل من شفتيه

فقال:

رق حتى تورمت شفتاه إذ توهمت أن أقبل فاه

يرتاح له غنت جارية به: أخبرني علي بن الحسن قال: حدثني ابن مهرويه: حدثني أبو ناجية -وزعم أنه من ولد زهير بن أبي سلمى- قال: كنت مع دعبل بن شهرزور ، فدعاه رجل إلى مترله وعنده قينة محسنة فغنت الجارية بشعر دعبل:

أين الشباب وأية سلكا؟ لا، أين يطلب؟ ضل، بل هلكا

قال: فارتاح دعبل لهذا الشعر قال: قد قلت هذا الشعر منذ سبعين سنة.

نسبة هذا الصوت صوت

أين الشباب وأية سلكا؟ لا، أين يطلب، ضل، بل هلكا

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

يا ليت شعري كيف تومكما يا صاحبي إذا دمي سفكا

لا تأخذوا بظلامتي أحدا قلبي وطرفي في دمي اشتركا

قال: والغناء لأحمد بن المكي، ثقيل أول بالوسطى مطلق.

يسرق من شعر الحسين بن مطير: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبو المثنى أحمد بن يعقوب بن أخت أبي بكر الأصم قال: كنا في مجلس الأصمعي، فأنشده رجل لدعبل قوله:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

فاستحسناه، فقال الأصمعي: إنما سرقه من قول الحسين بن مطير الأسدي:

أين أهل القباب بالدهناء؟ أين جيراننا على الأحساء

فارقونا والأرض ملبسة نو ر الأقاحي تجاد بالأنواء

كل يوم بأقحوان جديد تضحك الأرض من بكاء السماء

يهجو جماعة أكلوا ديكاً له وقع عليهم: أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال: حدثني الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني أحمد بن خالد قال:

كنا يوماً بدار صالح بن علي من عبد القيس ببغداد، ومعنا جماعة من أصحابنا، فسقط على كنينة في سطحه - ديك طار من دار دعبل، فلما رأيناه قلنا هذا صيدنا، فقال صالح: ما نصنع به؟ قلنا: نذبحه، فذبحناه، وشويناه. وخرج دعبل فسأل عن الديك فعرف أنه سقط في دار صالح، فطلبه منا، فجحدناه، وشربنا يومنا. فلما كان من الغد خرج دعبل فصلى الغداة، ثم جلس على المسجد، وكان ذلك المسجد مجمع الناس، يجتمع فيه جماعة من العلماء، وينتابهم الناس، فجلس دعبل على المسجد وقال:

أسر المؤذن صالح وضيوفه أسر الكمي هفا خلال الماقط

بعثوا عليه بنيهم وبناتهم من بين ناتفة وآخر سامط

يتنازعون كأنهم قد أوثقوا خاقان أو هزموا كتائب ناعط

نهشوه فانتزعت له أسنانهم وتهشمت أقفاؤهم بالحائط

قال: فكتبها الناس عنه ومضوا، فقال لي أبي وقد رجع إلى البيت: ويحكم، ضاقت عليكم المآكل، فلم تجدوا شيئا تأكلونه سوى ديك دعبل؟ ثم أنشدنا الشعر، وقال لي: لا تدع ديكا ولا دجاجة تقدر عليه إلا اشتريته، وبعثت به إلى دعبل، وإلا وقعنا في لسانه، ففعلت ذلك. قال وناعط قبيلة من همدان ومجالد بن سعيد ناعطي قال: وأصله جبل نزلوا به، فنسبوا إليه.

يهجو غير معين، ثم يذكر فيه اسم من يغضب عليه: إخبرني الحسن بن علي قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني أحمد بن أبي كامل قال: كان دعبل ينشدني كثيراً هجاء قاله، فأقول له: فيمن هذا؟ فيقول ما استحقه أحد بعينه بعد، وليس له صاحب، فإذا وجد على رجل جعل ذلك الشعر فيه، وذكر اسمه في الشعر.

وقد أخبرني الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن أحمد بن أبي كامل بهذا الخبر بعينه، وزاد فيه-فيما ذكر ابن أبي كامل-أنه كان عند صالح هذا في يوم أخذه ديك دعبل، قال: وهو صالح بن بشر بن صالح بن الجارود العبدي.

يهجو أبا نضير الطوسي لأنه لم يرضه في مدحه: أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العنزي قال حدثني أحمد بن محمد ابن أبي أيوب قال: مدح دعبل أبا نضير بن حميد الطوسي، فقصر في أمره و لم يرضه من نفسه، فقال عند ذلك دعبل فيه يهجوه:

أبا نضير تحلحل عن مجالسنا فإن فيك لمن جاراك منتقصا

أنت الحمار حرونا إن وقعت به وإن قصدت إلى معروفه قمصا
إني هززتك لا آلوك مجتهدا لو كنت سيفا ولكني هززت عصا

أبو تمام يهجوه ويتوعده: قال: فشكاه أبو نضير إلى أبي تمام الطائي، واستعان به عليه، فقال أبو تمام يجيب دعبلا عن قوله، ويهجوه

أدعبل إن تطاولت الليالي عليك فإن شعري سم ساعة
وما وفد الشيب عليك إلا بأخلاق الدناءة والضراعة
ووجهك إن رضيت به نديما فأنت نسيج وحدك في الرقاعه
ولو بدلته وجها بوجه لما صليت يوما في جماعه
ولكن قد رزقت به سلاحا لو استعصيت ما أعطيت طاعه
مناسب طيىء قسمت فدعها فليست مثل نسبتك المشاعه
وروح منكبيك فقد أعيدا حطاما من زحامك في خزاعه

قال العتزي: يقول إنك تزاحم خزاعة، تدعي أنك منهم ولا يقبلونك.

يهجو الخاركي لأنه هجاه: أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العتزي قال: حدثني محمد بن أحمد بن أيوب قال: تعرض الخاركي النصري-وهو رجل من الأزد-لدعبل بن علي فهجاه، وسبه فقال فيه دعبل:

وشاعر عرض لي نفسه لخارك آباؤه تنمي
يشتم عرضي عند ذكري وما أمسى ولا أصبح من همي
فقلت لا بل حبذا أمة خيرة طاهرة علمي
أكذب والله على أمه ككذبه كان على أمي

يعده ابن المدبر أجسر الناس لهجائه المأمون: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال: لقيت دعبل بن علي، فقلت له: أنت أجسر الناس عندي وأقدمهم حيث تقول:

إني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
رفعوا محلك بعد طول خموله واستنقذوك من الخضيض الأوهد

فقال: يا أبا إسحاق، أنا أحمل خشبتي منذ أربعين سنة، فلا أجد من يصلبني عليها.

يرثي ابن عم له: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: قال دعبل بن علي يرثي ابن عم له من خزاعة نعي إليه، قال محمد بن يزيد: ولقد أحسن فيها ما شاء:

كانت خزاعة ملء الأرض ما اتسعت فقص مر الليالي من حواشيها
هذا أبو القاسم الثاوي ببلقعة تسقي الرياح عليه من سواقيها
هبت وقد علمت أن لا هبوب به وقد تكون حسيرا إذ يباريها
أضحة قرى للمنايا إذ نزلن به وكان في سالف الأيام يقربها

حدثني الحسن بن مهرويه عن أبيه، فذكر أن المنعي إلى دعبل أبو القاسم المطلب بن عبد الله بن مالك، وأنه نعي إلى دعبل، وكان هو بالجبل، فرثاه بهذه الأبيات.

يتوعده إسماعيل بن جعفر، فيعيره بالهرب من زيد بن موسى: أخبرني الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد، قال: بلغ إسماعيل بن جعفر بن سليمان أن دعبلا هجاه، فتوعده بالمكروه وشتمه، وكان إسماعيل بن جعفر على الأهواز، فهرب من زيد بن موسى بن جعفر بن محمد لما ظهر وبيض في أيام أبي السرايا، فقال دعبل بن علي يعير إسماعيل بذلك:

لقد خلف الأهواز من خلف ظهره يريد وراء الزاب من أرض كسكر
يهول إسماعيل بالبيض والقنا وقد فر من زيد بن موسى بن جعفر
وعاينته في يوم خلى حريمه فيا قبحها منه ويا حسن منظر

كان يتشاطر بالكوفة وهرب منها معد ما قتل صيرفيا: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني ابن الأعرابي عن أبي خالد الأسلمي قال: كان دعبل بن علي الخزاعي بالكوفة يتشطر وهو شاب، وكانت له شعرة جعدة، وكان يدهنها ويرجلها حتى تكاد تقطر دهنا، وكان يصلت على الناس بالليل فقتل رجلا صيرفيا، وظن أن كيسه معه، فوجد في كمه رمانا فهرب من الكوفة، وكنت إذا رأيت دعبلا يمشي رأيت الشطارة في مشيته وتبختره.

يتطير من عمير الكاتب فيهجوه: أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني الحسن بن أبي السري قال: كان عمير الكاتب أقبح الناس وجها، فلقي دعبلا يوما بكرة وقد خرج لحاجة له، فلما رآه دعبل تطير من لقائه، فقال فيه:

خرجت مبكرا من سر من را أبادر حاجة فإذا عمير
فلك أثن العنان وقلت أمضي فوجهك يا عمير خزاً وخير

يهدد عبد الرحمن بن خاقان لأنه بعث إليه برذونا يظلع: أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني الحسن بن أبي السرمي قال حدثني دعبل قال:مدحت عبد الرحمن بن خاقان، وطلتب منه برذونا، فبعث إلى ببرذون غامز، فكتبت إليه:

حملت على قارح غامز فلا للركوب ولا للثمن

حملت على زمن ظالع فسوف تكافا بشكر زمن

فبعث إلي ببرذون غيره فاره بسرجه ولجامه، وألفي درهم.

قال ابن مهرويه وحدثني إسحاق بن إبراهيم العكبري عن دعبل أنه مدح يحيى بن خاقان، فبعث إليه بهذا البرذون.

يهجو خريجه الفضل بن العباس لأنه عابه: أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: قال الحسين بن دعبل: كان أبي يختلف إلى الفضل بن العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث، وهو خرجه وفهمه وأدبه، فظهر له منه جفاء، وبلغه أنه يعيبه ويذكره، وينال منه، فقال يهجوه:

يا بؤس للفضل لو لم يأت ما عابه يستفرغ السم من صماء قرضابه

ما إن يزال وفيه العيب يجمعه جهلا لأعراض أهل المجد عيابه

إن عابني لم يعب إلا مؤدبه ونفسه عاب لما عاب أدابه

فكان كاكلب ضراه مكلبه لصيده فعدا فاصطاد كلابه

يهجو ابن أبي دواد لأنه كان يطعن عليه: أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبو جعفر العجلي قال: كان أحمد بن دواد يطعن على دعبل بحضرة المأمون والمعتصم، ويسبه تقربا إليهما لهجاء دعبل إياهما، وتزوج أبي ابن دواد امرأتين من بني عجل في سنة واحدة، فلما بلغ ذلك دعبلا قال يهجوه:

غصبت عجلا على فرجين في سنة أفسدتهم ثم ما أصلحت من نسبك

ولو خطبت إلى طوق وأسرته فزوجوك لما زادوك في حسبك

نك من هويت ونل ما شئت من نشب أنت ابن زرياب منسوبا إلى نشبك

إن كان قوم أراد الله خزيهم فزوجوك ارتغابا منك في ذهبك

فذاك يوجب أن النبع تجمعه إلى خلافك في العيدان أو غربك

ولو سكت ولم تخطب إلى عرب لما نبشت الذي تطويه من سببك

عد البيوت التي ترضى بخطبتها تجد فزارة العكلي من عربك

قال: فلقيه فزارة العكلي، فقال له: يا أبا علي، ما حملك على ذكرى حتى فضحتني، وأنا صديقك؟ قال: يا أخي والله ما اعتمدتك بمكروه، ولكن كذا جاءني الشعر لبلاء صبه الله عز وجل عليك لم أعتمدك به.

يهجو جارية عبثت به في مجلس: أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال:

حدثني أبو خالد الأسلمي الكوفي قال: أجتمعت مع دعبل في منزل بعض أصحابنا، وكانت عنده جارية مغنية صفراء مليحة حسنة الغناء، فوقع لها العبث بدعبل والتعنت والأذى له، ونهيناها عنه، فما انتهت، فأقبل علينا فقال: اسمعوا ما قلت في هذه الفاجرة، فقلنا: هات، فقد نهيناها عنك، فلم تنته، فقال:

تخضب كفا قطعت من زندها فتخضب الحناء من مسودها

كأنها والحل في مرودها تكحل عينيها ببعض جلدها

أشبه شيء أستها بخدها

قال: فجلست الجارية تبكي، وصارت فضيحة، واشتهرت بالأبيات، فما انتفعت بنفسها بعد ذلك.

يحبسه العلاء بن منظور ويضربه في جناية بالكوفة فيخرج منها: أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني هارون قال: حدثني أبي وخالد قالا: كان دعبل قد جنى جناية بالكوفة وهو غلام، فأخذه العلاء بن منظور الأسدي، وكان على شرطة الكوفة من قبل موسى بن عيسى، فحبسه، فكلمه في عمه سليمان بن رزين، فقال: أضربه أنا خير من أن يأخذه غريب فيقطع يده، فلعله أن يتأدب بضربي إياه، ثم ضربه ثلثمائة سوط، فخرج من الكوفة، فلم يدخلها بعد ذلك إلا عزيزا.

كان يضرب في الأرض فلا يؤذيه الشراة ولا الصعاليك: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أحمد ابن أبي كامل قال: كان دعبل يخرج فيغيب سنين، يدور الدنيا كلها، ويرجع وقد أفاد وأثري. وكانت الشراة والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه، ويؤاكلونه ويشاربونه ويبرونه، وكان إذ لقيهم وضع طعامه وشرابه، ودعاهم إليه، ودعا بغلاميه ثقيف وشعف، وكانا مغنيين، فأقعدهما يغنيان، وسقاهم وشرب معهم، وأنشدهم، فكانوا قد عرفوه، وألفوه لكثرة أسفاره، وكانوا يواصلونه ويصلونه. وأنشدني دعبل بن علي لنفسه في بعد أسفاره:

حللت محلا يقصر البرق دونه ويعجز عنه الطيف أن يتجشما

يعده البحتري أشعر من مسلم بن الوليد: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال: قال لي البحتري: دعبل بن علي أشعر عندي من مسلم بن الوليد، فقلت له: وكيف ذلك؟ قال: لأن كلام دعبل أدخل في كلام العرب من كلام مسلم، ومذهبه أشبه بمذاهبهم. وكان يتعصب له.

يهجو صاحب بيت دب إلى رجل بات عنده: أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا الفضل بن الحسن بن موسى البصري قال: بات دعبل ليلة عند صديق له من أهل الشأم، وبات عندهم رجل من أهل بيت لهياني يقال له حوي بن عمرو السككي جميل الوجه، فدب إليه صاحب البيت، وكان شيخا كبيرا فانيا قد أتى عليه حين، فقال فيه دعبل:

لولا حوى لبيت لهياني ما قام أير العزب الفاني

له دواة في سراويله يليقها النازح والداني

قال: وشاع هذان البيتان، فهرب حوي من ذلك البلد، وكان الشيخ إذا رأى دعبلا سبه، وقال: فضحتني أخزاك الله.

يتمنى موت من تكون له منة عنده: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني محمد بنالأشعث قال: سمعت دعبلاً يقول: ما كانت لأحد قط عندي منة إلا تمنيت موته.

يهجو شاعر بالري وهو هناك فيرتحل:

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا محمد بن عمر الجرجاني قال: دخل دعبل بن علي الري في أيام الربيع، فجاءهم ثلج لم يروا مثله في الشتاء، فجاء شاعر من شعرائهم فقال شعراً، وكتبه في رقعة هو:

جاءنا دعبل بثلج من الشعر فجادت سماؤنا بالثلوج

نزل الري بعدما سكن البر د وقد أينعت رياض المروج

فكسانا ببرده لا كساه الله ثوباً من كرسف ملحوج

قال: فألقي الرقعة في دهليز دعبل، فلما قرأها ارتحل عن الري.

هجاؤه لصالح الأضجم لأنه قصر عن حاجته: أخبرني محمد بن عمران قال: حدثنا العنزي قال: حدثنا أبو خالد الأسلمي قال: عرضت لدعبل حاجة إلى صالح بن عطية الأضجم، فقصر عنها، و لم يبلغ ما أحبه دعبل فيها، فقال يهجوه:

أحسن ما في صالح وجهه فقس على الغائب بالشاهد

تأملت عيني له خلقه تدعو إلى تزنية الوالد

فتحمل عليه صالح بي وبجماعة من إخوانه حتى كف عنه، وعرض عليه قضاء الحاجة، فأباها.

يهجو بني مكلم الذئب من خزاعة لأنهم فخروا عليه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبي قال: فخر قوم من خزاعة على دعبل بن علي يقال لهم: بنو مكلم الذئب، وكان جدهم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه أن الذئب أخذ من غنمه شاة فتبعه، فلما غشيه بالسيف قال له: ما لي ولك تمنعني رزق الله؟ قال فقلت: يا عجبا لذئب يتكلم! فقال: أعجب منه أن محمداً نبي قد بعث بين أظهركم وأنتم لا تتبعونه، فبنوه يفخرون بتكليم الذئب جدهم، فقال دعبل بن علي يهجوهم:

تهتم علينا بأن الذئب كلمكم فقد لعمري أبوكم كلم الذيبا

فكيف لو كلم الليث الهصور إذاً أفنيتم الناس مأكولا ومشروبا

هذا السنيدي لا أصل ولا طرف يكلم الفيل تصعيداً وتصويبا

يهجو محمد بن عبد الملك الزيات لأنه مدحه فلم يرضه: حدثني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني أبي قال: كان دعبل قد مدح محمد بن عبد الملك الزيات، فأنشده ما قاله فيه، وفي يده طومار قد جعله على فمه كالمتكئ عليه وهو جالس، فلما فرغ أمر له بشيء لم يرضه، فقال: يهجوه:

يا من يقلب طوماراً ويلثمه ... ماذا بقلبك من حب الطوامير

فيه مشابه من شيء تسربه ... طولاً بطول وتدويراً بتدوير

لو كنت تجمع أموالاً كجمعكها ... إذاً جمعت بيوتاً من دنانير

ينزل بحمص فلم يبره رجلان من أهلها فيهجوهما: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبي قال: نزل دعبل بحمص على قوم من أهلها، فبروه ووصلوه سوى رجلين منهم يقال لأحدهما: أشعث وللآخر أبو الصناع ، فارتحل من وقته من حمص وقال فيهما يهجوهما:

إذا نزل الغريب بأرض حمص ... رأيت عليه عز الإمتناع

سمو المكركات بآل عيسى ... أحلهم على شرف التلاع

هناك الخز يلبسه المغالي ... وعيسى منهم سقط المتاع

فسدد لاست أشعث أير بغل ... وآخر في حر أم أبي الصناع

فليس بصانع مجداً ولكن ... أضاع المجد فهو أبو الضياع

شعره في الفضل بن مروان: أخبرني الحسن قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه عن الحسين بن دعبل قال: قال أبي في الفضل بن مروان:

نصحت فأخلصت النصيحة للفضل ... وقلت فسيرت المقالة في الفضل

ألا إن في الفضل بن سهل لعبرة ... إن اعتبر الفضل بن مروان بالفضل

وللفضل في الفضل بن يحيى مواعظ ... إذا فكر الفضل بن مروان في الفضل

فأبق جميلاً من حديث تفز به ... ولا تدع الإحسان والأخذ بالفضل

فإنك قد أصبحت للملك قيما ... وصرت مكان الفضل والفضل والفضل

ولم أر أبياتاً من الشعر قبلها ... جميع قوافيها على الفضل والفضل

وليس لها عيب إذا هي أنشدت ... سوى أن نصحي الفضل كان من الفضل

فبعث إليه الفضل بن مروان بدنانير، وقال له: قد قبلت نصحك، فاكفني خيرك وشرك.

ينقد شعر شاعر احتكم إليه في شعره:

حدثني عمي قال: حدثني ميمون بن هارون قال: حدثني أبو الطيب الحراني قال: أنشد رجل دعبل بن علي شعراً

له، فجعل يعيبه وينبهه على خطئه فيه بيتاً بيتاً، ويقول: أي شيء صنعت بنفسك! و لم تقوم الشعر إذا لم تقدر إلا على مثل هذا منه؟ إلى أن مر له بيت جيد، فقال دعبل: أحسنت، أحسنت ما شئت. فقال له يا أبا علي: أتقول لي هذا بعد ما مضى؟ فقال له: يا حبيبي لو أن رجلاً ضرط سبعين ضرطة ما كان يمكن أن يكون فيها دستنبوية واحدة.

لا يرى المأمون عجباً أن يهجوه: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن حاتم المؤدب قال: قيل للمأمون: إن دعبل بن علي قد هجاك، فقال: وأي عجب في ذاك؟ هو يهجو أبا عباد ولا يهجوني أنا! ومن أقدم على جنون أبي عباد أقدم على حلمي، ثم قال للجلساء: من كان منكم يحفظ شعره في أبي عبارة فلينشدنيه، فأنشده بعضهم:

أولى الأمور بضيعة وفساد ... أمر يدبره أبو عباد

خرق على جلسائه فكأنهم ... حضروا لملحمة ويوم جلاد

يسطو على كتابه بدواته ... فمضمخ بدم ونضح مداد

وكأنه من دير هزقل مفلت ... حرد يجر سلاسل الأقياد

فاشدد أمير المؤمنين وثاقه ... فأصح منه بقية الحداد

قال: وكان بقية هذا مجنوناً في المارستان، فضحك المأمون. وكان إذا نظر إلى أبي عباد يضحك، ويقول لمن يقرب منه: والله ما كذب دعبل في قوله.

حدثني جحظة عن ميمون بن هارون فذكر مثله أو قريباً منه.

يزعم أن رجلاً من الجن استنشده قصيدة مدارس آيات خلت: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ومحمد بن أحمد الحكيم قالا: حدثنا أنس ابن عبد الله النبهاني قال: حدثني علي بن المنذر قال: حدثني عبد الله بن سعيد الأشقري قال: حدثني دعبل بن علي قال: لما هربت من الخليفة بت ليلة بنيسابور وحدي، وعزمت على أن أعمل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة، فإني لفي ذلك إذ سمعت والباب مردود علي: السلام عليكم ورحمة الله، انج يرحمك الله، فاقشعر بدني من ذلك، ونالني أمر عظيم، فقال لي: لا ترع عافاك الله؛ فإني رجل من إخوانك من الجن من ساكني اليمن طرأ إلينا طارئ من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك:

مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحي مقفر العرصات

فأحببت أن أسمعها منك، قال فأنشدته إياها، فبكى حتى خر، ثم قال: رحمك الله! ألا أحدثك حديثاً يزيد في نيتك ويعينك على التمسك بمذهبك؟ قلت: بلى قال: مكثت حيناً أسمع بذكر جعفر بن محمد عليه السلام، فصرت إلى المدينة فسمعته يقول: حدثني أبي عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: علي وشيعته هم الفائزون، ثم ودعني لينصرف، فقلت له: يرحمك الله، إن رأيت أن تخبرني باسمك ففعل، قال: أنا

ظبيان بن عامر.

يدعو إليه أعرابياً من كلاب فينشده في كلابي هجاه له: أخبرني الحسن بن القاسم الكوكبي قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي وأخبرني به الحليمي عن يعقوب بن إسرائيل عن إسحاق النخعي قال: كنت جالساص مع دعبل بالبصرة وعلى رأسه غلامه ثقيف، فمر به أعرابي يرفل في ثياب خز، فقال لغلامه: ادع لي هذا الأعرابي، فأومأ الغلام إليه، فجاء، فقال له دعبل: ممن الرجل؟ قال: من بني كلاب. قال: ومن أي ولد كلاب أنت؟ قال: من ولد أبي بكر، فقال دعبل: أتعرف القائل:

ونبئت كلباً من كلاب يسبني ... ومحض كلاب يقطع الصلوات

فإن أنا لم أعلم كلاباً بأنها ... كلاب وأني باسل النقمات

فكان إذاً من قيس عيلان والدي ... وكانت إذا أمي من الحبطات

قال: وهذا الشعر لدعبل يقوله في عمر بن عاصم الكلابي، فقال الأعرابي: ممن أنت؟ فكره أن يقول له من خزاعة فيهجوهم، فقال: أنا أنتمي إلى القوم الذي يقول فيهم الشاعر:

أناس علي الخير منهم وجعفر ... وحمزة والسجاد ذو الثفنات

إذا فخروا يوماً أتوا بمحمد ... وجبريل والفرقان والسورات

فوثب الأعرابي وهو يقول: مالي إلى محمد وجبريل والفرقان والسورات مرتقى.

يهجو بني بسام لأن رجلاً منهم لم يقبض حاجة له: أخبرني الكوكبي قال حدثني ابن عبدوس قال: سأل دعبل نصر بن منصور بسام حاجة، فلم يقضها لشغل عرض له دونها، فقال يهجو بني بسام:

حواجب كالجبال السود ... إلى عثانين كالمخالي

وأوجه جهمة غلاظ ... عطل من الحسن والجمال

يهجو أحمد بن خالد حين ولى الوزارة للمأمون: أخبرني الكوكبي قال حدثني ميمون بن هارون قال: لما ولى أحمد بن أبي خالد الوزارة في أيام المأمون قال دعبل بن علي يهجوه:

وكان أبو خالد مرة ... إذا بات متخماً عاقداً

يضيق بأولاده بطنه ... فيخراهم واحداً واحدا

فقد ملأ الأرض من سلحه ... خنافس لا تشبه الوالدا

يهرب من المعتصم ويهجوه: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا أبو ناجية قال: كان المعتصم يبغض دعبلاً لطول لسانه، وبلغ دعبلاً أنه يريد اغتياله وقتله، فهرب إلى الجبل، وقال يهجوه:

بكى لشتات الدين مكتئب صب ... وفاض بفرط الدمع من عينه غرب

وقام إمام لم يكن ذا هداية فليس له دين وليس له لب
وما كانت الآباء تأتي بمثله بملك يوماً أو تدين له العرب
ولكن كما قال الذين تتابعوا من السلف الماضين إذ عظم الخطب :
ملوك بني العباس في الكتب سبعة ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكف في الكهف سبعة خيار إذا عدوا وثامنهم كلب
وإني لأهلي كلبهم عنك رفعة لأنك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم وصيف وأشناس وقد عظم الكرب
وفضل بن مروان يثلم ثلمة يظل لها الإسلام ليس له شعب

يعارض محمد بن عبد الملك الزيات في رثائه للمعتصم: أخبرني عمي قال حدثني ميمون بن هارون قال: لما مات المعتصم قال محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه:

قد قلت إذ غيبوه وانصرفوا في خير قبر لخير مدفون
لن يجبر الله أمة فقدت مثلك إلا بمثل هارون

فقال دعبل يعارضه:

قد قلت إذ غيبوه وانصرفوا في شر قبر لشر مدفون
اذهب إلى النار والعذاب فما خلتك إلا من الشياطين
ما زلت حتى عقدت بيعة من أضر بالمسلمين والدين

يكتم نسبة رثاء محمد بن عبد الملك الزيات للمعتصم: قال عمي حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال: أنشد دعبل بن علي يوماً قول بعض الشعراء:

قد قلت إذ غيبوه وانصرفوا

وذكر البيتين والجواب و لم يسم قائل المرثية ولا نسبة إلى محمد بن عبد الملك الزيات ولا غيره.

ينكر نسبة شعر إليه فيه هجاء بني العباس: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال: سألت دعبلاً عن هذه الأبيات:

ملوك بني العباس في الكتب سبعة

فأنكر أن تكون له، فقلت: فمن قالها؟ قال: من حشا الله قبره ناراً، إبراهيم بن المهدي، أراد أن يغري بي المعتصم فيقتلني لهجائي إياه.

يستعيد ابن المدبر أبياتاً له في هجاء بن أبي داود: أخبرني عمي والحسن بن علي جميعاً قالا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبي قال: كنت عند أحمد بن المدبر ليلة من الليالي، فأنشدته لدعبل في أحمد بن أبي داود قوله:

إن هذا الذي داود أبوه ... وإياد قد أكثر الأنباء

ساحقت أمه ولاط أبوه ... ليت شعري عنه فمن أين جاء!

جاء من بين صخرتين صلودين ... عقامين ينبتان الهباء

لا سفاح ولا نكاح ولا ما ... يوجب الأمهات والآباء

قال: فاستعادها أربع مرات، فظننت أنه يردي أن يحفظها، ثم قال لي: جئني بدعبل حتى أوصله إلى المتوكل، فقلت له: دعبل موسوم بهجاء الخلفاء والتشيع، وإنما غايته أن يخمل ذكره، فأمسك عني، ثم لقيت دعبلاً فحدثته بالحديث، فقال: لو حضرت أنا أحمد بن المدبر لما قدرت أن أقول أكثر مما قلت.

يروي له بيت في هجاء المتوكل: أخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن جرير قال:

أنشدني عبيد الله بن يعقوب هذا البيت وحده لدعبل يهجو به المتوكل، وما سمعت له غيره فيه:

ولست بقائل قذعا ولكن ... لأمر ما تعبدك العبيد

قال: يرميه في هذا البيت بالأبنة.

يهجو المعتصم والواثق حين علم نعي المعتصم: أخبرني الحسن قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: كنت مع دعبل بالصيمرة وقد جاء نعي المعتصم وقيام الواثق، فقال لي دعبل: أمعك شيء تكتب فيه؟ فقلت: نعم، وأخرجت قرطاساً، فأملي علي بديها:

الحمد لله لا صبر ولا جلد ... ولا عزاء إذا أهل البلا رقدوا

خليفة مات لم يحزن له أحد ... وآخر قام لم يفرح به أحد

يمزق قصيدة أعدها في مدح الحسن بن وهب: حدثني عمي قال: حدثنا أحمد بن عبيد الله بن ناصح قال: قلت لدعبل، وقدعرض علي قصيدة له يمدح بها الحسن بن وهب، أولها:

أعاذلتي ليس الهوى من هوائيا

فقلت له : ويحك، أتقول فيه هذا بعد قولك:

أين محل الحي يا حادي ... خبر سقاك الرائح الغادي

وبعد قولك:

قالت سلامة أين المال قلت لها المال ويحك لاقي الحمد فاصطحبا

وبعد قولك:

فعلى أيماننا يجري الندى وعلى أسيافنا تجري المهج

والله إني أراك لو أنشدته إياها لأمر بصفع قفاك، فقال: صدقت والله، ولقد نبهتني وحذرتني، ثم مزقها.

يغضب على خريج له فيهجو أباه: أخبرني عمي قال: حدثني العنزي قال حدثني الحسين بن أبي السري قال: غضب دعبل على أبي نصر بن جعفر بن محمد بن الأشعث -وكان دعبل مؤدبه قديماً- لشيء بلغه عنه، فقال يهجو أباه:

ما جعفر بن محمد بن الأشعث عندي بخير أبوة من عثعث

عبثاً تمارس بي تمارس حية سوارة إن هجتها لم تلبث

لم يعلم المغرور ماذا حاز من خزي لوالده إذاً لم يعبث

قال: فلقيه عثعث، فقال له: عليك لعنة الله، أي شيء كان بيني وبينك حتى ضربت بي المثل في خسة الآباء، فضحك، وقال: لا شيء والله، اتفاق اسمك واسم ابن الأشعث في القافية. أو لا ترضى أجعل -أباك وهو أسود- خيراً من آباء الأشعث بن قيس!.

يصف العيش الذي يرتضيه: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني إبراهيم بن سهل القاري، وكان يلقب أرزة قال: حدثني دعبل بن علي الخزاعي قال: كتبت إلى أبي هشل بن حميد الطوسي قوله:

إنما العيش في منادمة الإخ وان لا في الجلوس عند الكعاب

ويصرف كأنه ألسن البر ق إذا استعرضت رقيق السحاب

إن تكونوا تركتم لذة العيش حذار العقار يوم العقاب

فدعوني وما ألذ وأهوى وادفعوا بي في صدر يوم الحساب

ينشد علي بن موسى الرضا: مدارس آيات خلت: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني موسى بن عيسى المروزي -وكان منزله بالكوفة في رحبة طيء- قال: سمعت دعبل بن علي وأنا صبي يتحدث في مسجد المروزية قال: دخلت على علي بن موسى الرضا -عليهما السلام- فقال لي: أنشدني شيئاً مما أحدثت، فأنشدته:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

حتى انتهيت إلى قولي:

إذا وتروا مدوا إلى واتريهم أكفا عن الأوتار منقبضات

قال: فبكى حتى أغمي عليه، وأومأ إلي خادم كان على رأسه: أن أسكت، فسكت ساعة، ثم قال لي: أعد، فأعدت حتى انتهيت إلى هذا البيت أيضاً، فأصابه مثل الذي أصابه في المرة الأولى، وأومأ الخادم إلي: أن اسكت، فسكت، فمكث ساعة أخرى ثم قال لي: أعد، فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها، فقال لي: أحسنت، ثلاث مرات، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه، و لم تكن دفعت إلى أحد بعد، وأمر لي من في منزله بحلى كثير أخرجه إلي الخادم، فقدمت العراق، فبعت كل درهم منها بعشرة دراهم، اشتراها مني الشيعة، فحصل لي مائة ألف درهم، فكان أول مال اعتقدته .

يستوهب الرضا ثوباً لبسه ليجعله في أكفانه: قال ابن مهرويه وحدثني حذيفة بن محمد:

أن دعبلا قال له: إنه استوهب من الرضا عليه السلام ثوباً قد لبسه في أكفانه فخلع جبة كانت عليه، فأعطاه إياها وبلغ أهل قم خبرها فسألوه أن يبيعهم إياها بثلاثين ألف درهم، فلم يفعل، فخرجوا عليه في طريقه، فأخذوها منه غصباً، وقالوا له: إن شئت أن تأخذ المال فافعل، وإلا فأنت أعلم. فقال لهم: إني والله لا أعطيكم إياها طوعاً، ولا تنفعكم غصباً، وأشكوكم إلى الرضا عليه السلام. فصالحوه على أن أعطوه الثلاثين الألف الدرهم وفردكم من بطانتها فرضي بذلك.

يهجو إبراهيم بن المهدي حين خرج ببغداد: أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: بويع إبراهيم بن المهدي ببغداد، وقد قل المال عنده، وكان قد لجأ إليه أعراب من أعراب السواد وغيرهم من أوغاد الناس، فاحتبس عنهم العطاء، فجعل إبراهيم يسوفهم ولا يرون له حقيقة إلى أن خرج إليهم رسوله يوماً وقد اجتمعوا وضجوا فصرح لهم بأنه لا مال عنده، فقال قوم من غوغاء أهل بغداد: أخرجوا إلينا خليفتنا ليغني لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات، ولأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات، فتكون عطاء لهم، فأنشدني دعبل بعد ذلك بأيام قوله:

يا معشر الأجناد لا تقطنوا وارضوا بما كان ولا تسخطوا

فسوف تعطون حنينة يلتذها الأمرد والأشمط

والمعبديات لقوادكم لا تدخل الكيس ولا تربط

وهكذا يرزق قواده خليفة مصفحه البربط

وزادني فيها جعفر بن قدامة:

قد ختم الصك بأرزاقكم وصحح العزم فلا تسخطوا

بيعة إبراهيم مشئومة يقتل فيها الخلق أو يقحط

يقص قصة صديق له متخلف يقول شعراً: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبو علي يحيى بن محمد بن ثوابة الكاتب قال: حدثني دعبل قال: كان لي صديق متخلف يقول شعراً فاسداً مرذولاً وأنا أنهاه عنه إذا أنشدني، فأنشدني يوماً:

إن ذا الحب شديد ليس ينجيه الفرار

ونجا من كان لا يعشق من ذل المخازي

فقلت له: هذا لا يجوز، البيت الأول على الراء، والبيت الثاني على الزاي. فقال: لا تنقطه، فقلت له: فالأول مرفوع، والثاني مخفوض. فقال: أنا أقول له لا تنقطه وهو يشكله.

يستشهده لكلمة أنكرت عليه: أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا محمد بن زكريا بن ميمون الفرغاني قال: سمعت دعبل بن علي يقول في كلام جرى: ليسك، فأنكرته عليه. فقال: دخل زيد الخيل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: يا زيد ما وصف لي رجل إلا رأيته دون وصفه ليسك- يريد غيرك.

يحسد شاعراً على معنى أعجبه: أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا علي بن عبد الله بن سعد قال: قال لي دعبل، وقد أنشدته قصيدة بكر بن خارجة في عيسى بن البراء النصراني الحربي:

زناره في خصره معقود كأنه من كبدي مقدود

يقول شعراً كل يوم خلال ستين سنة: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: سمعت الجاحظ يقول: سمعت دعبل بن علي يقول: مكثت نحو ستين سنة ليس من يوم ذر شارقه إلا وأنا أقول فيه شعراً.

يعود مفلوجاً ويعجب لخفة روحه وهو على تلك الحال: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبي قال: سمعت دعبل بن علي يقول: دخلت على أبي الحارث جميز -وقد فلج- لأعوده، وكان صديقي، فقلت: ما هذا يا أبا الحرث؟ فقال: أخذت من شعري ودخلت الحمام، فغلط بي الفالج، وظن أني قد احتجمت. فقلت له: لو تركت خفة الروح والمجون في موضع لتركتهما في هذا الموضع وعلى هذه الحال.

يسأل المأمون جلساءه أن ينشدوا من شعره: أخبرني الحسن بن القاسم الكوكبي قال: حدثنا أحمد بن صدقة قال: حدثني أبي قال: حدثني عمرو بن مسعدة قال:

حضرت أبا دلف عند المأمون، وقد قال له المأمون: أي شيء تروي لأخي خزاعة يا قاسم؟ فقال وأي أخي خزاعة يا أمير المؤمنين؟ قال: ومن تعرف فيهم شاعراً؟ فقال: أما من أنفسهم فأبوا الشيص ودعبل وابن أبي الشيص وأما من مواليهم فطاهر وابنه عبد الله. فقال: ومن عسى من هؤلاء أن يسأل عن شعره سوى دعبل! هات أي شيء عندك فيه. فقال وأي شيء أقول في رجل لم يسلم عليه أهل بيته حتى هجاهم، فقرن إحسانهم بالإساءة، وبذلهم بالمنع، وجودهم بالبخل، حتى جعل كل حسنة منهم بإزاء سيئة! قال: حين يقول ماذا؟ قال حين يقول في المطلب بن عبد الله بن مالك، وهو أصدق الناس له، وأقربهم منه، وقد وفد إليه إلى مصر فأعطاه العطايا الجزيلة، وولاه و لم يمنعه ذلك من أن قال فيه:

اضرب ندى طلحة الطلحات متئداً بلوم مطلب فينا وكن حكما
تخرج خزاعة من لؤم ومن كرم فلا تحس لها لؤماً ولا كرما

قال: فقال المأمون: قاتله الله! ما أغوصه وألطفه وأدهاه! وجعل يضحك، ثم دخل عبد الله بن طاهر، فقال له: أي شيء تحفظ يا عبد الله لدعبل؟ فقال: أحفظ أبياتاً له في أهل بيت أمير المؤمنين، قال: هاتها ويحك، فأنشده عبد الله قول دعبل:

سقيا ورعيا لأيام الصبابات أيام أرفل في أثواب لذاتي
أيام غصني رطيب من ليانته أصبوا إلى غير جارات وكنات
دع عنك ذكر زمان فات مطلبه واقذف برجلك عن متن الجهالات
واقصد بكل مديح أنت قائله نحو الهداة بني بيت الكرامات

وصفه لسفر طويل يعجب المأمون: فقال المأمون: إنه قد وجد مقالاً فقال، ونال ببعيد ذكرهم مالاً يناله في وصف غيرهم، ثم قال المأمون: لقد أحسن في وصف سفر سافره، فطال ذلك السفر عليه، فقال فيه:

ألم يأن للسفر الذين تحملوا إلى وطن قبل الممات رجوع !
فقلت ولم أملك سوابق عبرة نطقن بما ضمت عليه ضلوع
تبين فكم دار تفرق شملها وشمل شتيت عاد وهو جميع
كذاك الليالي صرفهن كما ترى لكل أناس جدبة وربيع

ثم قال: ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عيني وفي سفري، وهجيري ومسليتي حتى أعود.

يقص قصة مكار أساء جوابه: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني المبرد ومحمد بن الحسن بن الحرون قالا: قال دعبل: خرجت إلى الجبل هارباً من المعتصم، فكنت أسير في بعض طريقي والمكاري يسوق بي بغلاً تحتي، وقد أتعبني تعباً شديداً، فتغنى المكاري في قولي:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

فقلت له، وأنا أريد أن أتقرب إليه وأكف ما يستعمله من الحث للبغل لئلا يتعبني: تعرف لمن هذا الشعر يا فتى؟ فقال: لمن ناك أمه وغرم درهمين، فما أدري أي أموره أعجب: من هذا الجواب أم من قلة العرم على عظم الجناية! تغنت بشعره جارية: حدثني عمي قال: حدثني أحمد بن الطيب السرخسي قال: حضرت مجلس محمد بن علي بن طاهر وحضرته مغنية يقال لها: شنين مشهورة، فغنت:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

ثم غنت بعده:

لقد عجبت سلمى وذاك عجيب

فقلت لها: ما أكثر تعجب سلمى هذه! فعلمت أني أعبث بها لأسمع جوابها، فقالت متمثلة غير متوقفة ولا متفكرة:

فهلك الفتى ألا يراح إلى ندى وألا يرى شيئاً عجيباً فيعجبا

فعجبت والله من جوابها وحدته وسرعته، وقلت لمن حضر: والله لو أجاب الجاحظ هذا الجواب لكان كثيراً منه مستظرفاً.

نسبة هذا الصوت صوت

لقد عجبت سلمى وذاك عجيب رأت بي شيباً عجلته خطوب

وما شيبتني كبرة غير أنني بدهر به رأس الفطيم يشيب

الغناء ليحيى المكي، ثقيل أول بالوسطى من كتاب أبيه أحمد.

صديق له يصنع كل غناء بشعره: حدثني جعفر بن قدامة قال: حدثني محمد المرتجل بن أحمد بن يحيى المكي قال: كان أبي صديقاً لدعبل، كثير العشرة له، حافظاً لغيبه، وكل شعر يغنى فيه لدعبل فهو من صنعة أبي، وغنائي من صنعة أبيه في شعر دعبل، والطريقة فيه خفيف ثقيل في مجرى البنصر:

سرى طيف ليلى حين آن هبوب وقضيت شوقاً حين كاد يذوب

فلم أر مطروقاً يحل برحله ولا طارقاً يقرى المنى ويثيب

وأنشدني عمي هذين البيتين عن أحمد بن يحيى بن أبي طاهر وابن مهرويه جميعاً لدعبل.

ينفي أنه صاحب أبيات في هجاء بني العباس: حدثني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: سألت دعبلاً من الذي يقول:

ملوك بني العباس في الكتب سبعة

فقال: من أضرم الله قبره ناراً، إبراهيم بن المهدي، قال ابن أبي سعد: وحدثني عبد العزيز بن سهل أنه سأله عنها فاعترف بها.

يهجو طاهر بن الحسين: حدثني عمي قال: أنشدني ابن أخي دعبل لعمه في طاهر بن الحسين، وكان قد نقم عليه أمراً أنكره منه:

وذي يمينين وعين واحده نقصان عين ويمين زائده

نزر العطيات قليل الفائده أعضه الله ببظر الوالده

يهجو أخوين لم يرض ما فعلاً: حدثني جحظة قال: حدثني ميمون بن هارون قال: كان دعبل قد مدح دينار بن عبد الله وأخاه يحيى، فلم يرض ما فعلاه، فقال يهجوهما:

ما زال عصياننا لله يرذلنا حتى دفعنا إلى يحيى ودينار

وغدين علجين لم تقطع ثمارهما قد طال ما سجدا للشمس والنار

يهجو الأخوين والحسن بن سهل معهما :

قال: وفيهما وفي الحسن بن سهل يقول أيضاً دعبل يهجوهم، والحسن بن رجاء وأبيه أيضاً:

ألا فاشتروا مني ملوك المخزم أبع جسناً وابني رجاء بدرهم

وأعط رجاء فوق ذاك زيادة وأسمح بدينار بغير تندم

فإن رد من عيب علي جميعهم فليس يرد العيب يحي بن أكثم

انحرافه عن الطاهرية وهجاؤه فيهم: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبو الطيب الحراني قال: كان دعبل منحرفاً عن الطاهرية مع ميلهم إليه وأياديهم عنده، فأنشدني لنفسه فيهم:

وأبقى طاهر فينا ثلاثاً عجائب تستخف لها الحلوم

ثلاثة أعبد لأب وأم تميز عن ثلاثتهم أروم

فبعض في قريش منتماه ولا غير ومجهول قديم

وبعضهم يهش لآل كسرى ويزعم أنه علج لئيم

فقد كثرت مناسبهم علينا وكلهم على حال زنيم

يهجو رجلاً لقبح وجهه: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبي قال: كان صالح بن عطية الأضجم من أبناء الدعوة، وكان من أقبح الناس وجهاً، وكان يتزل واسطاً، فقال فيه دعبل:

أحسن ما في صالح وجهه فقس على الغائب بالشاهد

تأملت عيني له خلقة تدعو إلى تزنية الوالد

قال وقال فيه أيضاً، وخطاب فيها المعتصم:

قل للإمام إما آل محمد قول امرئ حدب عليك محام

أنكرت أن تفتر عنك صنيعة في صالح بن عطية الحجام

ليس الصنائع عنده بصنائع لكنهن طوائل الإسلام

اضرب به جيش العدو فوجهه جيش من الطاعون والبرسام

يعرض شعره على مسلم بن الوليد أو يكتمه حتى أذن له في إظهاره: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: أخبرني إبراهيم بن محمد الوراق قال: حدثني الحسين بن أبي السري قال: قال لي دعبل: ما زلت أقول شعر وأعرضه على مسلم، فيقول لي: أكتم هذا حتى قلت:

أين الشباب وأية سلكا لا، أين يطلب ضل؟ بل هلكا

فلما أنشدته هذه القصيدة قال: اذهب الآن فأظهر شعرك كيف شئت لمن شئت .

ينسبه أبو تمام إلى قصيدة من شعره: قال إبراهيم: وحدثني الفتح غلام أبي تمام الطائي، وكان أبو سعيد الثغري اشتراه له بثلثمائة دينار لينشد شعره، وكان غلاماً أديباً فصيحاً، وكان إنشاد أبي تمام قبيحاً، فكان ينشد شعره عنه، فقال: سألت مولاي أبا تمام عن نسب دعبل فقال: هو دعبل بن علي الذي يقول:

ضحك المشيب برأسه فبكى

يهجر مسلم بن الوليد حين وفد عليه فجفاه: قال الفتح: وحدثني مولاي أبو تمام قال: ما زال دعبل مائلاً إلى مسلم بن الوليد مقراً بأستاذيته حتى ورد عليه جرجان فجفاه مسلم، وكان فيه بخل، فهجره دعبل وكتب إليه:

أبا مخلد كنا عقيدي مودة هوانا وقلبانا جميعاً معاً معا
أحوطك بالغيب الذي أنت حائطي وأيجع إشفاقاً لأن تتوجعا
فصيرتني بعد انتكاسك متهما لنفسي، عليها أرهب الخلق أجمعا
غششت الهوى حتى تداعت أصوله بنا وابتذلت الوصل حتى تقطعا
وأنزلت من بين الجوانح والحشا ذخيرة ود طالما تمنعا
فلا تعذلني ليس لي فيك مطمع تخرقت حتى لم أجد لك مرقعا
فهبك يميني استأكلت فقطعتها وجشمت قلبي صبره متشجعا

ويروى: وحملت قلبي فقدها. قال ثم تهاجرا، فما التقيا بعد ذلك.

استمساك خزاعة بانتمائه إليهم: أخبرني محمد بن خلف قال: حدثني إبراهيم بن محمد قال: حدثنا الحسين بن علي قال: قلت لابن الكلبي: إن دعبلاً قطعي ، فلو أخبرت الناس أنه ليس من خزاعة، فقال لي: يا فاعل، مثل دعبل تنفيه خزاعة! والله لو كان من غيرها لرغب فيه حتى تدعيه. دعبل والله يا أخي خزاعة كلها.

يقص خبر رحلته إلى مصر يقصد المطلب في ولايته: أخبرني محمد بن المرزبان قال: حدثني إبراهيم بن محمد الوراق عن الحسين بن أبي السري عن عبد الله بن أبي الشيص قال: حدثني دعبل قال: حججت أنا وأخي رزين وأخذنا كتباً إلى المطلب بن عبد الله بن مالك وهو بمصر يتولاها، فصرنا من مكة إلى مصر، فصحبنا رجل يعرف بأحمد بن فلان السراج، نسي عبد الله بن أبي الشيص اسم أبيه، فما زال يحدثنا ويؤانسنا طول طريقنا، ويتولى خدمتنا كما يتولاها الرفقاء والأتباع. ورأيناه حسن الأدب، وكان شاعراً، ولم نعلم، وكتمنا نفسه، وقد علم ما

قصدنا له فعرضنا عليه أن يقول في المطلب قصيدة، ننحله إياها. فقال: إن شئتم، وأرانا بذلك سروراً وتقبلا له، فعملنا قصيدة، وقلنا له: تنشدها المطلب فإنك تنتفع بها. فقال: نعم. ووردنا مصربه، فدخلنا إلى المطلب، وأوصلنا إليه كتباً كانت معناً، وأنشدناه. فسر بموضعنا، ووصفنا له أحمد السراج هذا، وذكرنا له أمره، فأذن له، فدخل عليه ونحن نظن أنه سينشد القصيدة التي نحلناه إياها، فلما مثل بين يديه عدل عنها وأنشده:

لم آت مطلباً إلا بمطلب ... وهمة بلغة بي غاية الرتب

أفردته برجاء أن تشاركه ... في الوسائل أو ألقاه في الكتب

قال: وأشار إلى كتبي التي أوصلتها إليه وهي بين يديه، فكان ذلك أشد من كل شيء مر بي منه علي، ثم أنشده:

رحلت عنسى إلى البيت الحرام على ... ما كان من وصب فيها ومن نصب

ألقى بها وبوجهي كل هاجرة ... تكاد تقدح بين الجلد والعصب

حتى إذا ما قضت نسكي ثنيت لها ... عطف الزمام فأمت سيد العرب

فيممتك وقد ذابت مفاصلها ... من طول ما تعب لاقت ومن نقب

إني استجرت بإستارين مستلما ... ركنين: مطلبا والبيت ذا الحجب

فذاك للآجل المأمول ألمسه ... وأنت للعاجل المرجو والطلب

هذا ثنائي وهذي مصر سانحة ... وأنت أنت وقد ناديت من كثب

قال: فصاح مطلب: لبيك لبيك: ثم قام إليه فأخذ بيده، وأجلسه معه، وقال: يا غلمان، البدر، فأحضرت، ثم قال: الخلع: فنشرت، ثم قال: الدواب، فقيدت، فأمر له من ذلك بما ملأ عينه وأعيننا وصدورنا وحسدناه عليه، وكان حسدنا له بما اتفق له من القبول وجودة الشعر، وغيظنا بكتمه إيانا نفسه واحتياله علينا أكثر وأعظم، فخرج بما أمر له به، وخرجنا صفرا.

يوليه المطلب أسوان: فمكثنا أياماً، ثم ولي دعبل بن علي أسوان، وكان دعبل قد هجا المطلب غيظاً منه فقال:

تعلق مصر بك المخزيات ... وتبصق في وجهك الموصل

وعاديت قوماً فما ضرهم ... وشرفت قوماً فلم ينبلوا

شعارك عند الحروب النجاء ... وصاحبك الأخور الأفشل

فأنت إذا ما التقوا آخر ... وأنت إذا انهزموا أول

وقال فيه:

اضرب ندى طلحة الطلحات متئدا ... بلؤم مطلب فينا وكن حكما

تخرج خزاعة من لؤم ومن كرم ... فلا تعد لها لؤماً ولا كرما

من قصيدته في مدح المطلب:

قال: وكانت القصيدة التي مدح بها دعبل المطلب قصيدته المشهورة التي يقول فيها:

أبعد مصر وبعد مطلب ترجو الغنى إن ذا من العجب

إن كاثرونا جئنا بأسرته أو واحدونا جئنا بمطلب

يعزله المطلب عن أسوان حين بلغه هجاؤه له: قال وبلغ المطلب هجاؤه إياه بعد أن ولاه، فعزله عن أسوان، فأنفذ إليه كتاب العزل مع مولى له، وقال: انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة، فإذا علاه فأوصل الكتاب إليه، وامنعه من الخطبة، وأنزله عن المنبر، واصعد مكانه. فلما أن علا المنبر وتنحنح ليخطب ناوله الكتاب، فقال له دعبل: دعني أخطب، فإذا نزلت قرأته. قال: لا، قد أمرني أن أمنعك الخطبة حتى تقرأه، فقرأه وأنزله عن المنبر معزولاً.

قال: فحدثني عبد الله بن أبي الشيص قال: قال لي دعبل قال لي المطلب: ما تفكرت في قولك قط:

إن كاثرونا جئنا بأسرته أو واحدونا جئنا بمطلب

إلا كنت أحب الناس إلي، ولا تفكرت والله في قولك لي:

وعاديت قوماً فما ضرهم وقدمت قوماً فلم ينبلوا

إلا كنت أبغض الناس إلي.

معنى إستارين في شعره: قال ابن المرزبان حدثني من سأل الرياشي عن قوله: إستارين، قال: يجوز على معنى إستار كذا، وإستار كذا. وأنشدنا الرياشي:

سعى عقالا فلم يترك لنا سبدا فكيف لو قد سعى عمرو عقالين

لأصبح القوم أوفاضا فلم يجدوا يوم الترحل والهيجا حمالين

هجاؤه المطلب:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني عبد العزيز بن سهل قال: لما قصد دعبل عبد المطلب بن عبد الله بن مالك إلى مصر و لم يرض ما كان منه إليه قال فيه:

أمطلب أنت مستعذب حميا الأفاعي ومستقبل

فإن اشف منك تكن سبة وإن أعف عنك فما تعقل

ستأتيك إما وردت العراق صحائف يأثرها دعبل

منمقة بين أثنائها مخاز تحط فلا ترحل

وضعت رجالاً فما ضرهم وشرفت قوماً فلم ينبلوا

فأيهم الزين وسط الملا عطية أم صالح الأحول؟
أم الباذجاني أم عامر أمين الحمام التي تزجل
تنوط مصر بك المخزيات وتبصق في وجهك الموصل
ويوم السراة تحسيتها يطيب لدى مثلها الحنظل
توليت ركضاً وفتياننا صدور القنا فيهم تعمل
إذا الحرب كنت أميراً لها فحظهم منك أن يقتلوا
فمنك الرؤوس غداة اللقاء وممن يحاربك المنصل
شعارك في الحرب يوم الوغى إذا انهزموا: عجلوا عجلوا
هزائمك الغر مشهورة يقرطس فيهن من ينضل
فأنت لأولهم آخر وأنت لآخرهم أول

ومن هجائه المطلب: أخبرني عمي قال أنشدنا المبرد لدعبل يهجو المطلب بن عبد الله ويعيره بغلامين: علي وعمرو، وكان يتهم بهما:

فأير علي له آلة وفقحة عمرو له ربه
فطورا تصادفه جعبة وطوراً تصادفه حربه

ومن مدحه إياه: وأنشدني ابن عمار عن أحمد بن سليمان بن أبي شيخ لدعبل يمدح المطلب بن عبد الله بن مالك، وفيه غناء.

صوت

زمني بمطلب سقيت زمانا ما كنت إلا روضة وجنانا
كل الندى إلا نداك تكلف لم أرض بعدك كائناً من كانا
أصلحتني بالبر بل أفسدتني فتركتني أتسخط الإحسانا

سبب سخطه على المطلب: وقد أخبرني بخبره الأول الطويل مع المطلب الحسن بن علي عن أحمد بن محمد حدان عن أحمد بن يحيى العدوي أن سبب سخطه على المطلب أن رجلاً من العلويين كان قد تحرك بطنجة ، فكان يبث دعاته إلى مصر، وخافه المطلب، فوكل بالأبواب من يمنع الغرباء دخولها.

فلما جاء دعبل منع فأغلظ للذي منعه، فقنعه بالسوط وحبسه، مضى رزين فأخبر المطلب، فأمر بإطلاقه، ودعا به فخلع عليه. فقال له: لا أرضى أو تقتل الموكل بالباب فقال له: هذا لا يمكن لأنه قائد من قواد السلطان،

فغضب ثم أنشده الرجل الأبيات المذكورة، فأجازه، وحكى أن اسمه محمد بن الحجاج، لا أحمد بن السراج.
وسائر الخبر مثله.
سبب مناقضته أبا سعد المخزومي: وكان سبب مناقضته أبا سعد المخزومي وما خرج إليه الأمر بينهما قول دعبل قصيدته التي هجا فهيا قبائل نزار، فحمي لذلك أبو سعد، فهجاهم، فأجابه أبو سعد، ولج الهجاء بينهما.
وروي أنه نزل بقوم بن بني مخزوم، فلم يضيفوه، فهجاهم، فأجابه أبو سعد ولج الهجاء بينهما.
أخبرني عمي والحسن بن علي الخفاف قالا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني محمد بن الأشعث قال: حدثني دعبل أنه ورزينا العروضي نزلا بقوم من بني مخزوم، فلم يقروهما، ولا أحسنوا ضيافتهما فقال دعبل: فقلت فيهم:

عصابة من بني مخزوم بت بهم بحيث لا تطمع المسحاة في الطين

ثم قلت لرزين: أجز فقال:

في مضغ أعراضهم من خبزهم عوض بني النفاق وأبناء الملاعين

قال ابن الأشعث: فكان هذا أول الأسباب في مهاجاته لأبي سعد.
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثني العتري قال: حدثني علي بن عمر الشيباني أن الذي هاج الهجاء بين أبي سعد ودعبل قصيدته القحطانية التي هجا فيها نزاراً، فأجابه عنها أبو سعد، ولج الهجاء بينهما.
أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم قال: حدثني أحمد بن أبي كامل قال: كان سبب وقوع الهجاء بين دعبل وأبي سعد قول دعبل في قصيدة يفخر فيها بخزاعة، ويهجو نزاراً، وهي التي يقول فيها:

أتانا طالباً وعرا فأعقبناه بالوعر
وترناه فلم يرض فأعقبناه بالوتر

فغضب أبو سعد، وقال قصيدته التي يقول فيها لدعبل، وهي مشهورة:

وبالكرخ هوى أبقى على الدهر من الدهر
هوى والحمد لله كفاني كلفة العذر

قال: ثم التحم الهجاء بينهما بعد ذلك.
من هجاء أبي سعد المخزومي له: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أحمد بن هارون قال: دخلت على أبي سعد المخزومي يوماً وهو يقول: وأي شيء ينفعني؟ أجود الشعر فلا يروى، ويرذل فيروى، ويفضحني برديئته، ولا أفضحه بجيدي، فقلت: من تعني يا أبا سعد؟ فقال: من تراني أعني إلا من عليه لعنة الله دعبلاً! فقلت فيه:

ليس لبس الطيالس من لباس الفوارس

لا ولا حومة الوغى كصدور المجالس

ضرب أوتار نفنف غير ضرب القوانس

وظهور الجياد غير ظهور الطنافس

ليس من ضارس الحرو ب كمن لم يضارس

بأبي غرس فتية من كرام المغارس

فتية من بني المغيرة شم المعاطس

يطعمون السديف في كل شهباء دامس

في جفان كأنها من جفان العرائس

ثم يمشون في السنو ر مشي العنابس

ويخوضون باللوا ء دماء الأبالس

نحن خير الأنام عند قياس المقايس

فو الله ما التفت إليها في مصرنا هذا إلا علماء الشعر: وقال هو فيّ:

يا أبا سعد قوصره زانى الأخت والمره

لو تراه محنباً خلته عقد قنطره

أو ترى الأير في استه قلت ساق بمقطره

قال: فوالله لقد رواه صبيان الكتاب ومارة الطريق والسفل، فما أجتاز بموضع إلا سمعته من سفلة يهدرون به ، فمنهم من يعرفني فيعيبني به، ومنهم من لا يعرفني، فأسمعه منه لسهولته على لسانه.

يذكر أن المخزومي دس في شعره ما لم يقله: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي ومحمد بن يحيى الصولي وعمي قالوا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني علي بن أبي عمرو الشيباني قال: جاءني إسماعيل بن إبراهيم بن ضمرة الخزاعي، فقال لي: إني سألت دعبلاً أن أقرأ عليه قصيدته التي يناقض بها الكميت:

أفيقي من ملامك يا ظعينا كفاك اللوم مر الأربعينا

فقال لي إسماعيل: قال لي دعبل: يا أبا الحسن فيها أخبار وغريب، فليكن معك رجل يقرؤها علي وأنت معه، فيكون أهون علي منك، فقلت له: لقد اخترت صديقاً لي يقال له: علي، فقال: أمن العرب هو؟ قلت: نعم. قال: من أي العرب؟ قلت: من بني شيبان. قال: شيبان كندة؟ فقلت: بل شيبان ربيعة. فقال لي: ويحك! أتأتيني برجل أسمعه ما يكره في قومه؟ فقلت له: إنه رجل يحتمل، ويجب أن يسمع ما له وعليه. فقال: في مثل هذا رغبة

، فأتني به، فصرنا إليه، فلما لقيه قال: قد أخبرني عنك أبو الحسن بما سررت به؛ أن كنت رجلاً من العرب تحب أن تسمع ما لك وعليك لكيلا تغبن، فقرأنا عليه الشعر حتى انتهينا في القصيدة إلى قوله:

من أي ثنية طلعت قريش وكانوا معشراً متنبطينا

فقال دعبل: معاذ الله أن يكون هذا البيت لي، ثم قال: لعنه الله وانتقم منه -يعني أبا سعد المخزومي- دسه والله في هذا الشعر وضرب بيده إلى سكين كانت معه فجرد البيت بحدها ثم قال لنا: أحدثكم عنه بحديث طريف: يزوره المخزومي ويجالسه، ويرسل إليه حين انصرف هجاء فيه: جاءني يوماً ببغداد أشد ما كان بيني وبينه من الهجاء، وبين يدي صحيفة ودواة، وأنا أهجوه فيها، إذ دخل علي غلام لي فقال: أبو سعد المخزومي بالباب. فقلت له: كذبت. فقال، وهو عارف بأبي سعد: بلى والله يا مولاي، فأمرته برفع الدواة والجلد الذي كان بين يدي، وأذنت له في الدخول، وجعلت أحمد الله في نفسي، فأقول: الحمد لله الذي أصلح بيني وبينه من هتك الأعراض وذكر القبيح، وكان الابتداء منه. فقمت إليه وسلمت عليه وهو ضاحك مسرور، فأبديت له مثل ذلك من السرور به، ثم قلت: أصبحت والله حاسداً لك. قال: على ماذا يا أبا علي؟ فقلت: بسبقك إياي إلى الفضل. فقال لي: أنا اليوم في دعوى عندك، فقلت: قل ما أحببت. فقال: إن كان عندك ما نأكله، وإلا ففي مترلي شيء معد. فسألت الغلمان فقالوا: عندنا: قدر أمسية . فقال: غاية واتفاق جيد. فهل عندك شيء نشربه، وإلا وجهت إلى مترلي ففيه شراب معد؟ فقلت له: عندما ما نشرب، فطرح ثيابه ورد دابته وقال: أحب ألا يكون معنا غيرنا، فتغدينا وشربنا، فلما أن أخذ الشراب منا قال: مر غلاميك يغنياني، فأمرت الغلامين فغنياه، فطرب وفرح، واستحسن الغناء حتى سرني وأطربني معه، ثم قال: حاجتي إليك يا أبا علي أن تأمرهما بأن يغنياني في هجائك لي -وكان الغلامان لكثرة ما يسمعانه مني في هجائي قد حفظا منه أشياء ولحناها- فقلت له: سبحان الله يا أبا سعد قد طفئت النائرة ، وذهبت العداوة بيننا، وانقطع الشر. فما حاجتك إلى هذا؟ فقال لي: سألتك بالله إلا فعلت، فليس يشق ذلك علي. ولو كرهته لما سألته. فقلت في نفسي: أترى أبا سعد يتماجن علي؟ يا غلمان فغنوه بما يريد، فقال غنوه:

يا أبا سعد قوصره زاني الأخت والمره

فغنوه، وهو يحرك رأسه وكتفيه، ويطرب ويصفق، فما زلنا يومنا مسرورين. فلما ثمل ودعني وقام فانصرف وأمرت غلماني فخرجوا معه إلى الباب، فإذا غلام منهم قد انصرف إلي بقطعة قرطاس، وقال: دفعها إلي أبو سعد المخزومي، وأمرني أن أدفعها إليك. قال: فقرأتها، فإذا فيها:

لدعبل منة يمن بها فلست حتى الممات أنساها

أدخلنا بيته فأكرمنا ودس بامرأته فنكناها

فقال: ويلي على ابن الفاعلة، هاتوا جلداً ودواة، قال فردوهما علي، فعدت إلى هجائه، ولقيته بعد يومين أو ثلاثة، فما سلم علي، ولا سلمت عليه.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا علي بن عبد الله بن سعد، أنه سمع دعبلاً يحدث بخبره هذا مع أبي سعد، فذكر نحو ما ذكره العتري.

يشد على المخزومي فيقنعه بسيفه: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم قال: حدثني أحمد بن أبي كامل قال: رأيت دعبلاً قد لقي أبا سعد في الرصافة، وعليهما السواد وسيفاهما على أكتافهما، فشد دعبل على أبي سعد فقنعه، فركض أبو سعد بين يديه هارباً، وركض دعبل في أثره وهو يهرب منه حتى غاب.

يهجو المخزومي حين انتفى منه بنو مخزوم:

قال: وكنت أرى أبا سعد يجلس مع بني مخزوم في دار المأمون، فتظلموا منه إلى المأمون، وذكروا أنهم لا يعرفون له فيهم نسباً، فأمرهم المأمون بنفيه، فانتفوا منه، وكتبوا بذلك كتاباً. فقال دعبل فيه يذكر ذلك من قصيدة طويلة:

غير أن الصيد منهم ... قنعوه بخزايه

كتبوا الصك عليه ... فهو بين الناس آيه

فإذا أقبل يوماً ... قيل قد جاء النفايه

وقال فيه أيضاً:

هم كتبوا الصك الذي قد علمته ... عليك وشنوا فوق هامتك القفدا

قال: وكان إذا قيل له ذلك شيء في نسبه قال: أنا عبد ابن عبد. قال: ونظر دعبل فرأى على أبي سعد قباء مرويا مصبوغاً بسواد، فقال: هذا دعي على دعي.

يرى دفتر شعر المخزومي فيملي هجاء له على حامله: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أحمد بن مروان مولى الهادي قال: لقيني أبو سعد المخزومي على ظهر الطريق فقال لي: يا أحمد أنا أدرس شكايتك إلى أبيك، قال فقلت: و لم أبقاك الله؟ قال: فما فعل دفتر البزاريات ؟ قلت: هو ذا أجيئك به، فلما صليت الظهر جئت بالدفتر أريده، فمررت بدعبل فدققت بابه، فسمعته يقول لجارية له: يا دراهم، انظري من بالباب. فقال له: أحمد بن مروان. فقال: افتحي له، فلما دخلت قلت له: أيش هو دراهم من الأسماء؟ قال: سميتم جواريكم دنانير، فسمينا جوارينا بدراهم. ثم قال: ما هذا معك؟ قلت: دفتر فيه شعر أبي سعد في البزاريات، فأخذه فنظر فيه وابنه علي بن دعبل بن علي معه، فلما بلغ من نظرة إلى شعره الذي يقول فيه:

مالت إلى قلبك أحزانه ... فهو مجم الهم خزانه

قال له ابنه علي: فما كان عليه يا أبت لو قال في شعره:

عادت إلى قلبك أحزانه؟

فقال دعبل: صدقت والله يا بني، أنت والله أشعر منه، قال: ثم إنه أملى علي دعبل إملاء:

ما كنت أحسب أن الدهر يمهلني حتى أرى أحداً يهجوه لا أحد

إني أعجب ممن في حقيبته من المني بحور كيف لا يلد؟

فإن سمعت به بعت القنا عبثاً فقد أراد قناً ليست له عقد

ثم صرت إلى أبي سعد، فلما رآني من بعيد قال: يا أحمد، من أين أقبلت؟ قلت: من عند دعبل. قال: وما دعبلت عنده؟ فأنشدته شعر دعبل فيه، وأخبرته بما قال ابنه في شعره، فقال: صدق والله، في أي سن هو؟ قلت: قد بلغ، فدعا بدواة وقرطاس وقال: اكتب فكتبت:

لا والذي خلق الصهباء من ذهب والماء من فضة لا ساد من بخلا

يقول لي دعبل في بطنه حبل ولو أصاب ثيابي دعبل حبلا

ودعبل رجل ما شئت من رجل لو كان أسفله من خلفه رجلا

قال: ثم هجاني أبو سعد، فقال:

عدو راح في ثوبي صديق شريك في الصبوح وفي الغبوق

له وجهان ظاهره ابن عم وباطنه ابن زانية عتيق

يسرك معلنا ويسوء سراً كذاك يكون أبناء الطريق

يخاف بنو مخزوم هجاءه فينفون المخزومي عنهم: أخبرني عمي والحسن بن علي قالا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا أبو ناجية -شيخ من ولد زهير بن أبي سلمى- قال: حضرت بني مخزوم وهم ببغداد، وقد اجتمعوا على أبي سعد لما لج الهجاء بينه وبين دعبل، وقد خافوا لسان دعبل، وأن يقطعهم ويهجوهم هجاء يعمهم جميعاً، فكتبوا عليه كتاباً، وأشهدوا أنه ليس منهم. فحدثني غير واحد أنه أتى حينئذ بخاتمة النقاش، فنقش عليه: أبو سعد العبد ابن العبد بري من بني مخزوم تهاوناً بما فعلوه.

المخزومي يحرض المأمون عليه فلا يستجيب له: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن يزيد قال: كان أبو سعد المخزومي قد كان يستعلي على دعبل في أول أمره، وكان يدخل إلى المأمون فينشده هجاء دعبل له وللخلفاء، ويحرضه عليه وينشده جوابه ، فلم يجد عند المأمون ما أراده فيه.

يعترض ابن أبي الشيص بينهما، ويهجو المخزومي: وكان يقول: الحق في يدك والباطل في يد غيرك، والقول لك

ممكن، فقل ما يكذبه ، فأما القتل فإني لست أستعمله فيمن أعظم ذنبه، أفأستعمله في شاعر ! فاعترض بينهما ابن أبي الشيص، فقال يهجو أبا سعد:

أنا بشرت أبا سعد فأعطاني البشاره

بأب صيد له بال أمس في دار الإماره

فهو يوماً من تميم وهو يوم من فزاره

كل يوم لأبي سعد على الأنساب غاره

خزمت مخزوم فاه فادعاها بالإشاره

قال: وقال فيه ابن أبي الشيص أيضاً:

أبا سعد بحق الخم س والمفروض من صومك

أقلت الحق في النسبة أم تحلم في نومك؟

ابن لي أيها المعرور ر ممن أنت في قومك؟

فولى قائلاً لو شئت قد أقصرت من لومك

ودعني أك من شئت إذا لم أك من قومك

من هجائه في المخزومي: وقال فيه دعبل:

إن أبا سعد فتى شاعر يعرف بالكنية لا الوالد

ينشد في حي معد أباً ضل عن المنشود والناشد

فرحمة الله على مسلم أرشد مفقوداً إلى فاقد

يغري الصبان أن يصيحوا بهجائه في المخزومي: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أحمد بن عثمان الطبري قال: سمعت دعبل بن علي يقول: لما هاجيت أبا سعد أخذت معي جوزاً ودعوت الصبيان فأعطيتهم منه، وقلت لهم: صيحوا به قائلين:

يا أبا سعد قوصره زاني الأخت والمره

فصاحوا به، فغلبته.

تحريض آخر للمأمون عليه: أخبرني الحسن بن علي، قال حدثني ابن مهرويه، قال: حدثني أحمد بن مروان قال: حدثني أبو سعد المخزومي واسمه عيسى بن خالد بن الوليد قال: أنشدت المأمون قصيدتي الدالية التي رددت فيها على دعبل قوله:

ويسومني المأمون خطة عاجز أو ما أرى بالأمس رأس محمد !

وأول قصيدتي:

أخذ المشيب من الشباب الأغيد والنائبات من الأنام بمرصد

ثم قلت: يا أمير المؤمنين، ائذن لي أن أجيئك برأسه. قال: لا، هذا رجل فخر علينا فافخر عليه كما فخر علينا، فأما قتله بلا حجة فلا.

يذكر هجائه للمخزومي فيه وقد رأي وجهه في المرآة: أخبرني عمي والحسن بن علي عن أحمد بن أبي طاهر قال: حدثني أبو السري عمرو الشيباني قال: نظر دعبل يوماً في المرآة، فجعل يضحك، وكانت في عنفقته سلعة ، فقلت له: من أي شيء تضحك؟ قال: نظرت إلى وجهي في المرآة، ورأيت هذه السلعة التي في عنفقتي، فذكرت قول الفاجر أبي سعد:

وسلعة سوء به سلعة ظلمت أباه فلم ينتصر

ينشده منشد قصيدة للمخزومي فيه: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: قال عبد الله بن الحسن بن أحمد مولى عمر بن عبد العزيز قال: حدثنا محمد بن علي الطالبي قال: لقيت دعبل بن علي، فحدثني أن أبا عمرو الشيباني سأله: ما هو دعبل؟ فقلت له: لا أدري، فقال: إنها الناقة المسنة. قال محمد بن علي الطالبي: ثم تحدثنا ساعة، فقلت: أما ترى لأبي سعد يا أبا علي وانهماكه في هجائك؟ فقال دعبل: لكني لم أقل فيه إلا أبياتاً سخيفة يلعب بها الصبان والإماء، وأنشدني قوله فيه:

يا أبا سعد قوصره زاني الأخت والمره

لو تراه محنباً خلته عقد قنطره

أو ترى الأير في استه قلت ساق بمقطره

قال محمد، فقلت لدعبل: دع عنك ذا، فقد والله أوجعك الرجل، فإذا أجبته بجواب مثله انتصفت، وإلا فإن هذا اللو الذي فخرت به يسقط وتفضح آخر الدهر، قال: ثم أنشدته قول أبي سعد فيه :

لم يبق لي لذة من طية بدد ولا المنازل من خيف ولا سند

أبعد خمسين عادت جاهليته يا ليت ما عاد منها اليوم لم يعد

وما تريد عيون العين من رجل كر الجديدان في أيامه الجدد

أبدى سرائره وجدا بغانية ولو أطاع مشيب الرأس لم يجد

واستمطرت عبرات العين منزلة لم يبق منها سوى الآري والوتد

وما بكاؤك داراً لا أنيس بها إلا الخواضب من خيطانها الربد

لدعبل وطر في كل فاحشة ... لو باد لؤم بني قحطا لم يبد
ولي قواف إذا أنزلتها بلداً ... طارت بهن شياطيني إلى بلد
لم ينج من خيرها أو شرها أحد ... فاحذر شأبيبها إن كنت من أحد

إن الطرماح نالته صواعقها ... في ظلمة القبر بين الهام والصرد
وأنت أولى بها إذ كنت وارثه ... فابعد وجهدك أن تنجو على البعد
تهجو نزاراً وترعى في أرومتها ... وتنتمي في أناس حاكة البرد
إني إذا رجل دبت عقاربه ... سقيته سم حياتي فلم يعد
زدني أزدك هواناً أنت موضعه ... ومن يزيد إذا ما نحن لم نزد؟
لو كنت متئداً فيما تلفقه ... لكان حظك منه حظ متئد
أو كنت معتمداً منه على ثقة ... من المكارم قلنا: طول معتمد
لقد تقلت أمراً لست نائله ... بلا ولي ولا مولى ولا عضد
وقد رميت بياض الشمس تحسبه ... بياض بطنك من لؤم ومن نكد
لا توعدني بقوم أنت ناصرهم ... واقعد فإنك نومان من القعد
لله معتصم بالله، طاعته ... قضية من قضايا الواحد الصمد

قال، فلما أنشدها دعبلاً، قال: أنا أشتمه وهو يشتمني، فما إدخال المعتصم بيننا؟ وشق ذلك عليه وخافه، ثم قال نقيض هذه القصيدة:

منازل الحي من غمدان فالنضد

وهي طويلة مشهورة في شعره، هكذا قال العتري في الخبر، و لم يأت بها.

يمر بأبي سعيد على جسر ببغداد فيشتمه: حدثنا محمد قال: حدثنا العتري قال: حدثني عبد الله بن الحسين عن محمد بن علي الطالبي قال: عبر دعبل الجسر ببغداد، وأو سعد واقف على دابته عند الجسر، وعليه ثوب صوف مشبه بالخز مصبوغ، فضرب دعبل بيده على فخذه، وقال: دعي على دعي.

حديث بين عبد الله بن طاهر والضبي عن نسبه: أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني صهر المبرد قال: حدثني محمد بن موسى الضبي راوية العتابي، وكان نديماً لعبد الله بن طاهر قال: بينما هو ذات ليلة يذاكرنا بالأدب وأهله وشعراء الجاهلية والإسلام إذ بلغ إلى ذكر المحدثين حتى انتهى إلى ذكر دعبل، فقال: ويحك يا ضبي!، إني أريد أن أحدثك بشيء على أن تستره طول حياتي، فقلت له: أصلحك الله أنا عندك في موضع ظنة؟ قال: لا، ولكن

أطيب لنفسي أن توثق لي بالأيمان لأركن إليها، ويسكن قلبي عندها، فأحدثك حينئذ.
قال: قلت: إن كنت عند الأمير في هذه الحال فلا حاجة به إلى إفشاء سره إلي، واستعفيته مراراً فلم يعفني، فاستحييت من مراجعته، وقلت: فليرِ الأمير رأيه. فقال لي: يا ضبي، قل: والله. قلت: والله، فأمرها علي غموساً مؤكدة بالبيعة والطلاق وكل ما يحلف به مسلم. ثم قال: أشعرت أن دعبلاً مدخول النسب؟ وأمسك، فقلت: أعز الله الأمير، أفي هذا أخذت العهود والمواثيق وملغظ الأيمان؟ قال: إي والله، فقلت: و لم؟ قال: لأني رجل لي في نفسي حاجة، ودعبل رجل قد حمل نفسه على المهالك، وحمل جذعه على عنقه، فليس يجد من يصلبه عليه، وأخاف إن بلغه أن يقول في ما يبقى علي عاره على الدهر، وقصاراي إن ظفرت به وأسلمته اليمن -وما أراها تفعل؛ لأنه اليوم لسانها وشاعرها والذاب عنها والمحامي لها والمرامي دونها- فأضربه مائة سوط، وأثقله حديداً، وأصيره في مطبق باب الشام.
وليس في ذلك عوض مما سار في من الهجاء وفي عقبي من بعدي. فقلت: ما أراه يفعل ويقدم عليك. فقال لي: يا عاجز، أهون عليه مما لم يكن. أتراه أقدم على الرشيد والأمين والمأمون وعلى أبي ولا يقدم علي؟ فقلت: فإذا كان الأمر كذا فقد وفق الأمير فيما أخذه علي.
قال: وكان دعبل صديقاً لي، فقلت: هذا شيء قد عرفته، فمن أين؟ قال الأمير: إنه مدخول النسب وهو في البيت الرفيع من خزاعة، لا يتقدمهم غير بني أهبان مكلم الذئب. فقال: أسمع أنه كان أيام ترعرع خاملاً لا يؤبه له، وكان ينام هو ومسلم بن الوليد في إزار واحد، لا يملكان غيره. ومسلم أستاذه وهو غلام أمرد يخدمه، ودعبل حينئذ لا يقول شعراً يفكر فيه حتى قال:

لا تعجبني يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

بداية اشتهاره وطلب الرشيد أن يلازمه:

وغنى فيه بعض المغنين وشاع، فغني به بين يدي الرشيد، إما ابن جامع أو ابن المكي، فطرب الرشيد، وسأل عن قائل الشعر، فقيل له: دعبل بن علي، وهو غلام نشأ من خزاعة. فأمر بإحضار عشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه، فأحضر ذلك، فدفعه مع مركب من مراكبه إلى خادم من خاصيته، وقال له: اذهب بهذا إلى خزاعة فاسأل عن دعبل بن علي، فإذا دللت عليه فأعطه هذا، وقل له: ليحضر إن شاء، وإن لم يجب ذلك فدعه. وأمر للمغني بجائزة، فسار الغلام إلى دعبل، وأعطاه الجائزة، وأشار عليه بالمسير إليه.
فلما دخل عليه وسلم أمره بالجلوس فجلس، واستنشده الشعر فأنشده إياه، فاستحسنه وأمره بملازمته وأجرى عليه رزقاً سنياً، فكان أول من حرضه على قول الشعر.
يبلغه موت الرشيد فيهجوه: فوالله ما بلغه أن الرشيد مات حتى كافأه على ما فعله: من العطاء السني، والغنى بعد الفقر، والرفعة بعد الخمول بأقبح مكافأة. وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام، وهجا الرشيد:

وليس حي من الأحياء نعلمه من ذي يمان ومن بكر ومن مضر

إلا وهم شركاء في دمائهم كما تشارك أيسار على جزر
قتل وأسر وتحريق ومنهبة فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
أرى أمية معذورين إن قتلوا ولا أرى لبني العباس من عذر
أربع بطوس على القبر الزكي إذا ما كنت تربع من دين على وطر
قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرهم هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امرئ رهن بما كسبت له يداه فخذ ما شئت أو فذر

-يعني قبر الرشيد وقبر الرضا عليه السلام، فهذه واحدة.

يدس إلى المأمون شعر له فيصفح عنه ويستقدمه: وأما الثانية فإن المأمون لم يزل يطلبه وهو طائر على وجهه حتى دس إليه قوله:

علم وتحكيم وشيب مفارق طمسن ريعان الشباب الرائق
وإمارة في دولة ميمونة كانت اللذات أشغب عائق
أنى يكون وليس ذاك بكائن يرث الخلافة فاسق عن فاسق
إن كان إبراهيم مضطلعاً بها فلتصلحن من بعده لمخارق

فلما قرأها المأمون ضحك، وقال: قد صفحت عن كل ما هجانا به إذا قرن إبراهيم بمخارق في الخلافة، وولاه عهده.

وكتب إلى أبي أن يكاتبه بالأمان، ويحمل إليه مالاً. وإن شاء أن يقيم عنده أو يصير إلى حيث شاء فليفعل. فكتب إليه أبي بذلك، وكان واثقاً به، فصار إليه، فحمله وخلع عليه، وأجازه وأعطاه المال، وأشار عليه بقصد المأمون ففعل. فلما دخل وسلم عليه تبسم في وجهه، ثم قال أنشدني:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

فجزع، فقال له: لك الأمان لا خف، وقد رويتها ولكني أحب سماعها من فيك، فأنشده إياها إلى آخرها والمأمون يبكي حتى أخضل لحيته بدمعه، فوالله ما شعرنا به إلا وقد شاعت له أبيات يهجو بها المأمون بعد إحسانه إليه وأنسه به حتى كان أول داخل، وآخر خارج من عنده.

يستدعيه بعض بني هاشم ثم لا يرضيه فيهجوه: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو بكر العامري، قال: استدعى بعض بني هاشم دعبل وهو يتولى للمعتصم ناحية من نواحي الشام، فقصده إليها، فلم يقع منه بحيث ظن وجفاه، فكتب إليه دعبل:

دليتني بغرور وعدك في متلاطم من حومة الغرق
حتى إذا شمت العدو وقد شهر انتقاصك شهرة البلق
أنشأت تحلف أن ودك لي صاف وحبلك غير منحذق
وحسبتني فقعا بقرقرة فوظئتني وطئاً على حنق
ونصبتني علما على غرض ترميني الأعداء بالحدق
وظننت أرض الله ضيقة عني وأرض الله لم تضق
من غير ما جرم سوى ثقة مني بوعدك حين قلت: ثق
ومودة تحنو عليك بها نفسي بلا من ولا ملق
فمتى سألتك حاجة أبداً فاشدد بها قفلا على غلق

وقف الإخاء على شفى جرف هار فبعه بيعة الخلق
وأعدلي قفلا وجامعة فاشدد يدي بها إلى عنقي
أعفيك مما لا تحب بها واسدد علي مذاهب الأفق
ما أطول الدنيا وأعرضها وأدلني بمسالك الطرق

يتهم بشتم بنت عبد المطلب فيهرب وينكر التهمة: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبي قال: قدم دعبل الدينور ، فجرى بينه وبين رجل من ولد الزبير بن العوام كلام وعربدة على النبيذ، فاستعدى علي عمرو بن حميد القاضي، وقال: شتم بنت عبد المطلب، واجتمع عليه الغوغاء، فهرب دعبل، وبعث القاضي إلى دار دعبل فوكل بها وختم بابه، فوجه إليه برقعة فيها: ما رأيت قط أجهل منك إلا من ولاك، فأنه أجهل، يقضي في العربدة على النبيذ، ويحكم على خصم غائب، ويقبل عقلك أني رافضي شتم صفية بنت عبد المطلب. سخنت عينك، أفمن دين الرافضة شتم صفية! قال أبي: فسألني الزبيري القاضي عن هذا الحديث فحدثته، فقال: صدق والله دعبل في قوله، لو كنت مكانه لوصلته وبررته.

يغري متنسكاً فيعود إلى الندماء يسمع الغناء ولا يشرب النبيذ: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني إبراهيم بن سهل القارئ قال حدثني دعبل قال: كتبت إلى أبي هشل بن حميد، وقد كان نسك وترك شرب النبيذ، ولزم دار الحرم:

إنما العيش في منادمة الإخوان لا في الجلوس عند الكعاب
وبصرف كأنها ألسن البرق إذا استعرضت رقيق السحاب

إن تكونوا تركتم لذة العيش حذار العقاب يوم العقاب

فدعوني وما ألذ وأهوى وادفعوا بي في نحر يوم الحساب

قال: فكان بعد ذلك يدعوني وسائر ندمائي، فنشرب بين يديه، ويستمع الغناء، ويقتصر على الأنس والحديث.

يشترك في نظم قصيدة نصفها له ونصفها الآخر لإبراهيم بن العباس: أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا إبراهيم بن المدبر قال: كنت أنا وإبراهيم بن العباس رفيقين نتكسب بالشعر قال: وأنشدني قصيدة دعبل في المطلب بن عبد الله:

أمطلب أنت مستعذب سمام الأفاعلي ومستقبل

قال، وقال لي دعبل: نصفها لإبراهيم بن العباس، كنت أقول مصراعاً فيجيزه، ويقول هو مصراعاً فأجيزه.

يهجو مالك بن طوق لأنه لم يرض ثوابه: قال ابن مهرويه: وحدثني إبراهيم بن المدبر أن دعبلاً قصد مالك بن طوق ومدحه، فلم يرض ثوابه، فخرج عنه وقال فيه:

إن ابن طوق وبني تغلب لو قتلوا أو جرحوا قصره

لم يأخذوا من دية درهما يوماً ولا من أرشهم بعره

دماؤهم ليس لها طالب مطلولة مثل دم العذره

وجوههم بيض وأحسابهم سود وفي آذانهم صفرة

يمدح عبد الله بن طاهر فيجيزه: حدثنا محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثني العتزي قال: حدثنا عبد الله بن الحسن قال: حدثني عمر بن عبد الله أبو حفص النحوي مؤدب آل طاهر قال: دخل دعبل بن علي على عبد الله بن طاهر، فأنشده وهو ببغداد:

جئت بلا حرمة ولا سبب إليك إلا بحرمة الأدب

فاقض ذمامي فإنني رجل غير ملح عليك في الطلب

قال فانتعل عبد الله، ودخل إلى الحرم، ووجه إلى بصرة فيها الف درهم، وكتب إليه:

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا ولو انتظرت كثيرة لم يقلل

فخذ القليل وكن كأنك لم تسل ونكون نحن كأننا لم نفعل

يهجو مالك بن طوق فيطلبه فيهرب إلى البصرة: أخبرني أحمد بن عاصم الحلواني قال: حدثنا أبو بكر المدائني قال: حدثنا أبو طالب الجعفري ومحمد بن أمية الشاعر جميعاً قالا: هجا دعبل بن علي مالك بن طوق قال:

سألت عنكم يا بني مالك في نازح الأرضين والدانيه

طراً فلم تعرف لكن نسبة حتى إذا قلت بني الزانية

قالوا فدع داراً على يمنة وتلك ها دارهم ثانيه

لا حد أخشاه على من قال أمك زانيه

وقال أيضاً فيه:

يا زاني ابن الزان ابن الزان ابن الزانية

أنت المردد في الزنا ء على السنين الخالية

ومردد فيه على كر السنين الباقية

وبلغت الأبيات مالكاً، فطلبه، فعرب فأتي البصرة وعليها إسحاق بن العباس بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكان بلغه هجاء دعبل وابن أبي عيينة نزاراً.

فأما ابن أبي عيينة فإنه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طوال أيامه.

يقبض عليه والي البصرة فيعفيه من القتل ويشهره: وأما دعبل فإنه حين دخل البصرة بعث فقبض عليه، ودعا بالنطع والسيف ليصرب عنقه، فجحد القصيدة وحلف بالطلاق على جحدها وبكل يمين تبرئ من الدم أنه لم يقلها وأن عدواً له قالها، إما أبو سعد المخزومي أو غيره ونسبها غليه ليغري بدمه، وجعل يتضرع إليه ويقبل الأرض ويبكي بين يديه، فرق له، فقال: أما إذا أعفيتك من القتل فلا بد من أن أشهرك، ثم دعا بالعصا فضربه حتى سلح، وأمر به فألقي على قفاه، وفتح فمه فرد سلحه فيه والمقارع تأخذ رجليه، وهو يحلف ألا يكف عنه حتى يستوفيه ويبلعه أو يقتله. فما رفعت عنه حتى بلع سلحه كله، ثم خلاه، فهرب إلى الأهواز.

بعث مالك بن طوق رجلاً فاغتاله بأرض السوس: وبعث مالك بن طوق رجلاً حصيفاً مقداماً، وأعطاه سماً وأمره أن يغتاله كيف شاء، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم، لم يزل يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السوس، فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة، فضرب ظهر قدمه بعكاز له زج مسموم فمات من غد، ودفن بتلك القرية.

وقيل بل حمل إلى السوس، فدفن فيها.

طلب والي البصرة أن ينقض شاعر هجاءه هو وابن أبي عيينة لنزار: وأمر إسحاق بن العباس شاعراً يقال له: الحسن بن زيد ويكنى أبا الدلفاء، فنقض قصيدتي دعبل وابن أبي عيينة بقصيدة أولها:

أما تنفك متبولاً حزيناً تحب البيض تعصي العاذلينا

يهجو بها قبائل اليمن، ويذكر مثالبهم، وأمره بتفسير ما نظمه، وذكر الأيام والأحوال، ففعل ذلك وسماها الدامغة، وهي إلى اليوم موجودة.

صوت

أتهجر من تحب بغير جرم أسأت إذاً وأنت له ظلوم

تؤرقني الهموم وأنت خلو لعمرك ما تؤرقك الهموم

الشعر لجعيفران الموسوس، أنشدنيه عمي عن عبد الله عثمان الكاتب عن أبيه عن جده ، وأنشد فيه جحظة عن خالد الكاتب له، وأنشدنيه ابن الوشاء عن بعض شيوخه عن سلمة النحوي له. ووجدته في بعض الكتب منسوباً إلى أم الضحاك المحاربية، والقول الأول أصح. والغناء لابن أبي قباحة، ثاني ثقيل بالوسطى في مجرى البنصر. وفي أبيات أخر من شعر جعيفران غناء، فإن لم يصح هذا له فالغناء له في أشعاره الأخر صحيح، منها:

ما يفعل المرء فهو أهله كل امرئ يشبهه فعله

ولا ترى أعجز من عاجز سكتنا عن ذمه بذله

الشعر لجعيفران، والغناء لمتيم، ومما وجدته من الشعر المنسوب إليه في جامعة وفيه له غناء:

قلبي بصاحبة الشنوف معلق وتفر صاحبة الشنوف وألحق

أخبار جعيفران ونسبه

نسبه ونشأته: هو جعيفران بن علي بن أصفر بن السري بن عبد الرحمن الأبناوي، من ساكني سر من رأى، ومولده ومنشؤه ببغداد. وكان من أبناء الجند الخراسانية، وكان يتشيع، ويكثر لقاء أبي الحسن علي بن موسى بن جعفر.

كان شاعراً مطبوعاً ثم اختلط: أخبرني بذلك أبو الحسن علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب عن أبيه وأهله. وكان جعيفران أديباً شاعراً مطبوعاً، وغلبت عليه المرة السوداء، فاختلط وبطل في أكثر أوقاته ومعظم أحواله، ثم كان إذا أفاق ثاب إليه عقله وطبعه، فقال الشعر الجيد. وكان أهله يزعمون أنه من العجم ولد أذين.

خالف أباه إلى جارية له فطرده: فأخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثني محمد بن مهرية قال: حدثني علي بن سليمان النوفلي قال: حدثني صالح بن عطية قال: كان لجعيفران الموسوس قبل أن يختلط عقله أب يقال له: علي بن أصفر، وكان دهقان الكرخ ببغداد، وكان يتشيع، فظهر على ابنه جعيفران أنه خالفه إلى جارية له سرية، فطرده عن داره.

يشكوه أبوه إلى موسى بن جعفر فيأمره بإخراجه من ميراثه: وحج فشكا ذلك إلى موسى بن جعفر، فقال له موسى: إن كنت صادقاً عليه فليس يموت حتى يفقد عقله، وإن كنت قد تحققت ذلك عليه فلا تساكنه في منزلك، ولا تطعمه شيئاً من مالك في حياتك، وأخرجه عن ميراثك بعد وفاتك.

فقدم فطرده، وأخرجه من منزله، وسأل الفقهاء عن حيلة يشهد بها في ماله حتى يخرجه عن ميراثه، فدلوه على

السبيل إلى ذلك، فأشهد به، وأوصى إلى رجل. فلما مات الرجل حاز ميراثه ومنع منه جعيفران، فاستعدى عليه أبا يوسف القاضي، فأحضر الوصي.

وسأل جعيفران البينة على نسبه وتركة أبيه، فأقام على ذلك بينة عدة، وأحضر الوصي بينة عدولاً على الوصية يشهدون على أبيه ما كان احتال به عليه.

فلم ير أبو يوسف ذلك شيئاً، وعزم على أن يورثه، فدفعه الوصي عن ذلك مرات بعلل. ثم عزم أبو يوسف على أن يسجل لجعيفران بالمال، فقال له الوصي: أيها القاضي، أنا أدفع هذا بحجة واحدة بقيت عندي، فأبى أبو يوسف أن يقبل منه، وجعل جعيفران يحرج عليه، ويقول له: قد ثبت عندك أمري، فبأي شيء تدافعني؟ وجعل الوصي يسأل أن يسمع منه منفرداً، فيأبى، ويقول: لا أسمع منك إلا بحضرة خصمك. فقال له أجلني إلى غد، فأجله إلى منزله وكتب رقعة خبره فيها بحقيقة ما أفتى به موسى بن جعفر، ودفعها إلى صديق لأبي يوسف، فدفعها إليه، فلما قرأها دعا الوصي واستحلفه أنه قد صدق في ذلك. فحلف باليمين الغموس. فقال له: اغد على غدا مع صاحبك، فحضر وحضر جعيفران معه، فحكم عليه أبو يوسف للوصي. فلما أمضى الحكم عليه وسوس جعيفران واختلط منذ يومئذ.

وأخبرني بجمل أخباره المذكورة في هذا الكتاب علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب، عن شيوخ له أخذها عنهم وإجازات وجدتها في الكتب، و لم أر أخباره عند أحد أكثر مما وجدتها عنده إلا ما أذكره عن غيره فأنسبه إليه.

يقف بالرصافة على رجل وينشده شعراً: قال علي بن العباس: وذكر عبد الله بن عثمان الكاتب أن أباه عثمان بن محمد حدثه قال: كنت يوماً برصافة مدينة السلام جالساً إذ جاءني جعيفران وهو مغضب، فوقف علي وقال:

استوجب العالم مني القتلا

فقلت: و لم يا أبا الفضل؟ فنظر إلي نظرة منكرة خفت منها، وقال:

لما شعرت فرأوني فحلا

ثم سكت هنيهة، وقال:

قالوا علي كذباً وبطلاً ... إني مجنون فقدت العقلا

قالوا المحال كذبا وجهلا ... أقبح بهذا الفعل منهم فعلا

ثم ذهب لينصرف، فخفت أن يؤذيه الصبيان، فقلت: اصبر فديتك حتى أقوم معك؛ فإنك مغضب، وأكره أن تخرج على هذه الحال. فرجع إلي، وقال: سبحان الله، أتراني أنسبهم إلى الكذب والجهل، وأستقبح فعلهم، وتتخوف مني مكافأتهم! ثم إنه ولى وهو يقول:

لست براضٍ من جهول جهلا ... ولا مجازيه بفعل فعلا

لكن أرى الصفح لنفسي فضلا من يرد الخير يجده سهلا

ثم مضى.

رئي وحده يدور في دار طول ليلته وهو ينشده رجزاً: وقال علي بن العباس، وقال عثمان بن محمد : قال أبي: كنت أشرف مرة من سطح لي على جعيفران وهو في دارٍ وحده وقد اعتل، وتحركت عليه السوداء، فهو يدور في الدار طول ليلته، ويقول:

طاف به طيف من الوسواس نقر عنه لذة النعاس

فما يرى يأنس بالأناس ولا يلذ عشرة الجلاس

فهو غريب بين هذا الناس

حتى أصبح وهو يرددها، ثم سقط كأنه بقلة ذابلة.

يستجيب لنظم بيت بنصف درهم: قال علي: وحدثني علي بن رستم النحوي، قال: حدثني سلمة بن محارب قال: مررت ببغداد، فرأيت قوماً مجتمعين على رجل، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: جعيفران المجنون، فقلت: قل بيتاً بنصف درهم. قال: هاته، فأعطيته، فقال:

لج ذا الهم واعتلج كل هم إلى فرج

ثم قال: زد إن شئت حتى أزيدك.

يصيح الصبيان خلفه وهو عريان، وينشد شعراً في جناية الفقر عليه: قال علي: وحدثني عبد الله بن عثمان، عن أبيه قال: غاب عنا جعيفران أياماً ثم جاءنا والصبيان يشدون خلفه وهو عريانٌ وهم يصيحون به: يا جعيفران يا خرا في الدار. فلما بلغ إلي وقف، وتفرقوا عنه فقال: يا أبا عبد الله:

رأيت الناس يدعونني بمجنون على حالي

وما بي اليوم من جن ولا وسواس بلبال

ولكن قولهم هذا لإفلاسي وإقلالي

ولو كنت أخاً وفر رخياً ناعم البال

رأوني حسن العقل أحل المنزل العالي

وما ذاك على خبر ولكن هيبة المال

يدخله سيد داره فيطعمه ويسقيه: قال: فأدخلته مترلي، فأكل، وسقيته أقداحاً، ثم قلت له: تقدر على أن تغير تلك القافية؟ فقال: نعم، ثم قال بديهة غير مفكر ولا متوقف:

رأيت الناس يرمون ... ي أحياناً بوسواس
ومن يضبط يا صاح ... مقال الناس في الناس؟
فدع ما قاله الناس ... ونازع صفوة الكاس
فتى حراً صحيح الود ذا بر وإيناس
فإن الخلق مغرور ... بأمثالي وأجناسي
ولو كنت أخا مال ... أتوني بين جلاسي
يحبوني ويحبوني ... على العينين والراس
ويدعوني عزيزاً غي ... ر أن الذل إفلاسي

يضيق به بعض مجالسيه ويفطن لذلك فيقول شعراً: ثم قام يبول، فقال بعض من حضر: أي شيء معنى عشرتنا هذا المجنون العريان؟ والله ما نأمنه وهو صاح، فكيف إذا سكر؟ وفطن جعيفران للمعنى، فخرج إلينا وهو يقول:

وندامي أكلوني ... إذ تغيبت قليلا
زعموا أني مجنو ... ن أرى العرى جميلا
كيف لا أعرى وما أب ... صر في الناس مثيلا؟
إن يكن قد ساءكم قر ... بي فخلوا لي سبيلا
وأتموا يومكم سركم الله طويلا

قال: فرققنا له، واعتذرنا إليه، وقلنا له: والله ما نلتذ إلا بقربك، وأتيناه بثوب، فلبسه، وأتممنا يومنا ذلك معه.

يحتكم إلى القاضي فيدفعه عن دعواه فيدعو عليه: أخبرني جحظة قال: حدثني ميمون بن هارون قال: تقدم جعيفران إلى أبي يوسف الأعور القاضي بسر من رأى في حكومة في شيء كان في يده من وقف له، فدفعه عنه، وقضى عليه. فقال له: أراني الله أيها القاضي عينيك سواء، فأمسك عنه، وأمر برده إلى داره.

فلما رجع أطعمه ووهب له دراهم، ثم دعا به فقال له: ماذا أردت بدعائك؟ أردت أن يرد الله على بصري ما ذهب؟ فقال له: والله لئن كنت وهبت لي هذه الدراهم لأسخر منك؛ لأنت المجنون لا أنا. أخبرني كم من أعور رأيته عمي؟ قال: كثيراً، قال: فهل رأيت أعور صح قط؟ قال: لا. قال: فكيف توهمت علي الغلط! فضحك وصرفه.

يمدح أبا دلف فيجزل له العطاء: أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال: حدثني أحمد بن القاسم البرتي قال: حدثني علي بن يوسف قال: كنت عند أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي فاستأذن عليه حاجبه لجعيفران الموسوس، فقال له: أي شيء أصنع بموسوس! قد قضينا حقوق العقلاء، وبقي علينا حقوق المجانين! فقلت له:

جعلت فداء الأمير موسوس أفضل من كثير من العقلاء، وإن له لساناً يتقى وقولاً مأثوراً يبقى، فالله الله أن تحجبه، فليس عليك منه أذى ولا ثقل، فأذن له، فلما مثل بين يديه قال:

يا أكرم العالم موجوداً ... ويا أعز الناس مفقوداً

لما سألت الناس عن واحدٍ ... أصبح في الأمة محموداً

قالوا جميعاً إنه قاسمٌ ... أشبه آباء له صيدا

لو عبدوا شيئاً سوى ربهم ... أصبحت في الأمة معبودا

لا زلت في نعمى وفي غبطةٍ ... مكرماً في الناس معدوداً

قال، فأمر له بكسوة وبألف درهم، فلما جاء بالدراهم أخذ منها عشرة، وقال: تأمر القهرمان أن يعطيني الباقي مفرقاً كلما جئت؛ لئلا يضيع مني، فقال للقهرمان: أعطه المال، وكلما جاءك فأعطه ما شاء حتى يفرق الموت بيننا، فبكى عند ذلك جعيفران، وتنفس الصعداء، وقال:

يموت هذا الذي أراه ... وكل شيء له نفاذ

لو غير ذي العرش دام شيء ... لدام ذا المفضل الجواد

ثم خرج، فقال أبو دلفٍ: أنت كنت أعلم به مني.

يسأل عن أبي دلف ويرتجل في مدحه شعراً:

قال: وغبر عني مدة، ثم لقيني وقال: يا أبا الحسن، ما فعل أميرنا وسيدنا وكيف حاله؟ فقلت: بخير وعلى غاية الشوق إليك. فقال:أنا والله يا أخي أشوق، ولكني أعرف أهل العسكر وشرههم وإلحاحهم والله ما أراهم يتركونه من المسألة ولا يتركهم، ولا يتركه كرمه أن يخليهم من العطية حتى يخرج فقيراً. فقلت: دع هذا عنك وزره، فإن كثرة السؤال لا تضر بماله، فقال: وكيف؟ أهو أيسر من الخليفة؟ قلت: لا. قال: والله لو تبذل لهم الخليفة كما يبذل أبو دلفٍ وأطمعهم في ماله كما يطمعهم لأفقروه في يومين، ولكن اسمع ما قلته في وقتي هذا، فقلت: هاته يا أبا الفضل فأنشأ يقول:

أبا حسن بلغن قاسماً ... بأني لم أجفه عن قلى

ولا عن ملال لإتيانه ... ولا عن صدود ولا عن غنى

ولكن تعففت عن ماله ... وأصفيته مدحتي والثنا

أبو دلف سيدٌ ماجد ... سني العطية رحب الفنا

كريمٌ إذا انتابه المعتفو ... ن عمهم بجزيل الحبا

يلقى أبا دلف فينشده ما حاله: قال: فأبلغتها أبا دلف، وحدثته بالحديث الذي جرى، فقال لي: قد لقيته منذ أيام؛ فلما رأيته وقفت له، وسلمت عليه، وتحفيت به، فقال لي: سر أيها الأمير على بركة الله، ثم قال لي:

يا معدي الجود على الأموال ... ويا كريم النفس في الفعال

قد صنتني عن ذلة السؤال ... بجودك الموفي على الآمال

صانك ذو العزة والجلال ... من غير الأيام والليالي

قال: ولم يزل يختلف إلى أبي دلف ويبره حتى افترقا.

يرى وجهه في حب فيهجو نفسه: سمعت عبد الله بن أحمد، عم أبي رحمه الله يحدث فحفظت الخبر، ولا أدري أذكر له إسناداً فلم أحفظه أم ذكره بغير إسناد، قال: كان جعيفران خبيث اللسان هجاء، لا يسلم عليه أحد، فاطلع يوماً في الحب ، فرأى وجهه قد تغير، وعفا شعره فقال:

ما جعفرٌ لأبيه ... ولا له بشبيه

أصحى لقوم كثير ... فكلهم يدعيه

هذا يقول بني ... وذا يخاصم فيه

والأم تضحك منهم ... لعلمها بأبيه

يسأل طعاماً فيجاب له: حدثني محمد بن الحسن الكندي خطيب القادسية قال: حدثني رجل من كتاب الكوفة قال: اجتاز بي جعيفران مرة فقال: أنا جائع، فأي شيء عندك تطعمني؟ فقلت سلق بخردل.

يهجو جارية مضيفة لتأخرها في شراء بطيخ له: فقال: إشتر لي معه بطيخاً، فقلت: أفعل، فادخل، وبعثت بالجارية تجيئه به، وقدمت إليه الخبز والخردل والسلق، فأكل منه حتى ضجر، وأبطأت الجارية، فأقبل علي وقد غضب فقال:

سلقتنا وخردلت ... ثم ولت فأدبرت

وأراها بواحد ... وافر الأير قد خلت

قال فخرجت -يشهد الله- أطلبها، فوجدتها خالية في الدهليز بسائس لي على ما وصف.

صوت

ولها مربعٌ ببرقة خاخٍ ... ومصيف بالقصر قصر قباء

كفنوني إن مت في درع أروى ... واجعلوا لي من بئر عروة مائي

سخنةٌ في الشتاء باردة الصي ... ف سراجٌ في الليلة الظلماء

الشعر للسري بن عبد الرحمن، والغناء لمعبد، ثقيل بالوسطى عن الهشامي: قال: وفيهما -يعني الثالث والأول- رمل مطلق في مجرى الوسطى.

أخبار السري ونسبه

نسبه السري بن عبد الرحمن بن عتبة بن عويم بن ساعدة الأنصاري، لوجده عويم بن ساعدة صحبة بالنبي ".

شعره وشخصه: والسري شاعر من شعراء أهل المدينة، وليس بمكثر ولا فحل، إلا أنه كان أحد الغزلين والفتيان والمنادمين على الشراب. كان هو وعتير بن سهل بن عبد الرحمن بن عوف، وجبير بن أيمن، وخالد بن أبي أيوب الأنصاري يتنادمون. قال: وفيهم يقول:

إذا أنت نادمت العتير وذا الندى ... جبيرا ونازعت الزجاجة خالداً

أمنت بإذن الله أن تقرع العصا ... وأن ينبهوا من نومة السكر راقدا

غناه الغريض ثقيلاً.

وكان السري هذا هجا الأحوص، وهجا نصيبا؛ فلم يجيباه.

يهجو النصيب فيهبه لقومه، ولله ورسوله:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثني الزبير بن بكار قال: حدثني عمي، وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبي قالا: حبس النصيب في مسجد النبي -" فأنشد، وكان إذا أنشد لوى حاجبيه، وأشار بيده، فرآه السري بن عبد الرحمن الأنصاري، فجاءه حتى وقف بإزائه ثم قال:

فقدت الشعر حين أتى نصيبا ... ألم تستحي من مقت الكرام

إذا رفع ابن ثوبة حاجبيه ... حسبت الكلب يضرب في الكعام

قال: فقال نصيب: من هذا! فقالوا: هذا ابن عويم الأنصاري، قال: قد وهبته لله عز وجل ولرسوله -"- ولعويم بن ساعدة. قال: وكان لعويم صحبةٌ ونصرةٌ.

يحب امرأة يقال لها زينب ويشبب بها: أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني عمي عن عبد الرحمن بن عبد الله العمري قال: كان السري قصيراً دميماً أزرق، وكان يهوى امرأة يقال لها زينب ويشبب بها، فخرج إلى البادية، فرآها في نسوة فصار إلى راعٍ هناك وأعطاه ثيابه، وأخذ منه جبته وعصاه، وأقبل يسوق الغنم حتى صار إلى النسوة فلم يحفلن به، وظنن أنه أعرابي، فأقبل يقلب بعصاه الأرض وينظر إليهم فقلن له: أذهب منك يا راعي الغنم شيء فأنت تطلبه؟ فقال: نعم. قال: فضربت زينب بكمها على وجهها وقالت: السري والله أخزاه الله! فأنشأ يقل: صوت

ما زال فينا سقيمٌ يستطب له ... من ريح زينب فينا ليلة الأحد

حزت الجمال ونشراً طيباً أرجاً فما تسمين إلا مسكة البلد

أما فؤادي فشيء قد ذهبت به فما يضرك ألا تحربي جسدي !

يستحسن المهدي شعراً له في الغزل: أخبرني الحسين بن علي قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدثنا مصعبٌ الزبيري قال، قال أبي: قال لي المهدي: أنشدني شعراً غزلاً، فأنشدته قول السري بن عبد الرحمن:

ما زال فينا سقيمٌ يستطب له من ريح زينب فينا ليلة الأحد

فأعجبته، وما زال يستعيدها مراراً حتى حفظها.

كان وندماءه تقبل شهادتهم مع شربهم النبيذ: أخبرني الحسن قال: حدثني أحمد قال: حدثني محمد بن سلام الجمحي قال: كان السري بن عبد الرحمن ينادم عتير بن سهل بن عبد الرحمن بن عوف وجبير بن أيمن بن أم أيمن مولى النبي -"- وخالد بن أبي أيوب الأنصاري، وكانوا يشربون النبيذ، وكلهم كان على ذلك مقبول الشهادة جليل القدر مستوراً، فقال السري:

إذا أنت نادمت العتير وذا الندى جبيرا ونازعت الزجاجة خالداً

أمنت بإذن الله أن تقرع العصا وأن ينبهوا من نومة السكر راقدا

فقالوا: قبحك الله! ماذا أردت إلى التنبيه علينا والإذاعة لسرنا؟ إنك لحقيق ألا ننادمك. قال: والله ما أردت بكم سوءاً، ولكنه شعر طفح فنفثته عن صدري، قال: وخالد بن أبي أيوب الأنصاري الذي يقول: صوت

ألا سقني كأسي ودع قول من لحى ورو عظاماً قصرهن إلى بلى

فإن بطوء الكأس موتٌ وحبسها وإن دراك الكأس عندي هو الحيا

الغناء في هذين البيتين هة لعبد الله بن العباس الربيعي، خفيف رمل بالبنصر عن عمرو بن بانة.

التمثل بشعره في طلب الشراب: أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدثني سليمان بن أبي شيخ قال: حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري قال: حدثني مصعب بن عثمان قال: حدثني عبيد الله بن عروة بن الزبير قال: خرجت وأنا غلام أدور في السكك بالمدينة فانتهيت إلى فناءٍ مرشوش وشاب جميل الوجه جالس، فلما رآني دعاني، ثم قال لي: من أنت يا غلام؟ فقلت عبيد الله بن عروة بن الزبير. فقال: اجلس، فجلست، فدعا بالغداء فتغدينا جميعاً، ثم قال: يا جارية؛ فأقبلت جاريةٌ تتهادى كأنها مهاةٌ، وفي يدها قنينيةٌ فيها شرابٌ صاف وقلة ماء وكأس، فقال لها: استقني؛ فصبت في الكأس وسكبت عليه ماءً وناولته، فشرب ثم قال: اسقيه، فصبت الكأس وسكبت عليه ماء وناولتني. فلما وجدت رائحته بكيت، فقال: ما يبكيك يا بن أخي؟ فقلت: إن أهلي إن وجدوا رائحة هذا مني ضربونب، فأقبل على الجارية بوجهه، وقال لها يخاطبها:

ألا سقني كأسي ودع عنك من أبى ورو عظاماً قصرهن إلى بلى

فأخذته من يدي وأعطته؛ فشربه، وقمت فلما جاوزته سألت عنه فقيل لي: هذا خالد بن أبي أيوب الأنصاري الذي يقول فيه الشاعر:

إذا أنت نادمت العتير وذا الندى جبيرا ونازعت الزجاجة خالداً

أمنت بإذن الله أن تقرع العصا وأن يوقظوا من سكرة النوم راقداً

وصرت بحمد الله في خير عصبة حسان الندامى لا تخاف العرابداً

يأبى ابن الماجشون دخول مجلس حتى يخرجه أصحابه فيخرجوه: أخبرنا وكيع قال: حدثنا محمد بن علي بن حمزة قال: حدثني أبو غسان عن محمد بن يحيى بن عبد الحميد قال: كان السري بن عبد الرحمن يختلف إلى فتيةٍ، فجاء ابن الماجشون فقال: لا أدخل حتى يخرج السري؛ فأخرجته فقال السري:

قبح الله أهل بيت بسلع أخرجوني وأدخلوا الماجشونا

أدخلوا هرةً تلاعب قردا ما نراهم يرون ما يصنعونا

شعر له في أمة وبنتها: أخبرني الحسن قال: حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب قال: أنشدني أبي للسري بن عبد الرحمن في أمة الحميد بنت عبد الله بن عباس وفي ابنتها أمة الواحد:

أمة الحميد وبنتها ظبيان في ظل الأراك

يتتبعان بريره وظلاله فهما كذاك

حذي الجمال عليهما حذو الشراك على الشراك

يتمنى أن يكون مؤذناً ليرى ما في السطوح: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني محمد بن الحسن بن مسعود الزرقي قال: حدثني يحيى بن عثمان بن أبي قباحة الزهري قال: أنشدني أبو غسان صالح بن العباس بن محمد -وهو إذ ذاك على المدينة- للسري بن عبد الرحمن:

ليتني في المؤذنين نهاراً إنهم يبصرون من في السطوح

فيشيرون أو يشار إليهم حبذا كل ذات جيدٍ مليح

قال: فأمر صالحٌ بسد المنابر، فلم يقدر أحدٌ على أن يطلع رأسه حتى عزل صالح.

يعمره عمر بن عمرو بن عثمان أرضاً بقباء: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي، قال: حدثنا عبد الله بن شبيب قال: حدثني زبير بن بكار عن عمه: أن السري بن عبد الرحمن وقف على عمر بن عمرو بن عثمان، وهو جالسٌ على بابه والناس حوله، فأنشأ يقول:

يا بن عثمان يا بن خير قريش أبغني ما يكفني بقباء

ربما بلني نداك وجلى عن جبيني عجاجة الغرماء

فأعمره أرضاً بقباء، وجعلها طعمةً له أيام حياته، فلم تزل في يده حتى مات.

مثل من الولوع بالتغني بشعره: أخبرني وسواسة بن الموصلي، قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عزيز بن طلحة، قال: قال معبد: خرجت من مكة أريد المدينة، فلما كنت قريباً من المنزل أريت بيتاً فعدلت إليه، فإذا فيه أسود عنده حبان من ماء وقد جهدني العطش، فسلمت عليه واستسقيت، فقال: تأخر عافاك الله، فقلت: يا هذا، اسقني بسرعة من الماء فقد كدت أموت عطشاً، فقال: والله لا تذوق منه جرعة ولو مت، فرجعت القهقري، وأنخت راحلتي واستظللت بظلها من الشمس، ثم اندفعت أغني ليبتل لساني:

كفنوني إن مت في درع أروى واستقوا لي من بئر عروة مائي

فإذا أنا بالأسود قد خرج إلي ومعه قدح خيشاني فيه سويق ملت بماء بارد، فقال: هل لك في هذا أرب؟ قلت: قد منعتني ما هو أقل منه: الماء. فقال: اشرب -عافاك الله- ودع عنك ما مضى، فشربت ثم قال: أعد -فديتك- الصوت، فأعدته، فقال: هل لك -بأبي وأمي- أن أحمل لك قربة من ماء، وأمشي بها معك إلى المنزل وتعيد على هذا الصوت حتى أتزود منه، وكلما عطشت سقيتك؟ قلت: افعل، ففعل وسار معي، فما زلت أغنيه إياه، وكلما عطشت استقيته حتى بلغت المنزل عشاء .

صوت

سلب الشباب رداءه عني ويتبعه إزاره

ولقد تحل علي حلته ويعجبني افتخاره

سائل شبابي هل مسك ت بسوءةٍ أو ذل جاره

ما إن ملكت المال إلا كان لي وله خياره

ويروي: هل أسأت مساكه.

الشعر لمسكين الدرامي، والغناء لمقاسة بن ناصح، خفيف رمل بالبنصر عن عمرو.

أخبار مسكين ونسبه

اسمه ونسبه:

مسكين لقبٌ غلب عليه، واسمه ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن زيد بن عبد الله بن عدس بن دارم بن مالك بن زيد مناة بن تميم. وقال أبو عمرو الشيباني: مسكين بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس

زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم.

لماذا لقب مسكيناً؟: قال أبو عمرو: وإنما لقب مسكيناً لقوله:

أنا مسكينٌ لمن أنكرني ولمن يعرفني جد نطق

لا أبيع الناس عرضي إنني لو أبيع الناس عرضي لنفق

وقال أيضاً:

سميت مسكيناً وكانت لجاجةً وإني لمسكين إلى الله راغب

وقال أيضاً:

إن أدع فلست بمنكر وهل ينكرن الشمس ذر شعاعها

لعمرك ما الأسماء إلا علامة منارٌ ومن خير المنار ارتفاعها

شاعر شريف من سادات قومه، هاجي الفرزدق ثم كافه، فكان الفرزدق بعد ذلك في الشدائد التي أفلت منها.

مهاجاته الفرزدق لأنه نقض رثاءه لزياد: حدثني حبيب بن أوس بن نصر المهلبي قال: حدثنا عمر بن شبة عن أبي عبيدة قال: كان زياد قد أرعى مسكيناً الدارمي حمى له بناحية العذيب في عام قحط حتى أخصب الناس وأحيوا، ثم كتب له ببر وتمر وكساه، قال: فلما مات زياد رثاه مسكين، فقال:

رأيت زيادة الإسلام ولت جهاراً حين ودعنا زياد

فعارضه الفرزدق، وكان منحرفاً عن زياد لطلبه إياه وإخافته له، فقال:

أمسكين أبكى الله عينك إنما جرى في ضلال دمعها فتحدرا

بكيت على علج بميسان كافر ككسرى على عدانه أو كقيصرا

أقول له لما أتاني نعيه: به لا بظبي بالصريمة أعفرا

فقال مسكين يجيبه:

ألا أيها المرء الذي لست قاعداً ولا قائماً في القوم إلا نبرى ليا

فجئتني بعم مثل عمي أو أب كمثل أبي أو خال صدق كخاليا

كعمرو بن عمرو أو زرارة ذي الندى أو البشر من كل فرعت الروابيا

قال: فأمسك الفرزدق عنه، فلم يجبه، وتكافأ.

أخبرني ببعض هذا الخبر أبو خليفة عن محمد بن سلام، فذكر نحواً مما ذكره أبو عبيدة وزاد فيه، قال: والبشر خال لمسكين من النمر بن قاسط، وقد فخر به، فقال:

شريحٌ فارس النعمان عمي وخالي البشر بشر بني هلال

وقاتل خاله بأبيه منا سماعة لم يبع حسبا بمال

اتقى الفرزدق هجاءه واتقى هو هجاء الفرزدق: وأخبرني عمي قال: حدثنا الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو، عن أبيه بمثل هذه الحكاية، وزاد فيها، قال: فتكافأ واتقاه الفرزدق أن يعين عليه جريراً، واتقاه مسكين أن يعين عليه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت. ودخل شيوخ بني عبد الله وبني نجاشع، فتكافا.

مهاجاته الفرزدق من المحن التي أفلت منها الفرزدق: وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة عن أبي عمرو قال: قال الفرزدق.

نجوت من ثلاثة أشياء لا أخاف بعدها شيئاً: نجوت من زياد حين طلبني، ونجوت من ابني رميلة وقد نذرا دمي وما فلتهما أحد طلباه قط، ونجوت من مهاجاة مسكين الدارمي؛ لأنه لو هجاني اضطرني أن أهدم شطر حسبي وفخري، لأنه من بحبوحة نسبي وأشراف عشيرتي، فكان جرير حينئذ ينتصف مني بيدي ولساني.

شعره في الغيرة أشعر ما قيل فيها: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني محمود بن داود عن أبي عكرمة عامر بن عمران عن مسعود بن بشر عن أبي عبيدة أنه سمعه يقول: أشعر ما قيل في الغيرة قول مسكين الدارمي:

ألا أيها الغائر المستشيط فيم تغار إذا لم تغر؟

فما خير عرس إذا خفتها وما خير عرس إذا لم تزر؟

تغار على الناس أن ينظروا وهل يفتن الصالحات النظر؟

وإني سأخلي لها بيتها فتحفظ لي نفسها أو تذر

إذا الله لم يعطني حبها فلن يعطي الحب سوطٌ ممر

يأبى معاوية أن يفرض له: ثم يعود فيجيبه إلى طلبه: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال: حدثني عبد الله بن مالك الخزاعي قال: حدثني عبد الله بن بشير قال: أخبرني أيوب بن أبي أيوب السعدي قال:

لما قدم مسكين الدارمي على معاوية فسأله أن يفرض له فأبى عليه، وكان لا يفرض إلا لليمن، فخرج من عنده مسكين وهو يقول:

أخاك أخاك إن من لا أخا له كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح

وإن ابن عم المرء فأعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح؟

وما طالب الحاجات إلا مغرر وما نال شيئاً طالب كنجاح

قال السعدي: فلم يزل معاوية كذلك حتى غزت اليمن وكثرت، وضعضعت عدنان، فبلغ معاوية أن رجلاً من أهل اليمن قال يوماً: لهممت ألا أدع بالشأم أحداً من مضر، بل هممت ألا أحل حبوتي حتى أخرج كل نزاري بالشأم، فبلغت معاوية، ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس سوى خندق، وقدم على تفئية ذلك عطارد

بن حاجب على معاوية، فقال له: ما فعل الفتى الدارمي الصبيح الوجه الفصيح اللسان؟ يعني مسكيناً، فقال: صالح: يا أمير المؤمنين، فقال: أعلمه أني فرضت له من شرف العطاء وهو في بلاده؛ فإن شاء أن يقيم بها أو عندنا فليفعل، فإن عطاءه سيأتيه، وبشره أني فرضت لأربعة آلاف من قومه من خندق؛ قال: وكان معاوية بعد ذلك يغزي اليمن في البحر، ويغزي قيساً في البر، فقال شاعر اليمن:

ألا أيها القوم الذين تجمعوا ... بعكا أناسٌ أنتم أم أباعر؟

أتترك قيسٌ آمنين بدارهم ... ونركب ظهر البحر والبحر زاخر؟

فوالله ما أدري وإني لسائل ... أهمدان يحمى ضيمها أم يحابر؟

أم الشرف الأعلى من أولاد حمير ... بنو مالك إذ تستمر المرائر

أأوصى أبوهم بينهم أن تواصلوا ... وأوصى أبوكم بينكم أن تدابروا

قال، ويقال: إن النجاشي قال هذه الأبيات.

أخبرني بذلك عبد الله بن أحمد بن الحارث العدوي عن محمد بن عائذ عن الوليد بن مسلم عن إسماعيل بن عياش وغيره، قالوا: فلما بلغت هذه الأبيات معاوية بعث إلى اليمن فاعتذر إليهم، وقال: ما أغزيتكم البحر إلا لأني أتيمن بكم، وأن في قيس نكداً وأخلاقاً لا يحتملها الثغر، وأنا عارف بطاعتكم. ونصحكم. فأما إذ قد ظننتم غير ذلك فأنا أجمع فيه بينكم وبين قيس فتكونون جميعاً فيه وأجعل الغزو فيه عقباً بينكم، فرضوا فعل ذلك فيما بعد.

بشر بن مروان يتمثل بشعر له: حدثني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال: حدثني مصعب بن عبد الله قال: وحدثنيه زبير عن عمه قال: كان أصاغر ولد مروان في حجر ابنه عبد العزيز بن مروان، فكتب عبد العزيز إلى بشر كتاباً، وهو يومئذ على العراق، فورد عليه وهو ثمل، وكان فيه كلام أحفظه، فأمر بشر كاتبه فأجاب عبد العزيز جواباً قبيحاً، فلما ورد عليه علم أنه كتبه وهو سكران، فجفاه وقطع مكاتبته زماناً. وبلغ بشراً عتبه عليه، فكتب إليه: لولا الهفوة لم أحتج إلى العذر، ولم يكن لك في قبوله مني الفضل. ولو احتمل الكتاب أكثر مما ضمنته لزدت فيه، وبقية الأكابر على الأصاغر من شيم الأكارم. ولقد أحسن مسكينٌ الدارمي حين يقول:

أخاك أخاك إن من لا أخا له ... كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح

وإن ابن عم المرء فأعلم جناحه ... وهل ينهض البازي بغير جناح !

قال: فلما وصل كتابه إلى عبد العزيز دمعت عينه، وقال: إن أخي كان منتشياً ولولا ذلك لما جرى منه ما جرى، فسلوا عمن شهد ذلك المجلس؛ فسئل عنهم، فأخبر بهم، فقبل عذره، وأقسم عليه ألا يعاشر أحداً من ندمانه الذين حضروا ذلك المجلس، وأن يعزل كاتبه عن كتابته، ففعل.

مهاجاته الفرزدق من المحن التي نجا الفرزدق منها: أخبرني محمد بن الحسين الكندي خطيب القادسية قال: حدثنا

عمر بن شبة عن أبي عبيدة عن أبي عمرو قال: كان الفرزدق يقول: نجوت من ثلاث أرجو ألا يصيبني بعدهن شر: نجوت من زياد حين طلبني وما فاته مطلوب قط، ونجوت من ضربة رئاب بن رميلة أبي البذال فلم يقع في رأسي، ونجوت من مهاجاة مسكين الدارمي. ولو هاجيته لحال بيني وبين بني عمي، وقطع لساني عن الشعراء.

يخطب فتاة فتأباه، ويمر بها وهي مع روجها، فيقول في ذلك شعراً: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أبو العيناء عن الأصمعي قال:

خطب مسكينٌ بن خلف فتاةً من قومه فكرهته لسواد لونه وقلة ماله، وتزوجت بعده رجلاً من قومه ذا يسار ليس له مثل نسب مسكين، فمر بهما مسكين ذات يوم، وتلك المرأة جالسة مع زوجها، فقال:

أنا مسكين لمن يعرفني ... لوني السمرة ألوان العرب

من رأى ظبياً عليه لؤلؤ ... واضح الخدين مقروناً بضب

أكسبته الورق البيض أباً ... ولقد كان وما يدعى لأب

رب مهزولٍ سمينٌ بيته ... وسمين البيت مهزول النسب

أصبحت ترزق من شحم الذرا ... وتخال اللؤم دراً ينتهب

لا تلمها إنها من نسوة ... صخبات ملحها فوق الركب

كشموس الخيل يبدو شغبها ... كلما قيل لها هالٌ وهب

يأمره يزيد أن يرشحه للخلافة في أبيات وينشدها في مجلس أبيه: أخبرني محمد بن مزيد قال: حدثني حماد بن إسحاق الموصلي قال: حدثني أبي عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش قال: كان يزيد بن معاوية يؤثر مسكيناً الدارمي، ويصله ويقوم بحوائجه عند أبيه، فلما أراد معاوية البيعة ليزيد تهيب ذلك وخاف ألا يمالئه عليه الناس، لحسن البقية فيهم، وكثرة من يرشح للخلافة، وبلغه في ذلك ذرء وكلام كرهه من سعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر، فأمر يزيد مسكيناً أن يقول أبياتاً وينشدها معاوية في مجلسه إذا كان حافلاً وحضره وجوه بني أمية، فلما اتفق ذلك دخل مسكين إليه، وهو جالس وابنه يزيد عن يمينه وبنو أمية حواليه وأشراف الناس في مجلسه، فمثل بين يديه وأنشأ يقول:

إن أدع مسكيناً فإني ابن معشر ... من الناس أحمي عنهم وأذود

إليك أمير المؤمنين رحلتها ... تثير القطا ليلاً وهن هجود

وهاجرة ظلت كأن ظباءها ... إذا ما اتقتها بالقرون سجود

صوت

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر ومروان أم ماذا يقول سعيد؟

بني خلفاء الله مهلاً فإنما يبوئها الرحمن حيث يريد

إذا المنبر الغربي خلاه ربه فإن أمير المؤمنين يزيد

-الغناء لمعبد ثقيل أول بالبنصر، عن عمرو بن بانة:

على الطائر الميمون والجد صاعد لكل أناس طائر وجدود

فلا زلت أعلى الناس كعباً ولا تزل وفود تساميها إليك وفود

ولا زال بيت الملك فوقك عالياً تشيد أطناب له وعمود

قدور ابن حرب كالجوابي وتحتها أثاف كأمثال الرئال ركود

فقال له معاوية: ننظر فيما قلت يا مسكين، ونستخير الله. قال: ولم يتكلم أحد من بني أمية في ذلك إلا بالإقرار والموافقة، وذلك الذي أراده يزيد ليعلم ما عندهم، ثم وصله يزيد ووصله معاوية فأجزلا صلته.

يغير مغن للرشيد شطر بيت له، فيعجب الرشيد تغييره: أخبرني محمد بن خلف قال: حدثنا العتري قال: حدثنا أبو معاوية بن سعيد بن سالم قال: قال لي عقيد: غنيت الرشيد:

إذا المنبر الغربي خلاه ربه

ثم فطنت لخطابي، ورأيت وجه الرشيد قد تغير، قال: فتداركتها وقلت:

فإن أمير المحسنين عقيد

فطرب، وقال: أحسنت والله، بحياتي قل:

فإن أمير المؤمنين عقيد

فوالله لأنت أحق بها من يزيد بن معاوية، فتعاظمت ذلك، فحلف لا أغنيه إلا كما أمر، ففعلت، وشرب عليه ثلاثة أرطال، ووصلني صلة سنية.

تمر به امرأة له وهو ينشد من شعره، فتعقب عليه، فيضربها: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي قال: حدثني عمي قال: كانت لمسكين الدارمي امرأة من منقر، وكانت فاركا كثيرة الخصومة والمماظة ، فجازت به يوماً وهو ينشد قوله في نادي قومه:

إن أدع مسكيناً فما قصرت قدري بيوت الحي والجدر

فوقفت عليه تسمع حتى إذا بلغ قوله:

ناري ونار الجار واحدة وإليه قبلي تنزل القدر

فقالت له: صدقت والله، يجلس جارك فيطبخ قدره، فتصطلى بناره، ثم يترلها فيجلس يأكل وأنت بحذائه كالكلب، فإذا شبع أطعمك، أجل ولله، إن القدر لتنزل إليه قبلك، فأعرض عنها، ومر في قصيدته حتى بلغ قوله:

ما ضر جاراً لي أجاوره ألا يكون لبيته ستر

فقلت له: أجل، إن كان له ستر هتكته، فوثب إليها يضربها، وجعل قومه يضحكون منهما وهذه القصيدة من جيد شعره .

صوت

يا فرحتا إذ صرفنا أوجه الإبل نحو الأحبة بالإزعاج والعجل

نحثهن وما يؤتين من دأب لكن للشوق حثا ليس للإبل

الشعر لأبي محمد اليزيدي، والغناء لسليمان، ثقيل أول بالبنصر عن عمرو، والهشامي.

أخبار أبي محمد ونسبه

نسبه: أبو محمد بن يحيى المبارك، أحد بني عدي بن عبد شمس بن زيد مناة بن تميم.

سمعت أبا عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي اليزيدي يذكر ذلك، ويقول: نحن من رهط ذي الرمة.

لم يقال له اليزيدي؟: وقيل: إنهم موالي بني عدي، وقيل لأبي محمد: اليزيدي لأنه كان فيمن خرج مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بالبصرة، ثم توارى زماناً حتى استتر أمره، ثم اتصل بعد ذلك بيزيد بن منصور خال المهدي، فوصله بالرشيد، فلم يزل معه. وأدب المأمون خاصةً من ولده، و لم يزل أبو محمد وأولاده منقطعين إليه وإلى ولده، ولهم فيهم مدائح كثيرة جياد.

مكانته العلمية والأدبية وشيوخه: وكان أبو محمد عالماً باللغة والنحو، راوية للشعر، متصرفاً في علوم العرب.

أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب النحوي وأكابر البصريين، وقرأ القرآن على أبي عمرو بن العلاء، وجود قراءته ورواها عن.، وهي المعول عليها في هذا الوقت. وكان بنوه جميعاً في مثل مترلته من العلم والمعرفة باللغة، وحسن التصرف في علوم العرب. ولسائرهم علمٌ جيد .

من له شعر يتغنى به من أولاده: ونحن نذكر بعد انقضاء أخباره أخبار من كان له شعر وفيه غناء من ولده، إذ كنا قد شرطنا ذكر ما فيه صنعة دون غيره.

فمنهم محمد بن أبي محمد، وإبراهيم بن أبي محمد، وإسماعيل بن أبي محمد. كل هؤلاء ولده لصلبه، ولكلهم شعر جيد.

ومن ولد ولده أحمد بن محمد بن أبي محمد، وهو أكبرهم، وكان شاعراً راوية عالماً.

ومنهم عبيد الله والفضل ابنا محمد بن محمد، وقد رويا عن أكابر أهل اللغة، وحمل عنهما علم كثير. وآخر من كان بقي من علماء أهل هذا البيت أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد، وكان فاضلاً عالماً ثقة فيما يرويه، منقطع القرين في الصدق وشدة التوقي فيما ينقله.

وقد حملنا نحن عنه وكثيرٌ من طلبة العلم ورواته علماً كثيراً، فسمعنا منه سماعاً جماً. فأما ما أذكر ها هنا من أخبارهم فإني أخذته عن أبي عبد الله عن عميه عبيد الله والفضل، وأضفت إليه أشياء أخر يسيرة أخذتها من غيره، فذكرت ذلك في مواضعه، ورويته عن أهله.

يقول في المأمون شعراً وقد ضرب عنق أسيرين فأبان رأسيهما: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي عبيد الله عن عمه إسماعيل بن أبي محمد قال: حدثني أبي قال: كان الرشيد جالساً في مجلسه فأتي بأسير من الروم، فقال لدفافة العبسي: قم فاضرب عنقه، فضربه فنبا سيفه، فقال لابن فليح لندني: قم فاضرب عنقه، فضربه فنبا سيفه أيضاً، فقال: أصلح الله أمير المؤمنين! تقدمتني ضربة عبسية، فقال الرشيد للمأمون، وهو يومئذ غلام: قم -فداك أبوك- فاضرب عنقه، فقام فضرب العلج، فأبان رأسه، ثم دعا بآخر فأمره بضرب عنقه، فضربه فأبان رأسه، ونظر إلي المأمون نظر مستنطق، فقلت:

أبقي دفافة عاراً بعد ضربته ... عند الإمام لعبس آخر الأبد

كذاك أسرته تنبو سيوفهم ... كسيف ورقاء لم يقطع ولم يكد

ما بال سيفك قد خانتك ضربته ... وقد ضربت بسيف غير ذي أود

هلا كضربة عبد الله إذ وقعت ... ففرقت بين رأس العلج والجسد

يحتكم في فضله اثنان فيفضله الحكم على الكسائي فيقول في ذلك شعراً: قال إسماعيل ابن أخت الحسن الحاجب وسعيد والجوهري واقفين، فذكرا أبا محمد -يعني أباه والكسائي- ففضل حمويه الكسائي على أبي محمد، وفضل سعيد الجوهري أبا محمد على الكسائي.

وطال الكلام بينهما إلى أن تراضيا برجل يحكم بينهما، فتراهنا على أن من غلب أخذ برذون صاحبه، فجعلا الحكم بينهما أبا صفوان الأحوزي، فلما دخل سألاه فقال لهما: لو ناصح الكسائي نفسه لصار إلى أبي محمد، وتعلم منه كلام العرب، فما رأيت أحداً أعلم منه به، فأخذ الجوهري دابة حمويه. وبلغ أبا محمد اليزيدي هذا الخبر فقال:

يا حمويه اسمع ثناً صادقاً ... فيك وما الصادق كالكاذب

يا جالب الخزي على نفسه ... بعدا وسحقاً لك من جالب

إن فخر الناس بآبائهم ... آتيتهم بالعجب العاجب

قلت وأدغمت أباً خاملاً أنا ابن أخت الحسن الحاجب

يهجو سلم الخاسر: قال إسماعيل: وحدثني أبي قال: كنت ذات يوم جالساً أكتب كتاباً، فنظر فيه سلمٌ الخاسر طويلاً، ثم قال:

أير يحيى أخط من كف يحيى إن يحيى بأيره لخطوط

فقال أبو محمد يحيى:

أم سلم بذاك أعلم شيء إنها تحت أيره لضروط

ولها تارةً إذا ما علاها أزمل من وداقها وأطيط

أم سلم تعلم الشعر سلما حبذا شعر أمك المنقوط

ليت شعري ما بال سلم بن عمرو كاسف البال حين يذكر لوط

لا يصلي عليه فيمن يصلي بل له عند ذكره تثبيط

فقال له سلم: ويحك ما لك خبثت؟ أي شيء دعاك إلى هذا كله؟ فقال أبو محمد: بدأت، فانتصرت، والبادي أظلم.

يطلب سلم الخاسر أن يهجوه على روي سماه، فيفعل، فيغضب سلم: قال أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي حدثني عبيد الله وعمي أبو القاسم عن أبي علي إسماعيل قال: قال لي أبي: قال سلم الخاسر يوماً: يا أبا محمد، قل أبياتاً على قول امرئ القيس:

رب رام من بني ثعل

ولا أبالي أن تهجوني فيها، فقلت:

رب مغموم بعافية غمط النعماء من أشره

موردٌ أمراً يسر به فرأى المكروه في صدره

وامرئٍ طالت سلامته فرماه الدهر من غيره

بسهام غير مشوية نقضت منه عرا مرره

وكذاك الدهر مختلف بالفتى حالين من عصره

يخلط العسرى بميسرة ويسار المرء في عسره

عق سلم أمة سفها وأبا سلم على كبره

كل يوم خلفه رجل رامح يسعى على أثره

يولج الغرمول سبته كولوج الضب في حجره

فانصرف سلم وهو يشتمه ويقول: ما يحل لأحد أن يكلمك يطلب شاعر أن ينظم على قافية معينة فيهجوه فيما نظم: قال: وقال لي يوماً أبو حنش الشاعر: يا أبا محمد، قل أبياتاً قافيتها على هاءين، فقلت له: على أن أهجوك فيها، فقال نعم، فقلت:

قلت ونفسي جم تأوهها تصبو إلى إلفها وأندهها
سقيا لصنعاء لا أرى بلداً أوطنه الموطنون يشبهها
حصنا ولا كبهجتها أعذى بلادٍ عذا وأنزهها
يعرف صنعاء من أقام بها أرغد أرض عيشا وأرفهها
أبلغ حضيراً عني أبا حنش عائرةً نجوه أوجهها
تأتيه مثل السهام عامدة عليه مشهورةً أدهدهها
كنيته طرح نون كنيته إذا تهجيتها ستفقهها

يريد إسقاط النون من أب حنش حتى يكون أبا حس .

يقول شعراً في يونس بن الربيع وكان وسيماً: قال أبو عبد الله: وحدثني عمي قال: حدثني الطلحي -وكان له علم وأدب- قال: اجتمعت مع أبي محمد عند يونس بن الربيع، وكان قد دعانا، فأقمنا عنده، فاتفق مجلسي إلى جنب مجلس أبي محمد، فقام يونس لحاجته، وكان جميلاً وسيماً، فالتفت إلى اليزيدي فقال:

وفتى كالقناة في الطرف منه إن تأملت طرفه استرخاء
فإذا الرامح المشيح تلاه وضع الرمح منه حيث يشاء

يهجو قتيبة الخراساني لأنه كان يسأله كالمتعنت: قال: وحدثني عمي عن عمه إسماعيل عن أبي محمد قال: كان قتيبة الخراساني عيسى بن عمر يأتيني، فيسألني عن مسائل كالمتعنت، فإذا أجبته عنها انصرف منكسراً، وكان أفطس، فقلت له يوماً:

أمخبري أنت يا قتيبة عن أنفك أم أنت كاتمٌ خبره؟
بأي جرم وأي ذنب ترى سوت بخديك أنفك البقره
فصيرته كفيشة نبتت في وجه قرد مفضوضة الكمره
قد كان في ذاك شاغل لك عن تفتيش باب العرفان والنكره

وقلت فيه أيضاً:

إذا عافى مليك الناس عبداً فلا عافاك ربك يا قتيبة

طلبت النحو مذ أن كنت طفلاً إلى أن جللتك قبحت شيبه

فما تزداد إلا النقص فيه وأنت لدى الإياب بشر أو به

وكنت كغائب قد غاب حيناً فطال مقامه وأتى بخيبه

يلقن قتيبة غريباً فيه فحش، فيعابي به عيسى بن عمر: قال أبو محمد: كان عيسى بن عمر أعلم الناس بالغريب، فأتاني قتيبة الخراساني هذا، فقال لي: أفدني شيئاً من الغريب أعابي به عيسى بن عمر، فقلت له: أجود المساويك عند العرب الأراك، وأجود الأراك عندهم ما كان متمئراً عجارما جيدا، وقد قال الشاعر:

إذا استكت يوماً بالأراك فلا يكن سواك إلا المتمئر العجارما

يعني الأير. قال: فكتب قتيبة ما قلت له، وكتب البيت، ثم أتى عيسى بن عمر في مجلسه، قال: يا أبا عمر، ما أجود المساويك عند العرب؟ فقال: الأراك، يرحمك الله. فقال له قتيبة: أفلا أهدي إليك منه شيئاً متمئراً عجارما؟ فقال: أهده إلى نفسك. وغضب، وضحك كل من كان في مجلسه، وبقي قتيبة متحيراً، فعلم عيسى أنه قد وقع عليه بلاء، فقال له: ويلك! من فضحك وسخر منك بهذه المسألة؟ ومن أهلك ودمر عليك؟ قال: أبو محمد اليزيدي، فضحك عيسى حتى فحص برجله، وقال: هذه والله من مزحاته وبلاياه. أراه عنك منحرفاً، فقد فضحك. فقال قتيبة: لا أعاود مسألته عن شيء.

الخليل يحبه ويجله: حدثني عمي قال: حدثني عبيد الله بن محمد اليزيدي قال: حدثني أخي أبو جعفر قال: سمعت جدي أبا محمد يقول: صرت يوماً إلى الخليل بن أحمد، والمجلس غاص بأهله، فقال لي: ها هنا عندي، فقلت أضيق عليك، فقال: إن الدنيا بحذافيرها تضيق عن متباغضين، وإن شبراً في شبر لا يضيق عن متحابين. قال: وكان الخليل لأبي محمد صافي الود.

يجمع بين الخليل وابن المقفع: حدثنا اليزيدي قال: حدثني عمي عبيد الله قال: حدثني أخي أحمد قال: سمعت جدي أبا محمد يقول: كنت ألقي الخليل بن أحمد، فيقول لي: أحب أن يجمع بيني وبين عبد الله بن المقفع، وألقى ابن المقفع فيقول: أحب أن يجمع بيني وبين الخليل بن أحمد. فجمعت بينهما، فمر لنا أحسن مجلس وأكثره علماً، ثم افترقنا، فلقيت الخليل فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، كيف رأيت صاحبك؟ قال: ما شئت من علم وأدب، إلا أني رأيت كلامه أكثر من علمه، ثم لقيت ابن المقفع فقلت: كيف رأيت صاحبك؟ فقال: ما شئت من علم وأدب، إلا أن عقله أكثر من علمه .

يناظر الكسائي في مجلس المهدي فيغلبه: حدثنا اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله قال: حدثني أخي أحمد بن محمد قال: حدثني أبي محمد بن أبي محمد قال: قال لي أبو محمد: كنا مع المهدي ببلد في شهر رمضان قبل أن يستخلف بأربعة أشهر، وكان الكسائي معنا، فذكر المهدي العربية وعنده شيبة بن الوليد العبسي عم دفافة، فقال المهدي: نبعث إلى اليزيدي والكسائي، وأنا يومئذ مع يزيد بن المنصور خال المهدي، والكسائي مع الحسن الحاجب، فجاءنا الرسول، فجئت أنا، فإذا الكسائي على الباب قد سبقني. فقال: يا أبا محمد، أعوذ بالله من

شرك، فقلت: والله لا تؤتى من قبلي حتى أوتى من قبلك.
فلما دخلنا عليه أقبل علي، وقال: كيف نسبوا إلى البحرين فقالوا: بحرانيٌ، ونسبوا إلى الحصنين فقالوا: حصني و لم يقولوا حصناني. كما قالوا بحراني؟ فقلت: أصلح الله الأمير! لو أنهم نسبوا إلى البحرين فقالوا: بحري لم يعرف أإلي البحرين نسبوا أم إلى البحر؟ فلما جاءوا إلى الحصنين لم يكن موضع آخر يقال له: الحصن ينسب إليه غيرهما فقالوا: حصني.

قال أبو محمد، سمعت الكسائي يقول لعمر بن بزيع -وكان حاضراً- لو سألني الأمير لأخبرته فيها بعلة هي أحسن من هذه. قال أبو محمد: قلت: أصلح الله الأمير، إن هذا يزعم أنك لو سألته لأجاب بأحسن مما أجبت به. قال: فقد سألته: فقال الكسائي: لما نسبوا إلى الحصنين كانت فيه نونان، فقالوا: حصني اجتزاء بإحدى النونين عن الأخرى، و لم يكن في البحرين إلا نون واحدة، فقالوا: بحراني. فقلت: أصلح الله الأمير! فيكف تنسب رجلاً من بني جنان فإنه يلزمه على قياسه أن يقول: جني إن في جنان نونين، فإن قال ذلك فقد سوى بينه وبين المنسوب إلى الجن.
قال: فقال المهدي وله: تناظرا في غير هذا حتى نسمع، فتناظرا في مسائل حفظ فيها قولي وقوله إلى أن قلت له: كيف تقول: إن من خير القوم أو خيرهم نيةً زيد؟ قال: فأطال الفكر لا يجيب. فقلت: لأن تجيب فتخطئ فتتعلم أحسن من هذه الإطالة. فقال: إن من خير القوم أو خيرهم نيةً زيداً. قال: فقلت: أصلح الله الأمير، ما رضي أن يلحن حتى لحن وأحال. قال: وكيف؟ قلت: لرفعه قبل أن يأتي باسم إن، ونصبه بعد رفعه.
فقال شيبة بن الوليد: أراد بأو -بل، فرفع هذا معنى. فقال الكسائي: ما أردت غير ذلك فقلت: فقد أخطأ جميعاً أيها الأمير. لو أراد بأو -بل رفع زيداً؛ لأنه لا يكون بل خيرهم زيداً، فقال المهدي: يا كسائي، لقد دخلت علي مع مسلمة النحوي وغيره، فما رأيت كما أصابك اليوم. قال: ثم قال: هذان عالمان، ولا يقضي بينهما إلا أعرابي فصيح يلقى عليه المسائل التي اختلفا فيها فيجيب. قال: فبعث إلى فصيح من فصحاء الأعراب. قال أبو محمد، وأطرقت إلى أن يأتي الأعرابي، وكان المهدي محباً لأخواله، ومنصور بن يزيد بن منصور حاضر، فقلت: أصلح الله الأمير! كيف ينشد هذا البيت الذي جاء في هذه الأبيات:

يا أيها السائلي لأخبره ... عمن بصنعاء من ذوي الحسب
حمير ساداتها تقر لها ... بالفضل طراً جحاجح العرب
وإن من خيرهم وأكرمهم ... أو خيرهم نية أبو كرب

قال: فقال لي المهدي: كيف تنشده أنت؟ فقلت: أو خيرهم نية أبو كرب على إعادة إن، كأنه قال: أو إن خيرهم نية أبو كرب. فقال الكسائي: هو والله قالها الساعة. قال: فتبسم المهدي، وقال: إنك لتشهد له وما تدري. قال: ثم طلع الأعرابي الذي بعث إليه فألقيت عليه المسائل، فأجاب فيها كلها بقولي، فاستفزني السرور

حتى ضربت بقلنسيتي الأرض، وقلت: أنا أبو محمد. قال لي شيبة: أتتكني باسم الأمير؟ فقال المهدي: والله ما أراد بذلك مكروهاً، ولكنه فعل ما فعل للظفر، وقد -لعمري- ظفر. فقلت: إن الله -عز وجل- أنطقك أيها الأمير بما أنت أهله، وأنطق غيرك بما هو أهله.

يتهدده شيبة بن الوليد فيهجوه في رقاع دسها في الدواوين: قال: فلما خرجنا قال لي شيبة: أتخطئني بين يدي الأمير؟ أما لتعلمن! قلت: قد سمعت ما قلت، وأرجو أن تجد غبها، ثم لم أصبح حتى كتبت رقاعاً عدة، فلم أدع ديواناً إلا دسست إليه رقعة فيها أبيات قلتها فيه، فأصبح الناس يتناشدونها، وهي:

عش بجد ولا يضرك نوك ... إنما عيش من ترى بالجدود

عش بجد وكن هبنقه القيسي ... نوكا أو شيبة بن الوليد

شيب يا شيب يا جدي بني القعقاع ... ما أنت بالحليم الرشيد

لا ولا فيك خلةٌ من خلال ... الخير أحرزتها لحزم وجود

غير ما أنك المجيد لتقطيع ... غناءٍ وضرب دف وعود

فعلى ذا وذاك يحتمل الدهر ... مجيداً له وغير مجيد

يهجو خلفا الأحمر: قال: وقال أبو محمد اليزيدي يهجو خلفا الأحمر أستاذ الكسائي، أنشدنيه عمي الفضل:

زعم الأحمر المقيت علي ... والذي أمه تقر بمقته

أنه علم الكسائي نحواً ... فلئن كان ذا كذاك فباسته

يأمر له الرشيد بمال، ويستعين الغساني على تعجيله فلا يعينه: وبهذا الإسناد عن أبي محمد قال: أمر لي الرشيد بمال وحضر شخوصه إلى السن ، فأتيت عاصما الغساني -وكان أثيراً عند يحيى بن خالد- فقلت له: إن أمير المؤمنين قد أمر لي بمال، وقد حضر من شخوصه ما قد علمت، فأحب أن تذكر أبا علي يحيى بن خالد أمره ليعجله إلي. فقال: نعم، ثم عدت بعد ذلك بيومين، فقال لي يتفخم في لفظه: ما أصبت بحاجتك موضعاً. قال: قلت فاجعلها منك -أكرمك الله- ببال.

فلما خرجت لحقني بعض من كان في المجلس، فقال لي: يا أبا محمد، إني لأربأ بك أن تأتي هذا الكلب أو تسأله حاجة، قلت: وكيف؟ قال: سمعته يقول -وقد وليت- لو أن بيدي دجلة والفرات ما سقيت هذا منهما شربة، فقيل له: ولم ذاك -أصلحك الله- فإن له قدراً وعلماً؟ قال: لأنه من مضر، وما رأيت مضرياً قط يحب اليمانية. قال: فأحببت ألا أعجل، فعدت إليه من غد فقلت: هل كان منك -أكرمك الله- في الحاجة شيء؟ فقال: والله لكأنك تطلبنا بدين فتحقق عندي ما بلغني عنه، فقلت له: لا قضى الله هذه الحاجة على يدك، ولا قضى لي حاجة أبداً إن سألتكها، والله لا سلمت عليك مبتدئاً أبداً، ولا رددت عليك السلام إن بدأتني به. ونفضت ثوبي

وخرجت.

يستعين بجعفر بن يحيى على تعجيل المال فيعينه: فإني لأسير وأفكر في الحيلة لحاجتي إذا براكب يركض حتى لحقني، فقال: بعثني إليك أبو علي يحيى بن خالد لتقف حتى يلحقك، فرجعت مع رسوله إليه فلقيته، وكان قريباً، فسلمت عليه ثم سايرته، فقال لي: إن أمير المؤمنين أمرني أن آمرك بطلب مؤدب لابنه صالح، فإني أحدثك حديثاً حدثني به أبي خالد بن برمك: أن الحجاج بن يوسف أراد مؤدباً لولده، فقيل له: ها هنا رجل نصراني عالم، ها هنا مسلم ليس علمه كعلم النصراني، قال: ادعوا لي المسلم.

فلما أتاه قال: ألا ترى يا هذا أنا قد دللنا على نصراني قد ذكروا أنه أعلم منك، غير أني كرهت أن أضم إلى ولدي من لا ينبههم للصلاة عند وقتها، ولا يدلهم على شرائع الإسلام ومعالمه؟ وأنت -إن كان لك عقل- قادر على أن تتعلم في اليوم ما يعلمه أولادي في جمعه، وفي الجمعة ما يعلمهم في الشهر، وفي الشهر ما يعلمهم في سنة. ثم قال لي يحيى: فينبغي يا أبا محمد أن نؤثر الدين على ما سواه، فقلت له: قد أصبت من أرضاه، وذكرت له الحسن بن المسور، فضمه إليه ثم سألني: من أين أقبلت؟ فأخبرته بخبر عاصم وما كان منه، فقلت له: قد حضر هذا المسير، ولست أدري من أي وجه أتقاضاه؟ فضحك وقال: و لم لا تدري؟ الق صديقك جعفراً، يعني ابنه، حتى يكلم أمير المؤمنين أو يذكرني حاجتك، فقد تركته على المضي الساعة، فانثنيت إلى جعفر وقلت له في طريقي:

يا سائلي عما أخبره ... عن جعفر كرماً وعن شيمه

إن ابن يحيى جعفراً رجل ... سيط السماح بلحمه ودمه

فعليه" لا" أبداً محرمةٌ ... وكلامه وقف على نعمه

وترى مسابقه ليدركه ... بمكان حذو النعل من قدمه

فلما دخلت إليه أخبرته الخبر، وأنشدته الأبيات، وأعلمته ما أمرني به أبوه، فقال لي: قل بيتين تذكره فيهما إلى أن أجدد طهرا واكتبهما حتى يكونا معي، فأذكر بهما حاجتك، فقلت: نعم يا سيدي، وأخذت الدواة وكتبت:

أحق من أنجز موعوده ... خليفة الله على خلقه

ومن له إرث نبي الهدى ... بالحق لا يدفع عن حقه

ينسب في الهدي إلى هديه ... براً وفي الصدق إلى صدقه

ومن له الطاعة مفروضة ... لائحة بالوحي في رقه

والراتق الفتق العظيم الذي ... لا يقدر الناس على رتقه

يهجو الغساني لأنه لم يعنه على تعجيل المال: قال: فأخذ الشعر، ومضى إلى الرشيد في حاجتي وأقرأه إياه، فصك إلي بالمال عليه، وقبضته بعد ذلك بيوم، وأنشأت أقول في الغساني:

ألا طرقت أسماء أم أنت حالم؟ فأهلاً بطيف زار والليل عاتم
إذا قيل أي الناس أعظم جفوة وألآم قيل الجرمقاني عاصم
دعي أجاءته إلى اللؤم دعوة ومغرس سوء لؤمه متقادم
شهيدي على أن ليس حراً صليبةً صفيحة وجه ابن استها واللهازم
صفيحة دقاق أبوه شبيهه وجداه سماك لئيم وحاجم
أعاصم خل المكرمات لأهلها وأغض على لؤم ووجهك سالم
فكيف تنال الدهر مجداً وسوددا وفي كل يوم كوكبٌ لك ناجم؟
وأصلك مدخول وفسقك ظاهر وعجبك مهموز وعردك عارم
تصانع غساناً لتلحق فيهم ورب دعي ألحقته الدراهم

فإن راب ريب أو أصابتك شدة رجعت إلى شلتى وأنفك راغم

-قال: وكان اسم ابنه شلثي، فصيره صلتا -

إذا عاصماً يوماً أتيت لحاجة فلا تلقه إلا وأيرك قائم
وعرض له من قبل ذاك بأمردٍ وضيء وسيم أثقلته المآكم
وإلا فلا تسأله ما عشت حاجة ولا تبكه إن أعولته المآتم

يستعينه الغساني على رد ضيعة له قبضت فيعينه: قال: فلما حدث بيني وبين برمك ما حدث قبضت ضيعته في المقبوض من ضياع أسبابهم، فصار إلي وكلمني في أمرها، وسألني كلام الجوهري في ذلك، فقمت له حتى ردت الضيعة عليه، فجاءني يشكرني، ويعتذر مما جرى من فعله المتقدم، فقلت له: تناس ما مضى، فلست ممن يكافئ على سوءٍ أحداً.

يتهمه أبو عبيدة بذكر مساوئ الناس في المسجد فيهجوه: قال أبو محمد: كان أبو عبيدة يجلس في مسجد البصرة إلى سارية، وكنت أنا وخلفٌ الأحمر نجلس جميعاً إلى أخرى، وكان أبو عبيدة من أعضه الناس للناس وأذكرهم لمثالبهم، فقال لأصحابه: أترون الأحمر واليزيدي إنما يجتمعان على الوقيعة للناس وذكر مساويهم؟ وبلغني ذلك وأنه قد رمانا بمذهبه، فقلت لخلف: دعه، فأنا أكفيكه. فلما كان من الأذان جئت أنا وخلفٌ إلى المسجد، فكتبت على الجص في الموضع الذي كان يجلس فيه أبو عبيدة:

صلى الإله على لوط وشيعته أبا عبيدة قل بالله آمينا

قال: وأصبح الناس، وجاء أبو عبيدة، فجلس وهو لا يعلم ما فوق رأسه مكتوباً وأقبل الناس ينظرون إلى البيت ويضحكون، ورفع أبو عبيدة رأسه ونظر إليه، فخجل، و لم يزل منكسا رأسه حتى انصرف الناس وأنا وخلف ناحيةً ننظر إلى ما به، ثم قمنا حتى وقفنا عليه، فقلنا له: ما قال صاحب هذا البيت إلا حقاً، نعم فصلى الله على لوط، فأقبل علي وقال: قد علمت من أين أتيت، ولن أعاود التعرض لتلك الجهة، و لم يعد لذكرنا بعد ذلك.

يجفوه يزيد بن المنصور فيعاتبه فيعتبه: وقال أبو محمد: اعتللت علة من حمى ربع طالت علي أشهرا، فجفاني يزيد بن منصور، و لم يمر بي في علتي، و لم يتفقدني كما ينبغي؛ فكتبت رقعة إليه ضمنتها هذه الأبيات:

قل للأمير الذي يرجو نوافله ... من جاء طالباً للخير منتاباً

إني صحبتك دهراً كل ذاك أرى ... من دون خيرك حجاباً وأبواباً

وكم ضريكٍ أجاءته شقاوته ... إليك إذا أنشبت ضراؤها نابا

فما فتحت له باباً لميسرة ... ولا سددت له من فاقة بابا

كغائب شاهدٌ يخفى عليك كما ... من غاب عنك فوافى حظه غابا

فلما قرأها قال: جفونا أبا محمد؛ وأحوجناه إلى استبطائنا. والله المستعان، وبعث إليه بصلة.

يعبث به خلف الأحمر في قصيدة نسبه فيها إلى اللواط: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أبو دلف قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن الفهم، وكان من أصحاب الأصمعي، قال: كان خلف الأحمر يعبث بأبي محمد اليزيدي عبثاً شديداً، وربما جد فيه وأخرجه مخرج المزح، فقال فيه ينسبه إلى اللواط:

إني ومن وسج المطي له ... حدب الذرى أذاقها رجف

يطرحن بالبيد السحال إذا ... حث النجاء الركب وازدهفوا

والمحرمين لصوتهم زجل ... بفناء كعبته إذا هتفوا

وإذا قطعن مساف مهمهة ... قذف تعرض دونها شرف

وافت بهم خوص محزمة ... مثل القسي ضوامرٌ شسف

مني إليه غير ذي كذب ... ما إن رأى قوم ولا عرفوا

في غابر الناس الذين بقوا ... والفرط الماضين إذ سلفوا

أحداً كيحيى في الطعان إذا اف ... ترش القنا وتضعضع الحجف

في معرك يلقى الكمي به ... للوجه منبطحاً وينحرف

وإذا أكب القرن ينبعه ... طعناً دوين صلاه ينخسف

لله درك أي ذي نزلٍ ... في الحرب إذ هموا وإذ وقفوا
لا تخطئ الوجعاء ألته ... ولا تصد إذا هم زحفوا
وله جياد لا يفرطها ال ... إحلال والمضمار والعلف

جرد يهان لها السويق وأل ... بان اللقاح كأنها نزف
مرد وأطفال تخالهم ... درا تطابق فوقه الصدف
فهم لديه يعكفون به ... والمرء منه اللين واللطف
ومتى يشا يجنب له جذع ... نهدٌ أسيل الخد مشترف
يمشي العرضنة تحت فارسه ... عبل الشوى في متنه قطف
ربذٌ إذا عرقت مغابنه ... ذهب السكون وأقبل العنف
فأعد ذاك لسرجه وله ... في كل غادية لها عرف
في حقوه عردٌ تقدمه ... صلعاء في خرطومها قلف
جرداء تشحذ بالبزاق إذا ... دعيت نزال وهب مرتدف
أوفى على قيد الذراع شدي ... د الجلز في يافوخه جوف
خاظٍ ممر متنه ضرم ... لا خانه خور ولا قضف
عرد المجس بمتنه عجر ... في جذره عن فخذه جنف
فلو أن فياضا تأمله ... نادى بجهد الويل يلتهف
وإذا تمسحه لعادته ... ودنا بجهد الطعان فمدعس ثقف
وإذا رأى نفقا ربا ونزا ... حتى يكاد لعابه يكف
لا ناشئا يبقى ولا رجلاً ... فنداً وهذا قلبه كلف
يا ليتني أدري أمنجيتي ... وجناء ناجيةٌ بها شدف
من أن تعلقني حبائله ... أو أن يواري هامتي لجف
ولقد أقول حذار سطوته ... إيهاً إليك توق يا خلف
ولو أن بيتك في ذرا علم ... من دون قلة رأسه شعف

زلقٍ أعاليه وأسفله وعر التنائف بيتها قذف

لخشيت عردك أن يبيتني أن لم يكن لي عنه منصرف

أعرابي يعلق على بيت من هذه الفائية: قال الأصمعي: فحدثني شيخ من آل أبي سفيان بن العلاء أخي أبي عمرو بن العلاء قال: أنشدت قصيدة خلف الفائية هذه و أعرابي جالس يسمع، فلما سمع قوله:

فإذا أكب القرن أتبعه طعناً دوين صلاه ينخسف

قال الأعرابي: وأبيك لقد أحب أن يضعه في حاق مقيل ضرطته.

يشغب في مجلس ضم خلفا الأحمر، ليهجوه خلف فيغضب: أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثني ابن الفهم قال: حدثني الأصمعي قال: كنت مع خلفٍ جالساً، فجرى كلام في شيء من اللغة، وتكلم فيه أبو محمد اليزيدي وجعل يشغب، فقال لي خلفٌ: دعني من هذا يا أبا محمد، وأخبرني من الذي يقول:

فإذا انتشأت فإنني رب الحريبة والرميح

وإذا صحوت فإنني رب الدوية واللويح

يعرض به أنه معلم، وأنه يلوط، فغضب اليزيدي، وقام فانصرف.

يهجو مواليه بني عدي لقعودهم عنه وقد استنهضهم: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني طلحة الخزاعي قال: حدثني أبو سعيد عثمان بن يوسف الحنفي قال: غاضب أبو محمد اليزيدي مواليه بني عدي رهط ذي الرمة من بني تميم لأمر استنهضهم فيه، فقعدوا عنه، فقال يهجوهم:

يأيها السائل عن قومنا لما رأى بزة أحبارهم

وحسن سمت منهم ظاهراً إعلانهم ليس كإسرارهم

سائل بهم أحمر أو غيره ينبيك عن قومي وأخبارهم

قوم كرام ما عدا أنهم صولتهم منهم على جيرانهم

أسد على الجيران أعداؤهم آمنة تخطر في دارهم

لو جاءهم مقتبساً جارهم ما قبسوه الدهر من نارهم

وقد وترناهم فلم نخش من ينهض في سيره أو ثارهم

أحسن قوم لمواليهم إن أيسروا يوماً لأيسارهم

شهادة الزور لهم عادة حقاً بها قيمة أخبارهم

وما لهم مجد سوى مسجد به تعدوا فوق أطوارهم

لو هدم المسجد لم يعرفوا يوماً ولم يسمع بأخبارهم

يهنئ الرشيد ويمدح المأمون لتوقفه في أول خطبة له:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: أخبرني عمي عبيد الله قال: حدثني عمي إسماعيل وأخي أحمد قالا: لما بلغ المأمون وصار في حد الرجال أمرنا الرشيد أن نعمل له خطبة يقوم بها يوم الجمعة، فعملنا له خطبته المشهورة. وكان جهير الصوت حسن اللهجة، فلما خطب بها رقت قلوب الناس، وأبكى من سمعه، فقال أبو محمد اليزيدي:

لتهن أمير المؤمنين كرامةٌ عليه بها شكر الإله وجوب

بأن ولي العهد مأمون هاشم بدا فضله إذ قام وهو خطيب

ولما رماه الناس من كل جانب بأبصارهم والعود منه صليب

رماهم بقول أنصتوا عجباً له وفي دونه للسامعين عجيب

ولما وعت آذانهم ما أتى به أنابت ورقت عند ذاك قلوب

فأبكى عيون الناس أبلغ واعظ أغر بطاحي النجار نجيب

مهيب عليه للوقار سكينة جريء جنانٍ لا أكع هيوب

ولا واجبٌ فوق المنابر قلبه إذا ما اعترى قلب النجيب وجيب

إذا ما علا المأمون أعواد منبر فليس له في العالمين ضريب

تصدع عنه الناس وهو حديثهم تحدث عنه نازح وقريب

شبيه أمير المؤمنين حزامةً إذا وردت يوماً عليه خطوب

إذا طاب أصل في عروق مشاجه فأغصانه من طيبه ستطيب

فقل لأمير المؤمنين الذي به يقدم عبد الله فهو أديب

كأن لم تغب عن بلدة كان والياً عليها ولا التدبير منك يغيب

تتبع ما يرضيك في كل أمره فسيرته شخص إليك حبيب

، ورثتم بني العباس إرث محمد فليس لحي في التراث نصيب

وإني لأرجو يا بن عم محمد عطاياك والراجيك ليس يخيب

أثبني على المأمون وابني محمداً نوالاً فإياه بذاك تثيب

جناب أمير المؤمنين مبارك لنا ولكل المؤمنين خصيب

لقد عمهم جود الإمام فكلهم له في الذي حازت يداه نصيب

صوت فلما وصلت هذه الأبيات إلى الرشيد أمر لأبي محمد بخمسين ألف درهم، ولابنه محمد بن أبي محمد بمثله.

أخبرني عمي قال: حدثنا الفضل بن محمد اليزيدي قال: حدثني أخي أحمد عن أبيه قال: أستأذن أبو محمد الرشيد وهو بالرقة في الحج، فأذن له، فلما عاد أنشدنا لنفسه:

يا فرحتا إذ صرفنا أوجه الإبل إلى الأحبة بالإزعاج والعجل

نحثهن ولا يؤتين من دأب لكن للشوق حثاً ليس للإبل

يا نائياً قربت منه وساوسه أمسى قرين الهوى والشوق والوجل

إن طال عهدك بالأحباب مغترباً فإن عهدك بالتسهيد لم يطل

أما اشتفى الدهر من حران مختبل صب الفؤاد إلى حران مختبل

عش بالرجاء وأمل قرب دارهم لعل نفسك أن تبقى مع الأمل

أخبار من له شعر فيه صنعة من ولد أبي محمد اليزيدي وولد ولده شعر له غنى فيه: فمنهم محمد بن أبي محمد، ومما يغنى فيه من شعره قوله: صوت

أتيتك عائذاً بك منك لما ضاقت الحيل

وصيرني هواك وبي لحيننني يضرب المثل

فإن سلمت لكم نفسي فما لاقيته جلل

وإن قتل الهوى رجلاً فإني ذلك الرجل

الشعر لمحمد بن أبي محمد اليزيدي، يكنى أبا عبد الله، والغناء لسليم بن سلام، ثقيل أول بالبنصر، وله أيضاً فيه ماخوريٌ.

يمدح سليم بن سلام المغني: وكان سليم صديق محمد بن أبي محمد اليزيدي، كثير العشرة له، وليس في شيء من شعره صنعة إلا له. وله يقول محمد بن أبي محمد اليزيدي: صوت

بأبي أنت يا سليم وأمي ضقت ذرعاً بهجر من لا أسمي

صد عني أقر من خلق الله لعيني فاشتد غمي وهمي

ما احتيالي إن كان في القدر السا بق للحين أن أموت بسقمي؟

الغناء لسليم، خفيف رمل بالوسطى عن عمرو.

ينظر إليه أبو ظبية العكلي فيعجب له:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عبيد الله عن أخيه أبي جعفر عن أبيه محمد بن أبي محمد قال: قال لي أبي: نظر إليك أبو ظبية العكلي -وقد جاءني- فقال لي، وقد أقبلت:

يلد الرجال بنيهم أولادهم ... وولدت أنت أباً من الأولاد

يجيب أبا طبية شعراً وقد كتب إليه شعراً: قال أبو محمد: وكتب أبو ظبية يوماً:

أيحيى لقد زرناك نلتمس الجدا ... وأنت امرؤ يرجى جداه ونائله

وما صنع المعروف في الناس صانع ... فيحمد إلا أنت بالخير فاضله

تخيرك الناس الخليفة لابنه ... وأحكمت منه كل أمر يحاوله

فما ظن ذو ظن من الناس علمه ... كعلمك إلا مخطيء الظن فائله

إليك تناهت غاية الناس كلهم ... إذا اشتبهت عند البصير مسائله

قال أبو محمد: فكتب إليه:

أبا ظبية اسمع ما أقول فخير ما ... يقال إذا ما قيل صدق قائله

إذا شئت فانهد بي إلى من أردته ... وأملت جدواه فإني منازله

فإن يك تقصيرٌ ولا يك عارفاً ... بحقك فاعذله فتكثر عواذله

يتمنى العباس بن الأحنف أن يكون سبقه إلى بيتين له: حدثني أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي عبيد الله قال: حدثني أخي أحمد عن أبي قال: صرت إلى العباس بن الأحنف، فقال لي ما حاجتك؟ قلت: أمرني أخوك وأبي أن أصير إليك وأستفيد منك، فقال لي: أتصير إلي؟ وددت أني سبقتك إلى بيتين قلتهما وأني لم أقل من الشعر شيئاً غيرهما، فدخلني من السرور ما الله به عليم، فقلت وما هما؟ فقال: قولك:

يا بعيد الدار موصو ... لا بقلبي ولساني

ربما باعدك الده ... ر وأدنتك الأماني

لم يسرق من الشعر إلا معنيين لمسلم بن الوليد: حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني بن داود الجراح قال: حدثني أبو القاسم عبيد الله بن محمد اليزيدي قال: حدثني أحمد بن محمد قال: سمعت أبي يقول: ما سرقت من الشعر شيئاً إلا معنيين: قال مسلم بن الوليد:

ذاك ظبي تحير الحسن في الأر ... كان منه وحل كل مكان

عرضت دونه الحجال فما يل ... قاك إلا في النوم أو في الأماني

فقلت:

يا بعيد الدار موصو ... لا بقلبي ولساني

ربما باعدك الده ... ر وأدنتك الأماني

وقال مسلم أيضاً:

متى ما تسمعي بقتيل حب ... أصيب فإنني ذاك القتيل

فقلت أنا:

أتيتك عائذاً بك من ... ك لما ضاقت الحيل

وصيرني هواك وبي ... لحيني يضرب المثل

فإن سلمت لكم نفسي ... فما لاقيته جلل

وإن قتل الهوى رجلاً ... فإني ذلك الرجل

يعتب على صديق له فيجيبه: أخبرني محمد بن العباس قال: حدثني عمي عبيد الله عن اخيه أبي جعفر قال: عتب أبي - يعني محمد بن أبي محمد- على يونس بن الربيع، وكان صديقه فكتب إليه:

سأبكيك حياً لا بكيتك ميتاً ... بأربعة تجري عليك همولاً

وأعفيك من طول اللقاء وإنني ... أرى اليوم لا ألقاك فيه طويلاً

فكيف بصبري عنك لا كيف بعدما ... حللت محلاً في الفؤاد جليلا!

قال، وكتب إليه يونس:

إلى كم قد بليت وليس يبلى ... عتاب منك لي أبداً طويل؟

إذا كثر التجني من خليل ... ولم تذنب فقد ظلم الخليل

يقول في قنفذ شعراً اقترح عليه: أخبرني عمي قال: حدثني الحسن بن الفهم قال: قال لي أبو سمير عبد الله بن أيوب مولى بني أمية: بات عندي ليلةً محمد بن أبي محمد اليزيدي، فظهر لنا قنفذ، فقلت له: قل فيه شيئاً، فأنشأ يقول:

وطارق ليل زارنا بعد هجعة ... من الليل إلا ما تحدث سامر

فقلت لعبد الله ما طارقٌ أتى؟ ... فقال امرؤ سبقت إليه المقادر

قريناه صفو الزاد حين رأيته ... وقد جاء خفاق الحشا وهو سادر

جميل المحيا والرضا فإذا أبى ... حمته من الضيم الرماح الشواجر

ولست تراه واضعاً لسلاحه ... مدى الدهر موتوراً ولا هو واتر

يحجب عن المأمون، فيرسل إليه شعراً، فيأذن له ويجيزه: حدثنا اليزيدي قال: حدثني عمي الفضل قال: حدثني أبو صالح بن يزداد قال: حدثني أبي قال: جاء محمد بن أبي محمد اليزيدي إلى باب المأمون وأنا حاضر، فاستأذن، فقال الحاجب: قد أخذ دواء وأمرني ألا آذن لأحد. قال: فأمرك ألا توصل إليه رقعة؟ قال: لا، فدفع إليه رقعة فيها :

هديتي التحية للإمام ... إمام العدل والملك الهمام
لأني لو بذلت له حياتي ... وما أهوى لقلا للإمام
أراك من الدواء الله نفعا ... وعافيةً تكون إلى تمام
وأعقبك السلامة منه رب ... يريك سلامة في كل عام
أتأذن في السلام بلا كلام ... سوى تقبيل كفك والسلام

قال: فأوصلها، وخرج فأذن له، فدخل وسلم وحملت معه ألفا دينار.

يستحسن المعتصم شعراً اقترحه ليه: حدثني عمي قال: حدثني الفضل اليزيدي قال: حدثني أخي أحمد عن أبي: قال: دخلت إلى المعتصم وهو ولي عهد وقد طلع القمر، فتنفس ثم قال: يا محمد، قل أبياتاً في معنى طلوع القمر، فإنه غاب مدة كما غاب محبوب عن حبيبه ثم طلع، فإن كان كما أحب فلك بيت مائة دينار، فقلت: صوت

هذا شبيه الحبيب قد طلعا ... غاب كما غاب ثم قد لمعا
وما أرى غيره يشاكله ... فأسأله بالله عنه ما صنعا؟
فرق بيني وبينه قدر ... وهو الذي كان بيننا جمعا
فهل له عودة فأرقبها ... كما رأينا شبهه رجعا

فقال: أحسنت وحياتي، ثم قال لعلويه: عن هذه الأبيات -وكان حاضراً- فغنى فيها، وشرب عليها ليلته، وأمر لي بأربعمائة دينار ولعلويه بمثلها.

لحن علويه في هذه الأبيات رمل.

المأمون يحكم له بثلاثة آلاف دينار من مال عبد الله بن طاهر: حدثني عمي قال: حدثنا الفضل بن محمد قال: حدثني أخي عن أبي قال: شكوت إلى المأمون دينا علي، فقال: إن عبد الله بن طاهر اليوم عندي، وأريد الخلوة معه، فإذا علمت فاستدع أن يكون دخولك أو إخراجه إليك، فإني سأحكم لك عليه بمال، فلما علمت أنهم قد جلسوا للشرب صرت إلى الدار، وكتب بهذين البيتين:

يا خير سادات وأصحاب ... هذا الطفيلي على الباب
فصيروا لي معكم مجلساً ... أو أخرجوا لي بعض أصحابي

وبعثت بهما إليه، فلما قرأهما قال: صدق اكتبوا إليه وسلوه أن يختار، فكتب إلي: أما وصولك فلا سبيل إليه، ولكن من تختار لنخرجه إليك فتمضي معه. فكتبت: ما كنت لأختار على أبي العباس أحداً. فقل له المأمون: قم إلى صديقك. فقال: يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تعفيني من ذلك. أتخرجني عما شرفتني به من منادمتك وتبدلني بها منادمة ابن اليزيدي! قال: لا بد من ذلك أو ترضيه. قال: فليحتكم. قال: أخاف أن يشتط أو تقصر أنت، ولكني أحكم فأعدل. قال: قد رضيت. قال: تحمل إليه ثلاثة آلاف دينار معجلة. قال: قد فعلت، فأمر صاحب بيت المال أن يحملها معي، وأمر عبد الله بردها إلى بيت المال.

يعشق جارية ويحرمها فيعوضه المأمون: حدثني الصولي قال: حدثني عون بن محمد قال: كان محمد بن أبي اليزيدي يعشق جارية لسحاب يقال لها عليا ، وكانت من أظرف النساء لساناً وأحسنهن وجهاً وغناء، فأعطي بها ثلاثة آلاف دينار فلم تبع، واشتراها المعتصم بخمسة آلاف دينار، وذلك في خلافة المأمون، وكان علي بن الهيثم جونقا صديقاً لمحمد بن أبي أحمد اليزيدي، فبلغ المأمون الخبر، فدعا محمداً، وقال: ما قصتك مع عليا؟ قال: قد قلت في ذلك أبياتاً، فإن أذن أمير المؤمنين أنشدها قال: هاتها فأنشده:

أشكو إلى الله حبي للعليينا ... وأنني فيهم ألقى الأمرينا

حسبي علياً أمير المؤمنين فقد ... أصبحت حقاً أرى حبي له دينا

وحب خلي وخلصاني أبي حسن ... أعني علياً قريع التغلبيينا

ورقتي لبني لي أصبت به ... وجدي به فوق وجد الآدميينا

ورابع قد رمى قلبي بأسهمه ... فجزت في حبه حد المحبينا

وبعض من لا أسمي قد تملكه ... فرحت عنه بما أعيا المداوينا

أتاه بالدين والدنيا تمكنه ... فلم يدع لي لا دنيا ولا دنيا

قال: فقال المأمون: لولا أنه أبو إسحاق لانتزعتها منه، ولكن هذا ألف دينار فخذه عوضاً، ولقيني المعتصم في الدار فقال لي: يا محمد، قد علمت ما آل أمر فلانة، فلا تذكرها. فقلت السمع والطاعة لأمرك.

ينظم شعراً اقترحه المأمون عليه: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا أبو العباس محمد بن الحسن بن دينار مولى بني هاشم قال: حدثني جعفر بن محمد اليزيدي عن أبيه محمد بن أبي محمد قال: كنت عند المأمون فقال لي: يا محمد، قل شعراً في نحو هذين البيتين:

صحيح يود السقم كيما تعوده ... وإن لم تعده عاد عنها رسولها

ليعلم عل ترتاع عند شكاته ... كما قد يروع المشفقات خليلها؟

قال فقلت:

صحيحٌ ود لو أمسى عليلاً لتكتب أو يرى منكم رسولاً
رآك تسومه الهجران حتى إذا ما اعتل كنت له وصولا
فودضنا الحياة بوصل يوم يكون على هواك له دليلاً
هما موتان موت هوى وهجر وموت الهجر شرهما سبيلاً

قال: فأمر لي بعشرة آلاف درهم.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثني أبو جعفر بن محمد بن أبي محمد اليزيدي. عن أبيه قال: دخلت على المأمون وهو يشرب، وعنده عريب ومحمد بن الحارث بن بسخنر يغنيانه، فقال: أطعموا محمداً شيئاً، فقلت: قد بدأت بذلك في دار أمير المؤمنين، فقال: أما ترى كيف عتق هذا الشراب حتى لم يبق إلا أقله، ما أحسن ما قيل في قديم الشراب؟ فقلت: قول الحكمي:

عتقت حتى لو اتصلت بلسان ناطق وفم
لاحتبت في القوم ماثلة ثم قصت قصة الأمم

فقال: هذا كان في نفسي، ثم قال: اسقوا محمداً رطلين، وأعطوه عشرين ألف درهم، ثم نكت في الأرض ورفع رأسه ثم قال: يا محمد:

إني وأنت رضيعاً قهوة لطفت عنى العيان ودقت عن مدى الفهم
لم نرتضع غير كأس درها ذهبٌ والكأس حرمتها أولى من الرحم

قال: والشعر له قاله في ذلك الوقت.

ومما فيه غناء من شعر محمد بن أبي محمد، أنشدناه محمد بن العباس عن عمه عبيد الله عن أخيه أحمد: صوت

أنت امرؤ متجن ولست بالغضبان
أنت امرؤ لك شأنٌ فيما أرى غير شاني
صرح بما عنه أكني أكف عنك لساني
حسبي أسأت فهلا مننت بالغفران

صوت

يا أحسن الأمة في عيني أما ترحمني!
أما تراني كامداً موكلاً بالحزن
أما ترى فيك مدا راتي لأهل الظنن

أصرف طرفي عنك خو فاً منه أن يفضحني

يراني الله وما ألغى وإن لم ترني

وممن له شعر فيه صنعة من ولد أبي محمد اليزيدي لصلبه إبراهيم:

صوت

لا تلحني إن منحت عشقاً من كان للعشق مستحقاً

ولم يقدم علي خلقاً ولم أقدم عليه خلقاً

يملك رقي ولست أبغي من ملكه ما حييت عتقاً

لم أر فيمن هويت خلقاً أعطف منه ولا أرقاً

الشعر لإبراهيم بن محمد اليزيدي، والغناء لأبي العبيس بن حمدون، خفيف ثقيل مطلق. وفيه لعريب رمل مزموم.

أخبار إبراهيم

خبر له مع عريب وقد نظم شعراً اقترحه عليه: أخبرني عمي قال: حدثني الفضل بن محمد اليزيدي قال: حدثنا أحمد عن عمه إبراهيم قال: كنت مع المأمون في بلد الروم، فبينا أنا في ليلة مظلمة شاتية ذات غيم وريح وإلى جانبي قبة، فبرقت برقةٌ وإذا في القبة عريب. قالت: إبراهيم بن اليزيدي؟ فقلت: لبيك! فقالت: قل في هذا البرق أبياتاً ملاحاً لأغني فيها، فقلت:

ماا بقلبي من أليم الخفق إذا رأيت لمعان البرق

من قبل الأردن أو دمشق لأن من أهوى بذاك الأفق

فارقته وهو أعز الخلق علي والزور خلاف الحق

ذاك الذي يملك مني رقي ولست أبغي ما حييت عتقي

قال: فتنفست نفساً ظننته قد قطع حيازيمها، فقلت: ويحك على من هذا؟ فضحكت ثم قالت: على الوطن.

فقلت: هيهات! ليس هذا كله للوطن، فقالت: ويلك! أفتراك ظننت أنك تستفزني؟ والله لقد نظرت نظرة مريبة في مجلس، فادعاها أكثر من ثلاثين رئيساً، والله ما علم أحد منهم لمن كانت إلى هذا اليوم .

يقيم أياماً بسيحان مع صديق، ويقول هناك شعراً: أخبرني الحسن بن علي فقال: حدثني الفضل بن محمد اليزيدي قال: حدثني أخي عن عمي إبراهيم بن أبي محمد: أنه كان مع المعتصم لما خرج إلى الغزو، قال فكتب في رفقه

فيها فتى من أهل البصرة، ظريف أديب شاعر راوية، فكان لي فيه أنس، وكنا لا تفترق حتى غزونا وعدنا، فعاد إلى البصرة، وكان له بستان حسن بسيحان، فكان أكثر مقامه به، وعزم لي على الشخوص إلى البصرة لحاجة عرضت لي، فكان أكثر نشاطي لها من أجله، فوردتها، ونظرت فيما وردت له، ثم سألت عنه، ومضيت إليه، فكاد أن يستطار بي فرحاً، وأقمت بسيحان معه أياماً، وقلت في بعضها وقد اصطحبنا في بستانه:

يا مسعدي بسيحان فديتكما ... حثا المدامة في أكناف سيحانا

نهر كريم من الفردوس مخرجه ... بذاك خبرنا من كان أنبانا

لا تحسداني رواحاً أو مباكرة ... طيب المسير على سيحان أحياناً

بشط سيحان إنسان كلفت به ... نفسي تقي ذلك الإنسان إنساناً

رياه ريحاننا والكأس معملة ... لا شيء أطيب من رياه ريحانا

حثا شرابكما حتى أرى بكما ... سكراً فإني قد أمسيت سكرانا

ريا الحبيب وكأسٌ من معتقه ... يهيجان لنفس الصب أشجانا

سقيا لسيحان من نهر ومن وطن ... وساكنيه من السكان من كانا

هم الذين عقدنا الود بينهم ... وبيننا وهم في دير مرانا

يدعو ابن أخيه محمداً سعراً إلى مجلس شراب: أخبرني محمد بن العباس قال: حدثني عمي عبيد الله عن جماعة من أهلنا: أن إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي كان يعاشر أبا غسان، مولى منيرة؛ وكانت له جارية مغنية؛ فقال لها جاني؛ فدعاه يوماً أبو غسان وجلسنا للشرب، فقال له: لو دعوت ابن أخيك -يعني محمد بن أبي محمد- لنأنس به فكتب إليه إبراهيم:

يا أكرم الناس طراً ... وأكرم الفتيان

بادر إلينا لكيما ... تسقى سلاف الدنان

على غناء غزال ... مهفهف فتان

اشرب على وجه جان ... شرابك الخسرواني

فما لجانٍ نظير ... وما لها من مدان

إلا الذي هو فرد ... وما له من ثان

أعني الهلال لست ... في شهره وثمان

للناس بدرٌ منير ... يرى بكل مكان

وما لنا غير بدر لدى أبي غسان

ذكراه في كل وقت موصولة بلساني

سبيته وسباني فحبه قد براني

من ثم لست تراني أصبو إلى إنسان

يستصلحه بعض إخوانه بعد جفوة فيقول في ذلك شعراً: أنشدنا أبو عبيد الله اليزيدي عن عمه الفضل لإبراهيم بن أبي محمد اليزيدي في بعض إخوانه، وقد رأى منه جفوة، ثم عاد واستصلحع، فكتب إليه:

من تاه واحدة فته عشرا كي لا يجوز بنفسه القدرا

وإذا زها أحد عليك فكن أزهى عليه ولا تكن غمرا

أرأيت من لم ترج منفعةً منه ولم تحذر له ضرا

لم يستذل وتستذل له بل كن أشد إذا زها كبرا

يعربد في مجلس شراب مع المأمون، ثم يعتذر إليه: حدثني عمي والحسن بن علي قالا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبي عن جعفر بن المأمون قال: دخل إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي على أبي وهو يشرب، فأمره بالجلوس فجلس، وأمر له بشراب فشرب. وزاد في الشراب فسكر وعربد، فأخذ علي بن صالح المصلى بيده، فأخرجه، فلما أصبح كتب إلى أبي:

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو

ثملت فأبدت مني الكأس بعض ما كرهت وما إن يستوي السكر والصحو

ولولا حميا الكأس كان احتمال ما بدهت به لا شك فيه هو السرو

ولا سيما إذ كنت عند خليفة وفي مجلس ما إن يجرز به اللغو

تنصلت من ذنبي تنصل ضارع إلى من لديه يغفر العمد والسهو

فإن تعف عني تليف خطوي واسعاً وإلا يكن عفو فقد قصر الخطو

يحجب عن هارون بن المأمون، فينظم في ذلك شعراً: حدثني عمي قال: حدثنا الفضل بن محمد الزيدي قال: جاء إبراهيم إلى هارون بن المأمون، فصادفه قد خلا هو وجماعة من المعتزلة. فلم يصل إليه وحجب عنه، فكتب إليه:

غلبت عليكم هذه القدريه فعليكم مني السلام تحيه

آتيكم شوقاً فلا ألقاكم وهم لديكم بكرةً وعشيه

هرون قائدهم وقد حفت أشياعه وكفى بتلك بليه
لكن قائدنا الإمام ورأينا ما قد رآه فنحن مأمونيه

يكتب شعراً إلى ابن له أحب غلاماً وأحب الغلام غيره: أخبرني عمي قال: حدثني الفضل قال: كان لعمي إبراهيم ابن يقال له: إسحاق، وكان يألف غلاماً من أولاد الموالي. فلما خرج المعتصم إلى الشام خرج إبراهيم معه، وخرج الغلام الذي يألفه في المعسكر، وعرف إبراهيم أنه قد صحب فتى من فتيان العسكر غير ابنه، فكتب عمي إبراهيم إلى ابنه:

قل لأبي يعقوب إن الذي يعرفه قد فعل الحوبا
كان محباً لك فيما مضى فالآن قد صادف محبوباً
يركب هذا ذا وذا ذا فما ينفك تصعيداً وتصوبياً
فرأس إسحاق فديناه قد أظهر شيئاً كان محجوباً
أرى قروناً قد تجللنه منصوبةً شعبن تشعبياً
أظنه يعجز عن حملها إذ ركبت في الرأس تركيباً
يا رحمتا لابني على ضعفه يحمل منهن أعاجيبا!

يسأله ابن أخ له مزيداً من العناية به فيجيبه شعراً: حدثني عمي قال: حدثني الفضل اليزيدي قال: كتبت إلي عمي إبراهيم أستعين به في حاجة لي، وأستزيده من عنايته بأموري، وأطالبه أن يتوفر نصيبي لديه وفيما أبتغيه منه، فكتب إلي:

فديتك لو لم تكن لي قريباً وكنت امرأ أجنبياً غريباً
مع البر منك وما يستجر به مستخفاً إليك اللبيبا
لما إن جعلت لخلق سوا ك مثل نصيبك مني نصيباً
وكنت المقدم ممن أود وازداد حقك عندي وجوباً
تلطف لما قد تكلمت فيه فما زلت في الحاج شهماً نجيباً
وراوض أبا حسن إن رأي ت واحتل برفقك حتى يجيبا
فإن هو صار إلى ما تريد وإلا استعنت عليه الحبيبا
وما لا يخالف ما تشتهيه لتلفيه غير شك مجيبا
يودك خاقان وداً عجيبا كذاك الأديب يحب الأديبا

وأنت تكافيه بل قد تزيد ... عليه وتجمع فيه ضروبا
تثيب أخاك على الود منه ... وذو اللب يأنف ألا يثيبا
ولا سيما إذ براه الإله ... كالبدر يدعو إليه القلوبا
يرى المتمني له ردفه ... كثيباً وأعلاه يحكي القضيبا
وقد فاق في العلم والفهم منه ... كما تم ملحاً وحسناً وطيبا
ويبلغ فيما يقولون ليس ... يعاف إذا ناولوه القضيبا
ولكنه وافق الزاهدين ... فخاب وقد ظن أن لن يخيبا
وإن ركب المرء فيه هوا ... ه عاث فتطهيره أن يثوبا
إذا زارت الشاة ذئباً طبيباً ... فلا تأمنن على الشاة ذيبا
وعند الطبيب شفاء السقيم ... إذا اعتل يوماً وجاء الطبيبا
ولست ترى فارساً في الأنا ... م إلا وثوبا بجيد الركوبا

شعره وقد زامل المأمون في سفر يحيى بن أكثم ومخنثا: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي عبيد الله قال: وحدثني أخي أحمد قال: زامل المأمون في بعض أسفاره بين يحيى بن أكثم وعبادة المخنث، فقال عمي إبراهيم في ذلك:

وحاكم زامل عباده ... ولم يزل تلك له عاده
لو جاز لي حكم لما جاز أن ... يحكم في قيمة لباده
كم من غلام عز في أهله ... وافت قفاه منه سجاده

يرمي يحيى بن أكثم باللواط: وقال في يحيى أيضاً:

وكنا نرجي أن نرى العدل ظاهراً ... فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها ... وقاضي قضاة المسلمين يلوط!

يتمثل المأمون ببيت من هجائه ليحيى بن أكثم: وأخبرني عمي حدثنا أبو العيناء قال: نظر المأمون إلى يحيى بن أكثم يلحظ خادماً له، فقال للخادم: تعرض له إذا قمت؛ فإني سأقوم للوضوء -وأمره ألا يبرح- وعد إلي بما يقول لك، وقام المأمون، وأمر يحيى بالجلوس. فلما غمزه الخادم بعينه، قال يحيى: "لولا أنتم لكنا مؤمنين" فمضى الخادم إلى المأمون فأخبره، فقال له: عد إليه فقل له: "أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين" فخرج الخادم إليه، فقال له ما أمره به المأمون، فأطرق يحيى وكاد يموت جزعاً، وخرج المأمون وهو يقول:

متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها وقاضي قضاة المسلمين يلوط !

قم وانصرف، واتق الله وأصلح نيتك .

يرتجل في مجلس المأمون بيت ويزيد المأمون بيتاً عليه: حدثنا اليزيدي قال: حدثني ابن عمي إسحاق بن إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي عن أبيه إبراهيم قال: كنت عند المأمون يوماً وبحضرته عريب، فقالت لي على سبيل الولع بي: يا سلعوس، وكان جواري المأمون يلقبني بذلك عبثاً، فقلت لها:

قل لعريب لا تكوني مسلعسه وكوني كتزيف وكوني كمونسه

فقال المأمون:

فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن هنالك شك أن ذا منك وسوسة

قال: فقلت: كذا والله يا أمير المؤمنين أردت أن أقول، وعجبت من ذهن المأمون.

وممن غني في شعره من ولد أبي محمد اليزيدي أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي محمد فمن ذلك: صوت

شوقي إليك على الأيام يزداد والقلب مذ غبت للأحزان معتاد

يا لهف نفسي على دهر فجعت به كأن أيامه في الحسن أعياد

الشعر لأحمد بن محمد بن أبي محمد، والغناء لبحر هزج، وفيه ثاني ثقيل مطلق. ذكر الهشامي أنه لإسحاق، وما أراه أصاب، ولا هو في جامع إسحاق، ولا يشبه صنعته.

طريف من أخباره: وكان أحمد راوية لعلم أهله، فاضلاً أديباً، وكان أسن ولد محمد بن أبي محمد، وكان أخوته جميعاً يأثرون علوم جدهم وعمومتهم عنه، وقد أدرك أبا محمد، وأظن أنه قد روى عنه أيضاً، إلا أني لم أذكر شيئاً من ذلك وقت ذكرى إياه فأحكيه عنه.

يبيت عند ابن المأمون فيكتب إليه عمه شعراً: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا الفضل بن محمد اليزيدي قال: حدثني أخي أبو جعفر قال: كنت عند جعفر بن المأمون مقيماً، فلما أردت الانصراف منعني، فبت عنده، وزارته لما أصبحنا عريب في جواريها؛ وبت فاحتبسها من غد؛ فاستطبت المقام أيضاً فأقمت، فكتب إلي عمي إبراهيم بن محمد اليزيدي:

شردت يا هذا شرود البعير وطالت الغيبة عند الأمير

أقمت يومين وليليهما وثالثاً تحبى ببر كثير

يوم عريب مع إحسانها إن طالت الأيام يوم قصير

لها أغان غير مملولة منها ولا تخلق عند الكرور

غير ملوم يا أبا جعفر أن تؤثر اللهو ويوم السرور

فاجعل لنا منك نصيباً فما إن كنت عن مجلسنا بالنفور
وصر إلينا غير ما صاغر أصارك الرحمن خير المصير
إن لم يكن عندي غناء ولا عود فعندي القمر بالنردشير
والذكر بالعلم الذي قد مضى بأهله حادث صرف الدهور
وهو جديد عندنا نهجه أعلامه تحويه منا الصدور
فالحمد لله على كل ما أولى وأبلى ولربي الشكور

يقترح عليه المعتصم شعراً في غلام وسيم: حدثنا بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي الفضل قال: سمعت أخي أبا جعفر أحمد بن محمد يقول:

دخلت إلى المعتصم يوماً وبين يديه خادم وضيء جميل وسيم، فطلعت عليه الشمس، فما رأيت أحسن منها على وجهه، فقال لي: يا أحمد، قل في هذا الخادم شيئاً، وصف طلوع الشمس عليه وحسنها، فقلت:

قد طلعت شمس على شمس وطاب لي الهوى مع الأنس
وكنت أقلي الشمس فيما مضى فصرت أشتاق إلى الشمس

من شعره في الرد على اعتذار: حدثني اليزيدي قال: حدثني عمي الفضل قال: كتب إلى أخي بعض إخوانه ممن كان يألفه ويديم زيارته، ثم انقطع عنه -يعتذر إليه من تأخره عنه، فكتب إليه:

إني امرؤ أعذر إخواني في تركهم بري وإتياني
لأنه لا لهو عندي ولا لي اليوم جاهٌ عند سلطان
وأكثر الإخوان في دهرنا أصحاب تمييز ورجحان
فمن أتاني منعما مفضلاً فشكره عندي شكران
ومن جفاني لم يكن لومه عندي ولا تعنيفه شاني
أعفو عن السيء من فعلهم وأتبع الحسنى بإحسان
حسب صديقي أنه واثق مني بإسراري وإعلاني

ينشد المأمون شعراً وهو لا يزال غلاماً: حدثني اليزيدي قال: حدثني أبي عن عمي من أبي جعفر أحمد بن محمد قال: دخلت على المأمون وهو في مجلس غاص بأهله -وأنا يومئذ غلام- فاستأذنت في الإنشاد، فأذن، فأنشدته مديحاً لي مدحته به، وكان يستمع للشاعر ما دام في تشبيب أو وصف ضرب من الضروب، حتى بلغ إلى مديحه لم يسمع منه إلا بيتين أو ثلاثة، ثم يقول للمنشد: حسبك ترفعاً، فأنشدته:

يا من شكوت إليه ما ألقاه وبذلت من وجدي له أقصاه
فأجابني بخلاف ما أملته ولربما منع الحريص مناه
أترى جميلاً أن شكا ذو صبوة فهجرته وغضبت من شكواه
يكفيك صمت أو جواب مؤيس إن كنت تكره وصله وهواه
موت المحب سعادة إن كان من يهواه يزعم أن ذاك رضاه

فلما صرت إلى المديح قلت:

أبقى لنا الله الإمام وزاده عزاً إلى العز الذي أعطاه
فالله مكرمنا بأنا معشر عتقاء من نعم العباد سواه

فسر بذلك وضحك، وقال: جعلنا الله وإياكم ممن يشكر النعمة، ويحسن العمل.

ينشد المأمون شعراً وهو يريد الغزو: أخبرنا محمد بن العباس قال: حدثني أبي عن أخيه أبي جعفر قال: دخلت يوماً على المأمون بقاراً ، وهو يريد الغزو فأنشدته شعراً مدحته فيه؛ أوله:

يا قصر ذا النخلات من بارا إني حللت إليك من قارا
أبصرت أشجاراً على نهر فذكرت أشجاراً وأنهاراً
لله أيامٌ نعمت بها بالقفص أحياناً وفي بارا
إذ لا أزال أزور غانية ألهو بها وأزور خمارا
لا أستجيب لمن دعا لهدى وأجيب شطارا ودعارا
أعصي النصيح وكل عاذلة وأطيع أوتاراً ومزمارا

قال: فغضب المأمون، وقال: أنا في وجه عدو، وأحض الناس على الغزو، وأنت تذكرهم نزهة بغداد؟ فقلت: الشيء بتمامه، ثم قلت:

فصحوت بالمأمون عن سكري ورأيت خير الأمر ما اختارا
ورأيت طاعته مؤديةً للفرض إعلاناً وإسرارا
فخلعت ثوب الهزل عن عنقي ورضيت دار الجد لي داراً
وظللت معتصماً بطاعته وجواره وكفى به جارا
إن حل أرضاً فهي لي وطن وأسير عنها حيثما سارا

فقال له يحيى بن أكثم: ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين! أخبر أنه كان في سكر وخسار، فترك ذلك وارعوى، وآثر طاعة خليفته، وعلم أن الرشد فيها؛ فسكن وأمسك.

يجيز بيتاً للمأمون في غلام المعتصم: حدثني الصولي قال: حدثني محمد بن يحيى بن أبي عبادة قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن أبيه قال:

دعا المعتصم ذات يوم المأمون فجاءه، فأجلسه في بيت على سقفه جامات، فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجامات على وجه سيما التركي غلام المعتصم، وكان المعتصم أوجد الناس به، ولم يكن في عصره مثله، فصاح المأمون يا أحمد بن محمد اليزيدي -وكان حاضراً- فقال: انظر إلى ضوء الشمس على وجه سيما التركي، أرأيت أحسن من هذا قط؟ وقد قلت:

قد طلعت شمس على شمس ... وزالت الوحشة بالأنس

أجز يا أحمد، فقلت:

قد كنت أشنا الشمس فيما مضى ... فصرت أشتاق إلى الشمس

قال: وفطن المعتصم، فعض على شفته لأحمد ، فقال أحمد للمأمون: والله لئن لم يعلم الحقيقة من أمير المؤمنين لأقعن معه فيما أكره، فدعاه المأمون فأخبره الخبر، فضحك المعتصم. فقال له المأمون: كثر الله في غلمانك مثله، إنما استحسنت شيئاً فجرى ما سمعت لا غيره.

يعدد المأمون الحقوق التي توجب عليه مراعاته له: حدثني الصولي قال: حدثني عون بن محمد قال: حدثني أحمد بن محمد اليزيدي قال: كنا بين يدي المأمون، فأنشدته مدحاً، فقال: لئن كانت حقوق أصحابي تجب علي لطاعتهم بأنفسهم فإن أحمد ممن تجب له المراعاة لنفسه وصحبته، ولأبيه وخدمته، ولجده وقديم خدمته وحرمته، وإنه للعريق في خدمتنا، فقلت: قد علمتني يا أمير المؤمنين كيف أقول، ثم تنحيت ورجعت إليه، فأنشدته:

لي بالخليفة أعظم السبب ... فبه أمنت بوائق العطب

ملك غذتني كفه وأبي ... قبلي وجدي كان قبل أبي

قد خصني الرحمن منه بما ... أسمو به في العجم والعرب

فضحك، وقال: قد نظمت يا أحمد ما نثرناه.

هذا آخر أخبار اليزيديين وأشعارهم التي فيها صنعة.

صوت

أفي كل يوم أنت من غبر الهوى ... إلى الشم من أعلام ميلاء ناظر

بعمشاء من طول البكاء كأنما ... بها خزرٌ أو طرفها متخازرٌ

عروضه من الطويل، والغبر: البقية من الشيء، يقال: فلان في غبر من علته، وأكثر ما يستعمل في هذا ونحوه، والشم: الطوال، والأعلام جمع علم وهو الجبل، قالت الخنساء:

وإن صخراً لتأثم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

والخزر: ضيق العين وصغرها، ومنه الخزر بذلك لصغر أعينهم، قال الراجز:

إذا تخازرت وما بي من خزر ثم كسرت الطرف من غير عور

والشعر لرجل من قيس يقال: كعب، ويلقب بالمخبل. والغناء لإبراهيم، ثقيل أول بالوسطى. ومن الناس من يروي الشعر لغير هذا الرجل وينسبه إلى ذي الرمة، ويجعل فيه مية مكان ميلاء، ويقال: إن اللحن لابن المكي، وقد نسب إلى غيرهما، والصحيح ما ذكرناه أولاً.

أخبار المخبل القيسي ونسبه

حبة بنتي عن له: قال عبد الله بن أبي سعد الوراق -فيما أخبرني به حبيب بن نصر المهلبي، إجازة عنه-: حدثني علي بن الصباح بن الفرات، قال: أخبرني علي بن الحسن بن أيوب النبيل، عن رباح بن قطيب بن زيد الأسدي، قال: كانت عند رجل من قيس يقال له: كعب -بنت عم له، وكانت أحب الناس إليه فخلا بها ذات يوم فنظر إليها وهي واضعة ثيابها، فقال: يا أم عمرو، هل ترين أن الله خلق أحسن منك؟ قالت: نعم، أختي ميلاء، هي أحسن مني.

ينكشف حبه فيرحل ولا يدري مكانه: قال: فإني أحب أن أنظر إليها، فقالت: إن علمت بك لم تخرج إليك، ولكن كن من وراء الستر، ففعل، وأرسلت إليها فجاءتها فلما نظر إليها عشقها وانتظرها حتى راحت إلى أهلها، فاعترضها فشكا إليها حبها، فقالت: والله يا بن عم، ما وجدت من شيء إلا وقد وقع لك في قلبي أكثر منه. وواعدته مرة أخرى، فأتتهما أم عمرو وهما لا يعلمان، فرأتهما جالسين، فمضت إلى إخوتها -وكانوا سبعة- فقالت: إما أن تزوجوا ميلاء كعباً، وإما أن تكفوني أمرها. وبلغهما الخبر، ووقف إخوتها على ذلك، فرمى بنفسه نحو الشام حياء منهم، وكان مترله ومترل أهله الحجاز، فلم يدر أهله ولا بنو عمه أين ذهب، فقال كعب: شعره في أرض الغربة:

أفي كل يوم أنت من لاعج الهوى إلى الشم من أعلام ميلاء ناظر

بعمشاء من طول البكاء كأنما بها خزر أو طرفها متخازر

تمنى المنى حتى إا ملت المنى جرى واكفٌ من دمعها متبادر

كما ارفض عنها بعدما ضم ضمةً بخيط الفتيل اللؤلؤ التناثر

تدل رواية شعره على مكانه: قال: فرواه عنه رجل من أهل الشام، ثم خرج بعد ذلك الشامي يريد مكة، فاجتاز بأم عمرو وأختها ميلاء، وقد ضل الطريق، فسلم عليهما ثم سألهما عن الطريق، فقالت أم عمرو: يا ميلاء ، صفي له الطريق، فذكر -لما نادت: يا ميلاء- شعر كعب هذا، فتمثل به، فعرفت أم عمرو الشعر، فقالت: يا عبد الله، من أين أنت؟ قال: رجل من أهل الشام. قالت: من أين رويت هذا الشعر؟ قال: رويته عن أعرابي بالشام، قالت: أو تدري ما اسمه؟ فقال: سمعت أنه كعب، فأقسمت عليه: لا تبرح حتى تعرف إخواتنا بذلك فنحسن إليك نحن وهم، وقد أنعمت علينا. قال: أفعل، وإني لأروي له شعراً آخر، فما أدري أتعرفانه أم لا؟ فقالت: نسألك بالله أسمعتنا، قال: سمعته يقول: شعر آخر له في أرض الغربة:

خليلي قد قست الأمور ورمتها ... بنفسي وبالفتيان كل زمان

فلم أخف سوءاً للصديق ولم أجد ... خلياً ولا ذا البث يستويان

من الناس إنسانان ديني عليهما ... مليئان لو شاءا لقد قضياني

خليلي أما أم عمرو فمنهما ... وأما عن الأخرى فلا تسلاني

بلينا بهجران ولم أر مثلنا ... من الناس إنسانيت يهتجران

أشد مصافاةً وأبعد من قلى ... وأعصى لواش حين يكتقيان

تحدث طرفانا بما في صدورنا ... إذا استعجمت بالمنطق الشفتان

فوالله ما أدري أكل ذوي الهوى ... على ما بنا أو نحن مبتليان؟

فلا تعجبا مما بي اليوم من هوى ... فبي كل يوم مثل ما تريان

خلليلي عن أي الذي كان بيننا ... من الوصل أم ماضي الهوى تسلان؟

وكنا كريمي معشر حم بيننا ... هوى فحفظناه بحسن صيان

سلاه بأم العمرو من هي إذ بدا ... به سقم جم وطول ضمان

فما زادنا بعد المدى نقض مرةٍ ... ولا رجعا من علمنا ببيان

خليلي لا والله ما لي بالذي ... تريدان من هجر الحبيب يدان

ولا لي بالبين اعتلاءٌ إذا نأت ... كما أنتما بالبين معتليان

يعود به ابن عمه من الشام ويموت غماً: قال: ونزل الرجل ووضع رحلة حتى جاء إخواتهما، فأخبراهم الخبر، وكانوا مهتمين بكعب، وكان كعب أظرفهم وأشعرهم، فأكرموا الرجل وحملوه على راحلة ودلوه على الطريق، وطلبوا طعباً فوجدوه بالشام، فأقبلوا به، حتى إذا كانوا في ناحية ماء أهلهم إذا الناس قد اجتمعوا عند البيوت، وكان كعب ترك بنياً له صغيراً، فزحمه غلام منهم في ناحية الماء، فقال له كعب: ويحك يا غلام! من أبوك؟

فقال: رجل يقال له: كعب، قال: وعلى أي شيء قد اجتمع الناس؟ وأحس قلبه بالشر. قال: اجتمعوا على خالتي ميلاء. قال: وما قصتها؟ قال: ماتت. فزفر زفرة مات منها مكانه، فدفن حذاء قبرها.

من شعره في الشام: قال: وقال كعب وهو بالشام:

أحقاً عباد الله أن لست ماشياً ... بمرحاب حتى يحشر الثقلان

ولا لاهياً يوماً إلى الليل كله ... ببيضٍ لطيفات الخصور رواني ؟

يمنيننا حتى تريع قلوبنا ... ويخلطن مطلا ظاهراً بليان

فعيني يا عيني حتام أنتما ... بهجران أم العمرو تختلجان؟

أما أنتما إلا علي طليعةً ... على قرب أعدائي كما تريان

فلو أن أم العمرو أضحت مقيمةً ... بمصر وجثماني بشحر عمان

إذا لرجوت الله يجمع شملنا ... فإنا على ما كان ملتقيان

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء صوت اختلاف الرواة في نسبة صوت من شعره:

من الناس إنسانان ديني عليهما ... مليئان لو شاءا لقد قضياني

خليلي أما أم عمرو فمنهما ... وأما عن الأخرى فلا تسلاني

عروضه من الطويل، الشعر -على ما في هذا الخبر- لكعب المذكور قصته، وروى المفضل بن سلمة وأبو طالب بن أبي طاهر هذين البيتين مع غيرهما لابن الدمينة الخثعمي. والغناء لإبراهيم الموصلي، خفيف رمل بالوسطى، ذكره أبو العبيس عنه، وذكر ابن المكي أنه لعلويه. والأبيات التي ذكرنا أن المفضل بن سلمة وابن أبي طاهر روياها لابن الدمينة مع البيتين اللذين فيهما الغناء هي:

من الناس إنسانان ديني عليهما ... مليئان لو شاءا لقد قضياني

خليلي أما أم عمرو فمنهما ... وأما عن الأخرى فلا تسلاني

منوعان ظلامان ما ينصفانني ... بدليهما والحسن قد خلباني

من البيض نجلاء العيون غذاهما ... نعيمٌ وعيشٌ ضاربٌ بجران

أفي كل يوم أنت رام بلادها ... بعينين إنسانا هما غرقان؟

إذا اغرورقت عيناي قال صحابتي ... لقد أولعت عيناك بالهملان

وقد روي أيضاً أن هذا البيت:

أفي كل يوم أنت رام بلادها

لعروة بن حزام:

ألا فاحملاني بارك الله فيكما إلى حاضر الروحاء ثم ذراني

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني أبو سعيد القيسي، قال: حدثني سليمان بن عبد العزيز، قال: حدثني خارجة المالي قال: حدثني من رأى عروة بن حزام يطاف به حول البيت، قال: فقلت له: من أنت؟ قال: أنا الذي أقول:

أفي كل يوم أنت رام بلادها بعينين إنسانا هما غرقان؟

ألا فاحملاني بارك الله فيكما إلى حاضر الروحاء ثم ذراني

فقلت: زدني، قال: لا، ولا حرف.

التغني بالصوت المنسوب إليه يهيج الواثق للإيقاع بشخصين: ويقال: إن الذي هاج الواثق على القبض على أحمد بن الخصيب وسليمان بن وهب أنه غنى -هذا الصوت- أعني:

من الناس إنسانان ديني عليهما

فدعا خادماً كان للمعتصم، ثم قال له: أصدقني وإلا ضربت عنقك. قال: سل يا أمير المؤمنين عما شئت، قال: سمعت أبي وقد نظر إليك يتمثل بهذين البيتين، ويومئ إليك إيماء تعرفه، فمن اللذان عني؟ قال، قال لي: إنه وقف على إقطاع أحمد بن الخصيب وسليمان بن وهب ألفي دينار، وأنه يريد الإيقاع بهما. فكان كلما رآني يتمثل بهذين البيتين. قال: صدقني والله، والله لا سبقاني بهما كما سبقاه، ثم أرقع بهما.

وأخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: نظر الواثق إلى أحمد بن الخصيب يمشي فتمثل:

من الناس إنسانان ديني عليهما

وذكر البيتين، وأشار بقوله:

خليلي أما أم عمرو فمنهما

إلى أحمد بن الخصيب. فلما بلغ هذا سليمان بن وهب، قال: إنا لله! أحمد بن الخصيب والله أم عمرو، وأنا الأخرى. قال: ونكبهما بعد أيام. وقد قيل: إن محمد بن عبد الملك الزيات كان السبب في نكبتهما.

رواية أخرى لسبب إيقاع الواثق بصاحبيه: أخبرنا محمد بن يحيى، قال: حدثنا عون بن محمد الكندي، قال: كانت الخلافة أيام الواثق تدور على إيتاخ، وعلى كاتبه سليمان بن وهب، وعلى أشناس وكاتبه أحمد بن الخصيب، فعمل الوزير محمد بن عبد الملك الزيات قصيدة، وأوصلها إلى الواثق على أنها لبعض أهل العسكر، وهي:

يا بن الخلائف والأملاك إن نسبوا ... حزت الخلافة عن آبائك الأول
أجرت أم رقدت عيناك عن عجب ... فيه البرية من خوف ومن وهل
وليت أربعة أمر العباد معاً ... وكلهم خاطبٌ في حبل محتبل
هذا سليمان قد ملكت راحته ... مشارق الأرض من سهل ومن جبل
ملكته السند فالشحرين من عدنٍ ... إلى الجزيرة فالأطراف من ملل
خلافةٌ قد حواها وحده فمضت ... أحكامه في دماء القوم والنفل
وابن الخصيب الذي ملكت راحته ... خلافة الشأم والغازين والقفل
فنيل مصر فبحر الشأم قد جريا ... بما أراد من الأموال والحلل
كأنهم في الذي قسمت بينهم ... بنو الرشيد زمان القسم للدول
حوى سليمان ما كان الأمين حوى ... من الخلافة والتبليغ للأمل
وأحمد بن خصيب في إمارته ... كالقاسم بن الرشيد الجامع السبل

أصبحت لا ناصحٌ يأتيك مستترا ... ولا علانيةً خوفاً من الحيل
سل بيت مالك أين المال تعرفه ... وسل خراجك عن أموالك الجمل
كم في حبوسك ممن لا ذنوب لهم ... أسرى التكذب في الأقياد والكبل
سميت باسم الرشيد المرتضى فبه ... قس الأمور التي تنجي من الزلل
عث فيهم ما عاثت يداه معاً ... على البرامك بالتهديم للقلل

فلما قرأ الواثق غاظه وبلغ منه، ونكب سليمان بن وهب وأحمد بن الخصيب، وأخذ منهما ومن أسبابهما ألف ألف دينار، فجعلها في بيت المال، فقال أحمد بن أبي فنن:

نزلت بالخائنين سنه ... سنةٌ للناس ممتحنه
سوغت ذا النصح بغيته ... وأزالت دولة الخونه
فترى أهل العفاف بها ... وهم في دولةٍ حسنه
وترى من جار همته ... أن يؤدي كل ما احتجنه

وقال إبراهيم بن العباس لابن الزيات:

إيهاً أبا جعفر وللدهر كر ... راتٌ وعما يريب متسع

أرسلت ليثاً على فرائسه وأنت منها فانظر متى تقع

لكنه قوته وفيك له وقد تقضت أقواته شبع

وهي أبيات، وقد كان أحمد بن أبي داود حمل الواثق على الإيقاع بابن الزيات وأمر علي بن الجهم فقال فيه:

لعائن الله موفرات مصبحاتٍ ومهجرات

على ابن عبد الملك الزيات عرض شمل الملك للشتات

يرمي الدواوين بتوقيعات معقدات غير مفتوحات

أشبه شيء برقي الحيات كأنها بالزيت مدهونات

بعد ركوب الطوف في الفرات وبعد بيع الزيت بالحبات

سبحان من جل عن الصفات هارون يا بن سيد السادات

أما ترى الأمور مهملات تشكو إليك عدم الكفاة

وهي أبيات، فهم الواثق بالقبض على ابن الزيات، وقال: لقد صدق، قائل هذا الشعر، ما بقي لنا كاتب. فطرح نفسه على إسحاق بن إبراهيم، وكانا مجتمعين على عداوة بن أبي داود، فقال للواثق: أمثل ابن الزيات -مع خدمته وكفايته- يفعل به هذا، وما جنى عليك وما خانك، وإنما دلك على خونة أخذت ما اختانوه، فهذا ذنبه!.

وبعد، فلا ينبغي لك أن تعزل أحداً أو تعد مكانه جماعةً يقومون مقامه، فمن لك بمن يقوم مقامه؟ فمحا ما كان في نفسه عليه ورجه له.

وكان إيتاخ صديقاً لابن أبي داود، فكان يغشاه كثيراً، فقال له بعض كتابه: إن هذا بينه وبين الوزير ما تعلم، وهو يجيئك دائماً، ولا تأمن أن يظن الوزير بك ممالأة عليه؛ فعرفه ذلك، فلما دخل ابن أبي داود إليه خاطبه في هذا المعنى، فقال: إني والله ما أجيئك متعززاً بك من ذلة، ولا متكثراً من قلة، ولكن أمير المؤمنين رتبك رتبة أوجبت لقاءك، فإن لقيناك فله، وإن تأخرنا عنه فلنفسك، ثم خرج من عنده فلم يعد إليه.

وفي هذه القصة أخبار كثيرة يطول ذكرها، ليس هذا موضعها، وإنما ذكرنا ها هنا هذا القدر منها كما يذكر الشيء بقرائنه.

صوت

عش فحبيك سريعاً قاتلي والضنى إن لم تصلني واصلي

ظفر الشوق بقلب دنف فيك والسقم بجسم ناحل

فهما بين اكتئابٍ وضنى تركاني كالقضيب الذابل

الشعر لخالد الكاتب، والغناء للمسدود، رمل مطلق في مجرى الوسطى، وذكر جحظة أن هذا الرمل أخذ عنه، وأنه صوت سمعه فكتبه.

أخبار خالد الكاتب

وطنه وأصله وسبب إصابته باوسواس: هو خالد بن يزيد، ويكنى أبا الهيثم، من أهل بغداد، وأصله من خراسان، وكان أحد كتاب الجيش. ووسوس في آخر عمره، قيل إن السوداء غلبت عليه، وقال قوم: كان يهوى جارية لبعض الوجوه ببغداد فلم يقدر عليها، وولاه محمد بن عبد الملك الإعطاء في الثغور، فخرج فسمع في طريقه منشداً ينشد، ومغنية تغني:

من كان ذا شجن بالشام يطلبه ففي سوى الشام أمسى الأهل والشجن

فبكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه، ثم أفاق مختلطاً. واتصل ذلك حتى وسوس وبطل.

كيف اتصل بعلي بن هشام وإبراهيم بن المهدي؟:

وكان اتصل بعلي بن هشام وإبراهيم بن المهدي وكان سبب اتصاله بعلي بن هشام أنه صحبه في وقت خروجه إلى قم، في جملة كتاب الإعطاء، فبلغه وهو في طريقه أن خالداً يقول الشعر، فأنس به وسر به، وأحضره فأنشده قوله:

يا تارك الجسم بلا قلب إن كنت أهواك فما ذنبي؟

يا مفرداً بالحسن أفردتني منك بطول الهجر والعتب

إن تك عيني أبصرت فتنةً فهل على قلبي من عتب

حسيبك الله لما بي كما أنك في فعلك بي حسبي

للمسدود في هذه الأبيات رمل طنبوري مطلق من رواية الهشامي، قال: فجعله علي بن هشام في ندمائه إلى أن قتل.

كيف اتصل بالمعتصم؟: ثم صحب الفضل بن مروان، فذكره للمعتصم وهو بالماحوزة قبل أن يبني سر من رأى، فقال خالد:

عزم السرور على المقا م بسر من را للإمام

بلد المسرة والفتو ح المستنيرات العظام

وتراه أشبه منزلٍ في الأرض بالبلد الحرام

فالله يعمره بمن أضحى به عز الأنام

فاستحسنها الفضل بن مروان وأوصلها إلى المعتصم قبل أن يقال في بناء سر من رأى شيء، فكانت أول ما أنشد في هذا المعنى من الشعر، فتبرك بها وأمر لخالد بخمسة آلاف درهم.

وذكر ذلك كله إسماعيل بن يحيى الكاتب، وذكر اليوسفي صاحب الرسائل أن خالداً قال أيضاً في ذلك:

بين صفو الزمان عن كدره في ضحكات الربيع عن زهره

يا سر من رابوركت من بلدٍ بورك في نبته وفي شجره

غرس جدود الإمام ينبته بابك والمازيار من ثمره

فالفتح والنصر ينزلان به والخصب في تربه وفي شجره

فغنى مخارق في هذه الأبيات، فسأله المعتصم: لمن هذا الشعر؟ فقال: لخالد يا أمير المؤمنين، قال: الذي يقول:

كيف ترجى لذاذة الإغتماض لمريض من العيون المراض !

فقال محمد بن عبد الملك: نعم يا أمير المؤمنين، هو له، ولكن بضاعته لا تزيد على أربعة أبيات، فأمر له المعتصم بأربعة آلاف درهم، وبلغ خالداً الخبر، فقال لأحمد بن عبد الوهاب صاحب محمد بن عبد الملك -وقيل لأبي جعفر- أعزه الله: إذا بلغت المراد في أربعة أبيات فالزيادة فضل.

يداخل الشعراء في القصائد. وكان أول صاحب مقطعات: قال اليوسفي: ولما قال خالد في صفة سر من رأى قصيدته التي يقول فيها:

اسقني في جرائر وزقاق لتلاقي السرور يوم التلاق

من سلافٍ كأن في الكأس منه عبرات من مقلتي مشتاق

في رياض بسر من را إلى الكر خ ودعني من سائر الآفاق

باد كارات كل فتح عظيم لإمام الهدى أبي إسحاق

وهي قصيدة ، لقيه دعبل فقال: يا أبا الهيثم، كنت صاحب مقطعات فداخلت الشعراء في القصائد الطوال وأنت لا تدوم على ذلك، ويوشك أن تتعب بما تقول وتغلب عليه. فقال له خالد: لو عرفت النصح منك لغيري لأطعتك في نفسي.

خلافة مع الحلبي الشاعر وهجاؤه إياه: قال اليوسفي: وحدثني أبو الحسن الشهرزاني: أن خالداً وقع بينه وبين الحلبي الشاعر الذي يقول فيه البحتري:

سل الحلبي عن حلب

خلاف في معنى شعر، فقال له الحلبي: لا تعد طورك فأخرسك! فقال له خالد: لست هناك، ولا فيك موضع للهجاء، ولكن ستعلم أني أجعلك ضحكة سر من رأى. وكان الحلبي من أوسخ الناس، فجعل يهجو جبته وثيابه وطيلسانه، فمن ذلك قوله:

وشاعر ذي منطقٍ رائق ... في جبةٍ كالعارض البارق
قطعاء شلاء رقاعية ... دهرية مرقوعة العاتق
قدمها العري على نفسه ... لفضلها في القدر السابق

وقوله:

وشاعر مقدم له قوم ... ليس عليهم في نصره لوم
قد ساعدوه في الجوع كلهم ... فقرى فكل غداؤه الصوم
يأتيك في جبة مرقعةٍ ... أطول أعمار مثلها يوم
وطيلسان كالآل يلبسه ... على قميص كأنه غيم
من حلب في صميم سفلتها ... غناه فقرٌ وعزه ضيم

قال: وقال فيه:

تاه على ربه فأفقره ... حتى رآه الغنى فأنكره

فصار من طول حرفةٍ علماً ... يقذفه الرزق حيث أبصره
يا حلبياً قضى الإله له ... بالتيه والفقر حين صوره
لو خلطوه بالمسك وسخه ... أو طرحوه في البحر كدره

يستنشده إبراهيم بن المهدي شعراً فيجيزه: حدثني جحظة، قال: حدثني خالد الكاتب، قال: دخلت على إبراهيم بن المهدي فاستنشدني، فقلت: أيها الأمير، أنا غلامٌ أقول في شجون نفسي، لا أكاد أمدح ولا أهجو، فقال: ذلك أشد لدواعي البلاء، فأنشدته: صوت

عاتبت نفسي في هوا ... كفلم أجدها تقبل
وأطعت داعيا إليك ولم أطع من يعذل
لا والذي جعل الوجو ... ه لحسن وجهك تمثل
لا قلت إن الصبر عن ... ك من التصابي أجمل

لجحظة في هذه الأبيات رملٌ مطلق بالوسطى.

قال: فبكى إبراهيم وصاح: وأي عليك بإبراهيم، ثم أنشدته أبياتي التي أقول فيها:

وبكى العاذل من رحمتي فبكائي لبكا العاذل

وقال إبراهيم: يا رشيق، كم معك من العين؟ قال: ستمائة وخمسون ديناراً. قال: اقسمها بيني وبين الفتى، واجعل الكسر له صحيحاً، فأعطاني ثلاثمائة وخمسين ديناراً، فاشتريت بها منزلي بساباط الحسن والحسين، فواراني إلى يومي هذا.

يستوهبه علي بن الجهم بيتاً من شعره: حدثني جحظة، قال: حدثني خالد الكاتب قال: قال لي علي بن الجهم: هب لي بيتك الذي تقول فيه:

ليت ما أصبح من رق ة خديك بقلبك

فقلت: يا جاهل، هل رأيت أحداً يهب ولده.

يتعاطي الهجاء: وقال أحمد بن إسماعيل الكاتب: لقيت خالداً الكاتب ذات يوم فسألته عن صديق له، وكان قد باعده و لم أعلم، فأنشأ يقول:

ظعن الغريب لغيبة الأبد حتى المخافة نأتي البلد

حيران يؤنسه ويكلؤه يومٌ توعده بشر غد

سنح الغراب له بأنكر ما تغدو النحوس به على أحد

وابتاع أشأمه بأيمنه الجد العثور له يداً بيد

حتى ينيخ بأرض مهلكةٍ في حيث لم يولد ولم يلد

جزعت حليلته عليه فما تخلو من الزفرات والكمد

نزل الزمان بها فأهلكها منه وأهدى اليتم للولد

ظفرت به الأيام فانحسرت عنه بناقرةٍ ولم تكد

فتركن منه بعد طيته مثل الذي أبقين من لبد

قال، فقلت له: يا أبا الهيثم مذ كم دخلت في قول الهجاء؟ قال: مذ سالمت فحوربت، وصافيت فتوقفت.

شعره في غلام نافس أبا تمام في حبه: وقال الرياشي. كان خالد مغرماً بالغلمان المرد، ينفق عليهم كل ما يفيد، فهوي غلاماً يقال له: عبد الله، وكان أبو تمام الطائي يهواه، فقال فيه خالد:

قضيب بانٍ جناه ورد تحمله وجنةٌ وخد

لم أثن طرفي إليه إلا مات عراءٌ وعاش وجد

ملك طوع النفوس حتى علمه الزهو حين يبدو
واجتمع الصد فيه حتى ليس لخلق سواه صد

فبلغ أبا تمام ذلك فقال فيه أبياتاً منها:

شعرك هذا كله مفرطٌ في برده يا خالد البارد

فعلمها الصبيان، فلم يزالوا يصيحون به: يا خالد يا بارد حتى وسوس، قال: ومن الناس من يزعم أن هذا السبب كان بينه وبين رجل غير أبي تمام، وليس الأمر كذلك.

هجاؤه أبا تمام: وكان خالدا قد هجا أبا تمام في هذه القصة فقال فيه:

يا معشر المرد إني ناصح لكم والمرء في القول بين الصدق والكذب
لا ينكحن حبيباً منكم أحدٌ فإن وجعاءه أعدى من الجرب
لا تأمنوا أن تحركوا بعد ثالثةٍ فتركبوا عمداً ليست من الخشب

يستنشده إبراهيم بن المهدي حين بويع ويستمع شعره:

حدثني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني الحسن بن إسحاق قال: حدثني خالد الكاتب، قال: لما بويع إبراهيم بن المهدي بالخلافة طلبني -وقد كان يعرفني- وكنت متصلاً ببعض أسبابه، فأدخلت إليه فقال: أنشدني يا خالد شيئاً من شعرك، فقلت: يا أمير المؤمنين، ليس شعري من الشعر الذي قال فيه رسول الله ": "إن من الشعر لحكماً"، وإنما أمزح وأهزل، فقال: لا تقل هذا، فإن جد الأدب وهزله جد، هات أنشدني، فأنشدته:

عش فحبيك سريعاً قاتلي والضنى إن لم تصلني واصلي
ظفر الشوق بقلب دنف فيك والسقم بجسم ناحل
فهما بين اكتئاب وضنى تركاني كالقضيب الذابل

قال: فاستملح ذلك ووصلني.

رثى راكباً قصبة الصبيان يصيحون به: حدثني حمزة لن أبي سلالة الشاعر الكوفي، قال دخلت بغداد في بعض السنين فبينا أنا مار بجنينة إذا أنا برجل عليه مبطنة نظيفة، وعلى رأسه قلنسية سوداء، وهو راكب قصبة، والصبيان خلفه يصيحون به: يا خالد يا بارد، فإذا آذوه حمل عليهم بالقصبة، فلم أزل أطردهم عنه حتى تفرقوا، وأدخلته بستاناً هناك، فجلس واستراح، واشتريت له رطباً فأكل، واستنشدته فأنشدني:

قد حاز قلبي فصار يملكه فكيف أسلو وكيف أتركه!
رطيب جسم كالماء تحبسه يخطر في القلب منه مسلكه
يكاد يجري من القميص من الن عمة لولا القميص يمسكه

فاستزدته، فقال: لا، ولا حرف .

يخلع ثياباً أعطيها على غلام يحبه، ويقول فيه شعراً: وذكر علي بن الحسين بن أبي طلحة عن أبي الفضل الكاتب -أنه دعا خالداً ذات يوم فأقام عنده. وخلع عليه، فما استقر به المجلس حتى خرج، قال: فأتبعته رسولاً ليعرف خبره، فإذا هو قد جاء إلى غلام كان يحبه، فسأل عنه فوجده في دار القمار، فمضى إليه حتى خلع عليه تلك الثياب وقبله وعانقه وعاد إلينا، فلما جاء خالد أعطيت الغلام الذي وجهنا به دنانير ودعاه فجاء به إلينا، وأخفيناه وسألنا خالداً عن خبره فكتمه وجمجم ، فغمزنا الرسول فأخرجه علينا، فلما رآه خالد بكى ودهش، فقلنا له: لا ترع، فإن من القصة كيت وكيت، وإنما أردنا أن نعرف خبرك لا أن نسوءك، فطابت نفسه وأجلسه إلى جنبه، وقال: قد بليت بحبه وبالخوف عليه مما قد بلي به من القمار، ثم أنشد لنفسه فيه:

محب شفه ألمه ... وخامر جسمه سقمه

وباح بما يجمجمه ... من السرار مكتتمه

أما ترثي لمكتئب ... يحبك لحمه ودمه

يغار على قميصك حين تلبسه ويتهمه

من شعره في الشوق: وذكر علي بن الحسين أيضاً أن محمد بن السري حدثه أنه أطال الغيبة عن بغداد وقد وسوس خالد، فمر به في الرصافة والصبيان يصيحون به: يا غلام الشريطي يا خالد البارد، ويرجع إليهم فيضربهم ويزيد ويرميهم، قال: فقلت اه: كيف أنت يا أبا الهيثم؟ قال: كما ترى! فقلت له: فمن تعاشر اليوم؟ قال: من أحذره، فعجبت من جوابه مع اختلاله، فقلت له: ما قلت بعدي من الشعر؟ قال: ما حفظه الناس وأنسيته، وعلى ذلك قولي:

كبدٌ شفها غليل التصابي ... بين عتب وسخطةٍ وعذاب

كل يوم تدمى بجرح من الشو ... ق ونوع مجددٍ من عذاب

يا سقيم الجفون أسقمت جسمي ... فاشفني كيف شئت، لا بك ما بي

إن أكن مذنباً فكن حسن العف ... و أو اجعل سوى الصدود عقابي

ثم قال: يا أبا جعفر، جننت بعدك، فقلت: ما جعلك الله مجنوناً؛ وهذا كلامك لي ونظمك.

حدثني محمد بن الطلاس أبو الطيب، قال: حضرت جنازة بعض جيراني، فلقيت خالداً في المقبرة فقبضت عليه، وقلت: أنشدني، فذهب ليهرب مني، فغمزت على يده غمزة أوجعته، فقال: خل عني أنشدك، فأرخيت يدي عن يده، فأنشدني:

لم تر عينٌ نظرت ... أحسن من منظره

النور والنعمة والن عمة في مخبره

لا تصل الألسن بالوصف إلى أكثره

كيف بمن تنتسب الشمس إلى جوهره !

ينشد شعراً لأبي تمام، ثم ينشد شعراً عارضه به:

حدثني عمي -رحمه الله- قال: مر بنا خالد الكاتب ها هنا والصبيان خلفه يصيحون به، فجلس إلي فقال: فرق هؤلاء عني، فقلت، وألحت عليه جارية تصيح: يا خالد يا بارد، فقال لها: مري يا منتنة الكس، ويا من كسها دس . فقلت له: يا أبا الهيثم، أي شيء معنى "دس" ها هنا؟ قال: تشتهي الأير الصغير والكبير والوسط، ولا تكره منها شيئاً وأقبل الصبيان يصيحون بتلك الجارية بمثل ما قال لها خالد، وهي ترميهم وتهرب منهم حتى غابوا معها عنا، فأقبل علي خالدٌ متمثلاً فقال:

وما أنا في أمري ولا في خصومتي بمهتضم حقي ولا قارع سني

فاحتبسته عندي يومي ذلك. فلما شرب وطابت نفسه، أنشده لأبي تمام:

أحبابه لم تفعلون بقلبه ما ليس يفعله به أعداؤه؟

مطرٌ من العبرات خدي أرضه حتى الصباح ومقلتاي سماؤه

نفسي فداء محمدٍ ووقاؤه وكذبت، ما في العالمين فداؤه

أزعمت أن البدر يحكي وجهه والغصن حين يميد فيه ماؤه؟

أسكت فأين بهاؤه وكماله وجماله وحياؤه وضياؤه؟

لا تقر أسماء الملاحة باطلاً فيمن سواه فإنها أسماؤه

ثم قال: وقد عارضه أبو الهيثم -يعني خالداً نفسه- فقال:

فديت محمداً من كل سوءٍ يحاذر في رواح أو غدو

أيا قمر السماء سلفت حتى كأنك قد ضجرت من العلو

رأيتك من حبيبك ذا بعادٍ وممن لا يحبك ذا دنو

وحسبك حسرةً لك من حبيب رأيت زمامه بيدي عدو

هكذا أخبرني عمي عن خالد، وهذه البيات أيضاً تروي لأبي تمام.

يبعث بشعر إلى صديق له عليل: وقال ابن أبي طلحة: حدثني الهلالي، قال: مررت بخالد وحوله جماعة ينشدهم فقلت له: يا أبا الهيثم، سلوت عن صديقك ، فقال: لا والله. قلت: فإنه عليل وما عدته، فسكت ساعة ثم رفع رأسه إلي، وقال:

زعموا أنني صحوت وكلا أشهد الله أنني لن أملا

كيف صبري يا من إذا ازداد تيها أبداً زدته خضوعاً وذلا؟

ثم قال: احفظه وأبلغه عني:

بجسمي لا بجسمك يا عليل ويكفيني من الألم القليل

تعداك السقام إلي إني على ما بي لعاديه حمول

إذا ما كنت يا أملي صحيحا فحالفني وسالمك النحول

ألست شقيق ما ضمت ضلوعي على أني لعلتك العليل

من شعره في غلام يحبه: قال: وحدثني العباس بن يحيى أنهم كانوا عند علي بن المعتصم، فغني في شعر لخالد، فأمر باحضاره وطلب فلم يوجد، فوجه إلي غلام كان يتعشقه فأحضر، وسأله عنه فدل عليه، وقال: كنا نشرب إلى السحر، وقد مضى إلى حمام فلان، وهو يخرج ويجلس عند فلان الفقاعي، ودكانه مألف للغلمان المرد والمغنين، فبعث إليه فأحضر، فلما جلس أخرج علي بن المعتصم الغلام؛ وقال: هذا دلنا عليك؛ وهو يزعم أنك تعشقه، فقال له الغلام: نعم أيها الأمير، لو لم يكن من فضيحته إياي إلا أنه لم يوجد أحضرت وسئلت عنه، فأقبل عليه خالد وقال:

يا تارك الجسم بلا قلب إن كنت أهواك فما ذنبي؟

يا مفردا بالحسن أفردتني منك بطول الشوق والحب

إن تك عيني أبصرت فتنة فهل على قلبي من عتب؟

حسيبك الله لما بي كما أنك في فعلك بي حسبي

لجحظة فيه رمل، فاستحسن علي الشعر، وأمر له بخمسين ديناراً.

يعتذر إلى غلام أعرض عنه: قال: حدثني ابن أبي المدور أنه شهد خالداً عند عبد الرحيم بن الأزهر الكاتب، وأنه دخل عليهم غلامٌ من أولاد الكاتب، فلما رأى خالداً أعرض عنه، فقلت له: لم أعرضت عن أبي الهيثم؟ فقال: والله لو علمت أنه ها هنا ما دخلت إليكم، ما يبالي إذا شرب هذين القدحين ما قال ولا من هتك، فقال لي خالد: ألا تعينني على ظالمي؟ فقلت: بلى والله أعينك، فأقبل على الفتى وقال: صوت

هبني أسأت فكان ذنبي مثل ذنب أبي لهب

فأنا أتوب وكم أسأ ت وكم أسأت ولم تتب

فما زلنا مع ذلك الفتى نداريه ونستعطفه له حتى أقبل عليه وكلمه وحادثه، فطابت نفسه، وسر بقية يومه.

في هذين البيتين لأبي العبيس خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى، ولرذاذ خفيف رمل مطلق.
شعره في تفاحة معضوضة: وحدثني عبد الله بن صالح الطوسي أن علي بن المعتصم دعا خالداً يوماً وهو يشرب، وقد أخرجت إليه وصيفةٌ من وصفاء حظيته تفاحة معضوضة مغلفة بعثت بها إليه ستها، فقال:

تفاحةٌ خرجت بالدر من فيها أشهى إلي من الدنيا وما فيها
بيضاء في حمرة علت بغاليةٍ كأنما قطفت من خد مهديها
جاءت بها قينةٌ من عند غانية روحي من السوء والمكروه تفديها
لو كنت ميتاً ونادتني بنغمتها إذا لأسرعت من لحدي ألبيها

فاستحسن علي بن المعتصم الأبيات، وغني فيها، وأمر بتخت ثياب وخمسين ديناراً.

أخبار المسدود

اسمه وكنيته وموطنه المسدود من أهل بغداد، وكان منزله في ناحية درب المفضل، في الموضع المعروف بخراب المسدود، منسوب إليه.
وأخبرني جحظة أن اسمه الحسن، وكنيته أبو علي، وأن أباه كان قصاباً، وأنه كان مسدود فرد منخر ومفتوح الآخر، وكان يقول: لو كان منخري الآخر مفتوحاً لأذهلت بغنائي أهل الحلوم وذوي الألباب، وشغلت من سمعه عن أمر دينه ودنياه ومعاشه ومعاده.
أشجى الناس صوتاً وأحضرهم بديهة: قال جحظة: وكان أشجى الناس صوتاً وأحضرهم نادرة، و لم يكتسب أحد من المغنين بطنبور ما كسبه، وكان مع يساره وقلة نفقته يقرض بالعينة وكانت له صنعة عجيبة، أكثرها الأهزاج. قال جحظة: قال لي مخارق غلامه: قال لي، وقد صنع هذين البيتين وهما جميعاً هزج: صوت

من رأى العيس عليها الرحال إضم قصد لها أم أثال ؟
لست أدري حيث حلوا ولكن حيثما حلوا فثم الجمال

والآخر:

عج بنا نجن بطرف العين تفاح الخدود
ونسل القلب عمن حظنا منه الكدود

ثم قال: والله لا تركت بعدي من يهزج. قال جحظة: والله ما كذب! ينفيه الواثق إلى عمان: أخبرني جحظة، قال: كان الواثق قد أذن لجلسائه ألا يرد أحد نادرة عن أحد يلاعبه ، فغنى الواثق يوماً:

نظرت كأني من وراء زجاجة إلى الدار من ماء الصبابة انظر

وقد كان النبيذ عمل فيه وفي الجلساء فانبعث إليه المسدود فقال: أنت تنظر أبداً من وراء زجاجة، إن كان في عينيك ماء صبابة أو لم يكن، فغضب الواثق من ذلك وكان في عينيه بياض، ثم قال: خذوا برجل العاض بظر أمه، فسحب من بين يديه. ثم قال: ينفى إلى عمان الساعة، فنفي من وقته وحدر ومعه الموكلون . فلما سلموه إلى صاحب البصرة، سأله أن يقيم عنده يوماً ويغنيه، ففعل.

يأبى الغناء لأمير البصرة فيرسله إلى عمان: فلما جلسوا للشراب ابتدأ فقال: احذروني يا أهل البصرة على حرمكم، فقد دخلت إلى بلدكم وأنا أزنى خلق الله. قال: فقال له الجماز: أما يعني أنه أزنى خلق الله أما، فغضب المسدود، وضرب بطنبوره الأرض وحلف ألا يغني، فسأله الأمير أن يقيم عنده وأمر بإخراج الجماز وكل من حضر، فأبى ولج فأحدره إلى عمان.

يشتاقه الواثق فيكتب في إحضاره: ومكث الواثق لا يسأل عنه سنة، ثم اشتاقه فكتب في إحضاره، فلما جاءه الرسول ووصل إلى الواثق قبل الأرض بين يديه، فاعتذر من هفوته وشكر التفضل عليه. فأمره بالجلوس ثم قال له: حدثني بما رأيت بعدي. فقال: لي حديث ليس في الأرض أظرف منه، وأعاد عليه حديثه بالبصرة. فقال له الواثق: قبحك الله ما أجهلك! ويلك! فأنت سوقة وأنا ملك، وكنت صاحياً وكنت منتشياً وبدأت القوم فأجابوك، فبلغ بك الغضب ما ذكرته وما بدأتك فتجيبني، وبدأتني -من المزح- بما لا يحتمله النظير لنظيره، ويلك! لا تعاود ممازحة خليفة وإن أذن لك في ذلك، فليس كل أحد يحضره حلمه كما حضرني فيك.

يهجو الواثق في رقعة ويقدمها إليه خطأ: أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني عون بن محمد، قال: سمعت حمدون بن إسماعيل يقول:

لم يكن في الخلفاء أحد أحلم من الواثق، ولا أصبر على أذى وخلاف. وكان يعجبه غناء أبي حشيشة الطنبوري، فوجد المسدود من ذلك، فكان يبلغه عنه ما يكره ويتجاوز عنه . وكان المسدود قد هجاه بيتين، فكانا معه في رقعة، وفي رقعة أخرى حاجة له يريد أن يرفعها إليه، فغلط بين الرقعتين، فناوله رقعة الشعر وهو يرى أنها رقعة الحاجة، فقرأها وفيها:

من المسدود في الأنف	إلى المسدود في العين
أنا طبلٌ له شقٌ	فيا طبلاً بشقين

فلما قرأ الرقعة علم أنها فيه، فقال للمسدود: خلطت في الرقعتين، فهات الآخرى وخذ هذه واحترز من مثل هذا، والله ما زاده على هذا القول.

من أجوبته الموجعة: أخبرني جحظة، قال: تحدث المسدود في مجلس المنتصر بحديث، فقال له المنتصر: متى كان ذلك؟ قال: ليلة لا ناه ولا زاجر، يعرض له بليلةٍ قتل فيها المتوكل ، فأغضى المنتصر واحتمله.

قال: وقالت الذكورية يوماً بين يدي المعتمد: إن يا مسدود، قال: نعم يا مفتوحة! وقالت له امرأة: كيف أخذ إلى شجرة بابك؟ قال: قدامك، أطعمك الله من ثمرها.

قال: وغنى بين يدي المتوكل، فسكته وقل لبكران الشيري : تغن أنت، فقال المسدود: أنا أحتاج إلى مستمع، فلم يفهم المتوكل ما قال.

وقدم إليه طباخ المتوكل طبقاً وعليه رغيفان، ثم قال له: أي شيء تشتهي حتى أجيئك به؟ قال: خبزاً، فبلغ ذلك المتوكل، فأمر بالطباخ فضرب مائتي مقرعة.

قال جحظة: وحدثني بعض الجلساء أنه لما وضع الطباخ الرغيفين بين يديه قال له المسدود: هذا حرز فأين النير؟ قال ودعاه بعض الرؤساء فأهدى له برذوناً أشهب ، فارتبطه ليلته، فلما كان من غد نفق، وبعث إليه يدعوه بعد ذلك، فكتب: أنا لا أمضي إلى من يعرف آجال الدواب، فيهب ما قرب أجله منها.

قال: واستوهب من بعض الرؤساء وبراً، فأعطاه سموراً قد قرع بعضه، فرده وقال: ليس هذا سموراً، هذا أشكر .

صوت

أجدك ما تغفو كلوم مصيبة ... على صاحب إلا فجعت بصاحب

تقطع أحشائي إذا ما ذكرتهم ... وتنهل عيني بالدموع السواكب

عروضه من الطويل، الشعر لسلمة بن عياش، والغناء لحكم، وله فيه لحنان: رمل بالبنصر، وهزج بالوسطى .

أخبار سلمة بن عياش

ولاؤه وعصره ومن انقطع لمدحه: سلمة بن عياش مولى بني حسل بن عامر بن لؤي. شاعر بصري من مخضرمي الدولتين، وكان يتدين ويتصون ، وانقطع إلى جعفر ومحمد ابني سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، ومدحهما فأكثر وأجاد.

من مدحه: ومما مدحهما به وفيه غناه قوله: صوت

أرقت وطالت ليلتي بأبان ... لبرقٍ سرى بعد الهدوء يمان

يضيء بأعلام المدينة همداً ... إلى أمج فالطلح طلح قنان

غنى في هذين البيتين دحمان، ولحنه ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، قال: وفيه لحن لعطرد يقول فيها:

وردت خليجي جعفر ومحمد ... وكل بديء من نداه سقاني

وإني لأرجو جعفراً ومحمداً ... لأفضل ما يرجى له ملكان

هما ابنا رسول الله وابنا ابن عمه ... فقد كرم الجدان والأبوان

شعر يعزى إليه: ومنها ما ذكره محمد بن داود بن الجراح قوله: صوت

أنارٌ بدت وهناً لعينك ترمض ... ببغداد أم سار من البرق مومض؟

يضيء سناه مكفهراً كأنه حناتم سودٌ أو عشار تمخض

غنى فيهما عطرد ثقيلاً أول؛ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق يقول فيها:

ولولا انتظاري جعفراً ونواله لما كان في بغداد ما أتبرض

وقد وجدت هذا الشعر لابن المولى في جامع شعره من قصيدة له، وأظن ذلك الصحيح، لا ما ذكر محمد بن داود من أنها لسلمة بن عياش.

يرفد الفرزدق ببيت من الشعر حين أجبل في قصيدة: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة وغيره، قال: قال سلمة بن عياش -وذكر محمد بن داود، عن عسل بن ذكوان، عن أبي حاتم، عن الأصمعي، عن سلمة بن عياش مولى بني عامر بن لؤي- قال: دخلت على الفرزدق السجن، وهو محبوس، وقد قال قصيدته:

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

وقد أفحم وأجبل ، فقلت له: ألا أرفدك ؟ فقلت: وهل ذاك عندك؟ فقلت: نعم، ثم قلت:

بيتٌ زرارة محتب بفنائه ومجاشع وأب الفوارس نهشل

فاستجاد البيت وغاظه قولي له، فقال لي: ممن أنت؟ فقلت: من قريش، فقال: كل أير حمار من قريش! فمن أيها أنت؟ قلت: من بني عامر بن لؤي، قال: لئام والله رضعة ، جاورتهم بالمدينة فما أحمدتهم ، فقلت: ألأم والله منهم قومك وأرضع. جاء رسول مالك بن المنذر وأنت سيدهم وشاعرهم، فأخذ بأذنك يقودك حتى احتبسك فما اعترضه أحد، ولا نصرك، فقال: قاتلك الله ما أكرمك ! وأخذ البيت، فأدخله في قصيدته.

يتغزل في بربر المغنية، فتوهب له: أخبرنا وكيع، قال: أخبرني محمد بن سعد الكراني، قال: حدثنا سهل بن محمد، قال: حدثني العتبي، قال كان سلمة بن عياش وأبو سفيان بن العلاء عند محمد بن سليمان، وجارية تغنيهم وتسقيهم يقال لها: بربر، فقال سلمة:

إلى الله أشكو ما ألاقي من القلى لأهلي وما لاقيت من حب بربر

على حين ودعت الصبابة والصبا وفارقت أخداني وشمرت مئزري

نأى جعفر عنا وكان لمثلها وأنت لنا في النائبات كجعفر

قال: فقال محمد بن سليمان لسلمة: خذها، هي لك، فاستحيا وارتدع، وقال: لا أريدها فألح عليه في أخذها، فقال: أعتق ما أملك إن أخذتها، فقال له أبو سفيان: يا سخين العين، أعتق ما تملك وخذها، فهي خير من كل ما تملك، فلما مات أبو سفيان رثاه سلمة فقال: يرثي صديقه أبا سفيان:

لعمرك لا تعفو كلوم مصيبة على صاحبٍ إلا فجعت بصاحب

تقطع أحشائي إذا ما ذكرتك وتنهل عيني بالدموع السواكب
وكنت امرأ جلداً على ما ينوبني ومعترفاً بالصبر عند المصائب
فهد أبو سفيان ركني ولم أكن جزوعاً ولا مستنكر للنوائب
غنينا معاً بضعاً وستين حجةً خليلي صفاء ودنا غير كاذب
فأصبحت لما حالت الأرض دونه على قربه مني كمن لم أصاحب

وذكر محمد بن داود عن عسل بن ذكوان أن محمد بن سليمان قال له: اختر ما شئت غيرها، لأن أبا أيوب قد وطئها.

يهزأ بأبي حية النميري فيخرسه: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن يزيد النحوي، قال: حدثت من غير وجه عن سلمة بن عياش أنه قال: قلت لأبي حية النميري أهزأ به: ويحك يا أبا حية! أتدري ما يقول الناس؟ قال: لا، قلت: يزعمون أني أشعر منك، قال: إنا لله! هلك والله الناس.

من شعره في بربر: وفي بربر هذه يقول سلمة بن عياش، وفيه غناء، وذكر عمر بن شبة أنه لمطيع ابن إياس: صوت

أظن الحب من وجدي سيقتلني على بربر
وبربر درة الغوا ص من يملكها يحبر
فخافي الله يا بربر فقد أفتنت ذا العسكر
بحسن الدل والشكل وريح المسك والعنبر
ووجه يثبه البدر وعيني جؤذر أحور

فيه لحكم ثلاثة ألحان: رمل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، وخفيف رمل عن هارون بن الزيات، وهزيج عن أبي أيوب المدني.

شعر مطيع بن إياس في جارية لبربر بعد ما أعتقت: أخبرني إسماعيل بن يونس، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال بربر جارية آل سليمان أعتقت، وكان لها جوار مغنيات، فيهن جارية اسمها جوهر، وكان في البصرة فتى يعرف بالصحاف، حسن الوجه، فبلغ مطيع بن إياس أنه بات مع جوهر جارية بربر، فغاظه ذلك، فقال:

ناك والله جوهر الصحاف وعليها قميصها الأفواف
شام فيها أيراً له ذا صلاع لم يخنه نقص ولا إخطاف
زعموها قالت وقد غاب فيها قائماً في قيامه استحصاف
وهو في جارة استها يتلظى وبها شهوة له والتهاف

بعض هذا مهلاً ترفق قليلاً ما كذا يا فتى تناك الظراف

قال: وقال فيها، وقد وجهت بجواريها إلى عسكر المهدي:

خافي الله يا بربر فقد أفسدت ذا العسكر

أفضت الفسق في الناس فصار الفسق لا ينكر

ومن ذا يملك الناس إذا ما أقبلت بربر؟

وأعطاف جواريها كريح المسك والعنبر

وجوهر درة الغوا ص من يملكها يحبر

ألا يا جوهر القلب لقد زدت على الجوهر

وقد أكملك الله بحسن الدل والمنظر

إذا غنيت يا أحسن خلق الله بالمزهر

فهذا حزناً يبكي وهذا طرباً يكفر

وهذا يشرب الكأس وذا فرح ينعر

ولا والله ما المهدي أولى منك بالمنبر

فما عشت ففي كفيك خلع ابن أبي جعفر

قال: فبلغ ذلك المهدي، فضحك وأمر لمطيع بصلة، وقال: أنفق هذا عليها، وسلها ألا تخلعنا ما عاشت.

قال: وفي جوهر يقول مطيع:

جارية أحسن من حليها وفيه فضل الدر والجوهر

وجرمها أطيب من طيبها والطيب فيه المسك والعنبر

جاءت بها بربر ممكورة يا حبذا ما جلبت بربر

قال: وقال فيها:

أنت يا جوهر عندي جوهره في بياض الدرة المشتهره

وإذا غنت فنارٌ أضرمت قدحت في كل قلب شرره

صوت

يا عمود الإسلام خير عمود والذي صيغ من حياء وجود
إن يوماً أراك فيه ليوم طلعت شمسه بسعد السعود

الشعر لأبي العتاهية يمدح محمد الأمين، والغناء لإسحاق، ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة وإسحاق.

أخبار لأم جعفر

تستنشد أبا العتاهية مدحه للأمين: أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا العلائي، قال: حدثني محمد بن أبي العتاهية، قال: لما جلس الأمين في الخلافة أنشده أبو العتاهية:

يا بن عم النبي خير البرية إنما أنت رحمة للرعية
يا إمام الهدى الأمين المصفى بلباب الخلافة الهاشميه
لك نفس أمارة لك بالخي ر وكف بالمكرمات نديه
إن نفساً تحملت منك ما حم لت للمسلمين نفسٌ قوية

قال: ثم خرج إلى دار أم جعفر، فقالت له: أنشدني ما أنشدت أمير المؤمنين، فأنشدها.

فقالت: أين هذا من مدائحك في المهدي والرشيد؟ فغضب وقال: إنما أنشدت أمير المؤمنين ما يستملح، وأنا القائل فيه:

يا عمود الإسلام خير عمود والذي صيغ من حياء وجود
والذي فيه ما يسلي ذوي الأح زان عن كل هالك مفقود
إن يوماً أراك فيه ليومٌ طلعت شمسه بسعد السعود

فقالت له: الآن وفيت المديح حقه، وأمرت له بعشرة آلاف درهم.

يستنجز أبو العتاهية ما كانت تجريه عليه: أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني محمد بن موسى اليزيدي، قال: حدثني محمد بن الفضل، قال: كان المأمون يوجه إلى أم جعفر زبيدة في كل سنة بمائة ألف دينار جدد وألف ألف درهم، فكانت تعطي أبا العتاهية منها مائة دينار وألف درهم، فأغفلته سنة، فدفع إلي رقعة وقال: ضعها بين يديها فوضعتها، وكان فيها:

خبروني أن في ضرب السنة جدداً بيضاً وصفراً حسنه
سككاً قد أحدثت لم أرها مثل ما كنت أرى كل سنه

فقالت: إنا لله! أغفلناه. فوجهت إليه بوظيفة على يدي.

تطلب أن ينظم أبو العتاهية أبياتاً تعطف عليها المأمون حدثني محمد بن موسى، قال: حدثنا جعفر بن الفضل

الكاتب، قال: أحست زبيدة من المأمون بجفاء، فوجهت إلى أبي العتاهية تعلمه بذلك، وتأمره أن يعمل فيه أبياتاً تعطفه عليها، فقال: صوت

ألا إن ريب الدهر يدني ويبعد ... ويؤنس بالآلاف طوراً ويفقد

أصابت لريب الدهر مني يدي يدي ... فسلمت للأقدار والله أحمد

وقلت لريب الدهر إن ذهبت يدٌ ... فقد بقيت والحمد لله لي يد

إذا بقي المأمون فالرشيد لي ... ولي جعفرٌ لم يفقدا ومحمد

الغناء لعلويه.

قال: فحسن موقع الأبيات منه، وعاد لها المأمون إلى أكثر مما كان لها عليه.

وجدت في كتاب محمد بن الحسن الكاتب.

حدثني هارون بن مخارق، قال: حدثني أبي، قال: ظهرت لأم جعفر جفوة من المأمون، فبعثت إلي بأبيات وأمرتني أن أغني فيها المأمون إذا رأيته نشيطاً وأسنت لي الجائزة، وكان كاتبها قال الأبيات، ففعلت فسألني المأمون عن الخبر فعرفته، فبكى ورق لها، وقام من وقته فدخل إليها فأكب عليها، وقبلت يديه، وقال لها: يا أمه، ما جفوتك تعمدا، ولكن شغلت عنك بما لا يمكن إغفاله، فقالت: يا أمير المؤمنين، إذا حسن رأيك لم يوحشني شغلك، وأتم يومه عندها، والأبيات:

ألا إن ريب الدهر يدني ويبعد ... ويؤنس بالآلاف طوراً ويفقد

وذكر باقي الأبيات مثل ما في الخبر الأول: ينظم أبو العتاهية شعراً على لسانها للمأمون: أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني الحسن بن علي الرازي، قال: حدثني أبو سهل الرازقي عن أبيه، قال: عمل أبو العتاهية شعراً على لسان زبيدة بأمرها لما قدم المأمون بغداد، أوله:

لخير إمام قام من خير عنصر ... وأفضل راقٍ فوق أعواد منبر

فذكر محمد بن أحمد بن المرزبان عن بعض كتاب السلطان: أن المأمون لما قدم مدينة السلام واستقرت به الدار، وانتظمت له الأمور، أمرت أم جعفر كاتباً لها فقال هذه الأبيات، وبعثت بها إلى علويه، وسألته أن يصنع فيها لحناً، ويغني فيه المأمون ففعل، وكان ذلك مما عطفه عليها، وأمرت لعلويه بعشرين ألف درهم. وقد روي أن الأبيات التي أولها:

يا عمود الإسلام خير عمود

لعيسى بن زينب المراكبي.

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني الحسين بن يحيى الكاتب، قال: حدثنا علي بن نجيح، قال: حدثني صالح بن

الرشيد، قال: كنا عند المأمون يوماً وعقيد المغني وعمرو بن بانة يغنيان، وعيسى بن زينب المراكبي حاضر، وكان مشهوراً بالإبنة، فتغنى عقيد بشعر عيسى:

يا عمود الإسلام خير عمود ... والذي صيغ من حياء وجود

لك عندي في كل يوم جديدٍ ... طرفةٌ تستفاد يا بن الرشيد

فقال المأمون لعقيد: أنشد باقي هذا الشعر، فقال: أصون سمع أمير المؤمنين عنه، فقال: هاته ويحك! فقال:

كنت في مجلس أنيق وريحان ... ن وراح ومسمعات وعود

فتغنى عمرو بن بانة إذا ذا ... ك وهو ممسك بأير عقيد

يا عمود الإسلام خير عمود ... والذي صيغ من حياء وجود

فتنفست ثم قلت كذا كل ... محب صب الفؤاد عميد

فقال المأمون لعيسى بن زينب: والله لا فارقتك حتى تخبرني عن تنفسك عند قبض عمرو على أير عقيد: لأي شيء هو؟ لا بد من أن يكون ذلك إشفاقاً عليه، أو على أن تكون مثله، لعن الله تنفسك هذا يا مريب! قال: وإنما سمي المراكبي لتوليه مراكب المنصور، وأمه زينب بنت بشر صاحب طاقات بشر بباب الشام.

صوت

لقيت من الغنيات العجابا ... لو أدرك مني العذارى الشبابا

غلام يكحلن حور العيون ... ويحدثن بعد الخضاب الخضابا

ويبرقن إلا لما تعلمون ... فلا تمنعن النساء الضرابا

الشعر لأيمن بن خزيم بن فاتك الأسدي، والغناء لإبراهيم الموصلي، ولحنه من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية الهشامي.

أخبار أيمن بن خريم

نسبه وتشيعه وأيمن بن خريم بن فاتك الأسدي لأبيه صحبة برسول الله -"- ورواية عنه، وينسب إلى فاتك، وهو جد أبيه. وهو أيمن بن خريم بن الأخرم بن عمرو بن فاتك بن القليب بن عمرو بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. وكان أيمن يتشيع، وكان أبوه أحد من اعتزل حرب الجمل وصفين وما بعدهما من الأحداث، فلم يحضرها.

يصف قوته لعبد الملك بن مروان، فيحسده ويتغير عليه:

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية، قال: حدثني النوشجاني عن العمري عن الهيثم

بن عدي، عن عبد الله بن عياش، عن مجالد، قال كان عبد الملك شديد الشغف بالنساء، فلما أسن ضعف عن الجماع وازداد غرامه بهن، فدخل إليه يوماً أيمن بن خريم قال له: كيف أنت؟ فقال: بخير يا أمير المؤمنين. قال: فكيف قوتك؟ قال: كما أحب، ولله الحمد، إني لآكل الجذعة من الضأن بالصاع من البر، وأشرب العس المملوء ، وأرتحل البعير الصعب وأنصبه ، وأركب المهر الأرن فأذلله، وأفترع العذراء، ولا يقعدني عنها الكبر، ولا يمنعني منها الحصر ، ولا يرويني منها الغمر ولا ينقضي مني الوطر. فغاظ عبد الملك قوله وحسده، فمنعه العطاء وحجبه، وقصده بما كره حتى أثر ذلك في حاله، فقالت له امرأته: ويحك! أصدقني عن حالك؟ هل لك جرم؟ قال: لا والله، قالت: فأي شيء دار بينك وبين أمير المؤمنين آخر ما لقيته؟ فأخبرها، فقالت: إنا لله؟ من ها هنا أتيت.

تحتال له امرأته فيعود عبد الملك إلى بره: أنا أحتال لك في ذلك حتى أزيل ما جرى عليك، فقد حسدك الرجل على وصفت به نفسك، فتهيأت ولبست ثيابها ودخلت على عاتكة زوجته، فقالت: أسألك أن تستعدي لي أمير المؤمنين على زوجي، قالت: وماله؟ قالت: والله ما أدري أنا مع رجل أو حائط؟ وإن له لسنين ما يعرف فراشي، فسليه أن يفرق بيني وبينه، فخرجت عاتكة إلى عبد الملك فذكرت ذلك له، وسألته في أمرها، فوجه إلى أيمن بن خريم فحضر، فسأله عما شكت منه فاعترف به، فقال: أو لم أسألك عاماً أول عن حالك فوصفت كيت وكيت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن الرجل ليتجمل عن سلطانه، ويتجلد عند أعدائه بأكثر مما وصفت نفسي به، وأنا القائل:

لقيت من الغانيات العجابا ... لو أدرك مني الغواني الشبابا

ولكن جمع النساء الحسان ... عناءٌ شديد إذا المرء شابا

ولو كلت بالمد للغانيات ... وضاعفت فوق الثياب الثيابا

إذا لم تنلهن من ذاك ذاك ... جحدنك عند الأمير الكتابا

يذدن بكل عصا ذائدٍ ... ويصبحن كل غداة صعابا

إذا لم يخالطن كل الخلا ... ط أصبحن مخرنظمات غضابا

علام يكحلن حور العيون ... ويحدثن بعد الخضابا الخضابا

ويعركن بالمسك أجيادهن ... ويدنين عند الحجال العيابا

ويبرقن إلا لما تعلمون ... فلا تحرموا الغانيات الضرابا

قال: فجعل عبد الملك يضحك من قوله، ثم قال: أولى لك يا بن خريم! لقد لقيت منهن ترحا ، فما ترى أن نصنع بينك وبين زوجتك؟ قال: تستأجلها إلى أجل العنين، وأداريها لعلي أستطيع إمساكها، قال: أفعل ذلك، وردها إليه، وأمر له بما فات من عطائه، وعاد إلى بره وتقريبه.

يعتزل عمرو بن سعيد وعبد العزيز بن مروان في منازعة بينهم ويقول في ذلك شعراً: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أو دلف، قال: حدثنا الرياشي، قال: ذكر العتبي أن منازعة وقعت بين عمرو بن سعيد وعبد العزيز بن مروان، فتعصب لكل واحد منهما أخواله، وتداعوا بالسلاح واقتتلوا، وكان أيمن بن خريم حاضر للمنازعة فاعتزلهم هو ورجل من قومه، يقال له: ابن كوز، فعاتبه عبد العزيز وعمرو جميعاً على ذلك، فقال:

أأقتل بين حجاج بن عمرو ... وبين خصيمه عبد العزيز
أنقتل ضلة في غير شيء ... ويبقى بعدنا أهل الكنوز
لعمر أبيك ما أتيت رشدي ... ولا وفقت للحرز الحريز
فإني تاركٌ لهما جميعاً ... ومعتزلٌ كما اعتزل ابن كوز

يهجو يحيى بن الحكم: أخبرني عمي قال: حدثني الكراني، عن العمري عن الهيثم بن عدي، قال: أصاب يحيى بن الحكم جارية في غزاة الصائفة ، بها وضح ، فقال: أعطوها أيمن بن خريم، وكان موضحاً، فغضب وأنشأ يقول:

تركت بني مروان تندى أكفهم ... وصاحبت يحيى ضلة من ضلاليا
فإنك لو أشبهت مروان لم تقل ... لقومي هجراً أن أتوك ولا ليا

وانصرف عنه، فأتى عبد العزيز بن مروان، وكان يحيى محمقاً.

يرى عبد الملك مدحه لبني هاشم مثلاً يحتذى:

حدثني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عمي الفضل، قال: حدثني الزبيري عن أشياخه أن عبد الملك بن مروان قال: يا معشر الشعراء تشبهوننا مرة بالأسد الأبخر، ومرة بالجبل الأوعر، ومرة بالبحر الأجاج، ألا قلتم فينا كما قال أيمن بن خريم في بني هاشم:

نهاركم مكابدةٌ وصومٌ ... وليلكم صلاة واقتراء
وليتم بالقران وبالتزكي ... فأسرع فيكم ذاك البلاء
بكى نجدٌ غداة غدٍ عليكم ... ومكة والمدينة والجواء
وحق لكل أرض فارقوها ... عليكم لا أبالكم البكاء
أأجعلكم وأقواماً سواءً ... وبينكم وبينهم الهواء
وهم أرض لأرجلكم وأنتم ... لأرؤسهم وأعينهم سماء

شعره وقد أدى عبد الملك عنه دية قتل خطأ: أخبرني الحسن بن علي، عن أحمد بن زهير، عن أبي همام الوليد بن شجاع، قال: حدثنا عبد الله بن إدريس، قال: أصاب أيمن بن خريم امرأة له خطأ -يعني قتلها- فوداها عبد الملك بن مروان: أعطى ورثتها ديتها، وكفر عنه كفارة القتل، وأعطاه عدة جوار، ووهب له مالاً، فقال أيمن:

رأيت الغواني شيئاً عجابا ... لو أنس مني الغواني الشبابا
ولكن جمع العذارى الحسان ... عناءٌ شديد إذا المرء شابا
ولو كلت بالمد للغانيات ... وضاعفت فوق الثياب ثيابا
إذا لم تنلهن من ذاك ذاك ... بغينك عند الأمير الكذابا
يذدن بكل عصا ذائدٍ ... ويصبحن كل غداة صعابا
إذا لم يخالطن كل الخلاط ... تراهن مخرنظمات غضابا
علام يكحلن حور العيون ... ويحدثن بعد الخضاب الخضابا
ويعركن بالمسك أجيادهن ... ويدنين عند الحجال العيابا
ويغمزن إلا لما تعلمون ... فلا تحرموا الغانيات الضرابا

قال: فبلغني أن عبد الملك أنشد هذا الشعر، فقال: نعم الشفيع أيمن لهن.

يستجيد عبد الملك وصفه للنساء: وأخبرني أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة وإبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، قال: قال له عبد الملك لما أنشده هذا الشعر: ما وصف النساء أحد مثل صفتك، ولا عرفهن أحد معرفتك. قال: فقال له: لئن كنت صدقت في ذلك لقد صدق الذي يقول: صوت

فإن تسألوني بالنساء فإنني ... خيرٌ بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله ... فليس له في ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه ... وشرخ الشباب عندهن عجيب

فقال له عبد الملك: قد لعمري صدقتما وأحسنتما، الشعر لعلقمة بن عبدة، والغناء لبسباسة، ولحنه خفيف ثقيل أول بالوسطى عن حبش. وهذه الأبيات يقولها علقمة بن عبدة يمدح بها الحارث ويسأله إطلاق ابنه شأس . وخبره يذكر وخبر الحارث بعد انقضاء أخبار أيمن بن خريم.

رجع الحديث إلى أخبار أيمن يفضل عبد العزيز بن مروان شعر نصيب على شعره، فيلحق ببشر بن مروان: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني المدائني عن أبي بكر الهذلي، قال: دخل نصيب يوماً إلى عبد العزيز بن مروان، فأنشده قصيدة له امتدحه بها فأعجبته، وأقبل على أيمن بن خريم فقال: كيف ترى شعر مولاي هذا؟ قال: هو أشعر أهل جلدته . فقال: هو أشعر والله منك. قال أمني أيها الأمير؟.

فقال: إي والله، قال: لا والله، ولكنك طرفٌ ملول، فقال له: لو كنت كذلك ما صبرت على مؤاكلتك منذ

سنة وبك من البرص ما بك ، فقال: ائذن لي أيها الأمير في الانصراف، قال: ذلك إليك، فمضى لوجهه حتى لحق ببشر بن مروان، وقال فيه:

ركبت من المقطم في جمادى إلى بشر بن مروان البريدا
ولو أعطاك بشر ألف ألفٍ رأى حقاً عليه أن يزيدا
أمير المؤمنين أقم ببشر عمود الدين إن له عمودا
ودع بشراً يقومهم ويحدث لأهل الزيغ إسلاماً جديداً
وإنا قد وجدنا أم بشر كأم الأسد مذكاراً ولودا
كأن التاج تاج أبي هرقل جلوه لأعظم الأيام عيدا

يحالف لونه ديباج بشر إذا الألوان حالفت الخدودا

-يعرض بنمش كان بوجه عبد العزيز- فقبله بشر بن مروان ووصله، و لم يزل أثيراً عنده.

من مدحه في بشر بن مروان: أخبرني عمي، قال: حدثني الكراني، وأبو العيناء عن العتبي، قال: لما أتى أيمن بن خريم بشر بن مروان نظر الناس يدخلون عليه أفواجاً، فقال من يؤذن لنا الأمير أو يستأذن لنا عليه؟ قيل له: ليس على الأمير حجاب ولا ستر، فدخل وهو يقول:

يرى بارزاً للناس بشرٌ كأنه إذا لاح في أثوابه قمرٌ بدر
ولو شاء بشرٌ أغلق الباب دونه طماطم سودٌ أو صقالبةٌ شقر
أبى ذا ولكن سهل الإذن للتي يكون له في غبها الحمد والشكر

فضحك إليه بشر، وقال: إنا قوم نحجب الحرم، وأما الأموال والطعام فلا، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

2يعير أهل العراق بقلة غنائهم في حرب غزالة: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أبو دلف، قال: حدثني الرياشي، قال: حدثنا الأصمعي عن المعتمد بن سليمان، قال: لما طالت الحرب بين غزالة وبين أهل العراق وهم لا يغنون شيئاً -قال أيمن بن خريم:

أتينا بهم مائتي فارسٍ من السافكين الحرام العبيطا
وخمسون من مارقات النسا ء يسحبن للمنديات المروطا
وهم مائتا ألف ذي قونس يئط العراقان منهم أطيطا
رأيت غزالة إن طرحت بمكة هودجها والغبيطا
سمت للعراقين في جمعها فلاقى العراقان منها بطيطا

ألا يستحي الله أهل العرا ق إن قلدوا الغانيات السموطا؟
وخيل غزالة تسبي النساء وتحوي النهاب وتحوي النبيطا
ولو أن لوطاً أميرٌ لكم لأسلمتم في الملمات لوطا

صوت

تصابيت أم هاجت لك الشوق زينب وكيف تصابي المرء والرأس أشيب !
إذا قربت زادتك شوقاً بقربها وإن جانبت لم يسل عنها التجنب
فلا اليأس إن ألممت يبدو فترعوي ولا أنت مردود بما جئت تطلب
وفي اليأس لو يبدو لك اليأس راحةٌ وفي الأرض عمن لا يؤاتيك مذهب

الشعر لحجية بن المضرب الكندي، فيما ذكره إسحاق والكوفيون. وذكر الزبير بن بكار أنه لإسماعيل بن يسار، وذكر غيره أنه لأخيه أحمد بن يسار. والغناء ليونس الكاتب، ولحنه من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وفيه ثقيل أول بالبنصر. ذكر حبش أنه لمالك، وذكر غيره أنه لمعبد.

أخبار حجية بن المضرب

تجعله عائشة مثلاً في بر صبية لأخيه مات عنهم: حدثني ابن عمار، قال: حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، وأخبرنا به وكيع عن إسماعيل بن إسحاق، عن سعيد بن يحيى الأموي، قال: حدثني المحبر بن قحذم، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: لما قدم القاسم بن محمد بن أبي بكر وأخته من مصر -وأخبرني بهذا الخبر محمد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن الهيثم بن عدي، عن عوانة، قال: كان القاسم بن محمد بن أبي بكر يحدث، قال: لما قتل معاوية بن حديج الكندي وعمرو بن العاص أبي -يعني محمد بن أبي بكر بمصر- جاء عمي عبد الرحمن بن أبي بكر فاحتملني وأختاً لي من مصر. وقد جمعت الروايتين واللفظ لابن أبي الأزهر، وخبره أتم قال.

فقدم بنا المدينة، فبعثت إلينا عائشة، فاحتملتنا من منزل عبد الرحمن إليها، فما رأيت والدة قط، ولا والداً أبر منها، فلم نزل في حجرها حتى إذا كان ذات يوم وقد ترعرعنا ألبستنا ثياباً بيضاء، ثم أجلست كل واحد منا على فخذها، ثم بعثت إلى عمي عبد الرحمن، فلما دخل عليها تكلمت فحمدت الله -عز وجل- وأثنت عليه. فما رأيت متكلماً ولا متكلمة قبلها ولا بعدها أبلغ منها، ثم قالت:

يا أخي إني لم أزل أراك معرضاً عني منذ قبضت هذين الصبيين منك، ووالله ما قبضتهما تطاولاً عليك، ولا تهمة لك فيهما، ولا لشيء تكرهه، ولكنك كنت رجلاً ذا نساء، وكانا صبيين لا يكفيان من أنفسهما شيئاً،

فخشيت أن يرى نساؤك منهما ما يتقذرون به من قبيح أمر الصبيان فكنت ألطف لذلك وأحق بولايته، فقد قويا على أنفسهما وشبا، وعرفا ما يأتيان، فها هما هذان فضمهما إليك، وكن لهما كحجية بن المضرب أخي كندة، فإنه كان له أخ يقال له: معدان، فمات وترك أصيبية صغاراً في حجر أخيه، فكان أبر الناس بهم وأعطفهم عليهم، وكان يؤثرهم على صبيانه، فمكث بذلك ما شاء الله. ثم إنه عرض له سفر لم يجد بداً من الخروج فيه، فخرج وأوصى بهم امرأته، وكانت إحدى بنات عمه، وكان يقال لها: زينب، فقال: اصنعي ببني أخي ما كنت أصنع بهم، ثم مضى لوجهه أشهراً، ثم رجع وقد ساءت حال الصبيان وتغيرت، فقال لامرأته: ويلك! مالي أرى بني معدان مهازيل، وأرى بني سمانا؟ قالت: قد كنت أواسي بينهم، ولكنهم كانوا يعبثون ويلعبون، فخلا بالصبيان فقال: كيف كانت زينب لكم؟ قالوا: سيئة، ما كانت تعطينا من القوت إلا ملء هذا القدح من لبن - وأروه قدحاً صغيراً- فغضب على امرأته غضباً شديداً وتركها، حتى إذا أراح عليه راعيا إبله قال لهما: اذهبا، فأنتما وإبلكما لبني معدان. فغضبت من ذلك زينب وهجرته، وضربت بينه وبينها حجاباً، فقال: والله لا تذوقين منها صبوحاً ولا غبوقاً أبداً، وقال في ذلك : شعره في امرأته حين عرف سوء معاملتها لصغار أخيه:

لججنا ولجت هذه في التغضب ... ولط الحجاب بيننا التجنب

وخطت بفردي إثمد جفن عينها ... لتقتلني وشد ما حب زينب

تلوم على مال شفاني مكانه ... فلومي حياتي ما بدا لك واغضبي

رحمت بني معدان أن قل مالهم ... وحق لهم مني ورب المحصب

وكان اليتامى لا يسد اختلالهم ... هدايا لهم في كل قعب مشعب

فقلت لعبدينا: أريحا عليهم ... سأجعل بيتي بيت آخر معزب

وقلت خذوها واعلموا أن عمكم ... هو اليوم أولى منكم بالتكسب

عيالي أحق أن ينالوا خصاصة ... وأن يشربوا رنقاً إلى حين مكسبي

أحابي بها من لو قصدت لماله ... حريباً لاساني على كل موكب

أخي والذي إن أدعه لعظيمة ... يجبني وإن اغضب إلى السيف يغضب

إلى ها هنا رواية ابن عمار.

تركته زوجته إلى المدينة وأسلمت فراح يطلبها: وفي خبر إسحاق قال: فلما بلغ زينب هذا الشعر وما وهب زوجها خرجت حتى أتت المدينة فأسلمت، وذلك في ولاية عمر بن الخطاب، فقدم حجية المدينة فطلب زينب أن ترد عليه، وكان نصرانياً، فنزل بالزبير بن العوام فأخبره بقصته، فقال له: إياك وأن يبلغ هذا عنك عمر فتلقى منه أذى.

يمدح الزبير بن العوام ويرحل كئيباً يائساً: وانتشر خبر حجية وفشا بالمدينة وعلم فيم كان مقدمه، فبلغ ذلك

عمر، فقال للزبير: قد بلغني قصة ضيفك، ولقد هممت به لولا تحرمه بالنزول عليك، فرجع الزبير إلى حجية فأعلمه قول عمر، قال حجية في ذلك.

إن الزبير بن عوام تداركني منه بسيب كريم سيبه عصم

نفسي فداؤك مأخوذاً بحجزتها إذ شاط لحمي وإذ زلت بي القدم

إذ لا يقوم بها إلا فتى أنفٌ عاري الأشاجع في عرنينه شمم

ثم انصرف من عنده متوجهاً إلى بلده، آيساً من زينب كئيباً حزيناً، فقال في ذلك:

تصابيت أم هاجت لك الشوق زينب

الأبيات المذكورة فيها الغناء.

صوت

خليلي هبا نصطبح بسواد ونرو قلوباً هامهن صواد

وقولاً لساقينا زياد يرقها فقد هز بعض القوم سقي زياد

الشعر والغناء لإسحاق، ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر.

خبر إسحاق مع غلامه زياد

وصف زياد غلام إسحاق: هذا الشعر يقوله إسحاق في غلامه له مملوك خلاسي ، يقال له: زياد. كان مولداً من مولدي المدينة، فصيحاً ظريفاً، فجعله ساقيه، وذكره هو وغيره في شعره. فممن ذكره من الشعراء دعبل، وله يقول:

أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش، عن أبي سعيد السكري قال: كان زياد الذي يذكره إسحاق في عدة مواضع، منها قوله:

وقولاً لساقينا زياد يرقها

-وكان نظيف السقي لبقاً، فقال فيه دعبل:

يقول زيادٌ قف بصحبك مرةً على الربع، مالي والوقوف على الربع !

صوت

أدرها على فقد الحبيب فربما شربت على نأى الأحبة والفجع

فما بلغتني الكأس إلا شربتها وإلا سقيت الأرض كأساً من الدمع

غنى في البيت الثاني والثالث من هذه الأبيات محمد بن العباس بن عبد الله بن طاهر لحناً من خفيف الثقيل الأول بالبنصر.

نسبة الصوت إلى غير إسحاق: قال أبو الحسن: وقد قيل: إن هذين البيتين -يعني:

خليلي هبا نصطبح بسواد

-للأخطل.

زياد يراجع إسحاق وهو يغني: أخبرني علي بن سليمان، قال: حدثني أبي، قال: قال لي جعفر بن معروف الكاتب -وكان قد جاوز مائة سنة: لقد شهدت إسحاق يوماً في مجلس أنس وهو يتغنى هذا الصوت:

خليلي هبا نصطبح بسواد

وغلامه زياد جالس على مسورة يسقي، وهو يومئذ غلام أمرد أصفر، رقيق البدن حلو الوجه. ثم أخذ يراجعه ولا أحد يستطيع يقول له: زدني ولا انقصني.

يعتقه إسحاق ويزوجه: أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري، قال حدثني أحمد بن الهيثم، يعني جد أبي -رحمه الله- قال: كنت ذات يوم جالسا في منزلي بسر من رأى وعندي إخوان لي، وكان طريق إسحاق في مضيه إلى دار الخليفة ورجوعه منها على منزلي، فجاءني الغلام يوماً وعندي أصدقاء لي فقال لي: إسحاق بن إبراهيم الموصلي بالباب، فقلت له: قل له، ويلك! يدخل، أوفى الخلق أحد يستأذن عليه لإسحاق! فذهب الغلام وبادرت أسعى في أثره حتى تلقيته، فدخل وجلس منبسطاً آنساً، فعرضنا عليه ما عندنا، فأجاب إلى الشرب، فأحضرناه نبيذاً مشمساً فشرب منه، ثم قال: أتحبون أن أغنيكم؟ قلنا: إي والله أطال الله بقاءك، إنا نحب ذلك. قال: فلم لم تسألوني؟ قلنا: هبناك والله، قال: فلا تفعلوا، ثم دعا بعود فأحضرناه، فاندفع فغنانا، فشربنا وطربنا. فلما فرغ قال: أحسنت أم لا؟ فقلنا: بلى والله، جعلنا الله فداءك لقد أحسنت. قال: فما منعكم أن تقولوا لي: أحسنت!.

قلنا: الهيبة والله لك، قال: فلا تفعلوا هذا فيما تستأنفون، فإن المغني يحب أن يقال له: غن، ويحب أن يقال له إذا غنى: أحسنت، ثم غنانا صوته:

خليلي هبا نصطبح بسواد

فقلنا له: يا أبا محمد، من هو زياد الذي غنيته؟ قال: هو غلامي الواقف بالباب، أدعوه يا غلمان، فأدخل إلينا، فإذا غلام خلاسي، قيمته عشرون ديناراً أو نحوها. فأمسكنا عنه، فقال: أتسألوني عنه فأعرفكم إياه ويخرج كما دخل، وقد سمعتم شعري فيه وغنائي؟ أشهدكم أنه حر لوجه الله، وأني زوجته أمتي فلانة، فأعينوه على أمره. قال: فلم يخرج حتى أوصلنا إليه عشرين ألف درهم، أخرجناها له من أموالنا.

إسحاق يرثيه: أخبرني يحيى بن علي قال: حدثني أبي، قال: توفي زياد غلام إسحاق الذي يقول فيه:

وقولاً لساقينا زياد يرقها

فقال إسحاق يرثيه:

فقدنا زياداً بعد طول صحابة فلا زال يسقي الغيث قبر زياد

ستبكيك كأس لم تجد من يديرها وظمآن يستبطي الزجاجة صاد

يطلب الأمين إسحاق فيغنيه: أخبرني عمي، قال: حدثني ابن المكي عن أبيه، قال: اصطبح محمد الأمين ذات يوم، وأمر بالتوجيه إلى إسحاق، فوجه إليه عدة رسل، كلهم لا يصادفه، حتى جاء أحدهم به، فدخل منتشياً ومحمد مغضب. فقال له: أين كنت ويلك! قال: أصبحت يا أمير المؤمنين نشيطاً، فركبت إلى بعض المتنزهات، فاستطبت الموضع وأقمت فيه وسقاني زياد، فذكرت أبياتاً للأخطل وهو يسقيني، فدار لي فيها لحن حسن فصنعته فيها، وقد جئتك به. فتبسم، ثم قال: هات، فما تزال تأتي بما يرضي عنك عند السخط، فغناه: صوت

إذا ما زيادٌ علني ثم علني ثلاث زجاجات لهن هدير

خرجت أجر الذيل زهواً كأنني عليك أمير المؤمنين أمير

قال: بل على أبيك، قبح الله فعلك، فما يزال إحسانك في غنائك يمحو إساءتك في فعلك، وأمر له بألف دينار.

الشعر في هذين البيتين للأخطل، والغناء لإسحاق، رمل بالبنصر. ورواية شعر الأخطل:

إذا ما نديمي علني ثم علني

وإنما غيره إسحاق فقال: "إذا ما زياد".

أخبرني علي بن سليمان عن محمد بن يزيد النحوي: أن عبد الملك بن مروان قال للأخطل: ما يدعوك إلى الخمر؟ فوالله إن أولها لمر، وإن آخرها لسكر! قال: أجل، ولكن بينهما حالة، ما ملكك عندها بشيء، وقد قلت في ذلك:

إذا ما نديمي علني ثم علني ثلاث زجاجات لهن هدير

خرجت أجر الذيل زهواً كأنني عليك أمير المؤمنين أمير

قال: فجعل عبد الملك يضحك.

صوت

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مخرونٍ ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب المسلم

هنيئاً لكم حبي وصفو مودتي فقد سيط من لحمي هواك ومن دمي

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر، وفيه لدحمان ثقيل أول بالبنصر. ويقال: إنه لابن سريج، وقيل: إن الثقيل الأول لابن عائشة، والثقيل الثاني لابن سريج، وفيه خفيف ثقيل أول، ينسب إلى ابن سريج وإلى علي بن الجواري.

خبر لحبابة مع ابن عائشة تشتاق حبابة إلى ابن عائشة فتحتال لتسمع غناءه: أخبرني الحسن بن يحيى وابن أبي الأزهر، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن المدائني، قال: كانت حبابة جارية يزيد بن عبد الملك معجبةً بغناء ابن عائشة، وكان ابن عائشة حديث السن، فلما طال عهدها به اشتاقت إلى أن تسمع غناءه، فلم تدر كيف تصنع، فاختلفت هي وسلامة في صوت لمعبد، فأمر يزيد بإحضاره ووجه في ذلك رسولاً، فبعثت حبابة إلى الرسول سراً فأمرته أن يأتي ابن عائشة وأمير المدينة في خفاء، ويبلغهما رسالتها بالخروج مع معبد سراً، وقالت: قل لهما يستران ذلك عن أمير المؤمنين.

فلما قدم الرسول إلى عامل المدينة أبلغه ما قالت حبابة، فأمر ابن عائشة بالرحلة مع معبد، وقال لمعبد: انظر ما تأمرك به حبابة فانتبه إليه، فقال: نعم، فخرجا حتى قدما على يزيد، وبلغ الخبر حبابة فلم تدر كيف تصنع في أمر ابن عائشة. فلما حضر معبد حاكمت سلامة إليه، فحكم لها، فاندفعت فغنت صوتاً لابن عائشة، وفيه لابن سريج لحن، ولحن ابن عائشة أشهرهما، وهو:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها

فقال يزيد: يا حبيبتي؛ أني لك هذا و لم أسمعه منك، وهو على غاية الحسن؟ إن لهذا لشأناً، فقالت: يا أمير المؤمنين، هذا لحن كنت أخذته عن ابن عائشة، قال: ذلك الصبي! قالت: نعم، وهذا أستاذه -وأشارت بيدها إلى معبد- فقال لمعبد: أهذا لحن ابن عائشة أو انتحله؟ فقال معبد: هذا -أصلح الله الأمير- له، فقال يزيد: لو كان حاضراً ما كرهنا أن نسمع منه، فقال معبد: هو والله معي لا يفارقني، فقال يزيد: ويلك يا معبد! احتملنا الساعة أمرك، فزدتنا ما كرهنا، ثم قال لحبابة: هذا والله عملك، قالت: أجل يا سيدي، قال لها: هذه الشام، ولا تحتمل لنا ما تحتمله المدينة. قالت: يا سيدي أنا والله أحب أن أسمع من ابن عائشة، فأحضر، فلما دخل قال له: هات صوتاً غنته حبابة:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها

فغناه، فقال: هو والله يا حبابة منه أحسن منك، قالت: أجل يا سيدي، ثم قال يزيد: هات يا محمد ما عندك، فغنى: صوت

قف بالمنازل قبل أن نتفرقا ... واستنطق الربع المحيل المخلقا

عن علم ما فعل الخليط لعله ... بجواب رجع حديثهم أن ينطقا

فيبين من أخبارهم لمتيم ... أمسى وأصبح بالرسول معلقا

كلفاً بها أبداً تسح دموعه وسط الديار مسائلاً مستنطقا
ذرفت له عين يرى إنسانها في لجةٍ من مائها مغرورقاً
تقري محاجرها الدموع كأنها درٌ وهي من سلكه مستوسقاً

الغناء لابن عائشة، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى، وفيه لشاربة خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى، ويقال: إن فيه لابن جندب وحنين لحنين، قال: فقال له يزيد: أهلاً وسهلاً بك يا بن عائشةً، فأنت والله الحسن الوجه، الحسن الغناء. وأحسن إليه ووصله.

ثم لم يره يزيد بعد هذا المجلس، وبعثت إليه حبابة ببر وألطاف واتبعتها سلامة في ذلك.

صوت

لما سمعت الديك صاح بسحرة وتوسط النسران بطن العقرب

وبدا سهيل في السماء كأنه نور وعارضه هجان الربرب
نبهت ندماني وقلت له اصطبح يا بن الكرام من الشراب الطيب
صفراء تبرق في الزجاج كأنها حدق الجرادة أو لعاب الجندب

الشعر لأبي الهندي، والغناء لإبراهيم الموصلي، ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو.

أخبار أبي الهندي ونسبه

اسمه ونسبه وشعره: اسمه غالب بن عبد القدوس، بن شبث بن ربعي. وكان شاعراً مطبوعاً، وقد أدرك الدولتين: دولة بني أمية، وأول دولة ولد العباس. وكان جزل الشعر، حسن الألفاظ، لطيف المعاني. وإنما أخمله وأمات ذكره بعده من بلاد العرب، ومقامه بسجستان وبخراسان، وشغفه بالشراب ومعاقرته إياه، وفسقه وما كان يتهم به من فساد الدين.

هو أول من وصف الخمر من شعراء الإسلام: واستفرغ شعره بصفة الخمر، وهو أول من وصفها من شعراء الإسلام، فجعل وصفها وكده وقصده، ومن مشهور قوله فيها ومختاره:

سقيت أبا المطرح إذ أتاني وذو الرعثات منتصبٌ يصيح
شرابا يهرب الذبان منه ويلثغ حين يشربه الفصيح

أبو نواس يأخذ من معانيه في الخمر: أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني فضل اليزيدي أنه سمع إسحاق الموصلي يوماً يقول، وأنشد شعراً لأبي الهندي في صفة الخمر، فاستحسنه وقرظه، فذكر عنده أبو نواس،

فقال: ومن أين أخذ أبو نواس معانيه إلا من هذه الطبقة؟ وأنا أوجدكم سلخه هذه المعاني كلها في شعره، فجعل ينشد بيتاً من شعر أبي الهندي، ثم يستخرج المعنى والموضع الذي سرقه الحسن فيه حين أتى على الأبيات كلها واستخرجها من شعره.

شعر مأخوذ من شعره: أخبرني الحسن بن علي؛ قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد. قال: حدثني شيخ من أهل البصرة، قال: كنا عند أبي عبيدة، فأنشد منشد شعراً في صفة الخمر -أنسيه الشيخ- فضحك ثم قال: هذا أخذه من قول أبي الهندي:

سيغني أبا الهندي عن وطب سالم ... أباريق لم يعلق بها وضر الزبد

مفدمةٌ قز كأن رقابها ... رقاب بنات الماء تفزع للرعد

جلتها الجوالي حين طاب مزاجها ... وطيبتها بالمسك والعنبر والورد

تمج سلافا في الأباريق خالصاً ... وفي كل كأس من مهاً حسن القد

تضمنها زق أزب كأنه ... صريعٌ من السودان ذو شعر جعد

نسخت من كتاب ابن النطاح.

ثلاثة أيام يسكر فيها كلما أفاق: حدثني بعض أصحابنا: أن أبا الهندي اشتهى الصبوح في الحانة ذات يوم، فأتى خماراً بسجستان في محلة يقال لها: كوه زيان -وتفسيره: جبل الخسران- يباع فيها الخمر والفاحشة، ويأوي إليها كل خارب وزانٍ ومغنية ، فدخل إلى الخمار فقال له: اسقني، وأعطاه ديناراً، فكال له، وجعل يشرب حتى سكر، وجاء قوم يسألون عنه فصادفوه على تلك الحال. فقالوا للخمار: ألحقنا به؛ فسقاهم حتى سكروا، فانتبه فسأل عنهم، فعرفه الخمار خبرهم، فقال له: هذا الآن وقت السكر، الآن طاب، ألحقني بهم، فجعل يشرب حتى سكر، وانتبهوا فقالوا للخمار: ويحك! هذا نائم بعد! فقال: لا، ولقد انتبه، فلما عرف خبركم شرب حتى سكر، فقالوا: ألحقنا به فسقاهم حتى سكروا، وانتبه فسأل عن خبرهم، فعرفه فقال: والله لألحقن بهم، فشرب حتى سكر، و لم يزل ذلك دأبه ودأبهم ثلاثة أيام لم يلتقوا وهم في موضع واحد، ثم تركوا الشرب عمداً حتى أفاق، فلقوه.

وهذا الخبر بعينه يحكي لواليه بن الحباب مع أبي نواس، وقد ذكر في أخبار والبة، والصحيح أنه لأبي الهندي، وفي ذلك يقول:

ندامى بعد ثالثةٍ تلاقوا ... يضمهم بكوه زيان راح

وقد باكرتها فتركت منها ... قتيلاً ما أصابتني جراح

وقالوا أيها الخمار من ذا؟ ... فقال أخ تخونه اصطباح

فقالوا هات راحك ألحقنا ... به وتعللوا ثم استراحوا

فما إن لبثتهم أن رمتهم بحد سلاحها ولها سلاح
وحان تنبهي فسألت عنهم فقال أتاحهم قدر متاح
رأوك مجدلاً فاستخبروني فحركهم إلى الشرب ارتياح

فقلت بهم فألحقني فهبوا فقالوا هل تنبه حين راحوا؟
فقال نعم فقالوا ألحقنا به قد لاح للرائي صباح
فما إن زال الدأب منا ثلاثاً يستغب ويستباح
نبيت معاً وليس لنا لقاءٌ ببيت ما لنا فيه براح

يموت مختنقاً: أخبرني عمي الحسن بن أحمد، قال: حدثني الحسن بن عليل العنزي، قال: قال صدقة بن إبراهيم البكري: كان أبو الهندي يشرب معنا بمرو، وكان إذا سكر يتقلب تقلباً قبيحاً في نومه، فكنا كثيراً ما نشد رجله لئلا يسقط من السطح، فسكر ليلة وشددنا رجله بحبل، وطولنا فيه ليقدر على القيام إلى البول وغير ذلك من حوائجه، فتقلب وسقط من السطح، وأمسكه الحبل فبقي منكساً وتخنق بما في جوفه من الشراب، فأصبحنا فوجدناه ميتاً. قال صدقة: فمررت بقبره بعد ذلك فوجدت عليه مكتوباً:

اجعلوا إن مت يوماً كفني ورق الكرم وقبري معصره
إنني أرجو من الله غداً بعد شرب الراح حسن المغفره

قال: فكان الفتيان بعد ذلك يجيئون إلى قبره، ويشربون ويصبون القدح إذا انتهى إليه على قبره.

قال حماد بن إسحاق عن أبيه في وفاة أبي الهندي: إنه خرج وهو سكران في ليلة باردة من حانة خمار وهو ريان، فأصابه ثلج فقتله، فوجد من غد ميتاً على الطريق.

شعره وقد كف عن الشراب مدة: وروى حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: حج نصير بن سيار وأخرج معه أبا الهندي، فلما حضرت أيام الموسم قال له: يا أبا الهندي، إنا بحيث ترى، وفد الله وزوار بيته، فهب لي النبيذ في هذه الأيام واحتكم علي، فلولا ما ترى، ما منعتك، فضمن له ذلك وغلظ عليه الاحتكام، ووكل به نصر بن سيار، فلما انقضى الأجل مضى في السحر قبل أن يلقي نصراً، فجلس في أكمة يشرف منها على فضاء واسع، فجلس عليها ووضع بين يديه إداوة، وأقبل يشرب ويبكي، ويقول:

أديرا علي الكأس إني فقدتها كما فقد المفطوم در المراضع
حليف مدام فارق الراح روحه فظل عليها مستهل المدامع

قال: وعاتب قوم أبا الهندي على فسقه ومعاقرته الشراب، فقال:

إذا صليت خمساً كل يوم فإن الله يغفر لي فسوقي

ولم أشرك برب الناس شيئاً فقد أمسكت بالدين الوثيق

وجاهدت العدو ونلت مالاً يبلغني إلى البيت العتيق

فهذا الدين ليس به خفاء دعوني من بنيات الطريق

شعره وقد امتنع من أجر فسقه: قال إسحاق: وشرب يوماً أبو الهندي بكوه زيان عند خمارة هناك، وكان عندها نسوةٌ عواهر، ففجر بهن و لم يعطهن شيئاً، فجعلن يطالبنه بجعل فلم ينفعهن، فقال في ذلك:

آلي يميناً أبو الهندي كاذبةً ليعطين زواني لست ماشينا

وغرهن فلما أن قضى وطراً قال ارتحلن فأخزى الله ذادينا

يخطب امرأة فيرد أهلها خطبته: أخبرني عمي عن هبيد بن عبد الله بن طاهر، عن أبي محلم، قال: خطب أبو الهندي غالب بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي إلى رجل من بني تميم، فقال: لو كنت مثل أبيك لزوجتك، فقال له غالب: لكنك لو كنت مثل أبيك ما خطبت إليك.

أمثلة من سرعة جوابه: قال أبو محلم: ومر نصر بن سيار بأبي الهندي، وهو سكران يتمايل، فوقف عليه فعذله وسبه، وقال: ضيعت شرفك، وفضحت أسلافك. فلما طال عتابه التفت إليه فقال: لولا أني ضيعت شرفي لم تكن أنت على خراسان، فانصرف نصر خجلاً.

قال أبو محلم: وكان بسجستان رجل يقال له: برزين ناسكا، وكان أبوه صلب في خرابة فجلس إليه أبو الهندي -فطفق ويعرض له بالشراب. فقال له أبو الهندي: أحدكم يرى القذاة في عين أخيه، ولا يرى الخشبة في أست أبيه! فأخجله.

قال أبو محلم: وكان أسرع الناس جواباً.

صوت

لقد قلت حين قر بت العيس يا نوار

قفوا فاربعوا قليلاً فلم يربعوا وساروا

فنفسي لها حنين وقلبي له انكسار

وصدري به غليل ودمعي له انحدار

الشعر لسعيد بن وهب، والغناء لسليم رمل بالوسطى عن الهشامي، ومن جامع سليم ونسخة عمرو الثانية.

أخبار سعيد بن وهب

نسبه ومنشؤه:

سعيد بن وهب أبو عثمان مولى بني سلمة بن لؤي بن نصر، مولده ومنشؤه بالبصرة، ثم سار إلى بغداد فأقام بها، وكانت الكتابة صناعته، فتصرف مع البرامكة فاصطنعوه، وتقدم عندهم.

أكثر شعره في الغزل: وكان شاعراً مطبوعاً، ومات في أيام المأمون، وأكثر شعره في الغزل والتشبيب بالمذكر، وكان مشغوفاً بالغلمان والشراب.

ثم تنسك وتاب، وحج راجلاً على قدميه، ومات على توبة وإقلاع ومذهب جميل.

أبو العتاهية يرثيه: ومات وأبو العتاهية حي، وكان صديقه فرثاه.

فأخبرني علي بن سليمان الأخفش. عن محمد بن مزيد. قال: حدثت عن بعض أصحاب أبي العتاهية. قال: جاء رجل إلى أبي العتاهية -ونحن عنده- فساره في شيء فبكى أبو العتاهية، فقلنا له: ما قال لك هذا الرجل يا أبا إسحاق فأبكاك؟ فقال، وهو يحدثنا لا يريد أن يقول شعراً:

قال لي مات سعيد بن وهب ... رحم الله سعيد بن وهب

يا أبا عثمان أبكيت عيني ... يا أبا عثمان أوجعت قلبي

قال: فعجبنا من طبعه وأنه تحدث، فكان حديثه شعراً موزوناً.

يتوب ويتزهد: وأخبرني الحسن بن علي الخفاف. قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني سيبويه أبو محمد، قال: كان سعيد بن وهب الشاعر البصري مولى بني سامة قد تاب وتزهد، وترك قول الشعر. وكان له عشرةٌ من البنين وعشر من البنات، فكان إذا وجد شيئاً من شعره خرقه وأحرقه.

وكان امرأ صدق، كثير الصلاة، يزكي في كل سنة عن جميع ما عنده حتى إنه ليزكي عن فضة كانت على امرأته.

شعره وقد توعده غلام كان يعشقه: أخبرني عمي، قال: حدثني علي بن الحسين بن عبد الأعلى، قال: حدثني أبو عثمان الليثي، قال: كان سعيد بن وهب يتعشق غلاماً يتشطر ، يقال له: سعيد، فبلغه أنه توعده أن يجرحه، فقال فيه:

من عذيري من سميي ... من عذيري من سعيد؟

أنا باللحم أجاه ... ويجائي بالحديد

شعره حين رأى كتاباً في أحوال جميلة: حدثني جحظة، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: نظر سعيد بن وهب إلى قوم من كتاب السلطان في أحوال جميلة، فأنشأ يقول:

من كان في الدنيا له شارةٌ ... فنحن من نظارة الدنيا

نرمقها من كثب حسرةً ... كأننا لفظٌ بلا معنى

يعلوا بها الناس وأيامنا تذهب في الأرذل وتلأدنى

شعره في غلام وسيم حين رآه: أخبرني عمي، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود، قال: حدثني عبد الله بن أبي العلاء المغني، قال: نظر إلي سعيد بن وهب، وأنا على باب ميمون بن إسماعيل، حين اخضر شاربي، ومعه إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فسلمت على إسحاق فأقبل عليه سعيد، وقال: من هذا الغلام؟ فتبسم، وقال: هذا ابن صديق لي، فأقبل علي وقال:

لا تخرجن مع الغزي لمغنم إن الغزي يراك أفضل مغنم

في مثل وجهك يستحل ذوو التقى والدين والعلماء كل محرم

ما أنت إلا غادةٌ ممكورة لولا شواربك المطلة بالفم

يستميل غلاماً بالشعر: أخبرني محمد بن خلف المرزبان، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، عن أبي دعامة، قال: مر سعيد بن وهب والكسائي، فلقيا غلاماً جميل الوجه، فاستحسنه الكسائي وأراد أن يستميله ، فأخذ يذاكره بالنحو ويتكلم به، فلم يمل إليه، وأخذ سعيد بن وهب في العشر ينشده، فمال إليه الغلام، فبعث به إلى منزله، وبعث معه بالكسائي، وقال له: حدثه وآنسه إلى أن أجيء وتشاغل بحاجة له، فمضى به الكسائي، فما زال يداريه حتى قضى حاجته وأربه، ثم قال له: انصرف، وجاء سعيد فلم يره، فقال: شعره وقد نال الكسائي من الغلام الذي استماله:

أبو حسن لا يفي فمن ذا يفي بعده؟

أثرت له شادناً فصايده وجده

وأظهر لي غدرةً وأخلفني وعده

سأطلب ما ساءه كما ساءني جهده

يرثي ابناً له:

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني حماد بن إسحاق، عن أبيه قال: كان سعيد بن وهب لي صديقاً، وكان له ابن يكنى أبا الخطاب، من أكيس الصبيان وأحسنهم وجهاً وأدباً، فكان لا يكاد يفارقه في كل حال، لشدة شغفه به، ورقته عليه. فمات وله عشر سنين، فجزع عليه جزعاً شديداً، وانقطع عن لذاته. فدخلت إليه يوماً لأعاتبه على ذلك، وأستعطفه، فحين رأى ذلك في وجهي فاضت دموعه، ثم انتحب حتى رحمته، وأنشدني:

عين جودي على أبي الخطاب إذ تولى غضا بماء الشباب

لم يقارف ذنباً ولم يبلغ الحن ث مرجى مطهر الأثواب

فقدته عيني إذا ما سعى أت رابه من جماعة الأتراب

إن غدا موحشاً لداري فقد أص ... بح أنس الثرى وزين التراب
أحمد الله يا حبيبي فأني ... بك راج منه عظيم الثواب

ثم ناشدني ألا أذكره بشيء مما جئت إليه، فقمت و لم أخاطبه بحرف.

وقد رأيت هذه الأبيات بعينها بخط إسحاق في بعض دفاتره، يقول فيه: أنشدني سعيد بن وهب لنفسه يرثي ابناً له صغيراً، وهي على ما ذكره جعفر بن قدامة عن حماد سواء.

كان مألفة للغلمان والظرفاء والقيان: أخبرني عيسى بن الحسين الوراق، قال: حدثني أبو هفان، قال: حدثني أبو دعامة، قال: كان سعيد بن وهب مألفة لكل غلام أمرد، وفتى ظريف، وقينة محسنة، فحدثني رجل كان يعاشره، قال: دخل إليه يوماً وأنا عنده غلامان أمردان، فقالا له: قد تحاكمنا إليك: أينا أجمل وجهاً، وأحسن جسماً؟ وجعلنا لك أجر حكمك أن تختار أينا حكمت له، فتقضي حاجتك منه. فحكم لأحدهما، وقام فقضى حاجته واحتبسهما فشربا عنده نبيذاً، ثم مال على الآخر أيضاً، وقمت معه. فداخلتهما حتى فعلت كفعله، فقال لي سعيد: هذا يوم الغارات في الحارات ، ثم قال: شعره في غلامين احتكما إليه أيهما أجمل:

رئمان جاءا فحكماني ... لا حكم قاضٍ ولا أمير
هذا كشمس الضحى جمالا ... وذا كبدر الدجى المنير
وفضل هذا كذا على ذا ... فضل خميس على عشير
قالا أشر بيننا برأي ... ونجعل الفضل للمشير
تباذلا ثم قمت حتى ... أخذت فضلي من الكبير
وكان عيباً بأن أراني ... أحرم حظي من الصغير
فكان مني ومن قريني ... إليهما وثبة المغير
فمن رأى حاكما كحكمي ... أعظم جوراً بلا نكير!

وقال: وشاعت الأبيات حتى بلغت الرشيد، فدعا به فاستنشده إياها، فتلكأ، فقال له: أنشد ولا بأس عليك، فأنشد، فقال له: ويلك! اخترت الكبير سناً أو قدراً؟ قال: بل الكبير قدراً. قال: لو قلت غير هذا سقطت عندي واستخففت بك. ووصله.

يمدح الفضل بن يحيى ببيتين فيطرب لهما: أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني أبو العيناء، قال: دخل سعيد بن وهب على الفضل بن يحيى في يوم قد جلس فيه للشعراء، فجعلوا ينشدونه ويأمر لهم بالجوائز حتى لم يبق منهم أحد، فالتفت إلى سعيد بن وهب كالمستنطق، فقال له: أيها الوزير، إني ما كنت استعددت لهذه الحال، ولا تقدمت لها، عندي مقدمة فأعرفها، ولكن قد حضرني بيتان أرجو أن ينوبا عن قصيدة، فقال: هاتهما فرب قليلٍ أبلغ من الكثير، فقال سعيد:

مدح الفضل نفسه بالفعال فعلا عن مديحنا بالمقال

أمروني بمدحه قلت كلا كبر الفضل عن مديح الرجال

قال: فطرب الفضل، وقال له: أحسنت والله وأجدت! ولئن قل القول ونزر لقد اتسع المعنى وكثر.

ثم أمر له بمثل ما أعطاه كل من أنشده مديحاً يومئذ، وقال: لا خير فيما يجيء بعد بيتيك ؛ وقام من المجلس وخرج الناس يومئذٍ بالبيتين لا يتناشدون سواهما.

كان نديم الفضل بن يحيى وأنيسه: حدثني عمي قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: حدثت عن الخريمي، قال: كان الفضل بن يحيى ينافس أخاه جعفراً، وينافسه جعفر، وكان أنس بن أبي شيخ خاصاً بجعفر، ينادمه ويأنس به في خلواته، وكان سعيد بن وهب بهذه المنزلة للفضل.

فدخلت يوماً إلى جعفر، ودخل إليه سعيد بن وهب، فحدثه وأنشده وتنادر له، وحكي عن المتنادرين، وأتى بكل ما يسر ويطرب ويضحك، وجعفر ساكت ينظر إليه لا يزيد على ذلك.

فلما خرج سعيد من عنده تجاهلت عليه، وقلت له: من هذا الرجل الكثير الهذيان؟ قال: أو ما تعرفه؟ قلت: لا؛ قال: هذا سعيد بن وهب صديق أخي أبي العباس وخلصانه وعشيقه، قلت: وأي شيء رأى فيه؟ قال: لا شيء والله إلا القذر والبرد والغثاثة.

ثم دخلت بعد ذلك إلى الفضل، ودخل أنس بن أبي شيخ فحدث وندر وحكى عن المضحكين وأتى بكل طريفة، فكانت قصة الفضل معه قصة جعفر مع سعيد، فقلت له بعد أن خرج من حضرته: من هذا المبرد؟ قال: أو لا تعرفه؟ قلت: لا. قال: هذا أنس بن أبي شيخ صديق أخي أبي الفضل وعشيقه وخاصته. قلت: وأي شيء أعجبه فيه؟ قال: لا أدري والله، إلا القذر والبرد وسوء الاحتيار.

قال: وأنا والله أعرف بسعيد وأنس من الناس جميعاً، ولكني تجاهلت عليهما وساعدتهما على هواهما.

يفي للفضل بن الربيع في نكبته فيعظم قدره: حدثني عمي، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: قال إبراهيم بن العباس: قال لي الفضل بن الربيع ذات يوم: عرفتنا أيام النكبة من كنا نجهله من الناس، وذلك أنا احتجنا إلى أن نودع أموالنا، وكان أمرها كثيراً مفرطاً، فكنا نلقيها على الناس إلقاء، ونودعها الثقة وغير الثقة، فكان ممن أودعته سعيد بن وهب، وكان رجلاً صعلوكاً لا مال له، إنما صحبنا على البطالة : فظننت أن ما أودعته ذاهب، ثم طلبته منه بعد حين، فجاءني والله بخواتيمه.

وأودعت علي بن الهيثم كاتبنا جملة عظيمة، وكان عندي أوثق من أودعته، فلما أمنت طالبته بالوديعة، فجحدنيها وبهتني وحلف على ذلك، فصار سعيد عندي في السماء، وبلغت به كل مبلغ، وسقط علي بن الهيثم، فما يصل إلي ولا يلقاني.

يحاجي جارية رجل من البرامكة: أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه، حدثني عمرو

بن بانة. قال: كان في جواري رجل من البرامكة، وكانت له جارية شاعرة ظريفة، يقال لها حسناء، يدخل إليها الشعراء ويسألونها عن المعاني، فتأتي بكل مستحسن من الجواب، فدخل إليها سعيد بن وهب يوماً، وجلس إليها فحادثها طويلاً، ثم قال لها بعد ذلك:

حاجيتك يا حسنا ... ء في جنسٍ من الشعر
وفيما طوله شبرٌ ... وقد يوفى على الشبر
له في رأسه شقٌ ... مطوفٌ بالندى يجري
إذا ما جف لم يجر ... لدى بر ولا بحر
وإن بل أتى بالع ... جب العاجب والسحر
أجيبي لم أرد فحشاً ... ورب الشفع والوتر
ولكن صغت أبياتاً ... لها حظ من الزجر

قال: فغضب مولاها وتغير لونه، وقال أتفحش على جاريتي وتخاطبها بالخنا! فقالت له: خفض عليك، فما ذهب إلى ما ظننت، وإنما يعني القلم، فسري عنه، وضحك سعيد وقال: هي أعلم منك بما سمعت.

صوت

داينت أروى والديون تقضى ... فمطلت بعضاً وأدت بعضا
يا ليت أروى إذ لوتك القرضا ... جادت بقرض فشكرت القرضا

الشعر لرؤبة بن العجاج، والغناء لعمرو بن بانة، رمل بالوسطى.

أخبار رؤبة ونسبه

نسبه والاحتجاج بشعره: هو رؤبة بن العجاج، واسم العجاج عبد الله بن رؤبة بن حنيفة، وهو أبو جذيم بن مالك بن قدامة بن أسامة بن الحارث بن عوف بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

عصره والاحتجاج بشعره: من رجاز الإسلام وفصائحهم، والمذكورين المقدمين منهم، بدوي نزل البصرة، وهو من مخضرمي الدولتين.

مدح بني أمية وبني العباس، ومات في أيام المنصور وقد أخذ عنه وجوه أهل اللغة، وكانوا يقتدون به، ويحتجون بشعره، ويجعلونه إماماً؛ ويكنى أبا الجحاف وأبا العجاج.

يراه يونس بن حبيب أفصح من معد بن عدنان: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عمار -واللفظ له- قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا خلاد بن يزيد، قال: حدثني يونس بن حبيب، قال: كنت جالساً مع

أبي عمرو بن العلاء إذ مر بنا شبيل بن عزرة الضبعي -قال أبو يزيد: وكان علامة- فقال: يا أبا عمرو، أشعرت أني سألت رأبة عن اسمه فلم يدر ما هو وما معناه؟ قال يونس: فقلت له: والله لرؤبة أفصح من معد بن عدنان، وأنا غلام رؤبة، أفتعرف أنت روبة وروبة وروبة وروبة ورؤبة؟ قال: فضرب بغلته وذهب، فما تكلم بشيء: قال يونس: فقال لي أبو عمرو: ما يسرني أنك نقصتني منها.

قال ابن عمار في خبره: والروبة: اللبن الخاثر، والروبة: ماء الفحل، والروبة: الساعة تمضي من الليل، والروبة: الحاجة، والرؤبة: شعب القدح، قال: وأنشدني بعد ذلك.

فأما تميمٌ تميم بن مر فألفاهم القوم روبى نياما

حدثني ابن عمار، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني يحيى بن محمد بن أعين المروزي، قال: حدثني أبو عبيدة؛ قال: شهدت شبيلاً الضبعي وأبا عمرو، فذكر نحوه.

أخبرني أبو خليفة في كتابه إلي عن محمد بن سلام، قال: قلت ليونس: هل رأيت عربياً قط أفصح من رؤبة؟ قال: لا، ما كان معد بن عدنان أفصح منه.

قال يونس: قال لي رؤبة: حتى متى أزخرف لك كلام الشيطان؟ أما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك! يروي هو وأبوه الحديث: وقد روى رؤبة بن العجاج الحديث المسند عن رسول الله "، ورواه أبوه أيضاً.

ينشد أبا هريرة فيشهد له بالإيمان: أخبرني عبد الله بن أبي داود السجستاني، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن خلاد، قال: حدثنا يعقوب بن محمد الزهري، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم، عن يونس بن حبيب، عن رؤبة بن العجاج، عن أبيه قال: أنشدت أبا هريرة:

الحمد لله الذي تعلت بأمره السماء واستقلت

بإذنه الأرض وما تغيت أرسى عليها بالجبال الثبت

الباعث الناس ليوم الموقت

قال أبو هريرة: أشهد أنك تؤمن بيوم الحساب.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن ابن شبة، عن أبي حرب البابي -من آل الحجاج بن باب- قال: حدثنا يونس بن حبيب، عن رؤبة بن العجاج، عن أبي الشعثاء، عن أبي هريرة قال: كنا مع النبي " في سفر وحاد يحدو:

طاف الخيالان فهاجا سقما خيال لبنى وخيال تكتما

قامت تريك خشيةً أن تصرما ساقاً بخنداةً وكعباً أدرما

والنبي " يسمع ولا ينكر.

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن عمرو، عن محمد بن إسحاق السهمي، عن أبي عبيدة الحداد، قال: حدثنا رؤبة بن العجاج عن أبيه، قال: سمعت أبا عبيدة يقول: السواك يذهب وضر الطعام ينشد أبا مسلم الخراساني فيجيزه: أخبرني عمي، قال: حدثنا محمد بن سعد الكراني، قال: حدثنا أبو حاتم والأشناندانى أبو عثمان، عن أبي عبيدة، عن رؤبة بن العجاج، قال: بعث إلي أبو مسلم لما أفضت الخلافة إلى بني هاشم، فلما دخلت عليه رأى مني جزعاً، فقال اسكن فلا بأس عليك، ما هذا الجزع الذي ظهر منك؟ قلت أخافك، قال: و لم؟ قلت: لأنه بلغني أنك تقتل الناس، قال: إنما أقتل من يقاتلني ويريد قتلي، أفأنت منهم؟ قلت: لا، قال: فهل ترى بأساً؟ ل، فأقبل على جلسائه ضاحكاً، ثم قال: أما ابن العجاج فقد رخص لنا، ثم قال: أنشدني قولك:

وقاتم الأعماق خاوي المخترق

فقلت: أو أشندك -أصلحك الله أحسن منه؟ قال: هات، فأنشدته:

قلت وقولي مستجدٌ حوكا لبيك إذ دعوتني لبيكا

أحمد رباً ساقني إليكا

قال: هات كلمتك الأولى، قلت: أو أنشدك أحسن منها؟ قال: هات، فأنشدته:

ما زال يبني خندقاً ويهدمه ويستجيش عسكرا ويهزمه

ومغنما يجمعه ويقسمه مروان لما أن تهاوت أنجمه

وخانه في حكمه منجمه

قال: دع هذا وأنشدني: وقاتم الأعماق، قلت: أو أحسن منه؟ قال: هات، فأنشدته:

رفعت بيتاً وخفضت بيتا وشدت ركن الدين إذ بنيتا

في الأكرمين من قريش بيتا

قال: هات ما سألتك عنه، فأنشدته:

ما زال يأتي الأمر من أقطاره على اليمين وعلى يساره

مشمراً لا يصطلى بناره حتى أقر الملك في قراره

وفر مروان على حماره

قال: ويحك! هات ما دعوتك له وأمرت بإنشاده، ولا تنشد شيئاً غيره، فأنشدته:

وقاتم الأعماق خاوي المخترق

فلما صرت إلى قولي:

يرمي الجلاميد بجلمود مدق

قال: قاتلك الله! لشد ما استصلبت الحافر! ثم قال: حسبك، أنا ذلك الجلمود المدق.

قال: وجيء بمنديل فيه مال فوضع بين يدي، فقال أبو مسلم: يا رؤبة، إنك أتيتنا والأموال مشفوهة ، وإن لك لعودة إلينا وعلينا معولاً، والدهر أطرق مستتبٌ، فلا تجعل بجنبيك الأسدة .

قال رؤبة: فأخذت المنديل منه، وتالله ما رأيت أعجمياً أفصح منه، وما ظننت أحداً يعرف هذا الكلام غيري، وغير أبي.

قال الكراني: قال أبو عثمان الأشناندانى خاصة: يقال: اشتف ما في الإناء، وشفهه: إذا أتى عليه، وأنشد:

وكاد المال يشفهه عيالي وما ذو عيلتي من لا أعول

يأكل الفأر ويفضله على الدواجن: أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني: محمد بن يزيد، وأخبرني إبراهيم بن أيوب، قال: حدثني ابن قتيبة، قال: كان رؤبة يأكل الفأر، فقيل له في ذلك وعوتب، فقال: هو والله أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللواتي يأكلن القذر ، وهل يأكل الفأر إلا نقي البر ولباب الطعام؟ يرحل هو وأبوه ليلقيا الوليد بن عبد الملك: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن رؤبة، قال: لما ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة بعث بي الحجاج مع أبي لنلقاه، فاستقبلنا الشمال حتى صرنا بباب الفراديس .

قال: وكان خروجنا في عام مخصب، وكنت أصلي الغداة، وأجتني من الكمأة ما شئت، ثم لا أجاوز إلا قليلاً حتى أرى خيراً منها، فأرمي بها وآخذ الأخر، حتى نزلنا بعض المياه، فأهدي لنا حمل محرفج ووطب لبنٍ غليظ وزبدةٌ كأنها رأس نعجة حوشية ، فقطعنا الحمل آراباً ، وكررنا عليه اللبن والزبدة، حتى إذا بلغ إناه انتشلنا اللحم بغير خبز.

ثم شربت من مرقه لم تزل لها ذفرياي ترشحان؛ حتى رجعنا إلى حجر .

فكان أول من لقينا من الشعراء جريراً، فاستعهدنا ألا نعين عليه. فكان أول من أذن له من الشعراء أبي ثم أنا، فأقبل الوليد على جرير فقال له: ويلك! ألا تكون مثل هذين؟ عقدا الشفاه عن أعراض الناس، فقال: إني أظلم فلا أصبر .

ثم لقينا بعد ذلك جرير فقال: يا بني أم العجاج، والله لئن وضعت كلكلي عليكما ما أغنت عنكما مقطعاتكما، فقلنا: لا والله ما بلغه عنا شيء، ولكنه حسدنا لما أذن لنا قبله، واستنشدنا قبله.

يتوعد جرير أباه فيعتذر إليه: وقد أخبرني ببعض هذا الخبر الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أحمد ابن الحارث الخراز عن المدائني، قال: قال روح بن فلان الكلبي: كنت عند عبد الملك بن بشر بن مروان فدخل جرير، فلما رأى العجاج أقبل عليه ثم قال له: والله لئن سهرت لك ليلة ليقلن عنك

نفع مقطعاتك هذه، فقال العجاج: يا أبا حزرة، والله ما فعلت ما بلغك، وجعل يعتذر ويحلف ويخضع؛ فلما خرج قال له رجل: لشد ما اعتذرت إلى جرير، قال: والله لو علمت أنه لا ينفعني إلا السلاح لسلحت.

ليس في شعره ولا شعر أبيه حرف مدغم: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، عن أحمد بن معاوية عن الأصمعي، عن سليمان بن أخضر، عن ابن عون، قال: ما شبهت لهجة الحسن البصري إلا بلهجة رؤبة، و لم يوجد له ولا لأبيه في شعرهما حرفٌ مدغم قط.

هو وأبوه أشعر الناس عند يونس بن حبيب: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرني عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه، قال: قيل ليونس: من أشعر الناس، قال: العجاج ورؤبة، فقيل له لم و لم نعن الرجاز؟ فقال: هما أشعر من أهل القصيد ، إنما الشعر كلام: فأجوده أشعره، قد قال العجاج:

قد جبر الدين الإله فجبر

وهي نحو من مائتي بيت موقوفة القوافي ولو أطلقت قوافيها كانت كلها منصوبة، وكذلك عامة أراجيزهما.

يقعد اللغويون إليه يوم الجمعة: أخبرني أبو خليفة في كتابه إلي عن محمد بن سلام: عن أبي زيد الأنصاري والحكم بن قنبر: قالا: كنا نقعد إلى رؤبة يوم الجمعة في رحبة بني تميم: فاجتمعنا يوماً فقطعنا الطريق، ومرت بنا عجوز فلم تقدر على أن تجوز في طريقها، فقال رؤبة بن العجاج:

تنح للعجوز عن طريقها إذا أقبلت رائحةً من سوقها

دعها فما النحوي من صديقها

يعبث به الصبيان فيستعين الوالي عليهم: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عبيد الله بن عمار، قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري النحوي، قال:

دخل رؤبة العجاج السوق وعليه برنكانٌ أخضر، فجعل الصبيان يعبثون به، ويغرزون شوك النخل في برنكانه ويصيحون به، يا مرذوم يا مرذوم! فجاء إلى الوالي فقال: أرسل معي الوزعة ، فإن الصبيان قد حالوا بيني وبين دخول السوق، فأرسل معه أعواناً فشد على الصبيان، وهو يقول:

أنحى على أمك بالمرذوم أعور جعدٌ من بني تميم

شراب ألبان خلايا الكوم

ففروا من بين يديه فدخلوا داراً في الصيارفة، فقال له الشرط: أين هم؟ قال: دخلوا دار الظالمين، فسميت دار الظالمين إلى الآن لقول رؤبة، وهي في صيارفة سوق البصرة.

بينه وبين راجز من أهل المدينة: وذكر أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني، قال: قدم البصرة راجزٌ من أهل المدينة، فجلس إلى حلقةٍ فيها الشعراء، فقال: أنا أرجز العرب، أنا الذي أقول:

مروان يعطي وسعيد يمنع مروان نبعٌ وسعيدٌ خروع

وودت أني راميت من أحب في الرجز يداً بيد، والله لأنا أرجز من العجاج، فليت البصرة جمعت بيني وبينه، قال: والعجاج حاضر وابنه رؤبة معه، فأقبل رؤبة على أبيه فقال: قد أنصفك الرجل، فأقبل عليه العجاج وقال: هأنذا العجاج، فهلم! وزحف إليه، فقال: وأي العجاجين أنت؟ قال: ما خلتك تعني غيري، أنا عبد الله الطويل 0وكان يكنى بذلك- فقال له المدني: ما عنيتك ولا أردتك، فقال: وكيف وقد هتفت بي؟ قال: وما في الدنيا عجاج سواك؟ قال: ما علمت، قال: لكني أعلم، وإياه عنيت. قال: فهذا ابني رؤبة، فقال: اللهم غفراً، ما بيني وبينكما عمل: وإنما مرادي غيركما، فضحك أهل الحلقة منه، وكفا عنه.

بينه وبين زائرين: أخبرني أبو خليفة في كتابه، عن محمد بن سلام: عن يونس، قال: غدوت يوماً أنا وإبراهيم بن محمد العطاردي على رؤبة: فخرج إلينا كأنه نسرٌ، فقال له ابن نوح: أصبحت والله كقولك:

كالكرز المشدود بين الأوتاد ساقط عنه الريش كر الإبراد

فقال له رؤبة: والله يا بن نوح ما زلت لك ماقتاً، فقلت: بل أصبحت يا أبا الجحاف كما قال الآخر:

فأيقن منه وأبقى الطرا د خميصاً وصلباً سمينا

فضحك: وقال: هات حاجتك.

من رجزه وقد استأذن فلم يؤذن له: قال ابن سلام: ووقف رؤبة على باب سليمان بن علي يستأذن: فقيل له: قد أخذ الإذريطوس فقال رؤبة:

يا منزل الوحي على إدريس ومنزل اللعن على إبليس

وخالق الإثنين والخميس بارك له في شرب إذريطوس

يخطئه سلم بن قتيبة: أخبرني الحسن بن يحيى قال: قال حماد: أخبرني أبي عن الأصمعي قال: أنشد رؤبة سلم بن قتيبة في صفة خيل:

يهوين شتى ويقعن وقفا

فقال له: أخطأت يا أبا الجحاف: جعلته مقيداً فقال: أدنني أيها الأمير ذنب البعير أصفه لك كما يجب.

من رجزه وقد قدم الطعام وهو يلعب بالنرد: أخبرني أبو خليفة في كتابه إلي، عن محمد بن سلام، عن محمد بن عبد الرحمن بن محمد.

أخبرني أبو خليفة في كتابه إلي، عن محمد بن سلام، عن عبد الرحمن بن محمد، عن علقمة الضبي، قال: خرج شاهين بن عبد الله الثقفي برؤبة إلى أرضه، فقعدوا يلعبون بالنرد فلما أتوا بالخوان قال رؤبة:

يا إخوتي جاء الخوان فارفعوا حنانةً كعابها تقعقع

لم أدر ما ثلاثها والأربع

قال: فضحكنا ورفعناه، وقدم الطعام.

يشيد الخليل بفضله وقد عاد من جنازته: أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، عن محمد بن عبد الله بن مالك عن أبيه عن يعقوب بن داود، قال: لقيت الخليل بن أحمد يوماً بالبصرة فقال لي: يا أبا عبد الله دفنا الشعر واللغة والفصاحة اليوم، فقلت: وكيف ذاك؟ قال: هذا حين انصرفت من جنازة رؤبة.

صوت

لعمري لقد صاح الغراب ببينهم فأوجع قلبي بالحديث الذي يبدي

فقلت له أفصحت لا طرت بعدها بريش فهل للبين ويحك من رد؟

الشعر لقيس بن ذريح، وقد تقدمت أخباره والغناء لعمر بن أبي الكنات، ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

أخبار عمرو بن أبي الكنات

اسمه وولائه وكنيته:

هو عمرو بن عثمان بن أبي الكنات، مولى بني جمح، مكي مغن ، محسن موصوف بطيب الصوت من طبقة ابن جامع وأصحابه، وفيه يقول الشاعر:

أحسن الناس فاعلموه غناء رجل من بني أبي الكنات

وله في هذا الشعر غناء مع أبيات قبله لحن ابتداؤه: صوت

عفت الدار بالهضاب اللواتي بسوار ؛ فملتقى عرفات

فالحريان أوحشا بعد أنس فديارٌ بالربع ذي السلمات

إن بالبين مربعاً من سليمى فإلى محضرين ؛ فالنخلات

وبعده البيت الأول المذكور.

الغناء في هذا الشعر لعمرو بن أبي الكنات، وطريقته من الرمل بالوسطى.

وقيل: إنه لابن سريج، وقيل: بل لحن ابن سريج غير هذا اللحن، وليس فيه البيت الرابع الذي فيه ابن أبي الكنات.

ويكنى عمرو بن أبي الكنات أبا عثمان، وذكر بن خرداذبه أنه كان يكنى أبا معاذ؛ وكان له ابن يغني أيضاً يقال له: دراج؛ ليس بمشهور ولا كثير الغناء.

يؤثره الرشيد على جمع من المغنين: فذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات في الخبر الذي حكاه عنه من أخباره أن محمد بن عبد الله المخزومي حدثه قال: حدثني محمد بن عبد الله بن فزوة قال: قلت لابن جامع يوماً: هل غلبك أحد من المغنين قط؛ قال: نعم؛ كنت ليلة ببغداد إذ جاءني رسول الرشيد ؛ يأمرني بالركوب؛ فركبت حتى إذا صرت إلى الدار، فإذا أنا بفضل بن الربيع معه زلزل العواد وبرصوما: فسلمت وجلست قليلاً، ثم طلع خادم فقال للفضل: هل جاء؟ فقال: لا، قال: فابعث إليه؛ و لم يزل المغنون يدخلون واحداً بعد واحد حتى كنا ستة أو سبعة.

ثم طلع الخادم فقال: هل جاء؟ فقال: لا، قال: قم ؛ فابعث في طلبه؛ فقام فغاب غير طويل؛ فإذا هو قد جاء بعمرو بن أبي الكنات؛ فسلم؛ وجلس إلى جنبي فقال لي: من هؤلاء؟ قلت مغنون؛ وهذا زلزل، وهذا برصوما. فقال: والله لأغنينك غناء يخرق هذا السقف وتجيبه الحيطان ولا يفهمون منه شيئاً. قال: ثم طلع الخصي فدعا بكراسي؛ وخرجت الجواري. فلما جلسن قام الخادم للمغنين: شدوا، فشدوا عيدانهم ، ثم قال: نعم يا بن جامع؛ فغنيت سبعة أو ثمانية أصوات. ثم قال: اسكت وليغن إبراهيم الموصلي؛ فغنى مثل ذلك أو دونه. ثم سكت؛ فلم يزل يمر القوم واحداً واحداً حتى فرغوا.

ثم قال: لابن أبي الكنات: عن، فقال لزلزل: شد طبقتك ، فشد ثم أخذ العود من يده فحبسه حتى وقف على الموضع الذي يريده، ثم قال: على هذا وابتدأ بصوت أوله: ألالا: فوالله لقد خيل لي أن الحيطان تجاوبه. ثم رجع النغم فيه. فطلع الخصي فقال له: اسكت. لا تتم الصوت، فسكت.

ثم قال: يحبس عمرو بن أبي الكنات، وينصرف باقي المغنين، فقمنا بأكسف حال وأسوأ بال، لا والله ما زال كل واحد منا يسأل صاحبه عن كل شعر يرويه من الغناء الذي أوله: ألالا، طمعاً في أن يعرفه أو يوافق غناءه. فما عرفه منا أحد وبات عمرو ليلته عند الرشيد، وانصرف من عنده بجوائز وصلات وطرف سنيه.

يغني وقد دفع من عرفة فيزحم الناس الطريق: قال هارون: وأخبرني محمد بن عبد الله عن موسى بن أبي المهاجر قال: خرج ابن جامع وابن أبي الكنات حين دفعا من عرفة حتى إذا كان بين المأزمين جلس عمرو على طرف الجبل، ثم اندفع يغني، فوقف القطارات، وركب الناس بعضهم بعضاً حتى صاحوا واستغاثوا: يا هذا، الله الله. اسكت عنا يجز الناس، فضبط إسماعيل بن جامع بيده على فيه حتى مضى الناس إلى مزدلفة.

يغني على جسر بغداد فتمتلئ الجسور بالناس: قال هارون. وحدثني عبد الرحمن بن سليمان عن علي بن أبي الجهم قال: حدثني من أثق به قال.

واقفت ابن أبي الكنات المديني على جسر بغداد أيام الرشيد. فحدثته بحديث اتصل بي عن ابن عائشة أنه فعله أيام هشام، وهو أن بعض أصحابنا حدثني قال: وقف ابن عائشة في الموسم فمر به بعض أصحابه، فقال له: ما تعمل؟ فقال: إني لأعرف رجلاً لو تكلم لحبس الناس، فلم يذهب أحد و لم يجيء. فقلت له: ومن هذا الرجل؟ قال: أنا، ثم اندفع يغني: صوت

جرت سنحاً فقلت لها أجيزي نوى مشمولة فمتى اللقاء

بنفسي من تذكره سقام أعالجه ومطلبه عناء

قال: فحبس الناس، واضطربت المحامل ، ومدت الإبل أعناقها، وكادت الفتنة تقع، فأتي به هشام فقال: يا عدو الله أردت أن تفتن الناس؟ فأمسك عنه وكان تياهاً، فقال له هشام: أرفق بتيهك . فقال ابن عائشة: حق لمن كانت هذه قدرته على القلوب أن يكون تياهاً، فضحك وأطلقه قال فبرق ابن أبي الكنات، وكان معجباً بنفسه، وقال: أنا أفعل كما فعل، وقدرتي على القلوب أكثر من قدرته كانت، ثم اندفع فغنى في هذا الصوت ونحن على جسر بغداد.

وكان إذ ذاك على دجلة ثلاثة جسور معقودة، فانقطعت الطرق، وامتلأت الجسور بالناس، وازدحموا عليها، واضطربت حتى خيف عليها أن تتقطع لثقل من عليها من الناس. فأخذ فأتي به الرشيد، فقال: يا عدو الله أردت أن تفتن الناس؟ فقال: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكنه بلغني أن ابن عائشة فعل مثل هذا في أيام هشام، فأحببت أن يكون في أيامك مثله فأعجب من قوله ذلك، وأمر له بمال، وأمره أن يغني، فسمع شيئاً لم يسمع مثله فاحتبسه عنده شهراً يستزيده في كل يوم استأذنه فيع في الانصراف -يوماً آخر حتى تم له شهر فقال هذا المخبر عنه: وكان ابن أبي الكنات كثير الغشيان لي: فلما أبطأ توهمته قد قتل فصار إلي بعد شهر بأموال جسيمة، وحدثني بما جرى بينه وبين الرشيد.

يسمع غناؤه على ثلاثة أميال: قال هارون: وأخبرني محمد بن عبد الله المخزومي عن عثمان بن موسى مولانا قال: كنا يوماً باللاحجة ومعنا عمرو بن أبي الكنات، ونحن على شرابنا إذ قال لنا قبل طلوع الشمس: من تحبون أن يجيئكم؟ قلنا: منصور الحجي. فقال: أمهلوا حتى يكون الوقت الذي ينحدر فيه إلى سوق البقر، فمكثنا ساعة ثم اندفع يغني:

أحسن الناس فاعلموه غناءً رجل من بني أبي الكنات

عفت الدار بالهضاب اللواتي بسوار فملتقى عرفات

فلم نلبث أن رأينا منصوراً من بعد قد أقبل يركض دابته نحونا، فلما جلس إلينا قلنا له: من أين علمت بنا؟ قال: سمعت صوت عمرو يغني كذا وكذا وأنا في سوق البقر، فخرجت أركض دابتي حتى صرت إليكم، قال: وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال.

قال هارون، وأخبرني محمد بن عبد الله، قال أخبرني يحيى بن يعلى بن سعيد قال: بينا أنا ليلة في منزلي في الرمضة أسفل مكة إذ سمعت صوت عمرو بن أبي الكنات كأنه معي، فأمرت الغلام فأسرج لي دابتي، وخرجت أريده، فلم أزل أتبع الصوت حتى وجدته جالساً على الكثيب العارض ببطن عرنة يغني:

صوت

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

ولا تنقريني نقرة الدف مرة فإنك لا تدرين كيف المغيب

فإني وجدت الحب في الصدر والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

عروضه من الطويل، ولحنه من الثقيل الثاني بالوسطى من رواية إسحاق. والشعر لأسماء بن خارجة الفزاري، وقد قيل: إنه لأبي الأسود الدؤلي، وليس ذلك بصحيح. والغناء لإبراهيم الموصلي، وفيه لحن قديم للغريض من رواية حماد عن أبيه.

أسماء بن خارجة وابنته هند

وصيته لبنته ليلة زفافها: أخبرني اليزيدي عن أحمد بن زهير عن الزبير بن بكر قال: زوج أسماء بن خارجة الفزاري بنته هند من الحجاج بن يوسف، فلما كانت ليلة أراد البناء بها قال لها أسماء بن خارجة: يا بنية، إن الأمهات يؤدبن البنات، وإن أمك هلكت وأنت صغيرة، فعليك بأطيب الطيب الماء، وأحسن الحسن الكحل. وإياك وكثرة المعاتبة، فإنها قطيعة للود، وإياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق. وكوني لزوجك أمة يكن لك عبداً، واعلمي أني القائل لأمك:

خذي العفو مني تستديمي مودتي

شعر لبعض الشعراء فيها: قال: وكانت هند امرأة مجربة قد تزوجها جماعة من أمراء العراق، فقبلت من أبيها وصيته. وكان الحجاج يصفها في مجلسه بكل خير، وفيها يقول بعض الشعراء يخاطب أباها:

جزاك الله يا أسماء خيراً كما أرضيت فيشلة الأمير

بصدغ قد يفوح المسك منه عليه مثل كركرة البعير

إذا أخذ الأمير بمشعبيها سمعت لها أزيزاً كالصرير

إذا لقحت بأرواح تراها تجيد الرهز من فوق السرير

قال مؤلف هذا الكتاب: الشعر لعقيبة الأسدي.

يعير معير بتزويج الحجاج فيحتال حتى يزوجه المعير أيضاً: أخبرني الجوهري وحبيب المهلبي عن ابن شبة قال: لما قدم الحجاج الكوفة أشار عليه محمد بن عمير بن عطارد أن يخطب إلى أسماء ابنته هند، فخطبها فزوجه أسماء ابنته، فأقبل محمد متمثلاً يقول:

أمن حذر الهزال نكحت عبداً فصهر العبد أدنى للهزال!

فاحتملها عليه أسماء وسكت عن جوابه، ثم أقبل على الحجاج يوماً وهند جالسة، فقال: ما يمنعك من الخطبة إلى محمد بن عمير ابنته فإن من شأنها كيت وكيت. فقال: أتقول هذا وهند تسمع؟ فقال: موافقتك أحب إلي من رضا هند، فخطبها إلى محمد بن عمير، فزوجه إياها، فقال أسماء لمحمد بن عمير، وضرب بيده على منكبه:

دونك ما أسديته يا بن حاجب سواء كعين الديك أو قذة النسر

بقولك للحجاج إن كنت ناكحاً فلا تعد هنداً من نساء بني بدر

فإن أباها لا يرى أن خاطباً كفاءٌ له إلا المتوج من فهر

فزوجتها الحجاج لامتكارها ولا راغباً عنه ونعم أخو الصهر

أردت ضراري فاعتمدت مسرتي وقد يحسن الإنسان من حيث لا يدري

فإن ترها عاراً فقد جئت مثلها وإن ترها فخراً فهل لك من شكر!

أحبت هند عبد الله بن زياد حباً شديداً: قال المدائني حدثني الحرمازي عن الوليد بن هشام القحذمي وكان كاتب خالداً القسري ويوسف بن عمر أن هنداً بنت أسماء كانت تحت عبيد الله بن زياد، وكان أبا عذرها، فلما قتل -وكانت معه- لبست قباء، وتقلدت سيفاً، وركبت فرساً لعبيد الله كان يقال لها: الكامل، وخرجت حتى دخلت الكوفة ليس معها دليل، ثم كانت بعد ذلك أشد خلق الله جزعاً عليه، ولقد قالت يوماً: إني لأشتاق إلى القيامة لأرى وجه عبيد الله بن زياد.

بشر بن مروان يتزوجها: فلما قدم بشر بن مروان الكوفة دل عليها، فخطبها، فزوجها، فولدت له عبد الملك بن بشر، وكان ينال من الشراب ويكتم ذلك، وكان إذا صلى العصر خلا في ناحية من داره ليس معه أحد إلا أعين مولاه صاحب حمام أعين بالكوفة، وأخذ في شأنه. فلم تزل هند تتجسس خبره حتى عرفته، فبعثت مولى لها، فأحضرها أطيب شراب وأحده وأشده وأرقه وأصفاه، وأحضرت له طعاماً علمت أنه يشتهيه، وأرسلت إلى أخويها: مالك وعيينة، فأتياها وبعثت إلى بشر واعتلت عليه بعلة، فجاءها فوضعت بين يديه ما أعدته، فأكل وشرب، وجعل مالك يسقيه، وعيينه يحدثه، وهند تريه وجهها. فلم يزل في ذلك حتى أمسى، فقال: هل عندكم من هذا شيء نعود عليه غداً؟ فقالت: هذا دائم لك ما أردته، فلزمها وبقي أعين يتبع الديار بوجهه ولا يرى بشراً، إلا أن يبحث عن أمره فعرفه، وعلم أنه ليس فيه حظ بعدها. قال ومات عنها بشر تجزع عليه، فقال الفرزدق في ذلك:

فإن تك لا هند بكته فقد بكت عليه الثريا في كواكبها الزهر

الحجاج يخلف بشراً في تزوجها: ثم خلف عليها الحجاج، وكان السبب في ذلك فيما ذكره المدائني عن الحرمازي عن القحذمي، وأخبرني به من هاهنا أحمد بن عبد العزيز عن ابن شبة عن عثمان بن عبد الوهاب عن

عبد الحميد الثقفي قالا: كان السبب في ذلك أنه بعث أبا بردة بن أبي موسى الأشعري -وهو قاضيه- إلى أسماء يقول له: إن قبيحاً بي مع بلاء أمير المؤمنين عندي أن أقيم بموضع فيه ابنا أخيه بشر لا أضمهما إلي، وأتولى منهما مثل ما أتولى من ولدي. فاسأل هنداً أن تطيب نفساً عنهما.

وقال عمر بن شبة في خبره: وأعلمها أنه لا بد من التفرقة بينها وبينهما حتى أؤدبهما، قال أبو بردة: فاستأذنت فأذن لي وهو يأكل وهند معه، فما رأيت وجهاً ولا كفاً ولا ذراعاً أحسن من وجهها وكفها وذراعها، وجعلت تتحفني وتضع بين يدي.

قال أبو زيد في خبره: فدعاني إلى الطعام، فلم أفعل، وجعلت تعبث بي وتضحك، فقلت: أما والله لو علمت ما جئت له لبكيت، فأمسكت يدها عن الطعام فقال: أسماء: قد منعتها الأكل: فقل: ما جئت له. فلما بلغت أسماء ما أرسلت به بكت، فلم أر والله دموعاً قط سائلة من محاجر أحسن من دموعها على محاجرها. ثم قالت: نعم أرسل بهما إليه، فلا أحد أحق بتأديبهما منه.

وقال أسماءٌ: إنما عبد الملك ثمرة قلوبنا -يعني عبد الملك بن بشر- وقد أنسنا به، ولكن أمر الأمير طاعة، فأتيت الحجاج، فأعلمته جوابها وهيئتها. فقال: ارجع فاخطبها علي فرجعت وهما على حالهما. فلما دخلت قلت: إني جئتك بغير الرسالة الأولى قال: اذكر ما أحببت. قلت: قد جئت خاطباً. قال: أعلى نفسك فما بنا عنك رغبة؟ قلت: لا، على من هو خير لها مني، وأعلمته ما أمرني به الحجاج، فقال: ها هي تسمع ما أديت، فسكتت، فقال أسماء: قد رضيت، وقد زوجتها إياه.

فقال أبو زيد في حديثه: فلما زوجها أبوها قامت مبادرة وعليها مطرف ، و لم تستقل قائمة من ثقل عجيزتها حتى انثنت ومالت لأحد شقيها من شحمها، فانصرفت بذلك إلى الحجاج، فبعث إليها بمائة ألف درهم وعشرين تختاً من ثياب وقال: يا أبا بردة، إني أحب أن تسلمها إليها، ففعلت ذلك، وأرسلت إلي من المال بعشرين ألفاً، ومن الثياب تختين. فقلت: ما أقبل شيئاً حتى أستطلع رأي الأمير. ثم انصرفت إليه فأعلمته، فأمرني بقبضة ووصلني بمثله .

وقال: أبو زيد في حديثه: فأرسل إليها بثلاثين غلاماً مع كل غلام عشرة آلاف درهم، وثلاثين جارية مع كل جارية تخت من ثياب، وأمر لي بثلاثين ألفاً وثياباً لم يذكر عددها. فلما وصل ذلك إلى هند أمرت بمثل ما أمر لي به الحجاج، فأبيت قبوله، وقلت: ليس الحجاج ممن يتعرض له بمثل هذا. وأتيت الحجاج فأخبرته. فقال: قد أحسنت وأضعف الله لك ذلك، وأمر له بستين ألفاً، وبضعف تلك الثياب، وكان أول ما أصبته مع الحجاج.

وأرسل إليها: إني أكره أن أبيت خلواً ، ولي زوجة. فقالت: وما احتباس امرأة عن زوجها وقد ملكها وآتاها كرامته وصداقها، فأصلحت من شأنها، وأتته ليلاً.

قال: المدائني: فسمعت أن ابن كناسة ذكر أن رجلاً من أهل العلم حدثه عن امرأة من أهله قالت: كنت فيمن

زفها. فدخلنا عليه وهو في بيتٍ عظيم في أقصاره ستارة، وهو دون الستارة على فرشه، فلما أن دخلت سلمت، فأومأ إليها بقضيب كان في يده. فجلست عند رجليه، ومكثت ساعة وهو لا يتكلم ونحن وقوف، فضربت بيدها على فخذه، ثم قالت: ألم تبعد من سوء الخلق؟ قال: فتبسم، وأقبل عليها، واستوى جالساً. فدعونا له وخرجنا وأرخيت الستور.

سبب تطليق الحجاج لها: قال: ثم قدم الحجاج البصرة، فحملها معه. فلما بنى قصره الذي دون المحدثة الذي يقال له: قصر الحجاج اليوم قال لها: هل رأيت قط أحسن من هذا القصر؟ قالت : ما أحسنه! قال: أصدقيني، قالت: أما إذ أبيت فوالله ما رأيت أحسن من القصر الأحمر. وكان فيه عبيد الله بن زياد، وكان دار الإمارة بالبصرة، وكان ابن زياد بناه بطين أحمر. فطلق هنداً غضباً بما قالته، وبعث إلى القصر فهدمه، وبناه بلبن. ثم تعهده صالح بن عبد الرحمن في خلافة سليمان بن عبد الملك، فبناه بالآجر، ثم هدم بعد ذلك فأدخل في المسجد الجامع.

حنين الحجاج إلى مراجعتها: قال: القحذمي عن محمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي: فخرجنا يوماً نعود عبد الملك بن بشر، فسلمنا عليه وعدناه معه. ثم خرجنا وتخلف الحجاج، فوقفنا ننتظره، فلما خرج التفت فرآني، فقال: يا محمد ويحك! رأيت هنداً الساعة فما رأيتها ، قط أجمل ولا أشب منها حين رأيتها، وما أنا بممس حتى أراجعها: فقلت: أصلح الله الأمير، امرأة طلقتها على عتب يرى الناس أن نفسك تتبعها، وتكون لها الحجة عليك. قال: صدقت، الصبر أحجى.

قال: محمد: والله ما كان مني ما كان نظراً ولا نصيحة، ولكني أنفت لرجل من قريش أن تداس أمه في كل وقت.

خبر طريف يروى عن أسماء: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني عن جويرية بن أسماء عن عمه قال: حججت فإني لفي رفقة من قومي إذ نزلنا ومعنا امرأة، فنامت وانتبهت وحية مطوية عليها، قد جمعت رأسها وذنبها بين ثدييها. فهالنا ذلك وارتحلنا .

فلم تزل منطوية عليها لا تضيرها حتى دخلنا الحرم فانسابت، فدخلنا مكة وقضينا نسكنا، فرآها الغريض فقال: أي شقية، ما فعلت حيتك؟ فقالت: في النار، قال: ستعلمين من أهل النار؟ و لم أفهم ما أراد، وظننت أنه مازحها، واشتقت إلى غنائه، و لم يكن بيني وبينه ما يوجب ذلك، فأتيت بعض أهله، فسألته ذلك، فقال نعم، فوجه إليه أن اخرج بنا إلى موضع كذا، وقال لي: اركب بنا، فركبنا حتى سرنا قدر ميل، فإذا الغريض هناك، فنزلنا، فإهذا طعام معد، وموضع حسن. فأكلنا وشربنا، ثم قال: يا أبا يزيد، هات بعض طرائفك فاندفع يغني، ويوقع بقضيب:

مرضت فلم تحفل علي جنوب ... وأدنفت والممشى إلي قريب

فلا يبعد الله الشباب وقولنا ... إذا ما صبونا صبوة سنتوب

فلقد سمعت شيئاً ظننت أن الجبال التي حولي تنطق معه: شجا صوت، وحسن غناء. وقال لي: أتحب أن يزيدك ؟ فقلت: إي والله. فقال: هذا ضيفك وضيفنا، وقد رغب إليك وإلينا، فأسعفه بما يريد. فاندفع يغني بشعر مجنون بني عامر:

عفا الله ليلى الغداة فإنها إذا وليت حكما علي تجور

أأترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة؟ إني إذاً لصبور !

فما عقلت لما غنى من حسنه إلا بقول صاحبي: نجور عليك يا أبا يزيد. فقلت: وما معناك في ذلك؟ فقال: إن أبا يزيد عرض بأني لما وليت الحكم عليه جرت في سؤالي إياه أكثر من صوت واحد. فقلت له -بعد ساعة- سراً: جعلت فداءك، إني أريد المضي وأصحابي يريدون الرحلة، وقد أبطأت عليهم، فإن رأيت أن تسأله -حاطه الله من السوء والمكروه- أن يزودني لحناً واحداً. فقال لي: يا أبا يزيد، أتعلم ما أهى إلينا ضيفنا؟ قال: نعم، أرادك أن تكلمني في أن أغنيه قلت: هو والله ذلك، فاندفع يغني:

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

فإني رأيت الحب في الصدر والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فقال: قد أخذنا العفو منك، واستدمنا مودتك، ثم أقبل علينا فقال: ألا أحدثكم بحديث حسن؟ فقلنا: بلى. قال: قال شيخ العلم وفقيه الناس وصاحب علي -صلوات الله عليه- وخليفة عبد الله بن العباس على البصرة أبو الأسود الدؤلي لابنته ليلة البناء : أي بنية، النساء كن بوصيتك وتأديبك أحق مني، ولكن لا بد مما لا بد منه. يا بنية، إن أطيب الطيب الماء، وأحسن الحسن الدهن، وأحلى الحلاوة الكحل. يا بنية، لا تكثري مباشرة زوجك فيملك، ولا تباعدي عنه فيجفوك ويعتل عليك، وكوني كما قلت لأمك:

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

فقلت: له فدتك نفسي، ما أدري أيهما أحسن: أحديثك أم غناؤك؟ والسلام عليكم. ونهضت فركبت وتخلف الغريض وصاحبه في موضعهما، وأتيت أصحابي وقد أبطأت، فرحلنا منصرفين حتى إذا كنا في المكان الذي رأيت فيه الحية منطوية على صدر المرأة ونحن ذاهبون -رأيت المرأة والحية منطوية عليها، فلم ألبث أن صفرت الحية، فإذا الوادي يسيل علينا حيات فنهشنها حتى بقيت عظاماً. فطال تعجبنا من ذلك، ورأينا ما لم تر مثله قط. فقلت لجارية كانت معها: ويحك أخبرينا عن هذه المرأة، قالت: نعم أثكلت ثلاث مرات، كل مرة تلد ولداً: فإذا وضعته سجرت التنور ثم ألقته: فذكرت قول الغريض حين سألها عن الحية، فقالت: في النار. فقال: ستعلمين من في النار .

نسبة ما في هذه الأصوات من الغناء فمنها: صوت

مرضت فلم تحفل علي جنوب وأدنفت والممشى إلي قريب

فلا يبعد الله الشباب وقولنا إذا ما صبونا صبوة سنتوب

عروضه من الطويل. الشعر لحميد بن ثور الهلالي، والغناء للغريض من رواية حماد عن أبيه، وفيه لعلويه ثقيل أول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة ومنها: صوت

عفا الله ليلى الغداة فإنها إذا وليت حكما علي تجور

أأترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إني إذاً لصبور !

عروضه من الطويل، والشعر -لأبي دهبل الجمحي، ويقال: إنه لمجنون بني عامر، ويقال: إنه لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج، خفيف رمل بالوسطى، عن عمرو بن بانة، وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى، وفي الثاني والأول خفيف ثقيل أول بالبنصر مجهول.

أخبرني الحرمي عن الزبير عن محمد بن الضحاك عن أبيه قال: قال أبو دهبل:

أأترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إني إذاً لصبور!

هبوني امرأ منكم أضل بعيره له ذمة إن الذمام كبير

وللصاحب المتروك أعظم حرمة على صاحب من أن يضل بعير

قال الزبير وقال عمي: هذه الأبيات لمجنون بني عامر.

قال أحمد بن الحارث الخزار عن المدائني عن أبي محمد الشيباني قال: قال عبد الملك بن مروان لعمر بن أبي ربيعة: أنت القائل:

أأترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إني إذاً لصبور !

قال: نعم. قال فبئس المحب أنت: تركتها وبينها وبينك غدوة. قال: يا أمير المؤمنين، إنها من غدوات سليمان، غدوها شهر، ورواحها شهر.

أخبرني اليزيدي عن أحمد بن يحيى وابن زهير قال حدثني عمر بن القاسم بن المعتمر الزهري قال: قلت لأبي السائب المخزومي: أما أحسن الذي يقول:

أأترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إني إذاً لصبور!

هبوني امرأ منكم أضل بعيره له ذمة إن الزمام كبير

وللصاحب المتروك أعظم حرمة على صاحب من أن يضل بعير؟

فقال: بأبي أنت، كنت والله أجنبك وتثقل علي، فأنا الآن أحبك وتخف علي، حيث تعرف هذا.

صوت

من الخفرات لم تفضح أخاها ولم ترفع لوالدها شنارا

كأن مجامع الأرداف منها نقاً درجت عليه الريح هارا

يعاف وصال ذات البذل قلبي ويتبع الممنعة النوارا

الخفرة: الحييه، والخفر: الحياء. والشنار: العار. والنقا: الكثيب من الرمل. درجت عليه الريح: مرت. هار: تهافت وتداعى. قال الله تبارك وتعالى: "على شفا جرف هار" ويعاف: يكره. والنوار: الصعبة الممتنعة الشديدة الإباء .

عروضه من الوافر. الشعر للسليك بن السلكة، والغناء لابن سريج، رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

وفيه لابن الهربذ لحن من رواية بذل، و لم يذكر طريقته وفيه لابن طنبورة لحن ذكره إبراهيم في كتابه و لم يجنسه.

أخبار السليك بن السلكة ونسبه

نسبه: هو السليك بن عمرو، وقيل: بن عمير بن يثربي. أحد بني مقاعس، وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. والسلكة: أمة، وهي أمة سوداء.

من صعاليك العرب العدائين: وهو أحد صعاليك العرب العدائين الذين كانوا لا يلحقون، ولا تعلق بهم الخيل إذا عدوا. وهم: السليك بن السلكة، والشنفري، وتأبط شراً، وعمرو بن براق، ونفيل بن براقة. وأخبارهم تذكر على تواليها ها هنا إن شاء الله تعالى في أشعار لهم يغنى فيها؛ لتتصل أحاديثهم.

فأما السليك فأخبرني بخبره الأخفش عن السكري عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي، قال: وفرئ لي خبره وشعره على محمد بن الحسن الأحول عن الأثرم عن أبي عبيدة. أخبرني ببعضه اليزيدي عن عمه عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل، وقد جمعت رواياتهم، فإذا اختلفت نسبت كل مروي إلى روايه.

يستودع بيض النعام ماء في الشتاء ليشربه في الصيف: قال أبو عبيدة: حدثني المنتجع بن نبهان قال: كان السليك بن عمير السعدي إذا كان الشتاء استودع ببيض النعام ماء السماء ثم دفنه، فإذا كان الصيف وانقطعت إغارة الخيل وأغار. وكان أدل من قطاة -يجيء حتى يقف على البيضة. وكان لا يغير على مضر، وإنما يغير على اليمن، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة.

صفاته: وقال المفضل في روايته: وكان السليك من أشد رجال العرب وأنكرهم وأشعرهم. وكانت العرب تدعوه سليك المقانب وكان أدل الناس بالأرض، وأعلمهم بمسالكها، وأشدهم عدواً على رجليه لا تعلق به الخيل. وكان يقول: اللهم إنك تهيئ ما شئت لما شئت إذا شئت. اللهم إني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً، ولو كنت امرأة أمة. اللهم إني أعوذ بك من الخيبة، فأما الهيبة فلا هيبة.

من إنهاء غاراته:

فذكروا أنه أملق حتى لم يبق له شيء فخرج على رجليه رجاء أن يصيب غرة من بعض من يمر به فيذهب بإبله، حتى أمسى في ليلة من ليالي الشتاء باردةٍ مقمرةٍ فاشتمل الصماء ثم نام -واشتمال الصماء: أن يرد فضلة ثوبه

على عضده اليمنى، ثم ينام عليها-فبينا هو نائم إذ جثم رجل فقعد على جنبه فقال: استأسر. فرفع السليك إليه رأسه، وقال: الليل طويل وأنت مقمر. فأرسلها مثلاً، فجعل الرجل يلهزه ويقول: يا خبيث استأسر. فلما آذاه بذلك أخرج السليك بعده، فضم الرجل إليه ضمة ضرط منها وهو فوقه، فقال السليك: أضرطا وأنت الأعلى؟ فأرسلها مثلاً، ثم قال: من أنت؟ فقال: أنا رجل افتقرت، فقلت: لأخرجن فلا أرجع إلى أهلي حتى أستغني فآتيتهم وأنا غني قال. انطلق معي. فانطلقا، فوجدا رجلاً قصته مثل قصتهما. فاصطحبوا جميعاً حتى أتوا الجوف: جوف مراد.

فلما أشرفوا عليه إذا فيه نعم قد ملأ كل شيء من كثرته. فهابوا أن يغيروا فيطردوا بعضها، فيلحقهم الطلب. فقال لهما سليك. كونا قريباً مني حتى آتي الرعاء فأعلم لكما علم الحي، أقريب أم بعيد. فإن كانوا قريباً رجعت إليكما، وإن كانوا بعيداً قلت لكما قولاً أومئ إليكما به فأغيرا. فأنطلق حتى أتى الرعاء، فلم يزن يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحي، فإذا هم بعيد. إن طلبوا لم يدركوا. فقال السليك للرعاء: ألا أغنيكم؟ فقالوا: بلى غننا، فرفع صوته وغنى:

يا صاحبي ألا لا حي بالوادي سوى عبيد وآم بين أذواد

أتنظران قريباً ريث غفلتهم أم تغدوان فإن الريح للغادي؟

فلما سمعا ذلك أتيا السليك، فأطردوا الإبل فذهبوا بها و لم يبلغ الصريخ الحي حتى فاتوهم بالإبل.

نبأ آخر من أنباء المراتع: قال المفضل: وزعموا أن سليكاً خرج ومعه رجلان من بني الحارث بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم يقال لهما: عمرو وعاصم وهو يريد الغارة، فمر على حي بني شيبان في ربيع والناس مخصبون في عشية فيها ضباب ومطر، فإذا هو ببيت قد انفرد من البيوت وقد أمسى. فقال لأصحابه: كونوا بمكان كذا حتى آتي أهل هذا البيت، فلعلي أن أصيب لكم خيراً، أو آتيكم بطعام قالوا: افعل، فانطلق وقد أمسى وجن عليه الليل، فإذا البيت بيت رويم، وهو جد حوشب بن يزيد بن رويم، وإذا الشيخ وامرأته بفناء البيت.

فأتى سليك البيت من مؤخره فدخله، فلم يلبث أن راح ابنه بإبله. فلما أراحها غضب الشيخ، فقال لابنه: هلا عشيتها ساعة من الليل. فقال له ابنه: إنها أبت العشاء فقال: العاشية تهيج الآبية، فأرسلها مثلاً. ثم غضب الشيخ، ونفض ثوبه في وجهها، فرجعت إلى مراتعها ومعها الشيخ حتى مالت بأدنى روضة. فرتعت. وحبس الشيخ عندها لتتعشى، وغطى وجهه بثوبه من البرد، وتبعه سليك.

فلما وجد الشيخ مغترا ختله من ورائه، فضربه فأطار رأسه، وصاح بالإبل فطردها، فلم يشعر صاحباه -وقد ساء ظنهما وتخوفا عليه- حتى إذا هما بالسليك يطردها فطرداها معه، وقال سليك في ذلك:

وعاشيةٍ راحت بطانا ذعرتها بسوط قتيل وسطها يتسيف

كأن عليه لون برد محبر إذا ما أتاه صارخ يتلهف

فبات لها أهل خلاءٌ فناؤهم ومرت بهم طير فلم يتعيفوا
وباتوا يظنون الظنون وصحبتي إذا ما علوا نشزا أهلوا وأوجفوا
وما نلتها حتى تصعلكت حقبة وكدت لأسباب المنية أعرف
وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني إذا قمت تغشاني ظلال فأسدف

من حيله للغارة: وقال الأثرم في روايته عن أبي عبيدة: خرج سليك في الشهر الحرام حتى أتى عكاظ، فلما اجتمع الناس ألقى ثيابه، ثم خرج متفضلاً مترجلاً، فجعل يطوف الناس ويقول: من يصف لي منازل قومه، وأصف له منازل قومي؟ فلقيه قيس بن مكشوح المرادي، فقال: أنا أصف لم منازل قومي، وصف لي منازل قومك، فتوافقا، وتعاهدا ألا يتكاذبا.

فقال قيس بن المكشوح: خذ بين مهب الجنوب والصبا، ثم سر حتى لا تدري أين ظل الشجرة؟ فإذا انقطعت المياه فسر أربعاً حتى تبدو لك رملةٌ وقف بينها الطريق، فإنك ترد على قومي مراد وخثعم.

فقال السليك: خذ بين مطلع سهيل ويد الجوزاء اليسرى العاقد لها من أفق السماء، فثم منازل قومي بني سعد بن زيد مناة.

فانطلق قيس إلى قومه فأخبرهم الخبر، فقال أبوه المكشوح: ثكلتك أمك. هل تدري من لقيت؟ قال: لقيت رجلاً فضلاً كأنما خرج من أهله، فقال: هو والله سليك بن سعد.

فاستعلق واستعوى السليك قومه فخرج أحماس بني سعد وبني عبد شمس -وكان في الربيع يعمد إلى بيض النعام فيملؤه من الماء ويدفنه في طريق اليمن في المفاوز. قال: فإذا غزا في الصيف مر به فاستثاره - فمر بأصحابه حتى إذا انقطعت عنهم المياه قالوا: يا سليك أهلكتنا ويحك! قال: قد بلغتم الماء، ما أقربكم منه! حتى إذا انتهى إلى قريب من المكان الذي خبأ فيه طلبه فلم يجده، وجعل يتردد في طلبه. فقال بعض أصحابه لبعض: أين يقودكم هذا العبد؟ قد والله هلكتم، وسمع ذلك. ثم أصاب الماء بعد ما ساء ظنهم، فهم السليك بقتل بعضهم، ثم أمسك. فانصرفت عنه بنو عبد شمس في طوائف من بني سعد. قال: ومضى السليك في بني مقاعس ومعه رجل من بني حرام يقال له: صرد. فلما رأى أصحابه قد انصرفوا بكى ومضى به السليك، حتى إذا دنوا من بلاد خثعم ضلت ناقة صرد في جوف الليل، فخرج في طلبها، فأصابه أناس حين أصبح، فإذا هم مراد وخثعم، فأسروه، ولحقه السليك فاقتتلوا قتالاً شديداً.

وكان أول من لقيه قيس بن مكشوح، فأسره السليك بعد أن ضربه ضربة أشرفت على نفسه، وأصاب من نعمهم ما عجز عنه هو وأصحابه، وأصاب أم الحارث بنت عوف بن يربوع الخثعمية يومئذ، واستنقذ صرد من أيدي خثعم، ثم انصرف مسرعاً، فلحق بأصحابه الذين انصرفوا عنه قبل أن يصلوا إلى الحي، وهم أكثر من الذين شهدوا معه، فقسمها بينهم على سهام الذين شهدوا. وقال السليك في ذلك:

بكى صردٌ لما رأى الحي أعرضت ... مهامه رمل دونهم وسهوب
وخوفه ريب الزمان وفقره ... بلاد عدو حاضر وجدوب
ونأي بعيد عن بلاد مقاعس ... وأن مخاريق الأمور تريب
سيكفيك فقد الحي لحمٌ مغرض ... وماء قدور في الجفان مشوب
ألم ترأن الدهر لونان لونه ... وطوران بشر مرة وكذوب
فما خير من لا يرتجى خير أوبة ... ويخشى عليه مرية وحروب
رددت عليه نفسه فكأنما ... تلاقى عليه منسر وسروب
فما ذر قرن الشمس حتى أريته ... قصار المنايا والغبار يثوب
وضاربت عنه القوم حتى كأنما ... يصعد في آثارهم ويصوب
وقلت له خذ هجمة حميريةٍ ... وأهلا ولا يبعد عليك شروب
وليلةً جابان كررت عليهم ... على ساعة فيها الإياب حبيب
عشية كرت بالحرامي ناقة ... بحي هلاً تدعى به فتجيب
فضاربت أولي الخيل حتى كأنما ... أميل عليها أيدع وصبيب

الأيدع: دم الأخوين، والصبيب: الحناء.

من أنباء قدرته على الاحتمال: قال أبو عبيدة: وبلغني أن السليك بن السلكة رأته طلائع جيش لبكر بن وائل، وكانوا جازوا منحدرين ليغيروا على بني تميم ولا يعلم بهم أحد، فقالوا: إن علم السليك بنا أنذر قومه، فبعثوا إليه فارسين على جوادين، فلما هايجاه خرج يمحص كأنه ظبي، ، وطارداه سحابة يومه، ثم قالا: إذا كان الليل أعيا، ثم سقط أو قصر عن العدو، فنأخذه.

فلما أصبحا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة فترعها ، فندرت قوسه فانحطمت، فوجدا قصدة منها قد ارتزت بالأرض، فقالا: ما له، أخزاه الله؟ ما أشده! وهما بالرجوع، ثم قالا: لعل هذا كان من أول الليل ثم فتر، فتبعاه، فإذا أثره متفاج قد بال فرغا في الأرض وخدها فقالا: ما له قاتله الله؟ ما أشد متنه! والله لا نتبعه أبداً، فانصرفا. ونمى إلى قومه وأنذرهم، فكذبوه لبعد الغاية، فأنشأ يقول:

يكذبني العمران عمرو بن جندب ... وعمرو بن سعد والمكذب أكذب
لعمرك ما ساعيت من سعى عاجز ... ولا أنا بالواني ففيم أكذب ؟
ثكلتكما إن لم أكن قد رأيتها ... كراديس يهديها إلى الحي موكب

كراديس فيها الحوفزان وقومه فوارس همام متى يدع يركبوا

-يعني الحوفزان بن شريك الشيباني-.

تفاقدتم هل أنكرن مغيرة مع الصبح يهديهن أشقر مغرب ؟

تفاقدتم: يدعو عليهم بالتفاقد .

قال، وجاء الجيش فأغاروا على جمعهم.

كان يقال له: سليك المقانب: قال: وكان يقال للسليك سليك المقانب، وقد قال في ذلك فرار الأسدي -وكان قد وجد قوماً يتحدثون إلى امرأته من بني عمها فعقرها بالسيف، فطلبه بنو عمها فهرب و لم يقدروا عليه- فقال في ذلك:

لزوار ليلى منكم آل برثن على الهول أمضي من سليك المقانب

يزورونها و لا أزور نساءهم ألهفى لأولد الإماء الحواطب

يلجأ إلى امرأة فتنقذه فيقول فيها شعراً: وقال أبو عبيدة: أغار السليك على بني عوار بطن من بني مالك بن ضبيعة، فلم يظفر منهم بفائدة، وأرادوا مساورته.

فقال شيخ منهم: إنه إذا عدا لم يتعلق به، فدعوه حتى يرد الماء، فإذا شرب وثقل لم يستطع العدو، وظفرتم به، فأمهلوه حتى ورد الماء وشرب، ثم بادروه، فلما علم أنه مأخوذ خاتلهم وقصد لأدنى بيوتهم حتى ولج على امرأة منهم يقال لها: فكيهة، فاستجار بها، فمنعته، وجعلته تحت درعها، واخترطت السيف، وقامت دونه، فكاثروها فكشفت خمارها عن شعرها، وصاحت بإخوتها فجاءوا، ودفعوا عنه حتى نجا من القتل، فقال السليك في ذلك:

لعمر أبيك والأنباء تنمى لنعم الجار أخت بني عوارا

من الخفرات لم تفضح أباها ولم ترفع لإخوتها شنارا

كأن مجامع الأرداف منها نقاً درجت عليه الريح هارا

يعاف وصال ذات البذل قلبي ويتبع الممنعة النوارا

وما عجزت فكيهة يوم قامت بنصل السيف واستلبوا الخمارا

يأخذ رجلاً من كنانة ثم يطلقه فيجزلون له العطاء: أخبرني الأخفش عن السكري عن أبي حاتم عن الأصمعي أن السليك أخذ رجلاً من بني كنانة بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب يقال له: النعمان بن عقفان، ثم أطلقه وقال:

سمعت بجمعهم فرضخت فيهم بنعمان بن عقفان بن عمرو

فإن تكفر فإني لا أبالي وإن تشكر فإني لست أدري

قال: ثم قدم بعد ذلك على بني كنانة وهو شيخ كبير، وهم بماء لهم يقال له: قباقب، خلف البشر، فأتاه نعمان بابنيه الحكم وعثمان -وهما سيدا بني كنانة- ونائلة ابنته، فقال: هذان وهذه لك، وما أملك غيرهم، فقالوا: صدق، فقال: قد شكرت لك وقد رددتهم عليك.

يسبق في العدو جمعاً من الشباب وهو شيخ: فجمعت له بنو كنانة إبلاً عظيمة فدفعوها إليه، ثم قالوا له: إن رأيت أن ترينا بعض ما بقي من إحضارك . قال: نعم، وأبغوني أربعين شاباً، وأبغوني درعاً ثقيلة، فأتوه بذلك، فلبس الدرع، وقال للشبان: الحقوا بي إن شئتم. وعد، فلاث العدو لوثاً، وعدوا جنبته فلم يلحقوه إلا قليلاً، ثم غاب عنهم وكر حتى عاد إلى الحي هو وحده يحضر والدرع في عنقه تضرب كأنها خرقة من شدة إحضاره.

أخبر به هاشم بن محمد الخزاعي عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه فذكر فيه نحو ما تقدم .

خبر مقتله: وقال السكري في خبر مقتله: إنه لقي رجلاً من خثعم في أرض يقال لها: فخة، بين أرض عقيل وسعد تميم، وكان يقال للرجل: مالك بن عمير بن أبي ذراع بن جشم بن عوف، فأخذه ومعه امرأة له من خفاجة يقال لها:النوار، فقال له الخثعمي: أنا أفدي نفسي منك، فقال له: السليك: ذلك لك، على ألا تخيس بي، ولا تطلع علي أحداً من خثعم، فحالفه على ذلك، ورجع إلى قومه، وخلف امرأته رهينة معه، فنكحها السليك، وجعلت تقول: احذر خثعم؛ فإني أخافهم عليك، فأنشأ يقول:

تحذرني كي أحذر العام خثعما وقد علمت أني امرؤ غير مسلم

وما خثعم إلا لئام أذلة إلى الذل والإسحاق تنمي وتنتمي

قال: وبلغ ذلك شبل بن قلادة بن عمر بن سعد، وأنس بن مدرك الخثعميين، فخالفا إلى السليك، فلم يشعر إلا وقد طرقاه في الخيل، فأنشأ يقول:

من مبلغ جذمي بأبني مقتول؟

يا رب نهب قد حويت عثكول

ورب قرن قد تركت مجدول

ورب زوج قد نكحت عطبول

ورب عانٍ قد فككت مكبول

ورب واد قد قطعت مسبول

قال أنس للشبل: إن شئت كفيتك القوم واكفني الرجل، وإن شئت أكفني القوم أكفك الرجل. قال: بل أكفيك القوم، فشد أنس على السليك فقتله، وقتل شبل وأصحابه من كان معه.

وكاد الشر يتفاقم بين أنس وبين عبد الملك ، لأنه كان أجاره حتى وداه أنس لما خاف أن يخرج الأمر من يده، وقال:

كم من أخ لي كريمٍ قد فجعت به ... ثم بقيت كأني بعده حجر
لا أستكين على ريب الزمان ولا ... أغضي على الأمر يأتي دونه القدر
مردى حروب أدير الأمر حابله ... إذ بعضهم لأمور تعتري جزر
قد أطعن الطعنة النجلاء أتبعها ... طرفا شديداً إذا ما يشخص البصر
ويوم حمضة مطلوب دلفت له ... بذات ودقين لما يعفها المطر

وذكر باقي الأبيات التي تتلو هذه:

إني وقتلى سليكا ثم أعقله

كما ذكره من روينا عنه ذلك.

أخبرني هاشم بن محمد عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه فذكر ما تقدم.

يجعل لعبد الملك بن مويلك إتاوةً ليجيره: قال أبو عبيدة وحدثني المنتجع بن نبهان قال: كان السليك يعطي عبد الملك بن مويلك الخثعمي إتاوةً من غنائمه على أن يجيره فيتجاوز بلاد خثعم إلى من وراءهم من أهل اليمن، فيغير عليهم. فمر قافلاً من غزوة فإذا بيت من خثعم أهله خلوف وفيه امرأة شابة بضة، فسألها عن الحي فأخبرته، فتسنمها، أي علاها، ثم جلس حجرةً ، ثم التقم المحجة، فبادرت إلىالماء فأخبرت القوم، فركب أنس بن مدرك الخثعمي في طلبه فلحقه، فقتله. فقال عبد الملك: والله لأقتلن قاتله أو ليدينه، فقال أنس: والله لا أدبه ولا كرامة، ولو طلب في ديته عقالا لما أعطيته. وقال في ذلك:

إني وقتلي سليكا ثم أعقله ... كالثور يخضرب لما عافت البقر
عضبت للمرء إذ نيكت حليلته ... وإذ يشد على وجعائها الثفر
إني لتارك هامات بمجزرة ... لا يزدهيني سواد الليل والقمر
أغشى الحروب وسربالي مضاعفة ... نغشى البنان وسيفي صارم ذكر

الغناء بشعره أفسد مجلس لهو: أخبرني ابن أبي الأزهر عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن فليح بن أبي العوراء قال: كان لي صديق بمكة، وكنا لا نفترق ولا يكتم أحد صاحبه سراً، فقال لي ذات يوم: يا فليح، إني أهوى ابنة عم لي و لم أقدر عليها قط، وقد زارتني اليوم فأحب أن تسري بنفسك، فإني لا أحتشمك. فقلت: أفعل، وصرت إليهما، وأحضر الطعام فأكلنا، ووضع النبيذ فشربنا أقداحنا، فسألني أن أغنيهما، فكأن الله -عز وجل- أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت:

من الخفرات لم تفصح أباها ولم تلحق بإخوتها شنارا

فلما سمعته الجارية قالت أحسنت يا أخي، أعد، فأعدته. فوثبت وقالت: أنا إلى الله تائبة، والله ما كنت لأفضح أبي ولا لأرفع لإخوتي شنارا. فجهد الفتى في رجوعها فأبت وخرجت، فقال لي: ويحك ما حملك على ما صنعت؟ فقلت: والله ما هو شيء اعتمدته، ولكنه ألقي على لساني لأمر أريد بك وبها. هكذا في الخبر المذكور. وقد رواه غير من ذكرته عن فليح بن أبي العوراء، فأخبرني اليزيدي عن عمه عبيد الله قال: كان غبراهيم بن سعدان يؤدب ولد علي بن هشام، وكان يغني بالعود تأدباً ولعباً، قال: فوجه إلي يوماً علي بن هشام يدعوني، فدخلت فإذا بين يديه امرأة مكشوفة الرأس تلاعبه بالنرد، فرجعت عجلاً، فصاح بي: ادخل، فدخلت، فإذا بين أيديهما نبيذ يشربان منه، فقال: خذ عوداً وغن لنا، ففعلت، ثم غنيت في وسط غنائي:

من الخفرات لم تفضح أباها ولم ترفع لإخوتها شنارا

فوثبت من بين يديه، وغطت رأسها، وقالت: إني أشهد الله أني تائبة إليه، ولا أفضح أبي ولا أرفع لإخوتي شنارا. ففتر علي بن هشام و لم ينطق وخرجت من حضرته، فقال لي: ويلك، من أين صبك الله علي؟ هذه مغنية بغداد، وأنا في طلبها منذ سنة لم أقدر عليها إلا اليوم، فجئتني بهذا الصوت حتى هربت. فقلت: والله ما اعتمدت مساءتك، ولكنه شيء خطر على غير تعمد.

صوت

أمسلم إني يا بن كل خليفة ويا جبل الدنيا ويا ملك الأرض

شكرتك إن الشكر حظ من التقى وما كل من أوليته نعمة يقضي

الشعر لأبي مخيلة الحماني، والغناء لا بن سريج، ثقيل بالوسطى عن يحيى المكي.

أخبار أبي نخيلة ونسبه

اسمه وكنيته ونسبه: أبو نخيلة اسمه لا كنيته، ويكنى أبا الجنيد، ذكر الأصمعي ذلك وأبو عمرو الشيباني وابن حبيب، لا يعرف له اسم غيره، وله كنيتان: أبو الجنيد وأبو العرماس، وهو ابن حزن بن زائدة بن لقيط بن هرم بن يثربي، وقيل: بن أثربي بن ظالم بن مجاسر بن حماد بن عبد العزى بن كعب بن لؤي بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

نفاه أبوه عن نفسه لعقوقه: وكان عاقاً بأبيه، فنفاه أبوه عن نفسه، فخرج إلى الشام وأقام هناك إلى أن مات أبوه، ثم عاد وبقي مشكوكاً في نسبه، مطعوناً عليه. وكان الأغلب عليه الرجز، وله قصيد ليس بالكبير .

مسلمة بن عبد الملك يصطنعه: ولما خرج إلى الشام اتصل بمسلمة بن عبد الملك، فاصطنعه وأحسن إليه وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد، واستماحهم له فأغنوه، وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم. انقطع إلى بني هاشم، ولقب نفسه شاعر بني هاشم، فمدح الخلفاء من بني العباس، وهجا بني أمية فأكثر.

يغزي المنصور بعيسى بن موسى فيبعث من يقتله: وكان طمعه ، فحمله ذلك على أن قال في المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهدي، فوصله المنصور بألفي درهم، وأمره أن ينشدها بحضرة عيسى بن موسى ففعل. فطلبه عيسى فهرب منه؛ وبعث في طلبه مولى له، فأدركه في طريق خراسان، فذبحه وسلخ جلده .

سأل فمطل فهجا ثم أجيب فمدح: أخبرني هاشم الخزاعي عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: رأى أبو نخيلة على شبيب حلة فأعجبته، فسأله إياها، فوعده ومطله، فقال فيه:

يا قوم لا تسودوا شبيبا الخائن بن الخائن الكذوبا

هل تلد الذيبة إلا الذيبا؟

قال: فبلغه ذلك، فبعث إليه بها فقال:

إذا غدت سعد على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها

من مطلع الشمس إلى مغيبها عجبت من كثرتها وطيبها

لا يهجو خالد بن صفوان خشية لسانه: حدثني حبيب بن نصر المهلبي عن عمر بن شبة، قال: حدثني الرعل بن الخطاب قال: بنى أبو نخيلة داره، فمر به خالد بن صفوان وكان بينهما مداعبة قديمة، ومودة وكيدة، فوقف عليه .

فقال أبو نخيلة: يا بن صفوان، كيف ترى داري؟ قال: رأيتك سألت فيها إلحافاً، وأنفقت ما جمعت إسرافاً. جعلت إحدى يديك سطحاً، وملأت الأخرى سلحاً، فقلت: من وضع في سطحي وإلا ملأته بسلحي، ثم ولى وتركه.

فقيل له: ألا تهجوه؟ فقال: إذن والله يركب بغلته، ويطوف في مجالس البصرة، ويصف أبنيتي بما يعيبها. وما عسى أن يضر الإنسان صفة أبنيته بما يعيبها سنةً ثم لا يعيد فيها كلمة.

تأديب في البادية حتى شعر: أخبرني الحسن بن علي الخفاف عن ابن مهروية عن أبي مسلم المستملي عن الحرمازي عن يحيى بن نجيم قال: لما انتفى أو نخيلة من أبيه خرج يطلب الرزق لنفسه، فتأدب بالبادية حتى شعر وقال رجزاً كثيراً وقصيداً صالحاً وشهر بهما، وسار شعره في البدو والحضر، ورواه الناس.

مده مسلمة بن عبد الملك: ثم وفد إلى مسلمة بن عبد الملك فرفع منه، وأعطاه، وشفع له، وأوصله إلى الوليد بن

عبد الملك ، فمدحه، و لم يزل به حتى أغناه، قال لحيى بن نجيم: فحدثني أبو نخيلة قال: وردت على مسلمة بن عبد الملك فمدحته، وقلت له:

أمسلم إني يا بن كل خليفة ... ويا فارس الهيجا ويا جبل الأرض

شكرتك إن الشكر حبل من التقى ... وما كل من أوليته نعمة يقضي

وألقيت لما أن أتيتك زائراً ... علي لحافاً سابغ الطول و العرض

وأحييت لي ذكرى وما كان خاملاً ... ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

يستنشده مسلمة فينتحل أرجوزة لرؤبة:

قال: فقال لي مسلمة: ممن أنت؟ فقلت: من بني سعد. فقال: مالكم يا بني سعد والقصيد وإنما حظكم في الرجز؟ قال: فقلت له: أنا والله أرجز العرب، قال: فأنشدني من رجزك، فكأني والله لما قال ذلك لم أقل رجزاً قط، أنسانيه الله كله، فما ذكرت منه ولا من غيره شيئاً إلا أرجوزة لرؤبة كان قالها في تلك السنة، فظننت أنها لم تبلغ مسلمة، فأنشده إياها، فنكس رأسه وتتعتع، فرفع رأسه إلي وقال: لا تتعب نفسك، فأنا أروى لها منك، قال: فانصرفت وأنا أكذب الناس عنده وأخزاهم عند نفسي حتى تلطفت بعد ذلك ومدحته برجز كثير، فعرفني وقربني. وما رأيت ذلك أثر فيه، يرحمه الله ولا قر عني به حتى افترقنا.

من مدحه لمسلمة: وحدثني أبو نخيله قال: لما انصرف مسلمة من حرب يزيد بن المهلب تلقيته، فلما عاينته صحت به:

مسلم يا مسلمة الحروب ... أنت المصفى من أذى العيوب

مصاصةٌ من كرم وطيب ... لو لا ثقاف ليس بالتدبيب

تفري به عن حجب القلوب ... لأمست الأمة شاء الذيب

فضحك وضمني إليه، وأجزل صلتي.

يسأل رجل من عشيرته أن يوصله إلى الخليفة هشام فيفعل: حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه، وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه -وقد جمعت روايتهما وأكثر اللفظ للأصمعي، قال: قال أبو نخيلة: وفدت على هشام بن عبد الملك فصادفت مسلمة قد مات، وكنت بأخلاق هشام غراً وأنا غريب، فسألت عن أخص الناس به، فذكر لي رجلان: أحدهما من قيس، والآخر من اليمن، فعدلت إلى القيسي بالتؤدة فقلت: هو أقربهما إلي، وأجدرهما بما أحب، فجلست إليه، ثم وضعت يدي على ذراعه وقلت له: إني مسستك لتمسني رحمك .

أنا رجل غريب شاعر من عشيرتك، وأنا غير عارف بأخلاق هذا الخليفة، وأحببت أن ترشدني إلى ما أعمل فينفعني عنده، وعلى أن تشفع لي وتوصلني إليه، فقال: ذلك كله لك علي. وفي الرجل شدة ليس كمن عهدت

من أهله، وإذا سئل وخلط مدحه بطلب حرم الطالب، فأخلص له المدح، فإنه أجدر أن ينفعك، واغد إليه غداً فإني منتظرك بالباب حتى أوصلك، والله يعينك. فصرت من غد إلى باب هشام، فإذا بالرجل منتظر لي، فأدخلني معه، وإذا بأبي النجم قد سبقني فبدأ فأنشده قوله:

إلى هشام وإلى مروان ... بيتان ما مثلهما بيتان
كفاك بالجود تباريان ... كما تبارى فرساً رهان
مال علي حدث الزمان ... وبيع ما يغلو من الغلمان
بالثمن الوكس من الأثمان ... والمهر بعد المهر والحصان

يمدح هشاماً فيجيزه: قال: فأطال فيها وأكثر المسألة حتى ضجر هشام، وتبينت الكراهة في وجهه، ثم استأذنت فأذن لي، فأنشدته:

لما أتتني بغيةٌ كالشهد ... والعسل الممزوج بعد الرقد
يا بردها لمشتفٍ بالبرد ... رفعت من أطمار مستعد
وقلت للعيس إعتلي وجدي ... فهي تخدى أبرح التخدي
كم قد تعسفت بها من نجد ... ومجرهد بعد مجرهد
قد ادرعن في مسير سمد ... ليلاً كلون الطيلسان الجرد
إلى أمير المؤمنين المجدي ... رب معد وسوى معد
ممن دعا من أصيدٍ وعبد ... ذي المجد والتشريف بعد المجد
في وجهه بدر بدا بالسعد ... أنت الهمام القرم عند الجد
طوقتها مجتمع الأشد ... فانهل لما قمت صوب الرعد

قال: حتى أتيت عليها وهممت أن اسأله، ثم عزفت نفسي وقلت: قد استنصحت رجلاً، وأخشى أن أخالفه فأخطئ، وحانت مني التفاتة فرأيت وجه هشام منطلقاً. فلما فرغت أقبل على جلسائه فقال: الغلام السعدي أشعر من الشيخ العجلي، وخرجت. فلما كان بعد أيام أتتني جائزته، ثم دخلت عليه بعد ذلك، وقد مدحته بقصيدة فأنشدته إياها فألقى علي جبة خز من جبابه مبطنة بسمور، ثم دخلت عليه يوماً آخر، فكساني دواجاً كان عليه من خز أحمر مبطن بسمور، ثم دخلت عليه يوماً ثالثاً فلم يأمر لي بشيء، فحملتني نفسي على أن قلت له:

كسوتنيها فهي كالتجفاف ... من خزك المصونة الكثاف

كأنني فيها وفي اللحاف من عبد شمس أو بني مناف

والخز مشتاق إلى الأفواف

قال، فضحك -وكانت عليه جبة أفواف- وأدخل يده فيها ونزعها ورمى بها إلي، وقال: خذها، فلا بارك الله لك فيها.

يغير داليته ويجعلها في السفاح: قال محمد بن هشام في خبره خاصة: فلما أفضت الخلافة إلى السفاح نقلها إليه وغيرها وجعلها فيه -يعني الأرجوزة الدالية- فهي الآن تنسب في شعره إلى السفاح.

يشفع للفرزدق عند ان هبيرة: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدثني أبو عمر الخصاف عن العتبي قال: لما حبس عمر بن هبيرة الفرزدق وهو أمير العراق أبى أن يشفع فيه أحداً، فدخل عليه أبو نخيلة في يوم فطر، فوقف بين يديه وأنشأ يقول:

أطلقت بالأمس أسير بكر فهل، فداك نفري ووفري

من سبب أو حجة أو عذر ينجي التميمي القليل الشكر

من حلق القيد الثقال السمر ما زال مجنوناً على أست الدهر

ذا حسب ينمو وعقل يحري هبه لأخوالك يوم الفطر

يعود الفرزدق إلى السجن حين علم أن شفيعه أبو نخيلة: قال: فأمر بإطلاقه، وكان قد أطلق رجلاً من عجل جيء به من عين التمر قد أفسد، فشفعت فيه بكر بن وائل فأطلقه. وإياه عني أبو نخيلة. فلما أخرج الفرزدق سأل عمن شفع له فأخبر، فرجع إلى الحبس وقال: لا أريمه ولو مت. انطلق قبلي بكري وأخرجت بشفاعة دعي، والله لا أخرج هكذا ولو من النار. فأخبر ابن هبيرة بذلك فضحك ودعا به فأطلقه، وقال: وهبتك لنفسي. وكان هجاه فحبسه لذلك، فلما عزل ابن هبيرة وحبس مدحه الفرزدق، فقال: ما رأيت أكرم منه، هجاني أميراً ومدحني أسيراً.

رواية أخرى لخبر هذه الشفاعة: وجدت هذا الخبر بخط القاسم بن يوسف، فذكر أن أبا القاسم الحضرمي حدثه أن هذه القصة كانت لأبي نخيلة مع يزيد بن عمر بن هبيرة، وأنه أتي بأسيرين من الشراه أخذا بعين التمر: أحدهما أبو القاسم بن بسطام بن ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة، والآخر رجل من بكر بن وائل. فتكلم في البكري قومه فأطلقه، و لم يتكلم في التميمي أحد، فدخل عليه أبو نخيلة فقال:

الحمد لله ولي الأمر هو الذي أخرج كل غمر

وكل عوار وكل وغر من كل ذي قلب نقي الصدر

لما أتت من نحو عين التمر ست أثاف، لا أثافي القدر

فظلت القضبان فيهم تجري هبرا هو الهبر وفوق الهبر

إني لمهدٍ للإمام الغمر شعري ونصح الحب بعد الشعر

ثم ذكر باقي الأبيات كما ذكرت في الخبر المتقدم.

عندما نزل به ضيف هجاه: أخبرني أبو الحسن الأسدي أحمد بن محمد قال: حدثني محمد بن صالح بن النطاح قال: ذكر عن العتبي أن أبا نخيلة حج ومعه جريب من سويق قد حلاه بقند ، فنزل منزلاً في طريقه، فأتاه أعرابي من بني تميم وهو يقلب ذلك السويق، واستحيا منه فعرض عليه، فتناول ما أعطاه فأتي عليه، ثم قال: زدني يا بن أخ، فقال أبو نخيلة:

لما نزلنا منزلاً ممقوتاً نريد أن نرحل أو نبيتا

جئت ولم ندر من أين جيتا إذا سقيت المزبد السحتيتا

قلت ألا زدني وقد رويتا

فقام الأعرابي وهو يسبه.

وحدثني بهذا الخبر هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: كان أبو نخيلة إذا نزل به ضيف هجاه، فنزل به يوماً رجل من عشيرته، فسقاه سويقاً قد حلاه، فقال له: زدني، فزاده. فلما رحل هجاه وذكر الأبيات بعينها، وقال في الخبر قال أبو عبيدة: السحتيت: السويق الدقاق.

يعتذر إلى السفاح من مدحه بني مروان: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال: حدثني ابن عائشة قال: دخل أبو نخيلة على أبي العباس السفاح فسلم، واستأذن في الإنشاد، فقال له أبو العباس: لا حاجة لنا في شعرك، إنما تنشدنا فضلات بني مروان، فقال: يا أمير المؤمنين:

كنا أناساً نرهب الأملاكا إذ ركبوا الأعناق والأوراكا

قد ارتجينا زمناً أباكا ثم ارتجينا بعده أخاكا

ثم ارتجينا بعده إياك وكان ما قلت لمن سواكا

زورا فقد كفر هذا ذاكا

فضحك أبو العباس، وأجازه جائزة سنية، وقال: أجل، إن التوبة لتكفر ما قبلها، وقد كفر هذا ذاك.

وأخبرنا أبو الفياض سوار بن أبي شراعة قال: حدثني أبي عن عبد الصمد بن المعذل عن أبيه قال: دخل أبو نخيلة على أبي العباس، قال وكان لا يجترئ عليه مع ما يعرفه به من اصطناع مسلمة إياه، وكثرة مديحه لبني مروان حتى علم أنه قد عفا عمن هو أكبر محلاً من القوم وأعظم جرما منه، فلما وقف بين يديه سلم عليه، ودعا له

وأثنى، ثم استأذنه في الإنشاد، فقال له: ومن أنت؟ قال: عبدك يا أمير المؤمنين أبو نخيلة الحماني. فقال: لا حياك الله، ولا قرب دارك يا نضو السوء. ألست القائل في مسلمة بن عبد الملك بالأمس:

أمسلم يا من ساد كل خليفةٍ ... ويا فارس الهيجا ويا قمر الأرض؟

والله لولا أني قد أمنت نظراءك لما ارتد إليك طرفك حتى أخضبك بدمك. فقال أبو نخيلة:

كنا أناساً نرهب الأملاكا

يعفو السفاح عنه ويخوله اختيار جارية فلا يحمدها: وذكر الأبيات المتقدمة كلها مثل ما مضى من ذكرها، فتبسم أبو العباس، ثم قال له: أنت شاعر وطالب خير . وما زال الناس يمدحون الملوك في دولهم، والتوبة تكفر الخطيئة، والظفر يزيل الحقد. وقد عفونا عنك، واستأنفنا الصنيعة لك. وأنت الآن شاعرنا فاتسم بذلك فيزول عنك ميسم بني مروان، فقد كفر هذا ذاك. كما قلت. ثم التفت إلى أبي الخصيب فقال: يا مرزوق، أدخله دار الرقيق فخيره جارية يأخذها لنفسه، ففعل واختار جارية وطفاء كثيرة اللحم فلم يحمدها، فلما كان من غد دخل على أبي العباس وعلى رأسه وصيفة حسناء تذب عنه، فقال له: قد عرفت خبر الجارية التي أخذتها بالأمس وهي كذنا كونه فاحتفظ بها، فأنشأ يقول:

إني وجدت الكذنا ذنوكا ... غير منيك فابغني منيكا

حتى إذا حركته تحركا

فضحك أبو العباس، وقال: خذ هذه الوصيفة، فإنك إذا خلوت بها تحرك من غير أن تحركه.

رجزه وقد هرب من دين طولب به: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: أدان أبو نخيلة من بقال له يقال له: ماعز الكلابي باليمامة، وكان يأخذ منه أولاً أولاً حتى كثر ما عليه وثقل، فطالبه ماعز فمطله، ثم بلغه أنه قد استعدى عليه عامل اليمامة، فارتحل يريد الموصل، وخرج عن اليمامة ليلاً، فلم يعلم به ماعز إلا بعد ثلاث. وقد نجا أبو نخيلة وقال في ذلك:

يا ماعز الكراث قد خزيتنا ... لقد خدعت ولقد هجيتا

كدت تخصينا فقد خصيتا ... وكنت ذا حظ فقد محيتا

ويحك لم تعلم بمن صليتا ... ولا بأي حجر رميتا

إذا رأيت المزبد الهبوتا ... يركب شدقا شدقما هريتا

طر بجناحيك فقد أتيتا ... حران حران فهيتا هيتا

والموصل الموصل أو تكريتا ... حيث تبيع النبط البيوتا

ويأكلون العدس المريتا

وقال أيضاً لماعز هذا:

يا ماعز القمل وبيت الذل بتناوبات البغل في الإصطبل
وبات شيطان القوافي يملي على امرئ فحل وغير فحل
لا خير في علمي ولا في جهلي لو كان أودى ماعز بنخلي
ما زال يقليني وعيمي يغلي حتى إذا العيم رمى بالجفل
طبقت تطبيق الجراز النصل

نسخت من كتاب اليوسفي.

يقرن مدح الممدوح بمدح سائسه: حدثني المنمق بن جماع عن أبيه قال: كان أبو نخيلة نذلاً يرضيه القليل، ويسخطه، وكان الربيع ينزله عنده، ويأمر سائساً يتفقد فرسه، فمدح الربيع بأرجوزة، ومدح فيها معه سائسه فقال:

لولا أبو الفضل ولولا فضله ما اسطيع باب لا يسني قفله
ومن صلاح راشد إصطبله نعم الفتى وخير فعل فعله
يسمن منه طرفه وبغله

فضحك الربيع، وقال: يا أبا نخيلة أترضى أن تقرن بي السائس في مديح! كأنك لو لم تمدحه معي كان يضيع فرسك.

يمدح خباز مضيفه: قال: ونزل أبو نخيلة بسليمان بن صعصعة، فأمر غلامه بتعهده، وكان يغاديه ويراوحه في كل يوم بالخبز واللحم، فقال أبو نخيلة يمدح خباز سليمان بن صعصعة:

بارك ربي فيك من خباز ما زلت إذ كنت على أوفاز
تنصب باللحم انصباب الباز

شعره وقد رأى اجتهاد العمال في أرض له: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال: حدثنا أحمد بن المعذل عن علي بن أبي نخيلة الحماني قال: دخلت مع أبي إلى أرض له وقد قدم من مكة، فرآها وقد أضر بها جفاء القيم عليها وتهاونه بها، وكلما رآه الذين يسقونها زادوا في العمل والعمارة حتى سمعت نقيض الليف، فقلت: الساعة يقول في هذا شعراً، فلم ألبث أن التفت إلي وقال:

شاهد مالاً رب مالٍ فساسه سياسة شهم حازم وابن حازم
أقام بها العصرين حيناً ولم يكن كمن ضن عن عمرانها بالدراهم
كأن نقيض الليف عن سعفاته نقيض رحال الميس فوق العياهم

وأضحت تغالي بالنبات كأنها على متن شيخ من شيوخ الأعاجم

وما الأصل ما رويت مضرب عرقه من الماء عن إصلاح فرع بنائم

أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد عن أبي الأزهر البوشنجي قال: حدثنا حماد بن إسحاق الموصلي عن النضر بن حديد عن أبي محضة عن الأزرق بن الخميس بن أرطاة -وهو ابن أخت أبي نخيلة- فذكر قريباً مما ذكر في الخبر الذي قبله.

يسأل فلا يعطى فيهجو ثم يعطى فيمدح: وأخبرني عيسى بن الحسن الوراق المروزي قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي قال: حدثني أبي قال: ابتاع أبو نخيلة داراً في بني حمان ليصحح بها نسبه، وسأل في بنائها، فأعطاه الناس اتقاء للسانه وشره، فسأل شبيب بن شيبة فلم يعطه شيئاً واعتذر إليه، فقال:

يا قوم لا تسودوا شبيبا الملذان الخائن الكذوبا

هل تلد الذيبة إلا الذيبا

فقال شبيب: ما كنت لأعطيه على هذا القول شيئاً، فإنه قد جعل إحدى يديه سطحاً، وملأ الأخرى سلحاً، وقال: من وضع شيئاً في سطحي وإلا ملأته بسلحي، من أجل دار يريد أن يصحح نسبه بها، فسفر بينهما مشايخ الحي يعطيه، فأبى شبيبٌ أن يعطيه شيئاً، وحلف أبو نخيلة ألا يكف عن عرضه أو يأخذ منه شيئاً يستعين به. فلما رأى شبيب ذلك خافه، فبعث إليه بما سأل، وغدا أبو نخيلة عليه وهو جالس في مجلسه مع قومه، فوقف عليهم، ثم أنشأ يقول:

إذا غدت سعد على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها

من مطلع الشمس إلى مغيبها عجبت من كثرتها وطيبها

ينتحل أرجوزة لرؤبة وينشدها فيفجؤه رؤبة من مرقده فيعتذر: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: دخل أبو نخيلة على عمر بن هبيرة، وعنده رؤبة قد قام من مجلسه فاضطجع خلف ستر، فأنشد أبو نخيلة مديحه له، ثم قال ابن هبيرة: يا أبا نخيلة، أي شيءأحدثت بعدنا؟ فاندفع ينشده أرجوزة لرؤبة، فلما توسطها كشف رؤبة الستر، وأخرج رأسه من تحته، فقال له: كيف أنت يا أبا نخيلة؟ فقطع إنشاده وقال: بخير أبا العجاج، فمعذرة إليك ما علمت بمكانك، فقال له رؤبة: ألم ننهك أن تعرض لشعري إذا كنت حاضراً، فإذا ما رغبت فشأنك به! فضحك أبو نخيلة، وقال: هل أنا إلا حسنة من حسناتك، وتابع لك، وحامل عنك؟ فعاد رؤبة إلى موضعه فاضطجع، ولم يراجعه حرفاً. والله أعلم.

يمدح ثم لا يرضى الجائزة فيهجو، ثم يزاد فيمدح: أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة: أن أبا نخيلة قدم على المهاجر بن عبد الله الكلابي -وكان أبو نخيلة أشبه خلق الله بو وجهاً وجسماً وقامة، لا يكاد الناظر إلى أحدهما أن يفرق بينه وبين الآخر- فدخل عليه فأنشده قوله فيه:

يا دار أم مالك ألا اسلمي ... على التنائي من مقام وانعمي
كيف أنا إن أنت لم تكلمي ... بالوحي أو كيف بأن تجمجمي
تقول لي بنتي ملام اللوم ... يا أبتا إنك يوماً مؤتمي
فقلت كلا فاعلمي ثم اعلمي ... أني لميقات كتاب محكم
لو كنت في ظلمة شعب مظلم ... أو في السماء أرتقي بسلم
لا نصب مقداري إلى مجرنثمي ... إني ورب الراقصات الرسم
ورب حوض زمزم وزمزم ... لأستبين الخير عند مقدمي

وعند ترحالي عن مخيمي ... على ابن عبد الله قرم الأقرم
فإنني بالعلم ذو ترسم ... لم أدر ما مهاجر التكرم
حتى تبينت قضايا الغشم ... مهاجر يا ذا النوال الخضرم
أنت إذا انتجعت خير مغنم ... مشترك النائل جم الأنعم
ولتميم منك خير مقسم ... إذا التقوا شتى معاً كالهيم
قد علم الشأم وكل موسم ... أنك تحلو لي كحلو المعجم
طوراً وطوراً أنت مثل العلقم

قال: فأمر له المهاجر بناقة، فتركها ومضى مغضباً، وقال يهجوه:

إن الكلابي اللئيم الأثر ما ... أعطى على المدحة نابا عرزما
ما جبر العظم ولكن تمما

فبلغ ذلك المهاجر، فبعث فترضاه، وقام في أمره بما يحب، ووصله، فقال له أبو نخيلة: هذه صلة المديح، فأين صلة الشبه؟ فإن التشابه في الناس نسب، فوصله حتى أرضاه، فلم يزل يمدحه بعد ذلك حتى مات، ورثاه بعد وفاته فقال:

خليلي مالي باليمامة مقعدٌ ... ولا قرةٌ للعين بعد المهاجر
مضى ما مضى من صالح العيش فاربعا ... على ابن سبيل مزمع البين عابر
فإن تك في ملحودة يا بن وائل ... فقد كنت زين الوفد زين المنابر
وقد كنت لولا سلك السيف لم ينم ... مقيم ولم تأمن سبيل المسافر

لعز على الحيين قيس وخندق تبكي علي والوليد وجابر

هوى قمر من بينهم فكأنما هوى البدر من بين النجوم الزواهر

يهجو أخته لأنها خاصمته في مال لها: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قالك تزوجت أخت أبي نخيلة برجل يقال له ميار ، وكان أبو نخيلة يقوم بمالها مع ماله، ويرعى سوامها مع سوامه، ويستبد عليها بأكثر منافعها، فخاصمته يوماً من وراء خدرها في ذلك، فأنشأ يقول:

أظل أرعى وترا هزينا ململما ترى له غصونا

ذا أبن مقوماً عثنونا يطعن طعناً يقضيب الوتينا

ويهتك الأعفاج والربينا يذهب ميار وتقعدينا

وتفسدين أو تبذرينا وتمنحين استك آخرينا

أير الحمار في است هذا دينا

يطلق امرأته لأنها ولدت بنتاً، ثم يراجعها ويرق للبنت: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: تزوج أبو نخيلة امرأة من عشيرته، فولدت له بنتاً، فغمه ذلك، فطلقها تطليقة ثم ندم، وعاتبه قومه فراجعها. فبينما هو في بيته يوماً إذ سمع صوت ابنته وأمها تلاعبها، فحركه ذلك ورق لها، فقام إليها فأخذها، وجعل يتريها ويقول:

يا بنت من لم يك يهوى بنتاً ما كنت إلا خمسة أو ستا

حتى حللت في الحشى وحتى فتت قلبي من جوى فانفتا

لأنت خيرٌ من غلام أنتا يصبح مخموراً ويمسي سبتا

يسأل المهدي زائراً أي النساء أحب إليه فيفضل التي وصفها أبو نخيلة: أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثنا أبو هفان قال: حدثني أصحابنا الأهتميون قالوا: دخل عقال بن شبة المجاشعي على المهدي فقال له: أيا أبا الشيظم، ما بقي من حبك بنات آدم؟ وما يعجبك منهن ؟ التي عصبت عصب الجان ، وجدلت جدل العنان، واهتزت اهتزاز البان، أم التي بدنت فعظمت وكملت فتمت؟ فقال: يا أمير المؤمنين أحبهما إلي التي وصفها أبو نخيلة، فإنه كانت له جارية صغيرة وهبها له عمك أبو العباس السفاح، فكان إذا غشيها صغرت عنه، وقلت تحته، فقال:

إني وجدت الكذنا ذنوكا غير منيك فابغني منيكا

شيئاً إذا حركته تحركا

قال، فوهب له المهدي جارية كاملة فائقة متأدبلة ربعة ، فلما أصبح عقال غدا على المهدي متشكراً، فخرج المهدي وفي يده مشط يسرح به لحيته وهو يضحك، فدعا له عقال وقال له: يا أمير المؤمنين مم تضحك؟ أدام الله سرورك. قال: يا أبا الشيظم، إني اغتسلت آنفاً من شيء إذا حركته تحرك، وذكرت قولك الآن لما رآيتك، فضحكت.

يرثي ممدوحاً له كان يكثره بره:

أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال: حدثني أحمد بن القاسم العجلي البرتي قال: حدثني أبو هفان قال: حدثتني رقية بنت حمل عن أبيها قال: كان أبو نخيلة مداحاً للجنيد بن عبد الرحمن المري، وكان الجنيد له محباً، يكثر رفده ويقرب مجلسه، ويحسن ، إليه فلما مات الجنيد قال أبو نخيلة يرثيه:

لعمري لئن ركب الجنيد تحملوا ... إلى الشأم من مر وراحت ركائبه

لقد غادر الركب الشآمون خلفهم ... فتى غطفانيا يعلل جانبه

فتى كان يسرى للعدو كأنما ... سروب القطا في كل يوم كتائبه

وكان كأن البدر تحت لوائه ... إذا راح في جيش وراحت عصائبه

تلومه امرأة له على شدة حبه لابنه فيمدحها فتسكت عنه: أخبرنا محمد بن جعفر قال: حدثني أحمد بن القاسم قال: حدثني أبو هفان عن عبد الله بن داود عن علي بن أبي نخيلة ، قال: كان أبي شديد الرقة علي معجباً بي، فكان إذا أكل خصني بأطيب الطعام، وإذا نام أضجعني إلى جنبه، فغاظ ذلك امرأته أم حماد الحنفية، فجعلت تعذله وتؤنبه، وتقول: قد أقمت في منزلك، وعكفت على هذا الصبي، وتركت الطلب لولدك وعيالك. فقال أبي في ذلك:

ولولا شهوتي شفتي علي ... ربعت على الصحابة والركاب

ولكن الوسائل من علي ... خلصن إلى الفؤاد من الحجاب

قال، فازدادت غضباً، فقال لها:

وليس كأم حماد خليلٌ ... إذا ما الأمر جل عن الخطاب

منعمةً أرى فتقر عيني ... وتكفيني خلائقها عتابي

فرضيت وأمسكت عنا.

يمدح ببيت على مثال بيت تمناه الممدوح: حدثني عمي قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني سهل بن زكريا قال: حدثني عبد الله بن أحمد الباهلي قال: قال أبان بن عبد الله النميري يوماً لجلسائه -وفيهم أبو نخيلة-: والله لوددت أنه قيل في ما قيل في جرير بن عبد الله:

لولا جرير هلكت بجيله ... نعم الفتى وبئست القبيله

وأنني أثبت على ذلك مالي كله، فقال له أبو نخيلة: هلم الثواب، فقد حضرني من ذلك ما تريد، فأمر له بدراهم، فقال: اسمع يا طالب ما يجزيه:

لولا أبانٌ هلكت نمير نعم الفتى وليس فيهم خير

يستأذن على أبي جعفر فلا يصل، ويقول في ذلك شعراً: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثنا سلمة بن خالد المازني عن أبي عبيدة قال: وقف أبو نخيلة على باب أبي جعفر واستأذن، فلم يصل، وجعلت الخراسانية تدخل وتخرج، فتهزأ به، فيرون شيخاً أعرابياً جلفا فيبعثون به، فقال له رجل عرفه: كيف أنت أبا نخيلة؟ فأنشأ يقول:

أصبحت لا يملك بعضي بعضاً أشكو العروق الآبضات أبضا

كما تشكي الأرحبي الغرضا كأنما كان شبابي قرضا

فقال له الرجل: وكيف ترى ما أنت فيه في هذه الدولة؟ فقال:

أكثر خلق الله من لا يدرى من أي خلق الله حين يلقى

وحلةٌ تنشر ثم تطوى وطيلسانٌ يشترى فيغلى

لعبد عبدٍ أو لمولى مولى يا ويح بيت المال ماذا يلقى !

يسأل عن ممدوح له فيعدد هباته له: وبهذا الإسناد عن أبي عبيدة أن أبا نخيلة قدم على أبان بن الوليد فامتدحه، فكساه ووهب له جارية جميلة، فخرج يوماً من عنده، فلقيه رجل من قومه، فقيل له: كيف وجدت أبان بن الوليد يا أبا نخيلة؟ فقال:

أكثر والله أبان ميري ومن أبان الخير كل خيري

ثوب لجلدي وحر لأيري

نسخت من كتاب اليوسفي يصاب بتخمة: حدثني خالد بن حميد عن أبي عمرو الشيباني قال: أقحمت السنة أبا نخيلة فأتى القعقاع بن ضرار -وهو يومئذ على شرطة الكوفة- فمدحه، وأنزله القعقاع بن ضرار وابنيه وعبديه وركابهم في دار، وأقام لهم الأنزال، ولركابهم العلوفة.

وكان طباخ القعقاع يجيئهم في كل يوم بأربع قصاع، فيها ألوان مطبوخة من لحوم الغنم، ويأتيهم بتمر وزبد، فقال له يوماً القعقاع: كيف مترلك أبا نخيلة؟ فقال:

ما زال عنا قصعات أربع شهرين دأبا ذود ورجع

عبداي وابناي وشيخ يرفع كما يقوم الجمل المطبع

قال: وكان أبو نخيلة يكثر الأكل فأصابته تخمة، فدخل على القعقاع فسأله: كيف أصبحت أبا نخيلة؟ فقال: أصبحت والله بشما أمرت خبازك فأتاني بهذا الرقاق الذي كأنه الثياب المبلولة، قد غمسه في الشحم غمساً، وأتبعه بزيد ، كرأس النعجة الخرسية ، وتمر كأنه عتر رابضة. إذا أخذت التمرة من موضعها تبعها من الرب كالسلوك الممدودة، فأمنعت في ذلك، وأعجبني حتى بشمت، فهل من أقداح جياد؟ وبين يدي القعقاع حجام واقف وسفرةٌ موضوعة فيها المواسي، فإذا أتي بشراب النبيذ حلق رؤوسهم ولحاهم. فقال له القعقاع: أتطلب مني النبيذ وأنت ترى ما أصنع بشرابه؟ عليك بالعسل والماء البارد، فوثب ثم قال:

قد علم المظل والمبيت ... أني من القعقاع فيما شيت
إذا أتت مائدة أتيت ... ببدع لست بها غذيت
وليت فاستشفعت واستعديت ... كأنني كنت الذي وليت
ولو تمنيت الذي أعطيت ... ما ازددت شيئاً فوق ما لقيت
أيا بن بيت دونه البيوت ... أقصر فقد فوق القرى قريت
ما بين شرابي عسلٌ منعوت ... ولا فرات صرد بيوت
لكني في النوم قد أريت ... رطل نبيذ مخفس سقيت
صلباً إذا جاذبته رويت

فغمزه على إسماعيل ابن أخيه، وأومأ إلى إسماعيل، فأخذ بيده ومضى به إلى منزله، فسقاه حتى صلح.

يمدح السفاح ويغضب في مدحه بعض أهل المجلس فيحرض عليه السفاح: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا قعنب بن المحرز وأبو عمرو الباهلي قالا: حدثنا الأصمعي قال: دخل أبو نخيلة على أبي العباس السفاح، وعنده أبو صفوان إسحاب بن مسلم العقيلي، فأنشده قوله:

صادتك يوم الرملتين شعفر ... وقد يصيد القانص المزعفر
يا صورةً حسنها المصور ... للريم منها جيدها والمحجر

يقول فيها في مدح أبي العباس:

حتى إذا ما الأوصياء عسكروا ... وقام من تبر النبي الجوهر
ومن بني العباس نبع أصفر ... ينميه فرعٌ طيب وعنصر
أقبل بالناس الهوى المستبهر ... وصاح في الليل نهار أنور
أنا الذي لو قيل إني أشعر ... جلي الضباب الرجز المخبر

لما مضت لي أشهر وأشهر | قلت لنفس تزدهى فتصبر
لا يستخفنك ركب يصدر | لا منجد يمضي ولا مغور
وخالفي الأنباء فهي المحشر | أو يسمع الخليفة المطهر
مني فإني كل جنح أحضر | وإن بالأنبار غيثا يهمر
والغيث يرجى والديار تنضر | ما كان إلا أن أتاها العسكر
حتى زهاماً مسجد ومنبر | لم يبق من مروان عين تنظر
لا غائبٌ ولا أناس حضر | هيهات أودى المنعم المعقر
وأمست الأنبار داراً تعمر | وخربت من الشآم ادور
حمصٌ وباب التبن والموقر | ودمرت بعد امتناع تدمر
وواسط لم يبق إلا القرقر | منها وإلا الدير بان الأخضر

"ومنها"

أين أبو الورد وأين الكوثر

أبو الورد بن هذيل بن زفر، وكوثر بن الأسود صاحب شرطة مروان .

وأين مروان وأين الأشقر | وأين فل لم يفت محير
وأين عاديكم المجمهر | وعامر وعامر وأعصر؟

-قال: يعني عامر بن صعصعة، وعامر بن ربيعة، وأعصر باهلة وغني- قال: فغضب إسحاق بن مسلم، وقال: هؤلاء كلهم في حر أمك أبا نخيلة، فأنكر الخليفة عليه ذلك، فقال: إني والله يا أمير المؤمنين قد سمعت منه فيكم شراً من هذا في مجالس بني مروان. وما له عهد، وما هو بوفي ولا كريم. فبان ذلك في وجه أبي العباس، وقال له قولاً ضعيفاً: إن التوبة تغسل الحوبة، والحسنات يذهبن السيئات، وهذا شاعر بني هاشم. وقام فدخل، وانصرف الناس، ولم يعط أبا نخيلة شيئاً.

يدعو في رجز له إلى تولية المهدي العهد فيجيزه المنصور: وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال: حدثني أبي عن عبد الله بن أبي سليم مولى عبد الله بن الحارث قال:

بينا أنا أسير مع أبي الفضل يعني -سليمان بن عبد الله- وحدي بين الحيرة والكوفة - وهو يريد المنصور، وقد هم بتولية المهدي العهد وخلع عيسى بن موسى، وهو يروض ذلك- إذا هو بأبي نخيلة الشاعر، ومعه ابنان له وعبد، وهم يحملون متاعه. فقال له: يا أبا نخيلة، ما هذا الذي أرى؟ قال: كنت نازلاً على القعقاع بن معبد أحد ولد معبد زرارة، فقلت شعراً فيما عزم عليه أمير المؤمنين من تولية المهدي العهد ونزع عيسى بن موسى،

فسألني التحول عنه، لئلا يناله مكروه من عيسى إذ كان صنيعته، فقال سليمان: يا عبد الله، اذهب بأب نخيلة فأنزله منزلاً وأحسن نزله وبره ، ففعلت. ودخل سليمان إلى المنصور فأخبره الخبر، فلما كان يوم البيعة جاء بأبي نخيلة فأدخله على المنصور، فقام فأنشد الشعر على رؤوس الناس، وهي قصيدته التي يقول فيها:

بل يا أمين الواحد الموحد ... إن الذي ولاك رب المسجد

ليس ولي عهدنا بالأسعد ... عيسى فزحلفها إلى محمد

من عند عيسى معهدا عن معهد ... حتى تؤدى من يد إلى يد

قال: فأعطاه المنصور عشرة آلاف درهم، قال: وبايع لمحمد بالعهد، فانصرف عيسى بن موسى إلى منزله، قال: فحدثني داود بن عيسى بن موسى قال: جمعنا أبي فقال: يا بني، قد رأيتم ما جرى، فأيما أحب إليكم: أن يقال لكم: ابني المخلوع، أو يقال لكم: يا بني المفقود؟ فقلنا: لا، بل يا بني المخلوع. فقال: وفقتم بني. وأول هذه الأرجوزة التي هذه الأبيات منها:

لم ينسني يا بنة آل معبد ... ذكراك تكرار الليالي العود

ولا ذوات العصب المورد ... ولو طلبن الود بالتودد

ورحن في الدر وفي الزبرجد ... هيهات منهن وإن لم تعهدي

نجديةٌ ذات معانٍ منجد ... كأن رياها بعيد المرقد

ريا الخزامى في ثرى جعدٍ ندى ... كيف التصابي فعل من لم يهتد

وقد علتني درة بادي بدي ... ورثيةٌ تنهض في تشددي

بعد انتهاضي في الشباب الأملد

يقول فيها:

إلى أمير المؤمنين فاعمد ... إلى الذي يندى ولا يندى ندي

سيري إلى بحر البحار المزبد ... إلى الذي إن نفدت لم ينفد

أو ثمدت أشراعها لم يثمد

ويقول في ذكر البيعة لمحمد بعد الأبيات التي مضت في صدر الخبر:

فقد رضينا بالغلام الأمرد ... وقد فرغنا غير أن لم نشهد

وغير أن العقد لم يؤكد ... فلو سمعنا قولك امدد امدد

كانت لنا كزعقة الورد الصدى ... فناد للبيعة جمعا نحشد

في يومنا الحاضر هذا أو غد | واصنع كما شئت ورد يردد
ورده منك رداء يرتد | فهو رداء الساق المقلد
وكان يروي أنها كأن قد | عادت ولو قد نقلت لم تردد
أقول في كرى أحاديث الغد | لله دري من أخ ومنشد
لو نلت حظ الحبشي الأسود

-يعني أبا دلامة.

خبر آخر من أرجوزة العهد للمهدي: فأخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال: حدثنا أحمد بن الحارث قال: حدثنا المدائني -أن أبا نخيلة أظهر هذه القصيدة التي رواها الخدم والخاصة، وتناشدها العامة، فبلغت المنصور فدعا به، وعيسى بن منصور عنده جالس عن يمينه، فأنشده إياها، وأنصت له حتى سمعها إلى آخرها. قال: أبو نخيلة: فجعلت أرى فيه السرور، ثم قال لعيسى بن موسى: ولئن كان هذا عن رأيك لقد سررت عمك ، وبلغت من مرضاته أقصى ما يبلغه الولد البار السار. فقال عيسى: لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين. قال: أبو نخيلة: فلما خرجت لحقني عقال لن شبة فقال: أما أنت فقد سررت أمير المؤمنين، ولئن تم الأمر فلعمري لتصبين خيراً، ولئن لم يتم فابتغ نفقاً في الأرض، أو سلماً في السماء. فقلت له:

علقت معالقها وصر الجندب

خبر ثالث عن هذه الأرجوزة: قال المدائني: وحدثني بعض موالي المنصور قال: لما أراد المنصور أن يعقد للمهدي أحب أن تقول الشعراء في ذلك، فحدثني عبد الجبار بن عبيد الله الحماني قال:

حدثني أبو نخيلة قال: قدمت على أبي جعفر، فأقمت ببابه شهراً لا أصل إليه، فقال لي عبد الله بن الربيع الحارثي: يا أبا نخيلة، إن أمير المؤمنين يريد أن يقدم المهدي بين يدي عيسى بن موسى، فلو قلت شيئاً على ما يريد، فقلت:

ماذا على شحط النوى عناكا | أم ما مرى دمعك من ذكراكا؟
وقد تبكيت فما أبكاكا

وذكر أرجوزة طويلة يقول فيها:

خليفة الله وأنا ذاكا | أسند إلى محمدٍ عصاكا
فأحفظ الناس لها أدناكا | وابنك ما استكفيته كفاكا
وكلنا منتظر لذاكا | لو قلت هاتوا قلت هاك هاكا

المنصور يحذره عيسى بن موسى وعيسى يوكل به من يقتله: قال: فأنشدته إياها، فوصلني بألفي درهم، وقال لي: احذر عيسى بن موسى، فإني أخافه عليك أن يغتالك. قال المدائني: وخلع أبو جعفر عيسى بن موسى، فبعث عيسى في طلب أبي نخيلة، فهرب منه، وخرج يريد خراسان، فبلغ عيسى خبره، فجرد خلفه مولى له يقال له: قطري، معه عدة من مواليه، وقال له: نفسك نفسك أن يفوتك أبو نخيلة، فخرج في طلبه مغذاً للسير، فلحقه في طريقه إلى خراسان، فقتله وسلخ وجهه.

ونسخت من كتاب القاسم بن يوسف عن خالد بن حمل أن علي بن أبي نخيلة حدثه أن المنصور أمر أبا نخيلة أن يهرب إلى خراسان، فأخذه قطري وكتفه فأضجعه، فلما وضع السكين على أوداجه قال: إيه يا بن اللخناء، ألست القائل:

علقت معالقها وصر الجندب

الآن صر جندبك. فقال: لعن الله ذاك جندباً، ما كان أشأم ذكره! ثم ذبحه، قطري، وسلخ وجهه، وألقى جسمه إلى النسور، وأقسم لا يريم مكانه حتى تمزق السباع والطيور لحمه، فأقام حتى لم يبق منه إلا عظامه، ثم انصرف.

أبو الأبرش يشمت به لمهاجات كانت بينهما: أخبرنا جعفر بن قدامة قال: حدثنا أبو حاتم السجستاني قال: حدثني الأصمعي عن سعيد بن سلم عن أبيه قال: قلت لأبي الأبرش: مات أبو نخيلة، قال: حتف أنفه؟ قلت: لا، بل اغتيل فقتل. فقال: الحمد لله الذي قطع قلبه، وقبض روحه، وسفك دمه، وأراحى منه، وأحياني بعده.

وكان أبو نخيلة يهاجي الأبرش، فغلبه أبو نخيلة.

صوت

ولقد دخلت على الفتا ... ة الخدر في اليوم المطير

فدفعنها فتدافعت ... مشي القطاة على الغدير

فلثمتها فتنفست ... كتنفس الظبي البهير

الشعر للمنخل اليشكري، والغناء لإبراهيم، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو وأحمد المكي.

الجزء الحادي والعشرون

أخبار المنخل ونسبه

هو المُنخَّل بن عمرو - ويقال: المُنخَّل بن مسعود - بن أفلت بن عمرو بن كعب بن سواءة بن غنم بن حبيب بن يشكر بن بكر بن وائل. وذكر أبو محلِّم النسابة: أنه المدخل بن مسعود بن أفلت بن قط بن سوءة بن مالك بن ثعلبة بن حبيب بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر. وقال ابن الأعرابي: هو المنخل بن الحارث بن قيس بن عمرو بن ثعلبة بن عدي بن جشم بن حبيب بن كعب بن يشكر.

يتهمه النعمان بالمتجردة فيقتله: شاعر مقل من شعراء الجاهلية، وكان النعمانُ بن المنذر قد اتهمه بامرأته المتجرّدة ت وقيل: بل وجده معها، وقيل: بل سُعِيَ به إليه في أمرها فقتله، وقيل: بل حبسه، ثم غَمَض خبره، فلم تُعلم له حقيقة إلى اليوم. فيقال: إنه دفنه حياً، ويقال: إنه غرقه. والعرب تضرب به المثل كما تضربه بالقارظ العنزي وأشباهه ممن هلك و لم يعلم له خبر. وقال ذو الرمة:

تقارب حتى تطمع التابع الصبا ... وليست بأدنى من إياب المنخّل

وقال النمر بن تولب:

وقولي إذا ما أطلقوا عن بعيرهم ... تلاقونه حتى يئوب المنخل

تفضيل سبب قتله: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال أخبرني أحمد بن زهير قال: أخبرني عبد الله بن كريم قال: أخبرني أبو عمرو الشيباني قال:

كان سبب قتل المنخل أن المتجرّدة - واسمها ماوية وقيل: هند بنت المنذر بن الأسود الكلبية - كانت عند ابن عم لها يقال له: حلم، وهو الأسود ب المنذر بن حارثة الكلبي، وكانت أجملَ أهل زمانها، فرآها المنذر بن المنذر الملك اللخمي فعشقها، فجلس ذات يوم على شرابه ومعه حلم وامرأته المتجردة، فقال المنذر لحلم: إنه لقبيح بالرجل أن يقيم على المرأة زماناً طويلاً حتى لا يبقى في رأسه ولا لحيته شعرة بيضاء إلا عرفتها، فهل لك أن تطلق امرأتك المتجردة وأطلق امرأتي سلمى؟ قال: نعم، فأخذ كل واحد منهما على صاحبه عهداً. قال: فطلّق المنذر امرأته سلمى، وطلق حلم امرأته المتجردة، فتزوجها المنذر و لم يطلق لسلمى أن تتزوج حلماً، وحجبها - وهي أمّ ابنه النعمان بن المنذر - فقال النابغة الذبياني يذكر ذلك:

قد خادعوا حلما عن حرة خرد ... حتى تبطنها الخداع ذو الحلم

قال: ثم مات المنذر بن المنذر، فتزوجها بعده النعمان بن المنذر ابه، وكان قصيراً دميماً أبرش، وكان ممن يجالسه ويشرب معه النابغة الذبياني - وكان جميلاً عفيفاً - والمنخل اليشكري - وكان جميلاً - وكان يتهم بالمتجردة. فأما النابغة فإن النعمان أمره بوصفها فقال قصيدته التي أولها:

من آل مية رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزود

ووصفها فأفحش فقال:

وإذا طعنت طعنت في مشتهدف رابي المجسة بالعبير مقرمد

وإذا نزعت نزعت معن مستحصف نزع الحزور بالرشاء المحصد

فغار المنخّل من ذلك، وقال: هذه صفة مُعاين، فهم النعمان بقتل النابغة حتى هرب منه، وخلا المنخّل بمجالسته، وكان يهوي المتجردة وتهواه، وقد ولدت للنعمان غلامين جميلين يشبهان المنخل، وكانت العرب تقول: إنهما منه. فخرج النعمان لبعض غزواته - قال ابن الأعرابيّ: بل خرج متصيّداً - فبعثت المتجردة إلى المنخّل فأدخلته قُبَّتها، وجعلا يشربان، فأخذت خلخالها وجعلته في رجله، وأسدلت شعرها فشدّت خَلخالها إلى خَلخاله الذي في رجله من شدة إعجابها به. ودخل النعمان بعقب ذلك فرآها على تلك الحال، فأخذه فدفعه إلى رجل من حرسه من تغلب يقال له: عِكَبّ، وأمره بقتله، فعذّبه حتى قتله.

يحرض على عكب قاتله: فقال المنخّل يحرّض قومه عليه:

ألا مَن مبلِغ الحيّين عنّي بأن القوم قد قتلوا أُبَيّا

فإن لم تأروا لي من عِكَبٍ فلا رَوَيتُمُ أبدا صَدِيا

وقال أيضاً:

ظلّ وشط النديّ قتلَى بِلا جُرْ م وقومي يُنتِّجون السِّخالا

من شعره في المتجردة: وقال في المتجردة:

ديار للتي قتلتك غصبا بلا سيف يعد ولا نبال

بطرف ميت في عين حي له خبل يزيد على الخبال

وقال أيضاً:

ولقد دخلتُ على الفتا ة الخدر في اليوم المطير

الكاعب الخنساء تر فل في الدمقس وفي الحرير

دافعتها فتدافعت مشى القطاة إلى الغدير

ولثمتها فتنفست كتنفس الظبي البهير

ورنت وقالت يامنخ ... ل هل بجسمك من فتور؟
ما مس جسمي غير حب ... ك فاهدئي عني وسيري
يا هند هل من نائل ... يا هند للعاني الأسير؟
وأحبها وتحبني ... ويحب ناقتها بعيري
ولقد شربت من المدا ... مة بالكبير وبالصغير
فإذا سكرت فإنني ... رب الخورنق والسرير
وإذا صحوت فإنني ... رب الشويهة والبعير
يا رب يوم للمنخل قد لها فيه قصير

رواية أخرى لخبر المنخل مع المتجردة: وأخبرني بخبر المنخل مع المتجردة أيضاً علي بن سليمان الأخفش قال: أخبرني أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال:

كانت المتجردة امرأة النعمان فاجرة، وكانت تتهم بالمنخل، وقد ولدت للنعمان غلامين جميلين يشبهان المنخل، فكان يقال: إنهما منه، وكان جميلاً وسيماً، وكان النعمان أحمر أبرش قصيراً دميماً. وكان للنعمان يوم يركب فيه يطليل المكث، وكان المنخل من ندمائه لا يفارقه، وكان يأتي المتجردة في ذلك اليوم الذي يركب فيه النعمان فيطيل عندها، حتى إذا جاء النعمان آذنتها بمجيئه وليدة لها موكلة بذلك فتخرجه.

فركب النعمان ذات يوم وأتاها المنخل كما كان يأتيها فلاعبتَه، وأخذت قيداً، فجعلت إحدى حلقتيه في رجله والأخرى في رجلها، وغفلت الوليدة عن ترقب النعمان؛ لأن القوت الذي يجيء فيه لم يكن قرب بعد، وأقبل النعمان حينئذ ولم يطل في مكثه كما كان يفعل، فدخل إلى المتجردة، فوجدها مع المنخل قد قيدت رجلها، ورجله بالقيد، فأخذه النعمان فدفعه إلى عكب صاحب سجنه ليعذبه - وعكب رجل من لخم - فعذبه حتى قتله. وقال المنخل قبل أن يموت هذه الأبيات، وبعث بها إلى ابنيه:

ألا من مبلغ الحرين عني ... بأن القوم قد قتلوا أبيا
وإن لم تثأروا لي من عكب ... فلا أرويتما أبداً صديا
يطوف بي عكب في معد ... ويطعن بالملة في قفيا

الأصح أن قاتله هو النعمان لا عمرو بن هند: قال ابن حبيب: وزعم ابن الجصاص أن عمرو بن هند هو قاتل المنخل، والقول الأول أصح.

قصيدته في المتجردة: وهذه القصيدة التي منها الغناء يقولها في المتجردة، وأولها قوله:

إن كنت عاذلتي فسيري ... نحو العراق ولا تحوري

لا تسألي عن جل ما ... لي واذكري كرمي وخيري
وإذا الرياح تناوحت ... بجوانب البيت الكسير
ألفيتني هش الندي ... بمر قدحي أو شجيري

الشجير: القدح الذي لم يصلح حسناً، ويقال: بل هو القدح العاريُّة - .

ونهى أبو أفعى فقلّ ... دني أبو أفعى جريري
وجلالة خطارة ... هوجاء جائلة الضفور
تعدو بأشعث قد وهى ... سرباله باقي المسير
فضلا على ظهر الطري ... ق إليك علقمة بن صير
الواهب الكوم الصفا ... يا والأوانس في الخدور
يصفيك حين تجيئه ... بالعصب والحلي الكثير
وفوارس كأوار حر ... النار أحلاس الذكور
شدوا دوابر بيضهم ... في كل محكمة القتير
فاستلأموا وتلببوا ... إن التلبب للمغير
وعلى الجياد المضمرا ... ت فوارس مثل الصقور
يخرجن من خلل الغبا ... ر يجفن بالنعم الكثير
فشفيت نفسي من أول ... ئك والفوائح بالعبير
يرفلن في المسك الذكي ... وصائك كدم النحير
يعكفن مثل أساود الت ... نوم لم تعكف لزور
ولقد دخلت على الفتا ... ة الخدر في اليوم المطير
الكاعب الخنساء تر ... فل في الدمقس وفي الحرير
فدفعتها فتدافعت ... مشي القطاة إلى الغدير
ولثمتها فتنفست ... كتنفس الظبي البهير
فدنت وقالت يا منخ ... ل ما بجسمك من حرور؟
ما شف جسمي غير حب ... ك فاهدئي عني وسيري

ولقد شربت من المدا مة بالصغير وبالكبير

ولقد شربت الخمر بال عبد الصحيح وبالأسير

فإذا سكرت فإنني رب الخورنق والسدير

وإذا صحوت فإنني رب الشويهة والبعير

يا رب يوم للمنخ ل قد لها فيه قصير

يا هند هل من نائل يا هند للعاني الأسير

ومن الناس من يزيد في هذه القصيدة:

وأحبها وتحبني ويحب ناقتها بعيري

ولم أجده في رواية صحيحة.

صوت

لمن شيخان قد نشدا كلابا كتاب الله لو قبل الكتابا

أناشده فعرض في إباء فلا وأبي كلاب ما أصابا

الشعر لأمية بن الأسكر الليثي، والغناء لعبد الله بن طاهر، رمل بالوسطى. صنعه ونسبه إلى لميس جاريته، وذكر الهشامي أن اللحن لها، وذكره عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في جامع أغانيهم ووقع إلي، فقال: الغناء فيه للدار الكبيرة، وكذلك كان يكنّى عن أبيه، وعن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب وجواريهم، ويكنى عن نفسه وجاريته شاجي وما يصنع في دور إخوته بالدار الصغيرة.

أخبار أمية بن الأسكر ونسبه

نسبه

هو أمية بن حرثان بن الأسكر بن عبد الله بن سرابيل الموت بن زهرة بن زبينة بن جندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

شاعر فارس مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وكان من سادات قومه وفرسانهم، وله أيام مأثورة مذكورة.

عمر يستعمل ابنه كلابا على الأبلة: وكان له أخ يقال له: أبو لاعق الدم، وكان من فرسان قومه وشعرائهم، وابنه كلاب بن أمية أيضاً أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم مع أبيه، ثم هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم

فقال أبوه فيه شعراً، ذكر أبو عمرو الشيباني أنه هذا الشعر، وهو خطأ، إنما خاطبه بهذا الشعر لما غزا مع أهل العراق لقتال الفرس، وخبره في ذلك يذكر بعد هذا.

قال أبو عمرو في خبره: فأمره صلى الله عليه وسلم بصلة أبيه وملازمته طاعته.

وكان عمر بن الخطاب استعمل كلاباً على الأبلة، فكان أبواه ينتابانه، يأتيه أحدهما في كل سنة، ثم أبطأ عليه وكبرا فضعفا عن لقائه، فقال أبياتاً وأنشدها عمر، فرق له ورده إليهما، فلم يلبث معهما إلا مدة حتى نهشته أفعى؛ فمات وهذا أيضاً وهم من أبي عمرو، وقد عاش كلاب حتى ولي لزياد الأبلة، ثم استعفى، أعفاه. وسأذكر خبره في ذلك وغيره ها هنا إن شاء الله تعالى: شعره لابنه كلاب لما أغزاه عمر وطالت غيبته عنه: فأما خبره مع عمر فإن الحسن بن علي أخبرني به، قال: حدثني اعلحارث بن محمد قال: حدثني المدائني عن أبي بكر الهذلي عن الزبيري عن عروة بن الزبير قال: هاجر كلاب بن أمية بن الأسكر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب، فأقام بها مدة، ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، فسألهما: أي الأعمال أفضل في الإسلام؟ فقالا: الجهاد، فسأل عمر فأغزاه في جيش، وكان أبوه قد كبر وضعف، فلما طالت غيبة كلاب عنه قال:

لمن شيخان قد نشدا كلابا ... كتاب الله إن قبل الكتابا

أناديه فيعرض في إباء ... فلا وأبي كلاب ما أصابا

إذا شجعت حمامة بطن واد ... إلى بيضاتها دعرا كلابا

أتاه مهاجران تكنفاه ... ففارق شيخه خطئا وخابا

تركت أباك مرعشة يداه ... وأمك ما تسيغ لها شرابا

تمسح مهره شفقاً عليه ... وتجنبه أباعرها الصعابا

قال: تجنبه وتجنبه واحد، من قول الله عز وجل: "واجنبني وبني أن نعبد الأصنام". قال:

فإنك قد تركت أباك شيخاً ... يطارق أينقا شزبا طرابا

فإنك والتماس الأجر بعدي ... كباغي الماء يتبع السرابا

ينشد عمر شعراً ليرد له كلابا فيبكي عمر رحمة له ويرده عليه: فبلغت أبياته عمر، فلم يردد كلابا وطال مقامه فأهتر أمية وخلط جزعا عليه، ثم أتاه يوماً وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والأنصار، فوقف عليه ثم أنشأ يقول:

أعاذل قد عذلت بغير قدر ... ولا تدرين عاذل ما ألاقي

فإما كنت عاذلتي فردي ... كلابا إذ توجه للعراق

ولم أقض اللبانة من كلاب ... غداة غدوأذن بالفراق

فتى الفتيان في عسر ويسر شديد الركن في يوم التلاقي
فلا وا ما باليت وجدي ولا شفقي عليك ولا اشتياقي
وإبقائي عليك إذا شتونا وضمك تحت نحر واعتناقي
فلو فلق الفؤاد شديد وجد لهم سواد قلبي بانفلاق
سأستعدي على الفاروق ربا له دفع الحجيج إلى بساق
وأدعو الله مجتهداً عليه ببطن الأخشبين إلى دفاق
إن الفاروق لم يردد كلاباً إلى شيخين هامهما زواق

عمر يسأل كلابا عن مبلغ بره بأبيه فيصفه له:

قال: فبكى عمر بكاء شديداً، وكتب برد كلاب إلى المدينة، فلما قدم دخل إليه، فقال: ما بلغ من برك بأبيك؟ قال: كنت أوثره وأكفيه أمره، وكنت أعتمد إذا أردتُ أن أحلب له لبناً أغزر ناقة في إبله وأسمنها فأريحها وأتركها حتى تستقر، ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ثم أحتلب له فأسقيه.

عمر يرد كلاباً عليه ويأمره أن يلزم أبويه: فبعث عمر إلى أمية من جاء به إليه، فأدخله يتهادى وقد ضعف بصره وانحنى. فقال له: كيف أنت يا أبا كلاب؟ قال: كما تراني يا أمير المؤمنين. قال: فهل لك من حاجة؟ قال: نعم، أشتهي أن أرى كلاباً فأشمه شمة، وأضمه ضمة قبل أن أموت. فبكى عمر، ثم قال: ستبلغ من هذا ما تحب إن شاء الله تعالى. ثم أمر كلاباً أن يحتلب لأبيه ناقة كما كان يفعل، ويبعث إليه، بلبنها، ففعل فناوله عمر الإناء، وقال: دونك هذا يا أبا كلاب.

فلما أخذه وأدناه إلى فمه قال: لعمر: والله يا أمير المؤمنين، إني لأشم رائحة يدي كلاب من هذا الإناء، فبكى عمر، وقال: هذا كلاب عندك حاضراً قد جئناك به، فوثب إلى ابنه وضمه إليه وقبله، وجعل عمر يبكي ومن حضره، وقال لكلاب: الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا، ثم شأنك بنفسك بعدهما، وأمر له بعطائه، وصرفه مع أبيه، فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبوه.

يخرجه قومه لأن إبله أصيبت بالهيام: ونسخت من كتاب أبي سعيد السكري أن أمية كانت له إبل هائمة - أي أصابها الهيام وهو داء يصيب الإبل من العطش - فأخرجته بنو بكر مخافة أن يصيب إبلهم، فقال لهم: يا بن بكر، إنما هي ثلاث ليال: ليلة بالبقعاء وليلة بالفرع، وليلة بلقف في سامر من بكر، فلم ينفعه ذلك وأخرجوه، فأتى مزينة فأجاروه، وأقام عندهم إلى أن صحت إبله، وسكنت، فقال يمدح مزينة:

تكنفها الهيام وأخرجوها فما تأوي إلى إبل صحاح
فكان إلى مزينة منتهاها على ما كان فيها من جناح
وما يكن الجناح فإن فيها خلائق ينتمين إلى صلاح

ويوماً في بني ليث بن بكر تراعى تحت قعقعة الرماح
فإما أصبحن شيخاً كبيراً وراء الدار يثقلني سلاحي
فقد آتي الصريخ إذا دعاني على ذي منعة عتد وقاح
وشر أخي مؤامرة خذول على ما كان مؤتكل ولاح

شعره حين ضحك راع منه وقد عمر حتى خرف: أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو والشيباني عن أبيه، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أبو توبة عن أبي عمرو قال: عمر أمية بن الأسكر عمراً طويلاً حتى خرف، فكان ذات يوم جالساً في نادي قومه وهو يحدث نفسه، إذ نظر إلى راعي شأن لبعض قومه يتعجب منه، فقام لينهض فسقط على وجهه، فضحك الراعي منه، وأقبل ابناه إليه، فلما رآهما أنشأ يقول:

يا بني أمية إني عنكما غان وما الغنى غير أني مرعش فان
يا بني أمية إلا تحفظا كبري فإنما أنتما والثكل سيان
هل لكما في تراث تذهبان به إن التراث لهيان بن بيان

يقال: هيان بن بيان، وهي ترى للقريب والبعيد .

أصبحت هزءاً لراعي الضأن يسخر بي ماذا يريبك مني راعي الضأن
أعجب لغيري إني تابع سلفي أعمام مجد وأجدادي وإخواني
وانعق بضأنك في أرض تطيف بها بين الأساف وأنتجها بجلذان

جلذان: موضع بالطائف

ببلدة لا ينام الكالئان بها ولا يقر بها أصحاب ألوان

الإمام علي يتمثل بشعر له: وهذه الأبيات تمثل بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في خطبة له على المنبر بالكوفة.

حدثنا بها أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري، قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا محمد بن أبي رجاء، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، قال: قال عبد الله بن عدي بن الخيار:

شهدت الحكمين، ثم أتيت الكوفة وكانت لي إلى علي رضي الله عنه حاجة، فدخلت عليه، فلما رآني قال: مرحباً بك يا بن أم قتال، أزائراً جئتنا أم لحاجة؟ فقلت: كل جاء بي، جئت لحاجة، وأحببت أن أجدد بك عهداً، وسألته عن حديث فحدثني على ألا أحدث به واحداً، فبينا أنا يوماً بالمسجد في الكوفة إذا علي صلوات الله عليه متنكب قرناً له. فجعل يقول: الصلاة جامعة. وجلس على المنبر، فاجتمع الناس، وجاء الأشعث بن

قيس فجللس إلى جانب المنبر. فلما اجتمع الناس، ورضي منهم قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنكم تزعمون أن عندي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عند الناس، ألا وإنه ليس عندي إلا ما في قربي هذا، ثم نكت كنانته، فأخرج منها صحيفة فيها: المسلمون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم. من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين". فقال له الأشعث بن قيس: هذه والله عليك لا لك، دعها تترحل، فخفض علي - صلوات الله عليه - إليه بصره، وقال: ما يدريك ما علي مما لي! عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين، حائك ابن حائك، منافق ابن منافق، كافر ابن كافر. والله لقد أسرك الإسلام مرة والكفر مرة، فما فداك من واحد منهما حسبك ولا مالك، ثم رفع إلي بصره فقال: يا عبيد الله:

أصبحت قنا لراعي الضأن يلعب بي ماذا يريبك مني راعي الضان

فقلت: بأبي أنت وأمي، قد كنتُ والله أحب أن أسمع هذا منك. قال: هو والله ذلك، قال:

فما قيل من بعدها من مقالة ولا علقت مني جديداً ولا درساً

يعود كلاب إلى البصرة بعد موت أبيه ويولي الأبلة ثم يستعفي منها: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا الحارث، عن المدائني قال: لما مات أمية بن الأسكر عاد ابنه كلاب إلى البصرة، فكان يغزو مع المسلمين، منها مغازيهم، وشهد فتوحات كثيرة، وبقي إلى أيام زياد، فوّلاه الأبلة، فسمع كلاب يوماً عثمان بن أبي العاص يحدث أن داود نبي الله - عليه السلام - كان يجمع أهله في السحر فيقول: ادعوا ربكم فإن في السحر ساعة لا يدعو فيها عبد مؤمن إلا غفر له، إلا أن يكون عشاراً أو عريفاً.

فلما سمع ذلك كلاب كتب إلى زياد، فاستعفاه من عمله فأعفاه.

قال المدائني: ولم يزل كلاب بالبصرة حتى مات، والمربعة المعروفة بمربعة كلاب بالبصرة منسوبة إليه.

شعر أمية وقد ظفر بنو ليث بقومه: وقال أبو عمرو الشيباني: كان بين بني غفار قومه و بني ليث حرب، فظفرت بنو ليث بغفار، فحالف رحضة بن خزيمة بن خلاف بن حارثة بن غفار وقومه جميعاً بني أسلم بن أفصى بن خزاعة، فقال أمية بن الأسكر في ذلك، وكان سيد بني جندع بن ليث وفارسهم:

لقد طبت نفساً عن مواليك يا رحضا آثرت أذناب الشوائل والحمضا

تعللنا بالنصر في كل شتوة وكل ربيع أنت رافضنا رفضا

فلولا تأسينا وحد رماحنا لقد جر قوم لحمنا تراباً قضا

القضّ والقضيض: الحصا الصغار عبد الله بن الزبير يتمثل بشعره: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني أحمد بن زهير قال: حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه قال: افتعل عمرو بن الزبير كتاباً عن معاوية إلى مروان بن الحكم بأن يدفع إليه مالاً، فدفعه إليه، فلما عرف معاوية خبره كتب إلى مروان بأن يحبس عمراً حتى يؤدي المال، فحبسه مروان، وبلغ الخبر عبد الله بن الزبير، فجاء إلى مروان وسأله عن الخبر، فحدثه به، فقال: ما لكم في

ذمتي، فأطلق عمراً، وأدى عبد الله المال عنه، وقال: والله إني لأؤديه عنه وإني لأعلم أنه غير شاكر، ثم تمثل قول أمية بن الأسكر الليثي:

فلولا تأسينا وحد رماحنا لقد جر قوم لحمنا تربا قضا

سيدان يخطبان بنتاً له ويتفاخران في الظفر بها: وقال ابن الكلبي: حدثنا بعض بني الحارث بن كعب قال: اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بموسم عكاظ، فقدم أمية بن الأسكر، ومعه بنت له من أجمل أهل زمانها، فخطبها يزيد وعامر، فقالت أم كلاب امرأة أمية: من هذان الرجلان؟ قال: هذا ابن الديان، وهذا عامر بن الطفيل. قالت: أعرف ابن الديان، ولا أعرف عامراً. قال: هل سمعت بملاعب الأسنة؟ قالت: نعم والله. قال: فهذا ابن أخيه.

وأقبل يزيد فقال: يا أمية أنا ابن الديان، صاحب الكثيب، ورئيس مذحج، ومكلم العقاب، ومن كان يصوب أصابعه فتنطف دماً، ويدلك راحتيه فتخرجان ذهباً. قال أمية: بخ بخ.

فقال عامر: جدي الأحزم، وعمي أبو الأصبع، وعمي ملاعب الأسنة، وجدي الرحال، وأبي فارس قرزل. قال أمية: بخ بخ، مرعى ولا كالسعدان، فأرسلها. مثلاً.

فقال يزيد: يا عامر، هل تعلم شاعراً من قومي رحل بمدحه إلى رجل من قومك؟ قال: لا، قال: فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدحهم إلى قومي؟ قال: نعم. قال: فهل لك نجم يمان أو برد يمان أو سيف يمان أو ركن يمان؟ فقال: لا، قال: فهل ملكناكم و لم تلمكونا؟ قال: نعم، فنهض يزيد قوقام، ثم قال:

أمي يا بن الأسكر بن مدلج لا تجعلن هوازنا كمذحج

إنك إن تلهج بأمر تلجج ما النبع في مغرسه كالعوسج

ولا الصريح المحض كالممزج

وقال مرة بن دودان العقيلي، وكان عدواً لعامر بن الطفيل:

يا ليت شعري عنك يا يزيد ماذا الذي من عامر تريد؟

لكل قوم فخرهم عتيد أمطلقون نحن أم عبيد؟

لا بل عبيد زادنا الهبيد

فزوج أمية يزيد فقال يزيد في ذلك:

يا للرجال لطارق الأحزان ولعامر بن طفيل الوسنان

كانت إتاوة قومه لمحرق زمنا وصارت بعد للنعمان

عد الفوارس من هوازن كلها كثفاً علي وجئت بالديان

فإذا لي الفضل المبين بوالد ضم الدسيعة أزأني ويمان

يا عام إنك فارس متهور غض الشباب أخو ندي وقيان

واعلم بأنك يا بن فارس قرزل دون الذي تسمو له وتداني

ليست فوارس عامر بمقرة لك بالفضيلة في بني عيلان

فإذا لقيت بني الخميس ومالكا وبني الضباب وحي آل قنان

فاسأل من المرء المنوه باسمه والدافع الأعداء عن نجران؟

يعطى المقادة في فوارس قومه كرماً لعمرك والكريم يمان

فقال عامر بن الطفيل مجيباً له:

يا للرجال لطارق الأحزان ولما يجيء به بنو الديان

فخروا علي بحبوة لمحرق وإتاوة سلفت من النعمان

ما أنت وابن محرق وقبيله وإتاوة اللخمي في عيلان؟

فاقصد بذررعك قصد أمرك قصده ودع القبائل من بني قحطان

إذ كان سالفنا الإتاوة فيهم أولى ففخرك فخر كل يمان

وافخر برهط بني الحماس ومالك وابن الضباب وزعبل وقيان

وأنا المنخل وابن فارس قرزل وأبو نزار زانني ونماني

وإذا تعاظمت الأمور موازنا كنت المنوه باسمه والثاني

فلما رجع القوم إلى بني عامر وثبوا على مرة بن دودان، وقالوا: أنت شاعر بني عامر و لم تهج بني الديان، فقال:

تكلفني هوازن فخر قوم يقولون الأنام لنا عبيد

أبوهم مذحج وأبو أبيهمإذا ما عدت الآباء هود

وهل لي إن فخرت بغير فخر مقال والأنام له شهود؟

فإنا لم نزل لهم قطينا تجئ إليهم منا الوفود

فإنا نضرب الأحلام صفحا عن العلياء أو من ذا بكيد؟

فقولوا يا بني عيلان كنا لكم قنا وما عنكم محيد

وهذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبي، والتوليد فيه بين، وشعره شعر ركيك غث، لا يشبه أشعار القوم، وإنما ذكرته لئلا يخلو الكتاب من شيء قد روي.

شعره حين أصيب رهط من قومه يوم المريسيع: وقال محمد بن حبيب فيما روى عنه أبو سعيد السكري، ونسخته من كتابه، قال أبو عمرو الشيباني:

أصيب قوم من بني جندع بن ليث بن بكر بن هوازن رهط أمية بن الأسكر يقال لهم: بنو زبينة، أصابهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم المريسيع في غزوته بني المصطلق، وكانوا جيرانه يومئذ - ومعهم ناس من بني لحيان من هذيل، ومع بني جندع رجل من خزاعة يقال له: طارق، فاتهمه بنو ليث بهم، وأنه دل عليهم. وكانت خزاعة مسلمها ومشركها يميلون إلى النبي صلى الله عليه وسلم على قريش. فقال أمية بن الأسكر لطارق الخزاعي:

لعمرك إني والخزاعي طارقاً ... كنعجة عاد حتفها تتحفر

أثارت عليها شفرة بكراعها ... فظلت بها من آخر الليل تجزر

شمت بقوم هم صديقك أهلكوا ... أصابهم يوم من الدهر أعسر

كأنك لم تنبأ بيوم ذؤالة ... ويوم الرجيع إذ تنحر حبتر

فهلا أباكم في هذيل وعمكم ... ثأرتم وهم أعدى قلوباً وأوتر

ويوم الأراك يوم أردف سبيكم ... صميم سراة الديل عبد ويعمر

وسعد بن ليث إذ تسل نساؤكم ... وكلب بن عوف نحروكم وعقروا

عجبت لشيخ من ربيعة مهتر ... أمر له يوم من الدهر منكر

شعر طارق الخزاعي يجيبه فيه: فأجابه طارق الخزاعي فقال:

لعمرك ما أدري وإني لقائل ... إلى أي من يظنني أتعذر؟

أعنف أن كانت زبينة أهلكت ... ونال بني لحيان شر ونفروا

ابن عباس ومعاوية يتمثلان بشعره وشعر صاحبه: وهذه الأبيات: الابتداء، والجواب تمثل بابتدائها ابن عباس في رسالة إلى معاوية، وتمثل بجوابها معاوية في رسالة أجابه بها.

حدثني بذلك أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجلي العطار بالكوفة، قال: حدثنا الحسين بن نصر بن مزاحم المنقري قال: حدثنا زيد بن المعذل النمري، قال: حدثنا يحيى بن شعيب الخراز، قال: حدثنا أبو مخنف، قال: لما بلغ معاوية مصاب أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - دس رجلاً من بني القين إلى البصرة يتجسس الأخبار ويكتب بها إليه، فدل على القيني بالبصرة في بني سليم، فأخذ وقتل.

وكتب ابن عباس من البصرة إلى معاوية: أما بعد، فإنك ودسك أخا بني القين إلى البصرة تلتمس من غفلات قريش مثل الذي ظفرت به من يمانيتك لكما قال الشاعر:

لعمرك إني والخزاعي طارقاً كنعجة عاد حتفها تتحفر

أثارت عليها شفرة بكراعها فظلت بها من آخر الليل تجزر

شمت بقوم هم صديقك أهلكوا أصابهم يوم من الدهر أمعر

فأجابه معاوية: أما بعد، فإن الحسن قد كتب إلي بنحو مما كتبت به وأنبني بما لم أجن ظناً وسوء رأي، وإنك لم تصب مثلنا، ولكن مثلنا ومثلكم كما قال طارق الخزاعي:

فوالله ما أدري وإني لصادق إلى أي من يظنني أتعذر؟

أعنف أن كانت زبينة أهلكت ونال بني لحيان شر ونفروا

صوت

أبني إني قد كبرت ورابني بصري وفي لمصلح مستمتع

فلئن كبرت نقد دنوت من البلى وحلت لكم مني خلائق أربع

عروضه من الكامل، والشعر لعبدة بن الطبيب، والغناء لابن محرز، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها عن إسحاق، وفيه لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر في مجراها عنه أيضاً.

نسب عبدة بن الطبيب وأخباره

نسبه واسم الطبيب أبيه

هو فيما ذكر ابن حبيب عن ابن الأعرابي، وأبو نصر أحمد بن حاتم عن الأصمعي وأبي عمرو الشيباني وأبي فروة العكلي: عبدة بن الطبيب، والطبيب اسمه يزيد بن عمبو بن وعلة بن أنس بن عبد الله بن عبد تيم بن جشم بن عبد شمس. ويقال: عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

وقال ابن حبيب خاصة: وقد أخبرني أبو عبيدة قال: تميم كلها كانت في الجاهلية يقال لها: عبد تيم، وتيم: صنم كان لهم يعبدونه.

كان شاعراً مجيداً ليس بالمكثر: وعبدة شاعر مجيد ليس بالمكثر، وهو مخضرم، أدرك الإسلام فأسلم، وكان في جيش النعمان بن المقرن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن. وقد ذكر ذلك في قصيدته التي أولها:

هل حبل خولة بعد الهجر موصول أم أنت عنها بعيد الدار مشغول؟

حلت خويلة في دار مجاورة أهل المدينة فيها الديك والفيل

يقارعون رؤوس العجم ضاحية منهم فوارس لا عزل ولا ميل

أرثى بيت قالته العرب من شعره: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: أرثى بيت قالته العرب قول عبدة بن الطيب:

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

وتمام هذه الأبيات: أنشدناه علي بن سليمان الأخفش عن السكري والمبرد والأحول لعبدة يرثي قيساً:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما

تحية من أوليته منك نعمة إذا زار عن شحط بلادك سلما

وما كان قيس هلكة هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

يترفع عن الهجاء: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو عثمان الأشناندانى عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس قال: قال رجل لخالد بن صفوان: كان عبدة بن الطبيب لا يحسن أن يهجو، فقال: لا تقل ذاك، فوالله ما أبى من عي، ولكنه كان يترفع عن الهجاء ويراه ضعة، كما يرى تركه مروءة وشرفاً، قال:

وأجرأ من رأيت بظهر غيب على عيب الرجال أولو العيبو

عبد الملك بن مروان يروي أفضل ما ذكره في شعر له: أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب، عن ابن الأعرابي: أن عبد الملك بن مروان قال يوماً لجلسائه: أي المناديل أشرف؟ فقال قائل منهم: مناديل مصر، كأنها غرقئ البيض. وقال آخرون: مناديل اليمن، كأنها نور الربيع. فقال عبد الملك: مناديل أخي بني سعد عبدة بن الطبيب، قال:

لما نزلنا نصبنا ظل أخبية وفار للقوم باللحم المراجيل

ورد وأشقر ما يؤنيه طابخه ما غير الغلي منه فهو مأكول

ثمت قمنا إلى جرد مسومة أعرافهن لأيدينا مناديل

يعني بالمراجيل: المراجل، فزاد فيها الياء ضرورة.

صوت

إن الليالي أسرعت في نقضي أخذن بعضي وتركن بعضي

حنين طولي وطوين عرضي أقعدنني من بعد طول نهض

عروضه من الرجز، الشعر للأغلب العجلي، والغناء لعمرو بن بانة، هزّج بالبنصر.

أخبار الأغلب ونسبه

نسبه

هو - فيما ذكر ابن قتيبة - الأغلب بن جشم بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.
إسلامه واستشهاده: وهو أحد المعمرين، عمر في الجاهلية عمراً طويلاً، وأدرك الإسلام فأسلم، وحسن إسلامه وهاجر، ثم كان فيمن توجه إلى الكوفة مع سعد بن أبي وقاص، فنزلها، واستشهد في وقعة بنهاوند، فقبره هناك في قبور الشهداء.
هو أول من رجز الأراجيز الطوال: ويقال: إنه أول من رجز الأراجيز الطوال من العرب، وإياه عنى الحجاج بقوله مفتخراً:

إني أنا الأغلب أمسى قد نشد

قال ابن حبيب: كانت العرب تقول الرجز في الحرب والحداء والمفاخرة وما جرى هذا المجرى، فتأتي منه بأبيات يسيرة، فكان الأغلب أول من قصد الرجز، ثم سلك الناس بعده طريقته.
كانت له سرحة يصعد عليها ويرتجز: أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحي أو خليفة في كتابه إلينا، قال: أخبرنا محمد بن سلام، قال: حدثنا الأصمعي.
وأخبرنا أحمد بن محمد أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي، قال حدثنا معمر بن عبد الوارث عن أبي عمرو بن العلاء، قال: كانت للأغلب سرحة يصعد عليها، ثم يرتجز:

قد عرفتني سرحتي فأطت وقد شمطت بعدها واشمطت

فاعترضه رجل من بني سعد، ثم أحد بني الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد، فقال له:

قبحت من سالفة ومن قفا عبد إذا ما رسب القوم طفا

كما شرار الرعي أطراف السفى

ينقص عمر عطاءه لقبوله الإنشاد من شعر في الجاهلية: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني محمد بن عباد بن حبيب المهلبي، قال: حدثني نصر بن ناب عن داود بن أبي هند عن الشعبي، قال: كتب عمر بن الخطاب إلى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة: أن أستنشد من قبلك من شعراء قومك ما قالوا في الإسلام، فأرسل إلى الأغلب العجلي فاستنشده فقال:

لقد سألت هيناً موجوداً أجرزاً تريد أم قصيدا؟

ثم أرسل إلى لَبيد فقال له: إن شئت مما عفا الله عنه - يعني الجاهلية - فعلتُ. قال: لا، أنشدني ما قلت في الإسلام. فانطلق لبيد فكتب سورة البقرة في صحيفة، وقال: أبدلني الله عز وجل بهذه في الإسلام مكان الشعر. فكتب المغيرة بذلك إلى عمر، فنقص عمر من عطاء الأغلب خمسمائة، وجعلها في عطاء لبيد؛ فكتب إلى عمر: يا أمير المؤمنين، أتنقص عطائي أن أطعتك! فرد عليه خمسمائة وأقرّ عطاء لبيد على ألفين وخمسمائة.

أخبرني محمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا محمد بن حاتم، قال: حدثنا علي بن القاسم، عن الشعبي قال: دخل الأغلب على عمر، فلما رآه قال: هيه، أنت القائل:

أرجزاً تريد أم قصيدا؟ لقد سألت هيناً موجودا

فقال: يا أمير المؤمنين إنما أطعتك، فكتب عمر إلى المغيرة: أن أردد عليه الخمس المائة وأقر الخمس المائة للبيد.

شعر في سجاح حين تزوجت مسيلمة: أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: قال الأغلب العجلي في سجاح لما تزوجت مسيلمة الكذاب:

لقد لقيت سجاح من بعد العمى ملوحاً في العين مجلود القرا
مثل العتيق في شباب قد أتى من اللجميين أصحاب القرى
ليس بذي واهنة ولا نسا نشأ بلحم وبخبز ما اشترى
حتى شتا ينتح ذفراه الندى خاظى البضيع لحمه خظابظا
كأنما جمع من لحم الخصى إذا تمطى بين برديه صأى
كأن عرق أيره إذا ودى حبل عجوز ضفرت سبع قوى
يمشي على قوائم خمس زكا يرفع وسطاهن من برد الندى
قالت :متى كنت أبا الخير متى؟ قال حديثاً لم يغيرني البلى
ولم أفارق خلة لي عن قلى فانتسفت فيشته ذات الشوى
كأن في أجلادها سبع كلى مازال عنها بالحديث والمنى
والخلق السفساف يردى في الردى قال :ألا ترينه قالت: أرى
قال: ألا أدخله؟ قالت: بلى فشام فيها مثل محراث الغضى
يقول لما غاب فيها واستوى لمثلها كنت أحسيك الحسا

من أخبار سجاح: وكان من خبر سجاح وادعائها النبوة وتزويج مسيلمة الكذاب إياها ما أخبرنا به إبراهيم بن النسوي يحيى، عن أبيه عن شعيب عن سيف: إن سجاح التميمية ادعت النوبة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه

وسلم، واجتمعت عليها بنو تميم، فكان فيما ادعت أنه أنزل عليها: يأيها المؤمنون المتقون، لنا نصف الأرض، ولقريش نصفها، ولكن قريشاً قوم يبغون.

واجتمعت بنو تميم كلها إليها لتنصرها. وكان فيهم الأحنف ين قيس، وحارثة بن بدر، ووجوه تميم كلها.

وكان مؤذّنها شبيب بن ربعي الرياحي، فعمدت في جيشها إلى مسيلمة الكذاب وهو باليمامة، وقالت: يا معشر تميم، اقصدوا اليمامة، فاضربوا فيها كل هامة، وأضرموا فيها ناراً ملهامة، حتى تتركوها سوداء كالحمامة.

وقالت لبني تميم: إن الله لم يجعل هذا الأمر في ربيعة، وإنما جعله في مضر، فاقصدوا هذا الجمع، فإذا فضضتموه كررتم على قريش. فسارت في قومها وهم الدّهم الداهم. وبلغ مسيلمة خبرها، فضاق بها ذرعاً، وتحصن في حجر حصن اليمامة. وجاءت في جيوشها فأحاطت به، فأرسل إلى وجوه قومه وقال: ما ترون؟ قالوا: نرى أن نسلّم هذا الأمر إليها وتدعنا، فإن لم نفعل فهو البوار.

وكان مسيلمة ذا دهاء، فقال: سأنظر في هذا الأمر. ثم بعث إليها: إن الله - تبارك وتعالى - أنزل عليك وحياً، وأنزل علي. فهلمي نجتمع، فنتدارس ما أنزل الله علينا، فمن عرف الحق تبعه، واجتمعنا فأكلنا العرب أكلاً بقومي وقومك.

فبعثت إليه: أفعل، فأمر بقبة أدم فضربت، وأمر بالعود المندلي فسجر فيها، وقال: أكثروا من الطيب والمجمر، فإن المرأة إذا شمت رائحة الطيب ذكرت الباه، ففعلوا ذلك.

وجاءها رسوله يخبرها بأمقر القبة المضروبة للاجتماع، فأتته فقالت: هات ما أنزل عليك. فقال: ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى، أخرج منها نطفة تسعى، بين صفاق وحشاً، من بين ذكر وأنثى، وأموات وأحيا، ثم إلى ربهم يكون المنتهى. قالت: وماذا؟ قال: ألم تر أن الله خلقنا أفواجاً، وجعل النساء لنا أزواجا، فنولج فيهن الغراميل إيلاجا، ونخرجها منهن إذا شئن إخراجا. قالت: فبأي شيء أمرك؟ قال:

ألا قومي إلى النيك ... فقد هبي لك المضجع

فإن شئتي ففي البيت وإن شئتي ففي المخدع

وإن شئتي سلقناك ... وإن شئتي على أربع

وإن شئتي بثلثيه ... وإن شئتي به أجمع

قال: فقالت: لا، إلاّ به أجمع. قال: فقال: كذا أوحى الله إلي، فواقعها. فلما قام عنها قالت: إن مثلي لا يجري أمرها هكذا، فيكون وصمة على قومي وعلي، وليكن مسلمة النبوة إليك، فاخطبني إلى أوليائي يزوجوك، ثم أقود تميماً معك.

فخرج وخرجت معه، فاجتمع الحيان من حنيفة وتميم، فقالت لهم سجاح: إنه قرأ عليّ ما أنزل عليه، فوجدته حقاً، فاتبعته، ثم خطبها، فزوجوه إياها، وسألوه عن المهر، فقال: قد وضعت عنكم صلاة العصر، فبنو تميم إلى

الآن بالرمل لا يصلونها، ويقولون: هذا حق لنا، ومهر كريمة منا لا نرده. قال: وقال شاعر من بني تميم يذكر أمر سَجَاح في كلمة له:

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الله ذكرانا

قال: وسمع الزبرقان بن بدر لأحنف يومئذ، وقد ذكر مسيلمة وما تلاه عليهم، فقال الأحنف: والله ما رأيت أحمق من هذا النبي قط. فقال الزبرقان: والله لأخبرن بذلك مسيلمة. قال: إذاً والله أحلف أنك كذبت فيصدقني ويكذبك. قال: فأمسك الزبرقان، وعلم أنه قد صدق.

قال: وحدث الحسن البصري بهذا الحديث، فقال: أمن والله أبو بحر من نزول الوحي. قال: فأسلمت سجاح بعد ذلك وبعد قتل مسيلمة، وحسن إسلامها.

صوت

كم ليلة فيك بت أسهرها ولوعة من هواك أضمرها

وحرقة والدموع تطفئها ثم يعود الجوى فيسعرها

بيضاء رود الشباب قد غمست في خجل دائب يعصفرها

الله جار لها فما امتلأت عيناي إلا من حيث أبصرها

الشعر للبحتري، والغناء لعريب، رمل مطلق من مجموع أغانيها، وهو لحن مشهور في أيدي الناس، والله أعلم.

أخبار البحتري ونسبه

نسبه وكنيته

هو الوليد بن عبيد الله بن يحيى بن عبيد بن شملال بن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحارث بن خيثم ابن أبي حارثة بن جدي بن تدول بن بحتر بن عتود بن عثمة بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة وهو طيئ بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

شاعريته وندرة هجائه: ويكنى أبا عبادة، شاعر فاضل فصيح حسن المذهب، نقي الكلام، مطبوع، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء، وله تصرف حسن فاضل نقي في ضروف الشعر، سوى الهجاء، فإن بضاعته فيه نزرة، وجيده منه قليل. وكان ابنه أبو الغوث يزعم أن السبب في قلة بضاعته في هذا الفن أنه لما حضره الموت دعابه، وقال له: اجمع كل شيء قلته في الهجاء. ففعل، فأمره بإحراقه، ثم قال له: يا بني، هذا شيء قلتُه في وقت، فشفيت به غيظي، وكافأت به قبيحاً فعل بي، وقد انقضى أربي في ذلك، وإن بقي روي، وللناس أعقاب يورثونهم العداء والمودة، وأخشى أن يعود عليك من هذا شيء في نفسك أو معاشك لا فائدة لك ولي فه، قال:

فعلمت أنه قد نصحني وأشفق علي، فأحرقته.

أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن أبي الغوث.

وهذا - كما قال أبو الغوث - لا فائدة لك ولا لي فيه، لأن الذي وجدناه وبقي في أيدي الناس من هجائه أكثره ساقط، مثل قوله في ابن شيرزاد:

نفقت نفوق الحمار الذكر وبان ضراطك عنا فمر

ومثل قوله في علي بن الجهم:

ولو أعطاك ربك ما تمنى لزادك منه في غلظ الأيور

علام طفقت تهجوني مليا بما لفقت من كذب وزور

وأشباه لهذه الأبيات، ومثلها لا يشاكل طبعه، ولا تليق بمذهبه، وتنبئ بركاكتها وغثاثة ألفاظها عن قلة حظه في الهجاء، وما يعرف له هجاء جيد إلا قصيدتان إحداهما قوله في ابن أبي قماش:

مرت على عزمها ولم تقف مبدية للشنان والشنف

يقول فيها لابن أبي قماش:

قد كان في الواجب المحقق أن تعرف ما في ضميرها النطف

بما تعاطيت في العيوب وما أوتيت من حكمة ومن لطف

أما رأيت المريخ قد مازج الز هرة في الجد منه والشرف

وأخبرتك النحوس أنكما في حالتي ثابت ومنصرف

من أين أعملت ذا وأنت على التقويم والزيج جد منعكف

أما زجرت الطير العلا أو تعي فت المها أو نظرت في الكتف

رذلت في هذه الصناعة أو أكديت أو رمتها على الخرف

لم تخط باب الدهليز منصرفاً إلا وخلخالها مع الشنف

وهي طويلة، ولم يكن مذهبي ذكرها إلا للإخبار عن مذهبه في هذا الجنس، وقصيدته في يعقوب بن الفرج النصراني، فإنها - وإن لم تكن في أسلوب هذه وطريقتها - تجري مجرى التهكم باللفظ الطيب الخبيث المعاني، وهي:

تظن شجوني لم تعتلج وقد خلج البين من قد خلج

وكان البحتري يتشبه بأبي تمام من شعره، ويحذو مذهبه، وينحو نحوه في البديع الذي كان أبو تمام يستعمله، ويراه صاحباً وإماماً، ويقدمه على نفسه، ويقول في الفرق بينه وبينه قول منصف: إن جيد أبي تمام خير من

جيده، ووسطه ورديئه خير من وسط أبي تمام ورديئه، وكذا حكم هو على نفسه.

هو وأبو تمام: أخبرني محمد بن يحيى الصولي: قال: حدثني الحسين بن علي الياقطاني: قال: قلت للبحتري: أيما أشعر أنت أو أبو تمام؟ فقال: جيده خير من جيدي، ورديئي خير من رديئه.

حدثني محمد بن يحيى قال: حدثني أبو الغوث يحيى بن البحتري: قال: كان أبي يكنى أبا الحسن، وأبا عبادة، فأشير علي في أيام المتوكل بأن أقتصر على أبي عبادة، فإنها أشهر، فاقتصرت عليها.

حدثني محمد قال: سمعت عبد الله بن الحسين بن سعد يقول للبحتري - وقد اجتمعنا في دار عبد الله بالخلد، وعنده المبرّد في سنة ست وسبعين ومائتين، وقد أنشد البحتري شعراً لنفسه قد كان أبو تمام قال في مثله - : أنت والله أشعر من أبي تمام في هذا الشعر، قال: كلا والله، إن أبا تمام للرئيس والأستاذ، والله ما أكلت الخبر إلا به، فقال له المبرد: لله درك يا أبا الحسن، فإنك تأبى إلا شرفاً من جميع جوانبك.

حدثني محمد: قال: حدثني الحسين بن إسحاق: قال: قلت للبحتري: إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبي تمام، فقال: والله ما ينفعني هذا القول، ولا يضر أبا تمام، والله ما أكلت الخبز إلا به، ولوددت أن الأمر كان كما قالوا، ولكني اوالله تابع له آخذ منه لائذ به، نسيمي يركد عند هوائه، وأرضي تنخفض عند سمائه.

حدثني محمد بن يحيى: قال: حدثني سوار بن أبي شراعة، عن البحتري: قال: وحدثني أبو عبد الله الألوسي، عن علي بن يوسف، عن البحتري: قال: كان أول أمري في الشعر ونباهتي أني صرت إلى أبي تمام، وهو بحمص، فعرضت عليه شعري، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم، فأقبل علي، وترك سائر من حضر، فلما تفرقوا قال لي: أنت أشعر من أنشدني، فكيف بالله حالك؟ فشكوت خلة فكتب إلى أهل معرة النعمان، وشهد لي بالحذق بالشعر، وشفع لي إليهم وقال: امتدحهم، فصرت إليهم، فأكرموني بكتابه، ووظفوا لي أربعة آلاف درهم، فكانت أول مال أصبته. وقال علي بن يوسف في خبره: فكانت نسخة كتابه: "يصل كتابي هذا على يد الوليد أبي عبادة الطائي، وهو - على بذاذته - شاعر، فأكرموه".

يعشق غلاماً فيلتحي: حدثني جحظة: قال: سمعت البحتري يقول: كنت أتعشق غلاماً من أهل منبج يقال له شقران، واتفق لي سفر، فخرجت فيه، فأطلت الغيبة، ثم عدت، وقد التحى، فقلت فيه، وكان أول شعر قلته:

نبتت لحية شقرا ... ن شقيق النفس بعدي

حلقت، كيف أتته قبل أن ينجز وعدي !

وقد روى في غير هذه الحكاية أن اسم الغلام شندان.

بدء التعارف بينه وبين أبي تمام: حدثني علي بن سليمان: قال: حدثني أبو الغوث بن البحتري عن أبيه، وحدثني عمي: قال: حدثني علي بن العباس النوبختي، عن البحتري، وقد جمعت الحكايتين، وهما قريبتان: قال: أول ما رأيت أبا تمام أني دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف، وقد مدحته بقصيدتي:

أأفاق صب من هوى فأفيقا ... أو خان عهداً أو أطاع شفيقا؟

فسر بها أبو سعيد، وقال: أحسنت والله يا فتى وأجدت، قال: وكان في مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه، فوق كل من حضر عنده، تكاد تمس ركبته ركبته، فأقبل علي ثم قال: يا فتى، أما تستحي مني! هذا شعر لي تنتحله، وتنشده بحضرتي! فقال له أبو سعيد: أحقاً تقول! قال: نعم، وإنما عَلقه مني، فسبقني به إليك، وزاد فيه، ثم اندفع فأنشد أكثر هذه القصيدة، حتى شككني - علم الله - في نفسي، وبقيت متحيراً، فأقبل علي أبو سعيد، فقال: يا فتى، قد كان في قرابتك منا وودك لنا ما يغنيك عن هذا، فجعلت أحلف له بكل محرجة من الأيمان أن الشعر لي ما سبقني إليه أحد، ولا سمعته منه، ولا انتحلته، فلم ينفع ذلك شيئاً، وأطرق أبو سعيد، وقطع بي، حتى تمنيت أن سخت في الأرض، فقمت منكسر البال أجر رجلي، فخرجت، فما هو إلا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان فردوني، فأقبل علي الرجل، فقال: الشعر لك يا بني، والله ما قلته قط، ولا سمعته إلا منك، ولكنني ظننت أنك تهاونت بموضعي، فأقدمت على الإنشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا، تريد بذلك مضاهاتي ومكاثرتي، حتى عرفني الأمير نسبك وموضعك، ولوددت ألا تلد أبداً طائية إلا مثلك، وجعل أبو سعيد يضحك، ودعاني أبو تمام، وضمني إليه، وعانقني، وأقبل يقرظني، ولزمته بعد ذلك، وأخذت عنه، واقتديت به، هذه رواية من ذكرت.

إشاد له بأبي سعيد محمد بن يوسف الثغري: وقد حدثني علي بن سليمان الأخفش أيضاً قال: حدثني عبد الله بن الحسين بن سند القطربلي: أن البحتري حدثه أنه دخل على أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري، وقد مدحه بقصيدة، وقصده بها، فألقى عنده أبا تمام وقد أنشده قصيدة له فيه، فاستأذنه البحتري في الإنشاد وهو يومئذ حديث السن، فقال له: يا غلام أنشدني بحضرة أبي تمام؟ فقال: تأذن ويستمع، فقام، فأنشده إياها، وأبو تمام يسمع ويهتز من قرنه إلى قدمه استحساناً فلما فرغ منها قال: أحسنت والله يا غلام، فممن أنت؟ قال: من طيئ، فطرب أبو تمام وقال: من طيئ، الحمد لله على ذلك، لوددت أن كل طائية تلد مثلك، وقبل بين عينيه، وضمه إليه وقال لمحمد بن يوسف: قد جعلت له جائزتي، فأمر محمد بها، فضمت إلى مثلها، ودفعت إلى البحتري، وأعطى أبا تمام مثلها، وخص به، وكان مداحاً له طول أيامه ولابنه بعده، ورثاهما بعد مقتليهما، فأجاد، ومراثيه فيهما أجود من مدائحه، وروى أنه قيل له في ذلك فقال: من تمام الوفاء أن تفضل المراثي المدائح لا كما قال الآخر - وقد سئل عن ضعف مراثيه فقال - : كنا نعمل للرجاء، نحن نعمل اليوم للوفاء. وبينهما بعد.

كان بخيلاً زري الهيئة: حدثني حكم بن يحيى الكنتحي قال: كان البحتري من أوسخ خلق الله ثوباً وآلة وأبخلهم على كل شيء، وكان له أخ وغلام معه في داره، فكان يقتلهما جوعاً، فإذا بلغ منها الجوع أتياه يبكيان، فيرمي إليهما بثمن أقواتهما مضيقاً مقتراً، ويقول: كلا، أجاع الله أكبادكما وأعرى أجلادكما وأطال إجهادكما.

قال حكم بن يحيى: وأنشدته يوماً من شعر أبي سهل بن نوبخت، فجعل يحرك رأسه، فقلت له: ما تقول فيه؟ فقال: هو يشبه مضغ الماء ليس له طعم ولا معنى.

وحدثني أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني الكاتب، قال: دخلت على البحتري يوماً فاحتبسني عنده، ودعا بطعام له، ودعاني إليه، فامتنعت من أكله، وعنده شيخ شامي لا أعرفه، فدعاهخ إلى الطعام، فتقدم، وأكل معه أكلاً عنيفاً، فغاظه ذلك، والتفت إليّ، فقال لي: أتعرف هذا الشيخ؟ فقلت: لا، قال: هذا شيخ من بني الهجيم الذي يقول فيهم الشاعر:

وبنو الهجيم قبيلة ملعونة حص اللحى متشابهو الألوان

لو يسمعون بأكلة أو شربة بعمان أصبح جمعهم بعمان

قال: فجعل الشيخ يشتمه، ونحن نضحك.

ماء من يد حسناء: وحدثني جحظة: قال: حدثني علي بن يحيى المنجم: قال: اجتازت جارية بالمتوكل معها كوز ماء، وهي أحسن من القمر، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: برهان، قال: ولمن هذا الماء؟ قالت: لستي قبيحة، قال: صبيه في حلقي، فشربه عن آخره، ثم قال للبحتري: قل في هذا شيئاً، فقال البحتري:

ما شربة من رحيق كأسها ذهب جاءت بها الحور من جنات رضوان

يوماً بأطيب من ماء بلا عطش شربته عبثاً من كف برهان

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، وأحمد بن جعفر جحظة: قالا: حدثنا أبو الغوث بن البحتري: قال: كتبتُ إلى أبي يوماً أطلب منه نبيذاً، فبعث إلي بنصف قنينة دردي، وكتب إلي: دونكها يا بني، فإنها تكشف القحط، وتضبط الرهط. قال الأخفش، وتقيت الرهط.

قصته مع أحمد بن علي الإسكافي: حدثني أبو الفضل عباس بن أحمد بن ثوابة قال: قدم البحتري النيل على أحمد بن علي الإسكافي مادحاً له، فلم يثبه ثواباً يرضاه بعد أن طالت مدته عنده، فهجاه بقصيدته التي يقول فيها:

ما كسبنا من أحمد بن علي ومن النيل غير حمى النيل

وهجاه بقصيدة أخرى أولها:

قصة النيل فاسمعوها عجابه

فجمع إلى هجائه إياه هجاء أبي ثوابة، وبلغ ذلك أبي، فبعث إليه بألف درهم وثياب ودابة بسرجها ولجامها، فرده إليه، وقال: قد أسلفتكم إساءة لا يجوز معها قبول رفدكم، فكتب إليه أبي: أما الإساءة فمغفورة وأما المعذرة فمشكورة، والحسنات يذهبن السيئات، وما يأسو جراحك مثل يدك. وقد رددت إليك ما رددته علي، وأضعفته، فإن تلافيت ما فرط منك أثبنا وشكرنا، وإن لم تفعل احتملنا وصبرنا. فقبل ما بعث به، وكتب إليه: كلامك والله أحسن من شعري، وقد أسلفتني ما أخجلني، وحملتني ما أثقلني، وسيأتيك ثنائي. ثم غدا إليه بقصيدة أولها:

ضلال لها ماذا أرادت إلى الصد

وقال فيه بعد ذلك:

برق أضاء العقيق من ضرمه

وقال فيه أيضاً:

دان دعا داعي الصبا فأجابه

قال: و لم يزل أبي يصله بعد ذلك، ويتابع برّه لديه حتى افترقا.

شعره في نسيم غلامه: أخبرني جحظة قال: كان نسيم غلام البحتري الذي يقول فيه:

دعا عبرتي تجري على الجور والقصد أظن نسيماً قارف الهم من بعدي

خلا ناظري من طيفه بعد شخصه فيا عجبا للدهر فقد على فقد

غلاماً رومياً ليس بحسن الوجه، وكان قد جعله باباً من أبواب الحيل على الناس، فكان يبيعه ويعتمد أن يصيره إلى ملك بعض أهل المروءات ومن ينفق عنده الأدب، فإذا حصل في ملكه شبب به، وتشوقه، ومدح مولاه، حتى يهبه له، فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم، فكفي الناس أمره.

خبره مع محمد بن علي القمي وغلامه: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: كتب البحتري إلى أبي محمد بن علي القمي يستهديه نبيذاً، فبعث إليه نبيذاً مع غلام له أمرد، فجمشه البحتري، فغضب الغلام غضباً شديداً، دل البحتري على أنه سيخبر مولاه بما جرى، فكتب إليه:

ابا جعفر كان تجميشنا غلامك إحدى الهنات الدنية

بعثت إلينا بشمس المدام تضيء لنا مع شمس البرية

فليت الهدية كان الرسول وليت الرسول إلينا الهدية

فبعث إليه محمد بن علي الغلام هدية، فانقطع البحتري عنه بعد ذلك مدة، خجلاً مما جرى، فكتب إليه محمد بن علي:

هجرت كأن البر أعقب حشمة ولم أر وصلاً قبل ذا أعقب الهجرا

فقال فيه قصيدته التي أولها:

فتى مذحج عفواً فتى مذحج غفرا

وهي طويلة. وقال فيه أيضاً:

أمواهب هاتيك أم أنواء هطل وأخذ ذاك أم إعطاء

إن دام ذا أو بعض ذا من فعل ذا ذهب السخاء فلا يعد سخاء

ليس الذي حلّت تميم وشطه ال دهناء، لكن صدرك الدهاء

ملك أغر لآل طلحة مجده كفاه بحر سماحة وسماء

وشريف أشراف إذا احتكت بهم جرب القبائل أحسنوا وأساءوا

أمحمد بن علي أسمع عذرة فيها شفاء للمسيء وداء

مالي إذ ذكر الكرام رأتني مالي مع النفر الكرام وفاء؟

يضفو علي العذل وهو مقارب ويضيق عني العذر وهو فضاء

إني هجرتك إذ هجرتك حشمة لا العود يذهبها ولا الإبداء

أخجلتني بندى يديك فسودت ما بيننا تلك اليد البيضاء

وقطعتني بالبر حتى إنني متوهم أن لا يكون لقاء

صلة غدت في الناس وهي قطيعة عجباً وبر راعح وهو جفاء

ليواصلنك ركب شعري سائرا تهدى به في مدحك الأعداء

حتى يتم لك الثناء مخلداً أبداً كما دامت لك النعماء

فتظل تحسدك الملوك الصيد بي وأظل يحسدني بك الشعراء

كان موته بالسكتة: أخبرني علي بن سليمان الأخفش: قال: سألني القاسم بن عبيد الله عن خبر البحتري، وقد كان أسكت، ومات من تلك العلة، فأخبرته بوفاته، وأنه مات في تلك السكتة، فقال: ويحه رمي في أحسنه.

أبو تمام يلقن البحتري درساً في الاستطراد: أخبرني محمد بن يحيى: قال: حدثني محمد بن علي الأنباري: قال: سمعت البحتري يقول: أنشدني أبو تمام ويماً لنفسه:

وسابح هطل التعداء هتان على الجراء أمين غير خوان

أظمي الفصوص ولم تظمأ قوائمه فخل عينيك في ظمآن ريان

فلو تراه مشيحاً والحصى زيم بين السنابك من مثنى ووحدان

أيقنت إن لم تثبت أن حافره من صخر تدمر أو من وجه عثمان

ثم قال لي: ما هذا الشعر؟ قلت: لا أدري، قال: هذا هو المتسطرد، أو قال الاستطراد. قلت: وما معنى ذلك؟ قال: يريك أنه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان، وقد فعل البحتري ذلك، فقال في صفة الفرس:

ما إن يعاف قذى ولو أوردته يوماً خلائق حمدويه الأحول

وكان حمدويه الأحول عدواً لمحمد بن علي القمي الممتدح بهذه القصيدة فهجاه في عرض مدحه محمداً. والله أعلم.

أبو تمام يشيد به: حدثني علي بن سليمان الأخفش: قال: حدثني أبو الغوث بن البحتري: قال: حدثني أبي: قال: قال لي أبو تمام: بلغني أن بني حميد أعطوك مالاً جليلاً فيما مدحتهم به، فأنشدني شيئاً منه، فأنشدته بعض ما قلته فيهم، فقال لي: كم أعطوك؟ فقلت: كذا وكذا، فقال: ظلموك، والله ما وفوك حقك، فلم استكثرت ما دفعوه إليك؟ والله لبيت منها خير مما أخذت، ثم أطرق قليلاً، ثم قال: لعمري لقد استكثرت ذلك، واستكثر ذلك، واستكثر لك لما مات الناس وذهب الكرام، وغاضت المكارم، فكسدت سوق الأدب، أنت والله يا بني أمير الشعراء غداً بعدي، فقمت فقبلت رأسه ويديه ورجليه، وقلت له: والله لهذا القول أسر إلى قلبي وأقوى لنفسي مما وصل إلي من القوم.

أبو تمام ينعي نفسه: حدثني محمد بن يحيى عن الحسن بن علي الكاتب: قال: قال لي البحتري: أنشدت أبا تمام يوماً شيئاً من شعري، فتمثل ببيت أوس بن حجر:

إذا مقرم منا دراً حد نابه تخمط فينا ناب آخر مقرم

ثم قال لي: نعيت والله إلي نفسي، فقلت: أعيذك بالله من هذا القول، فقال: إن عمري لن يطول، وقد نشأ في طيء مثلك، أما علمت أن خالد بن صفوان رأى شبيب بن شيبة، وهو من رهطة يتكلم، فقال: يا بني، لقد نعى إلي نفسي إحسانك في كلامك، لأنا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب قط إلا مات من قبله، فقلت له: بل يبقيك الله، ويجعلني فداءك. قال: ومات أبو تمام بعد سنة.

يشمخ بأنفه فيغري به المتوكل الصيمري: حدثني أحمد بن جعفر جحظة: قال: حدثني أبو العنبس الصيمري قال: كنت عند المتوكل والبحتري ينشده:

عن أي ثغر تبتسم وبأي طرف تحتكم؟

حتى بلغ إلى قوله:

قل للخليفة جعفر ال متوكل بن المعتصم
المبتدي للمجتدي والمنعم بن المنتقم
أسلم لدين محمد فإذا سلمت فقد سلم

قال: وكان البحتري من أبغض الناس إنشاداً، يتشادق ويتزاور في مشيه مرة جانباً، ومرة القهقري، ويهز رأسه مرة، ومنكبيه أخرى، ويشير بكمه، ويقف عند كل بيت، ويقول: أحسنت والله، ثم يقبل على المستمعين، فيقول: ما لكم لا تقولون أحسنت؟ هذا والله ما لا يحسن أحد أن يقول مثله: فضجر المتوكل من ذلك وأقبل علي، وقال: أما تسمع يا صيمري ما يقول؟ فقلت: بلى يا سيدي، فمرني فيه بما أحببت، فقال: بحياتي أهجه

على هذا الروي الذي أنشدنيه، فقلت: تأمر ابن حمدون أن يكتب ما أقول، فدعا بداوة وقرطاس، وحضرني على البديهة أن قلت:

أدخلت رأسك في الرحم وعلمت أنك تنهزم

يا بحتري حذار ويح ك من قضاقضة ضغم
فلقد أسلت بواديي ك من الهجا سيل العرم
فبأي عرض تعتصم وبهتكه جف القلم؟
والله حلفة صادق وبقبر أحمد والحرم
وبحق جعفر الإما م ابن الإمام المعتصم
لأصيرنك شهرة بين المسيل إلى العلم
حي الطلول بذي سلم حيث الأراكة والخيم
يا بن الثقيلة والثقيل ع لى قلوب ذوي النعم
وعلى الصغير مع الكبي ر من الموالي والحشم
في أي سلح ترتطم وبأي كف تلتقم؟
يا بن المباحة للورى أمن العفاف أم التهم
إذ رحل أختك للعجم وفراش أمك في الظلم
وبباب دارك حانة في بيته يؤتى الحكم

قال: فغضب، وخرج يعدو، وجعلت أصيح به:

أدخلت رأسك في الرّحم وعلمت أنك تنهزم

والمتوكل يضحك، ويصفق حتى غاب عن عينه.

هكذا حدثني جحظة عن أبي العنبس.

ووجدت هذه الحكاية بعينها بخط الشاهيني حكاية عن أبي العنبس، فرأيتُها قريبة اللفظ، موافقة المعنى لما ذكره جحظة، والذي يتعارفه الناس أن أبا العنبس قال هذه الأبيات ارتجالاً، وكان واقفاً خلف البحتري، فلما ابتدأ وأنشد قصيدته:

عن أي ثغر تبتسم وبأي طرف تحتكم

صاح به أبو العنبس من خلفه:

في أي سلح ترتطم وبأي كف تلتقم

أدخلت رأسك في الرحم وعلمت أنك تنهزم

فغضب البحتري، وخرج، فضحك المتوكل حتى أكثر، وأمر لأبي العنبس بعشرة آلاف درهم والله أعلم.

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن يحيى الصولي، وحدثني عبد الله بن أحمد بن حمدون عن أبيه: قال: وحدثني يحيى بن علي عن أبيه: إن البحتري أنشد المتوكل - وأبو العنبس الصيمري حاضر - قصيدته:

عن أي ثغر تبتسم وبأي طرف تحتكم؟

إلى آخرها، وكان إذا أنشد يختال، ويعجب بما يأتي به، فإذا فرغ من القصيدة رد البيت الأول، فلما رده بعد فراغه منها. وقال:

عن أي ثغر تبتسم وبأي طرف تحتكم

قال أبو العنبس وقد غمزه المتوكل أن يولع به:

في أي سلح ترتطم وبأي كف تلتقم

أدخلت رأسك في الرحم وعلمت أنك تنهزم

فقال نصف البيت الثاني، فلما سمع البحتري قوله ولى مغضباً، فجعل أبو العنبس يصيح به:

وعلمت أنك تنهزم

فضحك المتوكل من ذلك حتى غلب، وأمر لأبي العنبس بالصلة التي أعدت للبحتري.

قال أحمد بن زياد: فحدثني أبي قال: جاءني البحتري، فقال لي: يا أبا خالد أنت عشيرتي وابن عمي وصديقي، وقد رأيت ما جرى علي، أفتأذن لي أن أخرج إلى منبج بغير إذن، فقد ضاع العلم، وهلك الأدب؟ فقلت: لا تفعل من هذا شيئاً، فإن الملوك تمزح بأعظم مما جرى، ومضيت معه إلى الفتح، فشكا إليه ذلك، فقال له نحواً من قولي، ووصله، وخلع عليه، فسكن إلى ذلك.

الصيمري يسترسل في سخريته به بعد موت المتوكل: حدثني جحظة عن علي بن يحيى المنجم: قال: لما قتل المتوكل قال أبو العنبس الصيمري:

يا وحشة الدنيا على جعفر على الهمام الملك الأزهر

على قتيل من بني هاشم بين سرير الملك والمنبر

والله رب البيت والمشعر والله أن لو قتل البحتري

لثار بالشام له ثائر في ألف نغل من بني عض خرى

يقدمهم كل أخي ذلة على حمار دابر أعور

فشاعت الأبيات حتى بلغت البحتري، فضحك، ثم قال: هذا الأحمق يرى أني أجيبه على مثل هذا، فلو عاش امرؤ القيس. فقال، من كان يجيبه؟.

ذكر نتف من أخبار عريب مستحسنة

منزلتها في الغناء والأدب

كانت عريب مغنّية محسنة، وشاعرة صالحة الشعر، وكانت مليحة الخط والمذهب في الكلام، ونهاية في الحسن والجمال والظرف، وحسن الصورة وجودة الضرب، وإتقان الصنعة والمعرفة بالنغم والأوتار، والرواية للشعر والأدب، لم يتعلق بها أحد من نظرائها، ولا رُوئي في النساء بعد القيان الحجازيات القديمات، مثل جميلة وعزة الميلاء وسلامة الزرقاء ومن جرى مجراهن - على قلة عددهن - نظير لها، وكانت فيها من الفضائل التي وصفناها ما ليس لهن مما يكون لمثلها من جواري الخلفاء، ومن نشأ في قصور الخلافة وغذي برقيق العيش، الذي لا يدانيه عيش الحجاز، والنش بين العامة والعرب الجفاة، ومن غلظ طبعه، وقد شهد لها بذلك من لا يحتاج مع شهادته إلى غيره.

أخبرني محمد بن خلف وكيع، عن حماد بن إسحاق: قال: قال لي أبي: ما رأيت امرأة أضرب من عريب، ولا أحسن صنعة ولا أحسن وجهاً، ولا أخف روحاً، ولا أحسن خطاباً، ولا أسرع جواباً، ولا ألعب بالشطرنج والنرد، ولا أجمع لخصلة حسنة لم أر مثلها في امرأة غيرها. قال حماد: فذكرت ذلك ليحيى بن أكثم في حياة أبي، فقال: صدق أبو محمد، هي كذلك، قلت: أفسمعتها؟ قال: نعم هناك، يعني في دار المأمون، قلت: أفكانت كما ذكر أبو محمد في الحِذق؟ فقال يحيى: هذه مسألة الجواب فيها على أبيك، فهو أعلم مني بها، فأخبرت بذلك أبي، فضحك، ثم قال: ما استحييت من قاضي القضاة أن تسأله عن مثل هذا.

هي وإسحاق والخليفة المعتصم: أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى: قال: حدثني أبي، قال: قال لي إسحاق: كانت عندي صناجة كنت بها معجباً، واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون، فبينا أنا ذات يوم في مترلي، إذ أتاني إنسان يدق الباب دقاً شديداً فقلت: انظروا من هذا؟ فقالوا: رسول أمير المؤمنين، فقلت: ذهبت صناجتي، تجده ذكرها له ذاكر، فبعث إلي فيها. فلما مضى بي الرسول انتهيت إلى الباب، وأنا مثخن، فدخلت، فسلّمت، فرد علي السلام، ونظر إلى تغير وجهي، فقال لي: أسكن، فسكنت، فقال لي: إن صوتاً وقال لي: أتدري لمن هو؟ فقلت: أسمعه، ثم أخبر أمير المؤمنين إن شاء الله ذلك، فأمر جارية من وراء الستارة، فغنته وضربت، فإذا هي قد شبهته بالغناء القديم، فقلت: زدني معها عوداً آخر، فإنه أثبت لي، فزادني عوداً آخر، فقلت: هذا الصوت محدث لامرأة ضاربة، قال: من أين قلت ذاك؟ قلت: لما سمعت لينه عرفت أنه محدث من غناء النساء، ولما رأيت

جودة مقاطعه علمت أن صاحبته ضاربة، وقد حفظت مقاطعه وأجزاءه، ثم طلبت عوداً آخر، فلم أشك، فقال: صدقت، الغناء لعريب.

قال ابن المعتز: وقال يحيى بن علي: أمرني المعتمد على الله أن أجمع غناءها الذي صنعته، فأخذت منها دفاترها وصحفها التي كانت قد جمعت فيها غناءها فكتبته فكان ألف صوت.

أصواتها كماً وكيفاً: وأخبرني علي بن عبد العزيز، عن ابن خرداذبه: أنه سأل عريب عن صنعتها، فقالت: قد بلغت إلى هذا الوقت ألف صوت.

وحدثني محمد بن إبراهيم قريض أنه جمع غناءها من ديواني ابن المعتز، وأبي العبيس بن حمدون، وما أخذه عن بدعة جاريتها التي أعطاها إياها بنو هاشم، فقابل بعضه ببعض، فكان ألفاً ومائة وخمسة وعشرين صوتاً.

وذكر العتابي أن أحمد بن يحيى حدثه: قال: سمعت أبا عبد الله الهشامي يقول - وقد ذكرت صنعة عريب - : صنعتها مثل قول أبي دلف في خالد بن يزيد حيث يقول:

يا عين بكي خالداً ألفا ويدعى واحدا

يريد أن غناءها ألف صوت في معنى واحد، فهي بمنزلة صوت واحد.

وحكى عنه أيضاً هذه الحكاية ابن المعتز.

وهذا تحامل لا يحل، ولعمري إن في صنعتها لأشياء مرذولة لينة، وليس ذلك مما يضعها، ولا عري كبير أحد من المغنين القدماء والمتأخرين من أن يكون صنعته النادر والمتوسط سوى قوم معدودين مثل ابن محرز ومعبد في القدماء، ومثل إسحاق وحده في المتأخرين، وقد عيب بمثل هذا ابن سريج في محله، فبلغه أن المغنين في القدماء، ومثل إسحاق وحده في المتأخرين، وقد عيب بمثل هذا ابن سريج في محله، فبلغه أن المغنين يقولون: إنما يغني ابن سريج الأرمال والخفاف، وغناؤه يصلح للأعراس والولائم، فبلغه ذلك فتغنى بقوله:

لقد حببت نعم إلينا بوجهها مساكن ما بين الوتائر فالنقع

ثم توفي بعدها، وغناؤه يجري مجرى المعيب عليه، وهذا إسحاق يقول في أبيه: - على عظيم محله في هذه الصناعة وما كان إسحاق يشيد به من ذكره وتفضيله على ابن جامع وغيره - ولأبي ستمائة صوت، منها مائتان تشبه فيها بالقديم، وأتى بها في نهاية من الجودة، ومائتان غناء وسط مثل أغاني سائر الناس، ومائتان فلسية وددت أنه لم يظهرها وينسبها لنفسه، فأسترها عليه، فإذا كان هذا قول إسحاق في أبيه فمن يعتذر بعده من أن يكون له جيد ورديء، وما عري أحد في صناعة من الصناعة من حال ينقصه عن الغاية، لأن الكمال شيء تفرد الله العظيم به، والنقصان جبلة طبع بني آدم عليها، وليس ذلك إذا وجد في بعض أغاني عريب مما يدعو إلى إسقاط سائرها، ويلزمه اسم الضعف واللين، وحسب المحتج لها شهادة إسحاق بتفضيلها، وقلما شهد لأحد، أو سلم خلق - وإن تقدم وأجمع على فضله - من شينه إياه وطعنه عليه، لنفاسته في هذه الصناعة، واستصغاره أهلها، فقد تقدم في

أخباره مع علوية، ومخارق، وعمرو بن بانة، وسليم بن سلام، وحسين بن محرز، ومن قبلهم ومن فوقهم مثل ابن جامع وإبراهيم بن المهدي وتهجينه إياهم، وموافقته لهم على خطئهم فيما غنوه وصنعوه مما يستغنى به عن الإعادة في هذا الموضع، فإذا انضاف فعله هذا بهم. وتفضيله إياها، كان ذلك أدل على التحامل ممن طعن عليها، وإبطاله فيما ذكرها به، ولقائل ذلك - وهو أبو عبد الله الهشامي - سبب كان يصطنعه عليها، فدعاه إلى ما قال، نذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى.

ومما يدل على إبطاله أن المأمون أراد أن يمتحن إسحاق في المعرفة بالغناء القديم والحديث، فامتحنه بصوت من غنائها من صنعتها، فكاد يجوز عليه، لولا أنه أطال الفكر والتلوم واستثبت، مع علمه بالمذاهب في الصنعة، وتقدمه في معرفة النغم وعللها، والإيقاعات ومجاريها.

وأخبرنا بذلك يحيى بن علي بن يحيى: قال: حدثني أبي عن إسحاق: فأما السبب الذي كان من أجله يعاديها الهشامي، فأخبرني به يحيى بن محمد بن عبد الله بن طاهر قال: ذكر لأبي أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عمي أن الهشامي زعم أن أحسن صوت صنعته عريب:

صاح قد لمت ظالما

وإن غناءها بمنزلة قول أبي دلف في خالد:

يا عين بكي خالداً ألفاً ويدعى واحدا

فقال: ليس الأمر كما ذكر، ولعريب صنعة فاضلة متقدمة، وإنما قال هذا فيها ظلماً وحسداً، وغمطها ما تستحقه من التفضيل، بخبر لها معه طريف، فسألناه عنه، فقال: أخرجت الهشامي معي إلى سر من رأى، بعد وفاة أخي، يعني أبا محمد بن عبد الله بن طاهر، فأدخلته على المعتز، وهو يشرب، وعريب تغني، فقال له: يا بن هشام، غن، فقال: تبت من الغناء قتل سيدي المتوكل، فقالت له عريب: قد والله أحسنت حيث تبت، فإن غناءك كان قليل المعنى، لا متقن ولا صحيح ولا مطرب، فأضحكت أهل المجلس جميعاً منه، فخجل؛ فكان بعد ذلك يبسط لسانه فيها، ويعيب صنعتها، ويقول: هي ألف صوت في العدد، وصوت واحد في المعنى.

وليس الأمر كما قاله، إن لها لصنعة تشبهت فيها بصنعة الأوائل، وجوّدت، وبرزت فيها، منها:

أئن سكنت نفسي وقل عويلها

ومنها:

تقول همي يوم ودعتها

ومنها:

إذا أردت انتصافاً كان ناصركم

ومنها:

بأبي من هو دائي

ومنها:

أسلموها في دمشق كما

ومنها:

فلا تتعنتي ظلماً وزوراً

ومنها:

لقد لام ذا الشوق الخلي من الهوى

ونسخت ما أذكره من أخبارها، فأنسبه إلى ابن المعتز من كتاب دفعه إلي محمد بن إبراهيم الجراحي المعروف بقريض، وأخبرني أن عبد الله بن المعتز دفعه إليه، من جمعه وتأليفه، فذكرت منها ما استحسنته من أحاديثها، إذا كان فيها حشو كثير، وأضفت إليه ما سمعته ووقع إلي غير مسموع مجموعاً ومتفرقاً، ونسبت كل رواية إلى راويها.

برمكية النسب: قال ابن المعتز: حدثني الهشامي أبو عبد الله وأخبرني علي بن عبد العزيز، عن ابن خرداذبة قالا: كانت عريب لعبد الله بن إسماعيل صاحب مراكب الرشيد، وهو الذي رباها، وأدبها، وعلمها الغناء.

قال ابن المعتز: وحدثني غير الهشامي، عن إسماعيل بن الحسين خال المعتصم: أنها بنت جعفر بن يحيى، وأن البرامكة لما انتهبوا سرقت وهي صغيرة.

قال: فحدثني عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد بن الخصيب: قال:

حدثني من أثق به، عن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي: أن أم عريب كانت تسمى فاطمة، وكانت قيمة لأم عبد الله بن يحيى بن خالد، وكانت صبية نظيفة، فرآها جعفر بن يحيى، فهويها، وسأل أم عبد الله أن تزوجه إياها، ففعلت، وبلغ الخبر يحيى بن خالد، فأنكره؛ وقال له: أتتزوج من لا تعرف لها أم ولا أب؟ اشتر مكانها مائة جارية وأخرجها، فأخرجها، وأسكنها داراً في ناحية باب الأنبار سراً من أبيه. ووكل بها من يحفظها، وكان يتردد إليها، فولدت عريب في سنة إحدى وثمانين ومائة، فكانت سنوها إلى أن ماتت ستاً وتسعين سنة، قال: وماتت أم عريب في حياة جعفر، فدفعها إلى امرأة نصرانية، وجعلها داية لها، فلما حدثت الحادثة بالبرامكة باعتهامن سنبس النخاس، فباعها من المراكبي.

قال ابن المعتز: وأخبرني يوسف بن يعقوب: إنه سمع الفضل بن مروان يقول: كنت إذا نظرت إلى قدمي عريب شبهتهما بقدمي جعفر بن يحيى، قال: وسمعت من يحكي أن بلاغتها في كتبها ذكرت لبعض الكتاب فقال: فما يمنعها من ذلك وهي بنت جعفر بن يحيى؟.

وأخبرني جحظة قال: دخلت إلى عريب مع شروين المغني وأبي العبيس بن حمدون، وأنا يومئذ غلام علي قباء

ومنطقة، فأنكرتني وسألت عنّي، فأخبرها شروين، وقال: هذا فتى من أهلك، هذا ابن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد، وهو يغني بالطنبور، فأدنتني، وقربت مجلسي، ودعت بطنبور، وأمرتني بأن أغني فغنيت أصواتاً، فقالت: قد أحسنت يا بني ولتكونن مغنياً، ولكن إذا حضرت بين هذين الأسدين ضعت أنت وطنبورك بين عوديهما، وأمرت لي بخمسين ديناراً.

قال ابن المعتز: وحدثني ميمون بن هارون: قال: حدثتني عريب قالت: بعث الرشيد إلى أهلها - تعني البرامكة - رسولاً يسألهم عن حالهم، وأمره ألا يعلمهم أنه من قبله، قالت: فصار إلى عمي الفضل، فسأله، فأنشأ عمي يقول: صوت

سألونا عن حالنا كيف أنتم ... من هوى نجمه فكيف يكون؟

نحن قوم أصابنا عند الده ... ر فظلنا لريبه نستكين

ذكرت عريب أن هذا الشعر للفضل بن يحيى، ولها فيه لحنان: ثاني ثقيل وخفيف ثقيل، كلاهما بالوسطى، وهذا غلط من عريب، ولعله بلغها أن الفضل تمثل بشعر غير هذا، فأنسيته وجعلت هذا مكانه.

فأما هذا الشعر فللحسين بن الضحاك، لا يشك فيه، يرثي به محمداً الأمين بعد قوله:

نحن قوم أصابنا حا ... دث الدهر فظلنا لريبه نستكين

نتمنى من الأمين إياباً ... كل يوم وأين منا الأمين؟

وهي قصيدة.

تعشق، وتهرب إلى معشوقها: قال ابن المعتز: وحدثني الهشامي: إن مولاها خرج إلى البصرة، وأدبها وخرجها وعلمها الخط والنحو والشعر والغناء، فبرعت في ذلك كله، وتزايدت حتى قالت الشعر، وكان لمولاها صديق يقال له حاتم بن عدي من قواد خراسان، وقيل: إنه كان يكتب لعجيف على ديوان الفرض، فكان مولاها يدعوه كثيراً، ويخالطه، ثم ركبه دين فاستتر عنه، فمد عينه إلى عريب، فكاتبها، فأجابته، وكانت المواصلة بينهما، وعشقته عريب، فلم تزل تحتال حتى اتخذت سلماً من عقب، وقيل: من خيوط غلاظ، وسترته، حتى إذا همت بالهرب إليه بعد انتقاله عن منزل مولاها بمدة - وقد أعد لها موضعاً - لفت ثيابها وجعلتها في فراشها بالليل، ودثرتها بدثارها، ثم تسورت من الحائط، حتى هربت، فمضت إليه، فمكثت عنده زماناً، قال: وبلغني أنها لما صارت عنده بعث إلى مولاها يستعير منه عوداً تغنيه به، فأعاره عودها، وهو لا يعلم أنها عنده، ولا يتهمه بشيء من أمرها، فقال عيسى بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي، وهو عيسى ابن زينب يهو أباه ويعيره بها، وكان كثيراً ما يهجوه:

قاتل الله عريبا ... فعلت فعلاً عجيبا

ركبت والليل داج ... مركباً صعباً مهوبا

فارتقت متصلا بالنجم أو منه قريبا
صبرت حتى إذا ما أقصد النوم الرقيبا
مثلت بين حشايا هالكيلا تستريبا
خلفاً منها إذا نو دي لم يلف مجيبا
ومضت يحملها الخو ف قضيباً وكثيبا
محة لو حركت خفت ع ليها أن تذوبا
فتدلت لمحب فتلقاها حبيبا

جذلا ق دنال في الدني ا من الدنيا نصيبا
أيها الضبي الذي تسحر ع ناه القلوبا
و الذي يأكل بعضا بعضه حسناً وطيبا
كنت نهباً لذئاب فلقد أطعمت ذيبا
وكذا الشاة إذا لم يك راعيها لبيبا
لا يبالي وبأ المر عى إذا كان خصيبا
فلقد أصبح عبد الله م كشخان حريبا
قد لعمري لطم الوجه وقد شق الجيوبا
وجرت منه دموع بكت الشعر الخضيبا

وقال ابن المعتز: حدثنا محمد بن موسى بن يونس: أنها ملته بعد ذلك، فهربت منه، كانت تغني عند أقوام عرفتهم ببغداد، وهي متسترة متخفية، فلما كان يوم من الأيام اجتاز ابن أخ للمراكبي ببستان كانت فيه مع قوم تغني، فسمع غناءها، فعرفه، فبعث إلى عمه من وقته، وأقام هو بمكانه، فلم يبرح حتى جاء عمه، فلببها وأخذها، فضربها مائة مقرعة، وهي تصيح: يا هذا لم تقتلني! أنا لست أصبر عليك، أنا امرأة حرة إن كنت مملوكة فبعني، لست أصبر على الضيقة، فلما كان من غد ندم على فعله، وصار إليها فقبل رأسها ورجلها، ووهب لها عشرة آلاف درهم، ثم بلغ محمداً الأمين خبرها، فأخذها منه، قال: وكان خبرها سقط إلى محمد في حياة أبيه، فطلبها منه، فلم يجبه إلى ما سأل، وقبل ذلك ما كان طلب منه خادماً عنده، فاضطغن لذلك عليه، فلما ولي الخلافة جاء المراكبي، ومحمد راكب، ليقبل يده، فأمر بمنعه ودفعه، ففعل ذلك الشاكري، فضربه المراكبي وقال له: أتمنعني من

يد سيدي أن أقبلها؟ فجاء الشاكري لما نزل محمد فشكاه، فدعا محمد بالمراكبي، وأمر بضر عنقه، فسئل في أمره، فأعفاه، وحبسه، وطالبه بخمسمائة ألف درهم مما اقتطعه من نفقات الكراع، وبعث، فأخذ عريب من منزله مع خدم كانوا له، فلما قتل محمد هربت إلى المراكبي، فكانت عنده ، قال: وأنشدني بعض أصحابنا لحاتم بن عدي الذي كانت عنده لما هربت إليه، ثم ملته فهربت منه، وهي أبيات عدة، هذان منها:

ورشوا على وجهي من الماء واندبوا قتيل عريب لا قتيل حروب

فليتك إن عجلتني فقتلتني تكونين من بعد الممات نصيبي

قال ابن المعتز: وأما رواية إسماعيل بن الحسين، خال المعتصم فإنها تخالف هذا، وذكر أنها إنما هربت من دار مولاها المراكبي إلى محمد بن حامد الخاقاني المعروف بالخشن، أحد قواد خراسان قال: وكان أشقر أصهب الشعر أزرق، وفيه تقول عريب - ولها فيه هزج ورمل من روايتي الهشامي وأبي العباس :

بأبي كل أزرق أصهب اللون أشقر

جن قلبي به ول يس جنوني بمنكر

تذكر ناسياً: قال ابن المعتز: وحدثني ابن المدبر قال: خرجت مع المأمون إلى أرض الروم، أطلب ما يطلبه الأحداث من الرزق، فكنا نسير مع العسكر، فلما خرجنا من الرقة رأينا جماعة من الحرم في العماريات على الجمازات وكنا رفقة، وكنا أترابا، فقال لي أحدهم: على بعض هذه الجمازات عريب، فقلت: من يراهني أمر في جنبات هذه العماريات، وأنشد أبيات عيسى ابن زينب؟.

قاتل الله عريبا فعلت فعلاً عجيبا

فراهنني بعضهم وعدل الرهنان وسرت إلى جانبها فأنشدت الأبيات رافعاً صوتي بها، حتى أتممتها، فإذا أنا بامرأة قد أخرجت رأسها فقالت: يا فتى أنسيت أجود الشعر وأطيبه؟ أنسيت قوله:

وعريب رطبة الشف رين قد نيكت ضروبا

اذهب فخذ ما بايعت فيه، ثم ألقت السجف، فعلمت أنها عريب، وبادرت إلى أصحابي خوفاً من مكروه يلحقني من الخدم.

رقيب يحتاج إلى رقيب: أخبرني إسماعيل بن يونس قال: قال لنا عمر بن شبة: كانت للمراكبي جارية يقال لها مظلومة، جميلة الوجه، بارعة الحسن، فكان يبعث بها مع عريب إلى الحمام، أو إلى من تزوره من أهله ومعارفه، فكانت ربما دخلت معها إلى ابن حامد الذي كانت تميل إليه، فقال فيها بعض الشعراء وقد رآها عنده:

لقد ظلموك يا مظلوم لما أقاموك الرقيب على عريب

ولو أولوك إنصافاً وعدلا لما أخلوك أنت من الرقيب

أتنهين المريب عن المعاصي فكيف وأنت من شأن المريب
وكيف يجانب الجاني ذنوباً لديك وأنت داعية الذنوب
فإن يسترقبوك على عريب فما رقبوك من غيب القلوب

وفي هذا المعنى، وإن لم يكن من جنس ما ذكرته ما أنشدنيه علي بن سليمان الأخفش في رقيبة مغنية استحسنت وأظنه للناشئ:

فديتك لو أنهم أنصفوا لقد منعوا العين عن ناظريك
ألم يقرءوا ويحهم ما يرو ن من وحي طرفك في مقلتيك
وقد بعثوك رقيباً لنا فمن ذا يكون رقيباً عليك
تصدين أعيننا عن سواك وهل تنظر العين إلا إليك

من بلاط الأمين إلى بلاط المأمون: قال ابن المعتز: وحدثني عبد الواحد بن إبراهيم، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، وعن محمد بن إسحاق البغوي، عن إسحاق بن إبراهيم: أن خبر عريب لما نمي إلى محمد الأمين بعث في إحضارها وإحضار مولاها، فأحضرا، وغنت بحضرة إبراهيم بن المهدي تقول:

لكل أناس جوهر متنافس وأنت طراز الآنسات الملائح

فطرب محمد، واستعاد الصوت مراراً، وقال لإبراهيم: يا عم كيف سمعت؟ قال: يا سيدي، سمعتُ حسناً، وإن تطاولت بها الأيام، وسكن روعها ازداد غناؤها حسناً، فقال للفضل بن الربيع: خذها إليك، وساوم بها، ففعل، فاشتط مولاها في السوم، ثم أوجبها له بمائة ألف دينار، وانتقض أمر محمد، وشغل عنها، وشغلت عنه، فلم يأمر لمولاها بثمنها حتى قتل بعد أن أفتضها، فرجعت إلى مولاها، ثم هربت منه إلى حاتم بن عدي، وذكر باقي الخبر كما ذكره من تقدم.

وقال في خبره: إنما هربت من مولاها إلى ابن حامد، فلم تزل عنده حتى قدم المأمون بغداد، فتظلم إليه المراكبي من محمد بن حامد، فأمر بإحضاره فأحضر، فسأله عنها فأنكر، فقال له المأمون: كذبت قد سقط إلي خبرها. وأمر صاحب الشرطة أن يجرده في مجلس الشرطة، ويضع عليه السياط حتى يردها، فأخذه، وبلغها الخبر فركبت حمار مكار، وجاءت وقد جرد ليضرب، وهي مكشوفة الوجه، وهي تصيح: أنا عريب، إن كنت مملوكة فليبعني، وإن كنت حرة فلا سبيل له علي، فرفع خبرها إلى المأمون، فأمر بتعديلها عند قتيبة بن زياد القاضي، فعدلت عنده، وتقدم إليه المراكبي مطالباً بها، فسأله البينة على ملكه إياها، فعاد متظلماً إلى المأمون، وقال: قد طولبت بما لم يطالب به أحد في رقيق، ولا يوجد مثله في بد من ابتاع عبداً أو أمة.

وتظلمت إليه زبيدة، وقالت: من أغلظ ما جرى علي بعد قتل محمد ابني هجوم المراكبي على داري وأخذه عريباً منها. فقال المراكبي: إنما أخذت ملكي، لأنه لم ينقدني الثمن، فأمر المأمون بدفعها إلى محمد بن عمر الواقدي -

وكان قد ولاه القضاء بالجانب الشرقي - فأخذها من قتيبة بن زياد، فأمر ببيعها ساذجة، فاشتراها المأمون بخمسين ألف درهم، فذهبت به كل مذهب ميلاً إليها ومحبّة لها.

قال ابن المعتز: ولقد حدثني علي بن يحيى المنجم أن المأمون قبل في بعض الأيام رجلها، قال: فلما مات المأمون بيعت في ميراثه، و لم يبع له عبد ولا أمة غيرها، فاشتراها المعتصم بمائة ألف درهم، وأعتقها، فهي مولاته.

وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنها لما هربت من دار محمد حين قتل تدلت من قصر الخلد بحبل إلى الطريق، وهربت إلى حاتم بن عدي.

وأخبرني جحظة، عن ميمون بن هارون: أن المأمون اشتراها بخمسة آلاف دينار، ودعا بعبد الله بن إسماعيل، فدفعها إليه وقال: لولا أني حلفت ألا أشتري مملوكاً بأكثر من هذا لزدتك، ولكني سأولّيك عملاً تكسب فيه أضعافاً لهذا الثمن مضاعفة، ورمى إليه بخاتمين من ياقوت أحمر، قيمتهما ألف دينار، وخلع خلعاً سنية، فقال: يا سيدي، إنما ينتفع الأحياء بمثل هذا، وأما أنا فإني ميت لا محالة، لأن هذه الجارية كانت حياتي، وخرج عن حضرته، فاختلط وتغير عقله، ومات بعد أربعين يوماً.

قال ابن المعتز: فحدثني علي بن يحيى قال: حدثني كاتب الفضل بن مروان: قال: حدثني إبراهيم بن رباح قال: كنت أولى نفقات المأمون، فوصف له إسحاق بن إبراهيم الموصلي عريب، فأمره أن يشتريها، فاشتراها بمائة ألف درهم، فأمرني المأمون بحملها، وأن أحمل إلى إلى إسحاق مائة ألف درهم أخرى. ففعلتُ ذلك، و لم أدر لصائغها ودلالها، فجاء الفضل بن مروان إلى المأمون، وقد رأى ذلك، فأنكره، وسألني عنه، فقلت: نعم هو ما رأيت، فسأل المأمون، فدعاني، ودنوت إليه، وأخبرته أنه المال الذي خرج في ثمن عريب وصلة إسحاق، وقلت: أيما أصوب يا أمير المؤمنين: ما فعلت أو أثبت في الديوان أنها خرجت في صلة مغن وثمن مغنية؟ فضحك المأمون وقال: الذي فعلت أصوب، ثم قال للفضل بن مروان: يا نبطي، لا تعترض على كاتبي هذا في شيء.

وقال ابن المكي: حدثني أبي عن تحرير الخادم: قال: دخلت يوماً قصر الحرم، فلمحت عريب جالسة على كرسي ناشرة شعرها تغتسل، فسألت عنها، فقيل: هذه عريب دعا بها سيدها اليوم، فافتضها.

قال ابن المعتز: فأخبرني ابن عبد الملك البصري: أنها لما صارت في دار المأمون احتالت حتى وصلت إلى محمد بن حامد، وكانت قد عشقته وكاتبته بصوت قالته، ثم احتالت في الخروج إليه، وكانت تلقاه في الوقت بعد الوقت، حتى حبلت منه وولدت بنتاً، وبلغ ذلك المأمون فزوجه إياها.

وأخبرنا إبراهيم بن القاسم بن زرزور، عن أبيه، وحدثني به المظفر بن كيغلغ عن القاسم بن زرزور، قال: لما وقف المأمون على خبرها مع محمد بن حامد أمر بإلباسها جبة صوف وختم زيقها وحبسها في كنيف مظلم شهراً لا ترى الضوء، يدخل إليها خبز وملح وماء من تحت الباب في كل يوم، ثم ذكرها، فرق لها، وأمر بإخراجها، فلم فتح الباب عنها، وأخرجت لم تتكلم بكلمة حتى اندفعت تغني:

جبوه عن بصري فمثل شخصه في القلب فهو محجب لا يحجب

فبلغ ذلك المأمون، فعجب منها، وقال: لن تصلح هذه أبداً، فزوجها إياه.

نسبة هذا الصوت صوت

لو كان يقدر أن يبثك ما به لرأيت أحسن عاتب يتعتب

حجبوه عن بصري فمثل شخصه في القلب فهو محجب لا يحجب

الغناء لعريب ثقيل أول بالوسطى.

رقعة منها في تركه: قال ابن المعتز: وحدثني لؤلؤ صديق علي بن يحيى المنجم: قال: حدثني أحمد بن جعفر بن حامد: قال: لما توفي عمي محمد بن حامد صار جدي إلى منزله، فنظر إلى تركته، وجعل يقلب ما خلف، ويخرج إليه منها الشيء بعد الشيء إلى أن أخرج إليه سفط مختوم، ففض الخاتم، وجعل يفتحه، فإذا فيه رقاع عريب إليه، فجعل يتصفحها ويتبسم، فوقعت في يده رقعة، فقرأها، ووضعها من يده وقام لحاجة، فقرأتها فإذا فيها قوله: صوت

ويلي عليك ومنكا أوقعت في الحق شكا

زعمت أني خئون جوراً علي وإفكا

إن كان ما قلت حقاً أو كنت أزمعت تركا

فأبدل الله ما بي من ذلة الحب نسكا

لعريب في هذه الأبيات رمل وخزج، عن الهشامي والشعر لها.

تجيب على قبلة بطعنة: قال ابن المعتز: وحدثني عبد الوهاب بن عيسى الخراساني، عن يعقوب الرّخامي: قال: كنا مع العباس بن المأمون بالرقة وعلى شرطته هاشم - رجل من أهل خراسان - فخرج إلي، وقال: يا أبا يوسف، ألقي إليك سراً لثقتي بك، وهو عندك أمانة، قلت: هاته، قال: كنت واقفاً على رأس الأمين وبي حر شديد، فخرجت عريب، فوقفت معي، وهي تنظر في كتاب فما ملكت نفسي أن أومأت بقبلة، فقالت: كحاشية البرد. فوالله ما أدري ما أرادت، فقلت: قالت لك: طعنة.

قال: وكيف ذاك؟ قلت: أرادت قول الشاعر:

رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة كحاشية البرد اليماني المسهم

وحكى هذه القصة أحمد بن أبي طاهر، عن بشر بن زيد، عن عبد الله بن أيوب بن أبي شمر، أنهم كانوا عند المأمون ومعهم محمد بن حامد، وعريب تغنيهم، فغنت تقول:

رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة كحاشية البرد اليماني المسهم

فقال لها المأمون: من أشار إليك بقبلة، فقلت له طعنة؟ فقالت له: يا سيدي، من يشير إلي بقبلة من مجلسك؟ فقال: بحياتي عليك! قالت: محمد بن حامد، فسكت.

تحب أميراً وتتزوج خادماً: قال ابن المعتز: وحدثني محمد بن موسى: قال:
اصطبح المأمون يوماً ومعه ندماؤه، وفيهم محمد بن حامد وجماعة من المغنين، وعريب معه على مصلاه، فأومأ محمد بن حامد إليها بقبلة، فاندفعت تغني ابتداء:

رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة كحاشية البرد اليماني المسهم

تريد بغنائها جواب محمد بن حامد بأن تقول له: طعنة، فقال لها المأمون: أمسكي، فأمسكت، ثم أقبل على الندماء فقال: من فيكم أومأ إلى عريب بقبلة؟ والله لئن لم يصدقني لأضربن عنقه، فقام محمد، فقال: أنا يا أمير المؤمنين أومأت إليها، والعفو أقرب للتقوى، فقال: قد عفوت.
فقال: كيف استدلّ أمير المؤمنين على ذلك؟ قال: ابتدأت صوتاً، وهي لا تغني ابتداء إلا لمعنى، فعلمت أنها لم تبتدئ بهذا الصوت إلا لشيء أومئ به إليها، و لم يكن من شرط هذا الموضع إلا إيماء بقبلة، فعلمت أنها أجابت بطعنة.
قال ابن المعتز: وحدثني علي بن الحسين: أن عريب كانت تتعشق أبا عيسى بن الرشيد وروى غيره أنها كانت لا تضرب المصل إلا بحسن وجه أبي عيسى وحسن غنائه، وكانت تزعم أنها ما عشقت أحداً من بني هاشم وأصفته المحبة من الخلفاء وأولادهم سواه.
قال ابن المعتز: وحدثني بعض جوارينا: إن عريب كانت تتعشق صالحاً المنذري الخادم، وتزوجته سراً، فوجه به المتوكل إلى ممكان بعيد في حاجة له، فقالت فيه شعراً، وصاغت لحنه في خفيف الثقيل وهو: صوت

أما الحبيب فقد مضى بالرغم مني لا الرضا
أخطأت في تركي لمن لم ألق منه معوضاً

قال: فغنته يوماً بين يدي المتوكل، فاستعاده، وجعل جواريه يتغامزن ويضحكن، فأصغت إليهن سراً من المتوكل، فقالت: يا سحاقات، هذا خير من عملكنّ.
قبلي سالفتي تجدي ريح الجنة: قال: وحدثت عن بعض جواري المتوكل، أنها دخلت يوماً على عريب، فقالت لها: تعالي ويحك إلي، فجاءت. قال: فقالت: قبلي هذا الموضع مني فإنك تجدين ريح الجنة فأومأت إلى سالفتها، ففعلت، ثم قالت لها: ما السبب في هذا؟ قالت: قبلني صالح المنذري في ذلك الموضع.
وقت انسجام لا وقت ملام: قال ابن المعتز: وأخبرني أبو عبد الله الهشامي قال: حدثني محمد بن يحيى الواثقيّ، قال: قال لي محمد بن حامد ليلة: أحب أن تفرغ لي مضربك، فإني أريد أن أجيئك، فأقيم عندك، ففعلت، ووافاني، فلما جلس جاءت عريب، فدخلت.
وقد حدثني به جحظة: قال: حدثني أبو عبد الله بن حمدون: أن عريب زارت محمد بن حامد، وجلسا جميعاً، فجعل يعاتبها، ويقول: فعلت كذا، وفعلت كذا، فقالت لي: يا محمد، هذا عندك رأي؟ ثم أقبلت عليه، فقالت: يا عاجز خذ بنا فيما نحن فيه وفيما جئنا إليه.

وقال جحظة في خبره: اجعل سراويلي مخنقتي، وألصق خلخالي بقرطي، فإذا كان غد فاكتب إلي بعتابك في طومار حتى أكتب إليك بعذري في ثلاثة، ودع هذا الفضول، فقد قال الشاعر: صوت

دعي عد الذنوب إذا التقينا تعالي لا أعد ولا تعدي

وتمام هذا قوله:

فأقسم لو هممت بمدّ شعري إلى نار الجحيم لقلت مدي

الشعر للمؤمل: والغناء لعريب، خفيف رمل، وفيه لعلوية رمل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة: مع ثمانية من الخلفاء: أخبرني أبو يعقوب إسحاق بن الضحاك بن الخصيب: قال: حدثني أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات قال: كنت يوماً عند أخي أبي العباس، وعنده عريب جالسة على دست مفرد لها، وجواريها يغنين بين يدينا وخلف ستارتنا، فقلت لأخي - وقد جرى ذكر الخلفاء : قالت لي عريب: ناكني منهم ثمانية ما اشتهيت منهم أحداً إلا المعتزّ، فإنه كان يشبه أبا عيسى بن الرشيد. قال ابن الفرات: فأصغيت إلى بعض بني أخي، فقلت له: فكيف ترى شهوتها الساعة فضحك ولمحته، فقالت: أي شيء قلتم؟ فجحدتها. فقالت لجواريها: أمسكن، ففعلن، فقالت: هنّ حرائر لئن لم تخبراني بما قلتما لينصرفن جميعاً، وهن حرائر. إن حردت من شيء جرى، ولو أنها تسفيل، فصدقتها. فقالت: وأي شيء في هذا؟ أما الشهوة فبحالها، ولكن الآلة قد بطلت أو قالت: قد كلت، عودوا إلى ما كنتم فيه.

شرطان فاحشان: وحدثني الحسن بن علي بن مودة قال: حدثني إبراهيم بن أبي العبيس: قال: حدثنا أبي: قال: دخلنا على عريب يوماً مسلّمين، فقالت: أقيموا اليوم عندي حتى أطعمكم لوزنيجة صنعتها بدعة بيدها من لوز رطب، وما حضر من الوظيفة، وأغنيكم أنا وهي، قال: فقلت لها على شريطة، قالت: وما هي؟ قلت: شيء أريد أن أسألك عنه منذ سنين، وأنا أهابك؟ قالت: ذاك لك، وأنا أقدم الجواب قبل أن تسأل، فقد علمت ما هو، فعجبت لها، وقلت: فقولي، فقالت: تريد أن تسألني عن شرطي أي شرط هو؟ فقلت: إي والله ذاك الذي أردت. قالت: شرطي أير صلب، ونكهة طيبة، فإن انضاف إلى ذلك حسن يوصف، وجمال يحمد فقد زاد قدره عندي، وإلا فهذان ما لا بد لي منهما.

تلقن حبيبها درساً في كيف تكون الهدية: وحدّثني الحسن بن علي، عن محمد بن ذي السيفين إسحاق بن كنداجيق. عن أبيه: قال: كانت عريب تولع بي وأنا حديث السن، فقالت لي يوماً: يا إسحاق قد بلغني أنّ عندك دعوة فابعث إلي نصيبي منها، قال: فاستأنفت طعاماً كثيراً. وبعثت إليها منه شيئاً كثيراً؛ فأقبل رسولي من عندها مسرعاً. فقال لي: لما بلغت إلى بابها، وعرفت خبري أمرت بالطعام فأذهب وقد وجهت إليك برسول. وهو معي، فتحيرت وظننت أنها قد استقصرت فعلي، فدخل الخادم ومعه شيء مشدود في منديل ورقعة، فقرأتها، فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، يا عجمي يا غبي، ظننت أني من الأتراك ووحش الجند، فبعثت إلي بخبز ولحم وحلواء، الله المستعان عليك، يا فدتك نفسي، قد وجهت إليك زلة من حضرتي، فتعلم ذلك من الأخلاق ونحوه

من الأفعال، ولا تستعمل أخلاق العامة، في رد الظرف. فيزداد العيب والعتب عليك إن شاء الله، فكشفت المنديل، فإذا طبق ومكبه من ذهب منسوج على عمل الخلاف، وفيه زبدية فيها لقمتان من رقاق، وقد عصبت طرفيهما وفيها قطعتان من صدر دراج مشوي ونقل وطلع وملح. وانصرف رسولها.

أيهما أغلى: الخلافة أم الخل الوفي؟ قال ابن المعتز: حدثني الهشامي أبو عبد الله. عن رجل ذكره، عن علوية قال: أمرين المأمون وسائر المغنين في ليلة من الليالي أن نصير إليه بكرة ليصطبح، فغدونا ولقيني المراكبي مولى عريب، وهي يومئذ عنده، فقال لي: يأيها الرجل الظالم المعتدي، أما ترق ولا ترحم ولا تستحي؟ عريب هائمة تحلم بك في النوم ثلاث مرات في كل ليلة، قال علوية: فقلت: أم الخلافة زانية. ومضيت معه، فحين دخلت قلت: استوثق من الباب، فإني أعرف خلق الله بفضول البوابين والحجاب، وإذا عريب جالسة على كرسي تطبخ، وبين يديها ثلاث قدور من دجاج، فلما رأتين قامت تعانقني وتقبلني، ثم قالت: أيما أحب إليك أن تأكل من هذه القدور، أو تشتهي شيئاً يطبخ لك، فقلت: بل قدر من هذه تكفينا، فغرفت قدراً منها، وجعلتها بيني وبينها، فأكلنا ودعونا بالنبيذ، فجلسنا نشرب حتى سكرنا، ثم قالت: يا أبا الحسن، صنعت البارحة صوتاً في شعر لأبي العتاهية، فقلت: وما هو؟ فقالت هو:

عذيري من الإنسان لا إن جفوته ... صفا لي ولا إن كنت طوع يديه

وقالت لي: قد بقي فيه شيء، فلم نزل نردده أنا وهي حتى استوى، ثم جاء الحجاب فكسروا باب المراكبي واستخرجوني، فدخلت على المأمون، فلما رأيته أقبلت أمشي إليه برقص وتصفيق، وأنا أغني الصوت، فسمع وسمع من عنده ما لم يعرفوه واستظرفوه، وسألني المأمون عن خبره، فشرحته له. فقال لي: ادن ورددده، فرددته عليه سبع مرات. فقال في آخر مرة: يا علوية. خذ الخلافة واعطني هذا الصاحب.

نسبة هذا الصوت صوت

عذيري من الإنسان لا إن جفوته ... صفا لي ولا إن كنت طوع يديه

وإني لمشتاق إلى قرب صاحب ... يروق ويصفو إن كدرت عليه

الشعر من الطويل وهو لأبي العتاهية، والغناء لعريب، خفيف ثقيل أول بالوسطى، ونسبه عمرو بن بانة في هذه الطريقة والأصبغ إلى علوية.

لماذا غضب الواثق والمعتصم عليها: قال ابن المعتز: وحدثني القاسم بن زرزور: قال: حدثتني عريب قالت: كنت في أيام محمد ابنة أربع عشرة سنة، وأنا حينئذ أصوغ الغناء.

قال القاسم: وكانت عريب تكايد الواثق فيما يصوغه من الألحان وتصوغ في ذلك الشعر بعينه لحناً أجود من لحنه، فمن ذلك:

لم آت عامدة ذنباً إليك بلى ... أقر بالذنب فاعف اليوم عن زللي

لحنها فيه خفيف ثقيل، ولحن الواثق رمل، ولحنها أجود من لحنه، ومنها:

أشكو إلى الله ما ألقى من الكمد حسبي بربي ولا أشكو إلى أحد

لحنها ولحن الواثق جميعاً من الثقيل الأول، ولحنها أجود من لحنه.

نسبة هذين الصوتين صوت

لم آت عامدة ذنباً إليك بلى أقر بالذنب فاعف اليوم عن زللي

فالصفح من سيد أولى لمعتذر وقاك ربك يوم الخوف والوجل

الغناء للواثق رمل، ولعريب خفيف ثقيل وذكر ذكاء وجه الرزة أن لطالب بن يزداد فيه هزجاً مطلقاً.

صوت

أشكو إلى الله ما ألقى من الكمد حسبي بربي ولا أشكو إلى أحد

أين الزمان الذي قد كنت ناعمة في ظله بدنوي منك يا سندي

وأسأل الله يوماً منك يفرحني فقد كحلت جفون العين بالسهد

شوقاً إليك وما تدري بما لقيت نفسي عليك وما بالقلب من كمد

الغناء لعريب ثقيل أول بالوسطى، وللواثق ثقيل أول بالبنصر.

قال ابن المعتز: وكان سبب انحراف الواثق عنها. وكيادها آياه، وانحراف المعتصم عنها أنه وجد لها كتاباً إلى العباس بن المأمون ببلد الروم: اقتل أنت العلج ثم، حتى أقلت أنا الأعور الليلي هاهنا. تعني الواثق، وكان يسهر بالليل، وكان المعتصم استخلفه ببغداد.

تغضب على جارية مبتذلة: قال: وحدثني أو العبيس بن حمدون قال: غضبت عريب على بعض جواريها المذكورات - وسماها لي - فجئت إليها يوماً. وسألتها أن تعفو عنها. فقالت في بعض ما تقوله، مما تعتد به عليها من ذنوبها: يا أبا العبيس إن كنت تشتهي أن ترى زناي وصفاقة وجهي وجراءتي على كل عظيمة أيام شبابي فانظر إليها واعرف أخبارها.

كانت تجيد ركوب الخيل: قال ابن المعتز: وحدثني القاسم بن زرزور قال: حدثني المعتمد، قال: حدثتني عريب أنها كانت في شبابها يقدم إليها برذون. فتطفر عليه بلا ركاب.

تندمج في الصوت فلا تحس لدغ العقرب: قال: وحدثني الأسديّ: قال: حدثني صالح بن علي بن الرشيد المعروف بزعفرانة: قال: تمارى خالي أبو علي مع المأمون في صوت، فقال المأمون: أين عريب؟ فجاءت وهي محمومة، فسألها عن الصوت فقالت فيه بعلمها، فقال لها: غنيّة، فولّت لتجيء بعود، فقال لها: غنية بغير عود، فاعتمدت على الحائط للحمي وغنت، فأقبلت عقرب، فرأيتها قد لسعت يدها مرتين أو ثلاثاً، فما نحت يدها، ولا سكتت. حتى فرغت من الصوت، ثم سقطت وقد غشي عليها.

غسالة رأسها تتقسمها جواريها: قال ابن المعتز: وحدثني أبو العباس بن الفرات: قال: قالت لي تحفة جارية عريب: كانت عريب تجد في رأسها برداً، فكانت تغلف شعرها مكان العلة بستين مثقالاً مسكاً وعنبراً، وتغسله من جمعة إلى جمعة، فإذا غسلته أعادته، وتتقسم الجواري غسالة رأسها بالقوارير وما تسرحه منه بالميزان.

ترتجل معارضة لصوت: حدثني أحمد بن جعفر جحظة، عن عليّ بن يحيى المنجم: قال: دخلت يوماً على عريب مسلماً عليها، فلما اطمأننت جالساً هطلت السماء بمطر عظيم، فقالت: أقم عندي اليوم حتى أغنيك أنا وجواري، وابعث إلى من أحببت من إخوانك، فأمرت بدوابي فردت، وجلسنا نتحدث، فسألتني عن خبرنا بالأمس في مجلس الخليفة، ومن كان يغنينا، وأي شيء استحسنا من الغناء، فأخبرتها أن صوت الخليفة كان لحناً صنعه بنان من الماخوري، فقالت: وما هو؟ فأخبرتها أنه: صوت

تجافي ثم تنطبق جفون حشوها الأرق

وذي كلف بكى جزعا وسفر القوم منطلق

به قلق يململه وكان وما به قلق

جوانحه على خطر بنار الشوق تحترق

فوجهت رسولاً إلى بنان، فحضر من وقته، وقد بلته السماء، فأمرت بخلع فاخرة، فخلعت عليه، وقدم له طعام فاخر، فأكل وجلس يشرب معنا، وسألته عن الصوت، فغناها إياه فأخذت دواة ورقعة وكتبت فيها:

أجاب الوابل الغدق وصاح النرجس الغرق

وقد غنى بنان لنا: جفون حشوها الأرق

فهات الكأس مترعة كأن حبابها حدق

قال علي بن يحيى: فما شربنا بقية يومنا إلا على هذه الأبيات.

ررموز برموز: حدثني محمد بن خلف بن المرزبان، عن عبد الله بن محمد المروزي: قال:

قال لي الفضل بن العباس بن المأمون: زارتني عريب يوماً ومعها عدة من جواريها، فوافتنا ونحن على شرابنا، فتحادثنا ساعة. وسألتها أن تقيم عندي، فأبت وقالت: دعاني جماعة من إخواني من أهل الأدب والظرف، وهم مجتمعون في جزيرة المؤيد، فيهم إبراهيم بن المدبر وسعيد بن حميد ويحيى بن عيسى بن منارة، وقد عزمت على المسير إليهم، فحلفت عليها. فأقامت عندنا، ودعت بدواة وقرطاس فكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم وكتبت بعد ذلك في سطر واحد ثلاثة أحرف متفرقة لم تزد عليها، وهي: أردت، ولولا، ولعلي.

ووجهت به إليهم، فلما وصلت الرقعة عيوا بجوابها، فأخذ إبراهيم بن المدبر الرقعة، فكتب تحت أردت: ليت، وتحت لولا: ماذا، وتحت لعلي: أرجو. ووجهوا بالرقعة فصفقت ونعرت وشربت رطلاً وقالت لنا: أأترك هؤلاء وأقعد عندكم؟ إذاً تركني الله من يديه، ولكنّي أحلف عندكم من جواري من يكفيكم، وأقوم إليهم، ففعلت

ذلك وخلفت عندنا بعض جواريها، وأخذت معها بعضهن، وانصرفت.

لها حكم النظام: أخبرنا محمد بن خلف، عن سعيد بن عثمان بن أبي العلاء، عن أبيه قال: عتب المأمون على عريب، فهجرها أياماً، ثم اعتلت فعادها، فقال لها: كيف وجدت طعم الهجر؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، لولا مرارة الهجر ما عرفت حلاوة الوصل، ومن ذم بدء الغضب أحمد عاقبة الرضا، قال: فخرج المأمون إلى جلسائه، فحدثهم بالقصة، ثم قال: أترى هذا لو كان من كلام النظام ألم يكن كبيراً؟.

لا تريد دخيلاً بينها، وبين المأمون: حدثني محمد بن خلف، عن أبي العيناء، عن أحمد بن أبي داود: قال: جرى بين عريب وبين المأمون كلام، فكلمها المأمون بشيء غضبت منه، فهجرته أياماً، قال أحمد بن أبي دواد: فدخلت على المأمون. فقال لي: يا أحمد، اقض بيننا، فقالت عريب: لا حاجة لي في قضائه ودخوله فيما بيننا، وأنشأت تقول:

وتخلط الهجر بالوصال لا ... يدخل في الصلح بيننا أحد

ماذا كانت تفعل في خلوتها مع محمد بن حامد: حدثني محمد بن خلف قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن، عن أحمد بن حمدون، عن أبيه، قال: كنت حاضراً مجلس المأمون ببلاد الروم بعد صلاة العشاء الآخرة في ليلة ظلماء ذات رعود وبروق، فقال لي المأمون: اركب الساعة فرس النوبة وسر إلى عسكر أبي إسحاق - يعني المعتصم - فأد إليه رسالتي في كيت وكيت، قال: فركبت و لم تثبت مع شمعة، وسمعت وقع حافر دابة، فرهبت ذلك، وجعلت أتوقاه، حتى صك ركابي ركاب تلك الدابة، وبرقت بارقة فأضاءت وجه الراكب، فإذا عريب، فقلت: عريب؟ قالت: نعم، حمدون، قلت: نعم. ثم قتل: من أين أقبلت في هذا الوقت؟ قالت: من عند محمد بن حامد، قلت: وما صنعت عنده؟ قالت عريب: ياتكش، عريب تجيء من عند محمد بن حامد في هذا الوقت خارجة من مضرب الخليفة وراجعة إليه، تقول لها: أي شيء عملت عنده؟ صليت مع التراويح؟! أو قرأت عليه أجزاء من القرآن، أو دارسته شيئاً من الفقه، يا أحمق تعاتبنا، وتحادثنا، واصطلحنا، ولعبنا، وشربنا، وغنينا، وتنايكنا، وانصرفنا، فأخجلتني وغاظتني، وافترقنا، ومضيت فأدّيت الرسالة، ثم عدت إلى المأمون وأخذنا في الحديث وتناشد الأشعار، وهممت والله أن أحدثه حديثها، ثم هبته فقلت: أقدم قبل ذلك تعريضاً بشيء من الشعر، فأنشدته:

ألا حي أطلالاً لواسعة الحبل ... ألوف تسوى صالح القوم بالرذل

فلو أن من أمسى بجانب تلعة ... إلى جبلي طي فساقطة الحبل

جلوس إلى أن يقصر الظل عندها ... لراحوا وكل القوم منها على وصل

فقال لي المأمون: اخفض صوتك لا تسمعك عريب فتغضب، وتظن أنا في حديثها، فأمسكت عما أردت أخبره، وخار الله لي في ذلك.

تعشق ولا تعشق: حدثني محمد بن أحمد الحكيمي: قال: أخبرني ميمون بن هارون، قال: قال لي ابن اليزيدي: حدثني أبي قال: خرجنا مع المأمون في خروجه إلى بلد الروم، فرأيت عريب في هودج، فلما رأتني قالت لي: يا يزيدي، أنشدني شعراً قلته حتى أصنع فيه لحناص فأنشدتها:

ماذا بقلبي من دوام الخفق إذا رأيت لمعان البرق

من قبل الأردن أو دمشق لأن من أهوى بذاك الأفق

فإن فيه وهو أعز الخلق علي والزور خلاف الحق

ذاك الذي يملك مني رقي ولست أبغي ما حييت عتقي

قال: فتنفست تنفساً ظننت أن ضلوعها قد تقصفت منه، فقلت: هذا والله تنفس عاشق، فقالت: اسكت يا عاجز أنا أعشق، والله لقد نظرت نظرة مريبة في مجلس، فادعاها من أهل المجلس عشرون رئيساً طريقاً.

بيتا عباس بن الأحنف يصلحان بينها وبين حبيبها: حدثني محمد بن خلف: قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر: قال: حدثني أحمد بن حمدون: قال: وقع بين عريب وبين محمد بن حامد شر، وكان يجد بها الوجد كله، فكادا يخرجان من شرهما إلى القطيعة، وكان في قلبها منه أكثر مما في قلبه منها، فلقيته يوماً، فقالت له: كيف قلبك يا محمد؟ قال: أشقى والله ما كان وأقرحه، فقالت له: استبدل تسل، فقل لها: لو كانت البلوى باختيار لفعلت: فقالت: لقد طال إذاً تعبك، فقال: وما يكون؟ أصبر مكرها، أما سمعت قول العباس بن الأحنف.

تعب يطول مع الرجاء بذي الهوى خير له من راحة في اليأس

لولا كرامتكم لما عاتبتكم ولكنتم عندي كبعض الناس

قال: فذرفت عيناها، واعتذرت إليه وأعتبته، واصطلحا، وعادا إلى أفضل ما كانا عليه.

اختلاف في فن عريب: حدثني أحمد بن جعفر جحظة: قال: قال لي أبو العباس بن حمدون - وقد تجاذبنا غناء عريب - ليس غناؤها مما يعتد بكثرته، لأن سقطه كثير، وصنعتها ساذجة، فقلت له: ومن يعرف في الناس كلهم من مغني الدولة العباسية سلمت صنعته كلّها حتى تكون مثله! ثم جعلت أعد ما أعرفه من جيد صنعتها ومتقدمها وهو يعترف بذلك، حتى عددت نحواً من مائة صوت مثل لحنها في:

يا عز هل لك في شيخ فتى أبدا

وسيسليك عما فات دولة مفضل

وصاح قد لمت ظالماً

وضحك الزمان وأشرقت

ونحو هذا، ثم قال لي: ما خلفت عريب بعدها امرأة مثلها في الغناء والرواية والصنعة، فقلت له: لا، ولا كثيراً من الرجال أيضاً.

قصة لحن في بيت يتيم: ولعريب في صنعتها:

يا عز هل لك في شيخ فتى أبداً

خبر أخبرني ببعضه أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن ميمون بن هارون.

وذكر ابن المعتز أن عبد الواحد بن إبراهيم بن الخصيب حدثه عمن يثق به، عن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي: قال: قالت لي عريب: حج بي أبوك وكان مضعوفاً، فكان عديلي، وكنت في طريق أطلب الأعراب فأستنشدهم الأشعار، وأكتب عنهم النوادر وسائر ما أسمعه منهم، فوقف شيخ من الأعراب علينا يسأل، فاستنشدته، فأنشدني:

يا عز هل لك في شيخ فتى أبدا وقد يكون شباب غير فتيان

فاستحسنته، و لم أكن سمعته قبل ذلك، قلت: فأنشدني باقي الشعر، فقال لي: هو يتيم، فاستحسنت قوله وبررته، وحفظت البيت وغنيت فيه صوتاً من الثقيل الأول، ومولاي لا يعلم بذلك لضعفه، فلما كان في ذلك اليوم عشياً قال لي: ما كان أحسن ذلك البيت الذي أنشدك إياه الأعرابي، وقال لك: إنه يتيم. أنشديني إن كنت حفظته، فأنشدته، إياه، وأعلمته أني قد غنيت فيه، ثم غنيته له، فوهب لي ألف درهم بهذا السبب، وفرح بالصوت فرحاً شديداً.

قال ابن المعتز: قال ابن الخصيب: فحدثني هذا المحدث أنه قد حضر بعد ذلك بمجلس أبي عيسى بن المتوكل - ومن هاهنا تتصل رواية ابن عمار، عن ميمون، وقد جمعت الروايتين إلا أن ميمون بن هارون ذكر أنهم كانوا عند جعفر بن المأمون، وعندهم أبو عيسى، وكان عندهم علي بن يحيى، وبدعة جارية عريب تغنيهم - فذكر علي بن يحيى أن الصنعة فيه لغير عريب، وذكر أنها لا تدعى هذا وكابر فيه، فقام جعفر بن المأمون، فكتب رقعة إلى عريب - ونحن لا نعلم - يسألها عن أمر الصوت وأن تكتب إليه بالقصة، ففعلت، فكتبت إليها بخطها: بسم الله الرحمن الرحيم.

هنيا لأرباب البيوت بيوتهم وللعزب المسكين ما يتلمس

أنا المسكينة، وحيدة فريدة بغير مؤنس، وأنتم فيما أنتم فيه، وقد أخذتم أنسي ومن كان يلهيني، تعني جاريتها: بدعة وتحفة - فأنتم في القصف والعزف، وأنا في خلاف ذلك، هناكم الله وأبقاكم، وسألت - مد الله في عمرك - عما اعترض فيه فلان، والقصة في هذا الصوت كذا وكذا، وقصت قصتها مع الأعرابي كما حدثت به، و لم تخرم حرفاً منها، فجاء الجواب إلى جعفر بن المأمون فقرأه وضحك. ثم رمى به إلى أبي عيسى، ورمى به أبو عيسى إليّ، وقال: اقرأه، وكان علي بن يحيى جالساً إلى جنبي، فأراد أن يستلب الرقعة، فمنعته، وقمت ناحية،

فقرأتها: فأنكر ذلك، وقال: ما هذا؟ فورّينا الأمر عنه لئلا تقع عربدة، وكان - عفا الله عنا وعنه - مبغضاً لها.

تروي قصة غرامية عن أبي محلم: قال ابن المعتز: وحدثني أبو الخطاب العباس بن أحمد بن الفرات، قال: حدثني أبي، قال: كنا يوماً عند جعفر بن المأمون نشرب وعريب حاضرة إذا غنى بعض من كان هناك:

يا بدر إنك قد كسيت مشابهاً ... من وجه ذاك المستنير اللائح

وأراك تمصح بالمحاق، وحسنها ... باق على الأيام ليس ببارح

فضحكت عريب وصفقت وقالت: ما على وجه الأرض أحد يعرف خبر هذا الصوت غيري، فلم يقدم أحد منا على مسألتها عنه غيري، فسألتها، فقالت: أنا أخبركم بقصته، ولولا أن صاحب القصة قد مات لما أخبرتكم، إن أبا محلم قدم بغداد، فنزل بقرب دار صالح المسكين في خان هناك، فاطلعت أم محمد ابنة صالح يوماً، فرأته يبول، فأعجبها متاعه. وأحبت مواصلته، فجعلت لذلك علة بأن وجهت إليه تقترض منه مالاً، وتعلمه أنها في ضيقة وأنها ترده إليه بعد جمعة، فبعث إليها عشرة آلاف درهم، وحلف أنه لو ملك غيرها لبعث به، فاستحسنت ذلك وواصلته، وجعلت القرض سبباً للوصلة، فكانت تدخله إليها ليلاً، وكنت أنا أغني لهم، فشربنا ليلة في القمر، وجعل أبو محلم ينظر إليه، ثم دعا بدواة ورقعة، وكتب فيها قوله:

يا بدر إنك قد كسيت مشابهاً ... من وجه أم محمد ابنة صالح

والبيت الآخر، وقال لي: غني فيه، ففعلت واستحسناه وشربنا عليه، فقلت لي أم محمد في آخر المجلس: يا أختي، قد تنبلت في هذا الشعر إلا أنه سيبقى علي فضيحة آخر الدهر، فقال أبو محلم: وأنا أغيره، فجعل مكان أم محمد ابنة صالح، "ذاك المستنير اللائح". وغنيته كما غيره، وأخذه الناس عني، ولو كانت أم محمد حية لما أخبرتكم بالخبر.

فأما نسبة هذا الصوت فإن الشعر لأبي محلم النسابة، والغناء لعريب ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى من رواية الهشامي وغيره، وأبو محلم اسمه عوف بن محلم.

تستزير حبيبها فيخشى على نفسه: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، عن ميمون بن هارون: قال: كتبت عريب إلى محمد بن حامد - الذي كانت تهواه - تستزيره، فكتب إليها: إني أخاف على نفسي، فكتبت إليه.

صوت

إذا كنت تحذر ماتحذر ... وتزعم أنك لا تجسر

فمالي أقيم على صبوتي ... ويوم لقائك لا يقدر

فصار إليها من وقته.

لعريب في هذين البيتين وبيتين آخرين بعدهما لم يذكرا في الخبر رمل، ولشاريه خفيف رمل، جمعا من رواية ابن المعتز، والبيتان الآخران:

تبينت عذري وما تعذر وأبليت جسمي وما تشعر

ألفت السرور وخليتني ودمعي من العين ما يفتر

وذكر ميمون في هذا الخبر أن محمد بن حامد كتب إليها يعاتبها في شيء كرهه، فكتبت إليه تعتذر، فلم يقبل، فكتبت إليه بهذين البيتين الآخرين اللذين ذكرهما بعد نسبة هذا الصوت.

صوت

أحببت من شعر بشار لحبكم بيتا، كلفت به من شعر بشار

يا رحمة الله حلي في منازلنا وجاورينا فدتك النفس من جار

إذا ابتهلت سألت الله رحمته كنيت عنك وما يعدوك إضماري

الشعر لأبي نواس منه البيت الأول، والثاني لبشار ضمنه أبو نواس، والغناء لعريب ثقيل أول بالبنصر، ولعمرو بن بانة في الثاني والثالث رمل.

وهذا الشعر يقوله أبو نواس في رحمة بن نجاح عم نجاح بن سلمة الكاتب.

رحمة حبيبة بشار ورحمة حبيب أبي نواس: أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش، عن محمد بن يزيد النحوي: قال:

كان بشار يشبب بامرأة يقال لها رحمة، وكان أبو نواس يتعشق غلاماً اسمه رحمة بن نجاح، عم نجاح بن سلمة الكاتب، وكانت متقدماً في جماله، وكان أبوه قد ألزمه وأخاه رجلاً مدنياً، وكان معهم كأحدهم، وأكثر أبو نواس التشبيب برحمة في إقامته ببغداد وشخوصه عنها، وكان بشار قد قال في رحمة المرأة التي يهواها.

يا رحمة الله حلي في منازلنا حسبي برائحة الفردوس من فيك

يا أطيب الناس ريقاً غير مختبر إلا شهادة أطراف المساويك

فقال أبو نواس، وضمن بيت بشار.

أحببت من شعر بشار لحبكم بيتاً كلفت به من شعر بشار

الأبيات الثلاثة....

وقال فيه:

يا من تأهب مزمعاً لرواح متيمماً بغداد غير ملاح

في بطن جارية كفتك بسيرها رملاً وكل سباحة السباح

بنيت على قدر ولاءم بينها صنفان من قار ومن ألواح

وكأنها والماء ينضح صدرها والخيزرانة في يد الملاح

جون من الغربان يبتدر الدجى يهوي بصوت واصطفاق جناح
سلم على شاطي الصراة وأهلها واخصص هناك مدينة الوضاح
واقصد هذيت ولا تكن متحيراً فيمقصد عن ظبي آل نجاح
عن رحمة الرحمن واسأل من ترى سيماه سيما شارب للراح
فإذا دفعت إلى أغن وألثغ ومنعم ومكحل ورداح
وكشمسنا وكبدرنا حاشى التي سميتها منه بنور أقاحي
فاقصد لوقت لقائه في خلوة لتبوح عني ثم كل مباح
واخبر بما أحببت عن حالي التي ممساي فيها واحد وصباحي

قال: فافتدى أبو رحمة من أبي نواس ذكر ابنه بأن عقد بينه وبينه حرمة، ودعاه إلى منزله، فجاءه أبو نواس والمديني لا يعرفه، فمازحه مزاحاً أسرف عليه فيه، فقام إليه رحمة، فعرفه أنه أبو نواس، فأشفق المديني من ذلك، وخاف أن يهجوه ويشهر اسمه، فسأل رحمة أن يكلمه في الصفح له والإغضاء عن الانتقام، فأجابه أبو نواس وقال:

اذهب سلمت من الهجاء ولذعه وأما ولثغة رحمة بن نجاح
لولا فتور في كلامك يشتهى وترفقي لك بعد واستملاحي
وتكسر في مقتليك هو الذي عطف الفؤاد عليك بعد جماح
لعلمت أنك لا تمازح شاعراً في ساعة ليست بحين مزاح

مدخل إلى ترجمة معقل بن عيسى: صوت

أأبكاك بالعرف المنزل وما أنت والطلل المحول؟
وما أنت ويك ورسم الديار وسنك قد قاربت تكمل؟

عروضه من المتقارب، والشعر للكميت بن زيد الأسدي، والغناء لمعقل بن عيسى أخي أبي دلف العجلي، ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر، وهذا البتان من قصيدة مدح الكميت بهما عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاصي بن أمية.

أخبرني الحين بن علي قال: حدثني الحسن بن عليل العنزي، عن علي بن هشام، عن محمد بن عبد الأعلى بن كناسة: قال: كان بين بني أسد وبين طيء بالحصّ - وهي قرية من قادسية الكوفة - حرب، فاصطلحوا وبقي لطيء دماء رجلين، فاحتمل ذلك رجل من بني أسد، فمات قبل أن يؤديه، فاحتمله الكميت بن زيد، فأعانه فيه عبد الرحمن بن عنبسة، فمدحه بقوله:

أأبكاك بالعرف المنزل وما أنت والطلل المحول

فأعانه الحكم بن الصلت الثقفي، فمدحه بقصيدته التي أولها:

رأيت الغواني وحشاً نفورا

وأعانه زياد بن المغفل الأسدي، فمدحه بقصيدته التي أولها:

هل للشباب الذي قد فات من طلب؟

ثم جلس الكميت وقد خرج العطاء، فأقبل الرجل يعطي الكميت المائتين، والثلاث المائة، وأكثر وأقل، قال: وكانت دية الأعرابي حينئذ ألف بعير ودية الحضري عشرة آلاف درهم، وكانت قيمة الجمل عشرة دراهم، فأدى الكميت عشرين ألفاً عن قيمة ألفي بعير.

نسبة ما في أشعار الكميت هذه من الأغاني

صوت

منها:

هل للشباب الذي قد فات من طلب أم ليس غابره الماضي بمنقلب

دع البكاء على ما فات من طلب فالدهر يأتي بألوان من العجب

غناه إبراهيم الموصلي خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية إسحاق.

ذكر معقل بن عيسى

شاعر مغن

كان معقل بن عيسى فارساً شاعراً جواداً، مغنياً فهما بالنغم والوتر، وذكره الجاحظ مع ذكر أخيه أبي دلف وتقريظه في المعرفة بالنغم، وقال: إنه من أحسن أهل زمانه وأجود طبقته صنعة؛ إذ سلم ذلك له أخوه معقل، وإنما أخمل ذكره ارتفاع شأن أخيه، وهو القائل لأبي دلف في عتب عتبه عليه:

أخي مالك ترميني فتقصدني وإن رميتك سهماً لم يجز كبدي

أخي مالك مجبولاً على ترتي كأن أجسادنا لم تغذ من جسد

وهو القائل لمخارق، وقد كان زار أبا دلف إلى الجبل، ثم رجع إلى العراق، أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري: صوت

لعمري لئن قرت بقربك أعين لقد سخنت بالبين منك عيون

فسر أو أقم وقف عليك محبتي مكانك من قلبي عليك مصون

فما أوحش الدنيا إذا كنت نازحاً وما أحسن الدنيا بحيث تكون

عروضه من الطويل، والشعر لمعقل بن عيسى، والغناء لمخارق، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى، وفيه لحن لمعقل بن عيسى خفيف رمل، وفيه ثاني ثقيل يقال: إنه لمخارق، ويقال: إنه لمعقل.

ومن شعر معقل قوله يمتدح المعتصم، وفيه غناء للزبير بن دحمان من الثقيل الأول بالبنصر: صوت

الدار هاجك رسمها وطلولها أم بين سعدى يوم جد رحيلها

كل شجاك فقل لعينك أعولي إن كان يغني في الديار عويلها

ومحمد زين الخلائف والذي سن المكارم فاستبان سبيلها

صوت

أليس إلى أجبال شمخ إلى اللوى لوى الرمل يوماً للنفوس معاد؟

بلاد بها كنا، وكنا من أهلها إذ الناس ناس والبلاد بلاد

الشعر لرجل من عاد فيما ذكروا، والغناء لابن محرز، ولحنه من الثّقيل الأول بالبنصر عن ابن المكي، وقيل: إنه من منحوله إليه.

خبر رجل من عاد: أخبرني ابن عمار عن أبي سعد، عن محمد بن الصباح: قال: حدثنا يحيى بن سلمة بن أبي الأشهب التيمي عن الهيثم بن عديّ: قال: أخبرني حماد الرواية: قال: حدثني ابن أخت لنا من مراد: قال: وليت صدقات قوم من العرب، فبينا أنا أقسمها في أهلها إذ قال لي رجل منهم: ألا أريك عجباً؟ قلت: بلى، فأدخلني في شعب من جبل، فإذا أنا بسهم من سهام عاد، فتى قد نشب في ذروة الشعب وإذا على الجبل تجاهي مكتوب:

ألا هل إلى أبيات شمخ إلى اللوى لوى الرمل يوماً للنفوس معاد؟

بلاد بها كنا وكنا من أهلها إذ الناس ناس والبلاد بلاد

ثم أخرجني إلى ساحل البحر، وإذا أنا بحجر يعلوه الماء طوراً، ويظهر تارة، وإذا عليه مكتوب: يا بن آدم يا بن عبد ربه، اتق الله، ولا تعجل في أمرك، فإنك لن تسبق رزقك، ولن ترزق ما ليس لك، ومن البصرة إلى الديل ستمائة فرسخ، فمن لم يصدق بذلك فليمشِ الطريق على الساحل حتى يتحققه، فإن لم يقدر على ذلك فلينطح برأسه هذا الحجر.

صوت

يا بيت عاتكة الذي أتعزل حذر العدا وبه الفؤاد موكل
إني لأمنحك الصدود وإنني قسماً إليك مع الصدود لأميل

أتعزله: أتجنبه وأكون بمعزل عنه. العدا: جمع عدوّ، ويقال عدا بالضم وعدا بالكسر، وأمنحك: أعطيك. والمنيحة: العطية. وفي الحديث أن رجلاً منح بعض ولده شيئاً من ماله، فقال له النبي: أكل ولدك منحت مثل هذا؟ قال: لا، قال: فارجعه.

الشعر للأحوص بن محمد الأنصاري، من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز الغناء لمعبد ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر، عن إسحاق ويونس وغيرهما، وفيه لابن سُريج خفيف ثقيل الأول بالبنصر عن الهشامي وابن المكي وعلي بن يحيى.

الأحوص وبعض أخباره

الأحوص يعارض ابن أبي دباكل أو يسرقه: أخبرني بخبر الأحوص في هذا الشعر الحرميّ عن الزبير قال: حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي، وأخبرنا به الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن مصعب الزبيري، عن المؤملي، عن عمر بن أبي بكر الموصلي، عن عبد الله بن أبي عبيدة بن عمار بن ياسر: قال:

خرجت أنا والأحوص بن محمد مع عبد الله بن الحسن بن الحسن إلى الحج، فلما كنا بقديد قلنا لعبد الله بن الحسن: لو أرسلت إلى سليمان بن أبي دباكل، فأنشدنا شيئاً من شعره، فأرسل إليه فأتانا، فاستنشدناه، فأنشدنا قصيدته التي يقول فيها:

يا بيت خنساء الذي أتجنب ذهب الشباب وحبها لايذهب
أصبحت أمنحك الصدود وإنني قسماً إليك مع الصدود لأجنب
ما لي أحن إلى جمالك قربت وأصد عنك وأنت مني أقرب
لله درك هل لديك معول لمتيم أم هل لودك مطلب؟
فلقد رأيتك قبل ذاك وإنني لموكل بهواك أو متقرب
إذ نحن في الزمن الرخي وأنتم متجاورون كلاكم لايرقب
تبكي الحمامة شجوها فتهيجني ويروح عازب همي المتأوب
وتهب جارية الرياح من أرضكم فأرى البلاد لها تطل وتخصب
وأرى السمية باسمكم فيزيدني شوقاً إليك رجاؤك المتنسب
وأرى العدو يودكم فأوده إن كان ينسب منك أو لا ينسب

وأخالف الواشين فيك تجملاً وهم علي ذوو ضغائن دؤب

ثم اتخذتهم علي وليجة حتى غضبت ومثل ذلك يغضب

قال: فلما كان من قابل حجّ أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان، فقدم المدينة، فدخل عليه الأحوص، واستصحبه فأصحبه، فلما خرج الأحوص قال له بعض من عنده: ماذا تريد بنفسك؟ تقدم بالأحوص الشام، وبها من ينافسك من بني أبيك، وهو من الأفن والسفه على ما قد علمت فيعيبونك به. فلما رجع أبو بكر من الحج دخل عليه الأحوص متنجزاً لما وعده من الصحابة فدعا له بمائة دينار وأثواب وقال: يا خال، إني نظرت فيما سألتني من الصحابة فكرهت أن أهجم بك على أمير المؤمنين من غير إذنه، فيجبهك فيشمت بك عدوي من أهل بيتي، ولكن خذ هذه الثياب والدنانير، وأنا مستأذن لك أمير المؤمنين، فإذا أذن لك كتبت إليك، فقدمت علي، فقال له الأحوص: لا ولكن قد سبعت عندك، ولا حاجة لي بعطيتك، ثم خرج من عنده، فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز، فأرسل إلى الأحوص وهو يومئذ أمير المدينة، فلما دخل عليه أعغطاه مائة دينار، وكساه ثياباً فأخذ ذلك، ثم قال له: يا أخي هب لي عرض أبي بكر، قال: هو لك، ثم خرج الأحوص، فقال في عروض قصيدة سليمان بن أبي دباكل قصيدة مدح بها عمر بن عبد العزيز.

وقال حماد: قال أبي: سرق أبيات سليمان بأعيانها، فأدخلها في شعره، وغير قوافيها فقط، فقال:

يا بيت عاتكة الذي أتعزل حذر العدا وبه الفؤاد موكل

أصبحت أمنحك الصدود وإنني قسماً إليك مع الصدود لأميل

فصددت عنك وما صددت لبغضة أخشى مقالة كاشح لا يعقل

هل عيشنا بك في زمانك راجع فلقد تفاحش بعدك المتعلل؟

إني إذا قلت استقام يحطه حلف كما نظر الخلاف الأقبل

لو بالذي عالجت لين فؤاده فأبى يلان به للان الجندل

وتجنبي بيت الحبيب أوده أرضي البغيض به، حديث معضل

ولئن صددت لأنت لولا رقبتي أهوى من اللائي أزور وأدخل

إن الشباب وعيشنا اللذ الذي كنا به زمنا نسر ونجذل

ذهبت بشابته وأصبح ذكره حزنا يعل به الفؤاد وينهل

إلا تذكر ما مضى وصبابة منيت لقلب متيم لا يذهل

أودى الشباب وأخلقت لذاته وأنا الحزين على الشباب المعول

يبكي لما قلب الزمان جديده خلقاً وليس على الزمان معول

والرأس شامله البياض كأنه بعد السواد به الثغام المحجل

وسفيهة هبت علي بسحرة جهلاً تلوم على الثواء وتعذل

فأجبتها أن قلت لست مطاعة فذري تنصحك الذي لا يقبل

إني كفاني أن أعالج رحلة عمر ونبوة من يضن ويبخل

بنوال ذي فجر تكون سجاله عمما إذا نزل الزمان الممحل

ماض على حدث الأمور كأنه ذو رونق1 عضب جلاه الصيقل

تبدي الرجال إذا بدا إعظامه حذر البغاث هوى لهن الأجدل

فيرون أن له عليهم سورة وفضيلة سبقت له لا تجهل

متحمل ثقل الأمور حوى له سبق المكارم سابق متمهل

وله إذا نسبت قريش منهم مجد الأرومة والفعال الأفضل

وله بمكة إذ أمية أهلها إرث إذا عد القديم مؤثل

أعيت قرابته وكان لزومه أمراً أبان رشاده من يعقل

وسموت عن أخلاقهم فتركتهم لنداك إن الحازم المتحول

ولقد بدأت أريد ود معاشر وعدوا مواعد أخلفت إن حصلوا

حتى إذا رجع اليقين مطامعي بأساً وأخلفني الذين أؤمل

زايلت ما صنعوا إليك برحلة عجلي وعندك عنهم متحول

ووعدتني في حاجة فصدقتني ووفيت إذ كذبوا الحديث وبدلوا

وشكوت غرماً فادحاً فحملته عني وأنت لمثله متحمل

فلأشكرن لك الذي أوليتني شكراً تحل به المطي وترحل

مدحاً تكون لكم غرائب شعرها مبذولة ولغيركم لا تبذل

فإذا تنحلت القريض فإنه لكم يكون خيار ما أتنحل

ولعمر من حج الحجيج لبيته تهوي به قلص المطس الذمل

إن امرأً قد نال منك قرابة يبغي منافع غيرها لمضلل

تغفوا إذا جهلوا بحلمك عنهم وتنيل إن طلبوا النّوال فتجزل

وتكون معقلهم إذا لم ينجهم من شر ما يخشون إلا المعقل

حتى كأنك يتفنى بك دونهم من أشد بيئة خادر متبسل

وأرى المدينة حين صرت أميرها أمن البريء بها ونام الأعزل

فقال عمر: ما أراك أعفيتني مما استعفيت منه، قال: لأنه مدح عمر وعرض بأخيه أبي بكر.

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الأغاني صوت

ما لي أحن إذا جمالك قربت وأصدّ عنك وأنت مني أقرب؟

وأرى البلادَ إذا حللت بغيرها وحشاً وإن كانت تظل وتخصب

يا بيت خنساء الذي أتجنب ذهب الشباب وحبها لا يذهب

تبكي الحمامة شجوها فتهيجني ويروح عازب همي المتأوب

الشعر لسليمان بن أبي دباكل، والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر، عن عمرو.

وقال ابن المكّي: فيه خفيف ثقيل آخر لابن محرز، وأوله:

تبكي الحمامة شجوها فتهيجني

من هي عاتكة؟ أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد: قرأت على أبي، وقال محمد بن كناسة: حدثني أبو دكين بن زكريا بن محمد بن عمار بن ياسر: قال: رأيت عاتكة التي يقول فيها الأحوص:

يا بيت عاتكة الذي أتعزل

وهي عجوز كبيرة وقد جعلت بين عينيها هلالاً من نيلج تتملح به.

أخبرني الحرميّ عن الزبير، عن محمد بن محمد العمريّ: قال: عاتكة التي يشبّب بها الأحوص عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية أخبرني الحرميّ، عن الزبير، عن إسحاق بن عبد الملك: إن الأحوص كان ليناً، وأن عاتكة التي ينسب بها ليست عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية، وإنما هو رجل كان يترل قرى كانت بين الأشراف كنى عنه بعاتكة.

أخبرني الحرمي عن الزبيري عن يعقوب بن حكيم: قال: كان الأحوص ليناً، وكان يلزم نازلاً بالأشراف، فنهاه أخوه عن ذلك، فتركه فرقاً من أخيه، وكان يمر قريباً من خيمة النازل بالأشراف ويقول:

يا بيت عاتكة الذي أتعزّل حذر العذاوية الفؤاد موكل

يكنى عنه بعاتكة ولا يقدر أن يدخل عليه.

الفرزدق وكثير بزوران الأحوص: أخبرني الحرميّ، عن الزبيري، عن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم: قال:

حدثني عبد العزيز بن عمران: قال:
قدم الفرزدق المدينة، فقال لكثير؟ هل لك بنا في الأحوص نأتيه ونتحدث عنده؟ فقال له: وما نصنع به؟ إذا والله نجد عنده عبداً حالكاً أسود حلوكاً يؤثره علينا، ويبيت مضاجعه ليلته حتى يصبح، قال الرزدق: فقلت: إن هذا من عداوة الشعراء بعضهم لبعض، قال: فانهض بنا إليه إذاً - لا أب لغيرك - قال الفرزدق: فأردفتُ كثيراً ورائي على بغلتي، وقلت: تلفف يا أبا صخر، فمثلك لا يكون رديفاً، فخمر رأسه وألصق في وجهه، فجعلت لا أجتاز بمجلس قوم إلا قالوا: من هذا وراءك يا أبا فراس؟ فأقول: جارية وهبها لي الأمير، فلما أكثرت عليه من ذلك، واجتاز على بني زريق، وكان يبغضهم، فقلت لهم ما كنت أقول قبل ذلك، كشف عن رأسه وأومض وقال: كذب، ولكني كرهت أن أكون له رديفاً وكان حديثه لي معجباً، فركبت وراءه، و لم تكن لي دابة أركبها إلا دابته، فقالوا: لا تعجل يا أبا صخر، ههنا دواب كثيرة تركب منها ما أردت، فقال: دوابكم والله أبغض إلى من ردفه، فسكتوا عنه. وجعل يتغشم عليهم، حتى جاوز أبصارهم، فقلت: والله ما قالوا لك بأساً، فما الذي أغضبك عليهم؟ فقال: والله ما أعلم نفراً أشد تعصباً للقرشيين من نفر اجتزت بهم، قال: فقلت له: وما أنت - لا أم لك ولقريش - قال: أنا والله أحدهم، قلت: إن كنت أحدهم فأنت والله دعيهم، قال: دعيهم خير من صحيح نسب العرب، وإلا فأنا والله من أكرم بيوتهم، أنا أحد بني الصلت بن النضر، قلت: إنما قريش ولد فهر بن مالك، فقال: كذبت. فقال: ما علمك يا بن الجعراء بقريش؟ هم بنو النضر بن كنانة، ألم تر إلى النبي انتسب إلى النضر بن كنانة، و لم يكن ليجاوز أكرم نسبه، قال: فخرجنا حتى أتينا الأحوص، فوجدناه في مشربة له، فقلنا له: أنرقى إليك أم تنزل إلينا؟ قال: لا أقدر على ذلك، عندي أم جعفر، و لم أرها منذ ايام، ولي فيها شغل، فقال كثير: أم جعفر والله بعض عبيد الزرانيق فقلنا له: فأنشدنا بعض ما أحدثت به، فأنشدنا قوله:

يا بيت عاتكة الذي أتعزل حذر العدا وبه الفؤاد موكل

حتى أتى على آخرها، فقلت لكثير: قاتله الله، ما أشعره، لولا ما أفسد به نفسه، قال: ليس هذا إفساداً، هذا خسف إلى التخوم، فقلت: صدقت، وانصرفنا من عنده، فقال: أين تريد؟ فقلت: إن شئت فمترلي، وأحملك على البغلة، وأهب لك المطرف، وإن شئت فمترلك ولا أرزؤك شيئاً، فقال: بل مترلي، وأبذل لك ما قدرت عليه، وانصرفنا إلى مترله، فجعل يحدثني وينشدني حتى جاءت الظهر، فدعا لي بعشرين ديناراً وقال: استعن بهذه يا أبا فرس على مقدمك، قلت: هذا أشد من حملان بني زريق، قال: والله إنك ما تأنف من أخذ هذا من أحد، غير الخليفة، قال الفرزدق: فجعلت أقول في نفسي: تالله إنه لمن قريش، وهممت ألا أقبل منه. فدعتني نفسي - وهي طمعة - إلى أخذها منه، فأخذتها.
من هي الجعراء؟ معنى قول كثير للفرزدق: يا بن الجعراء: يعيره بدغة، وهي أم عمرو بن تميم، وبها يضرب المثل في الحماقة، فيقال: هي أحمق من دغة، وكانت حاملاً، فدخلت الخلاء، فولدت، وهي لا تعلم ما الولد، وخرجت وسلاها بين رجليها، وقد استهل ولدها، فقالت: يا جارتا، أيفتح الجعرفاه فقالت جارتها: نعم يا

حمقاء، ويدعو أباه، فبنو تميم يعيرون بذلك، ويقال للمنسوب منهم: يا بن الجعراء.

ملاحاة بينه وبين السري: أخبرني الحرمي، عن الزبير قال: حدثني سليمان بن داود المجمعي: قال: اجتاز السري بن عبد الرحمن بن عتبة بن عويمر بن ساعدة الأنصاري بالأحوص وهو ينشد قوله:

يا بيت عاتكة الذي أتعزل

فقال السري:

يا بيتعاتكة المنوة باسمه اقعد على من تحت سقفك واعجل

فواثبه الأحوص، وقال في ذلك:

فأنت وشتمي في أكاريس مالك وسبي به كالكلب إذ ينبح النجما

تداعى إلى زيد وما أنت منهم تحق أباً إلا الولاء ولا أما

وإنك لو عددت أحساب مالك وأيامها فيها ولم تنطق الرجما

أعادتك عبداً أو تنقلت كاذباً تلمس في حي سوى مالك جذما

وما أنا بالمحسوس في جذم مالك ولا بالمسمى ثم يلتزم إلا سما

ولكن أبي لو قد سألت وجدته توسط منها العز والحسب الضخما

فأجابه السري فقال:

سألت جميع هذا الخلق طرا متى كان الأحيوص من رجالي

وهي أبيات ليست بجيدة ولا مختارة، فألغيت ذكرها.

شعره يسعف دليل المنصور: أخبرني محمد بن أحمد بن الطلاس أبو الطيب، عن أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، وأخبرني به الحرمي، عن الزبير: قال: حدثني عمي - وقد جمعت روايتيهما - .

أن المنصور أمر الربيع لما حج أن يسايره برجل يعرف المدينة وأهلها وطرقها ودورها وحيطانها، فكان رجل من أهلها قد انقطع إلى الربيع زماناً، وهو رجل من الأنصار، فقال له: تهيأ فإني أظن جدك قد تحرك، إن أمير المؤمنين قد أمرني أن أسايره برجل يعرف المدينة وأهلها وطرقها وحيطانها ودورها فتحسن موافقته ولا تبتدئه بشيء حتى يسألك، ولا تكتمه شيئاً، ولا تسأله حاجة، فغدا عليه بالرجل، وصلى المنصور، فقال: يا ربيع، الرجل، فقال: ها هو ذا، فسار معه يخبره عما سأل حتى ندر من أبيات المدينة، فأقبل عليه المنصور، فقال: من أنت أولاً؟ فقال: من لا تبلغه معرفتك - هكذا ذكر الخرّاز وليس في رواية الزبير - فقال: ما لك من الأهل والولد؟ فقال: والله ما تزوجت، ولا لي خادم، قال: فأين منزلك؟ قال: ليس لي منزل، قال: فإن أمير المؤمنين قد أمر لك بأربعة آلاف درهم، فرمى بنفسه فقبل رجله، فقال له: اركب، فركب، فلما أراد الانصراف قال للربيع: يا أبا الفضل، قد أمر لي أمير المؤمنين بصلة، قال: إيه، قال: إن رأيت أن تنجزها لي، قال: هيهات، قال: فأصنع ماذا؟ قال: لا أدري

والله - وفي رواية الخراز أنه قال: ما أمر لك بشيء، ولو أمر به لدعاني، فقال: أعطه أو وقع إليّ - فقال الفتى: هذا هم لم يكن في الحساب، فلبثت أياماً، ثم قال المنصور للربيع: ما فعل الرجل؟ قال: حاضر، قال: سايرنا به الغداة، ففعل، وقال له الربيع: إنه خارج بعد غد، فاحتل لنفسك، فإنه والله إن فاتك فإنه آخر العهد به، فسار معه، فجعل لا يمكنه شيء حتى انتهى إلى مسيره، ثم رجع وهو كالمعرض عنه، فلما خاف فوته أقبل عليه فقال: يا أمير المؤمنين، هذا بيت عاتكة، قال: وما بيت عاتكة؟ قال: الذي يقول فيه الأحوص.

يا بيت عاتكة الذي أتعزل

قال: فمه، قال: إنه يقول فيها:

إن أمرأً قد نال منك وسيلة يرجو منافع غيرها لمضلل

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق الحديث يقول ما لا يفعل

فقال الزبير في خبره: فقال له: لقد رأيتك أذكرت بنفسك، يا سليمان بن مخلد، أعطه أربعة آلاف درهم، فأعطاه إياها، وقال الخرّاز في خبره: فضحك المنصور، وقال: قاتلك الله، ما أظرفك، يا ربيع أعطه ألف درهم، فقال: يا أمير المؤمنين إنها كانت أربعة آلاف درهم، فقال: ألف يحصل خير من أربعة آلاف لا تحصل.

ابن المقفع يتمثل بمطلع لاميته: وقال الخراز في خبره: حدّثني المدائني: قال: أخذ قوم من الزنادقة، وفيهم ابن لابن المقفع، فمر بهم على أصحاب المدائن، فلما رآهم ابن المقفع خشي أن يسلم عليهم فيؤخذ، فتمثل:

يا بيت عاتكة الذي أتعزل حذر العدا وبه الفؤاد مركل

الأبيات، ففطنوا لما أراد، فلم يسلموا عليه، ومضى.

هو ومعبد يردان اعتبار جارية: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن ابن شبة: قال: بلغني أن يزيد بن عبد الملك كتب إلى عامله أن يجهز إليه الأحوص الشاعر ومعبداً المغني.

فأخبرنا محمد بن خلف وكيع: قال: حدثنا عبد الله بن شبيب: قال: حدثني إسماعيل بن أبي أويس: قال: حدثني أبي: قال: حدثنا سلمة بن صفوان الزرقي، عن الأحوص الشاعر - وذكر إسماعيل بن سعيد الدمشقي - : أن الزبير بن بكار حدثه عن ابن أبي أويس، عن أبيه، عن مسلمة بن صفوان، عن الأحوص، وأخبرني به الحرمي، عن الزبير، عن عمه، عن جرير المديني المغني، وأبو مسكين: قالوا جميعاً: كتب يزيد بن عبد الملك في خلافته إلى أمير المدينة - وهو عبد الواحد بن عبد الله النصري - أن يحمل إليه الأحوص الشاعر ومعبداً المغني مولى ابن قطن قال: فجهزنا وحملنا إليه، فلما نزلنا عمان أبصرنا غديراً وقصوراً، فقعدنا على الغدير وتحدثنا وذكرنا المدينة، فخرجت جارية من بعض تلك القصور، ومعها جرة تريد أن تستقي فيها ماء، قال الأحوص: فتغنت بمدحي في عمر بن عبد العزيز:

يا بيت عاتكة الذي أتعزل

فتغنت بأحسن صوت ما سمعته قط، ثم طربت، فألقت الجرة فكسرتها، فقال معبد: غنائي والله، وقلت: شعري والله، فوثبنا إليها، وقلنا لها: لمن أنت يا جارية؟ قالت: لآل سعيد بن العاص - وفي خبر جرير المغني: لآل الوليد بن عقبة - ثم اشتراني رجل من آل الوحيد بخمسين ألف درهم، وشغف بي، فغلبته بنت عم له طرأت عليه، فتزوجها على أمري، فعاقبت مترلتها مترلتي، ثم علا مكانها مكاني، فلم تزدها الأيام إلا ارتفاعاً، و لم تزدني إلا اتضاعاً، فلم ترض منه إلا بأن أخدمها، فوكلتني باستقاء الماء، فأنا على ما تريان، أخرج أستقي الماء، فإذا رأيت هذه القصور والغدران ذكرت المدينة، فطربت إليها، فكسرت جرتي، فيعذلني أهلي، ويلومونني، قال: فقلت لها: أنا الأحوص، والشعر لي، وهذا معبد، والغناء له، ونحن ماضيان إلى أمير المؤمنين، وسنذكرك له أحسن ذكر.

وقال جرير في خبره ووافقه وكيع، ورواية عمر بن شبة: قالوا: فأنشأت الجارية تقول:

تإن تروني الغداة أسعى بجر ... أستقي الماء نحو هذا الغدير

فلقد كنت في رخاء من العي ... ش وفي كل نعمة وسرور

ثم قد تبصران ما فيه أمسي ... ت وماذا إليه صار مصيري

فإلى الله أشتكي ما ألاقي ... من هوان وما يجن ضميري

أبلغا عني الإمام وما يع ... رف صدق الحديث غير الخبير

أنني أضرب الخلائق بالعو ... د وأحكاهم ببم وزير

فلعل الإله ينقذ مما ... أنا فيه فإنني كالأسير

ليتني مت يوم فارقت أهلي ... وبلادي فزرت أهل القبور

فاسمعا ما أقول لقاكما ... الله نجاحاً في أحسن التيسير

فقال الأحوص من وقته: صوت

إن زين الغدير من كسر الجر ... ر وغنى غناء فحل مجيد

قلت: من أنت يا ظعين فقالت: ... كنت فيما مضى لآل الوليد

وفي رواية الدمشقي:

قلت: من أين يا خلوب فقالت: ... كنت فيما مضى لآل سعيد

ثم أصبحت بعد حي قريش ... في بني خالد لآل الوحيد

فغنائي لمعبد ونشيدي ... لفتى الناس الأحوص الصنديد

فتباكيت ثم قلت: أنا الأح ... وص والشيخ معبد فأعيدي

فأعادت لنا بصوت شجي يترك الشيخ في الصبا كالوليد

وفي رواية أبي زيد:

فأعادت فأحسنت ثم ولت تتهادى فقلت قول عميد

يعجز المال عن شراك ولكن أنت في ذمة الهمام يزيد

ولك اليوم ذمتي بوفاء وعلى ذاك من عظام العهود

أن سيجري لك الحديث بصوت معبدي يرد حبل الوريد

يفعل الله ما يشاء فظني كل خير بنا هناك وزيدي

قالت القينة الكعاب: إلى ال له أموري وأرتجي تسديد

غناه معبد ثاني ثقيل بالبنصر من رواية حبش والهشامي وغيرهما، وهي طريقة هذا الصوت، وأهل العلم بالغناء لا يصححونه لمعبد.

قال الأحوص: وضع فيه معبد لحناً فأجاده، فلما قدمنا على يزيد قال: يا معبد أسمعني أحدث غناء غنيت وأطراه، فغناه معبد:

إن زين الغدير من كسر الجر وغنى غناء فحل مجيد

فقال يزيد: إن لهذا لقصة فأخبراني بها، فأخبراه، فكتب لعامله بتلك الناحية: إن لآل فلان جارية، من حالها "ذيت وذيت"، فاشترها بما بلغت، فاشتراها بمائة ألف درهم، وبعث بها هدية، وبعث معها بألطاف كثيرة، فلما قدمت على يزيد رأى فضلاً بارزعاً فأعجب بها، وأجازها، وأخدمها، وأقطعها، وأفرد لها قصراً، قال: فوالله ما برحنا حتى جاءتنا منها جوائز وكساً وطرف.

يزيد بن عمر بن هبيرة يتمثل بشعره عند النكسة: وقال الزبير في خبره عن عمه: قال: أظن القصة كلها مصنوعة، وليس يشبه الشعر شعر الأحوص، ولا هو من طرازه، وكذلك ذكر عمر بن شبة في خبره.

أخبرني الحرمي، عن الزبير قال:

سمعت هشام بن عبد الله بن عكرمة يحدث عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: قال: كنت مع يزيد بن عمر بن هبيرة ليلة الفرات، فلما انهزم الناس التفت إلي فقال: يا أبا الحارث، أمسينا والله وهم كما قال الأحوص:

أبكي لما قلب الزمان جديده خلقاً وليس على الزمان معول

بيتان من شعره يؤذنان بزوال الدولة الأموية: أخبرني الحرمي عن الزبير عن محمد بن محمد العمري: أن عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية رئيت في النوم قبل ظهور دولة بني العباس على بني أمية كأنها عريانة ناشرة شعرها تقول:

أين الشباب وعيشنا اللد الذي كنا به زمناً نسر ونجذل

ذهبت بشاشته وأصبح ذكره حزناً يعل به الفراد وينهل

فتأول الناس ذلك بزوال دنيا بني أمية، فكان كما قالوا: أخبرني بهذا الخبر الحسن بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الجمحي، عن شيخ من قريش: أنه رأى في النوم امرأة من ولد عثمان بن عفان على منايم على دار عثمان المقبلة على المسجد، وهي حاسرة في يديها عود وهي تضرب به وتغني:

أين الشباب وعيشنا اللذ الذي كنا به يوماً نسر ونجذل

ذهبت بشاشته وأصبح ذكره حزناً يعل به الفؤاد وينهل

قال: فما لبثنا إلا يسيراً حتى خرج الأمر عن أيديهم، وقتل مروان.

قال إسحاق: المنامة: الدكان وجمعها منايم.

صوت

يا هند إنك لو علم ت بعاذلين تتابعا

قالا فلم أسمع لما قالا وقلت بل اسمعا

هند أحب إلي من مالي وروحي فارجعا

ولقد عصيت عواذلي وأطغت قلباً موجعا

الشعر لعبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام، والغناء لابن سريج، ولحنه فيه لحنان أحدهما من القدر الأوسط من الثقيل، الأول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق والآخر رمل بالوسطى عن عمرو، وفيه خفيف ثقيل، ذكر أبو العبيس أنه لابن سريج وذكر الهشامي وابن المكي أنه للغريض، وذكر حبش أن لإبراهيم فيه رملاً آخر بالبنصر، وقال أحمد بن عبيد: الذي صح فيه ثقيل الأول وخفيفه ورمله، وذكر إبراهيم أن فيه لحناً لابن عباد.

ذكر عبد الله بن الحسن بن الحسن

عليهم السلام ونسبه وأخباره وخبر هذا الشعر

نسبه

عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب - عليهم السلام - وقد مضى نسبه في أخبار عمه الحسين صلوات الله عليه في شعره الذي يقول فيه:

لعمرك إنني لأحب دارا تحل بها سكينة والرباب

ويكنى عبد الله بن الحسن أبا محمد، وأم عبد الله بن الحسن فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله، وأمها الجرباء بنت قسامة بن رومان عن طيء.

سميت جدته الجرباء لحسنها: أخبرني أحمد بن سعيد: قال: حدثنا يحيى بن الحسن: قال: إنما سميت الجرباء لحسنها، كانت لا تقف إلى جنبها امرأة، وإن كانت جميلة إلا استقبح منظرها لجمالها، وكان النساء يتحامين أن يقفن إلى جنبها، فشبهت بالناقة الجرباء التي تتوقاها الإبل مخافة أن تعديها.

وكانت أم إسحاق من أجمل نساء قريش وأسوئهن خلقاً، ويقال: إن نساء بني تيم كانت لهن حظوة عند أزواجهت على سوء أخلاقهن، ويروى أن أم إسحاق كانت ربما حملت وولدت وهي لا تكلم زوجها.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمه بذلك: قال: وقد كانت أم إسحاق عند الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قبل أخيه الحسين رضي الله عنه، فلما حضرته الوفاة دعا بالحسين صلوات الله عليه فقال له: يا أخي إني أرضى هذه المرأة لك، فلا تخرجن من بيوتكم، فإذا انقضت عدتها فتزوجها. فلما توفي الحسن عنها تزوجها الحسين رضي الله عنه، وقد كانت ولدت من الحسن رضي الله عنه ابنه طلحة بن الحسن، فهو أخو فاطمة لأمها وابن عمها، وقد درج طلحة ولا عقب له.

جمال وسوء خلق: ومن طرائف أخبار التيميات من نساء قريش في حظوتهن وسوء أخلاقهن ما أخبرنا به الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن محمد بن عبد الله. قال:

كانت أم سلمة بنت محمد بن طلحة عند عبد الله بن الحسن وكانت تقسو عليه قسوة عظيمة وتغلظ، له، ويفرق منها ولا يخالفها، فرأى يوماً منها طيب نفس، فأراد أن يشكو إليها قسوتها، فقال لها: يا بنت محمد، قد أحرق والله قلبي... فحددت له النظر، وجمعت وجهها وقالت له: أحرق قلبك ماذا؟ فخافها فلم يقدر على أن يقول لها: سوء خلقك، فقال لها: حب أبي بكر الصديق، فأمسكت عنه.

وتزوج الحسن بن الحسن فاطمة بنت الحسين في حياة عمه، وهو - رضي الله عنه - زوجه إياها.

زواجه فاطمة بنت الحسين: أخبرني الطّوسي والحرمي، عن الزبير، عن عمه بذلك، وحدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن عن إسماعيل بن يعقوب قال: حدثني جدي عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن، قال: حدثني جدي عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن، قال: خطب الحسن بن الحسن إلى عمه الحسين - صلوات الله عليه - وسأله أن يزوجه إحدى ابنتيه، فقال له الحسن رضي الله عنه: اختر يا بني أحبهما إليك، فاستحيا الحسن، و لم يحر جواباً، فقال له الحسين رضي الله عنه: فإني اخترت منهما لك ابنتي فاطمة، فهي أكثر شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرني الطوسي والحرمي عن الزبير عن عمه مصعب: إن الحسن لما خيره عمه اختار فاطمة، وكانوا يقولون: إن امرأة، سكينة مردودتها، لمنقطعة القرين في الجمال.

أخبرني الطوسي والحرمي بن أبي العلاء، عن الزبير بن بكار، وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي، عن أحمد بن يحيى وأحمد بن زهير، عن الزبير، وأخبرني أحمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسن، عن الزبير بن بكار واللفظ للحسن بن علي، وخبره أتم: قال: قال الزبير: حدثني عمي مصعب و لم يذكر أحداً.

ليس لمخضوب البنان يمين: وأخبرني محمد بن يحيى عن أيوب، عن عمر بن أبي الموالي قال الزبير: وحدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن يوسف بن الماجشون، وقد دخل حديث بعضهم في بعض حديث الآخرين: أن الحسن بن الحسن لما حضرته الوفاة جزع، وجعل يقول: إني لأجد كرباً ليس إلا هو كرب الموت، وأعاد ذلك دفعات، فقال له بعض أهله: ما هذا الجزع، تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جدك وعلى علي والحسن والحسين - صلوات الله عليهم - وهم آباؤك؟ فقال: لعمري إن الأمر لكذلك، ولكن كأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان حين أموت وقد جاء في مضرجتين أو ممصرتين وهو يرجل جمته يقول: أنا من بني عبد مناف جئت لأشهد ابن عمي، وما به إلا أن يخطب فاطمة بنت الحسين، فإذا جاء فلا يدخل علي، فصاحت فاطمة: أتسمع؟ قال: نعم، قالت: أعتقت كل مملوك لي، وتصدقت بكل ملك لي إن أنا تزوجت بعدك أحداً أبداً، قال: فسكن الحسن وما تنفّس ولا تحرك حتى قضى، فلما ارتفع الصياح أقبل عبد الله على الصفة التي ذكرها الحسن، فقال بعض القوم: ندخله. وقال بعضهم: لا يدخل، وقال قوم: لا يضر دخوله، فدخل وفاطمة تصك وجهها، فأرسل إليها وصيفاً كان معه، فجاء يتخطى الناس حتى دنا منها فقال لها: يقول لك مولاي أبقي على وجهك فإن لنا فيه أرباً، قال: فأرسلت يدها في كمها واختمرت وعرف ذلك منها، فما لطمت وجهها حتى دفن صلوات الله عليه. فلما انقضت عدتها خطبها فقالت: فكيف لي بنذري ويميني؟ فقال: نخلف عليك بكل عبد عبدين، وبكل شيء شيئين، ففعل وتزوجته، وقد قيل في تزويجه إيها غير هذا.

أخبرني به أحمد بن محمد بن إسماعيل الهمدانيّ، عن يحيى بن الحسن العلويّ عن أخيه أبي جعفر، عن إسماعيل بن يعقوب، عن محمد بن عبد الله البكري: أن فاطمة لما خطبها عبد الله أبت أن تتزوجه، فحلفت عليها أمها لتتزوجنه، وقامت في الشمس، وآلت لا تبرح حتى تتزوجه، فكرهت فاطمة أن تحرج، فتزوجته.

وكان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخ أهله وسيداً من ساداتهم ومقدماً فيهم فضلاً وعلماً وكرماً، وحبسه أبو جعفر المنصور في الهاشمية بالكوفة لما خرج عليه ابناه محمد وإبراهيم فمات في الحبس، وقيل: إنه سقط عليه وقيل غير ذلك.

كان من أجمل الناس وأفضلهم: أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسن عن علي بن أحمد الباهلي: قال: سمعت مصعباً الزبيري يقول: انتهى كل حسن إلى عبد الله بن حسن، وكان يقال: من أحسن الناس؟ فيقال: عبد الله بن الحسن، ويقال: من أفضل الناس؟ فيقال عبد الله بن الحسن.

حدثني محمد بن الحسن الخثعمي الأشناني والحسن بن علي السلولي قالا: حدثنا عباد بن يعقوب قال: حدثنا تلميذ

بن سليمان، قال: رأيت عبد الله بن الحسن، وسمعته يقول: أنا أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولدتني بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين.

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن، عن إسماعيل بن يعقوب، عن عبد الله بن موسى، قال: أول من اجتمعت له ولادة الحسن رضي الله عنه والحسين - صلوات الله عليهما - عبد الله بن الحسن رضي الله عنه: حدثني محمد بن الحسن الأشناني، عن عبد الله بن يعقوب، عن بندقة بن محمد بن حجازة الدهان قال: رأيت عبد الله بن الحسن، فقلت: هذا والله سيد الناس، كان مكسواً نوراً من قرنه إلى قدمه.

قال علي بن الحسين: وقد روي ذلك في أخبار أبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنه، وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي رضي الله عنه.

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسن، عن القاسم بن عبد الرزاق: قال: جاء منظور بن زيان الفزاري إلى حسن بن حسن - وهو جده أبو أمه - فقال له: لعلك أحدثت بعدي أهلاً، قال: نعم، تزوجت بنت عمي الحسين بن علي - رضي الله عنهما - قال: بئسما صنعت، أما علمت أن الأرحام إذا التقت أضوت، كان ينبغي أن تتزوج في الغرب، قال: فإن الله جل وعز قد رزقني منها ولداً، قال: أرنيه، فأخرج إليه عبد الله بن الحسن فسر به، وقال: أنجبت، هذا والله ليث غاب ومعدو عليه، قال: فإن الله تعالى قد رزقني منها ولداً ثانياً، قال: فأرنيه، فأخرج إليه حسن بن حسن بن حسن، فسر به، وقال: أنجبت، وهذا دون الأول، قال: فإن الله قد رزقني منها ولداً ثالثاً، قال: فأرنيه. فأراه إبراهيم بن الحسن.

غمزة ترحى بها شفاعة: حدثني أبو عبيد محمد بن أحمد الصيرفي: قال: حدثنا محمد بن علي بن خلف قال: حدثنا عمر بن عبد الغفار قال: حدثنا سعيد بن أبان القرشي قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز، فدخل عبد الله بن الحسن عليه، وهو يومئذ شاب في إزار ورداء، فرحب به وأدناه وحياه، وأجلسه إلى جنبه وضاحكه، ثم غمز عكنة من بطنه، وليس في البيت حينئذ إلا أموي، فقيل له: ما حملك على غمز بطن هذا الفتى؟ قال: إني لأرجو بها شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم.

يعطي جائزة: حدثني عمر بن عبد الله بن جميل العتكي، عن عمر بن شبة، عن إسماعيل بن جعفر الجعفري: قال: حدثني سعيد بن عقبة الجهني: قال: إني لعند عبد الله بن الحسن إذ أتاني آت، فقال: هذا رجل يدعوك، فخرجت، فإذا أنا بأبي عدي الشاعر الأموي، فقال: أعلم أبا محمد، فخرج إليه عبد الله، وهم خائفون، فأمر له بأربعمائة دينار، وهند بمائتي دينار، فخرج بستمائة دينار. وقد روى مالك بن أنس عن عبد الله بن الحسن الحديث.

كان يسدل شعره: حدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن قال: حدثنا علي بن أحمد الباهلي عن مصعب بن عبد الله قال: سئل مالك عن السدل قال: رأيت من يرضى بفعله؛ عبد الله بن الحسن يفعله، والسبب في حبس عبد الله بن الحسن وخروج ابنيه وقتلهما يطول ذكره. وقد أتى عمر بن شبة منه بما لا يزيد عليه أحد

إلا اليسير، ولكن من أخباره ما يحسن ذكره ها هنا فنذكره.

السبب في حبسه وقتل ابنيه: أخبرني عمر بن عبد الله العتكي عن عمر بن شبة، قال: حدثني موسى بن سعيد بن عبد الرحمن وأيوب بن عمر عن إسماعيل بن أبي عمرو قالوا: لما بنى أبو العباس بناءه بالأنبار الذي يدعى الرصافة: رصافة أبي العباس قال لعبد الله بن الحسن: ادخل فانظر ودخل معه، فلما رآه تمثل:

ألم تر حوشباً أمسى يبني ... بناء نفعه لبني نفيلة

يؤمل أن يعمر عمر نوح ... وأمر الله يحدث كل ليلة

فاحتمله أبو العباس و لم يبكته بها.

أخبرني عمي عن ابن شبة عن يعقوب بن القاسم عن عمرو بن شهاب، وحدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن عن الزبير عن محمد بن الضحاك عن أبيه قالوا: إن أبا العباس كتب إلى عبد الله بن الحسن في تغيب ابنيه:

أريد حياته ويريد قتلي ... عذيرك من خليلك من مراد

قال عمر بن شبة: وإنما كتب بها إلى محمد، قال عمر بن شبة: فبعثوا إلى عبد الرحمن بن مسعود مولى أبي حنين، فأجابه:

وكيف يريد ذاك وأنت منه ... بمنزلة النياط من الفؤاد

وكيف يريد ذاك وأنت منه ... وزندك حين تقدح من زناد

وكيف يريد ذاك وأنت منه ... وأنت لهاشم رأس وهاد

أخبرني عمر بن عبد الله بن شبة عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليهم السلام عن الحسن بن زيد عن عبد الله بن الحسن قال: بينا أنا في سمر أبي العباس، وكان إذا تثاءب أو ألقى المروحة من يده قمنا، فألقاها ليلة فقمنا، فأمسكني فلم يبق غيري، فأدخل يده تحت فراشه، وأخرج إضبارة كتب وقال: اقرأ يا أبا محمد، فقرأت فإذا كتاب من محمد بن هشام بن عمرو التغلبي يدعوه إلى نفسه، فلما قرأته قلت له: يا أمير المؤمنين، لك عهد الله وميثاقه ألا ترى منهما شيئاً تكرهه ما كانا في الدنيا.

أخبرنا العتكي عن ابن شبة عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمر، عن عبد الله بن عبدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: لما استخلف أبو جعفر ألح في طلب محمد والمسألة عنه، وعمن يؤويه، فدعا بني هاشم رجلاً رجلاً، فسألهم عنه، فكلهم يقول: قد عليم أمير المؤمنين أنك قد عرفته بطلب هذا الشأن قبل اليوم، فهو يخافك على نفسه، ولا يريد لك خلافاً، ولا يحب لك معصية، إلا الحسن بن زيد فإنه أخبره خبره، فقال: والله ما آمن وثوبه عليك، وأنه لا ينام فيه فر رأيك فيه قال ابن أبي عبيدة: فأيقظ من لا ينام.

أخبرني عمر بن عبد الله بن شبة عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن محمد بن عمران عن عقبة بن سلم: إن أبا جعفر دعاه فسأله عن اسمه ونسبه، فقال: أنا عقبة بن سلم بن نافع بن الأزدهاني، قال: إني أرى لك هيئة وموضعاً، وإني لأريدك لأمر أنا به معني، قال: أرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين، قال: فأخف شخصك، وائتني في يوم كذا وكذا، فأتيته، فقال: إن بني عمنا هؤلاء قد أبوا إلا كيداً بملكنا، ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا وكذا، يكاتبونهم، ويرسلون إليهم بصدقات وألطاف، فاذهب حتى تأتيهم متنكراً بكتاب تكتبه عن أهل تلك القرية، ثم تسير ناحيتهم، فإن كانوا نزعوا عن رأيهم علمت ذلك، وكنت على حذر منهم حتى تلقى عبد الله بن الحسن متخشعاً، وإن جبهك - وهو فاعل - فاصبر وعاوده أبداً حتى يأنس بك، فإذا ظهر لك ما في قلبه فاعجل إلي، ففعلذلك، وفعل به حتى أنس عبد الله بناحيته، فقاله له عقبة: الجواب، فقال له: أما الكتاب فإني لا أكتب إلى أحد، ولكن أنت كتابي إليهم، فأقرئهم السلام، وأخبرهم أن ابني خارج لوقت كذا وكذا، فشخص عقبة حتى قدم على أبي جعفر، فأخبره الخبر.

أخبرني العتكي عن عمر بن محمد بن يحيى بن الحارث بن إسحاق، قال: سأل أبو جعفر عبد الله بن الحسن عن ابنيه لما حج، فقال: لا أعلم بهما حتى تغالظا، فأمضه، أبو جعفر، فقال له: يا أبا جعفر، بأي أمهاتي تمضني؟ أبخديجة بنت خويلد أم بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بفاطمة بنت الحسين - عليهم السلام - أم بأم إسحاق بنت طلحة؟ قال: لا ولا بواحدة منهن، ولكن بالجرباء بنت قسامة فوثب المسيب بن زهير، فقال: يا أمير المؤمنين، دعني أضرب عنق ابن الفاعلة، فقام زياد بن عبد الله، فألقى عليه رداءه، وقال: يا أمير المؤمنين، هبه لي، فأنا المستخرج لك ابنيه، فتخلصه منه.

قال ابن شبة: وحدثني بكر بن عبد الله مولى أبي بكر، عن علي بن رباح أخي إبراهيم بن رباح، عن صاحب المصلى: قال: إني لواقف على رأس أبي جعفر وهو يتغذى بأوطاس، وهو متوجه إلى مكة، ومعه على مائدته عبد الله بن الحسن وأبو الكرام الجعفري وجماعة من بني العباس، فأقبل على عبد الله بن الحسن، فقال: يا أبا محمد؛ محمد وإبراهيم أراهما قد استوحشا من ناحيتي، وإني لأحب أن يأنسا بي ويأتياني فأصلهما وأزوجهما، وأخلطهما بنفسي، قال: وعبد الله يطرق طويلاً، ثم يرفع رأسه ويقول: وحقك يا أمير المؤمنين مالي بهما ولا بموضعهما من البلاد علم، ولقد خرجا عن يدي، فيقول: لا تفعل يا أبا محمد، اكتب إليهما وإلى من يوصل كتابك إليهما، قال: وامتنع أبو جعفر عن عامة غداته ذلك اليوم إقبالاً على عبد الله، وعبد الله يحلف أنه لا يعرف موضعهما، وأبو جعفر يكرر عليه: لا تفعل يا أبا محمد.

قال ابن شبة: فحدثني محمد بن عباد عن السندي بن شاهك:

أن أبا جعفر قال لعقبة بن سلم: إذا فرغنا من الطعام فلحظتك فامثل بين يدي عبد الله، فإنه سيصرف بصره عنك، فدر حتى تغمز ظهره بإبهام رجلك، حتى يملأ عينيه منك، ثم حسبك وإياك أن يراك ما دام يأكل، ففعل ذلك عقبة، فلما رآه عبد الله وثب حتى جثا بين يدي أبي جعفر، وقال: يا أمير المؤمنين أقلني أقالك الله، قال: لا

أقالني الله إن أقلتك، ثم أمر بحبسه.

قال ابن شبة، فحدثني أيوب بن عمر، عن محمد بن خلف المخزومي قال: أخبرني العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال: لما حج أبو جعفر في سنة أربعين ومائة أتاه عبد الله وحسن ابنا حسن، فإنهما وإياي لعنده، وهو مشغول بكتاب ينظر فيه إذ تكلم المهدي فلحن فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين، ألا تأمر بهذا من يعدل لسانه، فإنه يفعل فعل الأمة، فلم يفهم، وغمزت عبد الله فلم ينتبه، وعاد لأبي جعفر فأحفظ من ذلك، وقال له: أين ابنك؟ قال: لا أدري، قال: لتأتيني به، قال: لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه، قال: يا ربيع فمر به إلى الحبس.

زوجته هند بنت أبي عبيدة: أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسن قال: توفي عبد الله في محبسه بالهاشمية وهو ابن خمس وسبعين سنة في سنة خمس وأربعين ومائة وهند التي عناها عبد الله في شعره الذي فيه الغناء زوجته هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب.

وكان أبو عبيدة جواداً وممدحاً، وكانت هند قبل عبد الله بن الحسن تحت عبد الله بن عبد الملك بن مروان، فمات عنها.

فأخبرني الحرمي عن الزبير عن سليمان بن عياش السعدي قال: لما توفي أبو عبيدة وجدت ابنته هند وجداً شديداً، فكلم عبد الله بن الحسن محمد بن بشير الخارجي أن يدخل على هند بنت أبي عبيدة، فيعزيها ويؤسيها عن أبيها، فدخل معه عليها، فلما نظر إليها صاح بأبعد صوته.

قومي اضربي عينيك يا هند لن تري ... أباً مثله تسمو إليه المفاخر

وكنت إذا أسبلت فوقك والدا ... تزيني كما زان اليدين الأساور

فصكت وجهها، وصاحت بحرها وجهدها، فقال له عبد الله بن الحسن: ألهذا دخلت؟ فقال الخارجي: وكيف أعزي عن أبي عبيدة وأنا أعزى به!.

أخبرني العتكي، عن شبة: قال: حدثني عبد الرحمن بن جعفر بن سليمان، عن علي بن صالح، قال: زوج عبد الملك بن مروان ابنه عبد الله هند بنت أبي عبيدة وريطة بنت عبد الله بن عبد المدان لما كان يقال إنه كائن في أولادهما، فمات عنهما عبد الله أو طلقهما، فتزوج هنداً عبد الله بن الحسن، وتزوج ريطة محمد بن علي، فجاءت بأبي العباس السفاح.

أخبرني العتكي عن عمر بن شبة عن ابن داجة عن أبيه قال: لما مات عبد الله بن عبد الملك رجعت هند بميراثها منه، فقال عبد الله بن حسن لأمه فاطمة: اخطبي علي هنداً، فقالت: إذاً تردك، أتطمع في هند وقد ورثت ما ورثته، وأنت ترب لا مال لك؟ فتركها ومضى إلى أبي عبيدة أبي هند، فخطبها إليه، فقال: في الرحب والسعة، أما مني فقد زوجتك، مكانك لا تبرح، ودخل على هند، فقال: يا بنية، هذا عبد الله بن حسن، أتاك خاطباً، قالت: فما قلت له؟ قال: زوجته. قالت: أحسنت. قد أجزت ما صنعت، وأرسلت إلى عبد الله: لا تبرح حتى

تدخل على أهلك. قال: فتزينت له فبات بها معرساً من ليلته، ولا تشعر أمه، فأقام سبعاً، ثم أصبح يوم سابعه غادياً على أمه وعليه ردع الطيب، وفي غير ثيابه التي تعرف، فقالت له: يا بني، من أين لك هذا؟ قال: من عند التي زعمت أنها لا تريدني.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وعمي عبد العزيز بن أحمد بن بكار: قالا: حدثنا الزبير: قال: حدثتني ظبية مولاة فاطمة: قالت: كان جدك عبد الله بن مصعب يستنشدني كثيراً أبيات عبد الله بن حسن ويعجب بها:

إن عيني تعودت كحل هند جمعت كفها مع الرفق لينا

صوت

يا عيد مالك من شوق وإيراق ومر طيف على الأهوال طراق

يسري على الأين والحيات محتفياً نفسي فداؤك من سار على ساق

عروضه من البسيط: العيد: ما اعتاد الإنسان من هم أو شوق أو مرض أو ذكر. والأين والأيم: ضرب من الحيات. والأين: الإعياء أيضاً، وروى أبو عمرو:

يا عيد قلبك من شوق وإيراق

الشعر لتأبط شراً، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالوسطى من رواية يحيى المكي وحبش وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى إلى ابن محرز.

أخبار تأبط شراً ونسبه

نسبه ولقبه

هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عميثل بن عدي بن كعب بن حزن. وقيل: حرب بن تميم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار.

وأمه امرأة يقال لها: أميمة، يقال: إنها من بني القين بطن من، فهم ولدت خمسة نفر: تأبط شراً، وريش بلغب، وريش نسر، وكعب جدر، ولا بواكي له، وقيل: إنها ولدت سادساً اسمه عمرو.

وتأبط شراً لقب لقب به، ذكر الرواة أنه كان رأى كبشاً في الصحراء، فاحتمله تحت إبطه، فجعل يبول عليه طول طريقه، فلما قرب من الحي ثقل عليه الكبش، فلم يقله فرمى به فإذا هو الغول، فقال له قومه: ما تأبطت يا ثابت؟ قال: الغول، قالوا: لقد تأبطت شراً فسمي بذلك.

وقيل: بل قالت له أمه: كل إخوتك يأتيني بشيء إذا راح غيرك، فقال لها: سآتيك الليلة بشيء، ومضى فصاد

أفاعي كثيرة من أكبر ما قدر عليه، فلما راح أتى بهن في جراب متأبطاً له، فألقاه بين يديها، ففتحته، فتساعين في بيتها، فوثبت، وخرجت، فقال لها نساء الحي: ماذا أتاك به ثابت؟ فقالت: أتاني بأفاع في جراب، قلن: وكيف حملها؟ قالت: تأبطها، قلن: لقد تأبط شراً، فلزمه تأبط شراً.

حدثني عمي قال حدثني علي بن الحسن بن عبد الأعلى عن أبي محلم بمثل هذه الحكاية وزاد فيها: أن أمه قالت له في زمن الكمأة: ألا ترى غلمان الحي يجتنون لأهليهم الكمأة، فيروحون بها؟ فقال أعطيني جرابك، حتى أجتني لك فيه، فأعطته، فملأه لها أفاعي، وذكر باقي الخبر مثل ما تقدم.

ومن ذكر أنه إنما جاءها بالغول يحتج بكثرة أشعاره في هذا المعنى، فإنه يصف لقاءه إياها في شعره كثيراً، فمن ذلك قوله:

فأصبحت الغول لي جارة ... فيا جارتا لك ما أهولا

فطالبتها بضعها فالتوت ... علي وحاولت أن أفعلا

فمن كان يسأل عن جارتي ... فإن لها باللوى منزلا

كان أحد العدائين المعدودين: أخبرني عمي عن الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني قال: نزلت على حي من فهم إخوة بني عدوان من قيس، فسألتهم عن خبر تأبط شراً، فقال لي بعضهم: وما سؤالك عنه، أتريد أن تكون لصاً؟ قلت: لا، ولكن أريد أن أعرف أخبار هؤلاء العدائين، فأتحدث بها، فقالوا: نحدثك بخبره: إن تأبط شراً كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة، فكان ينظر إلى الظباء فينتقي على نظره أسمنها، ثم يجري خلفه فلا يفوته، حتى يأخذه، فيذبحه بسيفه، ثم يشويه فيأكله.

يصف غولاً افترسها: وإنما سمي تأبط شراً لأنه - فيما حكي لنا - لقي الغول في ليلة ظلماء في موضع يقال له رحى بطسان في بلاد هذيل، فأخذت عليه الطريق فلم يزل بها، حتى قتلها، وبات عليها فلما أصبح حملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه، فقالوا له: لقد تأبطت شراً، فقال في ذلك:

تأبط شراً ثم راح أو اغتدى ... يوائم غنماً أو يشيف على ذحل

يوائم: يوافق، ويشيف: يقتدر. وقال أيضاً في ذلك:

ألا من مبلغ فتيان فهم ... بما لاقيت عند رحى بطان

وأني قد لقيت الغول تهوي ... بسهب كالصحيفة صحصحان

فقلت لها: كلانا نضوأين ... أخو سفر فخلي لي مكاني

فشدت شدة نحوي فأهوى ... لها كفي بمصقول يماني

فأضربها بلا دهش فخرت ... صريعاً لليدين وللجران

فقالت :عد، فقلت لها: رويداً مكانك إنني ثبت الجنان
فلم أنفك متكئاً عليها لأنظر مصبحاً ماذا أتاني
إذا عينان في رأس قبيح كرأس الهر مشقوق اللسان
وساقا مخدج وشواة كلب وثوب من عباء أو شنان

لم لا تنهشه الحيات؟ أخبرنا الحسين بن يحيى: قال: قرأت على حماد: وحدثك أبوك عن حمزة بن عتبة اللهبي: قال: قيل لتأبط شراً: هذه الرجال غلبتها، فكيف لا تنهشك الحيات في سراك؟ فقال: إني لأسرى البردين. يعني أول الليل، لأنها تمور خارجة من حجرتها، وآخر الليل تمور مقبلة إليها.

يبيع ثقفياً أحمق اسمه بطيلسانة:

قال حمزة: ولقي تأبط شراً ذات يوم رجلاً من ثقيف يقال له أبو وهب، كان جباناً أهوج، وعليه حلة جيدة، فقال أبو وهب لتأبط شراً: بم تغلب الرجال يا ثابت، وأنت كما أرى دميم ضئيل؟ قال: باسمي، إنما أقول ساعة ما ألقى الرجل: أنا تأبط شراً، فينخلع قلبه حتى أنال منه ما أردت، فقال له الثقفي: أقط قال: قط، قال: فهل لك أن تبيعني اسمك؟ قال: نعم، فبم تبتاعه؟ قال: بهذه الحلة وبكنيتك قال له: أفعل، ففعل، وقال له تأبط شراً لك اسمي ولي كنيتك؟، وأخذ حلته وأعطاه طمرية، ثم انصرف، وقال في ذلك يخاطب زوجة الثقفي:

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها تأبط شراً واكتنيت أبا وهب
فهبه تسمى اسمي وسميت باسمه فأين له صبري على معظم الخطب؟
وأين له بأس كبأسي وسورتي وأين له في كل فادحة قلبي؟

يخونه نشاطه أمام الحسان: قال حمزة: وأحب تأبط شراً جارية من قومه، فطلبها زماناً لا يقدر عليها، ثم لقيته ذات ليلة فأجابته وأرادها، فعجز عنها، فلما رأت جزعه من ذلك تناومت عليه فآنسته وهدأ، ثم جعل يقول:

مالك من أير سلبت الخله عجزت عن جارية رفله
تمشي إليك مشية خوزله كمشية الأرخ تريد العله

الأرخ: الأنثى من البقر التي لم تنتج. العلة تريد أن تعل بعد النهل، أي أنها قد رويت فمشيتها ثقيلة. والعل: الشرب الثاني.

لو أنها راعية في ثله تحمل قلعين لها قبله
لصرت كالهراوة العتله

قصته مع بجيلة: أخبرني الحسن بن علي عن عبد الله بن أبي سعد عن أحمد بن عمر عن أبي بركة الأشجعي قال: أغار تأبط شراً - وهو ثابت بن العميثل الفهمي، ومعه ابن براق الفهمي على بجيلة - فأطردا لهم نعماً، ونذرت

بهما بجيلة، فخرجت في آثارهما ومضيا هاربين في جبال السراة، وركبا الحزن، وعارضتهما بجيلة في السهل فسبقوهما إلى الوهط - وهو ماء لعمرو بن العاص بالطائف - فدخلوا لهما في قصبة العين، وجاءا، وقد بلغ العطش منهما، إلى العين، فلما وقفا عليها قال تأبط شراً لابن براق: أقل من الشراب فإنها ليلة طرد، قال: وما يدريك؟ قال: والذي أعدو بطيره، إني لأسمع وجيب قلوب الرجال تحت قدمي. وكان من أسمع العرب وأكيدهم. فقال له ابن براق: ذلك وجيب قلبك. فقال له تأبط شراً: والله ما وجب قط، ولا كان وجاباً، وضرب بيده عليه، وأصاخ نحو الأرض يستمع فقال: والذي أعدو بطيره، إني لأسمع وجيب قلوب الرجال، فقال له ابن براق: فأنا أنزل قبلك، فنزل فبرك وشرب وكان أكل القوم عند بجيلة شوكة، فتركوه وهم في الظلمة، ونزل ثابت، فلما توسط الماء وثبوا عليه، فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفاً، وابن براق قريب منهم لا يطمعون فيه لما يعلمون من عدوه، فقال لهم ثابت: إنه من أصلف الناس وأشدهم عجباً بعدوه، وسأقول له: أستأسر معي، فسيدعوه عجبه بعدوه إلى أن يعدو من بين أيديكم، وله ثلاثة أطلاق: أولها كالريح الهابة، والثاني كالفرس الجواد، والثالث يكبو فيه ويعثر، فإذا رأيتم منه ذلك فخذوه فإني أحب أن يصير في أيديكم كما صرت إذ خالفني و لم يقبل رأيي ونصحي له، قالوا: فافعل، فصاح به تأبط شراً: أنت أخي في الشدة والرخاء، وقد وعدني القوم أن يمنوا عليك وعلي، فاستأسر، وواسني بنفسك في الشدة، كما كنت أخي في الرخاء، فضحك ابن براق، وعلم أنه قد كادهم، وقال: مهلاً يا ثابت، أيستأسر من عنده هذا العدو؟ ثم عدا فعدا أول طلق مثل الريح الهابة كما وصف لهم، والثاني كالفرس الجواد، والثالث جعل يكبو ويعثر ويقع على وجهه. فقال ثابت: خذوه، فعدوا بأجمعهم، فلما أن نفسهم عنه شيشئاً عدا تأبط شراً في كتافه، وعارضه ابن براق، فقطع كتافه، وأفلتا جميعاً، فقال تأبط شراً قصيدته القافية في ذلك:

يا عيد مالك من شوق وإبراق ... ومر طيف على الأهوال طراق

يسري على الأين والحيات محتفياً ... نفسي فداؤك من سار على ساق

طيف ابنة الحر إذ كنا نواصلها ... ثم اجتنبت بها من بعد تفراق

لتقر عن علي السن من ندم ... إذا تذكرت يوماً بعض أخلاقي

تالله آمن أنثى بعدما حلفت ... أسماء بالله من عهد وميثاق

ممزوجة الود بينا واصلت صرمت ... الأول اللذ مضى والآخر الباقي

فالأول اللذ مضى قال مودتها ... واللذ منها هذاء غير إحقاق

تعطيك وعد أماني تغر به ... كالقطر مر على صخبآن براق

إني إذا خلة ضنت بنائلها ... وأمسكت بضعيف الحبل أحذاق

نجوت منها نجائي في بجيلة إذ ألقيت للقوم يوم الروع أرواقي

وذكرها ابن أبي سعيد في الخبر إلى آخرها.

وأما المفضل الضبي فذكر أن تأبط شرا وعمرو بن براق والشنفري - وغيره يجعل مكان الشنفري السليك بن السلكة - غزوا بجيلة فلم يظفروا منهم بغرة، وثاروا إليهم فأسروا عمراً، وكتفوه، وأفلتهم الآخران عدواً، فلم يقدروا عليهما، فلما علما أن ابن براق قد أسر قال تأبط شراً لصاحبه: امض فكن قريباً من عمرو، فإني سأتراءى لهم وأطمعهم في نفسي حتى يتباعدوا عنه، فإذا فعلوا ذلك فحل كتافه، وانجوا، ففعل ما أمره به، وأقبل تأبط شراً، حتى تراءى لبجيلة، فلما رأوه طمعوا فيه، فطلبوه، وجعل يطمعهم في نفسه، ويعدو عدواً خفيفاً يقرب فيه، ويسألهم تخفيف الفدية وإعطاءه الأمان، حتى يستأسر لهم، وهم يجيبونه إلى ذلك، ويطلبونه وهو يحضر إحضاراً خفيفاً، ولا يتباعد، حتى علا تلعة أشرف منها على صاحبيه، فإذا هما قد نجوا، ففطنت لهما بجيلة، فألحقتهما طلباً ففاتاهم، فقال: يا معشر بجيلة أأعجبكم عدو ابن براق اليوم، والله لأعدون لكم عدواً أنسيكم به عدوه، ثم عدا عدواً شديداً، ومضى وذلك قوله:

يا عيد مالك في شوق وإيراق

وأما الأمصعي فإنه ذكر فيما أخبرني به ابن أبي الأزهر عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن عمه: أن بجيلة أمهلتهم حتى وردوا الماء وشربوا وناموا، ثم شدوا عليهم، فأخذوا تأبط شراً، فقال لهم: إن ابن براق دلاني في هذا، وإنه لا يقدر على العدو لعقر في رجليه، فإن تبعتموه أخذتموه، فكتّفوا تأبط شراً، ومضوا في أثر ابن براق، فلما بعدوا عنه عدا في كتافه ففاتهم، ورجعوا.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا أبو سعيد السكري قال: حدثنا ابن الأثرم، عن أبيه. وحدثنا محمد بن حبيب، عن أبي عمرو، قالا: كان تأبط شراً يعدو على رجليه، وكان فاتكاً شديداً، فبات ليلة ذات ظلمة وبرق ورعد في قاع يقال له رحى بطان، فلقيته الغول فمازال يقاتلها ليلته إلى أن أصبح وهي تطلبه، قال: والغول: سبع من سباع الجن، وجعل يراوغها، وهي تطلبه، وتلتمس غرة منه، فلا تقدر عليه، إلى أن أصبح، فقال تأبط شراً:

ألا من مبلغ فتيان فهم بما لاقيت عند رحى بطان

بأني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان

فقلت لها: كلانا نضو أين أخوه سفر فخلي لي مكاني

فشدت شدة نحوي فأهوى لها كفي بمصقول يماني

فأضربها بلا دهش فخرت صريعاً لليدين وللجران

فقالت عد، فقلت لها: رويداً مكانك إنني ثبت الجنان

فلم أنفك متكئاً عليها ... لأنظر مصبحاً ماذا أتاني

إذا عينان في رأس قبيح ... كرأس الهر مشقوق اللسان

وساقا مخدج وشواة كلب ... وثوب من عباء أو شنان

يفر ويدع من معه: قالوا: وكان من حديثه أنه خرج غازياً يريد بجيلة هو ورجل معه، وهو يريد أن يغترهم، فيصيب حاجته، فأتى ناحية منهم، فقتل رجلاً، ثم استاق غنماً كثيرة، فنذروا به، فتبعه بعضهم على خيل، وبعضهم رجالة، وهم كثير، فلما رآهم، وكان من أبصر الناس عرف وجوههم، فقال لصاحبه: هؤلاء قوم قد عرفتهم، ولن يفارقونا اليوم حتى يقاتلونا أو يظفروا بحاجتهم، فجعل صاحبه ينظر، فيقول: ما أتبين أحداً، حتى إذا دهموهما قال لصاحبه: اشتد فإني سأمنعك مادام في يدي سهم، فاشتد الرجل، ولقيهم تأبط شراً، وجعل يرميهم حتى نفدت نبله، ثم إنه اشتد فمر بصاحبه فلم يطق شده، فقتل صاحبه، وهو ابن عم لزوجته، فلما رجع تأبط شراً وليس صاحبه معه عرفوا أنه قد قتل، فقالت له امرأته: تركت صاحبك وجئت متباطئاً، فقال تأبط شراً في ذلك:

ألا تلكما عرسي منيعة ضمنت ... من الله إثماً مستسا وعالنا

تقول :تركت صاحباً لك ضائعاً ... وجئت إلينا فارقاً متباطئا

إذا ما تركت صاحبي لثلاثة ... أو اثنتين مثلينا فلا أبت آمنا

وما كنت أباء على الخل إذا دعا ... ولا المرء يدعوني ممراً مداهنا

وكري إذا أكرهت رهطاً وأهله ... وأرضاً يكون العوض فيها عجانهنا

ولما سمعت العوص تدعو تنفرت ... عصافير رأسي من غواة فراتنا

ولم أنتظر أن يدهموني كأنهم ... ورائي نحل في الخلية واكنا

ولا أن تصيب النافذات مقاتلي ... ولم أك بالشد الذليق مداينا

فأرسلت مثنياً عن الشد واهنا ... وقلت تزحزح لا تكونن حائنا

وحثحثت مشعوف النجاء كأنه ... هجف رأى قصراً سمالاً وداجنا

من الحص هرروف يطير عفاؤه ... إذا استدرج الفيفا ومد المغابنا

أزج زلوج هزرفي زفازف ... هزف يبد الناجيات الصوافنا

فزحزحت عنهم أو تجئني منيتي ... بغبراء أو عرفاء تفري الدفائنا

كأني أراها الموت لا در درها ... إذا أمكنت أنيابها والبراثنا
وقالت لأخرى خلفها وبناتها ... حتوف تتقي مخ من كان واهنا
أخاليج وراد علي ذي محافل ... إذا نزعوا مدوا الدلا والشواطنا

وقال غيره: بل خرج تأبط شراً هو وصاحبان له، حتى أغاروا على العوص من بجيلة، فأخذوا نعماً لهم، واتبعتهم العوص، فأدركوهم، وقد كانوا استأجروا لهم رجالاً كثيرة، فلما رأى تأبط شراً ألا طاقة لهم بهم شمر وتركهما، فقتل صاحباه، وأخذت النعم، وأفلت، حتى أتى بني القين من فهم، فبات عند امرأة منهم يتحدث إليها، فلما أراد أن يأتي قومه دهنته ورجلته، فجاء إليهم وهم يبكون، فقالت له امرأته: لعنك الله تركت صاحبيك وجئت مدهناً، وإنه إنما قال هذه القصيدة في هذا الشأن، وقال تأبط شراً يرثيهما وكان اسم أحدهما عمراً:

أبعد قتيل العوص آسى على فتى ... وصاحبه أو يأمل الزاد طارق؟
أأطرد فهما آخر الليل أبتغي ... علالة يوم أن تعوق العوائق
لعمر فتى نلتم كأن رداءه ... على سرحة من سرح دومة سامق
لأطرد نهباً أو نرود بفتية ... بأيمانهم سمر القنا والعقائق
مساعرة شعث كأن عيونهم ... حريق الغضا تلفى عليها الشقائق
فعدوا شهور الحرم ثم تعرفوا ... قتيل أناس أو فتاة تعانق

محاولة قتله هو وأصحابه بالسم: قال الأثرم: قال أبو عمرو في هذه الرواية: وخرج تأبط شراً يريد أن يغزو هذيلاً في رهط، فنزل على الأحل بن قنصل - رجل من بجيلة - وكان بينهما حلف، فأنزلهم ورحب بهم، ثم إنه ابتغى لهم الذراريح ليسقيهم فيستريح منهم، ففطن له تأبط شراً، فقام إلى أصحابه، فقال: إني أحب ألا يعلم أنا قد فطنا له، ولكن سابوه حتى نحلف ألا نأكل من طعامه، ثم أغتره فأقتله لأنه إن علم حذرني - وقد كان مالأ ابن قنصل رجل منهم يقال له لكيز قتلت فهم أخاه - فاعتل عليه وعلى أصحابه فسبوه وحلفوا ألا يذوقوا من طعامه ولا من شرابه، ثم خرج في وجهه، وأخذ في بطن واد فيه النمور، وهي لا يكاد يسلم منها أحد، والعرب تسمي النمر ذا اللونين، وبعضهم يسميه السبنتي، فنزل في بطنه وقال لأصحابه: انطلقوا جميعاً فتصيدوا، فهذا الوادي كثير الأروى، فخرجوا وصادوا، وتركوه في بطن الوادي فجاءوا فوجدوه قد قتل نمراً وحده، وغزا هذيلا فغنم وأصاب، فقال تأبط شراً في ذلك:

أقسمت لا أنسى وإن طال عيشنا ... صنيع لكيز والأحل بن قنصل
نزلنا به يوماً فساء صباحنا ... فإنك عمري قد ترى أي منزل
بكى إذ رآنا نازلين ببابه ... وكيف بكاء ذي القليل المعيل

فلا وأبيك ما نزلنا بعامر ولا عامر ولا الرئيس ابن قوقل

عامر بن مالك أبو براء ملاعب الأسنة، وعامر بن الطفيل، وابن قوقل: مالك بن ثعلبة أحد بني عوف بن الخزرج - .

ولا بالشليل رب مروان قاعداً بأحسن عيش والنفاثي نوفل

رب مروان: جرير بن عبد الله البجلي. ونوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر أحد بني الديل بن بكر - .

ولا ابن وهيب كاسب الحمد والعلا ولا ابن ضبيع وسط آل المخبل

ولا ابن حليس قاعداً في لقاحه ولا ابن جري وسط آل المغفل

ولا ابن رياح بالزليفات داره رياح بن سعد لا رياح بن معقل

أولئك أعطى للولائد خلفة وأدعى إلى شحم السديف المرعبل

يتخذ من العسل مزلقاً على الجبل فينجو من موت محقق: وقال أيضاً في هذه الرواية: كان تأبط شراً يشتار عسلاً في غار من بلاد هذيل، يأتيه كل عام، وأن هذيلاً ذكرته، فرصدوه لإبان ذلك، حتى إذا جاء هو وأصحابه تدلى، فدخل الغار، وقد أغاروا عليهم فأنفروهم، فسبقوهم ووقفوا على الغار، فحركوا الحبل، فأطلع تأبط شراً رأسه، فقالوا: أصعد، فقال: ألا أراكم، قالوا: بلى قد رأيتنا. فقال: فعلام أصعد، أعلى الطلاقة أم الفداء؟ قالوا: لا شرط لك، قال: فأراكم قاتلي وآكلي جناي، لا والله لا أفعل، قال: وكان قبل ذلك نقب في الغار نقباً أعده للهرب، فجعل يسيل العسل من الغار ويثريقه، ثم عمد إلى الزق فشده على صدره ثم لصق بالعسل فلم يبرح يتزلق عليه حتى خرج سليماً وفاتهم، وبين موضعه الذي وقع فيه وبين القوم مسيرة ثلاث، فقال تأبط شراً في ذلك:

أقول للحيان وقد صفرت لهم وطابي ويومي ضيق الحجر معور

هما خطتا إما إسار ومنة وإما دم والقتل بالحر أجدر

وأخرى أصادي النفس عنها وإنها لمورد حزم إن ظفرت ومصدر

فرشت لها صدري فزل عن الصفا به جؤجؤ صلب ومتن مخصر

فخالط سهل الأرض لم يكدح الصفا به كدحه والموت خزيان ينظر

فأبت إلى فهم وما كنت آئباً وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

إذا المرء لم يحتل وقد جد جده أضاع وقاسى أمره وهو مدبر

ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلاً به الأمر إلا وهو للحزم مبصر

فذاك قريع الدهر ما كان حولاً إذا سد منه منخر جاش منخر

فإنك لو قايست باللصب حيلتي بلقمان لم يقصر بي الدهر مقصر

غارة ينتصر فيها على العوص: وقال أيضاً في حديث تأبط شراً: إنه خرج من عدة من فهم، فيهم عامر بن الأخنس، والشنفري، والمسيب، وعمرو بن براق، ومرة بن خليف، حتى بيتوا العوص وهم حي من بجيلة، فقتلوا منهم نفراً، وأخذوا لهم إبلاً، فساقوها حتى كانوا من بلادهم على يوم وليلة، فاعترضت لهم خثعم وفيهم ابن حاجز، وهو رئيس القوم، وهم يومئذ نحو من أربعين رجلاً، فلما نظرت إليهم صعاليك فهم قالوا لعامر بن الأخنس: ماذا ترى؟ قال: لا أرى لكم إلا صدق الضراب، فإن ظفرتم فذاك، وإن قتلتم كنتم قد أخذتم ثأركم، قال تأبط شراً: بأبي أنت وأمي، فنعم رئيس القوم أنت إذا جد الجد، وإذا كان قد أجمع رأيكم على هذا فإني أرى لكم أن تحملوا على القوم حملة واحدة فإنكم قليل والقوم كثير، ومتى افترقتم كثركم القوم، فحملوا عليهم فقتلوا منهم في حملتهم، فحملوا ثانية فانهزمت خثعم وتفرقت، وأقبل ابن حاجز فأسند في الجبل فأعجز، فقال تأبط شراً في ذلك:

جزى الله فتيانا على العوص أمطرت سماؤهم تحت العجاجة بالدم

وقد لاح ضوء الفجر عرضاً كأنه بلمحته إقراب أبلق أدهم

فإن شفاء الداء إدراك ذحلة صباحاً على آثار حوم عرمرم

وضاربتهم بالسفح إذ عارضتهم قبائل من أبناء قسر وخثعم

ضراباً عدا منه ابن حاجز هارباً ذرا الصخر في جوف الوجين المديم

وقال الشنفري في ذلك:

دعيني وقولي بعد ما شئت إنني سيغدي بنعشي مرة فأغيب

خرجنا فلم نعهد وقلت وصاتنا ثمانية ما بعدها متعتب

سراحين فتيان كأن وجوههم مصابيح أو لون من الماء مذهب

نمر برهو الماء صفحاً وقد طوت ثمائلنا والزاد ظن مغيب

ثلاثاً على الأقدام حتى سما بنا على العوص شعشاع من القوم محرب

فثاروا إلينا في السواد فهجهجوا وصوت فينا بالصباح المثوب

فشن عليهم هزة السيف ثابت وصمم فيهم بالحسام المسيب

وظلت بفتيان معي أتقيهم بهن قليلاً ساعة ثم جنبوا

وقد خر منهم راجلان وفارس كمي صرعناه وحوم مسلّب
يشق إليه كل ربع وقلعة ثمانية والقوم رجل ومقنب
فلما رآنا قومنا قيل أفلحوا فقلنا :اسألوا عن قائل لايكذب

وقال تأبط شراً في ذلك:

أرى قدمي وقعهما خفيف كتحليل الظليم حدا رئاله
أرى بهما عذاباً كل يوم بخثعم أو بجيلة أو ثماله

ففرق تأبط شراً أصحابه، و لم يزالوا يقاتلونهم حتى انهزمت خثعم، وساق تأبط شراً وأصحابه الإبل حتى قدم بها عليا مكة.

عود إلى سبب تسميته: وقال غيره: إنما سمي تأبط شراً ببيت قاله: وهو:

تأبط شراً ثم راح أو اغتدى يوائم غنماً أو يشيف على ذحل

غارته على مراد: قال: وخرج تأبط شراً يوماً يريد الغارة، فلقي سرحاً لمراد فأطرده، ونذرت به مراد، فخرجوا في طلبه، فسبقهم إلى قومه، وقال في ذلك:

إذا لاقيت يوم الصدق فاربع عليه و لا يهمك يوم سو
على أني بسرح بني مراد شجوتهم سباقاً أي شجو
وآخر مثله لا عيب فيه بصرت به ليوم غير زو
خفضت بساحة تجري علينا أباريق الكرامة يوم لهو

مع غلام من خثعم: أغار تأبط شراً وحده على خثعم، فبينا هو يطوف إذ مرّ بغلام يتصيد الأرانب، معه قوسه ونبله، فلما رآه تأبط شراً أهوى ليأخذه، فرماه الغلام فأصاب يده اليسرى، وضربه تأبط شراً فقتله، وقال في ذلك:

وكادت وبيت الله أطناب ثابت تقوض عن ليلى وتبكي النوائح
تمنى فتى منا يلاقي ولم يكد غلام نمته المحصنات الصرائح
غلام نمى فوق الخماسي قدره ودون الذي قد ترتجيه النواكح
فإن تك نالته خطاطيف كفه بأبيض قصال نمى وهو فادح
فقد شد في إحدى يديه كنانه يداوى لها في أسود القلب قادح

هذه الأبيات أن تكون لقوم المقتول أشبه منها بتأبط شراً - .

قالوا لها لا تنكحيه: قال: وخطب تأبط شراً امرأة من هذيل من بني سهم فقال لها قائل: لا تنكحيه، فإنه لأول نصل غداً يفقد فقال تأبط شراً:

وقالوا لها: لا تنكحيه فإنه ... لأول نصل أن يلاقي مجمعا

فلم تر من رأي فتيلاً وحاذرت ... تأيمها من لابس الليل أروعا

قليل غرار النوم أكبر همه ... دم الثأر أو يلقى كميا مقنعا

قليل ادخار الزاد إلا تعلة ... وقد نشز الشر سوف والتصق المعي

تناضله كل يشجع نفسه ... وما طبه في طرقه أن يشجعا

يبيت بمغنى الوحش حتى ألفنه ... ويصبح لا يحمى لها الدهر مرتعا

رأين فتى لا صيد وحش يهمه ... فلو صافحت إنساً لصافحنه معا

ولكن أرباب المخاض يشقهم ... إذا افتقدوه أو رأوه مشيعاً

وإني ولا علم لأعلم أنني ... سألقى سنان الموت يرشق أضلعا

على غرة أو جهرة من مكاثر ... أطال نزال الموت حتى تسعسعا

تسعسع: فني وذهب. يقال: قد تسعسع الشهر، ومنه حديث عمر رضي الله عنه حين ذكر شهر رمضان فقال: "إن هذا الشهر قد تسعسع"

وكنت أظن الموت في الحي أو أرى ... ألذ وأكرى أو أموت مقنعا

ولست أبيت الدهر إلا على فتى ... أسلبه أو أذعر السرب أجمعا

ومن يضرب الأبطال لابد أنه ... سيلقى بهم من مصرع الموت مصرعا

عود إلى فراره وترك صاحبيه:

قال: وخرج تأبط شراً ومعه صاحبان له: عمرو بن كلاب أخو المسيب، وسعد بن الأشرس وهم يريدون العارة على بجيلة فنذروا بهم، وهم في جبل ليس لهم طريق عليهم فأحاطوا بهم وأخذوا عليهم الطريق، فقاتلوهم فقتل صاحبا تأبط شراً ونجا، ولم يكد حتى أتى قومه. فقالت له امرأته وهي أخت عمرو بن كلاب إحدى نساء كعب بن علي بن إبراهيم بن رياح: هربت عن أخي وتركته وغررته، أما والله لو كنت كريماً لما أسلمته، فقال تأبط شراً في ذلك:

ألا تلكما عرشي منيعة ضمنت ... من الله خزياً مستسراً وعاهنا

وذكر باقي الأبيات.

وإنما دعا امرأته إلى أن عيرته أنه لما رجع بعد مقتل صاحبيه انطلق إلى امرأة كان يتحدث عندها، وهي من بني القين بن فهم، فبات عندها، فلما أصبح غدا إلى امرأته وهو مدهن مترجل، فلما رأته في تلك الحال علمت أين بات، فغارت عليه فعيرته.

يغير على خثعم: وذكروا أن تأبط شراً أغار على خثعم، فقال كاهن لهم: أروني أثره حتى آخذه لكم فلا يبرح حتى تأخذوه، فكفئوا على أثره قال: هذا ما لا يجوز في صاحبه الأخذ، فقال تأبط شراً:

ألا أبلغ بني فهم بن عمرو ... على طول التنائي والمقالة

مقال الكاهن الجامي لما ... رأى أثري وقد أنهبت ماله

رأى قدمي وقعهما حثيث ... كتحليل الظليم دعا رئاله

أرى بهما عذاباً كل عام ... لخثعم أو بجيلة أو ثمالة

وشر كان صب على هذيل ... إذا علقت حبالهم حباله

ويوم الأزد منهم شر يوم ... إذا بعدوا فقد صدقت قاله

فزعموا أن ناساً من الأزد ربئوا لتأبط شراً ربيئة وقالوا: هذا مضيق ليس له سبيل إليكم من غيره، فأقيموا فيه حتى يأتيكم، فلما دنا من القوم توجس، ثم انصرف، ثم عاد فنهضوا في أثره حين رأوه لا يجوز، ومر قريباً فطمعوا فيه، وفيهم رجل يقال له حاجز؛ ليث من ليوثهم سريع، فأغروه به فلم يلحقه، فقال تأبط شراً في ذلك:

تتعتعت حضني حاجز وصحابه ... وقد نبذوا خلقانهم وتشنعوا

أظن وأن صادفت وعثاً وأن جرى ... بي السهل أو متن من الأرض مهيع

أجاري ظلال الطير لو فات واحد ... ولو صدقوا قالوا له هو أسرع

فلو كان من فتيان قيس وخندف ... أطاف به القناص من حيث أفزعوا

وجاب بلاداً نصف يوم وليلة ... لآب إليهم وهو أشوس أروع

فلو كان منكم واحد لكفيته ... وما ارتجعوا لو كان في القوم مطمع

فأجابه حاجز:

فإن تك جاريت الظلال فربما ... سبقت ويوم القرن عريان أسنع

وخليت إخوان الصفاء كأنهم ... ذبائح عنز أو فحيل مصرع

تبكيهم شجو الحمامة بعدما ... أرحت ولم ترفع لهم منك إصبع

فهذي ثلاث قد حويت نجاتها وإن تنج أخرى فهي عندك أربع

خير أيامه: أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال ذكر علي بن محمد المدائني، عن ابن دأب قال: سئل تأبط شراً: أي يوم مر بك خير؟ قال: خرجت حتى كنت في بلاد بجيلة، أضاءت لي النار رجلاً جالساً إلى امرأة. فعمدت إلى سيفي فدفنته قريباً، ثم أقبلت حتى استأنست، فنبحني الكلب، فقال: ما هذا؟ فقلت: بائس. فقال: ادنه فدنوت، فإذا رجل جلحاب آدم، وإذا أضوى الناس إلى جانبه، فشكوت إليه الجوع والحاجة، فقال: اكشف تلك القصعة، فأتيت قصعة إلى جنب إبله، فإذا فيها تمر ولبن، فأكلت منه حتى شعبت، ثم خررت متناوماً، فوالله ما شئت أن أضطجع حتى اضطجع هو ورفع رجله على رجله، ثم اندفع يغني وهو يقول:

خير الليالي إن سألت بليلة ليل بخيمة بين بيش وعثر

لضجيع آنسة كأن حديثها شهد يشاب بمزجة من عنبر

وضجيع لاهية ألاعب مثلها بيضاء واضحة كظيظ المئزر

ولأنت مثلهما وخير منهما بعد الرقاد وقبل أن لم تسحري

قال: ثم انحرف فنام، ومالت فنامت: فقلت: ما رأيت كالليلة في الغرة، فإذا عشر عشراوات بين أثلاث فيها عبد واحد وأمة، فوثبت فانتضيت سيفي، وانتحيت للعبد فقتلته وهو نائم، ثم انحرفت إلى الرجل فوضعت سيفي على كبده حتى أخرجته من صلبه، ثم ضربت فخذ المرأة فجلست، فلما رأته مقتولاً جزعت، فقلت: لا تخافي، أنا خير لك منه. قال: وقمت إلى جل متاعها فرحلته على بعض الإبل أنا والأمة فما حللت عقده حتى نزلت بصعدة بني عوف بن فهر. وأعرست بالمرأة هناك وحين اضطجعت فتحت عقيرتي وغنيت:

بحليةل البجلي بت من ليلها بين الإزار وكشحها ثم الصق

بأنيسة طويت على مطويها طي الحمالة أو كطي المنطق

فإذا تقوم فصعدة في رملة لبدت بريق ديمة لم تغدق

وإذا تجيء تجيء شحب خلفها كالأيم أصعد في كثيب يرتقي

كذب الكواهن والسواحر والهنا أن لا وفاء لعاجز لا يتعقي

قال: فهذا خير يوم لقيته.

شر أيامه: وشر يوم لقيت أني خرجت، حتى إذا كنت في بلاد ثمالة أطوف، حتى إذا كنت من القفير عشياً إذا أنا بسبع خلفات فيهن عبد، فأقبلت نحوه، وكأني لا أريده وحذرني فجعل يلوذ بناقة فيها حمراء، فقلت في نفسي: والله إنه ليثق بها. فأفوق له، ووضع رجله في أرجلها وجعل يدور معها، فإذا هو على عجزها. وأرميه حين

أشرف فوضعت سهمي في قلبه فخر، وندت الناقة شيئاً وأتبعتها فرجعت فسقتهن شيئاً ثم قلت: والله لو ركبت الناقة وطردتهن، وأخذت بعثنون الحمراء فوثبت، فساعة استويت عليها كرت نحو الحي تريع وتبعتها الخلفات، وجعلت أسكنها وذهبت، فلما خشيت أن تطرحني في أيدي القوم رميت بنفسي عنها، فانكسرت رجلي، وانطلقت والذود معها. فخرجت أعرج، حتى انخنست في طرف كثيب وجازني الطلب، ونويرة صغيرة، فهويت للصغرى، وأنا أجمر، فلما نبحني الكلب نادى رجل فقال: من هذا؟ فقلت: بائس، فقال: ادنه، فدنوت وجلست وجعل يسائلني، إلى أن قال: والله إني لأجد منك ريح دم. فقلت: لا والله، ما بي دم. فوثب إلي فنفضني، ثم نظر في جعبتي فإذا السهم، فقلت: رميت العشية أرنباً فقال كذبت، هذا ريح دم إنسان، ثم وثب إلي ولا أدفع الشر عن نفسي فأوثقني كتافاً، ثم علق جعبتي وقوسي، وطرحني في كسر البيت ونام، فلما أسحرت حركت رجلي، فإذا هي صالحة وانفتل الرباط فحللته، ثم وثبت إلى قوسي وجعبتي فأخذتهما ثم هممت بقتله فقلت: أنا ضمن الرجل، وأنا أخشى أن أطلب فأدرك و لم أقتل أحداً أحب إلي، فوليت ومضيت. فوالله إني لفي الصحراء أحدث نفسي إذا أنا به على ناقة يتبعني، فلما رأيته قد دنا مني جلست على قوسي وجعبتي وأمنته، وأقبل فأناخ راحلته ثم عقلها، ثم أقبل إلي، وعهده بي عهده، فقلت له: ويلك، ما تريد مني؟ فأقبل يشتمني، حتى إذا أمكنني، وثبت عليه فما ألبثته أن ضربت به الأرض، وبركت عليه أربطه، فجعل يصيح: يا لثمالة، لم أر كاليوم. فجنبته إلى ناقته وركبتها، فما نزعت حتى أحللته في الحي، وقلت:

أغرك مني يا بن فعلة علتي	عشية أن رابت علي روائبي
وموقد نيران ثلاث فشرها	وألأمها إذا قدتها غير عازب
سلبت سلاحي بائساً وشتمتني	فيا خير مسلوب ويا شر سالب
فإن أك لم أخضبك فيها فإنها	نيوب أساويد وشول عقارب
ويا ركبة الحمراء شرة ركبة	وكادت تكون شر بكبة راكب

مخاتلة يظفر فيها:

قال: وخرج تأبط غازياً يريد الغارة على الأزد في بعض ما كان يغير عليهم وحده، فنذرت به الأزد، فأهملوا له إبلاً، وأمروا ثلاثة من ذوي بأسهم: حاجز بن أبي، وسواد بن عمرو بن مالك، وعوف بن عبد الله، أن يتبعوه حتى ينام فيأخذوه أخذاً، فكمنوا له مكمناً، وأقبل تأبط شراً فبصر بالإبل، فطردها بعض يومه. ثم تركها ونهض في شعب لينظر: هل يطلبه أحد؟ فكمن القوم حين رأوه و لم يرهم، فلما لم ير أحداً في أثره عاود الإبل فشلها يومه وليلته والغد حتى أمسى، ثم عقلها، وصنع طعاماً فأكله، والقوم ينظرون إليه في ظله، ثم هيأ مضطجعاً على النار، ثم أخمدها وزحف على بطنه ومعه قوسه، حتى دخل بين الإبل، وخشي أن يكون رآه أحد وهو لا يعلم، ويأبى إلا الحذر والأخذ بالحزم، فمكث ساعة وقد هيأ سهماً على كبد قوسه، فلما أحسو نومه أقبلوا ثلاثتهم

يؤمون المهاد الذي رأوه هيأه، فإذا هو يرمي أحدهم فيقتله، وجال الآخران، ورمى آخر فقتله، وأفلت حاجز هارباً، وأخذ سلب الرجلين، وأطلق عقل الإبل وشلها حتى جاء بها قومه، وقال تأبط في ذلك:

ترجي نساء الأزد طلعة ثابت ... أسيراً ولم يدرين كيف حويلي

فإن الألى أوصيتم بين هارب ... طريد ومسفوح الدماء قتيل

وخدت بهم حتى إذا طال وخدهم ... وراب عليهم مضجعي ومقيلي

مهدت لهم حتى إذا طاب روعهم ... إلى المهد خاتلت الضبا بختيل

فلما أحسوا النوم جاءوا كأنهم ... سباع أصابت هجمة بسليل

فقلدت سوار بن عمرو بن مالك ... بأسمر جسر القدتين طميل

فخر كأن الفيل ألقى جرانه ... عليه بريان القواء أسيل

وظل رعاع المتن من وقع حاجز ... يخر ولونهنهت غير قليل

لأبت كما آبا ولو كنت قارناً ... لجئت وما مالكت طول ذميلي

فسرك ندمانك لما تتابعا ... وأنك لم ترجع بعوص قتيل

ستأتي إلى فهم غنيمة خسلة ... وفي الأزد نوح وبلة بعويل

فقال حاجز بن أبي الأزدي يجيبه:

سألت فلم تكلمني الرسوم

وهي في أشعار الأزد.

فأجابه تأبط شراً:

لقد قال الخلي وقال خلساً ... بظهر الليل شد به العكوم

لطيف من سعاد عناك منها ... مراعاة النجوم ومن يهيم

وتلك لئن عنيت بها رداح ... من النسوان منطقها رخيم

نياق القرط غراء الثنايا ... وريداء الشباب ونعم خيم

ولكن فات صاحب بطن وهو ... وصاحبه فأنت به زعيم

أؤاخذ خطة فيها سواء ... أبيت وليل واترها نؤوم

ثأرت به وما اقترفت يداه ... فظل لها بنا يوم غشوم

تحز رقابهم حتى نزعنا ... وأنف الموت منخره رميم

وإن تقع النسور علي يوماً فلحم المعتفي لحم كريم
وذي رحم أحال الدهر عنه فليس له لذي رحم حريم
أصاب الدهر آمن مروتيه فألقاه المصاحب والحميم
مددت له يميناً من جناحي لها وفر وكافية رحوم
أواسيه على الأيام إني إذا قعدت به اللؤما ألوم

موت أخيه عمرو: ذكروا أنه لما انصرف الناس عن المستغل؛ وهي سوق كانت العرب تجتمع بها، قال عمرو بن جابر بن سفيان أخو تأبط شراً لمن حضر من قومه: لا واللات والعزى لا أرجع حتى أغير على بني عتير من هذيل، ومعه رجلان من قومه هو ثالثهما، فأطردوا إبلاً لبني عتير فأتبعهم أرباب الإبل، فقال عمرو: أنا كار على القوم ومنهنهم عنكما، فامضيا بالإبل. فكر عليهم فنهنهم طويلاً، فجرح في القوم رئيساً، ورماه رجل من بني عتير بسهم فقتله، فقالت بنو عتير: هذا عمرو بن جابر، ما تصنعون أن تلحقوا بأصحابه؟ أبعدها الله من إبل، فإنا نخشى أن نلحقهم فيقتل القوم منا، فيكونوا قد أخذوا الثأر، فرجعوا ولم يجاوزوه. وكانوا يظنون أن معه أناساً كثيراً، فقال تأبط لما بلغه قتل أخيه:

وحرمت النساء وإن أحلت بشور أو بمزج أو لصاب
حياتي أو أزور بني عتير وكاهلها بجمع ذي ضباب

إذا وقعت لكعب أو خثيم وسيار يسوغ لها شرابي
أظني ميتاً كمداً ولما أطالع طلعة أهل الكراب
ودمت مسيراً أهدي رعيلا أؤم سواد طود ذي نقاب

فأجابه أنس بن حذيفة الهذلي:

لعلك أن تجيء بك المنايا تساق لفتية منا غضاب
فتنزل في مكرهم صريعاً وتنزل طرقة الضبع السغاب
تأبط سوأة وحملت شراً لعلك أن تكون من المصاب

أخوه السمع يثأر لأخيه عمرو: ثم أن السمع بن جابر أخا تأبط شراً خرج في صعاليك من قومه يريد الغارة على بني عتير ليثأر بأخيه عمرو بن جابر، حتى إذا كان ببلاد هذيل لقي راعياً لهم، فسأله عنهم، فأخبره بأهل بيت من عتير كثير مالهم، فبيتهم، فلم يفلت منهم مخبر، واستاقوا أموالهم، فقال في ذلك السمع بن جابر:

بأعلى ذي جماجم أهل دار إذا ظعنت عشيرتهم أقاموا

طرقتهم بفتيان كرام مساعير إذا حمي المقام

متى ما أدع من فهم تجبني وعدوان الحماة لهم نظام

إصابته في غارة على الأزد: ذكروا أن تأبط شراً خرج ومعه مرة بن خليف يريدان الغارة على الأزد، وقد جعلا الهداية بينهما، فلما كانت هداية مرة نعس، فجار عن الطريق، ومضيا حتى وقعا بين جبال ليس فيها جبل متقارب، وإذا فيها مياه يصيح الطير عليها؛ وإذا البيض والفراخ بظهور الأكم، فقال تأبط شراً: هلكنا واللات يا مرة، ما وطئ هذا المكان إنس قبلنا، ولو وطئته إنس ما باضت الطير بالأرض، فاختر أية هاتيت القنتين شئت، وهما أطول شيء يريان من الجبال، فأصعد إحداهما وتصعد أنت الأخرى، فإن رأيت الحياة فألح بالثوب، وإن رأيت والموت فألح بالسيف، فإني فاعل مثل ذلك، فأقاما يومين. ثم إن تأبط شراً ألاح بالثوب، وانحدرا حتى التقيا في سفح الجبل، فقال مرة: ما رأيت يا ثابت؟ قال: دخاناً أو جراداً. قال مرة: إنك إن جزعت منه هلكنا، فقال تأبط شراً: أما أنا فإني سأخرم بك من حيث تهتدي الريح، فمكثا بذلك يومين وليلتين، ثم تبعا الصوت، فقال تأبط شراً: النعم والناس. أما والله لئن عرفنا لنقتلن، ولئن أغرنا لندركن، فأت الحي من طرف وأنا من الآخر، ثم كن ضيفاً ثلاثا، فإن لم يرجع إليك قلبك فلا رجع، ثم أغر على ما قبلك إذا تدلت الشمس فكانت قدر قامة، وموعدك الطريق. ففعلا، حتى إذا كان اليوم الثالث أغار كل واحد منهما على ما يليه، فاستاقا النعم والغنم، وطردا يوماً وليلة طرداً عنيفاً حتى أمسيا الليلة الثانية دخلا شعباً، فنحرا قلوصاً، فبينا هما يشويان إذا سمعا حساً على باب الشعب، فقال تأبط: الطلب يا مرة، إن ثبت فلم يدخل فهم مجيزون، وإن دخل فهو الطلب، فلم يلبث أن سمع الحس يدخل، فقال مرة: هلكنا، ووضع تأبط شراً يده على عضد مرة، فإذا هي ترعد، فقال: ما أرعدت عضدك إلا من قبل أمك الوابشية من هذيل، خذ بظهري، فإن نجوت نجوت، وإن قتلت وقيتك. فلما دنا القوم أخذ مرة بظهر تأبط، وحمل تأبط فقتل رجلاً، ورموه بسهم فأعلقوه فيه؛ وأفلتا جميعاً بأنفسهما، فلما أمنا وكان من آخر الليل، قال مرة: ما رأيت كاليوم غنيمة أخذت على حين أشرفنا على أهلنا، وعض مرة عضده، وكان الحي الذين أغاروا عليهم بجيلة، وأتى تأبط امرأته، فلما رأيت جراحته ولولت، فقال تأبط في ذلك:

وبالشعب إذ سدت بجيلة فجه ومن خلفه هضب صغار وجامل

شددت لنفس المرء مرة حزمه وقد نصب دون النجاء الحبائل

وقلت له: كن خلف ظهري فإنني سأفديك وانظر بعد ما أنت فاعل

فعاذ بحد السيف صاحب أمرهم وخلوا عن الشيء الذي لم يحاولوا

وأخطأهم قتلي ورفعت صاحبي على الليل لم تؤخذ عليه المخاتل

واخطأ غنم الحي مرة بعدما حوته إليه كفه والأنامل

بعض على أطرافه كيف زوله ودون الملا سهل من الأرض مائل
فقلت له: هذي بتلك وقد يرى لها ثمناً من نفسه ما يزاول
تولول سعدى أن أتيت مجرحاً إليها وقد منت علي المقاتل

وكائن أتاها هارباً قبل هذه ومن غانم فأين منك الولاول

يثبث مع قلة من أصحابه فيظفرون: فلما انقضت الأشهر الحرم خرج تأبط والمسيت بن كلاب في ستة نفر يريدون الغارة على بجيلة، والأخذ بثأر صاحبيهم عمرو بن كلاب وسعد بن الأشرس. فخرج تأبط والمسيب بن كلاب وعامر بن الأخنس وعمرو بن براق ومرة بن خليف والشنفري بن مالك، والسمع وكعب حدا رابنا جابر أخوا تأبط. فمضوا حتى أغاروا على العوص، فقتلوا منهم ثلاثة نفر: فارسين وراجلاً، وأطردوا لهم إبلاً، وأخذوا منهم امرأتين، فمضوا بما غنموا، حتى إذا كانوا على يوم وليلة من قومهم عرضت لهم خثعم في نحو من أربعين رجلاً، فيهم أبي بن جابر الخثعمي، وهو رئيس القوم، فقال تأبط: يا قوم، لا تسلموا لهم ما في أيديكم حتى تبلوا عذراً، وقال عامر بن الأخنس: عليكم بصدق الضراب وقد أدركتم بثأركم، وقال المسيب: اصدقوا القوم الحملة، وإياكم والفشل، وقال عمرو بن براق: ابذلوا مهجكم ساعة، فإن النصر عند الصبر. وقال الشنفري:

نحن الصعاليك الحماة البزل إذا لقينا لا نرى نهلل

وقال مرة بن خليف:

يا ثابت الخير ويا بن الأخنس ويا بن براق الكريم الأشوس
والشنفري عند حيود الأنفس أنا ابن حامي السرب في المغمس
نحن مساعير الحروب الضرس

وقال كعب حدار أخو تأبط:

يا قوم أما إذ لقيتم فاصبروا ولا تخيموا جزعاً فتدبروا

وقال السمع أخو تأبط:

يا قوم كونوا عندها أحرارا لا تسلموا العون ولا البكارا
ولا القناعيس ولا العشارا لخثعم وقد دعوا غرارا
ساقوهم الموت معاً أحرارا وافتخروا الدهر بها افتخاراً

فلما سمع تأبط مقالتهم قال: بأبي أنتم وأمي، نعم الحماة إذا جد الجد، أما إذا أجمع رأييكم على قتال القوم فاحملوا ولا تتفرقوا، فإن القوم أكثر منكم، فحملوا عليهم فقتلوا منهم، ثم كروا الثانية فقتلوا، ثم كروا الثالثة فقتلوا فانهزمت خثعم وتفرقت في رؤوس الجبال، ومضى تأبط وأصحابه بما غنموا وأسلاب من قتلوا، فقال تأبط من ذلك:

جزى الله فتياناً على العوص أشرقت سيوفهم تحت العجاجة بالدم

الأبيات...

وقال الشنفري في ذلك:

دعيني وقولي بعد ما شئت إنني سيفدي بنفسي مرة فأغيب

الأبيات...

وقال الشنفري أيضاً:

ألا هل أتى عنا سعاد ودونها مهامه بيد تعتلي بالصعاليك

بأنا صبحنا القوم في حر دارهم حمام المنايا بالسيوف البواتك

قتلنا بعمرو منهم خير فارس يزيد وسعدا، وابن عوف بمالك

ظللنا نفري بالسيوف رؤوسهم ونرشقهم بالنبل بين الدكادك

ينهزم أمام النساء:

قال: وخرج تأبط في سرية من قومه، فيهم عمرو بن برّاق، ومرة بن خليف، والمسيب بن كلاب، وعامر بن الأخنس، وهو رأس القوم، وكعب حدار، وريش كعب، والسمع وشريس بنو جابر إخوة تأبط شراً، وسعد ومالك ابنا الأقرع، حتى مروا ببني نفاثة بن الديل وهم يريدون الغارة عليهم، فباتوا في جبل مطل عليهم، فلما كان في وجه السحر أخذ عامر بن الأخنس قوسه، فوجد وترها مسترخياً، فجعل يوترها ويقول له تأبط: بعض حطيط وترك يا عامر، وسمعه شيخ من بني نفاثة، فقال لبنات له: أنصتن فهذه والله غارة لبني ليث - وكان الذي بينهم يومئذ متفاقماً في قتل حميصة بن قيس أخي بلعاء، وكانوا أصابوه خطأ - وكانت بنو نفاثة في غموة والحي خلوف وليس عندهم غير أشياخ وغلمان لا طباخ بهم، فقالت امراة منهم: اجهروا الكلام، والبسوا السلاح، فإن لنا عدة فواللات ما هم إلا تأبط وأصحابه. فبرزن مع نوفق وأصحابه، فلما بصر بهم قال: انصرفوا فإن القوم قد نذروا بكم، فأبوا عليه إلا الغارة فسل تأبط سيفه وقال: لئن أغرتم عليهم لأتكئن على سيفي حتى أنفذه من ظهري، فانصرفوا ولا يحسبون إلا أن النساء رجال، حتى مروا بإبل البلعاء بن قيس بقرب المنازل فأطردوها، فلحقهم غلام من بني جندع بن ليث؟ فقال: يا عامر بن الخنس، أتهاب نساء بني نفاثة وتغير على رجال بني ليث؟ هذه والله إبل لبلعاء بن قيس. فقال له عامر: أو كان رجالهم خلوفاً؟ قال: نعم، قال: أقرئ بلعاء مني

السلام، وأخبره بردي إبله، وأعلمه أني قد حبست منها بكراً لأصحابي، فإنا قد أرملنا، فقال الغلام: لئن حبست منها هلبة لأعلمنه، ولا أطرد منها بعيراً أبداً. فحمل عليه تأبط فقتله، ومضوا بالإبل إلى قومهم؛ فقال في ذلك تأبط:

ألا عجب الفتيان من أم مالك ... تقول :أراك اليوم أشعث أغبرا

تبوعاً لآثار السرية بعدما ... رأيتك براق المفارق أيسرا

فقلت لها: يومان يوم إقامة ... أهز به غصناً من البان أخضرا

ويوم أهز السيف في جيد أغيد ... له نسوة لم تلق مثلي أنكرا

يخفن عليه وهو ينزع نفسه ... لقد كنت أباء الظلامة قسورا

وقد صحت في آثار حوم كأنها ... عذارى عقيل أو بكارة حميرا

أبعد النفاثيين آمل طرقة ... وآسى على شيء إذا هو أدبرا

أكفكف عنهم صحبتي وإخالهم ... من الذل يعرا بالتلاعة أعفرا

فلو نالت الكفان أصحاب نوفل ... بمهمهة من بطن ظرء فعرعرا

ولما أبى الليثي إلا تهكماً ... بعرضي وكان العرض عرضي أوفرا

فقلت له: حق الثناء فإنني ... سأذهب حتى لم أجد متأخرا

ولما رأيت الجهل زاد لجاجة ... يقول فلا يألوك أن تتشورا

دنوت له حتى كأن قميصه ... تشرب من نضح الأخادع عصفرا

فمن مبلغ ليث بن بكر بأننا ... تركنا أخاهم يوم قرن معفرا

قال: غزا تأبط بني نفاثة بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهم خلوف، ليس في دارهم رجل، وكان الخبر قد أتى تأبط، فأشرف فوق جبل ينظر إلى الحي وهم أسفل منه، فرأته امرأة فطرح نفسه، فعلمت المرأة أنه تأبط، وكانت عاقلة، فأمرت النساء فلبسن لبسة الرجال، ثم خرجن كأنهن يطلبن الضالة، وكان أصحابه يتفلتون ويقولون: أغز، وإنما كان في سرية من بين الستة إلى السبعة، فأبى أن يدعهم، وخرج يريد هذيلاً، وانصرف عن النفاثيين، فبينا هو يتردد في تلك الجبال إذ لقي حليفاً له من هذيل، فقال له: العجب لك يا تأبط، قال: وما هو؟ قال: إن رجال بني نفاثة كانوا خلوفاً فمكرت بك امرأة، وأنهم قد رجعوا.

ففي ذلك يقول:

ألا عجب الفتيان من أم مالك ... تقول: لقد أصبحت اشعث أغبرا

وذكر باقي الأبيات المتقدمة.

وقال غيره: لا بل قال هذه القصيدة في عامر بن الأخنس الفهمي، وكان من حديث عامر بن الأخنس أنه غزا في نفر، بضعة وعشرين رجلاً، فيهم عامر بن الأخنس، وكان سيداً فيهم، وكان إذا خرج في غزو رأسهم، وكان يقال له سيد الصعاليك، فخرج بهم حتى باتوا على بني نفاثة بن عدي بن الديل ممسين، ينتظرون أن ينام الحي، حتى إذا كان في سواد الليل مر بهم راع من الحي قد أغدر، فمعه غديرته يسوقها فبصر بهم وبمكانهم، فخلى الغديرة وتبع الضراء ضراء الوادي، حتى جاء الحي فأخبرهم بمكان القوم وحيث رآهم، فقاموا فاختاروا: فتيان الحي فسلحوهم، وأقبلوا نحوهم، حتى إذا دنوا منهم قال رجل من النفاثيين: والله ما قوسي بموترة. فقالوا: فأوتر قوسك، فوضع قوسه فأوترها، فقال تأبط لأصحابه: اسكتوا، واستمع فقال: أتيتم والله، قالوا: وما ذلك؟ قال: أنا والله أسمع حطيط وتر قوس. قالوا: والله ما نسمع شيئاً، قال: بلى والله إني لأسمعه، يا قوم النجاء، قالوا: لا والله ما سمعت شيئاً، فوثب فانطلق وتركهم، ووثب معه نفر، وبيتهم بنو نفاثة فلم يفلت منهم إنسان، وخرج هو وأصحابه الذين انطلقوا معه، وقتل تلك الليلة عامر بن الأخنس.

قال ابن عمير: وسألت أهل الحجاز عن عامر بن الأخنس، فزعموا أنه مات على فراشه.

فلما رجع تأبط قالت له امرأته: تركت أصحابك، فقال حينئذ:

ألا عجب الفتيان من أم مالك تقول: لقد أصبحت أشعث أغبرا

مصرعه على يد غلام دون المحتلم: فلما رجع تأبط وبلغه ما لقي أصحابه قال: والله ما يمس رأسي غسل ولا دهن حتى أثأر بهم. فخرج في نفر من قومه، حتى عرض لهم بيتع من هذيل بين صوى جبل، فقال: اغنموا هذا البيت أولاً، قالوا: لا والله، ما لنا فيه أرب، ولئن كانت فيه غنيمة ما نستطيع أن نسوقها. فقال: إني أتفاءل أن أنزل، ووقف، وأتت به ضبع من يساره، فكرهها، وعاف على غير الذي رأى، فقال: أبشري أشبعك من القوم غداً. فقال له أصحابه: ويحك، انطلق، فوالله ما نرى أن نقيم عليها. قال: لا والله لا أريم حتى أصبح. وأتت به ضبع عن يساره فقال: أشبعك من القوم غداً. فقال أحد القوم: والله إني أرى هاتين غداً بك، فقال: لا والله لا أريم حتى أصبح. فبات، حتى إذا كان في وجه الصبح، وقد رأى أهل البيت وعدهم على النار، وأبصر سواد غلام من القوم دون المحتلم، وغدوا على القوم، فقتلوا شيخاً وعجوزاً، وحازوا جاريتين وإبلاً. ثم قال تأبط: إني قد رأيت معهم غلاماً؛ فأين الغلام الذي كان معهم؟ فأبصر أثره فاتبعه، فقال له أصحابه: ويلك دعه فإنك لا تريد منه شيئاً، فاتبعه، واستتر الغلام بقتادة إلى جنب صخرة، وأقبل تأبط يقصه وفوق الغلام سهماً حين رأى أنه لا ينجيه شيء، وأمهله حتى إذا دنا منه قفز قفزة، فوثب على الصخرة، وأرسل السهم، فلم يسمع تأبط إلا الحبضة فرفع رأسه، فانتظم السهم قلبه، وأقبل نحوه وهو يقول: لا بأس، فقال الغلام: لا بأس، والله لقد وضعته حيث تكره، وغشية تأبط بالسيف وجعل الغلام يلوذ بالقتادة، ويضربها تأبط بحشاشته، فيأخذ ما أصابت الضربة

منها، حتى خلص إليه، فقتله، ثم نزل إلى أصحابه يجر رجله، فلما رأوه وثبوا، و لم يدروا ما أصابه، فقالوا: مالك؟ فلم ينطق، ومات في أيديهم، فانطلقوا وتركوه، فجعل لا يأكل منه سبع ولا طائر إلا مات، فاحتملته هذيل، فألقته في غار يقال له غار رخمان، فقالت ريطة أخته وهي يومئذ متزوجة في بني الديل:

نعم الفتى غادرتم برخمان ثابت بن جابر بن سفيان

وقال مرة بن خليف يرثيه:

إن العزيمة و العزاء قد ثويا أكفان ميت غداً في غار رخمان

إلا يكن كرسف كفنت جيده و لا يكن كفن من ثوب كتان

فإن حراً من الأنساب ألبسه ريش الندى، و الندى من خير أكفان

وليلة رأس أفعاها إلى حجر ويوم أور من الجوزاء رنان

أمضيت أول رهط عند آخره في إثر عادية أو إثر فتيان

وقالت أم تأبط ترثيه:

وابناه و ابن الليل

مقته:

قال أبو عمر الشيباني: لا بل كان من شأن تأبط وهو ثابت بن جابر بن سفيان، وكان جريئاً شاعراً فاتكاً أنه خرج من أهله بغارة من قومه، يريدون بني صاهلة بن كاهل بن الحارث بن سعيد بن هذيل، وذلك في عقب شهر حرام مما كان يحرم أهل الجاهلية، حتى هبط صدر أدم، وخفض عن جماعة بني صاهلة، فاستقبل التلاعة، فوجد بها داراً من بني نفاثة بن عدي، ليس فيها إلا النساء، غير رجل واحد، فبصر الرجل بتأبط وخشية، وذلك في الضحى، فقام الرجل إلى النساء، فأمرهن فجعلن رؤوسهن جمماً وجعلن دروعهن أردية، وأخذن من بيوتهن عمداً كهيئة السيوف فجعلن لها حمائل، ثم تأبطنها ثم نهض ونهضن معه يغريهن كما يغري القوم، وأرمهن أن لا يبرزن خداً، وجعل هو يبرز للقوم ليروه، وطفق يغري ويصيح على القوم، حتى أفزع تأبط شراً واصحابه وهو على ذلك يغري. في بقية ليلة أو ليلتين من الشهر الحرام، فنهضوا في شعب يقال له شعب وشل، وتأبط ينهض في الشعب مع أصحابه، ثم يقف في آخرهم، ثم يقول: يا قوم لكأنما يطردكم النساء، فيصيح عليه أصحابه فيقولون: انج أدركك القوم، وتأبى نفسه، فلم يزل به أصحابه حتى مضى معهم فقال تأبط في ذلك:

أبعد النفاثيين أزجر طائراً وآسى على شيء إذا هو أدبرا

أنهنه رجلي عنهم وإخالهم من الذل يعراً بالتلاعة أعفرا

ولو نالت الكفان أصحاب نوفل بمهمهة من بين ظرء وعرعرا

قال: ثم طلعوا الصدر حين أصبحوا فوجدوا أهل بيت شاذ من بني قريم ذنب نمار فظل يراقبهم حتى أمسوا، وذلك البيت لساعدة بن سفيان أحد بني حارثة بن قريم، فحصرهم تأبط وأصحابه حتى أمسوا. قال: وقد كانت قالت وليدة لساعدة: إني قد رأيت اليوم القوم أو النفر بهذا الجبل، فبات الشيخ حذراً قائماً بسيفه بساحة أهله. وانتظر تأبط وأصحابُه أن يغفل الشيخ، وذلك آخر ليلة من الشهر الحرام فلما خشوا أن يفضحهم الصبح، و لم يقدروا على غرة مشوا إليه وغروه ببقية الشهر الحرام، وأعطوه من مواثيقهم ما أقنعه، وشكوا إليه الجوع، فلما اطمأن إليهم وثبوا عليه فقتلوه وابناً له صغيراً حين مشى. قال: ومضى تأبط شراً إلى ابن له ذي ذؤابة، كان أبوه قد أمره فارتبأ من وراء ماله، يقال له: سفيان بن ساعدة. فأقبل إليه تأبط شراً مستتراً بمجنة، فلما خشي الغلام أن يناله تأبط بسيفه وليس مع الغلام سيف، وهو مفوق سهماً، رمى مجن تأبط بحجر، فظن تأبط أنه قد أرسل سهمه، فرمى مجنه عن يده، ومشى إليه فأرسل الغلام سهمه فلم يخط لبته حتى خرج منه السهم، ووقع في البطحاء حذو القوم، وأبوه ممسك، فقال أبو الغلام حين وقع السهم: أخاطئه سفيان؟ فحرد القوم، فذلك حين قتلوا الشيخ وابنه الصغير، ومات تأبط.

فقالت أمه - وكانت امرأة من بني القين بن جسر بن قضاعة - ترثيه:

قتيل ما قتيل بني قريم إذا ضنت جمادى بالقطار

فتى فهم جميعاً غادروه مقيماً بالحريضة من نمار

وقالت أمه ترثيه أيضاً:

ويل أم طرف غادروا برخمان بثابت بن جابر بن سفيان

يجدل القرن ويروي الندمان ذو مأقط يحمي وراء الإخوان

وقالت ترثيه أيضاً: وابناه وابن الليل، ليس بزميل، شروب للقيل، رقود بالليل، وواد ذي هول، أجزت بالليل، تضرب بالذيل، برجل كالثول.

قال: وكان تأبط شراً يقول قبل ذلك:

ولقد علمت لتعدون م علي شتم كالحساكل

يأكلن أوصالاً ولح ما كالشكاعي غير جاذل

يا طير كلن فإنني سم لكن وذو دغاول

وقال قبل موته:

لعلي ميت كمداً ولما أطالع أهل ضيم فالكراب

وإن لم آت جمع بني خثيم وكاهلها برجل كالضباب

إذا وقعت بكعب أو قريم وسيار فيا سوغ الشراب

فأجابه شاعر من بني قريم:

تأبط سوأة وحملت شراً لعلك أن تكون من المصاب

لعلك أن تجيء بك المنايا تساق لفتية منا غضاب

فتصبح في مكرهم صريعاً وتصبح طرفة الضبع السغاب

فزلتم تهربون لو كرهتم تسوقون الحرائم بالنقاب

وزال بأرضكم منا غلام طليعة فتية غلب الرقاب

ونذكر ها هنا بعد أخبار تأبط شراً أخبار صاحبيه عمرو بن براق والشنفري ونبدأ بما يغني فيه من شعريهما، ونتبعه بالأخبار.

فأما عمرو بن براق فمعاً يغنى فيه من شعره قوله:

صوت

متى تجمع القلب الذكي وصارما وأنفا حميا تجتنبك المظالم

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يا لهمدان ظالم!

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها مراغمة مادام للسيف قائم

ولا صلح حتى تعثر الخيل بالقنا وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم

عروضه من الطويل، الشعر لابن براق وقيل ابن براقة. والغناء لمحمد بن إسحاق بن عمرو بن بزيع ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي.

عمرو بن براق

يسلبه حريم ماله فيسترده منه: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا السكري عن ابن حبيب قال: وأخبرنا الهمداني ثعلب، عن ابن الأعرابي، عن المفضل، قالا: أغار رجل من همدان يقال له حريم على إبل لعمرو بن براق وخيل، فذهب بها، فأتى عمرو امرأة كان يتحدث إليها ويزورها فأخبرها أن حريما أغار على إبله وخيله فذهب بها، وأنه يريد الغارة عليه، فقالت له المرأة ويحك لا تعرض لتلفات حريم فإني أخافه عليك، قال:

فخالفها، وأغار عليه، فاستاق كل شيء كان له، فأتاه حريم بعد ذلك يطلب إليه أن يرد عليه ما أخذه منه، فقال: لا أفعل، وأبى عليه، فانصرف، فقال عمرو في ذلك:

تقول سليمى لا تعرض لتلفة ... وليلك عن ليل الصعاليك نائم
وكيف ينام الليل من جل ماله ... حسام كلون الملح أبيض صارم
صموت إذا عض الكريهة لم يدع ... لها طمعاً طوع اليمين ملازم
نقدت به ألفاً وسامحت دونه ... على النقد إذ لا تستطاع الدراهم
ألم تعلم أن الصعاليك نومهم ... قليل إذا نام الدثور المسالم
إذا الليل أدجى واكفهرت نجومه ... وصاح من الإراط هام جواثم
ومال بأصحاب الكرى غالباته ... فإني على أمر الغواية حازم
كذبتم وبيت الله لا تأخذونها ... مراغمة مادام للسيف قائم
تحالف أقوام علي ليسمنوا ... وجروا علي الحرب إذا أنا سالم
أفالآن أدعى للهوادة بعدما ... أجيل على الحي المذاكي الصلادم
كأن حريماً إذا رجا أن يضمها ... ويذهب مالي يا بنة القوم حالم
متى تجمع القلب الذكي وصارماً ... وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم
ومن يطلب المال الممنع بالقنا ... يعش ذا غنى أو تخترمه المخارم
وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم ... فهل أنا في ذا يالهمدان ظالم
فلا صلح حتى تعثر الخيل بالقنا ... وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم

وأما الشنفري فإنه رجل من الأزد ثم من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد. ومما يغنى فيه من شعره قوله:

صوت

ألا أم عمرو أزمعت فاستقلت ... وما ودعت جيرانها إذ تولت
فوا ندما بانت أمامة بعدما ... طمعت فهبها نعمة قد تولت
وقد أعجبتني لا سقوطاً خمارها ... إذا ما مشت ولا بذات تلفت

غنى في هذه الأبيات إبراهيم ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانة.

أخبار الشنفري ونسبه

نسبه ونشأته في غير قومه: وأخبرني بخبره الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا أبو يحيى المؤدب وأحمد بن أبي المنهال المهلبي، عن مؤرج عن أبي هشام محمد بن هشام النميري:

أن الشنفري كان من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد بن الغوث، أسرته بنو شبابة بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان بن مفرج بن عوف بن ميدعان بن مالك بن الأزد رجلاً من فهم، أحد بني شبابة ففدته بنو شبابة بالشنفري قال: فكان الشنفري في بني سلامان بن مفرج لا تسبح إلا أحدهم حتى نازعته بنت الرجل الذي كان في حجره، وكان السلامي اتخذه ولدا وأحسن إليه وأعطاه، فقال لها الشنفري: اغسلي رأسي يا أخية وهو لا يشك في أنها أخته، فأنكرت أن يكون أخاها ولطمته، فذهب مغاضباً حتى أتى الذي اشتراه من فهم، فقال له الشنفري: اصدقني ممن أنا؟ قال: أنت من الأواس بن الحجر، فقال: أما إني لن أدعكم حتى أقتل منكم مائة بما استعبدتموني، ثم إنه مازال يقتلهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلاً، وقال الشنفري للجارية السلامية التي لطمته وقالت: لست بأخي:

ألا ليت شعري والتلهف ضلة ... بما ضربت كف الفتاة هجينها؟

ولو علمت قعسوس أنساب والدي ... ووالدها ظلت تقاصر دونها

أنا ابن خيار الحجر بيتاً ومنصذبا ... وأمي ابنة الأحرار لو تعرفينها

غارته على من نشأ فم: قال: ثم لزم الشنفري دار فهم فكان يغير على الأزد على رجليه فيمن تبعه من فهم، وكان يغير وحده أكثر من ذلك، وقال الشنفري لبني سلامان:

وإني لأهوى أن ألف عجاجتي ... على ذي كساء من سلامان أو برد

وأصبح بالعضداء أبغي سراتهم ... وأسلك خلا بين أرباع والسرد

فكان يقتل بني سلامان بن مفرج حتى قعد له رهط من الغامديين من بني الرمداء فأعجزهم فأشلوا عليه كلباً لهم يقال له حبيش ولم يضعوا له شيئاً، ومر وهو هارب بقرية يقال لها دحيس برجلين من بني سلامان بن مفرج فأرادهما ثم خشي الطلب فقال:

قتيلي فجار أنتما إن قتلتما ... بجوف دحيس أو تبالة يا اسمعا

يريد: يا هذان اسمعا، وقال فيما كان يطالب به بني سلامان:

فإلا تزرني حتفتي أو تلاقني ... أمش بدهر أو عذاف فنورا

أمشي بأطراف الحماط وتارة ... تنفض رجلي بسبطا فعصنصرا

وأبغي بني صعب بن مرب بلادهم ... وسوف ألاقيهم إن الله يسرا

ويوماً بذات الرأس أو بطن منجل ... هنالك تلقى القاصي المتغورا

يقتلونه بعد أن يسملوا عينه: قال: ثم قعد له بعد ذلك أسيد بن جابر السلاماني وخازم الفهمي بالناصف من أبيدة ومع أسيد ابن أخيه، فمر عليهم الشنفري، فأبصر السواد بالليل فرماه، وكان لا يرى سواداً إلا رماه كائناً ما كان، فشك ذراع ابن أخي أسيد إلى عضده، فلم يتكلم، فقال الشنفري: إن كنت شيئاً فقد أصبتك وإن لم تكن شيئاً فقد أمنتك، وكان خازم باطحاً: يعني منبطحاً بالطريق يرصده، فنادى أسيد: يا خازم أصلت، يعني اسلل سيفك. فقال الشنفري: لكل أصلت، فأصلت الشنفري. فقطع إصبعين من أصابع خازم الخنصر والبنصر، وضبطه خازم حتى لحقه أسيد وابن أخيه نجدة، فأخذ أسيد سلاح الشنفري وقد صرع الشنفري خازماً وابن أخي أسيد، فضبطاه وهما تحته، وأخذ أسيد برجل ابن أخيه، فقال أسيد: رجل من هذه؟ فقال الشنفري: رجلي، فقال ابن أخي أسيد: بل هي رجلي يا عم فأسروا الشنفري، وأدوه إلى أهلهم، وقالوا له: أنشدنا، فقال: إنما النشيد على المسرة، فذهبت مثلاً، ثم ضربوا يده فتعرضت، أي اضطربت فقال الشنفري في ذلك:

لا تبعدي إما ذهبت شامه ... فرب واد نفرت حمامه

ورب قرن فصلت عظامه

ثم قال له السلامي: أأطرفك؟ ثم رماه في عينه فقال الشنفري له: كأن كنا نفعل أي كذلك كنا نفعل، وكان الشنفري إذا رمى رجلاً منهم قال له: أأطرفك؟ ثم يرمي عينه. ثم قالوا له حين أرادوا قتله: أين نقبرك؟ فقال:

لا تقبروني إن قبري محرم ... عليكم ولكن أبشري أم عامر

إذا احتملت رأسي وفي الرأس أكثري ... وغودر عند الملتقى ثم سائري

هنالك لا أرجوا حياة تسرني ... سمير الليالي مبسلاً بالجرائر

تأبط شراً يرثي الشنفري:

على الشنفري سارى الغمام ورائح ... غزير الكلي، وصيب الماء باكر

عليك جزاء مثل يومك بالجبا ... وقد أرعفت منك السيوف البواتر

ويومك يوم العيكتين وعطفة ... عطفت وقد مس القلوب الحناجر

تجول ببز الموت فيهم كأنهم ... بشوكتك الحدى ضئين نوافر

فإنك لو لاقيتني بعد ما ترى ... وهل يلقين من غيبته المقابر

لألفيتني في غارة أنتمي بها ... إليك وإما راجعاً أنا ثائر

وإن تك مأسوراً وظلت مخيماً ... وأبليت حتى ما يكيدك واتر

وحتى رماك الشيب في الرأس عانساً ... وخيرك مبسوط وزادك حاضر

وأجمل موت المرء إذ كان ميتاً ولابد يوماً موته وهو صابر

فلا يبعدن الشنفري وسلاحه ال حديد وشد خطوه متواتر

إذا راع روع الموت راع وإن حمى حمى معه حر كريم مصابر

رواية أخرى في مقتله: قال: وقال غيره: لا بل كان من أمر الشنفري وسبب أسره ومقتله أن الأزد قتلت الحارث بن السائب الفهمي، فأبوا أن يبوءوا بقتله، فباء بقتله رجل منهم يقال له حزام بن جابر قبل ذلك، فمات أخو الشنفري، فأنشأت أمه تبكيه، فقال الشنفري، وكان أول ما قاله من الشعر:

ليس لوالدة هوءها ولا قولها لابنها دعدع

تطيف وتحدث أحواله وغيرك أملك بالمصرع

قال: فلما ترعرع الشنفري جعل يغير على الأزد مع فهم: فيقتل من أدرك منهم، ثم قدم منى وبها حزام بن جابر، فقيل له: هذا قاتل أبيك، فشد عليه فقتله، ثم سبق الناس على رجليه فقال:

قتلت حزاماً مهدياً بملبد ببطن منى وشط الحجيج المصوت

قال: ثم إن رجلاً من الأزد أتى أسيد بن جابر، وهو أخو حزام المقتول فقال: تركت الشنفري بسوق حباشة، فقال أسيد بن جابر: والله لئن كنت صادقاً لا نرجع حتى نأكل من جنى أليف أبيدة، فقعد له على الطريق هو وابنا حزام، فأحسوه في جوف الليل وقد نزع نعلاً ولبس نعلاً ليخفى وطأه، فلما سمع الغلامان وطأه قالا: هذه الضبع، فقال أسيد: ليست الضبع، ولكنه الشنفري، ليضع كل واحد منكما نعله على مقتله، حتى إذا رأى سوادهم نكص ملياً لينظر هل يتبعه أحد، ثم رجع حتى دنا منهم، فقال الغلامان: أبصرنا، فقال عمهما: لا والله ما أبصركما، ولكنه أطرد؛ ليكما تتبعاه، فليضع كل واحد منكما نعله على مقتله. فرماهم الشنفري فخسق في النعل و لم يتحرك المرمي، ثم رمى فانتظم ساقي أسيد، فلما رأى ذلك أقبل حتى كان بينهم، فوثبوا عليه، فأخذوه فشدوه وثاقاً، ثم إنهم انطلقوا به إلى قومهم، فطرحوه وسطهم، فتماروا بينهم في قتله، فبعضهم يقول: أخوكم وابنكم، فلما رأى ذلك أحد بني حزام ضربه ضربة فقطع يده من الكوع، وكانت بها شامة سوداء، فقال الشنفري حين قطعت يده:

لا تبعدي إما هلكت شامه فرب خرق قطعت قتامه

ورب قرن فصلت عظامه

وقال تأبط شراً يرثيه:

لا يبعدن الشنفري وسلاحه ال حديد وشد خطوه متواتر

إذا راع روع الموت راع وإن حمى حمى معه حر كريم مصابر

قال: وذرع خطو الشنفري ليلة قتل فوجد أول نزوة نزاها إحدى وعشرين خطوة، ثم الثانية سبع عشرة خطوة.

قال: وقال ظالم العامري في الشنفري وغاراته على الأزد وعجزهم عنه، ويحمد أسيد بن جابر في قتله الشنفري:

فما لكم لم تدركوا رجل شنفري وأنتم خفاف مثل أجنحة الغرب

تاديتم حتى إذا ما لحقتم تباطأ عنكم طالب وأبو سقب

لعمرك للساعي أسيد بن جابر أحق بها منكم بني عقب الكلب

قال: لوما قتل الشنفري وطرح رأسه مر به رجل منهم فضرب جمجمة الشنفري بقدمه، فعقرت قدمه فمات منها، فتمت به المائة.

من شعر الشنفري: وكان مما قاله الشنفري فيهم من الشعر وفي لطمه المرأة التي أنكرته الذي ذكرته واستغنى عن إعادته مما تقدم ذكره من شعر الشنفري، وقال الشنفري في قتله حزاماً قاتل أبيه:

أرى أم عمرو أجمعت فاستقلت وما ودعت جيرانها إذ تولت

فقد سبقتنا أم عمرو بأمرها وقد كان أعناق المطي أظلت

فواند ما على أميمة بعد ما طمعت فهيبها نعمة العيش ولت

أميمة لا يخزي نثاها حليلها إذا ذكر النسوان عفت وجلت

يحل بمنجاة من اللوم بيتها إذا ما بيوت بالملامة حلت

فقد أعجبتني، لا سقوط قناعها إذا ما مشت ولا بذات تلفت

كأن لها في الأرض نسياً تقصه إذا ما مشت وإن تحدثك تبلت

النسي: الذي يسقط من الإنسان وهو لا يدري أين هو؛ يصفها بالحياء، وأنها لا تلتفت يميناً ولا شمالاً ولا تبرج.

ويروى:

تقصه على أمها وإن تكلمك

فدقت وجلت واسبكرت وأكملت فلو جن إنسان من الحسن جنت

تبيت بعيد النوم تهدي غبوبها لجاراتها إذا الهدية قلت

الغبوب: ما غب عندها من الطعام أي بات ويروى: غبوقها

فبتنا كأن البيت حجر حولنا بريحانة راحت عشاء وطلت

بريحانة من بطن حلية أمرعت لها أرج من حولها غير مسنت

غدوت من الوادي الذي بين مشعل ... وبين الجباهيات أنسأت سربتي
أمشي على الأرض التي لن تضيرني ... لأكسب مالاً أو ألاقي حمتي
إذا ما أتتني حتفتي لم أبالها ... ولم تذر خالاتي الدموع وعمتي
وهنئ بي قوم وما إن هنأتهم ... وأصبحت في قوم وليسوا بمنبتي
وأم عيال قد شهدت تقوتهم ... إذا أطعمتهم أو تحت وأقلت
تخاف علينا الجوع إن هي أكثرت ... ونحن جياع، أي ألي تألت
عفاهية لا يقصر الستر دونها ... ولا ترتجى للبيت إن لم تبيت
لها وفضة فيها ثلاثون سلجماً ... إذا ما رأت أولى العدي اقشعرت
وتأتي العدي بارزاً نصف ساقها ... كعدو حمار العانة المتفلت
إذا فزعت طارت بأبيض صارم ... وراحت بما في جفرها ثم سلت
حسام كلون الملح صاف حديده ... جراز من أقطار الحديد المنعت
تراها كأذناب المطي صوادراً ... وقد نهلت من الدماء وعلت
سنجزي سلامان بن مفرج قرضهم ... بما قدمت أيديهم وأزلت
شفينا بعبد الله بعض غليلنا ... وعوف لدى المعدى أوان استهلت
قتلنا حزاماً مهديا بملبد ... محلهما بين الحجيج المصوت
فإن تقبلوا تقبل بمن نيل منهم ... وإن تدبروا فأم من نيل فتت
ألا لا تزرني إن تشكيت خلتي ... كفاني بأعلى ذي الحميرة عدوتي
وإني لحلو إن أريدت حلاوتي ... ومر إذا النفس الصدوف استمرت
أبي لما آبى وشيك مفيئتي ... إلى كل نفس تنتحي بمودتي

وقال الشنفري أيضاً:

ومرقبة عنقاء يقصر دونها ... أخو الضروة الرجل الخفي المخفف
نميت إلى أعلى ذراها وقد دنا ... من الليل ملتف الحديقة أسدف
فبت على حد الذراعين أحدبا ... كما يتطوى الأرقم المتعطف
قليل جهازي غير نعلين أسحقت ... صدورهما مخصورة لا تخصف

وملحفة درس وجرد ملاءة إذا أنهجت من جانب لا تكفف
وأبيض من ماء الحديد مهند مجد لأطراف السواعد مقطف
وصفراء من نبع أبي ظهيرة ترن كإرنان الجشي وتهتف
إذا طال فيها النزع تأتي بعجسها وترمي بذرويها بهن فتقذف
كأن حفيف النبل من فوق عجسها عوازب نحل أخطأ الغار مطنف
نأت أم قيس المربعين كليهما وتحذر أن ينأى بها المتصيف
وإنك لو تدرين أن رب مشرب مخوف كداء البطن أو هو أخوف
وردت بمأثور ونبل وضالة تخيرتها مما أريش وأرصف
أركبها في كل أحمر عاتر وأقذف منهن الذي هو مقرف

وتابعت فيه البري حتى تركته يزف إذا أنفذته ويزفزف
بكفي منها للبغيض عراضة إذا بعت خلاً ماله متخوف
وواد بعيد العمق ضنك جماعه بواطنه للجن والأسد مألف
تعسفت منه بعد ما سقط الندى غماليل يخشى غيلها المتعسف
وإني إذا خام الجبان عن الردى فلي حيث يخشى أن يجاوز مخسف
وإن امرأً أجار سعد بن مالك علي وأثواب الأقيصر يعنف

وقال الشنفري أيضاً:

ومستبسل ضافى القميص ضغته بأزرق لا نكس ولا متعوج
عليه نساري على خوط نبعة وفوق كعرقوب القطاة مخدرج
وقاربت من كفي ثم فرجتها بنزع إذا ما استكره النزع مخلج
فصاحت بكفي صيحة ثم رجعت أنين الأميم ذي الجراح المشجج

وقد روى: فناحت بكفي نوحة.

رواية ثالثة في مقتله: وقال غيره: لا بل كان من أمر الشنفري أنه سبت بنو سلامان بن مفرج بن مالك بن هوازن بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد الشنفري - وهو أحد بني ربيعة بن الحجر بن عمران بن عمرو بن حارثة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن بن الأزد - وهو غلام، فجعله الذي سباه في بهمة يرعاها

مع ابنة له، فلما خلا بها الشنفري أهوى ليقبلها، فصكت وجهه، ثم سعت إلى أبيها فأخبرته، فخرج إليه ليقتله، فوجده وهو يقول:

ألا هل أتى فتيان قومي جماعة ... بما لطمت كف الفتاة هجينها؟

ولو علمت تلك الفتاة مناسبي ... ونسبتها ظلت تقاصر دونها

أليس أبي خير الأواس وغيرها ... وأمي ابنة الخيرين لو تعلمينها

إذا ما أروم الود بيني وبينها ... يؤم بياض الوجه مني يمينها

قال: فلما سمع قوله سأله: ممن هو، فقال: أنا الشنفري، أخو بني الحارث بن ربيعة، وكان من أقبح الناس وجهاً، فقال له: لولا أني أخاف أن يقتلني بنو سلامان لأنكحتك ابنتي. فقال: علي إن قتلوك أن أقتل بك مائة رجل منهم، فأنكحه ابنته، وخلى سبله، فسار بها إلى قومه، فشدت بنو سلامان خلافه على الرجل فقتلوه، فلما بلغه ذلك سكت و لم يظهر جزعاً عليه، وطفق يصنع النبل، ويجعل أفواقها من القرون والعظام، ثم إن امرأته بنت السلاماني قالت له ذات يوم: لقد خست بميثاق أبي عليك، فقال:

كأن قد فلا يغررك مني تمكثي ... سلكت طريقاً بين يربغ فالسرد

وإني زعيم أن تثور عجاجتي ... على ذي كساء من سلامان أو برد

هم عرفوني ناشئاً ذا مخيلة ... أمشي خلال الدار كالفرس الورد

كأني إذا لم يمس في الحي مالك ... بتيهاء لا أهدى السبيل و لا أهدي

قال: ثم غزاهم فجعل يقتلهم، ويعرفون نبله بأفواقها في قتلاهم، حتى قتل منهم تسعة وتسعين رجلاً، ثم غزاهم غزوة، فنذروا به، فخرج هارباً، وخرجوا في إثره، فمر بامرأة منهم يلتمس الماء فعرفته، فأطعمته أقطاً ليزيد عطشاً، ثم استسقى فسقته رائباً، ثم غيبت عنه الماء، ثم خرج من عندها، وجاءها القوم فأخبرتهم خبره، ووصفت صفته وصفة نبله، فعرفوه، فرصدوه على ركي لهم، وهو ركي ليس لهم ماء غيرلاه، فلما جن عليه الليل أقبل إلى الماء، فلما دنا منه قال: إني أراكم، وليس يرى أحداً إنما يريد بذلك أن يخرج رصداً إن كان ثم، فأصاخ القوم وسكتوا. ورأى سواداً، وقد كانوا أجمعوا قبل إن قتل منهم قتيل أن يمسكه الذي إلى جنبه لئلا تكون حركة، قال: فرمى لما أبصر السواد، فأصاب رجلاً فقتله، فلم يتحرك أحد، فلما رأى ذلك أمن في نفسه وأقبل إلى الركي، فوضع سلاحه، ثم انحدر فيه، فلم يرعه إلا بهم على رأسه قد أخذوا سلاحه فنزا ليخرج. فضرب بعضهم شماله فسقطت، فأخذها فرمى بها كبد الرجل، فخر عنده في القليب، فوطئ على رقبته فدقها. وقال في قطع شماله:

لا تبعدي إما ذهبت شامه ... فرب واد نفرت حمامه

ورب قرن فصلت عظامه ... ورب حي فرقت سوامه

قال: ثم خرج إليهم، فقتلوه وصلبوه، فلبث عاماً أو عامين مصلوباً وعليه من ذنره رجل، قال: فجاء رجل منهم كان غائباً، فمر به وقد سقط فركض رأسه برجله، فدخل فيها عظم من رأسه فعلت عليه فمات منها، فكان ذلك الرجل هو تمام المائة.

صوت

ألا طرقت في الدجى زينب وأحبب بزينب إذ تطرق

عجبت لزينب أنى سرت وزينب من ظلها تفرق

عروضه من المتقارب، الشعر لابن رهيمة، والغناء لخليل المعلم رمل بالبنصر، عن الهشامي وأبي أيوب المدني.

أخبار الخليل ونسبه

نسبه

هو الخليل بن عمرو، مكي، مولى بني عامر بن لؤي، مقل لا تعرف له صنعة غير هذا الصوت.

يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني القطراني المغني، عن محمد بن حسين، قال: كان خليل المعلم يلقب خليلان، وكان يؤدب الصبيان ويلقنهم القرآن والخط، ويعلم الجواري الغناء في موضع واحد، فحدثني من حضره قال: كنت يوماً عنده وهو يردد على صبي يقرأ بين يديه "ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم" ثم يلتفت إلى صبية بين يديه فيردد عليها:

اعتاد هذا القلب بلباله أن قربت للبين أجماله

فضحكت ضحكاً مفرطاً لما فعله، فالتفت إلي فقال: ويلك مالك؟ فقلت: أتنكر ضحكي مما تفعل؟ والله ما سبقك إلى هذا أحد! ثم قلت: انظر شأي شيء أخذت على الصبي من القرآن، وأي شيء هو ذا تلقي على الصبية، والله إني لأظنك ممن يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله، فقال: أرجو ألا أكون كذلك إن شاء الله.

يسيء الأزدي فهم غنائه: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال: حدثني عبد الصمد بن المعذل قال: كان خليلان المعلم أحسن الناس غناء، وأفتاهم وأفصحهم، فدخل يوماً على عقبة بن سلم الأزدي الهنائي فاحتبسه عنده، فأكل معه ثم شرب، وحانت منه التفاتة، فرأى عوداً معلقاً، فعلم أنه عرض له به، فدعا به وأخذه فغناهم:

يا بنة الأزدي قلبي كئيب مستهام عندها ما ينيب

وحانت من التفاتة فرأى وجه عقبة بن سلم متغيراً، وقد ظن أنه عرض به، ففطن لما أراد فغنى:

ألا هزئت بنا قرش ... ية يهتز موكبها

فسري عن عقبة وشرب، فلما فرغ وضع العود من حجره، وحلف بالطلاق ثلاثاً أنه لا يغني بعد يومه ذلك إلا لمن يجوز حكمه عليه.

نسبة هذين الصوتين

يا بنة الأزدي قلبي كئيب ... مستهام عندها ما ينيب

ولقد لاموا فقلت: دعوني ... إن من تنهون عنه حبيب

إنما أبلى عظامي وجسمي ... حبها والحب شيء عجيب

أيها العائب عندي هواها ... أنت تفدي من أراك تعيب

عروضه من المديد، والشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - والغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لمالك خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عنه، وفيه خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى لم ينسبه إسحاق إلى أحد، ووجدته في روايات لا أثق بها منسوباً إلى حنين، وقد ذكر يونس أن فيه لحنين ولمالك كلاهما، ولعل هذا أحدهما، وذكر حبش أن خفيف الرمل لابن سريج، وذكر الهشامي وعلي بن يحيى أن لحن مالك الآخر ثاني ثقيل، وذكر الهشامي أن فيه لطويس هزجاً مطلقاً في مجرى البنصر، وذكر عمرو بن بانة أن لمالك فيه ثقيلاً أول وخفيفه، ولمعبد خفيف ثقيل آخر: صوت

ألا هزئت بنا قرشية ... يهتز موكبها

رأت بي شيبة في الرأ ... س مني ما أغيبها

فقالت لي: ابن قيس ذا؟ ... وبعض الشيب يعجبها

لها بعل خبيث النفس ... يحصرها ويحجبها

يراني هكذا أمشي ... فيوعدها ويضربها

عروضه من الوافر، الشعر لابن قيس الرقيات، والغناء لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى وفيه ليونس ثقيل أول عن إسحاق بن إبراهيم والهشامي.

صوت

هل ما علمت وما استودعت مكتوم ... أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

أم هل كئيب بكى لم يقض عبرته ... إثر الأحبة يوم البين مشكوم

يحملن أترجة، نضخ العبير بها كأن تطيابها في الأنف مشموم

كأن فأرة مسك في مفارقها للباسط المتعاطي وهو مزكوم

كأن إبريقهم ظبي على شرف مفدم بسبا الكتان ملثوم

قد أشهد الشرب فيهم مزهر صدح والقوم تصرعهم صهباء خرطوم

الشعر لعلقمة بن عبدة، والغناء لابن سريج، وله فيه لحنان أحدهما في الأول والثاني خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق، والآخرُ رمل بالخنصر في مجرى البنصر في الخامس والسادس من الأبيات، وذكر عمرو بن بانة أن في الأربعة الأبيات الأول المتوالية لمالك خفيف ثقيل بالوسطى، وفيها ثقيل أول نسبه الهشامي إلى الغريض، وذكر حبش أن لحن الغريض ثاني ثقيل بالبنصر، وذكر حبش أن في الخامس والسادس خفيف رمل بالبنصر لابن سريج.

أخبار علقمة ونسبه

هو علقمة بن عبدة بن النعمان بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار.

واش يلقى جزاءه: وكان زيد مناة بن تميم وفد هو وبكر بن وائل - وكانا لدة عصر واحد - على بعض الملوك، وكان زيد ماة حسوداً شرهاً طعاناً، وكان بكر بن وائل خبيثاً منكراً داهياً فخاف زيد مناة أن يحظى من الملك بفائدة، ويقل معها حظه، فقال له: يا بكر لا تلق الملك بثياب سفرك، ولكن تأهب للقائه وادخل عليه في أحسن زينة، ففعل بكر ذلك، وسبقه زيد مناة إلى الملك، فسأله عن بكر، فقال: ذلك مشغول بمغازلة النساء والتصدّي لهن، وقد حدث نفسه بالتعرض لبنت الملك، فغاظه ذلك، وأمسك عنه، ونمى الخبر إلى بكر بن وائل، فدخل إلى الملك فأخبره بما دار بينه وبين زيد مناة، وصدقه عن، واعتذر إليه مما قاله فيه عذراً قبله، فلما كان من غد اجتمعا عند الملك، فقال الملك لزيد مناة: ما تحب أن أفعل بك، فقال: لا تفعل ببكر شيئاً إلا فعلت بي مثليه، وكان بكر أعور العين اليمنى، قد أصابها ماء فذهب بها، فكان لا يعلم من رآه أنه أعور، فأقبل الملك على بكر بن وائل فقال له: ما تحب أن أفعل بك يا بكر، قال: تفقأ عيني اليمنى، وتضعف لزيد مناة، فأمر بعينه العوراء ففقئت، وأمر بعيني زيد مناة ففقئتا، فخرج بكر وهو أعور بحاله، وخرج زيد مناة وهو أعمى.

سبب تسميته بعلقمة الفحل: وأخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة.

ويقال لعلقمة بن عبدة علقمة الفحل، سمي بذلك لأنه خلف على امرأة امرئ القيس لما حكمت له على امرئ القيس بأنه أشعر منه في صفة فرسة، فطلقها، فخالفه عليها، ومازالت العرب تسمية بذلك، وقال الفرزدق:

والفحل علقمة الذي كانت له حلل الملوك كلامه يتنحل

قصيدتاه سمطا الدهر: أخبرني عمي قال: حدثني النضر بن عمرو قال: حدثني أبو السوار، عن أبي عبيد الله مولى إسحاق بن عيسى، عن حماد الرواية قال: كانت العرب تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولاً، وما ردوه منها كان مردوداً، فقدم عليهم علقمة بن عبدة، فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها أن نأتك اليوم مصروم

فقالوا: هذه سمط الدهر، ثم عاد إليهم العام المقبل فأنشدهم:

طحابك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

فقالوا: هاتان سمطا الدهر.

يسرقون شعره: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك، عن حماد بن إسحاق قال: سمعت أبي يقول: سرق ذو الرمة قوله:

يطفو إذا ما تلقته الجراثيم

من قول العجاج:

إذا تلقته العقاقيل طفا

وسرقه العجاج من علقمة بن عبده في قوله:

يطفو إذا ما تلقته العقاقيل

أيهما أوصف للفرس هو أم امرئ القيس: أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري عن لقيط، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو عبيدة قال: كانت تحت امرئ القيس امرأة من طيء تزوجها حين جاور فيهم، فنزل به علقمة الفحل بن عبدة التميمي، فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أشعر منك، فتحاكما إليها، فأنشد امرؤ القيس قوله:

خليلي مرا بي على أم جندب

حتى مر بقوله:

فللسوط ألهوب وللساق درة وللزجر منه وقع أخرج مهذب

ويروى: "أهوج منعب فأنشدها علقمة قوله:

ذهبت من الهجران في غير مذهب

حتى انتهى إلى قوله:

فأدركه حتى ثنى من عنانه يمر كغيث رائح متحلب

فقالت له: علقمة أشعر منك، قال: وكيف؟ قالت: لأنك زجرت فرسك، وحركته بساقك، وضربته بسوطك. وأنه جاء هذا الصيد، ثم أدركه ثانياً من عنانه، فغضب امرؤ القيس وقال: ليس كما قلت، ولكنك هويته، فطلقها، فتزوجها علقمة بعد ذلك ، وبهذا لقب علقمة الفحل.

ربيعة بن حذار يحكم له: أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري، عن لقيط قال: تحاكم علقمة بن عبدة التميمي. والزبرقان بن بدر السعدي، والمخبل، وعمرو بن الأهتم، إلى ربيعة بن حذار الأسدي، فقال: أما أنت يا زبرقان فإن شعرك كلحم لا أنضج فيؤكل، ولا ترك نيئاً فينتفع به، وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرد حبرة يتلألأ في البصر، فكلما أعدته فيه نقص، وأما أنت يا مخبل فإنك قصرت عن الجاهلية و لم تدرك الإسلام، وأما أ،ت يا علقمة فإن شعرك كمزادة قد أحكم خرها فليس يقطر منها شيء.

بيت من أبياته يضرب المتمثل به عشرين سوطاً: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثني عمي، عن العباس بن هشام، عن أبيه قال: مر رجل من مزينة على باب رجل من الأنصار، وكان يتهم بامرأته، فلما حاذى بابه تنفس ثم تمثل:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم؟

قال: فتعلق به الرجل: فرفعه إلى عمر رضوان الله عليه، فاستعداء عليه، فقال له المتمثل: وما علي في أن أنشدت بيت شعر، فقال له عمر رضي الله عنه عنه: مالك لم تنشده قبل أن تبلغ بابه؟ ولكنك عرضت به مع ما تعلم من القالة فيه، ثم أمر به فضرب عشرين سوطاً.

صوت

فوالله لا أنسى قتيلاً رزيته بجانب قوسي ما حييت على الأرض
بلى إنها تغفو الكلوم وإنما توكل بالأدنى وإن جل ما يمضي
ولم أدر من ألقى عليه رداءه ولكنه قد بز عن ماجد محض

الشعر لأبي خراش الهذلي، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى من رواية عمرو بن بانة وذكر يحيى بن المكي أنه لابن مسجح وذكر الهشامي أنه ليحيى المكي، نحله بن مسجح، وفي أخبار معبد أن له فيه لحناً.

ذكر أبي خراش الهذلي وأخباره

أبو خراش اسمه خويلد بن مرة، أحد بني قرد، واسم قرد عمرو بن معاوية بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

شاعر فحل من شعراء المذكورين الفصحاء، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم وعاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم مدة، ومات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، نهشته أفعى فمات، وكان ممن يعدو فيسبق

الخيل في غارات قومه وحروبهم.
يتربصون به فيفلت منهم: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وعمي والحسن بن علي قالوا: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا أحمد بن عمير بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال: حدثني أبو بركة الأشجعي من أنفسهم قال: خرج أبو خراش الهذلي من أرض هذيل يريد مكة، فقال لزوجته أم خراش: ويحك إني أريد مكة لبعض الحاجة، وإنك من أفك النساء، وإن بني الديل يطلبونني بتراث فإياك وأن تذكريني لأحد من أهل مكة حتى نصدر منها! قالت: معاذ الله أن أذكرك لأهل مكة وأنا أعرف السبب.

قال: فخرج بأم خراش وكمن لحاجته وخرجت إلى السوق لتشتري عطراً أو بعض ما تشتريه النساء من حوائجهن، فجلست إلى عطار فمر بها فتيان من بني الديل، فقال أحدهما لصاحبه: أم خراش ورب الكعبة وإنها لمن إفك النساء وإن كان أبو خراش معها فستدلنا عليه، قال: فوقفا عليها فسلما وأحفيا المسألة والسلام، فقالت: من أنتما بأبي أنتما؟ فقالا: رجلان من أهلك من هذيل، قالت: بأبي أنتما. فإن أبا خراش معي ولا تذكراه لأحد، ونحن رائحون العشية، فخرج الرجلان فجمعا جماعة من فتيانهم وأخذوا مولى لهم يقال له مخلد وكان من أجود الرجال عدواً، فكمنوا في عقبة على طريقه، فلما رآهم قد لاقوه في عين الشمس قال لها: قتلتني ورب الكعبة لمن ذكرتني؟ فقالت: والله ما ذكرتك لأحد إلا لفتيين من هذيل، فقال لها: والله ما هما من هذيل ولكنهما من بني الديل وقد جلسا لي وجمعا علي جماعة من قومهم فاذهبي أنت فإذا جزت عليهم فإنهم لن يعرضوا لك لئلا أستوحش فأفوتهم، فاركضي بعيرك، وضعي عليه العصا، والنجاءت النجاء.
قال: فانطلقت وهي على قعود عقيلي يسابق الريح، فلما دنا منهم وقد تلثموا ووضعوا تمراً على طريقه على كساء، فوقف قليلاً كأنه يصلح شيئاً، وجازت بهم أم خراش فلم يعرضوا لها لئلا ينفر منهم، ووضعت العصا على قعودها، وتواثبوا إليه ووثب يعدو.
قال: فزاحمه على المحجة التي يسلك فيها على العقبة ظبي، فسبقه أبو خراش، وتصايح القوم: يا مخلد أخذاً أخذاً. قال: ففات الأخذ. فقالوا: ضربا ضرباً، فسبق الضرب، فصاحوا: رمياً رمياً فسبق الرمي، وسبقت أم خراش إلى الحي فنادت: ألا إن أبا خراش قد قتل، فقام أهل الحي إليها، وقام أبوه وقال: ويحك ما كانت قصته، فقالت: إن بني الديل عرضوا له الساعة في العقبة، قال: فما رأيت، أو ما سمعت،؟ قالت: سمعتهم يقولون: يا مخلد أخذاً أخذاً، قال: ثم سمعت ماذا؟ قالت: ثم سمعتهم يقولون: ضرباً ضرباً، قال: ثم سمعت ماذا؟ قالت: سمعتهم يقولون: رمياً رمياً، قال: فإن كنت سمعت رمياً رمياً فقد أفلت، وهو منا قريب، ثم صاح: يا أبا خراش، فقال أبو خراش: يا لبيك، وإذا هو قد وافاهم على أثرها. وقال أبو خراش في ذلك:

رفوني وقالوا يا خويلد لم ترع فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

رفوني بالفاء: سكنوني وقالوا: لا بأس عليك.

فغاررت شيئاً والدريس كأنما يزعزعه وعك من الموم مردم

غاررت: تلبثت. والدريس: الخلق من الثياب، ومثله الجرد والسحق والحشيف. ومردم: لازم.

تذكرت ما أين المفر وإنني بحبل الذي ينجي من الموت معصم

فوالله ما ربداء أو علج عانة أقب وما إن تيس رمل مصمم

بأسرع مني إذ عرفت عديهم كأني لأولاهم من القرب توأم

وأجود مني حين وافيت ساعياً وأخطأني خلف الثنية أسهم

أوائل بالشد الذليق وحثني لدى المتن مشبوح الذراعين خلجم

تذكر ذحلاً عندنا وهو فاتك من القوم يعروه اجتراء ومأثم

تقول ابنتي لما رأتين عشية: سلمت وما إن كدت بالأمس تسلم

فقلت وقد جاوزت صارى عشية: أجاوزت أولى القوم أم أنا أحلم

فلولا دراك الشد آضت حليلتي تخير في خطابها وهي أيم

فتسخط أو ترضى مكاني خليفة وكاد خراش عند ذلك ييتم

يسابق الخيل فيسبقها: أخبرني هاشم بن محمد الخراعي ومحمد بن الحسين الكندي خطيب المسجد الجامع بالقادسية قالا: حدثنا الرياشي قال: حدثنا الأصمعي قال: حدثني رجل من هذيل قال: دخل أبو خراش الهذلي مكة وللوليد بن المغيرة المخزومي فرسان يريد أن يرسلهما في الحلبة، فقال للوليد: ما تجعل لي إن سبقتهما؟ قال: إن فعلت، فهما لك، فأرسلا، وعدا بينهما فسبقهما فأخذهما.

قال الأصمعي: إذا فاتك الهذلي أن يكون شاعراً أو ساعياً أو رامياً فلا خير فيه.

وأخبرني بما أذكره من مجموع أخبار أبي خراش علي بن سليمان الأخفش، عن أبي سعيد السكري، وأخبرني بما أذكره من مجموع أشعارهم وأخبارهم فذكره أبو سعيد، عن محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، وعن ابن حبيب عن أبي عمرو.

يمدح دبية حياً ويرثيه ميتاً: وأخبرني ببعضه محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا الرياشي، عن الأصمعي، وقد ذكرت ما رواه في أشعار هذيل وأخبارها كل واحد منهم عن أصحابه في مواضعه، قال السكري: فيما رواه عن ابن حبيب عن أبي عمرو قال: نزل أبو خراش الهذلي على دبية السلمي - وكان صاحب العزى التي في غطفان وكان يسدنها، وهي التي هدمها خالد بن الوليد لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها فهدمها وكسرها

وقتل دبية السلمي - قال: فلما نزل عليه أبو خراش أحسن ضيافته. ورأى في رجله نعلين قد أخلقتا، فأعطاه نعلين من حذاء السبت فقال أبو خراش يمدحه:

حذاني بعد ما خذمت نعالي ... دبية إنه نعم الخليل

مقابلتين من صلوي مشب ... من الثيران وصلهما جميل

بمثلهما يروح المرء لهواً ... ويقضي الهم ذو الأرب الرجيل

فنعم معرس الأضياف تذحي ... رحالهم شآمية بليل

يقاتل جوعهم بمكللات ... من الفرني يرعبها الجميل

قال أبو عمرو: الجميل: إلا هالة، ولا يقال لها جميل حتى تذاب إهالة كانت أو شحماً، وقال أبو عمرو: ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فهدم عزى غطفان، وكانت ببطن نخلة، نصبها ظالم بن أسعد بن عامر بن مرة وقتل دبية فقال أبو خراش الهذلي يرثيه:

ما لدبية منذ اليوم لم أره ... وسط الشروب ولم يلمم ولم يطف

لو كان حياً لغاداهم بمترعة ... فيها الرواويق من شيزى بني الهطف

بنو الهطف: قوم من بني أسد يعملون الجفان.

كابي الرماد عظيم القدر جفنته ... حين الشتاء كحوض المنهل اللقف

المنهل: الذي إبله عطاش. واللقف: الذي يضرب الماء أسفله فيتساقط وهو ملآن

أمسى سقام خلاء لا أنيس به ... إلا السباع ومر الريح بالغرف

يرثي زهير بن العجوة: وقال الأصمعي وأبو عمرو في روايتهما جميعاً: أخذ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم حنين أسارى، وكان فيهم زهير بن العجوة أخو بني عمرو بن الحارث، فمر به جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، وهو مربوط في الأسرى، وكانت بينهما إحنة في الجاهلية، فضرب عنقه، فقال أبو خراش يرثيه:

فجع أصحابي جميل بن معمر ... بذي فجر تأوي إليه الأرامل

طويل نجاد السيف ليس بحيدر ... إذا قام واستنت عليه الحمائل

إلى بيته يأوي الغريب إذا شتا ... ومهتلك بالي الدريسين عائل

تروح مقروراً وراحت عشية ... لها حدب تحتثه فيوائل

تكاد يداه تسلمان رداءه ... من القر لما استقبلته الشمائل

فما بال أهل الدار لم يتصدعوا وقد خف منها الموذعي الحلاحل
فأقسم لو لاقتيه غير موثق لآبك بالجزع الضباع النواهل
لظل جميل أسوأ القوم تلة ولكن ظهر القرن للمرء شاغل
فليس كعهد الدار يا أم مالك ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل
وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل سوى الحق شيئاً فاستراح العواذل
ولم أنس أياماً لنا ولياليا بحلية إذ نلقى بها ما نحاول

وقال أيضاً يرثيه:

أفي كل ممسى ليلة أنا قائل من الدهر لا يبعد قتيل جميل
فما كنت أخشى أن تصيب دماءنا قريش ولما يقتلوا بقتيل
فأبرح ما أمرتم وعمرتم مدى الدهر حتى تقتلوا بغليل

يستنقذ أسرى بني ليث:

وقال أبو عمرو في خبره خاصة: أقبل أبو خراش وأخوه عروة وصهيب القردي في بضعة عشر رجلاً من بني قرد يطلبون الصيد فبينا هم بالجمعة من نخلة لم يرعهم إلا قوم قريب من عدتهم فظنهم القرديون قوماً من بني ذؤيبة أحد بني سعد بن بكر بن هوازن أو من بني حبيب أحد بني نصر، فعدا الهذليون إليهم يطلبونهم وطمعوا فيهم حتى خالطوهم وأسروهم جميعاً، وإذا هم قوم من بني ليث بن بكر، فيهم ابنا شعوب أسرهما صهيب القردي، فهم بقتلهما، وعرفهم أبو خراش فاستنقذهم جميعاً من أصحابه وأطلقهم، فقال أبو خراش في ذلك يمن على ابني شعوب أحد بني شجع بن عامر بن ليث فعله بهما:

عدونا عدوة لا شك فيها وخلناهم ذؤيبة أو حبيبا
فنغري الثائرين بهم وقلنا شفاء النفس أن بعثوا الحروبا
منعنا من عدي بني حنيف صحاب مضرس وابني شعوبا
فأثنوا يا بني شجع علينا وحق ابني شعوب أن يثيبا
وسائل سبرة الشجعي عنا غداة نخالهم نجوا جنيبا
بأن السابق القردي ألقى عليه الثوب إذ ولى دبيبا
ولولا ذاك أرهقه صهيب حسام الحد مطروراً خشيبا

يزهد زهد الهنود: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا الرياشي: قال: حدثنا الأصمعي قال: أقفز أبو خراش الهذلي من الزاد أياماً، ثم مر بامرأة من هذيل جزلة شريفة، فأمرت له بشاة فذبحت وشويت، فلما وجد بطنه ريح الطعام قرقر، فضرب بيده على بطنه وقال: إنك لتقرقر لرائحة الطعام، والله لأطعمت منه شيئاً ثم قال: يا ربة البيت، هل عندك شيء من صبر أو مر؟ قالت: تصنع به ماذا؟ قال: أريده، فأتته منه بشيء فاقتمحه، ثم أهوى إلى بعيره فركبه، فناشدته المرأة فأبى، فقالت له: يا هذا، هل رأيت بأساً أو أنكرت شيئاً؟ قال: لا والله، ثم مضى وأنشأ يقول:

وإني لأثوي الجوع حتى يملني ... فأحيا ولم تدنس ثيابي ولا جرمي
وأصطبح الماء القراح فأكتفي ... إذا الزاد أضحى للمزلج ذا طعم
أرد شجاع البطن قد تعلمينه ... وأوثر غيري من عيالك بالطعم
مخافة أن أحيا برغم وذلة ... فللموت خير من حياة على رغم

يفتدي أخاه عروة فيلطمه: وأخبرني عمي عن هارون بن محمد الزيات، عن أحمد بن الحارث، عن المدائني بنحو مما رواه الأصمعي.

وقال أبو عمرو: أسرت فهم عروة بن مرة أخا أبي خراش - وقال غيره: بل بنو كنانة أسرته - فلما دخلت الأشهر الحرم، مضى أبو خراش إليهم ومعه ابنه خراش، فنزل بسيد من ساداتهم و لم يعرفه نفسه ولكنه استضافه فأنزله وأحسن قراه، فلما تحرم به انتسب له، وأخبره خبر أخيه، وسأله معاونته حتى يشتريه منهم، فوعده بذلك، وغدا على القوم مع ذلك الرجل، فسألهم في الأسير أن يهبوه له، فما فعلوا، فقال لهم: فبيعونيه، فقالوا: أما هذا فنعم، فلم يزل يساومهم حتى رضوا بما بذله لهم، فدفع أبو خراش إليهم ابنه خراشاً رهينة، وأطلق أخاه عروة ومضيا، حتى أخذ أبو خراش فكاك أخيه، وعاد به إلى القوم حتى أعطاهم إياه وأخذ ابنه. فبينما أبو خراش ذات يوم في بيته إذ جاءه عبد له فقال: إن أخاك عروة جاءني وأخذ شاة من غنمك، فذبحها، ولطمني لما منعته منها، فقال له: دعه، فلما كان بعد أيام عاد، فقال له: قد أخذ أخرى، فذبحها، فقال: دعه، فلما أمسى قال له: إن أخاك اجتمع مع شرب من قومه، فلما انتشى جاء إلينا وأخذ ناقة من إبلك، لينحرها لهم فعاجله، فوثب أبو خراش إليه، فوجده قد أخذ الناقة، لينحرها، فطردها أبو خراش، فوثب أخوه عروة إليه فلطم وجهه، وأخذ الناقة، فعقرها، وانصرف أبو خراش، فلما كان من غد لامه قومه، وقالوا له: بئست لعمر الله المكافأة، كانت منك لأخيك؛ رهن ابنه فيك، وفداك بماله، ففعلت به ما فعلت، فجاء عروة يعتذر إليه، فقال أبو خراش:

لعلك نافعي يا عرو يوماً ... إذا جاورت من تحت القبور
أخذت خفارتي ولطمت عيني ... وكيف تثيب بالمن الكبير
ويوم قد صبرت عليك نفسي ... لدى الأشهاد مرتدي الحرور

إذا ما كان كس القوم روقاً وجالت مقلتا الرجل البصير

بما بيممته وتركت بكري وما أطعمت من لحم الجزور

قال معنى قوله بكري أي بكر ولدي أي أولهم.

خبر أخويه الأسود وأبي جندب: وقال الأصمعي وأبو عبيدة وأبو عمرو وابن الأعرابي: كان بنو مرة عشرة: أبو خراش، وأبو جندب، وعروة، والأبح، والأسود، وأبو الأسود، وعمرو، وزهير، وجناد، وسفيان، وكانوا جميعاً شعراء دهاة سراعا لا يدركون عدواً، فأما الأسود بن مرة فإنه كان على ماء من داءة وهو غلام شاب، فوردت عليه إبل رئاب بن ناضرة بن المؤمل من بني لحيان، ورئاب شيخ كبير، فرمى الأسود ضرع ناقة من الإبل فعقرها، فغضب رئاب، فضربه بالسيف، فقتله، وكان أشدهم أبو جندب، فعرف خبر أخيه، فغضب غضباً شديداً، وأسف، فاجتمعت رجال هذيل إليه يكلمونه وقالوا: خذ عقل أخيك، واستبق ابن عملك، فلم يزالوا به حتى قال: نعم، أجمعوا العقل، فجاءوه به في مرة واحدة، فلما أراحوه عليه صمت فقطال صمته فقالوا له: أرحنا: اقبضه منا، فقال: إني أريد أن أعتمر فاحبسوه حتى أرجع، فإن هلكت فلأم ما أنتم هذه لغة هذيل يقولون: إم بالكسر، ولا يستعملون الضم وإن عشت فسوف ترون أمري، وولى ذاهباً نحو الحرم، فدعا عليه رجال من هذيل، وقالوا: اللهم لا ترده، فخرج فقدم مكة فواعد كل خليع وفاتك في الحرم أن يأتوه يوم كذا وكذا، فيصيب بهم قومه، فخرج صادراً، حتى أخذته الذبحة في جانب الحرم، فمات قبل أن يرجع، فكان ذلك خبره.

خبر أخيه زهير: قالوا: وأما زهير بن مرة فخرج معتمراً قد جعل على جسده من لحاء الحرم، حتى ورد ذات الأقير من نعمان، فبينا هو يسقي إبلاً له إذ ورد عليه قوم من ثمالة، فقتلوه، فله يقول أبو خراش، وقد انبعث يغزو ثمالة ويغير عليهم، حتى قتل منهم بأخيه أهل دارين، أي حلتين من ثمالة.

خذوا ذلك بالصلح إني رأيتكم قتلتم زهيراً وهو مهد ومهمل

مهد أي أهدى هديا للكعبة. ومهمل: قد أهمل إبله في مراعيها.

قتلتم فتى لا يفجر الله عامداً ولا يجتويه جاره عام يمحل

وجدتهم ثمالة بن أسلما

وكان أبو خراش إذا لقيهم في حروبه أوقع بهم ويقول:

إليك أم ذبان ما ذاك من حلب الضان

لكن مصاع الفتيان بكل لين حران

خبر أخيه عروة وابنه خراش: قال: وأما عروة بن مرة وخراش بن أبي خراش فأخذهما بطنان من ثمالة يقال لهما بنو رزام وبنو بلال، وكانوا متجاورين، فخرج عروة بن مرة وابن أبي خراش أخيه مغيرين عليهم طمعاً في أن يظفروا من أموالهم بشيء، فظفر بهما الثماليون، فأما بنو رزام فنهوا عن قتلهما وأبت بنو بلال إلا قتلهما، حتى كاد يكون بينهم شر، فألقى رجل من القوم ثوبه على خراش حين شغل القوم بقتل عروة، ثم قال له: انج، وانحرف القوم بعد قتلهم عروة إلى الرجل، وكانوا أسلموه إليه، فقالوا: أين خراش؟ فقال: أفلت مني، فذهب، فسعى القوم في أثره، فأعجزهم، فقال أبو خراش في ذلك يرثي أخاه رعروة، ويذكر خلاص ابنه:

حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا ... خراش وبعض الشر أهون من بعض

فوالله لا أنسى قتيلاً رزيته بجانب ... قوسي ما حييت على الأرض

بلى إنها تعفو الكلوم وإنما ... نوكل بالأدنى وإن جل ما يمضي

ولم أدر من ألقى عليه رداءه ... سوى أنه قد سل عن ماجد محض

ولم يك مثلوج الفؤاد مهبلاً ... أضاع الشباب في الربيلة والخفض

ولكنه قد نازعته مجاوع ... على أنه ذو مرة صادق النهض

قال: ثم إن أبا خراش وأخاه عروة استنفرا حياً من هذيل يقال لهم بنو زليفة بن صبيح ليغزوا ثمالة بهم طالبين بثأر أخيهما، فلما دنوا من ثمالة أصاب عروة ورد حمى، وكانت به حمى الربع فجعل عروة يقول:

أصبحت مورواداً فقربوني ... إلى سواد الحي يدفنوني

إن زهيراً وسطهم يدعوني ... رب المخاض واللقاح الجون

فلبثوا إلى أن سكنت الحمى، ثم بيتوا ثمالة، فوجدوهم خلوفاً ليس فيهم رجال، فقتلوا من وجدوا من الرجال، وساقوا النساء والذراري والأموال، وجاء الصائح إلى ثمالة عشاء، فلحقوهم، وانهزم أبو خراش وأصحابه، وانقطعت بنو زليفة، فنظر الأكنع الثمالي - وكان مقطوع الأصبع - إلى عروة فقال: يا قوم، ذلك والله عروة، وأنا والله رام بنفسي عليه، حتى يموت أحدنا، وخرج يمعج نحو عروة، فصاح عروة بأبي خراش أخيه: أي أبا خراش، هذا والله الأكنع وهو قاتلي، فقال أبو خراش: أمشه، وقعد له على طريقه، ومر به الأكنع مصمماً على عروة، وهو لا يعلم بموضع أبي خراش، فوثب عليه أبو خراش، فضربه على حبل عاتقه حتى بلغت الضربة سحره، وانهزمت ثمالة، ونجا أبو خراش وعروة. وقال أبو خراش يرثي أخاه ومن قتلته ثمالة وكنانة من أهله، وكان الأصمعي يفضلها:

فقدت بني لبنى فلما فقدتهم ... صبرت فلم أقطع عليهم أباجلي

الأبجل: عرق في الرجل.

رماح من الخطي زرق نصالها حداد أعاليها شداد الأسافل

فلهفي على عمرو بن مرة لهفة ولهفي على ميت بقوسي المعاقل

حسان الوجوه طيب حجزاتهم كريم نثاهم غير لف معازل

قتلت قتيلاً لا يحالف غدرة ولا سبة لازلت أسفل سافل

وقد أمنوني واطمأنت نفوسهم ولم يعلموا كل الذي هو داخلي

فمن كان يوجو الصلح مني فإنه كأحمر عاد أو كليب بن وائل

أصيبت هذيل بابن لبنى وجدعت أنوفهم باللوذعي الحلاحل

رأيت بني العلات لما تضافروا يحوزون سهمي دونهم بالشمائل

أخبار أخوته: قالوا: وأما أبو الأسود فقتلته فهم بياتاً تحت الليل، وأما الأبح فكان شاعراً، فأمسى بدار بعرعر من ضيم، فذكر لسارية بن زنيم العبدي أحد بني عبد بن عدي بن الديل، فخرج بقوم من عشيرته يريده ومن معه، فوجدوهم قد ظعنوا. وكان بين بني عبد بن عدي بن الديل وبينهم حرب، فقال الأبح في ذلك:

لعمرك ساري بن أبي زنيم لأنت بعرعر الثأر المنيم

تركت بني معاوية بن صخر وأنت بمربع وهم بضيم

تساقيهم على رصف وظر كدابغة وقد ححلم الأديم

رصف وظر: ماءان، ومربع وضيم: موضعان.

فلم نتركهم قصداً ولكن فرقت من المصالت كالنجوم

رأيتهم فوارس غير عزل إذا شرق المقاتل بالكلوم

فأجابه سارية، فقال:

لعلك يا أبح حسبت أني قتلت الأسود الحسن الكريما

أخذتم عقله وتركتموه يسوق الظمي وسط بني تميما

عيرهم بأخذ دية الأسود بن مرة أخيهم، وأنهم لم يدركوا بثأره، وبنو تميم من هذيل.

قالوا: وأما جنادة وسفيان فماتا، وقتل عمرو، ولم يسم قاتله. قالوا: وأمهم جميعاً لبنى إلا سفيان بن مرة، فإن أمه أم عمرو القردية، وكان أيسر القوم وأكثرهم مالاً.

وقال أبو عمرو: وغزا أبو خراش فهماً، فأصاب منهم عجوزاً، وأتى بها منزل قومه، فدفعها إلى شيخ منهم، وقال: احتفظ بها حتى آتيك، وانطلق لحاجته، فأدخلته بيتاً صغيراً، وأغلقت عليه، وانطلقت، فجاء أبو خراش، وقد ذهبت، قال:

سدت عليه دولجا يممت بني فالج بالليث أهل الخزائم

الدولج: بيت صغير يكون للبهم، والليث: ماء لهم، والخزائم البقر واحدتها خزومة.

وقالت له: دنخ مكانك إنني سألقاك إن وافيت أهل المواسم

يقال: دنخ الرجل ودمخ إذا أكب على وجهه ويديه.

وقال أبو عمرو: دخلت أميمة امرأة عروة بن مرة على أبي خراش وهو يلاعب ابنه فقالت له: يا أبا خراش تناسيت عروة، وتركت الطلب بثأرة، ولهوت مع ابنك، أما والله لو كنت المقتول ما غفل عنك، ولطلاب قاتلك حتى يقتله، فبكى أبو خراش، وأنشأ يقول:

لعمري لقد راعت أميمة طلعتي وإن ثوائي عندها لقليل

وقالت :أراه بعد عروة لاهياً وذلك رزء لو علمت جليل

فلا تحسبي أني تناسيت فقده ولكن صبري يا أميم جميل

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا نديما صفاء مالك وعقيل

أبى الصبر أني لا يزال يهيجني مبيت لنا فيما خلا ومقيل

وأني إذا ما الصبح آنست ضوءه يعاودني قطع علي ثقيل

قال أبو عمرو: فأما أبو جندب أخو أبي خراش فإنه كان جاور بني نفاثة بن عدي بن الديل حيناً من الدهر، ثم إنهم هموا بأن يغدروا به، وكانت له إبل كثيرة فيها أخوه جنادة، فراح عليه أخوه جنادة ذات ليلة، وإذا به كلوم، فقال له أبو جندب: مالك؟ فقال: ضربني رجل من جيرانك، فأقبل أبو جندب، حتى أتى جيرانه من بني نفاثة، فقال لهم: يا قوم، ما هذا الجوار؟ لقد كنت أرجو من جواركم خيراً من هذا، أيتجاور أهل الأعراض بمثل هذا؟.

فقالوا: أو لم يكن بنو لحيان، يقتلوننا، فوالله ما قرت دماؤنا، ومازالت تغلي، والله إنك للثار المنيم، فقال: أما إنه لم يصب أخي إلا خير، ولكنما هذه معاتبة لكم، وفطن للذي يريد القوم من الغدر به، وكان بأسفل دفاق، فأصبحوا ظاعنين، وتواعدوا ماء ظر، فنفذ الرجال إلى الماء، وأخروا النساء لأن يتبعنهم إذا نزلوا، واتخذوا الحياض للإبل، فأمر أبو جندب أخاه جنادة وقال له: اسرح مع نعم القوم.

ثم توقف، وتأخر، حتى تمر عليك النعم كلها، وأنت في آخرها سراح بإبلك، واتركها متفرقة في المرعى، فإذا غابوا عنك فاجمع إبلك، واطردها نحو أرضنا، وموعدك نجد ألو ذثنية، في طريق بلاده، وقال لامرأته أم زنباع وهي من بني كلب بن عوف: اظعني وتمكثي، حتى تخرج آخر ظعينة من النساء.

ثم توجهي، فموعدك ثنية يدعان من جانب النخلة، وأخذ أبو جندب دلوه، وورد مع الرجال، فاتخذ القوم

الحياض، واتخذ أبو جندب حوضاً، فملأه ماء، ثم قعد عنده، فمرت به إبل ثم إبل، فكلما وردت إبل سأل عن إبله فيقولون: قد بلغت، تركناها بالضجن.

ثم قدمت النساء كلما قدمت ظعينة سألها عن أهله، فيقولون: بلغتك، تركناها تظعن، حتى إذا ورد آخر النعم وآخر الظعن قال: والله لقد حبس أهلي حابس، أبصر يا فلان، حتى أستأنس أهلي وإبلي، وطرح دلوه على الحوض.

ثم ولى، حتى أدرك القوم بحيث وعدهم، فقال أبو جندب في ذلك:

أقول لأم زنباع أقيمي صدور ... العينس شطر بني تميم

وغربت الدعاء وأين مني ... أناس بين مر وذي يدوم

غربت الدعاء: دعوت من بعيد.

وحي بالمناقب قد حموها ... لدى قران حتى بطن ضيم

وأحياء لدى سعد بن بكر ... بأملاح فظاهرة الأديم

أولئك معشري وهم أرومي ... وبعض القوم ليس بذي أروم

هنالك لو دعوت أتاك منهم ... رجال مثل أرمية الحميم

الأرمية: السحاب الشديد الوقع، واحدها رمي، والحميم: مطر القيظ.

أقل الله خيرهم ألما ... يدعهم بعض شرهم القديم

ألما يسلم الجيران منهم ... وقد سال الفجاج من الغميم

غداة كأن جناد بن لبنى ... به نضخ العبير من الكلوم

دعا حولي نفاثة ثم قالوا: ... لعلك لست بالثأر المنيم

المنيم: الذي إذا أدرك استراح أهله وناموا.

نعوا من قتلت لحيان منهم ... ومن يغتر بالحرب القروم

قالوا جميعاً: وكان أبو جندب ذا شر وبأس، وكان قومه يسمونه المشئوم، فاشتكى شكوى شديدة، وكان له جار من خزاعة يقال له حاطم، فوقعت به بنو لحيان، فقتلوه قبل أن يستنبل أبو جندب من مرضه، واستاقوا أمواله، وقتلوا امرأته، وقد كان أبو جندب كلم قومه، فجمعوا لجاره غنماً، فلما أفاق أبو جندب من مرضه خرج من أهله، حتى قدم مكة، ثم جاء يمشي، حتى استلم الركن، وقد شق ثوبه عن استه، فعرف الناس أنه يريد شراً، فجعل يصيح ويقول:

إني امرؤ أبكي على جارية ... أبكي على الكعبي والكعبية

ولو هلكت بكيا عليه كانا مكان الثوب من حقويه

فلما فرغ من طوافه، وقضى حاجته من مكة خرج في الخلعاء من بكر وخزاعة، فاستجاشهم على بني لحيان، فقتل منهم قتلى، وسبى من نسائهم وذراريهم سبايا، وقال في ذلك:

لقد أمسى بنو لحيان مني بحمد الله في خزي مبين

تركتهم على الركبات صعراً يشيبون الذوائب بالأنين

يشكو إلى عمر فراق ابنه:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال: حدثني عمي قال: هاجر خراش بن أبي خراش الهذلي في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وغزا مع المسلمين، فأوغل في أرض العدو، فقدم أبو خراش المدينة، فجلس بين يدي عمر، وشكا إليه شوقه إلى ابنه، وأنه رجل قد انقرض أهله، وقتل إخوته، ولم يبق له ناصر ولا معين غير ابنه خراش، وقد غزا وتركه، وأنشأ يقول:

ألا من مبلغ عني خراشاً وقد يأتيك بالنبأ البعيد

وقد يأتيك بالأخبار من لا تجهز بالحذاء ولا تزيد

تزيد وتزود واحد، من الزاد

يناديه ليغبقه كليب ولا يأتي، لقد سفه الوليد

فرد إناءه لا شيء فيه كأن دموع عينيه الفريد

وأصبح دون عابقه وأمسى جبال من حرار الشام سود

ألا فاعلم خراش بأن خبر المه اجر بعد هجرته زهيد

رأيتك وابتغاء البر دوني كمحصور اللبان ولا يصيد

قال: فكتب عمر رضي الله عنه بأن يقبل خراش إلى أبيه، وألا يغزو من كان له أب شيخ إلا بعد أن يأذن له.

مصرعه: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي، قال: حدثنا عمر بن شبة: قال: حدثنا الأصمعي. وأخبرني حبيب بن نصر، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا علي بن الصباح، عن ابن الكلبي، عن أبيه.

وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ: قال أبو عبيدة: وأخبرني أيضاً هاشم، قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه، وذكره أبو سعيد السكري في رواية الأخفش عنه عن أصحابه، قالوا جميعاً: أسلم أبو خراش فحسن إسلامه، ثم أتاه نفر من أهل اليمن قدموا حجاجاً، فنزلوا بأبي خراش والماء منهم غير بعيد، فقال: يا بني عمي، ما أمسى عندنا ماء، ولكن هذه شاة وبرمة وقربة، فردوا الماء، وكلوا شاتكم، ثم دعوا برمتنا وقربتنا على الماء، حتى نأخذها، قالوا: والله ما نحن بسائرين في ليلتنا هذه، وما نحن ببارحين حيث

أمسينا، فلما رأى ذلك أبو خراش أخذ قربته، وسعى نحو الماء تحت الليل حتى استقى، ثم أقبل صادراً، فنهشته حية قبل أن يصل إليهم، فأقبل مسرعاً حتى أعطاهم الماء، وقال: ابطخوا شاتكم وكلوا و لم يعلمهم بما أصابه، فباتوا على شاهم يأكلون حتى أصبحوا، وأصبح أبو خراش في الموت، فلم يبرحوا حتى دفنوه، وقال وهو يعالج الموت:

لعمرك والمنايا غالبات — على الإنسان تطلع كل نجد
لقد أهلكت حية بطن أنف — على الأصحاب ساقاً ذات فقد

وقال أيضاً:

لقد أهلكت حية بطن أنف — على الأصحاب ساقاً ذات فضل
فما تركت عدواً بين بصرى — إلى صنعاء يطلبه بذحل

قال: فبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه خبره، فغضب غضباً شديداً، وقال: لولا أن تكون سبة لأمرت ألا يضاف يمان أبداً، ولكتبت بذلك إلى الآفاق. إن الرجل ليضيف أحدهم، فيبذل مجهوده فيسخطه ولا يقبله منه، ويطالبه بما لا يقدر عليه، كأنه يطالبه بدين، أو يتعنته ليفضحه، فهو يكلفه التكاليف، حتى أهلك ذلك من فعلهم رجلاً مسلماً، وقتله، ثم كتب إلى عامله باليمن بأن يأخذ النفر الذين نزلوا بأبي خراش فيغرمهم ديته، ويؤدبهم بعد ذلك بعقوبة تمسهم جزاءً لأعمالهم.

صوت

تهيم بها لا الدهر فان ولا المنى — سواها ولا ينسيك نأي ولا شغل
كبيضة أدحي بميث خميلة — يحففها جون بجؤجؤة صعل

الشعر لعبد الرحمن بن مسافع بن دارة، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالوسطى، عن ابن المكي.

أخبار ابن دارة ونسبه

نسبه

هو عبد الرحمن بن مسافع بن دارة، وقيل: بل هو عبد الرحمن بن رعبي بن مسافع بن دارة، وأخوه مسافع بن دارة، وكلاهما شاعر، وفي شعريهما جميعاً غناء يذكر ها هنا وأخوهما سالم بن مسافع بن دارة شاعر أيضاً وفي بعض شعره غناء يذكر بعد أخبار هذين. فأما سالم فمخضرم قد أدرك الجاهلية والإسلام. وأما هذان فمن شعراء الإسلام، ودارة لقب غلب على جدهم، ومسافع أبوهم، وهو ابن شريح بن يربوع الملقب بدارة بن كعب بن

عدي بن جشم بن عوف بن بهثة بن عبد الله بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر. وهذا الشعر يقوله عبد الرحمن في حبس السمهري العكلي اللص وقتله وكان نديماً له وأخاً.

يستعدي قومه عكلاً على بني أسد: أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال: لما أخذ السمهري العكلي وحبس وقتل، - وكانت بنو أسد أخذته وبعثت به إلى السلطان وكان نديماً لعبد الرحمن بن مسافع بن دارة، فقتل بعد طول حبس - فقال عبد الرحمن بن مسافع يهجو بني أسد ويحرض عليهم عكلاً.

صوت

إن يمس بالعينين سقم فقد أتى ... لعينيك من طول البكاء على جمل

تهيم بها لا الدهر فان ولا المنى ... سواها ولا تسلى بنأي ولا شغل

كبيضة أدحي بميث خميلة ... يحففها جون بجؤجؤة الصعل

وما الشمس تبدو يوم غيم فأشرقت ... على الشامة العنقاء فالنير فالذبل

بدا حاجب منها وضنت بحاجب ... بأحسن منها يوم زالت على الحمل

يقولون :إزل حب جمل وقربها ... وقد كذبوا ما في المودة من إزل

إذا شحطت عني وجدت حرارة ... على كبدي كادت بها كمداً تغلي

ولم أر محزونين أجمل لوعة ... على نائبات الدهر مني ومن جمل

كلانا يذود النفس وهي حزينة ... ويضمر وجداً كالنوافذ بالنبل

وإنل لمبلي اليأس من حب غيرها ... فأما على جمل فإني لا أبلي

وإن شفاء النفس لو تسعف المنى ... ذوات الثنايا الغر والحدق النجل

أولئك إن يمنعن فالمنع شيمة ... لهن وإن يعطين يحمدن بالبذل

سأمسك بالوصل الذي كان بيننا ... وهل ترك الواشون والنأي من وصل

ألا سقياني قهوة فارسية ... من الأول المختوم ليست من الفضل

تنسي ذوي الأحلام واللب حلمهم ... إذا أزبدت في دنها زبد الفحل

ويا راكباً إما عرضت فبلغن ... على نأيهم مني القبائل من عكل

بأن الذي أمست تجمجم فقعس ... إسار بلا أسر وقتل بلا قتل

وكيف تنام الليل عكل ولم تنل ... رضى قود بالسمهري ولا عقل؟

فلا صلح حتى تنحط الخيل في القنا وتوقد نار الحرب بالحطب الجزل
وجرد تعادى بالكماة كأنها تلاحظ من غيظ بأعينا القبل
عليها رجال جالدوا يوم منعج ذوي التاج ضرابو الملوك على الوهل
بضرب يزيل الهام عن مستقره وطعن كأفواه المفرجة الهدل
علام تمشي فقعس بدمائكم وما هي بالفرع المنيف ولا الأصل؟
وكنا حسبنا فقعساً قبل هذه أذل على وقع الهوان من النعل
فقد نظرت نحو السماء وسلمت على الناس واعتاضت بخصب من المحل
رمى الله في أكبادكم أن نجت بها شعاب القنان من ضعيف ومع وغل
وإن أنتم لم تثأروا بأخيكم فكونوا نساء للخلوق وللكحل
وبيعوا الردينيات بالحلي واقعدوا على الذل وابتاعوا المغازل بالنبل
ألا حبذا من عنده القلب في كبل ومن حبة داء وخبل من الخبل
ومن هو لا ينسى ومن كل قوله لدينا كطعم الراح أو كجنى النحل
ومن إن نأى لم يحدث النأي بغضه ومن إن دنا في الدار أرصد بالبذل

خبر السمهري مع نديمه ومصرعه: وأما خبر المسهري ومقتله فإن علي بن سليمان الأخفش أخبرني به قال: حدثنا أبو سعيد السكري قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن أبي عمرو الشيباني قال: لقي السمهري بن بشر بن أقيش بن مالك بن الحراث بن أقيش العكلي ويكنى أبا الديل هو وبهدل ومروان بن قرفة الطائيان عون بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ومعه خاله: أحد بني حارثة بن لأم من طيء بالثعلبية، وهو يريد الحج من الكوفة، أو يريد المدينة، وزعم آخرون أنهم لقوه بين نخل والمدينة، فقالوا له: العراضة، أي مر لنا بشيء فقال: يا غلام، جفن لهم، فقالوا: لا والله ما الطعام نريد، فقال: عرضهم، فقالوا: ولا ذلك نريد، فارتاب بهم، فأخذ السيف فشد عليهم، وهو صائم، وكان بهدل لا يسقط له سهم، فرمى عوناً فأقصده، فلما قتلوه ندموا، فهربوا، ولم يأخذوا إبله، فتفرقت إبله، ونجا خاله الطائي، إما عرفوه فكفوا عن قتله، وإما هرب ولم يعرف القتلة، فوجد بعض إبله في يدي شافع بن واتر الأسدي.

وبلغ عبد الملك بن مروان الخبر فكتب إلى الحجاج بن يوسف، وهو عامله على العراق، وإلى هشام بن إسماعيل، وهو عامله على المدينة، وإلى عامل اليمامة أن يطلبوا قتلة عون، ويبالغوا في ذلك؛ وأن يأخذوا السعاة به أشد

أخذ، ويجعلوا لمن دل عليهم جعله، وانشام السمهري في بلاد غطفان ما شاء الله.
ثم مر بنخل، فقالت عجوز من بني فزارة: أظن والله هذا العكلي الذي قتل عوناً، فوثبوا عليه، فأخذوه، ومر أيوب بن سلمة المخزومي بهم، فقالت له بنو فزارة: هذا العكلي قاتل عون ابن عمك، فأخذه منهم، فأتى به هشام بن إسماعيل المخزومي عامل عبد الملك على المدينة، فجحد وأبى أن يقر، فرفعه إلى السجن فحبسه.
وزعم آخرون أن بني عذرة أخذوه فلما عرفت إبل عون في يدي شافع بن واتر اتهموه بقتله، فأخذوه، وقالوا: أنت قرفتنا، قتلت عوناً، وحبسوه بصل: ماء لبني أسد، وجحد، وقد كان عرف من قتله، إما أن يكون كان معهم، فوري عنهم، وبرأ نفسه، وإما أن يكون أودعوها إياه، أو باعوها منه، فقال شافع:

فإن سركم أن تعلموا أين ثأركم — فسلمى معان وابن قرفة ظالم
وفي السجن عكلي شريك لبهدل — فولوا ذباب السيف من هو حازم
فوالله ما كنا جناة ولا بنا — تأوب عوناً حتفه وهو صائم

فعرفوا من قتله، فألحوا على بهدل في الطلب، وضيقوا على المسهري في القيود والسجن، وجحد، فلما كان ذلك من إلحاحهم على المسهري أيقنت نفسه أنه غير ناج، فجعل يلتمس الخروج من السجن، فلما كان يوم الجمعة والإمام يخطب، وقد شغل الناس بالصلاة فك إحدى حلقتي قيده، ورمى بنفسه من فوق السجن، والناس في صلاتهم، فقصد نحو الحرة، فولج غاراً من الحرة، وانصرف الإمام من الصلاة فخاف أهل المدينة عامتهم أتباعه، وغلقوا أبوابهم، وقال لهم الأمير: اتبعوه فقالوا: وكيف نتبعه وحدنا، فقال لهم: أنتم ألفا رجل، فكيف تكونون وحدكم؟ فقالوا: أرسل معنا الأبليين؛ وهم حرس وأعوان من أهل الأبلة، فأعجزهم الطلب، فلما أمسى كسر الحلقة الأخرى، ثم همس ليلته طلقاً، فأصبح وقد قطع أرضاً بعيدة، فبينا هو يمضي إذ نعب غراب عن شماله، فتطير، فإذا الغراب على شجرة بان ينشنش ريشه، ويلقيه، فاعتاف شيئاً في نفسه، فمضى، وفيها ما فيها، فإذا هو قد لقي راعياً في وجهه ذلك، فسأله: من أنت؟ قال: رجل من لهب من أزد شنوءة أنتجع أهلي، فقال له هل عندك شيء من زجر قومك؟ فقال: إني لآننس من ذلك شيئاً أي لأبصر، فقص عليه حاله غير أنه ورى الذنب على غيره والعيافة، وخبره عن الغراب والشجرة، فقال اللهبي: هذا الذي فعل ما فعل، ورأى الغراب على البانة يطرح ريشه سيصلب، فقال السمهري: بفيك الحجر، فقال اللهبي: بل بفيك الحجر، استخبرتني فأخبرتك ثم تغضب. ثم مضى حتى اغترز في بلاد قضاعة، وترك بلاد غطفان وذكر بعض الرواة أنه توقف يومه وليلته فيما يعمله؛ وهل يعود من حيث جاء ثم سار. حتى أتى أرض عذرة بن سعد يستجير القوم فجاء إلى القوم متنكراً، ويستحلب الرعيان اللبن، فيحلبون له، ولقيه عبد الله الأحدب السعدي: أحد بني مخزوم من بني عبد شمس، وكان أشد منه وألص، فجنى جناية، فطلب، فترك بلاد تميم، ولحق ببلاد قضاعة، وهو على نجيبة لا تساير، فبينا السمهري يماشي راعياً لبني عذرة، ويحدثه عن خيار إبلهم، ويسأله السمهري عن ذلك - وإنما يسأله عن أنجاهن

ليركبها. فيهرب بها، لئلا يفارق الأحدب - أشار له إلى ناقة، فقال السمهري: هذه خير من التي تفضلها، هذه لا تجاري، فتحين الغفلة، فلما غفل وثب عليها، ثم صاح بها فخرجت تطير به، وذلك في آخر اليل، فلما أصبحوا فقدوهاا، وفقدوه، فطلبوه في الأثر. وخرجا حتى إذا كان حجر عن يسارهما، وهو واد في جبل، أو شبه الثقب فيه استقبلتهما سعة هي أوسع من الطريق، فظنا أن الطريق فيها، فسارا ملياً فيها، ولا نجم يأتمان به، فلما عرفا أنهما حائدان، والتفت عليهما الجبال أمامهما، وجد الطلب إثر بعيريهما، ورواه وقد سلك الثقب في غير طريق عرفوا أنه سيرجع، فقعدوا له بفم الثقب ثم كرا راجعين، وجاءت الناقة، وعلى رأسها مثل الكوكب من لغامها، فلما أبصر القوم هم أن يعقر ناقتهم، فقال له الأحدب: ما هذا جزاؤها. فنزل، نزل الأحدب، فقاتلهما القوم، حتى كادوا يغشون السمهري فهتف بالأحدب، فطرد عنه القوم، حتى توقلا في الجبل، وفي ذلك يقول السمهري يعتذر من ضلاله:

وما كنت محياراً ولا فزع السرى ولكن حذا حجر بغير دليل

وقال الأحدب في ذلك:

لما دعاني السمهري أجبته بأبيض من ماء الحديد صقيل

وما كنت ما اشتدت على السيف قبضتي لأسلم من حب الحياة زميلي

وقال السمهري أيضاً:

نجوت ونفسي عند ليلى رهينة وقد غمني داج من الليل دامس

وغامست عن نفسي بأخلق مقصل ولا خير في نفس امرئ لا تغامس

ولو أن ليلى أبصرتني غدوة ومطواي والصف الذين أمارس

إذاً لبكت ليلى علي وأعولت وما نالت الثوب الذي أنا لابس

فرجع إلى صحراء منعج، وهي إلى جنب أضاخ، والحلة قريب منها، وفيها منازل عكل، فكان يتردد ولا يقرب الحلة، وقد كان أكثر الجعل فيه، فمر بابني فائد ابن حبيب من بني أسد، ثم من بني فقعس فقال: أجيراً متنكراً، فحلبا له، فشرب ومضى لا يعرفانه، وذهبا، ثم لبث السمهري ساعة، وكر راجعاً فتحدث إلى أخت ابني فائد، فوجداه منبطحاً على بطنه يحدثها، فنظر أحدهما إلى ساقه مكدحة، وإذا كدوح طرية، فأخبر أخاه بذلك، فنظر، فرأى ما أخبره أخوه، فارتابا به، فقال أحدهما: هذا والله السمهري الذي جعل فيه ما جعل، فاتفقا على مضابرته، فوثبا عليه، فقعد أحدهما على ظهره، وأخذ الآخر برجليه فوثب السمهري، فألقى الذي على ظهره، وقال: أتلعبان؟ وقد ضبط رأس الذي كان على ظهره تحت إبطه، وعالجه الآخر، فجعل رأسه تحت إبطه أيضاً، وجعلا يعالجانه، فناديا أختهما أن تعينهما، فقالت: ألي الشرك في جعلكما؟ قالا: نعم، فجاءت بجرير فجعلته في

عنقه بأنشوطه ثم جذبته، وهو مشغول بالرجلين يمنعهما، فلما استحكمت العقدة، وراحت من علابيه خلى عنهما، وشد أحدهما، فجاء بصرار، فألقاه في رجله، وهو يداور الآخر، والأخرى تخنقه؛ فخر لوجهه، فربطاه، ثم انطلقا به إلى عثمان بن حيان المري، وهو في إمارته على المدينة فأخذا ما جعل لأخذه، فكتب فيه إلى الخليفة، فكتب أن أدفعه إلى ابن أخي عون: عدي، فدفع إليه، فقال السمهري: أتقتلني وأنت لا تدري أقاتل عمك أنا أم لا؟ ادن أخبرك، فأراد الدنو منه، فنودي: إياك والكلب، وإنما أراد أن يقطع أنفه، فقتله بعمه. ولما حبسه ابن حيان في السجن تذكر زجر اللهبي وصدقه، فقال:

ألا أيها البيت الذي أنا هاجره ... فلا البيت منسي ولا أنا زائره

ألا طرقت ليلى وساقي رهينة ... بأشهب مشدود علي مسامره

فإن أنج يا ليلى فرب فتى نجا ... وإن تكن الأخرى فشيء أحاذره

وما أصدق الطير التي برحت لنا ... وما أعيف اللهبي لا عز ناصره

رأيت غراباً ساقطاً فوق بانة ... ينشنش أعلى ريشه ويطايره

فقال غراب باغتراب من النوى ... وبان ببين من حبيب تحاذره

فكان اغتراب بالغراب ونية ... وبالبان بين بين لك طائره

وقال السمهري في الحبس يحرض أخاه مالكاً على ابني فائد:

فمن مبلغ عني خليلي مالكاً ... رسالة مشدود الوثاق غريب

ومن مبلغ حزما وتيماً ومالكا ... وأرباب حامي الحفر رهط شبيب

ليبكوا التي قالت بصحراء منعج ... لي الشرك يا بني فائد بن حبيب

أتضرب في لحمي بسهم ولم يكن ... لها في سهام المسلمين نصيب

وقال السمهري يرقق بني أسد:

تمنت سليمى أن أقيل بأرضها ... وأني لسلمى ويبها ما تمنت

ألا ليت شعري هل أزورن ساجراً ... وقد رويت ماء الغوادي وعلت

بني أسد هل فيكم من هوادة ... فتغفر إن كانت بي النعل زلت

وبنو تميم تزعم أن البيت لمرة بن محكان السعدي: وقال السمهري في الحبس يذم قومه:

لقد جمع الحداد بين عصابة ... تسائل في الأقياد ماذا ذنوبها

بمنزلة أما اللئيم فشامت ... بها وكرام القوم باد شحوبها

إذا حرسي قعقع الباب أرعدت فرائص أقوام وطارت قلوبها
ألا ليتني من غير عكل قبيلتي ولم أدر ما شبان عكل وشيبها؟
قبيلة "من "لا يقرع الباب وقدها لخير ولا يهدي الصواب خطيبها
نرى الباب لا نستطيع شيئاً وراءه كأنا قني أسلمتها كعوبها
وإن تك عكل سرها ما أصابني فقد كنت مصبوباً على ما يريبها

وقال السمهري أيضاً في الحبس:

ألا حي ليلى إذ ألم لمامها وكان مع القوم الأعادي كلامها
تعلل بليلى إنما أنت هامة من الغد يدنو كل يوم حمامها
وبادر بليلى أوجه الركب إنهم متى يرجعوا يحرم عليك كلامها
وكيف ترجيها وقد حيل دونها وأقسم أقوام مخوف قسامها

لأجتنبنها أو ليبتدرنني ببيض عليها الأثر فعم كلامها
لقد طرقت ليلى ورجلي رهينة فما راعني في السجن إلا لمامها
فلما انتبهت للخيال الذي سرى إذا الأرض قفر قد علاها قتامها
فإلا تكن ليلى طوتك فإنه شبية بليلى حسنها وقوامها
ألا ليتنا نحيا جميعاً بغبطة وتبلى عظامي حين تبلى عظامها

وقال أيضاً:

ألا طرقت ليلى وساقي رهينة بأسمر مشدود علي ثقيل
فما البين يا سلمى بأن تشحط النوى ولكن بيناً ما يريد عقيل
فإن أنج منها أنج من ذي عظيمة وإن تكن الأخرى فتلك سبيل

وقال أيضاً وهو طريد:

فلا تيأسا من رحمة الله وانظرا بوادي جبونا أن تهب شمال
ولا تيأسا أن ترزقا أريحية كعين المها أعناقهن طوال
من الحارثيين الذين دماؤهم حرام وأما مالهم فحلال

وقال أيضاً:

ألم تر أني وابن أبيض قد جفت بنا الأرض إلا أن نؤم الفيافيا
طريدين من حيين شتى أشدنا مخافتنا حتى نخلنا التصافيا
وما لمته في أمر حزم ونجدة ولا لامني في مرتي واحتياليا
وقلت له إذ حل يسقي ويستقي وقد كان ضوء الصبح ليل حاديا :
لعمري لقد لاقت ركابك مشرباً لئن هي لم تضبح عليهن عاليا

بعض أخباره: وأخذت طيئ ببهدل ومروان أخيه أشد الأخذ، وحبسوا، فقالوا: إن حبسنا لم نقدر عليهما ونحن محبوسون، ولكن خلوا عنا، حتى نتجسس عنهما، فنأتيكم بهما، وكانا تأبدا مع الوحش يرميان الصيد فهو رزقهما. ولما طال ذلك على مروان هبط إلى راع، فتحدث إليه فسقاه، وبسطه، حتى اطمأن إليه، و لم يشعره أنه يعرفه، فجعل يأتيه بين الأيام، فلا ينكره، فانطلق الراعي، فأخبره باختلافه إليه، فجاء معه الطلب، وأكمنهم، حتى إذا جاء مروان إلى الراعي كما كان يفعل ساقاه، وحدثه فلم يشعر حتى أطافوا به، فأخذوه، وأتوا به عثمان بن حيان أيضاً عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة، فأعطى الذي دل عليه جعله، وقتله.

نهاية بهدل: وأما بهدل فكان يأوي إلى هضبة سلمى، فبلغ ذلك سيداً من سلمى، من طيء، فقال: قد أخيفت طيء، وشردت من السهل من أجل هذا الفاسق الهارب، فجاء حتى حل بأهله أسفل تلك الهضبة ومعه أهلات من قومه، فقال لهم: إنكم بعيني الخبيث، فإذا كان النهار فليخرج الرجال من البيوت، وليخلوا النساء، فإنه إذا رأى ذلك انحدر إلى القباب، وطلب الحاجة والعل فكانوا يخلون الرجال نهاراً فإذا أظلموا ثابوا إلى رحالهم أياماً، فظن بهدل أنهم يفعلون ذلك لشغل يأتيهم، فانحدر إلى قبة السيد، وقد أمر النساء: إن انحدر إليكن رجل فإنه ابن عمكن، فأطعمنه وادهن رأسه.

وفي قبة السيد ابنتان له فسألهما: من أنتما؟ فأخبرتاه، وأطعمتاه، ثم انصرف فلما راح أبوهما أخبرتاه، فقال: أحسنتما إلى ابن عمكما، فجعل ينحدر إليهما، حتى اطمأن، وغسلتا رأسه، وفلتاه ودهنتاه، فقال الشيخ لابنتيه: أفلياه، ولا تدهناه إذا أتاكما هذه المرة، واعقدا خصل لمته إذا نعس رويداً بخمل القطيفة.

ثم إذا شددنا عليه فأقلبا القطيفة على وجهه، وخذا أنتما بشعره من ورائه فمدا به إليكما، ففعلتا، واجتمع له أصحابه، فكروا إلى رحالهم قبل الوقت الذي كانوا يأتونها، وشدوا عليه، فربطوه، فدفعوه إلى عثمان بن حيان، فقتله، فقالت بنت بهدل ترثيه:

فيا ضيعة الفتيان إذ يعتلونه ببطن الشرى مثل الفنيق المسدم
دعا دعوة لما أتى أرض مالك ومن لا يجب عند الحفيظة يسلم
أما كان في قيس من ابن حفيظة من القوم طلاب التراث غشمشم
فيقتل جبراً بامرئ لم يكن به بواء ولكن لا تكايل بالدم

وكان دعا: يا لمالك لينتزعوه، فلم يجبه أحد.

مساجلة بينه وبين الكميت:

قال: ولما قال عبد الرحمن بن دارة ابن عم سالم بن دارة هذه القصيدة يحض عكلاً على بني فقعس اعترض الكميت بن معروف الفقعسي، فعيره بقتل سالم حين قتله زميل الفزاري، فقال قوله:

فلا تكثروا فيه الضجاج فإنه ... محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

فقال عبد الرحمن بن دارة:

فيا راكباً إما عرضت فبلغن ... مغلغلة عني القبائل من عكل

جلت حمماً عنها القصاف وما جلت ... قشير وفي الشدات والحرب ما يجلى

فإن يك باع الفقعسي دماءهم ... بوكس فقد كانت دماؤكم تغلي

وكيف تنام الليل عكل ولم يكن ... لها قود بالسمهري ولا عقل

رمى الله في أكبادهم إن نجت بها ... حروف القنان من ذليل ومن وغل

وكنا حسبنا فقعساً قبل هذه ... أذل على طول الهوان من النعل

فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فكونوا بغايا للخلوق وللكحل

وبيعوا الردينيات بالحلي واقعدوا ... على الوتر وابتاعوا المغازل بالنبل

فإن الذي كانت تجمجم فقعس ... قتيل بلا قتلى وتبل بلا تبل

فلا سلم حتى تنحط الخيل بالقنا ... وتوقد نار الحرب بالحطب الجزل

يقتلون ابن سعدة وأمه: فلما بلغ قوله مالكاً أخا السمهري بخراسان، انحط من خراسان، حتى قدم بلاد عكل فاستجاش نفراً من قومه، فعلقوا في أرض بني أسد يطلبون الغرة فوجدوا بثادق رجلاً معه امرأة من فقعس، فقتلوه، وحزوا رأسه، وذهبوا بالرأس، وتركوا جسده، كما قتلوها أيضاً، وذكر لي: أن الرجل ابن سعدة والمرأة التي كانت معه هي سعدة أمه، فقال عبد الرحمن في ذلك:

ما لقتيل فقعس لا رأس له ... هلا سألت فقعساً من جدله

لا يتبعن فقعسي جمله ... فرداً إذا ما الفقعسي أعمله

لا يلقين قاتلاً فيقتله ... بسيفه قد سمه وصقله

وقال عبد الرحمن أيضاً:

لما تمالى القوم في رأد الضحى ... نظراً وقد لمع السراب فجالا

نظر ابن سعدة نظرة ويلاً لها كانت لصحبك والمطي خبالا
لماً رأى من فوق طود يافع بعض العداة وجنة وظلالا
عيرتني طلب الحمول وقد أرى لم آتهن مكففاً بطالا
فانظر لنفسك يا بن سعدة هل ترى ضبعاً تجر بثادق أوصالا
أوصال سعدة والكميت وإنما كان الكميت على الكميت عيالا

وقال عبد الرحمن في ذلك:

أصبحتم ثكلى لئاما وأصبحت شياطين عكل قد عراهن فقعس
قضى مالك ما قد قضى ثم قلصت به في سواد الليل وجناء عرمس
فأضحت بأعلى ثادق وكأنها محالة غرب تستمر وتمرس

مصرعه: وحدثني علي بن سليمان الأخفش أن بني أسد ظفرت بعبد الرحمن بن دارة بالجزيرة بعدما أكثر من سبهم وهجائهم وتآمروا في قتله، فقال بعضهم: لا تقتلوه، ولتأخذوا عليه أن يمدحنا ونحسن إليه فيمحو بمدحه ما سلف من هجائه، فعزموا على ذلك، ثم إن رجلاً منهم كان قد عضه بهجائه، اغتفله فضربه بسيفه، فقتله وقال في ذلك:

قتل ابن دارة بالجزيرة سبنا وزعمت أن سبابنا لا يقتل

قال علي بن سليمان: وقد روي أن البيت المتقدم:

فلا تكثروا فيه الضجاج فإنه محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

لهذا الشاعر الذي قتل ابن دارة، وهو من بني أسد، وهكذا ذكر السكري.

صوت

كلانا يرى الجوزاء يا جمل إذا بدت ونجم الثريا والمزار بعيد
فكيف بكم يا جمل أهلاً ودونكم بحور يقمصن السفين وبيد
إذ قلت: قد حان القفول يصدنا سليمان عن أهوائنا وسعيد

الشعر لمسعود بن خرشة المازني، والغناء لبحر، خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي.

أخبار مسعود بن خرشة

يهوى جارية من قومه:

مسعود بن خرشة أحد بني حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، شاعر إسلامي بدوي من لصوص بني تميم، قال أبو عمرو: وكان مسعود بن خرشة يهوى امرأة من قومه من بني مازن يقال لها: جمل بنت شراحيل، أخت تمام بن شراحيل المازني الشاعر، فانتجع قومها ونأوا عن بلادهم، فقال مسعود:

كلانا يرى الجوزاء يا جمل إذ بدت ونجم الثريا والمزار بعيد

فكيف بكم يا جمل أهلاً ودونكم بحور يقمصن السفين وبيد

إذا قلت: قد حان القفول يصدنا سليمان عن أهوائنا وسعيد

قال أبو عمرو: ثم خطبها رجل من قومها، وبلغ ذلك مسعوداً فقال:

أيا جمل لا تشقي بأقعس حنكل قليل الندى يسعى بكير ومحلب

له أعنز حو ثمان كأنما يراهن غر الخيل أهون أنجب

يسرق إبلاً: وقال أبو عمرو: وسرق مسعود بن خرشة إبلاً من مالك بن سفيان بن عمرو الفقعسي، هو ورفقاء له، وكان معه رجلان من قومه، فأتوا بها اليمامة ليبيعوها، فاعترض عليهم أمير كان بها من بني أسد، ثم عزل وولي مكانه رجل من بني عقيل فقال مسعود في ذلك:

يقول المرجفون: أجاء عهد كفى عهداً بتنفيذ القلاص

أتى عهد الإمارة من عقيل أغر الوجه ركب في النواصي

حصون بني عقيل كل عضب إذا فزعوا وسابغة دلاص

وما الجارات عند المحل فيهم ولو كثر الروازح بالخماص

قال: وقال مسعود "وقد" طلبه والي اليمامة، فلجأ إلى موضع فيه ماء وقصب:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوعثاء فيها للظباء مكانس

وهل أنجون من ذي لبيد بن جابر كأن بنات الماء فيه المجالس

وهل أسمعن صوت القطا تندب القطا إلى الماء منه رابع وخوامس

أخبار بحر ونسبه

هو بحر بن العلاء، مولى بني أمية، حجازي، أدرك دولة بني هاشم، وعمر إلى أيام الرشيد، وقد هرم، وكان له أخ يقال له عباس، وأخوه بحر أصغر منه، مات في أيام المعتصم، وكان يلقب حامض الرأس، وله صنعة، وأقدمه الرشيد عليه، ثم كرهه، فصرفه.

حدثني جحظة قال: حدثني ميمون بن هارون قال: حدثني أحمد بن أبيس خالد الأحول، عن علي بن صالح صاحب المصلى: أن الرشيد سمع من علوية ومخارق وهما يومئذ من صغار المغنين في الطبقة الثالثة أصواتاً استحسنها، و لم يكن سمعها، فقال لهما: ممن أخذتما هذه الأصوات، فقالا: من بحر، فاستعادها، وشرب عليها، ثم غناه مخارق بعد أيام صوتاً لبحر، فأمر بإحضاره، وأمره أن يغني ذلك الصوت، فغناه، فسمع الرشيد صوتاً حائلاً مرتعشاً فلم يعجبه، واستثقله لولائه لبني أمية، فوصله، وصرفه، و لم يصل إليه بعد ذلك.

صوت

ألا يا لقومي للنوائب والدهر وللمرء يردي نفسه وهو لا يدري

وللأرض كم من صالح قد تودأت عليه فوارته بلماعة قفر

عروضه من الطويل، قال الأصمعي: يقال للرجل أو للقوم إذا دعوتهم: يال كذا " بفتح اللام" وإذا دعوت للشيء. قلت بالكسرة، تقول: يا للرجال ويا للقوم. وتقول: يا للغنيمة ويا للحادثة، أي اعجلوا للغنيمة وللحادثة، فكأنه قال: يا قوم اعجلوا للغنيمة. وروى الأصمعي وغيره مكان قد تودأت: قد لمأت عليه، وتلاءمت، أي وارته، ويروى: تأكمت أي صارت أكمة.

الشعر لهدبة بن خشرم، والغناء لمعبد ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبرا هدبة بن خشرم ونسبه

وقصته في قوله هذا الشعر وخبر مقتله نسبه وأدبه: هو هدبة بن خشرم بن كرز بن أبي حية بن الكاهن - وهو سلمة - بن أسحم بن عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم؛ وسعد بن هذيم شاعر من أسلم بن الحاف بن قضاعة؛ ويقال: بل هو سعد بن أسلم، وهذيم عبد لأبيه رباه، فقيل: سعد بن هذيم، يعني سعداً هذا.

وهدبة شاعر فصيح متقدم من بادية الحجاز، وكان شاعراً راوية، كان يروي للحطيئة، والحطيئة يرويي لكعب بن زهير، وكعب بن زهير يروي لأبيه زهير، وكان جميل راوية هدبة، وكثير راوية جميل، فلذلك قيل: إن آخر فحل اجتمعت له الرواية إلى الشعر كثير.

وكان لهدبة ثلاثة إخوة كلهم شاعر: حوط وسيحان والواسع، أمهم حية بنت أبي بكر بن أبي حية من رهطهم الأدنين، وكانت شاعرة أيضاً.

وهذا الشعر يقوله هدبة في قتله زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قرة بن حنش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم.

أخبرني بالخبر في ذلك جماعة من شيوخنا، فجمعت بعض روايتهم إلى بعض، واقتصرت على ما لابد منه من الأشعار، وأتيت بخبرهما على شرح، وألحقت ما نقص من رواية بعضهم عن رواية صاحبه في موضع النقصان.

الحرب بين رهطه ورهط زيادة بن زيد: فممن حدثني به محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي: تينة قال: حدثنا خلف بن المثنى الحداني، عن أبي عمر والمديني.

وأخبرني الحسن بن يحيى، ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر البوشنجي، عن حماد بن إسحاق الموصلي عن أبيه.

وأخبرني إبراهيم بن أيوب الصائغ، عن ابن قتيبة.

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي، عن أبيه عن عمه. وقد نسبت إلى كل واحد منهم ما انفرد به من الرواية، وجمعت ما اتفقوا عليه، قال عيسى بن إسماعيل في خبره خاصة: كان أول ما هاج الحرب بين بني عامر بن عبد الله بن ذبيان وبين بني رقاش، وهم بنو قرة بن حفش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان، وهم رهط زيادة بن زيد، وبنو عامر رهط هدبة، أن حوط بن خشرم أخا هدبة راهن زيادة بن زيد على جملين من إبلهما، وكان مطلقهما من الغاية على يوم وليلة، وذلك في القيظ، فتزودوا الماء في الروايا والقرب، وكانت أخت حوط سلمى بنت خشرم تحت زيادة بن زيد، فمالت مع أخيها على زوجها، فوهن أوعية زيادة، ففني ماؤه قبل ماء صاحبه، فقال زيادة:

قد جعلت نفسي في أديم ... محرم الدباغ ذي هزوم

ثم رمت بي عرض الديموم ... في بارح من وهج السموم

عند اطلاع وعرة النجوم

قال اليزيديّ في خبره: المحرم: الذي لم يدبغ، والهزوم: الشقوق.

قال: وقال زيادة أيضاً:

قد علمت سلمة بالعميس ... ليلة مرمار ومرمريس

أن أبا المسور ذو شريس ... يشفي صداع الأبلج الدلعيس

العميس: موضع، والمرمار والمرمريس: الشدة والاختلاط، وأبا المسور يعني زيادة نفسه، وكانت كنيته أبا المسور.

هدبة وزيادة كل منهما يشبب بأخت الآخر: قال: فكان ذلك أول ما أثبت الضغائن بينهما، ثم إن هدبة بن خشرم وزيادة بن زيد اصطحبا، وهما مقبلان من الشام، في ركب من قومهما، فكانا يتعاقبان السوق بالإبل، وكان مع هدبة أخته فاطمة، فترلزيادة فارتجز فقال:

عوجي علينا واربعي يا فاطما ... ما دون أن يرى البعير قائماً

أي ما بين مناخ البعير إلى قيامه .

ألا ترين الدمع مني ساجماً ... حذار دار منك لن تلائما

فعرجت مطرداً عراهما فعما يبذ القطف الرواسما

مطرد: متتابع السير، وعراهم: شديد، وفعم: ضخم، والرسيم: سير فوق العنق، والرواسم: الإبل التي تسير هذا السير الذي ذكرناه .

كأن في المثناة منه عائما إنك والله لأن تباغما

المثناة: الزمام، وعائم: سائح، تباغم: تكلم .

خوداً كأن البوص والمآكما منها نقاً مخالط صرائما

البوص: العجز، والمأكمتان: ما عن يمين العجز وشماله، والنقا: ما عظم من الرمل. والصرائم: دونه .

خير من استقبالك الشمائما ومن مناد يبتغي معاكما

ويروى: ومن نداء، أي رجل تناديه تبتغي أن يعينك على عكمك حتى تشده.

فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته، فنزل فرجز بأخت زيادة، وكانت تدعى - فيما روى اليزيدي - أم حازم، وقال الآخرون: أم القاسم، فقال هدبة:

لقد أراني والغلام الحازما نزجي المطي ضمراً سواهما

متى تظن القلص الرواسما والجلة الناجية العياهما

العياهم: الشداد.

يبلغن أم حازم وحازما إذا هبطن مستحيرا قاتماً

ورجع الحادي لها الهماهما ألا ترين الحزن مني دائما

حذار دار منك لن تلائما والله لا يشفي الفؤاد الهائما

تمساحك اللبات والمآكما ولا اللمام دون أن تلازما

ولا اللئام دون أن تفاقما ولا الفقام دون أن تفاغما

وتعلو القوائم القوائما

قال: فشتمه زيادة، وشتمه هدبة، وتسابا طويلاً، فصاح بهما القوم: اركبا، لا حملكما الله. فإنا قوم حجاج، وخشوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما، حتى أمسك كل واحد منهما على ما في نفسه، وهدبة أشدهما حنقاً، لأنه رأى أن زيادة قد ضامه، إذ رجز بأخته وهي تسمع قوله، ورجز هو بأخته، وهي غائبة لا تسمع قوله، فمضيا ولم يتحاورا بكلمة، حتى قضيا حجهما، ورجعا إلى عشيرتيهما.

يرتجزون بعمه زفر: قال اليزيدي خاصة في خبره: ثم التقى نفر من بني عامر، من رهط هدبة، فيهم أبو جبر، وهو

رئيسهم الذي لا يعصونه، وخشرم أبو هدبة، وزفر عم هدبة، وهو الذي بعث الشر، وحجاج بن سلامة، وهو أبو ناشب، ونفر من بني رفاش رهط زيادة، وفيهم زيادة بن زيد، وإخوته: عبد الرحمن ونفاع وأدرع بواد من أودية حرقم، فكان بينهم كلام، فغضب ابن الغسانية، وهو أدرع، وكان زفر عم هدبة يعزى إلى رجل من بني رقاش، فقام له أدرع فرجز به فقال:

أدوا إلينا زفرا نعرف منه النظرا

وعينه والأثرا

قال: فغضب رهط هدبة، وادعوا حداً على بني رقاش، فتداعوا إلى السلطان، ثم اصطلحوا على أن يدفع إليهم أدرع، فيخلو به نفر منهم، فما رأوه عليه أمضوه، فلما خلوا به ضربوه الحد ضرباً مبرحاً، فراح بنو رقاش وقد أضمروا الحرب وغضبوا، فقال عبد الرحمن بن زيد:

ألا أبلغ أبا جبر رسولا فما بيني وبينكم عتاب

ألم تعلم بأن القوم راحوا عشية فارقوك وهم غضاب

فأجابه الحجاج بن سلامة فقال:

إن كان ما لاقى ابن كنعاء مرغماً رقاش فزاد الله رغما سبالها

منعنا أخانا إذا ضربنا أخاكم وتلك من الأعداء لا مثل مالها

هو وزيادة يتهاديان الأشعرا: قال اليزيدي في خبره: وجعل هدبة وزيادة يتهاديان الأشعار، ويتفاخران، ويطلب كل واحد منهما العلو على صاحبه في شعره، وذكر أشعاراً كثيرة، فذكرت بعضها، وأتيت بمختار ما فيه، فمن ذلك قول زيادة في قصيدة أولها:

أراك خليلا قد عزمت التجنبا وقطعت حاجات الفؤاد فأصحبا

اخترت منها قوله:

وأنك للناس الخليل إذا دنت به الدار، والباكي إذا ما تغيبا

وقد أعذرت صرف الليالي بأهلها وشحط النوى بيني وبينك مطلبا

فلا هي تألوا ما نأت وتباعدت ولا هو يألو ما دنا وتقربا

أطعت بها قول الوشاة فلا أرى ال وشاة انتهوا عنه ولا الدهر أعتبا

فهلا صرمت والحبال متينة أميمة إن واش وشى وتكذبا

إذا خفت شك الأمر فارم بعزمه غيابته يركب بك الدهر مركبا

وإن وجهة سدت عليك فروجها فإنك لاق لا محالة مذهبا

يلام رجال قبل تجريب غيبهم وكيف يلام المرء حتى يجربا

وإني لمعراض قليل تعرضي لوجه امرئ يوماً إذا ما تجنبا

قليل عثارى حين أذعر، ساكن جناني إذا ما الحرب هرت لتكلبا

بحسبك ما يأتيك فاجمع لنازل قراه ونوبه إذا ما تنوبا

ولا تنتجع شراً إذا حيل دونه بستر وهب أسبابه ما تهيبا

أنا بان رقاش وابن ثعلبة الذي بني هادياً يعلو الهوادي أغلبا

بنى العز بنياناً لقومي فما صعوا بأسيافهم عنه فأصبح مصعبا

فما إن ترى في الناس أما كأمنا ولا كأبينا حين ننسبه أبا

أتم وأنمى بالبنين إلى العلا وأكرم منا في المناصب منصبا

ملكنا ولم نملك وقدنا ولم نقد كأن لنا حقاً على الناس ترتبا

قال اليزيدي: ترتب: ثابت لازم .

بآية أنا لا نرى متتوجا من الناس يعلونا إذا ما تعصبا

ولا ملكاً إلا اتقانا بملكه ولا سوقة إلا على الخرج أتعبا

ملكنا ملوكاً واسبتحنا حماهم وكنا لهم في الجاهلية موكبا

ندامى وأردافاً فلم تر سوقة توازننا فاسأل إياداً وتغلبا

فأجابه هدبة، وهذا مختار ما فيها فقال:

تذكر شجواً من أميمة منصبا تليداً ومنتاباً من الشوق مجلبا

تذكر حباً كان في ميعة الصبا ووجداً بها بعد المشيب معتبا

إذا كاد ينساها الفؤاد ذكرتها فيالك ما عنى الفؤاد وعذبا

غدا في هواها مستكينا كأنه خليع قداح لم يجد متنشبا

وقد طال ما علقت ليلى مغمرا وليدا إلى أن صار رأسك أشيبا

المغمر: للغمر أي غير حدث - .

رأيتك في ليلى كذى الداء لم يجد طبيباً يداوي ما به فتطببا

فلما اشتفى مما به كرطبه على نفسه من طول ما كان جربا

يقتل زيادة فيسجن: فلم يزل هدبة طيطلب غرة زيادة حتى أصابها فبيته فقتله، وتنحى مخافة السلطان، وعلى المدينة يومئذ سعيد بن العاص، فأرسل إلى عم هدبة وأهله فحبسهم بالمدينة، فلما بلغ هدبة ذلك أقبل حتى أمكن من نفسه وتخلص عمه وأهله، فلم يزل محبوساً حتى شخص عبد الرحمن بن زيد أخو زيادة إلى معاوية، فأورد كتابه إلى سعيد بأن يقيد منه إذا قامت البينة، فأقامها، فمشت عذرة إلى عبد الرحمن، فسألوه قبول الدية فامتنع، وقال: صوت

أنختم علينا كلكل الحرب مرة فنحن منيخوها عليكم بكلكل
فلا يدعني قومي لزيد بن مالك لئن لم أعجل ضربة أو أعجل
أبعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل
كريم أصابته ديات كثيرة فلم يدر حتى حين من كل مدخل
أذكر بالبقيا على من أصابني وبقياي أني جاهد غير مؤتلي

غناه ابن سريج رملا بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وقيل: إنه لمالك بن أبي المسح وله فيه لحن آخر.

رجع الخبر إلى سياقته وأما علي بن محمد النوفلي، فذكر عن أبيه: أن سعيد بن العاص كره الحكم بينهما، فحملهما إلى معاوية، فنظر في القصة، ثم ردها إلى سعيد. وأما غيره فذكر أن سعيداً هو الذي حكم بينهما من غير أن يحملهما إلى معاوية.

قال علي بن محمد عن أبيه: فلما صاروا بين يدي معاوية قال عبد الرحمن أخو زيادة له: يا أمير المؤمنين أشكو إليك مظلمتي وما دفعت إليه، وجرى علي وعلى أهلي وقرباي وقتل أخي زيادة، وترويع نسوتي، فقال له معاوية: يا هدبة قل. فقال: إن هذا رجل سجاعة، فإن شئت أن أقص عليك قصتنا كلاماً أو شعراً فعلت، قال: لا بل شعراً، فقال هدبة هذه القصيدة ارتجالاً:

ألا يا لقومي للنوائب والدهر وللمرء يردي نفسه وهو لا يدري
وللأرض كم من صالح قد تأكمت عليه فوارته بلماعة قفر
فلا تتقي ذا هيبة لجلاله ولا ذا ضياع هن يتركن للفقر

حتى قال:

رمينا فرامينا فصادف رمينا منايا رجال في كتاب وفي قدر
وأنت أمير المؤمنين فمالنا وراءك من معدي ولا عنك من قصر
فإن تك في أموالنا لم نضق بها ذراعاً، وإن صبر فنصبر للصبر

فقال له معاوية: أراك قد أقررت بقتل صاحبهم، ثم قال لعبد الرحمن: هل لزيادة ولد؟ قال: نعم، المسور، وهو غلام صغير لم يبلغ، وأنا عمه وولي دم أبيه، فقال: إنك لا تؤمن على أخذ الدية أو قتل الرجل بغير حق، والمسور أحق بدم أبيه فرده إلى المدينة فحبس ثلاث سنين حتى بلغ المسور.

بينه وبين جميل بن معمر: أخبرني الحرمي بن العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: نسخت من كتاب عامر بن صالح قال: دخل جميل بن معمر العذري على هدبة بن خشرم السجن وهو محبوس بدم زيادة بن زيد، وأهدى له بردين من ثياب كساه إياها سعيد بن العاص، وجاءه بنفقة، فلما دخل إليه عرض ذلك عليه، وسأله أن يقبله منه، فقال له هدبة: أأنت يا بن معمر الذي تقول:

بني عامر أنى انتجعتم وكنتم ... إذا عدد الأقوام كالخصية الفرد؟

أما والله لئن خلص الله لي ساقي لأمدن لك مضمارك، خذ برديك ونفقتك، فخرج جميل، فلما بلغ باب السجن خارجاً قال: اللهم أغن عني أجدع بني عامر، قال: وكانت بنو عامر قد قلت، فحالفت لإياد.

من شعر أمه فيه: قال أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني: فقالت أم هدبة فيه لما شخص إلى المدينة فحبس بها:

أيا إخوتي أهل المدينة أكرموا ... أسيركم إن الأسير كريم

فرب كريم قد قراه وضافه ... ورب أمور كلهن عظيم

عصى جلها يوماً عليه فراضه ... من القوم عياف أشم حليم

يتوسطون له فترفض وساطتهم: فأرسل هدبة العشيرة إلى عبد الرحمن في أول سنة فكلموه، فاستمع منهم ثم قال:

أبعد الذي يالنعف نعف كويكب ... رهينة رمس ذي تراب وجندل

أذكر بالبقيا على من أصابني ... وبقياي أني جاهد غير مؤتلي

فرجعوا إلى هدبة بالأبيات فقال: لم يؤيسني بعد، فلما كانت السنة الثالثة بلغ المسور، فأرسل هدبة إلى عبد الرحمن من كلمه فأنصت حتى فرغوا، ثم قام عنه مغضباً وأنشأ يقول:

سأكذب أقواماً يقولون: إنني ... سآخذ مالاً من دم أنا ثائره

فباست امرئ واست التي زحرت به ... يسوق سواماً من أخ هو واتره

ونهض، فرجعوا إلى هدبة فأخبروه الخبر فقال: الآن أيست منه، وذهب عبد الرحمن بالمسور، وقد بلغ إلى والي المدينة، وهو سعيد بن العاص، وقيل مروان بن الحكم، فأخرج هدبة.

لقاؤه الأخير بزوجته: قالوا: فلما كان في الليلة التي قتل في صباحها أرسل إلى امرأته، وكان يحبها: إيتيني الليل أستمتع بك وأودعك، فأتته في اللباس والطيب، فصارت إلى رجل، قد طال حبسه، وأنتنت في الحديد رائحته،

فحادثها، وبكى، وبكت، ثم راودها عن نفسها، وطاوعته، فلما علاها سمعت قعقة الحديد فاضطربت تحته، فتنحى عنها وأنشأ يقول:

وأدنيتني حتى إذا ما جعلتني ... لدى الخصر أو أدنى استقلك راجف

فإن شئت والله انتهيت وإنني ... لئلا تريني آخر الدهر خائف

رأت ساعدي غول وتحت ثيابه ... جآجئ يدمى حدها والحراقف

ثم قال الشعر حتى أتى عليه وهو طويل جداً وفيه يقول: صوت

فلم تر عيني مثل سرب رأيته ... خرجن علينا من زقاق ابن واقف

تضمخن في الجادي حتى كأنما الأ ... نوف إذا استعرضتهن رواعف

خرجن بأعناق الظباء وأعين ال ... جآذر وارتجت لهن السوالف

فلو أن شيئاً صاد شيئاً بطرفه ... لصدن ظباء فوقهن المطارف

غنى فيه الغريض رملاً بالبنصر من رواية حبش، وفيه لحن خفيف ثقيل، وذكر إسحاق أن فيه لحناً ليونس، ولم يذكر طريقته في مجرده.

أيهما أحسن: سربه أم السمكات الثلاث؟: أخبرنا الحرمي قال: حدثنا الزبير عن عمه قال: مر أبو الحراث جمين يوماً بسوق المدينة، فخرج عليه رجل من زقاق ابن واقف بيده ثلاث سمكات قد شق أجوافها: وقد خرج شحمها، فبكى أبو الحارث، ثم قال: تعس الذي يقول:

فلم تر عيني مثل سرب رأيته ... خرجن علينا من زقاق بن واقف

وانتكس ولا انجبر، والله لهذه السمكات الثلاث أحسن من السرب الذي وصف.

وأحسب أن هذا الخبر مصنوع لأنه ليس بالمدينة زقاق يعرف بزقاق ابن واقف، ولا بها سمك، ولكن رويت ما روي.

حجي ترثي لحاله: وقال حماد بن إسحاق عن أبيه أن ابن كناسة قال: مر بهدبة على حجي؛ فقالت: في سبيل الله شبابك وجلدك وشعرك وكرمك؛ فقال هدبة:

تعجب حبي من أسير مكبل ... صليب العصا باق على الرسفان

فلا تعجبي مني حليلة مالك ... كذلك يأتي الدهر بالحدثان

يبين لزوجته أوصاف من يخلفه عليها: وقال النوفلي عن أبيه: فلما مضي به من السجن للقتل، التفت فرأى امرأته؛ وكانت من أجمل النساء فقال:

أقلي علي اللوم يا أم بوزعا ... ولا تجزعي مما أصاب فأوجعا

ولا تنكحي إن فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأنزعا
كليلاً سوى ما كان من حد ضرسه أكيبد مطبان العشيات أروعا

ضروباً بلحييه على عظم زوره إذا الناس هشوا للفعال تقنعا
وحلي بذي أكرومة وحمية وصبر إذا ما الدهر عض فأسرعا

زوجته تشوه جمالها بسكين: وقال حماد عن أبيه عن مصعب بن عبد الله قال: لما أخرج هدبة من السجن ليقتل، جعل الناس يتعرضون له ويخبرون صبره، ويستنشدونه، فأدركه عبد الرحمن بن حسان، فقال له: يا هدبة، أتأمرني أن أتزوج هذه بعدك، يعني زوجته، وهي تمشي خلفه فقال: نعم، إن كنت من شرطها، قال: وما شرطها؟ قال: قد قلت في ذلك:

فلا تنكحي إن فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأنزعا
وكوني حبيساً أو لأروع ماجد إذا ضن أعشاش الرجال تبرعا

فمالت زوجته إلى جزار وأخذت شفرته، فجدعت بها أنفها، وجاءته تدمى مجدوعة فقالت: أتخاف أن يكون بعد هذا نكاح؟ قال: فرسف في قيوده وقال: الآن طاب الموت.

وقال النوفلي عن أبيه: إنها فعلت ذلك بحضرة مروان وقالت له: إن لهدبة عندي وديعة، فأمهله حتى آتية بها، قال: أسرعي، فإن الناس قد كثروا، وكان جلس لهم بارزاً عن داره، فمضت إلى السوق، فانتهت إلى قصاب وقالت: أعطني شفرتك، وخذ هذين الدرهمين وأنا أردها عليك، ففعل، فقربت من حائط، وأرسلت ملحفتها على وجهها، ثم جدعت أنفها من أصله، وقطعت شفتيها، ثم ردت الشفرة، وأقبلت حتى دخلت بين الناس وقالت: يا هدبة، أتراني متزوجة بعدما ترى؟ قال: لا، الآن طابت نفسي بعد بالموت، ثم خرج يرسف في قيوده، فإذا هو بأبويه يتوقعان النكل، فهما بسوء حال، فأقبل عليهما وقال:

أبلياني اليوم صبراً منكما إن حزناً إن بدا بادئ شر
لا أراني اليوم إلا ميتاً إن بعد الموت دار المستقر
إصبرا اليوم فإني صابر كل حي لقضاء وقدر

زوجته تنكث بعهدها: قال النوفلي: فحدثني أبي قال: حدثني رجل من عذرة عن أبيه قال: إني لببلادنا يوماً في بعض المياه، فإذا أنا بامرأة تمشي أمام وهي مدبرة، ولها خلق عجيب من عجز وهيئة، وتمام جسم، وكمال قامة، فإذا صبيان قد اكتنفاها يمشيان، قد ترعرعا، فتقدمتها، والتفت إليها، فإذا هي أقبح منظر، وغذا هي مجدوعة الأنف، مقطوعة الشفتين، فسألت عنها فقيل لي: هذه امرأة هدبة، تزوجت بعده رجلاً، فأولدها هذين الصبيين.

قال ابن قتيبة في حديثه: فسأل سعيد بن العاص أخا زيادة أن يقبل الدية عنه، قال: أعطيك ما لم يعطه أحد من

العرب أعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جداء ولا ذات داء، فقال له: والله لو نقبت لي قتبك هذه، ثم ملأتها لي ذهباً، ما رضيت بها من دم هذا الأجدع، فلم يزل سعيد يسأله، ويعرض عليه فيأبى، ثم قال له: والله لو أردت قبول الدية لمنعني قوله:

لنجدعن بأيدينا أنوفكم ويذهب القتل فيما بيننا هدرا

فدفعه حينئذ ليقتله بأخيه.

يعرض بحجى وهو في طريقه إلى الموت: قال حماد: وقرأت على أبي عن مصعب بن عبد الله الزبيري قال: ومر هبدة بحجى، فقالت له: كنت أعدك في الفتيان، وقد زهدت فيك اليوم، لأني لا أنكر أن يصبر الرجال على الموت، لكن كيف تصبر عن هذه؟ فقال: أما والله إن حجي لها لشديد، وإن شئت لأصفن لك ذلك ، ووقف الناس معه، فقال:

وجدت بها ما لم تجد أم واحد ولا وجد حبى بابن أم كلاب

رأته طويل الساعدين شمردلا كما تشتهي من قوة وشباب

فانقمعت داخلة إلى بيتها فأغلقت الباب دونه. قالوا: فدفع إلى أخي زيادة ليقتله، قال: فاستأذن في أن يصلي ركعتين، فأذن له، فصلاهما وخفف، ثم التفت إلى من حضر فقال: لولا أن يظن بي الجزع لأطلتهما، فقد كنت محتاجاً إلى إطالتهما، ثم قال لأهله: إنه بلغني أن القتيل يعقل ساعة بعد سقوط رأسه، فإن عقلت فإني قابض رجلي وباسطها ثلاثاً، ففعل ذلك حين قتل، وقال قبل أن يقتل:

إن تقتلوني في الحديد فإني قتلت أخاكم مطلقاً لم يقيد

فقال عبد الرحمن أخو زيادة: والله لا قتلته إلا مطلقاً من وثاقه، فأطلق له، فقام إليه وهز السيف ثم قال:

قد علمت نفسي وأنت تعلمه لأقتلن اليوم من لا أرحمه

ثم قتله.

فقال حماد في روايته:

ويقال: إن الذي تولى قتله ابنه المسور، دفع إليه عمه السيف وقال له: قم فاقتل قاتل أبيك، فقام، فضربه ضرتين قتله فيهما.

كاهنة تتنبأ بقتله صبراً: أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد: قرأت على أبي قال: بلغني أن هدبة أول من أقيد منه في الإسلام.

قال أحمد بن الحارث الخراز: قال المدائني: مرت كاهنة بأم هدبة وهو وأخوته نيام بين يديها، فقالت: يا هذه، إن الذي معي يخبرني عن بنيك هؤلاء بأمر. قالت: وما هو؟ قالت: أما هدبة وحوط فيقتلان صبرا، وأما الواسع وسيحان فيموتان كمداً، فكان كذلك.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد: قرأت على أبي: أخبرك مروان بن أبي حفصة قال: كان هدبة أشعر الناس منذ يوم دخل السجن إلى أن أقيد منه، قال الخراز عن المدائني: قال واسع بن خشرم يرثي هدبة لما قتل:

يا هدب يا خير فتيان العشيرة من ... يفجع بمثلك في الدنيا فقد فجعا

الله يعلم أني لو خشيتهم ... أو أوجس القلب من خوف لهم فزعا

لم يقتلوه ولم أسلم أخي لهم ... حتى نعيش جميعاً أو نموت معا

وهذه الأبيات تمثل بها إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، لما بلغه قتل أخيه محمد.

أخباره هو وزياد حديث العلبية: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدثني مصعب الزبيري قال: كنا بالمدينة أهل البيوتات إذا لم يكن عند أحدنا خبر هدبة وزيادة وأشعارهما ازدريناه، وكنا نرفع من قدر أخبارها وأشعارهما ونعجب بها.

صاحب بثينة راوية له: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: أخبرني محمد بن الحسن الأحول، عن رواية من الكوفيين قالوا: كان جميل بن معمر العذري راوية هدبة، وكان هدبة راوية الحطيئة، وكان الحطيئة راوية كعب بن زهير وأبيه.

حدثني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: عائشة أم المؤمنين تدعو له بعد موته: حدثني أبو المغيرة محمد بن إسحاق قال: حدثني أبو مصعب الزبيري قال: حدثني المنكدر بن محمد بن المنكدر، عن أبيه قال: بعث هدبة بن خشرم إلى عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها: استغفري لي، فقالت: إن قتلت استغفرت لك.

صوت

ألم تر أني يوم جو سويقة ... بكيت فنادتني هنيدة ماليا؟

فقلت لها: إن البكاء لراحة ... به يشتفي من ظن أن لا تلاقيا

قفي ودعينا يا هنيد فإنني ... أرى القوم قد شاموا العقيق اليمانيا

ويروى: أرى الركب قد شاموا .

إذا اغرورقت عيناي أسبل منهما ... إلى أن تغيب الشعريان بكائيا

الشعر للفرزدق من قصيدة يهجو بها جريراً، وهي فيما قيل أول قصيدة هجاه بها، والغناء لابن سريج خفيف ثقيل عن الهشامي، قال الهشامي: وفيه لمالك ثقيل أول، وابتداء اللحنين جميعاً.

ألم تر أني يوم جو سويقة

ولعلوية فيه لحن من الرمل المطلق ابتداؤه:

قفي ودعينا يا هنيد فإنني :

نسب الفرزدق وأخباره وذكر مناقضاته

نسبه

الفرزدق لقب غلب عليه، وتفسيره الرغيف الضخم الذي يجففه النساء للفتوت، وقيل: بل هو القطعة من العجين التي تبسط، فيخبز منها الرغيف، شبه وجهه بذلك؛ لأنه كان غليظاً جهماً. واسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم.

قال أبو عبيدة: اسم دارم بحر، واسم أبيه مالك عوف ويقال عرف. وسمى دارم دارماً لأن قوماً أتوا أباه مالكاً في حمالة فقال له: قم يا بحر فأتني بالخريطة - يعني خريطة كان له فيها مال - فحملها يدرم عنها ثقلاً، والدرمان: تقارب الخطو، فقال لهم: جاءكم يدرم بها، فسمى دارماً، وسمي أبوه مالك عرفاً لجوده.

وأم غالب ليلى بنت حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع.

وكان للفرزدق أخ يقال له هميم، ويلقب الأخطل، ليست له نباهة، فأعقب ابنا يقال له محمد، فمات والفرزدق حي فرثاه، وخبره يأتي بعد. وكان للفرزدق من الولد خبطة ولبطة وسبطة، وهؤلاء المعروفون، وكان له غيرهم فماتوا، ولم يعرفوا. وكان له بنات خمس أو ست.

وأم الفرزدق - فيما ذكر أبو عبيدة - لينة بنت قرظة الضبية.

جده محيي الموءودات: وكان يقال لصعصعة محي الموءودات؛ وذلك أنه كان مر برجل من قومه، وهوي حفر بئراً، وامرأته تبكي، فقال لها صعصعة: ما يبكيك؟ قالت: يريد أن يئد ابنتي هذه، فقال له: ما حملتك على هذا؟ قال: الفقر. قال: إني اشتريها منك بناقتين يتبعهما أولادهما، تعيشون بألبانهما، ولا تئد الصبية، قال: قد فعلت، فأعطاه الناقتين وجملاً كان تحته فحلاً، وقال في نفسه: إن هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب، فجعل على نفسه ألا يسمع بموءودة إلا فداها، فجاء الإسلام وقد فدى ثلثمائة موءودة، وقيل: أربعمائة.

أخبرني بذلك هاشم بن محمد الخزاعي، عن دماذ، عن أبي عبيدة.

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش قالا: حدثنا أبو سعيد السكري، عن محمد بن حبيب، عن أبي عبيدة عن عقال بن شبة قال: قال صعصعة: خرجت باغياً ناقتين لي فارقتين - والفارق: التي تفرق إذا ضربها المخاض فتندّ على وجهها، حتى تنتج - فرفعت لي نار فسرت نحوها، وهممت بالنزول، فجعلت النار تضيء مرة، وتخبو أخرى، فلم تزل تفعل ذلك حتى قلت: اللهم لك علي إن بلغتني هذه النار ألا أجد أهلها يوقدون لكربة يقدر أحد من الناس أن يفرجها إلا فرجتها عنهم، قال: فلم أسر إلا قليلاً

حتى أيتها، فإذا حي من بني أنمار بن الهجيم بن عمرو بن تميم، وإذا أنا بشيخ حادر أشعر يوقدها في مقدم بيته، والنساء قد اجتمعن إلى امرأة ماخض، قد حبستهن ثلاث ليال. فسلمت فقال الشيخ: من أنت؟ فقلت أنا صعصعة بن ناجية بن عقال، قال: مرحباً بسيدنا، ففيم أنت يا بن أخي؟ فقلت: في بغاء ناقتين لي فارقتين عمي علي أثرهما، فقال: قد وجدتهما بعد أن أحيا الله بهما أهل بيت من قومك، وقد نتجناهما، وعطفت إحداهما على الأخرى، وهما تانك في أدنى الإبل. قال: قلت: ففيم توقد نارك منذ الليلة؟ قال: أوقدها لامرأة ماخض قد حبستنا منذ ثلاث ليال، وتكلمت النساء فقلن: قد جاء الولد، فقال الشيخ: إن كان غلاماً فوالله ما أدري ما أصنع به، وإن كانت جارية فلا أسمعن صوتها - أي اقتلها - فقلت: يا هذا ذرها فإنها ابنتك، ورزقها على الله، فقال: اقتلنها، فقلت: أنشدك الله، فقال: إني أراك بها حفياً، فاشترها مني، فقلت: إني أستريها منك، فقال: ما تعطيني؟ قلت: أعطيك إحدى ناقتي قال: لا، قلت: فأزيدك الأخرى، فنظر إلى جملي الذي تحتي، فقال: لا، إلا أن تزيدني جملك هذا، فإني أراه حسن اللون شاب السن، فقلت: هو لك والناقتان على أن تبلغني أهلي عليه، قال: قد فعلت، فابتعتها منه بلقوحين وجمل، وأخذت عليه عهد الله وميثاقه ليحسنن برها وصلتها ما عاشت، حتى تبين منه، أو يدركها الموت، فلما برزت من عنده حدثتني نفسي وقلت: إن هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب، فآليت ألا يئد أحد بنتاً له إلا اشتريتها منه بلقوحين وجمل، فبعث الله عز وجل محمداً عليه السلام، وقد أحييت مائة موءودة إلا أربعاً، و لم يشاركني في ذلك أحد، حتى أنزل اله تحريمه في القرآن، وقد فخر بذلك الفرزدق في عدة قصائد من شعره، ومنها قصيدته التي أولها:

أبي أحد الغيثين صعصعة الذي ... متى تخلف الجوزاء والدلو يمطر

أجار بنات الوائدين ومن يجر ... على الفقر يعلم أنه غير مخفر

على حين لا تحيا البنات وإذ هم ... عكوف على الأصنام حو المدور

المدور: يعني الدوار الذي حول الصنم، وهو طوافهم .

أنا ابن الذي رد المنية فضله ... فما حسب دافعت عنه بمعور

وفارق ليل من نساء أتت أبي ... تمارس ريحاً ليلها غير مقمر

فقالت :أجر لي ما ولدت فإنني ... أتيتك من هزلي الحمولة مقتر

هجف من العثو الرؤوس إذا بدت ... له ابنة عام يحطم العظم منكر

رأس الأرض منها راحة فرمى بها ... إلى خدد منها إلى شر مخفر

فقال لها: فيئي فإني بذمتي ... لبنتك جار من أبيها القنور

إسلام أبيه على يد الرسول:

ووفد غالب بن صعصعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وقد كان وفده أبوه صعصعة إلى النبي صلى الله

عليه وسلم فأخبره بفعله في الموءودات، فاستحسنه وسأله: هل له في ذلك من أجر؟ قال: نعم فأسلم وعمر غالب، حتى لحق أمير المؤمنين علياً صلوات الله عليه بالبصرة، وأدخل إليه الفرزدق، وأظنه مات في إمارة زياد وملك معاوية.

أخبرني محمد بن الحسين الكندي وهاشم بن محمد الخزاعي، وعبد العزيز بن أحمد عم أبي قالوا: حدثنا الرياشي قال: حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سوية، قال: حدثني عقال بن كسيب أبو الخنساء العنبري، قال: حدثني الطفيل بن عمرو الربعي، عن ربيعة بن مالك بن حنظلة، عن صعصعة بن ناجية المجاشعي جد الفرزدق قال: قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم، فعرض علي الإسلام، فأسلمت، وعلمني آيات من القرآن، فقلت: يا رسول الله إني عملت أعمالاً في الجاهلية هل لي فيها من أجر؟ فقال: وما عملت؟ فقلت: إني أضللت ناقتين لي عشراوين، فخرجت أبغيهما على جمل، فرفع لي بيتان في فضاء من الأرض، فقصدت قصدهما، فوجدت في أحدهما شيخاً كبيراً، فقلت له: هل أحسست من ناقتين عشراوين؟ قال: وما نارهما؟ - يعني السمة - فقلت: ميسم بني دارم، فقال: قد أصبت ناقتيك ونتجناهما، وظأرتا على أولادهما ونعش الله بهما أهل بيت من قومك من العرب من مضر، فبينا هو يخاطبني إذ نادته امرأة من البيت الآخر: قد ولدت، فقال: وما ولدت؟ إن كان غلاماً فقد شركنا في قوتنا، وإن كانت جارية فادفنوها، فقالت: هي جارية: أفأئدها؟ فقلت: وما هذا المولود؟ قالت: بنت لي، فقلت: إني أشتريها منك، فقال: يا أخا بني تميم، أتقول لي: أتبيعني ابنتك وقد أخبرتك أني من العرب من مضر؟ فقلت: إني لا أشتري منك رقبتها، إنما أشتري دمها لئلا تقتلها، فقال: وبم تشتريها؟ فقلت: بناقتي هاتين وولديهما. قال: لا حتى تزيدني هذا البعير الذي تركبه: قلت: نعم، على أن ترسل معي رسولاً فإذا بلغت أهلي رددت إليك البعير ففعل، فلما بلغت أهلي رددت إليه البعير، فلما كان في بعض الليل فكرت في نفسي فقلت: إن هذه مكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب، فظهر الإسلام وقد أحييت ثلثمائة وستين موءودة، أشتري كل واحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل، فهل لي في ذلك من أجر يا رسول الله؟ فقال عليه السلام: هذا باب من البر، ولك أجره إذ من الله عليك بالإسلام، قال عباد: ومصداق ذلك قول الفرزدق:

وجدي الذي منع الوائدات ... وأحيا الوئيد فلم يوأد

أخبرني محمد بن يحيى، عن الغلابي، عن العباس بن بكار، عن أبي بكر الهذلي قال: وفد صعصعة بن ناجية جد الفرزدق على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد من تميم، وكان صعصعة قد منع الوئيد في الجاهلية، فلم يدع تميماً تئد، وهو يقدر على ذلك، فجاء الإسلام وقد فدى أربعمائة جارية، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني، فقال: أوصيك بأمك وأبيك وأخيك وأختك وإمائك، قال: زدني، قال: احفظ ما بين لحييك، وما بين رجليك.

ثم قال له عليه السلام: ما شيء بلغني عنك فعلته؟ قال: يا رسول الله رأيت الناس يموجون على غير وجه، و لم أدر أين الوجه، غير أني علمت أنهم ليسوا عليه، ورأيتهم يئدون بناتهم، فعلمت أن ربهم لم يأمرهم بذلك، فلم

أتركهم يئدون، وفديت من قدرت عليه.

وروى أبو عبيدة أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إني حملت حمالات في الجاهلية والإسلام، وعلي منها ألف بعير، فأديت من ذلك سبعمائة، فقال له: إن الإسلام أمر بالوفاء، ونهى عن الغدر، فقال: حسبي حسبي، ووفى بها.

وروي أنه إنما قال هذا القول لعمر بن الخطاب، وقد وفد إليه في خلافته.

وكان صعصعة شاعراً وهو الذي يقول: أنشدنيه محمد بن يحيى له:

إذا المرء عادى من يودك صدره ... وكان لمن عاداك خدنا مصافيا

فلا تسألن عما لديه فإنه ... هو الداء لا يخفي بذلك خافيا

أبوه يعطي دون أن يسأل: أخبرني محمد بن يحيى، عن محمد بن زكريا؛ عن عبد الله بن الضحاك، عن الهيثم بن عدي، عن عوانة قال:

تراهن نفر من كلب ثلاثة على أن يختاروا من تميم وبكر نفراً ليسائلوهم، فأيهم أعطى، و لم يسألهم عن نسبهم من هم؟ فهو أفضلهم، فاختار كل رجل منهم رجلاً؛ والذين اختيروا عمير بن السليك، بن قيس بن مسعود الشيباني، وطلبة بن قيس بن عاصم المنقري، وغالب بن صعصعة المجاشعي أبو الفرزدق، فأتوا ابن السليك فسألوه مائة ناقة، فقال: من أنتم؟ فانصرفوا عنه.

ثم أتوا طلبة بن قيس، فقال لهم مثل قول الشيباني، فأتوا غالباً، فسألوه، فأعطاهم مائة ناقة وراعيها، و لم يسألهم من هم فساروا بها ليلة، ثم ردوها، وأخذ صاحب غالب الرهن، وفي ذلك يقول الفرزدق:

وإذا ناحبت كلب على الناس أيهم ... أحق بتاج الماجد المتكرم

على نفرهم من نزار ذوي العلا ... وأهل الجرائيم التي لم تهدم

فلم يجز عن أحسابهم غير غالب ... جرى بعنان كل أبيض خضرم

سحيم يعجز عن مباراة أبيه في كرمه: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن جهم السليطي، عن إياس بن شبة، عن عقال بن صعصعة، قال: أجدبت بلاد تميم، وأصابت بن يحنظلة سنة في خلافة عثمان، فبلغهم خصب عن بلاد كلب بن وبرة، فانتجعتها بنو حنظلة، فنزلوا أقصى الوادي، وتسرع غالب بن صعصعة فيهم وحده دون بني مالك بن حنظلة، و لم يكن مع بني يربوع من بني مالك غير غالب، فنحر ناقته فأطعمهم إياها، فلما وردت إبل سحيم بن وثيل الرياحي حبس منها ناقة، فنحرها من غد، فقيل لغالب: إنما نحر سحيم مواءمة لك - أي مساواة لك - فضحك غالب، وقال: كلا، ولكنه امرؤ كريم، وسوف أنظر في ذلك، فلما وردت إبل غالب حبس منها ناقتين، فنحرهما، فأطعمهما بني يربوع، فعقر سحيم ناقتين، فقال غالب: الآن علمت أنه يوائمني، فقعر غالب عشراً، فأطعمها بني يربوع فعقر سحيم عشراً، فلما بلغ غالباً فعله

ضحك، وكانت إبله ترد لخمس، فلما وردت عقرها كلها عن آخرها، فالمكثر يقول: كانت أربعمائة، والمقل يقول: كانت مائة، فأمسك سحيم حينئذ؛ ثم إنه عقر في خلافة علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بكناسة الكوفة مائتي ناقة وبعير، فخرج الناس بالزنابيل والأطباق والحبال لأخذ اللحم، ورآهم علي رضي الله عنه، فقال: أيها الناس لا يحل لكم ، إنما أهل بها لغير الله عز وجل. قال: فحدثني من حضر ذلك قال: كان الفرزدق يومئذ مع أبيه وهو غلام، فجعل غالب يقول: يا بني، اردد علي، والفرزدق يردها عليه، ويقول له: يا أبت اعقر، قال جهم: فلم يغن عن سحيم فعله، و لم يجعل كغالب إذا لم يطق فعله.

يقيد نفسه حتى يحفظ القرآن: حدثني محمد بن يحيى عن محمد بن القاسم - يعني أبا العيناء - عن أبي زيد النحوي، عن أبي عمرو قال: جاء غالب أبو الفرزدق إلى علي بن إبي طالب صلوات الله عليه بالفرزدق بعد الجمل بالبصرة، فقال: إن ابني هذا من شعراء مضر فاسمع منه، قال: علمه القرآن، فكان ذلك في نفس الفرزدق، فقيد نفسه في وقت، وآلى: لا يحل قيده حتى يحفظ القرآن.

عريق في قرض الشعر: قال محمد بن يحيى: فقد صح لنا أن الفرزدق كان شاعراً موصوفاً أربعاً وسبعين سنة، وندع ما قبل ذلك، لأن مجيئه به بعد الجمل - على الاستظهار - كان في سنة ست وثلاثين، وتوفي الفرزدق في سنة عشر ومائة في أول خلافة هشام هو وجرير والحسن البصري وابن سيرين في ستة أشهر، وحكي ذلك عن جماعة، منهم الغلابي عن ابن عائشة عن أبيه.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي عن الغلابي، عن ابن عائشة أيضاً، عن أبيه قال: قال الفرزدق أيضاً: كنت أجيد الهجاء في أيام عثمان، قال: ومات غالب أبو الفرزدق في أول أيام معاوية ودفن بكاظمة فقال الفرزدق يرثيه:

لقد ضمت الأكفان من آل دارم فتى فائض الكفين محض الضرائب

أيهما أشعر، هو أو جرير؟: أخبرني حبيب المهلبي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عمران الضبي، قال: حدثني جعفر بن محمد العنبري، عن خالد بن أم كلثوم، قال: قيل للمفضل الضبي: الفرزدق أشعر أم جرير؟ قال الفرزدق: قال: قلت: و لم؟ قال: لأنه قال بيتاً هجا فيه قبيلتين ومدح فيه قبيلتين وأحسن في ذلك فقال:

عجبت لعجل إذ تهاجي عبيدها كما آل يربوع هجوا آل دارم

فقيل له: قد قال جرير:

إن الفرزدق والبعيث وأمه وأبا البعيث لشر ما إستار

فقال: واي شيء أهون من أن يقول إنسان: فلان وفلان والناس كلهم بنو الفاعلة!.

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني موسى بن طلحة، قال: قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: كان الشعراء في الجاهلية من قيس، وليس في الإسلام مثل حظ تميم في الشعر، وأشعر تميم جرير والفرزدق، ومن بني تغلب الأخطل.

قال يونس بن حبيب: ما ذكر جرير والفرزدق في مجلس شهدته قط فاتفق المجلس على أحدهما، قال: وكان يونس فردقياً.

يغتصب بيتين لابن ميادة: أخبرني عمي، عن محمد بن رستم الطبري، عن أبي عثمان المازني قال: مر الفرزدق بابن ميادة الرماح والناس حوله وهو ينشد:

لو أن جميع الناس كانوا بربوة وجئت بجدي ظالم وابن ظالم

لظلت رقاب الناس خاضعة لنا سجوداً على أقدامنا بالجماجم

فسمعه الفرزدق، فقال: أما والله يا بن الفارسية لتدعنه لي أو لنبشن أمك من قبرها، فقال له ابن ميادة: خذه لا بارك الله لك فيه، فقال الفرزدق:

لو أن جميع الناس كانوا بربوة وجئت بجدي دارم وابن دارم

لظلت رقاب الناس خاضعة لنا سجوداً على أقدامنا بالجماجم

عود إليه هو وجرير: أخبرني عمي، عن الكراني، عن أبي فراس الهيثم بن فراس، قال: حدثني ورقة بن معروف، عن حماد الرواية قال: دخل جرير والفرزدق على يزيد بن عبد الملك وعنده بنية له يشمها فقال جرير: ما هذه يا أمير المؤمنين عندك؟ قال: بنية لي، قال: بارك الله لأمير المؤمنين فيها. فقال الفرزدق: إن يكن دارم يضرب فيها فهي أكرم العرب، ثم أقبل يزيد على جرير فقال: مالك والفرزدق؟ قال: إنه يظلمني ويبغي علي، فقال الفرزدق: وجدت آبائي يظلمون آباءه فسرت فيه بسيرتهم، قال جرير: وأما والله لتردن الكبائر على أسافلها سائر اليوم، فقال الفرزدق: أما بك يا حمار بني كليب فلا، ولكن إن شاء صاحب السرير، فلا والله ما لي كفء غيره، فجعل يزيد يضحك.

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي، عن حماد الراوية قال: أنشدني الفرزدق يوماً شعراً له ثم قال لي: أتيت الكلب - يعني جريراً - قلت: نعم، قال: أفأنا أشعر أم هو؟ قلت: أنت في بعض وهو في بعض، قال: لم تناصحني، قال: قلت: هو أشعر منك إذا أرخي من خناقة، وأنت أشعر منه إذا خفت أو رجوت، قال: قضيت لي والله عليه وهل الشعر إلا في الخبر والشر.

قال: روى عن أبي الزناد عن أبيه قال: قال لي جرير: يا أبا عبد الرحمن: أنا شعر أم هذا الخبيث - يعني الفرزدق - وناشدني لأخبرنه، فقلت: لا والله ما يشاركك ولا يتعلق بك في النسيب قال: أوه قضيت والله له علي، أنا والله أخبرك: ما دهاني، إلا أني هاجيت كذا وكذا شاعراً، فسمى عدداً كثيراً، وأنه تفرد لي وحدي.

خبره مع النوار: أخبرني عبد الله قال: قال المازني: قال أبو علي الحرمازي: كان من خبر الفرزدق والنوار ابنة أعين بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعي - وكانت ابنة عمه - أنه خطبها رجل من بني عبد الله بن دارم فرضيته، وكان الفرزدق وليها، فأرسلت إليه أن زوجني من هذا الرجل، فقال لا أفعل أو تشهديني أنك قد

رضيت بمن زجتك، ففعلت، فلما توثق منها، قال: أرسلي إلى القوم فليأتوا، فجاءت بنو عبد الله بن دارم فشحنوا مسجد بني مجاشع وجاء الفرزدق، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: قد علمتم أن النوار قد ولتني أمرها، وأشهدكم أني قد زوجتها نفسي على مائة نقاة حمراء سوداء الحدقة. فنفرت من ذلك وأرادت الشخوص إلى ابن الزبير حين أعياها أهل البصرة ألا يطلقوها من الفرزدق حتى يشهد لها الشهود، وأعياها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء الفرزدق، وابن الزبير يومئذ أمير الحجاز والعراق يدعي له بالخلافة - فلم تجد من يحملها، وأتت فتية من بني عدي بن عبد مناة بن أد، يقال لهم بنو أم السير، فسألتهم برحم تجمعهم وإياها - وكانت بينها وبينهم قرابة - فأقسمت عليهم أمها: ليحملنها، فحملوها، فبلغ ذلك الفرزدق، فاستنهض عدة من أهل البصرة فأنهضوه، وأوقروا له عدة من الإبل، وأعين بنفقة، فتبع النوار، وقال:

أطاعت بني أم السير فأصبحت　　على شارف ورقاء صعب ذلولها

وإن الذي أمسى يخبب زوجتي　　كماش إلى أسد الشرى يستبيلها

فأدركها وقد قدمت مكة، فاستجارت بخولة بنت منظور بن زيان بن سيار الفزاري، وكانت عند عبد الله بن الزبير، فلما قدم الفرزدق مكة اشرأب الناس إليه، ونزل على بني عبد الله بن الزبير، فاستنشدوه، واستحدثوه ثم شفعوا له إلى أبيهم، فجعل يشفعهم في الظاهر، حتى إذا صار إلى خولة قلبته عن رأيه، فمال إلى النوار، فقال الفرزدق في ذلك: صوت

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم　　وشفعت بنت منظور بن زبانا

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزراً　　مثل الشفيع الذي يأتيك عرياناً

لعريب في هذا البيت خفيف رمل.

قال: وسفر بينهما رجال من بني تميم كانوا بمكة، فاصطلحا على أن يرجعا إلى البصرة، ولا يجمعهما ظل ولاكن حتى يجمعا في أمرهما ذلك بني تميم، ويصيرا على حكمهم. ففعلا، فلما صارا إلى البصرة رجعت إليه النوار بحكم عشيرتها.

قال: وقال غير الحرمازي: إن ابن الزبير قال للفرزدق: جئني بصداقها وإلا فرقت بينكما، فقال الفرزدق: أنا في بلاد غربة فكيف أصنع؟ قالوا له: عليك بسلم بن زياد، فإنه محبوس في السجن يطالبه ابن الزبير بمال، فأتاه فقص عليه قصته قال: كم صداقها؟ قال: أربعة آلاف درهم، فأمر له بها وبألفين للنفقة، فقال الفرزدق:

دعي مغلقي الأبواب دون فعالهم　　ولكن تمشي بي هبلت إلى سلم

إلى من يرى المعروف سهلاً سبيله　　ويفعل أفعال الرجال التي تنمي

قال: فدفعها غليه ابن الزبير، فقال الفرزدق:

هلمي لابن عمك لا تكوني كمختار على الفرس الحمارا

قال: فجاء بها إلى البصرة - وقد أحبلها - فقال جرير في ذلك:

ألا تلكم عرس الفرزدق جامحاً ولو رضيت رمح استه لاستقرت

فأجابه الفرزدق، وقال:

وأمك لو لاقيتها بطمرة وجاءت بها جوف استها لاستقرت

وقال الفرزدق وهو يخاسم النوار:

تخاصمني وقد أولجت فيها كرأس الضب يلتمس الجراداا

قال الحرمازي: ومكثت النوار عنده زماناً، ترضى عنه أحياناً، وتخاصمه أحياناً، وكانت النوار إمرأة صالحة، فلم تزل تشمشئز منه، وتقول له: ويحك! أنت تعلم أنك إنما تزوجت بي ضغطة وعلى خدعة، ثم لا تزال في كل ذلك، حتى حلفت بيمين مؤثة، ثم حنثت. وتجنبت فراشه، فتزوج عليها امرأة يقال لها جهيمة من بني النمر بن قاسط حلفاء لبني الحارث بن عباد بن ضبيعة وأمها الخميصة من بني الحارث بن عباد، فنافرته الخميصة، واستعدت عليه فأنكرها الفرزدق، وقال: إنها مني بريء طالق وطلق ابنتها، وقال:

إن الخميصة كانت لي ولابنتها مثل الهراسة بين النعل والقدم

إذا أتت أهلها مني مطلقة فلن أرد عليها زفرة الندم

جعل يأتي النوار وبه ردع الخلوق وعليه الأثر فقالت له النوار: هل تزوجتها إلا هدادية - تعني حياً من أزد عمان - فقال الفرزدق في ذلك:

تريك نجوم الليل والشمس حية كرام بنات الحارث بن عباد

أبوها الذي قاد النعامة بعدما أبت وائل في الحرب غير تماد

نساء أبوهن الأعز ولم تكن من الأزد في جاراتها وهداد

ولم يك في الحي الغموض محلها ولا في العمانيين رهط زياد

عدلت بها ميل النوار فأصبحت وقد رضيت بالنصف بعد بعاد

قال: فلم تزل النوار ترققه، وتستعطفه، حتى أجابها إلى طلاقها، وأخذ عليها ألا تفارقه ولا تبرح من منزله، ولا تتزوج رجلاً بعده، ولا تمنعه من مالها ما كانت تبذله له، وأخذت عليه أن يشهد الحسن البصري على طلاقها، ففعل ذلك.

قال المازني: وحدثني محمد بن روح العدوي عن أبي شفقل راوية الفرزدق قال:

ما استصحب الفرزدق أحداً غيري وغير راوية آخر، وقد صحب النوار رجال كثيرة، إلا أنهم كانوا يلوذون

بالسواري خوفاً من أن يراهم الفرزدق، فأتيا الحسن فقال له الفرزدق: يا أبا سعيد، قال له الحسن: ما تشاء؟ قال: أشهد أن النوار طالق ثلاثاً، فقال الحسن: قد شهدنا، فلما انصرفنا قال: يا أبا شفقل، قد ندمت، فقلت له: والله إني لأظن أن دمك يترقرق، أتدري من أشهدت؟ والله لئن رجعت لترجمن بأحجارك، فمضى وهو يقول:

ندمت ندامة الكسعي لما ... غدت مني مطلقة نوار

ولو أني ملكت يدي وقلبي ... لكان علي للقدر الخيار

وكانت جنتي فخرجت منها ... كآدم حين أخرجه الضرار

وكنت كفاقئ عينيه عمداً ... فأصبح ما يضيء له النهار

يخاصم كل من يمد يده لمساعدة النوار: وأخبرني بخبره مع النوار أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني محمد بن يحيى، عن أبيه يحيى بن علي بن حميد: أن النار لما كرهت الفرزدق حين زوجها نفسه لجأت إلى بني قيس بن عاصم المنقري ليمنعوها فقال الفرزدق فيهم:

بني عاصم لا تجبوها فإنكم ... ملاجئ للسوآت دسم العمائم

بَني عاصمٍ لو كان حَيّا أبوكم ... للام بنيه اليوم قيس بن عاصم

فبلغهم ذلك الشعر، فقالوا: والله لئن زدت على هذين البيتين لنقتلنك غيلة، وخلوه والنوار وأرادت منافرته إلى ابن الزبير، فلم يقدر أحدٌ على أن يكريها خوفاً منه. ثم إن قوماً من بني عدي يقال لهم بنو أم النسير أكروها، فقال الفرزدق:

ولولا أن يقول بنو عدي ... ألم تك أم حنظلة النوار

أتتكم يا بني ملكان عني ... قواف لا تقسمها التجار

وقال فيهم أيضاً:

لعمري لقد أردى النوار وساقها ... إلى البور أحلام خفاف عقولها

أطاعت بني أم السير فأصبحت ... على قتب يعلو الفلاة دليلها

وقد سخطت مني النوار الذي ارتضى ... به قبلها الأزواج خاب رحيلها

وإن امرأ أمسى يخبت زوجتي ... كساع إلى أسد الشرى يستبيلها

ومن دون أبواب الأسود بسالة ... وبسطة أيد يمنع الضيم طولها

وإن أمير المؤمنين لعالم ... بتأويل ما وصى العباد رسولها

فدونكها يا بن الزبير فإنها ... مولعة يوهي الحجارة قيلها

وما جادل الأقوام من ذي خصومة كورهاء مشنوء إليها حليلها

فلما قدمت مكة نزلت على تماضر بنت منظور بن زيان زوجة عبد الله بن الزبير، ونزل الفرزدق بحمزة بن عبد الله بن الزبير، ومدحه بقوله:

أمسيت قد نزلت بحمزة حاجتي إن المنوه باسمه الموثوق

بأبي عمارة خير من وطئ الحصا وجرت له في الصالحين عروق

بين الحواري الأعز وهاشم ثم الخليفة بعد والصديق

غنى في هذه الأبيات ابن سريج رملاً بالبنصر.

قال: فجعل أمر النوار يقوى، وأمر الفرزدق يضعف، فقال:

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم وشفعت بنت منظور بن زبانا

ملاحاة بينه وبين ابن الزبير: وقال ابن الزبير للنّوار: إن شئت فرقت بينكما، وقتلته، فلا يهجونا أبداً، وإن شئت سيرته إلى بلاد العدو، فقالت: ما أريد واحدة منهما، فقال لها: فإنه ابن عمك وهو فيك راغب، فأزوجك إياه، قالت نعم، فزوجها منه، فكان الفرزدق يقول: خرجنا ونحن متباغضان، فعدنا متحابين.

قال: وكان الفرزدق قال لعبد الله بن الزبير - وقد توجه الحكم عليه - إنما تريد أن أفارقها فتثب عليها، وكان ابن الزبير حديداً، فقال له: هل أنت وقومك إلا جالية العرب؟.

ثم أمر به فأقيم، وأقبل على من حضر، فقال: إن بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة، فاستلبوه، فاجتمعت العرب عليها لما انتهكت منه ما لم ينتهكه أحد قط، فأجلتها من أرض تهامة، قال: فلقي الرزدق بعض الناس، فقال: إيه يعيرنا ابن الزبير بالجلاء! اسمع، ثم قال:

فإن تغضب قريش أو تغضب فإن الأرض توعبها تميم

هم عدد النجوم وكل حي سواهم لا تعد له نجوم

ولولا بيت مكة ما ثويتم بها صح المنابت والأروم

بها كثر العديد وطاب منكم وغيركم أخيذ الريش هيم

فمهلاً عن تعلل من غدرتم بخونته وعذبه الحميم

أعبد الله مهلاً عن أذاتي فإني لا الضعيف ولا السئوم

ولكني صفاة لم تدنس تزل الطير عنها والعصوم

أنا ابن العاقر الخور الصفايا بضوي حين فتحت العكوم

قال: فبلغ هذا الشعر ابن الزبير، وخرج للصلاة فرأى الفرزدق في طريقه، فغمز عنقه، فكاد يدقها، ثم قال:

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزاً ولو رضيت رمح استه لاستقرت

وقال: هذا الشعر لجعفر بن الزبير.

وقيل: إن الذي كان تقرر عليه عشرة آلاف درهم، وإن سلم بن زياد أمر له بعشرين ألف درهم مهراً ونفقة، فقبضها، فقالت له زوجته أم عثمان بنت عبد الله بن عمرو بن أبي العاص الثقفية: أتعطي عشرين ألف درهم وأنت محبوس؟ فقال:

ألا بكرت عرسي تلوم سفاهة على ما مضى مني وتأمر بالبخل

فقلت لها والجود مني سجية : وعل يمنع المعروف سواله مثلي؟

ذريني فإني غير تارك شيمتي ولا مقصر طول الحياة عن البذل

ولا طارد ضيفي إذا جاء طارقاً وقد طرق الأضياف شيخي من قبلي

أأبخل؟ إن البخل ليس بمخلدي ولا الجود يدنيني إلى الموت والقتل

أبيع بني حرب بآل خويلد! وما ذاك عند الله في البيع بالعدل؟

وليس ابن مروان الخليفة مشبهاً لفحل بني العوام، قبح من فحل

فإن تظهروا لي البخل آل خويلد فما دأبكم دأبي ولا شكلكم شكلي

وإن تقهروني حين غابت عشيرتي فمن عجب الأيام أن تقهروا مثلي

فلما اصطلحا، ورضيت به، ساق إليها مهرها، ودخل بها، وأحبلها قبل أن يخرج من مكة.

ثم خرجا وهما عديلان في محمل.

يستصرخ حمزة بن عبد الله بن الزبير: وأخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام، عن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد بنحو من هذه القصة.

قال عمر بن شبة: قال الفرزدق في خبره:

يا حمز هل لك في ذي حاجة عرضت أنضاؤه بمكان غير ممطور

فأنت أحرى قريش أن تكون لها وأنت بين أبي بكر ومنظور

بين الحواري والصديق في شعب ثبتن في طنب الإسلام والخير

يتقون لسانه: أخبرنا أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سلام قال: حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي، قال: كان فتى من بني حرام شويعر هجا الفرزدق، قال: فأخذناه، فأتينا به الفرزدق وقلنا: هذا بين يديك فإن شئت فاضرب، وإن شئت فاحلق، فلا عدوى عليك ولا قصاص، قد برئنا إليك منه، فخلى سبيله وقال:

فمن يك خائفاً لأذاة شعري فقد أمن الهجاء بنو حرام

هم قادوا سفيههم وخافوا قلائد مثل أطواق الحمام

ليس طريقه إلى جهنم: قال ابن سلام: وحدثني عبد القاهر قال: مر الفرزدق بمجلسنا مجلس بني حرام ومعنا عنبسة مولى عثمان بن عفان، فقال: يا أبا فراس، متى تذهب إلى الآخرة؟ قال: وما حاجتك إلى ذاك يا أخي؟ قال: أكتب معك إلى أبي، قال: أنا لا أذهب إلى حيث أبوك، أبوك في النار، أكتب إليه مع ريالويه واصطقانوس.

يغضب على ابن الكلبي لعدم روايته شعره: أخبرني الحسن بن يحيى، عن حماد، عن أبيه قال: أخبرني مخبر، عن خالد بن كلثوم الكلبيّ، قال:

مررت بالفرزدق، وقد كنت دوّنت شيئاً من شعره وشعر جرير، وبلغه ذلك، فاستجلسني، فجلست إليه وعذت بالله من شره، وجعلت أحدثه حديث أبيه وأذكر له ما يعجبه، ثم قلت له: إني لأذكر يوم لقبك بالفرزدق، قال: وأي يوم؟ قلت: مررت به وأنت صبي، فقال له بعض من كان يجالسه: كأن ابنك هذا الفرزدق دهقان الحيرة في تيهه وأبهته، فسماك بذلك، فأعجبه هذا القول، وجعل يستعيد، ثم قال: أنشدني بعض أشعار ابن المراغة في، فجعلت أنشده، حتى انتهيت، ثم قال: فأنشد نقائضها التي أجبته بها، فقلت: ما أحفظها، فقال: يا خالد، أتحفظ ما قاله في ولا تحفظ نقائضه؟ والله لأهجون كلباً هجاء يتصل عاره بأعقابها إلى يوم القيامة، إن لم تقم حتى تكتب نقائضها أو تحفظها وتنشدنيها، فقلت: أفعل فلزمته شهراً، حتى حفظت نقائضها، وأنشدته إياها خوفاً من شره.

يكابد النوار بحدراء فتستعدي عليه جريراً: أخبرني عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني الأصمعي قال: تزوج الفرزدق حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس الشيباني، وخاصمته النوار وأخذت بلحيته، فجاذبها وخرج عنها مغضباً وهو يقول:

قامت نوار إلي تنتف لحيتي تتناف جعدة لحية الخشخاش

كلتاهما أسد إذا ما أغضبت وإذا رضين فهن خير معاش

قال: والخشخاش رجل من عترة، وجعدة امرأته، فجاءت جعدة إلى النوار، فقالت: ما يريد مني الفرزدق؟ أما وجد لامرأته أسوة غيري.

وقال الفرزدق للنوار يفضّل عليها حدراء.

لعمري لأعرابية في مظلة تظل بروقي بيتها الريح تخفق

أحب إلينا من ضناك ضفنة إذا وضعت عنها المراويح تعرق

كريم غزال أو كدرة غائص لها الأرض تشرق إذا مرت تكاد

فلما سمعت النوار ذلك أرسلت إلى جرير، وقالت للفرزدق: والله لأخزينك يا فاسق فجاء جرير، فقالت له: أما ترى ما قال الفاسق، وشكته إليه، وأنشدته شعره، فقال جرير: أنا أكفيك، وأنشأ يقول:

ولست بمعطي الحكم عن شف منصب ولا عن بنات الحنظليّين راغب
وهن كماء المزن يشفى به الصدى وكانت ملاحاً غيرهن المشارب
لقد كنت أهلاً أن يسوق دياتكم إلى آل زيق أن بعيبك عائب
وما عدلت ذات الصليب ظعينة عتيبة والردفان منها وحاجب
أأهديت يا زيق بن بسطام طبية إلى شر من تهدى إليه القرائب
ألا ربما لم نعط زيقا بحكمه وأدى إلينا الحكم والغل لازب
حوينا أبا زيق وزيقاً وعمه وجده زيق قد حوتها المقانب

فأجابه الفرزدق فقال:

تقول كليب حين مثت سبالها وأعشب من مروتها كل جانب
لسواق أغنام رعتهن أمه إلى أن علاها الشيب فوق الذوائب
ألست إذا القعساء مرت براكب إلى آل بسطام بن قيس بخاطب
وقالوا :سمعنا أن حدراء زوجت على مائة شم الذرى والغوارب
فلو كنت من أكفاء حدراء لم تلم على دارمي بين ليلى وغالب
فنل مثلها من مثلهم ثم أمهم بملكك من مال مراح وعازب
وإني لأخشى إن خطبت إليهم عليك الذي لاقى يسار الكواعب
ولو تنكح الشمس النجوم بناتها نكحنا بنات الشمس قبل الكواكب

وفي المناقضات التي دارت بين الفرزدق وجرير حول زواج بنت زيق، قال جرير أبياته التي أولها:

يا زيق أنحكت قيناً في استه حمم يا زيق ويحك من أنكحت يا زيق
أين الألى أنزلوا النعمان ضاحية أم أين أبناء شيبان الغرانيق؟
يا رب قائلة بعد البناء بها: لا الصهر راض ولا ابن القين معشوق
غاب المثنى فلم يشهد نجيكما والحوفزان ولم يشهدك مفروق

والفرزدق يقول لجرير:

إن كان أنفك قد أعياك محمله فاركب أتانك ثم اخطب إلى زيق

خبران عن ولديه: أخبرني الحسن بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الهيثم بن عدي، عن زكريا بن ثباة الثقفي قال: أنشدني الفرزدق قصيدته التي فيها ابنه، فلما انتهى إلى قوله:

بفي الشامتين الصخر إن كان مسني ... رزية شبل مخدر في الضراغم

فلما فرغ قال: يا أبا يحيى، أرأيت ابني؟ قلت: لا، قال: والله ما كان يساوي عباءته.

بنو تغلب أعطوا ابنه مائة ناقة: قال إسحاق: حدثني أبو محمد العبدي، عن اليربوعي، عن أبي نصر قال: قدم لبطة بن الفرزدق الحيرة، فمر بقوم من بني تغلب فاستقراهم فقروه، ثم قالوا له: من أنت؟ قال: ابن شاعركم ومادحكم، وأنا والله ابن الذي يقول فيكم:

أضحى لتغلب من تميم شاعر ... يرمي الأعادي بالقريض الأثقل

إن غاب كعب بني جعيل عنهم ... وتنمر الشعراء بعد الأخطل

يتباشرون بموته ووراءهم ... مني لهم قطع العذاب المرسل

فقالوا له: فأنت ابن الفرزدق إذاً، قال: أنا هو، فتنادوا: يا آل تغلب، اقضوا حق شاعركم والذائد عنكم في ابنه، فجعلوا له مائة ناقة، وساقوها إليه، فانصرف بها.

عمرو بن عفراء يتحداه: أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال: أتى الفرزدق عبد الله بن مسلم الباهلي فسأله فثقل عليه الكثير، وخشية في القليل، وعنده عمرو بن عفراء الضبي راوية الفرزدق وقد كان هجاه جرير لروايته للفرزدق في قوله:

ونبئت جواباً وسلماً يسبني ... وعمرو بن عفري. لا سلام على عمرو

فقال ابن عفراء للباهلي: لا يهولنك أمره، أنا أرضيه عنك فأرضاه بدون ما كان هم له به، فأعطاه ثلثمائة درهم، فقبلها الفرزدق ورضي عنه، فبلغه بعد ذلك صنيع عمرو فقال:

ستعلم يا عمرو بن عفري من الذي ... يلام إذا ما الأمر غبت عواقبه

نهيت ابن عفرى أن يعفر أمه ... كعفر السلا إذا جررته ثعالبه

فلو كنت ضبياً صفحت ولو سرت ... على قدمي حياته وعقاربه

ولكن ديافي أبوه وأمه ... بحوران يعصرن السليط أقاربه

ولما رأى الدهنا رمته جبالها ... وقالت ديافي مع الشام جانبه

فإن تغضب الدهنا عليك فما بها ... طريق لمرتاد تقاد ركائبه

تضن بمال الباهلي كأنما ... تضن على المال الذي أنت كاسبه

وإن امرأ يغتابني لما أطأله ... حريماً ولا ينهاه عني أقاربه

كمحتطب يوما أساود هضبة أتاه بها في ظلمة الليل حاطبه

أحين التقى ناباي وابيض مسحلي وأطرق إطراق الكرى من يجانبه

فقال ابن عفراء، وأتاه في نادي قومه: أجهد جهدك، هل هو إلا أن تسبني، والله لا أدع لك مساءة إلا أتيتها، ولا تأمرني بشيء إلا اجتنبتُه ولا تنهاني عن شيء إلا ركبته، قال: فاشهدوا أني أفاه أن ينيك أمه، فضحك القوم وخجل ابن عفري.

يتطفل فيجاز: أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثنا شعيب بن صخر قال: تزوج ذبيان بن أبي ذبيان العدوي من بلعدوية، فدعا الناس في وليمته، فدعا ابن أبي شيخ الفقيمي، فألقى الفرزدق عنده، فقال له: يا أبا فراس، انهض، قال: إنه لم يدعني، قال: إن ابن ذبيان يؤتى وإن لم يدعُ، ثم لا تخرج من عنده إلا بجائزة فأتياه، فقال الفرزدق حين دخل:

كم قال لي ابن أبي شيخ وقلت له: كيف السبيل إلى معروف ذبيان

إن القلوص إذا ألقت جآجئها قدام بابك لم نرحل بحرمان

قال: أجل يا أبا فراس فدخل فتغدى عنده، وأعطاه ثلثمائة درهم.

يريد أن يتحدى الناس الموت: أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: حدثني أبو بكر المدنيّ قال: دخل الفرزدق الميدنة فوافق فيها موت طلحة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري - وكان سيداً سخياً شريفاً - فقال: يا أهل المدينة، أنتم أذل قوم لله، قالوا: وما ذاك يا أبا فراس؟ قال: غلبكم الموت على طلحة حتى أخذه منكم.

يعطي عروضاً بدل النقد:

وأتى مكة، فأتى عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي - وهو سيد أهل مكة يومئذ - وليس عنده نقد حاضر، وهو يتوقع أعطيته وأعطية ولده وأهله، فقال: والله يا أبا فراس، ما وافقت عندنا نقداً، ولكن عروضاً إن شئت، فعندنا رقيق فرهة، فإن شئت أخذتهم، قال: نعم، فأرسل له بوصفاء من بنيه وبني أخيه، فقال: هم لك عندنا حتى تشخص، وجاءه العطاء، فأخبره الخبر وفداهم، فقال الفرزدق ونظر إلى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان يطوف بالبيت الحرام يتبختر:

تمشي تبختر حول البيت منتخباً لو كنت عمرو بن عبد الله لم تزد

يحتج بشعره: أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثنا عامر بن أبي عامر - وهو صالح بن رستم الخراز - قال: أخبرني أبو بكر الهذلي قال: إنا لجلوس عند الحسن إذ جاء الفرزدق يتخطى حتى جلس إلى جنبه، فجاء رجل، فقال: يا أبا سعيد: الرجل يقول: لا والله، بلى والله في كلامه، قال: لا يريد اليمين، فقال الفرزدق: أو ما سمعت ما قلت في ذلك؟ قال الحسن: ما كل ما قلت سمعوا فما قلت؟ قال: قلت:

ولست بمأخوذ بلغو تقوله إذا لم تعمد عاقدات العزائم

قال: فلم ينشب أن جاء رجل آخر، فقال: يا أبا سعيد. نكون في هذه المغازي فنصب المرأة لها زوج، أفيحل غشيانها وإن لم يطلقها زوجها؟ فقال الفرزدق: أو ما سمعت ما قلتُ في ذلك؟ قال الحسن: ما كل ما قلت سمعوا فما قلت؟ قال: قلت:

وذات حليل أنكحتنا رماحنا حلالاً لمن يبني بها لم تطلق

يهجو إبليس: قال أبو خليفة: أخبرني محمد بن سلام، وأخبرني محمد بن جعفر قالا: أتى الفرزدق الحسن، فقال: إني هجوت إبليس فاسمع؟ قال لا حاجة لنا بما تقول، قال: لتسمعن أو لأخرجن، فأقول للناس: إن الحسن ينهى عن هجاء إبليس، قال: اسكت فإنك بلسانه تنطق.

الحسن يتمثل بالشعر: قال محمد بن سلام: أخبرني سلام أبو المنذر، عن علي بن زيد قال: ما سمعت الحسن متمثلاً شعراً قط إلا بيتاً واحداً وهو قوله:

الموت باب وكل الناس داخله فليت شعري بعد الباب ما الدار؟

قال: وقال لي يوماً: ما تقول في قول الشاعر:

لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفتى وبئست القبيلة

أهجاه أم مدحه؟ قلت: مدحه وهجا قومه، قال: ما مدح من هجي قومه.

وقال جرير بن حازم: ولم أسمعه ذكر شعراً قط إلا:

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

هل ينقض الشعر الوضوء: وقال رجل لابن سيرين وهو قائم يستقبل القبلة يريد أن يكبر: أيتوضأ من الشعر؟ فانصرف بوجهه إليه فقال:

ألا أصبحت عرس الفرزدق ناشزاً ولو رضيت رمح استه لاستقرت

ثم كبر.

من أبياته السيارة: قال ابن سلام: وكان الفرزدق أكثرهم بيتاً مقلداً - والمقلد: المغني المشهور الذي يضرب به المثل - من ذلك قوله:

فيا عجباً حتى كليب تسبني كأن أباها نهشل أو مجاشع

وقوله :ليس الكرام بناحليك أباهم حتى يرد إلى عطية نهشل

وقوله :وكنا إذا الجبار صعر خده ضربناه حتى تستقيم الأخادع

وقوله :وكنت كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه يوماً أحال على الدم

وقوله :ترجي ربيع أن تجيء صغارها بخير وقد أعيا ربيعاص كبارها

وقوله :أكلت دوابرها الإكام فمشيها مما وجئن كمشية الإعياء

وقوله :قوارص تأتيني وتحتقرونها وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

وقوله :أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنا إذا ما نجهل

وقوله :وإنك إذ تسعى لتدرك دارما لأنت المعنى يا جرير المكلف

وقوله: فإن تنج مني تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجيا

وقوله :ترى كل مظلوم ألينا فراره ويهرب منا جهده كل ظالم

وقوله:

ترى الناس ما سرنا يسيرون حولنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

وقوله: فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها ويقطعن أحياناً مناط القلائد

وكان يداخل الكلام، وكان ذلك يعجب أصحاب النحو، من ذلك قوله يمدح هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك:

وأصبح ما في الناس إلا مملكاً أبو أمه حي أبوه يقاربه

وقوله :تالله قد سفهت أمية رأيها فاستجهلت سفهاؤها حلماءها

وقوله: ألستم عائجين بنا لعنا نرى العرصات أو أثر الخيام

فقالوا :إن فعلت فأغن عنا دموعاً غير راقئة السجام

وقوله :فهل أنت إن ماتت أتانك راحل إلى آل بسطام بن قيس فخاطب

وقوله :فنل مثلها من مثلهم ثم دلهم على دارمي بين ليلى وغالب

وقوله: تعال فإن عاهدتني لا تخونني يصطحبان يا ذئب نكن مثل من

وقوله: إنا وإياك إن بلغن أرحلنا كمن بواديه بعد المحل ممطور

وقوله: بنى الفارق أمك وابن أروى به عثمان مروان المصابا

وقوله :إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره

وقوله: إليك أمير المؤمنين رمت بنا هموم المنا والهوجل المتعسف

وعض زمان يا بن مروان لم يدع من المال إلا مسحتاً أو مجلف

وقوله :ولقد دنت لك بالتخلف إذ دنت منها بلا بخل ولا مبذول

وكأن لون رضاب فيها إذ بدا برد بفرع بشامة مصقول

وقوله فيها لمالك بن المنذر:

إن ابن ضباري ربيعة مالكاً لله سيف صنيعة مسلول

ما نال من آل المعلى قبله سيف لكل خليفة ورسول

ما من يدي رجل أحق بما أتى من مكرمات عطاية الأخطار

من راحتين يزيد يقدح زنده كفاهما ويشد عقد جوار

وقوله :إذا جئته أعطاك عفواً ولم يكن على ماله حال الندى منك سائله

لدى ملك لا تنصف النعل ساقه أجل لا، وإن كانت طوالا حمائله

وقوله: والشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يسير بجانبيه نهار

لا يكذب في مدحه: قال أبو خليفة: أخبرنا محمد بن سلام قال: حدثني شعيب بن صخر، عن محمد بن زياد، وأخبرني به الجوهري وجحظة عن ابن شبة، عن محمد بن سلام، وكان محمد في زمام الحجاج زماناً قال: انتهيت إلى الفرزدق بعد موت الحجاج بالردم وهو قائم والناس حوله ينشد مديح سليمان بن عبد الملك:

وكم أطلقت كفاك من غل بائس ومن عقدة ما كان يرجى انحلالها

كثيراً من الأيدي التي قد تكتفت فككت وأعناقاً عليها غلالها

قال: قلت: أنا والله أحدهم، فأخذ بيدي وقال: أيها الناس سلوه عما أقول والله ما كذبت قط.

يأبى حين يريد: أخبرني جحظة قال: حدثني ابن شبة، عن محمد بن سلام فذكر مثله وقال فيه: والله ما كذبت قط ولا أكذب أبداً.

قال أبو خليفة: قال ابن سلام: وسمعت الحارث بن محمد بن زياد يقول: كتب يزيد بن المهلب لما فتح جرجان إلى أخيه مدركة أو مروان: أحمل إليّ الفرزدق، فإذا شخص فأعط أهلَه كذا وكذا؛ ذكر عشرة آلاف درهم، فقال له الفرزدق: ادفعها إليّ، قال: اشخص وأدفعها إلى أهلك، فأبى، وخرج وهو يقول:

دعاني إلى جرجان والري دونه لآتيه إني إذاً لزءور

لآتي من آل المهلب ثائراً بأعراضهم والداثرات تدور

سآبى وتأبى لي تميم وربما أبيت فلم يقدر علي أمير

لم يستطع أهله منعه: قال أبو خليفة: قال ابن سلام:

وسمعت سلمة بن عياش قال: حبست في السجن، فإذا فيه الفرزدق قد حبسه مالك بن المنذر بن الجارود، فكان

يريد أن يقول البيت فيقول صدره وأسبقه إلى القافية، ويجيء إلى القافية فأسبقه إلى الصدر، فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من قريش قال: كل أير حمار من قريش، من أيهم أنت؟ قلت: من بني عامر بن لؤي، قال: لئام والله أذلة، جاورهم فكانوا شر جيران، قلت: ألا أخبرك بأذل منهم وألأم؟ قال: من؟ قلت: بنو مجاشع، قال: و لم ويلك! قلت: أنت سيدهم وشاعرهم وابن سيدهم، جاءك شرطي مالك، حتى أدخلك السجن، لم يمنعوك. قال: قاتلك الله.

قال أبو خليفة: قال ابن سلام: يهجو عمر بن هبيرة: وكان مسلمة بن عبد الملك على العراق بعد قتل يزيد بن المهلب فلبث بها غير كثير، ثم عزله يزيد بن عبد الملك، واستعمل عمر بن هبيرة على العراق فأساء عزل مسلمة، فقال الفرزدق وأنشدنيه يونس:

ولت بمسلمة الركاب مودعاً ... فارعي فزارة لا هناك المرتع

فسد الزمان وبدلت أعلامه ... حتى أمية عن فزارة تنزع

ولقد علمت إذا فزارة أمرت ... أن سوف تطمع في الإمارة أشجع

وبحق ربك ما لهم ولمثلهم ... في مثل ما نالت فزارة مطمع

عزل ابن بشر وابن عمرو قبله ... وأخو هراة لمثلها يتوقع

ابن بشر: عبد الملك بن بشر بن مروان، كان على البصرة، أمره عليها سملمة. وابن عمرو: سعيد بن حذيفة بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وأخو هراة: عبد العزيز بن الحكم بن أبي العاص.

ويروى للفرزدق في ابن هبيرة:

أمير المؤمنين وأنت عف ... كريم لست بالطبع الحريص

أوليت العراق ورافديه ... فزاريا أحذ يد القميص

ولم يك قبلها راعي مخاص ... لتأمنه على وركي قلوص

تفنن بالعراق أبو المثنى ... وعلم أهله أكل الخبيص

وأنشدني له يونس:

جهز فإنك ممتار ومبتعث ... إلى فزارة عيراً تحمل الكمرا

إن الفزاري لو يعمى فأطعمه ... أير الحمار طبيب أبرا البصرا

إن الفزاري لا يشفيه من قرم ... أطايب العير حتى ينهش الذكرا

يقول لما رأى ما في إنائهم: ... لله ضيف الفزاريين ما انتظرا

فلما قدم خالد بن عبد الله القسري والياً على ابن هبيرة حبسه في السجن، فنقب له سرب، فخرج منه، فهرب إلى الشام، فقال فيه الفرزدق يذكر خروجه:

ولما رأيت الأرض قد سد ظهرها ... ولم تر إلا بطنها لك مخرجا
دعوت الذي ناداه يونس بعد ما ... ثوى في ثلاث مظلمات ففرّجا
فأصبحت تحت الأرض قد سرت ليلة ... وما سار سار مثلها حين أدلجا
خرجت ولم تمنن عليك شفاعة ... سوى ربذ التقريب من آل أعوجا
أغر من الحو اللهاميم إذ جرى ... جرى بك محبوك القرى غير أفحجا
جرى بك عريان الحماتين ليله ... به عنك أرخى الله ما كان أشرجا
وما احتال محتال كحيلته التي ... بها نفسه تحت الصريمة أولجا
وظلماء تحت الأرض قد خضت هولها ... وليل كلون الطيلساني أدعجا
هما ظلمتا ليل وأرض تلاقتا ... على جامع من همه ما تعوجا

يهجو خالد بن عبد الله القسري أيضاً: فحدثني جابر بن جندل قال: فقيل لابن هبيرة: من سيد العراق؟ قال: الفرزدق هجاني أميراً ومدحني سوقة. وقال الفرزدق لخالد القسري حين قدم العراق أميراً لهشام:

ألا قطع الرحمن ظهر مطيةٍ ... أتتنا تمطى من دمشق بخالد
وكيف يؤم المسلمين وأمه ... تدين بأن الله ليس بواحد
بنى بيعة فيها الصليب لأمة ... وهدم من كفر منار المساجد

وقال أيضاً:

نزلت بجيلة واسطاً فتمكنت ... ونفت فزارة عن قرار المنزل

وقال أيضاً:

لعمري لئن كانت بجيلة زانها ... جرير لقد أخزى بجيلة خالد

فلما قدم العراق خالد أميراً أمر على شرطة البصرة مالك بن المنذر بن الجارود، وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر يدعي على مالك قرية، فأبلطها خالد، وحفر النهر الذي سماه المبارك، فاعترض عليه الفرزدق، فقال:

أهلكت مال الله في غير حقه ... على النهر المشؤوم غير المبارك
وتضرب أقواما صحاحاً ظهورهم ... وتترك حق الله في ظهر مالك
أإنفاق مال الله في غير كنهه ... ومنعاً لحق المرملات الضرائك؟

مهر حدراء ومصرعها: أخبرني عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن الأصمعي قال: قال أعين بن لبطة: دخل الفرزدق على الحجاج لما تزوج حدراء يستميحه مهرها، فقال له: تزوجت أعرابية على مائة بعير، فقال له عنبسة بن سعيد: إنما هي فرائض قيمتها ألفا درهم، - الفريضة عشرون درهماً - فقال له الحجاج: ليس غيرها، يا كعب، أعط الفرزدق ألفي درهم.

قال: وقدم الفضيل العنزي بصدقات بكر بن وائل، فاشترى الفرزدق مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن يثبتها له في الديوان، قال الفرزدق: فصليت مع الحجاج الظهر حتى إذا سلم، خرجت فوقفت في الدار فرآني، فقال مهيم، فقلت: إن الفضيل العنزي قدم بصدقات بكر بن وائل، وقد اشتريت منه مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن تحتسب له في الديوان، فإن رأى الأمير أن يأمر لي بإثباتها له فعل، فأمر أبا كعب أن يثبت للفضيل ألفين وخمسمائة درهم، ونسي ما كان أمر له به، قال: فلما جاء الفرزدق بالإبل قالت له النوار: خسرت صفقتك، أتتزوج أعرابية نصرانية سوداء مهزولة خمشاء الساقين على مائة من الإبل؟ فقال يعرض بالنوار وكانت أمها وليدة:

لجارية بين السليل عروقها ... وبين أبي الصهباء من آل خالد

أحق بإغلاء المهور من التي ... ربت تتردى في حجور الولائد

فأبت النوار عليه أن يسوقها كلها، فحبس بعضها، وامتار عليه ما يحتاج إليه أهل البادية، ومضى ومعه دليل يقال له أوفى بن ختزير، قال أعين: فلما كان في أدنى الحي رأوا كبشاً مذبوحاً، فقال الفرزدق: يا أوفى، هلكت والله حدراء، قال: وما علمك بذلك؟ قال: ويقال: إن أوفى قال للفرزدق: يا أبا فراس لن ترى حدراء، فمضوا حتى وقفوا على نادي زيق، وهو جالس، فرحب به، وقال له: انزل فإن حدراء قد ماتت، وكان زيق نصرانياً فقال: قد عرفنا أن نصيبك من ميراثها في دينكم النصف، وهو لك عندنا، فقال له الفرزدق: والله لا أرزؤك منه قطميراً، فقال زيق: يا بني دارم، ما صاهرنا أكرم منكم في الحياة ولا أكرم منكم شركة في الممات، فقال الفرزدق:

عجبت لحادينا المقحم سيره ... بنا موجعات من كلال وظلعا

ليدنينا ممن إلينا لقاؤه ... حبيب ومن دار أردنا لتجمعا

ولو تعلم الغيب الذي من أمامنا ... لكرربنا الحادي المطي فأسرعا

يقولون: زر حدراء والترب دونها ... وكيف بشيء وصله قد تقطعا

يقول ابن خنزير: بكيت ولم تكن ... على امرأة عيني إخال لتدمعا

وأهون رزء لامرئ غير جازع ... رزيئة مرتج الروادف أفرعا

ولست وإن عزّت علي بزائر ... ترابا على مرموسة قد تضعضعا

وقيل إن النوار كانت اتسعانت بأم هاشم لا بتماضر، وأم هاشم أخت تماضر؛ لأن تماضر ماتت عند عبد الله بعد أن ولدت له خبيباً وثابتاً ابني عبد الله بن الزبير، وتزوج بعدها أختها أم هاشم، فولدت له هاشماً وحمزة وعبادا، وفي أم هاشم يقول الفرزدق:

تروحت الركبان يا أم هاشم وهن مناخات لهن حنين

وحبسن حتى ليس فيهن نافق لبيع ولا مركوبهن سمين

زوجة أخرى تنشز منه: أخبرنا عبد الله قال: حدثنا محمد بن حبيب قال: حدثني الأصمعيّ قال: نشزت رُهَيمة بنت غنيّ بن درهم النمرية بالفرزدق فطلقها، وقال يهجوها بقوله:

لا ينكحن بعدي فتى نمرية مرملة من بعلها لبعاد

وبيضاء زعراء المفارق شختة مولعة في خضرة وسواد

لها بشر شثن كأن مضمه إذا عانقت بعلاً مضم قتاد

قرنت بنفس الشؤم في ورد حوضها فجرعته ملحا بماء رماد

ومازلت حتى فرق الله بيننا منها في أذى وجهاد له الحمد

تجدد لي ذكرى عذاب جهنم ثلاثا تمسيني بها وتغادي

يبكي ولداً له من سفاح:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني الحسين بن موسى قال: قال المدائني: لقي الفرزدق جارية لبني نهشل، فجعل ينظر إليها نظراً شديداً، فقالت له: مالك تنظر؟ فوالله لو كان لي ألف حر ما طمعت في واحد منها، قال: ولم يا لخناء؟ قالت: لأنك قبيح المنظر سيء المخبر فيما أرى، فقال: أما والله لو جربتني لعفى خبري على منظري، قال: ثم كشف لها عن مثل ذراع البكر، فتضبعت له عن مثل سنام البكر فعالجها، فقالت: أنكاح بنسيئة؟ هذا شر القضية، قال: ويحك، ما معي إلا جبتي، أفتسلبينني إياها ثم تسنمها، فقال:

أولجت فيها كذراع البكر مدملك الرأس شديد الأسر

زاد على شبر ونصف شبر كأنني أولجته في جمر

يطير عنه نفيان الشعر نفى شعور الناس يوم النحر

قال: فحملت منه، ثم ماتت، فبكاها وبكى ولده منها.

وغمد سلاح قد رزئت فلم أنح عليه ولم أبعث عليه البواكيا

وفي جوفه من دارم ذو حفيظة لو أن المنايا أنسأته لياليا

ولكن ريب الدهر يعثر بالفتى فلم يستطع رداً لما كان جاثيا

وكم مثله في مثلها قد وضعته ومازلت وثاباً أجر المخازيا

فقال جرير يعيره:

وكم لك يا بن القين إن جاء سائل من ابن قصير الباع مثلك حامله

وآخر لم تشعر به قد أضعته وأوردته رحما كثيراً غوائله

يتزوج ظبية فيعجز عن إتيانها: أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثني محمد بن سليمان الكوفي عن أبيه قال: تزوج الفرزدق ظبية ابنة حالم من بني مجاشع بعد أن أسنّ، فضعف، وتركها عند أمها بالبادية سنة، و لم يكن صداقها عنده، فكتب إلى أبان بن الوليد البجلي - وهو على فارس عامل لخالد بن عبد الله القسري - فأعطاه ما سأل وأرضاه، فقال يمدحه:

فلو جمعوا من الخلان ألفا فقالوا :أعطنا بهم أبانا

لقلت لهم: إذاً لغبنتموني وكيف أبيع من شرط الزمانا

خليل لا يرى المائة الصفايا ولا الخيل الجياد ولا القيانا

عطاء دون أضعاف عليها ويطعم ضيفه العبط السمانا

العبط: الإبل التي لا وجع بها.

فما أرجو لظبية غير ربي وغير أبي الوليد بما أعانا

أعان بهجمة أرضت أباها وكانت عنده غلقاً رهانا

وقال أيضاً في ذلك:

لقد طال ما استودعت ظبية أمها وهذا زمان رد فيه الودائع

وقال حين أراد أن يبني بها:

أبادر سؤالا بظبية أنني أتتني بها الأهوال من كل جانب

بمائة الحجلين لو أن ميتاً ولو كان في الأموات تحت النصائب

دعته لألقى الترب عند انتفاضه ولو كان تحت الراسيات الرواسب

فلما ابتنى منها عجز عنها فقال:

يا لهف نفسي على نعظ فجعت به حين التقى الركب المحلوق والركب

وقال جرير:

وتقول ظبية إذ رأتك محوقلاً حوق الحمار من الخبال الخابل

إن البلية وهي كل بلية شيخ يعلل عرسه بالباطل

لو قد علقت من المهاجر سلما لنجوت منه بالقضاء الفاصل

قال: فنشزت فيه، ونافرته إلى المهاجر، وبلغه قول جرير فقال المهاجر: لو أتتني بالملائكة معها لقضيت للفرزدق عليها.

يشيد بابنته مكية وأمها الزنجية: قال: وكان للفرزدق ابنة يقال لها مكية، وكانت زنجية، وكان إذا حمي الوطيس، وبلغ منه الهجاء يكتني بها، ويقول:

ذاكم إذاً ما كنت محميهْ بدارمي أمه ضبيهْ

صمحمح يكنى أبا مكية

وقال في أمها:

يا رب خود من بنات الزنج تحمل تنوراً شديد الوهج

أقعب مثل القدح الخلنج يزداد طيباً عند طول الهرج

مخجتها بالأير أي مخج

فقالت له النوار: ريحها مثل ريحك.

وقال في أم مكية يخاطب النوار:

فإن يك خالها من آل كسرى فكسرى كان خيراً من عقال

وأكثر جزية تهدى إليه وأصبر عند مختلف العوالي

قال: وكانت أم النوار خراسانية، فقال لها في أم مكية:

أغزك منها أدمة عربية علت لونها إن البجادي أحمر

يمدح سعيداً فيغضب مروان: حدثني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبي قال: دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وهو والي المدينة لمعاوية فأنشده:

نرى الغرّ الجحاجح من قريش إذا ما الخطب في الحدثان غالا

وقوفاً ينظرون إلى سعيد كأنهم يرون به هلالا

وعنده كعب بن جعيل، فلما فرغ من إنشاده قال كعب: هذه والله رؤياي البارحة، رأيت كأن ابن مرة في نواحي المدينة وأنا أضم ذلاذلي خوفاً منه، فلما خرج الفرزدق خرج مروان في أثره فقال: لم ترض أن نكون قعوداً حتى جعلتنا قياماً في قولك:

قياماً ينظرون إلى سعيد كأنهم يرون به هلالا

فقال له: يا أبا عبد الملك إنك من بينهم صافن، فحقد عليه مروان ذلك، و لم تطل الأيام حتى عزل سعيد، وولي مروان فلم يجد على الفرزدق متقدماً حتى قال قصيدته التي قال فيها:

هما دلتاني من ثمانين قامة ... كما انقض باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا ... أحي يرجى أم قتيل نحاذره

فقلت :ارفعا الأمراس لا يشعروا بنا ... وأقبلت في أعقاب ليل أبادره

أبادر بوابين لم يشعروا بنا ... وأحمر من ساج تلوح مسامره

فقال له مروان: أتقول هذا بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخرج عن المدينة فذلك قول جرير:

تدليت تزني من ثمانين قامة ... وقصرت عن باع الندى والمكارم

أخبرنا ابن دريد، قال: أخبرنا الرياشي، عن محمد بن سلام، قال: رواية أخرى للخبر السابق: دخل الفرزدق المدينة هارباً من زياد، وعليها سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس أميراً من قبل معاوية، فدخل على سعيد، ومثل بين يديه، وهو معتم، وفي مجلس سعيد الحطيئة وكعب بن جعيل التغلبي، وصاح الفرزدق: أصلح الله الأمير، أنا عائذ بالله وبك، أنا رجل من تميم، ثم أحد بني دارم، أنا الفرزدق بن غالب، قال: فأطرق سعيد ملياً، فلم يجبه، فقال الفرزدق: رجل لم يصب دماً حراماً، ولا مالاً حراماً، فقال سعيد: إن كنت كذلك فقد أمنت، فأنشده:

إليك فررت منك ومن زياد ... ولم أحسب دمي لكما حلالا

ولكني هجوت وقد هجاني ... معاشر قد رضخت لهم سجالا

فإن يكن الهجاء أحل قتلي ... فقد قلنا لشاعرهم وقالا

أرقت فلم أنم ليلاً طويلا ... أراقب هل أرى النسرين زالا

فإن بني أمية في قريش ... بنوا لبيوتهم عمداً طوالا

ترى الغر الجحاجح من قريش ... إذا ما الأمر في الحدثان غالا

قياما ينظرون إلى سعيد ... كأنهم يرون به هلالا

قال: فلما قال هذا البيت، قال الحطيئة لسعيد: هذا والله الشعر، لا ما كنت تعلل به منذ اليوم، فقال كعب بن جعيل: فضلته على نفسك، فلا تفضله على غيرك، قال: بلى والله إنه ليفضلني وغيري، يا غلام، أدركت من قبلك، وسبقت من بعدك، ولئن طال عمرك لتبرزن.

ثم عبث الحطيئة بالفرزدق، فقال: يا غلام، أنجدت أمك؟ قال: لا بل أبي، أراد الحطيئة: إن كانت أمك أنجدت

فقد أصبتها فولدتك إذ شابهتني في الشعر، فقال الفرزدق: لا بل أبي، فوجده لقنا.

بينه وبين مخنث: أخبرني ابن دريد عن الرياشي، عن النضر بن شميل قال: قال جرير: ما قال لي ابن القين بيتاً إلا وقد اكتفأته، أي قلبته إلا قوله:

ليس الكرام بناحليك أباهم حتى يرد إلى عطية تعتل

فإني لا أدري كيف أقول فيها.

جرير يلقبه بالعزيز: وأخبرني ابن دريد قال: حدثنا السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبي، عن عوانة بن الحكم، قال: بينما جرير واقف في المربد وقد ركبه الناس وعمر بن لجأ مواقفه فأنشده عمر جواب قوله:

يا تيم تيم عدي لا أبا لكم لا يقذفنكم في سوأة عمر

أحين صرتُ سماماً يا بني لجأ وخاطرت بي عن أحسابها مضر

فقال عمر جواب هذا:

لقد كذبت وشر القول أكذبه ما خاطرت بك عن أحسابها مضر

ألست نزوة خوار على أمة؟ لا يسبق الحلبات اللؤم والخور

وقد كان الفرزدق رفده بهذين البيتين في هذه القصيدة، فقال جرير لما سمعها: قبحاً لك يا بن لجأ، أهذا شعرك، كذبت والله ولو مت، هذا شعر حنظلي، هذا شعر العزيز يعني الفرزدق فأبلس عمر فما رد جواباً.

يلقب جريراً بالقرم: وخرج غنيم بن أبي الرقراق حتى أتى الفرزدق، فضحك، وقال: إيه يا بن أبي الرقراق، وإن عندك لخبراً، قلت: خزي أخوك ابن قتيب، فحدثته، فضحك، حتى فحص برجليه، ثم قال في ساعته:

وما أنت إن قرما تميم تساميا أخا التيم إلا كالوشيظة في العظم

فلو كنت مولى الظلم أو في ثيابه ظلمت ولكن لا يدي لك بالظلم

فلما بلغ هذان البيتان جريراً قال: ما أنصفني في شعر قط قبل هذا يعني قوله:

...إن قرما تميم تساميا

يغتصب شعر الشعراء: أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا الرياشي قال: كان الفرزدق مهيباً تخافه الشعراء، فمر يوماً بالشمردل، وهو ينشد قصيدته حتى بلغ إلى قوله:

وما بين من لم يعط سمعاً وطاعة وبين تميم غير حز الغلاصم

قال: والله لتتركن هذا البيت أو لتتركن عرضك، قال: خذه على كره مني، فهو في قصيدة الفرزدق التي أولها قوله:

نحن بزوراء المدينة ناقتي

قال: وكان الفرزدق يقول: خير السرقة ما لا يجب فيه القطع يعني سرقة الشعر.

أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، عن الضحاك بن هلول الفقيمي قال: بينما أنا بكاظمة وذو الرمة ينشد قصيدته التي يقول فيها:

أحين أعاذت بي تميم نساءها وجردت تجريد اليماني من الغمد

إذا راكبان قد تدليا من نعف كاظمة متقنعان، فوقفا، فلما وفرغ ذو الرمة حسر الفرزدق عن وجهه، وقال: يا عبيد، اضممها إليك - يعني راويته - وهو عبيد أخو بني ربيعة ابن حنظلة، فقال ذو الرمة: نشدتك الله يا أبا فراس إن فعلت، قال: دع ذا عنك، فانتحلها في قصيدته وهي أربعة أبيات:

أحين أعاذت بي تميم نساءها وجردت تجريد اليماني من الغمد

ومدت بضبعي الرباب ومالك وعمرو، وشالت من ورائي بنو سعد

ومن آل يربوع زهاء كأنه دجى الليل محمود النكاية والورد

وكنا إذا الجبار صعر خده ضربناه فوق الأنثيين على الكرد

يجوز السبق في الفخر: أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال: اجتمع الفرزدق، وجرير وكثير وابن الرقاع عن سليمان بن عبد الملك، فقال: أنشدونا من فخركم شيئاً حسناً، فبدرهم الفرزدق، فقال:

وما قوم إذا العلماء عدت عروق الأكرمين إلى التراب

بمختلفين إن فضلتمونا عليهم في القديم ولا غضاب

ولو رفع الحساب إليه قوماً علونا في السماء إلى السحاب

فقال سليمان: لا تنطقوا، فوالله ما ترك لكم مقالاً.

يتعصب لابنته مكية: أخبرنا عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن عمران الضبي، عن سليمان بن أبي سليمان الجوزجاني قال: غاب الفرزدق فكتبت النوار تشكو إليه مكية وكتب إليه أهله يشكون سوء خلقها وتبذيها عليهم فكتب إليهم:

كتبتم عليها أنها ظلمتكم كذبتم وبيت الله بل تظلمونها

فإلا تعدوا أنها من نسائكم فإن ابن ليلى والد لا يشينها

وإن لها أعمام صدق وأخوة وشيخاً إذا شاءت تنمر دونها

يعقه ابنه: قال: وكان للفرزدق ثلاثة أولاد يقال لواحد منه لَبَطة، والآخر حَبَطَة، والثالث، سبطة، وكان لبطة من العقة فقال له الفرزدق:

أإن أرعشت كفا أبيك وأصبحت ... يداك يدي ليث فإنك جادبه
إذا غالب ابن بالشباب أباً له ... كبيراً فإن الله لا بد غالبه
رأيت تباشير العقوق هي التي ... من ابن امرئ ما إن يزال يعاتبه
ولما رآني قد كبرت وأنني ... أخو الحي واستغنى عن المسح شاربه
أصاخ لغربان النجي وإنه ... لأزور عن بعض المقالة جانبه

قال أبو عبيدة في "كتاب النقائض": قال رؤبة بن العجاج: حج سليمان بن عبد الملك، وحجت معه الشعراء، فمر بالمدينة منصرفاً، فأتي بأسرى من الروم نحو أربعمائة، فقعد سليمان، وعنده عبد الله بن حسن بن حسن - عليهم السلام - وعليه ثوبان ممصران، وهو أقربهم منه مجلساً، فأدنوا إليه بطريقهم، وهو في جامعة، فقال لعبد الله بن حسن: قم، فاضرب عنقه فقام، فما أعطاه أحد سيفاً، حتى دفع إليه حرسي سيفاً كليلاً، فضربه، فأبان عنقه وذراعه، وأطن ساعده وبعض الغل، فقال له سليمان: والله ما ضربته بسيفك ولكن بحسبك، وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه، فيقتلونهم، حتى دفع إلى جرير رجلاً منهم، فدست إليه بنو عبس سيفاً قاطعاً في قراب أبيض، فضربه، فأبان رأسه، ودفع إلى الفرزدق أسير، فدست إليه القيسيّة سيفاً كليلاً، فضرب به الأسير ضربات، فلم يصنع شيئاً، فضحك سليمان وضحك الناس معه. وقيل: إن سليمان لما دفع إليه الأسير دفع إليه سيفاً، وقال اقتله به، فقال: لا، بل أقتله بسيف مجاشع، واخترط سيفه، فضربه، فلم يغن شيئاً، فقال سليمان: أما والله لقد بقى عليك عارها وشنارها، فقال جرير قصنيدته التي يهجوه فيها، وأولها:

ألا حي ربع المنزل المتقادم ... وما حل مذ حلت به أم سالم

منها:

ألم تشهد الجونين والشعب ذا الغضى ... وكرات قيس يوم دير الجماجم؟
تحرض يا بن القين قيساً ليجعلوا ... لقومك يوماً مثل يوم الأراقم
بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ... ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عند الإمام فأرعشت ... يداك وقالوا: محدث غير صارم

فقال الفرزدق يجيب جريراً عن قوله:

وهل ضربة الرومي جاعلة لكم ... أباً عن كليب أو أباً مثل دارم

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع أحياناً مناط التمائم

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

وقال يعرض بسليمان، ويعيره نبو سيف ورفاء بن زهير العبسي عن خالد بن جعفر، وبنو عبس هم أخوال سليمان:

فإن يك سيف خان أو قدر أبى بتعجيل نفس حتفها غير شاهد

فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع أحياناً مناط القلائد

وأولها:

تباشر يربوع بنبوة ضربة ضربت بها بين الطلا والمحارد

ولو شئت قد السيف ما بين عنقه إلى علق بين الحجابين جامد

وقيل: إن الفرزدق قال لسليمان: يا أمير المؤمنين، هب لي هذا الأسير، فوهبه له، فأعتقه، وقال الأبيات التي منها:

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

ثم أقبل على راويته، فقال: كأني بابن المراغة، وقد بلغه خبري، فقال:

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الإمام فأرعشت يداك وقالوا محدث غير صارم

فما لبثنا إلا أياماً يسيرة، حتى جاءتنا القصيدة، وفيها البيتان، فعجبنا من فطنة الفرزدق: وقال أيضاً في ذلك:

أيعجب الناس أن أضحكت خيرهم خليفة الله يستسقى به المطر

فما نبا السيف عن جبن وعن دهش عند الإمام ولكن أخر القدر

ولو ضربت به عمداً مقلده لخر جثمانه ما فوقه شعر

وما يقدم نفساً قبل ميتتها جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر

من شعره في سجنه: وأخبرني عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن أبي عبيدة، قال: هجا الفرزدق خالداً القسري وذكر المبارك: النهر الذي حفره بواسط، فبلغه ذلك، وكتب خالد إلى مالك بن المنذر أن احبس الفرزدق فإنه هجا نهر أمير المؤمنين بقوله:

وأهلكت مال الله في غير حقه على نهرك المشؤوم غير المبارك

الأبيات، فأرسل مالك إلى أيوب بن عيسى الضبي، فقال: ائتني بالفرزدق، فلم يزل يعمل فيه حتى أخذه، فطلب إليهم أن يمروا به على بني حنيفة، فقال الفرزدق: مازلت أرجو أن أنجو حتى جاوزت بني حنيفة، فلما قيل لمالك: هذا الفرزدق انتفخ وريد مالك غضباً، فلما أدخل عليه قال:

أقول لنفسي حين غصت بريقها ألا ليت شعري مالها عند مالك؟
لها عنده أن يرجع الله روحها إليها وتنجو من جميع المهالك
وأنت ابن حباري ربيعة أدركت بك الشمس والخضراء ذات الحبائك

فسكن مالك، وأمر به إلى السجن، فقال يهجو أيوب بن عيسى الضبي:

فلو كنت قيسياً إذا ما حبستني ولكن زنجياً غليظاً مشافره
متت له بالرحم بيني وبينه فألفيته مني بعيداً أواصره
وقلت :امرؤ من آل ضبة فاعتزى لغيرهم لون استه ومحاجره
فسوف يرى النوبيّ ما اجترحت له يداه إذا ما الشعر عينت نوافره
ستلقي عليك الخنفساء إذا فست عليك من الشعر الذي أنت حاذره
وتأتي ابن زب الخنفساء قصيدة تكون له مني عذاباً يباشره
تعذرت يا بن الخنفساء ولم تكن لتقبل لابن الخنفساء معاذره
فإنكما يا بني يسار نزوتما على ثفرها ما حن للزيت عاصره
لزنجية بظراء شقق بظرها زحير بأيوب شديد زوافره

ثم مدح خالد بن عبد الله ومالك بن المنذر وهو محبوس مديحاً كثيراً، فأنشدني يونسي في كلمة له طويلة.

يا مال هل هو مهلكي ما لم أقل وليعلمن من القصائد قيلي
يا مال هل لك في كبير قد أتت تسعون فوق يديه غير قليل
فتجير ناصيتي وتفرج كربتي عني وتطلق لي يداك كبولي
ولقد بنى لكم المعلى ذروة رفعت بناءك في أشم طويل
والخيل تعلم في جذيمة أنها تردى بكل سميدع بهلول
فاسقوا فقد ملأ المعلى حوضكم بذنوب ملتهم الرباب سجيل

وقال يمدح مالكاً وكانت أم مالك هذا بنت مالك بن مسمع:

وقرم بين أولاد المعلى وأولاد المسامعة الكرام
تخمط في ربيعة بين بكر وعبد القيس في الحسب اللهام

فلما لم تنفعه مديحة مالك، قال يمدح هشام بن عبد الملك، ويعتذر إليه:

ألكني إلى راعي البرية والذي له العدل في الأرض العريضة نورا
فإن تنكروا شعري إذاً خرجت له بوادر لو يرمى بها لتفقرا
ثبير ولو مست حراء لحركت به الراسيات الصم حتى تكورا
إذا قال غاو من معد قصيدة بها حرب كانت وبالاً مدمرا
أينطقها غيري وأرمى بجرمها فكيف ألوم الدهر أن يتغيرا
لئن صبرت نفسي لقد أمرت به وخير عباد الله من كان أصبرا
وكنت ابن أحذار ولو كنت خائفاً لكنت من العصماء في الطود أحذرا
ولكن أتوني آمناً لا أخافهم نهاراً وكان الله ما شاء قدراً

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال: حدثني أبو يحيى قال: قال الفرزدق لابنه لبطة وهو محبوس اشخص إلى هشام، وأمدحه بقصيدة، وقال: استعن بالقيسية، ولا يمنعك قولي فيهم فإنهم سيغضبون لك وقال:

بكت عين محزون ففاض سجامها وطالت ليالي ساهر لا ينامها
فإن تبك لا تبك المصيبات إذ أتى بها الدهر والأيام جم خصامها
ولكنما تبكي تهتك خالد محارم منا لا يحل حرامها
فقل لبني مروان: ما بال ذمة وحرمة حق ليس يرعى ذمامها
أنقتل فيكم أن قتلنا عدوكم على دينكم والحرب باق قتامها
أتاك بقتل ابن المهل خالد وفينا بقيات الهدى وإمامها
فغير أمير المؤمنين فإنها يمانية حمقاء وأنت هشامها

أرى مضر المضرين قد ذلك نصرها ولكن عسى أن لا يذل شآمها
فمن مبلغ بالشام قيساً وخندفاً أحاديث ما يشفى ببرء سقامها
أحاديث منا نشتكيها إليهم ومظلمة يغشى الوجوه قتامها
فإن من بها لم ينكر الضيم منهم فيغضب منها كهلها وغلافها

نمت مثلها من مثلهم وتنكلوا فيعلم أهل الجور كيف انتقامها
بغلباء من جمهورنا مضرية يزايل فيها أذرع القوم هامها
وبيض على هام الرجال كأنها كواكب يحولها لسار ظلامها
غضبنا لكم يا آل مروان فاغضبوا عسى أن أرواحا يسوغ طعامها
ولا تقطعوا الأرحام منا فإنها ذنوب من الأعمال يخشى آثامها
ألم تك في الأرحام منا ومنكم حواجز أيام عزيز مرامها
فترعى قريش من تميم قرابة ونجزي بأيام كريم مقامها
لقد علمت أبناء خندف أننا ذراها وأنا عزها وسنامها
وقد علم الأحياء من كل موطن إذا عدت الأحياء أنا كرامها
وأنا إذا الحرب العوان تضرمت نليها إذا ما الحرب شب ضرامها
قوام قوى الإسلام والأمر كله وهل طاعة إلا تميم قوامها
تميم التي تخشى معد وغيرها إذا ما أبى أن يستقيم همامها
إلى الله تشكو عزنا الأرض فوقها وتعلم أنا ثقلها وغرامها
شكتنا إلى الله العزيز فأسمعت قريباً، وأعيا من سواه كلامها
نصول بحول الله في الأمر كله إذا خيف من مصدوعة ما التآمها

فأعانته القيسية وقالوا: كلما كان ناب من مضر أو شاعر أو سيد وثب عليه خالد.

وقال الفرزدق أبياتاً كتب بها إلى سيد بن الوليد الأبرش وكلم له هشاماً:

إلى الأبرش الكلبي أسندت حاجة تواكلها حيا تميم ووائل
على حين أن زلت بي النعل زلة فأخلف ظني كل حاف وناعل
فدونكها يا بن الوليد فإنها مفضلة أصحابها في المحافل
وذونكها يا بن الوليد فقم بها فقام امرئ في قومه غير خامل

فكلم هشاماً وأمر بتخليته فقال يمدح الأبرش:

لقد وثب الكلبي وثبة حازم إلى خير خلق الله نفسا وعنصرا
إلى خير أبناء الخليفة لم يجد لحاجته من دونها متأخرا

أبى حلف كلب في تميم وعقدها كما سنت الآباء أن يتغيرا

وكان هذا الحلف حلفاً قديماً بين تميم وكلب في الجاهلية، وذلك قول جرير بن الخطفى في الحلف:

تميم إلى كلب وكلب إليهم أحق وأدنى من صداء وحميرا

وقال الفرزدق:

أشد حبال بين حيين مرة حبال أمرت من تميم ومن كلب

وليس قضاعي لدينا بخائف ولو أصبحت تغلي القدور من الحرب

وقال أيضاً:

ألم تر قيساً قيس عيلان شمرت لنصري وحاطتني هناك قرومها

فقد حالفت قيس على النأي كلهم تميما فهم منها ومنها تميمها

وعادت عدوي إن قيساً لأسرتي وقومي إذا ما الناس عد صميمها

شرطيان يعبثان به: أخبرني ابن دريد: قال حدثني أبو حاتم، عن أبي عبيدة، قال: بينما الفرزدق جالس بالبصرة أيام زياد في سكة ليس لها منفذ إذ مر به رجلان من قومه كانا في الشرطة وهما راكبان، فقال أحدهما لصاحبه: هل لك أن أفزعه - وكان جباناً - فحركا دابتيهما نحوه فأدبر موليا فعثر من طرف برده فشقه، وانقطع شسع نعله، وانصرفا عنه، وعرف أنهما هزئا منه فقال:

لقد خار إذ يجري علي حماره ضرار الخنا والعنبري بن أخوقا

وما كنت لو خوفتماني كلاكما بأميكما عريانتين لأفرقا

ولكنما خوفتم اني بخادر شتيم إذا ما صادف القرن مزقا

حديثه مع توبة وليلى الأخيلية:

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا القحذمي عن بعض ولد قتيبة بن مسلم عن ابن زالان المازني، قال: حدثني الفرزدق، قال: لما طردني زياد أتيت المدينة وعليها مروان بن الحكم، فبلغه أني خرجت من دار ابن صياد، وهو رجل يزعم أهل المدينة أنه الدجال، فليس يكلمه أحد، ولا يجالسه أحد، و لم أكن عرفت خبره، فأرسل إلي مروان فقال: أتدري ما مثلك؟ حديث تحدث به العرب: أن ضبعاً مرت بحي قوم، وقد رحلوا، فوجدت مرآة، فنظرت وجهها فيها، فلما نظرت قبح وجهها ألقتها، وقالت: من شر ما أطرحك أهلك، ولكن من شر ما اطرحك أميرك، فلا تقيمن بالمدينة بعد ثلاثة أيام، قال: فخرجت أريد اليمن، حتى إذا صرت بأعلى ذي قسي - وهو طريق اليمن من البصرة - فإذا رجل مقبل، فقلت: من أين أوضع الراكب؟ قال:

من البصرة، قلت: فما الخبر وراءك؟ قال: أتانا أن زياداً مات بالكوفة، قال: فنزلت عن راحلتي، فسجدت، وقلت: لو رجعت، فمدحت عبيد الله بن زياد، وهجوت مروان بن الحكم، فقلت:

وقفت بأعلى ذي قسي مطيتي ... أمثل في مروان وابن زياد

فقلت :عبيد الله خيرهما لنا ... وأدناهما من رأفة وسداد

ومضيت لوجهي، حتى وطئت بلاد بني عقيل فوردت ما بين مياههم فإذا بيت عظيم وإذا فيه امرأة سافرة لم أر كحسنها وهيئتها قط، فدنوت، فقلت: أتأذنين في الظل؟ قالت: أنزل فلك الظل والقرى، فأنخت، وجلست إليها، قال: فدعت جارية لها سوداء كالراعية، فقالت: ألطفيه شيئاً واسعى إلى الراعي، فردي علي شاة، فاذبيحها له، وأخرجت إلي تمراً وزبداً، قال: وحادثتها فوالله ما رأيت مثلها قط، ما أنشدتها شعراً إلا أنشدتني أحسن منه، قال: فأعجبني المجلس والحديث إذ أقبل رجل بين بردين، فلما رأته رمت ببرقعها على وجهها، وجلس وأقبلت عليه بوجهها وحديثها، فدخلني من ذلك غيظ، فقلت للحين: هل لك في الصراع؟ فقال: سوأةلك، إن الرجل لا يصارع ضيفه، قال: فألححت عليه، فقالت له: ما عليك لو لاعبت ابن عمك؟ فقام، وقمت، فلما رمى ببرده، إذا خلق عجيب، فقلت: هلكت ورب الكعبة، فقبض على يدي، ثم اختلجني إليه، فصرت في صدره، ثم حملني، قال: فوالله ما اتقيت الأرض إلا بظهر كبدي وجلس على صدري، فما ملكت نفسي أن ضرطت ضرطة منكرة، قال: وثرت إلى جملي فقال: أنشدك الله، فقالت المرأة: عافاك الله الظل والقرى، فقلت: أخزى الله ظلكم وقراكم، ومضيت، فبينا أسير إذ لحقني الفتى على نجيب يجنب بختياً برحله وزمامه، وكان رحله من أحسن الرحال، فقال: يا هذا، والله ما سرني ما كان، وقد أراك أبدعت أي كلّت ركابُك، فخذ هذا النجيب، وإيّاك أن تُخدَع عنه، فقد والله أعطِيْتُ به مائتي دينار قلت: نعم آخذه، ولكن أخبرني من أنت؟ ومن هذه المرأة؟ قال: أنا توبة بن الحمير، وتلك ليلى الأخيلية، وقد أخبرني بهذا الخبر عمي.

رواية أخرى في الخبر السابق: قال: حدثني القاسم بن محمد الأنباري، قال: حدثني أحمد بن عبيد، عن الأصمعي، قال: كانت امرأة من عقيل يقال لها ليلى، يتحدث إليها الشباب، فدخل الفرزدق إليها، فجعل يحادثها، وأقبل فتى من قومها، كانت تألفه، ودخل إليها فأقبلت عليه بحديثها، وتركت الفرزدق، فغاظه ذلك، فقال للرجل: أتصارعني؟ قال: ذلك إليك، فقام إليه الرجل فلم يلبث أن أخذ الفرزدق مثل الكرة فصرعه، وجلس على صدره، فضرط الفرزدق، فوثب عنه الرجل خجلاً، وقال له الرجل: يا أبا فراس، هذا مقام العائذ بك، والله ما أردت بك ما جرى، فقال: ويحك، ما بي أن صرعتني، ولكن كأني بابن الأتان جرير، وقد بلغه خبري هذا، فقال يهجوني:

جلست إلى ليلى لتحظى بقربها ... فخانك دبر لايزال يخون

فلو كنت ذا حزم شددت وكاءها ... كما شد خرتاً للدلاص قيون

قالوا: فوالله ما مضت أيام حتى بلغ جريراً الخبر، فقال فيه هذين البيتين.

يقضي يوماً كيوم دارة جلجل:

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثني القحذمي، قال: حدثني بعض أصحابنا، عن عبد الله بن زالان التميمي راوية الفرزدق، أن الفرزدق قال: أصابنا بالبصرة مطر جود ليلاً، فإذا أنا بأثر دواب قد خرجت ناحية البرية، فظننت قوماً قد خرجوا لنزهة، فقلت: خليق أن تكون معهم سفرة وشراب. فقصصت أثرهم، حتى وقفت إلى بغال عليها رحائل موقوفة على غدير، فأغذذت السير نحو الغدير، فإذا نسوة مستنقعات في الماء، فقلت: لم أر كاليوم قط، ولا يوم دارة جلجل، وانصرفت مستحيياً منهن، فناديني: بالله يا صاحب البغلة، ارجع نسألك عن شيء، فانصرفت إليهن، وهن في الماء إلى حلوقهن، فقلن: بالله إلا ما خبرتنا بحديث دارة جلجل، فقلت: إن امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عم له يقال لها عنيزة، فطلبها زماناً، فلم يصل إليها، وكان في طلب غرة من أهلها؛ ليزورها، فلم يقض له، حتى كان يوم الغدير، وهو يوم دارة جلجل، وذلك أن الحي احتملوا، فتقدم الرجال، وتخلف النساء والخدم والثقل، فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف بعد ما سار مع قومه غلوة، فكمن في غيابة من الأرض، حتى مر به النساء فإذا فتيات، وفيهن عنيزة، فلما وردن الغدير قلن: لو نزلنا فذهب عنا بعض الكلال، فنزلن إليه، ونحين العبيد عنهن، ثم تجردن فاغتمسن في الغدير، كهيئتكن الساعة، فأتاهن امرؤ القيس محتالاً كنحو ما أتيتكن، وهن غوافل، فأخذ ثيابهن، فجمعها - ورمى الفرزدق بنفسه عن بغلته فأخذ بعض أثوابهن، فجمعها، ووضعها على صدره - وقال لهن كما أقول لكن: والله لا أعطي جارية منكن ثوبها، ولو أقامت في الغدير يومها، حتى تخرج مجردة، قال الفرزدق: فقالت إحداهن، وكانت أمجنهن: ذلك كان عاشقاً لابنة عمه، أفعاشق أنت لبعضنا؟ قال: لا والله، ما أعشق منكن واحدة، ولكن أشتهيكن، قال: فنعرن، وصفقن بأيديهن، وقلن: خذ في حديثك، فلست منصرفاً إلا بما تحب، قال الفرزدق في حديث امرئ القيس: فتأبين ذلك عليه حتى تعالى النهار، ثم خشين أن يقصرن دون المنزل الذي أردنه، فخرجت إحداهن، فوضع لها ثوبها ناحيه! فأخذته فلبسته، ثم تتابعن على ذلك حتى بقيت عنيزة، فناشدته الله أن يطرح إليها ثوبها، فقال: دعينا منك؛ فأنا حرام إن أخذت ثوبك إلا بيدك، فخرجت فنظر إليها مقبلة ومدبرة، فوضع لها ثوبها فأخذته، وأقبلن عليه يلمُنه، ويعذُلنه، ويقلن: عريتنا، وحبستنا، وجوعتنا، قال: فإن نحرت لكن مطيتي أتأكلن منها؟ قلن: نعم، فاخترط سيفه، فعقرها، ونحرها، وكشطها، وصاح بالخدم، فجمعوا له حطباً، فأجج ناراً عظيمة، ثم جعل يقطع لهن من سنامها وأطايبها وكبدها، فيلقيها على الجمر، فيأكلن، ويأكل معهن، ويشرب من ركوة كانت معه ويغنيهن، وينبذ إلى العبيد والخدم من الكباب، حتى شبعن، وطربن، فلما أراد الرحيل قالت إحداهن: أنا أحمل طنفسته، وقالت الأخرى: أنا أحمل رحله، وقالت الأخرى: أنا أحمل حشيته وأنساعه، فتقسمن متاع راحلته بينهن، وبقيت عنيزة لم يحملها شيئاً، فقال لها امرؤ القيس: يا بنة الكرام، لا بد لك أن

تحمليني معك؛ فإني لا أطيق المشي، وليس من عادتي، فحملته على غارب بعيرها، فكان يدخل رأسه في خدرها، فيقبلها، فإذا امتنعت مال حدجها، فتقول: يا مرأ القيس، عقرت بعيري، فانزل، فذلك قوله:

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً: عقرت بعيري يا مرأ القيس فانزل

فلما فرغ الفرزدق من الحديث قالت تلك الماجنة: قاتلك الله، ما أحسن حديثك يا فتى وأظرفك، فمن أنت؟ قال: قلت: من مضر، قالت: ومن أيها؟ فقلت: من تميم، قالت: ومن أيها؟ قلت: إلى ههنا انتهى الكلام، قالت: إخالك والله الفرزدق قلت: الفرزدق شاعر وأنا راوية، قالت: دعنا من توريتك على نسبك، أسألك بالله، أنت هو؟ قال: أنا هو والله، قالت: فإن كنت أنت هو فلا أحسبك مفارقاً ثيابنا إلا عن رضاً، قلت: أجل، قالت: فاصرف وجهك عنا ساعة وهمست إلى صويحباتها بشيء لم أفهمه، فغططن في الماء، فتوارين، وأبدين رؤوسهن، وخرجن، ومع كل واحدة منهن ملء كفيها طيناً، وجعلن يتعادين نحوي، فضربن بذلك الطين والحمأة وجهي، وملأن عيني وثيابي، فوقعت على وجهي، فصرت مشغولاً بعيني وما فيها، وشددن على ثيابهن، فأخذنها، وركبت الماجنة بغلتي، وتركتني منبطحاً بأسوأ حال وأخواها وهي تقول: زعم الفتى أنه لا بد أن ينيكنا، فمازلت من ذلك المكان حتى غلست وجهي وثيابي، وجففتها، وانصرفت عند مجيء الظلام إلى منزلي على قدمي، وبغلتي قد وجهن بها إلى منزلي مع رسول لهن، وقلن: قل له تقول لك أخواتك: طلبت منا ما لم يمكننا، وقد وجهنا إليك بزوجتك، فنكها سائر ليلتك وهذا كسر درهم لحمام إذا أصبحت، فكان إذا حدث بهذا الحديث يقول: ما منيت بمثلهن.

يهجو من يرثي زياداً: أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا أبو مسلم الحراني، قال: حدثني الأصمعي، قال: حدثنا العلاء بن أسلم، قال: لما مات زياد رثاه مسكين الدرامي، فقال الفرزدق:

أمسكين أبكى الله عينيك إنما جرى في ضلال دمعها إذ تحدرا

بكيت امرأ من آل ميسان كافراً ككسرى على عدانه أو كقيصرا

أقول له لما أتاني نعيه به لا بطبي بالصريمة أعفرا

يهجو ويمدح آل المهلب: أخبرنا عبد الله بن مالك، عن أبي مسلم الحراني، قال: حدثنا الأصمعي، قال: حدثنا العلاء بن أسلم، قال: لما أراد المهلب الخروج إلى الأزارقة لقي الفرزدق جريراً، فقال له: يا أبا فراس، هل لك أن تكلم المهلب، حتى يضع عني البحث، وأعطيك ألف درهم، فكلم المهلب، فأجابه فلامه جذيع، رجل من عشيرته، وشكا ذلك إلى بخرة امرأة المهلب وقال لها: لايزال الآن الرجل يجيء فيسأل في عشيرته وصديقه، فلامته خيرة بنت ضمرة القشيرية، فقال المهلب: إنما اشتريت عرضي منه، فبلغ ذلك الفرزدق، فقال يهجو جذيعاً.

إن تبن دارك يا جذيع فما بنى لك يا جذيع أبوك من بنيان

وأبوك ملتزم السفينة عاقد خصييه فوق بنائق التبان
ويظل يدفع باسته متقاعساً في البحر معتمداً على السكان
لا تحسبن دراهماً جمعتها تمحو مخازيك التي بعمان

وقال يهجو خيرة:

ألا قشر الإله بني قشير كقشر عصا المنقح من معال
أرى رهطا لخيرة لم يؤوبوا بسهم في اليمين ولا الشمال
إذا رهزت رأيت بني قشير من الخيلاء منتفشي السبال

فغضب بنو المهلب لما هجا جذيعا وخيرة، فنالوا منه، فهجاهم، فقال:

وكائن للمهلب من نسيب يرى بلبانة أثر الزيار
بخارك لم يقد فرساً ولكن يقود الساج بالمسد المغار
عمي بالتنائف حين يصحي دليل الليل في الجج الغمار
وما لله يسجد إذ يصلي ولكن يسجدون لكل نار

فلما ولي يزيد بن المهلب خراسان والعراقبعد أبيه - ولاه سليمان بن عبد الملك - خاف الفرزدق من بني المهلب، فقال يمدحهم:

فلأمدحن بني المهلب مدحة غراء قاهرة على الأشعار
مثل النجوم أمامها قمراؤها تجلو العمى وتضيء ليل الساري
ورثوا الطعان عن المهلب والقرى وخلائقا كتدفق الأنهار
كان المهلب للعراق وقاية وحيا الربيع ومعقل الفرار
وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصار
مازال مذ شد الإزار بكفه ودنا فأدرك خمسة الأشبار
أيزيد إنك للمهلب أدركت كفاك خير خلائق الأخيار

يخشى بأس يزيد بن المهلب: أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني الأصمعي، قال: لما قدم يزيد بن المهلب واسطاً قال لأمية بن الجعد - وكان صديق الفرزدق : إني لأحب أن تأتيني بالفرزدق، فقال للفرزدق: ماذا فاتك من يزيد أعظم الناس عفواً، وأسخى الناس كفاً، قال: صدقت، ولكن أخشى أن آتيه

فأجد العمانية ببابه فيقوم إلي رجل منهم فيقول: هذا الفرزدق الذي هجانا، فيضرب عنقي، فيبعث إليه يزيد، فيضرب عنقه، ويبعث إلى أهلي ديتي، فإذا يزيد قد صار أوفى العرب، وإذا الفرزدق فيما بين ذلك قد ذهب، قال: لا والله لا أفعل، فأخبر يزيد بما قال، فقال: أما إذ قد وقع هذا بنفسه فدعه لعنه الله.

ماجن يريد أن يترو عليه: قال ابن حبيب: وحدثنا يعقوب بن محمد الزهري عن أبيه عن جده قال: دخل الفرزدق مع فتيان من آل المهلب في بركة يتبردون فيها، ومعهم ابن أبي علقمة الماجن، فجعل يتفلت إلى الفرزدق، فيقول: دعوني أنكحه، حتى لا يهجونا أبداً، وكان الفرزدق من أجبن الناس، فجعل يستغيث، ويقول: ويلكم! لا يمس جلده جلدي، فيبلغ ذلك جريراً، فيوجب علي أنه قد كان منه الذي يقول، فلم يزل يناشدهم حتى كفوه عنه.

يفخر بالمضربة أمام حاكم يماني: أخبرني عبيد الله قال: حدثني محمد بن حبيب قال: حدثني موسى بن طلحة قال: لما ولي خالد بن عبد الله العراق، فقدمها وكان من أشد خلق الله عصبية على نزال فقال لبطة بن الفرزدق: فلبس أبي من صالح ثيابه؛ وخرج يريد السلام عليه، فقلت له: يا أبت، إن هذا الرجل يماني، وفيه من العصبية ما قد علمت، فلو دخلت إليه فأنشدته مدائحك أهل اليمن لعل اللله أن يأتيك منه بخير، فإنك قد كبرت على الرحلة، فجعل لا يرد علي شيئاً؛ حتى دفعنا إلى البواب؛ فأذن له؛ فدخل؛ وسلم؛ فاستجلسه؛ ثم قال: إيه يا أبا فراس، أنشدنا مما أحدثت، فأنشدته:

يختلف الناس ما لم نجتمع لهم ... ولا خلاف إذا ما أجمعت مضر

فينا الكواهل والأعناق تقدمها ... فيها الرؤوس وفيها السمع والبصر

ولا نحالف غير الله من أحد ... إلا السيوف إذا ما اغرورق النظر

ومن يمل يمل المأثور قلته ... بحيث يلقى حافي رأسه الشعر

أما الملوك فإنا لا نلين لهم ... حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

ثم قام، فخرجنا، قلت: أهكذا أوصيتك؟ قال: اسكت، لا أم لك فما كنت قط أملأ لقلبه مني الساعة.

يفحم المنذر بن الجارود: أخبرني عبد الله: قال حدثني محمد بن حبيب، عن موسى بن طلحة قال: كان الفرزدق في حلقة في المسجد الجامع، وفيها المنذر بن الجارود العبدي، فقال المنذر: من الذي يقول:

وجدنا في كتاب بني تميم ... أحق الخيل بالركض المعار

فقال الفرزدق: يا أبا الحكم هو الذي يقول:

أشارب قهوة وخدين زير ... وعبدي لفسوته بخار

وجدنا الخيل في أبناء بكر ... وأفضل خيلهم خشب وقار

قال: فخجل المنذر، حتى ما قدر على الكلام.

خليفة أموي يفضله ويصله: أخبرني عبد الله بن مالك: قال: حدثني محمد بن موسى قال: حدثنا الأصمعي قال: دخل الفرزدق على بعض خلفاء بني مروان ففاخره قوم من الشعراء فأنشأ يقول:

ما حملت ناقة من معشر رجلاً ... مثلى إذا الربح لفتنني على الكور

أعز قوماً وأوفى عند مكرمة ... لمعظم من دماء القوم مهجور

فقال له: إيه، فقال:

إلا قريشاً فإن الله فضلها ... على البرية بالإسلام والخير

تلقى وجوه بني مروان تحسبها ... عند اللقاء مشوفات الدنانير

ففضله عليهم، ووصله.

عيسى بن حصيلة يعينه على الفرار من زياد:

قال ابن حبيب: وكان الفرزدق يهاجي الأشهب بن رميلة النهشلي وبني فقيم، فأرفث بهم، فاستعدوا عليه زياداً، فحدثني جابر بن جندل: قال: فأتى عيسى بن حصيلة بن مغيث بن نصر بن خالد السلمي ثم من بني بهز، فقال: يا أبا حصيلة، إن هذا الرجل قد أخافني؛ وقد لفظني جميع من كنت أرجو، قال: فمرحباً بك يا أبا فراس، فكان عنده ليالي، ثم قال: إني أريد أن ألحق بالشام، قال: إن أقمت ففي الرحب والسعة، وإن شخصت فهذه ناقة أرحبية أمتعك بها، وألف درهم، فركب الناقة، وخرج من عنده ليلاً، فأرسل عيسى معه من أجازه من البيوت؛ فأصبح وقد جاوز مسيرة ثلاث، فقال يمدحه:

كفاني بها البهزي حملان من أبى ... من الناس، والجاني تخاف جرائمه

فتى الجود عيسى والمكارم والعلا ... إذا المال لم ينفع بخيلاً كرائمه

ومن كان يا عيسى يؤنب ضيفه ... فضيفك يا عيسى هنيء مطاعمه

وقال :تعلم أنها أرحبية ... وأن لك الليل الذي أنت جاشمه

فأصبحت والملقى ورائي وحنبل ... وما صدرت حتى علا النجم عاتمه

تزاور في آل الحقيق كأنها ... ظليم تبارى جنح ليل نعائمه

رأت دون عينيها ثوية فانجلى ... لها الصبح عن صعل أسيل مخاطمه

وقال:

تداركني أسباب عيسى من الردى ... ومن يك مولاه فليس بواحد

نمته النواصي من سليم إلى العلا ... وأعراق صدق بين نصر وخالد

سأثني بما أوليتني وأربه إذا القوم عدوا فضلهم في المشاهد

فلما بلغ زياداً شخوصه أتبعه علي بن زهدم الفقيمي: أحد بني مؤلة فلم يلحقه فقال الفرزدق:

فإنك لو لاقيتني يا بن زهدم لأبت شعاعيا على غير تمثال

يلجأ إلى بكر بن وائل: فأتى بكر بن وائل، فجاورهم، فأمن، فقال:

وقد مثلت أين المسير فلم تجد لعوذتها كالحي بكر بن وائل

وسارت إلى الأجفان خمسا فأصبحت مكان الثريا من يد المتناول

وماضرها إذ جاورت في بلادها بني الحصن ما كان اختلاف القبائل

الحصن بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

يأمن زياداً في حمى سعيد بن العاص: وهرب الفرزدق من زياد، فأتى سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، وهو على المدينة لمعاوية بن أبي سفيان، فأمنه سعيد، فبلغ الفرزدق أن زياداً قال: لو أتاني أمنته، وأعطيته، فقال في كلمة له:

دعاني زياد للعطاء ولم أكن لآتيه ما ساق ذو حسب وقرا

وعند زياد لو أراد عطاءهم رجال كثير قد يرى بهم فقرا

قعود لدى الأبواب طلاب حاجة عوان من الحاجات أو حاجة بكرا

فلما خشيت أن يكون عطاؤه أداهم سوداً أو محدرجة سمرا

نميت إلى حرف أضربنيها سرى الليل واستعراضها البلد الفقيرا

فلما اطمأن عند سعيد بن العاص بالمدينة قال:

ألا من مبلغ عني زياداً مغلغلة يخب بها البريد

بأني قد فررت إلى سعيد ولا يسطاع ما يحمي سعيد

فررت إليه من ليث هزبر تفادى عن فريسته الأسود

فإن شئت انتميت إلى النصارى وناسبني وناسبت اليهود

وإن شئت انتسبت إلى فقيم وناسبني وناسبت القرود

وأبغضهم إلي بنو فقيم ولكن سوف آتي ما تريد

فأقام الفرزدق بالمدينة؛ فكان يدخل بها على القيان. فقال:

إذا شئت غناني من العاج قاصف على معصم ريان لم يتخدد

لبيضاء من أهل المدينة لم تعش ببؤس ولم تتبع حمولة مجحد
وقامت تخشيني زياداً وأجفلت حوالي في بردي يمان ومجسد
فقلت: دعيني من زياد فإنني أرى الموت وقاعاً على كل مرصد

بينه وبين مسكين الدارمي: فلما هلك زياد رثاه مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عدي بن عدس بن عبد الله بن دارم، فقال:

رأيت زيادة الإسلام ولت جهاراً حين فارقها زياد

فبلغ ذلك الفرزدق، فقال:

أمسكين أبكى الله عينيك إنما جرى في ضلال دمعها فتحدرا
أتبكي أمراً من آل ميسان كافراً ككسرى على عداته أو كقيصرا
أقول له لما أتاني نعيه: به لا بظبي بالصريمة أعفرا

فقال مسكين:

ألا أيها المرء الذي لست قائماً ولا قاعداً في القوم إلا انبرى ليا
فجئني بعم مثل عمي أو أب كمثل أبي أو خال صدق كخاليا
بعمرو بن عمرو أوزارة ذي الندى سموت به حتى فرعت الروابيا

فأمسك الفرزدق عنه، وكان يقول: نجوت من أن يهجوني مسكين، فإن أجبته ذهبت بشطر فخري، وإن أمسكت عنه كانت وصمة على مدى الدهر.

عائذة بقبر أبيه: أخبرني أبو خليفة، فقال: أخبرنا ابن سلام، قال: حدثني الحكم بن محمد المازني، قال: كان تميم بن زيد القضاعي، ثم أحد بني القين بن جسر غزا الهند في جيش، فجمرهم؛ وفي جيشه رجل يقال له حبيش، فلما طالت غيبته على أمه اشتاقته، فسألت عمن يكلم لها تميم بن زيد أن يقفل ابنها، فقيل لها: عليك بالفرزدق، فاستجيري بقبر أبيه، فأتت قبر غالب بكاظمة، حتى علم الفرزدق مكانها.

ثم أتته، وطلبت إليه حاجتها، فكتب إلى تميم بن زيد هذه الأبيات:

هب لي حبيشاً واتخذ فيه منة لغصة أم ما يسوغ شاربها
أتتني فعادت يا تيم بغالب وبالحفرة السافي عليها ترابها
تميم بن زيد لا تكونن حاجتي بظهر فلا يخفى علي جوابها

فلما أتاه كتابه لم يدر ما اسمه حبيش أو حنيش، فأخرج "ديوانه"، وأقفل كل حبيش وحنيش في جيشه، وهم عدة، وأنفذهم إلى الفرزدق.

عائذ بقبر أبيه: قال أبو خليفة: قال ابن سلام، وحدثني أبو يحيى الضبي، قال: ضرب مكاتب لبني منقر بساطاً على قبر غالب أبي الفرزدق؛ فقدم الناس على الفرزدق، فأخبروه بمكانه عند قبر أبيه.

ثم قدم عليه فقال:

بقبر ابن ليلى غالب عذت بعدما ... خشيت الردى أو أن أرد على قسر

فأخبرني قبر ابن ليلى فقال لي: ... فكاكك أن تأتي الفرزدق بالمصر

فقال الفرزدق: صدق أبي؛ أنخْ؛ ثم طاف له في الناس؛ حتى جمع له مكاتبته وفضلاً.

عائذة أخرى بقبر أبيه: وكان نفيع ذو الأهدام: أحد بني جعفر بن كلاب يتعصب لجرير بمدحه قيساً؛ فهجاه الفرزدق، فاستجارت أمه بقبر غالب؛ وعاذت من هجاء الفرزدق؛ فقال:

ونبئت ذا الأهدام يعوي ودونه ... من الشام زراعاتها وقصورها

على حين لم أترك على الأرض حية ... ولا نابحاً إلا استقر عقورها

كلاب نبحن الحي من كل جانب ... فعاد عواء بعد نبح هريرها

عجوز تصلي الخمس عاذت بغالب ... فلا والذي عاذت به لا أضيرها

لئن نافع لم يرع أرحام أمه ... وكانت كدلو لايزال يعيرها

لبئس دم المولود بل ثيابها ... عشية نادى بالغلام بشيرها

وإني على إشفاقها من مخافتي ... وإن عقها بي نافع لمجيرها

ولو أن أم الناس حواء جاورت ... تميم بن مر لم تجد من يجيرها

وهذا البيت يروى لغيره في غير هذه القصيدة.

جرير يبز: أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثنا أحمد بن حاتم المعروف بابن نصر، عن الأصمعي، قال: كان عبد الله بن عطية راوية الفرزدق وجرير، قال: فدعاني الفرزدق يوماً، فقال: إني قلت بيت شعر والنوار طالق إن نقضه ابن المراغة، قلت: ما هو؟ قال: قلت:

فإني أنا الموت الذي هو نازل ... بنفسك فانظر كيف أنت تحاوله

ارحل إليه بالبيت، قال: فرحلت إلى اليمامة، قال: ولقيت جريراً بفناء بيته يعبث بالرمل، فقلت: إن الفرزدق قال بيتاً، وحلف بطلاق النوار أنك لا تنقضه، قال: هيه، أظن والله ذلك؟ ما هو؟ ويلك، فأنشدته إياه، فجعل يتمرغ في الرمل، ويحثوه على رأسه وصدره، حتى كادت الشمس تغرب، ثم قال: أنا أبو حزرة، طلقت امرأة الفاسق، وقال:

أنا الدهر يفني الموت والدهر خالد ... فجئني بمثل الدهر شيئاً يطاوله

ارحل إلى الفاسق، قال: فقدمت على الفرزدق، فأنشدته إياه، وأعلمته بما قال، فقال: أقسمت عليك لما سترت هذا الحديث.

هناك من هو أجفى منه: أخبرني عبد الله، قال: أخبرني محمد بن حبيب، قال: حدثنا الأصمعي وأبو عبيدة، قال: دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة وعنده ناس من اليمامة، فضحكوا فقال: يا أبا فراس أتدري مم ضحكوا؟ قال: لا، قال: من جفائك، قال: أصلح الله الأمير، حججت، فإذا أنا برجل منهم على عاتقه الأيمن صبي، وعلى عاتقه الأيسر صبي؛ وإذا امرأة آخذة بمئزره؛ وهو يقول:

أنت وهبت زائداً ومزيدا وكهلة أولج فيها الأجردا

والمرأة تقول من خلفه: إذا شئت، فسألت: ممن هو؟ فقيل: من الأشعريين، أفأنا أجفى أم ذلك؟ فقال بلال: لا حياك الله، قد علمت أنهم لن يفلتوا منك.

تهزمه امرأة: أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثني محمد بن حبيب، قال: حدثنا موسى بن طلحة، عن أبي زيد الأنصاري، قال: ركب الفرزدق بغلته، فمر بنسوة؛ فلما حاذاهن لم تتمالك البغلة أن ضرطت، فضحكن منه، فالتفت إليهنّ، فقال: لا تضحكن، فما حملتني أنثى إلا ضرطت، فقالت له إحداهن: ما حملتك أنثى أكثر من أمك، فأراها قاست منك ضراطاً كثيراً، فحرك بغلته، وهرب منهن، وبهذا الإسناد قال: يهجو إبليس: أتى الفرزدق الحسن البصري؛ فقال: إني قد هجوت إبليس، فقال: كيف تهجوه وعن لسانه تنطق؟.

يسأل الفرزدق فيفحمه: وبهذا الإسناد قال حمزة بن بيض للفرزدق: يا أبا فراس، أسألك عن مسألة، قال: سل عما أحببت، قال: أيما أحب إليك؟ أتسبق الخير أم يسبقك؟ قال: إن سبقني فاتني، وإن سبقته فته، ولكن نكون معاً، لا يسبقني، ولا أسبقه، ولكن أسألك عن مسألة. قال ابن بيض: سل، قال: أيما أحب إليك؟ أن تنصرف إلى منزلك، فتجد امرأتك قابضة على أير رجل، أم تراه قابضاً على هنها، قال: فتحير، وكان قد نهي عنه، فلم يقبل.

لا صلح بينه وبين جرير: أخبرني عبد الله قال: حدثني محمد بن عمران الضبي، قال: حدثني الأصمعي، قال: اجتمع الفرزدق وجرير عند بشر بن مروان فرجا أن يصلح بينهما حتى يتكافا، فقال لهما: ويحكما! قد بلغتما من السن ما قد بلغتما، وقربت آجالكما؛ فلو اصطلحتما ووهب كل واحد منكما لصاحبه ذنبه، فقال جرير: أصلح الله الأمير، إنه يظلمني، ويتعدى عليّ، فقال الفزدق: أصلح الله الأمير إني وجدت آبائي يظلمون آباءه. فسلكت طريقهم في ظلمه، فقال بشر: عليكما لعنة الله، لا تصطلحان والله أبداً.

يهزأ به وبهجائه: وأخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن عمران الضبي، قال: حدثنا الأصمعي: قال الفرزدق: ما أعياني جواب أحد ما أعياني جواب دهقان مرة قال لي: أنت الفرزدق الشاعر؟ قلت: نعم؛ قال: أفأموت إن هجوتني؟ قلت: لا، قال: أفتموت عيشونة ابنتي؟ قلت: لا، قال: فرجلي إلى عنقي في حر أمك، قال: قلت: ويلك! لم تركت رأسك؟ قال: حتى أنظر أي شيء تصنع؟.

يأمره مجنون فيطيع: أخبرني عبد الله، قال: حدثنا محمد بن حبيب عن الأصمعي، قال: مر الفرزدق بمأجل فيه ماء، فأشرع بغلته فيه، فقال له مجنون بالبصرة: يقال له حربيش: نح بغلتك، جذ الله رجليك، قال: و لم؟ ويلك، قال: لأنك كذوب الحنجرة، زاني الكمرة، فقال الفرزدق لبغلته: عدس ومضى، وكره أن يسمع قوله الناس.

هو وغيره يؤثرون القصار: أخبرنا عبد الله بن مالك، عن ابن حبيبن عن سعدان بن المبارك، قال: قيل للفرزدق: ما اختيارك في شعرك للقصار؟ قال: لأني رأيتها أثبت في الصدور، وفي المحافل أجول؛ قال: وقيل للحطيئة: ما بال قصارك أكثر من طوالك؟ قال: لأنها في الآذان أولج، وفي أفواه الناس أعلق.

أخبرني عبد الله بن حبيب، عن سعدان بن المبارك، قال: قيل لعقيل بن علفة: مالك تقصر في هجائك؟ قال: حسبك من القلادة ما أحاط بالرقبة.

يتندر باسمه فيلقمه حجراً: أخبرني عبد الله، عن محمد بن علي بن سعيد الترمذي، عن أحمد بن حاتم: أبي نصر، قال:

قال الجهم بن سويد بن المنذر الجرمي للفرزدق: أما وجدت أمك اسماً لك إلا الفرزدق الذي تكسره النساء في سويقها؟ قال: والعرب تسمي خبز الفتوت الفرزدق فأقبل الفرزدق على قوم معه في المجلس. فقال: ما اسمه؟ فلم يخبروه باسمه، فقال: والله لئن لم تخبروني لأهجونكم كلكم، قال: الجهم بن سويد بن المنذر، فقال الفرزدق: أحق الناس ألا يتكلم في هذا أنت؛ لأن اسمك اسم متاع المرأة، واسم أبيك اسم الحمار واسم جدك اسم الكلب.

بيتان يثيرانه: أخبرنا عبد الله بن مالك، عن الزبير عن عمه عن بعض القرويين، قال: قدم علينا الفرزدق، فقلنا له: قدم علينا جرير، فأنشدنا قصيدة يمدح بها هؤلاء القوم، ومضى يريدهم، فقال: أنشدونيها، فأنشدناه قصيدة كثير التي يقول فيها:

وما زالت رقاك تسل ضغني ... وتخرج من مكامنها ضبابي

ويرقيني لك الحاوون حتى ... أجابك حية تحت الحجاب

قال: فجعل وجهه يتغير، وعندنا كانون، ونحن في الشتاء، فلما رأينا ما به قلنا: هون عليك يا أبا فراس، فإنما هي لابن أبي جمعة، فانثنى سريعاً ليسجد، فأصاب ناحية الكانون وجهه فأدماه.

هو والحسين بن علي: أخبرني عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، قال: أخبرني القحذمي، قال: لقي الفرزدق الحسين بن علي رضي الله عنهما متوجهاً إلى الكوفة خارجاً من مكة في اليوم السادس من ذي الحجة فقال له الحسين - صلوات الله عليه وآله : ما وراءك؟ قال: يا بن رسول الله، أنفس الناس معك، وأيديهم عليك؛ قال: ويحك، معي وقر بعير من كتبهم يدعونني، ويناشدونني الله، قال: فلما قتل الحسين - صلوات الله عليه - قال الفرزدق: انظروا فإن غضبت العرب لابن سيدها وخيرها فاعلموا أنه سيدوم عزها، وتبقى هيبتها، وإن صبرت عليه، و لم تتغير لم يزدها الله إلا ذلاً إلى آخر الدهر، وأنشد في ذلك:

فإن انتم لم تثأروا لابن خيركم ... فألقوا السلاح واغزلوا بالمغازل

حافظة الفرزدق: أخبرنا عبد الله بن مالك: قال: أخبرني أبو مسلم؛ قال: حدثني الأصمعي، قال: أنشد الراعي الفرزدق أربع قصائد، فقال له الفرزدق: أعيدها عليك، لقد أتى علي زمان، ولو سمعت ببيت شعر وأنا أهوي في بئر ما ذهب عني.

يشرب الخمر ممزوجة باللبن: أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثني أبو مسلم الحراني عن الأصمعي، قال: تغدى الفرزدق عند صديق له. ثم انصرف فمر ببني أسد، فحدثهم ساعة ثم استسقى ماء، فقال فتى منهم: أو لبناً، فقال: لبناً، فقام إلى عس، فصب فيه رطلاً من خمر، ثم حلب، وناوله إياه، فلما كرع فيه انتفخت أوداجه، واحمر وجهه ثم رد العس، وقال: جزاك الله خيراً، فإني ما علمتك تحب أن تخفي صديقك، وتخفي معروفك ثم مضى.

يزني بامرأته: وأخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن القحذمي، قال: كان الفرزدق أراد امرأة شريفة على نفسها، فامتنعت عليه، وتهددها بالهجاء والفضيحة، فاستغاثت بالنوار امرأته، وقصت عليها القصة، فقالت لها: واعديه ليلة، ثم أعلميني، ففعلت، وجاءت النوار، فدخلت الحجلة مع المرأة، فلما دخل الفرزدق البيت أمرت الجارية، فأطفأت السراج، وغادرت المرأة الحجلة، واتبعها الفرزدق، فصار إلى الحجلة، وقد انسلت المرأة خلف الحجلة، وبقيت النوار فيها، فوقع بالنوار وهو لا يشك أنها صاحبته، فلما فرغ قالت له: يا عدو الله، يا فاسق، فعرف نغمتها، وأنه خدع، فقال لها: وأنت هي يا سبحان الله! ما أطيبك حراماً، وأردأك حلالاً.

يضن عليه ابن سبرة بجارية فيهجوه: أخبرني عبد الله بن مالك. قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثني القحذمي قال: استعمل الحجاج الخيار بن سبرة المجاشعي على عمان، فكتب إليه الفرزدق يستهديه جارية فكتب إليه الخيار:

كتبت إلي تستهدي الجواري ... لقد أنعظت من بلد بعيد

فأجابه الفرزدق:

ألا قال الخيار وكان جهلاً ... قد استهدى الفرزدق من بعيد

فلولا أن أمك كان عمي ... أباها كنت أخرس بالنشيد

وأن أبي لعم أبيك لحا ... وأنك حين أغضب من أسودي

إذاً لشددت شدة أعوجي ... يدق شكيم مجدول الحديد

لا يستسيغ خطأ في القرآن: أخبرنا عبد الله بن مالك عن الأصمعي قال:

سمع الفرزدق رجلاً يقرأ: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله غفور رحيم" فقال: لا ينبغي أن يكون هذا هكذا، قال: فقيل له: إنما هو "عزيز حكيم" قال: هكذا ينبغي أن يكون.

يمدح أسماء بن خارجة: أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا أبو مسلم، قال: حدثنا الأصمعي: قال: مر أسماء

بن خارجة الفزاري على الفرزدق، وهو يهنأ بعيراً له بنفسه، فقال له اسماء: يا فرزدق كسد شعرك، واطرحتك الملوك، فصرت إلى مهنة إبلك، فقد أمرت لك بمائة بعير، فقال الفرزدق فيه يمدحه:

إن السماح الذي في الناس كلهم ... قد حازه الله للمفضال أسماء

يعطي الجزيل بلا من يكدره ... عفواً ويتبع آلاء بنعماء

ما ضر قوماً إذا أمسى يجاورهم ... ألا يكونوا ذوي إبل ولا شاء

هل شاخ شعره بشيخوخته: أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى بن طلحة، قال: قال أبو عبيدة: دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة، فأنشده قصيدته المشهورة فيهم التي يقول فيها:

فإن أبا موسى خليل محمد ... وكفاه يمنى للهدى وشمالها

فقال ابن أبي بردة: هلكت والله يا أبا فراس، فارتاع الشيخ، وقال: كيف ذاك؟ قال ذهب شعرك، أين مثل شعرك في سعيد، وفي العباس بن الوليد، وسمى قوماً فقال: جئني بحسب مثل أحسابهم، حتى أقول فيك كقولي فيهم، فغضب بلال حتى درت أوداجه ودعي له بطست فيه ماء بارد، فوضع يده فيها، حتى سكن، فكلمه فيه جلساؤه وقالوا: قد كفاك الشيخ نفسه وقل ما يبقى حتى يموت، فلم يحل عليه الحول حتى مات.

قواد له من أصحابه: أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن سعيد بن همام اليمامي، قال: شرب الفرزدق شراباً باليمامة وهو يريد العراق، فقال لصاحب له: إن الغلمة قد آذتني فأكسبني بغياً، قال: من أين أصيب لك هاهنا بغياً؟ قال: فلا بد لك من أن تحتال، قال: فمضى الرجل إلى القرية، وترك الفرزدق ناحية؛ فقال: هل من امرأة تقبل، فإن معي امرأتي وقد أخذها الطلق فبعوا معه امرأة، فأدخلها الفرزدق، وقد غطاه، فلما دنت منه واثبها. ثم ارتحل مبادراً، وقال: كأني بابن الخبيثة يعني جريراً لو قد بلغه الخبر قد قال:

وكنت إذا حللت بدار قوم ... رحلت بخزية وتركت عارا

قال: فبلغ جريراً الخبر، فهجاه بهذا الشعر.

يغتصب بيتاً: وأخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، قال: قال أبو غسان: حدثنا بعض أصحابنا: قال: وقف الفرزدق على الشمردل، وهو ينشد قصيدة له، فمر هذا البيت في بعض قوله:

وما بين من لم يعط سمعاً وطاعة ... وبين جرير غير حز الحلاقم

فقال الفرزدق: يا شمردل، لتتركن هذا البيت لي أو لتتركن عرضك؛ قال: خذه، لا بارك الله لك فيه فهو في قصيدته التي ذكر فيها قتيبة بن مسلم، وهي التي أولها قوله:

تحن إلى زورا اليمامة ناقتي ... حنين عجول تبتغي البورائم

تستعيذ بقبر أبيه: أخبرنا عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن الأصمعي، قال: جاءت امرأة إلى قبر غالب أبي الفرزدق؛ فضربت عليه فسطاطاً. فأتاها فسألها عن أمرها. فقالت: إني عائذة بقبر غالب من أمر نزل

بي، قال لها: وما هو، قد ضمنت خلاصك منه، قالت: إن ابناً لي أغزى إلى السند مع تميم بن زيد؛ وهو واحدي قال: انصرفي، فعلي انصرافه إليك إن شاء الله، قال: وكتب من وقته إلى تميم بقوله:

تميم بن زيد لا تكونن حاجتي ... بظهر فلا يخفى علي جوابها

وهب لي حبيشاً واتخذ فيه منة ... لحرمة أم ما يسوغ شرابها

أتتني فعاذت يا تميم بغالب ... وبالحفرة السافي عليها ترابها

قال: فعرض تميم جميع من معه من الجند، فلم يدع أحداً اسمه حبيش، ولا حنيش إلا وصله، وأذن له في الانصراف إلى أهله.

ماذا يشتهي: أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: أخبرنا محمد بن حبيب، عن الأصمعي، قال: مر الفرزدق بصديق له، فقال له: ما تشتهي يا أبا فراس؟ قال: أشتهي شواء رشراشاً، ونبيذاً سعيراً، وغناء يفتق السمع.

الرشراش: الرطب، والسعير: الكثير.

يتبرم بعشاق شعره: أخبرنا عبد الله بن مالك. قال: حدثنا محمد بن حبيب: قال: حدثني السعدي، عن أبي مالك الزيدي. قال:

أتينا الفرزدق لنسمع منه شيئاً، فجلسنا ببابه ننتظر، إذ خرج علينا في ملحفة. فقال لنا: يا أعداء الله، ما اجتماعكم ببابي؟ والله لو أردت أن أزني ما قدرت.

يعاني في قرص الشعر: أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا أبو مسلم، قال حدثنا الأصمعي عن هشام بن القاسم، قال: قال الفرزدق: قد علم الناس أني فحل الشعراء، وربما أتت علي الساعة لقلع ضرس من أضراسي أهون لعي من قول بيت شعر.

يهجو راويته فلا ينقض كلامه: حدثنا عبد الله بن مالك عن أبي مسلم، عن الأصمعي، قال: كان الفرزدق وأبو شقفل راويته في المسجد؛ فدخلت امرأة، فسألت عن مسألة، وتوسمت؛ فرأت هيئة أبي شقفل، فسألته عن مسألتها، فقال الفرزدق:

أبو شقفل شيخ عن الحق جائر ... بباب الهدى والرشد غير بصير

فقالت المرأة: سبحان الله؟ أتقول هذا لمثل هذا الشيخ؟ فقال أبو شقفل: دعيه فهو أعلم بي.

سكينة بنت الحسين تجرحه وتأسوه: أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا المدائني، قال: خرج الفرزدق حاجاً، فمر بالمدينة، فأتى سكينة بنت الحسين صلوات الله عليه وآله، فقالت: يا فرزدق. من أشعر الناس؟ قال: أنا، قالت: كذبت؛ أشعر منك الذي يقول:

بنفسي من تجنبه عزيز ... علي ومن زيارته لمام

ومن أمسي وأصبح لا أراه ... ويطرقني إذا هجع النيام

فقال: والله لو أذنت لي لأسمعتك أحسن منه. فقالت: أقيموه: فأخرج. ثم عاد إليها في اليوم الثاني. فقالت له: يا فرزدق. من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت: أشعر منك الذي يقول:

لولا الحياء لهاجني استعبار ... ولزرت قبرك والحبيب يزار

لا يلبث القرفاء أن يتفرقوا ... ليل يكر عليهم ونهار

كانت إذا هجر الضجيع فراشها ... كتم الحديث وعفت الأسرار

قال: أفأسمعك أحسن منه؟ قالت: اخرج.

ثم عاد إليها في اليوم الثالث وعلى رأسها جارية كأنها ظبية، فاشتد عجبه بها. فقالت: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت. أشعر منك الذي يقول:

إن العيون التي في طرفها مرض ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك له ... وهن أضعف خلق الله أركانا

ثم قالت: قم فاخرج. فقال لها: يا بنت رسول الله، إن لي عليك لحقاً. إذ كنت إنما جئت مسلماً عليك، فكان من تكذيبك إياي وصنيعك بي حين أردت أن أسمعك شيئاً من شعري ما ضاق به صدري. والمنايا تغدو وتروح، ولا أدري، لعلي لا أفارق المدينة حتى أموت. فإن مت فمري من يدفني في حر هذه الجارية التي على رأسك، فضحكت سكينة، حتى كادت تخرج من ثيابها، وأمرت له بالجارية، وقالت: أحسن صحبتها؛ فقد آثرتك بها على نفسي، قال: فخرج وهو آخذ بريطتها.

يطالب معاوية بتراث عمه: أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا المدائني قال: وفد الحتات عم الفرزدق على معاوية، فخرجت جوائزهم، فانصرفوا، ومرض الحتات، فأقام عند معاوية حتى مات، فأمر معاوية بماله، فأدخل بيت المال، فخرج الفرزدق إلى معاوية، وهو غلام، فلما أذن للناس دخل بين السماطين، ومثل بين يدي معاوية، فقال:

أبوك وعمي يا معاوي ورثا ... تراثاً فيحتاز التراث أقاربه

فما بال ميراث الحتات أكلته ... وميراث حرب جامد لي ذائبه؟

فلو كان هذا الأمر في جاهلية ... علمت من المولى القليل حلائبه

ولو كان هذا الأمر في ملك غيركم ... لأداه لي أو غص بالماء شاربه

فقال له معاوية: من أنت؟ قال: أنا الفرزدق قال: ادفعوا إليه ميراث عمه الحتات، وكان ألف دينار، فدفع إليه.

امرأة تهجوه فتوجعه: أخبرنا عبد الله بن مالك، عن أبي حمزة الأنصاري، قال: أخبرنا أبو زيد، قال: قال أبو عبيدة.

انصرف الفرزدق من عند بعض الأمراء في غداة باردة، وأمر بجزور، فنحرت ثم قسمت، فأغفل امرأة من بني فقيم، نسيها، فرجزت به، فقالت:

فيشلة هدلاء ذات شقشق مشرفة اليافوخ والمحوق
مدمجة ذات حفاف أخلق نيطت بحقوي قطم عشنق
أولجتها في سبة الفرزدق

قال أبو عبيدة: فبلغني أنه هرب منها، فدخل في بيت حماد بن الهيثم، ثم إن الفرزدق قال فيها بعد ذلك:

قتلت قتيلاً لم ير الناس مثله أقلبه ذا تومتين مسورا
حملت عليه حملتين بطعنة فغادرته فوق الحشايا مكورا
ترى جرحه من بعد ما قد طعنته يفوح كمثل المسك خالط عنبرا
وما هو يوم الزحف بارز قرنه ولا هو ولى يوم لاقى فأدبرا
بني دارم ما تأمرون بشاعر برود الثنايا مايزال مزعفرا
إذا ما هو استلقى رأيت جهازه كمقطع عنق الناب أسود أحمرا
وكيف أهاجي شاعراً رمحه استه أعد ليوم الروع درعاً ومجمرا

فقالت المرأة: ألا لا أرى الرجال يذكرون مني هذا، وعاهدت الله ألا تقول شعراً.

كأنه يريد أن يؤتى: أخبرنا عبد الله بن مالك بن مسلم، عن الأصمعي قال: مر الفرزدق يوماً في الأزد، فوثب عليه ابن أبي علقمة لينكحه، وأعانه على ذلك سفهاؤهم، فجاءت مشايخ الأزد وأولو النهي منهم، فصاحوا بابن أبي علقمة وبأولئك السفهاء، فقال لهم ابن أبي علقمة: ويلكم! أطيعوني اليوم، واعصوني الدهر؛ هذا شاعر مضر ولسانها، قد شتم أعراضكم، وهجا ساداتكم، والله لا تنالون من مضر مثلها أبداً، فحالوا بينه وبينه، فكان الفرزدق يقول بعد ذلك: قاتله الله. إي والله، لقد كان أشار عليهم بالرأي.

أنصاري يتحداه بشعر حسان بن ثابت: أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: قال الكلبي: قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص. وأخبرنا بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي والأخفش جميعاً، عن السكري، عن ابن حبيب، عن أبي عبيدة والكلبي: قال: وأخبرنا به إبراهيم بن سعدان، عن أبيه، عن أبي عبيدة، قالوا جميعاً: قدم الفرزدق المدينة في إمارة أبان بن عثمان، فأتى الفرزدق وكثير عزة، فبينا هما يتناشدان الأشعار إذ طلع عليهما غلام شخت رقيق الأدمة، في ثوبين ممصرين، فقصد نحونا، فلم يسلم، وقال: أيكم الفرزدق؟ فقلت مخافة أن يكون من قريش: أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها؟ فقال: لو كان كذلك لم

أقل هذا، فقال له الفرزدق: من أنت لا أم لك، قال: رجل من الأنصار، ثم من بني النجار، ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم، بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب، وتزعمه مضر، وقد قال شاعرنا حسان بن ثابت شعراً، فأردتُ أن أعرضه عليك، وأؤجلك سنة، فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب، كما قيل، وإلا فأنت منتحل كذاب، ثم أنشده:

ألم تسأل الربع الجديد التكلما

حتى بلغ إلى قوله:

وأبقى لنا مر الحروب ورزؤها سيوفاً وأدراعاً وجماً عرمرما
متى ما تردنا من معد عصابة وغسان نمنع حوضنا أن يهدما
لنا حاضر فعم وباد كأنه شماريخ رضوى عزة وتكرما
أبى فعلنا المعروف أن ننطق الخنا وقائلنا بالعرف إلا تلكما
بكل فتى عاري الأشاجع لاحه قراع الكماة يرشح المسك والدما
ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بذا خالاً وأكرم بذا ابنما
يسود ذا المال القليل إذا بدت مروءته فينا وإن كان معدما
وإنا لنقري الضيف إن جاء طارقاً من الشحم ما أمسى صحيحاً مسلما
لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فأنشده القصيدة، وهي نيف وثلاثون بيتاً، وقال له: قد أجلتك في جوابها حولاً، فانصرف الفرزدق مغضباً، يسحب رادءه، وما يدري أية طرقه حتى خرج من المسجد، فأقبل على كثير، فقال له: قاتل الله الأنصار ما أفصح لهجتهم، وأوضح حجتهم، وأجود شعرهم، فلم نزل في حديث الأنصار والفرزدق بقية يومنا، حتى إذا كان من الغد خرجت من منزلي إلى المسجد الذي كنت فيه بالأمس، فأتى كثير، فجلس معي، وإنا لنتذاكر الفرزدق، ونقول: ليت شعري ما صنع؟ إذ طلع علينا في حلة أفواف، قد أرخى غديرته، حتى جلس في مجلسه بالأمس، ثم قال: ما فعل الأنصاري؟ فنلنا منه، وشتمناه، فقال: قاتله الله: ما منيت بمثله، ولا سمعت بمثل شعره، فارقته، وأتيت منزلي، فأقبلت أصعد وأصوب في كل فن من الشعر، فكأني مفحم لم أقل شعراً قط، حتى إذا نادى المنادي بالفجر رحلت ناقتي، وأخذت بزمامها حتى أتيت ريانا، وهو جبل بالمدينة، ثم ناديت بأعلى صوتي: أخاكم أخاكم، يعني شيطانه، فجاش صدري كما يجيش المرجل، فعقلت ناقتي وتوسدت ذراعها، فما عتمت حتى قلت مائة بيت من الشعر وثلاثة عشر بيتاً، فبينا هو ينشد إذ طلع الأنصاري، حتى إذا انتهى إلينا سلم علينا،

ثم قال: إني لم آتك لأعجلك عن الأجل الذي وقته لك، ولكني أحببت ألا أراك إلا سألتك: إيش صنعت؟ فقال اجلس، وأنشده قوله:

عزفت بأعشاش وما كنت تعزف وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

ولج بك الهجران حتى كأنما ترى الموت في البيت الذي كنت تألف

في رواية ابن حبيب: تيلف حتى بلغ إلى قوله:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

وأنشدها الفرزدق، حتى بلغ إلى آخرها، فقام الأنصاري كئيباً، فلما توارى طلع أبوه أبو بكر بن خزم في مشيخة من الأنصار، فسلموا عليه، وقالوا: يا أبا فراس، قد عرفت حالنا ومكاننا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بلغنا أن سفيهاً من سفهائنا ربما تعرض لك، فنسألك بحق الله وحق رسوله لما حفظت فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووهبتنا له، و لم تفضحنا.

قال محمد بن إبراهيم: فأقبلت عليه أكلمه، فلما أكثرنا عليه، قال: اذهبوا، فقد وهبتكم لهذا القرشي.

قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق: أنشدني أجود شعر عملته، فأنشده:

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف

فقال: زدني: فأنشده:

ثلاث واثنتان فتلك خمس وواحدة تميل إلى الشمام

فبتن بجانبي مصرعات وبت أفض أغلاق الختام

فقال له سليمان: ما أراك إلا قد أحللت نفسك للعقوبة، أقررت بالزنى عندي، وأنا إمام، ولا تريد مني إقامة الحد عليك، فقال: إن أخذت في بقول الله عز وجل لم تفعل. قال: وما قال؟. قال: قال الله تبارك وتعالى: "والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون"، فضحك سليمان وقال: لتلافيتها ودرأت عنك الحد وخلع عليه وأجازه.

يجتمع هو وجرير بالشام: أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن الأصمعي، قال: قدم الفرزدق الشام وبها جرير بن الخطفي، فقال له جرير: ما ظننتك تقدم بلداً أنا فيه، فقال له الفرزدق: إني طالما أخلفت ظن العاجز.

أخبرنا عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن موسى بن طلحة: قال: قال أبو مخنف: الفرزدق لعنة وجرير شهاب: كان الفرزدق لعنة، أي يتلعن به كأنه لعنة على قوم، وكان جرير شهاباً من شهب النار.

يتندر بمحمد بن وكيع: أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا الأزدي: قال: حدثنا عمرو بن أبي عمرو عن أبيه، قال: قال ابو عمرو ابن العلاء: مر الفرزدق بمحمد بن وكيع بن أبي سود، وهو على ناقة فقال له: غدني، قال:

ما يحضرني غداء، قال: فاسقني سويقاً، قال: ما هو عندي، قال: فاسقني نبيذاً، قال: أوصاحب نبيذ عهدتني، قال: فما يقعدك في الظل؟ قال: فما أصنع؟ قال أطل وجهك بدبس، ثم تحول إلى الشمس، واقعد فيها، حتى يشبه لونك لون أبيك الذي تزعمه، قال أبو عمرو: فمازال ولد محمد يسبون ذبذلك من قول الفرزدق انتهى.

هاشم بن القاسم يتجاهله: أخبرنا عبد الله بن مالك، عن ابن حبيب، عن موسى بن طلحة، عن أبي عبيدة، عن أبي العلاء: قال: أخبرني هاشم بن القاسم العتري أنه قال:

جمعني والفرزدق مجلس، فتجاهلت عليه، فقلت له: من أنت؟ قال: أما تعرفني؟ قلت: لا، قال: فأنا أبو فراس، قلت: ومن أبو فراس، قال: أنا الفرزدق، قلت: ومن الفرزدق؟ قال: أو ما تعرف الفرزدق؟ قلت: أعرف الفرزدق أنه شيء يتخذه النساء عندنا، يتسمن به وهو الفتوت، فضحك وقال: الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم.

الكلبيون يعبثون به: أخبرني عبد الله بن مالك، عن محمد بن حبيب، عن النضر بن حديد، قال: مر الفرزدق بماء لبني كليب مجتازاً، فأخذوه، وكان جباناً، فقالوا: والله لتلقين منا ما تكره، أو لتنكحن هذه الأتان، وأتوه بأتان، فقال: ويلكم! اتقوا الله، فإنه شيء ما فعلته قط، فقالوا: إنه لا ينجيك والله إلا الفعل قال: أما إذا أبيتم فأتونب بالصخرة التي يقوم عليها عطية، فضحكوا، وقالوا: اذهب لأصحبك الله.

أسود يستخف به: أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن العتبي قال: دخل الفرزدق على قوم يشربون عند رجل بالبصرة، وفي صدر مجلسهم فتى أسود، وعلى رأسه إكليل؛ فلم يحفل بالفرزدق، و لم يحف به تهاوناً، فغضب الفرزدق من ذلك وقال:

جلوسك في صدر الفراش مذلة ورأسك في الإكليل إحدى الكبائر

وما نطفت كأس ولا لذ طعمها ضربت على حافاتها بالمشافر

يرثي وكيعاً، فينسى مشيعيه الاستغفار له: أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى، عن العتبي قال: لما مات وكيع بن أبي سود أقبل الفرزدق حين أخرج، وعليه قميص أسود، وقد شقه إلى سرته وهو يقول:

فمات ولم يوتر وما من قبيلة من الناس إلا قد أباءت على وتر

وإن الذي لاقى وكيعاً ونالله تناول صديق النبي أبا بكر

قال: فعلق الناس الشعر، فجعلوا ينشدونه، حتى دفن، وتركوا الاستغفار له.

ميميته المأثورة في علي بن الحسين: أخبرنا عبد الله بن علي بن الحسن الهاشمي، عن حيان بن علي العتري، عن مجالد، عن الشعبي قال: حج الفرزدق بعد ما كبر، وقد أتت له سبعون سنة، وكان هشام بن عبد الملك قد حج في ذلك العام فرأى علي بن الحسين في غمار الناس في الطواف، فقال: من هذا الشاب الذي تبرق أسرة وجهه

كأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحي وجوهها؟ فقالوا: هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم، فقال الفرزدق:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا

وليس قولك: من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم

إذا رأته قريش قال قائلها: ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

يغضي حياء ويغضي من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتسم

بكفه خيزران ريحها عبق ... من كف أروع في عرنينه شمم

يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

الله شرفه قدماً وعظمه ... جرى بذاك له في لوحه القلم

أي الخلائق ليست في رقابهم ... لأولية هذا أوله نعم؟

من يشكر الله يشكر أولية ذا ... فالدين من بيت هذا ناله الأمم

ينمي إلى ذروة الدين التي قصرت ... عنها الأكف وعن إدراكها القدم

من جده دان فضل الأنبياء له ... وفضل أمته دانت له الأمم

مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت مغارسه والخيم والشيم

ينشق ثوب الدجى عن نور غرته ... كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم

من معشر جبهم دين، وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم ... في كل بدء ومختوم به الكلم

إن عد أهل التقى كانو أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل: هم

لا يستطيع جواد كنه جودهم ... ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

يستدفع الشر والبلوى بحبهم ... ويسترب به الإحسان والنعم

وقد حدثني بهذا الخبر أحمد بن الجعد، قال: حدثنا أحمد بن القاسم البرتي، قال: حدثنا إسحاق بن محمد النخعي، فذكر أن هشاماً حج في حياة أبيه، فرأى علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم يطوف بالبيت والناس يفرجون له. فقال: من هذا؟ فقال الأبرش الكلبي: ما أعرفه، فقال الفرزدق: ولكني أعرفه، فقال: من هو؟ فقال:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

وذك الأبيات.. إلخ.

قال: فغضب هشام فحبسه بين مكة والمدينة فقال:

أتحبسني بين المدينة والتي إليها قلوب الناس يهوى منيبها

يقلب رأساً لم يكن رأس سيد وعينا له حولاء باد عيوبها

فبلغ شعره هشاماً، فوجه، فأطلقه.

بينه وبين مالك بن المنذر: أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن الهيثم بن عدي، قال: أخبرنا أبو روح الراسبي، قال: لما ولي خالد بن عبد الله العراق ولى مالك بن المنذر شرطة البصرة، فقال الفرزدق:

يبغض فينا شرطة المصر أنني رأيت عليها مالكا عقب الكلب

قال، فقال مالك: علي به، فمضوا به إليه، فقال:

أقول لنفسي إذ تغص بريقها ألا ليت شعري ما لها عند مالك؟

قال: فسمع قوله حائك يطلع من طرازه، فقال:

لها عنده أني رجع الله ريقها إليها وتنجو من عظيم المهالك

فقال الفرزدق هذا أشعر الناس، وليعودن مجنوناً، يصيح الصبيان في أثره فقال: فرأوه بعد ذلك مجنوناً يصيح الصبيان في أثره.

أخبرنا عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن علي بن سعيد، قال حدثنا القحذمي: قال: فلما أتوا مالك بن المنذر بالفرزدق قال: هيه عقب الكلب، قال: ليس هذا هكذا قلت، وإنما قلت:

ألم ترني ناديت بالصوت مالكاً ليسمع لما غص من ريقه الفم

أعوذ بقبر فيه أكفان منذر فهن لأيدي المستجيرين محرم

قال: قد عذت بمعاذ، وخلى سبيله.

أخبرنا عبد الله قال: حدثني محمد بن موسى، قال: كتب خالد القسري إلى مالك بن المنذر يأمره بطلب الفرزدق، ويذكر أنه بلغه أنه هجاه، وهجا نهره المبارك، وهو النهر الذي بواسط الذي كان خالد حفره، فاشتد مالك في طلبه حتى ظفر به في البراجم فأخذه وحبسه ومروا به على بني مجاشع، فقال: يا قوم، اشهدوا أنه لا خاتم بيدي، وذلك أنه أخذ عمر بن يزيد بن أسيد، ثم أمر به فلويت عنقه، ثم أخرجوه ليلاً إلى السجن، فجعل

رأسه يتقلب، والأعوان يقولون له: قوم رأسك، فلما أتوا به السجان قال: لا أتسلمه منكم ميتاً، فأخذوا المفاتيح منه، وأدخلوه الحبس، وأصبح ميتاً، فسمعوا أنه مص خاتمه وكان فيه سم، فمات، وتكلم الناس في أمره، فدخل لبطة بن الفرزدق على أبيه، فقال: يا بني، هل كان من خبر؟ قال: نعم، عمر بن يزيد مص خاتمه في الحبس، وكان فيه سم، فمات، فقال الفرزدق: والله يا بني لئن لم تلحق بواسط ليمص أبوك خاتمه، وقال في ذلك:

ألم يك قتل عبد الله ظلما ... أبا حفص من الحرم العظام

قتيل عداوة لم يجن ذنباً ... يقطع وهو يهتف للإمام

قال: وكان عمر عارض خالداً وهو يصف لهشام طاعة أهل اليمن وحسن موالاتهم ونصيحتهم، فصفق عمرو بن يزيد إحدى يديه على الأخرى، حتى سمع له في الإيوان دوي، قم قال: كذب والله يا أمير المؤمنين، ما أطاعت اليمانية، ولا نصحت، أليس هم أعداؤك وأصحاب يزيد بن المهلب وابن الأشعث؟ والله ما ينعق ناعق إلا أسرعوا الوثبة إليه، فاحذرهم يا أمير المؤمنين قال: فتبين ذلك في وجه هشام ووثب رجل من بني أمية، فقال لعمرو بن يزيد: وصل الله رحمك وأحسن جزاءك، فلقد شددت من أنفس قومك، وانتهزت الفرصة في وقتها، ولكن أحسب هذا الرجل سيلي العراق، وهو منكر حسود، وليس يخار لك إن ولى، فلم يرتدع عمر بقوله، وظن أنه لا يقدم عليه، فلما ولى لم تكن له همة غيره، حتى قتله، قال: جرير يشفع له:

ثم إن مالكاً وجه الفرزدق إلى خالد، فلما قدم به عليه وجده قد حج، واستخلف أخاه أسد بن عبد الله على العراق، فحبسه أسد، ووافق عنده جريراً، فوثب يشفع له، وقال: إن رأى الأمير أن يهبه لي، فقال أسد: أتشفع له يا جرير؟ فقال: إن ذلك أذل له - أصلحك الله - وكلم أسداً ابنه المنذر، فخلى سبيله، فقال الفرزدق في ذلك:

لا فضل إلا فضل أم على ابنها ... كفضل أبي الأشبال عند الفرزدق

تداركني من هوة دون قعرها ... ثمانون باعاً للطول العشنق

وقال جرير يذكر شفاعته له:

وهل لك في عان وليس بشاكر ... فتطلق عنه عض مس الحدائد

يعود وكان الخبث منه سجية ... وإن قال: إني منته غير عائد

يهجو بني فقيم: أخبرني عبيد الله، عن محمد بن موسى، عن القحذمي، قال: كان سبب هرب الفرزدق من زياد، وهو على العراق، أنه كان هجا بني فقيم، فقال فيهم أبياتاً منها:

وآب الوفد وفد بني فقيم ... بأخبث ما تئوب به الوفود

أتونا بالقرود معادليها ... فصار الجد للجد السعيد

وقال يهجو زيد بن مسعود الفقيمي والأشهب بن رميلة بأبيات، منها قوله:

تمنى ابن مسعود لقائي سفاهة لقد قال ميناً يوم ذاك ومنكرا
غناء قليل عن فقيم ونهشل مقام هجين ساعة ثم أدبرا

يعني الأشهب بن رميلة، وكان الأشهب خطب إلى بني فقيم، فردوه، قوالوا له: اهج الفرزدق حتى نزوجك، فرجز به الأشهب، فقال:

يا عجبا هل يركب القين الفرس وعرق القين على الخيل نجس؟
وإنما سلاحه إذا جلس الكلبتان والعلاة والقبس

يهرب من زياد: فلما بلغ الفرزدق قوله هجاه، فأرفث له، وألح الفرزدق على النهشليين بالهجاء، فشكوه إلى زياد، وكان يزيد بن مسعود ذا منزلة عند زياد، فطلبه زياد، فهرب، فأتى بكر بن وائل، فأجاروه، فقال الفرزدق يمدحهم بأبيات:

إني وإن كانت تميم عمارتي وكنت إلى القرموس منها القماقم
لمثن على أبناء بكر بن وائل ثناء يوافي ركبهم في المواسم
همو يوم ذي قار أناخوا فجالدوا برأس به تدمى رؤوس الصلادم

وهرب، حتى أتى سعيد بن العاص، فأقام بالمدينة يشرب، ويدخل إلى القيان، وقال:

إذا شئت غناني من العاج قاصف على معصم ريان لم يتخدد
لبيضاء من أهل المدينة لم تعش ببؤس ولم تتبع حمولة مجحد
وقامت تخشيني زياداً وأجفلت حوالي في برد يمان ومجسد
فقلت :دعيني من زياد فإنني أرى الموت وقافاً على كل مرصد

مروان ينفيه ثم يجيزه: فبلغ شعره مروان، فدعاه، وتوعده، وأجّله ثلاثاً، وقال: اخرج عني، فأنشأ يقول الفرزدق:

دعانا ثم أجلنا ثلاثاً كما وعدت لمهلكها ثمود

قال مروان: قولوا له عني: إني أجبته، فقلت:

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس
ودع المدينة إنها محظورة والحق بمكة أو ببيت المقدس

قال: وعزم على الشخوص إلى مكة، فكتب له مروان إلى بعض عماله، ما بين مكة والمدينة بمائتي دينار، فارتاب بكتاب مروان، فجاء به إليه وقال:

مروان إن مطيتي معقولة ترجو الحباء وربها لم ييأس

آتيتني بصحيفة مختومة يخشى علي بها حباء النقرس

ألق الصحيفة يا فرزدق لا تكن نكراء مثل صحيفة المتلمس

قال: ورمى بها إلى مروان، فضحك، وقال: ويحك! إنك أمي، لا تقرأ، فاذهب بها إلى من يقرؤها، ثم ردها، حتى أختمها، فذهب بها، فلما قرئت إذا فيها جائزة، قال: فردها إلى مروان، فختمها، وأمر له الحسين بن علي رضي الله عنهما بمائتي دينار، قال: ولما بلغ جريراً أنه أخرج عن المدينة قال:

إذا حل المدينة فارجموه ولا تدنوه من جدث الرسول

فما يحمى عليه شراب حد ولا ورهاء غائبة الحليل

فأجابه الفرزدق، فقال:

نعت لنا من الورهاء نعتاً قعدت به لأمك بالسبيل

فلا تبغي إذا ما غاب عنها عطية غير نعتك من حليل

يموت بذات الجنب: أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثنا أبو عكرمة الضبي عن ابي حاتم السجستاني، عن محمد بن عبد الله الأنصاري، قال أبو عكرمة: وحكي لنا عن لبطة بن الفرزدق أن أباه أصابته ذات الجنب، فكانت سبب وفاته.

قال: ووصف له أن يشرب النفط الأبيض، فجعلناه له في قدح، وسقيناه إياه، فقال: يا بني عجلت لأبيك شراب أهل النار، فقلت له: يا أبت، قل: لا إله إلا الله، فجعلت أكررها عليه مراراً، فنظر إلي وجعل يقول:

فظلت تعالى باليفاع كأنها رماح نحاها وجهه الريح راكز

فكان ذا هجيراه حتى مات.

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثني شعيب بن صخر، قال: دخل بلال بن أبي بردة على الفرزدق في مرضه الذي مات فيه، وهو يقول:

أروني من يقوم لكم مقامي إذا ما الأمر جل عن الخطاب

البيتين، فقال بلال: إلى الله، إلى الله: يتمرد في مرض موته: أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الأصمعي، قال: كان الفرزدق قد دبر عبيداً له، وأوصى بعتقهم بعد موته، ويدفع شيء من ماله إليهم، فلما احتضر جمع سائر أهل بيته، وأنشأ يقول:

أروني من يقوم لكم مقامي إذاً ما الأمر جل عن الخطاب

إلى من تفزعون إذا حشوتم بأيديكم علي من التراب

فقال له بعض عبيده - الذين أمر بعتقهم : إلى الله، فأمر بيعه قبل وفاته، وأبطل وصيته فيه، والله أعلم.

أخبرني الحسن بن علي، عن بشر بن مروان، عن الحميدي، عن سفيان، عن لبطة بن الفرزدق قال: لما احتضر أبو فراس قال - أي لبطة: أبغني كتاباً أكتب فيه وصيتي، فأتيته بكتاب فكتب وصيته:

أروني من يقوم لكم مقامي

البيتين، فقالت مولاة له - قد كان أوصى لها بوصية : إلى الله عز وجل، فقال: يا لبطة، امحها من الوصية.

قال سفيان: نعم ما قالت وبئس ما قال أبو فراس.

ينظم وصيته شعراً: وقال عوانة: قيل للفرزدق في مرضه الذي مات فيه أوص، فقال:

أوصي تميماً إن قضاعة ساقها ... ندى الغيث عن دار بدومة أو جدب

فإنكم الأكفاء والغيث دولة ... يكون بشرق من بلاد ومن غرب

إذا انتجعت كلب عليكم فوسعوا ... لها الدار في سهل المقامة والرحب

فأعظم من أحلام عاد حلومهم ... وأكثرهم عند العديد من الترب

أشد حبال بعد حيين مرة ... حبال أمرت من تميم ومن كلب

يسبقه إلى الآخرة غلام له: قال: وتوفي للفرزدق ابن صغير قبل وفاته بأيام، وصلى عليه، ثم التفت إلى الناس، فقال:

وما نحن إلا مثلهم غير أننا ... أقمنا قليلاً بعدهم وتقدموا

قال: فلم يلبث إلا أياماً حتى مات.

أنشد عند موته: وقال المدائني: قال لبطة: أغمي على أبي، فبكينا، ففتح عينيه، وقال: أعلي تبكون؟ قلنا: نعم، أفعلى ابن المراغة نبكي؟ فقال: ويحكم! أهذا موضع ذكره؟ وقال:

إذا ما دبت الأنقاء فوقي ... وصاح صدىً علي مع الظلام

فقد شمتت أعاديكم وقالت: ... أدانيكم من أين لنا المحامي؟

وقع نعيه على جرير: أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب إجازة، قال: حدثنا محمد بن سلام، قال: حدثنا أبو العراف، قال: نعي الفرزدق لجرير، وهو عند المهاجر بن عبد الله باليمامة، فقال:

مات الفرزدق بعد ما جرعته ... ليت الفرزدق كان عاش قليلا

فقال له المهاجر: بئس ما قلت، أتهجوا ابن عمك بعد ما مات! ولو رثيته كان أحسن بك. فقال: والله إني لأعلم أن بقائي بعده لقليل، وأن نجمي لموافق لنجمه، أفلا أرثيه؟ قال: أبعد ما قيل لك: ألو كنت بكيته ما نسيتك العرب.

قال أبو خليفة: قال ابن سلام: فأنشدني معاوية بن عمرو، قال: أنشدني عمارة بن عقيل لجرير يرثي الفرزدق بأبيات منها:

فلا ولدت بعد الفرزدق حامل ... ولا ذات بعل من نفاس تعلت

هو الوافد المأمون والراتق التأى ... إذا النعل يوماً بالعشيرة زلت

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن ابن شبة بخبر جرير لما بلغه وفاة الفرزدق، وهو عن المهاجر، فذكر نحوا مما ذكره ابن سلام، وزاد فيه، قال: ثم قال: وبكى، وندم، وقال: ما تقارب رجلان في أمر قط، فمات أحدهما إلا أوشك صاحبه أن يتبعه.

في أي سنة مات: قال أبو زيد: مات الحسن وابن سيرين والفرزدق وجرير في سنة عشر ومائة، فقبر الفرزدق بالبصرة، وقبر جرير وأيوب السختياني ومالك بن دينار باليمامة في موضع واحد.

وهذا غلط من أبي زيد عمر بن شبة، لأن الفرزدق مات بعد يوم كاظمة، وكان ذلك في سنة اثنتي عشرة ومائة، وقد قال فيه الفرزدق شعراً، وذكره في مواضع من قصائده، ويقوي ذلك ما أخبرنا به وكيع، قال: حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدثني ابن النطاح، عن المدائني، عن أبي اليقظان وأبي همام المجاشعي: أن الفرزدق مات سنة أربع عشرة ومائة.

جرير ينعي نفسه ويرثيه: قال أبو عبيدة: حدثني أبو أيوب بن كسيب من آل الخطفي، وأمه ابنة جرير بن عطية، قال: بينا جرير في مجلس بفناء داره بحجر إذ راكب قد أقبل، فقال له جرير: من أين وضح الراكب؟ قال: من البصرة، فسأل عن الخبر، فأخبره بموت الفرزدق، فقال:

مات الفرزدق بعد ما جرعته ... ليت الفرزدق كان عاش قليلاً

ثم سكت ساعة، فظنناه يقول شعراً، فدمعت عيناه، فقال القوم: سبحان الله، أتبكي الفرزدق! فقال: والله ما أبكي إلا على نفسي، أما والله إن بقائي؛ خلافه لقليل، إنه قل ما كان مثلنا رجلان يجتمعان على خير أو شر إلا كان أمد ما بينهما قريباً، ثم أنشأ يقول:

فجعنا بحمال الديات ابن غالب ... وحامي تميم كلها والبراجم

بكيناك حدثان الفراق وإنما ... بكيناك شجواً للأمور العظائم

فلا حملت بعد ابن ليلى مهيرة ... ولا شد أنساع المطي الرواسم

يموت بالدبيلة: وقال البلاذري: حدثنا أبو عدنان، عن أبي اليقظان، قال: أسن الفرزدق حتى قارب المائة فأصابته الدبيلة، وهو بالبادية فقدم إلى البصرة؛ فأتي برجل من بني قيس متطبب؛ فأشار بأن يكوى، ويشرب النفط الأبيض، فقال: أتعجلون لي طعام أهل النار في الدنيا؟ وجعل يقول:

أروني من يقوم لكم مقامي إذا ما الأمر جل عن الخطاب

أبو ليلى المجاشعي يرثيه: وقال أبو ليلى المجاشعي يرثي الفرزدق:

لعمري لقد أشجى تميماً وهدها على نكبات الدهر موت الفرزدق

عشية قدنا للفرزدق نعشه إلى جدث في هوة الأرض معمق

لقد غيبوا في اللحد من كان ينتمي إلى كل بدر في السماء محلق

ثوى حامل الأثقال عن كل مثقل ودفاع سلطان الغشوم السملق

لسان تميم كلها وعمادها وناطقها المعروف عند المخنق

فمن لتميم بعد موت ابن غالب إذا حل يوم مظلم غير مشرق

لتبك النساء المعولات ابن غالب لجان وعان في السلاسل موثق

أعلام ماتوا سنة موته: وقال ابن زكريا الغلابي، عن ابن عائشة، قال: مات الفرزدق وجرير في سنة عشرة ومائة، ومات جرير بعده بستة أشهر، ومات في هذه السنة الحسن البصري وابن سيرين، قال: فقالت امرأة من أهل البصرة: كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعراه في سنة؟ ونسبت جريراً إلى البصرة لكثرة قدومه إليها من اليمامة، وقبر جرير باليمامة، وبها مات، وقبر الأعشى أيضاً باليمامة: أعشى بني قيس بن ثعلبة، وقبر الفرزدق بالبصرة في مقابر بني تميم: وقال جرير لما بلغه موت الفرزدق: قلما تصاول فحلان، فمات أحدهما إلا أسرع لحاق الآخر به. ورثاهما جماعة، فمنهم أبو ليلى الأبيض، من بني الأبيض بن مجاشع فقال فيهما:

لعمري لئن قرما تميم تتابعا مجيبين للداعي الذي قد دعاهما

لرب عدو فرق الدهر بينه وبينهما لم تشوه ضغمتاهما

يتراءى في المنام: أخبرني ابن عمار، عن يعقوب بن إسرائيل، عن قعنب بن المحرز الباهلي، عن الأصمعي، عن جرير يعني أبا حازم قال: رئي الفرزدق وجرير في النوم، فرئي الفرزدق بخير وجرير معلق.

قال قعنب: وأخبرني الأصمعي، عن روح الطائي، قال:

رئي الفرزدق في النوم، فذكر أنه غفر له بتكبيرة كبرها في المقبرة عند قبر غالب.

قال قعنب: وأخبرني أبو عبيدة النحوي وكيسان بن المعروف النحوي، عن لبطة بن الفرزدق، قال: رأيت أبي فيما يرى النائم، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال. نفعتني الكلمة التي نازعنيها الحسن على القبر.

هو والحسن في جنازة النوار: أخبرني وكيع، عن بن إسماعيل الحساني، عن علي بن عاصم، عن سفيان بن الحسن، وأخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام - والرواية قريب بعضها من بعض : أن النوار لما حضرها الموت أوصت الفرزدق - وهو ابن عمهغا - أن يصلي عليها الحسن البصري، فأخبره الفرزدق، فقال: إذا فرغتم منها

فأعلمني، وأخرجت، وجاءها الحسن، وسبقهما الناس، فانتظروهما، فأقبلا، والناس ينتظرون، فقال الحسن: ما للناس؟ فقال: ينتظرون خير الناس وشر الناس، فقال: إني لست بخيرهم، ولست بشرهم، وقال له الحسن على قبرها: ما أعددت لهذا المضجع، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة.

هذا لفظ محمد بن سلام. وقال وكيع في خبره: فتشاغل الفرزدق بدفنها، وجلس الحسن يعظ الناس، فلما فرغ الفرزدق وقف على حلقة الحسن، وقال:

لقد خاب من أولاد آدم من مشى ... إلى الناس مغلول القلادة أزرقا

أخاف وراء القبر إن لم يعافني ... أشد من القبر التهاباً وأضيقا

إذا جاءني يوم القيامة قائد ... عنيف وسواق يقود الفرزدقا

رواية أخرى له مع الحسن: أخبرنا أحمد: قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا حيان بن هلال: قال: حدثنا خالد بن الحر: قال: رأيت الحسن في جنازة أبي رجاء العطاردي، فقال للفرزدق: ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ بضع وتسعين سنة، قال إذاً تنجو إن صدقت. قال: وقال الفرزدق: في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس، فقال الحسن: لستُ بخير الناس ولستَ بشرهم.

يذكر ذنوبه فينشج: أخبرنا ابن عمار، عن أحمد بن إسرائيل، عن عبيد الله بن محمد القرشيّ بطوس، قال: حدثني يزيد بن هاشم العبدي: قال: حدثنا أبي: قال: حدثنا فضيل الرقاشي قال: خرجت في ليلة باردة، فدخلت المسجد، فسمعت نشيجاً وبكاء كثيراً، فلم أعلم من صاحب ذلك، إلى أن أسفر الصبح، فإذا الفرزدق، فقلت: يا أبا فراس، تركت النوار، وهي لينة الدثار دفئة الشعار، قال: إني والله ذكرت ذنوبي، فأقلقتني، ففزعت إلى الله عز وجل.

تنجيه شيبته من النار: أخبرني وكيع، عن أبي العباس مسعود بن عمرو بن مسعود الجحدري قال: حدثني هلال بن يحيى الرازي: قال: حدثني شيخ كان يترل سكة قريش: قال: رأيت الفرزدق في النوم فقلت: يا أبا فراس، ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بإخلاصي يوم الحسن، وقال: لولا شيبتك لعذّبنك بالنار.

رواية أخرى في لقائه مع الحسين: أخبرني هاشم الخزاعي عن دماذ، عن أبي عبيدة، عن لبطة بن الفرزدق، عن أبيه: قال: لقيت الحسين بن علي - صلوات الله عليهما - وأصحابه بالصفاح، وقد ركبوا الإبل، وجنبوا الخيل، متقلدين السيوف، متنكبين القسي، عليهم يلامق من الديباج، فسلمت عليه، وقلت: أين تريد؟ قال: العراق، فكيف تركت الناس؟ قال: تركت الناس قلوبهم معك، وسيوفهم عليك، والدنيا مطلوبة، وهي في أيدي بني أمية، والأمر إلى الله عز وجل، والقضاء يترل من السماء بما شاء.

أبو هريرة يعظه: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي، وأحمد بن عبد العزيز، عن ابن شبة قال: حدثني هارون بن عمر، عن ضمرة بن شوذب قال: قيل لأبي هريرة: هذا الفرزدق، قال: هذا الذي يقذف المحصنات، ثم قال له: إني أرى عظمك رقيقاً وعرقك دقيقاً، ولا طاقة لك بالنار، فتب، فإن التوبة مقبولة من ابن آدم حتى يطير غرابه.

أخبرني هاشم بن محمد، عن الرياشي، عن المنهال بن بحر بن أبي سلمة، عن صالح المري، عن حبيب بن أبي محمد، قال: رأيت الفرزدق بالشام، فقال: قال لي أبو هريرة: إنه سيأتيك قوم يوئسونك من رحمة الله، فلا تيأس.

موازنة بينه وبين جرير والأخطل:

قال أبو الفرج: والفرزدق مقدم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل، ومحله في الشعر أكبر من أن ينبه عليه بقول، أو يدل على مكانه بوصف؛ لأن الخاص والعام يعرفانه بالاسم، ويعلمان تقدمه بالخبر الشائع علماً يستغنى به عن الإطالة في الوصف، وقد تكلم الناس في هذا قديماً وحديثاً، وتعصبوا، واحتجوا بما لا مزيد فيه، واختلفوا بعد اجتماعهم على تقديم هذه الطبقة في أيهم أحق بالتقدم على سائرها، فأما قدماء أهل العلم والرواة فلم يسووا بينهما وبين الأخطل؛ لأنه لم يلحق شأوهما في الشعر، ولا له مثل ما لهما من فنونه، ولا تصرف كتصرفهما في سائره، وزعموا أن ربيعة أفرطت فيه، حتى ألحقته بهما، وهم في ذلك طبقتان، أما من كان يميل إلى جزالة الشعر، وفخامته، وشدة أسره، فيقدم الفرزدق، وأما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين، وإلى الكلام السمح السهل الغزل فيقدم جريراً.

أخبرنا أبو خليفة: قال حدثنا محمد بن سلام، قال: سمعت يونس بن حبيب يقول: ما شهدت مشهداً قط ذكر فيه الفرزدق وجرير، فاجتمع أهل ذلك المجلس على أحدهما. قال ابن سلام: وكان يونس يقدم الفرزدق تقدمة بغير إفراط، وكان المفضل يقدمه تقدمة شديدة.

قال ابن سلام: وقال ابن دأب، وسئل عنهما، فقال: الفرزدق أشعر خاصة وجرير أشعر عامة.

أخبرني الجوهري وحبيب المهلبي عن ابن شبة، عن العلاء بن الفضل: قال: قال لي أبو البيداء: يا أبا الهذيل، أيهما أشعر؟ أجرير أم الفرزدق؟ قال: قلت: ذاك إليك، ثم قال: ألم تسمعه يقول:

ما حملت ناقة من معشر رجلاً ... مثلي إذا الريح لفتني على الكور

إلا قريشاً فإن الله فضلها ... مع النبوة بالإسلام والخير

ويقول جرير:

لا تحسبن مراس الحرب إذ لقحت ... شرب الكسيس وأكل الخبز بالصير؟

سلح والله أبو حزرة.

ثلث اللغة من شعره: أخبرني هاشم الخزاعي، عن أبي حاتم السجستاني، عن أبي عبيدة، قال: سمعت يونس يقول: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب.

يقرض الشعر في خلافة عثمان وعلي: أخبرني هاشم الخزاعي، عن أبي غسان، عن أبي عبيدة قال: قال يونس أبو البيداء: قال الفرزدق: كنت أهاجي شعراء قومي، وأنا غلام في خلافة عثمان بن عفان، فكان قومي يخشون معرة لساني منذ يومئذ، ووفد بي أبي إلى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه عام الجمل، فقال له: إن ابني هذا يقول الشعر، فقال: علمه القرآن، فهو خير له.

يسلخ خمساً وسبعين سنة من عمره في الهجاء: قال أبو عبيدة: ومات الفرزدق في سنة عشر ومائة، وقد نيف على التسعين سنة، كان منها خمسة وسبعين سنة يباري الشعراء، ويهجو الأشراف فيغضهم، ما ثبت له أحد منهم قط، إلا جريراً.

يرث الشعر عن خاله: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي: قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثني محمد بن معاوية الأسدي، قال: حدثنا ابن الرازي، عن خالد بن كلثوم قال: قيل للفرزدق: مالك وللشعر؟ فوالله ما كان أبوك غالب شاعراً، ولا كان صعصعة شاعراً، فمن أين لك هذا؟ قال: من قبل خالي، قيل: أي أخوالك؟ قال: خالي العلاء بن قرظة الذي يقول:

إذا ما الدهر جر على أناس ... بكلكلة أناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

يؤنبه أخواله فيمن عليهم: أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني. عن العمري، عن الهيثم بن عدي، عن حماد الراوية، وأخبرني هاشم الخزاعي: قال: حدثنا دماذ، عن أبي عبيدة قال: دخل قوم من بين ضبة على الفرزدق فقالوا له: قبحك الله من ابن أخت! قد عرضتنا لهذا الكلب السفيه - يعنون جريراً - حتى يشتم أعراضنا، ويذكر نساءنا، فغضب الفرزدق، وقال: بل قبحكم الله من أخوال! فوالله لقد شرفكم من فخري أكثر مما غضكم من هجاء جرير، أفأنا ويلكم عرضتكم لسويد بن أبي كاهل حيث يقول:

لقد زرقت عيناك يا بن مكعبر ... كما كل ضبي من اللؤم أزرق

ترى اللؤم فيهم لائحاً في وجوههم ... كما لاح في خيل الحلائب أبلق

أو أنا عرضتكم للأغلب العجلي حيث يقول:

لن تجد الضبي إلا فلا ... عبداً إذانا ولقوم ذلا

مثل قفا المدية أو أكلا ... حتى يكون الألأم الأقلا

أو أنا عرضتكم له يحث يقول:

إذا رأيت رجلاً من ضبة فنكه ... عمداً في سواء السبة

إن اليماني عقاص الزبه

أو أنا عرضتكم لمالك بن نويرة حيث يقول:

ولو يذبح الضبي بالسيف لم تجد ... من اللؤم للضبي لحماً ولا دماً !

والله لما ذكرت من شرفكم، وأظهرت من أيامكم أكثر، ألست القاتل:

وأنا ابن حنظلة الأغر وإنني ... في آل ضبة للمعم المخول

فرعان قد بلغ السماء ذراهما وإليهما من كل خومف يعقل

بنو حرام يخشون لسانه: أخبرنا أبو خليفة، عن ابن سلام، عن أبي بكر محمد بن واسع وعبد القاهر قالا: كان فتى في بني حرام بن سماك شويعر، قد هجا الفرزدق، فأخذناه، فأتينا به الفرزدق، وقلنا: هو بين يديك، فإن شئت فاضرب، وإن شئت فاحلق، لا عدوى عليك ولا قصاص، فخلّى عنه وقال:

فمن يك خائفاً لأذاة قولي فقد أمن الهجاء بنو حرام

هم قادوا سفيههم وخافوا قلائد مثل أطواق الحمام

لائذة بقبر أبيه: أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثني الحكم بن محمد، قال: كان رجل من قضاعة ثم من بني القين على السند، وفي حبسه رجل يقال له حبيش - أو خنيش - وطالت غيبته عن أهله، فأتت أمه قبر غالب بكاظمة، فأقامت عليه، حتى علم الفرزدق بمكانها، ثم إنها أتت فطلبت إليه في أمر ابنها، فكتب إلى تميم القضاعي.

هب لي خنيساً واتخذ فيه منة لغصة أم ما يسوغ شرابها

أتتني فعاذت يا تميم بغالب وبالحفرة السافي عليه ترابها

تميم بن زيد لا تكونن حاجتي بظهر فلا يخفى علي جوابها

فلما أتاه الكتاب لم يدر: أخنيس أم حبيش! فأطلقهما جميعاً.

لائذ آخر بقبر أبيه: أخبرني أبو خليفة: قال: حدثنا محمد بن سلام: قال: حدثني أبو يحيى الضبي قال: ضرب مكاتب لبني منقر خيمة على قبر غالب، فقدم الناس على الفرزدق فأخبروه أنهم رأوا بناء على قبر غالب أبيه، ثم قدم عليه، وهو بالمربد فقال:

بقبر ابن ليلى غالب عذت بعدما خشيت الردى أو أن أرد على قسر

فخاطبني قبر ابن ليلى وقال لي: فكاكك أن تلقى الفرزدق بالمصر

فقال له الفرزدق: صدق أبي، أنخ أنخ، ثم طاف في الناس، حتى جمع له كتابته وفضلاً.

يعتذر عن مناقضته نفسه: أخبرني ابن خلف وكيع، عن هارون بن الزيات، عن أحمد بن حماد بن الجميل، قال: حدثنا القحذمي، عن ابن عياش: قال: لقيت الفرزدق فقلت له: يا أبا فراس، أنت الذي تقول:

فليت الأكف الدافنات ابن يوسف يقطعن إذ غيبن تحت السقائف

فقال: نعم، أنا، فقلت له: ثم قلت بعد ذلك له:

لئن نفر الحجاج آل معتب لقوا دولة كان العدو يدالها

لقد أصبح الأحياء منهم أذلة وفي الناس موتاهم كلوحاً سبالها

قال: فقال الفرزدق: نعم، نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه، فإذا تخلى منه انقلبنا عليه.

هل أجاز إياس شهادته؟ أخبرنا هاشم بن محمد، عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه، عن بعض أشياخه قال: شهد الفرزدق عند إياس بن معاوية، فقال: أجزنا شهادة الفرزدق أبي فراس، وزيدونا شهوداً، فقام الفرزدق فرحاً، فقيل له: أما والله ما أجاز شهادتك قال: بلى، قد سمعته يقول: قد قبلنا شهادة أبي فراس، قالوا: أفما سمعته يستزيد شاهداً آخر؟ فقال: وما يمنعه ألا يقبل شهادتي، وقد قذفت ألف محصنة!.

يسترد هبته: أخبرنا ابن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، عن يونس: قال: كان عطية بن جعال الغداني صديقاً ونديماً للفرزدق، فبلغ الفرزدق أن رجلاً من بني غدانة هجاه وعاون جريراً عليه، وأنه أراد أن يهجو بني غدانة، فأتاه عطية بن جعال فسأله أن يصفع له عن قومه، ويهب له أعراضهم، ففعل، ثم قال:

أبني غدانة إنني حررتكم ... فوهبتكم لعطية بن جعال

لولا عطية لاجتدعت أنوفكم ... من بين ألأم أعين وسبال

فبلغ ذلك عطية، فقال: ما أسرع ما ارتجع أخي هبته، قبحها الله من هبة ممنونة مرتجعة.

مجنون يريد أن يترو عليه: أخبرني وكيع، عن هارون بن محمد: قال: حدثني قبيصة بن معاوية المهلبي، عن المدائني، عن محمد بن النضر:

أن الفرزدق مر بباب المفضل بن المهلب، فأرسل إليه غلمة، فاحتملوه، حتى أدخل إليه بواسط، وقد خرج من تيار ماء كان فيه، فأمر به، فألقى فيه، بثيابه، وعنده ابن أبي علقمة اليحمدي المجنون، فسعى إلى الفرزدق، فقال له المفضل: ما تريد؟ قال: أريد أن أنيكه وأفضحه، فوالله لا يهجو بعدها أحداً من الأزد، فصاح الفرزدق: الله الله أيها الأمير في، أنا في جوارك وذمتك؛ فمنع عنه ابن أبي علقمة، فلما خرج قال: قاتل الله مجنونهم؛ والله لو مس ثوبه ثوبي لقام بها جرير وقعد؛ وفضحني في العرب فلم يبق لي فيهم باقية.

وأخبرني بنحو هذا الخبر حبيب المهلبي، عن ابن شبة، عن محمد بن يحيى، عن عبد الحميد، عن أبيه، عن جده: قال أبو زيد: وأخبرني أبو عاصم عن الحسن بن دينار، قال: قال لي الفرزدق: ما مر بي يوم قط أشد علي من يوم دخلت فيه على أبي عيينة بن المهلب - وكان يوماً شديد الحر - فما منا أحد إلا جلس في أبزن. فقلنا له: إن أردت أن تنفعنا فابعث إلى ابن أبي علقمة، فقال: لا تريدوه؛ فإنه يكدر علينا مجلسنا، فقلنا: لابد منه: فأرسل إليه، فلما دخل فرآني؛ قال الفرزدق والله. ووثب إليّ، وقد أنعظ أيره، وجعل يصيح: والله لأنيكنّه؛ فقلت لأبي عيينة: الله الله في، أنا في جوارك، فوالله لئن دنا إلي لا تبقى له باقية مع جرير؛ فلم يتكلم أبو عيينة؛ ولم تكن لي همة إلا أن عدوت حتى صعدت إلى السطح، فاقتحمت الحائط، فقيل له: ولا يوم زياد كان مثل يومئذ، فقال: ولا مثل يوم زياد.

عمر بن عبد العزيز يجيره، ثم ينفيه: أخبرني عمي، عن ابن أبي سعد، عن أحمد بن عمر، عن إسحاق بن مروان مولى جهينة وكان يقال له: كوزا الراوية؛ قال أحمد بن عمر: وأخبرني عثمان بن خالد العثماني: أن الفرزدق قدم

المدينة في سنة مجدبة حصاء فمشى أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز، فقالوا له: أيها الأمير، إن الفرزدق قدم مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة التي أهلكت عامة الأموال التي لأهل المدينة، وليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعراً، فلو أن الأمير بعث إليه، فأرضاه، وتقدم إليه ألا يعرض لأحد بمدح ولا هجاء؛ فبعث إليه عمر: إنك يا فرزدق قدمت مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة، وليس عند أحد ما يعطيه شاعراً، وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم؛ فخذها، ولا تعرض لأحد بمدح ولا هجاء، فأخذها الفرزدق، ومر بعبد الله بن عمرو بن عثمان، وهو جالس في سقيفة داره، وعليه مطرف خز أحمر وجبة خز أحمر، فوقف عليه، وقال:

أعبد الله أنت أحق ماش ... وساع بالجماهير الكبار

نما الفاروق أمك وابن أروى ... أبوك فأنت منصدع النهار

هما قمرا السماء وأنت نجم ... به في الليل يدلج كل سار

فخلع عليه الجبة والعمامة والمطرف، وأمر له بعشرة آلاف درهم، فخرج رجل كان حضر عبد الله والفرزدق عنده، ورأى ما أعطاه آياه، وسمع ما أمره عمر به من ألا يعرض لأحد، فدخل إلى عمر بن عبد العزيز؛ فأخبره، فبعث إليه عمر: ألم أتقدم إليك يا فرزدق ألا تعرض لأحد بمدح ولا هجاء؟ أخرج، فقد أجلتك ثلاثاً، فإن وجدتك بعد ثلاث نكلت بك؛ فخرج وهو يقول:

فأجلني وواعدني ثلاثاً ... كاوعدت لمهلكها ثمود

قال: وقال جرير فيه:

نفاك الأغر ابن عبد العزيز ... ومثلك ينفى من المسجد

وشبهت نفسك أشقى ثمود ... فقالوا :ضللت ولم تهتد

يهجو من يستكثر عليه الجائزة: أخبرني حبيب المهلبي، عن ابن أبي سعد، عن صباح، عن النوفلي بن خاقان، عن يونس النحوي قال: مدح الفرزدق عمر بن مسلم الباهلي، فأمر له بثلثمائة درهم، وكان عمرو بن عفراء الضبي صديقاً لعمر، فلامه، وقال: أتعطي الفرزدق ثلثمائة درهم، وإنما كان يكفيه عشرون درهماً، فبلغه ذلك فقال:

نهيت ابن عفري أن يعفر أمه ... كعفر السلا إذا جررته ثعالبه

وإن ارماً يغتابني لم أطاله ... حريماً فلا ينهاه عني أقاربه

كمحتطب يوماً أساود هضبة ... أتاه بها في ظلمة الليل حاطبه

ألما استوى نابای وابيض مسحلي ... وأطرق إطراق الكرى من أحاربه؟

فلو كان ضبياً صفحت ولو سرت ... على قدمي حياته وعقاربه

ولكن ديافي أبوه وأمه بحوران يعصرن السليط قرائبه

صوت

ومقالها بالنعف نعف محسر لفتاتها: هل تعرفين المعرضا؟

ذاك الذي أعطى مواثق عهده ألا يخون وخلت أن لن ينقضا

فلئن ظفرت بمثلها من مثله يوماً ليعترفن ما قد أقرضا

الشعر لخالد القسري، والناس ينسبونه إلى عمر بن أبي ربيعة، والغناء للغريض، ثقيل أول بالوسطى، عن الهشامي وابن المكي وحبش. وقيل أن أذكر أخباره ونسبه فإني أذكر الرواية في أنّ هذا الشعر له.

قصة تتعلق بأبيات هذا الصوت: أخبرنا محمد بن خلف وكيع: قال: أخبرني عبد الواحد بن سعيد، قال: حدثني أبو بشر، محمد بن خالد البجلي: قال: حدثني أبو الخطاب بن يزيد بن عبد الرحمن: قال: سمعت أبي يحدث: قال: حدثني مسمع بن مالك بن جحوش البجلي، قال: ركب خالد بن عبد الله، وهو أمير العراق، وهو يومئذ بالكوفة إلى ضيعته التي يقال لها المكرخة، وهي من الكوفة على أربعة فراسخ، وركبت معه في زورق، فقال لي: نشدتك الله يا بن جحوش، هل سمعت غريض مكة يتغنى:

ومقالها بالنعف نعف محسر لفتاتها: هل تعرفين المعرضا

قل: قلت: نعم، قال: الشعر والله لي، والغناء لغريض مكة، وما وجدت هذا الشعر في شيء من دواوين عمر بن أبي ربيعة التي رواها المدنيون والمكيون؛ وإنما يوجد في الكتب المحدثة والإسنادات المنقطعة، ثم نرجع الآن إلى ذكره.

الجزء الثاني والعشرون

أخبار خالد بن عبد الله

نسبه

هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس بن غمغمة بن جرير بن شق بن صعب - وشق بن صعب هذا هو الكاهن المشهور - بن يشكر بن رهم بن أقزل - وهو سعد الصبح - بن زيد بن قسر بن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث بن القرز، ويقال: الفرز بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

فأما غلبة بجيلة على هذا النسب في شهرته بها فإن بجيلة ليست برجل، إنما هي امرأة قد اختلف في نسبها، فقال ابن الكلبي: يقال لها بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة، تزوجها أنمار بن إراش فولدت له الغوث ووداعة وصهيبة وجذيمة وأشهل وشهلاء وطريفاً والحارث ومالكا وفهما وشيبة. قال ابن الكلبي: ويقال: إن بجيلة امرأة حبشية كانت قد حضنت بني أنمار جميعاً غير خثعم، فإنه انفرد، فصار قبيلة على حدته، ولم تحضنه بجيلة، واحتج من قال هذا القول بقول شاعرهم:

وما قربت بجيلة منك دوني ... بشيء غير ما دعيت بجيله

وما للغوث عندك أن نسبنا ... علينا في القرابة من فضيله

ولكنا وإياكم كثرنا ... فصرنا في المحل على جديله

جديلة ها هنا موضع لا قبيلة، وهم أهل بيت شرف في بجيلة، لولا ما يقال في عبد الله بن أسد؛ فإن أصحاب المثالب ينفونه عن أبيه، ويقولون فيه أقوالا أنا ذاكرها في موضعها من أخبار خالد المذمومة في هذا الموضع من كتابنا - إن شاء الله - وعلى ما قيل فيه أيضاً؛ فقد كان له ولابنه خالد سؤدد وشرف وجود.

جده كرز: وكان يقال لكرز كرز الأعنة، وإياه عنى قيس بن الخطيم بقوله - لما خرج يطلب النصر على الخزرج:

فإن تنزل بذي النجدات كرز ... تلاق لديه شربا غير نزر

له سجلان سجل من صريح ... وسجل رثيئة بعتيق خمر

ويمنع من أراد ولا يعايا ... مقاماً في المحلة وسط قسر

جده أسد بن كرز وكان أسد بن كرز يدعى في الجاهلية رب بجيلة، وكان ممن حرم الخمر في جاهليته تنزها عنها، وله يقول القتال السحمي:

فأبلغ ربنا أسد بن كرز بأن النأي لم يك عن تقالي

وله يقول القتال يعتذر:

فأبلغ ربنا أسد بن كرز بأني قد ضللت وما اهتديت

وله يقول تأبط شراً:

وجدت ابن كرز تستهل يمينه ويطلق أغلال الأسير المكبل

جده أسد وبنو سحمة:

وكان قوم من سحمة عرضوا لجار لأسد بن كرز، فأطردوا إبلاً له، فأوقع بهم أسد وقعة عظيمة في الجاهلية، وتتبعهم حتى عاذوا به، فقال القتال فيه عدة قصائد يعتذر إليه لقومه، ويستقيله فعلهم بجاره، و لم أذكرها ههنا لطولها، وأن ذلك ليس من الغرض المطلوب في هذا الكتاب، وإنما نذكر هاهنا لمعاً وسائره مذكور في جمهرة أنساب العرب الذي جمعت فيه أنسابها وأخبارها، وسميته كتاب التعديل والانتصاف. ولبني سحمة يقول أسد بن كرز في هذه القصة، وكان شاعراً فاتكاً مغواراً:

ألا أبلغا أبناء سحمة كلها بني خثعم عني وذل لخثعم

فما أنتم مني ولا أنا منكم فراش حريق العرفج المتضرم

فلست كمن تزري المقالة عرضه دنيئاً كعود الدوحة المترنم

وما جار بيتي بالذليل فترتجي ظلامته يوماً ولا المتهضم

وأقزل آبائي وقسر عمارتي هما رديائي عزتي وتكرمي

وأحمس يوماً إن دعوت أجابني عرانين منهم أهل أيد وأنعم

فمن جار مولى يدفع الضيم جاره إذا ضاع جاري يا أميمة أو دمي

وكيف يخاف الضيم من كان جاره مع الشمس ما إن يستطاع بسلم

وهي قصيدة طويلة.

ولأسد أشعار كثيرة ذكرت هذه منها هاهنا لأن تعلم إعراقهم في العلم والشعر، وسائرها يذكر في كتاب النسب مع أخبار شعراء القبائل، إن شاء الله تعالى.

إسلام جده أسد وابنه يزيد: وأدرك أسد بن كرز الإسلام هو وابنه يزيد بن أسد، فأسلما، فأما أسد فلا أعلمه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله رواية كثيرة، بل ما روى شيئاً.

وأما يزيد ابنه فروى عنه رواية يسيرة، وذكر جرير بن عبد الله خبر إسلامه، حدث بذلك عنه خالد بن يزيد عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله، قال: أسلم أسد بن كرز، ومعه رجل من ثقيف، فأهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قوساً، فقال له: يا أسد، من أين لك هذه النبعة؟ فقال: يا رسول الله تنبت بجبلنا بالسراة، فقال الثقفي: يا رسول الله، الجبل لنا أم لهم؟ فقال: بل الجبل جبل قسر، به سمى أبوهم قسر عبقر. فقال أسد: يا رسول الله، ادع لي. فقال: اللهم اجعل نصرك ونصر دينك في عقب أسد بن كرز.

وما أدري ما أقول في هذا الحديث، وأكره أن أكذب بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن ظاهر الأمر يوجب أنه لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له بهذا الدعاء لم يكن ابنه مع معاوية بصفين على علي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه. ولا كان ابن ابنه خالد يلعنه، على المنبر. ويتجاوز ذلك إلى ما ساء ذكره من شنيع أخباره - قبحه الله ولعنه - إلا أني أذكر الشيء كما روي، ومن قال على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ما لم يقل فقد تبوأ مقعده من النار. كما وعده عليه السلام.

منافرة بين جده جريد وقضاعة: وكان جرير بن عبد الله نافر قضاعة، فبلغ ذلك أسد بن عبد الله، وكان بينه وبينه - أعني جريراً - تباعد، فأقبل في فوارس من قومه ناصراً لجرير ومعاوناً له ومنجداً، فزعموا أن أسداً لما أقبل في أصحابه، فرآه جرير، ورأى أصحابه في السلاح ارتاع، وخافه، فقيل له: هذا أسد جاءك ناصراً لك، فقال جرير: ليت لي بكل بلد ابن عم عاقاً مثل أسد، فقال جعدة بن عبد الله الخزاعي يذكر ذلك من فعل أسد:

تدارك ركض المرء من آل عبقر ... جريراً وقد رانت عليه حلائبه

فنفس واسترخى به العقد بعد ما ... تغشاه يوم لا توارى كواكبه

وقاك ابن كرز ذو الفعال بنفسه ... وما كنت وصالا له إذ تحاربه

إلى أسد يأوي الذليل ببيته ... ويلجأ إذ أعيت عليه مذاهبه

فتى لايزال الدهر يحمل معظماً ... إذا المتجدى المسؤول ضنت رواجيه

جده يزيد يروي حديثا: وأما يزيد بن أسد فقد ذكرت إسلامه وقدومه مع أبيه على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد روي عنه أيضاً حديثاً ذكره هشيم بن بشر الواسطي عن سنان بن أبي الحكم قال: سمعت خالد بن عبد الله القسري، وهو على المنبر يقول:

حدثني أبي عن جدي يزيد بن أسد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا يزيد، أحبب للناس ما تحبه لنفسك. وخرج يزيد بن أسد في أيام عمر بن الخطاب في بعوث المسلمين إلى الشام، فكان بها، وكان مطاعاً في اليمن عظيم الشأن.

جده يزيد يخف لنصرة عثمان وخطبة جده يزيد في صفين ولما كتب عثمان إلى معاوية حين حصر يستنجده بعث معاوية إليه بيزيد بن أسد في أربعة آلاف من أهل الشام، فوجد عثمان قد قتيل. فانصرف إلى معاوية، و لم

يحدث شيئاً، ولما كان يوم صفين قام في الناس فخطب خطبة مذكورة، حرضهم فيها. فذكر من روى عنه خبره في ذلك الموضع أنه قام وعليه عمامة خز سوداء، وهو متكىء على قائم سيفه، فقال بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم: وقد كان من قضاء الله جل وعز أن جمعنا وأهل ديننا في هذه الرقعة من الأرض، والله يعلم أني كنت لذلك كارها، ولكنهم لم يبلعونا ريقنا، و لم يدعونا نرتاد لديننا وننظر لمعادنا، حتى نزلوا في حريمنا وبيضتنا. وقد علمنا أن بالقوم حلماء وطغاماً. فلسنا نأمن طغامهم على ذرارينا ونسائنا، وقد كنا لا نحب أن نقاتل أهل ديننا، فأحرجونا حتى صارت الأمور إلى أن يصير غداً قتالنا حمية، فإنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين، والذي بعث محمداً بالحق لوددت أني مت قبل هذا، ولكن الله تبارك وتعالى إذا أراد أمراً لم يستطع العباد رده، فنستعين بالله العظيم، ثم انكفأ.

خمول أبيه عبد الله وخنوثته منذ نشأته و لم تكن لعبد الله بن يزيد نباهة من ذكرت من آبائه، وأهل المثالب يقولون: إنه دعي، وكان مع عمرو بن سعيد الأشدق على شرطته أيام خلافة عبد الملك بن مروان، فلما قتل عمرو هرب حتى سألت اليمانية عبد الملك فيه لما أمن الناس عام الجماعة، فأمنه، ونشأ خالد بن عبد الله بالمدينة، وكان في حداثته يتخنث، ويتتبع المغنين والمخنثين ويمشي بين عمر بن أبي ربيعة وبين النساء في رسائلهن إليه وفي رسائله إليهن، وكان يقال له خالد الخريت فقال مصعب الزبيري: كل ما ذكره عمر بن أبي ربيعة في شعره، فقال: أرسلت الخريت أو قال: أرسلت الجري فإنما يعني خالداً القسري، وكان يترسل بينه وبين النساء.

يظلل بن أبي ربيعة وعشيقته أخبرني بذلك الحرمي ومحمد بن مزيد وغيرهما، عن الزبير، عن عمه، وأخبرني عمي: قال: حدثني الكراني، عن العمري، عن الهيثم بن عدي، قال: بينما عمر بن أبي ربيعة ذات يوم يمشي ومعه خالد بن عبد الله القسري، وهو خالد الخزاعي الذي يذكره في شعره إذا هما بأسماء وهند اللتين كان عمر يشبب بهما، وهما يتماشيان فقصداهما، وجلسا معهما ملياً، فأخذتهم السماء، ومطروا، فقام خالد وجاريتان المرأتين، فظللوا عليهم بمطرفة وبردين له، حتى كف المطر، وتفرقوا، وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة:

أفي رسم دار دمعك المترقرق ... سفاهاً وما استطاق ما ليس ينطق؟

بحيث التقى جمع ومفضى محسر ... معالم قد كادت على الدهر تخلق

ذكرت بها ما قد مضى من زماننا ... وذكرك رسم الدار مما يشوق

مقاما لنا عند العشاء ومجلسا ... لنا لم يكدره علينا معوق

وممشى فتاة بالكساء يكنها ... به تحت عين برقها يتألق

يبل أعالي الثوب قطر وتحته ... شعاع بدا يعشي العيون ويشرق

فأحسن شيء بدء أول ليلة ... وآخرها حزن إذا نتفرق

الغناء في هذه الأبيات لمعبد خفيف ثقيل أول بالسبابة والوسطى عن يحيى المكي؛ وذكر الهشامي له منحول.
هو وابن أبي عتيق يستنجزان ابن أبي ربيعة وعده أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو العباس المروزي، قال: حدثنا ابن عائشة قال: حضر ابن أبي عتيق عمر بن أبي ربيعة يوماً وهو ينشد قوله:

ومن كان محروباً لإهراق دمعة وهي غربها فليأتنا نبكه غدا

نعنه على الإثكال إن كان ثالاكلا وإن كان محزونا وإن كان مقصدا

قال: فلما أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالدا الخريت، وقال: قم بنا إلى عمر، فزضيى إليه، فقال له ابن أبي عتيق: قد جئنا لموعدك، وأي موعد بيننا؟ قال: قولك.
فليأتنا نبكه غدا.

قد جئناك لموعدك، والله لا نبرح أو تبكي إن كنت صادقا في قولك، أو ننصرف على أنك غير صادق، ثم مضى وتركه.
قال ابن عائشة: خالد الخريت هو خالد القسري.
يجمع بين ابن أبي ربيعة ومعشوقاته أخبرنا علي بن صالح بن الهيثم: قال: حدثنا أبو هفان عن إسحاق، وأخبرنا محمد بن مزيد، عن حماد، عن أبيه، عن الحزامي والمثنى ومحمد بن سلام، قالوا: خرجت هند والرباب إلى متنزه لهما بالعقيق في نسوة فجلستا هناك تتحدثنا ملياً، ثم أقبل إليهما خالد القسري، وهو يومئذ غلام مؤنث، يصحب المغنين والمخنثين، ويترسل بين عمر بن أبي ربيعة وبين النساء. فجلس إليهما. فذكرتا عمر بن أبي ربيعة، وتشوقتاه، فقالتا لخالد: يا خريت - وكان يعرف بذلك - لك عندنا حكمك إن جئتنا بعمر بن أبي ربيعة من غير أن يعلم أنا بعثنا بك إليه، فقال: أفعل فكيف تريان أن أقول له؟ قالتا: تؤذنه بنا، وتعلمه أنا خرجنا في سر منه، ومره أن يتنكر، ويلبس لبسة الأعراب، ليرانا في أحسن صورة، ونراه في أسوإ حال؛ فنمزح بذلك معه، فجاء خالد إلى عمر، فقال له: هل لك في هند والرباب وصواحبات لهما قد خرجن إلى العقيق على حال حذر منك وكتمان لك أمرها؟ قال: والله إني إلى لقائهن لمشتاق، قال: فتنكر، والبس لبسة الأعراب، وهلم نمض إليهن، ففعل ذلك عمر، ولبس ثياباً جافية، وتعمم عمة الأعراب، وركب قعوداً له على رحل غير جيد، وصار إليهن، فوقف منهن قريباً، وسلم، فعرفنه، فقلن: هلم إلينا يا أعرابي، فجاءهن، وأناخ قعوده، وجعل يحدثهن، وينشدهن، فقلن له: يا أعرابي ما أظرفك، وأحسن إنشادك! فما جاء بك إلى هذه الناحية؟ قال: جئت أنشد ضالة لي، فقالت له هند: انزل إلينا، واحسر عمامتك عن وجهك، فقد عرفنا ضالتك، وأنت الآن تقدر أنك قد احتلت علينا، ونحن والله احتلنا عليك وبعثنا إليك بخادل الخريت، حتى قال لك ما قال، فجئتنا على أسوإ حالاتك، وأقبح ملابسك، فضحك عمر، ونزل إليهن، فتحدث معهن، حتى أمسوا، ثم إنهم تفرقوا، ففي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة: صوت

ألم تعرف الأطلال والمتربعا ببطن حليات دوارس بلقعا

إلى السرح من وادي المغمس بدلت معالمه وبلا ونكباء زعزعا

فيبخلن أو يخبرن بالعلم بعدما نكأن فؤاداً كان قدماً مفجعا

لهند وأتراب لهند إذ الهوى جميع وإذ لم نخش أن يتصدعا

في هذه الأبيات ثقيل أول لمعبد:

تبالهن بالعرفان لما رأينني وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا

وقربن أسباب الهوى لمتيم يقيس ذراعاً كلما قسن إصبعا

كان جده عبداً آبقاً أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني، وذكر مثل ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى: أن كرز بن عامر جد خالد بن عبد الله عبد كان آبقاً عن مواليه عبد القيس من هجر، ويقال: إن أصله من يهود تيماء، وكان أبق، فظفرت به عبد شمس فكان فيهم عند غمغمة بن شق الكاهن، ثم وهبوه لقوم من بني طهية، فكان عندهم حتى أدرك، وهرب، فأخذته بنو أسد بن خزيمة، فكان فيهم، وتزوج مولاة لهم يقال لها زرنب، ويقال: إنها كانت بغياً، فأصابها، فولدت له أسد بن كرز، سماه باسم أسد بن خزيمة لرقة كانت فيهم، ثم أعتقوه، ثم إن نفراً من أهل هجر مروا به، فعرفوه، فلما رجعوا إلى هجر أخذوا فداءه، وصاروا إلى مواليه فاشتروه وابنه فلم يزل فيهم، حتى خرج معهم في تجارة إلى الطائف، فلما رأى دار بجيلة أعجبته، فاشترى نفسه وابنه، فجاء، فنزل فيهم، فأقام مدة، ثم ادعى إليهم وعاونه على ذلك حي من أحمس يقال لهم: بنو منيبة، فنفاهم أبو عامر ذو الرقعة - سمي بذلك لأن عينه أصيبت. فكان يغطيها بخرقة - وهو ابن عبد شمس بن جوين بن شق، فنزل كرز في بني سحمة هارباً من ذي الرقعة، ثم وثب على ابن عم للقتال بن مالك السحمي فقتله، وهرب إلى البحرين مع التجار، فأقام مدة، ثم مات، ونشأ ابنه يزيد بن أسد يدعي في بجيلة، ولا تلحقه إلى أن مات، ونشأ ابنه عبد الله بن يزيد، ثم مضى إلى حبيب بن مسلمة الفهري، وكتب له، وكان كاتبا مفوها، وذلك في إمارة عثمان بن عفان.

أبوه خطيب الشيطان

فنال حظاً وشرفا، وكان يقال له: خطيب الشيطان، ووسم خيله: القسري، ثم تدسس ليملك خيلاً في بلاد قسر، فمنعته بجيلة ذلك أشد المنع، فلم يقدر عليه، حتى عظم أمره، ونأ ابنه خالد، ومات هو، فكان خالد في مرتبته، ثم ولي العراق، وقال قيس بن القتال له في هذا المعنى:

ومن سماك باسمك يا بن كرز؟ وأين المولد المعروف تدري؟

وقال بجير بن ربيعة السحمي:

نفته من الشعبين قسر بعزها إلى دار عبد القيس نفي المزنم

بين أبيه وأبي موسى بن نصير قال أبو عبيدة: وكان بين عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز وبين أبي موسى بن نصير كلام عند عبد الملك بن مروان. فقال له عبد الله: إنما أنت عبد لعبد القيس، فقال: اسكت، فقد عرفناك إن لم تعرف نفسك، فقال له عبد الله: أنا ابن أسد بن كرز، نحن الذين نضمن الشهر، ونطعم الدهر، فقال له: تلك قسر، ولست منهم، وإنما أنت عبد آبق، قد كنت أراك تروم مثل ذلك، فلا تقدر عليه، ثم نفاه جرير بن عبد الله إلى الشام، فأقام بها مدة، ثم مضى إلى حبيب، فقال له: دع ذكر البحرين لفرارك، أتراك منهم وأنت عبد، وأهلك من يهود تيماء فأسكتهما عبد الملك، ولم يسره ما قال عبد الله لأبي موسى بن نصير، لأنه كان على شرطة عمرو بن سعيد يوم قتله، فقال في ذلك أبو موسى بن نصير:

جاريت غير سئوم في مطاولة ... يا بن الوشائط من أبناء ذي هجر

لا من نزار ولا قحطان تعرفكم ... سوى عبيد لعبد القيس أو مضر

تتوارث أسرته الكذب كابراً عن كابر وقال أبو عبيدة: فأخبرني عبد الله بن عمر بن زيد الحكمي قال: كان يزيد بن أسد يلقب خطيب الشيطان، وكان أكذب الناس في كل شيء معروفاً بذلك، ثم نشأ ابنه عبد الله فسلك منهاجه في الكذب، ثم نشأ خالد ففاق الجماعة إلا أن رياسة وخاء كانا فيه سترا ذلك من أمره.

قال عمر بن زيد: فإني لجالس على باب هشام بن عبد الملك إذ قدم إسماعيل بن عبد الله أخو خالد بخبر المغيرة بن سعد وخروجه بالكوفة، فجعل يأتي بأحاديث أنكرها، فقلت له: من أنت يا بن أخي؟ قال إسماعيل بن عبد الله بن يزيد القسري. فقلت: يا بن أخي. لقد أنكرتُ ما جرى حتى عرفت نسبك. فجعل يضحك.

يطلب على المنبر أن يطعموه ماء أخبرني اليزيدي، عن سليمان بن أبي شيخ، عن محمد بن الحكم، وذكره أبو عبيدة - واللفظ له - قالا: كان خالد بن عبد الله من أجبن الناس، فلما خرج عليه المغيرة عرف ذلك وهو على المنبر، فدهش وتحير، فقال: أطعموني ماء، فقال الكميت في ذلك، ومدح يوسف بن عمر:

خرجت لهم تمشي البراح ولم تكن ... كمن حصنه فيه الرتاج المضبب

وما خالد يستطعم الماء فاغرا ... بعدلك والداعي إلى الموت ينعب

أولى كذبات ابن الكلبي وقال ابن الكلبي: أول كذبة كذبتها في النسب أن خالد بن عبد الله سألني عن جدته أم كرز، وكانت أمة بغياً لبني أسد يقال لها: زرنب. فقلت له: هي زينب بنت عرعرة بن جذيمة بن نصر بن قعين، فسر بذلك، ووصلني.

بنو أسد ينكرونه: قال: قال خالد ذات يوم لمحمد بن منظور الأسدي: يا أبا الصباح، قد ولدتمونا، فقال: ما أعرف فينا ولادة لكم، وإن هذا لكذب. فقيل له: لو أقررت للأمير بولادة ما ضرك، قال: أأفسد وأستنبط ما ليس مني، وأقر بالكذب على قومي؟ فأمر خالد خداشاً الكندي - وكان عامله - بضرب مولى لعباد بن إياس الأسدي، فقتله، فرفع إلى خالد، فلم يقده، فوثب عباد على خداش فقتله، وقال:

لعمري لئن جارت قضية خالد عن القصد ما جارت سيوف بني نصر

يتطاول على السماء فأخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث، قال: حدثنا المدائني، عن سحيم بن حصين قال: قتل خداش الكندي رجلاً من بني أسد، وكان الكندي عاملاً لخالد القسري، فطولب بالقود، وهو على دهلك، فقال: والله لئن أقدت من عاملي لأقيدن من نفسي، ولئن أقدت من نفسي ليقيدن أمير المؤمنين من نفسه، ولئن أقاد أمير المؤمنين من نفسه، ليقيدن رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه ولئن أقاد رسول الله من نفسه هاه هاه! يعرض بالله عز وجل، لعنة الله على خالد.

أمه نصرانية بظراء أخبرني الحسن: قال: حدثنا الخراز، عن المدائني، عن عيسى بن يزيد وابن جعدبة وأبي اليقظان، قالوا:

كانت أم خالد رومية نصرانية، فبنى لها كنيسة في ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة، فكان إذا أراد المؤذن في المسجد أن يؤذن ضرب لها بالناقوس، وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءتهم.

أعشى همدان يفحش في هجائه فقال أعشى همدان يهجوه، ويعيره بأمه - وكان الناس بالكوفة إذا ذكروه في ذلك الوقت قالوا: ابن البظراء، فأنف من ذلك، فيقال: إنه ختن أمه وهي كارهة، فعيره الأعشى بذلك حين يقول :

لعمرك ما أدري وإني لسائل أبظراء أم مختونة أم خالد

فإن كانت الموسى جرت فوق بظرها فما ختنت إلا ومصان قاعد

يرى سوأة من حيث أطلع رأسه تمر عليها مرهفات الحدائد

وقال أيضاً فيه، يرميه باللواط:

ألم تر خالدا يختار ميماً ويترك في النكاح مشق صاد

ويبغض كل آنسة لعوب وينكح كل عبد مستقاد

ألا لعن الإله بني كريز فكرز من خنازير السواد

يكره مضر، ويسب علي بن أبي طالب قال المدائني في خبره: وأخبرني ابن شهاب بن عبد الله قال: قال لي خالد بن عبد الله القسري: اكتب لي النسب فبدأت بنسب مضر فمكثت فيه أياماً، ثم أتيته. فقال: ما صنعت؟ فقلت: بدأت بنسب مضر وما أتممته. فقال: اقطعْه - قطعه الله مع أصولهم - واكتب لي السيرة، فقلت له: فإنه يمر بي الشيء من سير علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه - فأذكره، فقال: لا، إلا أن تراه في قعر الجحيم. لعن الله خالداً ومن ولاه، وقبحهم، وصلوات الله على أمير المؤمنين: من مظاهر زندقته وانحرافه وقال أبو عبيدة: حدثني أبو الهذيل العلاف، قال: صعد خالد القسري المنبر، فقال: إلى كم يغلب باطلنا حقكم، أما آن لربكم أن يغضب لكم؟ وكان زنديقاً، أمه نصرانية، فكان يولي النصارى والمجوس على المسلمين، ويأمرهم بامتهانهم وضربهم،

وكان أهل الذمة يشترون الجواري المسلمات ويطئونهن، فيطلق لهم ذلك، ولا يغير عليهم.

وقال المدائني: كان خالد يقول: لو أمرني أمير المؤمنين نقضت الكعبة حجراً حجرا، ونقلتها إلى الشام.

قال: ودخل عليه فراس بن جعدة بن هبيرة وبين يديه نبق، فقال له، العن علي بن أبي طالب ولك بكل نبقة دينار ففعل فأعطاه بكل نبقة ديناراً.

قال المدائني: وكان له عامل يقال له: خالد بن أمي. وكان يقول: والله لخالد بن أمي أفضل أمانة من علي ابن أبي طالب صلوات الله عليه.

وقال له يوماً: أيّما أعظم ركيتنا أم زمزم؟ فقال له: أيها الأمير: من يجعل الماء العذب النقاخ مثل الملح الأجاج؟ وكان يسمي زمزم أم الجعلان.

بينه وبين الفرزدق أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة، قال: أتى الفرزدق خالد بن عبد الله القسري، يستحمله في ديات حملها، فقال له: إيه يا فرزدق، كأني بك قد قلت: آتي الحائك بن الحائك، فأخدعه عن ماله إن أعطاني، أو أذمه إن منعني. فأنا حائك ابن حائك. ولست أعطيك شيئاً. فأذمني كيف شيئت، فهجاه الفرزدق بأشعار كثيرة منها:

ليتني من بجيلة اللؤم حتى ... يعزل العامل الذي بالعراق

فإذا عامل العراقين ولي ... عدت في أسرة الكرام العتاق

قال: وإنما أراد خالد بقوله: الحائك بن الحائك تصحيح نسبه في اليمن، والانتفاء من العبودية لأهل هجر.

يتطاول على الخليفة وابنه فيعزله وكان خالد شديد العصبية على مضر. وبلغ هشاما أنه قال: ما ابني يزيد بن خالد بدون مسلمة بن هشام، فكان ذلك سبب عزله إياه عن العراق.

يتطاول على مقام النبوة قال: وخطب بمكة وقد أخذ بعض التابعين، فحبسه في دور آل الحضرمي، فأعظم الناس ذلك وأنكروه، فقال: قد بلغني ما أنكرتم من أخذي عدو أمير المؤمنين ومن حاربه، والله لو أمرني أمير المؤمنين أن أنقض هذه الكعبة حجرا حجرا لنقضتها، والله لأمير المؤمنين أكرم على الله من أنبيائه عليهم السلام، ولعن الله تعالى خالداً وأخزاه.

أخبرني أبو عبيدة الصيرفي، قال: حدثنا الفضل بن الحسن المصري، قال: حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني عبيد الله بن حباب، قال: حدثني عطاء بن مسلم قال: قال خالد بن علد الله، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال:

أيما أكرم عندكم على الرجل: رسوله في حاجته أو خليفته في أهله؟ يعرض بأن هشاماً خير من النبي صلى الله عليه وسلم.

يوازن بين إبراهيم الخليل والخليفة قال أبو عبيدة: خطب خالد يوماً، فقال: إن إبراهيم خليل الله استسقى ماء، فسقاه الله ملحا أجاجاً، وأن أمير المؤمنين استسقى الله ماء، فسقاه الله عذباً نقاخاً، وكان الوليد حفر بئراً بين

ثنية ذي طوى وثنية الحجون، فكان خالد ينقل ماءها، فيوضع في حوض إلى جنب زمزم. ليى الناس فضلها. قال: فغارت تلك البئر، فلا يدرى أين هي إلى اليوم؟ ينال من علي بن أبي طالب أخبرني أبو الحسن الأسدي: قال: حدثنا العباس بن ميمون طايع، عن ابن عائشة، قال: كان خالد بن عبد الله زنديقاً، وكانت أمه رومية نصرانية وهبها عبد الملك لأبيه. فرأى يوما عكرمة، مولى ابن عباس، وعلى رأسه عمامة سوداء، فقال: إنه بلغني أن هذا العبد يشبه علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وسلامه، وإني لأرجو أن يسود الله وجهه كما سود وجه ذاك. قال: حدثني من سمعه، وقد لعن علياً - صلوات الله عليه وسلامه - فقال في ذكره: علي بن أبي طالب بن عم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وزوج ابنته فاطمة، وأبو الحسن والحسين، هل كنيت. اللهم العن خالداً واخزه، وجدد على روحه العذاب.

اسماعيل بن خالد يسب بني أمية في مجلس السفاح وقال أبو عبيدة: ذكر إسماعيل بن خالد بن عبد الله القسري بني أمية عند أبي العباس السفاح في دولة بني هاشم، فذمهم وسبهم، وقال له حماس الشاعر مولى عثمان بن عفان: يا أمير المؤمنين: أيسب بني عمك وعمالهم وعماتك رجل اجتمع هو والخريت في نسب؟ إن بني أمية لحمك ودمك، فكلهم ولا تؤكلهم. فقال له صدقت. وأمسك إسماعيل فلم يحر جوابا.

سليمان يضربه مائة سوط وقال ابن الكلبي: كان خالد بن عبد الله أميراً على مكة فأمر رأس الحجبة أن يفتح له الباب وهو ينظر، فأبى فضربه مائة سوط. فخرج الشيبي إلى سليمان بن عبد الملك يشكوه فصادف الفرزدق بالباب، فاسترفده. فلما أذن للناس، ودخلا شكا الشيبي ما لحقه من خالد، ووثب الفرزدق، فأنشأ يقول:

سلوا خالداً لا أكرم الله خالداً ... متى وليت قسر قريشاً تدينها

أقبل رسول الله أم ذاك بعده! ... فتلك قريش قد أغث سمينها

رجونا هداه لا هدى الله خالداً ... فما أمه بالأم يهدى جنينها

فحمي سليمان وأمر بقطع يد خالد، وكان يزيد بن المهلب عنده، فمازال يفديه، ويقبل يده، حتى أمر بضربه مائة سوط، ويعفى عن يمينه، فقال الفرزدق في ذلك:

لعمري لقد صبت على ظهر خالد ... شآبيب ما استهللن من سبل القطر

أيضرب في العصيان من كان طائعاً ... ويعصي أمير المؤمنين أخو قسر؟

فنفسك لم فيما أتيت فإنما ... جزيت جزاء بالمحدرجة السمر

وأنت ابن نصرانية طال بظرها ... غذتك بأولاد الخنازير والخمر

فلولا يزيد بن المهلب حلقت ... بكفك فتخاء إلى الفرخ في الوكر

لعمري لقد صال ابن شيبة صولة ... أرتك نجوم الليل ظاهرة تسري

يحبس الفرزدق فحقدها خالد على الفرزدق فلما ولي، وحفر نهر العراق بواسط قال فيه الفرزدق أبياتاً يهجوه منها:

وأهلكت مال الله في غير حقه ... على النهر المشؤوم غير المبارك

وتضرب أقواماً صحاحاً ظهورهم ... وتترك حق الله في ظهر مالك

وقال، ويقال: إنها للمفرج بن المرقع.

كأنك بالمبارك بعد شهر ... يخوض غماره نقع الكلاب

كذبت خليفة الرحمن عنه ... وكيف يرى الكذوب جزا الكذاب

فأخذ خالد الفرزدق، فحبسه، واعتل عليه بهجائه إياه في حفر المبارك، فقال الفرزدق في السجن:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة ... فعجل هداك الله نزعك خالدا

بنى بيعة فيها الصليب لأمه ... وهدم من بغض الإله المساجدا

فبعث هشام إلى خالد بن سويد يأمره بإطلاق الفرزدق، فأطلقه، فقال الفرزدق يهجو خالداً القسري:

ألا لعن الرحمن ظهر مطية ... أتتنا تخطى من بعيد بخالد

وكيف يؤم المسلمين وأمه ... تدين بأن الله ليس بواحد؟

ابن عياش يشتمه أخبرنا الحسن، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، قال: حدثنا المدائني، قال: شتم عبد الله بن عياش الهمذاني خالد بن عبد الله في أيام منصور بن جمهور، فسمعه رجل من لخم، فقدمه إلى منصور واستعداه عليه، فقال له منصور: ما تريد؟ فقال ابن عياش: أمرنا أيها الأمير يبرقية العقرب. وفيه عجب، لخمي يستنصر كلبياً على همذاني لبجلي دعي.

يدل على هشام وقال المدائني في خبره: كان خالد بن عبد الله قريباً من هشام بن عبد الملك مكيناً عنده فأدل، وتمرغ عليه، حتى إنه التفت يوما إلى ابنه يزيد بن خالد عند هشام، فقال له: كيف بك يا بني إذا احتاج إليك بنو أمير المؤمنين؟ قال: أواسيهم ولو في قميصي. فتبين الغضب في وجه هشام، واحتملها.

يلقب هشاماً بابن الحمقاء قال المدائني: حدثني بذلك عبد الكريم مولى هشام: إنه كان واقفاً على رأس هشام، فسمع هذا من خالد، قال: وكان إذا ذكر هشام قال له: ابن الحمقاء فسمعها رجل من أهل الشام، فقال لهشام: إن هذا البطر الأشر الكافر لنعمتك ونعمة أبيك وإخوتك يذكرك بأسوأ الذكر، فقال: ماذا يقول؟ لعله يقول: الأحول قال: لا والله، ولكن ما لا تنشق به الشفتان قال: فلعله قال: ابن الحمقاء، فأمسك الشامي، فقال: قد بلغني كل ذلك عنه.

يستغل نفوذه فيتضاعف دخله واتخذ خالد ضياعاً كثيرة حتى بلغت غلته عشرة آلاف ألف درهم، فدخل عليه

دهقان كان يأنس به فقال له: إن الناس يحبون جسمك، وأنا أحب جسمك وروحك، قد بلغت غلة ابنك أكثر من عشرة آلاف ألف سوى غلتك، وإن الخلفاء لا يصبرون على هذا، فاحذر، فقال له خالد: إن أخي أسد بن عبد الله قد كلمني بمثل هذا، أفأنت أمرته؟ قال: نعم، قال: ويحك! دعه، فرب يوم كان يطلب فيه الدرهم، فلا يجده.

كان بخيلا بطعامه وقال المدائني في خبره: كان خالد بن عبد الله بخيلاً على الطعام، فوفد إليه رجل له به حرمة، فأمر أن يكتب له بعشرة آلاف درهم، وحضر الطعام، فأتي به، فأكل أكلاً منكراً، فأغضبه، وقال للخازن: لا تعرض علي صكه، فعرفه الخازن ذلك، فقال له: ويحك! فما الحيلة؟ قال: تشتري غداً كل ما يحتاج إليه في مطبخه، وتهب الطباخ دراهم، حتى لا يشتري شيئاً، وتسأله إذا أكل خالد أن يقول له: إنك اليوم في ضيافة فلان، فاشترى كل ما أراد، حتى الحطب، فبلغ خمسمائة درهم، فأكل خال؛ فأستطاب ما صنع له. فقال له الطباخ: إنك كنت اليوم في ضيافة فلان، قال له: وكيف ذاك؟ فأخبره، فاستحيا خالد ودعا بصكه، فصيره ثلاثين ألفاً، ووقع فيه، وأمر الخازن بتسليمها إليه.

حيلة يحتالها تاجر عليه قال: وكان لبعض التجار على رجل دين، فأراد استعداء خالد عليه، فلاذ الرجل ببواب خالد، وبره، فقال له: سأحتال لك في أمر هذا بحيلة، لا يدخله عليه أبداً، قال: فافعل، فلما جلس خالد للأكل أذن البواب للتاجر فدخل، وخالد يأكل سمكاً، فجعل يأكل أكلاً شنيعاً كثيراً، فغاظ ذلك خالداً، فلما خرج قال لبوابه: فيم أتاني هذا؟ قال: يستعدي على فلان في دين يدعيه عليه. قال: والله إني لأعلم أنه كاذب، فلا يدخلن علي. وتقدم إلى صاحب الشرطة بقبض يده عن صاحبه.

وقال المدائين في خبره: خبير بلغة الحمير كان خالد يوما يخطب على المنبر. وكان لحنة، وكان له مؤدب يقال له: الحسين بن رهمة الكلبي، وكان يجلس بإزائه، فإذا شك في شيء أوأ إليه، وكان لخالد صديق من تغلب زنديق يقال له زمزم، فلما قام يخطب على المنبر قام إليه التغلبي في وسط خطبته، وقال: قد حضرتني مسألة، قال: ويحك! أما ترى الشيطان عينه في عين، يعني حسيناً، قال: لا بد والله منها، قال: هاتها، قال: أخبرني، قلمسان إذا ساف، ثم رفع رأسه وكرف أي شيء يقول؟ قال: أراه يقول: ما أطيبه يا رباه، قال: صدقت ما كان ليستشهد على هذا سوى ربه.

رأيه في حفظة القرآن قال المدائني: وقال خالد يوماً على المنبر: هذا كما قال الله عز وجل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم أرتج عليه، فقال للتغلبي: قم فافتح علي يا أبا زمزم سورة كذا وكذا، فقال: خفض عليك أيها الأمير، لا يهولنك ذلك، فما رأيت قط عاقلاً حفظ القرآن، وإنما يحفظه الحمقى من الرجال، قال: صدقت، يرحمك الله.

يهب المغنية للقصاص وقال المدائني: حدثني أبو يعقوب الثقفي، قال:

قال خالد بن عبد الله للعريان: يا عريان، أعجزت عن الشرط، حتى أولي غيرك! فإن الغناء قد فشا وظهر قال: لم

أعجز، وإن شئت فاعزلني، فقال له: خذلى المغنيات، فأحضره خمساً منهن أو ستاً، فأدخلهن إليه، فنظر إلى واحدة منهن بيضاء دعجاء؛ كأنها أشربت ماء الذهب، فدعا لها بكرسي، فجلست. ثم قال لها: أين البربط الذي كانت تضرب به؟ فأحضر، صم سوته، فغنت:

إلى خالد حتى أنخن بخالد فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

فقال: اعدلي عن هذا إلى غيره، فغنت:

أروح إلى القصاص كل عشية أرجى ثواب الله في عدد الخطا

قال: وأقبل قاص المصر. فقال له خالد: أكانت هذه تروح إليك؟ قال: لا، وما مثلها يروح إلي، قال: خذ بيدها فهي لك، ومولاها بالباب، فسأل عنها فقيل: وهبها للقاص، فتحمل عليه بأشراف الكوفة، فلم يرددها، حتى اشتراها منه بمائتي دينار.

هشام يضيق به ذرعاً فيقرعه: وقال المدائني؛ قال خالد في خطبته: والله ما إمارة العراق مما يشرفني، فبلغ ذلك هشاماً، فغاظه جداً، وكتب إليه: بلغني يا بن النصرانية أنك تقول: إن إمارة العراق ليست مما يشرفك، صدقت والله، ما شيء يشرفك، وكيف تشرف وأنت دعي إلى بجيلة القبيلة القليلة الذليلة، أما والله إني لأظن أن أول ما يأتيك ضغن من قيس، فيشد يديك إلى عنقك.

هشام ينكل به تنكيلا وقال المدائني: حدثني شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان بن الأهتم قال: لم تزل أفعال خالد به، حتى عزله هشام، وعذبه، وقتل ابنه يزيد بن خالد، فرأيت في رجله شريطاً قد شد به، والصبيان يجرونه، فدخلت إلى هشام يوماً، فحدثته، وأطلت، فتنفس. ثم قال: يا خالد، رب خالد كان أحب إلي قربا، وألذ عندي حديثا منك، قال: يعني خالداً القسري، فانتهزتها، ورجوت أن أشفع له فتكون لي عند خالد يد، فقلت: يا أمير المؤمنين، فما يمنعك من استئناف الصنيعة عنده؟ فقد أدبته بما فرط منه، فقال: هيهات، إن خالداً أوجف فأعجف، وأدل فأمل، وأفرط في الإساءة فأفرطنا في المكافأة، فحلم الأديم، ونغل الجرح، وبلغ السيل الزبى والحزام الطبيين، فلم يبق فيه مستصلح، ولا للصنيعة عنده موضع، عد إلى حديثك.

عود إلى تخنثه ودورانه في فلك عمر بن أبي ربيعة فأما أخباره في تخنثه وإرسال عمر بن أبي ربيعة إياه إلى النساء، فأخبرني به علي بن صالح بن الهيثم عن أبي هفان، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثني الزبير بن بكر، قال: حدثني محمد بن الحارث بن سعد السعيدي، عن إبراهيم بن قدامة الحاطبي، عن أبيه، واللفظ لعلي بن صالح في خبره، قالا: قال الحاطبي: أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسك بسنين، فانتظرته في مجلس قومه، حتى إذا تفرق القوم دنوت منه، ومعي صاحب لي، فقال لي صاحبي: هل لك في أن تريغه عن الغزل، فننظر هل بقي منه شيء عنده؟ فقلت له: دونك. فقال: يا أبا الخطاب أحسن والله ريسان العذري - قاتله الله - قال: وفيم أحسن؟ قلت: حيث يقول:

لو جز بالسيف رأسي في مودتها لمال لا شك يهوي نحوها رأسي

فقال: نعم أحسن، فقلت: يا أبا الخطاب، وأحسن والله تحية بن جنادة العذري، قال: في ماذا؟ قلت: حيث يقول:

سرت لعينيك سلمى بعد مغفاها فبت مستوهناً من بعد مسراها

فقلت: أهلاً وسهلاً من هداك لنا إن كنت تمثالها أو كنت إياها

وفي رواية الزبير خاصة:

تأتي الرياح من نحو أرضكم حتى أقول: دنت منا برياها

وقد تراخت بها عنا نوى قذف هيهات مضبحها من بعد ممساها

من حبها أتمنى أن يلاقيني من نحو بلدتها ناع فينعاها

كيما أقول: فراق لا لقاء له وتضمر اليأس نفسي ثم تسلاها

ولو تموت لراعتني وقلت لها: يا بؤس للدهر ليت الدهر أبقاها

ويروى.

...لراعتني منيتها وقلت يا بؤس ليت الدهر أبقاها

فضحك عمر ثم قال: يا ويحه أحسن والله، لقد هيجتما علي ما كان ساكناً مني فلأحدثنكما حديثاً حلواً: بينا أنا أول أعوامي جالس إذا بخالد الخريت قال: مررت بأربع نسوة قبيل، يردن ناحية كذا وكذا من مكة، لم أر مثلهن قط، فيهن هند، فهل لك أن تأتيهن متنكراً فتسمع من حديثهن، ولا يعلمن؟ فقلت: وكيف لي بأن يخفى ذلك؟ قال: تلبس لبسة الأعراب، ثم تقعد على قعود، كأنك تنشد ضالة، فلا يشعرن حتى تهجم عليهن، قال: فجلست على قعود. ثم أتيتهن فسلمت عليهن، فآنسني، وسألني أن أنشدهن، فأنشدتهن لكثير وجميل وغيرهما، وقلن: يا أعرابي، ما أملحك، لو نزلت، فتحدثت معنا يومنا هذا، فإذا أمسيت انصرفت، فأنخت قعودي، وجلست معهن، فحدثتهن، وانشدتهن، فدنت هند، فمدت يدها، فجذبت عمامتي، فألقتها عن رأسي، ثم قالت: تالله لظننت أنك خدعتنا، نحن والله خدعناك، أرسلنا إليك خالداً الخريت في إتياننا بك على أقبح هيئتك، ونحن على أحسن هيئتنا. ثم أخذن بنا في الحديث، فقالت إحداهن: يا سيدي لو رأيتني منذ أيام، وأصبحت عند أهلي، فأدخلت رأسي في جيبي، فنظرت إلى حرى، فرأيته ملء العس والقس فصحت: يا عمراه! فصحت: لبيك لبيك، ولم أزل معهن في أحسن وقت إلى أن أمسينا، فتفرقنا، عن أنعم عيش، فذلك حين أقول:

ألم تعرف الأطلال والمتربعا ببطن حليات دوارس بلقعا

وذكر الأبيات.

انقضت أخبار خالد لعنة الله عليه أبداً.

صوت

أنائل ما رؤيا زعمت رأيتها لنا عجب لو أن رؤياك تصدق

أنائل ما للعيش بعدك لذة ولا مشرب نلقاه إلا مرنق

أنائل إني والذي أنا عبده لقد جعلت نفسي من البين تشفق

لعمرك إن البين منك يشوقني وبعض بعاد البين والنأي أشوق

الشعر لصخر بن الجعد الخضري.

أخبرنا بذلك محمد بن مزيد، عن الزبير بن بكار أن عمه أنشده هذه القصيدة لصخر بن الجعد الخضري، وأنا أذكرها بعقب أخبار صخر. ومن الناس من يروي هذه الأبيات لجميل، ولم يأت ذلك من وجه يصح، والزبير أعلم بأشعار الحجازيين.

والغناء لعريب خفيف ثقيل عن الهشامي، وفيه لابن المكي ثقيل أول بالوسطى عن عمرو.

أخبار صخر بن الجعد ونسبه

نسبه

صخر بن الجعد الخضري، والخضر ولد مالك بن طريف بن محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، وصخر أحد بني جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف، قال: وسمي ولد مالك بن طريف الخضر لسوادهم، وكان مالك شديد الأدمة. وخرج ولده إليه فقيل لهم الخضر، والعرب تسمي الأسود الأخضر.

ابن ميادة يترفع عن مهاجاته وهو شاعر فصيح من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وقد كان يعرض لابن ميادة لما انقضى ما بينه وبين حكم الخضري من المهاجاة، ورام أن يهاجيه، فترفع ابن ميادة عنه.

أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش، عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، عن الزبير بن بكار مجموعاً، وأخبرني بأخبار له متفرقة الحرمي بن أبي العلاء، عن الزبير بن بكار.

وحدثني بها غيرهما من غير رواية الزبير، فذكرت كل شيء من ذلك مفرداً، ونسبته إلى راويه.

قصته مع محبوبته كأس قال الزبير فيما رواه هارون عنه: حدثني من أثق به عن عبد الرحمن بن الأحول بن الجون قال: كان صخر بن الجعد مغرما بكأس بنت بجير بن جندب، وكان يشبب بها، فلقيه أخوها وقاص، وكان شجاعا، فقال له: يا صخر، إنك تشبب بابنة عمك، وشهرتها، ولعمري ما بها عنك مذهب؛ ولا لنا عنك مرغب، فإن كانت لك فيها حاجة فهلم أزوجكها، وإن لم تكن لك فيها حاجة فلا أعلمن ما عرضت لها بذكر، ولا أسمعنه منك. فأقسم بالله لئن فعلت ذلك ليخالطنك سيفي، فقال له: بل والله إن لي لأشد الحاجة إليها، فوعده موعداً وخرج صخر لموعده، حتى نزل بأبيات القوم، فنزل منزل الضيف، فقام وقاص فذبح، وجمع

أصحابه. وأبطأ صخر عنهم، فلما رأى ذلك وقاص بعث إليه: أن هلم لحاجتك، فأبطأ، ورجع الرسول فقال مثل قوله، فغضب. وعمد إلى رجل من الحي ليس يعدل بصخر، يقال له حصن، وهو مغضب لما صنع، فحمد الله وأثنى عليه، وزوجه كأس، وافترق القوم، ومروا بصخر، فأعلموه تزويج كأس بحصن، فرحل عنهم من تحت الليل، واندفع يهجوها بالأبيات التي قذفها فيها فيما قذفها، وذلك قوله حين يقول:

وأنكحها حصناً ليطمس حملها وقد حملت من قبل حصن وجرت

أي زادت على تسعة أشهر، قال: وترافع القوم إلى المدينة، وأميرها يومئذ طارق مولى عثمان، قال: فتنازعوا إليه ومعهم يومئذ رجل يقال له حزم، وكان من أشد الناس على صخر شراً. قال: وفيه يقول صخر:

كفى حزناً لو يعلم الناس أنني أدافع كأساً عند أبواب طارق

أتنسين أياماً لنا بسسويقة وأيامنا بالجزع جزع الخلائق

ليالي لا نخشى انصداعاً من الهوى وأيام حزم عندنا غير لائق

إذا قلت لا تفشي حديثي تعجرفت زياداً لودها هنا غير صادق

قال: فأقاموا عليه البينة بقذف كأس، فضرب الحد، وعاد إلى قومه، وأسف على ما فاته من تزويج كأس، فطفق يقول فيها الشعر.

مطولته في كأس قال الزبير: فأنشدني عمي وغيره لصخر قوله:

لقد عاود النفس الشقية عيدها نعم إنه قد عاد نحساً سعودها

وعاوده من حب كأس ضمانة على النأي كانت هيضة تستقيدها

وأنى ترجيها وأصبح وصلها ضعيفا وأمست همه لا يكيدها

وقد مر عصر وهي لا تستزيدني لما استودعت عندي ولا أستزيدها

فمازلت حتى زلت النعل زلة برجلك في زوراء وعث صعودها

ألا قل لكأس إن عرضت لبيتها فأين بكا عيني وأين قصيدها؟

لعل البكا يا كأس إن نفع البكا يقرب دنيانا لنا فيعيدها

وكانت تناهت لوعة الود بيننا فقد أصبحت يبساً وأذبل عودها

ويروى: وقد ذاء عودها يقال: ذبل وذأى وذوى بمعنى واحد.

ليالي ذات الرمس لازال هيجها جنوبا ولا زالت سحاب تجودها

وعيش لنا في الدهر إذ كان قلبه يطيب لديه بخل كأس وجودها

تذكرت كأساً إذ سمعت حمامة بكت في ذرا نخل طوال جريدها

دعت ساق حر فاستجبت لصوتها مولهة لم يبق إلا شريدها

فيا نفس صبراً كل أسباب واصل ستنمي لها أسباب هجر تبيدها

قال أبو الحسن الأخفش: ستنمي لها أسباب صرم تبيدها أجود.

وليل بدت للعين نار كأنها سنا كوكب للمستبين خمودها

فقلت: عساها نار كأس وعلها تشكى فأمضي نحوها وأعودها

فتسمع قولي قبل حتف يصيدني تسر به أو قبل حتف يصيدها

كأن لم نكن يا كأس إلفى مودة إذ الناس والأيام ترعى عهودها

من شعره في تجواله أخبرني عبد الله بن مالك النحوي، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: لما ضرب صخر بن الجعد الحد لكأس، وصارت إلى زوجها ندم على ما فرط منه، واستحيا من الناس للحد الذي ضربه، فلحق بالشام، فطالت غيبته بها، ثم عاد فمر بنخل كان لأهله ولأهل كأس، فباعوه، وانتقلوا إلى الشام، فمر بها صخر ورأى المبتاعين لها يصرمونها، فبكى عند ذلك بكاء شديداً، وأنشأ يقول:

مررت على خيمات كأس فأسبلت مدامع عيني والرياح تميلها

وفي دارهم قوم سواهم فأسبلت دموع من الأجفان فاض مسيلها

كذاك الليالي ليس فيها بسالم صديق ولا يبقى عليها خليلها

وقال وهو بالشام:

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا عن العهد أم أمسى على حاله نجدُ؟

وعهدي بنجد منذ عشرين حجة ونحن بدنيا ثم لم نلقها بعد

به الخوصة الدهماء تحت ظلالها رياض بها الحوذان والنفل الجعد

قال: ومر على غدير كانت كأس تشرب منه ويحضره أهلها ويجتمعون عليه، فوقف طويلاً عليه يبكي وكان يقال لذلك الغدير جنان فقال صخر:

بليت كما يبلى الرداء ولا أرى جناناً ولا أكناف ذروة تخلق

ألوى حيازيمي بهن صبابة كما تتلوى الحية المتشرق

تموت كأس فيرثيها أخبرني عبد الله بن مالك، عن محمد بن حبيب، قال: قال السعيدي: حدثني سبرة مولى يزيد بن العوام، قال:

كان صخر بن الجعد المحاربي خدنا لعوام بن عقبة، وكان عوام يهوى امرأة من قومه، يقال لها: سوداء، فماتت، فرثاها، فلما سمع صخر بن الجعد المرثية، قال: وددت أن أعيش حتى تموت كأس، فأرثيها، فماتت كأس، فقال:

على أم داود السلام ورحمة ... من الله يجري كل يوم بشيرها

غداة غدا الغادون عنها وغودرت ... بلماعة القيعان يستن موردها

وغيبت عنها يوم ذاك وليتني ... شهدت فيحوى منكبي سريرها

ويروى: فيعلو منكبي.

نزت كبدي لما أتاني نعيها ... فقلت: أدان صدعها فمطيرها؟

أمير المؤمنين يسأل عن قائل شعره أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثني الزبير، قال: حدثني خالد بن الوضاح قال: قال عبد الأعلى بن عبيد بن محمد بن صفوان الجمحي لعبد الله بن مصعب: سألني أمير المؤمنين اليوم في موكبه: من الذي يقول:

ألا يا كأس قد أفنيت شعري ... فلست بقائل إلا رجيعا؟

ولم أدر لمن الشعر؟ فقال عبد الله بن مصعب: هو لصخر الخضري، وأنشد باقي الأبيات، وهي:

ترجية أن تلاقي آل كأس ... كما يرجو أخو السنة الربيعا

فلست بنائم إلا بحزن ... ولا مستيقظا إلا مروعا

فإنك لو نظرت إذا التقينا ... إلى كبدي رأيت بها صدوعا

من شعره حينما ندم على عدم زواجها قال ابن حبيب في رواية عبد الله بن مالك: لما زوجت كأس جزع صخر بن الجعد لما فرط منه وندم وأسف، وقال في ذلك:

هنيئاً لكأس قطعها الحبل بعدما ... عقدنا لكأس موثقاً لا نخونها

وإسماتها الأعداء لما تألبوا ... حوالي واشتدت علي ضغونها

فإن حراماً أن أخونك ما دعا ... بيليل قمري الحمام وجونها

وقد أيقنت نفسي لقد حيل دونها ... ودونك لو يأتي بيأس يقينها

ولكن أبت لا تستفيق ولا ترى ... عزاء ولا مجلود صبر يعينها

لو أنا إذ الدنيا لنا مطمئنة ... دحا ظلها ثم ارجحنت غصونها

لهونا ولكنا بغرة عيشنا ... عجبنا لدنيانا فكدنا نعينها

وكنا إذا نحن التقينا وما نرى ... لعينين إلا من حجاب يصونها

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وأوساطها حتى تمل فنونها

تراه كأس في النوم قال ابن حبيب: أرسلت كأس بعد أن زوجت إلى صخر بن الجعد تخبره أنها رأته فيما يرى النائم: كأنه يلبسها خماراً، وأن ذلك جدد لها شوقاً إليه وصبابة، فقال صخر:

أنائل ما رؤيا زعمت رأيتها لنا عجب لو أن رؤياك تصدق

أنائل لولا الود ما كان بيننا نضاً مثل ما ينضو الخضاب فيخلق

يشتري نسيئة ثم يهرب من البائع أخبرنا حبيب بن نصر، قال: حدثنا عبد الله بن شبيب، قال: حدثني محمد بن عبد الله البكري، قال: قدم صخر بن الجعد الخضري المدينة، فأتى تاجراً من تجارها، يقال له سيار فابتاع منه براً وعطراً، وقال: تأتينا غدوة فأقضيك، وركب من تحت ليلته، فخرج إلى البادية، فلما أصبح سيار سأل عنه؛ فعرف خبره، فركب في جماعة من أصحابه في طلبه، حتى أتوا بئر مطلب، وهي على سبعة أميال من المدينة، وقد جهدوا من الحر، فنزلوا عليها، فأكلوا تمراً كان معهم، وأراحوا دوابهم وسقوها، حتى إذا برد النهار انصرفوا راجعين، وبلغ الخبر صخر بن الجعد، فقال:

أهون علي بسيار وصفوته إذا جعلت صراراً دون سيار

إن القضاء سيأتي دونه زمن فاطو الصحيفة واحفظها من العار

يسائل الناس هل أحسنتم جلباً محاربيا أتى من نحو أظفار

وما جلبت إليهم غير راحلة وغير رحل وسيف جفنة عار

وما أريت لهم إلا لأدفعهم عني ويخرجني نقضي وإمراري

حتى استغاثوا بأروى بئر مطلب وقد تحرق منهم كل تمار

وقال أولهم نصحاً لآخرهم: ألا ارجعوا واتركوا الأعراب في النار

جاريته تخدعه

أخبرني عبد الله بن مالك، عن محمد بن حبيب، قال: حدثنا ابن الأعرابي، قال: كان الجعد المحاربي أبو صخر بن الجعد قد عمر حتى خرف، وكان يكنى أبا الصموت؛ وكانت له وليدة يقال لها سمحاء، فقالت له يوماً: يا أبا الصموت، زعم بنوك أنك إن مت قتلوني، قال: ولم؟ قالت: مالي إليهم ذنب غير حبي لك، فأعتقها على أن تكون معه، فمكثت يسيراً، ثم قالت له: يا أبا الصموت، هذا عرابة من أهل المعدن يخطبني، قال: أين هذا مما قلت لي؟ قالت: إنه ذو مال، وإنما أردت ماله لك، قال: فأتني به، فأتته فزوجه إياها، فولدت له أولاداً، وقوته بما كانت تصيبه من الجعد، وكانت تأتي الجعد في أيام، فتخضب رأسه، ثم قطعته، فأنشأ الجعد يقول:

أمسى عرابة ذا مال وذا ولد من مال جعد وجعد غير محمود

تظل تنشقه الكافور متكئاً على السرير وتعطيني على العود

من قوله لامرأته قال والجعد هو القائل لامرأته:

تعالجني أم الصموت كأنما تداوي حصاناً أوهن العظم كاسره

فلا تعجبي أم الصموت فإنه لكل جواد معثر هو عاثره

وقد كنت أصطاد الظباء موطئاً وأضرب رأس القرن والرمح شاجره

فأصبحت مثل العش طارت فراخه وغودر في رأس الهشيمة سائره

أولاده يرثونه حيا فلما كبر حمله بنوه، فأتوا به مكة، وقالوا له: تعبد هاهنا، ثم اقتسموا المال، وتركوا له منه ما يصلحه، فقال:

ألا أبلغ بني جعد رسولا وإن حالت جبال الغور دوني

فلم أر معشراً تركوا أباهم من الآفاق حيث تركتموني

فإني والروافض حول جمع ومحطمهن من حصبا الحجون

لو أني ذو مدافعة وحولي كما قد كنت أحياناً كموني

إذا لمنعتكم مالي ونفسي بنصل السيف أو لقتلتموني

يعيا وعبده حاضر البديهة وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن عثمان البكري، عن عروة بن زيد الخضري، عن أبيه، قال: كنت في ركب فيهم صخر بن الجعد، ودرن مولى الخضريين معنا، ونحن نريد خيبر، فنزلنا منزلاً تعشينا فيه، فهيجنا إبل صخر، فلما ركبنا ساق بنا واندفع يرجز، ويقول:

لقد بعثت حاديا قراصفا

فردّده قطعاً من الليل لا ينفده، ولا يقول غيره، ثم قال لنا: إني نسيت عقالا، فرجع يطلبه في المتعشى، ونزل درن يسوق بالقوم، فارتجز درن ببيت صخر، وقال:

لقد بعثت حادياً قراصفا من منزل رحلت عنه آنفا

يسوق خوصاً رجفاً حواجفا مثل القسي تقذف المقاذفا

حتى ترى الرباعي العتارفا من شدة السير يزجى واجفا

قال: فأدركه صخر، وهو في ذلك، فقال له: يا بن الخبيثة أتجترىء على أن تنفذ بيتا أعياني؟ فقاتله، فضربه، حتى نزلنا، ففرقنا بينهما.

صوت

إذا سرها أمر وفيه مساءتي قضيت لها فيما تحب على نفسي

وما مر يوم أرتجي منه راحة فأذكره إلا بكيت على أمسي

الشعر لأبي حفص الشطرنجي، والغناء لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن عمرو.

أخبار أبي حفص الشطرنجي ونسبه

نشأته أبو حفص: عمر بن عبد العزيز، مولى بني العباس، وكان أبوه من موالي المنصور فيما يقال، وكان اسمه اسماً أعجمياً، فلما نشأ أبو حفص وتأدب، غيره وسماه عبد العزيز.

أخبرني بذلك عمي، عن أحمد بن الطيب، عن جاعة من موالي المهدي.

ونشأ أبو حفص في دار المهدي ومع أولاد مواليه، وكان كأحدهم، وتأدب، وكان لاعباً بالشطرنج مشغوفاً به، فلقب به لغلبته عليه.

إنقطاعه إلى علية بنت المهدي فلما مات المهدي انقطع إلى علية، وخرج معها لما زوجت، وعاد معها لما عادت إلى القصر، وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأمور بينها وبين إخوتها وبني أخيها من الخفاء، فتنتحل بعض ذلك، وتترك بعضه، ومما ينسب إليها من شعره ولها فيه غناء، وقد ذكرنا ذلك في أغانيها وأخبارها:

تحبب فإن الحب داعية الحب

وهو صوت مشهور لها.

يخلعون عليه أحب الأوصاف

حدثني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثني أحمد بن الطيب السرخسي قال: حدثني الكندي، عن محمد ابن الجهم البرمكي، قال: رأيت أبا حفص الشطرنجي الشاعر، فرأيت منه إنساناً يلهيك حضوره عن كل غائب وتسليك مجالسته عن هموم المصائب، قربه عرس، وحديثه أنس، جده لعب، ولعبه جد، دين ماجد، إن لبسته على ظاهره لبست مرموقا لا تمله، وإن تتبعته لتستبطن خبرته وقفت على مؤوة لا تطير الفواحش بجنباتها، وكان فيما علمته أقل ما فيه الشعر، وهو الذي يقول: صوت

تحبب فإن الحب داعية الحب وكم من بعيد الدار مستوجب القرب

إذا لم يكن في الحب عتب ولا رضاً فأين حلاوات الرسائل والكتب؟

تفكر فإن حدثت أن أخا هوى نجا سالماً فارج النجاة من الكرب

وأطيب أيام الهوى يومك الذي تورع بالتحريش فيه وبالعتب

قال: وفي هذه الأبيات غناء لعلية بنت المهدي، وكانت تأمره أن يقول الشعر في المعاني التي تريدها، فيقولها، وتغني فيها.

قال: وأنشدني لأبي حفص أيضاً.

صوت

عرضن للذي تحب بحب ... ثم دعه يروضه إبليس

فلعل الزمان يدنيك منه ... إن هذا الهوى جليل نفيس

صابر الحب لا يصرفك فيه ... من حبيب تجهم وعبوس

وأقل اللجاج واصبر على الجه ... د فإن الهوى نعيم وبوس

في هذه الأبيات للمسدود هزج ذكره لي جحظة وغيره عنه.

وأما قوله:

تحبب فإن الحب داعية الحب

فقد مضت نسبته في أخبار علية.

مساجلة بينه وبين الرشيد على لسان ماردة أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أبو العباس الكاتب قال: كان الرشيد يحب ماردة جاريته، وكان خلفها بالرقة، فلما قدم إلى مدينة السلام اشتاقها، فكتب إليها: صوت

سلام على النازح المغترب ... تحية صب به مكتئب

غزال مراتعه بالبليخ ... إلى دير زكي فقصر الخشب

أيا من أعان على نفسه ... بتخليفه طائعاً من أحب

سأستر والستر من شيمتي ... هوى من أحب بمن لا أحب

فلما ورد كتابه عليها أمرت أبا حفص الشطرنجي صاحب علية، فأجاب الرشيد عنها بهذه الأبيات، فقال:

أتاني كتابك يا سيدي ... وفيه العجائب كل العجب

أتزعم أنك لي عاشق ... وأنك بي مستهام وصب

فلو كان هذا كذا لم تكن ... لتتركني نهزة للكرب

وأنت ببغداد ترعى بها ... نبات اللذاذة مع من تحب

فيا من جفاني ولم أجفه ... ويا من شجاني بما في الكتب

كتابك قد زادني صبوة ... وأسعر قلبي بحر اللهب

فهبني نعم قد كتمت الهوى فكيف بكتمان دمع سرب

ولولا اتقاؤك يا سيدي لوافتك بي الناجيات النجب

فلما قرأ الرشيد كتابها أنفذ من وقته خادماً على البريد، حتى حدرها إلى بغداد في الفرات، وأمر المغنين جميعاً، فغنوا في شعره.

قال الأصبهاني: فممن غنى فيه إبراهيم الموصلي؛ غنى فيه لحنين، أحدهما ماخوري، والآخر ثاني ثقيل عن الهشامي. وغنى يحيى بن سعد بن بكر بن صغير العين فيه رملا. ولابن جامع فيه رمل بالنبصر، ولفليح بن العوراء ثاني ثقيل بالوسطى، وللمعلي خفيف رمل بالوسطى، ولحسين بن محرز هزج بالوسطى، ولأبي زكار الأعمى هزج بالبنصر، هذه الحكايات كلها عن الهشامي، وقال: كان المختار من هذه الألحان كلها عند الرشيد الذي اشتهاه منها وارتضاه لحن سليم.

يصلح بين الرشيد وعلية بأبياته أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب، قال: حدثني محمد بن يزيد النحوي، قال: حدثني جماعة من كتاب السلطان: أن الرشيد غضب على علية بنت المهدي، فأمرت أبا حفص الشطرنجي شاعرها أن يقول شعراً يعتذر فيه عنها إلى الرشيد، ويسأله الرضا عنها، فيستعطفه لها فقال: صوت

لو كان يمنع حسن العقل صاحبه من أن يكون له ذنب إلى أحد

كانت علية أبرا الناس كلهم من أن تكافا بسوء آخر الأبد

مالي إذا غبت لم أذكر بواحدة وإن سقمت فطال السقم لم أعد

ما أعجب الشيء ترجوه فتحرمه قد كنت أحسب أني قد ملأت يدي

فأتاها بالأبيات، فاستحسنتها، وغنت فيها، وألقت الغناء على جماعة من جواري الرشيد، فغنينه إياه في أول مجلس جلس فيه معهن، فطرب طرباً شديداً، وسألهن عن القصة، فأخبرنه بها، فبعث إليها، فحضرت، فقبل رأسها، واعتذرت، فقبل عذرها، وسألها إعادة الصوت، فأعادته عليه، فبكى، وقال: لا جرم أني لا أغضب أبداً عليك ما عشت.

بيتان في دنانير بمائتي دينار حدثني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا الحسين بن يحيى، عن عمرو بن بانة، قال: دخل أبو حفص الشطرنجي على يحيى بن خالد، وعنده ابن جامع، وهو يلقي على دنانير صوتاً أمره يحيى بإلقائه عليها، وقال لأبي حفص: قل في دنانير بيتين يغني فيهما ابن جامع، ولك بكل بيت مائة دينار إن جاءت كما أريد، فقال أبو حفص: صوت

أشبهك المسك وأشبهته قائمة في لونه قاعده

لا شك إذ لونكما واحد أنكما من طينة واحدة

قال: فأمر له يحيى بمائة دينار، وغنى فيهما ابن جامع.

قال الأصبهاني: لحن ابن جامع في هذين البيتين هزج.

صديق حميم لأسرة الخليفة أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان أبو حفص الشطرنجي ينادم أبا عيسى بن الرشيد، ويقول له الشعر، فينتحله، ويفعل مثل ذلك بأخيه صالح وأخته، وكذلك بعلية عمتهم، وكان بنو الرشيد جميعاً يزورونه ويأنسون به، فمرض، فعادوه جميعاً سوى أبي عيسى فكتب إليه: يعاتب ابن الرشيد لأنه لم يعده في مرضه

إخاء أبي عيسى إخاء ابن ضرة ... وودي ود لابن أم ووالد

ألم يأته أن التأدب نسبة ... تلاصق أهواء الرجال الأباعد

فما باله مستعذباً من جفائنا ... موارد لم تعذب لنا من موارد

أقمت ثلاثاً حلف حمى مضرة ... فلم أره في أهل ودي وعائدي

سلام هي الدنيا قروض وإنما ... أخوك مديم الوصل عند الشدائد

بيتان ليسا له حدثني جعفر بن الحسين، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: حدثنا أبي عن أبي حفص الشطرنجي: قال: قال لي الرشيد يوماً: يا حبيبي، لقد أحسنت ما شئت في بيتين قلتهما، قلت: ما هما يا سيدي؟ فمن شرفهما استحسانك لهما، فقال: قولك: صوت

لم ألق ذا شجن يبوح بحبه ... إلا حسبتك ذلك المحبوبا

حذراً عليك وإنني بك واثق ... ألا ينال سواي منك نصيبا

فقلت: يا أمير المؤمنين، ليسا لي، هما للعباس بن الأحنف، فقال: صدقك والله أعجب إلي، وأحسن منهما بيتاك حيث تقول:

إذا سرها أمر وفيه مساءتي ... قضيت لها فيما تريد على نفسي

وما مر يوم أرتجي فيه راحة ... فأذكره إلا بكيت على أمسي

في البيتين الأولين اللذين للعباس بن الأحنف ثقيل لإبراهيم الموصلي، وفيهما لابن جامع رمل عن الهشامي، الروايتان جميعاً لعبد الرحمن، وفي أبيات أبي حفص الأخيرة لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس.

ينعي نفسه قبل أن يموت أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني الحسين بن يحيى، قال: حدثني عبد الله بن الفضل، قال: دخلت على أبي حفص الشطرنجي شاعر علية بنت المهدي أعوده في علته التي مات فيها، قال: فجلست عنده فأنشدني لنفسه: صوت

نعى لك ظل الشباب المشيب ... ونادتك باسم سواك الخطوب

فكن مستعداً لداعي الفناء فإن الذي هو آت قريب
ألسنا نرى شهوات النفو س تفنى وتبقى عليها الذنوب
وقبلك داوى المريض الطبيب فعاش المريض ومات الطبيب
يخاف على نفسه من يتوب فكيف ترى حال من لا يتوب؟

غنى في الأول والثاني إبراهيم هزجا.

انقضت أخباره.

صوت

أبى ليلي أن يذهب ونيط الطرف بالكوكب
ونجم دونه النسرا ن بين الدلو والعقرب
وهذا الصبح لا يأتي ولا يدنو ولا يقرب

الشعر لأميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف، والغناء لإسحاق هزج بالوسطى.

تسرق لحن إسحاق وهو سكران أخبرنا محمد بن يحيى ومحمد بن جعفر النحوي، قالا: حدثنا محمد بن حماد، قال: التقيت مع دمن جارية إسحاق بن إبراهيم الموصلي يوماً، فقلت لها: أسمعيني شيئاً أخذته من إسحاق، فقالت: والله ما أحد من جواريه أخذ منه صوتا قط ولا ألقى علينا شيئاً قط وإنما كان يأمر من أخذ منه من الرجال مثل مخارق وعلويه ووجه القرعة الخزاعي وجواري الحارث بن بسخنر أن يلقوا علينا ما يختارون من أغانيهم، وأما عنه فما أخذت شيئاً قط إلا ليلة، فإنه انصرف من عند المعتصم، وهو سكران، فقال للخادم القيم على حرمه: جئني بدمن، فجاءني الخادم، فدعاني، فخرجت معه، فإذا هو في البيت الذي ينام فيه، وهو يصنع في هذا الشعر:

أبى ليلي أن يذهب ونيط الطرف بالكوكب

وهو يتزايد فيه، ويقومه، حتى استوى له، ثم قام إلى عود مصلح معلق كان يكون في بيت منامه، فأخذه، فغنى الصوت، حتى صح له، واستقام عليه، وأخذته عنه، فلما فرغ منه قال: أين دمن؟ فقلت: هو ذا أنا هاهنا، فارتاع، وقال: مذكم أنت هاهنا؟ قلت: مذ بدأت بالصوت وقد أخذته بغير حمدك، فقال: خذي العود، فغنيه، فأخذته، فغنيته، حتى فرغت منه، وهو يكاد أن يتميز غيظاً، ثم قال: قد بقي عليك فيه شيء كثير، وأنا أصلحه لك، فقلت: أنا مستغنية عن إصلاحك، فألحه لنفسك، فاضطجع في فراشه ونام، وانصرفت، فمكث أياما إذا

رآني قطب وجهه.

وهذا الشعر تقوله أميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ترثي به من قتل في حروب الفجار من قريش.

ذكر الخبر في حروب الفجار وحروب عكاظ

ونسب أميمة بنت عبد شمس

نسب أميمة

أميمة بنت عبد شمي بن عبد مناف، وأمها تفخر بنت عبيد بن رواس بن كلاب، وكانت عند حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان السلمي، فولدت له أمية بن حارثة.

وكانت هذه الحرب بين قريش وقيس عيلان في أربعة أعوام متواليات، و لم يكن لقريش في أولها مدخل، ثم التحقت بها.

فأما الفجار الأول فكانت الحرب فيه ثلاثة أيام، و لم تسم باسم لشهرتها.

وأما الفجار الثاني فإنه كان أعظمهما؛ لأنهم استحلوا فيه الحرم، وكانت أيامه يوم نخلة، وهو الذي لم يشهده رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، وشهد سائرها، وكان الرساء فيه حرب بن أمية في القلب، وعبد الله بن جدعان، وهشام بن المغيرة في المجنبتين ثم يوم شمطة، ثم يوم العبلاء، ثم يوم عكاظ، ثم يوم الحرة.

الشرارة الأولى في حرب الفجار قال أبو عبيدة: كان أول أمر الفجار أن بدر بن معشر الغفاري أحد بني غفار بن مالك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان رجلاً منيعاً مستطيلاً بمنعته على من ورد عكاظ، فاتخذ مجلسا بسوق عكاظ، وقعد فيه وجلع يبذخ على الناس ويقول:

نحن بنو مدركة بن خندف ... من يطعنوا في عينه لا يطرف

ومن يكونوا قومه يغطرف ... كأنهم لجة بحر مسدف

وبدر بن معشر باسط رجليه يقول: أنا أعز العرب، فمن زعم أنه أعز مني فليضرب هذه بالسيف، فهو أعز مني، فوثب رجل من بني نصر بن معاوية، يقال له الأحمر، بمازن بن أوس بن النابغة، فضربه بالسيف على ركبته، فأندرها، ثم قال: خذها إليك أيها المخندف، وهو ماسك سيفه، وقام أيضاً رجل من هوازن، فقال:

أنا ابن همدان ذوي التغطرف ... بحر بحور زاخر لم ينزف

نحن ضربنا ركبة المخندف ... إذ مدها في أشهر المعرف

وفي هذه الضربة أشعار لقيس كثيرة لا معنى لذكرها.

اليوم الثاني من أيام الفجار الأول

ثم كان اليوم الثاني من أيام الفجار الأول، وكان السبب في ذلك أن شبابا من قريش وبني كنانة كانوا ذوي

غرام، فرأوا امرأة من بني عامر جميلة وسيمة، وهي جالسة بسوق عكاظ في درع وهي فضل عليها برقع لها، وقد اكتنفها شباب من العرب، وهي تحدثهم، فجاء الشباب من بني كنانة وقريش، فأطافوا بها، وسألوها أن تسفر، فأبت، فقام أحدهم، فجلس خلفها، وحل طرف ردائها، وشده إلى فوق حجزتها بشوكة، وهي لا تعلم، فلما قامت أنكشف درعها عن دبرها، فضحكوا، وقالوا: منعتنا النظر إلى وجهك، وجدت لنا بالنظر إلى دبرك، فنادت: يا آل عامر! فثاروا، وحملوا السلاح، وحملته كنانة، واقتتلوا قتالاً شديداً، ووقعت بينهم دماء، فتوسط حرب بن أمية، واحتمل دماء القوم، وأرضى بني عامر من مثلة صاحبتهم.

اليوم الثالث من أيام الفجار الأول ثم كان اليوم الثالث من الفجار الأول، وكان سببه أنه كان لرجل من بني جشم بن بكر بن هوازن دين على رجل من بني كنانة فلواه به، وطال اقتضاؤه إياه، فلم يعطه شيئاً، فلما أعياه، وافاه الجشمي في سوق عكاظ بقرد، ثم جعل ينادي: من يبيعني مثل هذا لارباح بما لي على فلان بن فلان الكناني؟ من يعطيني مثل هذا بما لي على فلان بن فلان الكناني؟ رافعاً صوته بذلك، فلما طال نداؤه بذلك وتعييره به كنانة مر به رجل منهم، فضرب القرد بسيفه، فقتله، فهتف به الجشمي: يا آل هوازن، وهتف الكناني: يا آل كنانة، فتجمع الحيان فاقتتلوا، حتى تحاجزوا، ولم يكن بينهم قتلى، ثم كفوا، وقالوا: أفي رباح تريقون دماءكم، وتقتلون أنفسكم؟ وحمل ابن جدعان ذلك في ماله بين الفريقين.

اليوم الأول من أيام الفجار الثاني قال: ثم كان يوم الفجار الثاني، وأول يوم حروبه يوم نخلة، وبينه وبين مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ست وعشرون سنة، وشهد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم مع قومه، لوه أربع عشرة سنة، وكان يناول عمومته النبل، هذا قول أبي عبيدة. وقال غيره: بل شهدها، وهو ابن ثمان وعشرين سنة.

قال أبو عبيدة: كان الذي هاج هذه الحرب يوم الفجار الآخر، أن البراض بن قيس بن رافع، أحد بني ضمرة ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان سكيراً فاسقاً، خلعه قومه، وتبرءوا منه فشرب في بني الديل، فخلعوه، فأتى مكة، وأتى قريشاً، فنزل على حرب بن أمية، فحالفه فأحسن حرب جواره، وشرب بمكة، حتى هم حرب أن يخلعه، فقال لحرب: إنه لم يبق أحد، ممن يعرفني إلا خلعني سواك، وإنك إن خلعتني لم ينظر إلي أحد بعدك، فدعني على حلفك، وأنا خارج عنك، فتركه. وخرج، فلحق بالنعمان بن المنذر بالحيرة.

من يجيز لطيمة النعمان وكان النعمان يبعث إلى سوق عكاظ في وقتها بلطيمة يجيزها له سيد مضر، فتباع، ويشترى له بثمنها الأدم والحرير والوكاء والحذاء والبرود من العصب والوشي والمسير والعدني، وكانت سوق عكاظ في أول ذي القعدة، فلا تزال قائمة يباع فيها ويشترى إلى حضور الحج، وكان قيامها فيما بين النخلة والطائف عشرة أميال، وبها نخل وأموال لثقيف، فجهز النعمان لطيمة له، وقال: من يجيزها فقال البراض: أنا أجيزها على بني كنانة، فقال النعمان: إنما أريد رجلاً يجيزها على أهل نجد، فقال عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب، وهو يومئذ رجل من هوازن: أنا أجيزها - أبيت اللعن - فقال له البراض: من بني كنانة تجيزها يا

عروة؟ قال: نعم، وعلى الناس جميعاً أفكلب خليع يجيزها!.

قال: ثم شخص بها، وشخص البراض، وعروة يرى مكانه، لا يخشاه على ما صنع، حتى إذا كان بين ظهري غطفان إلى جانب فدك، بأرض يقال لها أوارة قريب من الوادي الذي يقال له تيمن نام عروة في ظل شجرة، ووجد البراض غفلته، فقتله وهرب في عضاريط الركاب، فاستاق الركاب، وقال البراض في ذلك:

وداهية يهال الناس منها ... شددت لها بني بكر ضلوعي

هتكت بها بيوت بني كلاب ... وأرضعت الموالي بالضروع

جمعت لها يدي بنصل سيف ... أفل فخر كالجذع الصريع

وقال أيضاً في ذلك:

نقمت على المرء الكلابي فخره ... وكنت قديماً لا أقر فخارا

علوت بحد السيف مفرق رأسه ... فأسمع أهل الواديين خوارا

قال: وأم عروة الرحال نفيرة بنت أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة، فقال لبيد بن ربيعة يحض على الطلب بدمه:

فأبلغ إن عرضت بني نمير ... وأخوال القتيل بني هلال

بأن الوافد الرحال أضحى ... مقيما عند تيمن ذي الظلال

قال أبو عبيدة: فحدثني أبو عمرو بن العلاء، قال: لقي البراض بشر بن أبي خازم، فقال له: هذه القلانص لك على أن تأتي حرب بن أمية وعبد الله بن جدعان وهشاماً والوليد ابني المغيرة، فتخبرهم أن البراض قتل عروة، فإني أخاف أن يسبق الخبر إلى قيس أن يكتموه. حتى يقتلوا به رجلاً من قومك عظيما. فقال له: وما يؤمنك أن تكون أنت ذلك القتيل؟ قال: إن هوازن لا ترضى أن تقتل بسيدها رجلاً خليعاً طريداً من بني ضمرة، قال: ومر بهما الحليس بن يزيد أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وهو يومئذ سيد الأحابيش من بني كنانة والأحابيش من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهو نفاثة بن الديل، وبنو لحيان من خزاعة، والقارة، وهو أثيع ابن الهون بن خزيمة، وعضل بن دمس بن محلم بن عائذ بن أثيع بن الهون كانوا تحالفوا على سائر بني بكر بن عبد مناة، فقال لهم الحليس: مالي أراكم نجياً؟ فأخبروه الخبر، ثم ارتحلوا، وكتموا الخبر على اتفاق منهم.

وفاء ابن جدعان قال: وكانت العرب إذا قدمت عكاظ دفعت أسلحتها إلى ابن جدعان، حتى يفرغوا من أسواقهم وحجهم ثم يردها عليهم إذا ظعنوا، وكان سيداً حكيماً مثرياً من المال. فجاءه القوم، فأخبروه خبر البراض وقتله عروة، وأخبروا حرب بن أمية وهشاما والوليد ابني المغيرة، فجاء حرب إلى عبد الله بن جدعان، فقال له: احتبس قبلك سلاح هوازن، فقال له ابن جدعان: أبالغدر تأمرني يا حرب؟ والله لو أعلم أنه لا يبقى منها سيف إلا ضربت به، ولا رمح إلا طعنت به ما أمسكت منها شيئاً، ولكن لكم مائة درع، ومائة رمح،

ومائة سيف في مالي تستعينون بها، ثم صاح ابن جدعان في الناس: من كان له قبلي سلاح فليأت، وليأخذه، فأخذ الناس أسلحتهم.

يخدعون هوازن فلا تجدي الخديعة وبعث ابن جدعان وحرب بن أمية وهشام والوليد إلى أبي براء: إنه قد كان بعد خروجنا حرب، وقد خفنا تفاقم الأمر، فلا تنكروا خروجنا، وساروا راجعين إلى مكة، فلما كان آخر النهار بلغ أبا براء قتل البراض عروة، فقال: خدعني حرب وابن جدعان، وركب فيمن حضر عكاظ من هوازن في أثر القوم، فأدركوهم بنخلة، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم، وجن عليهم الليل، فكفوا، ونادى الأدرم بن شعيب، أحد بني عامر بن ربيعة بن صعصعة: يا معشر قريش، ميعاد ما بيننا هذه الليلة من العام المقبل بعكاظ، وكان يومئذ رؤساء قريش حرب بن أمية في القلب، وابن جدعان في إحدى المجنبتين، وهشام بن المغيرة في الأخرى، وكان رؤساء قيس عامر بن مالك، ملاعب الأسنة على بني عامر، وكدام بن عمير على فهم وعدوان، ومسعود بن سهم على ثقيف، وسبيع بن ربيعة النصري على بني نصر بن معاوية، والصمة بن الحارث، وهو أبو دريد بن الصمة على بني جشم، وكانت الراية مع حرب بن أمية، وهي راية قصي التي يقال لها العقاب.

شعر خداش بن زهير في هذه الحرب فقال في ذلك خداش بن زهير:

نيا شدة ما شددنا غير كاذبة ... على سخينة لولا الليل والحرم

إذ يتقينا هشام بالوليد ولو ... أنا ثقفنا هشاماً شالت الخدم

بين الأراك وبين المرج تبطحهم ... زرق الأسنة في أطرافها السهم

فإن سمعتم بجيش سالك سرفاً ... وبطن مر فأخفوا الجرس واكتتموا

عبد الملك يستنشد شعر خداش وزعموا أن عبد الملك بن مروان استنشد رجلاً من قيس هذه الكلمة، فجعل يحيد عن قوله: "سخينة"، فقال عبد الملك: إنا قوم لم يزل يعجبنا السخن، فهات، فلما فرغ قال: يا أخا قيس، ما أرى صاحبك زاد على التمني والاستنشاء.

البراض يقدم باللطيمة قال: وقدم البراض باللطيمة مكة، وكان يأكلها، وكان عامر بن يزيد بن الملوح بن يعمر الكناني نازلا في أخواله من بني نمير بن عامر، وكان ناكحاً فيهم، فهمت بنو كلاب بقتله، فمنعته بنو نمير، ثم شخصوا به حتى نزل في قومه، واستغوت كنانة بني أسد وبني نمير واستغاثوا بهم، فلم تغثهم، و لم يشهد الفجار أحد من هذين الحيين.

اليوم الثاني في الفجار الثاني:

ثم كان اليوم الثاني من الفجار الثاني؛ وهو يوم شمطة، فتجمعت كنانة وقريش بأسرها وبنو عبد مناة، والأحابيش، وأعطت قريش رؤوس القبائل أسلحة تامة وأعطى عبد الله بن جدعان خاصة من ماله مائة رجل من كنانة أسلحة تامة وأداة، وجمعت هوازن، وخرجت، فلم تخرج معهم كلاب ولا كعب، ولا شهد هذان البطنان من أيام الفجار إلا يوم نخلة مع أبي براء عامر بن مالك، وكان القوم جميعاً متساندين، على كل قبيلة سيدهم.

قواد قريش ومن معهم فكان على بني هاشم وبني المطلب ولفهم الزبير بن عبد المطلب، ومعهم النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن بني المطلب - وإن كانوا مع بني هاشم - كان يرأسهم الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ورجل منهم، وهو عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، وأم الزبير الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف، وكان على بني عبد شمس ولفها حرب بن أمية ومعه أخواه أبو سفين وسفيان، ومعهم بنو نوفل بن عبد مناف، يرأسهم بعد حرب مطعم بن عدي بن نوفل، وكان على بني عبد الدار ولفها خويلد بن أسد وعثمان بن الحويرث، وكان على بني زهرة ولفها مخرمة بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة وأخوه صفوان، وكان على بني تيم بن مرة ولفها عبد الله بن جدعان، وعلى بني مخزوم هشام بن المغيرة، وعلى بني سهم العاصي بن وائل، وعلى بني جمح ولفها أمية بن خلف، وعلى بني عدي زيد بن عمرو بن نفيل، والخطاب بن نفيل عمه، وعلى بني عامر بن لؤي عمرو بن عبد شمس بن عبد ود أبو سهل ابن عمرو، وعلى بني الحارث بن فهر عبد الله بن الجراح أبو أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح، وعلى بني بكر بلعاء بن قيس، ومات في تلك الأيام، وكان جثامة بن قيس أخوه مكانه، وعلى الأحابيش الحليس بن يزيد.

قواد هوازن ومن معهم وكانت هوازن متساندين كذلك، وكان عطية بن عفيف النصري على بني نصر بن معاوية، وقيل: بل كان عليهم أبو أسماء بن الضريبة، وكان الخنيسق الجشمي على بني جشم وسعد ابني بكر، وكان وهب بن معتب على ثقيف، ومعه أخوه مسعود، وكان على بني عامر بن ربيعة وحلفائهم من بني جسر بن محارب سلمة ابن إسماعيل: أحد بني البكاء، ومعه خالد بن هوذة: أحد بني الحارث بن ربيعة، وعلى بني هلال بن عامر بن صعصعة ربيعة بن أبي ظبيان بن ربيعة بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر.

هوازن تسبق قريشاً وترجح كفتها قال: فسبقت هوازن قريشا، فنزلت شمطة من عكاظ، وظنوا أن كنانة لم توافهم، وأقبلت قريش، فنزلت من دون المسيل، وجعل حرب بني كنانة في بطن الوادي، وقال لهم: لا تبرحوا مكانكم، ولو أبيحت قريش، فكانت هوازن من وراء المسيل.

قال أبو عبيدة: فحدثني أبو عمرو بن العلاء: قال: كان ابن جدعان في إحدى المجنبتين، وفي الأخرى هشام بن المغيرة، وحرب في القلب، وكانت الدائرة في أول النهار لكنانة، فلما كان آخر النهار تداعت هوازن، وصبروا واستحر القتل في قريش، فلما رأى ذلك بنو الحارث بن كنانة - وهم في بطن الوادي - مالوا إلى قريش، وتركوا مكانهم، فلما استحر القتل بهم قال أبو مساحق بلعاء بن قيس لقومه: ألحقوا برخم - وهو جبل - ففعلوا، وانهزم الناس.

الرسول صلى الله عليه وسلم يحضر هذه الحرب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصير في فئة إلا انهزم من يحاذيها، فقال حرب بن أمية وعبد الله بن جدعان: ألا ترون إلى هذا الغلام ما يحمل على فئة إلا انهزمت؟ خداش يسجل المعركة بشعره وفي ذلك يقول خداش بن زهير في كلمة له:

فأبلغ أن عرضت بنا هشاما وعبد الله أبلغ والوليدا

أولئك إن يكن في الناس خير فإن لديهم حسباً وجودا

هم خير المعاشر من قريش وأوراها إذا قدحت زنودا

بأنا يوم شمطة قد أقمنا عمود المجد إن له عمودا

جلبنا الخيل ساهمة إليهم عوابس يدرعن النقع قودا

فبتنا نعقد السيما وباتوا وقلنا: صبحوا الأنس الحديدا

فجاءوا عارضا برداً وجئنا كما أضرمت في الغاب الوقودا

ونادوا :يا لعمرو لا تفروا فقلنا: لا فرار ولا صدودا

قوله: نعقد السيما أي العلامات:

فعاركنا الكماة وعاركونا عراك النمر عاركت الأسودا

فولوا نضرب الهامات منهم بما انتهكوا المحارم والحدودا

تركنا بطن شمطة من علاء كأن خلالها معزاً شريدا

ولم أر مثلهم هزموا وفلوا ولا كذيادنا عنقاً مذودا

قوله: يا لعمرو، يعني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

اليوم الثالث يوم العبلاء ثم كان اليوم الثالث من أيام الفجار، وهو يوم العبلاء، فجمع القوم بعضهم لبعض، والتقوا على قرن الحول بالعبلاء - وهو موضع قريب من عكاظ - ورؤساؤهم يومئذ على ما كانوا عليه يوم شمطة، وكذلك من كان على المجنبتين، فاقتتلوا قتالا شديداً، فانهزت كنانة، فقال خداش بن زهير في ذلك:

خداش يستمر في التسجيل بشعره

ألم يبلغك بالعبلاء أنا ضربنا خندقاً حتى استقادوا

نبني بالمنازل عز قيس وودوا لو تسيخ بنا البلاد

وقال أيضاً:

ألم يبلغك ما لاقت قريش وحي بني كنانة إذ أثيروا

دهمناهم بأرعن مكفهر فظل لنا بعقوتهم زئير

تقوم مارن الخطي فيهم يجيء على أسنتنا الجزير

اليوم الرابع يوم عكاظ ثم كان اليوم الرابع من أيامهم، يوم عكاظ، فالتقوا في هذه المواضع على رأس الحول، وقد جمع بعضهم لبعض، واحتشدوا، والرؤساء بحالهم، وحمل عبد الله بن جدعان يومئذ ألف رجل من بني كنانة على ألف بعير. وخشيت قريش أن يجري عليها مثل ما جرى يوم العبلاء، فقيد حرب وسفيان وأبو سفيان بنو أمية بن عبد شمس أنفسهم، وقالوا: لا نبرح حتى نموت مكاننا، وعلى أبي سفيان يومئذ درعان قد ظاهر بينهما، وزعم أبو عمرو بن العلاء أن أبا سفيان بن أمية خاصة قيد نفسه، فسمي هؤلاء الثلاثة يومئذ: العنابس - وهي الأسود واحدها عنبسة - فاقتتل الناس قتالا شديداً، وثبت الفريقان، حتى همت بنو بكر بن عبد مناة وسائر بطون كنانة بالهرب، وكانت بنو مخزوم تلي كنانة، فحافظت حفاظاً شديداً، وكان أشدهم يومئذ بنوا لامغيرة، فإنهم صبروا، وأبلوا بلاء حسنا، فلما رأت ذلك بنو عبد مناة من كنانة تذامروا فرجعوا وحمل بلعاء بن قيس وهو يقول:

إن عكاظ مأوانا فخلوه وذا المجاز بعد أن تحلوه

مبارزة بهزم فيها رئيس الأحابيش وخرج الحليس بن يزيد: أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة - وهو رئيس الأحابيش يومئذ - فدعا إلى المبارزة فبرز إليه الحدثان بن سعد النصري، فطعنه الحدثان، فدق عضده وتحاجزا. الدائرة تدور على قيس واقتتل القوم قتالا شديدا، وحملت قريش وكنانة على قيس من كل وجه، فانهزمت قيس كلها إلا بني نصر فإنهم صبروا، ثم هربت بنو نصر وثبت بنو دهمان، فلم يغنوا شيئاً، فانهزموا، وكان عليهم سبيع بن أبي ربيعة - أحد بني دهمان، فعقل نفسه ونادى: يا آل هوازن، يا آل هوازن، يا آل نصر! فلم يعرج عليه أحد، وأجفلوا منهزمين، فكر بنو أمية خاصة في بني دهمان ومعهم الخنيسق وقشعة الجشميان، فقاتلوا فلم يغنوا شيئاً، فانهزموا.

من المستجير بخباء سبيعة وكان مسعود بن معتب الثقفي قد ضرب على امرأته سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف خباء، وقال لها: من دخله من قريش فهو آمن، فجعلت توصل في خبائها؛ ليتسع، فقال لها: لا يتجاوزني خباؤك فإني لا أمضي لك إلا من أحاط به الخباء، فأحفظها فقالت: أما والله إني لأظن أنك ستود أن لو زدت في توسعته، فلما انهزمت قيس دخلوا خباءها مستجيرين بها فأجار لها حرب بن أمية جيرانها، وقال لها: يا عمة، من تمسك بأطناب خبائك، أو دار حوله فهو آمن، فنادت بذلك، فاستدارت قيس بخبائها، حتى كثروا جداً، فلم يبق مأحد لا نجاة عنده إلا دار بخبائها فقيل لذلك الموضع: مدار قيس، وكان يضرب به المثل، فتغضب قيس منه، وكان زوجها مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس - وهو من ثقيف - قد أخرج معه يومئذ بنيه من سبيعة، وهم عروة ولوحة، ونويرة، والأسود، فكانوا يدورون - وهم غلمان - في قيس يأخذون بأيديهم إلى خباء أمهم، ليجيروهم، فيسودوا، بذلك أمرتهم أمهم أن يفعلوا.

رواية أخرى لخبر خباء سبيعة فأخبرني الحرمي والطوسي: قالا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني محمد بن الحسن، عن المحرز بن جعفر وغيره:

أن كنانة وقيسا لما توافوا من العام المقبل من مقتل عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب ضرب مسعود الثقفي على امرأته سبيعة بنت عبد شمس أم بنيه خباء، فرآها تبكي حين تدانى الناس، فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: لما يصاب غدا من قومي، فقال لها: من دخل خباءك فهو آمن، فجعلت توصل فيه القطعة بعد القطعة والخرقة والشيء ليتسع، فخرج وهب بن معتب حتى وقف عليها، وقال لها: لا يبقى طنب من أطناب هذا البيت إلا ربطت به رجلاً من بني كنانة، فلما صف القوم بعضهم لبعض خرجت سبيعة فنادت بأعلى صوتها: إن وهبا يأتلي ويحلف ألا يبقى طنب من أطناب هذا البيت إلا ربط به رجلا من كنانة، فالجد الجد، فلما هزمت قيس لجأ نفر منهم إلى خباء سبيعة بنت عبد شمس، فأجارهم حرب بن أمية قيس تلجأ إلى خباء سبيعة فيجيرهم حرب بن أمية أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة، قال: لما هزمت قيس لجأت إلى خباء سبيعة، حتى أخرجوها منه، فخرجت، فنادت من تعلق بطنب من أطناب بيتي فهو آمن في ذمتي، فداروا بخبائها، حتى صاروا حلقة، فأمضى ذلك كله حرب بن أمية لعمته، فكان يضرب في الجاهلية بمدار قيس المثل، ويعيرون بمدارهم يومئذ بخباء سبيعة بنت عبد شمس، قال: شاعران يسجان الموقعة وقال ضرار بن الخطاب الفهري قوله:

ألم تسأل الناس عن شأننا ... ولم يثبت الأمر كالخابر
غداة عكاظ إذا استكملت ... هوازن في كفها الحاضر
وجاءت سليم تهز القنا ... على كل سلهبة ضامر
وجئنا إليهم على المضمرات ... بأرعن ذي لجب زاخر
فلما التقينا أذقناهم ... طعاناً بسمر القنا العائر
ففرت سليم ولم يصبروا ... وطارت شعاعاً بنو عامر
وفرت ثقيف إلى لآتها ... بمنقلب الخائب الخاسر
وقاتلت العنس شطر النها ... ر ثم تولت مع الصادر
على أن دهمانها حافظت ... أخيراً لدى دارة الدائر

وقال خداش بن زهير:

أتتنا قريش حافلين بجمعهم ... عليهم من الرحمن واق وناصر
فلما دنونا للقباب وأهلها ... أتيح لنا ريب مع الليل ناجر
أتيحت لنا بكر وحول لوائها ... كتائب يخشاها العزيز المكاثر
جئت دونهم بكر فلم تستطعهم ... كأنهم بالمشرفية سامر
وما برحت خيل تثور وتدعى ... ويلحق منهم أولون وآخر

لدن غدوة حتى أتى وانجلى لنا عماية يوم شره متظاهر
ومازال ذاك الدأب حتى تخاذلت هوازن وارفضت سليم وعامر
وكانت قريش يفلق الصخر حدها إذا أوهن الناس الجدود العواثر

اليوم الخامس يوم حريرة ثم كان اليوم الخامس، وهو يوم الحريرة، وهي حرة إلى جانب عكاظ، والرؤساء بحالهم إلا بلعاء بن قيس؛ فإنه قد مات فصار أخوه مكانه على عشيرته، فاقتتلوا، فانهزمت كنانة وقتل يومئذ أبو سفيان بن أمية وثمانية رهط من بني كنانة، قتلهم عثمان بن أسد من بني عمرو بن عامر بن ربيعة، وقتل ورقاء بن الحارث: أحد بني عمرو بن عامر من بني كنانة وخمسة نفر.

خداش يسجل هذه الموقعة وقال خداش بن زهير، في ذلك:

لقد بلوكم فأبلوكم بلاءهم يوم الحريرة ضرباً غير تكذيب
إن توعدوني فإني لابن عمكم وقد أصابوكم منه بشؤبوب
وإن ورقاء قد أردى أبا كنف وابني إياس وعمراً وابن أيوب
وإن عثمان قد أردى ثمانية منكم وأنتم على خبر وتجريب

خداش يفقد أباه فيسجل ذلك الشويعر الليثي ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقى الرجل، والرجلان يلقيان الرجلين، فيقتل بعضهم بعضاً. فلقي ابن محمية ابن عبد الله الدبلي زهير بن ربيعة أبا خداش، فقال زهير: إني حرام جئت معتمرا، فقال له: ما تلقى طوال الدهر إلا قلت: أنا معتمر، ثم قتله، فقال الشويعر الليثي، واسمه ربيعة بن علس:

تركنا ثاوياً يزقو صداه زهيراً بالعوالي والصفاح
أتيح له ابن محمية بن عبد فأعجله التسوم بالبطاح

صلح لا يتم

ثم تداعوا إلى الصلح على أن يدي من عليه فضل في القتلى، الفضل إلى أهله، فأبى ذلك وهب بن معتب، وخالف قومه، واندس إلى هوازن، حتى أغارت على بني كنانة، فكان منهم بنو عمرو بن عامر بن ربيعة، عليهم سلمة بن سعدى البكائي، وبنو هلال عليهم ربيعة بن أبي ظبيان الهلالي، وبنو نصر بن معاوية، عليهم مالك بن عوف، وهو يومئذ أمرد، فأغاروا على بني ليث بن بكر بصحراء الغميم، فكانت لبني ليث أول النهار، فقتلوا عبيد بن عوف البكائي، قتله بنو مدلج وسبيع بن المؤمل الجسري حليف بني عامر، ثم كانت على بني ليث آخر النهار، فانهزموا، واستحر القتل في بني الملوح بن يعمر بن ليث، وأصابوا نعماً ونساء حينئذ، فكان ممن قتل في حروب الفجار من قريش العوام بن خويلد، قتله مرة بن معتب، وقتل حزام بن خويلد، وأحيحة بن أبي أحيحة، ومعمر ابن حبيب الجمحي، وجرح حرب بن أمية، وقتل من قيس الصمة أبو دريد بن الصمة، قتله جعفر بن

الأحنف.

صلح يتم برهائن ثم تراضوا بأن يعدوا القتلى، فيدوا من فضل، فكان الفضل لقيس على قريش وكنانة، فاجتمعت القبائل على الصحل، وتعاقدوا ألا يعرض بعضهم لبعض، فرهن حرب بن أمية ابنه أبا سفيان بن حرب، ورهن الحارث بن كلدة العبدي ابنه النضر، ورهن سفيان بن عوف أحد بني الحارث بن عبد مناة ابنه الحارث، حتى وديت الفضول، ويقال: إن عتبة بن ربيعة تقدم يومئذ، فقال: يا معشر قريش، هلموا إلى صلة الأرحام والصلح، قالوا: وما صلحكم هنا، فإنا موتورون؟ فقال: على أن ندي قتلاكم، ونتصدق عليكم بقتلانا فرضوا بذلك، وساد عتبة مذ يومئذ، قال: فلما رأت هوازن رهائن قريش بأيديهم رغبوا في العفو، فأطلقوهم.

النبي يشهد الفجار قال أبو عبيدة: و لم يشهد الفجار من بني هاشم غير الزبير بن عبد المطلب، وشهد النبي صلى الله عليه وسلم وآله سائر الأيام إلا يوم نخلة، وكان يناول عمه وأهله النبل، قال: وشهدها صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين سنة، وطعن النبي صلى الله عليه وسلم وآله أبا براء ملاعب الأسنة، وسئل صلى الله عليه وآله عن مشهده يومئذ، فقال: ما سرني أني لم أشهده، إنهم تعدوا على قومي، عرضوا عليهم أن يدفعوا إليهم البراض صاحبهم، فأبوا.

كشف حساب القتلى قال: وكان الفضل عشرين قتيلا من هوازن، فوداهم حرب بن أمية فيما تروي قريش، وبنو كنانة تزعم أن القتلى الفاضلين قتلاهم، وأنهم هم ودوهم.

هل شهد أعمام النبي هذه الموقعة وزعم قوم من قريش أن أبا طالب وحمزة والعباس بني عبد المطلب - رضي الله عنهما - شهدوا هذه الحروب، و لم يرد ذلك أهل العلم بأخبار العرب.

سبيعة تجير بعلها قال أبو عبيدة: ولما انهزمت قيس خرج مسعود بن معتب لا يعرج على شيء حتى أتى سبيعة بنت عبد شمس زوجته، فجعل أنفه بين ثدييها، وقال: أنا بالله وبك، فقالت: كلا، زعمت أنك ستملأ بيتي من أسرى قومي، اجلس فأنت آمن.

عود إلى الصوت وبقيته وقالت أميمة بنت عبد شمس ترثي ابن أخيها أبا سفيان بن أمية ومن قتل من قومها، والأبيات التي فيها الغناء منها:

أبي ليلك لا يذهب	ونيط الطرف بالكوكب
ونجم دونه الأهوا	ل بين الدلو والعقرب
وهذا الصبح لا يأتي	ولا يدنو ولا يقرب
بعقر عشيرة منا	كرام الخيم والمنصب
أحال عليهم دهر	حديد الناب والمخلب
فحل ببهم وقد أمنوا	ولم يقصر ولم يشطب

وما عنه إذا ما حل من منجى ولا مهرب
ألا يا عين فابكيهم بدمع منك مستغرب
فإن أبك فهم عزي وهم ركني وهم منكب
وهم أصلي وهم فرعي وهم نسبي إذا أنسب
وهم مجدي وهم شرفي وهم حصني إذا أرهب
وهم رمحي وهم ترسي وهم سيفي إذا أغضب
فكم من قائل منهم إذا ما قال لم يكذب
وكم من ناطق فيهم خطيب مصقع معرب
وكم من فارس فيهم كمي معلم محرب
وكم من مدرة فيهم أريب حول قلب
وكم من جحفل فيهم عظيم النار والموكب
وكم من خضرم فيهم نجيب ماجد منجب

صوت

أحب هبوط الواديين وإنني لمشتهر بالواديين غريب
أحقا عباد الله أن لست خارجداً ولا والجاً إلا علي رقيب
ولا زائراً فرداً ولا في جماعة من الناس إلا قيل: أنت مريب
وهل ريبة في أن تحن نجيبة إلى إلفها أو أن يحن نجيب

الشعر فيما ذكره أبو عمرو الشيباني في أشعار بني جعدة، وذكره أبو الحسن المدائني في أخبار رواها لمالك ابن الصمصامة الجعدي، ومن الناس من يرويه لابن الدمينة ويدخله في قصيدته التي على هذه القافية، والروي والغناء لإسحاق هزج بالبنصر عن عمرو.

أخبار مالك ونسبه

نسبه هو مالك بن الصمصامة بن سعد بن مالك: أحد بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، شاعر بدوي مقل.

يهوى جنوب ويحول بينهما أخوها أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعي ومحمد بن خلف بن المرزبان، قالا: أخبرنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، ونسخت خبره أيضاً من كتاب أبي عمرو الشيباني، قالوا: كان ملك بن الصمصامة الجعدي فارساً شجاعاً جواداً جميل الوجه، وكان يهوى جنوب بنت محصن الجعدية، وكان أخوها الأصبغ بن محصن من فرسان العرب وشجعانهم وأهل النجدة والبأس منهم، فنمى إليه نبذ من خبر مالك، فآلى يمينا جزما: لئن بلغه أنه عرض لها أو زارها ليقتلنه، ولئن بلغه أنه ذكرها في شعر أو عرض بها ليأسرنه، ولا يطلقه إلا أن يجز ناصيته في نادي قومه، فبلغ ذلك مالك بن الصمصامة، فقال:

إذا شئت فارقني إلى جنب عيهب ... أجب ونضوي للقلوص جنيب
فما الحلق بعد الأسر شر بقية ... من الصد والهجران وهي قريب
ألا أيها الساقي الذي بل دلوه ... بقريان يسقي هل عليك رقيب
إذا أنت لم تشرب بقريان شربة ... وحانية الجدران ظلت تلوب
أحب هبوط الواديين وإنني ... لمشتهر بالواديين غريب
أحقا عباد الله أن لست خارجا ... ولا والجا إلا علي رقيب!
ولا زائراً وحدي ولا في جماعة ... من الناس إلا قيل: أنت مريب
وهل ريبة في أن تحن نجيبة ... إلى إلفها أو أن يحن نجيب

يراها فلا يستطيع مخاطبتها وقال أبو عمرو خاصة: حدثنا فتيان من بني جعدة أنها أقبلت ذات يوم، وهو جالس في مجلس فيه أخوها، فلما رآها عرفها، و لم يقدر على الكلام بسبب أخيها، فأغمي عليه، وفطن أخوها لما به، فتغافل عنه، وأسنده بعض فتيان العشيرة إلى صدره، فما تحرك، ولا أحار جوابا ساعة من نهاره، وانصرف أخوها كالخجل، فلما أفاق قال:

ألمت فما حيت وعاجت فأسرعت ... إلى جرعة بين المخارم فالنجر
خليلي قد حانت وفاتي فاحفرا ... برابية بين المخافر والبتر
لكيما تقول العبدلية كلما ... رأت جدثي: سقيت يا قبر من قبر

جنوب ترعى عهده وقال المدائني في خبره: انتجع أهل بيت جنوب ناحية حسي والحمى، وقد أصابها الغيث، فأمرعت، فلما أرادوا الرحيل وقف لهم مالك بن الصمصامة، حتى إذا بلغته جنوب أخذ بخطام بعيرها، ثم أنشأ يقول:

أريتك إن أزمعتم اليوم نية ... وغالك مصطاف الحمى ومرابعه
أترعين ما استودعت أم أ،ت كالذي ... إذا ما نأى هانت عليه ودائعه

فبكت، وقالت: بل أرعى والله ما استودعت، ولا أكون كمن هانت عليه ودائعه، فأرسل بعيرها، وبكى، حتى سقط مغشياً عليه، وهي واقفة، ثم أفاق، وقام، فانصرف وهو يقول:

ألا إن حسياً دونه قلة الحمى ... منى النفس لو كانت تنال شرائعه

وكيف ومن دون الورود عوائق ... وأصبغ حامي ما أحب ومانعه

فلا أنا فيما صدني عنه طامع ... ولا أرتجي وصل الذي هو قاطعه

صوت

يا دار هند عفاها كل هطال ... بالخبت مثل سحيق اليمنة البالي

أرب فيها ولي ما يغيرها ... والريح مما تعفيها بأذيال

دار وقفت بها صحبي أسائلها ... والدمع قد بل مني جيب سربالي

شوقاً إلى الحي أيام الجميع بها ... وكيف يطرب أو يشتاق أمثالي؟

قوله. أرب فيها أي أقام فيها وثبت، والولي: الثاني من أمطار السنة، أولها الوسمي، والثاني الولي، ويروى.

جرت عليها رياح الصيف فاطرقت

واطرقت: تلبدت.

الشعر لعبيد بن الأبرص، والغناء لإبراهيم هزج بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه لابن جامع رمل بالوسطى، وقد نسب لحنه هذا إلى إبراهيم ولحن إبراهيم إليه.

أخبار عبيد بن الأبرص ونسبه

اسمه ونسبه قال أبو عمرو الشيباني: هو عبيد بن الأبرص بن حنتم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر. شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية، وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية، وقرن به طرفة وعلقمة بن عبدة وعدي بن زيد.

شاعر ضائع الشعر أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: عبيد بن الأبرص قديم الذكر، عظيم الشهرة، وشعره مضطرب ذاهب لا أعرف له إلا قوله في كلمته:

أقفر من أهله ملحوب

ولا أدري ما بعد ذلك.

يتهم بأخته أخبرنا عبد الله بن مالك النحوي الضرير، قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني، قالا: كان من حديث عبيد بن الأبرص أنه كان رجلا محتاجا، و لم يكن له مال، فأقبل ذات يوم ومعه غنيمة له، ومعه أخته ماوية، ليوردا غنمهما الماء، فمنعه رجل من بني مالك بن ثعلبة وجبهة، فانطلق حزينا مهموما للذي صنع به المالكي، حتى أتى شجرات فاستظل تحتهن، فنام هو وأخته، فزعموا أن المالكي نظرا إليه وأخته إلى جنبه، فقال:

ذاك عبيد قد أصاب ميا يا ليته ألقحها صبيا

فحملت فوضعت ضاوياً

فسمعه عبيد، فرفع يديه، ثم ابتهل، فقال: اللهم إن كلان فلان ظلمني، ورماني بالبهتان فأدلني منه - أي اجعل لي منه دولة، وانصرني عليه - ووضع رأسه فنام، و لم يكن قبل ذلك يقول الشعر.

يهبط عليه الشعر من السماء في النوم فذكر أنه أتاه آت في المنام بكبة من شعر، حتى ألقاها في فيه، ثم قال: قم، فقام وهو يرتجز: يعني بني مالك؛ وكان يقال لهم بنو الزنية يقول:

أيا بني الزنية ما غرّكم فلكم الويل بسربال حجر

ثم استمر بعد ذلك في الشعر، وكان شاعر بني أسد غير مدافع.

بينه وبين امرىء القيس أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة، قال: اجتمعت بنو أسد بعد قتلهم حجر بن عمرو والد امرىء القيس إلى امرىء القيس ابنه على أن يعطوه ألف بعير دية أبيه؛ أو يقيدوه من أي رجل شاء من بني أسد، أو يمهلهم حولا؛ فقال: أما الدية فميا ظننت أنكم تعرضونها على مثلي، وأما القود فلو قيد إلي ألف من بني أسد ما رضيتهم؛ ولا رأيتهم كفؤا لحجر، وأما النظرة فلكم، ثم ستعرفونني في فرسان قحطان، أحكم فيكم ظبا السيوف وشبا الأسنة، حتى أشفي نفسي، وأنال ثأري، فقال عبيد ابن الأبرص في ذلك: صوت

يا ذا المخوفنا بقتل أبيه إذلالا وحينا

أزعمت أنك قد قتلت سراتنا كذباً ومينا؟

هلا على حجر ابن أم م قطام تبكي لا علينا

إنا إذا عض الثقا ف برأس صعدتنا لوينا

نحمي حقيقتنا وبعض الناس يسقط بين بينا

هلا سألت جموع كندة يوم ولوا أين أينا؟

الغناء لحنين رمل في مجرى الوسطى مطلق عن الهشامي، وفيه ليحيى المكي خفيف ثقيل: قال: وتمام هذا الأبيات:

أيام نضرب هامهم ببواتر حتى انحنينا
وجموع غسان الملو ك أتينهم وقد انطوينا
لحقاً أيا طلهن قد عالجن أسفارا وأينا

والأياطل: الخواصر أي هن ضوامرها؟:

نحن الألى فاجمع جمو عك ثم وجههم إلينا
واعلم بأن جيادنا آلين لا يقضين دينا
ولقد أبحنا ما حمي ت ولا مبيح لما حمينا
هذا ولو قدرت علي ك رماح قومي ما انتهينا
حتى تنوشك نوشة عاداتهن إذا انتوينا
نغلي السباء بكل عا تقة شمول ما صحونا

ونهين في لذاتنا عظم التلاد إذا انتشينا
لا يبلغ الباني ولو رفع الدعائم ما بنينا
كم من رئيس قد قتل ناه وضيم قد أبينا
ولرب سيد معشر ضخم الدسيعة قد رمينا
عقبانه بظلال عق بان تتمم ما نوينا
حتى تركنا شلوه جزر السباع وقد مضينا
إنا لعمرك ما يضا م حليفنا أبداً لدينا
وأوانس مثل الدمى حور العيون قد استبينا

الشعر على ألسنة الأفاعي وقرأت في بعض الكتب، عن ابن الكلبي، عن أبيه، وهو خبر مصنوع، يتبين التوليد فيه: أن عبيد بن الأبرص سافر في ركب من بني أسد، فبيناهم يسيرون إذا هم بشجاع يتمعك على الرمضاء فاتحاً فاه من العطش، وكانت مع عبيد فضلة من ماء ليس معه ماء غيرها، فنزل فسقاه الشجاع عن آخره حتى روي وانتعش، فانساب في الرمل، فلما كان من الليل، ونام القوم ندت رواحلهم، فلم ير لشيء منها أثر، فقام كل واحد يطلب راحلته، فتفرقوا، فبينا عبيد كذلك؛ وقد أيقن بالهلكة والموت إذا هو بهاتف يهتف به:

يا أيها الساري المضل مذهبه دونك هذا البكر منا فاركبه

وبكرك الشارد أيضاً فاجنبه حتى إذا الليل تجلى غيهبه

فحط عنه رحله وسيبه

فقال له عبيد: يا هذا المخاطب، نشدتك الله إلا أخبرتني: من أنت؟ فأنشأ يقول:

أنا الشجاع الذي ألفيته رمضاً في قفرة بين أحجار وأعقاد

فجدت بالماء لما ضن حامله وزدت فيه ولم تبخل بإنكاد

الخير يبقى وإن طال الزمان به والشر أخبث ما أوعيت من زاد

فركب البكر وجنب بكره، وسار فبلغ أهله مع الصبح، فنزل عنه، وحل رحله، وخلاه، فغاب عن عينه، وجاء من سلم من القوم بعد ثلاث.

يومان للمنذر بن ماء السماء أخبرني محمد بن عمران المؤدب وعمي، قالا: حدثنا محمد بن عبيد: قال: حدثني محمد بن يزيد بن زياد الكلبي، عن الشرقي بن القطامي: قال: كان المنذر بن ماء السماء قد نادمه رجلان من بني أسد، أحدهما خالد بن المضلل، والآخر عمرو بن مسعود ابن كلدة، فأغضباه في بعض المنطق، فأمر بأن يحفر لكل واحد حفيرة بظهر الحيرة، ثم يجعلا في تابوتين، ويدفنا في الحفرتين، ففعل ذلك بهما، حتى إذا أصبح سأل عنهما، فأخبر بهلاكهما، فندم على ذلك، وغمه، وفي عمرو ابن مسعود وخالد بن المضلل الأسديين يقول شاعر بني أسد:

يا قبر بين بيوت آل محرق جادت عليك رواعد وبروق

أما البكاء فقل عنك كثيره ولئن بكيت فللبكاء خليق

ثم ركب المنذر، حتى نظر إليهما، فأمر ببناء الغريين عليهما، فبنيا عليهما، وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغريين، يسمي أحدهما يوم نعيم، والآخر يوم بؤس، فأول من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائة من الأبل شوما أي: سودا، وأول من يطلع عليه يوم بؤسه يعطيه رأس ظربان أسود، ثم يأمر به، فيذبح ويغرى بدمه الغريان، فلبث بذلك برهة من دهره.

يقتل في يوم بؤس المنذر ثم إن عبيد بن الأبرص كان أول من أشرف عليه في يوم بؤسه، فقال: هلا كان الذبح لغيرك يا عبيد؟ فقال: أتتك بحائن رجلاه، فأرسلها مثلا، فقال له المنذر: أو أجل بلغ إناه، فقال له المنذر: أنشدني، فقد كان شعرك يعجبني، فقال عبيد: حال الجريض دون القريض، وبلغ الحزام الطبيين. فأرسلها مثلا، فقال له النعمان: أسمعني، فقال: المنايا على الحوايا، فأرسلها مثلا، فقال له آخر: ما أشد جزعك من الموت، فقال: لا يرحل رحلك من ليس معك فأرسلها مثلاً، فقال له المنذر: قد أمللتني، فأرحني قبل أن آمر بك، فقال عبيد: من عز بز فأرسلها مثلاً، فقال المنذر: أنشدني قولك:

أقفر من أهله ملحوب

فقال عبيد: صوت

أقفر من أهله عبيد فليس يبدي و لا يعيد

عنت له عنة نكود وحان منها له ورود

فقال له المنذر: يا عبيد، ويحك، أنشدني قبل أن أذبحك، فقال عبيد:

والله إن مت لما ضرني وإن أعش ما عشت في واحده

فقال المنذر: إنه لابد من الموت، ولو أن النعمان عرض لي في يوم بؤس لذبحته، فاختر إن شئت الأكحل، وإن شئت الأبجل، وإن شئت الوريد، فقال عبيد: ثلاث خصال كسحابات عاد واردها شر وراد، وحاديها شر حاد، ومعادها شر معاد، ولا خير فيه لمرتاد، وإن كنت لا محالة قاتلي فاسقني الخمر، حتى إذا ماتت مفاصلي، وذهلت لها ذواهلي فشأنك وما تريد، فأمر المنذر بحاجته من الخمر، حتى إذا أخذت منه، وطابت نفسه، دعا به المنذر، ليقتله، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

وخيرني ذو البؤس في يوم بؤسه خصالاً أرى في كلها الموت قد برق

كما خيرت عاد من الدهر مرة سحائب ما فيها لذي خيرة أنق

سحائب ريح لم توكل ببلدة فتتركها إلا كما ليلة الطلق

فأمر به المنذر، فقصد، فلما مات غري بدمه الغريان.

طائي يفد على المنذر في يوم بؤسه فلم يزل كذلك حتى مر به رجل من طيء ، يقال له: حنظلة بن أبي عفراء، أو ابن أبي عفر، فقال له: أبيت اللعن، والله ما أتيتك زائرا، ولأهلي من خيرك مائرا فلا تكن ميرتهم قتلي، فقال: لابد من ذلك فاسأل حاجة أقضينها لك، فقال: تؤجلني سنة أرجع فيها إلى أهلي، وأحكم من أمرهم ما أريد، ثم أصير إليك، فأنفذ في حكمك، فقال: ومن يكفل بك حتى تعود؟ فنظر في وجوه جلسائه، فعرف منهم شريك بن عمرو: أبا الحوفزان بن شريك، فأنشد يقول:

يا شريك يابن عمرو ما من الموت محاله

يا شريك يا بن عمرو يا أخا من لا أخا له

يا أخا شيبان فك الي وم رهنا قد أناله

يا أخا كل مضاف وحيا من لا حيا له

إن شيبان قبيل أكرم الله رجاله

وأبوك الخير عمرو وشراحيل الحماله

رقياك اليوم في المج د وفي حسن المقالة

شريك بن عمرو يضمن الطائي فوثب شريك، وقال: أبيت اللعن، يدي بيده، ودمي بدمه إن لم يعد إلى أجله، فأطلقه المنذر، فلما كان من القابل جلس في مجسله، ينتظر حنظلة أن يأتيه، فأبطأ عليه، فأمر بشريك، فقرب، ليقتله.

الطائي يفي بعهده فلم يشعر إلا براكب قد طلع عليهم، فتأملوه، فإذا هو حنظلة قد أقبل متكفنا متحنطا معه نادبته تندبه، وقد قامت نادبة شريك تندبه، فلما رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما، فأطلقهما، وأبطل تلك السنة.

رواية أخرى لقصة مصرع عبيد أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا علي بن الصباح، عن هشام بن الكلبي، قال: كان من حديث عبيد بن الأبرص وقتله أن المنذر بن ماء السماء بنى الغريين، فقيل له: ما تريد إليهما؟ وكان بناهما على قبري رجلين من بني أسد كانا نديميه، أحدهما خالد بن المضلل الفقعسي، والآخر عمرو بن مسعود، فقال: ما أنا بملك إن خالف الناس أمري، لا يمرن أحد من وفود العرب إلا بينهما، وكان له يومان في السنة يوم يسميه يوم النعيم، ويوم يسميه يوم البؤس، فإذا كان في يوم نعيمه أتي بأول من يطلع عليه، فحياه، وكساه، ونادمه يومه، وحمله، فإذا كان يوم بؤسه أتي بأول من يطلع عليه، فأعطاه رأس ظربان أسود، ثم أمر به فذبح وغري بدمه الغريان، فبينا هو جالس في يوم بؤسه إذ أشرف عليه عبيد، فقال لرجل كان معه: من هذا الشقي؟ فقال له: هذا عبيد بن الأبرص الأسدي الشاعر، فأتي به فقال له الرجل الذي كان معه: اتركه - أبيت اللعن - فإني أظن أن عنده من حسن القريض أفضل مما تدرك في قتله فاسمع منه، فإن سمعت حسنا استزدته، وإن لم يعجبك فما أقدرك على قتله. فإذا نزلت فادع به، قال: فنزل، وطعم وشرب، وبينه وبين الناس حجاب ستر يراهم منه ولا يرونه، فدعا بعبيد من وراء الستر، فقال له رديفه: هلا كان الذبح لغيرك يا عبيد! فقال: أتتك بحائن رجلاه، فأرسلها مثلا، فقال: ما ترى يا عبيد؟ قال: أرى الحوايا عليها المنايا. فقال: فهل قلت شيئاً؟ فقال: حال الجريض دون القريض، فقال: أنشدني.

أقفر من أهله ملحوب

فقال:

أقفر من أهله عبيد فليس يبدي ولا يعيد

عنت له خطة نكود وحان منها له ورود

فقال أنشدنا:

هي الخمر تكنى بأم الطلى كما الذئب يكنى أبا جعده

وأبى أن ينشدهم شيئاً مما أرادوا، فأمر به، فقتل.

خبر نديمي المنذر فأما خبر عمرو بن مسعود وخالد بن المضلل ومقتلهما فإنهما كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء، فيما ذكره خالد بن كلثوم - فراجعاه بعض القول على سكره، فغضب، فأمر بقتلهما، وقيل: بل دفنهما حيين، فلما أصبح سأل عنهما، فأخبر خبرهما فندم على فعله، فأمر بإبل، فنحرت على قبريهما، وغري بدمائها قبراهما إعظاما لهما وحزن عليهما، وبنى الغريين فوق قبريهما، وأمر فيهما بما قدمت ذكره من أخبارهما، فقالت نادبة الأسديين:

ألا بكر الناعي بخير بني أسد ... بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وقال بعض شعراء بني أسد يرثي خالد بن المضلل وعمرو بن مسعود، وفيه غناء: صوت

يا قبر بين بيوت آل محرق ... جادت عليك رواعد وبروق

أما البكاء فقل عنك كثيره ... ولئن بكيت فبالبكاء خليق

الغناء لابن سريج ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى من جامع أغانيه.

ومما يغني به أيضاً من شعر عبيد: صوت

طاف الخيال علينا ليلة الوادي ... من أم عمرو ولم يلمم لميعاد

أني اهتديت لركب طال سيرهم ... في سبسب بين دكداك وأعقاد

اذهب إليك فإني من بني أسد ... أهل القباب وأهل الجود والنادي

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه ثقيل أول بالوسطى، ذكر الهشامي أنه لأبي زكار الأعمى، وذكر حبش أنه لابن سريج.

وفي هذه القصيدة يقول: يخاطب حجر بن الحارث أبا امرىء القيس، وكان حجر يتوعده في شيء بلغه عنه، ثم استصلحه فقال يخاطبه:

أبلغ أبا كرب عني وإخوته ... قولاً سيذهب غوراً بعد إنجاد

لا أعرفنك بعد الموت تندبني ... وفي حياتي ما زودتني زادي

إن أمامك يوماً أنت مدركه ... لا حاضر مفلت منه ولا بادي

فانظر إلى ظل ملك أنت تاركه ... هل ترسين أواخيه بأوتاد

الخير يبقى وإن طال الزمان به ... والشر أخبث ما أوعيت من زاد

عمر يبكي خالد بن الوليد بعد موته: أخبرنا عيسى بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخزاعي، عن المدائني، عن أبي بكر الهذلي قال: سمع عمر بن الخطاب نساء بني مخزوم يبكين على خالد بن الوليد، فبكى، وقال: ليقل نساء بني مخزوم في أبي سليمان ما شئن، فإنهن لا يكذبن، وعلى مثل أبي سليمان تبكي البواكي، فقال له طلحة بن عبيد الله: إنك وإياه لكما قال عبيد بن الأبرص:

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي

كلب في ضيافة كلب: أخبرني عمي، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد: قال: حدثني محمد بن عبد الله العبدي، قال: حدثني سيف الكاتب، قال:

وليت ولاية، فمررت بصديق لي في بعض المنازل، فنزلت به، قال: فنلنا من الطعام والشراب، ثم غلب علينا النبيذ، فنمنا، فانتبهت من نومي، فإذا أنا بكلب قد دخل على كلب الرجل فجعل يبش به ويسلم عليه لا أنكر من كلامهما شيئاً، ثم جعل الكلب الداخل عليه يخبره عن طريقه بطول سفره، وقال له: هل عندك شيء تطعمنيه؟ قال: نعم، قد بقي لهم في موضع كذا وكذا طعام، وليس عليه شيء، فذهبا إليه، فكأني أسمع ولوغهما في الإناء حتى أكلا ما كان هناك فيه، ثم سأله نبيذاً، فقال: نعم، لهم نبيذ في إناء آخر ليس له غطاء، فذهبا إليه فشربا.

الكلاب تتغنى بشعره: ثم قال له: هل تطربني بشيء؟ قال: إي وعيشك، صوت كان أبو يزيد يغنيه، فيجيده، ثم غناه في شعر عبيد بن الأبرص.

صوت

طاف الخيال علينا ليلة الوادي لآل أسماء لم يلمم لميعاد

أنى اهتديت لركب طال سيرهم في سبسب بين دكداك وأعقاد

قال: فلم يزل يغنيه هذا الصوت، ويشربان ملياً، حتى فني ذلك النبيذ، ثم خرج الكلب الداخل، فخفت والله على نفسي أن أذكر ذلك لصاحب المنزل، فأمسكت، وما أذكر أني سمعت أحسن من ذلك الغناء.

ومما يغنى فيه من شعره قوله: صوت

لمن جمال قبيل الصبح مزمومه ميممات بلاداً غير معلومه

فيهن هند وقد هام الفؤاد بها بيضاء آنسة بالحسن موسومه

الغناء لابن سريج رمل عن يونس والهشامي وحبش.

ومنها قوله: صوت

در در الشباب والشعر الأس ود والضامرات تحت الرحال

فالخناذيذ كالقداح من الشو خط يحملن شكة الأبطال

ليس رسم على الدفين ببال فلوي ذروة فجنبني أثال

تلك عرسي قد عيرتني خلالي ألبين تريد أم لدلال؟

الغناء لطويس خفيف رمل لا شك فيه، وفيه ثقيل أول، ذكر علي بن يحيى أنه لطويس أيضاً، ووجدته في صنعة عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر، وفي الثالث والرابع من الأبيات لدلال خفيف رمل بالبنصر، عن عبد الله بن موسى والهشامي.

صوت

لمن الديار كأنها لم تحلل بجنوب أسنمة فقف العنصل

درست معالمها فباقي رسمها خلق كعنوان الكتاب المحول

دار لسعدى إذ سعاد كأنها رشأ غضيض الطرف رخص المفصل

عروضه من الكامل، جنوب أسنمة: أودية معروفة. والقف: الكثيب من الرمل ليس بالمشرف ولا الممتد. والعنصل: بصل معروف.

الشعر لربيعة بن مقروم الضبي، والغناء فيه لسياط هزج بالبنصر عن الهشامي.

أخبار ربيعة بن مقروم ونسبه

اسمه ونسبه: هو ربيعة بن مقروم الضبي بن قيس بن جابر بن خالد بن عمرو بن عبد الله بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار.

شاعر إسلامي مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وكان ممن أصفق عليه كسرى، ثم عاش في الإسلام زماناً.

يهجو ضابئ بن الحارث: قال أبو عمرو الشيباني: كان ربيعة بن مقروم باع عجرد بن عبد عمرو بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم - لقحة إلى أجل، فلما بايعه وجد ابن مقروم ضابئ بن الحارث عند عجرد، وقد نهاه عن إنظاره بالثمن، فقال ابن مقروم يعرض بضابئ إنه أعان عليه وكان ضلعه معه:

أعجر ابن المليحة إن همي إذا ما لج عذالي لعان

قوله: لعان أي عان من العناء، عناني الشيء يعنيني، وهو لي عان.

يرى ما لا أرى ويقول قولاً وليس على الأمور بمستعان

ويحلف عند صاحبه لشاة أحب إلي من تلك الثمان

وحامل ضب ضغن لم يضرني بعيد قلبه حلو اللسان

ولو أني أشاء نقمت منه بشغب من لسان تيحان

ولكني وصلت الحبل منه مواصلة بحبل أبي بيان

ترفع في بني قطن وحلت بيوت المجد يبنيهن باني

يعني حلت بنو قطن بيوت المجد.

وضمرة إن ضمرة خير جار إلى قطن بأسباب متان

هجان الحي كالذهب المصفى صبيحة ديمة يجنيه جان

قال أبو عمرو: الذهب في معدنه إذا جاءه المطر ليلا لاح من غد عند طلوع الشمس فيتتبع ويؤخذ.

يمدح مخلصه من الأسر قال أبو عمرو: وأسر ربيعة بن مقروم واستيق ماله، فتخلصه مسعود بن سالم بن أبي سلمى بن ذبيان بن عامر بن ثعلبة بن ذؤيب بن السيد، فقال ربيعة بن مقروم فيه قوله:

كفاني أبو الأشوس المنكرات كفاه الإله الذي يحذر

أعز من السيد في منصب إليه العزازة والمفخر

وقال يمدحه أيضاً:

بان الخليط فأمسى القلب معمودا وأخلفتك ابنة الحر المواعيدا

كأنها ظبية بكر أطاع لها من حومل تلعات الحي أو أودا

قامت تريك غداة البين منسدلاً تجللت فوق متنيها العناقيدا

وبارداً طيبا عذباً مذاقته شربته مزجاً بالظلم مشهودا

وجسرة أجد تدمي مناسمها أعملتها بي حتى تقطع البيدا

كلفتها، فأت حتماً تكلفها ظهيرة كأجيج النار صيخودا

في مهمة قذف يخشى الهلاك به أصداؤه لا تني بالليل تغريدا

لما تشكت إلي الأين قلت لها: لا تستريحن ما لم ألق مسعودا

ما لم ألاق أمرأً جزلاً مواهبه رحب الفناء كريم الفعل محمودا

وقد سمعت بقوم يحمدون فلم اسمع بمثلك لا حلماً ولا جودا

ولا عفافاً ولا صبراً لنائبة ولا أخبر عنك الباطل السيدا

السيد: قبيل الممدوح من آل ضبة.

لا حلمك الحلم موجود عليه، ولا يلفى عطاؤك في الأقوام منكودا
وقد سبقت لغايات الجواد وقد أشبهت آباءك الشم الصناديدا
هذا ثنائي بما أوليت من حسن لازلت برا قرير العين محسودا

يتقاضى دينه بشعر فيقضى قال أبو عمرو: كان لضابئ بن الحارث البرجمي، على عجرد بن عبد عمرو دين بايعه به نعماً، واستخار الله في ذلك، وبايعه ربيعة بن مقروم، ولم يستخر الله تعالى، ثم خافه ضابئ فاستجار بربيعة بن مقروم في مطالبته إياه، فضمن له جواره، فوفى ع8جرد لضابئ، ولم في لربيعة، فقال ربيعة:

أعجرد إني من أماني باطل وقول غداً شيخ لذاك سؤوم
وإن اختلافي نصف حول محرم إليكم بني هند علي عظيم
فلا أعرفني بعد حول محرم وقول خلا يشكونني فألوم
ويلتمسوا ودي وعطفي بعدما تناشد قولي وائل وتميم
وإن لم يكن إلا اختلافي إليكم فإني امرؤ عرضى علي كريم
فلا تفسدوا ما كان بيني وبينكم بني قطن إن المليم مليم

فاجتمعت عشيرة عجرد عليه، وأخذوه بإعطاء ربيعة ماله، فأعطاه إياه.

حماد الراوية يثرى على حسابه: أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن الهيثم بن عدي، عن حماد الراوية، قال: دخلت على الوليد بن يزيد، وهو مصطبح، وبين يديه معبد، ومالك، وابن عائشة وأبو كامل، وحكم الوادي، وعمر الوادي يغنونه، وعلى رأسه وصيفة تسقيه، لم أر مثلها تماماً وكمالا وجمالاً. فقال لي: يا حماد، أمرت هؤلاء أن يغنوا صوتاً يوافق صفة هذه الوصيفة، وجعلتها لمن وافق صفتها نحلة. فما أتى أحد منهم بشيء، فأنشدني أنت ما يوافق صفتها، وهي لك؛ فأنشدته قول ربيعة بن مقروم الضبي:

دار لسعدى إذ سعاد كأنها رشأ غرير الطرف رخص المفصل
شماء واضحة العوارض طفلة كالبدر من خلل السحاب المنجلي
وكأنما ريح القرنفل نشرها أو حنوة خلطت خزامى حومل
وكأن فاها بعدما طرق الكرى كأس تصفق بالرحيق السلسل
لو أنها عرضت لأشمط راهب في رأس مشرفة الذرا متبتل
جار ساعات النيام لربه حتى تخدد لحمه مستعمل

لصبا لبهجتها وحسن حديثها ولهم من ناموسه بتنزل

فقال الوليد: أصبت وصفها، فاخترها أو ألف دينار، اخترت الألف الدينار، فأمرها، فدخلت إلى حرمه وأخذت المال.

وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيده وحسنه، فمن مختارها ونادرها قوله: صوت

بل إن ترى شمطا تفرع لمتي وحنا قناتي وارتقى في مسحلي

ودلفت من كبر كأني خاتل قنصاً ومن يدبب لصيد يختل

فلقد أرى حسن القناة قويمها كالنصل أخلصه جلاء الصيقل

أزمان إذ أنا والجديد إلى بلى تصبي الغواني ميعتي وتنقلي

غنى بذلك معبد ثقيلا أول:

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها بسليم أووظفة القوائم هيكل

مقاذف شنج النساعبل الشوى سباق أندية الجياد عميثل

لولا أكفكفه لكان إذا جرى منه العزيم يدق فأس المسحل

وإذا جرى منه الحميم رأيته يهوي بفارسه هوي الأجدل

وإذا تعلل بالسياط جيادها أعطاك نائيه ولم يتعلل

ودعوا: نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه إذا لم أنزل؟

ولقد جمعت المال من جمع امرىء ورفعت نفسي عن لئيم المأكل

ودخلت أبنية الملوك عليهم ولشر قول المرء ما لم يفعل

ولرب ذي حنق علي كأنما تغلي عداوة صدره كالمرجل

أزجيته عني فأبصر قصده وكويته فوق النواظر من عل

وأخي محافظة عصى عذالته وأطاع لذته معم مخول

هش يراح إلى الندى نبهته والصبح ساطع لونه لم ينجل

فأتيت حانوتا به فصبحته من عاتق بمزاجها لم تقتل

صهباء إلياسية أغلى بها يسر كريم الخيم غير مبخل

ومعرس عرض الرداء عرسته من بعد آخر مثله في المنزل

ولقد أصبت من المعيشة لينها ... وأصابني منه الزمان بكلكل

فإذا وذاك كأنه ما لم يكن ... إلا تذكره لمن لم يجهل

ولقد أتت مائة علي أعدها ... حولاً فحولا لا بلاها مبتل

فإذا الشباب كمبذل أنضيته ... والدهر يبلي كل جدة مبذل

هلا سألت وخبر قوم عندهم ... وشفاء غيك خابرا أن تسألي

هل نكرم الأضياف إن نزلوا بنا ... ونسود بالمعروف غير تنحل؟

ونحل بالثغر المخوف عدوه ... ونرد حال العارض المتهلل

ونعين غارمنا ونمنع جارنا ... ونزين مولى ذكرنا في المحفل

وإذا امرؤ منا حبا فكأنه ... مما يخاف على مناكب يذبل

ومتى تقم عند اجتماع عشيرة ... خطباؤنا بين العشيرة يفصل

ويرى العدو لنا دروءاً صعبة ... عند النجوم منيعة المتأول

وإذا الحمالة أثقلت حمالها ... فعلى سوائمنا ثقيل المحمل

ونحق في أموالنا لحليفنا ... حقاً يبوء به وإن لم يسأل

وهذه جملة جمعت فيها أغاني من أشعار اليهود، إذ كانت نسبتهم وأخبارهم مختلطة، فمن ذلك:

صوت

أنى تذكر زينب القلب ... وطلاب وصل عزيزة صعب

ما روضة جاد الربيع لها ... موشية ما حولها جدب

بألذ منها إذ تقول لنا ... سيراً قليلا يلحق الركب

الشعر لأوس بن ذبي القرظي، والغناء لابن سريج ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وزعم عمرو أن فيه لحنا من الثقيل الأول بالوسطى لمالك، وأن فيه صنعة لابن محرز، ولم يجنسها.

أخبار أوس ونسب اليهود

النازلين بيثرب وأخبارهم

أوس بن ذبي اليهودي رجل من بني قريظة، وبنو قريظة وبنو النضير يقال لهم: الكاهنان، وهم من ولد الكاهن ابن هارون بن عمران أخي موسى بن عمران صلى الله على محمد وآله وعليهما، وكانوا نزولا بنواحي يثرب بعد وفاة موسى ابن عمران عليه السلام، وقبل تفرق الأزد عند انفجار سيل العرم ونزول الأوس والخزرج بيثرب.

العمالقة في المدينة

أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش، عن جعفر بن محمد العاصي عن أبي المنهال عيينة بن المنهال المهلبي، عن أبي سليمان: جعفر بن سعد، عن العماري، قال: كان ساكنو المدينة في أول الدهر قبل بني إسرائيل قوما من الأمم الماضية، يقال لهم: العماليق، وكانوا قد تفرقوا في البلاد، وكانوا أهل عز وبغي شديد، فكان ساكني المدينة منهم بنو هف وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو مطروق، وكان ملك الحجاز منهم رجل يقال له: الأرقم، يترل ما بين تيماء إلى فدك، وكانوا قد ملئوا المدينة، ولهم بها نخل كثير وزروع، وكان موسى بن عمران عليه السلام قد بعث الجنود إلى الجبابرة من أهل القرى يغزونهم، فبعث موسى عليه السلام إلى العماليق جيشا من بني إسرائيل، وأمرهم أن يقتلوهم جميعاً إذا ظهروا عليهم، ولا يستبقوا منهم أحداً، فقدم الجيش الحجاز، فأظهرهم الله عز وجل على العماليق، فقتلوهم أجمعين إلا ابناً للأرقم؛ فإنه كان وضيئاً جميلاً، فضنوا به على القتل، وقالوا: نذهب به إلى موسى بن عمران، فيرى فيه رأيه، فرجعوا إلى الشام، فوجدوا موسى - عليه السلام - قد توفي، فقالت لهم بنو إسرائيل: ما صنعتم؟ فقالوا: أظهرنا الله جل وعز عليهم، فقتلناهم، و لم يبق منهم أحد غير غلام كان شاباً جميلاً، فنفسنا به عن القتل، وقلنا: نأتي به موسى عليه السلام، فيرى فيه رأيه، فقالوا لهم: هذه معصية: قد أمرتم ألا تستبقوا منهم أحداً، والله لا تدخلون علينا الشام أبداً.

أول استيطان اليهود المدينة

فلما منعوا ذلك قالوا: ما كان خيرا لنا من منازل القوم الذين يقتلناهم بالحجاز؛ نرجع إليهم، فنقيم بها، فرجعوا على حاميتهم، حتى قدموا المدينة، فنزلوها، وكان ذلك الجيش أول سكنى اليهود المدينة، فانتشروا في نواحي المدينة كلها إلى العالية، فاتخذوا بها الآطام والأموال والمزارع، ولبثوا بالمدينة زماناً طويلاً.

بنو قريظة النضير يلحقون بإخوانهم

ثم ظهرت الروم على بني إسرائيل جميعاً بالشام، فوطئوهم، وقتلوهم، ونكحوا نساءهم فخرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل هاربين منهم إلى من بالحجاز من بني إسرائيل لما غلبتهم الروم على الشام، فلما فصلوا عنها بأهليهم بعث ملك الروم في طلبهم؛ ليردهم، فأعجزوه، وكان ما بين الشام والحجاز مفاوز، فلم بلغ طلب الروم

التمر انقطعت أعناقهم عطشاً، فماتوا، وسمي الموضع تمر الروم، فهو اسمه إلى اليوم، فلما قدم بنو النضير وبنو قريظة وبهدل المدينة نزلوا الغابة، فوجدوها وبية فكرهوها، وبعثوا رائداً أمروه أن يلتمس منزلاً سواها، فخرج حتى أتى العالية، وهي بطحان ومهزور: واديان من حرة على تلاع أرض عذبة، بها مياه عذبة تنبت حر الشجر، فرجع إليهم، فقال: قد وجدت لكم بلداً طيبا نزها على حرة يصب فيها واديان على تلاع عذبة ومدرة طيبة في متأخر الحرة ومدافع الشرج، قال: فتحول القوم إليها من منزلهم ذلك، فنزل بنو النضير ومن معهم على بطحان، وكانت لهم إبل نواعم، فاتخذوها أموالا، ونزلت بنو النضير ومن معهم على بطحان، وكانت لهم إبل نواعم، فاتخذوها أموالا، ونزلت بنو قريظة وبهدل ومن معهم على مهزور، فكانت لهم تلاعه وما سقي من بعاث وسموات، فكان ممن يسكن المدينة - حين نزلها الأوس والخزرج - من قبائل بني إسرائيل بنو عكرمة، وبنو ثعلبة، وبنو محمر، وبنو زغورا، وبنو فينقاع، وبنو زيد، وبنو النضير، وبنو قريظة، وبنو بهدل، وبنو عوف، وبنو الفصيص، فكان يسكن يثرب جماعة من أبناء اليهود، فيهم الشرف والثروة والعز على سائر اليهود، وكان بنو مرانة في موضع بني حارثة، ولهم كان الأطم الذي يقال له: الخال.

بطون من العرب بالمدينة

وكان معهم من غير بني إسرائيل بطون من العرب منهم: بنو الحرمان: حي من اليمن، وبنو مرثد حي من بلي، وبنو أنيف من بلي أيضاً، وبنو معاوية حي من بني سليم ثم من بني الحارث بن بهثة، وبنو الشظية: حي من غسان، وكان يقال لبني قريظة وبني النضير خاصة من اليهود: الكاهنان، نسبوا بذلك إلى جدهم الذي يقال له الكاهن، كما يقال: العمران والحسنان والقمران، قال كعب بن سعد القرظي:

بالكاهنين قررتم في دياركم جما ثواكم ومن أجلاكم جدبا

وقال العباس بن مرداس السلمي يرد على خوات بن جبير لما هجاهم:

هجوت صريح الكاهنين وفيكم لهم نعم كانت مدى الدهر ترتبا

عرب آخرون يلحقون بإخوانهم

فلما أرسل الله سيل العرم على أهل مأرب، وهم الأزد، قام رائدهم فقال: من كان ذا جمل مفن ووطب مدن وقربة وشن، فلينقلب عن بقرات النعم، فهذا اليوم يوم هم وليلحق بالثنى من شن - قال وهو بالسراة - فكان الذين نزلوه أزد شنوءة، ثم قال لهم: ومن كان ذا فاقة وفقر، وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مر، فكان الذين سكنوه خزاعة، ثم قال لهم: من كان منكم يريد الخمر والخمير، والأمر والتأمير، والديباج والحرير، فليلحق ببصري والحفير، وهي من أرض الشام، فكان الذين سكنوه غسان ثم قال لهم: ومن كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد، ومزاد جديد، فليلحق بقصر عمان الجديد، فكان الذين نزلوه أزد عمان، ثم قال: ومن كان يريد

الراسخات في الوحل، المطمعات في المحل، فليلحق بيثرب ذات النخل. فكان الذين نزلوها الأوس والخزرج في منازلهم التي نزلوها بالمدينة في جهد وضيق في المعاش، ليسوا بأصحاب إبل ولا شاة؛ لأن المدينة ليست بلاد نعم، وليسوا بأصحاب نخل ولا زرع، وليس للرجل منهم إلا الأعذاق اليسيرة، والمزرعة يستخرجها من أرض موات، والأموال لليهود، فلبثت الأوس والخزرج بذلك حينا.

ابو جبيلة يفتك باليهود

ثم إن مالك بن العجلان وفد إلى أبي جبيلة الغساني وهو يومئذ ملك غسان، فسأله عن قومه وعن مترلهم فأخبره بحالهم؛ وضيق معاشهم، فقال له أبو جبيلة: والله ما نزل قوم منا بلدا قط إلا غلبوا أهله عليه، فما بالكم؟ ثم أمره بالمضي إلى قومه، وقال له: أعلمهم أني سائر إليهم، فرجع مالك بن العجلان، فأخبرهم بأمر أبي جبيلة؛ ثم قال لليهود: إن الملك يريد زيارتكم فأعدوا نزلاً فأعدوه، وأقبل أبو جبيلة سائرا من الشام في جمع كثيف، حتى قدم المدينة، فنزل بذي حرض، ثم أرسل إلى الأوس والخزرج، فبذرك لهم الذي قدم له، وأجمع أن يمكر باليهود حتى يقتل رؤوسهم وأشرافهم، وخشي إن لم يمكر بهم أن يتحصنوا في آطامهم، فيمنعوا منه حتى يطول حصاره إياهم، فأمر ببنيان حائر واسع، فبني، ثم أرسل إلى اليهود: أن أبا جبيلة الملك قد أحب أن تأتوه، فلم يبق وجه من وجوه القوم إلا أتاه، وجعل الرجل يأتي معه بخاصته وحشمه رجاء أن يحبوهم، فلما اجتمعوا ببابه أمر رجالا من جنده أن يدخلوا الحائر، ويدخلوهم رجلا رجلا، فلم يزل الحجاب يأذنون لهم كذلك، ويقتلهم الجند الذين في الحائر، حتى أتوا على آخرهم.

سارة القريظية ترثي قومها

فقالت سارة القريظية ترثي من قتل، منهم أبو جبيلة، تقول:

بنفسي أمة لم تغن شيئاً ... بذي حرض تعفيها الرياح

كهول من قريظة أتلفتها ... سيوف الخزرجية والرماح

زرئنا والرزية ذات ثقل ... يمر لأهلها الماء القراح

ولو أربو بأمرهم لجالت ... هنالك دونهم جأوا رداح

الرمق يمدح أبا جبيلة

وقال الرمق، وهو عبيد بن سالم بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج يمدح أبا جبيلة الغساني:

لم يقض دينك في الحسا ... ن وقد غنيت وقد غنينا

الراشقات المرشقا ت الجازيات بما جزينا
أمثال غزلان الصرا ئم يأتزرن ويرتدينا
الريط والديباج والزرد المضاعف والبرينا
وأبو جبيلة خير من يمشي وأوفاهم يمينا
وأبره براً وأعل مه بعلم الصالحينا
أبقت لنا الأيام والحرب المهمة تعترينا
كبشا لنا ذكراً يفل حسامه الذكر السنينا
ومعاقلا شما وأسي افا يقمن وينحنينا
ومحلة زوراء تر جف بالرجال المصلتينا

بقية خبر أبي جبيلة

فلما أنشدوا أبا جبيلة ما قال الرمق، أرسل إليه، فجيء به، وكان رجلاً ضئيلاً غير وضيء، فلما رآه قال: "عسل طيب ووعاء سوء"، فذهبت مثلاً، وقال للأوس والخزرج: إن لم تغلبوا على هذه البلاد بعد من قتلت من أشراف أهلها فلا خير فيكم، ثم رحل إلى الشام.

وقال الصامت بن أصرم النوفلي يذكر قتل أبي جبيلة اليهود:

سائل قريظة من يقسم سبيها يوم العريض ومن أفاء المغنما؟
جاءتهم الملحاء يخفق ظلها وكتيبة خشناء تدعو أسلما
عمي الذي جلب الهمام لقومه حتى أحل على اليهود الصيلما

يعني بقوله: "من يقسم سبيها" نسوة سباهن أبو جبيلة من بني قريظة، وكان رآهن فأعجبنه، وأعطى مالك بن العجلان منهن امرأة.

مالك بن العجلان يقتفي أثر أبي جبيلة قال أبو المنهال أحد بني المعلى: إنهم أقاموا زمنا بعدما صنع، ويهود تعترض عليهم، وتناوئهم، فقال مالك ابن العجلان لقومه: والله ما أثخنا يهود غلبة كما نريد، فهل لكم أن أصنع لكم طعاما، ثم أرسل في مائة من أشراف من بقي من اليهود، فإذا جاءوني فاقتلوهم جميعاً، فقالوا: نفعل، فلما جاءهم رسول مالك قالوا: والله لا نأتيهم أبداً، وقد قتل أبو جبيلة منا من قتل، فقال لهم مالك: إن ذلك كان علىلا غير هوى منا، وإنما أردنا أن نمحوه، وتعلموا حالكم عندنا، فأجابوه، فجعل كلما دخل عليه رجل منهم أمر به مالك فقتل، حتى قتل منهم بضعة وثمانين رجلاً منهم أقبل حتى قام على باب مالك، فتسمع فلم

يسمع صوتاً فقال: أرى أسرع ورد وأبعد صدر، فرجع وحذر أصحابه الذين بقوا، فلم يأت منهم أحد، فقال رجل من اليهود لمالك بن العجلان:

فسفهت قيلة أحلامها ففيمن بقيت وفيمن تسود؟

فقال مالك:

فإني امرؤ من بني سالم بن عوف وأنت امرو من يهود

قال: وصورت اليهود مالكاً في بيعهم وكنائسهمن فكانوا يلعنونه كلما دخلوها، فقال مالك بن العجلان في ذلك قوله:

تحامى اليهود بتلعانها تحامي الحمير بأبوالها

فماذا علي بأن يلعنوا وتأتي المنايا بأذلالها

اليهود يذلون للعرب

قال: فلما قتل مالك من يهود من قتل ذلوا؛ وقل امتناعهم؛ وخافوا خوفاً شديدا؛ وجعلوا كلما هاجهم أحد من الأوس والخزرج بشيء يكرهونه لم يمش بعضهم إلى بعض، كما كانوا يفعلون قبل ذلك، ولكن يذهب اليهودي إلى جيرانه الذين هو بين أظهرهم فيقول: إنما نحن جيرانكم ومواليكم، فكان كل قوم من يهود قد لجئوا إلى بطن من الأوس والخزرج، يتعززون بهم.

يهودية تعتنق الإسلام

وذكر أبو عمر والشيباني أن أوس بن ذبي القرظي كانت له امرأة من بني قريظة أسلمت وفارقته، ثم نازعتها نفسها إليه، فأتته، وجعلت ترغبه في الإسلام، فقال فيها:

دعتني إلى الإسلام يوم لقيتها فقلت لها: لا بل تعالي تهودي

فنحن على توراة موسى ودينه ونعم لعمري الدين دين محمد

كلانا يرى أن الرسالة دينه ومن يهد أبواب المراشد يرشد

ومن الأغاني في أشعار اليهود

صوت

أعاذلتي ألا لا تعذليني فكم من أمر عاذلة عصيت

دعيني وارشدي إن كنت أغوى ولا تغوى زعمت كما غويت

أعاذل قد أطلت اللوم حتى لو أني منته لقد انتهيت

وحتى لو يكون فتى أناس بكى من عذل عاذلة بكيت

وصفراء المعاصم قد دعتني إلى وصل فقلت لها: أبيت

وزق قد جررت إلى الندامى وزق قد شربت وقد سقيت

الشعر للسموءل بن عاديا - فيما رواه السكري عن الطوسي - ورواه أبو خليفة عن محمد بن سلام، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق في الأول والثاني والرابع والخامس من الأبيات؛ وزعم ابن المكي أنه لمعبد، وزعم عمرو ابن بانة أنه لمالك، ولد حمان أيضاً في الأول والثاني والخامس والسادس رمل بالوسطى وزعم ابن المكي أن هذا الرمل لابن سريج، وفي الأول والثاني والسادس رمل بالوسطى، لأبي عبيد مولى فائد ثاني ثقيل عن يحيى المكي، وزعم الهشامي أن الرمل لعبد العزيز الدفاف.

أخبار السموءل ونسبه

نسبه هو المسوءل بن عريض بن عاديا، بن حباء، ذكر ذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام والسكري عن الطوسي وابن حبيب، وذكر أن الناس يدرجون عريضا في النسب، وينسبونه إلى عاديا جده، وقال عمر بن شبة: هو المسوءل بن عاديا، و لم يذكر عريضا.

وحكى عبد الله بن أبي سعد عن دارم بن عقال - وهو من ولد السموءل - أن عاديا بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب ابن عمرو مزبقيا بن عامر ماء السماء، وهذا عندي محال؛ لأن الأعشى أدرك شريح بن السموءل وأدرك الإسلام، وعمرو مزيقيا قديم، لا يجوز أن يكون بينه وبين السموءل ثلاثة آباء ولا عشرة بل أكثر، والله أعلم.

من مفاخر السموءل وقد قيل: إن أمه كانت من غسان، وكلهم قالوا: إنه كان صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء المشهور بالوفاء، وقيل: بل هو من ولد الكاهن بن هارون بن عمران، وكان هذا الحصن لجده عاديا، واحتفر فيه بئراً روية عذبة، وقد ذكرته الشعراء في أشعارها، قال السموءل:

فبالأبلق الفرد بيتي به وبيت النضير سوى الأبلق

وقال السموءل يذكر بناء جده الحصن:

بنى لي عاديا حصناً حصيناً وماء كلما شئت استقيت

وكانت العرب تنزل به، فيضيفها، وتمتار من حصنه، وتقيم هناك سوقا.

وبه يضرب المثل في الوفاء لإسلامه ابنه حتى قتل، و لم يخن أمانته في أدراع أودعها.

امرؤ القيس يفد عليه

وكان السبب في ذلك - فيما ذكر لنا محمد بن السائب الكلبي - أن امرأ القيس بن حجر لما سار إلى الشام يريد

قيصر نزل على السموءل بن عاديا يحصنه الأبلق بعد إيقاعه ببني كنانة على أنهم بنو أسد وكراهة أصحابه لفعله، وتفرقهم عنه، حتى بقي وحده، واحتاج إلى الهرب، فطلبه المنذر بن ماء السماء، ووجه في طلبه جيوشاً من إياد وبهراء وتنوخ وجيشاً من الأساورة أمده بهم أنوشروان، وخذلته حمير، وتفرقوا عنه: فلجأ إلى السموءل ومعه أدراع كانت لأبيه خمسة: الفضفاضة، والضافية، والمحصنة والخريق، وأم الذيول، وكانت الملوك من بني آكل المرار يتوارثونها ملك عن ملك، ومعه بنته هند، وابن عمه يزيد بن الحارث بن معاوية بن الحارث، وسلاح ومال كان بقي معه، ورجل من بني فزارة يقال له: الربيع بن ضبع شاعر، فقال له الفزاري: قل في السموءل شعراً تمدحه به، فإن الشعر يعجبه وأنشده الربيع شعراً مدحه به وهو قوله:

ولقد أتيت بني المصاص مفاخراً ... وإلى السموءل زرته بالأبلق

فأتيت أفضل من تحمل حاجة ... إن جئته في غارم أو مرهق

عرفت له الأقوام كل فضيلة ... وحوى المكارم سابقاً لم يسبق

قال: فقال امرؤ القيس فيه قصيدته:

طرقتك هند بعد طول تجنب ... وهناً ولم تك قبل ذلك تطرق

قال: وقال الفزاري: إن السموءل يمنع منك حتى يرى ذات عينك، وهو في حصن حصين ومال كثير، فقدم به على السموءل، وعرفه إياه، وأنشداه الشعر، فعرف لهما حقهما، وضرب على هند قبة من أدم، وأنزل القوم في مجلس له براح، فكانت عنده ما شاء الله.

امرؤ القيس يستودعه ودائعه ويرحل ثم إن امرأ القيس سأله أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر الغساني أن يوصله إلى قيصر، ففعل، واستصحب معه رجلا يدله على الطريق، وأودع بنيه وماله وأدراعه السموءل، ورحل إلى الشام، وخلف ابن عمه يزيد بن الحارث مع ابنته هند، قال: ونزل الحارث بن ظالم في بعض غاراته بالأبلق؛ ويقال: بل الحارث بن أبي شمر الغساني؛ ويقال: بل كان المنذر وجه بالحارث بن ظالم في خيل، وأمره بأخذ مال امرىء القيس من السموءل.

يضحي بابنه في سبيل الوفاء فلما نزل به تحصن منه، وكان له ابن قد يفع وخرج إلى قنص له، فلما رجع أخذه الحارث بن ظالم، ثم قال للسموءل: أتعرف هذا؟ قال: نعم، هذا ابني، قال: أفتسلم ما قبلك أم أقتله؟ قال: شأنك به، فلست أخفر ذمتي، ولا أسلم مال جاري، فضرب الحارث وسط الغلام، فقطعه قطعتين، وانصرف عنه؛ فقال السموءل في ذلك

وفيت بأدرع الكندي إني ... إذا ما ذم أقوام وفيت

وأوصى عادياً يوماً بألا ... تهدم يا سموءل ما بنيت

بنى لي عادياً حصناً حصيناً ... وماء كلما شئت استقيت

الأعشى يستجير بابنه فيجيره وقال الأعشى يمدح السموءل ويستجير بابنه شريح بن السموءل من رجل كلبي كان الأعشى هجاه، ثم ظفر به، فأسره، وهو لا يعرفه، فنزل بشريح بن السموءل، وأحسن ضيافته، ومر بالأسرى، فناداه الأعشى:

شريح لا تسلمني اليوم إذا علقت ... حبالك اليوم بعد القيد أظفاري

قد سرت ما بين بلقاء إلى عدن ... وطال في العجم تكراري وتسياري

فكان أكرمهم عهداً وأوثقهم ... عقداً أبوك بعرف غير إنكار

كالغيث ما استمطروه جاد وابله ... وفي الشدائد كالمستأسد الضاري

كن كالسموءل إذ طاف الهمام به ... في جحفل كسواد الليل جرار

إذ سامه خطتي خسف فقال له: ... قل ما تشاء فإني سامع حار

فقال: غدر وثكل أنت بينهما ... فاختر، وما فيهما حظ لمختار

فشك غير طويل ثم قال له: ... اقتل أسيرك إني مانع جاري

وسوف يعقبنيه إن ظفرت به ... رب كريم وبيض ذات أطهار

لا سرهن لدينا ذاهب هدراً ... وحافظات إذا استودعن أسراري

فاختار أدراعه كيلا يسب بها ... ولم يكن وعده فيها بختار

فجاء شريح إلى الكلبي فقال له: هب لي هذا الأسير المضرور فقال: هو لك، فأطلقه، وقال له: أقم عندي، حتى أكرمك، وأحبوك، فقال له الأعشى: إن تمام إحسانك إلي أن تعطيني ناقة ناجية، وتخليني الساعة، فأعطاه ناقة ناجية، فركبها ومضى من ساعته. وبلغ الكلبي أن الذي وهب لشريح هو الأعشى، فأرسل إلى شريح، ابعث إلي الأسير الذي وهبت لك حتى أحبوه، وأعطيه، فقال: قد مضى، فأرسل الكلبي في أثره، فلم يلحقه.

سعية بن عريض سعية بن عريض بن عاديا أخو السموءل شاعر، فمن شعره الذي يغنى فيه قوله: صوت

يا دار سعدى مقصى تلعة النعم ... حييت داراً على الإقواء والقدم

عجنا فما كلمتنا الدار إذ سئلت ... وما بها عن جواب خلت من صمم

وما يجزعك إلا الوحش ساكنة ... وهامد من رماد القد والحمم

الشعر لسعية بن عريض، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه خفيف ثقيل عن الهشامي، وله فيه خفيف ثقيل عن الهشامي، ويقال: إنه لمالك، وفيه لابن جؤذرة بمل عن الهشامي.

وسعية بن عريض القائل، وفيه غناء: صوت

لباب هل عندك من نائل لعاشق ذي حاجة سائل

عللته منك بما لم ينل يا ربما عللت بالباطل

الغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى، عن إسحاق، وفيه لابن الهربذ خفيف رمل بالوسطى عن عمرو، وفيه لمتيم رمل آخر من جامعها، وفيه لحن ليونس غير مجنس، وأول هذه القصيدة:

لباب يا أخت بني مالك لا تشتري العاجل بالآجل

لباب داويني و لا تقتلي قد فضل الشافي على القاتل

إن تسألي بي فاسألي خابراً والعلم قد يكفي لدى السائل

ينبيك من كان بنا عالماً عنا وما العالم كالجاهل

أنا إذا حارت دواعي الهوى وأنصت السامع للقائل

واعتلج القوم بألبابهم في المنطق الفاصل و النائل

لا نجعل الباطل حقاً و لا نلظ دون الحق بالباطل

نخاف أن تسفه أحلامنا فنخمل الدهر مع الخامل

معاوية يتمثل بشعره أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني أحمد بن الهيثم الفراسي: قال: حدثني العمري، عن العتبي، قال: كان معاوية يتمثل كثيراً إذا اجتمع الناس في مجلسه بهذا الشعر:

إنا إذا مالت دواعي الهوى وأنصت السامع للقائل

لا نجعل الباطل حقاً و لا نلظ دون الحق بالباطل

نخاف أن تسفه أحلامنا فنحمل الدهر مع الخامل

عبد الملك بن مروان يسمع شعره قبل القضاء أخبرني الحرمي بن أبي العلاء: قال: حدثنا الزبير بن بكار: قال: أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز قال: أخبرني خالي يوسف بن الماجشون، قال: كان عبد الملك بن مروان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفاً على رأسه ينشده:

إنا إذا مالت دواعي الهوى وأنصت السامع للقائل

واصطرع القوم بألبابهم نقضي بحكم عادل فاصل

لا نجعل الباطل حقاً و لا نلظ دون الحق بالباطل

نخاف أن تسفه أحلامنا فنخمل الدهر مع الخامل

ثم يجتهد عبد الملك في الحق بين الخصمين.

أصحابه يميليون مع الريح أخبرني وكيع والحسن بن علي قالا: حدثنا أبو قلابة: قال: حدثنا الأصمعي، عن أبي الزناد، عن أبيه، عن رجال من الأنصار: أن سعية بن عريض أخا السموءل بن عاديا كان ينادم قوما من الأوس والخزرج، ويأتونه، فيقيمون عنده، ويزورونه في أوقات قد ألف زيارتهم فيها، فأغار عليه بعض ملوك اليمن، فانتسف من ماله حتى افتقر، و لم يبق له مال، فانقطع عنه إخوانه، وجفوه، فلما أخصب، وعادت حاله، وتراجعت راجعوه، فقال في ذلك:

أرى الخلان لما قل مالي ... وأجحفت النوائب ودعوني

فلما أن غنيت وعاد مالي ... أراهم لا أبالك راجعوني

وكان القوم خلانا لمالي ... وإخوانا لما خولت دوني

فلما مر مالي باعدوني ... ولما عاد مالي عاودوني

ومن أشعار اليهود ويغنى به

صوت

هل تعرف الدار خف ساكنها ... بالحجر فالمستوى إلى ثمد

دار لبهنانة خدلجة ... تضحك عن مثل جامد البرد

نعم ضجيع الفتى إذا برد ... الليل وغارت كواكب الأسد

يا من لقلب متيم سدم ... عان رهين أحيط بالعقد

أزجره وهو غير مزدجر ... عنها وطرفي مقارن السهد

تمشي الهوينا إذا مشت فضلاً ... مشى النزيف المبهور في صعد

تظل من زور بيت جارتها ... واضعة كفها على الكبد

الشعر لأبي الزناد اليهودي العديمي، والغناء لابن مسجح ثقيل أول بالوسطى في الثلاثة الأبيات الأول، عن الهشامي ويحيى المكي، وفيها لمعبد خفيف ثقيل أول عن الهشامي، وقال: أظنه من منحول يحيى بن المكي، وقد نسب قوم هذا اللحن المنسوب إلى معبد إلى ابن مسجح، ولابن محرز في "يا من لقلب".

وما بعده خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، وذكر عمرو أن فيها لحنا لمعبد لم يذكر طريقته،

وذكر ذلك في كتاب عمله الواثق قديماً غير مجنس، وهذا الشعر يقوله أبو الزناد في أهل تيماء يرثيهم، وذكر ذلك عمر بن شبة: ومن الغناء في أشعار اليهود من قريظة والنضير: صوت

دور عفت بقرى الخابور غيرها بعد الأنيس سوافي الريح والمطر

إن تمس دارك ممن كان ساكنها وحشا فذلك صرف الدهر والغير

وقد تحل بها بيض ترائبها كأنها بين كثبان النقا البقر

الشعر للربيع بن أبي الحقيق، روى ذلك السكري، عن الطوسي، وعن محمد بن حبيب، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، وهو صوت مشهور ابتداؤه نشيد.

أخبار الربيع بن أبي الحقيق

الربيع رئيس لبني قريظة كان الربيع من شعراء اليهود من بني قريظة، وهم وبنو النضير جميعا من ولد هارون بن عمران، يقال لهما: الكاهنان، وكان الربيع أحد الرؤساء في يوم حرب بعاث، وكان حليفاً للخزرج هو وقومه، فكانت رياسة بني قريظة للربيع، ورياسة الخزرج لعمرو بن النعمان البياضي، وكان رئيس بني النضير يومئذ سلام بن مشكم.

يلتقي بالنابغة الذبياني أخبرني عمي ومحمد بن حبيب بن نصر المهلبي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن الحسن الأنصاري، قال: حدثني الحسن بن موسى؛ مولى بني مازن بن النجار عن أبي عبيدة قال: أقبل النابغة الذبياني يريد سوق بني قينقاع، فلحقه الربيع بن أبي الحقيق نازلا من أطمه، فلما أشرفا على السوق سمعا الضجة، وكانت سوقاً عظيمة، فحاصت بالنابغة ناقته، فأنشأ يقول:

كادت تهال من الأصوات راحلتي

ثم قال للربيع بن أبي الحقيق: أجز يا ربيع، فقال:

والنفر منها إذا ما أوجست خلق

فقال النابغة: ما رأيت كاليوم شعراً، ثم قال:

لولا أنهنهها بالسوط لاجتذبت

أجز يا ربيع، فقال:

مني الزمام وإني راكب لبق

فقال النابغة:

قد ملت الحبس في الآطام واستعفت

أجز يا ربيع، فقال:

إلى مناهلها لو أنها طلق

فقال النابغة: أنت يا ربيع أشعر الناس.

أبان بني عثمان يتمثل بأبياته حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري، ومحمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني الحزامي قال: حدثني سعيد بن محمد الزبيري، قال: حدثنا ابن أبي الزناد، عن أبيه قال: قل ما جلست إلى أبان بن عثمان إلا سمعته يتمثل بأبيات ابن أبي الحقيق.

سئمت وأمسيت رهن الفرا ش من جرم قومي ومن مغرم

ومن سفه الرأي بعد النهى وغيب الرشاد، ولم يفهم

فلو أن قومي أطاعوا الحل يم لم يتعدوا ولم نظلم

ولكن قومي أطاعوا الغوا ة حتى تعكص أهل الدم

فأودى السفيه برأي الحل يم وانتشر الأمر لم يبرم

يعاتب قوما من الأنصار أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا معاذ، عن أبي عبيدة قال: قال الربيع بن أبي الحقيق يعاتب قوما من الأنصار في شيء بينهم وبينه:

رأيت بني العنقاء زالوا وملكهم وآبوا بأنف في العشيرة مرغم

فإن يقتلوا نندم لذاك وإن بقوا فلا بد يوماً من عقوق ومأتم

وإنا فويق الرأس شؤبوب مزنة لها برد ما يغش مِ الأرض يحطم

صوت

ولنا بئر رواء جمة من يردها بإناء يغترف

تدلج الجون على أكنافها بدلاء ذات أمراس صدف

كل حاجاتي قد قضيتها غير حاجاتي من بطن الجرف

الشعر لكعب بن الأشرف اليهودي، والغناء لمالك ثقيل أول عن يحيى المكي، قال: وفيه لابن عائشة خفيف ثقيل، ولمعبد ثاني ثقيل قال يحيى في كتابه: وقد خلط الرواة في ألحانهم، ونسبوا لحن كل واحد منهم إلى صاحبه، وذكر الهشامي أن فيه لابن جامع خفيف رمل بالبنصر، وفيه لجعدب لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس.

أخبار كعب ونسبه ومقتله

اسمه ونسبه كعب بن الأشرف مختلف في نسبه، فزعم ابن حبيب أنه من طيء، وأمه من بني النضير، وأن أباه توفي وهو صغير، فحملته أمه إلى أخواله، فنشأ فيهم، وساد، وكبر أمره، وقيل: بل هو من بني النضير.
وكان شاعراً فارساً، وله مناقضات مع حسان بن ثابت وغيره في الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج، تذكر في مواضعها إن شاء الله تعالى - وهو شاعر من شعراء اليهود فحل فصيح، وكان عدواً للنبي صلى الله عليه وسلم يهجوه، ويهجو أصحابه، ويخذل منه العرب، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم نفراً من أصحابه، فقتلوه في داره.
ذكر خبره في ذلك كان كعب بن الأشرف يهجو النبي صلى الله عليه وسلم، ويحرض عليه كفار قريش في شعره، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة، وهي أخلاط، منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوثان، ومنهم اليهود، وهم أهل الحلقة والحصون، وهم حلفاء الحيين الأوس والخزرج، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم - إذ قدم - استصلاحهم كلهم، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرك، ويكون مسلماً وأخوه مشرك، وكان المشركون واليهود حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم يؤذونه وأصحابه أشد الأذى، فأمر الله نبيه والمسلمين بالصبر على ذلك والعفو عنهم، وأنزل في شأنهم: "ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم" الآية. وأنزل فيهم: "ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم" إلى قوله: "واصفحوا" فلما أبى كعب بن الأشرف أن يترع عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أمر النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ أن يبعث إليه رهطاً، فيقتلوه، فبعث إليه محمد بن مسلمة وأبا عبس بن جبير، والحارث ابن أخي سعد، في خمسة رهط، فأتوه عشية، وهو في مجلس قومه بالعوالي، فلما رآهم كعب أنكر شأنهم، وكان يذعر منهم، فقال لهم: ما جاء بكم؟ فقالوا: جئنا لنبيعك أدراعا نستنفق أثمانها، فقال: والله لئن فعلتم ذلك لقد جهدتم مذ نزل بكم هذا الرجل، ثم واعدهم أن يأتوه عشاء حين تهدأ أعين الناس، فجاءوا، فناداه رجل منهم، فقام ليخرج، فقالت امرأته: ما طرقوك ساعتهم هذه بشيء مما تحب، فقال: بلى إنهم قد حدثوني حديثهم، وخرج إليهم، فاعتنقه أبو عبس، وضربه محمد بن مسلمة بالسيف في خاصرته، وانحنوا عليه، حتى قتلوه، فرعبت اليهود ومن كان معهم من المشركين، وغدوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: قد طرق صاحبنا الليلة، وهو سيد من سادتنا، فقتل، فذكر لهم صلى الله عليه وسلم ما كان يؤذى به في أشعاره، ودعاهم إلى أن يكتب بينهم وبين المسلمين كتاباً، فكتبت الصحيفة بذلك في دار الحارث، وكانت بعد النبي صلى الله عليه وسلم عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

صوت

هل بالديار التي بالقاع من أحد ... باق فيسمع صوت المدلج الساري
تلك المنازل من صفراء ليس بها ... نار تضيء ولا أصوات سمار

ويروى: "ليس بها حي يجيب".
الشعر لبيهس الجرمي، والغناء لأحمد بن المكي ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي، وقال عمرو بن بانة: فيه ثاني ثقيل بالبنصر، يقال: إنه لابن محرز، وقال الهشامي: فيه لحباب بن إبراهيم خفيف ثقيل، وهو مأخوذ من لحن ابن صاحب الوضوء.

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه

أخبار بيهس ونسبه

اسمه ونسبه

بيهس بن صهيب بن عامر بن عبد الله بن نائل بن مالك بن عبيد بن علقمة بن سعيد بن كثير بن غالب بن عدي بن بيهس بن طرود بن قدامة بن جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.
ويكنى أبا المقدام: شاعر فارس شجاع، من شعراء الدولة الأموية، وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جرم وكلب وعذرة، ويحضر إذا حضروا، فيكون بأجناد الشام، وكان مع المهلب بن أبي صفرة في حروبه للأزارقة، وكانت له مواقف مشهورة وبلاء حسن، وبعض أخباره في ذلك يذكر بعقب أخباره في هذا الشعبر.
من هي صفراء وقد اختلف الرواة في أمر صفارء التي ذكرها في شعره هذا، فذكر القحذمي أنها كانت زوجته وولدت له ابنا، ثم طلقها، فتزوجت رجلاً من بني أسد، وماتت عنده، فرثاها. وذكر أبو عمرو الشيباني أنها كانت بنت عمه دنية، وأنه كان يهواها، فلم يزوجها، وخطبها الأسدي، وكان موسراً، فزوجها.
قال أبو عمرو: وكان بيهس بن صهيب الجرمي يهوى امرأة من قومه، يقال لها، صفراء بنت عبد الله بن عامر بن عبد الله بن نائل، وهي بنت عمه دنية، وكان يتحدث إليها، ويجلس في بيتها، ويكتم وجده بها، ولا يظهره لأحد، ولا يخطبها لأبيها؛ لأنه كان صعلوكاً لا مال له، فكان ينتظر أن يثرى، وكان من أحسن الشباب وجهاً وشارة وحديثاً وشعراً، فكان نساء الحي يتعرضن له، ويجلسن إليه ويتحدثن معه، فمرت به صفراء، فرأته جالساً مع فتاة منهن، فهجرته زماناً لا تجيبه إذا دعاها، ولا تخرج إليه إذا زارها، وعرض له سفر، فخرج إليه، ثم عاد، وقد زوجها أبوها رجلا من بني أسد، فأخرجها، وانتقل عن دارهم بها، فقال بيهس بن صهيب:

سقى دمنة صفراء كانت تحلها ... بنوء الثريا طلها وذهابها
وصاب عليها كل أسحم هاطل ... ولا زال مخضراً مريعاً جنابها
أحب ثرى أرض إلي وإن نأت ... محلك منها نبتها وترابها
على أنها غضبى علي وحبذا ... رضاها إذا ما أرضيت وعتابها
وقد هاج لي حينا فراقك غدوة ... وسعيك في فيفاء تعوي ذئابها

نظرت وقد زال الحمول ووازنوا بركوة والوادي وخفت ركابها

فقلت لأصحابي: أبالقرب منهم جرى الطير أم نادى بين غرابها؟

يرثي صفراء قال أبو عمرو: ثم ماتت صفراء قبل أن يدخل بها زوجها، فقال بيهس يرثيها:

هل بالديار التي بالقاع من أحد باق فيسمع صوت المدلج الساري

تلك المنازل من صفراء ليس بها نار تضيء ولا أصوات سمار

عفت معارفها هوج مغبرة تسفي عليها تراب الأبطح الهاري

حتى تنكرت منها كل معرفة إلا الرماد نخيلاً بين أحجار

طال الوقوف بها والعين تسبقني فوق الرداء بوادي دمعها الجاري

إن أصبح اليوم لا أهل ذوو لطف ألهوا لديهم ولا صفراء في الدار

أرعى بعيني نجوم الليل مرتقباً يا طول ذلك من هم وإسهار

فقد يكون لي الأهل الكرام وقد ألهو بصفراء ذات المنظر الواري

من المواجد أعراقاً إذا نسبت لا تحرم المال عن ضيف وعن جار

لم تلق بؤساً ولم يضرر بها عوز ولم تزخف مع الصالي إلى النار

كذلك الدهر إن الدهر ذو غير على الأنام وذو نقض وإمرار

قد كاد يعتادني من ذكرها جزع لولا الحياء ولولا رهبة العار

سقي الإله قبورا في بني أسد حول الربيعة غيثاً صوب مدرار

من الذي بعدكم أرضى به بدلاً أو من أحدث حاجاتي وأسراري؟

يقف وصحبه على قبرها وينشد قال أبو عمرو: واجتاز بيهس في بلاد بني أسد، فمر بقبر صفراء، وهو في موضع يقال له الأحض، ومعه ركب من قومه، وكانوا قد انتجعوا بلاد بني أسد، فأوسعوا لهم، وكان بينهم صهر وحلف، فنزل بيهس على القبر، فقال له أصحابه: ألا ترحل، فقال: أما والله، حتى أظل نهاري كله عنده، وأقضي وطراً فنزلوا معه عند قبرها، فأنشأ يقول، وهو يبكي:

ألما على قبر لصفراء فاقراً السلام وقولا حينا أيها القبر

وما كان شيئاً غير أن لست صابراً دعاءك قبراً دونه حجج عشر

برابية فيها كرام أحبة على أنها إلا مضاجعهم قفر

عشية قال الركب من غرض بنا ... تروح أبا المقدام قد جنح العصر
فقلت لهم: يوم قليل وليلة ... لصفراء قد طال التجنب والهجر
وبت وبات الناس حولي هجداً ... كأن علي الليل من طوله شهر
إذا قلت هذا حين أهجع ساعة ... تطاول بي ليل كواكبه زهر
أقول إذا ما الجنب مل مكانه ... أشوك يجافي الجنب أم تحته جمر؟
فلو أن صخراً من عماية راسياً ... يقاسي الذي ألقى لقد مله الصخر

قال: وأما القحذمي فإنه ذكر فيما أخبرني به هاشم بن محمد الخزاعي، عن عيسى بن إسماعيل رتينة عنه، أنه كان تزوجها، ثم طلقها بعد أن ولدت منه ابناً؛ فتزوجها رجل من بني أسد، فماتت عنده، وذكر من شعره فيها ومراثيه لها قريباً مما تقدم ذكره. وذكر أن بيهس بن صهيب كان من فرسان العرب، وكان مع المهلب بن أبي صفرة في حروبه للأزارقة. وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جرم وكلب ويحضر إذا حضروا فيكون من أجناد الشام.

يتهم في قتيل قال: أبو عمرو: ولما هدأت الفتنة بعد مرج راهط، وسكن الناس مر غلام من قيس بطوائف من جرم وعذرة وكلب، وكانوا متجاورين على ماء لهم؛ فيقال: إن بعض أحداثهم نخس "بيهس" به ناقته فألقته، فاندقت عنقه، فمات؛ فاستعدى قومه عليهم عبد الملك، فبعث إلى تلك البطون من جاءه بوجوههم وذوي الأخطار منهم، فحبسهم، وهرب بيهس بن صهيب الجرمي، وكان قد اتهم أنه هو الذي نخس به، فنزل على محمد بن مروان فعاذبه، واستجاره، فأجاره إلا من حد توجبه عليه شهادة، فرضي بذلك، وقال وهو متوار عند محمد:

لقد كانت حوادث معضلات ... وأيام أغصت بالشراب
وما ذنب المعاشر في غلام ... تقطر بين أحواض الجباب
على قوداء أفرطها جلال ... وغض فهي باقية الهباب
ترامت باليدين فأرهقته ... كما زل النطيح من القباب
فإني والعقاب وما أرجى ... لكالساعي إلى وضح السراب
فلما أن دنا فرج بربي ... يكشف عن مخفقة بباب
من البلدان ليس بها غريب ... تخب بأرضها زل الذئاب
فظني بالخليفة أن فيه ... أماناً للبريء وللمصاب
وأن محمداً سيعود يوماً ... ويرجع عن مراجعة العتاب

فيجبر صبيتي ويحوط جاري ويؤمن بعدها أبداً صحابي

هو الفرع الذي بنيت عليه بيوت الأطيبين ذوي الحجاب

قال: فلم يزل محمد بن مروان قائماً وقاعداً في أمرهم مع أخيه، حتى أمن بيهس بن صهيب وعشيرته، واحتمل دية المقتول لقيس وأرضاهم.

صوت

نزل المشيب فما له تحويل ومضى الشباب فما إليه سبيل

ولقد أراني والشباب يقودني ورداؤه حسن علي جميل

الشعر للكميت بن معروف الأسدي، والغناء لمعبد خفيف، ولحنه من القدر الأوسط، من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

أخبار الكميت بن معروف ونسبه

اسمه ونسبه هو الكميت بن معروف بن الكميت بن ثعلبة بن رباب بن الأشتر بن جحوان بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر.

شاعر من شعراء الإسلام بدوي، أمه سعدة بنت فريد بن خيثمة بن نوفل بن نضلة.

أسرته ما بين شعراء وشواعر والكميت أحد المعرقين في الشعر، أبوه معروف شاعر، وأمه سعدة شاعرة، وأخوه خيثمة أعشى بني أسد شاعر، وابنه معروف الكميت شاعر.

فأما أبوه فهو القائل لعبد الله بن المساور بن هند:

إن مناخي أمس يا بن مساور إليك لمن شرب النقاخ المصرد

تباعدت فوق الحق من آل فقعس ولم ترج فيهم ردة اليوم أو غد

وقلت غنى لا فقر في العيش بعده وكل فتى للنائبات بمرصد

كأنك لم تعلم محل بيوتكم مع الحي بين الغور والمتنجد

فلولا رجال من جذيمة قصرة عددت بلائي ثم قلت له اعدد

أمه تؤنبه وترثيه وأمه سعدة القائلة له، وقد تزوج بنت أبي مهوش على مراغمة لها، وكراهة لذلك، فغضبت سعدة وقالت فيه:

عليك بأنقاض العراق فقد علت عليك بتخدين النساء الكرائم

لعمري لقد راش ابن سعدة نفسه بريش الدنا بي لا بريش القوادم

بنى لك معروف بناء هدمته وللشرف العادي بان وهادم

وهي القائلة ترثي ابنها الكميت:

لأم البلاد الويل ماذا تضمنت بأكناف طوري من عفاف ونائل

ومن وقعات بالرجال كأنها إذا عنت الأحداث وقع المناصل

يعزي المعزي عن كميت فتنتهي مقالته والصدر جم البلابل

أخوه يرثيه وأعشى بني أسد أخو الكميت، واسمه خيثمة، الذي يقول يرثي الكميت وغيره من أهل بيته:

هون عليك فإن الدهر منجدب كل امرئ عن أخيه سوف ينشعب

فلا يغرنك من دهر تقلبه إن الليالي بالفتيان تنقلب

نام الخلي وبت الليل مرتفقا كما تزاور يخشى دفه النكب

إذا رجعت إلى نفسي أحدثها عمن تضمن من أصحابي القلب

من إخوة وبني عم رزئتهم والدهر فيه على مستعتب عتب

عاودت وجداً على وجد أكابده حتى تكاد بنات الصدر تلتهب

هل بعد صخر وهل بعد الكميت أخ أم هل يعود لنا دهر فنصطحب؟

لقد علمت ولو مليت بعدهم أني سأنهل بالشرب الذي شربوا

ابنه معروف يتغزل ومعروف بن الكميت القائل:

لقد كنت أحسبني جلداً فهيجني بالشيب منزلة من أم عمار

كانت منازل لا ورهاء جافية على الحدوج ولا عطلاً بمقفار

وما تجاورنا إذ نحن نسكنها ولا تفرقنا إلا بمقدار

صوت

أرقت لبرق دونه شذوان يمان وأهوى البرق كل يماني

فليت القلاص الأدم قد وخدت بنا بواد يمان ذي رباً ومجاني

الشعر ليعلى الأحول الأزدي، وجدت ذلك بخط أبي العباس محمد بن يزيد المبرد في شعر الأزد، وقال عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه: هي ليلعى الأحول، كما روى غيره، قال: ويقال: إنها لعمرو بن أبي عمارة الأزدي من بني خنيس، ويقال: إنها لجواس بن حيان من إزد عمان.

وأول هذه القصيدة، في رواية أبي عمرو، أبيات فيها غناء أيضاً وهي: صوت

أويحكما يا واشي أم معمر بمن وإلى من جئتما تشيان؟

بمن لو أراه عانياً لفديته ومن لو رآني عانياً لفداني

لعريب في هذين البيتين ثقيل أول، ولعمرو بن بانة فيهما هزج بالوسطى من كتابه وجامع صنعته، وقال ابن المكي: لمحمد بن الحسن بن مصعب فيه هزج بالأصابع كلها.

أخبار يعلى ونسبه

اسمه ونسبه يعلى الأحول بن مسلم بن أبي قيس، أحد بني يشكر بن عمرو بن رالان - ورالان هو يشكر - وهيشكر لقب لقب به - بن عمران بن عمرو بن عدي بن حارثة بن لوذان بن كهف الظلام - هكذا وجدته بخط المبرد - بن ثعلبة بن عمرو بن عامر.

شاعر فاتك خليع شاعر إسلامي لص من شعراء الدولة الأموية، وقال هذه القصيدة وهو محبوس بمكة عند نافع بن علقمة الكناني في خلافة عبد الملك بن مروان.

قال أبو عمرو: وكان يعلى الأحول الأزدي لصاً فاتكاً خارباً، وكان خليعا، يجمع صعاليك الأزد وخلعاءهم، فيعير بهم على أحياء العرب، ويقطع الطريق على السابلة، فشكي إلى نافع بن علقمة بن الحارث بن محرث الكناني ثم الفقيمي، وهو خال مروان بن الحكم، وكان والي مكة، فأخذ به عشيرته الأزديين، فلم ينفعه ذلك، واجتمع إليه شيوخ الحي فعرفوه أنه خليع قد تبرؤوا منه ومن جرائره إلى العرب، وأنه لو أخذ به سائر الأزد ما وضع يده في أيديهم، فلم يقبل ذلك منهم، وألزمهم إحضاره، وضم إليهم شرطاً يطلبونه إذا طرق الحي حتى يجيئوه به.

يسلمه قومه إلى الحاكم فلما اشتد عليهم في أمره طلبوه، حتى وجدوه، فأتوا به، فقيده وأودعه الحبس، فقال في محبسه: قصيدته في سجنه

أرقت لبرق دونه شذوان يمان وأهوى البرق كل يمان

فبت لدى البيت الحرام أشيمه ومطواي من شوق له أرقان

المطو: الصاحب.

إذا قلت: شيماه يقولان والهوى يصادف منا بعض ما تريان

جرى منه أطراف الشري فمشيع فأبيان فالحيان من دمران

فمران فالأقباص أقباص أملج فماوان من واديهما شطنان

هنالك لو طوفتما لوجدتما صديقاً من أخوان بها وغوان

وعزف الحمام الورق في ظل أيكة وبالحي ذي الرودين عزف قيان

ألا ليت حاجاتي اللواتي حبسنني لدي نافع قضين منذ زمان

وما بي بغض للبلاد ولا قلى ولكن شوقاً في سواه دعاني

فليت القلاص الأدم قد وخدت بنا بواد يمان ذي رباً ومجاني

بواد يمان ينبت السدر صدره وأسفله بالمرخ والشبهان

يدافعنا من جانبيه كليهما عزيفان من طرفائه هدبان

وليت لنا بالجوز واللوز غيلة جناها لنا من بطن حلية جاني

الغيلة: شجر الأراك إذا كانت رطبة، ويروى في موضع: من بطن حلية: من حب جيحة.

وليت لنا بالديك مكاء روضة على فنن من بطن حلية داني

وليت لنا من ماء حزنة شربة مبردة باتت على طهمان

ويروى: من ماء حمياء.

صوت

إن السلام وحسن كل تحية تغدو على ابن مجزز وتروح

هلا فدى ابن مجزز متفحش شنج اليدين على العطاء شحيح

الشعر لجواس العذري، والغناء لسائب بن خاثر خفيف ثقيل بالوسطى بن يحيى المكي والهشامي من رواية حماد عن أبيه، في أخبار سائب خاثر وأغانيه.

نسب جواس وخبره في هذا الشعر

اسمه ونسبه هو جواس بن قطبة العذري، أحد بن الأحب رهط بثينة، وجواس وأخوه عبد الله الذي كان يهاجي جميلاً ابنا عمها دنية، وهما ابنا قطبة بن ثعلبة بن الهون ابن عمرو بن الأحب بن حن بن ربيعة بن حرام بن عتبة بن عبيد ابن كثير بن عجرة.

ينافر جميل بن معمر فترجح كفته وكان جواس شريفاً في قومه شاعراً، فذكر أبو عمرو الشيباني: أن جميل بن

عبد الله بن معمر لما هاجى جواسا تنافرا إلى يهود تيماء، فقالوا لجميل: يا جميل، قل في نفسك ما شئت، فأنت والله الشاعر الجميل الوجه الشريف، وقل أنت يا جواس في نفسك وفي أبيك ما شئت، ولا تذكرن أنت يا جميل أباك في فخر؛ فإنه كان يسوق معنا الغنم بتيماء، عليه شملة لا تواري استه، ونفروا عليه جواسا، قال: ونشب الشر بين جميل وجواس، وكانت تحته أم الجسير أخت بثينة التي يذكرها جميل في شعره، إذ يقول:

يا خليلي إن أم جسير حين يدنو الضجيع من علله

روضة ذات حنوة وخزامى جاد فيها الربيع من سبله

قوم جميل يثأرون منه فغضب لجميل نفر من قومه يقال لهم بنو سفيان، فجاءوا إلى جواس ليلاً وهو في بيته، فضربوه وعروا امرأته أم الجسير في تلك الليلة، فقال جميل:

ما عر جواس استها إذ يسبهم بصقري بني سفيان قيس وعاصم

هما جردا أم الجسير وأوقعا أمر وأدهى من وقيعة سالم

يعني سالم بن دارة.

فقال جواس:

ما ضرب الجواس إلى فجاءة على غفلة من عينه وهو نائم

فإلا تعجلني المنية يصطبح بكاسك حصناكم حصين وعاصم

ويعطى بنو سفيان ما شئت عنوة كما كنت تعطيني وأنفك راغم

جميل يحدو ركاب مروان بن الحكم وقال أبو عمرو الشيباني: حج مروان بن الحكم، فسار بين يديه جميل بن عبد الله بن معمر، وجواس بن قطبة، وجواس بن القعطل الكلبي، فقال لجميل: انزل فسق بنا، فنزل جميل فقال:

يا بثن حيي ودعينا أوصلي وهوني الأمر فزوري واعجلي

ثمت أياً ما أردت فافعلي إني لآتي ما أتيت مؤتلي

فقال له مروان: عد عن هذا، فقال:

أنا جميل والحجاز وطني فيه هوى نفسي وفيه شجني

هذا إذا كان السياق ددني جواس بن قطبة يحدو ركاب مروان

فقال لجواس بن قطبة: انزل أنت يا جواس فسق بنا، فنزل فقال - وقد كان بلغه عن مروان أنه توعده إن هاجى جميلاً:

لست بعبد للمطايا أسوقها ولكنني أرمي بهن الفيافيا

أتاني عن مروان بالغيب أنه مبيح دمي أو قاطع من لسانيا

وفي الأرض منجاة وفسحة مذهب إذا نحن رققنا لهن المثانيا

فقال له مروان: أما إن ذلك لا ينفعك إذا وجب عليك حق، فاركب لا ركبت.

جواس بن القعطل يحدو ركاب مروان ثم قال لجواس بن القعطل - ويقال بل القصة كلها مع جواس بن قطبة : انزل فارجز بنا، فنزل فقال هذه الأبيات:

يقول أميري: هل تسوق ركابنا فقلت :اتخذ حاد لهن سوائيا

تكرمت عن سوق المطي ولم يكن سياق المطايا همتي ورجائيا

جعلت أبي رهناً وعرضي سادراً إلى أهل بيت لم يكونوا كفائيا

إلى شر بيت من قضاعة منصباً وفي شر قوم منهم قد بداليا

فقال له: اركب لا ركبت.

عود إلى الصوت وخبر ابن مجزز والأبيات التي فيها الغناء يرثي بها جواس بن قطبة العذري علقمة بن مجزز قال أبو عمرو الشيباني: وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بعث علقمة بن مجزز الكناني ثم المدلجي في جيش إلى الحبشة، وكانوا لا يشربون قطرة من ماء إلا بإذن الملك، وإلا قوتلوا عليه، فنزل الجيش على ماء قد ألقت لهم فيه الحبشة سماً، فوردوه مغترين، فشربوا منه، فماتوا عن آخرهم، وكانوا قد أكلوا هناك تمراً، فنبت ذلك النوى الذي ألقوه نخلاً في بلاد الحبشة، وكان يقال له نخل ابن مجزز، فأراد عمر أن يجهز إليهم جيشاً عظيماً فشهد عنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اتركوا الحبشة ما تركوكم، وقال: وددت لو أن بيني وبينهم بحراً من نار، فقال جواس العذري يرثي علقمة ابن مجزز:

إن السلام وحسن كل تحية تغدو على ابن مجزز وتروح

فإذا تجرد حافراك وأصبحت في الفجر نائحة عليك تنوح

وتخيروا لك من جياد ثيابهم كفناً عليك من البياض يلوح

فهناك لا تغني مودة ناصح حذراً عليك إذا يسد ضريح

هلا فدى ابن مجزز متفحش شنج اليدين على العطاء شحيح

متمرع ورع وليس بماجد متملح وحديثه مقبوح

وفيمن هلك مع ابن مجزز يقول جواس:

ألهفي لفتيان كأن وجوههم دنانير وافت مهلك ابن مجزز

صوت

أحبتنا بأبي أنتم وسقياً لكم حيثما كنتم
أطلتم عذابي بميعادكم وقلتم نزور فما زرتم
فأمسك قلبي على لوعتي ونمت دموعي بما أكتم
ففيم أسأتم وأخلفتم وقدماً وفيتم وأحسنتم

الشعر لإبراهيم بن المدبر، والغناء لعريب خفيف ثقيل.

أخبار إبراهيم بن المدبر

نشأته أبو إسحاق بن المدبر شاعر كاتب متقدم من وجوه كتاب أهل العراق ومتقدميهم وذوي الجاه والمتصرفين في كبار الأعمال ومذكور الولايات، وكان المتوكل يقدمه ويؤثره، ويفضله، وكانت بينه وبين عريب حال مشهورة، كان يهواها، وتهواه، ولهما في ذلك أخبار كثيرة، قد ذكرت بعضها في أخبار عريب، وأذكر باقيها هاهنا.

بين يدي المتوكل أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: حدثني إبراهيم بن المدبر قال: مرض المتوكل مرضة خيف عليه منها ثم عوفي، وأذن للناس في الوصول إليه، فدخلوا على طبقاتهم كافة ودخلت معهم، فلما رآني استدناني، حتى قمت وراء الفتح، ونظر إلي مستنطقاً فأنشدته:

يوم أتانا بالسرور فالحمد لله الكبير
أخصلت فيه شكره ووفيت فيه بالنذور
لما اعتللت تصدعت شعب القلوب من الصدور
من بين ملتهب الفؤا د وبين مكتئب الضمير
يا عدتي للدين والدني ا وللخطب الخطير
كانت جفوني ثرة ال آماق بالدمع الغزير
لو لم أمت جزعاً لعم رك إنني عين الصبور
يومي هنالك كالسني ن وساعتي مثل الشهور

يا جعفر المتوكل ال عالي على البدر المنير
اليوم عاد الدين غض العود ذا ورق نضير
واليوم أصبحت الخلا فة وهي أرسى من ثبير

قد حالفتك وعاقدت ... ك على مطاولة الدهور
يا رحمة للعالمي ... ن ويا ضياء المستنير
يا حجة الله التي ... ظهرت له بهدى ونور
لله أنت فما نشا ... هد منك من كرم وخير
حتى نقول ومن بقر ... بك من ولي أو نصير
البدر ينطق بيننا ... أم جعفر فوق السرير!
فإذا تواترت العظا ... ئم كنت منقطع النظير
وإذا تعذرت العطا ... يا كنت فياض البحور
تمضي الصواب بلا وزي ... ر أو ظهير أو مشير

فقال المتوكل للفتح: إن إبراهيم لينطق عن نية خالصة، وود محض، وما قضينا حقه، فتقدم بأن يحمل إليه الساعة خمسون ألف درهم، وتقدم إلى عبيد الله بن يحيى بأن يوليه عملاً سرياً ينتفع به.

المتوكل ينتقض عليه ويودعه السجن حدثني عمي قال: حدثني محمد بن داود بن الجراح قال: كان أحمد بن المدبر ولي لعبيد الله بن يحيى بن خاقان عملاً، فلم يحمد أثره فيه، وعمل على أن ينكبه. وبلغ أحمد ذلك فهرب، وكان عبيد الله منحرفاً عن إبراهيم، شديد النفاسة عليه برأي المتوكل فيه، فأغراه به، وعرفه خبر أخيه، وأدعى عليه مالاً جليلا، وذكر أنه عند إبراهيم أخيه، وأوغر صدره عليه حتى أذن له في حبسه، فقال وهو محبوس:

تسلي ليس طول الحبس عاراً ... وفيه لنا من الله اختيار
فلولا الحبس ما بلي اصطبار ... ولولا الليل ما عرف النهار
وما الأيام إلا معقبات ... ولا السلطان إلا مستعار
وعن قد حربست فلا نقيض ... وفيما قدر الله الخيار
سيفرج ما ترين إلى قليل ... مقدره وإن طال الإسار

وإبراهيم في حبسه أشعار كثيرة حسان مختارة، منها قوله في قصيدة أولها:

أدموعها أم لؤلؤ متناثر ... يندى به ورد جني ناضر

يقول فيها:

لا تؤيسنك من كريم نوبة ... فالسيف ينبو وهو عضب باتر
هذا الزمان تسومني أيامه ... خسفا وهأنذا عليه صابر

إن طال لايلي في الأسار فطالما أفنيت دهراً ليله متقاصر

والحبس يحجبني وفي أكنافه مني على الضراء ليث خادر

عجباً له كيف التقت أبوابه والجود فيه والغمام الباكر؟

هلا تقطع أو تصدع أو وهى فعذرته؛ لكنه بي فاخر

ومنها قوله في قصيدة أولها:

ألا طرقت سلمى لدى وقعة الساري فريداً وحيداً موثقاً نازح الدار

هو الحبس ما فيه علي غضاضة وهل كان في حبس الخليفة من عار !

يقول فيها:

ألست ترين الخمر يظهر حسنها وبهجتها بالحبس في الطين والقار!

وما أنا إلا كالجواد يصونه مقومه للسبق في طي مضمار

أو الدرة الزهراء في قعر لجة فلا تجتلى إلا بهول وأخطار

وهل هو إلا منزل مثل منزلي وبيت ودار مثل بيتي أو داري؟

فلا تنكري طول المدى وأذى العدى فإن نهايات الأمور لإقصار

لعل وراء الغيب أمراً يسرنا يقدره في علمه الخالق الباري

وإني لأرجو أن أصول بجعفر فأهضم أعدائي وأدرك بالثار

يثني على من خلصه من سجنه فأخبرني عمي عن محمد بن داود: أن حبسه طال، فلم يكن لأحد في خلاصه منه حيلة مع عضل عبيد الله وقصده إياه، حتى تخلصه محمد بن عبد الله بن طاهر، وجود المسألة في أمره، ولم يلتفت إلى عبيد الله، وبذل أن يحتمل في ماله كل ما يطالب به، فأعفاه المتوكل من ذلك، ووهبه له، وكان إبراهيم استغاث به ومدحه، فقال:

دعوتك من كرب فلبيت دعوتي ولم تعترضني إذ دعوت المعاذر

إليك وقد حلئت أوردت همتي وقد أعجزتني عن همومي المصادر

نمي بك عبد الله في العز والعلا وحاز لك المجد المؤثل طاهر

فأنتم بنو الدنيا وأملاك جوها وساستها والأعظمون الأكابر

مآثر كانت للحسين ومصعب وطلحة لا تحوي مداها المفاخر

إذا بذلوا قيل الغيوث البواكر وإن غضبوا قيل الليوث الهواصر
تطيعكم يوم اللقاء البواتر وتزهو بكم يوم المقام المنابر
وما لكم غير الأسرة مجلس ولا لكم غير السيوف مخاصر
ولي حاجة إن شئت أحرزت مجدها وسرك منها أول ثم آخر
كلام أمير المؤمنين وعطفه فمالي بعد الله غيرك ناصر
وإن ساعد المقدور فالنجح واقع وإلا فإني مخلص الود شاكر

عريب تكاتبه وتشفع له حدثني جعفر بن قدامة قال: كتبت عريب من سر من رأى إلى إبراهيم بن المدبر كتاباً تتشوقه فيه، وتخبره باستيحاشها له، واهتمامها بأمره، وأنها قد سألت الخليفة في أمره، فوعدها بما تحب، فأجابها عن كتابها، وكتب في آخر الكتاب:

لعمرك ما صوت بديع لمعبد بأحسن عندي من كتاب عريب
تأملت في أثنائه خط كاتب ورقة مشتاق ولفظ خطيب
وراجعني من وصلها ما استرقني وزهدني في وصل كل حبيب
فصرت لها عبداً مقراً بملكها ومستمسكاً من ودها بنصيب

يحب نبتا وتحب هي مظفرا أخبرني جعفر بن قدامة قال: كان علي بن يحيى المنجم وإبراهيم بن المدبر مجتمعين في منزل بعض الوجوه بسر من رأى على حال أنس، وكانت تغنيهم جارية يقال لها نبت جارية البكرية المغنية من جواري القيان، فأقبل عليها إبراهيم بن المدبر بنظره ومزحه وتحميشه، وهي مقبلة على فتى كان أمرد من أولاد الموالي يقال له مظفر، كانت تهواه، وكان أحسن الناس وجهاً، ولم يزل ذلك دأبهم إلى أن افترقوا، فكتب إليه علي بن يحيى يقول:

لقد فتنت نبت فتى الظرف والندى بمقلة ريم فاتر الطرف أحور
وشدو يروق السامعين ويملأ ال قلوب سروراً مونق متخير
فأصبح في فخ الهوى متقنصاً عزيز على إخوانه ابن المدبر
ولم تدر ما يلقى بها ولو أنها درت روحت من حره المتسعر
وذاك بها صب ونبت خلية ومشغولة عنه بوجه مظفر
ولو أنصفت نبت لما عدلت به سواه وحازت حسن مرأى ومخبر

فكتب إليه إبراهيم بن المدبر:

طربت إلى قطربل وبلشكر وراجعت غيا ليس عني يمقصر
وذكرني شعر أتاني مونق حبائب قلبي في أوائل أعصري
فنهنهت نفسير عن تذكر ما مضى وقلت :أفيقي لات حين تذكر
أبا حسن ما كنت تعرف بالخنا ولا بعلو في المكان المؤخر
ومازلت محمود الشمائل مرتضى الخ لائق معروفا بعرف ومنكر
أترمي بنبت من جفاها تخيراً وباعدها عنه برأي موقر؟
ودافعها عن سرها وهي تشتكي إليه تباريح الهوى المستقر
ولو كان تباعاً دواعي نفسه إذاً لقضى أوطاره ابن المدبر
على أنه لو حصحص الحق باعها ولو كان مشغوفا بها بمظفر
بلؤلؤة زهراء يشرق ضوءها وغرة وجه كالصباح المشهر
إلى الله أشكو أن هذا وهذه غزالا كثيب ذي أقاح منور
وأنت فقد طالبتها فوجدتها لها خلق لا يرغوي ذو توعر
وحاولت منها سلوة عن مظفر فما لان منها العطف عند التخير
نصحتك عن ود ولم أك جاهداً فإن شئت فاقبل قول ذي النصح أو ذر

فكتب إليه علي بن يحيى المنجم:

لعمري لقد أحسنت يا بن المدبر ومازلت في الإحسان عين المشهر
ظرفت ومن يجمع من العلم مثل ما جمعت أبا إسحاق يظرف ويشهر

ولإبراهيم في نبت هذه أشعار كثيرة منها قوله:

نبت إذا سكتت كان السكوت لها زينا وإن نطقت فالدر ينتشر
وإنما أقصدت قلبي بمقلتها ما كان سهم ولا قوس ولا وتر

وقوله:

يا نبت يا نبت قد هام الفؤاد بكم وأنت والله أحلى الخلق أنسانا
ألا صليني فإني قد شغفت بكم إن شئت سراً وإن أحببت إعلانا

خاتما عريب أخبرني جعفر بن قدامة قال: كان في إصبع إبراهيم بن المدبر خاتمان وهبتهما له عريب، وكانا مشهورين لها، فاجتمع مع أبي العبيس بن حمدون في اليوم التاسع والعشرين من شعبان على شرب، فلما سكرا

اتفقا على أن يصير إبراهيم إلى أبي العبيس، ويقيم عنده من غد إن لم ير الهلال، وأخذ الخاتمين منه رهناً. ورئي الهلال في تلك الليلة، وأصبح الناس صياماً، فكتب إبراهيم إلى أبي العبيس يطالبه بالخاتمين، فدافعه، وعبث به، فكتب إليه من غد:

كيف أصبحت يا جعلت فداكا ... إنني أشتكي إليك جفاكا

قد تمادى بك الجفاء وما كن ... ت حقيقا ولا حريا بذاكا

كن شبيهاً بمن مضى جعل الل ... ه لك العمر دائماً ورعاكا

إن شهر الصيام شهر فكاك ... أنت فيه ونحن نرجو الفكاكا

فاردد الخاتمين رداً جميلا ... قد تنعمت فيهما ما كفاكا

يا أبا عبد الله دعوة داع ... يرتجي نجح أمره إذ دعاكا

يعني أبا عبد الله بن حمدون والد أبي العبيس المخاطب بهذا الشعر

خاتماي اللذان عند أبي العب ... اس قد شارفا لديه الهلاكا

وهو حر وقد حكاك كما ... أنك قد المكرمات تحكي أباكا

فبعث بالخاتمين إليه.

عريب تزوره؛ وتستزير أبا العبيس وأخبرني جعفر قال: زارت عريب إبراهيم بن المدبر وهو في داره على الشاطئ في المطيرة واقترحت عليه حضور أبي العبيس فكتب إليه إبراهيم:

قل لابن حمدون ذاك الأريب ... وذاك الظريف وذاك الحسيب

كتابي إليك بشكوى عريب ... لوجد شديد وشوق عجب

وشوقي إليك كشوق الغريب ... إلى أرضه بعد طول المغيب

ويومي إن أنت تممته ... بقربك ذو كل حسن وطيب

حباني الزمان كما أشتهي ... بقرب الحبيب وبعد الرقيب

فمازلت أشرب من كفه ... وأسقيه سقي اللطيف الأديب

ويشكو إلي وأشكو إليه بقول عفيف وقول مريب

إلى أن بدا لي وجه الصباح ... كوجهك ذاك العجيب الغريب

فلا تخلنا يا نظام السرو ... ر منك فأنت شفاء الكئيب

وغن لنا هزجا ممسكاً ... تخف له حركات اللبيب

فإنك قد حزت حسن الغناء وقد فزت منه بأوفى نصيب

وكن بأبي أنت رجع الجواب فداؤك أنفسنا من مجيب

يعجبه اللحن فيكمله أخبرني جعفر قال: غنى أبو العبيس بن حمدون يوما عند إبراهيم: صوت

إني سألتك بالذي أدنى إليك من الوريد

إلا وصلت حبالنا وكفيتنا شر الوعيد

فزاد فيه إبراهيم قوله:

الهجر لا مستحسن بعد المواثق والعهود

وأراك مغراة به أفما غرضت من الصدود؟

إني أجدد لذتي ما لاح لي يوم جديد

شربى معتقة الكرو م ونزهتي ورد الخدود

فغنى هذه الأبيات أبو العبيس متصلة باللحن الأول في البيتين وصار الجميع صوتاً واحداً إلى الآن، والأبيات الأخيرة لإبراهيم بن المدبر والأولان ليسا له.

نسبة هذا الصوت الغناء في البيتين الأولين خفيف ثقيل مزموم لأبي العبيس، وفيهما لبنان خفيف ثقيل آخر مطلق وفيهما لعريب ثاني ثقيل بالوسطى.

يكمل لحناً آخر قال جعفر: وغنته يوما كراعة بسر من رأى ونحن حضور عنده.

يا معشر الناس أما مسلم يشفع عند المذنب العاتب؟

ذاك الذي يهرب من وصلنا تعلقوا بالله بالهارب

فزاد فيهما قوله:

ملكته حبلى ولكنه ألقاه من زهد على غاربي

وقال إني في الهوى كاذب فانتقم الله من الكاذب

عود إلى حبس المتوكل له حدثني عمي، قال: حدثني محمد بن داود قال: كتب إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبد الله بن حمدون في أيام نكبته يسأله إذكار المتوكل والفتح بأمره:

كم ترى يبقى على ذا بدني قد بلي من طول هم وضني !

أنا في أسر وأسباب ردى وحديد فادح يكلمني

يا بن حمدون فتى الجود الذي ... أنا منه في جنى ورد جنى
ما الذي ترقبه أم ما ترى ... في أخ مضطهد مرتهن!
وأبو عمران موسى حنق ... حاقد يطلبني بالإحن
وعبيد الله أيضاً مثله ... ونجاح بي مجد ماييني
ليس يشفيه سوى سفك دمي ... أو يراني مدرجا في كفني
والأمير الفتح إن أذكرته ... حرمتي قام بأمري وعني
فأل صدق حين أدعو باسمه ... وسرور حين يعرو حزني
قل له: يا حسن ما أوليتني ... مالما أوليتني من ثمن
زاد إحسانك عندي عظماً ... أنه باد لمن يعرفني
لست أدري كيف أجزيك به ... غير أني مثقل بالمنن
ما رأى القوم كذنبي عندهم ... عظم ذنبي أنني لم أخن
ذاك فعلي وتراثي عن أبي ... واقتدائي بأخي في السنن
سنة صالحة معروفة ... هي منا في قديم الزمن
ظفر الأعداء بي عن حيلة ... ولعل الله أن يظفرني
ليت أني وهم في مجلس ... يظهر الحق به للفطن
فترى لي ولهم ملحمة ... يهلك الخائن فيها والدني
والذي أسأل أن ينصفني ... حاكم يقضي بما يلزمني
قل لحمدون خليلي وابنه ... ولعيسى حركوه يا بني

يعني يا بني الزانية، فلم يزالوا في أمره حتى خلصوه هل جرب الخمر من فمها؟ حدثني محمد بن يحيى الصولي:
قال: كان إبراهيم بن المدبر يحب جارية للمغنية المعروفة بالبكرية بسر من رأى فقال فيها:

غادرت قلبي في إسار لديك ... فويلتا منك وويلي عليك
قد يعلم الله على عرشه ... أني أعاني الموت شوقاً إليك
مني بفك الأسر أو فاقتلي ... أيهما أحببت من حسنييك
قد كنت لا أعدى على ظالم ... فصرت لا أعدي على مقلتيك

الخمر من فيك لمن ذاقه والورد للناظر من وجنتيك

يا حسرتا إن مت طوع الهوى ولم أنل ما أرتجيه لديك

وأنشدها أبو عبد الله بن حمدون هذه الأبيات، وغنت بها، وجعل يكرر قوله:

الخمر من فيك لمن ذاقه

ويقول: هذا والله قول خبير مجرب، فاستحيت من ذلك، وسبت إبراهيم، فبلغه ذلك، فكتب إلى أبي عبد الله يقول:

ألم يشقك التماع البرق في السرح؟ بلى وهيج من وجد ومن ذكر

مازال دمعي غزير القطر منشجماً سحاً بأربعة تجري من الدرر

وقلت للغيث لما جاد وابله وما شجاني من الأحزان والسهر

يا عارضا ماطراً أمطر على كبدي فإنها كبد حري من الفكر

لشد ما نال مني الدهر واعتلقت يد الزمان وأوهت من قوى مرري

يا واحدي من عباد الله كلهم ويا غناي ويا كهفي ويا وزري

أحين أنشدت شعري في معذبتي أما رثيت لها من شدة الحصر؟

وما شفعت بها شعري وقلت به في ريقها البارد السلسال ذي الخصر

لبئس مستنصحاً في مثل ذلك يا نفسير فداؤك من مستنصح غدر

واليوم يوم كريم ليس يكرمه إلا كريم من الفتيان ذو خطر

نشدتك الله فاصبحه بصحبته مباكراً فألذ الشرب في البكر

واجمع نداماك فيه واقترح رملاً صوتاً تغنيه ذات ادل والخفر

يرتاح للدجن قلبي وهو مقتسم بين الهموم ارتياح الأرض للمطر

يا غادراً يا أحب الناس كلهم إلي والله من أنثى ومن ذكر

ويا رجائي ويا سؤلي ويا أملي ويا حياتي ويا سمعي ويا بصري

ويا مناي ويا نوري ويا فرحي ويا سروري ويا شمسي ويا قمري

لا تقبلي قول حسادي علي ولا والله ما صدقوا في القول والخبر

أدالني الله من دهر يضعضعني فقد حجبت عن التسليم والنظر

إن يحجبوا عنك في تقديرهم بصري فكيف لم يحجبوا ذكري ولا فكري؟

يا قوم قلبي ضعيف من تذكرها وقلبها فارغ أقسى من الحجر

الله يعلم أني هائم دنف بغادة ليتها حظي من البشر

مجلس من مجالسه أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني عبد الله بن محمد المروزي، قال: حدثني الفضل بن العباس ابن المأمون، قال: زارتني عريب يوماً ومعها عدة من جواريها، فوافتنا ونحن على شرابنا، فتحدثت معنا ساعة، وسألتها أن نقيم عندنا، فأبت، وقالت: قد وعدت جماعة من أهل الأدب والظرف أن أصير إليهم، وهم في جزيرة المربد، منهم إبراهيم بن المدبر، وسعيد بن حميد، ويحيى بن عيسى بن منارة، فخلفت عليها، فأقامت. ودعت بدواة وقرطاس وكتبت إليهم سطراً واحداً؛ "بسم الله الرحمن الرحيم" أردت، ولولا، ولعلي. ووجهت الرقعة إليهم، فلما وصلت قرءوها، وعيوا بجوابها، فأخذها إبراهيم بن المدبر، فكتب تحت أردت "ليت" وتحت لولا "ماذا"؟ وتحت لعلي "أرجو" ووجه بالرقعة إليها، فلما قرأتها طربت ونعرت، وقالت: أنا أترك هؤلاء وأقعد عندكم؟ تركني الله إذاً من يديه، وقامت فمضت وقالت لكم فيمن أتخلفه عندكم من جواري كفاية.

عريب تتدله في حبه عند مكاتبتها له أخبرني محمد بن خلف : قال: حدثني عبد الله بن المعتز، قال: قرأت في مكاتبات لعريب فصلا من جواب أجابت به إبراهيم بن المدبر مكاتبة بديعة بعيادة: قد استبطأت عيادتك - قدمت قبلك - وعذرتك، فما ذكرت عذراً ضعيفاً لا ينبغي أن يفرح به. فأستديم الله نعمه عندك.

قال وكتبت إليه أيضاً: أستوهب الله حياتك، قرأت رقعتك المسكينة التي كلفتها مسألتك عن أحوالنا، ونحن نرجو من الله أحسن عوائده عندنا وندعوه ببقائك، ونسأله الإجابة فلا تعود نفسك - جعلني الله فداءها - هذا الجفاء، والثقة مني بالاحتمال وسرعة الرجوع.

وكتب ت إليه وقد بلغتها صومه يوم عاشوراء: قبل الله صومك وتلقاه بتبليغك ما التمست، كيف ترى نفسك؟ - نفسي فداؤك - ولم كدرت جسمك في آب، أخرجه الله عنك في عافية، فإنه فظ غليظ وأنت محرور، وإطعام عشرة مساكين أعظم لأجرك، ولو علمت لصمت لصومك مساعدة لك وكان الثواب في حسناتك دوني، لأن نيتي في الصوم كاذبة.

أخبرني جعفر بن قدامة قال: اتصلت لعريب أشغال دائمة في أيام تركوا رسي، وخدمتها فيما هنالك. فلم يرها إبراهيم بن المدبر مدة، فكتب إليها: صوت

إلى الله أشكو وحشتي وتفجعي وبعد المدى بيني وبين عريب

مضى دونها شهران لم أحل فيهما بعيش ولا من قربها بنصيب

فكنت غريباً بين أهلي وجيرتي ولست إذا أبصرتها بغريب

وإن حبيبا لم ير الناس مثله حقيق بأن يفدى بكل حبيب

لعريب في هذه الأبيات خفيف ثقيل من رواية ابن المعتز، وهو من مشهور غنائها.

عود إلى مكاتبات عريب وقال ابن المعتز في ذكره مكاتبات عريب إلى إبراهيم بن المدبر، وقد كتب إليها يشكو علته: كيف أصبحت أنعم الله صباحك ومبيتك؟ وأرجو أن يكون صالحاً، وإنما أردت إزعاج قلبي فقط.

وكتبت إليه تدعو له في شهر رمضان: أفديك بسمعي وبصري وأهل الله هذا الشهر عليك باليمن والمغفرة، وأعانك على المفترض فيه والمتنفل، وبلغك مثله أعواماً، وفرج عنك وعني فيه.

قال وكتبت إليه:

فداؤك السمع والبصر والأم والأب ومن عرفني وعرفته. كيف ترى نفسك وقيتها الأذى؟ وأعمى الله شائنك، ومقه؟ الله عند هذه الدعوة، وأرجو أن تكون قد أجيبت إن شاء الله، وكيف ترى الصوم؟ عرفك الله بركته، وأعانك على طاعته، وأرجو أن تكون سالماً من كل مكروه بحول الله وقوته، وواشوقي إليك وواحشتي لك، ردك الله إلى أحسن ما عودك، ولا أشمت بي فيك عدواً ولا حاسداً. وقد وافاني كتابك لا عدمته إلا بالغنى عنه بك، وذكرت حامله، فوجهت رسولي إليه ليدخله، فأسأله عن خبرك، فوجدته منصرفاً، ولو رأيته لفرشت خدي له، وكان ذلكل أهلاً.

وكتبت إليه وقد عتبت عليه في شيء بلغها عنه: وهب الله لنا بقاءك ممتعاً بالنعم، مازلت أمس في ذكرك، فمرة بمدحك، ومرة بشكرك، ومرة بأكلك وذكرك بما فيك لوناً لوناً. اجحد ذنبك الآن وهات حجج الكتاب ونفاقهم، فأما خبرنا أمس فإما شربنا من فضله نبيذك على تذكارك رطلاً رطلاً، وقد رفعنا حسباننا إليك، فارفع حسبانك إلينا، وخبرنا من زارك أمس وألهاك، وأي شيء كانت القصة على جهتها؟ ولا تخطرف، فتحوجنا إلى كشفك والبحث عنك، وعن حالك، وقل الحق، فمن صدق نجا، وما أحوجك إلى تأديب، فإنك لا تحسن أن تؤدبه، والحق أقول إنه يعتريك كزاز شديد يجوز حد البرد. وكفاك بهذا من قولي عقوبة، وإن عدت سمعت أكثر من هذا، والسلام.

يشمت في الشامت به حدثني عمي قال: حدقني محمد بن داود قال: كان عيسى بن إبراهيم النصراني المكنى أبا الخير كاتب سعيد بن صالح يسعى على إبراهيم بن المدبر في أيام نكبته، فلما زالت، ومات سعيد نكب عيسى بن إبراهيم وحبس ونهبت داره فقال فيه إبراهيم بن المدبر:

قل لأبي الشر إن مررت به ... مقالة عريت من اللبس

ألبسك الله من قوارعه ... آخذة بالخناق والنفس

لازلت يا بن البظراء مرتهنا ... في شر حال وضيق محتبس

أقول لما رأيت منزله ... منتهباً خالياً من الأنس

يا منزلاً قد عفا من الطفس ... وساحة أخليت من الدنس

من لاقتراف الفحشاء بعد أبي الشر ومن للقبيح والنجس؟ تحية إلى أحبابه من الدير أخبرني جعفر بن قدامة قال: ولي إبراهيم بن المدبر بعقب نكبته وزوالها عنه الثغور الجزرية، فكان أكثر مقامه بمنبج، فخرج في بعض أيام ولايته إلى نواحي دلوك ورعبان، وخلف بمنبج جارية كان يتحظاها مغنية يقال لها غادر، فحدثني بعض كتابه أنه كان معه بدلوك، وهخو على جبل من جبالها، فيه دير يعرف بدير سليمان من أحسن بلاد الله وأنزهها، فنزل عليه ودعا بطعام خفيف فأكل وشرب، ثم دعا بدواة وقرطاس فكتب:

أيا ساقيينا وسط دير سليمان — أديرا الكئوس فانهلاني وعلاني
وخصا بصافيها أبا جعفر أخي — وذا ثقتي بين الأنام وخلصاني
وميلا بها نحو ابن سلام الذي — أود وعودا بعد ذاك لنعمان
وعما بها الندمان والصحب إنني — تنكرت عيشي بعد صحبي وإخواني
ترحلت عنه عن صدود وهجرة — وأقبل نحوي وهو باك فأبكاني
وفارقته والله يجمع شملنا — بلوعة محزون وغلة حران
وليلة عين المرج زار خياله — فهيج لي شوقا وجدد أشجاني
فأشرفت أعلى الدير أنظر طامحاً — بألمح آماق وأنظر إنسان
لعلي أرى أبيات منبج رؤية — تسكن من وجدي وتكشف أحزاني
فقصر طرفي واستهل بعبرة — وفديت من لو كان يدري لفداني
ومثله شوقي إليه مقابلي — وناجاه قلبي بالضمير وناجاني

يهدي شعره إلى أخيه قرأت على ظهر دفتر فيه شعر إبراهيم بن المدبر أهداه مجموعا إلى أخيه أحمد، فلما وصل إليه قرأه وكتب عليه بخطه:

أبا إسحاق إن تكن الليالي — عطفن عليك بالخطب الجسيم
فلم أر صرف هذا الدهر يجري — بمكروه على غير الكريم

وفاء عريب له أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني ميمون بن هارون قال:

اجتمعت مع عريب في مجلس أنس بسر من رأى عند أبي عيسى بن المتوكل، وإبراهيم بن المدبر يومئذ ببغداد، فمر لنا أحسن يوم، وذكرته عريب فتشوقته وأحسنت الثناء عليه والذكر له، فكتبت إليه بذلك من غد، وشرحته له، فأجابني عن كتابي وكتب في آخره:

أتعلم يا ميمون ماذا تهيجه — بذكرك أحبابي وحفظهم العهدا
ووصف عريب في كريم وفائها — وإجمالها ذكرى وإخلاصها الودا؟

عليها سلامي إن تكن دارها نأت فقد قرب الله الذي بيننا جدا
سقى الله داراً بعدنا جمعتكم وسكن رب العرش ساكنها الخلدا
وخص أبا عيسى الأمير بنعمة وأسعد فيما أرتجيه له الجدا
فما ثم من مجد وطول وسودد ورأى أصيل يصدع الحجر الصلدا

يصلحون بينه وبين عريب حدثني جحظة قال: حدثني عبد الله بن حمدون قال: اجتمعت أنا وإبراهيم بن المدبر وابن منارة والقاسم وابن زرزور في بستان بالمطيرة وفي يوم غيم يهريق رذاذه ويقطر أحسن قطر، ونحن في أطيب عيش وأحسن يوم، فلم نشعر إلا بعريب قد أقبلت من بعيد، فوثب إبراهيم بن المدبر من بيننا، فخرج حافيا، حتى تلقاها وأخذ بركابها، حتى نزلت وقبل الأرض بين يديها، وكانت قد هجرته مدة لشيء أنكرته عليه، فجاءت وجلست وأقبلت عليه مبتسمة، وقالت: إنما جئت إلى من هاهنا لا إليك. فاعتذر وشيعنا قوله، وشفعنا له. فرضيت وأقامت عندنا يومئذ وباتت، واصطبحنا من غد، وأقامت عندنا فقال إبراهيم: صوت

بأبي من حقق الظن به فأتانا زائراً مبتديا
كان كالغيث تراخى مدة وأتى بعد قنوط مرويا
طاب يومان لنا في قربه بعد شهرين لهجر مضيا
فأقر الله عيني وشفى سقماً كان لجسمي مبليا

لعريب في هذا الشعر لحنان: رمل وهزج بالوسطى.

من شعره في عريب أنشدني الصولي رحمه الله لإبراهيم بن المدبر في عريب:

زعموا أني أحب عريبا صدقوا والله حباً عجباً
حل من قلبي هواها محلاً لم تدع فيه لخلق نصيبا
ليقل من قد رأى الناس قدما: هل رأى مثل عريب عريبا؟
هي شمس والنساء نجوم فإذا لاحت أفلن غيوبا

وأنشدني الصولي أيضاً له فيها:

ألا يا عريب وقيت الردى وجنبك الله صرف الزمن
فإنك أصبحت زين النساء وواحدة الناس في كل فن
فقربك يدنى لذيذ الحياة وبعدك ينفي لذيذ الوسن
فنعم الجليس ونعم الأنيس ونعم السمير ونعم السكن

وأنشدني أيضاً له:

إن عريبا حلقت وحدها ... في كل ما يحسن من امرها

ونعمة لله في خلقه ... يقصر العالم عن شكرها

أشهد في جاريتيها على ... أنهما محسنتا دهرها

فبدعة تبدع في شدوها ... وتحفة تتحف في زمرها

يا رب أمتعها بما خولت ... وامدد لنا يا رب في عمرها

أبو شراعة يودعه أخبرنا أبو الفياض سوار بن أبي شراعة القيسي البصري قال: كان إبراهيم بن المدبر يتولى البصرة، وكان محسناً إلى أهل البلد إحسانا يعمهم، ويشتمل على جماعتهم نفعه، ويخصنا من ذلك بأوفر حظ وأجزل نصيب، فلما صرف عن البصرة شيعه أهلها، وتفجعوا لفراقه، وساءهم صرفه، فجعل يرد الناس من تشييعهم على قدر مراتبهم في الأنس به، حتى لم يبق معه إلا أبي، فقال له: يا أبا شراعة، إن المشيع مودع لا محالة، وقد بلغت أقصى الغايات، فبحقي عليك إلا انصرفت، ثم قال: يا غلام احمل إلى أبي شراعة ما أمرتك له به، فأحضر ثياباً وطيباً ومالا، فودعه أبي، ثم قال:

يا أبا إسحاق سر في دعة ... وامض مصحوبا فما منك خلف

ليت شعري أي أرض أجدبت ... فأغيثت بك من جهد العجف ؟

نزل الرحم من الله بهم ... وحرمناك لذنب قد سلف

إنما أنت ربيع باكر ... حيثما صرفه الله انصرف

قلبه عند عريب أخبرني علي بن العباس بن طلحة الكاتب قال:

قرأت جوابا بخط إبراهيم بن المدبر في أضعاف رقعة كتبتها إليه عريب، فوجدته قد كتبت تحت فصل من الكتاب تسأله فيه عن خبره.

وساءلتموه بعدكم كيف حاله ... وذلك أمر بين ليس يشكل

فلا تسألوا عن قلبه فهو عندكم ... ولكن عن الجسم المخلف فاسألوا

لا يسر وعريب نازحة أخبرني علي بن العباس قال: حدثني أبي قال: كنت عند إبراهيم بن المدبر، فزارته بدعة وتحفة وأخرجتا إليه رقعة من عريب فقرأناها فإذا فيها:

بنفسي أنت وسمعي وبصري، وقل ذاك لك، أصبح يومنا هذا طيبا، طيب الله عيشك، قد احتجبت سماؤه ورق هواؤه، وتكامل صفاؤه، فكأنه أنت في رقة شمائلك وطيب محضرك ومخبرك، لا فقدت ذلك أبداً منك، و لم

يصادف حسنه وطيبه مني نشاطاً ولا طرباً لأمور صدتني عن ذلك، أكره تنغيص ما أشتهيه لك من السرور بنشرها وقد بعثت إليك ببدعة وتحفة ليؤنساك وتسر بهما. سرك الله وسرني بك!

فكتب إليها يقول:

كيف السرور وأنت نازحة ... عني وكيف يسوغ لي الطرب !

إن غبت غاب العيش وانقطعت ... أسبابه وألحت الكرب

وأنفذ الجواب إليها، فلم يلبث أن جاءت، فبادر إليها، وتلقاها حافيا حتى جاء بها على حمار مصري كان تحتها إلى صدر مجلسه، يطأ الحمار على بساطه وما عليه، حتى أخذ بركابها، وأنزلها في صدر مجلسه وجلس بين يديها، ثم قال:

ألا رب يوم قصر الله طوله ... بقرب عريب حبذا هو من قرب

بها تحسن الدنيا وينعم عيشها ... وتجتمع السراء للعين والقلب

من شعره في جاريتي عريب حدثني علي بن سليمان قال: أنشدني أبي قال: أنشدني إبراهيم بن المدبر، وقد كتب إلى بدعة وتحفة يستدعيهما، فتأخرتا عنه فكتب إليهما:

قل يا رسول لهذه ... ولهذه بأبي هما

قد كان وصلكما لنا ... حسناً ففيم قطعتما؟

أعريب سيدة النسا ... ء بهجرنا أمرتكما؟

كلا وبيت الله بل ... هذا جفاء منكما

صوت له غنته عريب وأنشدني علي بن العباس لإبراهيم بن المدبر، وفيه لعريب هزج، وقال:

ألا يا بأبي أنتم ... نأت دار بنا عنكم

فإن كنتم تبدلتم ... فما من بدل منكم

وإن كنتم على العهد ... فأحسنتم وأجملتم

ويا ليت المنى حقت ... فنبديها ولا تكتم

فكنتم حيثما كنا ... وكنا حيثما كنتم

من شعره في سجنه وحدثني علي قال: حدثني أبي قال: دخلت ليلة على إبراهيم بن المدبر في أيام نكبته ببغداد في ليلة غيم، فلاح برق من قطب الشمال ونحن نتحدث، فقطع الحديث، وأمسك ساعة مفكراً، ثم أقبل علي فقال:

بارق شراد الكرى ... لاح من نحو ما ترى

هاج للقلب شجوه فاعترى منه ما اعترى

أيها الشادن الذي صاد قلبي وما درى

كن عليما بشقوتي فيك من بين ذا الورى

عود إلى جاريتي عريب وحدثني عن أبيه قال: كنت عند إبراهيم بن المدبر فزارته بدعة وتحفة وأقامتا عنده، فأنشدنا يومئذ:

أيها الزائروان حياكما الل ه ومن أنما له بالسلام

ما رأينا في الدهر بدرا وشمسا طرقا ثم رجعا بالكلام

كيف خلفتما عريبا سقاها الله رب العباد صوب الغمام

هي كالشمس والحسان نجوم ليس ضوء النهار مثل الظلام

جمعت كل ما تفرق في النا س وصارت فريدة في الأنام

شعره في سجنه وأنشدني عن أبيه لإبراهيم بن المدبر وهو محبوس:

واني لأستشي الشمال إذا جرت حنيناً إلى ألاف قلبي وأحبابي

وأهدي مع الريح الجنوب إليهم سلامي وشكوى طول حزني وأوصابي

فيا ليت شعري هل عريب عليمة بذلك أو نام الأحبة عما بي؟

يعاتب صديقه أبا الصقر حدثني عمي، عن محمد بن داود قال: كان إبراهيم بن المدبر صديق أبي الصقر اسمعيل بن بلبل فلم يرض فعله لما نكب ولا نيابته عنه فقال فيه:

لا تطل عذلي عناء إن في العذل بلاء

لست أبكي بطن مر فكديا فكداء

إنما أبكي خليلا خان في الود الصفاء

يا أبا الصقر سقاك الل ه تهتانا رواء

وأدام الله نعما ك وملاك البقاء

لم تجاهلت ودادي وتناسيت الإخاء؟

كنت برا فعلى رأ سي تعلمت الجفاء

لا تميلن مع الري ح إذا هبت رخاء

ربما هبت عقيما تترك الدنيا هباء

حلم يتحقق أخبرني علي بن العباس قال: حدثني أبي قال: كنت عند إبراهيم بن المدبر وزارته عريب. فقال لها: رأيت البارحةف ي النوم أبا العبيس وقد غنى في هذا الشعر وأ،ت تراسلينه فيه:

يا خليلي أرقنا حزنا لسنا برق تبدى موهنا

وكأني أجزته بهذا البيت وسألتكما أن تضيفاه إلى الأول:

وجلا عن وجه دعد موهنا عجباً منه سناً أبدى سنا

فقالت: ما أملح والله الابتداء والإجازة! فاجعل ذلك في اليقظة، واكتب إلى أبي العبيس وسله عني وعنك الحضور، فكتب إليه إبراهيم:

يا أبا العباس يا أفتى الورى زارنا طيفك في سكر الكرى

وتغنى لي صوتاً حسناً في سنا برق على الأفق سرى

وعريب عندنا حاصلة زين من يمشي على وجه الثرى

نحن أضيافك في منزلنا نتمناك فكن أ،ت القرى

قال: فسار إليهما أبو العبيس، وحدثه إبراهيم برؤياه، فحفظا الشعر، وغنيا فيه بقية يومهما: صوت

ألا حي قبل البين من أنت عاشقه ومن أنت مشتاق إليه وشائقه

ومن لا تواتى داره غير فينة ومن أنت تبكي كل يوم تفارقه

الشعر لقيس بن جروة الطائي الأجئي، قاله في غارة أغارها عمرو بن هند على إبل لطيئ فحرض زرارة بن عدس عمرو بن هند على طيئ وقال له: إنهم يتوعدونك، فغزاهم واتصلت الأحوال إلى أن أوقع عمرو ببني تميم في يوم أوارة وخبر ذلك يذكر هاهنا؛ لتعلق بعض أخباره ببعض.

والغناء لإبراهيم الموصلي ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي ومن مجموع غناء إبراهيم.

ذكر الخبر في هذه الغارات والحروب

يوم أوارة نسخت ذلك من كتاب عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات بخطه، وذكر أن أحمد بن الهيثم بن فراس أخبره به عن العمري عن هشام بن الكلبي عن أبيه وغيره من أشياخ طيئ. قال: وحدثني محمد بن أبي السري عن هشام بن الكلبي قالوا: كان من حديث يوم أوارة أن عمرو بن المنذر بن ماء السماء - وهو عمرو بن هند يعرف باسم أمه هند بنت الحارث الملك المنصور بن حجر آكل المرار الكندي وهو الذي يقال له مضرط الحجارة - أنه كان عاقد هذا الحي من طيئ على ألا ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا، وأن عمرو بن هند غزا اليمامة، فرجع منفضا فمر بطيئ، فقال له زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظلي: أبيت اللعن!

أصب من هذا الحي شيئاً، قال له: ويلك! إن لهم عقدا، قال: وإن كان، فلم يزل به حتى اصاب نسوة وأذوادا.

قيس بن جروة يتهدد عمرو بن هند فقال في ذلك الطائي، وهو قيس بن جروة أحد الأجئين قال:

ألا حي قبل البين من أنت عاشقه ... ومن أنت مشتاق إليه وشاشئقه

ومن لا تواتى داره غير فينة ... ومن أنت تبكي كل يوم تفارقه

وتعدو بصحراء الثوية ناقتي ... كعدو النحوص قد أمخت نواهقه

إلى الملك الخير ابن هند تزوره ... وليس من الفوت الذي هو سابقه

وإن نساء هن ما قال قائل ... غنيمة سوء بينهن مهارقه

ولو نيل في عهد لنا لحم أرنب ... رددنا وهذا العهد أنت معالقه

فهبك ابن هند لم تعقك أمانة ... وما المرء إلا عقده ومواثقه

وكنا إناسا خافضين بنعمة ... يسيل بنا تلع الملا وأبارقه

فأقسمت لا أحتل إلا بصهوة ... حرام علي رمله وشقائقه

وأقسم جهدا بالمنازل من منى ... وما خب في بطائهن درادقه

لئن لم تغير ما قد فعلتم ... لأنتحين العظم ذو أنا عارقه

فسمى عارقا بهذا البيت. فبلغ هذا الشعر عمرو بن هند، فقال له زرارة بن عدس: أبيت اللعن، إنه يتوعدك.

فقال عمرو بن هند لترملة بن شعاث الطائي - وهو ابن عم عارق: أيهجوني ابن عمك ويتوعدني! قال: والله ما هجاك، ولكنه قد قال:

والله لو كان ابن جفنة جاركم ... لكسا الوجوه غضاضة وهوانا

وسلاسلا يبرقن في أعناقكم ... وإذاً لقطع تلكم الأقرانا

ولكان عادته على جيرانه ... ذهبا وريطا رادعا وجفانا

قالوا: الرداع: المصبوغ بالزعفران، وإنما أراد ترملة أن يذهب سخيمته، فقال: والله لأقتلنه. فبلغ ذلك عارقا، فأنشأ يقول:

من مبلغ عمرو بن هند رسالة ... إذا استحقبتها العيس تنضى على البعد

أيوعدني والرمل بيني وبينه؟ ... تبين رويداً ما أمامة من هند

ومن أجأ دوني رعان كأنها ... قنابل خيل من كميت ومن ورد

غدرت بأمر أنت كنت اجتذبتنا عليه وشر الشيمة الغدر بالعهد

فقد يترك الغدر الفتى وطعامه إذا هو أمسى حلبة من دم الفصد

عمرو يغزو طيئاً ويشفع غانما فيهم فبلغ عمرو بن هند شعره هذا، فغزا طيئاً، فأسر أسى من طيء من بني عدي بن أخزم - وهم رهط حاتم بن عبد الله - فيهم رجل من الأجئيين يقال له قيس بن جحدر - وهو جد الطرماح بن حكيم، وهو ابن خالة حاتم - فوفد حاتم فيهم إلى عمرو بن هند، وكذلك كان يصنع، فسأله إياهم، فوهبهم له إلا قيس بن جحدر، لأنه كان من الأجئيين من رهط عارق، فقال حاتم:

فككت عديا كلها من إسارها فأنعم وشفعني بقيس بن جحدر

أبوه أبي والأمهات أمهاتنا فأنعم فدتك اليوم نفسي ومعشري

فأطلقه.

مالك بن المنذر قال: وبلغنا أن المنذر بن ماء السماء وضع ابنا له صغيراً - ويقال: بل كان أخا له صغيراً - يقال له؛ مالك عند زرارة، وإنه خرج ذات يوم يتصيد، فأخفق، و لم يصب شيئاً، فرجع، فمر بإبل لرجل من بني عبد الله بن دارم، يقال له سويد بن ربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم، وكان عند سويد ابنة زرارة بن عدس، فولدت له سبعة غلمة، فأمر مالك بن المنذر بناقة سمينة منها فنحرها، ثم اشتوى وسويد نائم، فلما انتبه شد على مالك بعصاً فضربه بها،فأمه. ومات الغلام، وخرج سويد هارباً حتى لحق بمكة وعلم أنه لا يأمن، فحالف بني نوفل بن عبد مناة واختط بمكة، فمن ولده أبو أهاب بن عزيز بن قيس بن سويد، وكانت طيئ تطلب عرثرات زرارة وبني أبيه حتى بلغهم ما صنعوا بأخي الملك، فانشأ عمرو بن ثعلبة بن ملقط الطائي يقول:

من مبلغ عمرا بأن المر ء لم يخلق صباره

وحوادث الأيام لا تبقى لها إلا الحجاره

أن ابن عجزة أمه بالسفح أسفل من أواره

قال هشام: أول ولد المرأة يقال له: زكمة، والآخر: عجزة تسفي الرياح خلاله سحيا وقد سلبوا إزاره

فاقتل زرارة لا أرى في القوم أفضل من زرارة

هرب زرارة وعودته فلما بلغ هذا الشعر عمرو بن هند بكى، حتى فاضت عيناه، وبلغ الخبر زرارة، فهرب، وركب عمرو بن هند في طلبه فلم يقدر عليه، فأخذ امرأته وهي حبلى فقال: أذكر في بطنك أم أنثى؟ قالت: لا علم لي بذلك، قال: ما فعل زرارة الغادر الفاجر؟ فقالت: إن كان ما علمت لطيب العرق سمين المرق ويأكل ما وجد، ولا يسأل عما فقد، لا ينام ليلة يخاف، ولا يشبع ليلة يضاف. فبقر بطنها.

فقال قوم زرارة لزرارة: والله ما قتلت أخاه، فأت الملك، فاصدقه الخبر، فأتاه زرارة، فأخبره الخبر فقال: جئني بسويد، فقال: قد لحق بمكة، قال: فعلي ببنيه السبعة، فأتى ببنيه وبأمهم بنت زرارة وهم غلمة بعضهم فوق

بعض، فأمر بقتلهم، فتناولا أحدهم فضربوا عنقه، وتعلق بزرارة الآخرون فتناولهوهم، فقال زرارة: يا بعضي دع بعضاً، فذهبت مثلاً. وقتلوا.

عمرو ينكل ببني تميم

وآلى عمرو بن هند بألية ليحرقن من بني حنظلة مائة رجل، فخرج يربدهم وبعث على مقدمته الطائي عمرو بن ثعلبة بن عتاب بن ملقط، فوجدوا القوم قد نذروا، فأخذوا منهم ثمانية وتسعين رجلا بأسفل أوارة من ناحية البحرين، فحبسهم، ولحقه عمرو بن هند، حتى انتهى إلى أوارة، فضربت فيه قبته، فأمر لهم بأخدود فحفر لهم، ثم أضرمه نارا، فلما احتدمت وتلظت، قذف بهم فيها، فاحترقوا.

إن الشقي وافد البراجم وأقبل راكب من البراجم - وهم بطن من بني حنظلة - عند المساء، ولا يدري بشيء مما كان يوضع له بعيره فأناخ، فقال له عمرو بن هند: ما جاء بك؟ قال: حب الطعام، قد أقويت ثلاثاً لم أذق طعاماً، فلما سطع الدخان ظنته دخان طعام، فقال له عمرو بن هند: ممن أنت؟ قال: من البراجم، قال عمرو: إن الشقي وافد البراجم فذهب مثلاً، ورمى به في النار، فهجت العرب تميما بذلك، فقال ابن الصعق العامري:

ألا أبلغ لديك بني تميم ... بآية ما يحبون الطعاما

مثل من شجاعة المرأة وأقام عمرو بن هند لا يرى أحداً، فقيل له أبيت اللعن! لو تحللت بامرأة منهم، فقد أحرقت تسعة وتسعين رجلاً. فدعا بامرأة من بني حنظلة، فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا الحمراء بنت ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم، فقال: إني لأظنك أعجمية، فقالت: ما أنا بأعجمية ولا ولدتني العجم.

إني لبنت ضمرة بن جابر ... ساد معداً كابراً عن كابر

إني لأخت ضمرة بن ضمرة ... إذا البلاد لفعت بجمرة

قال عمرو: أما والله لولا مخافة أن تلدي مثلك لصرفتك عن النار، قالت: أما والذي أسأله أن يضع وسادك، ويخفض عمادك، ويسلبك ملكك، ما قتلت إلا نساء أعاليها ثدي وأسفلها دمي قال: اقذفوها في النار، فالتفتت، فقالت: ألا فتى يكون مكان عجوز! فلما أبطؤوا عليها قالت: صار الفتيان حمما، فذهبت مثلاً فأحرقت، وكان زوجها يقال له هوذة بن جرول بن نهشل بن دارم.

لقيط يغير بني مالك فقال لقيط بن زرارة يغير بني مالك بن حنظلة بأخذ من أخذ منهم الملك وقتله إياهم ونزولهم معه:

لمن دمنة أقفرت بالجناب ... إلى السفح بين الملا فالهضاب

بكيت لعرفان آياتها ... وهاج لك الشوق نعب الغراب

فأبلغ لديك بني مالك ... مغلغلة وسراة الرباب

فإن امرأ أنتم حوله ... تحفون قبته بالقباب

يهين سراتكم عامدا ويقتلكم مثل قتل الكلاب
فلو كنتم إبلا أملحت لقد نزعت للمياه العذاب
ولكنكم عنم تصطفى ويترك سائرها للذئاب
لعمر أبيك أبي لخير ما أردت بقتلهم من صواب
ولا نغمة إن خير الملو ك أفضلهم نعمة في الرقاب

شعر الطرماح في أوارة وفيها يقول الطرماح بن حكيم ويذكر هذا.

واسأل زرارة والمأمور ما فعلت قتلى أوارة من رعلان واللدد
ودارماً قد قذفنا منهم مائة في جاحم النار إذ يلقون بالخدد
ينزون بالمشتوي منها ويوقدها عمرو ولولا شحوم القوم لم تقد

زرارة يريد الثأر من ابن ملقط قال: فحدثني الكلبي عن المفضل الضبي قال: لما حضر زرارة الموت جمع بنيه وأهل بيته ثم قال: إنه لم يبق لي عند أحد من العرب وتر، إلا قد أدركته؛ غير تحضيض الطائي ابن ملقط الملك علينا، حتى صنع ما صنع، فأيكم يضمن لي طلب ذلك من طيئ؟ قال عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد أنا لك بذلك يا عم. ومات زرارة، فغزا عمرو بن عمرو جديلة، ففاتوهم، وأصاب ناساً من بني طريف بن مالك وطريف بن عمرو بن تمامة وقال في ذلك شعراً.

لقيط بن زرارة يخطب بنت ذي الجدين

وكان زرارة بن عدس ين زيد رجلاً شريفاً، فنظر ذات يوم إلى ابنه لقيط، ورأى منه خيلاء ونشاطاً، وجعل يضرب غلمانه وهو يومئذ شاب. فقال له زرارة: لقد أصبحت تصنع صنيعاً كأنما جئتني بمائة من هجان المنذر بن ماء السماء، أو نكحت بنت ذي الجدين بن قيس بن خالد. قال لقيط: لله علي ألا يمس رأسي غسل، ولا آكل لحماً، ولا أشرب خمراً، حتى أجمعهما جميعاً أو أموت. فخرج لقيط ومعه ابن خال له، يقال له: القراد بن إهاب، وكلاهما كان شاعراً شريفاً، فسارا حتى أتيا بني شيبان، فسلما على ناديهم ثم قال لقيط: أفيكم قيس بن خالد ذو الجدين؟ وكان سيد ربيعة يومئذ، قالوا: نعم، قال: فأيكم هو؟ قال قيس: أنا قيس، فما حاجتك؟ قال: جئتك خاطباً ابنتك - وكانت على قيس يمين ألا يخطب إليه أحد ابنته علانية إلا أصابه بشر وسمع به فقال له قيس: ومن أنت؟ قال: أنا لقيط بن زرارة بن عدس بن زيد، قال قيس: عجباً منك يا ذا القصة! هلا كان هذا بيني وبينك؟ قال: ولم يا عم؟ فوالله إنك لرغبة وما بي من نضاة - أي ما بي عار - ولئن ناجيتك لا أخدعك - ولئن عالنتك لا أفضحك، فأعجب قيساً كلامه، وقال: كفء كريم؛ إني زوجتك ومهرتك مائة ناقة ليس فيها مظائر ولا ناب ولا كزوم، ولا تبيت عندنا عزباً ولا محروما. ثم أرسل إلى أم الجارية: أني قد زوجت لقيط بن زرارة ابنتي القدور، فاصنعيها واضربي لها ذلك البلق، فإن لقيط ابن زرارة لا يبيت فينا عزبا. وجلس لقيط

يتحدث معهم، فذكروا الغزو، فقال لقيط: أما الغزو فأردها للقاح وأهزلها للجمال، وأما المقام فأسمنها للجمال، وأحبها للنساء. فأعجب ذلك قيساً، وأمر لقيطاً، فذهب إلى البلق فجلس فيه، وبعثت إليه أم الجارية بمجمرة وبخور، وقالت للجارية: اذهبي بها إليه، فوالله لئن ردها ما فيه خير، ولئن وضعها تحته ما فيه خير، فلما جاءته الجارية بالمجمرة بخر شعره ولحيته ثم ردها عليها، فلما رجعت الجارية إليها، خبرتها بما صنع، فقالت: إنه لخليق للخير، فلما أمسى لقيط أهديت الجارية إليه. فمازحها بكلام اشمأزت منه، فنام وطرح عليه طرف خميصة، وباتت إلى جنبه، فلما استثقل انسلت فرجعت إلى أمها، فانتبه لقيط، فلم يرها، فخرج حتى أتى ابن خاله قرادا وهو في أسفل الوادي، فقال: ارحل بعيرك وإياك أن يسمع رغاؤها.

لقيط يحظى بجوائز المنذر وكسرى فتوجها إلى المنذر بن ماء السماء، وأصبح قيس ففقد لقيطاً فسكت، و لم يدر ما الذي ذهب به. ومضى لقيط، حتى أتى المنذر فأخبره ما كان من قول أبيه وقوله، فأعطاه مائة من هجائنه، فبعث بها مع قراد إلى أبيه زرارة، ثم مضى إلى كسرى فكساه وأعطاه جواهر، ثم انصرف لقيط من عند كسرى، فأتى أباه، فأخبره خبره.

لقيط يعود إلى زوجته ثم تئيم منه وأقام يسيرا، ثم خرج هو وقراد حتى جاءا محلة بني شيبان فوجداهم قد انتجعوا فخرجا في طلبهم حتى وقعا في الرمل، فقال لقيط:

انظر قراد وهاتا نظرة جزعا ... عرض الشقائق هل بينت أظعانا

فيهن أترجة نضخ العبير بها ... تكسى ترائبها شذرا ومرجانا

فخرجا حتى أتيا قيس بن خالد. فجهزها أبوها، فلما أرادت الرحيل قال لها: يا بنية كوني لزوجك أمة يكن لك عبداً، وليكن أكثر طيبك الماء، فإنك إنما يذهب بك إلى الأعداء، وأراك إن ولدت فستلدين لنا غيظاً طويلاً، واعلمي أن زوجك فارس مضر، وأنه يوشك أن يقتل أو يموت، فلا تخمشي عليه وجهاً ولا تحلقي شعراً، قالت له: أما والله لقد ربيتني صغيرة، وأقصيتني كبيرة، وزودتني عند الفراق شر زاد. وارتحل بها لقيط، فجعلت لا تمر بحي من العرب إلا قالت: يا لقيط، أهؤلاء قومك؟ فيقول: لا، حتى طلعت على محلة بني عبد الله بن دارم، فرأت القباب، والخيل العراب، قالت: يا لقيط أهؤلاء قومك؟ قال: نعم، فأقام أياماً يطعم وينحر، ثم بنى بها، فأقامت عنده حتى قتل يوم جبلة، فبعث إليها أبوها أخاً لها فحملت، فلما ركبت بعيرها أقبلت حتى وقفت على نادي بني عبد الله بن دارم، فقالت: يا بني دارم، أوصيكم بالغرائب خيراً، فوالله ما رأيت مثل لقيط، لم تخمش عليه امرأة وجهاً و لم تحلق عليه شعراً، فلولا أني غريبة لخمشت وحلقت، فحبب الله بين نسائكم، وعادى بين رعائكم، فأثنوا عليها خيرا.

زوجة لقيط في عصمة غيره

ثم مضت حتى قدمت على أبيها، فزوجها من قومه، فجعل زوجها يسمعها تذكر لقيطا وتحزن عليه، فقال لها: أي شيء رأيت من لقيط أحسن في عينك؟ قالت: خرج يوم دجن وقد تطيب وشرب، فطرد البقر فصرع منها،

ثم أتاني وبه نضح دماء، فضمني ضمة، وشمني شمة، فليتني مت ثمة، فلم أر منظراً كان أحسن من لقيط. فمكث عنها حتى إذا كان يوم دجن شرب، وتطيب، ثم ركب، فطرد البقر، ثم أتاها وبه نضح دم والطيب وريح الشراب، فضمها إليه وقبلها، ثم قال لها: كيف ترين؟ أأنا أم لقيط فقالت: ماء ولا كصداء، ومرعى ولا كالسعدان فذهبت مثلاً، وصداء: ركية ليس في الأرض ركية أطيب منها، وقد ذكرها التميمي في شعره:

إنني وتهيامي بزينب كالذي ... يخالس من أحواض صداء مشربا

يرى دون برد الماء هولاً وذادة ... إذا اشتد صاحو أقبل أن يتحببا

يقول: قبل أن يروى يقال: تحببت من الشراب أي رويت، وبضعت منه أيضاً أي رويت منه، والتحبب: الري.

صوت

وكاتبة في الخد بالمسك جعفرا ... بنفسي مخط المسك من حيث أثرا

لئن كتبت في الخد سطرا بكفها ... لقد أودعت قلبي من الحب أسطرا

فيا من لمملوك لملك يمينه ... مطيع لها فيما أسر وأظهرا

ويا من هواها في السريرة جعفر ... سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا

الشعر لمحبوبة شاعرة المتوكل، والغناء لعريب خفيف رمل مطلق.

أخبار محبوبة

كانت محبوبة أجمل من فضل كانت محبوبة مولدة من مولدات البصرة، شاعرة شريفة مطبوعة لا تكاد فضل الشاعرة اليمامية أن تتقدمها، وكانت محبوبة أجمل من فضل وأعف، وملكها المتوكل وهي بكر، أهداها له عبد الله بن طاهر، وبقيت بعده مدة، فما طمع فيها أحد، وكانت أيضاً تغني غناء ليس بالفاخر البارع.

أخبرني بذلك جحظة عن أحمد بن حمدون. أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني علي بن يحيى المنجم: كان علي بن الجهم يقرب من أنس المتوكل جداً، ولا يكتمه شيئاً من سره مع حرمه وأحاديث خلواته، فقال له يوماً: إني دخلت على قبيحة، فوجدتها قد كتبت اسمي على خدها بغالية؛ فلا والله ما رأيت شيئاً أحسن من سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخد، فقل في هذا شيئاً. قال: وكانت محبوبة حاضرة للكلام من وراء الستر، وكان عبد الله بن طاهر أهداها في جملة أربعمائة وصيفة إلى المتوكل، قال: فدعا علي بن الجهم بدواة، فإلى أن أتوه بها وابتدأ يفكر، قالت محبوبة على البديهة من غير فكر ولا روية:

وكاتبة بالمسك في الخد جعفرا ... بنفسي مخط المسك من حيث أثرا

لئن كتبت في الخد سطرا بكفها ... لقد أودعت قلبي من الحب أسطرا

فيا من لمملوك لملك يمينه مطيع له فيما أسر وأظهرا

ويا من مناها في السريرة جعفر سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا

قال: وبقي علي بن الجهم واجما لا ينطق بحرف. وأمر المتوكل بالأبيات، فعبث بها إلى عريب وأمر أن تغني فيها، قال علي بن يحيى: قال علي بن الجهم بعد ذلك: تحيرت والله، وتقلبت خواطري، فوالله ما قدرت على حرف واحد أقوله.

شعرها في تفاحة أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني ابن خرداذبة قال حدثني علي بن الجهم: قال: كنت يوماً عند المتوكل وهو يشرب ونحن بين يديه، فدفع إلى محبوبة تفاحة مغلفة فقبلتها، وانصرفت عن حضرته إلى الموضع الذي كانت تجلس فيه إذا شرب، ثم خرجت جارية لها ومعها رقعة، فدفعتها إلى المتوكل فقرأها، وضحك ضحكاً شديداً، ثم رمى بها إلينا، فقرأناها وإذا فيها:

يا طيب تفاحة خلوت بها تشعل نار الهوى على كبدي

أبكي أليها وأشتكي دنفي وما ألاقي من شدة الكمد

لو أن تفاحة بكت لبكت من رحمتي هذه التي بيدي

إن كنت لا ترحمين ما لقيت نفسي من الجهد فارحمي جسدي

قال: فوالله ما بقي أحد إلا استظرفها، واستملحها، وأمر المتوكل فغنى في هذا الشعر صوت شرب عليه بقية يومه.

وفاؤها للمتوكل بعد موته حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم.

أن جواري المتوكل تفرقن بعد قتله، فصار إلى وصيف عدة منهن، وأخذ محبوبة فيمن أخذ، فاصطبح يوماً وأمر بإحضار جواري المتوكل، فأحضرن، عليهن الثياب الملونة، والمذهبة والحلي، وقد تزين وتعطرن إلا محبوبة فإنها جاءت مرهاء متسلبة، عليها ثياب بياض غير فاخرة، حزناً على المتوكل. فغنى الجواري جميعاً، وشربن وطرب وصيف وشرب، ثم قال لها: يا محبوبة غني فأخذت العود، وغنت وهي تبكي، وتقول:

أي عيش يطيب لي لا أرى فيه جعفرا

ملكا قد رأته عي ني قتيلا معفرا

كل من كان ذا هيا م وحزن فقد برا

غير محبوبة التي لو ترى الموت يشترى

لاشترته بملكها كل هذا لتقبرا

إن موت الكئيب أص لح من أن يعمرا

فاشتد ذلك على وصيف، وهم بقتلها. وكان بغا حاضرا، فاستوهبها منه، فوهبها له، فأعتقها، وأمر بإخراجها، وأن تمكون بحيث تختار من البلاد، فخرجت من سرمن رأى إلى بغداد، وأخملت ذكرها طول عمرها.

خصام وصلح في المنام؛ ثم في اليقظة أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني ملاوي الهيثمي قال: قال لي علي بن الجهم: كانت محبوبة أهديت إلى المتوكل أهداها إليه عبد الله بن طاهر في جملة أربعمائة جارية، وكانت بارعة الحسن والظرف والأدب مغنية محسنة، فحظيت عند المتوكل، حتى إنه كان يجلسها خلف ستارة وراء ظهره إذا جلس للشرب، فيدخل رأسه إليهان ويحدثها، ويراها في كل ساعة. فغاضبها يوماً، وهجرها ومنع جواريه جميعاً من كلامها ثم نازعته نفسه إليها، وأراد ذلك، ثم منعته العزة، وامتنعت من ابتدائه إدلالاً عليه بمحلها منه. قال علي بن الجهم: فبكرت إليه يوماً فقال لي: إني رأيت البارحة محبوبة في نومي كأني قد صالحتها، فقلت: أقر الله عينك يا أمير المؤمنين، وأنامك على خير، وأيقظك على سرور، وأرجو أن يكون هذا الصلح في اليقظة، فبينا هو يحدثني وأجيبه إذا بوصيفة قد جاءته، فأسرت إليه شيئاً، فقال لي: أتدري ما أسرت هذه إلي؟ قلت: لا، قال: حدثتني أنها اجتازت بمحبوبة الساعة وهي في حجرتها تغني، أفلا تعجب من هذا؟ إني مغاضبها، وهي متهاونة بذلك، لا تبدؤني بصلح، ثم لا ترضى حتى تغني في حجرتها، قم بنا يا علي حتى نسمع ما تغني. ثم قام، وتبعته، حتى انتهى إلى حجرتها فإذا هي تغني وتقول:

أدور في القصر لا أرى أحداً أشكو إليه ولا يكلمني

حتى كأني ركبت معصية ليست لها توبة تخلصني

فهل لنا شافع إلى ملك قد زارني في الكرى فصالحني

حتى إذا ما الصباح لاح لنا عاد إلى هجره فصارمني

فطرب المتوكل، وأحسنت بمكانه. فأمرت خدمها، فخرجوه إليه، وتنحينا وخرجت إليه، فحدثته أنها رأته في منامها، وقد صالحها، فانتبهت، وقالت هذه الأبيات، وغنت فيها. فحدثها هو أيضاً برؤياه، واصطلحا، وبعث إلى كل واحد منا بجائزة وخلعة.

ولما قتل تسلى عنه جميع جواريه غيرها، فإنها لم تزل حزينة مستلبة هاجرة لكل لذة حتى ماتت. ولها فيه مراث كثيرة.

صوت

يا ذا الذي بعذابي ظل مفتخرا هل أنت إلا مليك جار إذ قدرا

لولا الهوى لتجازينا على قدر وإن أفق منه يوماً ما فسوف ترى

الشعر يقال إنه للواثق، قاله في خادم له غضب عليه، ويقال: إن أبا حفص الشطرنجي قاله له.
والغناء لعبيدة الطنبورية رمل مطلق، وفيه لحن للواثق آخر، قد ذكر في غنائه.

أخبار عبيدة الطنبورية

نشأتها كانت عبيدة من المحسنات المتقدمات في الصنعة والآداب يشهد لها بذلك إسحاق وحسبها بشهادته.
وكان أبو حشيشة، يعظمها، ويعترف لها بالرياسة والأستاذية، وكانت من أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم صوتاً.
ذكرها جحظة في كتاب الطنبوريين والطنبوريات، وقرأت عليه خبرها فيه فقال: كانت من المحسنات، وكانت لا تخلو من عشق، و لم يعرف في الدنيا امرأة أعظم منها في الطنبور، وكانت لها صنعة عجيبة، فمنها في الرمل:

كن لي شفيعاً إليكا ... إن خف ذاك عليكا
وأعفني من سؤالي ... سواك ما في يديكا
يا من أعز وأهوى ... مالي أهون عليكا؟

تغنى بحضرة إسحاق وهي لا تعرفه
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: قال، لي علي بن الهيثم اليزيدي: كان أبو محمد - يعني أبي رحمه الله إسحاق بن إبراهيم الموصلي - يألفني ويدعوني، ويعاشرني، فجاء يوماً إلى أبي الحسن إسحاق بن إبراهيم فلم يصادفه، فرجع ومر بي، وأنا مشرف من جناح لي، فوقف وسلم علي. وأخبرني بقصته، وقال؛ هل تنشط اليوم للمسير إلي؟ فقلت له: ما على الأرض شيء أحب إلي من ذلك، ولكني أخبرك بقصتي، ولا أكتمك. فقال: هاتها، فقلت: عندي اليوم محمد بن عمرو بن مسعدة وهارون بن أحمد بن هشام، وقد دعونا عبيدة الطنبورية، وهي حاضرة، والساعة يجيء الرجلان، فامض في حفظ الله، فإني أجلس معهم حتى تنتظم أمورهم، وأروح إليك، فقال لي: فهلا عرضت علي المقام عندك؟ فقلت له: لو علمت أن ذلك مما تنشط له والله لرغبت إليك فيه، فإن تفضلت بذلك كان أعظم لمنتك، فقال: أفعل، فإني قد كنت أشتهي أن أسمع عبيدة، ولكن لي عليك شريطة، قلت: هاتها، قال: إنها إن عرفتني وسألتموني أن أغني بحضرتها لم يخف عليها أمري وانقطعت فلم تصنع شيئاً، فدعوها على جبلتها، فقلت: أفعل ما أمرت به، فنزل ورد دابته وعرفت صاحبي ما جرى، فكتماها أمره وأكلنا ما حضر، وقدم النبيذ، فغنت لحناً لها تقول:

قريب غير مقترب ... ومؤتلف كمجتنب
له ودي ولي منه ... دواعي الهم والكرب
أواصله على سبب ... ويهجرني بلا سبب
ويظلمني على ثقة ... بأن إليه منقلبي

فطرب إسحاق، وشرب نصفاً، ثم غنت وشرب نصفاً، و لم يزل كذلك حتى والى بين عشرة أنصاف، وشربناها معه؛ وقام ليصلي، فقال لها هارون بن أحمد بن هشام: ويحك يا عبيدة! ما تبالين والله متى مت، قالت: و لم؟ قال: أتدرين من المستحسن غناءك والشارب عليه ما شرب؟ قالت: لا والله، قال: إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فلا تعرفيه أنك قد عرفته. فلما جاء إسحاق ابتدأت تغني، فلحقتها هيبة له، واختلاط، فنقصت نقصاناً بيناً، فقال لنا: أعرفتموها من أنا؟ فقلنا له: نعم. عرفها إياك هارون بن أحمد، فقال إسحاق: نقوم إذاً، فننصرف، فإنه لا خير في عشرتكم الليلة ولا فائدة لي ولا لكم، فقام فانصرف.

حدثني بهذا الخبر جحظة عن جماعة منهم العباس بن أبي العبيس، فذكر مثله وقال فيه: إن الصوت الذي غنته.

يا ذا الذي بعذابي ظل مفتخراً

المسدود يأبى أن يغني قبلها حدثني جحظة قال: حدثني محمد بن سعيد الحاجب قال: حدثني ملاحظ غلام أبي العباس بن الرشيد. وكان في خدمة سعيد الحاجب، قال: اجتمع الطنبوريون عند أبي العباس بن الرشيد يوماً، وفيهم المسدود وعبيدة، فقالوا للمسدود: غن، فقال: لا والله، لا تقدمت، عبيدة، وهي الأستاذة، فما غنى حتى غنت.

لم تدخل عليه بعد أن تزوج وحدثني جحظة، قال: حدثني شرائح الخزاعي صاحب ساباط شرائح بسويقة نصر وساباط شرائح مشهور قال: كانت عبيدة تعشقني فتزوجت فمرت بي يوماً فسألتها الدخول إلي فقالت يا كشخان، كيف أدخل إليك وقد أقعدت في بيتك صاحب مصلحة! و لم تدخل.

ما كتب على طنبورها وحدثني جحظة قال: وهب لي جعفر بن المأمون طنبورها فإذا عليه مكتوب بأبنوس:

كل شيء سوى الخيا نة في الحب يحتمل

تاريخ غير مشرف وحدثني جحظة وجعفر بن قدامة، وخبر جعفر أتم، إلا أني قرأته على جحظة، فعرفه، وذكر لي أنه سمعه، قالا جميعاً: حدثنا أحمد بن الطيب السرخسي قال:

كان علي بن أحمد بن بسطام المروزي - وهو ابن بنت شبيب بن واج، وشبيب أحد النفر الذي سترهم المنصور خلف قبته يوم قتل أبا مسلم؛ وقال لهم: إذا صفقت فاخرجوا فاضربوه بسيوفكم. ففعل وفعلوا - فكان علي بن أحمد هذا يتعشق عبيدة الطنبورية وهو شاب وأنفق عليها مالا جليلا، فكتبت إليه أسأله عن خبرها ومن هي؟ ومن أين خرجت؟ فكتب إلي: كانت عبيدة بنت رجل يقال له صباح مولى أبي السمراء الغساني، نديم عبد الله بن طاهر - وأبو السمراء أحد العدة الذين وصلهم عبد الله بن طاهر في يوم واحد لكل رجل منهم مائة ألف دينار - وكان الزبيدي الطنبوري أخو نظم العمياء، يختلف إلى أبي السمراء، وكان صباح صاحب أبي السمراء، فكان الزبيدي إذا سار إلى أبي السمراء فلم يصادفه أقام عند صباح والد عبيدة وبات، وشرب، وغنى وأنس، وكان لعبيدة صوت حسن وطبع جيد، فسمعت غناء الزبيدي، فوقع في قلبها واشتهته، وسمع الزبيدي صوتها، وعرف طبعها فعلمها، وواظب عليها، ومات أبوها، ورقت حالها، وقد حذفت الغناء على الطنبور، فخرجت

تغني، وتقنع باليسير، وكانت مليحة مقبولة خفيفة الروح، فلم يزل أمرها يزيد، حتى تقدمت وكبر حظها، واشتهاها الناس. وحلت تكتها، وسمحت، روغب فيها الفتيان، فكان أول من تعشقها علي بن الفرج الرخجي أخو عمر، وكان حسن الوجه كثير المال، فكنت أراها عنده، وكنا نتعاشر على الفروسية، ثم ولدت من علي بن الفرج بنتاً، فحجبها لأجل ذلك، فكانت تحتال في الأوقات بعلة الحمام وغيره، فتلم بمن كانت توده ويودها، فكنت ممن تلم به، وأنا حينئذ شاب قد ورثت عن أبي مالاً عظيماً وضياعاً جليلة، ثم ماتت بنتها من علي بن الفرج، وصادف ذلك نكبتهم واختلال حال علي بن الفرج، فطلقها فخرجت، فكانت تخرج بدينارين للنهار ودينارين لليل، واعترت بأبي السمراء، ونزلت في بعض دوره.

وتزوجت أمها بوكيل له، فتعشقت غلاماً من آل حمزة بن مالك يقال له شرائح وهو صاحب ساباط شرائح ببغداد، وكان يغني بالمعزفة غناء مليحاً، وكان حسن الوجه، لا عيب في جماله إلا أنه كان متغير النكهة، وكان ت شديدة الغلمة لا تحرم أحداً ولا تكرهه، من حد الكهول إلى الطفل، حتى تعلقت شاباً يعرف بأبي كرب بن أبي الخطاب، مشرط الوجه أفطس قبيحاً شديد الأدمة، فقيل لها: أي شيء رأيت في أبي كرب؟ فقالت: قد تمتعت بكل جنس من الرجال إلا السودان، فإن نفسي تبشعهم، وهذا بين الأسود والأبيض، وبينه فارغ لما أريد، وهو صفعاني إذا أردت ووكيلي إذا أردت. قال: وكان لها غلام يضرب عليها يقال له علي ويلقب ظفر عبيدة، فكانت إذا خلت في البيت وشبقت اعتمدت عليه، وقالت: هو بمنزلة بغل الطحان يصلح للحمل والطحن والركوب.

وكان عمرو بن بانة إذا حصل عنده إخوان له يدعوها لهم تغنيهم مع جواريه، وإنما عرفها من داري، لأنه بعث يدعوني، فدخل غلامه، فرآها عندي، فوصفها له فكتب إلي يسألني أن أجيئه بها معي. ففعلت، وكان عنده محمد بن عمرو بن مسعدة والحارث بن جمعة والحسن بن سليمان البرقي وهارون بن أحمد بن هشام، فعدلوا كلهم إلى استماع غنائها والاقتراح له والإقبال عليه، ومال إليها جواريه، وما خرجت إلا وقد عقدت بين الجماعة مودة، وكان جواري عمرو بن بابنة يشتقن إليها، فيسألنه أن يدعوها، فيقول لهن: ابعثن إلى علي حتى يبعث بها إليكن، فإنه يميل إليها، وهو صديقي وأخشى أن يظن أني قد أفسدتها عليه - ولم يكن به هذا إنما كان به الدينارات اللذان يريد أن يحدرها بهما - وكان عمرو من أبخل الناس، وكان صوت إسحاق بن إبراهيم عليها:

يا ذا الذي بعذابي ظل مفتخراً

وكانت صوت علوية ومخارق عليها:

قريب غير مقترب

وهذان الصوتان جميعاً من صنعتها.

إسحاق يحبها حية ويرثيها ميتة وكان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يشتهي أن يسمعها، ويمنع نفسه ذلك لتيهه

ولبرمكته وتوقيه أن يبلغ المعتصم عنه شيء يعيبه، وماتت عبيدة من نزف أصابها، فأفرط حتى أتلفها.
وفي عبيدة يقول بعض الشعراء، ومن الناس من ينسبه إلى إسحاق:

أمست عبيدة في الإحسان واحدة فالله جار لها من كل محذور
من أحسن الناس وجها حين تبصرها وأحذق الناس إن غنت بطنبور

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال: سمعت إسحاق يقول: الطنبور إذا تجاوز عبيدة هذيان.

صوت

سقمت حتى ملني العائد وذبت حتى شمت الحاسد
وكنت خلواً من رسيس الهوى حتى رماني طرفك الصائد

الشعر فيما أخبرني به جحظة لخالد الكاتب ووجدته في شعر محمد بن أمية له، والغناء لأحمد بن صدقة الطنبوري، رمل مطلق.
وقد مضت أخبار خالد الكاتب ومحمد بن أمية ونذكر هاهنا أخبار أحمد بن صدقة.

أخبار أحمد بن صدقة

اسمه ونسبه ونشأته هو أحمد بن صدقة بن أبي صدقة، وكان أبوه حجازياً مغنياً، قدم على الرشيد، وغنى له، وقد ذكرت أخباره في صدر هذا الكتاب.
وكان أحمد بن صدقة طنبورياً محسنا مقدما حاذقا حسن الغناء محكم الصنعة، وله غناء كثير من الأرمال والأهزاج وما جرى مجراها من غناء الطنبوريين، وكان يتزل الشام، فوصف للمتوكل، فأمر بإحضاره، فقدم عليه وغناه، فاستحسن غناءه، وأجزل صلته، واشتهاه الناس وكثر من يدعوه، فكسب بذلك أكثر مما كسبه مع المتوكل أضعافاً.
جحظة يشيد به أخبرني بذلك جحظة وقال: كانت له صنعة ظريفة كثيرة ذكل منها الصوت المتقدم ذكره ووصفه وقرظه، وذكر بعده هذا الصوت:

وشادن ينطق بالظرف حسن حبيبي منتهى الوصف
هام فؤادي وجرت عبرتي لا بعد الإلف من الإلف

قال: وهو رمل مطلق، ولو حلفت أنهما ليسا عند أحد من مغني زماننا إلا عند واحد ما حنثت - يعني نفسه.

خبره مع خالد بن يزيد حدثني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني أحمد بن صدقة قال: اجتزت بخالد بن يزيد الكاتب، فقلت له: أنشدني بيتين من شعرك حتى أغني فيهما. قال: وأي حظ لي في ذلك؟ تأخذ أنت الجائزة وأحصل أنا الإثم! فحلفت له أني إن أفدت بشعرك فائدة جعلت لك فيها حظاً، أو أذكرت به الخليفة، وسألته فيك، فقال: أما الحظ من جهتك فأنت أنزل من ذلك، ولكن عسى أن تفلح في مسألة الخليفة، ثم أنشدني:

تقول سلا فمن المدنف ... ومن عينه أبداً تذرف؟

ومن قلبه قلق خافق ... عليك وأحشاؤه ترجف؟

فلما جلس المأمون للشرب دعاني، وقد كان غضب على حظية له، فحضرت مع المغنين، فلما طابت نفسه وجهت إليه بتفاحة من عنبر، عليها مكتوب بالذهب: يا سيدي، سلوت. وعلم الله أني ما عرفت شيئاً من الخبر. يتغنى ينكره المأمون وانتهى الدور إلي، فغنيت البيتين، فاحمر وجه المأمون، وانقلبت عيناه وقال لي: يا بن الفاعلة، ألك علي وعلى حرمي صاحب خبر! فوثبت، وقلت: يا سيدي ما السبب؟. فقال لي: من أين عرفت قصتي مع جاريتي؟ فغنيت في معنى ما بيننا، فحلفت له أني لا أعرف شيئاً من ذلك، وحدثته حديثي مع خالد، فلما انتهيت إلى قوله، "أنت أنزل من ذلك" ضحك، وقال: صدق، وإن هذا الاتفاق ظريف، ثم أمر لي بخمسة آلاف درهم ولخالد بمثلها.

دخوله على المأمون في يوم السعانين أخبرني محمد قال: حدثنا حماد قال: حدثني أحمد بن صدقة قال: دخلت على المأمون في يوم السعانين، وبين يديه عشرون وصيفة، جلباً روميات مزنرات، قد تزين بالديباج الرومي، وعلقن في أعناقهن صلبان الذهب، وفي أيديهن الخوص والزيتون، فقال لي المأمون: ويلك يا أحمد! قد قلت في هؤلاء أبياتاً فغني فيها.

ثم أنشدني قوله:

ظباء كالدنانير ... ملاح في المقاصير

جلاهن السعانين ... علينا في الزنانير

وقد زرفن أصداغاً ... كأذناب الزرارير

وأقبلن بأوساط ... كأوساط الزنابير

فحفظتها، وغنيته فيها، فلم يزل يشرب، وترقص الوصائف بين يديه أنواع الرقص من الدستبند، إلى الإبلا حتى سكر، فأمر لي بألف دينار، وأمر بأن ينثر على الجواري ثلاثة آلاف دينار، فقبضت الألف، ونثرت الثلاثة الآلاف عليهن، فانتهبتها معهن.

يغضب فيسترضيه الفضل حدثني جحظة قال حدثني جعفر بن المأمون قال:
اجتمعنا عند الفضل بن العباس بن المأمون، ومعنا المسدود، وأحمد بن صدقة، وكان أحمد قد حلق في ذلك اليوم رأسه، فاستعجلوا بلافة كانت لهم، فأخذ المسدود سكرجة خردل، فصبتها على رأس أحمد بن صدقة وقال: كلوا هذه حتى تجيء تلك. فحلف أحمد بالطلاق ألا يقيم، فانصرف. ولما كان من غد جمعهما الفضل بن العباس، فتقدم المسدود، ودخل أحمد وطنبور المسدود موضوع، فجسه، ثم قال: من كان يسبح في هذا الماء؟ فما انتفعنا بالمسدود سائر يومه، على أن الفضل قد خلع عليهما، وحماهما.
يقتله الأعراب وينهبون ماله و لم يزل أحمد مقيماً، حتى بلغه موت بنية له بالشأم، فشخص نحو منزله، وخرج عليه الأعراب فأخذوا ما معه وقتلوه.
هل كان أبخر؟ قال جحظة: وقال بعض الشعراء يهجو أحمد بن صدقة وكانت له صديقة فقطعته فعيره بذلك ونسبها إلى أنها هربت منه لأنه أبخر:

هربت صديقة أحمد — هربت من الريق الردي
هربت فإن عادت إلى — طنبوره فاقطع يدي

صوت

ألم تعلموا أنى تخاف عرامتي — وأن قناتي لا تلين على القسر
وإني وإياكم كمن نبه القطا — ولو لم تنبه باتت الطير لا تسري
أناة وحلماً وانتظاراً بكم غداً — فما أنا بالواني ولا الضرع الغمر
أظن صروف الدهر والجهل منكم — ستحملكم مني على مركب وعر

الشعر للحارث بن وعلة الجرمي، والغناء لابن جامع ثقيل بالبنصر عن عمرو، وفيه لسياط لحن ذكره إبراهيمي و لم يجنسه، وقيل إن الشعر لوعلة نفسه.

أخبار الحارث بن وعلة

اسمه ونسبه الحارث بن وعلة بن عبد الله بن الحارث بن بلع بن سبيلة بن الهون بن أعجب بن قدامة بن حرم بن زبان - وهو علاف، وإليه تنسب الرحال العلافية، وهو أول من اتخذها - بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. وقد ذكرت مقتدما الاختلاف في قضاعة، ومن نسبه معدياً، ومن نسبه حميرياً.
والرحال العلافية مشهورة عند الناس، قد ذكرها الشعراء في أشعارها، قال ذو الرمة:

وليل كجلباب العروس ادرعته — بأربعة والشخص في العين واحد

أحم علافي وأبيض صارم وأعيس مهري وأروع ماجد

وكان وعلة الجرمي وابنه الحارث من فرسان قضاعة وأنجادها وأعلامها وشعرائها، وشهد وعلة الكلاب الثاني، فأفلت بعد أن أدركه قيس بن عاصم المنقري، وطلبه، ففاته ركضاً وعدواً، وخبره يذكر بعد هذا في موضعه إن شاء الله تعالى.

ابن الأشعث وعبد الملك يتمثلان بشعره وشعر أبيه فأخبرني عمي قال: حدثني الكراني، قال: حدثنا العمري عن العتبي قال: كتب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى الحجاج مبتدئاً: أما بعد فإن مثلي ومثلك كما قال القائل:

سائل مجاور جرم هل جنيت لها حربا تفرق بين الجيرة الخلط؟

أم هل دلفت بجرار له لجب يغشى الأماعيز بين السهل والفرط؟

والشعر لوعلة الجرمي - هذا مثلي ومثلك، فسأحملك على أصعبه، وأريحك من مركبه.

فكتب الحجاج بذلك إلى عبد الملك، فكتب إليه جوابه: أما بعد؛ فإني قد أجبت عدو الرحمن بلا حول ولا قوة إلا بالله، ولعمر الله لقد صدق، وخلع سلطان الله بيمينه، وطاعته بشماله، وخرج من الدين عرياناً، كما ولدته أمه.

ثم لم يصبر عبد الملك على أن يدع جوابه بشعر فقال: وعلى أن مثلي ومثله ما قال الآخر:

أناة وحلماً وانتظاراً بكم غدا فما أنا بالواني ولا الضرع الغمر

أظن صروف الدهر والجهل منهم ستحملهم مني على مركب وعر

فليت شعري أسما عدو الرحمن لدعائم دين الله يهدمها؟ أم رام الخلافة أن ينالها؟ وأوشك أن يوهن الله شوكته، فاستعن بالله، واعلم أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

قال مؤلف هذا الكتاب: الشعر الذي تمثل به عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لوعلة الجرمي، والشعر الذي تمثل به عبد الملك لابنه الحارث بن وعلة.

يخذله قومه وينصره آخرون أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال: حدثني طلحة بن عبد الله الطلحي، عن أحمد بن إبراهيم، عن أبي عبيدة قال:

قتلت نهد أخا وعلة الجرمي، فاستعان بقومه، فلم يعينوه، فاستعان بحلفاء من بني نمير، وكانوا له حلفاء وإخواناً، فأعانوه حتى أدرك بثأره فقال في ذلك:

سائل مجاور جرم هل جنيت لها حرباً تزيل بين الجيرة الخلط

أم هل علوت بجرار له لجب يغشى المخارم بين السهل والفرط

حتى تركت نساء الحي ضاحية في ساحة الدار يستوقدن بالغبط

يفر من قيس ابن عاصم عند غزوه لليمن أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا الرياشي قال: خرج رجل من بني تميم - يقال إنه قيس بن عاصم قال الرياشي: وحقق أبو عبيدة أنه قيس - يوم الكلاب يلتمس أن يصيب رجلاً من ملوك اليمن له فداء، فبينا هو في ذلك إذ أدرك وعلة الجرمي، وعليه مقطعات له فقال له: على يمينك، قال: على يساري أقصد لي، قال: هيهات منك اليمن، قال: العراق مني أبعد، قال: إنك لن ترى أهلك العام، قال: ولا أهلك تراهم، وجعل وعلة يركض فرسه، فإذا ظن أنها قد أعيت وثب عنها، فعدا معها، وصاح بها، فتجري وهو يجاريها، فإذا أعيا وثب فركبها، حتى نجا. فسأل عنه قيس، فعرف أنه وعلة الجرمي، فانصرف وتركه، فقال وعلة في ذلك:

فدى لكما رحلي أمي وخالتي ... غداة الكلاب إذ تحز الدوابر

نجوت نجاء لم ير الناس مثله ... كأني عقاب عند تيمن كاسر

ولما رأيت الخيل تدعو مقاعساً ... تنازعني من ثغرة النحر جائر

فإن استطع لا تلتبس بي مقاعس ... ولا يرني ميدنهم والمحاضر

ولا تك لي جرارة مضرية ... إذا ما غدت قوت العيال تبادر

أما قوله: "تحز الدوابر" فإن أهل اليمن لما انهزموا قال قيس بن عاصم لقومه: لا تشتغلوا بأسرهم فيفوتكم أكثرهم، ولكن اتبعوا المنهزمين، فجزوا أعصابهم من أعقابهم ودعوهم في مواضعهم، فإذا لم يبق أحد رجعتم إليهم، فأخذتموهم. ففعلوا ذلك، وأهل اليمن يومئذ ثمانية آلاف عليهم أربعة أملاك يقال لهم: اليزيدون، وهم يزيد بن عبد المدان، ويزيد بن هوير، ويزيد بن المامور ويزيد بن مخزم. هؤلاء الأربعة اليزيدون، والخامس عبد يغوث بن وقاص، فقتل اليزيدون أربعتهم في الوقعة، وأسر عبد يغوث بن وقاص، فقتلته الرباب برجل منها، وقد ذكر خبر مقتله متقدما في صوت يغني فيه وهو:

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا

وأما قوله:

ولما رأيت الخيل تدعو مقاعساً

فإن بني تميم لما التقت مع بني الحارث بن كعب في هذا اليوم تداعت تميم في المعمعة يا آل كعب! فتنادى أهل اليمن: يا آل كعب! فتنادوا: يا آل الحارث! فتنادى أهل اليمن! يا آل الحارث! فتنادوا: يا آل مقاعس! وتميزوا بها من أهل اليمن.

صوت

والله لا نظرت عيني إليك ولو ... سالت مساربها شوقاً إليك دما

إن كنت خنت ولم أضمر خيانتكم ... فالله يأخذ ممن خان أو ظلما

سماجة لمحب خان صاحبه ما خان قط محب يعرف الكرما

الشعر لعلي بن عبد الله الجعفري، والغناء للقاسم بن زرزور، ولحنه ثقيل أول مطلق ابتداؤه نشيد، وكان إبراهيم بن أبي العبيس يذكر أنه لأبيه.

فلما ولي مصعب بن الزبير دعاه، فأنشده الأبيات، فقال: أما والله لأقطعن السيف في رأسك قبل أن تقطعه في رأسي، وأمر به فحبس، ثم دس إليه من قتله.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه، عن ابن جامع، عن يونس قال: جاء رجل من قريش إلى الغريض فقال له: بأبي أنت وأمي إني جئتك قاصداً من الطائف أسألك عن صوت تغنيني إياه، قال: وما هو؟ قال: لحنك في هذا الشعر:

تشرب لون الرازقي بياضه أو الزعفران خالط المسك رادعه

فقال: لا سبيل إلى ذلك، هذا الصوت قد نهتني الجن عنه، ولكني أغنيك في شعر لمرة بن محكان، وقد طرقه ضيف في ليلة شاتية، فأنزلهم، ونحر لهم ناقته، ثم غناه قوله:

يا ربة البيت قومي غير صاغرة ضمي إليك رحال القوم والقربا

فأطربه، ثم قال له الغريض: هذا لحن أخذته من عبيد بن سريج، وسأغنيك لحناً عملته في شعر على وزن هذا الشعر ورويه للحطيئة، ثم غناه:

ما نقموا من بغيض لا أبالهم في بائس جاء يحدو أينقا شزبا

جاءت به من بلاد الطور تحمله حصاء لم تترك دون العصعا شذبا

لا يخفض جبينه إلا لله حدثني اليزيدي قال: حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال: أخبرني العباس بن عيسى العقيلي أن علي بن عبد الله الجعفري أنشده:

والله والله ربي وتلك أقصى يميني

لو شئت ألا أصلي لما وضعت جبيني

أيهما يدع؟ حدثنا اليزيدي قال: حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال: أخبرني العباس بن عيسى قال: حدثني علي بن عبد الله الجعفري قال: مرت بي امرأة في الطواف، وأنا جالس أنشد صديقاً لي هذا البيت:

أهوى هوى الدين واللذات تعجبني فكيف لي بهوى اللذات والدين؟

فالتفتت المرأة إلي وقالت: دع أيهما شئت وخذ الآخر.

عود إلى الصوت حدثنا اليزيدي قال: حدثنا محمد بن الحسن الزرقي قال: حدثنا عبد الله بن شبيب قال: أنشدني علي بن عبد الله بن جعفر الجعفري لنفسه:

والله لا نظرت عيني إليك ولو سالت مساربها شوقاً إليك دما
إلا مفاجأة عند اللقاء ولا نازعتك الدهر إلا ناسياً كلما
إن كنت خنت ولم أضمر خيانتكم فالله يأخذ ممن خان أو ظلما
سماجة لمحب خان صاحبه ما خان قط محب يعرف الكرما

قال عبد الله بن شبيب وأنشدني علي بن عبد الله لنفسه:

صوت

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة حباً لذكرك فليلمني اللوم
وأهنتني فأهنت نفسي جاهداً ما من يهون عليك ممن يكرم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذا صار حظي منك حظي منهم

صوت

أتعرف رسم الدار من أم معبد نعم فرماك الشوق قبل التجلد
فيا لك من شوق ويا لك عبرة سوابقها مثل الجمان المبدد

الشعر لعتيبة بن مرداس المعروف بابن فسوة، والغناء لجميلة، خفيف ثقيل بالبنصر عن ابن المكي. وذكر الهشامي أن فيه لمعبد لحناً من الثقيل الأول، وأنه يظنه من منحول يحيى إليه.

أخبار عتيبة ونسبه

اسمه ونسبه عتيبة بن مرداس أحد بني كعب بن عمرو بن تميم، لم يقع إلي من نسبه غير هذا، وهو شاعر مقل غير معدود في الفحول، مخضرم ممن أدرك الجاهلية والإسلام هجاء خبيث اللسان بذي.

لماذا لقب بابن فسوة؟ وابن فسوة لقب لزمه في نفسه، ولم يكن أبوه يلقب بفسوة، إنما لقب هو بهذا، وقد اختلف في سبب تلقيبه بذلك، فذكر إسحاق الموصلي عن أبي عمرو الشيباني: نسخت ذلك من كتاب إسحاق بخطه.

أن عتيبة بن مرداس كان فاحشاً كثير الشر قد أدرك الجاهلية، فأقبل ابن عم له من الحج، وكان من أهل بيت منهم يقال لهم: بن فسوة، فقال لهم عتيبة: كيف كنت يا بن فسوة؟ فوثب مغضباً، فركب راحلته وقال: بئس لعمر الله ما حييت به ابن عمك، قدم عليك من سفر، ونزل دارك! فقام إليه عتيبة مستحيياً، وقال له؛ لا تغضب

يا بن عم، فإنما مازحتك! فأبى أن يتزل، فقال له: انزل وأنا أشتري منك هذا الاسم فأتسمى به، وظن أن ذلك لا يضره، قال: لا أفعل أو تشتريه مني بمحضر من العشيرة. قال: نعم فجمعهم وأعطاه برداً وجملا وكبشين، وقال لهم عتيبة: اشهدوا أني قد قبلت هذا النبز وأخذت الثمن، وأني ابن فسوة، فزالت عن ابن عمه يومئذ، وغلبت عليه وهجي بذلك، فقال فيه بعض الشعراء:

أودى ابن فسوة إلا نعته الإبلا

وعمر عمراً طويلاً، وإنما قال:

أودى ابن فسوى إلا نعته الإبلا

لأنه كان أوصف الناس لها، وأغراهم بوصفها، ليس له كبير شعر إلا وهو مضمن وصفها.

تخريج آخر لهذا اللقب وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: إنما سمي عتيبة بن مرداس بن فسوة، لأنه كان له جار من عبد القيس، فكان يتحدث إلى ابنته، وكان لها حظ من جمال، وكانت تعجبه ويهيم بها، فكان أحداث بني تميم، إذا ذكروا العبدي، قالوا: قال ابن فسوة، وفعل ابن فسوة، فأكثروا عليه من ذلك حتى مل فعمل على التحول عنهم، وبلغ ذلك عتيبة، فأتاه فطلب إليه أن يقيم، وأن يحتمل اسمه، ويشريه منه ببعير، فلم يفعل، قال: العبدي: فتحولت عنهم وشاع في الناس أنه قد ابتاع مني وغلب عليه، فأنشأ عتيبة يقول من كلمة له:

وحول مولانا علينا اسم أمه ألا رب مولى ناقص غير زائد

ابن عباس ينهره أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثنا أحمد بن الحارث قال: حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي وابن دأب وابن جعدبة، قالوا: أتى عتيبة بن مرداس - وهو ابن فسوة - عبد الله بن العباس رضي الله عنهما وهو عامل لعلي بن أبي طالب صلوات الله عليه على البصرة، وتحته يومئذ شميلة بنت جنادة بن بنت أبي أزهر الزهرانية، وكانت قبله تحت مجاشع ابن مسعود السلمي، فأستأذن عليه، فأذن له، وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدحهم، فيعطونه، ويخافون لسانه، فلما دخل على ابن عباس قال له: ما جاء بك إلي يا بن فسوة؟ فقال له: وهل عنك مقصر أو رواءك معدي؟ جئتك لتعينني على مروءتي، وتصل قرابتي، فقال له ابن عباس: وما مروءة من يعصي الرحمن ويقول البهتان ويقطع ما أمر الله به أن يوصل؟ والله لئن أعطيتك لأعيننك على الكفر والعصيان، انطلق فأنا أقسم بالله لئن بلغني أنك هجوت أحداً من العرب لأقطعن لسانك. فأراد الكلام، فمنعه من حضر، وحبسه يومه ذلك، ثم أخرجه عن البصرة.

الحسن وابن جعفر يصلانه خشية لسانه فوفد إلى المدينة بعد مقتل علي رضي الله عنه، فلقي الحسن بن علي رضي الله عنهما، وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهما، فسألاه عن خبره مع ابن عباس عليه السلام فأخبرهما، فاشتريا عرضه بما أرضاه، فقال عتيبة يمدح الحسن وابن جعفر رضي الله عنهما ويلوم ابن عباس رضي الله عنهما

أتيت ابن عباس فلم يقض حاجتي ولم يرج معروفي ولم يخشى منكري
حبست فلم أنطق بعذر لحاجة وسد خصاص البيت من كل منظر
وجئت وأصوات الخصوم وراءه كصوت الحمام في القليب المغور
وما أنا إذ زاحمت مصراع بابه بذي صولة ضار، ولا بحزور
فلو كنت من زهران لم ينس حاجتي ولكنني مولى جميل بن معمر

وكان حليفاً لجميل بن معمر القرشي :

وباتت لعبد الله من دون حاجتي شميلة تلهو بالحديث المقتر
ولم يقترب من ضوء نار تحثها شميلة إلا أن تصلي بمجمر
تطالع أهل السوق والباب دونها بمستفلك الذفري أسيل المدثر
إذا هي همت بالخروج يردها عن الباب مصراعا منيف مجير

وجدت بخط إسحق الموصلي مجير: محير. والمحير: المصهرج. والحيار: الصهروج

فليت قلوصي عريت أو رحلتها إلى حسن في داره وابن جعفر
إلى ابن رسول الله يأمر بالتقى وللدين يدعو والكتاب المطهر
إلى معشر لا يخصفون نعالهم ولا يلبسون السبت، ما لم يخصر
فلما عرفت البأس منه وقد بدت أيادي سبا الحاجات للمتذكر
تسنمت حرجوجاً كأن بغامها أحيح ابن ماء في يراع مفجر
فمازلت في التسيار حتى أنحتها إلى ابن رسول الأمة المتخير
فلا تدعني إذ رحلت إليكم بني هاشم أن تصدروني بمصدر

وهي قصيدة طويلة، هذا ذكر في الخير منها.

وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عبيد الله بن عمار، عن عمر بن شبة، عن المدائني مثل ما مضى أو قريباً منه، ولم يتجاوز عمر بن شبة المدائني في إسناده.

عامر بن الكريز ينهره أيضاً أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال: قال ابن الأعرابي:

كان عتيبة بن مرداس السلمي شاعراً خبيث اللسان مخوف المعرة في جاهليته وإسلامه، وكان يقدم على أمراء العراق وأشراف الناس، فيصيب منهم بشعره، فقدم على أبن عامر بن كريز - وكان جواداً - فلما استؤذن له

عليه أرسل إليه: إنك والله ما تسأل بحسب ولا دين ولا مترلة، وما أرى لرجل من قريش أن يعطيك شيئاً، وأمر به فلكز وأهين فقال ابن فسوة:

وكائن تخطت ناقتي وزميلها ... إلى ابن كريز من نحوس وأسعد

وأغبر مسحول التراب ترى له ... حيا طردته الريح من كل مطرد

لعمرك إني عند باب ابن عامر ... لكالظبي عند الرمية المتردد

فلم أر يوماً مثله إذ تكشفت ... ضبابته عني ولما أقيد

ثم يطيب خاطر فبلغ قوله ابن عامر، فخاف لسانه وما يأتي به بعد هذا ورجع له، وأحسن القوم رفده، وقالوا: هذا شاعر فارس وشيخ من شيوخ قومه واليسير يرضيه، فقال: ردوه فرد، فقال له: إيه يا عتيبة، أردد علي ما قلت، فقال: ما قلت إلا خيراً قال: هاته فقال: قلت:

أتعرف رسم الدار من أم معبد ... نعم فرماك الشوق قبل التجلد

فيا لك من شوق ويا لك عبرة ... سوابقها مثل الجمان المبدد

وكائن تخطت ناقتي وزميلها ... إلى ابن كريز من نحوس وأسعد

فتى يشتري حسن الثناء بماله ... ويعلم أن المرء غير مخلد

إذا ما ملمات الأمور اعترينه ... تجلى الدجى عن كوكب متوقد

فتبسم ابن عامر وقال: لعمري ما هكذا قلت، ولكنه قول مستأنف، وأعطاه حتى رضي وانصرف.

ابن الأعرابي يستحسن أبياتاً له قال: وأنشدنا ابن الأعرابي له بعقب هذا الخبر، وكان يستحسن هذه الأبيات ويستجيدها:

منعمة لم يغذها أهل بلدة ... ولا أهل مصر فهي هيفاء ناهد

فريعت فلم تخبا ولكن تأودت ... كما انتص مكحول المدامع فارد

وأهوت لتنتاش الرواق فلم تقم ... إليه ولكن طأطأته الولائد

قليلة لحم الناظرين يزينها ... شباب ومخفوض من العيش بارد

تناهى إلى لهو الحديث كأنها ... أخو سقم قد أسلمته العوائد

ترى القرط منها في قناة كأنها ... بمهلكة لولا البرا والمعاقد

يرثي صريعاً في بئر وقال أبو عمرو والشيباني: أغار رجل من بني تغلب يقال له الهذيل بعقب مقتل عثمان على بني تميم، فأصاب نعماً كثيراً، فورد بها ماء لبني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم يقال له سفار، فإذا عليه الأسود وخالد ابنا نعيم بن قعنب بن الحارث بن عمرو بن همام بن رباح في إبل لهما قد أورداها، فأراد الهذيل أخذها،

فتفرقت، فتفرق أصحابه في طلبها، وهو قائم على رأس ركية من سفار، فرماه أحدهما فقتله فوقع في الركية فكانت قبره. ويقال: بل رماه عبد أسود لمالك ابن عروة المازني، فقال عتيبة بن مرداس الذي يقال له ابن فسوة في ذلك:

من مبلغ فتيان تغلب أنه ... خلال للهذيل من سفار قليب؟
إذا صوت الأصداء وسطها ... فتى تغلبي في القليب غريب
فأعددت يربوعاً لتغلب إنهم ... أناس غذتهم فتنة وحروب
حويت لقاح ابني نعيم بن قعنب ... وإنك إن أحرزتها لكسوب

بشر بن كهف ينهره وقال أبو عمرو أيضاً: كان عبد الله بن عامر بن كريز قد تزوج أخت بشر بن كهف أحد بني خزاعة بن مازن، فكان أثيراً عنده، واستعمله على الحمى، فسأله ابن فسوة أن يرعيه فأبى، ومنعه، وطرد إبله، فقال في ذلك:

من يك أرعاه الحمى أخواته ... فما لي من أخت عوان ولا بكر
وما ضرها أن لم تكن رعت الحمى ... ولم تطلب الخير الممنع من بشر
متى يجيء يوماً إلى المال وارثي ... يجد قبض كف غير ملأى ولا صفر
يجد مهرة مثل القناة طمرة ... وعضب إذا ما هز لم يرض بالهبر
فإن تمنعوا منها حماكم فإنه ... مباح لها ما بين إنبط فالكدر
إذا ما امرؤ أثنى بفضل ابن عمه ... فلعنة رب العالمين على بشر

يسرقون ثيابه؛ فيستعدي قومه عليهم

وقال أبو عمرو الشيباني، ونسخته أيضاً من خط إسحاق الموصلي، وجمعت الروايتين: إن ابن فسوة نزل ببني سعد بن مالك من بني قيس بن ثعلبة، وبات بهم، ومعه جارية له يقال لها جوزاء، فسقروا عيبة له فيها ثيابه وثياب جاريته، فرحل عنهم، فلما عاد إلى قومه أعلمهم ما فعله به بنو سعد بن مالك. فركب معه فرسان منهم حتى أغاروا على إبل لبني سعد فأخذوا منها صرمة، واستاقوها فدفعوها إليه، فقال يمدح قومه ويهجو بني سعد بقوله:

جزى الله قومي من شفيع وشاهد ... جزاء سليمان النبي المكرم
هم القوم لا قوم ابن دارة سالم ... ولا ضابئ إذ أسلما شر مسلم
وما عيبة الجوزاء إذ غدرت بها ... سراة بني قيس بسر مكتم
إذا ما لقيت الحي سعد بن مالك ... على زم فانزل خائفاً أو تقدم

أناس أجارونا فكان جوارهم شعاعاً كلحم الجازر المتقسم
لقد دنست أعراض سعد بن مالك كما دنست رجل البغي من الدم
لهم نسوة طلس الثياب مواجن ينادين من يبتاع عوداً بدرهم
إذا أيم قيسية مات بعلها وكان لها جار فليست بأيم
يمشي ابن بشر بينهن مقابلا بأير كإير الأرجحي المخرم
إذا راح من أبياتهن كأنما طليت بتنوم قفاه وخمخم

وفيه رواية إسحاق:

تسوق الجواري منخراه كأنما دلكن بتنوم قفاه وخمخم

صوت

قال طال شوقي وعادني طري من ذكر خود كريمة النسب
غراء مثل الهلال صورتها أو مثل تمثال صورة الذهب

ويروى: "بيعة الرهب" الشعر لعبد الله بن العجلان النهدي، والغناء لمالك ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجري الوسطى عن إسحاق، وله فيه أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو، وذكر الهشامي أنه لابن مسحج.

أخبار عبد الله بن العجلان

اسمه ونسبه هو عبد الله بن العجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب بن صباح بن نهد بن زيد بن ليث بن أسود بن أسلم ابن الحاف بن قضاة. شاعر جاهلي أحد المتيمين من الشعراء ومن قتله الحب منهم.

وكانت له زوجة يقال لها هند، فطلقها، ثم ندم على ذلك، فتزوجت زوجاً غيره، فمات أسفاً عليها.

قصته تشبه قصة قيس ولبنى أخبرني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال: كان عبد الله بن العجلان النهدي سيداً في قومه وابن سيد من ساداتهم، وكان أبوه أكثر بني نهد مالاً، وكانت هند امرأة عبد الله بن العجلان التي يذكرها في شعره امرأة من قومه من بني نهد، وكانت أحب الناس إليه، وأحظاهم عنده، فمكثت معه سنين سبعاً أو ثمانياً لم تلد، فقال له أبوه: إنه لا ولد لي غيرك، ولا ولد لك، وهذه المرأة عاقر، فطلقها، وتزوج غيرها، فأبى ذلك عليه، فآلى ألا يكلمه أبداً حتى يطلقها. فأقام على أمره، ثم عمد إليه يوماً، وقد شرب الخمر حتى سكر، وهو جالس مع هند، فأرسل إليه أن صر إلي، فقالت له هند: لا تمض إليه، فوالله ما يريدك لخير، وإنما يريدك لأنه بلغه أنك سكران، فطمع فيك أن يقسم عليك، فتطلقني، فنم

مكانك، ولا تمض إليه. فأبى، وعصاها، فتعلقت بثوبه، فضربها بمسواك، فأرسلتها، وكان في يدها زعفران، فأثر في ثوبه مكان يدها، ومضى إلى أبيه، فعاوده في أمرها، وأنبه، وضعفه، وجمع عليه مشيخة الحي وفتيانهم، فتناولوه بألسنتهم، وعيروه بشغفه بها وضعف حزمه، و لم يزالوا به حتى طلقها. فلما أصبح خبر بذلك، وقد علمت به هند، فاحتجبت عنه، وعادت إلى أبيها، فأسف عليها أسفاً شديداً، فلما رجعت إلى أبيها خطبها رجل من بني نمير، فزوجها أبوها منه، فبنى بها عندهم، وأخرجها إلى بلده. فلم يزل عبد الله بن العجلان دنفاً سقيماً، يقول فيها الشعر، ويبكيها حتى مات أسفاً عليها، وعرضوا عليه فتيات الحي جميعاً فلم يقبل واحدة منهن، وقال في طلاقه إياها:

فارقت هنداً طائعاً ... فندمت عند فراقها

فالعين تذري دمعة ... كالدر من آماقها

متحلياً فوق الردا ... ء يجول من رقراقها

خود رداح طفلة ... ما الفحش من أخلاقها

ولقد ألذ حديثها ... وأسر عند عناقها

وفي هذه القصيدة يقول:

إن كنت ساقية ببز ... ل الادم أو بحقاقها

فاسقي بني نهد إذا ... شربوا خيار زقاقها

فالخيل تعلم كيف نل ... حقها غداة لحاقها

بأسنة زرق صبح ... نال القوم حدج رقاقها

حتى ترى قصد القنا ... والبيض في أعناقها

شعره في غارة شنها قومه قال أبو عمرو الشيباني: لما طلق عبد الله بن العجلان هنداً أنكحت في بني عامر، وكانت بينهم وبين نهد مغاورات، فجمعت نهد لبني عامر جمعاً، فأغاروا على طوائف منهم، فيهم بنو العجلان وبنو الوحيد وبنو الحريش وبنو قشير، ونذروا بهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزمت بنو عامر، وغنمت نهد أموالهم، وقتل في المعركة ابن لمعاوية بن قشير بن كعب وسبعة بنين له، وقرط وجدعان ابنا سلمة بن قشير ومرداس بن جزعة بن كعب وحسين بن عمرو بن معاوية ومسحقة بن المجمع الجعفي، فقال عبد الله بن العجلان في ذلك:

ألا أبلغ بني العجلان عني ... فلا ينبيك بالحدثان غيري

بأنا قد قتلنا الخير قرطا وجرنا في سراة بني قشير

وأفلتنا بنو شكل رجالا حفاة يربئون على سمير

قيسية ترثي قتل قيس وقالت امرأة من بني قيس ترثي قتلاهم:

أصبتم يا بني نهد بن زيد قروما عند قعقعة السلاح

إذا اشتد الزمان وكان محلا وحاذر فيه أخوان السماح

أهانوا المال في اللزبات صبراً وجادوا بالمتالي واللقاح

وابكي مالكاً وابكي بجيرا وشداداً لمشتجر الرماح

وكعبا فاندبيه معا وقرطا أولئك معشري هدوا جناحي

وبكي إن بكيت على حسيل ومرداس قتيل بني صباح

حسيل يغدر به أسيره قال: وأسر عبد الله بن العجلان رجلاً من بني الوحيد، فمن عليه، وأطلقه، ووعده الوحيدي الثواب فلم في فقال عبد الله:

وقالوا لن تنال الدهر فقراً إذا شكرتك نعمتك الوحيد

فيا ندما ندمت على رزام ومخلفه كما خلع العتود

نعم النذير هند قال أبو عمرو: ثم إن بني عامر جمعوا لبني نهد، فقالت هند امرأة عبد الله بن العجلان التي كانت ناكحاً فيهم لغلام منهم يتيم فقير من بني عامر: لك خمس عشرة ناقة على أن تأتي قومي فتنذرهم قبل أن يأتيهم بنو عامر، فقال: أفعل، فحملته على ناقة لزوجها ناجية، وزودته تمراً ووطيأً من لبن، فركب فجد في السير؛ وفني اللبن، فأتاهم والحي خلوف في غزو وميرة، فنزل بهم، وقد يبس لسانه، فلما كلموه لم يقدر على أن يجيبهم، وأومأ لهم إلى لسانه، فأمر خراش بن عبد الله بلبن وسمن، فأسخن، وسقاه إياه، فابتل لسانه، وتكلم، وقال لهم: أتيتم، أنا رسول هند إليكم تنذركم، فاجتمعت بنو نهد واستعدت ووافتهم بنو عامر فلحقوهم على الخيل، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت بنو عامر، فقال عبد الله بن العجلان في ذلك:

عاود عيني نصبها وغرورها أهم عناها أم فذاها يعورها؟

أم الدار أمست قد تعفت كأنها زبور يمان رقشته سطورها؟

ذكرت بها هنداً وأترابها الألى بها يكذب الواشي ويعصي أميرها

فما معول تبكي لفقد أليفها إذا ذكرته لا يكف زفيرها

بأغزر مني عبرة إذ رأيتها بحث بها قبل الصباح بعيرها

ألم يأت هنداً كيفما صنع قومها بني عامر إذ جاء يسعى نذيرها
فقالوا لنا إنا نحب لقاءكم وإنا نحيي أرضكم ونزورها
فقلنا :إذا لا ننكل الدهر عنكم بصم القنا اللائي الدماء تميرها
فلا غرو أن الخيل تنحط في القنا تمطر من تحت العوالي ذكورها
تأوه مما مسها من كريهة وتصفى الخدود والرماح تصورها
وأربابها صرعى ببرقة أخرب تجررهم صبعانها ونسورها

فأبلغ أبا الحجاج عني رسالة مغلغلة لا يغلبنك بسورها
فأنت منعت السلم يوم لقيتنا بكفيك تسدي غية وتنيرها
فذوقوا على ما كان من فرط إحنة حلائبنا إذ غاب عنا نصيرها

نهاية حبه قال أبو عمرو: فلما اشتد ما بعبد الله بن العجلان من السقم خرج سراً من أبيه مخاطراً بنفسه حتى أتى أرض بني عامر لا يرهب ما بينهم من الشر والتراث، حتى نزل ببني نمير، وقصد خباء هند، فلما قارب دارها رآها وهي جالسة على الحوض، وزوجها يسقي، ويذود الإبل عن مائة، فلما نظر إليها ونظرت إليه رمى بنفسه عن بعيره، وأقبل يشتد إليها، وأقبلت تشتد إليه، فاعتنق كل واحد منهما صاحبه، وجعلا يبكيان وينشجان ويشهقان، حتى سقطا على وجوههما، وأقبل زوج هند ينظر ما حالهما، فوجدهما ميتين.

قال أبو عمرو: وأخبرني بعض بني نهد أن عبد الله بن العجلان أراد المضي إلى بلادهم، فمنعه أبوه وخوفه الثارات وقال: نجتمع معهم في الشهر الحرام بعكاظ أو بمكة، ولم يزل يدافعه بذلك حتى جاء الوقت، فحج، وحج أبوه معه، فنظر إلى زوج هند وهو يطوف بالبيت وأثر كفها في ثوبه بخلوق، فرجع إلى أبيه في منزله، وأخبره بما رأى ثم سقط على وجهه فمات. هذه رواية أبي عمرو.

وقد أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال حدثني عبد الله بن علي بن الحسن قال: حدثنا نصر بن علي عن الأصمعي عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن أيوب عن ابن سيرين قال: خرج عبد الله بن العجلان في الجاهلية فقال:

ألا إن هنداً أصبحت منك محرماً وأصبحت من أدنى حموتها حما
وأصبحت كالمقمور جفن سلاحه يقلب بالكفين قوساً وأسهما

ثم مد بها صوته فمات.

الشعر له أم لمسافر قال ابن سيرين: فما سمعت أن أحداً مات عشقاً غير هذا. وهذا الخبر عندي خطأ لأن أكثر

الرواة يروى هذين البيتين لمسافر بن أبي عمرو بن أمية، قالهما لما خرج إلى النعمان بن المنذر يستعينه في مهر هند بنت عتبة بن ربيعة، فقدم أبو سفيان بن حرب، فسأله عن أخبار مكة، وهل حدث بعده شيء، فقال: لا، إلاّ أني تزوجت هنداً بنت عتبة، فمات مسافر أسفاً عليها، وبدل على صحة ذلك قوله:

وأصبحت من أدنى حموتها حما

لأنه ابن عم أبي سفيان بن حرب لحاً وليس النميري المتزوج هنداً النهدية ابن عم عبد الله بن العجلان فيكون من أحمائها، والقول الأول على هذا أصح.

من شعره في هند ومن مختار ما قاله ابن العجلان في هند:

ألا أبلغا هنداً سلامي فإن نأت ... فقلبي مذ شطت بها الدار مدنف

ولم أر هنداً بعد موقف ساعة ... بأنعم في أهل الديار تطوف

أتت بين أتراب تمايس إذ مشت ... دبيب القطا أوهن منهن أقطف

يباكرن مرآة جلياً وتارة ... ذكيا وبالأيدي مداك ومسوف

أشارت إلينا في خفاة وراعها ... ومراة الضحى مني على الحي موقف

وقالت :تباعد يا بن عمي فإنني ... منيت بذي صول يغار ويعنف

أخبرني الحسن بن علي قال: أنشدنا فضل اليزيدي عن إسحاق لعبد الله بن العجلان النهدي قال إسحاق وفيه غناء:

خليلي زورا قبل شحط النوى هنداً ... ولا تأمنا من دار ذي لطف بعدا

ولا تعجلا، لم يدر صاحب حاجة ... أغيا يلاقي في التعجل أم رشدا

ومرا عليها بارك الله فيكما ... وإن لم تكن هند لوجهيكما قصدا

وقولا لها ليس الضلال أجازنا ... ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا

صوت

ألا يا ظبية البلد ... براني طول ذا الكمد

فردي يا معذبتي ... فؤادي أو خذي جسدي

بليت لشقوتي بكم ... غلاماً ظاهر الجلد

فشيب حبكم رأسي ... وبيض هجركم كبدي

الشعر للمؤمل بن أميل، والغناء لإبراهيم ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبار المؤمل ونسبه

اسمه ونسبه

المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي. من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، شاعر كوفي من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية والعباسية، وكانت شهرته في العباسية أكثر، لأنه كان من الجند المرتزقة معهم ومن يخصهم، ويخدمهم من أوليائهم، وانقطع إلى المهدي في حياة أبيه وبعده. وهو صالح المذهب في شعره ليس من المبرزين الفحول ولا المرذولين، وفي شعره لين، وله طبع صالح.

يتمنى العمى فيستجاب له وكان يهوى امرأة من أهل الحيرة يقال لها هند، وفيها يقول قصيدته المشهورة:

شف المؤمل يوم الحيرة النظر ليت المؤمل لم يخلق له بصر

يقال: إنه رأى في منامه رجلاً أدخل أصبعيه في عينيه، وقال: هذا ما تمنيت، فأصبح أعمى.

المهدي يغدق والمنصور ينتقص أخبرني حبيب بن نصر المهلبي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا عبد الله بن الحسن الحراني، قال: حدثني أبو قدامة، قال: حدثني المؤمل قال: قدمت على المهدي وهو بالري، وهو إذ ذاك ولي عهد، فامتدحته بأبيات، فأمر لي بعشرين ألف درهم، فكتب بذلك صاحب البريد إلى أبي جعفر المنصور، وهو بمدينة السلام يخبره أن الأمير المهدي أمر لشاعر بعشرين ألف درهم، فكتب إليه يعذله ويلومه، ويقول له: إنما ينبغي أن تعطي لشاعر بعد أن يقيم ببابك سنة أربعة آلاف درهم، وكتب إلى كاتب المهدي أن يوجه إليه بالشاعر، فطلب، و لم يقدر عليه، وكتب إلى أبي جعفر أنه قد توجه إلى مدينة السلام، فأجلس قائداً من قواده على جسر النهروان، وأمره أن يتصفح الناس رجلاً رجلاً، فجعل لا يمر به قافلة، إلا تصفح من فيها، حتى مرت به القافلة التي فيها المؤمل، فتصفحهم، فلما سأله من أنت؟ قال: أ،ا المؤمل بن أميل المحاربي الشاعر، أحد زوار الأمير المهدي، فقال: إياك طلبت، قال المؤمل: فكاد قلبي ينصدع خوفاً من أبي جعفر.

فقبض علي، وأسلمني إلى الربيع، فأدخلني إلى أبي جعفر، وقال: هذا الشاعر الذي أخذ من المهدي عشرين ألفاً، قد ظفرنا به، فقال: أدخلوه إلي، فأدخلت إليه، فسلمت تسليم فزع، مروع، فرد السلام، وقال: ليس لك ها هنا إلا خير، أنت المؤمل بن أميل؟ قلت: نعم، أصلح الله أمير المؤمنين أنا المؤمل بن أميل، قال: أتيت غلاماً غراً، فخدعته فانخدع؟ قلت: نعم، أصلح الله الأمير، أتيت غلاماً غراً كريماً، فخدعته فانخدع قال: فكأن ذلك أعجبه، فقال: أنشدني ما قلت فيه فأنشدته:

هو المهدي إلا أن فيه مشابهة من القمر المنير

تشابه ذا وذا فهما إذا ما أنارا مشكلان على البصير

فهذا في الظلام سراج ليل وهذا في النهار ضياء نور

ولكن فضل الرحمن هذا على ذا بالمنابر والسري

وبالملك العزيز فذا أمير وماذا بالأمير ولا الوزير
وبعض الشهر ينقص ذا وهذا منير عند نقصان الشهور
فيا بن خليفة الله المصفى به تعلو مفاخرة الفخور
لئن فت الملوك وقد توافوا إليك من السهولة والوعور
لقد سبق الملوك أبوك حتى بقوا من بين كاب أو حسير
وجئت مصلياً تجري حثيثاً وما بك حين تجري من فتور
فقال الناس ما هذان إلا كما بين الخليق إلى الجدير
لئن سبق الكبير لأهل سبق له فضل الكبير على الصغير
وإن بلغ الصغير مدى كبير فقد خلق الصغير من الكبير

فقال: والله لقد أحسنت، ولكن هذا لا يساوي عشرين ألف درهم، فأين المال؟ قلت: هو هذا، قال: يا ربيع، امض معه، فأعطه أربعة آلاف درهم، وخذ الباقي. قال المؤمل: فخرج معي الربيع، وحط ثقلي، ووزن لي من المال أربعة آلاف درهم، وأخذ الباقي.

فلما ولي المهدي الخلافة ولى ابن ثوبان المظالم، فكان يجلس للناس بالرصافة، فإذا ملأ كساءه رقاعاً رفعها إلى المهدي، فرفعت إليه رقعة، فلما دخل بها ابن ثوبان جعل المهدي ينظر في الرقاع، حتى إذا وصل إلى رقعتي ضحك، فقال له ابن ثوبان: أصلح الله أمير المؤمنين! ما رأيتك ضحكت من شيء من هذه الرقاع إلا من هذه الرقعة، فقال: هذه الرقعة، فقال: هذه رقعة أعرف سببها، ردوا إليه عشرين ألف درهم، فردوها إلي وانصرفت. يبايع موسى وهارون فيأخذ بدرة ونصفا أخبرني حبيب بن نصر المهلبي، قال: حدثنا عبد الله بن سعد بن أبي سعد قال: حدثني الحكم بن موسى السلولي، قال: حدثني سعد بن أخي العوفي قال: قدم على المهدي في بيعة ابن ابنيه موسى وهارون المؤمل بن أميل المحاربي والحسين بن يزيد بن أبي الحكم السلولي وقد أوفدهما هاشم بن سعد الحميري من الكوفة، فقدما على المهدي في عسكره، فأنشده المؤمل:

هاك بياعنا يا خير وال فقد جدنا به لك طائعينا
فإن تفعل فأنت لذاك أهل ففضلك يا بن خير الناس فينا
وعد لك يا بن وارث خير خلق نبي الله خير المرسلينا
فإن أبا أبيك وأنت منه هو العباس وارثه يقينا
أبان به الكتاب وذاك حق ولسنا للكتاب مكذبينا

بكم فتحت وأنتم غير شك لها بالعدل أكرم خاتمينا

فدونكها فأنت لها محل حباك بها إله العالمينا

ولو قيدت لغيركم اشمأزت وأعيت أن تطيع القائدينا

فأمر لهما بثلاثين ألف درهم، فجيء بالمال، فألقي بينهما، فأخذ كل واحد منهما بدرة، وصدع الأخرى بينهما، فأخذ هذا نصفاً وهذا نصفا.

يتلف في ضحكه كل مال أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عبد الله بن أمين عن أبي محمد اليزيدي، عن المؤمل بن أميل قال: صرت إلى المهدي بجرجان فمدحته بقولي:

تعز ودع عنك سلمى وسر حثيثاً على سائرات البغال

وكل جواد له ميعة يخب بسرحك بعد الكلال

إلى الشمس شمس بني هاشم وما الشمس كالبدر أو كالهلال

ويضحكه أن يدوم السؤال ويتلف في ضحكه كل مال

فاستحسنها المهدي، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، وشاع الشعر وكان في عسكره رجل يعرف بأبي الهوسات، يغني، فغنى في الشعر لرفقائه، وبلغ ذلك المهدي فبعث إليه سراً، فدخل عليه، فغناه، فأمر له بخمسة آلاف درهم، وأمر لي بعشرة آلاف درهم أخرى، وكتب بذلك صاحب البريد إلى المنصور.

ثم ذكر باقي الخبر على ما تقدم قبله، وزاد فيه: أن المنصور قال له: جئت إلى غلام حدث، فخدعته، حتى أعطاك من مال الله عشرين ألف درهم لشعر قلته فيه، غير جيد وأعطاك من رقيق المسلمين ما لا يملكه، وأعطاك من الكراع والأثاث ما أسرف فيه، يا ربيع خذ منه ثمانية عشر ألف درهم، وأعطه ألفين، ولا تعرض لشيء من الأثاث والدواب والرقيق، ففي ذلك غناؤه. فأخذت والله مني بخواتمها، ووضعت في الخزائن، فلما ولي المهدي دخلت إليه في المتظلمين. فلما رآني ضحك وقال: مظلمة أعرفها، ولا أحتاج إلى بينة عليها، وجعل يضحك، وأمر بالمال فرد إلي بعينه، وزاد فيه عشرة آلاف.

لا لحم فيه ولا دم أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني حذيفة بن محمد الطائي قال: حدثني أبي قال: رأيت المؤمل شيخاً مصفراً نحيفاً أعمى، فقلت له: لقد صدقت في قولك:

وقد زعموا لي أنها نذرت دمي ومالي بحمد الله لحم ولا دم

فقال: نعم - فديتك - وما كنت أقول إلا حقاً.

قال محمد بن القاسم: وحدثني عبد الله بن طاهر أن أول هذا الشعر:

حلمت بكم في نومتي فغضبتم ولا ذنب لي إن كنت في النوم أحلم

سأطرد عني النوم كيلا أراكم إذا ما أتاني النوم والناس نوم
تصارمني والله يعلم أنني أبر بها من والديها وأرحم

صوت

وقد زعموا لي أنها نذرت دمي ومالي بحمد الله لحم ولا دم

برى حبها لحمي ولم يبق لي دما وإن زعموا أني صحيح مسلم
فلم أر مثل الحب صح سقيمه ولا مثل من لا يعرف الحب يسقم
ستقتل جلداً بالياً فوق أعظم وليس يبالي القتل جلد وأعظم

في هذه الأبيات التي أولها:

وقد زعموا لي أنها نذرت دمي

لنبيه لحن من خفيف الثقيل المطلق في مجرى الوسطى عن ابن المكي.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني محمد بن أحمد بن علي، قال: لما قال المؤمل:

شف المؤمل يوم الحيرة النظر ليت المؤمل لم يخلق له بصر

عمي، وأري في منامه: هذا ما تمنيت.

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال حدثني علي بن الحسن الشيباني: قال: رأى المؤمل في منامه قائلا يقول: أنت المتألي على الله ألا يعذب المحبين حيث تقول:

يكفي المحبين في الدنيا عذابهم والله لا عذبتهم بعدها سقر

فقال له: نعم، فقال: كذبت يا عدو الله، ثم أدخل إصبعيه في عينيه وقال له: أنت القائل:

شف المؤمل يوم الحيرة النظر ليت المؤمل لم يخلق له بصر

هذا ما تمنيت، فانتبه فزعاً، فإذا هو قد عمي.

لا ترضى مضر بقتله أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا مصعب الزبيري قال: أنشد المهدي قول المؤمل:

قتلت شاعر هذا الحي من مضر والله يعلم ما ترضى بذا مضر

فضحك، وقال: لو علمنا أنها فعلت ما رضينا، ولغضبنا له وأنكرنا.

صوت

بكيت حذار البين علما بما الذي إليه فؤادي عند ذلك صائر

وقال أناس لو صبرت وإنني على كل مكروه سوى البين صابر

الشعر لأبي مالك الأعرج؛ والغناء لإبراهيم الموصلي خفيف ثقيل بالوسطى من جامع صنعته ورواية الهشامي.

قال الهشامي: وفيه ليزيد حوراء ثاني ثقيل، ولسليم ثقيل أول.

أخبار أبي مالك ونسبه

اسمه ونشأته أبو مالك النضر بن أبي النضر التميمي، هذا أكثر ما وجدته من نسبه، وكان مولده ومنشؤه بالبادية. ثم وفد إلى الرشيد، ومدحه، وخدمه فأحمد مذهبه، ولحظته عناية من الفضل بن يحيى، فبلغ ما أحب، وهو صالح الشعر، متوسط المذهب، ليس من طبقة شعراء عصره المجيدين، ولا من المرذولين.

يرثي أباه أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: كان أبو مالك النضر بين أبي النضر التميمي مع الرشيد، وكان أبوه مقيماً بالبادية، فأصاب قوم من عشيرته الطريق، وقطعوه عن بعض القوافل، فخرج عامل ديار مضر - وكان يقال له جيال - إلى ناحية كانت فيها طوائف من بني تميم، فقصدهم وهم غارون، فأخذ منهم جماعة فيهم أبو النضر أبو أبي مالك الأعرج، وكان ذا مال، فطلبه فيمن طلب من الجناة، وطمع في ماله، فضربه ضرباً أتى فيه على نفسه، وبلغ ذلك أبا مالك فقال يرثيه:

فيم يلحى على بكائي العذول والذي نابني فظيع جليل

عد هذا الملام عني إلى غي ري فقلبي ببثه مشغول

راعني والدي جنت كف جيا ل عليه فراح وهو قتيل

أيها الفاجعي بركني وعزي هبلتني إن لم أرعك الهبول

سمتني خطة الصغار وأظلم ت نهاري علي غالتك غول

ما عداني الجفاء عنك ولكن لم يدلني من الزمان مديل

زال عنا السرور إذ زلت عنا وازد هانا بكاؤنا والعويل

ورأينا القريب منا بعيداً وجفانا صديقنا والخليل

ورمانا العدو من كل وجه وتجنى على العزيز الذليل

يا أبا النضر سوف أبكيك ما عش ت سوياً وذاك مني قليل

حملت نعشك الملائكة الأب رار إذ مالنا إليك سبيل

غير أني كذبتك الود لم تق طر جفوني دما وأنت قتيل

رضيت مقلتي بإرسال دمعي وعلى مثلك النفوس تسيل
أسواك الذي أجود عليه بدمي إنني إذاً لبخيل

عثر الدهر فيك عثرة سوء لم يقل مثلها المعين المقيل
قل إن ضن بالحياة فإني بعده للحياة قال ملول
إن بالسفح من ضباعة قومي وصول وهم أدان ليس منهم
لا يزورون جارهم من قريب وهم في التراب صرعى حلول
حفرة حشوها وفاء وحلم وندى فاضل وللب أصيل
وعفاف عما يشين وحلم راجح الوزن بالرواسي يميل
ويمين بنانها غير جعد وجبين صلت وخد أسيل
وامرؤ أشرقت صفيحة خديه عليه بشاشة وقبول

صوت

لئن مصر فاتتني بما كنت أرتجي وأخلفني فيها الذي كنت آمل
فما كل ما يخشى الفتى بمصيبه ولا كل ما يرجو الفتى هو نائل

الشعر لأبي دهمان، والغناء لابن جامع ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي. انتهت أخبار مالك ونسبه.

أخبار أبي دهمان

لا يبيح باسم محبوبته أبو دهمان الغلابي شاعر من شعراء البصرة ممن أدرك دولتي بني أمية وبني العباس. ومدح المهدي، وكان طيباً ظريفاً مليح النادرة.

وهو القائل لما ضرب المهدي أبا العتاهية بسبب عشقه عتبة:

لولا الذي أحدث الخليفة في ال عشاق من ضربهم إذا عشقوا
لبحت باسم الذي أحب ول كني امرؤ قد ثناني الفرق

يجيد التقليد حدثني بذلك الصولي عن محمد بن موسى عن محمد بن أبي العتاهية. وأخبرني جحظة عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: قال رجل لأبي دهمان: ألا أحدثك بظريفة؟ قال: بلى، قال: كنا عند فلان، فمد رجله هكذا، فضرط، ومد المحدث رجله يحكيه فضرط، فقال له أبو دهمان. يا هذا أنت أحذق خلق الله بحكاية.

حق له أن يتيه عليه نسخت من كتاب بخط ميمون بن هارون: بلغني أن أبا دهمان مر وهو أمير بنيسابور على رجل جالس ومعه صديق له يسايره، فقام الناس إليه ودعوا له إلا ذلك الرجل، فقال أبو دهمان لصديقه وهو يسايره: أما ترى ذلك الرجل في النظارة وترى تيهه علي؟ فقال له: وكيف يتيه عليك وأنت الأمير! قال: لأنه قد ناكني وأنا غلام.

غلامه يتعجل موته وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني، قال: مرض أبو دهمان مرضاً أشفى منه على الموت، فأوصى وأملى وصيته على كاتبه، وأوصى فيها بعتق غلام كان له واقفاً، فلما فرغ غدا الغلام بالرقعة، فأتربها، ونظر إليه أبو دهمان، فقال له: نعم أتربها يا بن الزانية، عسى أن يكون أنجح للحاجة، لا شفاني الله إن أنجحت، وأمر به، فأخرج لوقته، فبيع.

صوت

يكر كما كر الكليبي مهره وما كر إلا خيفة أن يعيرا

فلا صلح حتى تزحف الخيل والقنا بنا وبكم أو يصدر الأمر مصدرا

الشعر لأبي حزابة التميمي، والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر.

وهذا الشعر يرثي به أبو حزابة رجلاً من بني كليب بن يربوع يقال له ناشرة اليربوعي، قتل بسجستان في فتنة ابن الزبير، وكان سيداً شجاعاً.

يرثي ناشرة اليربوعي أنشدنيه جعفر بن قدامة قال: أنشدني أبو هفان وأحمد بن أبي طاهر قالا: أنشدنا عبد الله بن أحمد العدوي لأبي حزابة يرثي ناشرة اليربوعي وقتل بسجستان في فتنة ابن الزبير قال:

لعمري لقد هدت قريش عروشنا بأبيض نفاح العشيات أزهرا

وكان حصاداً للمنايا زرعنه فهلا تركن النبت ما كان أخضرا

لحا الله قوماً أسلموك وجردوا عناجيج أعطتها يمينك ضمرا

أما كان فيهم ماجد ذو حفيظة يرى الموت في بعض المواطن افخرا

يكر كما كر الكليبي مهره وما كر إلا خشية أن يعيرا

يريد ما كان في هؤلاء القوم من يكر كما كر ناشرة الكليبي مهره؟

أخبار أبي حزابة ونسبه

اسمه ونشأته

أبو حزابة اسمه الوليد بن حنيفة، أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. شاعر من شعراء الدولة

الأموية بدوي حضر وسكن البصرة، ثم اكتتب في الديوان، وضرب عليه البعث إلى سجستان، فكان بها مدة، وعاد إلى البصرة، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك، وأظنه قتل معه، وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث اللسان هجاء.

أبطأ الدلاء أملؤها فأخبرنا الحسن بن علي قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثنا محمد بن الهيثم الشامي قال: حدثني عمي أبو فراس عن العذري قال: دخل أبو حزابة على طلحة الطلحات الخزاعي، وقد استعمله يزيد بن معاوية على سجستان، وكان أبو حزابة قد مدحه، فأبطأت عليه الجائزة من جهته، ورأى ما يعطي غيره من الجوائز، فأنشده:

وأدليت دلوي في دلاء كثيرة ... فجئن ملاء غير دلوي كما هيا

وأهلكني ألا تزال رغيبة ... تقصر دوني أو تحل ورائيا

أراني إذا استمطرت منك سحابة ... لتمطرني عادت عجاجاً وسافيا

قال: فرماه طلحة بحق فيه درة فأصاب صدره، ووقعت في حجره، ويقال: بل أعطاه أربعة أحجار، وقال له: لا تخدع عنها، فباعها بأربعين ألفاً. ومات طلحة بسجستان.

خلف شحيح لسلف كريم ثم ولى من بعده رجل من بني عبد شمس يقال له عبد الله بن علي بن عدي وكان شحيحاً فقال له أبو حزابة:

يا بن علي برح الخفاء ... قد علم الجيران والأكفاء

أنك أنت النذل واللفاء ... أنت لعين طلحة الفداء

بنو عدي كلهم سواء ... كأنهم زينية جراء

رثاء وهجاء قال ثم وليها بعد عبد الله بن علي عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كريز أيام الفتنة، فاستأذنه أبو حزابة أن يأتي البصرة، فأذن له، فقدمها، وكان الناس يحضرون المربد، ويتناشدون الأشعار، ويتحادثون ساعة من النهار، فشهدهم أبو حزابة، وأنشدهم مرثية له في طلحة الطلحت يضمنها ذماً لعبد الله بن علي وهي قوله:

هيهات هيهات الجناب الأخضر ... والنائل الغمر الذي لا ينزر

واراه عنا الجدث المغور ... قد علم القوم غداة استعبروا

والقبر بين الطلحات يحفر ... أن لن يروا مثلك حتى ينشروا

أنا أتانا جرز محمر ... أنكره سريرنا والمنبر

والمسجد المحتضر المطهر ... وخلف يا طلح منك أعور

بلية يا ربنا لا نسخر ... أقل من شبرين حين يشبر

مثل أبي القعواء لا بل أقصر

قال: وأبو القعواء حاجب لطلحة كان قصيراً.

بئس العقاب فقال عون بن عبد الرحمن بن سلامة - وسلامة أمه - وهو رجل من بني تميم بن مرة قيس: بئسما قلت! أتشاهر الناس بشتم قريش؟ فقال له، إني لم أعم، إنما سميت رجلاً واحداً، فأغلظ له عون حتى انصرف عن ذلك الموضع، ثم أمر عون ابن أخل له، فدعا أبا حزابة فأطعمه، وسقاه، وخلط في شرابه شبر ما فسلحه، فخرج أبو حزابة وقد أخذه بطنه، فسلح على بابهم وفي طريقه، حتى بلغ أهله، ومرض أشهراً، ثم عوفي، فركب فرساً له، ثم أتى المربد فإذا عون بن سلامة واقف، فصاح به، فوقف، ولو لم يقف كان أخف لهجائه، فقال له أبو حزابة:

يا عون قف واستمع الملامة ... لا سلم الله على سلامة

زنجية تحسبها نعلمه ... شكاء شان جسمها دمامه

ذات حر كريشتي حمامه ... بينهما بظر كرأس الهامه

أعلمتها وعالم العلامة ... لو أن تحت بظرها صمامه

لدفعت قدما بها أمامه

فكان الناس يصيحون به:

أعلمتها وعالم العلامة

أبو حزابة ينشد طلحة أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني عمي أبو فراس، عن الهيثم بن عدي قال: كان عبد الله بن خلف أبو طلحة الطلحات مع عائشة يوم الجمل وقتل معها يومئذ، وعلى بني خلف نزلت عائشة بالبصرة في القصر المعروف بقصر بني خلف، وكان هوى طلحة الطلحات أموياً، وكانت بنو أمية مكرمين له.

فأنشد أبو حزابة يوماً طلحة:

يا طلح يأبى مجدك الإخلافا ... والبخل لا يعترف اعترافاً

إن لنا أحمرة عجافاً ... يأكلن كل ليلة إكافا

فأمر له طلحة بإبل ودراهم، وقال له: هذه مكان أحمرتك.

يأبى الوقوف بباب يزيد أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال: حدثني العمري، عن لقيط قال: قيل لأبي حزابة: لو أتيت يزيد بن معاوية لفرض لك، وشرفك، وألحقك بعلية أصحابه، فلست دونهم، وكان أبو حزابة يومئذ

غلاما حدثا، وكان معاوية حياً، ويزيد أميراً يومئذ، فلما أكثر قومه عليه في ذلك وفي قولهم: إنك ستشرف بمصيرك إليه قال:

يشرفني سيفي وقلب مجانب ... لكل لئيم باخل ومعلهج

وكري على الأبطال طرفاً كأنه ... ظليم وضربي فوق رأس المدجج

وقولي إذا ما النفس جاشت وأجهشت ... مخافة يوم شره متأجج

عليك غمار الموت يا نفس إنني ... جريء على درء الشجاع المهجهج

ثم يقف؛ فلا يصل إليه فلما أكثر عليه قومه، وعنفوه في تأخره أتى يزيد بن معاوية، فأقام ببابه شهراً لا يصل إليه فرجع، وقال: والله لا يراني ما حملت عيناي الماء إلا أسيراً أو قتيلا، وأنشأ يقول:

فوالله لا آتي يزيد ولو حوت ... أنامله ما بين شرق إلى غرب

لأن يزيداً غير الله ما به ... جنوح إلى السوءى مصر على الذنب

فقل لبني حرب تقوا الله وحده ... ولا تسعدوه في البطالة واللعب

ولا تأمنوا التغيير إن دام فعله ... ولم ينهه عن ذاك شيخ بني حرب

أيشربها صرفاً إذا الليل جنه ... معتقة كالمسك تختال في العلب

ويلحى عليها شاربيها وقلبه ... يهيم بها إن غاب يوماً عن الشرب

يرهن سرجه ليبيت أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عمر بن شبة، عن المدائني قال: لما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج، وكان معه أبو حزابة فمروا بدستبى وبها مستراد الصناجة، وكانت لا يبيت بها أحد إلا بمائة درهم، فبات بها أبو حزابة ورهن عندها سرجه، فلما أصبح وقف لعبد الرحمن، فلما أقبل صاح به وقال:

أمر عضال نابني في العج ... كأنني مطالب بخرج

ومستراد ذهبت بالسرج ... في فتنة الناس وهذا الهرج

فعرف ابن الأشعث القصة، وضحك، وأمر بأن يفتك له سرجه، ويعطى معه ألف درهم، وبلغت القصة الحجاج فقال: أيجاهر في عسكره بالفجور فيضحك، ولا ينكر! ظفرت به إن شاء الله.

لا يثيبه على المدح فيهجوه أخبرني عمي، قال حدثنا الكراني عن العمري، عن العتبي قال: مدح أبو حزابة عبد الله بن علي العشمي وهو على سجستان فلم يثبه فقال يهجوه:

هبت تعاتبني أما ... مة في السماحة والفضال

وأبيت عند عتابها ... إلا خلائق ذي النوال

أعطي أخي وأحوطه جهدي وأبذل جل مالي
وأقيه عند تشاجر الأبطا ل بالأسل النهال
حفظا له ورعاية للخاليات من الليالي
إذ نحن نشرب قهوة درياقة كدم الغزال
حمراء يذهب ريحها ما في الرؤوس من الخبال
وإذا تشعشع في الإناء رمت أخاها باغتيال
وعلا الحباب فخلته عقداً ينظم من لآلي
تشفي السقيم بريحها وتميته قبل الإجال
تلك التي تركت فؤا د أبي حزابة في ضلال
لا يستفيق ولا يفي ق نزيفها في كل حال
وإذا الكماة تنازلوا ومشى الرجال إلى الرجال
وبدت كتائب تمتري مهج الكتائب بالعوالي
فأبو حزابة عند ذا ك أخو الكريهة والنزال
يمشي الهويني معلماً بالسيف مشياً غير آل
كالليث يترك قرنه متجدلا بين الرمال
إني نذير بني تمي م من أخي قيل وقال
من لا يجود ولا يسو د ولا يجير من الهزال
وتراه حين يجيئه السؤا ل يولع بالسعال
متشاغلاً متنحنحا كالكلب جمجم للعظال

فارفض قريشاً كلها من أجل ذي الداء العضال

يعني عبد الله بن علي العبشمي.

يشيد بشجاعة التميميين: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدثني محمد بن الهيثم الشامي قال: حدثني عمي أبو فراس، عن العذري قال: دخل أبو حزابة على عمارة بن تميم ومحمد بن الحجاج، وقد قدما سجستان لحرب عبد الرحمن بن محمد بن الهيثم الشامي قال: حدثني عمي أبو فراس، عن

العذري قال: دخل أبو حزابة على عمارة بن تميم ومحمد بن الحجاج، وقد قدما سجستان لحرب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكان عبد الرحمن لما قدماها هرب، و لم يبق بسجستان من أصحابه إلا سبعمائة رجل من بني تميم كانوا مقيمين بها، فقال لهما أبو حزابة: إن الرجل قد هرب منكما، و لم يبق من أصحابه أحد، وإنما بسجستان من كان بها من بني تميم قبل قدومه فقالا له: ما لهم عندنا أمان، لأنهم قد كانوا مع ابن الأشعث، وخلعوا الطاعة، فقال: ما خلعوها، ولكنه ورد عليهم في جمع عظيم لم يكن لهم بدفعة طاقة. فلم يجيباه إلى ما أراد، وعاد إلى قومه، وحاصرهم أهل الشام، فاستقتلت بنو تميم، فكانوا يخرجوا في كل يوم إليهم، فيواقعونهم، ويكبسهونهم بالليل، وينهبون أطرافهم، حتى ضجروا بذلك، فلما رأى عمارة فعلهم صالحهم، وخرجوا إليه، فلما رأى قلتهم قال: أما كنتم إلا ما أرى! قالوا: نعم، فإن شئت أن نقيلك الصلح أقلناك، وعدنا للحرب، فقال: أنا غني عن ذلك، وآمنهم، فقال أبو حزابة في ذلك:

لله عينا من رأى من فوارس ... أكر على المكروه منهم وأصبرا
وأكرم لو لاقوا سواداً مقاربا ... ولكن لقوا طماً من البحر أخضرا
فما برحوا حتى أعضوا سيوفهم ... ذرى الهام منهم والحديد المسمرا
وحتى حسبناهم فوارس كهمس ... حيوا بعد ما ماتوا من الدهر أعصرا

صوت

إذا الله لم يسق إلا الكرام ... فسقى وجوه بني حنبل
وسقى ديارهم باكراً ... من الغيث في الزمن الممحل
تكفكفه بالعشي الجنوب ... وتفرغه هزة الشمأل
كأن الرباب دوين السحاب ... نعام تعلق بالأرجل

الشعر لزهير السكب التميمي المازني، والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي وحبش.

نسب زهير السكب وأخباره

اسمه ونسبه هو زهير بن عروة بن جلهمة بن حجر بن خزاعي. شاعر جاهلي. وإنما لقب السكب ببيت قاله وقال فيه:

يرق يضيء خلال البيت أسكوب

يتشوق إلى أبناء عمومته أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال: حدثنا أبو هفان عن سعيد بن هريم عن أبيه قال: كان زهير بن عروة المازني الملقب بالسكب جاهلياً، وكان من أشراف بني مازن وأشدائهم وفرسانهم

وشعرائهم، فغاضب قومه في شيء ذمه منهم، وفارقهم إلى غيرهم من بني تميم، فلحقه فيهم ضيم، وأراد الرجوع إلى عشيرته، فأبت نفسه ذلك عليه، فقال يتشوق ناساً منهم كانوا بني عمه دنية يقال لهم بنو حنبل:

إذا لله لم يسق إلا الكرام ... فسقى وجوه بني حنبل

ملثا أحم دوابي السحاب ... هزيم الصلاصل والأزمل

تكركره خضخات الجنوب ... وتفرغه هزة الشمأل

كأن الرباب دوين السحاب ... نعام تعلق بالأرجل

فنعم بنو العم والأقربون ... لدى حطمة الزمن الممحل

ونعم المواسون في النائبا ... ت للجار والمعتفى المرمل

ونعم الحماة الكفاة العظيم ... إذا غائظ الأمر لم يحلل

ميامين صبر لدى المعضلات ... على موجع الحدث المعضل

مباذيل عفواً جزيل العطاء ... إذا فضلة الزاد لم تبذل

هم سبقوا يوم جرى الكرام ... ذوي السبق في الزمن الأول

وساموا إلى المجد أهل الفعال ... فطالوا بفعلم الأطول

أبو عمرو بن العلاء يستشهد بشعره أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي: قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه قال:

سأل رجل أبا عمرو بن العلاء عن الرباب فقال: أما تراه معلقاً بالسحاب كالذيل له، أما سمعت قول صاحبنا السكب:

كأن الرباب دوين السحاب ... نعام تعلق بالأرجل

صوت

سلا عن تذكره تكتما ... وكان رهينا بها مغرما

وأقصر عنها وآثارها ... تذكره داءها الأقدما

الشعر للنمر بن تولب، والغناء لخزرج خفيف ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي.

أخبار النمر بن تولب ونسبه

اسمه ونسبه هو النمر بن تولب بن أقيش بن عبد كعب بن عوف بن الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عكل - واسم عكل عوف بن عبد مناف - بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار.
شاعر مقل مخضرم أدرك الجاهلية، وأسلم، فحسن إسلامه، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكتب له كتاباً، فكان في أيدي أهله، وروى عنه صلى الله عليه وسلم حديثاً سأذكره في موضعه، وكان النمر أحد أجواد العرب المذكورين وفرسانهم.
أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: أخبرنا محمد بن حبيب قال: قال الأصمعي: كان أبو عمرو بن العلاء يسمي النمر بن تولب الكيس لجوده شعره وحسنه.
أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا عبد الله بن محمد قال: أخبرنا محمد بن سلام الجمحي، وأخبرنا أبو خليفة في كتابه إلي، عن محمد بن سلام قال: كان النمر بن تولب جواداً لا يليق شيئاً، وكان شاعراً فصيحاً جريئاً على المنطق، وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس لحسن شعره.
أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قال: أخبرنا الرياشي قال: حدثنا الأصمعي: قال حدثنا قرة بن خالد، عن يزيد بن عبد الله بن الشخير أخي مطرف، وأخبرني أبو خليفة في كتابه إلي قال: حدثنا محمد بن سلام قال: وفد النمر بن تولب على النبي صلى الله عليه وسلم وكتب له كتاباً، أخبرناه قرة بن خالد السدوسي وسعيد بن إياس الجريري، عن أبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير أخي مطرف.
يحظى بكتاب نبوي وأخبرني عمي عن القاسم عن محمد الأنباري عن أحمد بن عبيد، عن الأصمعي، عن قرة بن خالد، عن يزيد ابن عبد الله أخي مطرف - واللفظ قريب بعضه من بعض - قال: بينما نحن بهذا المربد جلوس - يعني مربد البصرة - إذ أتى علينا أعرابي أشعث الرأس، فوقف علينا، فقلنا: والله لكأن هذا الرجل ليس من أهل هذا البلد، قال: أجل، وإذا معه قطعة من جراب أو أديم، فقال: هذا كتاب كتبه لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأناه فإذا فيه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله لبني زهير - هكذا قال أحمد بن عبيد، وقال الباقون: لبني زهير بن أقيش - حي من عكل - إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وفارقتم المشركين، وأعطيتم الخمس من الغنائم وسهم النبي والصفي فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله.
يشكون في روايته، فيغضب وقال أحمد بن عبيد الله في خبره خاصة: "لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم".
وقالوا جميعاً في الخبر: فقال له القوم: حدثنا رحمك الله، ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "صوم شهر الصبر، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر يذهبن كثيراً من وحر الصدر". فقال له القوم: أأنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أراكم تخافون أن أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا حدثتكم حديثاً، ثم أهوى إلى الصحيفة، وانصاع مدبرا. قال يزيد بن عبد الله: فقيل لي بعد ما مضى: هذا النمر بن تولب العكلي الشاعر.

مثل من كرمه أخبرني محمد بن خلف قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن خلف قال: أخبرنا محمد بن سلام، قال: خرج النمر بن تولب بعدما كبر في إبله، فسأله سائل، فأعطاه فحل إبله، فلما رجعت الإبل إذا فحلها ليس فيها، فهتفت به امرأته، وعذلته، وقالت: فهلا غير فحل إبلك؟ فقال لها:

دعيني وأمري سأكفيكه ... وكوني قعيدة بيت ضباعا

فإنك لن ترشدي غاويا ... ولن تدركي لك حظاً مضاعا

وقال أيضاً في عزلها إياه:

بكرت باللوم تلحانا ... في بعير ضل أو حانا

علقت لوا تكررها ... إن لوا ذاك أعيانا

قال: وأدرك الإسلام فأسلم.

تخدعه زوجه أخبرني الحسن بن علي؛ قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا محمد بن سلام قال: كان للنمر بن تولب أخ يقال له الحارث بن تولب، وكان سيداً معظماً، فأغار الحارث على بني أسد فسبى امرأة منهم، يقال لها جمرة بنت نوفل، فوهبها لأخيه النمر بن تولب ففركته، فحبسها، حتى استقرت، وولدت له أولاداً، ثم قالت له في بعض أيامها: أزرني أهلي فإني قد اشتقت إليهم، فقال لها: إني أخاف إن صرت إلى أهلك أن تغلبيني على نفسك، فواثقته لترجعن إليه. فخرج بها في الشهر الحرام، حتى أقدمها بلاد بني أسد، فلما أطل على الحي تركته واقفاً، وانصرفت إلى منزل بعلها الأول، فمكثت طويلاً، فلم ترجع إليه، فعرف ما صنعت وأنها اختدعته فانصرف وقال:

جزى الله عنا جمرة ابنة نوفل ... جزاء مغل بالأمانة كاذب

لهان عليها أمس موقف راكب ... إلى جانب السرحات أخيب خائب

وقد سألت عني الوشاة ليكذبوا ... علي وقد أبليتها في النوائب

وصدت كأن الشمس تحت قناعها ... بدا حاجب منها وضنت بحاجب

وقال فيها أيضاً:

كل خليل عليها الرعا ... ث والحبلات كذوب ملق

الحبلات: واحدتها حبلة، وهي جنس من الحلى قدر ثمر الطلح .

وقامت إلي فأحلفتها ... بهدي قلائده تختفق

بأن لا أخونك فيما علمت ... فإن الخيانة شر الخلق

وقال فيها أشعاراً كثيرة يطول ذكرها.

يشبه حاتماً في شعره أخبرني اليزيدي، عن محمد بن حبيب قال: كان أبو عمرو يشبه شعر النمر بشعر حاتم الطائي.

أفنى الشعر أخبرني الحسين بن علي قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيري قال: بلغني أن صالح بن حسان قال يوماً لجلسائه: أي الشعراء أفنى؟ قالوا: عمر بن أبي ربيعة، وقالوا: جميل، وأكثروا القول، فقال: أفناهم النمر بن تولب حين يقول:

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت فواحزنا من ذا يهيم بها بعدي !

جمرة توصيه بولد منها أخبرني الحسن قال: حدقنا أحمد بن زهير، عن محمد بن سلام قال: حج النمر بن تولب بعد هرب جمرة منه فنزل بمنى، ونزلت جمرة مع زوجها قريباً منه، فعرفته، فبعثت إليه بالسلام، وسألته عن خبره، ووصته خيراً بولده منها فقال:

فحييت عن شحط بخير حديثنا ولا يأمن الأيام إلا المضلل

يود الفتى طول السلامة والغنى فكيف يرى طول السلامة يفعل !

شعره بين يدي الرسول أخبرني ابن المرزبان قال: حدثنا أبو محمد اليزيدي، عن الأصمعي. وأخبرنا اليزيدي عن ابن حبيب عن الأصمعي قال: لما وفد النمر بن تولب على النبي صلى الله عليه وسلم أنشده:

يا قوم إني رجل عندي خبر لله من آياته هذا القمر

والشمس والشعرى وآيات أخر من يتسام بالهدى فالخبث شر

إنا أتيناك وقد طال السفر نقود خيلا رجعا فيها ضرر

نطعمها اللحم إذا عز الشجر

قال اليزيدي، عن ابن حبيب خاصة، قال الأصمعي: أطعمها اللحم: أسقيها اللبن، والعرب تقول: اللبن أحد اللحمين. وقال ابن حبيب: قال ابن الأعرابي: كانت العرب إذا لم تجد العلف دقت اللحم اليابس، فأطعمته الخيل: يسلو بدعد عن جمرة أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، عن ابن عياش. وأخبرنا ابن المرزبان قال: أخبرني عيسى بن يونس قال: حدثني محمد بن الفضل قال: حدثنا الهيثم بن عدي، عن ابن عباس قال: لما فارق النمر بن تولب امرأته الأسدية جزع عليها، حتى خيف على عقله ومكث أياماً لا يطعم، ولا ينام، فلما رأت عشيرته منه ذلك، أقبلوا عليه يلومونه، ويعيرونه، وقالوا: إن في نساء العرب مندوحة ومتسعاً، وذكروا له امرأة من فخذه الأدنين يقال لها دعد، ووصفوها له بالجمال والصلاح، فتزوجها ووقعت من قلبه، وشغلته عن ذكر جمرة وفيها يقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدي

والناس يروون هذا البيت لنصيب وهو خطأ.

أخبرني اليزيدي عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه. وأخبرني إبراهيم بن محمد الصائغ، عن ابن قتيبة، عن عبد الرحمن، عن عمه، عن حماد بن ربيعة أنه قال:

أظرف الناس النمر بن تولب حيث يقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدي

يرثي جمرة أخبرني ابن المرزبان قال: أخبرني عبد الله بن محمد قال: أخبرني محمد بن سلام قال: لما بلغ النمر بن تولب أن امرأته جمرة توفيت، نعاها له رجل من قومه يقال له حزام أو حرام، فقال:

ألم تر أن جمرة جاء منها بيان الحق أن صدق الكلام

نعاها بالندي لنا حزام حديث ما تحدث يا حرام

فلا تبعد وقد بعدت وأجرى على جدث تضمنها الغمام

قال الأصمعي: يقال بعد وأبعد يهذي في كبره أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدثنا الرياشي، عن الأصمعي. عن أبي عمرو وأخبرني به هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة، عن أبي عمرو قال: أدرك النمر بن تولب النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلم وحسن إسلامه، وعمر، فطال عمره، وكان جواداً واسع القرى كثير الأضياف وهاباً لماله، فلما كبر خرف وأهتر، فكان هجيراه: اصبحوا الراكب، اغبقوا الراكب اقروا، انحروا للضيف، أعطو السائل، تحملوا لهذا في حمالته كذا وكذا - لعادته بذلك - فلم يزل يهذي بهذا وشبهه مدة خرفه حتى مات.

موازنة بين خرف وخرف قال: وخرفت إمرأة من حي كرام عظيم خطرهم وخطرها فيهم، فكان هجيراها: زوجوني، قولوا لزوجي يدخل، مهدوا لي إلى جانب زوجي، فقال عمر بن الخطاب، وقد بلغه خبرها: ما لهج به أخو عكل النمر بن تولف في خرفه أفخر وأسرى، وأجمل مما لهجت به صاحبتكم. ثم ترحم عليه.

يرثي أخاه أخبرني ابن المرزبان قال: حدثني أبو بكر العامري، قال: حدثني علي بن المغيرة الأثرم، عن أبي عبيدة قال: مات الحارث بن تولب، فرثاه النمر فقال:

لازال صوب من ربيع وصيف يجود على حسن الغميم فيثرب

فوالله ما أسقى البلاد لحبها ولكنما أسقيك حار بن تولب

تضمنت أدواء العشيرة بينها وأنت على أعواد نعش مقلب

كأن أمرأً في الناس كنت ابن أمه على فلج من بطن دجلة مطنب

يتمثل بأبياته قال حماد الراوية: كان النمر بن تولب كثير البيت السائر والبيت المتمثل به، فمن ذلك قوله:

لا تغضبن على امرئٍ في ماله وعلى كرائم صلب مالك فاغضب

وإذا تصبك خصاصة فارج الغنى وإلى الذي يعطي الرغائب فارغب

وقوله:

تلبس لدهرك أثوابه فلن يبتني الناس ما هدما

وأحبب حبيبك حباً رويدا فليس يعولك أن تصرما

وأبغض بغيضك بغضاً رويداً إذا أنت حاولت أن تحكما

وقوله:

أعاذل أن يصبح صداي بقفرة بعيد فأنى ناصري وقريبي

تري أن ما أبقيت لم أك ربه وأن الذي أفنيت كان نصيبي

يعفي صديقه من الدية ويتحملها نسخت من كتاب بخط السكري أبي سعيد قال: محمد بن حبيب: كان للنمر بن تولب صديق فأتاه النمر في ناس من قومه يسألونه في دية احتملوها، فلما رآهم، وسألوه تبسم، فقال النمر:

تبسم ضاحكاً لما رآني وأصحابي لدي عن التمام

فقال له الرجل: إن لي نفساً تأمرني أن أعطيكم، ونفساً تأمرني ألا أفعل، فقال النمر:

أما خليلي فإني غير معجله حتى يؤامر نفسيه كما زعما

نفس له من نفوس الناس صالحة تعطى الجزيل ونفس ترضع الغنما

ثم قال النمر لأصحابه: لا تسألوا أحداً، فالدية كلها علي.

قصة سيف كالذي وصف النمر أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي قال: حدثنا أبي قال: حدثنا الحسن بن محمد بن عبد الله بن حسن بن علي قال:

جاء أعرابي إلى أبي، وهو مستتر بسويقة قبل مخرجه، ومعه سيف قد علاه الصدأ، فقال: يا بن رسول الله، إني كنت ببطن قديد، أرعى إبلي وفيها فحل قطم، قد كنت ضربته، فحقد علي وأنا لا أدري، فخلا بي فشد علي يريدني، وأنا أحضر، ودنا مني حتى أن لعابه ليسقط على رأسي لقربه مني. فأنا أشتد، وأنا أنظر إلى الأرض لعلي أرى شيئاً أذبه عني به، إذ وقعت عيني على هذا السيف قد فحص عنه السيل، فظننته عوداً بالياً، فضربت بيدي إليه، فأخذته فإذا سيف، فذببت به البعير عني ذباً، والله ما أردت به الذي بلغت منه، فأصبت خيشومه فرميت بفقمه، فعلمت أنه سيف جيد، وظننته من سيوف القوم الذين كانوا قتلوا في وقعة قديد، وها هو ذا قد أهديته لك يا بن رسول الله قال: فأخذه منه أبي، وسر به. وجلس الأعرابي يحادثه، فبينا هو كذلك إذ أقبلت غنم لأبي ثلاثمائة شاة فيها رعاؤها، فقال له: أبي: يا أعرابي هذه الغنم والرعاة لك مكافأة لك عن هذا السيف، قال: ثم أرسل به إلى المدينة، أو أرسل إلى قين فأتي به من المدينة، فأمر به فحلي، فخرج أكرم سيوف الناس، فأمر فاتخذ

له جفن، ودفعه إلى أختي فاطمة بنت محمد. فلما كان اليوم الذي قتل فيه، قاتل بغير ذلك السيف، قال: وبقي ذلك السيف عند أختي محمد بنت محمد. فزرقها يوماً وهي بينبع في جماعة من أهل بيتي، وكانت عند ابن عمها الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن عليهم أجمعين السلام، فخرجت إلينا، وكانت برزة تجلس لأهلها كما يجلس الرجال، وتحدثهم، فجلست تحدثنا، وأمرت مولىً لها، فنحر لنا جزوراً ليهيئ لنا طعاماً.

فنظرت إليها، والجزور في النخل باركة، وقد بردت وهي تسلخ، فقالت: إني لا أرى في هذه الجزور، مضرباً حسناً. ثم دعت بالسيف، وقالت: يا حسن - فدتك أختك - هذا سيف أبيك، فخذه واجمع يديك في قائمه، ثم اضرب به أثناءها من خلفها - تريد عراقيبها - وقد أثبتها للبروك، وهي أربعة أعظم، قال: فأخذت السيف ثم مضيت نحوها، فضربت عراقيبها فقطعتها - والله - أربعتها، وسبقني السيف، فدخل في الأرض، فأشفقت عليه أن ينكسر إن اجتذبته فحفرت عنه، حتى استخرجته، قال: فذكرت حينئذ قول النمر بن تولب:

أبقى الحوادث والأيام من نمر ... أسباد سيف كريم أثره بادي

تظل تحفر عنه الأرض مندفعاً ... بعد الذراعين والقيدين والهادي

ويروى:

تظل تحفر عنه إن ظفرت به

يشكو المشيب أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثنا عمر بن شبة قال: أخبرني أحمد بن معاوية الباهلي، عن أبي عبيدة قال: قيل للنمر بن تولب كيف أصبحت يا أبا ربيعة؟ فأنشأ يقول:

أصبحت لا يحمل بعضي بعضاً ... أشكو العروق الآبضات أبضاً

كما تشكى الأرحبي الغرضا ... كأنما كان شبابي قرضا

من توسلاته أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قال: حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال: أنشدني حماد بن الأخطل ابن النمر بن تولب لجده:

أعذني رب من حصر وعي ... ومن نفس أعالجها علاجا

ومن حاجات نفس فاعصمني ... فإن لمضمرات النفس حاجا

فأنت وليها وبرئت منها ... غليك فما قضيت فلا خلاجا

عود إلى فتوته ثم قال: كان النمر أفتى خلق الله، فقلت: وما كانت فتوته؟ قال: أوليس فتى من يقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت ... فواحزناً من ذا يهيم بها بعدي؟

صوت

أيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا برابية إني مقيم لياليا
وخطا الأسنة مضجعي ورداً على عيني فضل ردائيا
ولا تحسداني بارك الله فيكما من الأرض ذات العرض أن توسعا ليا
لعمري لئن غالت خراسان هامتي لقد كنت عن بابي خراسان نائيا
فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة بجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا

الشعر لمالك بن الريب، والغناء لمعبد مما لا يشك فيه من غنائه، خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق ويونس وعمرو ودنانير، وفيه خفيف ثقيل آخر لابن عائشة من رواية علي بن يحيى، وفيه لابن سريج هزج بالخنصر في مجرى البنصر عن ابن المكي، وفيه لإبراهيم رمل بالوسطى عن عبد الله بن موسى في الأول والثالث من الأبيات، ولإبراهيم ثقيل أول في الخامس ثم الرابع عن الهشامي، وقيل: إن الرمل المنسوب إليه لنبيه.

أخبار مالك بن الريب ونسبه

اسمه ونسبه هو مالك بن الريب بن حوط بن قرط بن حسل بن ربيعة بن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم.

لص قاطع طريق وكان شاعراً فاتكاً لصاً، ومنشؤه في بادية بني تميم بالبصرة من شعراء الإسلام في أول أيام بني أمية.

الوالي يريد استصلاحه أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش قال: أخبرنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وعن هشام بن الكلبي وعن الفضل بن محمد وإسحاق بن الجصاص وحماد الراوية وكلهم قد حكى من خبره نحواً مما حكاه الآخرون قالوا: استعمل معاوية بن أبي سفيان سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان، فمضى سعيد بجنده في طريق فارس، فلقيه بها مالك بن الريب المازني، وكان من أجمل الناس وجهاً، وأحسنهم ثياباً فلما رآه سعيد أعجبه، وقال له: مالك، ويحك تفسد نفسك بقطع الطريق! وما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العبث والفساد، وفيك هذا الفضل! قال: يدعوني إليه العجز عن المعالي، ومساواة ذوي المروءات ومكافأة الإخوان، قال: فإن أنا أغنيتك، واستصحبتك، أتكف عما كنت تفعل؟ قال: إي والله أيها الأمير، أكف كفاً لم يكف أحد أحسن منه، قال: فاستصحبه، وأجرى له خمسمائة درهم في كل شهر.

داود بن الحكم يتعقبه هو وأصحابه قالوا: وكان السبب الذي من أجله وقع مالك بن الريب إلى ناحية فارس أنه كان يقطع الطريق هو وأصحاب له، منهم شظاظ - وهو مولى لبني تميم، وكان أخبثهم - وأبو حردبة، أحد بني أثالة بن مازن، وغويث، أحد بني كعب بن مالك بن حنظلة، وفيهم يقول الراجز:

الله نجاك من القصيم وبطن فلج ونبي تميم
ومن بنى حردبة الأثيم ومالك وسيفه المسموم
ومن شظاظ الأحمر الزنيم ومن غويث فاتح العكوم

فساموا الناس شراً، وطلبهم مروان بن الحكم، وهو عامل على المدينة، فهربوا فكتب إلى الحارث بن حاطب الجمحي، وهو عامله على بني عمرو بن حنظلة يطلبهم، فهربوا منه.

يتوعد من يتوعده ويبلغ مالك بن الريب أن الحارث بن حاطب يتوعده فقال:

تألى حلفة في غير جرم أميري حارث شبه الصرار
علي لأجلدن في غير جرم ولا أدني فينفعني اعتذاري
وقلت وقد ضممت إلي جأشي تجلل لا تأل علي جاري
فإني سوف يكفينيك عزمي ونص العيس بالبلد القفار
وعنس ذات معجمة أمون علنداة موثقة الفقار
تزيف إذا تواهقت المطا يا كما زاف المشرف للخطار
وإن ضربت بلحييها وعامت تفصم عنهما حلق السفار
مراحاً غير ما ضغن ولكن لجاجا حين تشتبه الصحاري
إذا ما استقبلت جونا بهيما تفرج عن مخيسة حضار
إذا ما حال روض رباب دوني وتثليث فشأنك بالبكاري
وأنياب سيخلفهن سيفي وشدات الكمي على التجار
فإن أسطع أرح منه أناسي بضربة فانك غير اعتذار
وإن يفلت فإني سوف أبغي بنيه بالمدينة أو صرار
إلا م مبلغ مروان عني فإني ليس دهري بالفرار
ولا جزع من الحدثان يوماً ولكني أرود لكم وبار

وبار: أرض لم يطأ أحد ثراها

بهزمار تراد العيس فيها إذا أشفقن من فلق الصفار
وهن يحشن بالأعناق حوشا كأن عظامهن قداح بار
كأن الرحل أسأر من قراها هلال عشية بعد السرار

رأيت وقد أتى بحران دوني ... لليلى بالغميم ضوء نار

إذا ما قلت: قد خمدت زهاها ... عصي الرند والعصف السواري
يشب وقودها ويلوح وهيا ... كما لاح الشبوب من الصوار
كأن النار إذ شبت لليلى ... أضاءت جيد مغزلة نوار
وتصطاد القلوب على مطاها ... بلا جعد القرون ولا قصار
وتبسم عن نقي اللون عذب ... كما شيف الأقاحي بالقطار
أتجزع أن عرفت ببطن قو ... وصحراء الأديهم رسم دار
وإن حل الخليط ولست فيهم ... مرابع بين دحل إلى سرار
إذا حلوا بعائجة خلاء ... يقطف نور حنوتها العذاري

يقتل حارسه ويخلص صديقه فبعث إليه الحارث رجلاً من الأنصار فأخذه، وأخذ أبا حردبة، فبعث بأبي حردبة وتخلف الأنصاري مع القوم الذين كان مالك فيهم، وأمر غلاماً له، فجعل يسوق مالكاً. فتغفل مالك غلام الأنصاري، وعليه السيف، فانتزعه منه، وقتله به، وشد على الأنصاري، فضربه بالسيف حتى قتله، وجعل يقتل من كان معه يميناً وشمالاً.

ثم لحق بأبي حردبة، فتخلصه، وركبا إبل الأنصاري، وخرجا فراراً من ذلك هاربين، حتى أتيا البحرين، واجتمع إليهما أصحابهما، ثم قطعوا إلى فارس فراراً من ذلك الحدث الذي أحدثه مالك، فلم يزل بفارس، حتى قدم عليه سعيد بن عثمان، فاستصحبه.

شعره في مهربه فقال مالك في مهربه ذلك:

أحقاً على السلطان أما الذي له ... فيعطى وأما ما يراد فيمنع
إذا ما جعلت الرمل بيني وبينه ... وأعرض سهب بين يبرين بلقع
من الأدمى لا يستجم بها القطا ... تكل الرياح دونه فتقطع
فشأنكم يا آل مروان فاطلبوا ... سقاطي فما فيه لباغيه مطمع
وما أنا كالغير المقيم لأهله ... على القيد في بحبوحة الضيم يرتع
ولولا رسول الله أن كان منكم ... تبين من بالنصف يرضى ويقنع

وقال أيضاً:

لو كنتم تتكرون العذر قلت لكم يا آل مروان جاري منكم الحكم
وأتقكم يمين الله ضاحية عند الشهود وقد توفي به الذمم
لا كنت أحدث سوءاً في إمارتكم ولا الذي فات مني قبل ينتقم
نحن الذين إذا خفتم مجللة قلتم لنا: إننا منكم لتعتصموا
حتى إذا انفرجت عنكم دجنتها صرتم كجرم فلا إل ولا رحم

وقال مالك حين قتل غلام الأنصاري الذي كان يقوده:

غلام يقول السيف يثقل عاتقي إذا قادني وشط الرجال المجحدل
فلولا ذباب السيف ظل يقودني بنسعته شئن البنان حزنبل

أراد اغتيال مالك فاغتاله مالك وقال في ذلك شعراً قالوا: وبينا مالك بن الريب ذات ليلة في بعض هناته وهو نائم - وكان لا ينام إلا متوشحاً بالسيف - إذ هو بشيء قد جثم عليه لا يدري ما هو، فانتفض به مالك، فسقط عنه، ثم انتحى له بالسيف فقده نصفين، ثم نظر إليه فإذا هو رجل أسود كان يقطع الطريق في تلك الناحية، فقال مالك في ذلك:

أدلجت في مهمة ما إن أرى أحداً حتى إذا حان تعريس لمن نزلا
وضعت جنبي وقلت: الله يكلؤني مهما تنم عنك من عين فما غفلا
والسيف بينب وبين الثوب مشعره أخشى الحوادث إني لم أكن وكيلا
ما نمت إلا قليلا نمته شئزاً حتى وجدت على جثماني الثقلا
داهية من دواهي الليل بيتني مجاهدا يبتغي نفسي وما ختلا
أهويت نفحاً له والليل ساتره إلا توخيته والجرس فانخزلا
لما ثنى الله عني شر عدوته رقدت لا مثبتاً ذعراً ولا بعلا
أما ترى الدار قفراً لا أنيس بها إلا الوحوش وأمسى أهلها احتملا
بين المنيفة حيث استن مدفعها وبين فردة من وحشيها قبلا
وقد تقول وما تخفي لجارتها إني أرى مالك بن الريب قد نحلا
من يشهد الحرب يصلاها ويسعرها تراه مما كسته شاحباً وجلا

خذها فإني لضراب إذا اختلفت أيدي الرجال بضرب يختل البطلا

وقال مالك في ذلك أيضاً:

يا عاملاً تحت الظلام مطية ... متخايلا لإبل وغير مخاتل
أني أنخت لشابك أنيابه ... مستأنس بدجى الظلام منازل
لا يستريع عظيمة يرمى بها ... حصباً يحفز عن عظام الكاهل
حربا تنصبه بنبت هواجر ... عاري الأشاجع كالحسام الناصل
لم يدر ما غرف القصور وفيؤها ... طاو بنخل سوادها المتمايل
يقظ الفؤاد إذا القلوب تآنست ... جزعا ونبه كل أروع باسل
حيث الدجى متطلعا لغفوله ... كالذئب في غلس الظلام الخاتل
فوجدته ثبت الجنان مشيعاً ... ركاب منسج كل أمر هائل
فقراك أبيض كالعقيقة صارماً ... ذا رونق يعني الضريبة فاصل
فركتب ردعك بين ثني فائز ... يعلو به أثر الدماء وشائل

رجل حرب لا سائس إبل قال: وانطلق مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان إلى خراسان، حتى إذا كانوا في بعض مسيرهم اجتاجو إلى لبن، فطلبوا صاحب إبلهم، فلم يجدوه، فقال مالك لغلام من غلمان سعيد: أدن مني فلانة - لناقة كانت لسعيد عزيزة - فأدناها منه، فمسحها وأبس بها حتى درت، ثم حلبها، فإذا أحسن حلب حلبه الناس زأغزره درة، فانطلق الغلام إلى سعيد، فأخبره، فقال سعيد لمالك: هل لك أن تقوم بأمر إبلي، فتكون فيها، وأجزل لك الرزق إلى ما أرزقك، وأضع عنك الغزو؟ فقال مالك في ذلك:

أني لأستحيي الفوارس أن أرى ... بأرض العدا بو المخاض الروائم
وإني لأستحيي إذا الحرب شمرت ... أن ارخي دون الحرب ثوب المسالم
وما أنا بالنائي الحفيظة في الوغى ... ولا المتقى في السلم جر الجرائم
ولا المتأني في العواقب للذي ... أهم به من فاتكات العزائم
ولكنني مستوحد العزم مقدم ... على غمرات الحادث المتفاقم
قليل اختلاف الرأي في الحرب باسل ... جميع الفراد عند حل العظائم

فلما سمع ذلك منه سعيد بن عثمان، علم أنه ليس بصاحب إبل، وأنه صاحب حرب، فانطلق به معه.

مالك والذئب قالوا: وبينما مالك بن الريب ليلة نائم في بعض مفازاته إذ بيته ذئب، فزجره فلم يزدجر، فأعاد، فلم يبرح، فوثب إليه بالسيف، فضربه، فقتله، وقال مالك في ذلك:

أذئب الغضا قد صرت للناس ضحكة تغادى بك الركبان شرقاً إلى غرب
فأنت وإن كنت الجرىء جنانه منيت بضرغام من الأسد الغلب
بمن لا ينام الليل إلا وسيفه رهينة أقوام سراع إلى الشغب
ألم ترني يا ذئب إذا جئت طارقاً تخاتلني أني أمرؤ وافر اللب
زززجرتك مرات فلما غلبتني ولم تتزجر نهنهت غربك بالضرب
فصرت لقى لما علاك ابن حرة بأبيض قطاع ينجي من الكرب
ألا رب يوم ريب لو كنت شاهداً لهالك ذكرى عند معمعمة الحرب
ولست ترى إلا كميا مجذلا يداه جميعاً تثبتان من الترب
وآخر يهوى طائر القلب هاربا وكنت امرأ في الهيج مجتمع القلب
أصول بذي الزرين أمشي عرضنة إلى الموت والأقران كالإبل الجرب
أرى الموت لا أنحاش عنه تكرما ولو شئت لم أركب على المركب الصعب
ولكن أبت نفسي وكانت أبية تقاعس أو ينصاع قوم من الرعب

تتعلق به ابنته عند الفراق فقال في ذلك شعراً قال أبو عبيدة: لما خرج مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان تعلقت ابنته بثوبه، وبكت، وقالت له: أخشى أن يطول سفرك أو يحول الموت بيننا فلا نلتقي، فبكى وأنشأ يقول:

ولقد قلت لابنتي وهي تبكي بدخيل الهموم قلباً كئيبا
وهي تذري من الدموع على الخدّي ن من لوعة الفراق غروبا
عبرات يكدن يجرحن ما جزن ن به أو يدعن فيه ندوبا

حذر الحتف أن يصيب أباها ويلاقي في غير أهل شعوبا
اسكتي قد حززت بالدمع قلبي طالما حز دمعكن القلوبا
فعسى الله أن يدفع عني ريب ما تحذرين حتى أءوبا
ليس شيء يشاؤه ذو المعالي بعزيز عليه فادعي المجيبا
ودعي أن تقطعي الآن قلبي أو تريني في رحلتي تعذيبا
أنا في قبضة الإله إذا كن ت بعيداً أو كنت منك قريبا

كم رأينا امرأً أتى من بعيد ومقيما على الفراش أصيبا
فدعيني من انتحابك إني لا أبالي إذا اعتزمت النحيبا
حسبي الله ثم قربت للس ير علاة أنجب بها مركوبا

يتشرد من أجل ضرطة أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: كان سبب خروج مالك بن الريب إلى خراسأن واكتتابه مع سعيد بن عثمان، هرباً من ضرطة، فسألته كيف كان ذلك؟ قال: مر مالك بليلى الأخيلية، فجلس إليها يحادثها طويلاً، وأنشدها. فأقبلت عليه، وأعجبت به حتى طمع في وصلها، ثم إذا هو بفتى قد جاء إليها، كأنه نصل سيف، فجلس إليها، فأعرضت عن مالك وتهاونت به، حتى كأنه عصفور، وأقبلت على صاحبها ملياً من نهارها، فغاظه ذلك من فعلها، وأقبل على الرجل، فقال: من أنت؟ فقال: توبة بن الحمير، فقال: هل لك في المصارعة؟ قال: وما دعاك إلى ذلك وأنت ضيفنا وجارنا؟ قال: لا بد منه، فظن أن ذلك لخوفه منه، فازداد لجاجاً، فقام توبة فصارعه، فلما سقط مالك إلى الأرض ضرط ضرطة هائلة، فضحكت ليلى منه. واستحيا مالك، فاكتتب بخراسان وقال: لا أقيم في بلد العرب أبداً، وقد تحدثت عني بهذا الحديث، فلم يزل بخراسان حتى مات، فقبره هناك معروف.

يتحدث مع أصحابه ويتذاكرون ماضيهم في السرقة وقال المدائني، وحدثني أبو الهيثم: قال: اجتمع مالك بن الريب وأبو حردبة وشظاظ يوماً، فقالوا: تعالوا نتحدث بأعجب ما عملناه في سرقتنا، فقال أبو حردبة: أعجب ما صنعت، وأعجب ما سرقت أني صحبت رفقة فيها رجل على رحل، فأعجبني، فقلت لصاحبي، والله لأسرقن رحله، ثم لا رضيت أو آخذ عليه جعالة، فرمقته، حتى رأيته قد خفق برأسه، فأخذت بخطام جمله، فقدته، وعدلت به عن الطريق، حتى إذا صيرته في مكان لا يغاث فيه إن استغاث، أنخت البعير وصرعته، فأوثقت يده ورجله، وقدت الجمل، فغيبته ثم رجعت إلى الرفقة، وقد فقدوا صاحبهم، فهم يسترجعون، فقلت: مالكم؟ فقالوا: صاحب لنا فقدناه، فقلت: أنا أعلم الناس بأثره، فجعلوا لي جعالة، فخرجت بهم أتبع الأثر حتى وقفوا عليه، فقالوا: مالك؟ قال: لا أدري، نعست، فانتبهت لخمسين فارساً قد أخذوني، فقاتلتهم، فغلبوني.

قال أبو حردبة؛ فجعلت أضحك من كذبه، وأعطوني جعالتي، وذهبوا بصاحبهم.

وأعجب ما سرقت أنه مر بي رجل معه ناقة وجمل، وهو على الناقة، فقلت: لآخذنهما جميعاً، فجعلت أعارضه وقد رأيته قد خفق برأسه، فدرت، فأخذت الجمل، فحللته، وسقته، فغيبته في القصيم - وهو الموضع الذي كانوا يسرقون فيه - ثم انتبه، فالفتفت، فلم ير جمله، فنزل وعقل راحلته، ومضى في طلب الجمل، ودرت فحللت عقال ناقته، وسقتها.

فقالوا لأبي حردبة: ويحك! فحتام تكون هكذا! قال: اسكتوا، فكأنكم بي وقد تبت، واشتريت فرساً، وخرجت مجاهداً، فبينا أنا واقف إذ جاءني سهم كأنه قطعة رشاء، فوقع في نحري، فمت شهيداً. قال: فكان كذلك: تاب، وقدم البصرة، فاشترى فرسا، وغزا الروم، فأصابه سهم في نحره فاستشهد.

ثم قالوا لشظاظ: أخبرنا أنت بأعجب ما أخذت في لصوصيتك، ورأيت فيها، فقال: نعم كان فلان "رجل من أهل البصرة" له بنت عم ذات مال كثير، وهو وليها، وكانت له نسوة، فأبت أن تتزوجه، فحلف ألا يزوجها من أحد ضراراً لها، وكان يخطبها رجل غني من أهل البصرة، فحرصت عليه، وأبى الآخر أن يزوجها منه، ثم إن ولي الأمر حج، حتى إذا كان بالدو - على مرحلة من البصرة حذاءها، قريب من جبل يقال له سنام، وهو منزل الرفاق إذا صدرت أو وردت - مات الولي، فدفن برابية، وشيد على قبره، فتزوجت الرجل الذي كان يخطبها.
قال شظاظ:
وخرجت رفقة من البصرة معهم بز ومتاع، فتبصرتهم وما معهم وأتبعتهم حتى نزلوا، فلما ناموا بيتهم، وأخذت من متاعهم. ثم إن القوم أخذوني، وضربوني ضرباً شديداً، وجردوني - قال: وذلك في ليلة قرة - وسلبوني كل قليل وكثير، فتركوني عرياناً، وتماوت لهم، وارتحل القوم، فقلت: كيف أصنع؟ ثم ذكرت قبر الرجل، فأتيته، فنزعت لوحه، ثم احتفرت فيه سربا، فدخلت فيه، ثم سددت علي باللوح، وقلت: لعلي الآن أدفأ فأتبعهم. قال: ومر الرجل الذي تزوج بالمرأة في الرفقة، فمر بالقبر الذي أنا فيه، فوقف عليه، وقال لرفيقه: والله لأنزلن إلى قبر فلان، حتى أنظر هل يحمى الآن بضع فلانة؟ قال شظاظ: فعرفت صوته فقلعت اللوح، ثم خرجت عليه بالسيف من القبر، وقلت: بلى ورب الكعبة لأحمينها، فوقع والله على وجهه مغشياً عليه، لا يتحرك ولا يعقل. فسقط من يده خطام الراحلة، فأخذت وعهد الله بخطامها فجلست عليها، وعليها كل أداة وثياب ونقد كان معه، ثم وجهتها قصد مطلع الشمس هارباً من الناس، فنجوت بها، فكنت بعد ذلك أسمعه يحدث الناس بالبصرة، ويحلف لهم أن الميت الذي كان منعه من تزويج المرأة خرج عليه من قبره بسلبه وكفنه. فبقي يومه، ثم هرب منه، والناس يعجبون منه فعاقلهم يكذبه، والأحمق منهم يصدقه، وأنا أعرف القصة، فأضحك منهم كالمتعجب.
مغامرة أخرى لشظاظ قالوا: فزدنا، قال: فأنا أزيدكم أعجب من هذا وأحمق من هذا؛ إني لأمشي في الطريق أبتغي شيئاً أسرقه، قال: فلا والله ما وجدت شيئاً، قال: وكان هناك شجرة ينام من تحتها الركبان بمكان ليس فيه ظل غيرها، وإذا أنا برجل يسير على حمار له، فقلت له: أتسمع؟ قال: نعم، قلت: إن المقيل الذي تريد أن تقيله يخسف بالدواب فيه، فاحذره، فلم يلتفت إلى قولي. قال: ورمقته، حتى إذا نام أقبلت على حماره، فاستقته، حتى إذا برزت به، قطعت طرف ذنبه وأذنيه، وأخذت الحمار، فخبأته وأبصرته حين استيقظ من نومه، فقام يطلب الحمار، ويقفوا أثره، فبينا هو كذلك إذ نظر إلى طرف ذنبه وأذنيه، فقال: لعمري لقد حذرت لو نفعني الحذر، واستمر هارباً خوف أن يخسف به، فأخذت جميع ما بقي من رحله فحملته على الحمار، واستمر فألحق بأهلي.
الحجاج يصلب شظاظ قال أبو الهيثم: ثم صلب الحجاج رجلاً من الشراة بالبصرة، وراح عشياً، لينظر إليه، فإذا برجل بإزائه مقبل بوجهه عليه، فدنا منه، فسمعه يقول للمصلوب: طال ما ركبت فأعقب، فقال الحجاج: من هذا؟ قالوا: هذا شظاظ اللص قال: لا جرم! والله ليعقبنك، ثم وقف، وأمر بالمصلوب، فأنزل وصلب شظاظا مكانه.

مات مالك حتف أنفه قال ابن الأعرابي: مرض مالك بن الريب عند قفول سعيد بن عثمان من خراسان في طريقه؛ فلما أشرف على الموت تخلف معه مرة الكاتب ورجل آخر من قومه من بني تميم وهما اللذان يقول فيهما:

أيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا برابية إني مقيم لياليا

ومات في منزله ذلك، فدفناه، وقبره هناك معروف إلى الآن، وقال قبل موته قصيدته هذه يرثي بها نفسه.

قال أبو عبيدة: الذي قاله ثلاثة عشر بيتاً، والباقي منحول، ولده الناس عليه.

صوت

فما بيضة بات الظليم يحفها ويرفع عنها جؤجؤا متجافيا

بأحسن منها يوم قالت: أظاعن مع الركب أم ثاو لدينا لياليا؟

وهبت شمال آخر الليل قرة ولا ثوب إلا بردها ورداثيا

ومازال بردى طيبا من ثيابها إلى الحول حتى أنهج الثوب باليا

الشعر لعبد بني الحسحاس، والغناء لابن سريج في الأول والثاني من الأبيات ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفي الثالث والرابع لمخارق خفيف ثقيل عمله على صنعة إسحاق في:

أماوي إن المال غاد ورائح

وكاده بذلك ليقال إن لحنه أخذه منه، وألقاه على عجوز عمير، فألقته على الناس، حتى بلغ الرشيد خبره، ثم كشفه فعلم حقيقته، ومن لا يعلم بنسبه إلى غيره، وقد ذكر حبش إنه لإبراهيم، وذكر غيره أنه لابن المكي.

وقد شرحت هذا الخبر في أخبار إسحاق.

أخبار عبد بني الحسحاس

اسمه سحيم، وكان عبداً أسود نوبياً أعجمياً مطبوعاً في الشعر، فاشتراه بنو الحسحاس، وهم بطن من بني أسد، قال أبو عبيدة: الحسحاس بن نفاثة بن سعيد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بد دودان بن أسد بن خزيمة.

قال أبو عبيدة - فيما أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي عن أبي حاتم عنه: كان عبد بني الحسحاس عبداً أسود أعجمياً، فكان إذا أنشد الشعر - استحسنه أم استحسنه غيره منه - يقول: أهشنت والله - يريد أحسنت والله - وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم، ويقال: إنه تمثل بكلمات من شعره غير موزونة.

يستشهد الرسول ببيت له أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن منصور قال حدثنا الحسن بن موسى قال حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم تمثل:

كفى بالإسلام والشيب ناهيا

فقال أبو بكر: يا رسول الله:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فجعل لا يطيقه، فقال أبو بكر: أشهد أنك رسول الله "وما علمنا الشعر وما ينبغي له".

قال محمد بن خلف وحدثني أحمد بن شداد عن أبي سلمة التبوذكي عن حماد بن سلمة، عن رجل، عن الحسن مثله، وروي عن أبي بكر الهذلي أن اسم عبد بني الحسحاس حية.

كان أسود الوجه وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: كان عبد بني الحسحاس حلو الشعر رقيق الحواشي، وفي سواده يقول:

وما ضر أثوابي سوادي وإنني لكالمسك لا يسلو عن المسك ذائقة

كيست قميصاً ذا سواد وتحته قميص من القوهي بيض بنائقه

ويروى: وتحته قميص من الإحسان أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: أنشدني مصعب بن عبد الله الزبيري لعبد بني الحسحاس - وكان يستحسن هذا الشعر ويعجب به - قال:

أشعار عبد بني الحسحاس قمن له عند الفخار مقام الأصل والورق

إن كنت عبداً فنفسي حرة كرماً أو أسود اللون إني أبيض الخلق

وقال الأثرم: حدثني السري بن صالح بن أبي مسهر قال: أخبرني بعض الأعراب، أن أول ما تكلم به عبد بني الحسحاس من الشعر أنهم أرسلوه رائداً فجاء وهو يقول:

أنعت غيثاً حسناً نباته كالحبشي حلوه بناته

فقالوا: شاعر والله، ثم انطلق بالشعر بعد ذلك.

بيت له يستحسنه عمر أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: أنشد سحيم عمر بن الخطاب قوله:

عميرة ودع إن تهجزت غاديا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فقال عمر: لو قلت شعرك كله مل هذا لأعطيتك عليه.

لا حاجة لعثمان به أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: حدثني خالي يوسف بن الماجشون قال: كان عبد الله بن أبي ربيعة عاملاً لعثمان بن عفان على الجند، فكتب إلى عثمان: إني قد اشتريت غلاماً حبشياً يقول الشعر، فكتب إليه عثمان: "لا حاجة لي إليه، فارده، فإنما حظ أهل العبد الشاعر منه، إن شبع أن يتشبب بنسائهم، وإن جاع أن يهجوهم"، فرده فاشتراه

أحد بني الحسحاس.

وروى إبراهيم بن المنذر الحزامي هذا الخبر عن ابن الماجشون قال: كان عبد الله بن أبي ربيعة - مثل ما رواه الزبير - إلا أنه قال فيه: إن جاع هر، وإن شبع فر.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو بكر العامري عن الأثرم عن أبي عبيدة. وأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: أنشد عبد بني الحسحاس عمر قوله:

توسدني كفاً وتثني بمعصم علي وتحوي رجلها من ورائيا

فقال عمر: ويلك إنك مقتول.

أخبرني محمد بن جعفر الصيلاني قال: حدثني أحمد بن القاسم قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي، عن ابن أبي عائشة قال: أنشد عبد بني الحسحاس عمر قوله:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً

الإسلام أولا فقال له عمر: لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا معاذ بن معاذ وأبو عاصم عن ابن عون عن محمد بن سيف، أن عبد بني الحسحاس أنشد عمر هذا وذكر الحديث مثل الذي قبله.

كان قبيح الوجه أخبرني محمد بن خلف قال: حدثنا إسحاق بن محمد قال: حدثنا عبد الرحمن، ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: كان عبد بني الحسحاس قبيح الوجه، وفي قبحه يقول:

أتيت نساء الحارثيين غدوة بوجه براه الله غير جميل

فشبهنني كلباً ولست بفوقه ولا دونه إن كان غير قليل

كان يشبب بنساء مواليه أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: أتي عثمان بن عفان بعبد بني الحسحاس ليشتريه فأعجب به فقالوا: إنه شاعر: وأرادوا أن يرغبوه فيه: فقال: لا حاجة لي به؛ إذ الشاعر لا حريم له، إن شبع تشبب بنساء أهله، وإن جاع هجاهم، فاشتراه غيره، فلما رحل قال في طريقه:

أشوقاً ولما تمض لي غير ليلة فكيف إذا سار المطي بنا شهرا؟

وما كنت أخشى مالكاً أن يبيعني بشيء ولو أمست أنامله صفرا

أخوكم ومولى مالكم وحليفكم ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرا

فلما بلغهم شعره هذا رثوا له، فاستردوه.

فكان يشبب بنسائهم، حتى قال:

ولقد تحدر من كريمة بعضكم عرق على متن الفراش وطيب

قال: فقتلوه.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن خاله يوسف بن الماجشون بمثل هذه الرواية وزاد فيها: فلما استردوه نشب يقول الشعر في نسائهم، فأخبرني من رآه واضعاً إحدى رجليه على الأخرى يقرض الشعر ويشبب بأخت مولاه وكانت عليلة، ويقول:

ماذا يريد السقام من قمر ... كل جمال لوجهه تبع!

ما يرتجى خاب من محاسنها ... آماله في القباح متسع!

غير من لونها وصفرها ... فزيد فيه الجمال والبدع

لو كان يبغي الفداء قلت له: ... ها أنا دون الحبيب يا وجع

أخبرني محمد بن خلف قال: حدثنا أبو بكر العامري، عن علي بن المغيرة الأثرم قال: قال أبو عبيدة: الذي تناهى إلينا من حديث سحيم عبد بني الحسحاس أنه جالس نسوة من بني صبير بن يربوع، وكان من شأنهم إذا جلسوا للتغزل أن يتعابثوا بشق الثياب وشدة المغالبة على إبداء المحاسن، فقال سحيم:

كأن الصبيريات يوم لقيننا ... ظباء حنت أعناقها في المكانس

فكم قد شققنا من رداء منير ... ومن برقع عن طلفة غير ناعس

إذا شق برد شق بالبرد برقع ... على ذاك حتى كلنا غير لابس

فيقال: إنه لما قال هذا الشعر أتهمه مولاه، فجلس له في مكان كان إذا رعى نام فيه، فلما اضطجع تنفس الصعداء، ثم قال:

يا ذكرة مالك في الحاضر ... تذكرها وأنت في الصادر

من كل بيضاء لها كفل ... مثل سنام البكرة المائر

قال: فظهر سيده من الموضع الذي كان فيه كامنا، وقال له: مالك؟ فلجلج في منطقه، فاستراب به، فأجمع على قتله، فلما ورد الماء خرجت إليه صاحبته، فحادثته، وأخبرته بما يراد به، فقام ينفض ثوبه ويعفى أثره، ويلقط رضاً من مسكها كان كسرها في لعبه معها، وأنشأ يقول: صوت

أتكتم حييتم على النأي تكتما ... تحية من أمسى بحبك مغرما

زما تكتمين إن أتيت دنية ... ولا إن ركبنا يا بنة القوم محرما

ومثلك قد أبرزت من خدر أمها ... إلى مجلس تجر برداً مسهماً

الغناء للغريض ثقيل أول بالوسطى وفيه ليحيى المكي ثاني ثقيل، قال:

وماشية مشى القطاة اتبعتها ... من الستر تخشى أهلها أن تكلما

فقالت :صه يا ويح غيرك إنني سمعت حديثاً بينهم يقطر الدما
فنفضت ثوبيها ونظرت حولها ولم أخس هذا الليل أن يتصرما
أعفى بآثار الثياب مبيتها وألقط رضا من وقوف تحطما

قال: وغدوا به ليقتلوه، فلما رأته ارمأة كانت بينها وبينه مودة ثم فسدت، ضحكت به شماتة فنظر إليها وقال:

فإن تضحكي مني فيا رب ليلة تركتك فيها كالقباء المفرج

فلما قدم ليقتل قال:

شدوا وثاق العبد لا يفلتكم إن الحياة من الممات قريب
فلقد تحدر من جبين فتاتكم عرق على متن الفراش وطيب

يحرق في أخدود قال: وقدم فقتل. وذكر ابن دأب أنه حفر له أخدود، وألقي فيه، وألقي عليه الحطب فأحرق. أصابهن كلهن إلا واحدة

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن المدائني عن أبي بكر الهذلي قال: كان عبد بني الحسحاس يسمى حية، وكان لسيده بنت بكر، فأعجبها، فأمرته أن يتمارض، ففعل وعصب رأسه. فقالت للشيخ: أسرح أيها الرجل إبلك، ولا تكلها إلى العبد، فكان فيها أياماً، ثم قال له: كيف تجدك؟ قال: صالحاً، قال: فرح في إبلك العشية، فراح فيها، فقالت الجارية لأبيها: ما أحسبك إلا قد ضيعت إبلك العشية، أن وكلتها إلى حية، فخرج في آثار إبله فوجده مستلقياً في ظل شجرة، وهو يقول:

يا رب شجو لك في الحاضر تذكرها وأنت في الصادر
من كل حمراء جمالية طيبة القادم والآخر

فقال الشيخ: إن لهذا لشأنا، وانصرف، و لم يره وجهه. وأتى أهل الماء، وقال لهم: تعلموا والله أن هذا العبد قد فضحنا، وأخبرهم الخبر، وأنشدهم ما قال، فقالوا: اقتله، فنحن طوعك، فلما جاءهم وثبوا عليه، فقالوا له قلت وفعلت، فقال: دعوني إلى غد حتى أعذرها عند أهل الماء، فقالوا: إن هذا صواب فتركوه، فلما كان الغد اجتمعوا فنادى: يا أهل الماء، ما فيكم امرأة إلا قد أصبتها إلا فلانة فإني على موعد منها فأخذوه فقتلوه.

ومما يغنى فيه من قصيدة سحيم عبد بني الحسحاس، وقال: إن من الناس من يرويها لغيره:

تجمعن من شتى ثلاثاً وأربعا وواحدة حتى كملن ثمانيا
وأقبلن من أقصى الخيام يعدنني بقية ما أبقين نصلا يمانيا
يعدن مريضا هن قد هجن داءه ألا إنما بعض العوائد دائيا

فيه لحنان كلاهما من الثقيل الأول، والذي ابتداؤه "تجمعن من شتى ثلاث" لبنان.
والذي أوله "وأقبلن من أقصى الخيام". ذكر الهشامي أنه لإسحاق وليس يشبه صنعته ولا أدري لمن هو؟.
مخارق يكبد لإسحاق أخبرني جحظة عن ابن حمدون أن مخارقا عمل لحناً في هذا الشعر:

وهبت شمالا آخر الليل قرة ولا ثوب إلا بردها ورداثيا

على عمل صنعة إسحاق في:

أماوي إن المال غاد ورائح

ليكيد به إسحاق، وألقاه على عجوز عمير الباذ عيسى، وقال لها: إذا سئلت عنه فقولي: أخذته من عجوز مدنية، ودار الصوت حتى غني به الخليفة، فقال لإسحاق: ويلك أخذت لحن هذا الصوت تغنيه كله، فحلف له بكل يمين يرضاه أنه لم يفعل وتضمن له كشف القصة، ثم أقبل على من غناهم الصوت فقال: عمن أخذته؟ فقال: عن فلان، فلقيه، فسأله عمن أخذه فعرفه، ولم يزل يكشف عن القصة، حتى أنتهت من كل وجه إلى عجوز عمير، فسئلت عن ذلك، فقالت: أخذته عن عجوز مدنية، فدخل إسحاق على عمير، فحلف له بالطلاق والعتاق وكل محرج من الأيمان ألا يكلمه أبدا ولا يدخل داره ولا يترك كيده وعداوته أو يصدقه عن حال هذا الصوت وقصته، فصدقه عمير عن القصة، فحدث بها الواثق بحضرة عمير ومخارق، فلم يكن مخارقاً دفع ذلك، وخجل خجلاً بان فيه، ويطل ما أراده بإسحاق.

صوت

ثلاثة أبيات فبيت أحبه وبيتان ليسا من هواي ولا شكلي
ألا أيها البيت الذي حيل دونه بنا أنت من بيت وأهلك من أهل

الشعر لجميل، والغناء لإسحاق ماخوري بالبنصر من جامع أغانيه، وفيه رمل مجهول ذكره حبش لعلوية ولم أجد طريقته.

متمم العبدي والجويرية

أخبرني الحسين بن يحيى المرادي عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: حدثني متم العبدي قال: خرجت من مكة زائراً لقبر النبي صلى الله عليه وسلم، فإني لبسوق الجحفة إذا جويرية تسوق بعيراً، وتترنم بصوت مليح طيب حلو في هذا الشعر:

ألا أيها البيت الذي حيل دونه بنا أنت من بيت وأهلك من أهل
بنا أنت من بيت وحولك لذة وظلك لو يسطاع بالبارد السهل

ثلاثة أبيات فبيت أحبه وبيتان ليسا من هواي ولا شكلي

فقلت: لمن هذا الشعر يا جويرية؟ قالت: أما ترى تلك الكوة الموقاة بالكلة الحمراء؟ قلت: أراها، قالت: من هناك نهض هذا الشعر، قلت: أو قائله في الأحياء؟ قالت: هيهات، لو أن لميت أن يرجع لطول غيبته لكان ذلك، فأعجبني فصاحة لسانها ورقة ألفاظها، فقلت لها: ألك أبوان؟ فقالت: فقدت خيرهما وأجلهما، ولي أم، قلت: وأين أمك؟ قالت: منك بمرأى ومسمع، قال: فإذا امرأة تبيع الخرز على ظهر الطريق بالجحفة، فأتيتها، فقلت: يا أمتاه، استمعي مني، فقالت لها: يا أمه، فاستمعي من عمي ما يلقيه إليك، فقالت: حياك الله، هيه، هل من حاثية خبر؟ قلت: أهذه ابنتك؟ قالت: كذا كان يقول أبوها، قلت: أفتزوجينها؟ قالت: ألعلة رغبت فيها؟ فما هي والله من عندها جمال، ولا لها مال، قلت: لحلاوة لسانها وحسن عقلها، فقالت: أينا أملك بها؟ أنا أم هي بنفسها؟ قلت: بل هي بنفسها، قالت: فإياها فخاطب، فقلت: علها أن تستحي من الجواب في مثل هذا، فقالت: ما ذاك عندها، أنا أخبر بها، فقلت: يا جارية، أما تستمعين ما تقول أمك؟ قالت: قد سمعت، قلت: فما عندك؟ قالت: أوليس حسبك أن قلت: إني أستحي من الجواب في مثل هذا، فإن كنت أستحي في شيء فلم أفعله؟ أتريد أن تكون الأعلى وأكون بساطك، لا والله لا يشد علي رجل حواءه وأنا أجد مذقة لبن أو بقلة ألين بها معاي، قال: فورد والله علي أعجب كلام على وجه الأرض، فقلت: أو أتزوجك والإذن فيه إليك، وأعطي الله عهداً أني لا أقربك أبداً إلا عن إرادتك؟ قالت: إذا والله لا تكون لي في هذا إرادة أبداً، ولا بعد الأبد إن كان بعده بعد، فقلت: فقد رضيت بذلك، فتزوجتها، وحملتها وأمها معي إلى العراق، وأقامت معي نحواً من ثلاثين سنة ما ضممت عليها حواي قط، وكانت قد علقت من أغاني المدينة أصواتاً كثيرة، فكانت ربما ترنمت بها، فأشتهيها، فقلت: دعيني من أغانيك هذه فإنها تبعثني على الدنو منك. قال: فما سمعتها رافعة صوتها بغناء بعد ذلك، حتى فارقت الدنيا، وإن أمها عندي حتى الساعة، فقلت: ما أدري متى دار في سمعي حديث امرأة أعجب من حديث هذه.

صوت

أيها الناس إن رأيي يريني وهو الرأي طوفة في البلاد
بالعوالي وبالقنابل تردى بالبطاريق مشية العواد
وبجيش عرمرم عربي جحفل يستجيب صوت المنادي
من تميم وخندف وإياد والبهاليل حمير ومراد
فإذا سرت سارت الناس خلفي ومعي كالجبال في كل واد

سقني ثم سق حمير قومي كأس خمر أولى النهي والعماد

الشعر لحسان بن تبع، والغناء لأحمد النصيبي خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه ليونس لحن من كتابه.

أخبار حسان بن تبع

هو طوافة في البلاد أخبرني بخبر حسان الذي من أجله قال هذا الشعر علي بن سليمان الأخفش عن السكري، عن ابن حبيب، عن ابن الأعرابي. وعن أبي عبيدة وأبي عمرو، وابن الكلبي وغيرهم، قال: كان حسان بن تبع أحول أعسر، بعيد الهمة شديد البطش، فدخل إليه يوما وجوه قومه - وهم الأقيال من حمير - فلما أخذوا مواضعهم ابتدأهم فأنشدهم:

أيها الناس إن رأيي يريني وهو الرأي طوفة في البلاد

بالعوالي وبالقنابل تردى بالبطاريق مشية العواد

وذكر الأبيات التي مضت آنفاً، ثم قال لهم: استعدوا لذلك، فلم يراجعه أحد لهيبته، فلما كان بعد ثلاثة خرج، وتبعه الناس، حتى وطئ أرض العجم، قوال: لأبلغن من البلاد حيث لم يبلغ أحد من التبابعة، فجال بهم في أرض خراسان، ثم مضى إلى المغرب، حتى بلغ رومية، وخلف عليها ابن عم له، وأقبل إلى أرض العراق، في أرض خراسان، ثم مضى إلى المغرب، حتى بلغ رومية، وخلف عليها ابن عم له، وأقبل إلى أرض العراق، حتى إذا صار على شاطئ الفرات، قالت وجوه حمير: ما لنا نفني أعمارنا مع هذا! نطوف في الأرض كلها، ونفرق بيننا وبين بلدنا وأولادنا وعيالنا وأموالنا! فلا ندري من نخلف عليهم بعدنا!

فكلموا أخاه عمراً، وقالوا له: كلم أخاك في الرجوع إلى بلده، وملكه. قال: هو أعسر من ذلك وأنكر، فقالوا: فاقتله، ونملكك علينا، فأنت أحق بالملك من أخيك، وأنت أعقل وأحسن نظراً لقومك، فقال: أخاف ألا تفعلوا، وأكون قد قتلت أخي، وخرج الملك عن يدي، فواثقوه، حتى ثلج إلى قولهم، وأجمع الرؤساء على قتل أخيه كلهم إلا ذا رعين، فإنه خالفهم، وقال: ليس هذا برأي، يذهب الملك من حمير. فشجعه الباقون على قتل أخيه، فقال ذو رعين: إن قتلته باد ملكك.

فلما رأى ذو رعين ما أجمع عليه القوم أتاه بصحيفة مختومة، فقال: يا عمرو: إني مستودعك هذا الكتاب، فضعه عندك في مكان حريز، وكتب فيه:

ألا من يشتري سهراً بنوم سعيد من يبيت قرير عين

فإن تك حمير غدرت وخانت فمعذرة الإله لذي رعين

قتله أخوه فامتنع منه النوم ثم إن عمراً أتى حسان أخاه وهو نائم على فراشه، فقتله، واستولى على ملكه. فلم يبارك فيه، وسلط الله عليه السهر، وامتنع منه النوم، فسأل الأطباء والكهان والعياف، فقال له كاهن منهم: إنه ما قتل أخاه رجل قط إلا منع نومه، فقال عمرو: هؤلاء رؤساء حمير حملوني على قتله ليرجعوا إلى بلادهم، و لم ينظروا إلي ولا لأخي.

فجعل يقتل من أشار عليه منهم بقتله، فقتلهم رجلاً رجلاً، حتى خلص إلى ذي رعين وأيقن بالشر، فقال له ذو رعين: ألم تعلم أني أعلمتك ما في قتله، ونهيتك وبينت هذا؟ قال: وفيم هو؟ قال: في الكتاب الذي استودعتك. فدعا بالكتاب، فلم يجده، فقال ذو رعين: ذهب دمي على أخذي بالحزم، فصرت كمن أسار بالخطأ، ثم سأل الملك أن ينعم في طلبه، ففعل، فأتى به فقرأه، فإذا فيه البيتان، فلما قرأهما قال: لقد أخذت بالحزم، قال: إني خشيت ما رأيتك صنعت بأصحابي.

ذو شناتر وذو نواس قال: وتشتت أمر حمير حين قتل أشرافها، واختلفت عليه، حتى وثب على عمرو لخيعة ينوف، و لم يكن من أهل بيت المملكة، فقتله، واستولى على ملكه، وكان يقال له ذو شناتر الحميري، وكان فاسقاً يعمل عمل قوم لوط، وكان يبعث إلى أولاد الملوك فيلوط بهم، وكانت حمير إذا ليط بالغلام لم تملكه، و لم ترتفع به، وكانت له مشربة، يكون فيها يشرف على حرسه، فإذا أتي بالغلام أخرج رأسه إليهم وفي فيه السواك، فيقطعون مشافر ناقة المنكوح وذنبها، فإذا خرج صيح به: أرطب أم يباس؟ فمكث بذلك زمانا.

حتى نشأ زرعة ذو نواس، وكانت له ذؤابة، وبها سمى ذا نواس - وهو الذي تهود، وتسمى يوسف، وهو صاحب الأخدود بنجران، وكانوا نصارى، فخوفهم، وحرق الإنجيل، وهدم الكنائس، ومن أجله غزت الحبشة اليمن، لأنهم نصارى، فلما غلبوا على اليمن اعترض البحر، واقتحمه على فرس فغرق فلما نشأ ذو نواس قيل له: كأنك وقد فعل بك كذا وكذا، فأخذ سكيناً لطيفاً خفيفاً وسمه، وجعل له غلافاً، فلما دعا به لخيعة جعله بين أخمصه ونعله، وأتاه على ناقة له يقال لها: سراب، فأناخها، وصعد إليه، فلما قام يجامعه كما كان يفعل انحنى زرعة، فأخذ السكين فوجأ بها بطنه، فقتله، وأحتز رأسه، فجعل السواك في فيه، فقال: ستعلم الأحراس، است ذي نواس، رطب أم يباس؟ وجاء إلى ناقته، فركبها، فلما رأى الحرس اطلاع الرأس صعدوا إليه، فإذا هو قد قتل. فأتوا زرعة، فقالوا: ما ينبغي أن يملكنا غيرك بعد أن أرحتنا من هذا الفاسق، واجتمعت حمير إليه، ثم كان من قصته ما ذكرناه آنفاً.

صوت

يا ربة البيت قومي غير صاغرة ضمي إليك رحال القوم والقربا

في ليلة من جمادي ذات أندية لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة حتى يلف على خيشومه الذنبا

الشعر لمرة بن محكان السعدي، والغناء لابن سريج، رمل بالوسطى، وله فيه أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى كلاهما عن عمرو، وذكر حبش أن فيه لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى، والله أعلم.

أخبار مرة بن محكان

اسمه ونسبه هو مرة بن محكان و لم يقع إلينا باقي سنبه، أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم. شاعر مقل إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وكان في عصر جرير والفرزدق، فأغفلا ذكره، لنباهتهما في الشعر.

وكان مرة شريفاً جواداً وهو أحد من حبس في المناح والإطعام.

ينحر مائة بعير

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، قال: كان مرة بن محكان سخياً، وكان أبو البكراء يوائمه في الشرف، وهما جميعاً من بني الربيع، فأهب مرة بن محكان ماله الناس، فحبسه عبيد الله بن زياد، فقال في ذلك الأبيرد الرياحي:

حبست كريماً أن يجود بماله ... سعى في ثأى من قومه متفاقم

كأن دماء القوم إذ علقوا به ... على مكفهر من ثنايا المخارم

فإن أنت عاقبت ابن محكان في الندى ... فعاقب هداك الله أعظم حاتم

قال: فأطلقه عبيد الله بن زياد، فذبح أبو البكراء مائة شاة، فنحر مرة بن محكان مائة بعير، فقال بعض شعراء بني تميم يمدح مرة:

شرى مائة فأنهبها جواداً ... وأنت تناهب الحدف القهادا

الحدف: صغار الغنم. القهاد: البيض أخبرني أحمد بن محمد الأسدي أبو الحسن، قال: حدثنا الرياشي قال: سئل أبو عبيدة عن معنى قول مرة بن محكان:

ضمي إليك رحال القوم والقربا

ما الفائدة في هذا؟ فقال: كان الضيف إذا نزل بالعرب في الجاهلية ضموا إليهم رحله، وبقي سلاحه معه لا يؤخذ خوفاً من البيات، فقال مرة بن محكان يخاطب امرأته: ضمي إليك رحال هؤلاء الضيفان وسلاحهم، فإنهم عندي في عز وأمن من الغارات والبيات، فليسوا ممن يحتاج أن يبيت لابساً سلاحه.

مصعب بن الزبير يقتله أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن يونس، قال: كان الحارث بن أبي ربيعة على البصرة أيام ابن الزبير، فخاصم إليه رجل من بني تميم - يقال له مرة بن محكان - رجلاً، فلما أراد إمضاء الحكم عليه أنشأ مرة بن محكان يقول:

أحار تثبت في القضاء فإنه ... إذا ما إمام جار في الحكم أقصدا

وإنك موقوف على الحكم فاحتفظ ومهما تصبه اليوم تدرك به غدا
فإني مما أدرك الأمر بالأنى وأقطع في رأس الأمير المهندا

أخبار علي بن عبد الله بن جعفر

ونسبه

اسمه ونسبه هو علي بن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليهم السلام، وأمه ولادة بنت الحجل بن عنبسة بن سعيد بن العاصي بن أمية: شاعر ظريف حجازي، كان عمر بن الفرج الرخجي حمله من الحجاز إلى سر من رأى مع من حمل من الطالبيين فحسه المتوكل معهم.

يحبسه المتوكل حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود الزرقي قال: حدثنا عمر بن عثمان الزهري المعروف بابن أبي قباجة قال: رفع عمر بن الفرج علي بن عبد الله بن جعفر الجعفري إلى المتوكل أيام حج المنتصر، فحبسه المتوكل لأنه كان شيخ القوم وكبيرهم، وكان أغلظ لعمر بن الفرج.

يتديث في شعره قال علي بن عبد الله: مكثت في الحبس مدة، فدخل علي رجل من الكتاب يوماً فقال: أريد هذا الجعفري الذي تديث في شعره فقلت له: إلي فأنا هو، فعدل إلي وقال: جعلت فداك! أحب أن تنشدني بيتيك اللذين تديثت فيهما، فأنشدته:

ولما بدا لي أنها لا تودني وأن هواها ليس عني بمنجل
تمنيت أن تهوى سواي لعلها تذوق حرارات الهوى فترق لي

قال: فكتبهما، ثم قال لي: اسمع - جعلت فداك - بيتين قلتهما في الغيرة، فقلت: هاتهما فأنشدني:

ربما سرني صدودك عني في طلابيك وامتناعك مني
حذراً أن أكون مفتاح غيري فإذا ما خلوت كنت التمني

فقام القرشي، فقبل رأسه، فقال له: فدتك نفسي وأهلي، لو لم أقدم مكة لعمرة ولا لبر وتقوى، ثم قدمت إليها لأراك وأسمع منك لكان ذلك قليلاً. ثم انصرف.

وحدثني بعض مشايخ الكتاب أنه دخل على أبي العبيس بن حمدون يوماً، فسأله أن يقيم عنده فأقام، وأتاهم أبو العبيس بالطعام، فأكلوا، ثم قدم الشراب فشربوا، وغناهم أبو العبيس يومئذ هذا الصوت:

ألا مت لا أعطيت صبراً وعزمة غداة رأيت الحي للبين غاديا
ولم تعتصر عينيك فكهة مازح كأنك قد أبدعت إذ ظلت باكيا

فأحسن ما شاء، ثم ضرب ستارته وقال:

يا ربة البيت غني غير صاغرة

فاندفعت عرفان، فغنت:

يا ربة البيت قومي غير صاغرة ضمي إليك رحال القوم والقربا

قال: فما سمعت غناء قط أحسن مما سمعته من غنائهما يومئذ.

نسبة هذا الصوت صوت

ألا مت لا أعطيت صبراً وعزمة غداة رأيت الحي للبين غاديا

ولم تعتصر عينيك فكهة مازح كأنك قد أبدعت إذ ظلت باكيا

فصيرت دمعاً أن بكيت تلدداً به لفراق الألف كفؤا موازيا

لقد جل قدر الدمع عندك أن ترى بكاءك للبين المشت مساويا

الشعر لأعرابي أنشدناه الحرمي بن أبي العلاء، عن الحسين بن محمد بن أبي طالب الديناري عن إسحاق الموصلي الأعرابي.

قال الديناري: وكان إسحاق كثيراً ما ينشد الشعر للأعراب، وهو قائله وأظن هذا الشعر له، والغناء لعمرو بن بانة ثقيل أول بالبنصر من كتابه.

صوت

فإن تك من شيبان أمي فإنني لأبيض من عجل عريض المفارق

وكيف بذكرى أم هراون بعدما خبطن بأيديهن رمل الشقائق

كأن نقاً من عالج أزرت به إذا الزل ألهاهن شد المناطق

وإنا لتغلي في الشتاء قدورنا ونصبر تحت اللامعات الخوافق

عروضه من الطويل الشعر للعديل بن الفرخ العجلي، والغناء لمعبد خفيف ثقيل من أصوات قليلة الأشباه، عن يونس وإسحاق، وفيه لهشام بن المرية لحن من كتاب إبراهيم، وفيه لسنان الكاتب ثقيل أول عن الهشامي وحبش، وقال حبش خاصة: فيه للهذلي أيضاً ثاني ثقيل بالوسطى.

أخبار العديل ونسبه

اسمه ونسبه العديل بن الفرخ بن معن بن الأسود بن عمرو بن عوف بن ربيعة بن جابر بن ثعلبة بن سمى بن الحارث - وهو العكابة - بن ربيعة بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن

أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

وقال أبو عبيدة: كان العكابة اسم كلب للحارث بن ربيعة بن عجل، فلقب باسم كلبه، وغلب عليه. قال: وكان عجل من محمقي العرب، قيل له: إن لكل فرس جواد اسماً وإن فرسك هذا سابق جواد، فسمه، ففقأ إحدى عينيه وقال: قد سميته الأعور، وفيه يقول الشاعر:

رمتني بنو عجل بداء أبيهم ... وهل أحد في الناس أحمق من عجل؟

أليس أبوهم عار عين جواده ... فصارت به الأمثال تضرب بالجهل

هو ودابغ والعديل شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية، وكان له ثمانية إخوة، وأمهم جميعاً امرأة من بني شيبان، ومنهم من كان شاعراً فارساً: أسود وسوادة وشملة - وقيل سلمة - والحارث، وكان يقال لأمهم درماء.

وكان للعديل وإخوته ابن عم يسمى عمراً، فتزوج بنت عم لهم بغير أمرهم، فغضبوا ورصدوه ليضربوه، وخرج عمرو ومعه عبد له يسمى دابغاً، فوثب العديل وإخوته، فأخذوا سيوفهم، فقالت أمهم: إني أعوذ بالله من شركم، فقال لها ابنها الأسود: وأي شيء تخافين علينا؟ فوالله لو حملنا بأسيافنا على هذا الحنو حنو قراقر لما قاموا لنا فانطلقوا حتى لقوا عمراً، فلما رآهم ذعر منهم وناشدهم، فأبوا، فحمل عليه سوادة فضرب عمراً ضربة بالسيف، وضربه عمرو فقطع رجله فقال سوادة:

ألا من يشتري رجلا برجل ... تأبى للقيام فلا تقوم

وقال عمرو لدابغ: اضرب وأنت حر، فحمل دابغ، فقتل منهم رجلا، وحمل عمرو، فقتل آخر، وتداولاهم، فقتلا منهم أربعة، وضرب العديل على رأسه، ثم تفرقوا، وهرب دابغ، حتى أتى الشأم، فداوى ربضة بن النعمان الشيباني للعديل ضربته، ومكث مدة.

ثم خرج العديل بعد ذلك حاجاً، فقيل له إن دابغاً قد جاء حاجاً، وهو يرتحل، فيأخذ طريق الشأم، وقد اكترى. فجعل العديل عليه الرصد، حتى إذا خرج دابغ ركب العديل راحلته وهو متلثم، وانطلق يتبعه، حتى لقيه خلف الركاب يحدو بشعر العديل ويقول:

يا دار سلمى أقفرت من ذي قار ... وهل بإقفار الديار من عار

وقد كسين عرقاً مثل القار ... يخرجن من تحت خلال الأوبار

فلحقه العديل، فحبس عليه بعيره، وهو لا يعرفه، ويسير رويداً، ودابغ يمشي رويداً، وتقدمت إبله فذهبت، وإنما يريد أن يباعده عنها بوادي حنين، ثم قال له العديل: والله لقد استرخى حقب رحلي، أنزل فأغير الرحل، وتعينني. فنزل فغير الرحل، وجعل دابغ يعينه، حتى إذا شد الرحل أخرج العديل السيف، فضربه حتى برد، ثم ركب راحلته فنجا، وأنشأ يقول:

ألم ترني جللت بالسيف دابغا وإن كان ثأراً لم يصبه غليلي

بوادي حنين ليلة البدر رعته بأبيض من ماء الحديد صقيل

وقلت لهم: هذا الطريق أمامكم ولم أك إذ صاروا لهم بدليل

جرثومة العتري يعير العديل وقال أبو اليقطان: كان العديل هجا جرثومة العتري الجلاني فقال فيه:

أهاجي بني جلان إذ لم يكن لها حديث ولا في الأولين قديم

فأجابه جرثومة فقال:

وإن امرأ يهجو الكرام ولم ينل من الثأر إلا دابغاً للئيم

أتطلب في جلان وتراً ترومه وفاتك بالأوتار شر غريم

العديل يهرب من الحجاج قالوا: وساتعدى مولى دابغ على العديل الحجاج بن يوسف، وطالبه بالقود فيه، فهرب العديل من الحجاج إلى بلد الروم، فلما صار إلى بلد الروم لجأ إلى قيصر، فأمنه، فقال في الحجاج:

أخوف بالحجاج حتى كأنما يحرك عظم في الفؤاد مهيض

ودون يد الحجاج من أن تنالني بساط لأيدي الناعجات عريض

مهامه أشباه كأن سرابها ملاء بأيدي الراحضات رحيض

فبلغ شعره الحجاج، فكتب إلى قيصر: لتبعثن به أو لأغزينك جيشاً يكون أوله عندك وآخره عندي، فبعث به قيصر إلى الحجاج، فقال له الحجاج لما أدخل عليه: أأنت القائل: ودون يد الحجاج من أن تنالني... فكيف رأيت الله أمكن منك؟ قال: بل أنا القائل أيها الأمير:

فلو كنت في سلمى أجا وشعابها لكان لحجاج علي سبيل

خليل أمير المؤمنين وسيفه لكل إمام مصطفى وخليل

بنى قبة الإسلام حتى كأنما هدى الناس من بعد الضلال رسول

فخلى سبيله، وتحمل دية دابغ في ماله.

الحجاج يعفو عن العديل أخبرني عمي وحبيب بن نصر المهلبي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن منصور بن عطية الغنوي قال: أخبرني جعفر بن عبيد الله بن جعفر عن أبي عثمان البقطري قال: خرج العديل بن الفرخ يريد الحجاج، فلما صار ببابه حجبه الحاجب، فوثب عليه العديل، وقال: إنه لن يدخل على الأمير بعد رجالات قريش أكبر مني ولا أولى بهذا الباب، فنازعه الحاجب الكلام، فأحفظه، وانصرف العديل عن باب الحجاج إلى يزيد بن المهلب، فلما دخل إليه أنشأ يقول:

لئن أرتج الحجاج بالبخل بابه فباب الفتى الأزدي بالعرف يفتح

فتى لا يبالي الدهر ما قل ماله إذا جعلت أيدي المكارم تسنح
يداه يد بالعرف تنهب ما حوت وأخرى على الأعداء تسطو وتجرح
إذا ما أتاه المرملون تيقنوا بأن الغنى فيهم وشيكاً سيسرح
أقام على العافين حراس بابه ينادونهم والحر بالحري يفرح
هلموا إلى سيب الأمير وعرفه فإن عطاياه على الناس تنفح
وليس كعلج من ثمود بكفه من الجود والمعروف حزم مطوح

فقال له يزيد: عرضت بنا وخاطرت بدمك، وبالله لا يصل إليك وأنت في حيزي، فأمر له بخمسين ألف درهم، وحمله على أفراس، وقال له: الحق بعلياء نجد، واحذر أن تعلقك حبائل الحجاج أو تحتجنك محاجنه، وابعث إلي في كل عام، فلك علي مثل هذا، فارتحل. وبلغ الحجاج خبره، فأحفظه ذلك على يزيد، وطلب العديل، ففاته، وقال لما نجا:

ودون يد الحجاج من أن تنالني بساط لأيدي الناعجات عريض

قال: ثم ظفر به الحجاج بعد ذلك، فقال: إيه، أنشدني قولك:

ودون يد الحجاج من أن تنالني

فقال: لم أقل هذا أيها الأمير، ولكني قلت:

إذا ذكر الحجاج أضمرت خيفة لها بين أحناء الضلوع نفيض

فتبسم الحجاج، وقال: أولى لك! وعفا عنه، وفرض له.

سادات بكر يشفعون له عند الحجاج

وقال أبو عمرو الشيباني: لما لج الحجاج في طلب العديل لفظته الأرض، ونبا به كل مكان هرب إليه، فأتى بكر بن وائل، وهم يومئذ بادون جميع، منهم بنو شيبان وبنو عجل وبنو يشكر، فشكا إليهم أمره، وقال لهم: أنا مقتول، أفتسلمونني، هكذا وأنتم أعز العرب؟ قالوا: لا والله، ولكن الحجاج لا يراغ، ونحن نستوهبك منه، فإن أجابنا فقد كفيت، وأن حادنا في أمرك منعناك، وسألنا أمير المؤمنين أن يهبك لنا. فأقام فيهم، واجتمعت وجوه بكر ابن وائل إلى الحجاج، فقالوا له: أيها الأمير، إنا قد جنينا جميعاً عليك جناية لا يغفر مثلها، وها نحن قد استسلمنا، وألقينا بأيدينا إليك، فإما وهبت فأهل ذلك أنت، وإما عاقبت، فكنت المسلط الملك العادل. فتبسم، وقال: قد عفوت عن كل جرم إلا جرم الفاسق العديل، فقاموا على أرجلهم، فقالوا: مثلك أيها الأمير لا يستثني على أهل طاعته وأوليائه في شيء فإن رأيت ألا تكد رمننك باستثناء، وأن تهب لنا العديل في أول من تهب! قال: قد فعلت فهاتوه قبحه الله، فأتوه به، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

فلو كنت في سلمى أجاً وشعابها لكان لحجاج علي دليل

بني قبة الإسلام حتى كأنما هدى الناس من بعد الضلال رسول

إذا جار حكم الناس ألجأ حكمه إلى الله قاض بالكتاب عقول

خليل أمير المؤمنين وسيفه لكل إمام صاحب وخليل

به نصر الله الخليفة منهم وثبت ملكاً كاد عنه يزول

ويروى: به نصر الله الإمام عليهم

فأنت كسيف الله في الأرض خالد تصول بعون الله حين تصول

وجازيت أصحاب البلاد بلاءهم فما منهم عما تحب نكول

وصلت بمران العراق فأصحبت مناكبها للوطء وهي ذلول

أقام الواحد مقام الجمع في قوله: ذلول

أذقت الحمام ابني عباد فأصبحوا بمنزل موهون الجناح ثكول

ومن قطري نلت ذاك وحوله كتائب من رجالة وخيول

إذا ما أتت باب ابن يوسف ناقتي أتت خير منزول به ونزيل

وما خفت شيئاً غير ربي وحده إذا ما انتحيت النفس كيف أقول؟

ترى الثقلين الجن والأنس أصبحا على طاعة الحجاج حين يقول

فقال له الحجاج: أولى لك فقد نجوت! وفرض له، وأعطاه عطاءه، فقال يمدح سائر قبائل وائل، ويذكر دفعها عنه، ويفتخر بها:

صرم الغواني واستراح عواذلي وصحوت بعد صبابة وتمايل

وذكرت يوم لوى عتيق نسوة يخطرن بين أكلة ومراحل

لعب النعيم بهن في أظلاله حتى لبسن زمان عيش غافل

صوت

يأخذن زينتهن أحسن ما ترى وإذا عطلن فهن غير عواطل

وإذا خبأن خدودهن أرينا حدق المها وأجدن سهم القاتل

ورمينني لا يستترن بجنة إلا الصبا وعلمن أين مقاتلي

يلبسن أردية الشباب لأهلها ويرجن باطلهن حبل الباطل

الغناء في هذه الأبيات الأربعة لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطي من رواية يحيى المكي، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكي إلى ابن سريج.

بيض الأنوق كأنهن، ومن يرد ... بيض الأنوق فوكرها بمعاقل

زعم الغواني أن جهلك قد صحا ... وسواد رأسك فضل شيب شامل

ورآك أهلك منهم ورأيتهم ... ولقد تكون مع الشباب الخاذل

وإذا تطاولت الجبال رأيتنا ... بفروع أرعن... فوقها متطاول

وإذا سألت ابنى نزار بينا ... مجدي ومنزلتي من ابني وائل

حدبت بنو بكر علي وفيهم ... كل المكارم والعديد الكامل

خطروا ورائي بالقنا وتجمعت ... منهم قبائل أردفوا بقبائل

إن الفوارس من لجيم لم تزل ... فيهم مهابة كل أبيض ناعل

متعمم بالتاج يسجد حوله ... من آل هوذة للمكارم حامل

أو رهط حنظلة الذين رماحهم ... سم الفوارس حتف موت عاجل

قوم إذا شهروا السيوف رأوا لها ... حقاً ولم يك سلها للباطل

ولئن فخرت بهم لمثل قديمهم ... بسط المفاخر للسان القائل

أولاد ثعلبة الذين لمثلهم ... حلم الحليم ورد جهل الجاهل

ولمجد يشكر سورة عادية ... وأب إذا ذكروه ليس بخامل

وبنو القدار إذا عددت صنيعهم ... وضح القديم لهم بكل محافل

وإذا فخرت بتغلب ابنة وائل ... فاذكر مكارم من ندى وشمائل

ولتغلب الغلباء عز بينن ... عادية ويزيد فوق الكاهل

تسطو على النعمان وابن محرق ... وابني قطام بعزة وتناول

بالمقربات يبتن حول رحالهم ... كالقد بعد آجلة وصواهل

أولاد أعوج والصريح كأنها ... عقبان يوم دجنة ومخايل

يلقطن بعد أزومهن على الشبا ... علق الشكيم بألسن وجحافل

قوم هم قتلوا ابن هند عنوة وقنا الرماح تذود ورد الناهل
منهم أبو حنش وكان بكفه ري السنان وري صدر العامل
ومهلهل الشعراء إن فخروا به وندى كليب عند فضل النائل
حجب المنية دون واحد أمه من أن تبيت وصدرها ببلابل
كفى مجالسة الشباب فلم يكن يستب مجلسه وحق النازل
حتى أجار على الملوك فلم يدع حرباً ولا صعراً لرأس مائل
في كل حي للهذيل ورهطه نعم وأخذ كريمةٍ بتناول
بيض كرائم ردهن لعنوة أسل القنا وأخذن غير أرامل
أبناؤهن من الهذيل ورهطه مثل الملوك وعشن غير عوامل

وقال أبو عمرو أيضاً: قال: العديل لرجل من موالي الحجاج كان وجهه في جيش إلى بني عجل يطلب العديل حين هرب منه، فلم يقدر عليه، فاستاق إبله، وأحرق بته، وسلب امرأته وبناته وأخذ حليهن، فدخل العديل يوماً على الحجاج ومولاه هذا بين يديه واقف فتعلق بثوبه وأقبل عليه وأنشأ يقول: صوت

سلبت بناني حليهن فلم تدع سواراً ولا طوقاً على النحر مذهبا

هكذا في الشعر: سلبت بناتي، والغناء فيه: سلبت الجواري حليهن

وما عز في الآذان حتى كأنما تعطل بالبيض الأوانس ربربا
عواطل إلا أن ترى بخدودها قسامة عتق أو بنانا مخضباً
فككت البرين عن خدال كأنها برادي غيل ماؤه قد تنضبا
من الدر والياقوت عن كل حرة ترى سمطها بين الجمان مثقبا
دعون أمير المؤمنين فلم يجب دعاء ولم يسمعن أماً ولا أبا

غنى في الأول والرابع من هذه الأبيات أحمد النصيبي الهمذاني ثان ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيهما ثيل أول بالسبابة والوسطى، نسبه ابن المكي إلى عبد الرحيم الدفاف، ونسبه الهشامي إلى عبد الله ابن العباس.

أصاب رجل من رهط العديل أنف رجل من عجل فقال العديل في ذلك شعرا وقال أبو عمرو الشيباني: أصاب رجل من رهط العديل من بين العكابة أنف رجل من بني عجل يقال له جبار، فقال العديل في ذلك - وكان عدواً له:

ألم تر جباراً ومارن أنفه | له ثلم يهوين أن يتنخعا
ونحن جدعنا أنفه فكأنما | يرى الناس أعداء إذا هو أطلعا
كلوا أنف جبار بكاراً فإنما | تركناه عن فرط من الشر أجدعا
معاقد من أيديهم وأنوفهم | بكارا ونيباً تركب الحزن ظلعا

قال: وكان رجل من رهط العديل أيضاً ضرب يد وكيع أحد بني الطاغية، وهما يشربان، فقطعها وافترقا، ثم هرب العديل وأبوه إلى بني قيس بن سعد لما قال الشعر الأول يفخر بقطع أنف جبار ويد وكيع؛ لأنهم حلفوا أن يقطعوا أنفه ويده دون من فعل ذلك بهم، فلجأ إلى عفير بن جبير بن هلال بن مرة بن عبد الله بن معاوية بن عبد بن سعد بن جشم بن قيس بن عجل، فقال العديل في ذلك:

تركت وكيعاً بعدما شاب رأسه | أشل اليمين مستقيم الأخادع
فشرب بها ورق الإفال وكل بها | طعام الذليل وانجحر في المخادع

فقالت بنو قيس بن سعد للفرخ أبي العديل: يا فرخ؛ أنصف قومك، وأعطهم حقهم، فركب إليهم اعلفرخ، ومعه حسان بن وقاف ودينار "رجلان من بني الحارث" فأسرته بنو الطاغية، وانتزعوه من الرجلين، وتوجهوا به نحو البصرة، فرجع حسان ودينار إلى قومهما مستنفرين لهم، فركب النفير في طلب بني الطاغية، فأدركوا منهم رجلاً فأسروه بدل الفرخ. ثم إن عفيراً لحق بهم، فاشترى منهم الجراحة بسبعين بعيراً، وأخذ الفرخ منهم فأطلقه، فقال العديل في ذلك:

مازال في قيس بن سعد لجارهم | على عهد ذي القرنين معط ومانع
هم استنقذوا حسان قسراً وأنتم | لئام المقام والرماح شوارع
غدرتم بدينار وحسان غردة | وبالفرخ لما جاءكم وهو طائع
فلولا بنو قيس بن سعد لأصبحت | علي شداداً قبضهن الأصابع
ألا تسألون ابن المشتم عنهم | جعامة والجيران واف وظالع

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال: قال أبو النجم للعديل بن الفرخ: أرأيت قولك:

فإن تك من شيبان أمي فإنني | لأبيض عجلي عريض المفارق؟

أكنت شاكاً في نسبك حين قلت هذا؟ فقال له العديل: أفشككت في نفسك أو شعرك حين قلت:

أنا أبو النجم وشعري شعري | لله دري ما يجن صدري

فأمسك أبو النجم واستحيا العديل ومالك بن مسمع أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا الرياشي عن العتبي قال: حمل زياد إلى معاوية مالاً من البصرة، ففزعت تميم والأزد وربيعة إلى مالك بن مسمع،

وكانت ربيعة مجتمعة عليه كاجتماعها على كليب في حياته، واستغاثوا به، وقالوا: يحمل المال، ونبقى بلا عطاء فركب مالك بن ربيعة، واجتمع الناس إليه، فلحق بالمال فرده، وضرب فسطاطاً بالمربد، وأنفق المال في الناس حتى وفاهم عطاءهم، ثم قال: إن شئتم الآن أن تحملوا فاحملوا، فما راجعه زياد في ذلك بحرف، فلما ولي حمزة بن عبد الله بن الزبير البصرة جمع مالاً؛ ليحمله إلى أبيه، فاجتمع الناس إلى مالك، واستغاثوا به، ففعل مثل فعله بزياد، فقال العديل بن الفرخ في ذلك:

إذا ما خشينا من أمير ظلامة ... دعونا أبا غسان يوما فعسكرا

ترى الناس أفواجاً إلى باب داره ... إذا شاء جاءوا دار عين وحسرا

أمن منزل من أم سكن عشية ... ظللت به أبكى حزينا مفكراً

معي كل مسترخي الإزار كأنه ... إذا ما مشى من جن غيل وعبقرا

يزجي المطايا لا يبالي كلينهما ... مقلصة خوصا من الأين ضمرا

العديل شاعر بكر بن وائل أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني علي بن الحسن الشيباني قال: حدثني عبدة بن عصمة بن معبد القيسي قال: حدثني جدي أبو أمي فراس بن خندف، عن أبيه، عن جده علي بن شفيع قال: لقيت الفرزدق منصرفه عن بكر بن وائل؛ فقلت له: يا أبا فراس: من شاعر بكر بن وائل ممن خلفته خلفك؟ قال: أميم بني عجل - يعني العديل بن الفرخ - على أنه ضائع الشعر، سروق للبيوت.

مدح أو تحريض أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي عن إسحاق عن الهيثم بن عدي، عن حماد الراوية قال: لما قدم الحجاج العراق قال العديل بن الفرخ:

دعوا الجبن يا أهل العراق فإنما ... يهان ويسبى كل من لا يقاتل

لقد جرد الحجاج للحق سيفه ... ألا فاستقيموا لا يميلن مائل

وخافوه حتى القوم بين ضلوعهم ... كنزو القطا ضمت عليه الحبائل

وأصبح كالبازي يقلب طرفه ... على مرقب والطير منه دواحل

قال: فقال الحجاج - وقد بلغته - لأصحابه: ما تقولون؟ قالوا: نقول: إنه مدحك، فقال: كلا ولكنه حرض علي أهل العراق، وأمر بطلبه فهرب وقال:

أخوف بالحجاج حتى كأنما ... يحرك عظم في الفؤاد مهيض

ودون يدي الحجاج من أن تنالني ... بساط لأيدي الناعجات عريض

مهامه أشباه كأن سرابها ملاء بأيدي الغاسلات رحيض

فجد الحجاج في طلبه حتى ضاقت عليه الأرض، فأتى واسطاً، وتنكر، وأخذ رقعة بيده، ودخل إلى الحجاج في أصحاب المظالم، فلما وقف بين يديه أنشأ يقول:

هأنذا ضاقت بي الأرض كلها إليك وقد جولت كل مكان

فلو كنت في ثهلان أو شعبتي أجاً لخلتك إلا أن تصد تراني

فقال له الحجاج: العديل أنت؟ قال: نعم، أيها الأمير، فلوى قضيب خيزران كان في يده في عنقه، وجعل يقول: إيه

بساط لأيدي الناعجات عريض

فقال: لا بساط إلا عفوك، قال: اذهب حيث شئت: حوشب بن يزيد وعكرمة بن ربعي يتنازعان الشرف أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، عن ابن عياش قال: كان حوشب بن يزيد بن الحويرث بن رويم الشيباني وعكرمة بن ربعي البكري، يتنازعان الشرف، ويتباريان في إطعام الطعام ونحر الجزر في عسكر مصعب، وكاد حوشب يغلب عكرمة لسعة يده. قال: وقدم عبد العزيز بن يسار مولى بجير - قال؛ وهو زوج أم شعبة الفقيه - بسفائن دقيق، فأتاه عكرمة فقال له؛ الله الله في، قد كاد حوشب أن يستعليني، ويغلبني بماله، فبعني هذا الدقيق بتأخير، ولك فيه مثل ثمنه ربحاً، فقال: خذه، وأعطاه إياه فدفعه إلى قومه، وفرقه بينهم، وأمرهم بعجنه كله، فعجنوه كله، ثم جاء بالعجين كله، فجمعه في هوة عظيمة، وأمر به، فغطي بالحشيش، وجار برمكة، فقربوها إلى فرس حوشب، حتى طلبها، وأفلت، ثم ركضوها بين يديه وهو يتبعها، حتى ألقوها في ذلك العجين وتبعها الفرس، حتى تورطا في العجين وبقيا فيه جميعا، وخرج قوم عكرمة؛ يصيحون في العسكر: يا معشر المسلمين ادركوا فرس حوشب، فقد غرق في خميرة عكرمة فخرج الناس تعجباً من ذلك أن تكون خميرة يغرق فيها فرس، فلم يبق في العسكر أحد إلا ركب ينظر، وجاءوا إلى الفرس - وهو غريق في العجين ما يبين منه إلا رأسه وعنقه - فما أخرج إلا بالعمد والحبال، وغلب عليه عكرمة، وافتضح حوشب، فقال العديل بن الفرخ يمدحهما، ويفخر بهما:

وعكرمة الفياض فينا وحوشب هما فتيا الناس اللذا لم يغمرا

هما فتيا الناس اللذا لم ينلهما رئيس ولا الأقيال من آل حميرا

قال: وفي حوشب يقول الشاعر:

وأجود بالمال من حاتم وأحر للجزر من حوشب

شعر العديل بين السهل والفحل أخبرني محمد بن يونس الكاتب قال: حدثنا أحمد بن عبيد، عن الأصمعي قال: دخلت على الرشيد يوماً وهو محموم فقال: أنشدني يا أصمعي شعراً مليحاً، فقلت: أرصيناً فحلاً تريده يا أمير المؤمنين أم شجياً سهلاً؟ فقال: بل غزلاً بين الفحل والسهل، فأنشدته للعديل بن الفرخ العجلي:

صحا عن طلاب البيض قبل مشيبه ... وراجع غض الطرف فهو خفيض

كأني لم أرع الصبا ويروقني ... من الحي أحوى المقلتين غضيض

دعاني له يوما هوى فأجابه ... فؤاد إذا يلقى المراض مريض

لمستأنسات بالحديث كأنه ... تهلل غر برقهن وميض

فقال لي: أعدها، فمازلت أكررها عليه، حتى حفظها.

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدثني الرياشي، عن محمد بن سلام، قال: موته ورثاء الفرزدق له قدم العديل بن الفرخ البصرة، ومدح مالك بن مسمع الجحدري، فوصله، فأقام بالبصرة، واستطابها، وكان مقيماً عند مالك، فلم يزل بها إلى أن مات، وكان ينادم الفرزدق، ويصطحبان فقال الفرزدق يرثيه:

وما ولدت مثل العديل حليلة ... قديما ولا مستحدثات الحلائل

ومازال مذ شدت يداه إزاره ... به تفتح الأبواب بكر بن وائل

صوت

إني بدهماء عز ما أجد ... عاودني من حبابها زود

عاودني حبها وقد شحطت ... صرف نواها فإنني كمد

قوله: "عز ما أجد" أي. شد ما أجد. وحبابها: حبها، وهو واحد ليس بجمع؛ والزود: الفزع والذعر. وصرف نواها: الوجه الذي تصرف إليه قصدها إذا نأت. والكمد: شدة الحزن.

الشعر لصخر الغي الهذلي، هكذا ذكر الأصمعي وأبو عمرو الشيباني، وذكر إسحاق عن أبي عبيدة أنه رأى جماعة من شعراء هذيل يختلفون في هذه القصيدة فيرويها بعضهم لصخر الغي، ويرويها بعضهم لعمرو ذي الكلب، وأن الهيثم بن عدي حدثه عن حماد الراوية أنها لعمرو ذي الكلب.

أخبار صخر الغي ونسبه

اسمه ونسبه هو صخر بن عبد الله الخيشمي، أحد بني خيثم بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل. هذا أكثر ما وجدته من نسبه، ولقب بصخر الغي لخلاعته، وشدة بأسه، وكثرة شره.

فمن روى هذه القصيدة له، ذكر أن السبب فيها أن جاراً لبني خناعة بن سعد بن هذيل من بني الرمداء كان جاورهم رجل من بني مزينة، وقيل: إنه كان جاراً لأبي المثلم الشاعر، وهو أخوهم، فقتله صخر الغي فمشى أبو المثلم إلى قومه، وبعثهم على مطالبته بدم جارهم المزني والإدراك بثأره، فبلغ ذلك صخراً فقال هذه القصيدة يذكر أبا المثلم وما فعله، فأولها البيتان اللذان فيهما الغناء وفيها يقول:

ولست عبداً للموعدين ولا ... أقبل ضيماً أتى به أحد

جاءت كبير كيما أخفرها ... والقوم سيد كأنهم رمدوا

في المزني الذي حششت به ... مال ضريك تلاده نكد

إن أمتسكه فبالفداء وإن ... أقتل بسيفي فإنه قود

ولصخر وأبي المثلم في هذا مناقضات وقصائد قالاها، وأجاب كل واحد منهما صاحبه، يطول ذكرها وليس من جنس هذا الكتاب.

الأعلم العداء وحكى الأثرم عن أبي عبيدة أنه حدث عن عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال: كان الأعلم أخو صخر الغي أحد صعاليك هذيل، وكان يعدو على رجليه عدواً لا يلحق، واسمه حبيب بن عبد الله، فخرج هو وأخواه صخر وصخير، حتى أصبحوا تحت جبل يقال له السطاع، في يوم من أيام الصيف شديد الحر، وهو متنأبط قربة لهم فيها ماء، فأيبستها السموم، وعطشوا حتى لم يكادوا أن يبصروا من العطش، فقال الأعلم لصاحبيه: أشرب من القربة لعلي أن أرد الماء فأروى منه وانتظراني مكانكما، وكانت بنو عدي بن الديل على ذلك الماء وهو ماء الأطواء، يتفيئون بنخل متأخر عن الماء قدر رمية سهم. فأقبل يمشي متلثماً، وقد وضع سيفه وقوسه ونبله فيما بينه وبين صاحبه، فلما برز للقوم مشى رويداً مشتملاً، فقال بعض القوم: من ترون الرجل؟ فقالوا: نراه بعض بني مدلج بن مرة.

ثم قالوا لبعضهم: الق الفتى، فاعرفه، فقال لهم: ما تريدون بذلك الرجل؟ هو آتيكم إذا شرب، فدعوه فليس بمفيتناً، فأقبل يمشي حتى رمى برأسه في الحوض مدبراً عنهم بوجهه، فلما روي أفرغ على رأسه من الماء، ثم أعاد نقابه، ورجع في طريقه رويداً، فصاح القوم بعبد لهم كان على الماء: هل عرفت الرجل الذي صدر؟ قال: لا، فقالوا: فهل رأيت وجهه؟ قال: نعم، هو مشقوق الشفة، فقالوا: هذا الأعلم، وقد صار بينه وبين الماء مقدار رمية سهم آخر، فعدوا في أثره، وفيهم رجل يقال له: جذيمة ليس في القوم مثله عدواً، فأغروه به، وطردوه فأعجزهم، ومر على سيفه وقوسه ونبله، فأخذه، ثم مر بصاحبيه فصاح بهما فضبرا معه، فأعجزوهم، فقال الأعلم في ذلك:

لما رأيت القوم بال ... علياء دون قدي المناصب

وفريت من فزع فلا ... أرمي ولا ودعت صاحب

يغرون صاحبهم بنا جهداً وأغري غير كاذب
أغري أخي صخرا ليع جزهم ومدوا بالحلائب
وخشيت وقع ضريبة قد جربت كل التجارب
فأكون صيدهم بها وأصير للضبع السواغب
جزراً وللطير المرب ة والذئاب وللثعالب

وهي قصيدة طويلة.

صوت صخر يرثي أخاه أبا عمرو وقالوا جميعاً: خرج صخر الغي وأخوه أبو عمرو في غزاة لهما، فباتا في أرض رملة، فنهشت أخاه أبا عمرو حية، فمات، فقال يرثيه:

لعمر أبي عمرو لقد ساقه المنا إلى جدث يوزي له بالأهاضب
لحية جحر في وجار مقيمة تنمى بها سوق المنا والجوالب
أخي لا أخا لي بعده سبقت به منيته جمع الرقي والطبائب
وذلك مما يحدث الدهر إنه له كل مطلوب جثيث وطالب

يوزي له: يمني له. والإزاء: مهراق الدلو. والأهضب: الجبال

وقالا الأثرم عن أبي عبيدة: خرج صخر الغي في طائفة من قومه يقدمها خوفاً من أبي المثلم، فأغار على بني المصطلق من خزاعة، فانتظر بقية أصحابه، ونذرت به بنو المصطلق، فأحاطوا به فقال:

لو أن أصحابي بنو معاوية أهل جنوب النخلة الشامية
ورهط دهمان ورهط عادية ما تركوني للذئب العاوية

وجعل يرميهم ويرتجز ويقول:

لو أن أصحابي بنو خناعة أهل الندى والمجد والبراعه
تحت جلود البقر القراعة لمنعوا من هذه اليراعه

وقال أيضاً وهو يقاتلهم:

لو أن حولي من قريم رجلاً بيض الوجوه يحملون النبلا
لمنعوني نجدة ورسلا سفع الوجوه لم يكونوا عزلا

مقتل صخر ورثاؤه يقول: منعوني بنجدة وشدة وعلى رسلهم بأهون سعي. قال: فلم يزل يقاتلهم حتى قتلوه وبلغ ذلك أبا المثلم، فقال يرثيه: رثاء أبي المثلم له

لو كان للدهر مال عند متلده لكان للدهر صخر مال قنيان

آبي الهضيمة آت بالعظيمة مت لاف الكريمة لا سقط ولا واني

حامي الحقيقة نسال الوديقة مع تاق الوسيقة جلد غير ثنيان

رقاء مرقبة، مناع مغلبة ركاب سلهبة، قطاع أقران

هباط أودية شهاد أندية حمال ألوية سرحان فتيان

السرحان: الأسد في لغة هذيل وفي كلام غيرهم الذئب

يحمي الصحاب إذا جد الضراب ويك في القائلين إذا ما كبل العاني

فيترك القرن مصفراً أنامله كأن في ريطتيه نضخ إرقان

الإرقان: اليرقان، يعني صفرته

يعطيك ما لا تكاد النفس تسلمه من التلاد وهوب غير منان

نسب عمرو ذي الكلب وأخباره

اسمه ونسبه هو عمرو بن العجلان بن عامر بن برد بن منبه، أحد بني كاهل بن لحيان بن هذيل.

قال السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي: إنما سمي ذا الكلب لأنه كان له كلب لا يفارقه.

وعن الأثرم عن أبي عبيدة أنه قال: لم يكن له كلب لا يفارقه، إنما خرج غازياً ومعه كلب يصطاد به، فقال له أصحابه: يا ذا الكلب، فثبتت عليه.

قال: ومن الناس من يقول له عمرو الكلب، ولا يقول فيه: "ذو".

قال: وكان يغزو بني فهم غزواً متصلاً، فنام ليلة في بعض غزواته، فوثب عليه نمران فأكلاه فادعت فهم قتله، هكذا في هذه الرواية.

عمرو ذو الكلب وأم جليحة وقد أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا أبو سعيد السكري، عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة عن ابن الأعرابي عن المفضل وغيرهم من الرواة قالوا: كان من حديث عمرو ذي الكلب الهذلي - وكان من رجالهم - أنه كان قد عليق امرأة من فهم يقال لها: أم جليحة، فأحبها وأحبته، وكان أهلها قد وجدوا عليها وعليه، وطلبوا دمه، إلى أن جاءها عاماً من ذلك، فنذروا به، فخرجوا في أثره، وخرج هارباً منهم فتبعوه يومهم ذلك، وهم على أثره، حتى أمسى، وهاجت عليه ريح شديدة في ليلة ظلماء، فبينا هو يسير على ظهر الطريق إذ رأى ناراً عن يمينه، فقال: أخطأت والله الطريق وإن النار لعلى الطريق، فحار وشك، وقصد للنار، حتى أتاها، وقد كان يصيح، فإذا رجل قد أوقد ناراً ليس معه أحد، فقال له عمرو ذو الكلب: من أنت؟ قال: أنا رجل من عدوان، قال، فما اسم هذا المكان؟ قال السد، فعلم أنه قد هلك

وأخطأ - والسد شيء لا يجاوز - قال: ويلك! فلم أوقدت، فوالله ما تشتوي، ولا تصطلي، وما أوقدت إلا لمنية عمرو الشقي، هل عندك شيء تطعمني؟ قال: نعم، فأخرج له ثمرات قد نقاها في يده، فلما رآها قال: ثمرات، تتبعها عبرات من نساء خفرات، ثم قال: اسقني، قال: ماذا؟ ألبنا؟ قال: لا، ولكن اسقني ماء قراحاً، فإني مقتول صباحاً، ثم انطلق، فأسند في السد، ورأى القوم الذين جاءوا في طلبه أثره، حيث أخطأ، فاتبعوه، حتى وجدو فدخل غاراً في السد، فلما ظهروا للسد علموا أنه في الغار فنادوه، فقالوا: يا عمرو، قال: ما تشاءون؟ قالوا: اخرج، قال: فلم دخلت إذن؟ قالوا: بلى، فاخرج، قال: لا أخرج، قالوا: فأنشدنا قولك:

ومقعد كربة قد كنت منها ... مكان الإصبعين من القبال

قال: ها هي ذه أنا فيها. قال: وعن له رجل من القوم، فرماه عمرو فقتله، فقالوا: أقتلته يا عدو الله؟ أجل، ولقد بقيت معي أربعة أسهم كأنها أنياب أم جليحة لا تصلون إلي أو أقتل بكل سهم منها رجلا منكم، فقالوا لعبدهم: يا أبا نجاد، أدخل عليه، وأنت حر، فتهيأ للدخول أبو نجاد عليه، فقال له عمرو: ويلك! يا أبا نجاد، ما ينفعك أن تكون حراً إذا قتلتك؟ فنكص عنه، فلما رأوا ذلك صعدوا، فنقبوا عليه، ثم رموه حتى قتلوه، وأخذوا سلبه، فرجعوا به إلى أم جليحة وهي تتشوف، فلما رأوها قال لها: يا أم جليحة، ما رأيك في عمرو، قالت: رأيي والله أنكم طلبتموه سريعاً، ووجدتموه منيعاً، ووضعتموه صريعاً؟ فقالوا: والله لقد قتلناه، فقالت: والله ما أراكم فعلتم، ولئن كنتم فعلتم، لرب ثدي منكم قد افترشه، وضب قد احترشه، فطرحوا إليها ثيابه، فأخذتها، فشمتها، فقالت: ريح عطر وثوب عمرو، أما والله ما وجدتموه ذا حجزة جافية، ولا عانة وافية، ولا ضالة كافية.

أخته ترثيه وقالت ريطة أخت عمرو ذي الكلب ترثيه:

كل امرىء لمحال الدهر مكروب ... وكل من غالب الأيام مغلوب

وكل حي وإن غزوا وإن سلموا ... يوما طريقهم في الشرد عبوب

أبلغ هذيلا وأبلغ من يبلغها ... عني رسولاً وبعض القول تكذيب

بأن ذا الكلب عمراً خيرهم نسباً ... ببطن شريان يعوي حوله الذيب

الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها ... مثعنجر من نجيع الجوف أسكوب

والتارك القرن مصفراً أنامله ... كأنه من نقيع الورس مخضوب

تمشي النسور إليه وهي لاهية ... مشي العذارى عليهن الجلابيب

والمخرج العاتق العذراء مذعنة ... في السبي ينفح من أردانها الطيب

صوت

يا دار عمرة من محتهلها الجرعا هاجت لي الهم والأحزان والوجعا

أرى بعيني إذا مالت حمولتهم بطن السلوطح لا ينظرون من تبعا

طوراً اراهم وطوراً لا أبينهم إذا ترفع حذج ساعة لمعا

الشعر للقيط الأيادي ينذر قومه قصد كسرى لهم، والغناء لكردم بن معبد هزج بالبنصر من روايتي حبش والهشامي.

خبر لقيط ونسبه والسبب في قوله الشعر

اسمه ونسبه هو لقيط بن يعمر. شاعر جاهلي قديم مقل، ليس يعرف له شعر غير هذه القصيدة وقطع من الشعر لطاف متفرقة.

غزو كسرى لإياد أخبرني بخبر هذا الشعر عمي قال: حدثني القاسم بن محمد الأنباري قال: حدثني أحمد بن عبيد قال: حدثني الكلبي عن الشرق بن القطامي قال: كان سبب غزو كسرى إياداً أن بلادهم أجدبت، فارتحلوا حتى نزلوا بسنداد ونواحيها، فأقاموا بها دهراً حتى أخصبوا وكثروا، وكانوا يعبدون صنماً يقال له: ذو الكعبين، وعبدته بكر بن وائل من بعدهم، فانتشروا ما بين سنداد إلى كاظمة وإلى بارق والخورنق، واستطالوا على الفرات، حتى خالطوا أرض الجزيرة، و لم يزالوا يغيرون على ما يليهم. من أرض السواد، ويغزون ملوك آل نصر، حتى أصابوا امرأة من أشراف العجم كانت عروساً قد هديت إلى زوجها، فولي ذلك منها سفهاؤهم وأحداثهم، فسار إليهم من كان يليهم من الأعاجم، فانحازت إياد إلى العراق وجعلوا يعبرون إبلهم في القراقير ويقطعون بها الفرات وجعل راجزهم يقول:

بئس مناخ الحلقات الدهم في ساحة القرقور وسط اليم

وعبروا الفرات، وتبعهم الأعاجم، فقالت كاهنة من إياد تسجع لهم:

إن يقتلوا منكم غلاماً سلما أو يأخذوا ذاك شيخاً هما

تخضبوا نحورهم دماً وتروا منهم سيوفاً ظما

فخرج غلام منهم يقال له ثواب بن محجن بإبل لأبيه فلقيته الأعاجم، فقتلوه، وأخذوا الإبل ولقيتهم إياد في آخر النهار، فهزمت الأعاجم.

قال: وحدثني بعض أهل العلم أن إياداً بينت ذلك الجمع حين عبروا شط الفرات الغربي، فلم يفلت منهم إلا القليل، وجمعوا به جماجمهم وأجسادهم، فكانت كالتل العظيم، وكان إلى جانبهم دير، فسمي دير الجماجم، وبلغ كسرى الخبر، فبعث مالك بن حارثة: أحد بني كعب بن زهير بن جشم في آثارهم، ووجه معه أربعة

آلاف من الأساورة. فكتب إليهم لقيط.

يا دار عمرة من محتلها الجرعا هاجت لي الهم والأحزان والوجعا

وفيها يقول - قال الشرقي بن القطامي أنشدنيها أبو حمزة الثمالي :

يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيراً على نسائكم كسرى وما جمعا
هو الجلاء الذي تبقى مذلته إن طار طائركم يوماً وإن وقعا
هو الفناء الذي يجتث أصلكم فمن رأى مثل ذا رأيا ومن سمعا
فقلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفاً إن رخاء العيش ساعده ولا إذا حل مكروه به خشعا
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه هم يكاد حشاه يقطع الضلعا
مسهد النوم تعنيه ثغوركم يروم منها إلى الأعداء مطلعا
ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره يكون متبعاً طوراً ومتبعا
فليس يشغله مال يثمره عنكم ولا ولد يبغى له الرفعا
حتى استمرت على شزر مريرته مستحكم السن لا قحما ولا ضرعا
كمالك بن قنان أو كصاحبه زيد القنا حين لاقى الحارثين معا
إذ عابه عائب يوماً فقال له: دمث لجنبك قبل الليل مضطجعا
فساوره فألفوه أخا علل في الحرب يختتل الرئبال والسبعا
عبل الذراع أبيا ذا مزابنة في الحرب لا عاجزا نكسا ولا ورعا
مستنجداً يتحدى الناس كلهم لو صارعوه جميعاً في الورى صرعا
هذا كتابي إليكم والنذير لكم لمن رأى الرأي بالإبرام قد نصعا
وقد بذلت لكم نصحي بلا دخل فاستيقظوا إن خير العلم ما نفعا

وجعل عنوان الكتاب:

سلام في الصحيفة من لقيط إلى من بالجزيرة من إياد
بأن الليث كسرى قد أتاكم فلا يحبسكم سوق النقاد

موقعه مرج الأكم قال: وسار مالك بن حارثة التغلبي بالأعاجم حتى لقي إياداً، وهم غارون لم يلتفتوا إلى قول لقيط وتحذيره إياهم ثقة بأن كسرى لا يقدم عليهم. فلقيهم بالجزيرة في موضع يقال له مرج الأكم، فاقتتلوا قتالاً شديداُ، فظفر بهم، وهزمهم، وأنقذ ما كانوا أصابوا من الأعاجم يوم الفرات، ولحقت إياد بأطراف الشأم و لم تتوسطها خوفاً من غسان يوم الحارثين، ولاجتماع قضاعة وغشان في بلد خوفاً من أن يصيروا يداً واحدة عليهم فأقاموا، حتى أمنوا. ثم إنهم تطرفوهم إلى أن لحقوا بقومهم ببلد الروم بناحية أنقرة، ففي ذلك يقول الشاعر:

حلوا بأنقرة يسيل عليهم ماء الفرات يجيء من أطواد

صوت

اللبين يا ليلى جمالك ترحل ليقطع منا البين ما كان يوصل؟

تعللنا بالوعد ثمت تلتوي بموعودها حتى يموت المعلل

ألم تر أن الحبل أصبح واهناً وأخلف من ليلى الذي كنت آل

فلا الحبل من ليلى يؤاتيك وصله ولا أنت تنهى القلب عنها فيذهل

عروضه من الطويل، الشعر لنصيب الأصغر مولى المهدي، والغناء ليحيى المكي خفيف رمل بالبنصر، وكذا نسبته تدل عليه.

وذكر عمرو بن بانة في نسخته أن خفيف الرمل لمالك وأنه بالوسطى، والصحيح أنه لابن المكي.

الجزء الثالث والعشرين

أخبار نصيب الأصغر

نصيب مولى المهدي، عبد نشأ باليمامة، واشتري للمهدي في حياة المنصور، فلما سمع شعره قال: والله ما هو بدون نصيب مولى بني مروان، فأعتقه، وزوجه أمة يقال لها: جعفرة. وكناه أبا الحجناء، وأقطعه ضيعة بالسواد، وعمر بعده.

وهذه القصيدة يمدح بها هارون الرشيد، وهي من جيد شعره، وفيها يقول:

خليلي إني ما يزال يشوقني قطين الحمى والظاعن المتحمل

فأقسمت لا أنسى ليالي منعح ولا مأسل إذ منزل الحي مأسل

أمن اجل آيات ورسم كأنه بقية وحي أو رداء مسلسل

جرى الدمع من عينيك حتى كأنه تحدر در أو جمان مفصل

فيأيها الزنجي مالك والصبا أفق عن طلاب البيض إن كنت تعقل

فمثلك من أحبوشة الزنج قطعت وسائل أسباب بها يتوسل

قصدنا أمير المؤمنين ودونه مهامه موماة من الأرض مجهل

على أرحبيات طوى السير فانطوت شمائلها مما تحل وترحل

إلى ملك صلت الجبين كأنه صفيحة مسنون جلا عنه صيقل

إذا انبلج البابان والستر دونه بدا مثل ما يبدو الأغر المحجل

شريكان فينا منه عين بصيرة كلوء وقلب حافظ ليس يغفل

فما فات عينيه وعاه بقلبه فآخر ما يرعى سواء وأول

وما نازعت فينا أمورك هفوة ولا خطلة في الرأي والرأي يخطل

إذا اشتبهت أعناقه بينت له معارف في أعجازه وهو مقبل

لئن نال عبد الله قبل خلافة لأنت من العهد الذي نلت أفضل

وما زادك العهد الذي نلت بسطة ولكن بتقوى الله أنت مسربل

ورثت رسول الله عضواً ومفصلاً وذا من رسول الله عضو ومفصل
إذا ما دهتنا من زمان ملمة فليس لنا إلا عليك المعول
على ثقة منا تحن قلوبنا إليك كما كنا أباك نؤمل

وهي قصيدة طويلة، هذا مختار من جميعها.

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد. قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك، قال: حدثني أبي، قال: وجه المهدي نصيباً الشاعر مولاه إلى اليمن في شراء إبل مهرية، ووجه معه رجلاً من الشيعة، وكتب معه إلى عامله على اليمن بعشرين ألف دينار، قال: فمد أبو الحجناء يده في الدنانير ينفقها في الأكل والشرب، وشراء الجواري والتزويج، فكتب الشيعي بخبره إلى المهدي، فكتب المهدي في حمله موثقاً في الحديد.

فلما دخل على المهدي أنشده شعره، وقال:

تأوبني ثقل من الهم موجع فأرق عيني والخليون هجع
هموم توالت لو أطاف يسيرها بسلمى لظلت شمها تتصدع
ولكنها نيطت فناء بحملها جهير المنايا حائن النفس مجزع
وعادت بلاد الله ظلماء جندساً فخلت دجى ظلمائها لا تقشع

وهي قصيدة طويلة يقول فيها:

إليك أمير المؤمنين ولم أجد سواك مجيراً منك يدنى ويمنع
تلمست هل من شافع لي فلم أجد سوى رحمة أعطاكها الله تشفع
لئن جلت الأجرام مني وأفظعت لعفوك عن جرمي أجل وأوسع
لئن لم تسعني يا بن عم محمد لما عجزت عني وسائل أربع
طبعت عليها صبغة ثم لم تزل على صالح الأخلاق والدين تطبع
تغابيك عن ذي الذنب ترجو صلاحه وأنت ترى ما كان يأتي ويصنع
وعفوك عمن لو تكون جريمة لطارت به في الجو نكباء زعزع
وأنك لا تنفك تنعش عاثراً ولم تعترضه حين يكبو ويخمع
وحلمك عن ذي الجهل من بعدما جرى به عنق من طائش الجهل أشنع
ففيهن لي إما شفعن منافع وفي الأربع الأولى إليهن أفزع

مناصحتي بالفعل إن كنت نائياً ... إذا كان دان منك بالقول يخدع
وثانية ظني بك الخير غائباً ... وإن قلت عبد ظاهر الغش مسبع
وثالثة أني على ما هويته ... وإن كثر الأعداء في وشنعوا
ورابعة أني إليك يسوقني ... ولائي فمولاك الذي لا يضيع
وإني لمولاك الذي إن جفوته ... أتى مسكيناً راهباً يتضرع
وإني لمولاك الضعيف فأعفني ... فإني لعفة منك أهل وموضع

فقطع المهدي عليه الإنشاد، ثم قال له: ومن أعتقك يا بن السوداء! فأومأ بيده إلى الهادي، وقال: الأمير موسى يا أمير المؤمنين، فقال المهدي لموسى: أعتقته يا بني؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. فأمضى المهدي ذلك وأمر بحديده، ففك عنه، وخلع عليه عدة من الخلع الوشي والخز والسواد والبياض، ووصله بألفي دينار، وأمر له بجارية يقال لها: جعفرة جميلة فائقة من روقة الرقيق.

فقال له سالم قيم الرقيق: لا أدفعها إليك أو تعطيني ألف درهم، فقال قصيدته:

أآذن الحي فانصاعوا بترحال ... فهاج بينهم شوقي وبلبالي

وقام بها بين يدي المهدي فلما قال:

ما زلت تبذل لي الأموال مجتهداً ... حتى لأصبحت ذا أهل وذا مال
زوجتني يا بن خير الناس جارية ... ما كان أمثالها يهدى لأمثالي
زوجتني بضة بيضاء ناعمة ... كأنها درة في كف لآل
حتى توهمت أن الله عجلها ... يا بن الخلائف لي من خير أعمالي
فسألني سالم ألفاً فقلت له ... أنى لي الألف يا قبحت من سال!

- أراد: من سائل، كما قالوا: شاكي السلاح وشائك -:

هيهات ألفك إلا أن أجيء بها ... من فضل مولى لطيف المن مفضال

فأمر له المهدي بألف دينار ولسالم بألف درهم.

قال ابن أبي سعد وحدثني غير محمد بن عبد الله: أنه حبس باليمن مدة طويلة، ثم أشخص إلى المهدي، فقال وهو في الحبس، ودخلت إليه ابنته حجناء، فلما رأت قيوده بكت، فقال:

لقد أصبحت حجناء تبكي لوالد ... بدرة عين قل عنه غناؤها
أحجناء صبراً، كل نفس رهينة ... بموت ومكتوب عليها بلاؤها

أحجناء أسباب المنايا بمرصد فإلا يعاجل غدوها فمساؤها

أحجناء إن أفلت من السجن تلقني حتوف منايا لا يرد قضاؤها

أحجناء إن أضحى أبوك ودلوه تعرت عراً منها ورث رشاؤها

لقد كان يدلى في رجال كثيرة فيمتح ملأى وهي صفر دلاؤها

أحجناء إن يصبح أبوك ونفسه قليل تمنيها قصير عزاؤها

لقد كان في دنيا تفيأ ظلها عليه ومجلوب إليه بهاؤها

قال ابن أبي سعد: ولما دخل نصيب على المهدي مقيداً رفده ثمامة بن الوليد العبسي عمده واستعطفه له، وسوغ عذره عنده، و لم يزل يرقق به، حتى أمر بإطلاقه، وكان نصيب في متقدم الأيام منقطعاً إلى أخيه شيبة فقال فيه:

أثمام إنك قد فككت ثماما حلقا برين من النصيب عظاما

حلقاً توسطها العمود فلزها لولا ثمامة والإله لداما

الله أنقذني به من هوة تيهاء مهلكة تكون رجاما

فلأشكرنك يا ثمامة ما جرت فرق السحاب كنهوراً وركاما

ولأشكرنك يا ثمامة ما دعت ورق الحمام على الغصون حماما

وخلفت شيبة في المقام ولا أرى كمقام شيبة في الرجال مقاما

أغنى إذا التمس الرجال غناءه في كل نازلة تكون غراما

وأعم منفعة وأكرم حائطاً تهدي إليه تحية وسلاما

لا يبعدن ابن الوليد فإنه قد نال من كل الأمور جساما

لو من سوى رهط النبي خليفة يدعى لكان خليفة وإماما

قال ابن أبي سعد: ودخل نصيب على ثمامة بعد وفاة أخيه شيبة، وهو يفرق خيله على الناس، فأمر له بفرس منها؛ فأبى أن يقبله؛ وبكى، ثم قال:

يا شيبة الخير إما كنت لي شجناً آليت بعدك لا أبكي على شجن

أضحت جياد أبي القعقاع مقسمة في الأقربين بلا من ولا ثمن

ورثتهم فتعزوا عنك إذ ورثوا وما ورثتك غير الهم والحزن

فجعل ثمامة ومن عنده حاضر من أهله وإخوانه يبكون.

وشيبة بن الوليد هذا وأخوه من وجوه قواد المهدي.

وفي شيبة يقول أبو محمد اليزيدي يهجوه، وكان عارضه في شيء من النحو بحضرة المهدي:

عش بجد فلن يضرك نوك ... إنما عيش من ترى بالجدود

عش بجد وكن هبنقة القي ... سي جهلاً أو شيبة بن الوليد

أخبرنا بذلك محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عن أبيه.

أخبرني عمي قال: حدثنا القاسم بن محمد الأنباري، قال: حدثنا عبد الله بن بشر البجلي عن النضر بن طاهر قال: أتى نصيب مولى المهدي عبد الله بن محمد بن الأشعث، وهو يتقلد صنعاء للمهدي، فمدحه، فلم يثبه، واستكساه برداً فلم يكسه، فقال يهجوه:

سأكسوك من صنعاء ما قد كسوتني ... مقطعة تبقى على قدم الهر

إذا طويت كانت فضوحك طيها ... وإن نشرت زادتك خزياً على النشر

أغرك أن بيضت بيت حمامة ... وقلت :أنا شبعان منتفخ الخصر

لقد كنت في سلح سلحت مخافة ال ... حرورية الشارين داع إلى الضر

ولكنه يأبى بك البهر كلما ... جريت مع الجاري وضيق من الصدر

قال النضر: وكان النصيب ملعوناً، هجاء، فأهدى للربيع بن عبد الله بن الربيع الحارثي فرساً فقبله، ثم ندم خوفاً من ثقل الثواب، فجعل يعيب الفرس، ويذكر بطأه وعجزه، فبلغ ذلك النصيب، فقال:

أعبت جوادنا ورغبت عنه ... وما فيه لعمرك من معاب

وما بجوادنا عجز ولكن ... أظنك قد عجزت عن الثواب

فأجابه الربيع فقال:

رويدك لا تكن عجلاً إلينا ... أتاك بما يسوءك من جواب

وجدت جوادكم فدماً بطيئاً ... فما لكم لدينا من ثواب

فلما كان بعد أيام رأى النصيب الفرس تحت الربيع فقال له:

أخذت مشهراً في كل أرض ... فعجل يا ربيع مشهرات

يمانية تخيرها يمان ... منمنمة البيوت مقطعات

وجارية أضلت والديها ... مولدة وبيضاً وافيات

فعجلها وأنفذها إلينا ودعنا من بنات الترهات

فأجابه الربيع فقال:

بعثت بمقرف حطم إلينا بطيء الحضر ثم تقول: هات

فقال النصيب:

في سبيل الله أودى فرسي ثم عللت بأبيات هزج

كنت أرجو من ربيع فرجاً فإذا ما عنده لي من فرج

بيض الدراهم بد بيض الغواني: قال: ثم خرج الربيع إلى مكة، وقد كان وعد النصيب جارية، فلم يعطه، وأمر ابنه أن يدفع إليه ألفي درهم ففعل، فقال النصيب:

ألا أبلغا عني الربيع رسالة ربيع بني عبد المدان الأكارم

أعزت عليك البيض لما أرغتها فرغت إلى إعداد بيض الدراهم

ألم تر أني غير مستطرف الغنى حديث وأني من ذؤابة هاشم؟

وأنك لم تهبط من الأرض تلعة ولا نجوة إلا بعهدي وخاتمي

قال: ثم قدم الربيع فأهدى إلى دفافة بن عبد العزيز العبسي طبق تمر، فقال فيه دفافة:

بعثت بتمر في طبيق كأنما بعثت بياقوت توقد كالجمر

فلو أن ما تهدي سنياً قبلته ولكنما أهديت مثلك في القدر

كأن الذي أهديت من بعد شقة إلينا من الملقى على ضفة الجسر

فأجابه الربيع فقال:

سل الناس إما كنت لا بد طالباً إليهم بألا يحملوك على القدر

فإنك إن تحمل على القدر لا تنل يد الدهر من بر فتيلاً ولا بحر

لقد كنت مني في غدير وروضة وفي عسل جم وما شئت من خمر

وما كنت مناناً لكن كفرتني وأظهرت لي ذماً فأظهرت من عذري

لعمري لقد أعطيت ما لست أهله ولا أهل ما يلقى على ضفة الجسر

فبلغت أبياتهما نصيباً، فشمت بالربيع، وقال فيه هذه القصيدة:

رضيتكما حرصاً ومنعاً ولم يكن يهيجكما إلا الحقير من الأمر

متى يجتمع يوماً حريص ومانع فليس إلى حمد سبيل ولا أجر

أحار بن كعب إن عبساً تغلغلت إلى السير من نجران في طلب التمر
فكيف ترى عبساً وعبس حريصة إذا طمعت في التمر من ذلك العبر
لقد كنتما في التمر لله أنتما شبيهين بالملقى على ضفة الجسر

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي، قال: حدثت من غير وجه:
أن النصيب دخل على الفضل بن يحيى بن خالد مسلماً، فوجد عنده جماعة من الشعراء قد امتدحوه، فهم ينشدونه، ويأمر لهم بالجوائز، و لم يكن امتدحه، ولا اعد له شيئاً. فلما فرغوا - وكان يروى قولاً في نفسه - استأذن في الإنشاد، ثم أنشد قصيدته التي أولها قوله:

طرقتك مية والمزار شطيب وتثيبك الهجران وهي قريب
لله مية خلة لو أنها تجزي الوداد بؤدها وتثيب
وكأن مية حين أتلع جيدها رشاً أغن من الظباء ربيب
نصفان ما تحت المؤزر عاتك دعص أغر وفوق ذاك قضيب
ما للمنازل لا تكاد تجيب أني يجيبك جندل وجبوب
جادتك من سبل الثريا ديمة ريا ومن نوء السماك ذنوب
فلقد عهدت بك الحلال بغبطة والدهر غض والجناب خصيب
إذ للشباب علي من ورق الصبا ظل وإذ غصن الشباب رطيب
طرب الفؤاد ولات حين تطرب إن الموكل بالصبا لطروب
وتقول مية ما لمثلك والصبا واللون أسود حالك غربيب؟
شاب الغراب وما أراك تشيب وطلابك البيض الحسان عجيب
أعلاقة أسبابهن وإنما أفنان رأسك فلفل وزبيب
لا تهزئي مني فربت عائب ما لا يعيب الناس وهو معيب
ولقد يصاحبني الكرام وطالما يسمو إلي السيد المحجوب
وأجر من حلل الملوك طرائفا منها علي عصائب وسبيب
وأسالب الحسناء فضل إزارها فأصورها وإزارها مسلوب
وأقول منقوح البدي كأنه برد تنافسه التجار قشيب

يقول فيها في مدح الفضل:

والبرمكي إذا تقارب سنه ... أو باعدته السن فهو نجيب

خرق العطاء إذا استهل عطاؤه ... لا متبع منا ولا محسوب

يا آل برمك ما رأينا مثلكم ... ما منكم إلا أغر وهوب

وإذا بدا الفضل بن يحيى هبته ... لجلاله إن الجليل مهيب

قاد الجياد إلى العدا وكأنها ... رجل الجراد تسوقهن جنوب

قبا تباري في الأعنة شزبا ... تدع الحزون كأنهن سهوب

من كل مضطرب العنان كأنه ... ذئب يبادره الفريسة ذيب

تهوي بكل مغاور عاداته ... صدق اللقاء فما له تكذيب

حتى صبحن الطالبي بعارض ... فيه المنايا تغتدي وتثوب

خاف ابن عبد الله ما خوفته ... فجفاك ثم أتاك وهو منيب

ولقد رآك الموت إلا أنه ... بالظن يخطئ مرة ويصيب

فرمى إليك بنفسه فنجا بها ... أجل إليه ينتهي مكتوب

فكسوته ثوب الأمان وإنه ... لا حبله واه ولا مقضوب

شمنا إليك مخيلة لا خلباً ... في الشيم إذ بعض البروق خلوب

إنا على ثقة وظن صادق ... مما نؤمله فليس نخيب

يجيزه الفضل فيشكره شعراً: قال: فاستحسنها الفضل، وأمر له بثلاثين ألف درهم، فقبضها، ووثب قائماً، وهو يقول:

إني سأمتدح الفضل الذي حنيت ... منا عليه قلوب البر والضلع

جاد الربيع الذي كنا نؤمله ... فكلنا بربيع الفضل مرتبع

كانت تطول بنا في الأرض نجعتنا ... فاليوم عند أبي العباس ننتجع

إن ضاق مذهبنا أو حل ساحتنا ... ضنك وأزم فعند الفضل متسع

ما سلم الله نفس الفضل من تلف ... فما أبالي أقام الناس أم رجعوا

إن يمنعوا ما حوت منا أكفهم ... فلن يضر أبا الحجناء ما منعوا

أو حلئونا وذادوا عن حياضهم ... يوم الشروع ففي غدرانك الشرع

يا ممسكاً بعرا الدنيا إذا خشيت ... منها الزلازل والأمر الذي يقع
قد ضرستك الليالي وهي خالية ... وأحكمتك النهى والأزلم الجذع

فغادراً منك حزناً عن معاسرة ... سهل الجناب يسيراً حين يتبع
لم يفتلتك نقيراً عن مخادعة ... دهي الرجال وللسؤال تتخدع
فأنت مصطلح بالملك تحمله ... كما أبوك بثقل الملك مضطلع

قال ابن أبي سعد: لما حجت أم جعفر زبيدة لقيها النصيب، فترجل عن فرسه وأنشأ يقول:

سيستبشر البيت الحرام وزمزم ... بأم ولي العهد زين المواسم
ويعلم من وافى المحصب أنها ... ستحمل ثقل الغرم عن كل غارم
بنو هاشم زين البرية كلها ... وأم ولي العهد زين لهاشم
سليلة أملاك تفرعت الذرى ... كرام لأبناء الملوك الأكارم
فوالله ما ندري: أفضل حديثها ... عليهم به تسمو أم المتقادم
يظن الذي أعطته منها رغيبة ... يقص عليه الناس أحلام نائم

فأمرت له بعشرة آلاف درهم وفرس، فأعطيه بلا سرج؛ فتلقاها لما رحلت وقال:

لقد سادت زبيدة كل حي ... وميت ما خلا الملك الهماما
تقى وسماحة وخلوص مجد ... إذا الأنساب أخلصت الكراما
إذا نزلت منازلها قريش ... نزلت الأنف منها والسناما
وأعطيت اللهى لكن طرفي ... يريد السرج منكم واللجاما

فأمرت له بسرج ولجام.

قال ابن أبي سعد: خرج المهدي يتنزه بعيسى باذ ، وقدم النصيب، ومعه ابنته حجناء، فدخل على المهدي، وهي معه، فأنشدته قولها فيه:

رب عيش ولذة ونعيم ... وبهاء بمشرق الميدان
بسط الله فيه أبهى بساط ... من بهار وزاهر الحوذان
ثم من ناضر من العشب ... الأخضر يزهو شقائق النعمان
مده الله بالتحاسين حتى ... قصرت دون طوله العينان

حققت حافتاه حيث تناهى بخيام في العين كالظلمان

زينوا وسطها بطارمة مث ل الثريا يحفها النسران

ثم حشو الخيام بيض كأمثا ل المها في صرائم الكثبان

يتجاوبن في غناء شجي أسعداني يا نخلتي حلوان

فبقصر السلام من سلم ألل ه وأبقى خليفة الرحمن

ولديه الغزلان بل هن أبهى عنده من شوادن الغزلان

يا له منظراً ويوم سرور شهدت لذتيه كل حصان

فأمر لها المهدي بعشرة آلاف درهم، وله بمثلها؛ قال: ثم دخلت الحجناء على العباسة بنت المهدي، فأنشدتها تقول:

أتيناك يا عباسة الخير والحيا وقد عجفت أدم المهاري وكلت

وما تركت منا السنون بقية سوى رمة منا من الجهد رمت

فقال لنا من ينصح الرأي نفسه وقد ولت الأموال عنا فقلت

عليك ابنة المهدي عودي ببابها فإن محل الخير في حيث حلت

فأمرت لها بثلاثة آلاف درهم وكسوة وطيب، فقالت:

أغنيتني يا بنة المهدي أي غنى بأعجرين كثير فيهما الورق

- أي: اغنيتني على عقب ما أغناني أخوك. بأعجرين: بكيسين -:

من ضرب تسع وتسعين محككة مثل المصابيح في الظلماء وتأتلق

أما الحسود فقد امسى تغيظه غما وكاد يرجع الريق يختنق

وذو الصداقة مسرور بنا فرح بادي البشارة ضاح وجهه شرق

وقال ابن أبي سعد: كان إسحاق بن الصباح الأشعثي صديقاً للنصيب، وقدم قدمة من الحجاز، فدخل على إسحاق؛ وهو يهب لجماعة وردوا عليه براً وتمراً، فيحملونه على إبلهم، فوهب لنصيب جارية حسناء يقال لها: مسرورة، فأردفها خلفه، ومضى وهو يقول:

إذا احتقبوا براً فأنت حقيبتي من البشريات الثقال الحقائب

ظفرت بها من أشعثي مهذب أغر طويل الباع جم المواهب

فدى لك يا إسحاق كل مبخل ضجور إذا عضت شداد النوائب

إذا ما بخيل القوم غيب ماله فمالك عد حاضر غير غائب
إذا اكتسب القوم الثراء فإنما ترى الحمد غنماً من كريم المكاسب

وقال فيه أيضاً:

فتى من بني الصباح يهتز للندى كما اهتز مسنون الغرار عتيق
فتى لا يذم الضيف والجار رفده ولا يجتويه صاحب ورفيق
أغر لأبناء السبيل موارد إلى بيته تهديهم وطريق
وإن عد أنساب الملوك وجدته إلى نسب يعلوهم ويفوق
فما في بني الصباح إن بعد المدى على الناس إلا سابق وعريق
وإني لمن شاحنتم لمشاحن وإني لمن صادقتم لصديق

قال: وكان النصيب إذا قدم على المهدي استهداه القواد منه، وسألوه أن يأمره بزيارتهم، فكان فيمن استزاره خزيمة بن خازم، فوصله وحمله، وقال فيه:

وجدتك يا خزيمة أريحيا إذا تفاضل يوماً معجم العود
إني لواحد شعر قد عرفت به وذا خزيمة أضحى واحد الجود
إن يعطك اليوم معروفاً بعدك غداً فأنت في نائل منه وموعود
وقد رأينا تميماً غير مكرهة ألقت إليك جميعاً بالمقاليد
فأنت أكرمها نفساً وأفضلها إن الصناديد أبناء الصناديد

قال: وكان في غزاة سمالو مع المهدي. فوقف به فرسه، ومر به جعد مولى عبد الله بن هشام بن عمرو، وبين يديه فرس يجنب فقال له: قد ترى قيام فرسي تحتي، فاردد إلي جنيبك حتى يتروح فرسي ساعة، فسكت، ولم يجبه فقال فيه:

أنادي بأعلى الصوت جعداً وقد يرى مكاني ولكن لا يجيب ويسمع
ولم يرني أهلاً لحسن إجابة ولا سوئها إني إلى الله أرجع
فلو أنني جازيت جعداً بفعله لقد لاح لي فيه من الشعر موضع
ولكنني جافيت عنه لغيره بحسن الذي يأتي إلي ويصنع
رأيتك لم تحفظ قرابة بيننا وما زالت القربى لدى الناس تنفع

قال: وسأل عبد الله بن يحيى بن سليمان مركباً، فأعطاه إياه، وجعل معه شريكاً له فيه، فقال:

لقد مدحت عبيداً إذ طمعت به وقد تملقته لو ينفع الملق
فعاد يسأل ما أصبحت سائله فكلنا سائل في الحرص متفق
أحين سار مديحي فيكم طرقاً وحيث غنت به الركبان والرفق
قطعت حبل رجاء كنت آمله فيما لديك فأضحى وهو منحذق
قد كان أورق عودي من أبيك فقد لحيت عودي فجف العود والورق
من نازع الكلب عرقاً يرتجى شعباً كمصطل بحريق وهو يحترق

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: كتب إلي أبو محمد إسحاق بن أبي إبراهيم يقول: أنشدت الفضل بن يحيى قول أبي الحجناء نصيب:

عند الملوك مضرة ومنافع وأرى البرامك لا تضر وتنفع
إن العروق إذا استسر بها الثرى أثر النبات بها وطاب المزرع
فإذا أنكرت من امرئ أعراقه وقديمه فانظر إلى ما يصنع

قال: فأعجبه الشعر، فقال: يا أبا محمد، كأني والله لم أسمع هذا القول إلا الساعة، وما له عندي عيب إلا أني لم أكافئه عليه. قال: قلت: وكيف ذلك أصلحك الله، وقد وهبت له ثلاثين ألف درهم ! فقال: لا والله ما ثلاثون ألف دينار بمكافئة له، فكيف ثلاثون ألف درهم ! أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمار قال: أخبرني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال: كان أبي يستملح قول نصيب وقد رأى كثرة الشعراء على باب الفضل بن يحيى. فلما دخل الناس إليه قال له:

ما لقينا من جود فضل بن يحيى ترك الناس كلهم شعراء

ويقول: ما في الدنيا أحسن من هذا المعنى، وعلى أنه قد أخذ منهم مالاً جليلاً ولكن قلما سمعت بطبقته مثله.

طاف الخيال ولات حين تطرب أن زار طيف موهناً من زينب
طرقت فنفرت الكرى عن نائم كانت وسادته ذراع الأرحبي
فبكى الشباب وعهده وزمانه بعد المشيب وما بكآء الأشيب!

عروضه من الكامل، الشعر لأبي شراعة القيسي، والغناء لدعامة البصري خفيف رمل بالبنصر من كتاب الهشامي.

أخبار أبي شراعة ونسبه

هو - فيما كتب به إلينا ابنه أبو الفياض سوار بن أبي شراعة من أخباره ونسبه - أحمد بن محمد بن شراعة بن ثعلبة بن محمد بن عمير بن أبي نعيم بن خالد بن عبدة بن مالك بن مرة بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل: شاعر بصري من شعراء الدولة العباسية جيد الشعر جزله، ليس برقيق الطبع، ولا سهل اللفظ، وهو كالبدوي الشعر في مذهبه، وكان فصيحاً يتعاطى الرسائل والخطب مع شعره، وكانت به لوثة وهوج.

وأمه من بني تميم من بني العنبر، وابنه أبو الفياض سوار بن أبي شراعة أحد الشعراء الرواة، وقدم علينا بمدينة السلام بعد سنة ثلاثمائة، فكتب عنه أصحابنا قطعاً من الأخبار واللغة، وفاتني فلم ألقه، وكتب إلي وإلى أبي - رحمه الله - بإجازة أخباره على يدي بعض إخواننا، فكانت أخبار أبيه من ذلك.

فمنها ما حكاه عنه أنه كان جواداً لا يليق شيئاً، ولا يسأل ما يقدر عليه إلا سمح به، وأنه وقف عليه سائل يوماً فرمى إليه بنعله وانصرف حافياً، فعثر فدميت إصبعه فقال في ذلك:

ألا لا أبالي في العلا ما أصابني ... وإن نقبت نعلاي أو حفيت رجلي

فلم تر عيني قط أحسن منظراً ... من النكب يدمى في المواساة والبذل

ولست أبالي من تأوب منزلي ... إذا بقيت عندي السراويل أو نعلي

قال: وبلغه أخاه يقول: إن أخي مجنون، قد أفقرنا ونفسه، فقال:

أأنبز مجنوناً إذا وجدت بالذي ... ملكت وإن دفعت عنه فعاقل

فداموا على الزور الذي قرفوا به ... ودمت على الإعطاء ما جاء سائل

أبيت وتأبى لي رجال أشحة ... على المجد تنميهم تميم ووائل

قال: وقال أيضاً في ذلك:

أئن كنت في الفتيان آلوت سيداً ... كثير شحوب اللون مختلف العصب

فما لك من مولاك إلا حفاظه ... وما المرء إلا باللسان وبالقلب

هما الأصغران الذائذان عن الفتى ... مكارهه والصاحبان على الخطب

فإلا أطق سعي الكرام فأنني ... أفك عن العاني وأصبر في الحرب

أخبرني عمي قال: أخبرني ميمون بن هارون قال: حدثني إبراهيم بن المدبر قال: كان عندي أبو شراعة بالبصرة، وأنا أتولاها، وكان عندي عمير المغني المدني، وكان عمير بن مرة غطفانياً، وكان يغني صوتاً يجيده، واختار عليه هو:

أتحسب ذات الخال راجية ربا ... وقد صدعت قلباً يجن بها حبا

فاقترحه أبو شراعة بن عمير، فقال: أعطني دراهم، حتى أقبل اقتراحك، فقال له أبو شراعة: أخذ المغني من الشاعر يدل على ضعف الشاعر، ولكني أعرضك لأبي إسحاق، فغناه إياه ثلاث مرات وقد شرب عليه ثلاثة أرطال، وقال:

عدوت إلى المري عدوة فاتك ... معن خليع للعواذل والعذر
فقال لشيء ما أرى قلت: حاجة ... مغلغلة بين المخنق والنحر
فلما لواني يستثيب زجرته ... وقلت :اغترف إنا كلانا على بحر
أليس أبو إسحاق فيه غنى لنا ... فيجدي على قيس وأجدي على بكر
فغنى بذات الخال حتى استخفني ... وكاد أديم الأرض من تحتنا يجري

حدثني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن يزيد المبرد قال: كان أبو شراعة صديقاً لابن المدبر أيام تقلده البصرة، وكان لا يفارقه في سائر أحواله، ولا يمنعه حاجة يسأله إياها، ولا يشفع لأحد إلا شفعه، فلما عزل إبراهيم بن المدبر شيعه الناس، وشيعه أبو شراعة، فجعل يرد الناس، حتى لم يبق غيره، فقال له: يا أبا شراعة غاية كل مودع الفراق، فانصرف راشداً مكلوءاً من غير قلى والله ولا ملل، وأمر له بعشرة آلاف درهم، فعانقه أبو شراعة، وبكى؛ فأطال، ثم أنشأ يقول:

يا أبا إسحاق سر في دعة ... وامض مصحوباً فما منك خلف
ليت شعري أي أرض أجدبت ... فأغيثت بك من جهد العجف!
نزل الرحم من الله بهم ... وحرمناك لذنب قد سلف
إنما أنت ربيع باكر ... حيثما صرفه الله انصرف

قال أبو الفياض سوار بن أبي شراعة:

دخل أبي على إبراهيم بن المدبر وعنده منجم، فماراه إبراهيم بن المدبر في رؤية الهلال لشهر رمضان؛ فحكم المنجم بأنه يرى، وحلف إبراهيم بعتق غلمانه أنه لا يرى، فرئي في تلك الليلة. فأعتق غلمانه، فلما أصبح دخل الناس يهنئونه بالشهر، فأنشده أبو شراعة يقول:

أيها المكثر التجني على الما ... ل ما خلا من السؤال
أفتنا في الذين أعتقت بالأم ... س مواليك أم موالي الهلال؟
لم يكن وكدك الهلال ولكن ... تتألى لصالح الأعمال
إنما لذاتك في المال شتى ... صونك العرض وابتذال المال
ما نبالي إذا بقيت سليماً ... من تولت به صروف الليالي

قال أبو الفياض: وكان أبو شراعة صديق السدري، فدعا يوماً إخوانه، وأغفل أبا شراعة. فمر به الرياشي. فقال: يا أبا شراعة، ألست عند السدري معنا؟ فقال: لم يدعنا. ومر به جماعة من إخوانه، فسألوه عن مثل ذلك، ومر به عيسى بن أبي حرب الصفار - وكان ممن دعي - فجلس وحلف ألا يبرح حتى يأتيه السدري، فيعتذر إليه، ويدعوه، فقال أبو شراعة:

أير حمار في حرام شعري ... وخصيناه في حرام قدري
إن أنا أشفعهما بوفر ... لو كنت ذا وفر دعاني السدري
أو كان من هم هشام أمري ... أو راح إبراهيم يطري ذكري
وابن الرياشي الضعيف الأسر ... يخاف إن أردف ألا يجري
وأنت يا عيسى سقاك المسرى ... نعم صديق عسرة ويسر

قال أبو الفياض: سقطت دارنا بالبصرة، فعوتب أبي على بنائها، وقيل له، استعن بإخوانك إن عجزت عنه فقال:

تلوم ابنة البكري حين أعوبها ... هزيلاً وبعض الآئبين سمين
وقالت: لحاك الله تستحسن العرا ... عن الدار إن النائبات فنون
وحولك إخوان كرام لهم غنى ... فقلت لإخواني: الكرام عيون
ذريني أمت قبل احتلال محلة ... لها في وجوه السائلين غضون
سأفدي بمالي ماء وجهي إنني ... بما فيه من ماء الحياء ضنين

قال سوار بن أبي شراعة: كان إخوان أبي يجتمعون عند الحسين بن أيوب بن جعفر بن سليمان في ليالي شهر رمضان، فيهم الرياشي والجماز، فقال أبي في ذلك:

لو كنت من شيعة الجماز أقعدني ... مقاعداً قربهن الريف والشرف
لكنني كنت للعباس متبعاً ... وليس في مركب العباس مرتدف
قد بقيت من ليالي الشهر واحدة ... فعاودوا مالح البقال وانصرفوا

قال: تزوج نديم لأبي شراعة يقال له بيان امرأة، فاتفق عرسه في ليلة طلق فيها أبو شراعة امرأته، فعوتب في ذلك، وقيل: بات بيان عروساً، وبت عزباً، فقال في ذلك:

رأت عرس بيان فهبت تلومني ... رويدك لوماً فالمطلق أحوط
رويدك حتى يرجع البر أهله ... ويرحم رب العرس من حيث يغبط
إذا قال للطحان عند حسابه ... أعد نظراً إني أظنك تغلط

فما راعه إلا دعاء وليدة هلم إلى السواق إن كنت تنشط

هنالك يدعو أمه فيسبها ويلتبس الأجر العقوق فيحبط

فيا ذا العلا إني لفضلك شاكر أبيت وحيداً كلما شئت أضرط

قال: ثم بلغه عن بيان هذا أنه عجز عن امرأته، و لم يصل إليها، ولقي منها شراً، فقال في ذلك:

رمى الدهر في صحبي وفرق جلاسي وباعدهم عني بظعن وإعراس

فكلهم يبغي غلافاً لأيره وأقعدني عن ذاك فقري وإفلاسي

فشكراً لربي خان بيان أيره وأسعى بأيري في الظلام على الناس

يمسحه بالكف حتى يقيمه وهل ينفع الكفان من ثقل الرأس

وقال أبو فياض سوار: نظر إلي أبي يوماً وقد سألت عمي حاجة فردني، فبكى، ثم قال:

حبي لإغناء سوار يجشمني خوض الدجى واعتساف المهمة البيد

كي لا تهون على الأعمام حاجته ولا يعلل عنها بالمواعيد

ولا يوليهم إن جاء يسألها أكتاف معرضة في العيس مردودة

إذا بكى قال منهم ذو الحفاظ له لقد بليت بخلق غير محمود

قال: وتمارى أبو شراعة ورجل من أهل بغداد في النبيذ، فجعل البغدادي يذم نبيذ التمر والدبس ، فقال أبو شراعة:

إذا انتخبت حبه ودبه ثم أجدت ضربه ومرسه

ثم أطلت في الإناء حبسه شربت منه البابلي نفسه

قال: وأعوز أبا شراعة يومئذ النبيذ، فطلب من نديمين كانا له، فاعتل أحدهما بحلاوة نبيذه، والآخر بحموضته، فاشترى من نباذ يقال له: أبو مظلومة دستيجة بدرهمين، وكتب إليهما:

سيغني عن حلاوة دبس يحيى ويغني عن حموض أبي أمية

أبو مظلومة الشيخ المولي إذا اتزنت يداه درهميه

أخبرني علي بن سليمان قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: كان أبو شراعة قبيح الوجه جداً، فنظر يوماً في المرآة، فأطال، ثم قال: الحمد لله لا يحمد على الشر غيره.

قال سوار بن أبي شراعة: حلف أبي ألا يشرب نبيذاً بطلاق امرأة كانت عنده، فهجر حولين، ثم حنث فشرب، وطلق امرأته وأنشأ يقول:

فمن كان لم يسمع عجيباً فإنني ... عجيب الحديث يا أميم وصادقه
وقد كان لي أنسان يا أم مالك ... وكل إذا فتشتني أنا عاشقه
عزيزة والكأس التي من يحلها ... تخادعه عن عقله فتصادقه
تحاربتا عندي فعطلت دنها ... وأكوابها والدهر جم بوائقه
ومرمتها حولين ثم أزلني ... حديث الندامى والنشيد أوافقه
فلما شربت الكأس بانت بأختها ... فبان الغزال المستحب خلائقه
فما أطيب الكأس التي اعتضت منكم ... ولكنها ليست بريم أعانقه

قال أبو فياض: قال أبي: قصدت الحسن بن رجاء بالأهواز، فصادفت ببابه دعبل الخزاعي وجماعة من الشعراء، وقد اعتل عليهم بدين لزمه ومصادرة فكتب إليه:

المال والعقل شيء يستعان به ... على المقام بأبواب السلاطين
وأنت تعلم أني منهما عطل ... إذا تأملتني يا بن الدهاقين
هل تعلم اليوم بالأهواز من رجل ... سواك يصلح للدنيا وللدين

قال: فوعدنا وعدا قربه، ثم تدافع، فكتب إليه:

آذنت جبتي بأمر قبيح ... من فراق للطيلسان الفسيح
فكأنني بمن يزيد على الجبة ... في ظل دار سهل بن نوح
أنت روح الأهواز يا بن رجاء ... أي شيء يعيش إلا بروح

فأذن لي وللجماعة، وقضى حوائجنا.

قال أبو فياض وحدثني أبي قال: حججت، فأتيت دار سعيد بن سلم، فنحرت فيها ناقة، وقلت:

وردت دار سعيد وهي خالية ... وكان أبيض مطعاماً ذرى الإبل
فارتحت فيها أصيلاً عند ذكرته ... وصحبتي بمنى لاهون في شغل
فابتعت من إبل الجمال دهشرة ... موسومة لم تكن بالحقة العطل
نحرتها عن سعيد ثم قلت لهم: ... زوروا الحطيم فإنني غير مرتحل

قال: وبلغت الأبيات وفعلي ولده، فأحسنوا المكافأة، وأجزلوا الصلة؛ قال: فقال له صديق له: وأنت أيضاً قد استجدت لهم النحيرة! فضحك، ثم قال: أغرك وصفي لها؟ أشهد الله أني ما بلغت دار سعيد إلا بين عمودين.

وقال أبو فياض: كان أبو أمامة محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن سلم - وأمه سعدى بنت عمرو بن سعيد بن سلم - صديقاً لأبي شراعة، وكانت أمه سعدى تعوله، فكان أبو شراعة لا يزال يعبث به، وبلغه أن أبا أمامة يقول: إنما معاش أبي شراعة من السلطان ورفده، ولولا ذلك لكان فقيرا؛ فقال فيه:

عيرتني نائل السلطان أطلبه ... يا ضل رأيك بين الخرق والنزق

لولا امتنان من السلطان تجهله ... أصبحت بالسود في مقعوعس خلق

- السود: موضع تنزله باهلة بالبادية -:

رث الردا بين أهدام مرقعة ... يبيت فيها بليل الجائع الفرق

لا شيء أثبت بالإنسان معرفة ... من التي حزمت جنبيه بالخرق

فأين دارك منها وهي مؤمنة ... بالله معروفة الإسلام والشفق!

وأين رزقك إلا من يدي مرة ... ما بت من مالها إلا على سرق !

تبيت والهر ممدوداً عيونكما ... إلى تطعمها مخضرة الحدق

ما بين رزقكما إن قاس ذو فطن ... فرق سوى أنه يأتيك في طبق

شاركه في صيده للفأر تأكله ... كما تشاركه في الوجه والخلق

قال أبو الفياض: وزارة أبو أمامة يوماً فوجد عنده طفشيلاً فأكله كله، فقال أبو شراعة يمازحه:

عين جودي لبرمة الطفشيل ... واستهلي فالصبر غير جميل

فجعتني بها يد لم تدع للذ ... ر في صحن قدرها من مقيل

كان والله لحمها من فصيل ... راتع يرتعي كريم البقول

فخلطنا بلحمه عدس الشا ... م إلى حمص لنا مبلول

فأتتنا كأنها روضة بالحز ... ن تدعو الجيران للتطفيل

ثم أكفأت فوقها جفنة الحي ... وعلقت صحفتي في زبيل

فمنى الله لي بفظ غليظ ... ما أراه يقر بالتنزيل

فانتحى دائباً يدبل منها ... قلت :إن الثريد للتدبيل

فتغنى صوتاً ليوضح عندي حي أم العلاء قبل الرحيل

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني سوار بن أبي شراعة قال: كتب أبي إلى سعيد بن مسلم بن قتيبة يستهديه نبيذاً، فكتب إليه سعيد: إذا سألتني - جعلني الله فداءك - حاجة فاشطط، واحتكم فيها حكم الصبي عن أهله، فإن ذلك يسرني، وأسارع إلى إجابتك فيه. وأمر له بما التمس من النبيذ، فمزجه صاحب شرابه، وبعث به إليه. فكتب إليه أبو شراعة: أستنسئ الله أجلك، وأستعيذه من الآفات لك، وأستعينه على شكر ما وهب من النعمة فيك، إنه لذلك ولي، وبه ملي. أتلقى غلامك المليح قده، السعيد بملكك جده بكتاب قرأته غير مستكره اللفظ، ولا مزور عن القصد، ينطق بحكمتك، ويبين عن فضلك، فوالله ما أوضح لي خفياً، ولا رادني بك علماً، وإذا أنت تسأل فيه أن تهب، وتحب أن تحمد، ولا غرو أن تفعل ذلك، ومن كتب أخذته، لا عن كلالة ورثته، موسى أبوك، وسعيد جدك، وعمرو عمك، ولك دار الصلة، ودار الضيافة، وصاحب البغلة الشهباء وحصين بن الحمام وعروة بن الورد، ففي أي غلوات المجد يطمع قرينك أن يستولي على المدى، والأمد دونك. وكتابك إلي أن أتحكم عليك تحكم الصبي على أهله، فلشد ما جررت إلي معروفك، ودللت على الأنس بك، وحاشى للمحكوم له والمحكوم عليه في ذات الحسب العتيق، والمنظر الأنيق الذي يسر القلب، ويلائم الروح، ويطرد الهم:

تدب خلال شؤون الفتى دبيب دبى النملة المنتعش

إذا فتحت فقمت ريحها وإن سيل خمارها قال: خش

- خش: كلمة فارسية تفسيرها: طيب -.

فإن كنت رعيت لها عهداً، وحفظت لها عندك يداً، فانظر رب الحانوت فامطله دينه، واقطع السبب بينك وبينه، فقد أساء صحبتها، وأفسد بالماء حسها، وسلط عليها عدوها، واعلم بأن أباك المتمثل بقوله:

يرى درجات المجد لا يستطيعها فيقعد وسط القوم لا يتكلم

وقد بسطت قدرتك لسانك، وأكثرت لك الحمد، فدونك نهزة البديهة منه:

وبادر بمعروف إذا كنت قادراً زوال افتقار أو غنى عنك يعقب

وقد بعثت إليه بقرابة مع الرسول، وأنشأت في أثرها أقول:

إليك ابن موسى الجود أعملت ناقتي مجللة يضفو عليها جلالها

كتوم الوحي لا تشتكي ألم السرى سواء عليها موتها واعتلالها

إذا شربت أبصرت ما جوف بطنها وإن ظمئت لم يبد منها هزالها

وإن حملت حملاً تكلفت حملها وإن حط عنها لم أقل كيف حالها؟

بعثنا بها تسمو العيون وراءها إليك وما يخشى عليها كلالها
وغنى مغنياً بصوت فشافني متى راجع من أم عمرو خيالها
أحب لكم قيس بن عيلان كلها ويعجبني فرسانها ورجالها
ومالي لا أهوى بقاء قبيلة أبوك لها بدر وأنت هلالها

قال: فبعث إليه برسوله الذي حمل إليه النبيذ، واستملحه في شعره، وبصاحب شرابه، وكل ما كان في خزانته من الشراب وبثلاثمائة دينار.

أخبرني الأخفش عن المبرد وسوار بن أبي شراعة جميعاً:

أن أبا الفياض سوار بن أبي شراعة كان يهوى قينة بالبصرة يقال لها: مليحة، فدعيت ذات يوم إلى مجلس لم يكن حاضره، وحضر أبو علي البصير ذلك المجلس، فجشمها بعض من حضر، فلم تلتفت إليه، وعرف أبو علي ذلك فكتب إلى أبي الفياض:

لك عندي بشارة فاستمعها وأجبني عنها أبا الفياض
كنت في مجلس مليحة فيه وهي سقم الصحاح برء المراض
وقديماً عهدتني لست في حقك والذب عنك ذا إغماض
فتغفلتها تغفل خصم وتأملتها تأمل قاض
ورمتها العيون من كل أفق وتشاكوا بالوحي والإيماض
من كهول وسادة سمحاء باللها باخلين بالأعواض
وصفات القيان أولها الغد رعليه في وصلهن التراضي
فتشوفت ذاك منها وأعدد ت نكيري وسورتي وامتعاضي
فحمت جانب المزاح وعمتهم جميعاً بالصد والإعراض
وكفاني وفاؤها لك حتى آذن الليل جمعهم بار فضاض

فأجابه أبو الفياض:

ليت شعري ماذا دعاك إلى أن هجت شوقي وزدت في إمراضي؟
ذكرتني بشراك داء قديماً من سقام علي لا شك قاضي
إن تكن أحسنت مليحة في وصلي وعاصت رياضة الرواض
وأقامت على الوفاء ولم تر ع لوحي منهم ولا إيماض

فعلى صحة الوفاء تعاقد نا وصون النفوس والأعراض
وعلينا من العفاف ثياب هن أبهى من حاليات الرياض
ليس حظي منها سوى النظر الخت ل وإني به لجذلان راض
لحظات يقعن في ساحة القل ب وقوع السهام في الأغراض
وابتسام كالبرق أو هو أخفى بين ستري تحرز وانقباض
لا أخاف انتقاضها آخر الده ر بغدر ولا تخاف انتقاضي
فأبن لي ألست تحمد ذا ال ود وقاك الردى أبو الفياض؟

قال أبو الفياض: اتصل بأبي شراعة أن أبا ناظرة السدوسي يغتابه، وكان مع آل أبي سفيان بن ثور فقال يهجوهم:

لعن الإله بني سدوس كلهم ورمى بمنجوف ورية قاف
قد سبني غضروطهم فسببتهم ذنب الدنيء يناط بالأشراف

قال أبو الفياض: وكان بين بعض بني عمنا وبين أبي شراعة وحشة، ثم صالحوه، ودعوه إلى طعامهم، فأبى، وقال: أمثلي يخرج من صوم إلى طعم، ومن شتيمة إلى وليمة: ومالي ولكم مثل إلا قول المتلمس:

فإن تقبلوا بالود نقبل بمثله وإلا فإنا نحن آبى وأشمس

وقال فيهم:

بني سوار إن رثت ثيابي وكل عن العشيرة فضل مالي
فمطرح ومتروك كلامي وتجفوني الأقارب والموالي
ألم أك من سراة بني نعيم أحل البيت ذا العمد الطوال
وحولي كل أصيد تغلبي أبي الضيم مشترك النوال
إذا حضر الغداء فغير مغن ويغني حين تشتجر العوالي
وأبقوني فلست بمستكين لصاحب ثروة أخرى الليالي
ولا بممسح المثرين كيما أمسح من طعامهم سبالي
أنا ابن العنبرية أزرتني إزار المكرمات إزار خالي
فإن يكن الغنى مجداً فإني سأدعو الله بالرزق الحلال
إذا أبصرتك العين من بعد غاية وأوقعت شكا فيك أثبتك القلب

ولو أن ركباً يمموك لقادهم نسيمك حتى يستدل بك الركب

الشعر لعبد الله بن محمد بن البواب، والغناء لأحمد بن صدقة الطنبوري، رمل مطلق في مجرى البنصر رواية الهشامي.

أخبار ابن البواب

هو عبد الله بن محمد بن عتاب بن إسحاق، من أهالي بخارى وجه بجده وجماعته معه رهينة إلى الحجاج بن يوسف، فنزلوا عنده بواسط، فأقطعهم سكة بها، فاختطوا ونزلوها طول أيام بني أمية، ثم انقطعوا من الدولة العباسية إلى الربيع، فخدموه.

وكان عبد الله بن محمد هذا يخلف الفضل بن الربيع على حجبة الخلفاء، وكان أبوه محمد بن عتاب يخلف الربيع في أيام أبي جعفر، وكان معه فرآه أبو جعفر مع أبيه، فسأل عنه فأخبره، فكساه قباء خز، وكساه تحته قباء كتان مرقوع القب، وقال له: هذا يخفى تحت ذاك.

ذكر لي ذلك أحمد بن القاسم بن يوسف عن محمد بن عبد الله بن محمد البواب عن أبيه.

وكان عبد الله صالح الشعر قليله، وراوية لأخبار الخلفاء عالماً بأمورهم، روى عنه أبو زيد عمر بن شبة ونظراؤه، وقد مضت في هذا الكتاب وتأتي أخبار من روايته.

قال أحمد بن القاسم اليوسفي: حدثني محمد بن عبد الله البواب قال: حدثني أبي قال: حجبت موسى وهارون خليفة للفضل بن الربيع.

وخدم محمداً الأمين فأغناه وأعطاه ومدحه، ونال من المأمون وعرض به، فأخبرني إسماعيل بن يوسف قال: حدثني عبد الله بن أحمد الباهلي قال: حدثني الحسين بن الضحاك قال: لما أتي المأمون بشعر ابن البواب الذي يقول فيه:

أيبخل فرد الحسن فرد صفاته علي وقد أفردته بهوى فرد!

رأى الله عبد الله خير عباده فملكه والله أعلم بالعبد

ألا إنما المأمون للناس عصمة مميزة بين الضلالة والرشد

- لعلويه في هذه الأبيات رمل بالوسطى -.

قال: فقال المأمون: أليس هو القائل:

أعيني جوداً وابكيا لي محمداً ولا تدخرا دمعاً عليه وأسعدا

فلا فرح المأمون بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريداً مشرداً !

هيهات، وواحدة بواحدة! و لم يصله بشيء.

هكذا روى عن الحسين بن الضحاك. وقد روى أن هذين الشعرين جميعاً للحسين، وأن قول المأمون هذا بعينه فيه.

وقال أحمد بن القاسم حدثني جزء بن قطن. وأخبرني بهذا الخبر الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق، قالا جميعاً: وقع بين إسحاق وبين ابن البواب شر فقال ابن البواب شعراً ذميماً رديئاً، ونسبه إلى إسحاق وأشاعه ليعيره به وهو:

إنما أنت يا عنان سراج ... زيته الظرف والفتيلة عقل

قاده للشقاء مني فؤادي ... رجل حب لكم وللحب رجل

هضم اليوم حبكم كل حب ... في فؤادي فصار حبك فجل

أنت ريحانة وراح ولكن ... كل أنثى سواك خل وبقل

وقال حماد في خبره وبلغ ذلك أبي فقال له:

الشعر قد أعيا عليك فخله ... وحذ العصا واقعد على الأبواب

فجاء ابن البواب إلى إبراهيم جدي فشكا أبي إليه فقال له: مالك وله يا بني؟ فقال له أبي: تعرض لي فأجبته، وإن كف لم أرجع إلى مساءته. فتتاركا.

قال أحمد بن القاسم: أخبرني محمد بن الحسن بن الفضل قال: أخبرني: إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحيم قال: كان بالكرخ نخاس يكنى له أبا عمير، وكان له جوار قيان لهن ظرف وأدب، وكان عبد الله بن محمد البواب يألف جارية منهن يقال لها: عبادة، ويكثر غشيان منزل أبي عمير من أجلها، فضاق ضيقة شديدة، فانقطع عن ذلك، وكره أن يقصر عما كان يستعمله من برهم فتعلم بضيقته، ثم نازعته نفسه إلى لقائها وزيارتها، وصعب عليه الصبر عنها، فأتاه فأصاب في منزله جماعة ممن كان يألف جواريه، فرحب به أبو عمير والجارية والقوم جميعاً، واستبطئوا زيارته، وعاتبوه على تأخره عنهم، فجعل يجمجم في عذره، ولا يصرح، فأقام عندهم، فلما أخذ فيه النبيذ أنشأ يقول:

لو تشكى أبو عمير قليلاً ... لأتيناه من طريق العياده

فقضينا من العيادة حقاً ... ونظرنا في مقلتي عباده

فقال له أبو عمير: مالي ولك يا أخي؟ انظر في مقلتي عبادة متى شئت غير ممنوع، ودعني أنا في عافية، ولا تتمن لي المرض لتعودني.

وقال أحمد بن القاسم: كان عبد الله بن إسماعيل بن علي بن ريطة يألف ابن البواب ويعاشره، فشرب عنده يوماً حتى سكر ونام، فلما أفاق في السحر أراد الانصراف، فحلف عليه واحتبسه، وكان عبد الله يهوى جارية له من

جواري عمرو بن بانة، فبعث إلى عمرو بن بانة فدعاه وسأله إحضار الجارية، فأحضرها، وانتبه عبد الله بن إسماعيل من نومه، وهو يتململ خماراً. فلما رآها نشط، وجلس فشرب، وتمموا يومهم، فقال عبد الله بن محمد بن البواب في ذلك:

وكريم المجد محض أبوه ... فهو الصفو اللباب النضار
هاشمي لقروم إذا ما ... أظلمت أوجه قوم أناروا
رمت القهوة بالنوم وهناً ... عينه فالجفن فيه انكسار
فهو من طرف يفديك طوراً ... ويعاطيك اللواتي أداروا
ساعة ثم انثنى حين دبت ... ومشت فيه السلاف العقار
وأبت عيني اغتماضاً فلما ... حان من أخرى النجوم انحدار
قلت :عبد الله حاذرت أمراً ... ليس يغني خائفيه الحذار
فاستوى كالهندوائي لما ... أن رأى أن ليس يغني الفرار
قلت :خذها مثل مصباح ليل ... طيرت في حافتيه الشرار
أقبلت قطراً نطافاً ولما ... يتعب العاصر منها اعتصار
هي كالياقوت حمراء شيبت ... وعلا الحمرة منها اصفرار
كالدنانير جرى في ذراها ... فضة فالحسن منها قصار
تنطق الخرس وبالصمت ترمي ... معشراً نطقاً إذا ما أحاروا

قال أحمد: وحدثني يعقوب بن العباس الهاشمي أبو إسماعيل النقيب قال: لما طال سخط المأمون على ابن البواب قال قصيدة يمدحه بها، ودس من غناه في بعضها، لما وجد منه نشاطاً. فسأل من قائلها؟ فأخبر به فرضي عنه، ورده إلى رسمه من الخدمة، وأنشدني أبو إسماعيل القصيدة، وهي قوله:

هل للمحب معين ... إذ شط عنه القرين!
فليس يبكي لشجو ال ... حزين إلا الحزين
يا ظاعناً غاب عنا ... غداة بان القطين
أبكى العيون وكانت ... به تقر العيون
يا أيها المأمون ال ... مبارك الميمون
لقد صفت بك دنيا ... للمسلمين ودين

عليك نور جلال ونور ملك مبين
القول منك فعال والظن منك يقين
ما من يديك شمال كلتا يديك يمين
كأنما أنت في الجو د والتقى هارون
من نال من كل فضل ما ناله المأمون!
تالف الناس منه فضل وجود ولين
كالبدر يبدو عليه سكينة وسكون
فالرزق من راحتيه مقسم مضمون
وكل خصلة فضل كانت، فمنه تكون

والأبيات التي فيها الغناء المذكور آنفاً أربعة أبيات، أنشدنيها الأخفش وهي قوله:

أفق أيها القلب المعذب كم تصبو فلا النأي عن سلماك يسلي ولا القرب
أقول غداة استخبرت مم علتي من الحب كرب ليس يشبهه كرب
إذا أبصرتك العين من بعد غاية فأدخلت شكاً فيك أثبتك القلب
ولو أن ركباً يمملوك لقادهم نسيمك حتى يستدل بك الركب

فقال الأخفش مثل هذا البيت الأخير قول الشاعر:

واستودعت نشرها الديار فما تزداد طيباً إلا على القدم

أخبرني الحسن بن يحيى عن حماد بن إسحاق: قال: رأيت محمد بن عبد الله البواب وقد جاء إلى أبي مسلماً فاحتبسه، ورأيته وهو شيخ كبير، وكان ضخماً طويلاً عظيم الساقين كأنهما دنان، وكان يشد في ساقيه خرزاً أسود لئلا تصيبهما العين.

وقال محمد بن القاسم: أملق عبد الله بن محمد البواب حين جفاه الخليفة، وعلت سنه عن الخدمة، فرحل إلى أبي دلف القاسم بن عيسى، ومدحه بقصيدة، فوهب له ثلاثين ألف درهم، وعاد بها إلى بغداد، فما نفدت حتى مات وهي قوله:

طرقتك صائدة القلوب رباب ونأت فليس لها إليك مآب
وتصرمت منها العهود وغلقت من دون نيل طلابها الأبواب
فلأصدفن عن الهوى وطلابه فالحب فيه بلية وعذاب

وأخص بالمدح المهذب سيداً نفحاته للمجتدين رغاب
وإلى أبي دلف رحلت مطيتي قد شفها الإرقال والإتعاب
تعلو بنا قلل الجبال ودونها مما هوت أهوية وشعاب
فإذا حللت لدى الأمير بأرضه نلت المنى وتقضت الآراب

ملك تأثل عن أبيه وجده مجداً يقصر دونه الطلاب
وإذا وزنت قديم ذي حسب به خضعت لفضل قديمه الأحساب
قوم علوا أملاك كل قبيلة فالناس كلهم لهم أذناب
ضربت عليه المكرمات قبابها فعلاً العمود وطالت الأطناب
عقم النساء بمثله وتعطلت من أن تضمن مثله الأصلاب
صغير هواك عذبني فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت من قلبي هوى قد كان مشتركاً
وحبس هواك يقتلني وقتلي لا يحل لكا
أما ترثي لمكتئب إذا ضحك الخلي بكى

الشعر لمحمد بن عبد الملك الزيات والغناء لأبي حشيشة رمل بالوسطى عن الهشامي.

أخبار محمد بن عبد الملك الزيات ونسبه

هو محمد بن عبد الملك الزيات بن أبان بن أبي حمزة الزيات، وأصله من جبل ويكنى أبا جعفر، وكان أبوه تاجراً من تجار الكرخ المياسير، فكان يحثه على التجارة وملازمتها، فيأبى إلا الكتابة وطلبها، وقصد المعالي، حتى بلغ منها أن وزر ثلاث دفعات، وهو أول من تولى ذلك وتم له.

أخبرني الأخفش علي بن سليمان قال: حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال: كان جدي موسراً من تجار الكرخ، وكان يريد من أبي أن يتعلق بالتجارة، ويتشاغل بها، فيمتنع من ذلك ويلزم الأدب وطلبه، ويخالط الكتاب، ويلازم الدواوين، فقال له ذات يوم: والله ما أرى ما أنت ملازمه ينفعك؛ وليضرنك؛ لأنك تدع عاجل المنفعة، وما أنت فيه مكفي، ولك ولأبيك فيه مال وجاه، وتطلب الآجل الذي لا تدري كيف تكون فيه، فقال: والله لتعلمن أينا ينتفع بما هو فيه؛ أ أنا أم أنت؟ ثم شخص إلى الحسن بن سهل بفم الصلح ، فامتدحه بقصيدته التي أولها:

كأنها حين تناءى خطوها أخنس موشي الشوى يرعى القلل

فأعطاه عشرة آلاف درهم، فعاد بها إلى أبيه، فقال له أبوه: لا ألومك بعدها. على ما أنت فيه.

أخبرني جحظة والصولي، قالا: حدثنا ميمون بن هارون: قال: لما مدح محمد بن عبد الملك الحسن بن سهل، ووصله بعشرة آلاف درهم مثل بين يديه وقال له:

لم امتدحك رجاء المال أطلبه لكن لتلبسني التحجيل والغررا

وليس ذلك إلا أنني رجل لا أطلب الورد حتى أعرف الصدرا

وكان محمد بن عبد الملك شاعراً مجيداً، لا يقاس به أحد من الكتاب، وإن كان إبراهيم بن العباس مثله في ذلك، فإن إبراهيم مقل وصاحب قصار ومقطعات، وكان محمد شاعراً يطيل فيجيد، ويأتي بالقصار فيجيد، وكان بليغاً حسن اللفظ إذا تكلم وإذا كتب.

فحدثني عمي رحمه الله قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال: جلس أبي يوماً للمظالم، فلما انقضى المجلس رأى رجلاً جالساً، فقال له: ألك حاجة؟ قال: نعم تدنيني إليك؛ فإني مظلوم. فأدناه، فقال: إني مظلوم، وقد أعوزني الإنصاف، قال: ومن ظلمك؟ قال: أنت، ولست أصل إليك؛ فأذكر حاجتي؟ قال: ومن يحجبك عني وقد ترى مجلسي مبذولاً؟ قال: يحجبني عنك هيبتي لك وطول لسانك؛ وفصاحتك، واطراد حجتك، قال: ففيم ظلمتك؟ قال: ضيعتي الفلانية أخذها وكيلك غصباً بغير ثمن، فإذا وجب عليها خراج أديته باسمي لئلا يثبت لم اسم بملكها، فيبطل ملكي، فوكيلك يأخذ غلتها، وأنا أؤدي خراجها، وهذا مما لم يسمع في الظلم مثله، فقال محمد: هذا قول تحتاج عليه إلى بينة وشهود وأشياء، فقال له الرجل: أيؤمنني الوزير من غضبه، حتى أجيب؟ قال: قد أمنتك، قال: البينة هم الشهود، وإذا شهدوا فليس يحتاج معهم إلى شيء، فما معنى قولك: بينة وشهود وأشياء، أيش هذه الأشياء إلا العي والحصر والتغطرس ؟ فضحك، وقال: صدقت، والبلاء موكل بالمنطق، وإني لأرى فيك مصطنعاً، ثم وقع له برد ضيعته وبأن يطلق له كر حنطة وكر شعير ومائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعته، وصيره من أصحابه، واصطنعه.

أخبرني الصولي: قال: حدثني أحمد بن محمد الطالقاني قال: حدثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك قال: لما وثب إبراهيم بن المهدي على الخلافة، اقترض من مياسير التجار مالاً، فأخذ من جدي عبد الملك عشرة آلاف درهم ، وقال له: أنا أردها إذا جاءني مال، و لم يتم أمره فاستخفى، ثم ظهر ورضي عنه المأمون، فطالبه الناس بأموالهم، فقال: إنما أخذتها للمسلمين، وأردت قضاءها من فيئهم، والأمر الآن إلى غيري، فعمل أبي محمد بن عبد الملك قصيدة يخاطب فيها المأمون، ومضى بها إلى إبراهيم بن المهدي، فأقرأه إياها وقال: والله لئن لم تعطني المال الذي اقترضته من أبي لأوصلن هذه القصيدة إلى المأمون، فخاف أن يقرأها المأمون، فيتدبر ما قاله، فيوقع به، فقال له: خذ مني بعض المال، ونجم علي بضعه، ففعل أبي ذلك بعد أن حلفه إبراهيم بأوكد الإيمان ألا يظهر

القصيدة في حياة المأمون، فوفى أبي له بذلك، ووفى إبراهيم بأداء المال كله.

والقصيدة قوله:

ألم تر أن الشيء للشيء علة ... تكون له كالنار تقدح بالزند

كذلك جربت الأمور وإنما ... يدلك ما قد كان قبل على البعد

وظني بإبراهيم أن مكانه ... سيبعث يوماً مثل أيامه النكد

رأيت حسيناً حين صار محمد ... بغير أمان في يديه ولا عقد

فلو كان أمضى السيف فيه بضربة ... فصيره بالقاع منعفر الخد

إذا لم تكن للجند فيه بقية ... فقد كان ما خبرت من خبر الجند

هم قتلوه بعد أن قتلوا له ... ثلاثين ألفاً من كهول ومن مرد

وما نصروه عن يد سلفت له ... ولا قتلوه يوم ذلك عن حقد

ولكنه الغدر الصراح وخفة ال ... حلوم وبعد الرأي عن سنن القصد

فذلك يوم كان للناس عبرة ... سيبقى بقاء الوحي في الحجر الصلد

وما يوم إبراهيم إن طال عمره ... بأبعد في المكروه من يومه عندي

تذكر أمير المؤمنين مقامه ... وأيمانه في الهزل منه وفي الجد

أما والذي أمسيت عبداً خليفة ... له شر أيمان الخليفة والعبد

إذا هز أعواد المنابر باسته ... تغنى بليلى أو بمية أو هند

فوالله ما من توبة نزعت به ... إليك ولا ميل إليك ولا ود

ولكن إخلاص الضمير مقرب ... إلى الله زلفى وتخيب ولا تكدي

أتاك بها طوعاً إليك بأنفه ... على رغمه واستأثر الله بالحمد

فلا تتركن للناس موضع شبهة ... فإنك مجزي بحسب الذي تسدي

فقد غلطوا للناس في نصب مثله ... ومن ليس للمنصور بابن ولا المهدي

فكيف بمن قد بايع الناس والتقت ... ببيعته الركبان غوراً إلى نجد

ومن سك تسليم الخلافة سمعه ... ينادى به بين السماطين من بعد

وأي امرئ سمى بها قط نفسه ... ففارقها حتى يغيب في اللحد

وتزعم هذي النابتية أنه ... إمام لها فيما تسر وما تبدي
يقولون سني وأية سنة ... تقوم بجون اللون صعل القفا جعد
وقد جعل رخص الطعام بعهده ... زعيماً له باليمن والكوكب السعد
إذا ما رأوا يوماً غلاء رأيتهم ... يحنون تحناناً إلى ذلك العهد
وإقباله في العيد يوجف حوله ... وجيف الجياد واصطفاق القنا الجرد
ورجالة يمشون بالبيض قبله ... وقد تبعوه بالقضيب وبالبرد
فإن قلت قد رام الخلافة غيره ... فلم يؤت فيما كان حاول من جد
فلم أجزه إذ خيب الله سعيه ... على خطإ إذ كان منه ولا عمد
ولم أرض بعد العفو حتى رفعته ... وللعم أولى بالتعهد والرفد
فليس سواء خارجي رمى به ... إليك سفاه الرأي والرأي قد يردى
تعاوت له من كل أوب عصابة ... متى يوردوا لا يصدروه عن الورد

ومن هو في بيت الخلافة تلتقي ... به وبك الآباء في ذروة المجد
فمولاك مولاه وجندك جنده ... وهل يجمع القين الحسامين في غمد؟
وقد رابني من أهل بيتك أنني ... رأيت لهم وجداً به أيما وجد
يقولون لا تبعد من ابن ملمة ... صبور عليها النفس ذي مرة جلد
فدانا وهانت نفسه دون ملكنا ... عليه لذي الحال التي قل من يفدي
على حين أعطى الناس صفق أكفهم ... علي بن موسى بالولاية والعهد
فما كان فينا من أبى الضيم غيره ... كريم كفى ما في القبول وفي الرد
وجرد إبراهيم للموت نفسه ... وأبدى سلاحاً فوق ذي ميعة نهد
وأبلى ومن يبلغ من الأمر جهده ... فليس بمذموم وإن كان لم يجد
فهذي أمور قد يخاف ذوو النهى ... مغبتها والله يهديك للرشد

أخبرني الصولي، قال: حدثني عبد الله بن الحسين القطربلي، عن جعفر بن محمد بن خلف قال: قال لي المعلى بن أيوب: كيف كان محل يحيى بن خاقان عند محمد بن عبد الملك ومقداره؟ فقلت له: سمعت محمداً يذكره، فقال: هو مهزول الألفاظ، عليل المعاني سخيف العقل، ضعيف العقدة ، واهي العزم مأفون الرأي.

قال عبد الله: ولما تولى محمد بن عبد الملك الوزارة، اشترط ألا يلبس القباء، وأن يلبس الدراعة ويتقلد عليها سيفاً بحمائل، فأجيب ذلك.

أخبرني الصولي: قال: حدثني أبو ذكوان، قال: حدثني طماس، قال ميمون بن هارون: كان محمد بن عبد الملك يقول: الرحمة خور في الطبيعة، وضعف في المنة، ما رحمت شيئاً قط. فكانوا يطعنون عليه في دينه بهذا القول، فلما وضع في الثقل والحديد قال: ارحموني، فقالوا له: وهل رحمت شيئاً قط فترحم! هذه شهادتك على نفسك وحكمك عليها.

أخبرني الصولي: قال: حدثني أبو ذكوان، قال: حدثني طماس، قال: جاء أبو دنقش الحاجب إلى محمد بن عبد الملك برسالة من المعتصم ليحضر، فدخل ليلبس ثيابه، ورأى ابن دنقش الحاجب غلماناً لهم روقة فقال: وهو يظن أنه لا يسمع:

وعلى اللواط فلا تلومن كاتباً ... إن اللواط سجية الكتاب

فقال محمد له:

وكما اللواط سجية الكتاب ... فكذا الحلاق سجية الحجاب

فاستحيا ابن دنقش، واعتذر إليه، فقال له: إنما يقع العذر لو لم يقع الاقتصاص فأما وقد كافأتك فلا.

أخبرني الصولي، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: أنشدني الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك أبياتاً، يرثي بها سكرانة أم ابنه عمر، وجعل الحسن يتعجب من جودتها، ويقول:

يقول لي الخلان لو زرت قبرها ... فقلت :وهل غير الفؤاد لها قبر

على حين لم أحدث فأجهل قدرها ... ولم أبلغ السن التي معها الصبر

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني عبد الرحمن بن سعيد الأزرقي، قال: استبطأ عبد الله بن طاهر محمد بن عبد الملك في بعض أموره، واتهمه بعدوله عن شيء أراده إلى سواه، فكتب إليه محمد بن عبد الملك يعتذر من ذلك، وكتب في آخر كتابه يقول:

أتزعم أنني أهوى خليلاً ... سواك على التداني والبعاد

جحدت إذاً موالاتي علياً ... وقلت بأنني مولى زياد

قرأت في بعض الكتب: كان عبد الله بن الحسن الأصبهاني يخلف عمرو بن مسعدة على ديوان الرسائل، فكتب إلى خالد بن يزيد بن مزيد: إن المعتصم أمير المؤمنين ينفخ منك في غير فحم، ويخاطب أمراً غير ذي فهم، فقال محمد بن عبد الملك: هذا كلام ساقط سخيف؛ جعل أمير المؤمنين ينفخ بالزق كأنه حداد، وأبطل الكتاب ثم كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر: وأنت تجري أمرك على الأربح فالأربح، والأرجح فالأرجح، تسعى بنقصان، ولا تميل برجحان، فقال عبد الله الأصبهاني: الحمد لله، قد أظهر من سخافة اللفظ ما دل على

رجوعه إلى صناعته من التجارة بذكره ربح السلع، ورجحان الميزان، ونقصان الكيل، والخسران من رأس المال.
فضحك المعتصم، وقال: أسرع ما انتصف الأصبهاني من محمد، وحقدها عليه ابن الزيات، حتى نكبه.
أخبرني الأخفش عن المبرد قال:
نظر رجل كان يعادى يونس النحوي إليه وهو يهادى بين اثنين من الكبر، فقال له: يا أبا عبد الرحمن، أبلغت ما أرى؟ فعلم يونس أنه قال له ذلك شامتاً، فقال: هذا الذي كنت أرجو فلا بلغته، فأخذه محمد بن عبد الملك الزيات: فجعله في شعر فقال:

وعائب عابني بشيب — لم يعد لما ألم وقته
فقلت إذ عابني بشيبي: — يا عائب الشيب لا بلغته

وذكر أبو مروان الخزاعي أن أبا دهمان المغني سرق من محمد بن عبد الملك منديلاً دبقياً فجعله تحت عمامته، وبلغ محمداً، فقال له:

وندیم سارق خاتلني — وهو عندي غير مذموم الخلق
ضاعف الكور على هامته — وطوى منديلنا طي الخرق
يا أبا دهمان لو جاملتنا — لكفيناك مئونات السرق

أخبرنا أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني، قال: كنت عند أبي الحسين بن أبي البغل لما انصرف عن بغداد بعد إشخاصه إليها للوزارة وبطلان ما نذره من ذلك ورجوعه، فجعل يحدثنا بخبره، ثم قال: لله در محمد بن عبد الملك الزيات حيث يقول:

ما أعجب الشيء ترجوه فتحرمه — قد كنت أحسب أني قد ملأت يدي
مالي إذا غبت لم أذكر بصالحة — وإن مرضت فطال السقم لم أعد

أخبرني الصولي، قال: حدثني عون بن محمد الكندي، قال: حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع، قال: وصفني محمد بن عبد الملك للمعتصم، وقال: ما له نظير في ملاحة الشعر والغناء والعلم بأمور الملوك، فلقيته فشكرته، وقلت: جعلت فداءك! أتصف شعري وأنت أشعر الناس؟ ألست القائل:

ألم تعجب لمكتئب حزين — خدين صبابة وحليف صبر
يقول إذا سألت به : بخير — وكيف يكون مهجور بخير؟

قال: وأين هذا، من قولك؟

يقول لي كيف أصبحت — كيف يصبح مثلي

ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان .

أخبرني الصولي، قال: حدثني عون بن محمد: قال: لقي الكنجي محمد بن عبد الملك فسلم عليه فلم يجبه، فقال الكنجي:

هذا وأنت ابن زيات تصغرنا فكيف لو كنت يا هذا ابن عطار؟

فبلغ ذلك محمداً، فقال: كيف ينتصف من ساقط أحمق، وضعه رفعه، وعقابه ثوابه.

أخبرني الصولي، قال: أخبرني عبد الله بن محمد الأزدي، قال: حدثني يعقوب بن التمار، قال: قال محمد بن عبد الملك لبعض أصحابه: ما أخرك عنا؟ قال: موت أخي، قال: بأي علة؟ قال: عضت أصبعه فأرة، فضربته الحمرة ، فقال محمد: ما يرد القيامة شهيد أخس سبباً، ولا أنذل قاتلاً، ولا أضيع ميتة، ولا أظرف قتلة من أخيك.

أخبرني عمي عن أبي العيناء، قال: كان محمد بن عبد الملك يعادي أحمد بن أبي داود، ويهجوه، فكان أحمد يجمع الشعراء، ويحرضهم على هجائه ويصلهم، ثم قال فيه أحمد بيتين، كانا أجود ما هجي به، وهما:

أحسن من خمسين بيتاً سدى جمعك إياهن في بيت

ما أحوج الناس إلى مطرة تذهب عنهم وضر الزيت

وكان ابن أبي داود يقول: ليس أحد من العرب وهو يقدر على قول الشعر، طبعاً ركب فيهم، قل قوله أو كثر.

أخبرنا الصولي، قال: حدثنا محمد بن موسى عن الحسن بن وهب، قال: أنشد أبو تمام محمد بن عبد الملك قصيدته التي يقول فيها:

لهان علينا أن نقول وتفعلا

فأثابه عليها ووقع عليه:

رأيتك سهل البيع سمحاً وإنما يغالى إذا ما ضن بالشيء بائعه

فأما الذي هانت بضائع بيعه فيوشك أن تبقى عليه بضائعه

هو الماء إن أجممته طاب ورده ويفسد منه أن تباح شرائعه

فأجابه أبو تمام وقال:

أبا جعفر إن كنت أصبحت شاعراً أسامح في بيعي له من أبايعه

فقد كنت قبلي شاعراً تاجراً به تساهل من عادت عليك منافعه

فصرت وزيراً والوزارة مكرع يغص به بعد اللذاذة كارعه

وكم من وزير قد رأينا مسلطاً فعاد وقد سدت عليه مطالعه

ولله قوس لا تطيش سهامها ولله سيف لا تفل مقاطعه

حدثني الصولي، قال: حدثني أبي، قال: حج محمد بن عبد الملك في آخر أيام المأمون، فلما قدم إليه كتب راشد الكاتب قوله:

لا تنس عهدي و لا مودتيه ... واشتق إلى طلعتي ورؤيتيه

إن غبت عنا فلم تغب كثرة ال ... ذكر فلا تغفلن هديتيه

التمر و النقل و المساويك و القس ... ب وخير النعال حسن شيه

فإن تجاوزت ما أقول إلى العص ... ب فذاك المأمول منك ليه

فأجابه محمد بن عبد الملك:

إنك مني بحيث يطرد ... الناظر من تحت ماء دمعتيه

و لا ومن زادني توده ... على صحابي بفضل غيبتيه

ما أحسن الترك و الخلاف لما ... تريد مني وما تقول ليه

يا بأبي أنت ما نسيتك في ... يوم دعائي و لا هديتيه

ناجيت بالذكر و الدعاء لك ... الله لدى البيت رافعاً يديه

حتى إذا ما ظننت بالملك الق ... ادر أن قد أجاب دعوتيه

قمت إلى موضع النعال وقد ... أقمت عشرين صاحباً معيه

وقلت لي صاحب أريد له ... نعلاً ولو من جلود راحتيه

فانقطع القول عند واحدة ... قال الذي اختار يا بشارتيه

فقلت عندي لك البشارة ... والشكر وقلا في جنب حاجتيه

ثم تخيرت بعد ذاك من العص ... ب اليماني بفضل خبرتيه

موشية لم أزل ببائعها ... أرغب حتى زها علي بيه

يرفع في سومه وأرغبه ... حتى التقى زهده ورغبتيه

وقد أتاك الذي أمرت به ... فاعذر بكثر الإنعام قلتيه.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرد، قال: كان لمحمد بن عبد الملك برذون أشهب لم ير مثله فراهة وحسناً، فسعى به محمد بن خالد حيلويه إلى المعتصم، ووصف له فراهته ، فبعث المعتصم إليه فأخذه منه، فقال محمد بن عبد الملك يرثيه:

كيف العزاء وقد مضى لسبيله ... عنا فودعنا الأحم الأشهب!

دب الوشاة فأبعدوك وربما ... بعد الفتى وهو الأحب الأقرب
لله يوم نأيت عني ظاعناً ... وسلبت قربك أي علق أسلب
نفس مفرقة أقام فريقها ... ومضى لطيته فريق يجنب
فالآن إذ كملت أداتك كلها ... ودعا العيون إليك لون معجب
وأختير من سر الحدائد خيرها ... لك خالصاً ومن الحلي الأغرب
وغدوت طنان اللجام كأنما ... في كل عضو منك صنج يضرب
وكأن سرجك إذ علاك غمامة ... وكأنما تحت الغمامة كوكب
ورأى علي بك الصديق جلالة ... وغدا العدو وصدره يتلهب
أنساك لا زالت إذاً منسية ... نفسي ولا زالت يميني تنكب
أضمرت منك اليأس حين رأيتني ... وقوى حبالي من قواك تقضب
ورجعت حين رجعت منك بحسرة ... لله ما فعل الأصم الأشيب

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان - رضوان الله عليه - قال: حدثني محمد بن ناصح رحمة الله عليه، قال: لحقت غلات أهل البت آفة أيام محمد بن عبد الملك من جراد وعطش، فتظلم إليه جماعة منهم، فوجه ببعض أصحابه ناظراً في أمرهم، وكان في بصره ضعف، فكتب إليه محمد بن علي البتي:

أتيت أمراً يا أبا جعفر ... لم يأته بر ولا فاجر
أغثت أهل البت إذ أهلكوا ... بناظر ليس له ناظر

فبلغه، فضحك ورد الناظر ووقع لهم بما سألوا بغير نظر.

أخبرني الصولي رضي الله عنه قال: حدثني محمد بن يحيى بن أبي عباد عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال علي بن جبلة يهجو محمد بن عبد الملك الزيات، وكان قد قصد أبا دلف القاسم بن عيسى في بعض أمره:

يا بائع الزيت عرج غير مرموق ... لتشغلن عن الأرطال والسوق
من رام شتمك لم ينزع إلى كذب ... في منتماك وأبداه بتحقيق
أبوك عبد وللأم التي فلقت ... عن أم رأسك هن غير محلوق
إن أنت عددت أصلاً لا تسب به ... يوماً فأمك مني ذات تطليق
ولن تطيق بحول أن تزيل شجاً ... أثبته منك في مستنزل الريق
الله أنشاك من نوك ومن كذب ... لا تعطفن إلى لؤم لمخلوق

ماذا يقول امرؤ غشاك مدحته إلا ابن زانية أو فرخ زنديق؟

فأجابه محمد:

اشمخ بأنفك يا ذا السيئ الأدب ما شئت واضرب قذال الأرض بالذنب

وارفع بصوتك تدعو من بذي عدن ومن بقالي قلا بالويل والحرب

ما أنت إلا امرؤ أعطى بلاغته فضل العذار ولم يربع على أدب

فاجمح لعلك يوماً أن تعض على لجم دلاصية تثنيك من كثب

إني اعتذرت فما أحسنت تسمع من عذري ومن قبل ما أحسنت في الطلب

صبراً أبا دلف في كل قافية كالقدر وقفاً على الجارات بالعقب

يا رب إن كان ما أنشأت من عرب شروى أبي دلف فاسخط على العرب

إن التعصب أبدى منك داهية كانت تحجب دون الوهم بالحجب

فأجابه علي بن جبلة:

نبهت عن سنة عينيك فاصطبر واسحب بذيلك هل تقفو على أثر؟

إن يرحض الله عني عار مطلبي إليك رفداً ألا فانجد به وغر

إني ودعواك أن تأتي بمكرمة كمنبض القوس عن سهم بلا وتر

فاردد جفونك حسرى عن أبي دلف ولا ملامة أن تعشى عن القمر

لا يسخطن امرؤ إن ذل من حسب فالله أنزله في محكم السور

لم آت سوءاً ولم أسخط على أحد إلا على طلبي في مجتدى عسر

أقصر أبا جعفر عن سطوة جمحت إن لم تقصر بها مالت إلى القصر

فأجابه محمد بن عبد الملك:

يا أيها العائبي ولم ير لي عيباً أما تنتهي فتزدجر!

هل لك وتر لدي تطلبه فأنت صلد ما فيك معتصر

فالحمد والمجد والثناء لنا وللحسود التراب والحجر

وهي طويلة يقول فيها:

تعيش فينا ولا تلائمنا كما تعيش الحمير والبقر

تغلي علينا الأشعار منك وما عندك نفع يرجى ولا ضرر

أخبرني عمي - رحمه الله - قال: حدثني عمر بن نصر الكاتب، قال: حدثني عمي علي بن الحسن بن عبد الأعلى، قال محمد: اجتاز بديع غلام عمير المأموني بمحمد بن عبد الملك الزيات، وكان أحسن خلق الله وجهاً، وكان محمد يحبه ويجن به جنوناً فقال:

راح علينا راكباً طرفه أغيد مثل الرشأ الآنس

قد لبس القرطق واستمسكت كفاه من ذي برق يابس

وقلد السيف على غنجه كأنه في وقعة الداحس

أقول لما أن بدا مقبلاً يا ليتني فارس ذا الفارس

أخبرني الأخفش، قال: حدثني محمد بن يزيد قال: دامت الأمطار بسرى من رأى، فتأخر الحسن بن وهب عن محمد بن عبد الملك الزيات، وهو يومئذ وزير، والحسن يكتب له، فاستبطأه محمد بن عبد الملك، فكتب إليه الحسن يقول:

أوجب العذر في تراخي اللقاء ما توالى من هذه الأنوار

لست أدري ماذا أقول وأشكو من سماء تعوقني عن سماء

غير أني أدعو على تلك بالثك ل وأدعو لهذه بالبقاء

فلام الإله أهديه غضا لك مني يا سيد الوزراء

أخبرني الصولي، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: اعتل الحسن بن وهب، فتأخر عن محمد بن عبد الملك أياماً كثيرة، فلم يأته رسول، ولا تعرف خبره، فكتب إليه الحسن قوله:

أيهذا الوزير أيدك الل ه وأبقاك لي بقاء طويلا

أجميلاً تراه يا أكرم النا س لكيما أراه أيضاً جميلا

إنني قد أقمت عشراً عليلاً ما ترى مرسلاً إلي رسولا

إن يكن موجب التعمد في الص حة منا علي منك طويلا

فهو أولى يا سيد الناس برا وافتقاداً لمن يكون عليلا

فلماذا تركتني عرضة الظن من الحاسدين جيلاً فجيلا؟

ألذنب فما علمت سوى الشك ر قريناً لنيتي ودخيلا؟

أم ملال، فما علمتك للصا حب مثلي على الزمان ملولا؟

قد أتى الله بالشفاء فما أع رف مما أنكرت إلا قليلا

وأكلت الدراج وهو غذاء أفلت علتي عليه أفولا

بعد ما كنت قد حملت من العل ة عبئاً على الطباع ثقيلا

ولعلي قدمت قبلتك آتي ك غداً إن وجدت فيه سبيلا

فأجابه محمد بن عبد الملك:

دفع الله عنك نائبة الده ر وحاشاك أن تكون عليلا

أشهد الله ما علمت وما ذا ك من العذر جائزاً مقبولا

ولعمري أن لو علمت فلا زمت ك حولاً لكان عندي قليلا

إنني أرتجي وإن لم يكن ما كان مما نقمت إلا جليلا

أن أكون الذي إذا أضمر الإخ لاص لم يلتمس عليه كفيلا

ثم لا يبذل المودة حتى يجعل الجهد دونها مبذولا

فإذا قال كان ما قال إذ كا ن بعيداً من طبعه أن يقولا

فاجعلن لي إلى التعلق بالعذ ر سبيلاً إن لم أجد لي سبيلا

فقديماً ما جاد بالصفح والعف و وما سامح الخليل الخليلا

قال: وكتب محمد بن عبد الملك إلى الحسن بن وهب وقد تأخر عنه:

قالوا جفاك فلا عهد ولا خبر ماذا تراه دهاه قلت: أيلول

شهر تجذ حبال الوصل فيه فما عقد من الوصل إلا وهو محلول

قال: وكان محمد قد ندبه لأن يخرج في أمر مهم فأجابه الحسن فقال:

إني بحول امرئ أعليت رتبته فحظه منك تعظيم وتبجيل

وأنت عدته في نيل همته وأنت في كل ما يهواه مأمول

ما غالني عنك أيلول بلذته وطيبه ولنعم الشهر أيلول

الليل لا قصر فيه ولا طول والجو صاف وظهر الكأس مرحول

والعدو مستنطق عن كل معجبة يضحي بها كل قلب وهو متبول

لكن توقع وشك البين عن بلد تحله فوكاء العين محلول

مالي إذا شمرت بي عنك مبتكراً ... دهم البغال أو الهوج المراسيل

إلا رعاياتك اللاتي يعود بها ... حد الحوادث عني وهو مفلول

قال: وكان الحسن بن وهب يساير محمداً على مسناة ، فعدل عن المسناة لئلا يضيق لمحمد الطريق، فظن محمد أنه أشفق على نفسه من المسناة، فعدل عنها، و لم يساعده على طريقه، وظن بنفسه أن يصيبها ما يصيبه، فقال له محمد:

قد رأيناك إذ تركت المسنا ... ة وحاذيتني يسار الطريق

ولعمري ما ذاك منك وقد جد ... بك الجد من فعال الشفيق

فقال له الحسن:

إن يكن خوفي الحتوف أراني ... أن تراني مشبهاً بالعقوق

فلقد جارت الظنون على المش ... فق والظن مولع بالشفيق

غرر السيد الأجل وقد سا ... ر على الحرف من يمين الطريق

فأخذت الشمال بقيا على السي ... د إذ هالني سلوك المضيق

إن عندي مودة لك حازت ... ما حوى عاشق من المعشوق

طود عز خصصت منه ببر ... صار قدري به مع العيوق

وبنفسي وإخوتي وأبي الب ... ر وعمي وأسرتي وصديقي

من إذا ما روعت أمن روعي ... وإذا ما شرقت سوغ ريقي

أخبرني علي بن سليمان الأخفش الصولي، قال: حدثنا المبرد، قال: استسقى الحسن بن وهب من محمد بن عبد الملك نبيذاً ببلد الروم، وهو مع المعتصم فسقاه وكتب إليه:

لم تلق مثلي صاحباً ... أبدى يداً وأعلم جودا

يسقي النديم بقفرة ... لم يسقي فيها الماء عودا

صفراء صافية كأن ... بكأسها دراً نضيدا

وأجود حين أجود لا ... حصراً بذاك ولا بليدا

وإذا استقل بشكرها ... أوجبت بالشكر المزيدا

خذها إليك كأنما ... كسيت زجاجتها عقودا

واجعل عليك بأن تقو ... م بشكرها أبداً عهودا

أخبرني الصولي، قال: حدثني أحمد بن محمد الأنصاري، قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك، قال: دعا محمد بن عبد الملك قبل وزارته الحسن ن وهب في آخر أيام المأمون، فجاءه ودخلا حماماً له، وأقاما على لهوهما، ثم طلب الحسن بن وهب لعمل احتيج فيه إليه، فمضى، وبطل يومهم ، فكتب الحسن إليه:

سقياً لنضر الوجه بسامه ... مهذب الأخلاق قمقامه

تكسبه شكراً على أنها ... مطبقة السن للوامه

زرناه في يوم علا قدره ... من سائر الأيام في عامه

أسعده الله وأحظى به ... وجاده الغيث بإرهامه

فكان مسروراً بنا باذلاً ... لرحله الرحب وهمامه

نخدمه وهو لنا خادم ... بفضله من دون خدامه

ثم سقانا قهوة لم يدع ... أطيب منها بقرى شامه

صهباء دلت على دنها ... وحدثت عن ضعف إسلامه

فأجابه محمد بن عبد الملك رحمه الله تعالى:

وزائر لذ لنا يومه ... لو ساعد الدهر بإتمامه

ماذا لقينا من دواوينه ... وخطه فيها بأقلامه؟

أسر ما كنا فمن مازح ... أو شارب قد عب في جامه

فارقنا فالنفس مطروفة ... بواكف الدمع وسجامه

وعاد بالمدح لنا منعماً ... به إلى سالف إنعامه

ليت وأني لي بها منية لو كنت فيه بعض قوامه

يشكر ما نال على أنه ... لا يشكر الحر لحمامه

أمسحه فيه وأدنو له ... من خلفه طوراً وقدامه

جعلت نفسي جنة للصبا ... وبعت إسلامي بإسلامه

فصار ما يشرب حلاله ... وصرت مأخوذاً بآثامه

أخبرني الحسن بن القاسم الكاتب، قال: سمعت القاسم بن ثابت يحدث عن أبيه، قال: قال أحمد الأحول: لما قبض على محمد بن عبد الملك الزيات تلطفت في الوصول إليه، فرأيته في حديد ثقيل، فقلت له: أعزز علي ما أرى، فقال:

سل ديار الحي ما غيرها ... ومحاها ومحا منظرها؟

وهي اللاتي إذا ما انقلبت ... صيرت معروفها منكرها

إنما الدنيا كظل زائل ... نحمد الله كذا قدرها

في هذه الأبيات رمل طنبوري لا أدري لمن هو؟ ومما يغنى فيه شعر محمد بن عبد الملك الزيات:

ظالمني ما علمته ... معتد لا عدمته

مطمعي بالوصال مم ... تنع حين رمته

مرصد بالخلاف وال ... منع من حيث سمته

هاجر إن وصلته ... صابر إن صرمته

كم وكم قد طويت ما ... بي وكم قد كتمته

رب هم طويت في ... ك وغيظ كظمته

وحياة سئمتها ... والهوى ما سئمته

رمت شيئاً هويته ... ليس لي ما حرمته

قال إذ صرح البكا ... ء بما قد سترته

لو بكى طول دهره ... بدم ما رحمته

الغناء لأبي العبيس بن حمدون ثقيل بالبنصر.

إذا أحببت لم أسل ... وإن واصلت لم أقطع

وإن عاتبني الناس ... تصاممت فلم أسمع

وقد جربت ما ضر ... وقد جربت ما ينفع

فما مثل الهوى أنه ... ك للجسم ولا أضرع

ولا كالهجر في القرب ... إلى الموت ولا أسرع

وإن أوجعني العذل ... فنيران الهوى أوجع

وهذا عدم العقل ... فما أستطيع أن أصنع

ولا والله ما عندي لما قد حل بي مدفع
ولا في لهجران ك لولا ظلمكم موضع

الغناء لعريب لحنان: خفيف ثقيل بالبنصر، وهزج بالوسطى.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرد، قال: حدثني الحسن بن رجاء، قال: قدم محمد بن عبد الملك على الحسن بن سهل إلى فم الصلح، وامتدحه بقصيدته التي أولها:

كأنها حين تناءى خطؤه أخنس موشي الشوي يرعى القلل

وقال فيها:

إلى الأمير الحسن استنجدتها أي مراد ومناخ ومحل

سيف أمير المؤمنين المنتضى وحصن ذي الرياستين المقتبل
آباؤك الغر الألى جدهم كسرى أنو شروان والناس همل
من كل ذي تاج إذا قال مضى كل الذي قال وإن هم فعل
فأين لا أين وأنى مثلكم أنتم الأملاك والناس خول

فأمر له بعشرة آلاف درهم.

قال: ومرض الواثق، فدخل إليه الحسن بن سهل عائداً، ومحمد بن عبد الملك يومئذ وزيره، والحسن بن سهل متعطل، فجعل الحسن بن سهل يتكلم في العلة وعلاجها وما يصلح للواثق من الدواء والعلاج والغذاء أحسن كلام، قال: فحسده محمد بن عبد الملك، وقال له: من أين لك هذا العلم يا أبا محمد؟ قال: إني كنت أستصحب من أهل كل صنعة رؤساء أهلها، وأتعلم منهم، ثم لا أرضى إلا ببلوغ الغاية، فقال له محمد -وكان حسوداً: ومتى كان ذلك؟ قال: في زمان قلت في:

فأين لا أين وأنى مثلكم أنتم الأملاك والناس خول

فخجل محمد بن عبد الملك، وأطرق، وعدل عن الجواب.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني حماد بن إسحاق قال: حدثني ميمون بن هارون بن خلف قال: كنت أسير بالقرب من محمد بن عبد الملك الزيات، وهو يريد يومئذ منزله، حتى مر بدار إبراهيم بن رباح، فرأى فيها قبة مشيدة، فقال:

أما القباب فقد أراها شيدت وعسى أمور بعد ذاك تكون
عبد عرت منه خلائق جهله إذ راح وهو من الثراء سمين

فما كان إلا أيام حتى أوقع به.

أخبرني عمي قال: حدثني الحسن بن علي بن عبد الأعلى عن أبيه قال: كان الواثق قد أصلح بين محمد بن عبد الملك الزيات وبين أحمد بن أبي داود، فكف محمد عن ذكره، وجعل بن أبي داود يخلو بالواثق، ويغريه به، حتى قبض عليه، وكان فيما بلغه عنه أنه قد عزم على الفتك به والتدبير عليه. فقبض الواثق عليه، ثم أطلقه بعد مدة، ثم وزر للمتوكل، وكان محمد بن عبد الملك أشار بابن الواثق، وأشار ابن أبي داود بالمتوكل، وقام وقعد في أمره حتى ولى، وعممه بيده، وألبسه البردة، وقبل بين عينيه، وكان المتوكل قبل ذلك يدخل على محمد بن عبد الملك في حياة الواثق يشكو إليه جفاءه له فيتجهمه محمد، ويغلظ له الرد، إلى أن قال يوماً بحضرته: ألا تعجبون إلى هذا العاصي، يعادي أمير المؤمنين، ثم يسألني أن أصلح له قلبه! اذهب، ويلك فأصلح نفسك له، حتى يصلح لك قلبه. فكان موقع ذلك يحسن عند الواثق، فدخل إليه يوماً، وقد كان قال للواثق: إن جعفراً يدخل إلي وله شعر قفاً وطرة مثل النساء، فقد فضحك فأمره بأن يحلقهما، وبضرب بشعرهما وجهه، فلما دخل إليه المتوكل فعل ذلك به، وتجهمه بالقبيح، فلما ولي الخلافة خشي إن نكبه عاجلاً أن يستتر أسبابه فتفوته بغيته فيه، فاستوزره وخلع عليه، وجعل ابن أبي داود يغريه به ويجد عنده لذلك موقعاً واستماعاً، حتى قبض عليه وقتله، فلم يجد له من أملاكه كلها من عين وورق وأثاث وضيعة إلا ما كانت قيمته مائة ألف دينار، و لم يجد منه عوضاً، وكان أمره مما يعتد على أحمد بن أبي داود، ويقول: أطمعتني في باطل، وحملتني على أمر لم أجد منه عوضاً.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: زعم محمد بن عيسى الفساطيطي، أن محمد بن عبد الملك اجتاز بدندن الكاتب، وعليه خلع الوزارة للمتوكل لما وزر له، فقال دندن:

راح الشقي بخلعة النكر ... مثل الهدي لليلة النحر

لا تم شهر بعد خلعته ... حتى تراه طافي الجمر

ويرى يطاين من إساءته ... يهوي له بقواصم الظهر

فكان الأمر كما قال.

قال علي بن الحسين بن عبد الأعلى: فلما قبض عليه المتوكل استعمل له تنور جديد، وجعل فيه مسامير لا يقدر معها أن يتحرك إلا دخلت في جسده، ثم أحماه له وجعله فيه، فكان يصيح: ارحموني! فيقال له: اسكت، أنت كنت تقول: ما رحمت أحداً قط، والرحمة ضعف في الطبيعة، وخور في المنة، فاصبر على حكمك! وخرج عليه عبادة، فقال: أردت أن تشويني، فشووك.

أخبرني طاهر بن عبد الله بن طاهر الهاشمي: قال: قال العباس بن طومار:

أمر المتوكل عبادة أن يدخل إلى محمد بن عبد الملك الزيات - وقد أحمى تنور حديد، وجعله فيه - فيكايده، فدخل إليه فوقف بإزائه، ثم قال: اسمع يا محمد، كان في جيراننا حفار يحفر القبور، فمرضت مخنثة من جيراني، وكانت صاحبة لي، فبادر فحفر لها قبراً من الطمع في الدراهم، فبرأت هي ومرض هو بعد أيام، فدخلت إليه

صاحبتي وهو بالنزع، فقالت: وي يا فلان؟ حفرت لي قبراً وأنا في عافية، أو ما علمت أنه من حفر بئر سوء وقع فيها، وحياتك يا محمد، لقد دفناه في ذلك القبر، والعقبى لك. قال: فوالله ما برح من إزاء محمد، عبد الملك يؤذيه، ويكايده إلى أن مات.

قال الصولي: وقال الحسن بن وهب يرثي محمد بن عبد الملك، وكان في حياته ينتفي منها، ويجحدها، ثم شاعت بعد ذلك، ووجدت بخطه:

يكاد القلب من جزع يطير ... إذا ما قيل قد قتل الوزير

أمير المؤمنين هدمت ركناً ... عليه رحاكم كانت تدور

سيبلى الملك من جزع عليه ... ويخرب حين تضطرب الأمور

فمهلاً يا بني العباس مهلاً ... فقد كويت بفعلكم الصدور

إلى كم تنكبون الناس ظلماً ... لكم في كل ملحمة عقير

جزيتم ناصراً لكم المنايا ... وليس كذلكم يجزى النصير

فكنتم سائقاً أرسا إليكم ... وذلك من فعالكم شهير

وكأن صلاحه لو شئتموه ... قريباً لا يحاوله البصير

كأن الله صيركم ملوكاً ... لئلا تعدلوا ولأن تجوروا

أخبار أبي حشيشة

أبو حشيشة لقب غلب عليه، وهو محمد بن أمية بن أبي أمية، يكنى أبا جعفر، وكان أهله جميعاً متصلين بإبراهيم المهدي، وكان هو من بينهم معنياً بالطنبور، يغني أحسن غناء وخدم جماعة من الخلفاء أولهم المأمون، ومن بعده إلى المعتمد.

وله يقول أبو صالح بن يزداد وكتب بها في استتاره :

جعلت فداك يا بن أبي أميه ... أرى الأيام قد حكمت عليه

وملني الصديق وخان عهدي ... فما أقرا لكم كتباً إليه

فإن كان الضمير كما بدا لي ... فهذا والإله هو البليه

كان أكثر انقطاعه إلى أبي أحمد بن الرشيد أيام حياته، وكان أبوه وجده وأخواله كتاباً.

وقرأت على أحمد بن جعفر بحظة ما ذكره عن أبي حشيشة في كتابه الذي ألفه في أخبار مراتب الطنبوريين والطنبوريات وكان من ذلك أنه قال: شاهدت أبا حشيشة مدة، وكان يتغنى في أشعار خالد الكاتب وبني أمية،

وكانت معه فقر من الأحاديث يضعها مواضعها، وكانت له صنعة تقدم فيها كل طنبوري، لا أحاشي من قولي ذلك، فمنها:

كأن هموم الناس في الأرض كلها ... علي وقلبي بينهم قلب واحد

ولي شاهدا عدل سهاد وعبرة ... وكم مدع للحب من غير شاهد

وهو خفيف رمل مطلق. قال جحظة: ورأيته في القدمة التي قدمها مع ابن المدبر بين يدي المعتمد، وقد غناه

حرمت بذل نوالك ... واسوأتا من فعالك !

لما مللت وصالي ... آيستني من وصالك

فوهب له مائتي دينار.

واللحن رمل مطلق.

أخبرني جحظة فيما قرأته عليه، قال: حدثني ابن نوبخت: يعني علي بن العباس قال: رأيته وقد حضرت عريب عند ابن المدبر، وهو يغني، فقالت له عريب: أحسنت يا أبا جعفر، ولو عاش الشيخان ما قلت لهما هذا - تعني علويه ومخارقاً.

حدثني أبو حشيشة، قال: هجم علي خادم أسود، فقال لي: البس ثيابك، فعلمت أن هذا لا يكون إلا عن أمر خليفة أو أمير، فلم أراجعه، حتى لبست ثيابي، فمضيت معه فعبر بي الجسر، وأدخلني إلى دار لا أعرفها، ثم اجتاز بي في رواق فيه حجر تفوح منهن رائحة الطعام والشراب، فأدخلت منهن إلى حجرة مفروشة، وجاءني بمائدة كأنها جزعة يمانية قد نشرت في عراصها الحبرة ، فأكلت وسقاني رطلين وجاءني بصندوق ففتحته فإذا فيه طنابير، فقال لي: اختر، فاخترت واحداً، وأخذ بيدي، فأدخلني إلى دار فيها سماعة وفيها رجلان على أحدهما قباء غليظ، وعلى الآخر ثياب ملحم وخز، فقال لي صاحب الخز: اجلس، فجلست، فقال: أكلت وشربت؟ فقلت: نعم. قال: عندنا؟ قلت: نعم، قال: تغني ما نقول لك؟ فقلت: قل، فقال: تغني بصنعتك:

يا كثير الإقبال والانصراف ... وملولاً ولو أشأ قلت خاف

وهو رمل مطلق، فغنيته إياه، وجعل يطلب مني صوتاً بعد صوت من صنعتي، فأغنيه، ويستعيده، ويشرب هو والرجل، وأسقى بالأنصاف المختوته إلى أن صلوا العشاء الآخرة، وهم لا يشربون إلا على الصوت الأول لا يريده غيره، ثم أومأ إلي الخادم: قم، فقمت، فقال لي صاحب القباء منهما، أتعرفني؟ قلت: لا والله، قال: أنا إسحاق بن إبراهيم الطاهري، وهذا محمد بن راشد الخناق، والله لئن بلغني أنك تقول: إنك رأيتني لأضربنك مائتي سوط، انصرف. فخرجت ودفع إلى الخادم ثلاثمائة دينار، فجهدت أن يقبل منها شيئاً على سبيل ابر، فما فعل.

حدثني جحظة قال: حدثني أبو حشيشة، قال: وجه إلي إسحاق بن إبراهيم الطاهري، فصرت إليه وهو في داره التي على طرف الخندق، فدعا بجونة ، فأكل وأكلت من ناحية، ودعا بستارة وقال: تغن بصنعتك:

عاد الهوى بالكأس بردا فأطع إمارة من تبدى

وهو خفيف رمل مطلق.

فغنيته مراراً، ثم ضرب الستارة، وقال: فولوه، فقالته جارية فأحسنت غاية الإحسان، فضحك ثم قال: كيف تراه؟ فقلت: قد والله بغضوه إلي، فازداد في الضحك، وأنا أرمق جبة خز خضراء كانت عليه، فقال: كم ترمق هذه الجبة؟ يا غلام، كانت عشرة أثواب خز فقطعت منها هذه الجبة، فهات التسعة فجيء بها، فدفعها إلي فكتب أبيع رذالها بستين ديناراً.

حدثني جحظة قال: حدثني أبو حشيشة أن بني الجنيد الإسكافيين كانوا أول من اصطنعه، وأنهم كانوا يسمونه الظريف، وأن أول مترل ابتاعه من أموالهم إلى أن شاع خبره، وتفاقم أمره، قال: وكانوا آكل الناس، رأيت رجلاً منهم، وقد أكل هو وابن عم له اثنين وعشرين رأساً كباراً، وشربا، فسكرا وناما، ثم انتبها في وقت الظهر، فدعوا بالطعام، فعادا إلى الأكل، ما أنكر منهما شيئاً.

ونسخت من كتاب ألفه أبو حشيشة، وجمع فيه أخباره مع من عاشره، وخدم من الخلفاء، وهو كتاب مشهور، قال: أول من سمعني من الخلفاء المأمون، وهو بدمشق، وصفني له مخارق، فأمر بأشخاصي إليه، وأمر لي بخمسين ألف درهم أتجهز بها، فلما وصلت إلي أدناني، وأعجب بي، وقال للمعتصم: هذا ابن من خدمك وخدم آبائك وأجدادك يا أبا إسحاق، جد هذا أمية كاتب جدك المهدي على كتابة السر وبيت المال والخاتم، وحج المهدي أربع حجج كان جد هذا زميله فيها. واشتهى المأمون من غنائي:

كان ينهى فنهى حين انتهى وانجلت عنه غيابات الصبا

خلع اللهو وأضحى مسبلاً للنهى فضل قميص وردا

كيف يرجو البيض من أوله في عيون البيض شيب وجلا

كان كحلاً لمآقيها فقد صار بالشيب لعينيها قذى

الشعر لدعبل، والغناء لمحمد بن حسين بن محرز رمل بالوسطى.

قال أبو حشيشة: وكان مخارق قد نهاني أن أغني ما فيه ذكر الشيب من هذا الشعر، وأن أقتصر على البيتين الأولين؛ لأن المأمون كان يشتد عليه ذكر الشيب، ويكرهه جداً من المغنين، وأمر ألا يغنيه أحد بشعر قيل في الشيب أو فيه ذكر له، فمررت في الشعر كله، فقال: يا مخارق، ألا تحسن أدب هذا الفتى! فنقفني مخارق نقفة صلبة، فما عدت بعدها لذكر شيء فيه الشيب.

وذكر أبو حشيشة في كتابه هذا مما كان يشتهيه عليه المأمون وغيره من الخلفاء أصواتاً كثيرة، ولا فائدة في

ذكرها هاهنا، لأنها طويلة، فذكرت مما كان يختاره عليه كل خليفة صوتاً. قال أبو حشيشة: كان المعتصم يشتهي علي:

أسرفت في سوء الصنيع وفتكت بي فتك الخليع
وولعت بي متمرداً والعذر في طرف الولوع
صيرت حبك شافعاً فأتيت من قبل الشفيع

الشعر لأصرم بن حميد، والغناء لأبي حشيشة.

قال: وكان الواثق يختار من غنائي:

يا تاركي متلدد الـ ـع واد جذلان العداة
انظر إلي بعين را ض نظرة قبل الممات
خليتني بين الوعي د وبين ألسنة الوشاة
ماذا يرجي بالحيا ة منغص روح الحياة؟

الشعر لمحمد بن سعيد الأسدي، والغناء لأبي حشيشة خفيف الرمل.

قال: وكان المتوكل يحبني، وكانت أغانيه التي يشتهيها علي كثيرة منها:

أطعت الهوى وخلعت العذارا وباكرت بعد القراح العقارا
ونازعك الكأس من هاشم كريم يحب عليها الوقارا
فتى فرق الحمد أمواله يجر القميص ويرخي الإزارا
رأى الله جعفر خير الأنام فملكه ووقاه الحذارا

الشعر والغناء لأبي حشيشة.

قال: كان الفتح بن خاقان يشتهي علي:

قالوا عشقت فقلت أحسن من مشى والعشق ليس على الكريم بعار
يا من شكوت إليه طول صبابتي فأجابني بتجهم الإنكار

قال: وكان المستعين يشتهي علي:

وما أنس لا أنس منها الخشوع وفيض الدموع وغمز اليد
وخدي مضافاً إلى خدها قياماً إلى الصبح لم ترقد

الشعر لمحمد بن أبي أمية والغناء لأبي حشيشة.

قال: وأخبرني محمد بن علي بن عصمة - وكان إليه الزهد في دنيا كلها - قال: حضرت المعتز وقد ورد عليه جواب كتابه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر، وكان كتب إليه يطلبني منه، فكتب إليه محمد: إني عليل، لا فضل في للخدمة، قال أبو عصمة: فقال لي المعتز: يا أبا محمد، صديقك أبو حشيشة يؤثر علينا آل طاهر، فقلت له: يا سيدي، أنا أعلم الناس بخبره، هو والله عليل: ما فيه موضع لخدمة أمير المؤمنين، قال: ثم ذكرني المعتمد. وحرضه علي ابن حمدون، فكتب إليه أيوب سليمان بن عبد الله بن طاهر -وهو يومئذ أمير بغداد - في إشخاصي، فشخصني إليه من ساعتي، فأكرمني، وأدنى في مجلسي، وأمر لي بجائزة، واشتهى علي:

قلبي يحبك يا منى ... قلبي ويبغض من يحبك

لأكون فرداً في هوا ... ك فليت شعري كيف قلبك؟

الشعر لأحمد بن يوسف الكاتب، والصنعة لأبي حشيشة رمل.

قال أبو حشيشة: سمع إبراهيم بن المهدي أصواتاً من غناء محمد بن الحارث بن بسخنر وعمرو بن بانة، فاستحسنها وأخذها جواريه، وقال: الطنبور كله باطل، فإن كان فيه شيء حق فهذا. وأشتهي أن يسمعني. فهبته هيبة شديدة، وقلت: إن رضيني لم يزد ذلك في قدري، وإن لم يرضني بقيت وصمة آخر الدهر، وكان يطلبني من محمد بن الحارث بن بسخنر خاصة، ومن إسحاق بن عمرو بن بزيع، فكنت أفر منهما، حتى صرت بسر من رأى، وأنا في تلك الأيام منقطع إلى أبي أحمد بن الرشيد، ونحن في مضارب لم نكن سكناً المنازل بعد، فوافى إلى أبي أحمد بن الرشيد رسول إبراهيم بن المهدي فأبلغه السلام، وقال: يقول لك عمك: قد أعيتني الحيل في هذا الخبيث، وأنا أحب أن أسمعه، وهو يهرب مني، فأحب أن تبعث به إلي، ويكون زيرب معه تؤنسه. فقال لي: أبو أحمد: لا بد أن تمضي إلى عمي، فجهدت كل الجهد أن يعفيني، فأبى، فلما رأيت أنه لا بد لي منه لبست ثيابي، ومضيت إليه، وهو نازل في دسكرة، فرحب بي وقرب، وبسطني كل البسط ومعي زيرب، ودعا بالنبيذ، وأمر خدماً له كباراً، فجلسوا معي وشربوا وسقوني، وعرض لي بكل حيلة أن أغني، فهبته هيبة شديدة، وحصرت. وشرب، ودعا بثلاث جوار، فخرجت وجلسن، وقال لهن: قلن:

كيف احتيالي وأنت لا تصل ... عيل اصطباري وقلت الحيل

إن كان جسمي هواك ينحله ... فإن قلبي عليك يتكل

الشعر لخالد الكاتب، والغناء لأبي حشيشة الرمل. وكان يسميه الرهباني، عمله على لحن من ألحان النصارى سمعه من رهبان في الليل يرددونه، فغناه عليه.

فقالته إحداهن، فذهب عقلي، وسمعت شيئاً لم أسمع مثله قط، فقال: يا خليلي، أهذا لك؟ فقلت: نعم - أصلح الله الأمير - وأخذتني رعدة، ثم قال لهن: إيه، قلن:

رب مالي وللهوى ما لهذا الهوى دوا
حاز طرفي الذي هوى ال حسن قلبي وما حوى

الشعر لخالد، والغناء لأبي حشيشة رمل.

فغنته فسمعت ما هو أعجب من الأول، فقال: يا خليلي، هذا لك؟ قلت: نعم يا سيدي، قال: هكذا أخذناهما من محمد بن الحارث، ثم شرب رطلاً آخر، فقلت: يا نفس ، دعاك الرجل يسمعك، أو يسمعك، وقويت عزمي، وتغنيته بشعر خالد الكاتب، وهو هذا:

لئن لج قلبك في ذكره ولج حبيبك في هجره
لقد أورث العين طول البكا وعز الفؤاد على صبره

فإن أذهب القلب وجد به فجسمك لا شك في إثره
وأي محب تجافى الهوى بطول التفكر لم يبره

فجعل يردد البيت الأول والبيت الأخير، وقال لي: لا تخرجن يا خليلي من هذا إلى غيره، فلم أزل أردده عليه، حتى شرب ثلاثاً، واسترحت ساعة، وشربتا وطابت نفسي، ثم استعادني فغنيته، فأعجب بي خلاف الأول، فنظر إلي وضحك، و لم يقل شيئاً، وشرب رطلاً رابعاً وجاءت المغرب، فقال لي: يا خليلي، ما أشك في أنك قد أوحشت ابني منك، فامض في حفظ الله تعالى. فخرجت أطير فرحاً بانصرافي سالماً، فلما وافيت أبا أحمد، وبصر بي من بعيد قال: حنطة، أو شعير؟ فقلت، بل سمسم وشهد، انج على رغم أنف من رغم، فقال: ويحك، أتراني لا أعرف فصلك! ولكن أحببت أن أستعين برأيه على رأيي فيك، وقصصت عليه القصة، فسره ذلك، و لم يرض حتى دس إليه محمد بن راشد الخناق، فسأله عني، فقال: ما ظننت أن يكون في صناعته مثله.

قال أبو حشيشة: وسمع إسحاق بن إبراهيم الموصلي غنائي فاستحسنه، فسئل عني، فقال: غناء الطنبور كله ضعيف، وما سمعت فيه قط أقوى ولا أصح من هذا.

حدثني جحظة، قال: كان سبب موت أبي حشيشة بسر من رأى، أن قلماً غلام الفضل بن كاووس صار إليه في يوم بارد، فدعاه إلى الصبوح، فقال له: أنا لا آكل إلا طعاماً حاراً، وليس عندك إلا فضيلة من مجلية، قال: تساعدني، وتأكل معي، فأكل منها، فجمدت دم قلبه، فمات، فحمله إبراهيم بن المدبر إلى بناته، وما كسبه بسر من رأى معه، فاقتسمنه بينهن.

سقياً لقاطول لا أرى بلداً أوطنه الموطنون يشبهها
أمناً وخفضاً ولا كبهجتها أرغد أرض عيشاً وأرفهها

البيت الأول من البيتين لعنان جارية الناطفي، والثاني يقال: إنه لعمرو الوراق ، ويقال إنه لأبي نواس، ويقال بل هو لها.

والغناء لعريب خفيف رمل. وكان الشعر: "سقياً لبغداد" فعيرته عريب وجعلت مكانه "سقياً لقاطول".

أخبار عنان

كانت عنان مولدة من مولدات اليمامة، وبها نشأت وتأدبت، واشتراها الناطفي، ورباها، وكانت صفراء جميلة الوجه، شكلة مليحة الأدب والشعر سريعة البديهة. وكان فحول الشعراء يساجلونها، ويقارضونها، فتنتصف منهم.

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني صهر المبرد النحوي وعلي بن صالح بن الهيثم قال: حدثنا أبو هفان عن الجماز قال: دخل أبو نواس يوماً على عنان جارية الناطفي، فتحدثا ساعة، ثم قال لها: قد قلت شعراً، فقلت: هات، فقال:

إن لي أيراً خبيثاً ... لونه يحكي الكميتا

لو رأى في الجو صدعاً ... لنزا حتى يموتا

أو رآه فوق سقف ... لتحول عنكبوتا

أو رآه جوف بحر ... خلته في البحر حوتا

قال: فما لبثت أن قالت:

زجوا هذا بألف ... وأظن الألف قوتا

إنني أخشى عليه ... إن تمادى أن يموتا

بادروا ما حل بالمس ... كين خوفاً أن يفوتا

قبل أن ينتكس الد ... اء فلا يأتي ويوتي

قال: ودخل إليها مرة، فقال:

ماذا ترين لصب ... يريد منك قطيره

فأجابته:

إياي تعني بهذا ... عليك فاجلد عميره

فقال لها:

أريد هذا وأخشى ... على يدي منك غيره

قال: فخجلت وقالت: تعست، وتعس من يغار عليك.

أخبرنا أحمد بن العزيز الجوهري: قال: حدثنا عمر بن شبة: قال: حدثني أبو أحمد بن معاوية: قال: سمعت أبا حنش يقول: قال لي الناطفي: لو جئت إلى عنان فطارحتها ، فعزمت على الغدو، فبت ليلتين أحوك بيتين، ثم غدوت عليها فقلت:

أحب الملاح البيض قلبي وربما أحب الملاح الصفر من ولد الحبش

بكيت على صفراء منهن مرة بكاء أصاب العين مني بالعمش

فقالت:

بكيت عليها أن قلبي يحبها وأن فؤادي كالجناحين ذو رعش

تغنيتنا بالشعر لما أتيتنا فدونك خذه محكماً يا أبا حنش

أخبرني أحمد، قال: حدثني عمر بن شبة: قال: حدثني أحمد بن معاوية: قال:

سمعت مروان بن أبي حفصة يقول: لقيني الناطفي؛ فدعاني إلى عنان، فانطلقت معه، فدخل إليها قبلي، فقال لها: قد جئتك بأشعر الناس، مروان بن أبي حفصة، فوجدها عليلة ،فقالت له :إني عن مروان لفي شغل، فأهوى إليها بسوط فضربها به، وقال لي: ادخل، وهي تبكي، فرأيت الدموع تنحدر من عينيها فقلت:

بكت عنان فجرى دمعها كالدر إذ يسبق من خيطه

فقالت وهي تبكي:

فليت من يضربها ظالماً تيبس يمناه على سوطه

فقلت: أعتق مروان ما يملك إن كان في الجن والأنس أشعر منها.

أخبرني الجوهري، قال: حدثنا أبو زيد عن أحمد بن معاوية: قال: قال لي رجل: تصفحت كتباً، فوجدت فيها بيتاً جهدت جهدي أن أجد من يجيزه، فلم أجد، فقال لي صديق: عليك بعنان جارية الناطفي، فجئتها فأنشدتها:

وما زال يشكو الحب حتى رأيته تنفس في أحشائه وتكلما

فما لبثت أن قالت:

ويبكي فأبكي رحمة لبكائه إذا ما بكى دمعاً بكيت له دما

-في هذين البيتين لحن من الرمل، أظنه لجحظة أو لبعض طبقته- قرأت في بعض الكتب: دخل بعض الشعراء على عنان جارية الناطفي، فقال لها مولاها عاييه ، فقالت:

سقياً لبغداد لا أرى بلداً يسكنه الساكنون يشبهها

فقال:

كأنها فضة مموهة أخلص تمويهها مموهها

فقالت:

أمن وخفض ولا كبهجتها أرغد أرض عيشاً وأرفهها

فانقطع .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني بن أبي سعيد قال: حدثني مسعود بن عيسى، قال: أخبرني موسى بن عبد الله التميمي، قال: دخل أبو نواس على الناطفي، وعنان جالسة تبكي، وخدها على رزة من مصراع الباب، وقد كان الناطفي ضربها، فأومأ إلى أبي نواس أن يحركها بشيء، فقال أبو نواس:

عنان لو جدت لي فإني من عمري في آمن الرسول بما

فردت عليه عنان:

فإن تمادى ولا تماديت في قطعك حبلي أكن كمن ختما

فرد عليها أبو نواس فقال:

علقت من لو أتى على أنف س الماضين والغابرين ما ندما

فردت عليه:

لو نظرت عينها إلى حجر ولد فيه فتورها سقما

أخبرني ابن عمار ، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه: قال: حدثني محمد بن أبي مروان الكاتب: قال: أخذ أبو نواس من عنان جارية الناطفي خاتماً فصه أحمر، فأخذه أحمد بن خالد حيلويه من أبي نواس، فطلبته منه عنان، فبعث إليها مكانه خاتماً فصه أخضر، فاهتمته في ذلك، فكتب أبو نواس إلى أحمد بن خالد، فقال:

فدتك نفسي يا أبا جعفر جارية كالقمر الأزهر

تعلقتني وتعلقتها طفلين في المهد إلى المكبر

كنت وكانت نتهادى الهوى بخاتمينا غير مستنكر

حنت إلى الخاتم مني وقد سلبتني إياه منذ أشهر

فأرسلت فيه فغالطتها بخاتم في قده أخضر

قالت :لقد كان لنا خاتم أحمر أهداه إلينا سري

لكنه علق غيري فقد أهدى إليه الخاتم لا أمتري

كفرت بالله وآياته إن أنا لم أهجره فليصبر

أو فأت بالمخرج من تهمتي إياه في خاتمنا الأحمر

فارددده تردد وصلها إنها قرة عيني يا أبا جعفر

فإنني متهم عندها وأنت قد تعلم أني بري

قال: فرد إليه الخاتم، وبعث إليه معه بألفي درهم.

أخبرني ابن عمار وعلي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرد، عن المازني عن الأصمعي - وقال ابن عمار في خبره عن بعض أصحابه - أظنه المازني- عن الأصمعي، قال: ما رأيت أثر النبيذ في وجه الرشيد قط إلا مرة واحدة، فإني دخلت إليه أنا وأبو حفص الشطرنجي، فرأيت التخثر في وجهه، فقال لنا: استبقا إلى بيت بل إلى أبيات، فمن أصاب ما في نفسي فله عشرة آلاف درهم، قال: فأشفقت ،ومنعتني هيبته، قال: فقال أبو حفص:

كلما دارت الزجاجة زادت ه اشتياقاً وحرقة فبكاك

فقال: أحسنت فلك عشرة آلاف درهم.

قال: فزالت الهيبة عني، فقلت:

لم ينلك الرجاء أن تحضريني وتجافت أمنيتي عن سواك

فقال: لله درك! لك عشرون ألف درهم، قال: فأطرق ملياً، ثم رفع رأسه إلي، فقال: أنا والله أشعر منكما، ثم قال:

فتمنيت أن يغشيني الل ه نعاساً لعل عيني تراك

أخبرني ابن عمار الأخفش قالا: حدثنا محمد بن يزيد عن المازني :قال: قال الأصمعي: بعثت إلي أم جعفر أن أمير المؤمنين قد لهج بذكر هذه الجارية عنان، قد صرفته عنها فلك حكمك. قال: فكنت أريغ لأن أجد للقول فيها موضعاً ،فلا أجده، ولا أقدم عليه هيبة له، إذ دخلت يوماً فرأيت في وجهه أثر الغضب، فانخزلت، فقال: مالك يا أصمعي؟ قلت: رأيت في وجه أمير المؤمنين أثر غضب، فلعن الله من أغضبه! فقال: هذا الناطفي والله، لو لا أني لم أجر في حكم قط متعمداً لجعلت على كل جبل منه قطعة، وما لي في جاريته أرب غير الشعر، فذكرت رسالة أم جعفر، فقلت له: أجل والله ما فيها غير الشعر، أفيسر أمير المؤمنين أن يجامع الفرزدق؟ فضحك حتى استلقى، واتصل قولي بأم جعفر فأجزلت لي الجائزة.

أخبرني عمي والحسن بن علي، قالا: حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدثني محمد بن هارون، عن يعقوب بن إبراهيم: أن الرشيد طلب من الناطفي جاريته، فأبى أن يبيعها بأقل من مائة ألف دينار، فقال: أعطيك مائة ألف دينار على أن تأخذ بالدينار سبعة دراهم ،فامتنع عليه، وأمر أن تحمل إليه، فذكروا أنها دخلت

مجلسه، فجلست في هيئتها تنتظره فدخل عليها، فقال لها: ويلك! إن هذا قد اعتاص علي في أمرك، قالت: وما يمنعك أن توفيه وترضيه؟ فقال: ليس يقنع ما أعطيه، وأمرها بالانصراف. فبلغني أن الناطفي تصدق بثلاثين ألف درهم حين رجعت إليه، فلم تزل في قلب الرشيد حتى مات مولاها، فلما مات بعث مسروراً الخادم، فأخرجها إلى باب الكرخ، فأقامها على سرير وعليها رداء رشيدي قد جللها، فنودي عليها: من يزيد؟ بعد أن شاور الفقهاء فيها، وقال: هذه كبد رطبة، وعلى الرجل دين، فأشاروا ببيعها، قال: فبلغني أنها كانت تقول - وهي في المصطبة -: أهان الله من أهانني، وأذل من أذلني، فلكزها مسرور بيده، وبلغ بها مسرور مائتي ألف درهم، فجاء رجل، فقال: علي زيادة خمسة وعشرين ألف درهم، فلكزه مسرور، وقال: أتزيد يا أمير المؤمنين! ثم بلغ بها مائتين وخمسين ألفاً، وأخذها له قال: و لم يكن فيها شيء يعاب، وطلبوا لها عيباً لئلا تصيبها العين، فأوقعوا بخنصر رجلها شيئاً، وأولدها ابنين - قال: أظنهما ماتا صغيرين - ثم خرج بها إلى خراسان، فمات هناك وماتت عنان بعده.

أبو نواس لشبب بها: قال: وأنشدنا لأبي نواس في قصيدة يمدح بها يزيد بم مزيد ويذكر عنان في تشبيبها:

عنان يا من تشبه العينا ... أنت على الحب تلومينا

حسنك حسن لا أرى مثله ... قد ترك الناس مجانينا

اخبرني عمي: قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي: قال: حدثني أحمد بن القاسم العجلي: قال: حدثني أبو القاسم النخعي قال: كان العباس بن الأحنف يهوى عنان جارية الناطفي، فجاءني يوماً، فقال: امض بنا إلى عنان جارية الناطفي، فصرنا إليها، فرأيتها كالمهاجرة له ،فجلسنا قليلاً، ثم ابتدأ العباس فقال:

قال عباس وقد أج ... هد من وجد شديد

ليس لي صبر على الهج ... ر و لا لذع الصدود

لا و لا يصبر للهج ... ر فؤاد من حديد

فقالت عنان:

من تراه كان أعنى ... منك عن هذا الصدور

بعد وصل لك مني ... فيه إرغام الحسود

فاتخذ للهجر إن شئ ... ت فؤاداً من حديد

ما رأيناك على ما ... كنت تجني بجليد

لو تجودين لصب ... راح ذا وجد شديد

وأخي جهل بما قد ... كان يجني بالصدود

ليس من أحدث هجراً لصديق بسديد
ليس منه الموت إن لم تصليه ببعيد

قال: فقلت للعباس: ويحك! ما هذا الأمر؟ قال: أنا جنيت على نفسي بتنايهي عليها، فلم أبرح حتى ترضيتها له.

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا الحارث بن يحيى بن حمد بن أبي مية: قال: حدثني يحيى بن محمد: أن الرشيد كان يساوم بعنان جارية النطاف، فبلغ ذلك أم جعفر، فشق عليها، فدست إلى أبي نواس أن يحتال في أمرها فقال يهجوها:

إن عنان للنطاف جارية أصبح حرها للنيك ميدانا
فما يشتريها إلا ابن زانية أو قلطبان يكون من كانا

فبلغ ذلك الرشيد، فكان يقول: لعن الله أبا نواس، وقبحه، فلقد أفسد علي لذتي في عنان بما قال فيها، ومنعني من شرائها.

ما لي وللخمر وقد أرعشت مني يميني هات باليسرى
حتى تراني مائلاً مسنداً لا أستطيع الكأس بالأخرى

الشعر للحسن بن وهب، والغناء لعبد الله بن العباس الربعي، خفيف ثقيل بالوسطى ، وفيه أيضاً له خفيف رمل بالبنصر.

أخبار الحسن بن وهب

هو الحسن بن وهب بن سعيد، كاتب شاعر مترسل فصيح أديب، وأخوه سليمان بن وهب فحل من الكتاب ويكنى أبا علي، وهو عريق في الكتابة، ولأولاده نجابة مشهورة تستغني عن وصف ذلك، وكانوا يقولون إنهم من بني الحارث بن كعب، وأصلهم نصارى، وفي بني الحارث نصارى كثير.

وفي الحسن بن وهب يقول البحتري:

يا أخا الحارث بن كعب بن عمرو أشهوراً تصوم أم أياما؟

وكان البحتري مداحاً لهم، وله في الحسن ،وقد اجتاز بمنزله بعد وفاته:

أناة أيها الفلك المدار أنهب ما تطرق أم جبار
نزلنا منزل الحسن بن وهب وقد درست مغانيه القفار

يقول فيها يصف صبوحاً كانوا قد اصطحبوه:

أقمنا، أكلنا أكل استلاب هناك وشربنا شرب يدار

تنازعنا المدامة وهي صرف وأعجلنا الطبائخ وهي نار

ولم يك ذاك سخفاً غير أني رأيت الشرب سخفهم الوقار

أخبرني الصولي، وذكر ذلك عن جماعة من الكتاب: أن الحسن بن وهب كان أشد تمسكاً بالنسب إلى بني الحارث بن كعب من أخيه سليمان، وكان سليمان ينكر ذلك، ويعاتب عليه أخاه الحسن وابنه أحمد بن سليمان. وأصلهم من قرية من سواد واسط في جسر سابور يقال لها "سارقيقا" أخبرني عمي: قال: حدثني عمر بن نصر الكاتب، وكان من مشايخ الكتاب بسر من رأى، قال: كنا نتهادى ونحن في الديوان أشعار الحسن بن وهب، ونتباهى بحفظها، قال: وأنشدني له، وكتب بها إلى أخيه سليمان بن وهب من مدينة السلام وهو محبوس في أيام الواثق:

خطب أبا أيوب جل محله فإذا جزعت من الخطوب فمن لها؟

إن الذي عقد الذي انعقدت به عقد المكاره فيك يحسن حلها

فاصبر لعلها الصبر يفتق ما ترى وعسى بها أن ينجلي ولعلها

قال: وكتب إليه أيضاً وهو في الحبس بسر من رأى:

خليلي من عبد المدان تروحا ونصا صدور العيس حسرى وطلحا

فإن سليمان بن وهب ببلدة أصاب صميم القلب مني فأقرحا

أسائل عنه الحارسين لحبسه إذا ما أتوني: كيف أمسى وأصبحا!

فلا يهنئ الأعداء أسر ابن حرة يراه العدا أندى يميناً وأسمحا

وأنهض للأمر الجليل بعزمة وأقرع للباب الأصم وأفتحا

أخبرني محمد بن يحيى الصولي: قال: حدثني محمد بن موسى بن حماد: قال: وجه الحسن بن وهب إلى أبي تمام وهو بالموصل خلعاً فيها خز ووشي، فامتدحه بقصيدة أولها:

أبو علي وسمي منتجعه فاحلل بأعلى واديه أو جزعه

ثم وصف الخلعة فقال:

وقد أتاني الرسول بالملبس الفخ م لصيف امرئ ومرتبعه

لو أنها جللت أويساً لقد أسرعت الكبرياء في روعه

رائق خز أجيد سابره سكب تدين الصبا لمدرعه

وسر وشي كأن شعري أحيا ناً نسيت العيون من بدعه

تركتني ساهر الجفون على أزلم دهر بحسنها جذعه

- يعني الدهر، والدهر يقال له: الأزلم الجذع، والأزلم: الطويل، والجذع: الجديد: يقول: هو قديم سالف، ويومه جديد، قال لقيط الإيادي:

يا قوم بيضتكم لا تفضحن بها إني أخاف عليها الأزلم الجذعا

أخبرني الصولي: قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرد: قال: لما حبس محمد بن عبد الملك الزيات سليمان بن وهب، وطالبه بالأموال وقت نكبته قال الحسن بن وهب:

خليلي من عبد المدان تروحا ونصا صدور العيس حسري وطلحا

فإن سليمان بن وهب بمنزل أصاب صميم القلب مني فأقرحا

أسائل عنه الحارسين لحبسه إذا ما أتوني كيف أمسى وأصبحا

فلا يهنئ الأعداء حبس ابن حرة يراه العدا أندى يميناً وأسمحا

وقولاً لهم صبراً قليلاً وأصبحوا فما أقرب الليل البهيم من الضحا

قال: وقيل له وسليمان محبوس: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت والله قليل النشاط، كال القريحة، صدئ الذهن، ميت الخاطر من سوء فعل الزمان، وتوارد الأحزان، وتغير الإخوان، قال: وآلى ألا يذوق طعاماً طيباً، ولا يشرب ماء بارداً، ما دام أخوه محبوساً؟، فوفى بذلك.

أخبرني الصولي: قال: أخبرني أبو الأسود: قال: كان للحسن بن وهب جار هاشمي، يلقب بالطير، فحج سنة من السنين، ورجع آخر الناس، فقال فيه الحسن:

أينقص أم يزيد من الرقاعه أخو حمق له الدنيا مشاعه

يحج على الجمال ولو تجلى لمكة جاءها في بعض ساعه

أخبرني الصولي: قال: حدثنا الطالقاني: قال: حدثنا أحمد بن سليمان بن وهب. قال :رآني عمي الحسن، وأنا أبكي لفراق بعض ألافي فقال:

ابك فما أنفع ما في البكا لأنه للوجد تسهيل

وهو إذا أنت تأملته حزن على الخدين محلول

أخبرني الصولي: قال: حدثنا علي بن الصباح : قال: بلغ الحسن بن رجاء أن الحسن بن وهب عابه بحب الغلمان، وكان الحسن بن وهب أشد حباً لهم منه، فقال: مثلي ومثله كما قال حسان بن ثابت:

وإني لأغني الناس عن فضل صاحب يرى الناس ضلالاً وليس بمهتد

أخبرنا محمد: قال: حدثنا الحزنبل: قال: كتب رجل إلى الحسن بن وهب يستميحه، فوقع في رقعته:

الجود طبعي ولكن ليس لي مال فكيف يحتال من بالرهن يحتال

أخبرني الحسن بن علي: قال: حدثني محمد بن موسى بن حماد: قال: كنت اكتب في حداثتي بين يدي الحسن بن وهب - وكان شديد الشغف ببنات جارية محمد بن حماد كاتب راشد، فكنا يوماً عنده، وهي تغني، وبين أيدينا كانوا فحم، فتأذت به، فأمرت أن يباعد، فقال الحسن :

بأبي كرهت النار حتى أبعدت فعلمت ما معناك في إبعادها

هي ضرة لك بالمتاع ضيائها وبحسن صورتها لدى إيقادها

وأرى صنيعك في القلوب صنيعها في شوكها وسيالها وقتادها

شركتك في كل الجهات بحسنها وضيائها وصلاحها وفسادها

أخبرني الصولي: قال: حدثني الحسين بن يحيى: قال: كنا عند الحسن بن وهب، فقال: لو ساعدنا الدهر لجاءتنا بنات، فما تكلم بشيء حتى دخلت، فقال: إني وإياك لكما قال علي بن أمية:

وفاجأتني والقلب نحوك شاخص وذكرك ما بين اللسان إلى القلب

فيا فرحة جاءت على إثر ترحة ويا غفلتا عنها وقد نزلت قربي

قرأت في بعض الكتب: دخلت يوماً بنات على الحسن بن وهب، وهو مخمور، فسلمت عليه، وقبلت يده، فأراد تقبيل يدها، فمنعته فرعش، فقال:

أقول وقد حاولت تقبيل كفها وبي رعدة أهتز منها وأسكن

فديتك إني أشجع الناس كلهم لدى الحرب إلا أنني عنك أجبن

أخبرني الصولي: قال: حدثني محمد بن موسى، قال: جاءت بنات تسأل الحسن بن وهب من علة نالته، فحين رآها دعا برطل، فشربه على وجهها، وقال: قد عوفيت، فأقيمي اليوم عندي، فأبت وقالت: عند مولاي دعوة، فأمر بإحضار مائتي دينار، فأحضرت فقال: هذه مائة لمولاك، فابعثي بها إليه ومائة لك؛ فقالت: أما هو فأبعث بمائة إليه ؛ وأما أنا فوالله لا أخذت المائة الأخرى، ولأتصدقن بمثلها لعافيتك ولكن أكتب إليه رقعة تقوم بعذري؛ فأخذ الدواة؛ وكتب إلى مولاها :

ضرة الشمس والقمر متعيني من النظر

متعيني بجلسة منك يا أحسن البشر

أشتريها إن بعت نيها بسمعي وبالبصر

أذهب السقم سقم طر فك ذي الغنج والحور

فأديمي السرور لا تمزجي الصفو بالكدر

ليس يبقي علي حبك هذا ولا يذر

وأنا منه فأنعمي بمقام على خطر

وتغني فداك كل مغن لكي أسر

ربع سلمى بذي بقر عرضة الريح والمطر

حدثني أبو إسحاق بن الضحاك عن أحمد بن سليمان - والحكايتان متفقتان متقاربتان - أخبرني الصولي: قال: حدثني الحسين بن يحيى: قال: حدثني أحمد بن سليمان بن وهب قال: قال لي أبي: قد عزمت على معاتبة عمك في حبه لبنات، فقد شهر بها وافتضح، فكن معي، وأعني عليه، وكان هواي مع عمي، فمضيت معه فقال له أبي، وقد أطال عتابه: يا أخي، جعلت فداك! الهوى ألذ وأمتع، والرأي أصوب وأنفع، فقال عمي متمثلاً:

إذا أمرتك العاذلات بهجرها أبت كبد عما يقلن صديع

وكيف أطيع العاذلات وحبها يؤرقني والعاذلات هجوع

فالتفت إلي أبي ينظر ما عندي، فتمثلت:

وإني ليلحاني على فرط حبها رجال أطاعتهم قلوب صحائح

فنهض أبي مغضباً ضمني عمي إليه، وقبلني، وانصرفت إلى بنات، فحدثتها بما جرى وعمي يسمع، فأخذت العود، فغنت:

يلومك في مودتها أناس لو أنهم برأيك لم يلوموا

فيه ثقيل أول.

قال أحمد بن سليمان، وعذلته عجوز لنا، يقال لها: منى، فقال لها: قومي، فانظري إليها، واسمعي غنائها، ثم لوميني، فقامت معه، فرأتها، وسمعت غنائها فقالت له: لست أعاود لومك فيما بعد هذا، فأنشأ يقول:

ويوم سها عنه الزمان فأصبحت نواظره قد حار عنها بصيرها

خلوت بمن أهوى به فتكاملت سعود أدار النحس عنا مديرها

أما تعذريني يا منى في صبابتي بمن وجهها كالشمس يلمع نورها؟

قال أحمد بن سليمان: كان لعمي كاتب يعرف بإبراهيم: نصراني يأنس به، فسأل بنات مسألتها عمي أن يجعل رزقه ألف درهم في الشهر، فلما شرب أقداحاً، وطرب وثبت قائمةً وقالت: يا سيدي لي حاجة، فوثب عمي، فقام لقيامها، فقالت: تجعل رزق إبراهيم ألف درهم في الشهر، فقال: سمعاً وطاعة، فجلست فأنشأ يقول:

قامت فقمت ولم أكن لو لم تقم لأجل خلقاً غيرها فأقوما

شفعت لإبراهيم في أرزاقه فوددت أني كنت إبراهيما
فأجبتها إني مطيع أمرها وأراه فرضاً واجباً محتوما
ما كان أطيب يومنا وأسره لو لم يكن بفراقها مختوما

قال: ثم إن عمي صار إلى أبي، فأخبره الخبر، فأمر أن يجعل لإبراهيم من ماله ألف درهم أخرى لشفاعتها.

أخبرني الصولي: قال: حدثني إسماعيل بن الخصيب: قال: اعتل الحسن بن وهب، فلم تعلم بنات بذلك، وتأخرت عن عيادته، فكتب إليها:

عليل أنت أعللته فلو أنك علته
بوعد أن تزوريه إذا ما ممكن نلته
قريباً لنفيت الدا ء عنه حين واعدته
وما ضرك لو جاء رسول منك أرسلته
فيحكي لك ما قال كما يحكي الذي قلته
أما والله لو أن ال ذي يحمل حملته
لما احتاج إلى التعل يم فيما قد تجاهلته

أخبرني الصولي: قال أحمد بن إسماعيل: قال: حدثني أحمد بن عبيد الله بن جميل: قال: أهدى الحسن بن وهب إلى بنات في علة اعتلتها هدايا حسنة وأهدى معها قفص شفانين ، وكتب إليها:

شفاء أنين بالشفانين أملت لكم نفس من أهدى الشفانين عامدا
كلوها يكل الداء عنكم فإنني أزوركم للشوق لا زرت عائدا

أخبرني عمي: قال: حدثني ميمون بن هارون: قال: كتب الحسن بن وهب إلى بنات يوم جمعة يستدعيها، فكتبت إليه أن عند مولاها أصدقاء له، وقد منعها من المسير إليه، فكتب إليها ثانية يقول:

يومنا يوم جمعة بأبي أن ت وعند الوضيع لا كان قوم
سفل مثله يسومونه الخس ف ويرضاه وهو للوعد سوم
فامنعيهم منك البشاشة حتى يتغشاهم من البرد نوم
وليكن منك طول يومك لل ه صلاة إلى المساء وصوم
وارفعي عنهم الغناء وإن نا لك عذل من الوضيع ولوم

واذكري مغرماً بحبك أمسى همه أن يديله منك يوم

أخبرني عمي قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: كان الحسن بن وهب يشرب عند محمد بن عبد الله بن طاهر، فعرضت سحابة، فبرقت ورعدت، وقطرت، فقال الحسن:

هطلتنا السماء هطلاً دراكاً عارض المرزمان فيها السماكا

قلت للبرق إذ تألف فيها يا زناد السماء من أوراكا؟

أحبيباً نأيته فبكاكا فهو العارض الذي استبكاكا

أم تشبهت بالأمير أبي العب اس في جوده فلست كذاكا؟

أخبرني عمي، قال: حدثنا أبو العيناء، قال: طلب محمد بن عبد الملك الزيات الحسن بن وهب، وكان قد اصطبح مع بنات فكتب إليه: يا سيدي، أنا في مجلس بهي، وطعام هني، وشراب شهي، وغناء رضي، أفأتحول عنه إلى كد الشقي، ووثبت بنات لتقوم، فردها وكتب:

ما بان عنك الذي بن ت عنه لا عاش بعدك

إن لم يكن عنده الص بر والسلو فعندك

وما وجدته إلا عبد الرجاء وعبدك

فاستلبها الرسول، ومضى بها إلى محمد، فوقع فيها:

أبا علي أراك الإل ه في الأمر رشدك

إن لم تكن عندي اليو م بالشوق كنت عندك

فاهدم محلك عندي واجهد لذلك جهدك

فلست أزداد إلا رعاية لك ودك

وانعم بمن قلت فيها عبد الرجاء وعبدك

أزيل نحسك فيها وأطلع الله سعدك

ورد الرقعة إلى الحسن، فلما قرأها خجل، وحلف ألا يشرب النبيذ شهراً، ولا يفارق مجلس الوزير.

أخبرني عمي عن إبراهيم بن المدبر، قال: ولدت بنات من مولاها ولداً وسمته بإبراهيم، فأبغضها الحسن بن وهب، وكتب إليها:

نتج المهرة الهجان هجيناً ثم سمى الهجين إبراهيما

بخليل الرحمن سميت عبداً أم قريع الفتيان ذاك الكريما

وبعث البيتين إليها، وكان آخر عهده بها.

أخبرني الصولي قال: حدثنا محمد بن موسى قال: كان الحسن بن وهب يعشق غلاماً رومياً لأبي تمام، وكان أبو تمام يعشق غلاماً خزرياً للحسن، فرأى أبو تمام يوماً الحسن يعبث بغلامه، فقال له: والله لإن أعتقت إلى الروم لنركضن إلى الخزر، فقال له الحسن: لو شئت لحكمتنا واحتكمت، فقال له أبو تمام: ما أشبهك إلا بداود، ولا أشبه نفسي إلا بخصيمه، فقال له: لو كان هذا منظوماً حفظه، فأما المنثور فهو عارض لا حقيقة له، فقال أبو تمام:

أبا علي لصرف الدهر والغير ... وللحوادث والأيام والعبر

أعندك الشمس لم يحظ المغيب بها ... وأنت مضطرب الأحشاء للقمر

أذكرتني أمر داود وكنت فتى ... مصرف القلب في الأهواء والذكر

إن لم تترك السير الحثيث إلى ... جآذر الروم أعنقنا إلى الخزر

إن الغزال له مني محل هوى ... يحل مني محل السمع والبصر

ورب أمنع منه جانباً وحمى ... أمسى ولكنه مني على خطر

جردت منه جنود العزم فانكشفت ... منه غيابتها عن تكة هدر

سبحان من سبحته كل جارحة ... ما فيك من طمحان الأير والنظر

أنت المقيم فما تعدو رواحله ... وأيره أباً منه على سفر

قال الصولي: فحدثني أحمد بن إسحاق، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: قلت لأبي تمام: غلامك أطوع للحسن بن وهب من غلام وهب لك، قال: أجل والله؛ لأن غلامي يجد عنده ما لا يجده غلامه عندي، وأنا أعطي غلامه قيلاً وقالاً، وهو يعطي غلامي ثياباً ومالاً.

أخبرني الصولي: قال: حدثني أبو الحسن الأنصاري، قال: حدثني أبي: وحدثني الفضل الكاتب المعروف بفنجاخ:

أن الحسن بن وهب كان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات، وهو وزير الواثق، وكان ابن الزيات قد وقف على ما بين الحسن بن وهب وبين أبي تمام في غلاميهما: فتقدم إلى بعض ولده - وكانوا يجلسون عند الحسن بن وهب- بأن يعلموه بخبرهما ،وما يكون بينهما. قال: وعزم غلام أبي تمام على الحجامة، فكتب إلى الحسن يعلمه بذلك، ويسأله التوجيه إليه بنبيذ مطبوخ، فوجه إليه بمائة دن ومائة دينار، وبخلعة حسنة وبخور كثير، وكتب إليه:

ليت شعري يا أملح الناس عندي ... هل تداويت بالحجامة بعدي

دفع الله عنك لي كل سوء باكر رائح وإن خنت عهدي
قد كتمت الهوى بمبلغ جهدي فبدا منه غير ما كنت أبدي
وخلعت العذار فليعلم النا س بأني إياك أصفي بودي
وليقولوا بما أحبوا إذا كن ت وصولاً ولم ترعني بصد
من عذيري من مقلتيك ومن إش راق وجه من دون حمرة خد

قال: ووضع الرقعة تحت مصلاه، وبلغ محمد بن عبد الملك خبر الرقعة، فوجه إلى الحسن، فشغله بشيء من أمره، وأمر من أخذ الرقعة من تحت مصلاه، وجاء بها، فقرأها، وكتب على ظهرها:

ليت شعري عن ليت شعرك هذا أبهزل تقوله أم بجد
فلئن كنت في المقال محقاً يا بن وهب لقد تغيرت بعدي
وتشبهت بي وكنت أرى أني أنا العاشق المتيم وحدي
أترك القصد في الأمور ولولا غمرات الهوى لأبصرت رشدي
وأحب الأخ المشارك في الحب وإن لم يكن به مثل وجدي
كنديمي أبي علي وحاشا لنديمي مثل شقوة وجدي
إن مولاي عبد غيري ولولا شؤم جدي لكان مولاي عبدي
سيدي سيدي ومولاي من أو رثني ذلة وأضرع خدي

في هذين البيتين الأخيرين لحن من الرمل، أظنه لجحظة أو غيره من طبقته.

قال: ثم وضع الرقعة في مكانها، فلما قرأها الحسن قال: إنا لله! افتضحنا عند الوزير، وحدث أبا تمام بما كان، ووجهه إليه بالرقعة، فلقيا محمد بن عبد الملك، وقالا له: إنما جعلنا هذين سبباً للمكاتبة بالأشعار لا للريبة، فتضاحك وقال: ومن يظن بكما غير هذا! فكان قوله أشد عليهما من الخبرة.

قرأت في بعض الكتب: كان الحسن بن وهب يعاشر أبا تمام عشرة متصلة، فندب الحسن بن وهب للنظر في أمر بعض النواحي، فتشاغل عن عشرة أبي تمام، فكتب إليه أبو تمام:

قالوا جفاك فلا عهد ولا حبر ماذا تراه دهاه؟ قلت: أيلول
شهر كأن حبال الهجر منه فلا عقد من الوصل إلا وهو محلول

فأجابه الحسن:

ما عاقني عنك أيلول بلذته وطيبه ولنعم الشهر أيلول

لكن توقع وشك البين عن بلد تحتله ووكاء العين محلول

وقرأت فيه: كان بين الحسن بن وهب وبين الهيثم الغنوي وأحمد بن أبي داود تباعد ،فقال يهجوهما:

سألت أبي وكان أبي خبيراً بسكان الجزيرة والسواد

فقلت لهم: أهيثم من غني؟ فقال كأحمد بن أبي داود

فإن يك هيثم من جذم قيس فأحمد غير شك من إياد

أخبرني عمي: قال: حدثني عمر بن نصر الكاتب، قال: كتب الحسن بن وهب إلى محمد بن معروف الواسطي يسأله أن يصير إليه فكتب إليه محمد:

وقيتك كل مكروه بنفسي وبالأدنين من أهلي وجنسي

أتأذن في التأخر عنك يومي على أن ليس غيرك لي بأنس

فأجابه الحسن بن وهب، فقال:

أقم لا زلت تصبح في سرور وفي نعم مواصلة وتمسي

فما لي راحة في حبس من لا أراه يكون محبوساً بحبسي

وكان الحسن يومئذ معتقلاً في مطالبة يطالب بها.

وجدت في بعض الكتب بغير إسناد.

كان الحسن بن وهب يحب بنات، جارية محمد بن حماد الكاتب، وكان له معها أخبار كثيرة، وكان لا يصبر عنها، فقدم الحسن بن إبراهيم بن رباح من البصرة، واتصل به خبرها، ووصفها له الحسن بن وهب، وصار به إليها، فأتم ليلته معها، ومرت بينهما أعاجيب، ثم خالفه الحسن بن إبراهيم بن رباح، وخاتله في أمرها، فكتب إليه الحسن بن وهب:

لا جميل ولا حسن خنت عهدي ولم أخن

كملت إذ فعلت هذا أعاجيب الزمن

فإلى الله أشتكي ما بقلبي من الحزن

رب شكوى من الصدي ق إلى غير ذي شجن

بأبي أنت يا حسن يا أخا الطول والمنن

أي رأي أراك ختل ى في الشاهين الأغن

يتخطى إليه دو ني في حالك الدجن

فترى منه سنة تتعالى عن السنن
مع كشفي لك الحدي ث الذي عنك لم يصن
واعتمادي زعمت من ك على أحصن الجنن
وعلى خير صاحب وعلى خير ما سكن
خجلي من إساءة فضحت حسن كل ظني
ثم ممن جرت إلى من وفيمن وعند من؟
إن تكن تلك هفوة فهي كالشيء لم يكن
أو تكن بعت خلتي بمواف من الثمن
درة البحر من عدن ذخر سيف بن ذي يزن
لم يكن قط مثلها في معد ولا عدن

فتغافل عن جوابه، وأقام على مواصلتها وسمعها وحظر عليها، فلم يكن الحسن بن وهب يلقاها، فغلظ ذلك عليه، وكتب إليها هذه الأبيات:

أنكرت معرفتي جعلت لك الفدا إنكار سيدة تلاعب سيداً
أنا ذو منعت جفونه أن ترقدا وتركته ليل التمام مسهدا
وبريت لحم عظامه فتجردا وأزرت مضجعه النساء العودا
أنا ذا فإن لم تعرفيني بعد ذا فأنا ابن وهب ذو السماحة والدي
أشكو إلى الله الفؤاد المقصدا وجوى ثوى تحت الحشا متلددا
وغريرة ما كنت من إشفاقها يوماً وإن بعد التلاقي مسعدا
يا ظبية في روضة مولية جاد الربيع ترابها فتلبدا
هل تجزين الود مني مثله أو تصدقين من الموعد موعدا؟
وإني وإن جعل القريض يجول بي حتى يغور بما أقول وينجدا
لعلى يقين أن قلبك موجع عندي المثال أنا الحمى ولك الفدا
وكما علمت إذا لبست المجسدا وثنيت خلف الأذن حاشية الردا
وحبوت جيدك من حليك عسجدا ونظمت ياقوتاً به وزبرجدا

وشكوت وجدك في الغناء شكاية ينسي حنيناً والغريض ومعبدا
سيما إذا غنيتني بتعمد بأبي وأمي ذاك منك تعمدا
أثوي فأقصر ليلة ليزودا ومضى وأخلف من قتيلة موعدا

فوقعت الأبيات في يد ابن رباح فقرأها، وعلم أنه قد بلغ منه. فكتب إليه:

فدى لك آبائي وحق بأن تفدى فدى لك قصداً من ملامك لي قصدا
ولا تلحني في عثرة إن عثرتها فلا والذي أمسيت أدعى له عبدا
وعهدك يا نفسي يقيك من الردى فأعظم به عندي وأكرم به عهدا
يمين امرئ بر صدوق مبرإ من الإثم ما حاولت هزلاً ولا جدا
سوى ما به أزداد عندك زلفة ويكسبني منك المودة والحمدا
أرى الغي إن أومأت للغي طاعة لأمرك فضلاً عن سوى الغي لي رشداً
وأسعى لما تسعى وأتبع ما ترى وفي كل ما يرضيك أستغرق الجهدا
إذا أنا لم أمنحك صفو مودتي فمن ذا الذي أصفي له غيرك الودا؟
ومن ذا الذي أرعى وأشكر والذي يؤمل خيراً بعد مني أو رفدا
وأنت ثمالي والمعول والذي أشد به أزري فيعصمني شدا

وآثر خلق الله عندي ومن له أياد وود لست أحصيهما عدا
فلا تحسبن مائلاً عن خليقتي لك الدهر حتى أسكن القبر واللحدا
معاذ إلهي أن أرى لك خاذلاً ولكن عذري واضح أن بي وجدا
بأحسن من أبصرت شخصاً وصورة وأملح خلق الله كلهم قدا
بمالكة أمري وإن كنت مالكا لها ففؤادي ليس من حبها يهدا
إذا سألتهن أن أقيم عشية لأونسها لا أستطيع لها ردا
تراشفني صفو المودة تارة وأجني إذا ما شئت من خدها وردا
قنعت بها لما وثقت بحبها فلا زينباً أبغي سواها ولا هندا
ولو بذلت لي جنة الخلد منزلاً وقلت :اجتبها لاجتنبت لها الخلدا

فلما قرأها الحسن بن وهب علم أنه قد ندم فكتب إليه:

حسن يشكو إلى حسن ... فقد طعم النوم والوسن

وهوى أمست مطالبه ... قرنت باليأس في قرن

وحبيب في محلته ... معه في الدار لم يبن

فإذا ما رام زورته ... فهو كالغادين في الظعن

عجباً للشمس لم ترها ... مقلتي حولاً ولم ترني

أتراها بعدنا صرمت ... حبنا هذا من اليمين

فقديماً كان مطلعها ... بيدي سيف بن ذي يزن

فكتب إليه ابن رباح:

حسن يفدي بمهجته ... حسناً من حادث الزمن

ويقيه ما تضمنه ... من دخيل الهم والحزن

هاك عيني فابك واقية ... عينك العبري على الشجن

وفؤادي فامله حزناً ... من صروف الهم والفتن

إن لم تكن شمس الضحا حجبت ... عن سليل المجد من يمن

فهي حيرى عن مطالعها ... في سوى قوم ابن ذي يزن

ثم اعتذر إليه، ورجع إلى معاشرته، وكان لا يحضر دار محمد بن حماد، ولا يسمع غناء بنات جاريته إلا مع الحسن بن وهب لا يستأثر بها عليه.

وقال محمد بن داود الجراح: حدثني بعض أصحابنا: أن الحسن بن وهب، أتى أبا إسحاق إبراهيم بن العباس مستعدياً على أبي محمد الحسن بن مخلد في أمر بنات جارية محمد بن حماد، وكان الحسن بن وهب يتعشقها، فأفسدها عليه الحسن بن مخلد ،و لم يذكر محمد بن داود من خبرهما غير هذا، وإنما ذكرت هذه القصة على قلة الفائدة فيها ليتضح خبره مع بنات إذ كان ما مضى ذكره من خبرهما لم يقع إلي بروايته.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني عبد الرحمن بن أحمد، قال: وجدت بخط محمد بن يزيد: كتب أبو تمام إلى الحسن بن وهب يستسقيه نبيذاً:

جعلت فداك عبد الله عندي ... بعقب الهجر منه والبعاد

له لمة من الكتاب بيض ... قضوا حق الزيارة والوداد

وأحسب يومهم إن لم تجدهم مصادف دعوة منهم جماد

فكم يوم من الصهباء سار وآخر منك بالمعروف غاد

فهذا يستهل على غليلي وهذا يستهل على تلادي

فيسقي ذا مذانب كل عرق وينزع ذا قرارة كل واد

دعوتهم عليك وكنت ممن نعينه على العقد الجياد

قال: فوجه إليه بمائة دينار ومائة دن نبيذاً.

قال محمد بن داود بن الجراح: زار الحسن بن وهب وأبو تمام أبا نهشل بن حميد، فبدأ أبو تمام، فقال:

أغصك الله أبا نهشل

ثم قال للحسن أجز: فقال:

بخد ريم شادن أكحل

ثم قال: أجزيا أبا نهشل، فقال:

نطمع في الوصل فإن رمته صار مع العيوق في منزل

أخبرني جعفر بن محمد بن قدام بن زياد الكاتب: قال: كتب الحسن بن وهب إلى أبي تمام، وقد قدم من سفر: جعلت فداءك ووقاءك وأسعدني الله بما أوفى علي من مقدمك، وبلغ الوطر مل الوطر بانضمام اليد عليك، وإحاطة الملك بك، وأهلاً وسهلاً، فقرب الله داراً قربتك، وأحيا ركاباً أدتك، وسقى بلاداً يلتقي ليلها ونهارها عليك، وجعلك الله في أحصن معاقله، وأيقظ محارسه وأبعدهما على الحوادث مراماً برحمته.

أخبرني الحسن بن علي: قال: حدثنا محمد بن موسى: قال: قال رجل للحسن بن وهب: إن أبا تمام سرق من رجل يقال له مكنف من ولد زهير بن أبي سلمى، وهو رجل من أهل الجزيرة قصيدته التي يقول فيها:

كأن بني القعقاع يوم وفاته نجوم سماء خر من بينها البدر

توفيت الآمال بعد محمد وأصبح في شغل عن السفر السفر

فقال الحسن: هذا دعبل حكاه، وأشاعه في الناس، وقد كذب، وشعر مكنف عندي، ثم أخرجه، وأخرج هذه القصيدة بعينها، فقرأها الرجل فلم يجد فيها شيئاً مما قاله أبو تمام في قصيدته: ثم دخل دعبل على الحسن بن وهب، فقال له: يا أبا علي، بلغني أنك قلت في أبا تمام كيت وكيت، فهبه سرق هذه القصيدة كلها، وقبلنا قولك فيه، أسرق شعره كله؟ أتحسن أنت أن تقول كما قال:

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدي ومحت كما محت وشائع من برد

وأنجدتم من بعد اتهام داركم فيا دمع أنجدني على ساكني نجد؟

فانخزل دعبل واستحيا، فقال له الحسن: الندم توبة، وهذا الرجل قد توفي، ولعلك كنت تعاديه في الدنيا حسداً على حظه منها، وقد مات الآن فحسبك من ذكره ،فقال له: أصدقك يا أبا علي، ما كان بيني وبينه شيء قط إلا أني سألته أن يتزل لي عن شيء استحسنته من شعره، فبخل علي به، وأما الآن فأمسك عن ذكره، فجعل الحسن يضحك من قوله واعترافه بما اعترف به.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء: قال: حدثنا إسحاق بن محمد النخعي: قال : كتب إبراهيم بن محمد بن أبي محمد اليزيدي إلى محمد بن حماد الكاتب يهجوه، ويعيره بعشق الحسن بن إبراهيم بن رباح والحسن بن وهب جاريته وتغايرهما عليها:

لي خليطان محكمان يجيدا ن لما يعملانه حاذقان

واحد يعمل القسي فيأت يك بها في استقامة الميزان

وفتى يعمل السكاكين في القر ن مقر بحذقه الثقلان

وهما يطلبان قرناً على رأس ك فانظر في بعض ما يسألان

قلت: هل يؤلم الفتى قطع ما ف يه تريدان أيها الفتيان؟

فأجابا بلطف قول وفهم قم فإنا إذاً لنوكي مدان

فاقطع الآن ما برأسك منها إن فيما ترى لمض بيان

ذاك خير من أن يسمى اسم سوء فيقال انظروا إلى القرنان

قد كان عتبك مرة مكتوماً فاليوم أصبح ظاهراً معلوماً

نال الأعادي سؤلهم لا هنئوا لما رأونا ظاعناً ومقيما

والله لو أبصرتني لأديت لي والدمع يجري كالجمان سجوما

هبني أسأت فعادة لك أن ترى متجاوزاً متطاولاً مظلوما

الشعر لأحمد بن يوسف الكاتب، لعبيد بن الحسن الناطفي اللطفي، ثاني ثقيل بالوسط، وفيه خفيف رمل يقال: إنه لرذاذ، وفيه أول مجهول.

أخبار أحمد بن يوسف

هو أحمد بن يوسف بن صبيح الكاتب، وأصله من الكوفة، وكان مذهبه الرسائل والإنشاء، وله رسائل معروفة، وكان يتولى ديوان الرسائل للمأمون، ويكنى أبا جعفر، وكان موسى بن عبد الملك غلامه وخريجه، فذكر محمد

بن داود بن الجراح أن أحمد بن سعيد حدثه عن موسى بن عبد الملك: قال: وهب لي أحمد بن يوسف ألفي ألف درهم تفاريق عن ظهر يد.

وأخوه القاسم بن يوسف أبو محمد شاعر مليح الشعر، وكان ينتمي إلى بني عجل، و لم يكن أخوه أحمد يدعي ذلك.

وكان القاسم قد جعل وكده في مدح البهائم ومراثيها فاستغرق أكثر شعره في ذلك، منها قوله يرثي شاة:

عين بكي لعنزنا السوداء كالعروس الأدماء يوم الجلاء

وقوله في الشاهمرك :

أقفرت منك أبا سعد عراص وديار

وقوله في السنور:

ألا قل لمجة أو ماردة تبكي على الهرة الصائدة

وقوله في القمري :

هل لامرئ من أمان من طارق الحدثان؟

أخبرني محمد بن خلف وكيع: قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد: قال: حدثني رجل من ولد عبد الملك بن صالح أن الهشامي قال:

كان أحمد بن يوسف قد تبنى جارية للمأمون اسمها مؤنسة، فأراد المأمون أن يسافر ويحملها ،فكتب إليه أحمد بن يوسف بهذا الشعر على لسانها، وأمر بعض المغنين، فغناه به، فلما سمعه وقرأ الكتاب أمر بإخراجها إليه، وهو:

قد كان عتبك مرة مكتوما

وقال محمد بن داود: حدثني أحمد بن أبي خيثمة الأطروش قال: عتب أحمد بن يوسف على جارية له، فقال:

وعامل بالفجور يأمر بالبر كهاد يخوض في الظلم

أو كطبيب قد شفه سقم وهو يداوي من ذلك السقم

يا واعظ الناس غير متعظ نفسك طهر أولاً فلا تلم

ووجدت في بعض الكتب بلا إسناد: عتب المأمون على مؤنسة، فخرج إلى الشماسية متنزهاً، وخلفها عند أحمد بن يوسف الكاتب فرجت أن يذكرها إذا صار في متنزهه ، فيرسل في حملها، فلم يفعل، وتمادى في عتبه، فسألت أحمد بن يوسف لأن يقول على لسانها شعراً ترفعه فقال:

يا سيداً فقده أغرى بي الحزنا لا ذقت بعدك لا نوماً ولا وسنا

لا زلت بعدك مطويا على حرق أشنا المقام وأشنا الأهل والوطنا

ولا التذذت بكأس في منادمة مذ قيل لي: إن عبد الله قد ظعنا

ولا أرى حسناً تبدو محاسنه إلا تذكرت شوقاً وجهك الحسنا

وبعثت به إلى إسحاق الموصلي، فغناه به، وقيل: بل بعثت به إلى سندس، فغنته به؛ فاستحسن ذلك، وقال: لمن هذا الشعر؟ فقال أحمد بن يوسف: لمؤنسة يا سيدي تترضاك، وتشكو البعد منك ،فركب من ساعته، حتى ترضاها، ورضي عنها.

ووجدت في هذا الكتاب قال: كنا مع أحمد بن يوسف الكاتب في مجلس؛ وعندنا قينة، فتحلاها أحمد بن يوسف، فكتب إلى صاحب المنزل:

أنا رهن للمنايا بين إبرام ونقض

من هوى ظبي غرير مونق المنظر غض

ليتها جادت بتق بيل لخديها وعض

إن عجزتم عن شراها لي بفرض أو بقرض

فتمنوا لي جميعاً أنها قبر لبعضي

أخبرني عمي: قال: حدثنا الحسن بن عليل: قال: ذكر مسعود بن أبي بشر أن أحمد بن يوسف دخل يوماً على الفضل بن سهل أو أخيه في يوم دجن، فأطال مخاطبته، وكان أحمد بن يوسف آنساً به، ففتح دواته وكتب إليه:

أرى غيماً تؤلفه جنوب وأحسبه سيأتينا بهطل

فوجه الرأي أن تدعو برطل فتشربه وتدعو لي برطل

ودفعها إليه فقرأهما، وضحك، وقال: إن كان هذا عين الرأي قبلناه، ولم نرده، ثم دعا بالطعام والشراب، فأقاموا يومهم.

الغناء في هذين البيتين للقاسم بن زرزور ثاني ثقيل بالوسطى.

ومما يغني فيه من شعره.

صد عني محمد بن سعيد أحسن العالمين ثاني جيد

ليس من جفوة يصد ولكن يتجنى لحسنه في الصدود

الغناء فيه لزرزور خفيف رمل، ذكر ذلك إبراهيم بن القاسم بن زرزور عن أبيه، ومحمد بن سعيد هذا كان من أولاد الكتاب بسر من رأى، وكان أحمد يتعشقه.

ومن شعره الذي يغني فيه:

كم ليلة فيك لا صباح لها أحببتها قابضاً على كبدي

قد غصت العين بالدموع وقد وضعت خدي على بنان يدي

كأن قلبي إذا ذكرتكم فريسة بين ساعدي أسد

الغناء لشارية من رواية طباع، وفيه خفيفي رمل، ذكر حبش أنه لأحمد النصيبي، وهو خطأ يشبه أن يكون لأحمد بن صدقة أو بعض طبقته.

الراح والندمان أحسن منظراً في كل ملتف الحدائق رائق

فإذا جمعت صفاءه وصفاءها فارجم بكل ملمة من حالق

الشعر للعطوي، والغناء لبنان ثقيل أول بالوسطى، وفيه لذكاء وجه الرزة خفيف ثقيل.

أخبار العطوي

هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، ويكنى أبا عبد الرحمن بصري المولد والمنشأ.

وكان شاعراً كاتباً من شعراء الدولة العباسية، واتصل بأحمد بن أبي داود، وتقرب إليه بمذهبه وتقدمه فيه بقوة جداله عليه، فلما توفي أحمد نقصت حاله، وله فيه مدائح يسيرة، ومرات كثيرة.

منها ما أنشدنيه الأخفش عن كوثرة أخي العطوي:

حنطته يا نصر بالكافور وزففته للمنزل المهجور

هلا ببعض خصاله حنطته فيضوع أفق منازل وقبور؟

تالله لو من نشر أخلاق له يعزى إلى التقديس والتطهير

حنطت من سكن الثرى وعلا الربا لتزودوه عدة لنشور

فاذهب كما ذهب الوفاء فإنه ذهبت به ريحاً صباً ودبور

واذهب كما ذهب الشباب فإنه قد كان خير مصاحب وعشير

والله ما أبنته لأزيده شرفاً ولكن نفثة المصدور

وأنشدني الأخفش للعطوي أيضاً يرثي أحمد بن أبي داود قال:

وليس صرير النعش ما تسمعونه ولكنه أصلاب قوم تقصف

وليس نسيم المسك رياً حنوطه ولكنه ذاك الثناء المخلف

وذكر محمد بن داود في كتاب الشعراء ،فقال: كان له فن من الشعر لم يسبق إليه، ذهب فيه إلى مذهب أصحاب الكلام، ففاق جميع نظرائه، وخف شعره على كل لسان، وروي، واستعمله الكتاب، واحتذوا معانيه،

وجعلوه إماماً.

قال ابن داود :وحدثني المبرد: قال: كان العطوي - وهو عندنا بالبصرة - لا ينطق بالشعر، ثم ورد علينا شعره لما صار إلى سر من رأى، وكنا نتهاداه، وكان مقتراً عليه رزقه، دفراً وسخاً، منهوماً بالنبيذ، وله فيه في وصف الصبوح وذكر الندامى والمجالس أحسن قول، وليس له قول يسقط، فمن ذلك قوله:

فيئي إلى أهدى السبل ... قولاً وعلماً وعمل

قاتلها الله لقد ... سامتكما إحدى العضل

تقول هلا رحله ... تتقلنا خير نقل

أخشى على حائلة ... الآمال جوال الأجل

أخبرني علي بن سليمان الأخفش: قال: حدثني محمد بن يزيد: قال: سمع العطوي رجلاً يحدث أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب: إن فلاناً قد جمع مالاً، فقال عمر بن الخطاب: فهل جمع له أياماً؟ فأخذ العطوي هذا المعنى فقال:

أرفه بعيش فتىً يغدو على ثقة ... إن الذي قسم الأرزاق يرزقه

فالعرض منه مصون لا يدنسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه

جمعت مالاً ففكر هل جمعت له ... يا جامع المال أياماً تفرقه؟

المال عندك مخزون لوارثه ... ما المال مالك إلا حين تنفقه

ومن قوله في الندمان والنبيذ مما يغني فيه ما أنشدنيه الأخفش وغيره من شيوخنا:

فكم قالوا تمن فقلت كأس ... يطوف بها قضيب في كثيب

وندمان تساقطني حديثاً ... كلحظ الحب أو غض الرقيب

الغناء في هذين البيتين لذكاء وجه الزرزة خفيف رمل.

أخبرني عمي: قال: حدثني كوثرة أخو العطوي قال: كان أخي أبو عبد الرحمن يشرب مع أصدقاء له من الكتاب، ومعهم قينة يقال لها: مصباح، من أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم غناء، فما زالوا في قصف وعزف إلى أن انقطع نبيذهم، فبقوا حيارى، وكانوا قريباً من منزل أبي العباس أحمد بن الحسين بن موسى بن جعفر بن محمد العلوي، وكان صديقاً لأبي عبد الرحمن فكتب إليه:

يا بن من طاب في المواليد مذ آ ... دم جراً إلى الحسين أبيه

أنا بالقرب منك عند كريم ... قد ألحت عليه شهب سنيه

عنده قينة إذا ما تغنت ... عاد منا الفقيه غير فقيه

تزدهيني وأين مثلي في الف ... هم تغنيه ثم لا تزدهيه؟

مجلس كالرياض حسناً ولكن ... ليس قطب السرور واللهو فيه

فأقمه بما به يمتري دن ع ... جوز خمارة ممتريه

وبأشياخك الكرام إلى السؤ ... دد موسى بن جعفر وأبيه

إن تحشمتني وإن كان إلا ... مثل ما يأنس الفتى بأخيه

قال: فلما وصلت الرقعة إلى أبي العباس أرسل إليهم براوية شراب، فلم يزالوا يشربون مجتمعين، حتى نفدت في أخفض عيش.

حدثني أبو يعقوب إسحاق بن الضحاك بن الخصيب الكاتب: قال:

جاءني يوماً أبو عبد الرحمن العطوي بعد وفاة عمي أحمد بن الخصيب بسنتين، وكان صديقه وصنيعته ،فجلس عندي يحادثني حديثه، ويبكي ساعة طويلة، ثم تغيمت السماء وهطلت، فسألته أن يقيم عندي، فحلف ألا يفعل إلا بعد أن أحضره من وقتي ما راج من الطعام، وأتكلف له شيئاً، ففعلت وجئته بما حضر، فقال لي: ما فعلت عقد؟ قلت: باقية، وهي في يومنا هذا مقيمة عندي، والساعة تسمع غناءها، فقال لي: عجل إذن فإن النهار قصير، ثم أنشأ يقول:

أدر الكأس قد تعالى النهار ... ما يميت الهموم إلا العقار

صاح هذا الشتاء فاغد عليها ... إن أيامه لذاذ قصار

أي شيء ألذ من يوم دجن ... فيه كأس على الندامى تدار

وقيان كأنهن ظباء ... فإذا قلن قالت الأوتار

حدثني عمي: قال: حدثني كوثرة: قال: كان لأبي عبد الحمن صديق من الأدباء، وكان يتعشق جارية من جواري القيان يقال لها: عثعث، وكان لا يقدر عليها إلا على لقاء عسير، واجتماع يسير، فأرسل إليها يوماً، فأحضرها وأصلح جميع ما يحتاج إليه، واتفق أن كان ذلك في يوم رذاذ به من الطيب والحسن ما الله به عليم، فكتب إليه صديقه يعرفه الخبر، ويسأله المصير إليه ووصف له القصة بشعر، فقال:

يوم مطير وعيش نضير ... وكأس تدور وقدر تفور

وعثعث تأتي إذا جئتنا ... فتسمع منها غناء يصور

وعندي وعندك ما تشتهيه شعر يمر وعلم يدور

وإذا كان هذا كما قد وصفت ... فإن التفرق خطب كبير

فقم نصطبح قبل فوت الزمان ... فإن زمان التلهي قصير

قال: فسار إليه صاحبه فمر لهما أحسن يوم وأطيبه.

وهذا الشعر أخذه العطوي من كلام إسحاق، أخبرني به وسواسة بن الموصلي عن حماد عن أبيه: قال: كان يألفني بعض الأعراب وكان طيباً، فجاءني يوماً، فقلت له: لم أرك أمس، فقال: دعاني صديق لي، فقلت: صف لي ما كنتم فيه، فقال لي: كنا في مجلس نظامه سرور بين قدور تفور، وكأس تدور، وغناء يصور، وحديث لا يحور وندامى كأنهن البدور.

قال إسحاق: وقلت لأعرابي: كان يألفني: أين كنت بالأمس؟ قال: كنت عند بعض ملوك سر من رأى، فأدخلني إلى قبة كإيوان كسرى، وأطعمني في قصار تترى، وغنتني جارية سكرى، تلعب بالمضراب كأنه مدري، فيا ليتني لقيتها مرة أخرى.

قال إسحاق: وقلت لبعض الأعراب: طلبتك أمس فلم أجدك فأين كنت؟ قال: كنت عند صديق لي، فأطعمني بنات التنانير، وأطعمني أمهات الأبازيز وحلواء الطناجير ، وسقاني زعاف القوارير، وأسمعني غناء الشادن الغرير، على العيدان والطنابير، قد ملكت بأوقار الدراهم والدنانير.

قرأت في بعض الكتب بغير إسناد: أن العطوي كان يوماً جالساً في منزله، وطرقه صديق له ممن كان يغني بسر من رأى، فقال له: قد أهديت إليك جواري اليوم ونبيذاً يكفيك، وحسبك بالكفاية. وأقام عنده، فدخل عليه غلام أمرد أحسن من القمر، فاحتبسوه وكتب العطوي إلى صديق له من أهل الأدب:

يومنا طيب به حسن الق ... صف وحث الأرطال والكاسات

ما ترى البرق كيف يلمع فيه ... ورشاشاً يبل في الساعات

ولدينا ظبي غرير ظريف ... قد غنينا به عن القينات

إن تخلفت بعد ما تصل الرق ... عة عنا فأنت في الأموات

فأجابه الرجل فقال:

أنا في إثر رقعتي فاعلمن ذا ... ك على أنني من البيات

فأفهم الشرط بيننا لا تقل لي ... قد تثاقلت فانصرف بحياتي

لا لسوء لكن لأمتع نفسي ... بحديث الظبي الغرير المواتي

أيا بيت ليلى إن ليلى مريضة ... برادان لا خال لديها ولا ابن عم

ويا بيت ليلى لو سهدتك أعولت ... عليك رجال من فصيح ومن عجم

ويا بيت ليلى لا يبست ولا تزل ... بلادك سقياها من الواكف الديم

الشعر لمرة بن عبد الله النهدي، والغناء لأحمد النصيبي ثقيل أول بالوسطى، يقال إنه لحنين.

أخبار مرة ونسبه

هو مرة بن عبد الله بن هليل بن يسار: أحد بني هلال بن عاصم بن نصر بن مازن بن خزيمة بن نهد، وليلى هذه من رهطه، يقال لها بنت زهير بن يزيد بن خالد بن عمرو بن سلمة.

نسخت خبرها من كتاب ابن أبي السري قال: حدثني ابن الكلبي عن أبيه قال: كانت امرأة من بني نهد، يقال لها: ليلى بنت زهير بن يزيد، وكان لها ابن عم يقال له مرة بن عبد الله بن هليل يهواها، واشتد شغفه بها فخطبها، وأبوا أن يزوجوه، وكان لا يخطبها غيره إلا هجاه، فخطبها رجل من بني نهشل، يقال له: إران، فقال مرة يهجوه:

وما كنت أخشى أن تصير بمرة ... من الدهر ليلى زوجة لإران

لمن ليس ذا لب ولا ذا حفيظة ... لعرس ولا ذا منطق وبيان

لقد بليت ليلى بشر بلية ... وقد أنزلت ليلى بدار هوان

قال: فتزوجها المنجاب بن عبد الله بن مسروق بن سلمة ين سعد، من بني زوي بن مالك بن نهد، فخرج إلى البعث براذان، وهي إذ ذاك مسلحة لأهل الكوفة، فخرج بها معه، فماتت براذان ودفنت هناك، فقدم رجلان من بجيلة من مكتبهما براذان من بني نهد، وكانت بجيلة جيران بني نهد بالكوفة، فمرا على مجلسهم، فسألوهما عمن براذان من بني نهد، فأخبراهما بسلامتهم، ونعيا إليهم ليلى ومرة في القوم فأنشأ يقول:

أيا ناعيي ليلى أما كان واحد ... من الناس ينعاها إلي سواكما

ويا ناعيي ليلى ألم نك جيرة ... عليكم لها حق فألا نهاكما

ويا ناعيي ليلى لقد هجتما لنا ... تجاوب نوح في الديار كلاكما

ويا ناعيي ليلى لجلت مصيبة ... بنا فقد ليلى لا أمرت قواكما

ولا عشتما إلا حليفي بلية ... ولا مت حتى يشترى كفناكما

فأشمت والأيام فيها بوائق ... بموتكما إني أحب رداكما

وقال فيها أيضاً:

كأنك لم تفجع بشيء تعده ... ولم تصطبر للنائبات من الدهر

ولم تر بؤساً بعد طول غضارة ... ولم ترمك الأيام من حيث لا تدري

سقي جانبي راذان والساحة التي ... بها دفنوا ليلى ملث من القطر

ولا زال خصب حيث حلت عظامها ... براذان يسقى الغيث من هطل غمر

وإن لم تكلمنا عظام وهامة هناك وأصداء بقين مع الصخر

وقال فيها:

أيا قبر ليلى لا يبست ولا تزل بلادك تسقيها من الواكف الديم

ويا قبر ليلى غيبت عنك أمها وخالتها والناصحون ذوو الذمم

ويا قبر ليلى كم جمال تكنه وكم ضم فيك من عفاف ومن كرم

وساق باقي الأبيات التي فيها الغناء .

وحكى الهيثم بن عدي عن شيخ من بني نهد : أن مرة كان تزوجها، وكان مكتبه براذان، وأخرجها معه، ثم ضرب عليه البعث إلى خراسان، فخلفها عند شيخ من أهل مترله هناك، وأفرد لها الشيخ داراً كانت فيها، ومضى لبعثه، ثم قدم بعد حول، فلقي فتى من أهل راذان قبل وصوله إلى دارها، فسأله عنها، فقال: أترى القبر الذي بفناء الدار؟ قال: نعم، قال: هو والله قبرها، فجاء، فأكب عليه يبكي، ويندبها، وترك مكتبه، ولزم قبرها يغدو ويرح إليه، حتى لحق بها .

بأبي أنت يا بن من لا أسمي لبعض ما

يا شبيبة الهلال مث لك في الأفق أنجما

راقب الله في أس يرك إن كنت مسلما

الشعر لعلي بن أمية والغناء لعمر الميداني رمل طلق.

أخبار علي بن أمية

علي بن أمية بن أبي أمية، وكان أبوه يكتب للمهدي على ديوان بيت المال وديواني الرسائل والخاتم، وكان منقطعاً إلى إبراهيم بن المهدي، وإلى الفضل بن الربيع، وقد تقدم خبر أخيه محمد في مواضع من هذا الكتاب.

فحدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار: قال: حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات: قال: حدثني محمد بن علي بن أمية: قال: لما قدم علي بن أمية، وقال:

يا ريح ما تصنعين بالدمن؟ كم لك من محو منظر حسن

محوت آثارنا وأحدثت آ ثاراً بربع الحبيب لم تكن

إن تك يا ربع قد بليت من الريح فإني بال من الحزن

قد كان يا ربع فيك لي سكن فصرت إذ بان بعده سكني

شبهت ما أبلت الرياح من آ ثار حبيبي الثأى بلا بدن
يا ريح لا تطمسي الرموس ولا تمحي رسوم الديار والدمن
حاشاك يا ريح أن تكون على العاشق عوناً لحادث الزمن

كثر الناس فيه، وغناه عمرو الغزال، فقال أبو موسى الأعمى:

يا رب خذني وخذ عليا وخذ يا ريح ما تصنعين بالدمن
عجل إلى النار بالثلاثة والرا بع عمرو الغزال في قرن

ثم ندم، وقال: هؤلاء أهل بيت، وهم إخوتي، ولا أحب أن أنشب بيني وبينهم عداوة وشراً، فأتى أمية فقال: إني قد أذنبت فيما بيني وبينكم ذنباً، وقد جئتك مستجيراً بك من فتيانك، فدعا بعلي بن أمية، فقال: يا هذا، عمك أبو موسى قد أتاك معتذراً من الشعر الذي قاله، قال: وما هو؟ فأنشده، فقال: قد ضجرنا نحن والله منه كما ضجرت أنت وأكثر، وأنت آمن من أن يكون منا جواب، وأتى محمد بن أمية، فقال له مثل ذلك، ومضى أبو موسى، فأخذ علي بن أمية رقعة فكتب فيها:

كم شاعر عند نفسه فطن ليس لدينا بالشاعر الفطن
قد أخرجت نفسه بغصتها يا ريح ما تصنعين بالدمن

ودفع الرقعة إلى غلام له، وقال: ادفعها إلى غلام أبي موسى، وقل له: يقول لك مولاك: اذكرني بهذا إذا انصرفت إلى المترل، فلما انصرف إلى المترل أتاه غلامه بالرقعة، فقال: ما هذه؟ فقال: التي بعثت بها إلي، فقال: والله ما بعثت إليك رقعة، وأظن الفاسق قد فعلها، ثم دعا ابنه، فقرأها عليه، فلما سمع ما فيها قال: يا غلام، لا تترع عن البغلة. فرجع إلى علي بن أمية، فقال: نشدتك الله أن تزيد على ما كان، فقال له: أنت آمن.

لحن عمرو الغزال في أبيات علي بن أمية رمل بالوسطى.

وقال يوسف بن إبراهيم: حدثني إبراهيم بن المهدي: قال: حدثني محمد بن أيوب المكي: أنه كان في خدمة عبيد الله بن جعفر بن المنصور، وكان مستخفاً لعمرو الغزال، محباً له، وكان عمرو يستحق ذلك بكل شيء، إلا ما يدعيه ويتحقق به من صناعة الغناء؛ وكان ظريفاً أديباً نظيف الوجه واللباس، معه كل ما يحتاج إليه من آلة الفتوة، وكان صالح الغناء ما وقف بحيث يستحق، ولم يدع ما يستحقه، وأنه كان عند نفسه نظير ابن جامع وإبراهيم وطبقتهما، لا يرى لهم عليه فضلاً ولا يشك في أن صنعتهم مثل صنعته، وكان عبد الله قليل الفهم بالصناعة، فكان يظن أنه قد ظفر منه بكنز من الكنوز، فكان أحظى الناس عنده من استحسن غناء عمرو الغزال وصنعته، ولم يكن في ندمائه من يفهم هذا، ثم استزار عبيد الله بن جعفر أخاه عيسى، وكان أفهم منه، فقلت له: استعن برأي أخيك في عمرو الغزال؛ إنه أفهم منك، وكانت أم جعفر كثيراً ما تسأل الرشيد تحويل أخيها عبيد الله وتديمه والتنويه به، فكان عيسى أخوه يعرف الرشيد أن ضعيف عاجز لا يستحق ذلك، فلما زاره عيسى

أسمعه غناء عمرو، فسمع منه سخنة عين ، فأظهر من السرور والطرب أمراً عظيماً، ليزيد بذلك عبيد الله بصيرة فيه، ويجعله عيسى سبباً قوياً يشهد عند الرشيد بضعف عقله، وعلمت ما أراد، وعرفت أن عمراً الغزال أول داخل على الرشيد، فلما كان وقت العصر من اليوم الثاني، لم نشعر إلا برسول الرشيد قد جاء يطلب عمراً الغزال، فوجه إليه وأقبل يلومني ويقول: ما أظنك إلا قد فرقت بيني وبين عمرو، وكنت غنياً عن الجمع بينه وبين عيسى، واتفق أن غنى عمرو الرشيد في هذا الشعر صنعته:

يا ريح ما تصنعين بالدمن؟ كم لك من محو منظر حسن

وكان صوتاً خفيفاً مليحاً فأطربه، ووصله بألف دينار، وصار في عداد مغني الرشيد، إلا أنه كان يلازم عبيد الله إذا لم يكن له نوبة، فأقبلت أتعجب من ذلك، واتصلت خدمته إياه ثلاث سنين، ثم انصرفا يوماً من الشماسية مع عبيد الله بن جعفر، فلقيه الخضر بن جبريل، وكان في الناس في العسكر، فعاتبه عبيد الله على تركه وانقطاعه عنه، فقال: والله ما أفعل ذلك جهلاً بحقك، ولا إخلالاً بواجبك، ولكنا في طريقين متباينين لا يمكن معهما الاجتماع، قال: وما هما ويحك؟ قال: أنت على نهاية السرف في محبة عمرو الغزال، وأنا على نهاية السرف في بغضه ، وأنت تتوهم أنه لا يطيب لك عيش إلا به، وأنا أتوهم أني إن عاشرته ساعة مت، وتقطعت نفسي غيظاً وكمداً، وما يستقيم مع هذا بيننا عشرة أبداً، فقال له عبيد الله: إذا كان هذا هكذا فأنا أعفيك منه إذا زرتني، فصر إلي آمناً، ففعل، و لم يجلس عبيد الله حتى قال لحاجبه لا تدخل اليوم أحداً، ولا تستأذن علي لجلوسه ودخلنا، فلما وضعت المائدة لم يأكل ثلاث لقم، حتى دخل الحاجب فوقف بين يديه، وأقبل عمرو الغزال خلفه، فرآن من أقصى الصحن، فقال له عبيد الله: ثكلتك أمك! ألم أقل لك لا تدخل علي أحداً من خلق الله؟ فقال له الحاجب: امرأته طالق ثلاثاً إن كان عنده أن عمراً عندك في هذا المجرى، ولو جاء جبريل وميكائيل وكل من خلق الله لم يدخلوا عليك إلا بإذن سوى عمرو؛ فإنك أمرتني أن آذن له خاصة وأن يدخل متى شاء، وعلى كل حال. قال: و لم يفرغ الحاجب من كلامه حتى دخل عمرو، فجلس على المائدة وتغير وجه الخضر، وبانت الكراهة فيه، فما أكل أكلاً فيه خير، وتبين عبيد الله ذلك، ورفعت المائدة وقدم النبيذ، فجعل الخضر يشرب شرباً كثيراً لم أكن أعهده يشرب مثله، فظننت أنه يريد بذلك أن يستتر من عمرو الغزال، وعمرو يتغنى، فلا يقتصر وكلما تغنى قال له عبيد الله: لمن هذا الصوت يا حبيبي؟ فيقول: لي وعندنا يومئذ جوار مطربات محسنات، وهو يقطع غناءهن بغنائه، وتبينت في وجه الخضر العربدة إلى أن قال عمرو بعقب صوت: هذا لي، فوثب الخضر وكشف استه وخزي في وسط المجلس على بساط خز لم أر لأحد مثله، ثم قال: إن كان هذا الغناء لك، فهذا الخراء لي، فغضب عبيد الله، وقال له: يا خضر أكنت تستطيع أن تفعل أكثر من هذا؟ قال أي والله أيها الأمير، ثم وضع رجليه على سلحه، ثم أخرجهما فمشى على البساط مقبلاً مدبراً، حتى خرج وقد لوثه، وهو يقول: هذا كله لي، وتفرقنا عن المجلس على أقبح حال وأسوئها، وشاع الخبر، حتى بلغ الرشيد، فضحك

حتى غلب عليه، ودعا الخضر، وجعله في ندمائه منذ يومئذ، وقال: هذا أطيب خلق الله، وانكشف عنده عوار عمرو الغزال واسترحنا منه، وأمر أن يحجب عنه، سقط يومئذ، وقد كان الجواري والغلمان أخذوه ولهجوا به، وكان الرشيد يكيد به إبراهيم الموصلي وابن جامع قبل ذلك فسقط غناؤه أيضاً منذ يومئذ، فما ذكر منه حرف بعد ذلك اليوم إلا صنعته في:

يا ريح ما تصنعين بالدمن

ولولا إعجاب الرشيد به لسقط أيضاً.

حدثني الحسن بن علي عن محمد بن القاسم عن أبي هفان: قال: كنا في مجلس، وعندنا قينة تغنينا، وصاحب البيت يهواها، فجعل تكايده، وتومئ إلى غيره بالمزح والتجميش ، وتغيظه بجهدها، وهو يكاد يموت قلفاً وهما وتنغص عليه يومه، ولجت فيأمرها، ثم سقط المضراب عن يدها، فأكبت على الأرض لتأخذه، فضرطت ضرطة سمعها جميع من حضر، وخجلت، فلم تدر ما تقول فأقبلت على عشيقها فقالت: أيش تشتهي أن أغني لك؟ فقال: غني :

يا ريح ما تصنعين بالدمن

فخجلت وضحك القوم وصاحب الدار، حتى أفرطوا، فبكت وقامت من المجلس، وقالت: أنتم والله قوم سفل، ولعنة الله على من يعاشركم، وغضبت وخرجت، وكان - علم الله- سبب القطيعة بينهما وسلو ذلك الرجل عنها: أخبرني ابن عمار وعمي والحسن بن علي، قالوا: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثنا الحسين بن الضحاك: قال:

خبريني من الرسول إليك؟ واجعليه من لا ينم عليك

وأشيري إلي من هو بالل حظ ليخفى على الذين لديك

فقالت: نعم، وغنته لوقتها وزادت فيه هذا البيت، فقالت:

وأفلي المزاح في المجلس اليو م فإن المزاح بين يديك

ففطن لما أرادت وسر بذلك، ثم أقبلت على خادم واقف فقالت له: يا مسرور، اسقني، فسقاها، وفطن بن أمية أنها أرادت أن تعلمه أن مسروراً هو الرسول، فخاطبه، فوجده كما يريد، وما زال ذلك الخادم يتردد في الرسائل بينهما.

أخبار عمر الميداني

هو رجل من أهل بغداد كان يترل الميدان فعرف به، وكان لا يفارق محمداً وعلياً ابني أمية وأبا حشيشة، ينادمهم ويغني في أشعارهم، وكان مترله قريباً منهم، وهو أحد المحسنين المتقدمين في الصنعة والأداء.

حدثني جحظة: قال: وسمعت ابن دقاق في مترل أبي العبيس بن حمدون يقول: سمعت أبا حشيشة والمسدود، ومن قبلهما من الطنبوريين، فما سمعت منهم أصح غناء ولا أكثر تصرفاً من عمر الميداني.

حدثني جحظة: قال: حدثني علي بن أمية: قال: دخلت يوماً على عمر الميداني، وكان له بقال على باب داره ينادمه ولا يفارقه، ويقارضه إذا أعسر، ويتصرف في حوائجه، فإذا حصلت له دراهم دفعها إليه يقبض منها ما رأى، لا يسأله عن شيء، فوجدت عنده يومئذ هذا البقال، فقال لنا عمر: معي أربعة دراهم تعطوني منها لعلف حماري درهماً، والثلاثة لكم، فكلوا بها ما أحببتم. وعندي نبيذ، وأنا أغنيكم، والبقال يحذرنا من الأبقال اليابسة ما في حانوته. فوجهنا بالبقال. فاشترى لنا بدرهم لحماً. وبدرهم خبزاً. وبدرهم فاكهة وريحاناً. وجاءنا من حانوته السكباج ونقل. فبينا نحن نتوقع الفراغ من القدر إذا بفرانق يدق الباب. فأدخله عمر: فقال له: أجب الأمير إسحاق بن إبراهيم. فحلف علينا عمر بالطلاق ألا نبرح، ومضى هو؛ وأكلنا السكباج وشربنا وانصرف عشاء. وبكر إلي رسوله في السحر أن صر إلي، فصرت إليه، فقلت: أعطني خبرك من النعل إلى النعل . قال: دخلت فوضعت بين يدي مائدة كأنها جزعة يمانية قد فرشت في عراصها الحبر فأكلت وسقيت رطلين، ودفع إلي طنبور. فدخلت إلى إسحاق، فوجدته في الصدر جالساً، وخلفه ستارة. وعن يمينه مخارق وعن يساره علويه. فقال لي: أنت عمر الميداني؟ فقلت: نعم. فقال: أ أكلت؟ فقلت: نعم قال: ها هنا أو في مترلك؟ فقلت: بل ها هنا، قال: أحسنت، فغن بصوتك الذي صنعته في:

يا شبيه الهلال كلل في الأفق أنجما

وهو رمل مطلق، فغنيته فضرب الستارة. وقال: قولوه أنتم، فقالوه، فقال: لمخارق وعلوية: كيف تسمعان؟ فقالا: هذا الله ذا. وذا ذاك، فرددته مراراً. وشرب عليه. وقال لي: أنا اليوم على خلوة ولك علي دعوات، فانصرف اليوم بسلام. فخرجت ودفع إلي الغلام خمسة آلاف درهم. فهي هذه، والله لا استأثرت عليكم كمها بدرهم. فلم نزل عنده نقصف حتى نفدت.

أمين الخالق الباري وراعى كل مخلوق

أدر راحك في المعشو ق من راحة معشوق

الشعر لأبي أيوب سليمان بن وهب. والغناء للقاسم بن زرزور ثقيل أول بالبنصر من جامع غنائه المأخوذ عن أبيه أبي القاسم عبيد الله بن القاسم.

أخبار سليمان بن وهب وجمل من أحاديث

تصلح لهذا الكتاب

ينكر الانتساب إلى الحارث :

قد تقدم نسبه في أخبار الحسن بن وهب أخيه وانتماؤه في بني الحارث بن كعب. وأن أصلهم من قرية يقال لها: سار قرمقاً من طسوج خسروسابور من سواد واسط، وكان سليمان بن وهب ينكر الانتساب إلى الحارث بن كعب على أخيه الحسن وعلى ابنه أبي الفضل أحمد بن سليمان بن وهب لشدة تعلقهما به، أخبرني بذلك محمد بن يحيى وغيره من شيوخنا ومن مشيخة الكتاب.

أخبرني الصولي: قال: حدثني الحسن بن يحيى وعون بن محمد الكندي، أن جعفر بن محمد كان وزير المهتدي في لأول أمره، فبلغه عنه تشيع فكرهه، وقال: هذا رافضي لا حاجة لي به، واستوزر جعفر بن محمد بن عمار، فلم يزل على وزارته حتى مضت سنة من خلافة المهتدي، ثم قدم موسى من بغا من الجبل، وكاتبه سليمان بن وهب وابنه عبيد الله، فاستوزر المهتدي سليمان بن وهب ولقب بالوزير حقاً؛ لأن من كان قبله كان غير مستحق للوزارة، ولا مستقل بها.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني الحسن بن يحيى بن الجماز: قال: لما استوزر سليمان بن وهب جلس للناس، فدخل عليه شاعر يقال له: هارون بن محمد البالسي، فذكر مظلمة له ببلده، ثم أنشده:

زيد في قدرك العلي علو ... يا بن وهب من كاتب ووزير

أسفر الشرق منك والغرب عن ضو ... ء من العدل فاق ضوء البدور

أنشر الناس غيثكم بعدما كا ... نوا رفاتاً من قبل يوم النشور

شرد الجور عدلكم فسرحنا ... بينكم بين روضة وسرور

أنت عين الإمام والقرم مو ... سى بك تفتر عابسات الأمور

فوقع في ظلماته بما أراد ووصله بمائتي دينار.

أخبرني محمد بن يحيى: قال: حدثنا أحمد بن الخصيب: قال: لعهدي بيزيد بن محمد المهلبي عند سليمان بن وهب بعد ما استوزره المهتدي، وقد أجلسه إلى جانبه، وهو ينشده قوله:

وهبتم لنا يا آل وهب مودة ... فأبقت لنا جاهاً ومجداً يؤثل

فمن كان للآثام والذل أرضه ... فأرضكم للأجر والعز منزل

رأى الناس فوق المجد مقدار مجدكم ... فقد سألوكم فوق ما كان يسأل

يقصر عن مسعاكم كل آخر ... وما فاتكم ممن تقدم أول

بلغت الذي قد كنت أملته لكم ... وإن كنت لم أبلغ بكم ما أؤمل

فقطع عليه سليمان الإنشاد، وقال له: يا أبا خالد، فأنت والله عندي كما قال عمارة بن عقيل لابنه:

أقهفه مسروراً إذا أبت سالماً وأبكي من الإشفاق حين تغيب

فقال له يزيد: فيسمع مني الوزير آخر الشعر لا أوله، وتمم فقال:

وما لي حق واجب غير أنني بجودكم في حاجتي أتوسل

وأنكم أفضلتم وبررتم وقد يستتم النعمة المتفضل

وأوليتم فعلاً جميلاً مقدماً فعودوا فإن العود بالحر أجمل

وكم محلف قد نال ما رام منكم ويمنعنا من مثل ذاك التجمل

وعودتمونا قبل أن نسأل الغنى ولا بذل للمعروف والوجه يبذل

فقال له سليمان: لا تبرح والله إلا بقضاء حوائجك كائنة ما كانت، ولو لم أستفد من كتبة أمير المؤمنين إلا شكرك لرأيت جنابي بذلك ممرعاً، وعرسي مثمراً، ثم وقع له في رقاع كثيرة كانت بين يديه.

أخبرني محمد: قال: حدثنا الحزنبل: قال: لما ولى المهتدي سليمان بن وهب وزارته قام إليه رجل من ذوي حرفته، فقال: أنا - أعز الله الوزير - خادمك، المؤمل دولتك، السعيد بأيامك، المطوي القلب على ودك، المنشور اللسان بمدحك، المرتهن بشكر نعمتك، وقد قال الشاعر:

وفيت كل أديب ودني ثمناً إلا المؤمل دولاتي وأيامي

فإنني ضامن ألا أكافئه إلا بتسويغه فضلي وإنعامي

إني لكما قال القيسي: ما زلت أمتطي النهار إليك، وأستدل بفضلك عليك، حتى إذا جنني الليل، فقبض البصر، ومحا الأثر، أقام بدني؛ وسافر أملي، والاجتهاد عذر ، وإذا بلغتك فهو مرادي فقط، فقال له سليمان: لا عليك: فإني عارف بوسيلتك، محتاج إلى كفايتك، ولست أؤخر عن أمري النظر في أمرك وتوليتك ما يحسن أثره عليك.

وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه قال: ما رأيت أظرف من سليمان بن وهب، ولا أحسن أدباً: خرجنا نتلقاه عند قدومه من الجبل مع موسى بن بغا، فقال لي: هات الآن يا أبا حسن، حدثني بعجائبكم بعدي، وما أظنك تحدثني بأعجب من خبر ضرطة أبي وهب بحضرة القاضي، وما سير من خبرها، وما قيل فيها، حتى قيل:

ومن العجائب أنها بشهادة ال قاضي فليس يزيلها الإنكار

وجعل يضحك.

قال علي بن الحسين الأصبهاني:

حضرت أبا عبد الله الباقطاني، وهو يتقلد ديوان المشرق، وقد تقلد ابن أبي السلاسل ماسبذان ومهرجان قذف ، وجاءه يأخذ كتبه، فجعل يوصيه كما يوصي أصحاب الدواوين العمال، فقال ابن أبي السلاسل: كأنك استكثرت لي هذا العمل أنت أيضاً! قد كنت تكتب لأبي العباس بن ثوابة، ثم صرت صاحب ديوان، فقال له

الباقطاني: يا جاهل يا مجنون، لولا أنه قبيح علي مكافأة مثلك لراجعت الوزير - أيده الله - في أمرك، حتى أزيل يدك، ومن لي أن أجد مثل ابن ثوابة في هذا الوقت، فأكتب له، ولا أريد الرياسة! ثم أقبل علينا يحدثنا، فقال: دخلت مع أبي العباس بن ثوابة إلى المهتدي، وكان سليمان بن وهب وزيره، وكان يدخل إليه الوزير وأصحاب الدواوين العمال والكتاب، فيعملون بحضرته، فيوقع إليهم في الأعمال، فأمر سليمان أن يكتب عنه عشرة كتب مختلفة إلى جماعة من العمال، فأخ سليمان بيد أبي العباس بن ثوابة، ثم قال له: أنت اليوم أحد ذهناً مني فهلم نتعاون، فدخلا بيتاً، ودخلت معهما، وأخذ سليمان خمسة أنصاف وأبو العباس خمسة أنصاف أخر، فكتبا الكتب التي أمر بها سليمان ما احتاج أحدهما إلى نسخه، وقد أكمل كل واحد منهما ما كتب به صاحبه، فاستحسنه وقرظه، ثم وضع سليمان الكتب بين يدي المهدي، فقال له وقد قرأها: أحسنت يا سليمان، ونعم الرجل أنت لولا المعجل والمؤجل، وكان سليمان إذا ولي عاملاً أخذ منه مالاً معجلاً، وأجل له إلى أن يتسلم عمله، فقال له: يا أمير المؤمنين، هذا قول لا يخلو من أن يكون حقاً أو باطلاً، فإن كان باطلاً فليس مثلك من يقوله، وإن كان حقاً - وقد علمت أن الأصول محفوظة- فما يضر من يساهمني من عمالي على بعض ما يصل إليهم من بر؛ من غير تحيف للرعية ولا نقص للأموال؟ فقال: إذا كان هكذا فلا بأس، ثم قال له: اكتب إلى فلان العامل يقبض ضيعة فلان المصروف المعتقل في يده، بباقي ما عليه من المصادرة، فقال له أبو العباس بن ثوابة: كلنا يا أمير المؤمنين خدمك وأولياؤك، وكلنا حاطب في حبلك، وساع فيما أرضاك وأيد ملكك، أفنمضي ما تأمر به على ما خيلت أم نقول بالحق؟ قال: بل قل الحق يا أحمد فقال: يا أمير المؤمنين، الملك يقين، والمصادرة. شك، أفترى أن أزيل اليقين بالشك؟ قال: لا، قال: فقد شهدت للرجل بالملك، وصادرته عن شك فيما بينك وبينه، وهل خانك أم لا، فتجعل المصادرة صلحاً! فإذا قبضت ضيعته بهذا فقد أزلت اليقين بالشك، فقال له: صدقت، ولكن كيف الوصول إلى المال؟ فقال له: أنت لا بد لك من عمال على أعمالك، وكلهم يرتزق، ويرتفق، فيحوز رفقه ورزقه إلى منزله، فاجعله أحد عمالك؛ ليصرف هذين الوجهين إلى ما عليه ويسعفه معاملوه، فيتخلص بنفسه وضيعته ويعود إليك مالك، فأمر سليمان بن وهب بأن يفعل ذلك، فلما خرجا من حضرة المهتدي قال له سليمان: عهدي بهذا الرجل عدوك، وكل واحد منكما يسعى على صاحبه، فكيف زال ذلك، حتى نبت عنه في هذا الوقت نيابة أحييته بها، وتخلصت نفسه ونعمته؟ فقال: إنما كنت أعاديه، وأسعى عليه وهو يقدر على الانتصاف مني، فأما وهو فقير إلي فلا. فهذا مما يحظره الدين والصناعة والمروءة. فقال له سليمان: جزاك الله خيراً، أما والله، لأشكرن هذه النية لك. ولأعتقدنك من أجلها أخاً وصديقاً. ولأجعلن هذا الرجل لك عبداً ما بقي. ثم قال الباقطاني: أفمن كان هذا وزنه وفعله يعاب من كان يكتب له؟ أخبرني محمد بن يحيى الباقطاني: قال: حدثنا الحسين بن يحيى الباقطاني قال: كنت آلف سليمان بن وهب كثيراً، وأخدمه وأحادثه، وكان يخصني ويأنس بي. فأنشدني لنفسه يذكر نكبته في أيام الواثق:

نوائب الدهر أدبتني ... وإنما يوعظ الأريب

قد ذقت حلواً وذقت مراً كذاك عيش الفتى ضروب

ما مر بؤس ولا نعيم إلا ولي فيهما نصيب

فيه رمل محدث لا أعرف صانعه.

وذكر يحيى بن علي بن يحيى أن جفوة نالت أباه من سليمان بن وهب فكتب إليه:

جفاني أبو أيوب نفسي فداؤه فعاتبته كيما يريع ويعتبا

فوالله لولا الضين مني بوده لكن سهيل من عتابيه أقربا

فكتب إليه سليمان:

ذكرت جفائي وهو من غير شيمتي وإني لدان من بعيد تقربا

فكيف بخل لي أضن بوده وأصفيه وداً ظاهراً ومغيبا

علي بن يحيى لا عدمت إخاءه فما زال في كل الخصال مهذبا

ولكن أشغالاً غدت وتواترت فلما رأيت الشغل عاق وأتعبا

وكنت إلى عذر الأخلاء إنهم كرام وإن كان التواصل أوجبا

فإن يطلب مني عتابك أوبة ببر تجدني بالأمانة معتبا

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه: قال: كان سليمان بن وهب - وهو حدث- يتعشق إبراهيم بن سوار بن شداد بن ميمون، وكان من أحسن الناس وجهاً وأملحهم أدباً وطرفاً، وكان إبراهيم هذا يتعشق جارية مغنية يقال لها رخاص، فاجتمعوا يوماً فسكر إبراهيم ونام، فرأت رخاص سليمان يقبله، فلما انتبه لامته، وقالت: كيف أصفو لك وقد رأيت سليمان يقبلك؟ فهجره إبراهيم، فكتب إليه سليمان:

قل للذي ليس لي من جوى هواه خلاص

أئن لثمتك سراً وأبصرتني رخاص

وقال لي ذاك قوم على اغتيابي حراص

هجرتني وأتتني شتيمة وانتقاص

وسر ذاك أناساً لهم علينا اختراص

فهاك فاقتص مني إن الجروح قصاص

وأهدي سليمان إلى رخاص هدايا كثيرة، فكانوا بعد ذلك يتناوبون يوماً عند سليمان، ويوماً عند إبراهيم ويوماً عند رخاص.

أخبرني الصولي عن احمد بن الخصيب: قال: حضرت سليمان بن وهب، وقد جاءته رقعة من بعض من وعده أن يصرفه من أصحابه، وفيها:

هبني رضيت منك بالقليل ... أكان في التأويل والتزيل!

أو خبر جاء عن الرسول ... أو حجة في فطر العقول

مستحسن من رجل جليل ... عال له حظ من الجميل

ينقص ما أشاع بالتطويل ... والقول دون الفعل بالتحصيل

ليس كذا وصف الفتى النبيل

قال: فكتب له بولاية ناحية، وأنفذ إليه مائتي دينار وكتب في رقعة:

ليس إلى الباطل من سبيل ... إلا لمن يعدل عن تعديل

وقد وفينا لك بالتحصيل ... فاطو الذي كان عن الخليل

فضلاً عن الخليط والتنزيل ... وعد من القول إلى الجميل

وعف في الكثير والقليل ... تحظ من الرتبة بالجزيل

أخبرني محمد بن يحيى عن عبد الله بن الحسين بن سعد عن بعض أهله أنه كتب إلى سليمان بن وهب، وهو يتولى شيئاً من أعمال الضياع:

أطال الله إسعاد ... ك في الآجل والعاجل

أما ترعى لمن أم ... ل فضلاً حرمة الآمل

وعندي عاجل من رش ... وة يتبعها آجل

وأنت العلم الشاه ... د أني كاتب عامل

فول الكافل الباذ ... ل دون العاجز الباخل

فما أفشي لك السر ... فعال الأخرق الجاهل

قال: فضحك وأجلسه وكتب في رقعته:

أبن لي ما الذي تخط ... ب شرحاً أيها الباذل؟

وما تعطي إذا ولي ... ت تعجيلاً وما الآجل؟

أفي الإسلاف تنقيص أم الوزن له كامل؟
وفي موقوف تضمين أم الوعد به حاصل؟
أبن لي ذاك و اردد رق عتي يا كاتباً عامل؟

فلما قرأها الرجل قطع ما بينه وبينه، ورد الرقعة عليه، وولاه سليمان ما التمس.

أخبرني محمد بن يحيى عن موسى البربري قال: أهدى سليمان بن وهب إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر سلال رطب من ضيعته، وكتب إليه يقول:

أذن الأمير بفضله وبجوده وبنيله
لوليه في بره بجناه سكر نخله
فبعثت منه بسلة تحكي حلاوة عدله

أخبرني محمد الباقطاني: قال: كتب سليمان بن وهب بقلم صلب، فاعتمد عليه اعتماداً شديداً، فصر القلم في يده، فقال:

إذا ما حددنا و انتضينا قواطعاً أصم الذكي السمع منها صريرها
تظل المنايا و العطايا شوارعاً تدور بما شئنا وتمضي أمورها
تساقط في القرطاس منها بدائع كمثل اللآلي نظمها ونثيرها
تقود أبيات البيان بفطنة تكشف عن وجه البلاغة نورها

إذا ما خطوب الدهر أرخت ستورها تجلت بنا عما تسر ستورها

يرثي أخاه الحسن: قال: وأنشدني له يرثي أخاه الحسن:

مضى مذ مضي عز المعالي وأصبحت لآلي الحجا والقول ليس لها نظم
وأضحى نجي الفكر بعد فراقه إذا هم بالإفصاح منطقه كظم

وذكر ابن المسيب أن جماعة تذاكروا لما قبض الموفق على سليمان بن وهب وابنه عبد الله: أنه إنما استكتبهما ليقف منهما على ذخائر موسى بن بغا وودائعه، فلما استقصى ذلك نكبهما لكثرة مالهما، فقال ابن الرومي وكان حاضراً:

ألم تر أن المال يتلف ربه إذا جم آتيه وسد طريقه
ومن جاور الماء الغزير مجمه وسد مفيض الماء فهو غريقه

ومات سليمان بن وهب في محبسه وهو مطالب، فرثاه جماعة من الشعراء، فممن جود في مرثيته البحتري حيث يقول:

هذا سليمان بن وهب بعد ما ... طالت مساعيه النجوم سموكا
وتنصف الدنيا يدبر أمرها ... سبعين حولاً قد تممن دكيكا
أغرت به الأقدار بغت ملمة ... ما كان رس حديثها مأفوكا
أبلغ عبيد الله بارع مذحج ... شرفاً ومعطى فضلها تمليكا
ومتى وجدت الناس إلا تاركاً ... لحميمه في الترب أو متروكا
بلغ الإرادة إذ فداك بنفسه ... وتود لو تفديه لا يفديكا
إن الرزية في الفقيد فإن هفا ... جزع بلبك فالرزية فيكا
لو ينجلي لك ذخرها من نكبة ... جلل لأضحكك الذي يبكيكا
لقد برز الفضل بن يحيى ولم يزل ... يسامي من الغايات ما كان أرفعا
يراه أمير المؤمنين لملكه ... كفيلاً لما أعطى من العهد مقنعا
قضى بالتي شدت لهارون ملكه ... وأحيت ليحيى نفسه فتمتعا
فأمست بنو العباس بعد اختلافها ... وآل علي مثل زندي يد معا
لئن كان من أسدى القريض أجاده ... لقد صاغ إبراهيم فيه فأوقعا

الشعر لأبان بن عبد الحميد اللاحقي بقوله في الفضل بن يحيى لما قدم يحيى بن عبد الله بن الحسين على أمان الرشيد وعهده. والغناء لإبراهيم الموصلي ثاني ثقيل بالبنصر عن أحمد بن المكي، وكان الرشيد أمره أن يغني في هذا الشعر، وإياه عني أبان بقوله:

لقد صاغ إبراهيم فيه فأوقعا

أخبار أبان بن عبد الحميد ونسبه

أبان بن عبد الحميد بن لاحق عن عفير مولى بني رقاش، قال أبو عبيدة: بنو رقاش ثلاثة نفر ينسبون إلى أمهم، واسمها رقاش، وهم: مالك، وزيد مناة، وعامر، بنو شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

أخبرني عمي: قال: حدثنا الحسين بن عليل العنزي؛ قال: حدثني أحمد بن مهران مولى البرامكة: قال: شكا مروان بن أبي حفصة إلى بعض إخوانه تغير الرشيد عليه وإمساك يده عنه، فقال له: ويحك! أتشكو الرشيد بعد

ما أعطاك؟ قال: أو تعجب من ذلك؟ هذا أبان اللاحقي، قد أخذ من البرامكة بقصيدة قالها واحدة مثل ما أخذته من الرشيد في دهري كله، سوى ما أخذه منهم ومن أشباههم بعدها، وكان أبان نقل للبرامكة كتاب كليلة ودمنة، فجعله شعراً، ليسهل حفظه عليهم، وهو معروف، أوله:

هذا كتاب أدب ومحنه ... وهو الذي يدعى كليلة ودمنة

فيه احتيالات وفيه رشد ... وهو كتاب وضعته الهند

فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار، وأعطاه الفضل خمسة آلاف دينار، ولم يعطه جعفر شيئاً، وقال: ألا يكفيك أن أحفظه فأكون روايتك؟ وعمل أيضاً القصيدة التي ذكر فيها مبدأ الخلق وأمر الدنيا وشيئاً من المنطق، وسماها ذات الحلل، ومن الناس من ينسبها إلى أبي العتاهية، والصحيح أنها لأبان.

أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد: قال: حدثنا أبو هفان: قال: حدثني الحماز، قال: كان يحيى بن خالد البرمكي قد جعل امتحان الشعراء وترتيبهم في الجوائز إلى أبان بن عبد الحميد، فلم يرض أبو نواس المرتبة التي جعله فيها أبان، فقال يهجوه بذلك:

جالست يوماً أبانا ... لا در در أبان

حتى إذا ما صلاة الأ ... ولى دنت لأوان

فقام ثم بها ذو ... فصاحة وبيان

فكلما قال قلنا ... إلى انقضاء الأذان

فقال :كيف شهدتم ... بذا بغير عيان

لا أشهد الدهر حتى ... تعاين العينان

فقلت: سبحان ربي ... فقال :سبحان ماني

فقال أبان يجيبه:

إن يكن هذا النواسي ... بلا ذنب هجانا

فلقد نكناه حيناً ... وصفعناه زمانا

هانئ الجربي أبوه ... زاده الله هوانا

سائل العباس واسمع ... فيه من أمك شانا

عجنوا من جلنار ... ليكيدوك عجانا

جلنار أم أبي نواس، وتزوجها العباس بعد أبيه.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي: قال: حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد: قال: كان أبان اللاحقي صديقاً للعذل بن غيلان، وكانا مع صداقتهما يتعابثان بالهجاء، فيهجوه المعذل بالكفر وينسبه إلى الشؤم، ويهجوه أبان، وينسبه إلى الفساء الذي تهجى به عبد القيس، وبالقصر - وكان المعذل قصيراً- فسعى في الصلاح بينهما أبو عيينة المهلبي، فقال له أخوه عبد الله - وهو أسن منه-: يا أخي إن في هذين شراً كثيراً ولا بد من أن يخرجاه، فدعهما؛ ليكون شرهما بينهما، وإلا فرقاه على الناس، فقال أبان يهجو المعذل:

أحاجيكم ما قوس لحم سهامها ... من الريح لم توصل بقد ولا عقب

وليست بشريان وليست بشوحط ... وليست بنبع لا وليست من الغرب

ألا تلك قوس الدحدحي معذل ... بها صار عبدياً وتم له النسب

تصك خياشيم الأنوف تعمداً ... وإن كان راميها يريد بها العقب

فإن تفتخر يوماً تميم بحاجب ... وبالقوس مضموناً لكسرى بها العرب

فحي ابن عمرو فاخرون بقوسه ... وأسهمه حتى يغلب من غلب

قال أبو قلابة: فقال المعذل في جواب ذلك:

رأيت أباناً يوم فطر مصلياً ... فقسم فكري واستفزني الطرب

وكيف يصلي مظلم القلب، دينه ... على دين ماني إن ذاك من العجب

أخبرني محمد بن يحيى: قال: حدثنا عون بن محمد الكندي: قال: كان لأبي النضير حوار يغنين، ويخرجن إلى جلة أهل البصرة، وكان أبان بن عبد الحميد يهجوه بذلك، فمن ذلك قوله:

غضب الأحمق إذ مازحته ... كيف لو كنا ذكرنا الممرغة

أو ذكرنا أنه لاعبها ... لعبة الجد بمزح الدغدغة

سود الله بخمس وجهه ... دغن أمثال طين الردغه

خنفساوان وبنتاً جعل ... والتي تفتر عنها وزغه

يكسر الشعر وإن عاتبته ... في مجال قال: هذا في اللغة

وأنشدني عمي: قال: أنشدني الكراني: قال: أنشدني أبو إسماعيل اللاحقي لجده أبان في هجاء أبي النضير، وأخبرني الصولي أنه وجدها بخط الكراني :

إذا قامت بواكيك ... وقد هتكن أستارك

أيثنين على قبر ... ك أم يلعن أحجارك؟

وما تترك في الدنيا إذا زرت غداً نارك؟
ترى في سقر المثوى وإبليس غداً حارك
لمن تترك زقيك ودنيك وأوتارك
وخمساً من بنات اللي ل قد ألبسن أطمارك
تعالى الله ما أقبح إذ وليت أدبارك

وقال فيه أيضاً:

قيان أبي النضير مثلجات غناء مثل شعر أبي النضير
فلا همدان حين نصيف نبغي ولا الماهين أيام الحرور
ولا نبغي بقرميسين روحاً ولا نبلي البغال من المسير
فإن رمت الغناء لديه فاصبر إذا ما جئته للرمهرير

أخبرني محمد بن يحيى: قال: حدثنا أبو خليفة وأبو ذكوان والحسن بن علي النهدي: قالوا: كان المعذل بن غيلان المهري يجالس عيسى بن جعفر بن المنصور، وهو يلي حينئذ إمارة البصرة من قبل الرشيد، فوهب للمعذل بن غيلان له بيضة عنبر وزنها أربعة أرطال، فقال: أبان بن عبد الحميد:

أصلحك الله وقد أصلحا إني لا آلوك أن أنصحا
علام تعطي منوي عنبر وأحسب الخازن قد أرجحا
من ليس من قرد ولا كلبة أبهى ولا أحلى ولا أملحا
رسول يأجوج أتى عنهم يخبر أن الروم قد أقبحا
ما بين رجليه إلى رأسه شبر فلا شب ولا أفلحا

أخبرني الصولي: قال: حدثنا أبو العيناء: قال: حدثني الحرمازي: قال: خرج أبان بن عبد الحميد من البصرة طالباً للاتصال بالبرامكة، وكان الفضل بن يحيى غائباً، فقصده، فأقام ببابه مدة مديدة لا يصل إليه فتوسل إلى من وصل له شعراً إليه، وقيل: إنه توسل إلى بعض بني هاشم ممن شخص مع الفضل، وقال له:

يا غزير الندى ويا جوهر الجو هر من آل هاشم بالبطاح
إن ظني وليس يخلف ظني بك في حاجتي سبيل النجاح
إن من دونها لمصمت باب أنت من دون قفله مفتاحي
تاقت النفس يا خليل السماح نحو بحر الندى مجاري الرياح

ثم فكرت كيف لي واستخرت الل ... ه عند الإمساء والإصباح
وامتدحت الأمير أصلحه الله ... بشعر مشهر الأوضاح

فقال: هات مديحك، فأعطاه شعراً في الفضل في هذا الوزن وقافيته:

أنا من بغية الأمير وكنز ... من كنوز الأمير ذو أرباح
كاتب حاسب خطيب أديب ... ناصح زائد على النصاح
شاعر مفلق أخف من الريش ... ة مما يكون تحت الجناح

وهي طويلة جداً يقول فيها:

إن دعاني الأمير عاين مني ... شمرياً كالبلبل الصياح

قال: فدعا به، ووصله، ثم خص بالفضل، وقدم معه، فقرب من قلب يحيى بن خالد وصار صاحب الجماعة وزمام أمرهم.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي: قال: حدثني علي بن محمد النوفلي: أن أبان بن عبد الحميد عاتب البرامكة على تركهم إيصاله إلى الرشيد وإيصال مديحه إليه، فقالوا له: وما تريد من ذلك؟ فقال: أريد أن أحظى منه بمثل ما يحظى به مروان بن أبي حفصة، فقالوا له: إن لمروان مذهباً في هجاء آل أبي طالب وذمهم، به يحظى وعليه يعطى، فاسلكه حتى نفعل، قال: لا أستحل ذلك، قالوا: فما تصنع؟ لا يجيء طلب الدنيا إلا بما لا يحل، فقال أبان:

نشدت بحق الله من كان مسلماً ... أعم بما قد قلته العجم والعرب
أعم رسول الله أقرب زلفة ... لديه أم ابن العم في رتبة النسب
وأيهما أولى به وبعهده ... ومن ذا له حق التراث يما وجب!
فإن كان عباس أحق بتلكم ... وكان علي بعد ذاك على سبب
فأبناء عباس هم يرثونه ... كما العم لابن العم في الإرث قد حجب

وهي طويلة، قد تركت ذكرها لما فيه، فقال الفضل: ما يرد على أمير المؤمنين اليوم أعجب من أبياتك، فركب فأنشدها الرشيد، فأمر لأبان بعشرين ألف درهم، ثم اتصلت بعد ذلك خدمته الرشيد، وخص به.

أخبرنا أبو العباس بن عمار عن أبي العيناء عن أبي العباس بن رستم: قال: دخلت مع أبان بن عبد الحميد على عنان جارية الناطفي، وهي في خيش، فقال لها أبان:

العيش في الصيف خيش

فقالت مسرعة:

إذ لا قتال وجيش

فأنشدها أنا لجرير قوله:

طللت أواري صاحبي صبابتي وهل علقتني من أهواك علوق

فقالت مسرعة:

إذا عقل الخوف اللسان تكلمت بأسراره عين عليه نطوق

أخبرني الصولي: قال: حدثنا محمد بن سعيد، قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل عن عبد الله ابن محمد بن عثمان بن لاحق: قال: أولم محمد بن خالد، فدعا أبان بن عبد الحميد والعتبي، وعبيد الله بن عمرو، وسهل بن عبد الحميد، والحكم بن قنبر، فاحتبس عنهم الغداء، فجاء محمد بن خالد فوقف على الباب فقال: ألكم أعزكم الله حاجة؟ يمازحهم بذلك، فقال أبان:

حاجتنا فاعجل علينا بها من الحشاوي كل طردين

فقال ابن قنبر بعد ذلك:

ومن خبيص قد حكت عاشقاً صفرته زين بتلوين

فقال عبيد بن عمرو:

وأتبعوا ذاك بأبية فإنكم آبين آبين

فقال سهل:

دعنا من الشعر وأوصافه واعجل علينا بالأخاوين

فأحضر الغداء، وخلع عليهم ووصلهم.

أخبرني الصولي: قال: حدثنا محمد بن زياد: قال: حدثني أبان بن سعيد الحميدي بن أبان بن عبد الحميد: قال: اشترى جار لجدي أبان غلاماً تركياً بألف دينار، وكان أبان يهواه ويخفي ذلك عن مولاه، فقال فيه:

ليتني والجاهل المغرور من غر بليت

نلت ممن لا أسمي وهو جاري بيت بيت

قبلة تنعش ميتاً إنني حي كميت

نتساقى الريق بعد الش رب من راح كميت

لا أسميه ولكن هو في كيت كيت

وكان اسمه يتك.

وقال أبو الفياض سوار بن أبي شراعة: كان في جوار أبان بن عبد الحميد رجل من ثقيف يقال له محمد بن خالد، وكان عدواً لأبان، فتزوج بعمارة بنت عبد الوهاب الثقفي ، وهي أخت عبد المجيد الذي كان ابن مناذر يهواه، ورثاه، وهي مولاة جنان التي يشيب بها أبو نواس، ويقول فيها:

خرجت تشهد الزفاف جنان ... فاستمالت بحسنها النظاره

قال أهل العروس لما رأوها ... ما دهانا بها سوى عمارة

قال: وكانت موسرة، فقال أبان بن عبد الحميد يهجوه ويحذرها منه:

لما رأيت البز والشارة ... والفرش قد ضاقت به الحارة

واللوز والسكر يرمى به ... من فوق ذي الدار وذي الداره

وأحضروا الملهين لم يتركوا ... طبلاً ولا صاحب زماره

قلت :لماذا؟ قيل أعجوبة ... محمد زوج عماره

لا عمر الله بها بيته ... ولا رأته مدركاً ثاره

ماذا رأت فيه وماذا رجت ... وهي من النسوان مختاره

أسود كالسفود ينسى لدى التن ... ور بل محراك قياره

يجري على أولاده خمسة ... أرغفة كالريش طياره

وأهله في الأرض من خوفه ... إن أفرطوا في الأكل سياره

ويحك فري واعصي ذاك بي ... فهذه أختك فراره

إذا غفا بالليل فاستيقظي ... ثم اطفري إنك طفاره

فصعدت نائلة سلماً ... تخاف أن تصعده الفاره

سرور غرتها فلا أفلحت ... فإنها اللغناء غرارة

لو نلت ما أبعدت من ريقها ... إن لها نفثة سحارة

قال: فلما بلغت قصيدته عمارة هربت فحرم الثقفي من جهتها مالاً عظيماً، قال: والثلاثة التي أولها:

فصعدت نائلة سلماً

زادها في القصيدة بعد أن هربت.

أخبرني الأخفش عن المبرد عن أبي وائلة، قال: كان أبان اللاحقي يولع بابن مناذر، ويقول له: إنما أنت شاعر في المراثي، فإذا مت فلا ترثني، فكثر ذلك من أبان عليه، حتى أغضبه، فقال فيه ابن مناذر:

غنج أبان ولين منطقه ... يخبر الناس أنه حلقي

داء به تعرفون كلكم ... يا آل عبد الحميد في الأفق

حتى إذا ما المساء جلله ... كان أطباؤه على الطرق

ففرجوا عنه بعض كربته ... بمسبطر مطوق العنق

قال: وهجاه بمثل هذه القصيدة، و لم يجبه أبان خوفاً منه، وسعي بينهما، فأمسك عنه.

أخبرني الصولي، عن محمد بن سعيد، عن عيسى بن إسماعيل قال: جلس أبان بن عبد الحميد ليلة في قوم، فثلب أبا عبيدة فقال: يقدح في الأنساب ولا نسب له. فبلغ ذلك أبا عبيدة فقال في مجلسه: لقد أغفل السلطان كل شيء حتى أغفل أخذ الجزية من أبان اللاحقي، وهو وأهله يهود، وهذه منازلهم فيها أسفار التوراة، وليس فيها مصحف، وأوضح الدلالة على يهوديتهم أن أكثرهم يدعي حفظ التوراة، ولا يحفظ من القرآن ما يصلي به، فبلغ ذلك أباناً فقال:

لا تنمن عن صديق حديثاً ... واستعذ من تسرر النمام

واخفض الصوت إن نطقت بليل ... والتفت بالنهار قبل الكلام

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة: قال:

كنا في مجلس أبي زيد الأنصاري، فذكروا أبان بن عبد الحميد، فقالوا: كان كافراً، فغضب أبو زيد، وقال: كان جاري، فما فقدت قرآنه في ليلة قط.

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي عن دماذ: قال: كان لأبان جار، وكان يعاديه، فاعتل علة طويلة وأرجف أبان بموته، ثم صح من علته، وخرج،، فجلس على بابه، فكانت علته من السل، وكان يكنى أبا الأطول، فقال له أبان:

أبا الأطول طولت ... وما ينجيك تطويل

بك السل ولا وال ... ه ما يبرأ مسلول

فلا يغررك من طب ... ك أقوال أباطيل

أرى فيك علامات ... وللأسباب تأويل

هزالاً قد برى جس ... مك والمسلول مهزول

وذباناً حواليك فموقوذ ومقتول
وحمى منك في الظهر فأنت الدهر مملول
وأعلاماً سوى ذاك تواريها السراويل
ولو بالفيل مما بك عشر ما نجا الفيل
فما هذا على فيك قلاع أم دماميل
ومازال مناجيك يولي وهو مبلول
لئن كان من الجوف لقد سال بك النيل
وذا داء يزجيك فلا قال ولا قيل

فلما أنشده هذا الشعر أرعد، واضطرب، ودخل منزله، فما خرج منه بعد ذلك، حتى مات.

ما تزال الديار في برقة الن جد لسعدى بقرقري تبكيني
قد تحيلت كي أرى وجه سعدى فإذا كل حيلة تعييني
قلت لما وقفت في سدة البا ب لسعدى مقالة المسكين
افعلي بي يا ربة الخدر خيراً ومن الماء شربة فاسقيني
قالت :الماء في الركي كثير قلت :ماء الركي لا يرويني
طرحت دوني الستور وقالت: كل يوم بعلة تأتيني

الشعر لتويت اليمامي، والغناء لأبي زكار الأعمى، رمل بالوسطى، ابتداؤه نشيد من رواية الهشامي.

أخبار تويت ونسبه

تويت لقب، واسمه عبد الملك بن عبد العزيز السلولي من أهل اليمامة، لم يقع لي غير هذا وجدته بخط أبي العباس بن ثوابة، عن عبد الله بن شبيب من أخبار رواها عنه.

وتويت أحد الشعراء اليماميين من طبقة يحيى بن طالب وبني أبي حفصة وذويهم، و لم يقد إلى خليفة، ولا وجدت له مديحاً في الأكابر والرؤساء فأخمل ذلك ذكره، وكان شاعراً فصيحاً نشأ باليمامة وتوفي بها.

قال عبد الله بن شبيب: كان تويت يهوى امرأة من أهل اليمامة يقال لها: سعدى بنت أزهر، وكان يقول فيها الشعر، فبلغها شعره من وراء وراء، و لم تره، فمر بها يوماً، وهي مع أتراب لها، فقلن: هذا صاحبك، وكان دميماً، فقامت إليه وقمن معها، فضربته، وخرقن ثيابه، فاستعدى عليهن فلم يعده الوالي، فأنشأ يقول:

إن الغواني جرحن في جسدي من بعد ما قد فرغن من كبدي

وقد شققن الرداء ثمت لم يعد عليهن صاحب البلد

لم يعدني الأحول المشوم وقد أبصر ما قد صنعن في جسدي

قال: فلما جرى هذا بينه وبينها عقد له في قلبها رقة، وكانت تتعرض له إذا مر بها، واجتاز يوماً بفنائها فلم تتوار عنه، وأرته أنها لم تره، فلما وقف ملياً سترت وجهها بخمارها، فقال تويت:

ألا أيها الثار الذي ليس نائماً على ترة إن مت من حبها غدا

خذوا بدمي سعدى فسعدى منيتها غداة النقا صادت فؤاداً مقصدا

بآية ما ردت غداة لقيتها على طرف عينيها الرداء الموردا

قال ابن شبيب: ولقيها راحلة نحو مكة حاجة، فأخذ بخطام بعيرها وقال:

قل للتي بكرت تريد رحيلاً للحج إذ وجدت إليه سبيلا

ما تصنعين بحجة أو عمرة لا تقبلان وقد قتلت قتيلا

أحيي قتيلك ثم حجي وانسكي فيكون حجك طاهراً مقبولا

فقالت له: أرسل الخطام، خيبك الله وقبحك، فأرسله، وسارت.

قال عبد الله بن شبيب: ثم تزوجها أبو الجنوب يحيى بن أبي حفصة، فحجبها، وانقطع ما كان بينها وبين تويت، فطفق يهجو يحيى فقال:

عناء سيق للقلب الطروب فقد حجبت معذبة القلوب

أقول وقد عرفت لها محلاً ففاضت عبرة العين السكوب

ألا يا دار سعدى كلمينا وما في دار سعدى من مجيب

ولما ضمها وحوى عليها تركت له بعاقبة نصيبي

وقلت: زحام مثلك مثل يحيى لعمرك ليس بالرأي المصيب

فما لك مثل لمته تدرى ومالك مثل بخل أبي الجنوب

إذا فقد الرغيف بكى عليه وأتبع ذاك تشقيق الجيوب

يعذب أهله في القرص حتى يظلوا منه في يوم عصيب

وقال أيضاً:

ألا في سبيل الله نفس تقسمت شعاعاً وقلب للحسان صديق

أفاقت قلوب كن عذبن بالهوى زماناً وقلبي ما أراه يفيق

سرقت فؤادي ثم لا ترجعينه وبعض الغواني للقلوب سروق
عروف الهوى بالوعد حتى إذا جرت ببينك غربان لهن نعيق
وردت جمال الحي وانشقت العصا وآذن بالبين المشت صدوق
ندمت على ألا تكوني جزيتني زعمت وكل الغانيات مذوق
لعلك أن ننأى جميعاً بغلة تذوقين من حر الهوى وأذوق
عصيت بك الناهين حتى لو أنني أموت لما أرعى علي شفيق

ومن مختار قول تويت في سعدى هذه مما أخذته من رواية عبد الله بن شبيب من قصيدة أولها:

سنرضي في سعيدى عاذلينا بعاقبة وإن كرمت علينا

يقول فيها:

لقيت سعيد تمشي في جوار بجرعاء النقا فلقيت حينا
سلبن القلب ثم مضين عني وقد ناديتهن فما لوينا
فقلت وقد بقيت بغير قلب بقلبي يا سعيدى أين أينا!
فما تجزين يا سعدى محباً بهيم بكم ولا تقضين دينا
فقالوا إذ شكوت المطل منها لعمرك من سمعت له قضينا
ومن هذا الذي إن جاء يشكو إلينا الحب من سقم شفينا
فهن فواعل بي غير شك كما قبلي فعلن بصاحبينا
بعروة والذي بسهام هند أصيب، فما أقدن ولا ودينا

ومن مختار قوله فيها:

سل الأطلال إن نفع السؤال وإن لم يربع الركب العجال
عن الخود التي قتلتك ظلماً وليس بها إذا بطشت قتال
أصابك مقلتان لها وجيد وأشنب بارد عذب زلال
أعارك ما تبلت به فؤادي من العينين والجيد الغزال
أيا ثارات من قتلته سعدى لها حلال لا تطلبوه دمي
أرق لها وأشفق بعد قتلي على سعدى وإن قل النوال

وما جادت لنا يوماً ببذل يمين من سعاد ولا شمال

ومن قوله فيها أيضاً:

يا بنت أزهر إن ثأري طالب بدمي غداً الثأر أجهد طالب
فإذا سمعت براكب متعصب ينعى قتيلك فافزعي للراكب
فلأنت من بين الأنام رميتني عن قوس متلفة بسهم صائب
لا تأمني شم الأنوف وترتهم وتركت صاحبهم كأمس الذاهب
من كان أصبح غالباً لهوى التي يهوى فإن هواك أصبح غالبي
قلت وأسبلت الدموع لتربها لما اغتررت وأومأت بالحاجب
قولي له: بالله يطلق رحله حتى يزود أو يروح بصاحب

وقال فيها أيضاً:

أرق العين من الشوق السهر وصبا القلب إلى أم عمر
واعترتني فكرة من حبها ويح هذا القلب من طول الفكر
قدر سيق فمن يملكه أين من يملك أسباب القدر!
كل شيء نالني من حبها إن نجت هدر نفسي من الموت

وقال أيضاً:

يا للرجال لقلبك المتطرف والعين إن تر برق نجد تذرف
ولحاجة يوم العبير تعرضت كبرت فرد رسولها لم يسعف
يا بنت أزهر ما أراك مثيبتي خيراً على ودي لكم وتلطفي

إني وإن خبرت أن حياتنا في طرف عينك هكذا لم تطرف
ليظل قلبي من مخافة بينكم مثل الجناح معلقاً في نفنف
وليظل في هجر الأحبة طالباً لرضاك مما جار إن لم تسعف
كأخي الفلاة يغره من مائها قطع السراب جرى بقاع صفصف
أهراق نطفته فلما جاءها وجد المنية عندها لم تخلف

أمنت بإذن الله من كل حادث بقربك من خير الورى يا بن حارث

أمام حوى إرث النبي محمد فأكرم به من ابن عم ووارث

الشعر والغناء لمحمد بن الحارث بن بسخنر، خفيف رمل بالبنصر مطلق من جامع أغانيه وعن الهشامي.

أخبار محمد بن الحرث

مولى المنصور، وأصله من الري من أولاد المرازبة، وكان الحارث بن بسخنر أبوه رفيع القدر عند السلطان، ومن وجوه قواده، وولاه الهادي - ويقال الرشيد - الحرب والخراج بكور الأهواز كلها.

فأخبرني حبيب المهلبي: قال: حدثني النوفلي عن محمد بن الحارث بن بسخنر: قال: كنت بالدير، وكان رجل من أهلها يعرض علي الحوائج ويخدمني فيكرمني، ويذكر قديمنا، ويترحم على أبي، فقال لي رجل من أهل تلك الناحية: أتعرف سبب شكر هذا لأبيك؟ قلت: لا، قال: فإن أباه حدثني - وكان يعرف بابن بانة - بأن أباك الحارث بن بسخنر اجتز بهم يريد الأهواز فتلقاه بدجلة العوراء، وأهدى له صقوراً وبواشق صائدة، فقال له: الحق بي بالأهواز، فقال له يوماً: إني نظرت في أمور الأعمال بالأهواز، فلم أجد شيئاً منها يرتفق منه بما قدرت أن أبرك به، وقد ساومني التجار بالأهواز بالأرز، وقد جعلته لك بالسعر الذي بذلوه ، وسيأتونني، فأعلمهم بذلك، فقلت: نعم، فجاءوا، وخلصوه منه بأربعين ألف دينار، فصرت إلى الحارث فأعلمته، فقال لي: أرضيت بذلك؟ فقلت: نعم، قال: فانصرف.

ولما قفل الحارث من الأهواز مر بالمدائن، فلقيه الحسين بن محرز المدائني المغني فغناه:

قد علم الله علا عرشه أني إلى الحارث مشتاق

فقال له: دعني من شوقك إلي، وسلني حاجة فإني مبادر، فقال له: علي دين مائة ألف درهم، فقال: هي علي، وأمر له بها، وأصعد.

وكان محمد بن الحارث من أصحاب إبراهيم بن المهدي والمتعصبين له على إسحاق، وعن إبراهيم بن المهدي أخذ الغناء، ومن بحره استقى، وعلى منهاجه جرى.

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق، عن محمد بن هارون الهاشمي، عن هبة الله بن إبراهيم بن المهدي: قال: كان المأمون قد ألزم أبي رجلاً ينقل إليه كل ما يسمعه من لفظ جداً هزلاً شعراً وغناء، ثم لم يثق به، فألزمه مكانه محمد بن الحارث بن بسخنر، فقال له: أيها الأمير، قل ما شئت واصنع ما أحببت، فوالله لا بلغت عنك أبداً إلا ما تحب، وطالت صحبته له، حتى أمنه وأنس به، وكان محمد يغني بالمعزفة فنقله أبي إلى العود، وواظب عليه حتى حذقه، ثم قال له محمد بن الحارث يوماً: أنا عبدك وخريجك وصنيعتك، فاخصصني بأن أروي عنك صنعتك، ففعل، وألقى عليه غناءه أجمع، فأخذه عنه، فما ذهب عليه شيء منه ولا شد.

وقال العتابي: حدثني محمد بن أحمد بن المكي: قال: حدثني أبي: قال: كان محمد بن الحارث قليل الصنعة، وسمعته يغني الواثق في صنعته في شعر له مدحه به وهو:

أمنت بإذن الله من كل حادث بقربك من خير الورى يا بن حارث

فأمر له بألفي دينار.

وذكر علي بن محمد الهشامي، عن حمدون بن إسماعيل، قال: كان محمد بن الحارث قد صنع هزجاً في هذا الشعر:

أصبحت عبداً مسترقاً أبكي الألى سكنوا دمشقا

أعطيتهم قلبي فمن يبقى بلا قلب فأبقى

وطرحه على المسدود ، فغناه، فاستحسنه محمد بن الحارث منه لطيب مسموع المسدود، ثم قال: يا مسدود، أتحب أن أهبه لك؟ قال: نعم، قال: قد فعلت، فكان يغنيه، ويدعيه، وهو لمحمد بن الحارث.

وقال العتابي: حدثني شروين المغني المدادي . أن صنعة محمد بن الحارث بلغت عشرة أصوات، وأنه أخذها كلها عنه، وأن منها في طريقه الرمل، قال: وهو أحسن ما صنعه.

أيا من دعاني فلبيته ببذل الهوى وهو لا يبذل

يدل علي بحبي له فمن ذاك يفعل ما يفعل

لحن محمد بن الحارث في هذا الصوت رمل مطلق، وفيه ليزيد حوراء ثقيل أول وفيه لسليم لحن وجدته في جميع أغانيه غير مجنس.

أخبرني الحسن بن علي: قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد: قال: حدثني أبو توبة صالح بن محمد، عن عمرو بن بانة: قال: كنت عند محمد بن الحارث بن بسخنر في مترله، ونحن مصطبحون في يوم غيم، فبينا نحن كذلك إذ جاءتنا رقعة عبد الله بن العباس الربيعي، وقد اجتاز بنا مصعداً إلى سر من رأى، وهو في سفينة، ففضها محمد، وقرأها، وإذا فيها:

محمد قد جادت علينا بودقها سحائب مزن برقها يتهلل

ونحن من القاطول في سبه مربع له مسرح سهل المحلة مبقل

فمر فائزاً تفديك نفسي يغنني أعن ظعن الحي الألى كنت تسأل؟

ولا تسقني إلا حلالاً فإنني أعاف من الأشياء ما لا يحلل

فقام محمد بن الحارث مستعجلاً حافياً، حتى نزل إليه فتلقاه، وحلف عليه حتى خرج معه، وسار به إلى منزله، فاصطحبا يومئذ، وغناه فائز غلامه هذا الصوت، وكان صوته عليه، وغناه محمد بن الحارث وجواريه وكل من حضر يومئذ، وغنانا عبد الله بن العباس الربيعي أيضاً أصواتاً وصنع يومئذ هذا الهزج، فقال:

يا طيب يومي بالمطيرة معملاً ... للكأس عند محمد بن الحارث

في فتية لا يسمعون لعاذل ... قولاً ولا لمسف أو رائث

حدثني وسواسه : قال: حدثني حماد بن إسحاق: قال: كان أبي يستحسن غناء جواري الحارث بن بسخنر، ويعتمد على تعليمهن لجواريه، وكان إذا اضطرب على واحدة منهن أو على غيرهن صوت، أو وقع فيه اختلاف، اعتمد على الرجوع فيه إليهن. ولقد غنى مخارق يوماً بين يديه صوتاً، فتزايد فيه الزوائد التي كان يستعملها، حتى اضطرب. فضحك أبي، وقال: يا أبا المهنأ، قد ساء بعدي أدبك في غنائك فالزم عجائز الحارث بن بسخنر يقومن أودك.

بنان يد تشير إلى بنان ... تجاوبتا وما يتكلمان

جرى الإيماء بينهما رسولاً ... فأحكم وحيه المتناجيان

فلو أبصرته لغضضت طرفاً ... عن المتناجيين بلا لسان

الشعر لماني الموسوس، والغناء لعمر الميداني هزج، وفيه لعريب لحن من الهزج أيضاً.

أخبار ماني الموسوس

هو رجل من أهل مصر، يكنى أبا الحسن واسمه محمد بن القاسم ، شاعر لين الشعر رقيقه، لم يقل شيئاً إلا في الغزل، وماني لقب غلب عليه، وكان قدم مدينة السلام، ولقيه جماعة من شيوخنا، منهم أبو العباس محمد بن عمار وأبو الحسن الأسدي وغيرهما، فحدثني أبو العباس بن عمار، قال: كان ماني يألفني، وكان مليح الإنشاد حلوه، رقيق الشعر غزله، فكان ينشدني الشيء، ثم يخالط، فيقطعه، واكن يوماً جالساً إلى جنبي، فأنشدني للعريان البصري:

ما أنصفتك العيون لم تكف ... وقد رأيت الحبيب لم يقف

فابك ديارا حل الحبيب بها ... فباع منها الجفاء باللطف

ثم استعارت مسامعاً كسد الل ... وم عليها من عاشق كلف

كأنها إذ تقنعت ببلى ... شمطاء ما تستقل من خرف

يا عين إما أريتني سكناً ... غضبان يزوي بوجه منصرف

فمثليه للقلب مبتسماً في شخص راض علي منعطف

إن تصفيه للقلب منقبضاً فأنت أشقى منه به فصفي

يقال بالصبر قتل ذي كلف كيف وصبري يموت من كلفي

إذا دعا الشوق عبرة لهوى فأي جفن يقول لا تكفي

ومسترادٍ للهو تنفسح الم قلة في حافتيه مؤتلف

قصرت أيامه على نفر لا منن بالندى ولا أسف

بحيث إن شئت أن ترى قمراً يسعى عليهم بالكأس ذا نطف

قال: فسألته أن يمليها علي، ثم قال: اكتب، فعارضه أبو الحسن المصري: يعني " ماني " نفسه فقال:

أقفر مغني الديار بالنجف وحلت عما عهدت من لطف

طويت عنها الرضا مذممة لما انطوى غض عيشها الأنف

حللت عن سكرة الصبابة من خوف إلهي بمعزل قذف

سئمت ورد الصبا فقد يئست مني بنات الخدور والخزف

سلوت عن نهد نسبن إلى حسن قوام واللحظ في وطف

يمددن حبل الصبا لمن ألفت رجلاه قد المحول والدنف

ومدنف عاد في النحول من ال وجد إلى مثل رقة الألف

يشارك الطير في النحيب ولا يشركنه في النحول والقضف

ومسمعات نهكن أعظمه فهو من الضيم غير منتصف

مفتخرات بالجور عجباً كما يفخر أهل السفاه بالجنف

وقهوة من نتاج قطربل تخطف عقل الفتى بلا عنف

ترجع شرخ الشباب للخرف الف اني وتدني الفتى من الشغف

قال: فبينا هو ينشد إذ نظر إلى إمام المسجد الذي كنا إزائه قد صعد المئذنة ليؤذن فأمسك عن الإنشاد، ونظر إليه - وكان شيخاً ضعيف الجسم والصوت - فأذن أذاناً ضعيفاً بصوت مرتعش، فصعد إليه ماني مسرعاً، حتى صار معه في رأس الصومعة، ثم أخذ بلحيته، فصفعه في صلعته ظننت أنه قد قلع رأسه، وجاء لها صوت منكر شديد، ثم قال له: إذا صعدت المنارة لتؤذن، فعطعط ، ولا تمطمط ، ثم نزل ومضى يعدو على وجهه. ولقيت

عنتاً عن عتب الشيخ وشكواه إياي إلى أبي ومشايخ الجيران، يقول لهم: هذا ابن عمار يجيء بالمجانين، فيكتب هذيانهم، ويسلطهم على المشايخ فيصفعونهم في الصوامع إذا أذنوا، حتى صرت إلى منزله، فاعتذرت وحلفت أني إنما أكتب شيئاً من شعره، وما عرفت ما عمله ولا أحيط به علماً.

ونسخت من كتاب لابن البراء: حدثني أبي قال: عزم محمد بن عبد الله بن طاهر على الصبوح، وعنده الحسن بن محمد بن طالوت، فقال: له محمد: كنا نحتاج أن يكون معنا ثالث نأنس به ونلذ في محاورته فمن ترى أن يكون! فقال ابن طالوت : لقد خطر ببالي رجل ليس علينا في منادمته ثقل، قد خلا من إبرام المجالسين، وبرئ من ثقل المؤانسين، خفيف الوطأة إذا أدنيته، سريع الوثبة إذا أمرته، قال: من هو؟ قال: ماني الموسوس، قال: ما أسأت الاختيار، ثم تقدم إلى صاحب الشرطة يطلبه وإحضاره، فما كان بأسرع من أن قبض عليه صاحب الشرطة بربع الكوخ فوافى به باب محمد بن عبد الله، فأدخل، ونظف وأخذ من شعره، وألبس ثياباً نظافاً، وأدخل على محمد بن عبد الله، فلما مثل بين يديه سلم، فرد عليه، وقال له: أما حان لك أن تزورنا مع شوقنا إليك؟ فقال له ماني: أعز الله الأمير: الشوق شديد، والود عتيد، والحجاب صعب، والبواب فظ، ولو تسهل لنا الإذن لسهلت علينا الزيارة، فقال له محمد: لقد لطفت في الاستئذان، وأمره بالجلوس. فجلس، وقد كان أطعم قبل أن يدخل، فأتى محمد بن عبد الله بجارية لإحدى بنات المهدي، يقال لها: منوسة، وكان يحب السماع منها، وكانت تكثر أن تكون عنده، فكان أول ما غنته:

ولست بناس إذا غدوا فتحملوا دموعي على الخدين من شدة الوجد
وقولي وقد زالت بعيني حمولهم بواكر تحدى لا يكن آخر العهد

فقال ماني: أيأذن لي الأمير؟ قال: في ماذا؟ قال: في استحسان ما أسمع، قال: نعم، قال: أحسنت والله، فإن رأيت أن تزيدي مع هذا الشعر هذين البيتين:

وقمت أداري الدمع والقلب حائر بمقلة موقوف على الضر والجهد
ولم يعدني هذا الأمير بعدله على ظالم قد لج في الهجر والصد

فقال له محمد: ومن أي شيء استعديت يا ماني؟ فاستحيا، وقال: لا من ظلم أيها الأمير، ولكن الطرب حرك شوقاً كان كامناً، فظهر. ثم غنت:

حجبوها عن الرياح لأني قلت: يا ريح بلغيها السلاما
لو رضوا بالحجاب هان ولكن منعوها يوم الرياح الكلاما

قال: فطرب محمد، ودعا برطل فشربه فقال ماني: ما كان علة قائل هذين البيتين لو أضاف إليهما هذين:

فتنفست ثم قلت لطيفي: ويك إن زرت طيفها إلماما
حيها بالسلام سراً وإلا منعوها لشقوتي أن تناما

فقال محمد: أحسنت يا ماني، ثم غنت:

يا خليلي ساعة لا تريما وعلى ذي صبابة فأقيما

ما مررنا بصر زينب إلا فضح الدمع سرك المكتوما

قال ماني: لولا رهبة الأمير لأضفت هذين البيتين بيتين لا يردان على سمع سامع ذي لب فيصدران إلا عن استحسان لهما، فقال محمد: الرغبة في حسن ما تأتى به حائلة عن كل رهبة، فهات ما عندك، فقال:

ظبية كالهلال لو تلحظ الص خر بطرف لغادرته هشيما

وإذا ما تبسمت خلت ما ي بدو من الثغر لؤلؤاً منظوما

فقال محمد: إن أحسن الشعر ما دام الإنسان يشرب ما كان مكسواً لحناً حسناً تغني به منوسة وأشباهها، فإن كسيت شعرك من الألحان مثل ما غنت قبله طاب، فقال: ذلك إليها.

فقال له ابن طالوت: يا أبا الحسين ، كيف هي عندك في حسنها وجمالها وغنائها وأدبها؟ قال: هي غاية ينتهي إليها الوصف، ثم يقف، قال: قل في ذلك شعراً، فقال:

وكيف صبر النفس عن غادة تظلمها إن قلت طاووسه

وجرت إن شبهتها بانة في جنة الفردوس مغروسه

وغير عدل إن عدلنا بها لؤلؤة في البحر منفوسه

جلت عن الوصف فما فكرة تلحقها بالنعت محسوس

فقال له ابن طالوت: وجب شكرك يا ماني، فساعدك دهرك، وعطف عليك إلفك، ونلت سرورك، وفارقت محذورك، والله يديم لنا ولك بقاء من ببقائه اجتمع شملنا، وطاب يومنا.

فقال ماني:

مدمن التخفيف موصول ومطيل اللبث مملول

فأنا أستودعكم الله، ثم قام فانصرف، فأمر له محمد بن عبد الله بصلة، ثم كان كثيراً ما يبعث بطلبه إذا شرب، فيبره، ويصله، ويقيم عنده.

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني المبرد، قال: حدثني بعض الكتاب ممن كان ماني يلزمه ، ويكثر عنده، قال: لقيني يوماً ماني بعد انقطاع طويل عني، فقال: ما قطعني عنك إلا أني هائم، قلت: بمن؟ قال بمن إن شئت أن تراه الساعة رأيته فعذرتني، قلت: فأنا معك، فمضى، حتى وافى باب الطاق، فأراني غلاماً جميل الوجه بين يدي بزاز في حانوته، فلما رآه الغلام عدا، فدخل الحانوت، ووقف ماني طويلاً ينتظره، فلم يخرج، فأنشأ يقول:

ذنبي إليه خضوعي حين أبصره وطول شوقي إليه حين أذكره
وما جرحت بطرف العين مهجته إلا ومن كبدي يقتص محجره
نفسي على بخله تفديه من قمر وإن رماني بذنب ليس يغفره
وعاذل باصطبار القلب يأمرني فقلت :من أين لي قلب أصبره

ومضى يعدو ويصيح: الموت مخبوء في للكتب .

وشادن قلبي به معمود شيمته الهجران والصدود
لا أسأم الحرص ولا يجود والصبر عن رؤيته مفقود
زناره في خصره معقود كأنه من كبدي مقدود

عروضه من الرجز، والشعر لبكر بن خارجة، والغناء لقاسم بن زرزور، خفيف رمل بالوسطى.

أخبار بكر بن خارجة

كان بكر بن خارجة، رجلاً من أهل الكوفة، مولى لبني أسد، وكان وراقاً ضيق العيش، مقتصراً على التكسب من الوراقة، وصرف أكثر ما يكسبه إلى النبيذ، وكان معاقراً للشرب في منازل الخمارين وحاناتهم، وكان طيب الشعر مليحاً مطبوعاً طبعاً ماجناً .

فذكر أبو العنبس الصيمري أن محمد بن الحجاج حدثه قال: رأيت بكر بن خارجة يبكر في كل يوم بقنينتين من شراب إلى خراب من خرابات الحيرة، فلا يزال يشربه فيه على صوت هدهد كان يأوي إلى ذلك الخراب، إلى أن يسكر، ثم ينصرف، قال: وكان يتعشق ذلك الهدهد.

وحدثني عمي عن ابن مهرويه عن علي بن عبد الله بن سعد، قال: كان بكر بن خارجة يتعشق غلاماً نصرانياً، يقال له: عيسى بن البراء العبادي الصيرفي، وله فيه قصيدة مزدوجة يذكر فيها النصارى وشرائعهم وأعيادهم، ويسمي دياراتهم، ويفضلهم.

قال: وحدثني من شهد دعبلا وقد أنشدني قوله في عيسى بن البراء النصراني العبادي:

زناره في خصره معقود كأنه من كبدي مقدود

فقال دعبل: ما يعلم الله أني حسدت أحداً قط كما حسدت بكراً على هذين البيتين.

وحدثني عمي عن الكراني، قال: حرم بعض الأمراء بالكوفة بيع الخمر على خماري الحيرة، وركب فكسر نبيذهم، فجاء بكر يشرب عندهم على عادته، فرأى الخمر مصبوبة في الرحاب والطرق، فبكى طويلاً، وقال:

يا لقومي لما جنى السلطان لا يكونن لما أهان الهوان

قهوة في التراب من حلب الكر م عقاراً كأنها الزعفران

قهوة في مكان سوء بقد صا دف سعد السعود ذاك المكان

من كميت يبدي المزاج لها لؤ لؤ نظم والفصل منها جمان

فإذا ما اصطبحتها صغرت في ال قدر تختالها هي الجرذان

كيف صبري عن بعض نفسي وهل يص بر عن بعض نفسه الإنسان!

قال: فأنشدتها الجاحظ، فقال: إن من حق الفتوة أن أكتب هذه الأبيات قائماً وما أقدر على ذلك إلا أن تعمدني، وقد كان تقوس، فعمدته، فقام، فكتبها قائماً.

وقال محمد بن داود بن الجراح في كتاب الشعراء: قال لي محمد بن الحجاج: كانت الخمر قد أفسدت عقل بكر بن خارجة في آخر عمره، وكان يمدح ويهجو بدرهم وبدرهمين ونحو هذا فاطرح، وما رأيت قط احفظ منه لكل شيء حسن، ولا أروى منه للشعر.

قال: وأنشدني بعض أصحابنا له في حال فساد عقله:

هب لي فديتك درهماً أو درهمين إلى الثلاثه

إني أحب بني الطفي ل ولا أحب بني علاثه

قال ابن الجراح حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني بعض أصحابنا الكوفيين قال: حضرنا دعوة ليحيى بن أبي وسف القاضي وبتنا عنده، فنمت فما أنبهني إلا صياح بكر يستغيث من العطش، فقلت له: مالك؟ فاشرب فالدار مليئة ماء، قال: أخاف، قلت: من أي شيء؟ قال: في الدار كلب كبير، فأخاف أن يظنني غزالاً فيثب علي ويقطعني ويأكلني، فقلت: له ويحك يا بكر! فالحمير أشبه منك بالغزال، قم فاشرب إن كنت عطشان وأنت آمن، وكان عقله قد فسد من كثرة الشراب.

قال: وأنشدني له، وقد رأى صديقاً له قرأ رقعة من صديق له آخر ثم حرقها:

لم يقو عندي على تحريق قرطاسي إلا امرؤ قلبه من صخرة قاسي

إن القراطيس من قلبي بمنزلة تحويه كالسمع والعينين في الرأس

ومما يغنى فيه من شعر بكر بن خارجة:

قلبي إلى ما ضرني داعي يكثر أحزاني وأوجاعي

لقل ما أبقى على ما أرى يوشك أن ينعاني الناعي

كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدي بين أضلاعي؟

أسلمني الحب وأشياعي لما سعى بي عندها الساعي

لما دعاني حبها دعوة قلت له: لبيك من داع

الغناء لإبراهيم بن المهدي ثقيل أول، وفيه لعبد الله بن العباس هزج، جميعاً عن الهشامي، وقيل: إن فيه لحناً لابن جامع.

وقد ذكر الصولي في أخبار العباس بن الأحنف وشعره أن هذه الأبيات للعباس بن الأحنف، وذكر محمد بن داود بن الجراح عن أبي هفان أنها لبكر بن خارجة:

ويلي على ساكن شط الصراه من وجنتيه شمت برق الحياه

ما ينقضي من عجب فكرتي في خصلة فرط فيها الولاه

ترك المحبين بلا حاكم لم يقعدوا للعاشقين القضاه

الشعر لإسماعيل القراطيسي والغناء لعباس بن مقام خفيف رمل بالوسطى.

أخبار إسماعيل القراطيسي

هو إسماعيل بن معمر الكوفي، مولى الأشاعثة، وكان مألفاً للشعراء، فكان أبو نواس وأبو العتاهية ومسلم وطبقتهم يقصدون منزله. ويجتمعون عنده، ويقصفون، ويدعو لهم القيان وغيرهن من الغلمان، ويساعدهم. وإياه يعني أبو العتاهية بقوله:

لقد أمسى القراطيسي رئيساً في الكشاخين

وفي هذه الأبيات التي فيها الغناء يقول القراطيسي:

وقد أتاني خبر ساءني مقالها في السر واسوأتاه

أمثل هذا يبتغي وصلنا أما يرى ذا وجهه في المراه !

أخبرني ابن عمار عن ابن مهرويه، عن علي بن عمران، قال: قال القراطيسي: قلت للعباس بن الأحنف : هل قلت في معنى قولي:

وقد أتاني خبر ساءني مقالها في السر: واسوأتاه؟

قال: نعم، وأنشدني:

جارية أعجبها حسنها فمثلها في الناس لم يخلق

خبرتها أني محب لها فأقبلت تضحك من منطقي

والتفتت نحو فتاة لها كالرشأ الوسنان في قرطق

قالت لها: قولي لهذا الفتى: انظر إلى وجهك ثم اعشق

أخبرني الحسن بن مهرويه، قال: حدثني أحمد بن بشر المرثدي، قال: مدح إسماعيل القراطيسي الفضل بن الربيع ، فحرمه فقال:

ألا قل للذي لم يهد ... ه الله إلى نفع
لئن أخطأت في مدحي ... ك ما أخطأت في منعي
لقد أحللت حاجاتي ... بواد غير ذي زرع

أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد عن أبي هفان عن الجماز، قال: اجتمع يوماً أبو نواس وحسين الخليع وأبو العتاهية في الحمام وهم مخمورون، فقالوا: أين نجتمع؟ فقال القراطيسي:

ألا قوموا بأجمعكم ... إلى بيت القراطيسي
لقد هيا لنا النزل ... غلام فاره طوسي
وقد هيا الزجاجات ... لنا من أرض بلقيس
وألواناً من الطير ... وألواناً من العيس
وقينات من الحور ... كأمثال الطواويس
فنيكوهن في ذاكم ... وفي طاعة إبليس
أبكي إذا غضبت حتى إذا رضيت ... بكيت عند الرضا خوفاً من الغضب
فالويل إن رضيت والعول إن غضبت ... إن لم يتم الرضا فالقلب في تعب

الشعر لأبي العبر الهاشمي، أنشدنيه الأخفش وغيره من أصحابنا، وذكره له محمد بن داود بن الجراح، والغناء لعلية بنت المهدي ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي.

أخبار أبي العبر ونسبه

هو أبو العباس محمد بن أحمد، ويلقب حمدوناً الحامض بن عبد الله بن عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان صالح الشعر مطبوعاً يقول الشعر المستوي في أول عمره منذ أيام الأمين وهو غلام، إلى أن ولي المتوكل الخلافة، فترك الجد، وعاد إلى الحمق والشهرة به، وقد نيف على الخمسين، ورأى أن شعره مع توسطه لا ينفق مع مشاهدته أبا تمام الطائي والبحتري وأبا السمط بن أبي حفصة ونظراءهم.

حدثني عم أبي عبد العزيز أحمد، قال: سمعت حمدون الحامض يذكر أنه ابنه أبا العبر ولد بعد خمس سنوات خلت من خلافة الرشيد، قال: وعمر إلى خلافة المتوكل، وكسب بالحمق أضعاف ما كسبه كل شاعر كان في عصره

بالجد، ونفق نفاقاً عظيماً، وكسب في أيام المتوكل مالاً جليلاً، وله فيه أشعار حميدة، يمدحه بها، ويصف قصره وبرج الحمام والبركة كثيرة المحال، مفرطة السقوط، لا معنى لذكرها، سيما وقد شهرت في الناس.

فحدثني محمد بن أبي الأزهر، قال: حدثني الزبير بن بكار، قال: قال لي عمي: ويحك! ألا يأنف الخليفة لابن عمه هذا الجاهل مما قد شهر به نفسه وفضح عشيرته! والله إنه لعر بني آدم جميعاً، فضلاً عن أهله والأدنين ! أفلا يردعه ويمنعه من سوء اختياره! فقلت: إنه ليس بجاهل كما تعتقد ، وإنما يتجاهل، وإن له لأدباً صالحاً وشعراً طيباً، ثم أنشدته:

لا أقول الله يظلمني ... كيف أشكو غير متهم!

وإذا ما الدهر ضعضعني ... لم تجدني كافر النعم

قنعت نفسي بما رزقت ... وتناهت في العلا هممي

ليس لي مال سوى كرمي ... وبه أمني من العدم

فقال لي: ويحك! فلم لا يلزم هذا وشبهه؟ فقلت له: والله يا عم لو رأيت ما يصل إليه بهذه الحماقات لعذرته، فإن ما استملحت له لم ينفق به، فقال عمي - وقد غضب - أنا لا أعذره في هذا لو حاز به الدنيا بأسرها، لا عذرني الله إن عذرته إذن! وحدثني مدرك بن محمد الشيباني، قال: حدثني أبو العنبس الصيمري، قال: قلت لأبي العبر ونحن في دار المتوكل: ويحك! أيش يحملك على هذا السخف الذي قد ملأت به الأرض خطباً وشعراً وأنت أديب ظريف مليح الشعر؟ فقال لي: يا كشخان، أتريد أن أكسد أنا وتنفق أنت؟ أنت أيضاً شاعر فهم متكلم فلم تركت العلم، وصنعت في الرقاعة نيفاً وثلاثين كتاباً، أحب أن تخبرني لو نفق العقل أكنت تقدم علي البحتري، وقد قال في الخليفة بالأمس:

عن أي ثغر تبتسم ... وبأي طرف تحتكم

فلما خرجت أنت عليه وقلت:

في أي سلح ترتطم ... وبأي كف تلتطم

أدخلت رأسك في الرحم ... وعلمت أنك تنهزم

فأعطيت الجائزة وحرم، وقربت وأبعد، في حر أمك وحر أم كل عاقل معك! فتركته، وانصرفت.

قال مدرك: ثم قال لي أبو العنبس: قد بلغني أنك تقول الشعر، فإن قدرت أن تقوله جيداً، جيداً؟ وإلا فليكن بارداً، بارداً، مثل شعر أبي العبر وإياك والفاتر فإنه صفع كله.

حدثني جعفر بن قدام، قال: حدثني أبو العيناء، قال: أنشدت أبا العبر:

ما الحب إلا قبلة ... أو غمز كف وعضد

أو كتب فيها رقى أنفذ من نفث العقد
من لم يكن ذا حبه فإنما يبغي الولد
ما الحب إلا هكذا إن نكح الحب فسد

فقال لي: كذب المأبون: وأكل من خراي رطلين وربعاً بالميزان، فقد أخطأ وأساء، ألا قال كما قلت:

باض الحب في قلبي فواويلي إذا فرخ
وما ينفعني حبي إذا لم أكنس البربخ
وإن لم يطرح الأصل ع خرجيه على المطبخ

ثم قال: كيف ترى؟ قلت: عجباً من العجب، قال: ظننت أنك تقول: لا، فأبل يدي وأرفعها. ثم سكت، فبادرت، وانصرفت خوفاً من شره.

حدثني عبد العزيز بن أحمد عم أبي، قال: كان أبو العبر يجلس بسر من رأى في مجلس يجتمع عليه فيه المجان يكتبون عنه، فكان يجلس على سلم وبين يديه بلاعة فيها ماء وحمأة، وقد سد مجراها، وبين يديه قصبة طويلة، وعلى رأسه خف، وفي رجليه قلنسيتان، ومستمليه في جوف بئر، وحوله ثلاثة نفر يدقون بالهواوين، حتى تكثر الجلبة، ويقل السماع، ويصبح مستمليه من جوف البئر من يكتب ، عذبك الله، ثم يملي عليهم، فإن ضحك أحد ممن حضر قاموا فصبوا على رأسه من ماء البلاعة إن كان وضيعاً، وإن كان ذا مروءة رشش عليه بالقصبة من مائها، ثم يحبس في الكنيف إلى أن ينفض المجلس، ولا يخرج منه حتى يغرم درهمين. قال: وكانت كنيته أبا العباس، فصيرها أبا العبر، ثم كان يزيد فيها في كل سنة حرفاً، حتى مات، وهي أبو العبر طرد طيل طليري بك بك بك.

حدثني جحظة، قال: رأيت أبا العبر بسر من رأى، وكان أبوه شيخاً صالحاً، وكان لا يكلمه، فقال له بعض إخوانه: لم هجرت ابنك؟ قال: فضحني - كما تعلمون - بما يفعله بنفسه، ثم لا يرضى بذلك، حتى يهجنني ويؤذيني، ويضحك الناس مني، فقالوا له: وأي شيء من ذاك؟ وبماذا هجنك؟ قال: اجتاز علي منذ أيام ومعه سلم، فقلت له: ولأي شيء هذا معك؟ فقال: لا أقول لك، فأخجلني، وأضحك بي كل من كان عندي، فلما أن كان بعد أيام اجتز بي ومعه سمكة، فقلت له: إيش تعمل بهذه؟ فقال: أنيكها، فحلفت لا أكلمه أبداً.

أخبرني عم أبي عبد العزيز، قال: سمعت رجلاً سأل أبا العبر عن هذه المحالات التي لا يتكلم بها: أي شيء أصلها؟ قال: أبكر، فأجلس على الجسر، ومعي دواة ودرج ، فأكتب كل شيء أسمعه من كلام الذاهب الجائي والملاحين والمكارين، حتى أملأ الدرج من الوجهين، ثم أقطعه عرضاً وطولاً وألصقه مخالفاً، فيجيء منه كلام ليس في الدنيا أحمق منه.

أخبرني عمي ، قال: رأيت أبا العبر واقفاً على بعض آجام سر من رأى، وبيده اليسرى قوس جلاهق ، وعلى يده

اليمنى باشق، وعلى رأسه قطعة رثة في حبل مشدود بأنشوطة، وهو عريان، في أبره شعر مفتول مشدود فيه شص قد ألقاه في الماء للسمك، وعلى شفته دوشاب ملطخ، فقلت له: خرب بيتك، أيش هذا العمل؟ فقال: أصطاد يا كشخان يا أحمق بجميع جوارحي، إذا مر بي طائر رميته عن القوس، وإن سقط قريباً مني أرسلت إليه الباشق، والرثة التي على رأسي يجيء الحدأ ليأخذها فيقع في الوهق والدوشاب أصطاد به الذباب، وأجعله في الشص، فيطلبه السمك، ويقع فيه، والشص في أيري، فإذا مرت به السمكة أحسست بها، فأخرجتها.

قال: وكان المتوكل يرمي في المنجنيق إلى الماء، وعليه قميص حرير، فإذا علا في الهواء صاح: الطريق الطريق، ثم يقع في الماء، فتخرجه السباح، قال: وكان المتوكل يجلسه على الزلاجة، فينحدر فيها، حتى يقع في البركة، ثم يطرح الشبكة، فيخرجه كما يخرج السمك، ففي ذلك يقول في بعض حماقاته:

ويأمر بي الملك فيطرحني في البرك

ويصطادني بالشبك كأني من السمك

ويضحك كك كك ككك كك كك كك كك ككك

وحدثني جعفر بن قدامة، قال:

قدم أبو العبر بغداد في أيام المستعين، وجلس للناس، فبعث إسحاق بن إبراهيم، فأخذه، وحبسه، فصاح في الحبس، لي نصيحة، فأخرج، ودعا به إسحاق، فقال: هات نصيحتك، قال: على أن تؤمنني؟ قال: نعم، قال: الكشكية - أصلحك الله - لا تطيب إلا بالكشك، فضحك إسحاق وقال: هو - فيما أرى - مجنون، فقال: لا، هو امتخط حوت ، قال: أيش أهو امتخط حوت؟ ففهم ما قاله، وتبسم ثم قال: أظن أن فيك مأثوم، قال: لا، ولكنك في ماء بصل ، فقال: أخرجوه عني إلى لعنة الله، ولا يقيم ببغداد، فأرده إلى الحبس، فعاد إلى سر من رأى.

وله أشعار ملاح في الجد، منها ما أنشدنيه الأحفش له يخاطب غلاماً أمرد:

أيها الأمرد المولع بالهجر أفق ما كذا سبيل الرشاد

فكأني بحسن وجهك قد ألبس في عارضيك ثوب حداد

وكأني بعاشقيك وقد بدلت فيهم من خلطة ببعاد

فاغتنم قبل أن تصير إلى كان وتضحي في جملة الأضداد

وأنشدني محمد بن داود بن الجراح له، وفيه رمل طنبوري محدث أظنه لجحظة.

داء دفين وهوى بادي أظلم فجازيك بمرصاد

يا واحد الأمة في حسنه أشمت بي صدك حسادي

قد كدت مما نال مني الهوى أخفي على أعين عوادي

عبدك يحيي موته قبلة تجعلها خاتمة الزاد

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أحمد بن علي الأنباري: قال: كنا يوماً في مجلس يزيد بن محمد المهلبي بسر من رأى، فجرى ذكر أبي العبر، فجعلوا يذكرون حماقاته وسقوطه، فقلت ليزيد: كيف كان عندك، فقد رأيته؟ فقال: ما كان إلا أديباً فاضلاً، ولكنه رأى الحماقة أنفق وأنفع له، فتحامق.

فقلت له: أنشدك أبياتاً له أنشدنيها، فانظر لو أراد دعبل - فإنه لأهجى أهل زماننا - أن يقول في معناها ما قدر على أن يزيد على ما قال، قال: أنشدنيها، فأنشدته قوله:

رأيت من العجائب قاضيين هما أحدوثة في الخافقين

هما اقتسما العمي نصفين فذا كما اقتسما قضاء الجانبين

هما فأل الزمان بهلك يحيى إذا افتتح القضاء بأعورين

وتحسب منهما من هز رأساً لينظر في مواريث ودين

كأنك قد جعلت عليه دنا فتحت بزاله من فرد عين

فجعل يضحك من قوله، ويعجب منه، ثم كتب الأبيات.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن مهرويه: قال: حدثني ابن أبي أحمد، قال: قال لي أبو العبر: إذا حدثك إنسان بحديث لا تشتهي أن تسمعه فاشتغل عنه بنتف إبطك، حتى يكون هو في عمل وأنت في عمل.

وقال محمد بن داود: حدثني أبو عبد الله الدوادي، قال: كان أبو العبر شديد البغض لعلي بن أبي طالب - صلوات الله عليه - وله في العلويين هجاء قبيح، وكان سبب ميتته أنه خرج إلى الكوفة ليرمي بالبندق مع الرماة من أهلها في آجامهم، فسمعه بعض الكوفيين يقول في علي - صلوات الله عليه - قولاً قبيحاً استحل به دمه، فقتله في بعض الآجام، وعرقه فيها.

لقد طال عهدي بالإمام محمد وما كنت أخشى أن يطول به عهدي

فأصبحت ذا بعد وداري قريبة فواعجباً من قرب داري ومن بعدي !

فيا ليت أن العيد لي عاد مرة فإني رأيت العيد وجهك لي يبدي

أيتك في برد النبي محمد كبدر الدجى بين العمامة والبرد

الشعر لمروان بن أبي حفصة الأصغر، والغناء لبنان خفيف رمل بالبنصر.

أخبار مروان بن أبي حفصة الأصغر

هو مروان بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر بن أبي حفصة. قد تقدم خبره ونسبه، ويكنى مروان الأصغر أبا السمط، وكان يتشبه بجده في شعره، ويمدح المتوكل، ويتقرب إليه بهجاء آل أبي طالب، فتمكن منه وقرب إليه ، وكسب معه مالاً كثيراً، فلما أفضت الخلافة إلى المنتصر تجنب مذهب أبيه في كل أمر، فطرده وحلف ألا يدخل إليه أبداً لما كان يسمعه منه في أمير المؤمنين علي رضي الله منه.

فأخبرني محمد بن عمران الصيرفي عمي قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني محمد بن عبد الله بن آدم العبدي قال:

دخل مروان بن أبي الجنوب على المتوكل فأنشده قوله:

أبوكم علي كان أفضل منكم ... أباه ذوو الشورى وكانوا ذوي عدل

وساء رسول الله إذ ساء بنته ... بخطبته بنت اللعين أبي جهل

أراد على بنت النبي تزوجاً ... ببنت عدو الله، يا لك من فعل!

فذم رسول الله صهر أبيكم ... على منبر الإسلام بالمنطق الفصل

وحكم فيها حاكمين أبوكم ... هما خلعاه خلع ذي النعل للنعل

وقد باعها من بعده الحسن ابنه ... فقد أبطلا دعواكما الرثة الحبل

وخليتموها وهي في غير أهلها ... طالبتموها حيث صارت إلى الأهل

فوهب له المتوكل مائة ألف درهم.

وقال محمد بن داود بن الجراح : حدثني محمد بن القاسم قال: حدثني أبو هاشم الجبائي، قال: دخل أبو السمط على المتوكل فأنشده قوله:

الصهر ليس بوارث ... والبنت لا ترث الإمامة

لو كان حقكم لهم ... قامت على الناس القيامة

أصبحت بين محبكم ... والمبغضين لكم علامة

فحشا المتوكل فمه بجوهر لا يدرى ما قيمته.

وحدثني أحمد بن جعفر جحظة قال: أنشد أبو السمط المتوكل قوله:

إني نزلت بساحة المتوكل ... ونزلت في أقصى ديار الموصل

فقال الفتح بن خاقان: فإذا كانا متباعدين هكذا فمن كان الرسول؟ فقال أبو العنبس الصيمري: كانت له طيور هدى تحمل إليها كتبه، فضحك المتوكل حتى ضرب برجله الأرض وأجزل صلة الصيمري و لم يعط أبا السمط شيئاً، فماتا متهاجرين .

أخبرني عمي والحسن بن علي قالا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا حماد بن أحمد البني قال: أخبرني أبو السمط مروان بن أبي الجنوب قال: لما صرت إلى المتوكل على الله ومدحته ومدحت ولاة العهود الثلاثة، وأنشدته ذلك في قولي:

سقى الله نجداً والسلام على نجد ... ويا حبذا نجد على النأي والبعد

نظرت إلى نجد وبغداد دونها ... لعلي أرى نجداً وهيهات من نجد!

بلاد بها قوم هواهم زيارتي ... ولا شيء أشهى من زيارتهم عندي

فلما استتممتها أمر لي بمائة ألف درهم وخمسين ثوباً من خاص ثيابه.

أخبرني علي بن أبي العباس بن أبي طلحة قال: حدثني إبراهيم بن محمد أبو إسحاق قال: حدثني خالد بن يزيد الكاتب قال: دعاني المتوكل ليلة وقد غنى بين يديه عمر الطنبوري في قولي:

يا مقلتي قتلتماني ... فبقيت رحمة من يراني

من ذا ألوم وأنتما ... بيد الهوى أسلمتماني

قال: ولم يغنه البيت الثالث، وهو:

لعبت بنا أيدي الخطو ... ب وغالنا ريب الزمان

كراهة أن يتطير منه، فجعل ينظر إلي وأنا واقف، ثم قال: ويلك يا خالد، تهرب منا ونحن نطلبك، وأنت في غيابات صبواتك وغزلك، يا غلام اسقه ثلاثة أقداح في القدم المبرم - وهو الذي لا قرار له، فإذا أخذه الإنسان لم يقدر أن يضعه من يده - فقلت:

سيدي لا تسقني ... أكثر من رطل نبيذ

إن شربي للذي ... يؤلمني غير لذيذ

فقال: يا غلام، إن لم يشرب فاصفعه، فقلت:

سيدي حوصلتي ضي ... يقة عن شرب رطل

فمتى زدت عليه ... خفت أن يذهب عقلي

فقال الفتح: هو كما قال يا سيدي لا يطيق الشرب.

وحضر ابن أبي حفصة، فقال لنا المتوكل: قولاً على البديهة، فقلت له: هو يا سيدي شيخ الشعراء ومادحك، وآباؤه مداح آبائك، فأنشأ يقول:

يا ليت لي ألف عين ... عيناي لا تكفيان

فقلت له: سخنت عينك، أنا لي عين واحدة أدعو الله عليها بالعمى من ستين سنة، أقول:

يا عين أنت بليتني فأراحني الرحمن منك

وأنت تتمنى ألف عين. ثم قال لي المتوكل: اهجه، فقلت: إن الرجل لم يعرض لي، فأقبل هو علي وقال: قل ما شئت، وما عسى أن تقول؟ فقلت:

زاد البرد يومين فقال الناس: ما القصه!

فقلنا :أنشدونا شع ر مروان بن أبي حفصه

فتى من شهوة النيك بحلقوم استه غصه

ولو يرمي ببطيخ لوافى دبره رصه

قال: فضحك المتوكل حتى صفق برجليه الأرض، وأفحم مروان، ثم أمر لي بجائزة فأخذتها وانصرفت.

قال ابن أبي طاهر: حدثني مروان بن أبي الجنوب قال: لما استخلف المتوكل بعثت إلى ابن أبي داود بقصيدة مدحته فيها وذكرت فيها ابن الزيات ببيتين وهما:

وقيل لي: الزيات لاقي حمامه فقلت: أتاني الله بالفتح والنصر

لقد حفر الزيات بالبغي حفرة فألقاه فيها الله بالكفر والغدر

قال: فذكرني ابن أبي داود المتوكل، فأمر بإحضاري، فقيل له: نفاه الواثق إلى اليمامة، وذلك لميله إليك. فقال: يحمل، فقال له ابن أبي داود: عليه ستة آلاف دينار دين، فقال: يكتب بها إلى عامل اليمامة، فكتب لي بها وبالحملان والمعونة، فقدمت عليه وأنشدته قولي:

رحل الشباب وليته لم يرحل والشيب حل وليته لم يحلل

فلما بلغت إلى هذا البيت:

كانت خلافة جعفر كنبوة جاءت بلا طلب ولا بتمحل

وهب الإله لك الخلافة مثل ما وهب النبوة للنبي المرسل

فأمر لي بخمسين ألف درهم: وفي أول هذه القصيدة لعريب ثاني ثقيل بالوسطى.

والصوت المذكور في أول هذه الأخبار من قصيدة قاله أبو السمط في المنتصر لما ولي الخلافة.

أخبرني بخبره فيها جماعة من أصحابنا، منهم محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد، والحسن بن علي قالا: حدثنا محمد بن موسى قال: حدثني القاسم بن محمد الكاتب قال: حدثني المرزبان بن الفروران حاجب المنتصر قال: إن مروان بن أبي حفصة الأصغر المكنى أبا السمط استأذن على المنتصر لما ولي الخلافة، فقال: والله لا أذنت للكافر ابن الزانية، أليس هو القائل:

وحكم فيها حاكمين أبوكم هما خلعاه خلع ذي النعل للنعل

قولوا له: والله لا وصلت إلي أبداً، فلما بلغه هذا القول عمل هذا الشعر:

لقد طال عهدي بالإمام محمد وما كنت أخشى أن يطول به عهدي

وذكر الأبيات كلها.

قال: وسأل بنان بن عمرو، فصنع فيه لحناً وغنى به المنتصر، فلما سمعه سأل عن قائلها، فأخبرته، فقال: أما الوصول إلي فلا سبيل إليه، ولكن أعطوه عشرة آلاف درهم يتحمل بها إلى اليمامة.

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال: حدثني جعفر بن هارون بن زياد قال: حدثني أحمد بن الفضل الكاتب قال: لما قال علي بن الجهم هذه القصيدة في المتوكل:

اغتنم جدة الزمان الجديد واجعل المهرجان أيمن عيد

أنشدها وأبو السمط بن أبي حفصة حاضر، فغمزه المتوكل على علي بن الجهم وأمره أن يعنته. فقال له: يا علي، أخبرني عن قولك:

واجعل المهرجان أيمن عيد

المهرجان عيد أم يوم لهو، إنما العيد ما تعبد الله به الناس مثل الفطر والأضحى والجمعة وأيام التشريق. فأما المهرجان والنيروز فإنما هما أعياد المجوس ، ولا يجوز أن يقال لخليفة الله في عباده وخليفة رسول الله في أمته: اجعل المهرجان عيداً.

فلم يلتفت إليه وأنشد حتى بلغ قوله :

نحن أشياعكم من آل خراسا ن أولو قوة وبأس شديد

نحن أبناء هذه الخرق السو د وأهل التشيع المحمود

فقال له مروان: لو كنتم من أهل التشيع المحمود ما قتل قحطبة جدك وصلبه في عداوة بني العباس. فقال له المتوكل: ويلك، أقتل قحطبة جدك؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين. فأقبل على محمد بن عبد الله بن طاهر، فقال له: بحياتي الأمر كما قال مروان؟ فقال له محمد: وإن كان كما قال، فأي ذنب لعلي بن الجهم؟ قد قتل الله أعداءكم وأبقى أولياءكم. فضحك المتوكل وقال: شهدت والله بها عليه، فقال مروان في ذلك:

غضب ابن الجهم من قولي له إن في الحق لقوم مغضبة

يا بن جهم كيف تهوى معشراً صلبوا جدك فوق الخشبة؟

يا إمام العدل نصحي لكم نصح حق غير نصح الكذبة

إن جدي من رفعتم ذكره بكرامات لشكري موجبة

وابن جهم من قتلتم جده وتولى ذاك منه قحطبه

فخراسان رأت شيعتكم أنه أهل لضرب الرقبة

أتراه بعدها ينصحكم لا ورب الكعبة المحتجبة

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال: حدثني جعفر بن هارون قال: حدثني أحمد بن حمدون إسماعيل قال: بلغ المتوكل أن علي بن الجهم خطب امرأة من قريش فلم يزوجوه، فسأل عن السبب في ذلك وعن قصته، وعن نسب سامة بن لؤي، فحدث بها، ثم انتهى حديثهم بأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يدخلاهم في قريش، وأن عثمان رضي الله عنه أدخلهم فيه، وأن علياً رضي الله عنه أخرجهم منه، فارتدوا مع الحارث، وأن قتل من ارتد منهم، سبي بقيتهم، وباعهم من مصقلة بن هبيرة. فضحك المتوكل، وبعث إلى علي بن الجهم فأخبره بما قال القوم فأنكر ذلك وقال: هذه الدعوى من الرافضة، وشتم القوم. وكان منهم أبو السمط فقال له:

إن جهماً حين تنسبه ليس من عجم ولا عرب

لج في شتمي بلا سبب سارق للشعر والنسب

من أناس يدعون أبا ماله في الأرض من عقب

فغضب علي بن الجهم و لم يجبه؛ لأنه كان يحتقره ويستركه ، وأومأ إليه المتوكل أن يزيده فقال:

أأنتم من قريش يا بن جهم وقد باعوكم في من يزيد

أترجو أن تكاثرنا جهاراً بنسبتكم مقد بيع الجدود؟

قال: وما زال مروان يهجو علي بن الجهم فما أجابه عن شيء من شعره أنفة منه.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا إسحاق بن محمد النخعي قال: حدثني الجماز أبو عبد الله قال: دخل مروان الأصغر على أحمد بن أبي داود وقد أصابه الفالج وتماثل قليلاً، فأنشده:

لسان أحمد سيف مسه طبع من علة فجلاه عن جاليها

ما ضر أحمد باقي علة درست والله يذهب عنه رسم باقيها

قد كان موسى على علات منطقه رسائل الله إذ جاءت يؤديها

موسى بن عمران لم ينقص نبوته ضعف اللسان وقدماً كان يمضيها

فوصله أحمد رحمه الله تعالى واعتذر إليه.

أخبرني عمي قال: حدثني متوج قال: قال أبو السمط: دخلت على عبد الله بن طاهر فقال: إني تذكرت في ليلتي

هذه ذا اليمينين، فبت أرقاً حزيناً باكياً، فارثه في مقامك هذا بأبيات تجعل لي طريقاً إلى شفاء علتي ولك حكمك، ففكرت هنيهة ثم قلت:

إن المكارم إذ تولى طاهر ... قطع الزمان يمينها وشمالها

لو كافحته يد المنون مجاهراً ... لاقت لوقع سيوفه آجالها

أرسى عماد خليفة في هاشم ... ورمى عماد خلافة فأزالها

بكت الأعنة والأسنة طاهراً ... ولطالما روى النجيع نهالها

ليت المنون تجانبت عن طاهر ... ولوت بذروة من تشاء حبالها

ما كنت لو سلمت يميناً طاهر ... أدري ولا أسل الحوادث مالها

فقال: أحسنت والله فاحتكم، فقلت له: خمسون ألف درهم أقضي منها ديناً ، وأصلح حالي، وأبتاع ضيعة تلاصق ضيعتي. فأمر لي بها وقال: ربحنا وخسرت، ولو لم تحتكم لزدتك، ولك عندنا عد وعد بعد عد.

لا تلمني أن أجزعا ... سيدي قد تمنعا

وابلائي إن كان ما ... بيننا قد تقطعا

إن موسى بفضله ... جمع الفضل أجمعا

الشعر ليوسف بن الصيقل والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبنصر.

أخبار يوسف بن الحجاج ونسبه

هو يوسف بن الحجاج الصيقل، يقال: إنه من ثقيف، ويقال: إنه مولى لهم، وذكر محمد بن داود بن الجراح أنه كان يلقب لقوة وأنه كان يصحب أبا نواس، يأخذ عنه، ويروي له، وأبوه الحجاج بن يوسف محدث ثقة، وروى عنه جماعة من شيوخنا، منهم ابن منيع، والحسن بن الطيب الشجاع، وابن عفير الأنصاري، وكان يوسف بن الصيقل كاتباً، ومولده ومنشؤه بالكوفة.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي، عن ابن شبة، قال: قال أحمد بن صالح الهشامي: قال لنا يوسف بن الصيقل يوماً، ورأى الشعراء بأيديهم الرقاع يطوفون بها، فقال: صنع الله لكم، ثم أقبل على إبراهيم الموصلي، فقال له: كنا نهزل، فنأخذ الرغائب، وهؤلاء المساكين الآن يجدون، فلا يعطون شيئاً، ثم قال لإبراهيم: أتذكر ونحن بجرجان مع موسى الهادي، وقد شرب على مستشرف عال جداً وأنت تغنيه هذا الصوت:

واستدارت رحالهم ... بالرديني شرعا

فقال: هذا لحن مليح، ولكني أريد له شعراً غير هذا، فإن هذا الشعر بارد، والتفت إلي فقال: اصنع في هذا الوزن شعراً، فقلت:

لا تلمني أن أجزعا سيدي قد تمنعا

فغنيته فيه بذلك اللحن، ومرت به إبل ينقل عليها، فقال أوقروها لهما مالاً، فأوقرت مالاً وحمل إلينا، فاقتسمناه، فقال إبراهيم: نعم، وأصاب كل واحد منا ستين ألف درهم.

فارس يضرب الكتي بة حتى تصدعا
في الوغى حين لا يرى صاحب القوس منزعا
واستدارت رحالهم بالرديني شرعا
ثم ثارت عجاجة تحتها الموت منقعا

في هذه الأبيات رمل ينسب إلى ابن سريج وإلى سياط، وفيه لابن جامع خفيف رمل بالبنصر.

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، عن محمد بن عبد الله العبدي، فذكر مثل هذه القصة إلا أنه حكى أنها كانت بالرقة، لا بجرجان، وأن الرشيد كان صاحبها لا موسى.

أخبرني الحسن بن علي العتري، عن محمد بن يونس الربيعي، قال: حدثني أبو سعيد الجنديسابوري، قال: لما ورد الرشيد الرقة خرج يوسف بن الصيقل، وكمن له في نهر جاف على طريقه، وكان لهارون خدم صغار يسميهم النمل يتقدمونه، بأيديهم قسي البندق، يرمون بها من يعارضه في طريقه، فلم يتحرك يوسف، حتى وافته قبة هارون على ناقة، فوثب إليه يوسف، وأقبل الخدم الصغار يرمونه، فصاح بهم الرشيد: كفوا عنه، فكفوا، وصاح به يوسف يقول:

أغيثاً تحمل النا قة أم تحمل هرونا
أم الشمس أم البدر أم الدنيا أم الدينا
ألا كل الذي عدد ت قد أصبح مقرونا
على مفرق هارون فداه الآدميونا

فمد الرشيد يده إليه، وقال له: مرحباً بك يوسف، كيف كنت بعدي؟ ادن مني، فدنا، وأمر له بفرس، فركبه، وسار إلى جانب قبته ينشده، ويحدثه، والرشيد يضحك، وكان طيب الحديث، ثم أمر له بمال، وأمر بأن يغنى في الأبيات: الغناء في هذه الأبيات لابن جامع خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي: وقال محمد بن داود: كان يوسف فاسقاً مجاهراً باللواط، وله فيه أشعار، فمنها قوله:

لا تبخلن على الندي م بردف ذي كشح هضيم
تعلو وينظر حسرة نظر الحمار إلى القضيم
وإذا فرغت فلا تقم حتى تصوت بالنديم
فإذا أجاب فقل هل م إلى شهادة ذي الغريم
واتبع للذتك الهوى ودع الملامة للمليم

قال: وهذا الشعر يقوله لصديق له رآه قد علا غلاماً له، فخاطبه به.

ومن مشهور قوله في هذا المعنى:

لا تنيكن ما حييت غلاماً مكابره
لا تمرن باسته دون دفع المؤامره
إن هذا اللواط دين تراه الأساوره
وهم فيه منصفو ن بحسن المعاشره

ومن قوله في هذا المعنى أيضاً هذه الأبيات:

ضع كذا صدرك لي يا سيدي واتخذ عندي إلى الحشريدا
إنما ردفك سرج مذهب كشف البزيون عنه فبدا
فأعرنيه ولا تبخل به ليس يبليه ركوبي أبدا
بل يصفيه ويجلوه ولا أثر تراه فيه أبدا
فادن يا حب وطب نفساً به إن ذاك الدين تقضاه غدا

أخبرني إسماعيل بن يونس، قال: حدثني عمر بن شبة عن أحمد بن صالح الهاشمي، قال: هجا يوسف بن الصيقل القيان، فقال:

احذر فديتك ما حيي ت حبائل المتشاكلات
فلهن يفلسن الفتى وكفى بهن مفلسات
ويل امرىء غر تجي ه رقاعهن مختمات
ورقاعهن إليهم برقي القحاب مسطرات
وعلى القيادة رسله ن إذا بعثن مدربات
يهدمن أكياس الغني من المؤنة والهبات

حفر العلوج سواقياً للماء في الأرض الموات

فيصير من إفلاسه ومن الندامة في سبات

قال: وشاعت هذه الأبيات وتهاداها الناس، وصارت عبثاً بالقيان لكل أحد، فكانت المغنية إذا عثرت قالت: تعس يوسف!

أخبرني الحسن بن علي، قال: أخبرني عيسى بن الحسن الآدمي: قال: حدثني أحمد بن أبي فنن، قال: أحضر الرشيد عشرة آلاف دينار من ضرب السنة ففرقها، حتى بقيت منها ثلاثة آلاف دينار، فقال: ائتوني شاعراً أهبها له، فوجدوا منصوراً النمري ببابه، فأنشده، وكان قبيح الإنشاد، فقال له الرشيد: أعانك الله على نفسك، انصرف، فقال: يا أمير المؤمنين، قد دخلت إليك دخلتين، لم تعطني فيهما شيئاً، وهذه الثالثة، و والله لئن حرمتني لا رفعت رأسي بين الشعراء أبداً. فضحك الرشيد، وقال: خذها، فأخذها، ونظر الرشيد إلى الموالي ينظر بعضهم بعضاً، فقال: كأني قد عرفت ما أردتم: أن تكون هذه الدنانير ليوسف بن الصيقل، وكان يوسف منقطعاً إلى الموالي ينادمهم، ويمدحهم، فكانوا يتعصبون له، فقالوا: إي والله يا أمير المؤمنين، فقال: هاتوا ثلاثة آلاف دينار، فأحضرت، فأقبل على يوسف. فقال: هات، أنشدنا، فأنشده يوسف:

تصدت له يوم الرصافة زينب

فقال له: كأنك امتدحتنا فيها، فقال: أجل، والله يا أمير المؤمنين فقال: أنت ممن يوثق بنيته، ولا تتهم موالاته، هات من ملحك، ودع المديح، فأنشده أقوله:

العفو يا غضبان ما هكذا الخلان

هبني ابتليت بذنب أما له غفران؟

وإن تعاظم ذنب ففوقه الهجران

كم قد تقربت جهدي لو ينفع القربان

يا رب أنت على ما قد حل بي المستعان

ويلي ألست تراني أهذي بها يا فلان؟

فقال الرشيد: ومن فلان هذا ويلك؟ فقال له الفضل بن الربيع. هو أبان مولاك يا أمير المؤمنين، فقال له الرشيد: و لم لم تنشدني كما قلت يا نبطي؟ فقال: لأني غضبان عليه، قال: وما أغضبك؟ قال: مدت دجلة، فهدمت داري وداره، فبنى داره، وعلاها، حتى سترت الهواء عني، قال: لا جرم، ليعطينك الماص بظر أمه عشرة آلاف درهم، حتى تبنى بناء يعلو على بنائه، فتستر الهواء عنه، ثم قال له: خذ في شعرك، فأنشده نحواً من هذا الشعر، فقال للفضل بن الربيع: يا عباسي، ليس هذا بشعر ما هو إلا لعب، أعطوه ثلاثة آلاف درهم مكان الثلاثة الآلاف دينار، فانصرف الموالي إلى صالح الخازن، فقالوا له: أعطه ثلاثة آلاف دينار كما أمر له أولاً، فقال:

أستأمره، ثم أفعل، فقالوا له: أعطه إياها بضماننا، فإن أمضيت له وإلا كانت في أموالنا، فدفعها إليه بضمانهم، فأمضيت له، فكان يوسف يقول بعد ذلك: كنا نلعب، فنأخذ مثل هذه الأموال، وأنتم تقتلون أنفسكم، فلا تأخذون شيئاً!

هبت قبيل تبلج الفجر هند تقول ودمعها يجري

أني اعتراك وكنت في عهدي لا سرب الدموع وكنت ذا صبر

الشعر لرجل من الشراة يقال له: عمرو بن الحسن مولى بني تميم، يقوله في عبد الله بن يحيى الذي تسميه الخوارج طالب الحق، ومن قتل من أصحابه معه يرثيهم. والغناء لعبد الله بن أبي العلاء ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن الهشامي.

خبر عبد الله بن يحيى وخروجه ومقتله

أخبرني بذلك الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن محمد بن أبي محمد الخزامي، وخلاد بن يزيد، وعبد الله بن مصعب، وعمرو بن هشام، وعبد الله بن محمد الثقفي، ويعقوب بن داود الثقفي، وحريم بن أبي يحيى: أن عبد الله بن يحيى الكندي أحد بني عمرو بن معاوية كان من حضرموت، وكان مجتهداً عابداً، وكان يقول قبل أن يخرج: لقيني رجل، فأطال النظر إلي، وقال: ممن أنت؟ فقلت: من كندة، فقال: من أيهم؟ فقلت: من بني شيطان، قال: والله لتملكن، ولتبلغن خيلك وادي القرى ، وذلك بعد أن تذهب إحدى عينيك.

فذهبت أتخوف ما قال، وأتسخير الله، فرأيت اليمن جوراً ظاهراً، وعسفاً شديداً، وسيرة في الناس قبيحة، فقال لأصحابه: ما يحل لنا المقام على ما نرى، ولا يسعنا الصبر عليه، وكتب إلى عبيدة بن مسلم بن أبي كريمة الذي يقال له: كودين مولى بني تميم، وكان ينزل في الأزد، وإلى غيره من الإباضية بالبصرة يشاورهم في الخروج، فكتبوا إليه: إن استطعت ألا تقيم يوماً واحداً فافعل، فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل، ولست تدري متى يأتي عليك أجلك؟ ولله خيرة من عباده يبعثهم إذا شاء لنصرة دينه، ويخص بالشهادة منهم من يشاء. وشخص إليه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي أحد بني سلمة، وبلج بن عقبة السقوري في رجال من الإباضية، فقدموا عليه حضرموت، فحثوه على الخروج، وأتوه بكتب أصحابه: إذا خرجتم فلا تغلوا، ولا تغدروا، واقتدوا بسلفكم الصالحين، وسيروا سيرتهم، فقد علمتم أن الذي أخرجهم على السلطان العيث لأعمالهم. فدعا أصحابه، فبايعوه، فقصدوا دار الإمارة، وعلى حضرموت إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي، فأخذوه، فحبسوه يوماً، ثم أطلقوه، فأتى صنعاء، وأقام عبد الله بن يحيى بحضرموت، وكثر جمعه، وسموه " طالب الحق ".

فكتب إلى من كان من أصحابه بصنعاء: إني قادم عليكم، ثم استخلف على حضرموت عبد الله بن سعيد

الحضرمي، وتوجه إلى صنعاء سنة تسع وعشرين ومائة في ألفين، وبلغ القاسم بن عمر أخا يوسف بن عمر - وهو عامل مروان بن محمد على صنعاء - مسير عبد الله بن يحيى، فاستخلف على صنعاء الضحاك بن زمل، وخرج يريد الإباضية في سلاح ظاهر وعدة وجمع كثير، فعسكر على مسيرة يوم من أبين وخلف فيها الأثقال، وتقدمت لتقاتله، فلقيه عبد الله بن يحيى بلحج - قرية من أبين - قريباً من الليل، فقال الناس للقاسم: أيها الأمير، لا تقاتل الخوارج ليلاً، فأبى، وقاتلهم، فقتلوا من أصحابه بشراً كثيراً، وانهزموا ليلاً، فمر بعسكره، فأمرهم بالرحيل، ومضى إلى صنعاء، فأقام يوماً، ثم خرج فعسكر قريباً من صنعاء، وخندق وخلف بصنعاء الضحاك بن زمل، فأقبل عبد الله بن يحيى، فنزل جوفين على ميلين من عسكر القاسم، فوجه القاسم يزيد بن الفيض في ثلاثة آلاف من أهل الشام وأهل اليمن، فكانت بينهم مناوشة ثم تحاجزوا، فرجع يزيد إلى القاسم، فاستأذنه في بياتهم، فأبى أن يأذن له، فقال يزيد: والله لئن لم تبيتهم ليغمنك، فأبى أن يأذن له، وأقاموا يومين لا يلتقون، فلما كان في الليلة الثالثة أقبل عبد الله بن يحيى، فوافاه مع طلوع الفجر، فقاتلهم الناس على الخندق، فغلبتهم الخوارج عليه، ودخلوا عسكرهم، والقاسم يصلي، فركب، وقاتلهم الصلت بن يوسف، فقتل في المعركة، وقام يأمر الناس يزيد بن الفيض، فقاتلهم، حتى ارتفع النهار، ثم انهزم أهل صنعاء فأراد أبرهة بن الصباح اتباعهم، فمنعه عبد الله بن يحيى، واتبع يزيد بن الفيض القاسم بن عمر، فأخبره الخبر فقال القاسم:

ألا ليت شعري هل أذودن بالقنا ... وبالهندوانيات قبل مماتي

وهل أصبحن الحارثين كليهما ... بطعن وضرب يقطع اللهوات

قال: ودخل عبد الله بن يحيى صنعاء، فأخذ الضحاك بن زمل وإبراهيم بن جبلة بن مخرمة فحبسهما، وجمع الخزائن والأموال، فأحرزها، ثم أرسل الضحاك وإبراهيم، فأرسلهما، وقال لهما: حبستكما خوفاً عليكما من العامة، وليس عليكما مكروه، فأقيما إن شئتما أو اشخصا، فخرجا.

فلما استولى عبد الله بن يحيى على بلاد اليمن خطب الناس، فحمد الله جل وعز وأثنى عليه وصلى على نبيه "، ووعظ، وذكر، وحذر، ثم قال: إنا ندعوكم إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه وإجابة من دعا إليهما: الإسلام ديننا، ومحمد نبينا والكعبة قبلتنا، والقرآن إمامنا، ورضينا بالحلال حلالاً لا نبغي به بديلاً، ولا نشتري به ثمناً قليلاً، وحرمنا الحرام، ونبذناه وراء ظهورنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإلى الله المشتكى، وعليه المعول. من زنى فهو كافر، ومن سرق فهو كافر، ومنش رب الخمر فهو كافر، ومن شك في أنه كافر فهو كافر، ندعوكم إلى فرائض بينات، وآيات محكمات، وآثار مقتدى بها، ونشهد أن الله صادق فيما وعد؛ عدل فيما حكم وندعو إلى توحيد الرب، واليقين بالوعيد والوعد، وأداء الفرائض، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والولاية لأهل ولاية الله، والعداوة لأعداء الله، أيها الناس إن من رحمة الله أن جعل في كل فترة بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون على الألم في جنب الله تعالى، يقتلون على الحق في سالف الدهور شهداء، فما نسيهم

ربهم، " وما كان ربك نسيا ". أوصيكم بتقوى الله، وحسن القيام على ما وكلكم الله بالقيام به، فأبلوا لله بلاء حسناً في أمره وزجره ، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

قالوا: وأقام عبد الله بن يحيى بصنعاء أشهراً، يحسن السيرة فيهم ويلين جانبه لهم ويكف عن الناس، فكثر جمعه، وأتته الشراة من كل جانب، فلما كان وقت الحج وجه أبا حمزة المختار بن عوف، وبلج بن عقبة، وأبرهة بن الصباح إلى مكة في تسعمائة، وقيل: بل في ألف ومائة، وأمره أن يقيم بمكة إذا صدر الناس، ويوجه بلجا إلى الشأم، وأقبل المختار إلى مكة، فقدمها يوم التروية، وعليها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، وأمه بنت عبد الله بن خالد بن أسيد، فكره قتالهم.

وحدثنا من هذا الموضع بخبر أبي حمزة محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا العباس بن عيسى العقيلي ، قال: حدثنا هارون بن موسى العواري، قال: حدثنا موسى بن كثير مولى الساعديين، قال: كان أول أمر أبي حمزة، وهو المختار بن عوف الأزدي ثم السلمي من أهل البصرة أنه كان يوافي في كل سنة يدعو إلى خلاف مروان بن محمد وآل مروان، فلم يزل يختلف كل سنة حتى واف عبد الله بن يحيى في آخر سنة، وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة، فقال له: يا رجل، إني أسمع كلاماً حسناً، وأراك تدعو إلى حق، فانطلق معي، فإني رجل مطاع في قومي، فخرج به، حتى ورد حضر موت، فبايعه أبو حمزة على الخلافة، قال: وقد كان مر أبو حمزة بمعدن بني سليم، وكثير بن عبد الله عامل على المعدن، فسمع بعض كلامه، فأمر به فجلد أربعين سوطاً، فلما ظهر أبو حمزة بمكة تغيب كثير حتى كان من أمره ما كان، ثم رجع إلى موضعه، قال: فلما كان في العام المقبل تمام سنة تسع وعشرين لم يعلم الناس بعرفة إلا وقد طلعت أعلام عمائم سود خرمية في رؤوس الرماح، وهم سبعمائة، هكذا قال: هذا.

وذكر المدائني أنهم كانوا تسعمائة أو ألفاً ومائة، ففزع الناس منهم حين رأوهم، وقالوا لهم: ما لكم؟ وما حالكم؟ فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان والتبري منهم.

فراسلهم عبد الواحد بن سليمان، وهو يومئذ على المدينة ومكة والموسم، ودعاهم إلى الهدنة، فقالوا: نحن بحجنا أضن وعليه أشح، فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون بعضهم من بعض، حتى ينفر الناس النفر الأخير، وأصبحوا من غد، فوقفوا على حدة بعرفة، ودفع عبد الواحد بالناس، فلما كانوا بمنى قالوا لعبد الواحد: إنك قد أخطأت فيهم، ولو حملت عليهم الحج ما كانوا إلا أكلة رأس ، فنزل أبو حمزة بقرن الثعالب من منى، ونزل عبد الواحد منزل السلطان، فبعث عبد الواحد إلى أبي حمزة عبد الله بن حسن بن حسن بن علي، عليهم السلام، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر وعبيد الله بن عمرو بن حفص العمري، وربيعة بن عبد الرحمن ، في رجال من أمثالهم، فلما دنوا من قرن الثعالب لقيتهم مسالح أبي حمزة، فأخذوهم، فدخل بهم على أبي حمزة، فوجدوه جالساً، وعليه إزار قطواني ، قد ربطه الحورة في قفاه، فلما دنوا تقدم إليه عبد الله بن حسن ومحمد بن عبد الله بن عمرو، فنسبهما، فلما انتسبا له عبس في وجهيهما وبسر،

وأظهر الكراهة لهما.

ثم تقدم إليه بعدهما البكري والعمري فنسبهما، فلما انتسبا له هش إليهما، وتبسم في وجوههما، وقال: والله ما خرجنا إلا لنسير بسيرة أبويكما، فقال له عبد الله بن حسن بن حسن: والله ما جئناك لتفاضل بين آبائنا، ولكن بعثنا إليك الأمير برسالة، وهذا ربيعة يخبركما، فلما ذكر ربيعة نقض العهد، قال بلج وإبراهيم - وكانا قائدين له -: الساعة الساعة، فأقبل عليهما أبو حمزة، وقال: معاذ الله أن نقض العهد أو نخيس به، والله لا أفعل ولو قطعت رقبتي هذه، ولكن تنقضي هذه الهدنة بيننا وبينكم. فلما أبى عليهم خرجوا، فأبلغوا عبد الواحد.

فلما كان النفر الأول نفر عبد الواحد، وخلى مكة لأبي حمزة، فدخلها بغير قتال.

قال هارون: وأنشدني يعقوب بن طلحة الليثي أبياتاً هجي بها عبد الواحد لشاعر لم تحفل به:

زار الحجيج عصابة قد خالفوا ... دين الإله ففر عبد الواحد

ترك الإمارة والحلائل هارباً ... ومضى يخبط كالبعير الشارد

لو كان والده تخير أمه ... لصفت خلائقه بعرق الولد

ترك القتال وما به من علة ... ألا الوهون وعرفة من خالد

ثم مضى عبد الواحد حتى دخل المدينة، فدعا بالديوان، وضرب على الناس، وزادهم في العطاء عشرة عشرة.

قال هارون: أخبرني بذلك أبو ضمرة أنس بن عياض أنه كان فيمن اكتتب، قال: ثم محوت اسمي.

قال هارون: وحدثني غير واحد من أصحابنا أن عبد الواحد استعمل عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس، فخرجوا، فلما كانوا بالحرة لقيتهم جزر منحورة، فمضوا فلما كانوا بالعقيق تعلق لواؤهم بسمرة، فانكسر الرمح، وتشاءم الناس بالخروج، ثم ساروا، حتى نزلوا قديداً ، فنزلوها ليلاً؛ وكانت قرية قديد من ناحية القصر والمنبر اليوم، وكانت الحياض هناك، فنزل قوم مغترون ليسوا بأصحاب حرب، فلم يرعهم إلا القوم قد خرجوا عليهم من الفصل، فزعم بعض الناس أن خزاعة دلت أبا حمزة على عورتهم؛ وأدخلوهم عليهم، فقتلوهم، وكانت المقتلة على قريش، وهم كانوا أكثر الناس، وفيهم كانت الشوكة، فأصيب منهم هدد كثير.

قال العباس: قال هارون: فأخبرني بعض أصحابنا: أن رجلاً من قريش نظر إلى رجل من أهل اليمن يقول: الحمد لله الذي أقر عيني بمقتل قريش، فقال له ابنه: الحمد لله الذي أذلهم بأيدينا، فما كانت قريش تظن أن من نزل على عمان من الأزد عربي، قال: وكان هذان الرجلان مع أهل المدينة، فقال القرشي لابنه: يا بني، هلم نبدأ بهذين الرجلين، قال: نعم يا أبت، فحملا عليهما، فقتلاهما، ثم قال لابنه: أي بني تقدم، فقاتلا. حتى قتلا.

وقال المدائني: القرشي عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير، والمتكلم بالكلام مع ابنه رجل من الأنصار. قال: ثم ورد فلال الجيش المدينة، وبكى الناس قتلاهم، فكانت المرأة تقيم على حميمها النواح، فلا تزال المرأة يأتيها الخبر

بمقتل حميمها، فتنصرف، حتى ما يبقى عندها امرأة، فأنشدني أبو حمزة هذه الأبيات في قتلى قديد الذين أصيبوا من قومه لبعض أصحابه :

يا لهف نفسي ولهف غير نافعة على فوارس بالبطحاء أنجاد

عمرو وعمرو وعبد الله بينهما وابناهما خامس والحارث السادي

قال المدائني في خبره: كتب عبد الواحد بن سليمان إلى مروان يعتذر من إخراجه عن مكة، فكتب مروان إلى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز - وهو عامله على المدينة - يأمره بتوجيه الجيش إلى مكة، فوجه ثمانية آلاف رجل من قريش والأنصار والتجار، أغمار لا علم لهم بالحرب، فخرجوا في الصبغات والثياب الناعمة واللهو، لا يظنون أن للخوارج شوكة ولا يشكون أنهم في أيديهم.

وقال رجل من قريش: لو شاء أهل الطائف لكفونا أمر هؤلاء، ولكنهم داهنوا في أمر الله تعالى، والله إن ظفرنا لنسيرن إلى أهل الطائف، فلنسبينهم، ثم قال: من يشتري مني سبي أله الطائف؟ فلما انهزم الناس رجع ذلك الرجل القائل: من يشتري مني سبي أهل الطائف في أول المنهزمين، فدخل مترله، وأراد أن يقول لجاريته: أغلقي الباب، فقال لها: غاق باق دهشاً، و لم تفهم الجارية قوله، حتى أومأ إليها بيده، فأغلقت الباب، فلقبه أهل المدينة بعد ذلك " غاق باق ".

قال: وكان عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز يعرض الجيش بذي الحليفة، فمر به أمية بن عنبسة بن سعيد بن العاص، فرحب به، وضحك إليه، ومر به عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير، فلم يكلمه، و لم يلتفت إليه، فقال له عمران بن عبد الله بن مطيع - وكان ابن خالته، أماهما ابنتا عبد الله بن خالد بن أسيد -: سبحان الله! مر بك شيخ من شيوخ قريش، فلم تنظر إليه، و لم تكلمه، ومر بك غلام من بني أمية، فضحكت إليه ولاطفته! أما والله لو قد التقى الجمعان لعلمت أيهما أصبر؟ قال: فكان أمية بن عنبسة أول من انهزم، ونكب فرسه ومضى، وقال لغلامه: يا مجيب، أما والله لئن أحرزت نفسي هذه الأكلب من الشراة إني لعاجز. وقاتل يومئذ عمارة بن حمزة بن مصعب، حتى قتل، وتمثل:

وإني إذا ضن الأمير بإذنه على الأذن من نفسي إذا شئت قادر

والشعر للأغر بن حماد اليشكري.

قال: ولما بلغ أبا حمزة إقبال أهل المدينة إليه استخلف على مكة إبراهيم بن الصباح، وشخص إليهم، وعلى مقدمته بلج بن عقبة، فلما كان في الليلة التي وافاهم في صبيحتها - وأهل المدينة نزول بقديد - قال لأصحابه: إنكم لاقو قومكم غداً، وأميرهم - فيما بلغني- ابن عثمان أول من خالف سيرة الخلفاء، وبدل سنة رسول الله - " - وقد وضح الصبح لذي عينين، فأكثروا ذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن، ووطنوا أنفسكم على الصبر. وصبحهم غداة الخميس لتسع أو لسبع خلون من صفر سنة ثلاثين ومائة، فقال عبد العزيز لغلامه: أبغنا علفاً

قال: هو غال، قال: ويحك! البواكي علينا غداً أغلى.
وأرسل إليهم أبو حمزة بلج بن عقبة، ليدعوهم، فأتاهم في ثلاثين راكباً، فذكرهم الله؛ وسألهم أن يكفوا عنهم؛ وقال لهم: خلوا لنا سبيلنا؛ لنسير إلى من ظلمكم؛ وجار في الحكم عليكم؛ ولا تجعلوا حدنا بكم؛ فإنا لا نريد قتالكم؛ فشتمهم أهل المدينة، وقالوا: يا أعداد الله، أنحن نخلكم وندعكم تفسدون في الأرض! فقالت الخوارج: يا أعداد الله، نحن نفسد في الأرض! إنما خرجنا لنكف أهل الفساد، ونقاتل من قاتلنا واستأثر بالفيء فانظروا لأنفسكم، واخلعوا من لم يجعل الله له طاعة، فإنه لا طاعة لمن عصى الله، وادخلوا في السلم، وعاونوا أهل الحق، فقال له عبد العزيز: ما تقول في عثمان؟ قال: قد برئ المسلمون منه قبلي، وأنا متبع آثارهم، ومقتد بهم، قال: فارجع إلى أصحابك، فليس بيننا وبينهم إلا السيف.
فرجع إلى أبي حمزة، فأخبره، فقال: كفوا عنهم، ولا تقاتلوهم. حتى يبدءوكم القتال، فواقفوهم، و لم يقاتلوهم. فرمى رجل من أهل المدينة في عسكر أبي حمزة بسهم، فجرح رجلاً، فقال أبو حمزة: شأنكم الآن بهم، فقد حل قتالهم: فحملوا عليهم، وثبت بعضهم لبعض، وراوية قريش مع إبراهيم بن عبد الله بن مطيع.

ثم انكشف أهل المدينة، فلم يتبعوهم، وكان على مجنبتهم ضمير بن صخر بن أبي الجهم بن حذيفة، فكر وكر الناس معه، فقاتلوا قليلاً، ثم انهزموا، فلم يبعدوا. حتى كروا ثالثة، وقاتلهم أبو حمزة، فهزمهم هزيمة لم تبق منهم باقية، فقال له علي بن الحصين: أتبع القوم، أو دعني أتبعهم، فأقبل المدبر، وأذفف على الجريح، فإن هؤلاء أشر علينا من أهل الشام، فلو قد جاءوك غداً لرأيت من هؤلاء ما تكره، فقال: لا أفعل، ولا أخالف سيرة أسلافنا. وأخذ جماعة منهم أسراء، فأراد إطلاقهم، فمنعه علي بن الحصين، وقال له: إن لأهل كل زمان سيرة، وهؤلاء لم يؤسروا وهم هراب، وإنما أسروا وهم يقاتلون، ولو قتلوا في ذلك الوقت لم يحرم قتلهم، وكذلك الآن قتلهم حلال، فدعا بهم، فكان إذا رأى رجلاً من قريش قتله، وإذا رأى رجلاً من الأنصار أطلقه، فأتي بمحمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان، فنسبه. فقال: أنا رجل من الأنصار، فسأل الأنصار عنه، فشهدوا له، فأطلقه، فلما ولي قال: والله إني لأعلم أنه قرشي وما حذاوه هذا حذاوة أنصاري، ولكن قد أطلقته. قال: وبلغت قتلى قديد ألفين ومائتين وثلاثين رجلاً، منهم من قريش أربعمائة وخمسون رجلاً، ومن الأنصار ثمانون، ومن القبائل والموالي ألف وسبعمائة، قال: وكان في قتلى قريش من بني أسد بن عبد العزى أربعون رجلاً، وقتل يومئذ أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وخرج يومئذ مقنعاً، فما كلم أحداً، وقاتل حتى قتل، وقتل يومئذ سمي مولى أبي بكر الذي يروي عنه مالك بن أنس، ودخل بلج المدينة بغير حرب، فدخلوا في طاعته، وكف عنهم، ورجع أبو حمزة إلى مكة، وكان على شرطته أبو بكر بن عبد الله بن عمرو من آل سراقة من بني عدي، فكان أهل المدينة يقولون: لعن الله السراقي ولعن بلجاً العراقي.
وقالت نائحة أهل المدينة تبكيهم:

ما للزمان وماليه أفنت قديد رجاليه

فلأبكين سريرة ولأبكين علانيه

ولأبكين إذا خلو ت مع الكلاب العاويه

ولأثنين على قدي د بسوء ما أبلانيه

في هذه الأبيات هزج قديم يشبه أن يكون لطويس أو بعض طبقته.

وقال عمرو بن الحسن الكوفي مولى بني تميم يذكر وقعة قديد وأمر مكة دخولهم إياها، وأنشدنيها الأخفش عن السكري والأحول وثعلب لعمر وهذا، وكان يستجيدها ويفضلها:

ما بال همك ليس عنك بعازب يمري سوابق دمعك المتساكب

وتبيت تكتلئ النجوم بمقلة عبري تسر بكل نجم دائب

حذر المنية أن تجيء بداهةً لم أقض من تبع الشراة مآربي

فأقود فيهم للعدا شنج النسا عبل الشوى أسوان ضمر الحالب

متحدراً كالسيد أخلص لونه ماء الحسيك مع الحلال اللاتب

أرمي به من جمع قومي معشراً بوراً إلى جبرية ومعايب

في فتية صبر ألأفهم به لف القداح يد المفيض الضارب

فندور نحن وهم وفيما بيننا كأس المنون تقول: هل من شارب؟

فنظل نسقيهم ونشرب من قناً سمر ومرهفة النصول قواضب

بيننا كذلك نحن جالت طعنة نجلاء بين رها وبين ترائب

جوفاء منهرة ترى تامورها ظبتا سنان كالشهاب الثاقب

أهوي لها شق الشمال كأنني خفض لقى تحت العجاج العاصب

يا رب أوحيها ولا تتعلقن نفسي المنون لدى أكف قرائب

كم من أولى مقة صحبتهم شروا فخذلتهم ولبئس فعل الصاحب

متأوهين كأن في أجوافهم ناراً تسعرها أكف حواطب

تلقاهم فتراهم من راكع أو ساجد متضرع أو ناحب

يتلو قوارع تمتري عبراته فيجودها مري المري الحالب

سير الجائفة الامور أطبة ... للصدع ذي النبأ الجليل مدائب
ومبرئين من المعايب أحرزوا ... خصل المكارم أتقياء أطايب
عروا صوارم للجلاد وباشروا ... حد الظباة بآنف وحواجب

ناطوا أمورهم بأمر أخ لهم ... فرمى بهم قحم الطريق اللاحب
متربلي حلق الحديد كأنهم ... أشد على لحق البطون سلاهب
قيدت من أعلى حضر موت فلم تزل ... تنفي عداها جانباً عن جانب
تحمي أعنته وتحوي نهبها ... لله أكرم فتية وأسائب
حتى وردن حياض مكة قطنا ... يحكين واردة اليمام القارب
ما إن أتين على أحي حبرية ... إلا تركنهم كأمر الذاهب
في كل معترك لها من هامهم ... فلق وأيد علقت بمناكب
سائل بيوم قديد عن وقعاتها ... تخبرك عن وقعاتها بعجائب

وقال هارون بن موسى في رواية محمد بن جرير الطبري عن العباس بن عيسى عنه: ثم دخل أبو حمزة المدينة سنة ثلاثين ومائة، ومضى عبد الواحد بن سليمان إلى الشأم، فرقي المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه. وقال: يا أهل المدينة، سألناكم عن ولاتكم هؤلاء، فأسأتم - لعمر الله - فيهم القول، وسألناكم: هل يقتلون بالظن؟ فقلتم: نعم، وسألناكم: هل يستحلون المال الحرام والفرج الحرام؟ فقلتم: نعم، فقلنا لكم: تعالوا نحن وأنتم، فنناشدهم الله أن يتنحوا عنا وعنكم، ليختار المسلمون لأنفسهم؛ فقلتم: لا تفعلون، فقلنا لكم: تعالوا نحن وأنتم نلقاهم، فإن نظهر نحن وأنتم نأت بمن يقيم فينا كتاب الله وسنة نبيه، وإن نظفر نعمل في أحكامكم، وتحملكم على سنة نبيكم، ونقسم فيئكم بينكم، فإن أبيتم ، وقاتلتمونا دونهم، فقاتلناكم، فأبعدكم الله، وأسحقكم يا أهل المدينة، مررت بكم في زمن الأحول هشام بن عبد الملك، وقد أصابتكم عاهة في ثماركم فركبتم إليه تسألونه أن يضع خراجكم عنكم، فكتب بوضعها عنكم، فزاد الغني غنى، وزاد الفقير فقراً، فقلتم: جراكم لله خيراً، فلا جراه الله خيراً، ولا جزاكم.

قال هارون: وأخبرني يحيى بن زكريا: أن أبا حمزة خطب بهذه الخطبة: رقي المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: أتعلمون يا أهل المدينة، أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا شراً ولا بطراً ولا عبثاً ولا لهواً، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه، ولا ثأر قديم نيل منا، ولكنا لما رأينا مصابيح الحق قد عطلت، وعنف القائل بالحق، وقتل القائم

بالقسط، ضاقت علينا الأرض بما رحبت، وسمعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمن حكم القرآن، فأجبنا داعي الله " ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض " فأقبلنا من قبائل شتى، النفر منا على بعير واحد، عليه زادهم وأنفسهم، يتعاورون لحافاً واحداً، قليلون مستضعفون في الأرض، فآوانا الله، وأيدنا بنصره، وأصبحنا - والله - بنعمته إخواناً، ثم لقينا رجالكم بقديد، فدعوناهم إلى طاعة الرحمن، وحكم القرآن ودعونا إلى طاعة الشيطان، وحكم مروان، وآل مروان، شتان - لعمر الله - ما بين الغي والرشد، ثم أقبلوا يهرعون، ويزفون، قد ضرب الشيطان فيهم بجرانه، وغلت بدمائهم مراجله، وصدق عليهم ظنه، وأقبل أنصار الله عصائب وكتائب بكل مهند ذي رونق، فدارت رحانا واستدارت رحاهم، بضرب يرتاب منه المبطلون. وأنتم يا أهل المدينة، إن تنصروا مروان وآل مروان يسحتكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ويشف صدور قوم مؤمنين، يا أهل المدينة: إن أولكم خير أول، وآخركم شر آخر، يا أهل المدينة، الناس منا ونحن منهم إلا مشركاً عابد وثن، أو كافراً من أهل الكتاب، أو إماماً جائراً، يا أهل المدينة، من زعم أن الله تعالى كلف نفساً فوق طاقتها، أو سألها عما لم يؤتها فهو لله عدو، ولنا حرب. يا أهل المدينة، أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله تعالى في كتابه على القوي للضعيف فجاء التاسع، وليس له منها ولا سهم واحد، فأخذ جميعها نفسه مكابراً محارباً لربه، ما تقولون فيه وفيمن عاونه على فعله؟ يا أهل المدينة، بلغني أنكم تنتقصون أصحابي، قلتم: هم شباب أحداث، وأعراب جفاة، ويحكم يا أهل المدينة! وهل كان أصحاب رسول الله "، إلا شباباً أحداثاً! شباب والله مكتهلون في شبابهم، غضيضة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أقدامهم، قد باعوا نفساً تموت غداً بأنفس لا تموت أبداً، قد خلطوا كلالهم بكلالهم، وقيام ليلهم بصيام نهارهم، منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفاً من النار؛ وإذا مروا بآية شوق شهقوا شوقاً إلى الجنة، فلما نظروا إلى السيوف قد أنضيت؛ وإلى الرماح قد أشرعت وإلى السهام قد فوقت؛ وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت استخفوا وعيد الكتيبة عند وعيد الله، و لم يستخفوا وعيد الله عند وعيد الكتيبة؛ فطوبى لهم وحسن مآب! فكم من عين في منقار طائر طالما بكى صاحبها من خشية الله، وكم من يد قد أبينت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راكعاً ساجداً. أقول قولي هذا، وأستغفر الله من تقصيرنا، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

قال هارون: وحدثني جدي أبو علقمة، قال: سمعت أبا حمزة على منبر النبي " يقول: " من زنى فهو كافر "، ومن سرق فهو كافر، ومن شك أنه كافر فهو كافر:

برح الخفاء فأين ما بك يذهب

قال هارون: قال جدي: كان أبو حمزة قد أحسن السيرة في أهل المدينة، حتى استمال الناس، وسمع بعضهم كلامه في قوله: من زنى فهو كافر، قال هارون: قال جدي:

وسمعت أبا حمزة يخطب بالمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل المدينة؛ ما لي رأيت رسم الدين فيكم عافياً ، وآثاره دارسة! لا تقبلون عليه عظة، ولا تفقهون من أهله حجة، قد بليت فيكم جدته، وانطمست عنكم

سنته، ترون معروفه منكراً، والمنكر من غير معروفاً، إذا انكشفت لكم العبر، وأوضحت لكم النذر، عميت عنها أبصاركم، وصمت عنها أسماعكم، ساهين في غمرة، لاهين في غفلة، تنبسط قلوبكم للباطل إذا نشر، وتنقبض إن الحق إذا ذكر، مستوحشة من العلم، مستأنسة بالجهل، كلما وقعت عليها موعظة زادتها عن الحق نفوراً، تحملون منها في صدوركم كالحجارة أو أشد قسوة من الحجارة، أو لم تلن لكتاب الله الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله! يا أهل المدينة، ما تغني عنكم صحة أبدانكم إذا سقمت قلوبكم إن الله قد جعل لكل شيء غالباً يقاد له، ويطيع أمره، وجعل القلوب غالبة على الأبدان، فإذا مالت القلوب ميلاً كانت الأبدان لها تبعاً، وإن القلوب لا تلين لأهلها إلا بصحتها، ولا يصححها إلا المعرفة بالله، وقوة النية، ونفاذ البصيرة، ولو استشعرت تقوى الله قلوبكم لاستعملت بطاعة الله أبدانكم. يا أهل المدينة، داركم دار الهجرة، ومثوى رسول الله "، لما نبت به داره، وضاق به قراره، وآذاه الأعداء، وتجهمت له، فنقله إلى قوم - لعمري لم يكونوا أمثالكم - متوازرين مع الحق على الباطل، ومختارين للآجل على العاجل، يصبرون للضراء رجاء ثوابها، فنصروا الله، وجاهدوا في سبيله، وآووا رسول الله "، ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، وآثروا الله على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة، قال الله تعالى لهم ولأمثالهم ولمن اهتدى بهداهم: " من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون "وأنتم أبناؤهم، ومن بقي من خلفهم، تتركون أن تقتدوا بهم، أو تأخذوا بسنتهم، عمي القلوب، صم الآذان، اتبعتم الهوى، فأرداكم عن الهدى وأسهاكم، فلا مواعظ القرآن تزجركم فتزدجروا، ولا تعظكم فتعتبروا، ولا توقظكم فتستيقظوا، لبئس الخلف أنتم من قوم مضوا قبلكم، ما سرتم بسيرتهم، ولا حفظتم وصيتهم، ولا احتذيتم مثالهم، لو شقت عنم قبورهم، فعرضت عليهم أعمالكم لعجبوا كيف صرف العذاب عنكم. قال: ثم لعن أقواماً.

قال هارون: وحدثني داود بن عبد الله بن أبي الكرام، وأخرج إلي خط بن فضالة النحوي بهذا الخبر:

أنا أبا حمزة بلغه أن أهل المدينة يعيبون أصحابه لحداثة أسنانهم، وخفة أحلامهم، فبلغه ذلك عنهم؛ فصعد المنبر؛ وعليه كساء غليظ؛ وهو متنكب قوساً عربية فحمد الله، وأثنى عليه وصلى على نبيه " وآله، ثم قال: يا أهل المدينة، قد بلغتني مقالتكم في أصحابي، ولولا معرفتي بضعف رأيكم وقلة عقولكم لأحسنت أدبكم، ويحكم إن رسول الله "أنزل عليه الكتاب، وبين له فيه السنن، وشرع له فيه الشرائع، وبين له فيه ما يأتي وما يذر، فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله، ولا يحجم إلا عن أمر الله، حتى قبضه الله إليه - " - وقد أدى الذي عليه، لم يدعكم من أمركم في شبهة، ثم قام من بعده أبو بكر؛ فأخذ بسنته، وقاتل أهل الردة؛ وشمر في أمر الله؛ حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضون، رحمة الله عليه ومغفرته؛ ثم ولي بعده عمر؛ فأخذ بسنة صاحبيه، وجند الأجناد؛ ومصر الأمصار؛ وجبي الفيء؛ فقسمه بين أهله؛ فقسمه بين أهله؛ وشمر عن ساقه، وحسر عن ذراعه، وضرب في الخمر ثمانين، وقام في شهر رمضان، وغزا العدو في بلادهم؛ وفتح المدائن والحصون؛ حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضون، رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرته، ثم ولي من بعده عثمان بن عفان فعمل في ست سنين بسنة صاحبيه؛

ثم أحدث أحداثاً أبطل آخر منها أولاً، واضطرب حبل الدين بعدها، فطلبها كل امرىء لنفسه، وأسر كل رجل منهم سريرة أبداها الله عنه؛ حتى مضوا على ذلك، ثم ولي علي بن أبي طالب، فلم يبلغ من الحق قصداً؛ و لم يرفع له مناراً ومضى؛ ثم ولي معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله " وابن لعينه، وحلف من الأعراب، وبقية من الأحزاب، مؤلف طليق، فسفك الدم الحرام، واتخذ عباد الله حولاً، ومال الله دولاً، وبغى دينه عوجاً ودغلاً ، وأحل الفرج الحرام، وعمل بما يشتهيه؛ حتى مضى لسبيله، فعل الله به وفعل، ثم ولى بعده ابنه يزيد: يزيد الخمور، ويزيد الصقور، ويزيد الفهود، ويزيد الصيود، ويزيد القرود، فخالف القرآن، واتبع الكهان، ونادم القرد، وعمل بما يشتهيه حتى مضى على ذلك لعنه الله، وفعل به وفعل، ثم ولي مروان بن الحكم طريد لعين رسول الله - " وآله - وابن لعينه؛ فاسق في بطنه وفرجه، فالعنوه والعنوا آباءه. ثم تداولها بنو مروان بعده؛ أهل بيت اللعنة، طرداء رسول الله - " وآله - وقوم من الطلقاء ليسوا من المهاجرين والأنصار ولا التابعين لهم بإحسان، فأكلوا مال الله أكلاً، ولعبوا بدين الله لعباً، واتخذوا عباد الله عبيداً، يورث ذلك الأكبر منهم الأصغر. فيا لها أمة، ما أضيعها وأضعفها والحمد لله رب العالمين، ثم مضوا على ذلك من أعمالهم واستخفافهم بكتاب الله تعالى؛ قد نبذوه وراء ظهورهم، لعنهم الله؛ فالعنوهم كما يستحقون؛ وقد ولي منهم عمر بن عبد العزيز؛ بلغ؛ و لم يكد؛ وعجز عن الذي أظهره، حتى مضى لسبيله - و لم يذكر بخير ولا شر - ثم ولي يزيد بن عبد الملك، غلام ضعيف سفيه غير مأمون على شيء من أمور المسلمين، لم يبلغ أشده، و لم يؤانس رشده، وقد قال الله عز وجل: " فإن آنستم منهم رشاً فادفعوا إليهم أموالهم " فأمر أمة محمد في أحكامها وفروجها ودمائهم أعظم من ذلك كله، وإن كان ذلك عند الله عظيماً، مأبون في بطنه وفرجه، يشرب الحرام، ويأكل الحرام، ويلبس الحرام، ويلبس بردتين قد حيكتا له، وقومتا على أهلهما بألف دينار وأكثر وأقل، قد أخذت من غير حلها وصرفت في غير وجهها، بعد أن ضربت فيها الأبشار ، وحلقت فيها الأشعار، واستحل ما لم يحل الله لعبد صالح، ولا لنبي مرسل، ثم يجلس حبابة عن يمينه، وسلامة عن شماله تعنيانه بمزامير الشيطان، ويشرب الخمر الصراح المحرمة نصاً بعينها، حتى إذا أخذت مأخذها فيه، وخالطت روحه ولحمه ودمه، وغلبت سورتها على عقله مزق حلتيه ، ثم التفت إليهما فقال: أتأذنان لي أن أطير؟ نعم، فطر إلى النار، إلى لعنة الله وناره حيث لا يردك الله.

ثم ذكر بني أمية وأعمالهم وسيرهم فقال: أصابوا امرأة ضائعة وقوماً طغاماً جهالاً، لا يقومون لله بحق، ولا يفرقون بين الضلالة والهدى، ويرون أن بني أمية أرباب لهم، فملكوا الأمر، وتسلطوا فيه تسلط ربوبية، بطشهم بطش الجبابرة، يحكمون بالهوى، ويقتلون على الغضب، ويأخذون بالظن، ويعطلون الحدود بالشفاعات، ويؤمنون الخونة ويقصون ذوي الأمانة، ويأخذون الصدقة في غير وقتها على غير فرضها، ويضعونها في غير موضعها، فتلك الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله، فالعنوهم، لعنهم الله! وأما إخواننا من هذه الشيعة فليسوا بإخواننا في الدين، لكن سمعت الله عز وجل قال في كتابه: " يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم

شعوباً وقبائل لتعارفوا " شيعة ظاهرت بكتاب الله، وأعلنت الفرية على الله لا يرجعون إلى نظر نافذ في القرآن، ولا عقل بالغ في الفقه، ولا تفتيش عن حقيقة الصواب، قد قلدوا أمرهم أهواءهم، وجعلوا دينهم عصبية لحزب لزموه، وأطاعوه في جميع ما يقوله لهم، غياً كان أو رشداً، أو ضلالةً أو هدىً، ينتظرون الدول في رجعة الموتى، ويؤمنون بالبعث قبل الساعة، ويدعون علم الغيب لمخلوق ، لا يعلم أحدهم ما في داخل بيته، بل لا يعلم ما ينطوي عليه ثوبه أو يحويه جسمه، ينقمون المعاصي على أهلها، ويعلمون إذا ظهروا بها، ولا يعرفون المخرج منها، جفاة في الدين، قليلة عقولهم، قد قلدوا أهل بيت من العرب دينهم، وزعموا أن موالاتهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة، وتنجيهم من عقاب الأعمال السيئة " قاتلهم الله أنى يؤفكون " فأي هؤلاء الفرق يا أهل المدينة تتبعون؟ أو بأي مذاهبهم تقتدون؟ وقد بلغني مقالتكم في أصحابي، وما عبتموه من حداثة أسنانهم، ويحكم! وهل كان أصحاب رسول الله - " وآله - المذكورون في الخير إلا أحداثاً شباباً؟ شباب والله مكتهلون في شبابهم، غضيضة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، أنضاء عبادة قد نظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الله بكى شوقاً، وكلما مر بآية من ذكر الله شهق خوفاً، كأن زفير جهنم بين أذنيه، قد أكلت الأرض جباههم وركبهم، ووصولا كلال الليل بكلال النهار مصفرة ألوانهم، ناحلة أجسامهم من طول القيام وكثرة الصيام، أنضاء عبادة، موفون لعهد الله، منتجزون لوعد الله، قد شروا أنفسهم، حتى إذا التقت الكتيبتان وأبرقت سيوفها وفوقت سهامها، وأشرعت رماحها لقوا شبا الأسنة، وشائك السهام، وظباة السيوف بنحورهم ووجوههم وصدورهم، فمضى الشاب منهم قدماً حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه، واختضبت محاسن وجهه بالدماء، وعفر جبينه بالثرى، وانحطت عليه الطير من السماء، وتمزقته سباع الأرض، فكم من عين في منقار طائر، طالما بكى بها صاحبها في جوف الليل من خوف الله! وكم من وجه رقيق وجبين عتيق قد فلق بعمد الحديد. ثم بكى وقال: آه آه على فراق الإخوان! رحمة الله على تلك الأبدان، وأدخل الله أرواحهم الجنان.

قال هارون: بلغني أنه بايعه بالمدينة ناس منهم إنسان هذلي، وإنسان سراقي وسكسب الذي كان معلم النحو، ثم خرج، وخلف بالمدينة بعض أصحابه، فسار حتى نزل الوادي، وكان مروان قد بعث ابن عطية.

قال هارون: حدثني أبو يحيى الزهري أن مروان انتخب من عسكره أربعة آلاف استعمل عليهم ابن عطية، فأمره بالجد في السير، وأعطى كل رجل من أصحابه مائة دينار، وفرساً عربياً، وبغلاً لثقله، وأمره أن يمضي، فيقاتلهم.

وقال المدائني: بعث عبد الملك بن عطية السعدي، أحد بني سعد بن بكر في أربعة آلاف، معه فرسان من أهل الشأم ووجوههم، منهم شعيب البارقي، ورومي بن عامر المري، وقيل: بل هو كلابي، وفيهم ألف من أهل الجزيرة، وشرطوا على مروان أنهم إذا قتلوا عبد الله بن يحيى وأصحابه، و لم يقيموا بالحجاز، فأجابهم إلى ذلك؛ قالوا: فخرج؛ حتى إذا نزل بالمعلى. فكان رجل من أهل المدينة يقال له: العلاء بن أفلح مولى أبي الغيث يقول: لقيني وأنا غلام في ذلك اليوم رجل من أصحاب ابن عطية؛ فسألني: ما اسمك يا غلام؟ فقلت: العلاء، فقال: ابن

من؟ فقلت: ابن أفلح، قال: أعرابي أم مولى؟ قلت: بل مولى، قال: مولى من؟ قلت: مولى أبي الغيث، قال: فأين نحن؟ قلت: بالمعلى، قال: فأين نحن غداً؟ قلت: بغالب، قال: فما كلمني، حتى أردفني خلفه، ثم مضى بي، حتى أدخلني على ابن عطية، فقال: سل هذا الغلام: ما اسمه؟ فسألني، فرددت عليه القول الذي قلت، فسر بذلك؛ ووهب لي دراهم.

وقال أبو صخر الهذلي حين بلغه قدوم ابن عطية:

قل للذين استضعفوا لا تعجلوا ... أتاكم النصر وجيش جحفل

عشرون ألفاً كلهم مسربل ... يقدمهم جلد القوى مستبسل

دونكم ذا يمن فأقبلوا ... وواجهوا القوم ولا تستخجلوا

عبد المليك القلبي الحول ... أقسم لا يفلى ولا يرجل

حتى يبيد الأعور المضلل ... ويقتل الصباح والمفضل

الأعور عبد الله بن يحيى رئيسهم.

قال المدائني عن رجاله: وبعث أبو حمزة بلج بن عقبة في ستمائة رجل ليقاتل عبد الملك بن عطية، فلقيه بوادي القرى لأيام خلت من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة فتواقفوا، ودعاهم بلج إلى الكتاب والسنة، وذكر بني أمية وظلمهم، فشتمهم أهل الشام، وقالوا: أنتم يا أعداء الله أحق بهذا ممن ذكرتم وقلتم، فحمل عليهم بلج وأصحابه، فانكشف طائفة من أهل الشام، وثبت ابن عطية في عصبة صبروا معه، ونادى يا أهل الشام يا أهل الحفاظ ناضلوا عن دينكم وأميركم، فكروا، وثبروا صبراً حسناً، وقاتلوا قتالاً شديداً، فقتل بلج وأكثر أصحابه، وانحازت قطعة من أصحابه نحو المائة إلى جبل اعتصموا به، فقاتلهم ابن عطية ثلاثة أيام فقتل منهم سبعين رجلاً ونجا ثلاثون، فرجعوا إلى أبي حمزة، ونصب ابن عطية رأس بلج على رمح، قال: واغتم الذين رجعوا إلى أبي حمزة من وادي القرى إلى المدينة، وهم الثلاثون، ورجعوا وجزعوا من انهزامهم، وقالوا: ما فررنا من الزحف، فقال لهم أبو حمزة: لا تجزعوا، فأنا لكم فئة وإلي انصرفتم.

قال المدائني: وخرج أبو حمزة من المدينة إلى مكة، واستخلف رجلاً يقال له: المفضل عليها، فدعا عمر بن عبد الرحمن بن أسيد بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطاب الناس إلى قتالهم، فلم يجد كبير أمر؛ لأن القتل قد كان شاع في الناس، وخرج وجوه أهل البلد عنه؛ فاجتمع إلى عمر البربر والزنج وأهل السوق والعبيد، فقاتل بهم الشراة، فقتل المفضل وعامة أصحابه؛ وهرب الباقون؛ فلم يبق في المدينة منهم أحد؛ فقال في ذلك سهيل أبو البيضاء مولى زينب بنت الحكم بن العاصي:

ليت مروان رآنا ... يوم الاثنين عشية

إذ غسلنا العار عنا ... وانتضينا المشرفية

قال: فلما قدم ابن عطية المدينة أتاه عمر بن عبد الرحمن بن أسيد؛ فقال له: أصلحك الله! إني جمعت قضي وقضيضي ؛ فقاتلت هؤلاء؛ فقتلنا من امتنع من الخروج عن المدينة وأخرجنا الباقين، فلقيه أهل المدينة بقضهم وقضيضهم.

قال: وأقام ابن عطية بالمدينة شهراً؛ وأبو حمزة مقيم بمكة؛ ثم توجه إليه فقال له علي بن حصين العنبري: إني قد كنت أشرت عليك يوم قديد وقبله أن تقتل هؤلاء الأسرى كلهم، فلم تفعل، وعرفتك أنهم سيغدرون فلم تقبل؛ حتى قتلوا المفضل وأصحابنا المقيمين بالمدينة؛ وأنا أشير عليك اليوم أن تضع السيف في هؤلاء؛ فإنهم كفرة فجرة؛ ولو قدم عليك ابن عطية لكانوا أشد عليك منه؛ فقال: لا أرى ذلك؛ لأنهم قد دخلوا في الطاعة؛ وأقروا بالحكم؛ ووجب لهم حق الولاية؛ قال: إنهم سيغدرون؛ فقال: أبعدهم الله، " فمن نكث فإنما ينكث على نفسه " . قال: وقدم عبد الملك بن عطية مكة، فصير أصحابه فرقتين، ولقي الخوارج من وجهين؛ فصير طائفة بالأبطح؛ وصار هو في الطائفة الأخرى بإزاء أبي حمزة؛ فصار أبو حمزة أسفل مكة؛ وصير أبرهة بن الصباح بالأبطح في ثمانين فارساً، فقاتلهم أبرهة؛ فانهزم أهل الشأم إلى عقبة مني؛ فوقفوا عليها؛ ثم كروا؛ وقاتلهم؛ فقتل أبرهة: كمن له هبار القرشي؛ وهو على جبل دمشق عند بئر ميمون؛ فقتله؛ وتفرق الخوارج؛ وتبعهم أهل الشأم يقتلونهم؛ حتى دخلوا المسجد، والتقى أبو حمزة وابن عطية بأسفل مكة؛ فخرج أهل مكة مع ابن عطية؛ فقتل أبو حمزة على فم الشعب وقتلت معه امرأته؛ وهي ترتجز وتقول:

أنا الجعيداء وبنت الأعلم من سأل عن اسمي فاسمي مريم

بعث سوري بسيف مخدم

قال: وتفرقت الخوارج فأسر أهل الشام منهم أربعمائة؛ فدعا بهم ابن عطية؛ فقال: ويلكم! ما دعاكم إلى الخروج مع هذا؟ قالوا: ضمن لنا الكنة: يريدون الجنة، وهي لغتهم، فقتلهم، وصلب أبا حمزة وأبرهة بن الصباح ورجلين من أصحابهم على فم الشعب؛ شعب الخيف، ودخل علي بن الحصين داراً من دور قريش، فأحدق أهل الشام بالدار فأحرقوها، فلما رأى ذلك رمى بنفسه من الدار، فقاتلهم وأسر فقتل، وصلب مع أبي حمزة، و لم يزالوا مصلبين حتى أفضى الأمر إلى بني العباس، وحج مهلهل الهجيمي في خلافة أبي العباس، فأنزل أبا حمزة ليلاً، فدفنه، ودفن خشبته.

قال المدائني: وكان بمكة مخنثان، يقال لأحدهما: سبكت، وللآخر: صقرة ، فكان صقرة يرجف بأهل الشام، وكان سبكت يرجف بالإباضية، فعرف الخوارج أمرهما، فوجهوا إلى سبكت، فأخذوه فقتلوه، فقال صقرة: يا ويله هو والله أيضاً مقتول، وإنما كنت أنا وسبكت نتكايد ونتكاذب، فقتلوه، وغداً يجيء أهل الشام، فيقتلونني، فلما دخل ابن عطية مكة عرف خبرهما، فأخذ صقرة، فقتله.

وقال هارون في خبره: أخبرني عبد الملك بن الماجشون، قال: لما التقى أبو حمزة وابن عطية قال أبو حمزة: لا

تقاتلوهم حتى تختبروهم فصاح بهم: ما تقولون في القرآن والعمل به؟ فصاح ابن عطية: نضمه في جوف الجوالق ، قال: فما تقولون في مال اليتيم؟ قال: نأكل ماله؛ ونفجر بأمه، ثم أجاب في أشياء بلغني أنه سأل عنها؛ فلما سمعوا كلامهم قاتلوهم؛ حتى أمسوا؛ فصاحت الشراة: ويحك؛ يا بن عطية! إن الله - جل وعز - قد جعل الليل سكناً؛ فاسكن ونسكن؛ فأبى وقاتلهم؛ حتى قتلهم جميعاً.

قال هارون: أخبرني موسى بن كثير أن أبا حمزة خطب أهل المدينة؛ وودعهم؛ ليخرج إلى الحرب؛ فقال: يا أهل المدينة؛ إنا خارجون لحرب مروان؛ فإن نظهر نعدل في أحكامكم؛ ونحملكم على سنة نبيكم، ونقسم بينكم، وإن يكن ما تمنون لنا فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، قال: ووثب الناس على أصحابه حين جاءهم قتله، فقتلوهم، فكان بشكست ممن قتلوا، طلبوه فرقي في درجة كانت في دار أذينة، فلحقوه فأنزلوه منها، وهو يصيح: يا عباد الله، فيم تقتلونني؟ قال: وأنشدني بعض أصحابنا:

لقد كان بشكست عبد العزيز ... من أهل القراءة والمسجد

فبعداً لبشكست عبد العزيز ... وأما القران فلا يبعد

قال هارون: وأخبرني بعض أصحابنا أنه رأى رجلاً واقفاً على سطح يرمي بالحجارة فقيل: ويلك! أتدري من ترمي مع اختلاط الناس؟ قال: والله ما أبالي من رميت؟ إنما هو شام وشار، والله ما أبالي أيهما قتلت!

وقال المدائني: لما قتل ابن عطية أبا حمزة بعث برأسه مع عروة بن زيد بن عطية إلى مروان، وخرج إلى الطائف، فأقام بها شهرين، وتزوج بنت محمد بن عبد الله بن أبي سويد الثقفي؛ واستعمل على مكة رومي بن عامر المري، وأتي فل أبي حمزة إلى عبد الله بن يحيى بصنعاء. فأقبل معه أصحابه. - وقد لقبوه طالب الحق - يريد قتال ابن عطية، وبلغ ابن عطية خبره، فشخص إليه، فالتقوا بكسة ، فأكثر أهل الشام القتل فيهم، وأخذوا أثقالهم وأموالهم، وتشاغلوا بالنهب، فركب عبد الله بن يحيى فكشفهم، فقتل منهم نحو مائة رجل، وقتل قائد من قوادهم يقال له: يزيد بن حمل القشيري من أهل قنسرين، فدمرهم ابن عطية، فكروا، وانضم بعضهم إلى بعض. وقاتلوا حتى أمسوا، فكف بعضهم عن بعض، ثم التقوا من غد في موضع كثير الشجر الكرم والحيطان، فطال القتال بينهم، واستحر القتل في الشراة، فترجل عبد الله بن يحيى في ألف فارس؛ فقتلوا، حتى قتلوا جميعاً عن آخرهم؛ وانهزم الباقون؛ فترقوا في كل وجه. ولحق من نجا منهم بصنعاء؛ وولوا عليهم حمامة فقال أبو صخر الهذلي:

قتلنا دعيساً والذي يكتني الكنى ... أبا حمزة الغاوي المضل اليمانيا

وأبرهة الكندي خاضت رماحنا ... وبلجاً صبحناه الحتوف القواضيا

وما تركت أسيافنا منذ جردت ... لمروان جباراً على الأرض عاديا

قال المدائني: وبعث عبد الملك بن عطية رأس عبد الله بن يحيى مع ابنه يزيد بن عبد الملك إلى مروان.

وقال عمرو بن الحصين - ويقال: الحسن العنبري - مولى لهم يرثي عبد الله بن يحيى وأبا حمزة. وهذه القصيدة التي في أولها الغناء المذكور أول هذه الأخبار:

هبت قبيل تبلج الفجر ... هند تقول ودمعها يجري

أن أبصرت عيني مدامعها ... ينهل واكفها على النحر

أني اعتراك وكنت عهدي لا ... سرب الدموع وكنت ذا صبر

أقذى بعينك ما يفارقها ... أم عائر أم مالها تذري؟

أم ذكر أخوان فجعت بهم ... سلكوا سبيلهم على خبر

فأجبتها بل ذكر مصرعهم ... لا غيره عبراتها تمري

يا رب أسلكني سبيلهم ... ذا العرش واشدد بالتقى أزري

في فتية صبروا نفوسهم ... للمشرفية والقنا السمر

تالله ألقى الدهر مثلهم ... حتى أكون رهينة القبر

أوفي بذمتهم إذا عقدوا ... وأعف عند العسر واليسر

متأهلين لكل صالحة ... ناهين من لاقوا عن النكر

صمت إذا احتضروا مجالسهم ... وزن لقول خطيبهم وقر

إلا تجيبهم فإنهمم ... رجف القلوب بحضرة الذكر

متأوهون كأن جمر غضاً ... للخوف بين ضلوعهم يسري

تلقاهم إلا كأنهم ... لخشوعهم صدروا عن الحشر

فهم كأن بهم جوى مرض ... أو مسهم طرف من السحر

لا ليلهم ليل فيلبسهم ... فيه غواشي النوم بالسكر

إلا كذا خلساً وآونة ... حذر العقاب وهم على ذعر

كم من أخ لك قد فجعت به ... قوام ليلته إلى الفجر

متأوه يتلو قوارع من ... آي القران مفزع الصدر

نصب تجيش بنات مهجته ... بالموت جيش مشاشة القدر

ظمآن وقدة كل هاجرة ... تراك لذته على قدر

تراك ما تهوى النفوس إذا ... رغب النفوس دعت إلى النذر

ومبرأ من كل سيئة ... عف الهوى ذو مرة شزر

والمصطلي بالحرب يسعرها ... بغبارها وبفتية سعر

يجتاحها بأقل ذي شطب ... عضب المضارب قاطع البتر

لا شيء يلقاه أسر له ... من طعنة في ثغرة النحر

نجلاء منهرة تجيش بما ... كانت عواصي جوفه تجري

كخليلك المختار أذك به ... من مقتد في الله أو مشر

خواض غمرة كل متلفة ... في الله تحت العثير الكدر

تراك ذي النخوات متخضباً ... بنجيعه بالطعنة الشزر

وابن الحصين وهل له شبه ... في العرف أنى كان والنكر

بسامة لم تحن أضلعه ... لذوي أخوته على غمر

طلق اللسان بكل محكمة ... رآب صدع العظم ذي الوقر

لم ينفكك في جوفه حزن ... تغلي حرارته وتستشري

ترقى وآونة يخفصها ... بتنفس الصعداء والزفر

ومخالطي بلج وخالصتي ... سم العدو وجابر الكسر

نكل الخصوم إذا هم شغبوا ... وسداد ثلمة عورة الثغر

والخائض الغمرات يخطر في ... وسط الأعادي أيما خطر

بمشطب أو غير ذي شطب ... هام العدا بذبابه يفري

وأخيك أبرهة الهجان أخ ... ي الحرب العوان مقلح الجمر

بمرشة فرع تثج دماً ... ثج الغوى سلافة الخمر

والضارب الأخدود ليس لها ... حد ينهنها عن السحر

وولي حكمهم فجعت به ... عمرو فوا كبدي على عمرو!

قوال محكمة وذي فهم ... عف الهوى متثبت الأمر

ومسيب فاذكر وصيته لا تنس إما كنت ذا ذكر
فكلاهما قد كان محتبساً لله ذا تقوى وذا بر
في مخبتين ولم أسمهم كانوا يدي وهم أولو نصيري
وهم مساعر في الوغى رجح وخيار من يمشي على العفر
حتى وفوا لله حيث لقوا بعهود لا كذب ولا غدر
فتخالسوا مهجات أنفسهم وعداتهم بقواضب بتر
وأسنة أثبتن في لدن خطية بأكفهم زهر
تحت العجاج وفوقهم خرق يخفقن من سود ومن حمر
فتفرجت عنهم كماتهم لم يغمضوا عيناً على وتر
فشعارهم نيران حربهم ما بين أعلى الشجر فالحجر
صرعى فحاجلة تنوشهم وخوامع لحماتهم تفري

قال المدائني: وكتب مروان إلى ابن عطية يأمره بالمسير إلى صنعاء، ليقاتل من بها من الخوارج، فاستخلف ابنه محمد بن عبد الملك على مكة، وعلى المدينة الوليد بن عروة بن عطية، وتوجه إلى صنعاء، ورجع أهل الجزيرة جميعاً إلى بلدهم، وكذلك كان مروان شرط لهم، فلما قرب من صنعاء هرب عامل عبد الله بن يحيى عنها، فأخذ أهل صنعاء أثقاله وحملين من مال كان معه، فسلموا ذلك إلى ابن عطية، وتتبع أصحاب عبد الله بن يحيى في كل موضع يقتلهم، وأقام بصنعاء أشهراً، ثم خرج عليه رجل من أصحاب عبد الله بن يحيى في آل ذي الكلاع، يقال له يحيى بن عبد الله بن عمر بن السباق في جمع كثير بالجند، فبعث إليه ابن عطية ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية، فلقيه بالحرب، فهزمه، وقتل عامة أصحابه، وهرب منه فنجا، وخرج عليه يحيى بن كرب الحميري بساحل البحر، وانضمت إليه شذاذ الإباضية، فبعث إليه أبا أمية الكندي في الوضاحية، فالتقوا بالساحل، فقتل من الإباضية نحو مائة رجل، وتحاجزوا عند المساء فهربت الإباضية إلى حضر موت، وبها عامل لعبد الله بن يحيى يقال له: عبد الله بن معبد الجرمي ، فصار في جيش كثير، واستفحل أمره. وبلغ ابن عطية الخبر، فاستخلف ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية على صنعاء، وشخص إلى حضر موت وبلغ عبد الله بن معبد مسير عبد الملك إليهم، فجمعوا الطعام وكل ما يحتاجون إليه في مدينة شبام . وهي حصن حضر موت مخافة الحصار. ثم عزموا على لقاء ابن عطية في الفلاة، فخرجوا حتى نزلوا على أربع مراحل من حضر موت، في عدد كثير في فلاة. وأتاهم ابن عطية، فقاتلهم يومه كله، فلما أمسى وقد بلغه ما جمعوا في شبام حدر عسكره في بطن حضر موت

إلى شبام ليلاً. ثم أصبح، فقاتلهم حتى انتصف النهار. ثم تحاجزوا، فلما أمسوا، تبع عسكره. وأصبح الخوارج، فلم يروا للقوم أثراً. فاتبعوهم وقد سبقوهم إلى الحصن، فأخذوا جميع ما فيه وملكوه، ونصب ابن عطية عليهم المسالح، وقطع عنهم المادة والميرة، وجعل يقتل من يقدر عليه ويسبي ويأخذ الأموال.

مصرع ابن عطية: ثم ورد عليه كتاب مروان بن محمد يأمره بالتعجل إلى مكة، ليحج بالناس، فصالح أهل حضر موت على أن يرد عليهم ما عرفوا من أموالهم. ويولي عليهم من يختارون، وسالموه ، فرضي بذلك، وسالمهم، وشخص إلى مكة متعجلاً مخفاً. ولما نفذ كتاب مروان ندم بعد ذلك بأيام، وقال: إنا لله! قتلت والله ابن عطية؛ هو الآن يخرج مخفاً متعجلاً، ليلحق الحج، فيقتله الخوارج. فكان كما قال: تعجل في بضعة عشر رجلاً، فلما كان بأرض مراد تلففت عليه جماعة، فمن من كان من تلك الجماعة إباضياً عرفه، فقال: ما ننتظر بهذا أن ندرك ثأر إخواننا فيه، ومن لم يكن إباضياً ظنه من الإباضية، وأنه منهزم، فلما علم أنهم يريدونه قال لهم: ويحكم! أنا عامل أمير المؤمنين على الحج، فلم يلتفتوا إلى ذلك، وقتلوه، ونصبت الإباضية رأسه، فلما فتشوا متاعه، وجدوا فيه الكتاب بولايته على الحج، فأخذوا من الإباضية رأسه، ودفنوه مع جسده.

قال المدائني: خرج إليه جمانة وسعيد ابنا الأخنس، في جماعة من قومهما من كندة، وعرفه جمانة لما لقيه، فحما عليه هو وأخوه ورجل آخر من همدان، يقال له: رمانة، ولثلاثة من مراد، وخمسة من كندة، وقد توجه في طريق مع أربعة نفر من أصحابه. وتوجه باقيهم في طريق آخر، فقصدوا حيث توجه ابن عطية، ووجهوا في آثار أصحابه نحو أربعين رجلاً منهم، فأدركوهم فقتلوهم، وأدرك سعيد وجمانة وأصحابهما ابن عطية، فعطف عبد الملك على سعيد، فضربه وطعنه جمانة، فصرعه عن فرسه، ونزل إليه سعيد، فقعد على صدره، فقال له ابن عطية: هل لك يا سعيد في أن تكون أكرم العرب أسيراً؟ فقال: يا عدو الله، أترى الله كان يمهلك؟ أو تطمع في الحياة وقد قتلت طالب الحق وأبا حمزة وبلجاً وأبرهة! فقتله وقتل أصحابه جميعاً. وبعثوا برأسه إلى حضر موت، وبلغ ابن أخيه - وهو بصنعاء - خبره. فأرسل شعيباً البارقي في الخيل. فقتل الرجال والصبيان. وبقر بطون النساء، وأخذ الأموال، وأحرب القرى، وجعل يتتبع البري والنطف . حتى لم يبق أحد من قتلة ابن عطية ولا من الإباضية إلا قتله، و لم يزل مقيماً باليمن إلى أن أفضى الأمر إلى بني هاشم، وقام بالأمر أبو العباس السفاح.

الجزء الرابع والعشرون

خبر عبد الله بن أبي العلاء

عبد الله بن أبي علاء، رجل من أهل سر من رأى. وكان يأخذ عن إسحاق وطبقته فبرع، و له صنعة يسيرة جيدو.

وابنه أحمد بن عبد الله بن أبي العلاء، أحد المحسنين المتقدمين، أخذ عن مخارق وعلوية وطبقتهما. وعمر إلى آخر أيام المعتضد وكانت فيه عربدة.

وكان عبد الله بن أبي العلاء حسن الوجه والزي، ظريفاً شكلاً .

حدثني ذكاء وجه الرزة قال: قال لي ابن المكي المرتجل : كان يقوم دابة عبد الله بن أبي العلاء وثيابه إذا ركب ألف دينار.

قال: وقال لي ابن المكي: حدثني أبي، قال: نظر أحمد بن يوسف الكاتب إلى عبد الله بن أبي العلاء عند إسحاق، وهو يطارحه، فأقام عند إسحاق، وسأله احتباس عبد الله عنده، فأمر بذلك، فاعتل عليه . وقال: أريد أن أشيع غازياً يخرج من جيراننا، فقال: له أحمد بن يوسف:

لا تخرجن مع الغزوة مشيعاً ... إن الغزي يراك أفضل مغنم

ودع الحجيج ولا تشيع وفدهم ... أخشى عليك من الحجيج المحرم

ما أنت إلا غادة ممكورة ... لولا شواربك المحيطة بالفم

وقد روي هذا الشعر لسعيد بن حميد في عبد الله بن أبي العلاء. وهو الصحيح.

فأقسم عليه إسحاق أن يقيم، فأقام.

وقال لي جعفر بن قدامة، وقد تجاذبنا هذا الخبر: حدثني حماد بن إسحاق، عن أبيه : أن العشرة اتصلت بين عبد الله وبين أحمد بن يوسف، وتعشقه وأنفق عليه جملة من المال، حتى اشتهر به، فعاتبه محمد بن عبد الزيات، في ذلك ، فقال له:

لا تعذلني يا أبا جعفر ... عذل الأخلاء من اللوم

إن استه مشربة حمرة ... كأنها وجنة مكظوم

وقد قيل: إن هذين البيتين لأحمد بن يوسف في موسى بن عبد الملك.

وكان بعض الشعراء قد أولع بعبد الله بن أبي العلاء، يهجوه ويذكر أن أباه أبا العلاء هو سالم السقاء، وفيه يقول هذا الشعر

كنت في مجلس أنيق جميل ... فأتانا ابن سالم مختالا

فتغنى صوتاً فأخطأ فيه ... وابتدا ثانياً فكان محالا

وابتغى حلعة على ذاك منا ... فخلعنا على قفاه النعالا

وفيه يقول هذا الشاعر، أنشدنا ابن عمار وغيره:

إذا ابن أبي العلاء أقيم عنا ... فأهلاً بالمجالس والرحيق

قفاه على أكف الشرب وقف ... وجلدة وجهه ميدان ريق

أفاطم حييت بالأسعد ... متى عهدنا لا تبعدي

تبارك ذو العرش، ماذا نرى ... من الحسن في جانب المسجد

فإن شئت آليت بين المقا ... م والركن والحجر الأسود

أ أنساك ما دام عقلي معي ... أمد به أمد السرمد

الشعر لأمية بن أبي عائذ، والغناء لحكم الوادي، هزج خفيف، بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى، عن إسحاق.

وفيه للأبجر ثقيل أول بالوسطى، عن عمرو. وقال ابن المكي ؛ فيه هزج ثقيل بالبنصر لعمر الوادي. وفيه لفليح لحن من رواية بذل، ولميذكر طريقته .

نسب أمية بن أبي عائذ وأخباره

أمية بن أبي عائذ العمري، أحد بني عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل. شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية. وهذا أكثر ما وجدته من نسبه في سائر النسخ.

وكان أمية أحد مداحي بني مروان، وله في عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان قصائد مشهورة.

فذكر ابن الأعرابي وأبو عبيدة جميعاً: أنه وفد إلى عبد العزيز إلى مصر، وقد امتدحه بقصيدته التي أولها:

ألا إن قلبي مع الظاعنينا ... حزين فمن ذا يعزي الحزينا

فيا لك من روعة يوم بانوا ... بمن كنت أحسب ألا يبينا

في هذين البيتين للحسين بن محرز خفيف ثقيل، عن الهشامي.

وفي هذه القصيدة يقول:

إلى سيد الناس عبد العزرز أعملت للسير حرفاً أمونا
صهابية كعلاة القيو ن من ضرب جوهر ما يخلصونا
إذا أزبدت من تباري المطي حلت بها خبلاً أو جنونا
تؤم النواعش والفرقدين تنصب للقصد منها الجبينا
إلى معدن الخير عبد العزيز تبلغنا ظلعاً قد حفينا
ترى الأدم والعيسى تحت المسو ح قد عدن من عرق الأين جونا

تسير بمدحي عبد العزيز ركبان مكة والمنجدونا
محبرة من صريح الكلا م ليس كما لفق المحدثونا
وكان أمراً سيداً ماجداً يصفي العتيق وينفي الهجينا

قال: وطال مقامه عند عبد العزيز، وكان يأنس به، ووصله صلات سنية، فتشوق إلى البادية وإلى أهله، فقال لعبد العزيز:

متى راكب من أهل مصر وأهله بمكة من مصر العشية راجع
بلى إنها قد تقطع الخرق ضمر تباري السرى والمعسفون الزعاع
متى ما تجزها يا بن مروان تعترف بلاد سليمى وهي خوصاء ظالع
وباتت تؤم الدار من كل جانب اتخرج واشتدت عليها المصارع
فلما رأت ألا خروج وأنما لها من هواها ما تجن الأضالع
تمطت بمجدول سبطر فطالعت وماذا من اللوح اليماني تطالع

فقال له عبد العزيز: اشتقت - والله - إلى أهلك يا أمية، فقال: نعم - والله - أيها الأمير، فوصله وأذن له. ومما يغنى فيه من شعر أمية:

تمر كجندلة المنجني ق يرمى بها السور يوم القتال
فماذا تخطرف من قلة ومن حدب وإكام توالي
ومن سيرها العنق المسبطر والعجرفية بعد الكلال

الغناء لابن عائشة . وقد ذكر في أخباره مع غريبه، وأحاديث لابن عائشة في معناه .

أ أم نهيك ارفعي الطرف صاعداً ولا تيأسي أن يثري الدهر بائس

سيغنيك سيري في البلاد ومطلبي وبعل الذي لم تخط في الحي جالس
سأكسب مالاً أو تبيتن ليلة بصدرك من وجد علي وساوس
ومن يطلب المال الممنع بالقنا يعش مثرياً أو يود فيما يمارس

الشعر: لعبد الله بن أبي معقل الأنصاري. والغناء: لسليم، خفيف ثقيل بالوسطى، عن عمرو. وقد ذكر بن المكي أن لإبراهيم لحناً من الهزج بالوسطى، وذكر الهاشمي وحبش أن فيه لإبراهيم ثاني ثقيل، وذكر حبش أنه لإسحاق.

أخبار عبد الله بن أبي معقل ونسبه

هو عبد الله بن أبي معقل بن نهيك بن إسلاف بن عدي بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو - وهو النبيت - بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبه بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

شاعر مقل حجازي من شعراء الدولة الأموية.

وكان يقال لأبيه: منهب الورق. وقيل: بل جد المسمى بذلك، لأنه كسب مالاً، فعجب أهل المدينة من كثرته ، فأباحهم إياه فنهبوه .

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثني أبو بكر عبد الله بن جعفر بن مصعب بن عبد الله الزبيري قال: حدثني جدي مصعب بن عبد الله، عن ابن القداح أنه قال: هذان البيتان، يعني قوله:

أمم نهيك ارفعي الطرف صاعداً ...

والذي بعده لعبد الله بن أبي معقل بن نهيك بن إسلاف، والناس يروونها لجده..وليس ذلك بصحيح؛ هما لعبد الله .

وكان عباد بن نهيك بن إسلاف، عمه ، أدرك النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحبه ، وصلى معه إلى القبلتين، وصلى معه الظهر، وصلى معه ركعتين منها إلى بيت المقدس، وركعتين إلى الكعبة.

وأدرك النبي - صلى الله عليه وسلم وآله - وهو شيخ كبير لا فضل فيه ، فوضع عنه الغزو.

وكان نهيك بن إسلاف يهاجي أبا الخضر الأشهلي في الجاهلية. وأشعارهما موجودة في أشعار الأنصار.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثني عبد الله بن جعفر عن جده مصعب، عن ابن القداح قال: كان ابن معقل محسوداً في قومه، يجاهرونه بالعداوة، ليساره وسعة ماله، ويحسدونه ، وكان بنى قصراً في بني حارثة، وسماه: " مرغما " وقال له قائل : مالك ولقومك؟ فقال: ما لي إليهم ذنب إلا أني أثريت وكنت معدماً، وبنيت مرغماً ، وأنكحت مريم ومريم - يعني ابنته مريم وبنت ابنه مريم.

فأما ابنته مريم فتزوجها حبيب بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية، وبنت ابنه مسكين بن عبد الله بن أبي معقل - وهي مريم - تزوجها محمد بن خالد بن الزبير بن العوام.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي مصعب قال: خطب محمد بن خالد بن الزبير وحبيب بن الحكم بن أبي العاصي إلى عبد الله بن أبي معقل ابنته مريم، فأرغبه حبيب في الصداق فزوجه إياها، ثم شبت مريم بنت مسكين بن عبد الله بن أبي معقل، فبرعت في الجمال . ولقي محمد بن خالد يوماً فقال له: يا بن خالد، إن تكن مريم قد فاتتك فقد يفعت مريم بنت أخيها ، وما هي بدونها في الجمال، وقد آثرتك بها. قال: فتزوجها على عشرين ألفاً.

وقال ابن القداح: كان ابن أبي معقل كثير الأسفار في طلب الرزق، فلامته امرأته أم نهيك - وهي ابنة عمه- على ذلك، وقد قدم من مصر، فلم يلبث أن قال لها : جهزيني إلى الكوفة، إلى المغيرة بن شعبة، فإنه صديقي وقد وليها ، فجهزته ثم قالت: لن تزال في أسفارك هذه تتردد حتى تموت، فقال لها: أو أثري. ثم أنشأ يقول:

أ أم نهيك ارفعي الطرف صاعداً ... ولا تيأسي أن يثري الدهر يائس

وهي قصيدة فيها مما يغنى فيه قوله:

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى ... وجدك لم أحفل متى قام رامس

فمنهن تحريك الكميت عنانه ... إذا ابتدر النهب البعيد الفوارس

ومنهن سبق العاذلات بشربة ... ناعس وهو يقظان كأن أخاها

ومنهن تجريد الأوانس كالدمى ... إذا ابتزعن أكفالهن المربس

الغناء في هذه الأبيات: لمقاسة بن ناصح، ثقيل أول بالبنصر. وفيها للحسين بن محرز خفيف ثقيل من جامع أغانيه. وهو لحن معروف مشهور .

قال ابن القداح: ثم قدم المدينة فلم يزل مقيماً بها حتى ولي مصعب بن الزبير العراق ، فوفد إليه ابن أبي معقل ، فدخل إليه يوماً وهو يندب الناس إلى غزوة زرنج ويقول: من لها؟ فوثب عبد الله أبي معقل وقال: أنا لها، فقال له: اجلس، ثم ندب الناس، فانتدب لها مرة ثانية، فقال له مصعب: اجلس، ثم ندبهم ثالثة، فقال له عبد الله: أنا لها، فقال له اجلس. فقال له: أدنني إليك حتى أكلمك، فأدناه، فقال: قد علمت أنه ما يمنعك مني إلا أنك تعرفني، ولو انتدب إليها رجل ممن لا تعرفه لبعثته، فلعلك تحسدني أن أصيب خيراً أو أستشهد فأستريح من الدنيا وطلبها فأعجبه قوله وجزالته فولاه، فأصاب في وجهه ذلك مالاً كثيراً، وانصرف إلى المدينة، فقال لزوجته: ألم أخبرك في شعري أنه:

سيغنيك سيري في البلاد ومطلبي ... وبعل التي لم تحظ في الحي جالس

فقالت: بلى والله، لقد أخبرتني وصدق خبرك.

قال: وفي هذه الغزاة يقوبل ابن قيس الرقيات :

إن يعش مصعب فنحن بخير قد أتانا من عيشنا ما نرجي

ملك يطعم الطعام ويسقي لبن البخت في عساس الخلنج

جلب الخيل من تهامة حتى بلغت خيله قصور زرنج

يقتلننا بحديث ليس يعلمه من يتقين ولا مكنونه بادي

فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

الشعر: للقطامي. والغناء: لإسحاق. خفيف ثقيل أول بالوسطى وفيه رمل مجهول.

ذكر نسب القطامي وأخباره

القطامي لقب غلب عليه، واسمه عمير بن شييم ، وكان نصرانياً، وهو شاعر إسلامي مقل مجيد .

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، عن عبد الله بن عياش، عن مجالد، عن الشعبي قال: قال عبد الملك بن مروان، وأنا حاضر، للأخطل: يا أخطل، أتحب أن لك بشعرك شعر شاعر من العرب؟ قال: اللهم لا، إلا شاعراً منا مغدف القناع ، خامل الذكر، حديث السن، إن يكن في أحد خير فسيكون فيه، ولوددت أني سبقته إلى قوله:

يقتلننا بحديث ليس يعلمه من يتقين ولا مكنونه بادي

فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

أخبرني أبو الحسن الأسدي، قال: حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال: القطامي أول من لقب " صريع الغواني " بقوله:

صريع غوان راقهن ورقنه لدن شب حتى شاب سود الذوائب

قال أبو عمرو الشيباني:

نزل القطامي في بعض أسفاره بامرأة من محارب قيس، فنسبها، فقالت: أنا من قوم يشتوون القد من الجوع، قال: ومن هؤلاء ويحك؟ قالت: محارب، ولم تقره، فبات عندها أسوأ ليلة، فقال فيها قصيدة أولها :

نأتك بليلى نية لم تقارب وما حب ليلى من فؤادي بذاهب

يقول فيها:

ولا بد أن الضيف يخبر ما رأى مخبر أهله أو مخبر صاحب

سأخبرك الأنباء عن أم منزل تضيفتها بين العذيب فراسب
تلفعت في طل وريح تلفني وفي طرمساء غير ذي كواكب
إلى حيزبون توقد النار بعدما تلفعت الظلماء من كل جانب
تصلى بها برد العشاء ولم تكن تخال وميض النار يبدو لراكب
فما راعها إلا بغام مطية تريح بمحسور من الصوت لاغب
تقول وقد قربت كوري وناقتي إليك فلا تذعر علي ركائبي
فلما تنازعنا الحديث سألتها: من الحي؟ قالت: معشر محارب
من المشتوين القد مما تراهم جياعاً وريف الناس ليس بعازب
فلما بدا حرمانها الضيف لم يكن علي مناخ السوء ضربة لازب

قال أبو عمر بن العلاء: أول ما حرك من القطامي ورفع من ذكره أنه قدم في خلافة الوليد بن عبد الملك دمشق ليمدحه، فقيل له: إنه بخيل لا يعطي الشعراء. وقيل: بل قدمها في خلافة عمر بن عبد العزيز ، فقيل له: إن الشعر لا ينفق عند هذا ولا يعطي عليه شيئاً، وهذا عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك فامتدحه، فمدحه، بقصيدته التي أولها :

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل وإن بليت وإن طالت بك الطيل

فقال له: كم أملت من أمير المؤمنين؟ قال: أملت أن يعطيني ثلاثين ناقة. فقال: قد أمرت لك بخمسين ناقة موقرة براً وتمراً وثياباً، ثم أمر بدفع ذلك إليه.

وفي أول هذه القصيدة غناء نسبته:

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل وإن بليت وإن طالت بك الطيل
يمشين رهواً فلا الأعجاز خاذلة ولا الصدور على الأعجاز تتكل

الغناء لسليم، هزج بالبنصر، وقيل: إنه لغيره أخبرني ابن عمار قال: حدثنا محمد بن عباد قال: قال أبو عمر الشيباني: لو قال القطامي بيته :

يمشين رهواً فلا الأعجاز خاذلة ولا الصدور على الأعجاز تتكل

في صفة النساء لكان أشعر الناس.

ولو قال كثير:

فقلت لها: يا عز كل مصيبة إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

في مرثية أو صفة حرب لكان أشعر الناس.

واخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: حدثني ميمون بن هارون قال: حدثني رجل كان يديم الأسفار، قال: سافرت مرة إلى الشام على طريق البر ، فجعلت أتمثل بقول القطامي :

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

ومعي أعرابي قد استأجرت منه مركبي، فقال: ما زاد قائل هذا الشعر على أن ثبط الناس عن الحزم، فهلا قال بعد بيته هذا:

وربما ضر بعض الناس بطؤهم وكان خيراً لهم لو أنهم عجلوا

وكان السبب في أسر القطامي، على ما حكاه من ذكرنا، وذكر ابن الكلبي عن عرام بن حازم بن عطية الكلبي قال: أغار زفر بن الحارث على أهل المصيخ ، وبه جماعة من الحاج وغيرهم، وقد أصاب أول النهار أهل ماء يقال له: حفص ، وفيه سيد بني الجلاح مصاد بن المغيرة بن أبي جبلة، فأسره، فأتى به قرقيسيا ، ثم من عليه، وقتل عفيفي بن حسان بن حصين من بني الجلاح، ثم مضى زفر إلى المصيخ فاجتمع من بها إلى عمير بن حسان بن عمر بن جبلة فامتنعوا، فقال لهم زفر: إني لا أريد دماءكم، فأبوا وقاتلوا فقتل منهم جماعة كبيرة، وقتل معهم رجلان من تغلب، يقال لأحدهما: جساس، والآخر غني، وهو أبو جساس. وقد قالت له امرأته: يا أبا جساس، هؤلاء قومك فأهم حين اجتمعوا وامتنعوا، فقال: اليوم نزاري وأمس كلبي! ما أنا بمفارقهم، فقاتل حتى قتل، فكانت القتلى يوم المصيخ من كلب ثمانية عشر رجلاً والتغلبيين، وبقي الماء ليس فيه إلا النساء. فلما انصرف عنهم زفر أراد النساء أن يجررن القتلى إلى بئر يقال لها: كوكب. فلما أردن أن يجررن رجلاً قالت وليته من النساء: لا يكون فلان تحت رجالكن كلهم، فأتت أم عمير بن حسان، وهي كيسة بنت أبي، فأعلقت في رجله رداءها، ثم قالت: اجسر عمير فإن أباك كان جسوراً، ثم ألقت عليه التراب والحطب ليكون بينه وبين أصحابه شيء. ثم جعلن كلما ألقين رجلاً ألقين عليه التراب والحطب حتى وارتهم القليب. ولما بلغ حميد بن حريث بن بحدل ما لقي قومه أقبل حتى أتى تدمر ليجمع أصحابه، وليغير على قيس. فلما وقعت الدماء نهض بنو نمير، وهم يومئذ ببطن الجبل، وهم على مياه لهم ، إلى حميد بن حريث بن بحدل، حتى قدم وراءه يتهيأ للغارة، واجتمعت إليه كلب، وقالوا له: إن كنت تبرئنا ببراءتنا، وتعرف جوارنا أقمنا، وإن كنت تتخوف علينا من قومك شيئاً لحقنا بقومنا، فقال: أتريدون أن تكونوا أدلاءهم حتى تنجلي هذه الفتنة؟ فاحتبسهم فيها، وخليفته في تدمر رجل من كلب يقال له: مطر بن عوص، وكان فاتكاً، فأراد حميداً على قتلهم، فأبى وكره الدماء، فلما سار حميد، وقد عاد زفر أيضاً مغيراً، ليرده عما يريده، فنزل قرية له، وبلغه مسير زفر فاغتاظ وأخذ في التعبئة، فأتاه مطر وكان خرج معه مشيعاً له انتهازاً لدماء الذين في يده من النمريين، فقال: ما أصنع بهؤلاء الأسارى الذين في يدي وقد قتل أهل مصبح؟ فقال وهو لا يعقل من الوجد: اذهب فاقتلهم. فخرج مطر يركض إلى تدمر، تخوف ألا

يبدو له ، فلما أتى تدمر قتلهم ، وانتبه حميد بعد ذلك بساعة فقال: أين مطر حتى أوصيه؟ قالوا: انصرف، قال : أدركوا عدو الله، فإني أخاف على من بيده من النمريين.

وبعث فارساً يركض يمنع مطراً عن قتلهم، فأتاه وقد قتل كل من في يده من الأسرى إلا رجلين - وكانوا ستين رجلاً - فلما بلغه الرسول رسالة حميد قال النمريان الباقيان: خل عنا فقد أمرت بتخلية سبيلنا، فقال: أبعد هذا المصيخ! لا والله لا تخبران عنهم، ثم قتلهما. فلما بلغ زفر قتل النمريين بسط يده على كل من أدرك من كلب، واستحل الدماء، وأخذ في واد يقال له وادي الجيوش، وقد انتشرت به كلب للصيد، فلم يدرك به أحداً إلا قتله، فقتل أكثر من خمسمائة، و لم يلقه حميد. ثم انصرف إلى قرقيسياء.

وذكر بعض بني نمير أن زفر أغار على كلب يوم حفير ويوم المصيخ ويوم الفرس، فقتل منهم أكثر من ألف رجل، قال: وأغار عليهم زفر في يوم الإكليل فقتل منهم مقتلة عظيمة، واستاق نعماً كثيرة.

وذكر عرام قال: قتل زفر يوم الإكليل جبير بن ثعلبة من بني الجلاح، وحسان بن حصين من بني الجلاح، ومحمد بن طفيل بن مطير بن أبي جبلة، وعمرو بن حسان بن عوف من بني الجلاح، ومحمد بن جبلة بن عوف، أخوان لأم. وقالت امرأة من بني كلب ترثيهم:

أبعد من دليت في كوكب يا نفس ترجين ثواء الرجال؟

قال لقيط: أخبرني بعض بني نمير قال: أغار عمير بن الحباب على كلب فأصابهم يوم الغوير ويوم الهبل ويوم كآبة.

فأما يوم الغوير فإنه أرسل رجلاً من بني نمير يقال له كليب بن سلمة عيناً له، ليعلم له علم ابن بحدل، وكانت أم النميري كلبية، فكانت تتكلم بكلامهم، فكان الحسام بن سالم طريداً فيهم فنذروا به فقتلوه وأخذوا فرسه، فلقي كليب بن سلمة رجلاً من بني كلب فعرفه، فقال: من أين جئت؟ فقال: من عند الأمير حميد بن حريث، قال: وأين تركته؟ قال: بمكان كذا وكذا، قال كليب: كذبت! أنا أحدث به عهداً منك، قال: فأين تركته أنت؟ قال بغوير الضبع، قال: لكني فارقته أمس، فخرج النميري يسوق الكلبي إلى أصحابه - قال: فوالله إني لو أشاء أن أقتله لقتلته، أو آخذه لأخذته - فخرج يسوقه، حتى إذا نظر إلى القوم أنكرهم، فقال: والله ما أرى هؤلاء أصحابنا. قال: ويستدبره النميري فيطعنه عند ناغض كتفه اليمنى، حتى أخرج السنان من حلمة الثدي، وأخطأ المقتل، وحرك الكلبي فرسه موليا، فاتبعته الخيل حتى يدفع إلى ابن بحدل فانهزم، فقتلوا من كلب مقتلة عظيمة، واتبع عمير بن بحدل فجعل يقول لفرسه:

أقدم صدام إنه ابن بحدل

لا تدرك الخيل وأنت تدأل

ألا تمر مثل مر الأجدل

قال: فمضى حميد حتى يدفع إلى الغوير ، وقد كان الرمح يناله، فانطلق يريد الباب، فطعن عمير الباب وكسر رمحه فيه، فلم يفلت من تلك الخيل غير حميد وشبل بن الخيتار. فلما بلغ ذلك بشر بن مروان قال لخالد بن يزيد بن معاوية: كيف ترى خالي طرد خالك؟ وقال عمير:

وأفلتنا ركضاً حميد بن بحدل ... على سابح غوج اللبان مثابر

ونحن جلبنا الخيل قبا شوازباً ... دقاق الهوادي داميات الدوابر

إذا انتقصت من شأوه الخيل خلفه ... ترامى به فوق الرماح الشواجر

تسائل عن حيي رفيدة بعدما ... قضت وطراً من عبد ود وعامر

وقال شبل بن الختيار:

نجى الحسامية الكبداء مبترك ... من جريها وحثيث الشد مذعور

من بعد ما التثق السربال طعنته ... كأنه بنجيع الورس ممكور

ولي حميد ولم ينظر فوارسه ... قبل التقرة والمغرور مغرور

فقد جزعت غداة الروع إذا لقحت ... أبطال قيس عليها البيض مشجور

يهدي أوائلها سمح خلائقه ... ماضي العنان على الأعداء منصور

يخرجن من برض الإكليل طالعة ... كأنهن جراد الحرة الزور

وذكر زياد بن يزيد بن عمير بن الحباب، عن أشياخ قومه، قال: أغار عمير بن الحباب على كلب، فلقي جمعاً لهم بالإكليل في ستمائة أو سبعمائة، فقتل منهم فأكثر، فقالت هند الجلاحية تحرض كلباً:

ألا هل ثأر بدماء قوم ... أصابهم عمير لا بن الحباب !

وهل في عامر يوماً نكير ... وحيي عبد ود أو جناب!

فإن لم يثأروا من قد أصابوا ... فكانوا أعبداً لبني كلاب

أبعد بني الجلاح ومن تركتم ... بجانب كوكب تحت التراب

تطيب لغائر منكم حياة ... ألا لا عيش للحي المصاب

فاجتمعوا فقاتلهم عمير، وأصاب فيهم، ثم أغار فلقي جمعاً منهم بالجوف فقتلهم، ثم أغار عليهم بالسماوة فقتل منهم مقتلة عظيمة، فقال عمير:

ألا يا هند هند بني الجلاح ... سقيت الغيث من قلل السحاب

ألما تخبري عنا بأنا نرد الكبش أغضب في تباب
ألا يا هند لو عانيت يوماً لقومك لامتنعت من الشراب
غداة ندوسهم بالخيل حتى أباد القتل حي بني جناب
ولو عطفت مواساة حميداً لغودر شلوه جزر الذئاب

وذكر زياد بن يزيد بن عمير بن الحباب، عن أشيخ قومه، قال: خرج عمير فأغار على قومه أيضاً يوم الغوير، فلما دنا من الغوير وصار بين حميد ودمشق دعا رجلاً من بني نمير، وقال له: سر الآن حتى تأتي حميد بن بحدل، فقل له: أجب، فإن قال: من؟ فقل: صاحب عقد خرج قبل ذلك بيومين من دمشق، فإن جاء معك فلا تمجه حتى تأتيني به، فنكون نحن الذين نلي منه ما نريد أن نلي، فإنه إن ركب الحسامية لم يدرك. فأتاه النميري فقال: أجب، فقال: ومن؟ قال: فلان بن فلان صاحب العقد. قال: فركب ابن بحدل الحسامية. ثم خرج يسير في أثر النميري، حتى طلع النميري على عمير، فقال النميري في نفسه: أقتله أنا أحب إلي من أن يقتله عمير لقتله الحسام بن سالم، فعطف عليه، وولى حميد، وأتبعه عمير وأصحابه، وترك العسكر، وأمرهم عمير أن يميلوا إلى القوم ، فذلك حيث يقول لفرسه:

أقدم صدام إنه ابن بحدل

فاستباح عسكر ابن بحدل وانصرف.

ثم أغار عليهم يوم دهمان كما ذكر عون بن حارثة بن عدي بن جبلة أحد بني زهير عن أبيه: قال: أغار عمير على كلب، فأخذ الأموال، وقتل الرجال، وبلغ ابن بحدل نخرجه من الجزيرة، فجمع له، ثم خرج يعارضه، حتى إذا دنا منهم بعث العين يأخذ لهم أثر القوم، فأتاه العين فأخبره أن عميراً قد أتى دهمان فاستباح فيهم ، ثم خلف عسكره وخرج هو في طلب قوم قد سمع بهم، فقال حميد لأصحابه: تهيئوا للبيات، وليكن شعاركم: " نحن عباد الله حقاً حقاً " . فبيتهم فقتل فيهم فأوجع. وانقلب عمير حين أصبح، إلى عسكره، حتى إذا أشرف على عسكره رأى ما أنكره من كثرة السواد، فقال لأصحابه: إني أرى شيئاً ما أعرفه، وما هو بالذي خلفنا، فلما رآهم ابن بحدل قال لأصحابه: احملوا عليهم، فقتل من الفريقين جميعاً ، فقال ابن مخلاة:

لقد طار في الآفاق أن ابن بحدل حميداً شفى كلباً فقرت عيونها

وقال منذر بن حسان:

وبادية الجواعر من نمير تنادي وهي سافر النقاب
تنادي بالجزيرة: يا لقيس وقيس بئس فتيان الضراب
قتلنا منهم مائتين صبراً وألفاً بالتلاع وبالروابي

وأفلتنا هجين بني سليم يفدي المهر من حب الإياب

فلولا الله والمهر المفدى لغودر وهو غربال الإهاب

ثم سار عمير، وجمع لهم أكثر مما كان تجمع، فأغار عليهم، فقتل منهم مقتلة، واستاق الغنائم وسبى. فلما سمعت كلب بإيقاعه تحملت من منزلها هاربة منه، فلم يبق منهم أحد في موضع يقدر عمير على الغارة عليه إلا أن يخوض إليهم غيرهم من ألأحياء، ويخلف مدائن الشام خلف ظهره، وصاروا جميعاً إلى الغوير ، فقال عمير في ذلك:

بشر بني القين بطعن شرج يشبع أولاد الضباع العرج

ما زال إمراري لهم ونسجي وعقبتي للكور بعد السرج

حتى اتقوني بالظهور الفلج هل أجزين يوماً بيوم المرج

ويوم دهمان ويوم هرج

وقال رجل من نمير:

أخذت نساء عبد الله قهراً وما أعفيت نسوة آل كلب

صبحناهم بخيل مقربات وطعن لأكفاء له وضرب

يبكين ابن عمرو وهو تسفي عليه الريح تراباً بعد ترب

وسعد قد دنا منه حمام بأسمر من رماح الخط صلب

وقد قالت أمامة إذ رأتني: بليت وما لقيت لقاء صحب

وقد فقدت معانقتي زماناً وشد المعصمين فويق حقب

لقد بدلت بعدي وجه سوء وآثاراً بجلدك يا بن كعب

فقلت لها كذلك من يلاقي عتاق الخيل تحمل كل صعب

وقال المجير بن أسلم القشيري:

أصبحت أم معمر عذلتني في ركوبي إلى منادي الصباح

فدعيني أفيد قومك مجداً تندبيني به لدى الأنواح

كل حي أذقت نعمي وبؤسى ببني عامر الطوال الرماح

وصدمنا كلباً فبين قتيل أو سليب مشرد من جراح

وأتونا بكل أجرد صاف ورجال معدة وسلاح

وقال أيضاً:

أبلغ عامراً عني رسولاً وأبلغ إن عرضت بني جناب

هلم إلى جياد مضمرات وبيض لا تفل من الضراب
وسمر في المهزة ذات لين نقيم بهن من صعر الرقاب
إذا حشدت سليم حول بيتي وعامرها المركب في النصاب
فمن هذا يقارب فخر قومي ومن هذا الذي يرجو اغتصابي؟

وقال زفر بن الحارث:

يا كلب قد كلب الزمان عليكم وأصابكم مني عذاب مرسل
أيهولنا يا كلب أصدق شدة يوم اللقاء أم الهويل الأول
إن السماوة لا سماوة فالحقي بالغور فالأفحاص بئس الموئل
فجنوب عكا فالسواحل إنها أرض تذوب بها اللقاح وتهزل
أرض المذلة حيث عقت أمكم وأبوكم أو حيث مزع بحدل

وقال عمير بن الحباب:

وردن على الغوير غوير كلب كأن عيونها قلب انتزاح
أقر العين مصرع عبدود وما لاقت سراة بني الجلاح
وقائمة تنادي يا لكلب وكلب بئس فتيان الصباح
وكلب تركنا جمعهم بين هارب حذار المنايا أو قتيل مجدل
وأفلتنا لما التقينا بعاقد على سابح عند الجراء ابن بحدل
وأقسم لو لاقيته لعلوته بأبيض قطاع الضريبة مقصل

وقال عمير أيضاً:

وكلباً تركناهم فلولاً أذلة أدرنا عليهم مثل راغية البكر

وقال جهم القشيري:

يا كلب مهلاً عن بني عامر فليس فيها الجد بالعاثر
ولى حميد وهو في كربة على طويل متنه ضامر

بالأم يفديها وقد شمرت كاللبوة الممطولة الكاسر

هلا صبرتم للقنا ساعة ولم تكن بالماجد الصابر؟

وقال عمير:

وأفلتنا ركضاً حميد بن بحدل على سابح غوج اللبان مثابر

إذا انتقصت من شأوه الخيل خلفه ترامى به فوق الرماح الشواجر

لدن غدوة حتى نزلنا عشية يمر كمريخ الغلام المخاطر

وقال عمير:

يا كلب لم تترك لكم أرماحنا بلوى السماوة فالغوير مرادا

يا كلب أحرمنا السماوة فانظري غير السماوة في البلاد بلادا

ولقد صككنا بالفوارس جمعكم وعديدكم يا كلب حتى بادا

ولقد سبقت بوقعة تركتكم يا كلب بالحرب العوان بعادا

وقال زفر بن الحارث:

جرى الله خيراً كلما ذر شارق سعيداً ولاقته التحية والرحب

وحلحلة المغوار لله جده فلو لم ينله القتل بادت إذن كلب

بني عبد ود لا نطالب ثأرنا من الناس بالسلطان إن شبت الحرب

ولكن بيض الهند تسعر نارنا إذا ما خبت نار الأعادي فما تخبو

أبادتكم فرسان قيس فما لكم عديد إذا عد الحصى لا ولا عقب

بأيديهم بيض رقاق كأنها إذا ما انتضوها في أكفهم الشهب

فسبوهم إن أنتم لم تطالبوا بثأركم قد ينفع الطالب السب

وما امتنع الأقوام عنا بنأيهم سواء علينا النأي في الحرب والقرب

وقال عمير:

شفيت الغليل من قضاعة عنوة فظل لها يوم أغر محجل

جزيناهم بالمرج يوماً مشهراً فلاقوا صباحاً ذا وبال وفتلوا

فلم يبق إلا هارب من سيوفنا وإلا قتيل في مكر مجدل

وقال ابن الصفار المحاربي :

عظمت مصيبة تغلب ابنة وائل حتى رأت كلب مصيبتها سوى
شتموا وكان الله قد أخزاهم وتريد كلب أن يكون لها أسا
وبكم بدأنا يال كلب قتلهم ولعلنا يوماً نعود لكم عسى
أخنت على كلب صدور رماحنا ما بين أقبلة الغوير إلى سوا
وعركن بهراء بن عمرو عركة شفت الغليل ومسهم منا أذى

وقال الراعي:

متى نفترش يوماً عليماً بغارة يكونوا كعوص أو أذل وأضرعا
وحي الجلاح قد تركنا بدارهم سواعد ملقاة وهاماً مصرعا
ونحن جدعنا أنف كلب ولم ندع لبهراء في ذكر من الناس مسمعا
قتلنا لو أن القتل يشفي صدورنا بتدمر ألفاً من قضاعة أقرعا

وقال زفر بن الحارث - وذكر أبو عبيدة أنها لعقيل بن علفة :

أقر العيون أن رهط ابن بحدل أذيقوا هواناً بالذي كان قدما
صبحناهم البيض الرقاق ظباتها بجانب خبث والوشيج المقوما
وجرداء ملتها الغزاة فكلها ترى قلقاً تحت الرحالة أهضما
بكل فتى لم تأبر النخل أمه ولم يدع يوماً للغرائر معكما

وهذه الحروب التي جرت: ببنات قين . فلما ألح عمير بالغارات على كلب رحلت حتى نزلت غوري الشام، فلما صارت كلب بالموضع الذي صارت قيس، انصرفت قيس في بعض ما كانت تنصرف من غزو كلب، وهم مع عمير، فنزلوا بثني من أثناء الفرات بين منازل بني تغلب، وفي بني تغلب امرأة من تميم يقال لها: أم دويل ناكحة في بني مالك بن جشم بن بكر، وكان دويل من فرسان بني تغلب، وكانت لها أعتر بمجنبة ، فأخذوا من أعترها ، أخذها غلام من بني الحريش، فشكوا ذلك إلى عمير فلم يشكهم، وقال: معرة الجند. فلما رأى أصحابه أنه لم يقدعهم وثبوا على بقية أعترها فأخذوها وأكلوها، فلما أتاها دويل أخبرته بما لقيت، فجمع جمعاً ثم سار فأغار على بني الحريش، فلقي جماعة منهم فقاتلوه، فخرج رجل من بني الحريش - زعمت تغلب أنه مات بعد ذلك - وأخذ ذوداً لامرأة من بني الحريش يقال لها: أم الهيثم، فبلغ الأخطل الوقعة، فلم يدر ما هي، وقال وهو براذان :

أتاني ودوني الزابيان كلاهما ودجلة أنباء أمر من الصبر
أتاني بأن ابني نزار تهاديا وتغلب أولى بالوفاء وبالغدر

فلما تبين الخبر قال:

وجاءوا بجمع ناصري أم هيثم فما رجعوا من ذودها ببعير

فلما بلغ ذلك قيساً أغارت على بني تغلب بإزراء الخابور ، فقتلوا منهم ثلاثة نفر، واستاقوا خمسة وثلاثين بعيراً، فخرجت جماعة من تغلب، فأتوا زفر بن الحارث وذكروا له القرابة والجهوار، وهم بقرقيسيا، وقالوا: ائتنا برحالنا ورد علينا نعمنا، فقال: أما النعم فنردها عليكم، أو ما قدرنا لكم عليه، ونكمل لكم نعكم من نعمنا إن لم نصبها كلها، وندي لكم القتلى، قالوا له: فدع لنا قريات الخابور، ورحل قيساً عنها، فإن هذه الحروب لن تطفأ ما داموا مجاورينا، فأبى ذلك زفر، وأبواهم أن يرضوا إلا بذلك، فناشدهم الله وألح عليهم، فقال له رجل من النمر كان معهم: والله ما يسرني أنه وقاني حرب قيس كلب أبقع تركته في غنمي اليوم، وألح عليهم زفر يطلب إليهم ويناشدهم، فأبوا فقال عمير: لا عليك، لا تكثر، فوالله إني لأرى عيون قوم ما يريدون إلا محاربتك، فانصرفوا من عنده، ثم جمعوا جمعاً، وأغاروا على ما قرب من قرقيسيا من قرى القيسية، فلقيهم عمير بن الحباب، فكان النميري الذي تكلم عند زفر أول قتيل، وهزم التغلبيين، فأعظم ذلك الحيان جميعاً قيس وتغلب، وكرهوا الحرب وشماتة العدو.

فذكر سليمان بن عبد الله بن الأصم:

أن إياس بن الخراز، أحد بني عتيبة بن سعد بن زهير، وكان شريفاً من عيون تغلب، دخل قرقيسيا لينظر ويناظر زفر فيما كان بينهم، فشد عليه يزيد بن بحزن القرشي فقتله، فتذمم زفر من ذلك، وكان كريماً مجمعاً لا يحب الفرقة، فأرسل إلى الأمير ابن قرشة بن عمرو بن ربعي بن زفر بن عتيبة بن بعج بن عتيبة بن سعد بن زهير بن جشم بن الأرقم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب، فقال له: هل لك أن تسود بني نزار فتقبل مني الدية عن ابن عمك؟ فأجابه إلى ذلك. وكان قرشة من أشراف بني تغلب، فتلافى زفر ما بين الحيين، وأصلح بينهم، وفي الصدور ما فيها، فوفد عمير على المصعب بن الزبير، فأعلمه أنه قد أولج قضاعة بمدائن الشام، وأنه لم يبق إلا حي من ربيعة أكثرهم نصارى، فسأله أن يوليه عليهم، فقال: اكتب إلى زفر، فإن هو أراد ذلك وإلا ولاك، فلما قدم على زفر ذكر له ذلك فشق عليه ذلك، وكره أن يليهم عمير فيحيف بهم ويكون ذلك داعية إلى منافرته، فوجه إليهم قوماً، وأمرهم أن يرفقوا بهم، فأتوا أخلاطاً من بني تغلب من مشارق الخابور فأعلموهم الذي وجهوا به، فأبوا عليهم، فانصرفوا إلى زفر، فردهم وأعلمهم أن المصعب كتب إليهم بذلك، ولا يجد بداً من أخذ ذلك منهم أو محاربتهم، فقتلوا بعض الرسل.

وذكر ابن الأصم: أن زفر لما أتاه ذلك اشتد عليه، وكره استفساد بني تغلب، فصار إليهم عمير بن الحباب فلقيهم قريباً من ماكسين على شاطئ الخابور، بينه وبين قرقيسيا مسيرة يوم، فأعظم فيه القتل.

وذكر زياد بن يزيد بن عمير بن الحباب: أن القتل استحر ببني عتاب بن سعد، والنمر، وفيهم أخلاط تغلب، ولكن هؤلاء معظم الناس، فقتلوهم بها قتلاً شديداً، وكان زفر بن يزيد أخو الحارث بن جشم له عشرون ذكراً

لصلبه، وأصيب يومئذ أكثرهم، وأسر القطامي الشاعر وأخذت إبله، فأصاب عمير وأصحابه شيئاً كثيراً من النعم، ورئيس تغلب يومئذ عبد الله بن شريح بن مرة بن عبد الله بن عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم، فقتل، وقتل أخوه، وقتل مجاشع بن الأجلح، وعمرو بن معاوية من بني خالد بن كعب بن زهير، وعبد الحارث بن عبد المسيح الأوسي، وسعدان بن عبد يسوع بن حرب ، وسعد ود بن أوس من بني جشم بن زهير، وجعل عمير يصيح بهم: " ويلكم لا تستبقوا أحداً " ونادى رجل من بني قشير يقال له الندار: " أنا جار لكل حامل أتتني، فهي آمنة "، فأتته الحبالى، فبلغني أن المرأة تشد على بطنها الجفنة من تحت ثوبها تشبيهاً بالحبلى بما جعل لهن. فلما اجتمعن له بقر بطونهن فأفزع ذلك زفر وأصحابه، ولام وفر عميراً فيمن بقر من النساء، فقال: فعلته ولا أمرت به، فقال في ذلك الصفار المحاربي:

بقرنا منكم ألفي بقير فلم نترك لحاملة جنيناً

وقال الأخطل يذكر ذلك:

فليت الخيل قد وطئت قشيراً سنابكها وقد سطع الغبار

فنجزيهم ببغيهم علينا بني لبنى بما فعل الغدار

وقال الصفار:

تمنيت بالخابور قيساً فصادفت منايا لأسباب وفاق على قدر

وقال جرير:

نبئت أنك بالخابور ممتنع ثم انفرجت انفراجاً بعد إقرار

فقال زفر بن الحارث يعاتب عميراً بما كان منه في الخابور:

ألا من مبلغ عني عميراً رسالة عاتب وعليك زاري

أتترك حي ذي كلع وكلب وتجعل حد نابك في نزار

كمعتمد على إحدى يديه فخانته بوهي وانكسار

ولما أسر القطامي أتى زفر بقرقيسيا فخلى سبيله، ورد عليه مائة ناقة، كما ذكر أدهم بن عمران العبدي، فقال القطامي يمدحه:

قفي قبل التفرق يا ضباعا ولا يك موقف منك الوداعا

قفي فادي أسيرك إن قومي وقومك لا أرى لهم اجتماعا

ألم يحزنك أن حبال قيس وتغلب قد تباينت انقطاعا

فصارا ما تغبهما أمور تزيد سنا حريقتها ارتفاعا

كما العظم الكسير يهاض حتى ... بيت وإنما بدأ انصداعا
فأصبح سبل ذلك قد ترقى ... إلى من كان منزله يفاعا
فلا تبعد دماء ابني نزار ... ولا تقرر عيونك يا قضاعا

ومن يكن استلام إلى ثوي ... فقد أحسنت يا زفر المتاعا
أكفراً بعد رد الموت عني ... وبعد عطائك المائة الرتاعا
فلو بيدي سواك غداة زلت ... بي القدمان لم أرج اطلاعا
إذن لهلكت لو كانت صغار ... من الأخلاق تبتدع ابتداعا
فلم أر منعمين أقل منا ... وأكرم عندما اصطنعوا اصطناعا
من البيض الوجوه بني نفيل ... أبت أخلاقهم إلا اتساعا
بني القرم الذي علمت معد ... تفضل قومها سعة وباعا

وقال أيضاً:

يا زفر بن الحارث بن الأكرم ... قد كنت في الحرب قديم المقدم
إذا أحجم القوم ولما تحجم ... إنك وابنيك حفظتم محرمي
وحقن الله بكفيك دمي ... من بعد ما جف لساني وفمي
أنقذتني من بطل معمم ... والخيل تحت العارض المسوم
وتغلب يدعون: يا للأرقم

وقال أيضاً :

يا ناق خبي خبباً زوراً ... وقلبي منسمك المغبرا
وعارضي الليل إذا ما اخضرا ... سوف تلاقين جواداً حرا
سيد قيس زفر الأغرا ... ذاك الذي بايع ثم برا
ونقض الأقوام واستمرا ... قد نفع الله به وضرا
وكان في الحرب شهاباً مرا

وقال أيضاً:

كأن في المركب حين راحا بدراً يزيد البصر انفضاحا
ذا بلج ساواك أني امتاحا وقر عيناً ورجا الرباحا
ألا ترى ما غشي الأركاحا وغشي الخابور والأملاحا
يصفقون بالأكف الراحا

وقال فيه أيضاً هذه القصيدة التي فيها الغناء المذكور بذكر أخبار القطامي :

ما اعتاد حب سليمى حين معتاد ولا تقضى بواقي دينها الطادي
بيضاء محطوطة المتنين بهكنة ريا الروادف لم تمغل بأولاد
ما للكواعب ودعن الحياة كما ودعنني واتخذن الشيب ميعادي
أبصارهن إلى الشبان مائلة وقد أراهن عني غير صداد
إذ باطلي لم تقشع جاهليته عني ولم يترك الخلان تقوادي
كنية الحي من ذي القيضة احتملوا مستحقبين فؤاداً ما له فادي
بانوا وكانوا حياتي في اجتماعهم وفي تفرقهم قتلي وإقصادي
يقتلنا بحديث ليس يعلمه من يتقين ولا مكنونه بادي
فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

يقول فيها في مدح زفر بن الحارث:

من مبلغ زفر القيسي مدحته من القطامي قولاً غير إفناد
إني وإن كان قومي ليس بينهم وبين قومك إلا ضربة الهادي
مثن عليك بما استبقيت معرفتي وقد تعرض مني مقتل بادي
فلن أثيبك بالنعماء مشتمة ولن أبدل إحساناً بإفساد
فإن هجوتك ما تمت مكارمتي وإن مدحت فقد أحسنت إصفادي
وما نسيت مقام الورد تحبسه بيني وبين حفيف الغابة الغادي
لولا كتائب من عمرو تصول بها أرديت يا خير من يندو له النادي
إذ لا ترى العين إلا كل سلهبة وسابح مثل سيد الردهة العادي
إذ الفوارس من قيس بشكتهم حولي شهود وما قومي بشهادي

إذ يعتريك رجال يسألون دمي ولو أطعتكم أبكيت عوادي
فقد عصيتهم والحرب مقبلة لا بل قدحت زناداً غير صلاد
والصيد آل نفيل خير قومهم عند الشتاء إذا ماضن بالزاد
المانعون غداة الروع جارهم بالمشرفية من ماض ومنآد
أيام قومي مكاني منصب لهم ولا يظنون إلا أنني رادي
فانتاشني لك من غماء مظلمة حبل تضمن إصداري وإيرادي

ولا كردك مالي بعدما كربت تبدي الشماتة أعدائي وحسادي
فإن قدرت على خير جزيت به والله يجعل أقواماً بمرصاد

قال ابن سلام: فلما سمع زفر هذا قال: لا أقدرك الله على ذلك.

وقال أيضاً:

ألا من مبلغ زفر بن عمرو وخير القول ما نطق الحكيم
أبي ما يقاد الدهر قسراً ولا لهوى المصرف يستقيم
أنوف حين يغضب مستعز جنوح يستبد به العزيم
فما آل الحباب إلى نفيل إذا عد الممهل والقديم
كأن أبا الحباب إلى نفيل حمار عضه فرس عذوم
بنى لك عامر وبنو كلاب أروماً ما يوازيه أروم

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة، قال: حدثني علي بن يحيى المنجم، قال: سمعت من لا أحصي من الرواة يقولون: أحسن الناس ابتداء قصيد في الجاهلية امرؤ القيس، حيث يقول:

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي ..

وحيث يقول:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ..

وفي الإسلاميين القطامي، حيث يقول:

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل

وفي المحدثين بشار، حيث يقول:

أبى طلل بالجزع أن يتكلما وماذا عليه لو أجاب متيماً؟

وبالفرع آثار لهند وباللوى ملاعب ما يعرفن إلا توهما

نسخت من كتاب أحمد بن الحارث الخراز - ولم أسمعه من أحد، وهو خبر فيه طول اقتصرت منه على ما فيه من خبر القطامي - قال أحمد بن الحارث الخراز: حدثني المدائني، عن عبد الملك بن مسلم، قال: قال عبد الملك بن مروان للأخطل، وعنده عامر الشعبي: أتحب أن لك قياضاً بشعرك شعر أحمد من العرب أم تحب أنك قلته؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، إلا أني وددت أني كنت قلت أبياتاً قالها رجل منا مغدف القناع، قليل السماع، قصير الذراع، قال: وما قال؟ فأنشد قول القطامي :

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل وإن بليت وإن طالت بك الطيل

ليس الجديد به تبقى بشاشته إلا قليلاً ولا ذو خلة يصل

والعيش لا عيش إلا ما تقر به عين ولا حال إلا سوف تنتقل

إن ترجعي من أبي عثمان منجحة فقد يهون على المستنجح العمل

والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي ولأم المخطئ الهبل

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

حتى أتى على آخرها .

قال الشعبي: فقلت له: قد قال القطامي أفضل من هذا، قال: وما قال؟ قلت: قال :

طرقت جنوب رجالنا من مطرق ما كنت أحسبها قريب المعنق

قطعت إليك بمثل حيد جداية حسن معلق تومتيه مطوق

ومصرعين من الكلال كأنما بكروا الغبوق من الرحيق المعتق

متوسدين ذراع كل شملة ومفرج عرق المقذ منوق

وجئت على ركب تهد بها الصفا وعلى كلاكل كالنقيل المطرق

وإذا سمعن إلى هماهم رفقة ومن النجوم غوابر لم تخفق

جعلت تميل خدودها آذانها طرباً بهن إلى حداء السوق

كالمنصتات إلى الزمير سمعنه من رائع لقلوبهن مشوق

فإذا نظرن إلى الطريق رأينه لهقاً كشاكلة الحصان الأبلق

وإذا تخلف بعدهن لحاجة حاد يشسع نعله لم يلحق

وإذا يصيبك والحوادث جمة حدث حداك إلى أخيك الأوثق

ليت الهموم عن الفؤاد تفرجت وخلا التكلم للسان المطلق

قال: فقال عبد الملك بن مروان: ثكلت القطامي أمه، هذا والله الشعر، قال: فالتفت إلي الأخطل فقال لي : يا شعبي، إن لك فنوناً في الأحاديث، وإنما لنا فن واحد، فإن رأيت ألا تحملني على أكتاف قومك فأدعهم حربي فقلت: وكرامة ، لا أعرض لك في شعر أبداً، فأقلني هذه المرة.

ثم التفت إلى عبد الملك بن مروان، فقلت: يا أمير المؤمنين: أسألك أن تستغفر لي الأخطل، فإني لا أعاود ما يكره، فضحك عبد الملك بن مروان وقال: يا أخطل إن الشعبي في جواري، فقال: يا أمير المؤمنين: قد بدأته بالتحذير، وإذا ترك ما نكره لم نعرض له إلا بما يحب. فقال عبد الملك بن مروان للأخطل: فعلي ألا يعرض لك إلا بما تحب أبداً، فقال له الأخطل: أنت تتكفل بذلك يا أمير المؤمنين؟ قال عبد الملك بن مروان: أنا أكفل به، إن شاء الله تعالى.

يا بن الذين سما كسرى لجمعهم فجللوا وجه قاراً بذي قار

دوخ خراسان بالجرد العتاق وبالبيض الرقاق بأيدي كل مسعار

الشعر لأبي نجدة - واسمه لجيم بن سعد - شاعر من بني عجل.

أخبرني بذلك جماعة من أهله وكان أبو نجدة هذا مع أحمد بن عبد العزيز بن دلف بن أبي دلف، منقطعاً إليه.

والغناء لكنيز دبة ، ولحنه فيه خفيف بالبنصر، ابتداؤه نشيد.

وكان سبب قوله هذا الشعر أن قائداً من قواد أحمد بن عبد العزيز التجأ إلى عمرو بن الليث، وهو يومئذ بخراسان، فغم ذلك أحمد وأقلقه ، فدخل عليه أبو نجدة، فأنشده هذين البيتين، وبعدهما:

يا من تيمم عمراً يستجير به أما سمعت ببيت فيه سيار

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

فسر أحمد بذلك، وسري عنه ، وأمر لأبي نجدة بجائزة، وخلع عليه وحمله، وغنى فيه كنيز لحنه هذا ، وهو لحن حسن مشهور في عصرنا هذا، فأمر لكنيز أيضاً بجائزة، وخلع عليه وحمله.

سمعت أبا علي محمد بن المرزباني يحدث أبي - رحمه الله - بهذا على سبيل المذاكرة، وكانت بيننا وبين آل المرزبان مودة قديمة وصهر.

التي فخر بها هذا الشعر

خبر وقعة ذي قار التي فخر بها

في هذا الشعر

أخبرنا بخبرها علي بن سليمان الأخفش، عن السكري، عن محمد بن حبيب، عن أبي الكلبي، عن خراش بن إسماعيل، وأضفت إلى ذلك رواية الأثرم عن أبي عبيدة، وعن هشام أيضاً، عن أبيه، قالوا: كان من حديث ذي قار أن كسرى أبرويز بن هرمز لما غضب على النعمان بن المنذر أتى النعمان هانئ بن مسعود بن عامر بن عمرو بين ربيعة بن ذهل بن شيبان ، فاستودعه ماله وأهله وولده ، وألف شكة، ويقال: أربعة آلاف شكة - قال ابن الأعرابي: والشكة: السلاح كله - ووضع وضائع عند أحياء من العرب ، ثم هرب وأتى طيئاً لصهره فيهم.

وكانت عنده فرعة بنت سعيد بن حارثة بن لأم ، وزينب بنت أوس بن حارثة، فأبوا أن يدخلوه جبلهم ، وأتته بنو رواحة بن ربيعة بن عبس ، فقالوا: " أبيت اللعن، أقم عندنا، فإنا مانعوك مما نمنع منه أنفسنا "، فقال: ما أحب أن تهلكوا بسببي، فجزيتم خيراً.

ثم خرج حتى وضع يده في يد كسرى، فحبسه بساباط ، ويقال بخانقين - وقد مضى خبره مشروحاً في أخبار عدي بن يزيد - قالوا: فلما هلك النعمان جعلت بكر بن وائل تغير على السواد ، فوفد قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجدين ، بن عبد الله بن عمرو إلى كسرى، فسأله أن يجعل له أكلاً وطعمة، على أن يضمن له على بكر بن وائل ألا يدخلوا السواد ولا يفسدوا فيه، فأقطعه الأبلة وما والاها.

وقال: هل ، تكفيك وتكفي أعراب قومك؟ .. وكانت له حجرة فيها مائة من الإبل للأضياف، نحرت ناقة ردت مكانها ناقة أخرى وإياه عني الشماخ بقوله:

فادفع بألبانها عنكم كما دفعت عنهم لقاح بني قيس بن مسعود

قال: فكان يأتيه من أتاه منهم فيعطيه جلة تمر وكرباسة ، حتى قدم الحارث بن وعلة بن مجالد بن يثربي بن الديان بن الحارث بن مالك بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة، والمكسر بن حنظلة بن حيي بن ثعلبة بن سيار بن حيي بن حاطبة بن الأسعد بن جذيمة بن سعد بن عجل بن لجيم ، فأعطاهما جلتي تمر وكرباستين، فغضبا وأبيا أن يقبلا ذلك منه، فخرجا واستغويا ناساً من بكر بن وائل، ثم أغارا على السواد، فأغار الحارث على أسافل رودميسان وهي من جرد ، وأغار المكسر على الأنبار، فلقيه رجل من العباديين من أهل الحيرة، قد نتجت بعض نوقهم، فحملوا الحوار على ناقة، وصروا ، الإبل.

فقال العبادي: لقد صبح الأنبار شر، جمل يحمل جملاً ، وجمل برته عود، فجعلوا يضحكون من جهله بالإبل.

قال: وأغار بجير بن عائذ بن سويد العجلي ، ومعه مفروق بن عمرو الشيباني على القادسية وطير ناباذ وما والاهما، وكلهم ملأ يديه غنيمة. فأما مفروق وأصحابه فوقع فيهم الطاعون فموت منهم خمسة نفر مع من موت من أصحابهم، فدفنوا بالدجيل، وهو رحلة من العذيب يسيرةً، فقال مفروق:

أتاني بأنباط السواد يسوقهم إلي وأودت رجلتي وفوارسي

فلما بلغ ذلك كسرى اشتد حنقه على بكر بن وائل، وبلغه أن حلقة النعمان وولده وأهله عندهم، فأرسل كسرى إلى قيس بن مسعود، وهو بالأبلة فقال: غررتني من قومك، وزعمت أنك تكفينيهم، وأمر به فحبس بساباط، وأخذ كسرى في تعبئة الجيوش إليهم، فقال قيس بن مسعود، وهو محبوس ، من أبيات :

ألا أبلغ بني ذهل رسولاً ... فمن هذا يكون لكم مكاني

أيأكلها ابن وعلة في ظليف ... ويأمن هيثم وابنا سنان؟

ويأمن فيكم الذهلي بعدي ... وقد وسموكم سمة البيان

ألا من مبلغ قومي ومن ذا ... يبلغ عن أسير في الإوان

- يعني الإيوان -

تطاول ليله وأصاب حزناً ... ولا يرجو الفكاك مع المنان

يعني بالهيثم ، وابني سنان: الهيثم بن جرير بن يساف بن ثعلبة بن سدوس بن ذهل بن ثعلبة، وأبو علباء بن الهيثم.

وقال قيس بن مسعود ينذر قومه:

ألا ليتني أرشو سلاحي وبغلتي ... لمن يخبر الأنباء بكر بن وائل

ويروي: لمن يعلم الأنباء

فأوصيهم بالله والصلح بينهم ... لينصأ معروف ويزجر جاهل

وصاة امرئ لو كان فيكم أعانكم ... على الدهر، والأيام فيها الغوائل

فاياكم والطف لا تقربنه ... ولا البحر إن الماء للبحر واصل

ولا أحبسنكم عن بغا الخير إنني ... سقطت على ضرغامة فهو آكل

رواه ابن الأعرابي فقال:

...إن الماء للقود واصل

أي أنه معين لهم، يقود الخير إليكم .

قال: وقال قيس أيضاً ينذرهم:

تعناك من ليلى مع الليل خائل ... وذكر لها في القلب ليس يزايل

أحبك حب الخمر ما كان حبها ... إلي وكل في فؤادي داخل

ألا ليتني أرشو سلاحي وبغلتي ... فيخبر قومي اليوم ما أنا قائل

فإنا ثوينا في شعوب وإنهم ... غزتهم جنود جمة وقبائل

وإن جنود العجم بيني وبينكم فيا فلجي يا قوم إن لم تقاتوا

قال: فلما وضح لكسرى واستبان أن مال النعمان وحلقته وولده عند ابن مسعود بعث إليه كسرى رجلاً يخبره أنه قال له: إن النعمان إنما كان عاملي، وقد استودعك ماله وأهل والحلقة ، فابعث بها إلي ولا تكلفني أن أبعث إليك ولا إلى قومك بالجنود، تقتل المقاتلة وتسبي الذرية. فبعث إليه هانئ : إن الذي بلغك باطل، وما عندي قليل ولا كثير ، وإن يكن الأمر كما قيل فإنما أنا أحد رجلين، إما رجل استودع أمانة، فهو حقيق أن يردها على من استودعه أياها ، ولن يسلم الحر أمانته. أو رجل مكذوب عليه، فليس ينبغي للملك أن يأخذه بقول عدو أو حاسد.

قال: وكانت الأعاجم قوماً لهم حلم ، قد سمعوا ببعض علم العرب ، وعرفوا أن هذا الأمر كائن فيهم . فلما ورد عليه كتاب هانئ بهذا حملته الشفقة أن يكون ذلك قد اقترب، فأقبل حتى قطع الفرات، فنزل غمر بني مقاتل . وقد أحنقه ما صنعت بكر بن وائل في السواد ومنع هانئ إياه ما منعه.

قال: ودعا كسرى إياس بن قبيصة الطائي، وكان عامله على عين النمر وما والاها إلى الحيرة ، وكان كسرى قد أطعمه ثلاثين قرية على شاطئ الفرات، فأتاه في صنائعه من العرب الذين كانوا بالحيرة، فاستشاره في الغارة على بكر بن وائل، وقال: ماذا ترى؟ وكم ترى أن نغزيهم من الناس؟ فقال له إياس: إن الملك لا يصلح أن يعصيه أحد من رعيته، وإن تطعني لم تعلم أحداً لأي شيء عبرت وقطعت الفرات، فيروا أن شيئاً من أمر العرب قد كربك ، ولكن ترجع وتضرب عنهم، وتبعث عليهم العيون حتى ترى غرة منهم ثم ترسل حلبة من العجم فيها بعض القبائل التي تليهم، فيوقعون بهم وقعة الدهر، ويأتونك بطلبتك. فقال له كسرى: أنت رجل من العرب، وبكر بن وائل أخوالك - وكانت أم إياس : أمامة بنت مسعود، أخت هانئ بن مسعود - فأنت تتعصب لهم، ولا تألوهم نصحاً . فقال إياس: رأي الملك أفضل فقام إليه عمرو بن عدي بن زيد العبادي - وكان كاتبه وترجمانه بالعربية، في أمور العرب - فقال له: أقم أيها الملك - وابعث إليهم بالجنود يكفوك. فقام إليه النعمان بن زرعة بن هرمي، من ولد السفاح التغلبي، فقال : أيها الملك، إن هذا الحي من بكر بن وائل إذا قاظوا بذي قار تهافتوا تهافت الجراد في النار. فعقد للنعمان بن زرعة على تغلب والنمر ، وعقد لخالد بن يزيد البهراني على قضاعة وإياد، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب، ومعه كتيبتاه الشهباء والدوسر، فكانت العرب ثلاثة آلاف. وعقد للهامرز على ألف من الأساورة ، وعقد لخنابرين على ألف، وبعث معهم باللطيمة، وهي عير كانت تخرج من العراق، فيها البر والعطر والألطاف ، توصل إلى باذام عامله باليمن، وقال: إذا فرغتم من عدوكم فسيروا بها إلى اليمن، وأمر عمرو بن عدي أن يسير بها، وكانت العرب تخفرهم وتجيرهم حتى تبلغ اللطيمة اليمن . وعهد كسرى إليهم إذا شارفوا بلاد بكر بن وائل ودنوا منها أن يبعثوا إليهم النعمان بن زرعة، فإن أتوكم بالحلقة ومائة غلام منهم يكونون رهناً بما أحدث سفهاؤهم، فاقبلوا منهم، وإلا فقاتلوهم . وكان

كسرى قد أوقع قبل ذلك ببني تميم، يوم الصفقة فالعرب وجلة خائفة منه . وكانت حرقة بنت حسان بن النعمان بن المنذر يومئذ في بني سنان، هكذا في هذه الرواية.

وقال ابن الكلبي: حرقة بنت النعمان ، وهي هند، والحرقة لقب، وهذا هو الصحيح. فقالت تنذرهم:

ألا أبلغ بني بكر رسولاً ... فقد جد النفير بعنقفير

فليت الجيش كلهم فداكم ... ونفسي والسرير وذا السرير

كأني حين جد بهم إليكم ... معلقة الذوائب بالعبور

فلو أني أطقت لذاك دفعاً ... إذن لدفعته بدمي وزيري

فلما بلغ بكر بن وائل الخبر سار هانئ بن مسعود حتى انتهى إلى ذي قار، فنزل به، وأقبل النعمان بن زرعة، وكانت أمه قلطف بنت النعمان بن معد يكرب التغلبي، وأمها الشقيقة بنت الحارث الوصاف العجلي ، حتى نزل على ابن أخته مرة بن عمرو بن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن قيس بن سعد بن عجل، فحمد الله النعمان وأثنى عليه ثم قال: إنكم أخوالي وأحد طرفي، وإن الرائد لا يكذب أهله، وقد أتاكم ما لا قبل لكم به من أحرار فارس، وفرسان العرب، والكتيبتان: الشهباء والدوسر، وإن في هذا الشر خياراً. ولأن يفتدى بعضكم بعضاً خير من أن تصطلموا ، فانظروا هذه الحلقة فادفعوها وادفعوا رهناً من أبنائكم إليه بما أحدث سفهاؤكم. فقال له القوم: ننظر في أمرنا. وبعثوا إلى من يليهم من بكر بن وائل، وبرزوا ببطحاء ذي قار بين الجهلتين.

قال الأثرم: جلهة الوادي: ما استقبلك منه واتسع لك . وقال ابن الأعرابي: جلهة الوادي: مقدمه، مثل جلهة الرأس إذا ذهب شعره، يقال: رأس أجله.

قال: وكان مرداس بن أبي عامر السلمي مجاوراً فيهم يومئذ، فلما رأى الجيوش قد أقبلت إليهم حمل عياله فخرج عنهم، وأنشأ يقول يحرضهم بقوله:

أبلغ سراة بني بكر مغلغلة ... إني أخاف عليهم سربة الدار

إني أرى الملك الهامرز منصلتاً ... يزجي جياداً وركباً غير أبرار

لا تلقط البعر الحولي نسوتهم ... للجائزين على أعطان ذي قار

فإن أبيتم فإني رافع ظعني ... ومنشب في جبال اللوب أظفاري

وجاعل بيننا ورداً غواربه ... ترمى إذا ما ربا الوادي بتيار

ربا: ارتفع وطال ، وقوله: ورداً غواربه: أراد البحر.

قال علي بن الحسين الأصفهاني : هذه الحكاية عندي في أمر مرداس بن أبي عامر خطأ ، لأن وقعة ذي قار كانت بعد هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم وآله - وكانت بين بدر وأحد ومرداس بن أبي عامر، وحرب بن

أمية أبو أبي سفيان ماتا في وقت واحد ، كانا مرا بالقرية ، وهي غيضة ملتفة الشجر، فأحرقا شجرها ليتخذاها مزرعة، فكانت تخرج من الغيضة حيات بيض فتطير حتى تغيب، ومات حرب ومرداس بعقب ذلك، فتحدث قومهما أن الجن قتلتهما إحراقهما منازلهم من الغيضة، وذلك قبل مبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - بحين. ثم كانت بي أبي سفيان وبين العباس بن مرداس منازعة في هذه القرية، ولهما في ذلك خبر ليس هذا موضعه. وأظن أن هذه الأبيات للعباس بن مرداس بن أبي عامر .

رجع الحديث إلى سياقته في حديث ذي قار.

قال: وجعلت بكر بن وائل حين بعثوا إلى من حولهم من قبائل بكر لا ترفع لهم جماعة إلا قالوا: سيدنا في هذه. فرفعت لهم جماعة، فقالوا : سيدنا في هذه، فلما دنو إذا هم بعبد عمرو بن بشر بن مرثد ، فقالوا: لا، ثم رفعت لهم أخرى، فقالوا: في هذه سيدنا، فإذا هو جبلة بن باعث بن صريم اليشكري، فقالوا: لا، فرفعت أخرى، فقالوا: في هذه سيدنا، فإذا هو الحارث بن وعلة بن مجالد الذهلي فقالوا: لا، ثم رفعت لهم أخرى، فقالوا: في هذه سيدنا، فإذا فيها الحارث بن ربيعة بن عثمان التيمي، من تيم الله، فقالوا: لا، ثم رفعت لهم أخرى أكبر مما كان يجيء ، فقالوا: لقد جاء سيدنا، فإذا رجل أصلع الشعر، عظيم البطن، مشرب حمرة، فإذا هو حنظلة بن ثعلبة بن سيار بن حيي بن حاطبة بن الأسعد بن جذيمة بن سعد بن عجل، فقالوا: يا أبا معدان، قد طال انتظارنا، وقد كرهنا أن نقطع أمراً دونك، وهذا ابن أختك النعمان بن زرعة قد جاءنا، والرائد لا يكذب أهله، قال: فما الذي أجمع عليه رأيكم، واتفق عليه ملؤكم؟ قالوا: قال: إن اللخي أهون من الوهي وإن في الشر خياراً، ولأن يفتدي بعضكم بعضاً خير من أن تصطلموا جميعاً.

قال حنظلة: فقبح الله هذا رأياً، لا تجر أحرار فارس غرلها ببطحاء ذي قار وأنا أسمع الصوت . ثم أمر بقبته فضربت بوادي ذي قار، ثم نزل ونزل الناس فأطافو به، ثم قال لهانئ بن مسعود: يا أبا أمامة، إن ذمتكم ذمتنا عامة، وإنه لن يوصل إليك حتى تفنى أرواحنا، فأخرج هذه الحلقة ففرقها بين قومك، فإن تظفر فسترد عليك، وإن تهلك فأهون مفقود.

فأمر بها فأخرجت، ففرقها بينهم، ثم قال حنظلة للنعمان: لولا أنك رسول ما أبت إلى قومك سالماً. فرجع النعمان إلى أصحابه فأخبرهم بما رد عليه القوم، فباتوا ليلتهم مستعدين للقتال، وباتت بكر بن وائل يتأهبون للحرب.

فلما أصبحوا أقبلت الأعاجم نحوهم، وأمر حنظلة بالظعن جميعاً فوقفها خلف الناس، ثم قال: يا معشر بكر بن وائل، قاتلوا عن ظعنكم أو دعوا ، فأقبلت الأعاجم يسيرون على تعبئة، فلما رأتهم بنو قيس بن ثعلبة انصرفوا فلحقوا بالحي فاستخفوا فيه، فسمي: " حي بني قيس بن ثعلبة " قال: وهو على موضع خفي فلم يشهدوا ذلك اليوم.

وكان ربيعة بن غزالة السكوني، ثم التجيبي، يومئذ هو ، وقومه نزولاً في بني شيبان، فقال: يا بني شيبان، أما لو

أني ، كنت منكم لأشرت عليكم برأي مثل عروة العكم ، فقالوا: فأنت والله من أوسطنا ، فأشر علينا، فقال: لا تستهدفوا لهذه الأعاجم فتهلككم بنشابها ، ولكن تكردسوا لهم كراديس ، فيشد عليهم كردوس، فإذا أقبلوا عليه شد الآخر، فقالوا: فإنك قد رأيت رأياً، ففعلوا.

فلما التقى الزحفان، وتقارب القوم قام حنظلة بن ثعلبة فقال: يا معشر بكر بن وائل، إن النشاب الذي مع الأعاجم يعرفكم، فإذا أرسلوه لم يخطئكم ، فعاجلوهم باللقاء ، وابدءوهم بالشدة.

ثم قام هانئ بن مسعود فقال: يا قوم، مهلك معذور خير من نجاء معرور وإن الحذر لا يدفع القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر، المنية ولا الدنية، واستقبال الموت خير من استدباره، والطعن في الثغر خير وأكرم من الطعن في الدبر، يا قوم، جدوا فما من الموت بد، فتح لو كان له رجال، أسمع صوتاً ولا أرى قوماً، يا آل بكر، شدوا واستعدوا، وإلا تشدوا وتردوا.

ثم قام شريك بن عمرو بن شراحيل بن مرة بن همام فقال: يا قوم، إنما تهابونهم أنكم تروهم عند الحفاظ أكثر منكم، وكذلك أنتم في أعينهم ، فعليكم بالصبر، فإن الأسنة تردي الأعنة، يا آل بكر قدماً قدما.

ثم قام عمرو بن جبلة بن باعث بن صريم اليشكري فقال:

يا قوم لا تغرركم هذي الخرق ولا وميض البيض في الشمس برق

من لم يقاتل منكم هذي العنق فجنبوه الراح واسقوه المرق

ثم قام حنظلة بن ثعلبة إلى وضين راحلة امرأته فقطعه، ثم تتبع الظعن يقطع وضنهن لئلا يفر عنهن الرجال ، فسمي يومئذ: " مقطع الوضين " .

والوضين: بطان الناقة.

قالوا: وكانت بنو عجل في الميمنة بإزاء خنابرين ، وكانت بنو شيبان في الميسرة بإزاء كتيبة الهامرز، وكانت أفناء بكر بن وائل في القلب ، فخرج أسوار من الأعاجم مسور ، في أذنيه درتان، من كتيبة الهامرز يتحدى الناس للبراز، فنادى في بني شيبان فلم يبرز له أحد حتى إذا دنا من بني يشكر برز له يزيد بن حارثة أخو بني ثعلبة بن عمرو فشد عليه الرمح، فطعنه فدق صلبه، وأخذ حليته وسلاحه ، فذلك قول سويد بن أبي كاهل يفتخر :

ومنا يزيد إذ تحدى جموعكم فلم تقربوه، المرزبان المشهر

وبارزه منا غلام بصارم حسام إذا لاقى الضريبة يبتر

ثم إن القوم اقتتلوا صدر نهارهم أشد قتال رآه الناس ، إلى أن زالت الشمس، فشد الحوفزان واسمه الحارث بن شريك - على الهامرز فقتله، وقتلت بنو عجل خنابرين ، وضرب الله وجوه الفرس فانهزموا، وتبعتهم بكر بن

وائل، فلحق مرثد بن الحارث بن ثور بن حرملة بن علقمة بن عمرو بن سدوس، النعمان بن زرعة، فأهوى له طعناً ، فسبقه النعمان بصدر فرسه فأفلته، فقال مرثد في ذلك:

وخيل تبارى للطعان شهدتها فأغرقت فيها الرمح والجمع محجم

وأفلتني النعمان قاب رماحنا وفوق قطاة المهر أزرق لهذم

قال: ولحق أسود بن بجير بن عائذ بن شريك العجلي النعمان بن زرعة، فقال له: يا نعمان، هلم إلي، فأنا خير آسر لك ، وخير لك من العطش .

قال: ومن أنت؟ قال: الأسود بن بجير، فوضع يده في يده، فجز ناصيته، وخلى سبيله، وحمله الأسود على فرس له، وقال له: انج على هذه ، فإنها أجود من فرسك، وجاء الأسود بن بجير على فرس النعمان بن زرعة وقتل خالد بن يزيد البهراني ، قتله الأسود بن شريك بن عمرو، وقتل يومئذ عمرو بن عدي بن زيد العبادي الشاعر، فقال أمه ترثيه:

ويح عمرو بن عدي من رجل حان يوماً بعد ما قيل كمل

كان لا يعقل حتى ما إذا جاء يوم يأكل الناس عقل

أيهم دلاك عمرو للردى وقديماً حين المرء الأجل

ليت نعمان علينا ملك وبني لي حي لم يزل

قد تنظرنا لغاد أوبة كان لو أغنى عن المرء الأمل

بان منه عضد عن ساعد بؤس للدهر ويؤسى للرجل

قال: وأفلت إياس بن قبيصة على فرس له، كانت عند رجل من بني تيم الله، يقال له: " أبو ثور "، فلما أراد إياس أن يغزوهم أرسل إليه أبو ثور بها، فنهاه أصحابه أن يفعل، فقال: ولله ما في فرس إياس ما يعز رجلاً ولا يذله، وما كنت لأقطع رحمه فيها ، فقال إياس:

غذاها أبو ثور فلما رأيتها دخيس دواء لا أضيع غذاؤها

فأعددتها كفاً ليوم كريهة إذا أقبلت بكر تجر رشاؤها

قال: وأتبعتهم بكر بن وائل يقتلونهم بقية يومهم وليلتهم ، حتى أصبحوا من الغد، وقد شارفوا السواد ودخلوه ، فذكروا أن مائة من بكر بن وائل، وسبعين من عجل، وثلاثين من أفناء بكر بن وائل، أصبحوا وقد دخلوا السواد في طلب القوم، فلم يلفت منهم كبير أحد وأقبلت بكر بن وائل على الغنائم فقسموها بينهم، وقسموا تلك اللطائم بين نسائهم، فذلك قول الديان ، بن جندل:

إن كنت ساقية يوماً على كرم فاسقي فوارس من ذهل بن شيباناً

واسقي فوارس حاموا عن ديارهم واعلي مفارقهم مسكاً وريحانا

قال: فكان أول من انصرف إلى كسرى بالهزيمة إياس بن قبيصة وكان لا يأتيه أحد بهزيمة جيش إلا نزع كتفيه، فلما أتاه إياس سأله عن الخبر، فقال: هزمنا بكر بن وائل، فأتيناك بنسائهم، فأعجب بذلك كسرى وأمر له بكسوة، وإن إياساً استأذنه عند ذلك، فقال: إن أخي مريض بعين التمر، فأردت أن آتيه ، وإنما أراد أن يتنحى عنه، فأذن له كسرى، فترك فرسه " الحمامة " وهي التي كانت عند أبي ثور بالحيرة ، وركب نجيبة فلحق بأخيه، ثم أتى كسرى رجل من أهل الحيرة وهو بالخورنق، فسأل: هل دخل على الملك أحد؟ فقالوا: نعم، إياس، فقال: ثكلت إياساً أمه! وظن أنه قد حدثه بالخبر، فدخل عليه فحدثه بهزيمة القوم وقتلهم، فأمر به فنزعت كتفاه .

قال: وكانت وقعة ذي قار بعد وقعة بدر بأشهر، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة، فلما بلغه ذلك قال: هذا يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبي نصروا.

قال ابن الكلبي : وأخبرني أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: ذكرت وقعة ذي قار عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: " ذلك يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا " وروي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مثلت له الوقعة وهو بالمدينة، فرفع يديه فدعا لبني شيبان، أو لجماعة ربيعة بالنصر، و لم يزل يدعو لهم حتى أري هزيمة الفرس.

وروي أنه قال: " إيها بني ربيعة، اللهم انصر بني ربيعة " فهم إلى الآن إذا حاربوا دعوا بشعار النبي - صلى الله عليه وسلم - ودعوته لهم، وقال قائلهم: " يا رسول الله وعدك "، فإذا دعوا بذلك نصروا.

وقال أبو كلبة التيمي يفخر بيوم ذي قار:

لولا فوارس لا ميل ولا عزل من اللهازم ما قظتم بذي قار
ما زلت مفترساً أجساد أفتية تثير أعطافها منها بآثار
إن الفوارس من عجل هم أنفوا من أن يخلوا لكسرى عرصة الدار
لاقوا فوارس من عجل بشكتها ليسوا إذا قلصت حرب بأغمار
قد أحسنت ذهل شيبان وما عدلت في يوم ذي قار فرسان ابن سيار
هم الذين أتوهم عن شمائلهم كما تلبس وراد بصدار

فأجابه الأعشى فقال:

أبلغ أبا كلبة التيمي مألكةً فأنت من معشر والله أشرار
شيبان تدفع عنك الحرب آونةً وأنت تنبح نبح الكلب في الغار

وقال بكير الأصم :

إن كنت ساقية المدامة أهلها فاسقي على كرم بني همام

وأبا ربيعة كلها ومحلماً سبقوا بأنجد غاية الأيام

زحفوا بجمع لا ترى أقطاره لقحت به حرب لغير تمام

عرب ثلاثة ألف وكتيبة ألفان عجم من بني الفدام

ضربوا بني الأحرار يوم لقوهم بالمشرفي على شئون الهام

وغدا ابن مسعود فأوقع وقعةً ذهبت لهم في معرق وشآم

وقال الأعشى:

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي وراكبها يوم اللقاء وقلت

هم ضربوا بالحنو جنو قراقر مقدمة الهامرز حتى تولت

وقال بعض شعراء ربيعة في يوم ذي قار:

ألا من لليل لا تغور كواكبه وهم سري بين الجوانح جانبه

ألا هل أتاها أن جيشاً عرمرماً بأسفل ذي قار أبيدت كتائبه

فما حلقة النعمان يوم طلبتها بأقرب من نجم السماء تراقبه

وقال الأعشى:

حلفت بالملح والرماد وبالعز ى وباللات تسلم الحلقه

حتى يظل الهمام منجدلاً ويقرع النبل طرة الدرقه

وقال ابن قرد الخترير التيمي :

ألا أبلغ بني ذهل رسولاً فلا شتماً أردت ولا فسادا

هزرت الحاملين لكي يعودوا إذا يوم من الحدثان عادا

وجدت الرفد رفد بني لجيم إذا ما قلت الأرفاد زادا

هم ضربوا الكتائب يوم كسرى أمام الناس إذ كرهوا الجلادا

وهم ضربوا القباب ببطن فلج وذادوا عن محارمنا ذيادا

وقال الأعشى في ذلك:

لو أن كل معد كان شاركنا في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرف

لما أتونا كان الليل يقدمهم مطبق الأرض تغشاها لهم سدف
بطارق وبنو ملك مرازبة من الأعاجم في آذانها النطف
من كل مرجانة في البحر أحرزها تيارها ووقاها طينها الصدف
وظعننا خلفنا تجري مدامعها أكبادها وجلاً مما ترى تجف
يحسرن عن أوجه قد عاينت عبراً ولاحها غبرة ألوانها كسف
ما في الخدود صدود عن وجوههم ولا عن الطعن في اللبات منحرف
عوداً على بدئهم ما إن يلبثهم كر الصقور بنات الماء تختطف
لما أمالوا إلى النشاب أيديهم ملنا ببيض فظل الهام يقتطف
وخيل بكر فما تنفك تطحنهم حتى تولوا وكاد اليوم ينتصف

وقال حريم بن الحارث التيمي:

وإن لجيماً أهل عز وثروة وأهل أياد لا ينال قديمها
هم منعوا في يوم قار نساءنا كما منع الشول الهجان قرومها
إذا قيل يوماً أقدموا يتقدموا وهل يمنع المخزاة إلا صميمها

قال: ولم يزل قيس بن مسعود في سجن كسرى بساباط، حتى مات فيه.

خليلي ما صبري على الزفرات وما طاقتي بالهم والعبرات
تساقط نفسي كل يوم وليلة على إثر ما قد فاتها حسرات

الشعر: للقحيف العقيلي. والغناء: لإبراهيم الموصلي ، رمل بالوسطى ، عن عمرو بن بانة ، وذكر الهشامي أن الرمل لعلوية، وأن لحن إبراهيم من الثقيل الأول بالوسطى .

أخبار القحيف ونسبه

القحيف بن حمير ، أحد بني قشير بن مالك بن خفاجة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

شاعر مقل من شعراء الإسلام.

وكان يشبب بخرقاء التي كان ذو الرمة يشبب بها .

فأخبرني محمد بن خلف بن وكيع ، وعمي، قالا: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك، عن العدوي، عن أبي الحسن المدائني، عن الصباح بن الحجاج عن أبيه ، قال: مررت بخرقاء وهي بفلج فقالت: أقضيت حجك

وأتممته؟ فقلت: نعم، فقالت: لم تفعل شيئاً، فقلت: و لم؟ فقالت: لأنك لم تلمم بي ولا سلمت علي، أو ما سمعت قول ذي الرمة :

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

فقال: هيهات يا خرقاء، ذهب ذاك منك، فقالت: لا تقل ذاك، أما سمعت قول القحيف عمك :

وخرقاء لا تزداد إلا ملاحةً ولو عمرت تعمير نوح وجلت

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال: حدثني أبو الشبل المعدي قال: نسب ذو الرمة بخرقاء البكائية، وكانت أصبح من القبس ، وبقيت بقاءً طويلاً، فنسب بها القحيف العقيلي فقال:

وخرقاء لا تزداد إلا ملاحةً ولو عمرت تعمير نوح وجلت

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو غسان دماذ قال: كبرت خرقاء حتى جاوزت تسعين سنة، وأحبت أن تنفق ابنتها وتخطب، فأرسلت إلى القحيف العقيلي، وسألته أن يشبب بها، فقال:

لقد أرسلت خرقاء نحوي جريها لتجعلني خرقاء ممن أضلت

وخرقاء لا تزداد إلا ملاحة ولو عمرت تعمير نوح وجلت

وقال عمرو بن أبي عمرو الشيباني: كان القحيف العقيلي يتحدث إلى امرأة من عبس، وقد جاورهم وأقام عندهم شهراً وهام بها عشقاً، وكان يخبرها أن له نعماً ومالاً، وهويته العبسية، وكان من أجمل الرجال وأشطهم ، فلما طال عليها واستحيا من كذبه إياها في ماله ارتحل عنهم، وقال:

تقول لي أخت عبس: ما أرى إبلاً وأنت تزعم من والاك صنديد

فقلت :يكفي مكان اللوم مطرد فيه القتير بسمر القين مشدود

وشكة صاغها وفراء كاملةً وصارم من سيوف الهند مقدود

إني ليرعى رجال لي سوامهم لي العقائل منها و المقاحيد

وقال أبو عمرو:

كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك ولى علي بن المهاجر بن عبد الله الكلابي اليمامة. فلما قتل الوليد بن يزيد جاءه المهير بن سلمى الحنفي فقال له: إن الوليد قد قتل، وإن لك علي حقاً، وكان أبوك لي مكرماً، وقد قتل صاحبك ، فاختر خصلة من ثلاث: إن شئت أن تقيم فينا وتكون كأحدنا فافعل، وإن شئت أن تتحول عنا إلى دار عمك، فتنزلها أنت ومن معك إلى أن يرد أمر الخليفة المولى فتعمل بما يأمر به، فافعل. وإن شئت فخذ من المال

المجتمع ما شئت والحق بدار قومك.. فأنف علي بن المهاجر من ذلك و لم يقبله، وقال للمهير: أنت تعزلني يا بن اللخناء ؟ فخرج المهير مغضباً، والتف معه أهل اليمامة، وكان مع علي ستمائة رجل من أهل الشام ومثلهم من قومه وزواره، فدعاهم المهير وذكر لهم رأيه، فأبوا عليه وقاتلوه، وجاء سهم عائر فوقع في كبد صانع من أهل اليمامة، فقال المهير: احملوا عليهم، فحملوا عليهم فانهزموا، وقتل منهم نفر، ودخلوا القصر وأغلقوا الباب وكان من جذوع، فدعا المهير بالسعف فأحرقه، ودخل أصحابه فأخذوا ما في القصر، وقام عبد الله بن النعمان القيسي في نقر من قومه فحملوا بيت المال ومنعوا منه، فلم يقدر عليه المهير، وجمع المهير جيشاً يريد أن يغزو بهم بني عقيل وبني كلاب، وسائر بطون بني عامر ، فقال القحيف بن حمير لما بلغه ذلك :

أمن أهل الأراك عفت ربوع ... نعم سقياً لهم لو تستطيع

زيارتهم، ولكن أحضرتنا ... هموم ما يزال لها مشيع

غنى في هذين البيتين إبراهيم، فيما ذكره هو في كتابه، و لم يذكر طريقته:

كأن البين جرعني زعافاً ... من الحيات مطعمه فظيع

وماء قد وردت على جباه ... حمام حائم وقطاً وقوع

ومما يغنى فيه من هذه القصيدة:

جعلت عمامتي صلة لدلوي ... إليه حين لم ترد النسوع

لأسقي فتية ومنقبات ... أضر بنقيها سفر وجيع

قال أبو الفرج : غنى في هذين البيتين سليم، خفيف رمل بالوسطى، ذكر ذلك حبش :

لقد جمع المهير لنا فقلنا: ... أتحسبنا تروعنا الجموع؟

سترهبنا حنيفة إن رأتنا ... وفي أيماننا البيض اللموع

عقيل تغتزي وبنو قشير ... توارى عن سواعدها الدروع

وجعدة والحريش ليوث غاب ... لهم في كل معركة صريع

فنعم القوم في اللزبات قومي ... بنو كعب إذا جحد الربيع

كهول معقل الطراد فيهم ... وفتيان غطارفة فروع

فمهلاً يا مهير فأنت عبد ... لكعب سامع لهم مطيع

قالت: وبعث المهير رجلاً من بني حنيفة يقال له: المندلف بن إدريس الحنفي، إلى الفلج، وهو منزل لبني جعدة، وأمره أن يأخذ صدقات بني كعب جميعاً، فلما بلغهم خبره أرسلوا إلى أطرافهم يستصرخون عليه ، فأتاهم أبو لطيفة بن مسلمة العقيلي في عالم من عقيل، فقتلوا المندلف وصلبوه، فقال القحيف في ذلك:

أتانا بالعقيق صريخ كعب فحن النبع والأسل النهال
وحالفنا السيوف ومضمرات سواء هن فينا والعيال
تعادى شزباً مثل السعالي ومن زير الحديد لها نعال

وقال أيضاً، ويروى لنجدة الخفاجي:

لقد منع الفرائض عن عقيل بطعن تحت ألوية وضرب
ترى منه المصدق يوم وافى أطل على معاشره بصلب

يقول لي المفتي: قال أبو عمرو في أخباره: ونظر بعض فقهاء أهل مكة إلى القحيف، وهو يحد النظر إلى امرأة، فنهاه عن ذلك، وقال له: أما تتقي الله ؟ تنظر هذا النظر إلى غير حرمة لك وأنت محرم ؟ فقال القحيف:

أقسمت لا أنسى وإن شطت النوى عرانينهن الشم والأعين النجلا
ولا المسك من أعطافهن ولا البرى ضممن وقد لوينها قضباً خدلا
يقول لي المفتي وهن عشية بمكة يلمحن المهدبة السحلا:
تق الله لا تنظر إليهن يا فتى وما خلتني في الحج ملتمساً وصلا
وإن صبا ابن الأربعين لسبة فكيف من اللائي مثلن بنا مثلا
عواكف بالبيت الحرام وربما رأيت عيون القوم من نحوها نجلا

كففنا عن بني ذهل وقلنا: القوم إخوان
عسى الأيام أن يرجع ن قوماً كالذي كانوا
فلما صرح الشر وأمسى وهو عريان
ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا

الشعر: للفند الزماني، والغناء: لعبد الله بن دحمان، خفيف رمل بالبنصر، عن بذل والهشامي وابن المكي.

وتمام هذا الشعر :

شددنا شدة الليث غدا والليث غضبان
بضرب فيه تفجيع وتأييم وإرنان
وطعن كفم الزق غذا والزق ملآن
وفي العدوان للعدوا ن توهين وإقران

وبعض الحلم عند الجه ل للذلة إذعان

وفي الشر نجاة حي ن لا ينجيك إحسان

قوله: دناهم كما دانوا، أي جزيناهم .

ومثله قول الآخر:

إنا كذاك ندين الناس بالدين

والتأييم : ترك الناس أيامى. والإرنان والرنة: البكاء والعويل.

والإقران: الطاقة للشيء، قال الله عز وجل: " وما كنا له مقرنين " أي مطيقين.

أخبار الفند الزماني ونسبه

الفند: لقب غلب عليه، شبه بالفند من الجبل، وهو القطعة العظيمة ، لعظم خلقه.

واسمه: شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمان بن مالك بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

وكان أحد فرسان ربيعة المشهورين المعدودين، وشهد حرب بكر وتغلب وقد قارب المائة السنة ، فأبلى بلاءً حسناً، وكان مشهده في يوم التحالق الذي يقول فيه طرفة:

سائلوا عنا الذي يعرفنا بقوانا يوم تحلاق اللمم

يوم تبدي البيض عن أسؤقها وتلف الخيل أعراج النعم

وقد مضى خبره في مقتل كليب .

فأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه قال: أرسلت بنو شيبان في محاربتهم بني تغلب إلى بني حنيفة يستنجدونهم ، فوجهوا إليهم بالفند الزماني في سبعين رجلاً ، وأرسلوا إليهم إنا قد بعثنا إليكم ألف رجل .

وقال ابن الكلبي: لما كان يوم التحالق أقبل الفند الزماني إلى بني شيبان، وهو شيخ كبير قد جاوز مائة سنة، ومعه بنتان له شيطانتان من شياطين الإنس ، فكشفت إحداهما عنها وتجردت، وجعلت تصيح ببني شيبان ومن معهم من بني بكر :

وعا وعا وعا وعا .

حر الجواد والتظى .

وملئت منه الربا .

يا حبذا يا حبذا .

الملحقون بالضحى .

ثم تجردت الأخرى وأقبلت تقول:

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق

أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

قال: والتقى الناس يومئذ، فأصعد عوفد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، ابنته على جمل له في ثنية قضة ، حتى إذا توسطها ضرب عرقوبي الجمل، ثم نادى:

أنا البرك أنا البرك

أنزل حيث أدرك

ثم نادى: ومحلوفة لا يمر بي رجل من بكر بن وائل إلا ضربته بسيفي هذا، أفي كل يوم تفرون فيعطف القوم؟ فقاتلوا حتى ظفروا فانهزمت تغلب.

قال ابن الكلبي: ولحق الفند الزماني رجلاً من بني تغلب يقال له: مالك بن عوف، قد طعن صبياً من صبيان بكر بن وائل، فهو في رأس قناته، وهو يقول: يا ويس أم الفرخ، فطعنه الفند وهو وراءه ردف له فأنفذها جميعاً وجعل يقول:

أيا طعنة ما شيخ كبير يفن بالي

تفتيت بها إذ ك ره الشكة أمثالي

تقيم المأتم الأعلى على جهد وإعوال

كجيب الدفنس الورها ء ريعت بعد إجفال

ويروى: قد ريعت بإجفال .

أخبار عبد الله بن دحمان

عبد الله بن دحمان الأشقر المغني.

وقد تقدم خبر أبيه وأخيه الزبير .

وكان عبد الله في جنبة إبراهيم بن المهدي ومتعصباً له، وكان أخوه الزبير في جنبة إسحاق الموصلي ومتعصباً له، فكان كل واحد منهما يرفع من صاحبه ويشيد بذكره فعلا الزبير بتقديم إسحاق له، لتمكن إسحاق وقبول الناس منه، ولم يرتفع عبد الله بذكر إبراهيم له ، مع غض إسحاق منه، وكان الزبير على كل حال يتقدم أخاه عبد الله.

فأخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال: كان أبي كثيراً ما يقول: ما رأيت أقل عقلاً ومعرفةً ممن يقول: إن دحمان كان فاضلاً، والله ما يساوي غناؤه كله فلسين ، وأشبه الناس به صوتاً وصنعةً وبلادةً وبرداً : ابنه عبد الله، ولكن المحسن - والله - المجمل المؤدي الضارب المطرب: ابنه الزبير.

وقال يوسف بن إبراهيم: كان أبو إسحاق يؤثر عبد الله بن دحمان ويقدمه، وإذا صنع صوتاً عرضه على أبي إسحاق فيقومه له ويصلحه، مضادة لأخيه الزبير في أمره، لميل الزبير إلى إسحاق وتعصبه له، وأوصله إلى الرشيد مع المغنين، عدة مرات، أخرج له في جميعها جائزة.

أقول لما أتاني ثم مصرعه — لا يبعد الرمح ذو النصلين والرجل

التارك القرن مصفراً أناملـه — كأنه من عقار قهوة ثمل

ليس بعل كبير لا شباب له — لكن أثيلة صافي الوجه مقتبل

يجيب بعد الكرى لبيك داعيه — مجذامة لهواه قلقل عجل

قوله: لا يبعد الرمح، يعني ابنه الذي رثاه، شبهه بالرمح في نفاذه وحدته.

والنصلان : السنان والزج.

والرجل : يعني به ابنه أيضاً من الرجلة ، يصفه بها، أو أنه عنى: لا يبعد الرجل ورمحه.

والعل: الكبير السن الصغير الجسم، ويقال أيضاً للقراد: عل.

والمقتبل: المقبل .

وقوله: مجذامة لهواه، يعني أنه يقطع هواه ولا يتبعه فيما يغض من قدره.

وقلقل: خفيف سريع، والمتقلقل: الخفيف .

الشعر للمتنخل الهذلي. والغناء: لمعبد، وله فيه لحنان: أحدهما من القدر الأوسط من الثقيل الأول، بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، عن إسحاق، والآخر خفيف ثقيل بالبنصر، عن عمرو.

وذكر الهشامي أن فيه للغريض لحناً من الثقيل ، ابتداؤه:

ليس بعل كبير لا شباب له

الذي بعده: إن لجميلة فيه خفيف ثقيل. وفيه ثاني ثقيل ينسب إلى ابن سريج، وأظنه ليحيى المكي .

وقال حبش: فيه لعبد الله بن العباس ثقيل أول بالبنصر.

أخبار المتنخل ونسبه

المتنخل لقب، واسمه مالك بن عويمر بن عثمان بن سويد بن حبيش ، بن خناعة بن الديل بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

هذه رواية ابن الكلبي وأبي عمرو.

وروى السكري عن الرياشي عن الأصمعي، وعن ابن حبيب، عن أبي عبيدة وابن الأعرابي: أن اسمه مالك بن عويمر بن عثمان بن حبيش بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل، ويكنى أبا أثيلة.

من شعراء هذيل فحولهم وفصحائهم.

وهذه القصيدة يرثي بها ابنه أثيلة، قتلته بنو سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر.

وكان من خبر مقتله فيما ذكر أبو عمرو الشيباني: أنه خرج في نفر من قومه يريد الغارة على فهم، فسلكوا النجدية ، حتى إذا بلغوا السراة أتاه رجل فقال: أين تريدون؟ قالوا : نريد فهماً فقال: ألا أدلكم على خير من ذلكم ، وعلى قوم دارهم خير من دار فهم ؟ هذه دار بني حوف عندكم، فانصبوا عليهم على الكداء حتى تبيتوا بني حوف. فقبلوا منه وانحرفوا عن طريقهم، وسلكوا في شعب في ظهر الطريق حتى نفذوه، ثم سلكوا على السمرة، فمروا بدار " بني قريم " بالسرو وقد لصقت سيوفهم بأغمادهم من الدم، فوجدوا إياس بن المقعد في الدار، وكان سيداً، فقال: من أين أقبلتم؟ فقالوا: أتينا بني حوف، فدعا لهم بطعام وشراب، حتى إذا أكلوا وشربوا دلهم على الطريق وركب معهم، حتى أخذوا سنن قصدهم، فأتوا بني حوف، وإذا هم قد اجتمعوا مع بطن من فهم للرحيل عن دارهم فلقيهم أول من الرجال على الخيل فعرفوهم، فحملوا عليهم وأطردوهم ورموهم، فأثبتوا أثيلة جريحاً ومضوا لطيتهم. وعاد إليه أصحابه فأدركوه ولا تحامل به، فأقاموا عليه حتى مات، ودفنوه في موضعه.

فلما رجعوا سألهم عنه المتنخل ، فدلوه وستروه.

ثم أخبره بعضهم بخبره، فقال يرثيه:

ما بال عينك تبكي دمعها خضل ... كما وهي سرب الأخراب منبزل

لا تفتأ الدهر من سح بأربعة ... كأن إنسانها بالصاب مكتحل

تبكي على رجل لم تبل جدته ... خلى عليها فجاجاً بينها خلل

وقد عجبت وهل بالدهر من عجب ... أني قتلت وأنت الحازم البطل؟

ويل أمه رجلاً تأبى به غبناً ... إذا تجرد لا خال ولا بخل

- خال: من الخيلاء. ويروى: خذل -.

السالك الثغرة اليقظان كالئها ... مشي الهلوك عليها الخيعل الفضل

والتارك القرن مصفراً أنامله ... كأنه من عقار قهوة ثمل

مجدلاً يتسقى جلده دمه ... كما يقطر جذع الدومة القطل

ليس بعل كبير لا شباب به ... لكن أثيلة صافي الوجه مقتبل
يجيب بعد الكرى لبيك داعيه ... مجذامة لهواه قلقل عجل
حلو ومر كعطف القدح مرته ... في كل آن أتاه الليل ينتعل
فاذهب فأي فتىً في الناس أحرزه ... من حتفه ظلم دعج ولا جبل
فلو قتلت ورجلي غير كارهة ال ... إدلاج فيها قبيض الشد والنسل
إذن لأعملت نفسي في غزاتهم ... أو لابتعثت به نوحاً له زجل
أقول لما أتاني الناعيان به: ... لا يبعد الرمح ذو النصلين والرجل
رمح لنا كان لم يفلل ننوء به ... توفى به الحرب والعزاء والجلل
رياء شماء لا يدنو لقلتها ... إلا السحاب وإلا النوب والسبل

وقال أبو عمرو الشيباني: كان عمرو بن عثمان، أبو المتنخل يكنى أبا مالك، فهلك، فرثاه المتنخل فقال:

ألا من ينادى أبا مالك ... أفي أمرنا أمره أم سواه
فوالله ما إن أبو مالك ... بوان ولا بضعيف قواه
ولا بألد له نازع ... يعادي أخاه إذا ما نهاه
ولكنه هين لين ... كعالية الرمح عرد نساه
إذا سدته سدت مطواعة ... ومهما وكلت إليه كفاه
أبو مالك قاصر فقره ... على نفسه ومشيع غناه

حدثني أبو عبيد الصيرفي قال: حدثنا الفضل بن الحسن البصري قال: حدثنا أحمد بن راشد قال: حدثني عمي سعيد بن هيثم قال: كان أبو جعفر محمد بن علي - عليهما السلام - إذا نظر إلى أخيه زيد تمثل:

لعمرك ما إن أبو مالك ... بواه ولا بضعيف قواه
ولا بألد له نازع ... يعادي أخاه إذا ما نهاه
ولكنه هين لين ... كعالية الرمح عرد نساه
إذا سدته سدت مطواعة ... ومهما وكلت إليه كفاه
أبو مالك قاصر فقره ... على نفسه ومشيع غناه

ثم يقول: " لقد أنجبت أم ولدتك يا زيد، اللهم اشدد أزري بزيد ".

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا الرياشي، عن الأصمعي قال: أجود طائية قالتها العرب قصيدة المتنخل:

عرفت بأجدث فنطف عرق ... علامات كتحبير النماط

كأن مزاحف الحيات فيها ... قبيل الصبح أثار السياط

في هذين البيتين غناء .

عجبت بسعي الدهر بيني وبينها ... فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

فيا هجر ليلى قد بلغت بي المدى ... وزدت على ما لم يكن بلغ الهجر

ويا حبها زدني جوى كل ليلة ... ويا سلوة الأيام موعدك الحشر

أما والذي أبكى وأضحك والذي ... أمات وأحيا والذي أمره الأمر

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى ... أليفين منها لا يروعهما الزجر

الشعر: لأبي صخر الهذلي. والغناء: لمعبد في الأول والثاني من الأبيات، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو، ولابن سريج في الرابع والخامس ثقيل أول ولعريب فيهما أيضاً ثقيل أول آخر، وهو الذي فيه استهلال، وللواثق فيهما رمل، ولابن سريج أيضاً ثاني ثقيل في الثالث وما بعده، عن أحمد بن المكي، وذكر ابن المكي أن الثقيل الثاني بالوسطى لجده يحيى المكي.

أخبار أبي صخر الهذلي ونسبه

هو عبد الله بن سلم السهمي، أحد بني مرمض .. وهذا أكثر ما وجدته من نسبه في نسخة السكري، وهي أتم النسخ مما يأثره عن الرياشي عن الأصمعي، وعن الأثرم عن أبي عبيدة، وعن ابن حبيب، وعن ابن الأعرابي.

وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وكان موالياً لبني مروان ، متعصباً لهم، وله في عبد الملك بن مروان مدائح ، وفي أخيه عبد العزيز، وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد.

وحبسه ابن الزبير إلى أن قتل.

فأخبرني يحيى بن أحمد بن الجون، مولى بني أمية - لقيته بالرقة - قال: حدثني الفيض بن عبد الملك قال: حدثني مولاي عن أبيه، عن مسلمة بن الوليد القرشي، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: لما ظهر عبد الله الزبير بالحجاز وغلب عليها، بعد موت يزيد بن معاوية، وتشاغل بنو أمية بالحرب بينهم في مرج راهط وغيره، دخل عليه أبو صخر الهذلي، في هذيل .

وقد جاءوا ليقبضوا عطاءهم ، وكان عارفاً بهواه في بني أمية، فمنعه عطاءه، فقال: علام تمنعني حقاً لي؛ وأنا امرؤ مسلم، ما أحدثت في الإسلام حدثاً ولا أخرجت من طاعة يداً؟ قال: عليك بني أمية فاطلب عندهم ، عطاءك.
قال: إذن أحدهم سباطا أكفهم، سمحةً أنفسهم، بذلاء لأموالهم وهابين لمجتديهم، كريمةً أعراقهم، شريفةً أصولهم، زاكيةً فروعهم، قريباً من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نسبهم وسببهم، ليسوا إذا نسبوا بأذناب ولا وشائظ ولا أتباع، ولا هم في قريش كفقعة القاع، لهم السؤدد في الجاهلية، والملك في الإسلام، لا كمن لا يعد في عيرها ولا نفيرها ، ولا حكم آباؤه في نقيرها ولا قطميرها ، ليس من أحلافها المطيبين ، ولا من ساداتها المطعمين، ولا من جودائها الوهابين، ولا من هاشمها المنتخبين، ولا عبد شمسها المسودين، وكيف تقابل الرؤوس بالأذناب؟ وأين النصل من الجفن؟ والسنان من الزج؟ والذنابى من القدامى؟ وكيف يفضل الشحيح على الجواد، والسوقة على الملك، والمجيع بخلاً على المطعم فضلاً؟ فغضب ابن الزبير حتى ارتعدت فرائصه، وعرق جبينه، واهتز من قرنه إلى قدمه وامتقع لونه، ثم قال له : يا بن البوالة على عقبيها، يا جلف، يا جاهل، أما والله لولا الحرمات الثلاث: حرمة الإسلام، وحرمة الحرم، وحرمة الشهر الحرام، لأخذت الذي في عيناك.
ثم أمر به إلى سجن عارم ، فحبس به مدة، ثم استوهبته هذيل وملة بين قريش خؤولة في هذيل، فأطلقه بعد سنة وأقسم ألا يعطيه عطاءً مع المسلمين أبداً.
فلما كان عام الجماعة وولي عبد الملك وحج، لقيه أبو صخر فلما رآه عبد الملك قربه وأدناه، وقال له: إنه لم يخف علي خبرك " مع الملحد " ولا ضاع لك عندي هواك وموالاتك ؛ فقال: أما إذ شفى الله منه نفسي ، ورأيته قتيل سيفك؛ وصريع أوليائك، مصلوباً مهتوك الستر، مفرق الجمع ، فما أبالي ما فاتني من الدنيا.
ثم استأذنه أبو صخر في الإنشاد، فأذن له، فمثل بين يديه قائماً ، ولأنشأ يقول :

عفت ذا عرق عصلها فرئامها ... فدهناؤها وحش أجلى سوامها
على أن مرسى خيمة خف أهلها ... بأبطح محلال وهيهات عامها
إذا اعتلجت فيها الرياح فأدرجت ... عشياً جرى في جانبيها قمامها
وإن معاجي في الديار وموقفي ... بدارسة الربعين بال ثمامها
لجهل ولكني أسلي ضمانة ... يضعف أسرار الفؤاد سقامها
فأقصر فلا ما قد مضى لك راجع ... ولا لذة الدنيا يدوم دوامها
وفد أمير المؤمنين الذي رمى ... بجأواء جمهور تسيل إكامها
من أرض قرى الزيتون مكة بعدما ... غلبنا عليها واستحل حرامها

يقول: رمى مكة بالرجال من أهل الشام، وهي أرض الزيتون .

وإذا عاث فيها الناكثون وأفسدوا ... فخيفت أقاصيها وطار حمامها

فشج بهم عرض الفلاة تعسفاً إذ الأرض أخفى مستواها سوامها
فصبحتهم بالخيل تزحف بالقنا وبيضاء مثل الشمس يبرق لامها
لهم عسكر ضافي الصفوف عرمرم وجمهورة يثني العدو انتقامها
فطهر منهم بطن مكة ماجد أبي الضيم والميلاء حين يسامها
فدع ذا وبشر شاعري أم مالك بأبيات ما خزي طويل عرامها

شاعري أم مالك: رجلان من كنانة كانا مع ابن الزبير، يمدحانه ويحرضانه على أبي صخر، لعداوة كانت بينهما وبينه .

فإن تبد تجدع منخراك بمدية مشرشرة حرى حديد حسامها
وإن تخف عنا أو تخف من أذاتنا تنوشك نابا حية وسمامها
فلولا قريش لاسترقت عجوزكم وطال على قطبي رحاها احتزامها

قال: فأمر له عبد الملك بما فاته من العطاء ، ومثله صلة من ماله، وكساه وحمله.

ونسخت من كتاب أبي سعيد السكري، عن محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة قالا: كان أبو صخر الهذلي منقطعاً إلى أبي خالد عبد العزيز بن عبد الله بن أسيد ، مداحاً له، فقال له يوما: ارثني يا أبا صخر، وأنا حي ، حتى أسمع كيف تقول، وأين مراثيك لي بعدي من مديحك إياي في حياتي؟ فقال: أعيذك بالله يا أيها الأمير من ذلك ، بل يبقيك الله ويقدمني قبلك، فقال: ما من ذلك بد. قال: فرثاه بقصيدته التي يقول فيها:

أبا خالد نفسي وقت نفسك الردى وكان بها من قبل عثرتك العثر
لتبكك يا عبد العزيز قلائص أضر بها نص الهواجر الزجر
سمون بنا يجتبن كل تنوفة تضل بها عن بيضهن القطا الكدر
فما قدمت حتى تواتر سيرها وحتى أنيخت وهي ظالعة دبر
ففرج عن ركبانها الهم والطوى كريم المحيا ماجد واجد صقر
أخو شتوات تقتل الجوع داره لمن جاء لا ضيق الفناء ولا وعر
ولا تهنئ الفتيان بعدك لذة ولا بل هام الشامتين بك القطر
وإن تمس رمساً بالرصافة ثاوياً فما مات يا بن العيص نائلك الغمر
وذي ورق من فضل مالك ماله وذي حاجة قدر شت ليس له وفر

فأمسى مريحاً بعد ما قد يؤوبه وكل به المولى وضاق به الأمر

قال: فأضعف له عبد العزيز جائزته ووصله، وأمر أولاده فرووا القصيدة.

وقال أبو عمرو الشيباني: كان لأبي صخر ابن يقال له داود لم يكن له ولد غيره، فمات، فجزع عليه جزعاً شديداً حتى خولط، فقال يرثيه:

لقد جاهني طيف لداود بعدما دنت فاستقلت تاليات الكواكب

وما في ذهول النفس عن غير سلوة رواح من السقم الذي هو غالبي

وعندك لو يحيا صداك فنلتقي شفاء لمن غادرت يوم التناضب

فهل لك طب نافعي من علاقة تهيمني بين الحشا والترائب

تشكيتها إذ صدع الدهر شعبنا فأمست وأعيت بالرقي والطبائب

ولولا يقيني أن الموت عزمة من الله حتى يبعثوا للمحاسب

لقلت له فيما ألم برمسه: هل أنت غداً غاد معي فمصاحبي

وماذا ترى في غائب لا يغبني فلست بناسيه وليس بآئب

سألت مليكي إذ بلاني بفقده وفاةً بأيدي الروم بين المقانب

ثنوني وقد قدمت ثأري بطعنة تجيش بموار من الجوف ثاعب

فقد خفت أن ألقي المنايا وإنني لتابع من وافي حمام الجوالب

ولما أطاعن في العدو تنفلاً إلى الله أبغي فضله وأضارب

وأعطف وراء المسلمين بطعنة على دبر مجل من العيش ذاهب

وقال أبو عمرو: بلغ أبا صخر أن رجلاً من قومه عابه وقدح عليه، فقال أبو صخر في ذلك :

ولقد أتاني ناصح عن كاشح بعداوة ظهرت وقبح أقاول

أفحين أحكمني المشيب فلا فتىً غمر ولا قحم وأعصل بازلي

ولبست أطوار المعيشة كلها بمؤبدات للرجال دواغل

أصبحت تنقصني وتقرع مروتي بطراً ولم يرعب شعابك وابلي

وتنلك إظفاري ويبرك مسحلي بري الشسيب من السراء الذابل

فتكون للباقين بعدك عبرة وأطأ جبينك وطأة المتثاقل

وقال أبو عمرو: وكن أبو صخر الهذلي يهوى امرأة من قضاعة، مجاورة فيهم، يقال لها ليلى بنت سعد، وتكنى أم حكيم، وكانا يتواصلان برهة من دهرهما، ثم تزوجت ورحل بها زوجها إلى قومه ، فقال في ذلك أبو صخر:

ألم خيال طارق متأوب ... لأم حكيم بعدما نمت موصب

وقد دنت الجوزاء وهي كأنها ... ومرزمها بالغور ثور وربرب

فبات شرابي في المنام مع المنى ... غريض اللمى يشفي جوى الحزن أشنب

قضاعية أدنى ديار تحلها ... قناة وأني من قناة المحصب

سراج الدجى تغتل بالمسك طفلة ... فلا هي متفال ولا اللون أكهب

دميثة ما تحت الثياب عميمة ... هضيم الحشا بكر المجسة ثيب

تعلقتها نفوداً لذيذاً حديثها ... ليالي لا عمى ولا هي تحجب

فكان لها ودي ومحض علاقتي ... وليداً إلى أن رأسي اليوم أشيب

فلم أر مثلي أيأست بعد علمها ... بودي ولا مثلي على اليأس يطلب

ولو تلتقي أصداؤنا بعد موتنا ... ومن دون رمسينا من الأرض سبسب

لظل صدى رمسي ولو كنت رمة ... لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

وقصيدة أبي صخر التي فيها الغناء المذكور من مختار شعر هذيل ، وأولها:

لليلى بذات الجيش دار عرفتها ... وأخرى بذات البين آياتها سطر

وقفت برسميها فلما تنكرا ... صدفت وعين دمعها سرب همر

وفي الدمع إن كذبت بالحب شاهد ... يبين ما أخفي كما بين البدر

صبرت فلما غال نفسي وشفها ... عجاريف نأي دونها غلب الصبر

إذا لم يكن بين الخليلين ردة ... سوى ذكر شيء قد مضى درس الذكر

وهذا البيت خاصة رواه الزبير بن بكار لنصيب :

إذا قلت هذا حبن أسلو يهيجني ... نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر

وإني لتعروني لذكراك فترة ... كما انتفض العصفور بلله القطر

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى ... وزرتك حتى قيل ليس له صبر

صدقت أنا الصب المصاب الذي به ... تباريح حب خامر القلب أو سحر

أما والذي أبكى وأضحك والذي ... أمات وأحيا والذي أمره الأمر

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى ... أليفين منها لم يروعهما الزجر
فيا هجر ليلى قد بلغت بي المدى ... وردت علي ما لم يكن بلغ الهجر
ويا حبها زدني جوى كل ليلة ... ويا سلوة الأيام موعدك الحشر
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها ... فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
فليست عشيات الحمى برواجع ... لنا أبداً ما أورق السلم النضر
وإني لآتيها لكيما تثيبني ... وأوذنها بالصرم ما وضح الفجر
فما هو إلا أن أراها فجاءة ... فأبهت لا عرف لدي ولا نكر
تكاد يدي تندى إذا ما لمستها ... وينبت في أطرافها الورق الخضر

في هذه الأبيات ثقيل أول قديم مجهول، وفي البيت الأخير لعريب خفيف ثقيل، وقد أضافت إليه بيتاً ليس من الشعر، وهو:

أبى القلب إلا حبها عامرية ... لها كنية " عمرو " وليس لها " عمرو "

أخبرني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني أبي عن جدي قال: دخلت يوماً على موسى الهادي وهو مصطبح، فقال لي: يا إبراهيم غنني، فإن أطربتني فلك حكمك، فغنيته:

وإني لتعروني لذكراك فترة ... كما انتفض العصفور بلله القطر

فضرب بيده إلى جنب دراعته فشقها حتى انتهى به إلى صدره.

ثم غنيته:

أما والذي أبكى وأضحك والذي ... أمات وأحيا والذي أمره الأمر
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى ... أليفين منها لم يروعهما الزجر

فشق ذراعه حتى انتهى إلى آخرها.

ثم غنيته:

فيا حبها زدني جوى كل ليلة ... ويا سلوة الأيام موعدك الحشر

فشق جبة كانت تحت الدراعة حتى هتكها.

ثم غنيته:

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها ... فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

فشق قميصاً كان تحت ثيابه حتى بدا جسمه . ثم قال: أحسنت والله فاحتكم. فقلت: تهب لي، يا أمير المؤمنين،

عين مروان بالمدينة، فغضب حتى دارت عيناه في رأسه، ثم قال: لا، ولا كرامة، أردت أن تجعلني أحدوثة للناس، وتقول: أطربته فحكمني، فحكمت، فأمضى حكمي.

ثم قال لإبراهيم الحراني: خذ بيد هذا لجاهل وأدخله ، بيت مال الخاصة فإن أخذ كل شيء فيه فلا تمنعه منه، فدخلت معه فأخذت مالاً جليلاً وانصرفت .

و مما يغنى فيه من شعر أبي صخر الهذلي قوله من قصيدة له:

بيد الذي شغف الفؤاد بكم ... فرج الذي ألقى من الهم

هم من أجلك ليس يكشفه ... إلا مليك جائز الحكم

فاستيقني أن قد كلفت بكم ... ثم افعلي ما شئت عن علم

قد كان صرم في الممات لنا ... فعجلت قبل الموت بالصرم

الشعر لأبي صخر الهذلي. والغناء للغريض، ثقيل أول بالوسطى، عن عمرو وفيه لسياط ثقيل أول آخر بالبنصر، ابتداؤه نشيد :

فاستيقني أن قد كلفت بكم

وهكذا ذكر الهشامي أيضاً، وذكر أن لحن الغريض ثاني ثقيل، وأن فيه لابن جامع خفيف رمل .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن الحسن الحرون قال: حدثني الكسروي قال: لقي إبراهيم النظام غلاماً أمرد فاستحسنه، فقال لي: يا بني، لولا أنه قد سبق من قول الحكماء ما جعلوا به السبيل لمثلي إلى مثلك في قولهم : " لا ينبغي لأحد أن يكبر عن أن يسأل كما لا ينبغي لأحد أن يصغر عن أن يقول " لما أنست إلى مخاطبتك، ولا هششت لمحادثتك ، ولكنه سبب الإخاء، وعقد المودة، ومحلك من قلبي محل الروح من جسد الجبان. فقال له الغلام وهو لا يعرفه: لئن قلت ذاك أيها الرجل لقد قال الأستاذ إبراهيم النظام : " الطبائع تجاذب ما شاكلها بالمجانسة، وتميل إلى ما يوافقها بالمؤانسة " وكياني مائل إلى كيانك بكليتي، ولو كان ما أنطوى لك عليه عرضاً ما اعتددت به وداً، ولكنه جوهر جسمي، فبقاؤه ببقاء النفس، وعدمه بعدمها، وأقول كما قال الهذلي:

فاستيقني أن قد كلفت بكم ... ثم افعلي ما شئت عن علم

فقال له النظام: إنما خاطبتك بما سمعت ، وأنت عندي غلام مستحسن، ولو علمت أنك بهذه المنزلة لرفعتك إلى رتبتها .

قال أبو الحسن الأخفش: فأخذ أبو دلف هذا المعنى فقال:

أحبك يا جنان وأنت مني ... محل الروح من جسد الجبان

ولولا أني أقول مكان نفسي ... لخفت عليك بادرة الزمان

لإقدامي إذا ما الخيل خامت وهاب كماتها حر الطعان

وتمام أبيات أبي صخر الميمية التي ذكرت فيها الغناء الأخير وخبره أنشدنيها الأخفش عن السكري عن أصحابه:

ولما بقيت ليبقين جوى بين الجوانح مضرع جسمي

ويقر عيني وهي نازحة ما لا يقر بعين ذي الحلم

أطلال نعم إذ كلفت بها يأدين هذا القلب من نعم

ولو أنني أشقى على سقمي بلمى عوارضها شفى سقمي

ولقد عجبت لنبل مقتدر يسط الفؤاد بها ولا يدمي

يرمي فيجرحني برميته فلو أنني أرمي كما يرمي

أو كان قلب إذ عزمت له صرمي وهجري كان ذا عزم

أو كان لي غنم بذكركم أمسيت قد أثريت من غنمي

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه، عن أبي عبد الله الأنصاري، عن غرير بن طلحة الأرقمي قال: قال لي أبو السائب المخزومي، وكان من أهل الفضل والنسك: " هل لك في أحسن الناس غناءً "؟ قلت: نعم. وكان علي يومئذ طيلسان لي أسميه من غلظه وثقله " مقطع الأزرار " فخرجنا حتى جئنا إلى الجبانة ، إلى دار مسلم بن يحيى الأرت صاحب الخمر، مولى بني زهرة فأذن لنا، فدخلنا بيتاً طوله اثنتا عشرة ذراعاً في مثلها ، وسمكه في السماء ست عشرة ذراعاً، ما فيه إلا نمرقتان قد ذهبت منهما اللحمة وبقي السدى، وفراش محشو ليفاً ، وكرسيان من خشب قد تقلع عنهما الصبغ من قدمهما وبينهما مرفقتان محشوتان بالليف. ثم طلعت علينا عجوز كلفاء عجفاء، كأن شعرها شعر ميت، عليها قرقل هروي أصفر غسيل ، كأن وركيها في خيط من رسحها حتى جلست، فقلت لأبي السائب: بأبي أنت وأمي ؟ ما هذه؟ قال: اسكت: فتناولت عوداً فضربت وغنت:

بيد الذي شغف الفؤاد بكم فرج الذي ألقى من الهم

قال غرير: فحسنت - والله -، في عيني وجاء نقاء وصفاء ، فأذهب الكلف من وجهها، وزحف ، أبو السائب وزحفت معه. ثم غنت :

برح الخفاء فأي ما بك تكتم ولسوف يظهر ما يسر فيعلم

مما تضمن من غريرة قلبه يا قلب إنك بالحسان لمغرم

يا ليت أنك يا حسام بأرضنا تلقي المراسي دائماً وتخيم

فتذوق لذة عيشنا ونعيمه ونكون أجواراً فماذا تقم

الغناء لحكم، خفيف رمل بالوسطى، عن الهشامي.

فقال أبو السائب: إن نقم هذا فيعض بظر أمه، وزحف وزحفت معه، حتى قاربت النمرقة وربت العجفاء في عيني كما يربو السويق شيب بماء قربة.

ثم غنت:

يا طول ليلي أعالج السقما إذ حل دون الأحبة الحرما

ما كنت أخشى فراق بينكم فاليوم أضحى فراقكم عزما

الغناء للغريض، ثقيل أول بالوسطى في مجراها، وله أيضاً فيه ، خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر جميعاً، عن إسحاق.

قال غرير: فألقيت طيلساني وتناولت شاذكونة ، فوضعتها على رأسي وصحت كما يصاح بالمدينة: الدخن بالنوى، وقام أبو السائب، وتناول ربعة فيها قوارير دهن كانت في البيت، فوضعها على رأسه، وصاح بن الأرت صاحب الجارية، وكان ألثغ: " قواليلي قواليلي " - يريد: قواريري قواريري - أسألك بالله، فلم يلتفت أبو السائب إلى قوله، وحرك رأسه مرحاً فاضطربت القوارير وتكسرت، وسال الدهن على وجه أبي السائب وظهره وصدره ، ثم وضع الربعة وقال لها: لقد هجت لي داءً قديماً.

قال: ومكثنا نختلف إليها سنين، في كل جمعة يومين، وقال: ثم بعث عبد الرحمن بن معاوية بن هشام من الأندلس، فاشتريت له العجفاء وحملت إليه.

ألا هل إلى ريح الخزامى ونظرة إلى قرقرى قبل الممات سبيل

فيا أثلاث القاع من بطن توضح حنيني إلى أطلالكن طويل

ويا أثلاث القاع قلبي موكل بكن، وجدوى خيركن قليل

ويا أثلاث القاع قد مل صحبتي وقوفي، فهل في ظلكن مقيل؟

الشعر: ليحيى بن طالب الحنفي، والغناء لعلوية، خفيف رمل بالوسطى ، عن عمرو. وفيه لإبراهيم لحن ماخوري بالوسطى، وفيه لعريب رمل، ولمتيم خفيف رمل آخر عن الهشامي. وفيه لابن المكي خفيف ثقيل من كتابه وذكر ابن المعتز أن لحن عريب ومتيم جميعاً من الرمل.

أخبار يحيى بن طالب

يحيى بن طالب: شاعر من أهل اليمامة، ثم من بني حنيفة. لم يقع إلي نسبه. وهو من شعراء الدولة العباسية مقل، وكان فصيحاً شاعراً غزلا فارساً .

وركبه دين في بلده فهرب إلى الري، وخرج مع بعث إليها ، فمات بها، وقد ذكر ذلك في هذه القصيدة فقال:

أريد رجوعاً نحوكم فيصدني إذا رمته دين علي ثقيل

حدثني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: غنى أبي الرشيد في شعر يحيى بن طالب:

ألا هل إلى شم الخزامى ونظرة إلى قرقرى قبل الممات سبيل

فأطربه، فسأله عن قائل الشعر، فذكره له وأعلمه أنه حي، وأنه هرب من دين عليه، وأنشده قوله:

أريد رجوعاً نحوكم فيصدني إذا رمته دين علي ثقيل

فأمر الرشيد أن يكتب إلى عامل الري بقضاء دينه ، وإعطاءه نفقة، وإنفاذه إليه على البريد ، فوصل الكتاب يوم مات يحيى بن طالب.

أخبرنا محمد بن خلف وكيع وعمي قالا: حدثنا عبد الله بن شبيب قال: حدثني الجهم بن المغيرة قال: كنا عند حترش بن ثمال القريظي بضرية فمرت بنا جارية صفراء مولدة، فقال لي حترش: استفتح كلامها فانظر فإنها ظريفة، فقلت لها: يا جارية ، أين نشأت؟ قالت: بقرقرى، فقلت لها: أين من شعبعب ؟ فضحكت ثم قالت: بين الحوض والعطن، قلت: فمن الذي يقول:

يا صاحبي فدت نفسي نفوسكما عوجا علي صدور الأبغل السنن

ثم ارفعا الطرف ننظر صبح خامسة لقرقرى يا عناء النفس بالوطن

يا ليت شعري والإنسان ذو أمل والعين تذرف أحياناً من الحزن

هل أجعلن يدي للخد مرفقة على شعبعب بين الحوض والعطن؟

فالتفتت إلى حترش بن ثمال فقالت : أخبره بقائلها، فقال: ما أعرفه، فقالت: بلى، هذا يقوله شاعرنا وظريف بلادنا وغزلها. فقال لها حترش: ويحك، ومن ذلك؟ فقالت: أشهد إن كنت لا تعرفه وأنت من هذا البلد إنها لسوأة ، ذلك يحيى بن طالب الحنفي، أقسم بالله ما منعك من معرفته إلا غلظ الطبع، وجفاء الخلق. فجعل يضحك من قولها وتعجبنا منها .

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال: قال رجل ليحيى بن طالب الحنفي: لو ركبت معي في البحر ، وشغلت مالك في تجاراته لأثريت وحسنت حالك، فقال يحيى بن طالب:

لشربك بالأنقاء رنقاً وصافياً أعف وأعفى من ركوبك في البحر

إذا أنت لم تنظر لنفسك خالياً أحاطت بك الأحزان من حيث لا تدري

حدثني محمد بن خلف المرزبان قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني أبو علي الحنفي؛ قال: حدثني عمي عن علي بن عمر قال:

ألا هل إلى شم الخزامى ونظرة إلى قرقرى قبل الممات سبيل

وذكر الخبر كما ذكره حماد بن إسحاق ، إلا أنه قال: فوجده قد مات قبل وصول البريد بشهر.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه قال: كان يحيى بن طالب يجالس امرأة من قومه ويألفها، ثم خرج مع والي اليمامة إلى مكة، وابتاع منه الوالي إبلاً بتأخير فلما صار إلى مكة عزل الوالي، فلوى يحيى بماله مدة، فضاق صدره، وتشوق إلى اليمامة وصاحبته التي كان يتحدث إليها، فقال:

تصبرت عنها كارهاً وهجرتها وهجرانها عندي أمر من الصبر

إذا ارتحلت نحو اليمامة رفقة دعاني الهوى واهتاج قلبي للذكر

كأن فؤادي كلما عن ذكرها جناحا غراب رام نهضاً إلى وكر

الغناء للزف، ثقيل أول عن الهشامي في هذين البيتين.

وقال فيها:

مداينة السلطان باب مذلة وأشبه شيء بالقناعة والفقر

إذا أنت لم تنظر لنفسك خالياً أحاطت بك الأحزان من حيث لا تدري

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه، قال: قال أبو الذيال الحنفي: خرج يحيى بن طالب الحنفي من اليمامة يريد خراسان على البريد، فقال وهو بقومس:

أقول لأصحابي ونحن بقومس نراوح أكتاف المحذفة الجرد

بعدنا وعهد الله من أهله قرقرى وفيها الألى نهوى وزدنا على البعد

أخبرنا الحسن بن علي قال: حدثنا محمد موسى بن حماد قال حدثني عبد الله بن بشر، عن أبي فراس الهيثم بن فراس الكلابي قال: كنت مع أبي ونحن قاصدون اليمامة ، فلما رأيناها لقينا رجل، فقال له أبي: أين قرقرى؟ قال: وراءك. قال: فأين شعبعب؟ قال: بإزاءه، قال: أرني ذلك، فأراه إياه حتى عرفه، فقال لي: ارجع بنا إلى الموضع فقلت له: يا أبتي قد تعبنا وتعبت ركائبنا، فما لك هناك ! قال: إنك لأحمق، ارجع ويلك ، فرجعت معه حتى أتى شعبعب، وصار إلى الحوض والعطن، وأناخ راحلته، وقال لي: أنخ ، فأنخت، ونزل فنظر إلى شعبعب وقرقرى ساعة، ثم اضطجع بين الحوض والعطن اضطجاع ، ويده تحت خده، ثم قام فركب ، فقلت: يا أبتي ما أردت بهذا؟ فقال: يا جاهل، أما سمعت قول يحيى بن طالب:

هل أجعلن يدي للخد مرفقة على شعبعب بين الحوض والعطن

أفليس عجزاً أن نكون قد أتينا عليهما وهما أمنية المتمني فلا ننال ما تمناه منهما، وقد قدرت عليه؟ فجعلت أعجب من قوله وفعله.

أخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال: حدثني طلحة بن عبد الله الطلحي قال: حدثنا أبو العالية عن رجل من بني حنيفة قال: كان يحيى بن طالب جواداً، شاعراً جميلاً، حمالاً لأثقال قومه ومغارمهم، سمحاً يقري الأضياف، تشاء أن ترى في فتى خصلة جميلة إلا رأيتها فيه. فدخلت عليه وهو في آخر رمق ، فسألته عن خبره وسليته وقلت له ما طابت به نفسه، ثم أنشدني قوله :

ما أنا كالقول الذي قلت إن زوى ... محلي عن مالي حذار النوائب
بمنزلة بين الطريقين قابلت ... بوادي كحيل كل ماش وراكب
حللت على رأس اليفاع ولم أكن ... كمن لاذ من خوف القرى بالحواجب
فلا تسأل الضيفان من هم وأذنهم ... هم الناس من معروف وجه وجانب
وقولوا إذا ما الضيف حل بنجوة ... ألا في سبيل الله يحيى بن طالب

قال أبو العالية: كحيل: نخل بناخية فران دون قرقرى، وهناك كان منزل يحيى بن طالب .

وقد جمع معه كل ما يغني فيه من القصيدة:

لعمرك إني يوم بصري وناقتي ... لمختلفا الأهواء مصطحبان
متى تحملي شوقي وشوقك تظلعي ... وما لك بالحمل الثقيل يدان
ألا يا غرابي دمنة الدار خبرا ... أبا لبين من عفراء تنتحبان؟
فإن كان حقا ما تقولان فانهضا ... بلحمي إلى وكريكما فكلاني
ولا يعلمن الناس ما كان ميتتي ... ولا يأكلن الطير ما تذران
جعلت لعراف اليمامة حكمه ... وعراف حجر إن هما شفياني
فما تركا من حيلة يعلمانها ... ولا رقية إلا وقد رقياني
وقالا :شفاك الله والله ما لنا ... بما حملت منك الضلوع يدان
كأن قطاة علقت بجناحها ... على كبدي من شدة الخفقان

الشعر لعروة بن حزام، والغناء لإبراهيم الموصلي في الأربعة الأبيات الأول، ثقيل أول بالوسطى، ولعريب في الرابع والخامس والسادس والتاسع هزج مطلق في مجرى البنصر، عن إسحاق، وفي السابع وما بعده إلى آخرها ثقيل أول ينسب إلى أبي العبيس بن حمدون، وإلى غيره.

أخبار عروة بن حزام

هو عروة بن حزام بن مهاصر، أحد بني حزام بن ضبة بن عبد بن كبير بن عذرة .
شاعر إسلامي، أحد المتيمين الذين قتلهم الهوى، لا يعرف له شعر إلا في عفراء بنت عمه: عقال بن مهاصر، وتشبيبه بها .
أخبرني بخبرها جماعة من الرواة؛ فمنه ما أخبرني به الحسن بن علي بن محمد الآدمي قال: حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدثني موسى بن عيسى الجعفري، عن الأشباط بن عيسى العذري.
وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسي، ومحمد بن مزيد بن أبي الإزهر، عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن رجاله.
وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة. وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار عمن أسند إليه. وأخبرني إبراهيم بن أيوب الصائغ عن ابن قتيبة.
وقد سقت رواياتهم وجمعتها: قال الأسباط بت عيسى - وروايته كأنها أتم الروايات وأشدها اتساقاً - أدركت شيوخ الحي يذكرون:
أنه كان من حديث عروة بن حزام وعفراء بنت عقال: أن حزاماً هلك وترك ابنه عروة صغيراً في حجر عمه عقال بن مهاصر. وكانت عفراء تربا لعروة، يلعبان جميعاً، ويكونان معاً، حتى ألف كل واحد منهما صاحبه إلفاً شديداً. وكان عقال يقول لعروة، لما يرى من إلفهما: أبشر، فإن عفراء امرأتك ، إن شاء الله. فكانا كذلك حتى لحقت عفراء بالنساء، ولحق عروة بالرجال، فأتى عروة عمةً يقال لها: هند بنت مهاصر، فشكا إليها ما به من حب عفراء ، وقال لها بعض ما يقول لها: يا عمة، إني لأكلمك وأنا منك مستح ، ولكن لم أفعل هذا حتى ضقت ذرعاً بما أنا فيه، فذهبت عمته إلى أخيها فقالت له : يا أخي، قد أتيتك في حاجة أحب أن تحسن فيها الرد ، فإن الله يأجرك بصلة رحمك فيما أسألك. فقال لها: قولي، فلن تسألي حاجة إلا رددتك بها. قالت: تزوج عروة بن أخيك بابنتك عفراء، فقال: ما عنه مذهب، ولا هو دون رجل يرغب فيه ، ولا بنا عنه رغبة، ولكنه ليس بذي مال، وليست عليه عجلة. فطابت نفس عروة، وسكن بعض السكون.
وكانت أمها سيئة الرأي فيه، تريد لابنتها ذا مال ووفر، وكانت عرضة ذلك كمالاً وجمالاً، فلما تكاملت سنه وبلغ أشده عرف أن رجلاً من قومه ذا يسار ومال كثير يخطبها، فأتى عمه، فقال: يا عم، قد عرفت حقي وقرابتي، وإني ولدك وربيت في حجرك، وقد بلغني أن رجلاً يخطب عفراء، فإن أسعفته بطلبته قتلتني وسفكت دمي، فأنشدك الله ورحمي وحقي، فرق له وقال له : يا بني، أنت معدم، وحالنا قريبة من حالك، ولست مخرجها إلى سواك، وأمها قد أبت أن تزوجها إلا بمهر غال، فاضطرب واسترزق الله تعالى .
فجاء إلى أمها فألطفها ودارها، فأبت أن تجيبه إلا بما تحتكمه من المهر، وبعد أن يسوق شطره إليها، فوعدها بذلك.
وعلم أنه لا ينفعه قرابة ولا غيرها إلا بالمال الذي يطلبونه ، فعمل على قصد ابن عم له موسر كان مقيماً باليمن ، فجاء إلى عمه وامرأته فأخبرهما بعزمه، فصوباه ووعداه ألا يحدثا حدثاً حتى يعود.

وصار في ليلة رحيله إلى عفراء، فجلس عندها ليلة هو وجواري الحي ، يتحدثون حتى أصبحوا ، ثم ودعها وودع الحي وشد على راحلته، وصحبه في طريقه فتيان من بني هلال بن عامر كانا يألفانه ، وكان حياهم متجاورين، وكان في طول سفره ساهياً يكلمانه فلا يفهم، فكرةً في عفراء ، حتى يرد القول عليه مراراً، حتى قدم على ابن عمه، فلقيه وعرفه حاله وما قدم له، فوصله وكساه، وأعطاه مائة من الإبل، فانصرف بها إلى أهله.

وقد كان رجل من أهل الشام من أسباب بني أمية نزل في حي عفراء، فنحر ووهب وأطعم ، وكان ذا مال عظيم ، فرأى عفراء، وكان منزله قريباً من منزلهم، فأعجبته وخطبها إلى أبيها، فاعتذر إليه وقال: قد سميتها إلى ابن أخ لي يعدلها عندي، وما إليها لغيره سبيل ، فقال له: إني أرغبك في المهر، قال: لا حاجة لي بذلك ، فعدل إلى أمها، فوافق عندها قبولاً، لبذله ورغبة في ماله، فأجابته ووعدته ، وجاءت إلى عقال فآدته وصخبت معه ، وقالت: أي خير في عروة حتى تحبس ابنتي عليه وقد جاءها الغني يطرق عليها بابها؟ والله ما ندري أعروة حي أم ميت؟ وهل ينقلب إليك بخير أم لا؟ فتكون قد حرمت ابنتك خيراً حاضراً ورزقاً سنياً ، فلم تزل به حتى قال لها: فإن عاد لي خاطباً أجبته. فوجهت إليه أن عد إليه خاطباً. فلما كان من غد نحر جزراً عدة، وأطعم ووهب وجمع الحي معه على طعامه، وفيهم أبو عفراء، فلما طعموا أعاد القول في الخطبة، فأجابه وزوجه ، وساق إليه المهر، وحولت إليه عفراء وقالت قبل أن يدخل بها :

يا عرو إن الحي قد نقضوا عهد الإله وحاولوا الغدرا

في أبيات طويلة.

فلما كان الليل دخل بها زوجها، وأقام فيهم ثلاثاً، ثم ارتحل بها إلى الشام، وعمد أبوها إلى قبر عتيق، فجدد وسواه، وسأل الحي كتمان أمرها .

وقدم عروة بعد أيام، فنعاها أبوها إليه، وذهب به إلى ذلك القبر، فمكث يختلف إليه أياماً وهو مضنى هالك، حتى جاءته جارية من الحي فأخبرته الخبر ، فتركهم وركب بعض إبله، وأخذ معه زاداً ونفقة، ورحل إلى الشام فقدمها وسأل عن الرجل فأخبر به، ودل عليه، فقصده وانتسب له إلى عدنان ، فأكرمه وأحسن ضيافته، فمكث أياماً حتى أنسوا به، ثم قال لجارية لهم: " هل لك في يد تولينيها ؟ قالت: نعم، قال: تدفعين خاتمي هذا إلى مولاتك. فقالت : سوءة لك، أما تستحي لهذا القول؟ فأمسك عنها، ثم أعاد عليها وقال لها: ويحك! هي والله بنت عمي، وما أحد منا إلا وهو أعز على صاحبه من الناس جميعاً ، فاطرحي هذا الخاتم في صبوحها ، فإذا أنكرت عليك فقولي لها: اصطبح ضيفك قبلك، ولعله سقط منه. فرقت الأمة وفعلت ما أمرها به.

فلما شربت عفراء اللبن رأت الخاتم فعرفته، فشهقت ، ثم قالت: اصدقيني عن الخبر، فصدقتها . فلما جاء زوجها قالت له: أتدري من ضيفك هذا ؟ قال: نعم، فلان بن فلان ، للنسب الذي انتسب له عروة، فقالت: كلا والله يا هذا ، بل هو عروة بن حزام ابن عمي، وقد كتم نفسه حياءً منك.

وقال عمر بن شبة في خبره: بل جاء ابن عم له فقال: أتركتم هذا الكلب الذي قد نزل بكم هكذا في داركم يفضحكم؟ فقال له : ومن تعني؟ قال: عروة بن حزام العذري ضيفك هذا، قال: أوإنه لعروة؟ بل أنت والله الكلب، وهو الكريم القريب.

قالوا جميعاً: ثم بعث إليه فدعاه، وعاتبه على كتمانه نفسه إياه ، وقال له: بالرحب والسعة، نشدتك الله إن رمت هذا المكان أبداً، وخرج وتركه مع عفراء يتحدثان . وأوصى خادماً له بالاستماع عليهما، وإعادة ما تسمعه منهما عليه، فلما خلوا تشاكيا ما وجدا بعد الفراق، فطالت الشكوى، وهو يبكي أحر بكاء، ثم أتته بشراب وسألته أن يشربه، فقال: والله ما دخل جوفي حرام قط، ولا ارتكبته منذ كنت، ولو استحللت حراماً لكن قد استحللته منك، فأنت حظي من الدنيا، وقد ذهبت مني، وذهبت بعدك فما أعيش! وقد أجمل هذا الرجل الكريم وأحسن، وأنا مستحيي منه، ووالله لا أقيم بعد علمه مكاني ، وإني عالم أني أرحل إلى منيتي. فبكت وبكى، وانصرف.

فلما جاء زوجه أخبرته الخادم بما دار بينهما ، فقال: يا عفراء، امنعي ابن عمك من الخروج، فقالت: لا يمتنع، هو والله أكرم وأشد حياءً من أن يقيم بعد ما جرى بينكما، فدعاه وقال له: يا أخي ، أتق الله في نفسك، فقد عرفت خبرك، وإنك إن رحلت تلفت، ووالله لا أمنعك من الاجتماع معها أبداً ، ولئن شئت لأفارقنها ولأنزلن عنها لك. فجزاه خيراً، وأثنى عليه، وقال: إنما كان الطمع فيها آفتي، والآن قد يئست، وقد حملت نفسي على اليأس والصبر، فإن اليأس يسلي ، ولي أمور، ولا بد لي من رجوعي إليها، فإن وجدت من نفسي قوة على ذلك، وإلا رجعت إليكم وزرتكم، حتى يقضي الله من أمري ما يشاء. فزودوه وأكرموه وشيعوه، فانصرف . فلما رحل عنهم نكس بعد صلاحه وتماثله، وأصابه غشي وخفقان؛ فكان كلما أغمي عليه ألقي على وجهه خمار لعفراء زودته إياه؛ فيفيق.

قال: ولقيه في الطريق ابن مكحول عراف اليمامة، فرآه وجلس عنده؛ وسأله عما به؛ وهل هو خبل أو جنون؟ فقال له عروة: ألك عنده علم بالأوجاع؟. قال: نعم؛ فأنشأ يقول:

وما بي من خبل ولا بي جنة	ولكن عمي يا أخي كذوب
أقول لعراف اليمامة داوني	فإنك إن داويتني لطبيب
فوا كبدا أمست رفاتاً كأنما	يلذعها بالموقدات طبيب
عشية لا عفراء منك بعيدة	فتسلو ولا عفراء منك قريب
عشية لا خلفي مكر ولا الهوى	أمامي ولا يهوى هواي غريب
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا	وما عقبتها في الرياح جنوب
وإني لتغشاني لذكراك هزة	لها بين جلدي والعظام دبيب

وقال أيضاً يخاطب صاحبيه الهلاليين بقصته :

خليلي من عليا هلال بن عامر بصنعاء عوجاء اليوم واتنظراني
ولا تزهدا في الذخر عندي وأجملا فإنكما بي اليوم مبتليان
ألما على عفراء إنكما غداً بوشك النوى والبين معترفان
فيا واشيا عفراء ويحكما بمن وما وإلى من جئتما تشيان

بمن لو أراه عانياً لفديته ومن لو رآني عانياً لفداني
متى تكشفان عني القميص تبينا بي الضر من عفراء يا فتيان
إذن تريا لحماً قليلاً وأعظماً بلين وقلباً دائم الخفقان
وقد تركتني لا أعي لمحدث حديثاً وإن ناجيته ونجاني
جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف حجر إن هما شفياني
فما تركا من حيلة يعرفانها ولا شربة إلا وقد سقياني
ورشا على وجهي من الماء ساعة وقاما مع الواد يبتدران
وقالا :شفاك الله والله مالنا بما ضمنت منك الضلوع يدان
فويلي على عفراء ويلاً كأنه على الصدر والأحشاء حد سنان
أحب ابنة العذري حباً وإن نأت ودانيت فيها غير ما متداني
إذا رام قلبي هجرها حال دونه شفيعان من قلبي لها جدلان

غنته شاريه؛ ولحنه من الثقيل الأول .

إذا قلت: لا، قالا: بلى، ثم أصبحا جميعاً على الرأي الذي يريان
تحملت من عفراء ما ليس لي به ولا للجبال الراسيات يدان
فيا رب أنت المستعان على الذي تحملت من عفراء منذ زمان
كأن قطاة علقت بجناحها على كبدي من شدة الخفقان

في: تحملت من عفراء والذي بعده، ثقيل أول، يقال إنه لأبي العبيس بن حمدون.

قال: فلم يزل في طريقه حتى مات قبل أن يصل إلى حيه بثلاث ليال، وبلغ عفراء خبر وفاته، فجزعت جزعاً شديداً، وقالت ترثيه:

ألا أيها الركب المخبون ويحكم بحق نعيتم عروة بن حزام
فلا تهنأ الفتيان بعدك لذة ولا رجعوا من غيبة بسلام
وقل للحبالى: لا ترجين غائباً ولا فرحات بعده بغلام

قال: ولم تزل تردد هذه الأبيات وتندبه بها، حتى ماتت بعده بأيام قلائل .

وذكر عمر بن شبة في خبره: أنه لم يعلم بتزويجها حتى لقي الرفقة التي هي فيها، وأنه كان توجه إلى ابن عم له بالشام، لا باليمن ، فلما رآها وقف دهشاً ، ثم قال:

فما هي إلا أن أراها فجاءة فأبهت حتى ما أكاد أجيب
وأصدف عن رأيي الذي كنت أرتئي وأنسى الذي أزمعت حين تغيب
ويظهر قلبي عذرها ويعينها علي فما لي في الفؤاد نصيب
وقد علمت نفسي مكان شفائها قريباً، وهل ما لا ينال فريب؟
حلفت برب الساجدين لربهم خشوعاً، وفوق الساجدين رقيب
لئن كان برد الماء حران صادياً إلي حبيباً إنها لحبيب

وقال أبو زيد في خبره: ثم عاد من عند عفراء إلى أهله، وقد ضني ونحل، وكانت له أخوات وخالة وجدة، فجعلن يعظنه ولا ينفع ، وجئن بأبي كحيلة رباح بن شداد مولى بني ثعيلة ، وهو عراف حجر ، ليداويه فلم ينفعه دواؤه.

وذكر أبو زيد قصيدته النونية التي تقدم ذكرها، وزاد فيها:

وعينان أوفيت نشراً فتنظرا مآقيهما إلا هما تكفان
سوى أنني قد قلت يوماً لصاحبي ضحى وقلوصانا بنا تخدان
ألا حبذا من حب عفراء وادياً نعام وبزل حيث يلتقيان

وقال أبو يزيد: وكان عروة يأتي حياض الماء التي كانت إبل عفراء تردها فيلصق صدره بها، فيقال له: مهلاً، فإنك قاتل نفسك، فاتق الله . فلا يقبل، حتى أشرف على التلف، وأحس بالموت.

فجعل يقول:

بي اليأس والداء والهيام سقيته فإياك عني لا يكن بك ما بيا

أخبرني الحرمي بن أب العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون، عن أبي السائب قال:

أخبرني ابن أبي عتيق قال: والله إني لأسير في أرض عذرة إذا بامرأة تحمل غلاماً جزلاً ، ليس يحمل مثله ، فعجبت

لذلك، حتى أقبلت به، فإذا له لحية، فدعوتها فجاءت، فقلت له: ويحك! ما هذا؟ فقالت: هل سمعت بعروة بن حزام؟ فقلت: نعم، قالت: هذا والله عروة. فقلت له: أنت عروة ؟ فكلمني وعيناه تذرفان وتدوران في رأسه، وقال: نعم أنا والله القائل:

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف حجر إن هما شفيان

فقالا: نعم نشفي من الداء كله وقاما مع العواد يبتدران

فعفراء أحظى الناس عندي مودة وعفراء عني المعرض المتواني

قال: وذهبت المرأة، فما برحت من الماء حتى سمعت الصيحة، فسألت عنها، فقيل: مات عروة بن حزام.

قال عبد الملك: فقلت لأبي السائب: ومن أي شيء مات؟ أظنه شرق، فقال: سخنت عيناك ، بأي شيء شرق؟ قلت بريقه - وأنا أريد العبث بأبي السائب - أفترى أحداً يموت من الحب؟ قال: والله لا تفلح أبداً، نعم يموت خوفاً أن يتوب الله عليه !! أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني، عن العمري، عن الهيثم بن عدي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن النعمان بن بشير قال: ولاني عثمان - رضي الله عنه - صدقات سعد هذيم ، وهم: بلي، وسلامان عذرة، وضبة بن الحارث، ووائل: بنو زيد، فلما قبضت الصدقة قسمتها في أهلها، فلما فرغت وانصرفت بالسهمين إلى عثمان - رضي الله عنه - إذا أنا ببيت مفرد عن الحي، فملت إليه، فإذا أنا بفتى راقد في فناء البيت، وإذا بعجوز من وراءه في كسر البيت، فسلمت عليه، فرد علي بصوت ضعيف ، فسألته: ما لك؟ فقال:

كأن قطاة علقت بجناحها على كبدي من شدة الخفقان

وذكر الأبيات النونية المعروفة، ثم شهق شهقة خفيفة كانت نفسه فيها، فنظرت إلى وجهه فإذا هو قد قضى فقلت: أيتها العجوز، من هذا الفتى منك؟ قالت: ابني، فقلت: إني أراه قد قضى، فقالت: وأنا والله أرى ذلك، فقامت فنظرت في وجهه ثم قالت: فاظ ورب محمد، قال: فقلت لها: يا أماه ، من هو؟ فقالت: عروة بن حزام، أحد بني ضبة، وأنا أمه، فقلت لها: ما بلغ به ما أرى؟ قالت: الحب، والله ما سمعت له منذ سنة كلمة ولا أنة إلا اليوم، فإنه أقبل علي ثم قال:

من كان من أمهاتي باكياً أبداً فاليوم إني أراني اليوم مقبوضا

يسمعنني فإني غير سامعه إذا علوت رقاب القوم معروضا

قال: فما برحت من الحي حتى غسلته، وكفنته، وصليت عليه، ودفنته.

وذكر أبو زيد عمر بن شبة في خبره، هذه القصة عن عروة بن الزبير، فقال هذين البيتين بحضرته:

من كان من أخواتي باكياً أبداً .....

قال: فحضرته فبرزن - والله - كأنهن الدمى ، فشققن جيوبهن، وضربن خدودهن ، فأبكين كل من حضر. وقضى من يومه.

وبلغ عفراء خبره، فقامت لزوجها فقالت: يا هناء، قد كان من خبر ابن عمي ما كان بلغك، و والله ما عرفت منه قط إلا الحسن الجميل، وقد مات في وبسببي، ولابد لي من أن أندبه وأقيم مأتماً عليه . قال: افعلي. فما زالت تندبه ثلاثاً، حتى توفيت في اليوم الرابع.

وبلغ معاوية بن أبي سفيان خبرهما ، فقال: لو علمت بحال هذين الحرين الكريمين لجمعت بينهما.

وروي هذا الخبر عن هارون بن موسى القروي، عن محمد بن الحارث المخزومي، عن هشام بن عبد الله، عن عكرمة، عن هشام بن عروة عن أبيه، أنه كان شاهداً ذلك اليوم. و لم يذكر النعمان بن بشير في خبره.

وذكر هارون بن مسلمة عن غصين بن براق، عن أم جميل الطائية: أن عفراء كانت يتيمة في حجر عمها عمه ، فعرضها عليه فأباها، ثم طال المدى، وانصرف عروة في يوم عيد، بعد أن صلى صلاة العيد، فرآها وقد زينت، فرأى منها جمالاً بارعاً، وقدمت له تحفة فنال منها وهو ينظر إليها، ثم خطبها إلى عمه فمنعه ذلك ، مكافأة لما كان من كراهته لها لما عرضها عليه، وزوجها رجلاً غيره فخرج بها إلى الشام، وتمادى في حبها حتى قتله.

حدثنا محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا عبد الله بن شبيب قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وغيره، عن سليمان بن عبد العزيز بن عمران الزهري قال: حدثني خارجة المكي: أنه رأى عروة بن حزام يطاف به حول البيت، قال: فدنوت منه، فقلت: من أنت؟ فقال: الذي أقول :

أفي كل يوم أنت رام بلادها ... بعينين إنسانا هما غرقان!

ألا فاحملاني بارك الله فيكما ... إلى حاضر الروحاء ثم ذراني

فقلت له: زدني، فقال: لا والله ولا حرفاً .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني أبو سعيد السكري قال: حدثني محمد بن حبيب قال: ذكر الكلبي عن أبي صالح، قال: كنت مع ابن عباس بعرفة ، فأتاه فتيان يحملون بينهم فتى لم يبق منه إلا خياله، فقالوا له: يا بن عم رسول الله، ادع له، فقال: وما به؟ فقال الفتى:

بنا من جوى الأحزان في الصدر لوعة ... تكاد لها نفس الشفيق تذوب

ولكنما أبقى حشاشة معول ... على ما به عود هناك صليب

قال: ثم خفت في أيديهم فإذا هو قد مات.

فقال ابن عباس:

هذا قتيل الحب لا عقل ولا قود

ثم ما رأيت ابن عباس سأل الله - جل وعز - في عشيته إلا العافية، مما ابتلي به ذلك الفتى، قال: وسألنا عنه فقيل: هذا عروة بن حزام.

أعالي أعلى الله جدك عاليا وأسقى برياك العضاة البواليا
أعالي ما شمس النهار إذا بدت بأحسن مما تحت برديك عاليا
أعالي لو أن النساء ببلدة وأنت بأخرى لاتبعتك ماضيا
أعالي لو أشكو الذي قد أصابني إلى غصن رطب لأصبح ذاويا

الشعر للقتال الكلابي.

وقد أدخل بعض الرواة الأول من هذه الأبيات مع أبيات سحيم عبد بني الحسحاس التي أولها:

فما بيضة بات الظليم يحفها ....

في لحن واحد. وذكرت ذلك في موضعه ، وأفردته على حدته ، وأتيت به على حقيقته.

والغناء لابن سريج، ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى. وذكر الهشامي أن فيه لأبي كامل ثاني ثقيل، لا أدري أهذا يعني أم غيره. و وافقه إبراهيم في لحن أبي كامل و لم يجنسه، وزعم أن فيه لحناً آخر لابن عباد، وفيه ثقيل أول، ذكر ابن المكي أنه لمعبد. وذكر الهشامي أنه ليحيى منحول إلى معبد. وذكر حبش أنه لطويس .

وفي هذه القصيدة يقول القتال :

أعالي أخت المالكيين نولي بما ليس مفقوداً وفيه شفائيا
أصارمتي أم العلاء وقد رمى بي الناس في أم العلاء المراميا
أيا إخوتي لا أصبحن بمضلة كما كنت لو كنت الطريد مراديا
فراد لديك القوم واشعب بحقهم كما كنت لو كنت الطريد مراديا
وشمر ولا تجعل عليك غضاضة ولا تنس يا بن المضرحي بلائيا

ولهذه القصيدة أخبار تذكر في مواضعها ها هنا إن شاء الله تعالى.

أخبار القتال ونسبه

القتال لقب غلب عليه، لتمرده وفتكه. واسمه: عبد الله بن المضرحي بن عامر الهصان ابن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. ويكنى أبا المسيب، وأمه عمرة بنت حرقة بن عوف بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر ابن كلاب.

وقد ذكرها في شعرها وفخر بها، فقال:

لقد ولدتني حرة ربعية من اللاء لم يحضرن في القيظ ذبذبا

نسخت من كتاب لمحمد بن داود ن الجراح خبره، وذكر أن عبد الله بن سليمان السجستاني دفعه إليه وأخبره أنه سمعه من عمر بن شبة وأجاز له روايته، وأخبرني بأكثر رواية عمر بن شبة هذه الأخفش عن السكري عنه في أخبار اللصوص وجمعت ذلك أجمع.

قال عمر بن شبة: حدثني حميد بن مالك بن يسار المسمعي قال: حدثني شداد بن عقبة ابن رافع بن زمل بن شعيب بن الحارث بن عامر بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب. وكانت أم رافع جنوب بنت القتال. وحدثني شيخ من بني أبي بكر بن كلاب، يكنى أبا خالد، أيضاً بحديث القتال ، قال أبو خالد:

كان القتال قتال ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب، يتحدث إلى ابنة عم يقال لها العالية بنت عبيد الله ، وكان لها أخ غائب يقال له: زياد بن عبيد الله . فلما قدم رأى القتال يتحدث إلى أخته، فنهاه وحلف: لئن رآه ثانية ليقتلنه. فلما كان بعد ذلك بأيام رآه عندها ، فأخذ السيف وبصر به القتال، فخرج هارباً، وخرج في إثره، فلما دنا منه ناشده القتال بالله والرحم، فلم يلتفت إليه فبينا هو يسعى، وقد كاد يلحقه، وجد زماً مركوزاً - وقال للسكري : وجد سيفاً - فأخذه وعطف على زياد فقتله، وقال:

نهيت زياداً والمقامة بيننا وذكرته أرحام سعر وهيثم

فلما رأيت أنه غير منته أملت له كفي بلدن مقوم

ولما رأيت أنني قد قتلته ندمت عليه أي ساعة مندم

وقال أيضاً :

نهيت زياداً والمقامة بيننا وذكرته بالله حولاً مجرما

فلما رأيت أنه غير منته ومولاي لا يزداد إلا تقدما

أملت له كفي بأبيض صارم حسام إذا ما صادف العظم صمما

بكف امرئ لم تخدم الحي أمه أخي نجدات لم يكن متهضما

ثم خرج هارباً، وأصحاب القتيل يطلبونه، فمر بابنة عم له تدعى: زينب، متنحية عن الماء، فدخل عليها، فقالت له: ويحك! ما دهاك؟ قال: ألقي علي ثيابك، فألقت عليه ثيابها، وألبسته برقعها ، وكانت تمس حناء، فأخذ الحناء فلطخ بها يديه وتنحت عنه، ومر الطلب له ، فلما أتوا البيت قالوا وهم يظنون أنه زينب... أين الخبيث؟ فقال لهم : أخذ ها هنا ، لغير الوجه الذي أراد أن يأخذه. فلما عرف أن قد بعدوا أخذ في وجه آخر، فلحق بعماية، وعماية جبل، فاستتر فيه، وقال في ذلك:

فمن مبلغ فتيان قومي أنني تسميت لما شبت الحرب زينبا

وأرخيت جلبابي على نبت لحيتي وأبديت للناس البنان المخضبا

وقال أيضاً :

جزى الله عنا والجزاء بكفه عماية خيراً أم كل طريد

فما يزدهيها القوم ن نزلوا بها وإن أرسل السلطان كل بريد

حمتني منها كل عنقاء عيطل وكل صفاً جم القلات كؤود

فمكث بعماية زماناً يأتيه أخ له بما يحتاج إليه، وألفه نمر في الجبل كان يأوي معه في شعب .

وأخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثني محمد بن حبيب، عن ابن الكلبي، قال: كان القتال الكلابي أصاب دماً، فطلب به، فهرب إلى جبل يقال له عماية، فأقام في شعب من شعابه، وكان يأوي إلى ذلك الشعب نمر، فراح إليه كعادته، فلما رأى القتال كشر عن أنيابه، ودلع لسانه فجرد القتال سيفه من جفنه، فرد النمر لسانه، فشام القتال سيفه ، فربض بإزائه، وأخرج براثنه، فسل القتال سهامه من كنانته ، فضرب بيده وزأر، فأوتر القتال قوسه، وأنبض وترها ، فسكن النمر وألفه.

فقال ابن الكلبي في هذا الخبر، ووافقه عمر بن شبة في روايته: كان النمر يصطاد الأروى ، فيجيء بما يصطاده، فيلقيه بين يدي القتال، فيأخذ منه ما يقوته ، ويلقي الباقي للنمر فيأكله، وكان القتال يخرج إلى الوحش فيرمي بنبله ، فيصيب منه الشيء بعد الشيء، فيأتي به الكهف، فيأخذ لقوته بعضه، ويلقي الباقي للنمر. وكان القتال إذا ورد الماء قام عليه النمر حتى يشرب، ثم يتنحى القتال عنه ويرد النمر، فيقوم عليه القتال حتى يشرب، فقال القتال في ذلك من قصيدة له:

ولي صاحب في الغار يعدل صاحباً أبا الجون إلا أنه لا يعلل

أبو الجون: صديق كان يأنس به، فشبهه به . وفي رواية عمر بن شبة : أخي الجون، فإن القتال كان له أخ اسمه الجون، فشبهه به:

كلانا عدو لا يرى في عدوه مهزاً وكل في العداوة مجمل

إذا ما التقينا كان أنس حديثنا صماتاً وطرف كالمعابل أطحل

لنا مورد قلت بأرض مضلة شريعتنا :لأينا جاء أول

تضمنت الأروى لنا بشوائنا كلانا له منها شديف مخردل

فأغلبه في صنعة الزاد إنني أميط الأذى عنه وما إن يهلل

أي ما يسمي الله تعالى عند صيده .

أخبرني اليزيدي قال: حدثني عمي الفضل عن إسحاق الموصلي، وأخبرني به محمد بن جعفر الصيدلاني، عن الفضل، عن إسحاق. وأخبرني به وسواسة بن الموصلي عن حماد، عن أبيه، قال: قال أبو المجيب أبو شداد بن عقبة: دعا رجل من الحي يقال له أبو سفيان، القتال الكلابي إلى وليمة، فجلس القتال ينتظر رسوله ولا يأكل حتى انتصف النهار، وكانت عنده فقرة من حوار، فقال لامرأته:

فإن أبا سفيان ليس بمولم ... فقومي فهاتي فقرة من حوارك

قال إسحاق: فقلت له: ثم مه؟ قال: لم يأت بعده بشيء، إنما أرسله يتيماً. فقلت له: له ؟ أفلا أزيدك إليه بيتاً آخر ليس بدونه؟ قال؟: بلى، قلت:

فبيتك خير من بيوت كثيرة ... وقدرك خير من وليمة جارك

فقال: بأبي أنت وأمي، والله لقد أرسلته مثلاً ، وما انتظرت به العرب، وإنك لبز طراز ما رأيت بالعراق مثله، وما يلام الخليفة أن يدنيك ويؤثرك ويتملح بك، ولو كان الشباب يشترى لابتعته لك بإحدى يدي، ويمنى عيني، وعلى أن فيك بحمد الله بقية تسر الودود، وترغم الحسود.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثني عمر بن شبة قال: كان للقتال ابنان، يقال لأحدهما المسيب، وللآخر عبد السلام، ولعبد السلام يقول:

عبد السلام تأمل هل ترى ظعناً ... أني كبرت وأنت اليوم ذو بصر

لا يبعد الله فتياناً أقول لهم ... بالأبرق الفرد لما فاتني نظري

ألا ترون بأعلى عاسم ظعناً ... نكبنا فحلين واستقبلنا ذا بقر

وقال أبو زيد عمر بن شبة من رواية ابن داود عنه: حدثني سعيد بن مالك قال: حدثني شداد بن عقبة قال: اقتتل بنو جعفر بنو كلاب وبنو العجلان بن كعب بن ربيعة بن صعصعة، فقتلت بنو جعفر بن كلاب رجلاً من بني العجلان، قال شداد، وكان جدة القتال أم أبيه عجلانية، وهي خولة بنت قيس بن زياد بن مالك بن العجلان، فاستبطأ القتال أخواله بني العجلان في الطلب بثأرهم من بني جعفر، وجعل يحضهم ويحرضهم، فقال في ذلك ، وقد بلغه أنهم أخذوا من بني جعفر دية المقتول، فعيرهم بما فعلوا وقال:

لعمري لحي من عقيل لقيتهم ... بخطمة أو لاقيتهم بالمناسك

عليهم من الحوك اليماني بزة ... على أرحبيات طوال الحوارك

أحب إلى نفسي وأملح عندها ... من السروات آل قيس بن مالك

إذا ما لقيت عصبة جعفرية ... كرهتم بني اللكعاء وقع النيازك

فلستم بأخوالي فلا تصلبنى ... ولكنما أمي لإحدى العواتك

قصار العماد لا ترى سرواتهم مع الوفد جثامون عند المبارك

قتلتم فلما أن طلبتم عقلتم كذلك يؤتى بالذليل كذلك

وقال ابن حبيب: خرج ابن هبار القرشي إلى الشام في تجارة أو إلى بعض بني أمية، فاعترضته جماعة فيهم القتال الكلابي وغيره، فقتلوه وأخذوا ماله. وشاع خبره، فاتهم به جماعة من بني كلاب وغيرهم من فتاك العرب، فأخذوا وحبسوا، أخذهم عامل مروان بن الحكم، فوجههم إليه وهو بالمدينة، فحبسهم ليبحث عن الأمر، ثم يقتل، قتله ابن هبار، فلما خشي القتال أن يعلم أمره، ورأى أصحابه ليس فيهم من غناء - اغتال السجان فقتله، وخرج هو ومن كان معه من السجن فهربوا ، فقال يذكر ذلك:

أميم أثيبي قبل جد التزيل أثيبي بوصل أو بصرم معجل

أميم وقد حملت ما حمل امرؤ وفي الصرم إحسان إذا لم تنولي

وهي قصيدة طويلة يقول فيها:

وإني وذكر أم حسان كالفتى متى ما يذق طعم المدامة يجهل

ألا حبذا تلك البلاد وأهلها لو أن عذابي بالمدينة ينجلي

برزت لها من سجن مروان غدوة فآنستها بالأيم لم تتحول

وآنست حياً بالمطالي وجاملاً أبابيل هطلى بين راع ومهمل

نظرت وقد جل الدجى طامس الصوى بسلع وقرن الشمس لم يترجل

وشبت لنا نار لليلى صباحه يذكى بعود جمرها وقرنفل

يضيء سناها وجه ليلى كأنما يضيء سناها وجه أدماء مغزل

علا عظمها واستعجلت عن لداتها وشبت شباباً وهي لما تسربل

ولما رأيت الباب قد حيل دونه وخفت لحاقاً من كتاب مؤجل

حملت علي المكروه نفساً شريفة إذا وطئت لم تستقد للتذلل

وكالئ باب السجن ليس بمنته وكان فراري منه ليس بمؤتلي

إذا قلت رفهني من السجن ساعة وتمم بها النعمى علي وأفضل

يشد وثاقاً عابساً ويغلني إلى حلقات من عمود موصل

فقلت له والسيف يعضب رأسه أنا ابن أبي تيماء غير المنحل

عرفت ناديا من نداه وشيمتي وريحاً تغشاني إذا اشتد مسحلي
تركت عتاق الطير تحجل حوله على عدواء كالحوار المجدل

وقال أبو زيد في خبره: وأنشدني شداد للقتال الكلابي يذكر قتل ابن هبار:

تركت ابن هبار لدى الباب مسنداً وأصبح دوني شابة وأرومها
بسيف امرئ ما إن أخبر باسمه وإن حقرت نفسي إلي همومها

وهكذا روى ابن حبيب وعمر بن شبة.

ونسخت من كتاب للشاهيني بخطه في شعر للقتال وأخبار من أخباره قال: حبس القتال في دم ابن عمه الذي قتله، فحبس زماناً في السجن ، ثم كان بين ابن هبار القرشي وبين ابن عم له من قريش إحنة ، فبلغ ابن عمه أن القتال محبوس في سجن المدينة ، فأتاه فقال له: أرأيت أن أنا أخرجتك أتقتل ابن عمي المعروف بابن هبار؟ قال: نعم ، قال: سأرسل إليك بحديدة في طعامك، فعالج بها قيدك حتى تفكه ثم البسه حتى لا تنكر، فإذا خرجت من الوضوء فاهرب من الحرس، فإني جالس لك ومخلصك ومعطيك فرساً تنجو عليه، وسيفاً تمتنع به، فإن خلصك ذلك وإلا فأبعدك الله، فقال: قد رضيت.

قال: وكان أهل المدينة يخرجون المحتبسين ، إذا أمسوا للوضوء، ومعهم الحرس، ففعل ما أمره به ، وأتاه القرشي فخلصه وآواه ، وحتى أمسك عنه الطلب، ثم جاء به وأعطاه سيفاً، فقتل ابن عمه المعروف بابن هبار، ووهب له نجيباً، فنجا عليه وقال:

تركت ابن هبار لدى الباب مسنداً وأصبح دوني شابة وأرومها
بسيف امرئ لا أخبر الناس باسمه ولو أجهشت نفسي إلي همومها

وقال أبو زيد: عمر بن شبة فيما رواه عن أصحابه: مر القتال بعلية بنت شيبة بن عامر بن ربيعة بن كعب بن عمرو بن عبد بن أبي بكر وأخويها: جهم وأويس، فسألها زماماً فأبت أن تعطيه، وكانت جدتهم أم أبيهم أمة يقال لها، أم حدير وكانت لقريظة بن حذيفة بن عمار بن ربيعة بن كعب بن عبد بن أبي بكر، فولدت له أم هؤلاء ، واسمها نجيبة، فولدت له علية هذه، فقال القتال يهجوهم:

يا قبح الله صبياناً تجيء بهم أم الهنيبر من زند لها واري
من كل أعلم منشق مشافره ومؤذن ما وفى شبراً بمشبار
يا ويح شيماء لم تنبذ بأحرار مثلي إذا ما اعتراني بعض زواري
إن القريظين لم يدعوك كنتهم فأقصري آل مسعود ودينار
أما الإماء فما يدعونني ولداً إذا تحدث عن نقضي وأمراري

يا بنت أم حذير لو وهبت لنا ... ثنتين من محكم بالقد أوتاري
أما جديداً وإما بالياً خلقاً ... عاد العذارى لقطيعة بأسيار
لكان ردءاً قليلاً واعتجنت له ... صهباء مقعها حاجي وأسفاري
أنا ابن أسماء أعمامي لها وأبي ... إذا ترامى بنو الإموان بالعار
قد جرب الناس عودي يقرعون به ... وأقصروا عن صليب غير خوار
ما أرضع الدهر إلا ثدي واضحة ... لواضح الوجه يحمي حوزة الجار
يستلب القرن مهريه وصعدته ... حقاً وينزع عنه ذات أزرار
من آل سفيان أو ورقاء يمنعها ... تحت العجاجة طعن غير عوار
يمنعها كل مذرور، بصعدته ... نضح الدباء، على عريان مغوار
تسمع فيهم إذا استسمعت واعية ... عزف القيان وقولا يال عرعار

طوال أنضية الأعناق لم يجدوا ... ريح الإماء إذا راحت بأزفار
والقوم أعلم أنا من خيارهم ... إذا تقلدت عضباً غير ميشار
فرا بسيري وبرد الليل يضربني ... عرض الفلاة يبنيان وأكوار
أما الرواسم أطلاحاً فتعرفني ... إذا اعتصبت على رأسي بأطمار
ولم أنازع بني السوداء فيئهم ... والعظلميات من يعر وأمهار
فكل سوداء لم تحلق عقيقتها ... كأن أصداغها يطلين بالقار
لقد شرتني بنو بكر فما ربحت ... ولا رأيت عليها جزأة الشاري
إن العروق إذا استنزعتها نزعت ... والعرق يسري إذا ما عرس الساري

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: أنشدني الأصمعي للقتال رائية يقول فيها:

إن العروق إذا استنزعتها نزعت ... العرق يسري إذا ما عرس الساري
قد جرب الناس عودي يقرعون به ... فأقصروا عن صليب غير خوار

فقال: لقد أحسن وأجاد، لولا أنه أفسدها بقوله إنه طلب جعلاً فلم يعطه، وكان في دناءة نفسه يشبه الحطيئة، وكان فارساً شاعراً شجاعاً .

وقال السكري في روايته: زوج القتال ابنته أم قيس - واسمها قطاة - رذاذ بن الأخرم بن مالك بن مطرف بن

كعب بن عوف بن عبد بن أبي بكر، فمكثت عنده زماناً، و ولدت له أولاداً ثم أغارها فشكت إلى أبيها، فاستعدى عليه ورماه بخادمها، وجاء رذاذ بالبينة على قذفه إياه بالأمة فأقيم ليضرب، فلم تنتصر له عشيرته، وقامت عشيرة رذاذ فاستوهبوا حده من صاحبهم، فوهبه لهم، وكانت عشيرة القتال تبغضه لكثرة جناياته، وما يلحقها من أذاه، ولا تمنعه من مكروه، فقال يهجو قومه:

إذا ما لقيتم راكباً متعمماً ... فقولوا له: ما الراكب المتعمم؟

فإن يك من كعب بن عبد فإنه ... لئيم المحيا حالك اللون أدهم

دعوت أبا كعب ربيعة دعوة ... وفوقي غواشي الموت تنحى وتنجم

ولم أك أدري أنه ثكل أمه ... إذا قيل للأحرار في الكربة اقدموا

فلو كنت من قوم كرام أعزة ... لحاميت عني حين أحمى وأضرم

دعوت فكم أسمعت من كل مؤذن ... قبيح المحيا شانه الوجه الفم

سوى أن آن الحارث الخير ذببوا ... بأعيط لا وغل ولا متهضم

إلا إنهم قومي وقوم بن مالك ... بنو أم ذئب وابن كبشة خيثم

ولكنما قومي قماشة حاطب ... يجمعها بالكف، والليل مظلم

قال أبو زيد: وحدثني ابن شداد بن عتبة قال: كانت عند القتال بنت ورقاء بن الهيثم به الهصان، وكان جاراً لبني الحصين بن الحويرث بن كعب بن عبد بن أبي بكر، وكانت لها ضرة عنده يقال لها أم رياح بنت ميسرة بن نفير بن الهصان، وهي أم جنوب بنت القتال فخرج القتال في سفر له فلما آب منه أقبل حين أناخ إلى أهله، فوجد عند بنت ورقاء جرير بن الحصين، فلما رأى جرير القتال نهض، فسأل القتال عنه، فقالت له امرأته أم رياح - وهو صفية ويقال ضفيفة بنت الحارث بن الهصان -: إن هذا البيت لبيت لا نزال نسمع فيه ما لا يعجبنا فطلق القتال بنت ورقاء، وهي حامل، فولدت له بعد طلاقها المسيب ابنه.

وقال السكري في خبره: فقال القتال في ذلك:

ولما أن رأيت بني حصين ... بهم جلف إلى الجارات باد

خلعت عذارها ولهيت عنها ... كما خلع العذار من الجواد

وقلت لها: عليك بني حصين ... فما بيني وبينك من عواد

أناديها بأسفل واردات ... نكدت أبا المسيب من تنادي؟

وفي رواية السكري:

أناديها وما يوم كيوم ... قضى فيه امرؤ وطر الفؤاد

فرحت كأنني سيف صقيل وعزت الجارة بن أبي قراد

قال: ثم إن كلاب بن ورقاء بن حذيفة بن عمار بن ربيعة بن كعب بن عبد بن أبي بكر، نحر جزوراً وصنع طعاماً وجمع القوم عليه وقال: كلوا أيها الفتيان ، فإن الطعام فيكم خير منه في الشيوخ . فقال القتال: أنا والله خير للفتيان منك، أرى المرأة قد أعجبت أحدهم فأطلقها له . وفي القوم جرير بن الحصين الذي كان وجده عند امرأته فرفع جرير السوط فضرب به أنف القتال.

ثم إنهم أعطوا القتال حقه فلم يقبله حتى أدرك ابناه: المسيب وعبد السلام.

وقال السكري: حتى احتلم ولده الأربعة، وهم حبيب، وعبد الرحمن، وعبد الحي وعمير، وأمهم: ريا بنت نفر بن عامر بن كعب بن أبي بكر، فحملهم على الخيل حين أظلم الليل، ثم أتى بهم بني حصين فلقي لقاحاً لهم ثمانين ، فأشمرها وبات يسوقها، لا تتخلف ناقة إلا عقرها حتى حبسها على الحصى، حين طلعت الشمس، والحصى : ماء لعبد الله بن أبي بكر، فحبسها وزجرهم عنها، حتى جاء بنو حصين فعقلوا له من ضربته أربعين بكرة وأهدرت الضربة، وإنما أخذ الأربعين بكرة مكرهاً، لأن قومه أجبروه على ذلك.

قال شداد: وفي ابنه عبد السلام، يقول:

عبد السلام تأمل هل ترى ظعناً إني كبرت وأنت اليوم ذو بصر

لا يبعد الله فتياناً أقول لهم بالأبرق الفرد لما فاتني نظري

يا هل ترون بأعلى عاصم ظعناً نكبن فحلين واستقبلن ذا بقر

صلى على عمرة الرحمن وابنتها ليلى وصلى على جاراتها الأخر

هن الحرائر لا ربات أحمرة سود المحاجر لا يقرأن بالسور

قال أبو زيد: وحدثني شداد بن عقبة قال: أتى الأخرم بن مالك بن مطرف بن كعب بن عوف بن عبد بن أبي بكر ومحصن بن الحارث بن الهصان في نفر من بني أبي بكر القتال وهو محبوس، فشرطوا عليه ألا يذكر عالية في شعره، وهي التي ينسب بها في أشعاره، فضمن ذلك لهم، فأخرجوه من السجن عشاء، ثم راح القوم من السجن، وراح القتال معهم، حتى إذا كان في بعض الليل انحدر يسوق بهم، ويقول:

قلت له يا أخرم بن مال

إن كنت لم تزر على أوصالي

ولم تجدني فاحش الخلال

فارفع لنا من قلص عجال

مستوسقات كالقطا عبال

لعلنا نطرق أم عال

تخيري خيرت في الرجال

بين قصير باعه تنبال

وأمه راعية الجمال

تبيت بين القدر والجعال

أذاك أم منخرق السربال

كريم عم وكريم خال

متلف مال ومفيد مال

ولا تزال آخر الليالي

فلوصه تعثر في النقال

النقال: المناقلة .

قال شداد: فنزل القوم فربطوه، ثم آلوا ألا يحلوه حتى يوثق لهم بيمين ألا يذكرها أبداً، ففعل وحلوه . قال: وهي امرأة من بني نصر بن معاوية، وكانت زوجة رجل من أشراف الحي.

قال: وحدثني أبو خالد، قال: كانت لعم القتال سرية، فقال له القتال: لا تطأها ، فإنا قوم نبغض أن تلد فينا الإماء، فعصاه عمه، فضربها القتال بسيفه فقتلها، فادعى عمه أنه قتلها وفي بطنها جنين منه، فمشى القتال إليها فأخرجها من قبرها، وذهب معه بقوم عدول، وشق بطنها وأخرج رحمها حتى رأوه ر حمل فيه، فكذبوا عمه، فقال ، في ذلك:

أنا الذي انتشلتها انتشالاً ثم دعوت غلمة أزوالا

فصدعوا وكذبوا ما قالا

وقال وأنشدني أيضاً:

أنا الذي ضربتها بالمنصل عند القرين السائل المضل

ضرباً بكفي بطل لم ينكل

وقال السكري في روايته: أراد القتال أن يتزوج بنت المحلق بن حنتم، فتزوجها عبد الرحمن بن صاغر البكائي، فلقي مولاة لها يقال لها: جون، فقال لها: ما فعلت؟ قالت: تزوجها عبد الرحمن بن صاغر؛ فقال: ما لها ولعبد

الرحمن؟ فقالت له: ذاك ابن فارس عراد. قال: فأنا بن فارس ذي الرحل، وأنا ابن فارس العوجاء ، ثم انصرف وأنشأ يقول:

يا بنت جون أبانت بنت شداد؟	نعم لعمري لغور بعد إنجاد
لمطلع الشمس ما هذا بمنحدر	نحو الربيع ولا هذا بإصعاد
قالت فوارس عراد، فقلت لها:	وفيم أمي من فرسان عراد
فرسان ذي الرحل والعوجاء وابنتها	فدى لهم رهط رداد وشداد

والقصيدة التي في أولها الغناء المذكور، يقولها القتال يحض أخاه وعشيرته على تخلصه من المطالبة التي يطالب بها في قتل زياد بن عبيد الله، واحتمال العقل عنه، ويلومهم في قعودهم عن المطالبة بثأر لهم قبل بني جعفر بن كلاب.

وكان السبب في ذلك فيما ذكره عمر بن شبة، عن حميد بن مالك عن أبي خالد الكلابي، قال: كان عمرو بن سلمة بن سكن بن قريظ بن عبد بن أبي بكر، أسلم فحسن إسلامه و وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فاستقطعه حمى بين الشقراء ، والسعدية، والسعدية: ماء لعمرو بن سلمة، والشقراء: ماء لبني قتادة بن سكن بن قريظ، وهي رحبة طولها تسعة أميال في ستة أميال، فأقطعه إياها، فأحمها ابنه جحوش، فاسترعاه نفر من بني جعفر بن كلاب خيلهم وفيهم أحدر بن بشر بن عامر بن مالك بن جعفر، فأرعاهم فحملوا نعمهم مع خيلهم بغير إذنه، فأخبر بذلك فغضب وأراد إخراجهم منه، فقاتلوه، فكانت بينهم شجاج بالعصي والحجارة، من غير رمي ولا طعان ولا تسايف، فظهر عليهم جحوش، ثم تداعوا إلى الصلح ومشت السفراء بينهم على أن يدعوا جميعاً الجراحات، فتواعدوا للصلح بالغداة، وأخ لجحوش يقال له سعيد في حلقه سلعة، وهو شنج متنح عن الحي عند امرأة من بني أبي بكر ترقبه، فرجع إلى أخيه ومعه رجلان من قومه، يقال لأحدهما: محرز بن يزيد، وللآخر: الأخدر بن الحارث، فلقيهم قراد بن الأخدر بن بشر بن عامر بن مالك، وابن عمه أبو ذر بن أشهل، ورجل آخر من الجعفريين، فحمل قراد على سعيد فطعنه فقتله، فحذف محرز بن يزيد فرس قراد فعقرها، فأردفه أبو ذر خلفه، ولحقوا بأصحابهم الجعفريين، وأوقد جحوش بن عمرو نار الحرب في رأس جرعاء طويلة، فاجتمعت إليه بنو أبي بكر، وخرج قراد هارباً إلى بشر بن مروان، وهو ابن عمته، حتى إذا كان بالقنان ، حميت عليه الشمس، فأناخ إلى بيت امرأة من بني أسد، فقال في بيتها، فبينا هو نائم إذ نبهته الأسدية فقالت له : ما دهاك ويحك؟ انظر إلى الطير تحوم حول ناقتك، فخرج يمشي إلى ناقته، فإذا هي قد خدجت، والطير تمزق ولدها، فجاء فأخبرها، فقالت: إن لك لخبراً فأصدقني عنه، فلعله أن يكون لك فيه فائدة، فأخبرها أنه مطلوب بدم، فهو هارب طريد، قالت: فهل وراءك أحد تشفق عليه؟ فقال: أخ لي يقال له جبأة وهو أحب الناس إلي. قالت: إنه في أيدي أعداءك، فارجع أو امض، فخرج لوجهه إلى بشر.

قال: ولما حرض القتال قومه على الطلب بثأرهم في الجعفريين وعيرهم بالقعود عنهم مضى جميعهم لقتال بني جعفر، فقال لهم الجعفريون: يا قومنا، ما لنا في قتالكم حاجة ، وقاتل صاحبكم قد هرب وهذا أخوه جبأة، فاقتلوه ، فرضوا بذلك فأخذوا جبأة ، فلما صاروا بأسود العين قدمه جحوش فضرب عنقه بأخيه سعيد .

ومما قاله القتال في تحريضهم في قصيدة طويلة:

فيا لأبي بكر ويا لجحوش ... ولله مولى دعوة لا يجابها

أفي كل عام لا تزال كتيبة ... ذؤيبية تهفو عليكم عقابها؟

لهم جزر منكم عبيط كأنه ... وقاع الملوك فتكها واغتصابها

وأنتم عديد في حديد وشكة ... وغاب رماح يجوف القلب غابها

يسقى بن بشر ثم يمسح بطنه ... وحولي رجال ما يسوغ شرابها

فما الشر كل الشر لا خير بعده ... على الناس إلا أن تذل رقابها

نساء بن بشر بدن ونساؤنا ... بلايا عليها كل يوم سلابها

تنام فتقضي نومة الليل عرسه ... وأم سعيد ما تنام كلابها

فإن نحن لم نغضب لهم فنثيبهم ... وكل يد موف إلينا ثوابها

فنحن بنو اللائي زعمتم وأنتم ... بنو محصنات لم تدنس ثيابها

ألا لله درك من ... فتى قوم إذا رهبوا

وقالوا :من فتى للحر ... ب يرقبنا ويرتقب

فكنت فتاهم فيها ... إذا يدعى لها يثب

ذكرت أخي فعاودني ... صداع الرأس الوصب

كما يعتاد ذات البو ... بعد سلوها الطرب

فدمع العين من برحا ... ء ما في الصدر ينسكب

كما أودى بماء الشنة ... المخروزة السرب

على عبد بن زهرة طو ... ل هذا الليل أكتئب

الشعر لأبي العيال الهذلي والغناء لمعبد ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق وابن المكي وغيرهما مما لا يشك فيه من صنعته، وفي الثالث والرابع من الأبيات لمالك خفيف ثقيل عن الهشامي، ومن الناس من ينسبه إلى

معبد أيضاً، وفي الأول والثاني والثالث لمعبد أيضاً خفيف رمل بالوسطى، عن عمرو بن بانة، وذكر الهشامي وحماد بن إسحاق أنه لابن عائشة، وفيه لمالك هزج بالبنصر فيما ذكر حبش.

أخبار أبي العيال ونسبه

أبو العيال بن أبي عنترة ، وقال أبو عمرو الشيباني: ابن أبي عنبر بالباء و لم أجد له نسباً يتجاوز هذا في شيء من الروايات، وهو أحد بني خناعة بن سعد بن هذيل، وهذا أكثر ما وجدته من نسبه، شاعر فصيح مقدم، من شعراء هذيل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، ثم أسلم فيمن أسلم من هذيل، وعمر إلى خلافة معاوية.

وهذه القصيدة يرثى بها ابن عمه عبد بن زهرة، ويقال: إنه كان أخاه لأمه أيضاً.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي فيما قرأته عليه من شعر هذيل، عن الرياشي، عن الأصمعي، ونسخت أيضاً خبره الذي أذكره من نسخة أبي عمرو الشيباني قالا: كان عبد بن زهرة غز الروم في أيام معاوية.

وقال أبو عمرو خاصه: مع يزيد بن معاوية في غزاته التي أغراه أبوه إياها، فأصيب في تلك الغزاة جماعة من المسلمين من رؤسائهم وحماتهم، وكانت شوكة الروم شديدة، قتل فيها عبد العزيز بن زرارة الكلابي، وعبد بن زهرة الهذلي وخلق من المسلمين، ثم فتح الله عليهم، وكان أبو العيال حاضراً تلك الغزاة فكتب إلى معاوية قصيدة قرأها وقرئت على الناس، فبكى الناس وبكى معاوية بكاءً شديداً جزعاً لما كتب به.

والقصيدة:

من أبي العيال أخي هذيل فاعلموا ... قولي ولا تتجمجموا ما أرسل

أبلغ معاوية بن صخر آيةً ... يهوي إليه بها البريد الأعجل

والمرء عمراً فأته بصحيفة ... مني يلوح بها كتاب منمل

لا تتجمجموا: لا تكتموا. والمنمل: كأن سطوره آثار نمل.

وإلى ابن سعد أن أؤخره فقد ... أزرى بنا في قسمه إذ يعدل

وإلى أولي الأحلام حيث لقيتهم ... أهل البقية والكتاب المنزل

في ديوان الرجل: حيث البقية والكتاب المنزل.

أنا لقينا بعدكم بديارنا ... من جانب الأمراج يوماً يسأل

أمراً تضيق به الصدور ودونه ... مهج النفوس وليس عنه معدل

في كل معترك ترى منا فتىً ... يهوى كعزلاء المزادة تزعل

تزعل: تدفع دفعاً.

أو سيداً كهلاً يمور دماغه ... أو جانحاً في رأس رمح يسعل

يسعل: يشرق بالدم.

وترى النبال تعير في أقطارنا شمساً كأن نصالهن السنبل
وترى الرماح كأنما هي بيننا أشطان بئر يوغلون ونوغل
حتى إذا رجب تولى فانقضى وجماديان وجاء شهر مقبل
شعبان قدرنا لوقت رحيلهم تسعاً يعد لها الوفاء وتكمل
وتجردت حرب يكون حلابها علقاً ويمريها الغوي المبطل
فاستقبلوا طرف الصعيد إقامة طوراً وطوراً رحلةً فتحملوا

قال الأصمعي وأبو عمرو: وكان أبو العيال وبدر بن عامر، وهما جميعاً من بني خناعة بن سعد بن هذيل يسكنان مصر، وكانا خرجا إليها في خلافة عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وأبو العيال معه ابن أخ له، فبينا ابن أخي أبي العيال قائم عند قوم ينتضلون إذ أصابه سهم فقتله، فكان فيه بعض الهيج، فخاصم في ذلك أبو العيال، واتهم بدر بن عامر، وخشي أن يكون ضلعه مع خصمائه، فاجتمعا في ذلك في مجلس فتناثا فقال بدر بن عامر:

بخلت فطيمة بالي تولين إلا الكلام وقل ما يجديني
ولقد تناهى القلب حين نهيته عنها وقد يغوي إذا يعصيني
أفطيم هل تدرين كم من متلف جاوزت لا مرعى ولا مسكون؟

يقول فيها:

وأبو العيال أخي ومن يعرض له منكم بسوء يؤذني ويسوني

إني وجدت أبا العيال ورهطه كالحصن شد بجندل موضون
أعيا الغرانيق الدواهي دونه فتركنه أبر بالتحصين
أسد تفر الأسد من وثباته بعوارض الرجاز أو بعيون
ولصوته زجل إذا آنسته جر الرحى بشعيره المطحون
وإذا عددت ذوي الثقات وجدته ممن يصول به إلي يميني

فأجابه أبو العيال فقال:

إن البلاء لدى المقاوس معرض ما كان من غيب ورجم ظنون

في " الديوان ": لدى المقاوس مخرج: والمقوس الحبل الذي يمد به على صدور الخيل أي فما كان عنده من خير أو شر فسيخرج عند الرهان والعدو .

وإذا الجواد وني وأخلف منسراً ... ضمراً فلا توقن له بيقين

ولو كان عندك ما تقول جعلتني ... كنزاً لريب الدهر غير ضنين

ولقد رمقتك في المجالس كلها ... فإذا وأنت تعين من يبغيني

هلا درأت الخصم حين رأيتهم ... جنفاً علي بألسن وعيون

وزجرت عني كل أشوس كاشح ... ترع المقالة شامخ العرنين

فأجابه بدر بن عامر فقال:

أقسمت لا أنسى منيحة واحد ... حتى تخيط بالبياض قروني

حتى أصير بمسكن أنوي به ... لقرار ملحدة العداء شطون

ومنحتني جداء حين منحتني ... شحصاً بمالئة الحلاب لبون

الشحص: ما ليس فيه لبن من المال

وحبوتك النصح الذي لا يشترى ... بالمال فانظر بعد ما تحبوني

وتأمل السبت الذي أحذوكه ... فانظر بمثل إمامه فاحذوني

فأجابه أبو العيال:

أقسمت لا أنسى شباب قصيدة ... أبداً فما هذا الذي ينسيني

ولسوف تنساها وتعلم أنها ... تبع لآبية العصاب زبون

ومنحتني فرضيت رأي منيحتي ... فإذا بها والله طيف جنون

جهراء لا تألو إذا هي أظهرت ... بصراً ولا من حاجة تغنيني

قرب حذاءك قاحلاً أو ليناً ... فتمن في التخصير والتلسين

وارجع منيحتك التي أتبعتها ... هوعاً وحد مذلق مسنون

ولهما في هذا المعنى نقائض طوال بطول ذكرها، وليست لها طلاوة إلا ما يستفاد في شعر أمثالهما من الفصاحة، وإنما ذكرت ما ذكرت ها هنا منها لأني لم أجد لهذا الشاعر خبراً غير ما ذكرته.

ألم تسأل بعارمة الديارا ... عن الحي المفارق أين سارا؟

بلى ساءلتها فأبت جواباً ... وكيف سؤالك الدمن القفارا؟

الشعر للراعي، والغناء لإسحاق خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن جامع وإسحاق .

نسب الراعي وأخباره

هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر .

ويكنى أبا جندل، والراعي لقب غلب عليه، لكثرة وصفه الإبل، وجودة نعته إياها.

وهو شاعر فحل من شعراء الإسلام، وكان مقدماً مفضلاً حتى، اعترض بين جرير والفرزدق، استكفه جرير فأبى أن يكف، فهجاه ففضحه.

وقد ذكرت بعض أخباره في ذلك مع أخبار جرير، وأتممتها هنا.

وقصيدة الراعي هذه يمدح بها سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، وفيها يقول:

ترجي من سعيد بني لؤي ... أخي الأعياص أنواءً غزارا

تلقى نوأهن سرار شهر ... وخير النوء ما لقي السرارا

خليل تعزب العلات عنه ... إذا ما حان يوماً أن يزارا

متى ما تأته ترجو نداه ... فلا بخلاً تخاف ولا اعتذارا

هو الرجل الذي نسبت قريش ... فصار المجد فيها حيث صارا

وأنضاء تحن إلى سعيد ... طروقاً ثم عجلن ابتكارا

على أكوارهن بنو سبيل ... قليل نومهم إلا غرارا

حمدن مزاره ولقين منه ... عطاء لم يكن عدة ضمارا

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا الحسن بن الحسين السكري عن الرياشي عن الأصمعي، قال: وذكره المغيرة بن حجناء قال: حدثني أبي عن أبيه قال: كان راعي الإبل يقضي للفرزدق على جرير ويفضله، وكان راعي الإبل قد ضخم أمره، وكان من أشعر الناس، فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال قومه فقال: ألا تعجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق علي ويفضله وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم؟ قال جرير: ثم ضربت رأيي فيه، فخرجت ذات يوم أمشي إليه. قال: ولم يركب جرير دابته، وقال: والله ما يسرني أن يعلم أحد بسيري إليه. قال: وكان لراعي الإبل وللفرزدق وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها. قال: فخرجت أتعرض لها لألقاه من حيال حيث كنت أراه.

ثم إذا انصرف من مجلسه لقيته، وما يسرني أن يعلم أحد، حتى إذا هو قد مر على بغلة له، وابنه جندل يسير وراءه راكباً مهراً له أحوى محذوف الذنب وإنسان يمشي معه ويسأله عن بعض السبب، فلما استقبلته قلت له:

مرحباً بك يا أبا جندل. وضربت بشمالي إلى معرفة بغلته، ثم قلت: يا أبا جندل، إن قولك يستمع، وإنك تفضل علي الفرزدق تفضيلاً قبيحاً، وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم، وهو ابن عمي، وليس منك، ولا عليك كلفة في أمري معه، وقد يكفيك من ذلك هين، وأن تقول إذا ذكرنا: كلاهما شاعر كريم، فلا تحمل منه لائمة ولا مني، قال: فبينا أنا وهو كذلك، وهو واقف علي لا يرد جواباً لقولي، إذ لحق بالراعي ابنه جندل، فرفع كرمانية معه، فضرب بها عجز بغلته، ثم قال: أراك واقفاً على كلب بني كليب، كأنك تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً، فضرب البغلة ضربة شديدة، فزحمتني زحمة وقعت منها قلنسوتي. فوالله لو يعوج علي الراعي لقلت: سفيه غوى - يعني جندلاً ابنه - ولكنه لا والله ما عاج علي، فأخذت قلنسوتي فمسحتها وأعدتها على رأسي وقلت:

أجندل ما تقول بنو نمير إذا ما الأير في إست أبيك غابا؟

قال: فسمعت الراعي يقول لابنه: أما والله لقد طرحت قلنسوته طرحة مشئومة، قال جرير: ولا والله ما كانت القلنسوة بأغيظ أمره إلي لو كان عاج علي.

فانصرف جرير مغضباً حتى إذا صلى العشاء ومنزله في علية قال: ارفعوا إلي باطية من نبيد، وأسرجوا لي، فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبيذ فجعل يهيم فسمعته عجوز في الدار، فطلعت في الدرجة حتى إذا نظرت إليه فإذا هو على الفراش عريان لما هو فيه، فانحدرت فقالت: ضيفكم مجنون، رأيت منه كذا وكذا، فقالوا لها: اذهبي لطيتك، نحن أعلم به وبما يمارس، فما زال كذلك حتى كان السحر فإذا هو يكبر، قد قالها ثمانين بيتاً، فلما بلغ إلى قوله:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فذاك حين كبر، ثم قال: أحزيته والله زيته ورب الكعبة أصبح، حتى إذا عرف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمربد، وكان جرير يعرف مجلس الراعي ومجلس الفرزدق، فدعا بدهن فادهن ، وكف رأسه، وكان حسن الشعر، ثم قال: يا غلام أسرج لي، فأسرج له حصاناً، ثم قصد مجلسهم، حتى إذا كان بموضع السلام لم يسلم، ثم قال: يا غلام، قل لعبيد الراعي: أبعثتك نسوتك تكسبهن المال بالعراق؟ والذي نفس جرير بيده، لترجعن إليهن بما يسوءهن ولا يسرهن ثم ندفع في القصيدة فأنشدها، فنكس الفرزدق رأسه، وأطرق راعي الإبل، فلو انشقت له الأرض لساخ فيها، وأرم القوم ، حتى إذا فرغ منها، سار، فوثب راعي الإبل من ساعته فركب بغلته بشر وعر ، وتفرق أهل المجلس، وصعد الراعي إلى منزله الذي كان ينزله، ثم قال لأصحابه: ركابكم ركابكم، فليس لكم ها هنا مقام، فضحكم والله جرير فقال له بعضهم: ذلك شؤمك وشؤم جندل ابنك؛ قال: فما اشتغلوا بشيء غير ترحلهم، قالوا: فسرنا والله إلى أهلنا سيراً ما ساره أحد، وهم بالشريف ، وهو أعلى دار بني نمير، فحلف راعي الإبل أنهم وجدوا في أهلهم قول جرير

فغض الطرف إنك من نمير

يتناشده الناس، وأقسم بالله ما بلغه إنسان قط، وإن لجرير لأشياعاً من الجن فتشاءمت به بنو نمير، وسبوه وسبوا ابنه، فهم إلى الآن يتشاءمون بهم وبولدهم.

وأخبرني بهذا الخبر عمي قال: حدثنا الكراني، قال: حدثني النضر بن عمرو؛ عن أبي عبيدة بمثله أو نحو منه، وقال في خبره: أجئت توقر إبلك لنسائك براً وتمراً؟ والله لأحملن إلى أعجازها كلاماً يبقى ميسمه عليهن ما بقي الليل والنهار يسوءك وإياهن استماعه.

وقال في خبره أيضاً: فلما قال:

فغض الطرف إنك نمير

وثب وثبة دق رأسه السقف، فجاء له صوت هائل، وسمعت عجوز كانت ساكنة في علو ذلك الموضع صوته فصاحت: يا قوم، ضيفكم والله مجنون، فجئنا إليه وهو يحبو ويقول: غضضته والله، أخزيته والله، فضحته ورب الكعبة، فقلت له: مالك يا أبا حزرة؟ فأنشدنا القصيدة، ثم غدا بها عليه.

وذكر ابن الكلبي، عن النهشلي، عن مسحل بن كسيب؛ عن جرير في خبره مع الحجاج لما سأله عمن هجاه من الشعراء قال: قال لي الحجاج: مالك وللراعي؟ فقلت: أيها الأمير، قدم البصرة، وليس بيني وبينه عمل، فبلغني أنه قال في قصيدة له:

يا صاحبي دنا الرواح فسيرا غلب الفرزدق في الهجاء جريرا

وقال أيضاً في كلمة له:

رأيت الجحش جحش بني كليب تيمم حوض دجلة ثم هابا

فأتيته وقلت: يا أبا جندل، إنك شيخ مضر وقد بلغني تفضيلك الفرزدق علي، فإن أنصفتني وفضلتني كنت أحق بذلك، لأني مدحت قومك وهجاهم.

وذكر باقي الخبر نحواً مما ذكره من تقدم، وقال في خبره: قلت له: إن أهلك بعثوك مائراً، وبئس والله المائر أنت، وإنما بعثني أهلي لأقعد لهم على قارعة هذا المربد، فلا يسبهم أحد إلا سبته فإن علي نذراً إن كحلت عيني بغمض، حتى أخزيك، فما أصبحت حتى وفيت بيميني قال: ثم غدوت عليه فأخذت بعنانه، فما فارقني حتى أنشدته إياها - فلما بلغت قولي:

أجندل ما تقول بنو نمير إذا ما الأير في إست أبيك غابا؟

قال: فأرسل يدي ثم قال: يقولون شراً والله.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش؛ قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال: قال أبو عبيدة: أنشد جرير الراعي هذه القصيدة والفرزدق حاضر - فلما بلغ فيها قوله:

بها برص بأسفل إسكتيها

غطى الفرزدق عنفقته بيده، فقال جرير:

كعنفقة الفرزدق حين شابا

فقال الفرزدق: أخزاك الله، والله لقد علمت أنك لا تقول غيرها، قال: فسمع رجلاً كان حاضراً أبا عبيدة يحدث بها، فحلف يميناً جزماً أن الفرزدق لقن جريراً هذا المصراع بتغطية عنفقته، ولو لم يفعل لما انتبه لذلك، وما كان هذا بيتاً . قاله متقدماً، وإنما انتبه لذلك.

أخبرنا أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سلام قال: أخبرني أبو الغراف قال: الذي هاج التهاجي بين جرير والراعي أن الراعي كان يسأل عن جرير والفرزدق: الفرزدق أكرمهما وأشعرهما؛ فلقيه جرير فاستعذره من نفسه.

ثم ذكر باقي الخبر مثل ما تقدم، وزاد فيه: أن الراعي قال لابنه جندل لما ضرب بغلته:

ألم تر أن كلب بني كليب أراد حياض دجلة ثم هابا

ونفرت البغلة فزجمته حتى سقطت قلنسوة جرير، فقال الراعي لابنه: أما والله لتكونن فعلة مشئومة عليك وليهجوني وإياك، فليته لا يجاوزنا ولا يذكر نسوتنا. وعلم الراعي أنه قد أساء وندم، فتزعم بنو نمير أنه حلف ألا يجيب جريراً سنة غضباً على ابنه، وأنه مات قبل أن تمضي سنة، ويقول غير بني نمير: إنه كمد لما سمعها فمات كمداً.

أخبرني محمد بن العباد اليزيدي وأبو الحسن علي بن سليمان الأخفش، قالا: حدثنا أبو سعيد السكري، عن محمد بن حبيب وإبراهيم بن سعدان، عن أبي عبيدة وسعدان والمفضل وعمارة بن عقيل، وأخبرنا به أبو خليفة، عن محمد بن سلام، عن أبي البيداء قالوا جميعاً: مر راكب بالراعي وهو يتغنى:

وعاو عوى من غير شيء رميته بقافية أنفاذها تقطر الدما

خروج بأفواه الرواة كأنها قرا هندواني إذا هز صمما

فسمعها الراعي فأتبعها رسولاً، وقال له: من يقول هذين البيتين؟ قال جرير، فقال الراعي: أؤلام أن يغلبني هذا؟ والله لو اجتمع الجن والإنس على صاحب هذين البيتين ما أغنوا فيه شيئاً.

قال ابن سلام خاصة في خبره: وهذان البيتان لجرير في البعيث، وكذلك كان خبره معه، اعترضه في غير شيء.

أخبرنا أبو خليفة قال: أخبرنا محمد بن سلام، قال: كان الراعي من رجال العرب ووجوه قومه، وكان يقال له في شعره: كأنه يعتسف الفلاة بغير دليل، أي أنه لا يحتذي شعر شاعر، ولا يعارضه، وكان مع ذلك بذياً هجاءً لعشيرته، فقال له جرير:

وقرضك في هوزان شر قرض تهجنهم وتمتدح الوطابا

أخبرنا أبو خليفة، قال: أخبرنا محمد بن سلام قال: قال أبو الغراف:

جاور راعي الإبل بني سعد بن زيد مناة بن تميم، فنسب بامرأة منهم من بني عبد شمس، ثم أحد بني وابشي ، فقال:

بني وابشي قد هوينا جواركم ... وما جمعتنا نية قبلها معا

خليطين من حيين شتى تجاورا ... جميعاً وكانا بالتفرق أمتعا

أرى أهل ليلى لا يبالي أميرهم ... على حالة المحزون أن يتصدعا

وقال فيها أيضاً:

تذكر هذا القلب هند بني سعد ... سفاهاً وجهلاً ما تذكر من هند

تذكر عهداً كان بيني وبينها ... قديماً وهل أبقت لك الحرب من عهد؟

في هذين البيتين لحن من الثقيل الأول بالوسطى، وذكر الهشامي أنه لنبيه، وذكر قمري وذكاء وجه الرزة أنه لبنان.

قال ابن سلام: فلما بلغهم شعره أزعجوه وأصابوه، بأذى، فخرج عنهم وقال فيهم:

أرى إبلي تكالأ راعياها ... مخافة جارها الدنس الذميم

وقد جاورتهم فرأيت سعداً ... شعاع الأمر عازبة الحلوم

مغانيم القرى سرقاً إذا ما ... أجنت ظلمة الليل البهيم

فأمي أرض قومك إن سعداً ... تحملت المخازي عن تميم

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، عن عبد القاهر بن السري، قال: وفد الراعي إلى عبد الملك بن مروان، فقال لأهل بيته: تروحوا إلى هذا الشيخ فإني أراه منجباً أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن يونس: قال: قدم جندل بن الراعي على بلال بن أبي بردة، وقد مدحه، وكان يكثر ذكر أبيه ووصفه، فقال له بلال: أليس أبوك الذي يقول في بنت عمه، وأمها امرأة من قومه :

فلما قضت من ذي الأراك لبانةً ... أرادت إلينا حاجةً لا نريدها

وقد كان بعد هجاء جرير إياه مغلبا؟ فقال له جندل: لئن كان جرير غلبه لما أمسك عنه عجزا، ولكنه أقسم غضباً علي ألا يجيبه سنةً، فأين عن قوله في عدي بن الرقاع العاملي:

لو كنت من أحد يهجى هجوتكم ... يا بن الرقاع ولكن لست من أحد

تأبى قضاعة لم تعرف لكم نسباً ... وابنا نزار وأنتم بيضة البلد

قال: فضحك بلال وقال له: أما في هذا فقد صدقت.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وعمي قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: لما أنشد عبيد بن حصين الراعي عبد الملك بن مروان قوله:

فإن رفعت بهم رأساً نعشتهم وإن لقوا مثلها من قابل فسدوا

قال له عبد الملك: فتريد ماذا؟ قال: ترد عليهم صدقاتهم فتنعشهم، فقال عبد الملك: هذا كثير، قال: أنت أكثر منه، قال: قد فعلت، فسلني حاجة تخصك ، قال: قد قضيت حاجتي. قال: سل حاجتك لنفسك؟ قال: ما كنت لأفسد هذه المكرمة.

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد الهمذاني قال: حدثنا يحيى بن الحسن العلوي، قال: حدثنا إسماعيل بن يعقوب، عن عثمان بن نمير، عن أبيه قال: كنت عند العباس بن محمد في يوم شات ، فدخل عليه موسى بن عبد الله بن حسن، فقال له العباس بن محمد: يا أبا الحسن، ما لي أراك متغيراً؟ فقال له موسى: والله إني لأعرق مما كان اليوم، قال: وما كان يا أبا الحسن؟ فقال: ذاك أن أمير المؤمنين أخرج لي وللعباس بن الحسن خمسين ألفاً: للعباس منها ثلاثون ألفاً، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا ما قال أخو بني العنبر، وجاور هو وراعي الإبل في بني سعد بن زيد مناة، فكانوا إذا مدحهم الراعي أخذوا مال العنبري فأعطوه الراعي، فقال العنبري في ذلك:

أيقطع موصول ويوصل جانب أسعد بن زيد عمرك الله أجملي

فإنا بأرض ها هنا غير طائل متى تعلفوا بالرغم والخسف نأكل

قال: فقال له العباس: إنكم نازعتم القوم ثوبهم ، وكان عباس وأهله أعواناً له على حذية منكم مع ذلك فعباس الذي يقول لبنت حيدة المحاربية يرثيها:

أتت دون الفراش فأبشرتنا مصيبتنا بأخت بني حداد

كأن الموت لا يعني سوانا عشية نحوها يحدوه حادي

فإن خليفة الله المرجى وغيث الناس في الإزم الشداد

تطاول ليله فعداك حتى كأنك لا تثوب إلى معاد

يظل وحق ذاك كأن شوكاً عليه العين تطرف من سهاد

فليت نفوسنا حقاً فدتها وكل طريف مال أو تلاد

وجندل بن الراعي شاعر؛ وهو القائل، وفي شعره هذا صنعة:

طلبت الهوى الغوري حتى بلغته وسيرت في نجدية ما كفانيا

وقلت لحلمي لا تنزعني عن الصبا وللشيب لا تذعر علي الغوانيا

الشعر لجندل بن الراعي، والغناء لإسحاق خفيف ثقيل بالبنصر؛ عن عمرو من جامع إسحاق وقال الهشامي: وله فيه أيضاً ثاني ثقيل، وهو لحن مشهور، وما وجدناه في جامعه، ولعله شذ عنه أو غلط الهشامي في نسبته إليه، وقال حبش: فيه أيضاً لإسحاق خفيف رمل.

أخبرني جعفر بن قدام قال: حدثني أبو عبد الله الهشامي قال: قال إسحاق: قال أبو عبيدة: كانت لجندل بن الراعي امرأة من بني عقيل، وكان بخيلاً، فنظر إليها يوماً وقد هزلت وتخدد لحمها، فأنشأ يقول:

عقيلية أما أعالي عظامها فعوج وأما لحمها فقليل

فقالت مجيبة له عن ذلك:

عقيلية حسناء أزرى بلحمها طعام لديك ابن الرعاء قليل

فجعل جندل يسبها ويضربها وهي تقول: قلت فأجبت، وكذبت فصدقت، فما غضبك؟

أصبح الحبل من سلا مة رثاً مجذذا

حبذا أنت يا سلا مة ألفين حبذا

ثم ألفين مضعفي ن وإلفين هكذا

في صميم الأحشاء مني وفي القلب قد حذا

حذوة من صبابة تركته مفلذا

الشعر لعمار ذي كبار الغناء لحكم الوادي هزج بالوسطى عن الهشامي. قال الهشامي وذكر يحيى المكي أنه لسليم الوادي لا لحكم.

أخبار عمار ذي كبار ونسبه

هو عمار بن عمرو بن عبد الأكبر يلقب ذا كبار، همداني صليبة، كوفي، وجدت ذلك في كتاب محمد بن عبد الله الحزنبل.

وكان لين الشعر ماجناً خميراً معاقراً للشراب، وقد حد فيه مرات، وكان يقول شعراً ظريفاً يضحك من أكثره، شديد التهافت جم السخف، وله أشياء صالحة نذكر أجودها في هذا الموضع من أخباره ومنتخب أشعاره؛ وكان هو حماد الراوية ومطيع بن إياس يتنادمون ويجتمعون على شأنهم لا يفترقون، وكلهم كان متهماً بالزندقة.

وعمار ممن نشأ في دولة بني أمية، و لم أسمع له بخبر في الدولة العباسية، ولا كان مع شهوة الناس لشعره واستطابتهم إياه ينتجع أحداً ولا يبرح الكوفة لعشاء بصره وضعف نظره .

فأخبرني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن هيثم بن عدي عن حماد الراوية، وأخبرني به

محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أحمد بن الهيثم الفراسي قال: حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية، ولفظ الرجلين كالمتقارب قال: استقدمني هشام بن عبد الملك في خلافته، وأمر لي بصلة سنية وحملان لما دخلت عليه استنشدني قصيدة الأفوه الأودي:

لنا معاشر لم يبنوا لقومهم وإن بني قومهم ما أفسدوا عادوا

قال: فأنشدته إياها، ثم استنشدني قول أبي ذؤيب الهذلي:

أمن البنون وريبها تتوجع

فأنشدته إياها، ثم استنشدني قول عدي بن يزيد:

أرواح مودع أم بكور

فأنشدته إياها، فأمر لي بمنزل وجراية، وأقمت عنده شهراً، فسألني عن أشعار العرب وأيامها ومآثرها ومحاسن أخلاقها، وأنا أخبره وأنشده، ثم أمر لي بجائزة وخلعة وحملان، وردني إلى الكوفة، فعلمت أن أمره مقبل .

ثم استقدمني الوليد بن يزيد بعده، فما سألني عني شيء من الجد إلا مرة واحدة، ثم جعلت أنشده بعدها في ذلك النحو فلا يلتفت إليه، ولا يهش إلى شيء منه، حتى جرى ذكر عمار بن كبار فتشوقه وسأل عنه، وما ظننت أن شعر عمار شيء يراد أو يعبأ به . ثم قال لي: هل عندك شيء من شعره؟ فقلت: نعم أنا أحفظ قصيدة له، وكنت لكثرة عبثي به قد حفظتها، فأنشدته قصيدته التي يقول فيها:

حبذا أنت يا سلا مة ألفين حبذا
أشتهي منك منك من ك مكاناً مجنبذا
مفعماً في قبالة بين ركنين ربذا
مدغماً ذا مناكب حسن القد محتذى
رابياً ذا محسة أخنساً قد تقنفذا
لم تر العين مثله في منام و لا كذا
تامكاً كالسنام إذ بذ عنه مقذذا

ملء كفي ضجيعها نال منها تفخذا
لو تأملته دهش ت و عاينت جهبذا
طيب العرف والمجس ة و اللمس هربذا
فأجا فيه فيه في ه بأير كمثل ذا

ليت أيري وليت ح ... رك جميعاً تآخذا
فأخذ ذا بشعر ذا ... وأخذ ذا بقعر ذا

قال: فضحك الوليد حتى سقط على قفاه، وصفق بيديه ورجليه، وأمر بالشراب فأحضر، وأمرني بالإنشاد، فجعلت أنشده هذه الأبيات وأكررها عليه، وهو يشرب ويصفق حتى سكر، وأمر لي بحلتين وثلاثين ألف درهم، فقبضتها، ثم قال لي: ما فعل عمار؟ فقلت: حي كميت، قد عشي بصره، وضعف جسمه ولا حراك به. فأمر له بعشرة آلاف درهم، فقلت له: ألا أخبر أمير المؤمنين بشيء يفعله لا ضرر عليه فيه، وهو أحب لعمار من الدنيا بحذافيرها لو سيقت إليه؟ فقال: وما ذاك؟ قلت: إنه لا يزال ينصرف من الحانات وهو سكران، فترفعه الشرط، فيضرب الحد، فقد قطع بالسياط، وهو لا يدع الشراب ولا يكف عنه. فتكتب بألا يعرض له. فكتب إلى عامله بالعراق ألا يرفع إليه أحد من الحرس عماراً في سكر ولا غيره إلا ضرب الرافع له حدين وأطلق عماراً.

فأخذت المال وجئته به، وقلت له: ما ظننت أن الله يكسب أحداً بشعرك نقيراً ولا يسأل عنه عاقل، حتى كسبت بأوضع شيء قلته ثلاثين ألفاً، قال: عز علي فذلك لقلة شكرك يا بن الزانية ، فهات نصيبي منها، فقلت: لقد استغنيت عن ذلك بما خصصت به، ودفعت إليه العشرة درهم. فقال: والله لأنا أشد فرحاً بهذا من فرحي بالمال ، فجزيت خيراً من أخ وصديق؛ وقبض المال فلم يزل يشرب حتى مات، وبقيته عنده.

نسخت من كتاب الحزنبل المشتمل على شعر عمار وأخباره: أن عماراً ذا كبار كانت له امرأة يقال لها دومة بنت رباح، وكان يكنيها أم عمار وكانت قد تخلقت بخلقه في شرب الشراب والمجون السفه، حتى صارت تدخل الرجال عليها وتجمعهم على الفواحش، ثم حجت في إمارة يوسف بن عمر فقال لها عمار:

اتقي الله قد حججت وتوبي ... لا يكونن ما صنعت خبالا
ويك يا دوم لا تدومي على الخم ... ر ولا تدخلي عليك الرجالا
إن بالمصر يوسفاً فاحذريه ... لا تصيري للعالمين نكالا
وثقيف إن تثقفنك بحد ... لم يساو الإهاب منك قبالا
قد مضى ما مضى وقد كان ما كا ... ن وأودى الشباب منك فزالا

قال: فضربته دومة وخرقت ثيابه ، ونتفت لحيته، وقالت: أتجعلني غرضاً لشعرك؟ فطلقها واشترى جارية حسناء، فزادت في أذاه وضربه غيرة عليه، فشكاها إلى يوسف بن عمر، فوجه إليها بخدم من خدمه، وأمرهم بضربها وكسر نبيذها، وإغرامها ثياب عمار، ففعلوا ذلك، وبلغوا منها الرضا لعمار، فقال في ذلك عمار:

إن عرسي لا هدا ... ها الله بنت لرباح
كل يوم تفزع ال ... جلاس منها بالصياح

وربوخ حين تؤتى وتهيا للنكاح
كلب دباغ عقور هر من بعد نباح
ولها لون كداجي اللي ل من غير صباح
ولسان صارم كالسي ف مشحوذ النواحي
يقطع الصخر ويفري ه كما تفري المساحي
عجل الله خلاصي من يديها وسراحي
تتعب الصاحب والجا ر وتبغي من تلاحي
زعمت أني بخيل وقد أخنى بي سماحي
ورأت كفي صفراً من تلادي ولقاحي
كذبت بنت رباح حين همت باطراحي
حاتم لو كان حياً عاش في ظل جناحي
ولقد أهلكت مالي في ارتياحي وسماحي
ثم ما أبقيت شيئاً غير زادي وسلاحي
وكميت بين أشطا ن جواد ذي مراح
يسبق الخيل بتقريب وشد كالرياح
ثم غارت وتجنت وأجدت في الصياح
لابتياعي أملح النس وان في فيء الرماح

دمية المحراب حسناً وحكت بيض الأداحي
هي أشهى لصدى الظ مآن من برد القراح
قلت :يا دومة بيني إن في البين صلاحي
فأنا اليوم طليق من إساري ذو ارتياح
لست عمن ظفرت كف ي بها اليوم بصاح
أنا مجنون بريم م طف الخصر رداح

مشبع الدملج والخلخال جوال الوشاح
أن عمار بن عمرو ذا كبار ذو امتداح
وهجاء سار في الن اس لا يمحوه ماحي
أبداً ما عاش ذو رو ح ونودي بالفلاح

قال: وكان لعمار جار يبيع الرؤوس يقال له غلام أبي داود، فطرق عماراً قوم كانوا يعاشرونه ويدعونه فقالوا: أطعمنا واسقنا، ولم يكن عنده شيء يومئذ، فبعث إلى صاحب الرءوس يسأله أن يوجه إليه بثلاثة أرؤس ليعطيه ثمنها إذا جاءه شيء، فلم يفعل، فباع قميصاً له واشترى للقوم ما يصلحهم وشربوا عنده، فلما أصبح القوم خرج إلى المحلة، وأهلها مجتمعون، فأنشأ يقول:

غلام لأبي داو د يدعى سالق الروس
وفي حجرته قمل كأمثال الجواميس
فمن ذا يشتري الرو س وقد عشش في الروس
رءوس قد أراحت كرءوس في النواويس
تحاكي أوجه الموتى وريحاً كالكرابيس
ينقي القمل منهن إذا باع بتدليس

قال: فشاعت الأبيات في الناس، فلم يقرب أحد ذلك الرجل، ولا اشترى منه شيئاً، فقام من موضعه ذلك، وعطل حانوته.

قال: وحضر عمار ذو كبار مع همذان لقبض عطائه، فقال له خالد بن عبد الله: ما كنت لأعطيك شيئاً. فقال: ولم أيها الأمير؟ قال: لأنك تنفق مالك في الخمور والفجور، فقال: هيهات ذلك، وهل بقي لي أرب في هذا وأنا الذي أقول:

أير عمار أصبح ال يوم رخواً قد انكسر
ألداء يرى به أم من الهم والضجر؟
أم به أخذة فقد تطلق الأخذة النشر
فلئن كان قوس الي وم أو عضه الكبر
فلقدماً قضى ونا ل من اللذة الوطر
ولقد كنت منعظاً وأبداً قائم الذكر

وأنا اليوم لو أرى ال حور عندي لما انتشر

ساقط رأسه على خصيتيه به زور

كلما سمته النهو ض إلى كوة عثر

قال: فضحك خالد، وأمر له بعطائه، فلما قبضه قضى منه دينه، وأصلح حاله، وعاد لشأنه، وقال:

أصبح اليوم أير عما ر قد قام واسبطر

أخذ الرزق فاستشا ط قياماً من البطر

فهو اليوم كالشظا ظ من النعظ والأشر

يترك القرن في الم كر صريعاً وما فتر

يشرع العود للطع ان إذا انصاع ذو الخور

سلم نعم الضجيع أن ت لنا مع الغيم والمطر

ليتني قد لقيتكم في خلاء من البشر

فنشرنا حديثنا عندكم كل منتشر

خالياً ليلة التما م بسلمى إلى السحر

فهي كالدرة النقي ة والوجه كالقمر

قال: وخرج عمار في بعض أسفاره، ومعه رجل يعرف بدندان، فلما بلغا إلى الفرات نزلا على قرية يقال لها ناباذ، وأراد العبور فلم يجد معبراً فقال له دندان: أنا أعبرك، فنزل معه ما توسطا الفرات خلى عنه، فبعد جهد ما نجا، فقال عمار في ذلك:

كاد دندن بأن يجعلني يوم ناباذ طعاماً للسمك

قلت :دندان أغثني فمضى وأنا أعلو وأهوي في الدرك

ولقد أوقعني في ورطة شيبت رأسي وعاينت الملك

لين دندان بكفي أسد أو قتيلاً ثاوياً فيمن هلك

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدثنا محمد بن صالح بن النطاح، عن أبي اليقظان قال:

دخل عمار ذو كبار على خالد القسري بالكوفة، فلما مثل بين يديه صاح به: أيها الأمير :

أخلقت ريطتي وأودى القميص وإزاري والبطن طاو خميص

قال: خالد: فنصنع ماذا؟ ما كل من أخلقت ثيابه كسوناه فقال:

وخلا منزلي فلا شيء فيه لست ممن يخشى عليه اللصوص

فقال له خالد: ذلك من سوء فعلك وشربك الخمر بما تعطاه، فقال:

واستحل الأمير حبس عطائي خالد إن خالداً لحريص

فقال خالد وقد غضب: على ماذا ثكلتك أمك؟ قال:

ذو اجتهاد على العبادة والخي ر ولكن في رزقنا تعويص

فقال: على ماذا تقبض العطاء ولا غناء فيك عن المسلمين؟ فقال:

رخص الله في الكتاب لذي العذ ر وما عند خالد ترخيص

فقال: أو لم نرخص لذي العذر أن يقيم ويبعث مكانه رسولاً؟ فقال:

كلف البائس الفقير بديلاً هل له عنه معدل أو محيص!

العليل الكبير ذا العرج الظا لع أعشى بعينه تلحيص

يا أبا الهيثم المبارك جد لي بعطاء ما شانه تنغيص

وبرزقي فإننا قد رزحنا من ضياع وللعيال بصيص

كبصيص الفرخين ضمهما العش وغاذيهما أسير فنيص

قال: فدمعت عينا خالد، فأمر له بعطائه.

و هذه الأبيات من قصيدة يقول فيها:

وترى البيت مقشعراً قواءً من نواحيه دورق وأصيص

وبجاد ممزق وخوان ندرت رجله وأخرى رهيص

ولقد كان ذا قوائم ملس تؤكل اللحم فوقه والخبيص

شطنت هكذا شوارد بالمص ر وعني لم يلهه التربيص

وتولى في كل بحر وبر همه العرس فيه والتحصيص

متعال علي اخر محبو ر يغاديه بطة ومصوص

وشواء ملهوج ورؤوس وصيود قد حازها التقنيص

ثم لابد يلتقي الوزن بالقس ط لدى الحشر فاحذروا أن يبوصوا

أكثروا الملك جانياً واجمعوه سوف يودي بذلك التنقيص

ونسخت من كتاب الحزنبل: أن عماراً وقف على عاصم بن عقيل بن جعدة بن هبيرة المخزومي فقال له:

عاصم يا بن عقيل أفسح العالم باعا

وارث المجد قديماً سامياً ينمي ارتفاعا

عن هبير وابنه جع دة فاحتل التلاعا

فقال له عاصم: أسمعت يا عمار فقل فقد أبلغت في الثناء ، فقال:

اكسني أصلحك اللـ ـه قميصاً وصقاعا

وأرحني من ثياب بالياتٍ تتداعى

طال ترقيعي لها حت ى لقد صارت رقاعا

كلها لا شيء فيها غير قمل تتساعى

لم تزل تولي الذي يرـ جوك براً واصطناعا

فنزع عاصم جبة كانت عليه، وأمر غلامه فجعل تحتها قميصاً ودفعها إليه، وأمر له بمائتي درهم.

فأما القصيدة الذالية، التي استحسنها الوليد، وسأل حمادا الراوية عنها فإنها كثيرة المرذول، ولكنها مضحكة طيبة من الشعر المرذول وفيها يقول:

أنت وجداً بها كمغض ي جفون على القذى

لم يقل قائل من النا س قولاً كنحو ذا

تحت حر وصلته صار شعراً مهذذا

قول عمار ذي كبا ر فيا حسن ما احتذى

عللاني بذكرها واسقياني محذذا

تترك الأذن سخنةً أرجواناً بها خذا

ومن صالح شعره قوله:

شجا قلبي غزال ذو دلال واضح السنه

أسيل الخد مربوب وفي منطقه غنه

ألا إن الغواني قد برى جسمي هواهنه

وقالوا: شفك الحور هوى قلت لهم: إنه

ولكني على ذاك معنى بأذاهنه

أراح الله عماراً من الدنيا ومنهنه

بعيدات قريبات فلا كان ولا كنه

فقد أذهل مني العقل والقلب شجاهنه

يمنين الأباطيل ويجحدن الذي قلنه

وقوله أيضاً:

يا دوم دام صلاحكم وسقاك ربي صفوة الديم

من كل دان مسبل هطل متتابع سح من الرهم

ترد الوحوش إليه سارعة والطير أفواجاً من القحم

قلقلت من وجد بكم كبدي وصدعت صدعاً غير ملتئم

وتركتني لعواذلي غرضاً كاللحم متركاً على الوضم

برح الخفاء وقد علمت به إني لحبك غير مكتتم

أخفيته حتى وهى جلدي وبرى فؤادي واستباح دمي

يا أحسن الثقلين كلهم وأتم من يخطو على قدم

يصبوا الحليم لحسن بهجتها ويزيده ألماً إلى ألم

تفتر عن سمطين من برد متفلج عن حسن مبتسم

كالأقحوان لغب سارية جنح العشاء ينير في الظلم

حم اللثات يروق ناظره ما عيب من روق ولا قصم

تؤمي بكف رطبة خضبت وأنامل ينطفن كالغنم

وبمقلة حوراء ساجية وبحاجب كالنون بالقلم

والجيد منها جيد مغزلة تحنو إلى خشف بذي سلم

وكدمية المحراب ماثلة والفرع جثل النبت كالحمم

وكأن ريقتها إذا رقدت راح يفوح بأطيب النسم

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الحسن بن أحمد بن طالب الديناري قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي، قال: قال حماد الراوية: أرسل الوليد بن يزيد إلي بمائتي دينار: وأمر يوسف بن عمر بحملي ، على البريد، فقلت: يسألني عن مآثر طرفيه قريش أو ثقيف، فنظرت في كتابي ثقيف وقريش حتى حفظتهما، فلما

قدمت عليه سألني عن أشعار بلي، فأنشدته منها ما حفظته، ثم قال لي: أنشدني في الشراب، وعنده قوم من وجوه أهل الشام. فأنشدته لعمار ذي كبار:

أصبح القوم قهوة ... في أباريق تحتذى

من كميت مدامة ... حبذا تلك حبذا

تترك الأذن شربها ... أرجواناً بها خذا

فقال: أعدها، فأعدتها، خذوا آذان القوم، قال: فأتينا بالشراب فسقينا حتى ما درينا متى نقلنا، ثم حملنا فطرحنا في دار الضيفان، فما أيقظنا إلا حر الشمس وجعل شيخ من أهل الشام يشتمني ويقول: فعل الله بك وفعل، أنت صنعت بنا هذا.

شطت ولم تثب الرباب ... ولعل للكلف النواب

نعب الغراب فراعني ... بالبين إذا نعب الغراب

عروضه من الضرب الثالث العروض الثالثة من الكامل.

والشعر: لعبد الله بم مصعب الزبيري، والغناء، لحكم الوادي، ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، عن إسحاق.

أخبار عبد الله بن مصعب ونسبه

عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب.

شاعر فصيح خطيب ذو عارضة وبيان واعتبار بين الرجال وكلام في المحافل، وقد نادم أوائل الخلفاء من بني العباس، وتولى لهم أعمالاً، وكان خرج مع محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالمدينة على أبي جعفر المنصور فيمن خرج من آل الزبير، فلما قتل محمد استتر عنه وقيل: بل كان استتاره مدة يسيرة إلى أن حج أبو جعفر المنصور وآمن الناس جميعاً فظهر.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنا عمي وفليح بن إسماعيل، عن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة قال: دخلت على المهدي، وإذا هو يكتب على الأرض بفحمة قول عبد الله بن مصعب:

فإن يحجبوها أو يحل دون وصلها ... مقالة واش أو عبد أمير

فلن يمنعوا عيني من دائم البكا ... ولن يخرجوا ما قد أجن ضميري

وما برح الواشون حتى بدت لنا ... بطون الهوى مقلوبة لظهور

إلى الله أشكو ما ألاقي من الجوى ومن نفس يعتادني وزفير

ويقول أحسن والله عبد الله بن مصعب ما شاء.

وهذه الأبيات تنسب إلى المجنون أيضاً؛ وفيها بيتان فيهما غناء ليزيد حوراء خفيف رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة، ويقال: إنه للزبير بين دحمان، وذكر حبش أن فيهما لإسحاق خفيف ثقيل أول بالوسطى.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة؛ قال: حدثني محمد بن الحسن بن زياد.

ونسخت هذا الخبر من كتاب أبي سعد العدوي ، عن أبي الطرماح مولى آل مصعب بن الزبير من أهل ضرية، وروايته أتم.

أن عبد الله بن مصعب لما ولي اليمامة مر بالحوأب يوماً - وهو ماء لبني أبي بكر بن كلاب، وهو الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة - فرأى على الماء جارية منهم، فهويها وهويته، وقال:

يا جمل للواله المستعبر الوصب ماذا تضمن من حزن ومن نصب؟

أنى أتيحت له للحين جارية في غير ما أمم منها ولا صقب

جارية من أبي بكر كلفت بها ممن يحل من الحصاء والحوب

من غير معرفة إلا تعرضها حيناً لذلك إن الحين مجتلبي

قامت تعرض لي عمداً فقلت لها: يا عمرك الله، هل تدرين ما حسبي

بين الحواري والصديق في نسب ينهى عن الفحش مثلي غير مؤتشب

ولا أدل الجارات منسرباً تالله إني لعزهاة عن الريب

فخطبها، وكانت العرب لا تنكح الرجل امرأة شبب بها قبل خطبته، فلم يزوجوها إياه، فلما يئست منه قالت:

إذا خدرت رجلي ذكرت ابن مصعب فإن قيل عبد الله، خف فتورها

ألا ليتني صاحبت ركب ابن مصعب إذا ما مطاياه اتلأبت صدورها

لقد كنت أبكي واليمامة دونه فكيف إذا التفت عليه قصورها؟

قال أبو الطرماح في خبره: وكان لها إخوة شرش غير فقتلوها.

أخبرنا ببعض هذه القصة ابن عمار، عن أحمد بن سليمان بن أبي شيخ، عن أبيه، عن أبي عمر الزهري، وذكر الشعرين جميعاً والألفاظ قريبة.

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبي عمر الزهري، قال: حدثني أبي: أن عبد الله بن مصعب خاصم رجلاً من ولد عمر بن الخطاب بحضرة المهدي، فقال له عبد الله بن مصعب: أنا

ابن صفية، قال: هل أدنتك من الظل ولولاها لكنت ضاحياً وكنت بين الفرث والحوية . قال: أنا ابن الحواري قال له العمري: بل أنت ابن وردان المكاري قال: وكان يقال: إن أمه كانت تهوى رجلاً يكرى الحمير يقال له وردان، فكان من يسبه ينسبه إليه، وقال فيه الشاعر:

أتدعى حواري الرسول سفاهة وأنت لوردان الحمير سليل

فقال: والله لأنا بأبي أشبه من التمرة بالتمرة والغراب بالغراب، قال له العمري: كذبت، وإلا فأخبرني ما بال آل الزبير ثط اللحى وأنت ألحى ومالهم سمراً جعاداً وأنت أحمر سبط؟ قال: ألي تقول هذا يا بن قتيل أبي لؤلؤة قال العمري: يا بن قتيل ابن جرموز على ضلالة، أتعيرني أن قتل أبي رجل نصراني وهو أمير المؤمنين قائماً يصلي في محرابه وقد قتل أباك رجل مسلم بين الصفين يدفعه عن باطل، ويدعوه إلى حق، فأنا أقول: رحم الله ابن جرموز، فقل أنت: رحم الله أبا لؤلؤة، ثم أقبل على المهدي فقال: ألا تسمع يا أمير المؤمنين ما يقول عائد الكلب في عمر بن الخطاب، وقد عرفت ما كانت بينه وبين أبيك العباس بن عبد المطلب ابنه عبد الله من المودة، وتعلم ما بين جده عبد الله بن الزبير، وبين جدك عبد الله بن العباس من العداوة فأعن يا أمير المؤمنين أوليائك على أعدائك، فوثب رجل من آل طلحة، فقال له: يا أمير المؤمنين، ألا تكف هذين السفيهين عن تناول أعراض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله؟ وتكلم الناس بينهما وتوسطوا كلامهما وأكثروا، فأمر المهدي بكفهما والتفريق بينهما.

قال النوفلي: وكان عبد الله بن مصعب يلقب عائد الكلب لقوله:

ما لي مرضت ولم يعدني عائد منكم ويمرض كلبكم فأعود؟

وأشد من مرضي على صدودكم وصدود عبدكم علي شديد

فلقب عائد الكلب: قال ابن عمار: هكذا حفظي عن النوفلي، وقد يزيد القول وينقص.

لحكم الوادي في هذين البيتين اللذين أولهما:

ما لي مرضت فلم يعدني عائد منكم ويمرض كلبكم فأعود

لحنان خفيف ثقيل بالوسطى، عن إبراهيم وحبش، ورمل بالوسطى عن الهشامي .

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال: حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ، قال: أنشد الأحيحي المهدي قصيدة مدحه بها، وكان عبد الله بن مصعب حاضراً، فحسده على إقبال المهدي عليه، وكان المهدي يحبه، فجعل يخاطب المهدي ويحدثه، فقال له: أمسك فما يشغلني كلامك عنه، فقطع الأحيحي الإنشاد، ثم أقبل على المهدي فقال له:

عبد مناف أبو أبوتنا وعبد شمس وهاشم توم

بحران خر العوام بينهما فالتطما والبحار تلتطم

فقال له المهدي: كذاك هو، فدع هذا المعنى وعد إلى ما كنت فيه، وخجل عبد الله فما انتفع بنفسه يومئذ.

قال ابن عمار: فحدثني بعض شيوخنا قال: كنت عند مصعب بن عبد الله الزبيري يوماً وقد جرى ذكر الأحيحي، فأنشدته هذين البيتين، فتغير لونه، ثم قال لي: نعم، قد كان خاطب أبي بهما فأمضه، فلما قمنا عنه قال لي: ويحك، أتنشد رجلاً كنت تتعلم منه وتأخذ عنه هجاء في أبيه؟ فقلت له: دعني فإني أحببت أن أغض من كبره قال: وكان في مصعب بعض ذلك.

زارت سليمى وكان الحي قد رقدا ولم تخف من عدو كاشح رصدا

لقد وفت لك سلمى بالذي وعدت لكن عقبة لم يوف الذي وعدا

عروضه من البسيط، الشعر لابن مفرغ الحميري، والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن أحمد بن المكي، وفيه لعواد لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس.

وقد تقدمت أخبار ابن مفرغ مستقصاة فيما قبل هذا الكتاب، فاستغنى عن إعادتها ها هنا وإعادة شيء منها، إذ كان قد مضى منها ما فيه كفاية و لله الحمد .

ما شأن عينك طلة الأجفان مما تفيض مريضة الإنسان

مطروفة تهمي الدموع كأنها وشل تشلشل دائم التهتان

الشعر لعمارة بن عقيل، والغناء لمتيم ثاني ثقيل بالوسطى.

أخبار عمارة ونسبه

عمارة هو ابن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفي ، وقد تقدم نسبه ونسب جده في أول الكتاب، ويكنى عمارة أبا عقيل، شاعر مقدم فصيح، وكان يسكن بادية البصرة، ويزور الخلفاء في الدولة العباسية فيجزلون صلته، ويمدح قوادهم وكتابهم فيحظى منهم بكل فائدة، وكان النحويون في البصرة يأخذون عنه اللغة.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: سمعت محمد بن يزيد يقول: ختمت الفصاحة في شعر المحدثين بعمارة بن عقيل.

أخبرني محمد بن عميران الصيرفي، والحسن بن علي، والصولي قالوا: حدثنا الحسن بن عليل الغنزي قال: سمعت يلم بن خالد بن معاوية بن أبي عمرو بن العلاء يقول: كان جدي أبو عمرو يقول: ختم الشعر بذي الرمة، ولو رأى جدي عمارة بن عقيل لعلم أنه أشعر في مذاهب الشعراء من ذي الرمة.

قال العنزي؛ ولعمري لقد صدق.

وسمعت سلماً يقول: هو أشد استواءً في شعره من جرير، لأن جريراً سقط في شعره وضعف، وما وجدوا لعمارة

سقطة واحدة في شعره.

قال العتري: وحدثني أحمد بن الحكم بن بشر بن أبي عمرو بن العلاء قال: أتيت عمارة أسأله عن شيء أكتبه عنه، فقال لي: من أنت؟ فقلت أنا ابن الحكم بن بشر بن أبي عمرو بن العلاء فقال لي: كان أبوك صديقي، ثم أنشدني:

بنى لكم العلاء بناء صدق ... وتعمر ذاك يا حكم بن بشر

فما مدحي لكم لأصيب مالاً ... ولكن مدحكم زين لشعري

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا أبو ذكوان قال: حدثنا أبو ملحم قال: هجا عمارة بن عقيل امرأة، ثم أتته في حاجة بعد ذلك، فجعل يعتذر إليها، فقالت له: خفض عليك يا أخي، فلو صر الهجاء أحداً لقتلك وقتل أباك وجدك.

قال مؤلف هذا الكتاب : وكان عمارة هجاءً خبيث اللسان، فهجا فروة بن حميصة الأسدي وطال التهاجي بينهما، فلم يغلب أحدهما صاحبه حتى قتل فروة.

وأخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا أبو ذكوان قال: قال لي عمارة: ما هاجيت شاعراً قط إلا كفيت مؤونته في سنة أو أقل من سنة، إما أن يموت، أو يقتل، أو أفحمه، حتى هاجاني أبو الرديني العكلي، فخنقني بالهجاء، ثم هجا بني نمير فقال:

أتوعدني لتقتلني نمير ... متى قتلت نمير من هجاها؟

فكفانيه بنو نمير فقتلوه، فقتلت بنو عكل - وهو يومئذ ثلاثمائة رجل - أربعة آلاف رجل من بني نمير. وقتلت لهم شاعرين: رأس الكلب وشاعراً آخر.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني العتري قال: حدثني محمد بن عبد الله بن آدم العبدي قال: حدثني عمارة بن عقيل قال: كنت جالساً مع المأمون، فإذا أنا بهاتف يهتف من خلفي ويقول:

نجى عمارة منا أن مدته ... فيها تراخ وركض السابح النقل

ولو ثقفناه أوهينا جوانحه ... بذابل من رماح الخط معتدل

فإن أعناقكم للسيف محلبة ... وإن ما لكم المرعي كالهمل

إذ لا يوطن عبد الله مهجته ... على النزال ولا لصاً بنى حمل

قال: وهذا الشعر لفروة بن حميصة في. قال: فدخلني من ذلك ما الله يعلمه ، وما ظننت أن شعر فروة وقع إلى من هنالك ، ثم خرج علي بن هشام من المجلس وهو يضحك، فقلت: يا أبا الحسن، أتفعل بي مثل هذا وأنا صديقك؟ فقال: ليس عليك في هذا شيء، فقلت: من أين وقع إليك شعر فروة؟ قال: وهل بقي كتاب إلا وهو

عندي؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، أهجى في دارك وحضرتك؟ فضحك، فقلت: يا أمير المؤمنين أنصفني، فقال: دع هذا وأخبرني بخبر هذا الرجل، وما كان بينك وبينه فأنشدته قصيدتي فيه، فلما انتهيت إلى قولي:

ما في السوية أن تجر عليهم وتكون يوم الروع أول صادر

أعجب المأمون هذا البيت فقال لي، المأمون: ألهذا القصيدة نقيضة؟ قلت: نعم، قال: فهاتها، فقلت له: أؤذي سمعي بلساني؟ فقال: علي ذلك، فأنشدته إياها، فلما بلغت إلى قوله:

وابن المراغة جاحر من خوفنا باد بمنزلة الذليل الصاغر

يخشى الرياح بأن تكون طليعة أو أن تحل به عقوبة قادر

فقال لي: أوجعك يا عمارة، فقلت: ما أوجعته به أكثر.

أخبرني محمد قال: حدثني الحسن قال: حدثني محمد بن عبد الله بن آدم قال: حدثني عمارة قال: إنما قتل فروة قولي له:

ما في السوية أن تجر عليهم وتكون يوم الروع أول صادر

فلما أحاطت به طيئ وقد كان في معاذ وموئل، وكان كثير الظفر بهم كثير العفو عمن قدر عليه منهم، فقالوا له: والله لا عرضنا لك ولا أوصلنا إليك سوءاً فامض لطيتك ولكن الوتر معك فإن لنا فيهم ثأراً، فقال فروة: فأنا إذا كما قال ابن المراغة:

ما في السوية أن تجر عليهم وتكون يوم الروع أول صادر

فلم يزل يحمي أصحابه وينكي في القوم حتى اضطرهم إلى قتله، وكان جمعهم أضعاف جمعه .

أخبرني محمد قال: حدثني الحسن قال: حدثني محمد بن عبد الله بن آدم قال: قيل لعمارة: أقتلت فروة؟ فقال: والله ما قتلته ولكني أقتله أي سببت له سبباً قتل به .

أخبرني محمد قال: حدثنا الحسن قال: حدثني محمد بن عبد الله قال: حدثني عمارة قال: رحت إلى المأمون، فكان ربما قرب إلي الشيء من الشراب أشربه بين يديه، وكان يأمر بكتب كثير مما أقوله، فقال لي يوماً: كيف قلت: قالت مفداة؟ ونظر إلي نظراً منكراً، فقلت : يا أمير المؤمنين، مفداة امرأتي، وكانت نظرت إلي وقد افتقرت وساءت حالي، قال: فكيف قلته؟ فأنشدته:

قالت مفداة لما أن رأت أرقي والهم يعتادني من طيفه لمم

أنهبت ما لك في الأدنين آصرة وفي الأباعد حتى حفك العدم

فاطلب إليهم تجد ما كنت من حسن تسدي إليهم فقد ثابت لهم صرم

فقلت :عاذلتي، أكثرت لائمتي ولم يمت حاتماً هزلاً ولا هرم

قال: فنظر إلي المأمون مغضباً وقال: لقد علت همتك أن ترقى بنفسك إلى هرم وقد خرج من ماله في إصلاح قومه.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني العنزي قال: حدثني محمد بن عبد الله قال: حدثنا عمارة قال: استشفعت بعلي بن هشام في أن يؤذن لي في الانصراف، فقال: ما أفعل ذلك لأنك تنشد أمير المؤمنين إذا خلوت به وتخبره عن وقائعك وفعالك ثم تخبره أنك مظلوم، وقد أخذ هذا أمير المؤمنين عليك. ثم تذاكرنا فقال: أما تذكر أبا الرازي حين أوقع بقومك وأوقعوا به، ثم تدخل على أمير المؤمنين مغضباً فتقول:

علام نزار الخيل تفأى رءوسنا ... وقد أسلمت مع النبي نزار؟

وهي أبيات قالها حين قتلهم أبو الرازي - وكان عمارة قد خرج من عند المأمون فنظر إلى رؤوس أصحابه، فدخل فأنشد هذا البيت - قال: وأكره أن تتبعك نفسي أمير المؤمنين فيجد على من كلمه فيك، فعليك بعمرو بن مسعدة وأبي عباد فإنهما يكتبان بين يدي أمير المؤمنين، ويخلوان معه ويمازحانه، فأتيت أبا عباد فذكرت له التشوق إلى العيال، وسألته الاستئذان، فصاح في وجهي وقال: مقامك أحب إلى أمير المؤمنين من ظعنك، وما أفعل ما يكرهه فذهبت من فوري إلى عمرو بن مسعدة، فدخلت عليه وهو يختضب، فشكوت إليه الأمر فقال: يا أبا عقيل، لقد أذنت لك في ساعة ما أظهر فيها لأحد، ولي حاجة، قلت: وما هي؟ قال: ألف درهم تجعل لك في كيس تشتري بها عبداً يؤنسك في طريقك، ولست أقصر فيما تحت. فتلعثمت ساعة وتلكأت، فقال: حقاً، لئن لم تأخذها لا كلمتك، فأخذتها وانصرفت وأنا أقول:

عمرو بن مسعدة الكريم فعاله ... خير وأمجد من أبي عباد

من لم يزمزم والداه ولم يكن ... بالري علج بطانة وحصاد

بصرته سبل الرشاد فما اهتدى ... لسبيل مكرمة ولا لرشاد

وعرفت إذ علقت يدي بعنانه ... أني علقت عنان غير جواد

لو كان يعلم إذ يشيح تحرقي ... في كل مكرمة ولين قيادي

عرف المصدق رأيه أني امرؤ ... يفني العطاء طرائفي وتلادي

وأصون عرضي بالسخاء إن غدت ... غبر المحاجر شعثاً أولادي

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا العنزي قال: حدثني سلم بن خالد قال: أنشد عمارة قصيدة له، فقال فيها: الأرياح والأمطار، فقال له أبو حاتم السجستاني: هذا لا يجوز، إنما هو الأرواح، فقال: لقد جذبني إليها طبعي، فقال له أبو حاتم: قد اعترضه علمي، فقال: أما تسمع قولهم : رياح؟ فقال له أبو حاتم: هذا خلاف ذلك، قال: صدقت، ورجع .

حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا العتزي، قال: قدم عمارة البصرة أيام الواثق، فأتاه علماء البصرة وأنا معهم وكنت غلاماً فأنشدهم قصيدة يمدح فيها الواثق فلما بلغ إلى قوله:

وبقيت في السبعين أنهض صاعداً فمضى لداتي كلهم فتشبعوا

بكى على ما مضى من عمره، فقالوا له: أملها علينا، قال: لا أفعل حتى أنشدها أمير المؤمنين، فإني مدحت رجلاً مرة بقصيدة فكتبها مني رجل ثم سبقني بها إليه، ثم خرج إلي الواثق فلما قدم أتوه وأنا معهم فأملاها عليهم.

ثم حدثهم فقال: أدخلني إسحاق بن إبراهيم على الواثق، فأمر لي بخلعة وجائزة فجاءني بهما خادم، فقلت: قد بقي من خلعتي شيء قال: وما بقي؟ قلت: خلع علي المأمون خلعة وسيفاً. فرجع إلى الواثق فأخبره، فأمره بإدخالي، فقال: يا عمارة، ما تصنع بسيف؟ أتريد أن تقتل به بقية الأعراب الذين قتلتهم بمقالك ؟ قلت: لا والله يا أمير المؤمنين ولكن لي شريك في نخيل لي باليمامة، ربما خانني فيه فلعلي أخربه عليه، فضحك وقال: نأمر لك به قاطعاً، فدفع إلى سيفاً من سيرفه.

أخبرنا الصولي قال: حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال: حدثني النخعي قال: لما قدم عمارة إلى بغداد قال لي: كلم لي المأمون - وكان النخعي من ندماء المأمون - قال: فما زلت أكلمه حتى أوصلته إليه، فأنشده هذه القصيدة:

حتام قلبك بالحسان موكل كلف بهن وهن عنه ذهل؟

فلما فرغ قال لي: يا نخعي، ما أدري أكثر ما قال إلا أن أقيسه ، وقد أمرت له لكلامك فيه بعشرين ألف درهم.

حدثني الصولي، قال: حدثني الحسن، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن آدم العبدي قال: كانت بنو تميم اجتمعت ببغداد على عمارة حين قال شعره الذي يقدم فيه خالد بن يزيد على تميم بن خزيمة، فقالوا له: قطع الله رحمك وأهانك وأذلك، أتقدم غلاماً من ربيعة على شيخ من بني تميم، تميم بن خزيمة، وهو مع ذلك من بيت تميم؟ ولاموه، فقال:

صهوا يا تميم إن شيبان وائل بطرفهم عنكم أضن وأرغب

أ أن سمت برذوناً بطرف غضبتم علي وما في السوق السوم مغضب

فإن أكرمت أو أنجبت أم خالد فزند الرياحين أورى وأثقب

قال: ثم حدثنا عمارة قال: قال لي علي بن هشام - وفيه عصبية على العرب -: قد علمت مكانك مني، وقيامي بأمرك، حتى قربك أمير المؤمنين المأمون، والمائة الألف التي وصلتك أنا سببها، وها هنا من بني عمك من هو أقرب إليك، وأجدر أن يعينني على ما قبل أمير المؤمنين لك، فقلت: ومن هو؟ قال: تميم بن خزيمة، قال: قلت: إيه، قال: وخالد بن يزيد بن مزيد، قلت: سآتيهما، فبعث معي شاكرياً ، من شاكريته، حتى وقف بي على باب تميم، فلما نظر إلي غلمانه أنكروا أمري فدنا الشاكري فقال: أعلموا الأمير أن على الباب بن جرير الشاعر جاء

مسلماً فتوانوا، وخرج غلام أعرف أنه غلام الأمير، فحجبني ، فدخلني من ذاك ما الله به عالم، فقلت للشاكري: أين منزل خالد؟ فقال: اتبعني فما كان إلا قليلاً حتى وقف بي على بابه، ودخل بعض غلمانه يطلب الإذن، فما كان إلا قليلاً حتى خرج في قميصه وردائه، يتبعه حشمه. فقال لي بعض القوم: هذا خالد قد أقبل إليك، قال: فأردت أن أنزل إليه، فوثب وثبة فإذا هو معي آخذ بعضدي يريد أن أتكئ عليه، فجعلت أقول: جعلني الله فداك، أنزل، فيأبى حتى أخذ بعضدي، فأنزلني وأدخلني، وقرب إلي الطعام والشراب، فأكلت وشربت، وأخرج إلي خمسة آلاف درهم وقال: يا أبا عقيل، ما آكل إلا بالدين، وأنا على جناح من ولاية أمير المؤمنين، فإن صحت لي، لم أدع أن أغنيك، وهذه خمسة أثواب خز قد آثرتك بها، كنت قد ادخرتها، قال عمارة، فخرجت وأنا أقول:

أ أترك إن قلت دراهم خالد ... زيارته إني إذاً للئيم

فليت بثوبيه لنا كان خالد ... وكان لبكر بالثراء تميم

فيصبح فينا سابق متهمل ... ويصبح في بكر أغم يهيم

فقد يسلع المرء اللئيم اصطناعه ... ويعتل نقد المرء وهو كريم

قال اليزيدي: يسلع: أي تكثر سلعته. والسلعة: المتاع أخبرني الصولي، قال: حدثني الحسن قال: حدثني محمد بن عبد الله قال: حدثني عمارة قال: لما بلغ خالد بن يزيد هذا الشعر قال لي: يا أبا عقيل، أبلغك أن أهلي يرتضون مني ببديل كما رضيت بنو تميم بتميم بن خزيمة؟ فقلت: إنما طلبت حظ نفسي وسقت مكرمة إلى أهلي لو جاز ذلك، فما زال يضاحكني.

أخبرني الصولي قال: حدثنا الحسن قال: سمعت عبد الله بن محمد النباجي يقول: سمعت عمارة يقول: ما هجيت بشيء أشد علي من بيت فروة:

وابن المراغة جاحر من خوفنا ... بالوشم منزلة الذليل الصاغر

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني الحسن بن علي العنزي، قال: حدثني النباجي قال: لما قال عمارة يمدح خالداً:

تأبى خلائق خالد وفعاله ... إلا تجنب كل أمر عائب

فإذا حضرت الباب عند غدائه ... أذن الغداء لنا برغم الحاجب

لقيه خالد فقال له: أوجبت والله علي حقاً ما حييت.

قال العنزي: وسمعت سلم بن خالد يقول: قلت لعمارة: ما أجود شعرك؟ قال: ما هجوت به الأشراف. فقلت: ومن هم؟ قال: بنو أسد، وهل هاجاني أشرف ، من بني أسد؟ قال: العنزي: وحدثني أبو الأشهب الأسدي من ولد بشر بن أبي خازم قال: لما أنشد فروة بن حميصة قول عمارة فيه:

ما في السوية أن تجر عليهم ... وتكون يوم الروع أول صادر

قال: والله ما قتلني إلا هذا البيت.

فلما تكاثرت عليه الخيل يوم قتل قيل له: انج بنفسك، قال: كلا والله، لا حققت قول عمارة، فصبر حتى قتل.

وكان فروة من أحسن الناس وجهاً وشعراً وقداً، لو كان امرأة لانتحرت عليه بنو أسد.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني العنزي، قال: حدثني علي بن مسلم قال: أنشدت يعقوب بن السكيت قصيدة عمارة التي رد فيها على رجاء ابن هارون أخي بني تيم اللات بن ثعلبة التي أولها:

حي الديار كأنها أسطار　　بالوحي يدرس صحفها الأخبار

لعب البلى بجديدها وتنفست　　عرصاتها الأرواح والأمطار

قال أبو علي: وهذا البيت الذي أخطأ فيه عمارة فقال: الأرياح، فرده عليه أبو حاتم السجستاني وهو يتغيظ - فلما بلغ إلى قوله:

وجموع أسعد إذ تعض رؤوسهم　　بيض يطير لوقعهن شرار

حتى إذا عزموا الفرار وأسلموا　　بيضاً حواصن ما بهن قرار

لحقت حفيظتنا بهن ولم نزل　　دون النساء إذا فزعن نغار

قال ابن السكيت: لله دره، ما سمعت هجاء قط أكرم من هذا.

أخبرني محمد بن يحيى قال: وفد عمارة على المتوكل، فعمل فيه شعراً، فلم يأت بشيء، ولم يقارب، وكان عمارة قد اختل وانقطع في آخر عمره، فصار إلى إبراهيم بن سعدان المؤدب، وكان قد روى عنه شعره القديم كله، فقال له: أحب أن تخرج إلي أشعاري كلها لأنقل ألفاظها إلى مدح الخليفة، فقال: لا والله أو تقاسمني جائزتك، فحلف له على ذلك، فأخرج إليه شعره، وقلب قصيدة إلى المتوكل، وأخذ بها منه عشرة آلاف درهم، وأعطى إبراهيم بن سعدان نصفها، والله أعلم.

تفرق أهلي من مقيم وظاعن　　فلله دري أي أهلي أتبع

أقام الذين لا أبالي فراقهم　　وشط الذين بينهم أتوقع

الشعر للمتلمس، والغناء لمتيم خفيف ثقيل بالوسطى.

أخبار المتلمس ونسبه

المتلمس لقب غلب عليه ببيت قاله وهو:

فهذا أوان العرض جن ذبابه　　زنابيره والأزرق المتلمس

واسمه جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن دوفن بن حرب بن وهب بن جلي بن أحمس ابن ضبيعة بن ربيعة بن نزار.

قال ابن حبيب فيما أخبرنا به عبد الله بن مالك النحوي عنه: ضبيعات العرب ثلاث كلها من ربيعة: ضبيعة بن ربيعة وهم هؤلاء، ويقال: ضبيعة أضجم، وضبيعة بن قيس بن ثعلبة، وضبيعة بن عجل بن لجيم.

قال: وكان العز والشرف والرآسة على ربيعة في ضبيعة أضجم، وكان سيدها الحارث بن الأضجم، وبه سميت ضبيعة أضجم، وكان يقال للحارث حارث الخير بن عبد الله بن دوفل بن حرب، وإنما لقب بذلك لأنه أصابته لقوة ، فصار أضجم، ولقب بذلك، ولقبت به قبيلته.

ثم انتقلت الرآسة عن بني ضبيعة فصارت في عترة، وهو عامر بن أسد بن ربيعة بن نزار، وكان يلي ذلك فيهم القدار أحد بني الحارث بن الدول بن صباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عترة.

ثم انتقلت الرآسة عنهم، فصارت في عبد القيس فكان يليها فيهم الأفكل وهو عمرو.

هنا انقطع ما ذكره الأصفهاني رحمه الله

الفهرس

الجزء الأول.....2
ذكر المائة الصوت المختارة.....2
إجماع المغنين على اختيار الأصوات الثلاثة.....2
الكلام على أحد هذه الأصوات الثلاثة.....4
خبر أبي قطيفة.....5
نسبه.....5
ذكر العنابس والأعياص.....6
من بني أمية وأن أبا قطيفة من الأولين.....6
عود إلى نسب أبي قطيفة.....7
مقتل عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث.....7
ولاية الوليد بن عقبة الكوفة.....9
نفي ابن الزبير أبا قطيفة.....9
فيمن نقله عن المدينة في وقعة الحرة.....9
صوت من غير المائة فيه لحنان.....12
قصر سعيد بن العاص بالعرصة.....15
اعتداد أبي قطيفة بنسبه.....16
شعر أبي قطيفة في امرأته بعد طلاقها.....16
مقتل سعيد بن عثمان بالمدينة.....17
ذكر معبد وبعض أخباره.....17
نسب معبد ونشأته ووفاته.....17
اعتراف المغنين لمعبد بالتفوق.....18
علو كعبه في صناعة الغناء.....19
اعتراف مالك بن أبي السمح لمعبد بالتفوق.....20
صوت من غير المائة المختارة.....20
معبد وابن محرز.....21
نسبة هذا الصوت.....21
قدوم ابن سريج والغريض المدينة.....21
قدوم معبد مكة وما وقع له مع الغريض.....22

ما وقع لمعبد مع حكم الوادي.....22
ما وقع لمعبد مع العبد الأسود.....22
معبد وابن سريج والتقاؤهما.....23
صوت.....23
نسبة هذين الصوتين وأخبارهما.....24
صوت.....24
صوت.....24
رحلة معبد إلى الأهواز.....24
صوت.....25
صوت.....25
صوت.....25
غناء معبد للوليد بن يزيد.....26
صوت.....26
صوت.....27
خبر معبد مع رجل لم يستحسن غناءه.....28
معبد وابن عائشة.....28
قدومه مكة والتقاؤه بالمغنين بها.....29
ومن الثلاثة الأصوات المختارة.....30
ثاني الثلاثة الأصوات المختارة.....30
ذكر خبر عمر بن أبي ربعية ونسبه.....31
نسب عمر بن أبي ربيعة.....31
أم عمر بن أبي ربيعة وأخوه الحارث.....33
الملقب بالقباع.....33
رأي يزيد في غناء معبد وابن سريج.....34
سيرة جوان بن عمر بن أبي ربيعة.....35
صوت.....35
مولد عمر يوم قتل عمر بن الخطاب.....36
عمر في مجلس ابن عباس بالمسجد الحرام.....36
شعره وخلقه وشهادة الشعراء فيه.....37
شعر عمر الذي غنى فيه المغنون.....40

صوت 40
شعر عمر في فاطمة الكندية 42
بنت محمد بن الأشعث 42
صوت 42
صوت 45
شعره في زينب بنت موسى الجمحية.....45
صوت 45
صوت 46
صوت 47
صوت 47
صوت 49
صوت 50
صوت 50
صوت 51
صوت 51
صوت 52
عود إلى شهادة جرير 52
والغريب وغيرهما في شعرعمر 52
الصوت.....53
صوت 53
المفاضلة بين شعره و شعر الحارث.....54
بن خالد 54
شيء من أخبار الحارث الملقب بالقباع 54
شعر عمر في تشوقه إلى مكة 55
بعد أن خرج منها إلى اليمن.....55
صوت 55
طلب الوليد من يخبره عن الطائف 56
فدل على عمر 56
المفاضلة بينه وبين ابن قيس الرقيات 56
المفاضلة بينه وبين جميل 57

ابن معمر العذري.....57
كلمة الفرزدق وقد سمع شعر عمر.....58
صوت.....59
صوت.....59
صوت.....59
إستحسان الناس شعر عمر وتفضيله.....60
على شعراء عصره.....60
نقد ابن أبي عتيق أبيات عمر الرائية.....60
صوت.....60
عود إلى سيرته وخلقه.....60
مميزات شعره.....61
صوت.....61
صوت.....61
صوت.....62
صوت.....62
صوت.....63
صوت.....63
صوت.....64
صوت.....64
صوت.....65
صوت.....66
صوت.....66
صوت.....67
صوت.....67
صوت.....67
صوت.....68
صوت.....68
صوت.....70
صوت.....71
صوت.....72

صوت 73
وكان بعد هذا كله فصيحاً شاعراً مقولاً. 75
صوت 75
عمر بن أبي ربيعة وعروة بن الزبير..... 76
عمر بن أبي ربيعة ومالك بن أسماء..... 76
عمر وأبو الأسود الدؤلي وقد عرض لامرأته 76
في الطواف..... 76
رأي الفرزدق في شعر ابن أبي ربيعة 77
عمرو وعبد الرحمن بن الحارث..... 77
ابن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة 77
عمرو والنسوة اللاتي واعدهن بالعقيق 78
صوت 78
عمر وابن أبي عتيق..... 79
عود إلى خلق عمر 79
قدوم عمر الكوفة ونزوله على ابن هلال..... 79
وصف الشعراء للبرق وما قاله عمر..... 79
في ذلك 80
بقية خبر عمر ونسوة العقيق..... 80
صوت 80
عمر وليلى بنت الحارث البكرية..... 81
وما قاله فيها من الشعر..... 81
صوت 81
حديثه مع النوار وشعره فيها..... 82
صوت 82
حديثه مع أم الحكم وشعره فيها 83
صوت 83
حديثه مع سكينة وشعره فيها 83
صوت 84
صوت 84
بغوم ابن أبي ربيعة..... 85

صوت 85
عمر و بنت مروان بن الحكم..... 86
صوت 86
عمر وحميدة جارية ابن تفاحة 87
صوت 87
صوت 87
عمر و بعض جواري بني أمية 87
في موسم الحج 87
قصته مع بنات أبصرنه من وراء المضرب..... 88
صوت 88
حديثه مع المرأة التي رآها في الطواف 89
وارتحل معها إلى العراق 89
صوت 89
عود إلى شهادة جرير في شعر عمر 90
حنين عمر إلى ذكر الغزل 90
بعد أن كبرت سنه 90
قصته مع هند بنت الحارث المرية 91
صوت 91
صوت 92
صوت 92
صوت 92
صوت 93
صوت 93
صوت 94
صوت 94
صوت 95
صوت 95
صوت 95
صوت 96
صوت 96

صوت 96
قصته مع فاطمة بنت عبد الملك 96
صوت 97
صوت 97
صوت 98
صوت 99
صوت 99
عمر وعائشة بنت طلحة 100
وما قاله فيها من الشعر 101
صوت 101
صوت 101
صوت 102
صوت 102
صوت 103
صوت 103
عمر وكلثم بنت سعد المخزومية 103
عمر ولبابة بنت عبد الله بن العباس 105
امرأة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان 105
صوت 105
عمر والثريا 106
بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر 106
ابن عبد الله بن الحارث 106
عمر ورملة بنت عبد الله الخزاعية 108
صوت 109
صوت 110
شعر عمر حين هجرته الثريا 110
صوت 112
في مجلس حسن بن حسن بن علي 114
وإنشاده شعره في الثريا 114
صوت 116

وما قاله من الشعر في ذلك.....116
صوت 117
صوت 118
صوت 118
صوت 119
صوت 119
صوت 119
صوت 119
صوت 119
صوت 120
صوت 120
صوت 121
وفاة عمر بن أبي ربيعة 122
أخبار ابن سريج ونسبه.....122
نسب ابن سريج وشيء من أوصافه 122
أنه أول من ضرب بالعود الفارسي 123
على الغناء العربي.....123
أم ابن سريج.....123
الأشخاص المعدودون أصولاً للغناء العربي.....124
أول شهرة ابن سريج بالغناء.....124
لحن إسحاق في تشكى الكميت.....125
مأخوذ من لحن الأبجر في يقولون. أبكاك البيت.....125
صوت 125
مولده ووفاته واشتغاله بالغناء بعد النياحة.....125
ابن سريج وعطاء بن أبي رباح 126
صوت.....127
ابن سريج ويزيد ابن عبد الملك.....127
غناء ابن سريج في طريق الحاج.....128
ووقفه الناس بحسن غنائه 128
صوت 128

صوت 130
صوت 130
صوت 130
إجلال المغنين له وعلو كعبه 130
في صنعة الغناء 130
صوت 131
صوت 131
صوت 132
عدد الأصوات التي غنى فيها 132
صوت 134
صوت 134
صوت 134
صوت 134
صوت 134
صوت 135
صوت 135
صوت 135
تنافر معبد ومالك بن أبي السمح إليه 135
في صوتين غنياهما 135
صوت 136
صوت 136
صوت 137
مضادة ابن سريج للغريض ومعارضة الغريض له 137
تقدير ابن أبي عتيق لابن سريج 137
اعتراف معبد لابن سريج بالسبق 137
عليه في صنعة الغناء 137
أبو السائب المخزومي وأغاني ابن سريج 138
تغنيه بمسمع من عطاء بن أبي رباح 138
وتفضيله ابن سريج على الغريض 138
صوت 140

صوت 140
إذا أعجزك أن تطرب القرشي 141
فغنه غناء ابن سريج في شعر ابن أبي ربيعة 141
صوت 142
صوت 142
صوت 143
صوت 143
صوت من المائة المختارة 143
في رواية جحظة 143
اتفاق المغنين على تفضيل لحن ابن سريج 143
"وليس بتزويق اللسان... الخ" 143
تفضيل غناء ابن سريج 144
على غناء معبد ومالك بن أبي السمح 144
تغني رقطاء الحبطية برمله 144
في شعر ابن عمارة السلمي 144
صوت 145
غناؤه مخلوق من قلوب الناس جميعاً 145
تغني ابن سلمة الزهري بغنائه 145
والتقاء ابن سلمة الزهري والأخضر الجدي ببئر الفصح 145
صوت 146
صوت 146
تغني الذلفاء بلحن ابن سريج 146
صوت 146
تأثير غناء ابن سريج في الحاج 147
مذاكرة ابن المهدي وإسحاق في تفضيله 147
الأحوص وابن سريج 147
صوت 148
ارتحال جرير إلى مكة ليسمع غناءه 148
الوليد بن عبد الملك وابن سريج 149
صوت 150

عتاب الناس له في صنعة الغناء.....152
ثم رجوعهم بعد أن يسمعوا صوته.....152
صوت 153
صوت 153
صوت 154
صوت 154
صوت 154
صوت 155
صوت 155
صوت 156
رجع الخبر إلى أحاديث ابن سريج 156
ابن سريج أحسن الناس غناء 156
ابن سريج ببعض أندية مكة 156
ابن سريج مع فتية من بني مروان 157
صوت 157
صوت 157
مدح جرير الشاعر لغناء ابن سريج.....158
غناء رقطاء الحبطية وصفراء العلقمية.....158
وتحكيم الأفلح المخزومي في ذلك.....158
ثناء جرير المديني على ابن سريج.....159
ثناء الشعبي عليه.....159
ثناؤه على نفسه في تغنيه بشعر لعمر 159
صوت 159
وصفه للمصيب المحسن من المغنين 160
يزيد بن عبد الملك ومولى حبابة المغنية.....160
سماع عطاء وابن جريج لغناء ابن سريج 160
غناؤه ووقفة الحاج لاستماعه.....160
عند بستان ابن عامر 160
استحقاق ابن سريج لجائزة سليمان.....161
صوت 161

وفاة ابن سريج في خلافة سليمان.....161
ابن عبد الملك أو في آخر خلافة الوليد.....161
صوت 162
صوت من المائة المختارة 164
ثالث الثلاثة الأصوات المختارة.....164
ذكر نصيب وأخباره 164
نسب نصيب ونشأته.....164
مبدأ قوله الشعر واتصاله بعبد العزيز 165
ابن مروان بمصر 165
نصيب وأيمن بن خريم الأسدي.....166
أول من نوه باسم نصيب لعبد العزيز 167
أم بشر بن مروان ابن الحكم.....169
كان إذا أصاب مالا قسمه في مواليه.....170
وكان فيه كأحدهم وظل كذلك حتى مات 170
نصيب والفرزدق بحضرة سليمان.....170
نصيب وعبد العزيز بجبل المقطم 171
نصيب وجرير.....171
هشام بن عبد الملك ونصيب 171
نصيب وإعتاقه ذوي قرابته 171
استعجاله جائزة عند عبد العزيز 172
ابن مروان، وليلى أم عبد العزيز 172
شرف نصيب لشعره.....172
خطبة ابن نصيب بنت سيده 172
وما فعله نصيب في ذلك 172
نصيب وعبد الملك حين أراد منادمته 173
سبب تسميته بهذا الاسم 173
فصاحته وتخلصه إلى جيد الكلام 173
صدق الحديث مع عبد العزيز فأجازه.....173
أوصاف نصيب الجسمية 174
نصيب وعبد الله بن جعفر.....174

نصيب ونسوة أردن سماع شعره.....174
تغنى منقذ الهلالي بشعر نصيب.....174
عفة نصيب في شعره.....175
نصيب وعمر بن عبد العزيز.....175
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.....175
صوت.....175
قصة نصيب مع امرأة عجوز بالجحفة.....176
كان يختلف إليها.....176
حديث النصيب مع امرأة من ملل.....176
كان الناس يتزلون عندها.....176
عمر ينهاه عن التشبيب بالنساء.....176
اجتماع النصيب والكميت ذي الرمة.....177
وتناشدهم الشعر.....177
نصيب وعبد الرحمن بن الضحاك.....177
ابن قيس الفهري.....177
شعر لنصيب في الجفر من نواحي ضرية.....178
نصيب وعبد الملك بن مروان.....178
ابن مروان كل عام يستميحه العطاء.....179
نصيب وشاعر هجاه من أهل الحجاز.....179
شعره في جارية طلبت منه أن يشبب بها.....180
قصته مع جارية خطبها فأبت ثم تزوجته.....180
استجادة الأصمعي شعراً لنصيب.....181
نصيب وجرير.....181
نصيب والوليد بن عبد الملك.....181
نصيب ووصفه لشعره وشعر معاصريه.....181
نصيب وكثير والأحوص.....182
في مجلس امرأة من بني أمية.....182
رثاء نصيب عبد العزيز وقد مات بسكر.....184
من قرى الصعيد.....184
نصيب وعبد الله بن إسحاق البصري.....185

نصيب وإبراهيم بن هشام 185
نصيب وأم بكر الخزاعية..... 185
نصيب وشيء من أوصافه الخلقية..... 185
نصيب وابن أبي عتيق 186
نصيب والحكم بن المطلب..... 186
نصيب وكثير عند أبي عبيدة..... 187
ابن عبد الله بن زمعة 187
نصيب ويزيد بن عبد الملك..... 188
نصيب وإبراهيم بن هشام 188
نصيب وهشام بن عبد الملك 189
نصيب وعبد الواحد النصري أمير المدينة..... 189
عشقه أمة لبني مدلج وشعره فيها..... 191
عبد العزيز يحمل دينا عن نصيب 191
نصيب والنسوة الثلاث في المسجد الحرام 191
أخبار ابن محرز ونسبه 192
نسب ابن محرز..... 192
ابن محرز أول من غنى الرمل..... 193
سبب خمول ذكره..... 193
ابن محرز أول من غنى بزوج من الشعر..... 193
واقتدى به المغنون في ذلك..... 193
علو كعبه في صنعة الغناء..... 193
صوت 194
ابن محرز وحنين الحيري 194
صوت 194
صوت 195
ذكر الأصوات التي رواها جحظة..... 195
عن أصحابه وحكى أنها من الثلاثة المختارة 195
صوت..... 195
أخبار العرجي ونسبه 195
نسب العرجي من قبل أبويه 195

ونحوه نحو عمر بن أبي ربيعة في شعره.....196
العرجي خليفة عمر بن أبي ربيعة 197
العرجي وكلابة مولاة العبلى 197
صوت 198
أيوب بن مسلمة وأشعب يتذكران شعره 199
شعره في عاتكة زوجة طريح الثقفي 200
صوت 200
حكاية يرويها ابن مخارق عن العرجي.....201
غنى العرجي.....201
العرجي وأم الأوقص 201
وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومي القاضي.....201
ابو السائب المخزومي وشعر العرجي 202
ابن أبي عتيق وشعر العرجي 203
شعر العرجي في زوجته أم نعمان.....203
بنت بكير بن عمرو بن عثمان بن عفان 203
العرجي وأبو عدي العبلي 203
كان العرجي من أفرس الناس وأرماهم.....205
وأبراهم لسهم.....205
حبس العرجي.....205
تمثل امرأة بشعره في الحج.....205
صوت 205
غناء عبد الله بن العباس الربيعي بشعره.....206
هجاؤه محمد بن هشام المخزومي 206
وتشبيبه بأمه 206
صوت 207
تشبيبه بزوجة محمد بن هشام.....208
صوت 208
اضطغان ابن هشام عليه وحبسه 209
وما كان يقوله العرجي من الشعر في ذلك.....209
صوت 211

وأخيه وإبراهيم بن هشام.....212
أضاعوني.....213
صوت.....213
الجزء الثاني.....214
أخبار مجنون بني عامر ونسبه.....214
نسبه وتصحيح اسمه.....214
قيل كانت به لوثة و لم يكن مجنوناً.....214
اختلاف الرواة في وجوده.....214
لقب بالمجنون كثيرٌ غيره.....216
وكلهم كان يشبب بليلى.....216
إنكار وجوده.....217
والقول بأن شعره مولد عليه.....217
بدء تعشقه ليلى.....218
صوت.....218
صوت.....220
قصته مع عمر بن عبد الرحمن بن عوف.....220
صوت.....222
صوت.....222
صوت.....222
حجه مع أبيه إلى مكة لسلوان ليلى.....223
ودعوته هو استزادة حبها ودوامه.....223
صوت.....223
سؤاله زوج ليلى عن عشرته معها.....224
صوت.....225
مروره بجبلي نعمان وشعره في ذلك.....225
صوت.....225
ارتحال أهل ليلى وما قاله في ذلك.....225
حديثه مع نسوة فيهن ليلى.....226
صوت.....226
صوت.....227

حديث اتصاله بليلى في صباه.....228
حدث الأصمعي أنه لم يكن مجنوناً.....228
صوت.....229
شيء من أوصافه.....229
زيارة ليلى له وحديثه معها.....230
سبب جنونه بيت شعر قاله.....230
سبب تسميته المجنون.....230
واختلاف الرواة في ذلك.....230
صوت.....232
الحديث عن تكنيته ليلى بأم مالك.....232
صوت.....232
صوت.....233
جنونه بليلى وهيامه على وجهه.....233
من أجلها.....233
صوت.....233
صوت.....234
صوت.....236
صوت.....236
مروره على حمامة تهدل.....237
وما قال في ذلك من الشعر.....237
هيامه إلى نواحي الشأم.....238
وما يقوله من الشعر عند عوده ورؤية التوباد.....238
سبب ذهاب عقله.....238
شعره حين توهم هاتفا باسم ليلى.....239
شعر له في منى وغيرها.....239
يرويه غرير بن طلحة.....239
صوت.....240
خطبة ليلى برجل من ثقيف.....240
وما قاله المجنون في ذلك من الشعر.....240
صوت.....240

خبر أبي الحسن الببغاء 241
والمرأة التي أحبت صديقاً له من قريش 241
صوت 241
صوت 242
رجع الخبر إلى سياق أخبار المجنون 242
رأى المجنون أبيات أهل ليلى فقال شعراً 242
صوت 243
حديث ليلى جارة لها من عقيل 243
خروج ليلى مع زوجها وشعره فيه 243
صوت 244
وعظه رجل من بني عامر فأنشده شعراً 244
صوت 244
صوت 244
لقاؤه في توحشه ليلى وشعره في ذلك 245
خبر نوفل بن مساحق مع المجنون 246
صوت 247
قصديته اليائية 247
صوت 247
صوت 248
صوت 248
رثاؤه لأبيه 248
وعظه رجل من بني جعدة فقال شعراً 249
صوت 249
شعره في حمام يتجاوب 249
صوت 249
خروج زوج ليلى وأبيها إلى مكة 249
واختلاف المجنون إليها 249
مرض و لم تعده ليلى فقال شعراً 250
صوت 250
خبر الظبي الذي ذكره 250

شعره وقد بلغه أن زوج ليلى سبه 251
خبر رفقة أبوا صحبته إلى رهط ليلى 251
صوت 251
هتفت حمامة فقال شعراً 252
صوت 252
مرور رجل به وهو برمل يبرين 252
مر به نفر من اليمن فقال شعراً 252
صوت 253
رحيل زوج ليلى بها وشعره بذلك 253
صوت 253
وقد رحل بها زوجها 254
صوت 254
صوت من المائة المختارة 254
خبر ظبية سأل صياديها أن يطلقاها 255
صوت 255
خبره مع نسوة عذلنه في ليلى 255
أودع رجلاً شعراً ينشده ليلى 256
صوت 256
صوت 257
أبوه يحتال أن يبلغه أن ليلى تشتمه 257
صوت 257
صوت 257
وصف لليلى فبكت وقالت شعراً 258
خبر شيخ من بني مرة لقيه ميتاً في واد 258
صوت 260
ندم أبي ليلى على عدم تزويجه بها 260
بكاء أبي ليلى على المجنون 261
وشعر وجد بعد موت المجنون في خرقة 261
صوت 261
عوتب على التغني بالشعر فقال 261

صوت 261
التقاؤه بقيس بن ذريح 262
وطلبه منه إبلاغ سلامه لليلى 262
رأى ليلى فبكى ثم قال شعراً 262
صوت من المائة المختارة 263
من رواية علي بن يحيى 263
عظة عدي بن زيد للنعمان بن المنذر 263
وتنصر النعمان 263
ذكر عدي بن زيد ونسبه وقصته ومقتله 264
نسبه 264
تعلم عدي بن زيد الفارسية 266
ابن المنذر وسبب الخلاف بينه وبين عدي بن مرينا 268
الغناء في شعر عدي بن زيد 288
صوت 288
صوت 288
صوت 289
صوت 290
صوت 290
صوت 290
صوت 291
صوت 291
صوت 291
صوت 292
صوت 292
صوت من المائة المختارة 293
خبر الحطيئة ونسبه 293
والسبب الذي من أجله هجا الزبرقان بن بدر 293
نسبه 293
إسلامه وارتداده وشعره في ذلك 294
سبب لقبه الحطيئة 294

انتماؤه إلى بني ذهل ابن ثعلبة.....294
خبره مع أخويه من أوس بن مالك.....295
خبره وقد سأل أمه من أبوه 295
خبره مع إخوته من بني الأفقم.....296
تزوجت أمه فهجاها 296
كان هجاء دنيء النفس فاسد الدين.....297
متانة شعره.....298
أنشد عمر شعراً هجا به قومه 298
ومدح إبله 299
دخوله حفل سعيد بن العاص.....299
خبره مع عتيبة بن النهاس.....299
ليس في شعره مطعن 300
كان بخيلاً يطرد أضيافه.....301
كان يقول إنما أنا حسب موضوع.....301
هجاؤه أضيافه وقد ضافه صخر بن أعيى فتهاجيا.....301
كتب له الأصمعي أربعين قصيدة في ليلة.....303
قوله لا يذهب العرف مكتوب في التوراة 303
أوصى ابن شداد ابنه محمداً بشعره.....303
مدحه أبا موسى الأشعري.....304
كذبه عمر في بيت قاله.....304
أراد سفراً فاستعطفته امرأته فرجع 304
رؤية صاحب الحطيئة الجني.....305
ابن شبرمة يستجيد شعره.....305
نزوله على بني مقلد بن يربوع.....305
خبره مع الزبرقان وسبب هجائه إياه.....306
مكثه في بني قريع.....312
إلى أن أخصبوا وأجازوه فرحل عنهم ومدحهم 312
سؤاله ابن عباس في هجاء الناس 313
الزبرقان وبنو أنف الناقة.....314
وصيته عند موته بالشعراء والفقراء.....314

الغناء في شعر الحطيئة.....316
صوت 316
صوت 316
عده بعضهم أشعر الناس.....317
كذبه سيدنا عمر في شعر له.....317
صوت 318
صوت 318
أخبار ابن عائشة ونسبه.....318
اسمه وكنيته ونسبه إلى أمه 318
كان يفتن كل من سمعه 319
وأخذ عن معبد ومالك.....319
صوت 320
نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني.....320
صوت 321
صوت 321
غنى بالموسم فحبس الناس عن المسير.....321
صوت 322
غنى الوليد بحضرة معبد ومالك 322
نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني.....323
صوت 323
صوت 324
صوت 324
صوت 325
صوت 325
طرب أبي جعفر الناسك لغناء ابن عائشة 325
نسبة هذا الصوت.....326
صوت 326
أكرهه الحسن ليخرج معه إلى البغيبغة ليغنيه.....327
صوت 327
صوت 328

نسبة ما لم تمض نسبته في الخبر من هذه الأصوات.....328
صوت 328
صوت 330
غنى الوليد فطرب وقبل كل أعضائه 331
صوت 331
أمر لمحتاج بمال فابى إلا سماعه.....332
فحكى ذلك للوليد فجعله في ندمائه.....332
سمع الشعبي غناءه فمدحه.....333
نسبة هذا الصوت.....333
صوت 333
حج ولقيه جماعة من قريش.....333
فاحتالوا عليه حتى غنى لهم.....333
نسبة هذا الغناء.....334
صوت 334
صوت 335
سبب موته.....336
كان يعشق شعر الحطيئة.....336
وفاة ابن عائشة 337
بكى عليه أشعب فأضحك الناس.....338
نسبة هذا الصوت الذي غناه 338
صوت 338
كان مالك بن أنس يكره الغناء.....338
خبر ابن عائشة وابن أذينة 339
وطلبه إليه أن يقول له شعراً يغنيه.....339
غنى للوليد بن يزيد بمكة فأجازه 339
ومن المائة صوت المختارة من أغانيه 340
غناؤه في صوت من المائة الصوت المختارة.....340
صوت 340
أخبار ابن أرطاة ونسبه 340
نسبه.....341

وكان حليفاً لبني أمية ومدحهم..... 341
أصابه خمار فداواه منه الوليد بن عثمان..... 342
حده مروان بالخمر ومنع منه معاوية..... 343
كان مع سعيد بن عثمان حين قتله..... 346
وهرب عنه ثم رثاه..... 346
صوت..... 348
بنو مطيع وذمه لهم..... 348
ما وقع له مع إمرأته بسبب سكره..... 349
حثه ابن عمه على شرب الخمر..... 349
شعره في الوليد وقد حماه من أخواله..... 350
صوت..... 350
خبره مع سعيد بن العاص..... 350
أحد الأصوات من المائة المختارة..... 351
من رواية علي بن يحيى..... 351
أخبار ابن ميادة ونسبه..... 352
نسبه..... 352
سمع الفرزدق شيئاً من شعره فانتحله..... 355
كان له أخوان شاعران..... 356
وقد أتاهم الشعر من قبل جدهم زهير..... 356
أوصاف ابن ميادة..... 356
مقارنة بينه وبين النابغة..... 356
هو كثير السقط في شعره..... 356
كان زمن هشام وبقي إلى خلافة المنصور..... 357
مدح بني أمية وبني هاشم..... 357
علم أنه شاعر حين وافق الحطيئة..... 357
في بيت قاله..... 357
كان ينسب بأم جحدر وشعره فيها..... 357
صوت..... 360
صوت..... 362
سيار يروي خبر جاريته..... 362

ابن ميادة وصخر بن الجعد الخضري.....363
أم جحدر وهجاء الحكم وعملس لها.....365
الحكم ولقاء ابن ميادة وتهاجيهما.....368
صوت.....368
ضربه إبراهيم بن هشام لدعواه أنه فضل قريشا.....369
ابن ميادة والحكم بعريجاء.....369
صوت.....373
الوليد بن يزيد يفضله على الشعراء.....374
سبب الهجاء بينه وبين شقران.....375
تفاخره مع عقال بالشعر.....376
شعره في حنينه إلى وطنه.....377
وحوار الوليد إياه.....377
عارض ابن القتال وانتحل بيتاً من شعره.....378
جازه الوليد إبلاً فأرادوا إبدالها فقال شعراً.....378
شعره في رثاء الوليد.....378
ابن ميادة وعثمان بن عمرو.....379
ابن عثمان بن عفان.....379
ابن ميادة وسنان بن جابر.....379
رجع إلى الشعر.....380
ابن ميادة وزينب بنت مالك.....381
أعطاه الوليد جارية فقال فيها شعراً.....381
ملاحاته مع رجل من بني جعفر.....382
كان بخيلاً لا يكرم أضيافه.....382
وسأله الوليد من تركت عند نسائك.....382
مدحه لأبي جعفر المنصور.....383
قوله فيما أصاب الحاج من المطر.....383
كان ينشد من شعره فيستحسنه الناس.....384
ابن ميادة وعبد الواحد بن سليمان.....385
التقاؤه جماعة يرتجزون بشعره.....386
تمثل بعض ولد الحسن بشعره.....387

مدحه لجعفر بن سليمان أميرالمدينة 387
هجا بني أسد وبني تميم..... 388
ابن ميادة وسماعة بن أشول..... 389
هجاه عبد الرحمن بن جهيم الأسدي 389
ابن ميادة وأبان بن سعيد..... 390
ابن ميادة وأيوب بن سلمة 391
ابن ميادة ورياح ابن عثمان 391
تشبيبه بالنساء..... 391
وخطب إلى بني سلمى بن مالك..... 392
فلم يزوجوه فقال شعراً..... 393
مات في صدر خلافة المنصور..... 393
أخبار حنين الحيري..... 393
نسبه..... 393
صوت 393
غنى هشام بن عبد الملك في الحج 394
صوت 394
صوت 394
صوت 395
خاف أن يفوقه ابن محرز بالعراق 395
فرده عنه..... 395
صوت 396
خرج إلى حمص وغنى بها..... 396
فلم يستطعم أهلها غناؤه 396
غنى خالد القسري بعد ما حرم الغناء..... 397
صوت 397
غنى بشر بن مروان بحضور الشعبي..... 397
شيء من أوصاف الحيرة..... 398
عمره ونسبه 399
غنى حفيده لإبراهيم بن المهدي..... 399
وقص عليه خبر جده مع ابن سريج..... 399

نسبة ما في الخبر الأول من الغناء.....401
صوت 401
صوت 402
صوت من المائة المختارة 402
ابن أبي ربيعة مع بنت عبد الملك.....402
ذكر الغريض وأخباره 403
اسمه وكنيته وسبب لقبه 403
أخذه الغناء عن ابن سريج.....403
فلما رأى ابن سريج مخايل التفوق فيه حده وطرده.....403
تعلم النوح وكان ينوح في المآتم 404
عداده في الأربعة المشهورين بالغناء 404
غنى الناس بجمع فحسبوه من الجن.....405
نسبة هذا الصوت.....405
صوت 405
غنى هو ومعبد وابن سريج 405
على أبي قبيس فعفا الوالي عنهم بعد الأمر بنفيهم 405
صوت 406
غنت شطباء المغنية علي بن جعفر فطرب.....406
لما ماتت الثريا ناح عليها الغريض.....407
صوت 407
تحاكم هو وابن سريج إلى سكينة.....407
بنت الحسين فساوت بينهما.....407
نسبة هذا الصوت.....407
صوت 407
غنى عطاء بشعر العرجي فرده عليه 408
قصة الأوقص المخزومي مع سكران يغني.....408
عطاء بن رباح والأبجر المغني.....408
ابن أبي عتيق والغريض 409
غنى بعض أهل المدينة فطربوا لغنائه.....409
نسبة هذا الصوت.....410

صوت 410
كان عمر وجميل يتعارضان في الشعر 410
سمع الفرزدق شعر ابن أبي ربيعة فمدحه 411
صوت 411
صوت 411
رجع الحديث إلى أخبار الغريض 412
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء 413
صوت 413
صوت 413
أرسله ابن أبي ربيعة إلى سكينة 413
فغناها ونسوة معها بشعره 413
نسبة هذا الغناء 414
صوت 414
صوت 415
غنى عائشة بنت طلحة فأجزلت صلته 415
نسبة هذا الصوت 416
صوت 416
كان اذا غنى بشعر لكثير قال أنا سريجي 417
قدم يزيد مكة فغناه الغريض 417
غضب عاتكة على زوجها عبد الملك 417
بن مروان احتيال عمر بن بلال على الصلح بينهما 417
رأس ابن الأشعث و عبد الملك 418
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء 419
صوت 419
خرج إليه معبد بمكة وسمع غناءه 419
للغريض و لم تذكر طريقته 419
صوت 419
خبر جميل وبثينة 420
وتوسيطه رجلاً من بني حنظلة في لقائها 420
صوت 422

صوت 423
قال ابن أبي ربيعة في شعر له القريض 423
فغيره الغريض باسمه لما غناه 423
نسبة هذا الصوت 424
صوت 424
الوليد وابن أبي ربيعة والغريض 424
صوت 425
وصف نصيب لنفسه وللشعراء الثلاثة 425
جميل وكثير وابن أبي ربيعة 425
سمع أصوات رهبان فصنع لحناً عليها 426
نسبة هذا الصوت 426
صوت 426
إبراهيم بن أبي الهيثم والرجل الناسك 426
هروبه إلى اليمن خوفاً من ابن علقمة 427
نسبة هذه الأصوات 428
صوت 428
صوت من المائة المختارة 429
في رواية جحظة 429
أخبار الحكم بن عبدل ونسبه 429
نسبه ونشأته 429
كان يكتب بحاجته على عصاه فلا ترد 429
حبس هو وأبو علية صاحبه 430
قوله وقد ولي الشرطة والإمارة أعرجان 431
ولقي سائلاً أعرج 431
ابن عبدل وعبد الملك بن بشر 431
هجاؤه ابن حسان وقد تزوج قيسية 432
مسامرته امرأة تنشد شعره 432
خبر وفوده على ابن هبيرة 433
رثاؤه قوماً من بني غاضرة 433
هجاؤه ابن حسان لحاجة لم يقضها له 434

ابن عبدل وأبو المهاجر 435
ابن عبدل وعمر بن يزيد الأسدي 436
ابن عبدل يقتضي ديون امرأة من الكوفة 436
ابن عبدل وعبد الملك بن بشر 436
ابن عبدل وبشر بن مروان 437
ابن عبدل وقد طلبه بن هبيرة للغزو 437
أعفاء الحجاج من الغزو 437
تزوج همدانية ولما كرهها قال 438
فيها شعراً 438
كان منقطعاً إلى بشر بن مروان 438
فلما مات رثاه 439
خروجه مع عمال بني أمية إلى الشأم 439
وكان يسمر عند عبد الملك فأنشده ليلة شعراً 439
يزيد بن عمر بن هبيرة وبنت ابن عبدل 439
ابن عبدل وصاحب العسس 440
ابن عبدل يعرض بابن هبيرة في شعره 440
وولدت له جاريةٌ سوداء ولداً 440
فقال فيه شعراً 440
هجا عمر بن يزيد الأسدي لبخله 441
ابن عبدل ومحمد ابن عمير 441
كاتب عبد الملك بن بشر 441
خطب امرأة فابت 441
فقال فيها شعراً يعيرها 441
ولد له ولد سماه بشراً تيمناً ببشر 442
ابن مروان 442
فضله الحجاج في الجائزة على الشعراء 443
أحد الأصوات المائة المختارة 443
الجزء الثالث 445
ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه 445
نسبه 445

أخذه بثأر أبيه وجده 445
واستعانته في ذلك بخداش بن زهير 445
استنشد رسول الله شعره وأعجب بشجاعته 447
صفاته الجثمانية 448
أمر حسان الخنساء بهجوه فأبت 448
عرض عليه رسول الله 449
صلى الله عليه وسلم الإسلام فاستنظره حتى يقدم المدينة: 449
مهاجاته حسان بن ثابت 449
غنت عزة الميلاء النعمان بن بشير بشعره 450
بن خالد بن عطية الأوسية ثم إحدى بني عمرو بن عوف 451
ومما فيه صنعة من المائة المختارة 453
صوت 453
الشعر لقيس بن الخطيم سوى البيت الثالث. 453
والغناء لقفا النجار 453
سبب قول قيس لهذا الشعر 453
صوت 455
ذكر طويس وأخباره 458
اسمه وكنيته 458
أول من غنى بالعربية في المدينة 458
وألقى الخنث بها: 458
شؤمه 458
صوت 458
ولقد كان معظماً لمواليه بني مخزوم 459
كان يلقب بالذائب وسبب ذلك 459
أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال أخبرني ابن الكلبي عن أبي مسكين قال: 459
طلبه مروان في المخنثين 460
ففر منه حتى مات: 460
هيت المخنث وبادية بنت غيلان 460
فيه ولد لعبد الله بن أبي أمية: 461
ضافه عبد الله بن جعفر فأكرمه وغناه 461

مدح ابن سريج غناءه 462
تبع جارية فزجرته ثم تغنى بشعر 463
حديث طويس والرجل المسحور 463
قصة عروة وامرأته سلمى الغفارية 464
كان يغري بين الأوس والخزرج 465
ويتغنى بالشعر الذي قيل في حروبهم: 465
رأي عمر بن عبد العزيز في شعره 466
ومما في المائة المختارة من أغاني طويس 467
صوت من المائة المختارة 467
من صنعة قفا النجار 467
صوت من المائة المختارة 468
ذكر الدرامي وخبره ونسبه 468
نسبه وكان من الشعراء وأرباب النوادر 468
وكان الدرامي في أيام عمر بن عبد العزيز 468
وكانت له أشعار ونوادر، وكان من ظرفاء أهل مكة، وله أصوات يسيرة. وهو الذي يقول: 468
شبب بذات خمار اسود 468
فنفقت الخمر السود و لم تبق فتاة إلا لبسته: 468
صوت 469
بخله وظرفه 469
الدارمي وعبد الصمد بن علي 470
الدارمي مع نسوة من الأعراب 470
الدارمي والأوقص القاضي 470
نادرة له مع عبد الصمد بن علي 471
نادرة له في مرضه 471
صوت من المائة المختارة 471
أخبار هلال ونسبه 471
نسبه وهو شاعر أموي شجاع أكول 471
حكايات عن قوته 472
أدى عنه ديسم الدية لبني جلان فمدحه 478
حبسه بلال بن أبي بردة وأفنكه فيسم 479

الحديث عن هلال في نهمه وكثرة أكله 479
حدث أبو عمرو بن العلاء أنه لم ير أطول منه 480
غنى مخارق الرشيد فأعتقه 480
صوت من المائة المختارة 481
من رواية جحظة عن أصحابه 481
أخبار عروة بن الورد ونسبه 481
نسبه، شاعر جاهلي فارس جواد مشهور 481
كان يلقب بعروة الصعاليك وسبب ذلك 482
شرف نسبه وتمنى الخلفاء أن يصاهروه 482
أو ينتسبوا إليه: 482
قال الحطيئة لعمر بن الخطاب 482
كنا نأتم في الحرب بشعره: 482
قال عبد الملك إنه أجود من حاتم 482
خبر عروة مع سلمى 483
سببته وفداء أهلها بها: 483
كان يجمع الصعاليك ويكرمهم ويغير بهم 484
أغار مع جماعة من قومه على رجل 485
فأخذ إبله وامرأته ثم اختلف معهم فهجاهم: 485
قصته مع هزلي أغار على فرسه 487
صوت من المائة المختارة 489
ذكر ذي الإصبع العدواني ونسبه وخبره 489
نسبه وهو شاعر فارس جاهلي 489
فنيت عدوان فرثاها 490
صوت 490
استعراض عبد الملك أحياء العرب 491
وسؤاله عن ذي الإصبع: 491
قصته مع بناته الأربع وقد أردن الزواج 492
خرف واهترأ وقال في ذلك شعراً 493
صوت 494
وصيته لابنه عند موته 495

صوت 495
شعره في ابن عمه وقد عاداه..... 496
سبب تفرق عدوان وتقاتلهم 497
قصيدته في رثاء قومه..... 499
شعره في الكبر 500
ذكر قيل مولى العبلات 501
ولاؤه وغناؤه 501
صوت 501
أبو دهبل الجمحي..... 501
صوت من المائة المختارة 502
صوت من المائة المختارة 503
خبر غريض اليهودي 503
نسبه وأصل قومه..... 503
نسب له شعر هو لورقة بن نوفل..... 503
ذكر ورقة بن نوفل ونسبه 504
نسبه وهو جاهلي اعتزل عبادة الأوثان 504
نسبة مافي هذا الشعر من الغناء..... 505
صوت 505
مدح النبي صلى الله عليه وسلم له 506
والنهي عن سبه: 506
خبر زيد بن عمرو ونسبه..... 506
نسبه من قبل أبويه 506
وكان أحد من اعتزل عبادة الأوثان 506
شعره في ترك عبادة الأوثان 507
امتناعه عن ذبائح قريش..... 508
وقصته مع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك: 508
زهير بن جناب وشعره في الكبر 509
مدرج الريح وسبب التسمية..... 509
صوت 509
سعية بن غريض وشعره وهو يحتضر 510

سعية بن غريض ومعاوية بن أبي سفيان 510
صوت 511
أخبار ابن صاحب الوضوء ونسبه 511
نسبه وولاؤه وسبب تسمية أيه 511
مدح يونس الكاتب غناءه 511
نقل له صوت فغناه في المحراب 512
صوت من المائة المختارة 512
التي رواها علي بن يحيى 512
أخبار بشار بن برد ونسبه 512
نسبه وكنيته وطبقته في الشعراء 512
كان أبوه طساناً 513
أنشد للمهدي شعراً في أنه عجمي 513
بحضور أبي دلامة: 513
كان كثير التلون في ولائه 514
للعرب مرة وللعجم أخرى: 514
كان يلقب بالمرعث وسبب ذلك 515
كان أشد الناس تبرماً بالناس 515
صفاته 515
كان يقول أزري بشعر الأذان 516
قال الشعر وهو ابن عشر سنين 517
كان الأصمعي يقول هو خاتمة الشعراء 517
جودة نقده للشعر 517
رأي أبي عبيدة فيه وفي ابن أبي حفصة 517
كلام الجاحظ عنه 518
رأي الأصمعي فيه وفي ابن أبي حفصة 519
مقارنته بامرىء القيس والقطامي 519
صوت 520
مقارنة بينه وبين مروان بن أبي حفصة 520
كان شعره سياراً يتناشده الناس 520
هو أول الشعراء في جملة من اغراض الشعر 521

صوت 521
هجا صديقه ديسماً لأنه يروي هجاءه 522
مزاحه مع حمدان الخراط 522
مفاخرة جرير بن علي 522
اعتداده بنفسه 523
وعدته امرأة واعتذرت فعاتبها بشعر 523
كان إسحاق الموصلي لايعتد ببشار 524
أنشد إبراهيم بن عبد الله هجوه للمنصور 524
ولما قتل غيرها وجعلها في هجو أبي مسلم: 524
حديث بشار في المشورة 525
بشار والمعلي بن طريف 526
بشار ويزيد بن منصور الحميري 526
ترك جواب رجل عاب شعره للؤمه 526
وصف قاص قصراً كبيراً في الجنة فعاب 526
سمع صخباً في الجيران فقال 527
كأن القيامة قامت: 527
نكتة له مع رجل رمحته بغلة فشكرالله 527
مات ابن له فرثاه 527
نوادره 528
سئل عن شعره الغث فأجاب 528
شعره في قينة 529
أغضبه أعرابي عند مجزأة فهجاه 530
خشي لسانه حاجب محمد بن سليمان 531
فأذن له بالدخول: 531
بشار وهلال الرأي 531
حديثه مع نسوة أخذن شعره لينحن به 532
صوت 532
نهاه مالك بن دينار عن التشبب بالنساء 533
فقال شعراً: 533
شعره في محبوبته فاطمة 533

عبث به رجل من آل سوار فلم يجبه.....534
مدح خالد البرمكي.....534
بشار وصديقه تسنيم بن الحواري.....535
كان يهوى امرأة من البصرة.....537
وقال فيها الشعر لما رحلت:.....537
صوت.....537
صوت.....537
بشار وأبو جعفر المنصور.....537
كان له شعر غث يعير به.....538
صوت.....539
أنشده أبو النضير شعره فاستحسنه.....539
حاول تقبيل جارية لصديق له.....539
كتب شعرا على باب عقبة يستنجزه وعده.....540
نهي المهدي له عن التشبيب بالنساء.....540
وسبب ذلك:.....540
ورد على خالد البرمكي بفارس وامتدحه.....541
تظاهر بالحج وخرج لذلك.....542
مع سعد بن القعقاع:.....542
أنكر عليه داود بن زرين أشياء فأجابه.....542
بشار والثقلاء.....543
أنشد الوليد شعره في المزاج بالريق فطرب.....543
شعره في قينة.....544
شعره في عقبة بن سلم.....544
صوت.....544
رواة شعره.....545
قيل له إن فلانا سبك عند الأمير فهجاه.....545
شعر له في مدح خالد بن برمك.....546
عمر بن العلاء ومدائح الشعراء فيه.....546
صوت.....547
شعره في جارية له سوداء كان يفترشها.....547

ليم في مبالغته في مدح عقبة بن سلم فأجاب.....547
طلب منه أبو الشمقمق الجزية.....548
فرده فهجاه فأعطاه:.....548
شعره في هجاء العباس بن محمد.....548
اجتمع بعباد بن عباد وسلم عليه.....549
كان إسحاق الموصلي يطعن في شعره.....549
ولما أنشد منه سكت:.....549
صوت.....549
غضبه على سلم الخاسر.....551
لأنه سرق من معانيه:.....551
صوت.....551
أنشد الأصمعي شعره فغاظه فخره بنسبه.....552
حديثه مع امرأة في الشيب.....552
دخل إليه نسوة وطلب من إحداهن.....552
أن تواصله فأبت فقال شعراً:.....552
اعترض مروان بن أبي حفصة على.....553
بيت من شعره فأجابه:.....553
مدح خالداً البرمكي فأجازه.....553
مدح الهيثم بن معاوية وأخذ جائزته.....553
طلب رجلاً من بني زيد للمفاخرة.....554
وهجاه فانقطع عنه:.....554
ضمن مثلاً في شعره عند عقبة.....555
ابن سلم واستحق جائزته:.....555
قصته مع قوم من قيس عيلان.....555
نزلوا بالبصرة ثم ارتحلوا:.....555
بشار وجعفر ين سليمان.....556
سئل عن ميله للهجاء فأجاب.....556
بشار في صباه.....556
مائتا دينار لشعره في مطاولة النساء.....557
عاب الأخفش شعره.....557

ثم صار بعد ذلك يستشهد به لما بلغه أنه هم بهجوه: 557
ذم بني سدوس باستعانة بني عقيل..... 558
سمع شعره من مغنية فطرب..... 558
وقال: هذا أحسن من سورة الحشر..... 558
سألته ابنته لماذا يعرفه الناس ولايعرفهم..... 559
فأجابها:..... 559
طلب من ابن مزيد أن يدخله على المهدي..... 560
فسوفه فهجاه: 560
قصيدته التي مدح بها إبراهيم بن عبد الله..... 560
فلما قتل جعلها للمنصور:..... 560
اعترض عليه رجل لوصفه جسمه بالنحول..... 561
وهو سمين:..... 561
عاتب صديقاً له لأنه لم يهد له شيئاً 561
أخبر أنه غنى بشعر له فطرب 561
مدح المهدي فلم يجزه..... 562
هجا روح بن حاتم فحلف ليضربنه..... 562
ثم بر في يمينه فضربه بعرض السيف: 562
استقل عطاء سليمان فقال شعراً..... 563
مدح المهدي بشعر فيه تشبيب حسن..... 564
فنهاه عن التشبيب: 564
توفي ابن له فتمثل بقول جرير 564
استنشده صديق له شيئاً من غزله..... 565
فاعتذر المهدي له عنه: 565
صدق ظنه في تقدير جوائز الشعر..... 565
امتحن في صلاته فوجد لايصلي 566
جعل الحب قاضيا بين المحبين بأمر المهدي..... 566
نسب إليه بعضهم أنه..... 566
أخذ معنى في شعره من أشعب فرد عليه: 566
اشتنشد هجوه في حماد عجرد..... 567
وعمرو الظالمي فأنشد: 567

مدح واصلاً قبل أن يدين بالرجعة 567
تمثل سفيان بن عيينة بشعر له 568
وبخ من سأله عن مترل ففهمه و لم يفهم 568
أنشده عطاء الملط شعراً فاستحسنه 568
وأنشد شعراً على رويه: 568
صوت 568
حاوره أحمد بن خلاد في ميله إلى الإلحاد 569
عاتب بشعر فتى من آل منقر 569
بعث إليه في الضحية بنعجة عجفاء: 569
شعره في رثاء بنية له 570
مدح نافع بن عقبة بن سلم بعد موت أبيه 571
أجاز شعراً للمهدي في جارية 571
أنشد شعراً على لسان حمار له مات 572
رأيه فيما يكون عليه المجلس 572
رثاؤه أصدقاءه 574
وفد على عمر بن هبيرة فمدحه 575
صوت 575
شعره في العشق 576
أنشد المهدي شعراً فلم يعطه شيئاً 576
فقال شعراً مداره الحكمة: 576
أنشد المهدي شعراً في النسيب فتهدده 578
إن عاد إلى مثله: 578
مدح يزيد بن حاتم فوهبه كل مايملك 579
كان مداحاً لجعفر بن سليمان 579
وقثم بن عباس ويزيد بن حاتم: 579
مرض عند يزيد بن حاتم 579
وأضعف يريد صلته: 579
عنفه الحسن بن يزيد على ذكر ليلى 580
فقال: إنما قوسه فضحك: 580
كان بالعراق وتشوق إلى المدينة 580

فقال شعراً في ذلك:.....580
صوت 580
مدح المهدي وعرض بالطالبيين فأجازه 581
مدح الحسين بن زيد فعاتبه.....582
بالتعرض بأهله في مدائحه للمهدي ثم أكرمه:.....582
مدح يزيد بن حاتم بولايته الأهواز.....583
وغلبته على الأزارقة فأجازه: 583
صوت 583
صوت 584
كان عمرو بن أبي عمرو ينشد من شعره 584
ويستحسنه:.....584
صوت 584
مدح المهدي بولايته الخلافة فأكرمه 585
وفرض له لعياله مايكفيه:.....585
سأل عنه عبد الملك لما قدم المدينة 587
ثم تبعه ابن المولى وأنشده فأجازه: 587
وقف لجعفر بن سليمان على طريقه 587
وأنشده شعراً: 587
أخبار عطرد ونسبه.....587
ولاؤه وصفته 588
وهو مغن مقبول الشهادة فقيه:.....588
جاءه عباد بن سلمة وطلب منه أن يغنيه.....588
حبسه ذبراء والي المدينة مع المغنين.....590
ثم أطلقه وأطلقهم:.....590
استقدمه الوليد بن يزيد من المدينة.....590
فغناه فطرب وألقى نفسه في بركة الخمر:.....590
صوت عن المائة المختارة.....591
أخبار الحارث بن خالد المخزومي ونسبه.....592
نسبه من قبل أبويه 592
وأرسله بدله يوم بدر:.....592

ذهابه مذهب ابن أبي ربيعة في الغزل.....592
وحبه عائشة بنت طلحة وولايته مكة:.....592
وأخوه عكرمة بن خالد المخزومي محدث جليل.....592
من وجوه التابعين، قد روى عن جماعة من الصحابة؛ وله أيضاً أخ يقال له عبد الرحمن بن خالد المخزومي محدث جليل من وجوه التابعين، قد روى عن جماعة من الصحابة؛ وله أيضاً أخ يقال له عبد الرحمن بن خالد، شاعر، وهو الذي يقول: 592
كان أبو عمرو يسأله عن بعض الحروف.....593
هو أحد شعراء قريش الخمسة المشهورين.....593
تفاخر مولى له ومولى لابن أبي ربيعة.....593
بشعريهما: 593
فضله كثير الشاعر في الشعر على نفسه.....594
وأنشد من شعره: 594
صوت 594
شعره في علو الزبيرين على العلويين.....595
كان مروانياً وكل بني مخزوم زبيرية 595
عزله عبد الملك لأنه أخر الصلاة.....596
حتى تطوف عائشة بنت طلحة: 596
صوت 596
صوت 598
صوت 598
صوت 599
صوت 600
غضب على الغريض ثم رق له.....600
وغناء الغريض في شعره: 600
صوت 600
صوت 601
أنشدت سكينة بنت الحسين بيتاً من شعره.....601
فنقدته: 601
قيل له مايمنعك من عائشة.....601
وقد مات زوجها فأجاب: 601

تنازع هو و أبان بن عثمان ولاية الحج 602
فغلبه أبان فقال شعراً: 602
صوت 604
غلبه أبان بن عثمان على الصلاة 605
فقال فيه شعراً عرض فيه بالحجاج: 605
سأله عبد الملك عن أي البلاد أحب إليه 605
فأجاب وقال شعراً: 605
ومما يغني فيه من شعر الحارث 606
ابن خالد في عائشة بنت طلحة تصريحاً وتعريضاً ببسرة جاريتها: 606
صوت 606
صوت 608
صوت 608
أخر الصلاة لعائشة فعزله عبد الملك 608
ولامه فقال شعراً: 608
صوت 609
صوت 610
جزعت سوداء لموت ابن أبي ربيعة 610
فلما سمعت شعر الحارث طابت به نفساً: 610
ناضل سليمان بينه وبين رجل من أخواله 610
أخبار الأبجر ونسبه 611
اسم الأبجر ولقبه وولاؤه 611
نشأته 611
كان ولاؤه لبني كنانة وقيل لبني ليث 611
وكان يلقب الحسحاس: 611
ظرفه وحسن لباسه وفرسه ومركبه 611
احتكم على الوليد بن يزيد في الغناء 612
فأمضى حكمه: 612
صوت 612
"صوت" 613
ختن عطاء بنيه فغنى لهم 613

نازع ابن عائشة في الغناء فتشاتما 613
غنى الوليد وقد عرف سره من خادمه 613
فنشط له: 613
صوت 614
صوت من المائة المختارة 614
من رواية جحظة 614
أخبار موسى شهوات ونسبه 615
نسبه وسبب لقبه 615
عشق جارية فأعطى بها عشرة آلاف 615
عمل شعراً في مدح حمزة 618
ابن عبد الله بن الزبير وقبل معبد أن يغنيه له ويكون عطاؤه بينهما: 618
عارض فاطمة بنت الحسين لما زفت 618
إلى عبد الله بن غعمرو بشعر فأجيز 618
هجا داود بن سليمان لما تزوج فاطمة 619
بنت عبد الملك: 619
مدح يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية 619
فأجازه: 619
تزوج بنت داود ابن أبي حميدة 619
فلما سئل عن جلوتها قال شعراً: 619
هجا أبا بكر بن عبد الرحمن 620
حين حكم عليه ومدح سعيد بن سليمان: 620
هجاؤه سعد بن إبراهيم وإلى المدينة 620
مدح عبد الله بن عمرو بن عثمان 621
حين نفحه بعطية: 621
والشعر المذكور فيه الغناء 621
كان من شعراء الحجاز 623
وكان خلفاء بني أمية يحسنون إليه: 623
هجا داود بن سليمان بن مروان 623
الذي تزوج فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاة روجها عمر بن عبد العزي: 623
صوت من المائة المختارة 624

عتب عمرو بن عثمان على زوجه.....624
سكينة بنت الحسين فأرسلت إليه أشعب: 624
صوت من المائة المختارة 625
الشعر لأبي العتاهية والغناء لفريدة 625
الجزء الرابع.....626
ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره.....626
اسمه ولقبه وكنيته ونشأته.....626
مناحيه الشعرية.....626
سبب كنيته 626
وبلده الكوفة وبلد آبائه 627
وبها مولده ومنشؤه وباديته. 627
فاخره رجل من كنانة فقال شعرا".....628
آراؤه الدينية 628
أوصافه وصناعته 629
كان يشتم أبا قابوس ويفضل عليه العتابي.....630
قصته مع النوشجاني.....630
رأي مصعب بن عبد الله في شعره 631
أنشد لثمامة شعره في ذم البخل 634
فاعترض على بخله فأجابه: 634
سئل عن أحكم شعره فأجاب.....636
معاتبته عمرو بن مسعدة 636
طالبه غلام من التجار بمال 636
فقال فيه شعرا" أخجله: 636
حجبه حاجب عمرو بن مسعدة فقال 637
فيه شعرا": 637
قصيدته في هجو عبد الله بن معن.....637
وما كان بينهما: 637
مناظرته مسلم بن الوليد قي قول الشعر.....641
صوت 642
مع محمد بن الفضل الهاشمي.....642

حبسه الرشيد ثم عفا عنه وأجازه 643
صوت 643
صوت 644
كان يزيد بن منصور يحبه ويقربه 644
فرثاه عند موته: 644
صوت 645
استحسن شعره بشار 645
وقد اجتمعا عند المهدي: 645
منصور بن عمار يرميه بالزندقة 646
أرجوزته المشهورة وقوة شعرها 647
برمه بالناس وذمهم في شعره 648
مدح عمرو بن العلاء فأجازه 649
وفضله على الشعراء: 649
صوت 649
راي العتابي فيه 649
ملاحظته على سهولة الشعر لمن يعالجه 649
وصف الأصمعي شعره 650
مدح يزيد بن منصور لشفاعته فيه 650
لدى المهدي: 650
قدرته على ارتجال الشعر 650
رأي مسلم بن الوليد بشعره 651
صوت 651
صوت 651
وفد مع الشعراء على الرشيد 652
ومدحه فلم يجز غيره: 652
قال شعرا" في المشمر فرس الرشي 652
فأجازه: 652
رثاؤه صديقه علي بن ثابت 653
سأله جعفر بن السحين عن أشعر الناس 653
فأنشده من شعره: 653

شعره في التحسر على الشباب.....654
كان ابن الأعرابي يعيب شعره 655
أحب شعره إليه.....655
راهن جماعة على قول الشعر فغلبهم.....655
هجاه أبو حبش وذم شعره 655
خروجه مع المهدي في الصيد.....656
في عسكر المأمون 657
صوت 657
برابن يقطين له.....657
من شعره في الحبس 658
المنصور بن عمار يرميه بالزندقة 658
سأله الباذغيسي عن أحسن شعره فأجابه 658
أنشد المأمون شعره في الموت فوصله.....658
كان الهادي واجدا" عليه فلما تولى استعطفه.....660
حضر غضب المهدي على أبي عبيد الله 661
وترضاه عنه بشعر فرضي عنه: 661
روحانيان يطيران بين السماء والأرض.....662
فضله ابن مناذر على جميع المحدثين.....662
إسحاق بن وعبادة معشوقته.....663
طال وجع عينه فقال شعرا" 664
صوت 664
كان الهادي واجدا" عليه لاتصاله بهارون 664
فلما ولي الخلافة مدحه فأجزل صلته:.....664
صوت 664
في خلافة المأمون.....665
تمثل الفضل بشعر له.....666
حين انحطت مرتبته في دار المأمون: 666
كان ملازما" للرشيد فلماتنسك حبسه 666
ولما استعطفه أطلقه:.....666
صوت 666

صوت 667
صوت 667
صوت 670
حديثه عن شعره ورأى أبي نواس فيه 670
رأي بشارفيه 672
عزى المهدي في وفاة ابنته فأجازه 672
حبسه الرشيد مع إبراهيم الموصلي ثم أطلقهما 672
شعره في ذم الناس 673
اقتص منه الجماز لخاله مسلم فاعتذر له 674
غناه مخارق بشعره 675
صوت 675
شعره في تبخيل الناس 675
كان بعد تنسكه يطرب لحديث ابن مخارق 676
جفاه أحمد بن يوسف فعاتبه بشعر 676
طلب إليه أن يجيز شعرا" 676
فأجازه على البديهة: 676
أهدى إلى الفضل نعلا" فأهداها للخليفة 677
قيل إنه كان من أقل الناس معرفة 677
شكا غليه بكر عن المعتمر ضيق حبسه 677
فكتب إليه شعرا": 677
مدح إسماعيل بن محمد شعره واستنشده إياه 678
شبه أبو نواس شعرا" له بشعره 678
سأل أعرابيا" عن معاشه ثم قال شعرا" 679
شتمه سلم لما سمع هجوه فيه 679
كان ابن عبد العزيز يتمثل كثيرا" بشعره 679
موازنة بينه وبين أبي نواس 679
رأى من صالح المسكين جفوة فعاتبه 680
فجاهره بالعداوة: 680
استنشده مساور شعرا" في جنازة فأبى 680
حجبه حاجب يحيى بن خاقان 681

فقال شعرا" فاسترضاه فأبى:.....681
كان بينه وبين أبي الشمقمق شر.....681
استنشد ابن أبي أمية شعره ومدحه.....682
صوت 682
لم يرض بتزويج ابنته لمنصور بن المهدي.....682
كان له ابن شاعر 682
أخبار متفرقة.....683
صوت 683
صوت 685
اعترض عليه في بخله فأجاب.....687
صوت 688
تمثل المعتصم عند موته بشعر له.....688
عدّ أبو تمام خمسة أبيات من شعره وقال 689
لم يشركه فيها غيره:.....689
وعظ راهب رجلاً عابداً بشعره 690
فضله العتابي على أبي نواس.....690
بلغه أن إبراهيم بن المهدي رماه بالزندقة.....691
فبعث إليه يعاتبه فردّ عليه إبراهيم:.....691
أخبار متفرقة.....691
صوت 692
ذكر لملك الروم فالتمسه من الرشيد.....694
فاستعفى هو، فكتب من شعره في مجلسه وعلى باب مدينته:.....694
صوت 694
مع الرشيد 694
صوت 694
تناظر ابن أبي فنن وابن خاقان فيه.....695
وفي أبي نواس، ثم حكما ابن الضحاك ففضله:.....695
مع مخارق.....695
آخر شعر قاله في مرضه الذي مات فيه 696
أمر بنته أن تندبه بشعر له.....697

أخبار فريدة 698
أخبار فريدة الكبرى ونشأتها ومصيرها 698
بعض الشعر الذي لها في صنعته 699
صوت 699
صوت 699
سأل صالح بن حسان الهيثم بن عديّ عن بيت نصفه بدوي والآخر حضري ثم ذكره: 699
أخبار فريدة المحسنة 699
قدّمت هي وشارية في الطيب وإحكام الغناء 700
أهداها ابن بانة للواثق 700
مدح محمد بن عبد الملك غناءها 702
صوت من المائة المختارة 702
ذكر اميّة بن أبي الصّلت ونسبه وخبره 703
نسبه من قبل أبويه 703
أولاد أمية 703
صوت 703
كان يستعمل في شعره كلمات غريبة 703
من أشعر ثقيف بل أشعر الناس 704
تعبد والتمس الدين وطمع في النبوّة 704
كان يحرّض قريشاً بعد بدر 704
أسف الحجاج على ضياع شعره 705
كان يتحسس أخبار نبيّ العرب 705
فلما أخبر ببعثته تكدّر: 705
زعم أنه فهم ثغاء شاة 706
قال الأصمعي كل شعره في بحث الآخرة 706
جاءه طائران وهو نائم فشق احدهما عن قلبه 706
تصديق النبيّ له في شعره 708
شعر له في عتاب ابنه وتوبيخه 708
محاورة بين الهذليّ وعكرمة في شعر له 709
تمثل ابن عباس بشعره عند معاوية 709
أحاديثه وأحواله في مرض موته 709

لما بعث النبي هرب بابنتيه إلى اليمن.....710
ثم مات بالطائف:.....710
صوت من المائة المختارة.....711
أخبار حسّان بن ثابت ونسبه.....711
نسبه من قبل أبويه وكنيته.....711
عاش حسان مائة وعشرين سنة.....712
كان يخضب شاربه وعنفقته بالحناء.....712
فضل الشعراء بثلاث.....712
سأل أبا هريرة عن حديث في شأنه فأجابه.....713
كان أحد ثلاثة عارضوا شعراء قريش.....713
استأذن النبيّ في هجو قريش.....713
فأمره أن يأخذ أنسابهم عن أبي بكر:.....713
أعانه جبريل في مديح النبي.....715
انتهره عمر لإنشاده في مسجد الرسول.....716
مدحه الزبير.....716
تقدم هو وكعب وابن رواحة فاختاره النبيّ.....717
سبه قوم في مجلس ابن عباس فدافع عنه.....717
قدم وفد تميم فأمره النبيّ أن يجيب شاعرهم.....717
شعر حسان الذي يقرر به إيمانه بالرسل.....720
صوت.....720
أنكرت عليه عائشة شعراً له في مدحها.....721
أخبر بوقعة صفين قبل وقوعها.....721
سمعه المغيرة ينشد شعراً فبعث إليه بمال.....721
استجار الحارث بن عوف من شعره بالنبي.....722
أنشد شعراً بلغ النبي فآلمه.....722
مدح عائشة والاعتذار عما رماها به.....725
هجاه رجل بما فعل به ابن المعطل.....726
سبه أناس فدافعت عنه عائشة.....726
فخره بلسانه.....726
خبره يوم الخندق.....727

قال النابغة إنه شاعر والخنساء بكاءة.....728
مع الحطيئة.....728
اهمه أعشى بكر عند حمار بالبخل.....728
فاشترى كل الخمر وأراقها:.....728
تعييره الحارث بن هشام بفراره.....729
صوت.....729
صوت.....729
تمثل رتبيل بشعر حسان.....729
أخبار غزاة بدر.....730
استنفار أبي سفيان لقريش.....730
رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب.....730
ابن أبي معيط و أمية بن خلف.....732
تخوّف قريش من كنانة وتأمين إبليس لهم.....732
خروج النبيّ وعدد جيشه.....732
استشارة النبيّ لأصحابه.....733
رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق.....733
نزول النبي قريباً من بدر.....734
رؤيا جهيم بن أبي الصلت.....735
رجوع بني زهرة.....736
رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق.....736
عرض خفاف بن إيماء معونته على قريش.....737
بعثت قريش عمير بن وهب متجسساً.....737
فأخبرهم بما روعهم:.....737
حكيم بن حزام يقص حديث بدر لمروان.....738
رجع الحديث إلى ابن إسحاق.....738
أقسم الأسود بن عبد الأسد ليشربن من حوض المسلمين فقتل.....739
دعاء النبي يوم بدر.....740
رجع الحديث إلى حديث ابن أبي إسحاق.....741
التقاء الفريقين وهزيمة المشركين.....741
عبد الرحمن بن عوف وأمية بن خلف.....742

قتال الملائكة في غزوة بدر..... 743
مقتل أبي جهل بن هشام 744
تكليم النبي أصحاب القليب بعد موتهم 745
اختلاف المسلمين على الفيء..... 745
مقتل النضر بن الحارث..... 746
تعنيف سودة لسهيل بن عمرو..... 746
حين أسر وعتاب النبي لها في ذلك:..... 746
إخبار الحيسمان أهل مكة عن قتلى بدر 746
أبو لهب وتخلفه عن الحرب ثم موته 747
العباس وتألم النبي لأسره..... 747
رثاء الأسود بن المطلب لأولاده..... 748
صوت 749
صوت من المائة المختارة 751
صوت 752
صوت 752
صوت 752
صوت 753
نسب علس ذي جدن وأخباره 753
نسبه وسبب لقبه..... 753
قبره بصنعاء وآثاره 753
أخبار طويس ونسبه 754
أول من صنع الهزج والرمل..... 754
غنى أبان بن عثمان بالمدينة 754
فطرب وسأله عن عقيدته وعن سنه وعن شؤمه:..... 754
أهدر دمه أمير المدينة مع المخنثين..... 755
مالك بن أنس وحسين بن دحمان الأشقر 755
صوت من المائة المختارة 756
ذكر الأحوص وأخباره ونسبه 756
اسم الأحوص ولقبه ونسبه..... 756
كنية الأحوص واسم أمه 759

رأي الفرزدق في شعره.....759
هجاؤه لابنه.....759
طبقته في الشعر.....760
جلد سليمان بن عبد الملك إياه.....760
فخرت سكينة بالنبي ففاخرها بجده وخاله 760
هجاؤه لابن حزم عامل المدينة.....761
وفد على الوليد وتعرض للخبازين.....761
فأمر عامل المدينة بجلده:.....761
أخبار متفرقة.....763
خبره مع أم الليث والأنصارية الجميلة.....766
صوت 768
صوت 769
رأي الفرزدق وجرير في نسيبه.....771
صوت 773
سألت امرأة ابنا للأحوص عن شعر له 773
ما قاله ابن جندب حين أنشد شعر الأحوص 774
من هي عقيلة التي شغف بها الأحوص 774
أخبار متفرقة.....774
صوت 775
صوت 776
أنشد أبو السائب شعراً له فطرب ومدحه.....776
صوت 776
صوت 777
حديث ابن سلام عن كثير وجميل 777
ذكر كثير عن أنسب بيت قاله فأجاب 778
ما قاله الأحوص في مرض موته.....779
ذكر الدلال 779
وقصته حين خصي ومن خصي معه والسبب في ذلك وسائر أخباره.....779
اسمه وكنيته وولاؤه.....779
كان ظريفاً صاحب نوادر 779

وكان يغني غناء كثير العمل: 779
كان أهل المدينة يفخرون به 780
كان يلازم النساء 780
سبب لقبه، وتوسطه بين الرجال والنساء 780
صوت 782
أضحك الناس في الصلاة 783
طرب شيخ في مجلس ابن جعفر 783
غنى الدلال الغمر بن يزيد فطرب 784
صوت 784
احتكم إليه شيعي ومرجئ 785
هربه من االمدينة إلى مكة 785
كان الماجشون يستحسن غناءه 785
صوت 785
خبره مع مخة المخنث 786
أضحاكه الناس في الصلاة 786
أخبار متفرقة 786
صوت 787
صوت 788
قصته مع شامي من قواد هشام 789
صوت 791
صوت 791
غنى نائلة بنت عمار الكلبي فأجازته 791
صوت 792
صوت 793
غنى في زفاف ابنة عبد الله بن جعفر 793
صوت 794
صوت 794
سأله ابن أبي ربيعة الغناء في شعر له 794
صوت 795
روى هشام بن المرية عن جرير صوتين له 795

شرب النبيذ وكان لا يشربه فسكر 796
حتى خلع ثيابه: 796
ومما في شعر الأحوص من المائة المختارة 797
صوت من المائة المختارة 797
محبوبة الأحوص في كبرها 797
صوت من المائة المختارة 797
ذكر طريح وأخباره ونسبه..... 798
نسبه..... 798
كنيته 801
طرح ابنه الصلت إلى أخواله بعد موت أمه 801
طائفة من أخباره..... 801
عاتبه المنصور في شعر مدح به الوليد 805
فأحسن الاعتذار: 805
أدخل على الوليد فمدحه فطرب وأجازه 806
صوت 806
ولاؤه وكان مغنياً وشاعراً..... 806
ومما في المائة الصوت المختارة 808
صوت من المائة المختارة 808
ذكر ابن مشعب وأخبار..... 808
أصله..... 808
عامة الغناء الذي ينسب إلى أهل مكة له..... 808
طائفة من أخباره..... 809
صوت 810
ذكر أخبار أبي سعيد مولى فائد ونسبه 812
ولاؤه، وكان مغنياً وشاعراً..... 812
طائفة من أخباره..... 813
صوت من المائة المختارة 814
صوت 815
صوت 815
صوت 815

نسبة الصوت المذكور قبل هذا، 818
صوت..... 818
ذكر من قتل أبو العباس السفاح من بني أمية..... 820
صوت 824
صوت 824
صوت 825
صوت 825
المأمون وعلوية يندب بني أمية 825
صوت من المائة المختارة 826
صوت 826
ذكر حميد بن ثور ونسبه وأخباره..... 826
نسبه وطبقته في الشعراء..... 826
هو مخضرم أدرك عمر بن الخطاب..... 826
صوت 827
وفد على بعض خلفاء بني أمية..... 827
أخبار فليح بن أبي العوراء 827
مدح إسحاق الموصلي غناءه..... 828
كان يحكي الأوائل فيصيب ويحسن..... 828
أمره الرشيد بتعليم ابن صدقة صوتاً له 828
كانت ترفع الستارة بينه وبين المهدي..... 828
دون سائر المغنين:..... 828
صوت 829
دعاه محمد بن سليمان أول دخوله بغداد..... 829
اتفق مع حكم الوادي على إسقاط ابن جامع..... 829
عند يحيى بن خالد:..... 830
طلبه الفضل بن الربيع فجيء به مريضاً 830
فغنى ورجع ثم مات في علته: 830
روى قصة فتى عاشق غناه هو وعشيقته..... 830
فبعثت إليه مهرها ليخطبها إلى أبيها: 830
صوت 831

ورد دمشق يعلم جواري ابن المهدي..... 831
صوت 831
صوت من المائة المختارة 832
ذكر ابن هرمة وأخباره ونسبه 832
نسبه..... 832
نفاه بنو الحارث بن فهر عنهم..... 833
فعاتبهم فصار منهم لساعته:..... 833
كان يقول أنا ألأم العرب 833
قصته مع أسلمي ضافه 833
لقاؤه ابن ميادة..... 834
أنكر عليه مضغه الناطف 834
مدح عبد الله بن حسن فأكرمه..... 835
هو أحد من ختم بهم الشعراء..... 835
في رأي الأصمعي: 835
رهن رداءه في النبيذ..... 835
طائفة من أخباره..... 836
لم يحمل جنازته إلا أربعة نفر 847
مولده سنة 90 847
ذكر أخبار يونس الكاتب 847
نسب يونس الكاتب ومنشؤه..... 847
ومن أخذ عنهم، وهو أول من دون الغناء: 847
شعر مسعود بن خالد في مدحه..... 848
خبره مع بعض الفتيان في وادي دومة..... 848
صوت 848
مع الوليد بن يزيد في الشام..... 849
صوت من المائة المختارة..... 850
أخبار ابن رهيمة 852
تشبيبه بزينب بنت عكرمة..... 852
صوت 853
ومما في غناء يونس من المائة المختارة 853

صوت من المائة المختارة 853
أخبار إسماعيل بن يسار ونسبه 853
خبره مع آل الزبير وعبد الملك 853
سبب تلقيبه بالنسائي 854
نادرة له مع عروة أثناء سفرهما 854
تساب هو وآخر يكنى أبا قيس 854
خبره مع الغمر بن يزيد 855
شعره الذي يفخر به بالعجم على العرب 855
خبره مع الوليد بن يزيد 856
خبره مع بعض الطالبيين 857
صوت 857
سمع زبان السواق شعره فبكى 857
صوت 858
طلبه الوليد بن يزيد من الحجاز 858
سمع شيخ قينة تغني بشعره 859
فألقى بنفسه في الفرات إعجابا به: 859
مدح عبد الله بن أنس فلم يكرمه فهجاه: 860
رثاؤه لمحمد بن عروة: 860
دخل على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير ومدحه فأكرمه: 861
استنشده هشام بتن عبد الملك فافتخر ورمى به في بركة ماء ونفاه إلى الحجاز: 862
مدح الوليد والغمر ابني يزد فأكرماه: 863
صوت 864
صوت من المائة المختارة 865
الجزء الخامس 867
ذكر النابغة الجعدي 867
نسبه وكنيته 867
طائفة من أخباره 868
وأخبرني بعض أصحابنا 869
حدثنا أحمد بن عمر بن موسى القطان المعروف بابن زنجويه قال 870
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال 870

بدء حديثه 871
خبره مع أوس بن مغراء 871
سبب المهاجاة بينه وبين ليلى الأخيلية 872
رأي الفرزدق فيه 878
مع ابن الزبير المسجد الحرام 878
مع أبي موسى الأشعري وداعية القومية 879
خروجه مع الامام علي في صفين 879
ذكر الهذلي وأخباره 893
ذكر عبيد الله بن قيس الرقيات 897
نسبه وأخباره 897
سبب تلقيبه بهذا اللقب 897
شاعر قريش في الإسلام 898
خروجه مع مصعب على عبد الملك 899
الفتك ببني أمية بسبب شعره 903
من ذهب إلى إسقاط الاحتجاج بشعره 905
أخبار متفرقة 905
رجع الحديث إلى عبيد الله بن قيس الرقيات. 906
سعيد بن المسيب وابن قيس الرقيات 907
ابن قيس الرقيات وعمر بن أبي ربيعة 908
ذكر ما قاله ابن قيس الرقيات وغنى فيه 908
خبره مع رقية بنت عبد الواحد 910
أخبار متفرقة 911
ذكر مالك بن أبي السمح وأخباره 912
نسبه 912
أساتذته في الغناء 912
السبب في انقطاع أبي السمح إلى ابن جعفر 913
عمّر حتى أدرك دولة بني العباس 913
تعلمه الغناء على يد معبد 913
الغناء ليلة الجمعة 915
حسرة من لم يسمع غناءه 915

سبب دخوله في دعوة بني هاشم.....915
مالك في حمام المدينة 916
خبر الهندي في هذا الشعر 920
ذكر باقي خبر الوليد بن عقبة ونسبه 922
نسب إبراهيم الموصلي وأخباره.....937
شيء من ذكر اين هرمة ايضا.....985
أخبار إسحاق بن إبراهيم.....988
الجزء السادس.....1073
أخبار الصمة القشيري.....1073
نسبه.....1073
أخبار داود بن سلم ونسبه.....1077
أخبار دحمان ونسبه.....1083
أخبار أعشى دحمان ونسبه.....1088
صوت من المائة المختارة 1135
أخبار المرقش الأكبر ونسبه 1135
عوف بن مالك المعروف بالبرك 1136
وأما المرقش الأصغر 1140
من المائة المختارة 1142
خبر الوقعة التي قيل فيها هذا الشعر.....1142
أخبار سياط ونسبه 1146
نسبة هذا الصوت.....1150
من المائة المختارة 1150
من المائة المختارة 1150
ذكر نبيه وأخباره.....1151
أخبار سليم.....1152
من المائة المختارة 1155
أخبار ابن عبّاد 1156
نسبه وكنيته وصاعته.....1156
أخبار يحيى المكي ونسبه 1156
أخبار بشار وعبده خاصة.....1168

إذ كانت أخباره سوى هذه تقدمت.....1168
أخبار الأحوص مع أم جعفر.....1175
ذكر أبي ذؤيب وخبره ونسبه.....1181
ذكر حكم الوادي وخبره ونسبه.....1188
ذكر ابن جامع وخبره ونسبه 1192
ذكر أخبار هذه الأصوات المتفرقة في الأخبار 1211
ذكر أبي سفيان وأخباره ونسبه 1218
ذكر الخبر عن غزوة السويق.....1226
الجزء السابع.....1229
أخبار الوليد بن يزيد ونسبه.....1229
نسبه وكنيته.....1229
صوت 1230
مات مسلمة بن عبد الملك فرثاه.....1231
صوت 1231
غنى في هذه الأبيات التي أولها 1232
صوت 1233
صوت 1234
صوت 1234
عابه بعض بني مروان بالشراب فلعنهم.....1235
صوت 1235
بشر بالخلافة بعد موت هشام 1237
صوت 1238
سأل الرشيد عنه ابن أبي حفصة فمدحه 1238
وذكر من شعره:.....1238
كان شاعراً مجيداً وشيء من شعره.....1239
أخذ أبو نواس وغيره من الشعراء معانيه 1240
في أشعارهم:.....1240
ومن نادر شعره قوله لهشام.....1240
قال يوم بيعته على المنبر بدمشق 1241
كتب إلى أهل المدينة شعراً 1241

ورد عليه حمزة بن بيض: 1241
عرضت عليه جارية وغنته فأمر بشرائها 1242
صوت 1242
شرب هو ومحمد بن سليمان بجرن..... 1242
وفد عليه سعد بن مرة ومدحه فأجازه..... 1243
صوت 1243
مسلمة بن هشام وزوجته 1243
صوت 1245
تزيا بزي زيات ليرى سلمى وشعره في ذلك..... 1245
صوت 1246
غنى حكم الوادي للمهدي فوصله..... 1247
ماتت سلمى فرثاها الوليد..... 1247
شعره في سلمى 1248
صوت 1248
صوت 1248
صوت 1249
صوت 1250
صوت 1250
صوت 1251
غناه ابن قدح 1251
ثاني ثقيل بالوسطى من رواية حبش. 1251
صوت 1251
غناه أبو كامل 1252
ثقيلاً أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. 1252
صوت 1252
صوت 1252
صوت 1253
غناه عمر الوادي..... 1253
هزجاً بالبنصر عن الهشامي 1253
صوت 1253

صوت 1254
صوت 1254
صوت 1254
صوت 1255
صوت 1255
صوت 1255
صوت 1256
صوت 1256
غضب على جاريته ثم صالحها..... 1256
لشعر رجل من قريش: 1256
ذكر أخبار عمر الوادي ونسبه..... 1277
نسبه وإعجاب الوليد به..... 1277
أخبار أبي كامل 1280
أخبار يزيد بن ضبة ونسبه 1282
أخبار إسماعيل بن الهربذ 1287
نسب نابغة بني شيبان 1288
أخبار أبي دهبل ونسبه..... 1292
نسبه..... 1292
صوت 1295
شاب خاطبته عشيقته بشعر أبي دهبل 1296
رجع إلى أخبار أبي دهبل..... 1296
حديثه عن نظم بيت من شعره 1302
مدح ابن الأزرق بعد عزله 1302
وذم إبراهيم بن سعد: 1303
بحير بن ريسان وشعره فيه..... 1303
وفد على سليمان بن عبد الملك 1304
فلم يحسن وفادته ثم رضي عنه:..... 1304
أبو دهبل وعمرة محبوبته..... 1305
صوت 1306
صوت 1307

قصيدته الدالية..... 1307
صوت 1307
أنشد أبو السائب شعراً له فتهكم به 1308
قصيدته الميمية..... 1308
صوت 1308
صوت 1309
صوت 1310
توعد ابن صفوان عمه فقال 1310
رثى ابن الأزرق وأوصى أن يدفن بجانبه 1311
صوت من المائة المختارة 1311
أخبار حسين بن الضحاك ونسبه..... 1311
ذكر للمأمون فحجبه لشعره في الأمين..... 1313
أنشد المأمون مدحه فيه فلم يرض عنه 1313
صوت 1313
أمر المأمون ابن بانة بالغناء بشعره..... 1314
في الأمين: 1314
مراثيه في الأمين 1315
صوت 1315
قال الأزدي هو أشعر المحدثين 1315
استقدمه المعتصم من البصرة..... 1316
أعجب الرياشي لبيتين له في الخمر..... 1317
أخذ أبو نواس معنى له في الخمر فأجاده..... 1318
مدح الواثق حين ولي الخلافة فأجازه 1318
صوت 1319
صوت 1319
سرق منه أبو نواس معنى في الخمر 1322
شرب عند ابن المهدي فعربد عليه 1322
نشأ هو وأبو نواس بالبصرة..... 1323
ثم رحل إلى بغداد واتصل بالأمين:..... 1323
جفاه صالح بن الرشيد فترضاه..... 1323

بشعر فرضي عنه: 1324
صوت 1324
أنشد ابن البواب شعره للمأمون 1324
وشفع له فجفاه المأمون أولاً ثم وصله: 1324
شعره في ابن مسعدة ليشفع له 1325
غضب المعتصم عليه فترضاه بشعر 1326
هجا العباس ابن المأمون 1326
أمره صالح بن الرشيد أن يقول شعراً 1326
يغني فيه ابن بانة: 1327
شعره في محبوبه يسر 1327
خادم أبي عيسى بن الرشيد: 1327
مدح المتوكل شعره 1328
قصته مع شفيع خادم المتوكل 1328
صوت 1329
شعر إسحاق الموصلي في عمرو بن بانة 1330
قال له أبو نواس أنت أشعر الناس 1330
مدح أبو العباس ثعلب شعره 1331
قال ابن الرومي عنه إنه أغزل الناس 1331
أخبار أبي زكار الأعمى 1363
أخبار السيد الحميري 1364
أخبار عبد الله بن علقمة وحبيشة 1391
صوت من المائة المختارة 1391
ذكر متيم الهشامية وبعض أخبارها 1398
الجزء الثامن 1406
نسب جرير وأخباره 1406
نسب جميل وأخباره 1451
ذكر يزيد بن الطثرية وأخباره ونسبه 1489
ذكر جميلة وأخبارها 1504
ذكر عنترة ونسبه وشيء من أخباره 1527
عبد قيس بن خفاف البرجمي 1532

ذكر أبي دلف ونسبه وأخباره..... 1533
أخبار سعيد بن عبد الرحمن..... 1544
أخبار البردان..... 1549
ذكر الأخطل وأخباره ونسبه..... 1550
ذكر سائب خاثر ونسبه..... 1572
ذكر جرادتي عبدالله بن جدعان..... 1575
و خبرهما وشيء من أخبار ابن جدعان..... 1575
ذكر سلامة القس وخبرها..... 1578
نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات..... 1587
أخبار العباس بن الأحنف ونسبه..... 1589
الجزء التاسع..... 1624
ذكر أخبار كثير ونسبه..... 1624
نسبه..... 1624
ما كان بينه وبين الحزين الديلي..... 1625
كان أبو هاشم يتجسس أخباره..... 1632
له كتاب الآداب الرفيعة في الغناء..... 1644
ذكر مسافر ونسبه..... 1648
الأرمال الثلاثة المختارة..... 1655
ابن أبي ربيعة وأم عمرو بنت مروان..... 1656
ابن أبي عتيق وغناء ابن سريج..... 1659
أبو السائب وابن سريج..... 1659
ثاني الأرمال الثلاثة..... 1660
في شعر امرئ القيس:..... 1660
ذكر أمرئ القيس ونسبه وأخباره..... 1664
سبب تسمية آبائه بأسمائهم..... 1665
وصيته لبنيه عند موته..... 1670
يستنصر أزد شنوءة..... 1673
طلبه المنذر فهرب..... 1673
ونزل بالحارث بن شهاب:..... 1673
أخبار الأعشى ونسبه..... 1680

عمرو بن سعيد بن زيد وأخباره 1693
الأحوص وموسى شهوات 1694
ذكر عبيد الله بن عبد الله ونسبه 1698
أخواه عون وعبد الرحمن 1698
حديث الزهري عنه 1699
ما وقع بين بني كعب وبني همام 1708
وقصيدة الأعشى في ذلك: 1708
ذكر الشماخ ونسبه وخبره 1709
صوت معبد في شعر كثير بن كثير 1718
معبد وابن سريج يبكيان أهل مكة بغنائهما 1719
ذكر قيس بن ذريح ونسبه وأخباره 1721
أول عشقه لبنى ثم زواجه بها 1722
أبواه يغريانه بطلاقها ويأبى هو 1723
طلاقه لبنى ثم ندمه على فراقها 1723
حسرته على فراقها وتأنيبه نفسه 1727
فكاهات لأبي السائب في شعره 1744
وفي سيرته: 1744
بقية مدن معبد 1749
صوت من مدنه في شعر الحارث 1750
ابن خالد: 1750
ذكر الحارث بن خالد 1751
ونسبه وخبره في هذا الشعر 1751
صوت من مدن معبد في شعر الأعشى 1757
سبعة ابن سريج 1758
ومن سبعة ابن سريج 1764
أغاني الخلفاء وأولادهم 1765
عمر بن عبد العزيز والغناء 1766
غناء يزيد بن عبد الملك 1778
صوت 1779
غناء الوليد بن يزيد 1779

غناء الواثق 1780
وممن حكي عنه أنه صنع في شعره وشعر غيره المنتصر 1795
غناء المنتصر 1795
غناء المعتز بالله 1799
غناء المعتمد 1808
ذكر أخبار الفرزدق في هذا الشعر خاصة 1808
دون غيره 1808
صوت 1816
الجزء العاشر 1822
أخبار دريد بن الصمة ونسبه 1822
نسبه 1822
صفاته 1822
قتل يوم حنين 1822
إخوته 1822
شعره في الصبر على النوائب 1823
يوم اللوى ومقتل أخيه وما رثاه به 1823
وكان أخوه مالك شاعراً 1835
أخبار المعتضد في صنعة هذا اللحن 1842
أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه 1843
صوت 1849
كتابه في شفاعة لرجل 1850
إلى بعض إخوانه: 1850
ومن أخبار الجارية مجرى هذا الكتاب 1859
صوت 1860
صنعة أولاد الخلفاء الذكور منهم والإناث 1860
فمن مشهور غناء إبراهيم بن المهدي 1861
أخباؤر مروان بن أبي حفصة ونسبه 1861
مدح عمرو بن مسعدة في مرضه 1875
عود إلى ذكر إبراهيم بن المهدي 1876
كان ينسب ما يصنع لجاريتيه 1876

غضب عليه الأمين ثم رضي عنه 1881
نسبة هذا الصوت 1885
غنى عمرو بن بانة لحناً وحدثه حديثه 1886
صوت 1888
أخبار أبي النجم ونسبه 1908
أخبار علية بنت المهدي 1915
ونسبها ونتف من أحاديثها 1915
أخبار أبي عيسى بن الرشيد ونسبه 1929
وممن عرفت له صنعة من أولاد الخلفاء 1933
عبد الله بن موسى الهادي 1933
وممن رويت له صنعة من أولاد الخلفاء عبد الله بن محمد 1936
الأمين 1936
وممن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن 1939
المتوكل 1939
أخبار علي بن الجهم ونسبه 1939
جلس في المقابر بعد خروجه من السجن 1953
أخبار أبي دلامة ونسبه 1959
وعدته ريطة جارية فاستنجزها بشعر 1980
اشترى لأضيافه نبيذاً من نباذة 1981
أخبار عبد الله بن المعتز 1983
جدر خادمه نشوان فجزع عليه 1986
ثم عوفي فسر وقال شعراً: 1986
أبيات من معلقة زهير وشرحها 1989
صوت 1990
نسب زهير وأخباره 1990
قال جرير هو أشعر أهل الجاهلية 1991
ذكر المرار وخبره ونسبه 2005
الجزء الحادي عشر 2009
أخبار النابغة ونسبه 2009
تذاركر قوم الشعر وهم في الصحراء فإذا هم بجني يقول إنه أشعر الناس: 2010

أخبار الحارث بن حلزة ونسبه 2027
نسب عمر بن كلثوم وخبره 2032
ذكر سبب تصال الهجاء بين جرير والأخطل 2036
ذكر أوس بن حجر وشيء من أخباره 2040
خبر ورقاء بن زهير 2043
ونسبه وقصة شعره هذا: 2043
مقتل زهير بن جذيمة العبسي 2047
ذكر مقتل خالد بن جعفر بن كلاب 2052
خبر الحارث وعمرو بن الإطنابة 2066
أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها 2093
نسب عمرو بن شأس وأخباره 2103
في هذا الشعر وغيره: 2103
ذكر ليلى وخبر توبة بن الحمير معها 2107
وخبر مقتله: 2107
ذكر الأقيشر وأخباره 2127
أخبار ابن الغريزة ونسبه 2142
أخبار أعشى بني تغلب ونسبه 2143
أخبار أبي النضير ونسبه 2145
أخبار العبلي ونسبه 2149
أخبار أبي جلدة ونسبه 2158
أخبار علويه ونسبه 2171
نسبة هذين الصوتين المذكورين 2183
في الخبر: 2183
نسب إسماعيل بن عمار وأخباره 2187
الجزء الثاني عشر 2197
أخبار الأعشى وبني عبد المدان 2197
وأخبارهم مع غيره : 2197
خبر أساقفة نجران مع النبي 2197
صلى الله عليه وسلم: 2197
أخبار عبد الله بن الحشرج 2206

أخبار الطرماح ونسبه 2212
أخبار بيهس ونسبه 2218
أخبار محمد بن الحارث بن بسخنر 2219
أخبار معن بن أوس ونسبه 2221
أخبار الحسين بن عبد الله 2227
أخبار فضالة بن شريك ونسبه 2229
أخبار مروان الأصغر 2233
أخبار ابراهيم بن سيابة ونسبه 2237
ذكر الخبر في ذلك 2241
أخبار أبي زبيد ونسبه 2258
أخبار محمد بن أمية وأخيه 2267
علي بن أمية وما يغنى فيه من شعرهما: 2268
نسب المتوكل الليثي وأخباره 2276
نسب الأفوه الأودي وشيء من أخباره 2282
أخبار كثير وخندق الأسدي 2284
الذي من أجله قال هذا الشعر: 2284
خبر الجحاف ونسبه 2298
وقصته يوم البشر: 2298
خبر عبد الله بن معاوية ونسبه 2308
أخبار أبي وجزة ونسبه 2322
أخبار عقيل بن علفة 2329
أخبار شبيب بن البرصاء ونسبه 2339
أخبار دقاق 2345
نسب يزيد بن الحكم وأخباره 2347
أخبار أبي الأسود الدؤلي ونسبه 2353
أخبار أبي نفيس ونسبه 2376
أخبار سويد بن كراع ونسبه 2379
الجزء الثالث عشر 2384
أخبار أبي الطمحان القيني 2384
اسمه ونسبه 2384

إدراكه الجاهلية والإسلام..... 2384
واتصاله بالزبير بن عبد المطلب 2384
اعتراف أبي الطمحان بأدنى ذنوبه..... 2385
التجاؤه إلى بني فزارة..... 2386
من جناية جناها وإقامته عندهم حتى هلك..... 2386
شعره في الاعتذار لامرأته..... 2386
من ركوبه الأهوال..... 2386
شعره في بجير بن أوس الطائي..... 2386
وإطلاقه من الأسر..... 2387
حرب جديلة والغوث الطائيين 2387
انتعاش المأمون ببتين له 2388
استشهاد خالد بن يزيد ببيتين له..... 2388
في ريبة اعتذر عنها الحسن لعبد الملك..... 2388
خبره مع الزبير بن عبد المطلب 2388
صوت..... 2389
أخبار الأسود ونسبه..... 2389
نسبه ومنزلته في الشعر..... 2389
طلب طلحة أن يسعى له في إبله..... 2392
ما قاله في فرس أخذها ابنه جراح..... 2393
من بني الحارث بن تيم الله واستولدها أمهاراً..... 2393
رثاؤه مسروق بن المنذر النهشلي 2394
وكان كثير البر به..... 2394
ما أجاب بنته وقد لامته على جوده 2394
ما قاله ابنه جراح 2395
وكان ضئيلاً وضعيفاً..... 2395
ما قاله لما أسن وكف بصره..... 2395
شعر لأخيه حطائط 2395
وقد لامته أمه على جوده..... 2395
صوت..... 2396
أخبار أرطاة ونسبه 2396

نسبه من قبل أبويه 2396
مترلته في الشعر 2397
ابن الحكم..... 2399
أرطأة يقيم عند قبر ابنه حولاً..... 2403
ويرق قومه بعد ذلك فيقمون عامهم ذلك..... 2403
مسرف بن عقبة يطرد قومه ومعهم أرطاة 2404
لما استرفدوه بعد التهنئة والمديح بفوزه على أهل الحرة 2404
أرطأة يسب من تطاولت على أمه..... 2404
ويضربها فيلومه قومه 2405
صوت..... 2405
أخبار جعفر بن علبة الحارثي ونسبه..... 2405
جعفر بن علبة وعلي بن جعدب..... 2406
يغيران على بني عقيل..... 2406
علبة ينحر أولاد النوق لتصيح مع النسوة 2412
بكاء على جعفر..... 2412
صوت..... 2412
أخبار العجير السلولي ونسبه..... 2412
نافع الكناني يطلبه ليقيم الحد عليه 2413
العجير يشرب حتى ينتشي..... 2414
فيأمر بنحر حمله ويقول شعراً..... 2414
العجير يكل زواجه ابنته إلى خالها 2415
ثم يطلقها من المولى بعد قدومه 2415
قول العجير في رفيق..... 2415
العجير يفد على عبد الملك 2417
قوله في ابنه الفرزدق 2418
بنت عمه تختار العامري عليه..... 2418
وصية عبد الملك لمؤدب ولده..... 2420
أن يرويهم مثل قول العجير..... 2420
رثاء العجير لابن عمه 2421
صوت..... 2422

أخبار خزيمة بن نهد ونسبه..... 2422
مقتل يذكر بن عترة..... 2423
وإشعاله الشربين قضاعة ونزار..... 2423
القارظان..... 2423
بهراء تلحق بالبرك وتهزمهم..... 2424
سليح بن عمرو ونزولها ناحية فلسطين..... 2424
صوت..... 2425
نسب المغيرة بن حبناء وأخباره..... 2425
مديحه لطلحة الطلحات..... 2425
مديحة للمهلب بن أبي صفرة..... 2426
سبب التهاجي بينه و بين زياد الأعجم..... 2429
مناقضات زياد الأعجم والمغيرة بن حبناء..... 2430
عبد القيس تعتذر إلى المغيرة..... 2432
المغيرة وجوائز المهلب..... 2433
صخر والمغيرة يتلاحيان..... 2433
لما تعتب المغيرة عليه..... 2433
حبناء بن عمرو ينتقل إلى نجران..... 2434
زياد الأعجم يهجو أسرة المغيرة..... 2435
زياد يمسك عن الهجاء..... 2435
إجادة المغيرة في تفضيل الأخ على أخيه..... 2435
قول الحجاج في يزيد بن المهلب..... 2436
مصرع ابن حبناء وكتابته اسمه على صدره..... 2436
صوت..... 2436
أخبار سويد بن أبي كاهل ونسبه..... 2437
طبقة سويد..... 2437
قول الأصمعي في عينية سويد..... 2437
بين سويد وزياد الأعجم..... 2437
خبر أم سويد وسبب تسميته..... 2438
انتماء سويد إلى قيس..... 2438
سويد يهجو بني شيبان لأخذ ماله..... 2439

سويد وابن الغبري يتهاجيان..... 2440
عبس وذبيان تستوهبه لمديحه لهم..... 2440
وإطلاقه بغير فداء..... 2440
صوت..... 2440
أخبار العتابي ونسبه..... 2441
قيل في شعر العتابي تكلف..... 2441
ونفاه آخرون..... 2441
رذاذ يضع لحناً..... 2442
المأمون يكتب في إشخاص العتابي..... 2442
إسحاق بن إبراهيم يعارض العتابي..... 2443
إعجاب عبد الله بن طاهر بشعر العتابي..... 2443
جوائز الرشيد للعتابي..... 2443
بشار يحقد على إجادة العتابي..... 2444
العتابي ويحيى بن خالد..... 2444
سخرية العتابي من الناس..... 2444
إعجاب يحيى البرمكي بالعتابي..... 2445
كتاب للعتابي..... 2445
يحيى بن أكثم يستأذن المأمون للعتابي..... 2445
كلمتان للعتابى..... 2445
تقدير المأمون للعتابي وإكرامه لما أسن..... 2446
دعبل وابن مهروية يحسدانه ويحقدان عليه..... 2446
عبد الله بن طاهر يجيزه ثلاث مرات..... 2446
وينعم عليه بخلعة سنية بعد إنشاده..... 2446
العتابي وطوق ابن مالك..... 2447
العتابي يفضل العلم والأدب على المال..... 2447
قول العتابي في عزل طاهر بن علي..... 2448
مدحه جعفراً لما أمنه عند الرشيد..... 2448
عودة عبد الله طاهر له في مرضه..... 2448
عبد الله بن هشام التغلبي يصله..... 2448
بعد العتب والكتابة إليه..... 2449

الرشيد يأمر بطرده 2450
يحيى العقيلي يشتري له دابة..... 2450
لوم زوجته له وما قال في ذلك 2450
عتب الرشيد على العتابي 2451
وقطعه الهبات فيتنصل بقصيدته هذه 2451
صوت..... 2452
أخبار الأبيرد ونسبه..... 2452
الأبيرد ليس مكثراً و لم يتكسب بشعره..... 2452
الأبيرد هوي امرأة فزوجت غيره..... 2452
الأبيرد و حارثة بن بدر 2453
الأبيرد وسعد العجلي 2454
مجائل وعرادة يتفاخران بنحر الإبل 2456
الأبيرد وابن عمه الأحوص 2457
يحرضان رجلاً على سحيم بن وثيل الرياحي..... 2457
قصيدة الصوت..... 2458
صوت..... 2460
أخبار منصور النمري ونسبه..... 2460
سؤاله أن يذكر عند الرشيد 2461
البيدق ينشد قصيدة النمري 2464
الرشيد يبعث بمن يقتل النمري..... 2465
في يوم وفاته 2465
عفة النمري..... 2466
نسب عبد الله بن الحجاج وأخباره..... 2471
أخبار ناهض بن ثومة ونسبه..... 2480
أخبار المخبل ونسبه..... 2487
أخبار غيلان ونسبه..... 2493
أخبار حاجز ونسبه..... 2497
أخبار الحارث بن الطفيل ونسبه 2502
أخبار عبد الصمد بن المعذل ونسبه 2506
فرضي عنه عبد الصمد..... 2512

أخبار عبد الرحمن ونسبه 2524
هجاء عبد الرحمن لأخيه 2528
الحارث حين استعفى من الغزو 2528
هجاؤه لمروان حين أعدي عليه الحناط 2528
رثاؤه لقتلى قريش يوم الجمل 2529
غضب معاوية عليه ثم عفوه عنه 2529
أخبار مسعدة ونسبه 2529
أخبار مطيع بن إياس ونسبه 2531
نكاح أم خارجة 2532
تشاحن ابن الزبير وجد مطيع 2532
والد مطيع بن إياس 2532
جد مطيع بن إياس 2533
صفة مطيع وذكر نشأته 2533
صلته بالولاة والخلفاء 2533
رأي بعض الناس فيه 2533
إعجاب الوليد بن يزيد بمطيع 2534
صحبته لجماعة من الزنادقة 2535
صلته بعبد الله بن معاوية 2535
مطيع يشبب بجوهر ثم يهجو 2554
مطيع يشكو المنصور ويمدح أيام بني أمية 2558
مطيع يصف ليالي قضاها في الكرخ 2559
ويتشوق إلى يحيى بن زياد 2559
روايته شعراً لفتى كوفي 2560
المهدي يعاتب مطيع بن إياس 2560
مطيع وأصحابه وجوهر المغنية 2560
مطيع يهجو أباه 2561
مطيع يمدح معن بن زائدة 2561
مطيع وصديق له عربي 2562
مجون مطيع وأصحابه في الصلاة 2563
إعجاب المهدي بتهنئة مطيع 2563

مطيع ينصح يحيى بن زياد..... 2563
أخبار محمد بن كناسة ونسبه 2569
أخبار قلم الصالحية 2574
أخبار الشمردل ونسبه..... 2576
الجزء الرابع عشر 2584
أخبار الحصين بن الحمام ونسبه..... 2584
أخبار محمد بن يسير ونسبه..... 2591
أخبار ديك الجين ونسبه 2605
أخبار قيس بن عاصم ونسبه..... 2615
أخبار محمد بن حازم ونسبه 2625
أخبار ابن القصار ونسبه..... 2635
أخبار معبد..... 2636
أخبار ابن أبي الزوائد ونسبه 2639
أخبار أبي الأسد ونسبه 2643
أخبار قيس بن الحدادية ونسبه 2648
أخبار ابن قنبر ونسبه 2656
أخبار الأسود ونسبه..... 2660
أخبار علي بن الخليل 2662
أخبار محمد الزف 2668
أخبار أبي الشبل ونسبه 2671
نسبه..... 2671
مجونه واتصاله بالمتوكل..... 2671
مدحه مالك بن طوق ثم ذمه 2672
رثاؤه لطبيب..... 2673
عبثه بخالد بن الوليد..... 2673
عرض شعره على المازني فذمه 2674
بعض نوادره 2674
خبره مع خمار يهودي..... 2674
هجاؤه هبة الله بن إبراهيم..... 2675
قصته مع جاريتين..... 2675

شعره في الشيب..... 2676
خبره مع حاتم بن الفرج..... 2676
شعره في جارية سوداء يحبها..... 2677
شعره في ذم المطر 2677
أخبار عثعث 2682
أخبار عبد الله الزبير ونسبه 2684
أخبار ثابت قطنة 2704
صلاته الجمعة بالناس..... 2704
خبر حاجب الفيل مع يزيد بن المهلب 2705
خبره مع حاجب الفيل عند يزيد 2705
هجاء حاجب له 2706
شعره عن نفسه 2707
هجاؤه لقتيبة بن مسلم..... 2709
رثاؤه المفضل بن المهلب..... 2710
رده على ابن الكواء..... 2710
كتابه إلى يزيد بن المهلب..... 2710
خطب امرأة فدفعه عنها جويبر بن سعيد..... 2711
رثاؤه يزيد بن المهلب 2712
هجاؤه لربيعة 2712
شعره لما منعه قتيبة بن مسلم..... 2712
شعره في قومه..... 2713
خبره مع أمية بن عبد الله بن خالد..... 2713
صوت..... 2713
أخبار كعب الأشقري ونسبه 2713
نسبه وبعض أخباره 2713
شعره للحجاج عن وقعة الأزارقة..... 2714
شعره في المهلب وولده..... 2715
تهاجيه وزياد الأعجم..... 2716
هجاؤه عبد القيس 2717
هجاؤه ربيعة واليمن 2717

شعره في المهلب أمام رسول الحجاج 2718
هروبه إلى عمان..... 2719
شعره في مقتل بني الأهتم..... 2719
شعره في عمرو بن عمير..... 2720
شعر له فيه غناء..... 2720
شعره في المهلب وولده..... 2722
هجاؤه لأخيه وخبر ذلك..... 2722
مقتله..... 2722
مدحه لقتيبة بن مسلم..... 2723
صوت..... 2723
أخبار العباس بن مرداس ونسبه 2724
نسبه..... 2724
خبره مع صنم كان لهم..... 2724
خروجه إلى النبي وإسلامه 2725
زوجته تؤنبه على إسلامه..... 2726
شعره حين فضل غيره عليه في الغنائم..... 2727
كتب عبد الملك لابن الزبير يتوعده..... 2728
خبر قتل أخيه هريم..... 2729
خروجه لحرب بني نصر 2729
حربه مع بني زبيد..... 2731
شعره في جلاء بني النضير 2732
وجواب خوات له 2732
رثاه أخوه بشعر..... 2733
دعاء النبي عليه السلام لأمته..... 2734
صوت..... 2734
أخبار حماد عجرد ونسبه 2734
نسبه..... 2734
وهجاء بشار له 2735
كان من كبار الزنادقة..... 2736
هجاء بشار له..... 2737

اتصاله بالربيع 2740
هجاؤه لبشار 2741
شعره في قطرب 2741
كان أبو حنيفة صديقاً له 2742
كان يحيى بن زياد صديقاً له 2742
شعره لصديق انقطع عن مجلسه 2743
كان من ندماء الوليد بن يزيد 2743
اجتماعه بوجوه البصرة 2743
شعر للسكوني يعتذر إليه به 2744
مديحه لجلة من أبناء ملوك فارس 2745
حريث بن أبي الصلت يعيبه بالبخل 2746
وشعر له في ذلك 2746
قوله في رجل حبق في مجلسه 2746
شعر له في قريش حين صلى به 2746
خبره مع غلام أمرد 2747
شعره في جوهر 2747
رثاؤه للأسود بن خلف 2747
هجا أبا عون مولى جوهر بشعر 2748
هجا بشاراً ببيت من الشعر 2749
راوية بشار ينشده شعراً لحماد 2750
إعجاب محمد بن النطاح بشعره 2751
هجاه بشار أكثر مما هجاه هو 2751
مجاشع بن مسعدة يهجو حماداً 2752
شعره في جارية 2752
شعره في محمد بن طلحة 2752
رده على حفص بن أبي وزة 2753
حين طعن على مرقش 2753
شعره في جبة لبعض الكتاب 2753
مرض فلم يعده مطيع بن إياس فقال 2754
خبره مع المفضل بن بلال 2754

خبره مع سعاد الجارية..... 2755
خبره مع غلام بعث به إليه مطيع..... 2755
شعر له ولمطيع في بنت دهقان..... 2756
شعره في وداع أبي خالد الأحوال..... 2756
ممازحته لمطيع بن إياس..... 2757
هجاؤه عيسى بن عمرو..... 2758
هجا حشيشاً الكوفي..... 2758
هجا أبا عون..... 2759
هجاؤه غيلان جد عبد الصمد بن المعذل..... 2760
شعره في يحيى بن زياد..... 2761
شعره في عيسى بن عمرو..... 2762
هجا يقطيناً بشعر..... 2762
شعره في ولد لبشار..... 2763
استجازه محمد بن أبي العباس وعداً..... 2763
شعره في عثمان بن شيبة..... 2764
هجاؤه مطيع بن إياس..... 2764
مدحه وتعزيته داود بن إسماعيل..... 2765
ابن علي بن عبد الله بن العباس..... 2765
كان ماجناً زنديقاً..... 2766
أدبه محمد بن أبي العباس..... 2766
نسيب ابن أبي العباس بزينب بنت سليمان..... 2767
خطبته لها..... 2767
غنى دحمان في شعر قيس بن الخطيم..... 2767
شعر لابن أبي العباس غنى فيه..... 2768
سكر حماد مع حكم الوادي عنده..... 2768
ابن أبي العباس يشبب بزينب..... 2769
كان محمد نهاية في الشدة..... 2769
حماد يمدح ابن أبي العباس..... 2769
خبر عزل ابن أبي العباس عن البصرة..... 2770
شبب حماد بزينب بنت سليمان..... 2770

رثى حماد ابن أبي العباس بشعر 2770
خبر موت ابن أبي العباس..... 2771
تنصله لأخي زينب بشعر..... 2771
اعتذر إلى محمد بن سليمان بشعر..... 2772
هجاؤه محمد بن سليمان 2772
خبر مقتله..... 2773
صوت..... 2774
أخبار حريث ونسبه..... 2774
نسبه..... 2774
يشبب بحبى بنت الأسود..... 2774
مر بنسوة فضحكن منه فقال شعراً 2776
خبر إغارته على قوم من بني أسد..... 2776
الجزء الخامس عشر 2778
صوت..... 2778
أخبار جعفر بن الزبير ونسبه..... 2778
ذكر خبر مضاض بن عمرو..... 2782
ذكر أخبار بصبص جارية ابن نفيس..... 2789
ذكر أحيحة بن الجلاح..... 2794
سلامة الزرقاء..... 2803
ذكر خبرها وخبر محمد بن الأشعث..... 2803
نسبة الصوت الذي في الخبر..... 2811
نسب عدي بن نوفل وخبره 2812
نسب الخنساء وخبرها..... 2813
شعر خفاف في ذلك..... 2820
شعره في ذلك..... 2824
خبرهما في التهاجي والسبب في ذلك..... 2830
أخبار حبابة 2835
أخبار أبي الطفيل ونسبه 2848
أخبار حسان وجبلة بن الأيهم..... 2852
خبر بديح في هذا الصوت وغيره..... 2860

نسب ابن الزبعري وأخباره 2862
وقصة غزوة أحد 2862
رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق 2865
رجع إلى حديث ابن إسحاق 2867
ذكر عمرو بن معد يكرب وأخباره 2876
رجع الخبر إلى سياقة خبر عمرو 2887
ذكر هاشم بن سليمان وبعض أخباره 2897
ذكر علي بن أديم وخبره 2905
ذكر ادم بن عبد العزيز وأخباره 2915
ذكر متمم وأخباره وخبر مالك ومقتله 2922
رجع الحديث إلى سياقه 2930
أخبار الحزين ونسبه 2933
نسب الطفيل الغنوي وأخباره 2946
نسب محمد بن حمزة بن نصير الوصيف 2950
وأخباره 2950
نسب لبيد وأخباره 2952
أخبار زياد الأعجم ونسبه 2963
الجزء السادس عشر 2972
أخبار شارية 2972
أخبار الحسين بن مطير ونسبه 2978
أخبار النعمان بن بشير ونسبه 2984
خبر مقتل ربيعة بن مكدم ونسبه 2997
أخبار المغيرة بن شعبة ونسبه 3009
أخبار محمد بن بشير الخارجي ونسبه 3020
ذكر سديف وأخباره 3037
أخبار الحسين بن علي ونسبه 3038
رجع الحديث إلى أخبار سكينة 3054
أخبار الفضل بن العباس اللهبي ونسبه 3056
أخبار المهاجر بن خالد ونسبه 3066
وأخبار ابنه خالد 3066

رجع الخبر إلى سياقة خبر خالد..... 3069
أخبار حمزة بن بيض ونسبه..... 3070
أخبار كعب بن مالك الأنصاري ونسبه..... 3084
أخبار عيسى بن موسى ونسبه..... 3092
أخبار الرقاشي ونسبه..... 3094
أخبار ابن دراج الطفيلي..... 3098
أخبار ربيعة الرقي ونسبه..... 3099
خبر مقتل ابني عبيد الله بن العابس..... 3106
ابن عبد المطلب 3106
رجع الخبر إلى سياقة مقتل الصبيين 3108
ذكر أم حكيم وأخبارها..... 3110
سبب منافرة عامر وعلقمة..... 3115
وخبر الأعشى وغيره معهما فيها..... 3115
أخبار أبي العباس الأعمى 3123
أخبار أبي حية النميري ونسبه..... 3128
أخبار أحمد بن يحيى المكي 3130
أخبار نائلة بنت الفرافصة ونسبها..... 3135
أخبار عبد يغوث ونسبه..... 3138
أخبار ذات الخال..... 3146
نسب حُجر بن عمرو 3152
والسبب الذي من أجله قال هذا الشعر..... 3153
أخبار محمد بن صالح العلويّ ونسبه..... 3155
ذكر أخبار أبي دواد الإيلدي ونسبه..... 3163
أخبار أبي تمام ونسبه..... 3168
أخبار أبي الشيص ونسبه..... 3179
الجزء السابع عشر 3185
ذكر الكميت ونسبه وخبره..... 3185
نسبه..... 3185
تشيعه لبني هاشم..... 3185
كان معلم صبيان..... 3185

مودته للطرماح مع اختلاف المذهب والعصبية 3185
علمه بأيام العرب وأشعارها 3186
مساءلته حماداً عن شيء من الشعر 3186
سبب حفيظة خالد القسري عليه 3186
خبرته بزجر الطير 3187
خروجه إلى الشام 3187
سبقه الشعراء إلى معنى في صفة الفرس 3189
هاشميته اللامية 3193
لقاؤه بالفرزدق وهو صبي 3197
نقد الفرزدق شعره 3199
معارضته قصيدة لذي الرمة 3200
روايته للحديث 3202
روايته للتفسير 3202
سبب هجائه أهل اليمن 3204
يحاول إطلاق سراح أبان بن الوليد البجلي 3205
تعريضه بحوشب بن يزيد الشيباني 3206
ابنته ريا وفاطمة بنت أبان بن الوليد 3206
مولده وموته ومبلغ شعره 3206
وصيته لابنه في دفنه 3207
شعر لعمر بن أبي ربيعة 3207
خبر ابن سريج مع سكينة بنت الحسين 3207
امتناعه من الغناء وقدومه المدينة للاستشفاء 3207
سكينة ترغب في الاستماع منه 3208
امتناعه من الذهاب إليها 3208
حيلة أشعب لإرغامه 3208
مجلس غناء 3210
أشعار وأصواتها 3210
نسبة الأصوات التي في هذا الخبر 3211
الحارث بن خالد المخزومي وبشرة 3211
مغنية وبيت شعر للحارث المخزومي 3212

صوت..... 3214
خبر لبيد في مرثية أخيه 3215
نسب أربد..... 3215
موت عامر بن الطفيل..... 3217
مراثي لبيد لأخيه..... 3218
صوت..... 3220
ذكر خبر العباس وفوز..... 3221
كانت جارية لمحمد بن منصور..... 3221
تشبهه في شعره بأبي العتاهية..... 3221
معابه بينه وبين الأصمعي..... 3222
فوز تجد صداعاً 3222
ذكر بذل وأخبارها..... 3225
من مولدات المدينة ولها كتاب أغان 3225
أروى خلق الله للغناء..... 3225
احتيال الأمين في أخذها..... 3225
تكتب اثني عشر ألف صوت 3226
تروي ثلاثين ألف صوت..... 3227
تغني مائة صوت لم يعرفها ابن المهدي 3227
صوت..... 3228
أخبار كعب بن زهير..... 3228
نسب أم كعب..... 3228
الحطيئة يسأله أن يذكره في شعره..... 3229
خروجه وبجير إلى رسول الله..... 3231
إسلام بجير 3231
إهدار الرسول دمه 3231
إسلامه..... 3231
مدحه الأنصار 3233
عرقوب المضروب به المثل..... 3233
صوت..... 3234
أخبار ابن الدمينة ونسبه 3234

نسبه 3234
سلولي يرمي بامرأته 3235
مزاحم يشهر به 3235
يقتل امرأته وصغيرة له منها 3236
اشتداد الشر بين خثعم وبني سلول 3237
مقتله 3237
يحرض قومه ويوبخهم 3237
مما يغني به من شعره 3238
يحب أميمة ويتزوجها 3238
قصة عاشقين 3239
العباس بن الأحنف ينشد شعراً له 3240
صوت 3242
نسب المقنع الكندي وأخباره 3242
سبب تلقيبه بالمقنع 3242
نسبه 3243
أتلف ماله في عطاياه 3243
صوت 3243
خبر لإسحاق وابن هشام 3244
رسالته إلى علي بن هشام 3244
صوت 3246
نسب أبي قيس بن الأسلت وأخباره 3247
نسبه 3247
يوم بعاث 3247
صوت 3254
خبر مقتل حجر بن عدي 3254
استنكاره ذم علي بن أبي طالب ولعنه 3254
المغيرة بن شعبة يحذره 3255
صرخة ثائرة منه 3255
أخبار لعمر بن أبي ربيعة 3265
سعدى بنت عبد الرحمن تبعث إليه تعظه 3265

ابن أبي عتيق ينشد سعدى قول عمر..... 3266
يستوقف ليلى بنت الحارث وينشدها..... 3266
خبر آخر لسعدى معه..... 3266
إسحاق يغني الرشيد شعر عمر في سكينة..... 3267
صوت..... 3267
أخبار عزة الميلاء..... 3267
سبب تسميتها الميلاء..... 3268
مكانتها في الموسيقى والغناء..... 3268
رأي مشايخ أهل المدينة فيها..... 3268
سمعها معبد وقد أسنت فأعجب بها..... 3269
ابن أبي ربيعة يغشى عليه حين سمعها..... 3269
غنت شعراً لحسان بن ثابت فبكى..... 3269
شعر لحسان في حرب بين الأوس والخزرج..... 3273
عبد الرحمن يحتال لإبعاد أبيه..... 3274
عن مجلس أصحابه..... 3274
رجع الحديث إلى أخبار عزة الميلاء..... 3275
نسبة هذا الصوت..... 3275
صوت..... 3275
الأصمعي ينحل الأعشى بيتاً من الشعر..... 3276
ابن جعفر يطلب ألا تمنع عزة من الغناء..... 3276
صوت..... 3276
ذكر نسب الربيع بن زياد..... 3277
نسبه..... 3277
أمه إحدى المنجبات..... 3277
سئلت أمه عن بنيها فلم تدر أيهم أفضل..... 3278
أمه تصفه وتصف إخوته..... 3278
حكمته وبعد نظره..... 3278
أمه تقتل نفسها خوفاً من العار..... 3279
لبيد يحاول الإيقاع بينه وبين النعمان..... 3279
داحس والغبراء..... 3281

بين ذبيان وعبس 3289
صوت 3292
خبر ليزيد بن معاوية 3292
جيش معاوية يغزو الصائفة 3292
يزيد يضرب باب القسطنطينية 3292
يزيد وعنبسة في حضرة معاوية وهو يحتضر 3293
الضحاك بن قيس يتولى غسل معاوية ودفنه 3293
عبد الله بن الزبير يرثي معاوية 3294
ابن عباس يرثي معاوية أيضاً 3294
صوت 3294
ذكر شريح ونسبه وخبره 3295
نسبه 3295
سنه 3295
سنة وفاته 3296
عمر يستقضيه 3296
قضي بين علي وبين يهودي 3297
خبر زينب بنت حدير وتزويج شريح إياها 3297
كان له جار يضرب امرأته فقال 3299
صوت 3299
أخبار الحطيئة مع سعيد بن العاص 3299
شعره في مدح سعيد بن العاص 3300
ينشد شعراً لأبي الإيادي وعبيد 3300
خالد بن سعيد يأمر له بكسوة وحملان 3301
صوت 3302
أخبار مالك بن أسماء بن خارجة ونسبه 3302
نسبه 3302
الحجاج يتزوج أخته هنداً ويوليه أصبهان 3302
يكتب إليه أبيه أن يشفع له عند الحجاج 3303
خالد بن عتاب والحجاج يتسابان 3303
رجع الخبر إلى حديث مالك بن أسماء 3304

مالك وأخوه عيينة يعشقان جارية لأختهما هند 3304
مالك يعشق جارية من بني أسد 3305
ينشد عمر بن أبي ربيعة بعض شعره 3305
المتوكل يطلب أن يبتاع له تل بوني 3306
مالك يعود إلى الشراب 3307
صوت 3308
من أخبار عروة بن الزبير 3308
غضبه لوقوع قوم في أخيه 3308
عبد الله بمجلس عبد الملك بن مروان 3308
قدومه على الوليد حين شلت رجله 3309
مقتل ابنه محمد 3309
صوت 3310
أخبار زيد الخيل ونسبه 3310
نسبه 3310
سماه النبي صلى الله عليه وسلم زيد الخير 3311
شاعر فارس 3311
سبب تسميته زيد الخيل 3311
له ثلاثة بنين شعراء 3311
وفد على النبي في جماعة من طيىء 3312
إسلامه 3313
أصابته الحمى ومات بها 3313
عمر يسأله عن طيىء وأصحاب مرابعها 3314
قصته مع الشيباني 3315
يسأل النبي ما تصيده الكلاب من الوحش 3316
حفيدته ليلى تنشد شعراً لأبيها 3316
غزا بني عامر 3317
اسر الحطيئة وأطلقه 3317
عروة بن زيد الخيل 3318
قتله رئيس تغلب 3318
غارته على بني فزارة 3320

وبني عبد الله بن غطفان 3320
زيد وعامر بن الطفيل 3321
شعر الحطيئة لزيد 3322
امتناع الحطيئة عن هجائه 3323
غزا فزارة مع بني نبهان 3323
زيد وقيس بن عاصم 3324
حريث بن زيد الخيل 3324
صوت 3325
خبر لابن قيس الرقيات 3325
وقوفه إلى جانب عبد العزيز بن مروان 3325
ما أحفظ عبد الملك عليه 3327
الحجاج يبعث إلى عبد الملك بعمران 3327
ابن عصام العنزي 3327
ذكر فند وأخباره 3328
كان خليعاً متهتكاً 3328
صوت 3329
أخبار نبيه ونسبه 3330
نسبه 3330
قتل هو وأخوه يوم بدر مشركين 3330
شعره في زوجتيه وقد سألتاه الطلاق 3330
انتزع امرأة من أبيها فلجأ إلى حلف الفضول 3331
فخلصوها منه 3332
حلف الفضول 3333
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء 3340
صوت 3340
نسب أمية بن أبي الصلت 3341
نسبه 3341
سيف بن ذي يزن يستنجد كسرى 3341
دوس ذو ثعلبان يستنجد قيصر 3341
أبرهة يحرض فقراء الحبشة على أرياط 3342

أبرهة يقتل أرياط ويتولى ملك اليمن..... 3343
سيف يسعى لتخليص اليمن من الحبشة..... 3344
النعمان يصحب سيفاً إلى كسرى..... 3344
كسرى يعين سيفاً بجيش يقوده وهرز..... 3344
وهرز يقتل مسروقاً..... 3345
وهرز يدخل صنعاء ويملك اليمن..... 3345
كسرى يأمر وهرز أن يملك سيفاً اليمن..... 3345
الحبشة يغتالون سيفاً..... 3346
أمية يمدح سيفاً والفرس..... 3346
عبد المطلب يهنىء سيفاً..... 3347
وسيف يرحب به وبمن معه..... 3347
المالكي يغني طاهراً بشعر أمية في سيف..... 3349
هوذة بن علي ويوم الصفقة..... 3349
صوت..... 3351
ذكر الخبر في سرية زيد بن حارثة..... 3352
إبراهيم بن هشام يكتب بدعوة بني مخزوم..... 3352
النبي يقطع فرات بن حيان أرضاً بالبحرين..... 3353
صوت..... 3353
ذكر أبي عطاء السندي..... 3353
يكاتب مواليه..... 3353
شعره في الحر بن عبد الله القرشي..... 3354
وشعره في سليمان بن سليم..... 3354
هجاؤه مولاه عنبر بن سماك الأسدي..... 3355
كان من شعراء بني أمية ومداحهم..... 3355
شعره في أبي زيد المري..... 3355
وقد أعطاه فرسه فهرب به..... 3355
أبو عطاء وحماد الراوية..... 3356
مدح أبا جعفر فلم يثبه..... 3357
هجاؤه أبا جعفر..... 3357
شعره في مدح يزيد بن عمر بن هبيرة..... 3358

يهجو بغلة أبي دلامة 3359
شعره في مدح نهيك بن معبد 3359
أنشده حماد بيتاً فلم يعجبه 3360
فقال شعراً يصحح معناه 3360
شعره في مدح سليمان بن سليم 3360
يغضب لخطأ راويته في شعر قاله 3361
ينشد نصر بن سيار فيأمر له بجائزة 3361
يغضب لأن ضيفه يرقب جاريته 3362
صوت 3362
ذكر خالد ورملة 3362
نسبه 3362
كان عالماً شاعراً 3363
أمه تكتنى باسمه 3363
رملة تزوجت عثمان بن عبد الله 3364
قبل زواجها من خالد 3364
الحجاج يعاتب خالداً لخطبته رملة 3364
فبرد عليه رداً عنيفاً 3364
شعره في رملة 3364
يثير غضب الحجاج فيعنفه 3365
محمد بن عمرو يتنقصه 3365
أمه تقتل زوجها مروان بن الحكم 3365
رملة تشكو سكينة إلى عبد الملك 3366
شعر خالد في بنت عبد الله بن جعفر 3366
شديد بن شداد يعير عبد الملك بخالد 3366
خالد يشكو الوليد إلى أبيه عبد الملك 3367
خالد يتعصب لكلب على قيس 3368
صوت 3368
خبر للأحوص 3368
نسوة من أهل المدينة يعقدن له مجلساً 3368
فيقول في ذلك شعراً 3368

رواية أخرى في سبب هذا الشعر 3369
صوت..... 3370
ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر وخبره..... 3370
وقصة بنت الجودي..... 3370
نسبه..... 3370
له صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم..... 3371
موقفه من أخذ البيعة ليزيد بن معاوية..... 3371
شعره في ليلى بنت الجودي..... 3371
عمر يأمر بأن تكون له إذا فتحت دمشق 3372
ليلى بنت ملك دمشق..... 3372
روايتان أخريان في أمر عبد الرحمن مع ليلى..... 3372
شعر آخر له في ليلى..... 3373
عائشة ترثيه..... 3373
صوت..... 3374
أخبار حاتم ونسبه 3374
نسبه..... 3374
علي يروي خبر لقاء ابنته بالنبي..... 3374
صلى الله عليه وسلم..... 3374
نسب أم حاتم..... 3375
سفانة ابنته من أجود نساء العرب 3376
شعره يشبه جوده 3376
لا يأكل إلا إذا وجد من يأكل معه..... 3376
حاتم وبنو لأم..... 3377
خبر لأبي الخيبري عند قبر حاتم 3380
حاتم يطلق قومه من أسر الحارث بن عمرو 3380
حاتم وماوية بنت عفزر 3382
إسلام عدي بن حاتم..... 3386
ماوية وحاتم وابن عمه مالك..... 3386
حاتم ونساء من عنترة 3387
جوده وهو غلام 3388

رواية أخرى في خبر أبي الخيبري..... 3388
حاتم وأوس بن سعد 3388
شعره في مدح بني بدر 3389
يقيم مكان أسير في قيده ويطلقه..... 3389
ماوية تتحدث عن كرمه 3389
حاتم ومحرق..... 3390
حاتم وأسير له..... 3390
صوت..... 3391
الجزء الثامن عشر 3392
ذكر ذي الرمة وخبره 3392
نسبه..... 3392
أقوال في سبب تلقيبه ذا الرمة..... 3392
كان له إخوة كلهم شعراء 3393
ذو الرمة وأخوه مسعود وشعرهما في ظبية..... 3394
سنحت لهما 3394
وكان طفيلياً..... 3394
بعض صفاته 3394
الفرزدق وجرير يحسدانه 3395
إعجاب الكميت بشعره..... 3395
آراء قيلت في شعره 3395
ذو الرمة وزوج مي 3397
لقاءه بجرير والمهاجر بن عبد الله..... 3398
رأي لجرير في بيت قاله..... 3398
جرير وأبو عمرو بن العلاء يصفان شعره 3398
الفرزدق يعجب بشعره ولا يعده من الفحول..... 3398
رؤبة يعجز عن تفسير بيت قاله الراعي 3403
فيفسره له ذو الرمة..... 3403
كثيرة تقول شعراً في مي وتنحله ذا الرمة 3403
محمد بن الحجاج الأسيدي يلتقي بمية وهي عجوز 3404
ذو الرمة يكتب 3405

رؤبة يتهمه بسرقة شعره..... 3405
يحدثنا عن منزلته من الراعي 3406
لا يحسن الهجاء والمدح..... 3406
ذو الرمة وبلال بن أبي بردة 3406
يحتكمان إلى أبي عمرو بن العلاء في رواية شيء من شعر حاتم: 3406
أجود شعره في رأي بلال بن جرير 3407
رأي لابن سلام في ذي الرمة 3407
يغير شعره لرأي قاله ابن شبرمة..... 3408
بلال يأمر له بعشرة آلاف درهم 3408
رجل بمربد البصرة يراجعه في شعر..... 3408
روايات في سبب تشبيبه بخرقاء..... 3408
خرقاء تسقي ذا الرمة وهي لاتعرفه 3409
ذو الرمة يموت وله أربعون سنة..... 3411
أخوه مسعود يرثيه 3414
خبر إبراهيم في هذه الأصوات الماخورية 3414
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء..... 3414
ذو الرمة وعصمة بن مالك يزوران مية 3415
صوت..... 3416
ذكر مقتل الزبير وخبره..... 3417
الزبير وعلي بن أبي طالب 3417
عاتكة ترثي الزبير 3419
عبد الله بن أبي بكر وعاتكة 3419
عمر بن الخطاب وعاتكة..... 3420
الزبير بن العوام وعاتكة 3421
الحسين بن علي وعاتكة..... 3421
طويس يغني شعراً لعاتكة..... 3422
صوت..... 3422
ذكر أخبار دنانير وأخبار عقيد..... 3423
كانت مولاة ليحيى بن خالد البرمكي..... 3423
لها كتاب في الأغاني..... 3423

عرضت على الموصلي صوتاً لها فأعجبه..... 3423
اشتراها يحيى بن خالد..... 3424
الرشيد يعجب بها فتعلم أم جعفر..... 3424
وتشكوه إلى عمومته..... 3424
دنانير تصاب بالعلة الكلبية..... 3425
الرشيد يأمر بصفع دنانير حتى تغني..... 3425
خطبها عقيد فردته..... 3425
وبقيت على حالها إلى أن ماتت..... 3425
صوت..... 3427
أخبار خفاف ونسبه..... 3427
أحد فرسان العرب وأغربتهم..... 3427
ينال من العباس بن مرداس..... 3428
والعباس يرد عليه..... 3428
ابن عم للعباس يحرضه على الحرب..... 3429
العباس وخفاف يلتقيان ويقتتلان..... 3429
دريد ومالك بن عوف يحذرانهما عاقبة الحرب..... 3430
قال شعراً في أبي نواس..... 3433
والبة وأبو العتاهية يتهاجيان..... 3433
والبة وعلي بن ثابت..... 3435
حكم الوادي يغني شعر والبة..... 3436
صوت..... 3436
أخبار عمران بن حطان ونسبه..... 3436
نسبه..... 3436
من شعراء الشراة..... 3437
من رواة الحديث..... 3437
تزوج امرأة من الشراة فأضلته..... 3437
الأخطل يرى أن عمران أشعر الشعراء..... 3440
عمران يصير حرورياً..... 3441
لا يقول أحد شعراً إلا نسب إليه لشهرته..... 3441
الفرزدق يعترف بتفوقه ونبوغه..... 3442

مسلمة بن عبد الملك يبكيه شعر لعمران 3442
امرأته تتهمه بالكذب فيرد اتهامها 3443
صوت 3443
أخبار عمارة بن الوليد ونسبه 3443
نسبه 3444
يعود إلى الشراب بعد أن عاهد امرأته 3444
على تركه 3444
ملاحاة بينه وبين عمرو بن العاص 3445
عمر بن الخطاب يتمثل بشعره 3446
صوت 3446
أخبار الأضبط ونسبه 3447
كان الأضبط مفركاً 3447
شعره فيمن خالفوه 3447
نشوز امرأته عليه وشعره في ذلك 3448
صوت 3448
أخبار الأعشى ونسبه 3448
نسبه 3448
قدومه على عبد الملك 3448
يحث عبد الملك على محاربة ابن الزبير 3449
جفاء الحجاج ثم سر بكلامه 3450
اعتذاره للحجاج من رثائه ابن الجارود 3450
مدحه عبد الملك بن مروان 3450
مدحه أسماء بن خارجة 3451
مدحه سليمان بن عبد الملك 3451
صوت 3451
أخبار عمرو بن قميئة ونسبه 3452
نسبه 3452
بعض صفاته 3452
مراودة امرأة عمه له وامتناعه عليها 3452
حماد الراوية يرى أنه أشعر الناس 3453

بلوغه التسعين وقوله في ذلك 3454
عبد الملك بن مروان يتمثل بشعر له 3454
خروجه مع امرىء القيس إلى قيصر 3455
صوت 3455
أخبار المؤمل بن جميل 3456
كان أبوه جميل يلقب قتيل الهوى 3456
أخبار له مع غلامه المطرز 3456
انقطاعه إلى جعفر ثم عبد الله بن مالك 3457
صوت 3457
أخبار مساور ونسبه 3457
نسبه 3457
خبره مع ابن أبي ليلى 3458
هجا ابن أبي بدرة لعيبه شعراً للمرقش 3458
وصيته لابنه 3458
ولاه عيسى بن موسى عملاً فانكسر عليه الخراج 3459
مر بمقبرة صديقه حميد الطوسي فقال 3459
شعر له في أصحاب أبي حنيفة 3459
حفظ حقوق جيرانه وضيعوا حقه فهجاهم 3460
صوت 3460
أخبار سعيد بن حميد ونسبه 3461
نسبه 3461
كان كاتباً شاعراً 3461
أبوه يهجو أحمد بن أبي دواد 3461
قوة حافظته 3461
خبره مع أبي العباس بن ثوابة 3461
حيلة له مع غلام من أولاد الموالي 3462
كتب لفضيل الشاعرة يعتذر إليها 3463
خبره مع كعب جارية أبي عكل المقين 3463
خبره مع جارية زارته على غير وعد 3463
عبد الله بن داود يستحسن شعراً له 3464

زارته فضل الشاعرة فجأة 3464
أثناء ذهابها إلى القصر فقال في ذلك شعراً..... 3464
تغاضب فضل وسعيد 3465
رسول الحسن بن مخلد يدعوه فيقول..... 3465
أبو العباس بن ثوابة يعاتبه فيجيبه 3465
مظلومة جارية الدقيقي تعاتبه فيرد عليها 3466
اعتذر إلى هبة المغنية فقبلت رأسه..... 3466
غضبت عليه فضل فكتب إليها 3467
كتب إلى أبي هفان يتبرأ..... 3467
من طعن فيه نسب إليه ظلماً 3467
عاتبته فضل الشاعرة فزارها وقال..... 3468
فيها شعراً..... 3468
صوت..... 3469
أخبار ابن مناذر ونسبه 3470
نسبه وكنيته..... 3470
فتنته بعبد المجيد بن عبد الوهاب 3470
كان من أهل عدن 3471
كره الناس إمامته بعد تهتكه فرد عليهم 3472
أول لقاء له بأبي نواس..... 3472
خبره مع أبي العتاهية 3472
مع خلف الأحمر 3473
الحكم بين شعره وشعر عدي بن زيد..... 3473
كان أبو عبد المجيد لا ينكر صحبة ابنه له 3473
عرض قصيدته على أبي عبيدة فلم تعجبه..... 3477
هبود وعبود..... 3477
شعر له في محمد بن زياد 3477
انصرف الناس عن حلقته..... 3478
إلى حلقة عتبة النحوي فقال شعراً في ذلك..... 3478
خبره مع الخليل بن أحمد 3478
يمدح الرشيد فيجيزه..... 3479

خبره مع سفيان بن عيينة 3482
خبره مع يونس النحوي 3484
خبر زيارة حجاج الصواف له بمكة 3484
هجاء إسكاف بالبصرة فهرب منها 3485
شعر له في أبي أمية خالد 3486
رثاؤه الرشيد 3487
هجاؤه خالد بن طليق 3487
مدح بني مخزوم لأنهم زاروه في مرضه 3488
ابن عائشة يطلب سماع مرثيته في عبد المجيد 3488
عاقبه الرشيد على رثائه البرامكة 3489
قال يصف الألفة بين الرشيد وجعفر 3490
خبره مع أبي حية النميري 3490
فلما فرغ قال له ابن مناذر ما أرى في شعرك شيئاً يستحسن فقال له ما في شعري شيءٌ هجا خالد بن طليق
وعيسى بن سليمان 3491
يفسر كلماتٍ لعبد الله بن مروان 3491
وفاته بعد أن كف بصره 3493
خبره مع أبي خيرة 3494
صوت 3494
نسب أشجع وأخباره 3494
نسبه 3495
كان يعد من فحول الشعراء 3495
شخص إلى الرقة لينشد الرشيد قصيدته 3495
مدح جعفر بن يحيى 3497
أنس بن أبي شيخ يعجب بشعره 3498
الرشيد يفضل أبا نواس عليه في الخمر 3500
الواثق يطرب لشعر أشجع ويستعيده 3500
الفضل بن الربيع يصله بالرشيد 3507
صوت 3519
أخبار ابن مفرغ ونسبه 3519
نسبه وسبب تلقيب جده مفرغاً 3519

ووصيته سعيد بن عثمان 3520
يهجو عباداً ببيت من الشعر 3521
هجاء فيه ينشده ابنه في مجلس عباد 3522
معاتبة معاوية لجعله البيعة ليزيد 3523
رجع الحديث إلى سياقه أخبار ابن مفرغ 3524
مقتل عبيد الله وشعر ابن مفرغ فيه 3537
مروان بن الحكم يعطيه ويكسوه..... 3539
صوت..... 3544
أخبار الزبير بن دحمان 3544
قدم على الرشيد والمغنون حزبان 3544
يغني الرشيد فيفضل أخاه..... 3544
الرشيد يستعيده صوتاً ثلاث مرات 3544
يغني الرشيد بشعر مدحه به..... 3545
يغني الرشيد بشعر يزيد ندمه على البرامكة..... 3546
إسحاق يفضل الزبير على أبيه وأخيه 3546
في الغناء 3546
إسحاق يغني الرشيد بالرقة 3547
شعراً يحن فيه إلى بغداد..... 3547
فسأل عن الناحية التي فيها الغناء فقيل دار ابن المسيب فبعث إليه أن ابعث بالمغني فإذا هو الزبير بن دحمان فسأله عن الشعر فقال هو للعباس بن الأحنف فأحضر واستنشده فأنشده إياه وجعل الزبير يغنيه وعباس ينشده وهو يستعيدهما حتى أصبح وقام فدخل إلى أم جعفر فسألت عن سبب دخوله فعرفته فوجهت إلى العباس بألف دينار وإلى الزبير بألفالرشيد يفضل لحنه على عشرين لحناً 3549
صنعها زملاؤه 3549
صوت..... 3550
نسب العماني وخبره..... 3550
نسبه..... 3550
يدخل على الرشيد وينشده فيجزل صلته 3550
أثناء قعوده للبيعة لابنه محمد..... 3551
ينشدها للرشيد..... 3553
ويمدح عبد الملك بن صالح فيثيبه..... 3553

سبب تسميته العماني.....3554
يمدح عيسى بن موسى فيصله 3554
ينشد الرشيد قصيدة أثناء حصاره هرقلة.....3555
يذكر فيها بغداد 3555
يرتجل شعراً في فرسٍ للمهدي فيجيزه.....3555
صوت.....3556
أخبار عروة بن أذينة ونسبه.....3556
نسبه.....3556
شاعر وفقيه ومحدث.....3556
ويكنى عروة بن أذينة أبا عامر وهو شاعر غزل مقدم من شعراء أهل المدينة وهو معدودٌ في الفقهاء والمحدثين روى عنه مالك بن أنس وعبيد الله بن عمر العدوي. أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن عمر بن شبة وروى جده مالك بن الحارث عن علي بن أبي طالب.روى قصة عن جده مالك 3556
وفد على هشام فذكره بشعره في القناعة.....3557
ولامه ثم ندم فأرسل إليه جائزة.....3557
غنى ابن عائشة بشعره.....3558
اعتراض سكينة على ادعائه العفة 3559
مع شعر قاله 3559
تمثل المتوكل للمنتصر بشعره.....3560
اعترضت امرأة على شعر قاله 3560
ذكر ما في هذا الخبر من الغناء.....3561
رأي لأبي السائب في شعر قاله 3561
خالد صامة يغني شعره بين يدي الوليد 3562
اعترض ابن أبي عتيق على شعره.....3563
في رثاء أخيه فخاصمه.....3563
ذكر مخارق وأخباره.....3563
نسبه.....3563
بان طيب صوته فعلمته مولاته الغناء.....3563
اشتراه إبراهيم الموصلي ثم وهبه الفضل 3564
ابن يحيى ثم صار إلى الرشيد.....3564
سبب تلقيب أبيه بناووس.....3565

اصبر حتى نطعم الأحياء أولاً ثم نتفرغ للموتى فلقب بناووس لذلك فنشأ ابنه مخارق وكان ينادي عليه إذا باع الجزور فخرج له صوتٌ عجيب فاشتراه أبي وأهداه للرشيد فأمره بتعليمهغنى لرشيد بعد ابن جامع ففاقه 3565
كان سبب عتقه لحناً غناه أمام الرشيد 3566
المأمون يسأل إسحاق عنه وعن ابن المهدي 3566
كناه الرشيد أبا المهنأ لإحسانه في الغناء 3566
الواثق يعذر غلمانه تركوا قصره لسماعه 3566
الموصلي يعرف جودة طبعه فيخصه بالتعليم 3567
كان عبداً لعاتكة بنت شهدة الحاذقة بالغناء 3567
ابن داود يغني بلحن لشهدة فيفوق المغنين 3567
والغناء فيه لابن محرز لحنان كلاهما له أحدهما ثقيل الأول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق والآخر خفيف ثقيل الأول بالبنصر عن عمرو بن بانة وفيه لمالك ثاني ثقيل عنالواثق يوزان بين جماعة من المغنين 3568
ويذكر أثر غناء مخارق 3568
يستوقف الناس بحسن صوته في الأذان 3568
أبو العتاهية يعجب بغنائه إعجاباً شديداً 3569
أبو العتاهية يشتهي سماعه عند موته 3569
في تبخيل الناس 3569
غنى بين قبرين فترك الناس أعمالهم 3569
والتفوا حوله 3569
بكى أبو العتاهية حين سمع لحنه 3570
غنى لإبراهيم الموصلي فنشج أحر نشيج 3572
رأى رؤيا فسرها إبراهيم الموصلي 3572
بأن إبليس قد عقد له لواء صنعة الغناء 3572
نام في بيت ابن المهدي وهو يغني 3573
ثم انتبه وأكمل الغناء 3573
طلب منه سعيد بن سم الغناء 3573
في شعر ضعيف 3574
جاريته تغني صوتاً له بحضرته فتحسن 3574
سمعت الظباء غناءه فوقفت 3575
بالقرب منه مصغية 3576

غنى وسط دجلة فتسابق الناس لسماعه 3576
نصح ابن المهدي شارية بألا تتشبه به 3577
في تزايده وإلا هلكت 3577
غلمان المعتصم يتركونه لسماع مخارق 3577
المأمون يسأل إسحاق عن غناء مخارق 3577
وإبراهيم بن المهدي 3577
حين رآها عليه 3577
رأي الخريمي في علوية ومخارق 3582
حج سنة حجت أم جعفر بسبب جاريتها 3582
حج رجل معه وغناه فوهب له حجته 3584
وفاته 3584
صوت 3584
الجزء التاسع عشر 3585
ذكر أبي محجن ونسبه 3585
نسبه 3585
نفاه عمر بجزيرة حضوضي مع ابن جهراء 3585
ففر منه. 3585
أحب الشموس الأنصارية فشكاه زوجها لعمر 3585
رجع إلى حديث فراره من ابن جهراء 3586
قاتل العجم يوم أرماث 3586
بعد أطلقته امرأة سعد بن أبي وقاص 3586
يرثي أبا عبيد بعد أن قتله الفيل 3589
يقسم أن لا يشرب الخمر أبداً 3590
معاوية وابن أبي محجن 3590
عمر بن الخطاب يحده وجماعة 3591
من أصحابه في شربهم الخمر 3591
قبره في أذربيجان نبتت عليه كرمة 3592
صوت 3592
أخبار زهير بن جناب ونسبه 3592
نسبه 3592

سبب غزوه غطفان 3593
غزا بكرا وتغلب وشعره في ذلك 3595
وفد مع أخيه حارثة أحد ملوك غسان 3595
ذهب عقله آخره عمره فكان يخرج فيرد 3596
كان يدعى الكاهن لصحة رأيه 3596
عمر حتى مل عمره، وشعره في ذلك 3596
قال ابن الكلبي: وقال زهير في كبره أيضاً: 3597
خالفه ابن أخيه فشرب الخمر 3598
كان نازلاً مع الجلاح بن عوف 3598
فأنذرته فخالفه الجلاح فرحل هو وقال شعراً. 3598
اجتمع مع عشيرته فقصده الجيش 3598
فهزمهم وقتل رئيساً منهم 3599
كل أولاده شعراء وهذه نماذج من شعرهم 3600
صوت 3601
نسب مسلم بن الوليد وأخباره 3601
نسبه 3601
كان يلقب صريع الغواني 3601
اتهم بأنه أول من أفسد الشعر 3602
كان منقطعاً إلى يزيد بن يزيد 3602
غازل جارية منزلها في مهب الشمال 3602
من منزله، و لم يكن يهواها 3602
كان يحب جاريته محبة شديدة 3603
ذكر أمام المأمون شعره فأعجبه 3603
الرشيد ينبه يزيد من مزيد إلى ما قاله 3604
فيه مسلم من مدح 3604
يزيد بن مزيد يسمع مدحه فيه 3605
ويأمر له بجائزة 3605
يزوره صديق فيبيع خفيه ليقدم له طعاماً 3605
يدخل على الرشيد ويمدحه فيأمر له بجائزة 3607
يهجو يزيد فيدعوه الرشيد ويحذره 3607

البيدق يصله بيزيد بن مزيد..... 3607
ويسمعه شعره فيأمر له بجائزة..... 3607
قصة راويته الذي أرسله إلى المهلبي..... 3609
أنشد الفضل شعراً فولاه بريد جرجان..... 3610
قال بيتاً من الشعر أخذ معناه من التوراة..... 3610
قذف في البحر بدفتر فيه شعره فقل شعره..... 3611
كان يكره لقب صريع الغواني..... 3611
هجاؤه ثلاثة كانوا يصلونه..... 3613
أبو تمام يحفظ شعره وشعر أبي نواس..... 3615
رثاؤه يزيد بن مزيد..... 3616
مدح الفضل بن سهل..... 3617
عابه ابن الأحنف في مجلس فهجاه..... 3617
ماتت زوجته فجزع عليها وتنسك..... 3619
يهجو قريشاً ويفخر بالأنصار..... 3624
قصيدته في هجاء تميم..... 3626
صوت..... 3628
أخبار محمد بن وهيب..... 3628
شعراء الدولة العباسية..... 3628
مدح الحسن بن رجاء ثم المأمون..... 3628
منزلته..... 3628
رجع الحديث عن صلته بالحسن بن رجاء..... 3629
هنأ المطلب بعد عودته من الحج فوصله..... 3630
بصلة كبيرة..... 3630
مدح الحسن بن سهل فأطربه..... 3631
و لم يقصد غيره إلى أن مات..... 3631
تردد على علي بن هشام فهجاه..... 3633
هجاء موجعا..... 3633
تعرض لأعرابية فأجابته جواباً مسكتاً..... 3634
مذهبه من شعره..... 3634
اعتزازه بشعره..... 3635

الحسن بن سهل يصله بالمأمون..... 3636
المأمون يتمثل من شعره..... 3639
يذكر الدنيا ويصل حاله وهو عليل..... 3641
صوت..... 3642
أخبار مزاحم ونسبه..... 3642
نسبه..... 3642
بيتان له تمنى جرير أنهما له..... 3643
إسحاق يعجب بشعره..... 3643
منعه عمه من زواجه بابنته لفقره..... 3644
سجنه ثم هربه..... 3644
جرير يتمنى أن يكون له بعض شعره..... 3645
الفرزدق وجرير وذو الرمة يفضلونه على أنفسهم..... 3646
صوت..... 3647
أخبار بكر بن النطاح ونسبه..... 3647
اسمه ونسبه..... 3647
قصته مع أبي دلف..... 3647
قصته مع الرشيد ويزيد بن مزيد..... 3648
شعره في جارية تدعى رامشنة..... 3648
المأمون يعجب بشعره وينقد سلوكه..... 3649
تشوقه بغداد وهو بالجبل..... 3654
وفيها يقول وقد خرج مع أبي دلف..... 3656
ومما يغنى فيه من شعره فيها أيضاً..... 3656
صوت..... 3657
مقتل مصعب بن الزبير..... 3657
خرج لمحاربة عبد الملك بن مروان..... 3657
استشارة عبد الملك في المسير إلى العراق..... 3657
القتال بينه وبين عبد الملك..... 3658
مقتل مصعب..... 3660
مقتل مسلم بن عمرو الباهلي..... 3660
مصعب وسكينة بنت الحسين..... 3660

عبيد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعباً..... 3661
ابن قيس يرثي مصعباً..... 3662
مصعب يسأل عن قتل الحسين..... 3662
الحجاج يتأسى بموقف مصعب 3662
خطبة عبد الله بعد مقتل مصعب 3663
رجل من بني أسد يرثي مصعباً 3663
كان مصعب أشجع الناس..... 3664
صوت..... 3665
ذكر أشعب وأخباره..... 3665
نسبه..... 3665
أمه كانت مستظرفة من زوجات النبي..... 3665
سن أشعب..... 3666
أمه يطاف بها بعد أن بغت 3666
كان أشعب حسن الصوت بالقرآن..... 3667
أشعب وسالم بن عبد الله..... 3667
أشعب يدعو الله أن يذهب عنه الحرص..... 3668
ثم يستقيل ربه..... 3668
صفته 3668
أشعب والدينار..... 3668
أشعب يطرب الناس بغنائه 3669
أشعب وزياد بن عبد الله الحارثي..... 3669
من طرائف أشعب 3670
بين أشعب وابنه..... 3671
حديثه عن وفاة بنت الحسين بن علي..... 3672
أرضع أشعب جدياً لبن زوجته 3673
حزن أشعب لوفاة خالد بن عبد الله 3674
أشعب في المسجد..... 3674
جزء أشعب لحيته 3674
طرائف من طمعه وبخله 3674
أشعب يبكي نفسه..... 3677

أشعب والغاضري..... 3679
من أخلاق أمه 3679
كان من المعتزلة 3680
أشعب وعبد الله بن عمر 3680
من نوادره 3681
من حيله 3681
ابنه يذكر بعض طرائف أبيه..... 3681
أشعب وأم عمر بنت مروان..... 3685
أشعب والوليد بن يزيد..... 3685
صوت..... 3692
أخبار عويف ونسبه 3692
نسبه..... 3692
بيوتات العرب المشهورة بالشرف ثلاثة 3692
كسرى يسأل النعمان عن شرف القبيلة 3692
سبب تسميته عويف القوافي..... 3694
قصته مع عبد الملك بن مروان..... 3695
هجا بني مرة..... 3698
موقف عبد الملك بن مروان وعرضه الدية..... 3704
مدح عيينة بن أسماء رغم تطليقه أخته 3706
مدح عبد الرحمن ابن مروان وهو صغير..... 3706
صوت..... 3708
أخبار عبد الله بن جحش..... 3708
طلاق صهباء من ابن عمها..... 3708
يهيم بصهباء ويتقدم لخطبتها 3708
كان عبد الملك بن مروان معجباً بشعره 3709
صوت..... 3710
بعض أخبار للعرجي..... 3710
امرأة تتمثل بشعره 3710
أخبار عبد الله بن العباس الربيعي..... 3711
نسبه..... 3711

كان شاعراً مطبوعاً ومغنياً جيد الصنعة 3711
سبب تعلمه الغناء 3712
جده ينفي معرفته بأنه يغني 3713
غنى أمام الرشيد فطرب وكافأه 3714
المعتصم يأمره بالتكفير عن يمينه 3714
والغناء لأصحابه جميعاً 3714
صنع غناء في شعر لأبي العتاهية 3715
شرب الخمر في رمضان إلى الفجر 3718
كان مصطبحاً دهره 3719
ويقول الشعر في الصبوح 3719
كتب شعراً في ليلة مقمرة 3720
وصنع فيه لحناً 3720
عشق جارية عند أبي عيسى بن الرشيد 3723
فوجه بها معه إلى منزله 3723
اقترض الواثق مالاً ليعطيه له 3728
شرب ليلة الشك في رمضان في نيروز 3729
صنع لحناً من شعره للواثق فأمر بجائزة 3729
فضله المتوكل على سائر المغنين 3730
أشار بذكره ابن الزيات عند المعتصم 3731
صنع لحناً جيداً في شفاء بشر 3732
خادم بن عجيف 3732
غنى الواثق بعد شفائه لحناً فأجازه 3732
فاجأته محبوبته النصرانية بالوداع فقال 3732
طلب من علي بن عيسى تأجيل الصوم 3733
ومباشرة الشرب فأجابه 3733
دخل على المتوكل آخر شعبان وطلب الشراب 3733
فأجابه 3733
حرم المرابين من مائة ألف دينار 3734
غنى عند علوية بشعر في النصرانية 3734
التي كان يهواها 3734

علم وصيفته هيلانة الغناء..... 3735
صوت..... 3735
أخبار سلم الخاسر ونسبه..... 3736
نسبه، ومقدرته الشعرية..... 3736
سبب تلقيبه سلم الخاسر..... 3736
صداقته للموصلي وأبي العتاهية..... 3736
وانقطاعه للبرامكة..... 3736
من قول أبي العتاهية له..... 3736
يرد مصحفاً ويأخذ مكانه دفاتر شعر..... 3737
أجازه المهدي أو الرشيد بمائة ألف..... 3737
درهم ليكذب تلقيبه بالخاسر..... 3737
ورث مصحفا فباعه واشترى طنبورا..... 3737
فلقب الخاسر..... 3737
سبب غضب بشار عليه ثم رضاه عنه..... 3738
شعره في قصر صالح بن المنصور..... 3739
ينشد عمر بن العلاء قصيدة لبشار فيه،..... 3739
ثم ينشده لنفسه..... 3739
صداقته لعاصم بن عتبة ومدحه إياه..... 3740
ابن مزيد يحسد عاصما على شعره فيه..... 3740
كان يقدم أبا العتاهية على بشار..... 3741
ثم فسد ما بينهما..... 3741
حين اتهمه بالحرص في شعر له..... 3741
مبلغ ما وصل إليه من الرشيد والبرامكة..... 3742
ابتلاؤه بالكيمياء ثم انصرافه عنها..... 3743
يسكت أبا الشمقمق عن هجائه بخمسة دنانير..... 3745
شعره في الفضل حين أخذ البيعة للمهدي..... 3746
شعره حين عقدت البيعة للأمين..... 3747
مات عن غير وارث فوهب الرشيد تركته..... 3748
صوت..... 3752
أخبار أبي صدقة..... 3752

اسمه وولاؤه..... 3752
يذكر أسباب كثرة سؤاله 3753
يتغنى مع مغني الرشيد 3753
فيشتد طرب الرشيد لغنائه..... 3753
صادره الحسن بن سليمان على جعل 3754
يأخذه ويكف عن السؤال فلم يف له 3754
يذكر للرشيد أسباب إلحاحه في المسألة 3755
قصة وصوله إلى السلطان..... 3757
صوت..... 3758
أخبار فضل الشاعرة..... 3758
نشأتها وصفاتها..... 3758
كانت تجلس لرجال ويجيبها الشعراء..... 3758
شعرها في المتوكل حين دخلت عليه..... 3759
شعرها على لسان المعتمد في جارية..... 3759
شعر لها تجيب به 3760
عن شعر في الشوق إليها 3760
شعر آخر تبادل فيه شوقاً بشوق..... 3760
تجيز بيتاً أنشده المتوكل..... 3761
تجيب ببيت عن بيت ألقي عليها..... 3761
ارتجالها شعراً تجيز به بيتاً..... 3761
تتشوق إلى حبيب..... 3762
تعتذر من حجب زائرين عنها دون علمها..... 3762
ترثي المنتصر وتبكيه..... 3764
شعرها في حضرة المتوكل يوم نيروز 3765
تتشوق إلى سعيد بن حميد..... 3765
تجيز بيتاً لعلي بن الجهم طلب إجازته..... 3766
صوت..... 3767
الجزء العشرون..... 3768
نسب ابن الخياط وأخباره 3768
نسبه وولاؤه..... 3768

أوصافه 3768
يمدح المهدي فيجيزه 3768
ثم يمدحه فيضعف جائزته: 3768
كان من الهجائين 3768
عقوق ابنه يونس له 3769
يهجو رجلا شيد دارا وكان يعرفه بالضعة 3769
شعره في جارية القتيلي 3769
ابنه يونس ينافسه ليحرمه جائزة 3771
ابنه يعصر حلقه 3771
فيعترف لمنقذه بأن عق أباه من قبله: 3771
يشكو حاله إلى محمد بن سعيد 3772
فيأمر له بمعونة فيمدحه: 3772
فيحاول أن يعفيه منها: 3772
شعره في صديق كان يدعوه للشرب 3773
ابن الخياط يستزير الزبير ابن بكار 3775
في مرض موته ليجدد له عهدا: 3775
صوت 3776
أخبار علي بن جبلة 3776
نسبه ولقبه 3776
استنفذ شعره في مدح أبي دلف وحميد 3776
نشأته وتربيته 3776
يقصد أبا دلف فيتهم بانتحال القصيدة 3777
فيطلب أن يمتحن: 3777
اتساع شهرة قصيدته فيه 3781
شدة إعجاب أبي تمام ببيت من بائيته 3781
يمسك عن زيارة أبي دلف حياء 3782
لكثرة بره به 3782
يقصد عبد الله بن طاهر ليمدحه، فيرده 3783
لغلوه في مدح أبي دلف: 3783
يصف قصر حميد الطوسي ويمدحه 3784

يدخل على أبي دلف فيستنشده..... 3787
يهجو الهيثم بن عدي إجابة لطلب الخزيمي..... 3787
أحب جارية وأحبته على قبح وجهه..... 3790
ينشد لنفسه أقبح ما قيل في ترك الضيافة..... 3791
يخشاه المخزومي أن ينشد شعراً..... 3792
في حضرته:..... 3792
هربه من المأمون..... 3794
وقد طلبه لتفضيله أبا دلف عليه وعلى آله:..... 3794
أمر المأمون أن يسل لسانه لكفره..... 3794
صوت..... 3795
أخبار التيمي ونسبه..... 3795
اسمه وولاؤه وصفته..... 3795
أكثر شعره في وصف الخمر..... 3795
صوت..... 3805
أخبار أبي نواس وجنان خاصة..... 3805
صوت..... 3813
ابن أبي عيينة وأخباره..... 3813
صوت..... 3840
أخبار دعبل بن علي ونسبه..... 3840
صوت..... 3878
أخبار جعيفران ونسبه..... 3879
صوت..... 3884
أخبار السري ونسبه..... 3885
صوت..... 3888
أخبار مسكين ونسبه..... 3888
صوت..... 3894
أخبار أبي محمد ونسبه..... 3894
صوت..... 3913
أخبار إبراهيم..... 3913
صوت..... 3921

أخبار المخبل القيسي ونسبه..... 3922
صوت..... 3927
أخبار خالد الكاتب 3928
أخبار المسدود..... 3936
صوت..... 3938
أخبار سلمة بن عياش 3938
صوت..... 3941
أخبار لأم جعفر 3942
صوت..... 3944
أخبار أيمن بن خريم..... 3944
صوت..... 3949
أخبار حجية بن المضرب..... 3949
صوت..... 3951
خبر إسحاق مع غلامه زياد 3951
صوت..... 3955
أخبار أبي الهندي ونسبه..... 3955
صوت..... 3958
أخبار سعيد بن وهب 3958
صوت..... 3963
أخبار رؤبة ونسبه 3963
صوت..... 3969
أخبار عمرو بن أبي الكنات..... 3969
صوت..... 3972
أسماء بن خارجة وابنته هند 3972
صوت..... 3977
أخبار السليك بن السلكة ونسبه 3978
صوت..... 3985
أخبار أبي نخيلة ونسبه..... 3985
صوت..... 4002
الجزء الحادي والعشرون..... 4003

أخبار المنخل ونسبه..... 4003
صوت..... 4007
أخبار أمية بن الأسكر ونسبه 4007
نسبه..... 4007
صوت..... 4015
نسب عبدة بن الطبيب وأخباره..... 4015
نسبه واسم الطبيب أبيه..... 4015
صوت..... 4016
أخبار الأغلب ونسبه 4017
نسبه..... 4017
صوت..... 4020
أخبار البحتري ونسبه 4020
نسبه وكنيته..... 4020
ذكر نتف من أخبار عريب مستحسنة 4030
منزلتها في الغناء والأدب 4030
صوت..... 4051
ذكر معقل بن عيسى..... 4051
شاعر مغن..... 4051
صوت..... 4052
الأحوص وبعض أخباره..... 4053
صوت..... 4062
ذكر عبد الله بن الحسن بن الحسن..... 4062
نسبه..... 4062
صوت..... 4069
أخبار تأبط شراً ونسبه 4069
نسبه ولقبه..... 4069
صوت..... 4092
عمرو بن براق 4092
صوت..... 4093
أخبار الشنفري ونسبه..... 4093

صوت..... 4101
أخبار الخليل ونسبه..... 4101
نسبه..... 4101
صوت..... 4102
أخبار علقمة ونسبه..... 4103
صوت..... 4105
ذكر أبي خراش الهذلي وأخباره..... 4105
صوت..... 4117
أخبار ابن دارة ونسبه..... 4117
نسبه..... 4117
صوت..... 4126
أخبار مسعود بن خرشة..... 4126
أخبار بحر ونسبه..... 4127
صوت..... 4128
أخبرا هدبة بن خشرم ونسبه..... 4128
صوت..... 4138
نسب الفرزدق وأخباره وذكر مناقضاته..... 4139
نسبه..... 4139
الجزء الثاني والعشرون..... 4206
أخبار خالد بن عبد الله..... 4206
نسبه..... 4206
صوت..... 4220
أخبار صخر بن الجعد ونسبه..... 4220
نسبه..... 4220
صوت..... 4226
أخبار أبي حفص الشطرنجي ونسبه..... 4226
صوت..... 4230
ذكر الخبر في حروب الفجار وحروب عكاظ..... 4231
ونسب أميمة بنت عبد شمس..... 4231
نسب أميمة..... 4231

صوت..... 4241
أخبار مالك ونسبه 4241
صوت..... 4243
أخبار عبيد بن الأبرص ونسبه 4243
صوت..... 4251
أخبار ربيعة بن مقروم ونسبه 4251
صوت..... 4255
أخبار أوس ونسب اليهود 4255
النازلين بيثرب وأخبارهم..... 4255
العمالقة في المدينة 4256
أول استيطان اليهود المدينة 4256
بنو قريظة النضير يلحقون بإخوانهم..... 4256
بطون من العرب بالمدينة 4257
عرب آخرون يلحقون بإخوانهم..... 4257
ابو جبيلة يفتك باليهود..... 4258
سارة القريظية ترثي قومها..... 4258
الرمق يمدح أبا جبيلة..... 4258
بقية خبر أبي جبيلة 4259
اليهود يذلون للعرب 4260
يهودية تعتنق الإسلام..... 4260
ومن الأغاني في أشعار اليهود..... 4260
صوت 4260
أخبار السموءل ونسبه 4261
ومن أشعار اليهود ويغنى به..... 4265
أخبار الربيع بن أبي الحقيق..... 4266
أخبار كعب ونسبه ومقتله 4267
صوت..... 4268
أخبار بيهس ونسبه..... 4269
صوت..... 4272
أخبار الكميت بن معروف ونسبه 4272

صوت..... 4273
أخبار يعلى ونسبه..... 4274
صوت..... 4275
نسب جواس وخبره في هذا الشعر..... 4275
صوت..... 4277
أخبار إبراهيم بن المدبر..... 4278
ذكر الخبر في هذه الغارات والحروب..... 4294
صوت..... 4300
أخبار محبوبة..... 4300
صوت..... 4302
أخبار عبيدة الطنبورية..... 4303
صوت..... 4306
أخبار أحمد بن صدقة..... 4306
صوت..... 4308
أخبار الحارث بن وعلة..... 4308
صوت..... 4312
أخبار عتيبة ونسبه..... 4312
صوت..... 4317
أخبار عبد الله بن العجلان..... 4317
صوت..... 4321
أخبار المؤمل ونسبه..... 4322
صوت..... 4325
أخبار أبي مالك ونسبه..... 4326
صوت..... 4327
أخبار أبي دهمان..... 4327
صوت..... 4328
أخبار أبي حزابة ونسبه..... 4328
صوت..... 4333
نسب زهير السكب وأخباره..... 4333
صوت..... 4334

أخبار النمر بن تولب ونسبه 4334
صوت..... 4340
أخبار مالك بن الريب ونسبه 4341
صوت..... 4349
أخبار عبد بني الحسحاس 4349
صوت..... 4354
متمم العبدي والجويرية 4354
صوت..... 4355
أخبار حسان بن تبع..... 4356
صوت..... 4357
أخبار مرة بن محكان..... 4358
أخبار علي بن عبد الله بن جعفر 4359
ونسبه 4359
صوت..... 4360
أخبار العديل ونسبه 4360
صوت..... 4370
أخبار صخر الغي ونسبه..... 4370
نسب عمرو ذي الكلب وأخباره 4373
صوت..... 4374
خبر لقيط ونسبه والسبب في قوله الشعر 4375
الجزء الثالث والعشرين..... 4378
أخبار نصيب الأصغر 4378
أخبار أبي شراعة ونسبه..... 4389
أخبار ابن البواب..... 4399
أخبار محمد بن عبد الملك الزيات ونسبه 4403
أخبار أبي حشيشة..... 4420
أخبار عنان..... 4426
أخبار الحسن بن وهب 4431
أخبار أحمد بن يوسف..... 4445
أخبار العطوي..... 4448

أخبار مرة ونسبه 4452
أخبار علي بن أمية 4453
أخبار عمر الميداني 4456
أخبار سليمان بن وهب وجمل من أحاديث 4457
تصلح لهذا الكتاب 4457
أخبار أبان بن عبد الحميد ونسبه 4464
أخبار تويت ونسبه 4472
أخبار محمد بن الحرث 4476
أخبار ماني الموسوس 4478
أخبار بكر بن خارجة 4482
أخبار إسماعيل القراطيسي 4484
أخبار أبي العبر ونسبه 4485
أخبار مروان بن أبي حفصة الأصغر 4489
أخبار يوسف بن الحجاج ونسبه 4495
خبر عبد الله بن يحيى وخروجه ومقتله 4499
الجزء الرابع والعشرون 4518
خبر عبد الله بن أبي العلاء 4518
نسب أمية بن أبي عائذ وأخباره 4519
أخبار عبد الله بن أبي معقل ونسبه 4521
ذكر نسب القطامي وأخباره 4523
خبر وقعة ذي قار التي فخر بها 4539
في هذا الشعر 4539
أخبار القحيف ونسبه 4549
أخبار الفند الزماني ونسبه 4553
أخبار عبد الله بن دحمان 4554
أخبار المتنخل ونسبه 4555
أخبار أبي صخر الهذلي ونسبه 4558
أخبار يحيى بن طالب 4566
أخبار عروة بن حزام 4569
أخبار القتال ونسبه 4577

أخبار أبي العيال ونسبه 4589
نسب الراعي وأخباره 4592
أخبار عمار ذي كبار ونسبه..... 4598
أخبار عبد الله بن مصعب ونسبه..... 4607
أخبار عمارة ونسبه..... 4610
أخبار المتلمس ونسبه 4616

To PDF: www.al-mostafa.com

3456-3759